إمتاع الأسماع

بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع

تأليف

تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي

المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

تحقيق وتعليق

محمد عبد الحميد النميسي

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الفهـــرس

الفهـــــرس

الفهـــرس

* * *

تم بحمد الله تعالى وحُسن توفيقه
الجزء الثالث من
إمتاع الأسماع للمقريزي
ويليه الجزء الرابع وأوله:
(ومن حديث محمد بن كعب القرظي قال:)

* * *

الفهـــــرس

الموضوع	الصفحة

الفهـــرس

الموضوع	رقم الصفحة

* * *

تم بحمد الله تعالى وحُسن توفيقه

الجزء الخامس من

إمتاع الأسماع للمقريزي

ويليه بمشيئة الله الجزء السادس وأوله :

[فصل في ذكر ذرية رسول الله ﷺ]

* * *

الفهرس

تم بحمد الله تعالى الجزء السادس

ويليه الجزء السابع وأوله : «وأما الخرقة التى كان يتنشف بها»

* * *

الفهرس

الفهرس

* * *

الفهرس

الفهرس

الفهرس

الفهرس

الفهرس

الفهرس

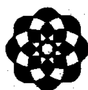

فهرس المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء علـــي الكفــار رحماء بينهم تراهم ركعاً ســـجداً يبتغــون فضــلاً مــن الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلـــهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شــطأه فــآزره فاستغلظ فاستوى علي سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفـار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرةً وأجــراً عظيماً ﴾ [الفتح:٢٩] .

صدق الله العظيم

الإهداء

إلي صاحب الخُلق العظيم .. والخَلق القويـــــم .. إلـــي سيدنا ومولانا محمد ،الفاتح لما أغلق .. والخاتم لمـــا ســبق ناصر الحق بالحق .. والهادي إلي صراط مستقيم .. وعلــــي آله وصحبه حقّ قدره ومقداره العظيم .

أهدي هذا الجهد المتواضع من عنايتي بسيرته العطرة ، راجياً أن أنال به الشفاعة العظمي يوم الفزع الأكبر ، آملا أن ألقاه علي الحوض -إن كنت أهلاً لذلك - وحتى ذلك الحين ، له مني صلاة وسلاما دائمين إلي يوم الدين ، في كل نفَــس ، ولمحة ، وطرفة عين ، كلما ذكره الذاكرون ، وغفــل عــن ذكره الغافلون.

دعاء

((لا أحوجك الله إلي اقتضاء ثمن معروف أسديته، ولا ألجأك إلـــي قبض عوض عن جميل أوليته ، ولا جعل يدك السفلي لمـــن كــانت عليه هي العليا . وأعاذك من عز مفقود ، وعيش مجهود . وأحياك ما كانت الحياة أجمل لك ، وتوفاك إذا كانت الوفاة أصلح لك ، بعــد عمر مديد ، وسموّ بعيد ، وختم بالحسنى عملك ، وبلغك في الأولى أملك ، وسدد فيها مضطربك ، وأحسن في الأخرى منقلبك ، إنـــه سميع قريب ، جواد مجيب)). التقي المقريزيّ ، (الســـلوك فـــي معرفة دول الملوك) :١|١ .

تقديم*
بقلم فضيلة الأستاذ الدكتور
محمد جميل غازي

[إن الحمد لله نحمده، ونستعين به ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا وأن محمدا عبد الله ورسوله] .

أما بعد :

- فهذا كتاب من كتب التراث الإسلامي ، عهد إلي بمراجعة تحقيقه ، تمهيدا لإخراجه للدارسين والباحثين من أبناء هذه الأمة ، والمنتفعين بعلمها وثقافتها ، وهوواحد من الكتب التي منيت بما مني بها كثير من تراثنا الفكري والحضاري من الإهمال والضياع والتشويه .

- إنه كتاب : **إمتاع الأسماع بما للرسول ﷺ من الأبناء والأحوال والحفدة والمتاع .**

لمؤلفه :أحمد بن علي بن عبد القادر ، أبي العباس الحسيني ، العبيدي ، تقي الدين المقريزي ، رحمه الله .

إنني أعلم – ويعلم مؤرخو الفكر البشري ، وراصدو خطو الحركة الثقافية الإنسانية علي أرض الله– ما لهذا التراث الإسلامي من ثراء ، وقوة ، وجدية ، وقدرة علي الإعطاء ، والإثراء ، والريادة .

وإنني أعلم –أيضا– مدى ما يعانيه هذا التراث المجيد من ضياع وإهمال ، علي الرغم من كثرة المؤسسات القائمة علي نشره وإذاعته هذه المؤسسات التي يعمل كثير منها بدافع الكسب المادي قبل كل شيء ، وفوق أي اعتبار – ولا يهمها أن يخرج الكتاب علي الناس موثقا أوغير موثق ، محققا

أوغير محقق ، بريئا من التحريف ، أويعتريه التحريف ، في كل صفحاته وفقراته.

لقد عانى التراث العربي من هذه المؤسسات الكثيرة ، وما زال يعاني ، وكم كنا نود أن تقوم هيئة عليا لوضع برنامج لأولويات نشر التراث ، يكون ملزما لجميع الناشرين ، بحيث لا يخرج الكتاب الواحد في عدة طبعات في آن واحد !! في الوقت الذي لا تري النور ألوف من المخطوطات!! وبحيث لا يخرج الكتاب علي الناس محرفا ، غير مقروء قراءة صحيحة ، تلك مهمة هيئة عليا ، ننتظر أن تقوم ، إن صلحت النيات ، وقويت الرغبة في الخير ، واريد لهذه الأمة أن تسلك مسالك الصلاح والإصلاح .

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا ، واحد من آثار المقريزي العلمية ، وجزء من تراثه الكبير . والمقريزي مؤرخ ، أديب ، فقيه ، راوية ، له أثر كبير في نفسي ، ونفوس الكثيرين من دارسيه وعارفي فضله .

ولقد وقفت وتعرفت علي كثير من أعماله التاريخية ، والأدبية ، والدينية ، رأيته عالما جليلا ، تأثر بمن سبقوه ، وأثر فيمن جاءوا بعده ، وكان لتأثره وتأثيره أثر كبير في إنتاجه الثقافي الذي أربى علي مائتي مجلد !!

إن المقريزي علم من الأعلام الذين ينبغي أن نعني بدراستهم ، ونهتم بتراثهم وآرائهم ، وقد آلمني - أثناء دراستي للرجل ، ولحياته - أن أجد كتب التراجم قد هجرت الرجل هجراً غير جميل ، فلم تشر إليه إلا إشارات عابرة لا تكفي في تكوين فكرة عن الرجل ، أوإلقاء ضوء علي حياته ! الأمر الذي يجعل الدارسين لحياة الرجل ، والكاتبين لترجمته ، يجدون عناء شديدا فيما يقصدون إليه ، ويريدون له ، فإنهم ينقبون فيما كتبه الرجل ، لا فيما كتب عنه ، فما كتبه كثير ، وما كتب عنه قليل ، بل دون القليل ! .

إن المقريزي معلم من معالم الكتابة التاريخية الإســـلامية ، لـــه آراؤه الصائبة ، ورؤيته الواضحة ، ومنهجه البين ، وشخصيته المتميزة ، وتراثــه ، كان ، وسيظل مثابة تهوي إليـــها عقـــول الدارســـين ، والبـــاحثين ، ورواد المعرفة ، مع أن الذي طبع منه ونشر قليل وضئيل ، إذا قيس بما لم يطبع ولـم ينشر . ولذا ؛ فإن من حق المقريزي علينا -نحن الذين درســـناه ، وعرفنـــاه ، واستفدنا من علمه - أن نعني بتراثه ، نشرا ، وإخراجا، حتى يكون متاحـــا ، وميسرا للعلماء وطلاب العلم ، حيثما كانوا من ارض الله . وقبل أن ارفع القلـم عن هذه المقدمة القصيرة ؛ أتمهل لأنوه بالمجهود المشكور الذي قـــام بـــه الأخ المحقق :

الأستاذ الشيخ / محمد عبد الحميد النميسي ، لقد عكـــف علـــي هـــذا الكتاب الكبير ، المترامي الأطراف ، في السيرة ، والخصائص ، والشـــمائل ، دارساً لفصوله ، محققاً لأصوله ، شارحاً لغريبه ، مناقشـــاً لآرائـــه مخرجـــا لنقوله ، وقد أحسن فيما قصد إليه ، فجزاه الله عن العلم وأهله خير الجزاء .

وإنني إذ أنهي هذه المقدمة ، أرجوأن أكون قد وفقت ، فيما إليه قصدت والحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات.ويا رب العالمين ، إيـــاك نعبـــد وإيـــاك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضـــوب عليهم ولا الضالين آمين .

دكتور محمد جميل غازي
رئيس المركز الإسلامي العام
لدعاة التوحيد والسنة بمصر
وكبير الباحثين بالمجلس الأعلى للثقافة
[سابقا]

ترجمة المقريزي (*)

اسمه :

هوأحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم تقي الدين المقريزي ، [بفتح الميم نسبة إلي مقريز - محلة من بعلبك] البعلي ثم المصري الفقيه المؤرخ الشافعي .

(*) مصادر ترجمة المقريزي :

- (هدية العارفين للبغدادي):١٢٧/٥ .
- (السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي) :٢٢/١-٢٣،٥٢/٣ وما بعدها .
- (الدر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر):٢٩١/٢-دار الجيل -بيروت .
- (إنباء الغمر لابن حجر):١٧١/٩-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية-القاهرة .
- (دراسات عن المقريزي)، د.محمد مصطفى زيادة ، د.جمال الدين الشيال،في آخرين، هيئة الكتاب-القاهرة .
- (المقريزى مؤرخا) : د.محمد كمال الدين عز الدين علي ، رقم (٦) من سلسلة المؤرخين ، عالم الكتب - القاهرة .
- (أربعة مؤرخين،وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة) : د.محمد كمال الدين عز علي رقم (٥٣) من سلسلة تاريخ المصرين - هيئة الكتاب - القاهرة .
- (الحسبة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلي نهاية العصر المملوكي) : د. سهام مصطفى أبوزيد -هيئة الكتاب القاهرة .
- (البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك) : أحمد عبد الرازق أحمد ، دراسة عن الرشوة - هيئة الكتاب - القاهرة .
- (المقريزي وكتابه درر العقود الفريدة - في تراجم الأعيان المفيدة) : دراسة وتحقيق د.محمد كمال الدين عز الدين علي - عالم الكتب - القاهرة .
- (ضوء الساري في معرفة خبر تميم الداري) للمقريزي : المقدمة، تحقيق وتعليق د. محمد أحمد عاشور.
- (معرفة ما يجب لآل البيت النبوي للمقريزي) : المقدمة ، تحقيق وتعليق د.محمد أحمد عاشور ، هووالذي قبله ، طبع دار الاعتصام - القاهرة .

مولده :

ولد سنة ٧٦٦هـ = (١٣٦٤م) بحارة برجوان ، بقسم الجمالية ، بمحافظة القاهرة ، بمصر .

نشأته :

نشأ المقريزي في أسرة معروفة بالاشتغال بالعلم في دمشق وبعلبك والقاهرة .وعبر عشرين سنة - هي سنوات طفولته ومراهقته وشبابه - شهد المقريزي حوادث ذلك العصر الآفل من نافذته الفكرية المصرية البعيدة عن شئون الدولة المملوكية وأمرائها الذين جعلوا من السلاطين الأطفال وأشباه الأطفال وقتذاك ، ستارا رقيقا شفافا ساذجا يعملون من ورائه لتحقيق مطامعهم .

ثقافته :

وفي وسط تلك الحوادث الصاخبة المتقلبة ، عكف الشاب أحمد المقريزي علي الدراسة التقليدية لأبناء طبقته ، وهي دراسة علوم الدين وحفظ القرآن ومعرفة النحو ودراسة الفقه والتفسير ، والحديث ، وبعض العلوم الأخرى مثل التاريخ ، وتقويم البلدان ، والأدب ، والحساب .

مصادر ثقافته :

ترجع مصادر ثقافة المقريزي إلي :

١-أنه كان يملك مكتبة كبيرة ضخمة تضم العديد من الكتب في مختلف أنواع العلم والمعرفة المتداولة في عصره ، والدليل واضح في الكثرة الكثيرة من المراجع التي أشارت في مؤلفاته إلي أنه رجع إليها وأخذ عنها .

٢-أنه ولى وظائف كثيرة مختلفة ، مكنته من التعرف علي دولاب العمل وكيف يدار ، وعلي مختلف النظم الإدارية والمالية ، وعلي أحوال الشعب الاجتماعية والاقتصادية .

٣-اشتغاله بعلمي الحديث والتاريخ ، وهما علمان يعتمدان أصلاً علي الجرح والتعديل ، والنقد والتحليل ، والتثبت من كل قول ، أورواية أوحقيقة علمية .

شخصية المقريزي :

أودع المقريزي في صفحة العنوان من كتاب [السلوك لمعرفة دول الملوك] ، شيئا من صفاته الشخصية ، حيث يقول بعد كتابة اسم الكتاب واسمه هو ، وكأنما يخاطب نفسه :

[لا أحوجك الله إلي اقتضاء ثمن معروف أسديته ، ولا ألجأك إلي قبض عوض عن جميل أوليته ، ولا جعل يدك السفلي لمن كانت عليه هي العليا ، وأعاذك من عز مفقود ، وعيش مجهود ، وأحياك ما كانت الحياة أجمل لك ، وتوفاك إذا كانت الوفاة أصلح لك ، بعد عمر مديد ، وسمو بعيد ، وختم بالحسنى عملك ، وبلغك في الأولى أملك ، وسدد فيها مضطربك ، وأحسن في الأخرى منقلبك ، إنه سميع قريب ، جواد منيب] .

الوظائف التي تولاها المقريزي :

التحق المقريزي بالخدمة الحكومية ، بعد أن غدا بحكم طبقته وتعليمه من [أهل العلم والمعرفة] وهي التسمية المخصصة لهذه الطبقة تمييزا لها عن طبقة [أهل السيف] وهم المماليك وحدهم ، دون غيرهم من سكان البلاد المصرية والشامية جميعا .

وأول عهد المقريزي بالخدم الحكومية كأبيه من قبله : [ديوان الإنشاء بالقلعة] ، وهوالديوان الذي يقابله في العصر الحاضر [وزارة الخارجية] ، فعمل المقريزي الشاب سنة ١٣٨٨م موقعا - أي كاتبا - وهي وظيفة لا يبلغها وقتذاك سوى أصحاب الموهبة والمعرفة والتفوق في اللغة والأدب والتاريخ . ثم تعين المقريزي نائبا من نواب الحكم - أي قاضيا - عند قاضي قضاة الشافعية بسبب ما اشتهر عنه من الحماسة للمذهب الشافعي منذ أيام دراسته ، وتحوله عن مذهب الحنفية الذي نشأ فيه ، ثم صار المقريزي إماما لجامع الحاكم الفاطمي ، وهي وظيفة في ذلك العصر .

وتولى المقريزي بعد ذلك وظيفة مدرس للحديث بالمدرسة المؤيدية ، وهي وظيفة يقابلها في المصطلح الجامعي في العصر الحاضر [أستاذ ذوكرسي] .

- وربما كان تعين أحمد المقريزي في تلك الوظيفة التعليمية بتوصية خاصة من أستاذه [عبد الرحمن بن خلدون] لدى صديقه [السلطان برقوق] .

ثم انتقل المقريزي من التدريس إلي الحسبة حين عينه [السلطان برقوق] سنة ١٣٩٨م محتسبا للقاهرة والوجه البحري ، فانتقل بذلك من دائرة الإدارة والاختلاط بمختلف طبقات المجتمع ، ذلك أن وظيفة المحتسب التي يقابلها في الوقت الحاضر عدة وظائف وزارية شملت وقتذاك النظر في الأسعار الجارية ، وأحوال النقود ، وضبط الموازين والمكاييل والمقاييس ، ومراقبة الآداب العامة ونظافة الشوارع ، وتنظيم حركة المرور ، مع الإشراف علي المدارس والمدرسين والطلاب ، والعناية بالمساجد والحمامات والوكالات ، فضلا عن مراقبة أصحاب الصناعات الفنية من الأطباء ، والصيادلة ، والمعلمين [أي المهندسين المعماريين].

ويضاف إلي هذه الواجبات الكثيرة الداخلة في اختصاص المحتسب أحوال الباعة الجائلين ، والمتعيشين ، والشحاذين ، والمتعطلين الذين كانوا خطرا دائما علي الأمن .

ويتضح من ضخامة هذه الوظيفة ومسئوليتها أن أحمد بن علي المقريزي الذي تعين عليها بأمر [السلطان برقوق] ، لابد أنه اشتهر وقتذاك بالكفاية والدقة في الإدارة والأمانة في تطبيق الأحكام الشرعية .

غير أنه لم يلبث أن تنحى عن هذه الوظيفة مرتين في عامين متتالين ، إذ ضاق بمسئوليتها التي شغلت وقته ليلا ونهارا ، وصرفته عن القراءة ، وتطلبت منه الجلوس في دكة المحتسب -[بوابة المتولي الحالية] - للفصل في شكاوى السوق والسوقة ، وتوقيع عقوبات علي المخالفين ، وإصدار الأوامر إلي العرفاء والأعوان والنقباء ، مع العلم بأن وظيفة [محتسب القاهرة] شملت الوجه البحري كله .

مؤلفات المقريزي :

ترك المقريزي - رحمه الله - مؤلفات عديدة ، في مجال التاريخ ، والأنساب ، والعقائد ، والفقه ، والأدب ، والعلوم البحته ، زادت علي

نحومائتي مجلدة كبار فى مكتبات العالم ، أوالمثبت عنواناته لدى مـــن ترجـــم له ، أو اعتني بالفهرسة العامة للمؤلفات العربية ، ويمكن إجمال مؤلفاته علـــي النحوالتالي :

١-(اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء) :

أرخ فيه المقريزي للدولة الفاطمية منذ قيامها في المغـــرب العربـــي ، وحتى سقوطها في مصر ، مترجما لخلفائها، مشيرا من خلال ترجماتـــهم إلي الحوادث الواقعة في زمانهم ، وقد انتظمتها عدة حوليات متتابعـــة ، مقدما لترجماتهم بالحديث عن أولاد علي بن أبي طالب وأعقابـــهم ، مـــع تحقيق نسب الخلفاء الفاطميين ، والتعريف بنشأة دولتـــهم فـــي المغـــرب العربي ، ومذيلا عليها بالتعريف برسوم دولتهم في مصر ، ومـــا عابـــه الفقهاء والمؤرخون عليهم ، فضلا عما صار إليه أمر أهليهم وذويـــهم ، بعد سقوط دولتهم في مصر .

- نشره بالقاهرة المجلس الأعلى للشئون الإســـلامية ، فيمـــا بيـــن ســـنتي (١٩٦٧) ، (١٩٧٣) ، في ثلاثة أجزاء بتحقيـــق الدكتـــور جمـــال الديـــن الشيال ، والدكتور محمد حلمي عبد الهادي .

٢-(أخبار قبط مصر) :

وهوفي تاريخ الأقباط ، مستخرج من كتاب (المواعظ والاعتبار) .

- نشره هماكر بأمستردام سنة (١٨٢٤) ، ونشـــره وســـتنفيلد بغوطـــا ســـنة (١٨٤٥).

٣-(الإخبار عن الأعذار):

عالج المقريزي من خلاله موضوعا تاريخيا اجتماعيا ، يدور حول مـــا يقام من ولائم في البناء [الزواج] ، والختان .ذكـــره الســـخاوي فـــي (الضوء اللامع) :٢٢/٢ .

٤-(إزالة التعب والعناء في معرفة الحال في الغناء):

ذكره ابن تغري بردي في (المنهل الصافي):٣٩٨/١ ، السخاوي فـــي (الضوء اللامع) :٢٣/٢

*منه نسخة في دار الكتب [فهرس الخديوية] :٥٦٤/٧ ، ونسحة بالمكتبة الوطنية بباريس .

٥-(الإشارة والإيماء في حل لغز الماء) :

وهورسالة لطيفة الحجم ، كتبها المقريزي يوم الثلاثاء ، لأربع عشر ليلة خلت من المحرم سنة (٨٢٣ هـ ، ١٤٢٠ م) علي سبيل التسلية، مستعرضا من خلالها معارفه الأدبية ، واللغوية ، والبلاغية، والفقهية ، والعلمية البحتة ، وهي تدور حول حل [تفسير] لغز الماء .لكن يعيب هذا المؤلف ما تخلل مادته من التسليم ببعض الخرافات ومستغربات الحدوث ، مع احتوائه علي بعض المعاني المستغلقة ، بعيدة المرمى ، تحتاج إلي إيضاح .

*توجد منه عدة نسخ خطية ، في مسودتين ، تحتفظ بهما مكتبة جامعة القاهرة ، تحت رقمي (٢٢٠٧٥) و(٢٦٢٤٧) ضمن مجموع رسائل المقريزي - رحمه الله -ومنه نسخة في دار الكتب المصرية [فهرس الدار] :١٢/٣ ، ونسخة في مكتبة نور العثمانية في استامبول برقم (٠١٥/٤٩٣٧) .

٦-(الإشارة والإعلام ببناء الكعبة البيت الحرام) :

أوتاريخ بناء الكعبة

*ذكره المقريزي -رحمه الله - في (الذهب المسبوك):٢٦ . منه نسخة خطية في دار الكتب الظاهرية بدمشق ، وهي بخط المؤلف برقم (٤٨٠٥) ، وليدن برقم (٩٤٣) .

٧-(إغاثة الأمة بكشف الغمة) :

وهى رسالة لطيفة الحجم ، فرغ المقريزيّ -رحمه الله- من تأليفها في المحرم سنة(٨٠٨هـ ، ١٤٠٥م) كما ذكره هوفي (إغاثة الأمة) :٨٦،٤٣ ، علي أثر المجاعات والكوارث الاقتصادية ، التي لحقت بمصر فيما بين عامين (٧٩٦هـ) ، (٨٠٨هـ) عارضاً من خلالها لما حل بمصر من غلاء ، وما ترتب عليه من مجاعات أوكوارث مجيحة فيما قبل نشوء الإسلام وبعده ، حتى سنة ثمان وثمانمائة للهجرة ، محصياً منها ستاً وعشرين حادثة ، خصّ مصر

الإسلامية منها عشرين ، وردت على سبيل التمثيل لا الحصر وقد أشير من خلالها إلي أن فيها ما هو أشدّ وأنكى من المحن المعاصرة ، معللاً لهذه المحن بأسباب طبيعية ، كقصور جري النيل في مصر ، وعدم نزول المطر في الشام ، والعراق ، والحجاز ، وما يصيب الغلال من الآفات وسمائم الرياح .

وأخرى غير طبيعية ، ترجع إلي سوء تدبير ولاة الأمور ، وتنحصر في أمور ثلاثة ، هي :

١-ولاية الخطط السلطانية والمناصب الدينية بالرشاء .

٢-غلاء إيجار الأطيان الزراعية علي مبلغ ما تغله الأرض من محصول .

٣-رواج الفلوس النحاسية .

وفي هذا العامل الأخير يكمن لب المشكلة وحلها في رأي المقريزيّ - رحمه الله- ولذا صرف جل اهتمامه إليه ، مستطرداً منه إلي ثلاثة موضوعات ، هي :

١-النقد الإسلامي ، وتطور سك العملة ، وأثره في النظام النقدي في مصر .

٢-نشأة الفلوس المضروبة من النحاس الأحمر في مصر ، وتراجع الدراهم المضروبة من الذهب لعدم ضربها ، وسبكها حلياً .

٣-أسعار النقد [ذهباً وفضة] ، وبعض السلع الرئيسية من المحاصيل الزراعية .

لكن شاب هذه الرسالة -كذلك- تسليم المقريزيّ -رحمه الله- من خلال مادتها بكثير مما جاء في مصادره من المبالغات ، أومستغربات الحدوث ، في مصر والشام . ومن ذلك إشارته إ لي نطق ثور جبة عسال -قرية من قرى دمشق بالشام- .

- منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية [فهرس الدار] :٣٦/٥ ، ونسخة خطية في مكتبة نور العثمانية برقم (١/٤٩٣٧) .

نشره في القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط٢ ، ١٩٥٧م ، بتحقيق الدكتور محمد مصطفى زيادة ، والدكتور جمال الدين الشيال .

٨-(الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام) :
هورسالة لطيفة الحجم ، كتبها المقريزي -رحمه الله- أثناء مجاورته في مكة سنة تسع وثلاثين وثمانمائة =(١٤٣٥-١٤٣٦م) ، مرتباً لها على مقدمة ، وثلاثة فصول ، وخاتمة قصيرة جداً ، اقتصر فيها على الصلاة والتسليم .
*منه نسخ خطية في :مكتبة جامعة ليدن برقم (٩٩٢) ، (٩٩٣) ، مكتبة نور العثمانية برقم (١١/٤٩٣٧)، دار الكتب المصرية برقم(٥٠٠) [فهرس الدار] : (٣٨/٥) مكتبة باريس ، نسخة تاريخها (٨٤١هـ) . وظهرت لهذا الكتاب طبعتان :نشره رينك ، ليدن ، سنة (١٧٩٠م) ، نشر في القاهرة سنة (١٣١٣و).
٩-(إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع):
وهومؤلف مطول في سيرة الرسول ﷺ ، جمع مادته من مصادر رئيسية ومتعددة ، محرراً فيه الخلاف حول كثير من الوقائع، مع العناية بتحقيق الكثير من المسائل الفقهية المتصلة بحوادث السيرة ، حدّث به المقريزي في مكة ، أثناء مجاورته فيها سنتي (٨٣٤هـ)=(١٤٣١م)، (٨٣٩هـ)=(١٤٣٦م) .
توجد منه نسخ خطية محتفظ بها في مكتبة كوبريللي — تركيا برقم (١٠٠٤)، كتبت في شوال سنة (٨٣٩هـ=١٥٦١م) ، كوبريللي زاده محمد باشا كتبخانة سند محفوظ ، صحيفة(٦٦) وهي في جزء واحد ضخم ، تقع في ستة أجزاء ضخمة ، ضمت (٩١٩) ورقة ، مقاسها ٢٧×٤٠ سم ، ومسطرتها نحو ٣٥ سطراً ، وعنها مصورتي :دار الكتب المصرية في القاهرة ، برقم (٨٨٦) تاريخ ، ومعهد إحياء المخطوطات العربية في القاهرة ، برقم (٦٣) تاريخ ، لكن عدد صفحاتها كما هوتحت يدي (١٨٣٩) صفحة نسخة بمكتبة غوطا برقم (١٨٣٠) ، وهي في ستة أجزاء ، وهذه النسخة قد اعتمدناها في التحقيق ، وهي ناقصة، وقد أنكر أمناء مكتبة غوطا أن تكون في ستة أجزاء ، نسخة في مكتبة ليدن ، برقم(٨٧١) ، وهي نسخة صغيرة ناقصة جداً ، كما توجد نسخة أخرى في خزانة عموجة حسين باشا في الآستانة ، برقم (٣٥٤) طبع الجزء

الأول منه بتحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر ، القاهرة (١٩٤١) ، علي نفقة السيدة قوت القلوب الدمرداشية . ثم طبع نفس الجزء مصورا علي الأوفست في دولة قطر بإشراف الشيخ عبد الله الأنصاري . ثم طبع الجزء الأول مرة أخرى بتحقيقنا ، نشرته دار الأنصار بالقاهرة (١٩٨١) ، ثم أعيد نشر الكتاب كاملا بالمقدمة والفهارس في سبعة عشر مجلدا ، نشرته دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، (١٩٩٨) .

١٠-(الأوزان والأكيال الشرعية) :

وهي رسالة في الموازين والمكاييل ، منها نسخة خطية في: مكتبة ليدن ، برقم (١٠١٤) ، دار الكتب المصرية ، [فهرس الخديوية] : (١٨٦/٥) .

*نشرها تيكس ، روستوك بألمانيا سنة (١٧٩٧م) ، (١٨٠٠م) .

١١-(البيان المفيد في الفرق بين التوحيد والتلحيد) :

منه نسختان خطيتان في ليدن ، [فهرس أمين المدني] برقم ١٨٨ ، وهي بخط المؤلف ، دار الكتب المصرية ، [فهرس الخديوية] :٥٦٥/٧ ، لكن جاء في فهرس المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، أن هذه المخطوطة تصنيف أحد علماء المائة الثامنة الهجرية ، وأن المقريزي -رحمه الله- ناسخها فقط ، (فهرس المخطوطات المصورة) : ١١٩/١ ، عمود٢ .

١٢-(البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب) :

هي رسالة لطيفة الحجم ، كتبها المقريزي -رحمه الله - سنة (٨٤١هـ=١٤٣٧م) مشيرا من خلالها إلي القبائل العربية التي دخلت مصر مع الفتح العربي ، وأماكن وجودها في عصره ، مقررا أن العرب الذين شهدوا فتح مصر قد أبادهم الدهر ، وجهلت أكثر أعقابهم ، وقد بقيت من العرب بقايا بأرض مصر حضرت لديه ست عشرة قبيلة ، وهي ثعلبة، وجرم ، وسنيس ، وجذام وبني هلال ، وبلى وجهينة ، وقريش ، وكنانة والأنصار ، وعوف ، وفزارة ، ولواته ، ولخم ، وحرام ، وبني سليم ، غير مرتب لها

علي حروف المعجم ، ولا علي أصول الأنساب :[قحطانية وعدنانيـــة] ، أوبحسب منازلهم في مصر ، فأتت أشبه شيء بمذكرات كتبت علـــي عجــل ، وعلي غير نظام واضح .

*منه نسخة خطية في : دار الكتب المصرية [فهرس الدار] :٥/٦٤ ، مكتبـــة جامعة كمبرج ، برقم (١٥٧) ، مكتبة نور العثمانية ، برقــم (٤٩٣٧/١٠)، مكتبة ليدن ، برقم (٩٧٥) ، المكتبة الوطنية في باريس ، برقــم (١٧٢٥) ، مكتبة فينيه برقم (٩١٠) . ظهرت لهذا الكتاب طبعتان :

نشره وستنفلد ، غوطا سـنة (١٨٤٧م) ، نشــر فــي القــاهرة ســنة (١٣٣٤هـ) ، ثم أعاد نشره محققا الدكتور عبد الحميد عابدين ، القـــاهرة ، عالم الكتب ، ط١ سنة ١٩٦١ ، مع دراسة عن تـــاريخ العروبــة فـــي وادي النيل .

١٢-(التاريخ الكبير المقفى في تاريخ أهل مصر والواردين عليها):

هومعجم تأريخي ضخم ، أتي في ســت عشــرة مجلــدة ، ترجــم المقريزي -رحمه الله- فيه لمشاهير أهل مصر ، فيما قبل الإسلام وبعده حتــى وقته ، علي اختلاف طبقاتهم وأجناسهم ، ممن استقروا فيها ، أوتحولوا عنــها إلي غيرها من البلدان [ميتا محنطا] أو[رأسا مقطوعة] ، حيث يقول [لما دخل المعز لدين الله أبوتميم معد إلي القاهرة ، كان معه توابيت آبائـــه: المنصــور إسماعيل -هذا- والقائم أبي القاسم محمد ، والمهدي عبيد الله ، فدفنهم بتربــة القصر من القاهرة ، فلذلك ذكرته في كتابي هذا] . (المقفى) : كما ترجم لخلــف بن جبير ، أحد ثوار المغرب ، وقد قتل في المغرب ، وطيف برأســـه فــي القيروان ، ثم حملت إلي مصر فطيف بها في القـــاهرة . (المقفـــى) ، أشـــار المقريزي -رحمه الله-إلي هذا الكتاب في (إمتاع الأسماع):١٢/٢٦٦ بتحقيقنا .

*منه نسخة خطية في مكتبة باريس ، برقم (٢١٤٤) ، بخط المؤلف -رحمـــه الله- ميونخ برقم (٩٥٧) ، ليدن ، بأرقام (١٠٣٢)، (١٨٤٧)، (١٨٥١) ، تــم نشره بتحقيق محمد اليعلاوي ، بيروت ، الغرب الإسلامي ، ط١، سنة ١٩٨٧ .

١٣-(تاريخ بناء الكعبة) :

● منه نسخة خطية في : دار الكتب الظاهرية في دمشق ، وهي بخط المؤلف ، ونسخة في مكتبة ليدن ، برقم (٩٤٣) ، نسخة بالظاهرية في دمشق ، برقم (٤٨٠٥).

١٤-(تجريد التوحيد المفيد) :

هومؤلف لطيف الحجم ، يدور موضوعه حول علم التوحيد ، أجمل المقريزي -رحمه الله- الإشارة إليه في مقدمته بقوله وبعد ، فهذا كتاب جم الفوائد ، بديع الفرائد ، ينتفع به من أراد الله والدار الآخرة ، سميته: تجريد التوحيد المفيد ، والله أسأل العون علي العمل بمنه وكرمه .

وهذا المؤلف علي وجازته لم يأت مؤرخنا فيه بموضوع ديني تقليدي ، وإنما أحاط فيه إلي جانب ذلك بالتعريف بكثير من الفرق الإسلامية ، ذاكرا من خلالها مذاهبها وأدلتها ، مناقشا لها .

*منه نسخة خطية في مكتبة جامعة القاهرة ، برقم (١١/٢٦٢٤٧)، مكتبة البلدية بالإسكندرية ، برقم (٦/٩٩) فنون ، ومكتبة نور عثمانية ، برقم(٠٢/٥٩٣٧) ، مكتبة باريس برقم ٠١٢ ، مكتبة جامعة برنستن [مجموعة كاريت] برقم (٠١٤٩٦) ، مكتبة ليدن [هوتسما]، برقم (٩٩٣) .

وقد طبع هذا الكتاب في القاهرة سنة (١٣٤٣ه) ، ثم طبع في المطبعة المنيرية بالقاهرة ، سنة (١٣٧٣هـ) بتحقيق طه الزيني .

١٥-(التذكرة) :

هومؤلف في التاريخ -كما يوهم ملخصه- أشار إليه ابن تغري بردي في (المنهل الصافي) :٣٩٨/١ ، غلي أنه كمل منه ثمانون مجلدا .

١٦-(تراجم ملوك المغرب) :

احتوى علي بعض ترجمات ملوك المغرب العربي ، وقد يكون مذكرات جمعها المقريزي -رحمه الله- من المصادر للانتفاع بها في بعض مؤلفاته ، مقدمة تحقيق (اتعاظ الحنفاء):١٤/١ ، بتحقيق الدكتور جمال الدين الشيال . فيه أخبار أبي حمو، وأخلافه من ملوك تلمسان .

١٧-(تلقيح العقول والآراء ، في تنقيح ، أخبار الجلة الوزراء) :

ذكره المقريزي –رحمه الله– في (الخطط) : ١/٤٤٣ ، ٢/٢٢٣ .

١٨ –(**جني الأزهار من الروض المعصار**) :

منه نسخه خطية في مكتبة برلين ، برقم (٦٠٤٩) ، مكتبة فينه ، برقم (١٢٦٦) ، دار الكتب المصرية ، [فهرس الدار] : ٦/٢٥ ، مكتبة باريس ، نسخة تاريخها (٨٤١هـ) .

١٩ –(**حصول الإنعام والمير ، في سؤال خاتمة الخير**) :

هي رسالة لطيفة الحجم ، يدور موضوعها حول سؤال العبد ربه– تعالى– أن يختم له ولأخيه المؤمن بخير ، مستلهما ذلك من قول يوسف –عليه السلام– مناجيا ربه :﴿ **توفني مسلما وألحقني بالصالحين** ﴾ [يوسف:١٠١] .

٢٠ –(**الخبر عن البشر**) :

هومؤلف ضخم ، جعله المقريزي –رحمه الله– مدخلا لكتاب (إمتاع الأسماع) ، مؤرخا من خلاله للخليفة حتى ظهور الإسلام ، هادفا من وراء ذلك إلي التعريف بقبائل العرب ، وتمييزها من سائر الأجناس ، ليعرف لها حقها من المحبة والإعظام ، والتجلة والإكرام لكونه ﷺ هاشميا، قرشيا ، عربيا.

قال عنه المقريزي –رحمه الله– :ثم لما رأيت فضل الله علي –بما علمني وفهمني– عظيما ، ومنته وطوله –بما رزقني من كثرة الأشراف علي مقالات الخليقة –جسيما ، جعلته كتابا مستقلا ، لاتساعه وكثرة فوائده ، وشوف أوضاعه ، وسميته : (الخبر عن البشر) :ورقة ٤أ ، مخطوطة تونس .

وترجع أهمية هذا الكتاب–كذلك– إلي احتوائه– فضلا عن ذلك– علي مادة رئيسية ، تكشف عن مفهوم المقريزي–رحمه الله– لموضوع ((علم التاريخ)) ، وأقسامه ، وإقراره بفوائده ، وتحمسه للدفاع عنه .

ومنه / نسخة خطية في ليدن ، برقم ١٠٨٠٠ ، ونسخه في مكتبة آيا صوفيا في الآستانة ، تقع في ستة أجزاء متسلسلة ، أرقام (٣٣٦٢) حتى (٣٣٤١) ، وتشمل الأجزاء ١، ٤، ٥، ٦ [غير متسلسلة] . (دفتر كتب خانة آيا صوفيا) : ص٢٠٢ ، (دفتر فاتح كتبخانة سي) :ص ٢٤٨ .

٢١-(خلاصة التبر في كتاب السر) :

أشار إليه المقريزي-رحمه الله- في (الخطط):٦٣/٢ .

٢٢-(درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة) :

هومعجم في ترجمات أعيان عصر المقريزي -رحمه الله- أشـار فـي مقدمته إلي دافعه لتأليفه ، قائلا وبعد ، فإني ما نـاهزت مـن سنى العمـر الخمسين ، حتى فقدت معظم الأصحاب والأقربين ، فاشتد حزنـي لفقدهـم، وتنغص عيشي من بعدهم ، فعزيت النفس عن لقائهم بتذكارهم ، وعوضتـها عن مشاهدتهم باستماع أخبارهم ، وأمليت ما حضرني من أنبائـهم فـي هـذا الكتاب وسميته (درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة) .

* له نسخة في مكتبة غوطا ، المجلد الأول منها بخط المؤلف - رحمه الله- ، ونسخة في الموصل ، لدى الدكتور محمود الجليلي ، في جزأين ، تاريخـهما (٨٧٨هـ) وعن هذه النسخة الأخيرة تم نشر (٣٠٠) ترجمة- حيـث يحتـوي الكتـاب علـي [٥٥٦] ترجمـة - بعـالم الكتـب - بـيروت سـنة (١٤١٢هـ=١٩٩٢م)، بتحقيق الدكتور محمد كمال الدين عز الدين علي ، بعد تصديره بدراسة وافية عن المؤلف والكتاب بشكل موسوعي يستحق التقدير .

٢٣-(الدرر المضيئة في تاريخ الدولة الإسلامية) :

منه نسخة خطية في كمبرج ، برقم(٣٦٥) ، أشار إليه السـخاوي فـي (الضوء اللامع) :٢٣/٢ .

٢٤-(الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك) :

رسالة لطيفة الحجم يدور موضوعها حول التأريخ لمن حج من الخلفـاء والملوك في خلافته أوملكه ، فرغ المقريزي -رحمه الله- من تصنيفها فـي ذي القعدة سنة (٨٤١هـ = ١٤٣٨م) ، مرتبا لها علي مقدمة وثلاثة فصول

وخاتمة :

-أما المقدمة ، فقد أشار فيها إلي تسميته للكتاب ، مهديا إياه إلي شخصية كبيرة في عصره ، عزمت علي الحج ، لم يفصح عن اسمها .
-وأما الفصول ، فقد أجمل في أولها الإشارة إلي [حجة الوداع] ، لكونه ﷺ هوالذي بين للناس معالم دينهم ، مشيرا من خلال ذلك إلي بعض شعائر الحج والعمرة، كالقران ، والتمتع ، والهدي .
وجعل ثانيها من حج من الخلفاء في خلافته ، مترجما من خلاله بترجمات قصيرة لثلاثة عشر خليفة ، مؤرخا لحجهم .
وجعل ثالثها للترجمة لثلاثة عشر ملكا أوسلطانا ممن حج في ملكه أوسلطنته ، منذ انقسمت الخلافة الإسلامية إلي دويلات يحكمها ملوك ، وحتى عهد الأشرف شعبان - أحد سلاطين المماليك - مع التأريخ لحجهم .
-وأما الخاتمة ، فقد أتت مقتضبة للغاية ، تبين عن الفراغ من كتابته ، وانتهاء مادته ، علي النحوالتالي :
"... والله- سبحانه- هوأعلم بالصواب ، وإليه المرجع والمآب ، وصلى الله علي سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم- والحمد لله رب العالمين) .
* منه له نسخة خطية في : مكتبة الاسكوريال [في أسبانيا] ، برقم (١٧٧١) ، مكتبة كمبرج ، برقم (٤٤٢) ، (٤٤٣) ، مكتبة نور عثمانية ، برقم (٤٩٣٧/٦) .
٢٦-(رسالة في حرص النفوس علي الذكر) :
رسالة لطيفة الحجم ، أنشأها المقريزي-رحمه الله- هادفا من خلالها إلي الترغيب في عمل الخير ، مقدما لموضوعه بقوله :
".. وبعد فهذه مقالة لطيفة ، وتحفة سنية شريفة ، في حرص النفوس الفاضلة علي بقاء الذكر ، أسأل الله-تعالى- أن يجعل لنا ثناء حسنا في الصالحين ، وأن يحبونا بالزلفي إلي يوم الدين بمنه وكرمه).
متبعا ذلك بموضوع الكتاب ، وقد أشار من خلال مادته إلي أن البقاء من أعظم وأحسن صفات الله -تعالى- في حين ليس للعبد من نفسه إلا العدم ، والفاضل هوالذي يحرص علي بقاء ذكره دائما ، علي النحوالوارد في القرآن الكريم

علي لسان إبراهيم -عليه السلام - ﴿ **واجعل لي لسان صدق في الآخرين** ﴾ [الشعراء: ٨٤] .

*منه نسخة خطية في : خزانة ولي الدين في الآستانة ، ضمن مجموع خطي يشمل خمس عشرة رسالة كلها للمقريزي - رحمه الله - برقم (٣١٩٥) راجع دفتر كتبخانة .ولي الدين ، صحيفة (١٩٥) ، مكتبة جامعة القاهرة برقم (٢٦٢٤٧/١١) .وقد نشره في القاهرة الخانجي سنة (١٩٥٥) بتحقيق الدكتور جمال الدين الشيال .

*منه نسخة خطية في خزانة ولي الدين في الآستانة ، وقد جاء في (تاريخ آداب اللغة العربية) لجورجي زيدان :١٨٧/٣ ، أن اسم هذا المخطوط:(مقالة لطيفة في حرص النفوس الفاضلة علي بقاء الذكر)، وأنه محفوظ في المتحف البريطاني في لندن.

٢٧-(السلوك في معرفة دول الملوك) :

- منه نسخة خطية في : دار الكتب المصرية [فهرس الدار] :١٢٩/٥، المكتبة الظاهرية بدمشق ، مجلد رقم (٧٣٠٤)، مكتبة كوبريللي برقم (١١٣٧) ، مكتبة بني جامع [ضمن المكتبة السليمانية في استامبول] ، برقم (٨٨٧) ، مكتبة باتنا في الهند ، برقم ١٦٦/١ (٢٢٢٣) ، مكتبة غوطا ، برقم (١٦٢٠)، (١٦٢١) ، مكتبة باريس ، برقم(١٧٢٦)، (١٧٢٨) ، مكتبة الفاتيكان ، (٧٢٥/٥) ، مكتبة جستر بيتي في دبلن ، [فيها المجلد الثامن منه] برقم (٤١٠٢) ، مكتبة المتحف البريطاني ، الذيل : (٤٨٠) .
- طبع هذا الكتاب بكماله في القاهرة في أربعة أجزاء علي النحوالتالي :

- الجزء الأول في ثلاثة أقسام ، بتحقيق محمد زيادة (١٩٣٤-١٩٣٩).
- الجزء الثاني في ثلاثة أقسام ، بتحقيق محمد زيادة (١٩٤١-١٩٥٨).
- الجزء الثالث في ثلاثة أقسام ، بتحقيق سعيد عاشور (١٩٧٠-١٩٧٢).
- الجزء الربع في ثلاثة أقسام ، بتحقيق سعيد عاشور (١٩٧٢-١٩٧٣).

٢٨-(شارع النجاة) :

أشار السخاوي في (الضوء اللامع):٢/٢٣ ، إلي أنه يشتمل علي جميع ما اختلفت فيه البشر من أصول ديانتهم وفروعها ، مع أدلتها ، وتوجيه الحق منها ، ذكره المقريزي- رحمه الله - في (الذهب المسبوك)، ٥، ٧ .

٢٩-(شذور العقود في ذكر النقود) :

رسالة لطيفة الحجم ، انقسمت إلي مقدمة وخاتمة ، فيما بينها ثلاثة فصول .

- أما المقدمة فقد أشار فيها إلي موضوع الكتاب : " نبذة لطيفة في أمور النقود الإسلامية " . وأنه أنشأة تلبية [للأمر العالي] الذي يرجح أن يكون شخصية كبيرة في بلاط المؤيد [شيخ المحمودي] .

- وأما الفصل الأول فقد جعله للحديث عن [النقود القديمة] ، التي كانت علي وجه الدهر ، وجعل الفصل الثاني للتعريف بـ[النقود الإسمية] -نشأتها وتطورها - وجعل الفصل الثالث للحديث عن [النقود المصرية] ، وهو في هذه الفصول الثلاثة يشير إلي أنواع النقود ، وأوزانها ، وأعيرتها ، وزيوفها ، وما حدث فيها من التغيير والتبديل ، علي اختلاف عصورها.

*منه نسخة خطية في: مكتبة نور العثمانية ، برقم(٤٩٣٧) ، مكتبة برلين، برقم (٦٠٢٤) ، مكتبة ليدن ، برقم (١٠١٢) ، (١٠١٣) ، مكتبة كمبرج ، برقم (٤٧٥) ، مكتبة الأسكوريال ، برقم (١٧٧١) .

وقد ظهرت لهذا الكتاب طبعات مختلفة :

- نشرها تيكسن في روستك (١٧٩٧م) .
- نشرها أحمد فارس الشديقان ، مطبعة الجوائب استامبول ، (١٢٩٨هـ) ، ضمن ثلاث رسائل .
- نشرها ماير ، الإسكندرية (١٩٣٣) .
- نشرها محمد آل بحر العلوم ، النجف(١٩٣٨) ثم توالت طبعات لهذا الكتاب في النجف ، فكانت الخامسة سنة (١٩٦٧) .
- نشرها الأب أنستاس ماري الكرملي ، ضمن كتابه (النقود العربية وعلم النميات ، القاهرة (١٩٣٩م) .

٣٠-(ضوء الساري في معرفة خبر تميم الداري) :

رسالة لطيفة الحجم ، يدور موضوعها حول صحابي جليل ، هو[تميم ابن أوس الداري] -رحمه الله- وكان نصرانيا ، جاء الرسول ﷺ ، ورأى الرسول ﷺ وأسلم ، وروي الرسول ﷺ عنه حديث [الجساسة والمسيخ الدجال] ، فانفرد هومن دون الصحابة بذلك ، وكانت روايته ﷺ من باب رواية [الفاضل عن المفضول ، والمتبوع عن تابعه] ، وقد استعرض المقريزي -رحمه الله- من خلال مادتها الحديث عن أنساب الناس وأنساب العرب ، وقدوم وفد الداريين علي رسول الله ﷺ وإسلام تميم ، وتحديثه -عليه السلام- عنه ، وإقطاعه إياه قريتي [جبرون وعينون] ، ولم يكن فتحهما حدث بعد !! وما كان من أحوال تميم في الجاهلية والإسلام ، معددا لمآثره ، مؤرخا لوفاته بسنة أربعين للهجرة ، مناقشا من خلال تلك الرسالة [قضية الهبة] ، مناقشة فقهية قضائية، مختتما لها بالتعريف بما آل إليه مصير[حبرون وعينون] حتى وقته .

*له نسخة خطية في خزانة ولي الدين بالآستانة . تم طبع هذا المخطوط تحت اسم (ضوء الساري في خبر تميم الداري) ، بتحقيق الأستاذ محمد أحمد عاشور ، في دار الاعتصام بالقاهرة وبيروت ، سنة (١٣٩٢هـ) ، اعتمادا علي نسختين خطيتين : الأولي منقولة من الخزانة الوليدية في الآستانة - لعلها نفس خزانة ولي الدين آنفة الذكر - ويدل علي ذلك الرقم الذي بينه المحقق ، فهونفس رقم المجموع الذي منه (ضوء الساري) ، والأخرى منقولة عن المكتبة الأهلية في باريس .

٣١-(الطرفة الغريبة في أخبار وادي حضرموت العجيبة) :

رسالة لطيفة الحجم ، استفاد المقريزي - رحمه الله- مادتها في مكة ، أثناء مجاورته فيها سنة(٨٣٩هـ=١٤٣٦م) من بعض القادمين عليه من أهل حضرموت ، ابتدأها بمقدمة موجزة ، أشار فيها إلي ذلك قائلا :

" وبعد ، فهذه جملة من اخبار وادي حضرموت ، علقتها بمكة - شرفها الله تعالى- أيام مجاورتي بها في عام [تسعة وثلاثين وثمانمائة] ، حدثني بها ثقات من قدم مكة من أهل حضرموت " .
ثم أتبعها بوصف جغرافي موجز لبلاد حضرموت ، وما تردد في بعض المصادر من الاختلاف في نسب [حضرموت] ، وما شهرت به هذه البلاد من مزروعات أوحيوان [كالماشية والإبل] ، مذيلا عليها بطائفة كبيرة من الروايات الشفهية ، المتضمنة الكثير من الخرافات أومستغربات الحدوث ، مما وثق مؤرخنا به ، كنحوقوله :
" وفي جبال ظفار قوم يقال لهم القمر ، أهل بادية ، وقد جرت العادة في ظفار أنها تمطر ثلاثة أشهر متوالية ليلا ونهارا ، مطرا غزيرا جدا فإذا أراد أحد أن يسافر في مدة المطر إلي جهة من الجهات ، طلب واحدا من القمر ، ودفع له مالا ليدفع عنه المطر ، ثم سار معه والمطر نازل ، فيصير عن يمينه وشماله ولا يصيبه هو ولا أحماله منه قطرة واحدة ، حتى يبلغ حيث يريد .

- له نسخة خطية في مكتبة جستربي -برقم (٠٢/٤١١٨) ، مكتبة نور العثمانية ، برقم (٤/٤٩٣٧) ، مكتبة ليدن ، برقم (٨١٠) ، مكتبة كمبرج ، برقم (٦٥٤) ، (٦٥٥) ، معهد المخطوطات العربية في الكويت ، برقم (٠٢/٧٧٦) ، المصورة عن مخطوطة (شستربتي) ، ومخطوطة ولي الدين في مصورتها المحتفظ بها لدى جامعة القاهرة ، برقم (٢٦٢٤٧) ، وقد نشرها [نوسكوى] مع ترجمة لاتينية في بون سنة (١٨٦٦) .

٣٢-(عجائب تيمور) :

٣٣-(عقد جواهر الأسفاط في أخبار مدينة الفسطاط) :

أشار إليه المقريزي -رحمه الله- في صدر كتابه (اتعاظ الحنفاء) : ٤/١ بقوله : " ضمنته ما وقفت عليه ، وأرشدني الله- سبحانه - إليه من أحوال مدينة الفسطاط ، منذ افتتح أرض مصر أصحاب رسول الله ﷺ وصارت دار إسلام ، إلي أن قدمت جيوش الإمام المعز لدين الله أبي تميم معد من بلاد المغرب ، مع عبده وقائده وكاتبه ، أبي الحسين جوهر القائد الصقلي ، في سنة

ثمان وخمسين وثلاثمائة ، ونزلت في شمالي الفسطاط بالمناخ ، وأسس مدينة القاهرة ، وحل بها " ، كما ذكره أيضا في (السلوك) : ٢٨/١ .

وقد اشتمل هذا المؤلف علي فترة من تاريخ مصر الإسلامية ، امتدت فيما بين الفتحين الإسلامي والفاطمي لها .

٣٤-(قرض سيرة المؤيد لابن ناهض) :

ذكره السخاوي في (الضوء اللامع) :٢٣/٢ .

٣٥-(ما شاهده وسمعه مما لم ينقل في كتاب) :

يبدو أنه احتوى علي كثير من النوادر التاريخية وغير التاريخية ، مما عايشه المقريزي - رحمه الله - أوأخبر به ، علي النحوالمدرك من قول السخاوي : "... ومن أعجب ما فيه أنه كان في رمضان سنة (إحدى وتسعين وسبعمائة) مارا بين القصرين ، فسمع العوام يتحدثون أن الظاهر برقوق خرج من سجنه بالكرك ، واجتمع عليه الناس. قال:فضبطت ذلك اليوم فكان كذلك . (الضوء اللامع) :٢/٢٥-٢٤ .

٣٦-(مجمع الفرائد ومنبع الفوائد) :

ذكره السخاوي ، مشيرا إلي أنه يشتمل علمي على العقل والنقل ، المحتوي علي فني الجد والهزل ، بلغت مجلداته نحوالمائة ، بينما أشار ابن تغري بردي إلي أنه كمل منه نحوثمانين مجلدا كالتذكرة .

(الضوء اللامع) : ٢٣/٢ ، (المنهل الصافي) :١/ ٣٩٨ .

٣٧-(مختصر الكامل في معرفة الضعفاء والمتروكين من الرواة لابن عدي) :

*منه نسخة خطية بخط المقريزي -رحمه الله- مؤلف هذا المختصر ، كتبها سنة (٧٥٩هـ) ، وهي في مكتبة مراد ملا باستامبول ، برقم (٥٦٩) ، وعنها مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية في القاهرة ، برقم (٤٥٦) تاريخ . أشار إليه المقريزي - رحمه الله - في (إمتاع الأسماع):٣١١/١١ بتحقيقنا .

٣٨-(معرفة ما يجب لآل البيت النبوي من الحق علي من عداهم) :

رسالة لطيفة الحجم ، يدور موضوعها حول ما يجب لآل البيت النبوي علي المسلمين من حبهم وإجلالهم ، ونصرتهم ومودتهم ، فـــرغ المقريـــزي - رحمه الله - من تأليفها في ذي القعدة سنة (٨٤١هـ=١٤٣٨م) مرتبا لها علـــي مقدمة ، أشار فيها إلي دافعه إلي تأليفها قائلا :

"... وبعد فإني لما رأيت أكثر الناس في حق آل البيت مقصرين ، وعما لـــهم من الحق معرضين ، ولمقدارهم مضيعين ، وبمكانتهم مـــن الله - تعـــالى - جاهلين ، أحببت أن أقيد في ذلك نبذة تدل علي عظم مقدارهم ، وترشد المتقـــي لله -تعالى- علي جليل أقدارهم ليقف عند حده ، ويصدق بما وعدهم الله ومـــن به عليهم من صادق وعده " .

تتبعها فصول خمسة ، شارحة من خلال أقوال أئمـــة اللغـــة والتفســـير لخمس آيات قرآنية ، مع ما أتصل بها من الأحاديث النبوية ، عالج موضوعـــه من خلالها ، وهي قوله تعالى :

- ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهـــل البيـــت ويطـــهركم تطـــهيرا** ﴾ [الأحزاب:٣٣] .

-﴿ **والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم** ﴾ الطور:٢١] .

-﴿ **وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكـــان أبوهما صالحا** ﴾ [الكهف :٨٢] .

-﴿ **جنات عدن يدخلونها ومن صلح مـــن آبائـــهم وأزواجـــهم وذرياتـــهم** ﴾ [الرعد:٢٣] .

-﴿ **قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى** ﴾ [الشورى :٢٣] .

مختتما لهذه الرسالة بعدد من الرؤى والحكايات الشفهية -التي أمده بها شـــيوخه ورفقته- وتدور كلها حول الحث علي حب آل البيت النبوي وتعظيمهم .

*منه نسخة خطية في فينه ، برقم (٨٩٠) . طبع فـــي دار الاعتصـــام ، ط٢ سنة ١٩٧٣م بالقاهرة وبيروت بتحقيق محمد أحمد عاشور .

٣٩-(المقاصد السنية في معرفة الأجسام المعدنية) :

مؤلف علمي بحث يبحث في المعادن، أشار المقريزي - رحمه الله -

من خلاله إلي كروية الأرض ، وحركتها ، وإحاطة الماء باليابسة من سائر جهاتها ، والأجسام المتولدة عليها ، وتكويناتها ، وصفاتها ، وأمكنة وجودها ، والقيمة العلمية والمادية والطبية لها .

● ومنه نسخة خطية في مكتبة نور عثمانية ، برقم (٩/٤٩٣٧) ، ومكتبة باريس ، نسخة تاريخها (٨٤٢هـ) ، مكتبة كمبرج ، برقم(١٠٨٢) ، مكتبة جامعة القاهرة ، برقم(١٠/٢٦٢٤٧) .

٤٠- (منتخب التذكرة في التاريخ) :

مؤلف في التاريخ الإسلامي العام ، اقتصر فيه المقريزي - رحمه الله - علي ذكر العرب والفرس ، دون غيرهم من الأمم المطيفة بهم في أطراف الأرض ، اختصره من مؤلف أبسط منه سماه (التذكرة) ، فكان ما أودعه في هذا المؤلف اللب منه .

*منه نسخة خطية في : دار الكتب المصرية ، (فهرس الدار) : (٣٦٨/٥) ، مكتبة باريس برقم (١٥١٤) عرب ، ونسخة أخرى بدار الكتب المصرية ، برقم(١٦٥٨) ، تاريخ عن مخطوطة مكتبة باريس ذات الرقم(١٥١٤)عرب ، وتقع في نحو ١٦٦ ورقة لطيفة الحجم ، مزدوجة الصفحات ، باستثناء أولها وآخرها ، مسطرتها نحو أربعة عشر سطرا .

٤١-(المنتقى من أخبار مصر لابن ميسر) :

يضم الفترة فيما بين سنتي (٤٣٩هـ=١٠٤٧م)، (٥٥٣هـ=١١٥٩م) ، انتقاه المقريزي - رحمه الله - في ربيع الأول للآثار الشرقية سنة(٨١٤هـ=١٤١١م) .

*طبع في القاهرة - المعهد الفرنسي للآثار الشرقية سنة(١٩٨١) بتحقيق أيمن فؤاد سيد .

٤٢-(المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) وتعرف بخطط المقريزي :

منها نسخة خطية في : دار الكتب المصرية ،(فهرس الخديوية) : (١٦٢/١) ، المكتبة العمومية بدمشق ،الأرقام (٣٤٣٧)،(٥٦٩٦)، (٥٦٩٧)، (٧٠٠٤) ، مكتبة آيا صوفيا باستامبول ، الأرقام (٣٤٧١)،(٣٤٨٤) ، مكتبة

طوب قبوسراي باستامبول ، الأرقام (٢٩٤٧)،(٢٩٥٤) ، مكتبة محمد الفاتح باستامبول برقم (٤٤٩٥)،(٤٤٩٩)، .. وغير ذلك .

*طبع في مجلدين ، بولاق (١٢٧٠هـ) ، وقد أعادت مكتبة المثني ببغداد طبعه بالأوفست ، طبع في أربعة أجزاء ، مطبعة النيل - القاهرة (١٣٢٤-١٣٢٦هـ) ، طبعت منه خمسة أجزاء بتحقيق المستشرق الآثارى فييت ، القاهرة (١٩١١-١٩٢٧) ولم تتم .

وظهرت لهذا الكتاب طبعات جزئية ، نذكر منها :

- أخبار قبط مصر ، وقد سبقت الإشارة إليه .

- (**القول الإبريزي للعلامة المقريزي**) ، نشره مينا اسكندر ، وهويتضمن تاريخ الأقباط وأحوالهم - نقلا عن (**خطط المقريزي**) .

٤٣-(نبذ تاريخية) :

ليس مؤلفا مستقلا - علي ما يبدو -- ولكنه ملتقطات مما جمعه المقريزي - رحمه الله - من المصادر ، ليضمنه بعض مؤلفاته .

منه نسخة خطية بمكتبة بلدية الإسكندرية برقم (٢١٢٥د/٢٥٩) ، تقع في (٥٢) ورقة مقاسها نحو(١٣×١٦سم) ، وعنها مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية في القاهرة برقم (٨٤٥) تاريخ .

٤٤-(نحل عبر النحل) :

رسالة لطيفة الحجم ، يدور موضوعها حول النحل ، وما يتخلف منه من عسل وشمع ، مستلهما منه العبرة والعظة لبني الإنسان ، وقد رتبت علي مقدمة وعشرة فصول وخاتمة .

أما المقدمة فقد أشار فيها إلي موضوع الكتاب قائلا :((... وبعد ، فهذا قول وجيز في ذكر النحل ، وما أودع فيه البارئ - جلت قدرته - من غرائب الحكمة وعجائب الصنع ، ليعتبر أولو الأبصار ، ويتذكر أرباب الاعتبار))

وأما الفصول- فقد اتصلت بعلوم : الحيوان ، واللغة ، والتفسير ، والحديث ، والفقه ، والطب ، والبيطرة ، والنبات ، والاقتصاد ، والتاريخ ، والأدب ، فيجمل المقريزي - رحمه الله - فيها الحديث عن النحل من الناحية

الحيوانية ، ذاكرا أسماءه ، وألوانه ، وأحجامه ، وصفاته ، وخلاياه ، وآفاته ، وعلاجها ، وعسله ، وأنواعه وأصنافه - وجامعه ، [مشتاره] وآلاتــه التــي يستعين بها في جمعه ، وما يرعاه النحل من أزهار وأنوار ، وما ينتجــه مــن شمع ، مفصحا عن مركزه الاقتصادي في مصر الإســلامية ، ومــا ورد فــي النحل والعسل من الآيات القرآنية ، والأحاديث النبويــة ، وأقــوال الحكمــاء ، والفقهاء والمفسرين ، وما اتصل بالشمع مــن الحــوادث التاريخيــة ، ســواء بالاستصباح [الإضاءة] به لدى الخلفاء ، والسلاطين ، والفقهاء ، أوباســتخدامه في القصور ، والمواكب السلطانية ، وحفلات العرس والزواج ، أوبــالختم بــه علي تركات الموتى من أولاد الخلفاء ، مختتما بذلك بما أنشيء في [الشمع] مــن أشعار وأما الخاتمة فقد أشار فيها إلي انتهاء مادة الكتــاب باكتمالــه ، قــائلا : ((... تمت بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، وصلى الله علــي ســيدنا محمــد ، وعلي آله وصحبه ، وسلم تسليما كثيرا دائما إلي يوم الدين ، ﴿ **ســبحان ربــك رب العزة عما يصفون* وسلام علي المرسلين*والحمد لله رب العالمين** ﴾ .

- منه نسخة خطية في : مكتبة نور عثمانية برقم (٠٣/٤٩٣٧) ، مكتبة كمبرج ، برقم (٦٦٤) ، (٩٢٣) ، مكتبة جستربيتي في دبلن ، برقــم (٠٢/٤١١٨) ، وقد طبع في القاهرة ، مكتبــة الخــانجي ، ســنة (١٩٤٦) بتحقيق د. جمال الدين الشيال .

٤٥-(النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم) :

رسالة لطيفة الحجم ، يدور موضوعها حول استئثار بني أمية وبني هاشم بالخلافة من دون [علي بن أبي طالب] وبنيه ، أشار المقريزي - رحمــه الله - من خلالها إلي ما كان من منافرة ومنافسة بين بني أميــة وبنــي هاشــم قبــل الإسلام وبعده .

*منه نسخة خطية في : دار الكتب المصرية ، (فهرس الدار) ٥/ ٣٨٥ ، المكتبة الظاهرية بدمشق ، برقم(٣٧٣١) ، مكتبة نور عثمانية ، برقــم(٤٩٣٧) ، ومكتبة ستراسبورج ، مكتبة ليدن ، برقم(٨٨٥) ، مكتبة فينة ، برقم(٨٨٦) وقــد طبع هذا الكتاب مرتين :

الأولى في ليدن ، نشره فوس ، سنة (١٨٨٨) ، والثانية في القاهرة سـنة (١٩٢٧) ثم طبع عدة طبعات آخرها بدار المعارف - القاهرة - سـنة (١٩٨٨) بتحقيق الدكتور حسن مؤنس . وقد أشار إليه المقريزي -رحمه الله- في (إمتاع الأسماع) : بتحقيقنا ٣٥٥/١٢ .

٤٦-(النحل وما فيه من غرائب الحكمة) :

- منه نسخة خطية في مكتبة جامعة كمبرج ، راجع(تاريخ آداب اللغة العربية) جورجي زيدان ، ١٧٨/٣ ، فقرة ١٢ .

٤٧-(نهاية الجمع لأخبار القراءات السبع) :

أشار إليه المقريزي -رحمه الله- في (إمتاع الأسماع) بتحقيقنا :٣٢/١٢ ولم أقف له علي مصدر آخر يشير إلي نسخ منه مخطوطة أومطبوعة .

من هذا العرض الموجز لمجهودات المقريزي - رحمه الله - في الكتابة التاريخية ، نجد أنه قد ألح من خلالها علي التوكيد علي ثلاث صفات امتاز بها ، وهي :

[مصريته] و[عروبته] و[إسلامه] .

أما مصريته ، فتبدوفي تحمسه للتأريخ لمصر في أطوارها المختلفة ، فيما قبل الإسلام وبعده ، حيث أنشأ فيها مؤلفا مجملا ، لتاريخها ، وخططها ، وعمرانها -منذ القدم وحتى وفاته- وهو: (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) ، ثم عمد إلي تفصيل أكثر ، أجمل فيه بالتأريخ لمصر الإسلامية ، منذ الفتح الإسلامي لها وإلي قبيل وفاته ، في عدة مؤلفات متتابعة ، وهي : (عقد جواهر الأسفاط) و(اتعاظ الحنفاء) و(السلوك) و(المقفى)

وأما عروبته ، فقد كانت دافعا قويا لديه إلي إنشاء عدة مؤلفات ، منها (الخبر عن البشر) و(البيان والإعراب) و(تراجم ملوك المغرب) و(الطرفة الغريبة) .

وأما إسلامه ، فيتبدى - فضلا عن العاطفة الدينية الجياشة ، المبثوثة في سائر مؤلفاته - في (إمتاع الأسماع) ؛ وقد جعله تاريخا مجملا للرسول ﷺ

وسيرته، و(النزاع والتخـــاصم) وهومبحـــث فـــي الخلافــة ، و(التذكـــرة) و(منتخبها) و(الدرر المضيئة) و(الإلمام) .

وقد جعل من هذه المؤلفات تاريخا عاما للدولة الإســـلامية فـــي مختلـــف أطوارها وأمصارها . بل إن أكثر رسائله ومؤلفاته الموجزة ، المفردة بالتـــأليف في موضوع بعينه ، تنزع إلي أي من هذه الصفات الثلاث .

(ب)التعريف بكتاب إمتاع الأسماع

الأصول الخطية للكتاب :

لقد بذلت ما وسعني من جهد – بعد توفيق الله تعالى – للحصول على أكبر قدر من الأصول الخطية لكتاب (إمتاع الأسماع) ، وقد تيسر لي – بفضل الله تعالى– أن وجدت نسختين خطيتين بالإضافة إلي الجزء المطبوع .

فأما النسخة الأولى فقد رمزنا إليها بحرف (خ) والنسخة الثانية رمزنا إليها بحرف (ج) ، والجزء المطبوع رمزنا إليه بحرف (ط) ، وفيما يلي وصف موجز لكل من هذه الأصول :

أولا : النسخة (خ) :

هذه النسخة محفوظة بتركيا ، ورقمها ١٠٠٤ ، وهي مما وقفه الوزير أبوالعباس أحمد بن الوزير أبي عبد الله محمد بن عثمان ، وقد حصلنا علي صورة منها مسجلة علي الميكروفيلم من معهد المخطوطات التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إحدى منظمات جامعة الدول العربية ، وعلي صفحة العنوان من هذه النسخة يوجد بعض التقريرات والملاحظات ، يمكن الوقوف عليها بمناظرة صور نماذج المخطوطات في الصفحات المقبلة بعد قليل .

وصف النسخة (خ) :

تقع هذه النسخة في ١٨٣٩ ورقة ، قام المصور بتصويرها في تسعة أجزاء علي النحوالتالي :

الجزء الأول :

ويبدأ من الورقة الأولى ، إلي الورقة رقم ٢١٥ وهومن أول الكتاب إلي قوله : (فصل في ذكر شمائل رسول الله ﷺ) .

الجزء الثاني :

من الورقة ٢١٦ إلي الورقة ٤٤٠ ، وأوله : (فصل في حسن عهده ﷺ) إلي قوله : (وأن الله تجلى لموسى في سيناء) .

الجزء الثالث :

من الورقة رقم ٤٤١ إلي الورقة رقم ٦٥١ ، ويبدأ بقوله عن اليهود : (وهذه نبذة من غضب الله عليهم) ، إلي قوله : (كمل الجزء الثاني[١] من كتاب إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأحوال والحفدة والمتاع) .

الجزء الرابع :

من الورقة رقم ٦٥٢ إلي الورقة رقم ٨٦٤ ، ويبدأ بعد البسملة بقوله : " أعلم أنه كان لرسول الله ﷺ ثلاثة بنين :القاسم وعبد الله وإبراهيم " ، إلي قوله " وخرج البخاري في المناقب الحديث بمعناه ، وذكر نحوا منه في باب هجرة النبي ﷺ " .

الجزء الخامس :

من الورقة رقم ٨٦٥ إلي الورقة رقم ١٠٥٩ ، ويبدأ بقوله : " فصل في ذكر غزوات رسول الله ﷺ " إلي قوله : " فصل في ذكر من أقام عليه رسول الله ﷺ حد الزنا " .

الجزء السادس :

من الورقة رقم ١٠٦٠ إلي الورقة رقم ١٢٦٠ ، ويبدأ بقوله : " ثم جاء رسول الله ﷺ - وهم - جلوس ثم جلس فقال : استغفروا الله لماعز بن مالك " ، إلي قوله : " وأوتي من البيان مثله ، أي أذن له ﷺ أن يبين ما في الكتاب ، يعم ويخص ، يزيد عليه ويشرح ما في الكتاب ، فيكون في وجوب العمل به ولزوم قبوله كالظاهر المتلومن القرآن " .

الجزء السابع :

من الورقة ١٢٦١ إلي الورقة رقم ١٤٦٠ ، ويبدأ بقوله : " وقوله : يوشك رجل شبعان علي أريكته - الحديث - يحذر بهذا القول من مخالفة السنن التي سنها مما ليس في القرآن له ذكر " ، إلي قوله : " فقلت : لا والذي بعثك

---

(١) سيزول هذا اللبس عند الكلام علي عدد أجزاء الكتاب .

بالحق ، أضع سيفي علي عاتقي ثم أضرب به حتى ألقاك أوألحق بك ، قـــال: أو لا أدلك علي خير من ذلك ؟ تصبر حتى تلقاني " .

الجزء الثامن :

من الورقة رقم ١٤٦١ إلي الورقـــة ١٦٦٠ ويبـــدأ بقولـــه : " فخـــرج البخاري من حديث شعيب عن الزهري قال : كان محمد بن جبير بن مطعـــم يحدث أنه بلغ معاوية " إلي قوله : " من يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنـــه الله ، فرجعت وقلت : لا أسأله فلانا أكثر قومي مالا ، والله تعلى أعلم " .

الجزء التاسع :

من الورقة رقم ١٦٦١ إلي الورقة ١٨٣٩ ويبدأ بقوله : " وأما إخبـــاره ﷺ وابصه الأسدي بما جاء يسأله عنه قبل أن يسأله " ، إلي قوله : " وتم هـــذا الكتاب البديع المثال ، البعيد المنال ، البعيد المقال ، بتمام هذا الجزء السادس وهوالمسمى بإمتاع الأسماع بما للرسول ﷺ من الأنبيـــاء والأحـــوال والحفـــدة والمتاع " .

وتحتوي كل ورقة من ورقات هذه النسخة علي خمسة وثلاثين ســـطرا ، بكل سطر منها حوالي تسعة عشر كلمة تقريبا ، وهي مكتوبة بخـــط واضـــح نسبيا ، كما أن أوائل الفصول أورعوس الموضوعات مكتوبة بخط الثلث بحجـم أكبر بحيث يشغل السطر منها قدر ما يشـــغله الثلاثـــة أســـطر مـــن تفـــاصيل الموضوع أوالخبر .

ومن الملاحظات الهامة عن هذه النسخة : تسهيل الهمزات فـــي الناحيـــة الإملائية ، مثل " الملايكة وحينيذ " بدلا من " الملائكة وحينئذ " هذا بالإضافـــة إلي كتابة أسماء الأعلام بخط أكبر من الخط الآخر ، كما أن الآيـــات القرآنيـــة مكتوبة برواية ورش عن نافع ويتضح ذلك في الآيات التي يظهر لاختلافها عـن رواية حفص أثر في الرسم ، مثل : ﴿ **فتثبتـــوا** ﴾ بـــدلا مـــن ﴿ **فتبينـــوا** ﴾ [الحجرات: ٦] وفي قوله تعالى ﴿ **فلا يخاف عقباها** ﴾ بدلا من ﴿ **ولا يخاف عقباها** ﴾ [الشمس : ١٥] .

ثانيا : النسخة (ج)

وهذه النسخة مصورة عن النسخة المحفوظة بمكتبة غوطا برقم ٤٤٠ ، وهى مكتوبة بخط أصغر من الخط الذى كتبت به النسخة (خ) ، وتحتوى الورقة منها على تسعة عشر سطرا بكل سطر منها حوالى سبعة عشر كلمة تقريبا ، ويبدو أن هذه النشخة مقولة عن النسخة (خ) ، غير أن الناسخ كتب أوائل الفصول ورءوس الموضوعات وأسماء الأعلام بخط كبير وبمداد أحمد ، بدليل أنه لم يظهر فى التصوير الفوتوغرافى ، وقد قمنا باستكمالها من النسخة (خ) .

وتبدأ هذه النسخة (بفصل فى موالى رسول الله ﷺ) ، وتنتهى بقوله : (كان صفوان بن المعطل بن ربيعة بن خزاعى بن محارب بن مرة بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم الذكوانى أبو عمرو، على ساقة العسكر يلتقط من متاع المسلمين حتى يأتيهم به) .

وعدد ورقات هذه النسخة ٢٢٥ الورقة الأولى منها تقابل فى النسخة (خ) الورقة رقم ٧١٨ ، والأخيرة منها تلقى مع نهاية الورقة رقم ٩٤٣ من النسخة (خ) .

ثالثا : الجزء المطبوع :

هذا الجزء عبارة عن (٥٥١) صفحة من القطع الكبير ، يقابل في النسخة الخطية (خ) : من الصفحة الأولى وحتى السطر الثاني والعشرين من صفحة (١٧٩) وقد رمزنا إليه بالحرف (ط) ، أي أنه أقل من تسع الكتاب الأصلي ، وقد تم طبع هذا الجزء عام ١٩٤١م ، بدار التأليف -القاهرة ، علي نفقة السيدة قوت القلوب الدمرداشية ، بتحقيق الأستاذ المرحوم محمود محمد شاكر .

ولم أهمل هذا الجهد الذي قام به فضيلته ، فلم يفتني الاستئناس بالجزء المطبوع ، علي الرغم مما به من ملاحظات نوهت عنها في مكانها .

هذا بالإضافة إلي أنه اكتفى بنهاية السيرة النبوية ، واتخذ من وفاه النبي ﷺ نهاية للجزء الأول دون مراعاة التقسيم الأصلي للكتاب ، سواء أجزاء

المؤلف ، أو أجزاء تصوير المخطوطة ، كما بيناه عند كلامنا عن [عدد أجزاء الكتاب] .

عدد أجزاء الكتاب :

يقول (حاجي خليفة) في (كشف الظنون) ج١ ص١٦٦ عن كتاب إمتاع الأسماع " وهوكتاب نفيس في ست مجلدات حدث به في مكة " ، وذلك ما نقله الناسخ علي صفحة العنوان من النسخة (خ) .

وقد لاحظنا من خلال الجزء المطبوع أن الصفحة من المخطوطة يتم طبعها في ثلاث صفحات من القطع الكبير ، فلو قمنا بطبع الكتاب في ست مجلدات فإن المجلد الواحد قد يتجاوز الألف صفحة ، وهذا أمر غير مقبول عمليا .

اسم الكتاب والمؤلف :

ظهر كتاب إمتاع الأسماع في كثير من كتب التصانيف والمؤلفات بأكثر من اسم ، فضلا عن أن النسخة الخطية (ج) قد أثارت إشكالا علي صفحة العنوان منها حيث يقول ناسخها : " هذا كتاب إمتاع الأسماع للشيخ تقي الدين المقريزي " ويقول في زاوية أخرى من الصفحة ذاتها : " نقل العلقمي أن كتاب الإمتاع لأبي حيان التوحيدي " ، وبخط آخر " ونقل الدميري أيضا أن الإمتاع لأبي حيان " ، وفي موضع آخر من ذات الصفحة : " لكن نقل الشمس الشامي في (سيرته) أن (الإمتاع) للمقريزي " .

ودفعا لهذا الإشكال فإننا نذكر ما أورده صاحب كشف الظنون بصفحة ١٦٦ ، ١٦٧ عن المؤلفات المشابهة أوالمقاربة في الاسم لكتاب الإمتاع للمقريزي ، وهي :

١-(إمتاع الأسماع والأبصار) – لأبي العباس أحمد بن محمد الخطيب القسطلاني الشافعي المتوفى سنة ٩٢٣هـ .

٢-(إمتاع الأسماع فيما للنبي ﷺ من الحفدة والمتاع)- للشيخ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي المؤرخ المتوفى سنة ٨٤٥هـ ، " وهوكتاب نفيس في ستة مجلدات حدث به في مكة " .

٣-(الإمتاع والمؤانسة) - للشيخ أبي حيان علي بن محمد التوحيدي المتوفى ٣٨٠هـ .

٤-(الأمتاع بالأربعين المتباينة بشرط السماع) - للحافظ أبي الفضل أحمد ابن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ .

٥-الامتاع في أحكام السماع -لكمال الدين أبي الفضل جعفر بن تغلب الأدفوي الشافعي المتوفى سنة ٧٤٩هـ .

هذا بالإضافة إلي ما ذكره البغدادي في الجزء الأول من (هدية العارفين) ضمن مؤلفات المقريزي ص١٢٧ باسم : (إمتاع الأسماع فيما للنبي ﷺ من الحفدة والأتباع) .

والعمدة في تسمية هذا الكتاب ، ما ذكره المقريزي نفسه في الصفحة الأولى والأخيرة من النسخة الخطية الكاملة للكتاب حيث يقول : " فقد سميته إمتاع الأسماع بما للرسول ﷺ من الأنباء والأحوال والحفدة والمتاع " .

منهج المقريزيّ فى جمع مادة كتاب

إمتاع الأسماع

اعتمد المقريزيّ فِى جمع مادة كتاب إمتاع الأسماع على النقول من المصادر الصحيحة بدء من الكتب الستة الصحيحة ، وكتاب المستدرك للحاكم النيسابوري ، ومسند الإمام أحمد ، وموطأ الإمام مالك ، واعتمد فى تسجيل الدلائل والمعجزات على كتاب دلائل النبوة للبيهقي ، ودلائل النبوة لأبي نعيم ، فضلاً عن مؤلفاته التى أشار إليها فى (إمتاع الإسماع) ، وقام بحسم وشرح المسائل الفقهة العارضة فى ثنايا الكتاب على مذهب الإمام الشافعي - رضى الله تبارك وتعالى عنه - .

وكان رحمه الله - حريصاً على التدرج فى تدوين صحة الخبر أو الأثر مبتدئاً بالأخبار والآثار ذات الأسانيد العالية ثم ينتقل إلى ما دونها من درجات الصحة حيث يقول فى بعض عناوين الفصول : [إن صح الخبر] أو [إن ثبتت الرواية] هذا بالنسبة للمتن .

وأما بالنسية لسلسلة الرواة فإنه يدلي بدلوه جرحاً أو تعديلاً لرواة الحديث أو الأثر بقوله : [قال مؤلفه] ، وذلك بموضوعية شديدة وانحياز إلى الحق وقد ساعده على ذلك ثقافته الشمولية ، وفكره الموسوعيّ فى علم الحديث ورجاله ، كما بينا ذلك فى [الوظائف التى تولاها المقريزي] ، فضلاً على مؤلفاته الجمة التى أشرنا إليها آنفاً . رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن السيرة النبوية خير الجزاء .

منهج التحقيق

١- قمت بمقابلة النسخ المخطوطة والجزء المطبوع ، مع اختيار النسخة (خ) كأم ، معالجاً لما وجدته من تصحيف أو تحريف أو سقط ، مع تصويب النص .

٢- قمت بتخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وعزو الأقوال الواردة إلى أصحابها ما ستطعت إلى ذلك سبيلا .

٣- قمت بشرح الألفاظ اللغوية الغامضة مبيناً معناها تسهيلاً للقارى الكريم على استيعاب المعنى ، مع مراجعة المراجع التى أشار إليها المقريزي فى فقرات كتابه .

٤- وضعت بعض العنواين الجانبية للموضوعات التى لم يرد لها عنوان فى الأصل مع مراجعة النصوص على مظانها من كتب المغازي والسير والتواريخ .

٥- عقبت على بعض المواضع بالقدر الذى تدعو إليى الضرورة بما تقتضية الأمانة العلمية ، وتجنبت الإكثار من ذلك خشية التدخل فى مسار الكتاب ، والخروج به عن أهدافه من كثرة النقد والتزيد .

وبعد فإننى أقدم هذا الجهد المتواضع فى خدمة السيرة النبوية للقارئ الكريم ، فله غنمه ، وعليّ غرمه ، فإن كان هناك توفيق فمن الله تبارك وتعالى وإن تكن الأخرى فمن نفسى .

﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفرلنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكفرين﴾ صدق الله العظيم

حدائق الزيتون – القاهرة

في ليلة القدر ١٤١٩ هـ

محمد عبد الحميد النميسي

صورة العنوان من النسخة [خ]

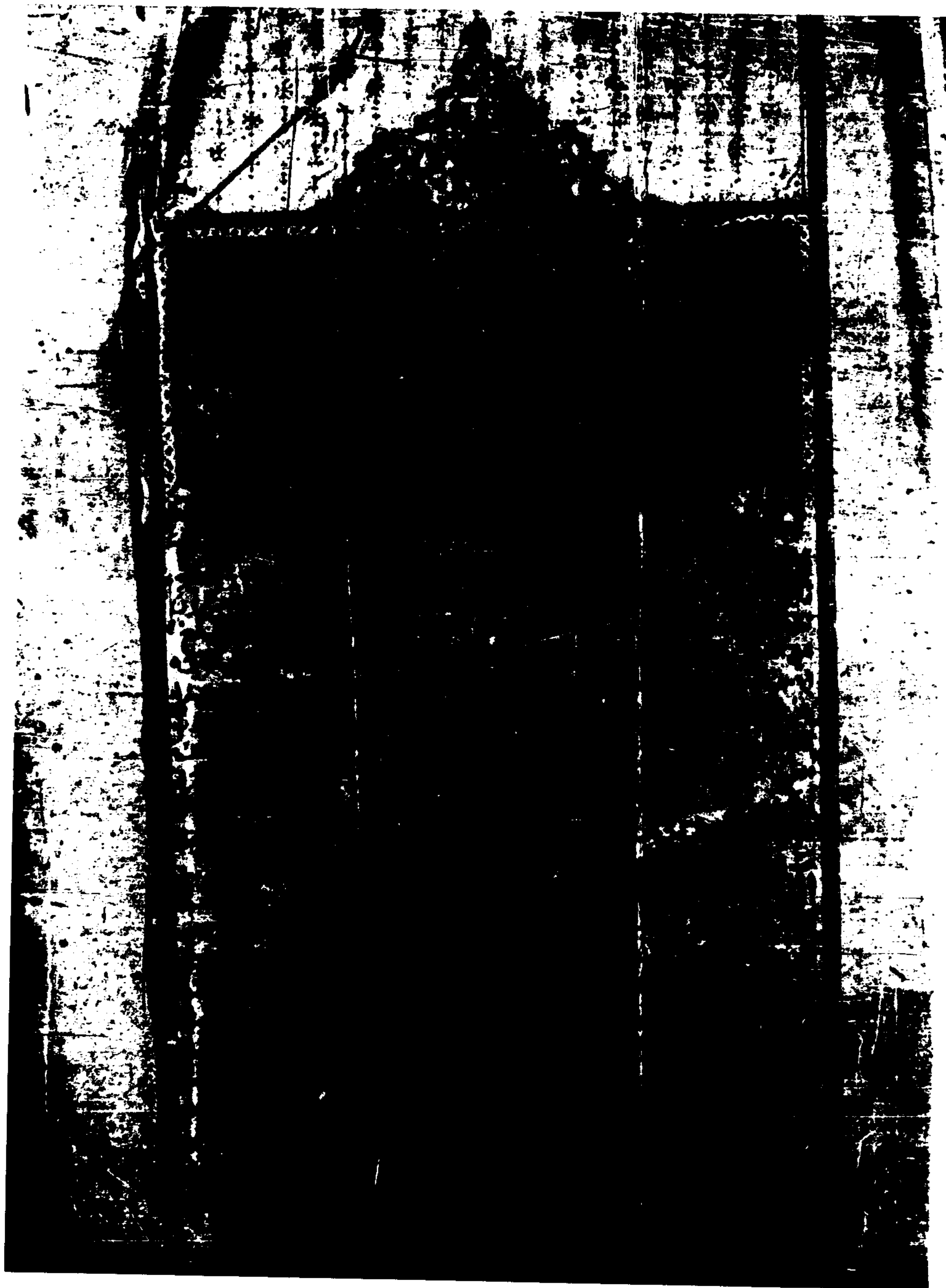

صورة الصفحة الأولى من النسخة [خ]

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة [خ]

ثم بعد السجدة في ريح عاصف فجاءه حسن ظنه بالله عز وجل فسكن رعدته ومضى

ورجلا من أمتي يزحف على الصراط ويحبو أحيانا ويتعلق أحيانا فجاءته صلاته علي فأقامته

على قدميه وأنقذته . ورجلا من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب

دونه فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة . أبو

موسى هذا حديث حسن جدا رواه عن سعيد بن المسيب أيضا عمرو بن ذر وعلي بن زيد

ابن جدعان قاله الفرج بن فضالة عن المتقي بن نعيم أبو فضالة كان وسطا في الرواية

ليس بالقوي ولا المتروك أبو جبلة سعيد بن هلال كأنه مدني لا يعرف بغيره

ذكره ابن أبي حاتم عن أبيه هكذا ذكره الحاكم أبو عبد الله بغير هذا الحديث وأحاله

على مسلم بن الحجاج رواه عن الفرج بن فضالة بشر بن الوليد وخالد أبو الوليد

الكندي قاضي بغداد وكان جميل المذهب حسن الطريقة . مسلم وأبو داود

من طريق حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ذات ليلة فيما يرى النائم كأنا في دار عقبة بن

رافع فأتينا برطب من رطب ابن طاب فأولت الرفعة لنا في الدنيا والعاقبة

في الآخرة وأن ديننا قد طاب . البخاري في المناقب في باب علامات النبوة

في الإسلام من حديث حماد بن أسامة . مسلم في الرؤيا من حديث أبي أسامة قالا

جميعا عن بريد عن أبي بردة عن جده أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت

في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل فذهب وهلي إلى أنها اليمامة أو هجر فإذا

هي المدينة يثرب . ورأيت في رؤياي هذه أني هززت سيفا فانقطع صدره

فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد ثم هززته أخرى فعاد أحسن ما

كان

صورة صفحة من النسخة [ج]

كان نائما ومنا حيا ايديه من الفتح وابتماع المومنين ... ايضا ثنها الدواية خير جاء به البعر من المومنين يوم احد وبلد الخير ما جا الله من الخير بعد وثواب الصدق الذي انانا الله بعد يوم بدر ... البخاري في كتاب التعبير في باب لذا راي البقر تنحر وباب اذا هز سيفا في المنام من حديث ابي اسامه بهذا الاسناد قال عن ابي موسى رضي الله عنه اراه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال فيه وفي الذي قبله فاذا هي اليمامة او الهجر وقال فاذا هم المومنون يوم احد وذكر طرفا منه في غزوة بدر بهذا الاسناد وقال اراه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكره ايضا في غزوة احد قال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين بمكة قد رايت دار هجرتكم رايت سبخة ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان ... البيهقي من طريق عبد الله بن وهب قال اخبرني ابن ابي الزناد عن ابيه عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال تنفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه ذا الفقار يوم بدر قال ابن عباس رضي الله عنهما وهو الذي راي فيه الرويا يوم احد وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جاءه المشركون يوم احد راي كان راي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقيم بالمدينة فيقاتلهم فيها فقال له ناس لم يكونوا شهدوا بدرا نخرج بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم نقاتلهم باحد ورجوا ان يصيبوا من الفضيلة ما اصاب اهل بدر فما زالوا برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لبس لامته فلما لبسها ندموا وقالوا يا رسول الله اقم فالراي رايك فقال صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لنبي ان يضعها اذا لبسها حتى يحكم الله تعالى بينه وبين عدوه قالوا وكان مما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوميذ قبل

صورة صفحة أخرى من النسخة [ج]

١١٨] المقريزى

[illegible]

أحمد بن علي المقريزي (١ : ١٧٢) نهاية كتابه «مختصر قيام الليل» بخطه ، في مكتبة الجمعية الآسيوية بكلكتة (بنغال) ومنه فلم ، في معهد المخطوطات .

نموذج من خط المقريزي في كتابه (مختصر قيام الليل)

من نسخة محفوظة في مكتبة الجمعية الآسيوية

بكلكتة بالـــهند

إمتاع الأسماع

بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع

تأليف

تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي
المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

تحقيق وتعليق

محمد عبد الحميد النميسي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، إياك نعبد وإياك نستعين ، وصلى الله على نبينا محمد الذي منَّ به على عباده المؤمنين ، إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ، وأرسله بالشرع العام ، إلى جميع الأنام ليكون رحمة للعالمين ، ونجاة لمن اتبعه من خزي الدنيا وليكون في الآخرة من الفائزين ، فبلَّغ ﷺ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وكشف الغمة ، وأعد لجهاد أعداء الله تعالى الأسلحة والعتاد ، وارتبط في سبيل الله عز وجل المسوَّمة الجياد ، لمحاربة من حادَّ الله ورسوله بنفسه تارة ، وندب لهم آونة من صحابته من رضيه لذلك واختاره ، حتى ظهر أمر الله وهم كارهون ، فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين .

اللهم صل عليه من نبي كان يأكل الطيبات من الطعام ، وينكح المبرآت من العيوب والآثام ، ويستخدم الموالي من الأرقاء والأحرار ، ويصرفهم في مهنته ومهماته الجليلات الأقدار ، ويركب البغلة الراتعة ويلبس الحبرة والقباء[1] ، ويمشي منتعلا وحافياً من مسجده إلى نحو قُباء[2] ، ويدخر لأهله مما أفاء الله عليه أقوات سنة كاملة ، ويجعلها تحت أيديهم محرزة حاصلة ، ويؤثر بقوته وثوبه أهل الحاجة والمساكين ، ثقة منه بخير الرازقين ، اللهم وابعثه مقاماً محموداً يغبطه الأولون والآخرون ، وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومتبعيه إلى يوم الدين يا رب العالمين .

وبعد ، فغير جميل بمن تصدر للتدريس والإفتاء ، وجلس للحكم بين الناس وفصل القضاء ، أن يجهل من أحوال رسول الله ﷺ ونسبه وجميل سيرته ورفيع منصبه ، وما كان له من الأمور الذاتية والعرضية ما لا غنى[3] لمن صدقه وآمن به عن معرفته ، ولابد لكل من اتسم بالعلم من درايته ، فقد أدركنا وعاصرنا وصحبنا ورأينا كثيراً منهم [وهم][4] عن هذا النبأ العظيم معرضون ، ولهذا النوع الشريف من العلم تاركون ، وبه جاهلون ، فجمعت في هذا المختصر من أحوال رسول الله ﷺ جملة أرجو أن تكون إن شاء الله كافية ، ولمن وفقه ـ سبحانه ـ من

---

(١) الحِبَرَة : بُرْدٌ يمان ، مخطط . والقَباءُ : ثوب يلبس فوق الثياب أو القميص ويتمنطق عليه .

(٢) قُباء : هي قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة . (معجم البلدان ، جـ ٤ ص ٣٤٢)

(٣) في (خ) غنا .. بالألف .

(٤) زيادة يقتضيها السياق .

داء الجهل شافية ، التقط كتاباً جامعاً وباباً من أمهات العلم مجموعاً ، كان له غنمه ، وعلى مؤلفه غرمه ، وكان له نفعه ، [يحده][1] ، مع تعرضه لمطاعن البغاة ولأغراض المنافسين ، ومع عرضه عقله الكدود[2] على العقول الفارغة ، ومعانيه على الجهابذة[3] وتحكيمه فيه المتأولين والحسدة ، ومع ذلك فقد سميته « إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأحوال والحفدة والمتاع » ﷺ ، والله أسأل التوفيق لديمة[4] العمل بالسنة ، ومرافقة الذين أنعم الله عليهم في بحبوحة الجنة ، بمنه وكرمه .

* * *

(١) هكذا بالأصل ، والأوْلى حذفها ليستقيم السياق ، أو لعلها (يجده) بالجيم المعجمة وقد أصابها تصحيف.

(٢) الكدود : الرجل لا يُنال خيرُه إلا بعُسر . (المعجم الوسيط جـ ٢ ص ٧٧٩) .

(٣) الجهابذة : جمع جِهْباذ ، وهو النقَّاد الخبير بغوامض الأمور (المرجع السابق جـ ١ ص ١٤١) .

(٤) الدِّيمة : المطر يطول زمانه في سكون (المرجع السابق جـ ١ ص ٣٠٥) ، في حديث عائشة ، وسئلت عن عمل رسول الله ﷺ وعبادته فقالت : كان عمله ديمة (النهاية لابن الأثير جـ ٢ ص ١٤٧) ،(البخاري في الصوم ، باب هل يخص شيئاًمن الأيام) .

أسماؤه وكناه وألقابه

هو سيد ولد آدم أبو القاسم ، وأبو إبراهيم ، وأبو قُثَم[١] ، وأبو الأرامل : (محمد رسول الله ﷺ)[٢] وأحمد ، والماحي[٣] ، والحاشر[٤] ، والعاقب[٥] ، والمقفي ، ونبي الرحمة ، ونبي التوبة ، ونبي الملاحم[٦] .

نسب أبيه

ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر . (وهو قريش على الصحيح)[٧] ، ابن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد ابن عدنان[٨] ، النبي المصطفى ، والرسول المجتبى ، خيرة رب العالمين ، وخاتم النبيين ، وإمام المتقين ، وسيد المرسلين ، ﷺ[٩] .

---

(١) القُثم : بمعنى الإعطاء ، يقال للرجل الجموع للخير قثوم وقثم (تلقيح فهوم أهل الأثر لابن الجوزي ص ٩) .

(٢) بياض في (خ) .

(٣) وأما الماحي فإن الله محا به سيئات من اتبعه (ابن سعد جـ ١ ص ١٠٥) .

(٤) فأما حاشر فبعث مع الساعة نذيراً لكم بين يدي عذاب شديد (المرجع السابق) .

(٥) وأما العاقب فإنه عقب الأنبياء . (المرجع السابق) .

(٦) يعني نبي القتال ، وهو كقوله الآخر : « بُعثتُ بالسيف » ، والملحمة : الحرب وموضع القتال ، جمع ملاحم (النهاية لابن الأثير جـ ٤ ص ٢٤٠) ، وسيأتي فصل خاص بأسمائه ﷺ .

(٧) وإلى فهر جماع قريش ، وما كان فوق فهر فليس يقال له قرشيّ ، يقال له كنانيّ (ابن سعد جـ ١ ص ٥٥) .

(٨) وعدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم بغير شك ، غير أن أهل النسب يختلفون في الأسماء ما بين عدنان وإسماعيل ، وربما جرى منهم في أكثر الأسماء تصحيف أو اختلاف (تلقيح فهوم أهل الأثر لابن الجوزي ص ٨) .

(٩) ورد أن نسب النبي ﷺ ، أنه : « محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، ومناف أعظم أصنامهم ، وبه سُمّي عبد مناف ، واسمه المعتق بن قُصيّ ، وهو مجمِّع ، واسمه زيد بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مُضَر بن نزار بن معد بن عدنان بن أُدّ بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن حمل بن قيدار=

نســب أمـه

أم رسول الله (ﷺ) آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ابن مرة بن كعب[1] ، حملت به في شعب أبي طالب[2] (وقيل عند الجمرة الكبرى ، وقيل الوسطى) في ليلة رجب ليلة الجمعة[3] ، وقيل حملت به في أيام التشريق .

مولده صلى الله عليه وسلم

ولد محمد ﷺ بمكة في دار عرفت بدار ابن يوسف ، من شعب بني هاشم ، يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول ، وقيل لليلتين خلتا منه ؛ وقيل وُلد في ثالثة ؛ وقيل في عاشرة ؛ وقيل في ثامنة ؛ وقيل ولد يوم الاثنين لاثنتي عشرة مضت من رمضان حين طلع الفجر ، وقد شذَّ بذلك الزبير بن بكار ، إلا أنه موافق لقوله : إن أمه ﷺ حملت به أيام التشريق ، فيكون حملها مدة تسعة أشهر على

= ابن إسماعيل بن إبراهيم بن آزر ، وهو تارح بن ناحور بن أسرع بن أرغوي بن والغ بن شاخ بن أركشد بن سام بن نوح بن لمد بن المتوشلح بن أخنوخ ، وهو إدريس النبي ، ابن يرد بن مهلاييل بن قينان بن أنوش بن شيث ، وهو هبة الله بن آدم المصطفى عليه السلام وعلى جميع الأنبياء . فهذا نسب النبي ﷺ ، وقد اختلف في أسماء الرجال من فوق عدنان ، فزاد بعضهم ، ونقص ، وقدّموا ، وأخّروا ، والله أعلم بالصحيح » .

(التعريف في الأنساب والتنويه لذوي الأحساب) ص ٣٦ .

(١) ابن لؤي بن غالب بن فهر ، وهو يومئذ سيد بني زهرة نسباً وشرفاً . وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعاً (ابن هشام جـ ١ ص ٢٩٢) .

(٢) ويزعمون فيما يتحدث الناس والله أعلم أن آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ كانت تحدث أنها أتيت حين حملت برسول الله ﷺ فقيل لها : إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ، فإذا وقع على الأرض فقولي : أعيذه بالواحد من شر كل حاسد ، ثم سميه محمداً . ورأتْ حين حملت به أنه خرج منها نورٌ رأت به قصور بُصرى من أرض الشأم . (ابن هشام جـ ١ ص ٢٩٣) .

ومن طريق محمد بن عمر عن علي بن زيد عن عبد الله بن وهب بن زمعة عن أبيه عن عمته قالت : كنا نسمع أن رسول الله ﷺ لما حملت به أمه آمنة بنت وهب كانت تقول : ما شعرتُ بأني حملتُ به ولا وجدتُ له ثقلاً كما يجد النساء إلا أني أنكرتُ رفع حيضتي . وربما كانت تقول : وأتاني آت وأنا بين النائم واليقظان فقال : هل شعرت أنك حملت ؟ فكأني أقول : ما أدري ! فقال : إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ونبيّها . (عيون الأثر جـ ١ ص ٢٥) .

(٣) « وذلك يوم الاثنين » (ابن سعد جـ ١ ص ٩٨) ، (صفة الصفوة جـ ١ ص ٢٣) ، (عيون الأثر جـ ١ ص ٢٥) .

العادة الغالبة . وذلك عام الفيل ، وقيل بعد قدوم الفيل مكة بخمسين يوماً ، وقيل بشهر ، وقيل بأربعين يوماً ، وقيل قدوم الفيل للنصف من المحرم قبل مولد رسول الله ﷺ بشهرين إلا أياماً ، وقيل ولد بعد الفيل بثمانية وخمسين يوماً ، وقيل بعده بعشر سنين ، وقيل بعده بثلاثين عاماً ، وقيل قبل الفيل بخمس عشرة سنة ، وقيل قبله بأربعين عاماً ، وقيل وُلد يوم الفيل ، وقيل ولد سنة ثلاث وعشرين للفيل ، وقيل في صفر ، وقيل يوم عاشوراء ، وقيل في ربيع الآخر[1] .

والراجح أنه ولد عام الفيل في الثانية والأربعين من ملك كسرى أنو شروان ابن قباذ بن نيروز بن يزدجرد بن بهرام جور بن يزدجرد الخشن بن بهرام بن سابور ابن سابور ذي الأكتاف .

وكان على الحيرة يوم ولد ﷺ عمرو بن المنذر بن امريء القيس وهو عمرو ابن هند ، وذلك قبل ولاية النعمان بن المنذر المعروف بأبي قابوس على الحيرة بنحو من سبع عشرة ، وهي سنة إحدى وثمانين وثمانمائة لغلبة الإسكندر بن فيلبس المجدوني على دارا ، وهي سنة ألف وثلاثمائة وستة عشرة لابتداء ملك بخت نصر ، ووافق يوم مولده العشرين من نيسان ، وولد بالغفر[2] من المنازل وهو مولد الأنبياء ، ويقال كان طالعه برج الأسد والقمر فيه .

صفة مولده ﷺ

وتركوا عليه جفنة كبيرة فانفلقت عنه فلقتين ، فكان ذلك من مباديء أمارات النبوة في نفسه الكريمة ، ويقال ولد مختوناً ، مسروراً[3] مقبوضة أصابع يده ،

(١) اتفقوا على أن رسول الله ﷺ وُلد يوم الاثنين في شهر ربيع الأول عام الفيل . واختلفوا فيما مضى من ذلك الشهر لولادته على أربعة أقوال : أحدها : أنه ولد لليلتين خلتا منه ، والثاني : لثمان خلون منه ، والثالث : لعشر خلون منه ، والرابع : لاثنتي عشرة خلت منه . (صفة الصفوة جـ ١ ص ٢٤) .

(٢) الغفْر : منزل للقمر ثلاثة أنجم صغار في برج السنبلة ، وهي المنزل الخامس عشر من منازل القمر (المعجم الوسيط جـ ٢ ص ٦٥٦) . قال تعالى : ﴿ **والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم** ﴾ . (آية ٣٩ / يس) .

(٣) وقد اختلف فيه على ثلاثة أقوال : أحدها : أنه ولد مختوناً مسروراً ، وروي في ذلك حديث لا يصح ، ذكَرَهُ أبو الفرج بن الجوزي في « الموضوعات » وليس فيه حديث ثابت ، وليس هذا من خواصه ﷺ فإن كثيراً من الناس يولد مختوناً . القول الثاني : أنه خُتن ﷺ يوم شَقَّ قلبه الملائكةُ عند ظئرة حليمة . القول الثالث : أن جدَّه عبد المطلب ختنه يوم سابعه وصنع له مأدبة وسماه محمداً . (زاد المعاد جـ ١ ص ٨٠) .

=

مشيراً بالسبابة كالمسبح بها ، فأعجب ذلك جده عبد المطلب وقال : « ليكونن لابني هذا شأن » . وقيل : إن جده ختنه يوم سابعه ، وقيل : ختنه جبريل عليه السلام ، وختم حين وضع الخاتم .

مدة حمله ﷺ

وكانت مدة الحمل به تسعة أشهر ، وقيل : عشرة ، وقيل : ثمانية ، وقيل : سبعة ، وقيل : ستة . وعقَّ[1] عنه بكبش يوم سابعه ، وسماه محمداً[2] .

= زمعنى مختوناً : أي مقطوع الختان ، ومسروراً أي مقطوع السُّرَّة من بطن أمه (البداية والنهاية جـ ٢ ص ٣٢٤) .

(١) عقَّ عن ولده : ذبح ذبيحة يوم سبوعه (المعجم الوسيط جـ ٢ ص ٦١٦) .

(٢) فأخذه عبد المطلب فأدخله الكعبة وقام عندها يدعو الله ويشكر ما أعطاه ، وروي أنه قال يومئذ :

الحمد لله الذي أعطاني ... هذا الغلام الطيب الأردان
قد ساد في المهد على الغلمان ... أعيذه بالله ذي الأركان
حتى أراه بالغ البنيان ... أعيذه من شر ذي شنآن
من حاسد مضطرب العيان

(ابن سعد جـ ١ ص ١٠٣) ، (صفة الصفوة جـ ١ ص ٢٦) وفي رواية أخرى :

الحمد لله الذي أعطاني ... هذا الغلام الطيب الأردان
قد ساد في المهد على الغلمان ... أعيذه بالله ذي الأركان
حين يكون بُلْغَةَ الفتيان ... حتى أراه بالغ البنيان
أعيذه من كل ذي شنآن ... من حاسد مضطرب العِنان
ذي همة ليس له عينان ... حتى أراه دافع السان
أنت الذي سميت في القرآن ... في كتب ثابتة المثاني
أحمد مكتوب على البيان

(البداية والنهاية جـ ٢ ص ٣٢٤) ، (الروض الأنف جـ ١ ص ١٨٤) ، (ابن هشام جـ ١ ص ٢٩٦) .

وفي هامش البداية والنهاية « حتى أرى منه رفيع الشان » والأردان : جمع رُدْن : والرُّدْن : مقدم كم القميص أو أسفله . وطيب الأردان : كناية عن العفَّة والنَّقاء . والشنآن : البغضاء (هامش ص ٢٦ من جـ ١ صفة الصفوة) ، (لسان العرب جـ ١ ص ١٠٢) مادة : شَنَأَ .

قال تعالى : ﴿ **ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام** ﴾ (آية ٢/المائدة) ، وقال تعالى : ﴿ **ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا** ﴾ (آية ٨/المائدة) .

موت أبيه

ومات عبد الله بن عبد المطلب ــ ورسول الله ﷺ حمل في بطن أمه ــ بالمدينة ، وقيل : بالأبواء بين مكة والمدينة ، والأول هو المشهور ، وقيل : مات بعد ولادته بثمانية وعشرين يوماً ، وقيل : بسبعة أشهر ، وقيل : بسنة ، وقيل : بسنتين ، وقيل : بشهرين ، والأول أثبت .

رضاعه وإخوته في رضاعه

أرضعته أمه ﷺ سبعة أيام(1) ، ثم أرضعته « ثويبة »(2) مولاة « أبي لهب »

---

(1) في (خ) أيام أمه ، والصواب ما أثبتناه .

(2) قال عروة : « وثويبة مولاة لأبي لهب ، وكان أبو لهب أعتقها ، فأرضعت النبي ﷺ ، فلما مات أبو لهب ، أُريه بعضُ أهله بِشَرِّ حِيبَةٍ ، قال له : ماذا لقيت ؟ قال أبو لهب : لم ألق بعدكم غير أني سُقيت هذه بعتاقتي ثويبة » . ذكرها ابن منده في الصحابة ، وقال : اختُلف في إسلامها ، وقال أبو نعيم : لا نعلم أحداً ذكر إسلامها غيره ، والذي في السير أن النبي ﷺ كان يكرمها ، وكانت تدخل عليه بعد ما تزوج خديجة ، رضي الله عنها ، وكان يرسل إليها الصلة من المدينة ، إلى أن كان بعد فتح خيبر ، ماتت ، ومات ابنها مسروح . قوله : « وكان أبو لهب أعتقها فأرضعت النبي ﷺ » ظاهره أن عتقه لها كان قبل إرضاعها ، والذي في السير يخالفه ، وهو أن أبا لهب أعتقها قبل الهجرة ، وذلك بعد الإرضاع بدهر طويل . وحكى السهيلي أيضاً أن عتقها كان قبل الإرضاع . قوله : « أُرِيَه » بضم الهمزة وكسر الراء وفتح التحتانية ، على البناء للمجهول . قوله : « بعض أهله » بالرفع على أنه النائب عن الفاعل . وذكر السهيلي أن العباس قال : لما مات أبو لهب ، رأيته في منامي بعد حول في شرّ حالٍ فقال : ما لقيتُ بعدكم راحة ، إلا أن العذاب يخفف عني كل يوم اثنين ، قال : وذلك أن النبي ﷺ ولد يوم الاثنين ، وكانت بشَّرتْ أبا لهب بمولده فأعتقها . قوله : « بشرِّ حِيْبة » بكسر المهملة ، وسكون التحتانية ، بعدها موحَّدَة ، أي سوء حال . وقال ابن فارس : أصلها الحوبة وهي المسكنة والحاجة ، فالياء في حيبة ، منقلبة عن واو لانكسار ما قبلها . ووقع في « شرح السنة للبغوي » بفتح الحاء ، ووقع عند « المستملي » بفتح الخاء المعجمة ، أي في حالة خائبة من كل خير ، وقال « ابن الجوزي » : هو تصحيف . وقال « القرطبي » : يروى بالمعجمة ، ووجدتُه في نسخة معتمدة بكسر المهملة ، وهو المعروف . وحكي في المشارق عن رواية « المستملي » بالجيم ، ولا أظنه إلا تصحيفاً ، وهو تصحيف كما قال . قوله : « ماذا لقيت ؟ » أي بعد الموت ، قوله : « لم ألق بعدكم غير أني » ، كذا في الأصول بحذف المفعول ، وفي رواية الإسماعيلي : « لم ألق بعدكم رخاء » ، وعند عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري : « لم ألق بعدكم راحة » ، قال ابن بطال : سقط المفعول من رواية البخاري ، ولا يستقيم الكلام إلا به . قوله : « غير أني سُقيت في هذه » كذا في الأصول بالحذف أيضاً ، ووقع في رواية عبد الرزاق المذكورة ، وأشار إلى النقرة التي تحت إبهامه ، وفي رواية الإسماعيلي المذكورة ، وأشار إلى النقرة التي بين الإبهام والتي تليها من الأصابع . وللبيهقي في الدلائل من طريق كذا مثله بلفظ « يعني النقرة » ، وهي ذلك إشارة =

بلبن ابنها « مسروح » أياماً قلائل[١] وكانت أرضعت قبل رسول الله ﷺ عمه « حمزة بن عبد المطلب »[٢] ، وأرضعت بعد رسول الله ﷺ « أبا سلمة بن عبد

= إلى حقارة ما سُقي من ماء . قوله : « بعَتاقتي » بفتح العين ، وفي رواية عبد الرزاق « بعتقي » وهو أوجه ، والوجه الأولى أن يقول : « بإعتاقي » لأن المراد التخليص من الرق .

وفي الحديث دلالة على أن الكافر قد ينفعه العمل الصالح في الآخرة ، ولكنه مخالف لظاهر القرآن ، قال تعالى : ﴿ **وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً** ﴾ (آية ٢٣/الفرقان) ، وأجيب : أولاً : بأن الخبر مرسل ، أرسله عروة ، ولم يذكر من حدَّثه به ، وعلى تقدير أن يكون موصولاً ، فالذي في الخبر رؤيا منام ، فلا حجة فيه ، ولعلَّ الذي رآها لم يك إذ ذاك أسلم ، فلا يُحتج به . وثانياً : على تقدير القبول ، فيحتمل أن يكون ما يتعلق بالنبي ﷺ مخصوصاً من ذلك ، بدليل قصة أبي طالب كما تقدم ، أنه خفف عنه ، فنقل من الغمرات إلى الضَّحْضاح .

وقال البيهقي : ما ورد من بطلان الخبر للكفار ، فمعناه أنهم لا يكون لهم التخلص من النار ، ولا دخول الجنة ، ويجوز أن يخفف عنهم من العذاب الذي يستوجبُونه على ما ارتكبوه من الجرائم ، سوى الكفر بما عملوه من الخيرات .

وأما القاضي عياض فقال : انعقد الإجماع على أن الكفار لا تنفعهم أعمالهم ، ولا يثابون عليها بنعيم ولا تخفيف عذاب ، وإن كان بعضهم أشد عذاباً من بعض .

قلت : وهذا لايرد الاحتمال الذي ذكره البيهقي ، فإن جميع ما ورد من ذلك فيما يتعلق بذنب الكفر ، وأما ذنب غير الكفر ، فما المانع تخفيفه ؟ .

وقال القرطبي : هذا التخفيف خاص بهذا ، وبمن ورد النص فيه . وقال ابن المنير في الحاشية : هنا قضيتان : إحداهما محال ، وهي اعتبار طاعة الكافر مع كفره ، لأن شرط الطاعة أن تقع بقصد صحيح ، وهذا مفقود من الكافر .

والثانية : إثابة الكافر على بعض الأعمال ، تفضلاً من الله تعالى ، وهذا لا يحيله العقل ، فإذا تقرر ذلك لم يكن عتق أبي لهب لثويبة قربة معتبرة ، ويجوز أن يتفضل الله عليه بما شاء ، كما تفضل على أبي طالب ، والمتبع في ذلك التوقيف نفياً وإثباتاً . قلت : وتتمَّة هذا أن يقع التفضل المذكور إكراماً لمن وقع من الكافر من البرّ له ونحو ذلك . والله أعلم . (فتح الباري جـ٩ ص ١٧٣ ، ١٧٤ – كتاب النكاح ــ باب : وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم ، ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب) .

(١) في (خ) « دلائل » وكتب تحتها بخط آخر « قلائل » .

(٢) هو حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ، الإمام البطل الضرغام ، أسد الله أبو عمارة ، وأبو يعلي القرشي الهاشمي ، المكيُّ ، ثم المدنيُّ ، البدريُّ ، الشهيد ، عم رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة .

قال ابن إسحاق : لما أسلم حمزة علمت قريش أن رسول الله ﷺ قد عَزَّ وامتنع ، وأن حمزة سيمنعه ، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه .

(ابن هشام) ١٢٩/٢ ، (ابن الأثير) في أسد الغابة ٥٢/٢ ، (الهيثمي) ٢٦٧/٩ ونسبه للطبرانيّ وقال : مرسل ورواته ثقات ، وأخرجه (الحاكم) ١٩٣/٣ .

قال أبو إسحاق : عن حارثة بن مضرِّب ، عن علي قال : قال لي رسول الله ﷺ : نادِ حمزة ، =

الأسد »[1] ، ثم بعد رضاعه من « ثويبة » أرضعته « أم كبشة »[2] ، حليمة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث بن شجنة بن جابر بن رزام بن ناصرة بن قصية ابن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن السعدية » بلبن زوجها الحارث[3] بن عبد العزى السعدي ،وأرضعت معه ﷺ ابن عمه « أبا سفيان[4] بن الحارث بن عبد

فقلت : من هو صاحب الجمل الأحمر ؟ فقال حمزة : هو عتبة بن ربيعة ، فبارز يومئذ حمزةُ عتبةَ فقتله .

(ابن سعد) ٨/٣ الطبقة الأولى على السابقة في الإسلام ممن شهد بدراً ، وأخرجه (الحاكم) مُطَوَّلاً ١٩٤/٣ وصححه ، وهو كما قال . ولكن الذهبي قال : لم يخرجا لحارثة ، وقد وهّاه ابن المديني ، وقد أخطأ رحمه الله في نقله توهية حارثة بن مضرب عن ابن المديني ، فإنه لم يثبت عنه ، وحارثة وثَّقه أحمد ، وابن معين ، وابن حبان ، وروى حديثة أصحاب السُّنن ، والبخاري في الأدب المفرد .

(١) هو أبو سلمة بن عبد الأسد بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب ، السيد الكبير ، أخو رسول الله ﷺ من الرضاعة ، وابن عمته برَّة بنت عبد المطلب ، وأحد السابقين الأولين ، هاجر إلى الحبشة ، ثم هاجر إلى المدينة ، وشهد بدراً ، ومات بعدها بأشهر ، وله أولاد صحابة ، كعمر وزينب ، ولما انقضت عدة زوجته أم سلمة ، تزوج بها النبي ﷺ ، وروت عن زوجها أبي سلمة القول عند المصيبة وكانت تقول : من خيرٌ من أبي سلمة ، وما ظنَّتْ أن الله يخلفها في مصابها به بنظيره ، فلما فُتح عليها بسيد البشر ، اغتبطت أيما اغتباط . مات كهلاً في سنة ثلاث من الهجرة ، رضي الله عنه .

(مسند أحمد) ٢٧/٤ ، (ابن سعد) ٢٣٩/٣ ، (الجرح والتعديل) ١٠٧/٥ ، (حلية الأولياء) ٣/٢ ، (تهذيب الأسماء واللغات) ٢٤٠/٢ رقم ٣٦٠ ، (تهذيب التهذيب) ٢٥١/٥ رقم ٤٨٧ ، (الإصابة) ١٥٢/٤ رقم ٤٧٨٦ .

(٢) هي حليمة بنت عبد الله بن الحارث بن شجنة بن جابر بن رزام بن ناصرة بن قصية بن سعد بن بكر ابن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مُضَر ، (تهذيب الأسماء واللغات) ٢٣٩/٢ رقم ٧٢٩ .

(٣) هو الحارث بن عبد العُزَّى بن رفاعة بن ملان بن ناصرة بن فُصيَّة بن سعد بن بكر ، يكنى أبا ذوئيب . (المرجع السابق) .

(٤) هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم الهاشميّ ، أخو نوفل وربيعة ، تلقى النبي ﷺ في الطريق قبل أن يدخل مكة مسلماً ، فانزعج النبي ﷺ وأعرض عنه ، لأنه بدت منه أمور في أذية النبي ﷺ ، فتذلل للنبي ﷺ حتى رقَّ له ، ثم حَسُنَ إسلامه ، ولزم هو والعباس رسول الله ﷺ يوم حنين إذْ فَرَّ الناس ، وأخذ بلجام البغلة ، وثَبَتَ معه .

وكان أخا النبي ﷺ من الرضاعة ، أرضَعَتْهُما حليمة ، سمَّاه هشام بن الكلبي ، والزبير : « مغيرة » ، وقالت طائفة : اسمه كنيته ، وإنما المغيرة أخوهم .

وقيل : كان الذين يُشَبَّهون بالنبي ﷺ ، جعفر ، والحسن بن علي ، وقُثَم بن العباس ، وأبو سفيان بن الحارث [وقد روى عنه ولده عبد الملك ، أن النبي ﷺ قال : « يا بني هاشم إياكم والصدقة ، لا تعملوا عليها فإنها لا تصلح لكم ، وإنما هي أوساخ الناس » (أبو نعيم عن عبد الله بن المغيرة الهاشمي ، عن أبيه ، وأكثر من عرف من الصحابة) . (كنز العمال) ١٦٥٣٤] ، وعبد الله بن المغيرة من أهل مصر ، يروي عن الثوري ، روى عنه المقدام بن داود الرعيني ، يغرب وينفرد . قال ابن حبان في : =

المطلب » أياماً بلبن ابنها عبد الله ، ثم فطمته ﷺ بعد سنتين .

وكان حمزة بن عبد المطلب مسترضعاً في بني سعد بن بكر فأرضعت أمه رسول الله ﷺ يوماً وهو عند أمه حليمة ، وكان حمزة رضيع النبي ﷺ من وجهين ؛ من جهة ثويبة ومن جهة السعدية ، وكانت ابنتها الشيماء تحضنه معها .

وكان أخوه من الرضاعة عبد الله بن الحارث ، وهو الذي شرب مع رسول الله ﷺ ، وأنيسة بنت الحارث ، والشيماء وهي حُذافة[1] بنت الحارث[2] .

مدة رضاعه

فأقام ﷺ عند حليمة في بني سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان نحواً من أربع سنين[3] .

شق صدره

وشق فؤاده المقدس هناك ومُلِيء حكمة وإيماناً بعد أن أُخرج حظُّ الشيطان منه ،

= (الثقات جـ ٨ ص ٣٤٤) ، وقال العقيلي : يحدث بما لا أصل له ، وقال ابن يونس: منكر الحديث (لسان الميزان جـ ٣ ص ٤٤٨) .

وكان أبو سفيان من الشعراء ، وفيه يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

ألا أَبْلِغْ أبا سفيان عني مُغَلْغَلَةً ، فَقَدْ بَرِحَ الخَفاءُ
هَجَوْتَ مُحمّداً فأَجَبْتُ عنه وعند الله في ذاك الجزاءُ

والبيتان من قصيدة طويلة لحسان بن ثابت ، قالها يوم فتح مكة ، مطلعها :

عفت ذات الأصابع فالجواء إلى عذراء منزلها خــلاءُ

وتبلغ هذه القصيدة ثلاثين بيتاً ، والجواء وذات الأصابع موضعان بالشام ، وعذراء على بريد من دمشق ، قُتل بها حجر بن عدي وأصحابه ، والمغلغلة : الرسالة المكتوبة .

(ديوان حسان بن ثابت) ص ٧١ ، (ابن هشام) جـ ٥ ص ٨٥ ، (ابن سعد) جـ ٤ ص ٤٩ ، (الاستيعاب) جـ ٤ ص ١٦٧٣ رقم ٣٠٠٢ ، (الإصابة) جـ ٧ ص ١٧٩ رقم ١٠٠٢٢ .

(١) في ابن هشام « خذامة بكسر الخاء المنقوطة » جـ ١ ص ٢٩٨ .

(٢) (زاد المعاد) ٨٣/١ .

(٣) ذكر ابن الجوزي أن حليمة أعادته إلى أمه بعد سنتين وشهرين (صفة الصفوة جـ ١ ص ٦٣) وقال ابن قتيبة : (لبث فيهم خمس سنين) (المعارف ص ١٣٢) (انظر تلقيح فهوم أهل الأثر لابن الجوزي ص ١٣) .

وروى البخاري[1] في الصحيح : شق صدره ﷺ ليلة المعراج ، وقد استشكله أبو محمد بن حزم[2] . ويقال : إن جبريل عليه السلام ختنه ﷺ لما طهر قلبه الشريف . ثم ردته حليمة بعد شق فؤاده إلى أمة آمنة وهو ابن خمس سنين وشهر ، وقيل : ابن أربع سنين ، وقيل : سنتين وشهر .

خروج آمنة وموتها

ثم خرجت به آمنة إلى المدينة تزور أخواله بها فماتت بالأبواء[3] وهي راجعة إلى مكة ، وله ﷺ ست سنين وثلاثة أشهر وعشرة أيام ، وقيل: وعمره أربع سنين ، وقيل : ثمانية أعوام ، والأول أبثبت[4] .

كفالة جده

فكفله بعد آمنة جده عبد المطلب بن هاشم وكان يرى من نشوئه ما يسره فيدنيه ، حتى كان ﷺ يدخل عليه إذا خلا وإذا نام ويجلس على فراشه ، فإذا أراد بنو عبد المطلب منعه قال عبد المطلب : دعوا ابني ، فإنه يؤنس ملكا[5].

---

(١) حديث شق الصدر : (البخاري) جـ ٢ ص ٣٢٧ في باب الإسراء — (مسلم) جـ ٢ ص ٢١٦ في باب الإسراء — (سنن الدرامي) جـ ١ ص ٨ — (مسند أحمد) جـ ٣ ص ١٢١ ، ص ١٤٩ ، ص ٢٨٨ — (المستدرك للحاكم) جـ ٢ ص ٦١٦ وصححه الذهبي في تلخيص المستدرك .

(٢) هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن سفيان بن يزيد الفارسيّ ، مولى زيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، القرشيّ ، الأندلسيّ ، الإمام العلامة ، المحقق ، المدقق ، يكنى أبا محمد ، ويعرف بابن حزم ، ولد بعد صلاة الصبح في آخر يوم من شهر رمضان سنة ثلاث وثمانية وثلاثمائة (٣٨٣ هـ) بقرطبة بالأندلس ، وتوفي بقريته ، وهي من غرب الأندلس ، على خليج البحر الأعظم ، في شهر جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وأربعمائة (٤٥٧ هـ) (الإحكام في أصول الأحكام) لابن حزم / المقدمة .

(٣) الأبواء : بالفتح ثم السكون وواو وألف ممدودة ، قرية من أعمال الفرْع من المدينة ، بينها وبين الجُحْفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً . (معجم البلدان جـ ١ ص ١٠١ ، ١٠٢) .
الأبواء : في الشمال عن الجحفة على ثمان فراسخ (تقويم البلدان ص ٨١) .

(٤) ماتت أم رسول الله ﷺ وله ست سنين وقيل : أربع (تهذيب الأسماء واللغات جـ ١ ص ٢٤) وذكر ابن هشام : أنها توفيت وله ﷺ ست سنين (ابن هشام جـ ١ ص ٣٠٥) وقيل : توفيت أمه وهو ابن أربع سنين (تلقيح فهوم أهل الأثر ص ١٣) .

(٥) نص ابن سعد : « دعوا ابني إنه ليؤنس مُلكاً » (ابن سعد جـ ١ ص ١١٨) وفي ابن هشام : « دعوا ابني ، فوالله إن له لشأناً » (ابن هشام جـ١ ص ٣٠٦) و (ابن كثير جـ٢ ص ٢٨٢) (البداية =

رمده

ورمد عليه السلام في سنة سبع من مولده فخرج به عبد المطلب إلى راهب فعالجه وأعطاه ما يعالج به وبشَّر بنبوته[1] .

حضانة أم أيمن وموت جده وكفالة عمه

وحضنته بعد أمه أم أيمن بركة الحبشية مولاة أبيه ، حتى مات عبد المطلب وله ﷺ من العمر ثماني سنين ، وقد أوصى به إلى ابنه أبي طالب[2] لأنه كان أخا عبد الله لأمه ، فكفله عمه أبو طالب بن عبد المطلب وحاطه أتم حياطة .

حليته وخُلُقه في صِغَره

وكان بنو أبي طالب يصبحون غُمْصاً رُمْصاً[3] ويصبح ﷺ صقيلا دهيناً[4] ، وكان أبو طالب يقرب إلى الصبيان تصبيحهم أول البكرة فيجلسون وينهبون ، ويكف رسول الله ﷺ يده لا ينهب معهم ، فلما رأى ذلك أبو طالب عزل له طعامه على حدةٍ . وكان ﷺ يصبح في أكثر أيامه فيأتي زمزم فيشرب منه شربة ، فربما عُرِض عليه الغداء فيقول : لا أريده ، أنا شبعان .

مخرجه الأول إلى الشام

وخرج به إلى الشام في تجارة وهو ﷺ ابن اثنتي عشرة سنة وشهرين وعشرة

= والنهاية) « دعوا ابني إنه يؤسس ملكاً » .

(١) ذكر صاحب (تاريخ الخميس) جـ ١ ص ٢٣٩ في وقائع السنة السابعة من مولده ﷺ : « ومن وقائع هذه السنة ما روي أنه أصاب رسول الله ﷺ رمد شديد فعولج بمكة فلم يغن عنه ، فقيل لعبد المطلب : إن في ناحية عكاظ راهباً يعالج الأعين فركب إليه فناداه وديره مغلق فكان لا يجيبه ، فتزلزل به ديره حتى خاف أن يسقط عليه فخرج مبادراً ، وقال : يا عبد المطلب ، إن هذا الغلام نبي هذه الأمة ولو لم أخرج إليك لخرّ ديري ، وارجع به واحفظوه لا يغتاله بعض أهل الكتاب ثم عالج » .

(٢) في (خ) « المطلب » والصحيح ما أثبتناه . فأبو طالب أخو عبد الله لأبيه وأمه ، راجع : (المعارف لابن قتيبة) ص ١١٨ .

(٣) الغمَص : ما سال من العين من رمص (المعجم الوسيط جـ ٢ ص ٦٦٢) .
الرَّمص : وسخ أبيض جامد يجتمع في موق العين (المرجع السابق جـ ١ ص ٣٢٧) .

(٤) في ابن سعد « رُمْصاً شُعْثاً » ، « دهيناً كحيلاً » (جـ ١ ص ١٢٠) .

أيام ، وقيل ابن تسع سنين فبلغ به بُصرى[1] ، وذلك فيما يقال لعشر خَلَوْن من ربيع الأول سنة ثلاث عشر للفيل . فرأى أبو طالب ومن معه من آيات نبوته ﷺ ما زاده في الوصاة به والحرص عليه : من تظليل الغمام له ، وميل الشجرة بظلها عليه .

خبر بحيرا الراهب

وبشر به بحيرا الراهب (واسمه سَرْجِسُ من عبد القيس) ، وأمر أبا طالب أن يرجع به لئلا تراه اليهود فيرمونه بسوء ، فكانت هذه أول بشرى بنبوته ، وهو لصغره غير واع إليها ولا متأهب لها ، وقيل : خرج مع عمه وله تسع سنين ، والأول أثبت[2] .

أول أمره مع خديجة في التجارة

وكان حكيم بن حزام[3] قد رأى رسول الله ﷺ بسوق حباشة ، واشترى منه بَزًّا من بز[4] تهامة[5] وقدم مكة . فذلك حين أرسلت خديجة إلى رسول الله

(١) بُصْرى : بالشام من أعمال دمشق . (معجم البلدان جـ ١ ص ٥٢٢) .
وذكر ابن الجوزي أنه ﷺ نزل تيماء ، وهي واحة في شمالي جزيرة العرب (صفة الصفوة جـ ١ ص ٣٣) .

(٢) أورد هذا الخبر بتمامه : ابن الجوزي في (صفوة الصفوة جـ ١ ص ٣٣ ــ ٣٥) ــ ابن هشام (السيرة النبوية جـ ١ ص ٣١٩ ــ ٣٢٢) ــ الطبري (التاريخ جـ ٢ ص ٢٧٧ ــ ٢٧٩) ــ ابن كثير (البداية والنهاية جـ ٢ ص ٣٤٥ ــ ٣٤٩) ــ ابن سيد الناس (عيون الأثر جـ ١ ص ٤٠ ــ ٤٣) .

(٣) حكيم بن حزام بن خويلد ، وهو ابن أخي خديجة ، أسلم يوم الفتح وحَسُنَ إسلامه ، وغزا حنيناً والطائف ، وكان من أشراف قريش ، وعقلائها ، ونبلائها ، وكان الزبير ابن عمه ، قال البخاري في « التاريخ » : عاش ستين سنة في الجاهلية وستين في الإسلام . قال الذهبي : لم يعش في الإسلام إلا بضعاً وأربعين سنة ، باع دار الندوة من معاوية بمائة ألف ، فقال له ابن الزبير : بعتَ مكرُمة قريش ، فقال : ذهبت المكارم ياابن أخي إلا التقوى ، إني اشتريت بها داراً في الجنة ، أُشهدكم أني قد جعلتها لله . مات سنة أربع وخمسين ، بلغ عدد مسنده (٤٠) حديثاً ، له في الصحيحين أربعة أحاديث متفق عليها . (مسند أحمد جـ ٤ ص ٤٠١ ــ ٤٠٣) ، (المعارف : ٣١١) ، (الجرح والتعديل : ٢٠٢/٣) ، (المستدرك : ٤٨٢/٣ ــ ٤٨٥) ، (تهذيب الأسماء واللغات : ١٦٦/١) ، (تهذيب التهذيب : ٤٤٧/٢) ، (شذرات الذهب : ٦٠/١) .

(٤) البَزُّ : نوع من الثياب والسلاح . (المعجم الوسيط جـ١ ص ٥٤) .

(٥) تِهامة بالكسر ، قال أبو المنذر : تهامة تساير البحر ، منها مكة ، قال : والحجاز ما حجز بين تهامة =

ﷺ تدعوه أن يخرج في تجارة إلى سوق حُباشة[1] . وبعثت معه غلامها ميسرة ، فخرجا فابتاعا بزا من بز الجند[2] وغيره مما فيها من التجارة ، ورجعا إلى مكة فربحا ربحا حسنا ، ويقال إن أبا طالب كلم خديجة حتى وكلت رسول الله ﷺ بتجارتها .

مشاركته السائب في التجارة

وكان يشارك السائب بن أبي السائب صيفي بن عابد[3] بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، فلما كان يوم الفتح جاءه فقال عليه السلام : (مرحباً بأخي وشريكي ، كان لا يداري ولا يماري) ومعنى يداري : يشاحن ويخاصم صاحبه .

رعيةُ الغنم

وكان بعد ذلك يرعى غنماً لأهل مكة على قراريط ، قيل : كل شاة بقيراط ، وقيل : قراريط موضع ، ولم يُرد بذلك القراريط من الفضة[4] .

مشهده حرب الفجار[5]

وشهد حرب الفِجَار الأيام سائرها إلا يوم نخلة ، وكان يناول عمه ــ الزبير

= والعروض .
قال الأصمعي : وإنما سمي الحجاز حجازاً لأنه حجز بين تهامة ونجد . (معجم البلدان جـ ٢ ص ٧٤) .

(١) حُباشة : بالضم والشين المعجمة ، سوق من أسواق العرب في الجاهلية ، ذكره في حديث عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال : لما استوى رسول الله ﷺ وبلغ أشدّه وليس له مال كثير استأجرته خديجة إلى سوق حباشة .

(٢) الجَند : بالتحريك ، قال أبو سنان اليماني : « ... وأعمال اليمن في الإسلام مقسومة على ثلاثة ولاة : فوالٍ على الجَندَ ومخاليفها ، وهو أعظمها ، ووالٍ على صنعاء ومخاليفها ، وهو أوسطها ، ووالٍ على حضرموت ومخاليفها ، وهو أدناها » . (معجم البلدان جـ ٢ ص ١٩٦) .

(٣) هكذا في (خ) ، وفي ابن هشام :
قال ابن إسحاق : « السائب بن أبي السائب بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم » (ابن هشام جـ ٣ ص ٢٦٨) .

(٤) روى البخاري في كتاب (الإجارة) : باب رعي الغنم على قراريط : « عن النبي ﷺ قال : ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم ، فقال أصحابه : وأنت ؟ قال : نعم ، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة » . (صحيح البخاري جـ ١ ص ٣٢) وذكره ابن ماجه بلفظ آخر ، (صحيح سنن ابن ماجه للألباني جـ ٢ ص ٧٢٧ باب الصناعات حديث رقم ٢١٤٩) .

(٥) الفِجار بكسر الفاء ، « وإنما سُمّي يوم الفجار بما استحل فيه هذان الحيان ــكنانة وعسقلانــ من =

بن عبد المطلب ــ النبل ، وكان عمره ﷺ يومئذ عشرين سنة[١] ، وقيل : أربع عشرة سنة أو خمس عشرة سنة[٢] .

مخرجه الثاني إلى الشام في تجارة خديجة

ثم أجر نفسه من خديجة ــ بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب [ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر][٣] ــ سفرتين بقلوصين[٤] . وخرج ثانياً إلى الشام في تجارة ومعه غلامها ميسرة ــ لأربع عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة سنة خمس وعشرين من الفيل ــ وقد بلغ خمساً وعشرين سنة ــ حتى أتى بصرى فرآه نسطور الراهب وبشر بنبوته ميسرة . ورأى ميسرة من شأنه ﷺ ما بهره فأخبر سيدته خديجة بما شاهد وبكلام الراهب[٥] ، فرغبت خديجة رضي الله عنها إليه أن يتزوجها لما رجت في ذلك من الخير .

زواجه بخديجة

فتزوج بخديجة بعد ذلك بشهرين وخمسة وعشرين يوماً في عقب صفر [و] سِنُّهُ ست وعشرين ، (وقيل : كانت[٦] سِنُّهُ إحدى وعشرين سنةً وقيل : ثلاثين ، وقال ابن جريج : وله سبع وثلاثون سنة ، وقال البرقي : سبع وعشرون سنة قد راهق الثلاثين ، ولها من العمر أربعون سنة وعمره خمس وعشرون سنة ، وقيل : ثلاث وعشرون ، والأول أثبت[٧]) على اثنتي عشرة أوقية ونش[٨] ، وقيل :

= المحارم بينهم » . (البداية والنهاية جـ ٢ ص ٣٥٣) ويقولَ السهيلي : « والفجار بكسر الفاء بمعنى المفاجرة كالقتال والمقاتلة ، وذلك أنه كان قتالاً في الشهر الحرام ، ففجروا فيه جميعاً ، فسمي : الفجار (الروض الأنف جـ ١ ص ٢٠٩) ، (أيام العرب في الجاهلية : ص ٣٢٢ ــ ٣٣٧) .

(١) ابن كثير في (البداية والنهاية جـ ٢ ص ٣٥٣) .

(٢) ابن هشام في (السيرة جـ ١ ص ٣٢٤) .

(٣) تكملة النسب من ابن هشام .

(٤) القلوص « من الإبل » الفتية المجتمعة الخَلق ، وذلك حين تُركب إلى التاسعة من عمرها ، ثم هي ناقة » (المعجم الوسيط جـ ٢ ص ٧٥٥) .

(٥) الخبر بتمامه في (ابن سعد) جـ ١ ص ١٥٦ .

(٦) في (خ) «كان» ، والصحيح ما أثبتناه لأن السن مؤنثة .

(٧) في ابن هشام « خمساً وعشرين سنة » (جـ ٢ ص ٥) ونحوه في (عيون الأثر جـ ١ ص ٤٧) .

(٨) الأوقية جزء من اثني عشر جزءاً من الرطل المصري (المعجم الوسيط جـ ١ ص ٣٣) الأوقية أربعون=

عشرون بَكْرة[1] . وكان الذي سفر بينهما نفيسة بنت منية أخت يعلي بن منية ، وقيل : بل سفر بينهما ميسرة ، وقيل : بل مولاةٌ موَلَّدَة . وكان الذي زوَّج خديجة من رسول الله ﷺ عمها عمرو بن أسد بن عبد العزى وقال : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب يخطب خديجة ابنة خويلد ! هذا الفحل لا يُقْدَحُ أنفه[2] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو كامل ، حدثنا حماد عن عمار بن أبي عمار ، عن ابن عباس ، فيما يحسب حماد : أن رسول الله ﷺ ذكر خديجة وكان أبوها يرغب عن أن يزوجه ، فصنعت طعاماً وشراباً ودعت أباها ونفراً من قريش فطعموا وشربوا حتى ثملوا ، فقالت خديجة : إن محمد بن عبد الله يخطبني فزوِّجْني إياه ، فزوجها ، فخلَّقته[3] وألبسته ، وكذلك كانوا يفعلون بالآباء ، فلما سري عنه سُكره نظر فإذا هو مُخلق وعليه حُلة فقال : ما شأني ؟ ما هذا ؟! قالت : زوجتني محمد بن عبد الله ، فقال : أنا أزوج يتيم أبي طالب ! لا لعمري ، فقالت خديجة : ألا تستحي ! تريد أن تسفه نفسك عند قريش ، تخبر الناس أنك كنت سكران . فلم تزل به حتى رضي . وقد رُدَّ هذا القول بأن أباها تُوفي قبل الفِجار[4] .

شهوده حلف الفضول[5]

وشهد ﷺ حلف الفضول مع عمومته في دار عبد الله بن جدعان بن عمرو

= درهماً ، والنش نصف أوقية ، أو عشرون درهماً (لسان العرب جـ ٦ ص ٣٥٣) .

(١) البكر : الفتى من الإبل ، والأنثى بكْرة ، وفي المثل : « جاءوا على بكرة أبيهم » أي جميعاً (المعجم الوسيط جـ ١ ص ٦٧) ، (جمهرة الأمثال جـ ١ ص ٣١٦) .

(٢) في الروض الأنف « هو الفحل الذي لا يقدع أنفه » جـ ١ ص ٢١٢ . وهذا المثل يضرب للشريف لا يُردُّ عن مصاهرة ومواصلة . والقدْحُ : الكف (مجمع الأمثال للميداني جـ ٢ ص ٣٩٥) المثل رقم ٤٥٥٢ .

(٣) خلَّقه : مَلَّسَه وسوَّاه . وأتم خلقه وطيبهُ بالخلوق . (المعجم الوسيط جـ ١ ص ٢٥٢) .

(٤) « المحفوظ عند أهل العلم أن أباها خويلد بن أسد مات قبل الفجار ، وأن عمها عمرو بن أسد زوّجها رسول الله ﷺ » ، (ابن سعد جـ ١ ص ١٣٣) وذكر نحوه ابن كثير في (البداية والنهاية جـ ٢ ص ٣٦١) والسهيلي في (الروض الأنف جـ ١ ص ٢١٣) ، والطبري في (التاريخ جـ ٢ ص ٢٨٢) .

(٥) كان حلف الفضول بعد الفجار ، وذلك أن حرب الفجار كانت في شعبان ، وكان حلف الفضول في ذي القعدة قبل المبعث بعشرين سنة ، وذكر ابن قتيبة : « والفضول جمع فضْل وهي أسماء الذين تحالفوا وهم الفضيل بن شراعة ، والفضل بن وداعة ، والفضل بن قضاعة ، وكانوا قد تعاهدوا بالله ليكونُن =

ابن كعب[1] بن تميم بن مرة .

تحكيمه في أمر الحجر الأسود

وكان الله تعالى قد صانه وحماه من صغره ، وطهَّره وبرَّأه من دنس الجاهلية ومن كل عيب ، ومنحه كل خُلق جميل ، حتى لم يكن يعرف بين قومه إلا بالأمين ، لما شاهدوا من طهارته وصدق حديثه وأمانته ، بحيث أنه لما بُنيت الكعبة بعد هدم قريش لها في سنة خمس وثلاثين ، وقيل : سنة خمس وعشرين من عمره ﷺ وذلك قبل المبعث بخمس عشرة سنة وبعد الفجار بخمس عشرة سنة ــ ووصلوا إلى موضع الحجر الأسود ، اشتجروا فيمن يضع الحجر موضعه ، [فأرادت[2]] كل قبيلة رفعه إلى موضعه ، واستعدوا للقتال وتحالفوا على الموت ، ومكثوا على ذلك أربع ليال . فأشار عليهم أبو أمية[3] حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ــ وهو أسنّ قريش يومئذ ــ أن يجعلوا بينهم حكماً أول من يدخل من باب المسجد ، فكان أول من دخل رسول الله ﷺ ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين قد رضينا به ، وأخبروه الخبر ، فقال : [هلموا[4]] لي ثوباً ، فأُتي بثوب ــ يقال إنه كساء أبيض من متاع الشام كان له ﷺ ــ فأخذ الحجر الأسود فوضعه فيه بيده ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعاً ، ففعلوا حتى بلغوا به موضعه فوضعه ﷺ بيده ثم بني عليه . ويقال : كان الثوب الذي وضع فيه الحجر للوليد بن المغيرة .

أول ما بديء به من النبوة

ولما أراد الله رحمة العباد ، وكرامته ﷺ بإرساله إلى العالمين ، كان أوَّلاً يرى

= يداً واحدة مع المظلوم على الظالم » (ابن هشام جـ ١ ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ بتصرف) .

(١) ابن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي (تمام النسب من ابن هشام جـ ١ ص ٢٦٤) .

(٢) في (خ) فأراد .

(٣) في ابن هشام « أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله ... » جـ ٢ ص ١٩ .

(٤) كذا في (خ) وصحتها (هلمَّ) ، وهي كلمة دعاء ، أي تعالَ ، وهي من أسماء الأفعال ، تلزم لفظاً واحداً في كل حالاتها عند الحجازيين : [للواحد والاثنين والجماعة والذكر والانثى] (المعجم الوسيط جـ ٢ ص ٩٩٢ ، ٩٩٣) والنصّ في (ابن هشام جـ ٢ ص ١٩) : « هلمّ إليّ » والآية ١٥٠ الأنعام : ﴿ **قل هَلُمَّ شهداءكم** ﴾ ، ١٨ الأحزاب : ﴿ **والقائلين لإخوانهم هَلُمَّ إلينا** ﴾ ، وانظر أيضاً (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي) جـ ٥ ص ٣٤١ . =

ويعاين من آثار فضل الله أشياء : فشق في صغره بطنه واستخرج ما في قلبه من الغل والدنس ، فكان يعاين الأمر معاينة ثم كان لا يمر بحجر ولا شجر إلا سلم عليه فقال : السلام عليك يا رسول الله . فكان يلتفت يميناً ويساراً فلا يرى أحداً[1] .

وكانت الأمم تتحدث بمبعثه وتخبر علماءُ كل أمة قومَها بذلك . ثم كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح[2] . فكان أول شيء رآه من النبوة في المنام بطنه طُهِّرَ وغُسِلَ ثم أعيد كما كان .

تحنثه بحراء وبدء الوحي

وحُبِّب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء كما كان يفعل ذلك متعبدو[3] ذلك الزمان ، فيقيم فيه الليالي ذوات العدد ، ثم يرجع إلى أهله فيتزود لمثلها يتحنث[4] بحراء ومعه خديجة ، فيقال : إنه أول ما رأى جبريل عليه السلام بأجياد[5] فصرخ به : يا محمد يا محمد .

بعثته

ثم فَجَأَهُ[6] الحق وهو بغار حراء[7] يوم الاثنين لثمان عشرة خلت من رمضان

(١) أخرج الترمذي نحوه في صحيح سنن الترمذي للألباني جـ ٣ ص ١٩٢ حديث رقم ٣٨٨٥ وقال في آخره : « صحيح » .

(٢) المرجع السابق حديث رقم ٣٨٩٣ ، وقال في آخره : « حسن صحيح » .

(٣) في (خ) « متعبدوا » بألف بعد الواو ، والمعروف عند أهل اللغة أن جمع المذكر السالم تحذف منه ألف واو الجماعة إذا أضيف .

(٤) تحنَّث : تعبد ، وفعل ما يخرج به الحِنْث ، والحِنْث : الذنب (المعجم الوسيط جـ ١ ص ٢٠١) (وهذه اللفظة في (خ) : يتجنب ») .

(٥) قال أبو القاسم الخوارزمي : أجياد موضع بمكة يلي الصفا ، وهو أحد جبال مكة غربيّ المسجد الحرام . وقال الأصمعي : هو الموضع الذي كانت به الخيل التي سخرها الله لإسماعيل عليه السلام (معجم البلدان جـ ١ ص ١٣٠) .

(٦) قوله : « فَجَأَهُ الحق وهو بغار حراء » أي جاءه بغتة على غير موعد كما قال تعالى : ﴿ **وما كنت ترجو أن يُلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك** ﴾ آية ٨٦ / القصص ، (البداية والنهاية جـ ٣ ص ٦) ، وفي (ط) « فجئه » والتصويب من (المعجم الوسيط) : « فَجَأَهُ الأمر فَجْئاً ، وفَجْأَةً ، وفُجَاءَة : بَغْتَه (جـ ٢ ص ٦٧٤) .

(٧) وحراء : يقصر ويمد ، ويمنع ويصرف ، وهو جبل بأعلى مكة على ثلاثة أميال منها عن يسار المار إلى منى ، له قلة مُشرفة على الكعبة منحنية ، والغار في تلك الحنية . (معجم البلدان جـ ٢ ص ٢٦٩) .

وقيل : لأربع وعشرين ليلة مضت منه ، وله من العمر أربعون سنة . وهذا مروي عن عبد الله بن عباس[1] ، ....

(١) هو عبد الله بن عباس ، حَبْر الأمَّة وفقيه العصر ، وإمام التفسير ، ابن عم رسول الله ﷺ: العباس ابن عبد المطلب شيبة بن هاشم ، واسمه عمرو بن عبد مناف بن قُصي بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب بن فهر القرشيّ الهاشميّ المكيّ الأمير رضي الله عنه .

مولده بشِعْب بني هاشم ، قبل عام الهجرة بثلاث سنين . صحب النبيّ ﷺ نحواً من ثلاثين شهراً ، وحدَّث عنه بجملة صالحة ، وعن عمر ، وعليّ ، ومُعاذ ، ووالده ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبي سفيان صخر بن حرب ،وأبي ذر ، وأُبَيّ بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وخلق .

وقرأ على أُبَيّ ، وزيد . قرأ عليه مُجاهد ، وسعيد بن جُبير ، وطائفة . روى عنه ابنه عليّ ، وابن أخيه عبد الله بن مَعْبد ، ومواليه ؛ عكرمةُ ، ومِقْسَمٌ ، وكُريب ، وأنس بن مالك ، وطاووس ، وخلق سواهم .

وكان وسيماً جميلاً ، مديد القامة ، مهيباً ، كامل العقل ، ذكيّ النفس ، من رجال الكمال .

انتقل ابن عباس مع أبويه إلى دار الهجرة سنة الفتح ، وقد أسلم قبل ذلك ، فإنه صحَّ عنه أنه قال : كنتُ أنا وأمي من المستضعفين ؛ أنا من الولدان ، وأمي من النساء .

عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : مسح النبي ﷺ رأسي ، ودعا لي بالحكمة . قال الزبير بن بَكَّار : توفي رسول الله ﷺ ولابن عباس ثلاث عشرة سنة . قال أبو سعيد بن يونس : غزا ابن عباس إفريقية مع ابن أبي سرح ، وروى من أهل مصر خمسة عشر نفساً .

قال ابن عباس : « ضمني النبي ﷺ إلى صدره وقال : اللهم علِّمْه الحكمة » ، والحكمة : الإصابة في غير النبوة ، وفي لفظ : « علِّمْه الكتاب » ، وهو يؤيد من فَسَّر الحكمة هنا بالقرآن .

واختُلف في المراد بالحكمة هنا ، فقيل : الإصابة في القول ، وقيل : الفهم عن الله ، وقيل : ما يشهد العقل بصحته ، وقيل : نور يفرق بين الإلهام والوسواس ، وقيل : سرعة الجواب بالصواب ، وقيل غير ذلك . وكان ابن عباس من أعلم الناس بتفسير القرآن .

وروى أبو زُرْعة الدمشقي في تاريخه ، عن ابن عمر قال : « هو أعلم الناس بما أنزل الله على محمد » .

وقال مُجاهد : ما رأيتُ أحداً قطّ مثل ابن عبَّاس ، لقد مات يوم مات وإنه لحَبْرُ هذه الأمة . ومسندُه ألف وستمائة وستون حديثاً ، وله من ذلك في الصحيحين خمسة وسبعون . وتفرَّد البخاري له بمائة وعشرين حديثاً ، وتفرَّد مسلم بتسعة أحاديث . تُوُفيّ ابن عباس سنة ثمان أو سبع وستين ، وعاش إحدى وسبعين سنة .

* سير أعلام النبلاء : ٣ / ٣٣١ ــ ٣٥٩ ، التاريخ الكبير : ٣/٥ ، التاريخ الصغير : ٢٦/١ ، الجرح والتعديل : ١١٦/٥ ، المستدرك : ٥٣٣/٣ ، حلية الأولياء : ٣١٤/١ ، جمهرة أنساب العرب : ١٩ ، ٢٠ ، تاريخ بغداد : ١٧٣/١ ، جامع الأصول : ٦٣/٩ ، تهذيب الأسماء واللغات : ٢٧٤/١ ، وفيات الأعيان : ٦٢/٣ ــ ٦٤ ، خلاصة تذهيب الكمال : ٦٩/٢ ، تاريخ الصحابة : ١٤٨ ، ١٤٩ ، أسماء الصحابة الرواة : ٤٠ ، فتح الباري : جـ ٧ ص ١٢٥ ، ١٢٦ باب ذكر ابن عباس رضي الله عنهما ، حديث رقم ٣٧٥٦ .

وجبير بن مطعِم[1] ، وقباث بن أشيم[2] ، ....

(١) هو جبير بن مُطْعِم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قُصَيّ . شيخ قريش في زمانه ، أبو محمد ، ويقال : أبو عديّ القرشيّ النوفليّ ، ابن عم النبيّ ﷺ .

من الطلقاء الذين حَسُنَ إسلامهم . وقد قدم المدينة في فداء الأسارى من قومه ، وكان موصوفاً بالحلم ونُبل الرأي كأبيه .

وكان أبوه هو الذي قام في نقض صحيفة القطيعة ، وكان يحنو على أهل الشِّعْب ، ويصلهم في السر ، ولذلك يقول النبي ﷺ يوم بدر : « لو كان المطعم بن عدي حياً ، ثم كلمني في هؤلاء النَّتْنَى لتركتهم له » .

وهو الذي أجار النبي ﷺ حين رجع من الطائف حتى طاف بعُمْرة ، ثم كان جُبَيْر شريفاً مُطاعاً ، وله رواية أحاديث . ووفد على معاوية في أيامه .

توفي جبير بن مطعم سنة ثمان وخمسين على خلاف في ذلك .

* سير أعلام النبلاء : ٩٥/٣ ــ ٩٩ ، التاريخ الكبير : ٢٢٣/٢ ، المعارف : ٤٨٥ ، الجرح والتعديل : ٥١٢/٢ ، جمهرة أنساب العرب : ١١٦ ، تهذيب الأسماء واللغات : ١٤٦/١ ، مرآة الجنان : ١٢٧/١ ، خلاصة تذهيب الكمال : ١٦١/١ ، شذرات الذهب : ٦٤/١ ، صحيح البخاري ، كتاب الخمس ، باب مَا مَنَّ النبي ﷺ على الأسارى من غير أن يخمس ، من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن محمد بن جبير ، عن أبيه ، أن النبي ﷺ قال في أسارى بدر : « لو كان المطعم ابن عديّ حياً ، ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له » حديث رقم ٣١٣٩ (فتح الباري جـ ٦ ص ٢٩٨ ، ٢٩٩) . وهو في (مسند الحميدي) رقم ٥٥٨ ، وفي (صحيح سنن أبي داود) للألباني رقم ٢٣٣٨ جـ ٢ ص ١٢ .

(٢) هو قُبَاث بن أَشْيَم بن عامر بن الملوح بن يعمر وهو الشُّدَّاخ بن عوف بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، شهد بدراً مع المشركين ، وكان له فيها ذكر ، ثم أسلم بعد ذلك ، وشهد مع النبي ﷺ بعض المشاهد ، وكان على مجنّبة أبي عبيدة بن الجراح يوم اليرموك ، ونزل الشام بعد ذلك .

روى عنه عامر بن زياد الليثي ، وأبو الحويرث ، فرواية عامر عنه مرفوعة في فضل صلاة الجماعة ؛ أخبرنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي قال : حدثنا محمد بن شعيب قال : أخبرني أبو خالد الرَّحبيّ ، يعني ثور بن يزيد ، عن ابن سيف الكلاعي عن عبد الرحمن بن زياد عن قُباث بـن أشيم الليثي أن رسول الله ﷺ قال : « صلاة رَجُلَين يَؤُمّ أحدهما صاحبه أزكى عند الله من صلاة ثمانية تَتْرَى ، وصلاة أربعةٍ يؤمهم أحدهم أزكى عند الله من صلاة مائة تترى ، قال ابن شعيب : فقلتُ لأبي خالد : ما تترى ؟ قال : متفرقين .

وأما أبو الحويرث فإنه قال : سمعتُ عبد الملك بن مروان يقول لقباث بن أشيم الكناني ثم الليثي : يا قباث أنت أكبر أم رسول الله ﷺ ؟ فقال : رسول الله ﷺ أكبر مني وأنا أسَنُّ منه ؛ وُلد رسول الله ﷺ عام الفيل ، ووقفت بي أمي على روث الفيل مُحيلاً أعقله ، وتنبأ رسول الله ﷺ على رأس أربعين من الفيل » .

قال البخاري وابن أبي حاتم : قباث بن أشيم له صحبة . وأخرج أبو نعيم في (الدلائل) قصة إسلامه بعد الخندق مطولة ، وفيها علم من أعلام النبوة .

وحديث : « صلاة رجلين .. » : أخرجه البخاري في التاريخ الكبير . وحديث أبي الحويرث ، فأورده =

وعطاء[1] ، وسعيد بن المسيب[2] ، ....

= البيهقي في (الدلائل) ، والترمذي في باب ما جاء في ميلاد النبي ﷺ ، وقال عنه الألباني في ضعيف سنن الترمذي : « ضعيف الإسناد » ، هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن إسحاق .

* ضعيف سنن الترمذي : ٤٨٤ ، سنن الترمذي : ٥٥٠/٥ ، جامع الأصول : ٢١٦/١١ ، ٢١٧ ، الدلائل للبيهقي : ٧٩/١ ، ١٣١/٢ ، الدلائل لأبي نعيم : ١٤٣/١ ، طبقات ابن سعد : ٤١١/٧ ، تاريخ الصحابة : ٢١٦ ، الاستيعاب : ١٣٠٣/٣ ، المؤتلف والمختلف : ١٩٢٢/٤ ، التاريخ الكبير : ١٩٢/٧ ، الجرح والتعديل : ١٤٣/٧ ، الإصابة : ٤٠٧/٥ ، ٤٠٨ .

(١) هو عطاء بن يسار الهلاليّ أبو محمد المدنيّ القاصّ ، مولى ميمونة زوج النبي ﷺ ، وهو أخو سليمان ، وعبد الملك ، وعبد الله بن يسار .

روى عن معاذ بن جبل ، وفي سماعه منه نظر ، وعن أبي ذر ، وأبي الدرداء ، وعبادة بن الصامت ، وزيد بن ثابت ، ومعاوية بن الحكم السلمي ، وأبي أيوب ، وأبي قتادة ، وأبي واقد الليثي ، وأبي هريرة ، وزيد بن خالد الجهني ، وعبد الله بن عمرو ، وعبد الله بن عباس ، وأبي رافع مولى النبي ﷺ ، وعائشة ، وعامر بن سعد بن أبي وقاص وهو من أقرانه ، وجماعة .

روى عنه أبو سلمة بن عبد الرحمن ، وهو من أقرانه ، ومحمد بن عمر بن عطاء ، ومحمد بن عمرو بن حلحلة ، وهلال بن علي ، وزيد بن أسلم ، وشريك بن أبي نمر ، ومحمد بن أبي حرملة ، وعمرو ابن دينار ، ومحمد بن إبراهيم التيميّ ، ويزيد بن عبد الله بن قسيط ،وحبيب بن أبي ثابت ، وصفوان بن سليم ، وعبد الله بن محمد بن عقيل ، وآخرون .

قال البخاريّ وابن سعد : سمع من ابن مسعود . وقال أبو حاتم : لم يسمع منه . وقال ابن معين ، وأبو زرعة ، والنسائيّ : ثقة . وقال ابن سعد : كان ثقة ، كثير الحديث . روى الواقدي : أنه مات سنة ثلاث أو أربع ومائة ، وقال غيره : سنه (٩٤) ، وقال ابن سعد : وهو أشبه ، وقال عمرو بن علي وغيره : مات سنة (١٠٣) ، وهو ابن (٨٤) سنة ، جزم بذلك ابن يونس في تاريخ مصر ، وذكره ابن حبّان في (الثقات) وقال : قدم الشام ، فكان أهل الشام يكنونه بأبي عبد الله ، وقدم مصر ، فكان أهلها يكنونه بأبي يسار ، وكان صاحب قصص ، وعبادة ، وفضل ، كان مولده سنة (١٩) ، ومات سنة (١٠٣) ، وكان موته بالاسكندرية .

* العقد الفريد : ٣٥٣/٧ ، المعارف : ٤٥٩ ، طبقات الحفاظ : ٤١ ، ٤٢ ، الثقات : ١٩٩/٥ ، سير أعلام النبلاء : ٤٤٨/٤ ، ٤٤٩ ، الجرح والتعديل : ٣٣٨/٦ ، التاريخ الكبير : ٤٦١/٦ ، تهذيب الأسماء واللغات : ٣٣٥/١ ، تهذيب التهذيب : ١٩٤/٧ ، خلاصة تذهيب الكمال : ٢٣٢/٢ ، شذرات الذهب : ١٢٥/١ ، مرآة الجنان : ٢١٤/١ .

(٢) هو سعيد بن المُسيِّب بن حَزْن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يَقَظة ، الإمام العَلَم ، أبو محمد القرشيّ المخزوميّ ، عالم أهل المدينة ، وسيّد التابعين في زمانه .

ولد لسنتين مَضَتَا من خلافة عمر رضي الله عنه ، وقيل : لأربع مضيْن منها بالمدينة .

رآى عمر ، وسمع عثمان ، وعلياً ، وزيد بن ثابت ، وأبا موسى ، وسعداً ، وعائشة ، وأبا هريرة ، وابن عباس ، ومحمد بن مسلمة ، وأم سلمة ، وخلقاً سواهم . وقيل : إنه سمع من عمر .

وروى عن أُبَيّ بن كعب مرسلاً ، وسعد بن عبادة كذلك ، وأبي ذرّ وأبي الدرداء كذلك ، وبلال كذلك . =

= وروايته عن عليّ ، وسعد وعثمان ، وأبي موسى ، وعائشة ، وأم شُرَيْك ، وابن عمر ، وأبي هريرة ، وابن عباس ، وحكيم بن حزام ، وعبد الله بن عمرو ، وأبيه المسيِّب ، وأبي سعيد ، في « الصحيحين » .
وروايته عن حسان بن ثابت ، وصفوان بن أمية ، ومعمر بن عبد الله ، ومعاوية ، وأم سلمة ، في « صحيح مسلم » .
وروايته عن جبير بن مطعم ، وجابر ، وغيرهما في « صحيح البخاري » .
وروايته عن عمر ، في « السنن الأربعة » .
وروى أيضاً عن زيد بن ثابت ، وسراقة بن مالك ، وصهيب ، والضحاك بن سفيان ، وعبد الرحمن ابن عثمان التَّيمي ، وروايته عن عتَّاب بن أسيد في « السنن الأربعة » ، وهو مُرسل .
وأرسل عن النبي ﷺ ، وعن أبي بكر الصديق ، وكان زوج بنت أبي هريرة ، وأعلم الناس بحديثه .
قال الحافظ الذهبيّ : وكان ممَّن برَّز في العلم والعمل ، وقع لنا جملة من عالي حديثه .
أخبرنا أبو المعالي أحمد بن إسحاق القرافي ، أنبأنا الفتح بن عبد الله الكاتب ، أنبأنا محمد بن عمر الشافعيُّ ، ومحمد بن أحمد الطرائفي، ومحمد بن علي بن الداية ، قالوا : أنبأنا أبو جعفر محمد بن أحمد ابن المُسْلمة ، أنبأنا عُبيد الله بن عبد الرحمن الزُّهريُّ سنة ثمانين وثلاث مائة ، أنبأنا جعفر بن محمد الفِريابيّ ، حدثنا إبراهيم بن الحجَّاج السَّامي ، حدثنا حماد بن سلَمة ، عن داود بن أبي هند ، عن سعيد بن المسيَّب ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثٌ من كُنَّ فيه فهو مُنافِق وإن صام وإن صلى ، وزَعَم أنَّه مسلم : من إذا حدَّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤْتُمِن خان » .
هذا صحيح عالٍ ، فيه دليل على أن هذه الخصال من كبار الذنوب ، أخرجه مسلم في الإيمان ، باب خصال المنافق من كبار الذنوب .
أخرجه مسلم برقم (٥٩)، (١١٠) في كتاب الإيمان ، باب بيان خصال المنافق ، وهذا الحديث مما عدَّه جماعة من العلماء مشكلاً ، من حيث إن هذه الخصال توجد في المسلم المصدق الذي ليس فيه شك ، وقد أجمع العلماء على أن من كان مصدقاً بقلبه ولسانه ، وفعل هذه الخصال لا يُحكم عليه بكفر ، ولا هو منافق يخلد في النار ، فإن إخوة يوسف ﷺ جمعوا هذه الخِصَال ، وكذا وجد لبعض السلف والعلماء بعض هذا أو كله ، وهذا الحديث ليس فيه بحمد الله تعالى إشكال ، ولكن اختلف العلماء في معناه ؛ فالذي قاله المحققون والأكثرون ، وهو الصحيح المختار ، أن معناه : أن هذه الخصال نفاق ، وصاحبها شبيه المنافقين في هذه الخصال ، ومُتَخَلِّق بأخلاقهم ، فإن النفاق هو إظهار ما يُبطن خلافه ، وهذا المعنى موجود في هذه الخصال ، ويكون نفاقه في حق من حدَّثه ، ووعده ، وائتمنه من الناس ، لا أنه مُنافق في الإسلام فيظهره وهو يبطن الكفر ، ولم يُرد النبي ﷺ بهذا أنه منافق نفاق الكفار المخلدين في الدرك الأسفل من النار .
وعن عبد العزيز بن المختار ، عن عليّ بن زيد ، حدثني سعيد بن المسيَّب بن حَزْن ، أن جدَّه حزناً أتى النبي ﷺ فقال : « ما اسمك ؟ قال : حَزْن ، قال : بل أنت سَهْل » قال : يا رسول الله ، اسم سمَّاني به أبواي وعُرِفْتُ به في الناس ، فسكت عنه النبي ﷺ ، قال سعيد : فمازلنا تُعرف الحُزونةُ فينا أهل البيت .
والحَزْن : ما غَلُظَ من الأرض ، وهو ضد السهل ، واستُعْمِل في الخُلُق ؛ يقال : فلانٌ حَزُون ، أي =

= في خُلُقِه غلظة وقساوة .
هذا حديث مرسل ، ومراسيل سعيد مُحتجٌ بها ، لكن عليّ بن زيد ليس بالحجة ، وأما الحديث فمروي بإسناد صحيح ، متصل ، ولفظه : أن النبي ﷺ قال له : « ما اسمك ؟ قال : حَزْن ، قال : أنت سَهْل » ، فقال : لا أُغَيِّر اسماً سمَّانيه أبي . قال سعيد : فمازالتْ تِلْكَ الحُزُونة فينا بعد .
أخرجه البخاري في الأدب ، باب اسم الحزن ، قال ابن بطال : فيه أن الأمر بتحسين الأسماء ، وبتغيير الاسم إلى أحسن منه ليس على الوجوب . وقال ابن التين : معنى قول ابن المسيب : « فما زالت فينا الحزونة » ، يُريد امتناع التسهيل فيما يريدونه . وقال الداودي : يريد الصعوبة في أخلاقهم ، فقد ذكر أهل النسب أن في ولده سوء خُلق معروف فيهم لايكاد ينعدم منهم ، إلا أن سعيداً أفضى به ذلك إلى الغضب في الله .
قال أحمد بن حنبل ، وغير واحد : مُرسلات سعيد بن المسيِّب صحاح .
وقال قتادة ، ومكحول ، والزهري ، وآخرون ، واللفظ لقتادة : مارأيتُ أعلَم من سعيد بن المسيِّب .
وقال عليّ بن المديني : لا أعلم في التابعين أحداً أوسع علماً من ابن المسيِّب ، هو عندي أجَلُّ التابعين .
عبد الرحمن بن حرملة : سمعتُ ابن المسيِّب يقول حَججْتُ أربعين حِجَّة .
قال يحيى بن سعيد الأنصاري : كان سعيد يُكْثِرُ أن يقول في مجلسه : اللهم سلِّم سلِّم .
مَعَن : سمعتُ مالكاً يقول : قال سعيد ابن المسيِّب : إن كنتُ لأسير الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد .
أبو اسحاق الشيباني : عن بُكَيْر بن الأخنس ، عن سعيد بن المسيِّب ، قال : سمعتُ عمر على المنبر وهو يقول : لا أجدُ أَحَداً جامَعَ فلم يَغْتَسِلْ ، أَنْزَلَ أَوْلَمْ يُنْزِل ، إلا عاقَبْتُهُ . رجاله ثِقَاتٌ .
وفيه حُجَّةٌ لم يقول إن سعيداً رآى عمر وسمع منه ، وقد ذكر الحافظ ابن حجر في (تهذيب التهذيب) حديثاً وقع له بإسناد صحيح لا مطعن فيه ، فيه تصريح سعيد بسماعه من عمر .
قال الواقدي : حدثنا عبد الله بن جعفر ، وَغَيْرُهُ من أصحابنا ، قالوا : استعمل ابن الزّبير جابر ابن الأسود بن عوف الزُّهْرِيّ على المدينة ، فدعا الناس إلى البيعة لابن الزبير ، فقال سعيد بن المسيِّب : لا ، حتى يجتمع الناس ، فضربه ستين سوطاً ، فبلغ ذلك ابن الزبير ، فكتب إلى جابر يلومه ويقول : مالنا ولسعيد ، دَعْهُ .
وكان جابر بن الزبير قد تزوج الخامسة قبل انقضاء عدة الرابعة ، فلما ضرب سعيد بن المسيب صاح به سعيدٌ والسياط تأخذه : واللهِ ما ربَّعْتَ على كتاب الله ، وإنَّك تزوجْت الخامسة قبل انقضاء عدة الرابعة ، وما هي إلا ليالٍ فاصنع ما بدالك ، فسوف يأتيك ما تكره . فما مكث إلا يسيراً حتى قُتل ابن الزّبير .
عن أبي عيسى الخراساني : عن ابن المسيِّب ، قال : لا تَمْلَؤُوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بإنكار من قلوبكم ، لكيلا تَحْبَط أعمالكم .
أنبأنا أبو نعيم ، حدثنا القَطِيعيّ ، حدثنا عبد الله بن أحمد ، حدثنا الحسن بن عبد العزيز ، قال : كُتِبَ إلى ضَمْرة بن ربيعة عن إبراهيم بن عبد الله الكناني ، أن سعيد بن المسيِّب زوَّج ابنته بدرهمين .
قال الواقديّ : كان سعيد بن المسيِّب من أعبر الناس للرؤيا ، أخذ ذلك عن أسماء بنت أبي بكر الصديق ، وأخذته أسماء عن أبيها ، ثم ساق الواقديّ عدة منامات ، منها :
حدثنا عبد الله بن جعفر ، عن عُبَيْدِ الله بن عبد الرحمن بن السائب ، قال رجل لابن المسيِّب : إنه رأى =

وأنس بن مـالك[1] ، وهو صحيح عند أهل السير والعلم بالأثر .

= كأنه يخوض النار ، قال : لاتموتُ حتى تركب البحر ، وتموت قتيلاً . فركب البحر ، وأشفى على التهلكة ، وقُتِل يوم قُدَيد . (وقديد موضع بين مكة والمدينة ، فيه كانت الوقعة سنة (١٣٠) بين أهل المدينة وبين أبي حمزه الخارجي ، فقتل منهم مقتلة عظيمة) .

العطَّاف : عن ابن حرملة ، قال : قال سعيد : لاتقولوا مُصَيْحِفٌ ، ولا مُسَيْجِد ، ما كان لله فهو عظيمٌ حسنٌ جميل .

الواقديّ : أنبأنا طلحة بن محمد بن سعيد بن المسيِّب ، عن أبيه : قال سعيد بن المسيِّب : قلةُ العيال أحدُ اليُسْرين . وفي لفظ آخر : أحدُ اليسارين .

مالك : عن يحيى بن سعيد قال : سُئِل سعيدُ بنُ المسيِّب عن آية ، فقال سعيد : لا أقول في القرآن شيئاً . قال الذهبي : ولهذا قَلَّ ما نُقِل عنه في التفسير .

معاوية بن صالح : عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيِّب قال : أوصيتُ أهلي بثلاث : أنْ لا يتبعني راجزٌ ولا نار ، وأن يعجلوا بي ، فإن يكن لي عند الله خيرٌ فهو خيرٌ مما عندكم .

أخبرنا محمد بن عمر ، حدثني محمد بن قيس الزيَّات ، عن زُرْعة بن عبد الرحمن ، قال : قال سعيد بن المسيب : يا زرعة إني أُشهِدُك على ابني محمد لا يُؤْذِنَنَّ بي أحدًا ، حسبي أربعةٌ يحملونني إلى ربي .

مات سعيد بن المسيِّب بالمدينة وهو ابن خمس وسبعين سنة سنة أربع وتسعين وكان يُقال لهذه السنة : سنة الفقهاء ، لكثرة من مات منهم فيها .

* طبقات ابن سعد : ٥ / ١١٩ – ١٤٣ ، التاريخ الكبير : ٣ / ٥١٠ – ٥١١، المعارف : ٤٣٧ ، الجرح والتعديل : ٤ / ٥٩ – ٦١ ، حلية الأولياء : ٢ / ١٦١ – ١٧٥ ، تهذيب الأسماء واللغات : ٢١٩ – ٢٢١ ، وفيات الأعيان : ٢ / ٣٧٥ – ٣٧٨ ، تهذيب التهذيب : ٤ / ٧٤ – ٧٧ ، طبقات الحفاظ : ٢٥ ، خلاصة تذهيب الكمال : ١ / ٣٩٠ – ٣٩١ ، سير أعلام النبلاء : ٤ / ٢١٧ – ٢٤٦ ، شذرات الذهب : ١ / ١٠٢ ، صفة الصفوة : ٢ / ٥٧ – ٥٨ ، البداية والنهاية : ٩ / ١١٧ – ١١٩ ، مرآة الجنان : ١ / ١٨٥ – ١٨٧ ، معجم البلدان : ٤ / ٣٥٥ ، تاريخ الطبري : ٧ / ٣٩٣ ، لسان العرب : ١٣ / ١١٧ (مادة حزن) ، مسلم بشرح النووي : ٢ / ٤٠٦ – ٤٠٨ كتاب الإيمان باب خصال المنافق ، فتح الباري ١٠ / ٧٠٢ باب (١٠٧) اسم الحزن حديث رقم (٦١٠ ٩) .

(١) هو أنس بن مالك بن النَّضْر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جُندب بن عامر بن غَنْم بن عدي بن النجار ، الإمام ، المفتي ، المقرىء ، المحدِّث ، راوية الإسلام ، أبو حمزة الأنصاريُّ ، الخزرجيُّ ، النَّجاريُّ ، المدنيُّ ، خادم رسول الله ﷺ ، وقرابتهُ من النساء ، وتلميذه ، وتبعُه ، وآخر أصحابه موتاً .

روى عن النبي ﷺ علماً جَمًّا ، وعن أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، ومُعاذ ، وأسيد بن الحُضَير ، وأبي طلحة ، وأمه أم سليم بن مِلْحان ، وخالته أم حرام ، وزوجها عُبادة بن الصامت ، وأبي ذرّ ، ومالك بن صَعْصَعَة ، وأبي هريرة ، وفاطمة النبوية ، وعدة .

وروى عنه خلق عظيم ، منهم : الحسن ، وابن سيرين ، والشَّعْبيّ ، وخلق كثير ، وبقي أصحابه الثقات إلى ما بعد الخمسين ومائة .

وكان أنس يقول : قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنا ابن عشر سنين ، ومات وأنا ابن عشرين ، وكُنَّ =

= أمّهاتي يَحْثُثْنَنِي على خدمة رسول الله ﷺ ، فصحب أنس رسول الله ﷺ أَتَمَّ الصحبة ، ولازمة أكمل الملازمة منذ هاجر ، وإلى أن مات ، وغزا معه غير مرة ، وبايع تحت الشجرة .
لم يَعُدّه أصحاب المغازي في البدريين لكونه حضرها صبياً ، ما قاتل ، بلى بقي في رحال الجيش ، فهذا وجه الجمع .

قال أبو هريرة : ما رأيتُ أحداً أشبه بصلاة رسول الله ﷺ من ابن أم سُلَيم ، يعني أنساً . وقال أنس ابن سيرين: كان أنس بن مالك أحسنَ الناس صلاة في الحضَر والسَّفَر .
مسنده ألفان ومئتان وستة وثمانون ، اتّفق له البخاري ومسلم على مئة وثمانين حديثاً ، وانفرد البخاري بثمانين حديثاً . ومسلم بتسعين ، وروى له الأربعة ، وجملة مرويّاته (٢٢٨٦) حديثاً .
قال أنس رضي الله عنه : خدمتُ رسول الله ﷺ عشر سنين ، فما ضربني ، ولا سبَّني ، ولا عبس في وجهي ؛ رواه الترمذي بأطول من هذا . وقال رسول الله ﷺ : اللهم أكثر ماله وولده ، قال أنس : والله إن مالي لكثير ، وإن ولدي وولد ولدي يتعادون على نحوٍ من مائة اليوم ، قال بعضهم : بلغ مائة وثلاث سنين .

ذكر صلاح الدين الصَّفَديّ في (الوافي) ، أن عليّ بن زيد بن جُدعان قال : كنتُ في دار الإمارة والحجّاج يعرض الناس أيام ابن الأشعث ، فدخل أنس بن مالك ، فلمّا دَنَا من الحجّاج قال الحجّاج : ياخبثه ! جوَّال في الفتن ، مرَّة مع عليّ بن أبي طالب ، ومرة مع ابن الزُّبَيْر ، ومرة مع ابن الأشعث ، والله لأستأصلنَّك كما تُسْتَأْصَلُ الصمغة ، ولأجرّدنّك كما يُجَرّد الضبّ ! فقال له أنس : من يعني الأمير ، أصلحه الله ؟ قال : إيّاك أعني ، أصمَّ الله سمعك ! فاسترجع أنس وشُغل عنه ، فَخَرَج أنس وتبعتُه وقلتُ : ما منعك أن تجيبه ؟ فقال : والله لولا أني ذكرتُ كثرة ولدي ، وخشيتُه عليهم ، لأسمعتُه في مقامي هذا مالا يُسْتَحْسَنُ لأحد من بعدي .
وكتب إلى عبد الملك : بسم الله الرحمٰن الرحيم ، لعبد الملك أمير المؤمنين من أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ وصاحبه . أما بعد ، فإن الحجاج قال لي هُجراً من القول وأسمعني نُكراً ، ولم أكن لما قال أهلاً ، إنه قال لي كذا وكذا ، وإني أقْسَمْتُ . بخدمتي لرسول الله ﷺ عشر سنين كوامل : لولا صبية صغار ما باليتُ أيَّةَ قِتْلةٍ قُتِلتُ ، ووالله ، لو أن اليهود والنصارى أدركوا رجلاً خدم نبيهم لأكرموه ! فَخُذْلي على يده ، وأعني عليه ، والسلام .
فلما قرأ عبد الملك الكتاب استشاط غضباً ، وكتب إلى الحجاج : أما بعد ، فإنك عبدٌ من ثقيف ، طمحت بك الأمور ، فعلوت فيها وطغيت ، حتى عدوت قدرك ، وتجاوزت طورك ، يا ابن المستفرمة بعجم الزَّبيب ، لأغمزنك غمز الليث ، ولأخبطنَّك خبطة ، ولأركضنك ركضة تودُّ معها لو أنك رجعت في مخرجك من وجار أمك .
أما تذكر حال آبائك ومكاسبهم بالطائف ، وحفرهم الأبار بأيديهم ، ونقلهم الحجارة على ظهورهم ؟ أم نسيت أجدادك في اللؤم والدناءة وخساسة الأصل ، وقد بلغ أميرَ المؤمنين ما كان منك إلى أبي حمزة أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ القريب ، وصاحبه في المشهد والمغيب ، جُرْأةً منك على الله ورسوله ، وأمهر المؤمنين والمسلمين ، وإقداماً على أصحاب رسول الله ﷺ ، فعليك لعنةُ الله من عبد أخفش العينين ، أَصَكَّ الرجلين ، ممسوح الجاعرتين ، لقد هممتُ أن أبعث إليك من يسحبك ظهراً لبطن حتى يأتي بك أبا =

....

= حمزة ، فيحكم فيك بما يراه .

ولو علم أمير المؤمنين أنك اجترمت إليه جُرماً ، أو انتهكت له عرضاً غير ما كتب إليه ، لفعل ذلك بك . فإذا قرأت كتابي هذا ، فكُن له أطوع من نعله ، واعرف حَقَّه ، وأكرمه وأهله ، ولا تُقَصرنَّ في شيء من حوائجه ، فوالله لو أن اليهود رأتْ رجلاً خدَم العُزَيْر ، أو النّصارى رأت رجلاً خدم المسيح ، لوقّروه وعظّموه ، فتباً لك ، لقد اجترأت ونسيت العهد ، وإياك أن يبلغني عنك خلاف ذلك ، فأَبْعَثُ إليك من يضربك بطناً لظهر ، ويهتك سترك ، ويُشمت بك عدوك ، والقَهُ في منزله مُتَنَصِّلاً إليه ليكتب إليّ برضاه عنك !و﴿ لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون ﴾

وكتب عبد الملك إلى أنس : لأبي حمزة أنس بن مالك ، خادم رسول الله ﷺ ، من عبد الملك ، سلام عليك ، أما بعد ، فإني قرأتُ كتابك وفهمتُ ما ذكرت في أمر الحجاج ، وإني والله ما سلطتهُ عليك ولا على أمثالك . وقد كتبتُ إليه ما يبلغك ، فإن عاد لمثلها فعرّفني حتى أُحِلَّ به عقوبتي ، وأُذِلّه بسَطْوتي ، والسلام عليك .

ثم أرسل إلى اسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر ، ودفع إليه الكتابين ، وقال : اذهب إلى أنس والحجاج ، وابدأ بأنس ، وقل له : أمير المؤمنين يسلم عليك ويقول لك : قد كتبتُ إلى عبد بني ثقيف كتاباً إذا قرأه كان أطوع لك من أمتك ، واستعرضْ حوائجه ، فركب اسماعيلُ البريد ، فلما دفع الكتاب إلى الحجاج ، جعل يقرأه ويتمعّر وجهه ، ويرشح عرقاً ، ويقول : يغفر الله لأمير المؤمنين ! ثم قال : نمضي إلى أنس ، فقال له : على رسلك ، ثم مضي إلى أنس وقال له : يا أبا حمزة ، قد فعل أمير المؤمنين معك ما فعل ، وهو يقرأ عليك السلام ، ويستعرض حوائجك .

فبكى أنس وقال : جزاه الله خيراً ، كان أعرف بحقي ، وأبرّ بي من الحجاج . قال : وقد عزم الحجاج على المجيء إليك ، فإن رأيت أن تتفضل عليه فأنت أولى بالتفضل .

فقام أنس ودخل إلى الحجاج إليه واعْتَنَقَهُ وأَجْلَسَهُ على سريره ، وقال : يا أبا حمزة ،عجلتَ عليّ بالملامة ، وأغضبت أمير المؤمنين ، وأخذ يعتذر إليه ويقول : قد علمت شعب أهل العراق ، وما كان من ابنك مع ابن الجارود ، ومن خروجك مع ابن الأشعث ، فأردتُ أن يعلموا أني أسرع اليهم بالعقوبة إذ قُلتُ لمثلك ما قُلت .

فقال أنس : ما شكوتُ حتى بلغ مني الجهد ، زعمتَ أننا الأشرار ، والله سمّانا الأنصار ، وزعمتَ أننا أهل النفاق ، ونحن الذين تبوّأنا الدار والإيمان ، والله يحكم بيننا وبينك ، وما وكلتُك إلى أمير المؤمنين إلا حيث لم يكن لي به قوة ، ولا آوي إلى ركن شديد .

ودعا لعبد الملك وقال : إن رأيتُ خيراً حمدتُ ، وإن رأيتُ شرّاً صبرتُ ، وبالله استعنتُ .

وكتب الحجاج إلى عبد الملك : أما بعد ، فأصلح الله أمير المؤمنين وأبقاه ، ولا أَعْدَمَناه ، وصلني الكتاب يذكر فيه شتمي وتعييري بما كان قبل نزول النعمة بي من أمير المؤمنين ، ويذكر استطالتي على أنس ، جرأةً مني على أمير المؤمنين ، وغرّةً مني بمعرفة سطواته ونقماته ، وأمير المؤمنين أعزّه الله في قرابته من رسول الله ﷺ أحقُّ من أقالني عثرتي ، وعفا عن جريمتي ، ولم يُعجّل عقوبتي ، ورأيه العالي في تفريج كربتي ، وتسكين روعتي ، أقاله الله العثرات : قد رأى إسماعيل بن أبي المهاجر خضوعي لأنس ، وإعْظامي إيّاه .... واعتذر إليه اعتذاراً كثيراً . =

وقيل : بُعِثَ وله من العمر ثلاث وأربعون سنة ، وقيل : أربعون ويوم[1] ، وقيل : وعشرة أيام وقيل : وشهرين[2] ، وقال ابن شهاب : بُعث على رأس خمس عشرة سنة من بُنيان الكعبة ، فكان بين مبعثه وبين الفيل سبعون سنة .

قال إبراهيم بن المنذر : هذا وَهَمٌ لا يشك فيه أحد من علمائنا ، وذلك أن

= ولما قدم الحجاج العراق أرسل إلى أنس فقال : يا أبا حمزة ، إنك قد صحبت رسول الله ﷺ ، ورأيت من عمله وسيرته ومنهاجه ، فهذا خاتمي ، فليكن في يدك ، فأرى برأيك ، ولا أعمل شيئاً إلا بأمرك .

فقال له أنس : أنا شيخٌ كبير ، قد ضعفتُ ورققتُ ، وليس في اليوم ذاك . فقال : قد علمت ، لفلان وفلان ، فما بالي أنا ؟ فانظر إن كان في بنيكَ ممَّن تثق بدينه و أمانته وعقله ! قال : مافي بنيَّ من أثق لك به ! وكثر الكلام بينهما .

وقال الحجاج يوماً من جملة كلام : لقد عِبْتَ فما تركت شيئاً ، ولولا خدمتك لرسول الله ﷺ وكتاب أمير المؤمنين لكان لي ولك شأن من الشأن ، فقال أنس : هيهات ! إني لما خدمتُ رسول الله ﷺ علمني كلماتٍ لا يضرّني معهنَّ عتوُّ جَبّار ، فقال له الحجاج : يا عمَّاه لو علمتنيهُنّ ! فقال أنس : لسْتَ لذلك بأهل ، فدسّ إليه الحجاج ابنه محمداً ، ومعه مائتي ألف درهم ، ومات الحجاج قبل أن يظفر بالكلمات .

وقال أنس : دفنتُ من صلبي مائة ولد ، وإنَّ نخلي ليثمر في السنة مرتين ، وعشت حتى استحييتُ من أهلي وأنا أرجو الرابعة – المغفرة – لأن النبى ﷺ قال : اللهم أكثر ماله ، وولده ، وأطل عمره ، وأغفر له ذنبه ، وبارك له فيما أعطيته .

وقال ابن سعد : كان يصلي حتى تَتَفطَّر رجلاه دماً ، وكان مجاب الدعوة ، يدعو فينزل الغيث ، وكان إذا أراد أن يختم القرآن جمع أهله وعياله وولده ، فيختم بحضرتهم .

بلغ مائة وثلاث سنين ، وتُوُفِّيَ على الصحيح سنة ثلاث وتسعين للهجرة .

* مرآة الجنان : ١ / ١٨٢ ، البداية والنهاية : ص ١٣١ من الفهارس (فهرس الوفيات) ، تهذيب التهذيب : ١ / ٣٢٩ – ٣٣١ ، الإصابة : ١ / ١٢٦ – ١٢٩ ، خلاصة تذهيب الكمال : ١ / ١٠٥ ، شذرات الذهب : ١ / ١٠٠ – ١٠١ ، الثقات : ٣ / ٤ ، أسماء الصحابة الرواة : ٣٩ ، تلقيح الفهوم : ٣٦٣ ، تاريخ الصحابة : ٢٨ – ٢٩ ، صفة الصفوة : ١ / ٣٦١ – ٣٦٢ ، الإعلام بوفيات الأعلام : ٥١ ، الوافي بالوفيات : ٩ / ٤١١ – ٤١٦ ، سير أعلام النبلاء : ٣ / ٣٩٥ – ٤٠٦ ، طبقات ابن سعد : ٧ / ١٧ – ٢٦ ، التاريخ الكبير : ٢ / ٢٧ ، التاريخ الصغير : ١ / ٢٠٩ ، المعارف : ٣٠٨ ، الجرح والتعديل : ٢ / ٢٨٦ ، المستدرك : ٣ / ٥٧٣ ، الاستيعاب : ١ / ١٠٩ – ١١١ ، جامع الأصول : ٩ / ٨٨ ، تهذيب الأسماء واللغات : ١ / ١٢٧ .

(١) في (خ) « ويوماً » والرفع أصح للعطف على نائب الفاعل .

(٢) في ابن هشام : نقلاً عن ابن إسحق « أربعين سنة » جـ ١ ص ٢١٦ وفي (البداية والنهاية) « أن رسول الله ﷺ نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة ، فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين ، فكان يعلمه الكلمة والشيء ، ولم ينزل القرآن ، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل ، فنزل القرآن على لسانه » (جـ ٣ ص ٤) .

رسول الله ﷺ ولد عام الفيل لا يختلفون في ذلك ، ونُبِّيءَ على رأس أربعين من الفيل ، وذلك على رأس مائة وخمسين سنة من عام حجة الغدر[١] ولستّ عشرة سنة من ملك أبرويز ، ويقال : بل لعشرين سنة مضت من ملك كسرى أبرويز بن هرمز بن أنو شروان ، وعلى الحيرة إياسُ بن قَبيصة الطائيّ عاملا للفرس على العرب ومعه النخيرجان[٢] الفارسي على رأس سنتين وأربعة أشهر من ملكهما ، وعلى اليمن يومئذ باذان[٣] أبو مهران .

أول ما نُزِّل من القرآن

فعلم ﷺ من حينئذ أن الله بعثه نبياً ، وذلك أن جبريل عليه السلام أتاه بغار حراء فقال له : اقرأ ، قال : لست بقاريء ، فغته[٤] حتى بلغ منه الجهد ثم أرسله ، فقال : اقرأ ، قال : لست بقاريء ، فعل ذلك به ثلاث مرات ثم قال : **﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم ﴾**[٥] فرجع بها ﷺ ترجف بوادره ، فأخبر بذلك خديجة رضي الله عنها وقال : قد خشيت على عقلي ، فثبتته وقالت : أبشر ! كلا والله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكَل[٦] وتعين على نوائب الدهر — في أوصاف أُخر جميلة عددتها من أخلاقه — تصديقاً منها له وإعانة على الحق ، فهي أول صِدِّيق له ﷺ .

وقيل : أول ما أُنزل عليه من القرآن: البسملةُ وفاتحةُ الكتاب[٧] وَقيل : هي مدنية . وقيل : لما فَجَأَهُ الحقِ وأتاه جبريل قال له : يا محمد ، أنت يا رسول

---

(١) كذا في (خ) ولم يردِ لها ذكر في المراجع المعتمدة .

(٢) في (خ) « الحرجان » .

(٣) في (خ) « ساذام » وهو خطأ والصواب « باذان ، أو باذام » (ط) ص ١٣ « هامش » .

(٤) في المعجم الوسيط « فأخذني جبريل فغتني حتى بلغ مني الجهد » : أي ضغطني ضغطاً شديداً (جـ ٢ ص ٦٤٤) .

(٥) الآيات من (١ — ٥) من سورة العلق وهي أول ما نزل من القرآن على الإطلاق .

(٦) الكَلّ : تقول : « وكَلَّ فلان عن الأمر إذا ثَقُل عليه فلم ينبعث فيه » (التفسير الكبير للفخر الرازي جـ ٢٠ ص ٨٦) .

(٧) ذكر الطبري في تفسيره « ... عن عطاء بن يسار، قال: أول سورة نزلت من القرآن : **﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾** جـ ٣٠ ص ٢٥٢ .

الله[1] .

وقيل : أول ما أتى جبريلُ النبيَّ ﷺ ليلة السبت وليلة الأحد ، ثم ظهر له برسالة الله يوم الاثنين لسبع عشر خلت من رمضان ، فعلمه الوضوء والصلاة ، وعلمه ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾ .

فترة الوحي

والتحقيق أن جبريل عليه السلام لما جاءه بغار حراء وأقرأه ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾ ورجع إلى خديجة ، مكث ما شاء الله أن يمكث لا يرى شيئاً وفتر عنه[2] الوحي ، فاغتم لذلك وذهب مراراً ليتردى من رءوس الجبال شوقاً منه إلى ما عاين أول مرة من حلاوة مشاهدة وحي الله إليه . فقيل : إن فترة الوحي كانت قريباً من سنتين ، وقيل : كانت سنتين ونصفاً ، وفي تفسير عبد الله بن عباس كانت أربعين يوماً ، وفي كتاب معاني القرآن للزجاج كانت خمسة عشر يوماً ، وفي تفسير مقاتل ثلاثة أيام ، ورجَّحه بعضهم وقال : ولعل هذا هو الأشبه بحاله عند ربه[3] .

تتابع الوحي وبدء الدعوة

ثم تبدى له الملك بين السماء والأرض على كرسيٍّ ، وثبته وبشره أنه رسول الله حقاً ، فلما رآه فرق منه ، وذهب إلى خديجة رضي الله عنها فقال : « زَمِّلوني ... دَثِّروني ... » ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **يـٰأيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر** ﴾[4] فكانت الحالة الأولى بغار حراء حالة نبوة وإيحاء ، ثم أمره الله تعالى في هذه الآية أن ينذر قومه ويدعوهم إلى الله عزَّ وجلَّ . فشمَّر ﷺ عن ساق الاجتهاد ، وقام في طاعة الله أتم قيام ، يدعو إلى الله تعالى الصغير والكبير ،

---

(١) هكذا في (خ) ولعلها « أنت رسول الله » .

(٢) في (خ) « عن عنه » والصحيح ما أثبتناه .

(٣) في (تنوير المقياس من تفسير ابن عباس) ص ٥١٣ : « حبس الله عنه الوحي خمس عشرة ليلة لتركه الاستثناء ، فقال المشركون : ودّعه ربه وقلاه » وفي (البداية والنهاية) جـ ٣ ص ١٧ « وقد قال بعضهم : كانت مدة الفترة قريباً من سنتين أو سنتين ونصفاً » .

وفي تفسير الطبري جـ ٣٠ ص ٢٣٢ : « لما نزل عليه القرآن أبطأ عنه جبريل أياماً فعير بذلك ، فقال المشركون : ودّعه ربه وقلاه . فأنزل الله : ﴿ **ما ودعك ربك وما قلى** ﴾(٣/الضحى).

(٤) ١ ــ ٤/المدثر .

والحر والعبد ، والرجال والنساء ، والأسود والأحمر ، فكان فيما قاله عروة بن الزبير ، ومحمد بن شهاب ، ومحمد بن إسحاق : من حين أتت النبوّة وأنزل عليه ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾[1] إلى أن كلّفه الله الدعوة ، وأمره بإظهارها فيما أنزل عليه من قوله : ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾[2] وقوله : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾[3] ، ﴿ وقل إني أنا النذير المبين ﴾[4] — ثلاث سنين ، لا يظهر الدعوة إلا للمختصين به ، منهم خديجة وعلي وزيد وأبو بكر رضي الله عنهم ، فدعا ثلاث سنين مستخفياً ، وقيل : دعا مستخفياً أربع سنين ثم أعلن الدعاء وصدع بالأمر .

إسلام خديجة

ويقال : إن الله ابتعثه نبياً في يوم الاثنين لثمانٍ مضين من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من عام الفيل ، وقد مضى من مولده ﷺ أربعون سنة ويوم .

ويقال : علّمه جبريل عليه السلام الوضوء والصلاة في يوم الثلاثاء وأقرأه ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾[1] فأتى خديجة رضي الله عنها فأخبرها بما أكرمه الله ، وعلمها الوضوء والصلاة فصلت معه ، فكانت أول خلق صلى معه .

إسلام أبي بكر

ثم استجاب له عبادُ الله من كل قبيلة ، فكان حائز قصب السبق : « أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب[5] بن غالب القرشي التيمي رضي الله عنه » فآزره في دين الله وصدقه فيما جاء به ، ودعا معه إلى الله على بصيرة ، فاستجاب لأبي بكر رضي الله عنه جماعة منهم : .

---

(١) ١ — ٥/العلق.
(٢) ٩٤ / الحجر .
(٣) ٢١٤ / الشعراء .
(٤) ٨٩ / الحجر .
(٥) ابن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النّضر بن كنانة (المعارف) ص ١٦٧ .

أوائل المسلمين

« عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي[1] القرشي الأموي » ، و « طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة[2] القرشي التيمي » و « سعد بن أبي وقاص مالك بن أهَيْب[3] بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري ، و « الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصي[4] الأسدي » ، و « عبد الرحمن ابن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث[5] بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري » : فجاءهم رسول الله ﷺ حتى استجابوا له بالإسلام وصلُّوا ، فصار المسلمون ثمانية نفر ، أول من أسلم وصلى لله تعالى .

إسلام علي وزيد الحِبّ

وأما « علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي » ، فلم يشرك بالله قط ، وذلك أن الله تعالى أراد به الخير فجعله في كفالة ابن عمه سيد المرسلين محمد ﷺ[6] ، فعندما أتى رسول الله ﷺ الوحيُ ، وأخبر خديجة رضي الله عنها وصدقت ، كانت هي وعلي بن أبي طالب ، و « زيد بن حارثة بن شراحيل ابن عبد العزى بن امريء القيس[7] بن عامر بن عبد ود بن كنانة بن عوف بن عُذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة الكلبي » حِب رسول

---

(١) ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب (السهيلي) جـ ١ ص ٢٨٨ .

(٢) ابن مرة بن كعب بن لؤي (السهيلي) جـ ١ ص ٢٨٩ .

(٣) في بعض كتب السيرة : ابن « وهيب » بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي . الزيادة من (السهيلي) جـ ١ ص ٢٨٨ .

(٤) ابن قصي بن كلاب بن مرة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة (المعارف) ص ٢١٩ .

(٥) هكذا في (خ) وفي (المعارف) ابن عوف بن عبد عوف بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة . ص ٢٣٥ .

(٦) في (خ) بعد قوله و « سلم » كلمة « الوحي » وهي زيادة من الناسخ اقتضى السياق حذفها .

(٧) ابن امريء القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد وُدّ بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف ابن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة الكلبي (الإصابة) جـ ١ ص ٤٥ في ترجمة أسامة بن زيد .

الله ﷺ ــ يصلون معه . وكان ﷺ يخرج إلى الكعبة أول النهار فيصلي صلاة الضحى ، وكانت صلاة لا تنكرها[1] قريش . وكان إذا صلى في سائر اليوم بعد ذلك قعد علي أو زيد رضي الله عنهما يرصُدانه .

وكان ﷺ وأصحابه إذا جاء وقت العصر تفرقوا في الشعاب فرادى ومثنى ، وكانوا يصلون الضحى والعصر ، ثم نزلت الصلوات الخمس ، وكانت الصلاة ركعتين ركعتين قبل الهجرة .

فلم يحتج عليٌّ رضي الله عنه أن يُدعى ، ولا كان مشركاً حتى يُوَحِّد فيقال أسلم ، بل كان ــ عندما أوحى الله إلى رسول الله ﷺ ــ عمره ثماني سنين ، وقيل : سبع سنين ، وقيل : إحدى عشر سنة . وكان مع رسول الله ﷺ في منزله بين أهله كأحد أولاده يتبعه في جميع أحواله . وكان أبو بكر رضي الله عنه أول من أسلم ممن له أهليَّة الذبَّ عن رسول الله والحماية والمناصرة .

هذا هو التحقيق في المسألة لمن أنصف وترك الهوى من الفريقين ، وقد قال عمر مولى غفرة[2] : سئل محمد بن كعب [القرظى][3] عن أول من أسلم ، على بن أبي طالب أو أبو بكر ؟ فقال : سبحان الله ! عليّ أولهما إسلاماً ، وإنما اشتبه على الناس لأن علياً أول ما أسلم كان يخفي إسلامه من أبي طالب ، وأسلم أبو بكر فأظهر إسلامه ، فكان أبو بكر أول من أظهر إسلامه ، وكان علي أولهما إسلاماً ، فاشتبه على الناس ــ وكذلك أسلمت خديجة وزيد بن حارثة[4] .

إسلام ورقة بن نوفل

ثم أسلم القَسُّ ورقةُ بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وصدَّق بما وجد من الوحي ، وتمنى أن لو كان جَذَعاً[5] ؛ وذلك أول ما نزل الوحي .

---

(١) في (خ) لا ينكرها .

(٢) في (تهذيب التهذيب) : عمر بن عبد الله المدني مولى غُفرة جـ ٧ ص ٤٧١ ترجمة رقم ٧٨٣ ، وفي (خ) « عفرة » .

(٣) محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظي ، زيادة من (تهذيب التهذيب) جـ ٩ ص ٤٢٠ ترجمة رقم ٦٨٩ .

(٤) راجع (الروض الأنف) جـ ١ ص ٢٨٤،٢٨٥ باب أول من أسلم ، ونشأة علي بن أبي طالب .

(٥) الجذَع من الرجال : الشاب الحَدث . (المعجم الوسيط) جـ ١ ص ١١٣ .

إسلام الأرقم

ودخل من شرح الله صدره للإسلام على بصيرة فأسلم الأرقم بن أبي الأرقم عبد مناف[1] بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم سابع سبعة[2] ، وقيل : بعد عشرة[3] وفي داره كان النبي ﷺ مستخفياً من قريش ، وكانت على الصفا ، فأسلم فيها جماعة كثيرة .

إيذاء رسول الله ﷺ

وكانت قريش لما بلغهم ما أكرم الله به رسوله ﷺ من النبوة راعهم ذلك وكَبُر عليهم ، ولم ينكروا عليه شيئاً من أمره حتى عاب آلهتهم وسفَّه أحلامهم ، وذمَّ آباءهم وأخبر أنهم في النار ، فأبغضوه عند ذلك وعادوه ، وتعرضوا لمن آمن به .

فأخذهم سفهاء أهل مكة بالأذى والعقوبة ، وصان الله رسوله ﷺ بعمه أبي طالب ، لأنه كان شريفاً في قومه مطاعاً فيهم ، نبيلا بينهم ، لا يتجاسرون على مفاجأته بشيء في أمر رسول الله ﷺ لما يعلمون من محبته له ، وكان من حكمة الله تعالى بقاء أبي طالب على دين قومه لما في ذلك من المصلحة .

إيذاء المسلمين

هذا ؛ ورسول الله ﷺ يدعو إلى الله ليلا ونهاراً وسراً وجهاراً ، لا يصده عن ذلك صادٌّ ، ولا يرده عنه رادٌّ ، ولا يأخذه في الله لومة لائم . واشتد أذى المشركين على من آمن ، وفتنوا جماعة منهم ، حتى إنهم كانوا يضربونهم ويلقونهم في الحرّ ، ويضعون الصخرة العظيمة على صدر أحدهم في الحر ، وكان أحدهم إذا أُطلق لا يستطيع أن يجلس لشدة الألم . ويقولون لأحدهم وهو يعذب في الله : اللات إلٰهك من دون الله ؟ فيقول مكرهاً : نعم ! ، وحتى إن الجُعل ليمرّ فيقولون : وهذا إلٰهك من دون الله ؟ فيقول : نعم ! .

ومرَّ الخبيث أبو جهل : « عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن

(١) في (خ) عبد مناة ، والتصويب من (الإصابة) جـ ١ ص ٤٣ .
(٢) ذكره الحاكم في (المستدرك) جـ ٣ ص ٥٢ .
(٣) (الإصابة) جـ ١ ص ٤٠ ترجمة رقم ٧٣ .

مخزوم بن يقظة بن مرة » بسُميَّة « أم عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين العبسي » وهي تعذب في الله هي وزوجها ياسر بن عامر، وابنها عمار بن ياسر فطعنها بحربة في فرجها فقتلها[١].

الذين أعتقهم أبو بكر من الموالي المعذبين

وكان أبو بكر رضي الله عنه إذا مر بأحد الموالي وهو يعذب في الله اشتراه من مواليه وأعتقه لله؛ فمن هؤلاء: بلال وأمه حمامة[٢]، وعامر بن فهيرة، وأم عبس، ويقال: أم عبيس فتاة بني تيم بن مرة، (وهي أم عبيس بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف)، وزنيرة (زِنِّيرة بكسر الزاي وتشديد النون مع كسرها على وزن فِعِّيلة، وقيل: بفتح الزاي وسكون النون ثم باء موحدة مفتوحة)، وسمية بنت خبَّاط[٣] (بباء موحدة، قاله ابن ماكولا)، والنهدية وابنتها، وجارية لبني عدي كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعذبها على الإسلام قبل أن يُسلم.

حتى قال له أبوه أبو قحافة: يا بني أراك تعتق رقاباً ضعافاً، فلو أعتقت قوماً جُلداً يمنعونك! فقال أبو بكر رضي الله عنه: إني أريد ما أريد[٤] فقال: نزلت فيه: ﴿ **وسيجنبها الأتقى * الذي يؤتي ماله يتزكى** ﴾[٥] إلى آخر السورة.

هَمُّ قريش بقتله عند البيت

هذا وقد اشتد مكر قريش برسول الله وهموا بقتله، فعرضوا على قومه ديته حتى يقتلوه، فحماه الله برهطه من ذلك، فهموا أن يقتلوه فى الزحمة[٦] بقول

(١) ذكر ابن الجوزي أنها « أول شهيدة في الإسلام » (صفة الصفوة) جـ ٢ ص ٦٠.

(٢) في (خ) « حامة » والصحيح ما أثبتناه من (ابن هشام بشرح السهيلي) جـ ٢ ص ٦٧.

(٣) في (خ) « خباءة » وهو خطأ.

(٤) في ابن هشام « أريد ما أريد لله عز وجل » جـ ٢ ص ١٦١.

(٥) الآيتان ١٧ ـــ ١٨ من سورة الليل.

(٦) كان يوم الزحمة قبل الهجرة بقليل، يقول ابن سيد الناس في كتاب (عيون الأثر) جـ ١ ص ١٧٧ بـاب ذكـر يوم الزحمة نقلاً عن ابن إسحق « ولما رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد كانت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم عرفوا أنهم قد نزلوا داراً وأصابوا منعة فحزروا خروج رسول الله ﷺ إليهم وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم فاجتمعوا له في دار الندوة وهي دار قصي بن كلاب ... ».

قبائل قريش كلها ، وأحاطوا به وهو يطوف بالبيت ويصلي ، حتى كادت أيديهم أن تخبط به أو تلتقي عليه ، فصاح أبو بكر : أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ؟ فقال : دعهم يا أبا بكر ، فوالذي نفسي بيده ، إني بُعثت إليهم بالذبح ، فتفرجوا عنه . فكانت فتنة شديدة وزلزال شديد ، فمن المسلمين من عصمه الله ومنهم من افتتن .

أول من جهر بالقرآن ومن رجع عن الإسلام

ويقال : أول من جهر بالقرآن عبد الله بن مسعود فضُرب . ورجع عن الإسلام خمسة وهم : أبو قيس بن المغيرة ، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة ، والعاص بن منبه بن الحجاج ، والحارث بن زَمَعَة بن الأسود ، والوليد بن الوليد بن المغيرة .

الهجرة الأولى إلى الحبشة

فلما اشتد البلاء أذن الله لهم في الهجرة إلى الحبشة ، فكان أول من خرج من مكة فاراً بدينه إلى الحبشة : عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ ، وتبعه الناس .

فخرج أحد عشر رجلا وأربع نسوة متسللين حتى انتهوا إلى الشعَيْبَة[1] ، منهم الراكب والماشي ، فوَفَّق لهم ساعةَ جاءوا سفينتين للتجار حملوهم فيهما إلى أرض الحبشة بنصف دينار . وخرجت قريش في آثارهم حتى جاءوا البحر حيث ركبوا فلم يدركوا منهم أحداً ، وذكر أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه : عن قبيصة بن ذؤيب أن أبا سلمة ابن عمة رسول الله أول من هاجر بظعينته[2] إلى أرض الحبشة .

وقيل : أول من هاجر إلى أرض الحبشة أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك ، وذلك في رجب سنة خمس من المبعث ، وهي السنة الثانية من إظهار الدعوة ، فأقاموا شعبان وشهر رمضان وبلغهم أن قريشاً أسلمت ، فعاد منهم قوم وتخلف منهم قوم . فلما قدم الذين قدموا إلى مكة بلغهم

(١) الشعيْبة : مرفأ السفن من ساحل بحر الحجاز وهو كان مرفأ مكة ومرسى سفنها قبل جدة . (معجم البلدان جـ ٣ ص ٣٥١) .
(٢) الظعينة : الراحلة يرتحل عليها . والهودج . والزوجة (المعجم الوسيط جـ ٢ ص ٥٧٦) .

أن إسلام أهل مكة كان باطلا ، فدخلوا مكة في شوال سنة خمس من النبوة ، وما منهم من أحد إلا بجوارٍ أو مستخفياً .

وأقام المسلمون بمكة وهم في بلاء ، فخرج جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وجماعات ــ بلغ عددهم بمن خرج أولاً اثنين وثلاثين ــ فآواهم أصْحمة النجاشي ملك الحبشة وأكرمهم .

بعثة قريش لإرجاع المسلمين من الحبشة

فلما علمت قريش بذلك بعثت في أثرهم عبد الله بن أبي ربيعة عمرو بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وعمرو بن العاص ، بهدايا وتُحف إلى النجاشي ليردهم عليهم فأبى ذلك ، فشفعوا إليه بقواده فلم يجبهم إلى ما طلبوا فوشوا إليه أن هؤلاء يقولون في عيسى عليه السلام قولا عظيماً : يقولون إنه عبد .

فأحضر المسلمين إلى مجلسه وزعيمهم جعفر فقال : ما تقولون في عيسى ؟ فتلا عليه جعفر سورة ﴿ **كهيعص** ﴾[1] فلما فرغ أخذ النجاشيُّ عوداً من الأرض وقال : ما زاد هذا على ما في الإنجيل ولا هذا العود ، ثم قال : اذهبوا فأنتم شُيومٌ[2] بأرضي من سبَّكم غُرِّم ، وقال لعمرو وعبد الله : لو أعطيتموني دَبْراً من ذهب (يعني جبلا من ذهب) ما سلمتهم إليكما . ثمَ أمر فرُدت عليهما هداياهما ورجعا بشرّ خيبةٍ[3] .

---

(١) أول سورة مريم عليها السلام .

(٢) شيوم : كلمة حبشية معناها آمنون .

(٣) وقد أورد الحافظ أبو نعيم الأصبهاني هذا الخبر مفصلاً في (دلائل النبوة) جـ ١ ص ٢٤٣ حديث رقم (١٩٣) ، حيث قال :

حدثنا سليمان بن أحمد قال : حدثنا محمد بن عمر بن خالد الحراني قال : حدثنا أبي قال : حدثنا ابن لُهَيْعَةَ قال : حدثنا أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن ، عن عروة بن الزُّبير في خروج جعفر بن أبي طالب وأصحابه إلى الحبشة ، قال :

فبعثت قريش في آثارهم عمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي ، وعمرو بن العاص السَّهميّ ،وأمروهما أن يُسرعا السَّير حتى يسبقاهم إلى النجاشيّ ،فَفَعلا، فقدما على النجاشيّ فدخلا عليه ، فقالا له : إن هذا الرجل الذي بين أظهرنا ، وأفسد فينا ، تناولك ليفسد عليك دينك ، ومُلْكَكَ وأهل سلطانك ، ونحن لك ناصحون ، وأنت لنا عَيْبَة صدق ، تأتي إلى عشيرتنا بالمعروف ، ويأمن تاجرنا عندك فَبَعَثَنَا قومُنا إليك لننذرك فساد مُلكك ، وهؤلاء نفرٌ من أصحاب الرجل الذي خرج فينا ، ونخبرك بما نعرف من خلافهم =

= الحق ، أنهم لايشهدون أن عيسى بن مريم إلّها ، ولايسجدون لك إذا دخلوا عليك ، فادفعهم إلينا فلنكفيكهم .

فلما قدم جعفر وأصحابُه ، وهم على ذلك من الحديث ، وعمرو وعمارة عند النّجاشيّ ، وجعفر وأصحابه على ذلك الحال ، قال : فلما رأوا أن الرجلين قد سبقا ودخلا ، صاح جعفر على الباب يستأذن حزب الله ، فسمعها النجاشيّ ، فأذن لهم ، فلما دخلوا وعمرو وعمارة عند النجاشيّ ، قال : أيُّكم صاح عند الباب ؟ فقال جعفر : أنا هو ، فأمره فعاد لها .

فلما دخلوا وسلّموا تسليم أهل الإيمان ، ولم يسجدوا له ، فقال عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد : ألم نبين لك خبر القوم ، فلما سمع النجاشيّ ذلك أقبل عليهم ، فقال : أخبروني أيها الرَّهط ماجاء بكم ؟ وماشأنكم ؟ وَلِمَ أَتَيْتُموني ولستم بتجار ولا سُؤَّال ؟ وما نبيكم الذي خرج ؟ وأخبروني مالكم ؟ لِمَ لا تُحيُّوني كما يُحييني من أتاني من أهل بلدكم ؟ وأخبروني ماتقولون في عيسى ابن مريم ؟

فقام جعفر بن أبي طالب – وكان خطيب القوم – فقال : إنما كلامي ثلاث كلمات ، إن صدقتُ فصدقني ، وإن كذبتُ فكذّبني ، فَأْمُرْ أحداً من هذين الرجلين فليتكلم ولينصت الآخر، قال عمرو : أنا أتكلم ، قال النجاشيُّ : أنت ياجعفر فتكلم قبله .

فقال جعفر : إنما كلامي ثلاثُ كلمات ، سَلْ هذا الرجل أعبيد نحن أَبَقْنَا من أربابنا ؟ فقال النجاشيّ : أعبيد هم ياعمرو ؟ قال عمرو : بل أحرارٌ كرام ، قال جعفر : سَلْ هذا الرجل هل أهرقنا دماً بغير حقِّه ؟ فادفعنا إلى أهل الدم . فقال : هل أهرقوا دماً بغير حقه ؟ فقال : ولا قطرة واحدة من دم . ثم قال جعفر : سَلْ هذا الرجل أخذنا أموال الناس بالباطل ؟ فعندنا قضاء ؟ فقال النجاشيّ : يا عمرو ، إن كان على هؤلاء قنطار من ذهب فهو عليّ . فقال عمرو : ولا قيراط ، فقال النجاشي : ماتُطالبونهم به ؟ قال عمرو : فكنا نحن وهم على دين واحد ، وأمر واحد ، فتركوه ولزمناه .

فقال النجاشيّ : ماهذا الذي كنتم عليه فتركتموه وتبعتم غيره ؟

فقال جعفر : أما الذي كنا عليه فدين الشيطان ، وأمر الشيطان ، نكفُرُ بالله ونعبدُ الحجارة ، وأما الذي نحن عليه فدين الله عزَّ وجلّ ، نخبرك أن الله بعث إلينا رسولاً كما بعث إلى الذين من قبلنا ، فأتانا بالصدق والبر ، ونهانا عن عبادة الأوثان ، فصدَّقْنَاهُ وآمنا به واتبعناه ، فلما فعلنا ذلك عادانا قومُنا ، وأرادوا قتل النبي الصادق ، وردّنا في عبادة الأوثان ، ففررنا إليك بديننا ودمائنا ، ولو أقرَّنا قومُنا لاستقررنا ، فذلك خبرنا .

وأما شأنُ التحية : فقد حيّناك بتحية رسول الله ﷺ ، والذي يُحييّ به بعضنا بعضاً ، أخبرنا رسول الله ﷺ أن تحية أهل الجنة السلام فحييناك بالسلام ، وأما السجود ، فمعاذ الله أن نَسْجُدَ إلا لله ، وأن نَعْدِلَك به .

وأما في شأن عيسى ابن مريم: فإن الله عزَّ وجلَّ أنزل في كتابه على نبينا ، أنه رسولٌ قد خَلَتْ من قبله الرسل ، ولدتْهُ الصديقه العذراء البتول الحَصان ، وهو روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم ، وهذا شأنُ عيسى ابن مريم .

فلما سمع النجاشيُّ قول جعفر أخذ بيده عوداً، ثم قال لمن حوله : صدَقَ هؤلاء النفر ، وصدق نبيُّهم ، والله ما يزيد عيسى ابن مريم على ما يقول هذا الرجل ولاوزن هذا العود ، فقال لهم النجاشيّ : امكثوا فإنكم =

وقد ذكر محمد بن إسحق فيمن هاجر إلى الحبشة أبا موسى الأشعري ، وأنكر ذلك الواقدي وغيره . وهذا ظاهر لا يخفى على من دون ابن إسحق ، فإن أبا موسى إنما هاجر من اليمن إلى الحبشة إلى عند جعفر ، كما ثبت في الصحيح وغيره . وقد قيل إن قريشاً بعثت عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة بعد وقعة بدر ، فلما

= سُيوم – والسيوم : الآمنون – قد منعكم الله ، وأمر لهم بما يصلحهم .

فقال النجاشيّ : أيُّكم أدرسُ للكتاب الذي أُنزل على نبيكم ؟ قالوا ، جعفر ، فقرأ عليهم سورة مريم (عليها السلام) ، فلما سمعها عرف أنه الحق ، وقال النجاشيّ : زدنا من هذا الكلام الطيب ، ثم قرأ عليه سورة أخرى ، فلما سمعها عرف الحق ، وقال : صدقتم وصدق نبيكم ﷺ ، أنتم والله صِدِّيقون ، امكثوا على اسم الله وبركته ، آمنين ممنوعين ، وأُلقِيَ عليهم المحبَّةُ من النجاشيّ .

فلما رأى ذلك عُمارة بن الوليد وعمرو بن العاص سُقط في أيديهما ، وألقى الله بين عمرو وعمارة العداوة في مسيرهما قبل أن يُقدما على النجاشيّ ليدركا حاجتهما التي خرجا لها من طلب المسلمين ، فلما أخطأهما ذلك ، رجعا بشرٍّ ما كانا عليه من العداوة وسوء ذات البين ، فمكر عمرو بعُمارة ، فقال : ياعمارة ، إنك رجل جميل وسيم ، فأْتِ امرأة النجاشيّ فتحدَّثْ عندها إذا خرج زوجها ، تصيبها فتعيننا على النجاشيّ ، فإنك ترى ما وقعنا فيه من أمرنا ،لعلنا نُهلك هؤلاء الرهط .

فلما رأى ذلك عمارة انطلق حتى أتى امرأة النجاشيّ ، فجلس إليها يحدثها ، وخالف عمرو بن العاص إلى النجاشيّ فقال : إني لم أكن أخونُك في شيء علمتهُ إذ أطلعتُ عليه ، وإن صاحبي الذي رأيتُ لا يتالك عن الزنا إذا هو قدر عليه ، وإنه قد خالف إلى امرأتك ، فأرسل النجاشيّ إلى امرأته ، فإذا هو عندها ، فلما رأى ذلك أمر به فنُفِخَ في إحليله سحر ، ثم أُلقي في جزيرة البحرُ فعاد وحشياً مع الوحش ، يَرد ويصدُر معها زماناً ، حتى ذُكر لعشيرته ، فركب أخوه ، فانطلق معه بنفر من قومه ، فرصدوه حتى إذا وَرَد أوثقوه فوضعوه في سفينة ليخرجوا به ، فلما فعلوا به ذلك مات ، وأقبل عمرو إلى مكة قد أهلك الله صاحبه ، ومنع حاجته .

هذا الحديث مُرسل ، وفيه ابن لُهَيْعَة وهو صدوق ، ولكنه خلط بعد احتراق كتبه ، ولكن أورده الهيثمي في (مجمع الزوائد) ٦ / ٢٧ بسياقة أخرى فيها تقديم وتأخير وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح ، غير ابن اسحاق ، وقد صرَّح بالسماع ، وأخرجه أبو نعيم في (الحلية) ١ / ١١٥ ، و(السيرة) ٢ / ١٧٩ – ١٨٠ .

وفي هذا الحديث من الفقه : الخروج عن الوطن وإن كان الوطن مكة على فضلها ، إذا كان الخروج فراراً بالدين ، وإن لم يكن إسلام ، فإن الأحباش كانوا نَصارى يعبدون المسيح ولا يقولون : هو عبد الله ، وقد تبين ذلك في الحديث .

وسُمّوا بهذه مُهاجرين ، وهم أصحاب الهجرتين الذين أثنى الله عليهم بالسبق ، فقال : ﴿ **والسابقون الأولون** ﴾ ، وجاء في التفسير : أنهم الذين صلوا القبلتين ، وهاجروا الهجرتين .

وقد قيل أيضاً : هم الذين شهدوا بيعة الرضوان ، فانظرا كيف أثنى الله عليهم بهذه الهجرة ، وهم قد خرجوا من بيت الله الحرام إلى دار كُفر لما كان فعلهم ذلك احتياطاً على دينهم ، ورجاء أن يُخلي بينهم وبين عبادة ربهم ، يذكرونه آمنين مطمئنين .

سمع رسول الله ﷺ ببعث قريش عمراً وابن أبي[1] ربيعة، بعث عمرو بن أمية الضمري وكتب معه إلى النجاشي ، فقرأ كتابه ثم دعا جعفر بن أبي طالب ، فقرأ عليهم سورة مريم ، فآمنوا .

هذا قول سعيد بن المسيِّب وعروة بن الزبير . وقال أبو الأسود عن عروة : إن بعثتهم عمرو بن العاص كانت عند خروج المهاجرين إلى الحبشة ، وكان بين خروج المهاجرين إلى الحبشة وبين وقعة بدر خمس سنين وأشهر . وقيل : كانت بعثتهم عمرو بن العاص مرتين ، مرة مع عمارة بن الوليد[2] ومرة مع عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة ، قاله أبو نعيم الحافظ .

أعداء رسول الله من قريش

هذا ؛ ورسول الله ﷺ مقيم بمكة يدعو إلى الله ، وكفار قريش تظهر حسده وتبدى صفحتها في عداوته وأذاه ، وتخاصم وتجادل وتردُّ من أراد الإسلام عنه . وكان أشد قريش عداوة لرسول الله ﷺ جيرانه ، وهم : أبو جهل بن هشام بن المغيرة ، وعمه أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب ، والأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة وهو ابن خال رسول الله ﷺ ، والحارث بن قيس ابن عدي بن سعد بن سهم السهمي ، والوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وأميّة وأبيّ ابنا خلف بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هُصيص ابن كعب بن لؤي ، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة ، والعاص بن وائل بن هاشم[3] ابن سعيد بن سهم السَّهْمى والد عمرو بن العاص ، والنَّضْر بن الحارث بن علقمة ابن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار ، ومنبِّه ونُبيْه ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة ابن سعيد[4] بن سهم بن عمرو بن هُصَيص ، وزهير بن أبي أمية حذيفة بن المغيرة ، وهو ابن عمة[5] رسول الله ﷺ ، والعاص بن سعيد العاص بن أمية ، وعدّى بن

---

(١) في (خ) « ابن ربيعة » .

(٢) في (ط) « بين الوليد » وهو خطأ .

(٣) في (خ) « هشام » وهي رواية ابن إسحق ، وأوردها ابن حجر في (الإصابة) « هاشم » في ترجمة عمرو بن العاص رقم ٥٨٧٧ .

(٤) في (خ) « وسعد » .

(٥) عاتكة بنت عبد المطلب .

الحمراء الخزاعيّ ، وأبو البختري العاص بن هشام بن (الحارث)[1] بن أسد بن عبد العزى ، وعقبة بن أبي مُعيطَ أبان بن أبي عمرو بن أمية ، والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزىَّ ، وابن الأصداء[2] الهذلي ، والحكم بن أبي العاص بن أمية ، وعتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، وشيبة بن ربيعة بن عبد شمس ابن عبد مناف ، (وطعيمة بن عديّ)[3] أخو مطعم بن عديّ ، والحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف[4] ، والحارث بن مالك (وقيل : عمرو ، وهو ابن الطُّلاطلة ، وهي أمه)[5] ابن عمرو بن الحارث (وهو غُبشان) بن عبد عمر بن بُوَيٍّ بن ملكان[6] ، ورُكانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب[7] ، وهُبيْرة بن أبي وهب المخزومي .

وكان الذين تنتهي إليهم عداوة رسول الله ﷺ : أبو جهل ، وأبو لهب ، وعقبة بن أبي (معيط)[8] . وكان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب[9] ، وهبيرة بن أبي وهب المخزومي ، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ، ذَوِي عداوة للنبي ﷺ ، لكنهم لم يكونوا يفعلون كما فعل هؤلاء ، فلما أسلم حمزة بن عبد المطلب ، عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عزّ ، وأن حمزة سيمنعه ، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه .

---

(١) ما بين القوسين زيادة من ابن هشام جـ ٢ ص ٥ « أبو البختري بن هاشم بن الحارث بن أسد » . وفي ابن سعد جـ ١ ص ٢١٠ « أبو البختري بن هاشم » وفي (خ) « أبو البختري العاص بن هشام » .

(٢) هكذا في ابن سعد جـ ٣ ص ٩ « ابن الأصداء الهذلي » وفي المرجع السابق جـ ١ ص ٢٠١ « ابن الأصدي الهذلي » . وهو الذي نطحته الأرْوَى .

(٣) زيادة من (ط) وهو من أصحاب يوم الزحمة .

(٤) في (خ) العبارة من قوله « أخو عدي ... إلى عبد مناف » تكرار من الناسخ .

(٥) في (خ) : « وقيل عمرو بن الطلاطلة بن عمرو » والصواب ما أثبتناه .

(٦) وفي ابن سعد جـ ٦ ص ٢٢٨ « اسمه الحارث بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مُضَر » .

(٧) في (خ) « ابن عبد المطلب » .

(٨) سقط في (خ) وصوابه من ابن سعد جـ ١ ص ١٦٥ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢١١ ، ٢٢٨ ، جـ ٢ ص ١٣ ، ٢٣ وغير ذلك .

(٩) ابن عم النبي وأخوه من الرضاعة ، وفي طبقات ابن سعد جـ ١ ص ٢٧١ (أبو سفيان بن حرب) . وذكر ابن سيد الناس في « عيون الأثر » جـ ١ ص ١١٠ « وكان المجاهرون بالظلم لرسول الله ﷺ ولكل من آمن به من بني هاشم : عمه أبا لهب وابن عمه أبا سفيان بن الحارث ، ومن بني عبد شمس : عتبة وشيبة ابنا ربيعة وعقبة بن أبي معيط وأبا سفيان بن حرب وابنه حنظلة ... » .

إسلام عمر بن الخطاب

وأسلم عمر بن الخطاب بن نُفَيْل بن عبد العُزَّى بن رباح بن عبد الله بن قُرط ابن رَزاح بن عَدِيّ بن كعب القرشي العدوي رضي الله عنه ، ويقال : إنه أسلم بعد تسعة وأربعين رجلا وثلاث وعشرين امرأة ، وقيل : أسلم بعد أربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة ، وقيل : أسلم بعد خمسة وأربعين رجلا وإحدى وعشرين امرأة ، وقيل : أسلم بعد ثلاثة وثلاثين رجلا ، وكان إسلامه بعد هجرة الحبشة ، وكان المسلمون لا يقدرون يصلون عند الكعبة .

عِزُّ الإسلام بعمر وحمزة

فلما أسلم عمر رضي الله عنه قاتل قريشاً حتى صلى عندها ، وصلى معه المسلمون ، وقد قَوُوا بإسلامه وإسلام حمزة رضي الله عنهما ، وجهروا بالقرآن و لم يكونوا قبل ذلك يقدرون أن يجهروا به ، ففشا الإسلام وكثر المسلمون .

أمر الصحيفة

وبلغ أهلَ مكة فعلُ النجاشي بالقادمين عليه وإكرامهم ، فساء ذلك قريشاً وائتمروا في أن يكتبوا بينهم كتاباً يتعاقدون فيه ألا يناكحوا بني هاشم وبني المطلب ولا يبايعوهم ولا يكلموهم ولا يجالسوهم حتى يُسْلموا إليهم محمداً ﷺ .

وكتبوا بذلك صحيفة وختموا عليها ثلاثة خواتيم ، وعلقوها في سقف الكعبة . وقيل : بل كانت عند أمِّ الجُلاس مخرِّبة[1] الحنظلية خالة أبي جهل ، ذكره ابن سعد[2] ، وعند ابن عقبة : كانت عند هشام بن عبد العزى . فيقال : كتبها منصور بن عِكْرِمة بن عامر بن هشام عبد مناف ، ويقال : النَّضْر بن الحارث ، ويقال : بَغِيض بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصيّ ، فدعا عليه رسول الله ﷺ فشلت يده .

---

(١) في (خ) « محرمة » وهو خطأ والتصويب من (ابن سعد) .

(٢) (الطبقات الكبرى) جـ ١ ص ٢٠٩ .

انحياز بني هاشم وبني المطلب إلى شِعب أبي طالب

وانحازت بنو هاشم وبنو المطلب مؤمنهم وكافرهم ليلة هلال المحرم سنة سبع من النبوة ــ إلا أبا لهب وولده. فإنهم ظاهروا قريشاً على بني هاشم ــ فصاروا في شِعْب أبي طالب محصورين مضيقاً عليهم أشد التضييق نحواً من ثلاث سنين ، وقد قطعوا عنهم الميرة[1] والمادة فكانوا لا يخرجون إلا من مَوْسم إلى موسم حتى بلغهم الجهد ، وكان حكيم بن حِزام[2] بن خُويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي تأتيه العير تحمل الحنطة من الشام فيقبلها[3] الشِّعب ثم يضرب أعجازها فتدخل عليهم فيأخذون ما عليها من الحنطة .

الهجرة الثانية إلى الحبشة

ثم هاجر المسلمون ثانياً إلى أرض الحبشة وعدتهم ثلاثة وثمانون رجلاً ــ إن كان عمار بن ياسر فيهم ــ[4] وثماني عشرة امرأة .

نقض الصحيفة

ثم سعى في نقض الصحيفة أقوام من قريش . وكان أحسنهم في ذلك بلاء هشام ابن عمرو (بن ربيعة)[5] بن الحارث بن حُبَيِّب بن جَذِيمة بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤي ، مشى في ذلك إلى زهير بن أبي أمية ، وإلى مُطْعِم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف ، وإلى أبي البحتري بن هشام ، وإلى زمعة بن الأسود بن المطلب ابن أسد ، وكان سهل بن بيضاء[6] الفهري هو الذي مشى إليهم حتى اجتمعوا

---

(١) الميرة : ما يجلب من الطعام .

(٢) ابن أخي خديجة رضي الله عنها .

(٣) أي يجعل وجوهها قبالة الشعب لتسلكه .

(٤) ذكر ابن عبد البر في (الاستيعاب) : « أنه هاجر إلى أرض الحبشة وصلى القبلتين وهو من المهاجرين الأولين » جـ ٨ ص ٢٢٦ .

(٥) في (الإصابة) « ابن ربيعة بن الحارث بن حُنَيِّف » جـ ١٠ ص ٢٥٠ وفي (خ) ، (ط) (ابن حُبيِّب) .

(٦) ذكره ابن حجر في (الإصابة) برقم ٣٥١٣ جـ ٤ ص ٢٦٩ وابن عبد البر في الاستيعاب برقم ١٠٨٠ جـ ٤ ص ٢٧٠ .

عليه ، واتّعدوا[1] خطْمَ الحَجون[2] بأعلى مكة ، وتعاهدوا هناك على القيام في نقض الصحيفة ، ومازالوا حتى شقوها ، فإذا الأرضة قد أكلتها إلا ما كان من « باسمك اللهم » . وكان رسول الله ﷺ قد أخبر عمه أبا طالب بأن الله قد أرسل على الصحيفة الأَرَضَة فأكلت جميع ما فيها إلا ذكرَ الله تعالى . وعن موسى بن عُقبة عن الزُّهري أن النبي قال لعمه : إن الأَرَضَة لم تترك اسماً لله إلا لحسته ، وبقي فيها ما كان من (جَوْر)[3] أو ظلم أو قطيعة رحم . فلما خرج رسول الله ﷺ ومن معه من الشعب كان له من العمر تسع وأربعون سنة ، وكان خروجهم في السنة العاشرة ، وقيل : مكثوا في الشعب سنتين ، ويقال : إن رجوع من كان مهاجراً بالحبشة إلى مكة كان بعد الخروج من الشعب .

موت خديجة وأبي طالب (عام الحزن)

ومات عُقَيْب ذلك أبو طالب وخديجة ، فمات أبو طالب أوَّل ذي القعدة ، وقيل : في نصف شوال ، ولرسول الله من العمر تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوماً ، وماتت خديجة رضي الله عنها قبله بخمسة وثلاثين يوماً ، وقيل : كان بينهما خمسة وخمسون يوماً ، وقيل : ثلاثة أيام ، وقيل : كان موتهما بعد الخروج من الشِّعْبِ بثمانية أشهر وأحد وعشرين يوماً ، فعَظُمت المصيبة على رسول الله ﷺ بموتهما وسمَّاه « عام الحزن » وقال : ما نالت قريش مني شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب ؛ لأنه لم يكن في عشيرته وأعمامه ـــ حامياً له ولا ذاباً عنه ـــ (غير أبي طالب)[4] .

خروجه إلى الطائف

فخرج ومعه زيد بن حارثة إلى الطائف في شوال سنة عشرٍ من النبوة يلتمس من ثقيف النصر لأنهم كانوا أخواله ، فكلَّم سادتهم ، وهم : عبد ياليل ومسعود

---

(١) في (خ) (وأبعدوا) ، (اتعدُوا) : تواعدوا .
(٢) الحجون : جبل بأعلى مكة عنده أهلها ، وقال السكري : مكان من البيت على ميل ونصف . (معجم البلدان) جـ ٢ ص ٢٢٥ .
(٣) مكان هذه الكلمة بياض بالأصل (خ) وما أثبتناه يتمم المعنى .
(٤) زيادة يتم بها المعنى .

وحبيب بنو عمربن عُمير ، ودعاهم إلى نصره والقيام معه على من خالفه . فردُّوا عليه رداً قبيحاً ، وأغروا به سفاءهم ، فجعلوا يرمونه بالحجارة حتى إن رِجْلَي رسول الله ﷺ لتدميان ، وزيد يقيه بنفسه حتى لقد شُجَّ في رأسه شجاجاً ، فرجع عنهم يريد مكة ، حتى إذا كان بنخلة[1] قام يصلي من جوف الليل .

إسلام النفر مِن جِنِّ نصيبين

فمر به من جن نصيبين اليمن سبعةُ نفر فاستمعوا إليه (وهو يقرأ القرآن ثم وَلَّوْا — بعد فراغه من صلاته)[2] — إلى قومهم منذرين ، قد آمنوا فأجابوا .

إقامته بنخلة

وأقام بنخلة أياماً ، فقال له زيد بن حارثة : كيف تدخل عليهم مكة وهم أخرجوك ؟ فقال : يا زيد ، إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً ، وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه . ويقال : كان إيمان الجن برسول الله ﷺ وله من العمر خمسون سنة وثلاثة أشهر ، وذكر ابن إسحق أن إسلام الجن قبل الهجرة بثلاث سنين .

عودته إلى مكة في جوار المطعم بن عديّ

ويقال : إن رسول الله ﷺ لما عاد من الطائف وانتهى إلى حراء بعث رجلا من خزاعة إلى المطعم بن عدي ليجيره حتى يبلغ رسالة ربه فأجاره .

إسلام الطفيل الدوسي ذي النور

ودخل رسول الله ﷺ مكة فأقام بها وجعل يدعو إلى الله ، فأسلم (الطفيل)[3] بن عمرو بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سُلَيم[4] بن فهم الدوسي ، ودعا له رسول الله ﷺ أن يجعل الله له آية ، فجعل الله له في وجهه

---

(١) واد بمكة (معجم البلدان جـ ٥ ص ٢٧٧) .

(٢) في (خ) « فاستمعوا إليه بعد فراغه من صلواتهم إلى قومهم » والصواب ما أثبتناه ، راجع (تفسير الطبري) جـ ٢٦ ص ٣٠ (عند تفسير سورة الأحقاف الآية ٢٩) .

(٣) بياض بالأصل (خ) .

(٤) في (خ) « سالم » والتصويب من (الاستيعاب) رقم ١٢٧٤ جـ ٥ ص ٢٢٠ .

راً ، فقال : يا رسول الله ، أخشى أن يقولوا هذا مُثْلَةٌ ، فدعا له فصار النور في وطه ، فهو المعروف بذي النور .

إسلام بيوت من دَوْسٍ

ودعا الطفيل قومه دَوْساً إلى الله ، فأسلم بعضهم ، وأقام في بلاده حتى قدم على)[1] رسول الله ﷺ بعد فتح خيبر في نحو ثمانين بيتاً .

الإسراء والمعراج وفرض الصلوات

(ثم أُسري)[2] برسول الله ﷺ بجسده ـــ على الصحيح من قول صحابة ـــ من المسجد الحرام إلى بيت المقدس راكباً البُراق صُحبة جبريل عليه سلام ، فنزل ثم (أَمَّ)[3] بالأنبياء عليهم السلام ببيت المقدس فصلى بهم . ثم عُرج تلك الليلة من هناك إلى السموات السبع ورأى بها الأنبياء على منازلهم ، ثم عُرج إلى سِدْرَةِ المنتهى ورأى جبريل عليه السلام على الصورة التي خلقه الله بها ، وفُرِضَت)[4] عليه الصلوات الخمس تلك الليلة .

وكان الإسراء في قول محمد بن شهاب الزُّهري قبل الهجرة بثلاث سنين ، قيل : بسنة واحدة ، وقيل : وله من العمر إحدى وخمسون سنة وتسعة أشهر ، قيل : كان الإسراء بين بيعتي الأنصار في العقبة ، وقيل : كان بعد المبعث بخمسة شر شهراً ، وقال الحربي : كان ليلة سبعة وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة .

وعورض من قال : إنه كان قبل الهجرة بسنة ، بأن خديجة صلت معه بلا خلاف ، وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين ، والصلاة إنما فرضت ليلة الإسراء ، وأجيبَ بأن صلاة خديجة كانت غير المكتوبة ، بدليل حديث مسلم[5] أنه صلى ببيت المقدس ركعتين قبل أن يعرج إلى السماء ، فتبين أن الصلاة كانت مشروعة

---

(١) زيادة يقتضيها التصويب . انظر ابن هشام جـ ٢ ص ٢٤ .

(٢) بياض في (خ) والتكملة من (ط) .

(٣) بياض في (خ) ، وما أثبتناه من (ط) ، وانظر (ابن هشام) جـ ٢ ص ٣٣ « رواية الحسن لحديث الإسراء » .

(٤) بياض في (خ) وانظر (ابن هشام) جـ ٢ ص ٣٩ و(مسلم بشرح النووي) جـ ٢ ص ٢٣٨ .

(٥) (صحيح مسلم بشرح النووي) جـ ٢ ص ٢٠٩ باب الإسراء وفرض الصلوات .

في الجملة ، كما كان قيام الليل واجباً قبل الإسراء بلا خلاف ، وفي رواية عن الزهري : كان بعد المبعث .

ومما يقوي قول الحربي أنه عين الليلة من الشهر من السنة ، فإذا تعارض خبران أحدهما فصّل القصة والآخر أجملها ، ترجحت رواية من فصّل بأنه أوعى لها .

وقال ابن إسحق : أُسري برسول الله ﷺ وقد فشا الإسلام بمكة والقبائل ، ويقال كان ليلة السبت لسبع عشر خلت من رمضان ، قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً ، وهو ﷺ نائم في بيته ظهراً . وقيل : كان ليلة سبع عشرة من ربيع الأول قبل الهجرة من شِعب أبي طالب ، وكانت سنُّه ﷺ حين الإسراء اثنتين وخمسين سنة[1] .

وقيل ــ وقد حكي عن حُذَيفة وعائشة ومعاوية رضي الله عنهم ــ : إن الإسراء كان بروحه ﷺ ، وقيل : كان بجسده إلى بيت المقدس ، ومن هناك إلى السموات بروحه . وقيل : أسري به وهو نائم في الحجر ، وقيل : كان في بيت أم هانيء بنت أبي طالب ، وفرضت الصلوات الخمس ركعتين ركعتين ، وإنما كانت قبل الإسراء صلاة بالعشي ، ثم صارت صلاة بالغداة وصلاة بالعشي ركعتين ركعتين .

فلم يُرعْ برسول الله ﷺ إلا جبريل نزل حين زاغت الشمس من صبيحة ليلة الإسراء فصلى به الظهر ، ولهذا سميت الأولى ، ثم صلى بقية الخمس في أوقاتها فصارت بعد الإسراء خمساً ركعتين ركعتين حتى أتمت أربعاً بعد الهجرة إلى المدينة بشهر . وقد اختلف أهل العلم: هل رأى محمد ﷺ ربه ليلة الإسراء أم لا ؟ فلما أصبح ﷺ في قومه بمكة أخبرهم بما أراه الله عز وجل من آياته ، فاشتد تكذيبهم له وأذاهم إياه واستضراؤهم عليه ، وارتدّ جماعة ممن كان أسلم وسألوه أمارة ، فأخبرهم بقدوم عير يوم الأربعاء ، فلما كان ذلك اليوم لم يقْدموا حتى كادت الشمس أن تغرب ، فدعا الله فحبس الشمس حتى قدموا كما وصف ، قال ابن إسحق : ولم تحبس الشمس إلا له ذلك اليوم وليوشع بن نون .

---

(١) ذكر ابن الجوزي في (صفة الصفوة) جـ ١ ص ١٠٨ : « فلما أتت له إحدى وخمسون سنة وتسعة أشهر أسري به » .

عرض نفسه على القبائل

(ثم عرض)[1] نفسه على القبائل أيام المَوْسم ودعاهم إلى الإسلام ، وهم : بنو عامر ، وغسَّان ، وبنو فَزارة ، وبنو مُرَّة ، وبنو حَنيفة ، وبنو سُلَيم ، وبنو عبس ، وبنو نصر ، وثعلبة بن عكابة ، وكنْدَة ، وكلب ، وبنو الحارث بن كعب ، وبنو عذرة ، وقيس بن الخطيم[2] ، وأبو الحيسر أنس بن أبي رافع[3] . وقد اقتص الواقدي أخبار هذه القبائل قبيلةً قبيلةً ، ويقال : إنه ﷺ بدأ بكندة فدعاهم إلى الإسلام ، ثم أتى كلباً ، ثم بني حنيفة ، ثم بني عامر ، وجعل يقول : من رجلٌ يحملني إلى قومه فيمنعني حتى أبلغ رسالة ربي ، فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ رسالة ربي ؟ هذا ؛ وعمه أبو لهب وراءه يقول للناس : لا تسمعوا منه فإنه كذَّاب ! وكان أحياء العرب يتحامونه لما يسمعون من قريش فيه : إنه كاذب ، إنه ساحر ، إنه كاهن ، إنه شاعر !! أكاذيب يقترفونهُ بها حسداً من عند أنفسهم وبَغْياً ، فيصغي إليهم من لا تمييز له من أحياء العرب . وأما الألباء فإنهم إذا سمعوا كلامه ﷺ وتفهَّموه شهدوا بأن ما يقوله حقٌّ وصدق ، وأن قومه يفترون عليه الكذب ، فيسلمون .

أول أمر الأنصار

وكان مما صنع الله للأنصار ــ وهم الأوس والخزرج ــ أنهم كانوا يسمعون من حلفائهم بني قريظة والنَّضير ــ يهود المدينة ــ أن نبياً مبعوثٌ في هذا الزمان ، ويتوعَّدون الأوس والخزرج به إذا حاربوا فيقولون : إنا سنقتلكم معه قتل عاد وإرم .

وكانت الأنصار ــ وهم الأوس والخزرج ــ تحج البيت فيمن يحجه من العرب ، فلما رأوا رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى الله رأوا أمارات الصدق عليه لائحة ، فقالوا : والله هذا الذي توعَّدُكم يهود به فلا تسبقنكم إليه .

---

(١) بياض في (خ) ، والتكملة من ابن هشام جـ ٢ ص ٥٠ .

(٢) في (خ) : الحطيم ، والتصويب من ابن سعد جـ ٨ ص ١٥٠ .

(٣) في ابن هشام جـ ٢ ص ٥٤ : « أبو الحيسر أنس بن رافع » .

سُوَيْد بن الصامت

وكان سويد بن الصامت[1] بن خالد بن عطية بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأوسي ، وهو ابن خالة عبد المطلب بن هاشم : أمه ليلى بنت عمرو من بني عديّ بن النجار ، وهي خالة عبد المطلب بن هاشم ، قد قدم مكة فدعاه رسول الله ﷺ وقرأ عليه القرآن ، فلم يبعد منه ولم يجب ، ثم قدم إلى المدينة فقتل في بعض حروبهم يوم بعاث[2] .

إسلام إياس بن معاذ

ثم قدم أبو الحَيسر أنس ، وقيل : بشر بن رافع « مكة » في فتية من قومه بني عبد الأشهل يطلبون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج ، فأتاهم رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الإسلام ، فقال منهم إياس بن معاذ – وكان شاباً حدثاً –: يا قوم والله خير مما جئنا له ، فضرب أبو الحيسر وجهه وانتهره فسكت . وقام رسول الله ﷺ ، وانصرف القوم إلى المدينة ولم يتمَّ لهم حلف ، فمات إياس مسلماً فيما يقال[3] .

أصحاب العقبة الأولى

ثم إن رسول الله ﷺ لقي عند العقبة من منى في الموسم ستة نفر ، كلهم من الخزرج ، وهم يحلقون رءوسهم ، فجلس إليهم فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن ، فقال بعضهم لبعض : إنه النبي الذي توعدكم[4] به يهود فلا تَسبِقنَّكم إليه ، فاستجابوا لله ولرسوله وآمنوا وصدَّقوا ، وهم : أبو أمامة أسعد بن زرارة بن

---

(١) في ابن هشام جـ ٢ ص ٥٢ « ابن صامت » . وفي الإصابة جـ ٥ ص ٤١ « ابن الصامت » وهو لم يُعدّ من الصحابة لأنه لم يلق النبي ﷺ مؤمناً .

(٢) في (خ) « بُغاث » وهو تصحيف ، ويوم بُعاث : بين الأوس والخزرج في الجاهلية (ابن سعد) جـ ١ ص ٢١٩ ، (أيام العرب في الجاهلية): ص ٧٣ — ٨٤ .

(٣) في (الاستيعاب) جـ ١ ص ٢٣٥ : « فأخبرني من حضر عند موته أنهم لم يزالوا يسمعونه يهلل الله ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات ، فما كانوا يشكون أنه مات مسلماً » و (ابن هشام) جـ ٢ ص ٥٤ .

(٤) في (خ) « يوعدكم » وما أثبتناه من (ابن هشام) جـ ٢ ص ٥٥ .

عُدَس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار ، وعوف بن الحارث بن رفاعة ابن الحارث بن سواد بن مالك بن غَنم (ويقال له : عوف بن عفراء) ، ورافع ابن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق ، وقطبة بن عامر بن حديدة (ويقال : قطبة بن عمرو بن حديدة) بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سَلَمة بن الخزرج ، وعقبة بن عامر بن نابي[1] بن حرام ، وجابر بن عبد الله رياب[2] بن النعمان بن سنان بن عبيد بن عديّ بن غنم بن كعب بن سلمة ، فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا مبادرة إلى الخير .

إسلام الأنصار

ثم رجعوا إلى قومهم بالمدينة فذكروا لهم رسول الله ﷺ ، ودعوهم إلى الإسلام ، فَفَشا فيهم ، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ .

أمر العقبة الثانية

فلما كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر ــ منهم تسعة من الخزرج ، وهم : أسعد بن زرارة ، وعوف بن عفراء ، ورافع بن مالك بن العجلان ، وقطبة بن عامر ، ومعاذ بن الحارث بن رفاعة (أخو عوف بن عفراء) ، وذكوان بن عبد القيس بن خَلَدَة بن مخلد بن عامر بن زريق ، وعبادة بن الصامت ابن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ، ويزيد بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة (ويقال : يزيد بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة من بني فران (بن بلي)[3] ابن عمرو بن الحاف بن قضاعة وكنيته أبو عبد الرحمن ــ وثلاثة من الأوس ، وهم : أبو الهيثم مالك بن التيهان بن مالك بن عبيد بن عمرو بن عبد الأعلم (وكان يقال

(١) في (خ): « ابن ثابي » والتصويب من (ط) وفي ابن هشام : « عقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام » جـ ٢ ص ٥٧ .

(٢) في (خ) « رباب » وفي (ط) « رئاب » وما أثبتناه من (الاستيعاب) جـ ٢ ص ١٠٨ .

(٣) في (خ) ما بين القوسين « من بني » وفي (ط) « بن بلّي » وما أثبتناه من (الاستيعاب) جـ ١١ ص ٦٤ .

لأبي الهيثم : ذو السيفين من أجل أنه كان يتقلد بسيفين في الحرب)، وعويم بن ساعدة بن عائش بن قيس بن النعمان بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف ابن عمرو بن عوف ، والبراء بن معرور[1] بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد ابن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة ـــ فأسلموا .

بيعة العقبة الثانية

وقد كان معه ﷺ حينئذ أبو بكر وعلي رضي الله عنهما ، فبايعوه عند العقبة على الإسلام كبيعة النساء[2] ، وذلك قبل أن يؤمر بالقتال فبعث معهم رسول الله ﷺ مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي القرشي العَبدريّ[3] ، ويقال : وعبد الله بن أم مكتوم ، ليعلّما من أسلم القرآن ويدعوَا[4] إلى الله .

إسلام بني عبد الأشهل

فنزلا بالمدينة على أبي أمامة أسعد بن زرارة فخرج بهما إلى دار بني ظفر ، واجتمع عليهما رجال ممن أسلم ، فأتاهم أسيد بن حضير الكتائب بن سماك بن عتيك بن رافع بن امريء القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس ، وسعد بن معاذ بن النعمان بن امريء القيس ابن زيد بن عبد الأشهل ، وهما سيّدا بني عبد الأشهل . فدعاهما مصعب إلى الإسلام فهداهما الله وأسلما ، ودَعيا قومهما إلى الله ، فما أمسى في دار عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا وقد أسلموا ـــ إلا الأصيرم عمرو بن ثابت بن وَقَش ـــ فإنه تأخر إسلامه إلى يوم أحد .

أول المهاجرين بالمدينة

ويقال : أول من قدم من المهاجرين المدينة مصعب بن عمير ، ثم أتى بعده عمرو

---

(١) في (خ) « بن معر » وما أثبتناه من (ابن هشام) جـ ٢ ص ٦١ .

(٢) بيعة النساء في الآية ١٢ من سورة الممتحنة .

(٣) في (خ) « العبدي » وفي (الإصابة) جـ ٩ ص ٢٠٨ ترجمة رقم ٧٩٩٦ « ابن قصي بن كلاب العبدري » نسبة إلى عبد الدار .

(٤) في (خ) « ليعلمان ، ويدعوان » وهو خطأ من الناسخ ، وما أثبتناه حق اللغة .

ابن أم مكتوم[1] . ولم يزل مصعب بن عمير يدعو إلى الإسلام حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها عِدَّةٌ مسلمون ــ إلا بني أمية بن زيد (وخَطمة) ووائل وواقف ، فإنهم تأخر إسلامهم .

أول من جَمَّع بالمسلمين

وكان مصعب يؤمّ بمن أسلم ، وجمع بهم يوماً وهم أربعون نفساً في هزْم حرة نقيع الخَضمات[2] ، وبهذا جزم أبو محمد بن حزم .

وعند ابن إسحق : أن أول من جمع بهم أسعد بن زرارة ، ثم عاد إلى مكة وأخبر رسول الله ﷺ بمن أسلم ، فسرَّه ذلك .

بيعة العقبة الأخيرة

ثم كانت بيعة العقبة ثانياً وقد وافى الموسم خَلقٌ من الأنصار ما بين مشرك ومسلم ، وزعميهم البراء بن معرور . فتسلل منهم جماعة مستخفين لا يشعر بهم أحد ، واجتمعوا برسول الله ﷺ في ذي الحجة وواعدوه أوسط أيام التشريق بالعقبة وهم ثلاثة وسبعون[3] رجلا وامرأتان هما : أم عمارة نسيبة بنت كعب بن عمرو[4] وأسماء بنت عمر بن عدي بن نابي .

وجاءهم رسول الله ﷺ ومعه عمه العباس ، وهو على دين قومه ، وأبو بكر وعليٌّ رضي الله عنهما ، فأوقف العباس علياً على فم الشِّعب عيناً له ، وأوقف أبا بكر على فم الطريق الآخر عيناً له ، وتكلم العباس أولاً يتوثق لرسول الله ﷺ [فقال : يا معشر الخزرج ، إن محمداً منا حيث علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، وهو في عز ومنعة في بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز

(١) عبد الله بن أم مكتوم ، وعمرو بن أم مكتوم : اسمان لشخص واحد ، يقول ابن حجر في « الإصابة » جـ ٧ ص ٨٣ « وقال ابن سعد : أهل المدينة يقولون : اسمه عبد الله ، وأهل العراق يقولون : اسمه عمرو ، واتفقوا على نسبه » .

(٢) في (خ) « بقيع الخضمات » ، والتصويب من (ابن هشام) جـ ٢ ص ٥٨ .

(٣) « وقال ابن إسحق : إنما شهدها سبعون رجلاً وامرأتان » (تلقيح فهوم أهل الأثر) ص ٤٢٣ .

(٤) في المرجع السابق « أم إبان نُسَيبة بنت كعب » وفي (خ) « نسيبة بنت عمرو بن كعب » ، وفي (ابن هشام) جـ ٢ ص ٦٣ « أم عمارة » .

إليكم واللحوق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم ، فمن الآن فدعوه ، فإنه في عز ومَنَعة من قومه وبلده . قالت الأنصار : قد سمعنا ما قلت ، فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت . فتكلم رسول الله ﷺ فتلا][1] القرآن ورغبهم في الإسلام ، وشرط عليهم أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم . فأخذ البراء بن معرور بيد رسول الله ﷺ وقال : والذي بعثك لنمنعك مما نمنع منه أزرنا[2] ، فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله أهل الحرب . فاعترض الكلام أبو الهيثم بن تيهان فقال : يا رسول الله إننا بيننا وبين الناس حبالا وإنا قاطعوها ، فهل عسيت[3] إن أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ فتبسم ﷺ وقال : أنتم مني وأنا منكم ، أسالم من سالمتم ، وأحارب من حاربتم ، في كلام آخر . وتكلم العباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم ابن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ، فأحسن ما شاء في شد العقد لرسول الله ﷺ فقالوا : ابسط يدك . فبايعوه .

أول من بايع

وكان أوَّلهم مبايعة أبو أمامة أسعد بن زرارة ، وقيل : أو الهيثم بن التَّيهان ، وقيل : البراء بن معرور ، وقيل : إن العباس بن عبد المطلب هو الذي كان يأخذ عليهم البيعة . وكانت بيعتهم على أن يمنعوه ﷺ مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وأزرهم[4] .

أمر النقباء الاثنى عشر

وأقام ﷺ منهم اثنى عشر نقيباً هم : أسعد بن زرارة ، وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امريء القيس بن مالك الأغرّ[5] ، (وعبد الله بن رواحة بن امريء القيس بن ثعلبة بن عمرو بن امريء القيس بن مالك بن ثعلبة

---

(١) هذه التكملة ساقطة من (خ) وأكملناها من ابن هشام جـ ٢ ص ٦٣ .
(٢) الأزر : جمع إزار وهو الثوب ، كناية عن النساء كالفراش ، وقد تكون كناية عن الأنفس .
(٣) يريدون بها الشك ، ورجاء أن لا يكون ذلك .
(٤) الأزر هنا : كناية عن الأنفس .
(٥) في (خ) « الأعز » والتصويب من (ابن هشام) جـ ٢ ص ٦٥ .

ابن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج)[1] ورافع بن مالك بن العجلان ، والبراء بن معرور ، وعبد الله بن عمرو بن حَرَام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة[2] (وهو والد جابر بن عبد الله وقد أسلم ليلتئذ) ، وسعد بن عُبادة بن دُلَيم بن حارثة بن أبي سلمة (ويقال ابن أبي حزيمة) بن ثعلبة ابن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج ، والمنذر بن عمرو بن خنيس ابن حارثة بن لَوازن بن عبد ودّ بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب ابن الخزرج، وعبادة بن الصامت ، فهؤلاء تسعة من الخزرج . ومن الأوس ثلاثة : أسيد بن الحضير ، وسعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النحاط[3] ابن كعب بن حارثة بن غنم بن السَّلم[4] بن امريء القيس بن مالك بن الأوس ، ورفاعة بن عبد المنذر بن زنبر[5] بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف ابن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس (وهو أبو لبابة ، وقيل اسمه مبشر[6] بن عبد المنذر) ، ويقال : بل الثالث من الأوس : أبو الهيثم مالك بن التَّيهان[7] ، وكانت هذه البيعة على حرب الأحمر والأسود[8] ، فلما تمت بيعتهم أستأذنوا رسول الله ﷺ أن يميلوا على أهل منى بأسيافهم ، فقال : لم نؤمر بذلك . فرجعوا وعادوا إلى المدينة .

بدء الهجرة إلى المدينة

واشتد الأذى على من بمكة من المسلمين فأذن لهم رسول الله ﷺ في الهجرة

---

(١) زيادة من المرجع السابق لتمام العدد وهو ساقط من (خ) .
(٢) في (خ) « سليمة » ، والتصويب من المرجع السابق .
(٣) في (خ) « ابن الحارث » والتصويب من المرجع السابق .
(٤) في (خ) « ابن أسلم » والتصويب من المرجع السابق .
(٥) في (خ) « زنبرا ، وفي (ط) « زَنْبَر » وفي المرجع السابق « زنير » وفي (الإصابة) جـ ٣ ص ٢٨٢ يقول ابن حجر في الترجمة رقم ١٩٥٢ : « رفاعة بن زنبر بزاي ونون وموّحدة وزن جعفر . ذكره ابن ماكولا . وقال: له صحبة . واستدركه ابن الأثير ، وأنا أظن أنه رفاعة بن عبد المنذر بن زنبر » . ويقول في جـ ٣ ص ٢٨٤ في الترجمة رقم ١٩٥٨ « رفاعة بن عبد المنذر .. أحد ما قيل في اسم لبابة » .
(٦) في (خ) « بشر » ، وفي (ط) « مبشر » .
(٧) يقول ابن سعد في (الطبقات) جـ ١ ص ٢٢٠ : « ومن الأوس رجلان : أو الهيثم بن التَّيهان من بلِيّ حليفٌ في بني عبد الأشهل ، ومن بني عمرو بن عوف عُويم بن ساعدة » .
(٨) في المرجع السابق : « فأسلموا وبايعوا على بيعة النساء » .

إلى المدينة ، فبادروا إلى ذلك وتجهزوا إلى المدينة في خفاء[1] وستر وتسللوا ، (فيقال : إنه كان بين أولهم وآخرهم أكثر من سنة) وجعلوا يترافدون[2] بالمال والظهر ويترافقون . وكان من هاجر من قريش وحلفائهم (يستودع دوره وماله)[3] رجلا من قومه ، فمنهم من حفظ من أودعه ، ومنهم من باع ، فممن حفظ وديعته[4] هشام بن الحارث بن حبيب ، فمدحه حسان .

أوَّل من هاجر بعد العقبة الأخيرة

وخرج أول الناس أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم[5] ، ومعه امرأته أم سلمة[6] هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، فاحتبست دونه ومنعت من اللحاق به ، ثم هاجرت بعد سنة ، وقيل : بل هاجر أبو سلمة رضي الله عنه قبل العقبة الأخيرة . وقيل : أول من هاجر مصعب بن عمير[7] ثم هاجر عمار بن ياسر ، وسعد بن أبي وقاص ، وابن مسعود ، وبلال ، ثم هاجر عمر بن الخطاب في عشرين راكباً ، ثم تلاحق المسلمون بالمدينة يخرجون من مكة أرسالاً[8] حتى لم يبق بمكة إلا رسول الله ﷺ ، وأبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما ــ أقاما بأمره لهما ــ وإلا من اعتقله المشركون كرهاً .

ائتمار قريش به ﷺ وخروجه واستخلافه علياً

فحذرت قريش خروج رسول الله ﷺ واشتوروا بدار الندوة ، وكانوا خمسة عشر رجلا ، وقيل : كانوا مائة رجل ، أيحسبوه في الحديد ويغلقوا عليه باباً ؟ أو يخرجوه من مكة ؟ أو يقتلوه ؟ ثم اتفقوا على قتله . ويسمى اليوم الذي اجتمعوا

---

(١) في (خ) « خفي » .
(٢) يترافدون : يتعاونون ، والظَّهر : ما يُركب .
(٣) ما بين القوسين زيادة يتم بها المعنى ، وفي (خ) مكان هذه الزيادة « درُره » .
(٤) في (خ) « وداعته » .
(٥) « واسمه عبد الله » (ابن هشام) جـ ٢ ص ٨٠ .
(٦) ثم هي بعد ذلك أم المؤمنين زوج النبي ﷺ .
(٧) ذكره ابن الجوزي في (تلقيح فهوم أهل الأثر) ص ٤٦٧ .
(٨) جمع رَسَل بفتحتين ، أي يتبع بعضهم بعضاً .

فيه يوم الزحمة[١] ، فأعلمه الله بذلك .

فلما كان العتمة اجتمعوا على باب رسول الله ﷺ يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه . فلما رآهم ﷺ أمر علياً بن أبي طالب رضي الله عنه أن ينام على فراشه ويتشح[٢] ببرده الحضرمي الأخضر ، وأن يؤدي ما عنده من الودائع والأمانات ونحو ذلك .

فقام عليٌّ مقامه عليه السلام وغطي ببرد أخضر ، فكان أول من شرى نفسه[٣] وفيه نزلت : ﴿ **ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله** ﴾[٤] وخرج ﷺ وأخذ حفنة من تراب وجعله على رءوسهم وهو يتلو الآيات من : ﴿ **يس * والقرآن الحكيم** ﴾[٥] إلى قوله : ﴿ **فهم لا يبصرون** ﴾[٥] . فطمس الله تعالى أبصارهم فلم يروه ، وانصرف . وهم ينظرون علياً فيقولون : إن محمداً لنائم ، حتى أصبحوا ، فقام علي من الفراش[٦] ، فعرفوه . وأنزل الله تعالى في ذلك : ﴿ **وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك** ﴾[٧] ، وسأل أولئك الرهط علياً رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ فقال : لا أدري ، أمرتموه بالخروج فخرج ، فضربوه وأخرجوه إلى المسجد فحبسوه ساعة ثم (دخلوا عليه)[٨] فأدى أمانة رسول الله ﷺ .

هجرة الرسول وأبي بكر

ولما خرج ﷺ أتى أبا بكر فأعلمه أنه يريد الهجرة . وقد جاء أنه أتى أبا بكر بالهاجرة[٩] وأمره أن يُخرِج مَنْ عِنْدَه ، وأعلمه أن الله قد أذن له في الخروج ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : الصحبة يا رسول الله ؟ قال : الصحبة . فبكى من

(١) راجع (عيون الأثر) جـ ١ ص ١٧٧ .
(٢) كذا في (خ) والصواب : « يتسجى » أي يتغطى .
(٣) في (خ) « بنفسه » ، وشرى نفسه أي باعها .
(٤) الآية ٢٠٧ / البقرة .
(٥) الآيات من ١ — ٩ / يس .
(٦) في (خ) عن الفرس .
(٧) الآية ٣٠ / الأنفال
(٨) كذا في (خ) ولعلها « ثم خلوا عنه » .
(٩) الهاجرة : نصف النهار عند اشتداد الحر (المعجم الوسيط) جـ ٢ ص ٩٧٣ .

الفرح . فاستأجر عبد الله بن أريقط الليثي من بني الدُّئِل من بَني عبد بن عديّ ، ليدلهما على الطريق . وخرجا من خَوخْة[1] في بيت أبي بكر ، ومضيا إلى غار بجبل ثور ، فلم يصعدا الغار حتى قطرت قدما رسول الله ﷺ دماً ، لم يتعود الحِفية ولا الرعية ولا الشقوة[2] ، وعادت قدما أبي بكر كأنهما صفوان .

وعمَّى الله على قريش خبرها فلم يدروا أين ذهبوا . وكان عامر بن فهيرة مولى أبي بكر يريح[3] عليهما غنمه ، وكانت أسماء ابنة أبي بكر رضي الله عنها تحمل لهما الزاد إلى الغار ، وكان عبد الله بن أبي بكر يتسمع لهما ما يقال عنهما بمكة ثم يأتيهما بذلك .

وجاءت قريش في طلبهما إلى ثور وما حوله ، ومرُّوا على باب الغار وحاذت أقدامهم رسولَ الله ﷺ وأبا بكر رضي الله عنه ، وقد نسج العنكبوت وعششت حمامتان على باب الغار ، وذلك تأويل قوله تعالى : ﴿ **إلا تنصُروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيَّده بجنود لم تروها** ﴾[4] .

وبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال : يا رسول الله ، لو أن أحدهم نظر إلى موضع قدميه لرآنا . فقال له : يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ .

وعمَّى الله على قريش ، وقد قفا[5] كرْز بن علقمة بن هلال بن جريبة[6] بن عبد نهم[7] بن حُلَيل بن حُبَشِيَّة أثر النبي ﷺ حتى انتهى إلى الغار ، فرأى عليه نسج العنكبوت ، فقال : ها هنا انقطع الأثر ، فلم يهتدوا إليهما ، ورجعوا فنادوا بأعلى مكة وأسفلها : من قتل محمداً وأبا بكر فله مائة من الإبل .

ويقال : جعلوا لمن جاء بأحدهما أو قتله ديته ، فلما مضت ثلاث لرسول الله ﷺ وأبي بكر وهما في الغار أتاهما دليلهما ، وقد سكن الطلب عنهما ومعهما بعيرهما ، فأخذ رسول الله ﷺ أحدهما من أبي بكر رضي الله عنه بالثمن ، وقد

---

(١) باب صغير كالنافذة .

(٢) الحفية : المشي بغير نعل ، والرِّعية : أرض فيها حجارة ناتئة (المعجم الوسيط) جـ ١ ص ٣٥٦ .

(٣) يريح الإبل والغنم : يردها من العشي إلى مراحلها حيث تأوي ليلاً .

(٤) الآية ٤٠ / التوبة . (٥) قفا الأثر : تتبعه . (٦) في (خ) « حرينة » .

(٧) في (خ) « فهم » والتصويب من (ط) .

كان أبو بكر قد أعدَّهما قبل ذلك ، وأعد جهازه وجهاز رسول الله ﷺ مُنْتَظِراً متى يأذن الله لرسوله في الخروج ، وعلف ناقتيه أربعة أشهر ، فركب رسول الله ﷺ الجدعاء .

وروي في حديث مرسل أن النبي ﷺ قال : مكثت مع صاحبي في الغار بضعة عشر يوماً ، ما لنا طعام إلا البرير (يعني الأراك) ، وخرجا من الغار سحر ليلة الاثنين لأربع خلون من ربيع الأول ، وقيل : أول يوم منه ، وقيل : كانت هجرته في صفر ، وسنه ﷺ ثلاث وخمسون سنة على الصحيح ، وقيل : خمس وخمسون ، وقيل : خمسون ، ومعهما سفرة أتت بها أسماء ابنة أبي بكر . وكان خروجه من الغار في الصبح ، فصلى عليه السلام بأصحابه جماعة ، فكان ﷺ أول من (جمع بالمسلمين في صلاة الفجر)[1] وساروا وقد أردف أبو بكر رضي الله عنه عامر بن فُهيرة ، وسار عبد الله بن أريقط أمامهما على راحلته حتى قالوا يوم الثلاثاء بقديد ، وذلك بعد العقبة بشهرين وليال . وقال الحاكم[2] : بثلاثة أشهر أو قريباً منها ، وقال الليث : حدثني عقيل عن ابن شهاب[3] أنه قال : كان بين ليلة العقبة وبين مهاجرة رسول الله ﷺ ثلاثة أشهر أو قريب منها . كانت بيعة الأنصار رسولَ الله ليلة العقبة في ذي الحجة ، وكان عمره لما هاجر ثلاث وخمسون سنة .

خبر سراقة

ولما مروا بحيّ مدلج بصر بهم سراقة بن مالك بن جُعشم بن مالك بن عمرو ابن تيم بن مدلج[4]، فركب جواده ليأخذهم ، حتى إذا قرب من رسول الله ﷺ

---

(١) بياض في (خ) وما أثبتناه من (ط) .

(٢) المستدرك للحاكم جـ ٢ ص ٦٢٥ .

(٣) هو : ابن شهاب الزهري : عالم الحجاز والشام ، مات سنة (١٢٣ هـ) (ط) ص ٤١ .

(٤) في الإصابة جـ ٤ ص ١٢٧ : ابن مدلج ، بن مرة ، بن عبد مناة بن كنانة الكناني المُدلجي : أسلم يوم الفتح ، ومات في خلافة عثمان سنة أربع وعشرين وهو القائل مخاطباً لأبي جهل :

أبا حكمٍ والله لو كنت شاهداً ... لأمر جوادي إذ تَسُوخ قوائِمُهْ

علمتَ ولم تَشكُكْ بأن محمداً ... رسولٌ ببرهانٍ فمن ذا يُقاوِمُهْ

وذكر السهيلي في الروض الأنف جـ ٢ ص ٢٣٣ وابن كثير في البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٢٨ البيتين السابقين بالزيادة الآتية بعدهما :

=

وسمع قراءته ساخت يدا فرسه في الأرض إلى بطنها ، وكانت أرضاً صلبه ، وثار مَن تحتها مثل الدخان ، فقال : ادع لي يا محمد ليخلصني الله ، ولك علي أن أرد عنك الطلب فدعا له ، فتخلص فعاد يتبعهم ، فدعا عليه الثانية ، فساخت قوائم فرسه أشد من الأول . فقال : يا محمد ، قد علمت أن هذا من دعائك عليّ ، فادع لي ولك عهد الله أن أردَّ عنك الطلب ، فدعا له فخلص ، وقرب من النبي ﷺ وقال : يا رسول الله خذ سهماً من كنانتي فإن إبلي بمكان كذا فخذ منها ما أحببت . فقال : لا حاجة لي في إبلك . فلما أراد أن يعود عنه قال : كيف بك يا سراقة إذا سوِّرت بسواري كسرى ! قال : كسرى بن هرمز ! قال : نعم . وسأل سراقة أن يكتب له رسول الله ﷺ كتاباً ، فكتب له أبو بكر رضي الله عنه ، ويقال : بل كتب له عامر بن فهيرة ، في أديم[1] ورجع يقول للناس : قد كفيتم ما ها هنا ، ويرد عنهم الطلب .

إسلام بريدة وقومه

ولقي رسول الله ﷺ بريدة بن الحصيب الأسلمي في ركب من قومه فيما بين مكة والمدينة وهم يريدون موقع سحابة[2] فأسلموا بعد ما دعاهم إليه ، واعتذروا بقلة اللبن معهم وقالوا : مواشينا شُصص ، أي جافّة[3] وجاءوه[4] بلبن فشربه وأبو بكر ، ودعا لهم بالبركة .

= عليك فكف القــوم عني فإنني — أخال لنا يوماً ستبدي معالمه
بأمر تود النصر فيه فإنهم — وإن جميع الناس طرا مسالمه

وفي رواية أخرى :

عليك بكف القوم عنه فإنني — أرى أمره يوماً ستبدو معالمه
بأمر يود الناس فيه بأسـرهم — بأن جميع الناس طراً يسالمه

وقد قال له رسول الله ﷺ : كيف بك إذا لبست سواري كسرى ؟ قال : فلما أتى عمر بسواري كسرى ومنطقته وتاجه : دعا سُراقة فألبسه ، فقال سراقة : الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هُرمز (من الإصابة بتصرف) .

ونسبه في (خ) « ابن عمرو بن مالك بن تيم » والصواب ما أثبتناه من الإصابة .

(١) الأديم : الجلد المدبوغ يكتب فيه .

(٢) في (خ) « لحاية » .

(٣) في (خ) « حانة » .

(٤) في (خ) « وجاءه أبو بكر بلبن » .

خبر أم معبد

ولقى أيضاً أوس بن حُجر الأسلمي ، فحمله ﷺ على جمل وبعث معه غلاماً له يقال مسعود (بن هُنيدة)[١] ليؤديه إلى المدينة . ومرَّ رسول الله ﷺ بخيمتي أم معبد عاتكة بنت خالد بن خليف[٢] بن منقذ بن ربيعة بن أصرم بن ضبيس بن حرام بن حبشية بن كعب بن عمرو وهو أبو خزاعة ، فقال[٣] عندها . وأراها الله تعالى من آيات نبوته فى الشاة ــ وحلبها لبناً كثيراً وهي حائل[٤] في سنة مجدبة ــ ما بهر عقلها . ويقال : إنها ذبحت لهم شاة وطبختها فأكلوا منها ، وسفّرتهم منها بما وسعته سفرتهم[٥] وبقى عندها أكثر لحمها .

وقالت أم معبد : لقد بقيت الشاة التي مسح رسول الله ﷺ ضرعها إلى عام الرمادة ــ وهي سنة ثماني عشرة من الهجرة ــ وكنا نحلبها صبوحاً[٦]وغبوقاً ، وما في الأرض قليل ولا كثير[٧] .

---

(١) زيادة من (ابن هشام) جـ ٢ ص ٩٨ .

(٢) في (خ) « خفيف » ، وذكر ابن حجر في ترجمة أخيها « حبيش » رقم ١٦٠٣ جـ ٢ ص ٢١٠ « ابن خالد بن سعد منقذ بن ربيعة » .

(٣) من القيلولة ، وهي النوم نصف النهار .

(٤) في (خ) « حافل » وهو خطأ ، والحائل التي لم تحمل سنتين فجفَّ لبنها .

(٥) السُّفْرةُ : طعام يصنع للمسافر وما يُحمَل فيه هذا الطعام (المعجم الوسيط) جـ ١ ص ٤٣٣ .

(٦) الصَّبوح : شراب الصباح (المعجم الوسيط) جـ ١ ص ٥٠٥ .
والغبوق : ما يشرب بالعشي وما يحلب بالعشي (المرجع السابق) جـ ٢ ص ٦٤٣ .

(٧) وذكر أبو نعيم في (دلائل النبوّة) جـ٢ ص ٣٣٧ ، حديث رقم ٢٣٨ :
حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا على بن عبد العزيز ، وحدثنا أبي قال : حدثنا محمد بن محمد بن عقبة الشيباني ، ومحمد بن موسى الحلواني ، وحدثنا أبو حامد بن جبلة ، حدثنا محمد بن إسحاق السراج قال : حدثنا مكرم بن محرز الكعبي الخزاعي ، قال : حدثني أبي محرز بن مهدي ، عن هشام عن أبيه هشام ، عن جده حُبيش بن خالد صاحب رسول الله ﷺ :
أن رسول الله ﷺ حين خرج من مكة ، خرج منها مهاجراً هو وأبو بكر ، ومولى أبي بكر عامر ابن فُهيرة ، ودليلهم الليثي عبد الله بنُ أريقط ، فمروا على خيمتي أُمّ مَعْبد الخزاعية ، وكانت برزة جلدة تحتبي بفناء القبة ، ثم تسقي وتُطعِم ، فسألوها لحماً وتمراً ليشتروا منها ، فلم يُصيبوا عندها شيئاً من ذلك ، وكان القوم مُرملين مسنتين ، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في كسر الخيمة ، فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ قالت : شاة خَلّفها الجَهْدُ عن الغنم ، قال : بها من لبن ؟ قالت : هي أجهدُ من ذلك ، قال : أفتأذنين لي أن أحلبها ؟ قالت : بأبي أنت وأمي ، نعم ، إن رأيت بها حلباً فاحلبها . =

= فدعا رسول الله ﷺ فمسح ضرعها بيده ، وسمى الله عزَّ وجلَّ ، ودعا لها في شاتها ، فتفاجَّتْ عليه ، ودرَّتْ ، واجْترَّتْ ، فدعا بإناء يُريضُ الرَّهط ، فحلب فيها ثجاً ، حتى علاه البهاء ، ثم سقاها حتى رويت ، وسقي أصحابه حتى رووا ، ثم شرب آخرهم ﷺ ثم أراضو .

ثم حلب ثانياً بعد بدء ، حتى ملأ الإناء ، ثم غادره عندها وبايعها ، ثم ارتحلوا عنها ، فقال : ما لبثت إذ جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزاً عجافاً يتساوكن هزلاً ، مخّهنّ قليل ، فلم رآى أبو معبد اللبن عجب وقال : من أين لك هذا ؟ والشاة عازب حائل ، ولا حلوبة في البيت ، قالت : لا والله ، إلا أنه مرَّ بنا رجل مبارك ، من حاله كذا وكذا ، فقال : صِفيه لي يا أمَّ معبد ، قالت : رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة ، حسن الخَلْق ، لم تُعبه ثُجلة ، ولم تزر به صَعْلَة ، وسيم قسيم ، في عينيه دَعَج ، وفي أشفاره عَطَف ، وفي صوته صهَل ، وفي عُنقه سطح ، وفي لحيته كثافة ، أزجُّ أقرن ، إن صمت فعليه الوقار ، وإن تكلم سماه وعلاه البهاء ، أجْمَل الناس وأبهاهم من بعيد ، وأحلاه وأحسنه من قريب ، حلو المنطق ، فصل لا نذر ولا هذر ، كأن منطقه خرزات نظم تحدَّرن ، ربعة ، لا بائن من طول ، ولا تقتحمه عين من قِصَر ، غُصن بين غصنين ، هو أنظرُ الثلاثة منظراً ، وأحسنهم قدراً ، له رفقاء يحفون به ، إن قال أنصتوا لقوله ، وإن أمر تبادروا إلى أمره ، محفود محشودٌ ، لا عابسٌ ولا معتد .

قال أبو معبد : هو والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة ، ولقد هممتُ أن أصحبه ، ولأفعلن إن وجدتُ إلى ذلك سبيلاً . فأصبح صوت بمكة عالياً ، يسمعون ولا يدرون مَنْ صاحبه :

جزى الله ربُّ الناس خير جزائه ... رفيقين قالا خيمتَيْ أم معبدِ
هما نزلا بالهدى واهتدتْ به ... فقد فاز من أمْسَي رفيق محمدِ
فَيَالَ قُصيّ مازوى الله عنهمُ ... به من فعال لا تُجازي وسؤددِ
لِيَهْنِ بني كعب مقام فتاتهم ... ومقعدُها للمؤمنين بمرصدِ
سلو أُختكم عن شاتِها وإنائِها ... فإنكم إن تسألوا الشاة تشهدِ
دعاها بشاة حائلٍ فَتحلَّبَتْ ... عليه صريحاً صُرةُ الشاةِ مُزبدِ
فغادرها رهناً لديها لحالبٍ ... يرددُ في مصدر ثم موردِ

فلما سمع حسّان بن ثابت الأنصاري الهاتف ، شبَّ يُجاوب الهاتف وهو يقول :

لقد خاب قومٌ زال عنهم نبيّهم ... وقدَّس من يسري إليه ويغتدي
ترحَّل عن قوم فضلّتْ عقولهم ... وحلَّ على قوم بنور مجددِ
هداهم بعد الضلالة ربُّهم ... فأرشدهم ، ومن يَتْبَع الحق يَرْشُدِ
وهل يستوي ضُلاَّل قوم تَسفَّهوا ... عِمَايتهم ، هاد به كل مهتدي
وقد نزلت منه على أهل يثربٍ ... ركاب هُدى حلَّت عليهم بأسعدِ
نبي يرى ما يرى الناسُ حوله ... ويتلو كتاب الله في كلِّ مسجد
وإن قال في يوم مقالة غائبٍ ... فتصديقها في اليوم أو في ضحى الغد
لِيَهْنِ أبا بكر سعادة جَدّه ... بصحبته، من يُسعِد الله يَسْعَدِ
ليهن بني كعبٍ مقامُ فتاتهم ... ومقعدها للمؤمنين بَمرْصَدِ

والأبيات باختلاف يسير في (ديوان حسان) ص ٣٧٦ - ٣٧٧ . =

= قال أبو أحمد بن بشر بن محمد : حدثنا عبد بن وهب قال : بلغني أن أم معبد هاجرت وأسلمت ولحقت برسول الله ﷺ ، ورواه أبو أمية محمد بن إبراهيم بن بشر بن محمد مثله :

شرح غريب هذا الحديث :

البّرزة من النساء : الجلدة ، تظهر للناس ويجلس إليها القوم .

مُرْمِلين مُسنتين : المُرمِل : الذي قد نفد زاده ، والمسنتين : هم الذين أصابتهم السَّنَة ، وهي المجاعة .

قال أبو عُبيد : إذا قال : يالَ فلان : فذلك في الاستغاثة بالفتح ، ويالَ المسلمين ، وإذا أراد التعجب والنداء قال : يالِ فلان بالكسرة .

كَسْرُ الخيمة : هو مؤخرها ، وفيه لُغتان : كَسر وكِسر ، وقال بعضهم : الكَسر هو في مقدمة الخيمة .

فتفاجَّت عليه : فرَّجتْ رجليها كما تفعل التى تُحلب .

يُريض الرهط : أي يُنْهِبُهُم مما يجتريهم لكثرته إذا شربوه .

فحلب فيها ثجًّا : يعني سيلاً ، وكذلك كل سيل ، ومنه قوله ﷺ وقد سُئل عن الحج فقال : العجّ والثّجّ ، فالعجّ : رفع الصوت بالتلبية ، والثجّ سيل دماء الهدي .

أراضو : أصل هذا في صبّ اللبن على اللبن ، والمعنى : شُرب لبن صُبَّ على لبن .

غادره عندها : تركه .

يسوق أعنزاً تَساوكْنَ هُزلاً : التَّساوك المشي الضعيف .

والشاة عازب : يعني قد عَزَبْن عن البيت فخرجن إلى المرعى :

الحُيَّل : التي ليست بحوامل ، جمع حائل .

ظاهر الوضاءة : يعني الجمال ، والوضيء : الجميل .

والمتبلّج الوجه : الذي فيه إضاءة ونور .

لم تَعِبْهُ ثُجلَة : معناه عِظَم البطن ، تقول : فليس هو كذلك .

لم تُزرِ به صعلة : تريد صغر الرأس ، يقال : رجل صَعِل .

وسيم قسيم : كلاهما هو الجمال .

في عينيه دَعَج : هو سواد الحدقة ، يُقال : رجل أدعج وامرأة دعجاء .

في أشفاره عطف : وكذلك كل مستطيل مسترسل .

في صوته صَهَل : وهو شبيه بالبَحَح ، وليس بالشديد منه ، ولكنه حسن ، وبذلك توصف الظباء .

في عُنقه سطع : هو الطول ، يقال منه : رجل أسطع وامرأة سطعاء ، وهذا مما يمدح به الناس .

والأزجّ : هو المقوس الحاجبين ، وأما الأقرن : فهو الذي التقى حاجباه بين عينيه .

منطقهُ لا نَزْر ولا هَذْر : فالنزر : القليل ، والهذر : الكثير ، تقول قصدٌ بين ذلك .

لا تقتحمه عينٌ من قصر : تقول : لا تزدريه فتنبذه ، ولكن تقبله وتهابه .

محفود محشود : فالمحفود : المَخْدُوم ، قال تعالى : ﴿ بنين وحفدة ﴾ ، ومحشود : هو الذي قد حشده أصحابه ، وحفّوا حوله ، وأطافوا به ﷺ .

وهذا الحديث أخرجه الحاكم في (المستدرك) ٩/٣ ، من طرق كلها عن حزام بن هشام بسنده وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ثم ذكر ما يستدل به على صحته وصدق رُوَاته .

مقدمهُ إلى المدينة

وكان المهاجرون قد استبطأوا قدوم رسول الله ﷺ ، وبلغ الأنصارَ مخرجُه من مكة وقصده إياهم ، وكانوا كل يوم يخرجون إلى الحرة ينتظرونه فإذا اشتد الحر عليهم رجعوا ، فلما كان يوم الاثنين — الثاني عشر من ربيع الأول على رأس ثلاث عشرة سنة من المبعث — وافى رسول الله ﷺ المدينة حين اشتد الضَّحاء[1] ، ونزل إلى جانب الحرة وقد عاد المهاجرون والأنصار بعد ما انتظروه على عادتهم . فكان بين المبعث إلى أول يوم من المحرم الذي كانت الهجرة بعده اثنتا عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرون يوماً ، وذلك ثلاث وخمسون سنة تامة من أول عام الفيل .

وقيل : قدم ﷺ يوم الاثنين الثامن من ربيع الأول ، وقيل : خرج من الغار يوم الاثنين أول يوم من ربيع الأول ودخل المدينة يوم الجمعة لثنتى عشرة منه حين اشتد الضحاء ، وقيل : دخل لهلال ربيع الأول ، وقيل : يوم الاثنين لليلتين خلتا منه ، وقال ابن شهاب للنصف منه ، وذلك سنة أربع وخمسين من عام الفيل ، وهو اليوم العشرون من أيلول سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة للإسكندر الأكبر (وهو الرابع من تيرماه)[2] .

عمره يوم بعثه وهجرته

وقيل : أقام ﷺ بمكة بعد المبعث عشر سنين ، منها خمس سنين يخفي ما جاء به ، وخمس سنين يعلن بالدعاء إلى الله تعالى . وقيل : بعث وله خمس وأربعون سنة فأقام بمكة عشراً وبالمدينة ثمانياً ، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين ، وهذا قول شاذ . ولم يختلفوا أنه بعث على رأس أربعين سنة من عمره ، وأنه أقام بالمدينة بعد الهجرة عشر سنين ، وإنما اختلفوا في إقامته بمكة بعد ما أوحي إليه ، وأصح ذلك ما رواه سعيد بن جبير ، وعكرمة ، وعمرو بن دينار ، وأبو جمرة نصر بن عمران الضبعي ، عن ابن عباس أنه قال : مكث رسول الله ﷺ ثلاث عشرة سنة[3] ، ووافق ذلك ما رواه على بن الحسين عن أبيه عن عليّ مثل ذلك ، فإن أصح ما قيل : أنه توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة .

---

(١) الضحاء : يرتفع النهار ويشتد وقد الشمس .

(٢) كذا في (خ) ولم أجدها فيما عندي من مراجع . (٣) تاريخ الطبري جـ ٢ ص ٣٨٧ .

أول من رآه من أهل المدينة

وكان أول من بَصُر برسول الله ﷺ رجل من يهود كان على سطح أطم[١] له فنادى بأعلى صوته : يا بني قيلة[٢] ، هذا جدكم الذي تنتظرون ، فخرج الأنصار بالمهاجرين في سلاحهم ، فلقوه وهو مع أبي بكر في ظل نخلة ، وحيُّوا رسول الله ﷺ بتحية النبوة وقالوا : اركبا آمنين ، فركب رسول الله ﷺ[٣] وأبو بكر رضي الله عنه وحفوا حولهما بالسلاح ، فقيل في المدينة : جاء نبيُّ الله فاستشرفوا[٤] نبي الله ﷺ ينظرون إليه ، وأقبل يسير حتى نزل على أبي القيس (كلثوم) بن الهدم بن امريء القيس بن الحارث بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك ابن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري ، وقيل : بل نزل على سعد بن خيثمة ، والأول أثبت .

فجاء المسلمون يسلمون عليه وأكثرهم لم يره بعد ، فكان بعضهم يظنه أبا بكر . حتى قام أبو بكر رضي الله عنه حين اشتد الحر يظلل على رسول الله ﷺ بثوب ، فتحقق الناس حينئذ رسول الله ﷺ .

إقامته بقباء

وأقام في بني عمرو بن عوف الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس ثم خرج يوم الجمعة ، ويقال : بل أقام (بقبـاء)[٥] في بني عمرو بن عوف ثلاثاً وعشرين ليلة ، ويقال : بل أقام بقباء أربع عشرة ليلة ، ويقال : خمساً ، ويقال : أربعاً ، ويقال : ثلاثاً فيما ذكر الدولابي .

إسلام عبد الله بن سلام ومخيريق

وأسس حينئذ مسجد قباء ، وأتاه عبد الله بن سلام فأسلم (ثم أسلم)[٦]

---

(١) الأطُم : الحصن أو البيت المرتفع .

(٢) بنو قيلة : هم الأنصار ، وقيلة : جدة لهم .

(٣) في (خ) « فركب رسول الله ﷺ بتحية النبوة وأبو بكر » وهو خطأ من الناسخ .

(٤) الاستشراف : الخروج للقاء .

(٥) بياض في (خ) .

(٦) زيادة للسياق .

مخيريق اليهودي[1] .

خبر ناقة رسول الله

وركب بأمر الله تعالى وسار على ناقته والناس معه عن يمينه وشماله قد حشدوا ولبسوا السلاح ، وذلك ارتفاع النهار من يوم الجمعة ، فجعل كلما مر بقوم من الأنصار قالوا : هلم يا رسول الله إلى القوة والمنعة والثروة ، فيقول لهم خيراً ، ويقول : دعوها فإنها مأمورة ، وفي رواية : إنها مأمورة خلوا سبيلها فلما أتى مسجد بني سالم جمَّع بمن كان معه من المسلمين ، وهم إذ ذاك مائة ، وقيل : كانوا أربعين ، وخطبهم ، وهي أول جمعة أقامها ﷺ في الإسلام .

أول خطبة للرسول بالمدينة

وكانت أول خطبة خطبها أنه قام فيهم فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : أما بعد أيها الناس ، فقدموا لأنفسكم ، تعلمن والله ليصعقنَّ[2] أحدكم ثم ليدعنَّ غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولنَّ له ربه — ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه : ألم يأتك رسولي فبلغك ؟ وآتيتك مالا وأفضلت عليك ؟ فما قدمت لنفسك ؟ فلينظرنَّ[3] يميناً وشمالاً فلا يرى شيئاً ، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم ، فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشقةٍ من تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة فإن بها تجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف . والسلام على رسول الله ورحمة الله وبركاته .

منزله على أبي أيوب الأنصاري

ثم ركب ناقته فلم تزل سائرة به ، وقد أرخى زمامها ، حتى جاءت دار بني

---

(١) في (عيون الأثر) جـ ١ ص ٢٠٨ : « قال ابن إسحق : وكان حبراً عالماً غنياً كثير الأموال ، وكان يعرف صفة رسول الله ﷺ بصفته وما يجد من علمه » .
وفي المرجع السابق : « وقال الواقدي : كان مخيريق أحد بني النضير ، حبراً عالماً فآمن برسول الله ﷺ وجعل ماله له وهو سبعة حوائط » أي بساتين .

(٢) يعني يخر ميتاً أو كالميت .

(٣) في (خ) فلينظر . والتصويب من (ابن هشام) جـ ٢ ص ١٠٥ .

النجار ــ موضع مسجده الآن ــ فبركت ثم نهضت وسارت قليلا ثم التفتت ورجعت فبركت في موضعها الأول .

وقيل : إن جبّار بن صخر من بني سلمة ــ وكان من صالحي المسلمين ــ جعل ينخسها لتقوم منافسة لبني النجار أن ينزل رسول الله ﷺ عندهم فلم تقم ، فنزل ﷺ عنها ، وحمل أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف[1] بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري رَحْلَ رسول الله ﷺ إلى منزله ، وجاء أسعد بن زرارة فأخذ بزمام راحلة رسول الله ﷺ فكانت عنده .

أول ما أهدي إليه

وأول هدية أتته قصعة مثرودة خبزاً وسمناً ولبناً جاءه بها زيد بن ثابت من عند أمه ، فأكل وأصحابه . ثم جاءت قصعة سعد بن عبادة وفيها عُراق[2] لحم . فأقام في بيت أبي أيوب سبعة أشهر ، وما كانت تخطئه جَفنة سعد بن عبادة وجفنة أسعد ابن زرارة كل ليلة ، وجعل بنو النجار يتناوبون حمل الطعام إليه[3] مقامه في منزل أبي أيوب ، وبعثت إليه أم زيد بن ثابت بثردة مروّاة سمناً ولبناً ، ونزل أسامة بن زيد مع رسول الله ﷺ في دار أبي أيوب .

مسجده وحُجره

واشترى ﷺ موضع مسجده وكان مربداً[4] لسهل وسهيل ابني عمرو ــ وكانا يتيمين في حجر أسعد بن زرارة ــ بعشرة دنانير ، وفي الصحيح أن بني النجار بذلوه لله تعالى ، فبناه مسجده المعروف الآن بالمدينة . وبنى الحجر لأزواجه بجانب المسجد وجعلها تسعاً : بعضها مبني بحجارة قد رُصّت ، وسقفها من جريد مطين بطين ، ولكل بيت حجرة ، وكانت حجرته ﷺ أكسية من شعر مربوطة في خشب من عَرْعَرْ[5] .

---

(١) في (خ) : « عبد مناف » ، وما أثبتناه من (ط) .
(٢) العراق : عظام عليها لحوم رقيقة طيبة .
(٣) في (خ) عليه .
(٤) كل مكان أو فناء تحبس فيه الإبل يسمى (مربداً) .
(٥) العرْعرْ : جنس أشجار وجنبات من الصنوبريات (المعجم الوسيط) جـ ٢ ص ٥٩٥ .

منزل أبي بكر

ونزل أبو بكر رضي الله عنه بالسُّنْح على خبيب بن إساف (ويقال : يساف) ابن عتبة بن عمرو بن خديج بن عامر بن جشم بن الحارث بن الخزرج (بن الأوس)[1] الأنصاري ، وقيل : على خارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك بن امريء القيس بن مالك الأغرّ .

مقدم عليّ ومنزله

وقدم علي رضي الله عنه من مكة للنصف من ربيع الأول ورسول الله بقباء لم يرِم[2] بعد وقدم معه صهيب . وذلك بعد ما أدى عليٌّ عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده ، وبعدما كان يسير الليل ويكمن النهار حتى تفطرت[3] قدماه ، فاعتنقه النبي ﷺ وبكى رحمة لما بقدميه من الورم ، وتفل في يديه وأمرَّهما على قدميه فلم يشتكهما بعد ذلك حتى قتل رضي الله عنه .

ونزل على كلثوم بن الهِدْم ، وقيل : على امرأة ، والراجح أنه نزل مع النبي ﷺ .

منزل عثمان

ونزل عثمان بن عفان برقية ابنة رسول الله ﷺ في منزل سعد بن خيثمة ، وكان ﷺ يأتيهم هنالك .

بعثة زيد بن حارثة إلى مكة

وبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة وأبا رافع إلى مكة ، ودفع إليهما بعيرين وخمسمائة درهم أخذها من أبي بكر يشتريان بها ما يحتاجان إليه .

وبعث أبو بكر معهما عبد الله بن أريقط الديلي ببعيرين أو ثلاثة ، وكتب إلى عبد الله بن أبي بكر أن يحمل أهله : أم رومان ، وعائشة ، وأسماء . فاشترى زيد

---

(١) زيادة للإيضاح لأنه من الأوس لا من الخزرج .

(٢) من رام يريم : برح وفارق ، وأكثر ما يستعمل منفياً .
(٣) تشققت .

بالخمسمائة ثلاثة أبعرة بقَدَيْد[1] ، وقدم مكة فإذا طلحة بن عبيد الله يريد الهجرة ، فقدما المدينة على رسول الله ﷺ بابنتيه : فاطمة ، وأم كلثوم ، وبزوجته سودة بنت زمعة ، وبأسامة بن زيد ، وأمه أم أيمن رضي الله عنهم .

وكانت رقية ابنة رسول الله ﷺ قد (هاجر)[2] بها عثمان رضي الله عنها قبل ذلك . وحبس أبو العاصي زوجته زينب بنت رسول الله ﷺ . وخرج مع زيد وأبي رافع عبد الله بن أبي بكر بعيال أبي بكر رضي الله عنه .

موادعة يهود

ووادع[3] رسول الله ﷺ مَنْ بالمدينة مِنْ يهود ، وكتب بذلك كتاباً ، وأسلم حبرهم عبد الله بن سلام بن الحارث ، وكفر عامتهم وهم ثلاث فرق : بنو قينقاع ، وبنو النضير ، وبنو قريظة .

المؤخاة بين المهاجرين والأنصار

وآخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار ــ وقد أتت لهجرته ثمانية أشهر ــ فكانوا يتوارثون بهذا الإخاء في ابتداء الإسلام إرثاً مقدَّماً على القرابة . وكان الذين آخى بينهم تسعين رجلاً : خمسة وأربعين من المهاجرين ، وخمسة وأربعين من الأنصار ، ويقال : خمسين من هؤلاء وخمسين من هؤلاء ، ويقال : إنه لم يبق من المهاجرين أحد إلا آخى بينه وبين أنصاريّ .

وقال ابن الجوزي : « وقد أحصيت جملة من آخى النبي بينهم ، فكانوا مائة وستة وثمانين رجلا » ذكرهم في كتاب التلقيح[4] ، وكانت المؤاخاة بعد مقدمه بخمسة أشهر ، وقيل : بثمانية أشهر .

نسخ توارث المؤاخاة وفرض الزكاة

ثم نسخ التوارث بالمؤخاة بعد بدر . ونزل تمام الصلاة أربعاً بعد شهر من مقدم

---

(١) قديد : موضع قرب مكة (معجم البلدان) جـ ٤ ص ٣١٣ .

(٢) مطموسة في (خ) .

(٣) في (خ) : « وأودع » .

(٤) في (خ) : «النقيج» ، واسمه « تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير » ، أو « تلقيح فهوم أهل الآثار في مختصر التاريخ والأخبار » .

رسول الله ﷺ المدينة ، فتمت صلاة المقيم أربعاً بعد ما كانت ركعتين ، وأقرت صلاة المسافر ركعتين ، وفرضت الزكاة أيضاً ــ رفقاً بالمهاجرين رضي الله عنهم ــ في هذا التاريخ ، كما ذكره أبو محمد بن حزم ، وقال بعضهم : إنه أعياه فرض الزكاة متى كان .

تحوله من بيت أبي أيوب إلى حجره

وتحول ﷺ من منزل أبي أيوب رضي الله عنه إلى حُجره لما فرغت ، بعد إقامته عنده سبعة أشهر ، وخط لأصحابه في كل أرض ليس لأحد ، وفيما وهبت له الأنصار من خططها ، وأقام قوم من المسلمين ــ لم يمكنهم البناء ــ بقباء على من[1] نزلوا عنده .

زواجه عائشة

وبنى بعائشة رضي الله عنها بعد مقدمه بتسعة أشهر ، وقيل : بثمانية أشهر ، وقيل : بثمانية عشر شهراً في يوم الأربعاء من شوال ، وقيل : في ذي القعدة ، بالسنح في بيت أبي (بكر)[2] .

الأذان للصلوات وتمام الصلاة

وأري عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه (الأذان للصلوات)[2] ، وقيل : كان ذلك في السنة الثانية .

وبعد شهر من مقدمه المدينة زيد في صلاة الحضر لاثنتي عشرة خلت من ربيع ، قال الدولابي : يوم الثلاثاء ، وقال السهيلي : بعد الهجرة بعام أو نحوه .

فرض القتال

ولما استقر رسول الله ﷺ بالمدينة بين أظهر الأنصار رضي الله عنهم وتكفلوا بنصره ومنعه من الأسود والأحمر ، رمتهم العرب قاطبة عن قوس واحدة وتعرضوا لهم من كل جانب .

---

(١) في (خ) « ما » .
(٢) ساقطة من (خ) .

وكان الله عز وجل قد أذن للمسلمين في الجهاد بقوله تعالى : ﴿ **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير** ﴾[1] ، فلما صاروا إلى المدينة ، وكانت لهم شوكة وعضد ، كتب الله عليهم الجهاد بقوله سبحانه : ﴿ **كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾[2] .

أول لواء عقد بعد فرض القتال

وكان أول لواء عقده رسول الله ﷺ ــ على رأس سبعة أشهر من مقدمه إلى المدينة ــ لعمه حمزة بن عبد المطلب على ثلاثين راكباً ، شطرين : خمسة عشر من المهاجرين ، وخمسة عشر من الأنصار ، إلى ساحل البحر من ناحية العيص[3] (وقيل : لم يبعث ﷺ أحداً من الأنصار حتى غزا بنفسه إلى بدر ، وذلك أنه ظن أنهم لن ينصروه إلا في الدار ، وهو الثَّبْت)[4] .

سرية حمزة إلى سيف البحر

فبلغوا سيف البحر يعترضون عيراً لقريش قد جاءت من الشام تريد مكة ، فيها أبو جهل في ثلاثمائة راكب . فالتقوا واصطفوا للقتال ، فمشى بينهم مجدي بن عمر (الجهني)[5] حتى انصرف الفريقان بغير قتال ، وعاد حمزة رضي الله عنه بمن معه إلى رسول الله ﷺ فأخبروه بما حجز بينهم مجديّ ، وأنهم رأوا منه نصفة[6] . (وقدم رهط مجدي على النبي ﷺ فكساهم وذكر مجدي بن عمرو فقال : إنه ــ ما علمت ــ ميمون النقيبة مبارك الأمر ، أو قال : رشيد الأمر) .

وكان لواء حمزة أبيض ، يحمله أبو مرثد كَنَّاز[7] بن حصين ، ويقال ابن حصن بن يربوع بن عمرو بن يربوع بن خرشة بن سعد بن طريف الغنوي .

---

(١) الآية ٣٩ / الحج .

(٢) الآية ٢١٦ / البقرة ، وفي (خ) ، إلى قوله تعالى : « خير لكم » .

(٣) موضع في بلاد بني سُليم به ماء ويقال له ذنبان العيص (معجم البلدان) جـ ٤ ص ١٧٣ .

(٤) الثَّبْتُ : الصحيح . (٥) زيادة للإيضاح من (ط) . (٦) إنصافاً .

(٧) في (خ) (كعاد) وفي (ط) (كناز) وفي (تلقيح الفهوم) ص ٤٨ « وحامله أبو مرثد كدّاز بن الحصين الغنوي حليف حمزة بن عبد المطلب » .

سرية عبيدة بن الحارث إلى بطن رابغ

ثم عقد لواءاً أبيض لعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف[1] وبعثه ، وهو أسفل ثنية المرة[2] ، على رأس ثمانية أشهر في شوال ، فحمل اللواء مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف ، فخرج في ستين راكباً من قريش كلهم من المهاجرين ، فلقي مكْرز بن حفص ، وقيل : عكرمة بن أبي جهل ، وقيل : أبا سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف على ماء يقال له أحياء من بطن رابغ ، وأبو سفيان في مائتين .

أول من رمى في الإسلام بسهم

وكان أول من رمى في الإسلام بسهم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه[3] : نثر كنانته وتقدم أمام أصحابه وقد ترسوا عنه فرمى بما في كنانته ، وكان فيها عشرون سهماً ، ما منها سهم إلا ويجرح إنساناً أو دابة ، ولم يكن بينهم يومئذ إلا هذا ، لم يسلُّوا سيفاً . ثم انصرف كل منهما ، وفر يومئذ من الكفار إلى المسلمين : المقداد ابن الأسود الكندي ، وعتبة بن غزوان . وقيل : إن لواء عبيدة[4] هذا هو أول لواء عقده رسول الله ﷺ .

سرية سعد بن أبي وقاص إلى الخرار

[ثم عقد][5] ﷺ لواءاً لسعد بن أبي وقاص إلى الخرار[6] حمله أبو معبد المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة بن مطرود بن عمرو بن سعد البهراني[7] [وهو المقداد بن الأسود ، نسبةً إلى الأسود بن عبد يغوث بن وهب

(١) في (خ) « عبد مناف » مكررة مرتين وهو خطأ من الناسخ .

(٢) « الثنية في الأصل كل عقبة في الجبل مسلوكة » وثنية المرة بأسفلها ماء الحجاز (معجم البلدان) جـ ٢ ص ٨٥ .

(٣) (تلقيح الفهوم) ص ٤٦٥ .

(٤) في (خ) « أبي عبيدة » .

(٥) بياض في (خ) .

(٦) في (خ) «الخرا» ، وفي (معجم البلدان) جـ ٢ ص ٣٥٠ : « الخَرَّار : موضع بالحجاز يقال : هو قرب الجحفة ، وقيل : واد من أودية المدينة ، وقيل : ماء بالمدينة ، وقيل : موضع بخيبر » .

(٧) نسبة إلى البهراء من غير قياس (هامش ط) ص ٥٣ .

ابن عبد مناف لأنه كان تبناه] فخرج في ذي القعدة على رأس تسعة أشهر في عشرين أو أحد وعشرين رجلا من المهاجرين على أقدامهم ، وقيل : بل كانوا ثمانية ، فكانوا يكمنون النهار ويسيرون الليل حتى صبحوا صبح خمس الخرار[1] من الجحفة قريباً من خُمٍ ، يريدون عير قريش ففاتتهم .

وقد جعل الواقدي هذه السرايا جميعها في السنة الأولى من الهجرة ، وجعلها محمد بن إسحاق في السنة الثانية ، وجعل غزوة ودان بعد سرية سعد بن أبي وقاص .

غزوة رسول الله : ودان ــ الأبواء

ثم غزا رسول الله ﷺ [ودان][2] وهو جبل بين مكة والمدينة ، بينه وبين الأبواء ستة أميال ، فخرج في صفر على رأس أحد عشر شهراً يعترض عيراً لقريش ، واستخلف على المدينة سعد بن عبادة رضي الله عنه ، فبلغ الأبواء ، فلم يلق كيداً ، فوادع بني ضمرة [بن بكر][3] بن عبد مناة بن كنانة مع سيدهم مخشي[4] بن عمرو ــ على ألا يكثروا عليه ولا يعينوا عليه أحداً ، وكتب بينه وبينهم[5] كتاباً ورجع ، فكانت غيبته خمس عشرة ليلة . ويقال لهذه أيضاً : غزاة الأبواء ، وهي أول غزاة غزاها رسول الله ﷺ بنفسه . وكان لواء رسول الله ﷺ في هذه الغزاة أبيض يحمله حمزة رضي الله عنه .

زواج علي فاطمة بنت رسول الله ﷺ

وفي صفر هذا زوج رسول الله ﷺ ابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه بابنته فاطمة عليها السلام .

غزوة بواط

ثم كانت غزوة بواط من ناحية رضوى في ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر

---

(١) في (خ) « الخزار » وخُم : واد بين مكة والمدينة عند الجحفة . (معجم البلدان) جـ ٢ ص ٣٨٩ .

(٢) بياض في (خ) .

(٣) زيادة من (ابن هشام) جـ ٢ ص ١٧٠ .

(٤) في (خ) « مجدي » والتصويب من المرجع السابق .

(٥) في (خ) « وبينه » .

شهراً [من مهاجره][1] ، فخرج ﷺ يعترض عيراً لقريش فيها أمية بن خلف ومائة رجل من قريش ، وألفان وخمسمائة بعير . وخرج معه ﷺ مائتان من أصحابه وحمل لواءه سعد بن أبي وقاص ، واستخلف على المدينة سعد بن معاذ ، وقيل : السائب بن عثمان بن مظعون ، ورجع ولم يلق كيداً .

غزوة سفوان ، وهي بدر الأولى

ثم خرج ﷺ في ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهراً [من مهاجره][2] في طلب كرز بن جابر الفهري ــ وقد أغار على سرح المدينة ، وكان يرعى بالجماء ونواحيها ــ حتى بلغ وادياً يقال له سَفَوان من ناحية بدر ولم يدركه ، وهي بدر الأولى . وكان يحمل اللواء علي رضي الله عنه ، واستخلف على المدينة زيد بن حارثة ، ويقال : كانت سفوان بعد العشيرة بنحو عشر ليال .

غزوة العشيرة

[ثم غزا غزوة][2] العُشَيرة[3] في جمادى الآخرة ، ويقال جمادى الأولى على رأس ستة عشر شهراً [من مهاجره][4] خرج ﷺ يعترض عيراً لقريش حين أبدأت[5] إلى الشام ، ومعه خمسون ومائة رجل ، ويقال : خرج معه مائتا رجل ، يتعقبون ثلاثين بعيراً ، واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد ، وحمل اللواء حمزة . وكان قد جاءه ﷺ الخبر بفصول[6] العير من مكة تريد الشام ، قد جمعت قريش أموالها في تلك العير . فبلغ ﷺ ذا العشيرة[7] ببطن ينبع ، فأقام بقية الشهر

---

(١) ساقطة من (خ) والتصويب من (تلقيح الفهوم) ص ٤٩. (٢) بياض في (خ).

(٣) كذا في (خ) ، وفي (المغازي) جـ ١ ص ١٢ « ذي العُشَيرة » ، وفي (التلقيح) ص ٥٠ « ذات العشيرة » « ويقال بالسين » .

وفي « ابن هشام » : جـ ٢ ص ١٧٦ « ويقال فيها أيضاً العسيرة والعسيراء ، وفي البخاري أن قتادة سئل عنها فقال : « العشير » .

والعشيرة « من ناحية ينبع بين مكة والمدينة » معجم البلدان جـ ٤ ص ١٢٧ .

(٤) زيادة للإيضاح .

(٥) في (خ) « أبدت » والصواب « أبدأت » بمعنى خرجت من أرض غيرها .

(٦) الفصول : مصدر فَصل بمعنى خرج ، قال تعالى : ﴿ ولما فصلت العير ﴾ ٩٤ / يوسف .

(٧) في (خ) « العشراء » .

وليالي مما بعده ، وصالح بني مدلج وحلفاءهم بني ضمرة ، ورجع و لم يلق كيداً . وهذه هي العير التى خرج في طلبها ﷺ لما عادت وكانت وقعة بدر .

تكنية علي بن أبي طالب أبا تراب

وفي هذه السفرة كنى رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه أبا تراب ، في قول بعضهم ، وقد مر به نائماً تسفي عليه الريح التراب فقال : قم يا أبا تراب ، ألا أخبرك بأشقى الناس أجمعين : عاقر الناقة ، والذي يضربك على هذا فيخضب هذه ! [يعني على رأسك فيخضب لحيتك بدمك] وفي صحيح البخاري : أن رسول الله ﷺ وجده في المسجد نائماً وقد ترب جنبه فجعل يمسح[1] التراب عن جنبه ويقول : قم أبا تراب[2] .

سرية عبد الله بن جحش إلى نخلة

ثم كانت سرية أميرها عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة ابن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسدي إلى بطن نخلة [وهو بستان ابن عامر الذي يقرب مكة][3] في رجب على رأس سبعة عشر شهراً ، دعاه ﷺ حين صلى العشاء فقال : واف مع الصبح معك سلاحك أبعثك وجهاً ، قال : فوافيت الصبح وعليّ سيفي وقوسي وجعبتي ومعي درقتي ، فصلى النبي ﷺ بالناس الصبح ثم انصرف ، فيجدني قد سبقت واقفاً عند بابه ، وأجد نفراً من قريش ، فدعا رسول الله ﷺ أبي بن كعب فدخل عليه فأمره فكتب كتاباً[4] ، ثم دعاني فأعطاني صحيفة من أديم خولاني[5] فقال : قد استعملتك على هؤلاء النفر ،

---

(١) في (خ) « تحت » .

(٢) « قال ابن إسحق : وقد حدثني بعض أهل العلم : أن رسول الله ﷺ إنما سمى علياً أبا تراب : أنه كان إذا عتب على فاطمة في شيء لم يكلمها ولم يقل لها شيء تكرهه ، إلا أنه يأخذ تراباً فيضعه على رأسه » (ابن هشام) جـ ٢ ص ١٧٨ .

(٣) (معجم البلدان) جـ ٥ ص ٢٧٨ .

(٤) (المغازي) جـ ١ ص ١٣ « فأمره ﷺ وكتب كتاباً » .

(٥) « خولان : من مخاليف اليمن » ، « وقرية قرب دمشق » ، فلعل الأديم منسوب إلى أحدهما (معجم البلدان) جـ ٢ ص ٤٠٧ .

فامض ، حتى إذا سرت ليلتين فانشر كتابي ثم امض لما أنت فيه[١] ، قلت : يا رسول الله أي ناحية ؟ قال : اسلك النجدية تؤم[٢] ركبة[٣] فانطلق عبد الله في ثمانية ــ وقيل : اثنى عشر من المهاجرين ــ كل اثنين يتعاقبان بعيراً ، حتى إذا كان ببئر ابن ضميرة نشر الكتاب فإذا فيه : سر حتى تأتي بطن نخلة على اسم الله وبركاته ، ولا تكرهن أحداً من أصحابك على المسير معك ، وامض لأمري فيمن تبعك حتى تأتي بطن نخلة على اسم الله وبركاته : فترصد بها عير قريش . فلما قرأه عليهم قالوا أجمعين : نحن سامعون مطيعون لله ولرسوله ولك ، فسر على بركة الله . فسار حتى جاء نخلة فوجد عيراً لقريش فيها عمرو بن الحضرمي خارجاً نحو العراق ، والحكم بن كيسان المخزومي ، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومي ، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي ، فهابهم أصحاب العير ، وأنكروا أمرهم ، فحلق عكاشة ابن محصن بن حرثان بن قيس بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسدي [حلقهُ عامر بن ربيعة] ثم وافى ليطمئن القوم . فقال المشركون : لا بأس ! قومٌ عُمَّار[٤] ، فأمنوا وقيدوا ركابهم وسرحوها ، وتشاور المسلمون في أمرهم ــ وكان آخر يوم من رجب ويقال أول يوم من شعبان[٥] فقالوا : إن تأخرتم عن هذا اليوم دخلوا الحُرم[٦] فامتنعوا ، وإن أصبتموهم ففي الشهر الحرام . فغلب على الأمر الذين يريدون عرض الدنيا وقاتلوهم . فرمى واقد[٧] بن عبد الله [بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد ابن مناة بن تميم التميمي اليربوعي الحنظلي] عمرو بن الحضرمي فقتله . وشد القوم عليهم ، فأسروا عثمان بن عبد الله بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وحكم ابن كيسان– وكان الذي أسر الحكم بن كيسان المقداد بن عمرو ، فدعاه رسول الله إلى الإسلام فأسلم وقتل ببئر معونة شهيداً . وأعجزهم نوفل بن عبد الله بن

(١) (المغازي) جـ ١ ص ١٣ « ثم امض لما فيه » . (٢) تؤُم : تقصد .
(٣) في (خ) « ركيه » وفي المغازي « ركية ، وركبة » بين مكة والطائف « معجم البلدان » جـ ٣ ص ٦٣ .
(٤) عُمَّار : معتمرون يريدون أداء العمرة .
(٥) في (الكامل) جـ ٢ ص ١١٤ « آخر يوم من رجب » وفي (المغازي) جـ ١ ص ١٤ « وكان آخر يوم من رجب ويقال : آخر يوم من شعبان » وفي (ابن سعد) جـ ٢ ص ١٠ « وشكوا في ذلك اليوم أهو من الشهر الحرام أم لا ؟ » وفي (ابن هشام) جـ ٢ ص ١٧٩ « وذلك في آخر يوم من رجب » .
(٦) أي الأشهر الحرم .
(٧) في (خ) « وافد » .

المغيرة ـــ واستاقوا العير ـــ وكانت محملة خمراً وأدماً وزبيباً ـــ حتى قدموا على النبي ﷺ . فقالت قريش : قد استحل محمد الشهر الحرام . فأوقف النبي ﷺ العير فلم يأخذ منها شيئاً ، وحبس الأسيرين ، وقال لأصحابه : ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام ، فسُقط[1] في أيديهم وظنوا أنهم قد هلكوا .

وبعثت قريش إلى النبي ﷺ في فداء أصحابهم فقال : لن نفديهما حتى يقدم صاحبانا ، يعني سعد بن أبي وقاص ، وعتبة بن غزوان بن جابر بن وهب بن نسيب[2] بن زيد بن مالك بن الحارث بن عوف [بن الحارث] بن مازن المازني ، وكانا زميلين ، فَضَلّ ببجران[3] (وهي ناحية معدن بني[4] سليم) بعيرهما ، فأقاما يومين يبغيانه فلم يشهدا نخلة .

ثم قدما المدينة ففادى رسول الله ﷺ حينئذ الأسيرين بأربعين أوقية لكل واحد ، وكان عبد الله بن جحش قد قسم في رجوعه من نخلة أربعة أخماس ما غنم بين أصحابه ، وعزل الخمس لرسول الله ﷺ .

أول خمس وأول غنيمة وأول قتيل وأول أسير

فكان أول خُمْسٍ خُمِّسَ في الإسلام ، وأول غنيمة ، وأول قتيل وأول أسير كان في الإسلام ويقال : إن رسول الله ﷺ وقف غنائم أهل نخلة حتى رجع من بدر فقسمها مع غنائم أهل بدر ، وأعطى كل قوم حقهم[5] .

وفي هذه الغزاة نزل قول الله تعالى : ﴿ **يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾[6] .

---

(١) « سُقِط في أيديهم » : ندموا على ما فعلوا « انظر الآية ١٤٩ / الأعراف » .

(٢) في (خ) « لسيب » . (٣) في (خ) « بحران » . (٤) في (خ) « ابن سليم » .

(٥) (ابن سعد) جـ ٢ ص ١١ .

(٦) الآية ٢١٧ / البقرة ، وفي (خ) إلى قوله تعالى : ﴿ **قتال فيه كبير** ﴾ .

ويقال ودى[١] رسول الله ﷺ عمرو بن الحضرمي ، والصحيح أنه لم يده .

أول من سمي أمير المؤمنين في الإسلام

وفي هذه السرية سمي عبد الله بن جحش أمير المؤمنين .

وذكر أبو بكر بن شيبة في مصنفه : حدثنا أبو أمامة ، عن مجالد ، عن زياد ابن علاقة[٢] عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جاءت جهينة فقالت : إنك قد نزلت بين أظهرنا فأوثق لنا حتى نأمنك[٣] وتأمنّا ، فأوثق لهم ولم يسلموا[٤] فبعثنا رسول الله ﷺ في رجب ـــ ولا نكون مائة ـــ وأمرنا أن نغير على حي من كنانة إلى جنب جهينة . قال : فأغرنا عليهم ، وكانوا كثيراً فلجأنا إلى جهينة [فمنعونا][٥] وقالوا : لم تقاتلون في الشهر الحرام ، فقال بعضنا لبعض : ما ترون ؟ فقالوا : نأتي رسول الله فنخبره ، وقال بعضنا : لا بل نقيم ها هنا ، وقلت أنا ، في أناس معي : لا بل نأتي عير قريش هذه فنصيبها[٦] ، فانطلقنا إلى العير ـــ [وكان الفيء إذ ذاك ـــ من أخذ شيئاً فهو له ـــ فانطلقنا إلى العير][٧] وانطلق أصحابنا إلى النبي ﷺ فأخبروه الخبر ، فقام غضبان محمراً وجهه فقال : أذهبتم[٨] من عندي جميعاً وجئتم متفرقين ! إنما أهلك من كان قبلكم الفرقة . لأبعثن عليكم رجلا ليس بخيركم ، أصبركم على الجوع والعطش . فبعث علينا عبد الله بن جحش الأسدي فكان أول أمير [أمر][٩] في الإسلام .

أول ما نسخ من الشريعة

تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة

وفي شعبان على رأس ستة عشر شهراً ، وقيل : على رأس سبعة عشر

---

(١) وديه : أعطى ديته لوليه (المعجم الوسيط) جـ ٢ ص ١٠٢٢ .

(٢) حديث زياد عن سعد بن أبي وقاص حديث مرسل لأنه لم يدرك سعداً ، وقد مات سنة ١٣٥ وقد قارب المائة . (هامش ط) ص ٥٨ .

(٣) في (المسند) جـ ١ ص ١٧٨ « حتى تأتيك » .

(٤) المرجع السابق « فأسلموا » .

(٥) زيادة من المرجع السابق .

(٦) المرجع السابق « فنقتطعها » .

(٧) زيادة للإيضاح من المرجع السابق .

(٨) في (خ) « ذهبتم » والتصويب من (المسند) .

(٩) زيادة من المرجع السابق .

شهراً[1] ، حولت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ، فكان أول شيء نسخ من الشريعة القبلة[2] ، وأول من صلى إليها أبو سعيد رافع ، ويقال : الحارث ، ويقال : أوس بن المعلى بن نفيع بن المعلى بن لوذان بن خالد بن زيد بن ثعلبة الزرقي الأنصاري وصاحب له[3] . ثم صلى رسول الله ﷺ بالناس الظهر إليها يومئذ .

ويقال حولت القبلة في يوم الاثنين النصف من رجب بعد زوال الشمس ، قبل قتال بدر بشهرين ، ورسول الله ﷺ في مسجد بني سلمة[4] ، وقد صلى بأصحابه من صلاة الظهر ركعتين ، فتحول في صلاته واستقل الميزاب من الكعبة ، وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال ، فسمي المسجد « مسجد القبلتين » . ويقال : صرفت في الظهر من يوم الثلاثاء للنصف من شعبان سنة اثنتين في منزل البراء بن معرور ، وقيل : صرفت في صلاة الصبح .

فرض صيام رمضان وزكاة الفطر

وفي شعبان هذا فرض صوم رمضان وزكاة الفطر قبل العيد بيومين ، وقال ابن سعد : قبل فرض زكاة الأموال ، وقيل : إن الزكاة فرضت فيها ، وقيل : قبل الهجرة . وكان المسلمون يصومون عاشوراء ، فلما فرض رمضان لم يؤمروا بصيام عاشوراء ولم ينهوا عنه .

غزوة بدر الكبرى

وفي شهر رمضان هذا كانت غزوة بدر ، وهي الوقعة العظيمة التي فرق الله

---

(١) القول الأول ذكره الطبري بسنده عن سعيد بن المسيب ، والقول الثاني ذكره أيضاً بسنده عن البراء . راجع (تفسير الطبري) جـ ٢ ص ٣ ، و (تفسير القرطبي) ص ٥٣٢ ، ٥٣٣ (ط. الشعب) وذكر ابن كثير في (البداية والنهاية) جـ ٣ ص ٢٥٢ « في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً » .

(٢) راجع (تفسير القرطبي) ص ٥٣٤ .

(٣) ذكر ابن سيد الناس في (عيون الأثر) جـ ١ ص ٢٣٨ أن « عباد بن نهيك بن إساف الشاعر بن عدي ابن زيد بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو النبيت بن مالك الأوس » « هو الذي صلى مع النبي ﷺ القبلتين في الظهر ركعتين إلى بيت المقدس وركعتين إلى الكعبة يوم صرفت القبلة ، ثم أتى قومه بني حارثة وهم ركوع في صلاة العصر فأخبرهم بتحويل القبلة فاستداروا إلى الكعبة .

(٤) في (خ) « بني سليمة » .

تعالى فيها بين الحق والباطل ، وأعز الإسلام ودَمَغ الكفر وأهله .

ما فيها من دلائل النبوة

وجمعت الآيات الكثيرة والبراهين الشهيرة : بتحقيق الله ما وعدهم من إحدى الطائفتين ، وما أخبرهم به من ميلهم إلى العير دون الجيش ، ومجيء المطر عند الالتقاء ، وكان للمسلمين نعمة وقوة ، وعلى الكفار بلاء ونقمة ، وإمداد الله المؤمنين بجند من السماء حتى سمعوا أصواتهم حين قالوا : أقدم حَيْزوم ، ورأوا الرءوس ساقطة من الكواهل من غير قطع ولا ضرب ، وأثر السياط في أبي جهل وغيره ، ورمى الرسول ﷺ المشركين بالحصى والتراب حتى عمَّت رميته الجمع ، وتقليل الله المشركين في عيون المسلمين ليزيل عنهم الخوف ويشجعهم على القتال ، وإشارة المصطفى ﷺ إلى مصارع المشركين بقوله : هذا مصرع فلان ، وهذا مصرع فلان ، فرأى المسلمون ذلك على ما أشار إليه وذكره ، وقوله عليه الصلاة والسلام لعقبة بن أبي معيط : إن وجدتك خارج جبال مكة قتلتك صبراً[1] فحقق الله ذلك ، وإخباره عمه العباس بما استودع أم الفضل من الذهب ، فزالت عن العباس رضي الله عنه الشبهة في صدقه وحقيقة نبوته ، فازداد بصيرة ويقيناً في أمره ﷺ ، وتحقيق الله للمؤمنين [من الأسرى][2] وعده إذ يقول : ﴿ **إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم** ﴾[3] ، فأعطى العباس بدل عشرين أوقية ـــ عشرين غلاماً تجروا بماله ، وإطلاع الله تعالى رسوله ﷺ على ائتمار عمير ابن وهب وصفوان بن أمية بمكة على قتله عليه السلام فعصمه الله من ذلك ، وجعله سبباً لإسلام عمير بن وهب وعوده إلى مكة داعياً للإسلام ... إلى غير هذا من الآيات والمعجزات التي أعطاها الله تعالى لرسوله ﷺ ، وأراها من معه من المؤمنين فزادتهم بصيرة ويقيناً ، ورد عين قتادة بعد ما سالت على حدقته ، وقيل : كان ذلك في وقعة أحد . فكانت غزوة بدر أكرم المشاهد .

أول الخروج إلى بدر

وذلك أن رسول الله ﷺ لما تحين انصراف العير التي خرج من أجلها إلى

(١) قتله صبراً : حبسه حتى مات (المعجم الوسيط) جـ ١ ص ٥٠٦ .
(٢) زيادة من (ط) .
(٣) من الآية ٧٠ / الأنفال .

العُشَيرة وإقبالها من الشام ، ندب أصحابه للخروج إلى العير وأمر من كان ظهره[1] حاضراً بالنهوض ، ولم يحتفل لها احتفالا كبيراً ، وكان قد بعث طلحة بن عبيد الله ابن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة القرشي التيمي ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قُرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي القرشي العدوي قبل خروجه من المدينة بعشر ليال يتحسسان[2] خبر العير فبلغا التجبار[3] من أرض الحوراء[4] فنزلا على كشد[5] الجهني فأجارهما وأنزلهما وكتم[6] عليهما حتى مرت العير ، ثم خرج بهما يخفرهما حتى أوردهما ذا المروة ، فقدما المدينة ليخبرا رسول الله ﷺ خبر العدو فوجداه قد خرج . وكان قد ندب المسلمين وخرج بمن معه يوم السبت الثاني عشر من رمضان بعد تسعة عشر شهراً من مهاجره ، [وقيل : خرج لثمان خلون من رمضان وذلك بعد ما وجه طلحة بن عبد الله وسعيد بن زيد بعشر ليال] فخرج معه المهاجرون وخرجت الأنصار ولم يكن غزا بأحدٍ منهم قبل ذلك .

فنزل بالبُقع [ويقال لها بئر أبي عنبة ، وهي على ميل من المدينة] ، والتقيا على أربع مراحل من المدينة ، وهي بيوت السقيا ، يوم الأحد لثنتي عشرة خلت من رمضان .

عرض المقاتلة وردّ الصغار

فضرب عسكره هناك وعرض المقاتلة[7] ، فرد عبد الله بن عمرو ، وأسامة بن

---

(١) الظهر : ما يُركب .

(٢) في (خ) « يتحسسان » . وفي (تاريخ الطبري) جـ ٢ ص ٤٣٣ « يتجسسان » ، وفي (المغازي) جـ ١ ص ١٩ والتحسس بالحاء : أن تتسمع الأخبار بنفسك ، والتجسس بالجيم : هو أن تفحص عنها بغيرك ، وفي الحديث : « لا تجسسوا ولا تحسسوا » (ابن هشام) جـ ٢ هامش ص ١٨٢ .

(٣) كذا في (ط) وفي (ابن سعد) جـ ٢ ص ١١ .

(٤) الحوراء : مرفأ سفن مصر إلى المدينة ، وفي قول الأصمعي : ماء لبني نبهان من طيء قرب ماءٍ يقال له القلب لبني ربيعة من بني نُمير (معجم البلدان) جـ ٢ ص ٣١٦ وفي (المغازي) « بالنخبار » جـ ١ ص ١٩ .

(٥) في (خ) « كشد » بالشين والدال (والمغازي) جـ ١ ص ١٩ وفي الإصابة جـ ص ٢٨٧ « كسد » بالسين المهملة ترجمة رقم ٧٣٩٨ .

(٦) في (خ) « وكتمه » .

(٧) في (خ) « المقابلة » .

زيد ، ورافع بن خديج بن رافع بن عدي بن زيد بن جُشم الأنصاري الخزرجي[1] ، والبراء بن عازب بن حارث بن عدي بن جشم بن مجدعة[2] بن حارثة بن الحارث بن الخزرج الأنصاري [الأوسي][3] الحارثي ، وأسيد بن حضير ابن سماك بن عتيك بن رافع بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل الأنصاري الأشهلي ، وزيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك الأغرّ الأنصاري الخزرجي ، وزيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عوف بن غَنْم بن مالك بن النجار الأنصاري النجاري ، ولم يجزهم . وعرض عمير بن أبي وقاص فاستصغره فقال : ارجع ، فبكى ، فأجازه . فقتل ببدر وهو ابن ست عشرة سنة .

وأمر ﷺ أصحابه أن يستقوا من بئر السقيا وشرب من مائها ، وصلى عند بيوت السقيا .

دعاؤه لأهل المدينة وتحريم حرمها

ودعا يومئذ لأهل المدينة فقال : اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك دعاك لأهل مكة ، وإني محمد عبدك ونبيك أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم في صاعهم ومُدهم[4] وثمارهم ، اللهم وحبب إلينا المدينة ، واجعل ما بها من الوباء بُخم[5] ، اللهم إني حرمت ما بين لابتيها كما حرم إبراهيم خليلك مكة .

عيونه وخروج المسلمين إلى المشركين

وقَدِم على رسول الله ﷺ عدي بن أبي الزغباء سنان بن سبيع بن ثعلبة بن ربيعة الجهني ، وبَسْبَس بن عمرو بن ثعلبة بن خرشة بن عمرو بن سعد بن ذبيان

---

(١) رافع هذا « أوسيّ » « وليس خزرجيّ » ، وترجمته رقم ١٨٠٢ في الإصابة جـ ٣ ص ٣٦ كما يلي : « رافع بن خديج بن رافع بن عدي بن زيد بن جُشَم بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسيّ الحارثي » .

(٢) قال في (الإصابة) « ولم يذكر ابن الكلبي في نسبه مجدعة وهو أصوب » جـ ١ ص ٢٣٤ ترجمة رقم ٦١٥ .

(٣) زيادة للإيضاح .

(٤) الصاع والمدّ من المكاييل.

(٥) خُمّ : على ميلين من الجُحفة .

الذبياني [الجهني][1] من بيوت السقيا .

واستخلف على المدينة وعلى الصلاة عبد الله بن أم مكتوم ، وراح عشية الأحد من بيوت السقيا ، وخرج المسلمون معه وهم ثلاثمائة وخمسة ، ويقال كانت قريش ستة وثمانين رجلا ، والأنصار مائتين وسبعة وعشرين رجلاً . وقيل : كانت قريش ثلاثة وسبعين رجلا ، والأنصار أربعين ومائتي رجل ، وتخلف عنه ثمانية ضرب لهم بسهامهم وأجورهم .

هذا الحديث رواه محمد بن حرب ، حدثنا الليث بن سعد ، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن عمرو بن سليم الزرقي ، عن عاصم بن عمرو ، عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بالسقيا التي كانت لسعد بن أبي وقاص قال رسول الله ﷺ ائتوني بوضوء ، فلما توضأ قام فاستقبل القبلة ثم كبر ثم قال : اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك دعا لأهل مكة بالبركة ، وأنا محمد عبدك ورسولك أدعو لأهل المدينة أن تبارك لهم في مدهم وصاعهم مثل ما باركت لأهل مكة مع البركة بركتين .

قلة الظَّهر يوم بدر ودعاؤه للمقاتلة

وكانت الإبل سبعين بعيراً ، فكانوا يتعاقبون الإبل ــ الاثنين والثلاثة والأربعة ــ فكان رسول الله ﷺ ، وعلي بن أبي طالب ، ومرثد بن أبي مرثد ، ويقال : زيد بن حارثة مكان مرثد[2] ، يتعاقبون بعيراً واحداً . وحمل سعد بن عبادة على عشرين جملاً ، وقال ﷺ حين فصل[3] من بيوت السُّقْيا : « اللهم إنهم حفاة فاحملهم ، وعراة فاكسهم ، وجياع فأشبعهم ، وعالة[4] فأغنهم من فضلك ، فما رجع أحد منهم يريد أن يركب إلا وجد ظهراً ، للرجل البعير والبعيران ، واكتسى من كان عارياً ، وأصابوا طعاماً من أزوادهم[5] ، وأصابوا فداء الأسرى فاغتنى به كل عائل .

---

(١) ، (٢) كذا في (المغازي) جـ ١ ص ٢٤ .

(٣) فَصَل : رَحَل .

(٤) العالة : جمع عائل وهو الفقير .

(٥) الأزواد : جمع زاد وهو الطعام .

تعبئة الجيش وعَدُّه

واستعمل رسول الله ﷺ على المشاة وهم في السَّاقة[1] قيس بن أبي صعصعة عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول ، وأمره حين فصل من السقيا أن يَعُدّ المسلمين ، فوقف لهم عند بئر أبي عنبة فعدهم ثم أخبر النبي ﷺ ، وقدَّم أمامه عينين له إلى المشركين يأتيانه بخبر عدوه ، وهما بَسَبس بن عمرو ، وعدي بن أبي الزغباء ـــ وهما من جهينة حليفان للأنصار ـــ فانتهيا إلى ماء بدر فعلما الخبر ، ورجعا إلى رسول الله ﷺ . وسلك من السقيا بطن العقيق حتى نزل تحت شجرة بالبطحاء ، فقام أبو بكر رضي الله عنه فبنى مسجداً فصلى فيه رسول الله ﷺ ، وأصبح يوم الاثنين ببطن ملل . وقال لسعد بن أبي وقاص ، وهو بتربان : يا سعد ، انظر إلى الظبي ففوِّق له بسهم[2] ، وقام ﷺ فوضع ذقنه بين منكبي سعد وأذنيه ، ثم قال : ارم ! اللهم سدد رميته . فما أخطأ سهم سعد عن نحر الظبي ، فتبسم ﷺ ، وخرج سعد يعدو فأخذه وبه رمق فذكاة[3] وحمله حتى نزل قريباً ، فأمر به رسول الله ﷺ فقُسم بين أصحابه[4] .

أفراس المسلمين ببدر

وكان معهم فَرَسان ، فرس لمرثد بن أبي مرثد الغنوي ، وفرس للمقداد بن عمرو ابن ثعلبة البهراني ، ويقال : فرس للزبير ، ولم [يكن معهم][5] إلا فرسان ، ولا خلاف أن المقداد له فرس يقال له « سَبْحة » ، ويقال لفرس مرثد « السَّيْل » ولحقت قريش بالشام في عيرها[6] .

(١) الساقة : مؤخرة الجيش (المعجم الوسيط) جـ ١ ص ٤٦٤ .

(٢) في (المغازي) جـ ١ ص ٢٦ « فأفوِّق له بسهم » ، واستغربه محقق (ط) .

(٣) الذكاة : الذبح أو النحر (المعجم الوسيط) جـ ١ ص ٣١٤ .

(٤) الخبر بتمامه في (المغازي) جـ ١ ص ٢٦ ، ٢٧ ، وقد قال محقق (ط) أنه لم يجد هذا الخبر فيما بين يديه من كتب .

(٥) زيادة للبيان ، ونصُّ الواقدي : « ولم يكن إلا فرسان » (المغازي) جـ ١ ص ٢٧ .

(٦) قال (ابن هشام) جـ ٢ ص ٢٢٤ : « وحدثني بعض أهل العلم أنه كان مع المسلمين يوم بدر من الخيل فرس مرثد بن أبي مرثد الغنوي ، وكان يقال له السَّيْل ، وفرس المقداد بن عمرو البهراني ، وكان يقال له بَعْزجة ، ويقال : سَبْحة ، وفرس الزبير بن العوَّام وكان يقال له اليعسوب » ، « ومع المشركين مائة فرس » .

عير قريش وما فيها

وكانت العير ألف بعير فيها أموال عظام، ولم يبق بمكة قرشي ولا قرشية له مثقال فصاعداً إلا بعثت به في العير، فيقال: إن فيها لخمسين ألف دينار، ويقال: أقل. فأدركهم رجل من جذام بالزرقاء من ناحية مَعَان[1] — وهم منحدرون إلى مكة — فأخبرهم أن محمداً ﷺ قد كان عرض لعيرهم في بدأتهم، وأنه تركه مقيماً ينتظر رجعتهم وقد حالف عليهم أهل الطريق ووادعهم.

خوف أصحاب العير وإرسالهم إلى مكة يستنجدون

فخرجوا خائفين الرَّصَد، وبعثوا ضمضم بن عمرو حين فصلوا من الشام — وكانوا قد مروا به وهو بالساحل معه بكران فاستأجروه بعشرين مثقالاً — وأمره أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية أن يخبر قريشاً أن محمداً قد عرض لعيرهم، وأمره أن يجدّع[2] بعيره إذا دخل مكة، ويحول رحلة[2]، ويشق قميصه من قبله ودبره[2]، ويصيحَ: الغوث الغوث، ويقال: بعثوه من تبوك. وكان في العير ثلاثون رجلاً من قريش فيهم عمرو بن العاص ومخْرَمَةْ بن نوفل فلم يُرع أهلُ مكة إلا وضمضم يقول: يا معشر قريش، يا آل لؤي بن غالب، اللطيمة[3]، قد عرض لها محمد في أصحابه، الغوث الغوث، والله ما أرى أن تدركوها. وقد جدَّع أذني بعيره، وشق قميصه، وحوَّل رحله.

تأهب قريش لنجدة العير

فلم تملك قريش من أمرها شيئاً حتى نفروا على الصعب والذلول، وتجهزوا في ثلاثة أيام، ويقال في يومين، وأعان قويُّهم ضعيفَهم. وقام سهيل بن عمرو، وزمعة بن الأسود، وطعيمة بن عدي، وحنظلة بن أبي سفيان، وعمرو بن أبي سفيان، يحضون الناس، فقال سهيل: يا آل غالب، أتاركون أنتم محمداً

---

(١) الزرقاء: موضع بالشام بناحية مَعَان، ... وهي أرض شبيب التبعي الحميري، (معجم البلدان) جـ ٣ ص ١٣٧.

(٢) أي يقطع أذنيه إنذاراً بالشّر، وهذا كله من عاداتهم في الإنذار بالشّر.

(٣) اللطيمة: عير تحمل المسك والبَز وغيرهما للتجارة (المعجم الوسيط) جـ ٢ ص ٨٢٧ وفي (البداية والنهاية) جـ ٣ ص ٢٥٨ «اللطيمة اللطيمة».

والصباة[١] من أهل يثرب يأخذون عيراتكم وأموالكم ؟ من أراد مالاً فهذا مال ، ومن أراد قوة فهذه قوة . فمدحه أمية بن [أبي][٢] الصلت بأبيات ، ومشى نوفل ابن معاوية الديلي إلى أهل القوة من قريش فكلمهم في بذل النفقة والحملان لمن خرج ، فقال عبد الله بن أبي ربيعة : هذه خمسمائة دينار فضعها حيث رأيت. وأخذ من حويطب بن عبد العزى مائتي دينار وثلاثمائة دينار قوّى بها في السلاح والظهر ، وحمل طُعيمة بن عدي على عشرين بعيراً وقواهم وخلفهم في أهله بمعونة ، وكان لا يتخلف أحد من قريش إلا بعث مكانه بعيثاً ، ومشوا إلى أبي لهب فأبى أن يخرج أو يبعث أحداً ، ويقال : إنه بعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة ـــ وكان له عليه دين ـــ فقال اخرج ، وديني لك ، فخرج عنه[٣] . [وكان الدين أربعة آلاف درهم][٤] .

استقسامهم بالأزلام وكراهية الخروج إلى بدر

واستقسم أميَّة بن خلف وعتبة وشيبة عند هُبل بالآمر والناهي من الأزلام فخرج القِدْح[٥] الناهي عن الخروج . وأجمعوا[٦] المقام حتى أزعجهم أبو جهل ، واستقسم زمعة بن الأسود فخرج الناهي ، وكذلك خرج لعمير بن وهب ، وخرج حكيم ابن حزام وهو كاره لمسيره ، وقد خرج له القِدْحُ الناهي ، فلما نزلوا مرَّ الظهران[٧] نحر أبو جهل جُزُراً[٨] ، فكانت جزور منها بها حياة فما بقي خباء من أخبية العسكر إلا أصابه من دمها . وأخذ عدَّاس[٩] يخذل شيبة وعتبة ابني ربيعة

---

(١) جمع « صاب » غير مهموز ، كقاضي وقضاة ، فقد كانت قريشٌ تُسمِّي النبي ﷺ الصابيء ، والمسلمين الصباة .

(٢) زيادة للبيان والتصويب .

(٣) (المغازي) جـ ١ ص ٣٣ .

(٤) زيادة من تاريخ الطبري جـ ٢ ص ٤٣٠ « بتصرف » .

(٥) القِدْح : قطعة من الخشب كانت تستعمل في الميسر ، الاستقسام هو إطاعة ما يخرج في هذه القداح من أمر أو نهي . (المعجم الوسيط) جـ ٢ ص ٧١٧ بتصرف .

(٦) في (خ) « أجمعوا » وفي المغازي « فأجمعوا » جـ ١ ص ٣٣ ، وأجمعوا : عزموا .

(٧) في (خ) « من الظهران » ومرّ الظهران : موضع على مرحلة من مكة (معجم البلدان) جـ ٥ ص ١٠٤ .

(٨) جُزُر : جمع جزور ، وهي الناقة المحورة .

(٩) هو غلام نصراني كان لعتبة وشيبة ابنا ربيعة . والتخذيل : تثبيط الناصر عن النُّصرة .

عن الخروج ، والعاصي بن منبِّه بن الحجاج . وأبى أمية بن خلف أن يخرج فأتاه عقبة ابن أبي معيط وأبو جهل فعنَّفاه ، فقال : ابتاعوا لي أفضل بعير في الوادي ، فابتاعوا له جملاً بثلاثمائة درهم من نَعَم بني قُشَير فغنمه المسلمون[1] . وما كان أحد منهم أكره للخروج من الحارث بن عامر .

رؤيا ضَمْضَم وعاتكة بنت عبد المطلب

ورأى ضمضم بن عمرو أن وادي مكة يسيل دماً من أسفله وأعلاه ، ورأت عاتكة بنت عبد المطلب رؤياها التي ذكرت في ترجمتها[2] . فكره أهل الرأي المسير

(١) « فصار في سهم خُبيب بن إساف » (المغازي) جـ ١ ص ٣٦ .

(٢) هي عاتكة بنت عبد المطلب بن هاشم ، عمَّةُ النبي ﷺ ، كانت زوج أبي أمية بن المغيرة والد أم سلمة زوج النبي ﷺ ، ورزقت منه عبد الله وقريبة ، وغيرهما .

قال أبو عمر : اختُلف في إسلامها ، والأكثر يأبون ذلك ، وفي ترجمة أروى : ذكرها العقيلي في الصحابة ، وكذلك ذكر عاتكة .

وأما ابن إسحاق فذكر أنه لم يُسلم من عماته ﷺ إلا صفية . وذكرها ابن فتحون في ذيل الاستيعاب ، واستدل على إسلامها بشعر لها تمدح فيه النبي ﷺ وتصفه بالنبوة .

وقال الدارقطني في كتاب الإخوة : لها شِعْر تذكر فيه تصديقها ، ولا رواية لها .

وقال ابن منده – بعد ذكرها في الصحابة : روت عنها أم كلثوم بنت عقبة ، ثم ساق من طريق محمد بْن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف ، عن الزهري ، عن حُميد بن عبد الرحمن ابن عوف ، عن أم كلثوم بنت عقبة ، عن عاتكة بنت عبد المطلب ، قصة المنام الذي رأته في وقْعَة بدر .

وذكر الزبير بن بكار أنها شقيقة أبي طالب وعبد الله . وقال ابن سعد أسلمت عاتكة بمكة ، وهاجرت إلى المدينة ، وهي صاحبة الرؤيا المشهورة في قصة بدر .

قال ابن إسحاق : فأخبرني من لا أتهم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، ويزيد بن رومان ، عن عروة ابن الزبير ، قالا : وقد رأتْ عاتكة بنت عبد المطلب ، قبل قدوم ضَمْضَم مكة بثلاث ليال ، رؤيا أفْزَعتْها ، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له : يا أخي ، والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتني ، وتخوفْتُ أن يدخل على قومك منه شرّ ومصيبة ، فاكتُم عني ما أحدّثك به ؛ فقال لها : وما رأيت ؟ قالت : رأيتُ راكباً أقبل على بعيرٍ له ، وحتى وقف بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفروا يا لَغُدُر لمصارعكم في ثلاث ، فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه .

فبينا هم حوله مَثَل به بعيره على ظهر الكعبة ، صرخ بمثلها : ألا انفروا يا لَغُدُر لمصارعكم في ثلاث : ثم مثل به بعيره على رأس أبي قُبَيْس ، فصرخ بمثلها ، ثم أخذ صخرة فأرسلها ، فأقبلتْ تهوي ، حتى إذا كانت بأسفل الجبل أرفضّت ، فما بقي بيتٌ من بيوت مكة ، ولا دار إلا دَخَلَتْها منه فلقة .

قال العباس : والله إن هذه لرؤيا ، وأنت فاكتميها ، ولا تذكريها لأحد ، ثم خرج العباس ، فلقي الوليد بن عُتبة بن ربيعة – وكان صديقاً له – فذكرها له ، واستكتمه إياها ، فذكرها الوليد لأبيه عتبة ، =

ومشى بعضهم إلى بعض ، فكان من أبطئهم عن ذلك الحارث بن عامر ، وأمية ابن خلف وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وحكيم بن حزام ، وأبو البختري ، وعلي بن أمية بن خلف ، والعاص بن منبه ، حتى بكتهم أبو جهل بالجبن ، وأعانه عقبة بن أبي معيط ، والنَّضْر بن الحارث بن كلدة ، فأجمعوا المسير .

خروج قريش والمطعمون في طريقهم

وخرجت قريش بالقيان والدِّفاف يغنين في كل منهل وينحرون الجزُر وهم تسعمائة وخمسون مقاتلاً . وكان المطعمون : أبو جهل ، نحر عشراً ــ وأمية بن خلف ، نحر تسعاً ــ وسهيل بن عمرو بن عبد شمس أخو بني عامر بن لؤي ، نحر عشراً ــ وشيبة بن ربيعة ، نحر عشراً ــ ومنبه ونبيه ابنا الحجاج ، نحرا عشراً ــ والعباس بن عبد المطلب ، نحر عشراً ــ وأبو البختري العاص بن هشام بن الحارث ابن أسد ، نحر عشراً . وذكر موسى بن عقبة أن أول من نحر لقريش أبو جهل بن هشام بمرّ الظهران ، عشر جزائر ــ ثم نحر لهم صفوان بن أمية بعسفان تسع جزائر ــ ثم نحر لهم سهيل بن عمرو بقُديد ، عشر جزائر ــ ومضوا من قُديد إلى مَنَاة من البحر[1] فظلوا فيها وأقاموا يوماً ، فنحر لهم شيبة بن ربيعة تسع جزائر ــ ثم أصبحوا بالجحفة فنحر لهم عتبة بن ربيعة عشر جزائر ــ ثم أصبحوا بالأبواء فنحر لهم قيس بن قيس[2] تسع جزائر ــ ثم نحر عباس بن عبد المطلب

= ففشا الحديث بمكة حتى تحدثت به قريش في أنديتها .

شرح غريب هذا الحديث :

مثل به بعيره : قام به .

يا لَغُدُر : بضم الغين والدال ، جمع غدور ، تحريضاً لهم ، أي إن تخلفتم فأنتم غُدُر لقومكم ، وفُتِحَتْ لامُ الاستغاثة ، لأن المنادي قد وقع موقع الاسم المضمر ، ولذلك بُني ، فلما دخلتْ عليه لامُ الاستغاثة – وهي لام الجَرّ فُتحتْ كما تُفتحُ لام الجرّ إذا دخلتْ على المضمرات .

أبي قُبَيْس : اسم جبل ، سُمّي باسم رجل هلك فيه من جرهُم ، اسمه : قُبَيْس بن شالخ .

أرفضَّتْ : تفتَّتتْ .

(الإصابة جـ٨ ص ١٣ ترجمة رقم ١١٤٥١ ، (الاستيعاب) جـ٤ ص ١١٧٧٨ ، (ابن هشام) جـ٣ ص ١٥٣ – ١٥٤ .

(١) مناة : صخرة كانوا يعظمونها ويعبدونها .

(٢) أخو سُليم بن قيس (ذكره ابن سعد) جـ ٣ ص ٤٨٩ .

عشر جزائر ـــ ثم نحر لهم الحارث بن عامر بن نوفل تسعاً ـــ ثم نحر لهم أبو البختريّ على ماء بدر عشر جزائر ـــ ونحر مقيس السهمي على ماء بدر تسعاً ـــ ثم شغلتهم[1] الحرب فأكلوا من أزوادهم[2] .

عدة أفراسهم وإبلهم

وقادوا مائة فرس عليها مائة دارع سوى دروع في المشاة ، وكانت إبلهم سبعمائة بعير ، وهم كما ذكر الله تعالى عنهم بقوله : ﴿ **ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط** ﴾[3] وأقبلوا في تجمل عظيم وحنق زائد على رسول الله ﷺ وأصحابه لما يريدون من أخذ عيرهم ، وقد أصابوا من قبل عمرو بن الحضرمي والعير التي كانت معه .

وصول عير قريش إلى بدر

وأقبل أبو سفيان بالعير ومعها سبعون رجلا منهم مخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص ، فكانت عيرهم ألف بعير تحمل المال ، وقد خافوا خوفاً شديداً حين دنوا من المدينة واستبطأوا ضمضم بن عمرو والنفير[4] ، فلما كانت الليلة التي يصبحون فيها على ماء بدر ، جعلت العير تقبل بوجوهها إلى ماء بدر ـــ وكانوا باتوا[5] من وراء بدر آخر ليلتهم وهم على أن يصبِّحوا بدراً إن لم يُعترض لهم ـــ فما انقادت لهم العير حتى ضربوها بالعُقُل[6] ، وهي ترجع الحنين تزاور[7] إلى ماء بدر ـــ وما

(١) في (خ) « شغلهم » .
(٢) ذكره ابن قتيبة في (المعارف) ص ١٤٥ « أسماء المطعمين من قريش في غزوة بدر : العباس بن عبد المطلب ، وعتبة بن ربيعة ، والحارث بن عامر بن نوفل ، وطعيمة بن عديّ ، وأبو البختري ابن هشام ، وحكيم بن حزام ، والنضر بن الحارث بن كلدة ، وأبو جهل بن هشام ، وأمية بن خلف ، ومنبه ونبيه ابنا الحجاج ، وسهيل بن عمرو ، فنزل فيهم : ﴿ **إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يُغلبون** ﴾ (من الآية ٣٦/الأنفال) .
(٣) آية ٤٧ / الأنفال ، وفي (خ) ﴿ **ورئاء الناس** ﴾ الآية .
(٤) النفير : القوم ينفرون للقتال . (المعجم الوسيط) جـ ٢ ص ٩٤٠ .
(٥) في (خ) « بتوا » .
(٦) في (خ) « العفل » والتصويب من (المغازي) جـ ١ ص ٤٠ والعُقُل : جمع عقال ، وهو الرباط الذي تربط به قوائم الدابة .
(٧) في (خ) « تزاوداً » ولعل الصواب ما أثبتناه . وتزاور : أي تميل بأعناقها وتعدل . =

بها إلى الماء حاجة ، لقد شربت بالأمس ــ وجعل أهل العير يقولون : هذا شيء ما صنعته معنا منذ خرجنا ، وغشيتهم تلك الليلة الظلمة حتى ما يبصر أحد منهم شيئاً . فأصبح أبو سفيان ببدر قد تقدم العير وهو خائف من الرصد ، فضرب وجه عيره فسَاحَل بها[1] ، وترك بدراً يساراً وانطلق سريعاً ، وأقبلت قريش من مكة ينزلون كل منهل ، يطعمون الطعام من أتاهم وينحرون الجُزْر . وهَمَّ عتبةُ وشيبةُ أن يرجعا ثم مضيا وقد عنفهما أبو جهل .

رؤيا جهيم بن الصلت

فلما كانوا بالجحفة رأى جهيم بن الصلت بن مخرمة بن المطلب بنِ عبد مناف في منامه رجلاً أقبل على فرس معه[2] بعير حتى وقف عليه فقال : قُتِل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وزمعة بن الأسود ، وأمية بن خلف ، وأبو البختري ، وأبو الحكم ، ونوفل بن خويلد ، في رجال سماهم . وأسِر سهيل بن عمرو ، وفرَّ الحارث بن هشام ، وقائل يقول : والله إني لأظنكم[3] إلى مصارعكم ، ثم رآه كأنه ضرب في لَبَّةِ[4] بعيره فأرسله في العسكر فما بقي خباء من أخبية العسكر إلا أصابه بعض دمه .

فشاعت هذه الرؤيا في العسكر ، فقال أبو جهل : هذا نبيٌّ آخر من بَني المطلب : سيعلم غداً من المقتول ، نحن أو محمداً وأصحابه .

نجاة عير قريش وإصرار النفير على البقاء ببدر

وأتاهم قيس بن امريء القيس من أبي سفيان يأمرهم بالرجوع ، ويخبرهم أن قد نجت عيرهم : فلا تُجزروا[5] أنفسكم أهل يثرب ، فلا حاجة لكم فيما وراء ذلك ، إنما خرجتم لتمنعوا العير وأموالكم ، وقد نجاها الله . فعالج قريشاً فأبت الرجوع وردوا القيان من الجحفة . وقال أبو جهل : لا والله لا نرجع حتى نرد بدراً فنقيم

= قال تعالى : ﴿ وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ﴾ من الآية ١٧ / الكهف . أي تميل .

(١) أي قصد بها الساحل .

(٢) في (ط) « ومعه » .

(٣) في (خ) « لا أظنكم » .

(٤) اللبة من عنق البعير فوق صدره ومنها يذبح .

(٥) أي لا تجعلوا أنفسكم ذبائح لأهل مكة .

ثلاثاً ، ننحر الجزر ، ونطعم الطعام ، ونشرب الخمر ، وتعزف القيان علينا ، فلن تزال العربُ تهابنا أبداً . وعادَ قيس إلى أبي سفيان وقد بلغ الهَدَّة[1] ــ على تسعة أميال من عقبة عسْفَان ــ فأخبره بمضي قريش ، فقال : واقوماه !! هذا عمل عمرو ابن هشام [يعني أبا جهل][2] ، كره أن يرجع لأنه ترأس على الناس فبغى ، والبغي منقصة وشؤم ، إن أصاب محمدٌ النفير ذللنا .

رجوع الأخنس ببني زهرة عن بدر

ورجع الأخنس بن شَريق [واسمه أبي بن شريق بن عمرو بن وهب بن علاج ابن أبي سلمة بن عبد العزى بن غيرة] ببني زُهرة من الأبواء[3] ــ وكانوا نحو المائة وقيل ثلاثمائة ــ فلم يشهد بدراً أحد من بني زهرة إلا رجلان هما عمَّا مسلم ابن شهاب بن عبد الله[4] وقتلا كافرين ، ويقال : إن الأخنس بن شريق خلا بأبي جهل لما تراءى الجمعان فقال : أترى محمداً يكذب ؟ فقال أبو جهل : كيف يكذب على الله وقد كنا نسميه الأمين لأنه ما كذب قط ! ولكن إذا كانت في عبد مناف السقاية والرفادة والمشورة ، ثم تكون فيهم النبوة ، فأي شيء بقي لنا ؟ فحينئذ انخنس الأخنس ببني زهرة[5] ورجعت بنو عدي قبل ذلك من مرّ الظهران .

الهاتف بمكة بنصر المسلمين

وذكر قاسم بن ثابت في كتاب الدلائل أن قريشاً حين توجهت إلى بدر مرّ هاتف من الجن على مكة في اليوم الذي أوقع بهم المسلمون وهو ينشد بأنفذ صوت ولا يرى شخصُه[6] :

---

(١) الهدَّة بالتشديد : موضع بين مكة والطائف (معجم البلدان) جـ ٥ ص ٣٩٥ .

(٢) زيادة للإيضاح .

(٣) كذا في (خ) والصواب أنهم رجعوا من الجحفة . راجع (تاريخ الطبري) جـ ٢ ص ٤٣٨ و(ابن سعد) جـ ٢ ص ١٤ ، ولم يذكر من الأبواء إلا (الواقدي في المغازي) جـ ١ ص ٤٥ .

(٤) يقول ابن قتيبة في (المعارف) ص ١٥٣ : « وكان قوم من زُهرة » قد خرجوا ، فقام « الأخنس بن شريق الثقفي » فيهم ــ وكان حليفاً لهم ــ فأشار عليهم بالرجوع ، فرجعوا ولم يشهد بدراً منهم أحد » .

(٥) في (خ) « بني زهرة » وانخنس : تأخر مستخفياً فرجع .

(٦) هذه الأبيات في (المغازي للواقدي) جـ ١ ص ١١٩ على هذا النحو : =

أزار الحنفيون بدراً وقيعة سينقض منها ركن كسرى وقيصرا
أبادت رجالاً من لؤي وأبرزت خرائد يضربن الترائبَ حُسّراً
فياويح من أمسى عدو محمد لقد جار عن قصد الهدى وتحيرا

فقال قائلهم : من الحنفيون ؟ فقال : هم محمد وأصحابه ، يزعمون أنهم على دين إبراهيم الحنيف ، ثم لم يلبثوا أن جاءهم الخبر اليقين .

خبر الأعرابي بعرق الظُّبية

وأصبح رسول الله ﷺ صبيحة أربع عشرة بعرق الظبْية[1] فجاء من تهامة أعرابي فسُئِل عن أبي سفيان فقال : ما لي به علم ، فقالوا له : تعالَ سَلِّم على رسول الله ، قال : وفيكم رسول الله ؟ قالوا : نعم ، قال : فأيكم هو ؟ قالوا : هذا ، قال : أنت رسول الله ؟ قال : نعم ، قال : فما في بطن ناقتي هذه إن كنت صادقاً ؟ فقال سلمة بن سلامة بن وقش : نكحتها فهي حُبْلى منك ، فكره رسول الله ﷺ مقالته وأعرض عنه . ثم سار ﷺ حتى أتى الروحاء ليلة الأربعاء للنصف من رمضان ، فصلى عند بئر الروحاء ، ولما رفع رأسه من الركعة الأخيرة من وتره لعن الكفرة .

دعاؤه على أبي جهل وزمعة

وقال : اللهم لا تفلتن أبا جهل فرعون هذه الأمة ، اللهم لا تفلتن زمعة بن الأسود ، اللهم وأسخن عين أبي زمعة بزمعة ، اللهم واعم بصر أبي زمَعة ، اللهم لا تفلتن سهيلاً ، اللهم انج سلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين .

= أزار الحنفيون بدراً مصيبة سينقض منها ركن كسرا وقيصرا
أرنت له صُمّ الجبال وأفزعتْ قبائلَ ما بين الوتير وخيبرا
أجازت جبال الأخشبين وجُرّدت حرائر يضربن الترائب حُسَّرا

الوتير : موضع في ديار خزاعة (معجم ما استعجم) ص ٨٣٦ .

(١) عرق الظُّبية : بين مكة والمدينة (معجم البلدان) جـ ٤ ص ١٠٨ .

خروجه وأمره بالإفطار من الصوم

واستعمل ﷺ على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر ورده من الروحاء، وقدم خبيب بن يساف[1] بالروحاء مسلماً. وخرج ﷺ فصام يوماً أو يومين ثم نادى مناديه: يا معشر العصاة إني مفطر فأفطروا، وذلك أنه قد قال لهم قبل ذلك: أفطروا فلم يفعلوا.

خبر العير الذي برك

وكان رفاعة وخلّاد ابنا رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق الأنصاريان، وعبيد بن زيد بن عامر بن العجلان بن عمرو يتعاقبون بعيراً، حتى إذا كانوا بالروحاء برك بعيرهم وأعيا، فمر بهم النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله برك علينا بكرنا، فدعا بماء فتمضمض وتوضأ في إناء ثم قال: افتحا فاه، ففعلا، ثم صبه في فيه[2]، ثم على رأسه وعنقه، ثم على حاركه وسنامه، ثم على عجزه، ثم على ذنبه، ثم قال: اركبا، ومضى، فلحقاه وإن بكرهم لينفر[3] بهم، حتى إذا كانوا بالمصلى راجعين من بدر برك عليهم فنحره خلادُ، فقسم لحمه وتصدق به.

المشورة قبل بدر

ومضى رسول الله ﷺ حتى إذا كان دُوَينَ بدر أتاه الخبر بمسير قريش، فاستشار الناس، فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال فأحسن، ثم قام عمر فقال فأحسن، ثم قال: يا رسول الله، إنها والله قريش وعزها، والله ما ذلت منذ عزت، والله ما آمنت منذ كفرت، والله لا تسلم عزها أبداً ولتقاتلنك، فاتهبْ[4] لذلك أهبته، وأعدَّ لذلك عدته، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله، امض لأمر الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لنبيها: ﴿ **اذهب أنت**

---

(١) «يساف» و«إساف».

(٢) في فيه: في فمه.

(٣) في (خ) «ليغفر بهم».

(٤) كذا في (المغازي) جـ ١ ص ٤٨ وفي (ط) «فأتَهبْ».
وقد أغفلتْ غالبية كتب السيرة مقالة عمر هذه ولم يزيدوا على قوله: «ثم قام عمر فقال فأحسن» إلا الواقدي في (المغازي) كما أثبتنا.

وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ﴾[1] ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما[2] مقاتلون ، والذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى بِرك الغماد[3] لسرنا ، فقال له رسول الله ﷺ خيراً ، ودعا له بخير .

مشورة الأنصار

ثم قال أشيروا عليَّ أيها الناس ، وإنما يريد الأنصار ، وكان يظنهم لا ينصرونه إلا في الدار ، لأنهم شرطوا له أن يمنعوه[4] مما يمنعون منه أنفسهم وأولادهم ، فقام[5] سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال : أنا أجيب عن الأنصار ، كأنك يا رسول الله تريدنا ! قال : أجل ، قال : إنك عسى أن تكون قد خرجت عن أمر قد أوحي إليك [في غيره][6] فإنا قد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به حق فأعطيناك مواثيقنا وعهودنا على السمع والطاعة ، فامض يا نبي الله لما أردت ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت (بنا)[7] هذا البحر (فخضته)[7] لخضناه معك ما بقي منا رجل ، وصِلْ من شئت واقطع من شئت ، وخذ من أموالنا ما شئت ، وما أخذت من أموالنا أحب إلينا مما تركت ، والذي نفسي بيده ما سلكتُ هذا الطريق قط وما لي بها من علم ، وما نكره أن نلقى عدونا ، إنا لصبرٌ عند الحرب ، صُدُق[8] عند اللقاء ، لعل الله يريك منا بعض ما تقر به عيناك . وفي رواية[9] أن سعد بن معاذ قال : إنا قد خلفنا من قومناقوماً ما نحن بأشد حباً لك منهم ، ولا أطوع لك منهم ، لهم رغبة في الجهاد ونية ، ولو ظنوا يا رسول الله أنك ملاق عدواً ما تخلفوا ، ولكن إنما ظنوا أنها العير ، نبني لك عريشاً فتكون فيه ونُعِد عندك[10] رواحلك ، ثم نلقى عدونا ، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وإن تكن الأخرى جلسْت على رواحلك فلحقت من ورائنا . فقال له

---

(١) اقتباس من الآية ٢٤/المائدة . (٢) في (خ) « معكم » .

(٣) بِرك الغماد : موضع وراء مكة بخمس ليال ، وقيل : بلد باليمن (معجم البلدان) جـ ١ ص ٣٩٩ وفي (الروض الأنف) جـ ٣ ص ٤٥ « أنها مدينة بالحبشة » .

(٤) في (خ) « يمنعوها » . (٥) في (خ) « فقال » .

(٦) كذا في (خ) وفي (المغازي) جـ ١ ص ٤٨ وقال محقق (ط) إنه لم يعرف صوابه !! .

(٧) زيادة من (ابن هشام) و (الواقدي) . (٨) جمع صَدْق: وهو الثابت عند اللقاء .

(٩) هي رواية الواقدي ، قال : « فحدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد » .

(١٠) كذا في (خ) و (ط) و (ابن هشام) ، وفي (المغازي) : « ونعدّ لك رواحلك » .

النبي ﷺ خيراً ، وقال : أو يقضي الله خيراً من ذلك يا سعْدُ ! .

دلالته على مصارع المشركين يوم بدر

فلما فرغ سعد من المشورة قال رسول الله ﷺ : سيروا على بركة الله ، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم ، ثم أراهم مصارعهم يومئذ : هذا مصرع فلان ، وهذا مصرع فلان ، فما عدا كل رجل مصرعه ، فعلم القوم أنهم يلاقون القتال وأن العير تُفلت ، ورجوا النصر لقول النبي ﷺ .

عقد الألوية

ومن يومئذ عقد رسول الله ﷺ الألوية وهي ثلاثة : لواء يحمله مصعب بن عمير ، ورايتان سوداوان[1] : إحداهما مع علي ، والأخرى مع رجل من الأنصار ، وأظهر السلاح ، وكان خرج من المدينة على غير لواء معقود ، وسار من الروحاء . وتعجل ومعه قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد بن ظفر[2] بن الخزرج ابن عمرو بن مالك بن الأوس الظفري ، ويقال : بل كان معه معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو بن أُديّ بن سعد بن على ابن أسد بن ساردة بن يزيد[3] بن جشم بن الخزرج الأنصاري ، وقيل : بل كان معه عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن

---

(١) في (خ) « سوداوتان » ، وأمر الألوية هنا على خلاف ما في كتب السيرة ، ففي (المغازي) جـ ١ ص ٥٨ : « كان لواء رسول الله ﷺ يومئذ الأعظم ــ لواء المهاجرين مع مصعب بن عمير ، ولواء الخزرج من الحُباب بن المنذر ، ولواء الأوس مع سعد بن معاذ » ، ونحوه في (تلقيح فهوم أهل الأثر) ص ٥١ وفي (ابن هشام) جـ ٢ ص ١٨٦ « قال ابن إسحق : ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار . قال ابن هشام : وكان أبيض . قال ابن إسحق : وكان أمام رسول الله ﷺ رايتان سوداوان ، إحداهما مع علي بن أبي طالب ، يقال لها : العقاب ، والأخرى مع بعض الأنصار » . وفي (تلقيح الفهوم) ص ٥١ : « وعقد رسول الله ﷺ يومئذ الألوية ، وكان لواء رسول الله ﷺ أعظم ، ولواء المهاجرين مع مصعب بن عمير ، ولواء الخزرج مع الحباب بن المنذر ، ولواء الأوس مع سعد بن معاذ » .

(٢) في (خ) « كعب » وهو خطأ والتصويب من (الإصابة) جـ ٨ ص ١٣٨ ترجمة قتادة بن النعمان برقم ٧٠٧ .

(٣) في (خ) « زيد » وما أثبتناه من (الاستيعاب) جـ ١٠ ص ١٠٤ ترجمة رقم ٢٤١٦ .

ابن النجار المازني .

خبر سفيان الضمري

فلقي سفيان الضمري فقال رسول الله ﷺ : من الرجل ؟ فقال : بل من أنتم ؟ قال رسول الله ﷺ : فأخبرنا ونخبرك ، قال : وذاك بذاك ؟ قال النبي ﷺ : نعم . قال : فسلوا عما شئتم ، فقال رسول الله ﷺ : أخبرنا عن قريش ، فقال : بلغني أنهم خرجوا يوم كذا وكذا من مكة ، فإن كان الذي أخبرني صادقاً فإنهم بجنب هذا الوادي . قال رسول الله ﷺ : فأخبرنا عن محمد وأصحابه ، قال : خبرت أنهم خرجوا من يثرب يوم كذا وكذا ، فإن كان الذي أخبرني صادقاً فإنهم بجانب هذا الوادي ، قال الضمري : فمن أنتم ؟ قال النبي ﷺ : نحن من ماء ، وأشار بيده نحو العراق ، فقال (الضمري)[1] من ماء العراق ؟ ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى أصحابه ، ولا يعلم واحد من الفريقين بمنزل صاحبه ، بينهم قوز[2] من رمل ، ومضى فلقيه بَسْبَس وعدي بن أبي الزغباء فأخبراه خبر العير .

خبر العيون وسقاء قريش

ونزل النبي ﷺ أدنى بدر عشاء ليلة الجمعة لسبع عشرة مضت من رمضان ، فبعث علياً والزبير وسعد بن أبي وقاص وبسبس بن عمرو رضي الله عنهم يتحسسون[3] على الماء ، وأشار لهم إلى ظريب[4] وقال أرجو أن تجدوا الخبر عند هذا القليب الذي يلي الظرب[4] فوجدوا على تلك القليب[5] روايا[6] قريش فيها سقاؤهم ، فأفلت عامتهم وفيهم عجير ، فجاء قريشاً فقال : يا آل غالب ، هذا ابن أبي كبشة وأصحابه قد أخذوا سُقَّاءكم ، فماج العسكر وكرهوا ذلك ، والسماء تمطر

---

(١) زيادة للإيضاح وهذه الرواية مطابقة لرواية الواقدي في (المغازي) جـ ١ ص ٥٠ خلاف ما أثبته محقق (ط) .

(٢) القوز : الكثيب العالي من الرمل (المعجم الوسيط) جـ ٢ ص ٧٦٦ .

(٣) في (خ) « يتجسسون » بالجيم .

(٤) ظريب : تصغير ظرب : ككتف ، ما نتأ من الحجارة وحدَّ طرفه ، أو الجبل المنبسط أو الصغير (ترتيب القاموس) جـ ٣ ص ١٢٠ .

(٥) القليب : البئر القديمة لا يعلم حافر لها .

(٦) الروايا من الإبل : حوامل الماء .

عليهم ، وأخذ تلك الليلة [أبو][1] يسار غلام عبيدة بن سعيد بن العاص ، وأسلم غلام منبه بن الحجاج ، وأبو رافع غلام أمية بن خلف ، فأتى بهم النبي ﷺ وهو يصلي فقالوا : (نحن)[2] سقّاء قريش بعثونا نسقيهم من الماء ، فكره القوم خبرهم فضربوهم ، فقالوا : نحن لأبي سفيان ، ونحن في العير ، فأمسكوا عنهم . فسلم رسول الله ﷺ وقال : إن صدقوكم ضربتموهم ، وإن كذبوكم تركتموهم ، ثم أقبل عليهم يسألهم ، فأخبره أن قريشاً خلف هذا الكثيب .

عدة المشركين يوم بدر

وأنهم ينحرون يوماً عشراً ويوماً تسعاً ، واعلموه بمن خرج من مكة ، فقال ﷺ : القوم بين الألف والتسعمائة ، وقال : هذه مكة قد ألقت [إليكم][3] أفلاذ كبدها .

المشورة في منزل الحرب

واستشار أصحابه في المنزل ، فقال الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن (حرام بن)[4] كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري : انطلق بنا إلى أدنى ماء (إلى)[5] القوم فإني عالم بها وبقلبها[6] ، بها قليب قد عرفت عذوبة مائه ، وماء كثير لا ينزح[7] ، ثم نبني عليها حوضاً ونقذف فيه الآنية فنشرب ونقاتل ونغوِّر[8] ما سواها من القُلب . فقال : يا حباب ، أشرت بالرأي ، ونهض بمن معه فنزل على القليب ببدر ، وبات تلك الليلة يصلي إلى جِذم[9] شجرة هناك ــ وكانت ليلة الجمعة السابع عشر من رمضان ــ وفعل ما أشار به الحباب .

---

(١) زيادة من (ابن هشام) جـ ٢ ص ١٨٩ .

(٢) زيادة للإيضاح .

(٣) زيادة لابد منها .

(٤) زيادة من نسبه .

(٥) زيادة من (ابن سعد) جـ ٢ ص ١٥ .

(٦) القُلب : جمع قليب .

(٧) لا ينزح : لا ينفذ وفي (ابن سعد) « قد عرفت عذوبة مائه لا ينزح » جـ ٢ ص ١٥ وما أثبتناه من (خ) و (ط) وهي رواية الواقدي في (المغازي) جـ ١ ص ٥٣ .

(٨) نُغوِّر : نُفسد ، في (ابن سعد) جـ ٢ ص ١٥ « نعوّر » ، وفي (المغازي) جـ ١ ص ٥٣ « نغوّر » ، وفي (ط) « نعوِّر » .

(٩) جذْم الشجرة : ما يبقى من جذعها بعد أن يقطع أعلاه .

المطر يوم بدر

وبعث الله السماء ، فأصاب المسلمين ما لبَّد الأرض ولم يمنع من السير ، وأصاب قريشاً من ذلك ما لم يقدروا أن يرتحلوا منه ، وإنما بينهم قوز من رمل[١] ، وكان مجيء المطر نعمة وقوة للمؤمنين ، وبلاء ونقمة على المشركين .

النُّعاس الذي أصاب المسلمين

وأصاب المسلمين تلك الليلة نُعاس أُلقي عليهم فناموا حتى إن أحدهم [تكون][٢] ذقنه بين ثدييه وما يشعر حتى يقع على جنبه ، واحتلم رفاعة بن رافع ابن مالك حتى اغتسل آخر الليل . وبعث ﷺ عمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما فأطافا بالقوم ، ثم رجعا فأخبراه أن القوم مذعورين ، وأن السماءَ تسُحّ عليهم[٣] .

بناء عريش رسول الله

وبني لرسول الله ﷺ ـــ لما نزل القليب ـــ عريش من جريد . وقام سعد ابن معاذ على بابه متوشح السيف . ومشى رسول الله ﷺ على موضع الوقعة ، وعرض على أصحابه مصارع رءوس الكفر من قريش مصرعاً مصرعاً ، يقول : هذا مصرع فلان ، و [هذا][٤] مصرع فلان ، فما عدا واحد منهم مضجعه الذي حدَّ له الرسول . وعدَّل ﷺ الصفوف ، ورجع إلى العريش فدخل ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه ، وأصبح ببدر يوم الجمعة السابع عشر ، وقيل : الثامن عشر من رمضان قبل أن تنزل قريش ، فطلعت قريش وهو يصفهم ، وقد أترعوا حوضاً . ودفع رايته إلى مصعب بن عمير فتقدم حيث أمره النبي ﷺ أن يضعها ، ووقف ﷺ ينظر إلى الصفوف فاستقبل المغرب وجعل الشمس خلفه ، وأقبل المشركون فاستقبلوا الشمس ، فنزل ﷺ بالعدوة[٥] الشامية ، ونزلوا بالعدوة اليمانية . فجاء

---

(١) القوز : الكثيب العالي من الرمل (المعجم الوسيط) جـ ٢ ص ٧٦٦ .

(٢) زيادة للسياق .

(٣) السَّحُّ : الصَّب والسيلان من فوق (ترتيب القاموس) جـ ٢ ص ٥٢٧ .

(٤) زيادة للسياق . (٥) العدوة: شاطيء الوادي وجانبه الصلب .

رجل فقال : يا رسول الله إني أرى أن تعلو الوادي ، فإني أرى ريحاً قد هاجت من أعلى الوادي ، وإني أراها بعثت بنصرك . فقال ﷺ : قد صففت صفوفي ووضعت رايتي ، فلا أغير ذلك . ثم دعا ربه تعالى فنزل عليه : ﴿ **إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين** ﴾[1] يعني بعضهم على إثر بعض .

خبر سواد بن غزية

ولما عدل رسول الله ﷺ الصفوف تقدم سواد بن غزية أمام الصف ، فدفع النبيُّ ﷺ في بطنه فقال : استو يا سواد ، فقال : أوجعتني والذي بعثك بالحق أقِدْني[2] ، فكشف ﷺ عن بطنه وقال : استقد ، فاعتنقه وقبَّله . فقال : ما حملك على ما صنعت ؟ فقال : حضر من أمر الله ما قد ترى ، وخشيت القتل ، فأردت أن أكون آخر عهدي[3] بك [أن يمس جلدي جلدك][4] وأن أعتنقك ، وكان ﷺ يسوّى الصفوف وكأنما يقوم بها القداح[5].

الريح التى بُعثت والملائكة

وجاءت ريح شديدة ، ثم هبت ريح أشد منها ، ثم هبت ريح ثالثة أشد منهما : فكانت الأولى جبريل عليه السلام في ألف مع رسول الله ﷺ ، والثانية ميكائيل عليه السلام في ألف عن ميمنته ، والثالثة إسرافيل في ألف عن ميسرته . ويقال : جاء جبريل في ألف من الملائكة في صور الرجال ، وكان في خمسمائة من الملائكة في الميمنة ، وميكائيل في خمسمائة من الميسرة ، ووراءهم مدد من الملائكة لم يقاتلوا ، وهم الآلاف المذكورون في سورة آل عمران[6] ، وكان إسرافيل وسط الصف لا يقاتل كما يقاتل غيره من الملائكة . وكان الرجل يرى المَلَك على صورة رجل يعرفه ،

---

(١) الآية ٩ / الأنفال .

(٢) أقدني : أعطني القَوَدَ ، وهو القِصاص .

(٣) في (خ) « عهد » وما أثبتناه من (المغازي) جـ ٣ ص ٢٧١ .

(٤) في (تاريخ الطبري) جـ ٢ ص ٤٤٧ « فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدى جلدك » ونحوه في (البداية والنهاية) جـ ٣ ص ٢٧١ .

(٥) القِداح : جمع قِدْح .

(٦) الآيات من ١٢٣ إلى ١٢٧ آل عمران .

وهو يثبته ويقول له : ما هم بشيء ، فكر عليهم[1] ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ **إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان** ﴾[2] ، وفي مثل هذا قال حسان رضي الله عنه :

ميكال معك وجبرئيلُ كلاهما مددٌ لنصرك من عزيز قادر[3]

ألوية بدر

ويقال كان على الميمنة أبو بكر رضي الله عنه ، والثابت أنه لم يكن على الميمنة والميسرة أحد ، وكان لواء رسول الله ﷺ الأعظم - لواء المهاجرين - مع مصعب ابن عمير ، ولواء الخزرج مع الحباب بن المنذر ، ولواء الأوس مع سعد بن معاذ . ومع قريش ثلاثة ألوية : لواء مع أبي عزيز (بن عمير)[4] ، ولواء مع النضر بن الحارث ، ولواء مع طلحة بن أبي طلحة .

خطبته يوم بدر

وخطب ﷺ يومئذ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإني أحثكم على ما حثكم الله عليه ، وأنهاكم عما نهاكم عنه ، فإن الله عظيم شأنه ، يأمر بالحق ويحب الصدق ، ويعطي على الخير أهله ، على منازلهم عنده ، به يذكرون وبه يتفاضلون ، وإنكم قد أصبحتم بمنزل الحق لا يقبل الله فيه من أحد إلا ما ابتغي به وجهه ، وإن الصبر في مواطن البأس مما يفرج الله به الهمّ ، وينجي به من الغمّ ، وتدركون النجاة في الآخرة ، فيكم نبي الله يحذركم ويأمركم ، فاستحيوا اليوم أن يطلع الله عز وجل على شيء من أمركم يمقتكم عليه ، فإن الله يقول : ﴿ **لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم** ﴾[5] . انظروا الذي أمركم به من كتابه ، وأراكم من آياته ، وأعزكم [به][6] بعد ذلة ، فاستمسكوا به يرض به ربكم عنكم ، وابلوا

---

(١) الكرّ : الإقدام على العدوّ .

(٢) في (خ) إلى قوله تعالى : ﴿ الرعب ﴾ والآية ١٢ / الأنفال .

(٣) في (خ) جبريل ، ولم يرد ذكر هذا البيت في الأشعار التي قيلت في غزوة بدر ولا في كتب السيرة ولا في ديوان حسان بن ثابت ولا في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة عند ترجمته لحسان بن ثابت .

(٤) زيادة للإيضاح .. (٥) من الآية ١٠/غافر . (٦) زيادة للإيضاح .

ربكم في هذه المواطن أمراً تستوجبوا وعدكم به من رحمته ومغفرته ، فإن وعده حق وقوله صدق وعقابه شديد . وإنما أنا وأنتم بالله الحي القيوم ، إليه ألجأنا ظهورنا ، وبه اعتصمنا ، وعليه توكلنا ، وإليه المصير ، يغفر الله لي وللمسلمين .

دعاؤه على قريش

ولما رأى ﷺ قريشاً تصوب من الوادي — وكان أول من طلع زمعة بن الأسود على فرس له يتبعه ابنه ، فاستجال بفرسه يريد أن يتبوأ للقوم منزلاً — قال ﷺ : اللهم إنك أنزلت عليّ الكتاب ، وأمرتني بالقتال ، ووعدتني إحدي الطائفتين ، وأنت لا تخلف الميعاد ، اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك[1] وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذي وعدتني ، اللهم أحِنْهم الغداة[2] .

بعثة عمر إلى قريش يعرض عليهم الرجوع

ولما نزل القوم بعث رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه إليهم يقول : ارجعوا ؛ فإنه إن يلي هذا الأمر مني غيركم ، أحب إلي من أن تلوه مني ، [وأن][3] أَلِيَهُ من غيركم أحب [إليّ] من [أن][3] أَلِيَهُ منكم ، فقال حكيم بن حزام : قد عرض نصفاً فاقبلوه ، والله لا تنصرون عليه بعد ما عرض من النصف[4] ، فقال أبو جهل : والله لا نرجع بعد أن أمكننا الله منهم ، [ولا نطلب أثراً بعد عين ، ولا يعترض لعيرنا بعد هذا أبداً][5] .

النفر الذين شربوا من الحوض

وأقبل نفر من قريش حتى وردوا الحوض — منهم حكيم بن حزام — فأراد المسلمون طردهم فقال ﷺ : دعوهم ، فوردوا الماء فشربوا ، فما شرب منهم أحد إلا قتل ، إلا ما كان من حكيم بن حزام نجا[6] .

---

(١) حاده : خالفه وعصاه ونازعه .
(٢) أحنهم : من أحانه الله : أهلكه .
(٣) زيادات يقتضيها السياق .
(٤) النَّصَف : الإنصاف وإعطاء الحق .
(٥) زيادة من (المغازي) جـ ١ ص ٦١ .
(٦) في (تاريخ الطبري) جـ ٢ ص ٤٤١ « نجا على فرس يقال له الوجيه ، وأسلم بعد ذلك فحسن إسلامه ، فكان إذا اجتهد في يمينه قال : لا والذي نجاني يوم بدر » وفي (ابن هشام) جـ ٢ ص ٩٣ : « لا والذي نجاني من يوم بدر » .

بعثة عمير بن وهب لحرز المسلمين وما قاله لقريش

وبعثت قريش عمير بن وهب بن خلف بن وهب بن حذافة بن الجمحي ليحرز[1] المسلمين ، فلما لم ير لهم مدداً ولا كميناً ، رجع فقال : القوم ثلاثمائة إن زادوا [زادوا][2] قليلا ، معهم سبعون بعيراً وفرسان ، ثم قال : يا معشر قريش ! البلايا تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع ، قوم ليست لهم منعة ولا ملجأ[3] إلا سيوفهم ، ألا ترون خرساً لا يتكلمون ، يتلمظون تلمظ[4] الأفاعي ، والله ما أرى أن يقتل منهم رجل حتى يقتل منكم رجلا ، فإذا أصابوا منكم مثل عددهم فما خير في العيش بعد ذلك فَرَوْا رأيكم .

فبعثوا أبا سلمة الجشمي ، فأطاف على المسلمين بفرسه ، ثم رجع فقال : والله ما رأيت جلداً ولا عداداً ولا حلقة ولا كراعاً ، ولكني رأيت قوماً لا يريدون أن يؤوبوا إلى أهليهم ، قوماً مستميتين ليست لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم ، زرق[5] العيون كأنها[6] الحصى تحت الحجف[7] ، فروا رأيكم .

حكيم بن حزام يؤامر قريشاً على الرجوع

فمشى حكيم بن حزام في الناس ليرجعوا فوافقه عتبة بن ربيعة ، وأَبي أبو جهل وهبَّ[8] إلى عامر الحضرمي أخي المقتول بنخلة ، وحثه على أخذه بثأر أخيه ، فقام ثم حَثَا على استه التراب بعدما اكتشف وصرخ : واعمراه ! فأفسد على الناس الرأي الذي رآه عتبة ودعاهم إليه .

بدء القتال يوم بدر وأول من قُتِل

ثم حرَّش بين الناس ، وحمل فناوش المسلمين وشبت الحرب . فخرج إليه مهجع

---

(١) في (خ) « ليجوز » ، ويحرز : يقدر العدد بالتخمين .

(٢) زيادة من (ط) ورواية (الواقدي) بغير هذه الزيادة .

(٣) في (خ) مطموسة ، وما أثبتناه من (ابن سعد) جـ ٢ ص ١٦ (والمغازي) ج ١ ص ٦٣ .

(٤) التلمظ : تحريك اللسان في الفم بعد الأكل والتمطق بالشفتين .

(٥) في (خ) « زرق زرق » تكرار من الناسخ . (٦) في (خ) « كأنهم » .

(٧) الحجف : جمع حجفة ، وهي جلود يطارق بعضها ببعض حتى تغلظ فتكون درقة كالدرع .

(٨) في (خ) « ووهب » .

مولى عمر [بن الخطاب][1] فقتله عامر ، فكان مهجع أول من استشهد يوم بدر ، وكان أول قتيل قتل من الأنصار حارثة بن سراقة قتله حِبَّان بن العَرِقَة ، ويقال : عمير بن الحُمام قتله خالدُ بن الأعلم العُقيلي .

مناشدة رسول الله ربه

وكان رسول الله ﷺ في العريش وأصحابه على صفوفهم ، فاضطجع فغشيه نوم غلبه — وكان قد قال : لا تقاتلوا حتى أوذنكم ، وإن كثبوكم[2] فارموهم ، ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم — فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله قد دنا القوم ، وقد نالوا منا ، فاستيقظ ﷺ وهو رافع يديه يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول : اللهم إن تظهر على هذه العصابة يظهر الشرك ولا يقم لك دين ، وأبو بكر يقول : والله لينصرنك الله وليبيضن وجهك . وقال عبد الله بن رواحة : يا رسول الله ، إني أشير عليك — ورسول الله أعظم وأعلم بالله من أن يُشار عليه — إن الله أجلّ وأعظم من أن ينشد وعده . فقال رسول الله ﷺ : يا ابن رواحة ، ألا أنشُد الله وعده ، إن الله لا يخلف الميعاد .

ولم يذكر ابن إسحاق ولا الواقدي أنه ﷺ قاتل ، وخرَّج الفريابي ، نا إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن حارثة ، عن علي رضي الله عنه قال : لما كان يوم بدر وحضر الناس ، أمَّنا رسول الله ﷺ ، فما كان منا أحد أقرب إلى المشركين منه ، وكان أشد الناس بأساً[3] .

الأسود بن عبد الأسد : مقتله عند الحوض

فلما تزاحف الناس قال الأسود بن عبد الأسد[4] المخزومي — حين دنا من الحوض — : أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهْدمنَّه ، أو لأموتنّ دونه ، فشدَّ حتى دنا منه ، فاستقبله حمزة بن عبد المطلب فضربه فأطنَّ[5] قدمه ، فزحف الأسود حتى وقع في الحوض فهدمه برجله الصحيحة وشرب منه ، وحمزة يتبعه

---

(١) زيادة للإيضاح .
(٢) كثب وأكثب : إذا دنا من القوم وقاربهم .
(٣) (مسند أحمد) جـ١ ص ١٢٦ .
(٤) في (خ) « الأسدي » .
(٥) أي ضربهُ ضربةً سريعة بالسيف قطعت رِجْله ، ويُسمع للضربة طنين .

فضربه في الحوض فقتله ، فدنا بعضهم من بعض وخرج عتبة ، وشيبة والوليد ، ودَعَوْا إلى المبارزة .

المبارزة وخروج الأنصار وكراهية رسول الله ذلك ودعوته للمهاجرين

فخرج إليهم ثلاثة من الأنصار فتيان وهم : مُعاذ ومعوِّذ وعوف بنو عفراء ، ويقال ثالثهم عبد الله بن رواحة[1] فاستحيا رسول الله ﷺ وكره أن يكون أول قتال – لقي فيه المسلمون المشركين – في الأنصار ، وأحب أن تكون الشوكة[2] ببني عمه وقومه ، فأمرهم فرجعوا إلى مصافهم ، وقال لهم خيراً . ثم نادى منادي المشركين : يا محمد ، أخرِجْ لنا[3] الأَكْفَاءَ من قومنا ، فقال ﷺ : يا بني هاشم ، قوموا فقاتلوا بحقكم الذي بُعث به نبيكم ، إذ جاءوا بباطلهم ليطفئوا نور الله . فقام علي ، وحمزة ، وعبيدة بن الحارث بن المطلب ، فمشوا إليهم[4] . وكان عليّ رضي الله عنه مُعْلَماً بصوفةٍ بيضاء ، فقال عُتبة لابنه : قم يا وليد ، فقام فقتله علي ، ثم قام عتبة فقتله حمزة ، ثم قام شيبة فقام إليه عبيدة فضربه شيبة فقطع ساقه ، فكرّ حمزة وعلي فقتلا شيبة واحتملا عبيدة إلى الصف[5] فنزلت فيهما[6] هذه الآية : ﴿ **هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب**

---

(١) وهي رواية (الواقدي) جـ ١ ص ٦٨ إلا أنه استدرك ذلك بقوله : « والثبت عندنا أنهم بنو عفراء ». وفي (تاريخ الطبري) جـ ٢ ص ٤٤٥ أن ثالثهم ابن رواحة .

(٢) في (المغازي) جـ ١ ص ٦٨ « لبني » .

(٣) في (خ) ، (المغازي) « لنا » وفي (ط) « إلينا » .

(٤) في (ابن سعد) « فمشوا إليه » جـ ٢ ص ١٧ وفي (المغازي) « فمشوا إليهم » جـ ١ ص ٥٨ .

(٥) « فلما أتوا به النبي ﷺ قال : ألستُ شهيداً يا رسول الله ؟ قال : بلى ، قال : لو رآني أبو طالب لعلم إننا أحق منه بقوله :

ونسلمه حتى نُصرَّع حـوله ... ونَذْهَلَ عن أبنائنا والحلائِلِ »

(الكامل لابن الأثير) جـ ١ ص ١٢٥ .

وفي (المغازي) جـ ١ ص ٧٠ :

« كذبتم وبيتِ الله نُخلي محمداً ... ولما نُطاعِنْ دونه ونناضـلِ

ونسلمه حتى نُصرَّع حـوله ... ونذهل عن أبنائنا والحـلائلِ

وفي (ابن هشام) « كذبتم وبيت الله نبزي محمداً » أي لا يُبزي والمعنى لا يُقْهر .

(٦) في (المغازي) جـ ١ ص ٧٠ « ونزلت هذه الآية » .

من فوق رءوسهم الحميم ﴾[1] .

استفتاح أبي جهل

واستفتح أبو جهل يومئذ فقال : اللهم أقْطَعنَا للرحم ، وأتانا بما لا يعلم ، فأَحِنْهُ الغداة . فأنزل الله تعالى : ﴿ **إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين** ﴾[2] . وقال يومئذ :

ما تَنْقِمُ الحرب العوانُ مني بازلُ عامين حديثٌ سنِّي
لمثل هذا ولدتني أمي[3]

إبليس يذمر المشركين ثم نكوصه على عقبيه

وتصور إبليس في صورة سراقة (بن مالك)[4] بن جعشم (المدلجي)[4] يذمر المشركين ويخبرهم أنه لا غالب لهم من الناس ، فلما أبصر عدوُّ الله الملائكة نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون[5] فتشبث به الحارث بن هشام وهو يُرى أنه سُراقة ، فضرب في صدر الحارث ، فسقط ، وانطلق إبليس لا يُرى حتى وقع في البحر ، [ورفع يديه وقال : يارب ، موعدك الذي وعدتني][6] .

---

(١) الآية ١٩ / الحج وفي (خ) إلى قوله تعالى ﴿ **في ربهم** ﴾ .
(٢) الآية ١٩ / الأنفال وفي (خ) إلى قوله تعالى : [« الفتح » ، « الآية »] .
(٣) في (البداية والنهاية) جـ ٣ ص ٢٨٣ « ما تنقم الحربُ الشموس مني » .
وفي (ابن هشام) جـ ٢ ص ٢٠٠ « ما تنقم الحربُ العوان مني » .
والحرب العوان جمع عون : الحرب الشديدة التي قوتل فيها مرة بعد أخرى ، والبازل من الإبل الذي خرج سنه فهو في ذلك يصل لذروة مرحلة الشباب .
(٤) زيادة من نسبه .
(٥) وذلك معنى الآية ٤٨ / الأنفال ، وهي قوله تعالى : ﴿ **وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم ...** ﴾ .
(٦) زيادة من (الواقدي) جـ ١ ص ٧١ .

شعار المسلمين في القتال وإعلامهم

وأقبل أبو جهل يحض المشركين على القتال بكلام كثير[1] وجعل ﷺ شعار المهاجرين « يا بني عبد الرحمن » وشعار الخزرج « يا بني عبد الله » والأوس « يا بني عبيد الله » . ويقال : كان شعار رسول الله ﷺ : « يا منصور أمِتْ »[2] وقال ﷺ : إن الملائكة قد سوَّمت فسوِّموا[3] ، فأعلموا بالصوف في مغافرهم وقلانسهم ، وكان أربعة يُعلِمون في الزحوف[4] ، فكان حمزة معلماً بريشة نعامة ، وعلي مُعْلِماً بريشة نعامة « وعليّ مُعلِماً بصوفة بيضاء ، والزبير معلماً بعصابة صفراء — وكان يحدِّثُ أن الملائكة نزلت يوم بدر على خيل بُلق عليها عمائم صفر — وكان أبو دجانة معلماً بعصابة حمراء .

خبر قتال الملائكة يوم بدر

وقال سهيل بن عمرو : ولقد رأيت يوم بدر رجالا بيضاً على خيل بُلق بين السماء والأرض مُعْلَمين ، يقتُلون ويأسِرون ، وقال أبو أسيد الساعدي [بعد أن ذهب بصره][5] ، لو كنت معكم الآن ببدر [ومعي بصري][5] لأريتكم الشِّعْبَ الذي خرجت منه الملائكة . وكان[6] ابن عباس يحدِّث عن رجل من بني غِفَار حدثه ، قال : أقبلتُ أنا وابن عم لي يوم بدر حتى أصعدنا في[7] جبل ونحن مشركان ننتظر الوقعة على من تكون الدبرة[8] ، فننتهب مع من ينتهب ، فبينا نحن في الجبل إذ رأيت سحابة دنت منا « فسمعت فيها حمحمة الخيل وقعقعة الحديد ، وسمعت قائلا يقول : أقْدِمْ حَيزُوم . فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات ، وأما

(١) من هذا الكلام الكثير : « لا يغرنكم خذلان سراقة بن جُعْشم إياكم فإنما كان على ميعاد من محمد وأصحابه ، سيعلم إذا رجعنا إلى مُديْد ما نصنع بقومه » من (المغازي) جـ ١ ص ٧١ .

(٢) في (ابن هشام) جـ ٢ ص ٢٠١ « أحدٌ أحَد » .

(٣) أي اتخذوا سيما وهي العلامة ، قال تعالى : ﴿ سيماهم في وجوههم ﴾ من الآية ٢٩/ الفتح .

(٤) في (خ) « الرجوف » . والزحوف : جمع زحف وهو لقاء العدو ، والقلانس : جمع قلنسوة ، وهي مما يُلْبَس في الرأس .

(٥) زيادات للإيضاح .

(٦) في (خ) « فكان » . وما أثبتناه من (ط) و (ابن هشام) .

(٧) الخبر في (المغازي) جـ ١ ص ٧٦ .

(٨) الدَّبْرة : الهزيمة . وفي (المغازي) جـ ١ ص ٧٦ « الدائرة » .

أنا فكدت أهلك ، فتماسكت واتبعت البصر حيث تذهب السحابة ، فجاءت إلى النبي ﷺ وأصحابه ، ثم رجعت وليس فيها شيء مما كنتُ أسمع .

وقال أبو رُهم الغفاريّ عن ابن عم له : بينا أنا وابن عم لي على ماء بدر ـــ فلما رأينا قلة من مع محمد وكثرة قريش ـــ قلنا : إذا التقت الفئتان عمدنا إلى معسكر محمد وأصحابه ، فانطلقنا نحو المجنَّبة اليسرى من أصحابه ونحن نقول : هؤلاء ربع قريش . فبينما نحن نمشي في الميسرة إذ جاءت سحابة فغشيتنا ، فرفعناأبصارنا إليها ، فسمعنا أصوات الرجال والسلاح ، وسمعنا رجلا يقول لفرسه : أقدم حيزوم ، وسمعناهم يقولون : رويداً تتامُّ أخْراكم . فنزلوا على ميمنة رسول الله ﷺ ثم جاءت أخرى مثل [ذلك][1] فكانت مع النبي ﷺ ، فنظرنا إلى النبي ﷺ وأصحابه فإذا هُم الضِّعف على قريش فمات ابن عمي ، وأما أنا فتماسكتُ وأخبرت النبي ﷺ وحَسُن إسلامه .

وقال رسول الله ﷺ ما رؤِي الشيطانُ يوماً [هو][2]فيه أصغرَ ولا أحقرَ ولا أدحرَ ولا أغيظَ منه في يوم عرفة ـــ وما ذلك إلا لما يرى من تنزل الرحمة ، وتجاوز الله عن الذنوب العظام ـــ إلا ما رؤي يوم بدر ، وقيل : ما رأى يوم بدر ، قال : أما إنه قد رأى جبريل يزع الملائكة . وقال ﷺ يومئذ : هذا جبريل يسوق الريح كأنه دِحية الكلبي ، إني نُصرت بالصَّبا ، وأُهلكتْ عاد بالدَّبور . وقال عبد الرحمن بن عوف : رأيت يوم بدر رجلين ؛ عن يمين النبي ﷺ أحدهما ، وعن يساره أحدهما ، يقاتلان أشد القتال ، ثم يليهما ثالث من خلفه ، ثم ربعهما رابع أمامه . وعن صهيب : ما أدري كم يدٍ مقطوعة أو ضربة جائفة[3] لم يَدْم كلمُهما[4] ـــ يوم بدر ـــ قد رأيتها . وعن أبي بردة بن نيار قال : جئت يوم بدر بثلاثة رءوس فوضعتهم بين بدي رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ، أما رأسان فقتلتهما ، وأما الثالث فإني رأيت رجلا أبيض طويلا ضَرَبهُ فتدهدى[5] أمامه فأخذت رأسه ، فقال ﷺ : ذاك فلان من الملائكة . وكان ابن عباس يقول : لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر . وعن ابن عباس : كان الملك يتصور في صورة من

---

(١) في (المغازي) جـ ١ ص ٧٧ « تلك » .
(٢) زيادة من (المغازي) جـ ١ ص ٧٧ .
(٣) الجائفة : التي تبلغ الجوف .
(٤) الكلْمُ : الجرح .
(٥) تدهدي : تدحرج (النهاية) جـ ٢ ص ١٤٣ .

يعرفون من الناس يثبتونهم فيقول : إني قد دنوت منهم فسمعتهم يقولون : لو حملوا علينا ما ثبتنا ، ليسوا بشيء . وذاك قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا** ﴾[١] .

وعن حكيم بن حزام : لقد رأيتنا يوم بدر وقد وقع بوادي خَلْص[٢] بِجَادٌ[٣] من السماء قد سد الأفق ، فإذا الوادي يسيل نملاً ، فوقع في نفسي أن هذا شيء من السماء أيّد به محمد ﷺ ، فما كانت إلا الهزيمة ، وهي الملائكة .

نهي الرسول ﷺ عن قتل بني هاشم ورجال من قريش

ونهى رسول الله ﷺ يومئذ عن قتل بني هاشم ، فقال : من لقى منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله . ونهى عن قتل العباس بن عبد المطلب ، ونادى مناديه : من أَسَرَ أمَّ حكيم بنت حزام فليخل سبيلها فإن رسول الله قد أمنها . وكان قد أسرها رجل من الأنصار وكتفها بذؤابتها[٤] فلما سمع المنادي خلى سبيلها . ونهى أيضاً عن قتل أبي البختري فقتله أبو داود المازني ، ويقال : قتله المجذَّر بن ذياد[٥] . ونهى عن قتل الحارث بن عامر بن نوفل ، فقتله خبيب بن يساف ولا يعرفه . ونهى عن قتل زمعة بن الأسود ، فقتله ثابت بن الجذَع[٦] ولا يعرفه .

دعاؤه ﷺ ثم رميه المشركين بالحصى

ولما التحم القتال كان رسول الله ﷺ رافعاً يديه يسأل الله النصر وما وعده . وأمر ﷺ فأخذ من الحصا كفاً فرماهم بها وقال : شاهت الوجوه ، اللهم ارعب قلوبهم ، وزلزل أقدامهم . فانهزم أعداء الله لا يلوون على شيء ، وألقوا دروعهم ، والمسلمون يقتلون ويأسرون ، وما بقي منهم أحد إلا امتلأ وجهه وعيناه ، ما يدري أين يتوجه ، والملائكة يقتلونهم ، وذلك قوله تعالى : ﴿ **فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم**

---

(١) آية ١٢ / الأنفال .
(٢) وادي بين مكة والمدينة فيه قرى ونخل (معجم البلدان) جـ ٢ ص ٣٨٢ .
(٣) البجاد : كساء مخطط (المعجم الوسيط) جـ ١ ص ٣٨ .
(٤) الذؤابة : الضفيرة من الشعر .
(٥) في (خ) « زياد » وما أثبتناه من (المغازي) جـ ١ ص ٨٠ .
(٦) في (خ) « الجزع » وما أثبتناه من (المغازي) جـ ١ ص ٨١ .

وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليُبْلِيَ المؤمنين منه بلاء حسناً إن الله سميع عليم ﴾[1] .

أسر عقبة بن أبي معيط وقتله

وجمح بعقبة بن أبي معيط فرسه ، فأخذه عبد الله بن سلمة العجْلانيّ . فأمر النبيُّ ﷺ عاصمَ بن ثابت بن أبي الأقْلح فضرب عنقه صبراً ، وصدق الله رسوله ﷺ في قوله لعقبة : إن وجدتك خارج جبال مكة قتلتُك صبراً .

أسر أمية بن خلف

وبينا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يجمع أدراعاً بعد أن ولَّى الناس إذا أمية بن خلف وابنه عليّ ، فأخذ يسوقهما أمامه إذ بصُر به بلالٌ فنادى يا معشر الأنصار ، أمية بن خلف رأس الكفر ، لا نجوتُ إن نجوتَ . فأقبلوا حتى طرح أمية على ظهره ، فقطع الحباب بن المنذر أرنبة أنفه ، وضربهُ خبيب بن يساف حتى قتله ، وقتل عمارُ بن ياسر عليَّ بن أمية بن خلف . وقتل الزبيرُ بن العوام عبيدةَ ابن سعيد بن العاص ، وقتل أبو دجانة عاصم بن أبي عوف بن ضُبيرة[2] السهمي ، وقتل عليٌّ رضي الله عنه عبدَ الله بن المنذر بن أبي رفاعة، وحرملة بن عمرو وهو يراهما أبا جهل . وقتل حمزة رضي الله عنه أبا قيس بن الفاكه بن المغيرة وهو يراهما أبا جهل ، [وكان أبو جهل في مثل الحَرَجَة (وهو الشجر الملتف) والمشركون يقولون : أبو الحكم لا يُخلَصُ إليه] .

قتل أبي جهل

فصمد معاذ بن الجموح إلى أبي جهل ، وأبو جهل يرتجز :

ما تنقم الحرب العوان مني بازل عامين حديثٌ سنِّي
لمثل هذا ولدتني أمِّي

(١) الآية ١٧ / الأنفال ، وفي (خ) إلى قوله تعالى : ﴿ رمى ﴾ .
(٢) ويقال : ابن صبيرة ، بالصاد المهملة .

فضربه فطرح رجله من الساق ، فأقبل عليه عكرمة بن أبي جهل فضربه على عاتقه فطرح يده من العاتق ، وبقيت الجلدة ، فوضع/معاذٌ عليها رجله وتمطى (بها)[1] عليها حتى قطعها . وضربه مع معاذٍ معوِّذٌ وعوفٌ ابنا عفراء ، فنفل رسول الله ﷺ معاذاً سيف أبي جهل ودرعه .

ولما وضعت الحرب أوزارها أمر رسول الله ﷺ أن يُلتَمس أبو جهل فوجده عبد الله بن مسعود في آخر رمق ، فوضع رجله على عنقه وضربه فقطع رأسه وأتى به بسلبة النبيَّ ﷺ فَسُرّ به وقال : اللهم قد أنجزت ما وعدتني فتمم علي نعمتك .

ويقال إن معاذاً ومعوّذاً ابني عفراء أثبتا أبا جهل ، وضرب ابن مسعود عنقه في آخر رمق ، وقد رأي في كتفيه آثار السياط . فوقف النبي ﷺ على مصرع ابني عفراء فقال : يرحم الله ابني عفراء ، فإنهما قد شركا في قتل فرعون هذه الأمة ورأس أئمة الكفر ، فقيل : يا رسول الله ، ومن قتله معهما ؟ قال : الملائكة ، ودَافَةُ[2] ابن مسعود . وقال ﷺ : اللهم اكفني نوفل بن خويلد ، فأسره جبار ابن صخر ، ولقيه علي فقتله ، فقال عليه السلام : الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه . وقتل عليٌّ أيضاً العاص بن سعيد . وانقطع سيف عكاشة بن محصن فأعطاه رسول الله ﷺ عوداً فإذا هو سيف أبيض طويل ، فقاتل به حتى هزم الله المشركين ، فلم يزل عنده حتى هلك . وانكسر سيف سلمة بن أسلم بن حَريش فأعطاه رسول الله ﷺ قضيباً كان في يده من عراجين ابن طاب[3] فقال : اضرب به ، فإذا سيفٌ جيد ، فلم يزل عنده حتى قتل يوم خيبر .

فرق المسلمين

وقال النبي ﷺ لما تصافوا للقتال : من قتل قتيلا فله كذا ، ومن أسر أسيراً فله كذا ، فلما انهزم [المشركون][4] كان الناس ثلاث فرق : فرقةٌ قامت عند

---

(١) زيادة يتم بها المعنى .

(٢) دافَه : أجهز عليه وحرَّر قتله ، (لسان العرب) جـ٩ ص ١٠٣ مادة : دَأَفَ .

(٣) العراجين : جمع عُرجون ، وهي شماريخ النخل ، وابن طاب : ضرب من النخل بالمدينة (هامش ط) ص ٩٢ .

(٤) زيادة يقتضيها السياق .

خيمة النبي ﷺ وأبو بكر معه فيها ، وفرقةٌ أغارت على النهب تنهب ، وفرقة طلبت العدو فأسروا وغنموا .

اختلاف المسلمين في الغنائم ، وما نزل من القرآن في ذلك

وكان سعد بن معاذ ممن أقام على خيمة النبي ﷺ [فقال للنبي ﷺ][1] : ما منعنا أن نطلب العدو زهادةٌ في الأجر ولا جبنٌ[2] عن العدو ، ولكن خفنا أن يرى[3] موضعك فتميل عليك خيل من خيل المشركين ورجال من رجالهم ، وقد أقام عند خيمتك وجوه من المهاجرين والأنصار ولم يشذَّ أحد منهم ، والناس كثير ، ومتى تعط هؤلاء لا يبقى لأصحابك شيء ، والأسرى والقتلى كثير ، والغنيمة قليلة . فاختلفوا ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول** ﴾[4] فرجع الناس وليس لهم من الغنيمة شيء ، ثم أنزل الله تعالى ﴿ **واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خُمُسَهُ وللرسول** ﴾[5] فقسمه رسول الله ﷺ . ويقال : لما اختلفوا في غنائم بدر أمر ﷺ بها أن[6] تردَّ في القسمة ، فلم يبق منها شيء إلا رُدَّ ، فظن أهل الشجاعة أن رسول الله ﷺ يخصهم بها دون أهل الضعف ، ثم أمر ﷺ أن تقسم بينهم على سواء فقال سعد : يا رسول الله ، أتعطي فارس القوم الذي يحميهم مثل ما تعطي الضعيف ؟ فقال ﷺ : ثكلتك أمك ، وهل تنصرون إلا بضعفائكم ؟ ونادى مناديه : من قتل قتيلاً فله سلبه ، وأمر بما وجد في العسكر وما أخذوا بغير قتال فقسمه بينهم ، ويقال : أمر أن تردّ الأسرى والأسلاب وما أخذوا في المغنم ، ثم أقرع بينهم في الأسرى وقسم الأسلاب التي ينفل[8] الرجل نفسه في المبارزة ، وما أخذوه من العسكر قسمه بينهم . والثبت من هذا : أن كل ما جعله لهم فإنه سلَّمه لهم ، وما لم يجعل قَسَمَهُ بينهم .

---

(١) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) في (خ) « جنباً » ولعلها « زهادة في الأجر ولا جبناً » .

(٣) أي يخلو ممن يحرسه .

(٤) أول سورة الأنفال .

(٥) الآية ٤١ / الأنفال .

(٦) في (خ) « بأن » .

(٧) زيادة من (الواقدي) جـ ١ ص ١٠٠ .

(٨) في (الواقدي) « نفَّل » وفي (خ) « لفتل » .

جمع الغنائم وقدرها وقسمتها

وجمعت الغنائم واستعمل عليها رسول الله ﷺ عبد الله بن كعب بن عمرو المازنيّ وقسمها بسَيَر[1] ، وقيل : بل استعمل عليها خبَّاب بن الأرتّ ، وكان فيها إبل ومتاع وأنطاع[2] وثياب ، وكانت السُّهمان على ثلاثمائة وسبعة عشر سهماً ، والرجال ثلاثمائة وثلاثة عشر ، والخيل فرسان لهم أربعة أسهم ، وثمانية نفر لم يحضروا ضربَ لهم ﷺ بسهامهم وأجورهم : ثلاثة من المهاجرين وهم : عثمان بن عفان ــ خلَّفه رسول الله ﷺ على ابنته رقية فماتت يوم قدم زيد بن حارثة ــ وطلحة ابن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل بعثهما رسول الله ﷺ يتحسسان العير تلقاء[3] الحَوْراء ، ومن الأنصار أبو لبابة بن عبد المنذر خلفه على المدينة ، وعاصم بن عديّ ، خلَّفه على قباء وأهل العالية ، والحارث بن حاطب أمره بأمر في بني عمرو بن عوف ، وخوّات بن جبير كسِر بالروحاء[4] ، والحارث بن الصِّمَّه كسر بالروحاء . وروي أن سعد بن عبادة ضرب له بسهمه[5] وأجره ، وضرب لسعد بن مالك الساعدي بسهمه وأجره ، وضرب لرجل من الأنصار ، ولرجل آخر ، وهؤلاء الأربعة لم يجمع عليهم[6] ، وضرب أيضاً لأربعة عشر رجلا قتلوا ببدر .

وكانت الإبل التي أصابوا مائة بعير وخمسين بعيراً ، وكان معهم أَدَمٌ كثير[7] حملوه للتجارة فغنمه المسلمون ، وأصابوا قطيفة حمراء[8] وكانت الخيل التي غنمت عشرة أفراس ، وأصابوا سلاحاً وظهراً وجملَ أبي جهل فصار للنبي ﷺ ، ولم يزل

---

(١) سَيَر : بفتح أوله وثانيه : كثيب بين المدينة وبدر (معجم البلدان) جـ ٣ ص ٢٩٦ .

(٢) جمع نَطع : بساط من الجلد (المعجم الوسيط) جـ ٢ ص ٩٣٠ .

(٣) في (المغازي) جـ ١ ص ١٠١ « بلغا الحوراء » « وراء ذي المروة بينها وبينها ليلتان على الساحل ، وبين ذي المروة والمدينة ثمانية بُرُد أو أكثر قليلاً » .

(٤) الروحاء ، « من عمل الفرْع على نحو من أربعين يوماً » (معجم البلدان) جـ ٣ ص ٧٦ .

(٥) (المغازي) جـ ١ ص ١٠١ : « وقال ﷺ حين فرغ من القتال ببدر : لئن لم يكن شهدها سعد بن عبادة ، لقد كان فيها راغباً » .

(٦) في المرجع السابق : « وهؤلاء الأربعة ليس بمجتمع عليهم كاجتماعهم على الثمانية » .

(٧) الطعام خلطة بالإدام (المعجم الوسيط) جـ ١ ص ١٠ .

(٨) في (المغازي) جـ ١ ص ١٠٢ « فقال بعضهم : ما لنا لا نرى القطيفة ؟ ما نرى رسول الله إلا أخذها . فأنزل الله عز وجلّ : ﴿ وما كان لنبي أن يَغُل ﴾ إلى آخر الآية ١٦ / آل عمران .

عنده يضرب في إبله ويغزو[1] عليه حتى ساقه في هدي[2] الحديبية . وكان لرسول الله ﷺ صَفِيٌّ[3] من الغنيمة قبل أن يقسمَ منها شيء ، فتنفَّل سيفه ذا الفقار وكان لمنبِّه بن الحجاج . وكان ﷺ قد غزا إلى بدر بسيف وهبهُ له سعد بن عبادة يقال له العَضْبُ ، ودرْعِه ذات الفُضول وأحذى[4] مماليك حضروا بدراً ولم يسهم لهم ، وهم ثلاثة : غلام لحاطب بن أبي بلتعة ، وغلام لعبد الرحمن بن عوف ، وغلام لسعد بن معاذ ، ويقال : شهد بدراً من الموالي عشرون رجلاً . واستعمل ﷺ شُقران غلامه على الأسرى فأحذَوْهُ من كل أسير ، ما لو كان حراً ما أصابه في المقسم .

أسر سهيل بن عمرو وفراره ثم يأسره رسول الله ﷺ

وأسر سُهيْل بن عمرو ففرَّ بالروحاء من مالك بن الدخْشم ، فقال رسول الله ﷺ : من وجده فليقتله ، فوجده النبي ﷺ فلم يقتله ، وأمر فَربطت يداه إلى عنقه ثم قرنه إلى راحلته فلم يركب خطوة حتى قدم المدينة .

وأسر أبو بردة بن نِيار رجلا يقال له مَعبد بن وهب من بني سعد بن ليث[5] ، فلقيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل أن يتفرق الناس فقال : أترون يا عمر أنكم قد غلبتم !! كلا واللات والعزى . فقال عمر : عباد الله المسلمين !! أتتكلم وأنت أسير في أيدينا ! ثم أخذه من أبي بردة فضرب عنقه ، ويقال : إن أبا بردة قتله .

أمر الأسرى يوم بدر

ولما أتي بالأسرى كره ذلك سعد بن معاذ ، فقال رسول الله ﷺ : يا أبا

---

(١) في (خ) « يغزا » . (٢) الهدي: ما أهدي إلى بيت الله الحرام لينْحر .

(٣) الصفيّ : ما يصطفيه الرئيس من الغنيمة قبل قسمتها (المعجم الوسيط) جـ ١ ص ٥١٨ .

(٤) في (خ) « واحدا » وأحذاه : أعطاه (المعجم الوسيط) جـ ١ ص ١٦٣ .

(٥) كذا في (خ) وفي (المغازي) جـ ١ ص ١٠٥ (وما أثبتناه) ، وفي (ابن هشام) جـ ٢ ص ٢٥٦ « قال ابن إسحق : ومعبد بن وهب ، حليف لهم من بني كلب بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث » .

عمرو ، كأنه شَقَّ عليك الأسرى أن يؤسروا ؟ فقال : نعم يا رسول الله ، كانت أول وقعة التقينا فيها والمشركون ، فأحببت أن يذلهم الله ، وأن نثخن فيهم القتل .

قتل النضر بن الحارث

وأسر المقدادُ بن الأسود النضر بن الحارث ، فعرض على رسول الله بالأُثَيْل[1] ، وقد سار من بدر فقتله علي رضي الله عنه بالسيف صبراً . وأسر عمرو ابن أبي سفيان بن حرب ، فقيل لأبي سفيان : ألا تفدي عَمراً ! فقال : حنظلة قتل وأفتدي[2] عَمْراً ، فأصاب بمالي وولدي ؟ لا أفعل ، ولكن أنتظر حتى أصيب منهم رجلا فأفديه .

أسر المشركين سعد بن النعمان

فأصاب سعدَ بن النعمان [بن زيد][3] بن أكّال أحد بني عمرو بن عوف جاء معتمراً ، فلما قضى عُمرته صَدَر — وكان معه المنذر بن عمرو — فطلبهما[4] أبو سفيان فأدرك سعداً فأسرهُ وفاتهُ المنذر . ففي ذلك يقول ضرار بن الخطاب :

تداركت سعداً عَنوةً فأسرته ... وكان شِفاءً لو تداركتَ مُنْذِراً

وقال في ذلك أبو سفيان :

أرهط ابن أكَّالٍ أجيبوا دُعاءه ... تفاقدتم ، لا تسلموا السيد الكهلا
فإن بني عَمرو بن عوفٍ أذلةٌ ... لئن لم يفكُّوا عن أسيرهم الكبْلا[5]

ففادوه سعداً بابنه عمرو .

---

(١) الأثيل : موضع قرب المدينة ، وهناك عين ماء لجعفر بن أبي طالب بين بدر ووادي الصفراء (معجم البلدان) جـ ١ ص ٩٤ .

(٢) في (خ) « وأفتديه » .

(٣) زيادة من نسبه .

(٤) في (خ) « فطلبهم » .

(٥) هذان البيتان في (ابن هشام) جـ ٢ ص ٢١٣ وفي (ابن الأثير) جـ ٢ ص ١٣٣ هكذا :

أرهط ابن أكال أجيبوا دعاءه ... تعاقدتم لا تسلموا السيد الكهلا
فإن بني عمرو لئامٌ أذلةٌ ... لئن لم يفكوا عن أسيرهم الكبلا

مقالة عمر في سهيل بن عمرو

ولما أسر سُهيل بن عمرو قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا رسول الله ، انزع ثنيته يدلع[1] لسانه فلا يقوم عليك خطيباً أبداً ، فقال ﷺ : لا أمثِّل به فيمثِّل الله بي وإن كنت نبياً ، ولعله يقوم مقاماً لا تكرهه ، فقام سهيل بن عمرو حين جاءه وفاة النبي ﷺ بخُطْبة أبي بكر رضي الله عنه بمكة كأنه كان سمعها ، فقال عمر رضي الله عنه حين بلغه كلام سهيل : أشهد أنك رسول الله ! يريد قول النبي ﷺ : لعله يقوم مقاماً لا تكرهه .

تخيير رسول الله في أمر الأسرى

وكان علي رضي الله عنه يقول : أتى جبريلُ إلى النبي ﷺ يوم بدر فخيره في الأسرى أن تُضرب أعناقهم أو يؤخذ منهم الفداء . ويُستشهَدَ منهم في قابل عدتهم ، فدعا رسول الله ﷺ أصحابه[2] فقال ما أعلمه جبريل ، فقالوا : بل نأخذ الفدية نستعين بها ويُستَشهدُ منا فيدخل الجنة . فقبل منهم الفداء وقُتل منهم عدتهم بأحد . ولما حُبس الأسرى بعثوا إلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ليكلما النبي ﷺ في أمرهم ، فأخذ أبو بكر يكلم النبي ﷺ فيهم ، ويُليِّنُ أن يَمُنَّ عليهم أو يفاديهم ، وأخذ عمرُ يحث رسول الله ﷺ على ضرب أعناقهم ، فقبل ﷺ منهم الفداء وأمَّن أبا عزَّةَ عمرو بن عبد الله بن عثمان[3] الجمحي الشاعر وأعتقهُ بعد ما أعطى النبي ﷺ ألا يقاتله ولا يكثّر عليه أبداً .

طرح قتلى بدر في القَلَب

وأمر ﷺ بالقُلُب فعُوِّرت[4] وطُرحت القتلى فيها إلا أمية بن خلف فإنه كان مسمَّناً فانتفخ ، ولما أرادوا أن يلقوه تزايل [لحمه فقال النبي ﷺ : اتركوه][5] .

---

(١) دَلَع اللسان دلوعاً : خرج من الفم واسترخى (المعجم الوسيط) جـ ١ ص ٢٩٣ .

(٢) في (ط) « وأصحابه » .

(٣) في (خ) « عمر بن عبد الله بن عمير » . وفي (المغازي) جـ ١ ص ١١٠ « أبا عَزَّة عمرو بن عبد الله بن عمير الجمحيّ » .

(٤) في المرجع السابق « أن تُغور » .

(٥) زيادة من المرجع السابق ، وتزايل : تفكك لحمه وتفرق .

موقف رسول الله على قتلى بدر وما قاله

ثم وقف عليهم فناداهم : يا عتبة بن ربيعة ، يا شيبة بن ربيعة ، يا أمية بن خلف ، يا أبا جهل بن هشام ، هل وجدتم ما وعدكم[1] ربكم حقاً فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً ؟ بئس القوم كنتم لنبيكم ، كذبتموني وصدقني الناس ، وأخرجتموني وآواني الناس ، وقاتلتموني ونصرني الناس ! قالوا[2] : يا رسول الله تنادي قوماً قد ماتوا ! قال : قد علموا أن ما وعدهم ربُّهم حق . وقال السدِّي عن مِقْسَم عن ابن عباس : وقف رسول الله ﷺ على قتلى بدر فقال : جزاكم الله عني من عصابة شراً ، فقد خَوَّنْتُموني[3] أميناً وكذبتموني صادقاً . ثم التفت إلى أبي جهل فقال : هذا أعتى على الله من فرعون ، إن فرعون لما أيقن[4] بالهلكة وحَّد الله ، وإن هذا لما أيقن بالهلكة دعا باللات والعُزَّى . وكان انهزام القوم حين زالت الشمس ، فأقام رسول الله ﷺ ببدر وأمر عبد الله بن كعب بعبض الغنائم وحملها ، وندب نفراً من أصحابه أن يعينوه ، ثم صلى العصر وراح فمرّ بالأُثَيِّل[5] قبل غروب الشمس فنزل وبات به . وكان ذكوان بن عبد قيس[6] يحرس المسلمين تلك الليلة حتى كان آخر الليل ارتحل . فلما كان بعرق الظُّبية أمر عاصم بن ثابت ابن أبي الأقلح فضرب عُنق عقبة بن أبي معيْط ، ويقال : بل أمر عليّ بن أبي طالب فضرب عنقه ، والأول أشهر .

قســمة الغنائم

ولما نزل بِسَيَرَ وهو شِعْب بالصَّفراء قسم الغنائم بين أصحابه ، وتنفلَّ سيفه ذا الفقار وكان لمنبِّه بن الحجَّاج فكان صفيَّهُ ، وأخذ سهمه مع المسلمين وفيه جمل أبي جهل . وكان مَهْرِياً[7] ، فكان يغزو عليه ويضرب في لقاحه .

(١) في (خ) « ما وعد » .

(٢) في (خ) « قال » ، وما أثبتناه من (المغازي) جـ ١ ص ١١٢ .

(٣) في (خ) « خرنتموني » وما أثبتناه من (ط) . (٤) في (خ) « لماها » .

(٥) يقول (الواقدي) جـ ١ ص ١١٧ : « الأثيل واد طوله ثلاثة أميال وبينه وبين بدر ميلان ، فكأنه بات على أربعة أميال من بدر » .

(٦) في (خ) « ذكوان بن قيس » والتصويب من المرجع السابق .

(٧) نسبة إلى مهرة بن حيوان ، وهم قبيلة عظيمة تنسب إليها الإبل (هامش ط) ص ٩٨ .

وبالصفراء مات عبيْدة بن الحارث رضي الله عنه . واستقبل طلحة وسعيد بن زيد رسولَ الله ﷺ بتُرْبان[1] [فيما بين ملل والسيالة] وهو منحدر من بدر يريد المدينة .

بشرى أهل المدينة بنصر رسول الله

وقدم زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة من الأثيل إلى المدينة فجاء يوم الأحد شدَّ[2] الضحى فنادى عبد الله : يا معشر الأنصار ، أبشروا بسلامة رسول الله وقتْل المشركين وأسرهم ، ثم اتَّبع دور الأنصار فبشرهم . وقدم زيد بن حارثة على ناقة رسول الله ﷺ القصواء يبشر أهل المدينة فلم يصدق المنافقون ذلك وشنَّعوا ، وقدم شُقْران بالأسرى وهم في الأصل سبعون . وتلقى الناسُ رسول الله ﷺ بالرَّوحاء يهنئونه بفتح الله ، فقدم المدينة ﷺ مؤيداً مُظفّراً منصوراً قد أعلى الله كلمته ومكّن له وأعزَّ نصره ، ودخلها من ثنية الوداع في يوم الأربعاء الثاني والعشرين من رمضان فتلقاه الولائد بالدفوف وهنَّ يقلن :

طـلع البـدر عـلينا　　　مـن ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا　　　ما دعــا لله داع

إســلام المنافقين

فأذلَّ الله بوقعة بدر رقاب المشركين والمنافقين واليهود ، فلم يبق بالمدينة يهودي ولا منافقٌ إلا خضع عنُقه .

وأسلم حينئذ بشرٌ كثير من أهل المدينة ، ومن ثم دخل عبد الله بن أبيّ بن سلول[3] وجماعته من المنافقين في دين الإسلام تَقيَّة[4] .

نوح قريش على قتلاها

وناحت قريش على قتلاها بمكة شهراً ، وجزّ النساء شعورهن ، وجعل صفوان

---

(١) في (خ) « بغُرثا » .　　(٢) شد الضحى : حين يرتفع قبل الزوال .
(٣) في (خ) « أبي بن سلول » ، وهو خطأ والصواب ما أثبتناه لأن سلول جدته .
(٤) في (خ) « مقيد » ، والتقيه : إظهار الصلح والاتفاق وإضمار الخلاف والمعاندة حذراً أو جبناً .

ابن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح لعُمير بن وهب بن خلف بن وهب الجمحيّ ــ وهو المضَرَّبُ ــ إن قَتَل رسول الله ﷺ أن يتحمل بِدَيْنِه ويقوم بعياله ، وحمله على بعيرٍ وجهَّزه .

خبر عمير بن وهب ومقدمه المدينة لقتل رسول الله ثم إسلامه وعودته إلى مكة

فقدم عميرٌ المدينة ودخل المسجد متقلداً سيفَه يريد رسول الله ﷺ ، فأدخله عمر بن الخطاب رضي الله عنه على النبي ﷺ فقال : ما أقدمك يا عمير ؟ قال : قدمتُ في أسيرٍ عندكم تُقاربونا فيه ، قال : فما بال السيف ؟ قال : قبحها الله من سيوف ، وهل أغنت من شيء ؟ إنما أنسيته[1] حين نزلت وهو في رقبتي . فقال : اصدُق ، ما أقدمك ؟ قال : ما قدمت إلا في أسيري ، قال : فما شرطتَ لصفوان ابن أمية في الحِجْر ؟ ففزع عمير ، قال : ماذا شرطت له ؟ قال : تحملتَ له بقتلي على أن يقضي دَينك ويعولَ عِيالك ، والله حائل بينك وبين ذلك . قال عمير : أشهدُ أنك رسول الله وأنك صادق . وأسلم ، فقال ﷺ : علموا أخاكم القرآن وأطلقوا له أسيره ، فعاد عمير إلى مكة يدعو الناس إلى الإسلام ، فأسلم معه بشرٌ كثير .

مقدم جبير بن مطعم في فداء أسرى قريش

وقد جبير بن مُطعم في فداء الأسرى ، وقدم أربعة عشر من قريش ، فجعل النبي ﷺ فداءَ الرجل أربعة آلاف إلى ثلاثة آلاف إلى ألفين إلى ألف [درهم][2] ، ومنهم من مَنَّ عليه لأنه لا مال له .

خبر زينبُ بنت رسول الله في فداء زوجها

وبعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء زوجها أبي العاص بن الربيع بقلادة لها كانت لخديجة رضي الله عنها من جَزْعِ ظَفَار[3] ــ مع أخيه عمرو بن الربيع ،

(١) في (خ) و (المغازي) « نسيته » .
(٢) زيادة للإيضاح .
(٣) الجزْع : خرز فيه بياض وسواد. وظفار : بلدة باليمن . وذكر (الواقدي) جـ١ ص ١٣٠ أن هذه =

فَرَقَّ لها رسول الله ﷺ وقال: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردّوا إليها متاعها فعلتم ، قالوا : نعم ، فأطلقوا أبا العاص وردّوا القلادة إلى زينب . وأخذ النبي ﷺ على أبي العاص أن يُخْلي سبيل زينب فوعدهُ ذلك . وكان الذي أسره عبد الله بن جُبير بن النعمان أخو خَوَّات بن جبير ، وفكّ رسول الله ﷺ عن السائب بن عبيد ، وعبيد بن عمرو بن علقمة بغير فدية ، وقد أسرهما سلمَة بن أسلم بن حريش الأشهلي لأنه لا مال لهما ، ولم يقدم لهما أحد .

أسرى قريش وفداؤهم بتعليم الغلمان الكتابة

وكان في الأسرى من يكتُب ، ولم يكن في الأنصار من يحسن الكتابة ، وكان منهم من لا مال له ، فيُقبل منه أن يعلم عشرة من الغلمان الكتابة ويخلي سبيله .

فيومئذ تعلّم زيدُ بن ثابت الكتابة في جماعة من غلمان الأنصار . خرَّج[1] الإمام أحمد من حديث عكرمة عن ابن عباس قال : كان ناسٌ من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء ، فجعل رسول الله[2] ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة ، قال : فجاء غلام يبكي إلى أبيه[3] فقال ما شأنك ؟ قال ضربني معلمي ، قال : الخبيث !! يطلب بذَحل[4] بدر ، والله لا تأتيه أبداً . وقال عامر الشعبي : كان فداء الأسرى [من][5] أهل بدر أربعين أوقية ، فمن لم يكن عنده علم عشرة من المسلمين ، فكان زيد بن ثابت [ممن][5] عُلّم .

عدة من استشهد يوم بدر

واستشهد يوم بدر من المسلمين أربعة عشر : ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار ، وقتل من المشركين سبعون وأسر سبعون ، وقيل : أربعة وسبعون أحصي

= القلادة كانت خديجة بنت خويلد أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى بها ، فلما رأى رسول الله ﷺ القلادة عرفها ورقّ لها ، وذكر خديجة ورحم عليها .

(١) (المسند) جـ ١ ص ٢٤٧ .

(٢) في (خ) « النبي » ، وهذا نصُّ المسند .

(٣) في (خ) « قال » .

(٤) في (خ) « بدخل » ، والذحْل : الثأر أو العداوة والحقد (المعجم الوسيط) جـ ١ ص ٣٠٩ .

(٥) زيادة للسياق .

منهم تسعة وأربعون أسيراً[1] .

قتل عصماء بنت مروان

وكانت عصماء بنت مروان من بني أمية بن زيد تحت يزيد بن زيد بن حصن الخطمي ، وكانت تؤذي رسول الله وتَعيب الإسلام وتحرض على النبي ﷺ وقالت شعراً[2] ، فنذر عمير بن عدي بن خرشة بن أمية بن عامر بن خَطْمَة [واسمه عبد الله بن جُشم بن مالك بن الأوس] الخطمي لئن ردّ رسول الله ﷺ من بدر إلى المدينة ليقتلنها . فلما رجع ﷺ من بدر جاءها عميرٌ ليلا حتى دخل عليها في بيتها [وحولها نفر من ولدها نيام ، منهم من ترضعه في صدرها ، فجسها بيده ــ وكان ضرير البصر ــ ونحّى الصبي عنها][3] ووضع سيفه على صدرها حتى أنفذه من ظهرها ، وأتى فصلى الصبح مع النبي ﷺ . فلما انصرف نظر إليه وقال : أقتلت ابنة مروان ؟ قال : نعم يا رسول الله [قال : نصرت الله ورسوله يا عمير ، فقال : هل عليّ شيء من شأنها يا رسول الله ؟ فقال][4] لا ينتطح فيها عنزان . فكانت هذه الكلمة أولَ ما سمعت من رسول الله ﷺ . وقال لأصحابه : إذا أحببتم أن تنظروا إلى رجل نصر الله ورسوله بالغيب فانظروا إلى عمير بن عدي ، فقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه : انظروا إلى هذا الأعمى الذي تشرَّى[5] في طاعة الله فقال [رسول الله ﷺ] : لا تقل الأعمى ولكنه البصير . فلما رجع عُمير وجد بنيها في جماعة يدفنونها فقالوا : يا عمير ، أنت قتلتها ؟ قال : نعم ، فكيدوني جميعاً ثم لا تُنظرون ، فوالذي نفسي بيده لو قلتم جميعاً ما قالت لضربتكم بسيفي هذا حتى أموتَ أو أقتلكم . فيومئذ ظهر الإسلام في بني خطمة ، فمدح حسان عمير

---

(١) ذكر ابن قتيبة في (المعارف) ص ١٥٥ : « وعدة من قُتل من المشركين يوم بدر خمسون رجلاً وأسر أربعة وأربعين رجلاً » .

(٢) ذكر (الواقدي) هذا الشعر في (المغازي) جـ ١ ص ١٧٢ :

فباسْتِ بني مالك والنَّبيت ... وعوفٍ وباسْتِ بني الخزرجِ
أطعتم أتاوِيَّ من غيركم ... فلا من مُرادٍ ولا مذْحجِ
تُرجونه بعد قتْل الرءوسِ ... كما يُرتجى مَرَقُ المُنْضَجِ

والأوتاوي : الغريب ــ ومراء ومذحج : قبيلتان من قبائل اليمن .

(٣) زيادة من (ابن سعد) جـ ٢ ص ٢٨ .

(٤) زيادة من (المغازي) جـ ١ ص ١٧٣ .

(٥) تشرَّى : إذا شرى (أي باع) نفسه في سبيل الله .

ابن عدي[1] ، وكان قتل عصماء لخمس بقين من رمضان فرجع النبي ﷺ من بدر على رأس تسعة عشر شهراً .

فرض زكاة الفطر

وقام رسول الله قبل يوم الفطر بيومين خطيباً فعلَّم الناس زكاة الفطر ، وخرج إلى المصلى يوم الفطر فصلى بالناس صلاة الفطر والعَنزة[2] بين يديه ، وهي أول صلاة صلاها في يوم العيد .

قتل أبي عفك اليهودي

ثم كان قتل أبي عَفَك اليهودي في شوال على رأس عشرين شهراً ، وكان شيخاً من بني عمرو بن عوف قد بلغ عشرين ومائة سنة[3] ، وكان يحرِّض على عداوة النبي ﷺ ولم يدخل في الإسلام ، وقال شعراً[4] ، فنذر سالم بن عمير بن ثابت ابن النعمان بن أمية بن امريء القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف الأنصاري أحد

---

(١) هذه هي الأبيات من (الواقدي) جـ ١ ص ١٧٤ :

بني وائلٍ وبني واقفٍ ... وخطمة دون بني الخزرجِ
متى ما دعت أختكم وَيْحَهَا ... بَعولتها والمنايا تجي
فهزَّت فتى ماجداً عِرْقُهُ ... كريم المداخل والمخرجِ
فضرَّجها من نجيع الدماء ... قُبَيْل الصباح ولم يَحْرَجِ
فأوردك الله بَرْدَ الجنا ... نِ جذلان في نعمة المُولجِ

ونجيع الدماء : ما كان إلى السواد أو دم الجوف .

(٢) العَنَزة : عصا قصيرة في سنان ولها زج في أسفلها ، وهذه العَنَزة كانت تحمل بين يدي رسول الله ﷺ وكانت للزبير بن العوام قدم بها من الحبشة فأخذها منه رسول الله ﷺ (هامش ط) ص ١٠٣ .

(٣) في (خ) « سنة سنة » تكرار .

(٤) ذكره (الواقدي) جـ ١ ص ١٧٥ وهو :

قد عشتُ حيناً وما إن أرى ... من الناس داراً ولا مجمعاً
أجَمَّ عُقولاً وآتي إلي ... منيبٍ سراعاً إذا ما دعا
فَسَلَّبهم أمرهم راكبٌ ... حراماً حلالاً لشتى معاً
فلو كان بالمُلك صدَّقتكم ... وبالنصر تابعتم تُبَّعاً

البكائين[١] من بني النجار ليَقتلَنّه أو يموت دونه ، وطلب له غرة[٢] ، حتى كانت ليلة صائفة ــ ونام (أبو عفك)[٣] بالفِناء في بني عمرو بن عوف ــ فأقبل[٤] سالم فوضع السيف على كبده فقتله .

غزوة بني قينقاع وإجلاؤهم

ثم كان إجلاء بني قينقاعَ[٥] ــ أحد طوائف اليهود بالمدينة ــ في شوال بعد بدر ، وقيل : في صفر سنة ثلاث ، وجعلها محمد بن إسحق بعد غزوة « قرارة الكُدر » . وكان سببها أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة مهاجراً وادعته يهودُ كلها ، وكتب بينه وبينهم كتاباً ، وألحق كل قوم بحلفائهم ، وجعل بينه وبينهم أماناً ، وشرط عليهم شروطاً منها : ألا يظاهروا عليه عدواً . فلما قدم من بدر بغت يهودُ ، وقطعت ما كان بينها وبين رسول الله ﷺ من العهد ، فجمعهم [بسوق بني قينقاع][٦] وقال : يا معشر يهود ، اسلموا قبل أن يوقع الله بكم مثل وقعة قريش ، فوالله إنكم لتعلمون أني رسول الله ، فقالوا : يا محمد لا يغرنك من لقيت ، إنك قهرت قوماً أغماراً[٧] وإنا والله أصحاب الحرب ، ولئن قاتلتنا لتعلمن أنك لم تقاتل مثلنا .

سبب إجلائهم

فبينا هم على ما هم عليه ــ من إظهار العداوة ونبذ العهد ــ جاءت امرأة رجل من الأنصار إلى سوق بني قينقاع فجلست عند صائغ في حليّ لها ، فجاء أحد بني قينقاع فحل درعها من ورائها بشوكة وهي لا تشعر ، فلما قامت بدت عورتها فضحكوا منها ، فاتبعه رجل من المسلمين فقتله ، فاجتمع عليه بنو قينقاع وقتلوه ، ونبذوا العهد إلى النبي ﷺ وحاربوا ، وتحصنوا في حصنهم . فأنزل الله تعالى : ﴿ **وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين** ﴾[٨] فقال ﷺ : أنا أخاف[٩] بني قينقاع فسار إليهم رسول الله ﷺ يوم السبت

(١) البكاءون : هم السبعة الذين نزل فيهم قوله تعالى : ﴿ **ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون** ﴾ الآية ٩٢/التوبة .

(٢) في (خ) « عزة » . (٣) زيادة للإيضاح . (٤) في (خ) « أقبل » .

(٥) في (خ) « قينقا » . (٦) زيادة للإيضاح .

(٧) أغمار : جمع غُمْر ، وهو الجاهل الذي لا تجربة عنده .

(٨) الآية ٥٨ / الأنفال . (٩) في (خ) « أخافه من » .

النصف من شوال بعد بدر ببضع وعشرين يوماً ، وهم سبعمائة مقاتل : منهم ثلاثمائة متدرِّعون بدروع الحديد ، ولم يكن لهم حصون ولا معاقل ، وإنما كانوا تجاراً وصاغة ، وهم حلفاء لعبد الله بن أُبيّ بن سلول ، وكانوا أشجع يهود فكانوا أول من غدر من اليهود ، فحاصرهم خمس عشرة ليلة حتى نزلوا على حُكم رسول الله ﷺ ، فأمر بهم فرُبطوا ، واستعمل على رباطهم وكتافهم المنذر بن قدامة السَّلْمي من بني غنم بن السَّلْم بن مالك بن الأوس ، ثم خَلّى عنهم بشفاعة عبد الله بن أُبي بن سلول ، وأمرهم أن يُجْلوا من المدينة ، فأجلاهم محمد بن مسلمة الأنصاريّ ، وقيل : عبادة بن الصامت ، وقبض أموالهم ، وأخذ رسول الله ﷺ من سلاحهم ثلاث قسيّ[1] وهي الكتوم والروحاء والبيضاء ، وأخذ درعين : الصُّغْديَّة وفِضة ، وثلاثة أسياف وثلاثة أرماح . ووجدوا في منازلهم سلاحاً كثيراً وآلة الصياغة ، وخمَّس[2] ما أصاب منهم ، وقسم ما بقي على أصحابه . وخرجوا بعد ثلاث فلحقوا بأذرعات[3] بنسائهم وذراريهم ، فلم يلبثوا إلا قليلا حتى هلكوا ، وقال الحاكم : هذه وبني النضير واحدة وربما اشتبها على من[4] لا يتأمل .

واستخلف رسول الله ﷺ في غزوة بني قينقاع على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر ، وحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ، وكان أبيض ، ولم تكن الرايات يومئذ .

غزوة السَّويق

ثم كانت غزوة السَّويق ، خرج رسول الله ﷺ يوم الأحد الخامس من ذي الحجة على رأس اثنين وعشرين شهراً في مائتين من المهاجرين والأنصار ، واستخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر ، فغاب[5] خمسة أيام . وذلك أن المشركين لما رجعوا إلى مكة من بدر حرَّم أبو سفيان صخر بن حرب الدُّهن حتى يثأر من محمد وأصحابه بمن أصيب من قومه ، فخرج في مائتي راكب ، وقيل : في أربعين راكباً ، فجاءوا بني النضير ــ في طرف المدينة ــ ليلاً ، ودخلوا على سلَّام بن مِشْكم فسقى

---

(١) جمع قوس . (٢) أخذ خُمس الغنيمة .
(٣) أذرعات : بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان (معجم البلدان) جـ ١ ص ١٣٠ .
(٤) في (خ) « اشتبها ولا يتأمل » . (٥) في (خ) « ففات » .

أبا سفيان خمراً وأخبره من أخبار النبي ﷺ ، وخرج [أبو سفيان][1] سَحَراً ، فوجد رجلاً من الأنصار في حرثٍ فقتله وأجيره — وهذا الأنصاري هو معبد بن عمرو — وحرّق بيتين بالعُريض ، وحرق حرثاً لهم وذهب . فخرج رسول الله ﷺ بمن معه في أثره ، وجعل أبو سفيان وأصحابه يلقون جُرُب السويق[2] — وهي عامة أزوادهم — يتخففون منها لسرعة سيرهم خوفاً من الطلب ، فجعل المسلمون يأخذونها . فسُمِّيت غزوة السويق لهذا .

أول عيد ضحى فيه رسول الله ﷺ

وعاد رسول الله ﷺ إلى المدينة . وصلى رسول الله ﷺ صلاة الأضحى بالمصلى ، وضحى بشاة ، وقيل : بشاتين ، وضحَّى معه ذوو اليسار . قال جابر ضحينا في بني سلمة سبع عشرة أضحية ، وهو أول عيد ضحى فيه النبي ﷺ .

كتاب المعاقل والديات

وكتب ﷺ في هذه السنة المعاقل[3] والديات ، وكانت معلَّقة بسيفه .

زواج فاطمة بنت رسول الله وغزوة قرارة الكُدْر

ويقال : فيها بنى عليٌّ بفاطمة رضي الله عنهما ، على رأس اثنتين وعشرين شهراً ثم كانت غزوة قرارة الكُدْر ، ويقال : قرقرة بني سُلَيم وغَطَفان ، خرج إليها رسول الله ﷺ للنصف من محرم على رأس ثلاثة وعشرين شهراً ، هذا قول محمد بن عمر الواقدي[4] ، وقال ابن إسحق : كانت في شوال سنة اثنين . وقال[5] ابن حَزْم : لم يُقم منصرفة من بدر بالمدينة إلا سبعة أيام ، ثم خرج يريد بني سليم وحمل لواءه عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم . وذلك أنه بلغه أن بقرارة الكدر جمعاً من غطفان وسليم ، فأخذ عليهم الطريق فلم

---

(١) زيادة للإيضاح .

(٢) الجُرُب : جمع جراب ، وهو وعاء يكون فيه الزاد ، والسَّويق : طعام يتخذ من الحنطة والشعير .

(٣) المعاقل والديات : ما شرع الله من العوض في الجنايات وغيرها .

(٤) في (المغازي) جـ ١ ص ١٨٢ . (٥) في (خ) « ويقال » .

يجد في المجال أحداً ، فأرسل في أعلى الوادي نفراً من أصحابه واستقبلهم في بطن الوادي فوجد رِعاءً[1] فيها غلام يقال له يسار ، فسألهم ، فأخبره يسار أن الناس ارتفعوا إلى المياه ، فانصرف وقد ظَفر بالنَّعم[2] يريد المدينة ، فأدركه يسار وهو يصلي الصبح فصلى وراءه ، وطابت به أنفس المسلمين لرسول الله ﷺ فَقَبِلَهُ وأعتقه . وقدم المدينة ، وقد غاب خمس عشرة ليلة ، وأخذ خمُس النعم — وكانت خمسمائة — وقسم باقيها ، وقيل : بل أصاب كل رجل منهم سبعة أبعرة ، وكانوا مائتي رجل ، وكان قَسمها بصرارٍ على ثلاثة أميال من المدينة .

سرية قتل كعب بن الأشرف

ثم كان قتل كعب بن الأشرف اليهودي لأربع عشرة من شهر ربيع الأول على رأس خمسة عشر شهراً[3] وذلك أنه كان من بني نبهان بن طيء حليفاً لبني قُريظة ، وأمه من بني النضير ، وكان عدوًّا لله ولرسوله يهجو النبي ﷺ وأصحابه ، ويحرِّض عليهم كفار قريش في شِعره ، ثم خرج إلى مكة بعد بدر فجعل يرثي [قتلى بدر ويحرِّض][4] قريشاً ، وعاد إلى المدينة .

سبب قتله

فقال النبي ﷺ : اللهم اكفني ابن الأشرف بما شِئْتَ — في إعلانه الشرّ وقوله الأشعار — وقال : من لي بابن الأشرف فقد آذاني . فقال محمد بن مَسْلَمة : أنا به يا رسول الله ، وأنا أقتله ، قال : فافعل . وأمره بمشاروة سعد بن مُعاذ ، فاجتمع محمد بن مسلمة ونفر من الأوس منهم عباد بن بشر بن وَقش بن زُغبة بن زَعُورا ابن عبد الأشهل ، وأبو نائلة سَلكان بن سلامة والحارث بن أوس [بن معاذ ، وأبو عبس بن جبر أحد بني حارثة][5] فقالوا : يا رسول الله ، نحن نقتله فأذَنْ لنا فلنقل ، قال : قولوا[6] . فأتاه أبو نائلة وهو في نادي قومه — وكان هو ومحمد بن

(١) جمع راع . (٢) في (خ) « بنعم » .

(٣) كذا بالأصل والصواب من (المغازي) جـ ١ ص ١٨٤ ومن (ابن سعد) جـ ٢ ص ٣١ « خمسة وعشرين شهراً من مهاجر رسول الله ﷺ . (٤) زيادة للإيضاح .

(٥) زيادة من (ابن هشام) جـ ٣ ص ١٠ .

(٦) قال يقول : كناية عن بعض الكذب في الحديث.

مسلمة أخويه من الرضاعة ـــ فتحدثا وتناشدا الأشعار حتى قام القوم ، فقال له : كان قدوم هذا الرجل علينا من البلاء ، حاربتْنا العرب ، ورمتْنا عن قوس واحدة ، وتقطعت السبل عنا حتى جُهدَت الأنفس ، وضاع العيال ، فقال كعب : قد كنت أحدثك بهذا أن الأمر سيصير إليه ، قال أبو نائلة : ومعي رجال من أصحابي على مثل رأيي ، وقد أردت أن آتيك بها فنبتاع منك طعاماً وتمراً ، ونرهنك ما يكون لك فيه ثقة ، واكتم عنا ما حدثتك من ذكر محمد ، قال : لا أذكر منه حرفاً ، لكن اصدقني ، ما الذي تريدون في أمره ؟ قال : خذلانه والتنحي عنه ، قال : سررتني ، فماذا ترهنونني ! قال الحلْقة[1] ، فرضي . وقام أبو نائلة من عنده على ميعاد . فأتى أصحابه فأجمعوا أن يأتوه إذا أمسى لميعاده ، وأخبروا النبي ﷺ ، فمشى معهم وَوَجههم من البقيع[2] ، وقال : امضوا على بركة الله وعونه ، وذلك بعد أن صلوا العشاء في ليلة مقمرة مثل النهار ، فأتوا ابن الأشرف فهتف به أبو نائلة ـــ وكان حديث عهد بعُرْس[3] ـــ فوثب ونزل من حصنه إليهم ، فجعلوا يتحادثون ساعة ، ثم مشوا قبَلَ شرْج العجوز[4] ليتحادثوا بقية ليلتهم ، فأدخل أبو نائلة يده في رأس كعب وقال : ما أطيب عطرك هذا !! ثم مشى ساعة وعاد لمثلها وأخذ بقرون[5] رأسه فضربه الجماعة بأسيافهم ، ووضع محمد بن مسلمة مِغْولاً[6] معه في سرة كعب حتى انتهى إلى عانته ، فصاح صيحة أسمعت جميع آطام اليهود ، فأشعلوا نيرانهم .

واحتز الجماعة رأس كعب واحتملوه وأتوا رسول الله ﷺ ـــ وقد قام يصلي ليلته بالبقيع ـــ فلما بلغوه كبروا فكبّر ﷺ ثم قال : أفلحت الوجوه ، فقالوا : ووجهك يا رسول الله . ورموا برأس كعب بين يديه ، فحمد الله على قتله ، وتَفل على جُرح الحارث بن أوس ، وكان قد جرح ببعض سيوف أصحابه فَبرأ من وقته . وأصبح رسول الله ﷺ من الليلة التي قتل فيها ابن الأشرف فقال : مَنْ ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه ، فخافت اليهود فلم يطلع عظيم من عظمائهم ولم ينطقوا ،

(١) الحلْقة : السلاح عامة والدروع خاصة.
(٢) بقيع الغرقد بالمدينة .
(٣) يعني ابن الأشرف .
(٤) شرج العجوز : موضع قرب المدينة . (معجم البلدان) جـ ٣ ص ٣٣٤ .
(٥) ضفائر رأسه .
(٦) سيف دقيق قصير ماضٍ يكون في جرف سوط يشده القاتل على وسطه ليغتال به الناس .

(وخافوا أن يبيّتوا كما بيت ابن الأشرف)[1] .

مقتل ابن سُنَيْنَةَ

وكان ابن سُنَيْنَةَ من يهود بني حارثة حليفاً لحويِّصة بن مسعود [قد أسلم][2] ، فعدا [أخوه][3] مُحَيِّصة [بن مسعود][4] على ابن سنينة فقتله ، فجعل أخوه حويِّصة يضربه ويقول : أي عدُو الله أقتلتهُ !! أما والله لَرُبّ شحم في بطنك من ماله ، فقال محيصة : [فقلت[5]] والله لو أمرني بقتلكَ الذي أمرني بقتله لقتلتُك [قال : أو الله لو أمرك محمد بقتلي لقتلتني ؟ قال : نعم ، والله لو أمرني بضرب عنقك لضربتها ، قال : والله إن ديناً بلغ بك هذا لعجب ، فأسلم حويّصة][6] .

فجاءت يهود إلى النبي ﷺ يَشكُون ذلك[7] ، فقال : إنه لو فر كما فرّ غيره ممن هو على مثل رأيه ما اغتيل ، ولكنه نال منا الأذى وهجانا بالشعر ، ولم يفعل هذا أحد منكم إلا كان السيف . ودعاهم أن يكتب [بينه و][8] بينهم كتاباً ينتهون إلى ما فيه ، فكتبوا بينهم وبينه كتاباً . وحذِرت يهود وخافت وذلتْ من يوم قتل ابن الأشرف .

غزوة ذي أَمَر بنجد

ثم كانت غزوة ذي أَمَر[9] بنجد ، خرج رسول الله ﷺ في يوم الخميس

---

(١) زيادة من (الواقدي) جـ ١ ص ١٩٠ .
(٢) زيادة من المرجع السابق .
(٣) زيادة للإيضاح .
(٤) زيادة للإيضاح .
(٥) زيادة من ابن هشام جـ ٣ ص ١٣ .
(٦) زيادة من (الواقدي) جـ ١ ص ١٩١ ، ١٩٢ وزاد : « فأسلم حُويصة يومئذ ، فقال مُحيِّصة ــ وهي ثبت ، لم أَرَ أحداً يدفعها ــ يقول :

يلوم ابن أمي لو أُمِرْتُ بقتله ... لطبقتُ ذفراه بأبيضَ قاضبِ
حسامٍ كلون المِلْح أخلصَ صقْله ... متى ما تُصوبْهُ فليس بكاذِبِ
وما سرَّني أنّي قتلتُك طائعاً ... ولو أن لي ما بين بُصرى ومأرِبِ

« والذفرى : عظم ناتيء خلف الأذن » .
(٧) يعني في قتل ابن الأشرف ، وفي (خ) « يشكو » .
(٨) زيادة للسياق .
(٩) في (خ) « ذي أمو » .

الثامن عشر من ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهراً في قول الواقدي[1] ، وذكر ابن إسحق أنها كانت في المحرم سنة ثلاث ، ومعه أربعمائة وخمسون ، فيهم عدَّةُ أفراس . واستخلف على المدينة عثمان بن عفان رضي الله عنه . وذلك أنه بلغه أن جمعاً ـــ من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان ، وبني محارب بن خصفة بن قيس ـــ بذي أمر قد تجمعوا يريدون أن يصيبوا من أطرافه ﷺ ، فجمعهم دعثور بن الحارث من بني محارب . فأصاب (رسولُ الله ﷺ)[2] رجلا منهم بذي القصة يقال له جبار من بني ثعلبة فأسلم ، وسار معهم يدلهم على عورات القوم حتى أهبطهم من كثيب ، فهربت الأعراب فوق الجبال ، فنزل ﷺ ذي أمر ، فأصابهم مطر كثير ، فذهب ﷺ لحاجته فأصابه المطر فبلَّ ثوبه فنزعه ونشره على شجرة ليجف واضطجع تحتها والأعراب تنظر إليه .

خبر دُعثور الذي أراد قتل رسول الله

فبادر دُعثور وأقبل مشتملاً على السيف حتى قام على رأس النبي ﷺ بالسيف مشهوراً وقال : يا محمد ، من يمنعك مني اليوم ؟ قال : الله . ودفع جبريل عليه السلام في صدره فوقع السيف من يده ، فأخذه النبي ﷺ وقام به على رأسه فقال : من يمنعك مني ؟ فقال : لا أحد ، وأسلم ، وحلف لا يكثِّر عليه جمعاً أبداً ثم أدبر ، فأعطاه سيفه . فأتى قومه ودعاهم إلى الإسلام ، وفيه نزلت : ﴿ **يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ همَّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكفّ أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون** ﴾[3] . وعاد ﷺ إلى المدينة فكانت غيبته أحد عشرة ليلة .

زواج أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ

وفي ربيع الأول هذا تزوج عثمان بن عفان رضي الله عنه بأم كلثوم بنتِ رسول الله ﷺ ، ودخل بها في جمادى الآخرة ، رضي الله عنها .

---

(١) (المغازي) جـ ١ ص ١٩٣ (وتلقيح الفهوم) ص ٥٤ وذكر (الطبري) في تاريخه جـ ٢ ص ٤٨٧ « وهي غزوة ذي أمر ، فأقام بنجد صفراً كُلّه أو قريباً من ذلك » ذكر هذا في أحداث السنة الثالثة من الهجرة .

(٢) زيادة للإيضاح .

(٣) الآية ١١ / المائدة ، وفي (خ) « عنكم الآية » .

غزوة بني سليم بالفرع

ثم كانت غزوة بني سليم ببُحران[1] من ناحية الفرع ، خرج ﷺ في السادس من جمادى الأولى على رأس سبعة وعشرين شهراً في ثلاثمائة رجل ، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، ولم يظهر وجهاً ، فأغذ[2] السير ، حتى إذا كان دون بحران[1] بليلة لقي رجلاً من بني سليم فأخبره أن القوم افترقوا ، فحبسه مع رجل وسار حتى ورد بحران[1] وليس بها أحد ، فأقام أياماً ورجع ولم يلق كيداً ، وأرسل[3] الرجل . فكانت غيبته عشرُ ليالي[4] .

سرية زيد بن حارثة إلى القَرَدَة

ثم كانت سرية زيد بن حارثة إلى القَرَدَة[5] — وهي أول سرية خرج زيد (ابن حارثة)[6] فيها أميراً ، سار لهلال جمادى الآخرة على رأس سبعة وعشرين شهراً — يريد صفوان بن أمية وقد نكب[7] عن الطريق — وسلك على جهة العراق يريد الشام بتجارة فيها أموال لقريش ، خوفاً من رسول الله ﷺ أن يعترضها . فقدم نُعيم بن مسعود الأشجعي على كنانة بن أبي الحقيق في بني النضير فشرب معه ، ومعهم سليط بن النعمان[8] يشرب ، ولم تكن الخمر قد حُرِّمت ، فذكر نعيم خروج صفوان في عيره وما معهم من الأموال ، فخرج (سليط)[9] من ساعته وأخبر النبي ﷺ ، فأرسل زيد بن حارثة في مائة راكب فأصابوا العير وأفلت أعيان القوم . فقدموا بالعير فخمسها رسول الله ﷺ ، فبلغ الخمسُ عشرين ألف

---

(١) في (خ) « نجران » في كل المواضع .

(٢) في (خ) « اغد » وأغذّ السير : أسرع .

(٣) أرسله : أطلقه . (٤) كذا في (خ) وفي (الواقدي) ليال جـ ١ ص ١٩٧ .

(٥) القَرَدَة : بالتحريك ، ماءٌ أسفل مياه الثلبوت بنجد في الرُّمّة لبني فعامة (معجم البلدان) جـ ٤ ص ٣٣٣ .

(٦) زيادة من (الواقدي) جـ ١ ص ١٩٧ ، ومن (الطبري) جـ ٢ ص ٤٩٢ .

(٧) نكب : عدل .

(٨) زعم محقق (ط) أنه لم يجد « سليط بن النعمان » هذا في الصحابة ، وأنه لم يجد الخبر !! ونقول : هذا الخبر بتمامه في : (المغازي للواقدي) جـ ١ ص ١٩٨ — ١٩٩ ، و (البداية والنهاية لابن كثير) جـ ٤ ص ٤ — ٥ .

(٩) زيادة للإيضاح .

درهم ، وقسم ما بقي على أهل السرية ، وكان فيمن أسر فرات بن حيان[1] فأسلم .

زواج حفصة أم المؤمنين

وفي شعبان من هذه السنة تزوج رسول الله ﷺ[2] حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وقال أبو عُبيد : سنة اثنتين ، ويقال : بعد أُحد .

زواجه زينب أم المساكين

وتزوج زينب أم المساكين في رمضان قبل أحد بشهر ، وفي نصف رمضان وُلد الحسن بن على رضي الله عنهما .

غـزوة أحـد

ثم كانت غزوة أحد يوم السبت لسبعَ خَلَوْن من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهراً[3] ، وقيل : كانت لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال ، وقيل : كانت للنصف منه ، وعن مالك بن أنس : كانت بعد بدر بسنة ، وعنه أيضاً كانت على أحد وثلاثين شهراً من الهجرة ، وهي وقعة امتحن الله عز وجل فيها عباده المؤمنين واختبرهم ، وميز فيها المؤمنين والمنافقين .

ما فيها من دلائل النبوة

وكان فيها من دلائل النبوة : تحقيق قول النبي ﷺ لأمية بن خلف : بل أنا أقتلك ، فقتله ، ورَدُّ عين قتادة إلى موضعها بعد سقوطها ، غسل الملائكة لحنظلة وظهور ذلك للأنصار ، فرأوا الماء يقطر من رأسه رفعاً للجنابة التي كانت عليه ، وما اعتراهم من النعاس مع قرب العدو منهم وذلك خلاف عادة من انهزم من عدوه ،

---

(١) [وقال رسول الله ﷺ يوم حُنين حين أعطى المؤلفة قلوبهم : « إن من الناس ناساً نكلهم إلى إيمانهم منهم الفرات بن حيان »] (المعارف) ص ٣٢٤ .

(٢) ذكره (الطبري) في التاريخ جـ ٢ ص ٤٩٩ في أحداث السنة الثالثة .

(٣) في رواية (الواقدي) جـ ٢ ص ١٩٩ (والطبري) في التاريخ جـ ٢ ص ٤٩٩ ، وابن سعد في (الطبقات) جـ ٢ ص ٣٦ .

واستخلف ﷺ على المدينة ابن أم مكتوم .

سبب قتال أحـد

وذلك أنه لما عاد المشركون من بدر إلى مكة وجدوا العير التي قدم بها أبو سفيان بن حرب من الشام موقوفةً في دار الندوة ــ وكذلك كانوا يصنعون ــ لم يحركها ولا فرَّقها فطابت أنفس أشرافهم أن يجهزوا منها جيشاً كثيفاً لقتال رسول الله ﷺ وباعوها . وكانت ألف بعير ، والمال خمسون ألف دينار ، وكانوا يربحون في الدينار دينارا ، فأخرجوا منها أرباحهم ، فنزل فيهم قول الله تعالى : ﴿ **إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون** ﴾[١] .

بعثة قريش تستنفر العرب

وبعثوا ــ عمرو بن العاص وهبيرة بن أبي وهب ، وابن الزِّبعري ، وأبا عزّة عمرو بن عبد الله الجمحيّ الذي منّ عليه النبي ﷺ يوم بدر ــ إلى العرب يستنفرونها ، فألبوا العرب وجمعوها .

خروج قريش من مكة

وخرجوا من مكة ومعهم الظُّعن[٢] ــ وهن خمس عشرة امرأة ــ وخرج نساء مكة ومعهن الدفوف يبكين قتلى بدر وينحن عليهم . وحشدت بنو كنانة ، وعقدوا ثلاثة ألوية ، وخرجوا من مكة لخمس مضين من شوال في ثلاثة آلاف [رجل فيهم سبعمائة دارع ، ومعهم مائتا فرس][٣] وثلاثة آلاف بعير وخمس عشرة امرأة .

كتاب العباس إلى رسول الله ﷺ

وكتب العباس بن عبد المطلب كتاباً إلى رسول الله ﷺ مع رجل من بني

(١) الآية ٣٦ / الأنفال ، وفي (خ) « ثم يغلبون الآية » .
(٢) جمع ظعينة ، وهي المرأة تكون في هَوْدجها .
(٣) ما بين القوسين في (خ) « ومائتي فرس وسبعمائة دارع » ، وقد أثبتناه بعد إعادة السياق .

غِفار يخبره بذلك ، فقدم عليه وهو بقُباء فقرأه عليه أُبَيٌّ بن كعب واستكتم أبياً[1] .

ونزل [رسول الله ﷺ][2] على سعد بن الربيع فأخبره بكتاب العباس فقال : والله إني لأرجو أن يكون في ذلك خير[3] . وقد أرجَفَتْ اليهود والمنافقون وشاع الخبر . وقدم عمرو بن سالم الخزاعي في نفر وقد فارقوا قريشاً من ذي طوًى ، فأخبر النبي ﷺ الخبرَ وانصرفوا .

خبر أبي عامر الفاسق

وكان أبو عامر الفاسق قد خرج في خمسين رجلا [من الأوس][4] إلى مكة وحرّض قريشاً وسار معها وهو يعدها أن قومه يؤازرونهم — واسم أبي عامر هذا عبد عمرو[5] بن صَيْفيّ الراهب ، وكان رأس الأوس في الجاهلية ، وكان مترهباً ، فلما جاء الإسلام خُذل فلم يدخل فيه ، وجاهَرَ رسولَ الله ﷺ بالعداوة فدعا عليه ، فخرج من المدينة إلى مكة ، وهمَّت قريشٌ وهي بالأبواء أن تنبش قبر آمنة أم النبي ﷺ ثم كفهم الله عنه .

بث العيون

وبعث رسول الله ﷺ — أنساً ومؤنساً ابني فضالة ليلة الخميس عينين ، فاعترضا لقريش بالعقيق[6] ، وعادا إلى النبي ﷺ فأخبراه . ونزل المشركون ظاهر المدينة يوم الأربعاء فرعت إبلهم آثار الحرث والزرع يوم الخميس ويوم الجمعة حتى لم يتركوا خضراء . وبعث رسول الله ﷺ الحباب بن المنذر بن الجموح فنظر إليهم وعاد وقد حَزَرَ عَدَدهم وما معهم ، فقال ﷺ : لا تذكروا من شأنهم حرفاً ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، اللهم بك أجُول وبك أصول .

المناوشة قبل أحد

وخرج سَلَمة بن سلامة بن وقش يوم الجمعة فلقى عشرة أفراس طليعة فراشقهم

(١) في (خ) « ابنا » . (٢) زيادة للإيضاح . (٣) في (خ) « خيراً » .

(٤) زيادة من (الواقدي) جـ ١ ص ٢٠٥ . (٥) في (خ) « عمرو بن صيني » .

(٦) « والعرب تقول لكل مسيل ماء شقَّه السيل في الأرض فأنهره ووسعه ، عقيق وفي بلاد العرب أربعةُ أعِقّة وهي أودية عادية شقّتها السيول » ، والمراد في هذا الخبر هو : عقيق بناحية المدينة ، (معجم البلدان) جـ ٤ ص ١٣٨ — ١٣٩ .

بالنّبل والحجارة حتى انكشفوا عنه ، وعدا إلى قومه بني عبد الأشهل فأخبرهم ما لقي ، وباتت وجوه الأوس والخزرج ليلة الجمعة لست مضين من شوال عليهم السلاح في المسجد بباب النبي ﷺ خوفاً من بيات[1] المشركين ، وحرست المدينة حتى أصبحوا .

رؤيا رسول الله وخطبته

ورأى ﷺ رؤيا ، فلما أصبح يوم الجمعة واجتمع الناس خَطبَ على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، إني رأيت في منامي رؤيا ، رأيت كأني في درع حصينة ، ورأيت كأن سيفي ذا الفقار انقصم[2] من عند ظبته[3] ، ورأيت بقراً تذبح ، ورأيت كأني مردفٌ كبشاً . فقال الناس : يا رسول الله ، فما أولتها ؟ قال : أما الدرع الحصينة فالمدينة ، فامكثوا فيها ، وأما انقصام سيفي من عند ظبته فمصيبة في نفسي ، وأما البقر المذبح فقتلى في أصحابي ، وأما أني مرْدف كبشاً فكبش الكتيبة نقتله إن شاء الله . وفي رواية : وأما انقصام سيفي فقتل رجل من أهل بيتي . وقال : أشيروا عليّ .

اختلاف المسلمين في الخروج إلى العدو

ورأى رسول الله ﷺ ألا يخرج من المدينة فوافقه عبد الله بن أبيّ والأكابر من الصحابة مهاجرهم وأنصارهم ، وقال عليه السلام : امكثوا في المدينة واجعلوا النساء والذراري في الآطام ، فإن دُخِل علينا قاتلناهم في الأزقة ــ فنحن أعلم بها منهم ــ ورُموا من فوق الصياصي والآطام[4] . وكانوا قد شبكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية فهي كالحصن ، فقال فتيان أحداثٌ لم يشهدوا بدراً وطلبوا الشهادة وأحبوا لقاء العدو : اخرج بنا إلى عدونا ، وقال حمزة وسعد بن عبادة ، والنعمان بن مالك ابن ثعلبة ، في طائفة من الأنصار : إنا نخشى يا رسول الله أن يظن عدونا أنا كرهنا الخروج إليهم جبناً عن لقائهم ، فيكون هذا جرأة منهم علينا ، وقد كنتَ يوم بدر

(١) البيات : أن يوقعوا بالناس ليلاً .
(٢) انقصم : تكسر .
(٣) الظبة : حد السيف من قِبل ذبابه وطرفه .
(٤) الصياصي : جمع صيصية وهي الحصن . (المعجم الوسيط) جـ ١ ص ٥٣١ والآطام : جمع أطْم وهو البيت المرتفع (المرجع السابق) جـ ١ ص ٢١ .

في ثلاثمائة رجل فظَفَّرك الله عليهم ، ونحن اليوم بشر كثير ، قد كنا نتمنى هذا اليوم وندعو الله به ، فساقه الله إلينا في ساحتنا .

كراهية رسول الله ﷺ للخروج

ورسول الله ﷺ لما يرى من إلحاحهم كارهٌ ، وقد لبسوا السلاح . وقال حمزة : والذي أنزل عليك الكتاب لا أطعم اليوم طعاماً حتى أجالدهم[1] بسيفي خارجاً من المدينة ، وكان يوم الجمعة صائماً ويوم السبت صائماً . وتكلم مالك ابن سِنان والد أبي سعيد الخدري ، والنعمان بن مالك بن ثعلبة ، وإياس بن أوس ابن عتيك ، في معنى الخروج للقتال . فلما أبوا إلا ذلك صلى[2] رسول الله ﷺ الجمعة بالناس وقد وعظهم وأمرهم بالجد والجهاد ، وأخبرهم أن لهم النصر ما صبروا ، ففرح الناس بالشخوص[3] إلى عدوهم ، وكره ذلك المخرج كثير . ثم صلى رسول الله ﷺ العصر بالناس وقد حشدوا ، وحضر أهل العوالي[4] ورفعوا النساء في الآطام : ودخل ﷺ بيته ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فعمماه ولبساه . وقد صف الناس له ما بين حجرته إلى منبره .

خبر ندامة المسلمين على استكراههم الرسول ﷺ للخروج

فجاء سعد بن معاذ وأسيد بن حضير فقالا للناس : قلتم لرسول الله ﷺ ما قلتم واستكرهتموه على الخروج ، والأمر ينزل عليه من السماء ، فردوا الأمر إليه فما أمركم فافعلوه ، وما رأيتم فيه له هوًى أو رأيٌ فأطيعوه ، فبيناهم على ذلك إذ خرج رسول الله ﷺ قد لبس لأمته[5] ، ولبس الدرع فأظهرها وحزم وسطها بمنطقة (من أدم)[6] من حمائل سيف ، واعتم وتقلد السيف ، فقال الذين يلحون : يا رسول الله ، ما كان لنا أن نخالفك ، فاصنع ما بدا لك ، فقال : قد دعوتكم إلى هذا الحديث فأبيتم ، ولا ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه ، انظروا ما أمرتكم به فاتبعوه ، امضوا على اسم الله فلكم

---

(١) جالد بالسيف : ضرب بسرعة كأنه يجلد بسوط .

(٢) في (خ) « صلى الله » .

(٣) الشخوص : الخروج .

(٤) العوالي : ضيعة بينها وبين المدينة أربعة ليال (معجم البلدان) جـ ٤ ص ١٦٦ .

(٥) اللأمة : أداة الحرب ولباسها .

(٦) ما بين القوسين كان في (خ) بعد قوله : « حمائل سيف » .

النصر ما صبرتم .

وَوُجِدَ مالك بن عمرو النَّجّاري[1] ــ وقيل بل هو محرز بن عامر بن مالك ابن عدي بن عامر بن غَنْم بن عدي النجار ، وهو قول ابن الكلبي ــ قد مات ، ووضعوه عند موضع الجنائز فصلّى عليه .

الألوية يوم أحد

ثم دعا بثلاثة أرماح فعقد ثلاثة ألوية ، فدفع لواء الأوس إلى أُسيْد بن حُضير ، ولواء الخزرج إلى حباب بن المنذر بن الجموح ــ ويقال إلى سعد بن عبادة ــ ودفع لواء المهاجرين إلى علي بن أبي طالب ، ويقال : إلى مصعب بن عمير[2] رضي الله عنهم .

ثم ركب فرسه وتقلد القوس وأخذ قباءه[3] بيده . والمسلمون عليهم السلاح فيهم مائة دارع ، وخرج السعدان أمامه يعدوان ــ سعد بن عبادة وسعد بن معاذ ــ والناس عن يمينه وشماله ، حتى انتهى إلى رأس الثنية .

كتيبة عبد الله بن أبي وحلفاؤه من يهود

[حتى إذا كان بالشيخين التفت فنظر إلى][4] كتيبة خشناء لها زَجَل[5] فقال : ما هذه ؟ فقالوا : هؤلاء حلفاء عبد الله بن أبي بن سلول من يهود ، فقال : لا نستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك ، ومضى فعسكر بالشيخين[6] ــ وهما أطمان ــ ، والمشركون بحيث يرونه ، فاستعدوا لحربه ، وهمَّ بنو سلمة وبنو حارثة ألا يخرجوا إلى أحد ثم خرجا .

خيل المسلمين

وكان المسلمون ألفاً فيهم مائة دارع ، وَفَرَسان : أحدهما لرسول الله ﷺ

---

(١) وهو قول (الواقدي) جـ ١ ص ٢١٤ .
(٢) في (خ) « عمرو » .
(٣) في (المغازي) جـ ١ ص ٢١٥ « وأخذ قناة بيده » .
(٤) في (خ) مكان ما بين القوسين « رأى » وما أثبتناه من (ابن سعد) جـ ٢ ص ٩٩ .
(٥) زجَل : صوت وجلبَة .
(٦) موضع سُمّي كذلك لأن شيخاً وشيخة كانا يجلسان عليه يتناجيان هناك .

والآخر لأبي بردة بن نيار .

عرْضُ الغلمان وردُّهم عن القتال

وعرض عليه غلمان : عبد الله بن عمر ، وزيد بن ثابت ، وأسامة بن زيد ، والنعمان بن بشير ، وزيد بن أرقم ، والبراء بن عازب (وعمرو بن حزم)[1] ، وأسيد بن ظهير ، وعرابة بن أوس ، وأبو سعيد الخدريّ ، (وسعد بن حبتة الأنصاري)[2] ، وسمرة بن جندب ، ورافع بن خديج ، فردّهم ، ثم أجاز رافع بن خديج لأنه رامٍ ، فقال سمرة بن جندب لزوج أمه مرَى بن سنان : أجاز رسول الله رافع بن خديج وردّني وأنا أصرعه ، فأعلم بذلك رسول الله ﷺ فقال : تصارعا ، فصرع سمرة رافعاً فأجازه ، ونزل عبد الله بن أبيّ ناحية .

الحرس والأدلاء

فلما فرغ العرض وغابت الشمس ، أذَّن بلال بالمغرب ، فصلى رسول الله ﷺ بأصحابه ، ثم أذَّن بالعشاء فصلى بهم ، واستعمل على الحرس محمد بن مسلمة في خمسين رجلاً يطوفون بالعسكر . وقال حين صلى العشاء : من يحفظنا الليلة ؟ فقام ذكوان بن عبد قيس فلبس درعه وأخذ دَرقته ، فكان يطيف بالعسكر ليلته ، ويقال : بل كان يحرس رسول الله ﷺ لم يفارقه . ونام ﷺ حتى[3] كان السحر قال : أين الأدلاء ؟ من رجل يدلنا على الطريق [و][4] يخرجنا على القوم من كَثَبٍ ؟ فقام أبو حثمة الحارثي ، ويقال : أوس بن قيظي ، ويقال : مُحيصة ، وأبو حثمة أثبت ــ فقال : أنا يا رسول الله .

---

(١) زيادة من (ابن هشام) جـ ٣ ص ١٨ .

(٢) أغفله (الواقدي) و (ابن هشام) ، وذكر ابن سيد الناس في (عيون الأثر) جـ ٢ ص ٦ « وسعد ابن حبته ــ بفتح الحاء المهملة وسكون الباء الموحدة وفتح التاء المثناة من فوق تاء التأنيث ــ جد أبي يوسف الفقيه وهو سعد بن بحير ــ بفتح الحاء الموحدة وكسر الحاء المهملة وسكون الياء ــ ابن معاوية حليف بني عمرو بن عوف » وذكره ابن عبد البر في (الاستيعاب) جـ ٤ ص ٣٦ ترجمة رقم ٩٢٣ .

(٣) في (الواقدي) جـ ١ ص ٢١٧ « فلما كان في السحر » ، وفي (ابن هشام) « حتى إذا كان السحر » .

(٤) زيادة من (الواقديْ) جـ ١ ص ٨ .

نبوءة رسول الله بسل السيوف

فخرج ﷺ فركب فرسه فسلك به في بني حارثة ، فذبَّ فرس أبي بردة بن نيار بذنبه فأصاب كُلَّاب[١] سيفه فسل سيفه ، فقال رسول الله ﷺ : يا صاحب السيف ، شِمْ شيفك ، فإني إخالُ السيوف ستُسلُّ فيكثر سلها[٢] .

ولبس من الشيخين درعاً واحدة حتى انتهى إلى أُحد ، فلبس درعاً أخرى ومغفراً وبيضة فوق المغفر ، ولما نهض ﷺ من الشيخين زحف المشركون على تعبئة ، وقد رأس فيهم أبو سفيان صخر بن حرب لعدم أكابرهم الذين قُتلوا ببدر ، ووافى عليه السلام أحداً وقد حانت الصلاة وهو يرى المشركين ، فأذن بلالٌ وأقام ، وصلى عليه السلام بأصحابه الصبح صفوفاً .

انخزال ابن أبي ورجوعه

وانخزل[٣] ابن أُبَيّ في كتيبة وهو يقول : أيعصيني ويطيع الولدان ؟ حتى عاد إلى المدينة ومعه ثلاثمائة ، فبقي رسول الله ﷺ في سبعمائة ، وذكر له قوم من الأنصار أن يستعينوا بحلفائهم من يهود فأبى[٤] ﷺ من ذلك ومن أن يستعين بمشرك .

تعبئة جيش المسلمين

وصَفَّ رسول الله ﷺ أصحابه وجعل الرماة خمسين رجلاً ، عليهم عبد الله ابن جبير، [ويقال : بل جعل عليهم سعد بن أبي وقاص ، وابن جبير أثبت][٥] ، وجعل على إحدى المجنبتين الزبير بن العوام ، وعلى الأخرى المنذر بن عمرو

---

(١) كُلَّاب السيف : المسمار أو الحلقة التي تكون في قائم السيف وتكون فيها علاقته .

(٢) هذه رواية (الواقدي) جـ ١ ص ٢١٨ ، وأما رواية (الطبري) جـ ٢ ص ٥٠٦ فهي كما نقلها عن (ابن إسحق) : « فذبَّ فرسٌ بذنبه ، فأصاب كلاب سيف ، فاستلّه ، فقال رسول الله ﷺ — وكان يحب الفأل ولا يعتاف — لصاحب السيف : شمْ سيفك ، فإني أرى السيوف ستُسلُّ اليوم » . ورواية (ابن الأثير) في (الكامل) جـ ٢ ص ١٥١ : « وذبَّ فرسٌ بذنبه فأصاب كُلَّاب سيف صاحبه ، فاستله ، فقال له رسول الله ﷺ : سيوفكم ، فإني أرى السيوف ستَسَلُّ اليوم » .

(٣) انخزل : انقطع ثم انفرد ثم تراجع (هامش ط) وفي (المغازي) « ارتحل » .

(٤) تقول : « أبى ذلك » ، « أبى من ذلك » متعدياً بنفسه أو بحرف جر .

(٥) ما بين القوسين في (خ) بعد قوله « الغنوي » وهذا حق موضعها .

الغنوي[1] ، وجعل أُحداً خلف ظهره واستقبل المدينة .

تعبئة المشركين يوم أحد

وأقبل المشركون : على ميمنتهم خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبي جهل ، ولهم مجنَّبتان مائتا فارس ، وعلى الخيل صفوان بن أمية ، ويقال : عمرو ابن العاص ، وعلى رماتهم ــ وكانوا مائة ــ عبد الله بن أبي[2] ربيعة . ودفعوا لواءهم إلى طلحة بن أبي طلحة : واسمه عبد الله بن عبد العُزّى بن عثمان بن عبد الدار ابن قصَيّ .

تسوية صفوف المسلمين

ومشى رسول الله ﷺ على رجليه يسوي الصفوف حتى كأنما يقوِّم بها القداح ، إن رأى صدراً خارجاً قال : تأخر . فلما استوت دفع اللواء إلى مصعب ابن عمير فتقدم به بين يدي النبي ﷺ .

خطبة رسول الله ﷺ يوم أُحد

ثم قام فخطب الناس فقال : يا أيها الناس : أوصيكم بما أوصاني الله في كتابه من العمل بطاعته والتناهي عن محارمه . ثم إنكم بمنزل أجر وذخر لمن ذكر الذي عليه ثم وطَّنَ نفسه له على الصبر واليقين والجدّ والنشاط ، فإن جهاد العدو شديد كريه[3] ، قليل من يصبر عليه إلا من عزم الله له رشده ، فإن الله مع من أطاعه ، وإن الشيطان مع من عصاه ، فافتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد ، والتمسوا بذلك ما وعدكم الله . وعليكم بالذي أمركم به ، فإني حريص على رشدكم ، وإن الاختلاف والتنازع والتثبط من أمر العجز والضعف مما لا يحب الله ولا يعطي عليه النصر ولا الظفر . يأيها الناس : حَدَدٌ في صدري[4] أن من كان على حرام فرَّق الله بينه وبينه ورغب له عنه غفر الله له ذنبه ، ومن صلى عليّ صلى الله عليه وملائكته عشراً ،

---

(١) لعله المنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة ، ذكره صاحب (الإصابة) ترجمة رقم ٨٢١٩ جـ ٩ ص ٢٨٥ ، ولم أجده في ما عندي من كتب السيرة أو الرجال باسم « الغنوي » .

(٢) في (خ) « ابن ربيعة » والتصويب من (المغازي) جـ ١ ص ٢٢٠ .

(٣) في نسخة من (المغازي) : « شديد كربُه » .

(٤) حَددٌ : أي قد امتنع لي ولزمني .

ومن أحسن من مسلم أو كافر وقع أجره على الله في عاجل دنياه أو آجل آخرته ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة يوم الجمعة إلا صبياً أو امرأة أو مريضاً أو عبداً مملوكاً ، ومن استغنى عنها[1] استغنى الله عنه ، والله غني حميد . ما أعلم من عمل يقربكم إلى الله إلا وقد أمرتكم به ، ولا أعلم من عمل يقربكم إلى النار إلا وقد نهيتكم عنه ، وإنه قد نفث في روعي الروح الأمين أنه لن تموت نفس حتى تستوفي أقصى رزقها ، لا ينقص منه شيء وإن أبطأ عنها ، فاتقوا الله ربكم ، وأجملوا في طلب الرزق ، ولا يحملنكم استبطاؤه أن تطلبوه بمعصية ربكم ، فإنه لا يقدر ما عنده إلا بطاعته . قد بين لكم الحلال والحرام ، غير أن بينهما شبهاً[2] من الأمر لا يعلمها كثير من الناس إلا من عصم الله ، فمن تركها حفظ عرضه ودينه ، ومن وقع فيها كان كالراعي إلى جنب الحمى أوشك أن يقع فيه ، وليس ملك إلا وله حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه . والمؤمن من المؤمنين كالرأس من الجسد إذا اشتكى[3] تداعى إليه سائر الجسد[4] ، والسلام عليكم .

أول من أنشب الحرب

وأول من أنشب الحرب أبو عامر . طلع في خمسين من قومه مع عبيد قريش فنادى : يا للأوس ، أنا أبو عامر ، فقالوا : لا مرحباً بك ولا أهلاً يا فاسق ! فقال : لقد أصاب قومي بعدي شر ! فتراموا بالحجارة ساعة حتى ولّى . ودعا طلحة ابن أبي طلحة إلى البراز فبرز له علي رضي الله عنه فقتله ، فكبر المسلمون وسرَّ النبي ﷺ بقتله : فإنه هو كبش الكتيبة .

نساء المشركين وغناؤهم

وكانت نساء المشركين ــ قبل التقاء الجمعين ــ أمام صفوفهم يضربن بالأكبار والدِّفاف والغرابيل ، ثم يرجعن فيكن في مؤخر الصف ، فإذا دنا القوم بعضهم من بعض تأخر النساء وقمن خلف الصفوف : فجعلن كلما ولّى رجل حرضنه وذكرنه

(١) في (خ) « استغنى عن الله » وما أثبتناه من (المغازي) جـ ١ ص ٢٢٢ .
(٢) في (خ) « شبهات » وما أثبتناه من (المغازي) جـ ١ ص ٢٢٢ .
(٣) في (خ) « إذا اشتكى » مكررة .
(٤) في (ط) « جسده » . وما أثبتناه من (المغازي) جـ ١ ص ٢٢٢ .

قتلاهم ببدر ، ويقلن :

نحن بنات طارق نمشي على النَّمارق[1]
إن تُقْبلوا نعانق أو تُدْبروا نفارق
فراق غير وامق

وكان النبي ﷺ إذا سمع قولهن قال : اللهم إني بك أجول وَأصول ، وفيك أقاتل ، حسبي الله ونعم الوكيل ، ويقال : إن هنداً قامت في النسوة يضربن بالدفوف وتقول :

وَيْها بني عبد الدار ويها حماة الأديار
ضرباً بكل بتار

وتقول : نحن بنات طارق نمشي على النمارق [إلى آخره.. النمارق ، جمع نمرقة بضم النون والراء ، وربما كسرت النون ، حكاه يعقوب : وهي الوسائد ، وقد تسمى الطنفسة التي فوق الرحل نُمرقة ، ويقال في قولها : « نحن بنات طارق » : إنما أرادت بنات الأمر الواضح المضيء كإضاءة النجم ، وذلك من قوله تعالى : ﴿ والسماء والطارق ﴾] .

خبر قُزْمان

وكان قزمان[2] يعرف بالشجاعة وقد تأخر ، فعيرته نساء بني ظَفَر فأتى رسولَ الله ﷺ وهو يسوي الصفوف حتى انتهى إلى الصف الأول ، فكان أول من رمى من المسلمين بسهم ، فجعل يُرْسل نَبْلاً كأنها الرماح ، ويَكِت كَتيتَ[3]

---

(١) في (عيون الأثر) جـ ٢ ص ٩ « ونفرش النمارق » وفي (تاريخ الطبري) جـ ٢ ص ٥١٠ « ونبسط النمارق » . والنمارق : جمع نُمرقة ، وهي الوسادة الصغيرة ، قال تعالى : ﴿ ونمارق مصفوفة ﴾ آية ١٥ / الغاشية وأضاف ابن الأثير في (الكامل) جـ ١ ص ١٥٣ :

« إيهاً بني عبد الدارْ إيهاً حُماة الديارْ
ضرباً بكل بتارْ

(٢) يقول الواقدي في (المغازي) جـ ١ ص ٢٢٣ : « وكان قُزمان من المنافقين ، وكان قد تخلف عن أحد ، فلما أصبح عيَّره نساءُ بني ظَفَر ... إلخ » .

(٣) كتَّ يكتُّ كتيتاً : دفع من صدره صوتاً شديداً يكون من شدة الغيظ . وفي اللغة : كتَّت القدْرُ كتيتاً : صوَّتتْ عند ابتداء غليانها (المعجم الوسيط) جـ ٢ ص ٧٧٥ .

الجمل ، ثم فعل بالسيف الأفاعيل حتى قتل سبعة ، وأصابته جِراحة فوقع ، فناداه قتادة بن النعمان ، أبا الغيداق ، هنيئاً لك الشهادة ! فقال : إني والله ما قَاتَلْتُ يا أبا عمرو على دين ، ما قاتلت إلى على الحفاظ[1] أن تسير إلينا قريش حتى تطأ سَعَفَنا[2] ، ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه . فَذُكر للنبي ﷺ فقال : من أهل النار ، إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر .

خبر الرماة يوم أحد

وتقدم ﷺ إلى الرماة فقال : احموا لنا ظهورنا ، فإنا نخاف أن نؤتى من ورائنا ، والزموا مكانكم لا تبرحوا منه ، وإذا رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم ، وإن رأيتمونا نُقتلُ فلا تعينونا ولا تدافعوا عنا ، اللهم إني أشهدُك عليهم . وارشقوا خيلهم بالنبل ، فإن الخيل لا تقدم[3] على النبل .

وكان الرماة تحمي ظهور المسلمين ، ويرشقون خَيلَ المشركين بالنَّبل فلا تقع إلا في فرس أو رَجُل فتولي الخيلُ هوارب . وشدَّ المسلمون على كتائب المشركين فجعلوا يضربون حتى اختلت صفوفهم .

حَمَلَةُ لواء المشركين ومصارعهم

[وحمل لواءهم بعد طلحة ابنه أبو شيبة عثمان بن طلحة][4] فحمل عليه حمزة فقتله ، فحمله أخوه أبو سعد بن أبي طلحة فرماه سعد بن أبي وقاص فقتله . فحمله مُسَافِعُ بن طلحة بن أبي طلحة فرماه عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح فقتله . فحمله الحارث بن طلحة فرماه عاصم فقتله . فنذرت أمهم سُلافة بنت سعد بن الشُّهيد — وكانت مع نساء المشركين — أن تشرب في قحف رأس عاصم الخمر ، وجعلت لمن جاء به مائة من الإبل . ثم تداول حمل لوائهم عدَّةٌ ، وكلهم يقتلون ، وقال

---

(١) الحفاظ : الذب عن المحارم والمنع عند الحروب (المعجم الوسيط) جـ ١ ص ١٨٥ وفي (ابن هشام) جـ ٣ ص ٣٤ « فوالله ما قاتلت إلا عن أحساب قومي ولولا ذلك ما قاتلت » .

(٢) سعف النخيل ، كناية عن الزرع والأرض .

(٣) في (خ) « لا تقوم » . والتصويب من (الواقدي) جـ ١ ص ٢٢٥ .

(٤) كذا في (خ) وهو خطأ ، وصوابه في (المغازي) جـ ١ ص ٢٢٦ : « ثم حمل لواءهم بعد طلحة عثمان بن أبي طلحة ، أبو شيبة » .

الزبير بن بكار : حدثني أبو الحسن الأثرم ، عن أبي عبيدة ، قال : كان لواء المشركين يوم أحد مع طلحة بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار فقتله عليٌّ ابن أبي طالب رضي الله عنه . وفي ذلك يقول الحجاج بن علاط السُّلميّ ثم البهزي [بزاي][1] :

لله أيُّ مذَبَّبٍ عن حرْمة ... أعني ابن فاطمة المعِمَّ المخْوِلا
جادت يداك لهم بعاجل طعنة ... فتركتَ طلحة للجبين مجدَّلا
وشددْت شَدَّة باسل فكشفتهم ... بالجرِّ إذ يهوون أخول أخولا
وعللت سيفك بالدماء ولم تكن ... لتردَّهُ حران[2] حتى ينهلا

قال : ثم أخذ اللواء بعد طلحة أخوه أبو سعد بن أبي طلحة فقتله سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، ثم أخذ اللواء أخوهما عثمان بن أبي طلحة وهو أبو شيبة ، فقتله حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ، ثم أخذ اللواء مسافر بن طلحة بن أبي طلحة ، فقتله عاصم [بن ثابت][3] بن أبي الأقلح ، رماه فلما أحسّ بالموت دفع اللواء إلى أخيه الجلاس بن طلحة بن أبي طلحة فرماه أيضاً عاصم [بن ثابت[2]] ابن أبي الأقلح، فلما أحس الموت دفع اللواء إلى أخيه كلاب بن طلحة فقتله قزمان عديد[4] بني ظَفَر من الأنصار ، ثم أخذ اللواء الحارث بن أبي طلحة فقتله قزمان ،

---

(١) ترجمته في (الإصابة) جـ ٢ ص ٢١٤ ــ ٢١٦ برقم ١٦١٨ .
(٢) كذا في (خ) ، وفي المرجع السابق : « لتردّه في الغمد حتى ينهلا » وهذه الأبيات في ابن هشام جـ ٣ ص ٧٩ على هذا النحو :

لله أي مذبب عن حرمة ... أعني ابن فاطمة المعم المخولا
سبقت يداك له بعاجل طعنة ... تركت طليحة للجبين مجدلا
وشدت شدة باسل فكشفتهم ... بالجر إذ يهوون أخول أخولا

ــ المذبب : الحامي .
ــ الحرمة : ما يجب على الإنسان أن يدافع عنه .
ــ ابن فاطمة : الإمام علي .
ــ المعم المخول : كريم الأعمام والأخوال .
ــ الجر : أصل الجبل .
ــ أخول أخولا : واحداً بعد واحدٍ .
(٣) زيادة من (الواقدي) جـ ١ ص ٢٢٧ .
(٤) يقال فلان عديد بني فلان : أي يُعد فيهم وليس منهم صليبة .

فأخذ اللواء ارطأة بن شرحبيل[1] بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار فقتله مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار صاحب لواء رسول الله ﷺ ، ثم قُتِل مصعبُ بن عمير . ثم أخذ لواء المشركين أبو يزيد بن عمير بن هاشم ابن عبد مناف بن عبد الدار فقتله قزمان أيضاً . ثم أخذ اللواء القاسط بن شريح[2] ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار فقتله قزمان أيضاً . فذلك عشرة ، وقيل : سبعة من صليبتهم مشركون قتلوا يوم أحد . ثم أخذ اللواء « صؤاب » غلام لهم حبشي ، فقالوا له : [لا][3] نؤتينَّ من قبلك ، فقطعت يمينه فأخذ اللواء بشماله ، فقطعت فالتزم القناة ، وقال[4] : قضيت ما عليّ ؟ قالوا : نعم ، فرماه قزمان فقتله . ووقع اللواء فتفرق المشركون ، فأخذت اللواء عُمرة بنت علمقة الحارثية ، [قال الكلبي : عمرة بنت الحارث بن الأسود بن عبد الله بن عامر بن عوف بن الحارث بن عبد مناة بن كنانة] فأقامته ، فتراجع المشركون فقال حسان ابن ثابت رضي الله عنه ، يعير بني مخزوم بالفرار ، ويذكر صبر بني عبد الدار :

صلي البأس منهم إذ فررتم — عصبة من بني قصي صميم
عمرة تحمل اللواء وطارت — في رعاع من القنا مخزومُ
لم تطق حملهُ الزعانف منهم — إنما يحمل اللواء النجوم

وقال في صؤاب[5] :

(١) كذا في (ابن سعد) جـ ٢ ص ٤١ ، و (الواقدي) جـ ١ ص ٢٢٨ . وفي (ابن هشام) جـ ٣ ص ٦٢ « أرطأة عبد شرحبيل » .
(٢) في (خ) « القاسط ثم شرحبيل » والتصويب من (ابن هشام) جـ ٣ ص ٦٢ .
(٣) زيادة للسياق .
(٤) في (المغازي) جـ ١ ص ٢٢٨ « وقال : يا بني عبد الدار ، هل أُعْذِرْتُ ؟ » .
(٥) هذه الأبيات في ديوان حسان بن ثابت ص ٣٧٢ هكذا :

فخرتم باللواء وشر فخرٍ — لواءٌ حين رُدَّ إلى صؤاب
جعلتم فخركم فيه لعبد — من الأم من يَطاعَفر التراب
حسبتم والسفيه أخو ظنون — وذلك ليس من أمر الصواب
بأن لقاءنا إذ حان يوم — بمكة بيعكم حُمْرَ العيابِ
أقر العين إن عُصِبَتْ يداه — وما إن تعصبان على خضابِ

ورواها أيضاً (الطبري) جـ ٢ ص ٥١٣ ـــ ٥١٤ (وابن هشام) جـ ٣ ص ٢٧ ، باختلاف يسير وقال : آخرها بيتاً يروى لأبي خراش الهذلي وأنشدنيه له خلف الأحمر : =

فخـرتم باللـواء وشـرُّ فخـر لواءٌ حـين ردَّ إلى صـؤابِ
جـعلتم فخـركم فيـه لعـبـد لألأمُ من مشـى فـوق التـرابِ

وقال في إقامة الحارثية اللواء ، وفي سياق الأحابيش معهم[1] :

إذا عضـلٌ[2] سيقت إلينا كأنهم جـدايةُ شرك معلمات الحواجبِ
أقمنا لهم ضرباً مـبيراً مـنكلا وحـزناهم بالطعن من كل جانبِ
ولولا لواء الحـارثية أصبحـوا يباعون في الأسواقِ بيع الجلائبِ[4]

وقال أبو عبيدة فيما سمع من علي :

أقمنا لكم ضرباً طلخفا[4] منكِّلا وحزناكم بالطـعن من كل جانب

عصيان الرماة ودولة الحرب على المسلمين

وما ظفر الله نبيه ﷺ في موطن قط ما ظفره وأصحابه يوم أحد حتى عصوا الرسول ﷺ وتنازعوا في الأمر. لقد قتل أصحاب اللواء ، وانكشف المشركون منهزمين لا يلوون، ونساؤهم يدعون بالويل بعد ضرب الدفاف والفرح، ولكن المسلمين أتوا من قِبل الرماة، فإن المشركين لما انهزموا وتبعهم المسلمون: يضعون السلاح فيهم حيث شاءوا ، ووقعوا ينتهبون عسكرهم ، قال بعض الرماة لبعض : لِم[5]تقيمون ها هنا في غير شيء ؟ قد هزم الله العدوّ وهؤلاء إخوانكم ينتهبون عسكرهم ! فادخلوا عسكر المشركين فاغنموا مع إخوانكم . فقال بعضهم : ألم تعلموا أن رسول الله ﷺ قال لكم : احموا ظهورنا ، ولا تبرحوا مكانكم ، وإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا ، وإن غنمنا فلا تشركونا ، احموا ظهورنا . فقال

= أقر العـين أن عصبتْ يداها وما إن تعصـبان على خضاب
في أبيات له ، يعني امرأته ، في غير حديث أحد .

(١) انظر الديوان ص ١٧٢ .

(٢) عضل : اسم قبيلة . والجداية : الصغير من ولد الظبي . شرك : موضع . انظر (ابن هشام) جـ ٣ هامش ص ٢٨ .

(٣) الجلائب : ما يجلب إلى الأسواق ليباع فيها (المرجع السابق) .

(٤) كذا في (خ) و (ط) ولعلها « طلحفاً » بالحاء المهملة . والطلحف : الشديد (ترتيب القاموس) جـ ٣ ص ٨٦ .

(٥) في (خ) « لا » .

الآخرون : لم يرد رسول الله هذا . وانطلقوا ، فلم يبق منهم مع أميرهم عبد الله ابن جبير إلا دون العشرة ، وذهبوا إلى عسكر المشركين ينتهبون ، وكانت الريح أول النهار صباً فصارت دبوراً ، وبينا المسلمون قد شغلوا بالنهب والغنائم ، إذ دخلت الخيول تنادي فرسانها بشعارهم : يا للعزى [يا لهبل][1] ، ووضعوا في المسلمين السيوف وهم آمنون ، وكل منهم في يده أو حضنه شيء قد أخذه ، فقتلوا فيهم قتلاً ذريعاً ، وتفرق المسلمون في كل وجه ، وتركوا ما انتهبوا ، وخلوا من أسروا ، وكَرَّ خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل في الخيل إلى موضع الرماة ، فرماهم عبد الله بن جبير بمن معه حتى قتل ، فجردوه ومثل به أقبح المثل[2] ، وكانت الرماح قد شرعت في بطنه حتى خرقت ما بين سرته إلى خاصرته إلى عانته وخرجت حشوته[3] . وجرح عامة من كان معه ، وانتقضت صفوف المسلمين .

قولهم إن محمداً قتل ، وانتقاض صفوف المسلمين

ونادى إبليس عند جبل عينين[4] ــ وقد تصور في صورة جعال بن سراقة ــ : إن محمداً قد قتل : ثلاث صرخات ، فما كانت دولةٌ أسرع من دُولة المشركين[5] .

اختلاط الأمر على المسلمين ، فيقتل بعضهم بعضاً

واختلط المسلمون وصاروا يُقتلون ، ويضرب بعضهم بعضاً ، ما يشعرون من العجلة والدَّهش ، وجرح أسيد بن حضير جرحين ضربه أحدهما أبو بردة [بن نيار][6] وما يدري ، وضرب أبو زعنة[7] أبا بردة ضربتين وما يشعر والتقت أسياف المسلمين على اليمان [حسيل بن جابر] وهم لا يعرفونه حين اختلطوا ، وحذيفة يقول : أبي ، أبي !! حتى قتل . فقال حذيفة : يغفر الله لكم وهو أرحم

(١) في (خ) « إذ دخلت الخيول بالهُبل تنادي فرسانها بشعارهم يا للعُزى » .
(٢) المَثُلةُ : التنكيل والعقوبة (المعجم الوسيط) جـ ٢ ص ٨٥٤ .
(٣) الحشوة : جميع ما في البطن عدا الشحم (المرجع السابق) جـ ١ ص ١٧٧ .
(٤) أحدَ جبال أحد ، ويقال ليوم أحد : « يوم عينين » .
(٥) الدُّوَلة : الغَلبة (المعجم الوسيط) جـ ١ ص ٣٠٤ .
(٦) زيادة من (الواقدي) جـ ١ ص ٢٣٢ .
(٧) في (خ) « أبو رعنة » وما أثبتناه من (الواقدي) جـ ١ ص ٢٣٣ .

الراحمين . فزادته عند رسول الله ﷺ خيراً ، وأمر رسول الله بديته أن تُخرج ، فتصدق حذيفة بن اليمان بديته على المسلمين . ويقال : إن الذي أصابه عتبة بن مسعود .

وأقبل الحباب بن المنذر بن الجموح يصيح : يا آل سلمة !، فأقبلوا إليه عُنقاً[1] واحدة : لبيك داعي الله !! فيضرب يومئذ جبَّار بن صخر في رأسه وما يدري ، حتى أظهروا الشعار بينهم[2] فجعلوا يصيحون : أمِت أمِت ! فكف بعضهم عن بعض ، وقتل مصعب بن عمير وبيده اللواء ، فقتله ابن قميئة واسمه عمرو ، وقيل : عبد الله .

تفرق المسلمون ثم البشرى بسلامة رسول الله ﷺ

وتفرق المسلمون في كل وجه ، وأصعدوا في الجبل لما نادى الشيطان : قتل محمد ! فكان أول من بشرهم برسول الله ﷺ سالماً كعب بن مالك ، فجعل يصيح ورسول الله ﷺ يشير إليه بإصبعه على فيه : أن اسكت . ودعا بلأمة كعب ــ وكانت صفراء أو بعضها ــ فلبسها ونزع لأمته فلبسها كعبٌ . وقاتل كعب حتى جُرح سبعة عشر جرحاً لشدة قتاله . وصار أبو سفيان بن حرب يقول : يا معشر قريش أيكم قتل محمداً ؟ فقال ابن قميئة : أنا قتلته ! قال : نسوِّركَ[3] كما تفعل الأعاجم بأبطالها[4] . وجعل يطوف بأبي عامر الفاسق في المعرك ، هل يرى محمداً ؟ وتصفح القتلى فقال : ما نرى مصرع محمد ، كذب ابن قميئة . ولقي خالد ابن الوليد فقال : هل تبين عندك قتل محمد ؟ قال : رأيته قبل في نفر من أصحابه مصعدين في الجبل . قال [أبو سفيان][5] هذا حق ، كذب ابن قميئة ، زعم أنه قتله .

---

(١) العنُق : الجماعة من الناس ، يقال جاء الناس عنقاً عنقاً . (المعجم الوسيط) جـ ٢ ص ٦٣٢ .
(٢) في (خ) « منهم » ، والتصويب من (الواقدي) جـ ١ ص ٢٣٤ .
(٣) نسوِّرك : نُلبسك السِّوار (المعجم الوسيط) جـ ١ ص ٤٦٢ .
(٤) في (خ) « بيطلانها » . والتصويب من (المغازي) جـ ١ ص ٢٣٦ .
(٥) زيادة للإيضاح .

نداء رسول الله ﷺ المسلمين إليه

وجعل رسول الله ﷺ ــ وقد انكشف الناس إلى الجبل وهم لا يلوون عليه ــ يقول : إليّ يا فلان ، إلي يا فلان ، أنا رسول الله ! فما عرَّج واحد عليه . هذا ، والنبل يأتيه ﷺ من كل ناحية وهو في وسطها والله يصرفها عنه . وعبد الله بن شهاب الزهريّ يقول : دلوني على محمد فلا نجوتُ إن نجا ! ورسول الله ﷺ إن جنبه ما معه أحد . ثم جاوزه عبد الله بن شهاب فلقي صفوان بن أمية[1] فقال له : ترحت[2] ! ألم يمكنك أن تضرب محمداً فتقطع هذه الشأفة[3] ، فقد أمكنك الله منه ؟ قال : وهل رأيته ؟ قال : نعم ! إنه إلى جنبك ، قال : والله ما رأيته ! أحلف[4] أنه منا ممنوع ، خرجنا أربعة تعاهدنا على قتله فلم نخلص إلى ذلك .

أمر المسلمين بعد الهزيمة

وكان رسول الله ﷺ لما انكشف المسلمون لم يبق معه إلا نُفير[5] ، فأحدق به أصحابه من المهاجرين والأنصار ، وانطلقوا به إلى الشعب وما للمسلمين لواء قائم ولا فئة ولا جمع ، وإن كتائب المشركين لتحوشهم[6] مقبلة ومدبرة في الوادي يلتقون ويفترقون : ما يرون أحداً من الناس يردهم ، ثم رجعوا نحو معسكرهم واشتوروا[7] في المدينة وفي طلب المسلمين ، فبينا هم على ما هم فيه إذ طلع رسول الله ﷺ إلى أصحابه : فكأنهم لم يصبهم شيء حين رأوه سالماً .

ما نال المشركون من المسلمين

وكان ابن قميئة ــ لما قتل مصعب بن عمير وسقط اللواء من يده ــ ابتدره رجلان من بني عبد الدار : سويبط بن حرملة وأبو الروم فأخذه أبو الروم فلم يزل في يده حتى دخل به المدينة حين انصرف المسلمون . ويقال : بل دفعه رسول الله

(١) في (خ) « صفوان بن أمية بن شهاب » وما أثبتناه من (المغازي) جـ ١ ص ٢٣٨ .

(٢) تَرِحْتَ : في (خ) « قرحت » ، والصواب ما أثبتناه ، وهو دعاء من التَّرح ، وهو الحزن .

(٣) الشأفة : قرحة تخشن فتستأصل بالكي (المعجم الوسيط) جـ ١ ص ٤٦٩ .

(٤) في (المغازي) « أحلف بالله » جـ ١ ص ٢٣٨ .

(٥) تصغير نَفَر .

(٦) يأخذونهم من حواليهم من كل جانب .

(٧) في (الواقدي) جـ ١ ص ٢٣٨ : « نحو معسكرهم ، وتآمروا في المدينة وفي طلبنا » .

ﷺ إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه . واقتتل الفريقان على الاختلاط من الصفوف ، ونادى المشركون بشعارهم [يا للعزى ، يا آل هُبل][1] فأوجعوا في المسلمين قتلا ذريعاً ، ونالوا من رسول الله ﷺ ما نالوا . ولم يزُل ﷺ شبراً واحداً بل وقف في وجه العدو ، وأصحابه تثوب إليه مرة منهم طائفة ، وتتفرق عنه مرة ، وهو يرمي عن قوسه أو بحجر حتى تحاجزوا .

من ثبت مع رسول الله ﷺ من المسلمين في أُحد

وثبت معه خمسة عشر رجلاً[2] : سبعة من المهاجرين هم : أبو بكر ، وعمر ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعلي بن أبي طالب ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله ، وأبو عبيدة بن الجراح ، والزبير بن العوام ، ومن الأنصار سبعة : الحباب بن المنذر ، وأبو دجانة ، وعاصم بن ثابت ، والحارث بن الصمة ، وسهل بن حنيف ، وأسيد بن حضير ، وسعد بن معاذ . ويقال : ثبت سعد بن عبادة ، ومحمد بن مسلمة : فيجعلونهما مكان أسيد بن حضير ، وسعد بن معاذ .

المبايعون على الموت

وبايعه يومئذ على الموت ثمانية : ثلاثة من المهاجرين هم : علي ، والزبير ، وطلحة ، وخمسة من الأنصار هم : أبو دجانة ، والحاث بن الصمة ، وحباب بن المنذر ، وعاصم بن ثابت ، وسهل بن حنيف ، فلم يقتل منهم أحد يومئذ ، ورسول الله ﷺ يدعوهم في أخراهم [حتى انتهى من انتهى منهم إلى قريب من دون المهراس][3] ويقال : ثبت بين يديه يومئذ ثلاثون رجلا كلهم يقول : وجهي دون وجهك ، ونفسي دون نفسك ، وعليك السلام غير مودَّع[4] .

---

(١) زيادة من المرجع السابق .

(٢) كذا في (خ) و (ط) ، ورواية (ابن سعد) جـ ٢ ص ٤٢ ، و (الواقدي) جـ ١ ص ٢٤٠ « أربعة عشر رجلاً ، سبعة من المهاجرين وسبعة من الأنصار » .

(٣) زيادة من (الواقدي) جـ ١ ص ٢٤٠ ، والمهراس : ماء بجبل أحد (انظر المرجع السابق) .

(٤) غير مودَّع : غير متروك ، إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ ما ودَّعك ربك وما قلى ﴾ آية ٣/الضحى .

خبر المدافعين عن رسول الله ﷺ

ويقال : إن رسول الله ﷺ لما لحمه القتال[1] وخُلص إليه ، ذبّ عنه مصعب ابن عمير ، وأبو دجانة حتى كثرت به الجراحة ، فجعل ﷺ يقول : من رجل يشري[2] نفسه ؟ فوثب فتية من الأنصار خمسة ، منهم عمارة بن زيادة بن السكن فقاتل حتى أثبت وفاءتْ[3] فئة من المسلمين فقاتلوا حتى أجهضوا أعداء الله . فقال ﷺ لعمارة بن زياد : أدنُ منّي ، إليّ إليّ ! حتى وسّدَه رسول الله ﷺ قدمه ــ وبه أربعة عشر جُرْحاً ــ حتى مات . وجعل ﷺ يومئذ يذمّر[4] الناس ويحضهم على القتال . وكان رجال من المشركين قد أذلقوا[5] المسلمين بالرَّمْي ، منهم حبان بن العرِقة وأبو أسامة الجشمي ، فجعل النبي ﷺ يقول لسعد بن أبي وقاص : إرْمِ فداك أبي وأمي .

خبر حِبان بن العرقة وأم أيمن

ورمى حبان بن العرقة بسهم فأصاب ذيل أم أيمن ــ وقد جاءت تسقي الجرحى ــ فانكشف عنها فاستغرب[6] في الضحك ، فشق ذلك على النبي ﷺ ، فدفع إلى سعد بن أبي وقاص سهماً لا نصلَ له فقال : إرْمِ ، فوقع السهم في نحْر حبّان فوقع مستلقياً وبدت عورته ، فضحك ﷺ حتى بدت نواجذه ، ثم قال : استقاد[7] لها سعد ! أجاب الله دعوتك وسدد رميتك .

وكان مالك بن زهير[8] ــ أخو أبي سلمة[9] الجشمي ــ هو وحبان بن العرقة قد أكثرا[10] في المسلمين القتل بالنبل ، فرمى سعد بن أبي وقاص مالكاً أصاب السهم عينه حتى خرج من قفاه فقتله ، ورمى رسول الله ﷺ يومئذ عن قوسه حتى صارت شظايا فأخذها قتادة بن النعمان فلم تزل عنده .

---

(١) كذا في (المغازي) جـ ١ ص ٢٤٠ .

(٢) أي يبيع نفسه للموت . (٣) رجعتْ . (٤) يحرض .

(٥) في (خ) « أولقو » ، وأذلق : أسرع في الرمي وأضعفوا (المعجم الوسيط) جـ ١ ص ٣١٤ .

(٦) في (خ) « استغرت » . (٧) أي انتصف . (٨) في (خ) « أخا » .

(٩) كذا في (خ) ، (ط) وفي (الواقدي) « أبي أسامة » جـ ١ ص ٢٤١ .

(١٠) في (خ) « أكثروا » .

خبر عين قتادة

وأصيبت عينُ قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته ، فجاء رسول الله ﷺ فأخذها وردها فعادت كما كانت ، ولم تضرب عليه بعدها . وكان يقول بعد ما أسَنَّ : هي أقوى عينيّ ! وكانت أحسنهما .

مباشرته ﷺ القتال

وباشر ﷺ القتال ورمى بالنبل حتى فنيت نبله ، وتكسرت سية[1] قوسه . وقبل ذلك ما انقطع وتره وبقيت في يده قطعة تكون شبراً في سية القوس ، فأخذ القوس عكاشة بن محصن ليوتر[2] له فقال : يا رسول الله ، لا يبلغ الوتر ، فقال مدَّه يبلغ ! قال عكاشة : فوالذي بعثه بالحق ، لمددته حتى بلغ وطويت منه ليتين أو ثلاثاً على سية القوس ، ثم أخذ ﷺ قوسه فمازال يرام القوم ـــ وأبو طلحة يستره مُتَرِّساً عنه ـــ حتى تحطمت القوس .

خبر أبي طلحة

وكان أبو طلحة قد نثر كنانته ـــ وفيها خمسون سهماً ـــ بين يدي النبي ﷺ ـــ وكان رامياً وكان صيِّتاً[3] ـــ فقال رسول الله ﷺ : صوت أبي طلحة في الجيش خير من أربعين رجلاً ، فلم يزل يرم بها ورسول الله ﷺ من خلفه بين رأسه ومنكبه ينظر إلى مواقع النَّبل حتى فنيت نبله وهو يقول : نحري دون نحرك جعلني الله فداك . فإن كان ﷺ ليأخذ العود من الأرض فيقول : ارمِ أبا طلحة ! فيرمي بها سهماً جيداً .

سبب تسميته أبا رهم المنحور

ورمى يومئذ أبو رُهْم الغفاريّ بسهم فوقع في نحره ، فبصق عليه رسول الله ﷺ فبرأ ، وسمِّي بعد ذلك المنحور .

---

(١) سية القوس : طرفه .

(٢) يوتر للقوس : يشدّ وترها .

(٣) رفيع الصوت جهيره .

المتعاهدون من قريش على قتل رسول الله ﷺ

وكان أربعة من قريش قد تعاهدوا وتعاقدوا على قتل رسول الله ﷺ وعرفهم المشركون بذلك ، وهم : عبد الله بن شهاب ، وعُتبة بن أبي وقاص ، وعمرو بن قميئة ، وأبي بن خلف [وزاد بعضهم[1] وعبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث ابن أسد بن عبد العزى بن قصي] .

خبر ما أصاب رسول الله ﷺ من الجراحة يوم أحد

ورمى عتبة يومئذ رسول الله ﷺ بأربعة أحجار فكسر رباعيته ، أشظى[2] باطنها اليمنى السفلى ، وشج في وجنتيه حتى غاب حلق المغفر[3] في وجنته ، وأصيبت ركبتاه : جُحشتا[4] ، وكانت حُفر حفرها أبو عامر كالخنادق يكيد بها المسلمين ، وكان رسول الله ﷺ واقفاً على بعضها ولا يشعر به . والثبت أن الذي رمى وجنته ﷺ ابن قميئة ، والذي رمى شفته وأصاب رباعيته عتبة بن أبي وقاص . وأقبل ابن قميئة ــ وهو يقول : دلوني على محمد ، فوالذي يحلف به[5] لئن رأيته لأقتلنه ــ فعلاه بالسيف ، ورماه عتبة بن أبي وقاص مع تجليل[6] السيف ــ وكان عليه درعان . فوقع ﷺ في الحفرة التي أمامه على جنبه فجحشت ركبتاه ، ولم يصنع سيف ابن قميئة شيئاً إلا وَهَنَ الضربة بثقل السيف فقد وقع لها ﷺ وانتهض ، وطلحة يحمله من ورائه ، وعليّ آخذ بيده حتى استوى قائماً . ويقال : الذي شج رسول الله ﷺ في جبهته ابن شهاب ، والذي أشظي رباعيته وأدمى شفتيه عتبة ابن أبي وقاص ، والذي دَمَّى وجنتيه حتى غاب الحلق في وجنته ابن قميئة وسال الدم من شجته التي[7] في جبهته حتى أخضل الدم لحيته ﷺ ، وكان سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنه يغسل الدم من وجه رسول الله ﷺ ، وهو ﷺ يقول :

---

(١) ذكره ابن الأثير في (الكامل) جـ ٢ ص ١٥٤ ــ ١٥٥ .

(٢) الرباعية : إحدى الأسنان الأربعة التي في مقدم الفم من أعلى وأسفل ، وأشظى : كُسرت فصارت لها شظية .

(٣) من أدوات الحرب لوقاية العنق والعاتقين .

(٤) جحشت الركبة : أصيب إصابة كالخدش أو أشد .

(٥) كناية عن اللات والعزى ، وهو من أيمان الشرك .

(٦) في (خ) « تحليل » وجلل السيف : إذا علّاه .

(٧) في (خ) « الذي » .

كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم ؟ وهو يدعوهم إلى الله عز وجل ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون** ﴾[1] وقال : اشتد غضب الله[2] على قوم دمَّوْا فا[3] رسول الله ، اشتد غضب الله على قوم دمَّوْا وجه رسول الله ، اشتد غضب الله على رجل قتله رسول الله ، وقال : اللهم لا يحولنّ الحول على أحد منهم ! فما حال الحول على أحد ممن رماه أو جرحه ﷺ : فمات عتبة ، وقتل ابن قميئة في المعركة . ويقال بل رمي بسهم فأصاب مصعب ابن عمير رضي الله عنه قتله ، فقال ﷺ : ما له أقمأهُ الله ؟ فعمد إلى شاة يحتلبها فنطحته بقرنها وهو معتقلها فقتلته فوجد ميتاً بين الجبال . وكان عدو الله قد رجع إلى قومه فأخبرهم أنه قتل رسول الله ﷺ [وهو رجل من بني الأدرم[4] من بني فهر] وأقبل عبد الله بن حميد بن زهير ــ حين رأى رسول الله ﷺ على تلك الحال ــ يركض فرسه مقنعاً في الحديد يقول : أنا ابن زهير ! دلوني على محمد ، فوالله لأقتلنه أو لأموتن دونه . فقال له أبو دجانة : هلم إلى من يقي نفس محمد بنفسه . وضرب فرسه عرقبها[5] ثم علاه بالسيف فقتله ، ورسول الله ﷺ ينظر إليه ويقول : اللهم ارض عن أبي خرشة كما أنا عنه راض ، وكان أبو دجانة قد ترَّس عنه ﷺ بظهره ، ونَبْل يقع فيه وهو لا يتحرك ، رضي الله عنه .

نزع الحَلَقِ من وجنته ﷺ

ولما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب أقبل أبو بكر رضي الله عنه يسعى ، فوافاه طلحة بن عبيد الله ، وبَدَر[6] أبو عبيدة بن الجراح فأخذ بثنيته حلقة المغفر فنزعها وسقط على ظهره وسقطت ثنيته ، ثم أخذ الحلقة الأخرى [فكان أبو عبيدة في الناس أثرم[7]] ويقال : إن الذي نزع الحلقتين من وجه رسول الله ﷺ عقبة ابن وهب بن كلدة ، ويقال : أبو اليسر ، وأثبت ذلك : عقبة بن وهب ، فيما ذكره الواقدي[8] . وقال غيره : الصحيح أن أبا عبيدة بن الجراح وعقبة بن وهب

---

(١) الآية ١٢٨ / آل عمران ، وفي (خ) « عليهم الآية » .
(٢) في (خ) « غضب علي » . (٣) أي فم رسول الله ﷺ .
(٤) هم بني تيم الأدرم . (٥) أي قطع عرقوبها . (٦) بَدَرَ : أسرع .
(٧) في (خ) « وكان أثرم » وما أثبتناه من (المغازي) جـ ١ ص ٢٤٧ ، والثرم هو سقوط الثنية أو انكسار السن من أصلها (ترتيب القاموس) جـ ١ ص ٤٠٢ . (٨) المغازي جـ ١ ص ٢٤٧ .

عالجاها حتى طارت ثنيتا أبي عبيدة في معالجته لهما ، فكان أحسن أهتم خُلق . ولما نزعتا جعل الدم يسيل ، فجعل مالك بن سنان [وهو والد أبي سعيد الخدري] يملج الدم بفيه ثم ازدرده[1] ، فقال رسول الله ﷺ : من أحب أن ينظر إلى من خالط دمه دمي فلينظر إلى مالك بن سنان . وقيل له : تشرب الدم ؟ فقال نعم ! أشرب دم رسول الله . فقال رسول الله ﷺ : من مسَّ دمه دمي لم تصبه النار .

مسح فاطمة الدم عن وجهه ﷺ

وخرجت فاطمة عليها السلام في نساء ، فلما رأت الذي بوجه رسول الله ﷺ اعتنقته وجعلت تمسح الدم عن وجهه ، وذهب علي رضي الله عنه يأتي بماء وقال لفاطمة : أمسكي هذا السيف غير ذميم فأتى بماء في مجنه[2] فأراد النبي ﷺ أن يشرب منه ــ وكان قد عطش ــ فلم يستطع ، ووجد ريحاً من الماء كرهها فقال : هذا ماء آجن[3] ، فمضمض منه فاه للدم الذي فيه ، وغسلت فاطمة عن أبيها الدم ، ورأى ﷺ سيف علي مختضباً فقال : إن كنت أحسنت القتال فقد أحسن عاصم بن ثابت ، والحارث بن الصمة ، وسهل بن حنيف ، وسيف أبي دجانة غير مذموم .

النساء يحملن الطعام ويسقين الجرحى

وخرج محمد بن مسلمة يطلب مع النساء ماء ــ وكن قد جئن أربع عشرة امرأة منهن فاطمة عليها السلام ، يحملن الطعام والشراب على ظهورهن ، ويسقين الجرحى ، ويداوينهم[4] . ومنهن أم سُليم بنت مِلحان ، وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها على ظهورهما القُرُب ، ومنهن حمنة بنت جحش وكانت تسقي العطشى وتداوي الجرحى ، ومنهن أم أيمن تسقي الجرحى ــ فلم يجد محمد بن مسلمة عند النساء ماء . وكان رسول الله ﷺ قد عطش عطشاً شديداً ، فذهب محمد إلى قناة حتى استقى من حِسْي[5] ، فأتى بماء عذب فشرب منه رسول الله ﷺ ودعا له

---

(١) ملج : امتصَّ ورضع ، ازدرد : ابتلع ، تقول ملج الصبي أمه إذا رضعها (النهاية) جـ ٤ ص ٣٥٣ .

(٢) المجن : الترس .

(٣) الماء الآجن : الماء المتغير الطعم واللون (النهاية) جـ ١ ص ٢٦ .

(٤) في (خ) : و « يداويهن » .

(٥) الحِسْي : حُفيرة قريبة من القَعْر ، قيل إنه لا يكون إلا في أرض أسفلها حجارة وفوقها رمل ، فإذا =

بخير . وجعل الدم لا ينقطع ، وجعل النبي ﷺ يقول : لن ينالوا منا مثلها حتى تستلموا الركن .

دواء جرح رسول الله ﷺ

فلما رأت فاطمة الدم لا يرقا[1] — وهي تغسله وعلي يصب الماء عليها بالمجنّ ، أخذت قطعة حصير فأحرقته حتى صار رماداً ، ثم ألصقته بالجرح فاستمسك الدم ، ويقال : داوته بصوفة محترقة . وكان ﷺ بعد يداوي الجرح في وجهه بعظم بَالٍ حتى يذهب أثره . ومكث يجد وَهن ضربة ابن قميئة على عاتقه شهراً أو أكثر من شهر .

قتل رسول الله ﷺ أبي بن خلف

وأقبل يومئذ أبي بن خلف يركض فرسه حتى [إذا][2] دنا من رسول الله ﷺ اعترض له ناس من المسلمين ليقتلوه فقال ﷺ : استأخروا عنه ! وقام وحربته في يده فرماه بها بين سابغة[3] البيضة والدرع فطعنه[4] هناك ، فوقع عن فرسه وكُسر ضلعٌ من أضلاعه ، فاحتملوه فمات — لما ولّوْا [قافلين][5] — بالطريق ، وفيه نزلت : ﴿ **وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى** ﴾[6] وكان أُبَيّ بن خلف قدم المدينة في فداء ابنه وقد أسر يوم بدر ، فقال : يا محمد ! إن عندي فرساً أجلها فَرَقاً[7] من ذرة كل يوم أقتلك عليها ، فقال رسول الله ﷺ : بل أنا أقتلك عليها إن شاء الله . ويقال : قال ذلك بمكة فبلغ رسول الله ﷺ كلمته بالمدينة فقال : أنا أقتله عليها إن شاء الله . وكان ﷺ في القتال لا يلتفت وراءه ، فكان يقول لأصحابه : إني أخشى أن يأتيَ أُبَيّ بن خلف من خلفي فإذا رأيتموه فآذوني ، فإذا بأُبَيّ يركض على فرسه ، وقد رأى رسول الله فعرفه ، فجعل يصيح بأعلى صوته :

= أمطرت نشفها الرمل فإذا انتهى إلى الحجارة أمسكته (النهاية) جـ ١ ص ٣٨٧ .

(١) في (خ) « يرق » .

(٢) زيادة للسياق .

(٣) السابغ والسابغة والتسبغة : ما توصل به من حلق الدروع فتستر العنق . (المعجم الوسيط) جـ ١ ص ٤١٤ .

(٤) في (خ) فقطعه .

(٥) زيادة للإيضاح .

(٦) الآية ١٧/الأنفال .

(٧) أجلها : أي أعلفها . (النهاية) جـ ١ ص ٢٨٩ ، والفَرَق : مكيال بالمدينة يسع ثلاثة آصع ، (ترتيب القاموس) جـ ٣ ص ٤٧٩ .

يا محمد ، لا نجوتُ إن نجوتَ ! فقال القوم : يا رسول الله ! ما كنت صانعاً حين يغشاك ، فقد جاءك ! وإن شئت عطف عليه بعضنا . فأبى ﷺ ، ودنا أُبَيّ ، فتناول ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة ، [ويقال : من الزبير بن العوام] ، ثم انتفض [بأصحابه][1] كما ينتفض البعير ، فتطاير عنه أصحابه ــ ولم يكن أحد يشبه رسول الله ﷺ إذ جد الجد ــ ثم أخذ الحربة فطعنه بها في عنقه وهو على فرسه ، فجعل يخور كما يخور الثور ، ويقول له أصحابه : أبا عامر ! والله ما بك بأس ، ولو كان هذا الذي بك بعين أحدنا ما ضره ! فيقول : لا واللات والعزى ، ولو كان هذا الذي بي بأهل [ذي][1] المجاز لماتوا أجمعون ! أليس قال : لأقتلنك ؟ فاحتملوه ، وشغلهم ذلك عن طلب النبي ﷺ ، ولحق رسول الله ﷺ بعُظْم أصحابه في الشعب . وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه : مات أُبَيّ بن خلف ببطن رابغ ، فإني لأسير ببطن رابغ ــ بعد هُوِيّ[2] من الليل ــ إذا نار تأجج لي فهبتها ، فإذا رجل يخرج منها في سلسلة يجذبها يصيح : العطش ! وإذا رجل يقول : لا تسقه ، فإن هذا قتيل رسول الله ، هذا أُبَيّ بن خلف . فقلت : ألا سحقاً[3] ويقال : مات بسرف[4] ويقال : لما تناول النبي ﷺ الحربة من الزبير حمل أُبَيّ على رسول الله ليضربه ، فاستقبله مصعب بن عمير يحول بنفسه دون رسول الله ، فضرب مصعب وجه أُبَيّ ، وأبصر رسول الله ﷺ فرجة بين سابغة البيضة والدروع فطعنه هناك ، فوقع وهو يخور .

قتل عثمان بن عبد الله المخزومي

وأقبل عثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومي على فرس أبلق يريد رسول الله ﷺ ، وعليه لَأْمَةٌ[5] كاملة ــ ورسول الله ﷺ موجه إلى الشِّعب ــ وهو يصيح : لا نجوتُ إن نجوتَ ! فوقف رسول الله ﷺ وعثر بعثمان فرسه في تلك

---

(١) زيادة للإيضاح والسياق .

(٢) الهوى : الساعة من الليل (المعجم الوسيط) جـ ٢ ص ١٠٠٢ . ورابغ موضع بين المدينة ، والجحفة (معجم ما استعجم) جـ١ ص ٦٢٥ .

(٣) سحقاً : بعد أشد البعد وسحق الله فلاناً أي أبعده ، (المعجم الوسيط) جـ ١ ص ٤٢٠ .

(٤) موضع على ستة أميال من مكة (معجم البلدان) جـ ٣ ص ٢١٢ .

(٥) اللأمة : أدوات الحرب كلها من رمح وبيضة ومغفر وسيف ودرع (المعجم الوسيط) جـ ٣ ص ٨١٠ .

الحفرة فيقع ، ويخرج الفرس عائراً[1] فأخذه المسلمون فعقروه . ومشى الحارث بن الصمة إليه فاضطربا ساعة بسيفهما ، ثم ضربه الحارث على رجله فبرك ، ودفف عليه وأخذ درعه ومغفره وسيفه ــ ولم يُسمع بأحد[2] سلب يومئذ غيره ــ فقال رسول الله ﷺ : الحمد لله الذي أحانه[3] . وكان عبد الله بن جحش أسره ببطن نخلة ، فافتدى من رسول الله ﷺ ، وعاد إلى مكة حتى قدم فقتله الله بأحد .

ذبح عبيد بن حاجز

[ويرى مصرعه][4] عبيد بن حاجز العامري [فأقبل] يعدو فضرب الحارث ابن الصمة فجرحه على عاتقه ، فاحتمله أصحابه . ووثب أبو دجانة سماك بن خرشة الأنصاري إلى عبيد فناوشه ساعة ثم ذبحه بالسيف ذبحاً ، ولحق برسول الله[5] ﷺ .

سهل بن حنيف ينضح بالنبل عن رسول الله ﷺ

وكان سهل بن حنيف ينضح بالنبل عن رسول الله ﷺ فقال عليه السلام : نبلوا سهلاً فإنه سهل . ونظر ﷺ إلى أبي الدرداء رضي الله عنه والناس منهزمون فقال : نعم الفارس عويمر غير أُفَّةٍ[6] . ويقال : لم يشهد أبو الدرداء أُحداً . ولقى أبو أسيرة بن الحارث بن علقمة رجلاً فاختلفا ضربات[7] حتى قتله أبو أسيرة ، فأقبل خالد بن الوليد على فرس أدهم أغر فطعن أبا أسيرة من خلفه : خرج الرمح من صدره فمات .

قتال طلحة بن عبيد الله

وقاتل طلحة بن عبيد الله عن رسول الله ﷺ قتالاً شديداً ــ حين انهزم عنه أصحابه وكرّ المشركون فأحدقوا به من كل ناحية ــ وصار يذب بالسيف من بين

(١) عار الفرس : انفلت فذهب على وجهه (هامش (ط) ص ١٤١) .
(٢) في (خ) « بأخذ » .
(٣) أحانه : أهلكه .
(٤) زيادة للسياق من (الواقدي) جـ ١ ص ٢٥٣ .
(٥) في (خ) « رسول الله » .
(٦) أغير افة : غير جبان (المعجم الوسيط) جـ ١ ص ٢١ .
(٧) في (خ) « في ضرباته » .

يديه ومن ورائه وعن يمينه وعن شماله : يدور حوله يترس بنفسه حول رسول الله ، وإن السيوف لتغشاه ، والنبل من كل ناحية ، وإن هو إلا جُنة بنفسه لرسول الله حتى انكشفوا ، فجعل ﷺ يقول لطلحة : قد أوجب[1] . وكان طلحة أعظم الناس غناء عن رسول الله ﷺ يومئذ .

ورمى مالك بن زهير الجشمي بسهم يريد رسول الله ﷺ ، فاتقى طلحة بيده عن وجهه المقدس فأصاب خنصره فشل خنصره . وقال حين رماه : حس[2] ! فقال ﷺ : لو قال بسم الله لدخل الجنة والناس ينظرون ! من أحب أن ينظر إلى رجل يمشي في الدنيا وهو من أهل الجنة فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله ، طلحة ممن قضى نحبه .

ولما جال المسلمون تلك الجولة ثم تراجعوا ، أقبل رجل من بني عامر بن لؤي — يقال له : شيبة بن مالك المضَرَّب — يصيح : دلوني على محمد ! فضرب طلحة عرقوب فرسه فاكتسعت[3] به ، ثم طعن حدقته وقتله . وأصيب يومئذ طلحة في رأسه : ضربه رجل من المشركين ضربة وهو مقبل وأخرى وهو معرض عنه ، فنزف الدم حتى غشي عليه ، فنضح أبو بكر رضي الله عنه الماء في وجهه حتى أفاق ، فقال : ما فعل رسول الله ؟ قال : خيراً ، هو أرسلني إليك . قال : الحمد لله كل مصيبة بعده جلل[4] .

قتال علي والحباب بن المنذر

وكان علي بن أبي طالب يذب عن رسول الله ﷺ من ناحية ، وأبو دجانة مالك بن خرشة بن لَوْذان بن عبد وُد بن ثعلبة الأنصاري يذب من ناحية ، وسعد ابن أبي وقاص يذب طائفة . وانفرد علي بفرقة فيها عكرمة بن أبي جهل ، فدخل وسطهم بالسيف — فضرب به وقد اشتملوا عليه — حتى أفضى إلى آخرهم ، ثم

---

(١) قد أوجب لنفسه الجنة .

(٢) حَسِّ : كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه ما مضّه وأحرقه غفلة كالجمرة والضربة ونحوهما (النهاية) جـ ١ ص ٣٨٥ .

(٣) في (خ) « فانعكست » ، وهي رواية الواقدي في (المغازي) جـ ١ ص ٢٥٥ ومعناها : سقطت من ناحية مؤخرها ، ورمت به إلى الأرض .

(٤) جلل : هينة قليلة .

كرَّ فيهم ثانياً حتى رجع من حيث جاء . وكان الحباب بن المنذر الجموح يحوش المشركين كما تحاش الغنم ، واشتملوا عليه حتى قيل قد قتل ، ثم برز والسيف في يده وافترقوا عنه ، وجعل يحمل على فرقة منهم وإنهم ليهربون[1] منه . وكان يومئذ معلماً بعصابة خضراء في مغفره .

خبر عبد الرحمن بن أبي بكر وكان مشركاً

وطلع يومئذ عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق فقال : من يبارز ؟ وارتجز فقال :

لم يبق إلا شكة ويعبوب وصارم يقتل ضلّال الشيب[2]

وفي رواية : « وناشيّ يشرب أرحام الشيب » فنهض إليه أبو بكر رضي الله عنه وهو يقول : أنا ذلك الأشيب ! ثم ارتجزه فقال :

لم يبق إلا حسبي وديني وصارمٌ تقضي به يميني

فقال له عبد الرحمن : لولا أنك أبي لم أنصرف . فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه : شِمْ شيفك ، وارجع مكانك ، ومتعنا بنفسك .

خبر شماس بن عثمان

كان شماس بن عثمان بن الشريد المخزومي لا يرمي رسول الله ﷺ [ببصره][3] يميناً ولا شمالاً إلا رآه في ذلك الوجه يذب بسيفه ، حتى غشي رسول الله ﷺ فترس بنفسه دونه حتى قتل رحمه الله ، فذلك قول النبي ﷺ : ما وجدت لشماس شبهاً إلا الجُنة[4] .

---

(١) في (خ) « ليهزموك » ، وما أثبتناه من (المغازي) جـ ١ ص ٢٥٧ .

(٢) ذكر الواقدي هذا الخبر بغير الشعر ، وذكره (ابن هشام) جـ ٢ ص ٢٠٣ ضمن أخبار غزوة بدر ، والبيت في (ابن هشام) هكذا :

لم يبق غير شكة ويعبوبْ وصارم يقتل ضلال الشيب

وفي (خ) « إلا صارم » .

والشكة : السلاح . واليعبوب : الفرس الكثير الجري .

(٣) زيادة للسياق .

(٤) الجنة : كل ما وقى من سلاح وغيره (المعجم الوسيط) جـ ١ ص ١٤٧ .

أول من أقبل بعد الهزيمة

وكان أول من أقبل من المسلمين بعد التولية قيس بن محرث ، [ويقال : قيس ابن الحارث بن عدي بن جشم بن مجدعة بن حارثة] مع طائفة من الأنصار ، فصادفوا المشركين فدخلوا في حومتهم ، فما أفلت منهم رجل حتى قتلوا ، ولقد ضاربهم قيس حتى قتل نفراً فما قتلوه إلا بالرماح : نظموه ، ووجد به أربع عشرة ضربة قد جافته[1] وعشر ضربات في بطنه .

خبر الداعين إلى القتال

وكان عباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم ابن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ، وخارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك ابن امريء القيس بن مالك الأغر ، وأوس بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان يرفعون أصواتهم ، فيقول عباس : يا معشر المسلمين ! الله ونبيكم ! هذا الذي أصابكم بمعصية نبيكم ، فيوعدكم النصر فما[2] صبرتم . ثم نزع مغفرة وخلع درعه وقال لخارجة بن زيد : هل لك فيهما ؟ قال : لا ، أنا أريد الذي تريد . فخالطوا القوم جميعاً ، وعباس يقول : ما عذرنا عند ربنا إن أصيب رسول الله ومنا عينٌ تطرف ؟ فيقول خارجة : لا عذر لنا عند ربنا ولا حجة ، فقتل سفيانُ بن عبد شمس السلمي عباساً ، وأخذت[3] خارجة الرماح ، فجرح بضعة عشر جرحاً ، وأجهز عليه صفوان بن أمية . وقتل[4] أوس بن أرقم رضي الله عنهم .

خبر أبي دُجانة وخبر السيف

وقال رسول الله ﷺ يومئذ : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ قالوا : وما حقه ؟ قال : يضرب به العدو . فقال عمر رضي الله عنه : أنا يا رسول الله ، فأعرض عنه . ثم عرضه بذلك الشرط ، فقام الزبير رضي الله عنه ، فقال : أنا ، فأعرض عنه حتى وجدا[5] في أنفسهما . ثم عرضه الثالثة ، فقال ذو المشهرة أبو دجانة :

---

(١) جافته : أصابت جوفه (المرجع السابق) جـ ١ ص ١٤٧ .

(٢) في (خ) « ما » . (٣) في (خ) « وأخذ » . (٤) في (خ) « وقيل » .

(٥) وجدا : غضبا (المعجم الوسيط) جـ ٢ ص ١٠١٣ .

أنا يا رسول الله آخذه بحقه . فدفعه إليه ، فصدق به حين لقي العدو ، فأعطى السيف حقه ، فما قاتل أحد أفضل من قتاله . لقد كان يضرب به حتى إذا كلّ عليه شحذه على الحجارة ، ثم يضرب به العدو حتى رده كأنه منجل ، وكان حين أعطاه السيف لبس مشهرة فأُعْلِمَ بها ، وكان قومه يعلمون ـــ لما بلوا منه ـــ أنه إذا لبس تلك المشهرة لم يبق في نفسه غاية . فخرج يمشي بين الصفين واختال في مشيته ، فقال رسول الله ﷺ حين رآه : إن هذه لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن ، ويقال : كان يعلم رأسه بعصابة حمراء .

خبر رُشيد الفارسي

ولقي رُشيد الفارسي مولى بني معاوية[1] رجلا من المشركين قد ضرب سعداً مولى حاطب جَزَله[2] باثنتين ، فضربه على عاتقه فقتله ، فاعترض له أخوه يعدو[3] فقتله ، فقال له رسول الله ﷺ : أحسنت يا أبا عبد الله وكنّاه يومئذ ولا ولد له .

خبر عمرو بن ثابت

وكان عمرو[4] بن ثابت بن وقش بن زغبة بن عبد الأشهل الأنصاري شاكاً في الإسلام حتى كان يوم أحد فأسلم وقاتل حتى أثبت فوجد وهو بآخر رمق فقالوا : ما جاء بك ؟ قال : الإسلام ! آمنت بالله ورسوله ، ثم أخذت سيفي وحضرتُ ، فرزقني الله الشهادة . ومات ، فقال رسول الله ﷺ : إنه لمن أهل الجنة .

خبر مخيريق

وكان مُخيريق من أحبار يهود ، فقال يوم السبت : يا معشر يهود ! والله إنكم لتعلمون أن محمداً لنبي ، وأن نصره عليكم لحق ! ثم أخذ سلاحه وحضر أحداً

---

(١) في (خ) « بني معوفة » وما أثبتناه من (المغازي) جـ ١ ص ٢٦١ .

(٢) في (المغازي) « ضربة جزلة » جـ ١ ص ٢٦١ .

وجزله جزلا : أي قطعه (المعجم الوسيط) جـ ١ ص ١٢١ .

(٣) في (المغازي) جـ ١ ص ٢٦١ « وأقبل يعدو كأنه كلب » .

(٤) في (خ) « عمر » .

مع النبي ﷺ فقتل . وقال حين خرج : إن أحببت فأموالي لمحمد يضعها حيث أراد : فهي عامة صدقات رسول الله ﷺ . وقال فيه ﷺ : مخيريق خير يهود .

خبر عمرو بن الجموح وولده
وما كان من أمر امرأته

وخرج عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة وهو أعرج ، وهو يقول : اللهم لا تردني إلى أهلي !! فقتل شهيداً ، واستشهد ابنه خلاد بن عمرو ، وعبد الله بن عمرو بن حرام [بن ثعلبة بن حرام الأنصاري الخزرجي][1] ، أبو جابر بن عبد الله ، فحملتهم هند بنت عمرو بن حرام — زوجة عمرو بن الجموح — على بعير لها تريد بهم المدينة ، فلقيتها عائشة رضي الله عنها — وقد خرجت في نسوة تستروح الخبر ، ولم يضرب الحجاب يومئذ — فقالت لها: عندك الخبر، فما وراءك؟ قالت: أما رسول الله ﷺ فصالح، وكل مصيبة بعده جلل ، واتخذ الله من المؤمنين شهداء ، وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قوياً عزيزا . قالت عائشة : مَن هؤلاء ؟ قالت : أخي وابن أخي خلاد وزوجي عمرو بن الجموح ، قالت : فأين تذهبين بهم ؟ قالت : إلى المدينة أقبرهم فيها ، ثم قالت : حَلْ[2] ، تزجر بعيرها فبرك ، فقالت عائشة : لما عليه[3] ، قالت : ما ذاك به ، لربما حمل ما يحمل البعيران ، ولكني أراه لغير ذلك . وزجرته فقام[4] فوجهته راجعة إلى أُحد فأسرع ، فرجعت إلى النبي ﷺ فأخبرته بذلك فقال : فإن الجمل مأمور ، هل قال شيئاً[5] ؟ قالت[6] إن عَمْراً لما وَجَّهَهُ إلى أحد قال : اللهم لا تردني إلى أهلي خزيان[7] وارزقني الشهادة ! فقال رسول الله ﷺ : فلذلك الجمل لا يمضي ، إن منكم

---

(١) زيادة من نسبه .

(٢) كلمة لزجر الإبل (ترتيب القاموس) جـ ١ ص ٦٩٨ .

(٣) أي برك للذي عليه من الحمل .

(٤) في (خ) بعد قولها : « فقام » ، و « برك » ولا معنى لها . ومناسبتها في رواية (الواقدي) « فقام ، فلما وجهتْ به إلى المدينة برك » جـ ١ ص ٢٦٥ .

(٥) الضمير في قوله : « قال » عائد على الشهيد .

(٦) في (خ) « قال » .

(٧) في (خ) « خرباً » ، وفي (الواقدي) جـ ١ ص ٢٦٦ « خرياً » ولعل الصواب ما أثبتناه .

يا معشر الأنصار من لو أقسم على الله لأبره : منهم عمرو بن الجموح . يا هند ! مازالت الملائكة مظللة على أخيك من لدن قتل إلى الساعة ينظرون أين يدفن . ثم مكث ﷺ حتى قبرهم . ثم قال يا هند ! قد ترافقوا في الجنة ، عمرو بن الجموح ، وابنك خلاد ، وأخوك عبد الله ، قالت : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني معهم[١] .

أول قتيل من المسلمين يوم أحد

وقال جابر بن عبد الله : كان أبي أول قتيل قُتل من المسلمين يوم أُحد ، قتله سفيان بن عبد شمس أبو أبي الأعور السلميّ ، فصلى عليه رسول الله ﷺ قبل الهزيمة .

خبر أم عمارة وقتالها يوم أُحد

وكانت أم عمارة [نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف[٢] بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار] امرأة غزية بن عمرو بن عطية بن خنساء بن مبذول [بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار][٣] ــ : قد شهدت أُحداً هي وزوجها وابنها ، ومعها شنٌّ[٤] لتسقي الجرحى . فقاتلت وأبلت بلاءً حسناً يومئذ ــ وهي حاجزة ثوبها على وسطها ــ حتى جرحت اثنى عشر جرحاً ، بين طعنة برمح أو ضربة بسيف . وذلك أنها كانت بين يدي رسول الله ﷺ هي وابناها عبد الله وحبيب ابنا زيد بن عاصم بن كعب بن عمرو بن مبذول ، وزوجها غزية بن عمرو ــ يذبون عنه ، فلما انهزم المسلمون جعلت تباشر القتال وتذب عن رسول الله ﷺ بالسيف ، وترمي بالقوس . ولما أقبل ابن قميئة ــ لعنه الله ــ يريد النبي ﷺ كانت فيمن اعترض له ، فضربها على عاتقها ضربة صار لها فيما بعد ذلك غور أجوف ، وضربته هي ضربات . فقال رسول الله ﷺ : لَمَقام نسيبة بنت

---

(١) في المرجع السابق « عسى أن يجعلني معهم » .
(٢) في (خ) مكان « عوف » « خنساء » وهو خطأ في نسبها .
وما أثبتناه من (الإصابة) ترجمة ١٢٤٠ جـ ١٣ ص ٢٥٧ .
(٣) زيادة من (الاستيعاب) جـ ٣ ص ٢٥٩ ترجمتها رقم (٣٥٩٠) .
(٤) يقال : شنَّ الماء على الشراب ، وشنت العين الدمع (المعجم الوسيط) جـ ١ ص ٤٩٦ .

كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان ، وقال : ما التفتُّ يميناً ولا شمالاً إلا وأنا أراها تقاتل دوني . وقال لابنها عبد الله بن زيد : بارك الله عليكم من أهل بيت ، مقام أمك خير من مقام فلان وفلان ، ومقام ربيبك [يعني زوج أمه] خير من مقام فلان وفلان ، ومقامك خير من مقام فلان وفلان ، رحمكم الله أهل بيت ، قالت أم عمارة : ادع الله أن نرافقك في الجنة ، قال : اللهم[1] اجعلهم رفقائي في الجنة ، قالت : ما أبالي ما أصابني من الدنيا .

خبر حنظلة « غسيل الملائكة »

وخرج حنظلة بن أبي عامر [بن عمرو بن صيفي بن مالك بن أمية[2] بن ضبيعة بن زيد بن[3] عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس] هو حنظلة الغسيل — إلى رسول الله ﷺ وهو يسوي الصفوف بأحد ، فلما انكشف المشركون ضرب فرس أبي سفيان بن حرب فوقع [على[4]] الأرض وصاح ، وحنظلة يريد ذبحه ، فأدركه الأسود بن شعوب[5] فحمل على حنظلة بالرمح فأنفذه ، ومشى حنظلة إليه في الرمح وقد أثبته ثم ضربه الثانية فقتله ، ونجا أبو سفيان . فقال رسول الله ﷺ : إني رأيت الملائكة تغسِّل حنظلة بن [أبي][6] عامر بين السماء والأرض بماء المزن في صحاف الفضة . قال أبو أسيد الساعدي : فذهبنا إليه فإذا رأسه يقطر ماء . فلما أخبر النبي ﷺ بذلك أرسل إلى امرأته فسألها ، فأخبرته أنه خرج وهو جنب .

خبر هند بنت عتبة

وكانت هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف — زوجة أبي سفيان بن حرب — أول من مثل بقتلى المسلمين ، وأمرت نساء المشركين أن

---

(١) في (خ) مكان « اللهم » ما نصه : « أبو مالك بن الأوس اجعلهم » والصواب : ما أثبتناه ، وانظر (المغازي) جـ ١ ص ٢٧٣ .
(٢) في (خ) « أمه » .
(٣) في (خ) « زيد بن مالك بن عوف » وهو خطأ ، والتصويب من (ط) .
(٤) في (خ) « فوقع الأرض » .
(٥) كذا في (خ) وفي (الواقدي) جـ ١ ص ٢٧٣ ، ولكن في (ابن هشام) جـ ٣ ص ٦٠ « شداد ابن الأسود بن شعوب الليثي » . وفي (الكامل) جـ ٢ ص ١٥٨ . بنحوه
(٦) في (خ) « بن عامر » .

يمثلن بهم ، فجدَّعْن الأنوف والآذان ، فمثلن بالجميع إلا حنظلة الغسيل .

أول من دخل المدينة بعد الهزيمة

ولما صاح إبليس : إن محمداً قد قتل . تفرق الناس ، فمنهم من ورد المدينة ، فكان أول من دخلها بهذا الخبر أبو عبادة سعد بن عثمان بن خلدة بن مخلد بن عامر ابن زريق الأنصاري ، ثم ورد بعده رجالٌ . فجعل النساء يقلن : عن رسول الله تفرّون . وجعل ابن أم مكتوم يقول : عن رسول الله تفرون !! وحَثَتْ أم أيمن في وجوه بعضهم التراب وتقول : هاك المغزل ، إغزل به ، وهلّم سيفك !! وقيل : إن المسلمين لم يعدوا الجبل ــ وكانوا في سفحه ــ لم يجاوزوه[1] . وأقبل [أبو][2] أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة وهو يقول : يوم بيوم بدر . وقتل رجلا من المسلمين فضربه علي رضي الله عنه فقتله . وقال النبي ﷺ يومئذ : أنا ابن العواتك[3] . وقال أيضاً :

أنا النبي لا كذبْ أنا ابن عبد المطلبْ

خبر أنس بن النَّضر

ومر أنس بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم ابن عدي بن النجار ــ وهو عم أنس بن مالك ــ بنفر من المسلمين قعود فقال : ما يقعدكم ؟ قالوا : قُتل رسول الله ! قال : فما تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه ! ثم جالد بسيفه حتى قُتل رضي الله عنه ، فوجد به سبعون ضربة ، وما عرف حتى عرفته أخته .

---

(١) في (خ) « لم يجاوزه » .

(٢) في (خ) ، وفي (الواقدي) جـ ١ ص ٢٧٩ « أمية » وما أثبتناه من (ابن هشام) جـ ٣ ص .

(٣) العواتك : جمع عاتكة : وهي التي تكثر من الطيب حتى تَحْمَرَّ بشرتها . (المعجم الوسيط) جـ ٢ ص ٥٨٣ ، وقال ابن الأثير في (النهاية) جـ ٣ ص ١٨٠ : « والعواتك : ثلاث نسوة كن من أمهات النبي ﷺ : إحداهن : عاتكة بنت هلال بن فالج بن ذكوان ، وهي أم عبد مناف بن قُصي .
والثانية : عاتكة بنت مُرَّة بن هلال بن فالج بن ذكوان ، وهي أم هاشم بن عبد مناف .
والثالثة : عاتكة بنت الأوقص بن مُرة بن هلال ، وهي أم وهب أبي آمنة أم النبي ﷺ .
فالأولى من العواتك عمة الثانية ، والثانية عمة الثالثة . وبنو سليم تفخر بهذه الولادة .

خبر خارجة بن زيد

ومرَّ مالك بن الدُّخشم على خارجة بن زيد بن زيد أبي زهير وهو قاعد ، في حُشْوَته ثلاثة عشر جرحاً ، كلها قد خلصت إلى مقتل فقال : أما علمت أن محمداً قد قتل ! فقال خارجة : فإن[1] كان محمد قد قتل فإن الله حي لا يموت ، لقد بلَّغ [محمد][2] ، فقاتِلْ عن دينك . ومَرَّ على سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير الأنصاري أحد النقباء ــ وبه اثنا عشر جرحاً كلها خلص إلى مقتل ــ فقال : علمت أن محمداً قد قتل !! فقال سعد : أشهد أن محمداً قد بلغ رسالة ربه ، فقاتِلْ عن دينك فإن الله حي لا يموت ، وقال منافق : إن رسول الله قد قتل فارجعوا إلى قومكم فإنهم داخلو البيوت .

خبر ثابت بن الدحداحة وأصحابه:
آخر من قتل يوم أحد

وأقبل ثابت بن الدَّحداحة[3] (ويقال : ابن الدحداح) بن نعيم بن غنم بن إياس بن بكير والمسلمون أوزاع[4] قد سُقِطَ في أيديهم فصاح : يا معشر الأنصار !! إليّ إليّ ، أنا ثابت بن الدحداحة ، إن كان محمد قد قتل فإن الله حي لا يموت ، فقاتلوا عن دينكم فإن الله مظهركم وناصركم . فنهض إليه نفر من الأنصار فحمل بهم على كتيبة فيها : خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعكرمة بن أبي جهل ، وضرار بن الخطاب ، فحمل عليه خالد بن الوليد بالرمح فقتله وقتل من كان معه من الأنصار رضي الله عنهم ، فيقال : إن هؤلاء آخر من قتل من المسلمين .

ووصل رسول الله ﷺ إلى الشِّعب مع أصحابه فلم يكن هناك قتال .

خبر وحشي ومقتل حمزة

وكان وحشي عبداً لابنة الحارث[5] بن عامر بن نوفل ، ويقال : لجبير بن

---

(١) في (خ) « وإن » وما أثبتناه رواية (الواقدي) جـ ١ ص ٢٨٠ وهو أجود .
(٢) زيادة للإيضاح .
(٣) في (خ) « الدحداجة » و « الدحداج » .
(٤) الأوزاع : الجماعات والضروب المتفرقون (المعجم الوسيط) جـ ٢ ص ١٠٢٩ .
(٥) في (خ) « الحرب » وما أثبتناه من (الواقدي) جـ ١ ص ٢٨٥ .

مطعم ، فقالت له ابنة الحارث : إن أبي قتل يوم بدر ، فإن قتلت أحد الثلاثة فأنت حر : إن قتلت محمداً ، أو حمزة ، أو علياً ، فإني لا أرى في القوم كفؤاً لأبي غيرهم . فكمن لحمزة رضي الله عنه إلى صخرة ، وقد اعترض له سباع بن عبد العزى (واسم عبد العزى عمرو بن نضلة بن غبشان بن سليم) ـــ وهو ابن أم أنمار ـــ فاحتمله ورمى به وبرك عليه فشحطه شحط[1] الشاة . ثم قام حتى بلغ المسيل فزلت رجله عن جرف ، فهز وحشي حربته وضرب بها خاصرة حمزة خرجت من مثانته فلحق بربه . فأتاه وحشي فشق بطنه وأخرج كبده فجاء بها إلى هند بنت عتبة فقال لها : ماذا لي إن قتلت قاتل أبيك ؟ قالت : سَلبي[2] ! فقال : هذه كبد حمزة ! فمضغتها ثم لفظتها ، ونزعت ثيابها وحليها فأعطتها وحشياً ، ووعدته إذا جاء مكة أن تعطيه عشرة دنانير ، وقامت معه حتى أراها مصرع حمزة فقطعت مذاكيره ، وجدَّعت أنفه وقطعت أذنيه ، ثم جعلت مسكتين ومعضدين وخدمتين[3] حتى قدمت بذلك مكة وكبده معها .

وفي المسند للإمام أحمد قال : فنظروا فإذا حمزة قد بقرت بطنه ، وأخذت هند كبده فلاكتها فلم تستطع أن تأكلها ، فقال رسول الله ﷺ : أكلت منها شيئاً ؟ قالوا : لا ، قال : ما كان الله ليُدخل من حمزة النار . وفي رواية ابن سعد[4] : إن الله قد حرم على النار أن تذوق من لحم حمزة شيئاً أبداً . ويروى أن هنداً لما أخرجت كبد حمزة لاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها ، ثم علت على صخرة مشرفة فصاحت بأعلى صوتها بما قالت من الشعر حين ظفروا بما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ ، فهجاها حسان بن ثابت لما بلغه ذلك من قولها[5] .

---

(١) شحط القتيلُ في الدم : اضطرب (المعجم الوسيط) جـ ١ ص ٤٧٤ .
(٢) السلب : كل ما مع القتيل من سلاح وثياب ودابة ، والمراد هنا كل ما تملك من الحلي والذهب وغيره . (المعجم الوسيط) جـ ١ ص ٤٤١ .
(٣) المسكة وجمعها المسك : السوار تجعله المرأة في يديها .
والمعضدة والمعضد : الدملج يكون كالسوار ، تجعله على عضدها بين الكتف والمرفق . والخَدَمة وجمعها الخدم : الخلخال تجعله في رجلها . هامش (ط) ص ١٥٣ .
(٤) (الطبقات الكبرى) جـ ٣ ص ١٣ .
(٥) قالت:

نحن جزيناكم بيوم بدر ... والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لي من صبر ... ولا أخي وعمه وبكري
شفيتُ نفسي وقضيتُ نذري ... شفيتَ وحشي غليل صدري =

موقف رسول الله ﷺ على مقتل حمزة

وجعل رسول الله ﷺ يقول : ما فعل عمي ؟ ويكرر ذلك ، فخرج الحارث ابن الصمة فأبطأ ، فخرج علي رضي الله عنه فوجد حمزة رضي الله عنه مقتولاً ، فأخبر النبي ﷺ فخرج يمشي حتى وقف عليه فقال : ما وقفت موقفاً أغيظ إليّ من هذا ! فطلعت صفية بنت عبد المطلب(١) رضي الله عنها فقال ﷺ : [يا زبير](٢) أغن عني أمك . هذا وحمزة يحفر له فقال : إن في الناس تكشفاً . فقالت : ما أنا بفاعلة حتى أرى رسول الله ﷺ ، فلما رأته قالت : يا رسول الله ، أين ابن أمي حمزة ؟ قال : هو في الناس ، قالت : لا أرجع حتى أنظر إليه . فجعل الزبير يُجلسها حتى دفن حمزة رضي الله عنه . وقال رسول الله ﷺ : لولا أن يحزن نساءنا لتركناهُ للعافية(٣) حتى يحشر يوم القيامة من بطون السباع وحواصل الطير .

بكاء رسول الله ﷺ على حمزة

ويقال : لما أُصيب حمزة رضي الله عنه جاءت صفية بنت عبد المطلب تطلبه فحالت بينها وبينه الأنصار ، فقال رسول الله ﷺ : دعوها ، فجلست عنده ،

= فشكر وحشي عليّ عُمري ... حتى ترم أعظمي في قبري

فأجابتها هند بنت أثاثة بن عباد بن عبد المطلب فقالت :

خزيت في بدر وبعد بدر ... يا بنت وقاع عظيم الكفر
صبحك الله غداة الفجر ... بالهاشميّين الطوال الزهر
بكل قطاع حسام يفري ... حمزة ليثي وعليّ صقري
إذا رام شيب وأبوك غدري ... فخضبنا منه ضواحي النّحر
ونذرك السوء فشرُّ نذر

(عيون الأثر) جـ١ ص ١٨ .

فقال حسان :

أشرت لكاع وكان عادتها ... لؤماً إذا أشرت مع الكفر

(ابن هشام) جـ ٣ ص ٣٦ ــ ٣٧ .

(١) أخت حمزة ، وعمة النبي ﷺ ، وأم الزبير بن العوام .

(٢) زيادة للسياق .

(٣) العافية : طلاب الرزق من الدواب والطير (المعجم الوسيط) جـ ٢ ص ٦١٢ .

فجعلت إذا بكت بكى رسول الله ﷺ ، وإذا نشجت نشج[1] . وكانت فاطمة عليها السلام تبكي ورسول الله ﷺ كلما بكت يبكي ، وقال : لن أصاب بمثلك أبداً . ثم قال : أبشرا ! أتاني جبريل وأخبرني أن حمزة مكتوب في أهل السموات السبع : حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله .

المثلة بحمزة

ورأى ﷺ به مثلا شديداً فأحزنه ذلك المثل ، ثم قال : لئن ظفرتُ بقريش لأمثلن بثلاثين منهم ، فنزلت هذه الآية : ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين** ﴾[2] [فعفا رسول الله] فلم يمثل بأحد[3] ، وجعل أبو قتادة الأنصاري يريد أن ينال من قريش ، لما رأى من غم رسول الله ﷺ في قتل حمزة وما مثل به ، ورسول الله ﷺ يشير إليه أن اجلس — وكان قائماً — فقال ﷺ : احتسبتك عند الله ، ثم قال : يا أبا قتادة : إن قريشاً أهل أمانة ، من بغاهم العواثر كبه[4] الله لفيه ، وعسى إن طالت بك مدة أن تحقر عملك مع أعمالهم وفعالك مع فعالهم ، لولا أن تبطر[5] قريش لأخبرتها بما لها عند الله ، فقال أبو قتادة : والله يا رسول الله ما غضبت إلا لله ولرسوله حين نالوا منه ما نالوا ، فقال ﷺ : صدقت ، بئس القوم كانوا لنبيهم .

مقتل عبد الله بن جحش وخبره

وقال عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر[6] بن صبرة بن مرة بن كبير[6] ابن غنم بن دودان[6] بن أسد بن خذيمة الأسدي : يا رسول الله ! إن هؤلاء القوم قد نزلوا حيث ترى ، وقد سألت الله فقلتُ : اللهم إني أقسم عليك نلقى العدو غداً فيقتلونني ويبقرونني ويمثلون بي ، فألقاك مقتولا قد صنع هذا بي ، فتقول : فيم[6] صنع بك هذا ؟ فأقول : فيك . وأنا أسألك أخرى : أن تلي تركتي من

---

(١) نشج نشيجاً : تردد البكاء في صدره من غير انتحاب (المرجع السابق) ص ٩٢١ .

(٢) الآية ١٢٦ / النحل .

(٣) هذه رواية (الواقدي) جـ ١ ص ٢٩٠ .

(٤) في (خ) « أكبه » .

(٥) البطر : تقول بطر فلانٌ النعمة : استخفّها فكفرها .

(٦) في (خ) « رباب بن نعمان » ، « ابن كثير » ، « داود » ، « قيم » .

بعدي . فقال : نعم . فخرج حتى قُتل ومُثل به . ودفن هو وحمزة[1] رضي الله عنه في قبر واحد . وولي تركته رسول الله ﷺ فاشترى لابنه[2] مالاً بخيبر ، فأقبلت أخته حمنة بنت جحش . فقال لها رسول الله ﷺ : يا حمن ! احتسبي ، قالت : من يا رسول الله ؟ قال : خالك حمزة ، قالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، غفر الله له ورحمه ، هنيئاً له الشهادة ! ثم قال لها : احتسبي ، قالت : مَن يا رسول الله ؟ قال : أخوك ، قالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، غفر الله له ورحمه ، هنيئاً له الشهادة ، ثم قال لها : احتسبي ، قالت : من يا رسول الله ؟ قال : مصعب بن عمير ، قالت واحزناه !! وفي رواية أنها قالت : واعقراه !! فقال ﷺ : إن للزوج من المرأة مكاناً ما هو لأحد ! ثم قال لها : لم قلت هذا ؟ قالت : يا رسول الله ، ذكرت يتم بنيه فراعني . فدعا رسول الله ﷺ لولده أن يحسن عليهم الخلف ، فتزوجت طلحة فولدت له محمد بن طلحة ، فكان أوصل الناس لولدها . وكانت حمنة خرجت يومئذ إلى أحد مع النساء يسقين الماء .

طلوع رسول الله ﷺ على أصحابه في الشِّعب

وطلع رسول الله ﷺ على أصحابه في الشِّعب بين سعد بن عبادة وسعد بن معاذ يتكفأ في الدرع [وكان ﷺ إذا مشى يتكفأ تكفؤاً][3] ـــ وقد بدن وظاهر بين درعين ـــ وكان يتوكأ على طلحة بن عبيد الله ، فما صلى الظهر يومئذ بأصحابه إلا جالساً . وقد حمله طلحة رضي الله عنه ـــ حين انتهى إلى الصخرة ـــ حتى ارتفع عليها . ثم مضى إلى أصحابه ومعه النفر الذين ثبتوا معه ، فلما رأوهم ولوا في الشعب ظناً أنهم من المشركين ، حتى جعل أبو دجانة يليح إليهم بعمامة حمراء على رأسه فعرفوه ، فرجعوا أو بعضهم . وكانوا الذين ثبتوا معه ﷺ ـــ وطلعوا وهو بينهم إلى الشعب ـــ أربعة عشر : سبعة من المهاجرين وسبعة من الأنصار .

سرور المسلمين بسلامة رسول الله ﷺ

فسروا برسول الله ﷺ حتى كأنهم لم تصبهم في أنفسهم مصيبة ، وبينا هم

(1) حمزة : خال عبد الله بن جحش. (2) في (المغازي) « لأمه » جـ ١ ص ٢٩١ .
(3) زيادة للبيان ، وهي صفة مشية النبي ﷺ وذلك أنه كان « إذا مشي كأنما ينحط من صبب » راجع (صفة الصفوة لابن الجوزي) جـ ١ ص ١٥٦ صفة رسول الله ﷺ و ص٢١٣ من هذا الكتاب.

على ذلك ردّ المشركون فإذا هم فوقهم ، وإذا كتائبهم قد أقبلت ، فندبهم النبي ﷺ يحضهم على القتال ، فعدوْا إليهم فانكشفوا ، ورسول الله ﷺ يقول : ﴿ **وما محمدٌ إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرَّ الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين** ﴾[1] . وأبو سفيان في سفح الجبل فقال ﷺ : ليس لهم أن يعلونا فانكشفوا[2] .

خبر النُّعاس

وألقى الله النعاس على من مع النبي ﷺ وهم سَلَم[3] لمن أرادهم ، لما بهم من الحزن فناموا ثم هَبوا من نومهم كأن لم تصبهم قبل ذلك نكبة . وقال معتب ابن قشير ، ويقال : بشير بن مليل بن زيد بن العطاف بن ضبيعة بن زيد بن مالك ابن عوف بن عمرو بن عوف الأنصاري : لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا ! فأنزل الله تعالى : ﴿ **إذ تصعدون ولا تلوون على أحد** ﴾ [إلى آخر الآيات][4] قال أبو اليسر كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو بن غنم[5] بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري : لقد رأيتني يومئذ — في أربعة عشر رجلاً من قومي — إلى جنب رسول الله ﷺ وقد أصابنا النعاس أمنةً ، فما منهم إلا رجل يغط غطيطاً حتى إن الجحف[6] لتناطح . ولقد رأيت سيف بشر بن البراء بن معرور سقط من يده وما يشعر به حتى أخذه بعد ما تثلم : وإن المشركين لتحتنا . وقال أبو طلحة زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد بن مناة بن عدي ابن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري : أُلقي علينا النعاس ، فكنت أنعس حتى سقط سيفي من يدي . وكان النعاس لم يصب أهل النفاق والشك يومئذ ، فكل[7] منافق يتكلم بما في نفسه ، وإنما أصاب النعاس أهل اليقين والإيمان .

---

(١) في (خ) « الرسل الآية » ١٤٤ / آل عمران .

(٢) في (خ) « ما انكشفوا » ، وما أثبتناه رواية (الواقدي) جـ ١ ص ٢٩٥ .

(٣) السِّلم : الاستسلام والتسليم ، والأسر من غير حرب (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٤٤٦ .

(٤) الآيات من ١٥٣ — ١٥٥ / آل عمران .

(٥) في (خ) « ابن غزيه » وهو خطأ ، ونسبه في (الإصابة) هكذا : « كعب بن عمرو بن عباد بن سواد بن غَنم الأنصاري أبو اليسْر » راجع (الإصابة) ترجمة رقم ٧٤١٦ ج ٨ ص ٣٠١ .

(٦) الجحف : تقول : جحف فلان مع فلان جَحْفاً : مال .

(٧) في (خ) « وكل » وما أثبتناه من (المغازي) ج ١ ص ٢٩٦ .

خبر أبي سفيان ومقالته وردّ عمر

ولما تحاجزوا أراد أبو سفيان بن حرب الانصراف ، وأقبل على فرس حتى أشرف على المسلمين في عرض الجبل فنادى بأعلى صوته : أعل هبل ! ثم صاح : أين ابن أبي كبشة ؟ أين ابن أبي قحافة ؟ أين ابن الخطاب ؟ يوم بيوم بدر ، ألا إن الأيام دول ، وإن الحرب سجال ، وحنظلة بحنظلة[1] ، فقال عمر رضي الله عنه : أجيبه يا رسول الله ؟ فقال : بلى ، فأجبه ! فقال أبو سفيان : أعل هبل ! فقال عمر : الله أعلى وأجل ! فقال أبو سفيان : إنها قد أنعمت فعال[2] عنها ، ثم قال : أين ابن أبي كبشة ؟ أين ابن أبي قحافة ؟ أين ابن الخطاب ؟ فقال عمر رضي الله عنه : هذا رسول الله ، وهذا أبو بكر ، وهذا عمر . فقال أبو سفيان : يوم بيوم بدر ، ألا إن الأيام دول وإن الحرب سجال . فقال عمر : لا سواء ! قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار ، قال أبو سفيان : إنكم لتقولون ذلك ، لقد خبنا إذاً وخسرنا ! لنا العزى ولا عزى لكم ! فقال عمر : الله مولانا ولا مولى لكم ! قال أبو سفيان : إنها قد أنعمت يا ابن الخطاب فعالِ[2] عنها قم إليّ يا ابن الخطاب أكلمك ، فقام عمر ، فقال أبو سفيان : أنشدك بدينك ، هل قتلنا محمداً ؟ قال عمر : اللهم لا ، وإنه ليسمع كلامك الآن ، قال أنت عندي أصدق من ابن قميئة ، ثم قال أبو سفيان ورفع صوته : إنكم واجدون في قتلاكم عنتاً ومثْلاً ، إلا أن ذلك لم يكن عن رأي سراتنا ، أدركته حمية الجاهلية فقال : أما إذ[3] كان ذاك فلم نكرهه ثم نادى : ألا إن موعدكم بدر[4] الصفراء على رأس الحول ، فقال رسول الله ﷺ : قل نعم ! فقال عمر رضي الله عنه : نعم .

انصراف المشركين ومخافة رسول الله ﷺ من مباغتة المدينة

فانصرف أبو سفيان إلى أصحابه وأخذوا في الرحيل ، فأشفق رسول الله ﷺ والمسلمون من أن يغير المشركون على المدينة فتهلك الذراري والنساء ، فبعث سعد

---

(١) يريد حنظلة ولده ، وحنظلة غسيل الملائكة .

(٢) في (خ) « فقال » وما أثبتناه من (الواقدي) ج ١ ص ٢٩٧ وعالِ عنها : تجاف عنها ولا تذكرها بسوء ، يعني آلهتهم . (النهاية) ج ٣ ص ٢٩٤ .

(٣) في (خ) « إذا » .

(٤) كذا في (خ) و (الواقدي) ج ١ ص ١٩٧ . أما في (ط) « بدراً الصفراء » .

ابن أبي وقاص لينظر : إن ركبوا الإبل وجنبوا الخيل فهو الظعن ، وإن ركبوا الخيل وجنبوا الإبل فهي الغارة . ثم قال عليه السلام : والذي نفسي بيده لئن ساروا إليه لأسيرن إليهم ثم لأناجزنهم ، فذهب سعد يسعى إلى العقيق فإذا هم قد ركبوا الإبل وجنبوا الخيل ، بعد ما تشاوروا نهب المدينة فأشار عليهم صفوان بن أمية ألا يفعلوا فإنهم لا يدرون ما يغشاهم ، فعاد فأخبر النبي ﷺ .

قدوم أبي سفيان مكة

وقدم أبو سفيان مكة فلم يصل إلى بيته حتى أتى هُبل فقال : قد أنعمت ونصرتني وشفيتَ نفسي من محمد وأصحابه ، وحلق رأسه .

أول من قدم إلى مكة بخبر أُحد

فكان أول من قدم مكة بخبر أُحد وانكشاف المشركين عبد الله بن [أبي][1] أمية بن المغيرة فكره أن يأتيهم بهزيمة أهلهم ، فقدم الطائف وأخبر أن أصحاب محمد قد ظفروا وانهزمنا . ثم قدم وحشيّ مكة فأخبرهم بمصاب المسلمين وقد سار أربعاً على راحلته ، ووقف على الثنية التي تطل الحجون فنادى : يا معشر قريش ! أبشروا ، قد قتلنا أصحاب محمد مقتلة لم يقتل مثلها في زحف قط ، وجرحنا محمد فأثبتناه بالجراح ، وقُتِلَ حمزةُ . فسُرُّوا بذلك .

قتلى المسلمين وقتلى المشركين

وقتل من المسلمين بأحد أربعة وسبعون[2] : أربعة من قريش وسائرهم من الأنصار ، ويقال : خمسة من قريش . وقتل من المشركين أربعة وعشرون ، وأسر من المشركين أبو عزة عمرو[3] بن عبد الله بن عمير بن وهب بن حذافة بن جمح ، ولم يؤسر منهم غيره فقال : يا محمد ، مُنّ عليّ ! فقال رسول الله ﷺ : إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ، لا ترجع إلى مكة تمسح عارضيك تقول : خَدَعْتُ [وفي رواية سَحَرتُ] محمداً مرتين ، ثم أمر به عاصم بن ثابت فضرب عنقه ، ويقال :

---

(١) في (خ) « بن أمية » .
(٢) رواية (الواقدي) ج ١ ص ٣٣٠ « سبعون » .
(٣) في (خ) « عمر » .

إن المشركين لما انصرفوا بحمراء الأسد في أول الليل ساعة ، ثم حلوا وتركوا أبا عَزَّة نائماً مكانه حتى ارتفع النهار ، ولحقه المسلمون وهو مستنبه يتلدد ، وكان الذي أخذه عاصم بن ثابت ، فأمره النبي ﷺ فضرب عنقه .

صلاة رسول الله ﷺ على شهداء أُحد

ولما انصرف المشركون أقبل المسلمون على أمواتهم ، فكان حمزة رضي الله عنه فيمن أتي به أولاً ، فصلى عليه رسول الله ﷺ وقال : رأيت الملائكة تغسله ، لأن حمزة كان جُنُباً ذلك اليوم . ولم يُغَسِّل ﷺ الشهداءَ ، وقال : لفوهم بدمائهم وجراحهم ، فإنه ليس أحد يُجرح في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة جرحه لونه لون الدم وريحه ريح مسك ، ثم قال : ضعوهم ، أنا الشهيد على هؤلاء يوم القيامة . فكان حمزة أول من كبَّر عليه رسول الله ﷺ ، ثم جمع إليه الشهداء . فكان كلما أتي بشهيد وضع إلى جنب حمزة فصلى عليه وعلى الشهداء ، حتى صلى عليه سبعين مرة ، ويقال : كان يؤتى بتسعة وحمزة عاشرهم فيصلي عليهم ثم ترفع التسعة وحمزة مكانه ، ويؤتى بتسعة آخرين فيوضعون إلى جنب حمزة فيصلي عليهم حتى فعل ذلك سبع مرات . ويقال : كبَّر عليهم تسعاً وسبعاً وخمساً . وقيل : لم يُصَلِّ عليهم . أخرجه أبو داود[1] من حديث جابر وأنس وابن عباس رضي الله عنهم : وهو مذهب مالك ، والليث بن سعد والشافعي ، وأحمد ، وداود[2] : ألا يصلى على المقتول في المعركة . وقال فقهاء الكوفة والبصرة والشام : يصلى عليهم .

---

(١) في سنن أبي داود ج ٣ ص ٤٩٨ حديث رقم ٣١٣٥ : « حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن وهب ، ... أن أنس بن مالك حدثهم أن شهداء أحد لم يغسلوا ، ودفنوا بدمائهم ولم يُصَلِّ عليهم » وفي تعليق ابن القيم على أبي داود : « وقد ورد في الصلاة على قتلى أحد من المسلمين عدة أحاديث : منها ما أخرجه الشيخان عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ خرج يوماً يصلي أهل أحد صلاته على الميت ، ومنها حديث أنس أن النبي ﷺ صلى على حمزة ، ومنها حديث أبي مالك الغفاري قال : كان قتلى أحد يؤتى منهم بتسعة عاشرهم حمزة ، فيصلي عليهم رسول الله ﷺ ثم يحملون ، ثم يؤتى بتسعة ، وحمزة مكانه ، حتى صلى عليهم رسول الله ﷺ.
وفي (عون المعبود) ج ٨ ص ٣١١ .
قال الحافظ: والخلاف في الصلاة على قتيل الكفار مشهور ، قال الترمذي : قال بعضهم : يصلى على الشهيد وهو قول الكوفيين وإسحاق ، وقال بعضهم لا يصلى عليه ، وهو قول المدنيين والشافعي وأحمد . والحديث سكت عنه المنذري » .

(٢) صاحب مذهب مستقل ، وأتباعه يعرفون بالظاهرية توفى ببغداد سنة ٢٧٠ هـ [هامش (ط)] .

خبر دفن القتلى ودفن حمزة

وقال ﷺ للمسلمين ، احفروا وأوسعوا وأحسنوا وادفنوا الاثنين والثلاثة في القبر . وقدموا أكثرهم قرآناً ، فكانوا يقدمون أكثرهم قرآناً في القبر ، ولما واروا حمزة رضي الله عنه أمر رسول الله ﷺ ببردة تمدُّ عليه وهو في القبر ، فجعلت البردة إذا خمَّروا[١] رأسه بدت قدماه ، وإذا خمَّروا رجليه ينكشف وجهه ، فقال ﷺ : غطوا وجهه ، وجعل على رجليه الحَرْمَل[٢] . فبكى المسلمون وقالوا : يا رسول الله ! عم رسول الله لا نجد له ثوباً ؟ فقال : تفتح الأرياف والأمصار فيخرج إليها الناس ثم يبعثون إلى أهليهم ، إنكم بأرض حجاز[٣] جردية [الجردية التي ليس بها شيء من الأشجار][٤] والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون . والذي نفسي بيده لا يصبر أحد على لوائها وشدتها إلا كنت له شفعياً أو شهيداً يوم القيامة .

مصعب بن عمير

ومر ﷺ على مصعب بن عمير وهو مقتول في بردة[٥] فقال : لقد رأيتُك بمكة وما بها أحد أرق حلة منك ولا أحن لِمَّة منك ، ثم أنت شعث الرأس في بردة . ثم أمر به فقبر .

وكان كثير من الناس حملوا موتاهم إلى المدينة فدفنوهم ، فنادى منادي رسول الله ﷺ : ردّوا القتلى إلى مضاجعهم . فلم يَرُدَّ أحدٌ إلا رجل واحد أدركه المنادي ولم يدفن ، وهو شماس بن عثمان المخزوميّ .

موقف المسلمين للثناء على الله

ولما فرغ ﷺ من دفن أصحابه ركب فرسه وخرج ، والمسلمون حوله : عامتهم جرحى ، ولا مثل لبني[٦] سلمة وبني عبد الأشهل ومعه أربع عشرة امرأة ،

---

(١) خمروا : غَطُّوا .
(٢) الحرمل : نبات صحراوي .
(٣) الحجاز : سُمّي بذلك لأنه يُحتجز بالجبال ، (معجم البلدان) ج ٢ ص ٢١٨ .
(٤) هذه الزيادة من نص (الراقدي) ج ١ ص ٣١١ .
(٥) البردة : كساء مخطط يلحف به . (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٤٨ .
(٦) في (خ) « ولا مثل نبي » ، وما أثبتاه عبارة (الواقدي) ج ١ ص ٣١٤ .

فلما كانوا بأصل الحرة قال : اصطفوا فنثني على الله ، فاصطف الرجال صفين خلفهم النساء ثم دعا فقال : اللهم لك الحمد كله ، اللهم لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ، ولا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ، ولا هادي لمن أضللت ولا مضل لمن هديت ، ولا مقرب لما باعدت ولا مباعد لما قربت . اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول ، اللهم إني أسألك الأمن يوم الخوف،والغنى يوم الفاقة ، عائذاً بك اللهم من شر ما أعطيتنا وشرّ ما منعت منا . اللهم توفنا مسلمين . اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا،وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان،واجعلنا من الراشدين . اللهم عذب كفرة أهل الكتاب الذين يكذبون رسولك ويصدون عن سبيلك ، اللهم أنزل عليهم رجسك وعذابك إلٰه الحق . آمين .

دخول رسول الله ﷺ إلى المدينة

وأقبل حتى طلع على بني عبد الأشهل وهم يبكون على قتلاهم فقال : لكن حمزة لا بواكي له : فخرج الناس ينظرون إلى سلامته ، فقالت أم عامر الأشهلية : كل مصيبة بعدك جلل[1] وجاءت أم سعد بن معاذ [وهي كبشة بنت رافع بن معاوية][2] بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر ، [وهو خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج][2] تعدو نحو رسول الله ﷺ وقد وقف على فرسه ، وسعد ابن معاذ آخذ بعنان الفرس ، فقال سعد : يا رسول الله : أمي، فقال: مرحباً بها ، فدنت حتى تأملت رسول الله ﷺ وقالت : أما إذ رأيتك سالماً فقد أشْوَتِ المصيبة[3] . فعزاها ﷺ بعمرو بن معاذ ابنها ثم قال : يا أم سعد : أبشري وبشِّري أهليهم أن قتلاهم ترافقوا في الجنة جميعاً ـــ وهم اثنى عشر رجلا ـــ وقد شفعوا في أهليهم ، قالت : رضينا برسول الله ، ومن يبكي عليهم بعد هذا ؟ ثم قالت : ادع يا رسول الله لمن خلفوا . قال : اللهم اذهب حُزْن قلوبهم ، وأجبر مصيبتهم ، وأحسن الخلف على من خلفوا . ثم قال : خَلِّ أبا عمرو الدابة . فخلى سعد الفرس ، فتبعه الناس فقال : يا أبا عمرو ، إن الجراح في أهل دارك فاشية ، وليس منهم مجروحٌ

(١) جلل : هيّنة ، قال ابن هشام : الجلل يكون من القليل ومن الكثير وهو هاهنا من القليل .
(٢) زيادة من النسب .
(٣) أشوت المصيبة : قلت ، والشويَة : القليل من الكثير (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٥٠٢ .

إلا يأتي يوم القيامة جرحه كأغزر ما كان : اللون لون الدم والريح ريح المسك ، فمن كان مجروحاً فليقرَّ في داره وليداو جرحه ، ولا يبلغ معي بيتي ، عزمة مني . فنادى فيهم سعد ، عَزْمة من رسول الله ألا يتبع رسول الله جريح من بني عبد الأشهل ، فتخلف كل مجروح . فباتوا يوقدون النيران ويداوون الجراح ، وإن فيهم لثلاثين جريحاً ، ومضى سعد مع رسول الله ﷺ حتى جاء بيته فما نزل عن فرسه إلا حملا ، واتكأ على سعد بن عبادة وسعد بن معاذ حتى دخل بيته ، فلما أذَّن بلال بصلاة المغرب خرج على مثل تلك الحال يتوكأ على السعدين فصلى ثم عاد إلى بيته .

خبر البكاء على حمزة

ومضى سعد بن معاذ إلى نسائه فساقهن حتى لم تبق امرأة إلا جاء بها إلى بيت رسول الله ﷺ ، فبكين حمزة رضي الله عنه بين المغرب والعشاء ، والناس في المسجد يوقدون النيران يتكمدون[1] بها من الجراح . وأذَّن بلال رضي الله عنه حين غاب الشفق فلم يخرج رسول الله ﷺ ، فجلس بلال عند بابه حتى ذهب ثلث الليل ، ثم ناداه الصلاة يا رسول الله ، فهب ﷺ من نومه وخرج ، فإذا هو أخف في مشيته منه حين دخل ، وسمع البكاء فقال : ما هذا ؟ فقيل : نساء الأنصار يبكين على حمزة . فقال : رضي الله عنكن وعن أولادكن ، وأمر أن ترد النساء إلى منازلهن ، فرجعن بعد ليل مع رجالهن . وصلى رسول الله ﷺ العشاء ثم رجع إلى بيته ، وقد صَفَّ له الرجال ما بين بيته إلى مصلَّاه يمشي وحده حتى دخل ، وباتت وجوه الأوس والخزرج على بابه يحرسونه فَرَقاً[2] من قريش أن تكر ، ويقال : إن معاذ بن جبل رضي الله عنه جاء بنساء بني سلمة ، وجاء عبد الله بن رواحة رضي الله عنه بنساء بَلحارث [بن الخزرج][3] فقال ﷺ : ما أردتُ هذا ! ونهاهن الغد عن النوح أشد النهي .

شماتة المنافقين

وجعل عبد الله بن أُبَيّ بن سلول والمنافقون يشمتون معه ويُسَرّون بما أصاب

(١) الكمادة : خرقة تُسخَّن وتوضع على الورم أو موضع الوجع (المرجع السابق) ج ٢ ص ٧٩٨ .
(٢) فرقا : خوفاً . (٣) زيادة للإيضاح .

المسلمين ، ويظهرون أقبح القول : فيقول ابن أُبَيّ لابنه عبد الله ـــ وهو جريح قد بات يكوي الجراحة بالنار ـــ ما كان خروجك معه إلى هذا الوجه برأي ! عصاني محمد وأطاع الولدان ، والله لكأني كنت أنظر إلى هذا . فقال ابنه : الذي صنع الله لرسوله[1] وللمسلمين خير .

ما قالت اليهود والمنافقون شماتة بقتلى أحد

وأظهرت اليهود القول السيء فقالوا : ما محمد إلا طالب ملك ، ما أصيب هكذا نبي قط ! أصيب في بدنه ، وأصيب في أصحابه ! وجعل المنافقون يُخذِّلون عن رسول الله ﷺ أصحابه ويأمرونهم بالتفرق عنه ، ويقولون : لو كان من قُتل منكم عندنا ما قتل . وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذلك في أماكن ، فمشى إلى رسول الله ﷺ يستأذنه في قتل من سمع ذلك منه من يهود والمنافقين . فقال عليه السلام : يا عمر ، إن الله مظهر دينه ومعزّ نبيه ، ولليهود ذمة فلا أقتلهم ، قال : فهؤلاء المنافقون ! قال : أليس يظهرون شهادة أن لا إلٰه إلا الله ، وأني رسول الله ؟ قال : بلى يا رسول الله ! وإنما يفعلون ذلك تعوذاً من السيف ، فقد بان لنا أمرهم ، وأبدى الله أضغانهم عن هذه النكبة ! فقال : نُهيت عن قتل من قال لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله يا ابن الخطاب ، إن قريشاً لن ينالوا منا مثل هذا اليوم حتى نستلم الركن .

ما نزل من القرآن في غزوة أُحد

ونزل في غزوة أحد من قوله تعالى : ﴿ **وإذ غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال** ﴾ من سورة آل عمران إلى آخرها[2] ، وكان قد نزل قبل أن يخرج ﷺ إلى حد قوله تعالى : ﴿ **إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين (١٢٤) بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوِّمين (١٢٥) وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم** ﴾[3] . فلم يصبروا وانكشفوا ، فلم يُمَدّ رسولُ الله ﷺ بِمَلَكٍ واحدٍ يوم أُحد .

(١) في (خ) « ولرسوله » .
(٢) قال ابن هشام : ستون آية .
(٣) في (خ) تبدأ الآيات بقوله تعالى : « إني ممدكم بثلاثة آلاف ..... » وهكذا نص (الواقدي) ج ١ ص ٣٢٠ ، وما أثبتناه أجود .

خبر معاوية بن المغيرة وكان هو الذي مثَّل بحمزة

وكان معاوية بن المغيرة بن أبي العاص قد انهزم ومضى على وجهه ونام قريباً من المدينة ، فلما أصبح دخلها ، وأتى عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فلما رآه قال : ويحك أهلكتني وأهلكت نفسك ، وأدخله بيته . ثم سأل فيه رسول الله ﷺ فأجله ثلاثاً فإن وجد بعدهن قتل . فجهزه عثمان . وخرج بعد ثلاث فأدركه زيد بن حارثة وعمار بن ياسر بالجماء[1] فرمياه حتى قتلاه ، وكان هو الذي مثَّل بحمزة رضي الله عنه .

غزوة حمراء الأسد

ثم كانت غزوة حمراء الأسد[2] يوم الأحد صبيحة أُحد . وذلك أن عبد الله ابن عمرو بن عوف المزني[3] أوفى باب النبي ﷺ ليلة الأحد ، وبلال على الباب بعد ما أذَّن وهو ينتظر خروج النبي ﷺ ، فلما خرج أخبره المزني أنه أقبل من أهله حتى كان بملل إذا قريش قد نزلوا ، فسمع أبا سفيان وأصحابه يشتورون[4] ليرجعوا حتى يستأصلوا من بقي ، وصفوان يأبى ذلك عليهم . فدعا رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وذكر لهما ذلك ، فقالا : أطلب العدو يا رسول الله ، ولا يقتحمون على الذرية ، فلما صلى الصبح يوم الأحد ـــ ومعه وجوه الأوس والخزرج ، وقد باتوا في المسجد على بابه ـــ أمر بلالا فنادى : إن رسول الله يأمركم بطلب عدوكم ، ولا يخرج معنا إلا من شهد القتال بالأمس .

خروج جرحى أُحد للغزو

فخرج سعد بن معاذ إلى داره يأمر قومه بالمسير وكلها جريح فقال : إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تطلبوا عدوكم . فقال أُسيد بن حضير ـــ وبه سبع جراحات

(١) الجماء : جبل بالمدينة ، على ثلاثة أميال من ناحية العقيق إلى الجرف .

(٢) حمراء الأسد : موضع على ثمانية أميال من المدينة ، إليه انتهى رسول الله ﷺ يوم أُحد في طلب المشركين . (معجم البلدان) ج ٢ ص ٣٠١ .

(٣) هذه رواية (الواقدي) في (المغازي) ج ٢ ص ٣٣٤ وقد ذكر (ابن هشام) ج ٣ ص ٤٤ ، و (الكامل) ج ٢ ص ١٦٤ و (الطبري) ج ٢ ص ٥٣٤ ، ذكروا خلاف ذلك في أمر بدء هذه الغزوة .

(٤) هذه اللفظة عامية ، وقد أكثر (المقريزي) من استعمالها .

يريد أن يداويها ــ سمعاً وطاعة لله ولرسوله ، وأخذ سلاحه ولم يعرِّج على دواء ، ولحق برسول الله ﷺ ، وجاء سعد بن عبادة قومه ، وجاء أبو قتادة إلى طائفة فبادروا جميعاً . وخرج من بني سلمة أربعون جريحاً ــ بالطفيل بن النعمان ثلاثة عشر جرحاً[1] ، وبخراش بن الصمة عشر جراحات ــ حتى وافوا رسول الله ﷺ فقال لما رآهم : اللهم ارحم بني سلمة .

اللــواء

ودفع رسول الله ﷺ لواءه إلى أبي بكر ، وقيل : لعليّ رضي الله عنهما ، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، وأقام على حرسه عَبَّاد بن بشر .

خبر عبد الله ورافع ابني سهل

وكان عبد الله ورافع ابنا سهل بن رافع بن عدي بن زيد بن أمية بن زيد الأنصاريان ، رجعا من أحد وبهما جراح كثيرة فخرجا يزحفان ، فضعف رافع فحمله عبد الله على ظهره عقبةً ومشى عقبة[2] . فدعا لهما رسول الله ﷺ لما أتياه وقال : إن طالت بكم مدة كانت لكم مراكب من خيل وبغال وإبل ، وليس ذلك بخير لكم ، ولم يخرج أحد لم يشهد أحداً سوى جابر بن عبد الله ، واستأذنه رجال لم يخرجوا أحداً فلم يأذن لهم .

خروج رسول الله ﷺ

ولما اجتمع الناس ركع رسول الله ﷺ ركعتين في المسجد ودعا بفرسه على باب المسجد ــ وعليه الدرع والمغفر ــ فركب ، وإذا بطلحة رضي الله عنه ، فقال : يا طلحة ، سلاحك . فأسرع ولبس سلاحه ــ وبه تسع جراحات ــ وأقبل فقال له ﷺ : أين تُرى القوم الآن ؟ قال : هم بالسَّيالة . قال : ذلك ظننت ، أما إنهم ــ يا طلحة ــ لن ينالوا منا مثل أمس حتى يفتح الله مكة علينا .

---

(١) في (خ) « جريحا » .

(٢) العقبة : المرة بعد المرة ، ونصُّ (الواقدي) ج١ ص٣٣٥-٣٣٦ : «فكان عبد الله يحمله على ظهره عقبة ويمشي الآخر عقبة».

الطـلائع

وبعث ﷺ ثلاثة نفر من أسلم طليعة في آثار القوم هم : سليط[1] ونعمان ابنا سفيان بن خالد بن عوف بن دارم وآخر [من أسلم من بني عوير ، لم يُسَمَّ لنا][2] فقتلوا ، ومضى ﷺ في أصحابه حتى عسكروا بحمراء الأسد . وكان عامة زادهم التمر . وحَمَّل سعد بن عبادة رضي الله عنه ثلاثين بعيراً حتى وافت الحمراء ، وساق جزراً لينحر ، وكان ﷺ يأمر في النهار فيُجمع الحطب ، فإذا أمسوا أمر أن توقد النيران ، فيوقد كل رجل ناراً ، فقد أوقدوا خمسمائة نار حتى رُؤيت من مكان بعيد . وذهب ذكر معسكر المسلمين ونيرانهم في كل وجه ، فكان ذلك مما كبت الله به عدوهم .

خبر معبد الخزاعي وانصراف المشركين

ولقي معبد بن أبي معبد الخزاعي — [وهو يومئذ مشرك ، وكانت خزاعة سلماً للنبي ﷺ][3] — رسول الله ﷺ فقال : يا محمد ، لقد عز علينا ما أصابك في نفسك وما أصاب أصحابك ، ولوددنا أن الله أعلى كعبك ، وأن المصيبة كانت بغيرك ، ثم مضى ، فوجد أبا سفيان وقريشاً بالروحاء وهم مُجمعون على الرجوع : فأخبرهم أن محمداً وقومه وأصحابه قد تركهم يتحرقون عليهم[4] مثل النيران ، وأنهم في طلبهم ، فانصرفوا سراعاً خائفين من الطلب لهم . وبعث أبو سفيان مع نفر من عبد القيس مَرّ بهم يريدون المدينة أن يعلموا[5] رسول الله ﷺ أنهم أجمعوا الرجعة إليه ، فلما بلغوه ﷺ ذلك قال : حسبنا الله ونعم الوكيل . فنزل في ذلك قوله تعالى : ﴿ **الذين قال لهم الناسُ إن الناسَ قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** ﴾[6] ، وقوله تعالى : ﴿ **الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم** ﴾[7] . وبعث معبد الخزاعي رجلا فأخبر رسول الله ﷺ بانصراف أبي

(١) في (خ) «سليكا». (٢) زيادة في المرجع السابق ص٣٣٧.

(٣) زيادة للبيان من (الواقدي) ج ١ ص ٣٣٨ .

(٤) في (خ) « عليكم » وهو نص (الواقدي) . (٥) في (خ) « وهو يعلم » .

(٦) في (خ) « فاخشوهم الآية » وهي الآية ١٧٣ / آل عمران .

(٧) في (خ) « القرح الآية » . وهي الآية ١٧٢ / آل عمران ، وفي رواية (الواقدي) ج ١ ص ٣٤٠ =

سفيان ومن معه خائفين ، فانصرف ﷺ إلى المدينة بعد ثلاث .

سرية أبي سلمة بن عبد الأسد إلى قطن

ثم كانت سرية أبي سلمة بن عبد الأسد إلى قطن : وهو جبل بناحية فيد به ماء لبني أسد بن خزيمة بنجد ، وذلك في المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً : دعاه رسول الله ﷺ لهلال المحرم واستعمله على خمسين ومائة رجل ، وعقد له لواء ، وأمره أن يرِدَ أرض[1] بني أسد ، وأن يغير عليهم قبل أن تلاقي عليه جموعهم ، وأوصاه ومن معه بتقوى الله ، فسار . وكان الذي هيَّج هذا أن رجلا من طيء — يقال له الوليد بن زهير بن طريف — قدم المدينة ، وأخبر أن طليحة وسلمة ابني[2] خويلد تركهما قد سارا — في قومهما ومن أطاعهما — لحرب رسول الله ، فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك ، بعث أبا سلمة . وخرج الطائيُّ معه دليلا ونكَّب بهم عن الطريق ، وسار بهم ليلا ونهاراً حتى انتهوا بعد أربع إلى قَطَن ، فوجدوا سَرْحاً فأخذوه وثلاثة رعاء مماليك ، ونذر بهم[3] القوم فتفرقوا في كل وجه ، وورد أبو سلمة الماء وقد تفرقوا عنه ، فبعث في طلب النَّعم والشاء فأصابوا منها ولم يلقَوْا أحداً ، فانحدروا إلى المدينة . وأعطى أبو سلمة الطائيّ الذي دلهم رضاه من المغنم ، ثم أخرج صفياً لرسول الله ﷺ عبداً ، ثم أخرج الخمس ، وقسم ما بقي بين أصحابه فأقبلوا بها إلى المدينة . ويقال : كان بين المسلمين وبين القوم قتال قتل فيه رجل من المشركين ، واستشهد مسعود بن عرْوَةَ .

غزوة بئر معونة

ثم كانت غزوة بئر معونة — وهي ماء لبني عامر بن صعصعة[4] ، وقيل : قرب حرة بني سُلَيم — في صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً . وسببها أن عامر ابن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة — أبا براء ملاعب الأسنّة — قدم على رسول الله ﷺ وأهدى له فرسين وراحلتين ، فقال : لا أقبل

= وردت الآيتان بالترتيب الطبيعي لهما .

(١) في (خ) « أن برد الأرض » .

(٢) في (خ) « بنى » .

(٣) نَذِر بالشيء نذراً : علمه فحذره (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٩١٢ .

(٤) راجع (معجم البلدان) ج ١ ص ٣٠٢ .

هدية مشرك ، وردها ، وعرض عليه الإسلام فلم يسلم و لم يُبْعِدْ ، وقال : يا محمد ، إني أرى أمرك هذا حسناً شريفاً ، وقومي خلفي ، فلو أنك بعثت نفراً من أصحابك معي لرجوت أن يجيبوا دعوتك ويتبعوا أمرك ، فإن هم اتبعوك فما أعزّ أمرك ! فقال ﷺ : إني أخاف عليهم أهل نجد . فقال عامر : لا تخف عليهم ، أنا لهم جارٌ أن يعرض لهم أحد من أهل نجد .

خبر القراء وخروجهم إلى بئر معونة

وكان من الأنصار سبعون رجلا شَبَبَةً ، يسمون القراء ، كانوا إذا أمْسَوْا أتوا ناحية المدينة فتدارسوا وصلّوْا ، حتى إذا كان وجاء الصبح[1] استعذبوا من الماء وحطبوا من الحطب فجاءوا به إلى حُجَر النبي ﷺ ، فكان أهلوهم يظنون أنهم في المسجد ، وأهل المسجد يظنون أنهم في أهليهم ، فبعثهم النبي ﷺ ، وأمَّرَ عليهم المنذر بن عمرو بن حُنيس بن حارثة بن لَوْذان بن عبد وُد بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الساعدي : أحد النقباء ، وكتب معه كتاباً . فساروا ودليلهم المطَّلب من بني سليم ، حتى [إذا][2] كانوا ببئر معونة وهو ماء من مياه بني سليم ـــ عسكروا بها وسَرَّحوا ظهرهم ، وبعثوا في سرحهم الحارث بن الصِّمة بن عمرو بن عتيك بن عمرو بن عامر ، وهو مبذول ، ابن مالك بن النجار ، وعمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله بن إياس بن عبيد ابن ناشرة بن كعب بن جُدَيّ بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة [جُدَيّ بضم الجيم وفتح الدال] الضمري ، وقدَّموا حرام بن مِلحان ، وهو مالك بن خالد بن زيد ابن حرام بن جندب[3] بن عامر بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري بكتاب رسول الله ﷺ إلى عامر بن الطفيل في رجال من بني عامر ، فلم يقرأوا الكتاب .

خبر عامر بن الطفيل ومقتل القراء

ووثب عامر بن الطفيل على حرام فقتله ، واستصرخ بني عامر فأبوا ـــ وكان أبو براء بناحية نجد ـــ فاستصرخ قبائل من سليم ـــ عُصية ورِعلا[4] ـــ فنفروا معه

---

(١) أول النهار قبيل الفجر .
(٢) زيادة للسياق .
(٣) في (خ) « جنيدب » .
(٤) في (خ) « ورعل » .

حتى وجدوا القراء فقاتلوهم ، فقُتلوا رضي الله عنهم إلا المنذر بن عمرو فإنهم أمَّنوه إن شاء ، فأبى أن يقبل أمانهم حتى يأتي مقتل حرام ، فلما أتى مصرعه قاتلهم حتى قتل ، وأقبل الحارث [بن الصمة][1] وعمرو بن أمية بالسرح والخيل واقفة ، فقاتلهم الحارث حتى قتل بعد ما قتل منهم عدة . وأعتق عامر بن الطفيل عمرو ابن أمية عن أمِّه وجَزَّ ناصيته .

وكان ممن قُتل يومئذ عامر بن فُهَيْرة : طعنه جبار بن سُلْمى بن مالك بن جعفر ابن كلاب الكلابيّ بالرمح ثم انتزعه ، فذهب بعامر في السماء حتى غاب عنه وهو يقول : فُزتُ والله ! فأسلم جبار لما رأى من أمر عامر .

دعاء رسول الله على أصحاب الغدر

ولما بلغ رسولَ الله خبرُ بئر معونة « جاء معها في ليلة واحدة مصاب [خبيب ابن عدي][2] ومرثد بن أبي مرثد وبعث محمد بن مسلمة ، فجعل يقول : هذا عمل أبي براء ، قد كنت لهذا كارهاً . ودعا على قتلتهم بعد الركعة من الصبح في صبح تلك الليلة التي جاء الخبر فيها . فلما قال : سمع الله لمن حمده ، قال : اللهم اشدد وطأتك على مُضَر ، اللهم عليك ببني لحيان وزغبٍ ورعلٍ وذكوان ، وعُصَيَّة فإنهم عصوا الله ورسوله ، اللهم عليك ببني لحيان وعَضَل والقارَة ، اللهم انج الوليد ابن الوليد ، وسلمة بن هشام ، وعياش بن أبي ربيعة ، والمستضعفين من المؤمنين . غفار غفر الله لها ، وأسلم سالمها الله . ثم سجد . فقال ذلك خمس عشرة ليلة ، ويقال : أربعين يوماً ، حتى نزلت : ﴿ **ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون** ﴾[3] .

حزن رسول الله ﷺ على القراء وما نزل فيهم من القرآن

ولم يجد رسول الله ﷺ على قتلى ما وجد على قتلى بئر معونة ، وأنزل الله فيهم قرآناً نسخ بعد ما قريء مدة « بلغوا قومنا [عنا][4] أنا لقينا ربنا فرضِيَ عنا

---

(١) زيادة للبيان .

(٢) زيادة من (ابن سعد) ج ٢ ص ٥٣ ، و (الواقدي) ج ١ ص ٣٤٩ .

(٣) الآية ١٢٨ / آل عمران ، و في (خ) « شيء الآية » .

(٤) ما بين القوسين زيادة من (ابن سعد) ج٢ص٥٣،وبدون هذه الزيادة رواها (الواقدى)ج١ص٣٥٠.

ورضينا عنه » .

هدية أبي براء إلى رسول الله ﷺ

وأقبل أبو براء فبعث ابن أخيه لبيد بن ربيعة بفرس هدية لرسول الله ﷺ فرده وقال : لا أقبل هدية مشرك ، قال : فإنه قد بعث يستشفيك من وجع به [وكانت به الدبيلة][1] فتناول النبي ﷺ مَدَرَةً من الأرض فتفل فيها ثم ناوله وقال : دُفها[2] بماء ثم اسقها إياه . ففعل فبرأ . ويقال : بعث إليه بعُكة[3] عسل فلم يزل يلعقها حتى برأ ، وشق على أبي براء ما فعل عامر بن الطفيل .

مقتل المشركين

وقدم عمرو بن أمية على رسول الله ﷺ بعد ما لقى بصدور قناة[4] رجلين من بني كلاب قد قدِما على رسول الله فكساهما وأمنهما ، فقتلهما للذي أصابت بنو عامر من القراء . فقال له النبي ﷺ : بئس ما صنعت ! قتلت رجلين قد كان لهما مني أمان وجوار ! لأدينهما . وأخرج ديتهما دية حرَّين مسلمين ، فبعث بها وبسلبهما إلى عامر بن الطفيل .

غزوة الرجيع (سرية مرثد بن أبي مرثد)

ثم كانت غزوة الرجيع : وهو ماء لهذيل بين مكة وعسفان بناحية الحجاز ، وذلك في صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً . وذلك أن بني لحيان جعلت فرائض لعَضَل والقارة [رحم من بني الهون بن خزَيمة بن مدركة إخوة بني أسد بن خزيمة] على أن يقدموا على النبي ﷺ فيكلموه أن يخرج إليهم نفراً يدعونهم إلى الإسلام ليقتلوا من قتل سفيان بن نبيح الهذَلي[5] ، ويبيعوا سائرهم على قريش بمكة ، فقدم

(١) الدُّبيلة على وزن جُهَيْنَة : داء في الجوف (ترتيب القاموس) ج ٢ ص ١٤٩ .

(٢) داف الدواء : خلطه وأذابه بالماء هامش (ط) ص ١٧٣ .

(٣) العكّة : وعاء من جلود مستدير يختص بالسمن والعسل ، وهو بالسمن أخصّ (النهاية) ج ٣ ص ٢٨٤ .

(٤) في (خ) « بصدر قناء » وما أثبتناه من (الواقدي) ج ١ ص ٣٥١ ، (وابن سعد) ج ٢ ص ٥٣ ، وقناه : واد بالمدينة ، وأحد أوديتها الثلاثة (معجم البلدان) ج ٤ ص ٤٠١ .

(٥) هذا هو سبب سرية عبد الله بن أنيس ، وهي لخمس خلون من المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من مهاجره ﷺ (انظر ص ٢٥٦) .

سبعة نفر من عَضَل والقارة مُقرِّين بالإسلام ، فقالوا : يا رسول الله ، إن فينا إسلاماً فاشياً ، فابعث معنا نفراً من أصحابك يُقرئونا القرآن ويفقهونا في الإسلام .

خروج مرثد وأصحابه إليهم ومقتلهم

فبعث معهم ستة وقيل عشرة ، وهو الأصح كما وقع في كتاب الجامع الصحيح للبخاري رحمه الله ، وأمَّر عليهم مرثد بن أبي مرثد الغنوي [ويقال : عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح] فخرجوا حتى إذا كانوا بماء لهذيل ــ يقال له الرجيع ، قريب من الهدَّة ــ لقيهم[1] مائة في أيديهم السيوف فقاموا ليقاتلوهم ، فقالوا : ما نريد قتالكم ، ولا نريد إلا أن نصيب منكم من أهل مكة ثمناً ، ولكم عهد الله وميثاقه لا نقتلكم ، فاستأسر خبيبُ بن عدي الأنصاري ، وزيدُ بن الدَّثِنَّة بن معاوية بن عبيد بن عامر بن بياضة الأنصاريّ البياضيّ وعبد الله بن طارق بن عمرو بن مالك البلوِيّ ، وأبيّ أبو سليمان عاصم بن ثابت ، ومرثد ، وخالد بن أبي البكير ، ومعَتِّب ابن عبيد : أن يقبلوا جوارهم .

خبر عاصم بن ثابت حمى الدَّبر

ورماهم عاصم حتى فنيت نبله ، ثم طاعنهم حتى كُسر رُمحه ، ثم كسر غِمْدَ سيفه ، وقاتل حتى قتل . فبعث عليه الدبر[2] فحمته ، فلم يدن منه أحد إلا لدغت وجهه ، ثم بعث الله في الليل سيلاً فاحتمله فذهب به فلم يقدروا عليه . وذلك أنه كان قد نَذَر ألا يَمسَّ مشركاً ولا يمسّه مشرك . وكانوا يريدون أن يجزوا رأسه ليذهبوا به : إلى سلافة بنت سعد بن الشُّهَيْد لتشرب في قفة قحفة[3] الخمر ، فإنها نذرت إن أمكنها الله منه أن تفعل ذلك من أجل أنه قتل لها ابنين في يوم واحد .

خبر الأسرى يوم الرجيع

وقتلوا[4] معتّباً ، وخرجوا بخبيب بن عدي بن مالك بن عامر بن مالك بن

---

(١) في (خ) « فلقيهم » .

(٢) الدبْر : جماعة من النحل والزّنابير (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٢٦٩ .

(٣) القحفة : ما انفلق من الجمجمة (المرجع السابق) ج ٢ ص ٧١٦ .

(٤) في (خ) « وقتل » .

مجدَعة بن جَحْجَبي بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، وعبد الله بن طارق ، وزيد بن الدثنة ، وهم موثقون بأوتار قِسيّهم ، فنزع عبد الله بن طارق يده من رباطه وأخذ سيفه ، فقتلوه رجماً بالحجارة وقبروه بمرٍّ الظهران .

خبر خبيب بن عدي بمكة

وقدموا مكة بخبيب وزيد فابتاع خبيباً حُجير بن أبي إهاب بثمانين مثقالاً ذهباً ، ويقال : بخمسين فريضة[1] ويقال : اشترته ابنة[2] الحارث بن عامر بن نوفل بمائة من الإبل . [وكان حُجَير بن أبي إهاب قد ابتاع خُبيب بن عدي لزوج أخته عقبة ابن الحارث بن عامر بن نوفل ، ليقتله بأبيه : قتل يوم بدر][3] واشترى زيداً صفوان بن أمية بخمسين فريضة ليقتله بأبيه . ويقال : أنه شرك فيه أناسٌ من قريش . وحبس حُجيرٌ خبيباً ــ لأنه كان في ذي القعدة وهو شهر حرام ــ فأقام محبوساً في بيت ماويّة[4] ، مولاة بني عبد مناف ، وحبس زيد عند نسطاس مولى صفوان ابن أمية ، ويقال : عند قوم من بني جُمَح ، فرأت ماويةُ خبيباً وهو يأكل عنباً من قِطفٍ مثل رأس الرجل في يده ، وما في الأرض يومئذ حبة عنب ، فعلمت أنه رزق رزقه الله ، فأسلمت بعد ذلك ، وكان يجهر بالقرآن فيسمعه النساء فيبكين ، فلما أعلمته ماوِيةُ ــ بعد انسلاخ الأشهر الحرم ــ بقتله ، ما اكترث لذلك ، وطلب حديدة فأتته بموسي مع ابنها أبي حسين[5] ، مولى بني الحارث بن عامر بن نوفل ابن عبد مناف بن قصي فقال له ممازحاً له : وأبيك إنك لجريء ! أما خشيتْ أمُّك

---

(١) الفريضة : ما فُرض في السائمة من الصدقة ، ثم اتسع فيه حتى سمى البعير فريضة غير الزكاة ، (ترتيب القاموس) ج ٣ ص ٤٧٣ و (النهاية) ج ٣ ص ٤٣٢ .

(٢) في (خ) « اشتراه ابنه الحارث » ، وما أثبتناه من (الواقدي) ج ١ ص ٢٥٧ .

(٣) ما بين القوسين من (الواقدي) ج ١ ص ٣٥٧ ومكانه في (خ) فهو هكذا ، وكان خبيب قد قتله عقبة ابن الحارث بن عامر بن نوفل فأرادوا قتله به » وهذا خطأ كله وفي (ابن سعد) و (الواقدي) أنه اشتراه « لابن أخته » وهذا خطأ أيضاً ، بدليل ما قاله ابن حجر في (الإصابة) ج ٧ ص ٢٠ ترجمة رقم ٥٥٨٥ « مات عقبة بن الحارث في خلافة ابن الزبير » .

(٤) في (الواقدي) « في بيت امرأة يقال لها ماويَّة » وهو أجود .

(٥) في (خ) « أبي الحسن بن الحارث » « وهو خطأ » هكذا قال محقق (ط) ، وفي (ابن هشام) ج ٣ ص ٩٦ . « قال ابن هشام : ويقال إن الغلام ابنها » . وفي (ابن الأثير) ج ٢ ص ١٦٧ « ندب صبي لها ... » راجع (صحيح البخاري) ج ٧ ص ٣٨٢ ، ٣٨٣ .

غدري حين بعثت معك بحديدة ، وأنتم تريدون قتلي ؟ فقالت ماوية : يا خبيب ، إنما أمنتك بأمان الله ، فقال : ما كنت لأقتله ! ثم أخرجوه في الحديد إلى التنعيم[1] ومعه النساء والصبيان والعبيد وجماعة من أهل مكة ومعه زيد بن الدثنة .

مقتل خبيب

فصلى خبيب ركعتين أتمهما من غير أن يطول فيهما — وكان أولَ من سن الركعتين عند القتل[2] — ثم قال : اللهم أحصهم عدداً ، واقتلهم بدداً ، ولا تغادر منهم أحداً . ثم أوثقوه رباطاً وقالوا : ارجع عن الإسلام ونخلي سبيلك . فقال : لا إله إلا الله ! والله ما أحب أني رجعت عن الإسلام وأنّ لي ما في الأرض جميعاً ! قالوا : أفتحب أن محمداً في مكانك وأنت جالسٌ في بيتك ؟ فقال : والله ما أحب أن يشاكَ محمد شوكةً وأنا جالس في بيتي . فجعلوا يقولون : يا خبيب ارجع ! قال : لا أرجع أبداً . قالوا : أما واللات والعزى لئن لم تفعل لنقتلنك ! قال : إن قتلي في الله لقليل[3] ، فجعلوا وجهه من حيث جاء ، فقال : ما صرفكم وجهي عن القبلة ؟ ثم قال : اللهم إني لا أرى إلا وجه عدو ، اللهم ليس ها هنا أحدٌ يبلغ رسولك عني السلام فبلغه أنت عني السلام ، فقال رسول الله ﷺ — وهو جالس مع أصحابه وقد أخذته غمية[4] — : وعليه السلام ورحمة الله ، ثم قال : هذا جبريل يقرئني من خبيب السلام . ثم أحضروا أبناء من قتل ببدر — وهم أربعون غلاماً — فأعطوا كل غلام رمحاً فطعنوه برماحهم ، فاضطرب على الخشبة ، وقد رفعوه إليها . وانفلت فصار[5] وجهه إلى الكعبة فقال : الحمد لله[6] فطعنه أبو سَرْوعَةَ — واسمه عقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف بن قصيّ — حتى أخرجها من ظهره ، فمكث ساعة يوَحِّد ويشهد أن محمداً رسول الله ثم مات رضي الله عنه ، وتولى قتل زيد نسطاسُ ، وقد روي أن غزوة الرجيع كانت قبل

---

(١) التنعيم : موضع بمكة في الحِلِّ ، وهو بين مكة وسرِف على فرسخين من مكة وقيل أربعة (معجم البلدان) ج ٢ ص ٤٩ .

(٢) وكذلك فعلهما حجر ابن الأدبر حين قتله معاوية وقد صلى هاتين الركعتين أيضا زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ وتفصيل الخبرين في (الروض الأنف) ج ٣ ص ٣٢٥ .

(٣) في (خ) « لقتل » .

(٤) الغَمْيَة : كالغَشْية .

(٥) في (خ) « وصار » وما أثبتناه من (الواقدي) ج ١ ص ٣٦١ .

(٦) وفي المرجع السابق : « الحمد لله الذي جعل وجهي نحو قبلته التي رضى لنفسه ولنبيه وللمؤمنين » .

بئر معونة .

غزوة بني النضير

ثم كانت غزوة بني النضير في ربيع الأول على رأس سبعة وثلاثين شهراً من مهاجر النبي ﷺ ، ويقال : كانت في جمادى الأولى[1] سنة أربع ، وروى عقيل ابن خالد وغيره عن ابن شهاب قال : كانت غزوة بني النضير بعد بدر بستة أشهر .

سببها ، وغدر اليهود برسول الله ﷺ

سببها أن عمرو بن أمية الضمري لما قتل الرجلين من بني عامر خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعين في ديتهما ـــ لأن بني النضير كانوا حلفاء بني عامر ، وكان ذلك يوم السبت ـــ فصلى في مسجد قباء ومعه رهط من المسلمين . ثم جاء بني النضير ومعه دون العشرة من أصحابه[2] فيجدهم في ناديهم ، فجلس يكلمهم أن يعينوه في الكلابيين اللذين قتلهما عمرو بن أمية ، فقالوا : نفعل ، اجلس حتى نطعمك ، ورسول الله ﷺ مستند إلى بيت ، فخلا بعضهم إلى بعض ، وأشار عليهم حُيي بن أخطب أن يطرحوا عليه حجارة من فوق البيت الذي هو تحته فيقتلوه ، فانتدب لذلك عمرو بن جحاش ليطرح عليه صخرة ، وهيأ الصخرة ليرسلها على رسول الله ﷺ وأشرف بها ، فجاء الوحي بما همُّوا به ، فنهض ﷺ سريعاً كأنه يريد حاجة ومضى إلى المدينة . فلما أبطأ لحق به أصحابه ـــ وقد بعث في طلب[3] محمد بن مسلمة ـــ فأخبرهم بما همت به يهود ، وجاء محمد بن مسلمة فقال : اذهب إلى يهود بني النضير فقل لهم : [إن رسول الله أرسلني إليكم][4] أن اخرجوا من بلده ، فإنكم قد نقضتم العهد بما هممتم به من الغدر ، وقد أجَّلتهم عشراً ، فمن رُؤي بعد ذلك ضربت عنقه .

أمر إجلاء بني النضير

فأخذوا يتجهزون في أيام ، ثم بعث حيي بن أخطب مع أخيه جُدي[5] بن

(١) في (خ) « الأول » .
(٢) في (خ) «وأصحابه». (٣) في (خ) «طلبه».
(٤) زيادة من (الواقدي) ج١ ص٣٦٦ . (٥) في (خ) « حدى » .

أخطب إلى النبي ﷺ : إنا لا لانخرج ، فليصنع ما بدا له . وقد غره عبد الله بن أبي بأن أرسل إليه سويداً ودَاعساً بأن يقيم بنو النضير ولا يخرجوا : فإن معي من قومي وغيرهم [من العرب][1] ألفين ، يدخلون معكم فيموتون من آخرهم دونكم . فلما بلَّغ جدَى رسالة أخيه حُيَيّ كبَّر رسول الله ﷺ ومن معه وقال : حاربت يهودَ . ونادى مناديه بالمسير إلى بني النضير .

مسير رسول الله ﷺ إليهم وحصارهم

وسار رسول الله ﷺ في أصحابه فصلى العصر بفضاء بني النضير وقد قاموا على جُدُر[2] حصونهم ومعهم النبل والحجارة ، ولم يأتهم ابن أُبَيّ واعتزلتهم[3] قريظة فلم تعنهم بسلاح ولا رجال ، وجعلوا يرمون يومهم بالنبل والحجارة حتى أمسوا ، فلما صلى رسول الله ﷺ العشاء — وقد تتام أصحابه — رجع إلى بيته في عشرة من أصحابه ، وعليه الدرع والمغفر وهو على فرس . واستعمل علياً رضي الله عنه على العسكر ، ويقال : بل استعمل أبا بكر رضي الله عنه . وبات المسلمون محاصريهم يكبرون حتى أصبحوا . وأذن بلال رضي الله عنه بالمدينة ، فغدا رسول الله ﷺ في أصحابه الذين كانوا معه فصلى بالناس في فضاء بني خَطْمة ، واستعمل على المدينة ابن أُمّ مكتوم .

قتال بني النضير

وحُملت مع رسول الله ﷺ قبة أدَم أرسل بها سعد بن عبادة ، فضربها بلالٌ ودخلها رسول الله ﷺ ، فرمى عَزْوَكُ — من اليهود — فبلغ نبله القبة ، فحولت حيث لا يصلها النَّبل . ولزم النبي ﷺ الدِّرع وظل محاصرهم ست ليال من ربيع الأول . وحينئذ حُرّمت الخمر ، على ما ذكره أبو محمد بن حزم . وفُقِد عليٌّ رضي الله عنه في بعض الليالي فقال النبي ﷺ : إنه في بعض شأنكم ! فعن قليل جاء برأس عزْوَك : وقد كمن له حتى خرج في نفر من اليهود يطلب غِرَّة من المسلمين ، وكان شجاعاً رامياً ، فشدّ عليه عليّ رضي الله عنه فقتله ، وفرّ اليهود ، فبعث معه

---

(١) زيادة من (الواقدي) ج ١ ص ٣٦٦ . (٢) في (خ) « جذر » .
(٣) في (خ) « اعتزلهم » .

النبي ﷺ أبا دجانة وسهل بن حنيف ، في عشرة فأدركوا اليهود الذين فروا من علي رضي الله عنه فقتلوهم ، وأتوا برؤوسهم فطرحت في بعض البئار[1] . وكان سعد بن عبادة رضي الله عنه يحمل التمر إلى المسلمين .

تحريق نخلهم وشرط إجلائهم

وأمر رسول الله ﷺ بالنخل فقطعت وحُرِّقتْ ، واستعمل على ذلك أبا ليلى المازني وعبد الله بن سلام فشق على يهود قطع النَّخل ، وبعث حُيَي بن أخطب إلى النبي ﷺ بأنه يخرج ومن معه . فقال عليه السلام : لا أقبله اليوم ، ولكن اخرجوا منها ولكم [دماؤكم و][2] ما حملت الإبل إلا الحلقة[3] ، فلم يقبل حُيَيٌّ ، وحالفت عليه طائفة ممن معه وأسلم منهم يامين بن عمير بن كعب [ابن عمّ عمرو ابن جحاش][4] وأبو سعد بن وهب ونزلا فأحرزا أموالهما ، ثم نزلت يهود على أن لهم ما حملت الإبل إلا الحلقة ، وجعل يامين لرجل من قيس عشرة دنانير . ويقال : خمسة أوسق من تمر حتى قتل عمرو بن جحاش غيلة ، فسرّ رسول الله ﷺ بقتله .

كيف كان جلاؤهم

وأقام على حصار يهود خمسة عشر يوماً حتى أجلاهم وَوَلِيَ إخراجهم محمد ابن مسلمة . وكانوا في حصارهم يخربون بيوتهم [بأيديهم][5] مما يليهم ، والمسلمون يخربون مما يليهم ويحرّقون ، حتى وقع الصلح ، جعلوا يحملون الخشب ويحملون النساء والذرية ، وشقوا سوق المدينة والنساء في الهوادج عليهن الحرير والديباج وحلي الذهب والمعصفرات وهن يضربن بالدفوف ويزمرن بالمزامير تجلداً — وكبارهم يومئذ حُيّي بن أخطب ، وسلّام بن أبي الحقيق — وقد صف لهم الناس وهم يمرون ، فكانوا على ستمائة بعير ، فنزل أكثرهم بخيبر فدانت لهم ، وذهبت طائفة منهم إلى الشام ، فكان ممن صار منهم إلى خيبر أكابرهم كحيي بن أخطب ، وسلام ابن أبي الحقيق ، وحزن المنافقون لخروجهم أشد الحزن .

---

(١) في (خ) « البيار » والبئار : جمع بئر .

(٢) زيادة من (ابن سعد) ج ٢ ص ٥٨ .

(٣) الحلقة : السلاح كله .

(٤) في (خ) « كعب بن عمرو بن جحاش » ، وهو خطأ ، وما أثبتناه من سياق ترجمته في (الإصابة) ج ١٠ ص ٣٣٣ برقم ٩١١٢ .

(٥) زيادة من (ابن سعد) ج ٢ ص ٥٨ .

أموال بني النضير

وقبض رسول الله ﷺ الأموال والحلقة : فوجد خمسين درعاً وخمسين بيضة[1] ، وثلاثمائة سيف وأربعين سيفاً . وقال عمر رضي الله عنه : ألا تخمِّس ما أصَبْتَ . فقال ﷺ : لا أجعل شيئاً جعله الله لي دون المؤمنين ــ بقوله : ﴿ **ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم** ﴾[2] كهيئة ما وقع فيه السهمان للمسلمين . وكانت بنو النضير من صفايا رسول الله ﷺ جعلها حبساً لنوائبه ، وكان ينفق على أهله منها : كانت خالصة له ، فأعطى من أعطى منها ، وحبس ما حبس ، وكان يزرع تحت النخل ، وكان يُدخل منها قوت أهله سنة من الشعير والتمر لأزواجه وبني المطلب[3] ، وما فضل جعله في الكراع والسلاح . واستعمل على أموال بني النضير أبا رافعٍ مولاه ، وكانت صدقاته منها ومن أموال مخيريق .

المهاجرون والأنصار

وكان رسول الله ﷺ لما تحول من بني عمرو بن عوف إلى المدينة تحول المهاجرون فتنافست فيهم الأنصار أن ينزلوا عليهم حتى اقترعوا فيهم السهمان ، فما نزل أحد من المهاجرين على أحد من الأنصار إلا بقرعة ، فكان المهاجرون في دُور الأنصار وأموالهم .

خبر قسمة أموال بني النضير
على المهاجرين دون الأنصار

فلما غنم رسول الله ﷺ بني النضير بعث ثابت بن قيس بن شمَّاس فدعا الأنصار كلها ــ الأوس والخزرج ــ فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر الأنصار وما صنعوا بالمهاجرين ، وإنزالهم إياهم في منازلهم ، وأثرتهم على أنفسهم ، ثم قال : إن أحببت قسمت بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله عليّ من بني النضير ، وكان

---

(١) البيضة ، من أدوات الحرب .

(٢) آية ٧ / الحشر ، وفي (خ) « ... القرى ، الآية » .

(٣) في (خ) « بنى عبد المطلب » .

المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم وأموالكم ، وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم . فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ : يا رسول الله ، بل تقسمه للمهاجرين ، ويكونون في دورنا كما كانوا . ونادت الأنصار : رضينا وسلمنا يا رسول الله . فقال رسول الله ﷺ : اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار . وقسم ما أفاء الله عليه على المهاجرين دون الأنصار إلا رجلين كانا محتاجين : سهل بن حنيف بن واهب بن العكيم بن ثعلبة بن مجدعة بن الحارث بن عمرو بن خناس (ويقال خنساء) بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري ، وأبو دجانة سماك بن خرشة بن لَوْذَان بن عبد ود بن ثعلبة الأنصاري . وأعطى سعد بن معاذ سيف ابن أبي الحُقيق ، وكان سيفاً له ذِكْر . ووسَّع ﷺ في الناس من أموال بني النضير ، وأنزل الله تعالى في بني النضير « سورة الحشر » .

وفي جمادى الأولى[1] مات عبد الله بن عثمان عن رقية .

زواج رسول الله ﷺ بأم سلمة

وفي شوال من هذه السنة تزوج رسول الله ﷺ بأم سلمة رضي الله عنها .

غزوة بدر الموعد

ثم كانت غزوة بدر الموعد لهلال ذي القعدة على رأس خمسة وأربعين شهراً . وسببها أن أبا سفيان بن حرب لما أراد أن ينصرف يوم أُحُد نادى : موعدٌ بيننا وبينكم بدر الصفراء رأس الحول نلتقي فيه فنقتتل . فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـــ وقد أمره رسول الله ﷺ ـــ : نعم ، إن شاء الله .

سوق بدر الصفراء وكراهية أبي سفيان الخروج إلى الموعد

وكانت بدر[2] الصفراء مجمعاً للعرب في سوق يقام لهلال ذي القعدة إلى ثمان

(١) في (خ) « الأول » .

(٢) « وبدر الموعد ، وبدر القتال ، وبدر الأولى ، والثانية : كلها موضع واحد » (معجم البلدان) ج ١ ص ٣٥٨ .

منه ، فلما دنا الموعد كره أبو سفيان الخروج وأحبَّ ألا يوافي رسول الله ﷺ الموعد ، وكان يُظهر أنه يريد الغزو في جمع كثيف ، فيبْلغ أهل المدينة عنه أنه يجمع الجموع ويسير في العرب ، فتأهب المسلمون له .

رسالة أبي سفيان نعيم بن مسعود لتخذيل المسلمين

وقدم[1] نُعيْم بن مسعود الأشجعي مكة فأخبر أبا سفيان[2] وقريشاً بتهيؤ المسلمين لحربهم . وكان عاماً[3] جدباً ، أعلمه أبو سفيان بأنه كاره للخروج إلى لقاء المسلمين ، واعتل بجدب الأرض . وجعل له عشرين فريضة توضع تحت يد سهيل بن عمرو ، على أن يخذل المسلمين عن المسير لموعده وحَمَلهُ على بعير . فقدم المدينة وأرجف بكثرة جموع أبي سفيان حتى رعَّب[4] المسلمين ، وهو يطوف فيهم حتى قذف الرعب في قلوب المسلمين و لم تبق لهم نية في الخروج . واستبشر المنافقون واليهود وقالوا : محمد لا يَفْلِتُ ! — من هذا الجمع — فبلغ ذلك رسول الله ﷺ حتى خشي ألا يخرج معه أحد . وجاءه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما — وقد سمعا ما سمعا — وقالا : يا رسول الله ، إن الله مظهر دينه ومعزّ نبيه ، وقد وَعَدَنا القومُ موعداً ، ولا نحب أن نتخلف فيرون أن هذا جبْن ، فسر لموعدهم ، فوالله إن في ذلك لخِيَرَة . فسُرَّ رسول الله ﷺ . ثم قال : والذي نفسي بيده لأخرُجنّ وإن لم يخرج معي أحد . فبصَّر الله المسلمين وأذهب ما كان رعبهم الشيطان ، وخرجوا بتجارات لهم إلى بدر فربحت ربحاً كثيراً .

خروج المسلمين إلى بدر

واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة عبد الله بن رواحة ، وسار في ألف وخمسمائة ، فيهم عشرة أفراس ، وحمل لواءه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فانتهوا إلى بدر ليلة هلال ذي القعدة ، وقام السُّوق صبيحة الهلال فأقاموا ثمانية أيام والسوق قائمة . وخرج أبو سفيان من مكة في ألفين معهم خمسون فرساً ثم رجعوا من مجنة[5] ، [وذلك أن أبا سفيان بدا له الرجوع فقال : يا معشر قريش ، ارجعوا

(١) في (خ) « وقد » .
(٢) في (خ) « أخبر أبا سفيان » مكررة .
(٣) في (خ) « عامة » .
(٤) رعب : خوَّف .
(٥) مجَنَّة: موضع على أميال يسيرة من مكة بناحية مر الظهران واسم سوق للعرب (معجم البلدان) ج٥ص٥٨ .

فإنه لا يصلحنا إلا عام خصيب غيداق نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن ، وإن عامكم هذا عامٌ جدب ، فإني راجع فارجعوا . فرجع الناس ، فسمّاهم أهل مكة : « جيش السويق » . يقولون : إنما خرجتم تشربون السويق][1] .

خبر مجدي بن عمرو ، وبني ضمرة

وقام مجدي بن عمرو من بني ضمرة [— ويقال : مخشيّ بن عمرو —] والناس مجتمعون في سوقهم ، والمسلمون أكثر ذلك الموسم فقال : يا محمد لقد أُخْبرنا أنه لم يبق منكم أحد ، فما أعلمكم إلا أهل الموسم !. فقال رسول الله ﷺ : ما أخْرَجنا إلا موعدُ أبي سفيان وقتال عدونا ، وإن شئت مع ذلك نبذنا إليك وإلى قومك العهد ثم جالدناكم[2] قبل أن نبرح منزلنا هذا . فقال الضمريّ : بل نكف أيدينا عنكم ونتمسك بحِلْفك .

معبد الخزاعي ينذر أهل مكة

وانطلق[3] مَعبد بن أبي معبد الخزاعي سريعاً — بعد انقضاء الموسم[4] — إلى مكة ، وأخبر بكثرة المسلمين وأنهم أهل ذلك الموسم وأنهم ألفان ، وأخبرهم بما قال رسول الله ﷺ للضمري . فأُخذوا في الكيد والنفقة لقتال[5] رسول الله ﷺ ، واستجلبوا من حولهم من العرب وجمعوا الأموال ، وضربوا البعث على أهل مكة فلم يُترك أحد منهم إلا أن يأتي بمال ، ولم يقبل من أحد أقل من أوقية لغزو الخندق .

وأنزل الله تعالى : ﴿ **الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** ﴾[6] يعني نعيم بن مسعود .

وعاد رسول الله ﷺ إلى المدينة فكانت غيبته عنها ست عشرة ليلة . وذكر

---

(١) هذه زيادة من (المغازي) ج ١ ص ٣٨٨ ومن (ابن هشام) ج ٣ ص ١٢٣ وغيرهما من كتب السيرة ، وفي (خ) بعد قوله « مجنة » ، « ويقال مخشى بأنه عام جدب وقام مجدي بن عمرو من بني ضمرة والناس مجتمعون » .

(٢) في (خ) « جالدناكم » والمجالدة : المضاربة بالسيف .

(٣) في (خ) « فانطلق » وهذه أجود . (٤) في (خ) « المسوم » .

(٥) في (خ) « فأخذوا للكيد والنفقة للقتال ... » وما أثبتناه من (الواقدي) ج ١ ص ٣٨٩ .

(٦) آية ١١٣ / آل عمران ، وفي (خ) إلى قوله « فاخشوهم » .

أبو محمد بن حزم أن بدر الموعد بعد ذات الرقاع[1] .

سرية عبد الله بن عتيك لقتل أبي رافع اليهودي ، وسبب ذلك

ثم كانت سرية عبد الله بن عتيك إلى أبي رافع سلّام بن أبي الحقيق حتى قتل سحر ليلة الاثنين لأربع خلون من ذي الحجة على رأس ستة وأربعين شهراً ، وقيل : كان قتله في جمادى الأولى سنة ثلاث . وكان سبب ذلك أن أبا رافع كان قد أجلب في غطفان ومن حوله من مشركي العرب ، وجعل لهم الجعل العظيم لحرب رسول الله ﷺ ــ فإنه كانت له رياسة قريظة بعد يوم بعاث[2] ــ فبعث ﷺ عبد الله ابن عتيك بن الحارث بن قيس بن هيشة بن الحارث بن أمية بن زيد بن معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري[3] ــ وكانت أمه بخيبر يهودية أرضعته ــ وبعث معه أربعة هم : عبد الله بن أنيس ، وأبو قتادة ، والأسود بن الخزاعي ، ومسعود بن سنان ، وأمرهم بقتله ، ونهى عن قتل النساء والولدان ، فانتهوا إلى خيبر ونزلوا على أم عبد الله [ابن عتيك][4] ليلا ــ وقد تلقتهم بتمر وخبز ــ فكمنوا[5] حتى هدأت الرِّجل ، واستفتحوا على أبي رافع . فقالت امرأته : ما شأنكم ؟ فقال لها عبد الله بن عتيك ــ وكان يرطن باليهودية ــ : جئت أبا رافع بهدية . ففتحت له فدخل بمن معه ــ وأبو رافع نائم ــ فعلوه بأسيافهم وقد صاحت المرأة ، واتكأ عبد الله بن أنيس بسيفه على بطنه حتى بلغ الفراش ، وهلك . فنزلوا ، ونسي أبو قتادة الأنصاري قوسه فرجع فأخذها ، [فوقع من الدرجة][6] فانكفت رجله فاحتملوه . وقام الصَّائح وأتت يهود ، فخرج منهم أبو

---

(١) وكذلك أوردها (ابن هشام) بعد ذات الرقاع وأيضاً (الطبري) في التاريخ و (ابن الأثير) في الكامل و (ابن كثير) في البداية والنهاية .

(٢) في (خ) « بغاث » .

(٣) هذا نسبه إلى الأوس ، ولا شك أنه من الخزرج ، يقول (ابن عبد البر) في (الاستيعاب) ج ٦ ص ٢٩٧ : « لأن الرهط الذي قتلوا ابن أبي الحقيق خزرجيون ، والذين قتلوا كعب بن الأشرف أوسيون ، كذا قال ابن اسحق وغيره ، ولم يختلفوا في ذلك » .

(٤) زيادة للإيضاح .

(٥) في (خ) « فأكمنوا » .

(٦) زيادة للبيان : وقد اختلف فيمن وقع من الدرجة ، يقول (ابن هشام) ج ٣ ص ١٠٢ . « وكان عبد الله بن عتيك رجلاً سيء البصر قال : فوقع من الدرجة ... إلخ » .

ذئيب[1] الحارث في آثار القوم ومعه جمع ، فنجاهم الله منهم . وقد كمنوا يومين حتى سكن الطلب ، ثم أقبلوا إلى المدينة ورسول الله ﷺ على المنبر ، فقال : أفلحت الوجوه ! فقالوا : أفلح وجهك يا رسول الله ! قال : أقتلتموه ؟ قالوا : نعم ، كلنا يدَّعي قتْله . وأروه أسيافهم فقال : هذا قَتَله ، هذا أثر الطعام في سيف عبد الله ابن أنيس . فكانت غيبتهم عشرة أيام . ويقال : كانت هذه السرية في رمضان سنة ستٍ[2] .

تعليم زيد بن ثابت كتابة اليهود

وفي هذه السنة الرابعة أمر رسول الله ﷺ زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد ابن لُوْذان بن عمرو بن عوف بن غنم بن مالك النجار الأنصاريّ رضي الله عنه أن يتعلم كتاب يهود ، وقال : لا آمنُ أن يبدلوا كتابي . وولد الحسين بن علي رضي الله عنهما — في قول بعضهم — لليال خلون من شعبان .

غزوة ذات الرقاع

ثم كانت غزوة ذات الرقاع : وسمّيت بذلك لأنها كانت عند جبل فيه بُقَع حمرٌ وبيضٌ وسودٌ كأنها رقاع ، وقيل : سميت بذلك لأنها رقعوا راياتهم ، ويقال أيضاً : ذات الرقاع شجرة بذلك الموقع يقال لها ذات الرقاع . وأصح الأقوال ما رواه البخاري من طريق أبي موسى قال : خرجنا مع النبي[3] ﷺ في غزاة[4] — ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقبه — فنقبت أقدامنا ، ونقبت قدماي ، وسقطت أظفاري ، وكنا[5] نَلُفّ على أرجلنا الخرق ، فسميت غزوة ذات الرقاع لِمَا كنا

(١) كذا في (خ) وفي (الواقدي) ج ١ ص ٣٩٣ ، « الحارث أبو زينب » . وهو الصواب .

(٢) ذكر المؤلف سرية عبد الله بن عتيك لقتل أبي رافع سلّام بن أبي الحُقيق ، وجعلها في ذي الحجة على رأس ستة وأربعين شهراً – أي في السنة الرابعة من الهجرة – وهذا التاريخ من رواية موسى بن عقبة . ومقتل سلاَّم بن أبي الحقيق كان بعد غزوة الأحزاب ، وغزوة الأحزاب عند موسى بن عقبة ، وعند ابن حزم كانت سنة أربع ، فهذا تاريخ صحيح عند ابن عقبة يجعل الغزوة والسرية في سنة أربع على الترتيب ، ولكن المقريزي أخذ تاريخ السرية من موسى بن عقبة وصححه واعتمده فجعله في سنة أربع ، ثم جعل غزوة الأحزاب في سنة خمس ، ولا أدري لم فَصَل هذا الفَصْل بينهما وصحح واحدة – وهي السرية – من تاريخ موسى بن عقبة ، وردّ الغزاة إلى سنة خمسٍ من روايةِ غيره ؟ .

(٣) في (خ) « مع رسول الله » ، وما أثبتناه من رواية البخاري ج ٣ ص ٣٥ . (٤) في (خ) «غزوة».

(٥) في (خ) « فكنا » .

نعصب من الخرق على أرجلنا[1] .

ما فيها من دلائل النبوة

وفي هذه الغزاة ظهر من أعلام النبوة : ظهور بركة الرسول ﷺ في أكل أصحابه من ثلاث بيضات حتى شبعوا ولم تنقص ، وسَبْق جمل جابر بعد تخلفه ، وبُرء الصبي مما كان به ، وقصة الأشاءتين[2] ، وقصة غَوْرث [بن الحارث][3] وقصة الجمل لما برك يشكو .

الخروج إلى الغزوة

وخرج رسول الله ﷺ ليلة السبت لعشر خلون من المحرم على رأس سبعة وأربعين شهراً ، وقدم صرار[4] يوم الأحد لخمس بقين منه ، وغاب خمس عشرة ليلة . وسببها أن [قادماً ـــ قدم يجلب له][5] من نجد إلى المدينة ـــ أخبر أن بني أنمار بن بغيض ، وبني سعد بن ثعلبة بن زبيان بن بغيض ، قد جمعوا لحرب المسلمين ، فخرج ﷺ في أربعمائة ، وقيل : في سبعمائة ، وقيل : ثمانمائة ، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وبثّ السرايا في طريقه فلم يَرَوْا أحداً ، ثم قدم مَحَالّهم وقد ذهبوا إلى رؤوس الجبال وأطلّوا على المسلمين ، فخاف الفريقان بعضهم من بعض .

صلاة الخوف

وصلى رسول الله ﷺ صلاة الخوف ، فكان أوّلَ ما صلاها يومئذٍ ، وقد خاف أن يغيروا عليه وهم في الصلاة ، فاستقبل القبلة وطائفة خلفه وطائفة مواجهة للعدو ، فصلى بالطائفة التي خلفه ركعة وسجدتين ثم ثبت قائماً فصلوا خلفه ركعتين وسجدتين ثم سلموا ، وجاءت الطائفة الأخرى فصلى بهم ركعة وسجدتين ،

(١) وتتمه رواية البخاري : « وحدث أبو موسى بهذا ، ثم كره ذاك ، قال : ما كنتُ أصنع بأن أذكره ، كأنه كره أن يكون شيء من عمله أفشاه .

(٢) في (خ) « الأشاتين » وأشاءُ النخل : صفاره ، أو عامته ، أشاءَة (ترتيب القاموس) ج ١ ص ١٥١ .

(٣) زيادة للبيان .

(٤) صرار : موضع على ثلاثة أميال من المدينة على طريق المدينة (معجم البلدان) ج ٣ ص ٣٩٨ .

(٥) في (خ) « قدماً قادماً مجلب » ، والجلب : ما يُجلب ليباع .

والطائفة الأولى مقبلة على العدو ، فلما صلى بهم ركعة ثبت جالساً حتى أتموا لأنفسهم ركعة وسجدتين ثم سلم . هكذا ذكر ابن إسحاق والواقدي وغيرهما من أهل السِّيَر ، وهو مُشكل .

تحقيق القول في صلاة الخوف متى كانت

فإنه قد جاء في رواية الشافعي وأحمد والنَّسائيّ عن أبي سعيد : أن رسول الله ﷺ حبسه المشركون يوم الخندق عن الظهر والعصر والمغرب والعشاء فصلاهن جمعاً ، وذلك قبل نزول صلاة الخوف . قالوا : وإنما نزلت صلاة الخوف بعُسفان ، كما رواه أبو عَيَّاش الزُّرقي قال : كنا مع النبي ﷺ بعسفان فصلى بنا الظهر ، وعلى المشركين يومئذ خالد بن الوليد ، فقالوا : لقد أصبنا منهم غفلة ، ثم قالوا : إن لهم صلاة بعد هذه هي أحب إليهم من أموالهم وأبنائهم . فنزلت — يعني صلاة الخوف — بين الظهر والعصر ، فصلى بنا العصر ففرقنا فرقتين ، وذكر الحديث . أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي[1] . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ نازلاً بين ضَجْنان[2] وعُسفان مُحاصِر المشركين ، فقال المشركون : إن هؤلاء صلاة هي أهم إليهم من أبنائهم وأبكارهم ، أجمعوا أمركم ثم ميلوا عليهم مَيْلة واحدة .فجاء جبريل عليه السلام فأمره أن يقسم أصحابه نصفين ، وذكر الحديث . رواه النَّسائيّ[1] والترمذي[3] وقال : حسن صحيح . وقد عُلم بلا خلاف أن غزوة عُسفان كانت بعد الخندق فاقتضى هذا أن ذات الرقاع بعدها بل بعد خَيْبَر . ويؤيد هذا أن أبا موسى الأشعري وأبا هريرة رضي الله عنهما شَهِدَاها: أما أبو موسى الأشعري فإنه قدم بعد خيبر ، وقد جاء في الصحيحين عنه : أنه شهد غزوة ذات الرقاع ، وأنهم كانوا يَلفّون على أرجلهم الخرق لما نقبت ، فسميت بذلك ، وأما أبو هريرة ، فعن مروان بن الحكم أنه سأل أبا هريرة : هل صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الخوف ؟ قال : نعم ، قال : متى ؟ قال : عام غزوة

---

(١) (مسند الإمام أحمد) ج ٤ ص ٥٩ ، ٦٠ . (أبو داود) ج ٢ ص ٢٨ حديث رقم ١٢٣٦ .
(عون المعبود) ج ٤ ص ١٠٤ حديث رقم ١٢٢٤ . (سنن النسائي) ج ٣ ص ١٦٧ .

(٢) ضجنان : « جبيل على بريد من مكة ... ، وقال الواقدي : ضجنان ومكة خمسة وعشرون ميلا »
(معجم البلدان) ج ٣ ص ٤٥٣ وفي (خ) « صحنان » .
وعسفان : على مرحلتين من مكة على طريق المدينة (المرجع السابق) ج ٤ ص ١٢٢ .

(٣) (سنن الترمذي)ج ٢ ص ٣٩ باب ٣٩٣ حديث رقم ٥٦١ .

نجدٍ ، وذكر صفة من صفات صلاة الخوف . أخرجه[1] الإمام أحمد وأبو داود والنسائيُّ . وإنما جاء أبو هريرة مسلماً أيام خيبر .

وكذلك قال عبد الله بن عمر ، قال : غزوتُ مع رسول الله ﷺ قِبَل نجد ، فذكر صلاة الخوف . وإجازة[2] عبد الله في القتال كانت عام الخندق . وقد قال البخاري : إن ذات الرقاع بعد خيبر ، واستشهد بقصة[3] أبي موسى وإسلام أبي هريرة .

وقال ابن إسحق : إنها كانت في جمادى الأولى بعد غزوة بني النضير بشهرين ، وقد قال بعض من أرّخ : إن غزوة ذات الرقاع أكثر من مرة ، فواحدة كانت قبل الخندق ، وأخرى بعدها .

وقد قيل : إن قصة جمل جابر وبيعه من رسول الله ﷺ كانت في غزوة ذات الرقاع . وفي ذلك نظر ، لأنه جاء أن ذلك كان في غزوة تبوك .

وبعث ﷺ جعال بن سراقة بشيراً إلى المدينة بسلامته وسلامة المسلمين .

خبر الربيئة : عباد بن بشر وعمار بن ياسر

وكان رسول الله ﷺ قد أصاب في محالهم نسوة منهن جارية وضيئة كان زوجها يحبها ، فلما انصرف رسول الله ﷺ راجعاً إلى المدينة حلف زوجها ليطلبن محمداً ، ولا يرجع إلى قومه حتى يصيب محمداً ، أو يهريق فيهم دماً ، أو يتخلص صاحبته . فبينا رسول الله ﷺ في مسيرة في عشية ذات ريح فنزل في شعب فقال : من رجل يكلأنا[4] الليلة ؟ فقام عمار بن ياسر وعباد بن بشر فقالا : نحن يا رسول الله نكلأك : وجعلت الريح لا تسكن ، وجلسا على فم الشِّعْب . فقال أحدهما لصاحبه : أي الليل[5] أحب إليك [أن أكفيكه ، أوله أم آخره][6] ؟ قال : [بل][7] اكفني

---

(١) في (خ) « أرجه » . (٢) في (خ) « وإجاره » . (٣) في (خ) « بقضية » .

(٤) يكلأنا : يرعانا ، وفي التنزيل : ﴿ **قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن** ﴾ (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٧٩٣ . (٥) في (خ) « الليلة » .

(٦) ما بين الأقواس لفظ مضطرب في (خ) والتصويب من (ابن هشام) ج ٣ ص ١٢٢ ونحوه مع اختلاف يسير في (الواقدي) ج ١ ص ٣٩٧ . (٧) زيادة للسياق .

أوله . فنام عمار بن ياسر وقام عباد بن بشر يصلي ، وأقبل عدو الله يطلب غِرَّة وقد سكنت الريح . فلما رأى سواده من قريب قال : يعلم الله إن هذا لربيئة القوم : ففوَّق له سهماً فوضعه فيه ، فانتزعه [فوضعه][1] ، ثم رماه بآخر فوضعه فيه ، فانتزعه فوضعه ، ثم رماه الثالث فوضعه فيه . فلما غلبه الدم ركع وسجد ، ثم قال لصاحبه : اجلس فقد أُتيتَ : فجلس عمار ، فلما رأى الأعرابي أن عماراً قد قام علم أنهم قد نذروا به . فقال عمار : أي أخي ؟ ما منعك أن توقظني في أول سهم رمى به ؟ قال : كنتُ في سورة أقرأها ــ وهي سورة الكهف ــ فكرهتُ أن أقطعها حتى أفرغ منها . ولولا إني خشيت أن أضيع ثغراً أمرني به رسول الله ﷺ ما انصرفت ولو أتى على نفسي . ويقال : بل هو عُمارة بن حزم ، وأثبتهما عباد بن بشرٍ .

خبر فرخ الطائر

وجاء رجل بفرخ طائر ، فأقبل أبواه ، أو أحدهما حتى طرح نفسه في يد الذي أخذ فرخه ، فعجب الناس من ذلك ، فقال رسول الله ﷺ : أتعجبون من هذا الطائر ؟ أخذتم فرخه فطرح نفسه رحمة لفرخه ! والله لربكم أرحم بكم من هذا الطائر بفَرْخِه .

خبر صاحب الثوب الخلق

ورأى ﷺ رجلاً وعليه ثوب مُنخرق فقال : أما له غير هذا ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، إن له ثوبين جديدين في العيبة[2]، فقال له : خذ ثوبيك . فأخذ ثوبيه فلبسهما ثم أدبر فقال ﷺ : أليس هذا أحسن ؟ ما له ضرب الله عنقه ! فسمع ذلك الرجلُ ، فقال : في سبيل الله يا رسول الله ! فقال ﷺ : في سبيل الله . فضربت عنقه بعد ذلك في سبيل الله .

(١) زيادة للسياق .

(٢) العيْبَة : وعاء من خوص ونحوه . (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٦٣٩ .

خبر البيضات

وجاءه عُلبة[1] بن زيد الحارثي بثلاث بيضات وجدها في مِفْحَص[2] نعام، فأمر جابر بن عبد الله بعملها، فوثب فعملها وأتى بها في قصعة، فأكل ﷺ وأصحابه منه بغير خبز، والبيض في القصعة كما هو، وقد أكل منه عامتهم.

خبر غورث

وقيل: إن حديث غورث بن الحارث كان في هذه الغزاة[3]، وقيل: كان في غزوة ذات الرقاع التي بعد الخندق ــ لما أخرجا في الصحيحين[4] عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بذات الرقاع، قال: كنا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله ﷺ، قال: فجاء رجل من المشركين ــ وسيف رسول الله ﷺ مُعلّق بشجرة ــ فأخذ سيف نبي الله ﷺ[5] فاخترطه[6]، فقال لرسول الله ﷺ: أتخافني؟ قال: لا. قال: فمن يمنعك مني؟ قال: الله يمنعني منك[7]! قال: فتهدده أصحاب رسول الله ﷺ، فأغمد السيف وعلّقه. قال: فنودي بالصلاة فصلى بطائفة ركعتين ثم تأخروا، وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين. قال: فكانت لرسول الله ﷺ أربعُ ركعات وللقوم ركعتان. واللفظ لمسلم.

تحريم الخمر

قال البلاذُرِيّ: وفي سنة أربع من الهجرة حُرِّمت الخمر.

غزوة دومة الجندل

ثم كانت غزوة دُومة الجندل. خرج إليها رسول الله ﷺ في الخامس والعشرين

---

(١) في (خ) «غلبة» والتصويب من (الواقدي) ج ١ ص ٣١٩.
(٢) المفحص: ما تفحصه النعام والقطا من الأرض لتتخذ منه مجثماً للبيض والفرخ.
(٣) في (خ) «وقيل كان في هذه الغزوة» مكررة.
(٤) صحيح البخاري: ج ٣ ص ٣٦، صحيح مسلم: ج ٦ ص ١٢٩.
(٥) في (خ) «فأخذ السيف» وهذا نص مسلم.
(٦) اخترط السيف: استله (ترتيب القاموس) ج ٢ ص ٣٩.
(٧) في (خ) «قال الله» نص مسلم.

من ربيع الأول على رأس تسعة وأربعين شهراً في ألف من المسلمين ، واستخلف على المدينة سباع بن عُرْفطة الغفارِيّ .

سبب غزوة دومة الجندل

وسببها أن رسول الله ﷺ أراد أن يدنو إلى أدنى الشَّأم ، وقيل له : إنها طرف من أفواه الشأم فلو دنوت لها كان ذلك مما يفزع قيصر ، وذُكر له أن بدومة الجندل جمعاً كثيراً من [الضافطة][1] ، وأنهم يظلمون من مرَّ بهم ، ويريدون أن يدنوا[2] من المدينة . فندب الناس وسار مغِذّاً[3] للسير ، ونكّب عن طريقهم ، فكان يسير الليل[4] ويكمن النهار ، ومعه دليل من بني عذرة يقال له : مذكور . فلما كان بينه وبين دومة الجندل يوم أو ليلة ، هجم على ماشيتهم [ورعاتهم فأصاب منها ما أصاب][5] ، وفرّ باقيهم ، فتفرق أهل دومة لما بلغهم الخبر ، ونزل ﷺ بساحتهم فلم يجد بها أحداً ، فأقام أياماً وبث سراياه ، فعادت بإبلٍ ولم يلق أحداً ، وعاد إلى المدينة في العشرين من ربيع الآخر . ووادع في طريقه عيينة بن حصن الفزاري .

زواجه بأم سلمة ثم بزينب بنت جحش ونزول آية الحجاب

وفي ليالٍ بقين من شوال تزوج أم سلمة ، وقيل : تزوجها سنة اثنين بعد بدر ، وقيل : قبل بدر .

وفي ذي القعدة من هذه السنة تزوج ابنة عمته زينب بنت جحش . وقيل : تزوجها سنة ثلاث ، ويقال : سنة خمس ، وقيل : تزوجها سنة ثلاث مع زينب أم المساكين . ونزلت آية الحجاب . وفي هذه السنة أمر زيد بن ثابت بتعلم كتاب اليهود ، وفيها رَجَم اليهودي واليهودية ، وفي جمادى الآخرة خَسف القمر وصلى صلاة الخسوف . وزلزلت[6] المدينة . وسابق بين الخيل ، وقيل : في سنة ست ،

---

(١) زيادة من (ابن سعد) ج ٢ ص ٦٢ ، والضافطة من الناس ، من يجلب الميرة والمتاع إلى المدن .
(٢) في (خ) « يدلو » . (٣) في (خ) « مفدا » . (٤) في (خ) « بالليل » .
(٥) في (خ) مكان ما بين القوسين « فأصاب منها » والتتمة من (ابن سعد) ج ٢ ص ٦٢ .
(٦) في (خ) « زلزل » .

وجعل بينها سبقاً ومحللاً .

غزوة المريسيع « بني المصطلق »

ثم كانت غزوة المريسيع ، ويقال : غزوة بني المصطلق وهم بنو جذيمة بن كعب ابن خزاعة ، فجذيمة هو المصطلق . والمريسيع ماء لخزاعة بينه وبين الفُرْع نحوٌ من يوم ، وبين الفُرع والمدينة ثمانية بردٍ[1] . وكانت في سنة ست من الهجرة ، وقيل : سنة خمس . خرج رسول الله ﷺ يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان ، واستخلف على المدينة زيد بن حارثة ، وقال ابن هشام : استعمل أبا ذر ، ويقال : نميلة بن عبد الله الليثي ، [ودفع راية المهاجرين إلى أبي بكر رضي الله عنه][2] ، وقيل : إلى عمار بن ياسر ، وراية الأنصار إلى سعد بن عبادة .

سببها

وسببها أن الحارث بن أبي ضرار بن حبيب [بن الحارث بن عائذ[3]] بن مالك بن جذيمة [بن سعد][3] بن كعب بن خُزاعة سيد بني المصطلق ، جمع لحرب رسول الله ﷺ من قومه ومن العرب [جمعاً][4] كبيراً ، فتهيَّئوا[5] ليسيروا إليه ، وكانوا ينزلون ناحية الفُرْع ، فبلغ خبرهم رسولَ الله ﷺ فبعث بُرَيْدَة بن الحصَيْب بن عبد الله بن الحارث بن الأعرج بن سعد بن رِزَاح بن عدي بن سهم ابن مازن بن الحارث بن سلامان بن سلم بن أفصَى بن حارثة بن عمرو بن عامر الأسلمي ــ يعْلم عِلم ذلك ، فأتاه بخبرهم . فندب الناسِ وأخبرهم خبر عدوِّهم ، فأسرعوا الخروج ، وقادوا ثلاثين فرساً منها : عشرةٌ للمهاجرين ، وعشرون للأنصار ، ولرسول الله ﷺ فرسان هما : لِزَازٌ والظَّرِب . وخرج كثير من المنافقين ليصيبوا من عَرَض الدنيا ولقرب السفر عليهم .

---

(١) بُردُ : جمع بريد ، والبريد ، فرسخان أو اثنا عشر ميلاً (ترتيب القاموس) ج ١ ص ٢٤٤ . والميل أربعة الآف ذراع ، والفرسخ : ثلاثة أميال (تقويم البلدان) ص ١٥ .

(٢) ما بين القوسين مكرر في (خ) .

(٣) زيادة من النسب .

(٤) زيادة للسياق .

(٥) في (خ) « فتيانوا » .

إسلام رجل من عبد القيس

فلقي ﷺ في طريقه رجلاً في طريقه من عبد القيس فأسلم ، وسأل : أي الأعمال أحب إلى الله ؟ فقال له النبي ﷺ : الصلاة في أول وقتها . فكان بعد ذلك لا يؤخر الصلاة إلى الوقت الآخر .

فأصاب عيناً من المشركين فضرب عنقه بعد أن عرض عليه الإسلام فأبى .

الانتهاء إلى المريسيع ولقاء العدو

وانتهى ﷺ إلى المريسيع [وهو ماء لخزاعة من ناحية قديد إلى الساحل] وقد بلغ القومَ مسيرُ رسولِ الله ﷺ وقتله عينهم ، فتفرق عن الحارث من كان قد اجتمع إليه من أفناء[1] العرب ، وضرب له ﷺ قبة من أدم ، وكان معه من نسائه عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما . فصف أصحابه وقد تهيأ الحارث للحرب ، ونادى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه في الناس : قولوا لا إله إلا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم . فأبوا ورموا بالنبل ، فرمى المسلمون ساعة بالنبل ثم حملوا على المشركين حملة رجل واحد ، فما أفلت منهم إنسان ، وقتل منهم عشرةٌ وأُسِر سائرهم ، وسُبِيَتْ النساء والذرية ، وغُنمت الإبل والشاء ، ولم يقتل من المسلمين إلا رجل واحد يقال له : هشام بن صُبابة ، أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت وهو يرى أنه من العدوِّ[2] ، فقتله خطأً .

شعار المسلمين

وكان شعارهم : يا منصورُ أمِتْ أمِتْ . وقيل : بل أغار عليهم ﷺ وهم غارُّون ونعَمهم تسقي على الماء . والحديث الأول أثبت .

وكان من خبر الرجل الذي قتل : أنه خرج هشام بن صُبَابة في طلب العدو ، فرجع في ريح شديدة فوجد رجلاً [من رهط عبادة بن الصامت يقال له أوس] فقلته وهو يظنه مشركاً ، فأمر رسول الله ﷺ أن تُخرج ديته ، [ويقال : قتله رجل من بني عمرو بن عوف] فقدم أخوه مقْيَس بن صبابة من مكة مسلماً فيما يُظهر يطلب دية أخيه ، فأمر له النبي ﷺ بالدِّية فقبضها ، ثم عدا على قاتل أخيه

(١) أخلاط من قبائل مختلفة . (٢) في (خ) « العدد » .

فقتله ، ثم ارتدّ ولحق بقريش وقال شعراً ، فأهدر ﷺ دمه ، حتى قتله نميلة [ابن عبد الله الليثي][1] يوم الفتح .

الأسرى والغنائم

وأمر ﷺ بالأسرى فكُتِّفوا ، واستعمل عليهم بريدة بن الحصيب ، وأمر بما وجد في رحالهم من متاع وسلاح فجُمع ، وسيقت النَّعمُ والشاءُ ، واستعمل عليها شقران : مولاه . واستعمل على المقسم ـــ مقسم الخمس وسهمان المسلمين ـــ محمية ابن جَزْءٍ[2] بن عبد يغوث بن عُويج بن عمرو بن زبيد الأصغر الزبيدي ، فأخرج رسول الله ﷺ الخمس من جميع المغنم فكان يليه محمية بن جَزْء[2] ، وكان يجمع إليه الأخماس . وكانت الصدقات على حِدَتها ، أهل الفيء بمعزل عن الصدقة ، [وأهل الصدقة][3] بمعزل عن الفيء . فكان يعطي من الصدقة اليتيم والمسكين والضعيف ، فإذا احتلم اليتيم نُقل إلى الفيء وأخرج من الصدقة ووجب عليه الجهاد ، فإن كره الجهاد وأباهُ لم يعط من الصدقة شيئاً ، وخلى بينه وبين أن يكتسب لنفسه . وكان رسول الله ﷺ لا يمنع سائلاً : فأتاه رجلان يسألانه من الخمس فقال[5] : إن شئتما أعطيتكما منه ، ولا حظَّ فيها لغني ولا لقوي مكتسب .

قسمة الغنائم

وفرَّق السبي فصار في أيدي الرجال ، وقَسَم المتاع والنعم والشاء ، وعُدِلت الجزور بعشر من الغنم ، وبيعت رثة المتاع فيمن يزيد ، وأسهم للفرس سهمان ولصاحبه سهماً ، وللراجل سهماً ، وكانت الإبل ألفي بعير وخمسة آلاف شاة ، وكان السَّبي مائتي أهل بيت .

خبر جويرية بنت الحارث وزواج رسول الله بها ، وبركتها على أهلها

وصارت جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار في سهم ثابت بن قيس بن شماس

---

(١) زيادة البيان . (٢) في (خ) « جز » .

(٣) في (خ) « بمعزل عن الصدقة بمعزل عن الفيء » . (٤) في (خ) « وقال » .

أو ابن له ، فكاتبها على تسع أواقٍ من ذهب ، فبينا النبي ﷺ على الماء إذ دخلت عليه تسأله في كتابتها وقالت : يا رسول الله ، إني امرأة مسلمة وتشهدت وانتسبت ، وأخبرته بما جرى لها واستعانته في كتابتها ، فقال : أو خير من ذلك ، أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك ! قالت : نعم . فطلبها من ثابت فقال : هي لك يا رسول الله . فأدى ما عليها وأعتقها وتزوجها ، وخرج الخبر إلى الناس وقد اقتسموا رجال بني المصطلق وملكوهم ووطئوا نساءهم ، فقالوا : أصهار النبي ! فأعتقوا ما بأيديهم من ذلك السبي . وكانت جويرية رضي الله عنها عظيمة البركة على قومها .

فداء أسرى بني المصطلق

ويقال : إن رسول الله ﷺ جعل صداقها عتق كل أسير من بني المصطلق ، ويقال : جعل صداقها عتق أربعين من قومها ، وقيل : كان السبي : منهم من منَّ عليه رسول الله ﷺ بغير فداء ، ومنهم من افتدى ، وذلك بعد ما صار السبي في أيدي الرجال ، فافتديت المرأة والذرية بست فرائض ، وكانوا قدموا المدينة ببعض السبي ، فقدم عليهم أهلوهم فافتدوهم ، فلم تبق امرأة من بني المصطلق إلا رجعت إلى قومها ، قال الواقدي : وهذا الثبت . وقيل : إن الحارث افتدى ابنته جويرية من ثابت بن قيس بما افتدى به امرأة من السبي ثم خطبها النبي ﷺ إلى أبيها فأنكحها : وكان اسمها برَّة ، فسماها[1] ﷺ جويرية[2] . قال الواقدي : وأثبت هذا عندنا حديث عائشة أن النبي ﷺ قضى عنها كتابتها وأعتقها وتزوجها .

خبر العزل

وسئل رسول الله ﷺ في هذه الغزوة عن العزل فقال : ما عليكم أن لا تفعلوا ؟ ما من نَسمةٍ كائنة يوم القيامة إلا وهي كائنة . فقال رجل من اليهود لأبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وقد خرج بجارية يبيعها في السوق : لعلك تريد بيعها وفي بطنها منك سَخلة[3] ؟ فقال : كلا ، إني كنت أعزل عنها . فقال : تلك الموءودة الصغري ! فلما أخبر رسول الله ﷺ بذلك قال : كذبت يهود .

(١) في (خ) « فسما » . (٢) في (خ) « جويرة » .

(٣) السخلة : وليدة الغنم ، والمراد هنا كناية عن الحمل .

خبر جهجاه وسنان على الماء

وبينا المسلمون على ماء المريسيع إذ أقبل سنانُ بن وبر الجهني ـــ وقيل : هو سنان بن تَيْم الله ، وهو من جهينة بن سود بن أسلم ـــ حليف الأنصار ـــ ومعه فتيان من بني سالم يستقون . [وعلى][1] الماء جمع من المهاجرين والأنصار . فأدلى دلوه ، وأدلى جهجاه بن مسعود بن سعد بن حرام الغفاري ـــ أجير عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـــ دلوه .

تنازعهما واختلاف المهاجرين والأنصار

فالتبست دلو سنان ودلو جهجاه وتنازعا ، فضرب جهجاه سناناً فسال الدم ، فنادى : يا للخزرج ! وثارت الرجال ، فهرب جهجاه وجعل ينادى في العسكر : يا لقريش ! يا لكنانة ! فأقبلت قريش وأقبلت الأوس والخزرج ، وشهروا السلاح حتى كادت تكون فتنة عظيمة ، فقام رجال في الصلح فترك سنان حقه .

تحريض عبد الله بن أُبَيّ وما كان من مقالته في ذلك

وكان عبد الله بن أبي جالساً في عشرة من المنافقين فغضب وقال : والله ما رأيت كاليوم مذلة ! والله إن كنت لكارهاً لوجهي هذا ، ولكن قد غلبوني . قد فعلوها ، قد نافرونا وكاثرونا في بلدنا ، وأنكروا منتنا ، والله ما صرنا وجلابيب[2] قريش هذه إلا كما قال القائل : « سمِّنْ كَلْبَكَ يَأْكُلْكَ » ، والله لقد ظننت أني سأموت قبل أن أسمع هاتفاً يهتف بما هتف به جهجاه وأنا حاضر لا يكون لذلك مني غِيرٌ[3] ، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجن الأعزُّ منها الأذلَّ . ثم أقبل على من حضر من قومه فقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم ! أحللتموهم بلادكم ، ونزلوا منازلكم ، وآسيتموهم[4] في أموالكم حتى استغنوا . أما والله لو أمسكتم [عنهم ما][5] بأيديكم لتحولوا[6] إلى غير بلادكم ، ثم لم ترضوا ما فعلتم حتى جعلتم

---

(١) زيادة للسياق .

(٢) كان يحلو للمنافقين تسمية المهاجرين بجلابيب قريش كناية عن فقرهم .

(٣) في (خ) « لا يكون ذلك متى غير » ، يريد لا يكون منى لهذا العدوان دفع أو تغيير أو قصاص .

(٤) من المساواة . (٥) زيادة للبيان . (٦) في (خ) « لعلوا » .

أنفسكم ـــ أغراضاً[1] للمنايا فقتلتم دونهم[1] ، فأيتمتم أولادكم وقللتم وكثروا .

إبلاغ زيد بن أرقم رسول الله مقالة عبد الله بن أُبَيّ

وكان زيد بن أرقم حاضراً ـــ وهو غلام لم يبلغ أو قد بلغ ـــ فحدّث رسولَ الله ﷺ بذلك ، وعنده نفر من المهاجرين والأنصار ، فتغير وجهه ثم قال : يا غلام ، لعلك غضبت عليه ؟ قال : لا والله ، لقد سمعت منه . قال : لعله أخطأ سمعك ! قال : لا يا نبي الله . قال : فلعله شبه عليك ؟ قال : لا والله لقد سمعت منه يا رسول الله . وشاع في العسكر ما قاله ابن أُبَيّ ، حتى ما كان للناس حديث إلا هو . وأنَّب جماعة من الأنصار زيد بن أرقم ، فقال ـــ في جملة كلام ـــ : وإني لأرجو أن ينزل الله على نبيه ، حتى تعلموا أني كاذب أم غيري . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا رسول الله ! مر عباد بن بشر فليأتك برأسه . فكره ذلك وقال : لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه . وبلغ الخبرُ ابنَ أُبَيّ ، فحلف بالله ما قال من ذلك شيئاً ، ثم مشى[2] إلى رسول الله ﷺ وحلف بالله ما قال .

رحيل رسول الله بعد مقالة المنافقين

وأسرع رسول الله ﷺ عند ذلك السير ، ورحل في ساعة لم يكن يرتحل فيها . فأقبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى جاء رسول الله ﷺ وهو في فيء شجرة عنده غليم أسَيْود يغمز ظهره[3] فقال : يا رسول الله ! كأنك تشتكي ظهرك ! فقال : تقحَّمت بي الناقة[4] الليلة . فقال عمر : يا رسول الله ، إيذن لي أن أضرب عنق ابن أُبَيّ في مقالته . فقال : لا يتحدث الناس أن محمداً قتل أصحابه .

طلوع رسول الله على العسكر ومقالة سعد بن عبادة

ويقال : لم يشعر أهل العسكر إلا برسول الله ﷺ قد طلع على راحلته وكانوا في حر شديد ، وكان لا يروح حتى يُبرد ، إلا أنه لما جاءه ابن أُبَيّ رحل في تلك

---

(١) في (خ) « أعراضاً » ، « دونه » .
(٢) في (خ) « مشى مشى » مكررة .
(٣) الغمز باليد : النخس ، وبالعين والجفن والحاجب : الإشارة ، وبالرجل : السعي بالشر ، والغمازة : الجارية الحسنة الغمز للأعضاء (ترتيب القاموس) ج ٣ ص ٤١٧ .
(٤) تقحمت الدابة براكبها : شردت به ، وربما طوَّحت به في وهده (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٧١٧ .

الساعة ، فكان أوّلَ من لقيه سعد بن عبادة رضي الله عنه ، ويقال : أسيد بن حُضَير . فقال : خرجتَ يا رسول الله في ساعة ما كنت تروح فيها ! قال : أو لم يبْلغك ما قال صاحبكم ابن أُبَيّ ، زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرجَ الأعزُّ منها الأذلَّ ؟ قال : فأنت يا رسول الله تخرجه إن شئت ، فهو الأذل وأنت الأعز ، يا رسول الله ! ارفق به ، فوالله لقد جاء الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ، ما بقيت عليهم إلا خرزة واحدة عند يوشع اليهودي ليتوجوه ، فما يرى إلا قد سلبته ملكه .

تصديق الله خبر زيد بن أرقم

وبينا رسول الله ﷺ يسير من يومه ذلك — وزيد بن أرقم يعارضه براحلته يريد وجهه ، ورسول الله ﷺ يستحث راحلته فهو مغِذٌّ في المسير — إذ نزل عليه الوحي فَسُرِّيَ[1] عنه ، فأخذ بأذن زيد بن أرقم حتى ارتفع عن مقعده عن راحلته وهو يقول : وفتْ[2] أذنك يا غلام وصدَّق الله حديثك ! ونزل في ابن أُبَيّ : ﴿ إذا جاءك المنافقون ﴾[3] وكان عبادة بن الصامت قبل ذلك قال لابن أبيّ : إيتِ رسول الله يستغفر لك ، فلوى رأسه معرضاً ، فقال له عبادة : والله لينزلنَّ في ليِّ رأسك قرآن يُصلَّى به . ومرَّ عبادة بن الصامت بابن أبيّ — عشية راح رسول الله ﷺ من المريسيع ، وقد نزل فيه القرآن — فلم يُسَلم عليه ، ثم مرَّ أوس بن خَوْليّ فلم يسلم عليه ، فقال : إن هذا الأمر قد تمالأتما عليه . فرجعا إليه فأنَّباه[4] وبكَّتاه بما صنع ، وبما نزل القرآن إكذاباً لحديثه . فقال : لا أعود أبداً .

حديث عبد الله بن عبد الله بن أبي عن أبيه وخبره

وجاء ابنه عبد الله بن عبد الله بن أُبَيّ فقال : يا رسول الله ، إن كنتَ تريد أن تقتل[5] أبي فيما بلغك عنه فمرني به ، فوالله لأحملن إليك رأسه قبل أن تقوم

---

(١) سرِّى عنه : كُشف عنه .

(٢) وفتْ أذنه : ظهر صدقه في أخباره عما سمع ، وأوفى الله بأذُنه : أظهر صدقه في إخباره عما سمعت أذنه (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ١٠٤٧ .

(٣) سورة المنافقون كلها.

(٤) في (خ) « فأنبآه » .

(٥) في (خ) « يقتل » وما أثبتناه من (الواقدي) ج ٢ ص ٤٢١ .

من مجلسك هذا . والله لقد علمت الخزرج ما كان فيها[1] رجل أبرُّ بوالده[1] مني ، وإني لأخشى ــ يا رسول الله ــ أن تأمر غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل أبي يمشي في الناس فأقتله فأدخل النار ، وعفوك أفضل ، ومنُّك أعظم . فقال رسول الله ﷺ : ما أردت قتله ، وما أمرتُ به ، ولنحسنن صحبته ما كان بين أظهرنا . فقال : يا رسول الله ! إن أبي كانت هذه البحيرة قد استقوا[2] عليه ليتوجوه ، فجاء الله بك فوضعه ورفعنا بك ، ومعه قوم يطيفون به[3] يذكرونه أموراً قد غلب الله عليها . وقال عبد الله في ذلك شعراً .

سير رسول الله

ولما خرجوا من المريسيع قبل الزوال لم يُنخ[4] أحد إلا لحاجة أو لصلاة ، ورسول الله ﷺ يستحث راحلته بالسوط في تراقيها[5] حتى أصبحوا ، ومدُّوا يومهم حتى انتصف النهار ، ثم راحوا مردين[6] ، فنزل من الغد ماء يقال له : بقعاء .

الريح التي أنذرت بموت كهف المنافقين
رفاعة بن التابوت

فأخذتهم ريح شديدة ــ اشتدت إلى أن زالت الشمس ثم سكنت آخر النهار ــ حتى أشفقوا منها ، وسألوا رسول الله ﷺ عنها ، وخافوا أن يكون عيينة بن حصن خالف إلى المدينة ، وقالوا : لم تهج هذه الريح إلا من حدث . فقال ﷺ : ليس عليكم بأس منها ، فما بالمدينة من نقبٍ[7] إلا عليه ملك يحرسه ، وما كان ليدخلها

---

(١) في (خ) « ما كان فيها ما كان رجل » ، « بوالدي » .

(٢) البحيرة : تصغير بحرة وهي الأرض والبلدة ، استقوا : أجمعوا أمرهم .

(٣) أطافوا به : أحاطوا به .

(٤) في (خ) « ينح » .

(٥) في (خ) « مراقيها » والتراقي جمع ترْقُوه ، وهو عظم يصل بين ثغرة النحر والعاتق من الجانبين ، وفي التنزيل ﴿ كلا إذا بلغت التراقي وقيل من راق ﴾ ٢٦ ، ٢٧ / القيامة .

(٦) ردى الفرس : رَدْياً ، ورَدَياناً : رجم الأرض بحوافره ، في سيره وعَدْوه (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٣٤٠ .

(٧) النقْب : الطريق إلى الجبل (ترتيب القاموس) ج ٤ ص ٤٢١ .

عدو حتى تأتوها ، ولكنه مات اليوم منافق عظيم النفاق بالمدينة : فلذلك عصفت الريح . وكان موته للمنافقين غيظاً شديداً ، وهو رفاعة بن زيد بن التابوت[1] [أحد بني قينقاع ، وكان عظيماً من عظماء يهود ، وكهفاً للمنافقين][2] ، مات ذلك اليوم . وكانت هذه الريح أيضاً بالمدينة حين دُفن عدو الله فسكنت .

جزع المنافقين لموته

وقال عبادة بن الصامت يومئذ لابن أبيّ : أبا حباب ! مات خليلك . قال : أي أخلائي ؟ قال : من موته فتح للإسلام وأهله ! رفاعة بن زيد[1] بن التابوت ، قال : يا ويلاه ! كان والله وكان وكان ، وجعل يذكر . فقال له عُبادة : اعتصمت والله بالذَّنب الأبتر ! قال : من خبرَّك يا أبا الوليد بموته ؟ قال : رسول الله أخبرنا الساعة أنه مات هذه الساعة ، فأُسْقِطَ في يديه وانصرف كئيباً حزيناً . فلما دخلوا المدينة وجدوا عدو الله مات في تلك الساعة .

خبر ناقة رسول الله التي فقدت ، ومقالة المنافق

وفقدت ناقة رسول الله ﷺ ــ القصواء ــ من بين الإبل وهي سارحة ، فتطلبها المسلمون في كل وجه ، فقال زيد بن اللصيت [القينقاعي][3] وكان منافقاً : أفلا يخبره الله بمكان ناقته ! فأنكر القوم ذلك عليه ، وأسمعوه كل مكروه ، وهموا به ، فهرب إلى رسول الله ﷺ متعوذاً به وقد جاءه الوحي بما قال ، فقال ــ والمنافق يسمع ــ : إن رجلاً من المنافقين شمت أن ضلت ناقة رسول الله وقال : ألا يخبره الله بمكانها ؟ فلعمري أن محمداً ليخبر بأعظم من شأن الناقة ! ولا يعلم الغيب إلا الله ، وإن الله قد أخبرني بمكانها ، وأنها في هذا الشعب : مقابلكم ، قد تعلق زمامها بشجرة ، فاعمدوا عمدها . فذهبوا فأتوا بها من حيث قال رسول الله ﷺ .

---

(١) في (خ) « زيد بن رفاعة بن النابوت » وهي رواية الواقدي ج ٢ ص ٤٢٣ ، وفي (الطبري) ج ٢ ص ٦٠٧ « رفاعة بن زيد بن النابوت » ، وفي (عيون الأثر) ج ٢ ص ٩٤ « رفاعة بن زيد بن التابوت » .

(٢) زيادة من المراجع السابقة .

(٣) زيادة من نسبه ، وفي (خ) اللصيب .

حماية النقيع لخيل المسلمين

ولما مرَّ رسول الله ﷺ بالنقيع[1] رأى سعة وكلأً وغدراً[2] كثيرة ، فأمر حاطب بن أبي بلتعة أن يحفر به بئراً ، وأمر بالنقيع أن يحمى ، واستعمل عليه بلالَ ابن الحارث المزَني ، قال : وكم أحمي منه يا رسول الله ؟ قال : أقم رجلاً صيتاً — إذا طلع الفجر — على هذا الجبل فحيث انتهى صوته ، فاحمه لخيل المسلمين وإبلهم التي يغزون عليها . قال : يا رسول الله ، أفرأيت ما كان من سوائم[3] المسلمين ؟ فقال : لا يدخلها . قال : أرأيت المرأة والرجل الضعيف يكون له الماشية اليسيرة وهو يضعف عن التحول ؟ قال : دعه يرعى .

وسبّق ﷺ يومئذ بين الخيل والإبل ، فسبقت القصواء الإبل وعليها بلالُ ، وسبق فرسه الظرب وعليه أبو أسيد الساعديّ .

بدء حديث الإفك

وكان حديث الإفك[4] ، وذلك أن رسول الله ﷺ نزل منزلاً ليس معه ماء ، وسقط عِقد عائشة رضي الله عنها من عنقها ، فأقام ﷺ بالناس حتى أصبحوا ، وضجر[5] الناس وقالوا : حبستنا عائشة . فضاق بذلك أبو بكر رضي الله عنه وعاتب عائشة عتاباً شديداً .

نزول آية التيمم

ونزلت آية التيمم فقال رسول الله ﷺ : كان من قبلكم لا يصلون إلا في بِيعهم وكنائسهم ، وجعلت لي الأرض طهوراً حيثما أدركتني الصلاة . ونزلت آية التيمم عند طلوع الفجر ، فمسح المسلمون أيديهم بالأرض ، ثم مسحوا أيديهم إلى

---

(١) النقيع : من أودية الحجاز يدفع سيله إلى المدينة يسلكه العرب إلى مكة منه ، وه نقيع الخضمات (معجم البلدان) ج ٥ ص ٣٠١ .

(٢) غُدر : جمع غدير ، وهو القطعة من الماء يغادرها السيل (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٦٤٥ .

(٣) السوائم : جمع سائمة ، وهي الإبل الراعية .

(٤) الإفك : أبلغ ما يكون من الكذب والإفتراء ، وقيل هو البهتان وهو الأمر الذي لا تشعر به حتى يفاجأك ، وأصله الكذب بكونه إفكاً لأن المعروف من حال عائشة خلاف ذلك (التفسير الكبير للفخر الرازي) ج ٢٣ ص ١٧٢ .

(٥) في (خ) « ضحى » .

المناكب ظهراً وبطناً . وكانوا يجمعون مع رسول الله ﷺ بين الصلاتين في سفره .

مسابقة رسول الله عائشة

ثم صاروا ونزلوا حوضاً دمثاً[1] طيباً ذا أراك ، فقال رسول الله ﷺ : يا عائشة ! هل لك في السباق ؟ قالت : نعم ! فَتَحزَّمَت ثيابها ، وفعل ذلك النبي ﷺ ، ثم استبقا ، فسبق ﷺ عائشة رضي الله عنها ، فقال : هذه بتلك السبقة التي كنتِ سبقتني . وكان جاء إلى منزل أبي بكر رضي الله عنه ، ومع عائشة شيء فقال : هلميه ! فأبت وسَعتْ ، وسعى في أثرها ، فسبقته .

خرَّج أبو داود من حديث هشام بن عروة عن أبيه ، وعن أبي سلمة عن عائشة أنها كانت مع النبي ﷺ في سفر : فسابقته فسبقته على رجلي ، فلما حملتُ اللحم سابقتُه فسبقني ، فقال : هذه بتلك السبقة[2] . وخرجه أبو حبان به ولفظه : سابقني النبي ﷺ فسبقته فلبثنا حتى إذا أرهقني اللحم سابقني النبي ﷺ فسبقني ، فقال : هذه بتلك . وكانت هذه الغزوة قبل أن يضرب الحجاب .

تخلف عائشة ومجيء صفوان وحديث الإفك

وكان يرحل بعير عائشة رضي الله عنها أبو مُوَيهبَة[3] ورجل آخر ، وكانت تقعد في هودج[4] ، فحمل الهودج وهو يظنها فيه ــ لخفة النساء يومئذ من قلة أكلهن ــ وساروا وقد ذهبت عائشة لحاجتها وتجاوزت العسكر ، وفي عنقها عِقْد من جزْع ظفار[5] فانسل من عنقها ولا تدري به ، فرجعت تلتمسه حتى وجدته ، ثم عادت وليس في العسكر أحد ، فاضطجعت ونامت ، فجاء صفوان بن المعطل ابن ربيضة[6] بن خزاعي بن محارب بن مرَّة بن فالج[6] بن ذكوان بن ثعلبة بن بُهثة

---

(١) دَمِث المكان وغيره : سَهُلَ ولان (ترتيب القاموس) ج ٢ ص ٢٠٩ .

(٢) سنن أبي داود ج ٣ ص ٦٥ الحديث رقم ٢٥٧٨ .

(٣) في (خ) « مويهبة » وفي (الواقدي) ج ٢ ص ٤٢٧ « موهبة » وما أثبتناه من (ط) .

(٤) الهودج : مركب للنساء ، (ترتيب القاموس) ج ٤ ص ٥٤٣ .

(٥) ظَفار : مدينة باليمن قرب صنعاء وهي التي ينسب إليها الجَذْعُ الظفاري (أي الخرز) (معجم البلدان) ج ٤ ص ٦٠ وفي (خ) « أظفار » .

(٦) في (خ) « فاتح » ، في (ط) « ربيضة » . ونسبه في (الاستيعاب) جـ٥ ص ١٤٢ ترجمة رقم ١٢٢٣: =

ابن سُليم السلمي ثم الذَّكواني أبو عمرو ــ وكان في السَّاقة[1] ــ فاسترجع لما رآها ، فاستيقظت وخمرت[2] وجهها بملحفتها . فلم يكلمها ، وأناخ بعيره وولى عنها حتى ركبتْ ، وقاد بها حتى أتى العسكر . فقال أصحاب الإفك ــ وكبيرهم عبد الله بن أُبَيّ بن سلول ــ ما قالوا ، حتى بلغ ذلك رسول الله ﷺ فتغير لعائشة وهي لا تشعر ، حتى أعلمتها أم مسطح ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف ابن قصي ، وكانت أمها خالة أبي بكر رضي الله عنه . فأتت أبويها لتستيقن الخبر ، فوجدت عندهما العلم بما قاله أهل الإفك . فبكت ليلتها حتى أصبحت .

استشارة رسول ﷺ الله أصحابه في فراق عائشة

واستشار رسول الله ﷺ علياً وأسامة في فراق عائشة . فقال أسامة : هذا الباطل والكذب ، ولا نعلم إلا خيراً . وقال عليّ : لم يضيق الله عليك ، والنساء كثير ، وقد أحلّ الله لك وأطاب ، فطلقها وأنكح غيرها . وخلا ﷺ ببريرة وسألها فقالت : هي أطيب من طيب الذهب ، والله ما أعلم عليها إلا خيراً ، والله يا رسول الله لئن كانت على غير ذلك ليخبرنك الله بذلك ، ألا إنها جاريةٌ ترقد عن العجين حتى تأتي الشاة فتأكل عجينها . وسأل زينب بنت جحش فقالت : حاشى سمعي وبصري ، ما علمت إلا خيراً ، والله ما أكلمها ، وإني لمهاجرتها ، وما كنت أقول إلا الحق . وسأل أم أيمن فقالت : حاشي سمعي وبصري أن أكون علمت أو ظننت بها قط إلا خيراً .

خطبة النبي ﷺ في أمر الإفك
واختلاف الأوس والخزرج

ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : من يعذرني ممن يؤذيني في أهلي ؟ ويقولون لرجل ، والله ما علمت على ذلك الرجل إلا خيراً ، وما كان يدخل بيتاً من بيوتي إلا معي ، ويقولون عليه غير الحق ! فقام سعد بن معاذ فقال : أنا أعذرك

= « صفوان بن المعطل بن ربيعة بن خزاعى بن محارب بن مُرَّة بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بُهثة بن سليم السُّلمى ثم الذكواني ، يكنى أبا عمرو » .

(١) الساقة : مؤخرة الجيش (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٤٦٤ .

(٢) خمَّرت : غَطت .

منه يا رسول الله ، إن يك من الأوس آتيك برأسه ، وإن يك من إخواننا الخزرج فمرنا بأمرك يمضي لك . فقام سعد بن عبادة ـــ وقد غضب منه ـــ فقال : كذبت لعمر الله ، لا تقتله ولا تقدر[1] على قتله . فقال أسيد بن حضير : كذبتَ ، والله ليقتلنه وأنفك راغم . وكادت تكون فتنة ، فأشار رسول الله ﷺ بيده إلى الأوس والخزرج أن اسكتوا ، ونزل عن المنبر ، فهدَّأهم وخفضهم حتى انصرفوا .

دخول رسول الله ﷺ على عائشة وحديثهما

ودخل على عائشة ـــ وقد مكث شهراً قبل ذلك لا يوحى إليه في شأنها ـــ فتشهد ثم قال : أما بعد يا عائشة ، فإنه بلغني كذا وكذا ، فإن كنت بريئة يبرئك الله ، وإن كنت ألممت بشيء مما يقول الناس فاستغفري الله عز وجل ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه . فقالت لأبيها : أجب عني رسول الله . قال : والله ما أدري ما أقول وما أجيب به عنك ! فقالت لأمها : أجيبي عني . فقالت : والله ما أدري ما أجيب به . فقالت : إني والله قد علمت أنكم سمعتم بهذا الحديث ، فوقع في أنفسكم فصدقتم به ! فلئن قلت لكم إني بريئة[2] لا تصدقوني ، ولئن اعترفت لكم بأمر يعلم الله أني منه بريئة لتصدقنني ، وإني والله ما أجد لي مثلا إلا أبا يوسف إذ يقول : ﴿ **فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون** ﴾[3] ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : ما أعلم أهل بيت من العرب دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر ، والله ما قيل لنا هذا في الجاهلية حيث لا نعبد[4] الله ، فيقال لنا في الإسلام ! وأقبل عليها مغضباً فبكت .

نزول القرآن ببراءة عائشة

فغشي رسول الله ﷺ ما كان يغشاه وسجى[5] بثوبه ، وجمعت وسادة من أدم تحت رأسه ، ثم كشف عن وجهه وهو يضحك ويمسح جبينه وقال : يا عائشة ، إن الله قد أنزل براءتك . فأنزل الله تعالى : ﴿ **إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امريء منهم ما اكتسب من الإثم والذي**

---

(١) في (خ) « يقتله ولا يقدر » . (٢) في (خ) « برية » . (٣) آية ١٨ / يوسف .
(٤) في (خ) « لايعبد » . (٥) سُجّى : غُطّى .

تولى كبره منهم له عذاب عظيم ﴾[1] فخرج ﷺ إلى الناس مسروراً ، فصعد المنبر وتلا على الناس ما نزل عليه في براءة عائشة رضي الله عنها.ويقال : كان نزول براءة عائشة رضي الله عنها بعد قدومهم المدينة بسبع وثلاثين ليلة .

أصحاب الإفك

وكان الذين خاضوا في الإفك مع ابن أُبَيّ : مِسطح بن أثاثة ، وحسان بن ثابت ، وحمنة بنت جحش . فضربهم رسول الله ﷺ الحد . قال الواقدي : وقيل : لم يضربهم[2] ، وهو أثبت .

إصلاح رسول الله ﷺ بين الأوس والخزرج

ومكث رسول الله ﷺ أياماً ، ثم أخذ بيد سعد بن معاذ في نفر حتى دخل على سعد بن عبادة ومن معه ، فتحدثوا ساعة ، وقرب لهم سعد بن عبادة طعاماً فأصابوا منه وانصرفوا . فمكث أياماً ، ثم أخذ بيد سعد بن عبادة ونفر معه ، فانطلق به حتى دخل منزل سعد بن معاذ ، فتحدثوا ساعة ، وقرب لهم سعد بن معاذ طعاماً ، فأصابوا [منه][3] ، ثم خرجوا ، فذهب من أنفسهم ما كانا تقاولا من ذلك القول .

---

(١) آية ١١ / النور وفي (خ) إلى قوله : « عصبة منكم » .

(٢) « قال الماوردي وغيره : اختلفوا هل حدّ النبي ﷺ أصحاب الإفك ، على قولين :أحدهما أنه لم يحد أحداً من أصحاب الإفك لأن الحدود إنما تقام بإقرار أو بينة ، ولم يتعبده الله أن يقيمها بإخباره عنها ، كما لم يتعبده بقتل المنافقين ، وقد أخبره بكفرهم » .

« قلت : وهذا فاسد مخالف لنص القرآن ، فإن الله عز وجل يقول : ﴿ **والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شداء** ﴾ أي على صدق قولهم ﴿ **فاجلدوهم ثمانين جلدة** ﴾ .

« والقول الثاني : أن النبي ﷺ حد أهل الإفك : عبد الله بن أبي ومسطح بن أثاثه ، وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش ، وفي ذلك قال شاعر من المسلمين :

لقد ذاق حسانُ الذي كان أهله ... وحمنةُ إذ قالوا هجيراً ومِسْطَحُ
وابن سلول ذاق في الحد خزيه ... كما خاض في إفك من القول يُفْصح

« قلت : المشهور من الأخبار والمعروف عند العلماء أن الذي حُدَّ حسان ومسطح وحمنة ولم يسمع بحد عبد الله بن أبيّ » راجع (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي) ص ٤٥٩٢ .

(٣) زيادة للسياق .

مقالة عبد الله بن أُبَيّ في جعيل بن سراقة

وكان عبد الله بن أبي بن سلول [وسلول أمه ، وإنما هو أُبَيّ بن مالك بن الحارث ابن عبيد بن مالك بن سالم بن غنم بن عمرو بن الخزرج] لما قال — وذكر جعيل ابن سراقة الغفاري . ويقال : الضمري ، وجهجاه بن مسعود ، ويقال : ابن سعيد ابن حرام بن غفار الغفاري ، وكانا من فقراء المهاجرين — قال : ومثل هذين يكثِّرا على قومي ، وقد أنزلنا محمداً في ذروة كنانة وعزها ؟ والله لقد كان جعيل يرضى أن يسكت فلا يتكلم ، فصار اليوم يتكلم ! .

مقالته في صفوان

ثم كان من كلامه — في صفوان بن المعطل بن ربيعة بن الخزاعي بن محارب ابن مرة بن فالج[1] بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة[1] بن سُليم السلميّ — ما كان ، ورميه بالإفك . قال حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عُدَيّ بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري رضي الله عنه :

أمسى الجلابيبُ قد عزّوا وقد كثروا وابن الفريعة أمسى بيضة البلد[2]

وفي أبيات أُخَر .

خبر صفوان بن المعطل في ضرب حسان بن ثابت

فجاء صفوان بن المعطل — بعدما قدموا المدينة — إلى جعيل بن سراقة فقال : انطلق بنا نضرب حسان ، فوالله ما أراد غيرك وغيري ، ولنحن أقرب إلى رسول الله منه ، فأبي جعيل أن يذهب إلا بأمر رسول الله ﷺ وخرج صفوان مصلتاً بالسيف ، حتى ضرب حسان بن ثابت في نادي قومه . فوثب الأنصار فأوثقوه رباطاً ، وولي ذلك منه ثابت بن قيس بن شماس [بن زهير][3] بن مالك بن

---

(١) في (خ) « فالح » ، « بهنة » ، وسبق تصويب نسبه من الاستيعاب تحت رقم ١٢٢٣ .

(٢) وفي (ديوان حسان) ص ١٦٠ : « أمسى الخلابيسُ قد عزُّوا وقد كَثُروا » .

(٣) زيادة من نسبه .

امريء القيس بن مالك الأغر الأنصاري ـــ فمرّ به عمارة بن حزم بن زيد بن لوذان ابن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري[1] فخلَّى عنه . وجاء به وبحسان إلى رسول الله ﷺ ، فقال حسان : يا رسول الله شهر علي السيف في نادي قومي ، ثم ضربني لأنْ أموتَ ولا أراني إلا ميتاً من جراحاتي ! فقال [ﷺ] لصفوان : ولم ضربته وحملت السلاح عليه ؟ وتغيظ ﷺ . فقال : يا رسول الله ، آذاني وهجاني وسَفَهَ عليّ[2] وحسدني على الإسلام ! فقال لحسان : أسفهت على قوم أسلموا ؟ .

حبس صفوان وما كان من أمر سعد في إطلاقه

ثم قال : احبسوا صفوان ، فإن مات حسان فاقتلوه به . فخرجوا بصفوان ، وبلغ ذلك سعدَ بن عُبادة ، فأقبل على قومه من الخزرج فقال : عمدتم إلى رجل من قوم رسول الله تؤذونه ، وتهجونه بالشعر ، وتشتمونه ، فغضب لما قيل له ، ثم أسرتموه أقبح الأسر ورسول الله بين أظهركم ؟ قالوا : فإن رسول الله ﷺ أمرنا بحبسه وقال : إن مات صاحبكم فاقتلوه . قال سعد : والله إن أحب الأمرين إلى رسول الله العفو ، ولكن رسول الله قد قضى لكم بالحق ، وإن رسول الله ليحب أن يترك صفوان ، والله لا أبرحُ حتى يطلق . فقال حسان : ما كان لي من حق فهو لك . وأتى قومه ، فغضب قيس بن سعد [بن عبادة][3] وقال : عجباً لكم ! ما رأيت كاليوم ! إن حسان قد ترك حقه وتأبون أنتم ؟ ما ظننت أحداً من الخزرج يردُّ أبا ثابت في أمر يهواه : فاستحيا القوم وأطلقوا صفوان من الوثاق ، فذهب به سعد إلى بيته فكساه حلة ، ثم خرج به إلى المسجد ليصلي فيه ، فرآه رسول الله ﷺ فقال : صفوان ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ! قال : من كساه ؟ قالوا : سعد ابن عبادة . قال : كساه الله من ثياب الجنة .

عفو حسان عن حقه قِبَل صفوان

ثم كلّم حسان حتى أقبل في قومه إلى رسول الله ﷺ وقال : يا رسول الله ،

---

(١) في (خ) « كرر الناسخ من قوله « فمر به عمارة ... » إلى قوله « بن النجار الأنصاري » ، و (خ) بعده « وجاء به وثابت » وفي (الواقدي) « ثم جاء به وبثابت » ج ٢ ص ٤٣٦ .

(٢) من السفاهة .

(٣) زيادة للإيضاح .

كل حق لي قِبل صفوان بن معطل فهو لك . قال : أحسنتَ وقبلتُ ذلك . وأعطى حسان أرضاً براحاً[1] وهي بيرحا ، وسيرين أخت مارية . وأعطاه سعد بن عبادة حائطاً كان يجدُّ[2] مالاً كثيراً ، عوضاً بما عفا من حقه . ويروى أن حسان — لما حبس صفوان — أرسل إليه رسول الله ﷺ فقال : يا حسان أحسن فيما أصابك . فقال : هو لك يا رسول الله ! فأعطاه بيْرَحا[3] وسيرين[4] عوضاً .

خبر عبد الله بن رواحة ، وطروق أهله ليلا حتى رابه ما رابه

وكان جابر بن عبد الله رفيقَ عبد الله بن رواحة في غزوة المريسيع ، فأقبلا حتى انتهيا إلى وادي العقيق في وسط الليل ، والناس معرِّسون ، فتقدم ابن رواحة إلى المدينة فطرق أهله ، فإذا مع امرأته إنسان طويل . فظن أنه رجل ، وندم على تقدُّمه ، واقتحم البيت رافعاً سيفه يريد أن يضربهما ، ثم فكر وادكر ، فغمز امرأته برجله فاستيقظت وصاحت ، فقال : أنا عبد الله ، فمن هذا ؟ قالت : هي رحيلة[5] سمعنا بقدومكم[6] فدعوتها تمشِّطني فباتت عندي . فبات وأصبح . فخرج يلقى[7] رسول الله ﷺ وهو سائر بين أبي بكر الصديق ، وبشير بن سعد بن ثعلبة ابن خلاس بن زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الأنصاري رضي الله عنهما ، فالتفت ﷺ إلى بشير فقال : يا أبا النعمان ، إن وجه عبد الله ليخبرك أنه كره طروق أهله . فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ، قال رسول الله ﷺ : خبرك

---

(١) في (خ) « أرض أبرحا » .
(٢) جد النخل : قطع ثمره (المعجم الوسيط) ج ١ ص ١٠٩ .
(٣) في (خ) « براحا » .
(٤) أخت مارية القبطية أم إبراهيم ولد رسول الله ﷺ وفي (المغازي) ج ٢ ص ٤٣٨ وما بعدها . وحدثني سعيد بن أبي زيد الأنصاري قال : حدثني من سمع أبا عبيدة بن عبد الله بن زمعة الأسدي يخبر أنه سمع حمزة بن عبد الله بن عمر أنه سمع عائشة رضي الله عنها تقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : حسان حجاز بين المؤمنين والمنافقين ، لايحبه منافق ولا يبغضه مؤمن . وقال حسان يمدح عائشة رضي الله عنها :

حصان رزان لا تُزنُّ بريبة ... وتُصْبحُ غرثى من لحوم الغوافل
فإن كان ما قد جاء عنى قُلتُه ... فلا رَفعتْ سوطى إليَّ أناملي

والغرثى : الجائعة ، والغوافل : جمع غافلة والمعنى أنها كافة عن أعراض الناس . (ديوان حسان بن ثابت) ص ٢٢٨ باختلاف يسير .
(٥) اسم امرأة كانت معها .
(٦) في (خ) « نقدمكم » .
(٧) في (خ) « تلقى » .

يا ابن رواحة ! .

النهي عن طروق النساء ليلا

فأخبره ، فقال ﷺ : لا تطرُقوا النساء ليلا . فكان ذلك أول ما نهى عنه رسول الله ﷺ .

وكان قدومه ﷺ من المريسيع إلى المدينة لهلال رمضان ، فغاب شهراً إلا ليلتين .

الخلاف في تاريخ غزوة بني المصطلق

تنبيه : قد اختلف في غزوة المريسيع . فذهب الواقديّ — كما تقدم — إلى أنها كانت في شعبان سنة خمس ، وقال ابن إسحق : في شعبان من السنة السادسة ، وصححه جماعة . وفيه إشكال ، فإنه وقع في الصحيحين وغيرهما أن المقاول لسعد ابن عبادة سعد بن معاذُ ، كما تقدم عند خطبة رسول الله ﷺ بسبب أهل الإفك . ولا يختلف أحد في أن سعد بن معاذ مات إثر قريظة ، وقد كان عقب الخندق ، وهي في سنة خمس على الصحيح ، ثم حديث الإفك لا يشك أحد من علماء الآثار أنه في غزوة بني المصطلق هذه ، وهي غزوة المريسيع ، وقد اختلف الناس في الجواب عن هذا . فقال موسى بن عقبة — فيما حكاه البخاري عنه[1] — إن غزوة المريسيع كانت في سنة أربع ، وهذا خلاف الجمهور . ثم في الحديث ما ينفي ما قال ، لأنها قالت : « وذلك بعد ما نزل الحجاب » . ولا خلاف أن الحجاب نزل صبيحة دخول رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش ، وقد سأل ﷺ زينب عن شأن عائشة في ذلك فقالت : « أحمي سمعي وبصري » قالت عائشة : « وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ » . وقد ذكر علماء الأخبار أن تزويجه ﷺ بزينب كان في ذي القعدة سنة خمس ، فبطل ما قال موسى بن عقبة ، ولم ينحل الإشكال . وقال ابن إسحاق : إن المريسيع كانت في سنة ست ، وذكر فيها حديث الإفك ، إلا أنه قال عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله [بن عتبة][2] ، عن عائشة ، فذكر الحديث — قال : فقام أسيد بن الحضير فقال : « أنا أعذرك منه » ،

(١) صحيح البخاري ج ٣ ص ٣٧ .

(٢) زيادة للبيان من (ابن هشام) ج ٣ ص ١٨٧

ولم يذكر سعد بن معاذ .

قال الحافظ أبو محمد علي بن[1] أحمد بن سعيد بن حزم : وفي مرجع الناس من غزوة بني المصطلق قال أهل الإفك ما قالوا ، وأنزل الله تعالى في ذلك من براءة عائشة رضي الله عنها ما أنزل . وقد روينا من طرق صحاح أن سعد بن معاذ كانت له في شيء من ذلك مراجعة مع سعد بن عُبادة . وهذا عندنا وَهم[2] ، لأن سعد ابن معاذ مات إثر فتح بني قريظة بلا شك ، وفتح بني قريظة في آخر ذي القعدة من السنة الرابعة من الهجرة ، وغزوة بني المصطلق في شعبان من السنة السادسة ـ بعد سنة وثمانية أشهر من موته ، وكانت المقاولة بين الرجلين المذكورين بعد الرجوع من غزوة بني المصطلق بأزيد من خمسين ليلة . وذكر ابن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، وغيره : أن المقاول لسعد بن عبادة إنما كان أسيد بن الحضير ، وهذا هو الصحيح ، والوهم لم يعر[3] منه أحد من بني آدم . والله أعلم .

غزوة الخندق

ثم كانت غزوة الخندق : وتسمى الأحزاب . وهي الغزاة التي ابتلى الله سبحانه فيها عباده المؤمنين وزلزلهم ، وثبت الإيمان في قلوب أوليائه ، وأظهر ما كان يبطنه أهل النفاق وفضحهم وقرَّعهم . ثم أنزل تعالى نصره ونصر عبده ، وهزم الأحزاب ، وأعز جنده ، ورد الكفرة بغيظهم ، ووقى المؤمنين شر كيدهم ، وحرم عليهم شرْعاً وقدراً أن يغزو المؤمنين بعدها ، بل جعلهم المغلوبين ، وجعل حزبه هم الغالبين بمنِّه وفضله .

بدؤهـا

وكان من خبرها : أن رسول الله ﷺ عسكر يوم الثلاثاء لثمان مضت من ذي القعدة سنة خمس ، وقيل : كانت في شوال منها ، وقال موسى بن عقبة : كانت في سنة أربع ، وصححه ابن حزم . وقال ابن إسحاق في شوّال سنة خمس ، وذكرها

(١) في (خ) « باب » .

(٢) الوَهم بالتحرك : الغَلَط .

(٣) في (خ) « يصر » والمعنى : لم يَخْلُ ولم يبرأ .

البخاري قبل غزوة ذات الرقاع[1] . واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

سببها

وسبب ذلك أنه ﷺ لما أجلى بني النضير ساروا إلى خيبر ، وبها من يهود قوم أهل عدد وجلد ، وليست لهم من البيوت والأحساب ما لبني النضير فخرج [سلام ابن أبي الحقيق ، و][2] حيي بن أخطب ، وكنانة بن أبي الحقيق ، وهوذة بن قيس الوائلي من الأوس ، وأبو عامر الراهب[3] . في بضعة عشر رجلا إلى مكة يدعون قريشاً وأتباعها إلى حرب رسول الله ﷺ . فقالوا لقريش : نحن معكم حتى نستأصل محمداً ، جئنا لنحالفكم على عداوته وقتاله . فنشطت قريش لذلك ، وتذكروا أحقادهم ببدر ، فقال أبو سفيان : مرحباً وأهلاً : أحبُّ الناس إلينا من أعاننا على عداوة محمد .

تعاهد بطون قريش عند الكعبة على قتال المسلمين

وأخرج خمسين رجلا من بطون قريش كلها وتحالفوا وتعاقدوا ــ وقد ألصقوا أكبادهم[4] بالكعبة ، وهم بينها وبين أستارها ــ : ألا يخذل بعضهم بعضاً ، ولتكونن كلمتهم واحدة على محمد ما بقي منهم رجل . ثم قال أبو سفيان : يا معشر يهود ، أنتم أهل الكتاب الأول والعلم ، أخبرونا عما أصبحنا [نختلف] فيه[5] نحن ومحمد ، أديننا خير أم دين محمد ؟ فنحن عمار البيت ، وننحر الكوَم ونسقي الحجيج ، ونعبد الأصنام ! .

---

(١) صحيح البخاري ج ٣ ص ٣٠ .

(٢) زيادة من (ابن هشام) ج ٣ ص ١٢٧ ، وهذا الذي عليه أكثر الرواة ، ولكن المقريزي قدَّم مقتل أبي رافع سلام بن أبي الحقيق على غزوة الأحزاب فعلى هذا التقديم ليس يصحُّ أن يذكر سلام بن أبي الحقيق في عداد أصحاب الأحزاب ، لأن مقتله عند المقريزي في سنة أربع ، وكانت الغزوة في سنة خمس ، راجع (زاد المعاد) ج ٣ ص ٢٧٠ .

(٣) كذا في (خ) ، ومكانه في (ابن هشام) ج ٣ ص ١٢٧ « أبو عمار الوائلي » .

(٤) في (خ) « أكابدهم » وهذه عادتهم في إعظام اليمين .

(٥) في (خ) « أخبرونا عما أصبحنا فيه ومحمد » وهو نص (الواقدي) ج ٢ ص ٤٤٢ ، وما أثبتناه أجود ، وهو نص (ابن هشام) ج ٣ ص ١٢٧ وما بين القوسين زيادة منه .

خبر اليهود في نصرة المشركين

فقالت يهود : اللهم أنتم أولى بالحق منه ، إنكم لتعظمون هذا البيت ، وتقومون على السقاية ، وتنحرون البُدْن ، وتعبدون ما كان عليه آباؤكم ، فأنتم أولى بالحق منه . فأنزل الله تعالى في ذلك[١] : ﴿ **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً** ﴾ .

الخروج إلى القتال

واتعدوا لوقت وقتوه ، وخرجت يهود إلى غطفان ، وجعلت لهم ثمر خيبر سنة إن هم نصروهم . وتجهزت قريش ، وسيرت تدعو العرب إلى نصرها ، وألبوا[٢] أحابيشهم[٣] ومن تبعهم .

الأحزاب ومنازلهم

وأتت يهود بني سُليم فوعدوهم السير معهم ، ولم يكن أحد أسرع إلى ذلك من عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جرية[٤] بن لوذان بن فزارة ابن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان [ويقال له ابن اللقيطة : يعني لا تعرف له أم][٥] الفزاريّ .

وخرجت قريش ومن تبعها من أحابيشها في أربعة آلاف ، وعقدوا اللواء في

---

(١) الآية ٥١ / النساء ، والآيات التي نزلت في شأنهم من أول الآية ٥١ إلى آخر الآية ٥٥ / النساء . راجع أسباب النزول للواحدي ص ١١٤ ، ١١٥ .

(٢) في (خ) « واللبوا » .

(٣) نسبة إلى حُبْشيٍّ ، وهو جبل بأسفل مكة بنعمان الأراك ، يقال به سُميت أحابيش قريش ، وذلك أن بني المصطلق وبني الهون بن خزيمة اجتمعوا عنده وحالفوا قريشاً وتحالفوا بالله : إنا ليد واحدة على غيرنا ما سجا ليل ووضح نهار ، وما رسا حبشي مكانه (معجم البلدان) ج ٢ ص ٢٤٧ .

(٤) في (خ) « جوثة » .

(٥) كذا في (خ) وهو خطأ ، وصوابه : من هامش (ط) ص ٢١٨ . « أن اللقيطة هي أم حصن بن حذيفة بن بدر وإخوانه وهم خمسة ، واسمها « نضيرة بنت عُصيم بن مروان بن وهب بن بغيض بن مالك بن سعد بن عديّ بن فزارة » ، يقال في خبر تلقيبها باللقيطة أخبار ، أجودها أن حذيفة بن بدر التقطها في جوارٍ قد أضربهن السنةُ الجدب ، فضمها إليه ، ثم أعجبته فخطبها إلى أبيها فتزوجها » .

دار الندوة ، وحمله عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ، وقادوا معهم ثلاثمائة فرس ، وكان معهم ألف بعير وخمسمائة بعير . ولاقتهم سُليم بمر الظهران في سبعمائة ، يقودهم سفيان بن عبد شمس [حليف حرب بن أمية وهو][1] أبو أبي الأعور السُّلمي الذي كان مع معاوية بن أبي سفيان بصفين . وكان أبو سفيان بن حرب قائد جيش قريش . وخرجت بنو أسد وقائدها طليحة بن خويلد الأسدي . وخرجت بنو فزارة في ألفٍ يقودهم عيينة بن حِصْن . وخرجت أشجع في أربعمائة يقودهم مسعود بن رحيلة بن عائذ بن مالك بن حبيب بن نبيح بن ثعلبة بن قنفذ ابن خلاوة بن سبيع بن بكر بن أشجع بن ريث[2] بن غطفان بن سعد بن قيس ابن عيلان[3] [وقال ابن إسحق : هو مِسعر بن رحيلة بن نويرة بن طريف بن سحمة[4] بن عبد الله بن هلال بن خلادة بن أشجع] . وخرجت بنو مرّة في أربعمائة يقودهم الحارث [بن عوف][5] بن أبي حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ ابن مرة بن عوف [بن سعد][5] بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان ، وقيل : لم يحضر بنو مرَّة . وكانوا جميعاً عشرة آلاف ، [وأقبلت قريش في أحابيشها ومن تبعها من بني كنانة][6] حتى نزلت وادي العقيق ، ونزلت غطفان بجانب أحد ومعها ثلاثمائة فرس فسرحت قريش ركابها في عضاة[7] وادي العقيق ، ولم تجد لخيلها هناك شيئاً إلا ما حملت من علفها ، وهو الذرة ، وسرَّحت غطفان إبلها إلى الغابة في أثلها وطرفائها[8] . وكان الناس قد حصدوا زرعهم قبل ذلك بشهر ، وأدخلوا حصادهم وأتبانهم . وكادت خيل غطفان وإبلها تهلك من الهزال ، وكانت المدينة إذ ذاك جديبة .

---

(١) زيادة البيان من (ابن سعد) ج ٢ ص ٦٦ .

(٢) ف (خ) « أيث » .

(٣) ف (خ) « غيلان » .

(٤) ف (خ) (سمحة) والتصويب من (ابن هشام) ج ٣ ص ١٢٨ .

(٥) زيادة من نسبه .

(٦) زيادة للسياق (ابن هشام) ج ٣ ص ١٣١ بتصرف .

(٧) العضاهُ : كل شجر له شوك . (المعجم الوسيط) ج ٣ ص ١٢٨ .

(٨) الأثْل : شجر من الفصيلة الطرفاوية طويل مستقيم يُعَمِّر جيد الخشب كثير الأغصان (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٦ . والطرفاء : جنس من النبات منه أشجار وجنبات من الفصيلة الطرفاوية ومنه الأثْل (المرجع السابق) ج ٢ ص ٥٥٥ .

مشورة رسول الله ﷺ حين بلغه خبر خروج الأحزاب وإشارة سلمان بحفر الخندق

وكانت خزاعة عندما خرجت من مكة : أتى ركبهم رسول الله ﷺ — في أربع ليال — حتى أخبروه ، فندب الناس وأخبرهم خبر عدوهم ، وشاورهم : أيبرز من المدينة ، أم يكون فيها ويخندق عليها ، أم يكون قريباً والجبل وراءهم ؟ فاختلفوا . وكان سلمان الفارسيُّ يرى رسول الله ﷺ يهم بالمقام بالمدينة — ويريد[1] أن يتركهم حتى يردوا ثم يحاربهم على المدينة وفي طرقها — فأشار بالخندق فأعجبهم ذلك ، وذكروا يوم أحد ، فأحبوا الثبات في المدينة . وأمرهم رسول الله ﷺ بالجِد ، ووعدهم النصر إن هم صبروا واتقوا ، وأمرهم بالطاعة .

خبر حفر الخندق

وركِب فرساً له — ومعه عدة من المهاجرين والأنصار — فارتاد موضعاً ينزله ، وجعل سلعاً[2] خلف ظهره وعمل في [حفر][3] الخندق لينشطهم ، وندب الناس وخبَّرهم بدنو عدوهم ، وعيَّن حفر الخندق في المراد[4] وعسكر بهم إلى سفح سَلع ، فتبادر المسلمون في العمل ، وقد استعاروا من بني قريظة آلة كثيرة — من مساحي وكرازين ومكاتل[5] — ، للحفر في الخندق . ووكل ﷺ بكل جانب من الخندق قوماً يحفرونه . وكان الشباب ينقلون التراب ، ويخرج المهاجرون والأنصار في نقل التراب وعلى رؤوسهم المكاتل ، ويرجعون بها بعد إلقاء التراب منها وقد ملأوها حجارة من جبل سلع : وهي أعظم سلاحهم ، يرمون بها .

وكان رسول الله ﷺ يحمل التراب في المكاتل والقوم يرتجزون[6] ، ورسول الله ﷺ يقول :

هذا الجمال لا جمال خيبر هذا أبر ربنا وأطهر

(١) هذا الحرف فى (خ) يُقرأ ما بين « يريد » ، « يدبر » والأقرب للمعنى ما أثبتناه .
(٢) سلع جبل قرب المدينة (معجم البلدان) ج ٣ ص ٢٣٦ .
(٣) زيادة للإيضاح .
(٤) فى خ) « المزاد » .
(٥) المساحي والكرازين والمكاتل : المجارف والفؤوس والقفف .
(٦) ترتجزون : يترنمون بالرَّجز من أوزان الشعر .

أخبار المسلمين يوم حفر الخندق

وجعل المسلمون إذا رأوا من الرجل فتوراً ضحكوا منه ، وتنافس الناس في سلمان الفارسي ، فقال المهاجرون : سلمان منا — وكان قوياً عارفاً يحفر الخنادق — وقالت الأنصار : هو منا ونحن آخرته[1] . فقال ﷺ : سلمان منا أهل البيت . ولقد كان يعمل عمل عشرة رجال حتى عانه[2] قيس بن أبي صعصعة فلبط به[3] فقال ﷺ : مروه فليتوضأ وليغتسل به ، ويكفأ الإناء خلفه ، ففعل فكأنما حلَّ من عقال . وجعل لسلمان خمس أذرع طولا وخمساً في الأرض ففرغها وحده وهو يقول : اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة . وحفر رسول الله ﷺ وحمل التراب على ظهره . وفي حديث سليمان التيمي ، عن أبي عثمان النهدي : أنه عليه السلام حين ضرب في الخندق قال :

بسم الله وبه هُدِينا ولو عبدنا غيره شِقِينا
حبذا ربا وحبذا دينا[4]

وكان بنو سلمة في ناحية يحفرون ويرتجزون ، فعزم رسول الله ﷺ على كعب ابن مالك ألا يقول شيئاً ، وعزم على حسان بن ثابت ، وقال : لا يغضب أحد مما قاله صاحبه ، لا يريد بذلك سوءاً ، إلا ما قال كعب وحسان فإنهما يجدان ذلك[5] .

---

(١) في (خ) « إخوته » ، وآخرته : آخر من نزل بهم بعد طوافه البلاد .

(٢) عانه : أصابه بالعين من الحسد (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٦٤١ .

(٣) لُبِطَ به : سقط على الأرض من قيام (المرجع السابق) ص ٨١٣ .

(٤) قال محقق (٢) : « هذا كلام لم أجده فيما بين يدي من أصول الكتب ، ولا أدري ما هو » ونقول : روى ابن كثير في (البداية والنهاية) ج ٤ ص ٩٦ ، ص ٩٧ ما نصه :

« وقال البيهقي في الدلائل : أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان (بسنده) عن أبي عثمان عن سلمان أن رسول الله ﷺ ضرب في الخندق وقال :

بسم الله وبه هُدينا ولو عبدنا غيره شقينا
يا حبذا رباً وحبذا ديناً

قال : وهذا حديث غريب من هذا الوجه .

(٥) قال محقق (ط) :

« هذا خبر ناقص مضطرب ، ولم أعرف أصله ولا كيف ساقه » ونقول : روى (الواقدي) في (المغازي) ج ٢ ص ٤٤٧ مانصه : « حدثني أيوب بن النعمان عن أبيه عن جده ، عن كعب بن مالك =

تغيير اسم جعيل وتسميته عمراً

وكان جعيل بن سُراقة رجلا صالحاً « وكان ذميماً قبيحاً ، وكان يعمل في الخندق ، فغير رسول الله ﷺ اسمه يومئذ وسماه عمراً ، وجعل المسلمون يرتجزون ويقولون :

سماه من بعد جعيل عمراً وكان للبائس يوماً ظهراً

سبب النهي عن أن يروَّع المسلم أو يؤخذ سلاحه

وكان زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاريُّ فيمن ينقل التراب ، فقال رسول الله ﷺ : أما إنه نعم الغلام ! . وغلبته عيناه فنام في الخندق ــ وكان القرُّ شديداً ــ فأخذ عمارة بن حزم سلاحه وهو لا يشعر ، فلما قام فزع . فقال له رسول الله ﷺ : يا أبا رقاد ! نمت حتى ذهب سلاحك ! ثم قال : من له علم بسلاح هذا الغلام ؟ فقال عمارة : يا رسول الله ، هو عندي . فقال : فرده عليه . ونهى أن يروع المسلم ، و [لا][1] يؤخذ متاعه [جاداً ولا][1] لاعباً .

ولم يتأخر عن العمل في الخندق أحد من المسلمين ، وكان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ينقلان التراب في ثيابهما من العجلة ، إذ[2] لم يجدا مكاتل ــ لعجلة المسلمين ــ وكانا لا يتفرقان في عملٍ ولا مسيرٍ ولا منزل . وقال رسول الله ﷺ هو يعمل في الخندق :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

= قال : جعلنا يوم الخندق نرتجز ونحفر ، وكنا – بني سلمة – ناحية فعزم رسول الله ﷺ عليَّ ألا أقول شيئاً فقلت : هل عزم على غيري ؟ قالوا : حسان بن ثابت قال : فعرفت أن رسول الله ﷺ إنما نهانا لوحدنا له وقلته على غيرنا ، فما تكلمت بحرف حتى فرغنا من الخندق . وقال رسول الله ﷺ يومئذ : لا يغضب أحدٌ مما قال صاحبه ، لا يريد بذلك سوءاً ، إلا ما قال كعب وحسَّان ، فإنهما يجدان ذلك » .

والظاهر لنا أن المقريزي قد اختصر رواية الواقدي اختصاراً أخلَّ بمعناها ، والله تعالى أعلم .

(١) زيادة للسياق من (الإصابة) ج ٤ ص ٤٢ عند ترجمة زيد بن ثابت رقم ٢٨٧٤ ، ونص (الواقدي) ج ٢ ص ٤٤٨ : « ونهى رسول الله ﷺ أن يُروَّع المسلم أو يُؤخذ متاعه لاعباً جاداً » والقرُّ : البرد . قال في (النهاية) ج ١ ص ٢٤٥ : « أي لا يأخذ على سبيل الهزل ثم يحبسه ، فيصير ذلك جداً » .

(٢) في (خ) « إذا » .

[فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا][1]
[إن الأولى قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا][1]

يردد ذلك .

خبر نبوءته ﷺ عن الفتوح يوم حفر الخندق

وضرب بالكرزين فصادف حجراً فصل[2] الحجر ، فضحك رسول الله ﷺ ، فقيل : ممَّ تضحك يا رسول الله ؟ قال : أضحك من قوم يؤتى بهم من المشرق في الكبول[3] ، يساقون إلى الجنة وهم كارهون . وضرب عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمعول فصادف حجراً صلداً ، فأخذ رسول الله ﷺ منه المعول فضرب ضربةً فذهبتْ أوَّلها برقة إلى اليمن ، ثم ضرب أخرى فذهبت برقة إلى الشام ، ثم ضرب أخرى فذهبت برقة نحو المشرق ، وكسر الحجر عند الثالثة ، فقال ﷺ : إني رأيت في الأولى قصور اليمن ، ثم رأيت في الثانية قصور الشام ، ورأيت في الثالثة قصر كسرى الأبيض بالمدائن . وجعل يصفه لسلمان فقال : صدقت ! والذي بعثك بالحق إن هذه لصفته ! وأشهد أنك رسول الله . فقال رسول الله ﷺ : هذه فتوح يفتحها الله عليكم بعدي ، يا سلمان لتفتحن الشام ويهرب هرقل إلى أقصى مملكته ، وتظهرون على الشأم ولا ينازعكم أحد ، ولتفتحن اليمن ، ولتفتحن هذا المشرق ويهرب كسرى فلا يكون كسرى بعده .

ولما كمل الخندق صارت المدينة كالحصن ، ورفع المسلمون النساء والصبيان في الآطام .

البركة في طعام جابر

ورأى جابر بن عبد الله رضي الله عنه رسول الله ﷺ يحفر ، ورآه خميصاً[4] ، فأتى امرأته فأخبرها ما رأى من خَمَص رسول الله ﷺ فقالت : والله ما عندنا شيء إلا هذه الشاة ومدٌّ من شعير ، قال : فاطحني وأصلحي . فطبخوا بعضها ، وشَوَوْا

---

(١) زيادة من (البخاري) ج ٣ ص ٣٢ .
(٢) صلَّ الحجر : صوَّت صوتاً ذا رنين (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٥٢٠ .
(٣) الكبول : جمع كبْل : وهو القيد من أي شيء كان ، (المرجع السابق) ج ٢ ص ٧٧٤ .
(٤) يقال : خمص الجوع فلاناً : أضعفه وأدخل بطنه في جوفه فهو خميص .

بعضها ، وخبزوا الشعير ، ثم أتى جابر رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! قد صنعت لك طعاماً ، فأتِ أنت ومن أحببت من أصحابك . فشبَّك ﷺ أصابعه بين أصابع جابر ثم قال : أجيبوا جابراً يدعوكم . فأقبلوا معه ، فقال جابر في نفسه : والله إنها الفضيحة !. وأتى المرأة فأخبرها فقالت : أنت دعوتهم أو هو ؟ فقال : بل هو دعاهم ! قالت : دعهم فهو أعلم . وأقبل رسول الله ﷺ وأمر أصحابه ، وكانوا فرقاً : عشرة عشرة . ثم قال لجابر : اغرفوا وغطوا البرمة ، وأخرجوا من التنور الخبز ثم غطوه . ففعلوا وجعلوا يغرفون ويغطون البرمة ثم يفتحونها فما يرونها[1] نقصت شيئاً ، ويخرجون الخبز من التنور ويغطونه فما يرونه ينقص شيئاً ، فأكلوا حتى شبعوا ، وأكل جابر وأهله[2] .

عرض الغلمان وإجازتهم

وعرض رسول الله ﷺ الغلمان وهو يحفر الخندق ، فأجاز من أجاز وردَّ من ردَّ . فكان ممن أجاز : [عبد الله][2] بن عمر [بن الخطاب][3] ، وزيد بن ثابت ، والبراء ابن عازب ، وما منهم إلا ابن خمس عشرة سنة . وكان الغلمان الذين لم يبلغوا يعملون معه ثم أمرهم[4] فرجعوا إلى أهليهم .

عدة المسلمين يوم الخندق

وكان المسلمون يومئذ ثلاثة آلاف ، وزعم ابن إسحاق أنه إنما كان في سبعمائة ، وهذا غلط . وقال ابن حزم : وخرج رسول الله ـــ يعني في الخندق ـــ في ثلاثة آلاف ، وقد قيل : في تسعمائة فقط ، وهو الصحيح الذي لا شك فيه ، والأول وَهم[5] .

اجتهاد رسول الله ﷺ في العمل يوم الخندق

ومن شدة اجتهاده ﷺ في العمل : كان يضرب مرة بالمِعْول ومرة بالمسحاة يغرف بها التراب ، ومرة يحمل التراب في المكتل ، وبلغ يوماً منه التعب مبلغاً فجلس ، ثم اتكأ

---

(١) في (خ) « يروها » .

(٢) راجع (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد) ج ٨ ص ٣٠٢ باب معجزته ﷺ في الطعام وبركته فيه .

(٣) زيادة للإيضاح .

(٤) في (خ) « أمربهم » .

(٥) يقول ابن القيم في (زاد المعاد) ج ٣ ص ٢٧١ : « وخرج رسول الله ﷺ في ثلاثة آلاف من المسلمين ، فتحصن بالجبل من خلفه ، وبالخندق أمامهم » وقال ذلك أيضاً (الطبري) ج ٢ ص ٥٧٠ .

على حجر بشقه الأيسر فنام ، فقام أبو بكر وعمر رضي الله عنهما على رأسه يمنعان الناس من أن يمروا به فينبِّهوه ، ثم فزع ووثب فقال : أفلا أفزعتموني ! وأخذ الكرزين يضرب به وهو يقول : اللهم إن العيش عيش الآخرة ، فاغفر للأنصار[1] والمهاجرة ، اللهم العن عضلاً والقارة ، فهم كلفوني أنقل الحجارة[2] . وفرغ حفر الخندق في ستة أيام .

مواقف المسلمين

وعسكر فجعل سلعاً خلف ظهره والخندق أمامه . ودفع لواء المهاجرين إلى زيد ابن حارثة ، ولواء الأنصار إلى سعد بن عبادة . وضرِبَ له قبة من أدَم . وعاقب بين ثلاث من نسائه ، وكانت عائشة أياماً ، ثم أم سلمة ، ثم زينب بنت جحش ، وبقية نسائه في الآطام .

خبر حيي بن أخطب وأبي سفيان

وكان حيي بن أخطب يقول ــ لأبي سفيان بن حرب ولقريش في مسيره معهم ــ : إن قومي قريظة معكم ، وهم أهل حلْقة وافرة ، وهم سبعمائة مقاتل وخمسون مقاتلاً . فلما دَنوْا قال له أبو سفيان : إئت قومك حتى ينقضوا العهد الذي بينهم وبين محمد .

عهد بني قريظة

فأتى بني قريظة ــ وكان رسول الله ﷺ حين قدم المدينة صالح قريظة والنضير ومن معهم من يهود ألا يكونوا معه ولا عليه ، ويقال : صالحهم على أن ينصروه ممن دهمه[3] ، ويقيموا على معاقلهم[4] الأولى التي بين الأوس والخزرج ــ فأتى

---

(١) في (خ) « لي الأنصار » .

(٢) يقول محقق (ط) : هكذا رَوَى ! وقد روى الثقات ، ولم يذكر هذا الكلام من قوله : « اللهم العن ... إلخ » ، وهو كلام هالك ليس بشيء . ونقول : قوله ﷺ : اللهم العن عضلا والقارة ، فهم كلفوني أنقل الحجارة » ذكره (ابن حجر) في (فتح الباري) ج ٧ ص ٣٩٤ هكذا :

والعن عضلا والقارة   هم كلفونا نقل الحجارة

وذكره أيضا في (المطالب العالية) ج ٤ ص ٢٢٨ برقم ٤٣٣٢ .

(٣) في (خ) « دهمه منهم » وهي رواية (الواقدي) ج ٢ ص ٤٥٤ وما أثبتناه من (ط) .

(٤) معاقلهم الأولى : أي الديات التي كانت في الجاهلية ، أو على مراتب آبائهم (ترتيب القاموس) ج ٣ ص ٢٨٧ .

كعب بن أسد ، وكان صاحب عقد بني قريظة وعهدها[1] ، فكرهت قريظة دخول حيي بن أخطب إلى دارهم ، فإنه يحب الرياسة والشرف عليهم ، وكان يشبَّه بأبي جهل في قريش[2] . فلقيه عزَّال[3] بن سَمَوأل أول الناس ، فقال له حيي : قد جئتك بما تستريح به من محمد ، هذه قريشٌ قد دخلت وادي العقيق ، وغطفان بالزغابة ! فقال عزال[3] : جئتنا والله بذُل الدهر ! فقال : لا تَقل هذا ! ثم أتى كعب بن أسد فقال له : إنك امرؤ مشئوم ، وقد شأمتَ[4] قومك حتى أهلكتهم ، فارجع عنا ! فما زال به حيي حتى لان له ونقض العهد ، وشقوا الكتاب الذي كتب رسول الله ﷺ (بينه و)[5] بينهم ، واستدعى رؤساؤهم — وهم : الزبير ابن باطا ، ونبّاش بن قيس ، وعزال بن سموأل ، وعقبة بن زيد ، وكعب ابن زيد — وأعلمهم بما فعل من نقض العهد ، فلحمه[6] الأمر لِما أراد الله بهم من هلاكهم .

نقض بني قريظة العهد ومجاهرتهم بالعداوة

فبينا رسول الله ﷺ في قبته ، — والمسلمون على خندقهم يتناوبونه ، معهم بضع وثلاثون فرساً ، والفرسان يطوفون على الخندق — إذ جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : يا رسول الله ، بلغني أن بني قريظة قد نقضت العهد وحاربت . فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ وقال : حسبنا الله ونعم الوكيل .

بعثة الزبير بن العوام لاستطلاع خبر بني قريظة وتسميته (حواريّ رسول الله)

وبعث الزبير بن العوام رضي الله عنه إليهم لينظر . فعاد بأنهم يصلحون حصونهم ، ويدرِّبون[7] طرقهم وقد جمعوا ماشيتهم ، فقال ﷺ : إن لكل نبي

---

(١) في (خ) في هذا المكان « حي بن أخطب » وهو تكرار لا معنى له .

(٢) في (خ) كان يشبه في قريش بأبي جهل ، وفي (الواقدي) ج ٢ ص ٤٥٥ « وله في قريش شبه أبو جهل ابن هشام » وما أثبتناه من (ط) .

(٣) في (خ) « غزال » (٤) في(خ) « شوم ، وقد شمت » (٥) زيادة لابد منها .

(٦) في (خ) (لجمة) ولحمة الأمر : أحكمه (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٨١٩ .

(٧) قد تكون من « الدُّربة » وهي الجرأة على الأمر أو من « الدَّرْب » وهو باب السكة الواسع (ترتيب القاموس ج ٢ ص ١٦٣ ، ١٦٤ .

حوارياً ، وإن حواري[1] الزبير . ثم بعث سعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة ، وأسيد ابن حضير لينظروا ما بلغه عن بني قريظة ، وأوصاهم ــ إن كان حقاً ــ أن يَلْحَنوا له [أي يلغزوا] لئلا[2] يفت ذلك في عضد المسلمين ويورث وَهَناً ، فوجدوهم مجاهرين بالعداوة والغدر ، فتسابوا ، ونال اليهود ــ عليهم لعائن[3] الله ــ من رسول الله ﷺ ، فسبهم سعد بن معاذ وانصرفوا عنهم . فقال رسول الله ﷺ : ماوراءكم ؟ قالوا : عَضَل والقَارَة ! [يعنون غدرهم بأصحاب الرجيع] . فكبَّر ﷺ وقال : أبشروا بنصر الله وعونه .

رعب المسلمين يوم الأحزاب

وانتهى الخبر إلى المسلمين ، فاشتدَّ الخوف وعظُم البلاء ، ونَجَمَ النفاق وفَشِلَ الناس : وكانوا كما قال الله تعالى : ﴿ **إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديداً** ﴾[4] .

مقالة المنافقين

وتكلم قوم بكلام قبيح ، فقال معتّب بن قشَيْر[5] (ويقال له : ابن بشر ، ويقال له : ابن بُشير) بن حليل (ويقال : ابن مُليل) بن زيد بن[6] العطاف بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري : يعدنا محمد (أن نأكل)[7] كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا لا يأمن أن يذهب لحاجته ! ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً ! .

---

(١) في (خ) « حواريّ » .
(٢) في (خ) « لئن لا » .
(٣) لعله يقصد جهنم لَعْنَة ، وفي (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٨٢٩ : ٨٧٩ أنها تجمع على لِعان ، ولَعَنات .
(٤) آية ١٠ـ١١ الأحزاب، وفي (خ) إلى قوله تعالى « الحناجر » .
(٥) في (خ) « قريش » والتصويب من (الواقدي) ج ٢ ص ٤٥٩ .
(٦) في (خ) بعد قوله « ابن مليل » ما نصه : « مجد الأزعر العطاف » وهو خطأ ، فإن مليلا هذا هو أخو الأزعر ، وكلاهما زيد بن العطاف .
(٧) هذه رواية (ابن هشام) ج ٢ ص ١٢٣ وفي (خ) بدون هذه الزيادة وهي رواية (الواقدي) ص٥٤٩ .

من أخبار يهود يوم الأحزاب

وهمت بنو قريظة أن يغيروا على المدينة ليلاً ، وبعث حيي بن أخطب إلى قريش أن يأتيه منهم ألف رجل ومن غطفان ألف ، فيغيروا بهم ، فجاء الخبر بذلك إلى رسول الله ﷺ فعظم البلاء . وبعث سلمة بن أسلم بن حريش بن عدي بن مجدعة ابن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري — في مائتي رجل ، وزيد بن حارثة في ثلاثمائة رجل يحرسون المدينة ويظهرون التكبير ، ومعهم خيل المسلمين ، وكانوا يبيتون بالخندق خائفين ، فإذا أصبحوا أمنوا . وكان الخوف على الذراري بالمدينة من بني قريظة أشد من الخوف من قريش وغطفان إلا أن الله ردّ بني قريظة عن المدينة بأنها كانت تحرس . وبعث رسول الله ﷺ خوات ابن جبير بن النعمان بن أمية بن أمريء القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري لينظر غرة لبني قريظة فكمن[1] لهم ، فحمله رجل منهم وقد أخذه النوم ، فأمكنه الله من الرجل وقتله ولحق بالنبي ﷺ فأخبره . وخرج نباش بن قيس في عشرة من اليهود يريد المدينة ، ففطن بهم نفر من أصحاب سَلمة ابن أسلم فرموهم حتى هزموهم ، ومر سلمة فيمن معه فأطاف بحصون يهود فخافوه ، وظنوا أنه البَيَات .

بنو حارثة الذين قالوا إن بيوتنا عورة

وبعث بنو حارثة بأوس بن قيظي بن عمرو بن زيد بن جُشَم بن حارثة الأنصاري إلى رسول الله ﷺ يقولون : إن بيوتنا عورة ، وليس في دار من دور الأنصار مثل دارنا ، ليس بيننا وبين غطفان أحد يردُّهم عنَّا ، فأذن لنا فلْنرجع إلى دورنا فنمنع ذرارينا ونساءنا . فأذن لهم ﷺ . فبلغ سعدَ بنِ معاذ ذلك فقال : يا رسول الله ! لا تأذن لهم ؟ إنا والله ما أصابنا وإياهم شِدَّةٌ قطُّ إلا صنعوا هكذا . فردهم . وقال ابن الكلْبي : وأبو مليل[2] بن الأزعر بن زيد بن العطاف بن ضبيعة شهد بدراً ، وهو الذي قال : « بيوتنا عورة » يوم الخندق . وقال ابن عبد البر :

(١) في (خ) « فأكمن » .

(٢) في (خ) «وابن مليل » والتصويب من (الإصابة) ج ١٢ ص ٣ ترجمة رقم ١٠٧٧ حيث يقول : « وأنا أخشى أن يكون هو الذي بعده ، وقع فيه تصحيف وتحريف وجوَّز ابن فتحون أن يكون هو الذي بعده » « والذي بعده » هو : أبو مليل الأزعر .

أبو مليل سليْك بن الأعزّ[1] .

حراسة رسول الله ﷺ ثلمة يخافها من الخندق

وكان رسول الله ﷺ يختلف إلى ثلمة في الخندق يحرسها[2] « فإذا آذاه البرد دخل قبته فأدفأته عائشة رضي الله عنها في حِضنها ، فإذا دفيء خرج إلى تلك الثلمة يحرسها ويقول : ما أخشى على الناس إلا منها ، فبينا هو ليلة في حِضن عائشة قد دفيء وهو يقول : ليت رجلاً صالحاً يحرسني الليلة ، فجاء سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فقال ﷺ : عليك بهذه الثلمة فاحرسها ، ونام ، وقام ﷺ ليلته في قبته يصلي ، ثم خرج فقال : هذه خيل المشركين تطيف بالخندق ! ثم نادى : يا عباد ابن بشر ، قال : لبيك ! قال : معك أحد ؟ قال : نعم ، أنا في نفر حول قبتك . فبعثه يطيف بالخندق ، وأعلمه بخيل تطيف بهم . ثم قال : اللهم ادفع عنا شرّهم وانصرنا عليهم ، واغلبهم لا يغلبهم غيرك .

نوبة المشركين عند الخندق

وكان المشركون يتناوبون بينهم : فيغدو أبو سفيان بن حرب في أصحابه يوماً ، ويغدو خالد بن الوليد يوماً ، ويغدو عمرو بن العاص يوماً ، ويغدو هبيرة بن أبي وهب يوماً ، ويغدو عكرمة بن أبي جهل يوماً ، ويغدو ضرار بن الخطاب الفهري يوماً ، فلا يزالون يجيلون خيلهم ، ويتفرقون مرة ويجتمعون مرة أخرى ، ويناوشون المسلمين ، ويقدمون رماتهم فيرمون ، وإذا أبو سفيان في خيل يُطيفون بمضيق من الخندق ، فرماهم المسلمون حتى رجعوا .

طلب المشركين مضيقاً من الخندق وردهم

وكان عباد بن بشر ألزم الناس لقبة رسول الله ﷺ يحرسها . وكان أسيد بن حُضير يحرس في جماعة ، فإذا عمرو بن العاص في نحو المائة يريدون العبور من الخندق ، فرماهم حتى ولوْا ، وكان المسلمون يتناوبون الحراسة ، وكانوا في قرٍّ شديد وجوع . وكان عمرو بن العاص وخالد بن الوليد كثيراً ما يطلبان غرةً ، ومضيقاً

---

(١) (الاستيعاب) (لابن عبد البر) ج ١٢ ص ١٥٤ ترجمة رقم ٣١٨٦ « ابن الأغر » .

(٢) الثلمة : الموضع الذي قد انثلم أي انشق (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٩٩ .في (خ) « ويحرسها »

من الخندق يقتحمانه ، فكانت للمسلمين معهما وقائع في تلك الليالي .

شعار المهاجرين

وكان شعار المهاجرين : يا خيل الله . وجاء في بعض الليالي عمرو بن عبد [بن أبي القيس][1] في خيل المشركين ، ومعه مسعود بن رخيلة[2] بن نويرة بن طريف بن سحْمَة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان في خيل غطفان ، فرماهم المسلمون . ولبس رسول الله ﷺ درعه ومغفره ، وركب فرسه وخرج ، فصرفهم الله وقد كثرت فيهم الجراحة ، فرجع ﷺ ونام ، وإذا بضرار بن الخطاب وعيينة بن حصن في عدة فركب عليه السلام بسلاحه ثانياً ، فرماهم المسلمون حتى ولوا وفيهم جراحات كثيرة .

الخوف يوم الخندق وشدة البلاء

قالت أم سلمة رضي الله عنها : شهدت معه مشاهد ـــ فيها قتال وخوف ـــ المريسيع وخيبر ، وكنا بالحديبية ، وفي الفتح ، وحنين ـــ لم يكن من ذلك أتعبَ لرسول الله ﷺ ولا أخوف عندنا من الخندق . وذلك أن المسلمين كانوا في مثل الحرجة ، وأن قريظة لا نأمنها على الذراري : فالمدينة تحرس حتى الصباح ، نسمع تكبير المسلمين فيها حتى يصبحوا خوفاً ، حتى ردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً[3] . وقال محمد بن مسلمة وغيره : كان ليلنا بالخندق نهاراً ، وكان المشركون يتناوبون بينهم ، فيغدو أبو سفيان بن حرب في أصحابه يوماً ، ويغدو خالد بن الوليد يوماً ، ويغدو عمرو بن العاص يوماً ، ويغدو هبيرة بن أبي وهب[4] يوماً ، ويغدو عكرمة بن أبي جهل يوماً ، ويغدو ضرار بن الخطاب يوماً ، حتى عظم البلاء وخاف الناس خوفاً شديداً .

رماة المشركين

وكان معهم رماة يقدمونهم إذا غدوا ، متفرقين أو مجتمعين بين أيديهم ، وهم :

---

(١) في (خ) (وخيله)

(٢) وفي (المغازي) ج ٢ ص ٤٦٧ (مسعود بن رُخية) .

(٣) في (خ) (لن)

(٤) في (خ) (ابن أبي لهب) وهو خطأ محض .

حِبَّان بن العَرِقة وأبو أسامة الجشمي في آخرين ، فتناوشوا بالنبل ساعة ، وهم جميعاً في وجه واحدٍ وجاه قبة رسول الله ﷺ ، ورسول الله قائم بسلاحه على فرسه .

إصابة سعد بن معاذ وهي الإصابة التي قتلته

فرمى حبان بن العرقة سعد بن معاذ بسهم فأصاب أكحله[1] وقال : خذها وأنا ابن العرقة ! فقال رسول الله ﷺ : عرَّق الله وجهه في النار ، ويقال : بل رماه أبو أسامة الجشمي .

اقتحام المشركين مضيقاً من الخندق وقتالهم وردهم

ثم أجمع رؤساء المشركين أن يغدو جميعاً ، وجاءوا يريدون مضيقاً يقحمون خيلهم إلى النبي ﷺ حتى أتو مكاناً ضيقاً أغفله المسلمون فلم تدخله خيولهم . وعبره عكرمة بن أبي جهل ، ونوفل بن عبد الله المخزومي ، وضرار بن الخطاب [هو ضرار بن الخطاب بن مرداس بن كبير بن عمرو آكل السّقْب بن حبيب بن عمرو ابن شيبان بن محارب[2] بن فهر بن مالك الفهري ، أسلم يوم الفتح] ، وهبيرة بن أبي وهب ، وعمرو بن عبد ــ وقام سائرهم وراء الخندق ، فدعا عمرو بن عبد إلى البراز ــ وكان قد بلغ تسعين سنة ، وحرم الدهن حتى يثأر بمحمد وأصحابه ــ فأعطى رسول الله ﷺ علياً رضي الله عنه سيفه وعمَّمَهُ وقال : اللهم أعِنْه عليه ! فخرج له وهو راجل[3] وعمرو فارساً ، فسخر به عمرو ، ودنا منه عليّ ، فلم يكن بأسرع من أن قتله علي ، فولى أصحابه الأدبار . وسقط نوفل بن عبد الله عن فرسه في الخندق ، فرمي بالحجارة حتى قتل . ومرّ عمر بن الخطاب والزبير في إثر القوم فناوشوهم ساعة ، وسقطت درع هبيرة بن أبي وهب ، فأخذها الزبير رضي الله عنه .

---

(١) الأكحل : وريد في وسط الذراع (المعجم الوسيط) ج ٣ ص ٧٧٨ ، وقال سعد رضي الله عنه حينئذ
لبِّثْ قليلا يشهد الهيجا حَمـل ... لا بأس بالموت إذا حان الأجـل
راجع : (عيون الأثر) ج ٢ ص ٢ ، (ابن هشام) ج ٣ ص ١٣٦ ، وفي (الواقدي) ج ٢ ص ٤٦٩ (.. ما أحسن الموت إذا حان الأجل) ، وحمل : وهو حَمل بن سعدانه بن حارثة الكلبي .

(٢) في (خ) (مجار) .

(٣) راجل : على رجليه ، بغير فرس أو دابة .

تعبئة المسلمين

ثم وافى المشركون سَحَراً ، وعبأ رسول الله ﷺ أصحابه ، فقاتلوا يومهم إلى هويّ من الليل : وما يقدر رسول الله ﷺ ولا أحد من المسلمين أن يزولوا من موضعهم .

تخلف المسلمين عن الصلاة يوم الخندق

وما قدر ﷺ على صلاة ظهرٍ ولا عصرٍ ولا مغربٍ ولا عشاءٍ ، فجعل أصحابه يقولون : يا رسول الله ، ما صلينا ! فيقول : ولا أنا ما صليت ! حتى كشف الله المشركين ، ورجع كل من الفريقين إلى منزله . وأقام أسيد بن حضير في مائتين على شفير الخندق ، فكرتْ خيل للمشركين يطلبون غرة — وعليها خالد بن الوليد — فناوشهم ساعة ، فزرق وحشيٌّ الطفيلَ بن النعمان [وقيل : الطفيل بن مالك بن النعمان][1] بن خنساء الأنصاري بمزراقه[2] فقتله كما قتل حمزة رضي الله عنه بأحد .

إقامة الصلاة التي شغلوا عنها

فلما صار رسول الله ﷺ إلى موضع قبته أمر بلالاً فأذن وأقام للظهر ، وأقام بعدُ لكل صلاة إقامةً ، فصلى كل صلاة كأحسن ما كان يصليها في وقتها ، وذلك قبل أن تنزل صلاة الخـوف ، وذلك قوله تعالى : ﴿ **حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين * فإن خفتم فرجالاً أو ركباناً فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون** ﴾[3] .

وقال يومئذ رسول الله ﷺ : شغلنا المشركون عن صلاة الوسطى : صلاة

---

(١) قال في (الأستيعاب) ج ٥ ص ٢٣١ ترجمة رقم ١٢٧٥ « الطفيل بن مالك بن النعمان بن خنساء . وقيل : الطفيل بن النعمان ابن خنساء الأنصاري السلمي ، من بني سلمة ، شهد العقبة ، وشهد بدراً ، وأحد ، وجرح بأحد ثلاثة عشر جرحاً ، وعاش حتى شهد الخندق وقتل يوم الخندق شهيداً ، قتله وحشي ابن حرب »

« وذكر موسى بن عقبة في البدريين : الطفيل بن النعمان بن الخنساء ، والطفيل بن مالك بن خنساء ، رجلين » .

(٢) المزراق : الرمح القصير (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٣٩٢ .

(٣) الآيتان ٢٣٨ ، ٢٣٩ / البقرة ، وفي (خ) « قبل أن تنزل صلاة الخوف فرجالاً أو ركبانا ... » .

العصر ، ملأ الله أجوافهم وقبورهم ناراً . وفي حديث جابر : أن رسول الله ﷺ إنما شغل يومئذ عن صلاة العصر . وفي حديث أبي سعيد وعبد الله بن مسعود : أنه شُغل يومئذ عن أربع صلوات : الظهر والعصر والمغرب والعشاء . وفي مرسل سعيد بن المسيّب : أنه شغل عن الظهر والعصر . فاحتمل أن يكون كله صحيحاً ، لأنهم حوصروا في الخندق وشغلوا بالأحزاب أياماً . ومثلُ حديث جابر في ذلك حديث علي رضي الله عنه : « وهو حديث ثابت من طرق عنه ، أن النبي ﷺ قال : شغلونا عن صلاة الوسطى صلاة العصر حتى غربت الشمس ، ملأ الله قلوبهم وبطونهم — أو بيوتهم — ناراً .

طلب المشركين جيفة نوفل بن عبد الله

وأرسلت بنو مخزوم يطلبون جيفة نوفل بن عبد الله : يشترونها ، وأعطوا فيها عشرة آلاف درهم ، فقال رسول الله ﷺ : إنما هي جيفة حمار ! وكره ثمنه ، فخلَّى بينهم وبينه . وفي رواية : أن أبا سفيان بعث بديته مائة من الإبل ، فأبى النبي ﷺ فقال : خذوه ، فإنه خبيث الدية خبيث الجثة .

اقتتال الطليعتين من المسلمين

وخرجت طليعتان من المسلمين ليلاً فالتقيا — ولا يشعر بعضهم ببعض ، ولا يظنون إلا أنهم العدو — فكانت بينهم جراحة وقتل ، ثم نادوا بشعار الإسلام : « حٰمٓ لا ينصرون » ، فكف بعضهم عن بعض ، وجاءوا ، فقال رسول الله ﷺ : جراحكم في سبيل الله ، ومن قتل منكم فإنه شهيد . فكانوا بعد ذلك إذا دنا المسلمون بعضهم من بعض نادوْا بشعارهم .

خبر الفتى الذي ذهب إلى أهله

وكان رجال يستأذنون أن يطلعوا إلى أهليهم ، فيقول رسول الله ﷺ : إني أخاف عليكم من قريظة . فإذا ألحوا يقول : من ذهب منكم فليأخذ سلاحه . وكان فتى حديث عهد بعرْس ، فأخذ سلاحه وذهب ، فإذا امرأته قائمة بين البابين ، فهيأ لها الرمح ليطعنها فقالت : اكففْ حتى ترى ما في بيتك ! فإذا بحية على فراشه ،

فركز فيها رمحه فاضطربت ، وخر الفتى ميتاً ، فقال رسول الله ﷺ ـــ لما أخبر بذلك ـــ : إن بالمدينة جنًّا قد أسلموا فإذا رأيتم منهم شيئاً فآذنوه ثلاثة أيام(١) ، فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان .

جوع المسلمين وخبر البركة في الطعام

وكان المسلمون قد أصابهم مجاعة شديدة ، وكان أهلوهم يبعثون إليهم بما قدروا عليه ، فأرسلت عمْرة ابنة رواحة ابنتها بجفنة تمر عجوة في ثوبها إلى زوجها بشير ابن سعد بن ثعلبة الأنصاري ، وإلى أخيها عبد الله بن رواحة ـــ فوجدت رسول الله ﷺ جالساً في أصحابه فقال : تعالَيْ يا بنية ! ما هذا معك ؟ فأخبرته ، فأخذه في كفيه ونثره على ثوب بسط له ، وقال لجعال بن سراقة : اصرخ ، يا أهل الخندق أن هلم إلى الغداء : فاجتمعوا عليه يأكلون منه حتى صدر أهل الخندق وإنه ليفيض من أطراف الثوب . وأرسلت أم متعب(٢) الأشهلية(٣) بقبعة فيها حيس(٤) إلى رسول الله ﷺ وهو في قبته مع أم سلمة ، فأكلت حاجتها ، ثم خرج بالقعبة فنادى مناديه : هلم إلى عشائه ! فأكل أهل الخندق حتى نهلوا وهي كما هي .

موادعة عيينة بن حصن ثم نقض ذلك

وأقام ﷺ وأصحابه محصورين بضع عشرة ليلة حتى اشتد الكرب ، وقال ﷺ : اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إنك إن تشأ لا تعبد . وأرسل إلى عيينة بن حصن ، والحارث بن عوف ـــ وهما رئيسا غطفان ـــ أن يجعل لهما ثلث تمر المدينة ويرجعان بمن معهما ، فطلبا نصف التمر ، فأبى عليهما إلا الثلث ، فرضيا . وجاءا في عشرة من قومهما حتى تقارب الأمر ، وأحضرت الصحيفة والدواة ليكتب عثمان بن عفان رضي الله عنه الصلح ـــ وعباد بن بشر قائم على

---

(١) راجع : (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي) ج ١ص ٢٦٨ - ٢٧٢ حيث ذكر هذا الخبر بتمامه .

(٢) كذا في (خ) ، (ط) ، وفي (الواقدي) « أم عامر الأشهلية » .

(٣) قال محقق (ط) « لم أجد لها ترجمة ولا خبراً » .
والخبر بسنده وتمامه فى (الاستيعاب) ج ٣ ص ٢٤٧ برقم ٣٥٧٦ وترجمتها في (الإصابة) ج ٣ ص ٢٤٣ برقم ١٣٦٨ ، والخبر بسنده وتمامه في (المغازي) ج ٢ ص ٤٧٦ ، ٤٧٧ .

(٤) القعبة : حُقة مطبقة للسويق (ترتيب القاموس) ج ٣ ص ٦٥٤ .
والحيس : تمر يخلط بسمن وأقِط فيعجن شديداً ثم يُنْدرُ من نواه وربما جُعِل فيه سَويق (المرجع السابق) ج ١ ص ٤٧٩ .

رأس رسول الله ﷺ مقنع في الحديد ــ ، فأقبل أسيد بن حضير ، وعيينة مادٌّ رجليه ، فقال له : يا عين الهجرس[1] ، اقبض رجليك ، أتمد رجليك بين يدي رسول الله ﷺ ؟ والله لولا رسول الله ﷺ لأنفذت حضنيك بالرمح ! ثم قال : يا رسول الله صلى الله عليك ، إن كان أمراً من السماء فامض له ، وإن كان غير ذلك فوالله لا نعطيهم إلا السيف ، متى طمعتم بهذا منا ؟ فدعا رسول الله ﷺ سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فاستشارهما خفية ، فقالا[2]: إن كان هذا أمراً من السماء فامض له ، وإن كان أمراً لم تؤمر فيه ولك فيه هوًى فسمع وطاعة ، وإن كان إنما هو الرأي فما لهم عندنا إلا السيف . فقال رسول الله ﷺ : إني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة فقلت أُرضيهم ولا أقاتلهم . فقالا : يا رسول الله ، والله إن كانوا ليأكلون العِلهِزَ[3] في الجاهلية من الجهد ، ما طمعوا بهذا منا قط : أن يأخذوا تمرة إلا بشراء أو قِرًى ! فحين أتانا الله بك وأكرمنا بك ، وهدانا بك ، نعطي الدنية ! لا نعطيهم أبداً إلا السيف . فقال ﷺ : شق الكتاب . فشقه سعد ، فقام عيينة والحارث ، فقال ﷺ : ارجعوا ، بيننا السيف : رافعاً صوته .

خبر نعيم بن مسعود الأشجعي في تخذيل الأحزاب

وكان نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة الأشجعي صديقاً لبني قريظة ، وقدم مع قومه من الأحزاب حين أجدب الجناب[4] وهلك الخف والكراع[5] ، فقذف الله في قلبه الإسلام . فأتى رسول الله ﷺ ليلاً فأسلم ، فأمره أن يخذّل الناس : وأذن له أن يقول[6] . فتوجه إلى بني قريظة ، وأشار عليهم ألا يقاتلوا مع قريش وغطفان حتى يأخذوا منهم رهناً من أشرافهم فقبلوا رأيه ، واستكتمهم مجيئه إليهم . ثم جاء إلى أبي سفيان في رجال قريش ، وأعلمهم أن قريظة قد ندمت على ما كان منها ، وأنهم راسلوا محمداً بأنهم يأخذون[7] من أشراف قريش وغطفان

(١) الهِجرس : القرد والثعلب ، أو ولده ، والدب ، ويقال : فلان هجرس : لئيم (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٩٧٣ .

(٢) في (خ) (فقال) .

(٣) العِلهِز : طعام من الدم والوبر كان يتخذ في المجاعة ، ونبات ينبت في بلاد بني سُلَيم . (ترتيب القاموس) ج ٣ ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

(٤) في (خ) (أحدب الحباب) وما أثبتناه من (المغازي) ج ٢ ص ٤٨٠ .

(٥) كناية عن هلاك الأفعال .

(٦) أي يقول ما يشاء في الحيلة والخدعة .

(٧) في (خ) (يأخذوا) .

سبعين رجلاً يسلمونهم[1] إليه ليضرب أعناقهم ، حتى يرد بني النضير إلى ديارهم ، ويكونون معه حتى يردوا قريشاً عنه ، وأشار عليهم ألا يجيبوا قريظة إلى إعطاء الرهن ، وسألهم كتمان أمره ثم جاء إلى غطفان وأعلمهم عن بني قريظة بما أعلم به قريشاً عنهم ، وحذرهم أن يدفعوا إليهم رهناً ، فأرسلت يهود عزال[2] ابن سموأل إلى قريش بأن الثواء قال طال ولم يصنعوا شيئاً ، والرأي أن يتواعدوا على يوم تزحف فيه قريش وغطفان وهم ، ولكنهم لا يخرجون لذلك معهم حتى يرسلوا إليهم برهائن من أشرافهم ، فإنهم يخافون : إن أصابكم ما تكرهون رجعتم وتركتمونا . فلم يرجعوا إليهم بجواب . وجاء نعيم إلى بني قريظة وقال لهم : إني عند أبي سفيان وقد جاءه رسولكم يطلب منه الرِّهان فلم يرد عليه شيئاً ، فلما ولى رسولكم قال : لو طلبوا مني عناقاً[3] ما رهنتها ! فلا تقاتلوا معه حتى تأخذوا الرهن ، فإنكم إن لم تقاتلوا محمداً ــ وانصرف أبو سفيان ــ تكونوا على موادعتكم الأولى .

فلما كانت ليلة السبت بعث أبو سفيان بعكرمة بن أبي جهل إلى بني قريظة أن يخرجوا غداً ليناجزوا محمداً جميعاً ، فقالوا : إن غداً السبت ، لا نقاتل فيه ولا نعمل عملاً ، وإنا مع ذلك لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهاناً من رجالكم لئلا تبرحوا ، فإنا نخشى إن أصابتكم الحرب أن تشمِّروا إلى بلادكم وتدَعونا إلى محمد ، ولا طاقة لنا به . فتحققت قريش صدق ما قال لهم نعيم : وأرسلت غطفان إلى بني قريظة بمسعود بن رخيلة في رجال بمثل ما راسلهم أبو سفيان ، فأجابوهم بمثل[4] ما أجابوا به عكرمة ، فتحققت غطفان وبنو قريظة ما قاله نعيم ، ويئس كل منهم من الآخر واختلف أمرهم .

اختلاف الأحزاب

وأخذ أبو سفيان ومن معه يلومون حيي بن أخطب ، فأتى بني قريظة فلم يجد منهم موافقة له ، وأبوا أن يقاتلوا مع قريش حتى يأخذوا سبعين رجلاً من قريش

---

(١) في (خ) (يسلموهم) . (٢) في (خ) (غزال) .

(٣) العناق : الأنثى من أولاد المعيز والغنم من حين الولادة إلى تمام الحول (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٦٣٢ .

(٤) في (خ) (ماما) مكررة .

وغطفان رهانا عندهم .

دعاء رسول الله ﷺ على الأحزاب وهبوب الريح عليهم

وكان رسول الله ﷺ قد دعا على الأحزاب فقال : اللهم منزِّل الكتاب ، سريع الحساب ، اهزم الأحزاب ، اللهم اهزمهم . وكان دعاؤه عليهم يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ، فاستجيب له بين الظهر والعصر يوم الأربعاء ، فعرف السرور في وجهه ، فلما كان ليلة السبت ، بعث الله الريح على الأحزاب حتى ما يكاد أحدهم يهتدي لموضع رحله ، ولا يقرّ لهم قِدْرٌ ولا بناء . وقام رسول الله ﷺ يصلي إلى أن ذهب ثلث الليل . وكذلك فعل ليلة قتل كعب بن الأشرف . وكان ﷺ إذا حَزَبَه الأمر أكثر من الصلاة .

خبر الريح وتفرق الأحزاب ورجوعهم

وبعث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه لينظر ما فعل القوم وما يقولون . فدخل عسكرهم في ليلة شديدة البرد فإذا هم مصطلون على نار لهم والريح لا تقر لهم قدراً ولا بناءً ، وهم يشتورون[1] في الرحيل حتى ارتحلوا . وأقام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد في مائتي فارس جريدة[2] . ثم ذهب حذيفة إلى غطفان فوجدهم قد ارتحلوا ، فأخبرهم النبي ﷺ بذلك . فلما كان السحر لحق عمروٌ وخالدٌ بقريش ، ولحقت كل قبيلة بمحلتها[3] .

مدة حصار الخندق

فكانت مدة حصار الخندق خمسة عشر يوماً ، وقيل : عشرين يوماً ، وقيل : قريباً من شهر . وأصبح ﷺ بعد رحيل الأحزاب ، فأذن للمسلمين في الانصراف ، فلحقوا بمنازلهم .

كتاب أبي سفيان إلى رسول الله ﷺ ورد رسول الله ﷺ

وكتب أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ كتاباً فيه : « باسمك اللهم . فإني أحلف

(١) هذه اللفظة عامية ، واللغة فيها (يتشاورون) .

(٢) جريدة : خيل لا رَجَّالة فيها (المعجم الوسيط) ج ١ ص ١١٦ .   (٣) المحلة : منزل القوم .

باللات والعزى ، لقد سرتُ إليك في جمعنا وإنا نريد ألا نعود[1] أبداً حتى نستأصلكم[2] ، فرأيتك قد كرهت لقاءنا ، وجعلت مضايق وخنادق ، فليت شعري من علَّمك هذا ؟ فإن نرجع عنك فلكم منا يوم كيوم أحد » وبعث به مع أبي أسامة الجُشميّ ، فقرأه أُبَيّ بن كعب على رسول الله ﷺ في قبته ، وكتب إليه : « من محمد رسول الله إلى أبي سفيان بن حرب . أما بعد ، فقديماً غرك بالله الغرور . أما ما ذكرت ــ أنك سرتَ إلينا في جمعكم ، وأنك لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا ــ فذلك أمر يحول الله بينك وبينه ، ويجعل لنا العاقبة حتى لا تذكر اللات والعزى . وأما قولك : من علمك الذي صنعنا من الخندق ؟ فإن الله ألهمني لما أراد من غيظك وغيظ أصحابك ، وليأْتينَّ عليك يوم تدافعني بالراح ، وليأتين عليك يوم أكسر فيه اللات والعزى وإساف ونائلة وهبل ، حتى أذكرك ذلك .

ويقال : كان في كتاب أبي سفيان : « ولقد علمتَ أني لقيت أصحابك ناجياً[3] وأنا في عير لقريش فما خص أصحابك منا شعره ، ورضوا منا بمدافعتنا بالراح ، ثم أقبلتُ في عير قريش حتى لقيت قومي ــ فلم تلقنا ــ فأوقعت بقومي ولم أشهدها من وقعة ، ثم غزوتكم في عقر داركم ، فقتلتُ وحرقتُ [يعني غزوة السويق] . ثم غزوتك في جمعنا يوم أحد ، فكانت وقعتنا فيكم مثلَ وقعتكم بنا ببدر . ثم سرنا إليكم في جمعنا ومن تألب إلينا يوم الخندق ، فلزمتم الصياصي وخندقتم الخنادق » .

ما نزل من القرآن في شأن الخندق

وأنزل الله تعالى ــ في شأن الخندق يذكر نعمته وكفايته عدوهم ، بعد سوء الظن منهم ، ومقالة من تكلم بالنفاق ــ قوله عز وجل : ﴿ **يـٰأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً** ﴾[4] .

---

(١) في (خ) « ألا نعود إليك » وهي رواية (الواقدي) ج ٢ ص ٤٩٢ وما أثبتناها من (ط) .
(٢) في (خ) « نستأصلهم » وفي (الواقدي « نستأصلك ») .
(٣) في (خ) (باسا) .
(٤) الآيات من ١ إلى ٢٧ / الأحزاب ، « لم تروها ، الآيات » .

ذكر من قتل من المسلمين

وقتل من المسلمين يومئذ ستة نفر ، ثلاثة من بني الأشهل هم : سعد بن معاذ ، وأنس بن أوس بن عتيك بن عمرو ، وعبد الله بن سهل ، واثنان من بني جشم ابن الخزرج ثم من بني سلمة هما : الطفيل بن النعمان ، وثعلبة بن عتمة[1] ، وواحد من بني النجار ثم من بني دينار [هو][2] : كعب بن زيد ، أصابه سهم غربٌ[3] فقتله .

من قتل من الكفار

وقتل من المشركين ثلاثة نفرٍ هم[4] : منبِّه بن عثمان بن عبيد بن السبَّاق بن عبد الدار أصابه سهم فمات منه بمكة ، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة بن مخزوم ، وعمرو بن عبد ودٍّ قتله علي رضي الله عنه . ولم تغز كفار قريش المسلمين بعد الخندق .

غزوة بني قريظة

ثم كانت غزوة بني قريظة : خرج إليهم رسول الله ﷺ يوم الأربعاء لسبع خلون من ذي الحجة سنة خمس ، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، وحصرها خمساً وعشرين ليلة ، وقيل : خمسة عشر يوماً ، وقيل : شهراً .

سببها

وسبب ذلك أن رسول الله ﷺ لما رجع من الخندق دخل بيت عائشة رضي الله عنها[5] فاغتسل ودعا بالمجمرة ليتبخر ، وقد صلى الظهر ، فأتاه جبريل عليه السلام وقت الظهر — على بغلة عليها رحالة ، عليها قطيفة ، وعلى ثناياه النقع — فوقف عند موضع الجنائز فنادى : عذيرك[6] من محارب . فخرج رسول الله ﷺ

(١) في (خ) « غنمة » وهي رواية (الواقدي) ، وفي (ابن هشام) ج ٣ ص ١٥٥ « ابن غنيمة »

(٢) زيادة للسياق .

(٣) قال ابن هشام : سهم غرب ، بإضافة وغير إضافة ، وهو الذي لا يعرف من أين جاء ولا من أين رمى به ويقول (الواقدي) ج ٢ ص ٤٩٦ في شأن كعب بن زيد . وقتله ضرار بن الخطاب » .

(٤) هكذا في (ابن هشام) ج ٣ ص ١٥٥ ، وفي (الواقدي) ج ٢ ص ٤٩٦ « عثمان بن منبه » .

(٥) في (خ) « عنه » .

(٦) أي هاتِ من ينصرك .

فزعاً ، فقال : ألا أراك وضعتَ اللأمة ولم تضعها الملائكة بعد ؟ لقد طردناهم إلى حمراء الأسد ، إن الله يأمرك أن تسير إلى بني قريظة ، فإني عامد إليهم فمزلزل بهم حصونهم . [ويقال : جاءه على فرس أبلق](1) .

الخروج إلى قريظة

فدعا رسول الله ﷺ علياً رضي الله عنه فدفع إليه لواءه ، وكان اللواء على حاله لم يحل من مرجعه من الخندق ، وبعث بلالاً رضي الله عنه فأذن في الناس : إن رسول الله ﷺ يأمركم ألا تصلوا العصر إلا في بني قريظة .

وعن قتادة قال : بعث رسول الله ﷺ يومئذ منادياً ، يا خيل الله اركبي . ولبس الدرع والمغفر والبيضة ، وأخذ قناة بيده ، وتقلد الترس ، وركب فرسه . وحف به أصحابه وقد لبسوا السلاح وركبوا الخيل وكانت ستة وثلاثين فرساً ، وكانت له ﷺ ثلاثة أفراس معه . وقيل : خرج ﷺ وهو راكب على حمار عري(2) . وسار فمر بنفر من بني النجار قد صفوا وعليهم السلاح ، فقال : هل مر بكم أحد ؟ قالوا : نعم ! دحية الكلبي ، مر على بغلة عليها رحالة ، عليها قطيفة من إستبرق ، فأمرنا بلبس السلاح ، فأخذنا سلاحنا وصففنا ، وقال لنا : هذا رسول الله يطلع عليكم الآن ! فقال : ذلك جبريل .

وصول علي إلى حصن بني قريظة وسفاهة يهود

وانتهى إلى بني قريظة ، وقد سبق عليّ في نفر من المهاجرين والأنصار ، وغرز الراية عند أصل الحصن ، فاستقبلهم يهود يشتمون رسول الله ﷺ وأزواجه ، فسكت المسلمون وقالوا : السيف بيننا وبينكم . فلما رأى عليٌّ رسول الله ﷺ رجع إليه ، وأمر أبا قتادة الأنصاري أن يلزم اللواء .

مسيره ﷺ إليهم وما قاله

وسار ﷺ إلى يهود ، وقال يومئذ : الحرب خدعة . وتقدمه أسيد بن حضير فقال : يا أعداء الله ! لا نبرح حصنكم حتى تموتوا جوعاً ، إنما أنتم بمنزلة ثعلب

(1) ذكره (الواقدي) ج ٢ ص ٤٩٧ .

(2) عُرْي : لا سرج عليه .

في جحر . قالوا : يا ابن الحضير ، نحن مواليك دون الخزرج ! وخاروا . فقال : لا عهد بيني وبينكم ولا إلّ[1] . ودنا ﷺ منهم وقد ترس عنه أصحابه . فقال : يا إخوة القردة والخنازير وعبدة الطواغيت ! أتشتمونِّي ؟ فجعلوا يحلفون : ما فعلنا ! ويقولون : يا أبا القاسم ما كنت جهولاً ! .

تقدم الرماة وبدء المراماه

وتقدمت الرماة من المسلمين ، وقال ﷺ لسعد بن أبي وقاص : يا سعد ، تقدم فارمهم . فرماهم والمسلمون ساعة ، ويهود تراميهم ، ورسول الله ﷺ واقف على فرسه فيمن معه . ثم انصرفوا إلى منازلهم ، وباتوا وقد بعث إليهم سعد بن عبادة بأحمال تمر فأكلوا ، وقال ﷺ وهو يأكل منه : نعم الطعام التمر .

واجتمع المسلمون عنده عشاء ، ومنهم من صلى ومنهم من لم يُصَلِّ حتى جاء بني قريظة ، فما عاب على أحد من الفريقين .

تعبئة المسلمين حول الحصن

ثم غدا سحراً وقدَّم الرماة وعبأ أصحابه ، فأحاطوا بحصون يهود وراموهم بالنَّبل والحجارة وهم يرمون من حصونهم حتى أمسوا ، فباتوا حول الحصون .

مفاوضة يهود للصلح

فنزل نبَّاش بن قيس وكلم رسول الله ﷺ : على أن ينزلوا على ما نزلت عليه بنو النضير : له الأموال والحلقة ، ويحقن دماءهم ، ويخرجون من المدينة بالنساء والذراري ، ولهم ما حملت الإبل إلا الحلقة . فأبى رسول الله ﷺ إلا أن ينزلوا عن حكمه ، وعاد نبَّاش إليهم بذلك .

مشورة كعب بن أسد اليهودي

فأشار عليهم كعب بن أسد بأن يدخلوا في الإسلام ، وذكرهم بما عندهم من العلم بنبوته ، فلم يقبلوا رأيه . فأشار عليهم أن يقتلوا أبناءهم ونساءهم ثم يخرجوا

(١) الإل : العهد والقرابة قال تعالى ﴿ لا يرقبوا فيكم إلاً ولا ذمة ﴾ ٨ / التوبة .

فيقاتلوا حتى يقتلوا أو يظفروا ، فأبوا ذلك . فأشار عليهم أن يخرجوا ليلة السبت والمسلمون آمنون فيبيتونهم فقالوا : لا نحل السبتَ . واختلفوا وندموا على ما صنعوا .

ذكر من أسلم من يهود بني قريظة

ونزل منهم [ثعلبة بن سَعيه ، وأسيد بن سعيه][1] ، وأسد بن عبيد ، وأسلموا . وأمنوا على أنفسهم وأهليهم وأموالهم ، ونزل عمرو بن سُعدى ، [وكان أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله ﷺ ، وقال : لا أغدر بمحمد أبداً . فبات في مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة تلك الليلة ، ثم ذهب][2] فلم يُدر أين هو ! وقيل : [إنه كان أوثق برمةٍ فيمن أوثق من بني قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فأصبحت رُمته ملقاة ولا يدرى أين ذهب !][3] .

خبر أبي لبابة في مشورة اليهود

فلما اشتد عليهم الحصار طلبوا أبا لُبابة بن عبد المنذر ، فدخل عليهم فقالوا له : ما ترى ؟ إن محمداً أبى إلا أن ننزل عن حكمه ! قال : فانزلوا . وأومأ إلى حلقه ، وهو الذبح . ثم نزل — والناس ينتظرونه — وقد ندم على ما كان منه . فمر على وجهه حتى ارتبط في المسجد إلى سارية ، وبلغ رسول الله ﷺ ما صنع وذهابه ، فقال : دعوه حتى يُحدث الله فيه ما يشاء ، ولو جاءني استغفرت له ، وأما إذ[4] لم يأتني وذهب فدعوه . فكان كذلك خمس عشرة ليلة ، — وكان رسول الله ﷺ قد استعمله على القتال ، وأُنزل فيه : ﴿ **وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم** ﴾[5] .

---

(١) في (خ) « ثعلبة بن أسيد ابنا سعيد » وهو خطأ ، وصوبه من (الواقدي) ج ٢ ص ٥٠٣ هكذا : « ثعلبة وأسيد ابنا سعية ، وأسد بن عبيد عمهم » : وفي (ابن هشام) ج ٣ ص ١٤٤ « قال ابن اسحاق : ثم إن ثعلبة بن سعية ، وأسيد ابن سعية ، وأسد بن عبيد ، وهم نفر من بني هدل ، ليسوا من بني قريظة ولا النضير ، نسبهم فوق ذلك . هم بنو عم القوم » .

(٢) في (خ) ونزل عمرو بن سعدي فلم يدري أين هو ، وسياقه مضطرب فاستوفيناه من (المرجع السابق) ذات الجزء والصفحة .

(٣) في (خ) « وقيل وجدت رمته » وتمام السياق من المرجع السابق . ج ٣ ص ١٤٤ — ١٤٥ .

(٤) في (خ) « إذا » .

(٥) ١٠٢ / التوبة ، وفي (خ) « ... يتوب عليهم ، الآية » .

ويقال نزلت : ﴿ **يٰأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون** ﴾[1] .

ويقال نزلت فيه : ﴿ **يٰأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم** ﴾[2] . والأول أثبت .

نزول بني قريظة على حكم رسول الله وكتافهم وما وجد عندهم

ثم نزلت يهود على حكم رسول الله ﷺ فأمر بأسراهم فكتفوا رباطاً ــ وجعل على كتافهم محمد بن مسلمة ــ ونحُّوا ناحية ، وأخرج النساء والذرية من الحصون فكانوا ناحية ، واستعمل عليهم عبد الله بن سلام . وجمعت أمتعتهم وما وُجد في حصونهم من الحلقة والأثاث والثياب ، فوُجد فيها ألف وخمسمائة سيف ، وثلاثمائة درع ، وألفا رمح ، وألف وخمسمائة ترس وجحفة ، وأثاث كبير وآنية كثيرة ، وخمر وجرار سَكرٍ ، فهريق ذلك كله ولم يخمس . ووجد من الجمال النواضح عدة ، ومن الماشية شيء كثير ، فجمع ذلك كله .

طلب الأوس حلفاءهم بني قريظة

وطلب الأوس من رسول الله ﷺ أن يهب لهم بني قريظة فإنهم حلفاؤهم ، كما وهب لابن أبيّ [بني][3] قينقاع حلفاءَه .

تحكيم سعد بن معاذ في بني قريظة

فقال : أما ترضون أن يكون الحكم فيهم إلى رجل منكم ؟ قالوا : بلى ! قال : فذلك إلى سعد بن معاذ . وسعدٌ يومئذ في المسجد في خيمة رُفيدة ، ويقال : كعيبة[4] بنت سعد بن سعد بن كعب بن عبدٍ الأسلمية ، وكانت تداوي الجرحى ، وتلم الشعَثَ ، وتقوم على الضائع الذي لا أحد له ، وكان لها خيمة في المسجد ، وكان رسول الله ﷺ جعل سعد بن معاذ فيها منذ جُرح . فخرجت

(١) ٢٧ /الأنفال وفي (خ) «... والرسول، الآية».

(٢) ٤١ /المائدة وفي (خ) «... بأفواههم، الآية.

(٣) زيادة للإيضاح .

(٤) في (خ) « كفيتة » .

الأوس فحملوه على حمار . وجعلوا وهم حوله يقولون له : يا أبا عمرو ! إن رسول الله قد ولاك أمر مواليك لتحسن فيهم فأحسن ، فقد رأيت ابن أبي وما صنع من حلفائه ، وأكثروا في هذا وشبهه ، وهو لا يتكلم ، ثم قال : قد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم . فقال الضحاك بن خليفة بن ثعلبة بن عدي بن كعب بن عبد الأشهل الأنصاري : واقوماه ! وقال غيره منهم نحو ذلك . ثم رجع إلى الأوس فنعى لهم قريظة . فلماء جاء سعد إلى رسول الله ﷺ والناس حوله قال : قوموا إلى سيدكم ! فقاموا له على أرجلهم صفين يحييه كل منهم .[ويقال : إنما عني ﷺ بقوله : « قوموا لسيدكم » الأنصار دون قريش] . وقالت الأوس الذين حضروا : يا أبا عمرو ! إن رسول الله قد ولَّاك فأحسن فيهم ، واذكر بلاءهم عندك . فقال سعد : أترضون بحكمي لبني قريظة ؟ قالوا : نعم ، فأخذ عليهم عهد الله وميثاقه أن الحكم ما حكم ، ثم قال : فإني أحكم فيهم أن يقتل من جرت عليه المواسي ، وتسبى النساء والذرية ، وتقسم الأموال . فقال رسول الله ﷺ : لقد حكمت بحكم الله من فوق سبع أرقعة[1] .

خبر بني قريظة بعد حكم سعد وما جرى في قتلهم

فأمر بالسبي فسيقوا إلى دار أسامة بن زيد ، والنساء والذرية إلى دار ابنة الحارث ، وقد اختلف في اسمها ، فقيل : كَيِّسَةُ بنت الحارث بن كريز بن [ربيعة][2] بن حبيب بن عبد شمس ، وكانت تحت مسيلمة الكذاب ، ثم خلف عليها عبد الله بن عامر بن كريز ، وأمر بأحمال التمر فنثرت على بني قريظة ، فباتوا يكْدُمونها كدْم الحُمُر[3] . وأمر بالسلاح والأثاث والمتاع والثياب فحمل ، وبالإبل والغنم فتُركَتْ[4] هناك ترعى الشجر ، ثم غدا ﷺ إلى المدينة في يوم الخميس السابع من ذي الحجة والأسرى معه ، وأتى إلى السوق ، فأمر بخدود فخدت[5] ،

---

(١) والأرقعة السموات .

(٢) زيادة من نسب عبد الله بن عامر بن كريز .

(٣) الكدم : أثر العضّ (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٧٨ والحُمُر : جمع حمار .

(٤) في (خ) « فبركت » .

(٥) الخدود : جمع خد : كالأخدود وهو الحفرة (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٢٢٠ .

وحفر فيها هو وأصحابه ، وجلس ومعه عِلْية أصحابه ، ودعا[1] برجال بني قريظة فكانوا يخرجون أرسالاً تضرب أعناقهم .

مقالة حيي بن أخطب عند قتله

ولما جيء بعدو الله حيي بن أخطب [بن سعيه بن ثعلبة بن عبيد بن كعب ابن الخزرج بن أبي حبيب بن النضير بن ناخوم من بني إسرائيل من سبط لاوي ابن يعقوب ، ثم من ولد هارون بن عمران أخي موسى صلى الله عليه][2] ، قال له رسول الله ﷺ : ألم يمكِّن الله منك يا عدو الله ؟ فقال : بلى ! والله ما لمتُ نفسي في عداوتك ، ولقد التمست العزّ في مظانّه ، وأبى الله إلا أن يمكّنك مني ، قَلْقلت كلَّ مقَلقل ، ولكنه من يخذل الله يخذَل . ثم أقبل على الناس فقال : أيها الناس ! لا بأس بأمر الله ، قدَرٌ وكتابٌ ، ملحمة كتبت على بني أسرائيل ! فأمر فضربت عنقه .

أمر رسول الله ﷺ بالإحسان إلى الأسرى

ثم أتى بعزَّال[3] بن سَمَوْأل ، ونباش بن قيس ، فضربت أعناقهما ، وقد جابذ[4] نباش الذي جاء به ، حتى قاتله ودق أنفه فأرعفه ، فقال ﷺ للذي جاء به : لم صنعت به هذا ؟ أما كان السيف كفاية ! ثم قال : أحسنوا إسارهم ، وقيِّلوهم واسقوهم ، لا تجمعوا عليهم حر الشمس وحرَّ السلاح . وكان يوماً صائفاً ، فقيَّلوهم وسقوْهم وأطعموهم ، فلما أبردوا راح رسول الله ﷺ فقتل من بقي منهم .

إسلام رفاعة بن سموأل

وسألت أم المنذر سلمى بنت قيس بن عمرو بن عبيد بن مالك بن عدي

---

(١) في (خ) « دعى » .

(٢) في (خ) في مكان ما بين القوسين في نسب حي بنت أخطب : « بنرية بن عمرو بن الحارث بن وائل بن راشذة بن جزيلة بن نجم بن أشرس بن سهيت بن السكون وفيه خلط كثير ، وما أثبتناه من (الاستيعاب) ج١٣ ص ٦٢ ترجمة صفية بنت حي رقم ٣٤٠٥ وانظر أيضاً ترجمتها في (الإصابة) ج ١٣ ص ١٤ رقم ٦٤٧ .

(٣) في (خ) « يغزل » .

(٤) جابذ : من الجَبْذ وهو الجذب . وليس مقلوبة ، بل لغة صحيحة (ترتيب القاموس) ج ٢ ص ٥١٧ .

ابن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الأنصارية رسول الله ﷺ في رفاعة بن سموأل فقال : هو لك ؟ فأسلم .

كراهة بعض الأوس قتل قريظة، ثم تفريق الأسرى في الأوس

وجاء سعد بن عبادة والحباب بن المنذر فقالا : يا رسول الله ، إن الأوس قد كرهت قتل بني قريظة لمكان حِلفهم . فقال سعد بن معاذ : ما كرهه من الأوس أحد فيه خير ، فمن كرهه فلا أرضاه الله . فقام أسيد بن حضير فقال : يا رسول الله ، لا تبقينَّ دار من دور الأوس إلا فرقتهم فيها . ففرقهم في دور الأنصار فقتلوهم . وضرب رسول الله عنق كعب بن أسد بين يديه .

قتل بنانة اليهودية وسببه

وأمر ببنانة امرأة الحكم القرظي — وهي من السبي — فقتلت ، لأنها ألقت من حصن الزبير بن باطا رحّي[1] بإشارة زوجها على نفر من المسلمين كانوا يستظلون في فيئه ، فشَدَخت رأس خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة ابن امرىء القيس بن مالك الأغر ، فمات .

قتل كل من أنبت ، وبكاء نساء يهود

وأمر رسول الله ﷺ بقتل كل من أنبت منهم ، وترك من لم ينبت ، وتمادى القتل فيهم إلى الليل فقتلوا على شعَل السعف ، ثم ردَّ عليهم التراب في الخنادق . وكان من شك فيه منهم أن يكون بلغ ، نظر إلى مؤتزره : فإن كان أنْبَتَ قتل ، وإلا ترك في السبي . وكانوا ستمائة ، [وقيل : ما بين الستمائة إلى السبعمائة . وقيل : كانوا سبعمائة وخمسين] ، ولما قتلوا صاحت نساءهم وشقَّت جيوبها ، ونشرت شعورها ، وضربت خدودها ، وملأت المدينة .

---

(١) في (خ) بعد قوله « باطا » باقي الخبر لم يظهر في التصوير الميكروفيلمي ، وتمامه من (الوقدي) ج ٢ ص ٥١٧ .

خبر الزبير بن باطا

وسأل ثابتُ بن قيس بن شماس رسول الله ﷺ في الزبير بن باطا فقال : هو لك . فلم يرض بالحياة وطلب أن يلحقوه بأحبته ، فضرب الزبير بن العوام عنقه . وطلب ثابت بن قيس أهله وولده فَردُّوا إليه إلى الحلقة ، فكانوا مع آل ثابت بن قيس .

إسلام ريحانة بنت زيد

وأخذ رسول الله ﷺ ريحانة بنت زيد لنفسه صفياً وعزلها حتى تُسلم ، فما زال بها [ثعلبة بن سعية][1] حتى أسلمت ، فبعثها إلى بيت أم المنذر سلمى بنت قيس حتى حاضت ثم طهرَت . فجاءها وخيّرها : أيعْتِقُها ويتزوجها أو تكون في ملكه يطؤها بالملك ؟ فاختارت أن تكون في مِلكه ، وقيل : أعتقها وتزوجها .

بيع المتاع وقسمة الفيء

وأمر بالمتاع فبيع في من يزيد ، وبيع السبي ، وقسمت النخل أسهماً ، وكانت الخيل ستاً وثلاثين فرساً ، فأسهم : للفرس سهمان ، ولصاحبه سهم ، وللراجل سهم . وقاد رسول الله ﷺ ثلاثة أفراس فلم يضرب إلا سهماً واحداً . وأسهم لخلاد بن سُويد بن ثعلبة بن عمرو ، وقد قُتل تحت الحصن : طُرحت عليه رحيٌ ، فشدختْه شدخاً شديداً . وأسهم لأبي سنان بن محصن [واسمه وهب بن عبد الله ، ويقال : عبد الله بن وهب ، ويقال : عامر ، ولا يصحّ ، ويقال : اسمه وهب بن محصن بن حرثان بن قيس بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة ، وعلى هذا فهو أخو عكاشة بن محصن ، وهو أصح ما قيل فيه . وبات ورسول الله ﷺ يحاصرهم ، وكان يقاتل مع المسلمين . وكان المسلمون ثلاثة[2] آلاف ، فكانت سهمان الخيل والرجال على ثلاثة آلاف واثنين وسبعين سهماً : للفرس سهمان ولصاحبه سهم . وأسهم يومئذ على الأموال فجزئت خمسة أجزاء ، وكتب في سهم منها لله ، فخرجت السهمان ، وكذلك الرِّثَّة[3] والإبل والغنم والسبي ،

---

(١) في (خ) « ابن سعد » . (٢) في (خ) « ثلاثة ، ثلاثة » مكررة .

(٣) الرِّثَّة : ردىء المتاع (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٣٢٨ .

ثم فضَّ أربعة أسهم على الناس .

ترك فيء رسول الله ﷺ للنساء

وأخذ[1] فيء رسول الله ﷺ النساءُ اللاتي حضرت القتال ولم يسهم لهن ، وهن : صفية بنت عبد المطلب ، وأم عمارة ، وأم سليط ، وأم العلاء الأنصارية ، والسميراء بنت قيس الأنصارية ، وأم سعد بن معاذ ، وهي : كبشة بنت رافع بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر ، وهو خُدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج .

أمر السبي

ولما بيعت السبايا والذرية بعث رسول الله ﷺ بطائفة إلى الشام مع سعد بن عبادة[2] ، يبيعهم ويشتري بهم سلاحاً وخيلاً . واشترى عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما طائفة . فكان يوجد عند العجائز المال ولا يوجد عند الشَّواب ، فربح عثمان مالاً كثيراً لأنه صار في سهم العجائز . ويقال : لما قسم ﷺ جعل الشواب على حدةٍ ، والعجائز على حدةٍ ، وخيَّر عبد الرحمن وعثمان فأخذ عثمان العجائز . واشترى أبو الشحم اليهودي امرأتين — مع كل واحدة ثلاثة أطفال — بخمسين ومائة دينار ، وجعل يقول : ألستم على دين يهود ؟ فتقول المرأتان : لا نفارق دين قومنا حتى نموت عليه ، وهن يبكين . وكان السبي ألفا من النساء والصبيان ، فأخرج رسول الله ﷺ خُمسه قبل بيع المغنم ، فجزأ السبي خمسة أجزاء : فأخذ خُمساً ، فكان يعتق منه ويهب منه ، ويخدم منه من أراد ، وكذلك صنع بما أصاب من رثتهم : قسمت قبل أن تباع . وكذلك النخلُ عزل خُمسه ، وكل ذلك يسهم عليه خمسة أجزاء ويكتب في سهم منها [لله][3] ، ثم يُخرج السهم ، فحيث طار سهمه أخذه ولم يتخير . وصار الخمس إلى محمية بن جزءٍ الزُّبيدي ، وهو الذي قسم المغنم بين المسلمين .

---

(١) كذافي (خ)، و (ط)، وفي (الواقدي) ج ٢ ص ٥٢٢ « وأخذى » .

(٢) كذا في (خ) وفي (الواقدي) ج ٢ ص ٥٢٣ ، وفي باقي كتب السيرة : « سعد بن زيد الأشهلي » .

(٣) غير بينة في (خ) ، وأثبتناها من (الواقدي) ج ٢ ص ٥٢٣ .

النهي عن التفريق بين النساء والولد حتى يبلغوا

ونهى رسول الله ﷺ أن يفرَّق في القَسْم والبيع بين النساء والذرية ، وقال : لا يفرَّقُ بين الأم وولدها حتى يبلغوا ، فقيل : يا رسول الله ! وما بلوغهم ؟ قال : تحيض الجارية ويحتلم الغلام . وكان يفرق يومئذ بين الأختين إذا بلغتا ، وبين الأم وابنتها إذا بلغت . وكانت الأم وولدها الصغار تباع من المشركين من العرب ، ومن يهود المدينة وتيماء وخيبر ، يخرجون بهم . وإذا كان الولد صغيراً ليس معه أم لم يبع من المشركين ولا من يهود إلا من المسلمين . فكانت أموال بني قريظة أول فيء وقع فيه السهمان والخمس .

موت سعد بن معاذ ، وبكاء أمه ، وحزن رسول الله ﷺ على سعد ثم دفنه

ولما حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه في بني قريظة ، رجع إلى خيمة رُفَيْدة بنت سعد الأسلمية — وكان قد كوى جرحه بالنار فانتفخت يدُهُ ، وسال الدم فحمَّه أخرى فانتفخت يده ، فسأل الله أن يبقيه حتى يقاتل بني قريظة — فانفجر جرحه ومات بعد ما عاده النبي ﷺ فحمل إلى منزله . وغسَّله الحارث بن أوس ابن معاذ ، وأسيد بن حضير ، وسَلمة بن سلامة بن وقش بحضرة رسول الله ﷺ ، وأم سعد تبكي وتقول :

[ويلُ أم سعدٍ سعداً ... صرامةً وحدًّا
وسُؤدداً ومجداً ... وفارساً معدًّا
سُدَّ به مسدًّا ... يَقُدها ما قدًّا][1]

فقال رسول الله ﷺ : كل البواكي يكذبن إلا أم سعد . ثم كفِّن في ثلاثة أثواب وحمل في سرير . فحمل رسول الله ﷺ [جنازته][2] وهو بين عمودي سريره حتى رُفع من داره إلى أن خرج ، ومشى أمام جنازته ، ثم صلى عليه ونزل في قبره أربعة نفر : الحارث بن أوس بن معاذ ، وأسيد بن حضير ، وأبو نائلة ،

---

(١) وردت هذه الندبة بروايات كثيرة في كتب السيرة ، وما أثبتناه هو أجودها .
(٢) الجنازة : سرير الميت أو الميت نفسه .

وسلمة بن سلامة ، ورسول الله ﷺ واقف على قدميه على قبره . ولما وضع في لحده تغير وجهه وسبح ثلاثاً ، فسبح المسلمون ثلاثاً حتى ارتج البقيع[1] ، ثم كبر ثلاثاً وكبر أصحابه حتى ارتج البقيع ، فسئل عن ذلك فقال : تضايق على صاحبكم قبره ، وضم ضمة لو نجا منها أحد لنجا منها سعدٌ ، ثم فرَّج الله عنه . وجاءت أم سعد تنظر إليه في اللحد وقالت : احتسبك عند الله . وعزَّاها[2] رسول الله ﷺ على قبره . وجلس ناحية والمسلمون يردون تراب القبر حتى سُوِّي وَرُشَّ الماء عليه ، ثم وقف ﷺ فدعا ، ثم انصرف .

بلوغ خبر قريظة إلى يهود بني النضير

وسار حُسيل بن نويرة الأشجعي يومين حتى قدم خيبر ، فأعلم سلام بن مِشكم ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، ويهود بني النضير ، ويهود خيبر بأن رسول الله ﷺ قد قَتَل مقاتِلَة قريظة صبراً بالسيف ، وسبى النساء والذرية ، فقال سلام بن مِشكم ــ وكانت له رئاسة بني النضير بعد يوم بعاث[3] ــ : هذا كله عمل حيي بن أخطب ، لا قامت يهودية بالحجاز أبداً ! وصاح نساؤهن وأقمن المآتم ، وفزعت اليهود إلى سلام ليروا رأيه . فأشار عليهم يسيروا معه ، ويهود تيماء وفدك ووادي القرى ــ ولا يجلبوا معهم أحداً من العرب ــ حتى يغزوا محمداً في عقر داره ، فوافقوا على ذلك .

زواجه ﷺ زينب بنت جحش

وفي هذه السنة الخامسة تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش ، في قول طائفة .

فرض الحج

وفيها فرض الحج ، وقيل : سنة ستٍ ، وقيل : سنة سبع ، وقيل : سنة ثمان ، وقيل غير ذلك .

---

(١) البقيع : بقيع الغرقد ، وهو مدافن أهل المدينة .
(٢) في (خ) « وعزها » . (٤) في (خ) « يغاث » .

سرية عبد الله بن أنيس إلى سفيان
ابن خالد بن نبيح الهزلي

ثم كانت سرية عبد الله بن أنيس بن أسعد[1] بن حرام بن حبيب بن مالك ابن غنم بن كعب بن تيم بن نفاثة بن إياس[2] بن يربوع بن البرْك بن وبرة [ويعرف بالجهني وليس بجهني ، ولكنه من وبر قضاعة وجهينة أيضاً من قضاعة][3] — إلى سفيان بن خالد بن نبيح الهزلي ، ثم اللحياني .

خروجه إليه وسببه

خرج إليه يوم الاثنين لخمس خلون من المحرَّم على رأس أربعة وخمسين شهراً[3] ، فغاب اثنتي عشرة ليلة وقدم يوم السبت لسبع بقين من المحرم . وقد بلغ رسول الله ﷺ أن سفيان بن خالد بن نبيح الهزلي ثم اللحياني نزل عرنة وما حولها في ناس فجمع لحربه ، وضوى إليه بشر كثير من أفناء العرب . فبعث عبد الله بن أنيس وحده ليقتله ، وقال له : انتسب إلى خزاعة .

صفة ابن نبيح

(فقال عبد الله بن أنيس : يا رسول الله ، انعته لي حتى أعرفه)[2] ، قال : إذا رأيته هبته ، وفرِقتَ منه ، وذكرت الشيطان ، وآية (ما بينك وبينه)[3] أن تجد له قشعريرةً إذا رأيته ، وأذن له أن يقول ما بدا له ، وكان أنيس[4] لا يهاب

---

(١) في (خ) « ابن إسحاق » .

(٢) في (خ) «أنيس». (٧) مابين القوسين في (خ) بعد قوله «الهذلي ثم اللحياني» وهذا هو حق مكانه.

(٣) وهي رواية (الواقدي) في ج ٢ ص ٥٣١ ، وذكر في (تلقيح الفهوم) ص ٥٦ ، « خرج من المدينة يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من مهاجر رسول الله ﷺ، وذكره أيضاً (ابن سعد) ج ٢ ص ٥٠ وهو الصواب .

(٤) زيادة للسياق من (الواقدي) ج ٢ ص ٥٣٢ و (ابن سعد) ج ٢ ص ٥١ .

(٥) في (خ) « وآية ذلك تجد » وفي (الواقدي) ج ٢ ص ٥٣٢ : « آية بينك وبينه » وما أثبتناه من (ط) فهو أدلّ على السياق .

(٦) كذا في (خ) وفي (الواقدي) ج ٢ ص ٥٣٢ و (ابن سعد) ج ٢ ص ٥١ « وكنتُ لا أهاب الركال » ولعلها في (خ) « وكان ابن أنيس » وكلمة « ابن » ساقطة من الناسخ .

الرجال . فأخذ سيفه وخرج ، حتى (إذا)[1] كان ببطن عَرَنَة لقي سفيان يمشي : ووراءه الأحابيش ، فهابه ، وعرفه بالنَّعت الذي نعت له رسول الله ﷺ . وقد دخل وقت العصر ، فصلى وهو يمشي يوميء إيماءً برأسه ، فلما دنا منه قال : من الرجل ؟ قال : رجل من خزاعة ، سمعت لجمعك لمحمدٍ فجئتك لأكون معك . ومشى معه يحادثه ويُنْشِده ، وقال : عجباً لما أحدث محمد من هذا الدين المحدَث ، فارق الآباء وسفه أحلامهم ! فقال سفيان : لم يلق محمدٌ أحداً يشبهني ! حتى انتهى إلى خبائه وتفرّق عنه أصحابه . فقال : هلمّ يا أخا خزاعة .

قتل سفيان بن خالد

فدنا منه وجلس عنده حتى نام الناس ، فقتله وأخذ رأسه واختفى في غار ، والخيل تطلبه في كل وجه ، ثم سار الليلَ وتوارى في النهار إلى أن قدم المدينةَ ورسول الله ﷺ في المسجد فقال : أفلح الوجه ! قال : أفلح وجهك يا رسول الله ! ووضع الرأس بين يديه ، وأخبره الخبر ، فدفع إليه عصا وقال : تخصَّرْ[2] بهذه في الجنة ، فإن المتخصِّرين[2] في الجنة قليل ، وكانت عنده حتى أدرجت في أكفانه بعد موته .

غزوة القرطاء

ثم كانت غزوة القُرَطاء من بني بكر[3] بن كلاب ، بناحية ضَرِيَّة بالبكرات ، وبين ضرية والمدينة سبع ليال . خرج فيها محمد بن مسلمة لعشر خلون من المحرم ، فغاب تسع عشرة ليلة ، وقدم لليلة بقيتْ من المحرم . وكان في ثلاثين رجلا ، فسار الليل وكمن [4] النهار [حتى إذا][5] كان بالشَّرَبّة[6] لقي ظُعُناً من محارب ، فأغار عليهم . وقتل نفراً منهم وفرّ سائرهم ، واستاق نعماً وشاءً ، ومضى . وقدّم عباد ابن بشر عيناً لينظر بني بكر بن كلاب . فلما أتاه بخبرهم شنّ الغارة عليهم ، وقتل منهم عشرة ، واستاق النَّعم ، والشاء ، وقدم المدينة ، وهي خمسون ومائة بعير ،

---

(١) زيادة السياق .

(٢) اختصر فلان : أمسك المِخْصَرَة واختصر بها : اعتمد عليها . والمخصرة : ما يتوكأ عليها كالعصا ونحوها . (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٢٣٧ .

(٣) في (خ) « من بني أبي بكر »

(٤) في (خ) « وأكمن »

(٥) زيادة للسياق .

(٦) الشربَّة : قال الأصمعي : الشَّرَبّة وادي الرمة يقع بين عدنة والشربة (معجم البلدان) ج ٣ ص ٣٣٣ وضَرِّية:قرية في طريق مكة من البصرة من نجد(المرجع السابق)ج٣ص٤٥٧وهي في(خ)«الشرية».

وثلاثة آلاف شاة ، فخمَّس رسول الله ﷺ وقَسم ما بقي ، فعُدِّل الجزور بعشر من الغنم .

غزوة بني لحيان

ثم كانت غزوة بني لحيان بن هُذيل بن مدركة ، بناحية عُسفان[1] . خرج فيها رسول الله ﷺ لهلال ربيع الأول سنة ست في مائتي رجل ، ومعهم عشرون فرساً ، يريد بني لحيان ليأخذ بثأر أصحاب الرجيع ، فعسكر من ناحية الجُرُف في أول نهاره ، وأظهر أنه يريد الشأم ، ثم راح مبرداً حتى انتهى إلى حيث كان مصاب عاصم بن ثابت وأصحابه بين أمج وعسفان ببطن غُران[2] ، وبينها وبين عسفان خمسة أميال . وقد هرب بنو لحيان ، فأقام يوماً أو يومين وبث السرايا فلم يقدر على أحد . فأتى عسفان في مائتي راكب من أصحابه ، ثم بعث فارسين حتى بلغا كراع الغميم ثم كرّا . وقال الواقدي[3] : بعث أبا بكر رضي الله عنه في عشرة فوارس فبلغ كراع الغميم ورجع . ولم يلق أحداً . فقال ﷺ : إن هذا يبلغ قريشاً فيذْعَرهم ، ويخافون أن نكون نريدهم . وكان خبيب بن عديّ يومئذ في أيديهم ، فخافوا أن يكون قد جاء ليخلِّصه . وعاد رسول الله ﷺ إلى المدينة ، وقد غاب أربع عشرة ليلة وكان يخلفه على المدينة ابن أم مكتوم .

دعاء رسول الله ﷺ

وقال في منصرفه إلى المدينة : آئبون تائبون عابدون ، لربنا حامدون . اللهم أنت الصاحب في السفر ، والخليفة على الأهل ، اللهم إنِّي أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب ، وسوء المنظر في الأهل والمال . اللهم بلغنا بلاغاً صالحاً يبلغ إلى خير ، مغفرة منك ورضواناً ، وهذا أوّل ما قال هذا الدعاء[4] .

وصحّح جماعة أن غزوة بني لحيان هذه كانت بعد قريظة بستة أشهر ، وأنها كانت في جمادى الأولى . وصحح ابن حزم أنها في الخامسة .

---

(١) قال السسكري : عُسفان على مرحلتين من مكة على طريق المدينة المنورة والجحفة على ثلاث مراحل ، غزا النبي ﷺ بني لحيان بعسفان وقد مضى لهجرته خمس سنين وشهران وأحد عشر يوماً (معجم البلدن) ج ٤ ص ١٢٢ .

(٢) في (خ) « غشران » .   (٣) في (المغازي) ج ٢ ص ٥٣٦ .

(٤) ذكره النووي في (الأذكار) ص١٩٨، ١٠٣، وابن سيد الناس في (عيون الأثر) ج٣ ص٨٣ وغيرهما.

غزوة الغابة

وكانت غزوة الغابة . ويقال : غزاة ذي قَرَد [ويقال : قُرُد بضمتين] ، وهو ماء على بريدٍ من المدينة ، في ربيع الأول . وقال ابن عبد البر[١] : كانت بعد لحيان بليالٍ . وقال البخاري : كانت قبل خيبر بثلاثة أيامٍ[٢] ، وفي مسلم نحوه[٣] ، وفيه نظرٌ لإجماع أهل السِّيَر على خلافه[٤] .

سببها

وسببها : أن لقاح رسول الله ﷺ ـــ وكانت عشرين لقحة[٥] : منها ما أصاب في ذات الرقاع : ومنها ما قدم به محمد بن مسلمة من نجد ـــ وكانت ترعى البيضاء فقربوها إلى الغابة ، وكان الراعي يؤوب بلبنها كل ليلة عند المغرب . فاستأذن أبو ذرٍ جُندُب بن جنادة بن قيْس بن عمرو بن مليل بن صعَيْر بن حرام بن غفار الغفاريّ ، رسول الله ﷺ في الخروج إلى لقاحه ، فقال : إني أخاف عليك من هذه الضاحية أن تُغير[٦] عليك ، ونحن لا نأمن عُيَيْنَةَ بن حصنٍ وذويه . وهو في طرف من أطرافهم ، فلما ألح عليه أبو ذرٍ رضي الله عنه قال : لكأني بك قد قتل ابنك وأخذت امرأتك ، وجئت تتوكأ على عصاك .

ليلة السرح

فلما كانت ليلة السرْح ، جعلت سَبْحَة فرس المقداد بن عمرو لا تقرُّ ضرباً

(١) في (خ) « أبو عبيد البر » .
(٢) (صحيح البخاري) ج ٣ ص ٤٨ ، فتح الباري ج ٧ ص ٤٦٠ .
(٣) (شرح صحيح مسلم للنووي) ج ١٢ ص ١٧٣ وما بعدها .
(٤) يقول (ابن جرير الطبري) : « وأما الرواية عن سلمة بن الأكوع بهذه الغزوة من رسول الله ﷺ بعد مقدمه المدينة ، منصرفاً من مكة عام الحديبية ، فإن كان ذلك صحيحاً ، فينبغي أن يكون ما روى عن سلمة بن الأكوع إما في ذي الحجة من سنة ست من الهجرة ، وإما في أول سنة سبع ، وذلك أن انصراف رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة عام الحديبية كان في ذي الحجة من سنة ست من الهجرة ، وبين الوقت الذي وقّته ابن إسحاق لغزوة ذي قَرَد والوقت الذي رُوى عن سلمة بن الأكوع قريب من ستة أشهر » (تاريخ الطبرى) ج ٢ ص ٥٩٦ .
(٥) اللقحة : الناقة الحلوب الغزيرة اللبن (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٨٣٤ .
(٦) في (خ) « نغيره » والتصويب في (الواقدي) ج ٢ ص ٥٣٨ .

بيديها وصهيلاً ، فيقول أبو معبد : والله إن لها لشأناً ! فينظر آريّها[1] فإذا هو مملوء علفاً . فيقول : عطشى ! فيعرض الماء عليها فلا تريده ، فلما طلع الفجر أسرَجَها ولبس سلاحه وخرج ، حتى صلى مع رسول الله ﷺ الصبح فلم ير شيئاً . ودخل النبي ﷺ بيته ، ورجع المقداد إلى بيته ، وفرسه لا تُقِرُّ ، فوضع سرجه وسلاحه واضطجع . فأتاه آتٍ فقال : إن الخيل قد صُبِّح بها[2] ! .

غارة ابن عيينة على السرح

وكانت لقاح رسول الله ﷺ قد رُوِّحت وعَطَّنت وحُلبتْ عَتْمَتُها[3] ، وأحدق عبد الرحمن بن عيينة بن حصن في أربعين فارساً من بني عبد الله بن غَطَفان ، [وذكر ابن الكلبي أن الذي أغار على سرح المدينة عبد الله بن عيينة بن حِصن] . وهم نيامٌ . فأشرف لهم ابن أبي ذرّ فقتلوه وساقوا اللقاح . فجاء أبو ذر إلى النبي ﷺ فأخبره فتبسَّم .

خبر سلمة بن الأكوع

وكان سلمة بن عمرو [بن][4] الأكوع — [واسمه سِنان][4] بن عبد الله ابن قشير بن خزَيمة بن مالك بن سلامان بن أسلم بن أفْصي الأسلمي قد غدا إلى الغابة للقاح رسول الله ﷺ [بفرسٍ لطلحة بن عبد الله][5] لأن يبَلِّغْه[6] لبنها ، فلقي غلام عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه — وكان في إبله فأخطأوا مكانها ، فأخبره أن لقاح رسول الله ﷺ قد أغار عليها ابن عيينة في أربعين فارساً . وأنهم رأوا إمداداً بعد ذلك أمدَّ به ابن عيينة ، فرجع سلمة إلى المدينة وصرخ على ثنية الوداع بأعلى صوته ! يا صباحاه ! ثلاثاً ، ويقال نادى : الفَزَع الفَزَع ! ثلاثاً .

---

(١) الآريّ : محبس الدابة ومربطها ومعلفها (المعجم الوسيط) ج ١ ص ١٤ .

(٢) صُبِّح بها : أغير عليها صباحاً (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٥٠٥ .

(٣) رَوّحت : رُدت إلى مكان مبيتها وعطنت : سعيت ورجعت إلى مأواها ، والعَتَمة : ثلث الليل الأول ، وهو ووقت حليبها ، فَسمّي اللبن باسم وقت حلبه .

(٤) زيادة لابد منها .

(٥) زيادة من (ابن سعد) ج ٢ ص ٨٢ .

(٦) هذه الكلمة في (ط) « لبلبنه » وما أثبتناه من (خ) وهي في (الواقدي) ج ٢ ص ٥٣٩ على لسان سلمة ابن الأكوع : « لأن أبلّغه لبنها » ، ومع ذلك يقول محقق (ط) : « ولم أجد الكلمة في خبر من أخبار سلمة بن الأكوع » وللحق : فإن رسم هذه الكلمة في (خ) « يبلعنه » .

ووقف على فرسه حتى طلع رسول الله ﷺ في الحديد مُقَنَّعاً ، فوقف واقفاً . [وقيل : ركب فرساً عُرْياً لأبي طلحة يقال له مندوب ، فلما انصرف قال : إن وجدناه لبحراً][1] .

نداء الفزع ليلة السرح

[ونودي يا خيل الله اركبي ! وكان أول ما نودي بها][2] ، فكان[3] أول من أقبل إليه المقداد بن عمرو وعليه السلاح شاهراً سيفه . فعقد له لواء على رمحه وقال : امض حتى تلحقك الخيول ، إنا على أثرك . فخرج حتى أدرك أخريات العدو ، فظفر له بفرس . وأدرك مَسْعَدَة بن حَكمة بن مالك بن حذيفة بن بدر الفزاريّ فتطاعنا برمحيهما ، ثم فرّ مسعدة . فنصب مقداد اللواءَ ، ولحقه أبو قتادة — معلماً بعمامة صفراء على فرس له — فتسايرا ساعة ، فاستحث أبو قتادة فرسه حتى غاب ، وقد أدرك مسعدة فقتله .

وخرج سلمة بن الأكوع على رجليه يعدو ، يسبق الخيل ، حتى لحق العدو فرماهم بالنبل والخيل تكر عليه وهو يقول :

خذها وأنا ابنُ الأكْوع   اليومَ يومُ الرُّضَّع

[حتى انتهى إلى ذي قردٍ وقد استنفذ منهم جميع اللقاح وثلاثين بردة ، قال سلمة : .

وصول رسول الله ﷺ إلى ذي قرد

فلحقنا][4] رسول الله ﷺ والخيول عِشاءً ، وكانوا ثمانية أفراس ، وكان

(١) ما بين القوسين زيادة في (خ) ولعلها خطأ من الناسخ وحذفها أولى ، لأن خبر أبي طلحة ليس في هذه الغزوة .   (٢) زيادة من (ابن سعد) ج ٢ ص ٨٠ و (زاد المعاد) ج ٣ ص ٢٧٨ .

(٣) في (خ) « وكان » والصواب ما أثبتناه من : (تاريخ الطبري) ج ٢ ص ٦٠١ ، (زاد المعاد) ج ٢ ص ٢٧٨ ، (المغازي) ج ٢ ص ٥٣٩ .

(٤) ما بين القوسين زيادة من : (زاد المعاد) ج ٣ ص ٢٧٨ ، وسياقه مضطرب في (خ) فبعد قوله : « اليوم يوم الرضع » ما يأتي :«حتى لحقهم رسول الله ﷺ والخيول عشاء ، وكانوا ثمانية أفراس ، وكان المقداد أمير الفرسان حتى لحقهم رسول الله ﷺ بذي قرد » راجع (ابن سعد) ج ٢ ص ٨١ . و (االواقدي) ج ٢ ص ٥٤١ .

المقداد أمير الفرسان [وقيل : بن أميرهم سعد بن زيد الأشهلي][1] . فقال سلمة : يا رسول الله ! إن القوم عطاش ، وليس لهم ماء دون أحساء كذا وكذا ، فلو بعثتني في مائة رجل استنقذت ما بين أيديهم من السرح ، وأخذت بأعناق القوم ! فقال : ملكتَ فأسْجِحْ[2] ! ثم قال : [إنهم الآن][3] لَيُقْرَوْن[4] في غطفان . وذهب الصريخ إلى بني عمرو بن عوف فجاءت الأمداد ، فلم تزل الخيل تأتي ، والرجال على أقدامهم ، و [على][5] الإبل ، والقوم يعتقبون البعير والحمار ، حتى انتهوا إلى رسول الله ﷺ بذي قَرَدٍ ، فاستنقذوا عشر لقاح ــ منها جمل أبي جهل ــ وأفلت القوم بعشر[6] .

ذكر القتلى

وكانت راية رسول الله ﷺ العقاب يحملها سعد ، وكان قد أدرك محرز ، نضلة بن عبد الله بن مرَّة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة ــ القوم بهَيفا[7]، فطاعنهم ساعة[8] بالرمح فقتله مَسعَدة بن حكمة . وأقبل عباد بن بشر

---

(١) في (خ) « مسعدة بن زيد » والصواب ما أثبتناه من (ابن سعد) ج ٢ ص ٨١ . و (الواقدي) ج ٢ ص ٥٤١ ، يقول (ابن سعد) والثابت عندنا أن رسول الله ﷺ أمَّر على هذه السرية سعد بن زيد الأشهلي ، ولكن الناس نسبوها إلى المقداد لقول حسان بن ثابت :

سَرَّ أولاد اللقيطة أننا سِلمٌ غداة فَوارِسِ المِقْدادِ

راجع (ديوان حسان) ص ٣٢٦ .

(٢) الإسجاح : حُسن العفو ، أي ملكت الأمر على فأحسن العفو عني ، وأصله السهولة والرفق ، وهو مثل يُضرب لذلك : (مجمع الأمثال للميداني) ج ١ ص ٤٦٠ ، ج ٢ ص ٢٤٨ مَثل رقم ١٦٢٩ .

(٣) زيادة من (ابن سعد) ج ٢ ص ٨٤ (وزاد المعاد) ج ٣ ص ٢٧٩ .

(٤) من القرى ، وهو ما يَقدم للضيف .

(٥) زيادة من (ط) ورواية (الواقدي) ج ٢ ص ٥٤٢ ، (وزاد المعاد) ج ٣ ص ٢٧٩ بدون هذه الزيادة .

(٦) يقول (ابن القيم) في (زاد المعاد) ج ٣ ص ٢٧٩ : « قلت : وهذا غلط بين ، والذي في الصحيحين : أنهم استنفذوا اللقاح كلها » ولفظ مسلم في صحيحه ج ١٢ ص ١٧٩ (بشرح النووي) « حتى ما خلق الله من بعير من ظهر رسول الله ﷺ إلا خلَّفته وراء ظهري ، وخلُّوا بيني وبينه » .

(٧) في (خ) و (المغازي) « بهيقا » وهو خطأ قد صححه محقق (المغازي) وصوابه : « بهيفا » وهيفا : موضع على ميل من بئر المطلب (وفاء الوفا) ج ٢ ص ٣٨٧ ، وقد ذكر محقق (ط) في (المستدرك) أن هذا الموضع لم يذكره أحد من أصحاب كتب البلدان .

(٨) في (خ) « ساعِد » هكذا مشكولة وهو خطأ ، وما أثبتناه من (المغازي) ج ٢ ص ٥٤٨ .

على أوبار بن عمرو بن أوبار[1] وقاتله ، فقتله عباد ، وقيل : بل قتله عكاشة بن محصن .

دعاء رسول الله ﷺ لأبي قتادة

ودعا رسول الله ﷺ لأبي قتادة لما أدركه فقال : اللهم بارك له في شعره ، وبشَرَه . وقال : أفلح وجهك ! فقال : ووجهك يا رسول الله ! ثم قال : قتلت مسعدة ؟ قال : نعم ! قال : ما هذا بوجهك ؟ قال : سهم رميت به يا رسول الله ! قال : فادْن مني ! فدنا منه فبصق عليه فما ضرب عليه قطُّ ولا قاح[2] فمات أبو قتادة ، وهو ابن سبعين سنة ، وكأنه ابن خمس عشرة[3] سنة ، وأعطاه رسول الله ﷺ يومئذ فرس مسعدة وسلاحه وقال : بارك الله لك فيه .

أصحاب الخيل

واستعمل ﷺ يومئذ على الخيل سعد بن زيد الأشهليّ وقدَّمه أمامه ، فلحق القوم وناوشهم ساعة : هو والمقداد بن عمرو ، ومعاذ بن ماعص ، وأبو قتادة ، وسلمة بن الأكوع ، فحمل سعد على حبيب بن عيينة بن حصن فقتله وأخذ فرسه ، وقيل : قتل حبيب بن عيينة المقدادُ . وكان شعار المسلمين يومئذ : أمِتْ أمِتْ .

صلاة الخوف

وصلى رسول الله ﷺ يومئذ صلاة الخوف : فقام إلى القبلة وصفَّ طائفة خلفه ، وطائفةٌ مواجهة العدو ، فصلى بالطائفة التي خلفه ركعة وسجدتين ثم انصرفوا . وقاموا مقام أصحابهم ، وأقبل الآخرون فصلى بهم ركعةً وسجدتين وسلم ، فكان لرسول الله ﷺ ركعتان ، ولكل رجل من الطائفتين ركعة .

---

(١) كذا في (خ) ، وفي (خ) « آنار » وفي المغازي ج ١ ص ٥٤٣ « أونار » .

(٢) كذا في (خ) وفي (المغازي) ج ٢ ص ٥٤٥ والقيح : المِدة لا يخالطها دم ، قاح الجرح يقيح (ترتيب القاموس) ج ٣ ص ٧٢١ وفي (ط) « فاح » بالفاء ، وقد ذكر محقق (ط) أن هذا صوابها .

(٣) في (خ) « خمسة عشر سنة » .

تاريخ الغزوة

وكانت غزاة ابن عيينة ليلة الأربعاء لثلاث خلون من ربيع الأول سنة ست. فخرج ﷺ يوم الأربعاء، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، وأقام بذي قرد يوماً وليلة. وقسم في كل مائة من أصحابه جزوراً ينحرونها، وكانوا خمسمائة، ويقال: كانوا سبعمائة.

حراسة المدينة وإمداد سعد بن عبادة المسلمين

وأقام سعد بن عبادة — في ثلاثمائة من قومه — يحرسون المدينة خمس ليال حتى رجع ﷺ ليلة الاثنين. وأمدّ المسلمين سعدُ بن عبادة رضي الله عنه بأحمال تمر، وبعشر جزائر بذي قرد: وبعث بذلك مع ابنه قيس بن سعد، فقال رسول الله ﷺ: يا قيس! بعثك أبوك فارساً، وقوى المجاهدين، وحرس المدينة من العدو! اللهم ارحم سعداً وآل سعد! ثم قال: نعم المرءُ سعد بن عبادة! فقالت الأنصار: يا رسول الله، هو بيننا وسيدنا وابن سيدنا. كانوا يطعمون في المحل[1]، ويحملون الكل[2]، ويقرون الضيف، ويعطون في النائبة، ويحملون عن العشيرة[3]. فقال: خيار الناس في الإسلام خيارهم في الجاهلية إذا فَقهوا في الدين.

الرجوع إلى المدينة وخبر امرأة أبي ذر

ورجع ﷺ إلى المدينة ليلة الاثنين وقد غاب عنها خمس ليال. فأقبلت امرأة أبي ذر على ناقته القصواء. — وكانت في السرح — فدخلت عليه فأخبرته من أخبار الناس، ثم قالت: يا رسول الله! إني نذرت إن نجاني الله عليها أن انحرها فآكل من كبدها وسنامها! فتبسم وقال: بئس ما جزيتها! أن حملك الله عليها ونجاك [بها][4] ثم تنحرينها! إنه لا نذر في معصية الله ولا فيما لا تملكين، إنما هي ناقة من إبلي، فارجعي إلى أهلك على بركة الله.

(١) المحْل: مَحَل المكان: أجدب (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٧٥٦.
(٢) الكَلّ: الفقير المُعدم.
(٣) من الحمالة: وهي الدية والغرامة.
(٤) زيادة من ابن هشام ج ٣ ص ١٧٩، و في (خ) (والمغازي) بدونها.

خبر الهـدية

وقيل لرسول الله ﷺ : هذه لقحتك السمراء على بابك ، فخرج مستبشراً ، فإذا رأسها بيد ابن أخي عيينة بن حصن ، فلما نظر عرفها ، فقال : أيم بك[1] ؟ فقال : يا رسول الله ! أهديت إليك هذه اللقحة ، فتبسم وقبضها منه ، وأمر له بثلاثة أواقي فضة ، فتسخط ، فصلى عليه السلام الظهر وصعد المنبر فحمد الله ، ثم قال : إن الرجل أهدى لي الناقة من إبلي ، أعرفها كما أعرف بعض أهلي ثم أثيبه عليها ، فيظل يتسخط عليّ ! ولقد هممت ألا أقبل هدية إلا من قريشي أو أنصاري . وفي رواية[2] : أو ثقفي أو دوسي .

بعض تاريخ الغزوة

ووقع في صحيح مسلم عن سلمة بن الأكوع في هذه القصة قال : فرجعنا إلى المدينة فلم نلبث إلا ثلاث ليال حتى خرجنا إلى خيبر . وذهب قوم إلى غزوة المريسيع كانت في شعبان ، بعد غزوة الغابة هذه[3] .

يا خيل الله اركبي

وفي غزوة الغابة نودي عندما جاء الفزع : يا خيل الله اركبي : ولم يكن يقال قبلها .

سرية عكاشة بن محصن إلى الغمر

ثم كانت سرية عكاشة بن محصن بن حرثان بن قيس بن مرة بن كبير بن غنم ابن دودان بن أسد بن خزيمة ــ الأسدي ــ إلى الغمر : وهو ماء لبني أسد على ليلتين من قيد[4] في ربيع الأول سنة ست . فخرج في أربعين رجلاً يغذ السير ، فنذر به القوم فهربوا ، وانتهى إلى علياء بلادهم فلم يلق أحداً . وبث سرياه فظفروا

---

(١) يريد : أي شيء بك ؟

(٢) عن أبي هريرة ، ذكرها (الواقدي) ج ٢ ص ٥٤٩ .

(٣) يقول (ابن القيم) في (زاد المعاد) ج ٣ ص ٢٧٩ : « وهذه الغزوة كانت بعد الحديبية ، وقد وَهِمَ فيها جماعة من أهل المغازي والسِّيَر ، فذكروا أنها قبل الحديبية » .

(٤) قيد : بليدة في نصف طريق مكة من الكوفة (معجم البلدان) ج ٤ ص ٢٨٢ .

بنعم فاستاقوا مائتي بعير وعادوا .

سرية محمد بن مسلمة إلى ذي القصة

ثم كانت سرية محمد بن مسلمة إلى ذي القصة ــ موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرين ميلاً ــ يريد بني ثعلبة وبني عوال من ثعلبة[1] : وهم مائة رجل ، في ربيع الأول ، فسار في عشرة حتى وردوا ليلاً وناموا ، فأحاط بهم المائة رجل من بني ثعلبة ففزعوا ، وراموهم ساعة بالنبل ، ثم حملت الأعراب بالرماح عليهم فقتلوهم ، وسقط محمد بن مسلمة جريحاً ، فحمل بعد ذلك إلى المدينة .

سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى ذي القصة

ثم كانت سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى ذي القصة في شهر ربيع الآخر سنة ست . خرج في ليلة السبت ومعه أربعون رجلاً ، فغاب ليلتين ، وكانت بلاد بني ثعلبة وأنمار قد أجدبت ، فتتبع بنو محارب وثعلبة وأنمار سحابة وقعت بالمراض إلى تغلمين ، [والمراض على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة] ، وأجمعوا أن يغيروا على سرح المدينة ببطن هيفاء[2] : [موضع على سبعة أميال من المدينة] . فبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة رضي الله عنه بمن معه بعدما صلوا صلاة المغرب : فمشوا ليلهم حتى وافوا ذا القصة مع عماية الصبح[3] ، فأغاروا على القوم فأعجزوهم هرباً ، وأخذوا رجلاً ، واستاقوا نعماً ، ووجدوا رثة من متاع ، وعادوا ، فخمس رسول الله ﷺ الغنيمة ، وقسم باقيها . وأسلم الرجل وترك لحاله .

سرية زيد بن حارثة إلى العيص

وكانت سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه إلى العيص : على أربع ليال من المدينة ، في جمادى الأولى منها ، ومعه سبعون ومائة راكب ، ليأخذوا عيراً لقريش قد أخذت طريق العراق . ودليلها فرات بن حيان العجْليّ . فظفر بها زيد ، وأسر أبا العاص بن الربيع ، والمغيرة بن معاوية بن أبي العاص ، ووجد فضة كثيرة لصفوان

---

(١) في (خ) « تغلب »   (٢) في (خ) « هيفا »   (٣) عماية الصبح : بقيه الظلمة في آخر الليل .

ابن أمية . وقدم المدينة ، فأجازت زينب [بنت رسول الله][1] عليها السلام زوجها أبا العاص .

إسلام أبي العاص زوج زينب بنت رسول الله ﷺ

فقال رسول الله ﷺ : المؤمنون يد على من سواهم ، يجير عليهم أدناهم ، وقد أجرنا من أجارت : ورد عليه كل ما أخذ من المال . فعاد إلى مكة وأدى إلى كل ذي حقٍّ حقه ، وأسلم . ثم قدم المدينة مهاجراً ، فرد رسول الله ﷺ عليه زينب بذلك النكاح .

إفلات المغيرة بن معاوية من أسر عائشة رضي الله عنها

وأفلت المغيرة بن معاوية فتوجه إلى مكة ، فأخذه خوات بن جُبير أسيراً ــ وكان في سبعة نفر مع سعد بن أبي وقاص ــ فدخلوا به المدينة بعد العصر ، فقال رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها : احتفظي عليك بهذا الأسير ، وخرج . فلَهتْ عائشة مع امرأة بالحديث ، فخرج وما شعرت به .

خبر دعاء رسول الله ﷺ على عائشة رضي الله عنها

فدخل النبي ﷺ فلم يره وسألها ، فقالت : غَفَلْتُ عنه ، وكان ها هنا آنفاً ! فقال : قطع الله يدك . وخرج فصاح بالناس ، فخرجوا في طلبه حتى أخذوه وأتوْا به . فدخل ﷺ على عائشة وهي تقلّب يدها فقال : مالَكِ ؟ قالت : أنظر كيف تقطع يدي ! قد دعوت عليّ بدعوتك ! فاستقبل ﷺ القبلة ورفع يديه ثم قال : اللهم إنما أنا بشر أغضب وآسف كما يغضب البشر ، فأيما مؤمنٍ أو مؤمنةٍ دعوتُ عليه فاجعلها له رحمة[2] .

سرية زيد بن حارثة إلى الطرف

وكانت سرية زيد بن حارثة إلى الطَّرف ــ ماء على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة ، بناحية نخل من طريق العراق ــ في جمادى الآخرة منها ، ومعه خمسة عشر

(١) زيادة للإيضاح .
(٢) راجع ج ٢ من هذا الكتاب باب « وأما اشتراطه على ربه أن يجعل سبه لم سب من أمته أجراً » .

رجلاً يريد بني ثعلبة ، فأصاب لهم نَعَماً وشاءً . وقدم من غير قتال بعشرين بعيراً ، ثم غاب أربع ليال .

سرية زيد بن حارثة إلى حسمي وسببها

وكانت سرية زيد أيضاً إلى حسمي وراء وادي القرى ، في جمادى الآخرة هذا . وسببها أن دِحْيَة الكلبي أقبل من عند قيصر ملك الروم بجائزة وكسوة ، فلقيه بحسمي الهنْيد بن عارض وابنه عارض بن الهنيد في جمع من جُذام ، فأخذوا ما معه . ودخل المدينة بسَمَل[١] ثوبٍ ، [ويقال : بل نفر إليه النعمان بن أبي جعَال في نفر من بني الضّبيب فخلص له متاعه بعد حرب] . فبعث رسول الله ﷺ زيداً على خمسمائة رجل ومعه دحية ، فكان يسير ليلاً ويكمن نهاراً ، حتى هجم مع الصبح على الهنيد وابنه فقتلهما ، واستاق ألف بعير وخمسة آلاف شاة ، ومائة ما بين امرأة وصبيٍّ . فأدركه بنو الضُّبيب ــ وقد كانوا أسلموا وقرأوا من القرآن ــ وحدّثوه أن يرد عليهم ما أخذ . ثم قدم زيد بن رفاعة الجذامي في نفر من قومه على رسول الله ﷺ المدينة ، فذكر له ما صنع زيد بن حارثة ، ورضوا بأخذ ما أصاب لهم من الأهل والمال ، وأغضَوْا عمَّن قتل . فبعث معهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومعه سيفه أمارة ــ ليردّ عليهم زيد ما أخذ منهم ــ فردَّ جميع ذلك بعد ما فرَّقه فيمن معه ، وقد وَطِئُوا النساء .

سرية عبد الرحمن بن عوف إلى كلب بدومة الجندل يدعوهم إلى الإسلام

وكانت سرية عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه إلى كلب بدومة الجندل في شعبان منها[٢] ، ليدعوا كلباً إلى الإسلام ، ومعه سبعمائة رجل . فأقعده بين يديه ، ونقض عمامته بيده الكريمة ، ﷺ ، ثم عمَّمه بعمامة سوداء وأرخى بين كتيفيه منها ، ثم قال : هكذا فاعتم يا ابن عوفٍ ! ثم قال ﷺ : اغدُ باسم الله وفي سبيل الله . فقاتل من كفر بالله . لا تغلَّ ولا تغدِر ولا تقتل وليداً .

(١) ثوب سمل : بال خَلق .

(٢) من سنة ست .

الخمس المهلكات

ثم بسَطَ يده فقال : يـٰأيها الناس ! اتقوا خمساً قبل أن تحلَّ بكم : ما نُقِصَ[1] مكيال قومٍ إلا أخذهم الله بالسنين[2] ونقص من الثمرات لعلّهم يرجعون ، وما نكث قوم عهدهم إلا سلَّط الله عليهم عدوهم ، وما منع قوم الزكاة إلا أمسك الله عنهم قَطر السماء : ولولا البهائم لم يسقَوا ، وما ظهرت الفاحشة في قوم إلا سلط الله عليهم الطاعون ، وما حكم قوم بغير آي القرآن إلا ألبَسَهم شيعاً[3] وأذاق بعضهم بأس بعض .

إسلام الأصبغ ملك كلب ، وزواج عبد الرحمن ابن عوف تماضر ابنته

فسار عبد الرحمن بن عوف حتى قدم دومة الجندل ، ودعا أهلها ثلاثة أيام إلى الإسلام وهم يأبون إلا محاربته . ثم أسلم الأصبغ بن عمرو بن ثعلبة بن حصن ابن ضمضم الكلبي : وكان نصرانياً وهو رأس القوم ، فكتب عبد الرحمن بن عوف بذلك إلى رسول الله ﷺ مع رافع بن مكيث ، وأنه أراد أن يتزوج فيهم ، فكتب إليه أن تزوج تماضر ابنة الأصبغ ، فتزوجها ، فهي أول كلبية تزوجها قرشيٌّ ، فولدت له أبا سلمة ، [العقية][4] . [وهي أخت النعمان بن المنذر لأمِّه] . وأقبل بعدما فرض الجزية على من أقام على دينه .

سرية علي بن أبي طالب إلى بني سعد بن بكر

ثم كانت سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى بني سعد بن بكر[5]

---

(١) كذا في (خ) و (ط) وفي (الواقدي) ج ٢ ص ٥٦١ « ما يقضى » .

(٢) السنين جمع سنة ، وهي القحط والجدب .

(٣) أي مختلفين المتباعدين ، إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض ﴾ من الآية ٦٥ / الأنعام .

(٤) هكذا رسم هذه الكلمة في (خ) والسياق مستقيم بدونها وحذفها أولى .

(٥) في (خ) « بني عبد الله سعد بن بكر » والذي أثبتناه من : (الواقدي) ج ٢ ص ٥٦٢ ، و(ابن سعد) ج ٢ ص ٨٩ .

وكانوا بفدك[1] في شعبان منها ، ومعه مائة رجل . وقد أجمعوا [يعني بني سعد ابن بكر][2] على أن يمدوا يهود خيبر . فسار ليلاً وكمن نهاراً ، حتى [إذا][2] انتهى إلى ماء بين خيبر وفدك يقال له : الهَمَج ، وجد عيناً لبني سعد قد بعثوه إلى خيبر ــ لتجعل لهم يهودُ من ثمرها كما جعلوا لغيرهم ، حتى يقدموا عليهم ــ فدلهم علي القوم بعد ما أمَّنوه . فسار عليٌّ حتى أغار على نَعَمهم وضمَّها ، وفرَّت رعاتها فأنذرت القوم . وقد تجمّعوا مائتي رجل ، وعليهم وَبَرُ بن علَيم[3] ، فتفرقوا . وانتهى عليٌّ بمن معه فلم ير منهم أحداً ، وساق النّعم : وهي خمسمائة بعير وألفا شاةٍ ، فعزل الخمس وصفىّ رسول الله ﷺ لقوحاً تدعى (الحفذة)[4] ، ثم قسم ما بقي ، وقدم المدينة .

سرية زيد بن حارثة إلى أم قرفة[5] ، وسببها

ثم كانت سرية زيد بن حارثة إلى أم قرفة فاطمة بنت ربيعة بن بدر الفزارية ، بناحية وادي القرى : على سبع ليال من المدينة ، في رمضان سنة ست ، وسببها أن زيداً خرج في تجارة إلى الشام ، [ومعه بضائع لأصحاب النبي ﷺ][6] ، فخرج عليه ــ دوَيْنَ وادي القرى ــ ناس من بني بدر من فزارة فضربوه ، ومن معه حتى ظنوا أنهم قتلوه ، وأخذوا ما كان معه ، ثم تحامل حتى قدم المدينة . فبعثه رسول الله ﷺ في سرية إلى بني فزارة ، فكان يكمن نهاره ويسير ليله ، ونذرت بهم بنو بدر فاستعدّوا ، فلما كان زيد ومن معه على مسيرة ليلة أخطأ بهم دليلهم الطريق ، حتى صبحوا القوم فأحاطوا بهم ، فقتل سلمة بن الأكوع رجلا منهم ، وأخذ [سلمة بن][7] سلامة بن وقش ، [ويقال : بل سلمة بن الأكوع ، واسم

(١) فدَك: قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان ، وقيل ثلاثة . (معجم البلدان) ج ٤ ص ٢٣٨ .
(٢) زيادة للبيان والإيضاح .
(٣) في (خ) « وبرب عليم » والتصويب من : (ابن سعد) ج ٢ ص ٩٠ و (الواقدي) ج ٢ ص ٥٦٢ .
(٤) كذا في (خ) ، و (ابن سعد) ج ٢ ص ٩٠ وفي (الواقدي) ج ٢ ص ٥٦٣ : « الجَفدة » مضبوطة .
(٥) قال (الميداني) في (مجمع الأمثال) ج ٢ ص ٣٢٣ : قال الأصمعي : هي امرأة فزارية ، وكانت تحت مالك بن حذيفة بن بدر وكان يعلَّقُ في بيتها خمسون سفيا لخمسين فارسا كلهم محْرم » ذكره تعليقاً على المثل رقم ١٦٤ وهو : « أمنَعُ من أمّ قرفة » وفي (جمهرة الأمثال) (لأبي هلال العسكري) : رقم ١٢٤٤ « أعزُّ من أم قرفة » ج ٢ ص ٦٦ .
(٦) زيادة للبيان والإيضاح من (ابن سعد) ج ٢ ص ٩٠ .
(٧) زيادة لابد منها .

الأكوع سنان] ، جارية بنت مالك بن حذيفة بن بدر وأمّها أمّ قرفة : فاطمة بنت ربيعة بن بدر ، وغنموا . ثم قدموا المدينة ، فقرع زيد بن حارثة الباب ، فقام إليه رسول الله ﷺ يَجرّ ثوبه عرياناً حتى اعتنقه وقبّلَهُ ، وساءله ، فأخبره بما ظفّره الله .

وقتل في هذه السرية عبد الله بن مسعدة ، وقيس بن النعمان بن مسعدة بن حكمة بن مالك [بن حذيفة][1] بن بدر ، أحد بني قرفة . وأم قرفة قتلها قيس ابن المحسر [اليعمري][2] قتلاً عنيفاً : ربط بين رجليها حبلاً ، ثم ربطها بين بعيرين [ثم زجرهما فذهبا فقطعاها][3] وهي عجوز كبيرة . فأمر رسول الله ﷺ برأسها فدير به في المدينة ليُعلم قتلها ، ويصدق قول رسول الله ﷺ في قوله لقريش : « أرأيتم إن قتلت أمّ قرفة ؟ فيقولون : أيكون ذلك ؟ » وكان زوجها مالك بن حذيفة ابن بدر . وأخذ رسول الله ﷺ من سلمة بن الأكوع ابنة أم قرفة ، فوهبها لحزن ابن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، وهي مشركة وهو مشرك ، فولدت له عبد الرحمن بن حزْن ، وكانت جميلة .

سرية عبد الله بن رواحة إلى أسير بن زارم اليهودي بخيبر

ثم كانت سرية أميرها عبد الله بن رواحة إلى أسير بن زارم[4] بخيبر ، وكان من يهود ، في شوال سنة ست . وكان قد بعثه رسول الله ﷺ قبل ذلك في رمضان في ثلاثة نفر ينظر إلى خيبر وما تكلم به يهود ، فوعى ذلك وعاد بعد إقامة ثلاثة أيام ، فقدم لليال بقين منه ، فأخبر رسول الله ﷺ بما ندبه إليه .

خبر أسير بن زارم

وكان أسير قد تأمَّر على يهود بعد أبي رافع ، فقام فيهم يريد حرب رسول الله ﷺ ، وسار في غطفان فجمعها ليسير إلى المدينة ، فقدم بخبره خارجة بن حثيل

---

(١) زيادة من النسب .

(٢) في (ابن هشام) ج ٤ ص ١٩٥ : « قيس بن المسحر اليعمري » وفي (الواقدي) ج ٢ ص ٥٦٥ « قيس بن المحسِّر » .

(٣) زيادة لتمام المعنى من المرجع السابق ومن (الطبراني) ج ٢ ص ٦٤٢ ، ٦٤٣ .

(٤) وفي بعض كتب السيرة « رَازم » وفي (ابن هشام) « اليسير بن رازم » ج ٤ ص ١٩٦ .

الأشجعي[1] . فندب رسول الله ﷺ الناس ، فانتدب له ثلاثون رجلا ، واستعمل عليهم عبد الله بن رواحة رضي الله عنه . فقدموا خيبر ، وبعثوا إلى أسير فأمَّنهم حتى يأتوه[2] ، فيما جاءوا فيه ، فأتَوْه وقالوا له : إن رسول الله قد بعثنا إليك أن تخرج إليه فيستعملك على خيبر ويحسن إليك . فطمع في ذلك ، وخرج في ثلاثين من يهود ، ثم ندم في أثناء الطريق حتى عُرف ذلك منه .

غـدرة لليهودي

وهمّ بعبد الله بن أنيس ــ وكان فيمن خرج مع ابن رواحة ــ ففطن عبد الله بغدره وبادر ليقتله ، فشجَّه أسير ثم قُتل . ومالوا على أصحابه فقتلوهم كلهم ، إلا رجلاً واحداً فرّ منهم ، ولم يُصب أحد من المسلمين . وقدموا المدينة ــ وقد خرج رسول الله ﷺ يتحسب أخبارهم ــ فحدثوه الحديث ، فقال : نجاكم الله من القوم الظالمين ــ ونفث في شجة عبد الله بن أنيس فلم تَفِح[3] بعد ذلك ولم تؤذه ، وكان العظم قد نقّل . ومسح على وجهه ودعا له ، وقطع له قطعة من عصاه فقال : أمسك هذه علامة بيني وبينك يوم القيامة أعرفك بها ، فإنك تأتي يوم القيامة متَخَصِّراً . فجعلت معه في قبره تلي جلده ، ويروى أن النبي ﷺ كان قد قال له : يا عبد الله ! لا أرى أسير بن زارم ! أي اقتله .

سرية كرز بن جابر

ثم كانت سرية كرز بن جابر بن حسل بن لاحب بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر بن مالك القرشيّ الفهريّ ــ لما أغير على لقاح النبي ﷺ بذي الجدر ــ في شوال سنة ست ــ وهي على ستة أميال من المدينة ، وذلك أن نفراً من عرينة ثمانية قدموا على النبي ﷺ [فأسلموا ، واستوبأوا المدينة . وطحلوا ، فأمر بهم رسول الله ﷺ[4]] إلى لقاحه ــ وكان سرح المسلمين بذي الجدر ناحية

---

(١) في (الواقدي) « ابن حسيل » و في (خ) ، (ط) « حثيل » . ويقول محقق (ط) عن « خارجة » « ولا رأيت أحداً .

(٢) في (خ) « حتى يأتونه » .

(٣) كذا في (ط) و في (خ) ، (الواقدي) « تقح » بالقاف .

(٤) زيادة من (ابن سعد) ج ٢ ص ٩٣ واستوبأوا : استوخموا (ترتيب القاموس) ج ٤ ص ٥٥٤ وطحلَ الماء : فسد وأنتن (المرجع السابق) ج ٣ ص ٥٨ .

قباء قريباً من عيرٍ ترعى هناك — فكانوا فيها حتى[1] صحوا وسمنوا — وكانوا أستأذنوه أن يشربوا من ألبانها وأبوالها فأذِنَ لهم — فغدوا على اللقاح فاستاقوها، فيدركهم يسار مولى النبي ﷺ ومعه نفر فقاتلهم، فأخذوه فقطعوا يده ورجله وغرزوا الشوك في لسانه وعينيه حتى مات، وانطلقوا بالسرح. فأقبلت امرأة من بني عمرو بن عوف على حمار لها حتى تمرّ بيسار فتجده تحت شجرة، فلما رأته وما به رجعت إلى قومها فأخبرتهم، فخرجوا نحو يسار حتى جاءوا به إلى قباء ميتاً. فبعث رسول الله ﷺ في إثرهم عشرين فارساً، واستعمل عليهم كرز بن جابر الفهري، فخرجوا في طلبهم حتى أدركهم الليل فباتوا بالحرَّة، وأصبحوا لا يدرون أين يسلكون، فإذا هم بامرأة تحمل كتف بعير فأخذوها، فقالوا: ما هذا معك؟ قالت: مررت بقوم قد نحروا بعيراً فأعطوني هذا. ودلتهم على موضعهم فأتوهم. فأحاطوا بهم وأسروهم جميعهم.

عقاب الأسرى

وربطوهم وأردفوهم على الخيل حتى قدموا بهم المدينة — وقد خرج رسول الله ﷺ إلى الغابة[2] — فأتوه بهم. فقطعت أيديهم وأرجلهم، وسمل[3] أعينهم، وصلبوا بالزُّغابة.

النهي عن المثلة

فنزلت هذه الآية: ﴿ **إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعَون في الأرض فساداً أن يُقَتلُّوا أو يصلَّبوا أو تقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم** ﴾[4] فلم تسمَل بعد ذلك عين، ولا بعث ﷺ بعد ذلك بعثاً إلا نهاهم عن المثلة. وروى جعفر بن محمد، عن أبيه عن جده: لم يقطع رسول الله ﷺ لساناً قط، ولم يسمل عيناً ولم يزد على قطع اليد والرجل.

---

(١) في (خ) «حتى إذا»، وحذف «إذا» أولى للسياق.

(٢) في (خ) «بالغابة».

(٣) سمل العين: فقأها (ترتيب القاموس) ج ٢ ص ٦١٧.

(٤) في (خ) «فساداً، الآية»، والآية ٣٣ / المائدة.

اللقـــاح

ولما ظفر المسلمون باللقاح خلَّفوا عليها سلمة بن الأكوع ومعه أبو رهم الغفاري . وكانت خمسة عشرة لقحةً غزاراً . فلما أقبل النبي ﷺ من الزُّغابة إذا اللقاح على باب المسجد تحان[1] ، فلما نظر إليها تفقد منها لِقْحةً يقال لها الحنّاء ، وقد نحرها القوم ، فردها إلى ذي الجدر فكانت هناك ، وكان لبنها يروح به سلمة ابن الأكوع إلى رسول الله ﷺ ، كل ليلة وطَب[2] لبن .

عمرة الحديبية

ثم كانت عمرة الحديبية [على مقربة مكة][3] . وذلك أن رسول الله ﷺ رأى في النوم أنه دخل البيت وحلق رأسه ، وأخذ مفتاح البيت ، وعرَّف مع المعرِّفين[4] ، فاستنفر أصحابه إلى العمرة ، فأسرعوا وتهيأوا للخروج .

إسلام بسر بن سفيان وشراؤه الهدي لرسول الله ﷺ

وقدم عليه بسر بن سفيان بن عمرو بن عويمر الخزاعيّ في ليال من شوال مسلماً ، فقال له : يا بسر ! لا تبرح حتى تخرج معنا ، فإنا إن شاء الله معتمرون . فأقام وابتاع بُدناً لرسول الله ﷺ ، فكان يبعث بها إلى ذي الجدر حتى حضر خروجه ، فأمر بها فجلبت إلى المدينة ، وسلمها إلى ناجية بن جندُب بن عمير بن يعمر بن دارم بن عمرو بن واثلة بن سهم[5] بن مازن بن سلامان بن أسلم بن أفصى الأسلمي ليقدمها إلى ذي الحُليفة .

سلاح المسلمين وهديهم

وخرج المسلمون لا يشكون في الفتح ــ للرؤيا المذكورة ــ ، وليس معهم

(١) هذه الكلمة غير منقوطة في (خ) ولعلها « تحانّ » تفاعل من الحنين ، وتحانّ القوم : اشتاق بعضهم إلى بعض (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٢٠٣ .

(٢) الوطبُ : « سقاء اللبن » وهو جلد الجذع فما فوقه (المرجع السابق) ج ٢ ص ١٠٤١ .

(٣) ما بين القوسين في (خ) كان بعد قوله « وطب اللبن » ، وهذا حق مكانه . والحديبية في الحل وبعضها في الحرم ، وعند مالك بن أنس أنها جميعها في الحرم . (معجم البلدان) ج ٢ ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

(٤) عرَّف : وقف بعرفة في الحج .

(٥) في (خ) « واثلة بن تيم » و ما أثبتناه من (ط) .

سلاح إلا السيوف في القُرُب . وساق قوم الهدي[1] : منهم أبو بكر ، وعبد الرحمن ابن عوف ، وعثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن عبادة ، رضوان الله عليهم .

كلام عمر في أمر السلاح

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أتخشى يا رسول الله علينا من أبي سفيان ابن حرب وأصحابه ولم تأخذ للحرب عُدتها ؟ فقال : ما أدري ، ولست أحِب أحمل السلاح معتمراً . وقال سعد بن عبادة رضي الله عنه : لو حَمَلنا يا رسول الله السلاح معنا ، فإن رأينا من القوم ريباً كنا معدين لهم ! فقال ﷺ : لستُ أحملُ السلاح ، إنما خرجت معتمراً .

يوم الخروج

واستخلف على المدنية ابن أم مكتوم . وخرج من المدينة يوم الاثنين لهلال ذي القعدة . هذا هو الصحيح ، وإليه ذهب الزهري ، وقتادة ، وموسى بن عقبة ، ومحمد بن إسحق ، والواقدي[2] ، واختلف فيه على عروة بن الزبير ، فعنْهُ : خرج رسول الله ﷺ إلى الحديبية في رمضان ، وكانت الحديبية في شوال[3] . وعنه أنها كانت في ذي القعدة من سنة ستٍ .

بدء الجهاز للعمرة

قال الواقدي : فاغتسل في بيته ، ولبس ثوبين من نسج صحار[4] ، وركب راحلته القَصواء من عند بابه ، وخرج المسلمون . فصلى الظهر بذي الحليفة ، ثم دعا بالبدن فجُلِّلت[5] ، ثم أشعر[6] منها عدة — وهي موجهات إلى القبلة — في

(١) الهدىُ : ما يهدى إلى الحرم من النعَم . (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٩٧٨ .
(٢) في (المغازي) ج ٢ ص ٥٧٣ .
(٣) قال ابن القيم في (زاد المعاد) ج ٣ ص ٢٨٥ ، ٢٨٧ : « وقال هشام بن عروة ، عن أبيه : خرج رسول الله ﷺ إلى الحديبية في رمضان ، وكانت في شوال ، وهذا وهَم ، وإنما كانت غزاة الفتح في رمضان » .
(٤) صُحَار : قرية باليمن ينسب الثوب إليها (النهاية) ج ٢ ص ١٢ .
(٥) من الجَللَ : وهو البسطُ أو الأكسية التي تلْبسها فتصان به (ترتيب القاموس) ج ١ ص ٥١٨ .
(٦) أشْعَرَ البَدَنة: أعْلَمها،وهو أن يشق جلدها،أويطعنها حتى يظهر الدم(ترتيب القاموس)ج٢ص٧٢٠.

الشق الأيمن .

إشعار الهدي وتقليده

ثم أمر ناجية بن جندب بإشعار ما بقي ، وقلد[1] نعلاً نعلاً ، وهي سبعون بدنة : منها جمل أبي جهل الذي غنمه يوم بدر . وأشعر المسلمون بدنهم ، وقلدوا النعال في رقابها . وبعث بسر بن سفيان عيناً له ، وقدم عباد بن بشر طليعة في عشرين فرساً ، ويقال : أميرهم سعد بن زيد الأشهلي .

إحرام رسول الله ﷺ من ذي الحليفة

ثم صلى ركعتين وركب من باب المسجد بذي الحليفة[2] ، فلما انبعثت به راحلته مستقبلة القبلة أحرم فلبى : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » . وأحرم عامة الناس بإحرامه .

عدد المسلمين

وسلك طريق البيداء[3] ، وخرج معه من المسلمين ألف وستمائة ، ويقال : ألف وأوبعمائة ، ويقال : ألف وخمسمائة وخمسة وعشرون رجلاً ، ويقال : ألف وثلاثمائة[4] .

عدد النساء

وأربع نسوة : أم سلمة أم المؤمنين ، وأم عمارة ، وأم منيع ـــ أسماء بنت عمرو ابن عَدي [بن سنان بن نابي][5] بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصارية ، وأم عامر الأشهلية ، وقال بعضهم : كانوا سبعمائة . قال ابن حزم :

---

(١) قلَّدْتُها قِلادة : جعلتها في عنقها ، ومنه تقليد البدنة شيئاً بعلم به أنها هدْيٌ . (ترتيب القاموس) ج ٣ ص ٦٧٤ .

(٢) في (خ) « بالحديبية » .

(٣) البيداء : اسم لأرض ملساء بين مكة والمدينة وهي إلى مكة أقرب . (معجم البلدان) ج ١ ص ٥٢٣ .

(٤) راجع : (فتح الباري) ج ٧ ص ٤٤٣ الحديث رقم ٤١٥٣ ، ٤١٥٤ ، ٤١٥٥ . و (الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي ص ٦٠٩٤ و (تفسير الطبري) ج ٢٦ ص ٨٧ و (زاد المعاد) ج ٣ ص ٢٨٧ .

(٥) في (خ) مكان ما بين القوسين « بين أبي بن عمرو ، وهو خطأ ، و ما أثبتناه من (ط) .

وهذا وهم شديد البتة ، قال : والصحيح بلا شك ما بين ألف وثلاثمائة إلى ألف وخمسمائة .

مقالة بني بكر ومزينة وجهينة

ومر فيما بين مكة والمدينة بالأعراب بني بكر ومزينة وجهينة فاستنفرهم ، فتشاغلوا بأبنائهم وأموالهم ، وقالوا فيما بينهم : أيريد محمد أن يغزو بنا[1] إلى قوم معدٍّ في الكراع والسلاح ؟ وإنما محمد وأصحابه أكلة جزور[2] ! لن يرجع محمدٌ وأصحابه من سفرهم هذا أبداً ! قوم لا سلاح معهم ولا عدد ! .

هدية بني نهـد

ثم قدم ناجية بن جندب مع الهدي في فتيان من أسلم ، ومعهم هدي للمسلمين . ولقي بالروحاء طائفة من بني نهد ، فدعاهم إلى الإسلام فأبوا ، وبعثوا إليه بلبن من نعمهم فقال : لا أقبل هدية من مشرك .

رد هدية المشركين

ورَدّه ، فابتاعه المسلمون منهم . وابتاعوا ثلاثة أضبٍ[3] فأكل منها قوم أجلَّة . وسأل المحرمون رسول الله ﷺ عنها فقال : كلوا ، فكل صيد البر لكم حلال في الإحرام تأكلونه إلا ما صدتم أو صيد لكم .

الصيد في الحرم

ورأى أبو قتادة بالأبواء حماراً وحشياً — وكان محلًا[4] فحمل عليه فقتله ، فأكل منه رسول الله ﷺ . وجاءه يومئذ الصَّعب بن جثامة بن قيس الليثيُّ بحمار وحشيٍّ أهداه له فردَّه ، وقال : إنا لم نرده إلا أنا حُرُم .

---

(١) في (خ) « أريد محمداً يغزونا » ، وما أثبتناه من (الواقدي) ج ٢ ص ٥٧٤ .

(٢) كناية عن قلة العدد ، فإن أكلة الجزور عادة لا يتجاوزون العشرة .

(٣) أضب: جمع ضب، وهو حيوان من جنس الزواحف تأكل الأعراب لحمه(المعجم الوسيط) ج١ ص٥٣٢.

(٤) مُحِلّ : غير محرم .

هدية إيماء بن رحضة

وأهدي له إيماء بن رحضة بن خربة الغفاري مائة شاة وبعيرين يحملان لبناً : بعث بهما مع ابنه خفاف بن إيماء ففرق ذلك وقال : بارك الله فيكم . وأهدي له من ودان لياء [وهو حب أبيض كالحمص] وعتر[1] وضغابيس[2] ، فجعل يأكل الضغابيس والعتر وأعجبه ، وأدخلَ منه على أمِّ سلمة .

خبر كعب الذي آذاه القمل وهو مُحْرِم

ورأى بالأبواء كعب بن عجرة بن أمية بن عدي بن عبيد بن الحارث البلوي ورأسه يتهافت قملا وهو محرم ، فقال : هل تؤذيك هوَامُّك يا كعب ؟ قال : نعم يا رسول الله ! قال : فاحلق رأسك . وفيه نزلت : ﴿ **فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك** ﴾[3] ، فأمره رسول الله ﷺ أن يذبح شاة ، أو يصوم ثلاثة أيام ، أو يطعم ستين مسكيناً : لكل مسكين مُدّيْنِ ، أي ذلك فعل أجزأه . ويقال : إن كعب بن عجرة أهدي بقرة قلدها وأشعرها .

ما عطب من الهدي

وعطب[4] من ناجية بن جندب بعيرٌ من الهدي ، فجاء بالأبواء إلى رسول الله ﷺ وأخبره ، فقال : انحرها[5] ، واصبغ قلائدها في دمها ، ولا تأكل أنت ولا أحد من أهل رفقتك منها ، وخلِّ بين الناس وبينها .

نزول الجحفة

ولما نزل الجحفة لم يجد بها ماء ، فبعث رجلا في الروايا إلى الخرّار ، فرجع

---

(١) العتر : نبتٌ أو شجر صغار فإذا طال وقطع خرج منه شبه اللبن (النهاية) ج ٣ ص ١٧٧ و (ترتيب القاموس) ج ٣ ص ١٤٦ .

(٢) الضغابيس : صغار القثّاء ، جمع ضغبوس (المرجع السابق) ص ٧٨ .

(٣) آية ١٩٦ / البقرة ، وفي (خ) « وفيه نزلت ، ففدية ... » .

(٤) عطب البعير والفرس : انكسر (ترتيب القاموس) ج ٣ ص ٢٥٠ .

(٥) الضمير هنا عائد على البَدَنة وهي البعير .

بها وقال : يا رسول الله ! ما أستطيع أن أمضي رعباً ! فبعث رجلاً آخر بالروايا ، فرجع وذكر كما ذكر الأول : فبعث آخر وخرج السقاء معه ، فاستقوا وأتوا بالماء . ثم أمر بشجرة يقم[1] ما تحتها .

خطبة رسول الله ﷺ

وخطب الناس فقال : إني كائن لكم فرطاً[2] ، وقد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم[3] تضلوا : كتاب الله وسنة نبيه .

بلاغ خبر المسلمين إلى أهل مكة وخروجهم إليهم

وبلغ أهل مكة خروج رسول الله ﷺ فراعهم ذلك ، وتشاوروا . ثم قدَّموا عكرمة بن أبي جهل ـــ ويقال : خالد بن الوليد ـــ على مائتي فارس إلى كراع الغميم ، واستنفروا من أطاعهم من الأحابيش ، وأجلبت ثقيف معهم : ووضعوا العيون على الجبال ، وهم عشرة رجال يوحي بعضهم إلى بعض بالصوت : فعل محمد كذا كذا ، حتى ينتهي ذلك إلى قريش ببلدَحَ[4] . وخرجوا إلى بلدح وضربوا بها القباب والأبنية ، ومعهم النساء والصبيان ، فعسكروا هناك ، وقد أجمعوا على منع رسول الله ﷺ من دخول مكة ومحاربته .

إجماع قريش على منع المسلمين من دخول مكة ، ومشورة المسلمين

ورجع بسر بن سفيان من مكة وقد علم خبر القوم ، فلقي رسول الله ﷺ من وراء عسفان وأخبره الخبر . واستشار رسول الله ﷺ[5] الناس : هل يمضي لوِجْهَتِه ويقاتل من صدَّه عن البيت أو يخالف الذين استنفروا إلى أهليهم فيصيبهم ؟

---

(١) وفي حديث فاطمة « أنها قممَّت البيت حتى اغْبرَّت » أي كنَسَتْه ، والقمامة : الكُناسة . (النهاية) ج ٤ ص ١١٠ . (٢) فَرط : سبق ، وأكثر ما يستعمل في السبق إلى الماء (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٦٧٣ .

(٣) في (خ) « لن » وما أثبتناه من (الواقدي) ج ٢ ص ٥٧٧ .

(٤) بلْدح : وادِ قبل مكة من جهة المغرب (معجم البلدان) ج ١ ص ٤٨٠ .

(٥) زيادة للبيان .

فأشار أبو بكر رضي الله عنه أن يمضوا لوجوههم ، ويقاتلوا من صدهم . وقال المقداد بن عمرو : يا رسول الله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : « اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون » ولكن : « اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما[1] مقاتلون » . والله يا رسول الله ! لو سرت بنا إلى بَرْك الغماد لسرْنا معك ما بقي منا رجل . وقال أسيد بن الحضير : يا رسول الله ! نرى أن نصمد لما خرجنا له ، فمن صدنا قاتلناه . فقال : إنا لم نخرج لقتال أحدٍ ، إنما خرجنا عماراً .

بديل بن ورقاء وخبر قريش

ولقيه بديل بن ورقاء بن عبد العُزى بن ربيعة بن جرَى بن عامر بن مازن ابن عدي بن عمرو بن ربيعة [وهو الحي][2] الخزاعي — في نفرٍ من خزاعة ، منهم الحُلَيْس بن علقمة الحارثي ، من بني الحارث بن عبد مناة ، فقال : يا محمد ! لقد اغتررت بقتال قومك حلائب[3] العرب ، والله ما أرى معك أحداً له وجهٌ ، مع أني أراكم قوماً لا سلاح معكم ! فقال أبو بكر رضي الله عنه : عَضَضْت ببظْرِ اللات ! فقال بديل : أما والله لولا يدٌ لك عندي لأجبتك ، فوالله ما أتهم أنا ولا قومي ألا أكون أحب أن يظهر محمد . إني رأيت قريشاً مقاتلتك عن ذراريها وأموالها ، قد خرجوا إلى بلدح فاضطربوا[4] الأبنية ، معهم العوذُ المطافيل[5] ، وترافدوا على الطعام[6] يطعمون الخزيرَ[7] من جاءهم ، يتقوْون به على حربك ، فرَ رَأيك[8] . وكانت قريش قد ترافدوا وجمعوا أموالاً يطعمون بها من ضوى إليهم من الأحابيش . وكان يطعم في أربعة أمكنة : في دار الندوة لجماعتهم ، وكان صفوان ابن أمية ، وسهيل بن عمرو ، وعكرمة بن أبي جهل ، وحويطب بن عبد العزى ، كل منهم يطعم في داره .

---

(١) في (خ) « معكم » . (٢) في (خ) « عمروا بن ربيعة » .

(٣) استحلب القوم : اجتمعوا للنُّصرة (المعجم الوسيط) ج ١ ص ١٩١ . (٤) اضطرب البناء : أقامه .

(٥) العوذ : جمع عائذ ، وهي الناقة حديثة عهد بالنتاج (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٦٣٥ ، المطافيل : جمع مُطْفل وهي ذات الطفل من الإنسان والحيوان (المرجع السابق) ص ٥٦٠ .

(٦) ترافدوا : تعاونوا (المرجع السابق) ج ١ ص ٣٥٩ .

(٧) الخزير : لحم يقطع قطعاً صغاراً ثم يطبخ بماء كثير وملح ، فإذا اكتمل نضجه ذُرَّ عليه الدقيق وعُصد به ، ثم أدم بإدامٍ ماء (المرجع السابق) ص ٢٣١ .

(٨) رَ : فعل الأمر من « رأى » .

دنو خالد بن الوليد في المشركين للقاء المسلمين

ودنا خالد بن الوليد في خيله حتى نظر إلى المسلمين ، فصفّ خيله فيما بينهم وبين القبلة ، فقدم رسول الله ﷺ عباد بن بشر في خيله ، فقام بإزائه وصف أصحابه . وحانت صلاة الظهر ، فأذن بلال وأقام ، فصلى رسول الله ﷺ بأصحابه مستقبل القبلة وهم خلفه ، يركع بهم ويسجد . ثم قاموا ، فكانوا على ما كانوا عليه من التعبئة . فقال خالد بن الوليد : قد كانوا على غرة ، لو كُنَّا حملنا عليهم أصبنا منهم ! ولكن تأتي الساعة صلاة هي أحب إليهم من أنفسهم وأبنائهم ! .

صلاة الخوف

فنزل جبريل عليه السلام بين الظهر والعصر بهذه الآية : ﴿ **وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً** ﴾[1] فحانت العصر ، فأذن بلال وأقام ، فقام رسول الله ﷺ مواجهاً للقبلة والعدو أمامه فكبر وكبَّر الصفان جميعاً ، ثم ركع فركع الصفان جميعاً ، ثم سجد فسجد الصف الذي يليه ، وقام الآخرون يحرسونه . فلما قضى رسول الله ﷺ السجود بالصف الأول ، قام وقاموا معه ، وسجد الصف المؤخر السجدتين ، ثم استأخر الصفُّ الذي يلونه ، وتقدم الصف المؤخر فكانوا يلون رسول الله ﷺ ، فقاموا جميعاً . ثم ركع ﷺ فركع الصفان جميعاً ثم سجد وسجد الصف الذي يلونه ، وقام الصف المؤخر يحرسونه مقبلين على العدو . فلما رفع رأسه من السجدتين ، سجد الصف المؤخر السجدتين اللتين بقيتا عليهم ، واستوى ﷺ جالساً فتشهد ثم سلم .

---

(١) الآية ١٠٢ / النساء ، وفي (خ) « ... فلتقم الآية » .

الخلاف في أول صلاة الخوف

وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول : هذه أول صلاة صلاها رسول الله ﷺ في الخوف . وقال سفيان بن سعيد ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن أبي عياش الزرَقي : أنه كان ـــ يعني ابن عباس ـــ مع النبي ﷺ يومئذ ، فذكر أن النبي ﷺ صلى هكذا . وذكر أبو عيَّاش أنها أول ما صلى رسول الله ﷺ صلاة الخوف ـــ يعني ابن عباس : وقال الواقدي : حدثني ربيعة بن عثمان ، عن وهب بن كيسان ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : صلى رسول الله ﷺ أول صلاة الخوف في غزوة ذات الرِّقاع ، ثم صلاها بعد بعسفان ، بينهما أربع سنين . قال الواقدي[1] : وهذا أثبت عندنا .

مسير المسلمين إلى ثنية ذات الحنظل وحيرة الدليل

فلما أمسى رسول الله ﷺ قال : تيامنوا في هذا العَصَل[2] ، فإن عيون قريشٍ بمرّ الظهران أو بضجنان ، فأيكم يعرف ثنية ذات الحنظل ؟ فقال بريدة بن الحصيب : أنا يا رسول الله ! فقال : اسلك أمامنا . فأخذ بريدة في العَصَل ، قبل جبال سراوِع قبلِ المغرب ، فسار قليلاً[3] وحار . فنزل حمزة بن عمرو الأسلمي فسار بهم قليلاً ، ثم لم يدْر أين يتوجه . فسار بهم عمرو بن [عبد][4] نُهم الأسلمي حتى بلغها .

خبر الثنية وأن من جازها غفر له

فقال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده ، ما مثل هذه الثنية إلا مثل الباب الذي قال الله لبني إسرائيل : ﴿ ادخلوا الباب سجداً وقولوا حِطَّة ﴾[5] ثم قال : لا يجوز هذه الثنية أحد إلا غُفر له . فجعل الناس يسرعون .

---

(١) (المغازي) ج ٢ ص ٥٨٣ .

(٢) في (خ) « تنامنوا » والعَصَل : الأعواج في صلابة ، والمراد هنا الرمل الملتوى . (اترتيب القاموس) ج ٣ ص ٢٤٠ ، (النهاية) ج ٣ ص ٢٤٨ .

(٣) في (خ) « ليلاً » والتصويب من (الواقدي) ج ٢ ص ٥٨٣ .

(٤) زيادة من (المرجع السابق) ص ٥٨٤ ، ونُهم : اسم صنم .

(٥) آية ٥٨ / البقرة ، والحطة : طلب المغفرة (المعجم الوسيط) ج ١ ص ١٨٢ .

طعام المسلمين

فلما نزل من الثنية قال : من كان معه ثَقَل [أي دقيق] فليصطنع[1] . فقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : وأَيُّنا معه ثَقَل ؟ إنما كان عامة زادنا التمر . فقالوا : يا رسول الله ! إنا نخاف من قريش أن ترانا ! فقال : إنهم لن يروكم ، إن الله سيُعينكم[2] عليهم . فأوقدوا النيران ، واصطنع من أراد أن يصطنع : فلقد أوقدوا خمسمائة نار .

الغفران ، وخبر الرجل المحروم من غفران الله

فلما أصبحوا صلى رسول الله ﷺ الصبح ثم قال : والذي نفسي بيده ، لقد غفر الله للركب أجمعين ، إلا رُوَيكِباً واحداً على جمل أحمر التفت عليه رحال[3] القوم : ليس منهم . فطلب في العسكر فإذا به ناحية ، وهو من بني ضمرة من أهل سيف البحر[4] ، قد أوى إلى سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، قال له سعيد ــ وقد قيل له ما قال فيه رسول الله ﷺ ــ : ويحك ! اذهب إلى رسول الله يستغفر لك ! فقال : بعيري أهمَّ إليّ من أن يستغفر . وكان قد أضلَّ بعيره . فقال سعيد : تحول عني ، لا حياك الله ! فانطلق يطلب بعيره ، فبينا هو في جبال سُراوع[5] إذ زلقت نعله فتردى فمات وأكلته السباع .

أهــل اليمــن

وقال يومئذ : أتاكم أهل اليمن كأنهم قطع السحاب ، هم خير من على الأرض .

الدنو من الحديبية ، وخبر راحلة رسول الله ﷺ

وسار حتى[6] دنا من الحديبية ــ وهي طرف الحرم ، على تسعة أميال من

---

(١) من الصنيع ، وهو الطعام في سبيل الله .

(٢) (الواقدي) ج ٢ ص ٥٨٥ .

(٣) في (خ) « رجال .

(٤) سيف البحر : ساحله .

(٥) علم مرتجل لاسم موضع (معجم البلدان) ج٣ص٢٠٤

(٦) في (خ) ، (الواقدي) و « وسار فلما » وفي (ط) و (ابن سعد) « وسار حتى » .

مكة ، فوقعت يد راحلته ﷺ على ثنية تهبط على غائط[1] ، فبركت ، فقال المسلمون : حلْ حلْ [يزجرونها] ـ فأبت أن تنبعث ، فقالوا : خلأت القصواء[2] ! فقال : إنها ما خلأت ، ولا هو لها بعادة ، ولكن حبسها حابس الفيل ، أما والله لا يسألوني اليوم خُطةً فيها تعظيم حرمة الله إلا أعطيتهم إياها . ثم زجروها فقامت ، فولى راجعاً حتى نزل بالناس على ثمدٍ من ثماد[3] الحديبية [ظنون] قليل الماء .

خبر جيشان الماء من الثمد

واشتكى الناس قلة الماء ، فانتزع سهماً من كنانته فأمر به فغرز في الثمد ، فجاشت لهم بالرواء حتى صدروا عنه بعطن ، وإنهم ليغترفون بآنيتهم جلوساً على شفير البئر . وكان الذي نزل بالسهم ناجية بن جندب ، وقيل : ناجية بن الأعجم ، وقيل : خالد بن عُبادة[4] الغفاري ، وقيل : البراء بن عازب .

مقالة المنافقين في دليل النبوة

وكان على الماء نفر من المنافقين ، الجدُّ بن قيس ، وأوْس [بن خوْلِّي][5] ، وعبد الله بن أبي ، فقال أوس بن خولي : ويحك يا أبا الحباب ! أما آن لك أن تبصر ما أنت عليه ! أبعدَ هذا شيء ؟ فقال : إني قد رأيت مثل هذا . فقال أوس : قبحك الله وقبح رأيك ! فأقبل ابن أبي[6] يريد رسول الله ﷺ ، فقال : أي أبا الحباب ! أين رأيت مثل ما رأيت اليوم ؟ فقال : ما رأيت مثله قط ! قال : فلم قلت ما قلت ؟ فقال عبد الله بن أبي : أستغفر الله . فقال ابنه : يا رسول الله ! استغفر له ! فاستغفر له .

(١) الغائط : من الغوط ، وهو المطمئن الواسع من الأرض (ترتيب القاموس) ج ٣ ص ٤٢٨ .
(٢) خلأت الناقة خَلْئاً : حَرَنَتْ : (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٢٤٨ .
(٣) الثَّمد : مكان اجتماع الماء ، ثمد الماء : قَلَّ (المرجع السابق) ص ١٠٠ .
(٤) في (خ) « عبادة » .
(٥) ظاهر العبارة يوهم أن أوس بن خولي من المنافقين ، وهو ليس منهم ، وما بين القوسين زيادة للبيان .
(٦) في (خ) « فأقبل أبي » .

المطر والصلاة في الرحال

ومطر المسلمون بالحديبية مراراً وكثرت المياه ، ومطروا مطراً ما ابتلت منه أسفل النعال ، فنودي : إن الصلاة في الرِّحال . وصلى رسول الله ﷺ الصبح في الحديبية في إثر سماءٍ[1] كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا الله ورسوله أعلم .

الأنواء

قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي ، فأما من قال : مطرنا برحمة الله وبرزق الله وبفضل الله فهو مؤمن بي كافر بالكواكب ، وأما من قال : مطرنا بنجم كذا فهو مؤمن بالكواكب كافر بي[2] . وكان ابن أبي قال : هذا نَوْء الخريف ، مطرنا بالشِّعرَى .

الهدايا

وأهدى عمرو بن سالم وبسر بن سفيان الخزاعيان بالحديبية إلى رسول الله ﷺ غنماً وجزوراً ، وأهدى عمرو بن سالم لسعد بن عبادة جزراً ، وكان صديقاً له . فجاء سعد بالغنم إلى رسول الله ﷺ ، وأخبره أن عمراً أهداها له فقال : وعمرو قد أهدى إلينا ما ترى فبارك الله في عمرو ! ثم أمر بالجزر[3] تنحر وتقسم في أصحابه ، وفرق الغنم فيهم من آخراها . فدخل على أم سلمة بعضها ، وأمر ﷺ للذي جاء بالهدية بكسوة .

خبر بديل بن ورقاء مع رسول الله ﷺ

ولما اطمأن بالحديبية ، جاءه بديل بن ورقاء وركبٌ من خزاعة — وهم عيبة[4] نصح رسول الله بتهامة ، منهم المسلم ومنهم الموادع ، لا يخفون عليه بتهامة

---

(١) السماء : من أسماء المطر .

(٢) في (خ) « أصبح من عبادي مؤمناً وكافراً » وما أثبتناه هو رواية (البخاري) ج ٣ ص ٤٢ وفي (المغازي) باب غزوة الحديبية ، وأحمد في (المسند) ج ٤ ص ١١٧ و (أبو داود) ج ٤ ص ٢٢٧ حديث رقم ٣٩٠٦ ، (النسائي) ج ٣ ص ١٦٤ ، باب كراهية الاستمطار بالكوكب .

(٣) في (خ) « الجزور » .

(٤) المعنى : أن بيننا صدوراً سليمة في المحافظة على العهد الذي عقدناه بيننا .

شيئاً ــ فسلموا ، ثم قال بديل : جئناك من عند قومك كعب بن لؤي وعامر بن لؤي ، وقد استنفروا لك الأحابيش ومن أطاعهم ، معهم العوذ المطافيل ــ [النساء[1] والصبيان] ــ يقسمون بالله لا يخلون بينك وبين البيت حتى تبيد خضراؤهم[2] . فقال ﷺ : إنا لم نأت لقتال أحد ، إنما جئنا لنطوف بهذا البيت ، فمن صدنا عنه قاتلناه . وقريش قوم قد أضرت بهم الحرب ونهكتهم ، فإن شاءوا مادَدْتهم مدة يأمنون فيها ، ويخلون فيما بيننا وبين الناس ــ والناس أكثر منهم ــ ، فإن ظهر أمري على الناس كانوا بين أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس ، أو يقاتلوا وقد جمّوا[3] . والله لأجهدن على أمري هذا إلى أن تنفرد سالفتي[4] أو ينفذ الله أمره ! فعاد بديل وركبه إلى قريش ، وقد تواصوا ألا يسألوا بديلاً عما جاء فيه . فلما رأى أنهم لا يستخبرونه قال : إنا جئنا من عند محمد . أتحبون أن نخبركم ؟ فقال عكرمة بن أبي جهل ، والحكم بن أبي العاص : لا ، والله ما لنا حاجة بأن تخبرونا عنه ، ولكن أخبره عنا : أنه لا يدخلها علينا عامه هذا حتى لا يبقى منا رجل .

سماع المشركين مقالة بديل

فأشار عليهم عروة بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد ابن عوف بن ثقيف [واسمه قسي][5] بن منبه بن بكر بن عكرمة بن خصَفَة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ــ أن يسمعوا كلام بديل ، فإن أعجبهم قبلوه ، وإلا تركوه ، فقال صفوان بن أمية ، والحارث بن هشام : أخبرنا بالذي رأيتم والذي سمعتم . فأخبروه بمقالة النبي ﷺ ، فقال عروة بن مسعود : فإن بديلا قد جاءكم بخطة رشد ، لا يردها أحد إلا أخذ شراً منها ، فاقبلوها منه ، وابعثوني حتى آتيكم بمصداقها ، وأكون لكم عيناً .

بعثة قريش عروة بن مسعود إلى رسول الله ﷺ

فبعثوه . فقال : يا محمد ! إني تركت قومك على أعداد[6] مياه الحديبية قد

(١) في (خ) « والنساء » .

(٢) الباؤهم : دهماؤهم وجماعتهم .

(٣) جَمُّوا : استراحوا .

(٤) السالفة : ناحية مُقدم العنق « كناية عن الموت » (ترتيب القاموس) ج ٢ ص ٥٩٨ .

(٥) في (خ) « قيس » .

(٦) الأعداد: جمع عدّ وهو: الماء الجاري الذي له مادة لا تنقطع كماء العين(ترتيب القاموس)ج٣ص١٦٩ .

استنفروا لك ، وهم يقسمون بالله لا يخلون بينك وبين البيت حتى تجتاحهم ، وإنما أنت من قتالهم بين أحد أمرين : إما أن تجتاح قومك ـــ فلم نسمع برجل اجتاح أصله قبلك ـــ أو بين أن يخذلك من نرى معك ، فإني لا أرى معك إلا أوباشاً[1] من الناس لا أعرف وجوههم ولا أنسابهم ، فغضب أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقال : امصصْ ببظر اللات ! أنحن نخذله ؟ فقال : أما والله لولا يد لك عندي لأجبتك ! وطفق عروة يمس لحية رسول الله وهو يكلمه ، والمغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتب بن مالك قائم على رأسه بالسيف ، فقرع يد عروة [وهو عمه] وقال : اكفف يدك عن مس لحية رسول الله قبل ألا تصل إليك ، فلما فرغ عروة من كلامه ، ورد عليه رسول الله ﷺ كما قال لبديل بن ورقاء ، عاد إلى قريش فقال : يا قوم ، قد وفدت على كسرى وهرقل والنجاشي ، وإني والله ما رأيت ملكاً قط أطوع فيمن هو بين ظهرانيه من محمد في أصحابه ، والله ما يشدون[2] إليه النظر ، وما يرفعون عنده الصوت ، وما يكفيه إلا أن يشير إلى امريء فيفعل ، وما يتنخَّم وما يبصق إلا وقعت في يديْ رجل منهم يمسح بها جلده ، وما يتوضأ من وضوء إلا ازدحموا عليه أيهم يظفر منه بشيء . وقد حزرت القوم ، واعلموا أنكم إن أردتم السيف بذلوه لكم ، وقد رأيت قوماً لا يبالون ما يصنع بهم إذا منعوا صاحبهم ، والله لقد رأيت نسيَّات[3] معه ، إن كنَّ ليسلمنه أبداً على حال ، فَرَوا رأيكم . وقد عرض عليكم خطة ، فمادوه[4] يا قوم . اقبلوا ما عرض فإني لكم ناصح ، مع أني أخاف ألا تنصروا عليه . رجل أتى هذا البيت معظِّماً له مع الهدي ينحره وينصرف ! فقالوا : لا تكلم بهذا يا أبا يعفور ! لو غيرك تكلم بهذا ! ولكن نرده في عامنا هذا ويرجع إلى قابل .

بعثة مكرز بن حفص إلى رسول الله ﷺ

ثم جاء مكرز بن حفص بن الأخيَف بن علقمة بن عبد الحارث بن الحارث ابن منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر ـــ فلما طلع قال رسول الله ﷺ : إن هذا رجل غادرٌ (وفي رواية : هذا رجل فاجر) وجاء ،

---

(١) الأوباش والأوشاب بمعنى ، وهم الأخلاط من الناس وغيرهم .
(٢) أي يحدون إليه النظر. (٣) تصغير نسوة، للتقليل والتعظيم. (٤) أي اجعلوا بينكم وبينه مدة هدنة.

فكلمه بنحوٍ مما كلم به أصحابه ، وعاد بذلك إلى قريش .

بعثة الحليس سيد الأحابيش

فبعثوا الحليس بن علقمة بن عمرو بن الأوقح بن عامر بن عوف بن الحارث ابن عبد مناة بن كنانة الحارثي الكناني سيد الأحابيش ورأسهم ، فقال ﷺ : هذا من قومٍ يعظّمون الهدي ، (وفي رواية يتألهون)[1] ، ابعثوا الهدي في وجهه ، فبعثوه ، فلما رأى الهدي يسيل في الوادي — : عليه القلائد ، قد أكل أوباره (من طول الحبس عن محله[2]) ، يرجّع الحنين ، واستقبله القوم في وجهه يلبون ، وقد أقاموا نصف شهر فتفلوا وشعثوا[3] — رجع ، ولم يصل إلى النبي ﷺ إعظاماً لما رأى . وقال لقريش : إني قد رأيت ما لا يحل صده ! رأيت الهدي في قلائده قد أكل أوباره معكوفاً[4] عن محله ، والرجال قد تفلوا وقملوا أن يطوفوا بهذا البيت ! أما والله ما على هذا حالفناكم ولا عاقدناكم : على أن تصدوا عن بيت الله من جاء له معظماً لحرمته مؤدياً لحقه ، والهدي معكوفاً أن يبلغ محله ! والذي نفسي بيده ، لتخلن بينه وبين ما جاء به ، أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجلٍ واحد ! قالوا : كل ما رأيت مكيدة من محمد وأصحابه ، فاكفف عنا حتى نأخذ لأنفسنا بعض ما نرضى به . وفي رواية الزبير بن (بكار)[5] أنه لما رجع قال : يا قوم ! الهدي ! البدن ! القلائد ! الدماء ! فقالت قريش : ما نعجب منك ، ولكن نعجب منا إذ أرسلناك ، إنما أنت أعرابي جلف .

بعثة رسول الله ﷺ خراش بن أمية إلى قريش

وبعث رسول الله ﷺ إلى قريش خراش بن أمية بن الفضل الكعبي الخزاعي — على جملٍ لرسول الله ﷺ يقال له الثعلب — ليبلغ أشرافهم أنه إنما جاء معتمراً . فعقر الجمل عكرمة بن أبي جهل ، وأرادوا قتله ، فمنعه مَن هناك مِن قومه ، فرجع . فأراد النبي ﷺ أن يبعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه فخاف على نفسه وأشار بعثمان رضي الله عنه .

---

(١) يتعبدون. (٢) زيادة من (ابن سعد) ج ٢ ص ٩٦ . (٣) التفل: ترك التطيب، والشعث، تلبد الشعر من الطول.
(٤) معكوفاً : محبوساً . (٥) ما بين القوسين بياض في (خ) .

بعثة عثمان بن عفان

فبعثه ليخبرهم : إنا لم نأت[1] لقتال أحد ، وإنما جئنا زواراً لهذا البيت معظمين لحرمته ، ومعنا الهدي ننحره وننصرف . فأبوا على عثمان أن يدخل عليهم رسول الله ﷺ ورحب به أبان بن سعيد بن العاص وأجاره ، وحمله من بَلْدَح[2] إلى مكة وهو يقول : أقبل وأدبر ولا تخف أحداً ، بنو سعيد أعِزَّة الحرم ! فبلغ عثمان من بمكة ما جاء فيه ، فقالوا جميعاً : لا يدخل محمد علينا أبداً .

حراسة المسلمين وأسر بعض المشركين

وكان يتناوب حراسة المسلمين بالحديبية ثلاثة : أوس بن خولي ، وعباد بن بشر ، ومحمد بن مسلمة . فبعثت قريش مكرز بن حفص على خمسين رجلاً ليصيبوا من المسلمين غرة ، فظفر بهم محمد بن مسلمة ، وجاء بهم رسول الله ﷺ فبلغ النبي ﷺ ــ بعد إقامة عثمان بمكة ثلاثاً ــ أنه قتل ، وقتل معه عشرة رجال مسلمون قد دخلوا مكة بإذن رسول الله ليروا أهليهم . وبلغ قريشاً حبس أصحابهم ، فجاء جمع منهم ورموا بالنبل والحجارة ، فرماهم المسلمون ، وأسروا منهم اثني عشر فارساً . وقتل من المسلمين زُنيم ، وقد اطلع الثنية من الحديبية ، فرماه المشركون فقتلوه .

بدء الصلح

فبعثت قريش سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نضر بن مالك ابن حِسل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فِهر[3] ، وحويطب بن عبد العزّى ، ومكرز بن حفص (ليصالحوه)[4] .

تحرك المسلمين إلى منازل بني مازن بعد خبر مقتل عثمان ، والبيعة

وأمّ رسول الله ﷺ منازل بني مازن بن النجار ، وقد نزلت في ناحية من

---

(١) في (خ) «إناه لم يأن».
(٢) بلدح: واد قبل مكة من جهة المغرب (معجم البلدان) ج ١ ص ٤٨٠ .
(٣) في (خ) « فهم ».
(٤) زيادة من (ط) ، ورواية (للواقدي) ج ٢ ص ٦٠٢ بدون هذه الزيادة .

الحديبية جميعاً ، فجلس في رحالهم . وقد بلغه قتل عثمان رضي الله عنه ، ثم قال : إن الله أمرني بالبيعة . فأقبل الناس يبايعونه حتى تداكوا ، فما بقي لهم متاعٌ إلا وطئوه ، ثم لبسوا السلاح ، وهو معهم قليل . وقامت أم عمارة إلى عمودٍ كانت تستظل به فأخذته بيدها وشدّت سكيناً في وسطها . وكان رسول الله ﷺ يبايع الناس ، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه آخذ بيده ، فبايعهم على ألا يفروا ، وقيل بايعهم على الموت . ويقال : أول من بايع سنان بن أبي سنان وهب بن محصن فقال : يا رسول الله ، أبايعك على ما في نفسك . فكان رسول الله ﷺ يبايع الناس على بيعة سنان ، فبايعوه (إلا)[1] الجد بن قيس اختبأ تحت بطن بعيرٍ .

بعثة سهيل بن عمرو إلى رسول الله ﷺ في الصلح والأسرى

فلما جاء سهيل بن عمرو ، قال رسول الله ﷺ : سُهِّلَ أمرهم ! فقال سهيل : يا محمد ! إن هذا الذي كان من حبس أصحابك ، وما كان من قتال من قاتلك — لم يكن من رأي ذوي رأينا ، بل كنا له كارهين حين بلغنا ولم نعلم به — وكان من سفهائنا . فابعث إلينا بأصحابنا الذين أسرت أول مرة والذين أسرت آخر مرة . قال : إني غير مرسلهم حتى ترسلوا[2] أصحابي . قال : أنصفتنا . فبعث سهيل ومن معه إلى قريش بالشتّيم بن عبد مناف التيمي فبعثوا بمن كان عندهم ، وهم : عثمان وعشرة من المهاجرين ، وأرسل رسول الله ﷺ أصحابهم الذين أسروا .

البيعة تحت الشجرة وخوف المشركين

وكان ﷺ يبايع الناس تحت شجرة خضراء ، وقد نادى عمر رضي الله عنه : إن روح القدُس نزل على الرسول وأمر بالبيعة ، فاخرجوا على اسم الله فبايعوا . فلما رأى سهيل بن عمرو ومن معه ، ورأت عيون قريش سرعة الناس إلى البيعة وتشميرهم إلى الحرب ، اشتد رعبهم وخوفهم ، وأسرعوا إلى القضية[3] . ولما جاء عثمان رضي الله عنه بايع تحت الشجرة . وقد كان قبل ذلك — حين بايع الناس — قال رسول الله ﷺ : إن عثمان ذهب في حاجة الله وحاجة رسوله ، فأنا أبايع له ، فضرب بيمينه شماله .

---

(١) زيادة لابد منها للسياق .

(٢) في (خ) « ترسل » .

(٣) القضية : حُكم الصلح .

بعثة قريش إلى عبد الله بن أُبيّ

وبعثت قريشٌ إلى عبد الله بن أبي بن سلول : إن أحببت أن تدخل فتطوف بالبيت فافعل ، فقال له ابنه : يا أبت ! أذكرك الله أن تفضحنا في كل موطن ! تطوف ولم يطف رسول الله ﷺ ! فأبى حينئذ وقال : لا أطوف حتى يطوف رسول الله . فبلغ رسول الله ﷺ كلامه ، فسرَّ به .

رجوع سهيل إلى قريش وعودتهم إلى رسول الله ﷺ

ورجع سهيل وحويطب ومكرز فأخبروا قريشاً بما رأوا من سرعة المسلمين إلى التنعيم[1] فأشار أهل الرأي بالصلح على أن يرجع رسول الله ﷺ ، ويعود من قابل فيقيم ثلاثاً ، فلما أجمعوا على ذلك أعادوا سهيلاً وصاحبيه ليقروا هذا . فلما رآه النبي ﷺ قال : أراد القوم الصلح . وكلم رسول الله ، فأطالا الكلام وتراجعا ، وارتفعت الأصوات ، وكان ﷺ يومئذ جالساً متربعاً ، وعباد بن بشر ، وسلمة ابن أسلم بن حريش مقنّعان بالحديد قائمان على رأسه . فلما رفع سهيل صوته قالا : اخفض صوتك عند رسول الله ! وسهيل بارك على ركبتيه[2] ، رافع صوته ، والمسلمون عند رسول الله ﷺ جلوس .

خبر الصلح وغضب عمر بن الخطاب

فلما اصطلحوا ولم يبق إلا الكتاب ، وثب عمر رضي الله عنه فقال : يا رسول الله ! ألسنا بالمسلمين ؟ قال رسول الله ﷺ : بلى ! فقال : فعلام[3] نعطي الدنية في ديننا ؟ فقال رسول الله ﷺ : أنا عبد الله ورسوله ولن أخالف أمره ، ولن يُضَيعني . فذهب عمر إلى أبي بكر رضي الله عنهما فقال : يا أبا بكر ! ألسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ! قال : فلم نعطي الدنية في ديننا ؟ فقال : إلزم غرزه[4] ! فإني أشهد أنه رسول الله ، وأن الحق ما أمر به ، ولن يخالف أمر الله ، ولن يضيعه الله . ولقي عمر رضي الله عنه من القضية أمراً كبيراً ، وجعل يردِّدُ على رسول

---

(١) التنعيم : موضع بمكة في الحل ، وهو بين مكة وسَرِف (معجم البلدان) ج ٢ ص ٤٩ .

(٢) في (خ) « ركبته » .

(٣) في (خ) « فعلى ما » .

(٤) كناية عن لزوم الاتباع وعدم المخالفة .

الله ﷺ الكلام ، وهو يقول : أنا رسوله ولن يضيعني ! ويردد ذلك أبو عبيدة ابن الجراح رضي الله عنه : ألا تسمع يا ابن الخطاب رسول الله يقول ما يقول ! تعوذْ بالله من الشيطان واتهم رأيك ! . فجعل يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم حيناً .

كراهية المسلمين الصلح

وكان المسلمون يكرهون الصلح ، لأنهم خرجوا ولا يشكون في الفتح لرؤيا رسول الله ﷺ أنه حلق رأسه ، وأنه دخل البيت فأخذ مفتاح الكعبة وعرَّف مع المعرفين ، فلما رأوا الصلح داخلهم من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون . فجعل الله عاقبة القضية خيراً ـــ فأسلم في الهدنة أكثر ممن كان أسلم ـــ من يوم دعا رسول الله إلى يوم الحديبية ـــ ، وما كان في الإسلام فتح أعظم من الحديبية ، فإن الحرب كانت قد حجزت بين الناس . فلما كانت الهدنة وضعت الحرب أوزارها ، وأمن الناس بعضُهم بعضاً ، ودخل في تلك الهدنة صناديد قريش الذين كانوا يقومون بالشرك ، وما يُحدِثُ عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وأشباههما ، وفشا الإسلام في جميع نواحي العرب . وكانت الهدنة إلى أن نقضوا العهد اثنين وعشرين شهراً .

خبر أبي جندل بن سهيل بن عمرو

وبينا الناس قد اصطلحوا والكتاب لم يُكتب ، أقبل أبو جندل بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب القرشي العامري ـــ وقد أفلت يَرْسف في القيد متوشح السيف خلال أسفل مكة ، فخرج من أسفلها حتى أتى رسول الله ﷺ وهو يكاتب أباه سهيلا ، وكان سهيل قد أوثقه في الحديد وسجنه ، فخرج من سجن سهيل ، واجتنب الطريق وركب الجبال حتى هبط بالحديبية . ففرح المسلمون به وتلقوه حين هبط من الجبل فسلموا عليه وآووه ، فرفع سهيل رأسه فإذا بابنه أبي جندل ، فقام إليه فضرب وجهه بغصن شوك وأخذ بتلبينه[1] . فصاح أبو جندل بأعلى صوته : يا معشر المسلمين ! أأُرد إلى المشركين يفتنونني في ديني ؟ فزاد المسلمين ذلك شراً إلى ما بهم ، وجعلوا يبكون لكلام أبي جندل . فقال حويطب بن عبد العزى لمكرز بن حفص : ما رأيت قوماً قط أشد حباً لمن دخل معهم من أصحاب محمد لمحمد وبعضهم لبعض ! أما إني

---

(١) في (خ) « بلبته » .

أقول لك : لا نأخذ من محمد نصفاً[1] أبداً بعد هذا اليوم حتى يدخلها عَنوَة[2] ! فقال مكرز : وأنا أرى ذلك .

رد أبي جندل إلى أسر المشركين

وقال سهيل بن عمرو : هذا أول ما قاضيتك عليه ، ردَّه ! فقال رسول الله ﷺ : إنا لم نقض الكتاب بعد ! فقال سهيل : والله لا أكاتبك على شيء حتى ترده إليّ . فرده عليه ، وكلمه أن يتركه ، فأبى سهيل وضرب وجهه بغصنٍ من شوك ، فقال رسول الله ﷺ : هبه لي أو أجره من العذاب ! فقال : والله لا أفعل . فقال مكرز وحويطب : يا محمد ، نحن نجيره لك . فأدخلاه فسطاطاً فأجاراه ، فكف عنه أبوه . ثم رفع رسول الله ﷺ صوته فقال : يا أبا جندل : اصبر واحتسب ، فإن الله جاعل لك ولمن معك فرجاً ومخرجاً . إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً ، وأعطيناهم على ذلك عهداً ، وإنا لا نَغْدِر .

عودة عمر إلى مقالته

وعاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! ألست برسول الله ؟ قال : بلى ! قال : ألسنا على الحق ؟ قال : بلى ! قال : أليس عدونا على الباطل ؟ قال : بلى ! قال : فلم نعطي الدنية في ديننا ؟ فقال : إني رسول الله ، ولن أعصيه ولن يضيعني . فانطلق إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال له مثل ذلك ، فأجابه بنحو ما أجاب به رسول الله ، ثم قال : ودع عنك ما ترى يا عمر . فوثب إلى أبي جندل يمشي إلى جنبه ، وسهيل يدفعه ، وعمر يقول : اصبر يا أبا جندل ، فإنما هم المشركون ، وإنما دم أحدهم دم كلب ! وإنما هو رجل ، ومعه[3] السيف يحرضه على قتل أبيه . وجعل يقول : يا أبا جندل ! إن الرجل يقتل أباه في الله ! والله لو أدركنا آباءنا لقتلناهم في الله ، فرجل برجل . فقال له أبو جندل : مالك لا تقتله أنت ؟ قال عمر : نهاني رسول الله عن قتله وقتل غيره . قال أبو جندل : ما أنت أحق بطاعة رسول الله مني .

---

(١) النَّصَف : الإنصاف. (٢) العنْوَة : القهر والإذلال. (٣) في (خ) «ومعك» والتصويب من ابن هشام.

مقالة المسلمين لرسول الله ﷺ في الصلح

وقال عمر ورجال معه : يا رسول الله ! ألم تكن حدثتنا أنك تدخل المسجد الحرام ، وتأخذ مفتاح الكعبة ، وتعرِّف مع المعرِّفين ؟ وهَدْينا لم يصل إلى البيت ولا نحن ! فقال : قلت لكم في سفركم هذا ؟ قال عمر : لا . فقال ﷺ : أما إنكم ستدخلونه ، وآخذ مفتاح الكعبة ، وأحلِّق رأسي ورؤوسكم ببطن مكة ، وأعرِّف مع المعرفين ، ثم أقبل على عمر رضي الله عنه وقال : أنسيتم يوم أحدٍ ، إذ تصعدون ولا تلوون على أحدٍ ، وأنا أدعوكم في أخراكم ؟ أنسيتم يوم الأحزاب ، إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ؟ أنسيتم يوم كذا ؟ أنسيتم يوم كذا ؟ والمسلمون يقولون : صدق الله ورسوله ، يا نبي الله ! ما فكرنا فيما فكرت فيه ، ولأنت أعلم بالله وبأمره منا . فلما دخل ﷺ عام القضية[1] وحلق رأسه قال : هذا الذي وعدتكم . فلما كان يوم الفتح ، أخذ المفتاح وقال : ادعوا إليّ عمر بن الخطاب ! فقال : هذا الذي قلت لكم . فلما كان في حجة الوداع وقف بعرفة فقال : أي عمر ! هذا الذي قلت لكم . قال : أي رسول الله ! ما كان فتح في الإسلام أعظم من صلح الحديبية .

فتح الحديبية وخبر أبي بكر

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول : ما كان فتح أعظم في الإسلام من فتح الحديبية ، ولكن الناس يومئذ قصر رأيهم عما كان بين محمد وربه ، والعباد يعجلون ، والله لا يعجل كعجلة العباد حتى تبلغ الأمور ما أراد . لقد نظرتُ إلى سهيل بن عمرو في حجة الوداع قائماً عند النحر يقرّب إلى رسول الله بدنة ، ورسول الله ﷺ ينحرها بيده ! ودعا الحلاق فحلق رأسه ، فأنظر إلى سهيل يلقط من شعره ، وأراه يضعه على عينيه ! وأذكر إباءه أن يقرّ يوم الحديبية بأن يكتبَ بسم الله الرحمن الرحيم ! وإباءه أن يكتب أن محمداً رسول الله ! فحمدت الله الذي هداه للإسلام . فصلوات الله وبركاته على نبيّ الرحمة الذي هدانا به ، وأنقذنا به من الهلكة .

---

(١) في عمرة القضية : وسيأتي ذكرها بعد غزوة وادي القُرى .

كتاب الصلح

فلما حضرت الدواة والصحيفة ــ بعد طول الكلام والمراجعة ــ دعا رسول الله ﷺ أوسَ بن خَوْلي يكتب ، فقال سهيل : لا يكتب إلا ابن عمك علي ، أو عثمان بن عفان ، فأمر علياً فكتب ، فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم . فقال سهيل : لا أعرف الرحمن ، اكتب ما نكتب ، باسمك اللهم . فضاق المسلمون من ذلك ، وقالوا : هو الرحمن ، والله ما نكتب إلا الرحمن . قال سهيل : إذاً لا أقاضيه على شيء . فقال رسول الله ﷺ : اكتب ، باسمك اللهم . هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله . فقال سهيل : لو أعلم أنك رسول الله ما خالفتك واتبعتك ، أفترغب عن اسمك واسم أبيك ، محمد بن عبد الله ؟ فضجَّ المسلمون منها ضَجَّةً هي أشد من الأولى حتى ارتفعت الأصوات ، وقام رجال يقولون : لا نكتب إلا محمد رسول الله ! وأخذ أسيد بن حضَير وسعد بن عبادة رضي الله عنهما بيد الكاتب فأمسكاها وقالا : لا تكتب إلا محمد رسول الله ، وإلا فالسيف بيننا ، علام نعطى هذه الدَّنية في ديننا ؟ فجعل رسول الله ﷺ يخفِّضهم ويومىء إليهم بيده : اسكتوا . وجعل حويطب يتعجب مما يصنعون ، ويقول لمكرز : ما رأيت قوماً أحوط لدينهم من هؤلاء ! فقال رسول الله ﷺ : أنا محمد بن عبد الله ، فاكتب . فكتب .

نص كتاب الصلح

« باسمك اللهم ، هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو ، اصطلحا على وضع الحرب عشر سنين ، يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه لا إسلال ولا إغلال[1] ، وأنَّ بيننا عيبة مكفوفة . وأنه من أحب أن يدخل في عهد محمد وعقده فعل ، وأنه من أحب أن يدخل في عهد قريش وعقدها فعل ، وأنه من أتى محمداً منهم بغير إذن وليه رده محمدٌ إليه . وأنه من أتى قريشاً من أصحاب محمد لم يردوه ، وأن محمداً يرجع عنا عامه هذا بأصحابه ، ويدخل علينا من قابلٍ في أصحابه فيقيم بها ثلاثاً ، لا يدخل علينا بسلاح إلا سلاح المسافر : السيوف في القرب » .

---

(١) الأسلال والإغلال : السرقة والخيانة . والعيبة : سبق شرحها ص ٢٨٥ تعليق رقم (٤) .

شــهود الكتاب

شهد أبو بكر بن أبي قحافة ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وعثمان بن عفان ، وأبو عبيدة بن الجراح ، ومحمد بن مسلمة ، وحويطب بن عبد العزّى ، ومكرز بن حفص بن عبد الأخيف ، وكتب عليٌّ صدر الكتاب .

نسخة كتاب الصلح

ودخول خزاعة في عهد رسول الله ﷺ وبني بكر في عهد قريش

فقال سهيل : يكون عندي : وقال رسول الله ﷺ : بل عندي ! ثم كتب له نسخة ، وأخذ رسول الله ﷺ الكتاب الأول ، وأخذ سهيل نسخته . ووثب مَن هناك مِن خزاعة فقالوا : نحن ندخل في عهد محمد وعقده ، ونحن على مَن وراءَنا من قومنا . ووثبت بنو بكر فقالوا : ندخل مع قريش في عهدها وعقدها ، ونحن على مَن وراءَنا من قومنا . فقال حويطب لسهيل : بادأنا أخوالك بالعداوة ، وقد كانوا يَسْتترون منا ، قد دخلوا في عقد محمد وعهده ! وقال سهيل : ما هم إلا كغيرهم ، هؤلاء أقاربنا ولحمتنا[1] قد دخلوا مع محمد ، قوم اختاروا لأنفسهم أمراً فما نصنع بهم ؟ قال حويطب : نصنع بهم أن ننصر عليهم حلفاءنا بني بكر ! قال سهيل : إياك أن تسمع هذا منك بكر ، فإنهم أهل شؤمٍ ، فتقعوا بخزاعة ، فيغضب محمد لحلفائه ، فينتقض العهد بيننا وبينه .

مدة الهــدنة

وقال عبد الله بن نافع ، عن عاصم بن عمر ، عن عبد الله بن دينار[2] ، عن ابن عمر قال : كانت الهدنة بين النبي ﷺ وبين أهل مكة بالحديبية أربع سنين ، خرَّجه الحاكم وصححه ، وفي كتاب عمر[3] بن شبَّة في أخبار مكة : كانت

---

(١) في (الواقدي) « ولحمنا » ج ٢ ص ٦١٢ .
(٢) في (خ) « ابن دنبه » وما أثبتناه من (ط) .
(٣) في (خ) «ابن أبي شيبة» وصوابه: عمر بن شبة، يزيد بن عبيدة بن رابطة النميري، أبو زيد البصري، ثم البغدادي، الأديب، الإخباري، الشهير بابن شبة، ولد سنة ١٧٣ هـ وتوفي بسر من رآى سنة ٢٦٢ هـ (هدية العارفين ج ٥ ص ٧٨) .

سنتين .

خبر أمر رسول الله ﷺ المسلمين بالنحر والحلق والإحلال

فلما فرغ رسول الله ﷺ من الكتاب ، وانطلق سهيل وأصحابه ، قال : قوموا فانحروا واحلقوا وحلوا . فلم يجبه أحد إلى ذلك . فرددها ثلاث مرات ، فلم يفعلوا . فدخل على أم سلمة رضي الله عنها وهو شديد الغضب ، فاضطجع ، فقالت : مالك يا رسول الله ؟ مراراً ، وهو لا يجيبها ، ثم قال : عجباً يا أم سلمة ، إني قلت للناس انحروا واحلقوا وحِلوا مراراً ، فلم يجبني أحد من الناس إلى ذلك ، وهم يسمعون كلامي ، وينظرون في وجهي . فقالت : يا رسول الله ، انطلق أنت إلى هذيك فانحره ، فإنهم سيقتدون بك ، فاضطبع[1] بثوبه وخرج ، فأخذ الحربة ويمم هَدْيه ، وأهوى بالحربة إلى البَدَنة رافعاً صوته : بسم الله والله أكبر . ونحر .

نحر الهـدي

فتواثب المسلمون إلى الهدي وازدحموا عليه ينحرونه ، حتى كاد بعضهم يقع على بعض ، وأشرك ﷺ بين أصحابه في الهدي ، فنحر البَدَنة عن سبعة ، وكان الهدي سبعين بدنة ، وقيل : مائة . وكان الهدي دون الجبال التي تطلع على وادي الثنية ، عرض له المشركون فردّوا وجوه البُدْن ، فنحر رسول الله بدنه حيث حبسوه ، [وهي الحديبية] . وشرد جمل أبي جهل من الهدي وهو يرعى — وقد قلد وأشعِر ، وكان نجيباً مَهْرياً — فمرَّ من الحديبية حتى انتهى إلى دار أبي جهل بمكة . وخرج في إثره عمرو بن غَنَمة[2] بن عدي بن نابي السلميُّ الأنصاري ، فأبى سفهاء مكة أن يُعطوه حتى أمرهم سهيل بن عمرو بدفعه إليه ، فدفعوا فيه مائة ناقة ، فقال رسول الله ﷺ : لولا أننا سميناه في الهدي فعلنا . ونحره عن سبعة . ونحر طلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان بدنات ساقوها . وكان رسول الله ﷺ مضطرباً[3] في الحل ، وإنما يصلي في الحرم . وحضره من يسأل من لحوم البدن معتراً[4] ، فأعطاهم من لحومها وجلودها . وأكل المسلمون من هديهم وأطعموا المساكين ، وبعث ﷺ من الهدي بعشرين بَدنة لتنحر عند المروة

(١) اضطبع بثوبه : أدخله من تحت إبطه الأيمن فغطى به الأيسر .

(٢) في (خ) «غنمه». (٣) نازلا في بناء بناه. (٤) فقيراً .

مع رجل من أسلم ، فنحرها عند المروة وفرَّق لحمها .

دعاء رسول الله ﷺ للمحلقين والمقصرين

فلما فرغ رسول الله ﷺ من نحر البدن ، دخل قبة له من أدم حمراء ، فيها الحلاق فحلَّق رأسه ، ثم أخرج رأسه من قبته وهو يقول : رحم الله المحلقين ! قيل : يا رسول الله والمقصرين ! قال : رحم الله المحلقين ! ثلاثاً ، ثم قال : والمقصرين . ورمى بشعره على شجرة كانت بجنبه من سَمرةٍ خضراء ، فجعل الناس يأخذون الشعر من فوق الشجرة فيتحاصون فيه[1] . وأخذت أم عمارة طاقاتٍ من شعرٍ ، فكانت تغسلها للمريض وتسقيه حتى يبرأ ، وحلّق ناس وقصَّر آخرون . وكان الذي حلقه ﷺ[2] خراش بن أمية بن الفضل الكعبي ، فلما حلقوا بالحديبية ونحروا ، بعث الله تعالى ريحاً عاصفة فاحتملت أشعارهم فألقتها في الحرم .

خبر أم كلثوم بنت عقبة

وخرجت يومئذ أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، وهي عاتق [لم تتزوج] فقبل رسول الله ﷺ هجرتها ولم يَرُدَّها إلى المشركين[3] ، وقدمت المدينة ، فتزوجها زيد بن حارثة .

إقامة المسلمين بالحديبية ، وما أصابهم من الجوع

وأقام ﷺ بالحديبية بضعة عشر يوماً ، ويقال : عشرين يوماً ، ثم انصرف . فلما نزل عُسفان أرمل[4] المسلمون من الزاد ، وشكوا أنهم قد بُلِغوا[5] من الجوع ، وسألوا أن ينحروا من إبلهم ، فأذن لهم ﷺ في ذلك ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا رسول الله ! لا تفْعَل ، فإن يَكُ في الناس بقية ظهر يكن أمثل ، ولكن ادعهم بأزوادهم ، ثم ادع لهم فيها الله . فأمر ﷺ بالأنطاع فبسطت ، ثم

---

(١) يأخذ كل منهم حصته. (٢) زيادة للبيان.

(٣) يقول ابن القيم في (زاد المعاد) ج ٣ ص ٣٠٨ في الكلام عن الفوائد الفقهية المستفادة من صلح الحديبية : « ومنها جواز صلح الكفار على ردّ من جاء منهم إلى المسلمين وألا يُرد من ذهب من المسلمين إليهم ، هذا في غير النساء ، وأما النساء فلا يجوز ردهن إلى الكفار ، وهذا موضع النسخ خاصة في هذا العقد بنص القرآن ،ولاسبيل إلى دعوى النسخ في غيره بغير موجب » .

(١) أرمل المسافر : نفد زاده . (٥) بُلغوا : أدركتهم المشقة .

نادى مناديه : من كان عنده بقية زاد فلينثره على الأنطاع . فكان منهم من يأتي بالتمرة الواحدة وأكثرهم لا يأتي بشيء ، ويؤتى بالكف من الدقيق والكف من السّويق ، وذلك كله قليل . فلما اجتمعت أزوادهم وانقطعت موادهم مشى ﷺ إليها فدعا فيها بالبركة ، ثم قال : قربوا بأوعيتكم . فجاءوا بأوعيتهم ، فكان الرجل يأخذ ما شاء من الزاد حتى إنّ أحدَهم ليأخذ ما لا يجد له محملاً .

المطــــر

ثم أذَّن رسول الله ﷺ بالرحيل ، فلما ارتحلوا مطروا ما شاءوا وهم صائفون ، فنزل ونزلوا معه فشربوا من ماء السماء ، وقام ﷺ فخطبهم . فجاء ثلاثة نفر ، فجلس اثنان وذهب واحد معرضاً ، فقال رسول الله ﷺ : ألا أخبركم خبر الثلاثة ؟ قالوا : بلى ، يا رسول الله ! قال : أما واحدٌ فاستحيا فاستحيا الله منه ، وأما الآخر فتاب فتاب الله عليه ، وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه .

سؤال عمر وسكوت رسول الله ﷺ عن جوابه، ونزول ســـورة الفتح

وبينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسير مع رسول الله ﷺ ، فسأله فلم يجبه ، ثم سأله فلم يجبه ، ثم سأله فلم يجبه ، فقال : ثكلتك أمك يا عمر ! بدرت[1] رسول الله ثلاثاً ، كل ذلك لا يجيبك ! وحرك بعيره حتى تقدم الناس ، وخشي أن يكون نزل فيه قرآن ، فأخذه ما قرب وما بعد : لمراجعته بالحديبية وكراهته القضية . وبينا هو يسير مهموماً متقدماً على الناس ، إذا منادي رسول الله ﷺ ينادي : يا عمر بن الخطاب ! فوقع في نفسه ما الله به أعلم ، ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ فسلم ، فردّ عليه السلام وهو مسرور ثم قال : أنزلت عليّ سورة هي أحب مما طلعت عليه الشمس . فإذا هو يقرأ : ﴿ **إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً** ﴾[2] ، فأنزل الله في ذلك سورة الفتح ، فركض الناس وهم يقولون : أنزل على رسول الله ! حتى توافوْا عنده وهو يقرؤها . ويقال : لما نزل جبريل عليه

---

(١) في (خ) « نذرت » وأيضاً في (الواقدي) ج ٢ ص ٦١٧ ، وفي (ط) بدرت : بمعنى عجلت إليه .
(٢) أول سورة الفتح .

السلام قال : نهنئك[1] يا رسول الله ! فلما هنأه جبريل هنأه المسلمون . وكان نزول سورة الفتح بكراع الغميم ، ويقال[2] : نزلت بضجنان . وعن قتادة عن أنس رضي الله عنهم : ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾ ، قال : خيبر . وقال غيره : الحديبية ، منحره وحَلقه . وقيل : نزلت سورة الفتح منصرفه من خيبر .

خبر فرار أبي بصير من أسر المشركين

ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة من الحديبية ، في ذي الحجة جاء أبو بصير عتبة بن أسيد [وقيل : عبيد بن أسيد] بن جارية بن أسيد بن عبد الله بن [أبي][3] سلمة بن عبد الله بن غيرة بن عوف بن قسي [وهو ثقيف] حليف بني زهرة ـــ مسلماً ، قد انفلت من قومه ، وسار على قدميه سبعاً[4] .

كتاب قريش في أمر أبي بصير

وكتب الأخنس بن شريق ، وأزهر بن عوف الزهري إلى رسول الله ﷺ كتاباً مع خُنيس بن جابر من بني عامر ، واستأجراه ببكرين لبون ، وحملاه على بعير ، وخرج معه مولى يقال له : كوثر ، وفي كتابهما ذكر الصلح ، وأن يرد عليهم أبا بصير . فقدما بعد أبي بصير بثلاثة أيام ، فقرأ أُبَيّ بن كعب الكتاب على رسول الله ﷺ ، فإذا فيه : « قد عرفت ما شارطناك عليه ـــ وأشهدنا بيننا وبينك ـــ مِنْ ردِّ مَنْ قدِم عليك من أصحابنا ، فابعث إلينا بصاحبنا » .

رد أبي بصير إلى المشركين

فأمر رسول الله ﷺ أبا بصير أن يرجع معهم ودفعه إليهما ، فقال : يا رسول الله ! تردني إلى المشركين يفتنوني في ديني ! فقال : يا أبا بصير ، إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما علمت ، ولا يصلح لنا في ديننا الغَدر . وإن الله جعل لك ولمن معك من المسلمين فرجاً ومخرجاً . فقال : يا رسول الله ! تردني إلى المشركين ، قال : انطلق يا أبا بصير ، فإن الله سيجعل لك مخرجاً . ودفعه إلى العامري وصاحبه . فخرج

(١) في (الواقدي) « يَهْنيك » .

(٢) وهي رواية (الواقدي) ج ٢ ص ٦١٨ .

(٣) زيادة من نسبه .

(٤) في (الواقدي) « سعياً » .

معهما ، وجعل المسلمون يُسرّون إلى أبي بصير ، يا أبا بصير ، أبشر ! فإن الله جاعل لك مخرجاً ، والرجل يكون خيراً من ألف رجل ، فافعل وافعل : يأمرونه بالذين معه فانتهيا به عند صلاة الظهر إلى ذي الحليفة . فصلى أبو بصير في مسجدها ركعتين صلاة المسافر . ومعه زاد له من تمر يحمله ، ثم أكل منه ودعا العامريَّ وصاحبه ليأكلا معه ، فقدما سفرة فيها كِسر وأكلوا جميعاً .

قتله العامري

وقد علق العامري سيفه في الجدار ، وتحادثوا ، فقال أبو بصير : يا أخا بني عامر ! ما اسمك ؟ قال : خُنَيس . قال : ابن مَن ؟ قال : ابن جابر . قال : يا أبا جابر ، أصارم سيفك هذا ؟ قال : نعم ! قال : ناولينه أنظر إليه إن شئت . فناوله ، فأخذ أبو بصير بقائم السيف — والعامري ممسك بالجفن — فعلاهُ به حتى بَرَدَ . وخرج كوثر هارباً يعدو نحو المدينة ، وأبو بصير في أثره فأعجزه ، حتى سبقه إلى رسول الله ﷺ ، ورسول الله جالس في أصحابه بعد العصر ، إذ طلع كوثر يعدو ، فقال : هذا رجل قد رأى ذُعراً ! وأقبل حتى وقف فقال رسول الله ﷺ : ويحك ! مالك ؟ قال : قتل صاحبكم صاحبي ، وأفلتُّ منه ولم أكَدْ ! .

مرجع أبي بصير إلى المدينة

وأقبل أبو بصير فأناخ بعير العامري بباب المسجد ، ودخل متوشحاً سيفه ، فقال : يا رسول الله ! وفت ذمتك ، وأدى الله عنك ، وقد أسلمتني بيد العدو ، وقد امتنعت بديني من أن أفتن ، ويعبث بي أو أكذب بالحق . فقال عليه السلام : ويل أمه محشُّ حرب[1] لو كان معه رجال ! وقدم سلب العامري ورحله وسيفه ليخمسه رسول الله ﷺ فقال : إني إذا خمسته رأوا[2] أني لم أوفِ لهم بالذي عاهدتهم عليه ، ولكن شأنك بسلب صاحبك . ثم قال : لكوثر : ترجع به إلى أصحابك ؟ فقال : يا محمد ! ما لي به قوة ولا يدان ! فقال ﷺ لأبي بصير : اذهب حيث شئت .

---

(١) يقال حش الحرب إذا أسعرها وهيجها .

(٢) أي قريش .

خروج أبي بصير إلى العيص

فخرج حتى أتى العيص ، فنزل منه ناحية على ساحل البحر على طريق عير قريش إلى الشأم ، وعندما خرج لم يكن معه إلا كف تمر فأكله ثلاثة أيام ، وأصاب حيتاناً قد ألقاها البحر بالساحل فأكلها ، وبلغ المسلمين الذين قد حبسوا بمكة خبره . فتسللوا إليه . وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو الذي كتب إليهم بقول رسول الله ﷺ لأبي بصير : ويل أمه محش حرب لو كان معه رجال ، وأخبرهم أنه بالساحل . فاجتمع عند أبي بصير قريب من سبعين مسلماً ، فكانوا بالعيص . وضيقوا على قريش ، فلا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه ، ولا تمر عليهم عير إلا اقتطعوها ، ومر بهم ركب يريدون الشأم ، معهم ثمانون بعيراً ، فأخذوا ذلك ، وأصاب كل رجل منهم قيمة ثلاثين ديناراً ، وكانوا قد أمروا عليهم أبا بصير ، فكان يصلي بهم ويقرئهم ويجمعهم ، وهم له سامعون مطيعون ، فغاظ قريشاً صنيع أبي بصير وشق عليهم ، وكتبوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه بأرحامهم إلا أدخل أبا بصير إليه ومن معه : فلا حاجة لنا بهم . فكتب ﷺ إلى أبي بصير أن يقدم بأصحابه معه ، فجاءه الكتاب وهو يموت ، فجعل يقرأه ، ومات وهو في يده فدفنوه . وأقبل أصحابه إلى المدينة وهم سبعون فيهم الوليد بن الوليد بن المغيرة ، فمات بعقب قدومه فبكته أم سلمة رضي الله عنها .

هجرة أم كلثوم بنت عقبة إلى المدينة

وكانت أم كلثوم بنت عقبة[1] بن أبي معيط قد أسلمت بمكة ، فكانت تخرج إلى بادية أهلها [لها بها أهل] ، فتقيم أياماً بناحية التنعيم ثم ترجع . حتى اجمعت على المسير مهاجرة ، فخرجت كأنها تريد البادية على عادتها ، فوجدت رجلاً من خزاعة فأعلمته بإسلامها ، فأركبها بعيره حتى أقدمها المدينة بعد ثماني ليال ، فدخلت على أم سلمة رضي الله عنها ، وأعلمتها أنها جاءت مهاجرة ، وتخوفت أن يردها رسول الله ﷺ . فلما دخل رسول الله ﷺ على أم سلمة أعلمته ، فرحب بأم كلثوم وسهّل ، فذكرت له هجرتها ، وأنها تخاف أن يردها .

---

(١) في (خ) « عتبة » .

ما نزل فيها من القرآن

فأنزل الله فيها آية الممتحنة : ﴿ **يـٰأيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن، الله أعلم بإيمانهن، فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار، لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن، وآتوهم ما أنفقوا، ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن، ولا تمسكوا بعِصَم الكوافر واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا، ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم** ﴾[1] .

طلب قريش رد أم كلثوم

فكان رسول الله ﷺ يرد من جاءه من الرجال ، ولا يرد من جاءه من النساء ، وقدم أخواها من غَدِ قدومها ــ الوليد وعمارة ابنا عقبة بن أبي معيط ــ فقالا : يا محمد ! فِ[2] لنا بشرطنا وما عاهدتنا عليه . فقال : قد نُقض ذلك . فانصرفا إلى مكة فأخبرا قريشاً ، فلم يبعثوا أحداً ، ورضوا بأن تحبس النساء .

فرار أميمة بنت بشر وهجرتها إلى المدينة

ويقال : إن أميمة بنت بشرِ الأنصارية ، ثم من بني عمرو بن عوف ، كانت تحت حسان بن الدحداح[3] [أو ابن الدحداحة] وهو يومئذ مشرك ، ففرت من زوجها بمكة وأتت[4] رسول الله ﷺ تريد الإسلام ، فهم أن يردها إلى زوجها ، حتى أنزل الله تعالى : ﴿ **فامتحنوهن** ﴾[5] . ثم زوجها رسول الله سهل بن حنيف ، فولدت له عبد الله بن سهل .

طلاق الكوافر

وأنزل الله تعالى : ﴿ **ولا تمسكوا بعِصم الكوافر** ﴾[5] فطلق عمر بن الخطاب امرأتين هما : قريبة بنت أبي أمية ، [بن المغيرة][6] ، فتزوجها معاوية بن أبي

(١) الآية ١ / الممتحنة ، وفي (خ) « ... فامتحنوهن ، الآية » .
(٢) فِ : فعل الأمر من أوفى .
(٣) في (خ) هكذا : « كانت ثابت بن الدحاح » والصواب « كانت تحت » حيث أن ثابت بن الدحاح رضي الله عنه قد استشهد بأحد (ابن سيد الناس) ج ٢ ص ٢٩ .
(٤) في (خ) « أنت » .
(٥) من الآية ١٠ / الممتحنة .
(٦) في (خ) « قريبة بنت أمية » وما بين القوسين زيادة من (ط) ، وفي (الواقدي) « زينب بنت أمية » .

سفيان ، والأخرى أم كلثوم بنت جَروَل بن مالك بن المسيِّب بن ربيعة بن أصرم ابن حبيش بن حرام بن حبيشة بن سلول بن كعب الخزاعية ، فتزوجها أبو جهم ابن حذيفة . وطلق عياض بن غنم الفهري أم الحكم بنت أبي سفيان بن حرب . فتزوجها عبد الله بن عثمان الثقفي فولدت له عبد الرحمن ابن أم الحكم ، وكلهم يومئذ مشرك . ولم يُعلم أن امرأة من المسلمين لحقت بالمشركين .

بعثة الرسل إلى الملوك

وفي هذه السنة السادسة ، بعث رسول الله ﷺ رسله إلى الملوك بكتبه ، فأرسل حاطب بن أبي بلتعة [عمرو ، وقيل : راشد] بن معاذ اللخمي إلى المقوقس بمصر .

* أرسل شجاع بن وهب [ويقال : ابن أبي وهب] بن ربيعة بن أسد ابن صهيب بن مالك بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسديّ إلى الحارث ابن أبي شمر الغسّانيّ .

* وأرسل دِحية بن خليفة بن فَروة بن فضالة بن زيد بن امريء القيس بن الخزرج(1) [وهو زيد مناة] بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر بن عوف بن غدرة ابن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب الكلبي ، إلى قيصر ملك الروم .

* وأرسل سَليطَ بن عمر بن عبد شمس بن عبد ودَّ بن نصر بن مالك بن حسل ابن عامر بن لؤي القرشي العامري ، إلى هَوذَة بن علي الحنفي ، وإلى ثمامة بن أنال [وهما](2) رئيسا اليمامة .

* وبعث عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم القرشي السهمي ، إلى كسرى ملك فارس .

* وأرسل عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله بن إياس بن عبيد بن ناشرة(3) ابن كعب الضمري ، إلى النجاشي ملك الحبشة .

* وأرسل العلاء بن الحضرمي [اسمه عبد الله] بن عباد [وقيل : عبد الله بن عمار ، وقيل : عبد الله بن ضمار ، وقيل : عبد الله بن عبيدة بن ضمار] بن مالك

(1) في (خ) « الخزرج » . (2) زيادة للسياق . (3) في (خ) « عتيك بن باشرة » .

وقيل : العلاء بن عبد الله بن عمار بن أكبر بن ربيعة بن مالك بن أكبر بن عويف ابن مالك بن الخزرج بن أبي بن الصَّدِف ، إلى المنذر بن ساوي ملك البحرين . وقيل : إن إرساله كان سنة ثمان .

ردود الملوك

* فأما المقوقس ، فإنه قبل كتاب رسول الله ﷺ ، وأهدى إليه أربع جواري ، منهن مارية [القبطية] .

* وأما قيصر [واسمه هرقل] ، فإنه قبل أيضاً الكتاب واعترف بالنبوة ، ثم خاف من قومه فأمسك .

* وأما الحارث بن أبي سمر الغَسَّاني ، فإنه لما أتاه الكتاب قال : أنا سائر إليه [يعني محارباً] . فقال رسول الله ﷺ ، وقد بلغه ذلك عنه : بادَ ملْكه .

* وأما النجاشي فإنه آمن برسول الله واتبعه ، وأسلم على يد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، وأرسل ابنه في ستين من الحبشة فغرقوا في البحر . وبعث إليه رسول الله ﷺ أن يزوجه بأم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب — وكانت مهاجرة بالحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش فتنصَّر هناك — فزوجه إياها ، وقام بصداقها : أربعمائة دينار من عنده .

* وأما كسرى أبْرَوَيْز هرمز ، فإنه مزق الكتاب ، فقال رسول الله ﷺ : مزق الله ملكه ، فسَلط عليه ابنه شيرويه فقتله .

* وأما هَوذة بن عليٍّ ، فبعث وفداً بأن يجعل له رسول الله ﷺ الأمر بعده حتى يسلم ، وإلا قصده وحاربه ، فقال النبي ﷺ : اللهم اكفنيه ! فمات بعد قليل .

* وأما المنذر بن ساوي ، فإنه أسلم وأسلم أهل البحرين .

سحر لبيد بن الأعصم لرسول الله ﷺ

وفي محرم سنة سبع سحر لبيد بن الأعصم رسول الله ﷺ على مالٍ جعله له من بقي بالمدينة من اليهود والمنافقين .

غزوة خيبر

وكانت غزوة خيبر في صفر سنة سبع ، وبينها وبين المدينة ثمانية بُرُد ، مشى ثلاثة أيام . وقيل : سميت بخيبر بن قانية بن هلال بن مهلهل بن عبيل بن عوض ابن إرم بن سام بن نوح[1] : وكان عثمان بن عفان مصّرها .

أول الخروج إلى خيبر

ويقال : خرج رسول الله ﷺ لهلال ربيع الأول . ونقل عن الإمام مالك أن خيبر كانت في سنة ست . وإليه ذهب أبو محمد بن حزم ، والجمهور على أنها كانت في سنة سبع ، وأمر أصحابه بالتهيُّؤ للغزو ، واستنفر من حوله يغزون معه . وجاءه المخلفون عنه في غزوة الحديبية ليخرجوا معه رجاء الغنيمة ، فقال : لا تخرجوا معي إلا راغبين في الجهاد ، وأما الغنيمة فلا . وبعث منادياً فنادى : لا يخرجن معنا إلا راغب في الجهاد . واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري ، وقيل : أبا ذر ، وقيل : نميلة بن عبد الله الليثي .

ما كانت تفعله يهود قبل غزو المسلمين

وكان يهود خيبر لا يظنون أن رسول الله ﷺ يغزوهم ، لمنعتهم وحصونهم وسلاحهم وعددهم ، كانوا يخرجون كل يوم عشرة آلاف مقاتل صفوفاً ثم يقولون : محمد يغزونا !! هيهات هيهات[2] ! فعمى الله عليهم ، فخرج النبي ﷺ حتى نزل بساحتهم ليلاً .

دعاء رسول الله ﷺ لما أشرف خيبر

ولما أشرف على خيبر قال لأصحابه : قفوا ، ثم قال قولوا : اللهم ربَّ السموات السبع وما أظلت ، وربَّ الأرضين السبع وما أقلت ، [ورب الشياطين وما أضلَلن][1] ، ورب الرياح وما ذرت ، فإنا نَسْألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها [وشر أهلها][3] وشر ما فيها ! ثم قال :

(١) (معجم البلدان) ج ٢ ص ٤٠٩ ، ٤١٠ .   (٢) اسم فعل ماض بمعنى « بَعدَ » .

(٣) زيادة في بعض كتب السيرة ، وفي (خ) و (الواقدي) ج ٢ ص ٦٤٢ بدون هذه الزيادة ، وذكره الإمام النووي في (الأذكار) ص ٢٠١ (باب ما يقول إذا رأى قرية يريد دخولها أو لا يريد) .

ادخلوا على بركة الله . وعرَّس بمنزله ساعة .

خبر يهود وغزو المسلمين

وكانت يهود يقومون كل ليلة قبل الفجر ، ويصفون الكتائب ، وخرج كنانة ابن أبي الحقيق في أربعة عشر رجلاً إلى غطفان ، يدعوهم إلى نصرهم ولهم نصف تمر خيبر سنة . فلما نزل رسول الله ﷺ بساحتهم ، لم يتحركوا تلك الليلة ، ولم يَصِحْ لهم ديك ، حتى طلعت الشمس ، فأصبحوا وأفئدتهم تخفق ، وفتحوا حصونهم ، [وغدوا إلى أعمالهم][1] ، معهم المساحي والكرازين والمكاتل ، فلما نظروا المسلمين قالوا : محمد والخميس[2] !! وولّوا هاربين إلى حصونهم ، ورسول الله ﷺ يقول : الله أكبر ! خربت خيبر ! إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذَرين .

قتال أهل النطاة

وقاتل يومه ذلك إلى الليل أهل النَّطاة[3] ، فلما أمسى تحول بالناس إلى الرجيع[4] . وكان يغدو[5] بالمسلمين على راياتهم . وكان شعارهم : يا منصور أمِتْ . وأمر بقطع نخلهم ، فوقع المسلمون في قطعها حتى قطعوا أربعمائة عذْق[6] ، ثم نادى بالنهي عن قطعها . ويروى أن رسول الله ﷺ لما نزل خيبر أخذته الشُّقَيِّقَة[7] ، فلم يخرج إلى الناس .

---

(١) زيادة من (ابن سعد) ج ٢ ص ١٠٦ .

(٢) « يعنون بالخميس الجيش » المرجع السابق .

(٣) حصن من حصون خيبر التي ذكرها (ابن سعد) ج ٢ ص ١٠٦ « وهي : حصن الصعب بن معاذ ، وحصن ناعم ، وحصن قامة الزبير والشقّ ، وبه حصون منها حصن أبي وحصن النزار ، وحصون الكتيبة منها القموص والوطيح وسلالم ، وهو حصن بني أبي الحُقيق » .

(٤) الرجيع : « هو الموضع الذي غدرت فيه عضل والقارة بالسبعة نفر الذين بعثهم الله ﷺ ، وهذا غير ذلك ، وذكر ابن إسحق في غزاة خيبر أنه عليه السلام حين خرج من المدينة إلى خيبر سلك على عصْر فبنى له فيها مسجد ثم على الصهباء ثم أقبل حتى نزل بواد يقال له الرجيع ... وهذا غير الأول لأن ذلك قرب الطائف وخيبر من ناحية الشام خمسة أيام عن المدينة ، فيكون بين الرجيعين أكثر من خمسة عشر يوما » (معجم البلدان) ج ٣ ص ٢٩ .

(٥) في (خ) « يغذو » .

(٦) العذق : النخلة بحملها (ترتيب القاموس) ج ٣ ص ١٧٩ .

(٧) الشقيقة : وجع يأخذ نصف الرأس والوجه (ترتيب القاموس) ج ٢ ص ٧٣٩ ، (زاد المعاد) ج ٤ ص ٨٧ فصل هديه ﷺ في علاج الصداع والشقيقة .

مقتل محمود بن مسلمة

قال الواقدي : وجلس محمود بن مسلمة الأنصاري تحت حصنٍ ناعمٍ يتبع فيئة[1] ، وقد قاتل يومئذ ، وكان يوماً صائفاً[2] ، فدلّى عليه مرحبٌ [اليهودي][3] رحًى فهشمت البيضة ، وسقطت جلدة جبينه على وجهه ، وندرت عينه[4] ، فأُتي به رسول الله ﷺ فرد الجلدة كما كانت ، وعصبها بثوب ، وتحوَّل إلى الرجيع خشية على أصحابه من البيات . فكان مقامه بالرجيع سبعة أيام ، يغدو كل يوم للقتال ، ويستخلف على العسكر عثمان بن عفان رضي الله عنه ويقاتل أهل النطاة يومه[5] ، فإذا أمسى رجع إلى الرجيع ، ومن جرح يحمل إلى العسكر ليداوى . فجرح أول يوم خمسون من المسلمين .

اليهودي المستأمن

ونادى يهودي من أهل النطاة بعد ليل : أنا آمن وأبلغكم ؟ فقالوا : نعم ! فدخل على رسول الله ﷺ فدله على عورة يهود . فدعا أصحابه وحضّهم على الجهاد . فغدوا عليهم ، فظفرهم الله بهم ، فلم يَكُ في النطاة شيء من الذرية ، فلما انتهوا إلى الشق وجدوا فيه ذرية ، فدفع رسول الله ﷺ إلى اليهودي زوجته .

حراسة المسلمين وفتح النطاة

وكانت الحراسة نُوَباً بين المسلمين ، حتى فتح الله حصن النطاة ، فوجد فيها منجنيق ، فنصب على حصن النزار[6] ، ففتحه الله ، ونازل المسلمون حصن ناعم في النطاة ، فنهى رسول الله ﷺ عن القتال حتى يأذن لهم . فعمد رجل من أشجع فحمل على يهود فقتله مرحب ، فنادى منادي رسول الله ﷺ : لا تحل الجنة لعاصٍ . ثم أمر الناس بالقتال . وكان ليهود عبد حبشي اسمه يسار ، في ملك عامر اليهودي ، يرعى له غنماً ، فأقبل بالغنم حتى أسلم ، ورد الغنم لصاحبها ، وقاتل حتى قتل شهيداً .

---

(١) في (خ) « فئة » والفيء : الظل . (٢) الصائف : شديد الحر . (٣) زيادة للإيضاح .

(٤) ندر الشيء ندوراً : سقط من جوف شيء ، أو من بين أشياء تظهر (ترتيب القاموس) ج ٤ ص ٣٤٧ .

(٥) في (خ) « قومه » . (٦) في (خ) « البراز » .

الألوية ، وأول راية في الإسلام

وفرق رسول الله ﷺ الرايات ، ولم تكن راية قبل خيبر ، إنما كانت الألوية ، فكانت راية النبي ﷺ سوداء تدعى العقاب : من برد لعائشة رضي الله عنها ، ولواؤه أبيض ، ورفع رايةً إلى علي ، ورايةً إلى الحباب بن المنذر ، ورايةً إلى سعد ابن عبادة رضي الله عنهم .

مدد عيينة بن حصن ليهود

وكان عيينة بن حصن قد أقبل مدداً ليهود بغطفان في أربعة آلاف ، فأرسل رسول الله ﷺ إليه أن يرجع وله نصف ثمر خيبر ، فأبى أن يتخلى عن حلفائه ، فبعث الله على غطفان الرعب ، فخرجوا على الصعب والذلول[1] ، فذل عند ذلك عدو الله كنانة بن أبي الحقيق ، وأيقن بالهلكة .

حصن ناعم ورجوع المسلمين

وجثم[2] رسول الله ﷺ على الحصون ، وألحَّ على حصن ناعم بالرمي ، ويهود تقاتل . ورسول الله ﷺ على فرس يقال له الظرب ، وعليه درعان ومغفرٌ وبيضة ، وفي يده قناة وترس . وقد دفع لواءه إلى رجل من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيئاً . فحث ﷺ المسلمين على الجهاد ، وسالت كتائب يهود : أمامهم الحارث أبو زينب يهذ[3] الناس هذاً . فساقهم صاحب راية الأنصار حتى انتهوا إلى الحصن فدخلوه ، وخرج أسيْر يقدم يهود ، فكشف الأنصار حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ في موقفه ، فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ وأمسى مهموماً[4] . [وخرج مع ذلك سعد بن عبادة] ، فقال ﷺ : لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ليس بفرَّار ، أبشر يا محمد بن مسلمة ! غداً — إن شاء الله تعالى — يقتل قاتل أخيك ، وتولّي عادية يهود .

---

(١) كناية عن شدة الرعب . (٢) جثم : لزم مكانه . (٣) في (خ) « بهذا » ، والهذّ : الإسراع .

(٤) في (الواقدي) ج ٢ ص ٦٥٣ بعد قوله « مهموما » « وقد كان سعد بن عبادة رجع مجروحاً » فيستقيم بذلك السياق إذا قيل بعدها عبارة : [وخرج مع ذلك سعد بن عبادة] .

بعثة علي لفتح حصن ناعم

فلما أصبح رسول الله ﷺ أرسل إلى علي رضي الله عنه — وهو أرمد — فقال [علي][1] : ما أبصر سهلاً ولا جبلاً ! فذهب إليه فقال ﷺ : افتح عينيك ! ففتحهما ، فتفل فيهما ، فما رمد بعدها .

مقتل أبي زينب اليهودي

ثم دفع إليه اللواء ، ودعا له ومن معه بالنصر . وكان أول من خرج إليه الحارث أبو زينب — أخو مرحب — فانكشف المسلمون وثبت علي ، فاضطربا ضربات فقتله عليّ ، وانهزم اليهود إلى حصنهم .

خبر مرحب اليهودي ومقتله

ثم خرج مرحب فحمل على عليٍّ وضربه ، فاتقاه بالتُّرس ، فأُطن ترس علي رضي الله عنه ، فتناول باباً كان عند الحصن فترس به عن نفسه ، فلم يزل في يده حتى فتح الله عليه الحصن ، وبعث رجلاً يبشر النبي ﷺ بفتح حصن مرحب . ويقال : إن باب الحصن جُرِّب بعد ذلك ، فلم يحمله أربعون رجلاً . وروي — من وجه ضعيف عن جابر : ثم اجتمع عليه سبعون رجلاً ، فكان جهدهم أن أعادوا الباب . وعن أبي رافع : فلقد رأيتني في نفر مع سبعةٍ — أنا ثَامِنُهم — نجهد أن نقلب ذلك الباب فما استطعنا أن نقلبه . وزعم بعضهم : أن حمْلَ عليٍّ باب خيبر لا أصل له ، وإنما يروى عن رعاع الناس . وليس كذلك ، فقد أخرجه ابن إسحاق في سيرته عن أبي رافع ، وأن سبعة لم يقلبوه . وأخرجه الحاكم من طرق منها : عن أبي علي الحافظ : حدثنا الهيثم بن خلف الدوْري ، حدثنا إسماعيل بن موسى الفزاري [نسيب][2] السُّدِّي ، حدثنا المطلب بن زياد ، حدثنا الليث بن أبي سليم ، حدثنا أبو جعفر محمد بن علي بن حسين ، عن جابر : أن علياً حمل الباب يوم خيبر ، وأنه جرِّب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلاً .

(١) زيادة للبيان .

(٢) زيادة من نسبه (تهذيب التهذيب) ج ١ ص ٣٢٥ .

خبر مرحب وأُسَير وياسر ومقتلهم

ويقال : إن مرحباً برز كالفحل الصؤول يدعو للبراز ، فخرج إليه محمد بن مسلمة فتجاولا ساعة ، وضرب محمد مرحباً فقطع رجليه وسقط ، فمر به عليّ رضي الله عنه فضرب عنقه وأخذ سَلَبهُ ، فأعطى رسول الله ﷺ سَلَبهُ محمد بن مسلمة . وبرز أُسَيرُ ، فخرج له محمد بن مسلمة فقتله محمد ، ثم برز ياسر ، وكان من أشدائهم ، فقال :

قد علمت خيبر أني ياسر شاكي السلاح بطل مغاورُ
إذا الليوث أقبلت تبادرُ وأحجمت من صولتي المخاطر(١)
إن حماي فيه موت حاضر

فقتله الزبير رضي الله عنه وهو يقول :

قد علمت خيبر أني زَبَّار قرم لقوم غير نكسٍ فرَّار
وابن حماة المجد وابن الأخيار ياسر ! لا يغررك جمع الكفارْ
فجمعهم مثل السراب الجرار(٢)

(وفي رواية : « فإنهم مثل السراب الموّار ») فقال رسول الله ﷺ : أبشروا ! قد ترحبت خيبر وتيسرت . وبرز عامر فقتله عليّ وأخذ سلاحه .

البشرى بقتل قاتل محمود بن مسلمة

ولما قتل مرحب بعث رسول الله ﷺ جُعَيل بن سراقة الغفاري يبشر محمود ابن مسلمة : أن الله قد أنزل فرائض البنات ، وأن محمد بن مسلمة قد قتل قاتله ، فسر بذلك ، ومات في اليوم الذي قتل فيه مرحب ، بعد ثلاث من سقوط الرحى عليه .

فتح حصن الصعب بن معاذ بعد الجوع والجهد

وكان الناس قد أقاموا على حصن النطاة عشرة أيام لا يفتح ، وجهدهم الجوع ،

(١) في (الطبري) ج ٣ ص ١١ « وأحجمت عن صوتي المغاور » .
(٢) في (خ) « فإنهم مثل الشراب الجار » وما أثبتناه من (الطبري) ج ٣ ص ١١ .

فبعثوا أسماء بن حارثة بن هند بن عبد الله بن غياث بن سعد بن عمرو بن عامر ابن ثعلبة بن مالك بن أفصى الأسلمي إلى رسول الله ﷺ : نشكوا الجوع والضعف ، فادع الله لنا ! فقال : اللهم افتح عليهم أعظم حصن فيه ، أكثره طعاماً وأكثره وَدَكاً . ودفع اللواء إلى الحباب بن المنذر بن الجموح ، وندب الناس . فما رجعوا حتى فتح الله عليهم حصن الصعب .

خبر أبي اليسر في إطعام المسلمين

فقال رسول الله ﷺ : من رجل يطعمنا من هذه الغنم ؟ فقال أبو اليسر كعب ابن عمرو بن عباد بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة : أنا يا رسول الله ! وخرج يسعى مثل الظبي ، فقال عليه السلام : اللهم متعنا به ! فأدرك الغنم وقد دخل أولها الحصن ، فأخذ شاتين من آخرها واحتضنهما ، ثم أقبل عدواً ، فأمر بهما رسول الله ﷺ فذبحتا[1] وقسمتا ، فما بقي أحد من أهل العسكر المحاصرين الحصن إلا أكل منها ، وكانوا عدداً[2] كثيراً .

نحر الحمر الإنسية وتحريم لحمها

وخرج من الحصن عشرون حماراً أو ثلاثون ، فأخذها المسلمون وانتحروها ، وطبخوا لحومها ، فمر بهم رسول الله ﷺ وهم على تلك الحال ، فسأل ، فأخبر خبرها ، وأمر فنودي : إن رسول الله نهاكم عن لحوم [الحمر][3] الإنسية فأكفئوا القدور .

النهي عن متعة النساء وكل ذي ناب ومخلب

و [نهاكم][4] عن متعة النساء[5] ، وعن كل ذي ناب ومخلب . وذبح المسلمون فرسين قبل فتح حصن الصعب فأكلوا .

---

(١) في (خ) « قد لحقا » . (٢) في (خ) « عداداً » . (٣) زيادة للسياق . (٤) زيادة للسياق .

(٥) يقول (ابن القيم) في (زاد المعاد) ج ٣ ص ٣٤٣ وما بعدها : « ولم تحرم المتعةُ يوم خيبر وإنما كان تحريمها عام الفتح هذا هو الصواب » .

« وقال الشافعي : لا أعلم شيئاً حُرِّم ، ثم أبيح ، ثم حُرِّم إلا المتعة ، قالوا : نُسِخَتْ مرتين ، وخالفهم في ذلك آخرون ، وقالوا : لم تحرم إلا عام الفتح » .

مقتل عامر بن سنان الأنصاري

وقُتِل عامر بن سنان الأنصاري ــ عمُّ سلمة[1] بن عمرو بن الأكوع [وسنان هو الأكوع] ــ وقد لقي يهودياً فبدره بضربة ، فاتقى عامرٌ بدرقته ، فنبا سيف اليهودي عنه ، وضرب عامر رجل اليهودي فقطعها ، ورجع السيف عليه ، فنزف فمات . فقال أسيد بن حضير : حبط عمله . فقال رسول الله ﷺ : كذب من قال ذلك ، إن له لأجرين ، إنه جاهد[2] مجاهد ، وإنه ليعوم في الجنة عوم الدعموص[3] .

خبر حصن الصعب

ولما أقام المسلمون على حصن الصعب يومين ، عدا بهم الحباب بن المنذر في اليوم الثالث ومعه الراية ، فقاتلهم أشد قتال . وبكر رسول الله ﷺ فتراموا بالنبل ، وقد ترس المسلمون على رسول الله . ثم حملت اليهود حملة منكرة ، فانكشف المسلمون حتى انتهوا إلى رسول الله ﷺ ، وهو واقف قد نزل عن فرسه ، ومِدعَم[4] يمسك الفرس ، وثبت الحباب برايته يراميهم على فرسه . فندب رسول الله الناس وحضهم على الجهاد فأقبلوا حتى زحف بهم الحباب ، واشتد الأمر ، فانهزمت يهود وأغلقوا الحصن عليهم ، ورَمَوْا من أعلى جُدُره بالحجارة رمياً كثيراً فتباعد عنه المسلمون ثم كروا . فخرجت يهود وقاتلوا أشد قتال ، فقتل ثلاثة من المسلمين ، ثم هزمهم الله تعالى .

غنائم حصن الصعب

واقتحم المسلمون الحصن يقتلون ويأسرون . فوجدوا فيه من الشعير والتمر والسمن والعسل والزيت والودَك كثيراً[5] فنادى منادي رسول الله ﷺ : كلوا

---

(١) في (خ) « مسلمة » .

(٢) الجاهد : الجاد في أمره .

(٣) الدعموص : دويبة أو دودة تكون في الغُدران إذا نَشَّت (ترتيب القاموس) ج ٢ ص ١٨٧ . والغدران : جمع غدير .

(٤) مدغم : اسم عبد اسود .

(٥) في (خ) « كبيراً » .

واعلفوا ولا تحتملوا [يعني لا تخرجوا به إلى بلادكم] . فأخذوا من ذلك الحصن طعامهم ، وعلف دوابهم ، ولم يمنع أحد من شيء ، ولم يخمس . ووجدوا بزًّا في عشرين عكماً[1] محزمة من متاع اليمن[2] ، ووجدوا خوابي سَكر[3] ، فأمر بالسكر فكسر خوابيه . ووجدوا آنية من نحاس وفخارٍ كانت يهود تأكل فيها وتشرب ، فقال عليه السلام : اغسلوها واطبخوا ، وكلوا فيها واشربوا . وأخرَجوا منها غنماً وبقراً وحمراً ، وآلة الحرب ، ومنجنيقاً ، ودبابات وعدة ، وخمسمائة قطيفة ، وعشرة أحمال خشب[4] فأحرق ، وشرب الخمر رجل من المسلمين يقال له : « عبد الله الحمار »[5] ، فخفقه رسول الله بنعليه ، وأمر من حضروه فخفقوه[6] بنعالهم . ولعنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال ﷺ : فإنه يحب الله ورسوله ! ثم راح عبد الله كأنه أحدهم ، فجلس معهم .

فتح قلعة الزبير

وتحولت يهود إلى قلعة[7] الزبير ، فزحف رسول الله ﷺ إليهم وحصرهم ـــ وكانوا في حصنٍ منيع ـــ مدة ثلاثة أيام حتى فتحه ، وكان آخر حصون النطاة .

فتح حصون الشق

ثم أمر رسول الله ﷺ بالأنفال والعسكر أن يحول من الرجيع إلى مكانه الأول بالشّق ، وبه عدة حصون ، فنازلها حتى فتحها . ووجد في حصن منها صفية بنت حيي وابنة عمها ، ونُسَيّات معها وذراري ، يبلغ عدة الجميع زيادة على ألفين .

مصالحة كنانة بن أبي الحقيق على أهل الكتيبة

وصالح كنانة بن أبي الحقيق رسولَ الله ﷺ [على][8] أهل الكتيبة فأمن

---

(١) العكم : من قوله : عكم المتاع يعكمه ، شدهُ بثوب (ترتيب القاموس) ج ٢ ص ٦٦٤ .

(٢) في (خ) « اليمين » . (٣) خوابي : جمع خابية وهي كالدق ، والسُّكر : كل ما يسكر .

(٤) في (خ) ، (ط) « كشوب » وهو خطأ من الناسخ ، وما أثبتناه من (الواقدي) ج ٢ ص ٦٦٤ .

(٥) كذا في (خ) ، (ط) وفي المرجع السابق « عبد الله الحمّار » . (٦) في (خ) « فخفوهم » . (٧) في (خ) « قطعة » .

(٨) زيادة للسياق .

الرجال والذرية ، ودفعوا إليه الأموال من الذهب والفضة والحلقة والثياب إلا ثوباً على إنسان ، بعد ما حصرهم أربعة عشر يوماً . وقال مالك ، عن ابن شهاب : والكتيبة أكثرها عَنْوَة ، وفيها صلح . وقال ابن وهب : قلت لمالك : وما الكتيبة ؟ قال : من أرض خيبر ، وهي أربعون ألف عَذْقٍ . فوجد خمسمائة قوسٍ عربية ، ومائة درع ، وأربعمائة سيف ، وألف رمح .

ما كتبه ابن أبي الحقيق من أموال يهود وما كان فيه من الغنائم

وسأل [رسول الله ﷺ][1] كنانة بن أبي الحقيق عن الأموال ــ وكان قد قال ﷺ حين صالحه برئتْ منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كتمتموني شيئاً ــ فقال كنانة : يا أبا القاسم ! أنفقناه في حربنا فلم يبق منه شيء ! وأكد الأيمان ، فقال رسول الله : برئت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كان عندكم ؟ قال : نعم ! ثم قال ﷺ : وكل ما أخذت من أموالكم ، وأصبت من دمائكم ، فهو حل لي ولا ذمة لكم ؟ قال : نعم ! وأشهد عليه عدة من المسلمين ومن يهود . فدله سَعْية[2] ابن سلام بن أبي الحقيق على خربة ، فبعث عليه السلام الزبير في نفر مع سعية[2] حتى حفر ، فإذا كنز في مَسْك[3] جمل ، فيه حُلي . فأتى به رسول الله ﷺ ، فأمر الزبير أن يعذب كنانة حتى يستخرج كل ما عنده ، فعذبه حتى جاءه بمال ، ثم دفعه إلى محمد بن مسلمة فقتله بأخيه محمود ، وعذب ابن أبي الحقيق الآخر ، ثم دفع إلى ولاة بشر بن البراء فقتل به ، وقيل ضرب عنقه ، واستحل ﷺ بذلك أموالهما ، وسبي ذراريهما . ووجد في المسك : أسورة الذهب ، ودمالج الذهب ، وخلاخل الذهب ، وأقرطة ذهب ، ونظمٍ من جوهرٍ وزمرُّدٍ ، وخواتم ذهب ، وفتخ بجزع ظفار مجزع[4] بالذهب . [وذكر][5] .

---

(١) زيادة للبيان .

(٢) كذا في (ط) ، وفي (خ) و (الواقدي) ج ٢ ص ٦٧٢ « ثعلبة » .

(٣) مسك الدابة : جلدها بعد السلخ .

(٤) في (خ) « وفتح بجرع ظفار مجرع » ، والفتح . الدبلة ، وجزع الظفار : سبق شرحه في حديث الإفك .

(٥) كذا في (خ) ، والسياق مستقيم بدونها .

صفية بنت حيي : إسلامها ، وزواج رسول الله ﷺ بها

وكانت صفية بنت حيي تحت كنانة بن أبي الحقيق ، فسباها رسول الله ﷺ ، وبعث بها مع بلال إلى رَحْله ، فمر بها وبابنة عمها على القتلى ، فصاحت ابنة عمها صياحاً شديداً ، فكره رسول الله ﷺ ما صنع بلال وقال : ذهبت منك الرحمة ؟ تمر بجارية حديثة السن على القتلى !! فقال : يا رسول الله ! ما ظننت أنك تكره ذلك ، وأحببت أن ترى مصارع قومها ! فدفع ابنة عم صفية إلى دِحية الكلبي ، وأعتق صفية وتزوجها ، وجعل عتقها صداقها .

خبر الشاة المسمومة
التي أكل منها رسول الله ﷺ وقتلت بشر بن البراء

ثم إن زينب ابنة الحارث اليهودية أخت مرحب[1] ، ذبحت عنزاً لها وطبختها وسمتها ، فلما صلى رسول الله ﷺ المغرب وانصرف إلى منزله ، وجد زينب عند رحله ، فقدمت له الشاة هدية . فأمر بها فوضعت بين يديه ، وتقدم هو وأصحابه إليها ليأكلوا ، فتناول الذراع ، وتناول بشر بن البراء عظماً ، وانتهس رسول الله ﷺ ثم ازدرد ، وقال : كفُّوا أيديكم ، فإن هذه الذراع تخبرني أنها مسمومة ! فقال بشر بن البراء : والله يا رسول الله ، وجدت ذلك من أكلتي[2] التي أكلت ، فما منعني أن ألفظها إلا كراهية أنغِّص عليك طعامك . فلم يرِم[3] بشر من مكانه حتى تغير ثم مات . ودعا رسول الله زينب وقال : سممت الذراع ؟ قالت : من أخبرَك ؟ قال : الذراع ! قالت : نعم ! قال : وما حملك على ذلك ؟ قالت : قتلت أبي وعمي وزوجي ، ونلت من قومي ما نلت ، فقلت : إن كان نبياً فستخبره الشاة ، وإن كان ملكاً استرحنا منه ! فقيل : أمر بها فقتلت ثم صلبت[4] ، كما رواه أبو داود . وقيل : عفا عنها[5] .

---

(١) كذا في (خ) ، وفي سنن أبي داود ج ٤ ص ٦٤٨ ، ويرى بعض الرواة أن «زينب بنت الحارث» هذه هي ابنة أخي مرحب اليهودي ، راجع (مجمع الزوائد) ج ٦ ص ١٥٣ .

(٢) أكلتي : لقمتي . (٣) لم يرم : لم يفارق مكانه . (٤) (مجمع الزوائد) ج ٨ ص ٢٩٦ .

(٥) (سنن أبي داود) ج ٤ ص ٦٤٧ وما بعدها ، (باب من سقى رجلاً سماً أو أطعمه فمات ، أيقاد منه؟) الأحاديث أرقام : ٥٤٠٨ ، ٥٤٠٩ ، ٥٤١٠ ، ٥٤١١ ، ٥٤١٢ ، ٥٤١٣ ، ٥٤١٤ وقال الخطابي في =

الاختلاف في قتل صاحبة الشاة المسمومة

وقد اختلفت[1] الآثار في قتلها[2] : ففي صحيح مسلم أنه لم يقتلها ، وهو مروي عن أبي هريرة وجابر ، وفي أبي داود أنه قتلها . وعن ابن عباس : دفعها إلى أولياء بشر بن البراء بن معرور ، وكان أكل منها فمات بها ، فقتلوها . وقال ابن سحنون : أجمع أهل الحديث أن رسول الله قتلها . وكان نفر ثلاثة قد وضعوا أيديهم في الطعام ولم يصيبوا منه شيئاً ، فأمرهم رسول الله ﷺ فاحتجموا أوساط رؤوسهم .

احتجام رسول الله ﷺ من سم الشاة

واحتجم ﷺ تحت كتفه اليسرى ، وقيل : على كاهله ، حَجَمهُ أبو هند بالقرن والشفرة . وقال ﷺ في مرض موته : مازالت أكلة خيبر يصيبني منها عِداد[3] ، حتى كان هذا أوان أن تقطع أبهري[4] . ويقال : الذي مات مسموماً من الشاة بشر بن البراء ، وبشر أثبت .

مغـانم خيبر

واستعمل رسول الله ﷺ على مغانم خيبر فروة بن عمرو بن وذفة[5] بن عبيد ابن عامر بن بياضة البياضي الأنصاري ، فلم يخمس الطعام والأدم والعلف ، بل أخذ

=(معالم السنن) ج ٤ ص ٦٤٩ « وفي الحديث دليل على إباحة أكل طعام أهل الكتاب ، وجواز مبايعتهم ومعاملتهم ، مع إمكان أن يكون في أموالهم الربا ونحوه من الشبهة » .

(١) في (خ) « اختلف » .

(٢) وفي (الشفا) للقاضي عياض ج ١ ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ : « ... قال : فأمر بها فقتلت ، وقد روى هذا الحديث أنس ، وفيه قالت : أردت قتلك فقال : ما كان الله ليسلطك على ذلك ، فقالوا : نقتلها ، قال : لا . وكذلك روى عن أبي هريرة من رواية غير وهب ، قال : فما عرض لها ، ورواه أيضاً جابر بن عبد الله ، وفيه : أخبرني به هذه الذراع ، قال : ولم يعاقبها ، وفي رواية ابن إسحٰق وقال فيه : فتجاوز عنها ، وقال ابن سحنون : أجمع أهل الحديث أن رسول الله ﷺ قتل اليهودية التي سمته ، وقد ذكرنا اختلاف الروايات في ذلك عن أبي هريرة وأنس وجابر ، وفي رواية ابن عباس رضي الله عنه أنه دفعها لأولياء بشر بن البراء فقتلوها » .

(٣) العداد : اهتياج وجع اللديغ بعد سنة (ترتيب القاموس) ج ٣ ص ١٧٠ .

(٤) الأَبْهُرُ : وريد العنق (المرجع السابق) ج ٩ ص ٢٣١ .

(٥) في (خ) « ودفة بن عميل » والصواب ما أثبتناه من كتب السيرة .

الناس منه حاجتهم . وكان من احتاج إلى سلاح يقاتل به أخذه من صاحب المغنم ثم ردّه[1] إليه . فلما اجتمعت المغانم كلها جزأها رسول الله ﷺ خمسة أجزاء ، وكتب في سهم منها لله ، وسائر السهمان أغفال . وكان أول سهم خرج سهم النبي ﷺ ، لم يتخير في الأخماس . ثم أمر ببيع الأخماس الأربعة فيمن يزيد ، فباعها فروة ابن عمرو، ودعا فيها ﷺ بالبركة فقال : اللهم ألق عليها النَّفاق ! ـــ فتداك الناس عليها حتى نفق في يومين ، وكان يظن أنهم لا يتخلصون منه حيناً لكثرته . فأعطى رسول الله ﷺ من خمُسه ما أراد الله : فأعطى أهله ، وأعطى رجالاً من بني عبد المطلب ونساءً ، وأعطى اليتيم والسائل . وجمعت مصاحف فيها التوراة ، ثم رُدَّت على يهود .

الغلول من الغنائم

ونادى منادي رسول الله : أدّوا الخياط والمخيط[2] ، فإن الغلول عارٌ وشنارٌ ، ونارٌ يوم القيامة ! فعصب فروة رأسه بعصابة ليستظل بها من الشمس ، فقال رسول الله ﷺ : عصابة من نار عصبتَ بها رأسك ! فطرحها . وسأل رجل أن يُعطى من الفيء شيئاً فقال ﷺ : لا يحل من الفيء خيط ولا مخيط لأحد ، ولا مُعطى . وسأله رجل عقالاً فقال : حتى تقسم الغنائم ثم أعطيك عقالاً ، وقتل[3] كِركَرَة يومئذ فقال ﷺ : إنه الآن ليحرق في النار على شملة غلها . وتوفي رجل من أشجع فلم يصلّ عليه ، وقال : إن صاحبكم غلَّ في سبيل الله : فوجد في متاعه خرز[4] لا يساوي درهمين . واشترى الناس يومئذ تبراً بذهب جزافاً[5] ، فنهى[6] رسول الله ﷺ عن ذلك . ووجد رجل في خربة مائتي درهم ، فأخذ منها رسول الله ﷺ الخمس ودفعها إليه .

---

(١) في (خ) « ردوه » .

(٢) الخياط والمخيط : الخيط والإبراة ، (راجع مسند الحميدي) ج ٢ ص ٣٩٦ حديث رقم ٨٩٤ .

(٣) في (خ) « وقيل » . (٤) في (خ) « حزو » وما أثبتناه من (المغازي) ج ٢ ص ٦٨١ .

(٥) في (خ) « وأسرى الناس يومئذ يذهب جزافاً » وما أثبتناه من المرجع السابق ج ٢ ص ٦٨٢ .

(٦) في (خ) « فانتهى » وفي (ط) « فهي » وفي (المغازي) « فلهى » .

النهي عن أشياء

وسُمع [ﷺ][1] يومئذ يقول : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يسق ماءُه زرعَ غيره[2] ، ولا يبع شيئاً من المغنم حتى يعلم . ولا يركب دابة من المغنم حتى إذا أدبرها[3] ردَّها . ولا يلبس ثوباً من المغنم حتى إذا أخلقه ردَّه ، ولا يأت[4] امرأة من السبي حتى تستبرأ بحيضة ، وإن كانت حبلى حتى تضع الحمل . ومرّ على امرأة مجح[5] فقال : لمن هذه ؟ فقيل : لفلان . فقال : لعله يطؤها ؟ قالوا : نعم ! قال : كيف بولدها ؟ يرثه وليس بابنه ، ويسترقه ، وهو يغذو[6] في سمعه وبصره ! لقد هممت أن ألعنه لعنة تتبعه في قبره .

قدوم أصحاب السفينتين

وقدم أهل السفينتين من عند النجاشي بعد أن فتحت خيبر ، فيهم جعفر بن أبي طالب وأبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري ، في جماعة من[7] الأشعريين يزيدون على سبعين . وذكر ابن سعد عن الواقدي بسنده[8] : أنهم لما سمعوا خبر هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة ، رجع ثلاثة وثلاثون رجلاً وثماني نسوة ، فمات منهم رجلان بمكة ، وحُبس بمكة سبعة نفر . وشهد بدراً منهم أربعة وعشرون رجلاً . فلما كان شهر ربيع الأول سنة سبع من الهجرة ، كتب رسول الله ﷺ إلى النجاشي يدعوه إلى الإسلام مع عمرو بن أمية الضمري ، فأسلم . وكتب إليه أيضاً أن يزوجه أم حبيبة [بنت أبي سفيان][9] — وكانت فيمن هاجر إلى الحبشة — فزوجه إياها . وكتب إليه أيضاً أن يبعث بمن بقي عنده من أصحابه

---

(١) زيادة للبيان .

(٢) الماء : المنى ، وزرع غيره ، الحمل الذي من غيره .

(٣) في (الواقدي) « براها » وأدبر الدابة : أثقل عليها الحمل . والدبَرة : قَرحْة الدابة (ترتيب القاموس) ج ٢ ص ١٤٦ .

(٤) في (خ) « ولا يأتي » .

(٥) في (خ) « نجح » والمجح : الحامل المقرب التي دنا ولدها (النهاية) ج ١ ص ٢٤٠ .

(٦) في (المغازي) « يعدو » ج ٢ ص ٦٨٣ ، وفي (ط) « يغزو » ، وفي سنن الدارمي ج ٢ ص ٢٢٧ باب النهي عن وطء الحبالي : « عن أبي الدرداء أن النبي ﷺ رأى امرأة مجحة يعني حبلى ... فقال لعله قد ألَمّ بها قالوا نعم ، قال لقد هممت أن العنه لعنة تدخل معه قبره ، كيف يورثه وهو لا يحل له ؟ وكيف يستخدمه وهو لا يحل له ؟ » .

(٧) في (خ) « في » .

(٨) (المغازي) ج ٢ ص ٦٨٣ .

(٩) زيادة للبيان من (ط) .

ويحملهم ، فحملهم في سفينتين مع عمرو بن أمية ، فأرسلوا بساحل بولا وهو الجار[1] . ثم ساروا حتى قدموا المدينة ، فوجدوا[2] رسول الله بخيبر فأتوه ، فقال ﷺ : ما أدري بأيهما أنا أسَر ؟ قدوم جعفر ، أو فتح خيبر !! ثم ضمّه وقبل بين عينيه .

إشراك القادمين في غنائم خيبر

وهمّ المسلمون أن يدخلوا جعفراً ومن قدم معه في سهمانهم ففعلوا ، وقدم الدوسيون ، فيهم أبو هريرة والطفيل بن عمرو وأصحابهم ، ونفر من الأشعريين ، فكلم رسول الله ﷺ أصحابه[3] فيهم أن يشركوهم في الغنيمة ، فقالوا : نعم ، يا رسول الله .

الخمس وقسمته

وكان الخمس إلى رسول الله ﷺ من كل مغنم غنمه المسلمون ، شهده أو غاب عنه . وكان لا يقسم لغائب في مغنم لم يشهده ، إلا أنه في بدر ضرب لثمانية لم يشهدوا ، وكانت خيبر لأهل الحديبية من شهدها أو غاب عنها . قال الله سبحانه : ﴿ **وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه** ﴾[4] ــ يعني خيبر ، وقد تخلف عنها رجال ، ومات رجلان وأسهم ﷺ لمن تخلف منهم ومن مات ، وأسهم لمن شهد خيبر ولم يشهد الحديبية ، وأسهم لرسل كانوا يختلفون إلى أهل فدك ، وأسهم لثلاثة مرضى لم يحضروا القتال ، وأسهم للذين استشهدوا . وقيل : كانت خيبر لأهل الحديبية ، لم يشهدها غيرهم ، ولم يسهم فيها لغيرهم ، والأول أثبت .

وأسهم لعشرة من يهود المدينة ــ غزّاهم إلى خيبر ــ كسهمان المسلمين ، ويقال : أحذاهم[5] ولم يسهم لهم ، وأعطى مماليك كانوا معه ولم يسهم .

---

(١) الجار : « مدينة على ساحل بحر القلزم ، بينها وبين المدينة يوم وليلة ... » وهي فرضة تُرفأ إليها السفن من أرض الحبشة ومصر وعدن والصين وسائر بلاد الهند (معجم البلدان) ج ٢ ص ٩٢ ، ٩٣ .

(٢) في (خ) « فواجدوا » .

(٣) في (خ) « وأصحابه » .

(٤) الآية ٢٠ / الفتح .

(٥) في (خ) « أحداهم » وأحذى : منح ووهب .

من شهد خيبر من النساء

وشهد خيبر عشرون امرأة ، منهن : أم المؤمنين أم سلمة ، وصفية بنت عبد المطلب ، وأم أيمن ، وسلمى امرأة أبي رافع مولاة النبي ﷺ وامرأة عاصم بن عدي ، [وولدت بخيبر سهلة بنت عاصم] ، وأم عمارة نسيبة بنت كعب ، وأم منيع وهي أم شباث ، وكُعَيبة بنت سعد الأسلمية ، وأم مطاوع الأسلمية ، وأم سليم بنت ملحان ، وأم الضحاك بنت مسعود الحارثية ، وهند بنت عمرو بن حرام ، وأم العلاء الأنصارية ، وأم عامر الأشهلية ، وأم عطية الأنصارية ، وأم سليط ، وأمية بنت قيس الغفارية ، فرضخ لهن[1] من الفيء ولم يسهم لهن . وولدت امرأة عبد الله بن أنيس فأحذاها ومن ولدته .

خبر أفراس المؤمنين وسهمانها

وقاد رسول الله ﷺ في خيبر ثلاثة أفراس : لزار ، والظَّرب ، والسكب . وقاد المسلمون مائتي فرس ، وقيل : ثلاثمائة ، والأول أثبت . فأسهم لمن له فَرسان خمسة أسهم : أربعة لفرسيه وسهماً له[2] ، ولم يسهم لأكثر من فرسين لرجل واحد . ويقال : إنه لم يسهم إلا لفرس واحد ، وهذا أثبت . ويقال : إنه عرّب العربي وهجّن الهجين[3] يوم خيبر ، فأسهم للعربي دون الهجين . وقيل : لم يكن في عهده عليه السلام هجين ، إنما كانت العِراب[4] حتى كان زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفتحت الأمصار ، ولم يُسمع أن رسول الله ﷺ ضرب لما كان معه من الخيل لنفسه إلا لفرس واحد ، فكان له ﷺ ثلاثة أسهم : لفرسه سهمان وله سهم .

إحصاء الناس بخيبر

وولي إحصاء الناس بخيبر زيد بن ثابت ، فقسم رسول الله ﷺ بينهم الغنائم :

(١) رضخ له : أعطاه عطاء يسيراً .

(٢) في (سنن الدارمي) ج ٢ ص ٣٢٥ ، ٣٢٦ : « عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ أسهم يوم خيبر للفارس ثلاثة أسهم وللراجل سهمين » .

(٣) الهجين من الخيل : ما كانت أمه غير عربية ، وهو عيب يعاب به .

(٤) العراب : من الخيل الأصيل .

وهم ألف وأربعمائة ، والخيل مائتا فرس . وكانت السهمان التي في النطاة والشق على ثمانية عشر سهماً . وكان من كان فارساً له في ذلك ثلاثة أسهم فوضى لم تُحد ولم تقسم ، إنما لها رؤوس مسمون ، لكل مائة رأس يقسم على أصحابه ما خرج من غلتها .

مساقاة اليهود على زرع خيبر

ولما فتح رسول الله ﷺ خيبر ، ساقى[1] يهود على الشطر من الثمر والزرع ، وكان يزرع تحت النخل ، وكان يبعث عبد الله بن رواحة يخرص[2] عليهم النخل ، ويقول إذا خرَص ، إن شئتم [فلكم][3] ، وتضمنون نصف ما خرصت ، وإن شئتم فلنا ، ونضمن لكم ما خرصت . وخرص عليهم أربعين ألف وسْق[4] . فلما قتل ابن رواحة بمؤتة « خرص عليهم أبو الهيثم بن التَّيهان ، وقيل : جبار بن صخر ، وقيل : فروة بن عمرو .

شكوى اليهود من المسلمين وإنصافهم

وجعل المسلمون يقعون[5] في حرثهم وبقلهم بعد المساقاة ، فشكت يهود ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فنادى عبد الرحمن بن عوف : الصلاة جامعة ، ولا يدخل الجنة إلا مسلم ، فاجتمع المسلمون ، فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن يهود شكوا إليّ أنكم وقعتم في حظائرهم ، وقد أمناهم على دمائهم ،

---

(١) المساقاة : « ما كان في النخل والكرم وجميع الشجر الذي يثمر بجزء معلوم من الثمرة للأجير ، وإليه ذهب الجمهور ، وخصها الشافعي في قوله الجديد بالنخل والكرم ، وخصها داود بالنخل ، وقال مالك تجوز في الزرع والشجر ، ولا تجوز في البقول عند الجمع » . (نيل الأوطار للشوكاني) ج ٦ ص ٨ .

(٢) الخَرْصُ : الحَرْزُ (ترتيب القاموس) ج ٢ ص ٣٧ ، وحكى الترمذي عن بعض أهل العلم أن تفسيره : أن الثمار إذا أدركت من الرطب والعنب مما تجب فيه الزكاة ، بعث الإمام خارصاً ينظر ، فيقول : يخرج من هذا كذا وكذا زبيباً ، وكذا تمراً فيحصيه ، وينظر مبلغ العشر فيه فيثبته عليهم ويخلي بينهم وبين الثمار ، فإذا جاء وقت الجذاذ ، أخذ منهم العشر ، وهو قول مالك والشافعي وأحمد وإسحق .

(٣) زيادة للسياق ، وفي (الواقدي) ج ٢ ص ٦٩١ :(إن شئتم فلكم وتضمنون نصف ما خرصت ، وإن شئتم فلنا ونضمن لكم ما خرصتُ) .

(٤) الوسق : ستون صاعاً أو حمل بعير (ترتيب القاموس) ج ٤ ص ٦١١ .

(٥) وقع في الحرث : ترك دوابه ترعى فيه .

وعلى أموالهم التي في أيديهم في أراضيهم ، وعاملناهم[1] وإنه لا تحل أموال المعاهدين إلا بحقها . فكان[2] المسلمون لا يأخذون من بقولهم شيئاً إلا بثمن .

خبر الكتيبة وأنها لرسول الله ﷺ خالصة

وقيل : إن الكتيبة كانت للنبي ﷺ خالصة ، لأنهم لم يوجفوا عليها[3] ، وقيل : هي خمُسه من خيبر . وكان ﷺ يطعم من الكتيبة من أطعم ، وينفق على أهله منها ، وكانت تخرص ثمانية آلاف وسق تمراً ، فليهود نصفها : أربعة آلاف . وكان يُزرع فيها الشعير ، فيحصد منه ثلاثة آلاف صاع ، لرسول الله ﷺ نصفه ، وليهود نصفه . وربما اجتمع منها ألف صاع نوى[4] ، هي أيضاً بينهما نصفين . فأطعم من الكتيبة كل امرأة من نسائه ثمانين وسقاً تمراً ، وعشرين وسقاً شعيراً ، وللعباس بن عبد المطلب مائتي وسق ، ولفاطمة وعلي عليهما السلام ثلاثمائة وسق شعيراً وتمراً ، ولأسامة بن زيد مائة وخمسين وسقاً شعيراً وتمراً ، وأطعم آخرين . وقسم بين ذوي[5] القربى بخيبر : بين بني هاشم وبني عبد المطلب فقط .

شــهداء خيبر

واستشهد بخيبر خمسة عشر رجلا : أربعة من المهاجرين ، والبقية من الأنصار . فقيل : صلى عليهم رسول الله ﷺ ، وقيل : لم يصل عليهم .

وقتل من يهود ثلاثة وتسعون رجلاً ، وأعطى ﷺ جُبَلَ[6] بن جوال الثعلبي كل داجنٍ بخيبر ، وقيل : إنما أعطاه كل داجن[7] في النطاة ، ولم يعطه من الكتيبة ولا من الشق شيئاً .

ما نهي عنه في خيبر

وفي غزاة خيبر نهى ﷺ : عن أكل الحمار الأهلي[8] ، وعن أكل كل ذي

---

(١) المعاملة : المساقاة في كلام فقهاء العراق .
(٢) في (خ) « وكان » .
(٣) وجف : ضربٌ من سير الخيل والإبل (ترتيب القاموس) ج ٤ ص ٥٧٨ .
(٤) نوى : جمع نواة .
(٥) في (خ) « وقسم بينهم ذي القربى » .
(٦) في (خ) جَبَلة .
(٧) الداجن : الحمام والشاة وغيرها ألفت البيوت (ترتيب القاموس) ج ٢ ص ١٥٢ .
(٨) (سنن أبي داود) ج ٤ ص ١٦٤ حديث رقم ٣٨١١ .

ناب من السباع[1] ، وأن توطأ الحبالى حتى يضعن ، وعن أن تباع السهام حتى تُقسم[2] ، وأن تباع الثمرة حتى يبدوَ صلاحـها[3] . ولعن يومئذ الواصلة والموصلة[4] ، والواشمة والموشومة[4] ، والخامشة وجهها[5] ، والشاقة جيبها[6] ، وحرم لحوم البغال وكل ذي مخلب من الطيور ، وحرم المجثّمة[7] والخليسة[8] ، والنُّهبة[9] ، ونهى عن قتل النساء .

بلوغ خبر خيبر إلى أهل مكة

وقدم عباس بن مرداس السلمي مكة ، فخبَّر أن محمداً سار إلى خيبر ، وأنه لا يُفلت . فقال صفوان بن أمية : أنا معك يا عباس . وضوى معه نفر ، وقال حويطب بن عبد العزّى : إن محمداً سيظهر[10] . ووافقه جماعة ، فتخاطر[11] مائة بعير . فلما جاء الخبر بظهور[10] رسول الله ﷺ أخذ حويطب وحيِّزه[12] الرهن . وكان الذي جاءهم بذلك عِلاطِ السُّلَمِي [بن ثُوَيرة بن حنثر بن هلال بن عبيد ابن ظفر بن سعد بن عمرو بن تيم بن بهز][13] بن امريء القيس بن بُهُثة بن سليم ابن منصور ، وقد أسلم بخيبر . [وكان قد استأذن رسول الله ﷺ أن يأتي مكة ،

---

(1) (المرجع السابق) ج ٤ ص ١٥٩ ، ١٦٠ حديث رقم ٣٨٠٢ ، ٣٨٠٥ .

(2) (سنن الدارمي) ج ٢ ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

(3) (سنن أبي داود) ج ٣ ص ٦٦٩ حديث رقم ٣٣٧٣ .

(4) (سنن أبي داود) ج ٤ ص ٣٩٦ باب صلة الشعر حديث رقم ٤١٦٨ « لعن رسول الله ﷺ الواصلة والمستوصلة ، والواشمة والمستوشمة » وأخرجه البخاري في اللباس باب تحريم فعل الواصلة ، والترمذي في اللباس حديث ١٨١٤ باب ما جاء في مواصلة الشعر ، وسنن النسائي ص ١٤٥ في الواصلة والمستوصلة ، ص ١٤٧ في المتوشمات .

(5) خَمشَ وجهه : خدشه ولطمه وضربه (ترتيب القاموس) ج ٢ ص ١٠٩ .

(6) (سنن النسائي) ج ٤ ص ٢ ، ٢١ باب ضرب الخدود ، وشق الجيوب .

(7) المجثمة : هي كل حيوان يُنصب ويرمى ليقتل ، إلا أنها تكثر في الطير والأرانب وأشباه ذلك مما يجثم في الأرض : أي يلزمها ويلتصق بها . (النهاية) ج ١ ص ٢٣٩ .

(8) في (خ) « الخلسة » والخليسة : وهي ما يستخلص من السبع فيموت قبل أن يذكى ، من خَلسْتُ الشيء واختلسته إذا سلبته ، وهي فعيلة بمعنى مفعولة (النهاية) ج ٢ ص ٦١ .

(9) النُّهبة : ما يُنهَبُ من الشيء .

(10) من الظهور : وهو النصر والغلبة .

(11) تخاطرا : تراهنا .

(12) في (خ) « وجيزة » والحيزة : الناحية .

(13) في (خ) بعد « السلمى » ما نصه : « بن عمرو بن زهير بن امرىء القيس ... » وصواب النسب ما بين القوسين .

وكان له بها مالٌ وأهل ، وتخوّف إن علمت قريش بإسلامه أن يذهبوا بماله ، فأذن له رسول الله أن يأتي مكة][1] ليجمع ماله .

مصالحة أهل فدك

وكان رسول الله ﷺ لما أقبل أهل خيبر ، بعث محيِّصة بن مسعود بن كعب ابن عامر بن عُدَي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج الأنصاري إلى فدك ، يدعوهم إلى الإسلام ، فبعثوا معه بنفر منهم ، حتى صالحهم رسول الله ﷺ على أن يخلُّوا بينه وبين الأموال ، وأن لهم نصفَ الأرض : وصارت[2] فدك خالصة لرسول الله أبداً ، أخذها بغير إيجاف خيل ولا ركاب .

إعراسه بصفية بنت حيي

وانصرف ﷺ من خيبر يريد وادي[3] القُرى ، فلما كان بالصهباء أعرس بصفية بنت[4] حُيي مساءً ، وأولم عليها[5] بالحَيْس والسَّويق والتمر[6] . وبات أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه قريباً من قُبته ، آخذاً بقائم السيف حتى أصبح ، وهو يحرسه ﷺ .

غزوة وادي القرى

فلما انتهى إلى وادي القرى ـــ وقد ضوى إليها[7] ناس من العرب ـــ استقبله اليهود بالرَّمي ، فقُتل مِدْعَم[8] ، ـــ وهو يحط رحل النبي ﷺ ـــ بسهم ، فعبأ عليه السلام أصحابه وصفَّهم للقتال ، ودفع لواءه إلى سعد بن عبادة ، وراية إلى الحباب بن المنذر ، وراية إلى سهل بن حنيف ، وراية إلى عبَّاد بن بشر . ثم دعاهم إلى الإسلام فأبَوْا ، وبرزوا فقتل منهم أحدَ عشر رجلاً . وبات عليهم وغدا لقتالهم ،

(١) ما بين القوسين سقط في (خ) وقد استوفيناه من كتب السيرة .

(٢) في (خ) « وضارب » .

(٣) في (خ) « وأخرى » . . (٤) في (خ) « بن حيى » . (٥) أولم : من الوليمة .

(٦) الحيس : طعام العرب ، والسويق : يتخذ من الحنطة والشعير .

(٧) ضوى إليه ضَيًّا وضوياً ، وانضوى إليه ، إذا أوى إليه (الفائق للزمخشري) ج ٢ ص ٣٥٠ .

(٨) مدعم : غلام لرسول الله ﷺ .

فأعطوا بأيديهم[1] ، فأخذها عَنْوَة ، وغنم ما فيها فقسمه ، وعامل يهودَ على النخل .

مصالحة يهود تيماء

فطلب يهود تيماء الصلح فصولحوا على الجزية ، وأقاموا على أموالهم . وانصرف ﷺ من وادي القرى ـــ وقد أقام أربعة أيام ـــ يريد المدينة ، فلما قرب منها نزل وعرَّس .

النوم عن صلاة الصبح

فنام ومن معه عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس ، فأذن بلال ، وركعوا ركعتي الفجر ، ثم صلى بهم حتى إن أحدهم ليسلتُ[2] العرَق عن جبينه من حرّ الشمس ، فلما سلم قال : كانت أنفسنا بيد الله ، فلو شاء قبضها ، وكان أولى بها ، فلما ردَّها إلينا صلينا ، ثم أقبل على بلال ـــ وكان قد قال قبل أن ينام : ألا رجلٌ صالحٌ حافظ لعينيه يحفظ لنا صلاة الصبح ؟ فقال بلال : أنا ! ثم نام معهم ، غلبته عيناه ، فقال ﷺ[3] : مـه[4] يا بلال ؟ فقال : بأبي وأمي ، قبض نفسي الذي قبض نفسك ! فتبسم ﷺ[5] . وقد قيل : إن ذلك كان مَرْجِعَه ﷺ من

---

(١) أعطى بيده : سلم من غير قتال .

(٢) سلت : مَسَحَ (ترتيب القاموس) ج ٢ ص ٥٩٠ .

(٣) زيادة للإيضاح .

(٤) مه : كلمة استفهام بمعنى ماذا .

(٥) (المغازي للواقدي) ج ٢ ص ٢١٢ ، (باب النوم عن الصلاة حديث رقم ٢٤ ، ٢٥ ، (سنن أبي داود) حديث رقم ٤٣٥ ، ٤٣٦ باب من نام عن الصلاة أو نسيها وقال الخطابي في (معالم السنن) ج ١ ص ٣٠٢ :

(وفي الحديث من الفقه أنهم لم يصلوا في مكانهم ذلك عندما استيقظوا حتى اقتادوا رواحلهم ثم توضئوا ثم أقام بلال وصلى بهم . وقد اختلف الناس في معنى ذلك وتأويله فقال بعضهم : إنما فعل ذلك لترتفع الشمس قال تكون صلاتهم في الوقت المنهي عن الصلاة فيه ، وذلك أول ما تبزغ الشمس قالوا : والفوائت لا تقضى في الأوقات المنهى عن الصلاة فيها ، وعلى هذا مذهب أصحاب الرأي . وقال مالك والأوزعي والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحق بن راهيويه : نقضى الفوائت في كل وقت نهى عن الصلاة فيه أو لم ينه عنها ، وإنما نهى عن الصلاة في تلك الأوقات إذا كانت تطوعاً وابتداء من قبل الاختيار دون الواجبات ، فإنها تقضى الفوائت فيها إذا ذكرت أي في وقت كان) .

وانظر أيضاً (سنن النسائي) ج ١ ص ٢٩٨ ، (سنن ابن ماجه) حديث رقم ٦٩٧ .

حنين . والأول قول محمد بن شهاب عن سعيد بن المسيَّب ، وهو أعلم الناس بالسِّير والمغازي ، وكذلك سعيد بن المسيَّب ، ولا يقاس بهما المخالف لهما في ذلك : ورُوي عن قتادة أن ذلك كان في جيش الأمراء ، وهذا وَهَم ، وجيش الأمراء كان في غزوة مؤتة ، ولم يشهدها النبي ﷺ . وعن عطاء بن يسار أنها كانت في غزوة تبوك ، وهذا لا يصح[1] ، لأن الآثار الصحاح على خلاف قوله مسندة ثابتة ، وقوله مُرسل .

جبل أُحد واتخاذ المنبر وحنين الجذع

ولما نظر إلى أحد قال : هذا جبل يحبنا ونحبه[2] ! اللهم إني حرَّمت ما بين لابتي المدينة[3] . ونهى أن يطرق الرجل أهله ليلاً بعد صلاة العشاء[4] ولما قدِم المدينة اتخذ المنبر ، وله درجتان والمستراح ، وخطب عليه فحنَّ الجذع[5] الذي كان

(١) يقول ابن القيم في (زاد المعاد) ج ٣ ص ٣٥٧ : « لكن قد اضطربت الرواة في هذه القصة ، فقال عبد الرحمن بن مهدي عن شعبه ، عن جامع : إن الحارس فيها كان ابن مسعود ، وقيل : إن الحارس كان بلالاً ، واضطربت الرواية في تاريخها ، فقال المعتمر بن سليمان عن شعبة عنه : إنها كانت في غزوة تبوك ، وقال غيره عنه : أنها كانت في مرجعهم من الحديبية ، فدلَّ على وهم وقع فيها ، ورواية الزهري عن سعيد سالمة من ذلك ، وبالله التوفيق » .

ويقول أيضاً في ص ٣٥٨ من المرجع السابق : فصل في فقه هذه القصة (باختصار) :

ــ أن من نام عن صلاة أو نسيها فوقتها حين يستيقظ أو يذكرها .

ــ أن السنن والرواتب تُقضى كما تقضى الفرائض ــ أن الفائتة يؤذن لها ويقام ــ قضاء الفائتة جماعة .

ــ قضاؤها على الفور لقوله « فليصلها إذا ذكرها » ــ وفيها تنبيه على اجتناب الصلاة في أمكنة الشيطان .

(٢) (مجمع الزوائد) ج ٦ ص ١٥٥ ، رواه أحمد ، وعقبة ، ذكره ابن أبي حاتم وقال : روى عنه عبد العزيز ولم يخرجه ، قلت : وروى عن الزهري عند أحمد ، وفيه رجاله رجال الصحيح ، وانظر أيضاً (موطأ مالك) حديث رقم ١٦١٠ .

(٣) اللابة : الأرض الواسعة ، والمدينة ما بين لابتين ، (المرجع السابق) حديث رقم ١٦٠٢ .

(٤) (سنن الترمذي) ج ٤ ص ١٦٦ حديث رقم ٢٨٥٥ « وفي الباب عن أنس وابن عمر وابن عباس . هذا حديث حسن صحيح ، وقد روُي من غير وجه عن جابر عن النبي ﷺ وقد روى عن ابن عباس « أن النبي ﷺ نهاهم أن يطرقوا النساء ليلا ، قال : فطرق رجلان بعد نهي رسول الله ﷺ فوجد واحد منهما مع امرأته رجلاً » .

وفي (المغازي) ج ٢ ص ٧١٢ ، ٧١٣ : « عن أم عمارة قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو بالجُرف :لاتطرقوا النساء بعد صلاة العشاء . قالت : فذهب رجل من الحي فطرق أهله فوجد ما يكره فخلىَّ عن سبيله ولم يهجه ، وضن بزوجته أن يفارقها وكان له منها أولاد وكان يحبها ، فعصى رسول الله ﷺ ورأى ما يكره .

(٥) (الشفا للقاضي عياض)ج١ ص٢٥٧،٢٥٨ و (دلائل النبوة لأبي نعيم) ج٢ص١٤٢،١٤٣ و (المطالب =

يستند إليه إذا خطب .

رد زينب إلى أبي العاص

وفي جمادى الأولى من سنة سبع ، رَدَّ رسول الله ﷺ ابنته زينبَ على أبي العاص بن الربيع .

سرية عمر بن الخطاب إلى تربة

ثم كانت سرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى تُرَبَة ، في شعبان سنة سبع . بعثه رسول الله ﷺ في ثلاثين رجلاً إلى عَجُز هوَازن بتُرَبَة ، وهي بناحية العبلاء ، على أربع ليال من مكة ، طريق صنعاء ونجران ، فخرج ومعه دليلٌ من بني هلالٍ ، فكانوا يسيرون الليل ويكمنون النهار ، حتى أتو محالهم وقد فرّوا ، فلم يلقوا أحداً وعادوا إلى المدينة .

سرية أبي بكر إلى بني كلاب

ثم كانت سرية أبي بكر الصِّديق رضي الله عنه إلى بني كلاب بنجد بناحية ضَرِية ، في شعبان هذا ، فبيت ناساً من هوازن ، وقتل منهم .

سرية بشير بن سعد إلى بني مرة بفدك

وسرية بشير بن سعد إلى فَدَك ، فيه أيضاً . ومعه ثلاثون رجلاً ليوقع بني مُرَّة ، فاستاق نعماً وشاء وانحدر إلى المدينة ، فأدركوه ليلاً ، وراموهم بالنَّبل حتى فنيت نبل المسلمين ، وأحيط بهم وأصيبوا . واستاق المريُّون نَعَمَهم وشاءَهم ، فتحامل بشير ابن سعد حتى انتهى إلى فَدَك ، فأقام عند يهوديّ حتى اندملت جراحه ، وعاد إلى المدينة .

= العالية لابن حجر) ج ٤ ص ٣ حديث رقم ٣٨٢٢ باب علامات النبوة و (سنن ابن ماجه) ج ١ ص ٤٥٤ ، باب ما جاء في بدء شأن المنبر حديث رقم ١٤١٤ ، ١٤١٥ .

سرية الزبير بن العوام ثم سرية غالب
ابن عبد الله إلى بني مرة أيضاً

فهيأ رسول الله ﷺ الزبير بن العوام ، وبَعَثَه إلى مصاب القوم ، ومعه مائتا رجل ، وعقد له لواء . ثم بعث غالب بن عبد الله [الليثي][1] على مائتي رجل في صفر سنة ثمان ، ومعه أسامة بن زيد وعلبة بن زيد الحارثي ، فسار حتى دنا منهم ، فبعث الطلائع عليها علبة بن زيد ، فأعلموه خبرهم ، ثم وافاهم ، وحض من معه على الجهاد ، وأوصاهم بالتقوى ، وحمل بهم على القوم ، فقاتلوا ساعة ثم حَوَوْا الماشية والنساء وقد قتلوا الرجال .

قتل أسامة الرجل الذي قال : لا إله إلا الله

ومرَّ أسامة بن زيد في إثر رجل منهم يقال له : نَهِيك بن مرداس ، حتى دنا منه ، فقال : لا إله إلا الله ! فقتله ، ثم ندِم ، وأقبل إلى جماعته ، فقال له غالب ابن عبد الله : بئس والله ما فعلت ! تقتل امرءً يقول : لا إله إلا الله ! وساق النَّعم والشَّاءَ والسَّبي فكانت سهامهم عشرة أبعرة لكل رجل ، أو عدلها من الغنم : كل جزور بعشرة . وقدموا المدينة ، فحدَّث زيد رسول الله ﷺ بخبره ، فقال [ﷺ][1] : قتلتَه يا أسامة ، وقد قال : لا إله إلا الله ؟ فجعل [أسامة] يقول : إنما قالها تعوُّذاً من القتل ! فقال [ﷺ][2] : أفلا شققتَ عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب ؟ فقال أسامة : لا أقتل أحداً يقول لا إله إلا الله أبداً[2] .

سرية غالب بن عبد الله إلى الميفعة

ثم كانت سرية غالب بن عبد الله بن مِسعر الليثي أيضاً — في رمضان منها إلى الميفعة ، ليوقع ببني عوال وبني عبد بن ثعلبة ، في مائة وثلاثين رجلاً ، ومعه يسار مولى رسول الله ﷺ ، فاستاقوا نَعَماً وشاء ، وقتلوا من أشرف لهم ، على ماء يقال له الميفعة بناحية نجد ، بعده من المدينة ثمانية بُرُد ، وعادوا بالغنيمة .

---

(١) زيادة للبيان .

(٢) ذكر ابن سعد في (الطبقات الكبرى) ج٢ ص١١٩ أن هذا الخبر في سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى الميفعة

سرية بشير بن سعد إلى يُمْن وجبار

ثم كانت سرية بشير بن سعد إلى يُمْن وجُبار في سنة سبع . وذلك أن حسيل ابن نُويرة الأشجعي أخبر رسول الله ﷺ أن جمعاً من غطفان بالجناب ، قد واعدوا عيينة بن حِصْن أن يزحفوا إلى أطراف المدينة . فذكر ذلك لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فأشارا بإرسال بشير بن سعد ، فعقد له لواء ، وبعث معه ثلاثمائة رجل . وكان حسَيْل دليلهم ، حتى أتوا إلى يمن وجبار وهي نحو الجناب ، والجِناب يعارض سلاح وخيبر ووادي القرى ، فنزلوا بسلاح ، ثم دنوْا من القوم فأصابوا نَعماً كثيراً ملأوا منه أيديهم ، وتفرق الرعاء فأنذروا أصحابهم ، فمروا على وجوههم ، فلم يلق بشيرٌ أحداً ، وعاد بالنَّعم ، فوجدوا عيناً لعيينة فقتله ، ثم لقي جمع عيينة فأوقع بهم وهم لا يشعرون ، فناوشهم فانهزموا ، وأسر منهم رجلاً أو رجلين ، وقدما المدينة فأسلما وتـركا حالهما .

عُمْرة القضية

ثم كانت عمرة القضية ، وتسمى عُمرة القضاء ، وغزوة القضاء ، وعمرة الصُّلح ، ويقال لها : عمرة القصاص ، قال الغريابيُّ : أخبرنا[1] ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله تعالى : ﴿ **الشهر الحرام بالشهر الحرام والحُرُمات قِصاص** ﴾[2] قال : فحزنت قريش لردها[3] رسول الله ﷺ يوم الحديبية مُحْرِماً في ذي القعدة عن البلد الحرام ، فأدخله الله مكة من العام القابل فقضى عمرته ، وأقصَّه[4] ما حيل بينه وبين يوم الحديبية .

أول الجمع للعمرة

وذلك أن ذا القعدة لما أهلَّ في سنة سبع ، أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يعتمروا قضاء عُمرتهم وألا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية ، فلم يتخلف من أهلها أحد هو حي ، وخرج سوى أهل الحديبية رجالٌ عُمَّار . وكان المسلمون في عمرة القضية ألفين . وقال جماعة من العرب : والله يا رسول الله ما لنا زاد ، وما من

---

(١) في (خ) « نا » وهي اختصار « أخبرنا » ، كما أن « ثنا » اختصار « حدثنا » .

(٢) الآية ١٩٤ / البقرة . (٣) في (خ) « بردها » . (٤) أعطاه القِصاص .

أحدٍ يُطعمنا . فأمر المسلمين أن ينفقوا في سبيل الله ، وأن يتصدقوا ، وألا يكفُّوا أيديهم فيهلكوا[(١)] . فقالوا : يا رسول الله ! بم نتصدق وأحدنا لا يجد شيئاً ؟ فقال : بما كان ، ولو بشق تمرة ، ولو بمشقص[(٢)] يحمل به أحدُكم في سبيل الله . فأنزل الله تعالى في ذلك : ﴿ **وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلُكة** ﴾[(٣)] يَعْني : ترك النفقة في سبيل الله .

الهدي ومسير المسلمين

وساق عليه السلام ستين بَدَنَة ، وجعل عليها ناجية بن جُنْدَب الأسْلَمِيّ ليسير أمامه يطلب الرعي في الشجر ، ومعه أربعة فتيان من أسلم . وكان أبو رهم كلثوم ابن حُصَين الغفاري ممن يسوقها ويركبها . وقلد ﷺ هدْيه بيده وحمل السلاح فيها البَيْضُ والدُّروع ، وقاد مائة فرس عليها محمد بن مسلمة ، وقدَّم الخيل والسلاح ، واستخلف على المدينة أبا ذَرٍّ الغفاري ، وأحرم من باب المسجد ، لأنه سَلَك طريق الفُرْع[(٤)] ، ولولا ذلك لأهلّ من البيداء ، وسار يُلبّي والمسلمون معه يلبون ، فلما انتهى محمد بن مسلمة بالخيل إلى مَرِّ الظهران[(٥)] ، وجد بها نفراً من قريش ، فسألوه عن رسول الله ﷺ فقال : يصبِّح هذا المنزل إن شاء الله .

بلوغ الخبر إلى قريش

ورأوا سلاحاً كثيراً مع بشير بن سعد ، فأسرعوا إلى مكة وأخبروا قريشاً ففزعوا ، وقالوا : والله ما أحدثنا حدثاً ، ففيم يغزونا : محمد ؟ ولما نزل رسول الله ﷺ مرَّ[(٦)] الظهران قدم السلاح إلى بطن يأجَجْ[(٧)] ، وترك معه مائتين من أصحابه ، عليهم أوس بن خَوْلّي . وخرج مِكرِز بن حفص في نفر حتى لقوا رسول الله ﷺ ببطن يأجج[(٧)] ، فقالوا : يا محمد ! والله ما عرفت صغيراً ولا كبيراً بالغدر ! تدخل بالسلاح الحرم ! وقد شَرَطت ألا تدخل إلا بسلاح المسافر ، السيوف في القرب ؟ فقال : إني لا أدخِل عليهم السلاح . فعاد [مكرز][(٨)] إلى مكة ، فخرجت قريش إلى رؤوس الجبال ، وقالوا : لا ننظر إليه ولا إلى أصحابه .

---

(١) في (خ) « فهلكوا » .
(٢) المشقص : السهم العريض .
(٣) ١٩٥ / البقرة .
(٤) في (خ) « الفروع » .
(٥) في (خ) « من الظهران » .
(٦) في (خ) « من الظهران » .
(٧) في (خ) « ياحج » .
(٨) زيادة للإيضاح .

دخول رسول الله ﷺ مكة

وحبس الهَدْي بذي طوًى ، ودخل عليه السلام مكة من الثنّية[1] التي تطلع على الحجون ، وقد ركب القصواء ، وأصحابه حوله متوشحو السيوف يُلَبُّون ، وعبد الله بن رواحة آخذ بزمام راحلته ، فلم يزل عليه السلام يلبي حتى استلم الركن . وقيل : لم يقطع التلبية حتى جاء عروش مكة .

طواف المسلمين بالكعبة

وتحدثت قريش أن المسلمين في جُهد ، ووقفت منهم جماعات عند دار الندوة ، فاضطبع[2] عليه السلام بردائه ، وأخرج عضده اليمنى ، ثم قال : رحم الله امرءاً أراهم اليوم قوة ! فلما انتهى إلى البيت ـــ وهو على راحلته ، وابن رواحة آخذ بزمامها ، وقد صف له المسلمون ـــ دنا من الركن فاستلمه بمِحْجَنِه[3] وهو مضطبع بثوبه ، وهرول هو والمسلمون في الثلاثة الأشواط الأُوَل ، وكان ابن رواحة يرتجز[4] في طوافه ، وهو آخذ بزمام الناقة ، فقال عليه السلام : إيهاً[5] يابن رواحة ! قل : لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ! فقالها الناس . فلما قضى طوافه خرج[6] إلى الصفا فسعى على راحلته ، والمسلمون يسترونه من أهل مكة أن يرميَهُ أحد منهم أو يُصيبَه بشيء .

نحر الهدي عند المروة

ووقف عند فراغه قريباً من المروة ـــ وقد وقف الهدي عندها ـــ فقال : هذا المنحرُ ، وكل فجاج مكة منحرٌ . ونحر عند المروة . وكان قد اعتمر معه قوم لم يشهدوا الحديبية فلم ينحروا ، وشَرِكه في الهدي من شهد الحديبية ، فمن وجد بدنة من الإبل نحرها ، ومن لم يجد بدنة رُخِّص له في البقرة ، وكان قد قدم رجل ببقر فاشتراه الناس منه . وحلق عليه السلام عند المروة ، حَلَقَهُ مَعْمر بن عبد الله

---

(١) في (خ) « البنية » .

(٢) الاضطباع : هو أن يُدخل الطائف بالبيت رداءه من تحت إبطه الأيمن ويغطى به الأيسر من جهتى صدره وظهره .

(٣) المحجن : عصا مُعَقَّفة الرأس .

(٤) ارتجز: ترنم بالرَّجَز من الشعر .

(٥) إيه طلب الاستزادة من الكلام إيهاً : طلب السكوت .

(٦) في (خ) « وخرج » .

العدَوِيّ .

دخول رسول الله الكعبة

ثم دخل البيت ، ولم يزل فيه حتى أذن بلال بالظهر فوق ظهر الكعبة ، فقال عكرمة بن أبي جهل : لقد أكرم الله أبا الحكم ! لم يسمع هذا العبد يقول ما يقول !! وقال صفوان بن أميَّة : الحمد لله الذي أذهب أبي قبل أن يرى هذا ! وقال خالد ابن أسيد : الحمد لله الذي أمات أبي ولم يشهد هذا اليوم ، حين يقوم ابن أم بلال ينهق فوق الكعبة !! وغطى سُهَيْل بن عمرو ورجال معه وجوههم حين سمعوا . وقيل : لم يدخل عليه السلام الكعبة ، بل أرسل إليهم فأبَوْا ، وقالوا : لم يكن في شرطك ! فأمر بلالاً فأذَّن فوق الكعبة مرَّة ولم يعد بعْد ، وهو الثبت .

زواجه ﷺ ميمونة رضي الله عنها

وخطب ميمونة ، فجعلت أمرها إلى العباس بن عبد المطلب ، فتزوجها وهو محرم ، وقيل : تزوجها لما أحل . وكلم عليٌّ بن أبي طالب رسول الله ﷺ في عمارة بنت حمزة ــ وكانت مع أمها سلمى بنت عُمَيْس بمكة ــ فقال : علام نترك بنت عمنا يتيمة بين ظهراني المشركين ! فخرج بها ، حتى إذا دنوا من المدينة ، أراد زيد ابن حارثة ــ وكان وصيّ حمزة وأخاه أخوة المهاجرين ــ أن يأخذها من عليّ ، وقال : أنا أحق بها ، ابنة أخي ! فقال جعفر بن أبي طالب : الخالة والدة ، وأنا أحق بها لمكان خالتها عندي ، أسماء بنت عميس[1] . فقال عليّ رضوان الله عليه : ألا أراكم في ابنة عمي ، وأنا أخرجتها[2] من بين أظهُر المشركين ، وليس لكم إليها نسب دوني ، وأنا أحق بها منكم . فقال رسول الله ﷺ : أحكم بينكم : أما أنت يا زيد فمولَى الله ورسوله ، وأما أنت يا عليُّ فأخي وصاحبي ، وأما أنت يا جعفر فتشبه خلقي وخلقي ، وأنت يا جعفر أولى بها ، تحتك[3] خالتها ، ولا تنكحُ المرأةُ على خالتها ولا عمتها . فقضى بها لجعفر ، فقام جعفر فحجل حول النبي ﷺ فقال : ما هذا يا جعفر ؟ قال : يا رسول الله ، كان النجاشيُّ إذا أرضى أحداً قام فحجل حوله . فقال علي رضي الله عنه : تزوجها يا رسول الله ! قال : هي ابنة أخي من

(١) في (خ) « عميش » . (٢) في (خ) « أخرجها » . (٣) في (خ) « تحبك » .

الرضاعة .

طلب قريش خروج رسول الله ﷺ من مكة

ولما كان عند الظهر يوم الرابع ، أتى سهيلّ بن عمرو وحويطب بن عبد العُزى رسول الله ﷺ — في مجلس الأنصار ، وهو يتحدث مع سعد بن عبادة — فقال : قد انقضى أجلك ، فاخرج عنا . فقال ﷺ[1] : وما عليكم لو تركتموني فأعرستُ[2] بين أظهركم ، وصنعت طعاماً ؟ فقالا : لا حاجة لنا في طعامك ، اخرج عنا ، ننشدك[3] الله والعهد الذي بيننا وبينك إلا خرجت من أرضنا ! فهذه الثلاث قد مضت ! فغضب سعد بن عبادة وقال لسهيل [بن عمرو][4] كذبت لا أم لك ! ليست بأرضك ولا أرض أبيك ، والله لا يبرح منها إلا طائعاً راضياً ! فتبسم ﷺ ثم قال : يا سعد ، لا تؤذ قوماً زارونا في رحالنا . فأسكت الرجلان[4] عن سعد . وروي أنهم بعثوا علياً إلى النبي عليه السلام ليخرج عن بلدهم .

الرحيل والبناء بميمونة

وأمر عليه السلام أبا رافع بالرحيل ، وقال : لا يُمسينَّ بها أحد من المسلمين . وركب حتى نزل سَرِف ، وخلّف أبا رافع ليحمل إليه ميمونة حين يمسى ، فخرج بها مساءً ، ولقي عنتاً[5] من سفهاء المشركين . فبنى النبي ﷺ على ميمونة بسَرِف .

منزل رسول الله ﷺ

ولم ينزل بمكة بيتاً ، وإنما ضربت له قبة من أدم بالأبطح ، وكان هناك حتى سار منها . وبعث بمائتي رجل ممن طافوا بالبيت إلى بطن يأجَج[6] ، فأقاموا عند السلاح حتى أتى الآخرون فقضوا نسكهم ، وقدم المدينة في ذي الحجة .

---

(١) زيادة للإيضاح . (٢) بزواج ميمونة رضي الله عنها . (٣) ننشدك الله : نستحلفك بالله .
(٤) أسكت الرجل : سكت سكوتاً طويلا على غضب .
(٥) في (خ) « عيناً » . (٦) في (خ) « ياجح » .

سرية ابن أبي العوجاء إلى بني سليم

وكانت سرية ابن أبي العوجاء السُّلَمِي إلى بني سُلَيْم ، في ذي الحجة سنة سبع . بعثه رسول الله ﷺ في خمسين رجلاً إلى بني سليم ، وقد أنذروا به فجمعوا[1] له ، فقاتلوا حتى قُتل عامةُ أصحاب ابن أبي العوجاء ، وأثخنوه بالجراح ، ثم تحامل إلى المدينة فقدمها أول يوم من صفر .

إسلام عمرو بن العاص ، وخالد بن الوليد ، وعثمان بن أبي طلحة

وفي صفر سنة ثمان ، خرج عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سُعيْد بن سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤي القرشي السهمي من مكة ــ بعد مرجعه من الحبشة ــ يريد المدينة ، فهاجَرَ ، فوجد في طريقه خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر[2] بن مخزوم القرشي المخزوميّ ، وعثمان بن طلحة بن أبي طلحة عبد الله بن عبد العُزَّى بن عثمان بن عبد الدار بن قُصى القرشي العبدريّ ، وقد قصدا قصده ، فقدموا المدينة ، ودخلوا على رسول الله ﷺ : فبايعه خالد أولاً ، ثم بايعه عثمان ، ثم عمرو على الإسلام ، فقال عليه السلام : إن الإسلام يجُب[3] ما كان قبله ، والهجرة تجب ما كان قبلها .

سرية غالب بن عبد الله إلى الكديد

وفي صفر هذا كانت سرية غالب بن عبد الله بن [مِسْعر بن جعفر بن][4] كلب بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكير[5] بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مُدركة بن إلياس بن مُضر بن نزار بن مَعَدّ بن عدنان الكنانيّ ثم الليثي ــ إلى الكَديد ليُغير على بني الملوح من بني ليث ، في ربيع الأول منها . فخرج في بضعة عشر رجلاً حتى [إذا][6] كان بقُدَيْدٍ لقي الحارث بن مالك بن قيس بن عَوذ[7] بن جابر بن عبد مناف بن شِجْع بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة

(١) في (خ) « وجمعوا له » .
(٢) في (خ) « عمرو » . (٣) يمحو ما كان قبله من المعاصي والذنوب . (٤) هكذا سياق النسب .
(٥) في (خ) « بكر » . (٦) زيادة للسياق . (٧) في (خ) « عوف » .

ابن كنانة ، [وكان يقال لمالك بن قيس : ابن البرصاء] فأخذه فشده وثاقاً ، [البرصاء هي أم قيس بن عوذ[1] ، واسمها : ريطة بنت ربيعة بن رباح بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر] ، وخلف عليه سوَيد بن صخر . وأتى الكديد عند غروب الشمس ، فكمن في ناحية الوادي ، وبعث جندب بن مكيث الجهني ربيئةً ، فأتى تلاً مشرفاً على الحاضر[2] فعلاه وانبطح ، فخرج رجل من خباء فقال [لامرأته][3] : إني أرى على هذا التل سواداً ما رأيته عليه [أول يومي هذا][3] . ورماه بسهم ثم آخر ، فما أخطأه ، وثبت مكانه ، فقال : لو كان زائلةً[4] لقد تحرك بعد ! لقد خالطه سهماي !! ثم دخل خباءه . وراحت ماشية الحي من إبلهم وأغنامهم ، فحلبوا وعطنوا ، حتى إذا اطمأنوا شن المسلمون عليهم الغارة ، فقتلوا المقاتلة ، وسبوا/ الذرية ، واستاقوا النعم والشاءَ . وكان شعارهم : أمِتْ أمِتْ . ثم انحدروا بها نحو المدينة ، واحتملوا ابن البرصاء معهم ، فجاء القوم بما لا قبل لهم به ، وبينهم وبين الوادي ، فجاء الله بالسيل حتى ملأ جنبتيه[5] ، ولم يستطع أحد أن يجوزه ، فوقف المشركون ينظرون إليهم ، حتى فاتوهم ولا يقدرون على طلبهم ، إلى أن قدموا المدينة . فبعثه رسول الله ﷺ في مائتي رجل إلى مصاب أصحاب بشير بن سعد ، وذلك في صفر سنة ثمان كما تقدم .

سرية كعب بن عمير إلى ذات أطلاح

ثم كانت سرية كعب بن عمير الغفاري إلى ذات أطلاح من أرض الشأم ، وراء وادي القرى ، في خمسة عشر رجلاً ، فقاتلهم حتى قُتلوا ، وأفلت منهم رجل جريح ، فتحامل حتى أتى المدينة فشقَّ ذلك على رسول الله ﷺ .

سرية شجاع بن وهب إلى السيِّ

وكانت سرية شجاع بن وهب [الأسدي][6] إلى السِّي ــ وهو ماء من

---

(١) في (خ) « عوف » .

(٢) الحاضر : الحي الذي يسكنه القوم .

(٣) زيادة من (ابن سعد) ج ٢ ص ١٢٤ .

(٤) في (خ) « ذابلا » وفي رواية المسند ج ٣ ص ٤٦٨ « لو كان دابة » وفي (ابن سعد) « ربيئة » وكلها بمعنى .

(٥) جَنَبَة الوادي : ناحيته وشاطئهُ .

(٦) زيادة للبيان .

ذات عرقٍ إلى وَجرَة ، على ثلاث مراحل من مكة إلى البصرة ، وخمس من المدينة — يريد بني عامر بناحية رُكبة في ربيع الأول أيضاً ، على أربعة وعشرين رجلاً . فخرج حتى أغار على القوم وهم غارّون فأصابوا نعماً وشاء ، وقدموا المدينة . وكانت سهمانهم خمسة عشر بعيراً كلُّ رجل ، وعَدَلوا البعير بعشرة من الغنم . وغابوا خمس عشرة ليلة ، وقدموا بسبايا ، فيهن جارية وضيئة . فقدم وفدهم مسلمين ، فردوهنَّ إليهم ، واختارت الجارية الوضيئة شُجاع بن وهب ، وكان قد أخذها بثمن ، فأقامت عنده حتى قُتل باليمامة .

سرية قطبة بن عامر إلى خثعم بتبالة

ثم بعث رسول الله ﷺ قطبة بن عامر بن حَديدة في عشرين رجلاً إلى حيٍّ ابن خثْعَم بناحية تبالة . فخرجوا على عشرة أبعرة يعتقبونها ، فوجد رجلاً فسأله فلم يُجبه عن القوم ، وجعل يصيح بالحاضر ، فضرب عنقه ، وشنَّ الغارة ليلاً فقاتله القوم قتالاً شديداً حتى أتى قُطبة عليهم ، وساق النَّعَم والشَاءَ والنساء حتى قدم المدينة . فكانت سهامهم أربعة أبعرة لكل رجل أو عَدْلها : عشرة من الغنم عن كل بعير .

غزوة مؤتة

ثم كانت غزوة مؤتة من عمل البلقاء بالشأم دون دمشق ، [وهي بضم أوله ، وإسكان ثانيه ، بعده تاء معجمة باثنتين من فوقها] ، كانت في جمادى الأولى .

سببها

وسبب ذلك أن الحارث بن عمير الأزْديّ لما نزل مؤتة بكتاب رسول الله ﷺ إلى صاحب بُصْرى ، أخذه شرحبيل بن عمرو الغَسّاني وضرب عنقه . فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ وندب الناس فأسرعوا ، وعسكروا بالجُرْف ، ولم يبن لهم الأمر(١) .

(١) في (خ) « الأمراء » .

الأمراء يوم مؤتة

فلما صلى الظهر جلس في أصحابه وقال : زيد بن حارثة أمير الناس ، فإن قتل زيد بن حارثة فجعفر بن أبي طالب ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة ، فإن أصيب عبد الله بن رواحة فليرتض المسلمون بينهم رجلاً فيجعلوه[1] عليهم . وعقد لواءً أبيض ودفعه إلى زيد بن حارثة ، فودّع الناس الأمراء ، وخرج معهم إلى مؤتة ثلاثة آلاف . وجعل المسلمون ينادون : دفع الله عنكم وردكم صالحين غانمين .

وداع جيش مؤتة ووصية الأمراء

وشيّعهم رسول الله ﷺ إلى ثنية الوداع ، ثم وقف وهم حوله ، وقال : أوصيكم بتقوى الله ، وبمن معكم من المسلمين خيراً . اغزوا بسم الله في سبيل الله ، فقاتلوا من كفر بالله ، لا تغدروا ولا تغلوا ولا تقتلوا وليداً ، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعُهُم إلى إحدى ثلاث ، فأيتهن ما أجابوك إليها ، فاقبل منهم واكفف عنهم : ادعهم إلى الدخول في الإسلام ، فإن فعلوا فاقبل منهم واكفف عنهم ، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين ، فإن فعلوا فأخبرهم أن لهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين ، وإن دخلوا في الإسلام واختاروا دارهم ، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين ، يجري عليهم حكم الله ، ولا يكون لهم في الفيء ، ولا في الغنيمة شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين ، فإن أبوْا فادعهم إلى إعطاء الجزية ، فإن فعلوا فاقبل منهم واكفف عنهم ، فإن أبوْا فاستعن بالله وقاتلهم . وإن أنت حاصَرْت أهل حصن أو مدينة فأرادوك أن تستنزلهم على حكم الله فلا تستنزلهم على حكم الله ، ولكن أنزِلهم على حكمك ، فإنك لا تدري أتصيبُ حكم الله فيهم أم لا ؟ وإن حاصرت أهل حصن أو مدينة فأرادوك على أن تجعل لهم ذمة الله وذمة رسوله ، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة رسوله ، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أبيك وذمة أصحابك ، فإنكم إن تُخفروا[2] ذمتكم وذمة آبائكم خير لكم من أن تُخفروا ذمة الله وذمة رسوله .

وستجدون رجالاً في الصوامع معتزلين للناس ، فلا تتعرضوا لهم ، وستجدون

(١) في (خ) « فليجعلوه » .

(٢) أخفر الذمة : نقضها .

آخرين في رؤوسهم مفاحص[1] فافتعلوها بالسيوف . لا تقتلن امرأةً ولا صغيراً ضرَعاً[2] ولا كبيراً فانياً ، ولا تغرقن نخلاً ، ولا تقلعُن شجراً ، ولا تهدموا بيتاً .

من خبر عبد الله بن رواحة

وقال عبد الله بن رواحة : يا رسول الله ! مرني بشيء أحفظه عنك . قال : إنك قادمٌ غداً بلداً، السجود فيه قليل فأكثر السجود . قال : زدني يا رسول الله . قال : اذكر الله ، فإنه عون لك على ما تطلب[3] . فقام من عنده ، حتى إذا مضى ذاهباً رجع . فقال : يا رسول الله ، إن الله وِتْر يحبُّ الوتر ! فقال :ياابن رواحة ، ما عجزْت فلا تعجزَنّ إن أسأت عشراً أن تحسن واحدة . فقال : لا أسألك عن شيء بعدها .

بلوغ المسلمين إلى مصرع الحارث بن عمير

ومضى المسلمون ، وقد أمرهم رسول الله ﷺ أن ينتهوا إلى مقتل الحارث ابن عُمير ، وسمع العدو بمسيرهم ، فجمعوا لهم . فقام فيهم رجل من الأَزْد يقال له : شرحبيل [بن عمرو الغساني][4] ، وقَدَّم[5] الطلائع أمامه ، وبعث أخاه سَدُوسَ بن عمرو في خمسين فلقوا المسلمين في وادي القرى فقاتلوه وقتلوه . ونزلوا مَعَان [من أرض الشأم][6] ، فبلغهم أن هرقل قد نزل مَآبَ من البلقاء ، في مائة ألف من الرُّوم ومعه بَهراء ووائل وبكر ولخم وجُذامٍ مائة ألف ، عليهم رجل من بَلِيٍّ ، يقال له : مالك .

أول القتال يوم مؤتة ، وخوف المسلمين ثم إقدامهم

فأقاموا ليلتين ، وأرادوا أن يكتبوا إلى رسول الله ﷺ بالخبر ليردهم أو يزيدهم رجالاً ، فشجعهم عبد الله بن رواحة وقال : والله ما كنا نقاتل الناس بكثرة عدد ، ولا بكثرة سلاح ، ولا بكثرة خيول ، إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ! انطلقوا ،

---

(١) المفاحص : جمع مفحص ، وهو مجثم القطا ، والمعنى أن الشيطان قد استوطن في رؤوس هؤلاء .

(٢) الذي لايستطيع الدفاع عن نفسه . (٣) كذا في (ط) وفي (خ) « تطالب » .

(٤) زيادة للإيضاح من (ط) . (٥) في (خ) « أو قدم » . (٦) زيادة للبيان من (ط) .

والله لقد رأيتنا يوم بدر ما معنا فَرَسان ، ويوم أُحُد فرس واحد ! فإنما هي إحدي الحسنيين : إما ظهور عليهم ، فذلك ما وَعَدنا الله ووعد نبيّنا ، وليس لوعده خُلف ، وإما الشهادة ، فلنلحق بالإخوان نرافقهم في الجنان ! فشجع الناسَ ومَضَوا إلى مؤتة . فرأوا المشركين ومعهم ما لا قِبل لهم به من العَدَد والسلاح والكراع ، والديباج والحرير والذهب . قال أبو هريرة : وقد شهدت ذلك فبرق بصري[1] فقال لي ثابت بن أقرم[2] : يا أبا هريرة ! مالك ، كأنك ترى جموعاً كثيرة ! قلت : نعم ! قال : لم تشهدنا ببدر ! إنا لم ننصر بالكثرة .

مقتل زيد بن حارثة

وقاتل الأمراء يومئذ على أرجلهم : فأخذ اللواء زيد بن حارثة ، فقاتل وقاتل الناس معه ، والمسلمون على صفوفهم ، وعلى الميمنة قطبة بن قتادة السَّدوسيّ وعلى الميسرة عباية[3] بن مالك ، فقتل زيد طعناً بالرماح .

مقتل جعفر بن أبي طالب

ثم أخذه جعفر فنزل على فرسه فعرقبها ، ثم قاتل حتى قُتل ، ضربه رجل من الروم فقطعه نصفين ، فوقع أحد نصفيه في كَرْم ، فوجد في نصفه بضع وثلاثون جرحاً . وقيل : وُجد ـــ مما قِبَل يديه[4] فيما بين منكبيه ـــ اثنتان وسبعون[5] ضربة بسيف أو طعنة برمح ، ووجد به طعنة قد أنفذته .

مقتل عبد الله بن رواحة

ثم أخذ اللواء بعده عبد الله بن رواحة ، فقاتل حتى قُتل .

سقوط لواء المسلمين

وسقط اللواء ، فاختلط المسلمون والمشركون ، وانهزم المسلمون أسوأ هزيمة ، وقتلوا ، واتَّبعهم المشركون . فجعل قطبة بن عامر يصيح : يا قوم ، يُقتل الرجل مقبلا أحسن من أن يقتل مدبراً ! فما يثوب[6] إليه أحد . ثم تراجعوا ، فأخذ اللواء

(١) كناية عن الفزع والحيرة . (٢) في (خ) « بن أقوم » . (٣) في (خ) « عياية » .
(٤) في (خ) « مما قبل من يديه » . (٥) في (خ) « اثنتين وسبعين » . (٦) يثوب : يرجع

ثابت بن أقرم ، وصاح يا للأنصار !! فأتاه الناس من كل وجه وهم قليل ، وهو يقول : إليّ أيها الناس .

أخذ اللواء لخالد بن الوليد

فلما نظر إلى خالد بن الوليد قال : خذ اللواء يا أبا سليمان ! فقال : لا آخذه ، أنت أحق به ، أنت رجل لك سنّ[1] ، وقد شهدت بدراً . قال ثابت : خذْه أيها الرجل ! فوالله ما أخذته إلا لك ! فأخذه خالد فحمله ساعة ، وجعل المشركون يحملون عليه ، فثبت حتى تكركر[2] المشركون ، وحمل بأصحابه ففَض جمعاً من جمعهم ، ثم دَهَمه منهم بشر كثير[3] ، فانحاش[4] بالمسلمين فانكشفوا راجعين . وقد قيل : إن ابن رواحة قتل مساء ، فبات خالد فلما أصبح غَدَا ، وقد جعل مقَدِّمَته ساقةً وساقته مقدِّمةً ، وميمنته ميسرة وميسرته ميمنة ، [فأنكر المشركون][5] ما كانوا يعرفون من راياتهم وهيأتهم ، فقالوا : قد جاءهم مَدَدٌ ! ورَعِبوا ، فانكشفوا منهزمين ، فقتلوا منهم مقتلة لم يُقتلها قومٌ . والأول أثبت : أن خالداً انهزم بالناس فعيِّروا بالفرار ، وتشاءم الناس به[6] .

مرجع المسلمين إلى المدينة

فلما سمع أهل المدينة بقدومهم تلقَوْهم ، وجعلوا يحثون في وجوههم التراب ، ويقولون : يا فرَّار !! أفررتم في سبيل الله ؟ فيقول رسول الله ﷺ : ليسوا بفرار ، ولكنهم كُرَّار إن شاء الله .

خبر المنهزمين وما لقوا من الناس

فانصرفوا إلى بيوتهم فلزموها ، فإنهم كانوا إذا خرجوا صاحوا بهم : يا فرَّار ! أفررتم في سبيل الله ؟ وكان الرجل يدق عليهم فيأبون يفتحون له لئلا يقول[7] : ألا تقدمت مع أصحابك فقتلت ؟ حتى جعل رسول الله ﷺ يرسل إليهم رجلاً

---

(١) في (خ) « شن » .
(٢) تكركر : ارتد ورجع .
(٣) في (خ) « كبير » .
(٤) انحاش : جمعهم ثم انصرف بهم .
(٥) في (خ) ما بين القوسين « فانكروا » ، وهي رواية (الواقدي) ج ٢ ص ٧٦٤ ، وما أثبتناه من (ط) .
(٦) أي بخالد .
(٥) في (خ) « تقول » .

رجلاً ، يقول : أنتم الكرّار في سبيل الله ! وكان بين أبي هريرة وابن عم له كلام ، إلا فراركم يوم مؤتة ! فما دَرَى ما يقول له .

إخبار رسول الله ﷺ عن أهل القتال يوم مؤتة

وكان رسول الله ﷺ ــ لما التقى الناس بمؤتة ــ جلس على المنبر وكُشف له ما بينه وبين الشأم ، فهو ينظر إلى مُعتـركهم فقال : .

زيد بن حارثة

أخذ الراية زيد بن حارثة ، فجاءه الشيطان فحبب إليه الحياة وكرّه إليه الموت فقال : الآن حين استحكم الإيمان في قلوب المؤمنين ، تحبِّب إليّ الدنيا ! فمضى قُدماً حتى استشهد : فصلى عليه وقال : استغفروا له ! وقد دخل الجنة وهو يسعى .

جعفر بن أبي طالب

ثم أخذ الراية جعفر بن أبي طالب فجاءه الشيطان فمناه الحياة وكره إليه الموت ، فقال : الآن حين استحكم الإيمان في قلوب المؤمنين تمنيني الدنيا ! ثم مضى قُدُماً حتى استُشهد[1] . فصلى عليه ودعا له . ثم قال : استغفروا لأخيكم فإنه شهيد دخل الجنة ، فهو يطير في الجنة بجناحين من ياقوت حيث شاء من الجنة .

عبد الله بن رواحة

ثم أخذ الراية بعده عبد الله بن رواحة فاستشهد ، ثم دخل الجنة معترضاً . فشقّ ذلك على الأنصار ، فقال : أصابته الجراح . قيل : يا رسول الله ما إعراضه ؟ قال : لما أصابته الجراح نكل[2] ، فعاتب نفسه فشَجُع ، فاستشهد فدخل الجنة ، فسُرِّيَ عن قومه .

سلمة بن الأكوع

وقال يومئذ : خير الفرسان أبو قتادة ، وخير الرِّجال[3] سَلَمة بن الأكوع .

(١) في (خ) « فاستشهدوا » .

(٢) نكل : تخاذل .

(٣) الرجال : جمع راجل ، وهو الذي لا فرس له .

ولما أخذ خالد الراية قال ﷺ : الآن حَمِيَ الوطيس[1] .

دخول رسول الله ﷺ على أهل جعفر بن أبي طالب

ودخل ﷺ على أسماء بنت عميس[2] امرأة جعفر بن أبي طالب فقال : يا أسماء أين بنو جعفر ؟ فجاءت بهم إليه ، فضمهم إليه وشمهم ، ثم ذَرَفت عيناه فبكى ، فقالت : أي رسول الله لعلّه بلغك عن جعفرٍ شيءٌ ؟ فقال : نعم ، قتل اليوم ! فقامت تصيح ، واجتمع إليها النساء فجعل رسول الله ﷺ يقول : يا أسماء لا تقولي هُجْراً[3] ، ولا تضربي صدراً . وخرج حتى دخل على ابنته فاطمة عليها السلام وهو يقول : واعماه ! وقال[4] . على مثل جعفر فلتبك[5] الباكية ! ثم قال : اصنعوا لآل جعفر طعاماً ، فقد شغلوا عن أنفسهم اليوم . وقد روي أن النبي ﷺ لما نعى لأسماء جعفراً ، مسح على رأس عبد الله بن جعفر ، وعيناه تُهراقان الدموع حتى لحيته تقطر[6] ، ثم قال : اللهم إن جعفراً قد قدَّم إلَيَّ أحسن الثواب ، فاخلفه[7] في ذريته بأحسن ما خلفت أحداً من عبادك في ذريته ! ثم قال : يا أسماء ، ألا أبشِّرك ؟ قالت : بأبي أنت وأمي ! قال : فإن الله جعل لجعفر جناحين يطير بهما في الجنة ! قالت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! فأعلم الناس ذلك .

خطبته في أمر جعفر

فقام ، وأخذ بيد عبد الله بن جعفر ، يمسح بيديه رأس عبد الله حتى رقي المنبر ، وأجلس عبد الله أمامه على الدرجة السفلى ، والحزن يُعرف عليه ، فتكلم وقال : إن المرء كثير بأخيه وابن عمه . ألا إن جعفراً قد استشهد ، وقد جعل الله له جناحين يطير بهما في الجنة ، ثم نزل ، ودخل بيته وأمر بطعام يصنع لآل جعفر ، وأرسل إلى أخي عبد الله بن جعفر فتغديا عنده : شعيراً طحنته سلمى خادمه ، ثم نسفته[8] ، ثم أنضجته . وأدَمته بزيتٍ ، وجعلت عليه فُلفُلاً . وأقاما ثلاثة أيام في

---

(١) كناية عن شدة الحرب واحتدامها . (٢) في (خ) « عميش » . (٣) الهُجْر : الإفحاش .

(٤) في (خ) « فقال » . (٥) في (خ) « فتبكي » .

(٦) في (خ) « حتى تقطر لحيته » وهي رواية (الواقدي) ج ٢ ص ٧٦٧ وما أثبتناه من (ط) .

(٧) خَلف الله عليك : دعاء لمن هلك له ما لا يعتاض وأخلَف الله عليك : دعاء لمن هلك له ما يتعتاض عنه .

(٨) نسفته : أذهبتْ نُسافته وقشره .

بيته ، يدوران معه في بيوت نسائه .

غنائم مؤتة

وغنم المسلمون بعض أمتعةٍ بمؤتة ، وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ بخاتم ، فقال : قتلت صاحبه يومئذ ، فنفَّله إياه . وقتل خزيمة بن ثابت يومئذ رجلاً ، وعليه بيضة فيها ياقوتة ، فأخذها وأتى بها رسول الله ﷺ ، فنفَّله إياها ، فباعها بمائة دينارٍ . واستشهد بمؤتة ثمانية نفر .

غزوة ذات السلاسل

ثم كانت غزوة ذات السلاسل . [ويقال السَّلسل][(1)] ، وهو ماء وراء وادي القرى من المدينة ، [بينه وبين المدينة][(1)] عشرة أيام . وسببها أن جمعاً من بَلِيّ وقضاعة تجمعوا ليدنوا من أطراف المدينة ، فعقد رسول الله ﷺ لعمرو بن العاص لواءً أبيض ، وجعل معه راية سوداء ، وبعثه في جمادى الآخرة سنة ثمان على ثلاثمائة من سراة[(2)] المهاجرين والأنصار ، وأمره أن يستعين بمن مر به من بلاد بلي وعذرة وبَلْقَين . وذلك أن عمرواً كان ذا رحم فيهم : كانت أم العاص بن وائل بَلَوية ، فأراد عليه السلام يتألفهم بعمرو . فسار يكمن النهار ويسير الليل — وكان معه ثلاثون فرساً — حتى دنا منهم . فنزل على ماء بأرض جُذام[(3)] يقال له السلاسل . وكان شتاء ، فجمع أصحابه ليصطلوا فمنعهم ، فشق ذلك عليهم ، حتى كلمه بعض المهاجرين بغلظة ، فقال عمرو : قد أمرت أن تسمع لي وتطيع ! قال : أفعل .

المدد واختلاف عمرو وأبي عبيدة على الإمارة

وبعث رافع بن مكيث الجهني يخبر رسول الله ﷺ أن للقوم جمعاً كثيراً ويستمده ، فبعث أبا عبيدة بن الجراح وعقد له لواءً . وبعث معه سراة المهاجرين كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وعدة من الأنصار . فسار في مائتين ، وأمره أن يكونا جميعاً ولا يختلفا ، فلما لحق بعمرو ، وأراد أن يؤم الناس ويتقدم عمراً ، فقال له عمرو : إنما قدمت مدداً لي ، وليس لك أن تؤمني ، وأنا الأمير ! فقال

---

(1) زيادة للسياق من (ط) .

(2) سراة القوم : أشرافهم وسادتهم .

(3) في (خ) « خدام » .

المهاجرون : كلا ! بل أنت أمير أصحابك ، وهو أمير أصحابه . فقال : لا ! أنتم مدد لنا . فقال أبو عبيدة ــ وكان حسن الخلق ــ انظرنْ يا عمرو ! تعلمنَّ أن آخر ما عهد إلى رسول الله ﷺ أن قال : إذا قدمت على صاحبك فتطاوعا ولا تختلفا ، وإنك والله إن عصيتني لأطيعنك ! فكان عمرو يصلي بالناس . وسار ــ وقد صار في خمسمائة ــ حتى وطيء بلاد بلي ودوَّخها ، وكلما انتهى إلى موضع ، بلغه أنه قد كان به جمع فلما سمعوا به تفرقوا . حتى انتهى إلى أقصى بلاد بلى وعُذْرة وبَلَقَيْن ، ولقي في آخر ذلك جمعاً ، فقاتلهم ساعة وهزمهم . وأقام أياماً يبث سراياه ، فيؤتى بالشاء والنَّعم فينحرون ويذبحون ، ولم يكن في ذلك أكثر من هذا ، ولم تكن غنائم تقسم .

خبر صاحب الجزور

وخرج عوف بن مالك الأشجعي يوماً في العسكر ، فمر بقوم[1] قد عجزوا عن نَحْر جزورهم وعملها ، فقال : أتعطوني عليها وأقسمها بينكم ؟ فجعلوا له شعيراً منها ، فنحرها ، وجزأها بينهم ، وأخذ جزءه وأتى به إلى أصحابه ، فطبخوه وأكلوه ، فلما فرغوا ، قال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما . من أين لك هذا اللحم ؟ فأخبرهما ، فقالا : والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا ! ثم قاما يتقيآن ، وفعل ذلك الجيش . وقال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما لعوفٍ : تعجلت أخرى ! ثم أتى أبا عبيدة رضي الله عنه فقال له مثل ذلك .

صلاة عمرو بالناس بغير غسل

واحتلم عمرو بن العاص رضي الله عنه في ليلة باردة كأشد ما يكون من البرد فقال لأصحابه : ما ترَوْن ؟ قد والله احتلمت ، وإن اغتسلت متُ ! فدعا بماء فتوضأ وغسل فرجه وتيمّم ، ثم قام فصلى بهم . وبعث عوف بن مالك بريداً[2] ، فقدم على رسول الله ﷺ فسلم عليه ، فقال : عوف بن مالك ؟ قال : عوف بن مالك يا رسول الله ! قال : صاحب الجزور ! قال : نعم ! قال : أخبرني ! فأخبره بمسيرهم ، وما كان بين أبي عبيدة وبين عمرو ، ومطاوعة أبي عبيدة ! ثم أخبره أن

---

(١) في (خ) « فمن يقوم » .

(٢) البريد : الرسول .

عمراً صلى وهو جنب ومعه الماء ، لم يزد على أن غسل وجهه بماءٍ وتيمم ، فلما قدم عمرو وسأله رسول الله ﷺ عن صلاته قال : والذي بعثك بالحق لو اغتسلت لمت ، ولم أجد قط برد مثله ، وقد قال الله : ﴿ **ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً** ﴾[1] ، فضحك ﷺ ولم يقل شيئاً .

سرية الخبط

ثم كانت سرية الخَبَط[2] أميرها أبو عبيدة بن الجراح ، [وقيل : عبد الله بن عامر بن الجراح][3] ، والصحيح : عامر بن عبد الله بن الجرّاح بن هلال بن أهيْب ابن ضبَّة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضْر بن كنانة القرشيّ الفهريّ . بعثه رسول الله ﷺ — في رجب على ثلاثمائة إلى حي من جُهينة ، بالقَبِلْية مما يلي ساحل البحر ، على خمس ليالٍ من المدينة . فأصابهم جوعٌ شديدٌ ، جمعوا زادهم حتى إن كانوا ليقتسمون[4] التَّمرة ، ولم يكن معهم حمولة[5] ، إنما كانوا على أقدامهم ، وأباعرُ يحملون عليها زادهم ، فأكلوا الخَبَط ، حتى ما كادوا[6] أن تكون بهم حركة إليه ، فابتاع قيس بن سعد بن عُبادة خمسَ جزائر ، كل جزور بوسقَيْن من تمر : يقوم بها إذا رجع ، ونحرها — كلَّ يوم جزوراً — للقوم ، مدَّة ثلاثة أيام ، حتى وجدوا حوتاً يقال له العنبر قد ألقاهُ البَحر ، فأكلوا منه اثنتي عشرة ليلة ، ثم أمر أبو عبيدة بضلع من أضلاعه فنصبت ، ومرَّ تحتها راحلةٌ برحلها فلم تُصبها ، وكان يجلس في مَأْق[7] عين الحوت الجماعة من الناس .

سرية أبي قتادة إلى الخضرة

ثم كانت سرية أبي قتادة بن ربعيٍّ الأنصاري إلى خُضْرة ، وهي أرض محارب

---

(١) الآية ٢٩ / النساء .

(٢) الخَبَط : ورق يُنفض بالمخابط ويجفف ويُطحن بدقيق أو غيره ، (ترتيب القاموس) ج ٢ ص ٩ .

(٣) ما بين القوسين مكرر في (خ) . (٤) في (خ) « ليقتسموا » .

(٥) الحمولة : ما يحتمل عليه الناس من الدواب ، وهنا كناية عن عدم وجود الزاد أو الميرة يحملونها على دواب .

(٦) في (خ) « حتى ما كاد أن يكون » .

(٧) في (خ) « مبق » . والمأق : طرف العين مما يلي الأنف (ترتيب القاموس) ج ٤ ص ١٩٧ .

بنجد[1] ، أميرها أبو قتادة الأنصاريّ ، [بعثه رسول الله ﷺ][2] في شعبان منها — في خمسة عشر رجلاً إلى غَطَفان نحو نجد . فساروا ليلاً وكمنوا نهاراً ، حتى أتوا ناحيتهم ، فهجموا على حاضر منهم[3] عظيم ، وجرَّدوا سيوفهم وكبروا ، فقتلوا رجالاً ، واستاقوا النَّعم وحملوا النساء ، حتى قدموا بمائتي بعير ، وألف شاة وسبي كثير ، فعزلوا من ذلك الخمُس . وقد غابوا خمس عشرة ليلة ، وكانت سهمانهم اثني عشر بعيراً ، أو عدلها عن البعير عشرة من الغنم .

سرية أبي قتادة إلى بطن إضم

ثم كانت سرية أبي قتادة بن ربعيّ الأنصاري إلى بطن إضم — وهي فيما بين خُشب وذي المروة ، على ثلاثة بُرُدٍ من المدينة — في رمضان ، على ثمانية أنفس . وذلك حين همَّ رسول الله ﷺ بغزوة الفتح ، ليَظُنَّ ظان أنه عليه السلام توجه إلى تلك الناحية ، ولأن تذْهبَ بذلك الأخبار .

قتل المسلم

فلقيهم عامرُ بن الأضْبط الأشجعيّ ، فسلَّم عليهم بتحية الإسلام ، فبدر إليه مُحلِّم بن جَثَّامة الليثي فقتله ، وأخذ بعيره وسلَبَه ، ثم لحقوا برسول الله ﷺ وقد علموا مسيرَه فأدركوه بالسُّقيا ولم يلقَوْا جمعاً .

ما نزل فيه من القرآن

وفيهم نزل قوله تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة ، كذلك كنتم من قبل فمنَّ الله عليكم فتبينوا ، إن الله كان بما تعملون خبيراً** ﴾[4] .

---

(١) في (خ) « ثم كانت خُضرة أرض محارب سرية أبي قتادة بنجد » .

(٢) زيادة لسياق الكلام من (ط) .

(٣) في (خ) « على حاضرتهم عظيم » .

(٤) الآية ٩٤ / النساء ، وفي (خ) « ... الحياة الدنيا ، الآية » .

الاختلاف في سبب نزول الآية

وقال ابن عبد البرّ ، والاختلاف في المراد بهذه الآية كثير مضطرب جداً ، قيل : نزلت في المقداد ، وقيل : نزلت في أسامة بن زَيْد ، وقيل : في محلِّم بن جَثامة . وقال ابن عباس : نزلت في سَرِيَّة ، ولم يُسَمِّ أحداً . وقيل : نزلت في غالب الليثي من بني ليث ، يقال له : فُلَيْت ، كان على السَّرِيَّة ، وقيل : نزلت في أبي الدَّرداء . وهذا اضطراب شديد جداً[١] .

غزوة الفتح وسببها

ثم كانت غزوة الفتح . وسببها أن أنس بن زُنَيْم الدِّيلِيّ هجا رسول الله ﷺ ، فسمعه غلام من خُزاعة فضربه فشجَّه ، فثار الشَّرُّ بين بني بكر [حلْف قريش] ، وبين خُزاعة [حلف رسول الله ﷺ] . فلما دخل شعبانُ على رأس اثنين وعشرين شهراً من صلح الحديبية — [وقال ابن إسحق : فمكثوا في تلك الهدنة نحو السبعة عشر أو الثمانية عشر شهراً] — كلمت بنو نُفاثة من بني الدِّيل أشرافَ قريش أن يُعينوها بالرجال والسلاح على خزاعة ، فأمدوهم بذلك . وخرج إليهم صفوان بن أمية ومكرز بن حفص بن الأخيف[٢] ، وحويطب بن عبد العُزَّى ، وشيبة بن عثمان وسُهَيْل بن عمرو ، وأجلبوا معهم أرقَّاءَهم فبَيَّتوا — مع بني بكرٍ ورأسهم نوفل بن معاوية الدُّؤَلِيّ — خُزاعة ليلاً وهم آمنون[٣] ، فقتلوا منهم ثلاثة وعشرين رجلاً ، وذلك على ماء يُقال له الوتير قريب من مكة ، وعامتهم نساءٌ وصبيان وضَعَفَةُ الرِّجال ، حتى أدخلوهم دار بُدَيْل بن وَرْقاء ، وقيل : حتى انتهوا بهم إلى أنصاب الحرم[٤] .

ندم قريش على نقض العهد

وندمت قريشٌ ، وعرفوا أن هذا الذي صنعوا نقضٌ[٥] للمدة والعهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ . وجاء الحارث بن هشام وجماعة إلى صفوان بن أمية

---

(١) راجع أسباب النزول للواحدي ص ١٢٧ - ١٣٠ .

(٢) في (خ) « الأحيف » . (٣) ذكر (ابن سعد) ج ٢ ص ١٣٤ أنهم خرجوا « متنكرين متنقبين » .

(٤) أنصاب الحرم : حدوده التي تفصل بين الحل والحرام . (٥) في (خ) « نقضاً » .

ومن كان معه فلاموهم ، وقالوا لأبي سفيان بن حرب : هذا أمر لا بد له من أن يُصلَح ، فاتفقوا على مسيره إلى رسول الله ﷺ ليزيد في الهدنة ، ويجدِّد العهد ، فخرج لذلك وقد سار عمرو بن سالم بن حصيرة بن سالم الخزاعيّ في أربعين راكباً من خزاعة ، حتى دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالسٌ في أصحابه ، فقام ينشد شعراً ، وأخبره الخبر واستَصْرَخه ، فقام ﷺ وهو يجرُّ ثوبه ويقول : لا نُصِرْتُ إن لم أنْصُر بني كعبٍ مما أنْصُرُ منه نفسي ! .

قدوم أبي سفيان إلى المدينة

وقدم أبو سفيان فقال : يا محمد ! إني كنت غائباً في صلح الحديبية ، فاشدد العهد وزدنا في المدَّة . فقال رسول الله ﷺ : ولذلك قدِمْتَ يا أبا سفيان ؟ قال : نعم ! قال : هل كان قِبَلَكُمْ حَدَثٌ ؟ قال : معاذ الله ! قال : فنحن على مدتنا وصلحنا يوم الحديبية ، لا نُغيِّر ولا نُبدِّل .

خبر أبي سفيان في دار أم المؤمنين ابنته

ثم قام أبو سفيان فدخل على ابنته أم حبيبة[1] رضي الله عنها ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوتْهُ دونه وقالت : أنت امرءٌ نَجسٌ مشرك !! فقال : يا بنية ! لقد أصابك بعدي شرٌّ ! قالت : هداني الله للإسلام ، وأنت يا أبتِ سيِّد قريشٍ وكبيرها ، كيف يسقُط عنك دخولك للإسلام ؟ وأنت تعبد حجراً لا يسمع ولا يُبصر ! قال : يا عجباه !! وهذا منك أيضاً ! أأترُكُ ما كان يعبد آبائي ، وأتبع دين محمد !؟ .

مناشدة أبي سفيان لكبار أصحاب رسول الله ﷺ

ثم خرج فَلَقَي أبا بكر رضي الله عنه فكلمه ، وقال : نُكلِّم محمداً ، أو تجير[2] أنت بين الناس ! فقال : جواري في جوار رسول الله ﷺ ، ثم لقي عمر رضي الله عنه ، فكلمه بمثل ما كلم به أبا بكر فقال [عمر][3] : والله لو وجدت الذَّرَّ[4]

---

(١) أم المؤمنين .
(٢) في (خ) « وتجير » .
(٣) زيادة للبيان من (ط) .
(٤) النمل الصغير .

تقاتلكم لأعنتُها عليكم ! فقال [أبو سفيان][1] : جُزيت من ذي رَحمٍ شراً ، ثم دخل على عثمان رضي الله عنه فقال : إنه ليس في القوم أحدٌ أقربَ بي رحِماً منك ! فزِدْ في الهدْنة وجدِّد العهد ، فإن صاحبك لن يردَّه عليك أبداً ! قال : جِواري من جوار رسول الله ! فدخل على فاطمة وكلمها في أن تجير بين الناس ، فقالت : إنما أنا امرأة ! قال : مُري أحد ابنَيْك يجير بين الناس ! قالت : إنما هما صبيَّان ! وليس مثلهما يجير .

مناشدته علياً ومشورة علي

فأتى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : يا أبا الحسن ! أجِرْ بين الناس أو تكلم محمداً يزيد في المدة ! فقال : ويْحك يا أبا سفيان ! إن رسول الله قد عزم أن لا يفعل ، وليس أحد يستطيع أن يكلمه في شيء يكرهه . قال : فما الرأي ؟ يسِّرني[2] لأمري ، فإنه قد ضاق عليَّ ، فمرني بأمر ترى أنه نافعي . قال : والله ما أجد لك شيئاً أمثل من أن تقوم فتجير بين الناس ، فإنك سيِّد كنانة . قال : ترى ذلك مغنياً عَنّي شيئاً ؟ قال : لا أظن ذلك والله ، ولكني لا أجد لك غيره . فقام أبو سفيان بين ظهْرَي الناس فصاح : ألا إني قد أجرْت بين الناس ، ولا أظنُّ محمداً يخفُرني ! ثم دخل على النبي ﷺ فقال : يا محمد ! ما أظنُّ أن تردَّ جواري ! فقال : أنت تقول ذلك يا أبا سفيان !! ثم جاء [أبو سفيان][3] لسعد بن عبادة فقال : يا أبا ثابت ! قد عرفتَ الذي كان بيني وبينك ! وأني كنت لك في قومنا جاراً ، وكنت لي بيثربَ مثل ذلك ، وأنت سيد هذه البَحْرة[4] ، فأجر بين الناس وزد في المدة . فقال : يا أبا سفيان ! جواري في جوار رسول الله ! ما يجيرُ أحدٌ على رسول الله ﷺ .

ويقال : خرج أبو سفيان على أنه قال له رسول الله ﷺ : أنت تقول ذلك يا أبا سفيان !! ويقال : لما صاح لم يَقرَب النبيَّ عليه السلام وركب راحلته وانطلق إلى مكة .

---

(١) زيادة للبيان من (ط) .
(٢) في (خ) « بشرني » .
(٣) زيادة للبيان .
(٤) البَحْرة : البلدة .

مرجع أبي سفيان إلى مكة وما قيل له

وكانت قد طالت غيبته ، واتَّهمته قريشٌ أنه قد أسلم . فلما دخل على هند ليلاً قالت : لقد حَبَسْت حتى اتهمك قومك ! فإن كنت مع طول الإقامة جئْتَهم بنُجح ، فأنت الرَّجلُ ! ثم دنا منها فجلس منها مجلس الرجل من امرأته ، فجعلت تقول : ما صنعتَ ؟ فأخبرها الخبر وقال : لم أجِدْ إلَّا ما قال لي علي ! فضربت برجليها في صدْره ، وقالت : قُبِّحْتَ من رسول قوم ! وأصبح فَحَلَقَ رأسه عند إسافٍ ونائلة[1] ، وذبح لهما ومسح بالدم رؤوسهما ، وقال : لا أفارق عبادتكما حتى أموت على ما مات عليه أبي .

وقالت له قريشٌ : ما وراءَك ؟ هل جئتنا بكتاب من محمد ، أو زيادة في مدَّة أماناً من أن يغزونا ؟ فقال : والله لقد أَبى عليٌّ ، ولقد كلمت أصحابه عليه فما قَدَرت على شيء منهم ، إلا أنهم يرموني بكلمة واحدة . إلَّا أن عليا قد قال ـــ لما ضاقت بي الأمور ـــ : أنت سيد كنانة ، فأَجِرْ بين الناس !! فناديت بالجوار ، ثم دخلت على محمد فقلت : إني قد أجرت الناس ، وما أظنُّ أن تردَّ جواري ! فقال : أنت تقول ذلك يا أبا سفيان !! لم يزدني على ذلك . قالوا : ما زاد على أن تلعَّب بك تلعُّباً !! قال : والله ما وجدت غيرَ ذلك .

جهاز رسول الله ﷺ للفتح

ولمَّا ولَّى أبو سفيان راجعاً قال رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها : جهِّزينا وأخفي أمرك . وقال عليه السلام : اللهم خذ من قريش الأخبار والعيون حتى نأتيهم[2] بغتة ، [وفي رواية : اللهم خذ على أبصارهم فلا يروني إلا بغتةً ، ولا يسمعون بي إلا فجأة] . وأخذ ﷺ بالأنقاب[3] ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف عليها ويقول : لا تدعوا أحداً يمرُّ بكم تنكرونه إلا رَدَدْتموه . وكانت الأنقاب مسلمة ، إلا من سلك إلى مكة فإنه يُتحفَّظ به ويساءل عنه .

---

(١) إساف ونائلة من أصنام المشركين .

(٢) فى (خ) « تأتيهم » .

(٣) الأنقاب : جمع نقب وهو الطريق بين الجبلين .

خبر أبي بكر

ودخل أبو بكر رضي الله عنه على عائشة رضي الله عنها وهي تجهِّز رسول الله ﷺ، تعمل قمحاً سويقاً ودقيقاً، فقال: يا عائشة، أهمَّ رسول الله يغزو؟ قالت: ما أدري! قال: إن كان همَّ بسفر فآذنينا[1] نتهيأ له. قالت: ما أدري! لعله يريد بني سُليم، لعله يريد ثُقيفاً! لعله يريد هوازن! فاستعجمتْ عليه[2] حتى دخل رسول الله ﷺ فقال له: يا رسول الله، أردتَ سفراً؟ قال: نعم. قال: أفأتجهَّز؟ قال: نعم، قال: فأين تريد يا رسول الله؟ قال: قريشاً، واخْفِ ذلك يا أبا بكر! وأمر ﷺ الناس بالجهاز، وطوى عنهم[3] الوجه الذي يريد، وقال أبو بكر: يا رسول الله! أو ليس بيننا وبينهم مدةٌ؟ قال: إنهم غدروا ونقضوا العهد، فأنا غازيهم، واطْو ما ذكرت لك! فظانٌّ يظن أنه يريد الشأم، وظانٌّ يظن ثقيفاً، وظانٌّ يظنّ هوازن.

خبر حاطب بن أبي بلتعة ورسالته إلى قريش

فلما أجمع ﷺ المسير إلى قريش وعلم بذلك الناس، كتب حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش، يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ في أمرهم. وكان كتابه إلى ثلاثة نفرٍ: صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل، فيقول فيه: « إن رسول الله قد أذَّن في الناس بالغزو، ولا أراه يريد غيركم، وقد أحببت أن يكون لي عندكم يدٌ بكتابي إليكم ». وأعطى الكتاب إلى امرأة من مزيْنة من أهل العرْج — [يقال لها كنود، ويقال لها سارة مولاة عمرو بن صيْفي بن هاشم ابن عبد مناف] — وجعل لها ديناراً [وقيل: عشرة دنانير]، على أن تبلِّغه قريشاً، وقال: أخفيه ما استطعتِ، ولا تمرِّي على الطريق فإن عليه حرساً[4]. فجعلته في رأسها ثم فتلت عليه قرونها، وسلكت على غير نقبٍ، حتى لقيت الطريق بالعقيق. وأتى رسول الله ﷺ الخبرُ من السماء بما صنع حاطبٌ، فبعث علياً والزُّبير رضي

---

(١) آذنينا: أعلمينا وأخبرينا.

(٢) استعجمتْ عليه: لم تُعطه جواباً بيّناً.

(٣) وى عنهم: أخفى عنهم.

(٤) ف (خ) « محرساً ».

الله عنهما فقال : أدركا امرأة من مزينة ، قد كتب معها حاطبٌ كتاباً يحذِّر قريشاً . فخرجا ، فأدركاها ، فاستنزلاها ، والتمساه[1] في رحلها فلم يجدا[2] شيئاً . فقالا لها : إنا نحلف بالله ما كُذب رسول الله ولا كُذبنا ، ولتُخرجِنّ هذا الكتاب ! أو لنكشِفنَّكِ ! فلما رأت منهما الجد قالت : أعرِضا عنّي ! فأعرضا عنها ، فحلَّت قرون رأسها ، فاستخرجت الكتاب . فجاءا به رسول الله ﷺ فدعا حاطباً فقال : ما حملك على هذا ؟ فقال : يا رسول الله ! والله إني لمؤمن بالله ورسوله ، ما غيَّرتُ ولا بدَّلت ، ولكني كنت امرءاً ليس لي في القوم أصل ولا عشيرة ، وكان لي بين أظهرهم أهل وولد ، فصانعتهم . فقال عمر رضي الله عنه : قاتلك الله ! ترى رسول الله يأخذ بالأنقاب ، وتكتب إلى قريش تحذرهم !! دعني يا رسول الله أضرب عنقه فإنه قد نافق . فقال : وما يدريك يا عمر ؟ لعل الله اطَّلع يوم بدر على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم ، فقد غفرتُ لكم[3] ، وأنزل الله في حاطب : ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوِّي وعدوَّكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرّون إليهم بالمودَّة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعلْه منكم فقد ضل سواء السبيل** ﴾[4] .

ومضت سارَّة إلى مكة ، وكانت مغنِّية ، فأقبلت تتغنى بهجاء رسول الله ﷺ ، وقد ارتدت عن الإسلام .

دعوة المسلمين من القبائل

فلما أبان رسول الله ﷺ الغزو ، أرسل إلى أهل البادية وإلى من حوله من

---

(١) فى (خ) « والتماساه » .

(٢) فى (خ) « فلم يجد » .

(٣) أخرجه أبو داود ج ٣ ص ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، باب فى حكم الجاسوس إذا كان مسلماً ، حديث رقم ٢٦٥٠ ، أخرجه (البخاري) فى المغازي ، باب فضل من شهد بدراً ، وفى التفسير ، تفسير سورة الممتحنة ، وفى الأدب ، باب من لم ير إكفار من قال ذلك متأولاً أو جاهلاً و (مسلم) فى فضائل أهل بدر ، و (الترمذي) فى التفسير ، تفسير سورة الممتحنة ، و (الدارمي) فى الرِّقاق ، و (أحمد) فى (المسند) من حديث على بن أبي طالب رضى الله عنه ، وانظر أيضاً (معالم السنن) للخطابي ج ٣ ص ١١٠ .

(٤) أول سورة الممتحنة ، وفى (خ) « ... تلقون إليهم بالمودة ، الآية » .

المسلمين يقول : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضُرْ رمضان بالمدينة . وبعث رسُلاً في كل ناحية حتى قدِموا . فقَدمتْ أسلم ، وغِفَار ، ومزينة ، وجهينة ، وأشجع ، المدينة ، وأتتْ بنو سُليم بقُديْد ، وعسكر ببئر أبي عِنَبة ، وعقد الألوية والرايات .

عدة المسلمين

وكان المهاجرون سبعمائة ، ومعهم ثلاثمائة فرس ، وكانت الأنصارُ أربعة آلاف ، ومعهم خمسمائة فرس ، وكانت مزينة ألفاً ، فيها مائة فرس ومائة درع ، وكانت أسلم أربعمائة ، فيها ثلاثون فرساً ، وكانت جهينة ثمانمائة ، معها خمسون فرساً ، وكانت بنو كعب بن عمرو خمسمائة . ويقال : لم يعقد رسول الله ﷺ الألوية والرايات حتى انتهى إلى قُدَيْد .

الخروج إلى الفتح

وخرج يوم الأربعاء لعشر خَلَوْنَ من رمضان بعد العصر . وروى أبو خليفة الفضل بن الحُبَاب من حديث شُعبة بن قتادة عن أبي نَضْرَة ، عن أبي سعيد الخدْريّ ، قال : خرجنا مع رسول الله حين فتح مكة لسبع عشرة أو تسع عشرة بقين من رمضان . الحديث . ورواه سعيد[1] بن أبي عروبة ، عن قتادة بإسناده ، فقال فيه : خرجنا مع رسول الله ﷺ لثنتي عشرة . وقال هشام عن قتادة فيه بإسناده : لثمان عشرة . وعن عطية بن قيس ، عن قَزَعة[2] ، عن أبي سعيد الخُدريّ ، قال : آذننا[3] رسول الله بالرحيل عام الفتح لليلتين خلتا من رمضان . الحديث .

مسير المسلمين

وخرج المسلمون وقادوا الخيول ، وامتطوا الإبل ، وكانوا عشرة آلاف رجل ، وقال الحاكم : اثنا عشر ألفاً . وقدَّم ﷺ أمامه الزبير بن العوام رضي الله عنه في

---

(١) في (خ) « سعد » .
(٢) هو « قَزَعة بن يحيى » أبو الغادية البصري .
(٣) في (خ) « آذنا » .

مائتين ، فلما كان بالبيداء قال : إني لأرى[1] السحاب يستهلّ بنصر بني كعب . ولما خرج من المدينة نادى مناديه : من أحبَّ أن يصوم فليصم ، ومن أحب أن يفطر فليُفطر . وصام هو ، حتى [إذا][2] كان بالعَرْج صبَّ على رأسه ووجهه الماء من العطش ، فلما كان بالكَديد – بين الظهر والعصر أخذ إناءً من ماءٍ في يده حتى رآه المسلمون ، ثم أفطر تلك الساعة ، ويقال : كان فطره يومئذ بعد العصر . وبلغه أن قوماً صاموا ، فقال : أولئك العصاة ! وقال بمرِّ الظهران : إنكم مصبِّحو[3] عدوِّكم . والفطر أقوى لكم .

منزل رسول الله ﷺ بالعرج

فلما نزل العَرْج – والناس لا يدرون أين يتوجه[4] ! أإلى قريش ، أو إلى هوازن ، أو إلى ثقيف ؟ وأحبُّوا أن يعلموا أتى[5] – كعب بن مالك رسول الله ﷺ – وقد جلس في أصحابه ، وهو يتحدث – ليعلم ذلك ، فأنشده شعراً ، فتبسَّم ولم يزد على ذلك . فلما نزل بقديدٍ قيل : هل لك يا رسول الله في بِيضِ النساء وأُدَمِ الإبل ؟ فقال : إن الله حرَّمهم عليّ بصلة الرحم ، ووكزهم في لبَّات الإبل . [وفي رواية : [إن][6] الله حرَّمهم عليَّ ببر الوالدين ووكزهم في لبَّات الإبل .][7] . وجاء عُيَيْنة بن حصن بالعرج وسار[8] وكان الأقرع بن حابس قد وافى بالسُّقيا في عشرة من قومه . فلما عقد ﷺ الألوية بقديد ندِم عيينة ألَّا يكون قدم بقومه .

خبر الكلبة

ونظر عليه السلام بعد مسيره من العرْج إلى كلبة تَهِرُّ[9] على أولادها ، وهنَّ

(١) في (خ) « لا أرى » ، وفي (المغازي) ج ٢ ص ٨٠١ « لأرى السحاب تستهل » . واستهل السحاب أشرق قبل أول مطر .
(٢) زيادة للسياق .
(٣) في (خ) « مصبحوا » بإثبات الألف بعد واو الجماعة .
(٤) في (خ) « توجه » .
(٥) في (خ) « فأتى » وفي رواية (الواقدي) ج ٢ ص ٨٠٢ : « قال كعب بن مالك : آتى رسول الله ﷺ بأعلم لكم عِلْمَ وَجْهِهِ » .
(٦) زيادة للسياق من (ط) ج
(٧) قال ابن الأثير في (النهاية) : لبَّات : جمع لَبَّة ، وهي الهزمة التي فوق الصدر وفيها تُنحر الإبل ، (النهاية) ج ٤ ص ٢٢٣ ، وهنا كناية عن الكرم وصلة الرحم ، فلذلك استحقوا العفو .
(٨) وذلك بعد إسلامه ، ففي (الواقدي) ج ٢ ص ٨٠٤ « فدخل رسول الله ﷺ يومئذ مكة بين الأقرع وعيينة » .
(٩) تهر : تنبح وتكشرعن أنيابها دفاعاً عن أولادها .

حولها يَرْضِعنها ، فأمر جُعيل بن سراقة يقوم حِذاءَها ، لا يعرِضْ لها أحد من الجيش ولا لأوْلادها .

الطـلائع

وقدم من العَرْج جريدة من خيل[1] طليعة ، فأتوا بعين من هوازن ، فسأله عنهم فقال : تركتهم ببقعاء قد جمعوا الجموع ، وأجلبوا العرب ، وبعثوا إلى جَرَش[2] في عمل الدبابـات[3] والمنجنيق ، وهم سائرون إلى هوازن فيكونوا جميعاً . فقال [ﷺ][4]: وإلى من جعلوا أمرهم ؟ قال : إلى مالك بن عوف . قال : وكل هوازن قد أجاب ؟ قال : أبطأ من بني عامر كعبٌ وكلاب . وقد مَرَرْت بمكة فرأيتهم ساخطين لما جاء به أبو سفيان ، وهم خائفون . فقال النبي ﷺ : حسبنا الله ونعم الوكيل ، ما أراه إلا صدقني ! وأمر خالد بن الوليد فحبسه حتى دخل مكة وفتحها فأسلم ، ثم خرج مع المسلمين إلى هوازن فقتل بأوطاس . [وأوطاس وادٍ في ديار هوازن ، وفيه كانت وقعة حُنين] .

إسلام أبي سفيان

وقدم بالأبواء أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يريد الإسلام ، بعد ما عادى رسول الله ﷺ عشرين سنة وهجاه ، ولم يتخلف عن قتاله . فلما طلع ﷺ في موكبه ، وقف تلقاء وجهه ، فأعرض عنه ، فتحرك إلى ناحيته ، فأعرض عنه مراراً ، وأعرض عنه الناس وتجهموا له ، فجلس على باب منزل رسول الله ﷺ يلازمة حتى فتح مكة ، وهو لا يكلمه ولا أحد من المسلمين . فلما كان يوم هَوازِن ، ثبت فيمن ثبت مع رسول الله ، وأخذ العباس رضي الله عنه بلجام بغلته ، وأخذ أبو سفيان بالجانب[5] الآخر ، فقال ﷺ : من هذا ؟ فقال العباس :

---

(١) في (خ) « من خيل جديدة » . والجريدة : الطائفة من الفرسان لا رجّالة فيها (ترتيب القاموس) ج ٢ ص ١٢٧ .

(٢) جرش : مدينة شرقي جبل السواد من أرض البلقاء وحوران من عمل دمشق (معجم البلدان) ج ٢ ص ١٢٧ .

(٣) الدبابات : في عهدهم آلة تتخذ من جلود وخشب يُدخل فيها الرجال ، ثم يقربونها من الحصن المحاصَر والرجال في جوفها لينقبوه ، وسميت بذلك لأنها تدب دبيباً .

(٤) زيادة للبيان .

(٥) في (خ) «بالجناب».

يا رسول الله ! أخوك وابن عمك أبو سفيان بن الحارث[1] ! فارض عنه ، أي رسول الله ! قال : قد فعلت ، فغفر الله له كلَّ عداوة عاداها . فقبَّل أبو سفيان رجله في الركاب . فالتفت عليه السلام إليه ، فقال : أخي لعمْري ! ويقال : إنه جاء هو وعبد الله بن أبي أمية ــ أخو أم سلمة ــ إلى نيق العقاب[2] فطردهما ، فشفعت فيهما أم سَلمة ، وأبلغته عنهما ما رقَّقه عليهما ، فقبلهما .

العباس بن عبد المطلب ومخرمة بن نوفل

وقدم العباس بن عبد المطلب ومخرمة بن نوفل ، بالسقيا . وقيل : بل قدم العبَّاس بذي الحُليفة ــ وقيل : بالجحفة ــ فأسلم ، وبعث ثَقَله[3] ومضى مع رسول الله ﷺ فأقام معه ، ولم يخرج من عنده حتى راح عليه السلام . وكان ينزل معه في كل منزل حتى دخل مكة .

رؤيا أبي بكر

ورأى أبو بكر الصديق رضي الله عنه ــ في الليلة التي أصبح فيها بالجحفة ــ أن النبي ﷺ لما دنوا من مكة ، خرجت عليهم كلبة تهرُّ ، فلما دنوا منها استلقت على ظهرها ، فإذا أطباؤها تشخبُ لبناً[4] . فذكرها أبو بكر . فقال رسول الله ﷺ : ذهب كَلَبهم[5] ، وأقبل دَرُّهم[6] . هم سائلوكم بأرحامكم ! وأنتم لاقون بعضهم ، فإن لقيتم أبا سفيان فلا تقتلوه .

---

(١) ذكرنا في أول الكتاب أنه أخوه من الرضاعة من قِبل حليمة السعدية

(٢) في (خ) ، (ط) « فِيق العقاب » وهو خطأ وصوابه « نِيق العقاب » وهي : (موقع بين مكة والمدينة قرب الجحفة ، لقى به أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة مهاجر بن أبي أمية وهو يريد مكة عام الفتح) (معجم البلدان) ج ٥ ص ٣٣٣ .

(٣) الثقَل : متاع المسافر وحشمه (ترتيب القاموس) ج ١ ص ٤١٢ .

(٤) الأطْباء : جمع طُبْي ، والطُّبْي : بالكسر والضم : حلمات الضرْع التي من خُف وظلْف وحافر .

(٥) الكَلَب : صياح من عضه الكلْب الكلِبُ ، وجنون الكلاب المُعْتَرى من أكل لحم الإنسان ، وشبْه جنونها المعْترى للإنسان من عضها . (ترتيب القاموس) ج ٤ ص ٧٠ والمقصود هنا : كناية عن عداء قريش لرسول الله ﷺ .

(٦) الدّرُّ : اللبن يسيل من الثدي ، وهذا كناية عن إدبار شرهم وإقبال خيرهم .

منزل المسلمين بقديد

فلما نزل عليه السلام قديداً لقيته سُليم ـــ وهم تسعمائة على الخيول جميعاً ، مع كل رجل رمحه وسلاحه ، ويقال : إنهم ألف ـــ فجعلهم مقدمته مع خالد بن الوليد رضي الله عنه واجتمع المسلمون بمرّ الظهران ، ولم يبلغ قريشاً حرفٌ واحد من مسيرهم ، فأمر ﷺ المسلمين أن يوقدوا النيران ، فأوقدوا عشرة آلاف نار ، وأمر بالأجراس أن تقطع من أعناق الإبل ليالي فتح مكة ، وفي غزوة بدر .

بعثة قريش أبا سفيان يتجسس

وبعثت قريش أبا سفيان يتجسس الأخبار ، وإن لقي محمداً يأخذ لهم منه جواراً ، فإن رأى رقَّة من أصحابه آذنه بالحرب ، فخرج ومعه حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء ، فرأوا الأبنية والعسكر والنيران بمرّ الظهران ، وسمعوا صهيل الخيل ورغاء الإبل ، فأفزعهم ذلك فزعاً شديداً وقالوا : هؤلاء بنو كعب جاشتها الحرب[1] ! فقال بديل : هؤلاء أكثر من بني كعب ! قالوا : فتنجَّعت[2] هوازن على أرضنا ! والله ما نعرف هذا ، إن هذا العسكر مثل حاجِّ الناس ! وكان على الحرس تلك الليلة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

خبر العباس وقدومه بأبي سفيان وصاحبيه على رسول الله ﷺ

وقد ركب العباس رضي الله عنه دَلْدُلَ[3] ، على أن يصيب رسولا إلى قريش يخبرهم : أن رسول الله ﷺ داخل عليهم في عشرة آلاف . فسمع صوت أبي سفيان ، فقال : أبا حنظلة ! فقال : يا لبيْك ! أبا الفضل ؟ قال : نعم ! قال : فما وراءك ؟ قال : هذا رسول الله في عشرة آلاف من المسلمين ، فأسلم ، ثكلتك أمك وعشيرتك ، وأقبل على حكيم بن حزام وبُديل بن ورقاء فقال : أسلما ، فإني لكما جارٌ حتى تنتهوا إلى رسول الله ، فإني أخشى أن تُقطعوا دون النبي ! قالوا : فنحن معك .

---

(١) جاشتها الحرب : هاجتها كما تجيش النارُ القدر فيغلي بها .

(٢) من الانتجاع ، وهو طلب الكلأ أيام الربيع .

(٣) اسم بغلة كانت لرسول الله ﷺ .

ويروى أن أبا سفيان وحكيماً وبديلاً لما طلعوا مر [الظهران][1] عشاءً ، ورأوا النيران والفساطيط والعسكر راعهم ذلك ، فبينا هم كذلك لم يشعروا حتى أخذهم نفرٌ — كان رسول الله ﷺ بعثهم عيوناً له — بخطُم[2] أبعرتهم ، وأتوْا بهم العسكر ، فلقيهم عند ذلك العباس فأجارهم .

دخولهم على رسول الله ﷺ

وأتى بهم العباس ودخل رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! أبو سفيان ، وحكيم بن حزام ، وبُديل بن ورْقاء ، قد أجَرْتهم ، وهم يدخلون عليك ! فقال : أدْخِلهم . فدخلوا عليه ، فمكثوا عنده عامة الليل ليستخْبرَهم ، ودعاهم إلى الإسلام ، فأسلم حكيمٌ وبدَيْل . وقال أبو سفيان : أشهد أنَّ لا إله إلا الله . فقال رسول الله : وأني رسول الله . قال : والله يا محمد ، إن في النفس من هذا لشيئاً بعد ، فارجِها[3] . ثم قال للعباس : قد أجرناهم ، اذهب بهم إلى منزلك . فذهب بهم .

خبر أبي سفيان بعد سماع الأذان

فلما أذَّن الصبح ، أذَّن العسكر كلهم ، ففزع أبو سفيان من أذانهم وقال : ما يصنعون ؟ أمِروا فيَّ بشيء ؟ قال : لا ! ولكنهم قاموا إلى الصلاة ! قال أبو سفيان : كم يصلون في اليوم والليلة ؟ قال : يصلون خمس صلوات . قال : كثير والله ! فلما رآهم أبو سفيان يتدرون وضوء النبي ﷺ ، قال : ما رأيت يا أبا الفضل مُلكاً كهذا ! لا مُلك[4] كسرى ولا ملك بني الأصفر ! فقال العباس : وَيْحك آمِنْ ! قال : أدخلني عليه . فأدْخَله ، فقال : يا محمد ! استنصرتُ إلـٰهي واستنصرتَ إلـٰهك ، فلا والله ما لقيتك من مرَّة إلا ظُفِّرْت عليَّ ، فلو كان إلـٰهي حقاً وإلـٰهك مبطلاً لقد غلبتك ! وشهد أن محمداً رسول الله .

---

(١) زيادة للبيان ، وفي (خ) « مدعشا » .
(٢) خُطم : جمع خِطام ، وهو الحبل الذي يقاد به البعير .
(٣) من الإرجاء وهو التأخير ، وقد سُهلت الهمزة .
(٤) في (خ) « إلا ملك كسرى » .

مقالة أبي سفيان وحكيم بن حزام

ثم قال أبو سفيان وحكيم : يا محمد ! جئت بأوباش الناس ــ من نعرف ومن لا نعرف[1] ــ إلى عشيرتك وأصلك ! فقال ﷺ : أنتم أظلمُ وأفجر ، غدرتم عهد الحديبية ، وظاهرتم على بني كعب بالإثم والعدوان في حرَم الله وأمنه . فقال أبو سفيان وحكيم بن[2] حزام : يا رسول الله ! لو كنت جعلت حدَّك[3] ومكيدتك بهوازن ، فهم أبعد رحماً وأشدُّ لك عداوة ! فقال : إني لأرجو[4] من ربِّي أن يجمع ذلك لي كله : فتح مكة وإعزاز الإسلام بها ، وهوازِن ، وأن يغنِّمني الله أموالهم وذراريهم ، فإني راغب إلى الله في ذلك .

وقيل : إن أبا سفيان ركبَ خلف العباس ، ورجع حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء .

خبر عمر بن الخطاب حين رأى أبا سفيان

فلما مرَّ العباس بعمرَ بن الخطاب ، ورأى أبا سفيان قال : أبا سفيان ! عدوَّ الله ! الحمد لله الذي أمكن منك بلا عهد ولا عقد . ثم خرج نحو رسول الله ﷺ يشتدُّ ، فركض العباس البغلة حتى اجتمعوا على باب رسول الله ﷺ ، فدخلوا . فقال عمر : يا رسول الله ! هذا أبو سفيان عدوُّ الله ، قد أمكن الله منه بلا عهد ولا عقد ، فدعني أضرِبْ عنقه . فقال العباس : إني قد أجرته ! ثم التزم[5] رسول الله ، فقال : والله لا يناجيه الليلة أحدٌ دوني . فلما أكثر عمر في أبي سفيان قال العباس : مهلاً يا عمر ! وتلاحَيَا[6] . فقال النبي عليه السلام للعباس : اذهب به فقد أجرتُه ، فليبت عندك حتى تغدوَ علينا إذا أصبحت . فغدا به . فقال له رسول الله : ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأن لك[7] أن تعْلم أن لا إله إلا الله ؟ قال : بأبي أنت ! ما أحلمك وأكرمك وأعظم عفْوَك! قد كان يقع في نفسي أن لو كان مع الله إلَهٌ[8] لقد أغنى عنِّي شيئاً بعد . قال : يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أني

---

(١) في (خ) « من تعرف ومن لا تعرف » . (٢) في (خ) « فقال أبو سفيان يا رسول الله وحكيم بن حزام » .
(٣) الحدُّ : الشِّدة ، وهي في (خ) « جدك » . (٤) في (خ) « لأرجوا » .
(٥) التزمه : اعتنقه . (٦) تلاحيا : تنازعا . (٧) ألم يأن : ألم يَحِن .
(٨) في (خ) « إلاه » .

رسول الله ؟ [قال][1] : بأبي أنت وأمي ! ما أحلمك وأكرمك وأعظم عفوَك ! أمَّا هذه فوالله إنَّ في النفس منها لشيئاً بعد ، فقال العباس : ويحك ! اشهدْ أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قبْل والله أن تُقْتَل ! فشهد شهادة الحق .

من دخل دار أبي سفيان فهو آمن

فقال العباس : يا رسول الله ! إنك قد عرفت أبا سفيان وحبَّه الشَّرف والفخر ، اجعل له شيئاً . قال : نعم ! من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق [عليه][1] داره فهو آمنٌ . وأمر ألا يُجهز على جريح ، ولا يتَّبع مدْبر . ويروى أن أبا سفيان وحكيماً قالا : يا رسول الله ! ادع الناس إلى الأمان ! أرأيت إن اعتزَلَت قريشٌ وكفت أيديها ، آمنون هم ؟ قال : نعم ! من كفَّ يده وأغلق [عليه][1] بابه فهو آمن . قالوا : فابعثنا نؤذّن فيهم بذلك . قال : انطلقوا ، فمن دخل دارك يا أبا سفيان فهو آمن ، ودارك يا حكيم ، و [ومن][1] كفَّ يده فهو آمن .

رد أبي سفيان بعد فراقه

فلما توجهوا قال للعباس : إني لا آمن أبا سفيان أن يرجع عن إسلامه ويكفر ، فاردده حتى يفقه ويرى جنود الله معك . فأدركه عباسٌ فحبسه ، فقال : أغدراً يا بني هاشم ؟ قال : ستعلم أنَّا لسنا بغُدُر[2] ، ولكن لي إليك حاجة ، فأصبِحْ حتى تنظر إلى جنود الله ، وإلى ما أعدَّ للمشركين . فحبسه بالمضيق ــ دون الأراك إلى مكة ــ حتى أصبحوا . وقيل : بل قال عليه السلام للعباس بعد ما خرج أبو سفيان : احبسه بمضيق الوادي حتى تمر به جنود الله فيراها . فعدل به العباس في مضيق الوادي ، وأمر رسول الله ﷺ منادياً فنادى : لتصبح كلُّ قبيلة قد ارتحلت ووقفت مع صاحبها عند رايته ، وتظهر كل ما معها من العُدَّة .

* * *

(١) زيادة في السياق .

(٢) غُدْر : جمع غدور ، وهو الغادر .

تعبئة المسلمين ومرورهم على أبي سفيان

فأصبح الناس على ظهر[1] ، وعبأ رسول الله ﷺ أصحابه ، فجعل أبا عبيدة ابن الجراح[2] على المقدِّمة ، ....

---

(١) على استعداد للسفر .

(٢) هو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أُهَيْب بن ضَبَّة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النَّضر ابن كنانة بن مدركة بن إلياس بن مُضَر بن نزار بن مَعَد بن عدنان القرشيّ الفهريّ المكيّ . أحد السابقين الأولين ، عزم الصديق على توليته الخلافة ، وأشار به يوم السقيفة ، لكمال أهليته عند أبي بكر . يجتمع في النسب هو والنبي ﷺ في فهر ، شهد له النبي ﷺ بالجنة ، وسماه أمين الأمة ، ومناقبه شهيرة جمة ، وغزا غزوات مشهورة ، له في صحيح مسلم حديث واحد ، وله في جامع أبي عيسى حديث ، وله في مسند بقيّ خمسة عشر حديثاً .

وقد شهد أبو عبيدة بدراً ، فقتل يومئذ أباه ، وأبلى يوم أُحد بلاءً حسناً ، ونزع الحلقتين اللتين دخلتا من المغفر في وجنة رسول الله ﷺ من ضربة أصابته ، فانقَلعتْ بهما ثنيتاه ، حتى قيل : ما رؤي هَتْم قط أحسن من هَتْم أبي عبيدة ، وكان أبو عبيدة معدوداً فيمن جمع القرآن العظيم .

وكان موصوفاً بحُسن الخلق ، وبالحلم الزائد والتواضع . ولما فرغ الصديق من حرب أهل الردّة ، وحرب مسيلمة الكذاب ، جهَّز أمراء الأجناد لفتح الشام ، فبعث أبا عبيدة ، ويزيد بن أبي سفيان ، وعمرو بن العاص ، وشرحبيل بن حسنة ، فتمَّت وقعة أجنادين بقرب الرملة ، ونصر الله المؤمنين ، فجاءت البشرى ، والصِّدّيق في مرض الموت .

ثم كانت وقعة فِحْل ، ووقعة مَرْج الصُّفَّر ، وكان قد سيّر أبو بكر خالداً لغزو العراق ، ثم بعث إليه لينجد من بالشام ، فقطع المفاوز على بريّة السماوة ، فأمَّره الصديق على الأمراء كلهم ، وحاصروا دمشق ، وتوفّي أبو بكر ، فبادر عمر بعزل خالد ، واستعمل على الكل أبا عبيدة ، فجاءه التقليد ، فكتمه مدة ، وكل هذا من دينه ولينه وحلمه ، فكان فتح دمشق على يده ، فعند ذلك أظهر التقليد ، ليعقد الصلح للروم ، ففتحوا له باب الجابية صلحاً ، وإذا بخالد قد افتتح البلد عَنْوةً من الباب الشرقيّ ، فأمضى لهم أبو عبيدة الصلح .

وعن المغيرة ، أن أبا عبيدة صالحهم على أنصاف كنائسهم ومنازلهم ، ثم كان أبو عبيدة رأس الإسلام يوم وقعة اليرموك ، التي استأصل الله فيها جيوش الروم ، وقتل منهم خلق عظيم . وتوفي أبو عبيدة رضي الله عنه في سنة ثمان عشرة ، وله ثمان وخمسون سنة .

* (مسند أحمد) : ١ / ١٩٥ - ١٩٦ ، (طبقات ابن سعد) : ٣ / ١ / ٤٠٩ ، (التاريخ الكبير) : ٦ / ٤٤٤ ، (التاريخ الصغير) : ١ / ٤٠ ، (المعارف) : ٢٤٧ - ٢٤٨ ، (تاريخ الطبري) : ٣ / ٢٠٢ (الجرح والتعديل) : ٦ / ٦٣٥ ، (المستدرك) : ٣ / ٢٦٢ - ٢٦٨ ، (حلية الأولياء) : ١ / ١٠٠ - ١٠٢ ، (الاستيعاب) : ٤ / ١٧١٠ ، (صفة الصفوة) : ١ / ١٩٢ ، (جامع الأصول) : ٩ / ٢٠ - ٢١ ، (الكامل في التاريخ) ٢ / ٢٠٩ ، (تاريخ الإسلام) : ٢ / ١٣٨ ، =

وخالد بن الوليد[1] على الميمنة ، والزبير بن العوام[2] ....

= (تهذيب التهذيب) : ٥ / ٦٣٠ ، (الإصابة) ٣ / ٥٨٦ - ٥٩٠ ، (تاريخ الخميس) : ٢ / ٢٤٤ ، (كنز العمال) : ١٣ / ٢١٤ - ٢١٩ ، (فتح الباري) : ٧ / ١١٦ - ١١٧ ، (صحيح سنن ابن ماجه) : ١ / ٢٩ ، (سيرأعلام النبلاء) ١ / ٥ - ٢٣ ، (الزهد للإمام أحمد) : ١٧٦ ، (زاد المعاد) : ٣ / ١٩٧ ، ٢٠٤ ، (تهذيب الأسماء واللغات) : ٢ / ٢٥٩ ، (التاريخ الصغير) : ١ / ٤٠ .

(١) هو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن كعب ، سيف الله تعالى ، وفارس الإسلام ، ليث المشاهد ، السيد الإمام الكبير ، وقائد المجاهدين ، أبو سليمان القرشيّ المخزوميّ المكيّ ، وابن أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث .

هاجر مسلماً في صفر سنة ثمان ، ثم سار غازياً فشهد غزوة مؤتة ، واستُشهد أمراء رسول الله ﷺ الثلاثة : مولاهُ زيد ، وابن عمه جعفر ذو الجناحين ، وابن رواحة ، وبقي الجيش بلا أمير ، فَتأَمَّر عليهم في الحال خالد ، وأخذ الراية ، وحمل على العدوّ ، فكان النصر ، وسمَّاه النبي ﷺ سيف الله ، فقال : إن خالداً سيف سله الله على المشركين ، وشهد الفتح ، وحنيناً ، وتأمَّر في أيام النبي ﷺ ،واحتبس أدراعه ولأْمته في سبيل الله ، وحارب أهل الردّة ، ومسيلمة ، وغزا العراق ، واستظهر ، ثم اخترق البرّية السماوية ؛ بحيث أنه قطع المفازة من حدّ العراق إلى أول الشام في خمس ليالٍ ، في عسكر معه ، وشهد حروب الشام ، ولم يبق في جسده قيدُ شبر إلا وعليه طابع الشهداء .

ومناقبه غزيرة ، أمَّره الصديق على سائر أمراء الأجناد ، وحاصر دمشق ، ففافتتحها هو وأبو عُبيدة رضي الله عنهما . له في الصحيحين حديثان ، وفي مسند بقيّ واحد وسبعون ، توفي بحمص سنة إحدى وعشرين . وذكر محمد بن سلام قال : لم تبق امرأةٌ من بني المغيرة إلا وضعت لَمَّتها على قبر خالد ابن الوليد ، يقول: حَلَقتْ رأسها .

* (مسند أحمد) : ٤ / ٨٨ ، (ابن هشام) : ٤ / ٢٣٧ - ٢٣٩ ، (طبقات ابن سعد) : ٤ / ٢٥٢ (التاريخ الصغير) : ١ / ٢٣ ، ٤٠ ، (المعارف) : ٢٦٧ ، (الجرح والتعديل) : ٣ / ٣٥٦ ، (الاستيعاب) : ٢ / ٤٢٧ - ٤٣١ ، (تهذيب الأسماء واللغات) : ١ / ١٨٢ - ١٧٤ ، (تهذيب التهذيب) : ٣ / ١٤٢ ، (الإصابة) : ٢ / ٢٥١ - ٢٥٦ ، (كنز العمال) : ١٣ / ٣٦٦ - ٣٧٥ .

(٢) هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العُزّى بن قُصيّ بن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤيّ ابن غالب ، حواريّ رسول الله ﷺ ، وابن عمته صفية بنت عبد المطلب ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد السِّتَّة أهل الشورى ، وأول من سلّ سيفه في سبيل الله ، أبو عبد الله رضي الله عنه . أسلم وهو حدث ، له ستة عشرة سنة روي أحاديث يسيرة ، اتَّفقَا له على حديثين ، وانفرد له البخاري بأربعة أحاديث ، ومسلم بحديث . وعن عمر بن مصعب بن الزبير قال : قاتل الزبير مع نبي الله ، وله سبع عشرة سنة ، وقال هشام بن عروة عن أبيه ، قال : كانت على الزبير يوم بدر عمامة صفراء ، فنزل جبريل على سيماء الزبير . وهو ممن هاجر إلى الحبشة ، فيما نقله موسى بن عقبة ، وابن إسحاق ، ولم يطول الإقامة بها .

عن علي بن زيد : أخبرني من رآى الزبير ، وفي صدره أمثال العيون من الطعن والرَّمْي ، وعن عروة قال : كان في الزبير ثلاث ضربات بالسيف ، إحداهن في عاتقه، إنْ كنتُ لأُدخل أصابعي فيها ، ضُرب =

على الميسرة ، وهو ﷺ في القلب ، وقدم بين يديه الكتائب فمرَّت القبائل على قادتها ، والكتائب على راياتها . فقدم خالد بن الوليد في بني سُلَيْم[1] – وهم ألف

ثنتين يوم بدر ، وواحدة في اليرموك .

عن ابن عباس أنه قال للزبير يوم الجمل : يا ابن صفية ! هذه عائشة تُملِّكُ المُلْكَ صِلْحة ، وأنت علام تقاتل قريبك علياً ؟ فرجع الزبير ، فلقيه ابن جُرموزٍ فقتله .

قال البخاري وغيره : قُتل في رجب سنة ست وثلاثين .

* (مسند أحمد) : ١ / ١٦٤ – ١٦٧ ، (طبقات ابن سعد) : ٣ / ٧٠ – ٨٠ ، (التاريخ الكبير) : ٣ / ٤٠٩ ، (التاريخ الصغير) : ١ / ٧٥ ، (المعارف) : ٢١٩ – ٢٢٧ ، (الجرح والتعديل) : ٣ / ٥٧٨ ، (المستدرك) : ٣ / ٣٥٩ – ٣٦٨ ، (حلية الأولياء) : ١ / ٨٩ ، (الاستيعاب) : ٢ / ٥١٠ ، (صفة الصفوة) : ١ / ١٨٠ – ١٨٣ ، (جامع الأصول) : ٩ / ٥ – ١٠ ، (تهذيب الأسماء واللغات) : ١ / ١٩٤ – ١٩٦ ، (تهذيب التهذيب) : ٣ / ٣١٨ ، (الإصابة) : ٢ / ٥٥٣ – ٥٥٨ ، (تاريخ الخميس) : ١ / ١٧٢ ، (كنز العمال) : ١٣ / ٢٠٤ – ٢١٢ ، (تاريخ الإسلام) : ٢ / ١٣٨ ، ١٨٤ ، ٣١٤ ، ٣٣٣ ، ٣٨٢ ، (سير أعلام النبلاء) : ١ / ٤١ ، (المعارف) : ٢١٩ – ٢٢٠ ، (الزهد للإمام أحمد) : ١٣٧ .

(١) هم بنو سُلَيْم بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة بن قَيْس بن عَيْلان ، وَلَدُ سُلَيْم بن منصور : بُهثة ، فولد بُهثة بن سُلَيْم : الحارث ؛ وثعلبة ، بطن صغير ؛ وامرؤ القيس ؛ وعوف ، وكان كاهناً ؛ وثعلبة ؛ ومعاوية . (جمهرة أنساب العرب) : ٢٦١ .

– وبُهثة بطن من قيس عيلان ، وهو الذي يُنسب إليه بنو سليم ، وهم بنو بُهثة بن سليم بن منصور ابن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر ، منهم عمرو بن عبسة السّلمي ، وهو بُهْثِيّ ، وكذلك العرباض بن سارية وغيرهما ، وبنو بُهثة بن حرب بن وهب بن بلّيّ بن أحمس بن ضبيعة ، وفي العرب بنو بهثة جماعة . (اللباب في تهذيب الأنساب) : ١ / ١٩١ ، (معجم قبائل العرب) : ١ / ١٠٩ .

– وروي أن النبي ﷺ قال : « أنا ابن العواتك من سُلَيْم » والعواتك من جداته ﷺ تسع كل تسمى عـاتكة ، وهن : عاتكة بنت هلال بن فالج بن ذكوان أم عبد مناف، وعاتكة بنت مرة بنت هلال بن فالج أم هاشم ، وعاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال أم وهب أبي آمنة ، وبقية التسع من غير بني سليم .

وعاتكة : اسم منقول من الصفات ، يقال امرأة عاتكة ، وهي المصفّرة بالزعفران والطيب ، والعاتك : الكريم والخالص من الألوان ، والعواتك من الصحابيات هن : عاتكة بنت أُسيْد ، وبنت خالد ، وبنت زيد بن عمرو ، وبنت عبد المطلب ، وبنت عوف ، وبنت نُعَيْم ، وبنت الوليد . (ترتيب القاموس المحيط) : ٣ / ١٥٠ – ١٥١ .

وحديث « أنا ابن العواتك » ، ذكره الألباني في (الصحيحة) : ١٥٦٩ ، وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح . وقال الذهبي ، كابن عساكر في التاريخ : اختلف على هُشيم فيه ، وهو هُشيم بن بشير السُّلَميّ ، أبو معاوية الواسطي الحافظ ، أحد الأعلام ، سمع الزهري ، وحصين بن عبد الرحمن . وعنه يحيى القطان ، وأحمد ، ويعقوب الدَّوْرقيّ ، وخَلْق كثير . مولده سنة أربع ومائة ، وسمع من الزهريّ ، وابن عمر أيام الحجّ ، وكان مُدلساً ، وهو ليِّنٌ في الزهري . (ميزان الاعتدال) : ٤ / ٣٠٦ ، ت ٩٢٥٠. =

يحمل لواءهم عباس بن مرْداس[1] ، ....

= هشيم بن بشير الواسطي ، أحد الأئمة ، متفق على توثيقه ، إلا أنه كان مشهوراً بالتدليس وروايته عن الزهري خاصة لينة عندهم ، فأما التدليس ، فقد ذكر جماعة من الحفاظ أن البخاري كان لا يُخرِّج عنه إلا ما صرّح فيه بالتحديث ، واعتبرت أنا هذا في حديثه ، فوجدتُه كذلك ، إما أن يكون قد صرَّح به في نفس الإسناد ، أو صرَّح به من وجه آخر ، وأما روايته عن الزهريّ فليس في الصحيحين منها شيء ، واحتجّ به الأئمة كلهم . والله أعلم . (هدي الساري) : ٦٢٦ . هُشيم ، حجة يدلّس ، وهو لين في روايته عن الزهري . (المغني في الضعفاء) : ٢ / ٧١٢ ، ت ٦٧٦٥ .

(١) هو عباس بن مِرْداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد بن عَبْس بن رفاعة بن الحارث بن حُيَيّ بن الحارث ابن بُهثة بن سُلَيْم السّلمي ، يكنى أبا الفضل ، وقيل أبا الهيثم . أسلم قبل فتح مكة بيسير ، وكان مرداس أبوه شريكاً ومصافياً لحرب بني أمية ، ويزعم بعض أهل الأخبار أن الجن قتلتهما جميعاً ، وذكروا أن ثلاثة نفر ذهبوا على وجوههم ، فهاموا ولم يوجدوا ، ولم يسمع لهم بأثر : طالب بن أبي طالب ، وسنان ابن حارثة ، ومرادس بن أبي عامر ، أبو عباس بن مرداس .

وكان عباس بن مرداس من المؤلفة قلوبهم وممن حَسُن إسلامهم ، ولما أعطى رسولُ الله ﷺ المؤلفة قلوبنه من سبي حنين « الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن » مائة مائة من الإبل ، ونقص طائفة من المائة ، منهم عباس بن مرداس ، جعل عباس بن مرداس يقول ، إذا لم يبلغ به من العطاء ما بلغ به من العطاء ما بلغ بالأقرع بن حابس وعيينه بن حصن :

أتجعل نهبي ونهب العبيـــــ ـــــد بين عيينة والأقـرع
فما كان حصنٌ ولا حابسٌ يفـوقان مِرْداسَ في مجمِع
وما كنتُ دون امرىءٍ منهما ومن تضعُ اليوم لا يُرفـع
وقد كنتُ في القوم ذا تُدْرَأ فلم أُعـط شيئاً ولم أمنـع
فصالاً أفائـــل أعطـيتها عديـدٌ قوائمهـا الأربـع
وكانت نهابـاً تلافَيْتُهـا بكرّي على المُهر في الأَجْرع
وإيقاظي القـوم أن يرقـدوا إذا هجع الناس لم أهجـع

فقال رسول الله ﷺ : اذهبوا فاقطعوا عني لسانه ، فأعطوه حتى رضي ، وكان شاعراً محسناً مشهوراً ، وله في يوم حنين أشعار حسان ، وهو القائل :

يا خاتم النُّبآء إنك مرسلٌ بالحق كل هدى السبيل هداكاَ
إن الإلّه بني عليك محبـة في خلقه ، ومحمداً سمّاكـاَ

وكان عباس بن مرداس ممن حرَّم الخمر في الجاهلية . وكان ممن حرَّم الخمر في الجاهلية أيضاً : أبو بكر الصديق ، وعثمان بن مظعون ، وعثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وقيس بن عاصم ، وحرمها قبل هؤلاء : عبد المطلب بن هاشم ، وعبد الله بن جُدْعان ، وشيبة بن ربيعة ، وورقة بن نوفل ، والوليد ابن المغيرة ، وعامر بن الظرب ، ويقال : هو أول من حرَّمها في الجاهلية على نفسه ، ويقال : بل عفيف ابن معديكرب العبْديّ ، كان عباس بن مرداس ينزل بالبادية بناحية البصرة ، روي عنه ابنه كنانة ابن عباس .

* (تهذيب التهذيب) : ٥ / ١١٤ ، (طبقات ابن سعد) : ١ / ٢٧٣ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٢ / ٥٣ ، ٤ / ٢٧١ ، ٣٤٦ ، ٥ / ٥١٦ ، (الإصابة) : ٣ / ٦٣٣ - ٦٣٤ ، (الاستيعاب) : =

وخفاف بن ندبة[1] - فقال أبو سفيان[2] : من هؤلاء ؟ قال العباس[3] : خالد بن الوليد ، فلما حاذى خالدٌ العباس وأبا سفيان ،........................

= ٢ / ٨١٧ - ٨٢٠ ، (ابن هشام) : ٥ / ٩١ - ٩٢ ، (المعارف) : ٣٣٦ - ٣٤٢ ، (زاد المعاد) : ٣ / ٤٧٣ ، ٤٧٦ . (الشعر والشعراء) : ١٨٤ .

(١) هو خُفَاف بن ندبة « بالحركات الثلاث » ابن عمير بن عمر بن الشريد السّلمي ، « ندبة أمه ، وأبوه عمير » . يكنى أبا خَرَشة ، أو خُراشة ، وهو ابن عم خنساء ، وصخر ، ومعاوية ، وخُفاف هذا شاعر مشهور بالشعر ، وكان أسودَ حالكاً . قال أبو عبيدة : هو أحد أغربة العرب . قال الأصمعي : شهد خُفاف حنيناً . وقال غيره : شهد مع النبي ﷺ فتح مكة ، ومعه لواء بني سُليم ، وشهد حُنيناً والطائف . وقال أبو عبيدة : حدثني أبو بلال سهم بن العباس بن مرداس السلمي قال : غزا معاوية بن عمرو بن الشريد أخو خنساء مُرَّة وفزارة ومعه خُفاف بن ندبة ، فاعتوره هاشم وزيد ابنا حرملة المُرِّيَّان ، فاستطرد له أحدهما ، ثم وقف وشدَّ عليه الآخر فقتله ، فلما تنادَوا قتل معاوية . قال خُفاف ، قتلني الله إن رمْتُ حتى أثأر به ، فشدّ على مالك بن حمار سيد بني شَمْخ بن فزارة فقتله ، وقال :

فإن تَكُ خَيْلي قَدْ أُصيب صميمها فعمداً على عيني تَيَمَّمْتُ مالكاَ
وقفت له علوى وقد خان صُحبتي لأبني مجداً أو لأثأر هالكـاَ
أقول له والرمح يَأْطَرُ مَتْنه تَأَمَّلْ خُفافًا إنني أنا ذَلكـاَ

قال أبو عمر : له حديثٌ واحد لا أعلم غيره ؛ رواه عن النبي ﷺ : فقلتُ : يا رسول الله ، أين تأمرني أن أنزل ؛ أعلى قرشيّ ؟ أم أنصاريّ ؟ أم أسلم ؟ أم غفار ؟ فقال رسول الله ﷺ : « يا خُفاف، إبْتَغِ الرفيق قبل الطريق ، فإن عرض لك أمرٌ نصرك ، وإن احتجت إليه رَفَدك » . هذا الحديث عند الخطيب في الجامع ، من طريق عبد الله بن محمد اليماني ، عن أبيه عن جده قال : قال خُفاف بن ندبة : قال لي رسول الله ﷺ : يا خفاف ابتغ الرفيق قبل الطريق » وكلها ضعيفة .

* (المعارف) : ٣٢٥ ، ٥٩٧ ، (تاريخ الطبري) : ٣ / ٢٦٥ ، ٤٢٧ ، (طبقات ابن سعد) : ٣ / ٦٠٤ ، ٤ / ٢٧٥ ، (الشعر والشعراء) : ٢١٢ ، (الإصابة) : ٢ / ٢٣٦ - ٢٣٧ ، (الاستيعاب) : ٢ / ٤٥٠ - ٤٥١ ، (إتحاف السادة المتقين) : ٧ / ٤٥٢ ، (كنز العمال) : ١٧٥٣٩ .

(٢) راجع ترجمته ص (١١) من هذا الجزء .

(٣) هو العبَّاس ، عم رسول الله ﷺ ، قيل : إنه أسلم قبل الهجرة ، وكتم إسلامه ، وخرج مع قومه إلى بدر ، فأُسر يومئذ ، فادّعى أنه مسلم ، فالله تعالى أعلم ، وليس هو في عداد الطلقاء ، فإنه كان قدم إلى النبي ﷺ قبل الفتح ؛ ألا تراه أجار أبا سفيان بن حرب ؟ وله عدة أحاديث ، منها خمسة وثلاثون في مسند بقيّ ، وفي البخاري ومسلم حديث ، وفي البخاري حديث ، وفي مسلم ثلاثة أحاديث ، وقدم الشام مع عمر .

قال الكلبي : كان العباس شريفاً مهيباً ، عاقلاً جميلاً ، أبيض بضًا ، له ضفيرتان ، معتدل القامة ، ولد قبل عام الفيل بثلاث سنين .

بل كان من أطول الرجال ، وأحسنهم صورة ، وأبهاهم وأجهرهم صوتاً ،مع الحلم الوافر والسُّؤدد. =

كبر بمن معه ثلاثاً ومَضوْا . ثم مرّ على إثره الزبير بن العوام : في خمسمائة ومعه رايةٌ سوداء ، فلما حاذاهما كبَّر ثلاثاً وكبر أصحابه ، فقال [أبو سفيان] : من هذا ؟ قال [العباس] : الزبير بن العوام . قال : ابن أختك ؟ قال : نعم ! ومرَّت بنو غِفـار[1] في ثلاثمائة يحمل رايتهم أبو ذرٍّ الغِفاري[2] [ويقال : إيماء

= روي مغيرة عن أبي رزين ، قال : قيل للعباس : أنت أكبر أو النبي ﷺ ؟ قال : هو أكبر مني وأنا ولدتُ قبله ، وكان يمنع الجار ، ويبذل المال ، ويعطي في النوائب .

وثبت أن العباس كان يوم حنين ، وقت الهزيمة ، آخذاً بلجام بغلة النبي ﷺ وثبت معه حتى نزل النصر . وثبت من حديث أنس : أن عمرا استسقى فقال : اللهم إنا كنَّا إذا قحطنا على عهد نبيك توسَّلنا به ؛ وإنا نستسقي إليك بعم نبيّك العباس .

قال الضحاك بن عثمان الحِزامي : كان يكون للعباس الحاجَةُ إلى غلمانه وهم بالغابة ، فيقف على سَلْع ، وذلك في آخر الليل فيناديهم ، فيُسمعُهُم ، والغابة نحو من تسعة أميال .

كان تَامّ الشكل ، جهوريّ الصوت جداً ، وهو الذي أمره النبي ﷺ أن يهتف يوم حنين : يا أصحاب الشجرة .

كانت وفاته في سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة ، وله ست وثمانون سنة ، ولم يبلغ أحد هذه السّن من أولاده ، ولا أولادهم ، ولا ذريته الخلفاء ، وقبره بالبقيع .

* (مسند أحمد) : ١ / ٢٠٦ ، (طبقات ابن سعد) : ٤ / ٥ - ٣٣ ، (التاريخ الكبير) : ٧ / ٢ ، (المعارف) : ١١٨ ، ١٣٧ ، ١٥٦ ، ٥٨٩ ، ٥٩٢ ، (الجرح والتعديل) : ٦ / ٢١٠ ، (المستدرك) : ٣ / ٣٢١ - ٣٣٤ ، (تهذيب التهذيب) : ٥ / ٢١٤ - ٢١٥ ، (الاستيعاب) : ٢ / ٨١٠ / ٨١٧ ، (صفة الصفوة) : ١ / ٢٦٢ - ٢٦٤ ، (الإصابة) : ٣ / ٦٣١ - ٦٣٢ (خلاصة تذهيب الكمال) : ٢ / ٣٥ ، (كنز العمال) : ٣ / ٥٠٢ .

(١) غِفَار بن مُلَيْل : بطن من كنانة من العدنانية ، وهم بنو غفار بن مُليل بن ضَمْرَة بن بكر بن عبد مناف ابن كنانة بن خُزيمة بن مدركة (عمرو) بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، كانوا حول مكة ، ومن مياههم : بدر ، ومن أَوْديتَم ودَّان .

وقد قاتلوا مع رسول الله ﷺ في غزوة حنين ، وعددهم ألْف ، فقال رسول الله ﷺ : الأنصار ، ومُزَينة ، وجُهَيْنة ، وغفار ، وأشجع ، ومن كان من بني عبد الله ، مواليّ دون الناس ، والله ورسوله مولاهم .

وولد مُلَيْل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة : غِفار بطن ضخم ، ونُعَيْلة . منهم : الحكم ابن عمرو بن مجدع بن حِذْيَم بن الحارث بن نُعَيلة بن مُلَيْل ، له صُحْبَة ورواية ولي خُراسان ؛ وأبو سُريحة حذيفة بن أمية بن أسيد بن الأحوص بن واقعة بن حرام بن غفار ، له صحبة ورواية ، وأبو ذر الصاحب .

(معجم قبائل العرب) : ٣ / ٨٩٠ ، (جمهرة أنساب العرب) : ١٨٦ ، (ترتيب القاموس المحيط) : ٣ / ٤٠٦ ، (معجم البلدان) : ٥ / ٤٢٠ ، (اللباب في تهذيب الأنساب) : ٢ / ٣٨٧ .

(٢) هو جندب بن جنادة الغفاري ، وقيل : جندب بن سكن . وقيل : بُرَيْر بن جنادة ، وقيل : بُرير ابن عبد الله ، ونبَّأني الدمياطي : أنه جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار - أخي =

ابن رحضة](1) ، فلما حاذَوهما كبُروا ثلاثاً ، فقال أبو سفيان : من هؤلاء ؟ قال

= ثعلبة – ابني مُليل بن ضمرة ، أخي ليث والدِّيْلَ ، أولاد بكر ، أخي مرة ، والد مُدلج بن مرة ، ابني عبد مناة بن كنانة .

أحد السابقين الأولين ، من نجباء أصحاب محمد ﷺ . قيل : كان خامس خمسة في الإسلام . ثم إنه ردَّ إلى بلاد قومه ، فأقام بها بأمر النبي ﷺ له بذلك ، فلما أن هاجر النبي ﷺ ، هاجر إليه أبو ذرّ رضي الله عنه ، ولازمه ، وجاهد معه ، وكان يُفتي في خلافة أبي بكر ، وعمر وعثمان ، وكان رأساً فى الزهد ، والصدق ، والعلم ، والعمل ، قوّالا بالحق ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، على حِدَّةٍ فيه ، وقد شهد فتح بيت المقدس مع عمر ، رضي الله عنهما .

وقد قال النبي ﷺ لأبي ذر – مع قُوّة أبي ذرّ في بدنه وشجاعته – : « يا أبا ذرّ ، إني أراك ضعيفاً ، وإني أحب لك ما أحب لنفسي ، لا تأمَّرنَّ على اثنين ، ولا تَوَلَّينَّ مال يتيم » .

فهذا محمول على ضعف الرأي ؛ فإنه لو وَلِي مال يتيم لأنفقه كُلَّه في سبيل الخير ، ولترك اليتيم فقيراً ، فإنه كان لا يستجيزُ إدخار النقدين ، والذي يتأمَّر على الناس ، يُريد أن يكون فيه حلم ومداراة ، وأبو ذر رضي الله عنه كانت فيه حِدَّةٌ فنصحه النبي ﷺ .

وله مائتا حديث وأحد وثمانون حديثاً ، اتَّفَقَا منها على اثنى عشر حديثاً ، وانفرد البخاري بحديثين ، ومسلم بتسعة عشر .

قال الواقدي كان حامل راية غفار يوم حنين أبو ذر . قال الفلاَّس والعيصم بـن عديّ وغيرهما : مات سن اثنتين وثلاثين ، ويقال : مات في ذي الحجة .

* (الزهد للإمام أحمد) : ١٣٩ ، (مسند أحمد) : ٥ / ١٤٤ ، (طبقات ابن سعد) : ٤ / ٢١٩ – ٢٣٧ ، (التاريخ الكبير) : ٢ / ٢١٢ ، (المعارف) : ٢ / ٦٧ ، ١٥٢ ، ١٩٥ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، (تاريخ الطبري) : ٤ / ٢٨٣ ، (المستدرك) : ٣ / ٣٣٧ – ٣٤٦ ، (حلية الأولياء) : ١ / ١٥٦ – ١٧٠ ، (الاستيعاب) : ١ / ٢٥٢ – ٤٥٦ ، ٤ / ١٦٥٢ – ١٦٥٦ ، (جامع الأصول) : ٩ / ٥٠ – ٥٩ ، (تاريخ الإسلام) : ٢ / ١٦٥ – ١٧٠ ، (تهذيب التهذيب) ١٢ / ٩٨ – ٩٩ ، (خلاصة تذهيب الكمال) : ١ / ١٧٣ (كنز العمال) : ١٣ / ٣١١ ، (شذرات الذهب) : ١ / ٢٤ ، ٥٦ ، ٦٣ ، (الإصابة) : ١ / ٥٠٦ ، ٧ / ١٢٥ – ١٣٠ ، (سير أعلام النبلاء) : ١ / ٤٦ – ٧٨ .

(١) هو إيماء بن رَحَضة بن خُرَّبة بن خُفاف بن حارثة بن غِفَار ، قديم الإسلام ، قال ابن المديني : له صحبة . قال : وقد روي حنظلة الأسلمي عن خُفاف بن إيماء بن رَحَضة حديث القنوت ، وقال بعضهم : عن إيماء بن رَحَضة .

وروي مسلم في صحيحه ، قصة إسلام أبي ذر ، من طريق عبد الله بن الصامت ، عن أبي ذرّ ، وفيها : فجئنا قومنا فأسلم نصفهم قبل أن يقدم النبي ﷺ المدينة ، وكان يؤمهم إيماء بن رَحَضة الغفاري . ولكن ذكر الإمام أحمد في هذا الحديث الاختلاف على رواية سليمان بن المغيرة ؛ هل هو خفاف بن إيماء أو أبوه إيماء ابن رَحَضة ؟ وعلى هذا فيمكن أن يكون إسلام خفاف تقدم على إسلام أبيه .

وذكر الزبير بن بكار من حديث حكيم بن حزام ، أن إيماء بن رَحَضة حضر بدراً مع المشركين ، فيكون إسلامه بعد ذلك . =

العباس : بنو غفار . فقال : مالي ولبني غفار !! ثم مضت أسلم[1] في أربعمائة فيها لواءان يحمل أحدهما بُريدة بن الحصيب[2] ، والآخر ناجيةُ بن الأعجم[3] .

= وقال ابن سعد : كان قد سكن غَيْقَة من ناحية السُّقْيا ، ويأوى إلى المدينة ، وقال أبو عمر في الاستيعاب : أسلم قريباً من الحديبية ، وكانوا مرّوا عليه ببدْر وهو مشرك ، ولابنه خُفاف صُحْبَةٌ ، وكانا ينزلان غَيْقة من بلاد بني غفار ، ويأتون المدينة كثيراً ، ولابنه خُفاف رواية عن النبي ﷺ .

* (الإصابة) : ١ / ١٦٩ ، (الاستيعاب) : ١ / ١٣٥ ، (طبقات ابن سعد) : ٤ / ٢٢١ ، (مسلم بشرح النووي) : ١٦ / ٣١ .

(١) أسلم بن أفْصى بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد ، منهم أبو فراس ربيعة بن كعب الأسلمي ، له صُحْبة ، أبو برزة الأسلمي وغيرهما . (اللباب في تهذيب الأنساب) : ١ / ٥٨ .

وَلَدُ أسلم بن أفْصى : سَلاَمان بن أسلم ، بطنٌ ؛ وهوازِن بن أسلم ، بطن ؛ منهم : مالك والنعمان ابنا خلف بن عوف بن دارم بن عدّ بن وائلة بن سهم بن مازن بن الحارث بن سَلامان بن أسلم ، كانا طَلِيعَتَيْنِ للنبي ﷺ يوم أُحُد ، قُتلا فدُفنا في قبر واحد ؛ وبُريدة بن الحُصَيْب الأسلمي . (جمهرة أنساب العرب) : ٢٤٠ .

(٢) هو بُرَيْدَة بن الحُصَيْب بن عبد الله بن الحارث بن الأعرج بن سعد . أبو عبد الله ، وقيل أبو سهل ، وأبو ساسان ، وأبو الحُصَيْب ، الأسلمي . قيل إنه أسلم عام الهجرة ، إذ مَرَّ به النبي ﷺ مهاجراً ، وشهد غزوة خيبر ، والفتح ، وكان معه اللواء ، واستعمله النبي ﷺ على صدقة قومه . وكان يحمل لواء الأمير أسامة حين غزا أرض البلقاء ، إثر وفاة رسول الله ﷺ .

له جملة أحاديث ، نحو مائة وخمسين حديثاً ، نزل مَرْو ، ونَشَرَ العلم بها ، وسكن البصرة مدة ، ثم غزا خراسان زمن عثمان ، وكان بُريدة من أمراء عمر بن الخطاب في نوبة سَرْغ . وقال ابن سعد : مات بُريدة سنة ثلاثٍ وستين .

* (مسند أحمد) : ٥ / ٣٤٦ ، (طبقات ابن سعد) : ٤ / ٢٤١ - ٢٤٣ ، ٧ / ٣٦٥ ، (التاريخ الكبير) : ٢ / ١٤١ ، (المعارف) : ٣٠٠ ، (الجرح والتعديل) : ٢ / ٤٢٤ ، (الإصابة) : ١ / ٢٨٦ - ٢٨٧ ، (الاستيعاب) : ١ / ١٨٥ - ١٨٦ ، (شذرات الذهب) : ١ / ٧٠ ، (سِيَر أعلام النبلاء) : ٢ / ٤٦٩ - ٤٧١ .

(٣) هو ناجية بن الأعجم الأسلمي ، شهد الحديبية مع رسول الله ﷺ ، قال : أخبرنا محمد بن عمر قال : حدثني الهيثم بن واقد عن عطاء بن أبي مروان عن أبيه قال : حدثني أربعة عشر رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ ، أن ناجية بن الأعجم هو الذي نزل بالسهم في البئر بالحديبية فجاشت بالرواء حتى صدروا بعطن .

قال : وقال محمد بن عمر : ويقال الذي نزل بالسهم ناجية بن جندب ، ويقال : البراء بن عازب ، ويقال : عباد بن خالد الغفاريّ ، والأول أثبت أنه ناجية بن الأعجم ، وعقد رسول الله ﷺ يوم فتح مكة لأسلم لواءين ، فحمل أحدهما ناجية بن الأعجم ، والآخر بريدة بن الحُصيب .

ومات ناجية بن الأعجم بالمدينة ، في آخر خلافة معاوية بن أبي سفيان ، وليس له عقب .

* (طبقات ابن سعد) : ٤ / ٣١٤ - ٣١٥ ، (مغازي الواقدي) : ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٨٠٠ ، ٨١٩ ، (الإصابة) : ٤ / ٣١٤ - ٣١٥ .

فلما حاذوهما كبَّروا ، فقال : من هؤلاء ؟ قال : أسْلَم . قال مالي ولأسلم ! ما كان بيننا وبينهم تِرَة[1] قط . قال العباس : هم قوم مسلمون دخلوا في الإسلام ثم مرَّت بنو كعب بن عمرو[2] في خمسمائة ، يحمل لواءهم بسر بن سفيان[3] . قال من هؤلاء ؟ قال : بنو كعب بن عمرو . فلما حاذوه كبروا ثلاثاً . ثم مرت مُزَيْنَة[4]

---

(١) التِّرَةُ : الثأر ، كناية عن هوانهم .

(٢) هم بنو كعب بن عمرو مُزَيْقِياء ، ولدُ كعب بن عمرو مُزيقياء : ثعلبة ، وامرؤ القيس قاتل الجوع ؛ وجَبَلة ؛ ومالك . منهم النَّمْس ، وهو يزيد ابن الأسود بن معدّ بن شراحيل بن الأرقم بن الأسود ابن ثعلبة بن كعب ، دخل مع جبلة إلى الروم ؛ ثم رجع مسلماً ، ولولده بالشام عَدَدٌ وشرف ؛ ورجع معه جماعة من غسَّان مسلمين .

ومنهم : فروة بن المنذر ، قاتل مع ابن الزبير ، والسَّموءَل بن حيًّا بن عادياء بن رفاعة بن الحارث ابن ثعلبة بن كعب بن عمرو مُزيقيا ، وكان يهودياً ، وهو الذي يُضرب به المثل في الوفاء ، وهو صاحب تَيْماء ؛ وولده شريح بن السموْءَل ، ولولده هنالك عدد ، ومدحه الأعشي ، وكانوا ملوك تيماء .

والكعبيّ : نسبة إلى سبعة رجال ، ذكرهم ابن الأثير في تهذيبه لأنساب السمعاني فليراجع هناك .

* (جمهرة أنساب العرب) : ٣٧٢ ، (اللباب في تهذيب الأنساب) : ٣ / ١٠١ - ١٠٢ ، (الاشتقاق) : ٤٣٦ .

(٣) هو بُسر بن سفيان بن عمرو بن عويمر بن صرمة بن عبد الله بن عمير بن حُبَيْشَة بن سلول الخزاعيّ ، قال ابن الكلبي : كتب إليه النبيّ ﷺ وكان شريفاً .

وقال أبو عمر : أسلم سنة ستّ ، وجرى ذكره في حديث الحديبية وغيره . قال الإمام أحمد في مسنده : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن عُرْوة بن الزبير ، عن المسور بن مخرمة ، ومروان بن الحكم قالا : خرج رسول الله ﷺ عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالاً ، وساق معه الهدي سبعين بَدَنة ، حتى إذا كان بعسْفان لقيه بُسر بن سفيان الكعبي ، فقال : يا رسول الله ، هذه قريش قد سمعت بمسيرك ، فخرجت معها العُوذ المطافيل ، .... فذكر الحديث مطوَّلاً .

وله يقول عبد الله بن الزِّبَعْري في قصة طلب آل مخزوم بدم الوليد بن الوليد بن المغيرة من خُزاعة .

ألا بَلِّغا بُسْرَ بنَ سفيان أنّه ... يبلِّغها عني الخبير المفـرَّد

فذكر القصيدة ، قال : فأخذ بُسر بيد ابنه فقال : يا معشر قريش ، هذا ابني رهين لكم بالدية ، فأخذه خالد بن الوليد ، فأطعمه وكساه حُلَّة وطيَّبهُ ، وقال : انطلق إلى أبيك ، فحمل بُسر بن سفيان إليهم دية الولد . وفرَّد الرجل : إذا تفقه وخلا بمراعاة الأمر والنهي ، وقد جاء في الخبر : طوبي للمُفردين .

* (الإصابة) : ١ / ٢٩٢ ، (طبقات ابن سعد) : ٢ / ٩٥ ، ١٦٠ ، ٤ / ٢٩٤ ، (الاستيعاب) : ١ / ١٦٦ ، (مغازي الواقدي) : ٥٩٢ ، ٩٤٣ ، (مسند أحمد) : ٤ / ٣٢٣ ، (لسان العرب) : ٣ / ٣٣٢ مادة « فرد » .

(٤) نُسبوا إلى مزينة بنت كلب بن وبرة ، أم عثمان وأوس ، وهم قبيلة كبيرة ، منها عبد الله بن مغفّل المزني ، له صُحبة ومعقل ، والنعمان وسويد بنو مقرن المزني ، لهم صحبة ، وأبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني المصري صاحب الشافعي ، وأما أحمد بن إبراهيم بن العيزار المزني ، فإنه نسبة إلى قرية مزنة ، وهي =

في ألف – فيها ثلاثة ألوية ومائة فرس ، يحمل ألويتها : النعمان بن مقرِّن[1] ، وبلال بن الحارث[2] ، وعبد الله بن عمر[3] – فلما حاذوه كبَّروا ، فقال : من

= من قرى سمرقند وتحرك النسبة إليها .

* (اللباب في تهذيب الأنساب) : ٣ / ٢٠٥ ، (جمهرة أنساب العرب) : ٢٠١ ، (معجم البلدان) : ١ / ٦١٤ ، مراصد الاطلاع : ١ / ٢٣٦ ، (معجم ما استعجم) : ١ / ٢٨٧ ، الاشتقاق : ١٨٠ .

(١) هو النعمان بن مُقَرِّن أبو حكيم ، وقيل : أبو عمرو المزنيّ الأمير ، صاحب رسول الله ﷺ ، كان إليه لواءُ قومه يوم فتح مكة ، ثم كان أمير الجيش الذين افتتحوا نهاوند ، فاستُشهد يومئذ ، وكان مجاب الدعوة ، فنعاه عمر على المنبر إلى المسلمين ، وبكى .

حدَّث عنه ابنه معاوية ، ومعقل بن يسار ، ومسلم بن الهيضم ، وجبير بن حية الثقفيّ ، وكان مقتله في سنة إحدي وعشرين ، يوم جمعة ، رضي الله عنه .

* (مسند أحمد) : ٥ / ٤٤٤ ، (الإصابة) : ٦ / ٤٤٩ ، (الاستيعاب) : ٤ / ١٥٠٥ ، (تهذيب التهذيب) : ١٠ / ٤٠٧ ، (خلاصة تذهيب الكمال) : ٣ / ١٩٦ ، (التاريخ الكبير) : ٨ / ٧٥ (المستدرك) : ٣ / ٢٩٢ – ٢٩٥ ، (شذرات الذهب) : ١ / ٣٢ ، (المعارف) : ٧٥ ، ١٨٣ ، ٢٩٩ ، (طبقات ابن سعد) : ٦ / ١٨ ، (الجرح والتعديل) : ٨ / ٤٤٤ ، (سِيَرُ أعلام النبلاء) : ٣٥٦ – ٣٥٨ .

(٢) هو بلال بن الحارث بن عُصْم بن سعيد بن قُرَّة بن خَلاوة – بالخاء المعجمة المفتوحة – ابن ثعلبة ابن ثور ، أبو عبد الرحمن المزني ، من أهل المدينة ، أقطعه النبي ﷺ العقيق .

وفد على النبي ﷺ في وفد مُزَينة سنة خمس من الهجرة ، وسكن موضعاً يعرف بالأشعر وراء المدينة ، ثم تحول إلى البصرة ، وكان صاحب لواء مزينة يوم الفتح . ذكره ابن سعد في الطبقة الثالثة من المهاجرين ، توفي سنة ستين في خلافة معاوية رحمه الله ، وهو ابن ثمانين سنة . وابنه حسَّان بن بلال ، أول من أحدث الإرجاء بالبصرة .

* (شذرات الذهب) : ١ / ٦٥ ، (الاستيعاب) : ١ / ١٨٣ ، (الإصابة) : ١ / ٣٢٦ ، (تهذيب التهذيب) : ١ / ٤٤٠ ، (طبقات ابن سعد) : ١ / ٢٧٢ ، ٢٩١ ، ٣٣٩ ، (حلية الأولياء) : ٨ / ١٨٧ ، (المعارف) : ٢٩٨ ، (مغازي الواقدي) : ٢٧٦ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٥٧١ ، ٧٩٩ ، ٨٠٠ ، ٨٢٠ ، ٨٩٦ ، ١٠١٤ ، ١٠٢٩ .

(٣) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نُفَيل بن عبد العُزَّى بن رياح بن قرط بن رزاح بن عديّ بن كعب ابن لُؤَيّ بن غالب ، الإمام القدوة شيخ الإسلام ، أبو عبد الرحمن القُرشيُّ العدويُّ المكيُّ ، ثم المدنيّ .

أسلم وهو صغير ، ثم هاجر مع أبيه قبل أن يحتلم ، واستُصغر يوم أُحُد ، فأول غزواته الخندق ، وهو ممن بايع تحت الشجرة ، وأمه وأم المؤمنين حفصة ، زينب بنت مظعون أخت عثمان بن مظعون الجمحيّ .

روي علماً كثيراً نافعاً عن النبي ﷺ ، وعن أبيه ، وأبي بكر ، وعثمان ، وعليّ ، وبلال ، وصهيب ، وعامر بن ربيعة ، وزيد بن ثابت ، وزيد عمّه (زيد بن الخطاب) ، وسعد ، وابن مسعود ، وعثمان ابن طلحة ، وأسلم ، وحفصة أختُه ، وعائشة ، وغيرهم . =

هؤلاء ؟ قال : مزينة . قال : مالي ولمزينة ! جاءتني تقعقع من شواهقها[1] ! ثم مرَّت جهينة[2] في ثمانمائة – ....

= روي عنه الحسنُ البصريُّ وطاووس ، وابن شهاب الزُّهريّ ، وأممٌ سواهم . قدم الشام والعراق ، والبصرة وفارس غازياً ، وقال ابن يونس : شهد ابن عمر فتح مصر ، واختط بها ، وروي عنه أكثرُ من أربعين نفساً من أهلها .

قال ابن مسعود : إن من أملك شباب قريش لنفسه عن الدنيا عبد الله بن عمر ، وعن عائشة رضي الله عنها : ما رأيتُ أحداً ألزم للأمر الأول من ابن عمر .

قال مالك : كان إمام الناس عندنا بعد زيد بن ثابت ، عبد الله بن عمر ، مكث ستين سنة يُفتي الناس .

عن مالك ، بلغَهُ أن ابن عمر قال : لو اجتمعت عليَّ الأُمَّة إلا رجلين ما قاتلتُهما ، ولابن عمر في مسند بقيّ ألفان وستمائة وثلاثون حديثاً بالمكرر ، واتفقا له على مائة وثمانية وستين حديثاً ، وانفرد له البخاري بأحدٍ وثمانين حديثاً ، ومسلم بأحدٍ وثلاثين .

قال ضَمْرَة بنُ ربيعة : مات ابن عمر سنة ثلاثٍ وسبعين . وقال مالك : بلغ ابنُ عمر سبعاً وثمانين سنة .

* (طبقات ابن سعد) : ٢ / ٣٧٣ ، ٤ / ١٨٨ ، (الزهد للإمام أحمد) : ٢٣٧ ، (التاريخ الصغير) : ١ / ١٥٤ ، (حلية الأولياء) : ١ / ٢٩٢ – ٣١٤ ، (المعارف) : ٣٧ ، ١٣٥ ، ١٦٢ ، ١٨٤ – ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ٢٠٠ ، ٢٧٤ ، ٣٦٤ ، ٤٠١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٦٠ ، (تهذيب الأسماء واللغات) : ١ / ٢٧٨ ، ٢٨١ ، (وفيات الأعيان) : ٣ / ٢٨ – ٣١ ، (جمهرة أنساب العرب) : ١٥٢ ، (المستدرك) : ٣ / ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، (جامع الأصول) : ٩ / ٦٤ ، (تاريخ بغداد) : ١ / ١٧١ – ١٧٣ ، (الجرح والتعديل) : ٥ / ١٠٧ ، (مرآة الجنان) : ١ / ١٥٤ ، (البداية والنهاية) : ٩ / ٧ – ٩ ، (الإصابة) : ٤ / ١٨١ – ١٨٨ ، (خلاصة تذهيب الكمال) : ٢ / ٨١ ، (شذرات الذهب) : ١ / ٨١ ، (سِيَرُ أعلام النبلاء) : ٣ / ٢٠٣ – ٢٣٩ .

(١) القعقاع : من إذا مشى سُمع لمفاصل رجليه تَقَعْقُع . (ترتيب القاموس) : ٣ / ٦٦٠ ، والشواهق : جمع شاهق ، وهي الجبال العالية ، وكانت مُزينة من أصحاب الجبال ، وكني أبو سفيان بذلك عن أنهم أجلاف غلاظ .

(٢) جُهَيْنَةُ بن زيد بن ليث بن سود بن أسلُم ، ولدُ جُهَيْنَة بن زيد : قيس ، ومودوعة . فولدُ قيس ابن جهينة : غَطفان وغَيَّان ؛ وفد بنو غيَّان على رسول الله ﷺ فقال لهم : أنتم بنو رشدان ، وكان واديهم يسمى غَوَى ، فَسُمِّي رشداً .

ويُنْسَبُ إليها خلق كثير من الصحابة التابعين ومن بعدهم . قال ابن الأثير في (اللباب) : هكذا قال السمعاني جُهينة ، واسمه زيد ، وليس كذلك ، وإنما جُهينة هو ابن زيد ، وأسلُم بضم اللام .

وجهينة أيضاً قرية من قرى الموصل ، منها تاج الإسلام أبو عبد الله الحسين بن نصر بن محمد ابن خميس الموصلي الجهني ، الفقيه المحدث المشهور .

* (اللباب في تهذيب الأنساب) : ١ / ٣١٧ – ٣١٨ ، (جمهرة أنساب العرب) : ٤٤٤ .

معها أربعة ألوية يحملها أبو روعة معبد بن خالد[1] ، وسويد بن صخر[2] ، ورافع بن مكيث[3] ....

(١) هو معبد بن خالد الجهني ، يكني أبو روعة ، أو أبو زرعة . ذكره الواقدي في الصحابة ؛ وقال : أسلم معبد بن خالد قديماً ، وهو أحد الأربعة لذين حملوا ألوية جهينة يوم الفتح ، ومات سنة اثنتين وسبعين ، وهو ابن بضع وثمانين ، وكان يلزم البادية .

وقال أبو أحمد في كتاب الكني في الراء : أبو روعة هو معبد بن خالد الجهني ، له صُحبة ، كان يلزم البادية ، ذكره الواقدي ، وقال عنه : توفي سنة ثلاث وسبعين ، وهو ابن ثمانين سنة . وكذلك قال ابن أبي حاتم سواء في الكنية والسّن والوفاة ، وقالا : له صُحبة ، وزاد ابن أبي حاتم : وروي عن أبي بكر وعمر . وقال ابن أبي حاتم : هو غير معبد بن خالد الذي هو عندهم أول من تكلم بالقدر بالبصرة . وقال : لا يعرف معبد الجهني ابن من هو ؟ وليس ابن خالد ، وقال غيره : هو نفسه .

* (مغازي الواقدي) : ٥٧١ ، ٨٠٠ ، ٨٢٠ ، ٨٩٦ ، ٩٤٠ ، ١٠٣٨ ، (المعارف) : ١٢٢ ، ٤٤١ ، ٤٨٤ ، ٥٤٧ ، ٦٢٥ ، (الاستيعاب) : ٣ / ١٤٢٦ ، (الإصابة) : ٦ / ٣٦٤ - ٣٦٥ ، (تاريخ الصحابة) : ٢٣٨ ، (شذرات الذهب) : ١ / ٧٨ ، (طبقات ابن سعد) : ٣ / ٢٥ ، ٧ / ٣٦٤ .

(٢) هو سويد بن صخر الجهني الأنصاري ، ذكر الطبري أنه كان أحد الأربعة الذين يحملون ألوية جهينة ، وشهد الحديبية ، وذكره الواقدي في جملة العشرين الذين خرجوا إلى العُرنيين في سرية غالب بن عبد الله الليثي ، وهو والد عُقبة بن سويد ، له صُحبة ، وذكره ابن حبّان في الثقات ، والبخاري في تاريخه الكبير .

* (مغازي الواقدي) : ٥٧١ ، ٧٥١ ، ٨٠٠ ، ٨٢٠ ، ٨٩٦ ، (التاريخ الكبير للبخاري) : ٤ / ١٤١ ، (الجرح والتعديل) : ٤ / ٢٣٢ ، (الثقات) : ٣ / ١٧٨ ، (الإصابة) : ٣ / ٢٢٦ ، (تاريخ الصحابة) : ١٢٥ ت ٥٩٢ .

(٣) هو رافع بن مُكَيْث بن عمرو بن جراد بن يربوع بن طُحيل بن عديّ بن الرُّبْعَة بن رشدان بن قيس ابن جُهَيْنَة ؛ أسلم وشهد الحُديبية مع رسول الله ﷺ : وبايع تحت الشجرة بيعة الرضوان ، وكان مع زيد بن حارثة في السرية التي وجّهه فيها رسول الله ﷺ إلى حسمى ، وكانت في جمادي الآخرة سنة ست ، وبعثه زيد بن حارثة إلى رسول الله ﷺ بشيراً على ناقة من إبل القوم ، فأخذها منه عليّ ابن أبي طالب في الطريق ، فردّها على القوم ، وذلك حين بعثه رسول الله ﷺ ليردّ عليهم ما أُخذ منهم ، لأنهم قد كانوا قدموا على رسول الله ﷺ فأسلموا ، وكتب لهم كتاباً .

وكان رافع بن مُكيث أيضاً مع كُرز بن جابر الفهريّ حين بعثه رسول الله ﷺ بذي الجَدْر ، وكان مع عبد الرحمن بن سريته إلى دومة الجندل ، وبعثه بكتابه إلى رسول الله ﷺ بشيراً بما فتح الله عليه .

ورافع بن مكيث أحد الأربعة الذين حملوا أولوية جُهينة الأربعة ، التي عقدها لهم رسول الله ﷺ ، يوم فتح مكة ، وبعثه رسول الله ﷺ على صدقات جُهينة يُصدّقهم ، وكانت له دار بالمدينة ، ولجهينة مسجد بالمدينة .

* (طبقات ابن سعد) : ٢ / ٨٨ ، ١٣١ ، ١٦٠ ، (الجرح والتعديل) :٣/٤٨٠ ، (التاريخ =

وعبد الله بن بدر[1] - فلما ....
حاذوهما كبَّروا ثلاثاً . ثم مرت كنانـة[2] : [بنو ليـث[3] ، وضمرة، وسعد ابن بكر][4] في مائتين ، يحمل لواءهم أبو واقد الليثي[5] ، فلما حاذوهما كبروا

= الكبير) : ٣ / ٣٠٢ ، (تهذيب التهذيب) : ٣ / ٢٠١ ، (الإصابة) : ٢ / ٤٤٥ ، (تاريخ الصحابة) : ٩٨ ، (الاستيعاب) : ٢ / ٤٨٥ .

(١) هو عبد الله بن بدر بن زيد بن معاوية بن حسَّان بن أسعد بن وديعة بن مبذول بن عديّ بن غنم ابن الرُّبَعَة بن رشدان بن قيس بن جُهينة ، وكان اسمه عبد العُزّى ، فلما أسلم غُيِّر اسمه ، فسُمّي عبد الله ، وأبوه بدر بن زيد الذي ذكره العباس بن مرداس في شعره .

وكان عبد الله بن بدر مع كُرز بن جابر الفهريّ ، حين بعثه رسول الله ﷺ ، سريةً إلى العُرَنيّين الذين أغاروا على لقاح رسول الله ﷺ بذي الجَدْر ، وهو أحد الأربعة الذين حملوا ألوية جهينة التي عقدها لهم رسول الله ﷺ يوم فتح مكة ، ونزل عبد الله بن بدر المدينة ، وله بها دار ، وكان ينزل أيضاً البادية بالقبليّة جبال جهينة ، وقد روي عن أبي بكر . ومات رضي الله عنه في خلافة معاوية ابن أبي سفيان .

* (تاريخ الصحابة) : ١٦١ ت ٧٩٠ ، (طبقات ابن سعد) : ١ / ٣٣٣ ، ٤ / ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٥ / ٥٥٦ ، (التاريخ الكبير) : ٣ / ٢٣ ، (تاريخ الطبري) : ٧ / ٤١٥ ، ٤٥١ ، (مغازي الواقدي) : ٥٧١ ، ٨٠٠ ، ٨٢٠ ، (الثقات) : ٣ / ٢٣٩ ، (الاستيعاب) : ٣ / ٨٧١ - ٨٧٢ ، (الإصابة) : ٤ / ١٩ - ٢٠ ، (الشعر والشعراء) : ١٨٤ .

(٢) ، (٣) ،(٤) كنانة : بطن من عذرة بن زيد اللات ، كان له من الولد عبد الله بطن ، وعوف وهم العنطوان بطن . وأما كنانة كلب : فهو كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة ابن ثور بن كلب . وكنانة قريش : هو كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مُضر ، وهو والد النضر جد قريش . ففي قول إن ولد النضر يقال لهم قريش ، وفي قول يقال ذلك لولد فهر بن مالك ابن النضر. وإذا قيل في النسب كنانيّ ، فهم ولد كنانة بن خزيمة غير النضر ، مثل ليث ، والديل ، وضمرة بني عبد مناة بن كنانة ، فيقال كناني ليثي .

* (اللباب في تهذيب الأنساب) : ٣ / ١١١ - ١١٢ ، (سبائك الذهب) : ١٠٦ .

وبنو سعد بن بكر بن هَوَازِن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة بن قيس عيلان ، وهم أظْآرُ النبي ﷺ ، عندهم استُرضع عليه السلام .

* جمهرة أنساب العرب : ٢٦٥ .

(٥) هو أبو واقد الليثي ، مختلف في اسمه ؛ قيل : الحارث بن مالك ، وقيل : ابن عوف ، وقيل : عوف ابن الحارث بن أُسيد بن جابر بن عبد مناة بن شِجْع بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن علي ابن كنانة . كان حليف بني سعد ؛ قال البخاري ، وابن حبان ، والباوَرْدي ، وأبو أحمد الحاكم : شهد بدراً . وقال أبو عمر : قيل شهد بدراً ، ولا يثبت . وقال ابن سعد : أسلم قديماً ، وكان يحمل لواء بني ليث ، وضمرة ، وسعد بن بكر يوم الفتح ، وحنين ، وفي غزوة تبوك يستنفر بني ليث ، وكان خرج إلى مكة فجاور بها سنة فمات وقال في موضع آخر : دُفن في مقبرة المهاجرين .

رَوَى عن النبي ﷺ ، وعن أبي بكر ، وعن عمر ، وأسماء بنت أبي بكر. ورَوَى عنه ابناه: =

ثلاثاً.. فقال أبو سفيان : من هؤلاء ؟ قال : بنو بكر . قال : أهل شؤم ! هؤلاء الذين غزانا محمد بسببهم ، أما والله ما شـوورت[1] فيه ولا علمتُه ، ولقد كنت له كارها حيث بلغني ، ولكنه أمر حُـمَّ[2] ! قال العباس : قد خار الله لـك[3] في غزو محمد لكم . ودخلتم في الإسلام كافة . ومرَّت بنو ليـث[4] – وهم مائتان وخمسون يحمل لواءهم الصعب بن جثـامة[5] – فلما حاذوهما كبروا ثلاثاً فقال

= عبد الملك ، وواقد ؛ وأبو سعيد الخدري ، وعطاء بن يسار ، وعُروة ، وآخرون . وأما شهوده بدراً فهذا محل خلاف بين الأئمة .

* (حلية الأولياء) : ٨ / ٣٥٩ ، (مسند أحمد) : ٥ / ٢١٧ ، (التاريخ الكبير) : ٢ / ٥٨ ، (الجرح والتعديل) : ٣ / ٨٢ ، (المستدرك) : ٧ / ٥٣١ ، (الاستيعاب) : ٤ / ١٧٧٤ ، (تهذيب التهذيب) : ١٢ / ٢٧٠ – ٢٧١ ، (الإصابة) : ٧ / ٥٥ – ٤٥٦ ، (خلاصة تذهيب الكمال) : ٣ / ٢٥٢ (شذرات الذهب) : ١ / ٧٦ ، (تاريخ الصحابة) : ٦٨ – ٦٩ ، (مغازي الواقدي) : ٤٥٣ ، ٨٢٠ ، ٨٩٠ ، ٨٩٦ ، ٩٩٠ ، (طبقات ابن سعد) : ٥ / ١٧٣ ، ١٧٥ ، (سير أعلام النبلاء) : ٢ / ٥٧٤ – ٥٧٦ .

(١) شوورتُ : من المشاورة ، وفي (خ) : « شووت » .

(٢) حُمَّ الأمر : قُضي وأُنفِذ ، وفي (خ) : « جم » .

(٣) خار الله لك : اختار لك خير الأمرين .

(٤) انظر التعليق رقم : (٢٩) ، (٣٠) ، (٣١) .

(٥) هو الصعب بن جَثَّامة بن قيس بن ربيعة بن عبد الله بن يعمر الليثي ، حليف قريش . واسم جَثَّامة يزيد ، أُمه أخت أبي سفيان بن حرب ، واسمها فاختة . وقيل زينب . وكان ينزل ودَّان . مات في آخر خلافة أبي بكر ، أو في أول خلافة عمر ، قال ابن حبان ، ويقال : مات في خلافة عثمان ، والأول أثبت . وشهد فتح اصطخر ؛ فقد روي ابن السكن من طريق صفوان بن عمرو ، حدثني راشد بن سعد قال : لما فتحت اصطخر نادى منادٍ : ألا إنَّ الدَّجال قد خرج ، فلقيهم الصعب بن جَثَّامة قال : لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا يخرج الدجال حتى يذهل الناس عن ذكره . قال ابن السكن : إسناده صالح . قال الحافظ ابن حجر : فيه إرسال ، وهو يردّ على من قال : إنه مات في خلافة أبي بكر . وقال ابن منده : كان الصعب ممن شهد فتح فارس .

وقال يعقوب بن سفيان : أُخطأَ من قال : إن الصعب بن جَثَّامة مات في خلافة أبي بكر خَطأً بيناً ؛ فقد روي ابن إسحاق عن عمر بن عبد الله ، أنه حدَّثه عن عروة ، قال : لما ركب أهل العراق في الوليد بن عقبة كانوا خمسة ، منهم : الصعب بن جَثَّامة ؛ وللصعب أحاديث في الصحيح من رواية ابن عباس عنه .

وأخرج أبو بكر بن لال في كتاب المتحابين ، من طريق جعفر بن سليمان ، عن ثابت قال : آخى رسول الله ﷺ بين عوف بن مالك والصعب بن جَثَّامة ، رضي الله تعالى عنهما .

* (تاريخ الصحابة) : ١٣٧ ، (الإصابة) : ٣ / ٤٢٦ – ٤٢٧ ، (الاستيعاب) : ٢ / ٧٣٩ ، (الثقات) : ٣ / ١٩٥ ، (تهذيب التهذيب) : ٤ / ٣٦٩ ، (مغازي الواقدي) : ٥٥٦، ٨٢٠، =

أبو سفيان : من هؤلاء ؟ قال : بنو ليث . ثم مرَّت أشجع[1] - وهما ثلاثمائة معهم لواءان يحملهما معقل بن سنان[2] ، ونعيم بن مسعود[3] - فقال أبو سفيان:

= ١٠٩٦ ، (جمهرة أنساب العرب) : ١٨١ ، (التاريخ الكبير) : ٤ / ٣٢٢ ، (الجرح والتعديل) : ٤ / ٤٥٠ ، (تهذيب الأسماء واللغات) : ١ / ٢٤٩ ، (الكامل في التاريخ) : ٢ / ٤٤٩ ، (تاريخ الإسلام) : ٣ / ٧٦ - ٧٧ .

(١) هم بنو أشجع بن رَيْث بن غَطَفان بن سعد بن قَيْس عيلان . منهم مَعْقِل بن سِنان بن مظاهر بن عركيّ ابن فتيان بن سبيع بن أشجع بن ريث .

* (لسان العرب) : ٨ / ١٧٥ ، (جمهرة أنساب العرب) : ٢٤٩ - ٢٥٠ ، (اللباب) : ١ / ٦٤ ، (سبائك الذهب) : ٢٧٠ .

(٢) هو مَعْقل بن سنان الأشجعي ، له صُحبة ورواية ، حمل لواء أشجع يوم الفتح ، وهُو رَاوي قصة « بروع » ، وكان من كبار أهل الحرة ، أُسِرَ فَذُبح صبراً يوم الحَرة ، وله نيف وسبعون سنة ، قُتل في سنة ثلاث وستين .

أخرج أحمد ، وأبو داود ، والنسائيّ ، في النكاح : باب إباحة التزوج بغير صداق ، والترمذي في الرضاع : باب ما جاء في الرجل يتزوج المرأة فيموت عنها قبل أن يفرض لها ، وابن ماجه في النكاح ، من طريق الشعبي عن مسروق ، عن عبد الله ، في رجل تزوج امرأة ، فمات عنها ، ولم يدخل بها ، ولم يفرض لها الصداق ، فقال : لها الصداق كاملاً ، وعليها العدة ، ولها الميراث ، فقال معقل بن سنان : سمعتُ رسول الله ﷺ قضى في بروع بنت واشق . وإسناده صحيح ، وصححه الترمذي ، وابن حبان ، والحاكم ، ووافقه الذهبي .

* (مسند أحمد) : ٣ / ٤٧٤ ، (طبقات ابن سعد) : ٤ / ٢٨٢ - ٢٨٣ ، (التاريخ الكبير) : ٧ / ٣٩١ ، (المعارف) : ٢٩٨ ، (الجرح والتعديل) : ٨ / ٢٨٤ ، (تهذيب التهذيب) : ١٠ / ٢١٠ (الإصابة) : ٦ / ١٨١ - ١٨٣ ، (خلاصة تذهيب الكمال) : ٣ / ٤٥ ، (شذرات الذهب) : ١ / ٧١ ، (سير أعلام النبلاء) : ٢ / ٥٧٦ - ٥٧٧ ، (تاريخ الصحابة) : ٢٣٩ .

(٣) هو نُعَيم بن مسعود بن عامر بن أنيس بن ثعلبة بن قنفذ بن خلادة بن سُبيع بن بكر بن أشجع بن ريث ابن غطفان ، الغطفانيّ ، الأشجعيّ ، الصحابيّ ، أبو سلمة ، أسلم في وقعة الخندق ، وهو الذي أَوْقَعَ الخُلف بين قريظة وغطفان وقريش يوم الخندق ، وخذل بعضهم عن بعض ، وأرسل الله تعالى عليهم ريحاً وجنوداً لم يروها .

وقيل : إنه الذي نزلت فيه : ﴿ **الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** ﴾ يعني نُعَيم بن مسعود وحده ، كني عنه وحده بالناس في قول طائفة من أهل التفسير . قال بعض أهل المعاني : إنما قيل ذلك ، لأن كلَّ واحدٍ من الناس يقوم مقام الآخر في مثل ذلك وقد قيل في تأويل الآية غير ذلك . سكن نعيم بن مسعود المدينة ، ومات في خلافة عثمان ، يوم الجمل مع عليّ ، رضي الله عنهم .

* (تهذيب التهذيب) : ١٠ / ٤١٥ - ٤١٦ ، (الثقات) : ٣ / ٤١٥ ، (رجال أنزل الله فيهم قرآناً) : ١ / ١٠٦ - ١٠٧ ، ٤ / ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، (تاريخ الصحابة) : ٢٥٠ ، (الاستيعاب) : ١٥٠٨ ، ١٥٠٩ ، (الإصابة) : ٦ / ٤٦١ ، (تهذيب الأسماء واللغات) : ٢ / ١٣١ ، (خلاصة تذهيب الكمال) : ٣ / ٩٨ .

[من هؤلاء ؟ قال : بنو أشجع . قال][1] : هؤلاء كانوا أشدَّ العرب على محمد ! قال العباس : أدخل الله قلوبهم الإسلام ، فهذا من فضل الله .

كتيبة رسول الله ﷺ

فلما طلعت كتيبة رسول الله ﷺ الخضراء ، طلع سوادٌ وغَبَرة من سنابك الخيل ، ومرَّ الناس حتى مرّ رسول الله ﷺ على ناقته القصواء بين أبي بكر[2]

---

(١) زيادة للسياق .

(٢) هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرَّة بن كعب بن لُؤيّ ، وفي « مُرَّة » يلتقي نسبه مع رسول الله ﷺ .

واسم أمه : أم الخير ، سلمي بنت صخر بن عامر ، ماتت مسلمة .

وفي تسميته بعتيق ثلاثة أقوال : أحدهما ، أن رسول الله ﷺ نظر إليه فقال : هذا عتيق من النار . والثاني أنه اسم سمَّتْه به أمه . الثالث : أنه سُمّي به لجمال وجهه . وكان رضي الله عنه أبيض نحيفاً ، خفيف العارضين ، معروق الوجه ، غائر العينين ، ناتيء الجبهة ، يخضب شيبه بالحناء والكتم . وكان أول من آمن من الرجال . وعن عائشة قالت : ما أسلم أحد من المهاجرين إلا أبو بكر .

وجاء أنه اتَّجَرَ إلى بُصْري غير مرة ، وأنه أنفق أمواله على النبي ﷺ وفي سبيل الله . قال رسول الله ﷺ « ما لأحدٍ عِنْدَنا يَدٌ إلا وقد كَافَيْنَاهُ ، ما خلا أبا بكر ، فإن له عندنا يداً يكافيه الله بها يوم القيامة ، وما نفعني مال أحدٍ قطُّ ما نفعني مال أبي بكر ، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذتُ أبا بكر خليلاً ، ألا وإنَّ صاحبكم خليلُ الله » .

قال حسان بن ثابت ، وابن عباس ، وأسماء بنت أبي بكر ، وإبراهيم النَّخْعيّ : أول من أسلم أبو بكر .

وكان له من الولد : عبد الله ، وأسماء ذات النطاقين وأمّهما قُتَيْلَة . وعبد الرحمن وعائشة ، أمهما أم رومان . ومحمد ، أمه أسماء بنت عميس . وأم كلثوم ، أمها حبيبة بنت خارجة بن زيد ، وكان أبو بكر لما هاجر إلى المدينة نزل على « خارجة » فتزوج ابنته .

فأما عبد الله : فإنه شهد الطائف . وأما أسماء : فتزوجها الزبير فولدت له عدَّة ثم طلقها ، فكانت مع ابنها عبد الله إلى أن قُتل ، وعاشت مائة سنة ، وأما عبد الرحمن : فشهد يوم بدر مع المشركين ثم أسلم . وأما محمد : فكان من نُساك قريش ، إلا أنه أعان على عثمان يوم الدار ، ثم ولاَّه علي ابن أبي طالب مصر ، فقتله هناك صاحب معاوية . وأما أم كلثوم : فتزوجها طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه .

عن أسماء بنت أبي بكر قالت : جاء الصريخ إلى أبي بكر ، فقيل له : أدركْ صاحبك ، فخرج من عندنا وإنَّ له غدائر ، فدخل المسجد وهو يقول : ويلكم ﴿ **أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم** ﴾ (٢٨/غافر) قال : فَلَهوا عن رسول الله ﷺ وأقبلوا إلى أبي بكر ، فرجع إلينا أبو بكر ، فجعل لا يمسّ شيئاً من غدائره إلا جاء معه ، وهو يقول : تباركْتَ ياذا الجلال والإكرام . (الغدائر) : الضفائر . ذكر أهل العلم بالتواريخ والسّير ، أن أبا بكر شهد مع رسول الله ﷺ بدراً وجميع المشاهد ، ولم يفتْه منها مشهد ، وثبت مع رسول الله ﷺ يوم أُحد حين انهزم الناس ، ودفع =

= إليه رسول الله ﷺ رايته العظمى يوم تبوك ، وأنه كان يملك يوم أسلم أربعين ألف درهم ، فكان يعتق منها ويقوي المسلمين ، وهو أول من جمع القرآن ، وتنزّه عن شُرب المُسكر في الجاهلية والإسلام ، وهو أول من قاء تحرجاً من الشبهات .

وذكر محمد بن إسحاق أنه أسلم على يده من العشرة خمسة : عثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير ، وسعد بن أبي وقّاص ، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم .

عن أبي سعيد قال : خطَب رسول الله ﷺ فقال : « إن الله عزَّ وجلَّ خَيَّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبدُ ماعنده » . فبكي أبو بكر رحمةُ الله عليه ، فعجبنا من بكائه أن أخبر رسول الله ﷺ من عبد خُيِّر ، فكان رسول الله ﷺ المخيَّر ، وكان أبو بكر أعلمنا به . فقال رسول الله ﷺ إن من أمَنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر ، ولو كنتُ متخذاً خليلاً غير ربي عزَّ وجلَّ لاتخذتُ أبا بكر ، لكن أخوَّة الإسلام ومودته ، لا يبقى في المسجد باب إلا سُدّ إلا باب أبي بكر .
أخرجاه في الصحيحين ؛ البخاري في باب قول النبي ﷺ : « سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر » ، ومسلم في باب من فضائل أبي بكر الصديق .

وعن الحسن قال : قال عليّ عليه السلام : لما قُبض رسول الله ﷺ نظرنا في أمرنا فوجدنا النبي ﷺ قد قدَّم أبا بكر في الصلاة ، فرضينا لدنيانا من رضي رسول الله ﷺ لديننا ، فقدمنا أبا بكر .

وقالت عائشة : لما استُخْلِفَ أبو بكر ألقى كل دينار ودرهم عنده في بيت المال وقال : قد كنتُ أتّجِرُ فيه وألتمس به ، فلما وليتُهم شغلوني . وأخرج ابن سعد نحوه من طريق الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت : لما وُلي أبو بكر قال : قد علم قَوْمِي أن حِرفتي لم تكن لتعجز عن مؤنة أهلي وقد شُغلتُ بأمر المسلمين ، وسأحترف للمسلمين في مالهم ، وسيأكل آل أبي بكر من هذا المال .

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال : لما ولي أبو بكر خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : « أما بعد أيها الناس ، قد وليتُ أمركم ولستُ بخيركم ، ولكن قد نزل القرآن ، وسنَّ النبي ﷺ السُّنن فعلمنا ، إعلموا أن أكْيَس الكيْس التقوى ، وأن أحمق الحمق الفجور ، إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه ، وإن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منهُ الحق ، أيها الناس ، إنما أنا متّبع ولستُ بمبتدع ، فإن أحسنتُ فأعينوني ، وإن زُغْتُ فقوموني .

وعن عائشة قالت : لما مرض أبو بكر مرضه الذي مات فيه قال : انظروا ماذا زاد في مالي منذ دخلتُ في الإمارة ، فابعثوا به إلى الخليفة من بعدى ، فنظرنا فإذا عبد نُوبيٌّ (نسبة إلى بلاد النوبة جنوبيّ مصر) كان يحمل صبيانه ، وإذا ناضح (بعير يستقي عليه) كان يسقي بُستاناً له ، فبعثنا بهما إلى عمر . قالت : فأخبرني جدي أن عمر بكى وقال : رحمةُ الله على أبي بكر ، لقد أتعب من بعده تعباً شديداً . روي أبو بكر رضي الله عنه مائة حديث واثنين وأربعين حديثاً .

وتوفي أبو بكر ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء ، لثمان ليالٍ بقين من جمادي الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة ، وهو ابن ثلاث وستين ، وأوصي أن تغسّله أسماء زوجته ، فغسّلته ، وأن يدفن إلى جنب رسول الله ﷺ ، وصلى عليه عمر بين القبر والمنبر ، ونزل في حفرته ابنه عبد الرحمن ، وعمر ، وعثمان ، وطلحة بن عبيد الله . رحمةُ الله ورضي عنه ، وحشرنا في زمرته ، وأماتنا على سنته ومحبته .

* (طبقات ابن سعد) : ٣ / ١٦٩ – ٢١٣ ، (تاريخ الطبري) : ٢ / ٣١٤ ، (المعارف) : ١٦٧ – ١٧٨ ، (تاريخ الإسلام) : ٣ / ١٠٥ – ١٢٢ ، (صفة الصفوة) : ١/١٢٣–١٣٩، =

وأسيد بنِ حُضير[1] – وهو يحدثهما – ، ومعه المهاجرون[2] والأنصار ،– فيها الرايات والألوية ، مع كل بطن من بطون الأنصار راية ولواء – في الحديد لا يُرى

= (معجم البلدان) : ٥ / ٣٥٦ – ٣٥٧ ، (لسان العرب) : ٢ / ٦١٩ (مادة نضح) ، ٥ / ١١ (مادة غدر) ، (مسلم بشرح النووي) : ١٥ / ١٥٨ كتاب (٤٤) باب (١) حديث رقم (٢) ، (صحيح سنن الترمذي) : ٣ / ٢٠٠ باب (٥٢ / ٣٣) حديث رقم (٢٨٩٤) ، (صحيح ابن ماجة) : ١ / ٢٢ باب (١١) حديث رقم (٧٧) ، (السلسلة الصحيحة) : حديث رقم (٢٧٨) ، (شذرات الذهب) : ١ / ٢٤ ، (تاريخ الخلفاء) : ٢١ – ٨٥ ، (العقد الفريد) : ٣ / ٩٠ – ٩١ ، ١٧٦ ، (تلقيح الفهوم) : ١٠٤ – ١٠٦ ، (أسماء الصحابة الرواة) : ٥٧ .

(١) هو أسيد بن حُضَيْر بن سماك بن عتيك بن نافع بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل ، الإمام أبو يحيى ، وقيل : أبو عتيك الأنصاريّ ، الأوسي ، الأشهليّ ، أحد النقباء الاثنى عشر ليلة العقبة .

أسلم قديماً ، وما شهد بدراً ، وقال ابن عبد ربه : شهد بدراً ، وكان أبوه شريفاً مُطاعاً ، يُدعى حُضَير الكتائب ، وكان رئيس الأوس يوم بُعاث ، فقُتِل يومئذ قبل عام الهجرة بستّ سنين ، وكان أُسَيْدُ يعد من عقلاء الأشراف وذوي الرأي .

قال محمد بن سعد : آخى النبي ﷺ بَيْنَهُ وبين زيد بن حارثة ، وله رواية أحاديث روت عنه عائشة ، وكعب بن مالك ، وعبد الرحمن بن أبي ليلي . ولم يلحقه .

وذكر الواقدي أنه قدم الجابية مع عمر ، وكان مقدماً على ربع الأنصار ، وأنه ممن أسلم على يد مصعب بن عمير ، هو وسعد بن معاذ .

قال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ : « نعم الرجل أبو بكر ، نعم الرجل عمر ، نعم الرجل أُسيد بن حُضير » أخرجه الترمذي ، وإسناده جيد ، وروي أن أُسيداً كان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن .

وقال ابن إسحاق : حدثنا يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عن عائشة قالت : ثلاث من الأنصار لم يكن أحد منهم يلحق في الفضل ، كلهم من بني عبد الأشهل : سعد بن معاذ ، وأُسيد ابن حُضَير، وعباد بن بشر .

مات رضي الله عنه في شعبان سنة عشرين ، وصلى عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ودفن بالبقيع .

* (تاريخ الصحابة) : ٣٠ ، (العقد الفريد) : ٣ / ٣٢٧ ، (أسماء الصحابة الرواة) : ١٢٩ ، (صحيح سنن الترمذي للألباني) : ٣ / ٢٢٨ ، (سير أعلام النبلاء) : ١ / ٣٤٠ – ٣٤٣ ، (الثقات) : ٣ / ٦ – ٧ ، (الإصابة) : ١ / ٨٣ – ٨٤ ، (الاستيعاب) : ١ / ٩٢ – ٩٤ ، (طبقات ابن سعد) : ٣ / ٦٠٣ – ٦٠٧ ، (خلاصة تذهيب الكمال) : ١ / ٩٨ ، (الوافي بالوفيات) : ٩ / ٢٥٨ ، (تهذيب التهذيب) : ١ / ٣٠٣ – ٣٠٤ ، (الجرح والتعديل) : ٢ / ٣١٠ ، (صفة الصفوة) : ١ / ٢٥٩ – ٢٦١ ، (التاريخ الكبير) : ٢ / ٤٧ ، (البداية والنهاية) : ٧ / ١١٦ ، (مسند أحمد) : ٤ / ٢٢٦ ، (التاريخ الصغير) : ١ / ٤٦ ، (شذرات الذهب) : ١ / ٣١ ، (تاريخ الإسلام) : ٢ / ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٣٠٤ ، ٤٩٠ ، (كنز العمال) : ١٣ / ٢٧٧ – ٢٨١ ، (مرآة الجنان) : ١ / ٧٦ ، (تلقيح الفهوم) : ١٦٢ .

(٢) في (خ) : « المهاجرين » .

منهم إلى الحَدَق ، ولعمر بن الخطاب[1]..............................

(٥) هو عمر بن الخطاب بن نُفيل بن عبد العُزّى بن رياح بن قُرط بن رزاح بن عديّ بن كعب بن لؤي ، أمير المؤمنين ، أبو حفص ، القرشيّ ، العدويّ ، الفاروق ، أسلم في السنة السادسة من النبوة ، وله سبع وعشرون سنة .

أمّه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة ، المخزومية ، وقيل : حنتمة بنت هشام ، أخت أبي جهل . وُلد عمر رضي الله عنه بعد الفيل بثلاث عشرة سنة . وقيل : وُلد بعد الفجار الأعظم بأربع سنين ، قَبْل المبعث النبوي بثلاثين سنة ، وقيل : غير ذلك .

وكان من أشراف قريش ، وإليه كانت السفارة في الجاهلية ، فكانت قريش إذا وقعت الحرب بينهم – أو بينهم وبين غيرهم – بعثوه سفيراً : أي رسولاً ، وإن نافرهم مُنَافر أو فاخرهم مُفَاخر ، بعثوه مُنافراً أو مُفَاخِراً .

أسلم قديماً بعد أربعين رجلاً وإحدي عشرة امرأة ، وقيل : بعد تسعة وثلاثين رجلاً وثلاث وعشرين امرأة ، وقيل : غير ذلك ، فما هو إلا أن أسلم ، فظهر الإسلام بمكة ، وفرح به المسلمون .

وهو أحد السابقين الأولين ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الخلفاء الراشدين ، وأحد أصهار رسول الله ﷺ ، وأحد كبار علماء الصحابة وزهّادهم . روي له عن رسول الله ﷺ خمسمائة حديث وتسعة وثلاثون حديثاً .

روي عنه عثمان بن عفان ، وعلي ، وسعد ، وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود ، وأبو ذر الغفاري ، وعمرو بن عبسة ، وابنه عبد الله ، وابن عباس ، وابن الزبير ، وأنس ، وأبو هريرة وعمرو بن العاص ، وأبو موسى الأشعري ، والبراء بن عازب ، وأبو سعيد الخدري ، وآخرون .

أخرج الترمذي عن ابن عمر ، أن النبي ﷺ قال : « اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك ، بعمر بن الخطاب ، أو بأبي جهل بن هشام » . وأخرج الحاكم عن ابن عباس ، أن النبي ﷺ قال : « اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة » .

وأخرج أحمد عن عمر قال : خرجت أتعرض لرسول الله ﷺ ، فوجدتُه قد سبقني إلى المسجد ، فقمتُ خلفه ، فاستفتح سورة الحاقة ، فجعلتُ أتعجب من تأليف القرآن ، فقلت : والله هذا شاعر كما قالت قريش ، فقرأ : ﴿ **إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون** ﴾ (الحاقة ٤٠ – ٤١) فوقع في قلبي الإسلام كل موقع ، وقصة إسلامه معروفة ، نُمسك عن ذكرها لطوها واشتهارها .

وقيل لأبي بكر في مرضه : ماذا تقول لربك وقد وليت عمر ؟ قال : أقول له : وليتُ عليهم خيرهم . أخرجه ابن سعد .

وأخرج الشيخان عن عمر قال : وافقْتُ ربي في ثلاث : قلت : يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى ، فنزلت ﴿ **واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى** ﴾ (البقرة / ١٢٥) ، وقلت : يا رسول الله ، يدخل على نسائك البر والفاجر ، فلو أمرتهن يحتجبن ، فنزلت آية الحجاب ، واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة ، فقلت : عسى ربه إن طلقهن أن يبدله أزوجاً خيراً منكن ، فنزلت كذلك .

قال أبو عبد الله الشيباني في (فضائل الإمامين) : وافق عمر ربه في أحد وعشرين موضعاً ، فذكرها ، وقد أمسكنا عن ذكرها خشية الإطالة .

وأخرج البيهقي وأبو نعيم – كلاهما في دلائل النبوة – عن نافع عن ابن عمر ، قال : وجَّه عمر =

= جيشاً ، ورأس عليهم رجلا يُدعى سارية ، فبينما عمر يخطب ، جعل ينادي : يا سارية الجبل ، ثلاثاً ، ثم قدم رسول الجيش ، فسأله عمر ، فقال : يا أمير المؤمنين هُزِمنا ، فبينا نحن كذلك إذا سمعتُ صوتاً يُنادي : يا سارية الجبل ، ثلاثاً ، فأسندنا ظهورنا إلى الجبل ، فهزمهم الله ! قيل لعمر : إنك كنت تصيح بذلك ، وذلك الجبل الذي كان سارية عنده وَفْدَ من أرض العجم . قال ابن حجر في الإصابة : إسناده حسن .

وقال خزيمة بن ثابت : كان عمر إذا استعمل عاملاً كتب له ، واشترط عليه أن لا يركب بِرْذَوْناً ، ولا يأكل نقياً ، ولا يلبس رقيقاً ، ولا يُغلق بابه دون ذوي الحاجات ، فإن فعل فقد حلَّت عليه العقوبة .

ولي الخلافة بعهد من أبي بكر في جمادي الآخرة سنة ثلاث عشرة ، قال الزهري : استخلف عمر يوم توفي أبو بكر ، يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادي الآخرة . أخرجه الحاكم ، فقام بالأمر أتمّ قيام وكثرت الفتوح في أيامه .

وقال أبو رافع : كان أبو لؤلؤة مولى المغيرة يصنع الأرحاء (جمع رحى) ، وكان المغيرة يستغلُّه كل يوم أربعة دراهم ، فلقى عمر فقال : يا أمير المؤمنين ، إن المغيرة قد أثقل عليّ فكلِّمْه ، فقال : أحسن إلى مولاك – ومن نية عمر أن يكلم المغيرة فيه – فغضب وقال : يسعُ الناسَ كلَّهم عدلُه غيري ، وأضمر قتله ، واتخذ خنجراً ، وشحذه وسمَّه ، وكان عمر يقول : « أقيموا صفوفكم » قبل أن يُكبِّر ، فجاء فقام حذاءه في الصف ، وضربه في كتفه وفي خاصرته فسقط عمر ، وطعن ثلاثة عشر رجلاً معه ، فمات منهم ستة .

وحُمِل عُمر إلى أهله ، وكادت الشمس تطلع ، فصلى عبد الرحمن بن عوف بالناس بأقصر سورتين (الكوثر والنصر) . وأُتي عمر بنبيذ فشربه ، فخرج من جرحه ، فلم يتبين ، فسقوه لبناً ، فخرج من جُرحه ، فقالوا : لا بأس عليك ، فقال ـــ: إن يكن بالقتل بأس فقد قُتِلْت ، فجعل الناس يثنون عليه ويقولون : كنتَ وكنتَ ، فقال : أما والله وددت أني خرجتُ منها كفَافاً لا عليَّ ولا لي ، وأن صحبة رسول الله ﷺ سلمت لي .

وأثنى عليه ابن عباس فقال : لو أن لي طِلاعَ الأرض ذهباً لافتديتُ به من هول المطلع ، وقد جعلتُها شورى في عثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد . وأمر صُهيباً أن يصلى بالناس . أخرجه الحاكم . وقال ابن عباس : كان أبو لؤلؤة مجوسياً .

وقال عمرو بن ميمون : قال عمر : الحمد لله الذي لم يجعل منيَّتي بيد رجل يدَّعي الإسلام ، ثم قال لابنه : يا عبد الله ، أُنظر ما عليّ من الدين ، فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفاً أو نحوها ، فقال : إن وَفَى مال آل عمر فأدِّه من أموالهم ، وإلا فاسأل في بني عدي ، فإن لم تف أموالهم فاسأل في قريش .

إذهب إلى أم المؤمنين عائشة فَقُل : يستأذن عمر أن يُدفن مع صاحبيه ، فذهب إليها فقالت : كنتُ أريده – تعني المكان – لنفسي ، ولأوثرنَّه اليوم على نفسي ، فأتي عبد الله فقال : قد أذِنَتْ ، فحمد الله تعالى ، وقيل له : أوْصِي يا أمير المؤمنين واستخلف ، قال : ما أرى أحداً أحقَّ بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض ، فسمي الستة .

وأما أَوَّليات عمر رضي الله عنه :

* فهو أول من سُمي أمير المؤمنين .
* وأول من كتب التاريخ من الهجرة .
* وأول من اتخذ بيت المال .
* وأول من سنَّ قيام شهر رمضان في جماعة . =

فيها زجل[١] ، وعليه الحديد ، وهو يزعها[٢] فقال أبو سفيان : لقد أَمِرَ أَمْرُ بني عـدّي[٣] بعد قلةٍ وذلة ! فقال العباس : إن الله يرفع ما يشاء ، وإن عمر ممن رفعه الإسلام .

مقالة سعد بن عبادة لأبي سفيان

وكان في الكتيبة ألف دارع : وسعد بن عبادة يحمل راية رسول الله ﷺ أمام الكتيبة ، فنادى : يا أبا سفيان ! اليوم يوم الملحمة ، اليوم تُستَحَلُّ الحُرمة ، اليوم أذلّ الله قريشاً ! فنادى أبو سفيان – عندما حاذاه النبي عليه السلام – يا رسول الله ، أمرتَ بقتل قومك ؟ زعم سعدٌ ومن معه كذا – وذكر ما قاله سعدٌ – وإني أنشدك الله في قومك ! فأنت أبرُّ الناس ، وأرحم الناس وأوصل الناس !! .

= * وأول من عسَّ بالليل . * وأول من عاقب على الهجاء .
* وأول من ضرب في الخمر ثمانين . * وأول من حرَّم المتعة .
* وأول من نهى عن بيع أمهات الأولاد . * وأول من جمع الناس في صلاة الجنائز على أربع تكبيرات.
* وأول من اتخذ الديوان . * وأول من فتح الفتوح ومَسَح السواد .
* وأول من حمل الطعام من مصر في بحر أيلة إلى المدينة . * وأول من احتبس صدقة في الإسلام .
* وأول من أعال الفرائض . * وأول من أخذ زكاة الخيل . * وأول من قال : أطال الله بقاءك . * وأول من قال : أيّدك الله (قالها لعليّ) . * وهو أول من اتخذ الدِّرَّة ، ولقد قيل بعده : لدرَّة عمرَ أهْيَبُ من سيفكم . * وهو أول من استقضى القضاة في الأمصار . * وهو أول من مصَّر الأمصار : الكوفة ، والبصرة ، والجزيرة ، والشام ، ومصر .

أصيب عمر رضي الله عنه يوم الأربعاء لأربعٍ بقين من ذي الحجة ، ودفن يوم الأحد مستهلّ المحرم الحرام ، وله ثلاث وستون سنة ، وقيل ـــ: ستون ، ورجحه الواقديّ ، وصلى عليه صُهيب في المسجد .

وفي تهذيب المزني : كان نقش خاتم عمر « كفى بالموت واعظاً يا عمر »

وأخرج الطبرانيّ عن طارق ابن شهاب قال : قالت أم أيمن يوم قُتل عمر : اليوم وَهَي الإسلام .

وأخرج عبد الرحمن بن يسار قال : شهدتُ موت عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فانكسفت الشمسُ يومئذ . رجاله ثقات .

* (تاريخ الخلفاء) : ٨٦ – ١١٧ ، (الإصابة) : ٤ / ٥٨٨ – ٥٩١ (ترجمة رقم ٥٧٤٠) ، (حلية الأولياء) : ١ / ٣٨ – ٥٥ ، (الاستيعاب) : ٣ / ١١٤٤ – ١١٥٩ (ترجمة رقم ١٨٧٨) ، (جمهرة أنساب العرب) : ١٥٠ – ١٥٦ ، (المستدرك) : ٣ / ٨٦ – ١٠١ ، (صفة الصفوة) : ١ / ١٣٩ – ١٥٣ ، (تهذيب الأسماء واللغات) : ٢ / ٣ – ١٤ ، (مرآة الجنان) : ١ / ٧٨ – ٨٢ ، (شذرات الذهب) : ١ / ٣٣ – ٣٤ ، (تاريخ الإسلام) : ٢ / ٢٥٣ – ٢٨٤ .

(١) زجل : جلبة وصوت . (٢) يكفها عن التفرق والانتشار .
(٣) أمِر أمره : ارتفع شأنه .

عزل سعد راية رسول الله ﷺ

فقال عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان : يا رسول الله ! ما نأمن من سعد أن تكون منه في قريش صوله . فقال رسول الله ﷺ : يا أبا سفيان ! اليوم يوم الرحمة[1] ، اليوم أعزّ الله فيه قريشاً ! وأرسل إلى سعد فعزله ، وجعل اللواء إلى قيس بن سعد ، فأبى سعد أن يسلم اللواء إلا بأمارة ، فأرسل ﷺ بعمامته ، فدفع اللواء إلى ابنه قيس . ويقال : دخل سعدٌ بلوائه حتى غرزه بالحَجون . ويقال إن رسول الله ﷺ أمر علياً فأخذ الراية ، فذهب علي بها حتى دخل بها مكة فغرزها عن الركن ، وقيل : بل أمر الزبير بن العوام فأخذ اللواء[2] وصححه جماعة .

مقالة أبي سفيان حين رأى ما رأى

وقال أبو سفيان : ما رأيت مثل هذه الكتيبة قط ، ولا خبَّرنيه مخبرٌ ! ما لأحدٍ به طاقة ولا يَدان ! لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً ! فقال له العباس : يا أبا سفيان ! ليس بملك ولكنه نبوَّة . قال : فَنعَرَ[3] ! قال فانجُ ويحك فأدرك قومك قبل أن يدخل عليهم .

خروج أبي سفيان إلى مكة وما كان منه

فخرج أبو سفيان فتقدم الناس كلهم حتى دخل مكة من كداء وهو يقول : من أغلق بابه فهو آمن ! حتى انتهى إلى هند بنت عتبة فأخذت برأسه فقالت : ما وراءك ؟ قال : هذا محمد في عشرة آلاف عليهم الحديد . وقد جعل لي : من دخل داري فهو آمن ! قالت : قبحك الله رسولَ قوم ! وجعل يصرخ بمكة ! يا معشر قريش ! ويحكم ! إنه قد جاء ما لا قبل لكم به ! هذا محمد في عشرة آلاف عليهم الحديد فاسْلِموا تسلَموا ! قالوا ! قبحك الله وافد قوم ! وجعلت هند تقول : أقتلوا وافدكم هذا ، قبحك الله وافد قوم ! فيقول ! ويلكم ! لا تغرنكم هذه من أنفسكم ! رأيت ما لم تروا[4] رأيت الرجال والكراع والسلاح ، فما لأحد[5]

(١) في (الواقدي) جـ٢ ص ٨٢٢ « اليوم يوم المرحمة » .
(٢) راجع (زاد المعاد) جـ٣ ص ٤٠٤ .
(٣) نعر : صوَّت صوتاً شديداً من خيشومه .
(٤) في (خ) « مالا تروا » . (٥) في (خ) « مال أحد » .

بهذا طاقة !

خبر العباس في مكة

وذكر عمر بن شبَّة[1] : أن العباس ركب بغلة رسول الله ﷺ من مر [الظهران][2] ليدعو أهل مكة فقدمها وقال : يا أهل مكة أسلموا تسلموا . قد استُبطِنتم بأشهب بازل[3] ، وأعلمهم بمسير الزبير من أعلى مكة ، ومجيء خالد ابن الوليد من أسفلها لقتالهم ، ثم قال : من ألقى سلاحه فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن .

موقف المسلمين

وانتهى المسلمون إلى ذي طوًى ، فوقفوا ينظرون إلى رسول الله ﷺ حتى تلاحق الناس ، وقد كان صفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبي جهل ، وسهيل بن عمرو دعوْا إلى القتال ، واجتمع إليهم - من قريش وغيرهم - جماعة عليهم السلاح ، يحلفون بالله لا يدخلها محمد عَنْوَة أبداً .

دخول رسول الله مكة

وأقبل رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء - على ناقته القصواء ، معتجراً بشقَّة بُرْد حَبرة ، [وفي رواية : وهو معتجر بشقة بردٍ أسود] ، وعليه عمامة سوداء ، ورايته سوداء ، ولواؤه أسود - حتى وقف بذي طوًى وتوسط الناس ، وإن عُثنونه[4] ليمسُّ واسطة الرّحْل أو يقرب منه ، تواضعا لله تعالى حين رأى ما رأى من فتح الله وكثرة المسلمين ، ثم قال : العيش عيش الآخرة .

---

(١) في (خ) « عمرو بن شيبة » .

(٢) زيادة للسياق .

(٣) استيطان الوادي : دخول بطنه ، الأشهب الأبيض : الجيش ، والبازل : البعير الذي أتم السنة الثامنة ، وهي تمام قوته ، والمعني أنّكم رميتم بهذا الجيش الصعب الذي لا طاقة لكم به .

(٤) العُثْنون : اللحية ، أو ما فضل منها بعد العارضين ، أو ما نبت على الذقن وتحته سِفلا ، أو هو طولها . (ترتيب القاموس) جـ٣ ص ١٦٥ .

مداخل المسلمين إلى مكة

وأمر الزبير بن العوام أن يدخل من كداء من أعلى مكة ، وأن ينصب رايته بالحجون ، وأمر خالد بن الوليد أن يدخل من اللِّيط : وهي كداء من أسفل مكة . [ويقال : بعث الزبير بن العوام من أعلى مكة ، وأمر سعد بن عبادة أن يدخل من كداء] . ودخل رسول الله ﷺ من أذخر .

النهـي عـن القتـال

ونهى عن القتال . ويقال : بل أمرهم بقتال من قاتلهم ، فتراموا بشيء من النبل . فظهر عليهم رسول الله ﷺ فأمن الناس إلا خزاعة عن[1] بني بكر . وذكر جماعة أنه لم يؤمِّنهم . وقيل : أمر بقتل ستة نفر ، وأربع نسوة : عكرمة بن أبي جهل ، وهبَّار بن الأسود ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ، ومقيس بن صبابة الليثي ، والحويرث بن نقيذ[2] بن بجير بن عبد قصيٍّ ، وهلال بن عبد الله بن عبد مناف بن أسعد بن جابر بن كبير بن تيِّم بن غالب بن فهر[3] ، فتيم هو الأَدْرَم[4] [وعبد بن عبد مناف هو خَطَل بن خطل الأدرميّ] . وهند بنت عتبة بن ربيعة ، وسارة مولاة عمرو بن هشام ، وقينتين لابن خطل : قُرَيْنَا وقُرَيْبة ، ويقال فَرْتَنا وأَرْنَبَة .

قتال خالد بن الوليد

فكل الجنود دخل فلم يلق جمعاً ، إلا خالد بن الوليد ، فإنه وجد جمعاً من قريشٍ وأحابيشها : فيهم صفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبي جهل ، وسهيل بن عمرو ، فمنعوه الدخول ، وشهروا السلاح ، ورموْا بالنبل ، وقالوا : لا تدخلها عَنْوة أبداً . فصاح خالد في أصحابه وقاتلهم؛ فقتل منهم أربعة وعشرين رجلاً من قريش ، وأربعةً من هُذيل ، [وقيل : بل قتل من المشركين ثلاثة عشر رجلاً] ؛

---

(١) في (خ) « غير » .

(٢) في (خ) « نفيد » ، وبعد هذا في (خ) « وابن بجير » والصواب حذف واو العطف .

(٣) في (خ) « فهم » .

(٤) في (خ) بعد قوله : « هو الأردم » ما نصه (عبد الله بن عبد مناف بن أسعد بن جابر بن كبير بن تيم بن غالب بن فهم) وهو تكرار من الناسخ .

وانهزموا أقبح هزيمة . وقُتل من المسلمين ثلاثة .

خبر راعش المشرك

وكان راعش[1] ، أحد بني صاهلة الهذليّ ، [وقيل : حماس[2] بن قيس بن خالد أحد بني بكر] ، يُعِدُّ سلاحاً ؛ فقالت له امرأته : لم تعدُّ ما أرى ؟ قال : لمحمد وأصحابه ! فقالت له : ما أرى أن يقوم لمحمد وأصحابه شيء ! فقال : والله إني لأرجو أن أخدمك بعضهم ، ثم قال[3]:

إن تقدموا اليوم فما بي علة ... هذا سلاح كامل وألَّه[4]
وذو غرارين سريع السَّله[5]

هزيمة المشركين

ثم شهد الخندمة مع صفوان وعكرمة وسهيل ، فهزمهم خالد بن الوليد ، فمرّ حَماس[6] منهزماً حتى دخل بيته ، وقال لامرأته : أغلقي عليَّ بابي ! فقالت : فأين ما كنت تقول ؟ فقال[7]:

إنك إن شهدت يوم الخندمهْ ... إذ فرّ صفوان وفر عكرمهْ
واستقبلتنا بالسيوف المسلمه ... يقطعن كل ساعد وجُمجمه
ضرباً فلا تسمع إلا غمغمه ... لهم نَهيت خلفنا وهمهمه

(١) في (ابن هشام) جـ٤ ص ٣٧ (الرعاش الهذلي) .
(٢) المرجع السابق ص ٣٨ ، (البداية والنهاية) : جـ٤ ص ٣٣٩ .
(٣) في المرجع السابق : « إن يُقْبلوا اليوم فمالي عِلّة » .
(٤) الألَّة : الحربة ذات السنان الطويلة . (٥) غرارين : حَدَّيْن . (٦) في (خ) «خماس» .
(٧) هذه الأبيات في (ابن هشام جـ٤ ص ٣٨ ، وفي (البداية والنهاية) جـ٤ ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ :

إنك لو شهدت يوم الخندمة ... إذ فَرَّ صفوان وفرَّ عكرمة
وأبو يزيد قائم كالمؤتمة ... واستبقلتهم بالسيوف المسلمة
يقطعن كل ساعد وجمجمة ... ضرباً فلا يسمع إلا غمغمة
لهم نهيت خلفنا وهمهمة ... لم تنطقي في اللوم أدنى كلمة

وفي (الواقدي) : جـ٢ ص ٨٢٧ ، ٨٢٨ :

وأنت لو شهدتنا بالخندمة ... إذا فرَّ صفوان وفرَّ عكرمة
وأبو يزيد كالعجوز المؤتمة ... لم تنطقي في اللوم أدنى كلمة
وضربتنا بالسيوف المسلمة ... لهم زئير خلفنا وغمغمة =

لم تَنْطِقي في اللوم[1] أدنى كلمه

التـــأمين

واتبعهم المسلمون ، وأبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام يصيحان : يا معشر قريش ! علام تقتلون أنفسكم ؟ من دخل داره فهو آمن . ومن وضع السلاح فهو آمن ! فاقتحم الناس الدور وأغلقوا عليهم الأبواب ، وطرحوا السلاح في الطرُّق ، فأخذها المسلمون ، ويروي أن رسول الله ﷺ عقد لأبي رويحة عبد الله بن عبد الرحن – أحدِ الفَزْع بن شهران بن عِفْرِس بن خلف بن أَفَل [وهو خثعم] – لواءً وأمره أن ينادي : من دخل تحت لواء أبي رويحة فهو آمن .

قتال خالد بن الوليد

ولما ظهر[2] رسول الله ﷺ على ثنية أذاخر ، نظر إلى البارقة[3] فقال : « ما هذه البارقة ؟ ألم أنه عن القتال ؟ » فقيل : يا رسول الله ، خالد بن الوليد قوتل ، ولو لم يقاتل ما قاتل ! فقال : « قضاء الله خير » .

ابـن خطـل

وأقبل ابن خطل من أعلى مكة في الحديد على فرسٍ بيده قناةٌ ، وبنات سعيد ابن العاص قد نشرن رؤوسهن ويضربن بخمرهن[4] وجوه الخيل ، فقال لهن : أما والله لا يدخلها محمد حتى ترين ضرباً كأفواه المزاد[5] ! فلما انتهى إلى الخندمة ،

= ومن معاني هذه الأبيات :
النهيت والهمهمة ، أصوات الأبطال في الحرب .
الزئير : صوت الأسد .
أبو يزيد : هو سهيل بن عمرو .
المؤتمة : المرأة التي قُتل زوجها فبقي لها أيتام .

(١) في (خ) « في اليوم » .
(٢) ظهر : ارتفع عليها .
(٣) البارقة : بريق السلاح ولمعانه .
(٤) الخُمر : جمع خمار : وهو غطاء الرأس عند المرأة .
(٥) المزاد : جمع مزادة ، هي كقربة للماء ، المعنى أنه يريد ضرباً يتفجر منه الدم كما يتفجر الماء من المزاد إذا أُرسل فوه .

ورأى خيل المسلمين وقتالهم ، دخله رعبٌ حتى ما يستمسك من الرِّعدة ، فانتهى إلى الكعبة فنزل ، وطرح سلاحه ، ودخل بين أستارها . فأخذ رجل من بني كعب درعه ومغفره وبيضته وسيفه وفرسه ، ولحق بالنبي ﷺ بالحجون .

دخول الزبير مكة

وأقبل الزبير بمن معه حتى انتهوا إلى الحجون ، فَغَرَزَ به الراية . ولم يُقتَل من المسلمين إلا رجلان[1] أخطآ الطريق ، هما : كُرز بن جابر الفهريّ ، وخالد الأشْعَري الخزاعيّ .

منزل رسول الله ﷺ بمكة

ولما أشرف رسول الله ﷺ على أذاخر فنظر بيوت مكة ، وقف فحمد الله وأثنى عليه ، ونظر إلى موضع قبَّته فقال : هذا منزلنا يا جابر ، حيث تقاسمت علينا قريش في كفرها ! وكان أبو رافع قد ضرب لرسول الله ﷺ بالحجون قبة من أدم ، فأقبل حتى انتهى إلى القبة في يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان ، وقيل لثلاث عشرة[2] مضت من رمضان . فمضى الزّبير بن العوام برايته حتى ركزها عند قبَّة رسول الله ، وكان معه أم سلمة وميمونة رضي الله عنهما . وقيل : يا رسول الله ، ألا تنزل منزلك من الشِّعْب ؟ فقال : وهل ترك لنا عقيلٌ منزلاً ؟ وكان عقيل بن أبي طالب قد باع منزل رسول الله ﷺ ومنزل إخوته ، والرجال والنساء بمكة فقيل : يا رسول الله ، فانْزِلْ في بعض بيوت مكة في غير منازلك ، فقال : لا أدخل البيوت . فلم يزل مضطرباً[3] بالحجون لم يدخل بيتاً ، وكان يأتي المسجد من الحجون لكل صلاة .

خبر إجارة أم هانيء عبد الله بن أبي ربيعة والحارث بن هشام

وكانت أم هانيء بنت أبي طالب تحت[4] هُبيرة بن أبي وهب المخزوميّ ، فدخل

---

(١) في (خ) « إلا رجلين » وهو خطأ ، وما أثبتناه حق اللغة .

(٢) في (خ) جملة « وقيل لثلاث عشرة » مكررة .

(٣) مضطرباً : ضاربا قُبته .

(٤) في (خ) « تحب » ، والتصويب من (المغازي) جـ٢ ص ٨٢٩ .

عليها حموان لها – عبد الله بن أبي ربيعة عمرو بن المغيرة بن عبد الله بن عمر[1] ابن مخزوم المخزومي ، والحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر[1] ابن مخزوم – يستجيران بها فأجارتهما . فدخل عليها أخوها علي بن أبي طالب يريد قتلهما ، وقال : تجيرين المشركين ؟ فحالت دونهما وقالت : والله لتبدأنّ بي قبلهما ! فخرج ولم يكد ، فأغلقت عليهما بيتاً ، وذهبت إلى خباء رسول الله ﷺ بالبطحاء ، فشكت إلى فاطمة عليها السلام علياً فلم تشكها ، وقالت لها : لم تجيرين المشركين ؟ وإذا برسول الله ﷺ عليه[2] رَهَجة الغبار[3] ، فقال : مرحبا بفاختة أم هانيء ، فقالت : ماذا لقيت من ابن أمي علي ! ما كدت أنفلت منه ! أجرت حموين لي من المشركين ، فتفلّت عليهم ليقتلهما ، فقال : ما كان ذلك له ! قد أمنّا من أمّنت ، وأجرنا من أجرت . ثم أمر فاطمة عليها السلام فسكبت له ماءً فاغتسل ، وصلى ثماني ركعات في ثوب واحد ملتحفاً به ، وذلك ضحىً . ورجعت أم هانيء فأخبرتهما ، فأقاما عندها يومين ثم مضيا . وأتى آت فقال : يا رسول الله : الحارث ابن هشام وابن أبي ربيعة جالسان في ناديهما في المُلاء المزعفر[4] ! فقال : لا سبيل إليهما فقد أمّناهما .

تجهُّز رسول الله ﷺ للطواف بالبيت

ومكث ﷺ في منزله ساعةً من نهارٍ ، واغتسل وضفر رأسه ضفائر أربع ، [وقيل : بل اغتسل في بيت أم هانيء بمكة] ، وصلى ثماني ركعات وذلك ضحىً ، وذلك في الصحيحين[5] ، وزاد أبو داود : سلَّم من كلِّ ركعتين ثم لبس السلاح ومغفراً من حديد ، وقد صف له الناس ، وركب القصواء ومرَّ وأبو بكر رضي الله عنه إلى جنبه يحادثه ، وعبد الله بن أم مكتوم بين يديه من بين الصفا والمروة وهو يقول :

يا حبــذا مكــة من وادي [أرض] بها أهلي وعوّادي[6]

---

(١) في (خ) « عمرو » . (٢) في (خ) « عليها » .

(٣) رَهجة الغبار : آثار الغبار .

(٤) الملاء جمع مُلاءَةُ : وهي للربطة (ترتيب القاموس ج٤ ص ٢٧٤ والمزعفر : الأسد الورد والفالوذ (المرجع السابق) ج٢ ص ٤٥٣ .

(٥) صحيح البخاري ج٣ ص ٦٢ .

(٦) ما بين الأقواس زيادة من (ابن سعد) ج٢ ص ١٤١ .

[أرض] بها أمشي بلا هادي　　[أرض] بها ترسخ أوتادي[1]

حتى انتهى إلى الكعبة : فتقدم على راحلته فاستلم الركن بمحجنه وكبَّر ، فكبَّر المسلمون لتكبيره حتى ارتجت مكة تكبيراً . فأشار إليهم أن اسكتوا ! والمشركون فوق الجبال ينظرون .

الأصنام التي حول الكعبة

ثم طاف ، ومحمد بن مسلمة[2] آخذ بزمامها ، وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً مرصصةٌ بالرَّصَاصِ – وهبل أعظمها وهو وجَاه الكعبة على بابها ، وإسافٌ ونائلة حيث ينحرون ويذبحون – فجعل رسول الله ﷺ كلما مرَّ بصنمٍ منها يشير بقضيب في يده ويقول : « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » . فيقع الصنم لوجهه . فطاف سبعاً يستلم الركن بمحجنه في كل طواف . فعطش ﷺ[3] – وكان يوماً صائفاً – فاستسقى[4] فأتي بقدح من شراب زبيب ، فلما أدناه من فيه وجد له ريحاً شديدة فردَّه . ودعا بماء من زمزم فصبَّه عليه حتى فاض من جوانبه ؛ وشرب منه ، ثم ناوله الذي عن يمينه . فلما فرغ من [سُبْعه][5] نزل عن راحلته ، وجاء مَعْمر بن عبد الله بن نضله فأخرج راحلته . وانتهى رسول الله إلى المقام – وهو يؤمئذ لاصق بالكعبة ، والدِّرع والمغفر عليه ، وعمامةٌ لها طرف بين كتفيه – فصلى ركعتين ، ثم انصرف إلى زمزم فاطَّلع فيها وقال : لولا أن يُغلَبَ بنو عبد المطلب لنزعت منها دَلواً ! فنزع له العباس بن عبد المطلب دَلواً فشرب منه . ويقال : الذي نزع الدلو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، ولم يَسعَ بين الصفا والمروة لأنه لم يكن يومئذٍ معتمرا .

كسر هبل

وأمر بِهُبَل فكُسِّر وهو واقف عليه ، فقال الزبير بن العوّام لأبي سفيان ابن حرب : يا أبا سفيان ! قد كسر هبل ! أما إنك قد كنت منه يوم أحد في غرور ،

---

(١) في (خ) « ترغخ » .　　(٢) في (خ) « سلمة » .
(٣) ما بين القوسين في (خ) بعد قوله « صائفا » وهذا موضعه .
(٤) استسقى : طلب أن يُسقى .
(٥) سُبْعه : الطواف سبعة أشواط .

حين تزْعُم أنه قد أنعم ! فقال : دع عنك هذا يا ابن العوام ، فقد أرى لو كان مع إله محمد غيرهُ لكان غيرُ ما كان .

خبر زمـزم

ثم انصرف رسول الله ﷺ فجلس ناحية من[1] المسجد والناس حوله ، فأتى بدلو من زمزم فغسل منها وجهه ، فما يقع منه قطرة إلا في يد إنسان : إن كانت قدر ما يحسوها حساها ، وإلا تمسح بها . والمشركون ينظرون ، فقالوا : ما رأينا مَلِكا قطُّ أعظم من اليوم . ولا قوماً أحمق من القوم يتصل به .

إسـلام قريش والبيعة

وجاءته قريش فأسلموا طوعاً وكرهاً وقالوا : يا رسول الله اصنع بنا صُنْع أخ كريم . فقال : أنتم الطلقاء ! وقال مثلي ومثلكم كما قال يوسف لإخوته : ﴿ **لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين** ﴾ . ثم اجتمعوا لمبايعته ؛ فجلس على الصفا ، وجلس عمر بن الخطاب أسفل مجلسه يأخذ على الناس ، فبايعوا على السمع والطاعة لله ولرسوله ﷺ فيما استطاعوا ، فقال : لا هجرة بعد الفتح .

غســل الكعبـة

وتجرد الرجال[2] من الأزُر ، ثم أخذوا الدّلو فغسلوا ظهر الكعبة وبطنها حتى انبعج[3] الوادي من الماء ، فلم يدعوا فيه صورة ولا أثراً من آثار المشركين إلا محوْه . وكان ﷺ لما جلس ناحية من المسجد ، توضأ بسَجْل[4] من زمزم قريباً من المقام ، والمسلمون يبادرون وضوءه يصبونه على وجوههم والمشركين يتعجبون ويقولون : ما رأينا ملكا قط بلغ هذا ولا شبيها به !

مفتـاح الكعبـة

ثم أرسل بلالاً إلى عثمان بن طلحة ليأتيه بمفتاح الكعبة فمنعته أمه ، حتى جاء

---

(١) في (خ) « من من » مكررة .

(٢) في (خ) « في » . (٣) في (خ) « إن بعج » .

(٤) السَّجْل : الدلو الكبيرة .

أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، فدفعته إلى ابنها فأتى به رسول الله ﷺ . فلما تناولته قال العباس : يا رسول الله ، اجمع لنا السقايا والحجابة . فقال عليه السلام : « أعطيكم ما ترزَأون فيه ولا أعطيكم ما تَرزَأون به »[1] . وقيل بل جاء عثمان ابن طلحة بالمفتاح إلى رسول الله ﷺ لما بلغ رأس الثنية .

محو الصور

وقيل : بعث ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه من البطحاء – ومعه عثمان ابن طلحة – ليفتح البيت ، ولا يدع صورة إلا محاها ، [ولا تمثالاً][2] ، فترك عمر صورة إبراهيم عليه السلام حتى محاها عليه السلام .

دخوله الكعبة

ودخل ﷺ الكعبة – ومعه أسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة – فمكث فيها وصلى ركعتين ، ثم خرج والمفتاح في يده ، ووقف على الباب خالد بن الوليد يذُبُّ الناس عنه حتى خرج رسول الله ﷺ ، فوقف على باب البيت وأخذ بعِضادِتَيه[3] ، وأشرف على الناس وفي يده المفتاح ، ثم جعله في كُمِّه ، وقال – وقد جلس الناس – :

خطبة رسول الله ﷺ على باب البيت

الحمد لله الذي صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحد : [يا معشر قريش][4] : ماذا تقولون ؟ وماذا تظنون ؟ قالوا : نقول خيراً ونظن خيراً ، أخٌ كريم وابن أخٍ كريمٍ ، وقد قدرت . فقال : فإني أقول كما قال أخي يوسف : ﴿ **لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين** ﴾.

ألا إن كل ربا في الجاهلية أو دم ، أو مال ، أو مأثرة فهو تحت قدمي هاتين

(١) يقول رسول الله ﷺ : أعطيكم ما يصيبُ الناسُ به من خير أموالكم ، ولا أعطيكم ما تصيبون به من خير الناس .

(٢) (المغازي) جـ٢ ص ٨٣٤ .

(٣) عضادتا الباب : الخشبتان المنصوبتان عن يمين الداخل منه وشماله .

(٤) زيادة للبيان .

إلا سدانة البيت وسقايا الحاج .

ألا وفي قتيل العصا والسوط الخطأ شبه العمد ، الدِّية مغلظة مائة ناقة ، منها أربعون في بطونها أولادُها .

إن الله قد أذهب نخوة الجاهلية وتكثرها بآبائها ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، وأكرمكم عند الله أتقاكم .

ألا إن الله حرم مكّة يوم خلق السموات والأرض ، فهي حرام بحرام الله ، لم تحل لأحد كان قبلي ، ولا تَحِلُّ لأحدٍ كائن بعدي ، ولم تحلّ لي إلاَّ ساعة من النهار[1] ، ألا لا يُنفرّ صَيدها ، ولا يعضد عِضاهها[2] ، ولا تحلّ لُقطتها إلا لمنشدٍ[3] ، ولا يختلى خلاها[4] ، فقال العباس : إلا الإذِخرَ يا رسول الله ؛ فإنه لابد منه للقبور وطهور البيوت ! فسكت ساعة ثم قال : إلا الإذْخر فإنه حلالٌ .

ولا وصية لوارث : وإن الولد للفراش وللعاهر الحَجرُ ، ولا يحل لامرأة تعطى من مالها إلا بإذن زوجها . والمسلم أخو المسلم ، والمسلمون إخوة ، والمسلمون يدٌ واحدةٌ على من سواهم ، يتكافؤون دماءهم ، يرد عليهم أقصاهم ، ويعقد عليهم أدناهم ، ومُشِدهم على مضعفهم[5] ومسيَّرهم[6] على قاعدهم ، ولا يقتل مسلم بكافر ، ولا ذو عهد في عهده ، ولا يتوارث أهل ملتين مختلفتين ولا جَلب ولا جَنب[7] . ولا تؤخذ صدقات المسملين إلا في بيوتهم وأفنيتهم . ولا تنكح المرأة على

---

(١) على معنى دخوله إياها من غير إحرام لأنه ﷺ دخلها وعليه عمامة سوداء ، وقيل إنما أحلت له في تلك الساعة إراقة الدم دون الصيد وقطع الشجر وسائر ما حرم على الناس منه (معالم السنن للخطابي) جـ٢ ص ٥١٨ ، ٥١٩ .

(٢) العضاه : شجر عظام له شوك .

(٣) المنشد : المعرِّف الذي يُعَرِّفُ الضالة واللُّقطَة .

(٤) أي لا ينزع حشيشها من بقول الربيع ما دام رطباً راجع (سنن أبي داود) : جـ٢ ص ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ باب تحريم حرم مكة الأحاديث أرقام ٢٠١٧ ، ٢٠١٨ .

(٥) المُشِدّ : ذو الدواب الشديدة . والمضعف : ذو الدواب الضعيفة .

(٦) في (خ) « متسيرهم » ، والمسير الذي خرج من بلده للغزو ، والقاعد الذي لم يخرج له .

(٧) الجَلَب والجَنب : هو أن يُرسَل في الحلبة فيجتمع له جماعة تصيح به ليرد عن وجهه ، أو هو أن لا تُجلب الصدقة إلى المياه والأمصار ، ولكن يتصدق بها في مراعيها ، أو أن ينزل العامل موضعاً ثم يُرسَل من يجلب إليه الأموال من أماكنها ليأخذ صدقتها ، أو أن يتبع الرَّجل فرسه فيركض خلفه ويزجره ويجلب عليه . (ترتيب القاموس) جـ١ ص ٥٠٩ .

عمتها وخالتها[1] . والبينة على من ادّعى ، واليمين على من أنكر . ولا تسافر امرأة مسيرة ثلاث إلا مع ذى مَحْرم[2] . ولا صلاة بعد العصر ولا بعد الصبح . وأنهاكم عن صيام يومين[3] : يوم الأضحى ويوم الفطر ، وعن لبستين : لا يحتب أحدكم في ثوب واحد يفضى بعورته إلى السماء ، ولا يشتمل الصّمّاء[4] : ولا إخالكم إلا وقد عرفتموها .

رد المفتاح إلى عثمان بن طلحة

ثم نزل ومعه المفتاح ، فتنحى ناحية من المسجد فقال : ادعوا إلّى عثمان ابن طلحة ، فدُعيَ . وكان ﷺ قال له يوماً بمكة وهو يدعوه إلى الإسلام ، ومع عثمان المفتاح ، فقال : لعلك سترى هذا المفتاح يوماً بيدي أضعه حيث شئتُ ! فقال له عثمان : لقد هلكتْ إذن قريشٌ وذلتْ ! فقال ﷺ : بل عَمِرت وعزت يومئذ ! فأقبل عثمان ، فقال عليه السلام : خذوها يا بني أبي طلحة تالدة خالدة ، ولا ينزعها منكم إلا ظالم ! يا عثمان! إن الله استأمنكم على بيته ، فكلوا بالمعروف . فلما وَلي عثمان ناداه عليه السلام فرجع إليه ، فقال له : ألَم يكن الذي قلت لك ؟ فذكر عثمان قوله له بمكة ، فقال : بلى أشهد أنك رسول الله . فقال : قم على الباب ، وكل بالمعروف . ودفع عليه السلام السقايا إلى العباس رضي الله عنه .

معاتبة خالد بن الوليد من أجل قتاله

وقال لخالد بن الوليد رضي الله عنه : لم قاتلت وقد نُهيتَ عن القتال ؟ فقال :

(١) (سنن ابن ماجة) جـ١ ص ٦٢١ حديث رقم ١٩٢٩ ، ١٩٣٠ ، ١٩٣١ ، (سنن أبي داود) جـ٢ ص ٥٥٣ حديث رقم ٢٠٦٥ .

(٢) (سنن أبي داود) جـ٢ ص ٣٤٨ حديث رقم ١٧٢٧ .

(٣) (سنن أبي داود) جـ٢ ص ٨٠٢ حديث رقم ٢٤١٦ .

(٤) اشتمال الصماء : (في النهاية) : هو أن يتجلل بثوبه ولا يرف منه جانباً ، وأما قيل لها « صماء » لأنه يسد على يديه ورجليه المنافذ كلها . كالصخرة الصماء التي ليس فيها خرق ولا صدع .
والفقهاء يقولون : هو أن يتغطى بثوب واحد ليس عليه غيره ، ثم يرفعه من أحد جانبيه فيضعه على منكبه ، فتنكشف عورته . وعن الأحتباء : (في النهاية) :
هو أن يضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشده عليهما . وإنما نهي عنه لأنه إذا لم يكن عليه إلا ثوب واحد ربما تحرك ، أو زال الثوب ، فتبدو عورته . راجع (سنن ابن ماجة) جـ٢ ص ١١٧٩ الأحاديث رقم ٣٥٥٩ ، ٣٥٦٠ ، ٣٥٦١ باب ما نهي عنه من « اللباس » و (سنن أبي داود) جـ٤ ص ٣٤٢ حديث رقم ٤٠٨١ .

هم يا رسول الله بدأونا بالقتال ، ورشقونا بالنَّبل ، ووضعوا فينا السلاح ، وقد كففت ما استطعت ، ودعوتهم إلى الإسلام وأن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فأبَوْه ، حتى إذا لم أجد بُداً قاتلتهم ، فظفرنا الله عليهم وهربوا في كل وجه يا رسول الله ! فقال : فكُف عن الطلب . قال : قد فعلتُ يا رسول الله . قال : قضاء الله خير .

النهي عن القتال إلا خزاعة عن بني بكر

ثم قال : يا معشر المسلمين ! كُفُّوا السلاح ، إلا خزاعة عن بني بكر إلى صلاة العصر ، فخبَّطوهم ساعة . وهي الساعة التي أحلِّت لرسول الله ﷺ لم تُحلَّ لأحد قبله . وقيل : خبَّطوهم إلى نصف النهار وكان ﷺ نهى أن يُقتل من خزاعة أحدٌ . وبعث تميم بن أسد الخُزاعي فجدّد أنصاب الحرم . ودخل جُنيدب بن الأدْلغ [الهذليّ][1] مكة يرتادُ وينظر - والناس آمنون - فرآه جندب بن الأعجم[2] الأسلمي . فقال : جنيدب بن الأدلغ ! قاتلُ أحمر [بأساً][3] ! فقال : نعم فخرج جُندب [بن الأعجم] يستجيش عليه حَيَّه ، فلقي خِراش بن أمية الكعبيَّ فأخبره . فاشتمل خراشٌ على السيف ثم أقبل إليه - والناسُ حوله وهو يحدثهم - فحمل عليه فقتله ، ويقال إنه قتله بالمزدلفة .

خطبته ﷺ لما كثر القتل بين خزاعة وبني بكر

فلما بلغ رسولَ الله ﷺ قَتْله ، قام خطيباً - الغد من يوم الفتح بعد الظهر - فقال : يا أيها الناس ، إن الله حرَّم مكة يوم خلقَ السمٰوات والأرض ، ويوم خلقَ الشمس والقمر ، ووضع هذين الجبلين ، فهي حرام إلى يوم القيامة لا يحل لمؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دماً . ولا يعضد فيها شجراً ؛ لم تُحلَّ لأحدٍ كان قبلي ، ولا تحلُّ لأحد [يكون][4] بعدي ، ولم تُحلَّ لي إلا ساعة من نهار ، ثم رجعتْ حرمتها بالأمس ، فليبلغ شاهدكم غائبكم ، فإن قال قائل : قد قاتل فيها رسول الله ! فقولوا : إن الله قد أحلها لرسوله ولم يحلها لكم يا معشر خُزاعة !

---

(١) زيادة للبيان من (ط) . (٢) في (خ) « الأعجر » .
(٣) زيادة من (الواقدي) جـ٢ ص ٨٤٣ ، (ابن هشام) جـ٤ ص ٤٢ .
(٤) زيادة من (ابن هشام) جـ٤ ص ٤٣ .

ارفعوا أيديكم عن القتل ، فقد والله كثر إن نفع[1] . وقد قتلتم هذا القتيل ، والله لَأَدِيَنَّهُ ! فمن قُتِل بعد مقامي هذا فأهله بالخيار : إن شاءوا فَدَمُ قتيلهم ، وإن شاءوا فعقْله[2] . ويروي أنه قام خطيباً فقال : إنَّ أعدى الناس على الله : من قتل في الحرم ، ومن قتل غير قاتله ، ومن قتل بذحول الجاهلية[3] . ويقال : إن قتل خراش لجنيدب كان بعد ما نهى النبي ﷺ عن القتل ، وإنه عليه السلام قال : لو كنتُ قاتلاً مؤمناً بكافر لقتلت خراشاً بالهُذَلِّي : ثم أمر خزاعة يُخرجون ديته ، فأخرجوها مائةً من الإبل ، فكان أول قتيل وداه[4] رسول الله ﷺ في الإسلام .

أذان بلال على ظهر الكعبة ومقالة قريش

وجاءت الظُّهر ، فأمر رسول الله ﷺ بلالاً أن يؤذن فوق ظهر الكعبة ، وكانت قريشٌ فوق رؤوس الجبال وقد فرَّ وجوههم وتغيبوا خوفاً أن يقتلوا . فلما أذَّن بلال ورفع صوته كأشدّ ما يكون وقال : أشهد أن محمداً رسول الله – قالت جويرية بنت أبي جَهل : قد لَعَمري رفع لك ذِكْرك ! أما الصلاة فَسَنُصلّي ، والله لا نحب من قتل الأحبة أبداً ، ولقد كان جاء أبي الذي جاء محمداً من النبوة فردَّها ، وكره خلافة قومه . وقال خالد بن الأسيد : الحمد لله الذي أكرم أبي فلم يسمع هذا اليوم ! وقال الحارث بن هشام : واثُكْلاه ! ليتني مِتّ قبل هذا اليوم قبل أن أسمع بلالا ينهق فوق الكعبة ! وقال الحكم بن أبي العاص : هذا والله الحدث العظيم . أن يصبح عبد بني جمح على بَنيّة[5] أبي طلحة ! وقال سهيل بن عمرو : إن كان هذا سخطاً لله فسيغيره ، وإن كان لله رضي فسيقرّه . وقال أبو سفيان بن حرب أما أنا فلا أقول شيئاً ، لو قلتُ شيئاً لأخبرته هذه الحصباء ! فأتى جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ فأخبره خبرهم .

---

(١) في (خ) « كبر أن يقع » وما أثبتناه من (الواقدي) جـ٢ ص ٨٤٤ و (ابن هشام) جـ٤ ص ٤٢ وهو هناك « كثر [القتل] إن نقع » .

(٢) في (خ) « ففعله » ، والعقل : دية القتيل .

(٣) ذحول : جمع ذَحل ، وهو الثأر والعداوة .

(٤) وداه : دفع ديته .

(٥) البنية : البيت المبني .

أمية بن أبي عبيدة

أتاه يعلي بن أُمَيَّة بأبيه . فقال : يا رسول الله ، بايع أبي على الهجرة ، فقال : لا ! بل أبايعه على الجهاد فقد انقضت الهجرة .

سهيل بن عمرو

وكان سهيل بن عمرو أغلق عليه [بابه][1] ، وبعث إلى ابنه عبد الله ابن سهيل أن يأخذ له أماناً ، فأمَّنه رسول الله ﷺ وقال . من لقي سهيل بن عمرو ، فلا يشد النظر إليه فلعمري إن سهيلاً له عقل وشرف ، وما مثل سهيل جهل الإسلام ، ولقد رأى ما كان يوضِع فيه[2] أنه لم يكن له بنافع ، فخرج عبد الله إلى أبيه فأخبره ، فقال سهيل : كان والله براً صغيراً وكبيراً ! فخرج وشهِدَ حنيناً ، وأسلم بالجِعِرَّانة .

هبيرة بن أبي وهب وابن الزبعري

وهرب هُبيرة بن أبي وهب زوج أم هانيء بنت أبي طالب – هو وعبد الله ابن الزِّبَعْري بن قيس بن عديّ بن سعيد بن سهم القرشيّ السَّهْمي – إلى نجران . فبعث حسان بن ثابت بشعر إلى ابن الزبعري فجاء . ولما نظر رسول الله ﷺ إليه قال : هذا ابن الزبعري ومعه وجهٌ فيه نور الإسلام ! فأسلم . ومات هبيرة بنجران مشركاً .

حويطب بن عبد العزى

وهرب حُويطب بن عبد العزَّي بن أبي القيس بن عبد ود بن نصر بن مالك ابن حِسْل بن عامر بن لؤي القرشي العامري ! فأمَّنه أبو ذر رضي الله عنه ومشى معه ، وجمع بينه وبين عياله .

إسلام نساء من قريش

وأسلمت هنْد بنت عتبة ، وأم حكيم بنت الحارث بن هشام : امرأة عكرمة

---

(١) زيادة للبيان .

(٢) أوضع الأمر : اشتد فيه .

ابن أبي جهل ، والبغوم بنت المعذَّل[1] : امرأة صفوان بن أمية ، وفاطمة بنت الوليد بـن المغيرة ، وهند بنت منَبِّه بن الحجاج : أم عبد الله بن عمرو بن العاص في عشر نسوة من قريش .

بيعة النساء وخبر هند بنت عتبة

فأتين رسول الله ﷺ بالأبطح - وعنده زوجتاه وفاطمة ابنته ، في نساء من نساء بني عبد المطلب ، فبايعْنَه ، ولم تمسَّ يده يد امرأةٍ . وقيل ـــ: وضع على يده ثوباً ثم مسحن على يده . وقيل : أدخل يده في قدح فيه ماءٌ ، ثم دفعه إليهن فأدخلن أيديهنَّ فيه . وقيل : بل كانت بيعة النساء عُقيب بيعة الرجال عند الصَّفا . ورؤيت[2] فيهن هند وهي متنكِّرة لأجل صنيعها بحمزة - وكان زوجها أبو سفيان حاضراً - فعرفها رسول الله ﷺ وقال : إنك لهند ! فقالت : أنا هند ، فاعفُ عما سلف . فبايعُهن عمر رضي الله عنه واستغفر لهن رسول الله ﷺ .

إسـلام عكرمة بن أبي جهـل

وطلبت أم حكيم أماناً لعِكْرِمة وقد هرب إلى اليمن فأمَّنه . فخرجت إليه حتى قدم . فلما دنا من مكة قال رسول الله ﷺ يأتيكم عكرمة بن أبي جهل مؤمناً مهاجراً ، فلا تسبوا أباه ، فإنَّ سبَّ الميت يؤذي الحيّ ولا يبلغ إليه ! فلما رآه وثب إليه فرحاً ، فوقف - ومعه امرأته منتقبة - فقال : يا محمد ، إنَّ هذه أخبرتني أنك أمنتنى ! فقال : صدقت ، فأنت آمن ! فأسلم .

صفـوان بن أميـة

وهرب صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح القرشيُّ الجمحيُّ . فَأَخَذَ لَهُ عمير بن وهب بن خلف بن وهب بن حذافة أماناً ، وخرج فى أثره حتى رجع ، وشهد هوازن كافراً ، وأسلم بالجعرَّانة .

عبد الله بن سعد بن أبي سرح

وكان عبد الله بن سعد بن أبي سرح ممن أهدر رسول الله ﷺ دمه يوم الفتح ،

---

(١) في (خ) « المعزل » . (٢) في (خ) « رأت » .

فأتى به عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وسأله أن يهبه له ، فوهب له جُرمه . وأسلم .

الحويرث بن نقيذ

وأهدر ﷺ دم الحويرث بن نقيذ(١) بن بُجير بن عبد قُصي ، فضرب عليّ رضي الله عنه عنقه ، وكان مؤذياً لله ولرسوله ﷺ .

هبار بن الأسود

وأهدر دم هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزَّي بن قصي ابن الأسدي القرشيِّ ، فأسلم .

ابن خطل

وأخرج أبو بَرْزة الأسلميُّ عبدَ الله بن خطل – وهو متعلق بأستار الكعبة – فضرب عُنقَه بين الركن والمقام . [ويقال : قتله سعيد بن حُرَيْث المخزوميّ ، ويقال : عمَّار بن ياسر ، وقيل: نَضلة بن عبد الله بن الحارث بن حيال بن ربيعة(٢) بن دِعْبل ابن أنس بن خزيمة بن حديدة بن مازن بن الحارث(٣) بن سلامان بن أسلم بن أفْصى بن حارثة بن عمرو مُزَيْقيَا(٤) ويقال : شريك بن عَبْدة العجلاني(٥) [وأثبته أبو بَرْزة] . وفيه نزلت ﴿ **لا أقسم بهذا البلد وأنت حِلٌ بهذا البلد** ﴾وفي المستدرك للحاكم ، عن السائب بن يزيد قال : رأيت رسول الله ﷺ أخرج عبد الله بن خطل من بين أستار الكعبة فقتله صبراً(٦) ، ثم قال : لا يقْتَل أحد من قريش بعد هذا صبراً .

---

(١) في (خ) « نفيد » .
(٢) في (خ) « ربيع » .
(٣) في (خ) « الحرب » .
(٤) كذا في (ط) ، (خ) ، ونسبه في (الاستيعاب) جـ١٠ ص ٢٩٥ هكذا : « نضلة بن عبيد بن الحارث ، أبو برزة الأسلمي . غلبت عليه كنيته ، واختلف في اسمه ، فقيل : نضلة ابن عبيد بن الحارث ، وقيل : نضلة بن عبد الله بن الحارث ، وقيل : عبد الله بن نضلة ، وقيل : سلمة بن عبيد » ، « وروي عن أبي برزة أنه قال : أنا قتلت ابن خطل ، وهو متعلق بأستار الكعبة » .
(٥) « وهو شريك بن السحماء » .
(١) قتل صبراً في غير حرب ولا معركة ولا خطأ .

سـارة

وقتلت سارة مولاة عمرو بن هشام[1] ، وهي التي حملت كتاب حاطب بن أبي بلتعة . قتلها علي رضي الله عنه . ويقال غيره .

أرنـب

وقتلت أرنب [أو قُيربة] وأسلمت فَرْتَنَى .

مقيس بن صبـابة

وقتل مقيسُ بن صُبابة نُمَيْلَةُ بن عبد الله الليثي . وقيل رآه المسلمون بين الصفا والمروة فقتلوه بأسيافهم .

مقالة أبي سفيان في القتلى

ولما قتل النفر الذين أمر رسول الله ﷺ بقتلهم ، سُمِع النَّوْح عليهم . وجاء أبو سفيان بن حرب فقال : فداك أبي وأمي ! البقية في قومك ! فقال ﷺ : لا تقْتل قريش صبراً بعد اليوم [يعني على كفر] وفي رواية : لا تغزي قريشٌ بعد هذا اليوم إلى يوم القيامة . [يعنى على كفر] .

الأمـر بقتل وحشي

وأمر عليه السلام بقتل وحشي ، ففرَّ إلى الطائف حتى قدم في وفدهم فأسلم : فقال له عليه السلام : غيِّب عني وجهك ! فكان إذا رأى النبيَّ ﷺ توارى[2] عنه .

سلف رسول الله من بعض قريش

واستسلف ﷺ من عبد الله بن أبي ربيعة أربعين ألف درهم فأعطاه ، فردّها عليه من غنائم هوازن ، وقال : إنما جزاء السَّلَف الحمد والأداء . وقال بارك الله لك في مالك وولدك ؟ واستقرض من صفوان بن أمية خمسين ألف درهم فأقرضه . واستقرض من حوَيْطب بن عبد العزى أربعين ألف درهم . فكانت ثلاثين ومائة ألفٍ قسمها بين أهل الضَّعف ، فأصاب الرجل خمسين درهماً وأقلَّ وأكثر . وبعث من ذلك إلى بني جذيمة .

---

(١) في (خ) « هاشم » .
(٢) في (خ) « تورى » .

تم بحمد الله تعالى الجزء الأول من كتاب إمتاع الأسـماع للمقريزي ، ويليه الجزء الثاني وأوله :

(هـدية الخـمـر)

* * *

إمتاع الأسماع

بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع

تأليف

تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي
المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

تحقيق وتعليق

محمد عبد الحميد النميسي

الجزء الثاني

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH
Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

ISBN 2-7451-2208-8

http://www.al-ilmiyah.com.lb/
e-mail : sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هـديـة الخمـر

وأهْدِي له يومئذ راوية خمر فقال : إن الله حرَّمها ! فسارَّ الرجل غلامه : إذهب بها إلى الحزْوَرةِ[1] فبعها . فقال : بم أمرْته ؟ قال : بِبَيْعِها ! فقال : إن الذي حرَّم شرْبَها حرَّم بيعها ! فَفُرِّغت بالبطحاء . ونهي يومئذ عن ثمن الخمر . وثمن الخنزير ، وثمن الميْتة ، وثمن الأصنام ، وحلوان الكاهن .

تحريم شحوم الميتة

وقيل له يومئذ : ما ترى في شحوم الميتة يدهن به السِّقاء ؟ فقال قاتل الله يهودا ! حرَّم عليهم الشحوم فباعوها ، فأكلوها ثمنها .

وحرَّم متعة النساء يومئذ ، وقال يومئذ – وهو بالحزورة – : والله إنك لخير أرض الله إليّ ، ولولا أني أُخرجْت مِنْكِ ما خرجت[2] .

العفو عن بعض أهل مكة

وهبط ثمانون من أهل مكة على رسول الله ﷺ من جبل التَّنعيم عند صلاة الفجر ، فأخذهم سَلَماً[3] فعفا عنهم ، ونزل فيهم : ﴿ **وهو الذي كفَّ أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيراً** ﴾[4] .

---

(١) كانت الحزورة سوق مكة ، وقد دخلت في المسجد لما زيد فيه ؛ وفي الحديث : وقف النبي ﷺ بالحزورة وقال : يا بطحاء مكة ما أطيبك من بلدة وأحبك إلي ولولا أن قومي أخرجوني ما سكنت غيرك (معجم البلدان) ج ٢ ص ٢٥٥ .

(٢) لفظ الحديث في التعليق السابق ، وفي (خ) « أخرجت » .

(٣) مستسلمين بغير حرب .

(٤) الآية ٢٤ / الفتح ، وفي (خ) إلى قوله تعالى ﴿ **أضفركم عليهم** ﴾ .

حد شارب الخمر

وأتي بشاربٍ فضربوه بما في أيديهم ، فمنهم من ضَرَبَ بالسوط وبالنَّعْل وبالعصا ، وحثا عليه النبي ﷺ التراب .

إســلام جبر

وجاء جَبْر غلام بني عبد الدار – وقد كان يكتم إسلامه – فأعطاه ثمنه ، فاشتري نَفسُه فعتق .

نذر رجل الصلاة في بيت المقدس

وقال رجل يومئذ : إني نذرت أن أصلي في بيت المقدس إن فتح الله عليك مكة ، فقال ﷺ ، والذي نفسي بيده ! لصلاةٌ ها هنا أفضل من ألف صلاةٍ فيما سواه من البلدان .

نذر ميمونة أم المؤمنين

وقالت ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها : يا رسول الله ، إني جعلت على نفسي – إن فتح الله عليك مكة – أن أصلي في بيت المقدس ! فقال : لا تقدرين على ذلك ، ولكن ابعثي بزيت يستصبح(١) لك فيه به ، فكأنك أَتَيْتِه(٢) . وكانت ميمونة تبعث إلى بيت المقدس كل سنة بمال ليشترى به زيت يستصبح به في بيت المقدس ، حتى ماتت فأوصت بذلك .

نساء قريش وجمالهن

وجلس عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه في مجلس فيه جماعة – منهم سعد ابن عبادة رضي الله عنه – فمرَّت نسوة من قريش فقال سعد : قد كان يذكر لنا من نساء قريش حسنٌ وجمال(٣) ، ما رأيناهنّ كذلك ! فغضب عبد الرحمن ابن عوف حتى كاد أن يقع بسعد وأغلظ له(٤) ، ففرَّ منه سعدٌ حتى أتى رسول

(١) الاستصباح : الاستسراج ، أي إشعال السراج به .

(٢) في (خ) « أنيتيه » .

(٣) في (خ) « حسناً وجمالاً » .

(٤) في (خ) « وأغلظ » .

الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، ماذا لقيت من عبد الرحمن ؟ فقال : وماله ؟ فأخبره بما كان ، فغضب ﷺ حتى كان وجهه ليتوقد[١] ، ثم قال : رأيتهنّ وقد أصبن بآبائهن وأبنائهنّ وإخوانهنّ وأزواجهن ! خير نساءٍ ركبن الإبل نساء قريش ! أحْناهُ على ولد ، وأبذلهُ لزوج بما ملكت يدٌ .

هدية هند بنت عتبة بعد إسلامها

وأهدت هند بنت عتبة بعد إسلامها هدية لرسول الله ﷺ – وهو بالأبطح – مع مولاة لها ، جَدْيَيْنِ[٢] مَرْضُوفَيْن وَقدًّا[٣] ، فانتهت الجارية إلي خيمته ، فسلمتْ واستأذنتْ فأذن لها فدخلت ورسول الله ﷺ بين أم سَلَمة وميمونة ونساء بني عبد المطلب ، فقالت : إن مولاتي أرسلت إليك بهذه الهدية ، وهي معتذرة إليك ، وتقول : إن غنمنا اليوم قليلة الوالدة ، فقال : بارك الله لكم في غنمكم ، وأكثر والدتها ! فَسُرَّت هند لما أخبرتها مولاتها بذلك ، ورأوا من كثرة غنمهم ووالدتها ما لم يكن من قبل ولا قريباً . وكانت هند تقول : هذا بدعاء رسول الله وبركته .

إحدى نساء بني سعد وخبر وفاة حليمة السعدية

وأَتَتْهُ ﷺ إحدى نساء بني سعد بن بكر – إمَّا خالةٌ أو عمةٌ – بِنحْي[٤] مملوءٍ سمناً وجراب أقِطٍ[٥] – وهو بالأبطح – فعرفها ، ودعاها إلى الإسلام فأسلمت ، وأخبرته بوفاة حليمة[٦] فذرفت عيناه ، وقالت : أخواك وأختاك محتاجون ! فأمر لها بكسوة وجملٍ ومائتي درهم ، فقالت : نِعْم والله المكفول كنت صغيراً ، ونعم المرءُ كنتَ كبيراً ، عظيم البركة .

السرايا وهدم الأصنام

وبثَّ ﷺ سراياه وأمرهم أن يغيروا على من لم يُسْلم . فخرج هشام بن العاص

---

(١) توقد : تلألأ .

(٢) في (خ) « جد بين » .

(٣) المرضوف : المشوي ، والقد : سقاء صغير متخذ من جلد السَّخْلَة يكون فيه لبن .

(٤) النحي : زق من الجلد يكون فيه السمن خاصة .

(٥) الأقط : يتخذ من ألبان الإبل .

(٦) حليمة السعدية ، ظئره وحاضنته ﷺ .

في مائتين قِبَل يُلَمْلم . وخرج خالد بن سعيد بن العاص في ثلاثمائة قِبلَ عُرَنَة وبعث خالد بن الوليد إلى العُزَّى في ثلاثين فارساً فهدمها لخمس[1] بقين من رمضان ، وكانت بنخلة . وبعث الطفيل بن عمرو بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم ابن فَهْمٍ[2] الدَّوْسي إلى ذي الكفيْن صنم عمرو بن حُمَمَة فحرَّقه بالنار ، وبعث سعد بن زَيْدٍ الأشهليّ إلى مَناة بالمشلَّل[3] فهدمه . وبعث عمرو بن العاص إلى صنم هُذَيل سواعٍ فهدمه . ونادى منادى رسول الله ﷺ من كان يؤمن بالله وبرسوله فلا يدعنّ في بيته صنما إلا كسره أو حرَّقه ، وثمنه حرام . فجعل المسلمون يكسرون الأصنام ، ولم يكن رجل من قريش بمكة إلا وفي بيته صنم : إذا دخل مسحه وإذ خرج مسحه : تبركاً به . وكان عكرمة بن أبي جهل لما أسلم لم يسمع بصنم في بيتٍ إلا مشى إليه حتى يكسره . وجعلت هند بنت عتبة تضرب صنما في بيتها بالقدوم فِلذة فِلذة[4] وهي تقول : كنا منك في غرورٍ !!

مدة المقام بمكة

وأقام ﷺ بمكة - على ما في صحيح البخاريّ - خمسَ عشرة ليلة . [وفي رواية تسع عشرة ، وفي أبي داود تسع عشرة ، وفي الترمذيّ ثماني عشرة ، وقيل عَشْراً ، وقيل بضع عشرة ، وقيل : عشرين ليلة] يصلي ركعتين ، ويأمر أهل مكة أن يتموا ، كما رواه النسائيّ . وأفطر بقية شهر رمضان .

بعثة خالد بن الوليد إلى بني جذيمة وقتلهم ، وكانوا مسلمين

ولما رجع خالد بن الوليد من هدم العزّى ، بعثه رسول الله ﷺ إلى بني جذيمة ابن عامر بن عمرو بن مناة بن كنانة يدعوهم إلى الإسلام فخرج أول شوّال في ثلاثمائة وخمسين إلى أسفل مكة وانتهى إليهم ، فقالوا : نحن مسلمون ! فقال خالد : استأسروا ! فكتف بعضهم بعضا ، ودفع خالد إلى كل رجل من أصحابه رجلا أو رجلين ، فباتوا في وثاقٍ إلى السَّحر . فنادى خالدٌ : من كان معه أسيرٌ فليدافّه[5] .

---

(١) في (خ) « بخمس » .

(٢) في (خ) « سالم بن فهر » ، وما أثبتناه من (الإصابة) جـ٥ ص ٢٢٣ ترجمة رقم ٤٢٤٧ .

(٣) جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر (معجم البلدان) جـ٥ ص ١٣٦ .

(٤) الفلذة : القطعة .

(٥) فليدافه : فليجهز عليه .

فقتل بنو سليم من كان في أيديهم ، وكانوا قريباً من ثلاثين رجلا . وأما المهاجرون والأنصار فأرسلوا أسراهم وقالوا : اذهبوا حيث شئتم ! فغضب خالدٌ علي من أرسل أسيره . فقال له أبو أسيد السَّاعديّ : اتق الله يا خالد ! ما كنا لنقتل قوماً مسلمين ! قال : وما يدريك ؟ قال : تسمع إقرارهم بالإسلام ، وهذه المساجد بساحتهم ! فلما قدم خالدٌ على رسول الله ﷺ عاب[1] عبد الرحمن بن عوف عليه ما صنع ، فتلاحيا ، وأعانه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأعرض رسول الله ﷺ عنه وقال له - وقد بلغه ما صنع بعبد الرحمن بن عوف - : يا خالد ! ذروا لي أصحابي ! متى يُنكأ أنف المرء يجع[2] ! لو كان أحدٌ ذهباً تنفقه قيراطاً قيراطاً في سبيل الله لم تدرك غدْوة أو روْحة من غدَوات أو رَوَحات عبد الرحمن بن عوف ! ورفع ﷺ يديه حتى رُؤِي بياض إبطيه ، وهو يقول : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد !!

بعثة عليٍّ بالديات إلى بني جذيمة

وبعث علياً رضي الله عنه إلى بني جذيمة بمال فَوَدَى لهم ما أصاب خالدٌ ، ودفع إليهم مالهم ، فبقيت لهم بقية مال ، فبعث عليٌّ أبا رافع إلى النبي ﷺ ليستزيده فزاده مالاً ، فودى لهم كلَّ ما أصاب [خالد] ، حتى إنه ليدي لهم ميلغة[3] الكلب وبقي مع عليٍّ شيء من المال . فقال : هذه البقية من هذا المال لكم عن رسول الله ﷺ مما أصاب خالدٌ ، مما لا يعلمه ولا تعلمونه . فأعطاهم ذلك وعاد فأخبر النبي ﷺ بما صنع فقال : أصَبتَ ! ما أمرتُ خالداً بالقتال ، إنما أمرته بالدعاء ! ثم أقبل على خالدٍ رضي الله عنه وقال : لا تسبوا خالداً ابن الوليد ، فإنما هو سيف من سيوف الله سله على المشركين .

فتح مكة

وقد اختلف في فتح مكة ، فقال الأوزاعيّ ومالك وأبو حنيفة : إنَّها فتحت عَنوة ثم أمَّنَ أهلها . وقال مجاهد والشافعيّ : فتحت صلحاً بأمانٍ عَقَده . وقيل :

(١) في (خ) « غاب » .

(٢) كذا في (ط) ، وفي (خ) « متى يتكأ أنف المرء وينكا » ولم أجد هذا المثل في (مجمع الأمثال للميداني) ولا في جمهرة الأمثال للعسكري) ، ولا في كتاب (الأمثال في الحديث النبوي) لأبي الشيخ الأصبهاني . ونكأ القرحة : نشرها .

(٣) في (خ) « « مبلغة » .

فتح أسفلها عَنوة وأعلاها صُلحاً[١] .

وروي أنه يوم فتح مكة حام حَمام الحرم[٢] فأظلته ﷺ ، فدعا لها بالبركة . وكان يحبُّ الحمام .

غزوة حنين

« هــوازن »

ثم خرج رسول الله ﷺ إلى غزوة حنين : وذلك وادٍ – ويقال ماءٌ – بينه وبين مكة ثلاث ليال في قرب الطائف . سمِّي بحُنين بن قانية بن مَهْلائيل من جرهم ، وقيل : حنين بن ماثقة بن مهلان بن مهليل بن عبيل بن عوص بن إرم ابن سام[٣] بن نوح .

جموع هوازن وثقيف

وذلك أن أشراف هوازن وثقيف حشدوا ، وقد جعلوا أمرهم إلى مالك ابن عوف بن سعيد بن ربيعة بن يربوع بن واثلة[٤] بن دُعمان بن نصر بن معاوية ابن بكر بن هوازن النصريِّ ، وهو ابن ثلاثين سنة . وأقبلت ثقيفٌ ونصرٌ وجشم ، وكان في ثقيف سيِّدان[٥] لهم هما : قارب بن عبد الله بن الأسود بن مسعود الثقفيُّ ، وذو الخمار سبيع بن الحارث ، [ويقال : الأحمر بن الحارث] ، واجتمع إليهم من بني هلال بن عامر نحو المائة ، ولم يحضرهم أحد من كعب ولا كلاب

---

(١) يقول ابن القيم في (زاد المعاد) جـ٣ ص ٤٢٩ في الإشارة إلى ما في الغزوة من الفقه واللطائف ، « وفيها البيان الصريح بأن مكة فتحت عنوة كما ذهب إليه جمهور أهل العلم ، ولا يعرف في ذلك خلاف إلا عن الشافعي وأحمد في أحد قوليه » ثم قال : « قال أصحاب الصلح : لو فتحت عنوة لقسمها رسول الله ﷺ بين الغانمين كما قسم خيبر » ، « ولو فتحت عنوة لملك الغانمون رباعها ودورها » ، « قال أرباب العنوة : لو كان قد صالحهم لم يكن لأمانه المقيد بدخول كل واحد داره ، وإغلاق بابه ، وإلقاء سلاحه فائدة » .

« وأيضاً فلو كان فتحها صلحاً ، لم يقل : إن الله قد أحلها لي ساعة من نهار ، فإنها إذا فتحت صلحاً كانت باقية على حرمتها » .

(٢) في (خ) « الحرر » .

(٣) في (خ) « سلام » .

(٤) في (خ) « واثله » .

(٥) في (خ) « سيديان » .

[من هوازن][1] وحضر دُرَيْد بن الصِّمَّة بن [الحارث بن][2] بكر بن علقمة ابن خزاعة بن غزِيَّة[3] بن جُشم بن معاوية بن بكر بن هَوَازن في بني جشم ، وهو ابن ستين ومائة سنة لا شيء فيه ، إلا أنهم يتيمنون برأيه ومعرفته بالحرب ودربته[4] .

منزل هوازن

وجاءوا جميعاً بأموالهم ونسائهم وأبنائهم يريدون حرب رسول الله ﷺ حتى نزلوا بأوطاس ، فقال دريد : بأيِّ وادٍ أنتم : قالوا : بأوطاس فقال : مجال الخيل ! لا حزْنٌ ضرسٌ ، ولا سهْلٌ دَهِس[5] . ثم قال لمالك بن عوف : مالي أسمع بكاء الصغير ، ورغاء البعير ، ونهاقَ الحمير ، ويُعار الشاة ؟ قال مالك : يا أبا قرَّه ! إني سقت مع الناس أموالهم وذراريهم ، وأردت أن أجعل خلف كلِّ رجل منهم أهله وماله يقاتل عنه ، فأنقض به دريد ، ثم قال : رُوَيْعي ضأنٍ والله ! وهل يردُّ المنهزم شيء ؟ وقال : هذا يوم لم أشهده[6] ، ولم أغب عنه ! وقال :

يا ليتني فيها جذع[7] أخُب فيها وأضع[8]
أقود وطفاء الزَّمع[9] كأنها شاة صدَعْ[10]

[قوله : « أنقض به دريد » يريد أنه نقر بلسانه في فيه كما يزجر الشاة أو الحمار . وقوله : « رويعي[11] ضأن » ، يستجهله] .

خروج رسول الله إلى حنين

فغدا ﷺ يريدهم يوم السبت لستٍ خلون من شوال ، وقيل قدم مكة لثماني

---

(١) زيادة للبيان .
(٢) زيادة من نسبه من (ط) .
(٣) في (خ) « عربة » .
(٤) في (خ) « ذريته » .
(٥) الحزن : الغليظ من الأرض . الضرس : الغليظ الخشن . الدهس : اللين الوطء من الأرض .
(٦) في (خ) « أشهد » .
(٧) جذع : صغير السن ، وفي (خ) « جزع » .
(٨) الخب والوضع : ضربان من العدو والوضع أشد .
(٩) في (خ) « الرمع » ، والوطفاء : الغزيرة الشعر . والزمع جمع زمعة : وهي شعرة مدلاة خلف الرسغ .
(١٠) الصدع : الوعل الحديث السن .
(١١) رويعي : تصغير « راع » .

عشرة ليلة من شهر رمضان سنة ثمانٍ ، وأقام بها اثنتي عشرة ليلة ، ثم أصبح غداة الفطر غادياً إلى حنين . وخرج معه أهل مكة – لم يتأخر منهم كبير أحد – ركباناً ومشاة ، حتى خرج معه النساء يمشين : على غير دين نظاراً ينظرون ويرجون الغنائم ، ولا يكرهون الدَّولة لرسول الله ﷺ . واستعمل على مكة عتَّاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس القرشيَّ الأمويّ – وله نحو عشرين سنة – ، وجعل معه معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عُدَيّ بن كعب بن عمرو بن أديٍّ ابن سعيد بن علي بن أسد بن سادرة[1] بن زيد بن جشم بن الخزرج الأنصاريّ الخزرجي ، يعلمهم السُّنن والفقه . وخرج معه إثنا عشر ألف رجل : عشرة آلاف من المدينة وألفان من أهل مكة ، وهم الطلقاء .

إعجاب المسلمين بكثرتهم يوم حنين

فقال رجل من بني بكر : لو لقينا بني شيبان ما بالينا ، ولا يغلبنا اليوم أحدٌ من قلة ! فأنزل الله تعالى : ﴿ **لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحُبت ثم ولَّيتم مدبرين** ﴾[2] .

عارية السلاح

واستعار رسول الله ﷺ من صفوان بن أمية مائة درع ، وقيل أربعمائة درع ، بأداتها ، وخرج [صفوان][3] وهو مشرك مع المسلمين .

خبر ذات الأنواط

فمرُّوا بشجرة عظيمةٍ خضراء يقال لها ذات أنواطٍ – كانت العرب من قريش وغيرها يأتونها كل سنة يعلقون عليها أسلحتهم ، ويذبحون عندها ، ويعكفون عليها يوماً – فقالوا : يا رسول الله : اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط : فقال : الله أكبر ! قلتم – والذي نفسي بيده – كما قال قوم موسي : ﴿ **اجعل لنا إلهاً كما**

---

(١) في (خ) « ماردة » .

(٢) الآية ٢٥ / التوبة ، وفي (خ) « ...... كثرتكم الآي » .

(٣) زيادة للبيان .

لهم آلهةٌ قال إنكم قوم تجهلون ﴾[١] ، إنها السُّنن ، سُنن من كـان قبلكم [وفي رواية : لتركبُن سنن من قبلكم][٢] .

خبر الرجل الذي أراد قتل رسول الله

ونزل رسول الله تحت شجرة دوين أوطاس ، وعلق بها سيفه وقوسه ، فجاء رجل وهو نائمٌ فسلّ السيف ، وقام على رأسه ففزع به[٣] وهو يقول : يا محمد ! من يمنعك منّي اليوم ؟ فقال : الله ! فأتى أبو بُرْدة بن نِيَار يريد أن يقتل الرجل ، فمنعه النبي عليه السلام من قتله وقال : يا أبا بردة ، إن الله مانعي وحافظي حتى يُظْهِرَ دينه على الدِّين كلّه .

وانتهى ﷺ إلى حنين مساءً ليلة الثلاثاء لعشر ليالٍ خلون من شوال .

عيون هوازن ورعب المشركين

فبعث مالك بن عوف ثلاثة رجال متفرقين في العسكر [يأتونه بخبر أصحاب رسول الله ﷺ][٤] ، فرجعوا وقد تفرقت أوصالهم [من الرعب][٤] ، وقالوا : رأينا رجالاً بيضاً على خيل بُلْق ، فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى ! وقالوا : ما نقاتل أهل الأرض إنما نقاتل إلا أهلَ السماء ! وإنْ أطعتنا رجعت بقومك . فسبَّهم وحبسهم . ثم بعث آخر فعاد إليه بمثل ما قال الثلاثة ، فلم ينته . وبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن حَدْرَد مَرْثَد بن أبي مَرْثد الغنويُّ تلك الليلة على فرسه وهو يحرس المسلمين .

خروج غير المسلمين إلى حنين

وكان قد خرج رجال من مكة على غير دين ، ينظرون على من تكون الدائرة ، فيصيبون من الغنائم ، منهم أبو سفيان بن حرب[٥] ، ومنهم معاوية بن أبي سفيان — خرج ومعه الأزلام[٦] في كنانته ، وكان يسير فى أثر العسكر ، كلّما مرَّ بترسٍ

---

(١) الآية ١٣٨ / الأعراف . (٢) سنن الطريق : نهجه ووجهه . (٣) فزع به : أنبهه .

(٤) زيادة من (ابن سعد) جـ٢ ص ١٥٠ .

(٥) كذا في (خ) و (الواقدي) جـ٣ ص ٨٩٥ ، وهو غريب ، فمن الثابت أن أبا سفيان بن حرب أسلم ليلة الفتح ، ومعاوية أسلم يوم الفتح ، والحارث بن هشام أسلم يوم الفتح أيضاً .

(٦) الأزلام : سهام كانوا يستقسمون بها في الجاهلية .

ساقط أو رمح أو متاع حمله ، حتى أوقر جمله[1] - ، وصفوان بن أمية ، ومعه حكيم بن حزام ، وحويطب بن عبد العزّى ، وَسُهَيْل بن عمرو ، والحارث ابن هشام[2] ، وعبد الله بن أبي ربيعة ، فلما كانت الحرب وقفوا خلف الناس .

تعبئة المسلمين

وعبّأ مالك بن عوف أصحابه في الليل بوادي حُنَين ، وعبأ له رسول الله ﷺ في السَّحر ، ووضع الألوية والرايات في أهلها . فحمل رايات المهاجرين : عليّ وسعدُ بن أبي وّقاص ، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم ، وحمل رايات الأنصار الحُبابُ بن المنذر ، وقيل كان لواء الخزرج الأكبر مع سعد بن عُبادة ، ولواء الأوس مع أسيد بن حُضَير . وفي كل بطن لواء أو راية . وكانت رايات المهاجرين سوداً وألويتهم بيضاء ، ورايات الأنصار خُضْراً وحُمْراً ، وكانت في قبائل العرب رايات ، وبقيت سُلَيْم كما هي في مقدمة الخيل ، وعليهم خالد بن الوليد .

المسير إلى القتال

وانحدر رسول الله ﷺ بأصحابه في وادي حنين . وهو على تعبئته وقد ركب بغلته البيضاء دُلْدُل ، ولبس درعين والمغفر والبيضة ، وحضّ على القتال ، وبشر بالفتح إن صدقوا وصبروا .

إنهزام المسلمين

فاستقبلتهم هوازن في غَبَشِ الصُّبح[3] بكثرة لم يَرَوْا مثلها قط ، وحملوا على المسلمين حملة واحدة ، فانكشف أول الخيل خيْل [بني][4] سُلَيْم مولّية ، فولّوْا وتبعهم أهل مكة ، وتبعهم الناس منهزمين ما يلوون على شيء .

---

(١) أوقر الجمل : أثقل حمله .

(٢) كذا في (خ) و (الواقدي) جـ٣ ص ٨٩٥ ، وهو غريب ، فمن الثابت أن أبا سفيان بن حرب أسلم ليلة الفتح ، ومعاوية أسلم يوم الفتح ، والحارث بن هشام أسلم يوم الفتح أيضاً .

(٣) غبش الصبح : الظلمة يخالطها البياض في بقية الليل .

(٤) زيادة للسياق .

إنهزام المشركين بغير قتال

فالتفت رسول الله ﷺ يميناً وشمالاً – والناس منهزمون حتى بلغوا مكة ، فلم يرجع آخرهم إلا والأسارى بين يدي النبي عليه السلام – وهو يقول : يا أنصارَ الله وأنصارَ رسول الله ؟ أنا عبدُ الله ورسوله !! ثم تقدَّم بحربته أمام الناس ، وانهزم المشركون ، وما ضرب أحدٌ من المسلمين بسيف ولا طَعَن برمح . ورجع ﷺ إلى العسكر ، وأمر أن يُقتلَ كلُّ من قُدِر عليه من المشركين ، وقد ولت هوازن ، وثاب من انهزم من المسلمين .

الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ في الهزيمة

ولم يثبت معه ﷺ وقت الهزيمة إلا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وقد أخذ[1] بثَغَر البلغة ، والعباس وقد أخذ بِحَكَمَتِها[2] ، وهو يركُضُها إلى وجه العدوّ ، وينوِّه بإسمه فيقول :

أنا النبيُّ لا كَـذِبْ　　　أنا ابنُ عبد المُطَّلِـبْ

دعـوة المنهزمين

وقال ﷺ يا عباس ! اصرُخْ : يا معشر الأنصار ! يا أصحاب السَّمُرَة[3] ! فنادى بذلك – وكان رجلا صَيِّتاً[4] –، فأقبلوا كأنهم الإبل إذا حنَّت إلى أولادها يقولون يا لبَّيْك .. يالبيك ! فأشرف ﷺ كالمتطاول في ركابيْه ، فنظر إلى قتالهم وقال : الآن حمي الوطيس ! ثم أخذ بيده من الحصا فرماهم به وهو يقول : شاهت الوجوه ، حَمّ لا ينصرون ! ثم قال : انهزموا ورَبِّ الكعبة ! فمازال أمرهم مدبراً وانهزموا : فانحاز ﷺ ذات اليمين ، وهو على بغلته قد جرَّد سيفه .

---

(٣) هذه الكلمة غير واضحة في (خ) ، وأثبتناها من (الواقدي) جـ٢ ص ٨٩٨ ومعناها : السير في مؤخر السرج (ترتيب القاموس) .

(٢) الحَكَمَةُ : ما أحاط بحنكي الفرس من لجامه وفيها العذران (ترتيب القاموس) .

(٣) السَّمُرَة: قال في (النهاية) الشجرة التي كانت عندها بيعة الرضوان عام الحديبية .

(٤) صَيِّتًا : عالي الصوت رفيعه .

عدد من ثبت معه

وثبت معه[1] سوى من ذكرنا : عليٌّ ، والفضل بن عباس ، وربيعة ابن الحارث [بن عبد المطلب][2] ، وأيمن بنُ عَبَيْد الخزرجي ، وأسامةُ بن زيد ، وأبو بكر وعمر ، رضي الله عنهم . وقيل لما انكشف الناس عنه قال رسول الله ﷺ لحارثة بن النُّعْمان الأنصاري : كم تُرى الناسَ الذين ثبتوا ؟ فحرزهم مائة ، وهذه المائة هي التي كرَّت بعد الفِرار ، فاستقبلوا هوازِن واجتلدوهم[3] وإياهم وكان دعاؤه يومئذٍ – حين انكشف الناسُ عنه ، فلم يبق إلا في المائة الصابرة – : اللهم لك الحمد ، وإليك المشتكى ، وأنت المستعان[4] ! ويقال إن المائة الصابرة يومئذ : ثلاثة وثلاثون من المهاجرين ، وسبعة وستون من الأنصار ، وكان عليٌّ ، وأبو دجانة ، وعثمان بن عفان ، وأيمن بن عُبيد رضي الله عنهم يقاتلون بين يدي النبي ﷺ .

خبر علي وقتاله يوم حنين

قال الحارث بن نوفْل : فحدَّثني الفضلُ بن العباس قال : التفت العباس يومئذ وقد أقشع[5] الناس عن بكرة أبيهم – فلم يرَ علياً فيمن ثبت ، فقال : شوهةً وبوهةً[6] ! أوَفِي مثل هذه[7] الحال يرغب ابن أبي طالب بنفسه عن رسول الله ﷺ ؟ وهو صاحبه فيما هو صاحبه !! [يعني المواطن المشهورة له] فقلت : بعضَ قولك لابن أخيك ! أما تراه في الرَّهَج ؟ قال : أشْعِرهُ[8] لي يا بُنيّ . قلت ذو كذا ، ذو كذا ، ذو البُرْدَة . قال : فما تلك البرقةُ ؟ قلت : سيفه يرفل[9] به بين

---

(١) في (خ) « وما معه » .

(٢) زيادة للبيان من (ط) .

(٣) اجتلدوا : ضربوا بالسيف .

(٤) في (الواقدي) جـ٢ ص ٩٠١ بعد قوله « المستعان » « قال له جبريل : لقد لقنت الكلمات التي لقن الله موسى يوم فلق البحر أمامه وفرعون خلفه » ومعنى لقن : فهم .

(٥) أقشع الناس : تفرقوا .

(٦) في (خ) « شوهةٌ بوهة » وهذا يقال في الدعاء والذم ، كذا في (ط) ولم أجد المثل في مجمع الأمثال ولا في جمهرة الأمثال .

(٧) في (خ) ، (ط) « هذا » وما أثبتناه حق اللغة .

(٨) الرهج : غبار الحرب وأَشْعِرْهُ لي : أذكر لي شعاره الذي يعرف به بين رفقته. (٩) يرفل : يتبختر .

الأقران[1] . فقال برٌّ ابن برٍّ ؟ فداه عم وخالٌ ! قال : فضرب عليٌّ يومئذ أربعين مبارزاً كلهم يقده حتى يَقُدَّ أنفه وذكره . قال : وكانت ضرباته مُنْكرة .

قتال أم عمارة وصواحباتها

وكانت أم عمارة في يدها سيف صارم ، وأم سليم معها خنجر قد حزمْته على وسطها وهي يومئذ حامل بعبد الله بن أبي طلحة ، وأم سَليط ، وأم الحارث – حين انهزم الناس – يقاتلن : وأم عمارة تصيح بالأنصار : أَيَّةُ عادة هذه ! مالكم ولِلفرار ! وشدَّتْ على رجل من هوازن فقتلته وأخذت سيفه .

موقف رسول الله ﷺ

ورسول الله ﷺ قائم مُصْلِتٌ السيف بيده ، وقد طرح غِمْدَهُ ينادي : يا أصحاب سورة البقرة ! فكرَّ المسلمون ، وجعلوا يقولون : يا بني عبد الرحمن ! يا بني عبد الله ! يا بني عُبَيد الله ! يا خيل الله – وكان ﷺ قد سَمَّي خيْله خيل الله – [وكان شعار[2] المهاجرين بني عبد الرحمن ، وشعار الأوس بني عبيد الله ، وشعار الخزرج بني عبد الله] . فكرَّت الأنصار ، ووقفت هوازن حملة ناقة[3] ، ثم كانت هزيمتهم أقبح هزيمة ، والمسلمون يقْتُلون ويأسرون .

تحريض أم سليم

وأم سليم بنت ملْحان تقول : يا رسول الله ! ما رأيتَ هؤلاء الذين أسلموا وفرُّوا عنك وخذلوك ! لا تعفُ عنهم إذا أَمْكَنَكَ الله منهم ، تقتلهم كما تقْتُل هؤلاء المشركين ! فقال : يا أم سُلَيْم ! قد كفى الله ، عافيةُ الله أوسع .

النهي عن قتل الذرية

وَحَنِقَ المسلمون على المشركين فقتلوهم حتى شرعوا[4] في قتل الذُّرية . فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال : ما بالُ أقوام ذهب بهم القتل حتى بلغ الذُّرِّيَّة !

---

(١) الأقران : النظائر والأكفاء .

(٢) في (خ) « وجعل شعار » .

(٣) في (خ) « حملت » ، والمعنى : وقفوا مقدار ما تحمل الناقة رحلها .

(٤) في (خ) « أشرعوا » .

ألا َلا تُقْتَلُ الذرية ، فقال أسَيْدُ بن الحُضَيْر : يا رسول الله ! أليس إنما هم أولاد المشركين ؟! فقال : أوَليس خياركم أولاد المشركين ؟ كل نَسمةٍ تولد على الفطرة حتى يُعْربَ عنها لسانُها ، وأبواها يُهوِّدانها أو يُنَصِّرانها[١] !.

خبر النمل

وقال جُبَير ين مُطعم : لما تراءينا نحن والقومُ ، رأينا سواداً لم نَر مثله قط كثرة ، وإنما ذلك السواد نَعَمٌ فحملوا النساء عليه . فأقبل مثلُ الظُّلَّة السوداء من السماء ، حتى أظلت علينا وعليهم وسدَّت الأرض . فنظرت فإذا وادي حُنَينٍ يسيل بالنمل ، نمْل أسوَدَ مبثوث . لم أشكَّ أنه نصرٌ أيدنا الله به ، فهزمهم الله . وَحَدَّثَ شيوخ من الأنصار قالوا : رأينا كالبُجُد[٢] السود هَوَت من السماء رُكاماً فنظرنا فإذا نمل مبثوث ، فإنْ كنا لننفُضه عن ثيابنا ، فكان نصراً أيَّدنا الله به .

نصر الملائكة

وكانت سيما الملائكة يوم حنين عمائم حمراً[٣] قد أرخوها بين أكتافهم ، وكان الرعب الذي قذف الله في قلوب المشركين يومئذ كوَقع الحصاة في الطَّسْت : له طنينٌ ، فيجدون في أجوافهم مثل ذلك . ولم رمي رسول الله ﷺ بذلك الكفِّ من الحصا ، لم يبق أحدٌ من المشركين إلا وهو يشكو القذي في عينه . ويجدون في صدورهم خفقاناً كوقع الحصا في الطِّساس[٤] : ما يهدأ ذلك عنهم . ورأوا رجالا بيضاً على خَيْل بُلْق ، عليهم عمائم حُمْر قد أرخوها بين أكتافهم ، وهم بين السماء والأرض : كتائب ، فما كانوا يستطيعون أن يتأمَّلوهم من الرعب منهم .

القتلى في ثقيف

استَحَرَّ القَتْلُ من ثقيف [في][٥] بني مالك ، فقتل منهم قريب من مائة رجل تحت رايتهم ، وقتِل ذو الخمار ، وهَرَبت ثقيف .

(١) أي يحملانها على شريعة يهودية أو نصرانية .
(٢) البجد : جمع بجاد : وهو كساء مخطط من أكسية الأعراب .
(٣) في (خ) « حمر » . (٤) الطساس : جمع طست .
(٥) زيادة للسياق من (ابن هشام) ج٤ ص ٦٩ .

إسلام شيبة بن عثمان

وكان شيبة بن عثمان بن أبي طلحة ، قد تَعاهَد هو وصفوان بن أميَّة يومئذٍ إن رَأيا على رسول الله ﷺ دَبْرة أن يكون عليه ، وهما خلفه . قال شيبه : فأدخل الله الإيمان قلوبنا . ولقد هَمَمْتُ بقَتْله ، فأقبل شيء حتى يغْشَى فؤادي ، فلم أطِقْ ذلك ، وعلمتُ أنه قد منعَ مني وفي رواية : غشيتني ظلمة حتى لا أبْصُر ، فعرفتُ أنه ممتنعٌ مني ، وأيقنت بالإسلام . وفي رواية : أنّ شيبة قال : لما رأيت النبي ﷺ غزا مكة فظفر بها وخرج إلى هوازن ، قلت : أخرُجُ لعلي أدرك ثأري ! وذكرتُ قَتْلَ أبي يوم أحد [قتلهُ حمزة] ، وعمي [قتلهُ عليٌّ] ، فلما انهزم أصحابه جئته عن يمينه ، فإذا العباسُ قائمٌ علي درعٌ بيضاءُ كالفضة ، فقلت : عمُّه ! لن يخْذله ! فلما جئتهُ عن يساره ، فإذا بأبي سفيان بن الحارث ، فقلت : ابن عمِّه ! ولن يخذله[1] ! فجئته من خلفه ، فلم يبق[2] إلا أسَوِّره بالسيف[3] ، إذ رُفع لي - فيما بيني وبينه - شواظ[4] من النار كأنه برقٌ ، وخِفْتُ أن يمحشني[5] ، فوضعت يدي على بصري ومشيتُ القهقري ، فالتفت إليَّ وقال : يا شيْبَ ! أدنُ مني ! فوضع يده على صدري وقال : اللهم أذهِبْ عنه الشيطان ! فرفعتُ رأسي إليه وهو أحبُّ إليَّ من سمعي وبصري وقلبي ، ثم قال : يا شيب ! قاتل الكفّار ! فتقدَّمتُ بين يديه أحبُّ والله أقيه بنفسي وبكلّ شيء . فلما انهزمت هَوازنُ ، رجَع إلى منزله ودخلتُ عليه ، فقال : الحمد لله الذي أراد بك خيراً مما أردتَ . ثم حدثني بما هممتُ به .

خبر المنافقين

ولما كانت هزيمة المسلمين ، تكلم قوم بما في نفوسهم من الضِّغْن والغشِّ ، فقال أبو سفيان بن حرب : لا تنتهي هزيمتهم دون البحر ؟ فقال [أبو مُقَيت ابن سُلَيْم][6] : أما والله لولا أني سمعت رسول الله ﷺ ينهي عن قتلك لقتلتُك !

---

(١) في (خ) « أن يخذله » .
(٢) في (خ) « أبق » .
(٣) تَسَوَّرَهُ : علاه ، أي يعلوه فيأخذه بالسيف .
(٤) في (خ) « شوظ » .
(٥) يمشخني : يحرق الجلد حتي يبدو العظم .
(٦) كذا في (خ) ، (ط) ، وفي (الواقدي) جـ٣ ص ٩١٠ «يقول رجل من أسلم يقال له أبو مقيت ...إلخ» .

وقال كَلَدة بن حنبل – أخو صفوان لأمه – ألا بطَل سحرُ محمد اليوم ! فقال له صفوان : أسكتْ فَضَّ الله فاك ! لأنْ يُربِّني ربٌّ من قريش أحبُّ إلَّي من أن يربَّني ربٌّ من هوازن ! وقال سهيل بن عمرو : [والله][1] لا يجتبرها[2] محمد وأصحابه [أبداً][1] ! فقال له عكرمة [بن أبي جهل][1] : إنَّ هذا ليس بقول ! إنما الأمر بيد الله ، وليس إلى محمد الأمر شيء ! إن أديل[3] عليه اليوم فإن له العاقبة[4] غداً . فقال له سُهَيْل : والله إن عهْدك بخلافه لحديثٌ ! قال : يا أبا يزيد ، إنا كنا والله نوضع في غير شيء وعقولُنا عقولنا[5] نعبد حجراً لا ينفع ولا يضرُّ !!

النهي عن قتل النساء والمماليك

ومرَّ رسول الله ﷺ بامرأة مقتولة : قتلها خالد بن الوليد ، فبعث إليه : إن رسولَ الله ﷺ ينهاك أن تقتل امرأة أو عسيفا[6] .

خبر بني سليم

ولما هزم رسول الله ﷺ هوازن ، وأتبعهم المسلمون يقتلونهم ، نادت بنو سليم : ارفعوا عن بني أمكم القتل ! فقال رسول الله ﷺ اللهم عليك ببني بُكَمَة ! أمَّا في قوْمي فوضعوا السِّلاح وضعاً ؛ وأما عن قومهم فرفعوا رفعاً ، [وبُكمة بنت مرٍّ أم سليم ، وهي أخت تميم بن مرٍّ] .

خبر بجاد السعدي

وأمر عليه السلام بطلب القوم ، وقال : إن قدرتم على بجاد فلا يفلتنَّ منكم ! وكان [بجادٌ][7] من بني سعد [بن بكر بن هوازن][7] وقد قطَّع رجلاً مسْلماً وحرَّقه بالنار ، فأخذته الخيل ، وضموه إلى الشيماء بنت الحارث بن عبد العُزَّى – أختِ رسول الله ﷺ من الرضاعة – وأتوْا بهما فرحَّب بالشيماء وأجلسها على

(١) زيادة للبيان .
(٢) يجتبرها : يصلحها .
(٣) أديل : من الدولة بمعنى النصر .
(٤) في (خ) « العافية » .
(٥) كذا في (الواقدي) جـ٣ ص ٩١١ ، وفي بعض كتب السيرة « وعقولا ذاهبة » .
(٦) العسيف : « الأجير » .
(٧) زيادة للبيان .

ردائه ، وأعطاها - بعد ماأَسْلَمَتْ - ثلاثة أعْبُدٍ وجاريةً ، فاستوهبته بجاداً فوهبه لها .

هزيمة هوازن وقتل دريد بن الصمة

ومرَّت هوازن في هزيمتها إلى الطائف ، وإلى أوطاس ، وإلى نخلة . فسارت الخيْل تريد من أَتى نخلةَ . أدرك الربيع بن ربيعة بن رفيع بن أهبان[1] بن ثعلبة بن ضبيعة بن يربوع بن سَمَّال بن عوف بن مريء القيس بن بهثة بن سُلَيْم السُّلمي - [وكان يقال له « ابن الدُّعنَّة » ، وهي أمه فغلبت على اسمه][2] - دُريدَ بن الصِّمة فقتله .

أبو عامر الأشعري

وتوجَّه أبو عامر الأشعريُّ - أخو أبي موسى [الأشعريُّ][2] - إلى أوطاس ، ومعه لواء في عدَّةٍ من المسلمين ، وقد عسكر المشركون ، فقاتلهم وقتل منهم تسعة ثم أصيب ، فاستخلف أخاه أبا موسى ففتح الله عليه . ولحق مالكَ بن عوف بالطائف .

الغنائم والسبي

وأمر رسول الله ﷺ بالغنائم فجمعت . ونادى مناديه : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يغلَّ ! وأصاب المسلمون سبايا ، فكانوا يكرهون أن يقعوا عليهنَّ ولهنَّ أزواجٌ ، فسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك فأنزل الله ﴿ **والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة إن الله كان عليماً حكيماً** ﴾[3] وقال ﷺ يومئذ : لا توطأ حامل من السبي حتى تضع حملها ، ولا غير ذات حمل حتى تحيض . وسألوه عن العزل[4] ، فقال : ليس من كل الماء

(١) في (خ) « أهان » .
(٢) زيادة للبيان من (ط) .
(٣) الآية ٢٤ / النساء ، وفي (خ) « ... أيمانكم ، الآية » .
(٤) (سنن ابن ماجه) جـ١ ص ٦٢٠ (باب العزل) حديث رقم ١٩٢٦، ١٩٢٧، ١٩٢٨ ، و (سنن أبي داود) جـ٢ ص ٦٢٢ وما بعدها (باب ما جاء في العزل) ، حديث رقم ٢١٧٠ ، ٢١٧١ ، ٢١٧٢ ، ٢١٧٣ .

يكون الولد ، وإذا أراد الله أن يخلق شيئاً لم يمنعه شيء .

دية عامر بن الأضبط

وقام عيينة بن حِصْن بن حذيفة بن بدر الفزاري يطلب بدم عامر بن الأضبط الأشجعيّ – وقد قتله مُحلِّم بـن جثَّامة بن قَيْس الليثي في سرية رسول الله ﷺ إلى إضَم – بعد ما حيَّا بتحية الإسلام – فدافع عنه الأَقْرَعُ بن حابس ، فأشار النبي ﷺ بالدية فقبلوها .

شارب الخمر

أُتِيَ يومئذ بشاربٍ ، فأمر عليه السلام مَن عنده[1] فضربوه بما كان في أيديهم ، وحثا عليه التراب .

الشهداء والسبي

وجميع من استشهد[2] بحنَيْن أربعة[3] . وفي هذه الغَزَاة قال رسول الله ﷺ : من قتل قتيلاً فله سَلَبُه .

وكان أبو طلحة قد قتل عشرين رجلاً فأعطاه سَلَبهمْ . وذكر الزبير بن بَكَّار :

= وقال الخطابي في (معالم السنن) جـ٢ ص ٦٢٤ عند التعليق على الحديث رقم ٢١٧٢ : « وأخرجه البخاري في النكاح باب العزل رقم ٩٧ (٧ / ٤٢) ومسلم في النكاح باب حكم العزل حديث رقم ١٤٣٨ والنسائي في النكاح باب العزل (٦ / ١٠٧) ، والعزل : أن يعزل الرجل الماء عن النساء حذر الحمل .

(١) في (خ) « بن عبدة » .

(٢) في (خ) « ما استشهد » .

(٣) وهؤلاء هم :

١ – من قريش ثم من بني هاشم : أيمن بن عبيد .

٢ – من بني أسد بن عبد العزى : يزيد بن زمعة .

٣ – ومن الأنصار : سراقة بن الحارث بن عدي .

٤ – ومن الأشعريين : أبو عامر الأشعري .

(ابن هشام) جـ٤ ص ٧٦ .

وفي (الواقدي) جـ٣ ص ٢٢ : رقيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لوذان بدلا من يزيد بن زمعة . وقال محقق (الواقدي) أنه أثبته عن ابن حزم في (جوامع السيرة) ص ٢٤٤ (تعليق رقم (١) ص ٩٢٢ (من الواقدي) .

أن رسول الله ﷺ سَبى يوم حُنين سِتةَ آلاف – بين غلام وامرأة – فجعل عليهم أبا سفيان بن حرب . ومات رجل من أشجع أيام حُنين ، فقال رسول الله ﷺ : صَلُّوا على صاحبكم فإنه قد غلّ . فنظروا . فإذا في بُرْدَيْه خَرَزٌ لا يساوي درهمين .

غـزوة الطـائف

ثم كانت غزوة الطائف . وذلك أن رسول الله ﷺ لما فتح حُنيناً ، بعث الطفيل ابن عمرو بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سالم بن فهم الدَّوْسيِّ إلى ذي الكَفَّيْنِ – صنم عمرو بن حُمَه – يهدمه ، وأمره أن يسْتَمِدَّ قومه ويوافيه بالطائف ، وقال له : أفش السلام ، وأبذل الطعام – واسْتحي من الله كما يستحي الرجلُ ذو الهيئة من أهله[1] ؛ إذا أسأت فأحسن ، ﴿ **إنَّ الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين** ﴾[2] . فخرج إلى قومه فَهدَم ذا الكفين ، وجعل يحشو النّار في وجهه ويحرقه ويقول :

ياذا الكفَين لست من عبّاكا ميلادنا أقـدم من ميلادِكا
أنا حششت[3] النار في فؤادِكا

ووافي معه بأربعمائة ، بعدما قدم عليه السلام الطائف بأربعة أيام ، ومعه دبَّابة ، ومنجنيق . ويقال : بل اتخذ المنجنيق سلمان الفارسيّ ، وقدم بالدبّابة خالد بن سعيد ابن العاص من جَرَش[4] . وكان مع رسول الله ﷺ حَسَك من خشب[5] يطيف بعسكره .

---

(١) كذا في (خ) ، (ط) وفي (الواقدي) جـ٣ ص ٩٢٢ « كما يستحي الرجل ذو الهيئة من أهله » وذو الهيئة : ذو الوقار .

(٢) نص الآية ١١٤ / هود كالآتي : ﴿ **وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين** ﴾ .

(٣) في (الواقدي) جـ٣ ص ٩٢٣ « حشوت النار في فؤادكا » . وحش النار : جمع إليها ما تفرق من الحطب .

(٤) في (خ) « بن جرش » وجرش اسم مدينة سبق شرحها اسمها راجع (معجم البلدان) جـ٢ ص ١٢٧ .

(٥) الحسكُ : نبات تعْلَقُ ثمرته بصوف الغنم ، ورقه كورق الرِّجلة وأدق ، وعند ورقه شوكٌ ملززٌ صلبٌ ذو ثلاث شعب ، وله ثمر شربه يفتت حصى الكليتين والمثانة . وكذا شرب عصير ورقه جيد للباءَة ، وعسر البول ونهش الأفاعي ، ورشه في المنزل يقتل البراغيث ، ويعمل في مثال شوكه أداة للحرب من حديد أو قصب . فيلقى حول العسكر ويسمى باسمه . (ترتيب القاموس جـ١ ص ٦٤١ .

بعثة خالد بن الوليد على المقدمة

وقدّم ﷺ خالد على مقدّمته ، وبعث بالسبي والغنائم إلى الجِعرَّانة مع بُديل ابن ورقاء الخزاعيّ ، وسار إلى الطائف وقد رمُّوا حصنهم ، ودخل فيه من انهزم من أوطاسٍ ، واستعدوا للحرب وأتي ﷺ - في طريقه بِليَّة[1] - برجل من بني ليْثٍ قتل رجلاً من هذيل ، فضرب أولياؤه عنقه ، وكان أوَّل دمٍ أقيد[2] به في الإسلام ، وحرَّق بليَّة[3] قصر مالك بن عوف .

منزل المسلمين بالطائف

ثم نزل قريباً من حصن الطائف وعسكر به ، فرموا بنبْلٍ كثير أصيب به جماعة من المسلمين بجراحة ، فحوَّل عليه السلام أصحابه ، وعسكر حيث لا يصيبهم رمي أهل الطائف ، وثار المسلمون إلى الحصن ، فقُتل يزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب ابن أسد بن عبد العزىَّ بن قُصيٍّ القرشيّ الأسدي ، فظفر أخوه يعقوب بن زَمعة بهذيل بن أبي الصَّلت ، [أخي أميَّة بن الصلت] . وقال : هذا قاتل أخي ! فضرب عنقه ، وأقام ﷺ على حصار الطائف ثمانية عشر يوماً ، وقيل تسعة عشر يوماً ، وصحح ابن حزم إقامته عليه السلام بضع عشرة ليلة وفي الصحاح عن أنس بن مالك قال : فحاصرناهم أربعين يوماً . يعني ثقيفاً .

مصلى رسول الله ﷺ

فكان في إقامته يصلّي ركعتين بين قبَّتين قد ضُرِبَتا لزوجتيه أمِّ سلمة وزينب رضي الله عنهما . فلما أسلمت ثقيفٌ ، بني أمية بن عمرو بن وهب بن معتِّب ابن مالك[4] على مصلى النبي ﷺ مَسْجداً، وكان فيه سارية - [فيما

---

(١) ليَّة : من نواحي الطائف مرَّ به رسول الله ﷺ حين انصرافه من حنين يريد الطائف (معجم البلدان) جـ٥ ص ٣٠ .

(٢) من القَوْدَ : وهو القصاص .

(٣) في (خ) « وحرق عليه » .

(٤) كذا في (خ) ، (ط) ، واسمه محل خلاف عند أهل السير ، ففي (الواقدي) جـ٣ ص ٩٢٧ « أمية ابن عمرو بن وهب » وفي (ابن هشام) جـ٤ ص ٩٤ : « عمرو بن أمية بن وهب » وفي (الطبري)جـ٣ ص ٨٤ « أبو أمية بن عمرو بن وهب » .

يزعمون][1] – لا تطلع الشمس عليها [يوماً][1] من الدهر إلا يسمع لها نقيض أكثر من عشر مرارٍ ، وكانوا يرون أن ذلك تسبيح[2] .

محاصرة حصن الطائف

ونصب ﷺ المنجنيق على حصن الطائف ، وقد أشار به سلمان الفارسي رضي الله عنه ، وقد عمله بيده ، وقيل : قدم به يزيد بن زَمعَة ومَعَه دبابتان[3] ، وقيل : قدم به الطُّفيل بن عمرو : وقيل : قدم به وبدبابتين خالد بن سعيد من جُرَش[4] ونثر ﷺ الحسك حول الحصن ، ودخل المسلمون تحت الدبابتين ، ثم زحفوا[5] بها إلى جدار الحصن ليحفروه ، فأرسلت عليهم ثقيفٌ سكك[6] الحديد محماه بالنار فحرقت الدبابتين – وكانت من جلود البقر – فأصيب من المسلمين جماعةٌ ، وخرج من بقى من تحتها فقُتلوا بالنبل . فأمر عليه السلام بقطع أعنابهم وتحريقها ، فقطعها المسلمون قطعاً ذريعاً . فنادى سفيان بن عبد الله الثَّقفي : يا محمد ! لمَ تقطع أموالنا ؟ إما أن تأخذها إن ظهرت علينا ، وإما أن تدعها [لله][7] وللرحم كما زعمت ! فقال عليه السلام : لله وللرَّحِم ! وكفَّ عنها .

النازلون من حصن الطائف

ونادى منادى رسول الله ﷺ : أيُّمَا عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر[8] ! فخرج بضعة عشر رجلاً : أبو بكرة ، والمنبعث ، والأزرق [أبو عقبة الأزرق] ، ووردان ، ويُحَنَّس النَّبَّال ، وإبراهيم بن جابر ، ويَسار ، ونافع ، وأبو السائب[9] ، ومرزوق ، فأعتقهم ﷺ ، ودفع كلَّ رجلٍ منهم إلى رجل من

(١) زيادة من الطبري جـ٣ ص ٨٤ وابن هشام جـ٤ ص ٩٤ .
(٢) في (خ) « تسبيحاً » .
(٣) في (خ) « دبابتين » .
(٤) في (خ) « بن جرش » .
(٥) في (خ) « رجفوا » .
(٦) السكة : الحديدة التي يحرث بها الأرض .
(٧) زيادة للسياق .
(٨) يقول ابن كثير في (البداية والنهاية) جـ٤ ص ٣٤٧ : [هذا الحديث تفرد به أحمد ومداره على الحجاج ابن أرْطَاة وهو ضعيف ، ولكن ذهب الإمام أحمد إلى هذا ، فعنده أن كل عبد جاء من دار الحرب إلى دار السلام عُتق حكماً شرعياً مطلقاً عاماً ، وقال آخرون : إنما كان هذا شرطاً لا حكماً عاماً ، ولو صح هذا الحديث لكان التشريع العام أظهر كما في قوله عليه السلام : « من قتل قتيلاً فله سلبه »] .
(٩) كذا في (ط) وفي (خ) « ونافع أبو السائب » وهي رواية (الواقدي) جـ٣ ص ٩٣١ .

المسلمين يمونه ويحمله ، وأمرهم أن يقرءوهم القرآن ويعلموهم السنن ، فشق ذلك على أهل الطائف .

خبر هيت وماتع

وكان مع رسول الله ﷺ مولى لخالته فاختة بنت عمرو بن عائذ بن عمران ابن مخزوم ؛ يقال له « ماتع » وآخر يقال « هيت » . وكان « ماتع »[1] ، يدخل بيوته ويُرى أنه لا يفطن لشيء من أمر النساء ولا إربة له ، فسمعه وهو يقول لخالد ابن الوليد ، [ويقال لعبد الله بن أبي أمية[2] بن المغيرة] : إن افتتح رسول الله الطائف غداً فلا تفلتنَّ منك بادية بنت غيْلان ! فإنها تقبل بأربع وتدْبر بثمانٍ ، وإذا جلست تثنت ، وإذا تكلّمت تغنَّت وإذا اضطجعت تمنَّت ، وبين رجليها مثل الإناء المُكفأ ، مع ثغْرٍ كأنه الأقحوان[3] ، فقال عليه السلام : ألا أرى هذا الخبيث يفطن لما أسمع !! لا يدْخلَن على أحدٍ من نسائكم ! وغرَّبهما إلى الحمى ، فتشكيا الحاجة[4] ، فأذن لهما أن ينزلا كل جمعة يسألان ثم يرجعان إلى مكانهما . فلما توفّي عليه السلام ودخلا مع الناس ، أخرجهما أبو بكر رضي الله عنه ، فلما توفّي [دخلا مع الناس ، أخرجهما عمر بن الخطاب رضي الله عنه . فلما توفّي][5] دخلا مع الناس .

---

(١) يقول (ابن حجر) في (فتح الباري جـ٩ ص ٣٣٤) : « وحكى أبو موسى المديني في كون ماتع لقب هيت أو العكس أو أنهما اثنان خلافاً ، وجزم الواقدي بالتعدد فإنه قال : كان هيت مولى عبد الله ابن أبي أمية ، وكان ماتع مولى فاختة » :

(٢) في (خ) « عبد الله بن أمية » .

(٣) « قال الخطابي : يريد أن لها في بطنها أربع عكن فإذا أقبلت رؤيت مواضع بارزة متكسر بعضها على بعض ، وإذا أدبرت كانت أطراف هذه العكن الأربع عند منقطع جنبيها ثمانية ، وحاصله أنه وصفها بأنها مملوءة البدن بحيث يكون لبطنها عكن وذلك لا يكون إلا للسمينة من النساء ، وجرت عادة الرجال غالبا في الرغبة فيمن تكون بتلك الصفة » .
(المرجع السابق) ص ٣٣٥ .
والعكنة : ما انطوى وثني من لحم البطن (ترتيب القاموس جـ٣ ص ٢٨٨) .
والثّغْر : الفم والأسنان .
والأقحوان : نبتٌ زهره أصفر أو أبيض ، ورقه مؤلل كأسنان المنشار ، وكثر في الأدب العربي تشبيه الأسنان بالأبيض المؤلل منه . (المعجم الوسيط) جـ١ ص ٢٢ .

(٤) في (خ) « فشكيا » .

(٥) ما بين القوسين زيادة للسياق من (الواقدي) جـ٣ ص ٩٣٤ بمعناه .

خبر خولة بنت حكيم

وقالت خولة بنت حكيم بن أمية بن الأَوْقَص السُّلَميَّة امرأة عثمان بن مظعون : يارسول الله ، أعطني – إن فتح الله عليك [الطائف][1] – حلىَّ الفارعة بنت الخزاعي[2] أو بادية بنت غيلان . فقال لها : وإن كان لم يؤذن لنا في ثقيف يا خوله ! فذكرت ذلك لعمر رضي الله عنه فقال : يا رسول الله ! ما حديثٌ حدثتني خولة أنك قلته[3] ! قال : ولم يؤذن لك فيهم ؟ قال : لا ! قال أفلا أُؤَذِّنُ في الناس[4] بالرحيل ؟ قال : بلى .

أذان عمر بالرحيل عن الطائف

فأذَّن عمر بالرحيل ، فشقّ على المسلمين رحيلهم بغير فتح . ورحلوا ، فأمرهم عليه السلام أن يقولوا : لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وَحْدَه فلما استقلوا المسير قال : قولوا آئبون إن شاء الله تائبون عابدون لربنا حامدون[5] . وقيل له لما ظعن : يا رسول الله : أُدْعُ الله على ثقيف ! فقال : اللهم أهدِ ثقيفاً وأتِ بهم ! وكان من استشهد بالطائف أحد عشر رجُلًا[6] .

خبر أبي رهـم

وسار ﷺ إلى الجعرانة . فبينا هو يسير – وأبو رُهم الغفاري إلى جَنْبه على ناقةٍ له ، وفي رجليْه نعلان غليظتان – إذ زحمت ناقتُه ناقة رسول الله ﷺ ، فوقع حَرْفُ نعْله على ساق رسول الله ﷺ فأوجعه فقال : أوجعتني ! [أخرِّ رجْلك ! وقرع رجله بالسَّوْط ، وقال أبو رُهم : فأخذني ما تقدم من أمري وما تأخر ،

---

(١) زيادة للسياق من (ط) .

(٢) كذا في (خ) ، و (ط) ، و (الواقدي) جـ٣ ص ٩٣٥ وفي ابن هشام جـ٤ ص ٩٥ « الفارعة بنت عقيل » .

(٣) كذا في (ط) ، وفي (خ) « حديث خولة ما حدثني ... » وفي (الواقدي) جـ٣ ص ٩٣٥ « حدثت خولة ما حدثني أنك قلته » . وفي (ابن هشام) جـ٤ ص ٩٥ . « ما حديث حدثتنيه خويلة زعمت أنك قلته ؟ قال : قد قلته » .

(٤) في (خ) « للناس » .

(٥) (الأذكار للنووي ص ٢٠٣ ، باب ما يقول إذا رجع من سفره .

(٦) وفي (ابن سعد) جـ٢ ص ١٥٨ « اثنى عشر رجلا » .

وخشيتُ أن ينزل فيَّ قرآن لعظيم ما صنعتُ ، فلما أصبحنا بالجعرَّانة ، خرجت أرعي الظَّهر –وما هو يومي– فرقاً أن يأتي للنبي عليه السلام رسولٌ يطلبني ! فلما روَّحتُ الركابَ سألتُ . فقالوا طلبكَ النبي ﷺ ، فقلتُ : إحداهُنَّ والله[١] ! فجئته وأنا أترقَّب . فقال : إنك [أوجعتني][٢] برجلك فقرعتك بالسَّوط ، فخذ هذه الغنم عوضاً من[٣] ضربتي [قال أبو رُهَم : فرضاهُ عنِّي كان أحبَّ إليَّ من الدنيا وما فيها][٤] .

وحادثه عبد الله بن أبي حدرد[٥] الأسلمّي في مسيره ، فَلَصِقَتْ ناقته بناقة النبي ﷺ فأصاب رجله ، فقال :

أخٍّ[٦] !! أوجعتنى ! ودفع رِجل عبد الله بمحجن في يده ، فلما نزل دعاه وقال له : أوجعتك بمحجني البارحة ! خذ هذه القطعة من الغنم . فأخذها فوجدها ثمانين شاة ضائنة[٧] . ولما أراد أن يركب من قرْنٍ[٨] راحلته ، وطيء له على يدها أبو روعة الجَهنيّ ، ثم ناوله الزمام بعد ماركب ، فخلَّف عليه السلام الناقة بالسوط ، فأصاب أبا روعة فالتفتَ إليه وقال : أصابك السوط ؟ قال : نعم ، بأبي وأمي : فلمَّا نزل الجعرانة صاح : أين أبو روعة ! قال : ها أنذا ! قال خذ هذه الغنم بالذي أصابك من السَّوط أمس . فوجدها عشرين ومائة .

خبر سراقة بن مالك بن جعشم

ولقيه سراقه بن مالك بن جُعْشَم وهو منحدر إلى الجعرانة ، فجعل الكتاب الذي كتبه أبو بكر رضي الله عنه بين إصبعيه ونادى : أنا سراقة ، وهذا كتابي ! فقال عليه السلام : هذا يوم وفاء وَبِرّ ، فأدْنوْه منه ، فأسلم وساق إليه الصَّدَقة .

(١) إحدى الدواهي التي كان يتوقعها . (٢) زيادة للسياق .
(٣) في (خ) (عن) وما أثبتناه من (المغازي) جـ٣ ص ٩٣٩ .
(٤) زيادة يتم بها الخبر من المرجع السابق .
(٥) في (خ) (جدرد) ، والتصويب من المرجع السابق .
(٦) كذا في (خ) ، (ط) ، وفي (المغازي) أخٍّ .
(٧) الضأن من الغنم : ذو الصوف والأنثي ضائنة .
(٨) قرْن : قال القاضي عياض : « قرن المنازل ، وهو قرن الثعالب بسكون الراء : ميقات أهل نجد تلقاء مكة على يوم وليلة » . (معجم البلدان) جـ٤ ص ٣٣٢ .

وسأله عن الضالة من الإبل تغشى حياضه ، وقد ملأها لإبله ، فهل له من أجر إن سقاها ؟ فقال عليه السلام : نعم! في كل ذاتِ كبدٍ حرّى[1] أجراً .

هدية رجل من أسلم

واعترض له رجل من أسلم معه غنم فقال يا رسول الله ! هذه هدية قد أهديتها لك ! - وكان قد أسلم وساق صدقته إلى برَيْدة بن الحُصَيْب لما خرج مصدِّقاً - فقال ﷺ : نحن على ظهر كما ترى ، فالحقنا بالجعرانة ، فخرج يعدو عراض ناقة[2] رسول الله ﷺ وهو يقول . يا رسول الله ! تدركني الصلاة وأنا في عطن الإبل[3] ، أفأصلّي فيه ؟ قال : لا ! قال : فتدركني وأن في مُراح الغنم[5] ، أفأصلي فيه ؟ قال : نعم ! قال : يا رسول الله ! ربما تباعد بنا الماء ومع الرجل زوجته ، فيدنو منها ؟ قال : نعم ! ويتيمم . قال : يا رسول الله ! وتكون فينا الحائض ؟ قال : تتيمم ! فلحقه عليه السلام بالجعرانة فأعطاه مائة شاةٍ .

سؤال الأعـراب

وجعل الأعراب في طريقه يسألونه [أن يقسم عليهم فيئهم من الإبل والغنم][4] ، وكثّروا عليه حتى اضطروه إلى سَمُرة فخطفت ردائه فنزعته[5] ، فوقف وهو يقول : أعطوني ردائي ! لو كان عدد هذا العضاه نعما لقسمته بينكم ، ثم لا تجدوني بخيلا ولا جبانا ولا كذّاباً .

منزله بالجعرانة

وانتهى إلى الجعرَّانة ليلة الخميس لخمسٍ خلوْن من ذي القعدة ، والسَّبي والغنائم بها محبوسة ، وقد اتخذ السَّبْي حظائر يستظلون بها من الشمس ، وكانو ستة آلاف ،

---

(١) أي في كل روح من الحيوان أجر .

(٢) في (خ) (يعدو إعراض ناقته رسول الله) ، وما أثبتناه من (الواقدي) جـ٣ ص ٩٤٢ ، ومعناه كما في النهاية : أي يسير حذاءه معارضاً له .

(٣) العطن : مبرك الإبل . المراح : الموضع الذي تروح الماشية إليه ليلا لتبيت فيه .

(٤) زيادة للبيان .

(٥) في (الواقدي) « فنزعته عن مثل شقة القمر » جـ٣ ص ٩٤٢ .

والإبل أربعة وعشرين ألف بعير - فيها إثنا عشر ألف ناقة - والغنم أربعين ألفاً ، وقيل أكثر . فأمر بُسْر[1] بن سفيان الخزاعي يقدم مكة فيشتري للسبي ثياباً يكسوهن ، وكساهم كلهم . واستَأْذَنَّا ﷺ بالسَّبي ، وأقام يتربّص أن يقدم وفدُهم وكان قد فرَّق منه وهو بحنين ؛ فأعطى عبد الرحمن بن عوف امرأة . وأعطى صفوان ابن أميَّة ، وعلياً ، وعثمان ، وعمر ، وجبير بن مطعم ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد ابن أبي وقاص ، وأبا عبيدة بن الجرَّاح ، والزبير بن العوام رضي الله عنهم .

عطاء المؤلفة قلوبهم

فلما رجع إلى الجعرَّانة بدأ بالأموال فقسمها ، فأعطى المؤلفة قلوبهم أوَّل الناس ، وكان مما غنم أربعة آلاف أوقية فضة .

عطاء أبي سفيان

فجاء أبو سفيان بن حرب والفضَّة بين يديه ، فقال : يا رسول الله ! أصبحتَ أكثر قريش مالا ! فتبسَّم عليه السلام ، فقال أبو سفيان : أعطني من هذا يا رسول الله ، قال : يا بلال ، زن لأبي سفيان أربعين أوقية ، وأعطوه مائة من الإبل . قال : ابني يزيد ! قال : زنوا ليزيد أربعين أوقية ، وأعطوه مائة من الإبل . قال : ابني معاوية يا رسول الله ! قال : زن له يا بلال أربعين أوقية وأعطه مائة من الإبل . قال أبو سفيان : إنك لكريم فداك أبي وأمِّي ! والله لقد حاربتك فنعم المحاربُ كنت ! ثم سالمتك فنعم المسالم أنت .

عطاء حكيم بن حزام

وسأل حكيم بن حزام يومئذ من الإبل فأعطاه ، ثم سأل مائة فأعطاه ، ثم قال [ﷺ][2] : يا حكيم بن حزام إن هذا المال خضرة حلوةٌ . فمن أخذه بسخاوة نفسٍ بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفس[3] لم يبارك له فيه ، وكان كالذي يأكل ولا يشبع ، واليد العليا[4] خيرٌ من اليد السُّفلى[5] ، وابدأ بمن تعول[6] . فأخذ

(١) في (خ) « بشر » وما أثبتناه من كتب السيرة .
(٢) زيادة للإيضاح .
(٣) إشراف النفس : تطلعها إلى المال بحرص وطمع .
(٤) اليد العليا : يد المعطي .
(٥) اليد السفلى : يد السائل .
(٦) أي بمن تجب عليك نفقتهم .

حكيم المائة الأولى ثم ترك ما عداها .

عطاء النضير بن الحارث

وأعطى النضير بن الحارث بن [علقمة][1] بن كلدة – أخا النضر ابن الحارث – مائة ، وأعطى أسيد بن جارية[2] – حليف بني زهرة – مائة من الإبل ، وأعطى العلاء بن جارية خمسين بعيراً ، وأعطى الحارث بن هشام مائة من الإبل ، وسعيد بن يربوع خمسين بعيراً ، وصفوان بن أميَّة مائة بعيرٍ .

عطاء صفوان بن امية

وفي صحيح مسلم عن الزُّهريِّ أن رسول الله ﷺ أعطي يومئذٍ صفوان بن أمية ثلاثمائة من الإبل . ويقال إنه طاف مع النبي ﷺ وهو يتصفَّحُ الغنائم إذ مرَّ بشعب مما أفاء الله عليه ، فيه غنم وإبلٌ ورعاؤها مملوء ، فأعجب صفوان وجعل ينظر إليه ، فقال : أَعجبك يا أبا وهبٍ هذا الشِّعب ؟ قال : نعم ! قال : هُو لك وما هو فيه ! فقال : أشهد ما طابت بهذا نفس أحد قطُّ إلا نبي ، وأشهد أنك رسول الله .

عطاء جماعة من المؤلفة قلوبهم

وأعطى قيْس بن عَدِيٍّ مائة من الإبل ، وأعطى عثمان بن وهب خمسين بعيراً ، وأعطى سُهَيل بن عمرو مائة من الإبل ، وأعطى حويطب بن عبد العزى مائة من الإبل ، وأعطى هشام بن عمرو خمسين بعيراً ، وأعطى الأقرع بن حابس التميميَّ مائة من الإبل ، وأعطى عيينة بن حصن الفزاري مائة من الإبل ، وأعطى أبا عامر العبَّاس بن مِرْداس بن أبي عامر بن حارثة[3] بن عبد بن عَبْس بن رفاعة بن الحارث [ابن يحيى بن الحارث][4] بن بهثة بن سليم [بن منصور السُّلميَّ][4] دون المائة ، فعاتب النبي ﷺ في شِعْرٍ قاله ، فقال رسول الله ﷺ اقطعوا عني لسانه ! فأعطوه مائة ، ويقال خمسين بعيراً ؛ وأثبت القولين أن هذا العطاء كان من الخمس .

---

(١) زيادة من نسبه من (ط) .

(٢) في (خ) « بن حارثة » .

(٣) في (خ) « جارية » .

(٤) زيادة من نسبه من (ط) .

منع جعيل بن سراقة من العطاء

وقال يومئذ سعد بنَ أبي وقاص رضي الله عنه : يا رسول الله ، أعطيتَ عيينه ابن حصن والأقرع بن حابسٍ مائة مائة ، وتركتَ جُعيل بن سراقة الضمريَّ ؟! فقال : أما والذي نفسي بيده ؛ لجعيل بن سراقة خير من طِلاع[1] الأرض كلها مثل عيينة والأقرع ، ولكني أتألفهما ليُسلما ، ووكلتُ جعيل بن سراقة إلى إسلامه .

خبر ذي الخويصرة التميمي

وجلس ﷺ يومئذ ، وفي ثوب بلال رضي الله عنه فضة يُقَبِّضها للناس على ما أراه الله ، فأتي ذو الخويصرة التميمي - (واسمه حرصوص) : فقال : اعْدِلْ يا رسول الله ! فقال : ويلك ! فمن يعدل إذا لم أَعْدِلْ ، قال عمر رضي الله عنه : إئذن لي أن أضرب عنقه ! قال : دعه ، فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم[2] ، وصيامه مع صيامهم[2] ويقرأون القرآن لا يجاوز تَراقِيَهُمْ ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرَّمية[3] : [ينظرُ إلى نَصْله فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر إلى رصافة[4] فما يوجد فيه شيء ، ثم ينظر إلى نَضِيه[5] - وهو قدْحه - فلا يوجد فيه شيء ، ثم] ينظر إلى قُذَذِه[6] فلا يوجد فيه شيء[7] قد سبق الفَرْثُ[8] والدَّمَ . آيتُهم رجلٌ أسود ، إحدى عَضُدَيْه مثل ثدي المرأة ، أو مثل البَضعْة تَدَرْدَرُ[9] ويخرجون على حين فرقةٍ من الناس[10] .

(١) في (خ) « طلائع » ، وطلاع الأرض : ملؤها .

(٢) في (خ) « صلاته مع صلاته » ، « وصيامه مع صيامه » .

(٣) مرق السهم من الرمية : نفذ فيها وخرج طرفه من الجانب الآخر ، والرمية هي الطريدة التي يرميها الصائد .

(٤) الرصاف : قطعة تلوى فوق مدخل سنخ النصل في عود السهم .

(٥) النضي : هو من عود السهم .

(٦) قذذ السهم : جمع قُذه ، وهي الريش يكون على السهم . وفي (خ) « في قذذ » .

(٧) كذا في (ط) ، وفي (خ) « فلا يرى فيه شيئاً » ورواية (الواقدي) جـ٣ ص ٩٤٨ « فلا يرى شيئاً » .

(٨) الفَرْث : ما يكون في كَرْش الحيوان من طعامه .

(٩) تدردر : قال في (النهاية) : أي ترجرج ، تجيء وتذهب .

(١٠) راجع (المغازي للواقدي) جـ٣ ص ٩٤٨ .

مقالة رجل من المنافقين

وقال مُعتب بن قُشَيْر العمْريّ يومئذٍ ، ورسول الله ﷺ يعطي تلك العطايا : إنها لعطايا ما يراد بها وجه الله !! فأخبر عبدُ الله بن مسعود رضي الله عنه رسول الله ﷺ بذلك فتغير لونه ، ثم قال : يرحم الله أخي موسى ! قد أوذِي بأكثر من هذا فصبر(١) .

إحصاء الناس والغنائم وقسمتها

ثم أمر رسول الله ﷺ زيدَ بن ثابت رضي الله عنه بإحصاء الناس والغنائم ثم فضَّها(٢) على الناس . وكانت سُهْمانُم : لكل رجل أربعٌ من الإبل وأربعون شاة . وإن كان فارساً أخذ اثنتى عشرة من الإبل أو عشرين ومائة شاةٍ ، وإن كان معه أكثر من فرسٍ واحد لم يسهم له .

وفد هوازن وإسلامهم

وقدِم وفد هوازن : وهم أربعة عشر رجلاً – رأسهم(٣) أبو صُرَدَ زهير ابن صُرد الجشمي السعديُّ – قد أسلموا وأخبروا بإسلام من وراءهم من قومه فقال أبو صرد : يا رسول الله ، إنَّا أصلٌ وعشيرةٌ(٤) وقد أصابنا من البلاء ما لا يخفي عليك ، إنما في هذه الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك ، ولو أنَّا مَلَحنْا(٥) للحارث بن أبي شَمْر أو للنعمان بن المنذر . ثم نزل منا أحدهما بمثل الذي نزلت به ، رجوْنا عطفه وعائدته(٦) ، وأنت خير المكفولين .

[وفي رواية(٧) أنه قال : إنما في هذه الحظائر أخواتك وعماتك وبنات عماتك وبنات خالاتك ، وأبعدهن قريب منك يا رسول الله ! بأبي أنت وأمي ! حَضَنَّكَ في حجورهنّ ، وأرضعتك بُثديّهنَّ وتوركنك على أوراكهن ! وأنت خير المكفولين] .

(١) راجع (صحيح البخاري) جـ٣ ص ٧٠ .
(٢) فضها : فَرَّقها .
(٣) في (خ) « وأسهم » .
(٤) كذا في (ط) ، وفي (خ) « أصلك وعشيرتك ، وهي رواية (الواقدي) جـ٣ ص ٩٥٠ .
(٥) ولو أنا مَلَحْنا : قال في (النهاية) : « أي لو كنا أرضعنا لهما » .
(٦) العائدة : الفضل .
(٧) هي رواية (الواقدي) جـ٣ ص ٩٠ .

أُمنن علينا رسول الله في كرمٍ فإنك المرءُ نرجوه وندَّخرُ
أُمنن على نِسوةٍ قد كنت تَرْضَعُها إذ فوك يملأهُ من مَحْضها الدِّرَرُ
أُمنن على نِسوةٍ إعتاقها[1] قدرٌ ممزَّقٌ شملها في دَهْرِها غِيرُ
أبْقَتْ لنا الدَّهرُ هُتَّافاً على حزن على قُلوبهم الغمَّاء والغَمَرُ
اللات[2] إذ كنت طفلا كنت ترضعها وإذْ يزينك[3] ما تأتي وما تذرُ
إلا تدَاركَها نَعْماءَ تنشرها يا أرجح الناس حلماً حين يختبرُ
فألبس العفو من قد كنتَ ترضعه من أمهاتك إن العفو مُشتهر
يا خير من مَرِحت كُمْت الجياد به عند الهياج إذا ما استوقد الشَّررُ
إنا نؤمِّل عفواً منك تلبِسه هذي البريَّة إذ تعفو وتنتصر[4]
فاعفُ عفا الله عمّا أنت واهبه يوم القيامة إذ يُهدي لك الظفرُ
تجْعلنَّا كمن شالتْ نعامته واستبق منا فإنا معشرٌ زُهُرُ
إنا لنشكر آلاءً وإن قدمتْ وعندنا بعد هذا اليوم مدَّخرُ

جواب رسول الله ﷺ

فقال رسول الله ﷺ : إن أحسن الحديث أصدقه ، وعندي ما ترون من المسلمين ، فأبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أمْ أموالكم ؟ قالوا : يا رسول الله ! خيَّرتَنا بين أحسابنا وأموالنا[5] !! وما كنا نعدل بالأحساب شيئاً ، فردَّ علينا أبناءنا ونسائنا . فقال : أمَّا ما [كان][6] لي ولبني عبد المطلب فهو لكم ، وأسأل لكم الناس . فإذا [أنا][7] صليت الظُّهر بالناس [فقوموا][7] فقولوا[8] : إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله ! فإني سأقول لكم . ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم ، وسأطلب لكم إلى الناس .

---

(١) في (الواقدي) « قد عافها قدرٌ » وذكرها (السهيلي) كذا في (الروض الأنف) .
(٢) في (خ) « « اللاتي » وفي الواقدي « اللائي » وكلها بمعنى .
(٣) في (خ) « « يريبك » وما أثبتناه من (السهيلي) .
(٤) في (خ) « تنتصروا » .
(٥) كذا في (ط) وفي (خ) و (الواقدي) « وبين أموالنا » .
(٦) زيادة للسياق من (ط) .
(٧) زيادة للسياق من (ط) .
(٨) في (خ) « « فقالوا : وما أثبتناه من (ط) و (الواقدي) .

رضي المهاجرين والأنصار ورد غيرهم

فلما صلى رسول الله ﷺ الظهر بالناس ، قاموا فتكلموا بما أمرهم به ، فأجابهم بما تقدَّم فقال المهاجرون : فما كان لنا فهو لرسول الله ! وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله ؟ وقال الأقرع بن حابس : أما أنا وبنو تميم فلا ! وقال عيينة ابن حصن : أما أنا وفَزارة فلا ! وقال عباس بن مرداس : أما أنا وبنو سُليم فلا : فقالت بنو سُليم : ما كا لنا فهو لرسول الله ! فقال عباس : وهَّنتموني[1] .

خطبة رسول الله ﷺ في أمر هوازن

ثم قام رسول الله ﷺ في الناس خطيباً فقال : إن هؤلاء القوم جاءوا مسلمين ، وقد كنت استأنيت بهم فخيرتهم بين النِّساء[2] والأبناء والأموال ، فلم يعدلوا بالنساء والأبناء ، فمن كان عنده منهن شيء فطابت[3] نفسه أن يردَّه فسبيل[4] ذلك ، ومن أبي منكم ويمسِّك بحقه فليرد عليهم ، وليكن فرضاً علينا ستُّ فرائض من أول ما يفيء الله علينا به ! فقالوا : يا رسول الله ! رضينا وسلمنا ! قال . فمروا عرفاءكم أن يرفعوا ذلك إلينا حتى نعلم فكان زيد بن ثابت على الأنصار يسألهم : هل سلموا ورضوا ؟ فخبروه أنهم سلموا ورضوا ، ولم يتخلف منهم رجل واحد وبعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى المهاجرين يسألهم . فلم يتخلف منهم أحد ، وكان أبو رُهم الغفاري يطوف على قبائل العرب . ثم جمعوا العرفاء واجتمع الأمناء الذين أرسلهم رسول الله ﷺ ، فاتفقوا على قول واحد : أنهم سلموا ورضوا . ودفع عند ذلك السَّبي إليهم . وتمسكتْ بنو تميم مع الأقرع بن حابس بالسبي ، فجعل رسول الله ﷺ الفداء ست فرائض : ثلاث حقاقٍ وثلاثَ جذاعٍ[5] وقال يومئذ : لو كان ثابتاً[6] على أحدٍ من العرب ولاءٌ أورقٌّ لثبت

---

(١) وهنتموني : أضعفتموني .

(٢) في (خ) « الشاء » ، وما أثبتناه من (الواقدي) جـ٣ ص ٩٥٢ .

(٣) في (خ) « فطبت » وما أثبتناه من (الواقدي) جـ٣ ص ٩٥٢ .

(٤) كذا في (ط) ، وفي (خ) « فسبل » . وفي (الواقدي) « فليرسل » .

(٥) الحقاق : جمع حِقه وهي الناقة التي استكملت السنة الثالثة في شبابها . والجذاع جمع جَذَعة ، وهي التي استكملت الرابعة ودخلت في الخامسة .

(٦) في (خ) « « ثابت » .

اليوم ، ولكن إنما هو إسارٌ أو فدية : وجعل أبا حذيفة العدوي على مقاسم المغنم .

سؤاله عن مالك بن عوف

وقال للوفد[١] : ما فعل مالك بن عوف ؟ قالوا : هرب فلحق بحصن الطائف مع ثقيف فقال : إنه إن يأت[٢] مسلماً رددت إليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل . وكان قد حبس أهل مالك بمكة عند [عمتهم أم عبد الله بهمة[٣] ابنة أبي أمية][٤] ، ووقف ماله فلم تجر فيه السهام . فلما بلغ ذلك مالكا[٥] مر من ثقيف ليلا ، وقدم الجعرانة وأسلم ، وأخذ أهله وماله ومائة من الإبل . ويقال : بل قدم على رسول الله ﷺ وهو بمكة واستعمله على قومه ، وعقد له لواءً فقاتل أهل الشرك ، وأغار على ثقيفٍ وقاتلهم وقتل وغنم كثيراً . وبعث إلى رسول الله ﷺ بالخمس مما يغير عليه : فبعث مرة مائة بعيرٍ ومرة ألف شاة .

مقالة الأنصار إذ منعوا العطاء

ولما أعطى رسول الله عطاياه وجد[٦] الأنصار في أنفسهم – إذ لم يكن فيهم منها شيءٌ – وكثرت القالة ، فقال واحدٌ : لقي رسول الله قومه ! أما حين القتال فنحن أصحابه ! وأما حين القسْم فقومه وعشيرته ! ووددنا أنا نعلم ممن كان هذا ؟ إن كان هذا من الله صبرنا ، وإن كان هذا من رأي رسول الله استعتبناه ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فغضب غضباً شديداً . ودخل عليه سعد بن عبادة رضي الله عنه فقال له : ما يقول قومك ؟ قال : وما يقولون يا رسول الله ؟! فذكر له ما بلغه وقال : فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ فقال يا رسول الله ، ما أن إلا كأحدهم وإنا لنحب أن نعلم من أين هذا ؟ قال : فاجمع لي من كان ها هنا من الأنصار . فلما اجتمعوا ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

---

(١) في (خ) « للوقد ». (٢) في (خ) « بات »

(٣) في (خ) « بهمت » .

(٤) يقول محقق (ط) : « ولم أجد أم عبد الله هذه ولا خبرها » ، ونقول : « أم عبد الله هذه وخبرها بتمامه في (المغازي للواقدي) جـ٣ ص ٩٥٥ » .

(٥) في (خ) « مالك » .

(٦) وجد الأنصار في أنفسهم : غضب الأنصار في أنفسهم .

خطبة رسول الله ﷺ

يا معشر الأنصار ! مقالةٌ بلغتني عنكم ؟ وجِدَةٌ[1] وجدتموها في أنفسكم ، ألم آتكم ضُلاّلا فهداكم الله ؟ وعالة فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ قالوا : بلى ! الله ورسوله أمنُّ وأفضل ! قال : ألا تجيبوني ؟ قالوا : وماذا نجيبك يا رسول الله ؟ قال : أما والله لو شئتم قلتم فصدقتم : آتيتنا مكذَّباً فصدَّقناك ! ومخذولاً فنصرناك ، وطريداً فآويناك ، وعائلاً فآسيناك ! [وخائفاً فأمَّناك][2] وجدتم في أنفسكم يا مشعر الأنصار في شيء من الدُّنيا تألَّفت به قوماً أسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم ؟ ألا ترَضوْن يا معشر الأنصار أن تذهَبَ الناس [إلى رحالهم][2] بالشَّاء والبعير ، وترجعون برسول الله إلى رحالكم ؟ والذي نفسي بيده ، لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار ، ولو سلك[3] الناس شعْباً وسلكتْ الأنصار شعباً ، لسلكت شعب الأنصار . أكتب لكم بالبحرين كتابا من بعدي تكون لكم خاصة دون الناس ؟ قالوا : وما حاجتنا بعدك يا رسول الله ؟ قال : إمَّا لا فَستَرَوْنَ بعدي أثره ، فاصبروا حتى تلقَوا الله ورسوله ، فإن موعدكم الحوضُ ، وهو كما بين صنعاء وعمان ، وآنيته أكثر من عدد النجوم . اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار[4] !! فبكوا حتى أخضلوا لحاهمْ وقالوا : رضينا برسول الله حظاً وقَسماً . وانصرفوا[5] .

مقـامة بالجعـرانة

وأقام عليه السلام بالجِعرَّانة ثلاث عشرة ليلة . وخرج ليلة الأربعاء لثنتي عشرة بقيت من ذي القعدة ، وأحرم وَلَبَّى حتى استلم الركن . وقيل : لما نظر إلى البيت قطع التلبية ، وأناخ راحلته على باب بني شيبة ، وطاف فَرَمَل[6] في الأشواط الثلاثة . ولما أكمل طوافه سعى بين الصفا والمروة على راحلته ، ثم حلق رأسه عند المروة حلَقه أبو هند عند بني بياضة ، وقيل حلقه خِراش بن أمية . ولم يَسُق هدياً . ثم عاد إلى الجعرّانة من ليلته ، فكان كبائتٍ بها .

---

(١) وِجدَة : من المَوْجِدَة وهي الغضب .

(٢) زيادة من كتب السيرة .

(٣) في (خ) « ولولا سلك » .

(٤) كذا في (ط) ؛ في (خ) ، و (الواقدي) جـ٣ ص ٩٥٨ : (وأبناء أبناء الأنصار) .

(٥) راجع (صحيح البخاري) جـ٣ ص ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ .

(٦) رَمَل : هرول .

مسيره إلى المدينة

وخرج يوم الخميس على سَرِف إلى مر الظهران ، واستعمل على مكة عتَّاب ابن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس ، وخلَّف معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري يعلمان الناس القرآن والتفقه في الدين . وقال لعتاب : أتدري على من استعملتك ؟ قال : الله ورسوله أعلم ! قال : استعملتك على أهل الله ، بلِّغ عني أربعاً : لا يصلحُ شرطان في بيع ، ولا بيعٌ وسلفُ ، ولا بيْع ما لم يضْمن ، ولا تأكل ربح ما ليس عندك[1] .

خبر الفتح بالمدينة

وكان أول من قدم المدينة بفتح حُنين رجلان من بني عبد الأشهل ، هما : الحارث بن أوْس ، ومعاذ بن أوس بن عبيد بن عامر[2] . وقدم ﷺ المدينة يوم الجمعة لثلاث بقين من ذي القعدة .

بعثة عمرو بن العاص إلى ابني الجلندي

وفي هذه السنة - وهي سنة ثمانٍ - بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى جَيْفَر وعمرو ابني الجلندي بعمان مصدِّقاً ، فأخذ الصدقة من أغنيائهم وردها على فقرائهم ، وأخذ الجزية من المجوس ، وهم كانوا أهل البلد . وقيل : كان ذلك في سنة سبع . وفيها تزوّج ﷺ فاطمة بنت الضحاك بن سفيان الكلابية ثم فارقها .

مولد إبراهيم عليه السلام

فيها ولدَتْ مارية إبراهيم ابن رسول الله ﷺ في ذي الحجة ، وفيها أقام عتاب ابن أسيد بالناس الحجّ ، وحج الناس على ما كانت عادة العرب تحجُّ ، وحج ناسٌ

---

(١) (سنن ابن ماجة) جـ٢ كتاب التجارات ، باب رقم ٢٠ في النهي عن بيع ما ليس عندك وعن ربح ما لم يضمن ، حديث رقم ٢١٨٧ ، ٢١٨٨ ، ٢١٨٩ ، ص ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، (المغازي) جـ٣ ص ٩٥٩ ، و (سنن النسائي) جـ٧ ص ٢٨٨ باب (بيع ما ليس عند البائع) .

(٢) لم أجد (معاذ بن أوس) هذا في (الإصابة) ولا في (الاستيعاب) ، وهكذا هو في (خ) .

من المشركين على مدّتهم .

فريضة الصدقات وبعثه المصدقين

ثم كانت فريضة الصدقات وبعثه المصدِّقين لهلال المحرم سنة تسع ، فبعث رسول الله ﷺ بُريدة بن الحُصيب بن عبد الله بن الحارث بن الأعرج بن سعد بن رزاح ابن عَديّ بن سهم بن مازن بن الحارث بن سلامان بن أسلم بن أفصَى بن حارثة ابن عمرو بن عامر الأسلمي – إلى أسلم وغفار يصدِّقهم . [ويقال : بل بعث كعبَ بن مالك الأنصاري .. وبعث عبّاد بن بشْر الأشلهي إلى سُلَيْم ومُزينة . وبعث عمرو بن العاص إلى فزارة . وبعث الضحاك بن سفيان بن عوف بن كعب بن أبي بكر بن كلاب الكلابي إلى بني كلاب ، وبعث بُسْر[1] بن سفيان الكعبي إلى بني كعب . وبعث ابن اللُّتْبيَّة الأزديَّ إلى بني ذُبيان . وبعث رجلاً من بني سعد إلى هُذيم على صدقاتهم .

خبر بسر على صدقات بني كعب

فحرج بسر[1] بن سفيان على صدقات بني كعب ، [ويقال : إنما خرج ساعياً عليهم نُعَيم بن عبد الله النَّحّام العَدويُّ] ، فجاء وقد حَلّ بنواحيهم من بني تميم : بنو عمرو بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم ، وهم يشربون علي غدير لهم بذات الأشظاظ ، [ويقال : على عُسفان] ، ثم أمر بجمع مواشي خُزاعة ليأخذ منها الصدقة ، فحشرت عليه خُزاعة الصدقة من كل ناحية ، فاستكثرت ذلك بنو تميم ، ومنعوا المصَدِّق وشهروا سيوفهم ، ففرَّ إلى المدينة ، وأخبر رسول الله ﷺ بذلك .

خبر خزاعة

وأما خُزاعةُ فإنها أخرجت التميميين من محالها إلى بلادهم وندب النبيُّ ﷺ الناس لحربهم ؛ فانتدب[2] عيينة بن حصن الفَزاري ، فبعثه في خمسين فارساً ليس فهم مهاجر ولا أنصاريّ . فسار إلى العرج وخرج في آثارهم ، حتى وجدهم قد عدلوا من السُّقيا يؤمون أرض بني سُلَيم ، فلما رأوا الجمع ولّوا ، وأخذ منهم أحد عشر

---

(١) في (خ) « بشر » .

(٢) انتدب : أسرع وبادر .

رجلا وإحدي عشر امرأة وثلاثين صبياً ، فجلبهم إلى المدينة فأمر ﷺ بهم فحبسوا في دار رَملة بنت الحارث .

وفـــد بني تمـيـم

وقَدِم وفد بني تميم ، وهو عشرة من رؤسائهم : عطارِدُ بن حاجب بن زرارة في سبعين ، والزِّبرقان بن بدر بن امريء القيس بن خلف[1] بن بهدلة بن عوف ابن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم البهدلي التيمي السعدي أبو عياش[2] . [وقيل أبو شذْرَة] ، وقيس بن عاصم بن سنَان بن خالد بن مِنْقَر المنقريُّ ، وقيس ابن الحارث ، ونُعيم بن سعد ، وعمرو بن الأهتم بن سِنان بن خالد بن منْقَر ، والأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مُجاشع بن دارم ، [والحُتاتُ ابن يزيد المجاشعيّ][3] ، ورباح بن الحارث بن مجاشع ، - [وكان رئيس الوفد : الأعور بن شامة العنبريّ][4] - ودخلوا المسجد قبل الظُّهر ، ورسول الله ﷺ في بيت عائشة رضي الله عنها ، وقد أذَّن بلالٌ والناس ينتظرون الصلاة فنادوا : يا محمد ! اخرج إلينا ! وشَهروا أصواتهم فخرج عليه السلام وقيل : إنما ناداه رجل واحدٌ : يا محمد إنّ قدحِي زَيْنٌ ، وإن شتمي شيْنٌ ! وأقام بلالٌ الصلاة ، فتعلقوا به يكلّمونه ، فوقف معهم مليّاً ، ثم مضى فصلى بالناس الظهر : فلما انصرف إلى بيته ركع[5] ركعتين ، ثم خرج فجلس .

خطبة عطارد بن حاجب

وقَدَّموا عطارد بن حاجب خطيبهم فقال : الحمد لله الذي له الفضل علينا ، والذي جعلنا ملوكاً ، وأعطانا الأموال نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعزَّ أهلِ المشرق وأكثرهم مالا وأكثرهم عدداً . فمن مثلنا من الناس ؟ ألسنا برؤوس الناس وذوي[6] فضلهم ؟ فمن يفاخر . فليعدُد مثلَ ما عددنا . ولو شئنا لأكثرنا من الكلام ، ولكنا نستحي من الإكثار فيما أعطانا الله . أقول قولي هذا لأن نؤتي بقولٍ

---

(1) في (خ) « خالد » .
(2) في (خ) « أبو هياش » .
(3) في (خ) ما بين القوسين ما نصه « وحباب » وما أثبتناه من كتب السيرة .
(4) زيادة من (ط) .
(5) في (خ) « فركع » .
(6) في (خ) « وذي » .

هو أفضل من قولنا .

جواب ثابت بن قيس

فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس : قم فأجب خطيبهم . فقام – وكان من أجهر الناس صوتاً – ومادري من ذلك بشيء ، ولا هيَّأ قبل ذلك ما يقول ، فقال : الحمد لله الذي السموات والأرض خلْقه ، قضي فيهنَّ[1] أمْرَه ووسع كلَّ شيءٍ علمه ، فلم يكن شيءٌ إلا من فضله ، ثم كان ما قدَّر أن جعلنا ملوكاً ، اصطفى لنا من خلْقِه رسولا ، أكرمهم نسباً وأحسنهم زياً ، وأصدقهم حديثاً . أنزل عليه كتابه ، وائْتَمَنَهُ على خَلْقه ، وكان خيرته من عباده ، فدعا إلى الإيمان فآمن المهاجرون من قومه وذوي رحمه[2] : أصبحُ الناس وجهاً ، وأفضلُ الناس فعالا . ثم كنا أول الناس إجابة حين[3] دعا رسول الله ، فنحن أنصار الله ورسوله ، نقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله . فمن آمن بالله ورسوله منع منا ماله ودمه ، ومن كفر بالله ورسوله جاهدناه في ذلك ، وكان قبله علينا يسيراً ، أقول قولي هذا واستغفر الله [لي ولكم و][4] للمؤمنين والمؤمنات . ثم جلس .

شعر الزبرقان بن بدر

وقالوا : يا رسول الله ائْذن لشاعرنا ، فأذن له ، فأقاموا الزِّبْرقان بن بدرٍ فقال :

نحن الكرام فلا حيٌّ يعادلنا[5] ... فينا الملوك وفينا تنْصَب البِيَعُ
وكم قَسَرْنا[6] من الأحياء كلِّهمُ ... عند النِّهابِ وفَضْل الخير يُتبَّع
ونحن نطعمهم في القحط ما أكلوا ... من السَّديف إذا لم يؤنس الفَزَع
[ثم ترى النَّاسَ تأتينا سَراتهم ... من كلِّ أرضٍ هُوباً ثم تصطنع][7]
وننحر الكوم عبطاً في أرومتنا ... للنازلين إذا ما أنزلوا شَبعوا
[فلا ترانا إلى حيٍّ نفاخرهم ... إلا استقادوا ، فكاد الرأس يُقتطع

---

(١) في (خ) « فيهما » .
(٢) في (خ) « وذي رحمة » .
(٣) في (خ) « حنين » .
(٤) زيادة من (ابن كثير) وفي (خ) و (الواقدي) بدون هذه الزيادة .
(٥) في (خ) ، (الواقدي) « نحن الملوك فلا حي يقاربنا » وما أثبتناه من (تاريخ الطبري) جـ٣ ص ١١٦ .
(٦) في (خ) « قرنا » وما أثبتناه من (الواقدي) جـ٣ ص ٩٧٧ .
(٧) زيادة من (تاريخ الطبري) جـ٣ ص ١١٧ .

فمن يقادرنا في ذاك نعرفه فيرجع القوم والأخبار تُسْتمع][1]
إنا أبينا ولا يأبى لنا أحدٌ[2] إنا كذلك عند الفخر[3] نرتفع
تلك المكارم حزناها[4] مقارعة إذا الكرام على أمثالها اقترعوا

شعر حسان

وقال رسول الله ﷺ : يا حسان ! أجبهم . فقال :

إنَّ الذَّوائب من فهرٍ وإخوتهم قد بينوا[5] سنة للناس تُتبَّعُ
يَرْضى بها كلُّ من كانت سريرته تقوى الإله وبالأمر الذي شرعوا
قومٌ إذا حاربوا ضروا عدوَّهم أو حاولوا النفع في أشياعهم نَفعُوا
سجيَّةٌ تلك منهم غير محْدَثة إن الخلائق فاعلم شرها البدعُ
لا يرقع الناس ما أوهبت أكفّهم عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا
ولا يضنون عن جارٍ بفضلهمُ ولا ينالهمُ من مطمع طَبع[6]
إن كان في الناس سباقون بعدهمُ فكل سبق الأدنى سبقهم تبعُ
أكرمْ بقوم رسول الله شيعتهم إذا تفرقتْ الأهواء والشيعُ
أعفَّةٌ ذُكِرتْ في الوحي عفتهمُ لا يطمعون ولا يرديهم طمعُ
كأنهم في الوغى والموت مكتنعٌ أسْدٌ ببيشة في أرساغها فَدَع[7]
لا فخر إن هم أصابوا من عَدوِّهم وإن أصيبوا فلا خُوَرٌ ولا جزُع[8]
إذا نصبْنا لحيٍّ[9] لم نَدِبَّ لهم كما يَدبُّ إلى الوحشيَّة الذُّرعُ

---

(١) زيادة من (تاريخ الطبرى) جـ ٣ ص ١١٧ .
(٢) في (خ) « إذا أتتنا فلا يناما أحد » .
(٣) في (خ) « الفجر » . (٤) في (خ) « خرناها » .
(٥) في (خ) « قد شرعوا » وما أثبتناه من (ديوان حسان) ص ٢٣٨ .
(٦) في (خ) « طبعوا » وما أثبتناه من (الديوان) ص ٢٣٨ . وفي (ابن هشام وتاريخ الطبري) :
لا يبخلون على جار بفضلهمُ ولا يمسهم من مطمع طبع
(٧) في (خ) « فرع » .
(٨) في (خ) « لا فرح إن أصابوا في عدوهم » وما أثبتناه من (الديوان) ص ٢٣٩ ورواية (الواقدي) « لا يفخرون إذا نالوا عدوهم » جـ٣ ص ٩٧٨ .
(٩) في (خ) « وإن أصبنا » وما أثبتناه من (الواقدي) جـ٣ ص ٩٧٨ .

نسمو إلى الحرب نالتنا مخالبها إذا الزعانف من أظفارها خشعوا[1]
خذ منهمُ ما أتَوْا عفواً إذا غضبوا ولا يكن همُّك الأمرَ الذي منعوا[2]
فإن في حربهم فاترك عداوتهم سمّاً غريضاً عليه الصاب والسَّلَعُ
أهدَى لهم مَدحَه قلبٌ يؤازره فيما أحبَّ لسانٌ حائك صَنَعُ
فـإنهم أفضل[3] الأحيـاء كلهـمُ إن جدَّ بالباس جدُّ لقول أو شمَعوا[4]

فسُرَّ رسول الله ﷺ والمسلمون بمقام ثابت وحسَّان ، وخلا الوفد فقالوا : إن هذ الرَّجل مؤيد مصنوع له – [وفي رواية : إن هذا الرجل لمؤتَّى له] – والله لخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، ولهو أحلم منا ! فأسلموا ، وكان الأقرع [بن حابس][5] أسلم قبل ذلك .

ما نزل من القرآن في وفد بني تميم

وفيهم نزل قول الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالُكم وأنتم لا تشعرون * إن الذين يغضُّون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرةٌ وأجرٌ عظيم * إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون * ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم** ﴾[6] .

رد أسرى بني تميم

فرد عليهم ﷺ الأسْرى والسَّبي . ويقال : سألوه أن يحسن إليهم في سبيهم ، فقال لسَمِرَة بن عمرو : هذا يحكم بيننا وبينكم ! فقالوا : عمه فينا وهو أفضل منه !

(١) في (خ) « من أطرافها خشع » وهي رواية الواقدي ، وما أثبتناه من (الديوان) .
(٢) في (خ) « الذي منه » والتصويب من (الديوان) .
(٣) في (خ) « فإن أفضل » وما أثبتناه من (الديوان) .
(٤) في (ط) « أو سمعوا » وصوابها « شمعوا » بالشين المعجمة وهي رواية (خ) ، (الواقدي) . ومعنى شمعوا : أي هزلوا ، وأصل الشمع الطرب واللهو .
(٥) زيادة للإيضاح من (ط) .
(٦) الآيات ٢ – ٥ من سورة الحجرات ، وفي (خ) ﴿ **فوق صوت النبي** .... ﴾ الآية .

فأبى النبي ﷺ . فحكم سمرة أن يمنّ على الشطر ويفدوا الشطر ، ففعل .

رئيس وفد بني تميم

كان رئيسهم الأعور بن بشامة العنبري ، وكانت أخته صفية سُبيت ، فعرض النبيُّ عليها نفسه فاختارت زوجها ، فردها . وقام عمرو بن الاهتم يومئذ يهجو قيس ابن عاصم ، وقد أجازهم النبيُّ ﷺ كما كان يجيز الوفود إذا قدموا عليه ، وقال : هل بقى منكم من لم نجزه ؟ فقالوا : غلامٌ في الرَّحل . فقال : أرسلوه نجزه ! فقال قيس بن عاصم : إنه غلامٌ لا شرف له ! فقال : وإن كان ، فإنه وافد وله حقٌ !! فقال عمرو[1] شعراً يريد به قيساً . وكانت جوائزهم على يد بلال رضي الله عنه : لكل واحد ثنتي عشر أوقية ونصف ، ولغلامٍ هو أصغرهم خمس أواقي .

بعثة الوليد بن عقبة إلى بني المصطلق

ثم كانت بعثة الوليد بن عقبة [بن أبيُ معيط][2] إلى بني المصطلق ليأخذ صدقاتهم ، فخرجوا يلقونه بالجُزُر والغنم فرحاً به ، فولّي راجعاً إلى المدينة ، وأخبر أنهم يلقونه بالسلاح ليحُولوا بينه وبين الصدقة . فبلغهم ذلك عنه ، فقدم وفدهم وقالوا : يا رسول ! سل هل ناطَقَنا أو كلمنا ؟ فنزلت فيه : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** ﴾[3] ، فقرأها عليهم رسول الله ﷺ ، وقال : من تحبون أن أبعث إليكم ؟ قالوا : عبَّاد بن بشر ، فخرج معهم يُقرئهم القرآن ويعلمهم شرائع الإسلام ، وقد قال له : خذ صدقات أموالهم ، توقَّ كرائم أموالهم . فأقام عندهم عشراً ثم انصرف راضياً .

سرية قطبة بن عامر إلى خثعم

وكانت سرية قطبة بن عامر إلى خثعم في صفر سن تسع ، فخرج في عشرين رجلاً معهم عشرة أبعرة يتعقبوها ، [فأخذوا رجلا فسألوه فاستعجم عليهم ، فجعل يصيح بالحاضر ويحذرهم . فضربواعنقه ، ثم أمهلوا حتى نام الحاضر فشنُّوا عليهم الغارة ، فاقتتلوا قتالا شديداً حتى كثر الجرحى في الفريقين جميعاً : وقتل قطبة

(١) في (خ) « عمر » . (٢) زيادة للبيان من (ط) . (٣) الآية ٦ / الحجرات .

ابن عامر مَنْ قتل ، وساقوا النعَم والشاء والنساء إلى المدينة : وجاءَ سيْلٌ أتِيٌّ[(١)] فحال بينهم وبينه ، فما يجدون إليه سبيلا . وكانت سهمانهم أربعة أبعرة أربعة أبعرة ، والبعير يُعدل بعشر من الغنم بعد أن أخرج الخُمُس][(٢)] .

سرية الضحاك بن سفيان إلى بني كلاب

وكانت سرية الضحاك بن سفيان[(٣)] بن عوف بن أبي بكر بن كلاب الكلابيّ إلى بني كلاب ، فدعاهم إلى الإسلام فأبَوْا ، فقاتلهم بمن معه وهزمهم[(٤)] وذلك في ربيع الأوَّل .

كتاب رسول الله ﷺ إلى بني حارثة بن عمرو

وكتب ﷺ إلى بني حارثة بن عمرو بن قريظ يدعوهم إلى الإسلام مع عبد الله ابن عوْسَجة من عُرينة[(٥)] ، مستهلَّ ربيع الأول ، فأخذوا[(٦)] الصحيفة فغسلوها ورقعوا بها دَلْوَهم ، وأبوا أن يجيبوا ، فقال ﷺ - لما بلغه ماهم ذلك -: ما لم ؟ أذْهَب الله عقولهم ! فصاروا أهل رِعْدة وعَجلة وكلامٍ مختلط ، وأهل سفهٍ .

وقدِم وفد بَلِيٍّ في ربيع الأول هذا ، فنزلوا على رُوَيْفَع [بن ثابت][(٧)] البلويِّ .

خبر رعية السحيمي

قال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا عبيد الله بن موسى قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي إسحٰق ، عن الشَّعبي : أن رسول الله ﷺ كتب إلى رعْية السُّحَيمْي بكتاب ، فأخذ الكتاب فرقع به دلوهُ . فبعث رسول الله ﷺ سرية فأخذوا أهله وماله ، وأفلت رِعْية - على فرسٍ له - عرياناً ليس عليه شيء فأتى ابنته - وكانت

---

(١) السيل الأتي الذي لا يُدرى من أين أتي !!
(٢) ما بين القوسين زيادة لتمام الخبر من (ابن سعد) جـ٢ ص ١٦٢ .
(٣) في (خ) « إلى سفيان » . (٤) في (خ) « وهربهم » .
(٥) في (خ) « بن عرينة » .
(٦) في (خ) « فأخذ » وما أثبتناه من (الواقدي) جـ٣ ص ٩٨٢ .
(٧) زياد للإيضاح من (ط) .

متزوِّجة في بني هلال ، وكانوا أسلموا فأسلمتْ معهم ، وكانوا دعوه إلى الإسلام [فأبى][1] – وكان مجلس القوم بفناء بيتها ، فأتى البيت من وراء ظهره . فلما رأته ابنته عرياناً ألقت عليه ثوباً وقالت : مالك ؟ قال كلُّ الشرِّ ! ما تُرك لى أهل وَلا مال ! أين بعلك ؟ قالت : في الإبل ! فأتاهُ فأخبرهُ ، فقال : خذْ راحلتي برحلها ، ونزودك من اللبن : قال : لا حاجة لي فيه ، ولكن أعطني قَعودَ[2] الرّاعي وإدواة من ماءٍ[3] ، فإني أبادر محمداً لا يقسم أهلي ومالي ! فانطلق وعليه ثوب : إذا غطى به رأسه خرجت إسته ، وإذا غطى إسته خرج رأسه . فانطلق حتى دخل المدينة ليلاً ، فكان بحذاء[4] رسول الله ﷺ . فلما صلى رسول الله ﷺ الفجر ، قال له : يا رسول الله ! أبسط يدك لأبايعك ! فبسط رسول الله ﷺ ، فلما ذهب رِعْية يمسح عليها ، قبضها رسول الله ﷺ ، ثم قال له رعية : يا رسول الله ! أبسط يدك ، قال : ومن أنت ؟ قال رعية السحيْميُّ ! قال : فأخذ رسول الله ﷺ بعضده فرفعه[5] ثم قال : أيها الناس ! هذا رعية السحيمي الذي كتبت إليه فأخذ كتابي فرقع بها دلوه !! أسلم ، ثم قال : يا رسول الله ! أهلي ومالي ! فقال : أما مالك فقد قسم بين المسلمين ، وأما أهلك فانظر من قدرْت عليه منهم ! قال [رعية][6] ، فخرجت فإذا ابنٌ لي قد عرف الراحلةَ ، وإذا هو قائمٌ عندها ، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : هذا ابني ! فأرسلَ معي بلالا فقال : انطلق معه فسله : أبوك هو ؟ فإن قال نعم ، فادفعه إليه ، قال [رعية][7] : فأتاه بلالٌ فقال : أبوك هو ؟ قال : نعم ، فدفعه إليه . قال : فأتي بلالٌ رضي الله عنه النبي ﷺ فقال : والله ما رأيت واحداً منه مستعبِراً إلى صاحبه ! فقال رسول الله ﷺ : ذلك جفاء الأعراب !

وقال أبو عمر بن عبد البر رعية السُّحَيْميُّ ، [ويقال : الرَّبَعِي ، ويقال العُرَنيُّ وهو الصواب . يروي أنه من سحيمة عرينة] كتب إليه رسول الله ﷺ قطعة أدَمٍ ،

---

(١) في (خ) بعد قوله « دعوه إلى الإسلام » ما نصه : « فأتي ابنته » ، وما أثبتناه من (ط) .
(٢) القعود في الإبل : ما يتخذه الراعي للركوب وحمل متاعه وزاده .
(٣) الإدواة : إناء صغير من جلد يتخذ للماء .
(٤) في (خ) « بجدار » .
(٥) في (خ) « فرفعها » .
(٦) زيادة للسياق والإيضاح من (ط) .
(٧) زيادة للبيان والإيضاح من (ط) .

فرقع دَلْوَهُ بكتاب رسول الله ﷺ ، فقالت له [ابنته][1] ما أراك إلا ستصيبك قارعة ! عمدت إلى كتاب سيد العرب فرقعت به[2] دلوك ؟ [وكانت ابنته قد تزوجتْ في بني هلال وأسلمت][3] ، وبعث إليه رسول الله ﷺ خيلا . فأخذوا أهله وماله وولده [ونجا هو عرياناً][3] ، فأسلم . وقَدِمَ على النبي ﷺ فقال : أُغيرَ على أهلي ومالي وولدي ! فقال رسول الله ﷺ : أما المال فقد اقتسم ، ولو أدركته قبل أن يقسم كنت أحق به ! وأما الولد ، فاذهب معه يا بلال ، فإن عرفه[4] ولده فادفعه إليه ، فذهب معه فأراه إياه ، فقال لابنه ، تعرفه ؟ قال : نعم ! فدفعه إليه .

سرية علقمة بن مجزر إلى الشعيبة

ثم كانت سرية علقمة بن مُجزر المُدْلَجِي في ربيع الآخر - في ثلاثمائة رجل - إلى ساحل البحر بناحية مكة وقد ترايا أهل[5] الشعيبة ناساً من الحبشة في مراكب . [فانتهى علقمة وأصحابه إلى جزيرة في البحر ، وقد خاض إليهم البحر][6] ، ففروا منه ، فرجع . واستأذنه بعض جيشه في الانصراف فأذن لهم . وأمَّر عليهم عبد الله ابن حذافة السَّهْميَّ - وكانت فيه دُعابةٌ - فأمر أصحابه أن يتواثبوا في نار[7] لهم ، فلما أرادوا ذلك قال : إنما كنت أضحك معكم ! فلما ذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال : من أمركم بمعصيةٍ فلا تطيعوه .

سرية علي بن أبي طالب إلى الفُلْس صنم طيء

ثم كانت سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الفُلْس - صنم طيء - ليهدمه ، في ربيع الآخر ، في خمسين ومائة رجل من وجوه الأنصار ، على مائة بعير وخمسين فرساً ، حتى أغاروا على أحياء من العرب ، وشنوا الغارة مع الفجر على

---

(١) زيادة من (الاستيعاب) جـ٣ ص ٣٠٣ .
(٢) في (خ) « رقعت به » .
(٣) زيادة من (ط) نقلها عن (أسد الغابة) .
(٤) في (خ) « فإن عرف والده » هو فاسد المعنى .
(٥) في (خ) « يراما » وفي (ابن سعد جـ٢ ص ١٦٣ « ترایاهم أهلُ جُدَّة » .
(٦) زيادة من (ط) لتمام المعنى .
(٧) في (خ) « على نار » وما أثبتناه حق السياق .

محلة آل حاتم ، فسَبَوْا حتى ملأوا أيديهمْ من السَّبي والنعم والشاء . وهدم عليٌّ رضي الله عنه الفلس صنم طيء وخرَّب ، ثم عاد . وكانت رايته سوداء ، ولواؤه أبيض ، ويحمل الراية سهل بن حنيف ، واللواء جَبَّار بن صخر السُّلمي ، ودليله حريث من بني أسد . وكان فيمن سبي سَفَّانة بنت حاتم الجواد بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امريء القيس بن أخْزَم بن أبي أخزم بن ربيعة بن نُثل بن جَرْوَل بن عمرو بن الغوث بن طيء ؛ ومن[1] أسر أسلم ، ووجد في بيت الفلس ثلاثة أسياف : رَسوبٌ والمِخْذم[2] واليماني وثلاثة أدراع . واستعمل على السبي أبا قتادة ، وعلى الماشية والرِّثَّة[3] عبد الله بن عتيك . وقسم السبي والغنائم إلا آل حاتم فإنه قدم بهم المدينة ، وبالخمس مما غنموا ، وبالأسياف الثلاثة صفيًا لرسول الله ﷺ .

خبر سفانة بنت حاتم الطائي

فنزلت [سفّانة بنت حاتم][4] أخت عَدِي بدار رَملة بنت الحارث . وكان عديّ بن حاتم قد فرَّ – لما سمع بحركة عليّ رضي الله عنه – إلى الشأم ، فكانت أخت عدي إذا مرَّ النبيُّ ﷺ تقول : يا رسول الله ! صلى الله عليك وسلم ! هلك الوالد وغابَ الوافد فامنن علينا منَّ الله عليك ! فيسألها : من وافدك ؟ فتقول : عدي ابن حاتم ! فيقول : الفارُّ من الله ورسوله ؟! حتى يئستْ . فلما كان اليوم الرابع مرَّ[5] ، فأشار إليها عليٌّ رضي الله عنه : قومي فكلميه ؟ فكلمته فخلى عنها وَوَصلها . فأتت أخاها عدي بن حاتم – وقد لحق بالشأم – فحسنتْ له أن يأتي رسول الله ﷺ ، فقدم المدينة وأسلم ، وله في إسلامه قصةٌ .

موت النجاشي

وفي رجب سنة تسع نعي رسولُ الله ﷺ النجاشيَّ للمسلمين ، وصلى عليه بمن معه في اليوم الذي مات فيه ، على بُعد ما بين الحجاز وأرض الحبشة ، فكان ذلك علماً[6] من أعلام النبوة كبيراً[6] .

---

(١) في (خ) « وممن » .
(٢) في (خ) « والمحرم » .
(٣) الرثة : المتاع ، وهي في (خ) « والورثة » .
(٤) زيادة للإيضاح من (ط) .
(٥) في (خ) « مر يتكلم » .
(٦) في (خ) « علم » ، « كبير » .

غـزوة تبـوك

ثم كانت غزوة تبوك – وتسمي غزوة العُسْرة[١] – في غرة رجب ، وسببها أن أخبار الشأم كانت بالمدينة عند المسلمين ، لكثرة من يقدم من الأنباط بالدَّرْمك[٢] والزيت ، فذكروا أن الرُّوم قد جمعت جموعاً كثيرة[٣] بالشأم ، وأن هرقل قد رَزَق أصحابه لسنة ، وأقبلت مع لَخْمٌ وجُذام[٤] وغسَّان وعامِلة ، وزحفوا ، وقدموا مقدِّماتهم إلى البلقاء وعسكروا بها ، وتخلف هرقل بحمص . ولم يكن ذلك ، إنما ذلك شيء قيل لهم فقالوه .

الخبر عن الغزو والبعثة إلى القبائل

وكان رسول الله ﷺ لا يغزو غزوة إلا ورَّي بغيرها – لئلا تذهب الأخبار بأنه يريد كذا وكذا – حتى كانت غزوة تبوك فغزاها في حرٍّ شديد . واستقبل سفراً بعيداً ، وعدداً كثيراً ، فجلى[٥] للناس أمرهم ليتأهبوا لذلك أهبته ، وأخبرهم بالوجه الذي يريد . وبعث إلى القبائل وإلى مكة يستنفرهم إلى عدوهم . فبعث بُرْيدة ابن الحُصيب وأمره أن يبلغ الفُرْع ، وبعث أبا رُهم الغِفاري إلى قومه ، وأبا واقدٍ اللَّيثيَّ إلى قومه ، وأبا جَعْدة الضَّمْريَّ إلى قومه بالساحل ، ورافع بن مَكيث ابن جُندب بن جُنادة إلى جُهينة ، ونعيم بن مسعود إلى أشجع ، وبُدَيل بن ورقاء وعمرو بن سالم وبُسْرَ بن سفيان إلى بني كعب بن عمرو ، والعباس بن مرداس إلى بني سليم . وحضَّ على الجهاد ورغَّب فيه .

صدقات المسلمين للغزو

وأمر بالصدقة فحملت صدقاتٌ كثيرة . وأول من حمل صدقته أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، جاء بماله كله أربعة آلاف درهم ، فقال له رسول الله ﷺ . هل أبقيت شيئاً ؟ قال : الله ورسوله ! وجاء عمر رضي الله عنه بنصف ماله ، فقال

---

(١) في (خ) « العشرة » .

(٢) الدرمك : الدقيق الأبيض الجيد الخالص .

(٣) في (خ) « كبيرة » .

(٤) في (خ) « خدام » .

(٥) في (خ) « وحكى » ، وجلّي الأمر : أظهره وأبانه .

له رسول الله ﷺ هل أبقيت شيئاً ؟ قال : نعم ، نصف مالي ما جئت به . وبلغ عمر ما جاء به أبو بكر رضي الله عنه فقال : ما استبقنا إلى خيرٍ إلا سبقني إليه . وحمل العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه مالاً يقال إنه تسعون ألفاً . وحمل طلحة ابن عبيد الله مالاً . وحمل عبد الرحمن بن عوف مائتي أوقية . وحمل سعد بن عُبادة ومحمد بن مسلمة[1] مالاً . وتصدق عاصم بن عَديٍّ بتسعين وسقاً[2] تمراً ، وجهز عثمان بن عفان رضي الله عنه ثلث ذلك الجيش ، فكان من أكثرهم نفقةً ، حتى كفي ثلث ذلك الجيش مؤنتهم ، حتى إن كان ليقال : ما بقيت له حاجة !! فجاء بألف دينار ففرغها في حجر النبي ﷺ ، فجعل يقلبها ويقول ﷺ : ما ضرَّ عثمانَ ما فعل بعد هذا اليوم ! قالها مراراً .

ورغب عليه السلام أهل الغني في الخير والمعروف ، فتبادر المسلمون في ذلك ، حتى إن الرجل ليأتي بالبعير إلى الرجل والرجلين ويقول : هذا البعير بينكما تعتقبانه ؛ ويأتي الرجل بالنفقة فيعطيها بعض من يخرج .

صدقات النساء

وأتت النساء بكل ما قدرن عليه ، فكن يلقين – في ثوب مبسوط بين يدي النبي ﷺ – المَسَك ، والمعاضد والخلاخل ، والأقرطة ، والخواتيم ، والخدمات[3] . وكان الناس في حرٍ[4] شديدٍ ، وحين طابت الثمار ، وأُحِبَّتْ الظلال ؛ والناس يحبون المقام ويكرهون الشخوص عنها . وأخذ ﷺ الناس بالجد وعسكر بثنية الوداع ، والناس كثيرٌ لا يجمعهم كتاب .

خبر المخلفين

وقال ﷺ للجدِّ بن قيسِ بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عَديّ ابن غنم بن كعب بن سَلِمَة الأنصاري : أبا وهب ! هل لك العام تخرجَ معنا لعلك تحتقب من بنات الأصفر[5] ! قال أو تأذن لي ولا تفتنِّي ؟ فوالله لقد عرف قومي ما أحدٌ أشدُّ عُجباً بالنساء منِّي ، وإني لأخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا

---

(١) في (خ) « بن سلمة » .
(٢) في (خ) « وستا » .
(٣) سبق شرح معاني هذه الألفاظ .
(٤) في (خ) « في عسر شديد » .
(٥) بنات الأصفر : بنات الروم الكاثوليك .

أصبر عنهنَّ . فقال : قد أذنت لك ! فجعل يَثبط قومه ويقول : لا تنفروا في الحرِّ . فنزل فيه قوله تعالى : ﴿ **فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحرِّ قلْ نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون * فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاءً بما كانوا يكسبون** ﴾[1] .

وقوله تعالى : ﴿ **ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتنّي ألا في الفتنة سقطوا وإن جنهم لمحيطة بالكافرين** ﴾[2] .

البكـاءون

وجاء البكاءون – وهم سبعةٌ : أبو ليلى المازنيُّ ؛ وسلمة بن صخرٍ الزُّرقيُّ ، وثعلبة بن غنمة السُّلمي ، وعُلبة بن زيد الحارثي ، والعرباض بن سارية السُّلمي ، وهرمي بن عمر المزني وسالم بن عمير . [وقيل : وإن فيهم عبد الله بن المغَفَّل ومعقل ابن يسار . وقيل : البكاءون بنو مقرِّن السَّيِّمة ، وهم من مزينة] – يستحملون رسول الله ﷺ ، وكانوا أهل حاجةٍ فقال : لا أجد ما أحملكم عليه فولَّوْا يبكون[3] فلقي اثنان منهم يامين بن عُمير بن كعب [بن عمر بن عمرو بن جحاش النضْري][4] فقال : ما يبكيكما ؟ قالا : جئنا إلى رسول الله ﷺ ليَحْملنا فلم نجد عنده ما يحملنا عليه ، وليس عندنا ما نتقوى[5] به على الخروج ، ونحن نكره أن تفوتنا غزوةٌ مع رسول الله ﷺ . فأعطاهما ناضحاً له[6] فارتحلاه ، وزوَّد كلَّ واحدٍ صاعين من تمر . وحمل العباس بن عبد المطلب منهم رجلين ، وحمل عثمان ابن عفان منهم ثلاثة .

النهي عن خروج أصحاب الضعف

وقال ﷺ : لا يخرجنَّ معنا إلا مُقْوٍ[7] . فخرج رجلٌ على بكر صعب[8]

(١) الآيتين ٨١ – ٨٢ التوبة ، وفي (خ) ﴿ ... **وقالوا لا تنفروا في الحر** ﴾ ، الآية .
(٢) الآية ٤٩ / التوبة ، وفي (خ) « .... ولا تَفْتِنِّي ، الآية » .
(٣) خبر البكائين في سورة التوبة ، الآية ٩٠ وما بعدها .
(٤) في (خ) « مكان ما بين القوسين « بن عمرو بن جحاش النضري » ، وما أثبتناه من (ط) .
(٥) في (خ) « تقوى » . (٦) الناضح : البعير الذي يحمل عليه الماء .
(٧) في (خ) « نقوى » ، يقال : رجلُ مقوٍ : أي : ذو دابة قوية . (٨) الصعب : الذي لا ينقاد .

فصرعه بالسويداء ، فقال الناس : الشهيدَ الشهيدَ !! فعبث رسول الله ﷺ منادياً ينادي : لا يدخل الجنة إلا مؤمن - [وإلا نفسٌ مؤمنة] - ، ولا يدخل الجنة عاصٍ .

المنافقون

وجاء ناسٌ من المنافقين يستأذنون رسول الله ﷺ من غير علةٍ فأذن لهم ، وهم بعضة وثمانون رجلا . وجاء المعذرون[1] من الأعراب فاعتذَروا وهم نفرٌ من بني غفار فيهم خُفاف بن إيماء بن رَحضَة ، اثنان وثمانون رجلاً فلم يعذرهم الله ، وجاء عبد الله بن أبيّ بن سلول بعسكره - معه حلفاؤه من اليهود والمنافقين - فضربه عل ثنية الوداع . فكان يقال : ليس عسكر ابن أبيٍّ بأقل العسكرين .

وكان رسول الله ﷺ يستخلف على العسكر أبا بكر رضي الله عنه ، فلما أجمع المسير استخلف على المدينة سِباع بن عُرْفُطة الغفاريّ ، [وقيل محمد ابن مسلمة] .

تخليف علي بن أبي طالب

وخلف علي بن أبي طالب رضي الله عنه علي أهله ، فقال المنافقون : ما خلفه إلا استقلالاً له ! فأخذ سلاحه ولحقَ رسول الله ﷺ بالجُرْف وأخبره ما قالوا ، فقال : كذبوا ! إنما خلَّفتُك لما ورائي ! فارجع فاخلفني في أهلي وأهلكَ ، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؟ إلا أنه لا نبيَّ بعدي ، فرَجَع .

الأمر بحمل النعال

وسار عليه السلام وقال : استكثروا من النعال ، فإن الرجل لا يزال راكباً مادم منعلاً .

تخلف المنافقين

فلما سار تخلف ابن أبيّ فيمن تخلف من المنافقين وقال : يغزو محمدٌ بني

(١) المعذرون : الذين يعتذرون ، ولا عذر لهم على الحقيقة .

الأصفر - مع جهد الحال والحر والبلد البعيد - إلى مالا قبل له به ؟! يحسب محمدٌ أن قتال بني الأصفر اللعب ؟! ونافق بمن معه ممن هو على مثل رأيه ، ثم قال : والله لكأني أنظر إلى أصحابه غداً مقرنين في الحبال .

الألـوية

فلما رَحل رسول الله ﷺ من ثَنيَّة الوَداع عقد الألوية والرايات . فدفع لواءه الأعظم إلى أبي بكر رضي الله عنه ، ورايته العظمى إلى الزبير ، وراية الأوس إلى أسيْد بن الحُضير ، ولواء الخزرج إلى أبي دُجانة ، [ويقال : إلى الحباب بن المنذر ابن الجموح] ، وأمر كل بطنٍ من الأنصار والقبائل من العرب أن يتخذوا لواءً أو راية .

خبر العبد المملوك

فلقيه عبدٌ لامرأة من بني ضمرةَ وهو متسلح ، فقال : أقاتل معك يا رسول الله ؟ فقال : وما أنت ؟ قال ، مملوكٌ لامرأة من بني ضمرة سيئة المَلَكة[1] فقال : إرجع إلى سيِّدتك ! لا تقتلْ معي فتدخل النار !!

عدة المسلمين

وسار معه ثلاثون ألفاً ، وعشرة آلاف فرسٍ ، واثنا عشر ألف بعير . وقال أبو زُرْعة : كانوا سبعين ألفاً . وفي رواية : أربعين ألفاً .

تخلف نفر من المسلمين

وتخلف نفرٌ من المسلمين أبطأت بهم النيةُ من غير شك ولا ارتياب ، منهم : كعب بن مالك بن أبي كعب عمرو بن القين[2] بن كعب بن سواد بن غنم ابن كعب بن سلمة الأنصاريُّ ، وهلال بن أمية الواقفيُّ ، وأبو خيثمة عبد الله ابن خيثمة السالميُّ ، ومرارة بن الربيع العمري ، ثم إن أبا خيثمة أدرك رسول الله ﷺ بتبوك .

(١) وفي الحديث : « لا يدخل الجنة سيء الملكة » أي الذي يسيء صحبة مماليكه وعبيده .

(٢) في (خ) « القيس » .

وكان دليله عليه السلام علقمة بن الغفواء[1] الخزاعي . وجمع – من يوم نزل ذا خشب – بين الظهر والعصر في منزله : يؤخر الظهر حتى يبرد ويعجِّل العصر، ثم يجمع بينهما . فكان ذلك فعله حتى رَجع من تبوك .

المتخلفون

ولما مضى من ثنية الوداع ، جعل يتخلف عنه قومٌ ، فيقولون : يا رسول الله ! تخلف فلانٌ ! فيقول : دعُوه ! فإن يكُ فيه خيرٌ فيُلحِقه الله بكم ، وإن يكُ غير ذلك فقد أراحكم الله منه . وخرج معه ناسٌ من المنافقين كثير ، لم يخرجوا إلا رجاء الغنيمة .

خبر أبي ذر

وأبطأ أبو ذرٍ رضي الله عنه من أجل بعيره : كان نضْواً أعجف[2] ، ثم عجز فتركه وحمل متاعه على ظهره : وسار ماشياً في حرٍ شديد وحده ، حتى لحق رسول الله ﷺ نصف النهار وقد بلغ منه العطش ، فقال له : مرحباً بأبي ذر ! يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده ! ما خلفك ؟ فأخبره خبر بعيره ، فقال : إن كنت لمن أعزِّ أهلي عليَّ تخلُّفاً ! لقد غفر الله لك بكلِّ خطوة ذنباً إلى أن بلغتني .

خبر أبي رهم

وسايرهُ أبو رهم – كلثوم بن الحصين الِغفاري – ليلة فألقى عليه النُّعاس ، فزاحمتْ عليه راحلته راحلة رسول الله ﷺ – ورجله في الغَرْز – فما استيقظ إلا بقوله : حسِّ[3] ! فقال : يا رسول الله ، استغفر لي ، فقال : سر ! وجَعل يسأله عمَّن تخلَّف من بني غفارٍ ويخبره ، فقال : ما منع أَحَدَ أولئك حين تخلف أن يحمل علي بعيره رجلاً نشيطاً في سبيل لله ممَّن يخرج معنا ، فيكون له مثل أجر الخارج! إن كان لمن أعِّز أهلي عليَّ أن يتخلف عنِّي : المهاجرون من قريش والأنصارُ وغِفارُ وأسلم .

---

(١) في (خ) « الغفراء » . لم أجده فيمن اسمه علقمه وأثبتناه من المغازي ص ٩٩٩ .
(٢) النضو : الأعجف : الذي أهزلته الأسفار وأذهب الجوع سمنه .
(٣) كلمة تقال للتوجع .

جهد المسلمين

ومرَّ على بعيرٍ قد تركه صاحبه من الضعف ، فمرَّ به مارٌّ فَعَلَفَهُ أياماً ثم حمله وقد صَلح ، فخاصمه فيه صاحبه ، فقال رسول الله ﷺ : من أحيا خُفاً أو كُراعاً بمهلكةٍ من الأرض فهو له . وشكوا إليه ﷺ ما بظهرهم من الجهد ، فتحين رسول الله ﷺ مضيقاً سارَ الناس فيه وهو يقول : مرُّوا باسم الله ، فجعل ينفح[1] بظهورهم وهو يقول : اللهم احمل عليها في سبيلك ، فإنك تحمل على القوى والضعيف ، والرطب واليابس ، والبر والبحر ! فلما بلغوا المدينة جعلت تنازعهم أزقتها بدعوته ﷺ .

وصلى يوماً بأصحابه وعليه جُبة صوف وقد أخذ بعنان فرسه ، فبَالَ الفرس فأصاب الجبة فلم يغسله . وقال : لا بأسَ بأبوالها ولعابها وعرقها . لكنَّ يعارضه قوله : استنزهوا من البول ، وهو أصحُّ .

مقالة المنافقين

وكان رَهطٌ من المنافقين يسيرون ، منهم : وديعة بن ثابت أخو بني عمرو ابن عوف ، والجلاس بن سويد بـن الصامت ، ومخشيّ بن حُمَيِّر من أشجع حليف بني سلمة وثعلبة بن حاطب ؛ وقال ثعلبة : تحسبون قتال بني الأصفر كقتال غيرهم ؟ والله لكأني بكم غداً مقرنين في الحبال ! وقال وديعة بن ثابت : ما لي أرى قراءنا[2] هؤلاء أرغبنا [بطوننا][3] ، وأكذبنا ألسنةً ، وأجبننا عند اللقاء ؟ قال الجُلاس بن سويد – زوج أم عمير[4] –: هؤلاء سادتنا وأشرافنا وأهل الفضل منا ، والله لئن كان محمدٌ صادقاً لنحن شرٌّ من الحمير ! ورسول الله ﷺ الصادق وأنت الكاذب ! وقال مخشي بن حمير : والله لو وددت أنيِّ أُقاضَى على أن يضرب كل رجلٍ منا مائة جلدة ، وأننا ننفلت من أن ينزل فينا قرآن بمقالتكم !

وقال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر رضي الله عنه : أدرِك القوم فإنهم قد

(١) في (خ) « ينفخ » ، ينفح : يدفع .
(٢) في (خ) « قرانا » .
(٣) هذه الكلمة غير بينة في (خ) وفي (الواقدي) ، « أوعينا بطوننا » جـ٣ ص ١٠٣ .
(٤) عمير بن سعد الأنصاري .

اخترقوا[1] . فسلهم عما قالوا ، فإن أنكروا فقل : بلى ! قد قلتم كذا وكذا !! فذهب إليهم فقال لهم ، فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه فقال وديعة بن ثابت - ورسول الله ﷺ على ناقته ، وقد أخذ بحقبها[2] - : يا رسول الله ! إنما كنا نخوض ونلعب ! فأنزل الله فيه : ﴿ **ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفةٍ منكم نعذب طائفةً بأنهم كانوا مجرمين** ﴾[3] .

وقال مخشي بن حُميِّر : يا رسول الله ! قعد بي اسمي واسم أبي ! فكان الذي عفي عنه في هذه الآية مخشي ، فتسمى عبد الرحمن ، وسأل الله أن يقتله شهيداً لا يعلم بمكانه ، فقتل يوم اليمامة فلم يوجد له أثر .

وجاء الجلاس فحلفَ ما قال من ذلك شيئاً . فأنزل الله فيه : ﴿ **يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهمُّوا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فإن يتوبوا يَك خيراً لهم وإن يتولوا يعذِّبْهم الله عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير** ﴾[4] .

وكان للجلاس ديةٌ في الجاهلية على بعض قومه - وكان محتاجاً - فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أخذها له فاستغنى بها .

وادي القرى

ومرَّ رسول الله ﷺ في وادي القرى على حديقة امرأةٍ فقال : اخرصوها فجاء خَرْصها عشرة أَوْسُق[5] فقال لها : احفظي ما خرج منها حتى نرجع إليك .

---

(١) في (خ) « احترقوا : بالحاء المهملة » والأجود بالخاء ، من الاختراق ، وهو الاختلاق الكذب ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ **وخرقوا له بنين وبنات بغير علم** ﴾ ، راجع هامش (ط) ، وفي (زاد المعاد) جـ٣ ص ٩٣٦ « احترقوا » وأيضاً في (تاريخ الطبري) جـ٣ ص ١٠٨ .

(٢) الحقب : حزام يشد به البعير .

(٣) الآيتان ٦٥ ، ٦٦ / التوبة ، وفي (خ) ﴿ ... **نخوض ونلعب** ﴾ ، الآية .

(٤) الآية ٧٤ / التوبة ، وفي (خ) ﴿ **ولقد قالوا كلمة الكفر** ﴾ وقوله تعالى : ﴿ **وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله** ﴾ ، الآية .

(٥) الأوسق : جمع وسق ، وهو حمل بعير .

نزول الحجر وهبوب الريح

فلما أمسى بالحجر قال : إنها ستهبُّ الليلة ريحٌ شديدةٌ ، فلا يقومنَّ منكم أحدٌ إلا مع صاحبه ، ومن كان له بعيرٌ فليوثق عقاله ، فهاجت ريحٌ شديدةٌ ولم يقم أحدٌ إلا مع صاحبه ، إلا رجلين من بني ساعدة : خرج أحدهما لحاجته ، وخرج الآخر في طلب بعيره . فأما الذي خرج لحاجته ، فإنه خنق على مذهبه ، وأما الذي ذهب في طلب بعيره فاحتملته الريح فطرحته بجبل طيءٍ فأخبر عليه السلام خبرهما فقال : ألم أنهكم أن يخرج رجلٌ إلا معه صاحبٌ له ؟ ثم دعا للذي أصيب على مذهبه فشفى ، وأما الآخر فإن طيِّئاً قدمت به إلى المدينة .

هدية بني عريض

وأهدى له عليه السلام بنو عريضٍ اليهودي هريساً فأكلها ، وأطعمهم أربعين وسقاً ، فلم تزل جارية عليهم[1] .

خبر بئر الحجر

واستقى الناس من بئر الحجر[2] وعجنوا ، فنادى منادى النبي ﷺ : لا تشربوا من مائها ولا توضئوا منه للصلاة ، وما كان من عجين فاعلفوه الإبل ، فجعل الناس يهريقون ما في أسقيتهم ؛ وتحوَّلوا إلى بئر صالح عليه السلام فارتوَوْا منها . وقال يومئذٍ : لا تسألوا نبيكم الآيات ! هؤلاء قوم صالحٍ سألوا نبيهم آية ، فكانت الناقة ترد عليهم من هذا الفجّ ، تسقيهم من لبنها يوم ورِدِها ما شربت من مائهم . فعقروها ، فأوعدوا ثلاثاً ، وكان وعد الله غير مكذوبٍ ، فأخذتهم الصيحة ، وقال يومئذٍ : لا تدخلوا على هؤلاء القوم المعذبين إلا أن تكونوا باكين ، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلو عليهم فيصيبكم ما أصابهم .

وجاء رجل بخاتمٍ وجده في الحجر في بيوت المعذبين ، فأعرض عنه واستتر بيده أن ينظر إليه ، وقال : ألقه ! فألقاه .

وقال لأصحابه حين حاذاهم : إن هذا وادي القرى ! فجعلوا يوضِعون فيه

(١) في (خ) « فلم يزل حارثة عليهم ، وفي (الواقدي) ج٣ ص ١٠٠٦ « فهي جارية عليهم » .

(٢) الحِجْر : ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام .

ركابهم حتى خرجوا منه . وأوضع ﷺ راحلته .

قلة الماء ودعاء رسول الله بالمطر

وارتحل من وادي القرى فأصبح ولا ماء معهم ، فشكوا ذلك إليه ، فاستقبل القبلة ودعا – ولا يُرى في السماء سحابٌ – فما برح يدعو حتى تألف السحاب من كل ناحية ، فما رام مقامه حتى سحب عليهم السماء بالرواء . ثم كشف الله السماء من ساعتها والأرض غُدُرٌ[1] ، فسقى الناس وارتوَوْا من آخرهم ، فكبر رسول الله ﷺ وقال : أشهد أنّي رسول الله ! فقال عبد الله بن أبي حدردٍ لأوس ابن قيظي – ، [ويقال لزيد بن اللصيت القينقاعيّ] – وكان من المنافقين : ويحك !! بعد هذا شيء ؟ فقال : سحابةٌ مارةٌ .

خبر ناقة رسول الله التي ضَلَّتْ ومقالة المنافق

وارتحل عليه السلام فأصبح في منزل ، فضلَّت ناقته القصواء ، فخرج المسلمون في طلبها ، وكان زيد بن اللصيت أحد بني قينقاع ، وكان يهودياً فأسلم فنافق ، وكان فيه خبث اليهود وغشهم ، وكان مظاهراً لأهل النفاق ، وقد نزل في رحل عمارة بن حزم ، وعمارة عند رسول الله – فقال زيدٌ : أليس محمدٌ يزعم أنه نبيٌّ وهو يخبركم بأمر السماء ، ولا يدري أين ناقته ؟ وأنّي والله لا أعلم إلا ما علمني الله ، وقد دلني عليها ، وهي في الوادي في شعب كذا وكذا – لشِعبٍ به[2] – حبستها شجرة بزمامها ، فانطلقوا حتى تأتوا بها[3] . فذهبوا ، فجاءوا وقد وجدها الحارث بن خزَمة[4] الأشهلي ، كما قال عليه السلام . فرجع عمارة بن حزم إلى رحلة فقال : العجب من شيء حدَّثناه رسول الله آنفاً عن مقالة قائل أخبره الله عنه كذا وكذا !! – للذي قال زيدٌ – فقال أخوه عمرو بن حزم ولم يحضر رسول الله ﷺ : إن زيداً هو قائل هذه المقالة قبل أن تطلع علينا ! فأقبل عمارة بن حزمٍ على زيد بن اللُّصيت يجأه[5] في عنقه ويقول : إن في رحلي لداهية[6] وما أدري !! أخرج يا عدو الله من رَحلي ! فقال زيد : لكأني لم أسلم إلا اليوم ! قد كنت شاكّاً

(١) في (خ) « غدراً » ، وغدُر : جمع غدير وهو مستنقع الماء يغادره السيل .
(٢) في (خ) « لشعب إليه » . (٣) في (خ) « حتى بانوا » .
(٤) في (خ) « حزمة » . (٥) وجأ : لكز ووكز . (٦) في (خ) « أراهية » .

في محمد ، وقد أصبحت وأنا فيه ذو بصيرة ، أشهد أنه رسول الله ! فقيل : إنه تاب ، وقيل : لم يزل فسلا[1] حتى مات .

نبـوءة الفتـوح

وقال ليلةً وهم يسيرون : إن الله أعطاني الكَنزين : فارس والروم ، وأمدني بالملوكِ ملوك حمير : يجاهدون في سبيل الله ، ويأكلون فَيءَ الله[2].

تأخره ﷺ عن صلاة الصبح

ولما كان بين الحِجرْ وتبوك ذهب لحاجته – وكان إذا ذهب أبعدَ – ، فتبعه المغيرة بن شعبة بماء في إدواةٍ بعد الفجر ، فأسفر الناس بصلاتهم حتى خافوا الشمس ، فقدَّموا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فصلى بهم . فلما فرغ ﷺ من حاجته ، صبَّ عليه المغيرة من الإدواة فغسل وجهه . ثم أراد أن يغسل ذراعيه فضاق كم الجبة – وكان عليه جُبة رومية – فأخرج يديه من تحت الجبة فغسلهما ومسح خفيه .

صلاة رسول الله ﷺ بصلاة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه

وانتهى إلى عبد الرحمن رضي الله عنه وقد ركع بالناس ركعةً ، فسبح الناس حين رأوا رسول الله ﷺ حتى كادوا أن يفتنوا ، فجعل عبد الرحمن يريد أن ينكُص وراءه ، فأشار إليه عليه السلام : أن أثبت ! فصلى رسول الله ﷺ خلف عبد الرحمن ركعةً ، فلما جلس عبدالرحمن تواثب الناس ، وقام ﷺ للركعة الباقية ثم سلم بعد فراغه منها ، وقال أحسنتم ، إنه لم يُتوفَّ[3] نبي حتى يؤمه رجل صالح من أمته .

---

(١) الفسْل : الرديء الذي لا مروءة له .

(٢) في (خ) « في الله » بغير همز ، ونقله محقق (ط) بغير همز أيضاً مما أدى إلى فساد المعنى ، الأمر الذي جعله يقول : « ولم أجد الخبر » وما أثبتناه من (الواقدي) جـ٣ ص ١٠١١ .

(٣) في (خ) « ولم يتوف » .

خبر الأجير ورجل من العسكر

وأتاه[1] يومئذ يَعْلَى بنُ منْية بأجير له قد نازع رجلاً من العسكر فعضه الرجل ، فانتزع الأجير يده من في[2] العاضِّ فانتزع ثنيته ، فلزمه المجروح وبلغ به النبي ﷺ فقال : يعمِد أُحدُكم فيعَضُّ أخاه كما يعض الفحل ! فأبطل ﷺ ما أصاب من ثنيته .

نهيه ﷺ عن الشرب من عين تبوك حتى يقدم

وقال : إنكم ستأتون غداً إن شاء الله تعال عين تبوك : وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار ، فمن جاءها فلا يمسَّ من مائها حتى آتي ، فسبق رجلان من المنافقين إليها - والعين تبضُّ بشيء[3] من ماء - فسألهما عليه السلام : هل مَسَسْتُما من مائها شيئاً ؟ قالا : نعم ! فَسَبَّهُمَا وقال لهما ما شاء الله أن يقول . ثم غرفوا من العين بأيديهم قليلاً حتى اجتمع في شيء ثم غسل فيه وجهه ويديه ثم أعاده فيها ، فجاءت العين بماء كثير فاستسقى الناس . ثم قال [لمعاذ بن جبل][4] : يوشك يا معاذ إن طالت بك حياةٌ أَنْ ترى ما ها هنا قد مُلِيء جناناً ! وقال يوماً في مسيره : من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له حرمه الله على النار .

خبر الحية التي سلمت عليه ﷺ

وعارض الناسَ في سيرهم حيةٌ ذكر من عِظَمها وخلقها شيءٌ كثير ، فأقبلت حتى واقفت رسول الله ﷺ وهو على راحلته طويلاً ، والناس ينظرون إليها ، ثم التوت حتى اعتزلت الطريق فقامت قائمة ، فأقبل الناس حتى لحقوا رسول الله ﷺ ، فقال لهم : هل تدرون من هذا[5] ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ! قال هذا أحد الرهط الثمانية من الجن الذين وفدوا إلَيَّ يستمعون القرآن ، فرأى عليه من[6] الحق - حين ألَمَّ رسول الله بِبَلَدِهِ - أن يسلم عليه ، وها هو ذا يُقْرِئُكم السلام

---

(١) في (خ) « وأياه » .

(٢) من في : من فم .

(٣) بض الماء : إذ خرج قليلاً قليلاً .

(٤) زيادة للبيان من (ط) .

(٥) في (خ) « ما هذا » وما أثبتناه من (الواقدي) جـ٣ ص١٠١٥ .

(٦) في (خ) « من من » مكررة .

فسَلِّموا عليه ! فقال الناس جميعاً : وعليه السلام ورحمة الله ، فقال : أجيبوا عباد الله من كانوا .

رقاده ﷺ عن صلاة الفجر

ولما كان من تبوك على ليلة ، رقد[1] ﷺ فلم يستقيظ حتى كانت الشمس قِيدَ رُمح[2] ، فقال : يا بلال ، ألم أقل لك اكلأنا الليلة[3] ؟ فقال : يا رسول الله ذهبَ بيَ النوم ، ذهب بي الذي ذهب بك ! فارتحل عليه السلام من ذلك المكان غير بعيد ثم صلى ركعتين قبل الفجر ، ثم صلى الفجر ، ثم سار يومه وليلته فأصبح بتبوك فجمع الناس ثم قال :

خطبته ﷺ بتبوك

أيها الناس ، أما بعد ، فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأوثق العرى كلمة التقوى ، وخير الملل ملة إبراهيم ، وخير السنن سنن محمد ، وأشرف الحديث ذكر الله ، وأحسن القصص هذا القرآن ، وخير الأمور عواقبها ، وشر الأمور محدثاتها ، وأحسن الهدي هدي الأنبياء ؛ وأشرف القتل قتل الشهداء ، وأعمى الضلالة الضلالة بعد الهدي ، وخير الأعمال ما نفع ، وخير الهدي ما اتُّبع ، وشر العمى عمى القلب ، واليد العليا خيرٌ من اليد السُّفلى ، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى . وشر المعذرة حين يحضر الموت ، وشر الندامة يوم القيامة . ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا نزرا ، ومنهم من لا يذكر الله إلا هُجْراً . ومن أعظم الخطايا اللسان الكذوب . وخير الغني غنى النفس ، وخير الزاد التقوى ، ورأس الحكمة مخافة الله ، وخير ما ألقى في القلب اليقين ، والارتياب من الكفر . والنياحة من عمل الجاهلية ، والغلول من جمر جهنم ، والسُّكْر كِنٌّ من النار . والشِّعر من إبليس ، والخمر جماع الإثم ، والنساء حِبالة إبليس ، والشباب شعبة من الجنون ، وشر المكاسب كسب الربا ، وشر المال أكل مال اليتيم ، والسعيد من وُعظ بغيره ، والشقيُّ من شقى في بطن أمه ، وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربع أذرع والأمر إلى آخره ، وملاك العمل خواتمه ، وشر الرُّؤيا رؤيا الكذب ، وكلُّ ما هو آتٍ قريبٌ . وسباب المؤمن فسوق ،

(١) كذا في (ط) وفي (خ) ، (والواقدي) جـ٣ ص ١٠١٥ « استوقد » .

(٢) أي قدر رمح في ارتفاعها . (٣) اكلأنا : احفظنا .

وقتل المؤمن كفر ، وأكل لحمه من معصية الله ، وحرمة ماله كحرمة دمه . ومن يتألّ[1] على الله يكذّبه ، ومن يعْفُ يَعْفُ الله عنه ، ومن يكظم الغيظ يأجره الله ، ومن يصبر على الرّزية يعوّضه الله . ومن يتتبع السُّمعة يسمِّع الله به[2] . ومن يصبر يضاعف الله له ، ومن يعص الله يعذّبْه . اللهم اغفر لي ولأمتي . اللهم اغفر لي ولأمتي ، أستغفر الله لي ولكم .

عظته ﷺ وهو يطوف بالناس

وطاف على ناقته بالناس وهو يقول : يا أيها الناس ، يد الله فوق يد المعطي ، ويد المعطِي الوسطي ويد المعطَى السفلي ، أيها الناس ، فَتَغَنُّوْا ولو بحزم الحطب. اللهم هل بلغت ! ثلاثاً . فقال له رجلٍ من بني عذرة – يقال له عَدِي –: يا رسول الله ، إن امرأتين لي اقْتَتَلَتَا ، فرميت فأصبت إحداهما في رميتي ؟ [يعني ماتت] ، فقال له : تَعْقِلُها[3] ولا ترثها .

قوله ﷺ في أهل اليمن وأهل المشرق

ونظر بتبوك نحو اليمن ، ورفع يديه يشير إلى أهلها وقال : الإيمان يمانٍ ! ونظر نحو المشرق ، وأشارَ بيده وقال : إن الجفاء وغِلظَ القلوب في الفدَّادين[4] أهل الوبَر من المشرق حيث يطلع الشيطان قرنيه .

خبر البركة في الطعام

وجلس بتبوك في نفرٍ من أصحابه هو سابعهم ، فجاء رجلٌ من بني سعد بن هذيم فسلم فقال : اجلس ، فقال : يا رسول الله ، أشهد أن لا إله إلا الله وأنك

(١) أي يحكم عليه ويحلف كأن يقول : والله ليدخلن الله فلاناً النار ، ونحوه .
(٢) سمَّع الله به ، فضحه وشهر به في أسماع الناس .
(٣) تعقلها : تدفعه ديتها .
(٤) الفدادون : أصحاب الإبل الكثيرة .

رسول الله ! فقال : أفلح وجهك ، ثم قال : يا بلال ، أطعمنا ! فبسط نطْعاً[1] ، ثم أَخْرَج من حَمِيتٍ[2] له خَرجَات من تمر معجون بسمنٍ وإقطٍ ، ثم قال عليه السلام : كلوا : فَأكلوا حتى شبعوا ، فقال الرجل : يا رسول الله : إن كنتُ لآكل هذا وحدي ! فقال : الكافر يأكل في سبعة أمعاءٍ والمؤمن يأكل في معىً واحد . ثم جاء من الغد متحيِّناً الغداء ليزداد في الإسلام يقيناً ، فإذا عشرة حوله عليه السلام فقال : هات أطعمنا يا بلال ! فجعل يخرج من جراب تمراً بكفِّه قبضةً قبضةً ، فقال : أخرج ولا تخف من ذي العرْش إقتاراً ! فجاء بالجراب فنثره فحرزه الرجل مُدَّين ، فوضع ﷺ يده على التمر . ثم قال : كلوا باسم الله ! فأكل القوم وأكل الرجل – وكان صاحب تمر – حتى ما يجد [له][3] مسلكاً ، وبقي على النِّطع مثل الذي جاء به بلال ، كأنهم لم يأكلوا منه تمرةً واحدة . ثم عاد الرجل من الغد ، وعاد نفرٌ . فكانوا عشرة أو يزيدون رجلاً أو رجلين ، فقال عليه السلام : يا بلال أطعمنا ! فجاء بذلك الجراب بعينه فنثره ، ووضع ﷺ يَدَهُ عليه وقال : كلوا باسم الله ! فأكلوا حتى نهلوا[4] ، ثم رفع مثل الذي صبَّ . ففعل ذلك ثلاثة أيام .

بعثة هرقل رجلاً من غسان

وكان هرقل ملك الروم بعث رجلاً من غسان إلى النبي ﷺ ينظر إلى صفته ، وإلى علامته ، فوَعي أشياء من حاله ، وعاد إليه فذكر ذلك . فدعا هرقل الروم إلى التصديق به ، فأبوْا حتى خافهم على مُلكه ، وهو في موضعه لم يتحرك ولم يوجف[5] . وكان الذي خُبِّر النبي ﷺ – عن تعبئته أصحابه ، ودُنوِّه إلى أدنى الشام – باطلاً[6] ، لم يُردْ ذلك هرقل ولا همَّ به .

---

(١) النطع : مفرش من الجلد .

(٢) الحميت : زق من الجلد لا شعر عليه يكون فيه السمن ونحوه .

(٣) زيادة للسياق من (الواقدي) جـ٣ ص ١٠١٨ .

(٤) كذا في (خ) ، و (الواقدي) ، وفي (ط) « حتى شبعوا » ، يقول محقق (ط) [ونهل لا يكون إلا للشراب يشربه الرجل حتى يروي ، فهو كالشبع من الطعام] ونقول : النَّهَل من الطعام ما أُكل ، راجع (ترتيب القاموس) جـ٤ ص ٤٥٣ .

(٥) في (خ) « يرجف » ، أوجف خيله : أسرع به السير .

(٦) في (خ) « باطل » .

المشورة في السَّيْرِ إلى القتال

وشاور رسول الله ﷺ في التقدم ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إن كنتَ أُمرت بالمسير فسر ! فقال : لو أمرت ما استشرتكم فيه . قالوا : يا رسول الله ، إن للروم جموعاً كثيرة ، وليس بها أحدٌ من أهل الإسلام ، وقد دنوْتَ منهم حيث ترى ، وقد أفزعهم دُنوُّك ، فلو رجعتَ هذه السنة حتى ترى ، أو يحدِث الله لك في ذلك أمراً .

هبوب الريح لموت المنافق

وهاجتْ ريح شديدة بتبوك فقال عليه السلام : هذا لموت منافقٍ عظيم النفاق ، فلما قدموا المدينة وجدوا منافقاً قد مات عظيم النفاق .

وأُتِيَ بجُبْنة فقالوا : هذا طعام تصنعه فارس ، وإنا نخشى أن يكون فيه مَيْتة ، فقال : ضعوا فيه السكين واذكروا اسم الله .

النهي عن إخصاء الخيل

وأهْدَى إليه ﷺ رجلٌ من قضاعة فرساً ، فأعطاهُ رَجُلاً من الأنصار وأمر أن يربطهُ حِيالهُ ، استئناساً بصهيله . فلم يَزَلْ كذلك حتىٰ قدِم عليه السلام المدينة ففقد صهيله ، فسأل عنه صاحبه فقال : خَصيتهُ يا رسول الله ! فقال : مَهْ ![1] فإن الخيْلَ في نواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة : وقام بتبوك إلى فرسه الظَّرِب فعلَّق عليه شَعِيرةً ومسحَ ظهره[2] بردائه .

غزوة أكيدر بدومة الجندل

ثم كانت غزوةُ أُكَيْدِر بدومة الجندل ، بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد

---

(١) مه : اسم فعل أمر بمعني « أكفف » . (٢) في (خ) « مسح بظهره » .

من تبوكَ في أربعمائة وعشرين فارساً – إلى أُكَيْدِر بن عبد الملك بدومة الجندل في رجب ، وهي على ليال من المدينة ، وكان أُكيدر من كِندةَ قد ملكهم ، وكان نصرانياً . فقال خالد : يا رسول الله : كيف لي به وهو وَسَط بلاد كَلْب ، وإنما أنا فى أناسٍ يسيرٍ ؟ فقال ستجدهُ يصيدُ البقر فتأخذهُ ! وقال : فلا تقتلهُ وأت[1] به إليّ ، فإنْ أبى فاقتلوه ! فخرج خالدٌ ، حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين ، وفي ليلة مقمرة صائفةٍ ، وهو على سطح له من الحرّ ، ومعه امرأته – الرباب بنت أنيْف بن عامر – وقينته تغنيه وقد شرب ، فأقبلت البقر تحكُّ بقرونها باب الحصن : فأشْرفت امرأتهُ فرأت البقر فقالت : من يترك هذا ؟! قال : لا أحد !!

قال أكيدر : والله ما رأيت جاءتنا ليلا بقرٌ غير تلك الليلة ! ولقد كنتُ أضمِّر لها الخيلَ – إذا أردتُ أخذها – شهراً أو أكثر ، ثم أركب بالرجال وبالآلة .

فنزل فأمر بفرسه فسُرِج ، وأمر بخيل فأسرجتْ ، وركب معه نفرٌ من أهل بيته معه : أخوه حسان ومملوكان له . فخرجوا من حصنهم بمطاردهم[2] ، وخيل خالدٍ تنتظرهم : لا يصهلُ منها فرسٌ ولا يتحرك ، فساعة فصَل[3] أخذته الخيل . وقاتل حسّان حتى قُتل عند باب الحصن : وهرب المملوكان ومن كان معهما . واستلب خالدُ بن الوليد حسَّاناً قباءَ ديباج مخوَّصاً بذهب ، فبعث [به][4] إلى رسول الله ﷺ مع عمرو بن أميَّة الضمرِي ، فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم ويتعجَّبون منه ، فقال عليه السلام : تعجبون من هذا ! والذي نفسي بيده ، لمناديل سعد بن مُعاذ في الجنَّة أحسن من هذا !! وأسلم حُريثُ [بن عبد الملك ، أخو][5] أكيْدِر ، على ما في يده فَسَلم له .

فتح الحصن

وقال خالد لأكيدر : هل لك أن أجيرك من القتل حتى آتي رسول الله على أن تفتح لي دومة ؟ قال : نعم ! فانطلق به في وثاقٍ حتى أدناه من الحصن فنادى

---

(١) في (خ) « ولا نقيله وأنت » .
(٢) المطارد : جمع مِطْرد : وهو الرمح القصير .
(٣) فصل : خرج .
(٤) زيادة للسياق من (الواقدي) جـ٣ ص ١٠٢٦ .
(٥) في (خ) « حريث أكيد » ، وهذه الزيادة للسياق من (ط) .

أهله : افتحوا باب الحصن ! فأرادوا ذلك ، فأبى عليهم مضادٌ[1] أخوه ، فقال أكيدر لخالد : تعلم والله لا يفتحون لي ما رأوْني في وثاقك ، فحلَّ عنى ، ولك اللهُ والأمانة أن أفتح لك الحصن إن أنت صالحتنى عل أهله . قال : فإني أصالحك[2] فقال أكيدر إن شئت حكَّمتك وإن شئت حكمتني . قال خالد : بل نقبل منك ما أعطيت . فصالحه على ألفى بعير . وثمانمائة رأس ، وأربعمائة درع ، وأربعمائة رمح - على أن ينطلق به وأخيه إلى رسول الله ﷺ فيحكم فيهما حكمه . فَخَلَّى سبيله ففتح الحصن ، ودخله خالد وأوثق مضاداً أخا أكيدر ، وأخذ ما صالح عليه من الإبل والرقيق والسلام .

الرجوع بأكيدر إلى المدينة

ثم خرج قافلا إلى المدينة ومعه أكيدر ومضادٌ ، وعلى أكيدر صليب من ذهب ، وعليه الديباج ظاهرٌ ، ومع خالد الخمس مما غنموا ، وصفيٌّ خالص لرسول الله ﷺ . وكانت السُّهمان خمس فرائض لكلّ رجلٍ معه سلاح ورماح . فلما قدم بأكيدر ، صالحه رسول الله ﷺ على الجزية . وخلى سبيله وسبيل أخيه ، وكتب لهم أماناً وختمه بظُفْره : لأنه لم يكن في يده خاتم . وأهدى [أكيدر][3] إلى رسول الله ﷺ ثوب حرير ، فأعطاه علياً فقال . شقّقْهُ خُمُراً[4] بين الفواطم[5] .

كتاب رسول الله ﷺ لأكيدر

ونسخة الكتاب بعد البسملة : « هذا كتابٌ من محمد رسول الله لأكيدر ،

---

(١) في (ط) « مصاد » وفي (الواقدي) « مضاد » .

(٢) بعد هذه العبارة وضع محقق (ط) عبارة [أهل الحصن قال أكيدر] وقال في الهامش : « هذه الزيادة بوجبها للسياق ، ولم أجد الخبر » ونقول : « الخبر بتمامه بدون أية زيادة ، في (المغازي للواقدي) جـ٣ ص ١٠٢٧ ، ١٠٢٨ » .

(٣) زيادة للبيان من (ط) .

(٤) خُمُر : جمع خمار وهو غطاء رأس المرأة .

(٥) الفواطم : أراد بهن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وفاطمة بنت أسد ، وفاطمة بنت حمزة . (النهاية) جـ٣ ص ٤٥٨ والحديث في (سنن ابن ماجة) جـ٢ ص ١١٨٩٩ - باب لبس الحرير والذهب للنساء حديث رقم ٣٥٩٦ .

حين أجاب إلى الإسلام وخلع الأنداد والأصنام . مع خالد بن الوليد في دومة الجندل وأكنافها : أن له[1] الضاحية من الضحل والبور والمعامي وأغفال الأرض والحلقة والسلاح والحافر والحصن ، ولكم الضامنةُ من النخل والمعينُ من المَعِمور بعد الخمس ، لا تعدل سارحتكم . ولا تعدُّ فاردتكم ، ولا يحظر عليكم النبات[2] ، ولا يؤخذ منكم إلا عشر الثبات[3] . تقيمون الصلاة لوقتها وتؤتون الزكاة بحقها عليكم بذلكَ العهدُ والميثاق ، ولكم بذلك الصِّدقُ والوفاء ، شهد الله ومن حضر من المسلمين » .

عودة أكيدر

وعاد أكيدر إلى حصنه . وقيل : إنه أسلم ثم ارتد ، فقتله خالد بن الوليد في الرِّدَّة . وقيل : لما منع في خلافة أبي بكر ما كان يؤديه إلى رسول الله ، أخرج من جزيرة العرب في دومة ، فلحق بالجزيرة[4] ، وابتنى بها - [قرب عين التمر] - بناءً سمّاه دومة .

قدوم يوحنا بن رؤبة وأهل أيلة

وخاف أهل أيلة[5] وتيماء ، فقدم يوحنا بن رؤبة - ومعه أهل جرباء ، وأذْرح - ، وعليه صليبٌ من ذهب ، وقد عقد ناصيته . فلما رأى النبيَّ عليه

---

(١) في (خ) ، وفي (الأموال) ، وفي (مكاتيب الرسول) « ولنا » وما أثبتناه من (ط) والضمير في قوله « له » أي لخالد بن الوليد ، وبذلك يستقيم المعنى ، وانظر أيضاً (معجم البلدان) جـ٢ ص ٤٨٨ .
معاني المفردات :الضاحي : البارز . الضحل : الماء القليل . البور : الأرض التي لم تستخرج . المعامي : الأرض المجهولة . الأغفال : التي لا آثار فيها . الحلقة : الدروع . الحافر : الخيل والبراذين والبغال والحمير . الحصن : دومة الجندل . الضامنة : النخل الذي معهم في الحصن . المعين : الظاهر من الماء الدائم . لا تعدل سارحتكم : أي لا يصدقها المصدّق إلا في مراعيها . لا تعد فاردتكم : أي لا تضم الفاردة إلى غيرها ثم يصدق الجميع فيجمع بين متفرق الصدقة . والسارحة : الماشية التي تسرح في المراعي . والفاردة : الزائدة على فريضة الصدقات .

(٢) وفي (خ) « الثياب » ، وما أثبتناه من كتب السيرة .

(٣) في (خ) « الثياب » - والثبات : النخل القديم « هامش (ط) » .

(٤) الجزيرة : هي جزيرة أقور ، بين دجلة والفرات ، كذا في هامش (ط) ، وفي (معجم البلدان) جـ٢ ص ٤٨٨ . « ولحق بالحيرة » وابتنى قرب عين التمر بناءً وسماه دومة » .

(٥) في (خ) « واثلة » .

السلام ، كفَّر[1] وأومأ برأسه . فأومأ إليه : [أن][2] ارفع رأسك ! وكساه بُرْداً ، وأنزله عند بلال . فصالحهم عليه السلام ، وقطع عليهم الجزية ، فوضع على أهل أيلة ثلاثمائة دينارٍ ، وكانوا ثلاثمائة رجل . وكتب لهم بعد البسملة :

كتابه ﷺ لأهل أيلة ويوحنا بن رؤبة

« هذه[3] أمَنَةٌ من الله ومحمد النبي رسول الله ليوحنا بن رؤبة وأهل أيلة : سفنهم وسيَّارتهم[4] في البر والبحر ، لهم ذمة الله وذمة محمد النبي[5] ، ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن ، وأهل البحر ، فمن[6] أحدث منهم حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه ، وإنه طيبٌ لمن أخذه من الناس . وإنه لا يحلّ أن يمنعوا ماءً يردونه ، ولا طريقاً يريدونه ، من برٍّ أو بحرٍ . هذا كتاب جُهيْم بن الصَّلت ، وشُرَحْبيل بن حسنَة ، بإذن رسول الله » .

وقال الدولابيُّ : أهدى أهل أيلة إلى النبي ﷺ القلقاس فأكله وأعجبه ، وقال : ما هذا ؟ فقالوا : شحْمة الأرض فقال : إن شحمة الأرض لطيّبةٌ !

كتابه ﷺ إلى أهل جرباء

وكتب لأهل جرباء :

« هذا كتابٌ من محمد النبي رسول الله لأهل جرباء [وأذْرُح][7] : أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد ، وأن عليهم مائة دينارٍ في كل رجبٍ وافية طيبة ، والله كفيل [عليهم][8] » .

كتابه ﷺ إلى أهل أذرح

ونسخة كتاب أذرح[9] بعد البسملة :

---

(١) كفّر : طأطأ رأسه في خضوع وذلة .
(٢) زيادة للسياق . (٣) في (خ) « هذا » .
(٤) في (خ) « وسارتهم » . (٥) في (خ) « رسول الله » . (٦) في (خ) « ومن » .
(٧) زيادة من كتب السيرة . (٨) زيادة من (ابن سعد) .
(٩) في (خ) « أدرج » .

« من محمد النبي [رسول الله][1] لأهل أذْرُح : أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد ، وأن عليهم مائة دينارٍ في كل رجبٍ وافيةً طيبةً ، والله كفيل عليهم بالنُّصح والإحسان للمسلمين ، ومن لجأ [إليهم][2] من المسلمين من المخافة ، والتعزير إذا خشوا على المسلمين وهم[3] آمنون حتى يحدث إليهم محمد قبل خروجه »[4] .

كتابه ﷺ إلى أهل مقنا

وكتب لأهل مَقْنا : أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد ، وأن عليهم رُبْعَ غزوهم وربع ثمارهم .

وكان عبيد بن ياسر بن نمير[5] . ورجل من جُذَام قد قدما بتبوك وأسلما ، فأعطاهما ربع مقنا مما يخرج من البحر ومن الثمر من نخلها . وربع الغزل[6] وأعطى عُبَيْد بن ياسر مائة ضفيرة [يعني حلة][7] لأنه كان فارساً ، والجذاميُّ راجلا ، ثم قدما مقنا وبها يهود . فكانت تقومُ على فرسه ، وأعطاها ستين ضفيرة من ضفائر فرسه وأهدي عبيْد للنبي ﷺ فرساً عتيقاً يقال له مراوِح ، وقال : إنه سابق ! فأجرى عليه السلام الخيلَ بتبوك فسبق الفرس ، ثم أعطاه المقداد بن عمرو .

تحريم النهبة

ومر عليه السلام بتبوك لحاجته ، فرأي أناساً مجتعين على بعير قد نَحَرهُ رافع ابن مكيثٍ الجهني ، وأخذ منه حاجته ، وَخَلَّي بين الناس وبينه ، فأمر أن يردَّ رافعٌ ما أخذ الناس ثم قال : هذه نهُبة لا تحلُّ ! قيل : يا رسول الله ! أن صاحبه أذن في أخده ! فقال وإن أذن في أخذه .

---

(١) كذا في (خ) وليس في كتب السيرة .

(٢) زيادة من (ابن سعد) . (٣) في (خ) « فهم » .

(٤) قوله « وهم آمنون حتى يحدث محمد إليهم قبل خروجه ، فكأنه جعل الخيار لرسول الله ﷺ في نقض العهد أو تغيير بعض شرائطه إلى أن يخرج من تبوك لعدم الأمن من مكر اليهود وغوائلهم . (مكاتيب الرسول) ص ٢٩٦ .

(٥) في الإصابة : (عبيد بن يسر) .

(٦) في (خ) « المغزل » . (٧) كذا في (خ) .

أفضل الصدقة

وقال له رجل : أيُّ الصَّدقة أفضل ؟ قال : ظِلُّ خبَاء في سبيل الله ، أو خِدْمة خادم في سبيل الله ، أو طروقة فَحْلٍ[١] في سبيل الله .

وقال بتبوك : اقطعوا قلائد الإبل من الأوتار . قيل : يا رسول الله ! فالخيل ؟ قال : لا تقلدوها بالأوتار[٢] .

الحرس بتبوك

وكان قد استعمل على حرسه بتبوك عبَّاد بن بشر . وكان يطوف في أصحابه بالعسكر مدَّة إقامته عليه السلام . فسمع صوت تكبير من ورائهم في ليلة ، فإذا هو سِلْكان بن سلامة خرج في عشرة على خيولهم يحرسون الحرسَ . فقال ﷺ : رحم الله حَرَس الحرس في سبيل الله ، فلكم قيراط من الأجر على مَنْ حرستم من الناس جميعاً أو دابةٍ .

وفد بني سعد هذيم

وقدم من بني سعد هذُيم قوم فقالوا : يا رسول الله ! إنا قدِمْنا عليك وتركنا أهلنا على بئر لنا قليلٌ ماؤها وهذا القيظ ، ونحن نخاف إنْ تفرّقنا أنْ نقتطع ، لأن الإسلام لم يفش حولنا ، فادع الله لنا في مائنا ، فإنا إن روينا به فلا قومَ أعزَ منَّا ، لا يقربنا أحدٌ مخالف لديننا . فقال : ابغوني حُصَيَّات ، فدفع إليه ثلاث حصيات فعركهنَّ بيده ، ثم قال : اذهبوا بهذه الحصيّات إلى بئركم فاطرحوا واحدة واحدة وسمُّوا الله . فانصرفوا ، ففعلوا ذلك فجاشت بئرهم بالرواء[٣] ، ونفوْا[٤] من قاربهم من المشركين ووطئوهم . فما انصرف رسول الله ﷺ من تبوك حتى أوطأوا من حولهم غلبةً . ودانوا بالإسلام .

---

(١) طروقة فحل : هي الناقة التي بلغت من السن أن يضربها الفحل للنتاج .

(٢) كذا في (خ) ورواية (مسند أحمد) ج٤٤٣ « ولا تقلدوا الأوتار » بغير باء التعدية .

(٣) الرواء : الكثير . (٤) في (خ) « ولعوا » .

الصيد في تبوك

واستأذنه رافع بن خديج في الصيد فقال ﷺ : إن ذَهبْت فاذهبْ في عدة من أصحابك ، وكونوا على خيل ، فإنكم متفرقون من العسكر . فانطلق في عشرة من الأنصار فيهم أبو قتادة – وكان صاحب طرد بالرُّمح ، وكان رافع رامياً – وأتوا بخمسة أحمرة وظباءٍ كثيرةٍ . فأمر عليه السلام رافعاً فجعل يعطى القبيلة بأسْرِها الحمار والظبي حتى فرَّق ذلك ، وصار لرسول الله ظبي واحد ، فطبخه ، ودعا أضيافه فأكلوا .

آية الطعام يوم تبوك

وكان عرباض بن سارية يلزم باب رسول الله ﷺ في الحَضَر والسَفَر ، فرجع ليلة من حاجته بتبوك – وقد تعشَّى عليه السلام ومن معه من أضيافه ، وهو يريد أن يدخل قبَّته على أمِّ سلمة – فلما رأى العِرباض سأله عن غيبته فأخبره . ثم جاءَ جمال بن سراقة وعبد الله بن مغفَّل المزني – وهم ثلاثتُهم جياع – ، فطلب عليه السلام في بيته شيئاً يأكله فلم يجده ، فنادى بلالا : هل من عشاء لهؤلاء النفر ؟ فقال : لا ، والذي بعثك بالحق ، لقد نفضنا جُرُبنا وحُمُتَنا[1] ! قال : أنظر ، عسى أن تجد شيئاً ! فأخذ الجربَ ينفضها جراباً جراباً ، فتقع التمرة والتمرتان حتى اجتمع سبع تمرات ، فوضعها عليه السلام في صحفة وسمي الله ، ثم قال : كلوا باسم الله ! فأكلوا ، وأحصى عرباض أربعاً وخمسين تمرة أكلها يعدها وَنَواها في يده الأخرى ، وأكل كلُّ واحد من الآخرين خمسين تمرة ، ورفعوا أيديهم ، فإذا التمرات السبع[2] كما هي ، فقال : يا بلال ، أرفعها في جرابك ، فإنه لا يأكل منها أحدٌ حتي نَهِل شبعا ! فبات الثلاثة حول قبة رسول الله ﷺ فقام يتهجَّد على عادته ، فلما صلى بالناس الصّبح جلس بفناء قبته وحوله عشرة من الفقراء ، فقال : هل لكم في الغداء ؟ فقال عرباضُ في نفسه : أي غداءٍ ؟ فدعا بلال بالتمر فوضع يده عليه في الصَّحفة ثم قال : كلوا باسم الله ! فأكلوا حتى شبعوا ، وإذا التمرات كما هي ، فقال عليه السلام لولا أني أستحي من ربي لأكلنا من هذه التمرات حتى نرِدَ

(١) الجرُب والحمت : أسماء أوعية من الجلد .

(٢) في (خ) « فإذا السبع التمرات » .

المدينة من آخرنا ! وأخذ التمرات فدفعها إلى غليِّم ، فولّي الغلام يلوكهنّ .

موت ذي البجادين

ومات بتبوك عبد الله [بن عبد نهم المزني][1] ذو البجادين[2] ، فنزل ﷺ قبره عشاءً وهيأه لشقِّه ، وقد دَلّاهُ أبو بكر وعمر رضي الله عنهما . ثم قال : اللهم إني قد أمسيت عنه راضياً فارض عنه ، فقال عبد الله بن مسعود : ياليتني كنت صاحب هذا اللحد .

مـدة الإقامة بتبوك

وأقام عليه السلام بتبوك عشرين ليلة – وقيل بضع عشر ليلة – يصلى ركعتين .

العسرة والجوع وآية النبوة

فلما أجمع المسيرَ أرمل الناس[3] إرمالا شديداً ، فشخص على ذلك ، حتى استأذنوه أن ينحروا ركابهم فأذن لهم . فلقيهم عمر رضي الله عنه وهم على نحرها ، فأمرهم أن يمسكوا ، ودخل على رسول الله ﷺ فقال : أذِنْتَ للناس في حمولتهم يأكلونها[4] ؟ فقال : شَكَوْا إلّي ما بلغ منهم من الجوع فأَذَنْتُ لهم ، تنحر الرفقة البعير والبعيرين ؛ ويتعاقبون فيما فضل من ظهرٍ ، هم قافلون إلى أهليهم ! فقال : يا رسول الله ! لا تفعل ، فإن يك في الناس فضل من ظهرهم يكنْ[5] خيراً ، ولكن ادع بفضل أزوادهم ، ثم اجمعها فادع الله فيها بالبركة – كما فعلت في منصرفنا من الحديبية حيث أرملنا – ، فإن الله مستجيب لك . فنادى مناديه : من كان عنده فضل زادٍ فليأت به . وأمر بالأنطاع فبسطتْ ، فجعل الرجُل يأتي بالمدِّ الدقيق والسويق أو التمر ، أو القبضة من الدقيق والسويق والتمر[6] ، والكسر ، فيوضع كلُّ صنفٍ على حَدةٍ ، وكلُّ ذلك قليلٌ . فكان جميعُ ما جاءوا به من الدقيق والسويق

---

(١) زيادة للإيضاح من (ط) .

(٢) لقب عبد الله بن نهم .

(٣) أرمل الناس : نفد زادهم .

(٤) الحمولة من الإبل . التي تحمل الأثقال .

(٥) في (خ) « يكون » .

(٦) في (خ) « والسمن » وما أثبتناه من (ط) .

والتمر . ثلاثة أفْرُقٍ حَزْراً[1] ثم توضّأ وصلى ركعتين ودعا الله ، ونادى مناديه هلمُّوا[2] إلى الطعام خذوا منه حاجتكم ! فأقبل الناسُ فجعل كلُّ من جاء بوعاءٍ ملأه ، فقال بعضُهم : لقد طرحتُ يومئذٍ كسرةً من خبز وقبضة من تمرٍ ، ولقد رأيت الأنطاع تفيضُ ، وجئت بجرابين فملأت أحدهما سويقاً والآخر خبزاً ، وأخذتُ في ثوبي دقيقاً ما كفانا إلى المدينة . فجعل الناس يتزودون حتى نهلوا من آخرهم ، حتى كان آخر ذلك أن أُخِذَت الأنطاع ونثر ما عليها ، فجعل رسول الله ﷺ يقول وهو واقفٌ : أشهد أن لا إله إلا الله وأني عبده ورسوله ، وأشهد أنه لا يقولها أحدٌ من حقيقة قلبه إلا وقاه الله حرَّ النار .

خبر النهي عن الماء وخلاف المنافقين

وأقبل قافلا حتى كان بين تبوك وواد يقال له وادي الناقة[3] — هو وادي المشقِّق[4] ، وكان فيه وشَل[5] يخرج منه في أسفله قدر ما يروي الراكبين والثلاثة — فقال : من سبقنا إلى ذلك الرمْل[6] فلا يستقين منه شيئاً حتى نأتي . فسبق إليه أربعة من المنافقين : معتب بن قُشيْر والحارث بن يزيد الطائيُّ حليف بني عمرو بن عوف[7] ، ووديعة بن ثابت ، وزيْد بن اللصيت ؛ فقال عليه السلام : ألم أنهكم ؟! ولعنهم ودعا عليهم ثم نزل فوضع يده في الوشَل ، ثم مسحه بإصبعه حتى اجتمع منه في كفِّه ماءٌ قليل ، ثم نضحه به ، ثم مسحه بيده ، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو ، فانخرق الماءُ[8] . قال معاذ بن جبل : والذي نفسي بيده ، لقد سمعت له من شدة انخراقه مثْلَ الصواعق ! فشرب الناس ما شاؤا ، وسقوْا ما شاؤا ؛ ثم

---

(١) في (خ) « أفراق » والفرَق : ستة عشر رطلا .

(٢) كذا في (خ) ، والأولى : « هلّم » ، راجع (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز) للفيروزآبادي جـ٥ ص ٤٣١ .

(٣) يقول محقق (ط) [لم أجد من سمي هذا الوادي « وادي الناقة » في غير هذا الكتاب] . ونقول : راجـع الخبر بتمامه في (المغازي) [جـ٣ ص ١٠٣٩] .

(٤) في (خ) « القنق » .

(٥) الوَشَل : الجبل أو الصخرة يقطر منه الماء قليلا .

(٦) رواية (الواقدي) ص ١٠٣٩ « إلى ذلك الوشل » .

(٧) يقول محقق (ط) : [لم أجد ذكر الحارث بن يزيد هذا] ونقول : [أنظر المرجع السابق] .

(٨) انخرق الماء : اتسع واندفق .

قال عليه السلام : لئن بقيتم – أو من بقى منكم – لتسْمعنَّ بهذا الوادي وهو أخصب مِمَّا[١] بين يديه وما خلفه ، فقال سَلمة بن سلامة بن وَقش لوديعة بن ثابت : ويلك[٢] ! أَبعد ما ترى شيءٌ[٣] ؟ أما تعتبر ! فقال : قد كان يفعل مثل هذا قبل هذا .

خبر أبي قتادة

ثم سار عليه السلام . وعن أبي قتادة قال : بينما نحن في الجيش نسير مع رسول الله ﷺ ليلا – وهو قافل وأنا معه – إذ خَفق خفقةً[٤] وهو على راحلته فمال على شِقِّه ، فَدَنوت منه فدعمته[٥] فانتبه ، فقال : من هذا ؟ قلت : أبو قتادة يا رسول الله ، خِفْتُ أن تسقط فدعمتك ، فقال : حفظك الله كما حفِظتَ رسوله ، ثم سار غير كبير ثم فعل مثلها ، فأدعمه فانتبه ، فقال : يا أبا قتادة ، هل لك في التعريس[٦] ؟ فقلت : ما شئت يا رسول الله .

التعريس ، والنوم عن الصلاة

فقال : أنظر من خلفك ؟ فنظرت فإذا رجلان أو ثلاثة ، فقال : ادعهم ، فقلت ، أجيبوا رسول الله ! فجاءوا فَعَرَّسْنَا ، ونحن خمسةٌ برسول الله ﷺ « ومعي إداوة فيها ماءٌ : فنمنا فما انتبهنا إلا بحرِّ الشمس ، فقلت : إنا لله ! فاتنا الصبح ! فقال رسول الله ﷺ . لنغيظن الشيطانَ كما غاظنا ! فتوضأ من ماء الإداوة ففضل فضلةٌ ، فقال : يا أبا قتادة ، احتفِظْ بما في الإداوة والرِّكوة[٧] فإن لهما شأناً ، ثم صلى بنا الفجْر بعد طلوع الشمس ، فقرأ بالمائدة .

---

(١) في (خ) « مما » وهي رواية (الواقدي) .
(٢) في (خ) « وتلك » .
(٣) في (خ) « شيئاً » .
(٤) خفق خفقة : نام نومة خفيفة فحرك رأسه من مسّ النوم .
(٥) دعمه : أسنده .
(٦) التعريس : الاستراحة في السفر مع النوم القليل .
(٧) الركوة : إناء صغير من جلد .

ظمأ الجيش بتبوك

فلما انصرف من الصلاة قال : أما إنهم لو أطاعوا أبا بكرٍ وعمر رشدوا . وذلك أنهما أرادا أن ينزلا بالجيش على الماء فأبَوْا ذلك عليهما[١] ، فنزلوا على غير ماءٍ بفلاةٍ[٢] من الأرض . فركب رسول الله ﷺ ، فلحق الجيش عند زوال الشمس - ونحن معه - ، وقد كادت تقطع أعناق الرجال والخيل والركاب عطشاً .

آيات النبوة في الماء بتبوك

فدعا بالرِّكوة فأفرغ ما في الإداوة فيها ، فوضع أصابعه عليها فنبع الماء من بين أصابعه ، وأقبل الناس فاستَقَوْا ، وفاض الماء حتى تروَّوا وأرووْا خليهم وركابهم ، وإن كان في العسكر إثنا عشر ألف بعير - ويقال خمسة عشر ألفل بعير - والناس ثلاثون ألفاً ، والخيل عشرة آلاف فرسٍ : وذلك قول النبي ﷺ لأبي قتادة احتفظ بالركوة والإداوة .

وكان في تبوك أربعة أشياءٍ[٣] : فبينا رسول الله ﷺ يسير منحدراً إلى المدينة - وهو في قيظ شديد - عَطِشَ العسكر بعد المرَّتين الأوليين عطشاً شديداً ، حتى لا يوجد للشَّفة ماء قليلٌ ولا كثيرٌ ، فشكوْا ذلك إلى رسول الله ﷺ فأرسل أسيد بن حضير - في يوم صائف وهو متلثمٌ - فقال : عسى أن تجد لنا ماء ! فخرجٍ أسيد - وهو فيما بين الحجْر وتبوك - فجعل يضرب في كل وجهٍ ، فيجد راوية من ماء مع امرأة من بلي ، فكلَّمها وخبرَّها خبر رسول الله ﷺ ، فقالت : هذا الماء ، فانطلق به ، فدعا فيه ﷺ بالبركة ، ثم قال : هَلُمُّوا[٤] أسقِيَتكم ! فلم يبق معهم سقاءٌ إلا ملأوه ، ثم دعا بركابهم وخيولهم فسقَوْها حتى نَهلتْ . ويقال إنه ﷺ أمر بما[٥] جاء به أُسَيْد فصبَّه[٦] في قَعْبِ عظيم من عساسٍ[٧] أهل البادية ، فأدخل فيه يديه وغسل وجهه ويديه ورجليه ، ثم صلى ركعتين ، ثم رفع يديه مداً ،

---

(١) في (خ) « عليل عليهما » .

(٢) في (خ) « بقلادة » ، والفلاة : الأرض الواسعة التي لا ماء فيها ولا أنيس .

(٣) في (خ) « أشياء » وما أثبتناه من (ط) .

(٤) كذا في (خ) « والأوْلى « هلم » ، فبها نزل القرآن .

(٥) في (خ) « بماء » .

(٦) في (خ) « وصبه » .

(٧) العساس : جمع عُسي : وهو قدح ضخم .

ثم انصرف وإن القعْب ليفور فقال للناس[1] زوِّدوا ، فاتسع الماء وانبسط للنَّاس ، حتى يَصفَّ عليه المائة والمائتان ، فأرْوَوْا وإن القعب ليجيش بالرواء . ثم راح مبرداً مترويا[2] من الماء .

كيد المنافقين بإلقاء رسول الله ﷺ من الثنية

ولما كان رسول الله ﷺ ببعض الطريق مكر به أناسٌ من المنافقين ، وائتمروا أن يطرحوه من عقبة ، فلما بلغ تلك العقبة أرادوا أن يسلكوها معه فأخبر خَبَرهم ، فقال للناس[1] : اسلكوا بطن الوادي فإنه أسهل لكم وأوسع ، فسلك الناس بطن الوادي . وسلك ﷺ العقبة ، وأمر عمار بن ياسر أن يأخذ بزمام الناقة يقودها ، وأمر حذيفة بن اليمان يسوق خلفه ، فبينا رسول الله ﷺ يسير في العقبة ، إذ سمع حِسَّ القوم قد غشوه فغضب وأمر حذيفة أن يردَّهم ؛ فرجع إليهم فجعل يضرب وجوه رواحلهم بمحْجَن في يده ، فانحطوا من العقبة مسرعين حتى خالطوا الناس ، وأتي حذيفة فَسارَ به . فلما خرج من العقبة ونزل الناس قال : يا حذيفة ، هل عرفت أحداً من الركب الذين رددتهم؟ قال : يا رسول الله ، عرفت راحلة فلان وفلان ، وكان القوم متلثمين فلم أعرفهم من أجل ظلمة الليل .

إلتقاط ما سقط من المتاع

وكانوا قد أنفروا برسول الله ﷺ فسقط بعض متاع رحله ، فكان[3] حمزة ابن عمرو الأسلميّ يقول : فنور لي في أصابعي الخمسَ[4] ، فأضاءت حتى كنّا نجمع ما سقط ، السَّوطَ والحبلَ وأشباهما ، حتى ما بقي من المتاع شيءٌ إلا جمعناه . وكان [حمزة بن عمرو الأسلمي][5] قد لحق برسول الله ﷺ بالعقبة .

أمر المنافقين

فلما أصبح [رسول الله ﷺ][3] قال له أسيد بن الحضير : يا رسول الله ، ما منعك البارحة من سلوك الوادي ، فقد كان أسهل ؟ فقال : يا أبا يحي ! أتدرى

(١) في (خ) « فقال الناس » .
(٢) من الإبراد والرّي .
(٣) في (خ) « وكان » .
(٤) في (خ) « الخمسة » .
(٥) زيادة للبيان من (ط) .

ما أراد البارحة المنافقون وما همُّوا به ؟ قالوا : نتبعه في العقبة ، فإذا أظلم الليل عليه قطعوا أنساع[1] راحلتي ونخسوها حتى يطرحوني عن راحلتي ؟

مشورة أسيد بن الحضير في قتل المنافقين

فقال أسيد : يا رسول الله ، فقد اجتمع الناسُ ونزلوا ، فَمُرْ كلَّ بطن أن يقتلَ الرجل الذي همّ بهذا ، فيكون الرجل الذي يقتله من عشيرته ، وإن أحبَبْت فنبِّئني بهم ، فوالذي بعثك بالحق لا تبرحُ[2] حتى آتيك برءُوسهم ، وإن كانوا في النَّبِيتِ[3] كفيتهم ، وأمرتَ سيد الخزرج فكفاك من ناحيته ، فإن مثل هؤلاء لا يتركون يا رسول الله ! حتى متى نداهنم ، وقد صاروا اليوم في القلة والذلة وضَرب الإسلام بجرانه ؟! فما تستبقي من هؤلاء ؟ قال : يا أسيد إني أكرهُ أن يقول الناسُ إن محمداً - لما انقضت الحرب بينه وبين المشركين - وضع يده في قتل أصحابه ! فقال : يا رسول الله ، وهؤلاء ليسوا بأصحاب ! قال : أوَليس يُظهرون شهادة ألا إله إلا الله ؟ قال : بلى ، ولا شهادة لهم ! قال : أوليس يظهرون أني رسول الله ؟ قال بلى ، ولا شهادة لهم ! قال : فقد نُهِيتُ عن قتل أولئك .

عدة أهل العقبة أصحابِ الكيد

وكان أهل العقبة الذين أرادوا ما أرادوا - ثلاثلا عشر رجلاً ، قد سَمَّاهم رسول الله ﷺ لحذيفة وعمَّارٍ . وقيل : أربعة عشر ، وقيل : خمسة عشر ، وقيل : إثنى عشر وهو الثَّبْت .

وقال ابنُ قتيْبَة[4] إن الذين همُّوا بالنبي ﷺ عبد الله بن أُبي [ابن سلول]، وسعد بن أبي سَرْح : [وهو أبو الذي كان يكتُبُ لرسول الله ﷺ وكان « غفور

---

(١) الأنساع : قال في (النهاية) جمع نسعة ، وهي سير مضفور يجعل زماماً للبعير وغيره .

(٢) في (خ) « وإن أجبت والذي بعثك بالحق فنبئني بهم فلا تبرح » وهي رواية (الواقدي) وما أثبتناه من (ط) .

(٣) النبيت : لقب عمرو بن مالك جد الأوس .

(٤) راجع كتاب (المعارف) لابن قتيبة بتحقيق الدكتور ثروت عكاشة . طبعة دار المعارف بمصر ص ٣٤٣ باب [أسماء المنافقين الذين أرادوا أن يلقوا رسول الله ﷺ من الثّنية في غزوة تبوك] ، وما بين الأقواس زيادات منه .

رحيم » ، و « عزيز حكيم »] ، وأبو حاضر الأعرابيُّ ، والجُلاس بن سويد [ابن الصامت] ، ومُجَمِّع بن جارية[1] ، ومُليْح التَّيمِي : [وهو] الذي سرق طيب الكعبة وارتد [عن الإسلام] وانطلق فلا يدري أين ذهب ، وحُصَيْن بن نمير : [وهو الذي أغار على تمر الصدقة فسرقه] ، وطُعيمة بن أبيرق ، ومُرَّة بن ربيع ، [وكان أبو عامرٍ رأسهم ، وله بنَوْا مسجد الضرار ، وهو أبو حنظلة غسيل الملائكة][2] . واعترض عليه بأن ابن أبي لم يشهد تبوك ، وأن أبا عامر فرَّ عن النبي ﷺ قبل هذا .

أصحاب مسجد الضرار

وأقبل ﷺ حتى نزل بذي أوان : - بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار -، وقد كان جاءه أصحاب مسجد الضرار[3] ، وهم خمسةٌ : مُعَتِّب بن قشير ، وثعلبة ابن حاطب ، وخذام[4] بن خالد ، وأبو حبيبة بن الأزعر ، وعبد الله بن نَبْتَل ابن الحارث ، فقالوا : يا رسول الله ، إنَّا رُسل مَنْ خلفنا من أصحابنا ، إنا قد بنينا مسجداً لِذي القِلة والحاجة والليلة المطيرة ، والليلة الشاتية ، ونحن نحب أن تأتينا فتصلى فيه ! وكان يتجهز إلى تبوك ، فقال : إني على جناح سَفرٍ وحالِ شغل - [أو كما قال ﷺ][5] ، لو قدِمْنا - إن شاء الله - أتيناكم فصلينا بِكمْ فيه .

الوحي بخبر المسجد وإرصاده لأبي عامر الفاسق

فلما نزل بذي أوان أتاه[6] خبر المسجد[7] وخبر أهله من السماء ، وكانوا إنما بنوه [يريدون ببنائه السُّوآى ، ضراراً لمسجد رسول الله ﷺ ، وكفراً بالله ، وتفريقاً بين المؤمنين ، وإرصاداً لأبي عامر الفاسق][8] ، قالوا بينهم : يأتينا أبو عامر فيتحدث عندنا فيه ، فإنَّه يقول : لا أستطيع أن آتي مسجد بني عمرو بن عوف ،

---

(١) في (خ) « محمد بن جارية » ، وفي (ابن قتيبة) « مجمِّع بن حارثة » .
(٢) في (خ) « مكان ما بين القوسين « وأبو عامر » .
(٣) ويسمى أيضاً مسجد الشقاق .
(٤) في (خ) « خدام » .
(٥) زيادة من كتب السيرة .
(٦) في (خ) « أتاه أتاه » مكررة .
(٧) في (خ) « أتاه خبره » وما أثبتناه من (ط) أبين للسياق .
(٨) زيادة للسياق من (تفسير الطبري) عند الآية ١٠٧ / التوبة .

إنما أصحابُ محمد يلحظوننا بأبصارهم . يقول الله تعالى : ﴿ **وإرصاداً لمن حاربَ اللهَ ورسوله** ﴾ يعني أبا عامرٍ .

هدم المسجد وتحريقه

فدعا رسول الله ﷺ عاصم بن عَدِيٍّ العجلانيّ ، ومالك بن الدُّخْشُم السَّالميّ ، فقال : انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه ثم حرِّقَاه فخرجا سريعين – على أقدامهما – حتى أتيا مسجد بني سالم [بن عوف ، وهم رهط مالك ابن الدخشم][1] ، فقال مالك لعاصم : انظرني[2] حتى أخرج[3] إليك بنار من أهلي فدخل إلى[4] أهله فأخذ سَعفاً من النخيل وأشعل فيه ناراً ، ثم خرجا يعدوان حتى انتهيا إليهم بين المغرب والعشاء وهم فيه ، وإمامهم مُجَمِّع بن جارية ، فأحرقاه ، – وثبت من بينهم زيدُ بن جارية بن عامرٍ حتى احترقت أَلْيَتُه[5] – ، وهدماه حتى وضعاه بالأرض .

هجران أرض المسجد وشؤم أخشابه

فلما قدم ﷺ المدينة عرض على عاصم بن عدي المسجد يتخذه داراً ، فقال : ما كنت لأتخذ مسجداً قد نزل فيه ما نزل دارا ! فأعطاهُ ثابتَ بن أقرم[6] وأخذ أبو لبابة بن عبد المنذر خَشباً من مسجد الضِّرار – كان قد أعانهم به ، وكان غير مغموصٍ عليه في النِّفاق – فبني به منزلاً له ، فلمْ يولدْ له في ذلك البيت مولودٌ ، ولم يقف فيه حمامٌ ، ولم تحضُن فيه دجاجةٌ قط .

عدة من بني مسجد الضرار

وكان الذين بَنوا مسجد الضرار إثنى عشر[7] رجلاً : جاريةُ بن عامر بن

---

(١) زيادة من ابن هشام . (٢) أَنْظِرْني : انتظرني .
(٣) في (خ) « حتى أخرج حتى أخرج » مكررة .
(٤) في (خ) « فدخل على أهله » و « إلى أهله » حق المعنى .
(٥) الألية : العجيزة .
(٦) في (خ) « أقدم » . (٧) في (خ) « إثنا عشرة » .

مُجَمِّع[1] بن العَطاف – وهو حمار الدار – ، وابناه[2] مجمِّع بن جارية ، [ويزيد ابن جارية][3] ، ووديعة بن ثابت ، وعبد الله بن نبتل[4] ونجاد بن عثمان ، وأبو حبيبة بن الأزعر ، ومعتّب بن قُشيْر ، وعباد بن حنيف وثعلبة بن حاطب من بني أمية بن زيد ، وخزام بن خالد من بني أحد بني مرو بن عوف ، بني أميَّة بن زيد ، وخزام[5] بن خالد من بني عبيد بن زيدٍأحد بني عمرو بن عوف ، [ويَخْرُجُ من بني ضُبَيْهة][6] .

من خبر المنافقين أصحاب المسجد

وقال رسول الله ﷺ : زِمَام خير من خزام ، وسَوطٌ خير من نجاد : وكان عبد الله بن نبتل يستمع حديث رسول الله ﷺ ثم يأتي به المنافقين ، فقال جبريل : يا محمد ! إن رجلا من المنافقين يأتيك فيستمع حديثَك ، ثم يذهب به إلى المنافقين ، فقال : أيهم[7] هو ؟ قال : الرجل الأسود ذو الشعر الكثير ، الأحمر العينين ، كأنهما قدِران منْ صفرِ ، كبِده كبد حِمارٍ وينظر بعين شيطان .

ما نزل فيهم من القرآن

وفيهم نزل قوله تعالى : ﴿ **والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفُنَّ إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون * لا تقم فيه أبداً ، لمسجدٌ أسِّسَ على التقوى من أوَّلِ يوم أحَقُّ أن تقومَ فيه فيه رجالٌ يحبُّون أن يتطهروا والله يحب المُطَّهِّرين** ﴾[8] .

وأرادوا ببينائه : أنهم كان يجتمعون في المسجد فيتناجون فيما بينهم ، ويلتفت

---

(١) في (خ) « جارية بن عمرو بن العطاف » وما أثبتناه هو ما اتفقت عليه كتب التراجم والسير .

(٢) في (خ) « وابنه » ، والمثنى أولى .

(٣) زيادة من (ابن هشام) جـ٤ .

(٤) في (ابن هشام) جـ٤ « ونبتل بن الحارث من ضبيعة » ولم يذكر « عبد الله بن نبتل » .

(٥) في (خ) « خدام » .

(٦) زيادة من (ابن هشام) جـ٤ ، وبها تم عدة من بنى مسجد الضرار .

(٧) في (خ) « إنهم » .

(٨) الآيتان ١٠٧ ، ١٠٨ / التوبة وفي (خ) ﴿ **والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً** ﴾ ، إلى قوله تعالى : ﴿ **والله يحب المطهرين** ﴾ .

بعضهم إلى بعض ، فيلحظهم المسلمون بأبصارهم ، فشق ذلك عليهم ، وأرادوا مسجداً يكونون فيه لا يغشاهم فيه إلا من يريدون ممن هو على قبل رأيهم . وكان أبو عامرٍ يقول : لا أقدر أن أدخلَ مَربَدكم هذا[1] ! وذلك أنَّ أصحاب محمدٍ يلحظوني وينالون مني ما أكرَه . فقالوا : نحن نبني مسجداً تتحدَّث فيه عندنا .

المتخلفون عن تبوك

[وقد كان تخلف عن رسول الله ﷺ رهطٌ من المنافقين ، وتخلف أولئك الرَّهط الثلاثة المسلمين من غير شك ولا نفاق : كعب بن مالك الأنصاريّ السَّلميّ ، ومرارة بن الربيع العَمْري ، وهلال بن أميَّة الواقفيُّ فقال رسول الله ﷺ : لا تكلمنَّ أحداً من هؤلاء الثلاثة ! فاعتزل المسملون كلام أولئك النَّفَر الثلاثة][2] . وأجمع كعب بن مالك أن يصْدق رسول الله ﷺ .

مقدمة إلى المدينة ودعاؤه ﷺ

فقدم ﷺ المدينة في رمضان ، فقال : الحمد لله على ما رزقنا في سَفَرِنا هذا من أجر وحسبَة ومن بَعْدِنا شركاؤنا فيه . فقالت عائشة رضي الله عنها . أصابكم العُسْر[3] وشِدَّة السَّفر ، ومن بعدكم شركاؤكم فيه ؟ فقال : إن بالمدينة لأقواماً ما سِرنا من مسير ، ولا هبطنا وادياً إلا كانوا معنا ، حبَسَهم المرض ، أوليس الله يقول في كتابه ﴿ **وما كان المؤمنون لينفروا كافة** ﴾[4] ؟ فنحن غزاتهم وهم قَعَدتنا[5] ، والذي نفسي بيده ، لدعاؤهم أنفذ في عدونا من سلاحنا !! .

دخول المسجد والنهي عن كلام المتخلفين

ولما قدِم بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ، ثم جلس للناس ، فجاء المخلفون

---

(١) المربد : فناء وراء البيت ، ربما حبست فيه الغنم فبناه رسول الله ﷺ مسجداً ، ولكن عدو الله الفاسق كان يسمى المسجد باسم ما كان عليه أولا .
(٢) ما بين القوسين ساقط في (خ) وأثبتناه من (ابن هشام) جـ٤ ص ١٢٩ .
(٣) في (خ) « أصابكم السفر » وهي رواية (الواقدي) عن عائشة . أنظر (المغازي) جـ٣ ص ١٠٥٦ ، وما أثبتناه من (ط) .
(٤) من الآية ١٢٢ / التوبة .
(٥) القعدة : جمع قاعد ، وهو الذي قعد عن الغزو .

فجعلوا يعتذرون إليه ويحلفون له ، – وكانوا بضعة وثمانين رجلا – ، فقبلَ منهم علانيتهم وأيمانهم . وقيل : بل خرج[1] عامّة المنافقين إليه بذي أوانٍ ، فقال : لا تكلموا أحداً ممن تخلف عنا ، ولا تجالسوه حتى آذن لكم ، فلم يكلموهم .

المعذرون وقبول أعذارهم

فلما قدم المدينة جاءه المعذرون يحلفون له ، فأعرض عنهم وأعرض المؤمنون ، حتى إن الرجل ليعرض عن أبيه وأخيه وعمه ، فجلعوا يأتون النبي ﷺ ويعتذرون بالحمّي والأسقام ، فيرحمهم ويقبل علانيتهم وأيمانهم ، وحلفوا فصدَّقهم واستغفر لهم ، ووكل سرائرهم إلى الله .

خبر كعب بن مالك أحد الثلاثة الذين خُلِّفوا

وجاء كعب بن مالك إلى رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد ، فلما سلم عليه تَبسَّمَ تبسمَ المغضب ثم قال : تعالَ ! فجاء حتى جلس بين يديه ، فقال : ما خلفك ؟ ألم تكن ابتعْتَ ظهرك[2] ؟ فقال : بلى يا رسول الله ، والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنّي سأخرج من سخطهِ بعذر ، لقد أعطيت جدلا ، ولكن والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديثا كاذباً لترضي عني ، ليوشكنَّ الله أن يسخط عليَّ ، ولئن حدثتك اليوم حديثاً صادقاً تجد علي[3] فيه ، إني لأرجو عقبَى الله فيه . لا والله ما كان لي عذرٌ ! والله ما كنت أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك ! فقال عليه السلام : أمَّا أنت فقد صدقت ! فقُم حتى يقضيَ الله فيك .

فقام ومعه رجال من بني سلمة ، فقالوا له : والله ما علمناك كنت أذنبتَ ذنباً قبل هذا ! ولقد عجزت ألا تكونَ اعتذرتَ بما اعتذرَ به المخلفون ، قد كان كافيكَ ذنبك استغفار رسول الله لك . حتى كاد أن يرجع فيكذِّب نفسه ، فلقيه معاذ بن جبلَ وأبو قتادة[4] ، فقالا لي: لا تطع أصحابَك وأقم على الصدق ، فإن الله سيجعل لك فرجاً ومخرجاً إن شاء الله تعالى ، فأما هؤلاء المعذرون ، فإن كانوا صادقين

---

(١) في (خ) « بلخرج » .

(٢) الظهر : الركاب التي تحمل الأثقال .

(٣) تجد علي : تغضب علي .

(٤) في (خ) « وأبا قتادة » .

فسيرى الله ذلك ويعلم نبيه ، وإن كانوا غير ذلك يذمهم أقبح الذم ويكذِّب حديثهم فقال لهم : هل أتى هذا (أحدٌ)[1] غيري ؟ قالا : نعم ! رجلان قالا مثل مقالتك ، وقيل لهما مثل ما قيل لك ! قال : من هما ؟ قالا : مرارة بن ربيع العمري وهلال بن أمية الواقفيُّ .

النهي عن كلام الثلاثة وتمام أخبارهم

ونهي رسول الله ﷺ عن كلام الثلاثة من بين من تخلف عنه ، فاجتنبهم الناس وتغيّروا لهم ، حتى تنكرّت لهم أنفسهم ، فلبثوا على ذلك خمسين ليلة . وقد قعد مرارة وهلالٌ في بيوتهما ؛ وكان كعب يخرجُ فيشهد الصلوات مع المسلمين ويطوف بالأسواق فلا يُكلِّمه أحد . ويأتي رسول الله ﷺ – وهو في مجلسه بعد الصلوات – فيسلم عليه ويصلى قريباً منه يُسارِقُه النظر وهو معرض عنه .

وتسَوَّر يوماً جدار حائط أبي قَتَادة – وهو ابن عمه وأحبُّ الناس إليه – فسلم عليه فلم يردَّ عليه السلام ، فقال : يا أبا قتادة ! أنْشُدُك الله ! هل تعلمني أحبُّ الله ورسوله ؟ فسكت ، وكرر ذلك فقال في الثالثة : الله ورسوله أعلم ! ففاضت عيناه وانصرف : فلما مضت أربعون ليلة بعث إليه رسول الله ﷺ – وإلى هلال ابن أمية ومُرارة بن ربيع – مع خزيمة بن ثابتٍ يأمرهم أن يعتزلوا نساءهم ؛ فقال كعبٌ لأمرأته : ألحقي بأهْلِك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر ما هو قاض !!

هـلال بن أميـة

وبكي هلال بن أمية وامتنع عن الطعام وواصل اليومين والثلاثة ما يذوق طعاماً ، إلا أن يشرب الشَّربة من الماء أو الضَّيح[2] من اللبن ، ويصلى الليل ولم يخرج من بيته لأن أحداً لا يكلمه ، حتى إن الولدان يهجرونه لطاعة رسول الله ﷺ . وجاءت امرأته فقالت : يا رسول الله ، إن هلال بن أمية شيخٌ كبيرٌ ضائعٌ لا خادم له ، وأنا أَرْفقُ به من غيري ، فإن رأيتَ أن تدعني أخدُمُه فعلتُ ! قال :

(١) زيادة من (ابن هشام) جـ٤ .
(٢) في (خ) « النصيح » ، والضيح : اللبن يصب عليه الماء حتى يرق .

نعم ، ولكن لا تدعيه يصل إليك ، فقالت : يا رسول الله ، ما به من حركة إليّ ! والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا . وإن لحيته لتقطر دموعاً الليل والنهار ولقد ظهر البياض على عينيه حتى تخوَّفتُ أن يذهب بصره .

التوبة على الثلاثة وما نزل من القرآن

فلما كملت خمسون ليلة - وهم كما قال الله تعالى : ﴿ **حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحُبت وضاقت عليهم أنفسهم** ﴾ - أنزل الله توبتهم بقوله تعالى : ﴿ **لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العُسْرة من بعد ما كاد يزيغ قلوبُ فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم * وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم * يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** ﴾[1] .

فَأُعلم رسول الله ﷺ بذلك عند الصُّبح . فخرج أبو بكر رضي الله عنه فأوفي على سَلْع[2] فصاح : قد تاب الله على كعب بن مالك ! يبشره . فأتاه حمزة بن عمرو فبشره ، فنزع ثوبيه وكساهما إياه ، ولا يملك غيرهما ، واستعار ثوبين من أبي قتادة فلبسهما ، ثم انطلق إلى رسول الله والناس يهنئونه ، وخرج أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل إلى هلالٍ يبشرهُ فلما أخبره سجد ولقيه الناسُ يهنئونه ، فما استطاع المشْي - لما أصابه من الضعف والحزن والبكاء - حتى ركب حماراً . وبشَّر مرارة بن ربيع بن سلكان بن سلامة بن وقْش ، فأقبل حتى توافدوا عند النبي ﷺ .

إنخلاع كعب من ماله

فقام طلحةُ بن عبيد الله يتلقى كعب بن مالك . فلّما سلَّم على رسول الله ﷺ قال له - ووجهه يبرق من السرور - : أبشر بخير يومٍ مر عليك منذ ولدتك أمُّك ! فقال : أمن عندك يا رسول الله أو من عند الله ؟ قال : من عند الله ، وتلا

---

(١) الآيات ١١٧ - ١١٩ / التوبة ، وفي (خ) « الأنصار » الآيات .

(٢) سلع : جبل بسوق المدينة .

عليه الآيات[1] فقال كعب : يا رسول الله ، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة ! فقال : أمسك عليك [بعض][2] مالك فهو خير لك . قال : فالثلثان ؟ قال : لا ، قال : فالنصف[3] ؟ قال : لا ، قال : فالثلث[4] ؟ قال : نعم .

ما نزل في المعذرين الكاذبين

ونزل في الذين كذبوا قوله تعالى : ﴿ **سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رِجْسٌ ومأواهم جهنم جزاءً بما كانوا يكسبون * يحلفون لكم لترضوْا عنهم فإن تَرْضَوْا عنهم فَإِنَّ الله لا يرضي عن القوم الفاسقين** ﴾[5] .

توهم المسلمين انقطاع الجهاد

وجعل المسلمون يبيعون أسلحتهم ويقولون . قد انقطع الجهاد ! فجعل أهل القوى منهم يشتريها لفضل قوَّته ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فنهاهم عن ذلك وقال : لا تزال[6] عصابة من أمتي ظاهرين يجاهدون على الحق حتى يخرج الدجَّال .

ما نزل من القرآن في تبوك

وأنزل الله في غزوة تبوك : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثَّاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياةالدنيا في الآخرة إلا قليل** ﴾[7] : الآيات من سورة « براءة »[8] . وكشفت « براءة » منهم ما كان مستوراً ، وأبدت أضغانهم ونفاق من نافق منهم .

---

(١) أي الآيات ١١٧ – ١١٩ / التوبة .
(٢) زيادة لابد منها من (ابن هشام) جـ٤ .
(٣) في (خ) « بالنصف » . (٤) في (خ) « بالثلث » .
(٥) الآيتان ٩٥ – ٩٦ / التوبة ، وفي (خ) .
(٦) في (خ) « لا تزل » .
(٧) الآية ٣٨ / التوبة ، وفي (خ) إلى قوله تعالى : ﴿ **إلى الأرض** ﴾ .
(٨) براءة : اسم من أسماء سورة التوبة ، وأكثرها نزل في تبوك .

وفد ثقيف وإسلام عروة بن معتب

وفي شهر رمضان هذا قدم وفد ثقيف .

وكان عروة بن مسعود بن معتِّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد ابن عوف بن ثقيف الثَّقفي – حين حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف – بجَرش ، ثم رجع بعد منصرف رسول الله ﷺ ، فقذف الله في قلبه الإسلام . فقدم المدينة بعد رجوع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من الحج ، فيما ذكر عروة بن الزبير وموسى بن عقبة وقيل : بل لحق رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة فأسلم ، وهو قول ابن إسحٰق .

دعاؤه ثقيف

ثم إنه[1] أراد أن يرجع إلى ثقيف فيدعوهم إلى الإسلام ، فقال له عليه السلام ، إنهم إذا قاتلوك،قال : لأنا أحبُّ إليهم من أبكار أولادهم ! ثم استأذنه الثانية ، ثم الثالثة ، فقال : إن شئت فاخرج][2] ، وعاد إلى الطائف عِشاءَ ، فدخل منزله ولم يأت الرَّبة[3] ، فأنكر قومه ذلك ، وأتوْه منزله ، فدعاهم إلى الإسلام فاتهموه وآذوْه ، وخرجوا يأتمرون ما يصنعون به . حتى إذا طلع الفجر أوْفي على غُرفةٍ فأذّن بالصلاة ، فرماه وهب بن جابر – ويقال : أوس بن عوف من بني مالك – فأصاب أكحلهُ فلم يَرقأ دمه ، ومات ، فلما بلغ رسول الله ﷺ قتْله قال : مَثَلُ عروة مَثَلُ صاحب ياسين[4] ، دعا قومه إلى الله تعالى فقتلوه ! ولحق ابنه أبو مُليْح وابن أخيه قاربُ بن الأسود برسول الله ﷺ فأسلما ، ونزلا على المغيرة بن شعبة .

مشورة ثقيف عمرو بن أمية

وكان عمرو بن أمية – أحد بني عِلاجٍ – من أدهى العرب ، وكان مهاجراً

---

(١) في (خ) « وإنه » .

(٢) ما بين القوسين زيادة من كتب السيرة .

(٣) الربة : صخرة تعبدها ثقيف بالطائف .

(٤) هو الذي يقول الله فيه ﴿ وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين ﴾ ، الآيات من ٢٠ – ٣٠ سورة يس .

لعبد ياليل بن عمرو ، فمشى إليه ظهراً حتى دخل داره . [ثم أرسل إليه : إن عمرو ابن أمية يقول لك : أخرج إليّ ! فقال عبدُ ياليل للرسول : ويلك ! أعمروٌ أرسلك إليّ ! قال : نعم ، وها هو ذا واقفاً في دارك ! فقال : إن هذا شيء ما كنت أظنّه ، لعمرو كان أمنع في نفسه من ذلك !][1] فخرج إليه ، فدعاه إلى الدخول في الإسلام ، [وقال له : إنه قد نزل بنا أمرٌ ليست معه هجرة ! إنه قد كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيت ، وقد أسلمتُ العربُ كلها ، وليست لكم بحربهم طاقة ، فانظروا في أمركم !][1] فقال [عبد ياليل][1] : والله قد رأيتُ ما رأيتَ ، فائتمرتْ ثقيف فيمن يرسلونه إلى النبي ﷺ .

وفد ثقيف والأحلاف

حتى أجمعوا على أن يبعثوا عبد ياليل بن عمرو بن عمير ورجلين [معه][2] من الأحلاف ، وثلاثة من بني مالك ، فبعثوا عبد ياليل [ومعه] الحكم بن عمرو ابن وهب بن معتِّب ، وشُرَحْبيل بن غيلان بن سلمة – وهما من الأحلاف رهط عروة بن مسعود – ؛ وبعثوا من بني مالك : عثمان بن أبي العاص بن بِشْر بن عبْد ابن دُهمان أخا بني يسار ، وأوس بن عوف ، ونمير بن خَرَشة بن ربيعة ، ستة نفر ، ويقال إن الوفد قد كانوا بضعة عشر رجلا فيهم : سفيان بن عبد الله ، والحكم ابن عمرو بن وهب .

مقدم الوفد إلى المدينة

فخرجوا – ورأسهم عبد ياليل – حتى قاربوا المدينة فإذا المغيرة بن شعبة يرعى في نوبته ركاب أصحاب رسول الله ﷺ – وكانت رعيتها نوَباً على أصحابه – فسلَّم عليهم وترك الرِّكاب عندهم ، وخرج يشتدُّ يبشر النبي ﷺ بقدومهم ، فبشره ثم عاد إليهم . فأتَوْا إلى المسجد فقال الناس : يا رسول الله ! يدخلون المسجد وهم مشركون ! فقال : إن الأرض لا ينجسها شيء .

---

(١) زيادات من (ابن سعد) ، و (ابن هشام) .

(٢) زيادة للسياق من (ط) .

ضيافة الوفد

ثم أنزل المغيرة في داره ، وأمر لهم عليه السلام بخيماتٍ ثلاث من حرير فضُربن في المسجد . فكانوا يستمعون القراءة بالليل وتهجُّد الصحابة ؛ وينظرون صفوفهم في الصلوات المكتوبات ، ويرجعون إلى منزل المغيرة فيطعمون ويتوضأون . وكان رسول الله ﷺ يجري لهم الضيافة في دار المغيرة فكانوا لا يطعمون طعاماً يأتيهم من رسول الله ﷺ حتى يأكل منه خالد بن سعيد بن العاص ، فإنه كان يمشي بينهم وبين رسول الله ﷺ حتى أسلموا .

بعض اعتراضهم

وكانوا يسمعون خطبة رسول الله ﷺ ولا يسمعونه يذكر نفسه فقالوا : يأمرنا نشهد أنه رسول الله ، ولا يشهد به في خطبته ! فلما بلغ رسول الله ﷺ قولهم قال : أنا أول من شهد أنّي رسول الله ، ثم قام فخطب ، وشهد أنه رسول الله في خطبته .

إسلام عثمان بن أبي العاص

فمكثوا أياماً يغدون على النبي ﷺ ، ويخلفون عثمان بن أبي العاص على رحالهم - وكان أصغرهم - فكانوا إذا رجعوا وناموا بالهاجرة ، خرج فعمد إلى النبي ﷺ فسأله عن الدين ، فاستقرأه القرآن وأسلم سراً وفَقه وقرأ من القرآن سوراً .

جدال الوفد في الزنا والربا والخمر

هذا ورسول الله ﷺ يدعو الوفد إلى الإسلام ، فقال له عبد ياليل : هل أنت مقاضينا(١) حتى نرجع إلى قومنا ، فقال إن أنتم أقررتم بالإسلام قاضيتكم ، وإلا فلا قضية ولا صلح بيني وبينكم . فقال عَبْد ياليل : أرأيت الزنا ! فإنا قومٌ عزَّاب(٢) لابد لنا منه ، ولا يصبر أحدنا على العزبة(٣) ! قال : هو مما حرَّم الله ؛ قال :

---

(١) قاضي مقاضاة : جعل بينه وبينه قضاءً محكماً .

(٢) في (خ) « عذاب » .

(٣) في (خ) « العدبة » ، والعزبة والعزوبة بمعنى .

أرأيت الربا ! قال : الربا حرام ! قال فإن أموالنا كلها ربا ! قال : لكم رؤوس أموالكم ، قال : أفرأيت الخمر ! فإنها عصير أعنابنا ولابد لنا منها ! قال : فإن الله حرَّمها . فخلا بعضهم ببعض ، وقال عبد ياليل : ويحكم ! نرجع إلى قومنا بتحريم هذه الخصال !! لا تصبر ثقيفٌ عن الخمر ولا عن الزنا أبداً .

كتاب الصلح

ومشى خالد بن سعيد بن العاص بينهم وبين النبي ﷺ حتى كتبوا الكتاب - وكتبه خالد - وأسلموا ، وتعلموا فرائض الإسلام وشرائعه ، وصاموا بقية شهر رمضان . فأمَّر عليهم رسول الله ﷺ عثمان بن أبي العاص ، وهو أصغرهم ، وقال له : اتخذْ مؤذناً لا يأخذ على أذانه أجراً : وخرجوا إلى الطائف .

هدم رَبَّة ثقيف

وسار في إثرهم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة لهدم الربة صنمهم ، فدخل القوم الطائف ، وكانت لهم مع قومهم أنباءٌ حتى أسلموا . ودخل المغيرة في بضعة عشر رجلا فهدموا الرَّبَّة ، وانتزع كسوتها وما فيها من طيب وذهب وفضة . فأعطى رسول الله ﷺ ممّا وجد فيه أبا مُليح بن عروة ، وقارِب بن الأسود ، وناساً : وجعل في سبيل الله وفي السِّلاح منها .

ثم كتب لثقيف بعد البسملة :

كتابه ﷺ لثقيف

« من محمد النبي رسول الله(١) ، [هذا كتابٌ من النبي رسول الله](٢) ، إلى المؤمنين : إن عِضَاهَ وَج وصيده لا يُعضَدُ(٣) ، ومن وجدَ يفعل [شيئاً](٤) من ذلك يجلد وتنزع ثيابُه ، فإن تعدى [ذلك](٤) فإنه يوخذُ فيبلغ [به](٤) النبيُّ محمد ، وإن(٥) هذا أمرُ النبي محمد رسول الله . وكتب خالدُ بن سعيد بأمر النبيِّ

---

(١) في (خ) « ورسول الله » ، وما أثبتناه نص (ابن هشام) ج٤ .

(٢) هذا الكتاب ، أعاد المؤلف صياغته من روايات مختلفة وكلها صحيحة إلا أنه نسي التنبيه على اختلاف الرواية .

(٣) في (خ) « عضاة » .

(٤) زيادات من (ابن هشام) ج٤ .

(٥) في (خ) « فإن » وهذا نص (ابن هشام) ج٤ .

محمد بن عبد الله ، فلا يتعدهُ أحدٌ فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله .

حِمَي وج

ونهى ﷺ عن قطع عِضاهِ[1] وجٍّ وعن صيده ، فكان الرجل يؤخذ بفعل ذلك ، فَتُنْزَعُ ثيابه . واستعمل على حِمى وجٍّ سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه .

إسلام كعب بن زهير

وفي هذه السنة كان إسلام كعب بن زهيرٍ بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزنيِّ من ، مزينة بن أدٍّ بن طابخة بن إلياس بن مضر : وذلك أنه خرج هو وأخوه بجير إلى أبرق العراق ، فتركه بجيرٌ في غنمه وقدم المدينة فأسلم ، فقال كعبٌ شِعْراً غضِب منه رسول الله ﷺ وأهدَر دمه . فكتب إليه بجير بعد عودة رسول الله ﷺ من الطائف ، وقال له : النَّجاءُ النَّجاءُ !! وما أراك أن تفلِتَ ، ثم كتب إليه يدعوه إلى الإسلام فأسلم ، وقدم على رسول الله ﷺ المدينة وأنشده :

« بانت سعاد فقلبي اليوم متبول » ... القصيد

خبره وخبر البردة

فكساه بُردة كانت عليه . وقيل : أمر ﷺ بقتله لأنه كان يُشَبِّبُ بامِّ هانيءٍ بنت أبي طالب ، وذكر يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال : فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة منصرفاً عن الطائف كتب بجير بن زهير إلى أخيه كعب ، فذكر الحديث . وقيل : إن رسول الله ﷺ رأي زهيراً وله مائة سنة فقال : اللهم أعذني من شيطانه ! فما لاك بيتاً حتى مات . وقال ابن قتيبة[2] : أعطي رسول الله ﷺ كعب بن زهير راحلة وبرداً ، فباع البرد من معاوية[3] بعشرين ألفاً ، فهو عند الخلفاء إلى اليوم .

---

(١) في (خ) « عضاة » .
(٢) في كتاب (الشعر والشعراء) جـ١ ص ١٦٢ طبعة ثالثة بتحقيق أحمد محمد شاكر سنة ١٩٧٧ .
(٣) في (خ) « معونة » .

الوفـود

ولما أسلمت ثقيف ضربتْ إليه وفود العرب من كل وجه لمعرفتهم أنهم لا طاقة لهم بحرب رسول الله ولا عداوته ، فدخلوا في دين الله أفواجاً .

وِفد بني أسـد :

فقدم وفد بني أسدٍ وقالوا : أتيناك قبل أن ترسل إلينا !! فأنزل الله : ﴿ **يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا عليّ إسلامكم بل الله يمنُّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين** ﴾[1] :

كتب ملوك حمير :

وقدمت كتب [ملوك][2] حمير [ورسوله إليه بإسلامهم][3] : الحارث بن عبد كلال [ونعيم بن عبد كلال][2] ، والنعمان قيل ذي رُعَيْن ، [ومعافر][3] وهمْدان ، أقرُّوا بالإسلام .

وفـد بهـراء :

وقدم وفد بهراء ، فنزلوا على المقداد بن عمرو [البهرانّي][4] .

وفود أخر :

وقدم وفد بني البكاء ، ووفد فزارة وفيهم خارجة بن حصين ، ووفد ثعلبة ، ووفد سعد بن بكر ووافدهم ضمام بن ثعلبة ، ووفد الداريين من لخمٍ وهم

(١) آية ١٧ / الحجرات ، وفي (خ) ، ﴿ **أن أسلموا** ﴾ ، الآية .

(٢) زيادة من ابن هشام .

(٣) زيادة من ابن هشام ، وفي (خ) « وقدمت كتب حمير مع الحارث بن عبد كلال » وهذا خطأ ، فإن كلا من الحارث والنعمان لم يفدا على رسول الله ﷺ بل هو الذي كتب إليهما ، وهذا هو نص كتابه ﷺ إليهما « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد النبي رسول الله إلى الحارث بن عبد كلال ، ونعيم بن عبد كلال والنعمان قيل ذي رعين ، وهمدان ومعافر ؛ أما بعد ذلكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فإنه قد وقع بنا رسولكم مقفلنا من أرض الروم فلقينا بالمدينة ، فبلغ ما أرسلتم وخبر ما قبلتم وأنبأنا بإسلامكم ، وقتلكم المشركين ، وإن الله قد هداكم بهدايته إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله ، وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأعطيتم من المغانم خمس الله وسهم نبيه وصفيه .
(راجع مكاتيب الرسول) ص ١٨٧ . (وتاريخ الطبري) جـ٣ ص ١٢٠ ، ١٢١ .

(٤) زيادة للإيضاح من (ط) .

عشرة[1] .

موت عبد الله بن أبيّ

ومرض عبد الله بن أبيّ في ليالٍ من شوَّال ، ومات في ذي القعدة وكان مرضه عشرين يوماً ، كان رسول الله ﷺ يعوده فيها ، فلما دخل عليه وهو يجود بنفسه قال له : نهيتك عن حبِّ يهود ! فقال : قد أبغضهم أسعد بن زرارة ، فما نَفَعه ؟ : ثم قال : يا رسول الله ، ليس بحين عتاب ، هو الموت ! فإن مت فاحضر غُسْلي ، وأعطني قميصك أكفن فيه فأعطاه قميصه الأعلى - وكان عليه قميصان - ، فقال : الذي يلي جلدك ! فنزع قميصه الذي يلِي جلده فأعطاه ثم قال صلِّ عليَّ واستغفرلي .

حضور رسول الله ﷺ

ويروي أن النبي ﷺ جاء بعد موته إلى قبره ، فأمر به فأخرِجَ ، فكشف عن وجهه ، ونفَثَ عليه من ريقه وأسنده إلى ركبتيه ، وألبسه قميصه الذي يلي جلدَه : قال الواقدي[2] : والأول أثبت أنه حضر غسله وكفَّنه .

الصلاة عليه واعتراض عمر في ذلك

ثم حُمل إلى موضع الجنائز ، فتقدم ﷺ ليصلي عليه ، فلما قام وَثبَ إليه عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فقال : يا رسول الله ، تصلي على ابن أبي ؟ فإنه قال يوم كذا وكذا[3] ، ويوم كذا وكذا ، فعَدَّ عليه قوله : فتبسم وقال : أخِّر عني يا عمر ، فإني خُيرت فاخترت ، [وقد قيل لي : ﴿ **استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرَّة فلن يغفر الله لهم** ﴾][4] ولو[5] أعلم أني إن زدت[6] على السبعين غفر له زدت عليه !! فصلى عليه وأطال الوقوف .

(١) في (خ) « ووفد الدواس من لخم وهم عشيرة » وما أثبتناه من (الطبري) جـ٣ ص ١٢٢ .
(٢) (المغازي) جـ٣ ص ١٠٥٧ .
(٣) في (خ) « يوم كذا وكذا » وما أثبتناه من (الواقدي) .
(٤) من الآية ٨٠ / التوبة ، وما بين القوسين زيادة للسياق من (ابن هشام) جـ٤ .
(٥) في (ط) « فلو أعلم » وما أثبتناه من (خ) و (الواقدي) .
(٦) في (ط) « إن زدت » وفي (خ) و (الواقدي) « إذا زدت » .

ما نزل من القرآن في المنافقين

ونزل قوله تعالى : ﴿ **ولا تصلِّ على أحدٍ منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون * ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون * وإذا أنزلت سورةٌ أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون** ﴾[1] فعرف عليه السلام في هذه الآية المنافقين فكان من مات منهم لم يُصَلِّ عليه .

دفن عبد الله واجتماع المنافقين

ثم حُمل ابن أبيّ إلى قبره ، وقد غلب عليه المنافقون كسعد بن حنيف ، وزيد ابن الصليت وسلامة[2] بن الحمام[3] ونعمان بن أبي عامر[4] ، ورافع ابن حرملة[5] ، ومالك بن أبي نوفل[6] ، وداعس ، وسويد ، وهؤلاء أخابث المنافقين . وهم الذين كانوا يمرِّضونه ، وكان يقول : لا يليني غيرهم ، ويقول لهم : أنتم والله أحب إليّ من الماء على الظمأ ! ويقولون : ليت إنا نفديك بالأنفس والأموال والأولاد ! فلما وقعوا على حفرته – ورسول الله ﷺ واقف يلحظهم – ازدحموا على النزول في حفرته ، وارتفعت الأصوات ، حتى أصيب أنف داعسٍ وسال الدم ، وكان يريد أن ينزل فنحّي ، وجعل عبادة بن الصامت رضي الله عنه يَذُبهم ويقول : اخفضوا أصواتكم عند رسول الله ، ونزل حفرته رجال من قومه أهلُ فضل وإسلام ، وهم : ابنه [عبد الله][7] وسعد بن عُبادة ، وعبادة بن الصامت ، وأوس ابن خوْليّ حتى بَنوْا عليه . ودلاه عليهم[8] الصحابة وأكابر الأوس والخزرج ، وهم قيام مع النبي ﷺ ودلاه عليه السلام بيديه إليهم ؛ ثم قام على القبر حتى دُفِن ،

(١) الآيات ٨٤ – ٨٧ / التوبة ، وفي (خ) « على قبره الآيتان » .

(٢) يقول محقق (ط) « ولم أجد له خبراً ولا ذكراً » ، ونقول : « الخبر بتمامه في (المغازي للواقدي) جـ٣ ص ١٠٥٨ ، ١٠٥٩ ومنه صوبنا بعض الأسماء والأنساب » .

(٣) في (ط) « سلالة » .

(٤) في (ط) « ونعمان بن أوفي بن عمرو » .

(٥) في (ط) « حريملة » .

(٦) في (ط) « قوقل » .

(٧) زيادة من (ط) .

(٨) في (خ) « عليه » وما أثبتناه من (ط) .

وعزّى ابنه وانصرف . وحثا المنافقون عليه تُراب قبره وهم يقولون : يا ليت أنا فديناك بالأنفس وكنا قبلك ، وحَثَوْا على رؤوسهم التُّراب .

ابنته وحزنها

ولم تتخلف امرأة من الأوس والخزرج حتى أتت ابنته جميلة بنت عبد الله ابن أبي ، وهي تقول : واجبلاه ! واركناه ! واأبتاه ! وما ينهاها أحد ولا يعيب عليها .

حج أبي بكر الصديق رضي الله عنه

ثم كانت حجة أبي بكر الصديق رضي الله عنه سنة تسعٍ[1] . وكان رسول الله ﷺ – قبل أن ينزل عليه سورة براءة – قد عاهد ناساً من المشركين عهداً ، فلبث بعد مرجعه من تبوك أربعة أشهر وحضر الحجُّ ، فكره أن يخرج ذلك العام حتى ينبذ[2] إلى كلِّ من عهد إليه من المشركين عهده .

حج المشركين

وكانوا يحجون مع المسلمون ، فإذا قال المسلمون « لبيك لا شريك لك » ، عارضهم المشركون بقولهم [لبيك][3] « لا شريك لك ، إلا شريكٌ هو لك ، تملِكه وما ملك » ، عاليةً أصواتهم ليغلّطوهم بذلك ، ويطوف رجال منهم عُراة ، ليس على أحد منهم ثوب ، يعظمون بذلك الحرْمَة[4] ، ويقول أحدهم : أطوف بالبيت كما ولدتني أمي ليس عليّ شيءٌ من الدنيا خالطة الظلم .

الخروج إلى الحج

فَكَرِهَ رسول الله ﷺ أن يحج ذلك العام ، فاستعمل أبا بكر على الحج ، [وكتب له بنفس الحج ، لأنه اشتكى أنه لا علم له بالقضاء][5] . فخرج في

---

(١) في (خ) « سنة سبع » وهو خطأ .

(٢) نبذ العهد : نقضه .

(٣) زيادة للسياق من (ط) .

(٤) حرمة البيت الحرام .

(٥) كذا في (خ) ، وليس لهذه العبارة أو لمعناها نظير في كتب السيرة .

ثلاثمائة رجُلٍ. وبعث معه بعشرين بَدَنةً قلدها النعال وأشعرها بيده في الجانب الأيمن ، واستعمل عليها ناجية بن جُنْدُب الأسلمي ، وساق أبو بكر رضي الله عنه خمس بدنات . وحج عامئذٍ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فأهدى بُدْناً . وأهلّ أبو بكر رضي الله عنه من ذي الحليْفةِ ، وسار حتى [إذا][1] كان بالعرج في السّحر سمع رغاء القصواء ، فإذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه عليها فقال : قد استعملك رسول الله ﷺ على الحج ؟ قال : لا ولكن بعثني أقرأ براءة على الناس : فانبذ إلى كل ذي عهدٍ عهده . وقيل أدركه عليٌّ رضي الله عنهما بضجنان .

صفة الحج

وكان رسول لله ﷺ عهد إلى أبي بكر رضي الله عنه أن يخالف المشركين : فيقف يوم عرفة بعرفة ولا يقف بجمع ، ولا يدفع من عرفة حتى تغرُب الشمس ، ويدفع من جمع قبل طلوع الشمس فخرج حتى أتى مكة وهو مُفرِد بالحجِّ ، فخطب قبل التروية بيوم بعد الظهر ، وطاف يوم التروية – حين زاغت الشمس – بالبيت سبعاً ، ثم ركب راحلته من باب بني شيبة ! وصلى الظهر ، والعصر ، والمغرب ، والعشاء ، والصبح بمنى ، ولم يركب حتى طلعت الشمسُ على ثبيرٍ ، فانتهى إلى نمرة ، فنزل في قبة من شَعر فقال فيها وركب راحلته لما زاغت الشمس فخطب ببطن عرفة ، ثم أناخ فصلى الظهر والعصر بأذان وإقامتين ، ثم ركب راحلته فوقف بالهضاب من عرفة ، فلما أفطر الصائم دفع يسير العَنَق[2] حتى نزل بجمعٍ – قريبا من النار التي على قزح[3] فلما طلع الفجر صلى الفجر ثم وقف ، فلما أسفر دفع . وجعل يقول في وقوفه : يا أيها الناس . أسفِروا[4] ، ثم دفع قبل الشمس . وكان يسير العَنَق[2] حتى انتهى إلى محَسِّرٍ فأوضع راحلته ، فلما جاز وادي مُحَسِّر عاد إلى مسيره الأول حتى رمي الجمرة راكبـاً بسبع حُصَيَّاتٍ ، ثم رجع إلى المنحر فنحر ثم حلق .

---

(١) زيادة للبيان من (ط) .
(٢) العنق : ضرب من السير سريع .
(٣) قزح : هو القرن الذي يقف الإمام عنده بالمزدلفة .
(٤) أسفر بالفجر : أطال الصلاة حتى يتبين الفجر .

قراءة براءة

وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه – يوم النحر عند الجمرة – براءة ، ونبذ إلى كل ذي عهد عهده ، وقال : إن رسول الله ﷺ يقول : لا يحج بعد هذا العام مُشْرِكٌ ، ولا يطوف بالبيت عُريان .

خطبة أبي بكر

وخطب أبو بكر رضي الله عنه يوم النحر بعد الظهر على راحلته ، وقام برمي الجمار ماشياً : ذاهباً وجائياً : فلما رمي يوم الصدر[1] وجاوز العقبة ، ركب . ويقال : رمي يومئذٍ راكباً ، وصلّى بالأبطح الظهر والعصر ، وصلى بمكة المغرب والعشاء ، ثم خرج من ليلته قافلا إلى المدينة .

سيرة النبي ﷺ قبل براءة

[وكانت سيرة النبي ﷺ][2] – قبل نزول براءة –: أن يقاتل من قاتله ، ومن كفّ يده كف عنه ؛ فنسخت براءة ذلك .

وكان العرب إذا تحالف سيدهم أو رئيسهم مع آخر لم ينقُض ذلك إلا الذي يحالفُ أو أقربُ الناس قرابة به . وكان عليّ رضي الله عنه هو الذي عاهد المشركين ، فلذلك بعثه رسول الله ﷺ ببراءة .

ولما رجع المشركون من حجهم لام بعضهم بعضاً وقالوا : ما تصنعون وقد أسلمت قريش ؟! فأسلموا .

وفود غسان وغامد ونجران

ثم كانت سنة عشر . وفيها كان وفد غسّان[3] ووفد غامد في شهر رمضان .

وقدم وفد نجْران : وكان رسول الله ﷺ أرسل خالد بن الوليد إلى بني الحارث ابن كعب بنجران ، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ثلاثاً ، فإن أجابوا أقام فيهم

(١) يوم الصدر : اليوم الرابع من أيام النحر .
(٢) هذه العبارة مكررة في (خ) .
(٣) في (خ) « غبشان » والتصويب من (الطبري) جـ٣ ص ١٢٧ .

وعلمهم شرائع الإسلام ، وإن أبوْا قاتلهم ، فخرج إليهم في ربيع الأول سنة عشر ، ودعاهم فأجابوا وأسلموا ، وأقام فيهم ، وكتب إلى رسول الله ﷺ يعلمه إسلامهم ، ثم عاد ومعه وفدهم ، فيهم : قيس بن الحصين بن زيد بن شداد ويقال له ابن ذي الغصَّة[1] ، ويزيد بن عبد المدان ، في آخرين ؛ ثم عادوا في بقيَّة شوال أو في ذي القعدة ، وأمّر عليهم قيس بن الحُصَيْن .

إسلامهم وكتاب النبي لهم

وخرج إليهم عمرو بن حزم يعلمهم شرائع الإسلام ويأخذ صدقاتهم . وكتب له رسول الله ﷺ كتاباً ليحملهم على ما فيه ، وبين فيه الأحكام والزكوات ومقادير الديات ويقال : كان ذلك في شهر ربيع الآخر ، وقيل في جمادي الأولى . فتوفي رسولُ الله ﷺ وعمرو بن حزْم على نجْران .

المباهــلة

وأرسل نصارى نجران العاقب والسَّيِّد في نفرٍ ، فأرادوا مباهلة[2] رسول الله ﷺ ، فخرج ومعه فاطمة وعليٌّ والحسن والحسين عليهم السلام ، فلما رأوهُم قالوا : هذه وجوه لو أقسمت على الله أن يزيل الجبال لأزالها !! ولم يباهلوا ، وصالحوه على ألفي حُلةٍ : ثمن كل حلة أربعون درهماً ، وجعل لهم عليه السلام ذمّة الله وعهده على ألا يفتنوا عن دينهم ، ولا يعْشروا[3] ولا يحشروا[4] ، ولا يأكلوا الربا ولا يتعاملوا [به][5] .

سرية علي بن أبي طالب إلى اليمن

ثم كانت سرية علي رضي الله عنه في رمضان : بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن [حين][6] تتام أصحابه ، وعقد له لواءً : أخذ عمامة فلفها مثنية مربعة وجعلها

---

(١) في (خ) القصة .

(٢) أنظر آية المباهلة ، وهي الآية رقم ١٦ / آل عمران ، وأسباب النزول للواحدي ص ٧٤ .

(٣) في (خ) « يعاشروا » ، ومعنى لا يعشروا : لا يؤخذ عشر أموالهم في التجارات .

(٤) لا يحشروا : لا يندبون إلى المغازي .

(٥) زيادة من (ط) عن (فتوح البلدان) ص ٧١ .

(٦) زيادة للسياق من (ط) .

في رأس الرُّمح ، ثم دفعها إليه وقال : هاك هذا اللواء ! وعممه عمامةً ثلاثة أكوار ، وجعل ذراعها بين يديه وشِبْراً من ورائه ، ثم قال : هكذا العمَّة[1] !

وصية رسول الله ﷺ له

وقال له : إمض ولا تلتفت ! فقال علي : يا رسول الله ، كيف أصنع ؟ قال : إذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك . فإن قاتلوك فلا تقاتلهم حتى يقتلوا منك قتيلا ، فإن قتلوا منك قتيلا فلا تقاتلهم ، تلوَّمُهم[2] حتى تريهم أناة . ثم تقول لهم : هل لكم أن تقولوا لا إله إلا الله ؟ فإن قالوا : نعم ، فقل هل لكم إلى أن تصلوا ؟ فإن قالوا : نعم ، فقل لهم : هل لكم إلى أن تخرجوا من أموالكم صدقة تردُّونها على فقرائكم ؟ فإن قالوا : نعم ، فلا تبغ منهم غير ذلك ، والله لأن يهدِيَ الله على يديْك رجلاً واحداً خيرٌ لك مما طلعْت عليه الشمس أو غَرَبَتْ .

الغنـــائم

فخرج في ثلاثمائة فارس حتى انتهى إلى أرض مذحج ففرَّق[3] أصحابه ، فأتوا بنهب وغنائم ونساء وأطفال ونعمٍ وشاءٍ وغير ذلك ؛ فكانت أول خيل دخلت إلى تلك البلاد ، فجعل على الغنائم بريدة بن الحُصيب ثم لقى جمعاً فدعاهم إلى الإسلام ، فأبوْا ورموْا بالنَّبل والحجارة ساعة ؛ فصفَّ أصحابه ، ودفع لواءه إلى مسعود بن سنانٍ السُّلمي ، وحمل عليه بمن معه ، قتل منهم عشرين رجلا ، فانهزموا فلم يتبعهم ، ودعاهم إلى الإسلام فأجابوا . وبايعه نفرٌ من رؤوسائهم على الإسلام وقالوا : نحن على من وراءنا ، وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله .

قسمة الغنائم إلا الخمس

وجمع على الغنائم وجزأها خمسة أجزاء . وأقرع عليها ، وكتب في سهم منها ، فخرج أوَّل السهام سهم الخمس ، ولم ينفل منه أحداً من الناس شيئاً .

وكان من قبله من الأمراء يعطون أصحابهم — الحاضِرَ دون غيرهم — من

---

(١) العمة : هيئة الاعتمام ، والعمامة : ما يعتمم به .

(٢) تلومهم : انتظرهم .

(٣) في (خ) « فعرق » .

الخمس ، ثم يخبرَ بذلك رسول الله ﷺ فلا يردّه عليهم ، فطلبوا ذلك من علي فأبى وقال : الخمس أحمله إلى رسول الله ﷺ يرى فيه رأيه ، وهذا رسول الله ﷺ يوافي المَوْسِم ، ونلقاه به فيصنع ما أراه الله فانصرف راجعاً ، وحمل الخمس ، وساق معه ما كان ساق . وكان في الخمس ثيابٌ من ثياب اليمن أحمال معكومةٌ ، ونعمٌ مما غنموا ، ونعمٌ مِن صدقة أموالهم .

ثم تعجل ، وجعل أبا رافع على أصحابه وعلى الخُمس ، وكان عليٌّ ينهاهم عن ركوب إبل الصدقة . فسأل القومُ أبا رافع أن يكسوهم ثياباً يحرمون فيها ، فكساهم ثوبين .

خبر أبي رافع في الإعطاء من الخمس

فلما خرج عليٌّ يتلقاهم – وهم داخلون مكة ليقْدَم بهمَ – رأى عليهم الثياب فعرفها ، فقال لأبي رافع : ما هذا ! فأخبره ، فقال : قد رأيتَ إبائي عليهم ذلك ، ثم أعطيتهم وقد أمرتك أن تحتفظ بما خلفتُ فتعطيهم ؟! وجرّد بعضهم من ثوبيه . فلما قدموا على رسول الله ﷺ شكوْه ، فدعاه[1] وقال . ما لأصحابك يشكونك ؟ فقال : ما أشكيتهم : قسمتُ عليهم ما غنموا . وحبست الخمس حتى نقدم عليك وترى رأيك فيه ، وقد كانت الأمراء يفعلون أموراً : ينفلون من أرادوا من الخمس ، فأردت أن أحمله إليك لترى فيه رأيك ! فسكت عليه السلام .

قدوم علي في الحج

وكان عليٌّ رضي الله عنه قد كتب إلى رسول الله ﷺ لما ظهر علي عدوِّه – مع عبد الله بن عمرو بن عوف المزنيّ – بما كان من لقاء القوم وإسلامهم ، فأمر أن يوافيه في الموسم – ، فعاد إليه عبد الله .

وقدم عليٌّ من اليمن فوجد فاطمة عليها السلام ممن حَلَّ ولبست ثياباً صبيغاً واكتحلت ، فأنكر ذلك عليها فقالت : أمرني بهذا أبي ، فذهب إلى رسول الله ﷺ محرِّشا عليها[2] ، مستفتياً في الذي ذكرتْ ، وأخبره ، فقال : صدقَتْ ! ماذا قلتَ

---

(١) في (خ) « فدعاهم » .

(٢) التحريش : الإغراء والتهييج بذكر ما يوجب العتاب .

حين فرضتَ الحج ؟ قال : قلتُ اللهم إني أهلُّ بما أهلَّ به رسولك ! قال : فإن معي فلا تحلَّ ، وكان الهدْيُ الذي جاء به عليّ رضي الله عنه والذي ساقه النبيُّ ﷺ بالمدينة مائة بدنة ، فأشرك علياً في هديه[1] .

وفـد الأزد

فيها قدم[2] وفدُ الأزد ، ورأسُهم صُرَد بن عبد الله في بضعة عشر رجلا فأسلم ، وأمَّره رسولُ الله ﷺ على من أسلم من قومه ، وأمَره أن يجاهد المشركين فسار إلى مدينة جُرَش ، فحصر خشعَم نحو شهر ، ثم رجع كأنه منهزم ، فخرجوا إليه ، فعطف عليهم فقتلهم أشد قتْلٍ . وكان أهْلُ جُرش قد بعثوا رجلين إلى رسول الله ﷺ ينظران حاله ، فأخبرهما بما كان من أمرِ صُرَد بن عبد الله ، فرجعا ، فوجدا أصحابهما قد أصيبوا في تلك الساعة من ذلك اليوم الذي ذكر ﷺ فيها حالهم . فقدم ، وفد جُرَش فأسلموا ، وحمي لهم النبي ﷺ حوْلَ القرية للفرس والراحلة والمثيرة . والمثيرة : بقرةُ الحرْثِ[3] [لأنها تثير الأرض][4] .

وفـد مـراد

وقدِم وفد مراد مع فرْوَة بن مسيك بن الحارث بن سلمة بن الحارث بن كريب النطيفي ثم المُراوِيءُ[5] مفارقاً لملوك كندَةَ ؛ فاستعمله رسول الله ﷺ على مُرادٍ وزُبيدة ومَذْحَجٍ كلِّها ، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدَقة . وقيل : كان إسـلام فروة سنة تسعٍ .

وفد فروة الجذامي

وقدم وفد فروة بن عمرو بن النَّافرة الجذاميَ ، عامل الروم على فلسطين وما حولها وعلى من يليه من العرب ، وكان موضعه بميعان من أرض فلسطين ، وكتب بإسلامه وأهدى إلى رسول الله ﷺ بغلةً بيضاء ، فطلبه الروم وحبسوه ثم قتلوه .

---

(١) في (خ) « هدية » .

(٢) في (خ) « تقدم » .

(٣) في (خ) « والمثرة بقر الحارث » .

(٤) زيادة للبيان من (ط) .

(٥) راجع (عيون الأثر) جـ٢ ص ٢٣٩ .

وفـد زبيـد

وقدم وفد زبيد مع عمرو[1] بن معديكرب بن عبد الله بن عمر عصْم[2] ابن عمرو بن زُبيْد ، ثم عاد . وقيل : كان إسلامه سنة تسع .

وفد عبد القيس

وقدم وفد عبد القيس ، وفيهم الجارود بن عمرو بن حنش[3] بن يعلي ، وكان نصرانياً فأسلم ، وأسلم من معه .

وفد بني حنيفة

وقدم وفد بني حنيفة ، وفيهم مسيلمة الكذَّاب بن ثمامة بن كبير بن حُبيب ابن الحارث بن عبد الحارث بن عَدِي ، فنزل دار ابنة الحارث الأنصاريّة ، وعاد إلى اليمامة فتنبأ وادعى أنه شريكُ رسول الله ﷺ في النبوة ، فاتبعه بنو حنيفة .

وفـد كنـده

وقدم وفد كِنْدة - وهم ستون راكباً - مع الأشْعث بن قيس بن معديكرب ابن معاوية بن جبلة[4] بن عدِيّ بن ربيعة بن معاوية [الأكرمين][5] بن الحارث الأصغر بن الحارث الأكبر بن معاوية بن ثور بن مُرَتِّع [واسمه عمرو][5] ابن معاوية بن ثوْر بن عُفْيْر [وثوْر بن عُفيْر هو كندة ، لأنه كَنَد أباه النعمة][6] ابن عدي بن مرَّة بن أرَد بن زيْدٍ الكندي ، فقال . نحن بنو آكل المُرار . وأنت يا محمد ابن آكل المرار ! فقال النبي ﷺ : نحن بنو النضْر بن كنانة ، لا نقفوا أمَّنا ولا ننتفي من أبينا[7] .

وفـد محارب

وقدم وفد مُحارب ؛ ووفد الرَّهاويين - وهم بطن من مَذحجٍ - ينسبون إلى

---

(١) في (خ) « عمر » .
(٢) في (خ) « حطم » .
(٣) في (خ) « خنش » .
(٤) في (خ) « حبله » .
(٥) زيادة من (ط) عن (أسد الغابة) .
(٦) زياد من (ط) عن (أسد الغابة) .
(٧) في (خ) « لايقفوا أمنا ، ولا نتبه من أبينا » .

رَهاء [بفتح الراء] بن منبِّه بن حرب بن عُلَةَ بن خالد بن مالك بن أُدَد بن زيد ابن يشْجُب بنُ عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشْجُب بن يعرب بن قحطان :

وفد عبس والصَّدف وخولان وبني عامر بن صعصعة

ووفد عبسٍ ، ووفد الصدف ، ووفد خولان ، وكانوا عشرة ، ووفد بني عامر ابن صعصعة ، فيهم عامر بن الطفيل ، وأَرْبَد بن قيس ، وجبَّار بن سلمى بن مالك ابن جعفر ، فأراد عامر الغَدْر برسول الله[1] ﷺ فقال له قومه . إن الناس قد أسلموا فأسلم ! فقال : لا أتبع عَقِيبَ هذا الفتى ! ثم قال لأَرْبَد : إذا قدِمْنا عليه فإني شاغله عنك فاعْلهُ بالسيف من خلفه ، فلما قدِموا جعل عامر يكلم رسول الله ﷺ [يقول : يا محمد خالِّني ! قال : لا والله حتى تؤمن بالله وحْده . قال : يا محمد ! خالني ! وجعل يكلم رسول الله ﷺ ، وينتظر من أَرْبَدَ ما كان من أمره به ، فجعل أربد لا يحيرُ شيئاً ، فلما رأى عامر ما يصنع أربدُ ، قال : يا محمد ! خالِّني ! قال : لا ، حتى تُؤمن بالله وحده لا شريك له . فلما أبى عليه رسول الله ﷺ قال : أما والله][2] لأملأنها عليك خيلا ورجْلا ! فلمَّا وَلَّي قال ﷺ : اللهم أكفني عامراً ! فلما خرجوا قال عامرٌ لأربد . لم لا قتلته ؟ قال : كلما همَمْت بقتْله دخلت بيني وبينه حتى ما أرى غيرك ، أفأضربك بالسيف ؟ فأرسل الله في طريقهم على عامر الطاعون ، فقتله وهو في بيت امرأة سَلوليّةٍ حتى مات ؛ وأرسل الله على أَرْبَد صاعقةً فأحرقته .

وفـد طـيء

وقدم وفد طيء : فيهم زيْدُ الخَيْل بن مُهلهل بن زيد بن مُنهَب الطائيُ فأسلم ؛ وسماه رسول الله ﷺ زيد الخيْر ، وقال : ما وُصِفَ لي أحدٌ في الجاهلية فرأيتُه في الإسلام إلا رأيتُه دون الصِّفة غيرَك . وأقطع له أرضين في ناحيته ؛ وأسلم قومُه .

كتاب مسيلمة الكذاب إلى رسول الله ﷺ

وكتب مسيلمة الكذابُ إلى رسول الله ﷺ : « من مسيلمة رسول الله إلى

(١) في (خ) « يا رسول الله » .

(٢) زيادة للسياق من (ط) .

محمدٍ رسول الله ، أما بعد ، فإني قد أشرِكتُ معك في الأمر ، وإن لنا نصفَ الأرض ولقُريشٍ نصفُها ، ولكن قريشاً قومٌ يعتدون » .

كتاب رسول الله ﷺ إليه

فكتب إليه رسول الله ﷺ بعد البسملة : « من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب ، أما بعد ، فالسلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » .

وقدِمَ بكتاب مسيْلمة رجلان ، فسألهما رسول الله ﷺ عنه فصدَّقاه ، فقال أما والله لولا أن الرُّسُلَ لا تُقتل لقتلتكما . وقيل: إن دعوى مسيلمة ، والأسود العنسيّ ، وطليحةَ النبوَّةَ ، إنما كانت بعد حجة الوداع . وكان ﷺ إذا قدِمَ الوفودُ لبس أحسن ثيابه وأمر أصحابه بذلك .

البعثة على الصدقات

وفيها بعث رسول الله ﷺ أمراءه إلى الصدقات ، فبعث المهاجر بن أبي أميّة ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي إلى صنعاء ؛ وبعث زياد بن لبيد ابن ثعلبة بن سنان بن عامر بن أمية بن بياضة الأنصاريَّ البياضيَّ إلى حضْرموْت ؛ وبعث عدِيَّ بن حاتم بن عبد الله[1] بن سعد بن حشْرَج بن امريء القيس ابن عدي (ابن أخْزَم بن أبي أخزَم)[2] بن ربيعة بن جرول بن نُعَل بن عمرو ابن الغوّث بن طيء بن أدَدَ بن زيد بن كهْلان الطائيَّ على صدقة طيءٍ وأسَد ؛ وبعث مالك بن نويرة على صدقات حنظلة ؛ وجعل الزِّبرقان بن بدر بن امريء القيس بـن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيدٍ مناة بن تميم التميميَّ ، وقيس بـن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيْد بن الحارث (وهو مقاعس) ابن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم المنقريّ التميميَّ على صدقات سعد ابن زيد مناة ؛ وبعث العلاء بن الحضْرميّ إلى البحرين .

---

(١) في (خ) « بن عبد الله بن الله » مكررة .

(٢) زيادة من نسبه من (ط) عن (أسد الغابة) .

بعثة علي رضي الله عنه إلى نجران

وبعث عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه إلى نجران على صدقاتهم ، فقدم على رسول الله ﷺ في حجّه ، وأحرم كإحرامه ، وذكر بعضهم أن علياً رضي الله عنه سار في هذه السنة إلى اليمن – بعد توَجُّه خالد بن الوليد إليها – فقرأ على أهل اليمن كتابَ رسول الله ﷺ فأسلمت كلها في يوم واحد فكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ فقال : السلام على همدان ، وكرر ذلك ثلاثاً ؛ ثم تتابع[1] أهل اليمن على الإسلام ، فلما كتب ذلك عليٌّ سَجد ﷺ شكراً لله تعالى . وأنه بعثه ﷺ إلى نجران ليجمع صدقاتهم وجزيتهم ، فلقيه عليه السلام بمكة في حجَّة الوداع ولم يذكر الواقديُّ في مغازيه بعثة عليٍّ رضي الله عنه سوى إلى اليمن كما تقدم – في رمضان .

حجـة الـوداع

ثم كانت حجة الوداع ، ويقال حجَّة الإسلام ، وحجَّة البلاغ ، وحجَّة التمام ، وقد أجمع ﷺ الخروج في ذي القعَدة سنة عشر من مُهاجَره[2] ، وقد أسلمتْ جزيرةُ العرب ومن شاء الله من أهل اليمن – فصلى الظهر بذي الحليفة ، وأذَّن في الناس بالحجِّ ، فقدم المدينة بشرٌ كثيرٌ يريدون أن يأتمُّوا برسول الله ﷺ ويعملوا بعمله[3] .

المسير وصفه إحرامه ﷺ

وسار من المدينة – متدَهِّناً[4] ومترجِّلا[5] [متجرداً في ثوبين صُحاريَّين : إزارٍ ورداءٍ ، وذلك][6] يوم السبت لخمسٍ بقين من ذي القعدة – ، ومعه أزواجه ، وأهلُ بيته ، وعامةُ المهاجرين والأنصار ومن شاء من قبائل العرب وأفناء[7] الناس .

وقال ابن حزم : الصحيح أنه خرج لستٍّ بقين (من ذي القعدة) ، فصلى

---

(١) في (خ) « تابع » .
(٢) في (خ) « مهاجرة » .
(٣) في (خ) « ويعملون بعمله » .
(٤) متدهنا : بالطيب والزيت .
(٥) مترجلا : مسرحاً شعره وممشطه .
(٦) ما بين القوسين زيادة من (ابن سعد) ج٢.
(٧) الأفناء : الأخلاط .

الظهر بذي الحُليفة ركعتين، وأحرم عند صلاة الظهر من يومه ذلك . ويقال : انتهى إلى ذي الحُليْفة عند الظهر فبات لأن تجتمع إليه أصحابه والهدْيُ ، حتى أحرم عند الظهر من الغد في ثوبين صحاريين . إزارٍ ورداءٍ أبدلها بالتنعيم بثوبين من جنسهما .

وقيل صلى الظهر يوم الخميس لستٍّ بقين من ذي القعدة ، ثم خرج فصلى العصر بذي الحُليفْة ؛ واجتمع إليه نساؤه وحجَّ بهنَّ جميعاً في الهوادج .

فلما انتهى إليه اجتماع أصحابه والهدْيِ ، دخل مسجد ذي الحُليفْة بعد أن صلى الظهر فصلى ركعتين ، ثم خرج فدعا بالهَدْي فأشعره[1] في الجانب الأيمن بيده ، ووجَّهه إلى القبلة ، وقلدهُ نعْلين نعْلين[2] ثم ركب ناقته ، فلما استوى بالبيداء أحرم . وقيل : أَشْعَر هدْيهُ وقلدهُ قبل أن يحْرم . والقول – أنه لم يبثْ – أثبت .

الهـــدي

وساق مائة بدنةٍ ، ويقال : إنه أمر أن يشعر ما فضل من البدْن ناجية بن جندب واستعمله على الهدي وكان مع ناجية بن جندب فتيانٌ من أسلم ، وكانوا يسوقونها سوْقاً ، يتبعون بها الرَّعي ، وعليها الجِلالُ[3] ، فقال ناجيةُ بن جندب : يا رسول الله ، أرأيتَ ما عطبَ[4] منها كيف أصنعُ به ؟ قال تنحره ، وتلقي قلائده في دمه . ثم تضرب به صفحته اليمني[5] ، ثم لا تأكل منه ولا أحدٌ من أهل رفقتك .

وأمر من كان معه هديٌ أن يهلَّ كما أهلَّ ، وسار ، وبين يديه وخلفه وعن يمينه وعن شماله أممٌ لا يحصونَ كثرة : كلهم قد قدموا ليأتموا[6] به ﷺ .

ويقال : كان معه تسعون ألفاً ، ويقال : مائة وأربعة عشر ألفاً ، ويقال : أكثر من ذلك .

ومرَّ ﷺ برجل يسوق بدنةً ، فقال : اركبها ، ويلك ! قال : إنها بدنةٌ ؟ قال : اركبها ! وكان يأمر المشاةَ أن يركبوا على بدنه .

---

(١) أشعر البدنة : أعلمها بشق جلدها ليعرف أنها هدي .
(٢) قلد البدنة : علق في عنقها قلادة من نعل ونحوه ليعلم أنها هدي .
(٣) الجلال : جمع جل ، وهو ما تلبسه البدن لتصان به .
(٤) عطب البعير : اعْتَرتْهُ آفة تمنعه من السير .
(٥) الصفحة : الجانب .
(٦) في (خ) « ليابوا » .

إحـرام عائشـة

وطَيَّبتهُ عائشة رضي الله عنها لإحرامه بيدها ، وأحرمت وتطيبت ؛ فلما كانوا بالقاحة[١] سالَ من الصفرة على وجهها[٢] ، فقال : ما أحسن لونك الآن يا شقيراء[٣] .

الصــلاة

وكان يصلى بين مكة والمدينة ركعتين أمثالا لا يخاف إلا الله . فلما قدم مكة صلى بهم ركعتين ثم سلم وقال : أتمُّوا صلاتكم يا أهل مكة فإنَّا سفرٌ .

الإهلال بالعمرة والحج

وقد اختلف فيما أهلَّ به : فعن أبي طلحة ، أنه قرن مع حجَّته عُمرةً . وعن حفصة رضي الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله ، تأمر الناس أن يحلوا ولم تحلَّ أنت من عمرتك ؟ فقال : إني لبَّدتُ رأسي ، وقلدت هديي ، فلا أحِلُّ حتى أنحر هديي . وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : أهلَّ رسول الله ﷺ بالعمرة وساق الهدي . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : أفرد رسول الله ﷺ الحجّ : وقد صحَّ أنه أتاهُ آت من ربِّه في وادي العقيق ، يأمره عن ربِّه أن يقول في حجته : هذه حجَّة في عمرة ، ومعنى هذا أنَّ الله أمره بأن يقرن الحج مع العمرة . فأصبح فأخبر الناس بذلك ، وطافَ على نسائه بغسل واحد ، ثم اغتسل وصلى عند المسجد ركعتين ، وأهل بحجة وعمرة معاً روي ذلك عنه ستة عشر صحابياً ، وعنهم ستة عشر تابعياً .

منـازل السـير

وأصبح ﷺ يوم الأحد بيلَمْلَم ، ثم راح فتعشّى بشرف السِّيالة[٤] وصلى

---

(١) القاحة أو الفاجة : مدينة على ثلاث مراحل من المدينة قبل السقيا بنحو ميل (معجم البدان) جـ٤ ص ٢٩٠ .

(٢) يريد صفر الطيب لما فيه من الزعفران .

(٣) في (خ) « شقير » ونص (ابن سعد) : « إن لونك الآن يا شقراء لحسن » .

(٤) شرف السيالة : موضع بين ملل والروحاء . (معجم البلدان) جـ٣ ص ٣٣٦ .

المغربِ والعشاء ، ثم صلى الصُّبح بعرق الظبية ، بين الرَّوحاء والسيالة ، وهو دون الروحاء ثم نزل الروحاء فإذا بحمار عقير فقال : دعوه حتى يأتي صاحبه . فأهداه له ﷺ ، فأمر به أبا بكر رضي الله عنه فقسمه بين الصحابة . وقال : صيد البرِّ لكم حلال إلا ما صدتم أو صيد لكم . ثم راح من الرَّوحاء فصلى العصر بالمنصرَف ، وصلى المغربَ والعشاء بالمتعشى وتعشى به ، وصلى الصبح بالأثاية ، وأصبح يوم الثلاثاء بالعرْجِ .

خبر غلام أبي بكر الذي أضل بعيره

وكان أبو بكر رضي الله عنه قال لرسول الله ﷺ بالمدينة : إن عندي بعيراً نحمل عليه زادنا ، فقال : فذاكَ إذاً ! فكانت زاملةُ[1] رسول الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه واحدة . وأمر ﷺ بزادٍ ، دقيق وسويقٍ ، فجعل على بعير أبي بكر رضي الله عنه . فكان غلامه يركب عليه عقبةً[2] ، فلما كان بالأثاية عرَّسَ الغلامُ وأناخ بعيره ، فغلبته عيناهُ فقام البعيرُ يجر خطامه آخذاً في الشِّعْب ، وقام الغلام فلزم الطريق - يظن أنه سلكها - وهو ينشده ، فلا يسمع له بذكرٍ . ونزل رسول الله ﷺ في أبيات بالعرْجِ ، فجاء الغلام ، فقال أبو بكر رضي الله عنه أين بعيرك ؟ قال : ضلَّ مني ! قال : ويحك ! لو لم يكن إلا أنا لهان الأمر[3] ، ولكنْ رسول الله وأهله ! فلم ينشَبْ[4] أن طلع به صفوان بن المعطل وكان على ساقة[5] الناس - فأناخَه ، وقال لأبي بكر رضي الله عنه : انظر هل تفقد شيئاً من متاعك ؟ فنظر فقال ما نفقد شيئاً إلا قعباً كنا نشرب به ! فقال الغلام : هذا القعب معي ! فقال أبو بكر رضي الله عنه أدى الله عنك الأمانة ! .

رواية أخرى في خبر غلام أبي بكر

وروي أنه عليه السلام لما نزل بالعَرْجِ جَلَس وأبو بكر إلى جَنْبه ، وعائشة إلى جنبه الآخر وأسماء بجنب أبي بكر رضوان الله عليهم ، وأقبل الغلام فقال له

---

(١) الزاملة : البعير الذي حمل عليه الزاد والمتاع .

(٢) العقبة : مقدار فرسخين .

(٣) في (خ) « لهان عن الأمر » .

(٤) لم ينشب : ونشبه الأمر ، لزمه (ترتيب القاموس) جـ٤ ص ٣٧٠ .

(٥) الساقة : المؤخرة .

أبو بكر : أين بعيرك ؟ قال : أضلني ! فقام إليه فضربه ويقول : بعيرٌ واحد يضل عنك ؟! فجعل ﷺ يتبسَّم ويقول : ألا ترون هذا المحرم وما يصنع ؟! ولم ينهه .

طعام آل نضلة لرسول الله ﷺ

وخُبِّر آل نضلة الأسلميون أن زاملة رسول الله ﷺ ضلت ، فحملوا حفنة من حَيْس(١) ، فأقبلوا بها حتى وضعوها بين يديه ، فقال : هلمَّ يا أبا بكر ! فقد جاءك الله بغداء طيب ! وجعل أبو بكر رضي الله عنه يغتاظ على الغلام ، فقال النبي ﷺ : هوِّن عليك ! فإن الأمر ليس إليك ولا إلينا معك ! فقد كان الغلام حريصاً على ألا يضلَّ بعيره . وهذا خَلَفٌ مما كان معه . فأكل رسول الله ﷺ وأهله وأبو بكر ، وكلّ من كان يأكل مع رسول الله ﷺ ، حتى شبعوا .

مجيء البعير ، وبعير سعد بن عبادة

ويجيء(٢) سعد بن عبادة رضي الله عنه وابنه قيس بن سعدٍ بزاملة حتى يجدان رسول الله ﷺ واقفاً قد أتى الله بزاملته ، فقال سعدٌ : يا رسول الله ! بلغنا أن زاملتك أضلت الغلام ، وهذه زاملة مكانها . فقال : قد جاء الله بزاملتنا ، فارجعا بزاملتكما بارك الله عليكما ! أما يكفيك يا أبا ثابت ما تصنع بنا في ضيافتك منذ نزلنا المدينة ؟ فقال سعد : يا رسول الله ! المنّة لله ولرسوله ، والله يا رسول الله ، للذي تأخذ من أموالنا أحب إلينا من الذي تدع ! قال صدقتم يا أبا ثابت ! أبشر فقد أفلحتَ إن الأخلاف(٣) بيد الله ، فمن شاء أن يمنحه خلفاً صالحاً منحه ، ولقد منحك الله خلفاً صالحاً ، فقال سعد : الحمد لله ، هو فعل ذلك .

سيادة بيت سعد بن عبادة

قال ثابت بن قيس بن شمَّاسٍ : يا رسول الله : إن أهل بيت سعدٍ في الجاهلية سادتنا ، والمطعمون في المَحْل منَّا(٤) ، فقال رسول الله ﷺ : الناس معادن :

---

(١) الحيس : الخلط ، وتمر يخلط بسمن وأقط فيعجن شديداً ثم يندر منه نواه وربما جعل في سويق . (ترتيب القاموس) جـ١ ص ٧٤٩ ..

(٢) في (خ) « وجاء » ، والفعل المضارع أنسب لسياق العبارة .

(٣) الأخلاف : جمع خلف ، وهو العوض .   (٤) المحل : الشدة .

خيارهم في الجاهلية خيارُهم في الإسلام إذا فقهوا ، لهم ما أسلموا عليه[1] .

احتجام رسول الله ﷺ ومسيره

واحتجم ﷺ بلَحْى جملٍ[2] - وهو محْرِمٌ - في وسط رأسه ونزل السقيا يوم الأربعاء وأصبح بالأبواء ، فأهْدَى له الصَّعْب بن جثامة بن قيس الليثي عجز حمار يقطرُ دماً ، فرده وقال ، أنا محرم . وأكل بالجُحَفة ثم راح منها ، وكان يوم السبت بقديد .

خبر المرأة وصغيرها

ومرَّ يومئذ بامرأة في محفتها[3] ، ومعه ابنٌ لها صغيرٌ ، فأخذت بعضده فقالت : يا رسول الله ، ألهذا حج ؟ قال : نعم ، ولك أجرٌ !!

وكان يوم الأحد بعسفان . ثم راح . فلما كان بالغميم اعترض المشاة ، فصفُّوا صفوفاً فشكوا إليه المشيَ ، فقال استعينوا بالنَّسَلان[4] ، ففعلوا ، فوجدوا لذلك

---

(١) في (خ) « له ما أسلم عليه » ، يقول محقق (ط) وكما أحفظه أثبته ، ولم أوفق للوقوف على مرجعه الآن » ونقول : « ذكره (السخاوي) في (المقاصد الحسنة) ص ٤٤١ حرف النون ، حديث رقم ١٢٣٨ وقال : « حديث الناس معادن كمعادن الذهب والفضة . العسكري من حديث قيس بن الربيع عن أبي حصين عثمان بن عاصم عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة به مرفوعاً ، ولأبي هريرة في المرفوع حديث آخر لفظه : الناس معادن في الخير والشر خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا ، أخرجه الطيالسي وابن منيع والحارث وغيرهم كالبيهقي من حديث ابن عون عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة وأصله في الصحيح . وللديلمي عن ابن عباس مرفوعاً : الناس معادن والعرق دساس » .
وانظر أيضاً : (كشف الخفاء ومزيل الالتباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس) جـ١ ص ٤١٤ حديث رقم ٢٧٩٣ .

(٢) لحي جمل : هي عقب الجحفة على سبعة أميال من السقيا .
راجع (سنن ابن ماجه) جـ١ ص ١٦٥ حديث رقم ٤٩٠ وفيه « .... فقال جعفر بن عمرو بن أمية أشهد على أبي أنه شهد على رسول الله ﷺ أنه أكل طعاماً مما غيرت النار ، ثم صلى ولم يتوضأ » .
« وقال علي بن عبد الله بن عباس : وأنا أشهد على أبي بمثل ذلك » .

(٣) المحفة : كالهودج إلا أنها لا تقبب .

(٤) النسلان : مشى سريع دون العدو .

راحة . وكان يوم الاثنين بمر الظهران ، فلم يبرح حتى أمْسَى ، وغربت الشمس بسَرِف ، فلم يصلِّ المغرب حتى دخل مكة . وكان الناس لا يذكرون إلا الحجَّ ، فلما كانوا بَسرِف أمر عليه السلام النَّاس أن يحلوُّا بعمرة إلا من ساقَ الهدْيَ .

دخول مكة وعمل رسول الله ﷺ وقوله

ولما انتهى إلى الثنيتين بات بينهما – بين كداء وكدي – ثم أصبح فاغتسل ، ودخلها نهار الاثنين الرابع من ذي الحجَّة . وذكر الواقدي : أنه دخل مكة يوم الثلاثاء من كدَاء على راحلته القصواء إلى الأبطح ، فدخل مكة من أعلاها حتى انتهى إلى باب بني شيبة ، فلما رأى البيتَ رفع يديه ، فوقع زمام راحلته فأخذه بشماله ، ثم قال حين رأى البيت اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابة وبراً ، ولما دخل المسجد بدأ بالطواف قبل الصلاة . قال طاوس : وطاف راكباً على راحلته . فما انتهى إلى الركن استلمه وهو مضطبع بردائه ، وقال : بسم الله والله أكبر . ثم رمل ثلاثة ثلاثة[1] من الحجر إلى الحجر . وكان يأمر من استلم الركن أن يقول : باسم الله والله أكبر ، إيماناً بالله ، وتصديقاً بما جاء به محمد ﷺ وقال فيما بين الركن اليمانيِّ والأسْود : ﴿ **ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار** ﴾ . ولم يستلم من الأركان إلا اليماني والأسود . ومشى أربعة[2] ثم انتهى خلف المقام فصلى ركعتين ، يقرأ فيهما : ﴿ **قل يا أيها الكافرون** ﴾ ، و ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ ، ثم عاد إلى الركن فاستلمه .

نهي عمر عن مزاحمة الطائف

وقال لعمر رضي الله عنه : إنك رجلُ قوي ، إن وجدت الركن خالياً فاستلمه ، وإلا فلا تزاحمْ عليه فتؤذي [الناس ممن يستلم الركن][3] . وقال لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : كيف صنعت بالركن يا أبا محمد[4] ؟ فقالت : استلمت وتركتُ ، فقال : أصبت .

---

(١) رمل : أسرع في مشيته .

(٢) رمل ثلاثة ، ومشى أربعة ، تلك أشواط الطواف السبعة .

(٣) زيادة للبيان .

(٤) في (خ) « يا محمد » .

صفة سعيه بين الصفا والمروة

ثم خرج إلى الصفا من باب بني مخزوم ، وقال : أبدأ بما بدأ الله به . وسعى على راحلته ، لأنه قدِم وهو شاك وقيل : سعى على بغلته ، والمعروف على راحلته . فصعد على الصَّفا فكبَّر سبْع تكبيرات وقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، صدق الله وعده ، ونصره عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ثم دعا بين ذلك . ونزل إلى المروة ، فلما انصبت قدماه في الوادي رمل . وقال في المشي . أيها الناس ! إن الله كتب عليكم السعى فاسعوا ؛ وسعى حتى انكشف إزاره عن فخذه . وقال في الوادي : ربِّ اغفر وارحم ، ثم أنت الأعزَّ الأكرم ، فلما انتهى إلى المروة فعل عليها مثل ما فعل على الصفا ، فبدأ بالصفا وختم بالمروة .

فسخ حج من لم يسق الهدي إلى عمره

وأمر من لم يسق الهدي أن يفسخ حجه إلى عمرة ، ويتحلل حلا تاماً ، ثم يهلّ بالحجّ[1] وقتَ خروجه إلى منى ، وقال : لو استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ ما سُقت الهدْيَ ولجعلتها عمُرة . وقدِم عليٌّ من اليمن ، فقال له : بم أهْلَلْتَ ؟ قال : بإهلال كإهلال النبيِّ ﷺ . فقال : إني سُقْت الهدْيَ وقرنتُ[2] . هكذا روي أبو داود بسند صحيح[3] .

نزول رسول الله ﷺ بالأبطح

وكان قد اضطرب[4] بالأبطح ، فقالت أم هانيءٍ : يا رسول الله ، ألا ننزلُ في بيوت مكة ؟ فأبي ، ولم ينزل بالأبطح حتى خرج يوم التروية[5] ، ثم رجع من

---

(١) الإهلال لغة : أن يرفع المعتمر بالبيت الحرام صوته بالتلبية ؛ ثم قالوا : أهل المحرم بحجة أو بعمرة : أحرم بها .

(٢) القران بين الحج والعمرة : ان يجمع بينهما بنية واحدة وتلبية واحدة ، وإحرام واحد ، وطواف واحد ، وسعي واحد ، فيقول : « لبيك بحجة وعمرة » وذلك الفعل هو القران : أي الجمع بين الحج والعمرة .

(٣) (سنن أبي داود) جـ٢ ص ٣٩٩ حديث رقم ١٨٠٧ ، ١٨٠٨ [باب ٢٥ الرجل يهل بالحج ثم يجعلها عمرة] .

(٤) اضطرب بناء أو خيمة : إذا أقامه على أوتاد مضروبة في الأرض .

(٥) يوم التروية . اليوم الثامن من ذي الحجة .

منى فنزل بالأبطح حتى خرج إلى المدينة . ولم يدخل بيتاً ولم يُظِله .

دخوله الكعبة وصلاته بها

ودخل الكعبة بعد ما خلع نعليه ، فلما انتهي إلى بابها خلع نعْليْه . ودخل معه عثمان بن أبي طلحة ، وبلالٌ وأسامة بن زيد رضي الله عنهم ، فأغلقوا عليهم الباب طويلا ثم فتحوه ، وصلى فيه ركعتين بين الأسطوانتين المقدَّمتين ، وكان البيت على ستة أعمدةٍ . وقيل : بل كبرَّ في نواحيه ولم يُصلِّ . وروي أنه دخل على عائشة رضي الله عنها حزيناً ، فقالت : مالك يا رسول الله ؟ قال : فعلتُ اليوم أمر ليتني لم أكُ فعلته ! دخلتُ البيت ، فعسى الرجلُ من أمتى لا يقدِرُ أن يدخله ، فتكون في نفسه حزازةٌ[1] ، وإنما أمِرنا بالطواف ولم نؤمر بالدخول . وكسَا البيتَ الحِبَرات[2] : وكانت الكعبة يومئذ ثمانية عشر ذراعاً .

مـدة إقامته بمكة

وأقام بمكة يوم الثلاثاء والأربعاء والخميس ، وكان يوم التروية يوم الجـمُعة ، فخطب قبل الترْوية بيوم بعد الظهر بمكة . وقام يوم الترْوية بين الرُّكن والمقام ، فوعظ الناس وقال : من استطاع أن يصلى الظهر بمنى فليفعل . فصلى في حجّته هذه صلاة أربعة أيام – وهو مقيم بمكة – حتى خرج إلى منى ، وهو في كل ذلك يقصر[3] ولم تكن إقامته هذه إقامةً ، لأنها ليست له بدار إقامة ، [وأنه لم ينْو ﷺ أن][4] يتخذها دار إقامة ولا وَطن ، وإنما كان مقامه بمكة إلى يوم التروية كمقام المسافر في حاجة يقضيها في سَفَره منصرفاً إلى أهله ، فهو مقام من لا نيَّة له في الإقامة . فلم ينو ﷺ جعلها مقامه . بل نوى الخروج منها إلى منًى يوم التروية عاملاً في حجه حتى ينقضىَ وينصرف إلى المدينة .

---

(١) الحزازة : جمع القلب من غيظ ونحوه . (ترتيب القاموس) جـ١ ص ٦٣٢ وفي (الواقدي) جـ٣ ص ١١٠٠ « حرارة » وما أثبتناه من (ابن سعد) .

(٢) الحبرات : جمع حبرة .

(٣) يقصر أي في صلاته ، فيصلي الصلاة الرباعية ركعتين ركعتين .

(٤) ما بين القوسين بياض في (خ) وما أثبتناه من (ط) .

مسيره إلى منى

وركب حين زاغت الشمس في يوم التروية بعد أن طاف بالبيت أسبوعاً فصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح بمنًى ، وكان بلالٌ إلى جانب رسول الله ﷺ في مسيره إلى مِنًى ، وبيده عودٌ عليه (ثوبا وشيءٍ)[١] . يظله من الشمس . وقالت له عائشة : يا رسول الله ، ألا نَبْني لك كنيفاً[٢] ؟ فأبى ، وقال : منى منزلُ من سبق ! وقيل : بني بمنى ليلة الجمعة التاسع من ذي الحجة .

مسيره إلى عرفة

ثم أصبح فسار إلى عرفة . ولم يركب من منى حتى رأى الشمس قد طلعتْ فركب إلى عرفة ، ونزل بنَمِرة ، وقد ضُرب له بها قبةٌ من شعرٍ . ويقال: إنما قال[٣] إلى فَيء صخرة ، وميمونة رضي الله عنها تتبعُ ظِلها حتى راح عنها ، وأزواجه في قِباب - أو في قبَّة - خَزٌّ له فلما كان حين زاغت الشمس أمر براحلته القصواء فرُحِلَتْ برحل رثٍّ وقطيفة لا تَسْوى أربعة دراهم ، فلما توجّه قال : اللهم حجَّةً لا رياءَ فيها ولا سُمْعة ! ثم أتى بطن الوادي - بطن عرفة[٤] - ، وكانت قريشٌ لا تشكُّ أنه لا يتجاوزُ المزدلفة يقفُ بها ، فقال نوفل بن معاوية الدُيلّي - وهو يسير إلى جنبه - : يا رسول الله ! ظن قومك أنك تقف بجمْع ! فقال : لقد كنتُ أقفُ بعرفة قبل النبوة خلافاً لهم ، وكانت قريشٌ كلها تقفُ بجمْعٍ[٥] ، إلا أن شيبة بن ربيعة من بينهم فإنه كان يقف بعرفة .

صلاته بعرفة وخطبته ﷺ

وخطب ﷺ - حين زاغت الشمس - ببطن عرفة على ناقته ، فلما كان آخر خطبته أذّن بلال ، وسكتَ ﷺ من كلامه .

فلما فرغ بلالٌ من أذانه تكلم بكلمات ، وأناخ راحلته ، وأقام بلالٌ ، فصلَّى -

(١) في (خ) « عليه شيء يظله » وما أثبتناه من (ابن سعد) جـ٣ ص ١٧٧ .
(٢) الكنيف : كل ما ستر من بناء أو حظيرة من الخشب يستظل بها من حر الشمس .
(٣) قال : من القيلولة وهي نوم الظهيرة . والفيء : ما كان شمساً فزال عنه ونسخه الظل .
(٤) بطن عرفة : وادي بحذاء عرفات . (٥) جمع : هو مزدلفة .

عليه السلام – الظهر ، ثم أقام فصلّى العصر : جمع بينهما بأذان وإقامتيْن ثم ركب وهو يشير بيده إلى الناس : ارتفعوا إلى عرفة ، وكان من خطبته بعرفة قبل الصلاتين .

خطبة عرفة

أيها الناس : إني والله ما أدري لعلي لا ألقاكم بمكاني هذا ، بعد يومكم هذا ، رحم الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها ، فَرُبَّ حامل فِقْهٍ لا فقه له ، وربَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه ! واعلموا أن أموالكم ودماءكم حرام عليكم كحُرْمةِ يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا . واعلموا أن الصدور لا تُغلّ على ثلاث[1] : إخلاص العمل لله ، ومناصحة أهل الأمر ، ولزوم جماعة المسلمين ، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم[2] . ألا إن كلَّ شيءٍ منْ أمر الجاهليَّة تحتَ قدميَّ موضوعٌ ، وأول دماءِ الجاهلية أضعُ دمَ إياس بن ربيعة بن الحارث [بن عبد المطلب][3] – [كان مسترضعاً في بني سعد [بن بكر][3] فقتلته[4] هذيل] – ، وربا الجاهلية موضوع[5] كله وأولُ رباً أضعه ربا عبَّاس بن عبد المطلب : اتقوا الله في النساء ، إنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهنَّ بكلمة الله ، وإنَّ لكم عليهنَّ أنْ لا يوطئْنَ فُرُشكنَّ أحداً تكرهونه ، [وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة][6] . فإن فعلن فاضربوهن ضرباً غير مبرح ، [فإن انتهين][6] ، فلهن[7] عليكم رزقهن وكسوتهنَّ بالمعروف . وقد تركتُ فيكم مالن تَضِلوا بعده إن اعتصمتم به : كتاب الله وأنتم مسؤولون عنّي ، فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغتّ وأديتَ ونصحت ! ثم قال بإصْبَعِه السبَّابة يشير إلى السماء يرفعها ويكبُّها ثلاثاً : اللهم اشهدْ .

المبلغ عنه بعرفة

وكان الذي يبلِّغ عنه بعرفة[8] ربيعةُ بن أميَّة بن خلف لكثرةِ الناسِ ، فإنه

---

(١) من الإغلال وهو الخيانة ، أو من الغل وهو الحقد .
(٢) أي تمنعهم وتحفظهم .
(٣) زيادات للبيان من (ط) .
(٤) في (خ) « نقتله » .
(٥) في (خ) « موضع » .
(٦) زيادات من كتب السيرة .
(٧) في (خ) « ولهن » .
(٨) في (خ) « عرفة » .

شهد الخطبة نحوٌ من أربعين ألفاً .

ذكر المناسك

ووقف بالهضاب من عرفة وقال : كل عرفة موقف إلا بطن عُرنة ، وكل مزدلفة موقفٌ إلا[1] بطن مُحَسِّر ، وكل منىً مَنْحَرٌ إلا خلف العقبة .

وبعث إلى من هو بأقصى عرفة فقال : إلزموا مشاعركم ، فإنكم على إرثٍ من إرثِ إبراهيم عليه السلام .

دعاؤه ﷺ بعرفة

ومدَّ يديه – وهو واقفٌ بعرفة – ثم أقبل براحتيه على وجهه وقال : إن أفضل دعائي ودعاء من كان قبلي من الأنبياء : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، بيده الخير يحيي ويميت وهو على كلِّ شيء قدير .

الاختلاف في صيامه بعرفة

واختلفوا في صيامه ﷺ يومئذٍ : فقالت أم الفضْل[2] أنا أعلم لكم عِلم ذلك ، فأرسلت إليه بعُسٍ من لبن[3] ، فشربَ وهو يخطب .

ما نزل من القرآن بعرفة

ووقف على راحلته حتى غربت الشمسُ يدْعو ! ونزل عليه وهو واقف بعرفة ، ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلام ديناً فمن اضطرَّ في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفورٌ رحيم** ﴾[4] .

النفْر من عرفة

وكان أهل الجاهلية يدفعون[5] من عرفة إذا كانت الشمس على رؤوس الجبال

(١) في (خ) « إلي » .
(٢) أم الفضل امرأة العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ .
(٣) العس : قدح يسع ثمانية أرطال .
(٤) من الآية ٣ / المائدة ، وفي (خ) ﴿ دينكم ﴾ ، الآية . (٥) يدفعون : ينطلقون .

كهيئة العمائم على رؤوس الرجال ، وظنت قريش أنه عليه السلام يدفع كذلك ، فأخر دفعه حتى غربت الشمسُ . ثم سار عشيَّةً ، وأرْدَف أسامة بن زيد[1] من عرفة إلى مزدلفة .

الإفاضة

وذكر الزُّبير بن بكار ، أن رسول الله ﷺ أفاض[2] . عن يمينه أبو سفيان ابن حرب ، وعن يساره الحارث بن هشام ! وبين يديه يزيدُ ومعاويةُ ابنا أبي سفْيان على فرسيْن ، فكان يسير العَنَق[3] ، فإذا وجد فجْوة نصَّ[4] وقال : أيها الناسُ ، على رِسْلكم[5] ، عليكم بالسكينة ، ليكُفّ قويكم عن ضعيفكم .

النزول إلى المزدلفة

ومال إلى الشِّعب – وهو شعب الأذاخر ، عن يسار الطريق بين المأزمين[6] – فبال ، ولم يصلِّ حتى نزل قريباً من الدار التي على قزح ، وصلى المغرب والعشاء بالمزدلفة [بأذان واحد لهما وبإقامتين ، لكل صلاة منهما إقامة][7] ، ولم يسبِّحْ بينهما ، ولا إثر واحدة منهما . فلما كان في السَّحر أذِنَ – لمن استأذن من أهل الضعف من الذرية والنساء – في التقدم من جمْع قبل حَطْمة الناس[8] ، وحبس نساءه حتى دفعن بدفعه[9] حين أصبح . فرمي[10] الذين تقدَّموا الجمرة قبل الفجْر أو مع الفجر .

الدفع من مزدلفة

ولما برق الفجر ، صلى عليه السلام الصبح ، ثم ركب راحلته ووقف على قُزَح .

---

(١) أردفه : أركبه خلفه .
(٢) الإفاضة في الحج : اندفاع الناس بكثرة إلى منى منتشرين متفرقين بعد اجتماعهم في عرفة .
(٣) العنق : السير الهادي .
(٤) النص : السير السريع ، والفجوة : الفسحة بين جماعة الناس .
(٥) الرِّسْل : اليسر وعدم العجلة .
(٦) المأزمان : بين المشعر الحرام وعرفة وبه المسجد الذي يجمع فيه الحجيج بين صلاتي الظهر والعصر .
(٧) في (خ) « مكان ما بين القوسين « بإقامة إقامة » .
(٨) الحطمة : زحمة الناس . (٩) في (خ) « بدفعة » . (١٠) في (خ) « فرأى » .

وكان أهل الجاهلية لا يدفعون من جَمْع حتى تطلع الشمسُ على ثبير ، يقولون : « أشرق ثبيرُ ، كيما نغير » فقال رسول الله ﷺ : إن قريشاً خالفت عهد إبراهيم . فدفع قبل طلوع الشمس .

موقفه بمنى

وأردف الفضلَ بن العبَّاس من مزْدلفة إلى مِنًى . وقال : هذا الموقفُ ، وكل المزدلفة موقفٌ .

جمع الجمرات من مزدلفة

وحمل حَصى العقبة من المزدلفة ، وأوضع في وادي مُحَسِّر ولم يقطع التلبية حتى رمي الجمرة ، ورمي جمرة العقبة يوم النحر على ناقته[1] ، ولا ضَرْبَ ولا طَرْدَ ، ولا إليك إليك[2] .

نحر الهدي وتفريقه والأكل منه

ولما انتهى إلى المنحر[3] قال : هذا المنحر ، وكل مِنًى منحر ، وكلُّ فجاج مكة طريق ومنحرٌ ، ثم نحر بيده ثلاثاً وستين بدنة بالحربة ، ثم أعطى رجلا فنحر ما بقي ، ثم أمر من كلِّ بدنة نحرها ببضعة[4] فجعل في قدر فطبخه ، فأكل من لحمها وحسا من مَرَقِها . وأمر علياً رضي الله عنه أن يتصدق بجلال البدن وجلودها ولحومها ، ولا يعطي منها في جَزرها شيئاً .

التحليق

ولما فرغ من نحر الهدي دعا الحلاق ، وحضر المسلمون يطلبون شعره ، فناول[5] الحلاق شقَّ رأسه الأيمن ، ثم أعطاه أبا طلحة الأنصاري [ثم ناوله الشِّق الأيسر فحلقه . فأعطاه أبا طلحة ، فقال اقسم بين الناس][6] .

(١) في (خ) « باقية » .
(٢) إليك إليك : تنبيه يراد به الزجر ، والمعنى أن الحج سمته الهدوء والرفق .
(٣) في (خ) « النحر » .
(٤) البضعة : القطعة من اللحم .
(٥) في (خ) « أعطى الحلاق » ، وما أثبتناه من (ط) . وهي رواية الواقدي .
(٦) ما بين القوسين تتمة من (ط) عن السيرة الحلبية .

ناصية رسول الله ﷺ لخالد بن الوليد ، وحديث أبي بكر في أمر خالد

وكلمه خالد بن الوليد في ناصيته حين حلق ، فدفعها إليه ، فكان يجعلها في مقدَّم قلنسوته[1] . فلا يلقى جمعاً إلا فضَّهُ .. وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول : كنت انظر إلى خالد بن الوليد وما نلقى منه في أحد ، وفي الخندق ، وفي الحديبية ، وفي كل موطن لاقانا ، ثم نظرت إليه يوم النحر يقدِّم إلى رسول الله ﷺ بَدنة وهي تعتب في العقل[2] ، ثم نظرتُ إليه ورسول الله ﷺ يحلق رأسه وهو يقول : يا رسول الله ! ناصيتك ! لا تؤثر عليَّ بها أحداً[3] ! فِداك أبي وأمي ! فأنظر إليه أخذ ناصية رسول الله ﷺ فكان يضعها على عينيه وفيه .

تفريق شعره ﷺ بين الناس

وفرق ﷺ شعره في النَّاس . ولما حلق رأسه ، أخذ من شاربه وعارضيه ، وقلم أظافره ، وأمر بشعره وأظفاره أن يدفنا .

المحلقون والمقصرون

وقصَّر قومٌ وحلَّق آخرون فقال ﷺ : رحم الله المحلقين ! ثلاثاً ، كلَّ ذلك يقال : والمقصرين يا رسول الله ! فقال : والمقصرين في الرابعة .

وأصاب الطيب بعد أن حلق ، ولبس القميص . وجلس الناس ، فما سئل يومئذ عن شيء قدِّم أو أخر[4] إلا قال : افعله ولا حرج .

النهي عن الصيام أيام منى

وبعث عبد الله بن حذافة السهمي – وقيل كعب بن مالك – ينادي في الناس بمنًى : إن رسول الله قال : إنها أيام أكل وشرب وذكر الله . فانتهى المسلمون عن صيامهم ؛ إلا مُحْصَرٌ[5] أو متمتع بالعمرة إلى الحج . فإن الرخصة من رسول الله ﷺ أن يصوموا أيام مِنًى .

---

(١) وفي (الواقدي) « كان يضعها على عينيه وفيه » .
(٢) أي تمشي على ثلاث .
(٣) في (خ) « أحد » .
(٤) أي مناسك الحج على مراتبها .
(٥) من الإحصار وهو الحبس .

الإفاضة يوم النحر إلى مكة

وأفاض ﷺ يوم النحر وأردف معاوية بن أبي سفيان من منًى إلى مكة واختلف أين صلى الظهر يومئذ ؟ ويقال أفاض من نسائه مساء يوم النحر ؛ وأمر أصحابه فأفاضوا بالنهار .

الشرب من زمزم

وأتى زمزم فأمر بدلو فنُزع ؛ فشرب منه وصبَّ على رأسه وقال : لولا أن تغلبوا عليها يا ولد عبد المطلب لنزعتُ منها . ويقال : إنه نزع دلواً لنفسه .

رمي الجمرات

وكان يرمي الجمار حين تزيغ الشمس قبل الصلاة ماشياً - ذاهباً وراجعاً - في اليومين ، ورمي يوم الصدر حين زاغت الشمس قبل الصلاة ، وكان إذا رمي الجمرتين علاهما ، ويرمي جمرة العقبة من بطن الوادي وكان يقف عند الجمرة الأولى أكثر مما يقف عند الثانية ، ولا يقف عند الثالثة ، فإذا رماها انصرف . وكان إذا رمي الجمرتين وقف عندهما ورفع يديه ، ولا يفعل ذلك في رمي العقَبَة ، فإذا رماها انصرف .

النهي عن المبيت بسوى منى

ونهى أن يبيت أحدٌ ليالى منًى بسوى منًى ، ورخص للرعاء أن يبعدوا عن منًى . ومن جاء منهم فرمي بالليل . رخص له في ذلك . وقال ارموا بمثل حصى الحَذْف . وكان أزواجه يرمين مع الليل .

عدة الخطب في حجة الوداع

وخطب في حجته ثلاثَ خطبٍ : الأولى قبل التروية بيوم بعد الظهر بمكة ، والثانية يوم عرفة بعرفة حين زاغت الشمسُ على راحلته قبل الصلاة ، والثالثة يوم النحر بمنًى بعد الظهر على راحلته القصْواء ، وقيل : بل خطب الثانية ثاني يوم النّحر .

وقال المحبُّ الطبري : دلت الأحاديثُ على أنَّ الخطَبَ في الحج خمسٌ ؛ خطبة

يوم السابع من ذي الحجَّة وخطبة يوم عَرَفة ، وخطبة يوم النحْر ، وخطبة القَرِّ[1] وخطبةُ يوم النفْرِ الأول[2] ، قال الواقدي : فقال – يعنى في خطبة يوم النَّحْرِ بمنًى – :

خطبة يوم النحر بمنى

أيها الناس ، اسمعوا من قوْلي واعقلوه ، فإني لا أدري : لعلي لا ألقاكم بعدَ عامي هذا ! أيها الناس ! أيُّ شهرٍ هذا ؟ فسكتوا ، فقال : هذا شهر حرام ، وأي بلدٍ هذا ؟ فسكتوا ، فقال : بلدٌ حرام ، وأي[3] يوم هذا ؟ فسكتوا ، قال : يوم حرامٌ ، ثم قال : إن الله قد حرَّم دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرمة شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، في يومكم هذا إلى أن تلقوْا ربكم ، ألا هل بلغتُ ؟ قالوا : نعم ، قال : اللهم اشهد ، ثم قال : إنكم سوف تلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، ألا هل بلغت ؟ قال الناس : نعم ، قال : اللهم اشهد ، ألا ومن كانت عنده أمانة فليؤدِّها إلى من ائتمنه عليها ، ألا وإنَّ كلَّ رباً في الجاهليَّة موضوع ، وإن كل دمٍ في الجاهلية موضوعٌ ، [ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تُظلمون ، قضى الله أنه ربا ، وإن ربا عبَّاس بن عبد المطلب موضوع كله][4] وأوَّلُ دمائكم أضعُ دمُ إياس بن ربيعة بن الحارث – [كان مسترضعاً في بني سعد بن ليث فقتلته هذيل] – ، ألا هل بلغت ؟ قالوا : اللهم نعم ، قال : اللهم اشهد ، فليبلغ الشاهد الغائب ؛ ألا إن كل مسلم محرم على كل مسلم ، ولا يحل مال امريءٍ مسلم إلا ما أعطي عن طيب نفسٍ .

(١) يوم القـــر : الغد من يوم النحر .

(٢) أيام الحــج : اليوم السادس من ذي الحجة : يوم الزينة .
اليوم السابع من ذي الحجة : يوم التروية .
اليوم الثامن من ذي الحجة : يوم منى .
اليوم التاسع من ذي الحجة : يوم عرفة .
اليوم العاشر من ذي الحجة : يوم الأضحى يوم الحج الأكبر .
أيام التشريق : اليوم الحادي عشر من ذي الحجة يوم القر .
اليوم الثاني عشر من ذي الحجة يوم النفر الأول .
اليوم الثالث عشر من ذي الحجة يوم النفر الآخر .

(٣) في (خ) « أي » بغير واو قبلها ، وهي رواية الواقدي .

(٤) ما بين القوسين تمام الخطبة من (ابن هشام) ج٤ ص ١٨٥ .

فقال عمرو بن يثربي : يا رسول الله ، أرأيتَ إن لقيت غنم ابن عمِّي ، أجتزر[1] منها شاةً ؟ فقال : إن لقيتها [نعجةً][2] تحمل شفرة [وأزناداً][2] بَخبْتِ الجميش[3] فلا تهجها !

ثم قال أيها الناس : ﴿ **إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذي كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدَّة ما حرَّم الله فيحلُّوا ما حرم الله** ﴾[4] ، [ويحرموا ما أحلَّ الله][5] ، ألا وإن الزَّمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، إن عدة الشهور عند الله اثنا[6] عشر شهراً في كتاب الله منها أربعة حرم : ثلاثة متوالية : ذو القعدة وذو الحجَّة ، والمحرَّم ، ورجب الذي يدعَى شهر مُضَر : الذي جاء بين جمادي الآخرة وشعبان ، والشهر تسعة وعشرون وثلاثون « ألا هل بلَّغت ؟ فقال الناس : نعم ، فقال : اللهم اشهد » .

ثم قال : أيها الناس ، إن للنساء عليكم حقاً وإن لكم عليهن حقاً : فعليهن ألا يوطئن فُرشكم أحداً ولا يدخلن بيوتكم أحداً تكرهونه إلا بإذنكم ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع[7] ، وأن تضربوهن ضرباً غير مبرِّح ، فإن انتهين وأطعنكم فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف . وإنما النساء عندكم عوان[8] ، لا يملكن لأنفسهن شيئاً ، وإنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهنَّ بكلمة الله ، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيراً ، ألا هل بلغت ؟ قال الناس : نعم ، قال : اللهم اشهد .

أيها الناس ، إن الشيطان قد يئس أن يُعبد بأرضكم هذه ، ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرونه [من أعمالكم][9] . إن كلَّ مسلم أخو المسلم ، وإنما المسلمون إخوةٌ ، ولا يحل لامريء مسلم دمَ أخيه ولا ماله إلا بطيب

---

(١) في (خ) « أجزر » ، وما أثبتناه من (مسند أحمد) جـ٥ ص ١١٣ .
(٢) زيادات من كتب السيرة .
(٣) علم الصحراء بين مكة والمدينة (معجم البلدان) جـ٢ ص ٣٤٣ .
(٤) من الآية ٣٧ / التوبة ، وفي (خ) إلى قوله تعالى ﴿ **ليواطئوا عدة ما حرم الله** ﴾ .
(٥) زيادة من (ابن هشام) جـ٤ .
(٦) في (خ) « اثنى عشر » .
(٧) في (خ) « بالمضاجع » .
(٨) العواني : جمع « عانية » وهي الأسيرة .
(٩) زيادة من (ابن هشام) جـ٤ ، كان مكانها في (خ) « فقد رضي به » .

نفس منه ، وإنما أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم ، وحسابهم على الله ؛ ولا تظلموا أنفسكم ، ولا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض . إني قد تركت فيكم ما لا تضلون به : كتاب الله . ألا هل بلغت ؟ قال الناس : نعم ، قال : اللهم اشهد .

يوم الصــدر

ثم انصرف إلى منزله ، وصلى الظهر والعصر يوم الصدر بالأبطح . قالت عائشة رضي الله عنها : إنما نزل رسول الله ﷺ بالمحصب لأنه كان أسمح[1] لخروجه .

خبر صفية وعائشة

وذكر صفية بنت حُيَيٍّ رضي الله عنها ، فقيل له : حاضت ! فقال : أحابستنا هي ؟ فقيل : يا رسول الله ، إنها قد أفاضت ، قال : فلا إذن ، فلما جاءت عائشة رضي الله عنها من التنعيم وقضت عمرتها ، أمر بالرحيل . ومرَّ بالبيت فطاف به قبل الصبح .

الرجوع إلى المدينة ومدة إقامة المهاجر بمكة

ثم انصرف راجعاً إلى المدينة . وقال إنما هي ثلاث يقيم بها[2] المهاجر بعد الصدر . وسأل سائل أن يقيم بمكة ، فلم يرخص له أن يقيم إلا ثلاثة أيام ، وقال : إنها ليست بدار مكث ولا إقامة .

عيادة سعد بن أبي وقاص

وجاء سعد بن أبي وقاص بعد حجه يعوده من وجع أصابه . فقال : يا رسول الله ، قد بُلغ بي ما ترى من الوجع[3] ، وأنا ذو مال ، ولا يرثني إلا ابنة لي ، فأتصدق بثلث[4] مالي ؟ قال : لا ! قال : فالشطر ؟ قال : لا !] قال :

---

(١) أسمع لخروجه : أسهل لخروجه من مكة إلى المدينة .

(٢) أي بمكة .

(٣) بلغ به : أي بلغ به المرض كل مبلغ .

(٤) في (خ) « بثلث » .

فالثلث ؟][1] قال الثلث ، والثلث كثير ، إنك إن تترك[2] ورثتك أغنياء خير[3] من أن تتركهم عالة يتكففون [الناس][4] ، وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها ، حتى ما تجعل في امرأتك ! فقال : يا رسول الله ، أخَلف بعد أصحابي ؟ فقال : إنك إن تخلف فتعملْ صالحاً تزدد خيراً ورفعة ، ولعلك إن تخلف ينتفعْ بك أقوامٌ ويُضر بك آخرون . اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ، ولا تردهم على أعقابهم .

موت سعد بن خولة بمكة

لكن البائس سعدُ بن خَوْلة ! يرثي له أنْ مات بمكة ، [وذلك أن رسول الله ﷺ كان يكرهُ لمن هاجر أن يرجع إليها ، أو يقيم بها أكثر من انقضاء نسكه][5] .

وخلَّف علي سعد بن أبي وقاصٍ رجُلا ، وقال : إنْ مات سعدٌ بمكة فلا تدْفِنْه بها يكره [ﷺ][6] أن يموت الرجُل في الأرض التي هاجَرَ منها .

وداع البيت الحرام

ولما ودَّع ﷺ البيتَ وكان في الشَّوط السَّابع ، خلَّف البيتَ رسول الله ﷺ من باب الحزْوَرَة[7] .

وكان إذا قفل من حجٍّ أو عُمرة أو غزوة ، فأوفى على ثنية أو فَدْفد كبرَّ ثلاثاً ثم قال . لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحْيي ويُميتُ وهو حي لا يموت ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قديرٌ . آيبون تائبون ساجدون عابدون ، لرِّبنا حامدون ، صدق الله وعده ، ونصره عبده ، وهزم الأحزاب وحده[8] ، اللهم إنا نعوذ بك من وعثاء السَّفر ، وكآبة المنقلب ، وسوء المنظر في

(١) زيادة من (ابن سعد) .
(٢) في (خ) « إنك أنت تترك » .
(٣) في (خ) « خيراً » .
(٤) زيادة من (ابن سعد) .
(٥) زيادة لتمام الخبر من (ابن سعد) .
(٦) زيادة للبيان .
(٧) كذا في (ط) ، وفي (خ) « خلف البيت » بمعنى الباب وهو كلام مضطرب ، وفي (عيون الأثر) جـ٢ ص ٢٨٠ « ثم خرج من كدى أسفل مكة من الثنية السفلى » .
(٨) في (خ) « بعده » .

الأهل والمال ، اللهم بلِّغنا بلاغاً صالحاً يبلغ إلى خيرٍ ، مغفرة منك ورضواناً .

النزول بالمعرس والنهي عن طروق النساء ليلا

ولما نزل بالمعرَّس[١] ، نهي أن يطرقوا النساء ليلا ، فطرق رجلان أهليهما ، فكلاهما وجد ما يكره .

وأناخ بالبطْحاء ، وكان إذا خرج إلى الحج سلك على الشجرة[٢] ، وإذا رجع من مكة دخل المدينة من معرَّس الأبطح ، فكان في معرَّسه في بطن الوادي ، وكان فيه عامة الليل ؛ فقيل له : إنك ببطْحاءَ مباركة .

إسلام جرير بن عبد الله البجلي

وفي هذه السنة – وهي العاشرة – قدم جريرُ بن عبد الله جابر – وهو الشُّليل[٣] – بن مالك بن نصر بن ثعلبة بن جُشَم بن عويف[٤] بن خَزيمة[٥] ابن حرب بن علي[٦] بن مالك بن سعد بن نذير[٧] بن نَسْر[٨] – وهو مالك – ابن عبقر بن أنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث البَجَليّ[٩] – مسلماً في شهر رمضان .

إسلام فيروز وباذان بن منبه ، ووفد النخع

وفيها أسلم فيروز من الأبناء[١٠] ، وباذان ، ووهب بن منبِّه ، باليمن . وللنصف من محرم سنة إحدى عشرة ، قدِم وفدُ النَّخَع – وهم مائتا رجل ، فنزلوا دار رمْلة بنت الحارث بن عداء ، وكان نصرانياً .

---

(١) المعرس : هو مسجد ذي الحليفة .
(٢) هي الشجرة التي ولدت عندها أسماء بنت محمد بن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) .
(٣) في (خ) « جابر بن السليل » . (٤) في الإصابة « عوف » .
(٥) في (خ) « خزيمة » . (٦) في (خ) « عدي » . (٧) في (خ) « زيد »
(٨) في (خ) « تس » .
(٩) البجلي : نسبة إلى « بجيلة » وهي أم ولد أنمار بن إراش وإليها ينسبون .
(١٠) الأبناء : هم قوم من أبناء فارس باليمن .

بعث أسامة بن زيد إلى أُبْنَي « غزو الروم »

ثم كان بعثُ أسامة بن زيد إلى أهل أُبْنَي[1] بالشَّرارةِ[2] ناحية بالبلقاء ؛ وذلك أن رسول الله ﷺ أقام – بعد حجته – بالمدينة بقيَّة ذي الحجة والمحرَّم ، ومازال يذكر مقتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وأصحابه رضي الله عنهم ، ووجد عليهم وجداً شديداً . فلما كان يوم الاثنين – لأربع بقين من صفر سنة إحدي عشر [من مهاجر رسول الله ﷺ][3] ، أمر رسول الله ﷺ بالتَّهيوءِ لغزو الرُّوم ، وأمرهم بالجِدِّ .

أمر أسامة بالغزو وتأميره

ثم دعا من الغد – يوم الثلاثاء لثلاث بقين من صفر – أسامة بن زيد فقال : يا أسامة ، سِرْ على اسم الله وبركته حتى تنتهي إلى مقتل أبيك فأوطئهم الخيلَ ، فقد وليتك هذا الجيش ، فَأَغِرْ صباحاً على أهل أُبْنَي[1] وحرِّق عليهم ! وأسرع السَّيَر تسْبق الخبر ، فإن أظفرك الله فأقلل اللبْثَ[4] فيهم وخذ معك الأدِلاء ، وقدِّم العيون أمامك والطلائع .

ابتداء مرض رسول الله ﷺ ووصيته لأسامة

فلما كان يوم الأربعاء – لليلتين بقيتا من صفر – ابتدأ مرض رسول الله ﷺ فصُدِّع[5] وحمَّ . وَعقَد يوم الخميس لأسامة لواءً بيده . وقال : يا أسامة ! أغز باسم الله في سبيل الله ، فقاتلوا من كفر بالله[6] . أغزوا ولا تغدروا ، ولا تقتلوا وليداً ولا امرأة ، ولا تَمَنَّوْا لقاء العَدُو ، فإنكم لا تدرون لعلكم تُبْتَلون بهم ، ولكن قولوا : اللهم اكفناهم : واكففْ بأسهم عنَّا ؛ فإن لقوكم قد أجلبوا وصيحوا فعليكم بالسكينة والصَّمت ، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، وقولوا اللهم إنا عبادُك ، نواصينا ونواصيهم بيدك وإنما تغلبهم أنت ! واعلموا أن الجنة تحت البارقة[7] .

---

(١) في (خ) « أبناء » .
(٢) في (خ) « بالشراة » .
(٣) زيادة من (ابن سعد) جـ٢ .
(٤) في (خ) « الليث » .
(٥) صدع : (بالبناء للمجهول والتشديد) أصابه الصداع ، وهو وجع الرأس .
(٦) في (ابن سعد) « فقاتل من كفر بالله » .
(٧) البارقة : السيوف .

خروج أسامة وجيشه

فخرج أسامةُ فدفع لواءه إلى بريدة بن الحُصَيب ، فخرج به إلى بيت أسامة ، وعسكر بالجُرْف ، وخرج الناس ولم يبق أحدٌ من المهاجرين الأولين [والأنصار][1] إلا انتدب[2] في تلك الغزوة ، كعمر بن الخطاب[3] ، وأبي عبيدة ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبي الأعور سعيد بن زيد بن عمر بن نفيل رضي الله عنهم ، في رجال آخرين ، ومن الأنصار عدةٌ مثل ، قتادة بن النعمان ، وسلمة بن أسلم ابن جَرِيش .

طعن رجال من المهاجرين في تأمير أسامة

فقال رجال من المهاجرين – وكان أشدُّهم في ذلك قولا عياش بن أبي ربيعة –: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأوَّلين ؟! فكثرت القالة ، وسمع عمر رضي الله عنه بعض ذلك فردَّه على من تكلم ، وأخبر رسول الله ﷺ به فغضب غضباً شديداً ! وخرج وقد عصب على رأسه عصابةً وعليه قطيفةٌ ، ثم صَعَدَ المِنْبَرَ ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

خطبة رسول الله ﷺ في أمر أسامة رضي الله عنه

أما بعد أيها الناس ، ما مقالةٌ بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة ؟! والله لئن طعنتم في إمارتي أسامة لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله ! وأيم الله . إن كان للإمارة لخليقاً وإن ابنه من بعده لخليق للإمارة ، وإن كان لمِن أحب الناس إلَّي ، وإنهما لمخيلان[4] لكل خير ، فاستوصوا به خيراً فإنه من خياركم .

توديع الغـزاة

ثم نزل فدخل بيته ، وذلك يوم السبت لعشر خلون من ربيع الأول . وجاء

(١) زيادة من (ابن سعد) .
(٢) انتدب : أسرع في النهوض إليها .
(٣) ذكر (ابن سعد) « أبا بكر الصديق » قبل « عمر بن الخطاب » .
(٤) كذا في (ط) ، و (الواقدي) ، وفي (خ) « لمجبلان » .

المسلمون الذين يخرجون مع أسامة يودِّعون رسول الله ﷺ فيهم عمر رضي الله عنه .

الأمر بإنفاذ بعث أسامة

فقال : أنفذوا بعث أسامة . ودخلت أم أيمن رضي الله عنها فقالت يا رسول الله لو تركت أسامة يقيم في معسكره حتى تتماثَل ، فإن أسامة إن خرج على حاله هذه لم ينتفع بنفسه ، فقال أنفذوا بعث أسامة .

دخول أسامة على رسول الله ﷺ ودعاؤه له

فمضى الناس إلى المعسكر فباتوا ليلة الأحد ، ونزل أسامة يوم الأحد – ورسول الله ﷺ ثقيل مغمور[1] ، وهو اليوم الذي لدُّوه فيه[2] ،– فدخل عليه وعيناه تهملان[3] – وعنده العباس ، والنساء حوله – فطأطأ عليه أسامة فقبله ، وهو [ﷺ][4] لا يتكلم ، إلا أنه يرفع يده إلى السماء ثم يصبُّها على أسامة ، كأنه يدعو له . فرجع أسامة إلى معسكره . وغدا منه يوم الاثنين ، فأصبح رسول الله ﷺ مفيقاً ، وجاءه أسامة ، فقال : اغد على بركة الله ، فودعه أسامة ورسول الله ﷺ مفيقٌ .

خروج أبي بكر إلى السنح

ودخل أبو بكر رضي الله عنه فقال : يا رسول الله ، أصبحتَ مفيقاً بحمد الله واليوم يوم ابنة خارجة[5] فأذنْ [لي][6] فَأَذِنَ له ، فذهب إلى السُّنح[7].

خروج الجيش

وركب أسامة إلى معسكره، وصاح في أصحابه: اللحوق بالعسكر ، فانتهى إلى

---

(١) مغمور : مغمى عليه .

(٢) لدوه : أعطوه الدواء ، واللدود : ما يصب بالُسعْط من الدواء في أحد شقي الفم (ترتيب القاموس) جـ٤ ص ١٣٥ .

(٣) تسيل دمعهما . (٤) زيادة .

(٥) في (خ) « ابنه خارجه » ، وهي زوج أبي بكر الصديق والدة أم كلثوم بنت أبي بكر .

(٦) زيادة للسياق . (٧) السنح : إحدى محال المدينة من أطرافها وكان بها منزل أبي بكر .

معسكره فنزل ، وأمر الناس بالرحيل وقد مَتَعَ النهار .

إبلاغ خبر وفاة رسول الله ﷺ لجيش أسامة

فبينا هو يريد أن يركب من الجرف ، أتاهُ رسول أمِّه - أم أيمن - يخبره أن رسول الله ﷺ يموت فأقبل إلى المدينة معه عمر وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهما ، فانتهو إلى رسول الله ﷺ وهو يموت : فتوفي ﷺ حين زاغت الشمس يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول .

يوم وفاته ﷺ

وقال السهيليُّ : لا يصلح أن تكون وفاته يوم الاثنين إلا في ثاني الشهر ، أو ثالث عشره ، أو رابع عشره ، (أو خامس عشره)[1] . وذكر الكلبي وأبو مخنفٍ أنه توفي في الثاني من ربيع[2] . وقد صححه ابن حزم وغيره . وقال الخوارزمي : توفي أول ربيع .

رجوع الغزاة إلى المدينة

ودخل المسلمون الذين عسكروا بالجرف إلى المدينة ، ودخل بُريدةُ ابن الحُصَيْب باللواء فغرزه معقوداً عند باب رسول الله ﷺ ، فلما بويع أبو بكر رضي الله عنه أمر بُرَيْدةَ أن يذهب باللواء إلى بيت أسامة ، وألا يحمله أبداً حتى يغْزوَهم أسامة .

أمر أبي بكر بتوجيه الغزو

وقال [أبو بكر] لأسامة : أنفذْ في وجهك الذي وجهك فيه رسول الله ﷺ وأخذ الناس بالخروج فعسكروا في موضعهم الأول ، وخرج بريدة باللواء ، ومشى أبو بكر رضي الله عنه إلى أسامة في بيته فكلمه في أن يترك عمر رضي الله عنه ، ففعل وخَرَج فنادى مناديه : عزمة منى ألَّا يتخلف عن أسامة من بَعْثِه أحدٌ ممن انتدب معه في حياة رسول الله ﷺ ، فإني لن أوتَى بأحدٍ بَطَّأً عن الخروج إلا

(١) زيادة من (الروض الأنف) .

(٢) في (خ) « في ثامن ربيع » وما أثبتناه من (الروض الأنف) .

ألحقته به ماشياً . فلم يتخلَّف عن البعث أحدٌ .

تشييع أبي بكر أسامة

ثم خرج أبو بكر رضي الله عنه يشيِّعُ أسامة فركب من الجُرْف لهلال ربيع الآخر في ثلاثة آلاف فيهم ألف فرس وسار أبو بكر رضي الله عنه إلى جنبه ساعةً وقال : أستودع الله دينك وخواتيم عملك ، إني سمعتُ رسول الله [ﷺ][1] يوصيك ، فأنفذ لأمر رسول الله ، فأني لستُ آمرك ولا أنهاك عنه ، إنما أنا منفذ لأمرٍ أَمَرَ به رسول الله [ﷺ][1] .

غزو أسامة

فحرج سريعاً فوطيء بلاداً هادئة لم يرجعوا عن الإسلام – جهينة وغيرها من قضاعة – حتى نزل وادي القرى ، فقدَّم عينا له من بني عذرة يدعى حُريثاً ، فانتهى إلى أبْنى[2] ، ثم عادَ فلقى أسامة على ليلتين من أبني فأخبره أن الناس غارون ولا جموع لهم ، وحثَّهُ على سرعة السَّير قبل اجتماعهم ، فسار إلى أبني وعبأ أصحابه ، ثم دفع عليهم الغَارَة فقتل وسَبى ، وحرَّق بالنار منازلهم وحَرْثهم ونخلهم ، ورحل مساءً حتى قدِم المدينة ، وقد غاب خمسة وثلاثين يوماً وقيل : قَدِم لشهرين وأيامٍ .

خبر وفاة رسول الله ﷺ ونعيه إلى نفسه

وكان من خبر وفاة رسول الله ﷺ أن الله تعالى أنذره بموته حين أنزل عليه : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾[3] ، فقال نُعِيتْ إلى نفسي ! فحج حجَّة الوداع .

عرض القرآن في رمضان

وكان جبريل ينزل عليه في كل سنة مرَّة ، وفي شهر رمضان ، فيعرض عليه القرآن مرةً واحدة ، وكان يعتكف العشر الأواخر [من رمضان][4] . فلما كان في سنة موته ، عرض عليه جبريل القرآن مرتين ، فقال [ﷺ][5] : ما أظنُّ أجلي

---

(١) زيادة للسياق . (٢) في (خ) « ابناه » . (٣) أول سورة النصر
(٤) زيادة للبيان (٥) زيادة للبيان .

إلا قد حضر ! فاعتكف العَشر الأواسط[1] والعشر الأواخر ، وكان هذا نذيراً[2] بموته .

الخروج إلى البقيع والاستغفار لأهله

ثم أمر بالخروج إلى البقيع ليستغفر لأهله والشهداء ويصلى عليهم ، وليكون توديعاً للأموات قبل الأحياء فوثب من مضجعه في جوف الليل ، فقالت عائشة رضي الله عنها : أين ؟ بأبي وأمي ! أي رسول الله ! قال : أمرت أن استغفر لأهل البقيع . فخرج ومعه مولاه أبو موهبة – ويقال : أبو مويهبة ، ويقال : أبو رافع – حتى جاء البقيع ، فاستغفر لهم طويلا ، ثم قال : ليهنئكم[3] ما أصبحتم فيه بما أصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع بعضها بعضاً ، يتبع آخرها أوَّلها ، الآخرة شر من الأولى !!

التخـــيير

ثم قال : يا أبا مويهبة[4] ! إني قد أعطيت خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة ، فخيِّرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة ! فقال بأبي وأمي ! فخذ خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة ! فقال : يا أبا مويهبة ! لقد اخترت لقاء ربِّي والجنة .

خبر شكوى رسول الله ﷺ

ثم انصرف ، وذلك ليلة الأربعاء ، فأصبح يوم الأربعاء محموماً – لليلتين بقيتا من صفر سنة إحدى عشر – وهو في بيت زينب بنت جحش رضي الله عنها واشتكى شكوى جديدة حتى قيل : هو مجنوب ، يعني ذات الجَنْب[5] .

---

(١) في (خ) « الأوسط » .

(٢) في (خ) « نذير » .

(٣) في (خ) « لينهك » .

(٤) في (خ) « موهبة » .

(٥) ذات الجنب عند الأطباء نوعان : حقيقي وغير حقيقي ، فالحقيقي : ورم حار يعرض في نواحي الجنب في الغشاء المستبطن للأضلاع . وغير الحقيقي : ألم يشبهه يعرض في نواحي الجنب عن رياح غليظة مؤذية تحتقن بين الصفاقات ، فتحدث وجعاً قريباً من وجع ذات الجنب الحقيقي ، إلا أن الوجع في هذا القسم محدود ، وفي الحقيقي ناخس (زاد المعاد) جـ٤ ص ٨ .

مدة الشكوى

واجتمع إليه نساؤه كلهُن ، فاشتكى ثلاثة عشر ليلة ، وقيل أربعة عشر يوماً ، وقيل : اثنى عشر[1] ، بُدِيءَ ﷺ في بيت ميمونة رضي الله عنها .

صفة الشكوى

وأخذته بُحُّة شديدة مع حُمَّى مُوَصِّمة[2] مع صُداعٍ ، وكان ينفث في علته شيئاً يُشْبه نَفثَ آكل الزبيب . ودخلت عليه أمُّ بشر بن البراء بن معرور فقالت : يا رسول الله ! ما وجدت مثل هذه الحُمَّى التي عليك على أحد ! فقال : إنا يضاعفُ لنا البلاء كما يضاعف لنا الأجر ، ما يقول الناس ! قالت : يقولون يا رسول الله : ذات الجنبِ ! فقال : ما كان الله لِيُسَلِّطها على رسوله ، إنها همزة الشيطان .

أكلة خيبر من الشاة المسمومة

ولكنها من الأكلة التي أكلت أنا وابنك بخيبر من الشاة ، وكان يصيبني منها عِدادٌ مرةً بعد مرَّةٍ فكان هذا أوانُ انقطع أبهري ؟ فمات ﷺ شهيداً .

الخروج إلى الصلاة

وكان إذا خفَّ عنه ما يجدُ خرج فصلى بالناس ، وإذا وجد ثقلةً قال : مُرُوا الناس فليصلوا .

خبر اللدود

واشتد شكْوُه حتى غمر من شدَّةِ الوجع ، فاجتمع عنده أزواجه ، وعَمُّه العبَّاس ، وأُمُّ الفضل بنت الحارث ، وأسماء بنت عميس رضي الله عنهم ، فتشاوروا في لدِّهِ[3] حين غُمَر - وهو مغمورٌ - فلدوه ، فوجدوا في جوفه حفلا[4] ، فلما

---

(١) في (خ) « اثنا عشر » .

(٢) في (خ) « معطمة » ، وما أثبتناه من (ط) ، ومعنى حمى موصمة : من قولك : وصمته الحمى توصيماً فتوصم ، آلمته فتألم (ترتيب القاموس جـ٤ ص ٦٢١)

(٣) سبق شرح معناه .

(٤) كذا في (خ) ، و (ط) ولم أجد ذكر هذه الكلمة ولا معناها فيما عندي من كتب السيرة .

أفاق قال من فعل هذا ؟ هذا عمل نساء جئن من ها هنا ! وأشار بيده إلى أرض الحبشة ، وكانت أمُّ سلمى وأسماء [بنت عميس][1] رضي الله عنهما لدَّتاه ، فقالوا : يا رسول الله ، خشينا أن يكون بك ذات الجنبِ ، قال : فبم[2] لدْتموني ؟ قالوا : بالعود الهنديِّ ، وشيءٍ من وَرْسٍ ، وقطراتٍ من زيت فقال : والله ما كان ليعذِّبني بذلك الداء[3] .

أمره ألا يبقى في البيت أحد إلا لُدَّ

ثم قال : عزمت عليكم لا يبقى في البيت أحدٌ إلا لُدَّ ، إلا عم النبي ﷺ[4] - فجعل بعضهن يلدُّ بعضا ، والتدت ميمونة وهي صائمةٌ ، لقسم رسول الله ﷺ .

إقامته ﷺ في بيت ميمونة رضي الله عنها

وأقام ﷺ في بيت ميمونة سبعة أيام ، يبعث إلى نسائه أسماء بنت عُميس يقول لهن : إن رسول الله يشقُّ عليه أن يدور عليكنَّ ، فحَلِّلْنَهُ . فكن يَحْلِلْنَهُ . ويروي أن فاطمة عليها السلام - بنت رسول الله ﷺ - هي التي كانت تدور على نسائه وتقول ذلك .

طوافه علي نسائه في شكواه

ويروي أنه كان يُحْمَلَ في ثوب يطاف به على نسائه ، وذلك أن زينب بنت جحش كلمته في ذلك قال : فأنا أدور عليكنَّ . فكن يُحْمَل في ثوب يحمل بجوانبه الأربع ، يحمله أبو رافع مولاه ، وأبو مويهبة ، وشُقْران وثوَبان حتى يقسم لهن كما كان يقسم . فجعل يقول : أين أنا غداً ؟ فيقولون : عند فلانة ، فيقول : أين أنا بعد غدٍ ؟ فيقولون ، عند فلانة! فعرف أزواجه أنه يريد عائشة رضي الله عنها .

---

(١) زيادة للبيان من (ط) .

(٢) في (خ) « فيما » وما أثبتناه من كتب السيرة .

(٣) في (خ) « الدابر » وما أثبتناه من كتب السيرة .

(٤) يعني « العباس » .

هبة أمهات المؤمنين أيامهن لعائشة

فقلن يا رسول الله ، قد وهبنا أيامنا لأختنا عائشة وروي أنه لما ثقل واشتد وجعه ، استأذن أزواجه أن يمرَّض في بيت عائشة ، فأذِنَّ له ، فخرج بين الفضْل ابن العباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما . تخط رجلاه في الأرض[١] – وذلك يوم الأربعاء الآخر[٢] – حتى دخل بيت عائشة رضي الله عنها ، فأقام في بيتها حتى تُوفي .

اشتداد الحمى وإراقة الماء عليه

ولما اشتد وجعه بعد أن دخل بيتها . قال ، أهْريقوا عليَّ من سَبْعِ قِرَبٍ لم تحلل أوكيتهن[٣] ، لَعَلِّي أعهدُ إلى الناس ، فأجلسوه في مَخْضبٍ[٤] لحفصة رضي الله عنها من صَفْرٍ ، ثم صبُّوا عليه تلك القِرَب ، ثم خرج إلى الناس فصلى بهم وخطبهم : وكانت تلك القِرَب من بئر أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه .

خطبته قبل وفاته

وخرج يوم السبت عاشر ربيع الأول – مشتملا قد طرح طرفي ثوبه عل عاتقيه ، عاصباً رسه بخرقةٍ – فأحدق الناس به وهو على المنبر . فقال : والذي نفسي بيده ، إني لقائمٌ على الحوض الساعة – ثم تشهَّد واستغفر للشهداء الذين قُتِلوا بأحدٍ – ثم قال :

ذكر التخـيير

إن عبداً من عباد الله خيرٌ بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله العبْدُ ! فبكي أبو بكر رضي الله عنه فقال : بأبي وأمي ! نفديك بآبائنا وأمهاتنا ، وبأنفسنا وأموالنا ، فقال : على رِسْلك [يا أبا بكر] [٥] سدّوا هذه الأبواب الشّوارع[٦] إلى

---

(١) في (خ) « ورجلاه تخط الأرض ، وما أثبتناه من (ابن سعد) جـ٢ ص ٢٣٢ .

(٢) قوله : « يوم الأربعاء الآخر » أي التالي للأربعاء الأول الذي بديء فيه .

(٣) أريقوا ، أهريقوا : صبوا : والأوكية جمع وكاء ، وهو الخيط الذي يشد به فم السقاءِ أو الوعاء .

(٤) في (خ) « محصب » ، والمخضب إناء واسع تغسل فيه الثياب .

(٥) زيادة للبيان من (ابن سعد) .

(٦) الشوارع : النافذة والمؤدية إلى المسجد .

المسجد إلا باب أبي بكر ، فإنَّ أمنَّ[١] الناس عليَّ في صُحْبته وماله أبو بكر ، فلو كنتُ متخذاً في الناس خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا . ولكن أخوة الإسلام ومودته . فقال عمر رضي الله عنه : دعني يا رسول الله افتح كوة : إليك حين تخرج إلى الصلاة ، فقال : لا . أيها الناس ، [وكان بابُ أبي بكر رضي الله عنه في غرْبيّ المسجد][٢] . ثم ذكر أسامة بن زيد فقال ، أنفذوا بعث أسامة - وكرر ذلك ثلاثا - فلعمري لئن قلتم في إمارة أبيه من قبله . وإنه والله لخليقٌ للأمارة ، وأبوه من قبله ، وإن كان لمنْ أحب الناس الناسِ إليَّ .

ويروي أنه قال أيضا - بعد [ذكر][٣] يا معشر المهاجرين ! إنكم أصبحتم تزيدون وأصبحت الأنصار لا تزيدُ ، هي على هيئتها التي هي عليها اليوم ، وإن الأنصار عَيْبَتِي التي أويتُ إليها ، ونعلي التي أطأ بها ، وكرشي التي آكلُ فيها ، فاحفظوني فيهم ، فأكرموا كريمهم ، وأقبلوا من محسنهم ،وتجاوزوا عن من مسيئهم، فقال رجل: يا رسول الله ! ما بالُ أبوابٍ أمرت بها أن تفتح : وأبوابٍ أمرتَ بها أن تغلق ؟ قال : ما فتحتها ولا سددتها عن أمري !!

خبر كتاب رسول الله ﷺ عند موته

واشتدُّ به ﷺ وجعه يوم الخميس ، فقال : ائتوني بدواةٍ وصحيفة اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً ! فتنازعوا فقال بعضهم : ماله ؟ أهجر[٤]؟! استبعدوه ! وقالت زينب بنت جحش وصواحبها : ائتوا رسول الله ﷺ بحاجته . فقال عمرُ رضي الله عنه : قد غلبه الوجع ، وعندكم القرآن ، حسبنا كتابُ الله ، من لفلانة وفلانة ؟ يعني مدائن الروم - فإن النبي ﷺ ليس بميتٍ حتى يفتحها ، ولو مات لا نُنظره كما انتظرت بنو إسرائيل موسى !! فلما لغطوا عنده قال : دعوني ! فما أنا فيه خير مما تسألوني ، ثم أوصاهم بثلاث[٥] : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو بما كنتم تروني أجيزهم . وأنفذوا جيش أسامة ؛

---

(١) أَمَنَّ : أجود بماله وذات يده .

(٢) في (خ) سياق هذه العبارة مضطرب ، وما أثبتناه من (ط) .

(٣) زيادة للسياق من (ط) .

(٤) هجر المريض أو النائم ، إذا هذي وتكلم .

(٥) في (خ) « ما أوسهم » ، و « ثم » هي حق العبارة .

قوموا .

خبر الكنيسة التي بالحبشة

وتذكر[1] بعض نسائه كنيسة رأينها[2] في أرض الحبشة . فذكرت أمُّ حبيبة بنت أبي سفيان وزينب بنت جحش[3] كنيسة رأينها بأرض الحبشة يقال لها مارية ، وما فيها من التصاوير ، فرفع رسول الله ﷺ رأسه فقال . أولئك [قومٌ][4] إذا مات الرجل الصالح منهم بنوْا على قبره مسجداً ثم صوروا تلك الصور . أولئك شرارُ الخلق عند الله ! وطفق يلقي خميصةً[5] على وجهه . فإذا اغتمَّ بها ألقاها عن وجهه ، ويقول : لعنة الله علي اليهود والنصاري ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ! [يحذِّرهم مثل ما صنعوا] لا يبقين دينانٍ بأرض العرب .

مقالته في شكواه

ولم يشْك شكوى إلا سأل الله العافية ، حتى كان مرضه الذي مات فيه ، فإنه لم يكن يدعو بالشفاء ، وطفقَ يقول : يا نفْسُ مالك تلوذين كلَّ ملاذ[6] ؟

التخيير بين الشفاء والغفران

وأتاه جبريل عليه السلام فقال : إن ربك يقرئك السلام ويقول : إذا شئت شفيتك ، وكفيتك ، وإن شئت توفيتك وغفرت لك !! فقال : ذلك إلى ربي يصنع بي ما يشاء .

مقالته في كرب الموت

وكان لما نزل به ، دعا بقدحٍ من ماء ، فجعل يمسح على وجهه ويقول : اللهم أعنِّي على كُرَبِ الموت ، وأخذته بحَّة شديدة فجعل يقول : مع الرفيق الأعلى !

---

(١) في (خ) « وتذكر » . (٢) في (خ) « رأسها » .

(٣) المعروف أن « أم سلمة » رضي الله عنها هي التي هاجرت إلى الحبشة ، ولم يذهب أحد من رواة السيرة إلى أن « زينب بنت جحش » رضي الله عنها ، هاجرت إلى الحبشة .

(٤) زيادة من (ابن سعد) .

(٥) الخميصة : كساء من الصوف أسود مربع له علمان .

(٦) الملاذ : الملجأ .

وقد شخص بصره[١] .

وفاته في حجر عائشة وخبر الذهب

وتوفي في حجر عائشة رضي الله عنها وقد قال لها لما حُضِر[٢] – وهو مستند إلى صدرها – : ما فعلت بالذَّهب ؟ فأتته بها وهي تسعة دنانير ، فقال : أنفقيها !! ما ظنُّ محمَّد بربه لو لقى الله وهي عنده ؟!

مسارة فاطمة

ودعا ﷺ ابنته فاطمة عليه السلام ، فسارَّها فبكت ؛ ثم دعاها فسارَّها فضحكتَّ ؛ فسئلتْ عن ذلك بعد فقالت : دعاني أول مرَّة فقال : إن القرآن كان يعرض علي في كل عام مرةً ، وعرض عليَّ العام مرتين ولا أراني إلا ميتاً في مرضي هذا ! فبكيت . ثم دعاني فقال : أنتِ أسرع أهلي لحوقاً بي ! فضحكت . فماتت بعد وفاته بستَّة أشهر . وقيل : أقل من ذلك .

إمامة أبي بكر رسول الله ﷺ قبل موته

وقال [ﷺ][٣] : ما هلك نبيٌّ حتى يؤمَّه رجلٌ من أمته . فلما كان يوم الاثنين ، صلى أبو بكر رضي الله عنه بالناس الصبح ، فأقبل رسول الله ﷺ يتوكأ على الفضل بن العباس وثوبان ، ولم يبق امرأة ولا رجل إلا أصبح في المسجد ! لوجعه عليه السلام ، فخرج حتى جلس إلى جنب أبي بكر ، فصلى بصلاة أبي بكر ، فلما قضي صلاته جلس – وعليه خميصةٌ له – فقال : إنكم والله لا تمسكونَ عليَّ بشيء ، إني لا أحلُّ إلا ما أحل الله في كتابه ، ولا أحرَّم إلا ما حرم الله في كتابه ! يا فاطمة بنت محمد ! ويا صفيَّةَ بنت عبد المطلب !! إعملا لما عند الله ، لا أملك لكما من الله شيئاً ! وصلى أبو بكر رضي الله عنه بالناس – إلى أن توفِّي رسول الله ﷺ – سبع عشرة صلاة .

---

(١) شخص بصره : إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف .

(٢) حضر بالبناء للمجهول : إذا دنا منه الموت أو نزل به .

(٣) زيادة للبيان .

وفـاتـه

وتوفي رسول الله ﷺ ضحي يوم الأثنين لاثنتي عشرة مضت من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من مهاجره – وقيل مستهله ؛ وقيل ثانيه – ، فبعث العبَّاس رضي الله عنه في طلب أبي عبيدة بن الجراح ، وكان يشُقُّ : [يُضْرِح][1] وبعث في طلب أبي طلحة ، وكان يَلحَد[2] ، وقال اللهم اختر لنبيك ! فوجد أبو طلحة .

حيث دفن

وقال أبو بكر رضي الله عنه – وقد اختلفوا أين يدفن – : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما مات نبي قط إلا دفن حيث يُقْبَض . فخط له ﷺ حول الفراش ، ثم حوِّل بالفراش في ناحية البيت ، وحفر أبو طلحة القبر ، فانتهى به إلى أصل الجدار إلى القبلة ، وجعل رأسه ﷺ بما يلي بابه الذي كان يخرج منه إلى الصلاة . ثم غسلوه من بئر عرس ، وكان يشرب منها .

جهاز رسول الله ﷺ

ولما أخذوا في جهازه أمر العباس رضي الله عنه فأغلق الباب ، فنادت الأنصار نحن أخواله ، ومكاننا من الإسلام مكاننا ، وهو ابن أختنا !! ونادت قريشٌ : نحن عصبته[3] ، فأدخل من الأنصار أوْس بن خَوْلِّي ، وأحضروا الماء من بئر عرْس ، واحضروا سدراً وكافوراً ، فأرسل الله عليهم النوم فما منهم رجلٌ إلا واضعا لحيته على صدره وقائل يقول ما ندْري من هو !: اغسلوا نبيكم وعليه قميصه ! فَغُسِّلَ في القميص . وغُسِّلَ الأولى بالماء القراح ، والثانية بالماء والسدر والثالثة بالماء والكافور .

الغُســل

وغسَّله عليٌّ والفضل بن عباس – وكان الفَضْلُ رجلا أيِّداً[4] –، وكان يقَلِّبُه

(١) ضرح الضريح للميت : حفر له فشق في وسط القبر (وكان ذلك عمل أهل مكة لموتاهم) .
(٢) لحد اللحد للميت : حفر وشق في جانب القبر (وكان ذلك عمل أهل المدينة لموتاهم) .
(٣) عصب الرجل : أقاربه من جهة الأب .
(٤) الأيد : الشديد القوي .

شقَران ، ووقف العباس بالباب وقال : لم يمنعني أحضر غسله إلا أني كنت أراه يستحي أني أراه حاسراً[1] . وذهب علي رضي الله عنه يلتمس من بطن النبي ﷺ ما يُلتمَس من بطن الميت ، فلم يجد شيئاً ، فقال : بأبي وأمي !! ما أطيبك حياً وميتاً !! وقيل غسله علي ، والعباس وابنه الفضل يعينانه ، وقثم وأسامة وشُقْران يصبون الماء .

الكــفـن

واشترى له عليه السلام حُلة حَبرة بتسعة دنانير ونصف ليكفَّن بها . ثم بدا لهم فتركوها . فابتاعها عبد الله بن أبي بكر . وكفِّن ﷺ في ثلاثة أثواب سَحُوليَّة بيض[2] ، أحدُها بُرْدُ حبرةٍ . وقيل : أحدهـا حلة حِبَرةٍ وليس فيها قميص ولا عمامةٌ وأدرج في أكفانه .

وقيل : كُفِّن في حلة حبرة وقميص . وفي رواية : في حلة حمراء نجرانية وقميص . وقيل : إن الحلة اشتريت له فلم يكفَّن فيها . وقيل كفِّن في سبعة أثواب ، وهو شاذ . وقيل : كفن في ثلاثة أثواب : قميصه الذي مات فيه ، وحلة نجرانية ، وهو ضعيف ، وحُنِّط بكافور ، وقيل : بمسكٍ[3] .

الصلاة على رسول الله ﷺ

ثم وضع على سريره ، وكان ألواحاً ثم أحدثت له بعد ذلك قوائم ، ووضع السرير على شفير القبر ، ثم كان الناس يدخلون زمراً زمراً . يصلون عليه .

أول من صلى على رسول الله ﷺ

وأوَّل من صلى عليه العباس وبنو هاشم . ثم خرجوا ودخل المهاجرون ، ثم الأنصار : زُمْرة زُمْرةً ، ثم دخل الصبيان ، ثم النساءُ .

وقيل صُلِّيَ عليه اثنتان وسبعون صلاة[4] .

(١) حاسراً : كاشفاً ثيابه .

(٢) سحولية : نسبة إلى سحول ، وهي قرية باليمن .

(٣) الحنوط طين يُحنَّط للميت .

(٤) في (خ) « اثنان وسبعون » .

خبر أمهات المؤمنين

وقد قامت أمهات المؤمنين يلتدمْن على صدورهن[1] : وقد وضَعْن الجلابيب عن رؤوسهن ، ونساء الأنصار يضربن الوجوه ، وقد بُحَّتْ حلوقهنَّ من الصياح[2] .

الصــلاة عليه

ولم يزل ﷺ موضوعاً على سريره ، من حين زاغت الشمسُ في يوم الاثنين إلى حين زاغت الشمس يوم الثلاثاء ، فصلّيَ عليه وسريره على شفير قبره .

يـوم دفنـه

ودفنوه ليلة الأربعاء سَحَراً . وقيل : دفن يوم الثلاثاء ، وقيل : ليلة الثلاثاء . وقيل : يوم الاثنين عند الزوال . قاله الحاكم وصحَّحه . وقال ابن عبد البرّ : أكثر الآثار على أنهُ دفِن يوم الثلاثاء ، وهو قول ، أكثر أهل الأخبار .

فلما أَرادوا أن يقبروه[3] نحَّوْا السرير قِبَلَ رجْليه[4] ، فأُدخِل من هناك .

لحده ومن دخل فيه

ودخل حُفرته العبَّاس ، والفضل بن عباس ، وقُثَم بن عباس ، وعلي ، وشقران رضي الله عنهم ، ويروي أنه نزل أيضاً أسامة بن زيد وأوس بن خَوْلّي : وبني عليه في لحده بتسع لبناتٍ ، وضُرح في لحده سَمَلُ قطيفة نجرانية كان يلبسها[5] .

ثم خرجوا وهالوا التراب ، وجعلوا ارتفاع القبر شبراً وسطحوه ، وجعلوا عليه

---

(١) لدمت المرأة صدرها أو التسعت صدرها : ضربته .

(٢) لم يثبت عن أمهات المؤمنين أنهن قد قمن بشيء من لطم الخدود وغير ذلك من الأعمال المنهي عنها شرعاً عل لسان النبي ﷺ ، وكل ما ورد في ذلك ما رواه (ابن سعد) ج٢ ص ٢٨٩ : « حتى إذا فرغت الرجال دخلت النساء فكان منهن صوت وجزع لبعض ما يكون منهن فسمعن هذه في البيت ففرقن فسكتن . وروي (ابن الأثير) في (الكامل) ج٢ ص ٣٢٠ : أن النبي ﷺ قال : « دنا الفراق والمنقلب إلى الله وسدرة المنتهى والرفيق الأعلى .. » إلى أن قال ﷺ : « ... ثم ادخلوا على فوجاً فوجاً فصلوا على ولا تؤذوني بتزكية ولا رنة » . وانظر أيضاً : (البداية والنهاية) ج٥ ص ٢٧٨ .

(٣) في (خ) « بقبره » .

(٤) نحّى الشيء : أبعده ناحية .

(٥) السمل : الخلق البالي من الثياب .

حَصْباء ورش بلالٌ رضي الله عنه على القبر الماء بقربة : فبدأ من قِبَل رأسه من شقه الأيمن حتى انتهى إلى رجليه ، ثم ضرب الماء إلى الجدار ، ولم يقدر أن يَدُور من الجدار .

عمره عند وفاته ﷺ

وكان عمره ﷺ يوم توفاه الله ثلاثاً وستين سنة على الصحيح . وقيل كان ستين . وقيل خمساً وستين . وهذه الأقوال الثلاثة في صحيح البخاريِّ عن ابن عباس رضي الله عنه[1].

فصل في ذكر أسمائه ﷺ

إعلم أن لرسول الله ﷺ عدة أسماء : منها ما سماه الله – عزل وجل – به في القرآن الكريم ، ومنها ما سمي به رسول الله ﷺ نفسه ، وقد سُمِّي بعدة أسماء كثيرة .

فذكر الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن وهبة بن عساكر – رحمه الله – عشرين اسماً .

وذكر الحافظ أبو الفرح عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي – رحمه الله – ثلاثة وعشرين اسماً[2]

وقال الحافظ أبو الخطاب عمر بن حسن بن دحية – رحمه الله – ثلاثمائة اسم في كتابه (المستوفي في أسماء المصطفي) [وقال][3] : أنه إذا فحص عن جملتها من الكتب المتقدمة والقرآن العظيم والحديث النبوي بلغت ثلاثمائة اسم .

وذكر أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن الحرالي تسعة وتسعين اسماً .

وذكر القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري في شرح جامع الترمذي عن بعض الصوفية : أن لله تعالى ألف اسم ، وللنبي ﷺ ألف اسم ، عرف منها أربعة وستون اسماً فذكرها .

---

(١) آخر النسخة (ط) وهو ما يقابل السطر الثالث والعشرين من ص ١٧٩ من النسخة (خ) .
(٢) (صفة الصفوة لابن الجوزي) جـ١ ص ٥٤ ، ٥٥ باب ذكر أسماء رسول الله ﷺ .
(٣) زيادة للسياق .

وأشهر أسمائه ﷺ (محمد) و (أحمد) ، وهما إسمان من أسماء الأعلام التي يراد بها التمييز بين الأشخاص ، وكل منهما ومن بقية أسمائه يشتمل على معنى من معاني الفضل .

ومن تأمل علم أنه ليس من أسماء الناس اسم يجمع من [معاني صفات الحمد][1] ما يجمعه هذان الاسمان ؛ فأحمد اسم منقول من صفة لأفعل ، وتلك الصفة - أفعل - التي يراد بها التفضيل ، فمعنى أحمد : أي أحمد الحامدين لربه . والأنبياء عليهم السلام كلهم حامدون لله تعالى ، إلا أن نبينا ﷺ أكثرهم حمداً ، فيكون هو الأحق بالحمد ، ومحمد هو البليغ في الحمد ، فمن سُمِّي بهذين الاسمين فقد سُمِّي بأجمع الأسماء لمعاني الفضل .

يقال رجل محمد ومحمود ، إذا كثرت خصاله المحمودة ، ومعنى الاسمين واحد ، فإنَّ وصف الشخص بأنه أحق بالحمد مبالغة في حمده ، والمبالغة في حمده تقديرٌ له في الحمد على من لا يبالغ في حمده ، فأحمد على هذا هو محمد ، ومحمدٌ أحمد .

وقد ذكر الله جل جلاله هذين في كتابه فقال تعالى ﴿ **محمد رسول الله** ﴾[2] ، وقال : ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل** ﴾[3] ، وقال : ﴿ **ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد** ﴾[4] .

وخرَّج الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري - رحمه الله - في صحيحه من حديث سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه : قال : قال رسول الله ﷺ : ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم ؟ - يشتمون مذمما ، ويلعنون مذمما ، وأنا محمد[5] .

وخرَّج النسائي أيضاً ، وذكر أبو الربيع بن سالم أنه روي عن عبد المطلب إنما سماه ﷺ محمداً لرؤيا رآها ، زعموا أنه رأى في منامه سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الأرض ، وطرف المشرق وطرف في

---

(١) ما بين القوسين غير واضح في التصوير من النسخة (خ) ولعل ما أثبتناه هو المناسب .
(٢) من الآية ٢٩ / الفتح .
(٣) من الآية ١٤٤ / آل عمران .
(٤) من الآية ٦ / الصف .
(٥) (صحيح البخاري) جـ٢ ص ٢٧٠ باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ .

المغرب ، ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها في نور وإذا أهل المشرق والمغرب يتعلقون بها فقصها . فعبَّرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب ، ويحمده أهل السماء والأرض ، فلذلك سمّاه محمداً ، مع ما حدثته آمنة به[1] .

وقال أبو القاسم السهيلي[2] : لا يعرف في العرب من تسمى بهذا الاسم قبله ﷺ إلا ثلاثة طمع آباؤهم حيث سمعوا بذكر محمد وبقرب زمانه وأنه يبعث بالحجاز ، أن يكون ولداً لهم ، ذكرهم ابن فورك في كتاب الفصول ، وهم : محمد ابن سفيان بن مجاشع جد[3] الفرزدق الشاعر ، والآخر : محمد بن أحيحة بن الجلاح ابن الحريش بن جمحي بن كلفة بن عوف بن عمرو بن مالك بن الأوس ، والآخر : محمد بن حمران بن ربيعة .

وكان آباؤهم الثلاثة قد وفدوا على بعض الملوك ، وكان عنده علم من الكتاب الأول ، فأخبرهم بمبعث النبي ﷺ وباسمه ، وكان كل واحد منهم قد خلَّف امرأته حاملا ، فنذر كل واحد منهم : إن ولد له ذكر أن يسميه محمداً ، ففعلوا ذلك .

وذكر القاضي عِيَاض : من تسمي بمحمد في الجاهلية فبلغوا ستة ، ثم قال في هذين الاسمين من عجائب خصائصه وبدائع آياته شيءٌ آخر ، هو أن الله جَلَّ اسمه حمى أن يسمَّى بهما أحد قبل زمانه ، أما أحمد الذي أتي في الكتاب وبشرت به الأنبياء . فمنع الله تعالى بحكمته أن يسمَّى به أحد غيره ، ولا يُدعى به مدعو قبله ، حتى لا يدخل لَبْس على ضعيف القلب ، أو شكٌ[4] .

وكذلك محمد أيضاً لم يسمَّ به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبيل وجوده ﷺ وميلاه ، أن نبياً يبعث اسمه محمد ، فسمَّى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك ، رجاء أن يكون أحدهم هو ، والله أعلم حيث يجعل رسالته ، وهم : محمد بن أحيحة بن الجُلاح الأوسي ، ومحمد بن مسلمة الأنصاري ، ومحمد بن برَّاء البكري ، ومحمد بن سفيان بن مجاشع ، ومحمد بن حُمران الجُعْفي ، ومحمد

---

(١) (الروض الأنف) جا ص ١٨٢ « مع ما حدثته به أمه حين قيل لها : إنك حملت بسيد هذه الأمة ، فإذا وضعتيه فسميه محمد » .

(٢) (المرجع السابق) جا ص ١٨٢ .

(٣) في (خ) « جد الفرزدق » وما أثبتناه من (السهيلي) جا ص ١٨٢ .

(٤) (الشفاء للقاضي عياض) جا ص ١٤٥ .

ابن خزاعي السلمي ، لا سابع لهم .

ويقال : أول من سمى محمداً ، محمد بن سفيان ، واليمن تقول : بل محمد ابن اليُحمد من الأزد ، ثم حمى الله كل من تسمى به أن يَدَّعي النبوة ، أو يدعيها أحد له ، أو يظهر عليه سبب يشك أحداً في أمره حتى تحققت السمتان له ﷺ ولم ينازع فيهما .

قال كاتبه . وذكر محمد بن مسملة الأنصاري فيهم ، فيه نظر من حيث أنه وُلد بعد ولادة النبي ﷺ بنحو عشر سنين ، ولكنه صحيح من حيث أنه لم تكن النبوة ظهرت – والله أعلم .

وذكر ابن سعد فيهم : محمد الجشمي في بني سراه ، ومحد الأسيدي ، ومحمد الفقيمي .

وقال أبو العباس المبرد : فتش المفتشون فما وجدوا بعد نبينا ﷺ من اسمه أحمد قبل أبي الخليل بن أحمد .

وللبخاري من حديث الزهري ، أخبرني محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه سمعت رسول الله ﷺ يقول[1] : إن لي أسماء ؛ أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب الذي ليس بعدي أحد ، وقد سماه الله رءوفاً رحيماً ، ذكره البخاري في التفسير ، وانتهى حديثه عند قوله : وأنا العاقب .

وذكره مسلم أيضاً من حديث عقيل ، قال : قلت : لابن شهاب وما العاقب ؟ قال : الذي ليس بعده نبي[2] .

ومن حديث معمر وعقيل: وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر[3] ، وللبخاري من حديث مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : لي خمسة أسماء : أنا محمد وأحمد ، وأنا الماحي الذي

---

(١) في رواية (البخاري) جـ٢ ص ٢٢٠ « سمعت رسول الله ﷺ يقول : لي أسماء » .

(٢) (مسلم بشرح النووي) جـ١٥ ص ١٠٦ .

(٣) في (خ) « الكفرة » .

يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس عل قدمي ، وأنا العاقب .

وذكره البخاري في المناقب في باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر : تفرد برفعه عن مالك جويرية بن أسماء ، ورواه عبد الله ابن وهب ، وبشر بن عمرو الزهراني ، ويحيى بن عبد الله بن بكير المصري عن مالك مرسلا لم يذكر فيه جبيراً ، ورفعه صحيح عن الزهري ، فقد وصله عنه يونس ابن زيد ، وشعيب بن أبي حمزة الحمصي ، وسفيان بن عيينة (انتهى) .

وقد رفعه عن مالك غير جويرية بن أسماء قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر : وقد ذكر حديث مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم أن النبي هكذا روي هذا الحديث [وراه][1] يحيى مرسلا لم يقل عن أبيه ، وتابعه على ذلك أكثر رواة الموطأ ، وممن تابعه على ذلك القيعي وابن بكير ، وابن وهب وابن القامس ، وعبد الله بن يوسف ، وابن أبي أُوَيْس ، وعبد الله بن مسلم الدمشقي ، وأسنده عن مالك معن بن عيسى ، ومحمد بن المبارك الصوري ، ومحمد بن عبد الرحيم ، وابن شروس الصنعاني ، وإبراهيم بن طهمان ، وحبيب ومحمد بن وهب ، وأبو حذافة ، وعبد الله بن نافع ، وأبو المعتب الزهري ، كل هؤلاء رواه عن مالك مسنداً عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه .

وخرجه مسلم من حديث سفيان عن الزهري ، سمع محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه : أن النبي ﷺ قال : أنا أحمد ، وأنا محمد ؛ وأنا الماحي الذي يُمْحي بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبي ، وأنا العاقب ، والعاقب الذي ليس بعده نبي[2] .

وخرجه عبد الرازق ، أخبرنا معمر عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن لي أسماء : أنا أحمد وأنا محمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر يُحْشَرُ الناس على قدمي ، وأنا العاقب ، قال : قلت للزهري : وما العاقب ؟ قال : الذي ليس بعده نبي .

وخرجه مسلم أيضاً عن عبد بن حميد عن عبد الرازق ، وأخرجه أيضاً من

---

(١) زيادة للسياق .

(٢) (مسلم بشرح النووي) جـ١٥ ص ١٠٤ .

حديث يونس بن يزيد عن الزهري ، وقال في الحديث : وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد ، وقد سمّاه الله رءوفاً رحيماً[1] ، ويحتمل أن تكون تفسير العاقب من قول محمد بن شهاب الزهري ، كابينه معمر ، وقوله : وقد سماه الله رءوفاً رحيماً ، من قول الزهري ، والله أعلم .

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : سألت سفيان - يعني ابن عيينة - عن العاقب فقال لي : آخر الأنبياء .

قال أبو عبيد : وكذلك كل شيء خلف بعد شيء فهو عاقب ، وقد عقب يعقب عقباً ، ولهذا قيل : ولد الرجل بعده عقبة ، وكذلك آخر كل شيء عقبه .

وقوله يحشر الناس على قدمي : أي قُدَّامي وأمامي . أي أنهم مجتمعون إليه ، وينضمون حوله ، ويكونون أمامه يوم القيامة ووراءه .

وقال الخليل بن أحمد حشرتهم السنة : إذا ضمتهم من البوادي ، وهذا الحديث مطابق لقوله تعالى : ﴿ **ما كان محمد أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين** ﴾[2] .

وقد روي : يحشر الناس على قدمي بالإفراد مخفف الياء ، وروي بتشديد الياء عل التثنية[3] .

وقيل معناه أنه أول من يبعث من القبر ، وكل من عداه إنما يبعثون بعده ، وهو أول من يذهب به من المحشر ثم الناس في إثره .

وقيل معنى قوله وأنا الماحي ، يعني تمحى به سيئات من اتبعه .

وخرج أبو داود الطيالسي من حديث جابر [عن] نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : أنا محمد وأنا أحمد والحاشر ونبي التوبة ونبي الملحمة .

ولمسلم من حديث الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يسمي لنا نفسه أسماء فقال :

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٥ .
(٢) من الآية ٤٠ / الاحزاب .
(٣) (مسلم بشرح النووي) جـ١٥ ص ١٠٥ .

أنا محمد وأحمد[1] والمقفي والحاشر ونبي التوبة ونبي الملحمة[2] .

وقد روي من عدة طرق عن الليث بن سعد رحمه الله قال : حدثني خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن عتبة عن مسلم عن نافع بن جبير بن مطعم أنه دخل على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك : أتحصي أسماء رسول الله التي كان جبير بن مطعم يعدها ؟ قال نعم ؛ قال هي ستة : محمد وأحمد وخاتم وحاشر وعاقب وماحي ؛ فأما حاشر : فبعث مع الساعة نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، وأما عاقب ، فإنه عقب الأنبياء ، وأما ماحي ، فإن الله عزَّ وجلَّ محا به سيئات من اتبعه .

وذكره الحاكم في المستدرك وقال : حديث صحيح على شرط الشيخين ، وقد قيل إنه إنَّما سُمي نبي التوبة لأنه أخبر أن الله يقبل التوبة من عباده إذا تابوا ، وسمي نبي الملحمة لأن الله فرض عليه قتل الكفار ، وجعله شرعاً باقياً إلى قيام الساعة ، فما فتح مصراً من الأمصار إلا بالسيف أو خوفاً من السيف ، إلا المدينة النبوية فإنها فتحت بالقرآن .

وقيل معنى المُقَفى : المتبع للأنبياء عليهم السلام ، يقال قفوته أقفوه ، وقفيته أقفيه إذا اتبعته ، وقافية كل شيء آخره ، وقيل لأنه قفي إبراهيم عليه السلام .

وقيل المقفي لموسى وعيسى عليهما السلام ، لنقل قومهما من اليهودية والنصرانية إلى الحنفية .

وقيل إنما اقتصر ﷺ على هذه الأسماء مع أن له أسماء غيرها ، لأنها موجودة في الكتب المتقدمة ، وعند الأمم السالفة .

وروي الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إنما أنا رحمة مهداة ، ورواه وكيع عن الأعمش عن أبي صالح منقطعاً .

وروي الكلبي عن أبي صالح عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في قول الله سبحانه : ﴿ **طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى** ﴾[3] ؛ يا رجل ما أنزلنا عليك

---

(١) في (خ) « أنا محمد ومحمد وأحمد » .

(٢) ونحوه (في سنن الترمذي) جـ٤ ص ٢١٤ حديث رقم ٢٩٩٦ وفي (الشمائل المحمدية للترمذي) ص ١٩٦ ، ١٩٧ .

(٣) أول سورة طه .

القرآن لتشقى ، وكان يقوم الليل على رجليه ، فهي لعك[1] ، إن قلت لعكيٍّ يا رجل ، لم يلتفت ، فإذا قلت له طه ، التفت إليك[2] .

وقال الخليل بن أحمد : خمسة من الأنبياء ذووا اسمين : محمد وأحمد نبينا ﷺ ، وعيسى والمسيح ، وإسرائيل ويعقوب ، ويونس وذو النون ، وإلياس وذو الكفل ، عليهم السلام[3] .

وقال أبو زكريا بن محمد العنبري : ولنبينا محمد ﷺ خمسة أسماء في القرآن : محمد ، وأحمد ، وعبد الله ، وطه ويس ، قال الله تعالى في ذكر محمد ﷺ : ﴿ **محمد رسول الله** ﴾ وقال : ﴿ **ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد** ﴾[4] وقال : ﴿ **وأنه لما قام عبد الله يدعوه** ﴾[5] : يعني النبي ﷺ ليلة الجن ﴿ **كادوا يكونون عليه لبدا** ﴾[5] . وإنما كانوا يقعون بعضهم على بعض كما أن اللبد تتخذ من الصوف فيوضع بعضه على بعض فيصير لبدا .

قال تعالى : ﴿ **طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى** ﴾ ، والقرآن إنما نزل على رسول الله ﷺ دون غيره .

وقال تعالى : ﴿ **يس** ﴾ يعني يا إنسان ، والإنسان ها هنا : هو محمد ﷺ ، ﴿ **إنك لمن المرسلين** ﴾ ، وقد سماه الله تعالى في القرآن الكريم رسولاً ونبياً أمياً ، وسماه شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، وسماه رءوفاً رحيماً ، وسماه نذيراً مبيناً ، وسماه مذكِّراً ، وجعله رحمة [للعالمين ﷺ][6] .

وعن كعب الأحبار قال : قال الله تعالى لمحمد ﷺ : عبدي المختار .

وعن سفيان بن عيينة قال : سمعت على بن زيد يقول : اجتمعوا فتذاكروا أي بيت أَحْسَن فيما قالت العرب ؟ قالوا : الذي قال أبو طالب ، للنبي ﷺ :

---

(١) لعك : قبيلة يضاف إليها مخلاف باليمن (معجم البلدان) جـ٤ ص ١٤٢ .

(٢) وفي (تفسير الطبري) في معنى قوله تعالى : ﴿ **طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى** ﴾ : « والذي هو أولى بالصواب عندي من الأقوال فيه قول من قال : معناه : يا رجل ، لأنها كلمة معروفة في لعك فيما بلغني ، وأن معناها فيهم : يا رجل » (تفسر الطبري) جـ١٦ ص ١٣٦ .

(٣) ذكره (القرطبي) في (الجامع لأحكام القرآن) جـ١ ص ٢٨١ .

(٤) من الآية ٦ / الصف . (٥) آية ١٩ / الجن .

(٦) ما بين القوسين مطموس في (خ) بقدر كلمتين أو ثلاثة ولعل ما أثبتناه هو المناسب .

وشق له من اسمه يجله　　فذو العرش محمود وهذا محمد

ومن أسمائه : الضحوك القتال ، والأمين ، والقُثَم ، وأحيد ، لأنه يحيد أمته عن نار جهنم ، فهومحمدوأحمد والأمين ، والأمي والحاشر والخاتم ، والرسول ، ورسول الله والشاهد والضحوك ، والعاقب والفاتح ، والقتال والقُثم ، والماحي والمصطفى ، والمتوكل والمقفي ، والنبي والنذير ، ونبي الرحمة ، ونبي الملاحم .

فصل في ذكر كنية رسول الله ﷺ

إعلم أن الكنية إنما وضعت لاحترام المكنى بها وإكرامه وتعظيمه ، كي لا يصرح في الخطاب باسمه ، ومنه قول[الشاعر][1] :

أكنيه حين أناديه لأكرمه　　ولا ألقبه والسَّوءةُ اللقبا

ويقال كنيت الرجل بأبي فلان ، وأبا فلان على تعدية الفعل ، بعد إسقاط الحرف كلية بكسر الكاف وضمها .

وكذلك يقال : كنيته ، وكنية فلان أبو فلان ، وكذلك كنيته بالكسر ، أي الذي يكني به .

وقال اللحياني : يقال كُنية ، وكَنية ، وكِنية ، وكُنوة ، وكَنوة ، وكِنوة .

وقال المبرد : الكنية من الكناية ، والكناية ضرب من التعظيم والتفخيم ، فيعظم الرجل أن يدعى باسمه فيكنى . ووقعت الكنية في الصبي على جهة التفاؤل بأن يكون له ولد فيدعى به ، وفي الكبير بأن يصان اسمه باسم ابنه ، وقال غيره : يقال كنوته وكنيته .

وقال المطرزي : يقال أيضاً : أكنيتُه من الكنية ، ويقال ـــ: إن الأصل في سبب الكني في العرب أن ملكا من ملوكهم الأول وُلِدَ له ولد ، توسم فيه النجابة ، فشغف به حتى إذا نشأ وترعرع لأن يؤدب أدب الملوك ، أحب أن يفرد له موضعاً بعيداً من العمارة ، يكون فيه مقيما يتخلق بأخلاق الملوك من مؤدبيه ، ولا يعاشر من يضيع عليه بعض زمانه ، فبني له في البرية منزلا ونقله إليه ، ورتب إليه من يؤدبه بأنواع الآداب العلمية والملكية ، فأقام له ما يحتاج إليه من أمر دنياه ، ثم أضاف

(١) ما بين القوسين بياض في (خ) .

إليه من أقرانه وأضرابه من أولاد بني عمه ، وأمرائه ليؤنسوه ويتأدبوا بآدابه ، ويحببوا إليه الأدب بموافقتهم له عليه . وكان الملك في رأس كل سنة [يذهب][1] إلى ولده ، ويستصحب معه من أصحابه من له عند ولده ولد ، ليبصروا أولادهم ، وكانوا إذا وصلوا إليهم سأل ابنُ الملك عن أولئك الذين جاءوا مع أبيه ليعرفهم بأعيانهم ، فيقال له : هذا أبو فلان : وهذا أبو فلان ؛ يعنون آباء الصبيان الذين هم عنده ، فكان يعرفهم بإضافتهم إلى أبنائهم ، فمن هنالك ظهرت الكني في العرب .

وكان رسول الله ﷺ يكنى بأبي القاسم ، وبأبي إبراهيم ، خرَّج البخاري ومسلم من حديث حميد عن أنس رضي الله عنه قال : نادى رجل رجلا بالبقيع : يا أبا القاسم ، فالتفت إليه رسول الله ﷺ فقال [الرجل][2] يا رسول الله إني لم أعنك !! إنما دعوت فلاناً ، فقال رسول الله ﷺ : تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي واللفظ لمسلم[3] .

وقال البخاري : دعا رجل رجلا . وقال : سموا بإسمي ، ولا تكنوا بكنيتي ، ذكره في البيوع في باب ما ذكر في الأسواق . وفي لفظ له : كان النبي ﷺ في السوق ، فقال رجل : يا أبا القاسم ، فالتفت إليه النبي ﷺ ، فقال [الرجل][4] : إنما دعوت هذا ، فقال النبي ﷺ : سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي[5] . وذكره أيضاً في المناقب .

وخرج البخاري ومسلم من حديث شعبة عن سليمان ومنصور وقتادة ، سمعوا

(١) مكان هذه الكلمة في (خ) ما رسمه « بعنى » ، ولم أتبين معناه ، ولعل ما أثبتناه يتمم المعنى .

(٢) زيادة للإيضاح .

(٣) (صحيح البخاري) جـ٢ ص ٢٧٠ ، (سنن ابن ماجة) جـ٢ ص ١٢٣٠ ، ١٢٣١ باب (٣٣) الجمع بين اسم النبي ﷺ وكنيته ، الأحاديث أرقام ٣٧٣٥ ، ٣٧٣٦ ، ٣٧٣٧ .

(٤) زيادة للإيضاح .

(٥) سنن الترمذي جـ٤ ص ٢١٤ ، ٢١٥ باب ما جاء في كراهية الجمع بين اسم النبي ﷺ وكنيته ، الأحاديث أرقام ٢٩٩٧ ، ٢٩٩٨ ، ٢٩٩٩ ، ٣٠٠٠ وقال فيه : حدثنا محمد بن بشار ، أخبرنا يحيى ابن سعيد القطان ، أخبرنا قطر بن خليفة حدثني منذر ، وهو الثوري عن محمد ، وهو ابن الحنفية عن علي بن أبي طالب أنه قال : « يا رسول الله أرأيت إن ولد لي بعدك أسميه محمداً وأكنيه بكنيتك ؟ قال : نعم ، قال : فكانت رخصة لي » ، هذا حديث حسن صحيح ، أنظر أيضاً : سنن أبي داود جـ٥ باب قم ٧٤ ، ورقم ٧٥ ، ورقم ٧٦ الأحاديث أرقام ٤٩٦٥ ، ٤٩٦٦ ، ٤٩٦٧ ، ٤٩٦٨ .

سالم بن أبي الجعد عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال : ولد لرجل من الأنصار غلام ، فأراد أن يسميه محمداً ، قال شعبة في حديث منصور أن الأنصاري قال : حملته على عنقي ، فأتيت به النبي ﷺ ، وفي حديث سليمان : ولد له غلام فأراد أن يسميه محمداً ، قال : سموا بإسمي ولا تكنوا بكُنْيتي فإني جعلت قاسماً أقسم بينكم ، ذكره البخاري في كتاب الخمس وفي كتاب الأدب .

وذكر له مسلم عدة طرق ، في بعضها : تسموا باسمي ولاتكنوا بكنيتي فإنما أنا قاسم أقسم بينكم .

وفي بعضها : فإنما بُعثتُ قاسماً أقسم بينكم ، وفي بعضها : فإني أنا أبو القاسم أقسم بينكم .

وللترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي ، أنا أبو القاسم ، الله يرزق وأنا أقسم .

وخرج الدارمي من حديث عقيل عن ابن شهاب عن أنس أنه لما ولد إبراهيم ابن النبي ﷺ من مارية جاريته ، كان يقع في نفس النبي ﷺ منه حتى أتاه جبريل عليه السلام فقال : السلام عليك يا أبا إبراهيم[1] .

قال جامعُه : وللناس في التكني بأبي القاسم ثلاثة مذاهب : المنع مطلقاً ؛ وإليه ذهب الشافعي ، والجواز مطلقاً ، وأن النهي خاص بحياة الرسول ﷺ[2] . والثالث : لا يجوز لمن اسمه محمد ، ويجوز لغيره .

قال الرافعي : ويشبه أن يكون هذا هو الأصح : لأن الناس ما زالوا يفعلونه في جميع الأعصار من غير إنكار .

وقال النووي : هذا مخالف لظاهر الحديث ، وأما إطباق الناس عليه ففيه تقوية للمذهب الثاني .

وحكي الطبري مذهباً رابعاً له هو المنع من التسمية بمحمد مطلقاً ومن التكنية بأبي القاسم مطلقاً[3] .

---

(١) (فتح الباري) جـ٦ ص ٦٥٠ باب كنية النبي .

(٢) أنظر التعليق السابق .

(٣) ذكر (البيهقي) في (السنن الكبرى) جـ٩ ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ في باب ما يكره أن يتكني به : «قال

فصل في ذكر صفة رسول الله ﷺ

إعلم أن رسول الله ﷺ كان ربعه ، بعيد ما بين المنكبين ، أبيض اللون مشرباً حُمرة ، يبلغ شعره شحمة أذنيه ، وكان شعره فوق الجمة ، ودون الوفرة ، ودخل مكة وله أربع غدائر ، وكان سبط الشعر ، في لحيته كثافة ومات ﷺ ولم يبلغ الشيب في رأسه ولحيته عشرين شعرة ، وكان ظاهر الوضاءة ، يتلألأ وجهه كالقمر ليلة البدر ، وكان كما وصفته عائشة رضي الله عنها بما قاله شاعره حسان بن ثابت رضي الله عنه[1] :

متى يبد في الداجى البهيم جبينه ... يَلُحْ مثل مصباح الدجى المتوقد
فمن كان أو قد يكون كأحمد ... نظامٌ لحق أو نكالٌ لملحد

وكما كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول إذا رآه ﷺ :

أمسى مصطفى بالخير يدعو ... كعضو البدر زايله الظلام

وكما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينشد إذا رآه :

لو كنت من شيء سوى بشر ... كنت المعني لليلة البدر

وكان أبيض اللون ، ليس بالأبيض الأمهق[2] ولا بالأدم[3] ، أقنى العرنين[4] ،

= رسول الله ﷺ : سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي ، فإنما أنا قاسم بعثت أقسم بينكم » ، وفي باب من رأى الكراهة في الجمع بينهما : أن النبي ﷺ قال : « من تسمي باسمي فلا يكنى بكنيتي ، ومن تكنى بكنيتي فلا يتسمي باسمي » ، وفي باب ما جاء في الرخصة في الجمع بينهما ما رواه محمد بن الحنفية عن علي رضي الله عنه ، ثم قال : والحديث مختلف في وصله ، وتعقبه صاحب (الجوهر النقي) ص ٣٠٩ بأن (الترمذي) قد أخرج هذا الحديث ، وصححه ، وذهب إلى جواز التكني بأبي القاسم لمن اسمه محمد ، مذهب مالك وجمهور السلف وفقهاء الأمصار وجمهور العلماء ، وقد اشتهر جماعة تكنوا بأبي القاسم في العصر الأول ، وفيما بعد ذلك إلى اليوم مع كثرة فاعلي ذلك ، وعدم الإنكار ، كذا في شرح مسلم للنووي .

(١) ديوان حسان بن ثابت ص ٣٨٠ .

(٢) مهق مهقاً : كان لونه أبيض ناصع البياض بغير حمرة ، وهو معيب في لون الإنسان ، فهو أمهق (المعجم الوسيط) جـ٢ ص ٨٩٠ .

(٣) أدم أدماً وأدمة : اشتدت سمرته : فهو آدم . المرجع السابق جـ١ ص ١٠ .

(٤) قوله : أقنى العرنين : القنا أن يكون في عظم الأنف احديداب في وسطه ، والعرنين : الأنف (صفة الصفوة) جـ١ ص ١٦٢ .

سهل الخدين ، أزج الحاجبين[1] أقرن[2] ، أدعج العينين[3] ، في بياض عينيه عروق حمر دقاق ، حسن الخَلق معتدلة ، أطول من المربوع وأقصر من المشذب ، دقيق السرة ، كأن عنقه إبريق فضة ، من لبته إلى سرته شعر يجري كالقضيب ، ليس في بطنه ولا صدره شعر غيره ، شَثْنُ الكف والقدم ، ضليع[4] الفم أشنب ، مفلج الأسنان[5] ، بادنا متماسكا[6] سواء البطن والصدر ، ضخم الكراديس[7] ، أنور المتجرد ، أشعر الذراعين والمنكبين ، عريض الصدر طويل الزندين ، رحب الراحة ، شائل الأطراف[8] خمصان[9] ، بين كتفيه خاتم النبوة مثل بيضة الحمام يشبه جسده ، إذا مشى كأنما يَتَحدَّرُ من صبب[10] وإذا مشى كأنما يتقلع من صخر[11] ، وإذا التفت التفت جميعاً ، كأن عرقه اللؤلؤ ، ولريح عرقه أطيب من ريح المسك[12] .

---

(١) أزج الحاجبين : أي مقوس الحاجبين .

(٢) القرن (بالتحريك) : اقتران الحابين بحيث يلتقي طرفاهما .

(٣) الأدعج : الشديد سواد العينين .

(٤) الضليع : الواسع ، والعرب تمدح ذلك ، لأن سمته دليل الفصاحة .

(٥) الفلج : انفراج ما بين الأسنان .

(٦) البادن : السمين المعتدل السمن .

(٧) الكراديس : رءوس العظام .

(٨) السائل والشائل : الطويل .

(٩) أخمص القدم هو الموضع الذي لا يمس الأرض عند الوطء من وسط القدم .

(١٠) ، (١١) أي إذا مشي رفع رجليه بقوة . وفي رواية : (تكفّؤا) وهي تأكيد لما قبلها .

(١٢) وقد أورد ابن الجوزي في (صفة الصفوة) جـ١ ص ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ فصلا جامعاً في تفسير غريب أحاديث صفة النبي ﷺ نذكره هنا بصف إجمالية .
الفخم المفخم : هو العظيم المعظم في الصدور والعيون .
المشذب : الطويل الذي ليس بكثير اللحم .
الرجل الشعر : الذي في شعره تكسر ، فإذا كان الشعر منبسطاً قبل شعر سبط .
والعقيقة : الشعر المجتمع في الرأس .
الأزهر اللون : النير .
أزج الحواجب : أي طويل امتدادهما لوفور الشعر فيهما وحسنه إلى الصدغين .
الأشم : الذي عظم أنفه طويل إلى طرف الأنف .
وضليع الفم : كبيره ، والعرب تمدح بذلك وتهجو بصغره .
والدمية : الصورة وجمعها دمي .
بادن متماسك : أي تام خلق الأعضاء ليس بمسترخي اللحم ولا كثيره .

وقال عند أم سليم[1] فعرق ، فجاءت بقارورة فجعلت تسكب العرق فيها ، فاستيقظ ﷺ فقال : يا أم سليم ، ما هذا الذي تصنعين ؟ قالت : هذا عرقك نجعله في طيبنا وهو أطيب من الطيب .

وكان في صوته صهل وفي عنقه سطع ، إن سكت فعليه الوقار ، وإن تكلم سماه وعلاه البهاء ، أجمل الناس وَأَبْهَاهُ من بعيد ، وأحلاه وأجمله من قريب ، حلو المنطق خافض الطرف ، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء يسوق أصحابه ، ويبدأ من لقيه بالسلام ، أجود الناس كَفًّا ، وأرحب الناس صدراً ، وأصدق الناس لهجة ، وأوفى[2] الناس بعهده ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشرة ، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه [معرفة أَحَبَّه] .

يقول ناعته : لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ .

فأما صفة رأسه المقدس

فقد خرج أبو عيسى الترمذي من حديث جميع بن عمر العجلي قال : حدثني رجل

سواء البطن والصدر : معناه أن بطنه ضامر وصدره عريض ، فلهذا ساوى بطنه صدره .
انور المتَجرَّد : أي نَيِّر الجسد إذا تجرد من الثياب .
والنيـــر : الأبيض المشرق .
مسيح القدمين : أي ليس بكثير اللحم فيهما وعلى ظاهرهما .
ذريع المشية : واسع المشية من غير أن يظهر منه استعجال .
المهـــبن : الحقـــبر .
يسوق أصحابه : يقدمهم بين يديه ومن ورائه .
لكل حال عنده عتاد : أي عدة ، يعني أنه قد أعد للأمور أشكالها .
وقوله : يرد بالخَاصَّة على العامة : فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه كان يعتمد على أن الخاصة ترفع علومه وآدابه إلى العامة ، ومعنى ذلك أن العامة كانت لا تصل إليه في هذا الوقت ، فكانت الخاصة تخبر العامة بما سمعت منه ، فكأنه أوصل الفوائد إلى العامة بالخاصة .

والثاني : أن المعني يجعل المجلس للعامة بعد الخاصة . فتنوب الباء عن (من) ، و (على) عن (إلى) .

والثالث : فيرد ذلك بدلا من الخاصة على العامة ، فتفيد الباء معنى البدل .

(١) قال : من القيلولة وهي نوم الظهيرة .
(٢) في (خ) « وأوتا » .

عن ابن لأبي هالة عن الحسن بن على عن خاله هند بن أبي هالة قال : كان رسول الله ﷺ عظيم الهامة[1] .

وقال شريك عن عبد الملك بن عمير بن نافع بن جبير قال : وَصَفَ لنا عليٌّ رضي الله عنه النبي ﷺ فقال : كان عظيم الهامة[1] .

وأما وجهه الكريم

فخرج البخاري من حديث إسحٰق بن منصور قال : أخبرنا إبراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبي إسحٰق ، قال : سمعت البراء يقول : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً ، ليس بالطويل الذاهب ، وليس بالقصير[2] .

وقال البخاري : ليس بالطويل البائن ، ذكره في باب صفة النبي ﷺ[3] .

وخرجه ابن أبي خيثمة ، من حديث إبراهيم بن يوسف كما رواه مسلم والبخاري والترمذي من حديث أبي نعيم ، حدثنا زهير عن أبي إسحٰق قال : سئل البراء أكان وجه النبي ﷺ مثل السيف ؟ قال لا؛ مثل القمر[4] . قال : هذا حديث حسن[5] .

ولمسلم من حديث أبي بكر بن أبي شيبة عن عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن سماك ، أنه سمع جابر بن سمرة قال له رجل : أكان رسول الله ﷺ وجهه كالسيف ؟ قال جابر : لا ؛ مثل الشمس والقمر مستديراً .

وقال المحاربي عن أشعث عن أبي إسحٰق عن جابر بن سمرة قال : رأيت رسول الله ﷺ في ليلة أضحَيان وعليه حُلَّة حمراء ، فجعلت أنظر إليه وإلى القمر ، فلهو أحسن كان في عيني من القمر ، وفي لفظ قال : رأيت رسول الله ﷺ في ليلة

---

(١) (الشمائل المحمدية للترمذي) ص ٩ .
(٢) الحديث رقم ٣٥٤٩ (صحيح البخاري) بشرح (ابن حجر في الفتح) .
(٣) (المرجع السابق) الحديث رقم ٣٥٤٨ .
(٤) (المرجع السابق) الحديث رقم ٣٥٥٢ .
(٥) (الجامع الصحيح للترمذي) جـ٥ ص ٢٥٩ حديث رقم ٣٧١٥ .

أضحيان[١] ، وعليه حلة حمراء ، فجعلت أماثل بينه وبين القمر[٢] .

وخرج البخاري من حديث يحيى بن بكير ، أخبرنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، أن عبد الله بن كعب - وكان قائد كعب من بنيه حين عمي - قال : سمعت كعب بن مالك يقول : لما سلمت على رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه ، وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر ، وكنا نعرف ذلك منه[٣] .

وخرج أيضاً من حديث يحيى عن عبد الرَّزاق قال : أخبرنا ابن جريج عن ابن شهاب عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل النبي ﷺ يوماً مسروراً وأسارير وجهه تبرق فقال : ألم تسمعي ما قال مجزز المدلجي ، ورأى زيداً وأسامة قد غطيا رءوسهما ، وبدت أقدامها ، فقال : إن هذه الأقدام بعضها من بضع[٤] .

وخرَّجه مسلم عن عبد بن حميد عن عبد الرَّزاق ، وقال أبو إسحٰق الهمداني عن امرأة من همدان سمّاها قالت حججتُ مع النبي ﷺ مرات فرأيته على بعير له يطوف بالكعبة ، بيده محجن ؛ عليه بردان أحمران يكاد يمس منكبه ، إذا مر بالحجر استلمه بالمحجن ، ثم يرفعه إلى فمه فيقبله ، قال أبو إسحٰق : فقلت لها شبِّهيه ، قالت : [كان] كالقمر ليلة البدر ، ولم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ[٥] .

وخرَّج عبد الله بن محمد بن إسحٰق الفاكهي من حديث أسامة بن زيد عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال : قلنا للربيع بنت معوذ : صفي لي رسول الله ﷺ قالت : لو رأيتهُ لقلت : الشمس طالعة[٥] .

وفي حديث هند بن أبي هالة : كان رسول الله ﷺ فخما مفخما[٦] يتلألأ

---

(١) أضحيان : أي مضيئة .

(٢) أخرجه الترمذي في (الشمائل المحمدية) ص ١٢ .

(٣) (فتح الباري) جـ٦ ص ٥٦٥ حديث رقم ٣٥٥٦ ، وفي (خ) « ذاك منه » وما أثبتناه رواية البخاري .

(٤) المرجع السابق ، حديث رقم ٣٥٥٥ ولفظه : « ألم تسعى ما قال المدلجي لزيد وأسامة ورأى أقدامهما » .

(٥) (البداية والنهاية) جـ٦ ص ١٥ .

(٦) في (خ) « فخما فخما » وما أثبتناه من (الشمائل) .

وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ، خرجه الترمذي[1] .

وفي حديث علي رضي الله عنه : كان في وجه رسول الله تدوير .

ولأحمد من حديث عبد الرازق قال : أخبرنا إسرائيل عن سماك أنه سمع جابر ابن سمرة يقول : كان وجه رسول الله ﷺ مستديراً .

وفي حديث أم معبد قالت[2] : رأيت رجلا ظاهر الوضاءة متبلج الوجه (تعنى مشرق الوجه مضيئه) ، ومنه : تبلج الصبح إذا أسفر .

وفي حديث هند بن أبي هالة : كان سهل الخدين ، وقال قتادة : ما بعث الله نبياً إلا بعثه حسن الوجه وحسن الصوت ، حتى بعث نبيكم ﷺ فبعثه حسن الوجه حسن الصوت ، ولم يكن يرجِّع ، ولكن كان يمد بعض المد .

وأما صفة لونه

فخرج البخاري في باب صفة النبي ﷺ من حديث يحيى بن بكير قال : حدثني الليث عن خالد عن سعيد ابن أبي هلال عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال : سمعت أنس بن مالك يصف النبي ﷺ قال : كان ربعة من القوم ليس بالطويل ولا بالقصير ، أزهر اللون ، ليس بأبيض أمهق ، ولا بأدم ، ليس بجعد قطط ، ولا سبط رجل ، أنزل عليه وهو ابن أربعين ، فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه : وبالمدينة عشر سنين ، وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء . قال ربيعة . فرأيت شعراً من شعره فإذا هو أحمر ، فسألت . فقيل : أحمر من الطيب[3] .

ولمسلم من حديث إسماعيل بن جعفر وسليمان بن بلال . كلاهما عن ربيعة عن أنس أنه سمعه يقول : كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل البائن ولا بالقصير ، وليس بالأبيض الأمهق ولا بالأدم ، ولا بالجعد القطط ، ولا بالسبط ، كان أزهر ، بعثه الله على رأس أربعين سنة ، فأقام بمكة عشر سنين ، وبالمدينة عشر سنين ، وتوفاه الله على دابر ستين سنة ، وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء[4] .

---

(١) (الشمائل المحمدية للترمذي) ص ٧٦ .

(٢) الحديث بتمامه في آخر كتاب (الشمائل المحمدية للترمذي) .

(٣) (فتح الباري) جـ٦ ص ٥٦٤ حديث رقم ٣٥٤٧ .

(٤) (صحيح مسلم بشرح النووي) جـ١٥ ص ١٠٠ .

لم يقل في حديث إسماعيل على رأس ستين سنة . قال الحافظ أبو نعيم : هذا حديث صحيح ثابت متفق عليه ، رواه عن ربيعة يحيى بن سعيد الأنصاري ، وعمرو ابن يحيى المازني ، وعبادة بن غزية ، وسعيد بن هلال وأسامة بن زيد ، ونافع بن أبي نعيم ، ومحمد بن إسحٰق ، وعبد الله بن عمر ، وفليح . وأبو أويس ، وعبد العزيزالماجشون ، والدراوردي : والثوري ، ومالك والأوزاعي ، وسعد ، وأبو بكر ابن عياش ، وقرة بن جبريل ، وأبو زكين ، وأنس بن عياض ، ومنصور بن أبي الأسود ، وإبراهيم بن طهمان في آخرين .

وخرَّج الترمذي من حديث عبد الوهاب الثقفي عن حميد عن أنس ، قال : كان النبي ﷺ ربعة ، ليس بالطويل ، ولا بالقصير ، حسن الجسم ، أسمر اللون ، كان شعره ليس بجعد ولا سبط ، إذا مشى يتوكأ ، قال أبو عيسى هٰذا حديث حسن صحيح غريب[1] .

ولمسلم من حديث الجرير عن أبي الطفيل قال : قلت له : رأيت رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، كان أبيض مليح الوجه[2] .

وله أيضاً من حديث الجرير عن أبي الطفيل قال : رأيت رسول الله ﷺ وما على وجه الأرض رجل رآه غيري ، قال : قلت : فكيف رأيته : قال : كان أبيض مليح الوجه مقصداً[2] .

وخرجه ابن أبي خيثمة والبخاري ومسلم من حديث محمد بن فضيل عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي جحيفة قال : رأيت رسول الله ﷺ قد شاب ، وكان الحسن بن علي يشبهه[3] .

ولأبي داود الطيالسي من حديث عثمان بن عبد الله بن عزيز عن نافع بن جبير عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال : كان رسول الله ﷺ مشرباً وجهه حمرة .

قال البيهقي ، ويقال إن المشرب بالحمرة ما أضحى للشمس والرياح ، وما تحت

---

(١) (الشمائل المحمدية للترمذي) ص ٢٩ حديث رقم ٢ وإسناده جيد قوى .

(٢) (مسلم بشرح النووي) جـ١٥ ص ٩٣ .

(٣) كذا في (خ) « ورواية البخاري : « رأيت النبي ﷺ ، وكان الحسن يشبهه » (فتح الباري) جـ٦ ص ٥٦٣ حديث رقم ٣٥٤٣ .

الثياب فهو الأبيض الأزهر .

وقال ابن إسحٰق عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن مالك بن جعشم ، عن أبيه أن سراقة بن جعشم قال : أتيت رسول الله ﷺ [وكان راكباً] على ناقته ، أنظر إلى ساقه كأنها جُمَّارة[1] .

وخرج الحافظ يعقوب بن سفيان الفسوي من حديث مزاحم بن أبي مزاحم عن عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد عن محرش الكعبي قال : اعتمر رسول الله ﷺ من الجعرانة ليلا فنظرت إلى ظهره كأنه سبيكة فضة .

وخرج من حديث ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أنه سمع أبا هريرة رضي الله تعالى عنه يصف رسول الله ﷺ فقال : كان شديد البياض .

وللترمذي في الشمائل من حديث صالح بن أبي الأخضر عن ابن شهاب عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : كان رسول الله ﷺ أبيض كأنما صيغ من فضة ، رجل الشعر[2] قلت : صالح بن أبي الأخضر ضعيف في الزهري ، قال ابن معين : ليس بشيء في الزهري ، وفي رواية صالح بن أبي الأخضر بغير ضعيف[3] .

وقال ابن المبارك : أخبرني رشدي بن سعد قال : أخبرني عمرو بن الحارث عن أبي يونس مولى أبي هريرة أنه سمع أبا هريرة قال : ما رأيت شيئاً أحسن من النبي ﷺ كأن الشمس تجري في وجهه ، وما رأيت أحداً أسرع في مشيته منه ، كأن الأرض تُطوى له ، إنا لنجتهد وإنه[4] غير مكترث .

وخرجه أبو عيسى الترمذي من حديث قتيبة قال : أخبرنا ابن لهيعة عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : ما رأيت [شيئاً أحسن من النبي ﷺ][5] .

وخرجه تقي بن مخلد من حديث حرملة قال : أخبرنا ابن وهب قال : أخبرني

---

(١) الجمار : قلب النخل : واحدته : جمارة (المعجم الوسيط) جـ١ ص ١٢٤ .

(٢) (الشمائل المحمدية للترمذي) ص ١٢ .

(٣) « وقال البخاري وأبو حاتم : لين ، وقال البخاري والنسائي : ضعيف ، وقال الترمذي : يضعف في الحديث - ضعفه يحيى القطان وغيره ، وقال ابن عدي : وفي بعض حديثه ما ينكر وهو من الضعفاء الذين يكتب حديثهم » (تهذيب التهذيب) جـ٤ ص ٣٨١ .

(٤) في (خ) « وأنا » .

(٥) (الشمائل المحمدية) ص ٦٠ حديث رقم ١١٥ ولفظه « أسرع في مشيته من رسول الله ﷺ » .

عمرو بن الحارث أن أبا يونس مولي أبي هريرة حدثه عن أبي هريرة أنه سمعه يقول : ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ ، كأنما الشمس تجري في وجهه ، وما رأيت أحداً أسرع من رسول الله ﷺ في مشيته كأنما الأرض تطوى له ؛ إنا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث .

قال الترمذي : هذا حديث غريب : قال مؤلفه : إسناد تقي هذا الحديث أجود من إسناد الترمذي ، وإسناد تقي على شرط مسلم .

وقد روي مسلم عن حرملة بن يحيى هذا غير ما حدثت ، ولم يخرج هو ولا البخاري من حديث ابن لهيعة شيئاً .

وخرَّج مسلم من حديث محمد بن جعفر قال : أخبرنا شعبة عن سماك بن حرب قال : سمعت جابر بن سمرة قال : كان رسول الله ﷺ ضليع الفم ، أشكل العينين ، منهوس العقبين[1] .

قال : قلت لسماك : ما ضليع الفم ؟ قال : عظيم الفم ، قلت ، ما أشكل العينين ؟ قال . طويل شق العينين ، قلت : ما منهوس العقب ؟ قال : قليل لحم العقب .

قال قاسم بن ثابت في كتاب الدلائل : وتفسير سماك على ما ذكره إلا في الشكلة ؛ فإن ابن الهيثم أخبرنا عن داود بن محمد عن ثابت بن عبد العزيز قال : الشكلة في العين حُمْرةٌ تخالط البياض ، وقال أبو عبيد : الشكلة كهيئة الحمرة تكون في بياض العين ، والشهلة عين الشكلة ، وهي حمرة في سواد العين .

وخرجه الترمذي من حديث أبي قطن قال : أخبرنا شعبة عن سماك بن حرب عن جابر بن سُمرة قال : كان رسول الله ﷺ أشكل العينين منهوس العقبِ ، قال : هذا حديث حسن صحيح .

وخرج من حديث محمد بن جعفر عن شعبة مثل حديث مسلم ، وقال في تفسيره : قال شعبة : قلت لسماك : ما ضليع الفم ؟ قال : واسع الفم .. الحديث .

(١) في (الشمائل المحمدية) « منهوس العقب » ص ١١ رقم ٨ وما أثبتناه من (خ) وهي رواية صحيح مسلم ، (مسلم بشرح النوري) جـ٣ ص ٩٣ .

وخرجه أبو داود من حديث شعبة بسنده ولفظه : كان رسول الله ﷺ أشهل العينين منهوس العقب ضليع الفم .

وللترمذي من حديث عباد بن العوام ، أخبرنا الحجاج عن سماك بن حرب عن جابر بن سُمرة قال : كان في ساقي رسول الله ﷺ حموشة ، وكان لا يضحك إلا تبسما ، وكنت إذا نظرت إليه قلت : أكحل وليس بأكحل . قال أبو عيسى . هذا حديث حسن غريب صحيح[1] .

وله من حديث عمر بن عبد الله مولى غُفْرَة قال : حدثني إبراهيم بن محمد من ولد علي رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ أدعج العينين أهدب الأشفار[2] ، والدعج : سواد العينين ، والأهدب : الطويل الأشفار ، وهو الشعر المتعلق به الأجفان .

وقال حجاج : حدثنا حماد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن محمد بن علي عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ عظيم العينين أهدب الأشفار متشرب العين بحمرة .

وخرَّج سعيد بن منصور من حديث خالد بن عبد الله عن عبيد الله بن محمد ابن عمر بن علي بن أبي طلب عن أبيه عن جده قال : قيل لعلي رضي الله عنه : إنعت لنا رسول الله ﷺ فقال : كان أبيض مُشرَباً بياضه حمرة ، وقال : كان أسود الحدقة أهدب الأشفار .

وله من حديث عيسى بن يونس قال ، حدثنا عمر بن عبد الله مولى غفرة عن إبراهيم بن محمد من ولد علي قال : كان علي رضي الله عنه إذا نعت رسول الله ﷺ قال : كان في الوجه تدوير أبيض مشرب ، أدعج العينين ، أهدب الأشفار .

ومن حديث ابن أبي ذؤيب : حدثنا صالح مولى التّزمَّة عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان ينعت النبي ﷺ قال . كان أهدب أشفار العين .

---

(١) (الشمائل المحمدية) ص ١٨٦ حديث رقم ٢٢٧ ، والحموشة : الدقة ، والكَحَل (بفتحين) : سواد في أجفان العين .

(٢) (سنن الترمذي) جـ٥ ص ٢٦٠ حديث رقم ٣٧١٧ .

أما صفة جبينه وأنفه وحاجبيه وفمه وأسنانه ونكهته

فخرَّج يعقوب بن سفيان من حديث الزهري عن سعيد بن المسيّب أنه سمع أبا هريرة يصف رسول الله ﷺ فقال : كان خاضّ الجبين أهدب الأشفار .

وفي حديث أبي هالة : كان رسول الله ﷺ واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ في غير قرن ، بينهم عرق يدره الغضب ، أقنى العرنين ، له نور يعلوه ، يحسبه من لم يتأمله أشمَّ ، سهل الخدين ضليع الفم أشنب ، مفلج الأسنان .

وقال موسي بن عقبة عن كريب عن ابن عباس رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ أفلج الثنيتين ، كان إذا تكلم رؤى كالنور بين ثناياه ، وقال أبو عبيدة معمر ابن المثنى : حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : كنت قاعدة أغزل والنبي ﷺ يخصف نعله ، فجعل جبينه يعرق ، وجعل عرقه يتولد نوراً ، فبُهت ، فنظر إليَّ فقال : مالك ؟ قلت : جعل جبينك يعرق ، وجعل عرقك يتولد نوراً ، فلو رآك أبو كثير الهزلي لعلم أنك أحق بشعره ، قال : وما يقول أبو كثير ؟ قلت : يقول :

وإذا نظرت إلى أسرَّة وجهه   برقت كبرق العارض المتهلل

فقام فقَّبل بين عيني ، وقال : جزاك الله يا عائشة عني خيراً ، ما سررت مني كسروري منك . أخرجه ابن عساكر في تاريخه .

ولابن حبان من حديث أبي جعفر الداري ، عن أبي رُهْم عن يونس بن عبيد (مولى لأنس) عن أنس قال : صحبت رسول الله ﷺ عشر سنين ، وشممت العطر كله ، فلم أشم نكهة أطيب من نكهته[1] .

وأما بلوغ صوته حيث لا يبلغ صوت غيره

فخرج أبو نعيم من حديث حمزة الزيات عن أبي إسحٰق عن البراء قال : خطبنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق في خدورهن ، ينادي بأعلي صوته : يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الإيمان إلى قلبه ، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ،

(١) ونحوه في البخاري ، أنظر (فتح الباري) جـ٦ ص ٦٦ ، حديث رقم ٣٥٦١ بلفظ آخر .

فإنه من يتبع عورة أخيه أتبع الله عورته ، ومن اتبع الله عروته فضحه في جوف بيته[١] .

وخرجه من حديث عمران بن وهب عن سعيد بن عبد الله بن جريج عن أبي بردة قال : خرج علينا رسول الله ﷺ بالهاجرة العليا بصوت يُسمع العواتق في خدورهن فقال : يا معشر من آمن بلسانه .. فذكره .

ومن حديث أبي تميلة قال : حدثنا جريج بن هلال الطائي ، حدثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : صلينا خلف النبي ﷺ يوماً ، فلما انفلت من صلاته أقبل علينا غضبان فنادى بصوت أسمع العواتق في أجواف الخدور فقال : يا معشر من أسلم بلسانه ، ولم يدخل الإيمان قلبه ، لا تسبوا المسلمين ولا تطلبوا عوراتهم ، فإنه من طلب عورة أخيه المسلم هتك الله ستره ، وأبدى عروته ولو كان في جوف بيته ، أو في ستر بيته[٢] .

عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ جلس يوم الجمعة على المنبر فقال للناس : اجلسوا ، فسمع عبد الله بن رواحة فجلسوا في بني غنم ، فقيل يا رسول الله ، ذاك ابن رواحة جالس في بني غنم ، سمعك وأنت تقول للناس اجلسوا فجلسوا في مكانه[٣] .

وله من حديث مسدد قال : أخبرنا عبد الوارث عن حميد الأعرج عن محمد ابن إبراهيم التيمي بن عبد الرحمن بن معاذ – وكان من أصحاب النبي ﷺ – قال : خطبنا رسول الله ﷺ بمنى ، ففتحنا أسماعنا حتى إن كنا لنسمع ما يقول ونحن في منازلنا ، فطفق يعلمهم مناسكهم ثم قال : عليكم بحصى الخذف[٤] .

وقال سفيان عن سعد عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة عن أم هانيء قالت : كنت أسمع قراءة النبي ﷺ وأنا على عريش أهلي .

وقال هلال بن حباب : نزلت أنا ومجاهد على يحيى بن جعدة بن أم هانيء فحدثنا عن أم هانيء قالت : كنا نسمع قراءة رسول الله ﷺ في جوف الليل عند

---

(١) (دلائل النبوة لأبي نعيم) جـ٢ ص ١٥٧ .
(٢) المرجع السابق .
(٣) المرجع السابق جـ٢ ص ١٥٨ .
(٤) المرجع السابق جـ٢ ص ١٥٨ .

الكعبة وأنا على عريشي .

وأما صفة لحيته

ففي حديث علي رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ ضخم الرأس واللحية ، وفي رواية : كان ضخم الهامة عظيم اللحية[1] .

وللترمذي من حديث أبي هالة : كان رسول الله ﷺ كثّ اللحية

ورواه حماد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن محمد بن علي عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ كث اللحية ، وليعقوب بن سفيان من حديث الزهري عن ابن المسيب أنه سمع أبا هريرة يصف رسول الله ﷺ فقال : كان أسود اللحية حسن الشعر .

وقال محمد بن المثنى : حدثنا يحيى بن كثير عن أبي ضمضم قال : نزلت بالرجيع فقيل لي : ها هنا رجل رأى النبي ﷺ فأتيته فقلت : رأيت رسول الله ؟ قال نعم ، رأيته رجلا مربوعاً حسن السَّبَلَة ، قال : وكانت اللحية تدعى فى أول الإسلام سَبْلة .

وقال عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : أن رسول الله ﷺ كان يأخذ من لحيته من طولها وعرضها بالسَّوية .

وروي ابن عبد البر من طريق جنادة بن مروان الأزدي عن جرير بن عثمان عن عبد الله بن بسر قال : كان شارب رسول الله ﷺ بحيال شفته .

وقال محمد بن عائذ : قال ابن شهاب الزهري : أخبرني عروة عن عائشة رضي الله عنها ، انصرف رسول الله ﷺ من جنازة سعد بن معاذ ويده في لحيته .

وقال ابن شهاب : أخبرني سعيد بن المسيب عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ إذا وجد[2] فإنما يده في لحيته يفتلها أو يحركها .

قال محمد بن عمرو عن علقمة الليثي عن عائشة قالت . بكى أصحاب رسول الله ﷺ على سعد – يعني ابن معاذ – حتى إني لأعرف بكاء أبي بكر من بكاء

---

(١) ونحوه في (البداية والنهاية) جـ٦ ص ١٨ .

(٢) من الوجد ، وهو الحزن والأسي

عمر رضي الله عنهما ، قالت : وكانوا كما قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ رحماء بينهم ﴾[1] . فقال : يا أمتاه ! فما صنع رسول الله ﷺ ؟ فقالت : ما كانت عيناه تكاد تدمعان على أحد ، ولكنه كان إذا وجد[2] فإنما يده في لحيته .

وقال حماد بن سلمة : أخبرنا عبيد الله بن عمر عن سعيد المقبري عن ابن جريج أنه قال لابن عمر : رأيتك تحفي شاربك ، قال : رأيت النبي ﷺ يحفي شاربه .

وقال الفضل بن دكين : أخبرنا مندل عن عبد الرحمن بن زياد عن أشياخ لهم قالوا : كان رسول الله ﷺ يأخذ الشارب من أطرافه .

وأما صفة شَعره

فخرج مسلم من حديث أنس كان رسول الله ﷺ رجل الشعر ليس بالسبط ولا بالجعد القطط .

وأخرج من حديث مالك وغيره عن ربيعة ، وللبخاري من حديث مسلم ابن إبراهيم : أخبرنا جرير عن قتادة عن أنس : كان النبي ﷺ ضخم اليدين لم أَرَ بعده مثله ، وكان شعر النبي ﷺ رجلا لا جعداً و لا سبطاً .

ومن حديث وهب بن جرير قال : حدثني أبي عن قتادة قال : سألت أنس ابن مالك عن شعر النبي ﷺ فقال : كان شعر رسول الله رجلا ليس بالسبط ولا الجعد ، بين أذنيه وعاتقه ، ذكرهما في اللباس ، وخرَّج مسلم من هذه الطريق نحو هذا[3] .

ولأبي داود من حديث عبد الرزاق : أخبرنا معمر عن ثابت عن أنس قال : كان شعر رسول الله ﷺ إلى شحمة أذنيه[4] .

وقال حميد عن أنس كان شعر رسول الله ﷺ إلى أنصاف أذنيه .

---

(١) من الآية ٢٩ / الفتح . (٢) من الوجد وهو الحزن والأسى .

(٣) (مسلم بشرح النووي) جـ١٥ ص ٩٢ .

(٤) (سنن أبي داود) جـ٤ ص ٤٠٥ باب ما جاء في الشعر ، الأحاديث ٤١٨٣ ، ٤١٨٤ ، ٤١٨٥ ، ٤١٨٦ ، ٤١٨٧ ، انظر أيضاً : (البخاري) في (اللباس) باب الجعد ، و (مسلم) في الفضائل باب صفة النبي ، و (النسائي) في الزينة حديث ٥٢٣٤ باب اتخاذ الجمة .

وللبخاري من حديث أبي إسحٰق سمعت البراء بن عازب قال : كان رسول الله ﷺ مربوعاً بعيد ما بين المنكبين ، يبلغ شعره شحمة أذنيه . الحديث .

وأخرجه مسلم ولفظه : ما رأيت أحداً من خلق في حُلة حمراء يعني أحسن من رسول الله ؛ إن[1] لَمَّته تضرب قريباً من منكبيه .

وفي حديث علي رضي الله عنه كان كثير شعر الرأس رَجِله .

ولأبي داود من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان شعر رسول الله ﷺ فوق الوفرة ودون الجمة .

وقال سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : قالت أم هانيء : قدم النبي ﷺ مكة وله أربع غدائر يعني ضفائر .

وفي الصحيحين من حديث ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه ، وكان أهل الكتاب يسدلون أشعارهم ، وكان المشركون يفرقون دونهم ، فسدل رسول الله ناصيته ثم فرق بعد[2] .

وقال ابن إسحـق حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة عن عائشة قالت . أنا فرقت لرسول الله ﷺ رأسه [صدعت][3] فرقه عن يافوخه ؛ وأرسلت ناصيته بين عينيه .

قال ابن إسحٰق والله أعلم : ذلك لقول رسول الله ﷺ : لا تكف ثوباً ولا شعراً ، وهي سيما كان يتوسم بها .

قال : وقد قال محمد بن جعفر وكان فقيها : ما هي إلا سيما من سيم الأنبياء تمسكت بها النصارى من بين الناس .

---

(١) اللمة بكسر اللام وتشديد الميم : الشعر يسترخي عن شحمة الأذن ولا يصل إلى المنكبين .

(٢) (سنن أبي داود) جـ٤ ص ٤٠٧ باب ما جاء في الفرق حديث رقم ٤١٨٨ ، وأخرجه (البخاري) في (اللباس) باب الفرق ، (ومسلم) في الفضائل باب في سدل النبي ﷺ شعره وفرقه ؛ (وابن ماجة) في (اللباس) حديث ٢٣٣٦ باب اتخاذ الجمة والذوائب ، (النسائي) في الزينة حديث ٥٣٤٠ باب فرق الشعر ، و (الترمذي) في (الشمائل) حديث ٢٩ .

(٣) صَدَع الشيء فتصدع : فرّقه متفرق . (لسان العرب) : ٨ / ١٩٤ .

وخرَّج البخاري من حديث أنس : توفي رسول الله وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء[1] .

ولمسلم عنه أن النبي ﷺ لم يختضب ، إنما كان شمط عند العنفقة يسيراً وفي الصدغين يسيراً وفي الرأس يسيراً .

وروي أبو إبراهيم محمد بن القاسم الأسدي ، حدثنا شعبة بن الحجاج عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال : كان لرسول الله ﷺ جمة جعدة . قال ابن شاهين : تفرد بهذا الحديث محمد بن القاسم الأسدي عن شعبة ، لا أعلم حدَّث به غيره ، وهو حديث غريب .

وأما صفة عنقه وبُعد ما بين منكبيه

ففي حديث أم معبد[2] أنها قالت : في عنقه سطع ، يعني الطول ، وفي حديث هند بن أبي هالة : كان عنقه جيد دمية في صفاء الفضة[3] .

وفي حديث علي رضي الله عنه كان عنقه إبريق فضة ، وفي حديث البراء : كان رسول الله ﷺ مربوعاً بعيد ما بين المنكبين ، وفي حديث الزهري عن ابن المسيب أنه سمع أبا هريرة يصف رسول الله ﷺ فقال : كان بعيد ما بين المنكبين .

وقال النضر بن شميل ، حدثنا صالح بن أبي الأخضر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : كان رسول الله ﷺ كأنما صيغ من فضة ، رَجِل الشعر [سواء][4] البطن [والصدر][4] ، عظيم مُشاش المنكبين[5] ، يطأ بقدميه جميعاً ، إذا أقبل أقبل جميعاً ، وإذا أدبر أدبر جميعا .

وخرَّج الترمذي من حديث غفرة قال : حدثني إبراهيم بن محمد عن علي كان

---

(١) هذه التكملة من (سنن أبي داود) حديث رقم ٤١٨٩ جـ٤ ص ٤٠٨ .

(٢) هي عاتكة بنت خالد الخزاعية (أم مَعْبَد) (الإصابة) جـ١٣ ص ٣٣ ترجمة ٦٩١ وص ٢٧٩ من المرجع ذاته ترجمة رقم ١٥٠١ ، وفي (خ) « في » .

(٣) (الشمائل المحمدية) ص ٢٢٢ .

(٤) ما بين الأقواس تكملة من (صفة الصفوة) جـ١ ص ١٥٦ .

(٥) يريد رءوس المناكب ، والمشاش (بضم الميم) : مفردها مُشاشة ، وهي رأس العظم .

رسول الله ﷺ جليل الكتد ؛ الكتد : مجمع الكتفين ، وهو الكاهل . والمنكب : مجمع رأس العضد في الكتف .

وأما صفة صدره وبطنه

ففي حديث هند بن أبي هالة : كان عريض الصدر سواء البطن والصدر ، وفي حديث أم معبد : لم يَعِبْهُ ثجلة ، والثجلة عِظَم البطن واسترخاء أسفله .

وفي حديث أم هانيء : ما رأيت رسول الله ﷺ إلا ذكرت القراطيس المثنى بعضها على بعض .

وفي حديث علي رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ أجرد ذو مَسْرُبة . وفي حديث هند بن أبي هالة : كان أنور المتجرد[1] ، دقيق المسربة[2] ، موصول ما بين اللبَة[3] والسُّرة بشعر يجري كالخيط . عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك ، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر .

أما صفة كفيه وقدميه وإبطيه وذراعيه وساقيه وصدره

فخرج البخاري من حديث أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ فخم اليدين ، لم أر بعده مثله .. الحديث .

وفي رواية : كان النبي ﷺ ضخم الرأس والقدمين ، وكان سبط[4] الكفين ، وخرَّج من حديث همام : أخبرنا قتادة عن أنس أو عن رجل عن أبي هريرة قال : كان النبي ﷺ شثن[5] الكفين والقدمين .

وفي رواية عن قتادة عن أنس أو جابر بن عبد الله كان النبي ﷺ ضخم الكفين والقدمين ، لم أر بعده شبهاً له .

وللفسوي من حديث ابن أبي ذؤيب حدثنا صالح مولى التوءمة قال : كان

(١) أنور المتجرد : أي نير الجسد إذا تجرد من الثياب ، والنير : الأبيض المشرق .
(٢) المَسْرُبة : الشعر الدقيق الذي كأنه قضيب من الصدر إلى السُّرة .
(٣) اللبة (بفتح اللام وتشديد الباء) : أعلى الصدر ممَّا يلي العُنق .
(٤) السبط : المسترسل .
(٥) الشثن : الغليظ الأصابع من الكعبين والقدمين .

أبو هريرة ينعت النبي ﷺ قال : كان شبح[1] الذراعين بعيد ما بين المنكبين ، أهدب أشفار العينين .

وفي حديث علي رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ شثن الكفين والقدمين ، ضخم الكراديس . وفي حديث ابن أبي هالة : كان رحب الراحة ، وفي حديث أنس : ما مست قط خزاً ولا حريراً ألين من كف رسول الله[2] .

وفي حديث هند بن أبي هالة : كان طويل الزندين ضخم الكراديس ، وفي حديث شعبة عن سماك عن جابر : كان رسول الله ﷺ ضليع الفم أشكل العينين منهوس العقبين ، يعني قليل لحم العقب .

وفي حديث أبي هريرة كان يطأ بقدميه جميعاً ، ليس له أخمص ، وفي حديث هند بن أبي هالة : كان خصان الأخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء[3] .

وخرج البيهقي من حديث زيد بن هارون ، أخبرنا عبد الله بن يزيد بن مقسم قال : حدثني عمتي سارة بنت مقسم عن ميمونة بنت كردم قال رأيت رسول الله ﷺ بمكة وهو على ناقة له وأنا مع أبي ، وبيد رسول الله ﷺ درة كدرة الكتاب ، فدنا منه أبي فأخذ بقدمه نقيلة[4] رسول الله ، قالت : فما نسيت طول إصبع قدمه السبابة على سائر أصابعه .

وفي الصحيحين من حديث مالك بن مِغْول قال : سمعت عون بن أبي جحيفة ذكر عن أبيه قال : دفعت إلى النبي ﷺ بالأبطح في قبة بالهاجرة ، فخرج بلال فنادى بالصلاة ، ثم دخل فأخرج فضْل وضوء رسول الله ﷺ فدفع الناس يأخذون

---

(١) الشَّبْح : الطويل (ترتيب القاموس) ج٢ ص ٦٧٨ ، (لسان العرب) : ٢ / ٤٩٤ .

(٢) (سنن الدارمي) ج١ ص ٣١ .

(٣) خمصان الأخمصين : معناه أن أخمص رجله شديد الارتفاع من الأرض ، والأخمص : ما يرتفع من الأرض من وسط باطن الرجل ، وهو الموضع الذي لا يلصق بالأرض من القدم عند الوطء ، والخمصان (بضم الخاء) : المبالغ منه .
وقوله مسيح القدمين : أي ليس بكثير اللحم فيهما وعلى ظاهرهما ، فلذلك ينبو الماء عنها .

(٤) نقيلة العضد : كربلة الفخذ (ترتيب القاموس) ج٤ ص ٤٣٢ ، وفي (خ) « ناقولة » ولعل ما أثبتناه هو الصواب .

منه ، قال : ثم دخل فأخرج العَنزة ، ثم خرج رسول الله ﷺ كأني أنظر إلى وميض ساقيه فركز العنزة[1] ثم صلى بنا الظهر ركعتين[2] ، يمر بين يديه المرأة والحمار[3] .

وفيهما من حديث أنس : رأيت رسول الله ﷺ يرفع يديه في الدعاء حتى يرى بياض إبطه ، يعني في الاستسقاء .

وفي حديث حجاج عن سماك بن حرب عن جابر بن سُمرة قال : كان رسول الله ﷺ لا يضحك إلا تبسماً ، وكان في ساقيه حموشة .. الحديث .

وخرَّج البيهقي وأحمد من حديث يحيى بن يمان ، حدثنا إسرائيل عن سماك ابن حرب عن جابر بن سمرة قال : كانت أصبع رسول الله ﷺ خنصره من رجله متظاهرة .

وقال محمد بن معد : أخبرنا سعيد بن محمد الثقفي ، حدثنا سالم أبو النضر عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ كان إذا أشفق من الحاجة (يعني ينساها) ربط في خنصره أو في خاتمه الخيط .

---

(١) (مسلم بشرح النووي) جـ٤ ص ٢١٩ .
والعنزة (بفتح العين والنون) : عصا أقصر من الرمح ، وقيل : هي الحربة الصغيرة : (معالم السنن للخطابي) جـ١ ص ٤٤٣ . وفي (مسلم بشرح النووي) جـ٤ ص ٢١٩ « هي عصا في أسفلها حديدة » ورواية مسلم « ثم ركزت له عنزة » وفيها دليل على جواز استعانة الإمام بمن يركز له عنزة ونحو ذلك ، وفيه : « بياض ساقيه » .

(٢) فيه دليل على أن الأفضل قصر الصلاة في السفر وإن كان بقرب بلد ما لم ينو الإقامة أربعة أيام فصاعداً وفيه أيضاً أن الساق ليست بعورة ، وهذا مجمع عليه (المرجع السابق) .

(٣) في رواية (مسلم) « يقطع صلاته الحمار والمرأة والكلب الأسود » ، يقول النووي في شرح (مسلم) جـ٤ ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ : « اختلف العلماء في هذا ، فقال بعضهم يقطع هؤلاء الصلاة ، وقال أحمد ابن حنبل رضي الله عنه : يقطعهما الكلب الأسود وفي قلبي من الحمار والمرأة شيء ، ووجه قوله أن الكلب لم يجيء في الترخيص فيه شيء يعارض هذ الحديث ، أما المرأة ففيها حديث عائشة رضي الله عنها المذكور بعد هذا – وفيه « لقد شبَّهْتُمونا بالحمير والكلاب والله لقد رأيت رسول الله ﷺ يصلي وإني على السرير بيني وبينه القبلة » ، – وفي الحمار حديث ابن عباس السابق – وفيه « يمر بين يديه الكلب والحمار لا يمنع » – وقال مالك وأبو حنيفة والشافعي رضي الله عنهم وجمهور العلماء من السلف والخلف : لا تبطل الصلاة بمرور شيء من هؤلاء ومن غيرهم ، وتأويل هؤلاء هذا الحديث على أن المراد بالقطع نقص الصلاة بشغل القلب بهذه الأشياء » ،راجع : (مسلم بشرح النووي) جـ٤ « باب سترة المصلي والندب إلى الصلاة إلى سترة والنهي عن المرور بين يدي المصلي والصلاة إلى الراحة والأمر بالدنو من السترة وبيان قدر السترة وما يتعلق بذلك » .

وأما قامته

ففي حديث أنس : أن كان ربعة من القوم ، ليس بالطويل ولا بالقصير ، وفي حديث البراء : ليس بالطويل الذاهب ولا بالقصير .

وفي حديث علي : ليس بالقصير ولا بالطويل ، وفيه : إذا مشى تكفأ تكفياً[١] كأنما ينحط من صبب ، وفي رواية : كان لا قصير ولا طويل ، وكان يتكفأ في مشيته كأنما يمشي في صبب[٢] .

وفي رواية كان لا قصير ولا طويل ، وهو إلى الطول أقرب . قال : إذا مشى تكفأ كأنما يمشي في صفد[٣] .

وفي رواية كان ليس بالذاهب طولا ، فوق الربعة ، إذا جامع القوم غمرهم ، وفي حديث أبي هريرة : كان رجلاً ربعة وهو إلى الطويل أقرب ، وكان يقبل جميعاً ويدبر جميعاً .

وفي رواية الترمذي : لم يكن بالطويل الممغط ولا بالقصير المتردد ، كان ربعة من القوم . قال الترمذي : سمعت أبا جعفر محمد بن الحسين يقول : سمعت الأصمعي يقول : الممغط : الذاهب طولا ، والمتردد : الداخل بعضه في بعض قصراً .

وفي حديث هند بن أبي هالة : كان أطول من المربوع وأقصر من المشذب ، وقال عبد العزيز بن عبد الصمد العمي ، عن جعفر بن محمد عن أبيه ، وهشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : من صفة رسول الله ﷺ أنه لم يك يماشيه أحد ينسب إلى الطول إلا طاله رسول الله ، وربما مشى [بين][٤] الرجلين الطويلين يتطولهما ، فإذا فارقاه نسبا إلى الطول ، ونُسب هو إلى الربعة .

وأما اعتدال خَلْقه ورقة بشرته

ففي حديث هند : كان رسول الله ﷺ معتدل الخلق بادناً متماسكاً[٥] ، يعني كان تام خلق الأعضاء ، ليس بمسترخي اللحم ولا كثيره .

---

(١) أي إذا مشى رفع رجليه بقوة .
(٢) الصَّبَبُ : الأرض المنحدرة .
(٣) الصفد : القيد والوثاق .
(٤) زيادة للسياق والمعنى .
(٥) في (خ) « بادن متماسك » .

وخرَّج الحافظ أبو نعيم الأصفهاني من حديث محمد بن بكر الحضري ، حدثنا يزيد بن عبد الله القرشي عن عثمان بن عبد الملك قال حدثني خالي – وكان من أصحاب عليٍّ قدم صفين – عن علي رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ رقيق البشرة .

وقال عبد الأعلى بن حماد : حدثنا معمر عن حميد عن أنس قال : كان رسول الله ﷺ ألين الناس كفاً [وما][1] مست خزاً ولا حريراً ألين من كفه .

وأما حسنه وطيب رائحته وبرودة يده ولينها في يد من مسها وصفة قوته

ففي حديث البراء بن عازب رضي الله عنه ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ [وسأله رجل : أكان وجهه] مثل السيف ؟ قال : لا ، مثل القمر ، انفرد بإخراجه البخاري[2] .

وخرَّج الإمام أحمد من حديث ابن لهيعة عن أبي يونس أنه سمع أبا هريرة يقول ما رأيت أحسن من رسول الله ﷺ كأن الشمس تخرج في وجهه .

وقال جابر بن سمرة رأيت النبي ﷺ في ليلة أضحيان[3] ، وعليه حلة حمراء ، فجعلت أنظر إليه وإلى القمر ، فلهو أحسن في عيني من القمر[4] .

وقال البراء ما رأيت أحداً في حلة حمراء مترجلاً أحسن من رسول الله .. الحديث .

وفي حديث أبي الطفيل كان أبيض مليحاً مقصداً[5] ، وفي حديث أم معبد كان أجمل الناس وأبهاه من بعيد ، وأحلاه وأحسنه من قريب . وعن أبي هريرة : كأنما صيغ من فضة .

---

(١) زيادة يتم بها المعنى .

(٢) (فتح الباري) جـ٦ ص ٥٦٥ حديث رقم ٣٥٥٢ ، (الشمائل المحمدية) ص ١٢ حديث رقم ١٠ ، و (سنن الترمذي) جـ٥ ص ٣٥٩ حديث رقم ٣٧١٥ .

(٣) أضحيان : مضيئة .

(٤) (سنن الدارمي) جـ١ ص ٣٠ .

(٥) مقصدا (بفتح الصاد المشددة) : وهو الذي ليس بجسيم ولا نحيف ، ولا طويل ولا قصير .

وخرَّج الحافظ أبو نعيم من حديث عبد العزيز العمي عن جعفر بن محمد وهشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً ، وأنورهم لوناً .

ومن حديث هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي هريرة عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه : كان وجه رسول الله ﷺ كدارة القمر .

وخرَّج الدارمي من حديث عبيد الله بن موسى عن أسامة بن زيد عن أبي عبيدة محمد بن عمارة قال : قلت للربيع بنت معوذ صفى لي رسول الله ، فقالت : يا بني ، لو رأيته رأيت الشمس طالعة[(١)] .

وقال أحمد بن عبد الله الغدافي أخبرنا عمرو بن أبي عمرو عن محمد بن السائب عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنه : لم يكن لرسول الله ظل ، ولم يقم مع شمس قط إلا غلب ضوء الشمس ، ولم يقم مع سراج قط إلا غلب ضوءه على ضوء السراج .

وخرَّج ابن عساكر من حديث عبد الجبار بن وائل عن أبيه قال : كنت أصافح النبي ﷺ أو يمس جلدي جلده ، فأعرف في يدي بعد ثالثة أطيب من ريح المسك .

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه ما مسست بيدي ديباجاً ولا حريراً ولا شيئاً ألين من كف رسول الله ، ولا شممت رائحة قط أطب من ريح رسول الله ﷺ .

وي رواية ، قال أنس : ما شممت شيئاً قط - مسكاً ولا عنبراً - أطيب من ريح رسول الله ، ولا مسست شيئاً قط - حريراً ولا ديباجاً - ألين مسًّا من رسول الله ﷺ .

وفي رواية : كان رسول الله ﷺ أزهر اللون ، كأن عرقه اللؤلؤ ، إذا مشى تكفَّأ ، وما مسستُ حريراً ولا ديباجاً ألين من كف رسول الله ، ولا شممت مسكاً ولا عنبراً أطيب رائحة من رسول الله ﷺ[(٢)] .

(١) (سنن الدارمي) جـ١ ص ٣١ .

(٢) (مسلم بشرح النووي) جـ١٥ ص ٨٦ ، وفيه « مسكة ولا عنبرة » .

وقال جابر بن سُمرة وأما أنا فمَسَح خدي فوجدت ليده برداً وريحاً كأنما أخرجهما من جونة[1] عطار .

وقال شعبة عن يعلي بن عطاء : سمعت جابر بن يزيد بن الأسود عن أبيه قال : أتيت رسول الله ﷺ وهو بمنى فقلت له : رسول الله ، ناولني يدك ! فناولينها ، فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب ريحاً من المسك .

وخرَّج أبو نعيم من طريق الحميدي قال : أخبرنا سفيان[2] بن عيينة عن عبد الجبار بن وائل عن أبيه قال : أتي النبي ﷺ بدلو من ماء فشرب ثم توضأ ، فمضمض ثم مجة في الدلو مسكاً أو أطيب من المسك ، واستنثر خارجاً من الدلو .

وخرَّجه البيهقي من طريق يعقوب بن سفيان ومن حديث مسعر عن عبد الجبار ابن وائل قال : حدثني أخي[3] عن أبي قال : أتى النبي ﷺ بدلو من ماء فشرب من الدلو ثم مج في الدلو ثم صب في البئر ، أو قال : شرب من الدلو ثم مج في البئر ففاح منها مثل رائحة المسك .

وخرَّج مسلم من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال : دخل علينا النبي ﷺ فقال[4] عندنا ، فعرق ، وجاءت أمي بقارورة فجعلت تَسْلتُ العرق ، فاستيقظ النبي ﷺ ، فقال : يا أم سليم! ما هذا الذي تصنعين ، قالت : هذا عَرَق نجعله لطيبنا ، وهو أطيب من الطيب[5] .

ومن حديث أيوب عن أبي قلابة عن أنس عن أم سليم أن النبي ﷺ كان يأتيها فيقيل عندها فتبسط له نطعاً فيقيل عليه – وكان كثير العرق – فكانت تجمع عرقه فتجعله في الطيب والقوارير ، فقال النبي ﷺ : يا أم سليم ! ما هذا قالت : عرقك أدوف به طيبي[5] .

وخرَّج أبو نعيم من حديث أبي يعلي الموصلي قال : أخبرنا بشر بن سنحان ، أخبرنا عمرو بن سعيد الأشج ، أخبرنا سعيد عن قتادة عن أنس قال : كنا نعرف

---

(١) الجونة والجؤنة : بمعنى : وهي السقط الذي فيه متاع العطار ، هكذا فسره الجمهور ، وقال صاحب (العين) : وهي سُلَيْلة مستديرة مغشاة (المرجع السابق) .

(٢) في (خ) « ياسفين » . (٣) في (خ) « أحلي » . (٤) قال : من القيلولة وهي نوم الظهيرة .

(٥) (مسلم بشرح النووي) جـ١٥ ص ٨٦ ، ٨٧ .

رسول الله ﷺ إذا أقبل بطيب ريحه .

وخرَّج من حديث مغيرة بن عطية عن أبي الزبير عن جابر قال كان في رسول الله ﷺ خصال : لم يكن في طريق فسلكه أحد إلا عرف مسلكه من طيب عَرْفه أو ريح عَرَقه(١) .

وأما صفة خاتم النبوة

فخرج البخاري من حديث حاتم بن إسماعيل عن الجعد بن عبد الرحمن قال : سمعت السائب بن يزيد يقول : ذَهَبتْ بي خالتي إلى رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسول الله ، إن ابن أختي وجع ، فمح رأسي ودعا لي بالبركة ، ثم توضأ فشربت من وضوئه ، ثم قمت خلف ظهره ، فنظرت إلى خاتمه بين كتفيه مثل ذر الحجلة . ذكره في كتاب المناقب ، وفي كتاب الدعاء في باب الدعاء للصبيان ، وفي كتاب المرضى في باب من ذهب بالصبي المريض ليُدعى له ، وقال فيه : فنظرت إلى خاتمه ، وذكره في الطهارة في باب استعمال فضل وضوء الناس ، وفيه : أن ابن أختي وقع ، وفيه : فنظرت إلى خاتم النبوة(٢) .

وخرَّجه مسلم من طرق ، ولمسلم من حديث عبد الله بن موسى عن إسرائيل عن سماك أنه سمع جابر بن سمرة يقول : كان رسول الله ﷺ قد شمط مقدَّم رأسه ولحيته ، وكان إذا ادَّهن لم تتبين ، وإذا شعث رأسه تبين ، وكان كثير شعر اللحية ، فقال رجل : وجهه مثل السيف ؟ قال : لا : بل مثل الشمس والقمر ، وكان مستدير الرأس ، ورأيت الخاتم عند كتفه مثل بيضة الحمامة يشبه جسده(٣) .

وله من حديث شعبة عن سماك قال : سمعت جابر بن سُمرة قال : رأيت خاتماً في ظهر رسول الله ﷺ كأنه بيضة حمام .

وله من حديث حامد بن محمد البكراويّ قال : أخبرنا عبد الواحد – يعني ابن زياد – أخبرنا عاصم عن عبد الله ابن سرجس قال رأيت النبي ﷺ وأكلت

(١) (سنن الدارمي) جـ١ ص ص ٣٢ ، والعرْف : الرائحة مطلقاً ، وأكثر ما يستعمل في الرائحة الطيبة ، وانظر أيضاً (دلائل النبوة لأبي نعيم) ص ١٥٨ .

(٢) (صحيح البخاري بحاشية السندي) جـ٤ ص ٧ .

(٣) (مسلم بشرح النووي) جـ١٥ ص ٩٧ .

معه خبزاً ولحماً ، أو قال : ثريداً ، قال : قلت له أستغفر لك النبي ﷺ ؟ قال : نعم ، ولك ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ **واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات** ﴾[1] ، قال : ثم درت خلفه فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه عند ناغض[2] كتفه اليسرى ، جُمعاً عليه خيلان كأمثال الثآليل[3] .

وخرَّجه النَّسائي ولفظه : عن عبد الله بن سرجس قال : أتيت رسول الله ﷺ وهو جالس في ناس من أصحابه فدرتُ من خلفه فعرف الذي أريد ، فألقى الرداء عن ظهره فرأيت موضع الخاتم على موضع كتفيه مثل الجمع كأنها الثآليل ، فجئت حتى استقبلته ، فقلت : غفر الله لك يا رسول الله ، قال : ولك – قال بعض القوم استغفر لك رسول الله ؟ قال[4] : نعم ولكم ، ثم تلا ، ﴿ **واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات** ﴾[1] ذكره في التفسير .

وخرج أبو داود الطيالسي من حديث قُرَّه بن خالد قال : أخبرني معاوية بن قرة عن أبيه قال : أتيتُ النبي ﷺ فقلت : يا رسول الله ، أرني الخاتم ، قال : أدخل يدك ، قال : فأدخلت يدي في جربانه ، فجعلت ألمسُ أنظر إلى الخاتم ، فإذا هو على نغض كتفه مثل البيضة ، فما منعه ذلك أن جعل يدعو لي ، وإن يدي لفي جربانه .

وخرج الفسوي من حديث عبيد الله بن إياد قال : حدثني أبي عن أبي دمثة قال : انطلقت مع أبي نحو النبي ﷺ فنظر إلى مثل السلعة بين كتفيه ، فقال : يا رسول الله ، إني كأطبِّ الرجال ، أفأعالجها لك ؟ فقال : لا ، طبيبها الذي خلقها .

وقال الثوري عن إياد بن لقيط في هذا الحديث : فإذا خلف كتفه مثل التفاحة ،

---

(١) من الآية ١٩ سورة محمد ﷺ .

(٢) الناغض : أعلى الكتف ، وقيل هو العظم الرقيق الذي على طرفه ، وقيل ما يظهر عند التحرك .

(٣) وقوله « جمعاً » فبضم الجيم وإسكان الميم ، ومعناه : أنه كجمع الكف وهو صورته بعد أن تجمع الأصابع وتضمها ، وأما « الخيلان » فبكسر الخاء المعجمة وإسكان الياء : جمع خال وهو الشامة في الجسد . (مسلم بشرح النووي) جـ١٥ ص ٩٨ ، ٩٩ والثآليل : جمع ثؤلول ، وهو بثر صغير صلب مستدير يظهر على الجلد كالحمصة أو دونها (المعجم الوسيط) جـ١ ص ٩٣ .

(٤) (الشمائل المحمدية للترمذي) ص ١٨ ، ١٩ حديث رقم ٢٢ .

وقال عاصم بن بهدلة عن أبي دمثة : فإذا في نغضيّ كنفه مثل بعرة البعير أو بيضة الحمامة .

وخرَّج البيهقي من حديث عبد الله بن ميسرة ، حدثنا عتاب قال : سمعت أبا سعيد يقول : الخاتم الذي بين كتفي النبي ﷺ لحمة ناتئة . وخرَّج البيهقي من حديث سماك بن حرب عن سلامة العجلي عن سلمان الفارسيّ قال : أتيت رسول الله ﷺ فألقى إليّ رداءه وقال : يا سليمان إلى ما أمرت به ، قال : فرأيت الخاتم بين كتفيه مثل بيضة الحمامة .

فصل جامع في صفة رسول الله ﷺ

روي أبو نعيم من حديث المسعودي عن عثمان بن عبد الله بن هرمز عن نافع ابن جبير بن معطم عن علي رضي الله عنه قال : لم يكن رسول الله بالطويل ولا بالقصير ، وكان[1] شثن الكفين والقدمين ، ضخم الرأس واللحية مشرباً وجهه حُمْرَة ، ضخم الكراديس ، طويل المسربة ؛ إذا مشى يمشى قلعاً كأنما ينحدر من صبب .

وفي رواية : إذا مشى تكفَّأ تكفياً كأنما ينحط من صبب ، لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ .

وروي الفسوي من حديث عيسى بن يونس ، حدثنا محمد بن عبد الله مولى عفرة ، قال : حدثني إبراهيم بن محمد من ولد على قال : كان علي إذا نعت رسول الله ﷺ قال : لم يكن بالطويل الممغط ، ولا القصير المتردد ، وكان ربعة من القوم ، ولم يكن بالجعد القطط ، ولا بالسبط ، كان جعداً رجلاً ، ولم يكن بالمطهم ولا المكلثم ، وكان في الوجه تدوير أبيض ، مشرب أدعج العينين ، أهدب الأشفار ، جليل المشاش والكتف ، أو قال الكتد ، أجرد ذا مسربة ، شثن الكفين والقدمين ، إذا مشى تقلع كأنما يمشي في صبب ، وإذا التفت التفت معاً ، بين كتفيه خاتم النبوة[2] ، أجود الناس كفاً وأرحب الناس صدراً ، وأصدق الناس لهجة ، وأوفي

---

(١) في (خ) « وكاشثن » .

(٢) في (خ) « بعد قوله : « خاتم النبوة » عبارة « خاتم النبيين » والسياق يقتضي حذفها .

الناس بذمة ، وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة ، من رآه بديهة هابهُ ، ومن خالطه معرفةً أحبه ، يقول ناعته : لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ .

وفي رواية لم يكن بالطويل الممغط ولا القصير المتردد ، لم يكن بالمطهم ولا المكلثم ، أبيض مشرب ، أدعج العينين ، أهدب الأشفار ، جليل المشاش والكتد ، شثن الكفين والقدمين ، دقيق المسربة ، إذا مشى تقلع كأنما يمشي في صبب ، وإذا التفت التفت معاً ، ليس بالسبط ولا بالجعد القطط .

وفي رواية : كان أزهر ، ليس بالأبيض الأمهق ؛ وفي رواية : كان في عينيه شكلة ، وفي رواية : كان شبح الذراعين .

فالممغط : الذي ليس بالبائن الطويل ، ولا القصير ، وقيل : الممغط : الذاهب طولا ، والمتردد : الذي تردد خلقه بعضه على بعض ، فهو مجتمع .

يقول : ليس هو كذلك ، ولكن ربعة بين الرجلين ، كما جاء في حديث آخر : كان ضرب اللحم بين الرجلين .

والمطهم : المنتفخ الوجه ، وقيل الفاحش السِّمن ، وقيل النحيف الجسم ، وقيل : الطهمة في اللون أن تتجاوز سمرته إلى السواد ، والمكلثم : المدور الوجه ، وقيل : هو القصير الحنك الداني الجبهة مع الاستدارة .

يقول : فليس كذلك ، ولكنه مسنون ، وقوله : مشرب أي شرب حمرته ، والأدعج العين : الشديد سوادها ، والجليل المشاش : العظيم رءوس العظام ، مثل الركبتين والمرفقين ، والكتد : الكاهل وما يليه من الجسد ، وقيل : الكتد : مجمع الكتفين ، وهو الكاهل .

وقوله : شثن الكفين والقدمين : يعني أنهما إلى الغلظ . وقيل الشثن الغليظ الأصابع من الكفين والقدمين ، وقوله إذا مشى تقلع كأنما يمشي في صبب : القلع : أن يمشي بقوة ، والصبب الانحدار ، والقطط : الشديد الجعودة من أشعار الحبش ، والسبط : الذي ليس فيه تكسر ، يقول : فهو جعد رَجِل ، والأزهر الأبيض النير البياض ، لا يخالط بياضه حمرة ، والأمهق الشديد البياض الذي لا يخالط بياضه شيء من الحمرة وليس بنيِّر ، ولكن كلون الجصِّ أو نحوه ، يقول : فليس هو كذلك .

والشكلة : كهيئة الحمرة تكون في بياض العين ، والشهلة : حمرة في سواد العين ، والمرهة : بياض لا يخالطه غيره ، وأهدب الأشفار : يعني طويلها ، وقوله : شبح الذراعين : يعني عبل الذراعين عريضهما ، والمسربة الشعر المستدق ما بين اللبة إلى السرة .

وقال يعلي بن عبيد عن مجمع بن يحيى الأنصاري عن عبد الله بن فران عن رجل من الأنصار أنه سأل علياً رضي الله عنه عن نعت رسول الله ﷺ فقال : كان رسول الله ﷺ أبيض اللون مشرباً حمرة ، أدعج العينين ، سبط الشعر ذو وفرة ، دقيق المسربة ، كأن عنقه إبريق فضة ، من لبته إلى سرته شعر يجري كالقضيب ، ليس في بطنه ولا صدره شعر غيره ، شثن الكف والقدم ، إذا مشى كأنما ينحدر من صبب ، وإذا مشى كأنما يتقلع من صخر ، وإذا التفت التفت جميعاً ، كأن عَرَقَهُ اللؤلؤ ، ولريح عرقه أطيب من المسك [ ][1] ، ليس بالطويل ولا بالقصير ؟ لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ .

وقال إبراهيم بن طهمان عن حميد الطويل عن أنس قال : لم يكن النبي ﷺ بالأدم ولا الأبيض الشديد البياض ، فوق الربعة ودون البائن[2] الطويل ، كان من أحسن ما رأيت من خلق الله ، وأطيبهم ريحاً وألينهم كفاً ، ليس بالجعد الشديد الجعودة ، وكان يرسل شعره إلى أنصاف أذنيه ، وكان يتوكأ إذا مشى .

وقال عبد الرَّزاق : أخبرنا معمر عن الزهري قال : سُئل أبو هريرة عن صفة النبي ﷺ فقال : أحسن الناس صفة وأجملها ، كان ربعة إلى الطول ، ما هو بعيد ما بين المنكبين ، أسيل الجبين ، شديد سواد الشعر ، أكحل العينين أهدب ، إذا وطيء بقدمه وطيء بكلها ، وليس أخمص ، إذا وضع رداءه عن منكبه فكأنه سبيكة فضة ، وإذا ضحك يتلألأ . لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ .

وفي حديث أم معبد عاتكة بنت خالد بن خليف الخزاعية ، رأيت رجلاً ظاهر الوضاءَة متبلج الوجه[3] ، حسن الخلق ، لم تعبه ثَجْلَة ، ولا تزريه صقله ، وسيما قسيما ، في عينيه دَعَج ، وفي أشفاره عَطَف ، وفي صوته صَحَل[4] ، وفي عُنُقه

---

(١) مكان هذا البياض في (خ) كلمة ممجوجة لم أتبين معناها .
(٢) في (خ) « البياض » .
(٣) أي يشرق بالنور .
(٤) صحل : بحة .

سَطع ، وفي لحيته كثافة ، أزجّ أقرن ، إن صمت فعليه الوقار ، وإن تكلم سماه وعلاه البهاء ، أجمل الناس وأبهاه من بعيد ، وأحسنه ، وأحلاه من قريب ، حلو المنطق ، فصل لا نَذَر ولا هَذَر ، وكأن منطقه خرزات نظم يتحدرن ، لا تشنؤه[1] من طول ، ولا تقتحمه عين من قِصر ، غصناً بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظراً ، وأحسنهم قدراً ، له رفقاء يحفون به ، إن قال أنصتوا لقوله ، وإن أمر تبادروا إلى أمره ، محفود محشود ، لا عابس ولا مُفَنَّد ﷺ ، [وسيأتي] حديث أم معبد بطوله مشروحاً عند ذكر المعجزات إن شاء الله تعالى .

وخرَّج الحافظ أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي[2] من حديث جميع بن عمر العجلي ، قال حدثني رجل بمكة عن ابن أبي هالة عن الحسن بن علي قال سألت خالي هند بن أبي هالة التميمي – وكان وصافاً – عن حلية النبي ﷺ وأنا أشتهي أن يصف لي منها شيئاً أتعلق به ، فقال كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ، أطول من المربوع ، وأقصر من المشذَّب ، عظيم الهامة ، رَجِل الشعر . إن انفرقت عقيصته فرق ، وإلا فلا يتجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفَّره ، أزهر اللون ، واسع الجبين ، أزَّج الحواجب سوابغ في غير قرن ، بينهما عرق يُدره الغضب ، أقنى العرنين ، له نور يعلوه ، يحسبه من لم يتأمله أشمَّ ، كثَّ اللحية ، سهل الخدين ، ضليع الفم ، أشنب ، مفلج الأسنان ، دقيق المسربة ، كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة ، أنور المتجرد ، موصول ما بين اللبة والسُّرة بشعر يجرى كالخط ، عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك ، شَثْن الذراعين والمنكبين وأعلى الصدر ، طويل الزندين ، رحب الراحة ، سبط العقب ، شثن الكفين والقدمين ، شائل الأطراف ، خمصان الأخمصين ، مسيح القدمين ، ينبو عنهما الماء ، فإذا زال زال قلعاً ، يخطو تكفياً ، ويمشى هوناً ، ذريع المشية كأنما ينحط من صبب ، وإذا التفت التفت جميعاً ، خافض الطرف ، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء ، جُلّ نظره الملاحظة ، يسوق أصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام ، قلت : صف لي منطقه ، قال : كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان . دائم الفكرة ، ليست له راحة ، طويل السكوت ، لا يتكلم في غير حاجة : يفتتح الكلام ويختتمه

(١) في (خ) « لا يأس » وما أثبتناه من (الشمائل المحمدية) ص ٢٢٣ .

(٢) (نسبة إلى فسا) من بلاد فارس (لسان الميزان) جـ٦ ص ٣٧٦ ترجمة رقم ٢٦٥ / ٩٣٢٩ .

بأشداقه ، ويتكلم بجوامع الملك ، فصلا لا فضول ولا تقصير ، دمثاً ، ليس بالجافي ولا المهين ، يعظم النعمة وإن دقَّت ، ولا يذم منها شيئاً ، غير أنه لم يكن يذم ذواقاً[١] ، ولا يمدحه ، ولا تغضبه الدنيا ولا ما كان لها ، فإذا تعوطي الحق لم يعرفه أحد ولم يكن يغضبه شيء حتى ينتصر له ، لا يغضب لنفسة ولا ينتصر لها ، إذا أشار أشار بكفه كلها : وإذا تعجب قلبها ، وإذا تحدث اتصل بها ، فيضرب بباطن راحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى ، وإذا غضب أعرض وأشاح ، وإذا فرح غَضَّ طرفه ، جُلُّ ضحكه التبسم ، يفتر عن مثل حَبِّ الغمام .

قال الحسن : فكتمها الحسين زماناً ثم حدثنيه فوجدته قد سبقني إليه . فسأله عما سألته . فوجدته قد سأل (يعني علياً) رضي الله عنه عن مدخله ومخرجه ، وشكله فلم يدع منه شيئاً .

قال الحسين عليه السلام سألت أبا هريرة عن دخول رسول الله ﷺ فقال : كان دخوله لنفسه مأذوناً له في ذلك ، فكان إذا أوى إلى منزله جَزَّأ دخوله ثلاثة أجزاء ، جُزءًا لله عزَّ وجلَّ ، وجزءًا لأهله ، وجزءًا لنفسه ، ثم جزءًا جزأة بينه وبين الناس ، فيرد ذلك على العامة بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئاً .

وكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه وقسمه[٢] على قدر فضلهم في الدين ، فمنهم ذو الحاجة ، ومنهم ذو الحاجتين ، ومنهم ذو الحوائج ، فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم والأمة من مسألته عنهم ، وإخبارهم بالذي ينبغي لهم . ويقول : ليبلغ الشاهد الغائب ؛ وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغي حاجته ، فإنه من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغها إياه ثبَّت الله قدميه يوم القيامة ، لا يذكر عنده إلا ذلك ، ولا يقبل من أحد غيره ، يدخلون عليه رواداً ولا يفترقون إلا عن ذواق ، ويخرجون أدلة (يعني فقهاء)[٣] .

قال : وسألته عن مخرجه كيف كان يصنع فيه ؟ فقال : كان رسول الله ﷺ يخزن لسانه[٤] إلا فيما[٥] يعينهم ويؤلفهم ولا ينفرهم ، ويكرم كريم كل قوم ويوليه

(١) الذواق (بفتح الذال وتخفيف الواو) المأكول والمشروب .
(٢) في (خ) « وقسمته » وما أثبتناه من (صفة الصفوة) جـ١ ص ١٥٨ .
(٣) كذا في (خ) ، وفي المرجع السابق « يعني على الخير » .
(٤) في (خ) « يحزن » ، وما أثبتناه من المرجع السابق .
(٥) في (خ) « مما » ، وما أثبتناه من المرجع السابق .

عليهم ، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوى عن أحد بِشْره ولا خلقه ، يتفقد أصحابه ويسأل الناس عما في الناس[1] ، ويحسِّن الحسَن ويقويه ، ويقبِّح القبيح ويوهنه ، معتدل الأمر ، غير مختلف ، ولا يغفل مخافة أن يغفلو أو يميلوا ، لكل حال عنده عتاد ، لا يقصر عن الحق ولا يجوزه[2] الذين يلونه من الناس ، خيارهم وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة ، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مؤاساة ومؤازرة .

قال : فسألته عن مجلسه كيف كان يصنع فيه ؟ فقال : كان رسول الله ﷺ لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر . ولا يوطن الأماكن وينهي عن إيطانها[3] ، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك ، يعطي كل جلسائه نصيبه ، ولا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه ، ومن جالسه أو قاومه في حاجة صابره ، حتى يكون هو المنصرف ، ومن سأله حاجة لم يردَّه إلا بها أو بميسور من القول ، قد وسع الناس من بسطه وخلقه ، فصار لهم أبا . وصاروا عنده في الحق متقاربين ، مُتفاضلين بالتقوي متواضعين ، يوقرون فيه الكبير ، ويرحمون الصغير ، ويؤثرون ذا الحاجة ويحفظون الغريب .

قال : قلت : كيف كانت سيرته في جلسائه ؟ قال : كان رسول الله ﷺ دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب[4] ولا فحاش ولا عيَّاب ولا مدَّاح ، يتغافل عما لا يشتهي . ولا يؤيس[5] منه ، ولا يخيِّب فيه مؤمليه[6] ، قد ترك نفسه من ثلاث : المراء ، والإكثار ، وما لا يعنيه ، وترك الناس من ثلاث : لا يذم أحداً ، ولا يعيِّره ، ولا يطلب عورته ، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه ، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رءوسهم الطير ، فإذا سكت تكلموا ، ولا يتنازعوا عنده الحديث ، من تكلم أنصتوا له حتى يفرغ ، حديثهم

---

(١) كذا في (خ) وفي المرجع السابق « ما في أيدي الناس » .
(٢) كذا في (خ) ، وفي المرجع السابق « يجاوزه » .
(٣) إيطان المكان : التعود على الجلوس في مكان بعينه .
(٤) الصخَّاب والسخَّاب : بمعني ، وهو الصياح .
(٥) في (خ) « يواس » وما أثبتناه من (صفة الصفوة) جـ١ ص ١٦٠ .
(٦) في (خ) « ولا يجب فيه » وما أثبتناه من (صفة الصفوة) جـ١ ص ١٦٠ .

عنده حديث أوليهم[١] ، يضحك مما يضحكون منه ، ويتعجب مما يتعجبون منه ، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته[٢] ، حتى كان أصحابه ليستجلبوهم[٣] [في المنطق][٤] ، ويقول . إذا رأيتم طالب الحاجة يطلبها فأرفدوه ، ولا يقبل الثناء إلا من مكافيء[٥] ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه بنهي أو قيام[٦] .

قال : سألته كيف كان سكوته ؟ قال : كان سكوت رسول الله ﷺ على أربع : الحلم ، والحذر ، والتقدير ، والتفكير ؛ فأما تقديره ففي تسويته النظر ، والاستماع بين الناس ، وأما تذكره – أو قال : تفكره – ففيم يبقى ويغنى[٧] .

وجمع له ﷺ الحلم والصبر ، فكان لا يغضبه شيء ولا يستفزه ، وجمع له الحذر في أربع : أخذه بالحسن ليُقتدى به ، وتركه القبيح لينتهي عنه ، واجتهاد الرأى فيما أصلح أمته ، والقيام لهم فيما جمع لهم أمر الدنيا والآخرة ﷺ .

وحديث جميع بن عمرو قال : حدثني رجل من بني تميم من ولد أبي هالة زوج خديجة يكني أبا عبد الله عن ابن أبي هالة لم يُسَم ، عن الحسن بن علي قال : سألت خالي هند بن أبي هالة – وكان وصَّافاً – عن حلية رسول الله فقال : كان رسول الله فخماً مفخماً . (الحديث . هكذا رواه الترمذي في الشمائل ، والطبراني في معجمه الكبير ، ورواه العقيلي في الضعفاء من طريق مجمع بن عمر ، حدثنا يزيد ابن عمر التميمي عن أبيه عن الحسن ، فبين ذلك المبهمين في الإسناد الأول .

والفَخْم المفخَّم : العظيم المعظم في العيون والصدور ، أي كان جميلاً مهيباً عند الناس .

والمشذب : الطويل البائن الطول مع نقص في لحمة ، أي ليس بنحيف طويل ، بل طوله وعرضه متناسبان على أتم صفة .

---

(١) كذا في (خ) « وفي المرجع السابق « أولهم » .

(٢) أي أنة يصبر على ما يبدو من الغريب من غلظة في كلامه وسؤاله .

(٣) كذا في (خ) ، وفي (صفة الصفوة) « ليستجلبونهم » .

(٤) ما بين القوسين ليس في (صفة الصفوة) .

(٥) في (خ) « مكلف » وما أثبتناه من المرجع السابق ومن (النهاية لابن الأثير) .

(٦) رواه (الترمذي)

(٧) هذه الفقرة من (الطبراني) زيادة عن رواية (الترمذي) .

والشعر الرَّجل الذي ليس شديد الجعودة ولا شديد السبوطة ، بل بينهما ، والعقيصة : الشعر المجموع كهيئة المضفور ؛ والعقيقة : الشعر الذي يخرج على رأس الصبي حين يولد وسمي الشعر عقيقة لأنه منها ونباته من أصولها ، وقيل العقيقة هنا تصحيف ، وإنما هي العقيصة .

والأزهر : الأبيض المستنير ، وهو أحسن الألوان ، وليس بالشديد البياض .

الزَّجَج : وهو دقة الحاجبين وسبوغهما إلى محاذاة آخر العين مع تقوس ، والقرن : أن يلتقي طرفاهما مما يلي أعلى الأنف ، وهو محمود عند العرب ، ويستحبون البلج وهو بياض ما بين رأسيهما وخلوه في صفته عليه السلام ، دون أن حاجبيه قد سبغا وامتدًا حتى كادا يلتقيان فيه ولم يلتقيا ، ونفي القرن هو الصحيح في صفته عليه السلام ، دون ما وصفته به أم معبد ، ويمكن أن يقال : لم يكن بالأقرن ، ولا بالأبلج حقيقة ، بل كان بين حاجبية فرجة كبيرة ، لا تتبين إلا لمن حقق النظر إليها ، كما ذكر في صفة أنفه فقال : يحسبه من لم يتأمله أشمَّ ولم يكن أشم .

والسوابغ : جمع سابغ ، وهو التام الطويل ، ويُدِرُّهُ الغضب ، أي يحركه ويظهره ، كان إذا غضب امتلأ ذلك العرق دما كما يمتلى الضرع لبناً إذا دَرَّ ، فيظهر ويرتفع .

والعرنين : الأنف ، والقنا : طول الأنف ودقة أرنبته مع ارتفاع في وسط قصبته ، والشمم : ارتفاع رأس الأنف وإشراف الأرنبة قليلاً ، واستواء أعلى القصبة ، أي كان يُحسبُ لحسن قناه قبل التأمل أشم ، فليس قناؤه بفاحش مفرط ، بل يميل إلى الشمم .

والشعر الكث : الكثيف المتراكب من غير طول ولا رقة ، وسهل الخدين : أي ليس في خديه نتوء وارتفاع ، وقيل : أراد أن خديه أسيلان قليلا اللحم رقيقا الجلدة .

والضليع الفم : العظيم الواسع ، وكانوا يذمون صِغَر الفم ، وقال أبو عبيد : أَحْسَبُهُ جله في الشفتين ، وغلظة فيهما .

والشنب : رقة الأسنان ودقتهما ، وتحدد أطرافهما ، وقيل : هو بردهما وعذوبتهما .

والفلج : تباعد ما بين الثنايا والرباعيات ، والمسربة : مادق من شعر الصدر مائلاً إلى السرة .

والجيد : العنق ، والدمية الصورة المصورة في جدار أو غيره .

واعتدال الخَلْق : تناسب الأعضاء والأطراف ، وأن لا تكون متباينة في الدقة والغلظ ، والصِّغر والكبر ، والطول والقِصَر .

والبادن : الضخم التام اللحم ، والمتماسك : الذي لحمه ليس بمسترخٍ ولا متهدل . ولما وصفه بالبدانة أتبعها بالتماسك ، كأن لحمه لاكتنازه واصطحابه يمسك بعضه بعضاً ، لأن الغالب على السِّمن الاسترخاء .

قوله : سواء البطن والصدر : أي متساويهما ، يعني أن بطنه غير خارج ، فهو مساوٍ لصدره ، وصدره عريض فهو مساوٍ لبطنه .

والمنكبان : أعلا الكتفين ، وبعد ما بينهما يدل على سعة الصدر والظهر ، والكراديس : جمع كردوس ، وهو رأس كل عظم كبير ، وملتقى كل عظمتين ضخمتين كالمنكبين والمرفقين ، والوركين والركبتين ، ويريد به ضخامة الأعضاء وأغلظها .

والمتجرد ما كشف عنه الثوب من اليدين ، يعني أنه كان مشرق الجسد ، نيِّر اللون ، فوضع الأنور موضع النيِّر .

والأشعر : الذي عليه الشعر من البدن ، واللبة (بتفح اللام) الوهدة في أعلى الصدر وفي أسفل الحلق بين الترقوتين .

وقوله : عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك ؛ أي أن ثدييه وبطنه ليس عليهما شعر سوى المسربة المقدم ذكرها ، الذي جعله جارياً كالخط .

والزندان : العظمان اللذان يليان الكف من الذراع ، رأس أحدهما يلي الإبهام ، ورأس الآخر يلي الخنصر .

والراحة : الكف ، ورحبها : سعتها ، وهو دليل الجود ، والششن : الغليظ الأطراف والأصابع وكونها سائلة أي ليست بمتعقدة ولا متجعدة ، فهي مع غلظتها سهلة سبطة .

والقُصُبُ : جمع القصبة ، وهي كل عظم أجوف فيه مخ ، والسبط : الممتد في استواء ليس فيه تعقد ولا نتوء .

والأخمص من القدم : الموضع الذي لا يصل إلى الأرض منها عند الوطء ، والخمصان : المبالغ منه ، أي أن ذلك الموضع منه شديد التجافي عن الأرض . وسئل ابن الأعرابي عنه فقال : إذا كان خمص الأخمص بقدر لم يرتفع جداً ولم يسو أسفل القدم جداً فهو أحسن ما يكون ، وإذا استوى أو ارتفع جداً فهو ذم .

فيكون المعنى حينئذ : معتدل الخمص بخلاف الأولى ، وكلا القولين متجه يحتمله اللفظ ، ومسيح القدمين : أى أن ظاهرهما ممسوح غير متعقد ، فإذا صُب عليهما الماء مرَّ سريعاً لملامستهما فينبو عنهما الماء ولا يقف ، يقال : نَبا الشيء ينبو[1] إذا تباعد .

وقال الهروي : أراد أنهما ملساوان : ليس فيهما وسخ ولا شقاق ولا تكسر ، فإذا أصابهما الماء نبا عنهما .

وقوله : إذا زال زال قلعاً كأنما ينحط من صبب ، والانحدار من صبب والتقلع من الأرض قريب بعضه من بعض . أراد أنه كان يستعمل التثبت ، ولا يبين منه في هذه الحال استعجال ومبادرة شديدة .

وفي حديث آخر : إذا مشى تقلَّع ، أراد به قوة المشي وأنه كان يرفع رجليه من الأرض رفعاً قوياً ، لا كمن يمشى اختيالاً ، ويقاربُ خطوَهُ ، فإن ذلك من مشى النساء .

والتكفؤ : تمايل الماشي إلى قدام كالغصن إذا هبت به الريح ، والهون : المشي في رفق ولين غير مختال ولا معجب -، والذريع : السريع ، أى أنه كان واسع الخطو فيسرع مشيه ، وربما يُظن أن هذا ضد الأول . ولا تضاد فيه ؛ لأن معناه أنه كان مع تثبته في المشي يتابع الخطوات ويوسعها فيسبق غيره .

والصَّبب : الموضع المنحدر من الأرض ، وذلك دليل سرعة مشيه ، لأن المنحدر لا يكاد يثبُتُ في مشيه .

---

(١) في (خ) « ينبوا » .

وفي رواية كأنما يهوي من صُبوب بضم الصاد : جمع صبب ، وهو المنحدر من الأرض ، وبفتح الصاد : اسم لما يُصب على الإنسان من ماء غيره ، وهو يهوي : إذا نزل من موضع عال .

وقوله : وإذا التفت التفت جميعاً : أي لم يكن يلويُ عنُقه ، ورأسه إذا أراد أن يلتفت إلى ورائه ، فعل الطائش العجِل ، إنما يدير بدنه كله وينظر ، وقيل : أراد أن لا يسارق النظر ، وخفض الطرف ضد رفعه ، وجُلُّ الشيء معظمه والملاحظة : أن ينظر بلحظ عينيه وهو شقها الذي يلي الصدغ والأذن . ولا يحدق[1] إلى الشيء تحديقاً .

والطرف العين . وكانت الملاحظة معظم نظره وأكثره ؛ وهو دليل الحياء والكرم . ويسوق أصحابه : أى يقدمهم أمامه ، ويمشي وراءهم ، والسكت : السكوت ، وجوامع الكلم : القليلة الألفاظ الكثيرة المعاني ، جمع جامعة وهي اللفظة الجامعة للمعاني، والقول الفَصْل : هو البين الظاهر المحكم الذي لا يعاب قائله ، وحقيقته الفاصل بين الحق والباطل ، والخطأ والصواب .

والفضول من الكلام : ما زاد عن الحاجة وفَضَل ، ولذلك عطف عليه (ولا تقصير) ، والدمث : السهل اللين الخلق ، والجافي : المعرض المتباعد عن الناس ، وقيل : الغليظ الخلقة والطبع ، والمهين (بضم الميم) من الإهانة وهي الإذلال والإطراح ، أي لا يهين أحداً من الناس ، و (بفتح الميم) من المهانة وهي الحقارة والصغر .

ويعظم النعمة : أي لا يستصغر شيئاً أوتيه وإن كان صغيراً ، والذَّواق : اسم لما يذاق باللسان ، أي لا يصف الطعام بطيب ولا بشاعة ، وقالوا : وقوله : تُعوطي الحق لم يعرفه أحد ؛ أي إذا نيل من الحق أو أهمل أو تعرض للقدح فيه ، تنكر عليهم وخالف عادته معهم ، حتى لا يكاد يعرفه أحد منهم ، ولا يثبت لغضبه شيء حتى ينتصر للحق .

وقوله : إذا تحدث اتصل بها ، أي أنه كان يشير بكفه إلى حديثة ، وتفسير ، « قوله فيضرب بباطن راحته اليمني باطن إبهامه اليسرى ؛ وأشاح » : إذا بالغ في

(١) نحوه في (مسلم بشرح النووي) جـ١٥ ص ٦٩ .

الإعراب وجدَّ فيه . المشيح المبالغ في كل أمر ، أي إذا غضب لم يكن ينتقم ويؤاخذ . بل يقنع بالإعراض عمن أغضبه » .

وغض الطرف عند الفرح دليل على نفي البَطَر والأشَر ، والتبسم : أقل من الضحك ، ويفتر : أي يكشف عند التبسم عن أسنانه من غير قهقهة . وحَب الغمام : البرد ، وقوله : فيرد ذلك على العامة بالخاصة : أرد أن العامة كانت لا تصل إليه في هذا الوقت ، وكانت الخاصة تخبر العامة بما سمعت منه فكأنه أوصل الفوائد إلى العامة بالخاصة ، وقيل أن الباء في الخاصة تخبر العامة : بمعنى مِنْ ، أي فجعل وقت العامة بعد وقت الخاصة وبدلاً منهم .

والرُّوَّاد : جمع رائد ، وهو الذي يتقدم القوم . يكشف لهم حال الماء والمرعى قبل وصولهم ، ويخرجون أدلة : أي يدلون الناس بما قد علموه منه وعرفوه . يريد أنهم يخرجون من عنده فقهاء .

ومن قال أذلة (بذال معجمة) فيكون جمع ذليل ، أى يخرجون من عنده متواضعين ، وقوله : لا يفترقون إلا عن ذواق : ضرب الذوَاق مثلا لما ينالون عنده من الخير ، أي لا يفترقون إلا عن علم يتعلمونه يقوم لهم مقام الطعام والشراب ، لأنه يحفظ الأرواح كما يحفظ الأجسام .

وقوله : لا تؤبن فيه الحُرم : أي لا تقذف وترمي بعيب ، والحرم : جمع حرمة ؛ وهي المرأة . ولا تنثى فلتاته : أي لا يتحدث عن مجلسة بهفوة أو زلة إن حدثت فيه من بعض القوم ، يقال : نثوت الحديث إذا أذعته . والفلتات جمع فَلْتَةٍ ، وهي الزلة والسقطة .

وقيل معناه : أنه لم يكن فيه فلتات فتنثى . والبشر : طلاقة الوجه وبشاشته . والفَظ : السيء الخلق . والسخاب فعال من السخب ، وهو الضجة واختلاط الأصوات .

والخصَّام والفحَّاش والعيَّاب : فعال من الفحش في القول وعيب الناس والوقيعة بينهم .

وقوله : لا يقبل الثناء إلا من مكافيء : يريد أنه كان إذا ابتدأ بثناء ومدح كره ذلك ، وإذا اصطنع معروفاً فأثني عليه ، هش وشكر له قبل ثنائه .

وأنكر ابن الأعرابي هذا التأويل وقال : المعنى أنه لا يقبل الثناء عليه ممن لا يعرف حقيقة إسلامه ويكون من المنافقين الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم .

وقال الأزهري : معناه لا يقبل الثناء إلا من مقارب غير مجاوز حد مثله ، ولا مقصر عما رفعه الله إليه . والمكافأة : المجازاة على الشيء .

فصل في ذكر شمائل رسول الله ﷺ وأخلاقه

قال الله تعالى : ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾[1] قال ابن سيده : والخُلق والخَلْق الخليقة ، أعني الطبيعة ، وفي التنزيل : ﴿ **وإنك لعلى خُلق عظيم** ﴾ ، والجمع أخلاق ، وتخلق بخلق كذا : استعمله من غير أن يكون موضوعاً في فطرته ، وفي قوله تعالى : ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ ثلاثة أقوال : أحدهما : دين الإسلام ؛ قاله عبد الله ابن عباس ومجاهد ، والثاني : أدب القرآن ؛ قاله الحسن وعطية العوفي ، وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خُلق رسول الله ﷺ فقالت : كان خلقه القرآن ، تعني كان على ما أمره الله به في القرآن ، واختار هذا القول الزَّجاج .. والثالث : أنه الطبع الكريم ، وهذا القول هو الظاهر ، وحقيقة الخلق ما يأخذ به الإنسان نفسه من الآداب ، وسمي خُلُقاً لأنه يصير كالخلقة في الإنسان .

وأما ما طبع عليه من الآداب فهو الخير ، فيكون الخُلق هو الطبع المتكلف ، والخير هو الطبع الغريزي ، وقد اجتمع في رسول الله ﷺ مكارم الأخلاق ، وشهد له به تعالى بالحكمة البالغة ، والأخلاق السمية الرفيعة ، والمنازل العلية الرصينة .

قال أبو القاسم : سُمي خُلقُه عظيماً ، لأنه لم تكن له همة سوى الله تعالى .

وقال لأنه امتثل أمر ربه في قوله تعالى : ﴿ **خذ العفو وَأْمُرْ بالعرف وأعرِض عن الجاهلين** ﴾[2] .

وخرَّج البخاري من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير في قوله تعالى : ﴿ **خذ العفو** ﴾ ، قال : أمرني ربي أن آخذ[3] العفو من أخلاق الناس .

---

(١) الآية ٤ / القلم . (٢) الآية ١٩٩ / الأعراف .

(٣) (سنن أبي داود) جـ٥ ص ١٤٣ حديث رقم ٤٧٨٧ .

وقيل : عظم خلقه حيث صغرت الأكوان في عينه بعد مشاهدة مكونها سبحانه ، وكان ﷺ كما قالت عائشة رضي الله عنها حيث سئلت عن خلقه : القرآن ؛ يغضب لغضبه ، ويرضي لرضاه ، ولا ينتقم لنفسه ، ولا يغضب لها إلا أن تنتهك حرمات الله .

وإذا غضب لم يقم لغضبه أحد ، فيكون غضبه لربه ، وينفذ الحق وإن عاد ذلك بالضرر عليه وعلى أصحابه ، [وقد][1] عرض عليه أن ينتصر بالمشركين وهو في قلة وحاجة إلى إنسان واحد يزيده في عدد من معه فأبي[2] وقال : إنا لا نستعين بمشرك .

وكان أشجع الناس وأسخاهم وأجودهم ، ما سئل شيئاً فقال لا ، ولا يبيت في بيته درهم ولا دينار ، فإن فضل ولم يجد من يأخذه وفجئه الليل لم يرجع إلى منزله حتى يبرأ منه إلى من يحتاج إليه ، ولا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت أهله عاما فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير ، ثم يؤثر من قوت أهله حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام .

ولم يشغله الله تعالى من المال بما يقضي محبة في فضوله ولا أحوجه إلى أحد ، بل أقامه على حد الغنى[3] بالقوت ، ووفقه لتنفيذ الفضل فيما يقرب من ربه تعالى .

وكان أحلم الناس ، وأشدّ حياءاً من العذراء في خدرها ، وكان خافض الطرف . نظره الملاحظة ، لا يثبت بصره في وجه أحد تواضعاً ، يجيب من دعاه من غني أو فقير ، أو حرٍ أو عبد ، وكان أرحم الناس ؛ يصغي الإناء للهرَّة ، وما يرفعه حتى تروى رحمة لها .

وكان أعَفَّ الناس ، لم تمس يده يد امرأة إلا بملك رقِّها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه ، وكان أعدل الناس ؛ وجد أصحابه قتيلا من خيارهم وفضلائهم ، فلم يحف[4] لهم من أجله على أعدائه من اليهود ، وقد وجد مقتولا بينهم ! بل وداه[5] مائة ناقة من صدقات المسلمين وإن بأصحابه حاجة إلى بعير

(١) زيادة للسياق .
(٢) في (خ) « فايا » .
(٣) في (خ) « الغنا » .
(٤) من الحيف وهو المبل من العدل .
(٥) وداه : دفع ديته .

واحد يتقوون به ، وودي بني خزيمة وهم غير موثوق بإيمانهم ، إذ وجب بأمر الله ذلك .

وكان أكثر الناس إكراماً لأصحابه ، لا يمد رجليه بينهم ، ويوسع لهم إذا ضاق بهم المكان ، ولم تكن ركبتاه تتقدم ركبة جليسه ، وكان له رفقاء يحفون به ، إن قال أنصتوا له ، وإن أمر تبادروا لأمره ، وكان يتحمل لأصحابه ويتفقدهم ويسأل عنهم ؛ فمن مرض عاده[1] ، ومن غاب تفقده وسأل عنه ، ومن مات استرجع فيه وأتبعه الدعاء له ، ومن تخوَّف أن يكون وَجَد في نفسه شيئاً انطلق إليه حتى يأتيه في منزله .

ويخرج إلى بساتين أصحابه ويأكل ضيافتهم ، ويتألف أهل الشرف ، ويكرم أهل الفضل ، ولا يطوي بشره عن أحد ، ولا يجفو عليه ، ويقبل[2] معذرة المعتذر إليه ، والضعيف والقوي في الحق عنده سواء ، ولا يدع أحداً يمشي خلفه ، ويقول : خلّوا ظهري للملائكة ، ولا يدع أحداً يمشي معه وهو راكب حتى يحمله ، فإن أبي قال : تقدمْني إلى المكان الفلاني .

ويخدم من خدمه ، وله عبيد وإماء لا يرتفع عنهم [في شيء][3] من مأكل ولا ملبس ، قال أنس بن مالك رضي الله عنه : خدمته نحواً من عشرين سنة ، فوالله ما صحبته في حضر ولا سفر إلا كانت خدمته لي أكثر من خدمتي له . وما قال لي أفٍ قط ، ولا قال لشيء فعلته : لم فعلت كذا ؟ ولا قال لشيء لم أفعله : ألا فعلت كذا[4] ؟!!

وكان ﷺ في سفر ، فأمر بإصلاح شاة ، فقال رجل : يا رسول الله ، عليَّ ذبحها وقال آخر عليَّ سلخها ، وقال آخر : عليَّ طبخها . فقال رسول الله ﷺ : وعليّ جمع الحطب ! فقالوا : يا رسول الله ، نحن نكفيك ، فقال : قد علمت أنكم تكفوني ، ولكني أكره أن أتميز عليكم ؛ فإن الله يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه وقام فجمع الحطب .

---

(١) في (خ) « عاداه » .
(٢) في (خ) « ويقبل » .
(٣) ما بين القوسين مطموس في (خ) ولعل الصواب ما أثبتناه .
(٤) في (خ) « ولا يحدق شيئاً إلى الشيء » وما أثبتناه أولى للسياق والمعنى .

وكان في سفر فنزل إلى الصلاة ثم كر راجعاً ، فقيل : يا رسول الله ، أين تريد ؟ قال : أعقل ناقتي فقالوا : نحن نعقلها . قال : لا يستعين أحدكم بالناس في قضمة من سواك .

وكان لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر . وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث انتهى به المجلس ، ويأمر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه . لا يحسب جَليسه أن أحداً أكرم عليه منه ؛ وإذا جلس إليه أحدهم لم يقم ﷺ حتى يقوم الذي جلس إليه ، إلا أن يستعجله أمر فيستأذنه ، ولا يقابل أحداً بما يكره ، ولا يجزي السيئة بمثلها . بل يعفو ويصفح . وكان يعود المرضى ويحب المساكين ويجالسهم . ويشهد جنائزهم . ولا يحقر فقيراً لفقره ؛ ولا يهاب ملكا لملكه ؛ ويعظم النعمة وإن قلت . ولا يذم منها شيئا : وما عاب طعاماً قط ؛ إن اشتهاه أكله وإلا تركه .

وكان يحفظ جاره ويكرم ضيفه ، وكان أكثر الناس تبسماً ، وأحسنهم بشراً ، ولا يمضي له وقت في غير عمل الله ، أو فيما لابد منه ، وما خيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ، إلا أن يكون إثماً أو قطيعة رحم فيكون أبعد الناس منه .

وكان يخصف نعله ، ويرقع ثوبه ، ويخدم في مهنة أهله ، ويقطع اللحم معهن ، ويركب الفرس والبغل والحمار ، ويردف خلفه عبده أو غيره من الناس ، ويمسح وجه فرسه بطرف ردائه .

وكان يحب الفأل ويكره الطيرة ، وإذا جاءه ما يحب قال : الحمد لله رب العالمين ، وإذا جاء ما يكره قال : الحمد لله على كل حال ، و إذا رفع الطعام من بين يديه قال : الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وآوانا وجعلنا مسلمين .

وكان أكثر جلوسه وهو مستقبل القبلة ، ويكثر ذكر الله تعالى ، ويطيل الصلاة ويقصر الخطبة ، ويستغفر في المجلس الواحد مائة مرة ، وكان يسمع لصدره وهو في الصلاة أزيز كأزيز المرجل من البكاء ، وكان يقوم الليل في الصلاة حتى ورمت قدماه .

وكان يصوم الاثنين والخميس ، وثلاثة أيام من كل شهر ، وعاشوراء . وقلما كان يفطر يوم الجمعة ، وكان أكثر صيامه في شعبان ، وكان يصوم حتى يقال : لا يفطر ، ويفطر حتى يقال : لا يصوم .

وكان عليه السلام تنام عيناه ولا ينام قلبه انتظـاراً للوحي ، وإذا نام نفخ ولا يغط وإذا رأى في منامه ما يكره قال : هو الله لا شريك له ، وإذا أخذ مضجعه قال : رب قني عذابك يوم تبعث عبادك ؛ وإذا استيقظ قال : الحمد الله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور .

وكان لا يأكل الصدقة ، ويأكل الهدية ويكافيء عليها ، ولا يتأنق في مأكل ، ويعصب على بطنه الحجر من الجوع ! هذا وقد آتاه الله مفاتح خزائن الأرض فلم يقبلها ، بل زهد في الدنيا ، واختار عليها الله والدار الآخرة .

وأكل الخبز بالخلّ وقال نعم الإدام الخلّ ، وأكل لحم الدجاج ولحم الحباري ، وكان يأكل ما وجد ، ولا يرد ما حضر ، ولا يتكلف ما لم يحضر ، ولا يتورع عن مطعم حلال ، إن وجد تمراً دون خبز أكله ، وإن وجد شواءاً أكله وإن وجد خبز بُرٍّ أو شعير أكله ، وإن وجد حلوى أو عسلا أكله ، وكان أحب الشراب إليه الحلو البارد ، وكان له من أصحابه من يبرد الماء وقال للهيثم بن التيهان[1] كأنك علمت حبنا اللحم ، وكان لا يأكل متكِئاً ، ولم يأكل على خوان ، ولم يشبع من خبز برٍّ ثلاثاً تباعاً حتى لقي الله عز وجل ، وكان يفعل ذلك إيثاراً على نفسه ، لا فقراً ولا بُخْلاً .

وكان يحضر الوليمة إذا دُعي إليها ، ويجيب دعوة العبد والحُر ، ويقبل الهدايا ولو أنها جرعة لبن أو فخذ أرنب ، وكان يحب من المأكل الدباء وذراع الشاة ، وكان يأكل بأصابعه الثلاث ويلعقهن ، وكان منديله باطن قدميه ، ويأكل خبز الشعير بالتمر ، وأكل البطيخ بالرطب ، والقثاء بالرطب ، والتمر بالزبد ، وكان يحب الحلوى والعسل ، ويشرب قاعداً ، وربما شرب قائماً ؛ وكان يتنفس في الإناء ثلاثاً ، مُبيناً للإناء عن فمه ، ويبدأ بمن عن يمينه إذا سقاه ، وشرب لبناً وقال : من أطعمه الله

(١) هو مالك بن التيهان ، واسم التيهان أيضاً : مالك بن عيتك بن عمرو بن الأعلم بن عامر بن زعون ، ابن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك الأنصاري حليف بني عبد الأشهل ، كان أحد النقباء ليلة العقبة ثم شهد بدراً ، واختلف في وقت وفاته ؛ فأصح ما قيل فيه : إنه شهد مع عليّ صفّين ، وقتل فيها رحمه الله ، يقول السهيلي : « وأحسب ابن إسحاق وابن هشام تركا نسبه على جلالته في الأنصار ، وشهوده هذه المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، لا خلاف فيه » وقد ضاف الهيثم رسول الله ﷺ ، في منزله ومعه أبو بكر وعمر فذبح لهم عناقاً وأتاهم بقنو من رطب (الروض الأنف للسهيلي) جـ٢ ص ١٩٥ .

طعاماً فليقل : اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيراً منه ، ومن سقاه الله لبناً فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه .

وقال : ليس شيء يجزي مكان الطعام والشراب غير اللبن وشرب النَّبيذ الحلو (وهو الماء الذي قد نُقِعَ فيه تمرات يسيرة حتى يحلو) ، وكان يلبس الصوف وينتعل بالمخصوف ، ولا يتأنَّق في ملبس ، ويحب من اللباس الحبرة (وهي برود من اليمن فيها حمرة وبياض) .

وأحب الثياب إليه القميص ، وكان يقول إذا لبس ثوباً استجدَّه اللهم لك الحمد كما ألبستنيه ، أسألك خيره وخير ما صنع له ، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له . وتعجبه الثياب الخضر ، وربما لبس الإزار الواحد . أو عليه غيره ، يعقد طرفه بين كتفيه ، ويلبس يوم الجمعة برده الأحمر ويعتم ويلبس خاتماً من فضه نقشه (محمد رسول الله) في خنصره الأيمن ، وربما لبسهُ في الأيسر .

ويحب الطيب ويكره الرائحة الكريهة ، ويقول : إن الله جعل لذتي في النساء والطيب ، وجُعلت قُرَّة عيني في الصلاة ، وكان يتطيب بالفالية والمسك ويتطيب بالمسك وحده ، ويتبخر بالبخور والكافور ، ويكتحل بالإثمد ، وربما اكتحل وهو صائم ، ويكثر دهن رأسه ولحيته ، ويدهن غبًّا[1] ويكتحل وتراً ، ويحب التيمن في ترجله وفي تنعله وفي طهوره وفي شأنه كله . وينظر في المرآة ، ولا تفارقه قارورة الدهن في سفره ، والمرآة والمشط والمقراض والسواك والإبرة والخيط ، ويستاك في لَيْلِهِ ثلاث مرات : قبل نومه وبعده ، وعند القيام لِوِرْدِهِ ، وعند القيام لصلاة الصبح ، وكان يحتجم .

وكان يمزح ولا يقول إلا حقاً ، قد جمع الله له كمال الأخلاق ومحاسن الأفعال ، وأتاه علم الأولين والآخرين ، وما فيه النجاة والفوز وهو أمي لا يكتب ولا يقرأ ، ولا معلم له من البشر ، بل نشأ في بلاد الجهل والصحاري ، وآتاه الله ما لم[2] يؤت أحداً من العالمين ، واختاره على الأولين والآخرين ، وعصمه من الناس . ورفع له ذكره ، وضمن له إظهار دينه على الدين كله . وجعل شانئه الأبتر ، وأعزه بالنصر على كل عدوٍّ ، وأوجب طاعته على جميع الإنس والجان ، وأكرمه برسالته ، وأمنه

---

(١) الغبّ (بكسر الغين وتشديد الباء) اليوم بعد اليوم . (٢) في (خ) « مل لم » .

من كل بشر ، وأكب عدوّه لوجهه ، وغفر ما تقدم من ذنبه وما تأخر ﷺ ، وسيأتي هذا في مظانه مبسوطاً إن شاء الله تعالى .

أما حسن خلقه

فخرج من حديث أبي بكر بن شيبة قال : حدثنا محمد بن بشر العبدي ، حدثنا سعيد بن أبي عروة ، حدثنا قتادة عن زرارة بن أوفي ، عن سعد بن هشام أنه قال لعائشة رضي الله عنها يا أم المؤمنين ، أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ ، قالت[١] : ألست تقرأ القرآن ؟ قال : بلى ، قالت : فإن خلق رسول الله كان القرآن .

وخرج الإمام أحمد من حديث مبارك عن الحسن عن سعد بن هشام بن عامر قال : أتيت عائشة فقلت : يا أم المؤمنين ، أخبريني بخُلق رسول الله : قالت : كان خُلُقُه القرآن ، أما تقرأ القرآن ﴿ **وإنك**[٢] **لعلى خلق عظيم** ﴾ الحديث .

وقال قتيبة بن سعيد : حدثنا جعفر بن سليمان عن أبي عمران عن يزيد ابن بابنوس[٣] : قلنا لعائشة رضي الله عنها : يا أم المؤمنين ، كيف كان خُلق رسول الله ﷺ ؟ قالت كان خُلق رسول الله القرآن ، ثم قالت : تقرأ سورة المؤمنين ، اقرأ ﴿ **قد أفلح المؤمنون** ﴾ إلى العشر ، [فقرأ][٤] حتى بلغ العشر [آيات][٤] ، فقالت : هكذا كان خلق رسول الله ﷺ .

وقال زيد بن واقد عن بُسر بن عبيد الله عن أبي إدريس الخولانيّ ، عن أبي الدرداء قال : سألت عائشة عن خُلق رسول الله ﷺ فقالت : كان خلقه القرآن ، يرضى لرضاه ، ويسخط لسخطه .

وخرَّج البخاري من حديث مالك عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : ما خُير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً ؛ فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه ؛ وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله عز وجل فينتقم لله بها .

لم يذكر فيه مسلم (فينتقم الله بها) ، وفي لفظ : ما خُيِّر رسول الله بين أمرين

---

(١) في (خ) « قال » . (٢) في (خ) « إنك » .

(٣) يابنوس بموحدتين بينهما ألف ثم نون مضمومة ساكنة ومهملة (تهذيب التهذيب) جـ١١ ص ٣١٦ .

(٤) زيادة البيان .

إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه . وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء يؤتي إليه قط حتى تنتهك حرمات الله ، فينتقم لله ، ولم يذكر مسلم في حديث مالك (فينتقم لله) .

وقال البخاري في رواية : والله ما انتقم لنفسه في شيء يؤتي إليه قط حتى تنتهك حرمات الله فينتقم لله .

وفي لفظ له عن عائشة قالت : ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء يؤتي إليه حتى ينتهك من حرمات الله ، فينتقم لله .

ولمسلم من حديث أبي أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما خُير رسول الله ﷺ بين أمرين أحدهما أيسر من الآخر ، إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً ، [فإن كان إثماً][1] كان أبعد الناس منه .

وفي لفظ : ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده ، ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله عن رجل ، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله عزل وجل فينتقم[2] .

وخرَّج الإمام أحمد من حديث محمد بن عبد الرحمن الطفاوي ، قال حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : ما ضرب رسول الله ﷺ خادماً له قط ، ولا ضرب بيده إلا أن يجاهد في سبيل الله ، وما نيل من شيء فانتقمه إلا من صاحبه إلا أن ينتهك محارم الله فينتقم لله عز وجل ، وما عُرض عليه أمران أحدهما أيسر من الآخر إلا أخذ بأيسرهما إلا أن يكون مأثماً ، فإنه كان أبعد الناس منه .

ولابن سعد من حديث وكيع عن داود بن أبي عبد الله عن ابن جدعان عن جدته عن أم سلمة : أن النبي ﷺ أرسل وصيفة له فأبطأت ، فقال : لولا القصاص لأوجعتك بهذا السواك .

وخرَّجه أبو بكر بن أبي شيبة وأبو يعلي به ، وروي منصور بن المعتمر عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة قالت ــ: ما رأيت رسول الله ﷺ منتصراً من

---

(١) زيادة البيان ساقطة في (خ) وأتممناها من (مسلم بشرح النووي) جـ١٥ ص ٨٣ .

(٢) ونحوه في (سنن أبي داود) كتاب الأدب – باب في التجاوز في الأمر ، وأخرجه مسلم في الفضائل باب مباعدته ﷺ للآثام ، وابن ماجة في النكاح باب ضرب النساء . ونسبه المنذري إلى النسائي .

ظَلامة ظُلمها قط ، إلا أن ينتهك من محارم الله ، فإذا انتهك من محارم الله شيء كان أشدهم في ذلك ، وما خير رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما .

وفي لفظ : ما رأيت رسول الله منتصراً من ظلمة قط ما لم ينتهك من محارم الله شيء فإذا انتهك من محارم الله شيء كان أشدَّهم في ذلك غضباً ، وما خُيَّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً .

وروي محمد بن إسحٰق عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين قطٌّ إلا اختار أيسرهما ما لم يكن حراماً ، فإن كان حراماً كان أبعد الناس منه ؛ وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه من شيء يُصاب منه إلا أن تُعاب حرمة الله فينتقم لله .

وخرَّج البخاري في الأدب المفرد من حديث محمد بن سلام : أخبرنا يحيى بن محمد أبو محمود البصري قال : سمعت عمر مولى المطلب قال : سمعت أنس بن مالك يقول : قال رسول الله ﷺ : لست من دَدٍ ، ولا الدَّدُ مني ، يعني ليس الباطل مني بشيء .

وخرَّج البخاري في كتاب الديات في باب من استعان عبداً أو صبياً ، من حديث إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا عبد العزيز عن أنس رضي الله عنه قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة أخذ أبو طلحة بيدي فانطلق بي إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ؛ إن أنساً غلام كيِّس فليخدمك ، قال : فخدمته في الحضر والسفر ، فوالله ماقال لي لشيئ صنعته لم صَنَعْتَ هذا هكذا ؟ ولا لشيء لمْ أصعنه لِم لَمْ تصنع هذا هكذا ؟

وخرجه مسلم بنحوه . وخرَّج في كتاب الوصايا[1] في باب استخدام اليتيم في السفر والحضر إذا كان صلاحاً له ، من حديث ابن عُلَيّة ، أخبرنا عبد العزيز عن أنس قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة ليس له خادم ، فأخذ أبو طلحة بيدي (الحديث بمثله) ، غير أنه لم يقل (فوالله) .

وخرَّج في كتاب الأدب في باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل ،

---

(١) (صحيح البخاري بحاشية السندي) جـ٢ ص ١٣١ .

من حديث سلام بن مسكين : سمعت ثابتاً يقول : أخبرنا أنس قال : خدمت النبي ﷺ عشر سنين ، وما قال لي : أف ، ولا لم صنعت ؟ ولا ألاَ صنعت ؟ .

وخرجه مسلم في المناقب من حديث حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال : خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين والله ما قال لي : أفاً قط ، وما قال لي لشيء : لم فعلت كذا أو هلا فعلت كذا ؟!

ومن حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال : خدمت النبي ﷺ عشر سنين بالمدينة وأنا غلام ، ليس كل أمري كما يشتهي صاحبي أن يكون عليه ، ما قال لي فيه : أفٍ قط ، ولا قال لي : لم فعلت هذا ؟ وألا فعلت هذا ؟

وله من حديث زكريا قال : حدثني سعيد وهو ابن أبي برده عن أنس قال : خدمت رسول الله ﷺ تسع سنين فما أعلمه قال لي قط : لم فعلت كذا وكذا ؟ ولا عاب عليَّ شيئاً قط .

ولمسلم وأبي داود من حديث عمر بن يونس قال : أخبرنا عكرمة – وهو ابن عمار – قال : قال إسحٰق : قال أنس : كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خُلُقاً ، فأرسلني يوماً لحاجة فقلت : لا أذهب ، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به ، رسول الله ، فخرجت حتى أمرَّ على الصبيان وهم يلعبون في السوق ، فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي ، قال : فنظرت إليه وهو يضحك ، فقال : يا أنيس ، أذهبتَ حيث أمرتك ؟ قلت : نعم ، أنا أذهب يا رسول الله . وقال أنس : والله لقد خدمته تسع سنين ما علمته قال لشيء صنعته : لم فعلت كذا وكذا ؟ أو لشيء تركته : هلا فعلت كذا وكذا[1] ؟

وخرَّج أبو بكر بن أبي شيبة من حديث أبي معاوية عن جعفر بن برقان عن عمران القصير عن أنس قال : خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين ، فما أرسلني في حاجة قط لم تُهيَّأ إلا قال : لو قضي لكان ، أو لو قدر لكان .

ولمسلم من حديث عبد الوارث عن أبي التياح عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلُقاً .

(١) (سنن أبي داود) جـ٣ ص ٥ ص ١٣٣ كتاب الأدب ، باب الحلم وأخلاق النبي ﷺ حديث رقم ٤٧٧٣ .

وخرَّج البخاري من حديث عبد الوارث عن أبي التياح عن أنس قال : كان النبي ﷺ أحسن الناس خُلقاً وكان لي أخ يقال له أبو عمير : أحسبه فطيم ، وكان إذا جاء قال : يا أبا عُمَير : ما فعل النُّغَيْر ؟ - نغر كان يلعب به - فربما حضر الصلاة وهو في بيتنا ، فيأمر بالبساط الذي تحته ، فيكنس وينضح ، ثم يقوم ونقوم خلفه ، فيصلي بنا . ترجم عليه (باب الكنية للصبي) .

وخرَّجه مسلم ولفظه : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلقاً ، وكان لي أخ يقال له : أبو عمير قال : وأحسبه قال : كان فطيما ، فكان إذا جاء رسول الله فرآه قال : أبا عمير ، ما فعل النُّغَيْر ؟ قال : فكان يلعب به .

وخرَّجه أبو داود من حديث حماد قال : حدثنا ثابت عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ يدخل علينا ولي أخ صغير يكني أبا عمير ، وكان له نُغَر يلعب به فمات ؛ فدخل النبي ﷺ ذات يوم فرآه حزينا ، فقال : ما شأنه ؟ قالوا : مات نغره ! فقال : « يا أبا عمير ، ما فعل النُّغَيْر ؟ » ترجم عليه . (باب الرجل يتكني وليس له ولد)[1] .

وفي هذا الحديث من وجوه الفقه وفنون الأدب والفائدة ستون وجهاً ، جمعها أبو العباس أحمد بن القاصّ الفقيه الشافعي في جزء[*] .

---

(١) أبو عمير هذا - بضم العين وفتح الميم وسكون الياء - هو أخو أنس بن مالك لأمه ، أمهما : أم سُليم ، لا يُعرف له اسم ، وتوفي في حياة النبي ﷺ وهو الذي توفي وجرى لأم سليم مع زوجها أبي طلحة فيه ما جرى ، [يراجع ذلك في أبواب الجنائز من كتب السنن] ، والنُّغَر (بضم النون وفتح الغين) : طائر صغير يجمع على النُّغران .

أخرجه أبو داود في (السنن) كتاب الأدب باب ما جاء في الرجل يتكني وليس له ولد ، و(البخاري) في الأدب باب الانبساط إلى الناس ، و (مسلم) في الأدب باب استحباب تحنيك المولود ، و (الترمذي) في الصلاة باب ما جاء في الصلاة على البُسط وقال : وحديث أنس صحيح -، وفي البر باب ما جاء في المزاح ، و (ابن ماجة) في الأدب باب المزاح -، من حديث أبي التياح - يزيد ابن حميد الضبعي - عن أنس بن مالك ، ونسبه (المنذري للنسائي أيضاً) .

(*) هو أبو العباس أحمد بن أبي أحمد المعروف بابن القاصّ ، الطبري ، الفقيه الشافعي ، وعرف والده بالقاصّ لأنه كان يقصّ الأخبار .

كان ابن القاصّ إمام وقته في طبرستان ، وأخذ الفقه عن ابن سُريج ، وصنَّف كتباً كثيرة ، منها : « التلخيص » ، و « أدب القاضي » ، و « المفتاح » ، وغير ذلك . وجميع تصانيفه صغيرة الحجم ، كثيرة الفائدة ، وكان يعظ الناس ، فانتهى إلى طرسوس ، وقيل : إنه تولى القضاء بها ، فعقد له مجلس =

وعظ ، وأدركته رقة وخشية وروعة من ذكر الله تعالى ، فخرَّ مغشياً عليه ، ومات سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة . (النجوم الزاهرة) و (شذرات الذهب) و (طبقات الشافعية للسبكي) و (وفيات الأعيان) و (سير أعلام النبلاء) و (الأنساب) .

قال أبو العباس بن القاصّ رحمه الله تعالى : وفيما روينا من قصة أبي عمير ستون وجهاً من الفقه والسنة ، وفنون الفائدة والحكمة ، فمن ذلك :

[١] أن سنة الماشي أن لا يتبختر في مشيته ولا يتبطأ فيها، فإنه ﷺ كان إذا مشي توكأ كأنما ينحدر من صبب . [٢] ومنها أن الزيارة سنة . [٣] ومنها الرخصة للرجال في زيارة النساء غير ذوات المحارم (إذا لم تكن شابة وأمنت الفتنة) . [٤] ومنها زيارة الحاكم للرعية . [٥] ومنها أنه إذا اختصَّ الحاكم بالزيارة والمخالطة بعض الرعية دون بعض فليس ذلك بميل ، وقد كان بعض أهل العلم يكره للحكام ذلك . [٦] وإذا ثبت ما وَصَفْنَا كان فيه وجه من تواضع الحاكم للرعية . [٧] وفيه دليل على كراهية الحجَّاب للحكام . [٨] وفيه دليل أن الحاكم يجوز له أن يسير وحده . [٩] وأن أصحاب المقارع بين يدي الحكام والأمراء محدثة مكروهة ، لما روي في الخبر : رأيت النبي ﷺ بمنًى على ناقة له ، لا ضرب ولا طرد ، ولا إليك إليك . [١٠] وفي قوله : يغشانا ما يدل على كثرة زيارته لهم . [١١] وأن كثرة الزيارة لا تَخْلِق الحب والمودة ولا تنقصها إذا لم يكن معها طمع . [١٢] وأن قوله عليه السلام لأبي هريرة : « زُرْغبًّا تزدد حُباً » ، كما قاله بعض أهل العلم لما رأى في زيارته من الطمع لما كان بأبي هريرة من الفقر والحاجة حتى دعا له النبي ﷺ في مزودة ، وكان لا يُدخل فيها يده إلا أخذ حاجته ، فحصلت له الزيارة دون الطمع . [١٣] وفي قوله : « يخالطنا » ، ما يدل على الألفة ، بخلاف النفور ، وذلك من صفة المؤمن ، كما روي في بعض الأخبار : المؤمن ألوف والمنافق نفور . [١٤] ومنها ما روي في الخبر : « فِرّ من الناس فرارك من الأسد » ، إذا كانت في لقيهم مضرة لا على العموم ، فأما إذا كانت فيه للمسلمين ألفة ومودة فالمخالطة أولى . [١٥] وفيه دلالة على الفرق بين شباب النساء وعجائزهن في المعاشرة ؛ إذ اعتذر النبي ﷺ إلى من رآه واقفاً مع صفية ، ولم يعتذر من زيارته أم سليم ، بل كان يغشاهم الكثير . [١٦] وفي قوله : « ما مسست شيئاً قط ألين من كَفّ رسول الله ﷺ » : ما يدل على مصافحته ، وإذا ثبتت المصافحة ، دلَّ على تسليم الزائر إذا دخل . [١٧] ودلَّ على مصافحته ، [١٨] ودلّ على أن يصافح الرجلَ دون المرأة ، لأنه لم يقل : « فما مسسنا » وإنما قال : « ما مسست » ، وكذلك كانت سنته ﷺ في التسليم على النساء ومبايعته ، إنما كان يصافح الرجال دونهن . [١٩] وفي لين كفه ما يدل على أنه لا ينبغي أن يعتمد المصلّي إلى شدة الاعتماد على اليدين في السجود ، كما اختار ذلك بعضهم ، لما وجد في صفة النبي ﷺ أنه كان شثن الكفين والقدمين ، فقال : ينبغي أن يعتمد إلى شدة الاعتماد على اليدين في السجود ، ليؤثر على يديه دون جبهته . [٢٠] وفيه ما يدل على الاختيار للزائر إذا دخل على المزور . [٢١] وفيه ما يدل على ما قاله بعضهم أن الاختيار في السّنة الصلاة على البساط والجريد والحصير ، وقد قيل في بعض الأخبار أنه كان حصيراً بالياً ؛ وذلك أن بعض الناس كان يكره الصلاة على الحصير ، وينزع بقول الله تعالى : ﴿ **وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً** ﴾ . [٢٢] وفي نضحهم ذلك له وصلاته عليه مع علمه ﷺ أن في البيت صبياً صغيراً ، دليل على أن السنة ترك التعزر . [٢٣] ودليل على أن الأشياء على الطهارة حتى يعلم يقين النجاسة . [٢٤] وفي =

نضحهم البساط لصلاة رسول الله ﷺ دليل على أن الاختيار للمصلي أن يقوم في صلاته على أروح الحال وأمكنها ، لا على أجهدها وأشدها ، لئلا يشغله الجهد عما عليه من أدب الصلاة وخشوعها ، كما أمر الجائع أن يبدأ بالطعام قبل الصلاة ، خلاف ما زعم بعض المجتهدين ، إذْ زعم أن الاختيار له أن يقوم على أجهد الحال ، كما سُمع في بعض الأخبار أنهم لبسوا المِسح إذا قاموا من الليل وقيدوا أقدامهم . [٢٥] وفي صلاته في بيتهم ليأخذوا علمها دليل على جواز حمل العالم علمه إلى أهله: إذا لم يكن فيه على العلم مذلة ، وأما روى في أن : « العلم يُؤتى ولا يأتي » : إذا كانت فيه للعلم مذلة ، أو كان من المتعلم على العالم تطاول . [٢٦] وفيه دلالة اختصاص لآل أبي طلحة ؛ إذ صلى رسول الله ﷺ في بيتهم . [٢٧] وأخذهم قبلة بيتهم بالنص عن رسول الله ﷺ دون الدلائل والعلامات . [٢٨] وفي قوله : « وكان رسول الله ﷺ إذا جاء مازحه » ، ما يدل على أنه كان يمازحه كثيراً ؛ وإذا كان كذلك كان في ذلك شيئان : [٢٩] أحدهما : أن ممازحة الصبيان مباح . [٣٠] والثاني : أنها إباحة سنة لا إباحة رخصة ، لأنها لو كانت إباحة رخصة لأشبه أن لا يكثرها ، كما قال في مسح الحصى للمصلي : « فإن كنت لابد فاعلاً فمرة » ، لأنها كانت رخصة لا سنة . [٣١] وفيه – إذْ مازحه ﷺ – ما يدل على ترك التكبر والترفع . [٣٢] وما يدل على حُسن الخلق . [٣٣] وفيه دليل على أنه يجوز أن يختلف حال المؤمن في المنزل من حاله إذا برز ، فيكون في المنزل أكثر مزاحاً ، وإذا خرج أكثر سكينة ووقاراً – إلا من طريق الرياء – كما روي في بعض الأخبار : كان زيد بن ثابت من أفكه الناس إذا خلا بأهله ، وأزمتهم عند الناس . [٣٤] وإذا كان ذلك كما وصفنا ففيه دليل على أن ما رُوي في صفة المنافق أنه يخالف سرّه علانيته ليس على العموم ؛ وإنما هو على معنى الرياء والنفاق ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ **وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون** ﴾ . [٣٥] وفي قوله : « فرآه حزينا » : ما يدل على إثبات التفرس في الوجوه . وقد احتج بهذا المعنى بعض أهل الفراسة بما يطول ذكره . [٣٦] وفيه دليل على الاستدلال بالعَبْرةِ لأهلها ؛ إذ استدل ﷺ بالحزن الظاهر في وجهه على الحزن الكامن في قلبه ، حتى حداه على سؤال حاله . [٣٧] وفي قوله : « ما بال أبي عُمير ؟ » دليل على أن من السنة إذا رأيت أخاك أن تسأل عن حاله . [٣٨] وفيه دليل – كما قال بعض أهل العلم – على حُسن الأدب بالسنة في تفريق اللفظ بين سؤالين : فإذا سألت أخاك عن حاله قلت : مالك ؟ كما قال النبي ﷺ من حديث أبي قتادة : « مالك يا أبا قتادة ؟ » وإذا سألت غيره عن حاله قلت : ما بالُ أبي فلان ؟ كما قال النبي ﷺ في هذا الحديث : « ما بال أبي عمير ؟ » . [٣٩] وفي سؤاله ﷺ من سأل – عن حال أبي عمير – دليل على إثبات خبر الواحد . [٤٠] وفيه دليل على أنه يجوز أن يُكْنى من لم يولد له ، وقد كان عمر بن الخطاب يكره ذلك حتى أُخبر به عن النبي ﷺ . [٤١] وفي قوله : « مات نُغَيْرُهُ الذي كان يلعب به » : تركه النكير بعد ما سمع ذلك ﷺ دليل على الرخصة في اللعب للصبيان . [٤٢] وفيه دليل على الرخصة للوالدين في تخلية الصبي وما يروم من اللعب إذا لم يكن من دواعي الفجور ، وقد كان بعض الصالحين يكره لوالديه أن يخلياه . [٤٣] وفي دليل على أن إنفاق المال في ملاعب الصبيان ليس من أكل المال بالباطل ، إذا لم يكن من الملاهي المنهية . [٤٤] وفيه دليل على إمساك الطير في القفص . [٤٥] وقصّ جناح الطير لمنعه من الطيران ، وذلك أن لا يخلو من أن يكون النغيرة التي كان يلعب بها في قفص أو نحوه ؛ من شدّ رجل أو غيره ، أو أن تكون مقصوصة الجناح ، فأيهما كان المنصوص ، فالباقي قياسٌ عليه ، يكره

قصَّ جناح الطائر وحبسه في القفص . [٤٦] وفيه دليل على أن رجلاً لو اصطاد صيداً خارج الحرم ثم أدخل الحرم ، لم يكن عليه إرساله ، وذلك لأن النبي ﷺ حرَّم الاصطياد بين لابتي المدينة ، وأجاز لأبي عمير إمساكه فيها .

وكان ابن الزبير يفتي بإمساك ذلك ، ومن حجته فيه : أن من اصطاد صيداً ثم أحرم وهو في يده ، فعليه إرساله ، فكذلك إذا اصطاد في الحل ثم أدخله الحرم .

وفرَّق الشافعي بين المسألتين كما وصفنا ، فقال : من اصطاد ثم أحرم والصيد في ملكه فعليه إرساله ، ومن اصطاده ثم أدخله الحرم فلا إرسال عليه . [٤٧] وفي قوله : « ما فعل النغير ؟ » ، دليل على جواز تصغير الأسماء كما صَغَّر النغيرة ، وكذلك المعنى في قوله : كان ابن لأبي طلحة يكْنى أبا عُمير . [٤٨] وكان النبي ﷺ إذا مازحه بذلك يبكي ، ففي ذلك دليل على أن قول النبي ﷺ في حديث آخر : « إذا بكى اليتيم اهتز العرش » ، ليس على العموم في جميع بكائه ، وذلك أن بكاء الصبي على ضربين : أحدهما : بكاء الدلال عند المزاح والملاطفة ، والآخر : بكاء الحزن أو الخوف عند الظلم أو المنع عما به إليه الحاجة ، فإذا مازحت يتيماً أو لاطفته فبكى ، فليس في ذلك – إن شاء الله تعالى – اهتزاز عرش الرحمن . [٤٩] وقد زعم بعض الناس أن الحكيم لا يواجه بالخطاب غير العاقل . وقال بعض أصحابنا ، ليس كذلك ، بل صفة الحكيم في خطابه أن لا يضع الخطاب في غير موضعه ، وكان في هذا الحديث كذلك دليل ؛ ألا ترى أنه ﷺ واجه الصغير بالخطاب عند المزاح فقال : « يا أبا عُمير ما فعل النُّغَيْر ؟ » ، ولم يواجه بالسؤال عند العلم والإثبات ، بل خاطب غيره ، فقال : « ما بالُ أبي عمير ؟ » . [٥٠] وفيه دليل على أن للعاقل أن يُعاشر الناس على قدر عقولهم ولا يحمل الناس كلهم على عقله . [٥١] وفي نومه ﷺ عندهم دليل على أن عماد القَسْم بالليل ، وأن لا حرج على الرجل في أن يقيل بالنهار عند امرأة في غير يومها . [٥٢] وفيه دليل على سنة القيلولة . [٥٣] وفي دليل على خلاف ما زعم بعضهم في أدب الحكام أن نوم الحكام والأمراء في منزل الرعية – ونحو ذلك من الأفعال – دناءة تسقط مروءة الحاكم . [٥٤] وفي نومه على فراشها دليل على خلاف قول من كره أن يجلس الرجل في مجلس امرأة ليست له بمحرم أو يلبس ثوبها وإن كان على تقطيع الرجال . [٥٥] وفيه أنه يجوز أن يدخل المرء على امرأة في منزلها وزوجها غائب وإن لم تكن ذات محرم له . [٥٦] وفي نضح البساط له ونومه على فراشها دليل على إكرام الزائر . [٥٧] وفيه أن التَّنعُّم الخفيف غير مخالف للسنة . وأن قوله : « كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وأصغى بسمعه » ، ليس على العموم إلا فيما عدا التنعم القليل . [٥٨] وفيه دليل على أنه ليس بفرض على المزور أن يُشيّع الزائر إلى باب الدار – كما أمر النبي ﷺ بتشييع الضيف إلى باب الدار – إذ لم يذكر في هذا الحديث تشييعهم له إلى الباب . [٥٩] وقد اختلف أهل العلم في تفسير ما ذُكر من صفة النبي ﷺ في حديث هند بن أبي هالة : كانوا إذا دخلوا عليه لا يفترقون إلا عن ذواق : قال بعضهم : أراد به الطعام . وقال بعضهم : أراد به ذواق العلم . ففي تفسير هذا الحديث ، الدليل على تأويل من تأوَّله على ذَواق العلم ، إذ قد أذاقهم العلم ولم يذكر فيه ذواق الطعام . [٦٠] وكان من صفته ﷺ أنه يواسي بين جلسائه ، حتى يأخذ منه كل بحظ ، وكذلك فعل رسول الله ﷺ في دخوله على أم سليم : صافح أنساً ، ومازح أبا عمير الصغير ، ونام على فراش أم سليم ، حتى نال الجميع من بركته ﷺ ، وزاد على الستين فقال : [٦١] وإذا كان طلب العلم فريضة على كل مسلم ، فأقل ما في تحفُّظ طرقه أن يكون نافلة ، وفيه أن قوماً أنكروا خبر الواحد واختلفوا فيه : فقال بعضهم بجواز خبر الاثنين قياساً على الشاهدين ، وقال

وخرَّج البخاري في كتاب الأدب في باب حُسن الخُلق وما يكره من البخل ، من حديث حماد بن زيد عن ثابت عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس، وكان أجود الناس، وكان أشجع الناس (الحديث) .

وخرَّج في باب ما ينهي من السباب واللعن من حديث فليح بن سليمان أخبرنا هلال بن علي عن أنس بن مالك قال : لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا لعَّاناً ولا سبَّاباً ، كان يقول عند المعتبة : ماله تربت جبينه .

وخرَّج البخاري من حديث شعبة عن سليمان ، سمعتُ أبا وائل ، سمعت مسروقاً قال : قال عبد الله بن عمرو من حديث الأعمش عن شقيق بن سلمة عن مسروق قال : دخلنا على عبد الله بن عمر حين قدم مع معاوية إلى الكوفة ، فذكر رسول الله ﷺ فقال : لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ، وقال : قال رسول الله : إن من أخيركم أحسنكم خلقاً (ذكره في كتاب الأدب وفي صفة النبي ﷺ) .

وخرَّجه مسلم ، ولفظه عن مسروق قال : دخلنا على عبد الله بن عمرو حين قدم معاوية إلى الكوفة ، فذكر رسول الله ﷺ فقال : لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ،

بعضهم بجواز خبر الثلاثة ، ونزع بقول الله جل ذكره : ﴿ **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين** ﴾ ، وقال بعضهم بجواز خبر الأربعة ، قياساً على أعلى الشهادات وأكبرها ، وقال بعضهم بالشائع والمستفيض ، فكان في تحفظ طرق الأخبار ما يخرج به الخبر عن حدّ الواحد إلى حد الاثنين وخبر الثلاثة والأربعة ، ولعله يدخل في خبر الشائع المستفيض . [٦٢] وفيه أن الخبر إذا كانت له طرق ، وطعن الطاعن على بعضها احتج الراوي بطريق آخر ولم يلزمه انقطاع ؛ ما وجد إلى طريق آخر سبيلاً . [٦٣] وفيه أن أهل الحديث لا يستغنون عن معرفة النقلة والرواة ومقدارهم في كثرة العلم والرواية ، ففي تحفظ طرق الأخبار ، ومعرفة من رواها ، ومعرفة كم روي كل راوٍ منهم ما يُعلم به مقادير الرواة ومراتبهم في كثرة الرواية . [٦٤] وفيه أنهم إذا استقْصوا في معرفة طرق الخبر عرفوا به غلط الغالط ، وميزوا به كذب الكاذب ، وتدليس المدلّس . [٦٥] وإذا لم يَسْتَقْصِ المرء في طرقه واقتصر على طريق واحد كان أقل ما يلزمه إن دلَّس عليه في الرواية أن يقول : لعله قد رُوي ولم أَسْتَقْصِ فيه ، فرجع باللائمة والتقصير على نفسه والانقطاع وقد حلّ لخصمه . [٦٦] إن مثل هذا الحديث فيه تثبيت الامتحان ، والتمييز بيننا وبين أمثالهم ؛ إذا لم يهتدوا إلى شيء من تخريج فقهه ، ويستخرج أحدُنا منه - بعون الله وتوفيقه - كلَّ هذه الوجوه ، وفي ذلك وجهان :

أحدهما : اجتهاد المستخرج في استنباطه ، والثاني : تبيين فضيلته في الفقه والتخريج على أغياره . والعين المستنبط منها عين واحدة ، ولكن من عجائب قدرة اللطيف في تدبير صُنعه : أن تُسقى بماء واحد ويفضل بعضها على بعض في الأُكُل .

(جزء فيه فوائد حديث أبي عمير) : ص ١٩ - ٣٥ .

وقال : قال رسول الله ﷺ : إن من خياركم أحاسنكم أخلاقاً .

ولأبي داود الطيالسي من حديث شعبة عن ابن إسحٰق قال : سمعت أبا عبد الله الجدلي يقول سمعت عائشة رضي الله عنها سُئلت عن خُلق رسول الله ﷺ فقالت : لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ، لا سخَّاباً في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، أو قالت يعفو ويغفر (شك أبو داود) .

وخرَّج البخاري في كتاب البيوع في باب كراهية السخب في الأسواق من حديث فليح : أخبرنا هلال عن عطاء بن يسار : لقيت عبد الله بن عمرو بن القاضي ، قلت : أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة ، قال : أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وحرزاً للأميين ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ، ويفتح به أعيناً عمياً ، وآذاناً صُما ، وقلوباً غُلفاً[1] .

وخرَّج في تفسير سورة الفتح من حديث عبد العزيز بن أبي سلمة عن هلال ابن أبي هلال ، عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو ، أن هذه الآية التي في القرآن : ﴿ **يٰأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً** ﴾ ، قال في التوراة : يٰأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً [ومبشراً][2] وحرزاً للأميين ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا سخاب في الأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا لا إله إلا الله فيفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صُماً ، وقلوباً غُلفاً .

وخرَّج يعقوب بن سفيان الفسوي من حديث آدم وعاصم بن علي قالا : أخبرنا ابن أبي ذؤيب ، حدثنا صالح مولى التزمة قال : كان أبو هريرة رضي الله عنه ينعت النبي ﷺ فقال : كان يقبل جميعاً ، ويدبر جميعاً ، بأبي وأمي ولم يكن فاحشاً ولا

(١) في (خ) « أعين عمي وآذن صم وقلوب غلف » وما أثبتناه من (الطبقات الكبري) لابن سعد جا ص ٣٦١ ، (الشفا بتعريف حقوق المصطفي) للقاضي عياض جا ص ١٥ .

(٢) زيادة من المرجعين السابقين .

متفحشاً ولا صخاباً في الأسواق (زاد آدم : ولم أر مثله قبله ، ولم أر بعده) .

وذكر الوقدي أن أعرابياً أقبل من تهامة ، فقال له أصحابُ رسول الله ﷺ : تعالَ سلِّم على رسول الله ، قال : وفيكم رسول الله ؟ قالوا : نعم ، قال : فأيكم رسول الله ؟ قالوا هذا ، قال : أنت رسول الله ؟ قال : نعم ، قال : فما في بطن ناقتي هذه إن كنت صادقاً ؟ قال سلمة بن سلامة بن وقش : نكحتها ، فهي حبلي منك ، فكره رسول الله ﷺ مقالته وأعرض عنه ، ذكر ذلك في توجه رسول الله إلى بدر ، ثم ذكره في عود رسول الله ﷺ إلى بدر[1] .

قال : ولقيه الناس يهنئونه بالروحاء بفتح الله ، فلقيه وحوله الخزرج ، فقال سلمة بن سلامة بن وقش : ما الذي تهنئوننا به ؟ فوالله ما قتلنا إلا عجائز صُلعا ، فتبسم رسول الله ﷺ وقال : يا ابن أخي ، أولئك الملأ لو رأيتهم لهبتهم ، ولو أمروك لأطعتهم ، ولو رأيت فعالك مع فعالهم لاحتقرته ، وبئس القوم كانوا على ذلك لنبيهم ، فقال سلمة بن سلامة : أعوذ بالله من غضبه ، وغضب رسوله ، إنك يا رسول الله لم تزل عني معرضاً منذ كنا بالروحاء في بَدْأَتِنا ؛ فقال رسول الله : أما ما قلتَ للأعرابي وقعت على ناقتك فهي حبلي منك ، ففحشت وقلت ما لا علم لك به ، وأمَّا مَا قلتَ في القوم ؛ فإنك عمدت إلى نعمة من نعم الله تعالى تزهدها ، فقبل منه رسول الله ﷺ معذرته ، وكان من علية أصحابه .

وذكر الخطيب من حديث أبي داود : أخبرنا طلحة عن عبد الله عن عبيد الله عن أم سلمة قالت : ما طعن رسول الله في حسب ولا نسب قط .

وخرَّج البخاري في المناقب من حديث شعبة عن قتادة عن عبد الله بن أبي عتبة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ أشدّ حياء من العذراء في خدرها ، وزاد في رواية : وإذا كره شيئاً عُرِف في وجهه ، وذكره في كتاب الأدب ولفظه : فإذا رأي شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه وخرَّجه مسلم بنحوه[2] .

---

(١) راجع هذا الخبر عند الكلام على غزوة بدر من هذا الجزء تحت عنوان : خبر الأعرابي بعرق الظبية » ، وانظر أيضاً (سيرة ابن هشام) جـ٢ ص ١٨٧ تحت عنوان « الطريق إلى بدر » .

(٢) (مسلم بشرح النووي) جـ١٥ ص ٧٨ باب كثرة حيائه ﷺ .

ولأبي داود والبخاري في الأدب المفرد من حديث حماد بن زيد قال : حدثنا سَلْم[1] العلوي عن أنس أنَّ رجلا دخل على رسول الله ﷺ وعليه أثر صُفرة ، كان رسول الله ﷺ قَلَّ ما يواجه رجلاً في وجهه بشي يكرهه ، فلما خرج قال : لو أمرتم هذا أن يغسل ذا عنه[2] !

وله من حديث الأعمش عن سليم[3] عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي ﷺ إذا بلغه عن الرجل الشيء لم يقل : ما بال فلان يقول ؟ ولكن يقول : ما بال من يقولون كذا وكذا ؟ .

وفي لفظ : إذا بلغه الشيء عن الرجل لم قلت كذا وكذا أثر ذكره .

وخرَّج البخاري ومسلم من حديث مالك عن إسحٰق عن أنس قال : كنت أمشي مع النبي ﷺ ، وعليه بُرد غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذاً شديداً حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثَّرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ، ثم قال : يا محمد مُرْ لي من مال الله الذي عندك ، قال : فالتفت إليه رسول الله ﷺ فضحك ، ثم أمر له بعطاء[4] .

وخرَّج الحاكم من حديث عبد الله بن يوسف التنيسي حدثنا عبد الله بن سالم ، حدثنا محمد بن حمزة بن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سالم[5] عن أبيه عن جده ، أن زيد بن سعنة – كان[6] من أحبار اليهود – أتي النبي ﷺ يتقاضاه فجبذ ثوبه عن منكبه الأيمن . ثم قال : إنكم يا بني عبد المطلب أصحاب مُطْل ، وإني بكم لعارف ، قال : فَانْتَهَرهُ عمر ، فقال له رسول الله ﷺ [يا عمر][7] : أنا وهو كنَّا إلى غير هذا منك أحوج ، أن تأمرني بحسن القضاء ، وتأمره بحسن التقاضي ، إنطلق يا عمر وفِّه حقَّه ، أما إنه قد بقي من أجله ثلاث ، فزده[8]

---

(١) قال أبو داود : سَلْم ليس هو علوياً . كان يبصر في النجوم ، وشهد عند عدي بن أرطأة على رؤية الهلال فلم يجز شهادته .

(٢) (سنن أبي داود) جـ٥ ص ١٤٣ حديث رقم ٤٧٨٩ .

(٣) في (خ) « مسلم » .

(٤) ونحوه في سنن أبي داود جـ٥ ص ١٣٣ كتاب الأدب باب في الحلم وأخلاق النبي حديث رقم ٤٧٧٥ .

(٥) في (خ) « سلام » .

(٦) في (خ) « وكان » .

(٧) زيادة من (المستدرك) .

(٨) في (خ) « وزده » .

ثلاثين صاعاً لتزويرك[١] عليه . قال الحاكم : صحيح الإسناد[٢] .

وخرَّجه الفسوي من حديث الأعمش عن ثمامة بن عقبة عن زيد بن أرقم قال : كان رجل من الأنصار يدخل علي النبي ﷺ ، فدنا منه وإنه عقد له عُقَداً وألقاه في بئر ، ففزَّع ذلك النبي ﷺ ، فأتاه ملكان يعودانه فأخبراه أن فلاناً عقد له عُقداً وهي في بئر فلان ، وقد اصفرَّ الماء من شدة عُقَده ، فأرسل النبي ﷺ فاستخرج العُقَد فوجد الماء قد اصفرَّ ، فحل العُقَد ونام النبي عليه السلام ، ولقد رأيت الرجل بعد ذلك يدخل علي النبي ﷺ ، فما رأيته في وجه النبي عليه السلام حتى مات .

ولأبي بكر بن أبي شيبة من حديث عباد بن العوام ، عن النعمان بن ثابت عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر عن أنس قال : ما أخرج رسول الله ﷺ ركبتيه بين يدي جليس قط ، ولا ناول يده أحداً قط فتركها حتى يكون هو يدعها ، وما جلس إلى رسول الله أحد قط فقام حتى يقوم ، وما وجدت شيئاً قط أطيب ريحاً من رسول الله ﷺ .

وخرَّج الفسوي من حديث عمران بن زيد الملائي قال : حدثني زيد العمي عن أنس قال : كان رسول الله ﷺ إذا صافح أو صافحه الرجل . لا ينزع ، وإن استقبله بوجهه لا يعرضه عنه حتى يكون الرجل ينصرف ، ولم يُرَ مقدماً ركبتيه بين يدي جليس له .

وخرَّج أبو داود من حديث مبارك بن فضالة[٣] عن ثابت عن أنس قال : ما رأيت رجلاً التقم أذن النبي ﷺ فينحي رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه ، وما رأيت رسول الله أخذ بيده رجل[٤] فترك يده حتى يكون الرجل هو الذي يدع يده[٥] .

وفي الأدب المفرد للبخاري من حديث عبد الوارث، حدثنا عتبة بن عبد الملك ،

---

(١) في (خ) « لتدورك » .

(٢) وقال الذهبي في (التلخيص): « قلت : مرسل » راجع المستدرك للحاكم جـ٢ ص ٣٢ كتاب البيوع .

(٣) هو ابن فضالة ، أبو فضالة القرشي العدوي ، مولاهم البصري ، قال عفان بن مسلم : ثقة . وضعَّفه الإمام أحمد بن حنبل ويحيى بن معين والنسائي وغيرهم .

(٤) في (أبي داود) : « ومارأيت رجلا أخذ بيده فترك يده » .

(٥) (سنن أبي داود) جـ٥ ص ١٤٦ حديث رقم ٤٧٩٤ ، كتاب الأدب .

حدثني زرارة بن كريم بن الحارث بن عمرو السهمي ، أن الحارث بن عمرو السهمي حدثه قال : أتيتُ النبي وهو بمنى أو بعرفات ، وقد أطاف به الناس ، ويجيء الأعراب فإذا رأوا وجهه قالوا : هذا وجه مبارك ، قلت يا رسول الله استغفر لي ، فقال : اللهم اغفر لنا ، فدرتُ فقلتُ : استغفِرْ لي فقال : اللهم اغفر لنا ، فدرت فقلت استغفر لي فقال : اللهم أغفر لنا ، فذهب بيده بزاقه ومسح به نعله ، كره أن يصيب أحداً من حوله .

وخرَّج الحاكم من حديث محمد بن إسحٰق عن يعقوب بن عتبة عن عمر ابن عبد العزيز عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه قال : كان رسول الله إذا جلس يتحدث كثيراً يرفع طرفه إلى السماء .

وفي الصحيحين من حديث الأعمش عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قط ؛ إن اشتهاه أكله ، وإلا تركه[1] .

وخرَّج البخاري في كتاب الأدب من حديث ابن وهب ، أخبرنا عمرو أن أبا النضر حدثه عن سليمان بن يسار عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما رأيت النبي ﷺ مستجمعاً قط ضاحكاً حتى أرى منه لهواته ، إنما كن يتبسم[2] . وخرج مسلم بنحوه .

وخرَّج مسلم من حديث يحيى بن يحيى أخبرنا أبو خيثمة عن سماك بن حرب قال : قلت لجابر بن سُمرة : أكنت تجالس رسول الله ﷺ ؟ قال نعم ، كثيراً ما كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلى فيه الصبح حتى تطلع الشمس . فإذا طلعتْ قام ، وكانوا يتحدثون ويأخذون في أمر الجاهلية ، فيضحكون ويبتسم ﷺ[3] .

---

(١) أخرجه البخاري في المناقب باب صفة النبي ﷺ ، ومسلم في الأشربة باب لا يعيب الطعام ، والترمذي في البر باب ترك العيب للنعمة وقال : حسن صحيح ، وابن ماجه في الأطعمة باب النهي أن يعاب الطعام ، وأبو داود كتاب الأطعمة باب كراهية ذمّ الطعام ولفظه : « ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قط ، إن اشتهاه أكله ، وإن كرهه تركه » .

(٢) (صحيح البخاري بحاشية السندي) جـ٤ ص٦٤ من كتاب الأدب .

(٣) (مسلم بشرح النووي) جـ١٥ ص ٧٩ ، ولفظه : « فيأخذون في أمر الجاهلية » وفيه : استحباب الذكر بعد الصبح وملازمة مجلسها ما لم يكن عذر وفيه جواز الحديث بأخبار الجاهلية وغيرها من الأمم ، وجواز الضحك ، والأفضل الاقتصار على التبسم كما فعله رسول الله ﷺ في عامة أوقاته .

وخرَّجه الترمذي من حديث شريك عن سماك ، عن جابر بن سمرة قال : جالستُ النبي ﷺ أكثر من مائة مرَّة ، فكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت وربما تبسم[1] قال هذا حديث حسن صحيح .

وقال الليث بن سعد عن الوليد بن أبي الوليد أن سليمان بن خارجة أخبره عن خارجة بن زيد أن نفراً دخلوا على أبيه زيد بن ثابت فقالوا : حدِّثْنا عن بعض أخلاق رسول الله ﷺ فقال : كنت جاره فكان إذا نزل الوحي بعث إلَّي فآتيه فأكتب الوحي ، وكنا إذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا ، وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا ، وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا ، فكل هذا يحدثكم عنه .

وخرَّج البخاري في المناقب من حديث سفيان عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي ﷺ كان يحدث حديثاً لو عدَّهُ العادُّ لأحصاه[2] . ومن حديث يونس عن ابن شهاب أنه قال : أخبرني عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت : ألا يُعجبك[3] أبا فلان جاء فجلس إلى جانب حجرتي[4] يحدث عن رسول الله ﷺ يسمعني ذلك ، وكنت أسبِّح فقام قبل أن أقضي سُبْحتي ، ولو أدركته لرددتُ عليه إن رسول الله ﷺ لم يكن يسْرُدُ[5] الحديث [كسرْدِكم][6] .

وخرَّج مسلم من حديث ابن وهب قال : أخبرني يونس عن ابن شهاب أن عروة بن الزبير حدَّث أن عائشة قالت : ألا تعجل أبا هريرة جاء فجلس إلى جانب حجرتي يحدث عن النبي ﷺ يسمعنى ذلك ، وكنت أسبح فقام قبل أقضي سُبْحتي ، ولو أدركته لرددت عليه أن رسول الله لم يكن يسرد الحديث كسردكم .

وخرَّج أيضاً من حديث سفيان بن عيينة عن هشام عن أبيه قال : كان أبو هريرة يحدث ويقول : اسمعي يا ربة الحجرة ، وعائشة رضي الله عنها تصلي ، فلما قضت صلاتها قالت لعروة : ألا تسمع إلى هذا أو مقالته آنفاً ؟ إنما كان النبي ﷺ يحدث حديثاً لو عدَّه العاد لأحصاه .

---

(١) (الشمائل المحمدية) ص ٢٦ حديث ٢٤٦ ولفظه ، وربما تبسم معهم .

(٢) (فتح الباري) جـ٦ ص ص ٥٦٧ حديث رقم ٣٥٦٧ .

(٣) في (خ) « نعجل » .

(٤) في (خ) « حجري » .

(٥) في (خ) « ليرد » .

(٦) هذه الكلمة غير واضحة في (خ) والتكملة من المرجع السابق حديث رقم ٣٥٦٨ .

وخرَّج الترمذي من حديث عبد الله بن المثنى عن أبيه عن أنس قال : كان رسول الله ﷺ يعيد الكلمة ثلاثاً لتُعقل عنه . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب[1] .

ولابن حبان من حديث حسين بن علوان الكوفي ؛ حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : ما كان أحد أحسن خُلُقاً من رسول الله ؛ ما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته إلا قال لبيك ، فلذلك أنزل الله : ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ .

وخرج أبو بكر الشافعي من حديث عثمان بن مطر ، عن ثابت عن أنس قال : مَرَّ علينا النبي ﷺ ونحن صبيان فقال : السلام عليكم يا صبيان .

وقال عبد الملك بن شقيق عن أبيه عن عبد الله بن أبي الحمساء قال : بايعت النبي ﷺ ببيع قبل أن يبعث ، فبقيت له بقية ، فوعدته أن آتيه بها في مكانه ذاك ، فنسيت يومي والغد ، فأتيته في اليوم الثالث وهو في مكانه فقال : يا بني ! لقد شققت عليَّ ، إني ها هنا منذ ثلاث .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا عبد العزيز بن محمد عن محمد بن عجلان ، عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : إنما بعث لأتمم مكارم الأخلاق .

وقال محمد بن حماد بن سَلَمه عن عاصم بن بهدلة عن زر[2] عن عبد الله بن مسعود قال : كنا يوم بدر تتعاقب ثلاثة على بعير ، وكان عليٌّ وأبو لبابة زميليْ رسول الله ، فكان إذا كانت عقب رسول الله ، يقولان له : إركب حتي نمشي ، فيقول : إني لست بأغني عن الأجر منكما ، ولا أنتما بأقوى على المشي مني . خرجه الحاكم[3] . وقال[4] صحيح الإسناد . وخرَّجه ابن حبان أيضاً في صحيحه . وخرَّج

(١) (الشمائل المحمدية) ص ١١٣ حديث رقم ٢٣٤ ، وأخرجه الترمذي في المناقب والاستئذان ، والبخاري في العلم والاستئذان .

(٢) في (خ) « ذر » والتصويب من (المستدرك) .

(٣) (المستدرك على الصحيحين) جـ٣ ص ٢٠ ولفظه : « كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير ، قال : وكان عليّ وأبو لبابه زميلي رسول الله ﷺ ، قال : وكان إذا كانت عقبته قلنا : اركب حتى نمشى ، فيقول : ما أنتما بأقوى مني وما أنا بأغنى عن الأجر منكم » في (خ) « بأغنا » .

(٤) وقال : هذا حديث على شرط مسلم ولمن يخرجاه .

أبو يعلي من حديث يونس بن بكير : حدثنا إبراهيم بن إسماعيل ، حدثنا عثمان ابن كعب ، حدثني ربيع – رجل من بني النضر وكان في حجر صفية – عن صفية بنت حُيي قالت : ما رأيت قط أحسن خُلقاً من رسول الله ؛ لقد رأيته راكب [ ][1] من خيبر على عجز ناقته ليلاً فجعلت أنعس فيضرب رأسي مؤخرة الرحل ، فيمسكني بيده ويقول : يا هذه مهلاً ، يا صفية بنت حُيي !! حتى إذا جاء الصهباء[2] قال : أما إني اعتذر إليك يا صفية مما صنعت بقومك !! إنهم قالوا لي كذا وكذا .

وعن وهب بن منبه قال : قرأت أحداً وسبعين كتاباً ، فوجدت في جميعها أن محمداً ﷺ أرجح الناس عقلا وأفضلهم رأياً .

وأما شجاعته

فخرَّج البخاري في كتاب الأدب من حديث حماد بن زيد عن ثابت قال : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس ، وكان أجود الناس ، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة ، فانطلق الناس قِبَل الصوت ، فاستقبلهم رسول الله ﷺ قد سبق الناس إلى الصوت وهو يقول : لم تُراعوا لم تُراعوا ، وهو على فرس لأبي طلحة عُرْي (ما عليه سرج) ، في عنقه سيف قال : وجدناه بحراً أو إنه لبحر[3] .

وخرَّجه مسلم[4] وقال : فانطلق ناس[5] . وقال : فتلقاهم رسول الله راجعاً وقد سبقهم إلى الصوت[6] . وذكره البخاري في مواضع من كتاب الجهاد .

(١) مكان ما بين القوسين في (خ) كلمة لم أتبين معناها .

(٢) صهباء : اسم موضع بينه وبين خيبر روحة » (معجم البلدان) جـ٣ ص ٤٣٥ .

(٣) (صحيح البخاري بشرح الكرماني) جـ٢١ ص ١٨٣ حديث رقم ٥٦٦٢ ولفظه : « فقال : لقد وجدتُه بحراً أو إنه البحر » .

(٤) (مسلم بشرح النووي) جـ١٥ ص ٦٧ باب شجاعته ﷺ .

(٥) في المرجع السابق «فانطلق ناس قبل الصوت» .

(٦) ومعنى قوله : لن تراعوا ، أي روعاً مستقراً ، أو روعاً يضركم ، وفيه فوائد ، منها ، بيان شجاعته ﷺ من شدة عجلته في الخروج إلى العدو قبل الناس كلهم بحيث كشف الحال ورجع قبل وصول الناس ، وفيه بيان عظيم بركته ومعجزته في انقلاب الفرس سريعاً بعد أن كان يبطأ ، وهو معنى قوله ﷺ وجدناه بحراً ، أي واسع الجري ، وفيه جواز سبق الإنسان وحده في كشف أخبار العدو ما لم يتحقق الهلاك ، وفيه جواز العارية ، وجواز الغزو على الفرس للمستعار ، وفيه استحباب تبشير الناس بعدم الخوف (مسلم بشرح النووي) جـ١٥ ص ٦٧ و ٦٨ باب شجاعته ﷺ .

وخرَّجه النسائي من حديث أبي خيثمة عن ابن إسحٰق عن حارثة بن مغرب عن عليٍ رضي الله عنه قال : كنا إذا حمي البأس ، والتقي القوم اتقينا برسول الله ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه .

وفي رواية إسرائيل عن أبي إسحٰق عن البراء قال : كنا والله إذا احمرَّ البأس نتقي به ، يعني النبي ﷺ ، وأن الشجاع منا الذي يحاذي به . وله من حديث إسحٰق بن راهوية ، حدثنا عمرة بن محمد ، حدثنا عمر الزيات عن سعيد بن عثمان العبدري عن عمران بن الحصين قال : ما لقي النبي ﷺ كتيبة إلا كان أول من يضرب .

وخرَّج الدارمي من حديث يزيد بن هارون ، أخبرنا سعد عن عبد الملك بن عمير قال : قال ابن عمر : ما رأيت أحداً أنجد ولا أجود ولا أشجع ولا أَوْضَأَ من رسول الله ﷺ(١) .

وأما سعة جوده ﷺ

فخرَّج البخاري في فضائل القرآن ، وخرَّج مسلم في المناقب من حديث شهاب عن عبيد الله بن عتبة عن ابن عباس رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير ، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان لأَنَّ جبريل عليه السلام كان يلقاه في كل سنة في رمضان حتى ينسلخ الشهر ، فيعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن ، فإذا لقيه جبريل ، كان رسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة (اللفظ لمسلم)(٢) .

ولفظ البخاري : كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير ، وأجود ما يكون في شهر رمضان ، لأن جبريل كان يلقاه [في](٣) كل ليلة في شهر رمضان حتي ينسلخ يعرض عليه رسول الله القرآن ، فإذا لقيه جبريل كان أجود من الريح المرسلة ، (هذا

---

(١) (سنن الدارمي جـ١ ص ٣٠ وفيه « ولا أضوأ ولا أوضأ » .

(٢) (مسلم بشرح النووي) جـ١٥ ص ٦٨ ، ٦٩ باب سعة جوده ﷺ ، والمراد كالريح في إسراعها وهمومها ، وفي هذا الحديث فوائد منها : بيان عظم جوده ﷺ ومنها استحباب إكثار الجود والخير عند ملاقاة الصالحين وعقب فراقهم للتأثر بلقائهم ، ومنها استحباب مدارسة القرآن .

(٣) زيادة من (البخاري) جـ٣ ص ٢٢٧ .

اللفظ في كتاب فضائل القرآن) .

ولفظه في كتاب الصيام بنحوه إلا أنه قال : وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل يلقاه كل ليلة في رمضان (الحديث) .

وذكره في أول كتابه ، ولفظه : كان رسول الله أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان ، فيدارسه القرآن ، فلرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة .

وذكره أيضاً في المناقب ، وفي كتاب بدء الخلق وقال فيه : لرسول الله حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة .

ولابن سعد من حديث الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس وعائشة قالا : كان رسول الله ﷺ إذا دخل شهر رمضان أطلق كل أسير وأعطى كل سائل[1] .
وخرَّج من حديث سفيان عن ابن المنكدر ، سمعت جابراً يقول : ما سُئل النبي ﷺ عن شيء قط فقال لا ![2] .

ولفظ مسلم : ما سئل رسول الله شيئاً فقال لا[3] ! ذكره البخاري في كتاب الأدب ، ولمسلم من حديث حميد عن موسى بن أنس عن أبيه قال : ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه ، قال : فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين ، فرجع إلى قومه فقال : يا قوم أسلموا ، فإن محمداً يعطي عطاء لا يخشي الفاقة[3] .
ومن حديث حماد بن سلمة عن أنس أن رجلا سأل النبي ﷺ غنماً بين جبلين فأعطاه إياه ، فأتى قومه فقال يا قوم أسلموا فوالله إن محمداً ليعطي عطاء ما يخاف الفقر ، فقال أنس : إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا ، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها (إنفرد به مسلم)[3] .

وله من حديث ابن شهاب قال : غزا رسول الله ﷺ غزوة الفتح (فتح مكة) ، ثم خرج بمن معه من المسلمين ، فاقتتلوا بحنين . فنصر الله دينه والمسلمين ، فأعطى رسول الله يومئذ صفوان بن أمية مائة من النَّعَم ، ثم مائة ، قال ابن شهاب :

---

(١) (الطبقات الكبرى لابن سعد) جـ١ ص ٣٧٧ باب ذكر حسن خلقه وعشرته ﷺ .
(٢) (سن الدارمي) جـ١ ص ٣٤ ، وفيه يقول أبو محمد : قال ابن عيينة : « إذا لم يكن عنده وعد » .
(٣) (مسلم بشرح النووى جـ١٥ ص ٧١ ، ٧٢ باب في سخائه ﷺ .

حدثني سعيد بن المسيب أن صفوان قال : والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ، وإنه لأبغض الناس إليّ ، فما بَرِحَ يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليّ[1] .

ولأحمد بن حنبل رحمه الله ، من حديث الزهري عن عمر بن محمد بن جبير ابن مطعم قال : حدثني محمد بن جبير قال : أخبرني جبير بن مطعم قال : سار رسول الله ﷺ ومعه الناس مقفلة من حنين ، فعلقه الأعراب فساء لونه حتى اضطروه إلى سمُرة فخطفت رداءه ، فوقف وقال : ردوا على ردائي ، أتخشون عليَّ البخل : فلو كان عدد هذه العضاه نعماً لقسمته بينكم ، ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذاباً ولا جباناً[2] . (أخرجه البخاري وانفرد بإخراجه) .

وخرَّج الإمام أحمد من حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري قال : قال عمر : يا رسول الله : لقد سمعت فلاناً وفلاناً يحسنان الثناء ، يذكران أنك أعطيتهما ديناراً ، ثم قال : قال النبي ﷺ : والله لكن فلاناً ما هو كذلك ، لقد أعطيته من عشرة إلى مائة ، فما يقول ذلك ، أما والله إن أحدكم ليخرج مسألته من عندي يتأبطها (يعني حتى تكون تحت إبطه يعني ناراً) ، قال : قال عمر : يا رسول الله ! تعطيها إياهم ؟ قال : فما أصنع يا عمر إلا ذاك ؟ ويأبي الله لي البخل !!

وقال عبد الله بن عون عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ دخل على بلال وعنده صبر من تمر ، فقال : ما هذا يا بلال ؟ قال : أدَّخره يا رسول الله ، قال : أما تخشى أن يكون له بُخَار في النار ؟ أنفق يا بلال ولا تَخشَ من ذي العرش إقلالاً[3] .

وخرَّج الترمذي من حديث هشام بن سُعيْد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فسأله أن يعطيه ،

---

(1) المرجع السابق ص ٧٣ .

(2) في (الكامل لابن الأثير) جـ٢ ص ٢٦٩ « ولما فرغ رسول الله ﷺ من رد سبايا هوازن ركب واتبعه الناس يقولون : يا رسول الله اقسم علينا فيئنا ، حتى ألقوه إلى الشجرة ، فاختُطف رداؤه ، فقال : ردّوا عليّ ردائي أيها الناس ، فوالله لو كان لي عدة شجر تهامة نعمٌ لقسمتها عليكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا جباناً ولا كذابا » .

(3) (البداية والنهاية) جـ٦ ص ٥٤ ولفظه : « أن رسول الله ﷺ دخل على بلال فوجد عنده صبراً .... » .

فقال : ما عندي شيء ولكن ابتع علي ، فإذا جاءني شيء قضيته ، فقال عمر : يا رسول الله لقد أعطيته وما كلفك الله مالا بعد ، فكره النبي عليه السلام قول عمر ، فقال رجل من الأنصار : رسول الله ! أنفق ولا تخش من ذي العرش إقلالا ، فتبسم رسول الله ، وعُرف البشر في وجهه لقول الأنصاري ثم قال : بهذا أمرت .

وقال قتيبة : حدثنا جعفر بن سليمان ، حدثنا ثابت عن أنس أن النبي ﷺ كان لا يدخر شيئاً لغد .

ولأبي داود الطيالسي عن زمعة عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال : كان رسول الله ﷺ حيياً لا يسأل شيئاً إلا أعطى[1] .

وقال ابن سعد أخبرنا أحمد بن محمد الأزرقي المكي ، حدثنا مسلم بن خالد الزنجي ، حدثني زياد بن سعد عن محمد بن المنكدر[2] قال : سمعت جابر بن عبد الله قال : ما[3] سئل النبي ﷺ شيئاً قط فقال : لا .

أخبرنا الفضل بن دكين ، حدثنا أبو العلاء الخفاف[4] خالد بن طهمان عن المنهال بن عمرو ، عن محمد بن الحنفية قال ـــ: كان رسول الله ﷺ لا يكاد يقول لشي لا ، فإذا هو سئل فأراد أن يفعل قال : نعم ، وإن لم يرد أن يفعل سكت ، فكان قد عرف ذلك منه .

وقال أبو يعلي : حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير ، أخبرنا أبي ، حدثنا هشام ابن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمه ، أن رجلا كان يلقب حماراً وكان يهدي لرسول الله ﷺ العكة من السمن والعكة من العسل . فإذا صاحبه يتقاضاه جاء به إلى رسول الله ﷺ فيقول : رسول الله ! أعطِ هذا ثمن متاعه ، فما يزيد رسول الله ﷺ[5] على أن يتبسم ، ويأمر به فيعطى .

ولابن حبان من حديث الأوزاعي عن هارون بن رباب عن أنس قال : قدم

---

(١) في (خ) « أعطا » .

(٢) في (خ) « المنكدر المنكدر » وهو تكرار من الناس (٣) (سنن الترمذي) ص ١٠ حديث رقم ٢٤١٧ .

(٣) في (خ) « يا » .

(٤) في (خ) « الحفان » وما أثبتناه من (تهذيب التهذيب) جـ١٢ ص ١٩٢ ترجمة رقم ٨٨٧ .

(٥) في (خ) « بعد قوله ﷺ « فيقول يا رسول الله » مكررة .

على رسول الله ﷺ سبعون ألف درهم - هو أكثر مال أتى به - فوضع على حصير ثم قام فقسمه ، فما رد سائلاً حتى فرغ منه .

وقال الواقدي في حجة الوداع[1] : ثم راح رسول الله ﷺ من الروحاء[2] ، فصلى العصر بالمنصرف[3] ثم صلى المغرب والعشاء وتعشى به[4] ، وصلى الصبح بالأثاية[5] ، وأصبح يوم الثلاثاء بالعرج[6] ، فحدثني أبو حمزة عبد الواحد ابن مصون[7] عن عروة بن الزبير ، عن أسماء بنت بي بكر رضي الله عنها قالت : كان أبو بكر رضي الله عنه قال لرسول الله ﷺ بالمدينة : إن عندي بعيراً نحمل عليه زادنا ، قال رسول الله ﷺ فذاك إذاً قالت : فكانت زاملة رسول الله وأبي بكر واحدة ، فأمر النبي ﷺ بزاد ، دقيق وسويق ، فجعلا على بعير أبي بكر ، فكان غلامه يركب عليه عقبة ، فلما كان بالأثاية[8] عرَّس الغلام وأناخ بعيره ، فغلبته عيناه ، فقام البعير يجر خطامه آخذاً في الشعب ، وقام الغلام فلزم الطريق يظن أنه سلكها وهو ينشده فلا يسمع له بذكر ، ونزل رسول الله في أبيات بالعرج ، فجاء الغلام مظهراً ، فقال أبو بكر : أين بعيرك ؟ قال : ضل مني ، قال : ويحك ! لو لم يكن إلا أنا لهان الأمر ، ولكن رسول الله وأهله ، فلم يلبث[9] أن طلع به صفوان بن المعطل - وكان صفوان على ساقة الناس - وأناخه على باب منزل النبي ﷺ ، فقال لأبي بكر : أنظر هل تفقد شيئاً من متاعك ؟ فنظر ، فقال . ما نفقد شيئاً إلا قعبا كنا نشرب به ، فقال الغلام : هذا القعب معي ، فقال أبو بكر رضي الله عنه أدي ٱلله عنك الأمانة .

حدثني يعقوب بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبيرعن عيسى بن معمر ،

---

(١) (المغازي للواقدي) جـ٣ ص ١٠٩٣ .
(٢) الرَّوْحاء : من الفُرْع على نحو أربعين يوماً ، (معجم البلدان) جـ٣ ص ٧٦ .
(٣) المنصرف : موضع بين مكة وبدر بينهما أربعة بُردٌ (معجم البلدان) جـ٥ ص ٧٦ .
(٤) في (خ) « ثم صلى المغرب والعشاء بالمتعشى وتمشى به » وما أثبتناه رواية (الواقدي) .
(٥) الأثاية : موضع في طريق الجحفة بينه وبين المدينة خمسة وعشرون فرسخاً (معجم البلدان) جـ١ ص ٩٠ .
(٦) العَرْج : قرية جامعة في واد من نواحي الطائف (معجم البلدان) جـ٤ ص ٩٢ .
(٧) في (خ) « بن ميمون » وما أثبتناه من (الواقدي) جـ٣ ص ١٠٩٣ .
(٨) في (خ) « الأثابة » في المواضع كلها ، والتصويب من (معجم البلدان) و (المغازي) .
(٩) في (خ) « فلم ينشب » . وما أثبتناه من (المغازي) .

عن عباد بن عبد الله ، عن أسما بنت أبي بكر ، أن رسول الله ﷺ لما نزل بالعرج ، جلس معنا منزله ثم جاء أبو بكر فجلس إلى جَنْبِهِ ، فجاءت عائشة فجلست إلى جنبه الآخر ، وجاءت أسماء فجلست إلى جنب أبي بكر رضي الله عنه ، فأقبل غلام أبي بكر متسربلا ، فقال له أبو بكر ـــ: أين بعيرك ؟ قال : أضلني ، فقام إليه يضربه ويقول : بعير واحد يضل منك ، فجعل رسول الله ﷺ يتبسَّم ويقول : ألا ترون إلى هذا المحرم وما يصنع ، وما ينهاه رسول الله ﷺ .

وحدثني أبو حمزة عن عبد الله بن سعد الأسلمي عن آل نضلة الأسلمي[١] أنهم خُبِّروا[٢] أن زاملة رسول الله ﷺ ضلَّت فحملوا جَفْنَة من حيس ، فأقبلوا[٣] بها ، حتى وضعوها بين يدي رسول الله ، فجعل يقول : هَلُم يا أبا بكر ، فقد جاءك[٤] الله بغداء طيب ، وجعل أبو بكر يغتاظ على الغلام ، فقال النبي عليه السلام : هون عليك ، فإن الأمر ليس إليك ولا إلينا معك ، قد كان الغلام حريصا أن لا يضل بعيره ، وهذا أخلف[٥] مما كان معه، فأكل رسول الله وأهله وأبو بكر ، وكل من كان[٦] مع رسول الله حتى شبعوا – قال : وجاء سعد بن عبادة وابنه قيس بن سعد رضي الله عنه بزاملة تحمل زاداً يؤمان رسول الله ﷺ حتى يجد رسول الله واقفاً عند باب منزله ، قد أتي الله بزاملته ، فقال سعد : يا رسول الله ! قد بلغنا أن زاملتك أضلت مع الغلام[٧] ، وهذه زاملة مكانها ، فقال رسول الله ﷺ : قد جاء الله بزاملتنا فارجعا بزاملتكما[٨] ، بارك الله عليكما ، أما يكفيك يا أبا ثابت ما تصنع بنا في ضيافتك منذ نزلنا بالمدينة ؟ قال : يا رسول الله ! المنَّة لله ولرسوله ، والله يا رسول الله ، للذي تأخذ من أموالنا أحب إلينا من الذي تدع ، قال صدقتم يا أبا ثابت ، أبشر فقد أفْلَحْتَ ، إن الأخلاق بيد الله ، فمن أراد أن يمنحه منها خلقا صالحا منحه ، ولقد مَنَحَكَ الله خلقاً صالحاً ،

---

(١) في (خ) « الأسلميين » وما أثبتناه من (المغازي) جـ٣ ص ١٠٩٤ .
(٢) في (خ) « أخبروا » وما أثبتناه من المرجع السابق .
(٣) في (خ) « وأقبلوا » وما أثبتناه من المرجع السابق .
(٤) في (خ) « جاء » وما أثبتناه من المرجع السابق .
(٥) كذا في (خ) وفي (المغازي) « خلف » .
(٦) في (خ) « وكل ما كان يأكل » وما أثبتناه من المرجع السابق .
(٧) في (خ) « أضلت الغلام » وما أثبتناه من المرجع السابق .
(٨) في (خ) « بزامليكما » وما أثبتناه من المرجع السابق .

فقال سعد : الحمد لله [الذي][1] هو فعل ذلك ، قال ثابت بن قيس : يا رسول الله ، إن أهل بيت سعد في الجاهلية سادتنا ، والمطعمون في المحْل منا ، قال رسول الله ﷺ الناس معادن ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فَقهوا ، لهم[2] ما أسلموا عليه ، قال ابن أبي الزِّناد : يقول له جميل ذِكره .

وأما تواضعه وقربه

فخرج سعيد بن منصور وأبو بكر بن أبي شيبة من حديث أبي الأحوص عن مسلم الأعور عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ يعود المريض ويشهد الجنازة ويجيب دعوة المملوك ويركب الحمار ، وكان يوم خيبر على حمار ، ويوم قريظة على حمار مخطوم[3] من ليف تحته إكاف[4] ليف .

وخرَّجه الترمذي من حديث علي بن مسهر[5] عن مسلم الأعور عن أنس بنحو هذا ، وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث مسلم عن أنس ؛ ومسلم الأعور يُضعَّف ، وهو مسلم بن كيسان الملائيُّ ، ذكره الترمذي في الجنائز[6] .

وخرَّج البخاري في الأدب المفرد من حديث ابن المبارك ، أخبرنا سلمى أبو قتيبة ، أخبرنا يونس بن أبي إسحٰق عن أبي إسحٰق قال : سمعت زيد بن أرقم يقول : رمدت عيني فعادني النبي ﷺ ثم قال : يا زيد ، لو أن عينك لما بها ، كيف كنتَ تصنع ؟ قال : كنتَ أصبر وأحتسب ، قال : لو أن عينك لما بها ثم صبرت واحتسبت كان ثوابك الجنة .

وخرَّج أيضاً من حديث حجاج بن منهال ، حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال : ذهبت بعبد الله بن أبي طلحة آتي النبي ﷺ يوم ولد ، والنبي ﷺ

---

(١) زيادة من المرجع السابق .
(٢) في (خ) « له » .
(٣) مخطوم وهو الزمام الحبل من الليف .
(٤) الإكاف : هو كالسرج للفرس .
(٥) في (خ) « ميهر » .
(٦) (الشمائل المحمدية للترمذي) ص ١٧٣ حديث رقم ٣٢٥ ، (سنن الترمذي) جـ٢ ص ٢٤١ حديث رقم ١٠٢٢ ، (سنن ابن ماجة) جـ٢ ص ١٣٩٨ حديث رقم ١٨٨ ، بنحو ذلك ، ومسلم بن كيسان هذا قال عنه أبو داود : ليس بشيء ، وقال النسائي : ليس بثقة ، وقال ابن حبان : اختلط في آخر عمره فكان لا يدري ما يحدث به .. انظر (تهذيب التهذيب) جـ١ ص ١٣٥ ترجمة رقم ٢٤٧ .

في عباءة يهنو بعيراً له فقال : أمعك تمرات ؟ قلت : نعم ، فناولته تمرات فلاكهن ثم فَغَر فا الصبي ، فأوجدهن إياه ، فتلمظ الصَّبي فقال النبي ﷺ حب الأنصار ، وسماه عبد الله .

وخرج البخاري في الصحيح من حديث إبراهيم عن الأسود قال : سألت عائشة رضي الله عنها[1] ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته ؟ قالت : كان يكون في مهنة أهله - (تعني خدمة أهله) - فإذا حضرت الصلاة . خرج النبي ﷺ ، ذكره في كتاب الصلاة ، وترجم عيه باب من كان في حاجة أهله ، وأقيمت الصلاة فخرج ، وذكره في كتاب النفقات ولفظه : سألت عائشة : ما كان النبي ﷺ يصنع في البيت ؟ قالت : في مهنة أهله فإذا سمع الأذان خرج . وترجم عليه باب خدمة الرجل في أهله وذكره ، وذكره في كتاب الأدب ولفظه : ما كان النبي يصنع في أهله ؟ قالت : كان في مهنة أهله ؟ فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة ، ترجم عليه كيف يكون الرجل في أهله[2] ؟ .

وخرج عبد الرزاق من[3] حديث الزهري ، وهشام بن عروة عن أبيه ، قال سأل رجل عائشة : أكان رسول الله ﷺ يعمل في بيته ؟ قالت : نعم كان يخصف نعله ، ويخيط ثوبه ؟ ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته .

وقال معاوية بن صالح عن يحيى بن سعيد عن عمرة قالت : قيل لعائشة ما كان يعمل رسول الله ﷺ في بيته ؟ قالت : كان بشراً من البشر ، يُفَلّي ثوبه ويحلب شاته[4] ويخدم نفسه .

وخرج البخاري في كتاب الأدب من حديث هيثم ، أخبرنا حميد الطويل ، أخبرنا أنس قال : إن كانت الأمة من إماء لأهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت[5] .

---

(١) في (خ) « عنه » .

(٢) (صحيح البخاري بشرح الكرماني) جـ٢١ ص ١٨٦ حديث رقم ٥٦٦٨ .

(٣) في (خ) « بن حديث » .

(٤) في (خ) بعد قوله : « يحلب شاته » عبارة « ويُفَلّي ثوبه » وهو تكرار من الناسخ .

(٥) والمقصود من الأخذ بيده .الأَمَة وهو الرفق والأنقياد ، يعني كان خلق رسول الله ﷺ بهذه المرتبة وهو أنه لو كان لأمة حاجة إلى بعض مواضع المدينة وتلتمس منه مساعدته في تلك الحاجة واحتاج =

وخرج مسلم من حديث أبي النضر هاشم بن القاسم ، قال : أخبرنا سليمان ابن المغيرة عن ثابت عن أنس قال : كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء ، فما يؤتي بإناء إلا غمس يده فيها ، فربما جاءوه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها[1] .

وخرج من حديث يزيد بن هارون عن عماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن امرأة كان في عقلها شيء فقالت : يا رسول الله ، إن لي إليك حاجة ، فقال : يا أم فلان ، انظري أى السكك شئت حتى أقضي إليك حاجتك ، فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها[2] .

وقال علي بن الحسين بن واقد عن أبيه قال : سمعت يحيى بن عُقيل يقول : سمعت عبد الله بن أبي أوفي يقول : كان رسول الله ﷺ يكثر الذكر ويقل اللغو ويطيل الصلاة ويقصر الخطبة ، ولا يستنكف أن يمشي مع العبد والأرملة حتى يفرغ لهم من حاجاتهم[3] .

وخرج الإمام أحمد عن أيوب عن عمرو بن سعيد عن أنس قال : ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ ، وذكر الحديث .

أن يمشي معها لقضائها لما تخلف عن ذلك حتى قضى حاجتها . وفيه أنواع من المبالغة من جهة أنه ذكر المرأة لا الرجل ، والأَمَة لا الحرة ، وعمم بلفظ الإماء : أي أيَّ أمة كانت ، وبقوله : « حيث شاءت » من المكانات ، وعبر عنه بلفظ الأخذ باليد الذي هو غاية التصرف . (صحيح البخاري بشرح الكرماني) ج٢١ ص ٢٠٦ كتاب الأدب حديث رقم ٥٧٠٠ .

(١) في (خ) « فيه » وما أثبتناه من (صحيح مسلم) .

(٢) (مسلم بشرح النووي) ج١٥ ص ٨٢ « وفي هذه الأحاديث بيان بروزه ﷺ للناس وقربه منهم ليصل أهل الحقوق إلى حقوقهم ويرشد مسترشدهم ليشاهدوا أفعاله وحركاته فيقتدي بها ، وهكذا ينبغي لولاة الأمور ، وفيها صبره ﷺ على المشقة في نفسه لمصلحة المسلمين وإجابته من سأل حاجته أو تبريكا بمس يده وإدخالها في الماء كما ذكروا ، وفيه التبرك بآثار الصالحين وبيان ما كانت الصحابة عليه من التبرك بآثاره ﷺ ، وتبركهم بإدخال يده الكريمة في الآنية ... وبيان تواضعه بوقوفه مع المرأة الضعيفة ، وقوله : « خلا معها في بعض الطرق » أي وقف معها في طريق مسلوك ليقضي حاجتها ويفتيها في الخلوة ولم يكن ذلك الخلوة بالأجنبية فإن هذا كان في ممر الناس ومشاهدتهم إياه وإياها لكن لا يسمعون كلامها لأن مسألتها مما لا يظهره والله أعلم ، (مسلم بشرح النووي) ج١٥ ص ٨٣ ، ٨٣ .

(٣) (سنن الدارمي) ج١ ص ٣٥ ونصه : « ... ولا يأنف ولا يستنكف أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي لهما حاجتهما » .

وخرجه عن إسماعيل بن علبة عن أيوب عن عمرو بن سعيد عن أنس ، ورواه حماد بن زيد عن أيوب عن أنس (لم يذكر عمرو بن سعيد) .

وخرَّج البخاري من حديث علي بن الجعد قال : حدثنا شعبة عن شيبان بن أبي الحكم عن ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه مرَّ على صبيان فسلم عليهم(١) ، وأخرجه مسلم أيضاً وقال ابن لهيعة : حدثني عمارة بن غزية عن إسحٰق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ من أفكه الناس مع صبي .

وخرَّج البخاري في الأدب المفرد عن طريق وكيع عن معاوية بن أبي برد عن أبيه عن أبي هريرة قال : أخذ النبي ﷺ بيد الحسن أو الحسين ثم وضع قدميه فوق قدميه ثم قال شهق .

ومن طريق عبد الله بن صالح قال : حدثني معاوية بن صالح عن راشد عن يعلي بن مُرَّة أنه قال : خرجنا مع النبي ﷺ ودعينا إلى طعام ، فإذا بحسين يلعب في الطريق ، فأسرع النبي ﷺ أمام القوم ثم بسط يديه ، فجعل يمر مرة ها هنا ، ومرة ها هنا يضاحكه ، حتى أخذه فجعل إحدي يديه في ذقنه والأخرى بين رأسه ثم اعْتَنَقَهُ فقبَّله ، ثم [قال] : حسين مني وأنا منه ، أحبَّ الله من أحب الحسن والحسين ، سبطان من الأسباط .

ومن طريق ابن أبي فديك قال : حدثني هشام بن سعد عن نعيم المجمر عن أبي هريرة قال: ما رأيت حسنا إلا فاضت عيناي دموعاً ، وذلك أن النبي ﷺ خرج يوماً فوجدني في المسجد فأخذ بيدي ، فانطلقت معه ، فما كلمني حتى جئنا سوق بني قينقاع ، فطاف به ونظر ثم انصرف وأنا معه حتى جئنا المسجد ، فاحتبى ثم قال : أين لكاع ؟ أدع لكاعاً ، فجاء حسن يشتد فوقع في حجره ، ثم أدخل يده في لحيته ، ثم جعل النبي ﷺ يفتح فاه في فيه ثم قال : اللهم إني أحبه فأحببه ، وأحب من يحبه .

---

(١) (صحيح البخاري) جـ٤ ص ٨٩ باب التسليم على الصبيان ، وأخرجه (مسلم) في باب السلام على الصبيان ، والترمذي في الاستئذان باب ما جاء في التسليم على الصبيان وقال : هذا حديث صحيح ، والنسائي ، أخرج ابن ماجة نحوه – عن حميد بن أنيس – في الأدب باب السلام على الصبيان ، وأبو داود في كتاب الأدب في باب السلام على الصبيان جـ٥ ص ٣٨٢ حديث ٥٢٠٢ ، ٥٢٠٣ بنحو .

وخرج الإمام أحمد من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رجلاً قال : يا محمد – يا سيدنا وابنِ سيدنا – وخيرنا وابن خيرنا ! فقال : رسول الله ﷺ : يا أيها الناس قولوا بقولكم ، لا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله ، عبدُ الله وسوله ، والله ما أحب أن تعرفوني فوق منزلتي التي أنزلني الله . وخرجه النسائي بنحوه .

وروي النَّضْـر بن شميل عن شعبة عن قتادة قال : سمعت مُطرف بن عبد الله ابن الشخير عن أبيه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : أنت سيد قريش ، فقال السيد الله ، فقال : أنت أعظمها فيها طَوْلاً ، وأعلاها فيها قَوْلاً ، فقال رسول الله ﷺ يا أيها الناس قولو بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان – وخرجه أبو داود والنسائي بنحوه أو قريبا منه .

وخرجه البخاري في الأدب المفرد من حديث مسدد ، أخبرنا بشر بـن المفضل ، أخبرنا أبو مسلمة عن أبي نضرة عن مطرف ، قال : إني انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي ﷺ : فقالوا : أنت سيدنا ، فقال : السيد الله ، قالوا : وأفضلنا فضلاً ، وأعظمنا طَوْلاً ، فقال : قولوا بقولكم ، ولا يستجرينكم الشيطان(١) .

وللبخاري من حديث شعبة عن أبي إسحٰق عن البراء قال : رأيت رسول الله ﷺ يوم الأحزاب ينقل التراب وقد وارى التراب بطنه(٢) .

---

(١) قوله : « السيد الله » ، يريد السؤدد حقيقة لله عزَّ وجلَّ ، وأن الخلق كلهم عبيده ، وإنما منعهم أن يدعوه سيداً ، مع قوله ﷺ : « أن سيد ولد آدم » وقوله لبني الخزرج – قبيلة سعد – : قوموا إلى سيدكم » – يريد سعد بن معاذ – من أجل أنهم قوم حديثوا عهد بالإسلام ، وكانوا يحسبون أن السيادة بالنبوة كهي أسباب الدنيا ، وكان لهم رؤساء يعظمونهم وينقادون لأمرهم ، ويسمونهم : « السادات » فعلمهم الثناء عليه وأرشدهم إلى الأدب في ذلك فقال : « قولوا بقولكم » يريد قولوا بقول أهل دينكم وملتكم وادعوني نبيا ورسولا ، كما سماني الله عز وجل في كتابه فقال : ﴿ **يـٰأيها النبي** ﴾، ﴿ **يـٰأيها الرسول** ﴾ ولا تسموني سيداً كما تسمون رؤساءكم وعظماءكم ، ولا تجعلوني مثلهم فإني لست كأحدهم ، إذْ كانوا يسودونكم بأسباب الدنيا ، وأنا أسودكم بالنبوة والرسالة ، فسموني نبيا رسولا ، وقوله : « بعض قولكم » فيه حذف واختصار ، ومعناه . دعوا بعض قولكم واتركوه ، يريد بذلك الاقتصار في المقال وقوله : « لا يستجرينكم الشيطان » معناه لا يتخذنكم جرياً ، والجري : الوكيل ، ويقال : الأجير أيضاً : (معالم السنن للخطابي) جـ٥ ص ١٥٤ – ١٥٥ .

(٢) (صحيح البخاري بحاشية السندي) جـ٣ ص ٢٣ ولفظه : « لما كان يوم الأحزاب وخندق رسول الله ﷺ رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وراي عني الغبار جلدة بطنه ، وكان كثير الشعر فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة ... » .

وخرج الإمام أحمد من حديث ابن سلمة عن حميد عن أنس قال : ما كان شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ ، وكانوا [إذا] رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك[1] .

وخرجه الترمذي ولفظه : لم يكن شخص ... ، وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب ، وخرجه البخاري في الأدب المفرد .

وخرج الإمام أحمد من حديث ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن على بن رباح أن رجلاً سمع عبادة بن الصامت يقول : خرج علينا رسول الله ﷺ فقال أبو بكر رضي الله عنه : قوموا نستغيث إلى رسول الله من هذا المنافق ، فقال رسول الله ﷺ لا يقام إليَّ ، إنما يقام لله تبارك وتعالى .

وخرج من حديث معمر عن يحيى بن المختار عن الحسن أنه ذكر رسول الله ﷺ فقال : لا والله ما كانت تغلق دونه الأبواب ، ولا يقوم دونه الحُجاب ولا يُغدى عليه بالجفان[2] ، ولا يراح عليه بها ، ولكنه كان بارزاً ، من أراد أن يلقي نبي الله لقيه ، كان يجلس بالأرض ، ويوضع طعامه بالأرض ؛ ويلبس الغليظ ، ويركب ويردف معه ، ويلعق والله يده[3] .

وقال جعفر بن عون : حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس عن أبي مسعود ، أن النبي ﷺ كلم رجلاً فأرعد فقال : هوِّن عليك ، فإني لست بملك ، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد . قال ابن الجوزي : وكذا رواه هاشم ابن عمرو الحمصي عن يونس عن إسماعيل عن قيس بن جرير ، كلاها وهَم ! والصواب : عن إسماعيل ، عن قيس مرسلاً عن النبي ﷺ . وذكر حديث حميد ابن الربيع قال : حدثنا هشيم ، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم

---

(١) وفي (الترغيب والترهيب) جـ٣ ص ٤٣١ : « وعن معاوية رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من أحب أن يتمثل « له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار » رواه أبو داود بإسناد صحيح والترمذي » وقال حديث حسن .

وقوله : « يتمثل » أي يقابل بتعظيم الوقوف ، قوله : « فليتبوأ »أي فليأخذ مكانه في جنهم استكباراً وجزاء غطرسته ، فالكبرياء والتعظيم لله وحده سبحانه .

(٢) الجفان : مفردها جفنة ، وهي القصعة الكبيرة يؤكل فيها .

(٣) (صفة الصفوة) جـ١ ص ١٦٩ وفيه : « ويركب الحمار ويردف عبده ، ويعلف دابته بيده ﷺ» .

أن رجلا أتى النبي ﷺ فلما قام بين يديه استقبلته رعدة ! فقال له النبي ﷺ : هَوِّن عليك ، فإني لست ملكاً ، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد[1] .

قال : وكذلك رواه يحيى بن سعيد القطان ، وزهير بن أبي معاوية عن أبي خالد .

وخرَّج الحاكم من حديث عباد بن العوام عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس ابن أبي حازم عن جرير بن عبد الله قال : أوتي النبي ﷺ برجل ترعد فرائصه ، قال : فقال له : هوِّن عليك فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد في هذه البطحاء . ثم تلا جرير بن عبد الله البجلي ، ﴿ **وما أنت عليهم بجبار فَذَكِّرْ بالقرآن من يخاف وعيد** ﴾ قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين .

وخرج ابن حيان من حديث أبي بكر بن أبي شيبة ، حدثنا عبيد بن سعيد ابن العاص الأموي عن علي بن زيد قال : قال أنس بن مالك . أن كانت الوليدة من ولائد المدينة تجيء فتأخذ بيد رسول الله فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت . وله من حديث شعبة عن علي بن زيد عن أنس : أن كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد رسول الله ، فيدور بها في حوائجها حتى تفرغ ، ثم يرجع .

وله من حديث المحاربي عن عبيد الله بن الوليد الصافي عن عبد الله بن عبيد ابن عمير عن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت يا رسول الله : كُلْ – جعلني الله فداك – متكئاً ، فإنه أهون عليك ، قال : لا ، آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد[2] .

وله من حديث أبي معشر عن سعيد المقبري ، عن عائشة قالت : قال رسول

---

(١) (سنن ابن ماجة) جـ٢ ص ١١٠١ كتاب الأطعمة باب القديد حديث رقم ٣٣١٢ ولفظه : « هون عليك فإني لست بملك ، إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد » .
قال أبو عبد الله : إسماعيل وحده وَصلهُ ، وفي الزوائد : هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات .
(ترعد) أرعد الرجل أخذته الرعدة ، والرعدة : الاضطراب . وأرعدت أيضاً فرائصه عند الفزع .
(الفرائص) واحداتها فريصة ، لحمة بين الجنب والكتف ترعد عند الفزع .
(القديد) هو اللحم المملح المجفف في الشمس : فعيل بمعني مفعول .

(٢) ونحوه (صحيح البخاري) جـ٣ ص ٢٩٤ باب الأكل متكئاً ، (سنن ابن ماجة) جـ٢ ص ١٠٨٦ حديث رقم ٣٢٦٢ .

الله ﷺ : جاءني ملك فقال : إن ربك يقرأ عليك السلام ، ويقول : إن شئت نبياً عبداً ، وإن شئت نبياً ملكاً ، فنظرت إلى جبريل عليه السلام ، فأشار إليَّ أن ضع نفسك ، فقلت نبياً عبداً[1] .

وخرَّج الحافظ أبو نعيم الأصبهاني من حديث أيوب بن نهيك قال : سمعت أبا حازم قال : سمعت ابن عمر رضي الله عنه يقول : لقد هبط عليَّ ملك من السماء ما هبط علي بني قبلي ، ولا يهبط على أحد بعدي – وهو إسرافيل – فقال : السلام عليك يا محمد ، وقال : أنا رسول ربك إليك ، أمرني أن أُخيّرك إن شئت نبياً عبداً ، وإن شئت نبياً ملكا ، فنظر إليَّ جبريل فأومأ إليَّ أن تواضع ، فقال النبي عند ذلك : نبياً عبداً ، فقال النبي ﷺ : لو أني قلت نبياً ملكاً ثم أمرت لصارتْ معي الجبال ذهباً . قال أبو نعيم : حديث غريب من حديث أبي حازم وابن عمر ، تفرد به أيوب بن نهيك ، وأبو حازم مختلف فيه ، فقيل سلمة بن دينار ، وقيل محمد بن قيس المزني والله أعلم[1] .

وله من حديث أيمن بن نايل قال : سمعت قدامة بن عبد الملك قال : رأيت رسول الله ﷺ يرمي الجمرة على ناقة صهباء ، لا ضرب ولا طرد، ولا إليك إليك[2] .

وخرَج البخاري في الأدب المفرد من طريق الأعمش عن سلام بن شرحبيل

---

(١) وفي (البداية والنهاية) جـ٦ ص ٤٨ عن يعقوب بن سفيان : حدثني أبو العباس حيوة بن شريح ، أخبرنا بقية عن الزبيدي عن الزهري عن محمد بن عبد الله بن عباس قال : كان ابن عباس يحدث أن الله أرسل إلى نبيه ملكا من الملائكة معه جبريل ، فقال الملك لرسوله : « إن الله يخيرك بين أن تكون عبداً نبياً وبين أن تكون ملكا نبيا » فالتفت رسول الله ﷺ إلى جبريل كالمستشير له ، فأشار جبريل إلى رسول الله أن تواضع ، فقال رسول الله ﷺ : بل أكون عبداً نبيا ، قال : فما أكل بعد تلك الكلمة طعاماً متكئا حتى لقي الله عزَّ وجلَّ .

وهكذا رواه البخاري في التاريخ عن حيوة بن شريح ، وأخرجه النسائي عن عمرو بن عثمان كلاهما عن بقية بن الوليد به ، وأصل هذا الحديث في الصحيح بنحو من هذا اللفظ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن فضيل عن عمارة عن أبي زرعة – ولا أعلمه إلا عن أبي هريرة – قال : جلس جبريل إلى رسول الله ﷺ فنظر إلى السماء فإذا ملك ينزل ، فقال جبريل : إن هذا الملك ما نزل منذ يوم خُلق قبل الساعة ، فلما نزل قال : يا محمد أرسلني إليك ربك : أفملكا نبيا يجعلك أو عبداً رسولا ؟ .

(٢) هو كما يقال : الطريق الطريق ، ويفعل بين يدي الأمراء ، ومعناه تنحّ وأبعد وتكريره للتأكيد . (النهاية) جـ١ ص ٦٤ .

عن حبه بن خالد وسواء بن خالد[1] أنهما أتيا النبي ﷺ وهو يعالج حائطاً أو يناله ، فأعاناه .

وخرَّج الحاكم من حديث عبد الله بن أبي بكر المقدمي ، حدثنا ابن سليم عن ثابت عن أنس أن النبي ﷺ دخل مكة ودنا منه على رحله متخشناً . قال هذا حديث صحيح على شرط مسلم .

وله من حديث الحسن بن واقد ، حدثني عبد الله بن بريدة عن أبيه أن رجلاً أتي النبي ﷺ بحمار وهو يمشي ، فقال : اركب يا رسول الله ، فقالا : إن صاحب الدابة أحق بصدرها[2] [إلا أن تجعله لي ، قال : قد فعلت][3] .

وأما رقته ورحمته ولطفه

فخرج مسلم من حديث سليمان بن المغيرة قال : حدثنا ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : ولد لي الليلة غُلامٌ فسميته باسم أبي إبراهيم ، ثم دفعته إلى أم سيف – امرأة قين[4] يقال له أبو سيف – فانطلق يأتيه واتَّبعتُه ، فانتهينا إلى أبي سيف وهو ينفخ بكبره ، قد امتلأ البيت دخاناً ، فأسرعت بين يدي رسول فقلت : يا أبا سيف ! أمسك جاء رسول الله ﷺ فأمسك ، فدعا النبي ﷺ فضمه إليه وقال ما شاء الله أن يقول ؛ فقال أنس لقد رأيته وهو يكيد بنفسه[5] بين يدي رسول الله ، فدمعت عَيْنا رسول الله ﷺ فقال : تدمع العين ويحزن القلب ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون[6] .

---

(١) حبه بن خالد أخو سواء الأسدي وقيل العامري وقيل الخزاعي ، عدادهما في أهل الكوفة ، لهما عندنا حديث واحد عن النبي ﷺ في عدم اليأس من الرزق رواه الأعمش عن سلام أبي شراحبيل عنهما . قلت : لم يروه عنهما غيره فيما قاله الأزدي (تهذيب التهذيب) جـ٢ ص ١٧٧ ترجمة رقم ٣٢٠ جـ٤ ص ٢٦٥ ترجمة رقم ٤٥٥ .

(٢) (المستدرك) جـ٢ ص ٦٤ وفيه « أحق بصدر دابته » .

(٣) زيادة من (المستدرك) و (سنن الدارمي) جـ٢ ص ٢٨٥ باب صاحب الدابة أحق بصدرها .

(٤) (القين بفتح القاف) : الحداد ، وفيه جواز تسمية المولود يوم ولادته ، وجواز التسمية بأسماء الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم . (٥) أي يجود بها ، ومعناه وهو في النزع .

(٦) فيه جواز البكاء على المريض والحزن ، وأن ذلك لا يخالف الرضا بالقدر بل هي رحمة جعلها الله في قلوب عباده ، وإنما المذموم الندب والنياحة والويل والثبور ونحو ذلك من القول الباطل ، ولهذا قال ﷺ ولا نقول إلا ما يرضي ربنا . (مسلم بشرح النووي) جـ١٤ ص ٧٤ – ٧٥ .

وخرَّج من حديث إسماعيل بن عُلية عن أيوب عن عمرو بن سعيد عن أنس ابن مالك قال : ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ ، قال : كان إبراهيم مسترضعاً في عوالي المدينة[1] ، فكان ينطلق ونحن معه ، فيدخل البيت وإنه ليدخَّن ، وكان ظئره قيناً فيأخذه فيقبله ثم يرجع ، قال عمرو : فلما مات إبراهيم قال رسول الله ﷺ إن إبراهيم ابني وإنه مات في الثدي ، وإن له لظئرين تكملان رضاعه في الجنة .

وخرج البخاري[2] ومسلم[3] من حديث ابن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : تقبلون الصبيان ؟ فما نقبلهم ! فقال النبي ﷺ : أوَ أملك أن نزع الله من قلبك الرحمة ؟ .

وفي لفظ مسلم عن عائشة قالت : قدم ناس من الأعراب على رسول الله فقال : تقبلون صبيانكم ؟ فقالوا نعم ؟ قالوا : لكننا ما نقبل ، فقال رسول الله ﷺ : وأملك إن كان الله قد نزع منكم الرحمة[4] ؟.

وقد خرجا[5] من حديث أنس : رويدك يا نجشة ، سوقك بالقوارير ، يعني

---

(١) أما العوالي : فالقرى التي عند المدينة ، وقوله : أرحم بالعيال ، هذا هو المشهور الموجود في النسخ والروايات ، قال القاضي : وفي بعض الروايات الصاد ، ففيه بيان كريم خلقه ﷺ ورحمته للعيال والضعفاء ، وفيه جواز الاسترضاع ، وقوله : وإنه مات في الثدي وإن ظئرين تكملان له رضاعه في الجنة ، معناه مات في الثدي أو في حال تغذيته بلبن الثدي ، وأما الظئر فبكسر الظاء مهموزة وهي المرضعة ولد غيرها ، وزوجها ظئر لذلك الرضيع ، فلفظة الظئر تقع على الأنثى والذكر ، ومعنى تكملان رضاعه أي تتمانه سنتين ، فإنه توفي وله ستة عشر شهراً أو سبعة عشر فترضعانه بقية السنتين فإنه تمام الرضاعة بنص القرآن » قال القاضي : واسم أبي سيف هذا : البراء ، واسم أم سيف زوجته : خولة بنت المنذر الأنصارية كنيتها : أم سيف وأم برده (المرجع السابق) ص ٧٦ .

(٢) (صحيح البخاري بشر الكرماني) جـ٢١ ص ٦٤ حديث رقم ٥٦٢٧ .

(٣) (مسلم بشرح النووي) جـ١٥ ص ٧٦ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) (مسلم بشرح النووي) جـ١٥ ص ٨٠ باب رحمته ﷺ للنساء والرفق بهن قال العلماء : سمي النساء قوارير لضعف عزائمهن تشبيهاً بقارورة الزجاج لضعفها وإسراع الإنسكار إليها ، واختلف العلماء في المراد بتسميتهن قوارير على قولين ذكرهما القاضي وغيره أصحهما عند القاضي وآخرين ، وهو الذي جزم به الهروي وصاحب « التحرير » وآخرون أن معناه : أن أنجشة كان حسن الصوت وكان يحدو بهن وينشد شيئاً من القريض والرجز وما فيه تشبيب ، فلم يأمن أن يفتنهن ويقع في قلوبهنُ حداؤه ، فأمره بالكف عن ذلك ، ومن أمثالهم المشهورة « الغنا رُقْية الزنا » ،قال القاضي : هذا أشبه بمقصوده =

النساء ، وفي لفظ : ويحك يا نجشة ، رويدك بالقوارير ، وفي آخر : يا أنجشة رويداً سوقك بالقوارير ، وفي آخر : أيا أنجشة رويداً سوقك بالقوارير .

وخرج البخاري في الأدب المفرد[١] عن طريق مبارك[٢] عن ثابت عن أنس قال : كان النبي ﷺ إذا أتي بالشيء يقول : اذهبوا به إلى فلانة ، فإنها كانت صديقة خديجة ، اذهبوا به إلى بيت فلانة فإنها كانت تحب خديجة .

وقال الواقدي في مغازيه وقد ذكر فتح مكة : حدثني عبد الرحمن بن محمد عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم قال : لما سار رسول الله ﷺ من العَرْج ، رأى كلبة تهر على أولادها وهن حولها من ضعفها ، فأمر رجلاً من أصحابه يقال له جُعيل بن سُراقة أن يقوم حذاها ، لا يعرض لها أحد من الجيش ولا لأولادها[٣] .

وخرج ابن حبان في صحيحه من حديث عبد الرزاق ، أخبرنا معمر عن الزهري عن يحيى بن سعيد بن العاص عن عائشة أن النبي ﷺ استعذر أبا بكر من عائشة ، ولم يظن النبي ﷺ أن ينال منها بالذي نال منها ، فرفع أبو بكر يده فلطمها وصكَّ في صدرها ، فوجد من ذلك النبي ﷺ وقال : يا أبا بكر ، ما أنا بمستعذرك منها بعد هذا أبداً .

ﷺ وبمقتضى اللفظ ... » والقول الثاني : أن المراد به الرفق في السير لأن الإبل إذا سمعت الحُداء أسرعت في المشي واستلذّته فأزعجت الراكب وأتعبته فنهاه عن ذلك لأن النساء يُضْعَفْن عند شدة الحركة ، ويخاف ضررهن وسقوطهن ، وأما « ويحك » فبكذا وقع في مسلم ووقع في غيره ، « ويلك » ، قال القاضي : قال سيبويه : « ويل » : كلمة تُقال لمن وقع في هلكه ، و « ويح » زجر لمن أشرف على الوقوع في هلكة ، وقال الفراء : ويل وويح وويس بمعنى ... وفي هذه الأحاديث جواز الحداء – وهو بضم الحاء ممدود – وجواز السفر بالنساء واستعمال المجاز ، وفيه مباعدة النساء من الرجال ومن سماع كلامهم إلا الوعظ ونحوه .

(١) (الأدب المفرد) جـ١ ص ٣٢٠ حديث رقم ٣٣٢ ، وأخرجه الحاكم والبراء وابن حبان .

(٢) « مبارك » هو ابن فضالة البصري ، جالس الحسن البصري ثلاث عشر سنة أو أربع عشر سنة ، مات سنة ١٦٥ ، قال أحمد : ما روي عن الحسن يحتج به (فضل الله الصمد) هامش ص ٣٢٠ .

(٣) كذا في (خ) ، ورواية الواقدي : « لما سار رسول الله ﷺ من العرْج ، فكان فيما بين العرج والطلوب ، نظر إلى كلبة تهر على أولادها وهم حولها يرضعونها ، فأمر رجلا من أصحابه يقال له جُعيل ابن سُراقة أن يقوم حذاها ، لا يعرض لها أحدٌ من الجيش ولا لأولادها ، والطَّلوب : ماء في الطريق بين المدينة ومكة . (المغازي للواقدي) جـ٢ ص ٨٠٤ .

وأما حسن عهده عليه السلام

فخرج البخاري في المناقب من حديث الليث قال : كتب إليَّ هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما غرت على امرأة للنبي ﷺ ما غرت على خديجة – هلكت قبل أن يتزوجني – لما كنت أسمعه يذكرها ، وأمره الله أن يبشرها ببيت من قصب ، وإن كان ليذبح الشاه فيُهدي في خلائلها منها ما يسعهن[١] .

وخرَّجه مسلم من حديث أبي أمامة قال : أخبرنا هشام عن أبيه عن عائشة قالت : ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة – ولقد هلكتْ قبل أن يتزوجني بثلاث سنين – لما كنت أسمعه يذكرها ، ولقد أمره ربه تبارك وتعالي أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب ، وأنه كان يذبح الشاة ثم يهديها إلى خلائلها[٢] .

وخرَّجه البخاري من حديث أسامة بنحوه ، إلا أنه قال : ثم يهدي في خلتها منها . ذكره في كتاب الأدب[٣] .

وخرَّج أيضاً من حديث حفص عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت : ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة وما رأيتها ، ولكن كان يكثر ذكرها ، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة ، فربما قلت : كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة ! فيقول : إنها كانت وكانت ، وكان لي منها ولد[٤] .

وفي لفظ : ما غرت على نساء النبي ﷺ إلا علي خديجة ، وإني لم أدركها ، قالت : وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة فيقول : أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة ، قالت : فأغضبته يوماً فقلت : خديجة !؟ فقال : إني رُزقت بحبها[٤] .

وخرَّج في حديث علي بن مُسْهِر عن هشام بن عروة عن عائشة رضي الله

(١) (صحيح البخاري) جـ٢ ص ٣١٥ باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها .

(٢) (مسلم بشرح النووي) جـ١٥ ص ٣٠٠ باب فضائل خديجة رضي الله عنها .

(٣) (صحيح البخاري بشرح الكرماني) جـ٢١ ص ١٦٧ كتاب الأدب ، باب حسن العهد من الإيمان حديث رقم ٥٦٣٣ وفيه : « حدثنا عبيد بن إسماعيل ، حدثنا أبو أسامة » ، وفي (خ) : « من حديث أسامة » ولعله خطأ من الناسخ .

(٤) (مسلم بشرح النووي) جـ١٥ ص ٣٠١ باب فضائل خديجة رضي الله عنها .

عنها قالت : استأذنتْ هالةُ بنت خويلد – أخت خديجة – على رسول الله ﷺ فعرف استئذان خديجة ، فارتاع لذلك ، فقال : اللهم هالة . قالت : فَغِرتُ فقلت : وما تذكر من عجوز قريش ، حمراء الشِّدْقين هلكتْ في الدهر ، قد أبدلك الله خيراً منها[1] .

وخرَّج مسلم بمثله وقال : فارتاح لذلك فقال : اللهم هالة بنت خويلد[2] .

وخرَّج الحاكم من حديث أسد بن موسى ، حدثنا مبارك بن فضالة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ إذا أتى بشيء يقول : اذهبوا به إلى فلانة فإنها كانت صديقة خديجة ، قال : هذا حديث صحيح الإسناد[3] .

ومن حديث عبد العزيز بن محمد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن النبي ﷺ كان يذبح الشاة فيتتبع بها صدائق خديجة بنت خويلد رضي الله عنها . قال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم[3] .

ومن حديث عفان : حدثنا حماد بن سلمة عن ابن عمير ، عن موسى بن طلحة عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يُكثر ذكر خديجة ، فقلت : لقد أخلفك الله زوجاً ، وقال حماد : أعقبك الله عن عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين ، هلكت في الدهر الأول ، قالت : فتغير وجهه تغيراً ما كنت أراه إلا عند نزول الوحي وإذا رأى مخيلة الرعد والبرق ، حتى يعلم أرحمة هي أم عذاب . قال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم .

وأما كراهته للمدح والإطراء

فخرج البخاري في كتاب الأنبياء من حديث سفيان قال : سمعت الزهري يقول : أخبرني عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس ، سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر : سمعت النبي ﷺ [يقول] : لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله[4] .

(١) (صحيح البخاري) جـ٢ ص ٣١٦ باب فضائل خديجة رضي الله عنها .
(٢) (مسلم بشرح النووى) جـ١٥ ص ٢٠٢ وفيه « فأبدلك الله خيراً منها » .
(٣) (المستدرك) جـ٤ ص ١٧٥ كتاب البر والصلة .
(٤) (الشمائل المحمدية) ١٧٣ حديث رقم ٣٢٣ ، والإطراء هو حسن الثناء أي لا تبالغوا في مدحي كما بالغت النصاري في مدح سيدنا عيسى ، فجعلوه إلّها أو ابن إلّه .

وخرَّج أبو بكر بن أبي شيبة من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه ، أن رجلا قال : يا محمد ، يا سيدنا وابن سيدنا ، ويا خيرنا وابن خيرنا ، فقال رسول الله ﷺ : يا أيها الناس ، عليكم بقولكم ، ولا يستجرينك الشيطان ، أنا محمد بن عبد الله ، عبد الله ورسوله ، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله .

وخرَّجه النسائي بنحوه وخرَّجه أيضا ولفظه عن أنس ، أن ناساً قالوا ، لرسول الله (الحديث) ، وقال فيه ، ولا يستهوينكم الشيطان ، وقال : التي أنزلنيها الله . ذكرهما في كتاب اليوم وليلة .

وخرَّج أبو بكر بن أبي شيبة من حديث غيلان بن جرير عن مطرف بن عبد الله عن أبيه قال : قدمنا على رسول الله ﷺ في رهط من بني عامر فسلمنا عليه ، فقلتُ : أنت ولدنا وأنت سيدنا . وأنت أفضلنا علينا فضلاً ، وأنت أطولنا علينا طولاً ، وأنت الجفنة الغراء ، فقال : قولوا بقولكم ولا يستجرئنك الشيطان .

وخرجه النسائي بهذا الإسناد وقال : لا يستهوينكم الشيطان ، ولم يذكر قوله ، وأنت الجفنة الغراء .

وخرجه أبو داود من حديث سعيد بن يزيد عن أبي نضرة عن مطرف قال ، إني انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا ، أنت سيدنا ، قال : السيد هو الله ، قلنا : وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولاً ، قال : قولوا بقولكم أو بعض قولكم ، ولا يستجرئنكم الشيطان[1] .

وأما حلمه وصفحه ﷺ

فخرَّج الإمام أحمد من حديث جرير عن الأعمش عن جعفر بن إياس عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه قال : ساءل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً وأن ينحي عنهم الجبال فيزدرعون فقيل : إن شئت أن تستأني بهم وإن شئت أن تعطيهم الذي ساءلوا ، فإن كفروا أهلكتهم كما أهلكت من قبلهم قال : بل استأني بهم .

---

(١) سبق تخريجه وشرح بعض ألفاظه ومعناه عند الكلام على تواضع النبي ﷺ وقربه .

وخرَّج البخاري من حديث شعيب ، حدثنا أبو الزناد أن عبد الرحمن قال : قال أبو هريرة رضي الله عنه : قدم طفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه على النبي ﷺ فقالوا : يا رسول الله ، إن دوساً عصت وأبت ، فادع الله عليها فقيل : هلكت دوس ، فقال : اللهم اهدِ دَوساً وَأْتِ بهم . ذكره في كتاب الجهاد ، وترجم عليه باب الدعاء للمشركين لتألفهم .

وذكره في كتاب الدعاء في باب الدعاء للمشركين ولفظه : قدم الطفيل ابن عمرو على رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إن دوساً قد عصت وأبت فادع الله عليها ، فظن الناس أنه يدعو عليهم ، فقال : اللهم اهدِ دَوساً وأت بهم . وذكره في آخر المغازي .

وخرَّجه مسلم من حديث المغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال : قدم الطفيل وأصحابه فقالوا : يا رسول الله ، إن دوساً قد كفرت وأبت ، فادع الله عليها ، فقيل : هلكت دوس ، فقال : اللهم اهد دوساً وَأْتِ بهم .

وخرَّجه الإمام من حديث سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال : جاء الطفيل بن عمرو الدوسي إلى رسول الله ﷺ فقال : إن دوساً قد عصت وأبت ، فادع الله عليهم ، فاستقبل رسول الله ﷺ القبلة ورفع يديه ، فقال الناس . هلكوا ، فقال : اللهم اهد دوساً وَأْتِ بهم ، اللهم اهد دوساً وأْتِ بهم ، اللهم اهد دوساً وأْتِ بهم .

وخرَّج البخاري في كتاب الاستئذان ، ومسلم في الجهاد من حديث معمر عن الزهري عن عروة بن الزبير ،أخبرني أسامة بن زيد أن النبي ﷺ ركب حماراً عليه إكاف تحته قطيفة فدكية ، وأردف وراءه أسامة وهو يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج ، وذلك قبل وقعة بدر ، حتى مرَّ بمجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود ، وفيهم عبد الله بن أبي بن سلول ، وفي المجلس عبد الله بن رواحة ، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة ، خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه ثم قال : لا تغبروا علينا ، فسلم عليهم النبي ﷺ ثم وقف فنزل ، فدعاهم إلى الله ، وقرأ عليهم القرآن ، فقال عبد الله بن أبي : أيها المرء لا أحسن

من هذا ، إن كان ما تقول حقاً فلا تؤذنا في مجالسنا ، وارجع إلى رحلك ، فمن جاءك منا فاقصص عليه، قال[1] عبد الله بن رواحة : إغْشَنَا في مجالسنا فإنا نحب ذلك ، قال : فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى هموا أن يتواثبوا ، فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم ، ثم ركب دابته حتى دخل على سعد بن عبادة رضي الله عنه فقال : أي سعد ، ألم تسمع ما قال أبو حُباب ؟ - يريد عبد الله بن أبي - قال : كذا وكذا ، قال : اعف عنه يا رسول الله واصفح ، فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك ، ولقد اصطلح أهل هذه البحرة (وقال مسلم « البحيرة ») على أن يتوجوه فيعصبونه[2] بالعصابة ، فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاك ، « شَرِق بذلك ، فذلك[3] فعل به ما رأيت ، فعفا عنه النبي ﷺ » . وأخرجاه من حديث الليث عن عقيل عن ابن شهاب ، وزاد مسلم : (وذلك قبل أن يسلم عبد الله) ، لم يذكر غير هذا .

وقال البخاري في حديث عقيل عن ابن شهاب عن عروة أن أسامة أخبره أن النبي ﷺ ركب على حمار على إكاف على قطيفة فدكية ، وأردف أسامة وراءه ، يعود سعد بن عبادة قبل وقعة بدر ، فسار حتى مرَّ بمجلس فيه عبد الله بن أبيّ ابن سلول - وذلك قبل أنْ يُسْلِمَ عبد الله - وفي المجلس أخلاط .. (الحديث نحو ما تقدم) ، وفيه : يا أيها المرء لا أحسن مما تقول ، إن كان حقاً فلا تؤذونا به في مجالسنا ، وارجع إلى رحلك ؛ فمن جاءك فاقصص عليه ، قال ابن رواحة : بلى يا رسول الله ! فاغشنا به في مجالسنا ، فإنَّا نحب ذلك ... (الحديث) وفيه : حتى كادوا يتشاورون ، وقال : أهل هذه البحرة ، ولم يقل في آخره : فعفا عنه النبي ﷺ . ذكره في كتاب المرضى في باب عيادة المريض راكباً وماشياً وردفاً على الحمار .

وأخرجاه أيضاً من حديث شعيب بن أبي حمزة وابن أبي عقيق عن الزهري ، فذكره البخاري في كتاب التفسير وفي كتاب الأدب في باب كنية المشرك ، ولفظه : أن رسول الله ركب على حمار على قطيفة فدكية ، وأردف أسامة وراءه يعود سعد

(١) في (خ) « فقال » وما أثبتناه من رواية البخاري .
(٢) في (خ) « فعصبوه » وما أثبتناه من رواية البخاري .
(٣) في (خ) « فلذلك » وما أثبتناه من رواية البخاري .

ابن عبادة في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر ، فسارا حتى مرَّا بمجلس فيه عبد الله بن أبيّ ابن سلول – وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي – وإذا في المجلس أخلاط الحديث .. (إلى آخره) ، وقال : حتى كادوا يتشاورون . وقال : أهل هذه البَحْرة . وقال في آخره بعد قوله فعفا عنه رسول الله : وكان رسول الله ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ، ويصبرون على الأذى ، قال الله عز وجل : ﴿ **ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيراً** ﴾[1] ، وقال : ﴿ **وَدَّ كثيرٌ من أهل الكتاب لو يَرُدُّونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم** ﴾[2] فكان رسول الله ﷺ يتأول في العفو عنهم ما أمره الله به حتى أذن له فيهم ، فلما غزا رسول الله ﷺ بدراً ، وقتل الله بها من قتل من صناديد الكفار وسادة قريش ، فقفل رسول الله ﷺ وأصحابه منصورين غانمين ، معهم أسارى من صناديد الكفار وسادة قريش ، قال ابن أبيّ بن سلول ومن معه من المشركين وعَبَدة الأوثان : هذا أمر قد توحد ، فبايِعوا لرسول الله ، فبايَعوه .

وخرَّج البخاري ومسلم من حديث أبي أمامة عن عُبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال : لما توفي عبد الله بن أبيّ جاء ابن عبد الله بن عبد الله ابنه إلى رسول الله ﷺ ليصلي عليه ، فقام عمر رضي الله عنه فأخذ بثوب رسول الله فقال : يا رسول الله أتصلِّي عليه وقد نهاك الله أن تُصلِّي عليه ؟ – ولفظ البخاري : وقد نهاك ربك أن تصلي عليه – فقال رسول الله ﷺ : استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ، إن تستغفر لهم سبعين مرةً ، وسأزيد على السبعين ، قال : إنه منافق ، فصلى عليه رسول الله ﷺ ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ : ﴿ **ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره** ﴾[3] .

وذكره البخاري في كتاب التفسير ، وخرَّجه مسلم من حديث يحيى القطان عن عبيد الله بهذا الإسناد ونحوه ، وزاد قال : فترك الصلاة عليهم .

وخرَّجه البخاري في كتاب اللباس في باب لبس القميص ، من حديث يحيى ابن سعيد عن عبيد الله ، أخبرني نافع بن عبد الله قال : لما توفي عبد الله بن أُبيِّ جاء

---

(١) من الآية/ ١٨٦ آل عمران . (٢) من الآية ١٠٩ / البقرة . (٣) من الآية ٨٤ / التوبة .

ابنه إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أعطني قميصك أكفنه فيه ، وصلِّ عليه واستغفر له ، فأعطاه قميصه وقال : إذا فرغت فآذنَّا ، فلما فرغ آذنه ، فجاء ليصلي عليه فجذبه عمر وقال : أليس قد نهاك الله أن تصلي على المنافقين ؟ فقال : ﴿ **استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ، إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم** ﴾[1] فنزلت : ﴿ **ولا تُصَلِّ على أحد منهم مات أبداً** ﴾[2] ، فترك الصلاة عليهم .

وذكره في كتاب الجنائز وقال فيه : فقال آذنِّي أصلي عليه فآذنه ، فلما أراد أن يصلي عليه جذبه عمر .

وذكره في كتاب التفسير من حديث أنس بن عياض عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال : لما توفي عبد الله بن أبيّ ، جاء ابنه عبد الله إلى رسول الله ﷺ فأعطاه قميصه فأمره أن يكفِّنه فيه ، ثم قام يصلي عليه ، فأخذ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بثوبه وقال : تصلي عليه وهو منافق ، وقد نهاك الله أن تستغفر لهم ؟ قال : إنما خَيَّرني الله أو أخبرني الله فقال : ﴿ **استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة** ﴾ ، فقال : سأزيدهُ على سبعين ، قال : فصلى عليه رسول الله ﷺ وصلوا معه ، ثم أنزل عليه : ﴿ **ولا تُصَلِّ على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره** ﴾ .

وخرَّج أيضاً من حديث الليث عن عقيل عن ابن شهاب : أخبرني عبيد الله ابن عبد الله عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لما مات عبد الله ابن أبيّ ابن سلوك ، دُعِي له رسول الله ﷺ ليصلي عليه ، فلما قام رسول الله وثبتُ إليه فقلت : يا رسول الله ! أتصلي على ابن أبيّ وقد قال يوم كذا ، كذا وكذا ؟ قال : أعدد عليه قوله . فتبسم رسول الله وقال : أخرِّ عَنِّي ياعمر ، فلما أكثرت عليه قال : إني خُيِّرتُ فاخترتُ ، لو أعلم أني إن زدتُ على السبعين يغفر له لزدتُ عليها ، قال : فصلي عليه رسول الله ﷺ ثم انصرف ، فلم يمكث إلا يسيراً حتى نزلت الآيتان من براءة[3] : ﴿ **ولا تُصَلِّ على أحد منهم مات أبداً** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وهم فاسقون** ﴾ ، قال : فعجبتُ بعدُ من جراءتي على رسول الله ﷺ

---

(١) من الآية ٨٠ / التوبة .

(٢) من الآية ٨٤ / التوبة .

(٣) براءة : من أسماء سورة التوبة .

يومئذ ، والله ورسوله أعلم . ذكره في الجنائز وفي التفسير ، وخرَّجه النسائيُّ في الجنائز ، وخرَّجه الإمام أحمد أيضاً .

وخرَّج أحمد من حديث يزيد بن هارون قال : أخبرنا حمّاد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه أن ثمانين رجلا من أهل مكة ، هبطوا على رسول الله ﷺ من التنعيم متسحلين يريدون غرَّة النبي ﷺ وأصحابه ، فأخذهم سلماً فاستحياهم ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **وهو الذي كفَّ أيديهم عنكم وأيدكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم** ﴾[1]

وفي الصحيح : أن ملك الجبال بلَّغه عن الله تعالى تخييره بين أن يطبق على من كذبه الأخشبين ، فقال عليه السلام : بل أرجو أن يُخرج من أصلابهم من يعبد الله ، كما ستراه في ذكر من حدث عنه عليه السلام ، وتقدم ذكر خبر الأعرابي بالبُرد ، حتى أثر في عاتقه عليه السلام ، فضحك وأمر له بعطاء .

وخرَّج البخاري من حديث جَرير عن منصور عن أبي وائل عن عبد الله قال : لما كان يوم حُنين ، آثر النبي ﷺ أناساً في القسمة ، وأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل ، وأعطى عيينة بن حصن مثل ذلك ، وأعطى أناساً من أشراف العرب وآثرهم يومئذٍ في القسمة ، فقال رجل : والله إن هذه لقسمةٌ ما عُدل فيها ، أو ما أرِيدَ بها وجه الله ، فقلتُ : والله لأخبرن النبي ﷺ فأتيته فأخبرته ، فقال : من يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله ؟ رحِم الله موسى ، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر .

وخرَّج مسلم من حديث مروان الفزاري عن يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : قيل يا رسول الله ، أدع على المشركين ، قال : إني لم أُبْعَث لعَّاناً وإنما بعثتُ رحمة . ذكره في كتاب البرِّ والصلة .

وقال القاسم بن سلام بن مسكين الأزديّ : حدثني أبي قال : حدثنا ثابت البناني عن عبد الله بن رباح الأنصاري عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى بالكعبة ، وأخذ بعضاد في الباب فقال : ما تقولون وما تظنون ؟ قالوا : نقول : أخٌ كريمٌ وابن عمٍّ حليم ، فقال رسول الله ﷺ : أقول كما قال يوسف ، ﴿ **لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم**

---

(١) الآية ٢٤ / الفتح .

الراحمين ﴾[1] ، فخرجوا كأنما نُشِروا من القيود ، قد دخلوا في الإسلام .

ولابن حبان من حديث ابن المبارك عن معمر عن الزهري عن بعض آل عمر ابن الخطاب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لما كان يوم الفتح أرسل رسول الله ﷺ إلى صفوان بن أمية وأبي سفيان بن حرب والحارث بن هشام ، قال عمر : فقلت : قد أمكنني الله منهم ، فقال رسول الله ﷺ : مثلي ومثلكم كما قال يوسف لإخوته ، ﴿ **لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم** ﴾ ، فانفضحتُ حياءً من رسول الله ﷺ .

وله من حديث عبد الله بن المغيرة : قال مالك بن أنس ، حدثني يحيى بن سعيد عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ جعل يقبِّض الناس يوم حنين من فضة في ثوب بلال ، فقال له رجل يا نبي الله ! إعدل ، فقال : ويحك ، فن يعدلُ إذا لم أعدِلْ ؟ قد خبتُ وخسرتُ إن كنتُ لا أعدل ، فقال عمر رضي الله : ألا أضربُ عنقه فإنه منافق ؟ فقال : معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي .

وله من حديث معاذ بن هشام الدستواني قال : حدثنا أبي عن قتادة عن عقبة ابن وشاح الأزدي عن عبد الله بن عمرو قال : أُتي النبي ﷺ بقليل من ذهب وفضة ، فجعل يقسمه بين أصحابه ، فقام رجل من أهل البادية فقال : يا محمد ! والله لقد أمرك الله أن تعدل ، فما أراك تعدل ، فقال : ويحك ، من يعدل عليك بعدي ؟ فلما وَلَّى قال رُدوه عليَّ رويداً .

وله من حديث أبي بكر بن أبي شيبة قال : حدثنا إسماعيل بن عليه عن بُهز ابن حكيم عن أبيه عن جده ، أن أخاه أتى النبي ﷺ فقال : جيراني على ما أخذوا ، فأعرض عنه النبي ﷺ فقال : إن الناس يزعمون أنك نهيت عن البَغْي فلم تتحلى به ؟ فقال : إن كنت أفعلُ ذلك إنه لعليَّ وما هو عليكم ، خلّوا عن جيرانه .

وله من حديث محمد بن إسحٰق عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : ابتاع رسول الله ﷺ جزوراً من أعرابي بوسق من تمر الدخيرة ، فجاء به إلى منزله ، فالتمس التمر فلم يجده في البيت ، قالت : فخرج إلى الأعرابي فقال : يا عبد

(١) الآية ٩٢ / يوسف .

الله ، إنا ابتعنا منك جزورك هذا بوسق من تمر الدخيرة ونحن نرى أنه عندنا فلم نجده ، فقال الأعرابي : واغدراه واغَذْراه ، فوكزه الناس وقالوا : لرسول الله ﷺ تقول هذا ؟ فقال : دعوه .

وله من حديث إبراهيم بن الحكم بن إبان قال : حدثني أبي عن عكرمة عن أبي هريرة أن أعرابياً جاء النبي ﷺ يستعينه في شيء فأعطاه شيئاً ثم قال : أحسنتُ إليك ؟ قال : لا ، ولا أجملت ! فغضب المسلمون فقاموا إليه ، فأشار إليهم أن كُفُّوا ثم قام فدخل منزله ، ثم أرسل الأعرابي فدعاه إلى البيت ، يعني فأعطاه فرضي ، فقال : إنك جئتنا فسألتنا فأعطيناك ، وقلتَ ما قلتَ وفي أنفس المسلمين شيء من ذلك ، فإن أحبَبْتَ فقل بين أيديهم ما قلتَ بين يديَّ حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك ، قال : نعم ، فلما كان الغد أو العشي جاء ، فقال رسول الله ﷺ : إن صاحبكم هذا كان جائعاً فسألنا فأعطيناه ، فقال ما قال ، وإنَّا دعوناه إلى البيت فأعطيناه ، فزعم أنه قد رضي ، أكذاك ؟ قال نعم ، فجزاك الله من أهل عشيرة خيراً ، فقال النبي ﷺ : ألا إن مثلي ومثل هذا الأعرابي ، كمثل رجل كانت له ناقة فشردت عليه فأتْبَعَها الناس فلم يزيدوها إلا نفوراً ، فناداهم صاحب الناقة : خلُّوا بيني وبين ناقتي فأنا أرفق بها ، فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها فأخذ لها مِن قمام[1] الأرض فجاءت فاستناخت فشدَّ عليها رحلها واستوى عليها ، ولو أني تركتكم حين قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار .

وله من حديث الأعمش عن يزيد بن حبان عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : سحر النبيَّ ﷺ رجل من اليهود فاشتكى لذلك أياماً ، فأتى جبريل عليه السلام فقال : إن رجلا من اليهود سحرك ، فعَقد ذلك عُقَداً ، فأرسل رسول الله ﷺ علياً رضي الله عنه فاستخرجها فجاء بها ، فجعل كلما حلَّ عُقَدةً وجد لذلك خِفَّةً ، فقام رسول الله ﷺ كأنما نشط من عقال ـــ، فما ذكر ذلك لليهودي ولا رآه في وجهه قط .

وله من حديث علي بن زيد بن جدعان ، عن سعيد بن المسيب عن أنس قال : خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما سبَّني سبَّةً قط ، ولا ضربني ضربةً ولا

(١) هذه الكلمة غير واضحة في (خ) وأثبتناها من (الشفا) جـ١ ص ٧٣ .

انتهرني ولا عبس في وجهي ، ولا أمرني بأمر فتوانيت فيه فعاتبني عليه ، فإن عاتبني أحد من أهله قال : دعوه فلو قُدِّر شيءٌ كان . وقد تقدم حديث أنس هذا ؛ ولكن أوردته لما في حديث ابن حبان هذا من الزيادة المفيدة .

وله أيضاً من حديث الوليد بن مسلم قال : حدثنا محمد بن حمزة بن يوسف قال : حدثني أبي عن جدي قال : قال عبد الله بن سلام : إن الله عز وجل أراد هَدْي زيد بن سعنة[1] ، قال : زيد : ما من علامات النبوة شيء إلا قد عرفته في وجه محمد سوى اثنَتَيْن لم أخبرهما منه : يسبق حلمه جهله ، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً ، فكنت أنطلق إليه لأخالطه وأعرف حلمه ، فخرج يوماً ومعه علي ابن أبي طالب ، فجاءه رجل كالبدوي فقال : يا رسول الله ، إن قرية بني فلان أسلموا ، وحدثتهم أنهم إن أسلموا أتتهم أرزاقهم رغداً ، وقد أصابتهم سَنَةٌ وشِدَّة ، وإني مشفق عليهم أن يخرجوا من الإسلام ، فإن رأيت أن ترسل إليهم بشيء يعينهم ، قال زيد بن سعنة ، فقلت ؛ أنا أبتاع منك بكذا وكذا وسقاً ، فأعطيته ثمانين ديناراً فدفعها إلى الرجل وقال : اعجل عليهم بها فأعنهم ، فلما كان قبل المحل بيوم أو يومين أو ثلاث ، خرج رسول الله ﷺ إلى جنازة في نفر من أصحابه ، فجبذتُ رداءَه جبذة شديدة حتى سقط عاتقه ، ثم أقبلت بوجه جهم غليظ فقلت : ألا تقضيني يا محمد ، فوالله ما علمتكم يا بني عبد المطلب لَمُطْل ، فارتعدتْ فرائص عمر بن الخطاب كالفلك المستدير ، ثم أومي ببصره إلَيّ وقال ، أي عدوَّ الله ! أتقول هذا لرسول الله وتصنع به ما أرى وتقول ما أسمع ؟ فوالذي بعثه بالحق لولا ما أخاف فوته لسبقني رأسُك،ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في تؤدة وسكون ، ثم تبسم وقال : لأنا أحوج إلى غير هذا : أن تأمرني بحُسن الأداء وتأمره بحسن اتباعه ، إذهب يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعاً من تمر ، فقلتُ : ما هذا ؟ قال أمرني رسول الله أن أزيدك وكان ما دعتك : فقلتُ : أتعرفني يا عمر ؟ قال : لا فمن أنت ؟ قلْتُ: أنا زيد بن سعنة ، قال : الحَبْرَ ؟قلت الحَبْرَ ، قال : فما دعاك إلى أن تفعل برسول الله ما فعلت وتقول له ما قلت ؟ قلت : يا عمر ، إنه لم يبق من علامات النُّبوَة شيء إلا وقد عرفته في وجه رسول الله حين نظرت إليه إلا اثنتان لم أخبرهما منه : يسبق حلمه جهله ،ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً ، فقد

---

(١) في (خ) « ثعنة » والتصويب من المرجع السابق ج٤ ص ٦٣ .

اختبرتهما منه ، فأشهدك يا عمر أني قد رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ، وأُشْهِدُكَ أن شطر مالي لله ، فإني أكثرها مالاً صدقةً على أمة محمد ﷺ ، فقال عمر رضي الله عنه : أوْ على بعضهم فإنك لا تسعهم كلهم ، قلت : أو على بعضهم ، قال : فرجع عمر وزيد بن سعنة إلى رسول الله ﷺ فقال زيد : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، فآمن به وصدَّقه وبايعه وشهد معه مشاهد كثيرة .

وخرجه الحاكم من حديث الوليد بن مسلم به نحوه ، وقال : هذا حديث صحيح .

وقال الحارث بن أبي أسامة : حدثنا محمد بن سعد ، أخبرنا يزيد بن هارون ، أخبرنا جرير بن حازم ، حدثني من سمع الزهريَّ يحدث أن يهودياً قال : ما كان بقي شيء من نعت رسول الله ﷺ في التوراة إلا ورأيتُه إلا الحلم ، وإني أَسْلَفْتُهُ ثلاثين ديناراً إلى أجل معلوم ، فتركته حتى إذا بقي من الأجل المعلوم يوم أتيته ، فقلت : يا محمد أوفني حقي ، فإنكم معاشر بني عبد المطلب مُطْل ، فقال عمر رضي الله عنه : يا يهودي أجننت ؟ أما والله لولا مكانه لضربت الذي فيه عيناك ، فقال رسول الله ﷺ : غفر الله لك يا أبا حفص ، نحن كنا إلى غير هذا منك أحوج : إلى أن تكون أمرتني بقضاء ما عليَّ ، وهو إلى أن تكون أعنته في قضاء حقه أحوج ، قال : فلم يزده جهلي عليه إلا حلماً ، قال : يا يهودي ، إنما يحل حقك غداً ، ثم قال يا أبا حفص ، إذهب به إلى الحائط الذي كان سألك أول يوم ، فإن رضيه فأعطه كذا وكذا صاعا ، وزده لما قلتَ له كذا وكذا صاعا ، وإن لم يرض فأعطه ذلك من حائط كذا وكذا ، فأتي به الحائط فرضى ، وأعطاه رسول الله ﷺ وما أمره من الزيادة ، فلما قبض اليهودي تمره قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله ، وإنه والله ما حملني على ما رأيتني صنعتُ يا عمر إلا إني كنت رأيت في رسول الله صفاته في التوراة كلَّها إلا الحلم ، فاختبرتُ حلمه اليوم على ما وصف في التوراة ، وإني أشهد أن هذا التمر وشطر مالي في فقراء المسلمين ، فقال عمر: فقلتُ : أو بعضهم ، فقال : أو بعضهم وأسلم أهل بيت اليهود كلهم إلا شيخاً كان له مائة سنة ، فبقي على الكفر .

وقال إسرائيل عن السدي عن الوليد بن أبي هاشم عن زيد بن زايدة عن عبد الله

ابن مسعود رضي الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ : لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئاً ، فإني أحب أن أخرج إليكم وإني سليم الصدر . فقال : فأتاه مال فقسمه ، فانتهيتُ إلى رجلين يتحدثان وأحدهما يقول لصاحبه : والله ما أراد محمد بقسمته التي قسم وجه الله والدار الآخرة ، قال : فَتثبتُّ حتى سمعتها ، ثم أتيت النبي ﷺ فذكرت له ذلك ، فقلتُ : إنك قلت : لا يبلغني أحد عن أحد من أصحابي شيئاً ، وإني سمعتُ فُلاناً وفُلاناً يقولان كذا وكذا ، قال ، فاحمرَّ وجهه وقال : دعنا منك فقد أوذي موسى بأكثر من هذا فصبر .

وخرج مسلم من حديث زيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : قيل : يا رسول الله ادعُ الله على المشركين ، قال : إنما لم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة . انفرد بإخراجه مسلم .

وقال سفيان بن الحسن عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ إنما أنا رحمة مُهداة .

وقال الواقدي في مغازيه وقد ذكر فتح مكة : وأمر رسول الله ﷺ بقتل جماعة فذكرهم إلى أن قال : وأما هبار بن الأسود فإن رسول الله ﷺ كان كلما بعث سرية أمرها بهبار إن أخذ أن يحْرَق بالنار ، ثم قال : إنما يعذِّب بالنار ربُّ النار ، اقطعوا يديه ورجليه إن قدرتم عليه ثم اقتلوه ، فلم يُقْدر عليه يوم الفتح ، وكان جُرمه أنه عَس(1) بابنة النبي ﷺ زينب ، وضرب ظهرها بالرمح - وكانت حُبْلي - حتى أسقطت فأهدر النبي ﷺ دمه ، فبينا رسول الله ﷺ جالس بالمدينة في أصحابه ، إذا طلع هبار بن الأسود - وكان لسناً - فقال : يا محمد : اسُب من سبك ، إني قد جئت مُقِراً بالإسلام : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، فقبل منه رسول الله ﷺ فخرجت سلمى مولاه النبي ﷺ فقالت : لا أنعم الله بك عيناً ، أنت الذي فعلت وفعلت ، فقال : إن الإسلام محا ذلك ، ونهي رسول الله ﷺ ، عن سبه والتعريض له(2) .

[ثم قال](3) : حدثني هشام بن عمارة عن سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم

---

(1) في (خ) « نخس » وما أثبتناه من رواية الواقدي في (المغازي) جـ٢ ص ٨٥٧ .
(2) في (خ) « والتعرض » وما أثبتناه من (الواقدي) جـ٢ ص ٨٥٨ .
(3) زيادة للسياق .

عن أبيه عن جده قال : كنت جالساً مع النبي ﷺ في أصحابه في مسجده منصرفه من الجعرانة ، فطلع هبار بن الأسود ، قال[1] : قد رأيته فأراد بعض القوم القيام إليه ، فأشار إليه النبي ﷺ أن اجلس ، ووقف عليه هبار فقال : السلام عليك يا رسول الله ، إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، ولقد هربت منك في البلاد ، وأردت اللحوق بالأعاجم ثم ذكرت عائدتك وفضلك وبرك وصفحك عن من جهل إليك[2] ، وكنا يا رسول الله أهل شرك بالله فهدانا بالله بك ، وأنقذنا بك من الهلكة ، فاصفح عن جهلي وعما كان يَبْلغك عني ، فإني مقر بسيئاتي[3] معترف بذنبي ، فقال رسول الله ﷺ ، قد عفوت عنك ، وقد أحسن الله بك حيث هداك للإسلام ، والإسلام يَجُبُّ ما قبله .

[ثم قال] : حدثني واقد بن أبي ياسر عن يزيد بن رومان قال : قال الزبير ابن العوام رضي الله عنه : ما رأيت رسول الله ﷺ ذكر هَباراً قط إلا تَغَيَّظ عليه ، ولا رأيتُ رسول الله ﷺ بعث سرية قط إلا قال : إن ظفرتم بهبار فاقطعوا يديه ورجليه ثم اضربوا عنقه ، والله لقد كنت أطلبه وأسأل عنه ، والله يعلم لو ظفرتُ به قبل يأتي إلى رسول الله لقتلته ثم طلع على رسول الله ﷺ وأنا عنده جالس ، فجعل يعتذر إلى رسول الله يقول ، سُبَّ يا محمد من سبَّك وَأوذي[4] من آذاك ، فقد كنتُ موضِعاً في سبِّك وأذاك وكنتُ مخذولاً وقد بصَّرني[5] الله وهداني للإسلام . قال الزُّبير : فجعلتُ أنظر إلى رسول الله ﷺ وإنه ليطأطيء رأسه استحياءً منه مما يعتذر هبار ، وجعل رسول الله ﷺ ، يقول : قد عفوتُ عنك ، والإسلام يجبُّ ما كان قبله ، وكان لَسِناً ، وكان يُسَبُّ حتى يُبلغ منه فلا ينتصف من أحد ، فبلغ رسول الله ﷺ حملُه وما يحمل عليه من الأذي ، فقال هبار[6] : سُبَّ من سبَّك .

---

(١) كذا في (خ) ونص الواقدي: « فطلع هبار بن الأسود من باب رسول الله ﷺ ، فلما نظر إليه القوم قالوا : يا رسول الله ، هبار بن الأسود ، قال رسول الله ﷺ : قد رأيته .... » .

(٢) كذا في (خ) ، وفي (الواقدي) « جهل عليك » .

(٣) كذا في (خ) ، وفي (الواقدي) « بسوء فعلي » .

(٤) في (خ) « وآذي » وما أثبتناه من (الواقدي) .

(٥) في (الواقدي) « نصرني » .

(٦) في (خ) « يا هبار » .

وأما شفقته ومداراته

فقال تعالى : ﴿ **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك** ﴾[1] ، قال السمرقندي فيما نقل القاضي عياض ، ذكَّرهم الله تعالى مِنَّتَهُ أنه جعل رسوله رحيماً بالمؤمنين ، رءوفاً ليِّن الجانب ، ولو كان فظاً خشناً في القول لتفرقوا من حوله ، لكن جعله الله سمحاً سهلا ، طلقاً براً لطيفاً . هكذا قال الضحاك .

وخرج البخاري من حديث سليمان بن بلال قال : حدثني شريك بن عبد الله ، سمعت أنس بن مالك يقول : ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة ولا أتم من النبي ﷺ ، وإن كان ليسمع بكاء الصبي فيخفف مخافة أن تفتن أمّه .

وخرَّجه مسلم من حديث إسماعيل بن جعفر عن شريك عن أنس أنه قال ؛ ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة ولا أتم صلاة من رسول الله ﷺ (لم يزد على هذا) .

وخرَّجا من حديث سعيد بن أبي عَروبة عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : إني لأدخل في الصلاة أريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي فأخفف من شدة وَجد أمّه من بكائه . ترجم عليه باب من أخف صلاته عند بكاء الصبي ، وذكر في هذا الباب في رواية أبي محمد الحموي وأبي الهيثم الكشميني حديث سعيد عن قتادة عن أنس عن النبي ﷺ قال : إني لأدخل في الصلاة فأريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز لما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه .

وخرَّج البخاري من حديث الأوزاعي عن يحي بن أبي كثير عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه عن النبي ﷺ قال : إني لأقوم في الصلاة ، وإني أريد أن أطوِّل فيها . (الحديث) . مثله ذكره في باب خروج النساء إلى المساجد .

ولمسلم من حديث يحيى بن يحيى قال : أخبرنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال : كان رسول الله ﷺ يسمع بكاء الصبي مع أمه وهو في الصلاة ، فيقرأ بالسورة الخفيفة أو بالسورة القصيرة .

---

(١) من الآية ١٥٩ / آل عمران .

وله من حديث عبد الله بن وهب قال : أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال : أخبرني عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها أخبرته أن رسول الله ﷺ خرج من جوف الليل فصلى في المسجد ، فصلى رجال بصلاته ، فأصبح الناس يتحدثون بذلك ، فاجتمع أكثر منهم فخرج رسول الله ﷺ في الليلة الثانية فصلوا بصلاته ، فأصبح الناس يذكرون ذلك ، فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة ، فخرج فصلوا بصلاته ، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله ، فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ فطفق منهم رجال يقولون : الصلاة ، فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ حتى خرج لصلاة الفجر ، فلما قضى الصلاة أقبل على الناس ثم تشهد وقال ، أما بعد ، فإنه لم يَخْفَ عني شأنكم الليلة ، ولكني خشيت أن تفرض عليكم صلاة الليل فتعجزوا عنها .

وخرَّجه البخاري بنحوه ، وزاد في آخره ، فتوفي رسول الله والأمر على ذلك ، ذكره في باب فضل من قام رمضان ، وفي كتاب الجمعة في باب من قال في الخطبة بعد الثناء ، أما بعد ، غير أنه لم يذكر الزيادة ، وقال في بعض الموضعين : أما بعد ، فإنه لم يخف عليّ مكانكم .

وخرَّج البخاري ومسلم وأبو داود والنسائيُ من حديث مالك عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ صلى في ذات ليلة في المسجد فصلى بصلاته ناس ، ثم صلى من القابلة فكثر الناس ، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ ، فلما أصبح قال ، قد رأيت الذي صنعتم ، ولم يمنعنى من الخروج إليكم إلا إنني خشيت أن تفرض عليكم ، قال : وذلك في رمضان . ذكره البخاري في باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب ولم يقل فيه أبو داود : والرابعة . ذكره في باب قيام شهر رمضان[1] ، وذكر بعده متصلا به حديث محمد بن إبراهيم عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن عن عائشة قالت : كان الناس يصلون في المسجد في رمضان أوزاعاً[2] ، فأمرني رسول الله ﷺ فضربت له حصيراً فصلى فيه رسول الله بهذه

(١) (سنن أبي داود) جـ٢ ص ١٠٤ حديث رقم ١٣٧٣ ، ١٣٧٤ وأخرجه (البخاري) في الصوم باب فضل من قام رمضان (ومسلم) في الصلاة باب في قيام رمضان وهو التراويح ، (والنسائيُ) في قيام الليل باب قيام شهر رمضان .

(٢) أوزاعاً : متفرقين ومن هذا قولهم : وزعّت الشيء إذا فرقته ،«فه إثبات الجماعة في قيام رمضان»

القصة ، قالت[1] فيه : قال : - يعني النبي ﷺ - أيها الناس ، أما والله ما بتُّ ليلتي هذه بحمد الله غافلاً ، ولا خفي علي مكانكم .

وللبخاري من حديث يحي بن سعيد الأنصاري عن عمرة عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل في حجرته - وجدار الحجرة قصير - فرأى الناس شخص النبي ﷺ فقام ناس يصلون بصلاته ، فأصبحوا فتحدثوا بذلك ، فقام الليلة الثانية ، فقام معه أناس يصلون بصلاته ، صنعوا ذلك ليلتين أو ثلاثاً حتى إذا كان بعد ذلك ، جلس رسول الله ﷺ فلم يخرج ، فلما أصبح ذكر ذلك الناس فقال : إني خشيت أن تكتب عليكم صلاة الليل ، ذكره في باب إذا كان بين الإمام وبين القوم حائط أو سُتْرة .

وخرَّج الإمام أحمد من حديث معمر عن الزهري ، عن عروة عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ يترك العمل وهو يحب أن يعمله كراهية أن يستن الناس به فيفرض عليهم ، وكان يحب ما خفف من الفرائض .

وخرَّج مسلم من حديث حماد عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال : قال رجل للنبي ﷺ : أين أبي ؟ قال : في النار ! فلما رأى ما في وجهه قال : إن أبي وأباك في النار . إنفرد بإخراجه مسلم[2] .

وخرَّج الإمام أحمد من حديث يزيد بن هارون قال : حدثنا سليم بن عامر عن أبي أمامة قال : إن فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، ائذن لي بالزنا ! فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا : مَهْ مَهْ ، فقال : أدنه ، فَدَنَا منه قريباً ، قال : فجلس ، قال : أتحبه لأمك ؟ قال : لا والله ، جعلني الله فداك ، قال : ولا الناس يحبونه لأمهاتهم ، قال : أفتحبه لابنتك ؟ قال : لا والله ، يا رسول الله جعلني الله فداك ، قال ولا الناس يحبونه لبناتهم ، قال : أفتحبه لأختك ؟ قال : لا والله ، جعلني الله فداك ، قال : ولا الناس يحبونه لأخواتهم ، قال : أفتحبه لعمتك ؟ قال : لا والله ، جعلني الله فداك ، قال : ولا الناس يحبونه لعماتهم ، قال أفتحبه لخالتك ؟

= وفيه إبطال من زعم أنها محدثة (معالم السنن) جـ٢ ص ١٠٤ (هامش) .

(١) في (خ) « وقال » وما أثبتناه من (سنن أبي داود) .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في الإيمان بلفظ « فلما قفا الرجل دعاه فقال : « إن أبي وأباك في النار » ، قفا : ولي قفاه منصرفاً (صفة الصفوة) جـ١ ص ١٧٢ باب ذكر حلمه وصفحه ﷺ .

قال : لا والله جعلني الله فداك ، قال : ولا الناس يحبونه لخالاتهم قال : فوضع يده عليه وقال : اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه ، وحصن فرجه ، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء[1] .

وخرَّج مسلم من حديث ابن وهب قال : أخبرني عمرو بن الحارث أن بكر ابن سوادة حدثه عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ تلى قول الله عز وجل : ﴿ **إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مني** ﴾ وقال عيسى عليه السلام : ﴿ **إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ فرفع يديه ثم قال : اللهم أمتي أمتي ، وبكى ، فقال الله عز وجل : يا جبريل ، اذهب إلى محمد - وربك أعلم - فسله ما يبكيك ، فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره بما قال الله تعالى : فقال الله تعالى : يا جبريل ، إذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسُوُك .

وخرَّج البخاري من حديث همام ، حدثنا إسحٰق بن أبي طلحة عن أنس ، أن النبي ﷺ رأى أعرابياً يبول في المسجد ! فقال : دعوه ، حتى إذا فرغ دعا بماء فصبه عليه . ترجم عليه ؛ باب ترك النبي ﷺ والناس الأعرابي حتى فرغ من بوله .

وخرَّجه مسلم من حديث عكرمة بن عمار قال : حدثنا إسحٰق بن أبي طلحة قال : حدثني أنس بن ملك - وهو عم إسحٰق - قال : بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد ، فقال أصحاب رسول الله ﷺ : مَهْ مَهْ ! فقال رسول الله ﷺ ، لا تزرموه لا تزرموه[2] ، دعوه ، فتركوه حتى بال ، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له : إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر ، وإنما هي لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن - أو كما قال رسول الله - قال : فأمر رجلا من القوم فجاء بدلو من ماء فصبَّه عليه .

وأخرجاه من حديث يحيى بن سعيد الأنصاري أنه سمع أنس بن مالك يذكر أن أعرابياً قام إلى ناحية في المسجد فبال فيها ، فصاح به الناس ، فقال رسول الله

---

(١) (مسند أحمد) جـ٥ ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

(٢) أزرمه : قطع عليه بوله (ترتيب القاموس) جـ٢ ص ٤٤٨ .

ﷺ ، دعوه فلما فرغ أمر رسول الله بذنوب فصب عليه . اللفظ لمسلم .

ولفظ البخاري قال : جاء أعرابي فبال في طائفة المسجد فزجره الناس ، فنهاهم النبي ﷺ ، فلما قضى بوله أمر النبي ﷺ بذنوب من ماء فأهريق عليه . ذكره في باب صب الماء على البول في المسجد .

وخرَّج البخاري ومسلم والنَّسائيُّ من حديث حماد بن زيد عن ثابت عن أنس ، أن أعرابياً بال في المسجد فقام إليه بعض القوم ، فقال رسول الله ﷺ : دعوه ، ولا تزرموه ، فلما فرغ دعا بدلو من ماء فصبَّه عليه . لفظهما فيه سواء . وقال النسائي بعد قوله : لا تزرموه ، لا تقطعوا بوله ، وفي لفظ للبخاري ؛ أن أعرابياً بال في المسجد فقاموا إليه : فقال رسول الله : لا تزرموه ، ودعا بدلو من ماء فصب عليه . ذكره في كتاب الأدب ، في باب الرفق في الأمر كله .

وخرَّج البخاري والنسائيُّ من حديث الزهري قال : أخبرني عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود أن أبا هريرة قال : قام أعرابي في المسجد فبال : فتناوله الناس ، فقال لهم النبي ﷺ دعوه وأهريقوا على بوله سجلا من ماءٍ أو ذنوباً من ماء ، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا مُعَسِّرين . ذكره البخاري في باب صب الماء على البول في المسجد وخرَّجه في كتاب الأدب ولفظه : أن أبا هريرة أخبره أن أعرابياً بال في المسجد فثار إليه الناس ليقعوا به ، فقال لهم رسول الله ، دعوه وأهريقوا على بوله ذنوباً من ماء أو سجلاً من ماء فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين . ذكره في باب قول النبي ﷺ يَسِّروا ولا تعسِّروا ، وكان يحب التخفيف واليسر على الناس .

وخرَّج أبو داود والترمذي من حديث سفيان بن عُيَيْنَة عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة ، أن أعرابياً دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس ، فصلى ركعتين ثم قال : اللهم ارحمني ومحمداً ، ولا ترحم منا أحداً ! فقال النبي ﷺ : لقد تحجَّرت واسعاً ، ثم لم يلبث أن بال في المسجد ، فأسرع الناس إليه فنهاهم النبي ﷺ وقال : إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين ، صبوا عليه سجلا من ماء ، أو قال : ذنوباً من ماء[1] وقال الترمذي : أهريقوا عليه سجلا من ماء أو دلواً من ماء ، وقال

---

(١) (مسند الحميدي) جـ٢ ص ٤١٩ حديث رقم ٩٣٨ ولفظه :
« ... أخبرني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : دخل أعرابي المسجد والنبي ﷺ جالس ، قال :

فيه : فلما فرغ قال . وقال أبو عيسى : هذا حديث صحيح .

قال مؤلفه : ذكر البخاري قول الأعرابي : اللهم ارحمني ومحمداً ، وقول النبي ﷺ له ، ولم يذكر فيه أنه بال في المسجد .

وخرَّج مسلم من حديث سفيان بن عُيينة عن ابن المنكدر عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أن رجلا[1] استأذن على رسول الله ﷺ فقال : ائذنوا له فبئس أخو العشيرة ، فلما دخل عليه ألان له القول ، قالت عائشة : فقلتُ يا رسول الله ! قلتَ الذي قلتَ ثم ألنتَ له القول ؟ قال يا عائشة إن شرَّ الناس عند الله منزلةً يوم القيامة ، من تركه الناس اتقاء فُحشه .

وخرَّج مسلم من حديث يحيى بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء ابن يسار عن معاوية بن الحكم قال : بينما أنا أصلي مع رسول الله ﷺ ، إذ عطس رجل من القوم فقلت : يرحمك الله : فرماني القوم بأبصارهم ، فقلت : واثكْل أُمّاه ! ما شأنكم تنظرون إليَّ ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم فعرفت أنهم يصمتونني ، لكني سكتُّ ، فلما صلى رسول الله ﷺ - فبأبي وأمي - ما رأيت مُعَلِّماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه ، فوالله ما نهرني[2] ولا ضربني ولا شتمني ، ثم قال : إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس ، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن - أو كما قال رسول الله ﷺ - قلتُ : يا رسول الله ! إني حديث عهد بجاهلية ، وقد جاء الله بالإسلام ، وإن منا رجالا يأتون الكهَّان ، قال : فلا تأتهم ، قال : ومنا رجالٌ يتطيرون ، قال : ذلك شيء يجدونه في صدروهم فلا

فقام، فصلى، فلما فرغ من صلاته قال : اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحداً ، فالتفت إليه رسول الله ﷺ فقال : لقد تحجرت واسعا ، فما لبث أن بال في المسجد ، فأسرع الناس إليه فقال رسول الله ﷺ : أهريقوا عليه سجلا من ماء أو دلواً من ماء ، ثم قال إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين .

(١) هو عيينه بن حصن الفزاري - الذي يقال له الأحمق المطاع - وكان إذ ذاك من أهل النفاق ولذا قال فيه الرسول ﷺ ما قال ليتقي شره ، وهذا ليس بغيبة بل نصيحة للأمة ، وقد أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه وحضر بعض الفتوحات وقد اعتبر العلماء قول النبي ﷺ فيه وهو غائب وإلانته له وهو حاضر من باب المداراة والتآلف .

(٢) في رواية أبي داود جـ١ ص ٥٧٠ باب تشميت العاطس في الصلاة حديث رقم ٩٣٠ « ما كهرني » ومعناه ما انتهرني ولا غلظ لي ، وقيل الكهر : استقبال الإنسان العبوس ، وقرأ بعض الصحابة « فأما اليتيم فلا تكهر » (معالم السنن للخطابي) .

يصدنكم ، قال : ومنا رجال يخطون ، قال : كان نبي من الأنبياء يخط ، فمن وافق خطه فذاك ، قال : وكانت لى جارية ترعى غنماً قبل أحد والجوانية ، فاطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها وأنا رجل من بني آدم ، آسف كما يأسفون ، لكني صككتها صكَّة ، فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك عليّ ، فقلت : يا رسول الله ، أفلا أعتقها ؟ قال : ائتني بها ، فأتيته بها : فقال لها أين الله ؟ قالت : في السماء ، قال : من أنا ؟ قالت : رسول الله ، قال اعتقها فإنها مؤمنة . وخرَّجه أبو داود قريباً منه ، ذكره في باب تشميت العاطس [في الصلاة] وفيه ، قلت : يا رسول الله ، إنا حديث عهد بجاهلية وقد جاءنا الله بالإسلام ، ومنا رجال يأتون الكهان ، قال : فلا تأتونهم . وقال : فلا يصدنهم ، وقال فيه ، قلت : جارية لي كانت ترعي غنيْمات قبل أحد والجوانية ، إذا طلعت عليها إطلاعة .. الحديث(١) .

---

(١) وفي هذا الحديث من الفقه أن الكلام ناسياً في الصلاة لا يفسد الصلاة وذلك أن النبي ﷺ عَلّمه أحكام الصلاة وتحريم الكلام فيها ثم لم يأمره بإعادة الصلاة التي صلاها معه وقد كان تكلم بما تكلم به ، ولا فرق بين من تكلم جاهلا بتحريم الكلام عليه وبين من تكلم ناسياً لصلاته في أنَّ كل واحد منهما قد تكلم ، والكلام مباح له عند نفسه .

وقد اختلف العلماء في هذه المسألة ؛ فمن قال يبني على صلاته إذا تكلم ناسيا أو جاهلا الشعبي والأوزاعي ومالك والشافعي وقال النخعي وحماد بن أبي سليمان وأصحاب الرأي : إذا تكلم ناسياً استقبل الصلاة ، وفرق أصحاب الرأي بين أن يتكلم ناسيا وبين أن يسلم ناسيا ، فلم يوجبوا عليه الإعادة في السلام كما أوجبوها عليه في الكلام .

وقال الأوزاعي : من تكلم في صلاته عامداً بشيء يريد به إصلاح صلاته لم تبطل صلاته ، وقال في رجل صلى العصر فجهر بالقرآن ، فقال رجل من ورائه إنها العصر ، لم تبطل صلاته ، وفي الحديث دليل على أن المصلي إذا عطس فشمته رجل فإنه لا يجيبه .

واختلفوا إذا عطس وهو في الصلاة هل يحمد الله ؟ فقالت طائفة : يحمد الله .

روي عن ابن عمر أنه قال العاطس في الصلاة يجهر بالحمد ، وكذلك قال النخعي وأحمد بن حنبل : وهو مذهب الشافعي إلا أنه يستحب أن يكون ذلك في نفسه .

وقوله « يصمتوني » ومثله يسكتوني : معناه يطلبون منى أن أسكت ، وقد حذف نون الرفع وقريء كما في قوله تعالى : ﴿ **قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون** ﴾ بنون واحدة مخففة .

وقوله في الطيرة « ذلك شيء يجدونه في صدورهم » يريد أن ذلك شيء يوجد في النفوس البشرية وما يعتري الإنسان من قبل الظنون والأوهام من غير أن يكون له تأثير من جهة الطباع أو يكون فيه ضرر كما كان زعمه أهل الجاهلية .

وقوله: « ومنا رجال يخطون » فإن الخط عند العرب فيما فسره ابن الأعرابي أن يأتي الرجل العرَّاف =

وخرَّجه النَّسائي أيضاً وفي حديث لأبي داود من طريق فليح عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن معاوية بن الحكم السلمي قال : لما قدمت على رسول الله ﷺ علمني أُموراً من أمور الإسلام ، فكان فيما عُلِّمت : أن قيل لي : إذا عطست فاحمد الله ، وإذا عطس العاطس فحمد الله فقل : يرحمك الله ، قال : فبينما أنا قائم مع رسول الله ﷺ في الصلاة ، إذا عطس رجلٌ فحمد الله ، فقلتُ : يرحمك الله - رافعاً بها صوتي - فرماني الناس بأبصارهم حتى احتملني ذلك ، فقلت : ما لكم تنظرون إلي بأعين شُزْر ؟ قال : فسبَّحوا ، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته قال : من المتكلم ؟ قيل : هذا الأعرابي ، فدعاني رسول الله ، فقال : إنما الصلاة لقراءة القرآن وذكر الله عز وجل ، فإذا كنت في الصلاة فليكن ذلك شأنك ، فما رأيت معلماً قط أرفق من رسول الله .

وخرَّج البخاري ومسلم والنسائي من حديث إسماعيل بن إبراهيم بن عليه قال : حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن مالك بن الحويرث قال : أتينا رسول الله ﷺ ونحن شببة متقاربون فأقمنا عنده عشرين ليلة ، وكان رسول الله ﷺ رحيماً رفيقاً ، فظن أنَّا قد اشتقنا إلى أهلنا فسألنا عن من تركنا من أهلنا فأخبرناه ، فقال : ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم ، وعلموهم وبروهم ، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم ثم ليؤمكم أكبركم ، اللفظ لمسلم .

ولفظ البخاري : عن أبي قلابة عن أبي سليمان مالك بن الحويرث قال : أتينا

وبين يديه غلام فيأمره بأن يخط في الرمل خطوطا كثيرة وهو يقول : ابني عيان أسرعا البيان ، ثم يأمره أن يمحو منها اثنين اثنين ، ثم ينظر إلى آخر ما بقي من تلك الخطوط ، فإن كان الباقي منها زوجا فهو دليل الفلح والظفر . وإن كان فردا فهو دليل الخيبة واليأس .

وقوله : « فمن وافق خطه » فذلك يشبه أن يكون أراد به الزجر عنه وترك التعاطي له إذا كانوا لا يصادفون معنى خط ذلك النبي لأنه خطه كان علما لنبوته » وقد انقطعت نبوته فذهبت معالمها .

قوله : « آسف كما يأسفون » معناه : أغضب كما يغضبون ، ومن هذا قوله تعالى : ﴿ **فلما آسفونا انتقمنا منهم** ﴾ .

وأما قول النبي ﷺ : اعْتِقْها فإنها مؤمنة ، ولم يكن ظهر له من إيمانها أكثر من قوله حين سألها : أين الله ؟ فقالت : في السماء وسألها : من أنا فقالت : رسول الله ﷺ . فإن هذا السؤال عن أمارة الإيمان ، وسمة أهله ، وليس بسؤال عن أصل الإيمان وصفته وحقيقته ، ولو أن كافراً يريد الانتقال من الكفر إلى دين الإسلام فوصف من الإيمان هذا القدر الذي تكلمت به الجارية لم يصر به مسلماً حتى يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ ، ويتبرأ من دينه الذي كان يعتقده . (معالم السنن) .

رسول الله ﷺ ونحن شببة متقاربون فأقمنا عنده عشرين ليلة ، فظن أنا اشتقنا إلى أهلنا وسألنا عمن تركنا في أهلينا ، فأخبرناه - وكان رفيقاً رحيماً - فقال : ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم وبروهم وصلوا كما رأيتموني أصلي ، وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم ، ثم ليؤمكم أكبركم . ذكره في كتاب الأدب في باب رحمة الناس .

وأخرجاه أيضاً من حديث عبد الوهاب الثقفي وحماد بن زيد عن أيوب قال : قال لي أبو قلابة : يا مالك بن الحويرث أبو سليمان ، قال : أتيت رسول الله ﷺ وناسٌ ونحن شببة متقاربون ، وأقمنا جميعاً .. الحديث بنحو حديث ابن علية .

وذكره البخاري أيضاً في باب ما جاء في إجازة خبر الواحد ، من حديث عبد الوهاب ، وذكره في كتاب الصلاة في باب إذا استووا في القراءة فليؤمهم أكبرهم من حديث حماد بن زيد عن أيوب ، وذكره في باب من قال : ليؤذن في السفر مؤذن واحد من حديث وُهَيْب عن أيوب .

وأخرجاه من حديث خالد الحذَّاء عن أبي قلابة ، وذكره البخاري في باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة ، وذكره في باب اثنان فما فوقهما جماعة مختصراً .

وخرَّج ابن حبان والبخاري في الأدب المفرد من طريق أبي نعيم ، حدثنا ابن الغسيل عن عاصم بن عمر عن محمود بن لبيد قال : لما أن أصيب أكحلي بعد يوم الخندق وثقل ، حولوه عند امرأة يقال لها رفيدة - وكانت تداوي الجرحى - فكان النبي ﷺ إذا مرَّ به يقول : كيف أمسيت ؟ وإذا أصبح يقول : كيف أصبحت ؟ فيخبره .

وخرَّج الحاكم من حديث شعبة عن الحكم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عليٍّ قال : قدم على النبي ﷺ سبى فأمرني ببيع أخوين فبعتهما وفرَّقت بينهما ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته فقال : أدركهما فارتجعهما وبعهما جميعاً ولا تفرق بينهما . قال الحاكم : هذا حديث غريب صحيح على شرط الشيخين .

وخرج ابن حبان من حديث يحيى بن أبي بكير العبدي قال : حدثنا عباد ابن كثير عن ثابت عن أنس قال : كان رسول الله ﷺ إذا فقد الرجل من أصحابه ثلاثة أيام سأل عنه ، فإن كان غائباً عاله ، وإن كان شاهده زاره ، وإن كان مريضاً

عاده .

وبلغ من مداراة رسول الله ﷺ أنه وَجد قتيلا من أصحابه بين اليهود فلم يحف عليهم ، بل حملهم على مُرِّ الحق ، وجاد بأن وداه بمائة من الإبل وإن بأصحابه لحاجة إلى بعير واحد .

وخرَّج مسلم من حديث مالك قال : حدثني أبو ليلي بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سهل عن سهل عن أبي خَثْتَمة أنه أخبر عن رجال من كبراء قومه أن عبد الله بن سهل ومحيصة خرجا إلى خيبر من جهد أصابهم ، فأتي محيصة فأخبر أن عبد الله بن سهل قد قتل وطُرح في فقير أو عين ، فأتي يهود فقال : أنتم والله قتلتموه ، قالوا : والله ما قتلناه ، فأقبل حتى قدم على قوم وذكر لهم ذلك ، ثم أقبل هو وأخوه حويصة - وهو أكبر منه - وعبد الرحمن بن سهل ، فذهب محيصة ليتكلم - وهو الذي بخيبر - فقال رسول الله ﷺ لمحيصة : كبِّر كبِّر (يريد السن) فتكلم حويصة ثم تكلم محيصة ، فقال رسول الله ﷺ أما أن تَدُوا[1] صاحبكم وإما أن تؤذنوا بحرب ، فكتب رسول الله ﷺ في ذلك ، فكتبوا : إنا والله ما قتلناه ، فقال رسول الله لحويصة ومحيصة وعبد الرحمن : أتحلفون وتستحقون دم صاحبكم ، قالوا : لا ، قال : فتحلف لكم يهود ؟ قالوا : ليسوا بمسلمين . فوداه[2] رسول الله ﷺ من عنده فبعث إليهم مائة ناقة حتى أدخلت الدار ، فقال سهل : فقد ركضتني منها ناقة حمراء . وخرَّجه في كتاب الأحكام ، ولم يقل حمراء . وخرَّجه أبو داود في باب القتل بالقسامة[3] . وخرَّجه النسائي في كتاب الأحكام وفي القسامة[3] .

وكان من حسن مداراته ﷺ أن لا يذم طعاماً ولا ينه خادماً كما تقدم بطُرقه .

وخرَّج الحاكم من حديث يزيد بن هارون : أخبرنا جرير بن حازم قال : سمعت محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب يحدث عن عبد الله بن شداد بن الهادِ عن أبيه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدي صلاتي النهار - الظهر أو العصر -

---

(١) أي تدفعوا ديته لأوليائه .

(٢) وداه : دفع ديته .

(٣) القسامة : - بفتح قاف وتخفيف سين مهملة - مأخوذة من القسم ، وهي اليمين ، وهي في عرف الشرع حلف يكون عند التهمة بالقتل ، أو هي مأخوذة من قسمة الأيمان على الحالفين (سنن النسائيّ بحاشية السندي وشرح السيوطي) ، جـ٨ ص ٢ . كتاب القسامة .

وهو حامل الحسن ، فتقدم فوضعه عند قدمه اليمني ، فسجد رسول الله ﷺ سجدة أطالها ، فرفعْتُ رأسي فإذا رسول الله ﷺ ساجد ، وإذا الغلام راكب ظهره ، فعدتُ فسجدتُ ، فلما انصرف رسول الله ﷺ قال ناس : يا رسول الله ! لقد سجدت في صلاتك هذه سجدة ما كنت تسجدها ، أشيءٌ أمِرْتَ به أو كان يوحي إليك ؟ فقال : كل ذلك لم يكن ، ابني ارتحلني فكرهتُ أن أعلجه حتى يقضي حاجته[1] .

وأما اشتراطه على ربه أن يجعل سبه لمن سب من أمته أجراً

فخرَّج البخاري من كتاب الدعاء من حديث يونس عن ابن شهاب : أخبرني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول : اللهم فأيّما مؤمن سببتُه فاجعل ذلك له قربة إليك يوم القيامة[2] .

وخرَّج مسلم بنحوه وقال فأيما عبد . وله من حديث ابن أخي ابن شهاب عن عمه قال : حدثني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : اللهم إني اتخذتُ عندك عهداً لن تخلفنيه ؛ فأيّما مؤمن سببتُه أو جلدتُه فاجعل ذلك كفارة له يوم القيامة[3] .

وله من حديث جرير عن الأعمش عن أبي الضحي عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل على رسول الله ﷺ رجلان فكلماه بشيء لا أدري ما هو ، فأغضباه فلعنهما وسبَّهما ، فلما خرجا قلت : يا رسول الله ! من[4] أصاب من الخير شيئاً ما أصابه هذان ؟ قال وما ذاك ؟ قلتُ : لعنتهما وسببتهما ! قال : أو ما علمت ما شارطتُ[5] عليه ربي قلت : اللهم إنما أنا بشر [فأيُّما أجد من][6] المسلمين لعنته أو سببته ، فاجعله له زكاة وأجراً .

---

(١) (المستدرك للحاكم) جـ٣ ص ١٦٦ باختلاف يسير وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .
(٢) (صحيح البخاري) جـ٤ ص ١٠٧ .
(٣) (مسلم بشرح النووي) جـ١٦ ص ١٥٣ .
(٤) في (خ) « لمن » وما أثبتناه من رواية (مسلم) .
(٥) في (خ) « شرطت » وما أثبتناه من رواية (مسلم) .
(٦) كذا في (خ) ورواية مسلم : « فأيّ المسلمين » .

وخرَّجه من حديث علي بن حجر السعدي وإسحٰق بن إبراهيم وعلي ابن خشرم عن عيسى بن يونس عن الأعمش بهذا الإسناد نحو حديث جرير وقال فيه : فَخَلَوْا به فسبَّهما ولعنهما وأخرجهما[1] .

وله من حديث عبد الله بن نُمير قال : حدثنا أبي ، حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : اللهم إنما أنا بشر ، فأيما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له زكاة ورحمة[1] .

وخرَّجه البخاري من حديث الأعمش عن أبي سفيان عن جابر مثله ، إلا أن فيه : زكاة وأجراً .

وله من حديث المغيرة عن عبد الرحمن الحزامي عن أبي الزناد[2] عن الأعرج عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : اللهم إني اتخذ عندك عهداً لن تخلفنيه ؛ فإنما أنا بشر ، فأي المؤمنين آذيته ، شتمتهُ ، لعنته ، جلدته ، فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة[3] .

وله من حديث الليث عن سعيد بن أبي سعيد عن سالم مولى النصريين قال : سمعت أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر ، وإني اتخذتُ عندك عهداً لن تخلفنيه ؛ فأيما مؤمن آذيته أو سببته أو جلدته ، فاجعلها له كفَّارةً وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة[4] .

وله من حديث جريج : أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنه [يقول][5] : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنما أنا بشر ، وإني اشترطت على ربي عز وجل أيُّ عبد من المسلمين سببته أو شتمته أن يكون ذلك له زكاة وأجراً .

وخرَّج مسلم أيضاً من حديث عكرمة بن عمَّار قال : أخبرنا إسحٰق بن عبد الله بن أبي طلحة قال : حدثني أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كانت عند

---

(١) المرجع السابق ١٥١ .

(٢) في (خ) « أبي الدرداء » وما أثبتناه من رواية مسلم .

(٣) المرجع السابق ص ١٥٣ .

(٤) (مسلم بشرح النووي) جـ١٦ ص ١٥٣ .

(٥) زيادة من المرجع السابق .

أم سُلَيْم يتيمة – وهي أم أنس – فرأى رسول الله ﷺ اليتيمة فقال : آنتِ هِيَهْ[1] ، لقد كبرت لا كبُر سنُّك ، فرجعت اليتيمة إلى أم سليم تبكي ، فقالت أم سليم : مالك يا مُنَيَّمة ؟ قالت الجارية : دعا[2] عليَّ نبي الله ألا يكبر سني ! فالآن لا يكبر سني أبداً ، أو قالت : قرني ، فجرت أم سليم مستعجلة تلوثُ خمارها حتى لقيتْ رسول الله ﷺ فقال لها : ما لك يأم سليم ؟ فقالت : يا نبي الله ؟ أدعوت علي يتيمتي ؟ قال : وما ذاك يا أم سليم ؟ قالت : زَعَمتْ أنك دعوت عليها أن لا يكبر سنها ولا يكبر قرنها ، قال[3] : فضحك رسول الله ﷺ ثم قال : يا أم سليم ، أما تعلمين أن شرطي على ربي أني اشترطتُ على ربي فقلتُ : إنما أنا بشر ، أرضى كما يرضى البشر ، وأغضب كما يغضب البشر : فأيما أحد دعوت عليه من أمتي بدعوة ليس لها بأهل أن يجعلها[4] له طهوراً وزكاة وقربة يُقربها[5] بها يوم القيامة . انفرد بإخراجه مسلم[6] .

وخرَّج الإمام أحمد[7] من حديث ابن أبي ذؤيب قال : حدثني محمد بن عمر ابن عطاء عن ذكوان مولى عائشة عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخلت على النبي ﷺ بأسير فلهوت عنه فذهب : فجاء النبي ﷺ فقال : ما فعل الأسير ؟ قالت : لهوتُ عنه مع النسوة فخرج ، فقال : ما لك ؟ قطع الله يدك ! فخرج فأذن به الناس فطلبوه ، فجاء به فدخل عليَّ وأنا أقلب يدي فقال : أجننت ! قلت : دعوت عليَّ فأنا أقلب يدي أنظر أيهما يقطعان ، فحمد الله وأثنى عليه ثم رفع يديه مداً وقال : اللهم إني بشر ، أغضب كما يغضب البشر ، فأيما مؤمن أو مؤمنة دعوت عليه فاجعله له زكاة وطهوراً .

وله من حديث محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة أن عائشة قالت : إن أمداد

---

(١) بفتح الباء وإسكان الهاء وهي هاء السكت .

(٢) في (خ) « وهي » . (٣) في (خ) « قالت » .

(٤) في (خ) « تجعلها » . (٥) في (خ) « نقربه » .

(٦) (مسلم بشرح النووي) جـ١٦ ص ١٥٤ ، ١٥٥ ، انظر أيضاً : (سنن أبي داود) جـ٥ ص ٤٥ ، ٤٦ حديث رقم ٤٦٥٩ وفيه : « أيما رجل من أمتي سببته أو لعنته لعنة في غضبي فإنما أنا من ولد آدم أغضب كما يغضبون ، وإنما بعثني رحمة للعالمين فأجعلها عليهم صلاة يوم القيامة » .

(٧) (مسند أحمد ابن حنبل) جـ٢ ص ٣٩٠ ، ٤٨٨ ، ٤٩٦ ، جـ٣ ص ٣٣٣ ، ٣٨٤ ، ٣٩١ ، ٤٠٠ ، جـ٥ ص ٤٣٧ ، ٤٣٩ ، جـ٦ ص ٤٥ .

العرب كثُروا على رسول الله ﷺ : وقام إليه المهاجرون يعرجون عنه حتى قام على عتبة عائشة فرهقوه فأسلم رداءه في أيديهم ووثب عن العتبة فدخل فقال : اللهم العنهم ، فقالت عائشة : يا رسول الله ! هلك القوم ، فقال : كلا والله : يابنت أبي بكر ، لقد شرطت على ربي شرطاً لا خُلف له فقلت : إنما أنا بشر : أضيق بما يضيق به البشر : فأي المؤمنين بدرتْ إليه مني بادرة فاجعلها له كفارة .

وأما مزاحه وملاعبته

فخرَّج الترمذي من حديث عبد الله بن المبارك عن أسامة بن زيد عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قالوا يا رسول الله إنك تداعبنا ، قال : إني لا أقول إلا حقاً[1] . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن .

وخرَّج أبو داود[2] والترمذي[3] والبخاري[4] في الأدب المفرد من حديث خالد عن حميد عن أنس رضي الله عنه أن رجلا أتي النبي ﷺ فقال يا رسول الله احملني ، فقال رسول الله ﷺ إنا حاملوك على ولد ناقة ، قال : وما أصنع بولد ناقة ؟ فقال : النبي ﷺ : وهل تلد الإبل إلا النّوق ؟.

وخرَّج أبو داود من حديث يونس عن أبي إسحٰق عن العَيْزَار بن حُريث عن النعمان بن بشير قال : استأذن أبو بكر رضي الله عنه على النبي ﷺ فسمع صوت عائشة – رضي الله عنه – عالياً ، فلما دخل تناولها ليلطمها وقال : ألا أراك ترفعين صوتك على رسول الله ، فجعل النبي ﷺ يحجزه ، وخرج أبو بكر مُغْضَباً ، فقال النبي ﷺ حين خرج أبو بكر : كيف رأيتني أنقذتك من الرجل ؟ قال : فمكث أبو بكر رضي الله عنه أياماً ، ثم استأذن على رسول الله ﷺ فوجدهما قد اصطلحا : فقال لهما : أدخلاني في سِلمكما كما أدخلتماني في حربكما ، فقال النبي ﷺ: قد فعلنا قد فعلنا[5].

(١) (الشمائل المحمدية) ص ١٢٠ ولفظه « قال : نعم . غير أني لا أقول إلا حقا » . (سنن الترمذي) جـ٣ ص ٢٤١ باب ما جاء في المزاح حديث رقم ٢٠٥٨ ، ومعني قوله : « إنك تداعبنا » إنما يعنون أنك تمازحنا .

(٢) (سنن أبي داود) جـ٥ ص ٢٧٠ حديث رقم ٤٩٩٨ .

(٣) (سنن الترمذي) جـ٣ ص ٢٤١ حديث رقم ٢٠٦٠ (الشمائل المحمدية) ص ١٢٠ .

(٤) (الأدب المفرد) جـ١ ص ٣٥٩ حديث رقم ٢٦٨ .

(٥) (سنن أبي داود) جـ٥ ص ٢٧١ حديث رقم ٤٩٩٩ .

وله من حديث بشر بن عبيد الله عن أبي إدريس الخولاني عن عوف بن مالك الأشجعي قال : أتيت رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم فسلمت فردّ وقال : أدخل ، فقلت : أكُلِّي يا رسول ؟ قال : كُلُّك ، فدخلت ، قال عثمان ابن أبي العاتكة ، إنما قال أدخل كلي من صِغَر القُبَّة[1] .

وخرَّج أبو داود والترمذي من حديث شريك عن عاصم عن أنس قال : ربما قال لي النبي ﷺ : ياذا الأذنين ، يمازحه . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب[2] .

وله من حديث المبارك بن فضالة عن الحسن قال : أتت عجوز للنبي ﷺ فقالت : يا رسول الله ، أدع الله أن يدخلني الجنة ، فقال : يا أم فلان ، إن الجنة لا يدخلها عجوز ، قال : فولَّتْ تبكي ، فقال : أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز ، إن الله يقول : ﴿ **إنا أنشأناهن إنشاءً فجعلناهن أبكاراً عرباً أتراباً** ﴾[3] .

وخرَّج عبد الرزاق عن معمر عن ثابت عن أنس أن رجلا من أهل البادية كان اسمه زاهراً أو حزام بن حجال : وكان يُهدى إلى النبي ﷺ الهدية من البادية فيجهزه رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج ، فقال النبي ﷺ إن زاهراً بادينا[4] ونحن حاضروه[5] ، قال : وكان النبي ﷺ يحبه وكان رجلا دميماً[6] : فأتاه النبي ﷺ يوماً وهو يبيع متاعه ، فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره ، فقال : أرسلني ، من هذا ! فالتفت فعرف النبي ﷺ فجعل لا يألو[7] ما ألصَقَ ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه : وجعل النبي ﷺ يقول : من يشتري العبد ؟ فقال : يا رسول الله ! إذن والله تجدني كاسداً ، فقال النبي ﷺ : لكن عند الله لستَ بكاسد ، أو قال :

---

(١) (سنن أبي داود) جـ٥ ص ٢٧٢ حديث رقم ٥٠٠٠ ، ٥٠٠١ .
(٢) (سنن أبي داود) جـ٥ ص ٢٧٢ حديث رقم ٥٠٠٢ .
(٣) (الشمائل المحمدية) ص ١٢١ ، ١٢٢ ، والآيات ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ من سورة الواقعة ، وقيل إن هذه العجوز هي صفية بنت عبد المطلب .
(٤) أي : نستفيد منه ما يستفيد الرجل من باديته ، والبادي : هو المقيم بالبادية .
(٥) أي حاضرو المدينة له ، وهذا من حسن المعاملة تعليما لأمته في متابعة هذه المجاملة .
(٦) أي قبيح الصورة مع كونه مليح السيرة .
(٧) أي لا يقصر .

لكن عند الله أنت غالٍ .

وخرَّج أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى بن مُفرِّج الأندلسي في كتابه في تسمية من روي عن مالك بن أنس من حديث عبد الله بن المبارك عن مالك بن أنس عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال : مازح النبي ﷺ رجلا فقال : ضرب الله عنقك ، فقال : في سبيله يا رسول الله ! قال في سبيله .

وخرَّج الإمام أحمد من حديث سفيان عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت : سابقني رسول الله ﷺ فسبقته ، فلبثنا حتى إذا أرهقني اللحم سابقني فسبقني فقال : هذه بتيك[1] .

وخرَّج الإمام أحمد من حديث أبي حفص المعيطي قال : حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : خرجت مع النبي ﷺ في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم و لم أبدن ، فقال للناس : تقدموا فتقدموا ثم قال : تعالي حتى أسابقك فسابقته فسبقته ، فسكت عني حتى حملت اللحم وبدنت ونسيت خرجت معه في بعض أسفاره ، فقال للناس تقدموا فقدموا ، فقال تعالي حتى أسابقك ، فسابقته فسبقني ، فجعل يضحك ، وهو يقول هذه بتلك[1] .

وخرَّج أبو بكر الشافعي من حديث يحيى بن سعيد القطان عن الصلت ابن الحجاج عن عاصم الأحول عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لعائشة رضي الله عنها ذات يوم : ما أكثر بياض عينيك !

وله من حديث ابن المبارك قال : حدثنا حميد الطويل عن ابن أبي الورد عن أبيه أن النبي ﷺ رآه ، قال : فرآى رجلا أحمر فقال : أنت أبو الورد ؟

ولأبي بكر بن أبي شيبة من حديث محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : كان رسول الله ﷺ يدْلع لسانه للحسن بن علي ، فيرى الصَّبِيُّ حُمرة لسانه فيهش إليه .

ولابن حبان من حديث ابن لهيعة عن عبد الله بن المغيرة قال : سمعت عبد

---

(١) (مسند أحمد) جـ٦ ص ٣٩ ، ١٢٩ ، ١٨٢ ، ٢٦١ ، وأخرجه ابن ماجه في النكاح باب حسن معاشرة النساء ، ونسبه النسائي للمنذري ، وأبو داود في سننه جـ٣ ص ٦٥ باب في السبق على الرِّجل حديث رقم ٢٥٧٨ .

الله بن يزيد قال : حدثنا إسماعيل بن أبي داود عن طفيل بن سنان عن عبيد بن عمير عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ إني لأمزح ولا أقول ألا حقاً .

وقال ﷺ للصبي : يا أبا عمير ! ما فعل النغير ؟

وقال شعبة : حدثني علي بن عاصم عن خالد الحذَّاء عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال : كانت في النبي ﷺ دُعابة .

وقال ابن لهيعة عن عمارة بن غزية عن إسحٰق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس قال : كان النبي ﷺ من أفكه الناس .

وقال خالد الحذاء عن أبي قلابة عن عائشة رضي الله عنها : أن النبي ﷺ كان مزَّاحاً : وكان يقول : إن الله لا يؤاخذ المزَّاح الصادق في مزاحه .

وقال وهب بن جرير عن أبيه قال : سمعت زيد بن أسلم يحدث أَنَّ خَوَّات ابن جبير قال[1] : نزلت مع رسول الله ﷺ مرَّ[2] الظهران فخرجت من خبائي ، فإذا نسوة يتحدثن فأعجبنني ، فرجعت فأخرجت حلَّة لي من عَيْبَتِي فلبستها ثم جلست إليهن فخرج رسول الله ﷺ من قبته فقال[3] : أبا عبد الله ! ما يجلسُك إليهن ؟ قال : فقلت يا رسول الله : جملٌ لي شرودٌ أبتغي له قيداً : فمضى رسول الله وتبعته : فألقى رداءه[4] ودخل الأراك فقضى حاجته وتوضأ ؛ ثم جاء فقال : يا أبا عبد الله ! ما فعل شراد جملك ؟ ثم ارتحلنا ، فجعل لا يلحقني في المنزل إلا قال : السلام عليكم أبا عبد الله : ما فعل شراد جملك ؟ قال : فتعجلنا إلى المدينة فاجتنبت[5] المسجد ومجالسة رسول الله ، فلما طال ذلك عَلَيَّ تحينتُ ساعة خلوة[6] ،فجعلتُ أصلي ، فخرج رسول الله ﷺ في بعض حجره ، فجاء فصلى ركعتين خفيفتين ثم جلس ، وطوَّلتُ رجاء أن يذهب ويدعني ، فقال طِوِّل يا أبا عبد الله ما شئت فلستُ بقائم حتى تنصرف ، فقلت والله لأعتذرن إلى رسول

(١) (النهاية لابن الأثير) جـ٢ ص ٤٥٧ ، ٤٥٨ .

(٢) كذا في (خ) ، وفي (النهاية) « بمر الظهران » .

(٣) في (النهاية) « فمرَّ رسول الله ﷺ فَهِبْتُه ، فقلتُ : يا رسول الله جمل لي شرود وأنا أبتغي له قيداً » .

(٤) في (النهاية) « ماألقى إلَيَّ رادءه » .

(٥) في (النهاية) « فتعجلتُ إلى المدينة واحتفيت المسجد » .

(٦) في (النهاية) « خلوة المسجد ثم أتيت المسجد فجعلتُ أصلي » .

الله[1] ، فانصرفت ، فقال : السلام عليكم يا أبا عبد الله ، ما فعل شراد الجمل ؟ فقلت : والذي بعثك بالحق ما شرد ذلك الجمل منذ أسلمت ، فقال : رحمك الله مرتين أو ثلاثاً : ثم أمْسَكَ عني فلم يعد .

فصل في ذكر آداب رسول الله ﷺ وسمته وهديه

إعلم أن رسول الله ﷺ كانت له آداب ، منها : أنه ان يمناه لطهوره ، ويسراه لدفع الأذي ، ويخفض صوته ، ويخمِّر وجهه إذا عطس ، وكان يقعد القرفصاء ، ويحتبي إذا جلس بيديه ، ويتكيء على يساره : ويستلقي واضعاً إحدي رجليه على الأخرى ، ويكثر الصمت ، ويعيد الكلمة ثلاثاً ، وإذا سَلَّم سَلَّم ثلاثاً ، ويسمع الشِّعر ويتمثل به ويكثر التبسم : ويحب الفأل ولا يتطير ، ويغير الاسم القبيح ، ويقبل الهدية ويثيب عليها ، ويكثر مشاورة أصحابه ، ويحسر عن رأسه حتى يصيبه المطر ، ويحتاط في نفي التهمة عنه ، ويُعرف من وجهه رضاه وغضبه ، ويخالط الناس ويحذرهم ويحترس منهم ، ويتفقد أصحابه ، ويقول في حلفه إذا حلف : لا ومقلب القلوب ، ويقول : لا والذي نفسي بيده ، ويقول : لا ، وأستغفر الله ، وإذا أراد أن يقوم من مجلسه قال : سبحانك اللهم وبحمدك، اشهد أن لا إلّه إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

فأما جعله يمناه لطهوره ويسراه لدفع الأذى

فخرَّج ابن حبان من حديث عيسى بن يونس عن سعيد بن أبي عروبة : عن أبي معشر عن إبراهيم : عن الأسود عن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي ﷺ ، كانت يده اليمني لطهوره وطعامه ، وكانت يده اليسرى لخلائه وما به من أذى .

وأما محبته التيمن في أفعاله

فخرَّج مسلم من حديث أشعث بن أبي الشعثاء عن أبيه عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت : أن كان رسول الله ﷺ ليحب التيمين في طهوره إذا تطهر ، وفي ترجُّله إذا ترجل ، وفي انتعاله إذا انتعل .

---

(١) في (النهاية) « إلى رسول الله ﷺ ولأبرئن صدره » .

وخرَّج البخاري ومسلم من حديث الأشعث عن أبيه عن مسروق عن عائشة قالت : كان النبي ﷺ يحب التيمن ما استطاع في شأنه كله : في طهوره ، وترجُّله ، وتنعله . لم يقل مسلم : ما استطاع ، وقال في نعله وترجله وطهوره . ذكره البخاري في كتاب الصلاة : في باب التيمن في دخول المسجد وغيره ، وذكره في كتاب الطهارة في باب التيمن في الوضوء والغسل ، وفي كتاب الأطعمة في باب التيمن في الأكل وغيره ، وفي كتاب اللباس .

وذكر عمر بن شبة من حديث أشعث بسنده هذا : ولفظه عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أخذ شيئاً أخذه بيمينه ، وإذا أعطى شيئاً أعطى بيمينه : ويبدأ بميامنه في كل شيء .

وأما فعله عند العطاس

فخرَّج أبو بكر بن أبي شيبة من حديث يحيى بن سعيد وأبي خالد الأحمر عن محمد بن عجلان ، عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ إذ عطس أمسك على وجهه وغَضَّ صوته . وقال يحى : خمَّر وجهه . وخرَّجه الترمذي من حديث يحيى بسنده وقال : كان إذا عطس غطى وجهه بيده أو بثوبه ، وغض به صوته ، وقال– أي الترمذي – : هذا حديث حسن صحيح .

وخرَّجه أبو داود بهذا الإسناد وقال : وضع يده أو ثوبه على فيه ، وخفض أو غض بها صوته (شك يحيى) .

وخرَّجه قاسم من حديث إدريس بن يحيى الخولانيّ قال : أخبرني عبد الله ابن عباس عن ابن هرمز عن أبي هريرة ، أن النبي ﷺ قال : إذا عطس أحدكم فليضع كفَّهُ على وجه ويخفض صوته .

وخرَّج الإمام أحمد من حديث ابن لهيعة عن أبي الأسود قال : سمعت عبد الله بـن جعفر ذي الجناحين يقول : إن رسول الله ﷺ كان إذا عطس حمد الله فيقال له : يرحمك الله ، فيقول : يهديكم الله ويصلح بالكم .

وأما جلسته واحتباؤه واتكاؤه واستلقاؤه

فخرَّج أبو داود من حديث حجاج بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي الزياد

عن عمر بن عبد العزيز بن وهيب : سمعت خارجة بن زيد يقول : كان النبي ﷺ أَوْقَرَ الناس في مجلسه : لا يكادُ يخرج شيئاً من أطرافه .

وخرَّج الترمذي من حديث عبد الله بن حسان عن جدته عن قيلة بنت مخرمة أنها رأت رسول الله ﷺ في المسجد وهو قاعدٌ القرفصاء ، قالت : فلما رأيت رسول الله ﷺ المتخشع في الجلسة أرعدتُ من الفَرَق . وسيرد في فصل كتب رسول الله بطوله .

وله من حديث دبيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه عن جده أبي سعيد الخدري قال : كان رسول الله ﷺ إذا جلس في المجلس احتبى بيديه .

وله من حديث إسرائيل عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال : رأيت رسول الله ﷺ متكئاً على وسادة على يساره .

ولمالك عن الزهري عن عباد بن تميم عن عمه أنه رأى رسول الله مستلقياً في المسجد واضعاً إحدى رجليه على الأخرى ، قال أبوعمر بن عبد البر : قدح فيه عبد العزيز بن أبي سلمة : فرواه عن ابن شهاب عن محمود بن لبيد عن عباد بن تميم عن عمه قال : ولا وجه لذكر محمود بن لبيد في هذا الإسناد ، وهو من الوَهَم البين عند أهل العلم . قال فأظن – أن السبب الواجب لإدخال مالك هذا الحديث في موطنه ما بأيدي العلماء من النهي عن هذا المعنى ، وذلك أن الليث بن سعد وابن جريج وحماد بن سلمة : رَوَوْا عن أبي الزبير عن جابر : قال : نهى رسول الله ﷺ أن يضع الرجل إحدى رجليه على الأخرى وهو مستلق على ظهره .

وروي محمد بن مسلم الطائفي عن عمرو بن دينار عن جابر ، أن النبي ﷺ نهى أن يضع الرجل إحدى رجليه على الأخرى ويستلقي ، قاله لنرى والله أعلم أن مالكاً بلغه هذا الحديث ، وكان عنده عن ابن شهاب حديث عباد بن تميم هذا فحدَّث به على وجه الدفع لذلك ، ثم أردف هذا الحديث في موطنه بما رواه عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كان يفعلان ذلك ، فكأنه ذهب إلى أن نهيه عن ذلك منسوخ بفعله ، واستدلَّ على نَسخه بفعل الخليفتين بعده ، وذكر من حديث ابن شهاب عن عباد بن تميم أن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان كانا يفعلان ذلك . ومن حديث ابن شهاب قال : حدثني عمر

ابن عبد العزيز أن محمد بن نوفل أخبره أنه رأى أسامة بن زيد بن حارثة في مسجد رسول الله ﷺ يفعل ذلك ، قال : أخبرني أسامة بن زيد الليثي عن نافع أنه رأى ابن عمر رضي الله عنه يفعل ذلك .

وأما صمته وإعادته الكلام والسلام ثلاثاً وهديه في الكلام وفصاحته

فخرَّج أبو بكر محمد بن عبد الله من حديث قيس بن الربيع عن سماك بن حرب قال : قلت لجابر بن سمرة : أكنتَ تجالس رسول الله ﷺ ؟ قال نعم ، كان كثير الصمت .

وخرَّجه الإمام أحمد من حديث فريك عن سماك ، فذكر به نحوه إلا أنه قال : وكان طويل الصمت .

وخرَّج البخاري من حديث عبد الله بن المثنى ، حدثنا ثمامة بن عبد الله عن أنس أن رسول الله ﷺ كان إذا سلم سلم ثلاثاً ، وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً ذكره في باب التسليم والاستئذان ثلاثاً وفي كتاب العلم ولفظه فيه : عن النبي ﷺ أنه إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى يفهم عنه ، وإذا أتي على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثاً . ذكره في باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم فقال :ألا وقول الزور، فمازال يكررها ، وقال ابن عمرة : هل بلَّغتَ ثلاثاً .

وخرَّج أبو داود من حديث محمد بن إسحاق عن يعقوب عن عُتبة عن عمر ابن عبد العزيز عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ إذا جلس يتحدث يكثر أن يرفع طرفه إلى السماء .

وخرَّج من حديث مسعد قال : سمعت شيخاً في المسجد يقول : سمعت جابر ابن عبد الله رضي الله عنه يقول : كان في كلام رسول الله ﷺ ترتيل وترسيل .

وخرَّج من حديث الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنهاقالت : كان كلام رسول الله ﷺ فصلا يفهمه كل من سمعه ، وفي رواية : كان رسول الله ﷺ لا يسرد سردكم هذا ؛ كان يتكلم بكلام ينشئه فصلا يحفظه من يسمعه . وفي رواية كان رسول الله ﷺ يحدث حديثاً لو عدَّه العاد لأحصاه .

وفي حديث هند بن أبي هالة : كان لا يتلكم في غير حاجة ، طويل السَّكت ، يفتح الكلام ويختمه بأشداقه ، ويتكلم بجوامع الكلم فضلا لا فضول فيه ولا تقصير .

وفي حديث أم معبد : وكان إذا صَمَت فعليه الوقار ، وكأن منطقه خرزات نظم يتحدرن ، حلو المنطق لا نذر ولا هذر .

وخرَّج أبو محمد الدارميَّ من حديث موسى بن عقبة عن كريب عن ابن عباس رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا تكلم يُرى كالنور بين ثناياه[1] .

وقال السهيلي : فقد روي أنه كان يسطع على الجدار نور من ثغره إذا تبسَّم ، أو قال : تكلم .

وفي حديث هند أيضاً : كان إذا أشار أشار بكفه كلها ، وإذا تعجب قلَّبها ، وإذا تحدَّث أفضل بها ، يضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى .

وقال علي بن الحسين بن واقد : حدثنا أبي عن عبد الله بن بريدة عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : يا رسول الله ! ما بالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا ؟ قال : كانت لغة إسماعيل قد درست ، فجاء بها جبريل فحفظتها .

وقال عباد بن عباد بن حبيب بن المهلب عن موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبيه عن جده قال : بينا رسول الله ﷺ ذات يوم جالساً مع أصحابه ، إذ نشأت سحابة ، فقالوا : يا رسول الله ! هذه سحابة . فقال : كيف ترون قواعدها ؟ قالوا : ما أحسنها وأشدَّ تمكنها !! فقال : كيف ترون رحاها ؟ قالوا : ما أحسنها وأشدَّ استدارتها ! قال : وكيف ترون بواسقها ؟ قالوا : ما أحسنها وأشدَّ استقامتها !! فقال : كيف ترون برقها ؟ أوميضاً ؟ أم خفياً ؟ أم يشق شقاً ؟ قالوا : بل يشق شقاً ، قال : فكيف ترون جونها ؟ قالوا : ما أحسنه وأشدَّ سواده !! فقال ﷺ الحيا . فقالوا : يا رسول الله ما رأينا الذي هو أفصح منك ، قال : وما يمنعنى ، وإنما أنزل القرآن بلساني لسان عربيٍّ مبين ؛ قواعدها: أسافلها ، واحدها قاعدة ، ورحاها : وسطها ، وعظمها وبواسقها : ما علا وارتفع منها ، واحدتها باسقة ، والوميض : اللمع الخفي ، والخفي : البرق الضعيف ، وجونها : أسودها ، والحيا (مقصوراً) ، الغيث والخصب ، وجمعه أحياء .

(١) (سنن الدارمي) جـ١ ص ٣٠ باب في حسن النبي ﷺ .

وقال شبابة بن سوار : حدثنا الحسام بن مصك عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ من أفصح الناس : كان يتكلم بكلام لا يدرون ما هو حتى يخبرهم .

وعن علي رضي الله عنه : ما سمعت كلمة غريبة[1] من العرب إلا وقد سمعتها من رسول الله ﷺ ، وسمعته يقول : « مات حتف أنفه »[2] ، وما سمعتها من عربي قبله .

وقال ابن الجوزي : وكل كلام رسول الله ﷺ حكم وفصاحة ، ومن ظرائفه : إياكم وخضراء الدِّمَن[3] ، وقوله : إن مما ينبت الربيع لم يقتل[4] حبطاً أو يلم ، ولا يُلدغ المؤمن من جُحْرٍ مرتين[5] ، والناس كأسنان المشط[6] ، والمرء كثير بأخيه[7] ، وقوله للأنصار : إنكم لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع ، وقوله : خير المال مُهرة مأمورة أو سكة مأبورةُ[8] ، وقوله [خير المال عين ساهرة لعين نائمة][9] ، ومن بطَّأ به عمله لم يسرع به نسبه[10] ، وحبك للشيء يعمي

---

(١) كذا في (خ) ، وفي (صفة الصفوة) جـ١ ص ٢٠٢ « عربية » .

(٢) هذا بعض حديث صحيح رواه عبد الله بن عتيك قال : قال رسول الله ﷺ في الذي يخرج مجاهداً في سبيل الله إن لسعته دابة أو أصابه شيء فهو شهيد ، ومن مات حتف أنفه فقد وقع أجره على الله ، ومن قتل فقد استوجب المآب .

(٣) حديث « أياكم وخضراء الدمن » أخرجه (الدارقطني) في (الأفراد) ، و (ابن عدي) في (الكامل) وقال (السخاوي) في (المقاصد الحسنة) : هذا الحديث لا يصح من وجه .

(٤) في (خ) « يقب » وما أثبتناه من (صفوة) جـ١ ص ٢٠٣ .

والمعني : أن الماشية يروقها كبْتَ الربيع فتأكل فوق حاجتها فتهلك ، والحَبَط : أن ترم بطونها وتنتفح ، فزجر بهذا الكلام عن فضول الدنيا تقول حَبطتْ الدابة حبطاً : إذا أصابت مرعى طيباً فأفرطت في الأكل حتى تنتفخ وتموت ، وقوله : « يلم » أي يقرب من القتل .

(٥) حديث « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والإمام أحمد في المسند ، كلهم عن أبي هريرة .

(٦) حديث « الناس كأسنان المشط » أخرجه ابن لال (في مكارم الأخلاق) عن سهل بن سعد .

(٧) حديث « المرء كثير بأخيه » أخرجه ابن أبي الدنيا في (الإخوان) عن سهل بن سعد .

(٨) السكة : الطريق المصطفة من النخل ، والمأبورة : الملقحة ، أراد : خير المال نتاج أو زَرْع .

(٩) هذا الحديث لم أجد له تخريجاً في كتب السنن .

(١٠) قوله : من بطأ به عمله لم يُسرع به نسبه » جزء من حديث طويل أوله : « من نَفَّس عن مؤمن كربة ... » ، أخرجه مسلم عن أبي هريرة .

ويُصم[1] ، كل الصيد في جوف الفرا ، القناعةُ مال لا ينفذ[2] ، ومثل هذا كثير[3] .

وأما تكلمه بالفارسية

فخرَّج ابن حبان من حديث أبي عاصم النبيل عن حنظلة بن أبي سفيان عن سعيد بن مينا عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال لأصحابه : قوموا فقد صنع لكم جابر سوراً ، قال ثعلب : إنما يراد من هذا أن النبي ﷺ تكلم بالفارسية ؛ قوله : صنع سوراً : أي طعاماً دعا إليه النـاس[4] .

وخرَّج أيضاً من حديث الصلت بن الحجاج عن ليث عن مجاهد عن أبي هريرة قال : مرَّ بي رسول الله ﷺ وأنا أشتكي بطني فقال : يا أبا هريرة ، عليك بالصلاة فإنه شفاء من كل سقم ، قال ابن الجوزي : هذا الحديث لا يثبت عند علماء النقل ، وقد رويناه من أربعة طرق عن أبي هريرة ، ومدارها على داود ابن علية ، قال يحيى : لا يكتب حديثه ، وقال مرة : ليس بشيء ، وقال ابن حبان : يروي عن الثقات ما لا أصل له ، وهذه الطريق التي يرويها ابن حبان عن الصلت لا تصح . قال أبو أحمد بن عدى الحافظ : حديث الصلت منكر ، قال ابن الجوزي : ولعله أخذه من داود بن علية ، ثم مدار الكل على ليث وقد ضعَّفوه ، قال ابن حبان : اختلط في آخر عمره ، وكان ثعلب الأسانيد ، ويأتي عن الثقات بما ليس في حديثهم .

وقال علماء النقل : أبو هريرة لم يكن فارسياً ، إنما مجاهد فارسي، والذي قال هذا أبو هريرة خاطب به مجاهداً ، ومن رفعه إلى رسول الله ﷺ فقد وهم . وقد روي هذا الحديث إبراهيم بن البراء من طريق أبي الدرداء ، أن رسول الله ﷺ قال له ذلك ، وإبراهيم يحدِّث بالأباطيل ، قال ابن حبان : يحدث عن الثقات بالأشياء الموضوعات .

---

(١) حديث « حبك للشيء يعمى ويُصم » أخرجه البخاري في التاريخ وأحمد أبو داود عن أبي الدرداء .

(٢) في (خ) « النداء » وما أثبتناه من (صفة الصفوة) جـ١ ص ٢٠٦ ، والحديث أخرجه الرامهرمزي في (الأمثال) عن نصر بن عاصم الليثي بسند جيد ولكنه مرسل ، وأخرجه أيضاً العسكري .

(٣) حديث « القناعة مال لا ينفد » أخرجه القضاعي عن أنس .

(٤) راجع : (صفة الصفوة لابن الجوري) جـ١ ص ٢٠٣ إلى ص ٢١٨ .

وأما سماعه الشعر واستنشاؤه وتمثله به

فقال عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين قال : قال رسول الله ﷺ وهو يحاصر أهل الطائف لكعب بن مالك وهو إلى جنبه : هيه ، لينشده فأنشده قصيدة .

وخرَّج مسلم في صحيحه والبخاري في الأدب المفرد من حديث سفيان ابن عيينة عن إبراهيم بن ميسرة عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال : ردفْتُ رسولَ الله ﷺ يوماً فقال : هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء ؟ قلت : نعم ، قال : هيه ، فأنشدته بيتاً فقال : هيه ، ثم أنشدته بيتاً فقال : هيه ، حتى أنشدته مائة بيت[1] .

وخرَّجه من حديث عبد الرحمن بن مهدي ، والمعتمر بن سليمان ، كلاهما عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال :ــ استنشدني رسول الله ﷺ بمثل حديث إبراهيم بن ميسرة ، وزاد قال : إن كان كاد ليسلم .

وفي حديث ابن مهدي قال : فلقد كاد يسلم في شعره . ذكره في كتاب الأدب . وقال البغوي : أخبرنا داود بن رشيد ، حدثنا يعلي بن الأشدق قال : سمعت النابغة يقول : أنشدت النبي ﷺ [حتى] بلغنا :

السماء مجدنا وجدودنا وإنا لنرجو بعد ذلك مظهراً

فقال ابن المطهر : يا أبا ليلى ! قلت الجنة ؟ قال أجل إن شاء الله : ثم قلت :

ولا خير في حلم إذا لم تكن له بوادر تحمى صَفْوَهُ إن تكدَّرا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال النبي ﷺ أجدْت : لا يفضض الله فاك (مرتين) .

وقال أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة : حدثنا أحمد بن يحيى عن محمد

---

(١) وذكره الترمذي في (الشمائل المحمدية) ص ١٢٦ حديث رقم ٢٤٨ ولفظه : « كنتُ : رِدف النبي ﷺ فأنشدتُه مائة قافية من قول أمية بن أبي الصلت : كما أنشدته بيتاً قال لي النبي ﷺ هيه ، حتى أنشدته مائة يعني بيتاً ، فقال النبي ﷺ : « أن كاد ليسلم » ، ونحوه في (سنن ابن ماجة) جـ٢ ص ١٢٣٦ حديث رقم ٣٧٥٨ .

ابن سلام ، أخبرنا محمد بن سليمان عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد ابن المسيب قال : قدم كعب بن زهير متنكراً حين بلغه أن رسول الله ﷺ أوعده ، فأتى أبا بكر رضي الله عنه ، فلما صلى الصبح أتاه به وهو متلثم بعمامته ، فقال يا رسول الله ﷺ ، رجل يبايعك على الإسلام ، فبسط يده فحسر عن وجهه فقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، هذا مقام العائذ بك من النار ، أنا كعب بن زهير ، فتجهمته الأنصار وغلظت له لما كان من ذكره النبي ﷺ فلانت له قريش وأحبوا إسلامه ، فأمَّنه النبي ﷺ ، فأنشده مدحته التي يقول فيها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

فكساه النبي ﷺ بردة اشتراها معاوية بن أبي سفيان من الكعب بن زهير بعده بمال كثير ، فهي البردة التي يلبسها الخلفاء في العيدين[١] .

وقال عمرو بن شيبة : حدثنا أحمد بن عيسى ، حدثني مؤمل بن عبد الرحمن الثقفي ، حدثني سهل بن المغيرة عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : دخل رسول الله وأنا [أنشد][٢] هذين البيتين :

ارفع ضعيفَك لا يَحُرْ بِكَ ضعف ... يوماً فَتُدركهُ عواقب ما جَنَي[٣]
يجزيك أو يُثني عليك ، وإنَّ من ... أثنى عليك بمافعلتَ كمن جَزَى[٤]

(١) وأثنى فيها على المهاجرين ، ولم يذكر الأنصار ؛ فكلمته الأنصار ، فصنع فيهم حينئذ شعراً ، ولا أعلم له في صحبته وروايته غير هذا الخبر ، وفي هذه القصيدة يقول :

إن الرسول لسيفٌ يستضاء به ... مهَّندٌ من سيوف الله مسلولُ
أنبئت أن رسول الله أوعدني ... والعفو عند رسول الله مأمولُ

ومما يستجاد لكعب بن زهير قوله :

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني ... سعيُ الفتى وهو مخبوءٌ له القدرُ
يسعى الفتى لأمور ليس يدركها ... فالنفس واحدةٌ والهمُّ منتشرُ
والمرء ما عاش ممدودٌ له أملٌ ... لا تنتهي العين حتى ينتهي الأثرُ

راجع (الاستيعاب في معرفة الأصحاب) لابن عبد البر جـ٩ ص ٢٢٧ ، ترجمة ٢١٩١ ، و (الشعر والشعراء لابن قتيبة) جـ١ ص ١٥٨ وما بعدها .

(٢) زيادة للسياق .

(٣) لا يَحُرْ : لا نرجع إلى النفس ، وأصل الحور الرجوع إلى النفس .

(٤) هذان البيتان غير واضحين في (خ) ، وما أثبتناهما من (الشعر والشعراء لابن قتيبة) جـ١ ص ٣٨٨ عند ترجمة زهير ابن جناب .

فقال : رُدي علي قول اليهودي قاتله الله ، لقد أتاني جبريل برسالة من ربي : أيّما رجل صنع إلى أخيه صنيعة فلم يجد له جزاءً إلا الثناء والدعاء فقد كافأه[١] : قيل هما لغريض اليهودي ، وهو السموأل بن عادية ، وقيل لزيد بن عمرو بن نُفيل ، وقيل لورقة بن نوفل ، وقيل لزهير بن جَنَاب : وقيل عامر الحرمي ، والصحيح أنهما لغريض أو لابنه .

قال ابن الجوزي : وقد أنشده جماعة منهم العباس ، وعبد الله بن رواحة ، وحسان وضرار ، وأنس بن زنيم ، وعائشة في خلق كثير ، قد ذكرتهم في كتاب أحكام الانتشاء .

وخرَّج الترمذي من حديث شريك ، عن المقدام بن شريح عن أبيه عائشة رضي الله عنها ، قال : قيل لها : هل كان النبي ﷺ يتمثل بشيء من الشعر ؟ قالت : كان يتمثل بشعر ابن رواحة[٢] ، ويتمثل ويقول :

ويأتيك بالأخبار من لم تُزوِّدِ[٣]

قال هذا حديث حسن صحيح[٤] .

وخرَّجه أبو بكر بن أبي شيبة من حديث سماك عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يتمثل من الأشعار :

ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وخرَّجه النسائي من حديث هشيم عن مغيرة عن الشعبي عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ إذا استراث الخبر تمثل بقافية طرفة :

---

(١) وفي مسند الحميدي قال : حدثنا سفيان قال : سمعت أبا عبد العزيز موسى بن عبيدة الرَّبذي يحدث عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : إذا قال الرجل لأخيه : جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء . (مسند الحميدي) جـ٢ ص ٤٩٠ حديث رقم ١١٦٠ .

(٢) هو عبد الله بن رواحة الأنصاري الخزرجي أحد النقباء شهد العقبة وبدراً ، وأحد والخندق والمشاهد بعدها ، إلا الفتح وما بعده فإنه قتل يوم مؤتة شهيداً أميراً .

(٣) بضم التاء وكسر الواو المشدَّدة ، وهو من التزويد ، وهو إعطاء الزاد ، وأول البيت .

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تُزودِ

(٤) (الشمائل المحمدية) ص ١٢٢ حديث رقم ٢٤١ .

ويأتيك بالأخبار من لم تزود[1]

وخرَّجه الإمام أحمد بهذا السند ولفظه : كان رسول الله ﷺ إذا استراث الخبر تمثل فيه ببيت طرفة ، فذكره .

وخرَّجه البخاري في الأدب المفرد من طريق الوليد بن أبي ثور عن سماك : عن عكرمة قال : سألت عائشة رضي الله عنها : هل سمِعت رسول الله ﷺ يتمثل شعراً قط ؟ فقالت : كان أحياناً إذا دخل بيته يقول :

ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وخرَّج عبد الرزَّاق عن معمر عن هشام بن عروة عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ في سفر ، فنزل رجل من المهاجرين فزجر بهم فقال :

لم يغـذها مدّ ولا يضـيف ... ولا تمـيرات ولا تعجـيف
لكن غـذاها اللبن الخـريف ... المحصـي القـارص والصـريف

فقالت الأنصار : انزل يا كعب : فإنما يعرض بنا ، فنزل كعب بن مالك فقال :

لم يغـذها مدّ ولا نصـيف ... ولا تمـيرات ولا تعجـيف
لكن غـذاها الحنظل النقيف ... ومـذقة كـطـرة الخيـف
تنبت بين الزرب والكنيف

قال : فخاف النبي ﷺ أن يكون بينهما شيء ، فأمرهما فركبا .

وخرَّجه عن معمر قال : حدثني أبو حمزة الثمالي بنحو حديث هشام وزاد فيه : أن النبي ﷺ عطف ناقته وأمرهما فركبا .

وخرَّجه البخاري ومسلم من حديث شعبة عن عبد الملك بن عمير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : أصدق بيت قاله الشاعر ، قول لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل ... وكل نعيم لا محالة زائل[2]

---

(١) وهذا البيت من شعر طرفه أيضاً في قصيدته المعلقة .

(٢) هذا البيت هو أول ما ذكره (ابن قتيبة) في (الشعر والشعراء) جـ١ ص ٢٨٥ فيما يُستجاد من شعر لبيد : =

ذكره البخاري في كتاب الرقاق .

وخرَّجا من حديث سفيان عن عبد الملك بن عمير قال : حدثنا أبو سلمة ابن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم . وقال البخاري : الشاعر . ذكره في كتاب الأدب ، وفي أيام الجاهلية ، وفي لفظ لمسلم والترمذي قال : أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد ، فذكره . وفي لفظ لمسلم : إن أصدق بيت قاله الشاعر ، فذكره . وكان أمية بن أبي الصلت أن يسلم . وفي آخر : إن أصدق كلمة قالها شاعر : كلمة لبيد .

وخرَّج البخاري ومسلم من حديث قتيبة : حدثنا عبد العزيز عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال : كنا مع النبي ﷺ في الخندق وهم يرتجزون ونحن نَنْقل التراب على أكبادنا ، فقال رسول الله ﷺ :

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة ... فاغفر للأنصار والمهاجرة

وخرَّجه مسلم مثله سواءً . ذكره البخاري في غزوة الخندق ، وفي كتاب المناقب ، وذكره في كتاب الرقاق ولفظه فيه :

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة ... فاغفر للأنصار والمهاجرة

وذكره في غزوة الخندق في كتاب الجهاد ، وفي عدة مواضع . وذكره مسلم من عدة طرق .

ألا كلُ شيء ما خلا الله ، باطلُ ... وكل نعيم لا محالة زائل
إذا المرءُ أسْرى ليلة ظنَّ أنه ... قضى عملاً ، والمرء ما عاش آمل
حبائله مبثوثةٌ بسهيلة ... ويفنى إذا ما أخطأته الحبائل

إلى أن قال :

وكلُ امريءٍ يوماً سَيَعْلَمُ سعْيَهُ ... إذا كُشِفتْ عند الإله المحاصلُ

وهذا البيت الأخير يدلُّ على أنه قيل في الاسلام ، وهو شبيه بقول الله تبارك وتعالى ﴿ **وحُصّل ما في الصدور** ﴾ الآية ١٠ من سورة العاديات ، أو كان لبيدٌ قبل إسلامه يؤمن بالبعث والحساب . مثل غيره من شعراء الجاهلية .

وخرَّجا من حديث شعْبة عن أبي إسحٰق قال : سمعت البراء قال : كان رسول الله ﷺ يوم الأحزاب ينقل معنا التراب ، ولقد رأيته وارى الترابُ بياض بطنه وهو يقول :

والله لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا إن الأولِي قد بَغَوْا علينا

قال : وربما قال :

إن الملا أبَوْا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

ويرفع بها صوته

وقال البخاري :

ولولا أنت ما اهتدينا ، ولا تصدقنا ولا صلينا ، إن الأولى ، وربما : إن الملأ قد بغوا علينا ، إذا أرادوا فِتْنَةً أبينا . يرفع بها صوته وكرره في عدة مواضع[1] .

وخرجا من حديث شعبة عن أبي إسحٰق قيل للبراء : أَوَلَّيْتُم مع النبي يوم حُنين ؟ فقال : أمَّا النبي ﷺ فلا ، كانوا رُماة ، فقال :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب[2]

وكرراه . وخرَّجا أيضاً من حديث شعبة عن الأسود بن قيس عن جندب بن أبي سفيان البجلي قال : أصاب حَجرٌ أُصبع رسول الله ﷺ فدميت فقال :

هل أنت إلا إصبعٌ دميتِ وفي سبيل الله ما لا قيتِ ؟

وخرَّجه الترمذي أيضاً .

وأمَّا تبسُّمُه ﷺ

فقد قالت عائشة رضي الله عنها : ما رأيت النبي ﷺ ، مستجمعاً قط ضاحكاً حتى أرى منه لهواته ، إنما كان يَتَبَسَّم .

---

(١) (صحيح البخاري) جـ٤ ص ٢٥٠ .
(٢) (مسلم بشرح النووي) حديث رقم ٧٨ باب ٢٧ كتاب ٣٢ .

وخرَّج الإمام أحمد من حديث ابن لُهيعة عن عبد الله بن المغيرة قال : سمعت عبد الله بن الحارث بن جزء يقول : ما رأيتُ أحداً كان أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ .

وخرَّج ابن حبان من حديث عبد الحميد بن زياد بن صهيب عن أبيه عن صهيب قال : ضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه .

وخرَّج من حديث بقية عن حبيب بن عمر الأنصاري عن شيخ يكني أبا عبد الله الصمد قال : سمعت أم الدرداء تقول : كان أبو الدرداء إذا حدَّث حديثاً تبسم ؛ فقلت : لا يُقال أنك أي أحمق ، فقال : ما رأيت أو سمعت رسول الله ﷺ يحدث حديثا إلا تبسم .

وفي رواية كان أبو الدرداء لا يحدث بحديث إلا تبسم ، فقلتُ له : إني أخشى أن يحمقك الناس ، فقال : كان رسول الله ﷺ لا يحدث بحديث لا تبسم .

ومن حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال : ضحك رسول الله ﷺ حتى بدت أنيابه . وكذا من حديث وهب بن جرير ، أخبرنا أبي قالت سمعت ابن إسحٰق عن هشام بن عروة عن أبيه قال : أقبل أعرابي على ناقة له حتى أناخ بباب المسجد ، فدخل على نبي الله – وحمزة بن عبد المطلب جالس في نفر من الماجرين والأنصار ، فيهم النعيمان – فقالوا للنعيمان : ويحك ! إنَّ ناقته نادية – أي سمينة – فلو نحرتها فانا قد قدمنا إلى اللحم ، ولو فعلت عزمها رسول الله وأكلنا لحمها ، فقال : إني إن فعلت ذلك وأخبرتموه وجد عليَّ قالوا : إلا تفعل ، فقام فضرب في لبته ثم انطلق ، فمرَّ المقداد قد حفر حفرة استخرج منها طيناً فقال : يا مقداد ، غيبني في هذه الحفرة وأطبق عليَّ شيئاً ولا تدل عليَّ أحداً ، فإني قد أحدثت حدثاً ، ففعل ، فلما خرج الأعرابي ورأى ناقته صرخ ! فخرج نبي الله ﷺ وقال : من فعل هذا ؟ قالوا : نعيمان ، قال : فأين توجه ؟ قالوا : هاهنا ، فتبعه رسول الله ﷺ ومعه حمزة وأصحابه حتى أتى على المقداد فقال له : هل رأيت نعيمان ؟ فصمت ، فقال : لتخبرني أين هو ؟ فقال : مالي به علم ، وأشار بيده إلى مكانه ، فكشف رسول الله ﷺ عن الحفرة ، فلما رآه قال : أي عدوّ نفسه ؛ ما حملك على ما صنعت ؟ قال : والذي بعثك بالحق لأمرني حمزة وأصحابه ، فأرضى

عليه السلام الأعرابيَّ وقال : شأنكم بها ، فأكلوها ، فكان رسول الله ﷺ إذا ذكر صُنْعَهُ ضحك حتى تبدو نواجذه .

وقال زائدة عن إبان عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله قال : ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت ، ولا رآني إلا ضحك[1] .

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ حكى عن رجل أُخرج من النار فقيل له : تمَّن ، فتمنى ، فيقال له : ما تمنيتَ وعشرة أضعاف الدنيا ، فيقول أتسخر بي وأنت الملك ؟ فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه[2] .

ولابن حبان من حديث الليث عن جرير بن حازم عن الحسن بن عمارة عن سلمة بن كهيل عن عبد الرحمن قال : سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : لما بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن ، أتاني ثلاثة نفر يختصمون في غلام ابن امرأة وقعوا عليها جميعا في طهر واحد !! كلهم يدعى أنه ابنه ، فأقرعت بينهم ، فالحقتُه بالذي أصابته القرعة ، ولصاحبيه مثلي دية الحد ، فلما قدمت على رسول الله ﷺ ذكرتُ له ذلك فضحك حتى ضرب برجليه الأرض ثم قال : حكمت فيهم بحكم

(١) رواه (البخاري) جـ٤ ص ٦٤ ولفظه : « ما حجبني النبي ﷺ منذ أسلمتُ ولا رآني إلا تبسم في وجهي ... » .

(٢) (مسند أحمد) جـ١ ص ٣٧٩ ، ولفظه : « قال رسول الله ﷺ : إني لأعرف آخر أهل النار خروجاً من النار رجل يخرج منها زحفاً ، فيقال له : انطلق فادخل الجنة ، قال : فيذهب يدخل فيجد الناس قد أخذوا المنازل ، قال : فيرجع فيقول : قد أخذ الناس المنازل ، قال : فيقال له : أتذكر الزمان الذي كنت فيه ؟ قال : فيقول : نعم ، فيقال له : تمنه ، فيتمني ، فيقال : إن لك الذي تمنيت وعشرة أضعاف الدنيا ، قال : فيقول : أتسخر بي وأنت الملك ؟ قال : فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه » .

ورواه (مسلم) بلفظ آخر وزاد فيه « قال : فكان يقال : ذلك أدني أهل الجنة منزلة » ((مسلم بشرح النووي) جـ٢ ص ٤٠ ، وأما معنى « أتسخر بي » هنا ففيه أقوال أشهرها ما قاله القاضي عياض : أن يكون هذا الكلام صدر من هذا الرجل وهو غير ضابط لما قاله لما ناله من السرور ببلوغ ما لم يخطر بباله ، فلم يضبط لسانه دهشاً وفرحاً ، فقال وهو لا يعتقد حقيقة معناه ، وجرى على عادته في الدنيا في مخاطبة المخلوقين ، وهذا كما قال النبي ﷺ في الرجل الآخر : أنه لم يضبط نفسه من الفرح فقال : أنت عبدي وأنا ربك ، والله أعلم .

والمراد بالنواجذ هنا الأنياب ، وقيل المراد بها الضواحك ، وقيل المراد بها الأضراس ، وهذا هو الأشهر في إطلاق النواجذ في اللغة ، ولكن الصواب عند الجمهور ما قدمناه ، وفي هذا جواز الضحك وأنه ليس بمكروه في بعض المواطن ولا بمسقط للمروءة إذا لم يجاوز به الحد المعتاد من أمثاله في مثل تلك الحال ، والله أعلم .

الله ، أو قال : لقد رضي الله حُكمك فيهم[1] . قال ابن الجوزي : وهذا الحديث لا يثبت ، فيه جماعة مجروحون ولا يصح عن رسول الله ﷺ أنه كان يزيد عن التبسم .

وخرَّج الإمام أحمد وأبو يعلي والبراء والطبراني في الكبير من حديث هشام عن أبي الزبير عن عبد الله بن سلمة عن علي أو عن الزبير قال : كان رسول الله ﷺ يخطبنا فيُذكرنا بأيام الله حتى يُعرف ذلك في وجهه وكأنه نذير قوم يُصَبِّحُهم الأمر غدوة ، وكان إذا كان حديث عهد بجبريل لم يتبسم ضاحكاً حتى يرتفع .

وأما محبته الفأل وتركه الطيرة وتغييره الاسم القبيح

فخرج مسلم من حديث يحيى بن عتيق قال : أخبرنا محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لا عدوى ولا طيرة وأحب الفأل الصالح .

ومن حديث هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لا عدوي ولا هامة ، ولا طيرة وأحب الفأل الصالح .

وخرَّجا من حديث معمر وشعيب عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن أبا هريرة قال : سمعت النبي ﷺ يقول : لا طيرة وخيرها الفأل ، قيل يا رسول الله وما الفأل ؟ قال : الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم .

وخرَّج البخاري وأبو داود من حديث هشام : أخبرنا قتادة عن أنس عن النبي ﷺ قال : لا عدوي ولا طيرة ، ويعجبني الفأل الكلمة الحسنة .

وخرَّج أبو داود من حديث هشام عن قتادة عن عبيد الله بن مريدة عن أبيه أن النبي ﷺ كان لا يتطير من شيء ، وكان إذا بعث عاملاً سأل عن اسمه ؛ فإذا

---

(١) (مسند الحميدي) ج٢ ص ٣٤٥ من حديث زيد بن أرقم حديث رقم ٧٨٥ وقال فيه : « فلما قدمنا على رسول الله ﷺ ذكرنا ذلك فقال له : ما أعلم فيها إلا ما قال علي » ، (مسند أحمد) ج٤ ص ٣٧٤ من حديث زيد بن أرقم بنحوه ، (سنن النّسائي) ج٦ ص ١٨٢ باب القرعة في الولد إذا تنازعوا فيه ، وقال : « فذكر ذلك للنبي ﷺ فضحك حتى بدت نواجذه » ، ولم يذكر أحد من أهل العلم أن النبي ﷺ كان يزيد عن التبسم .

أعجبه اسمه فرح به رؤي بشر ذلك في وجهه ، وإن كره اسمه رؤي كراهة ذلك في وجهه ، وإذا دخل قرية سأل عن اسمها ؛ فإذا أعجبه اسمها رؤي بشر ذلك في وجهه ، وإن كره اسمها رؤي كراهية ذلك في وجهه .

وقال مالك عن يحيى بن سعيد : أن رسول الله رسول الله ﷺ قال للقحةٍ تُحْلَب : من يَحْلِب هذه ؟ فقام رجل ، فقال له رسول الله ﷺ : ما اسمك ؟ فقال الرجل : مُرَّة ، فقال له رسول الله ﷺ : اجلس ، ثم قال : من يحلب هذه ؟ فقام رجل فقال له رسول الله ﷺ : ما اسمك ؟ فقال : حَربٌ ، فقال له : اجلس ، ثم قال : من يحلب هذه ؟ فقام رجل ، فقال له رسول الله ﷺ : ما اسمك ؟ فقال : يعيش ، فقال له رسول الله ﷺ : احلب . هكذا رواه مالك موقوفاً على يحيى[1] .

وخرَّج قاسم بن أصبغ من حديث الحسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ لا يتطير ولكن يَتَفَأَّل ، فركب بريدة في سبعين راكباً من أهل بيته من بني سهم ، فلقي رسول الله ﷺ فقال له رسول الله : من أنت ؟ قال : بريدة ، فالتفت إلى أبي بكر ضي الله عنه فقال : برد أمرنا وصلح ، ثم قال ممن ؟ قال : مِن أسلم ، فقال لأبي بكر سلمنا ، ثم قال : ممن ؟ قال : من سهم ، قال : خرج سهمك . فقال بريدة للنبي ﷺ : فمن أنت ؟ قال : محمد ابن عبد الله رسول الله ، قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله ، فأسلم بريدة وأسلم الذين معه جميعاً ، فقال بريدة للنبي ﷺ : لا تدخل المدينة إلا معك لواء ، فحلّ عمامته ثم شدّها في رُمح ثم مشي بين يديه حتى دخل المدينة . قال بريدة : الحمد لله الذي أسلمت [له][2] بنو سهم طائعين .

وخرَّج الترمذي من حديث حماد بن سلمة عن حميد عن أنس : أن نبي الله

---

(١) (موطأ مالك) ص ٦٩٠ باب ما يكره من الأسماء ، حديث رقم ١٧٧٦ .
قال ابن عبد البر : ليس هذا من باب الطيرة لأنه مُحال أن ينهي عن شيء ويفعله ، وإنما هو من باب طلب الفأل الحسن ، وقد كان أخبرهم عن شرّ الأسماء أنه حَرْبٌ ومُرَّة ، فأكد ذلك حتى لا يتسمى بهما أحد . (تنوير الحوالك شرح موطأ مالك) جـ٢ ص ٢٤٥ . وفي (خ) « القحة تجلب من تحلب » وما أثبتناه من (الموطأ).

(٢) زيادة للسياق .

ﷺ كان إذا خرج لحاجته يعجبه أن يسمع يا راشد .. يا نجيح . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب صحيح .

وخرَّج البزار من حديث معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : إذا أبردتم إليَّ بريداً فأبردوه حسن الوجه حسن الاسم ، ذكره أنه لا يعلم رواه عن عبد الله بن بريدة عن أبيه إلا قتادة . وقال هشام الدستواني عن يحيى بن كثير قال : كتب رسول الله ﷺ إلى أمراء الأجناد ألا توفدوا إلينا إلا برجل حسن الوجه حسن الاسم .

وخرَّج ابن حبان من حديث مبارك بن فضالة عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سمع كلمة فأعجبته فقال : أخذنا فألك من فيك .

وخرَّج الترمذي من حديث عمر بن علي المفدي عن هشام عن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يغير الاسم القبيح ، وربما قال عمر ابن علي في هذا الحديث هشام بن عروة عن أبيه ، ولم يذكر فيه عائشة .

وخرَّج مسلم والترمذي من حديث يحيى عن سعيد عن عبيد الله قال : أخبرني نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ غيَّر اسم عاصية وقال : أنت جميلة[1] .

ولمسلم من حديث حماد بن سلمة عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر أن ابنة لعمر رضي الله عنه كان يقال لها عاصية ، فسماها رسول الله ﷺ جميلة[1] .

وله من حديث سفيان عن محمد بن عبد الرحمن مولى أبي طلحة عن كريب عن ابن عباس رضي الله عنه قال : كانت جويرة اسمها برَّة ، فحول رسول الله ﷺ اسمها جويرة ، وكان يكره أن يقال : خرج من عند برة[1] .

وللبخاري ومسلم من حديث شعبة عن عطاء بن ميمونة عن أبي رافع عن أبي هريرة أن زينب ان اسمها برة ، فقيل تزكي[2] نفسها ، فسماها رسول الله ﷺ زينب .

---

(١) (مسلم بشرح النووي) جـ١٤ ص ١١٩ ، ١٢٠ . باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن وتغيير اسم برة إلى زينب وجويرة ونحوهما .

(٢) هذه الكلمة غير واضحة في (خ) وما أثبتناه من المرجع السابق .

ولمسلم من حديث الوليد بن كثير قال : حدثني محمد بن عمر عن عطاء قال : حدثتني زينب ابنة أم سلمة قالت : كان اسمي برة ، فسّماني رسول الله ﷺ زينب ، قالت : ودخلتْ عليه زينب بنت جحش واسمها برة فسماها زينب .

ومن حديث الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن محمد بن عمر بن عطاء قال : سميت ابنتي برة ، فقالت لي زينب ابنة أبي سلمة : إن رسول الله ﷺ نهى عن هذا الاسم ، وسميت برّة فقال رسول الله : لا تزكوا أنفسكم ، الله أعلم بأهل البرِّ منكم ، فقالوا : بم نسميها ؟ قال : سموها زينب[1] .

وخرَّج الإمام أحمد من حديث عبيد الله بن عمر عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن محمد بن علي عن علي رضي الله عنه قال : لما وُلد الحسن سماه حمزة ، فلما وُلد الحسين سماه بعمه جعفر ، قال : فدعاني رسول الله ﷺ فقال : إني أُمرت أن أغير اسم هذين ، قلت : الله ورسوله أعلم ، فسماهما حسناً وحسيناً .

وخرَّج قاسم بن أُصبغ وأحمد بن حنبل من حديث إسرائيل عن أبي إسحٰق عن هانيء عن علي رضي الله عنه قال : لما وُلد الحسن جاء النبي ﷺ فقال : أروني ابني ، ما سميتموه ؟ قلت : سميتُه حَرْباً ، قال : بل هو حسن ، فلما وُلد الحسين قال : أروني ابني ، ما سميتموه ؟ قلت : سميته حرباً ، قال بل هو حسين ، فلما وُلد الثالث جاء النبي ﷺ فقال : أروني ابن ، ما سميتموه ؟ قلت : حرباً ، قال هو محسن[2] .

وخرج الإمام أحمد حديث سفيان عن أبي إسحٰق عن رجل من جهينة قال : سمع النبي ﷺ رجلاً يقول يا حرام ، فقال : يا حلال .

ومن حديث يحيى بن أبي بكير ، حدثنا عبيد الله بن إياد[3] بن لقيطة [السدوسي][4] عن أبيه عن ليلى امرأة بشير بن الخضامية عن بشير قال — وكان

---

(١) المرجع السابق .

(٢) ثم زاد أسد ، ثم قال : إني سَمَّيْتُهم بأسماء ولد هارون : شبرَّ وشَبِّير ومشبِّر . (الاستيعاب لابن عبد البر) جـ٣ ص ١٠٠ .

(٣) في (خ) « إبان » .

(٤) ما بين القوسين غير واضح في (خ) ، وما أثبتناه من (الجرح والتعديل) جـ٢ ص قسم٢ ص ٣٠٧ ترجمة رقم ١٤٦٢ وهو ثقة كما قال عنه يحيى بن معين .

قد أي النبي ﷺ واسمه زحم – فسماه النبي بشيراً[1] .

ومن حديث إسماعيل بن عياش عن بكر بن زرعة الخولاني عن مسلم بن عبد الله الأزدي قال : جاء عبد الله بن قرظ الأزدي إلى النبي ﷺ فقال له : ما اسمك ؟ قال : شيطان بن قرظ ، فقال له النبي ﷺ : أنت عبد الله بن قرظ .

ومن حديث شعبة عن عبد الله بن أبي السفر[2] عن عامر الشعبي عن عبد بن مطيع ابن الأسود ، حدثني عدي بن كعب عن أبيه مطيع – وكان اسمه العاصي – فسماه رسول الله ﷺ مطيعاً . قال سمعت رسول الله حين أمر بقتل هؤلاء الرهط بمكة يقول : لا تُغزى مكة بعد هذا اليوم أبداً .

ولأبي داود[3] من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال له : ما أسمك ؟ قال : حَزْنٌ ، قال : بل أنت سَهْلٌ ، قال : لا ، السهل يوطأ ويمتهن ، قال سعيد : فظننت أن ستُصيبنا بعده حُزُونَةٌ . قال أبو داود : وغير النبي ﷺ اسمه العاص وعزيز وعَتْلة[4] وشيطان والحكم وغُراب وحُباب وشهاب فسماه هشاماً ، وسمي حرباً سلماً[5] ، وسمي المضطجع المنبعث ، وأرض

---

(١) ونحوه في (سنن أبي داود) جـ٣ ص ٥٥٤ حديث رقم ٣٢٣٠ باب المشي في النعل بين القبور .

(٢) في (خ) « اليفر » وما أثبتناه من (تهذيب التهذيب) جـ٤ ص ٣٤٠ عند ترجمة شعبة بن الحجاج رقم ٥٨٠ .

(٣) وأخرجه (البخاري) في الأدب باب اسم الحزن وفيه [قال ابن المسيِّب : فمازالت فينا الحزونة بعد] .

(٤) العتلة : عمود حديد تهدم به الحيطان ، وقيل : حديدة كبيرة يقلع بها الشجر والحجر .

(٥) أما (العاص) : فإنما غيره كراهة لمعنى العصيان ، وإنما سمة المؤمن : الطاعة والاستسلام .

و (عزيز) : إنما غيره لأن العزة لله سبحانه ، وشعار العبد : الذلة والاستكانة ، وقد قال سبحانه عندما يُقَرِّع بعض أعدائه : ﴿ ذُقْ إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ [الدخان : ٤٩] .

و (عتلة) : معناها الشدة والغلظة ، ومنه قولهم : رجل عُتُلّ : أي شديد غليظ . ومن صفة المؤمن : اللين والسهولة .

و (شيطان) : اشتقاق من الشَّطْن : وهو البعد عن الخير ، وهو اسم المارد الخبيث من الجن والإنس .

و (الحكم) : هو الحاكم الذي إذا حكم لم يُرَدُّ حُكمه ، وهذه الصفة لا تليق بغير الله سبحانه ، ومن أسمائه الحكم .

و (غراب) : مأخوذ من الغَرْب ، وهو البعد . ثم هو حيوان خبيث الفعل ، خبيث الطعم ، وقد أباح رسول الله ﷺ قتله في الحل والحرم .

و (حباب) : نوع من الحيات ، وقد روي أن الحباب اسم الشيطان .

تسمى عَفِرة[1] سماها خَضِرة ، وشِعْب الضلالة سماها شِعْب الهدى ، وبني الزِّنْيَة سماهم بني الرِّشْدة ، وسمى بني مُغْوِيَة بني رِشْدَة[2] . قال أبو داود : وتركنا أسانيدهما للاختصار .

وخرَّج بقي [بن] مخلد من حديث عبدة بن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ مرَّ بأرض تسمى مجدبة فسماها خضرة .

وخرَّج البخاري من حديث الزهري عن ابن المسيب عن أبيه أن أباه جاء النبي ﷺ فقال : ما اسمك ؟ قال : حزن ، قال : أنت سهل ، قال لا أغير اسماً سمانيه أبي ، قال ابن المسيب :فمازالت الحزونة فينا بعده . ترجم عليه باب اسم الحزن ، وذكره أيضا في باب تحويل الاسم إلى اسم أحسن منه .

[و][3] من حديث ابن جريج ، أخبرني عبد الحميد بن جبير بن شيبة قال : جلست إلى سعيد بن المسيب فحدثني أن جده قدم على النبي فقال : ما اسمك ؟ (الحديث بنحو منه) .

وللبخاري ومسلم من حديث أبي غسان حدثني أبو حازم عن سهل بن سعد قال : أُتي بالمنذر بن أبي أُسيد إلى النبي ﷺ حين وُلد فوضعه على فخذه وأبو أسيد جالس ، فلهي النبي ﷺ بشيء بين يديه ، فأتي أبو أسيد بابنه فاحتمل من فخذ النبي ﷺ فأقلبوه[4] ، ....

فقيل : إنه أراد به المارد الخبيث من شياطين الجن ، وقيل ـ: أراد نوعاً من الحيات يقالها لها : الشياطين . ومن ذلك قوله تبارك وتعالى : ﴿ **طلعها كأنها رؤوس الشياطين** ﴾ [الصافات : ٦٥] .
و (الشهاب) : الشعلة من النار ، والنار عقوبة الله سبحانه ، وهي محرقة مهلكة .

(١) وأما (عفرة) : فهي نعت للأرض التي لا تنبت شيئاً ، أخذت من العُفْرة ، وهي : لون الأرض القحلة فسماها خضرة على معنى التفاؤل لتُخضر وتُمرع .
وقوله : (عقرة) : المحفوظ عقرة بالقاف . كأنه كره اسم العقرة ، لأن العاقر هي المرأة التي لا تحمل ، وشجرة عاقر : لا تحمل .

(٢) يقال : هذا ولد رشدة : إذا كان لنكاح صحيح ، كما يقال في ضده : ولد زنية ، بالكسر فيهما ، وقيل بالفتح . (معالم السنن للخطابي) على هامش (سنن أبي داود) جـ٥ ص ٢٤١ وما بعدها ، تعليقاً على الحديث رقم ٤٩٥٦ .

(٣) زيادة للسياق .

(٤) فأقلبوه : أي ردوه وصرفوه في جميع نسخ (صحيح مسلم) فأقلبوه بالألف وأنكره جمهور أهل اللغة والغريب وشراح الحديث وقالوا : صوابه قلبوه بحذف الألف . قالوا : قال : قلبتُ الصبي والشيء صرفته ورددته .

فاستفاق النبي[1] ﷺ فقال : أين الصبي ؟ فقال أبو أسيد : أقلبناه يا رسول الله ، قال ما اسمه ؟ قال : فلان ، قال : لا ، ولكن اسمه المنذر ، فسماه يومئذ المنذر . وذكره البخاري[2] في باب تحويل الاسم إلى اسم أحسن منه ولم يقل : فأقلبوه ، وقال : ولكن اسمه المنذر ، لم يذكر لا .

وخرَّج أبو داود[3] من حديث بشير بن ميمون عن عمه عن أسامة ابن أَخْدَرِيّ أن رجلا يقال له أصرم كان في النفر الذين أتوا رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ ما اسمك ؟ قال [أنا][4] أصرم ، قال : بل أنت زُرْعَة .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة ، أخبرنا يزيد بن المقدام بن شريح عن المقدام بن شريح عن أبيه عن جده هانيء بن شريح أنه ذكر أنه أول ما وفد إلى النبي ﷺ في قومه سمعهم وهو يكنون هاني أبا الحكم ، فدعاه النبي ﷺ فقال : إنه الله هو الحكم وإليه الحكم ، فلم تكن أبا الحكم ؟ فقال : إن قومي إذا اختلفوا في شيء فحكمت بينهم رضى كلا الفريقين ، قال : ما أحسن هذا ، قال : فما لك من الولد ؟ قال : شريح بن هاني وعبد الله ومسلم قال أين أكبرهم ؟ قال : شريح ، قال : أنت أبو شريح ، فدعاه له ولولده ، وسمع القوم وهم يسمون رجلا منهم عبد الحجر فقال : ما اسمك ؟ فقال : عبد الحجر ، فقال : بل أنت عبد الله – وأنه لما حضر خروج القوم إلا بلادهم أعطى كل رجل منهم [ ][5] في بلاده حيث أحب ، إلا أن هانيء قال له : يا رسول الله ، أخبرني بشيء يوجب لي الجنة ، قال : عليك بُحسن الكلام وبذل الطعام . وذكره أبو ادود في باب تغيير الاسم القبيح إلى قوله ـــ: فأنت أبو شريح ، وبعده قال أبو داود : هذا هو الذي كسر السلسلة وهو ممن دخل تستر . وخرَّجه النسائي[6] أيضاً والبخاري في الأدب المفرد[7] .

(١) أي انتبه من شغله وفكره الذي كان فيه والله أعلم (مسلم بشرح النووي) جـ١٤ ص ١٢٨ .
(٢) (صحيح البخاري) جـ٤ ص ٨٠ .
(٣) (سنن أبي داود) جـ٥ ص ٢٣٩ حديث رقم ٤٩٥٤ .
(٤) زيادة من نص (أبي داود) .
وإنما غير اسم (أصرم) لما فيه معنى الصَّرْم وهو القطيعة ، يقال : صرمت الحبل : إذا قطعته ، وصرمت النخلة ، إذا جذذت ثمرها . (معالم السنن للخطابي) جـ٥ ص ٢٤٠ .
(٥) هذه الكلمة غير واضحة في (خ) ، ولعل الصواب ما أثبتناه .
(٦) (سنن النسائي) جـ٨ ص ٣٢٦ باب إذا حكّموا رجلا فقضى بينهم .
(٧) (فضل الله الصمد) جـ٢ ص ٢٨٣ حديث رقم ٨١١ .

وأما قبوله الهدية ومثوبته عليها

فخرج أبو بكر الشافعي من حديث علي بن خشرم قال : حدثنا عيسى ابن يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها ، وقالت عائشة رضي الله عنها لعروة : ابن أختي ! لتنظر إلى الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ قال : قلت : يا خالة ! ما كان يُعيشكم ؟ قالت : الأسودان : التمر والماء ، إلا أنه قد كان لرسول الله جيران من الأنصار وكانت لهم منائح ، فكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقينا . وفي رواية : كانت لم منائح ، وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من ألبانهم فيسقينا .

وخرَّج البخاري من حديث الأعمش عن أبي حازم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : لو دُعيت إلى كراع لأجبت ، ولو أُهدى إليّ ذراع لقبلت .

وأما مشاورته أصحابه

فقال تعالى : ﴿ **فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين** ﴾[1] .

وقد اختلف السلف في المعنى الذي من أجله أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يشاورهم فيه ؛ فقال بعضهم : أمره بمشاورة أصحابه في مكائد الحروب وعند لقاء العدو ، وتطييباً منه بذلك لأنفسهم ، وتألفاً لهم على دينهم ، وليروا أنه يسمع منهم ويستعين بهم ، وإن كان الله تعالى قد أغناه بتدبيره له أموره ، وسياسته إياه وتقويمه أسبابه عنهم ، وإلى هذا ذهب قتادة والربيع وابن إسحٰق والشافعي .

قال قتادة : أمر الله تعالى نبيه أن يشاور أصحابه في الأمور وهو يأتيه وحي السماء ، لأنه أطيب لأنفس القوم ، وإن القوم إذا شاور بعضهم بعضاً وأرادوا بذلك وجه الله ، عزم الله لهم على رَشَده .

وقال الربيع : أمر الله نبيه أن يشاور أصحابه في الأمور وهو يأتيه الوحي من السماء ، لأنه أطيب لأنفسهم .

---

(١) الآية ١٥٩ / آل عمران .

وقال ابن إسحٰق : وشاورهم في الأمر : أي لقولهم أنك تسمع منهم وتستعين بهم ، وإن كنت عنهم غنياً ، تألفهم بذلك على دينهم .

وقال الشافعي ، وكقوله عليه السلام : والبكر تستأمر ، تطييباً لقلبها لأنه واجب .

وقال آخرون : بل أمره الله بمشورتهم في ذلك ليتبين له الرأى وأصوب الأمور في الأمور ، لما علم الله تعالى في المشورة من الفضل . وإلى هذا ذهب الضحاك ابن مزاحم والحسن .

قال الضحاك : ما أمر الله نبيه بالمشورة إلا لما علم فيها من الفضل ، وعن الحسن : ما شاور قوم قطّ إلا هُدُوا لأرشد أمورهم .

وقال آخرون : إنما أمرهُ[1] الله بمشاورة أصحابه مع استغنائه عنهم ، ليتبعه المؤمنون وبعده فيما جدّ لهم من أمر دينهم ، لأنهم إذا تشاوروا في أمر دينهم متبعين الحق في المشورة ، لم يخلهم الله من لطفه وتوفيقه إياهم للصواب من الرأي ، ونظيره قوله تعالى فيما مدح به المؤمنين : ﴿ **وأمرهم شورى بينهم** ﴾[2] .

قال سفيان بن عيينة في قوله : ﴿ **وشاورهم في الأمر** ﴾ : قال : هي للمؤمنين أن يتشاوروا فيما لم يأتهم عن النبي ﷺ فيه أثر .

واختار أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : أن الله تعالى أمر نبيه بمشاورة أصحابه فيما حزبه[3] من أمر عدوِّه ومكائد حربه تألفاً منه بذلك لمن لم يأمن عليه الفتنة ، وتعريفاً لأمته ليقتدوا به في ذلك عند النوازل ، وأما النبي ﷺ فإن الله تعالى كان يعرف مطالب ما جدَّ به من الأمور بوحيه أو إلهامه إياه بالصواب ، وأما أمته إذا تشاوروا مستنين بفعله فإنه تعالى يسددهم[4] .

وقد خرَّج ابن حبان من حديث طلحة بن زيد عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما رأيت رجلاً أكثر استشارة للرجال من

---

(١) في (خ) « أمر الله » .

(٢) الآية ٣٨ / الشورى .

(٣) في (خ) « جذّبه » وما أثبتناه من (الطبري) .

(٤) (جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري) جـ٣ ص ١٥٣ .

رسول الله ﷺ .

وقد ذكرتُ فيما يأتي فصلاً في ذكر من شاوره النبي ﷺ ورجعه إلى رأيه ، فتأمّله ففيه ما لم أره مجموعاً كما أوردته فيه والله أعلم .

وأمَّا مَا يفعله عند نزول المطر

فخرج مسلم من حديث يحيى بن يحيى ، أخبرنا جعفر بن سليمان عن ثابت البُنَانيّ عن أنس قال : أصابنا ونحن مع رسول الله ﷺ مطر ، قال : فحسر النبي ﷺ ثوبه حتى أصابه المطر ، فقلنا : يا رسول الله ! لم صنعت هذا ؟ قال : لأنه حديث عهد بربّه[1] .

وخرَّج ابن حبان من حديث أيوب بن مدرك عن مكحول عن معاوية بن قرة[2] قال : سمعت أبا هريرة يقول : كان رسول الله ﷺ وأصحابه يكشفون رءوسهم في أول مطر يكون من السماء في العام ويقول رسول الله ﷺ : إنه أحدث بربنا وأعظمه بركه .

وخرَّج الحاكم من حديث أبي عامر العقدي حدثنا سليمان بن سفيان المديني ، حدثني بلال[3] بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال قال : اللهم أهلّه علينا باليمن[3] والإيمان والسلامة والإسلام ربي وربك الله[4] .

ومن حديث عفان : حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا أبو مطر عن سالم عن ابن عمر قال : كان رسول الله ﷺ إذا سمع الرعد والصواعق قال : اللهم لا تقتلنا بغضبك ، ولا تهلكنا بعذابك ، وعافنا قبل ذلك . قال : هذا حديث صحيح الإسناد[5] .

---

(١) (مسلم بشرح النووي) جـ٦ ص ١٩٧ .

(٢) في (خ) « قشر » وصوبناها من (تهذيب التهذيب) جـ١٠ ص ٢١٦ ترجمة معاوية بن قرة رقم ٣٩٩ .

(٣) كذا في (خ) ، وفي (المستدرك) « بلال بن يحيى بن طلحة » .

(٣) كذا في (خ) ، وفي (المستدرك) « بالأمن » .

(٤) (المستدرك للحاكم) جـ٤ ص ٢٨٥ .

(٥) (المرجع السابق) جـ٤ ص ٢٨٦ .

وأمَّا احتيَاطُه في نفي التُّهمَة عنه

فخرَّج البخاري ومسلم من حديث أبي سليمان ، أخبرنا شعيب عن الزهري قال : عن [عليّ][1] بن الحسين أن صفية زوج النبي ﷺ أخبرته أنها جاءت إلى النبي ﷺ تزوره في اعتكافه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان ، فتحدثت عنده ساعة ثم قامت تنقلب فقام النبي ﷺ معها يقلبها حتى إذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة ، مرَّ رجلان من الأنصار فسلما على رسول الله ﷺ ، فقال لهما النبي ﷺ : إنها صفية[2] ، فقالا : سبحان الله يا رسول الله ! وكبُر عليهما ، فقال النبي ﷺ إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم ، وإني خشيتُ أن يقذف في قلوبكما شيئاً . ذكره البخاري في الاعتكاف ، وترجم عليه باب : هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد ؟. وذكره مسلم في كتاب الأدب ، وذكره البخاري في كتاب الخمس في باب : ما جاء في بيوت أزواج النبي[3] ﷺ من حديث عبد الرحمن بن خالد عن شهاب بنحوه ، وفيه : فسَلَّما على رسول الله ﷺ ثم نفذا فقال : على رسلكما ، قالا : سبحان الله ! الحديث . وذكره في كتاب الأدب في باب التكبير والتسبيح عند التعجب ، من حديث أبي اليمان عن شعيب ، ومن حديث محمد بن أبي عتيق كلاهما عن ابن شهاب ، وذكره في الاعتكاف باختلاف ألفاظ .

وأمَّا مَا يفعله إذا وَرَد عليه ما يَسُرُّه

فخرَّج أبو داود[4] في سننه وفي كتاب الجهاد عن مخلد بن خالد ، وخرَّج أبو عيسى الترمذي[5] في السِّيَر من جامعه عن محمد بن المثنى ، وخرَّج ابن ماجة[6] عن عبدة بن عبد الله وأحمد بن يوسف ؛ أربعتهم عن أبي عاصم الضحاك

---

(١) زيادة من رواية البخاري جـ١ ص ٣٤٦ .

(٢) في (البخاري) « صفية بنت حُيَي » .

(٣) (صحيح البخاري) جـ٢ ص ١٨٨ .
وخرجه الإمام أحمد في (المسند) من حديث أم المؤمنين صفية بنت حيي رضي الله عنها جـ٦ ص ٣٣٧ ، و (مسلم) جـ١٤ ص ١٥٥ ، ١٥٦ .

(٤) (سنن أبي داود) جـ٣ ص ٢١٦ حديث رقم ٢٧٧٤ .

(٥) (الجامع الصحيح للترمذي) جـ٣ ص ٦٩ حديث رقم ١٦٢٦ .

(٦) (سنن ابن ماجة) جـ١ ص ٤٤٦ حديث رقم ١٣٩٤ وفيه قال : «حدثنا أبو عاصم عن بكار

ابن مخلد الشيباني النبيل[1] عن أبي بكرة بكار بن عبد العزيز بن أبي بكرة عن أبيه عن بكرة رضي الله عنه آن رسول الله ﷺ كان إذا أتاه أمر يسرُّه أو بُشِّر به خرَّ ساجداً . وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث بكار بن عبد العزيز ، والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم رأوا سجدة الشكر . انتهى .

وذكره أبو بكر البزار في مسنده قال : حدثنا عمرو بن علّي ، حدثنا أبو عاصم بهذا الإسناد أن رسول الله ﷺ سُرَّ بأمر بُشِّر به فخرَّ ساجداً .

وذكر يونس بن بكير عن عنبسة بن الأزهر عن ابن إسحٰق قال : لما جاء رسول الله ﷺ البشير يوم بدر بقتل أبي جهل ، استحلفه ثلاثة أيمان بالله الذي لا إلٓه إلا هو لقد رأيته قتيلاً فحلف له ، فَخرَّ رسول الله ﷺ ساجداً ، أو قد جاء أنه ﷺ صلى لما بُشِّر بقتله [ركع][2] ركعتين . وجاء من طريق ابن لهيعة : حدثني موسى ابن وردان العامري عن أبي هريرة قال : رأى رسول الله ﷺ مُقْعَداً فخرّ ساجداً .

وأمّا ظهور الرضى والغضب في وجهه

فخرَّج ابن حبان من حديث ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن كعب عن عمه عن عبد الله بن كعب عن كعب بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ إذا سرَّه الأمر استنار وجهه كأنه دارةُ القمرة .

وله من حديث الليث عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل عليّ رسول الله ﷺ مسروراً تبرق أسارير وجهه .

وله من حديث جامع بن أبي راشد عن مُنْذِر الثوري عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا سَرَّهُ الأمر استنار وجهه .

وخرَّج الحاكم من حديث أبي همام محمد بن حبيب ، حدثنا سفيان الثوري ، حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال : كان رسول الله ﷺ

= ابن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي بكرة عن أبيه ... » .

(١) هذه الكلمة غير واضحة في (خ) وأثبتناها من (تهذيب التهذيب) ج١٢ ص ١٤٣ .

(٢) زيادة للسياق .

إذا ذكر الساعة احمَّرتْ وجنتاه واشتد غضبه وعلا صوته ، كأنه منذر جيش صبحتكم مساتكم ، قال الحاكم : حديث صحيح على شرط الشيخين .

وخرَّج ابن حبان وله من حديث قتادة عن أبي السوار عن عمران بن حصين قال : كان النبي ﷺ إذا كره شيئاً عُرف في وجهه .

وله من حديث عبد الله بن إدريس عن محمد بن عمرو بن علقمة عن يحيى ابن عبد الرحمن بن حاطب عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا اشتد وجده أكثر من مسّ لحيته .

وخرَّج الحاكم من حديث يزيد بن هارون ، أخبرنا محمد بن إسحاق عن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده قال : قلت : يا رسول الله ، أتأذن لي فأكتب ما أسمع منك ؟ قال : نعم ، قلت : في الرضى والغضب ؟ قال : نعم ، فإنه لا ينبغي أن أقول عند الرضى والغضب إلا حقاً . قال الحاكم : صحيح الإسناد[1] .

وأما مُخَالطته الناس وحذره واحتراسه منهم وتفقده أصحابه

ففي حديث هند بن أبي هالة : كان رسول الله ﷺ يحرز لسانه إلا مما يعنيهم ويؤلفهم ولا ينفرهم ، ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ، ويحذر الناس ، ويحترس منهم من غير أن يطوي على أحد بشره ولا خلقه ، يتفقد أصحابه ويسأل الناس عما في الناس .

وفي حديث علي رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ أجود الناس وأصدقهم لهجة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشرة ، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه[2] .

وخرَّج الإمام أحمد من حديث همام : حدثنا رجل من الأنصار أن أبا بكر بن عبد الله بن قيس حدثه أن أباه حدثه أن رسول الله ﷺ كان يكثر زيارة الأنصار خاصة وعامة ، وكان إذا زار خاصة أتى الرجل في منزله ، وإذا زار عامة أتى المسجد .

---

(١) (المستدرك على الصحيحين) جـ١ ص ١٠٥ .

(٢) في (خ) بعد قوله « أحبه » عبارة «يمينه إذا حلف» وحذفناها لبعدها عن السياق ولعلها سهو من الناسخ .

وأمَّا يمينه إذا حلف

فخرَّج البخاري من حديث موسى بن عقبة عن سالم عن ابن عمر رضي الله عنه قال : كانت يمين النبي ﷺ لا ومقلب القلوب .

وخرَّج من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال : يا أمة محمد ! لو تعلمون ما أعلم لبكيتُم كثيراً ولضحكم قليلاً . وهو مما اتفقا عليه[1] .

وخرَّجا من حديث إسماعيل بن جعفر عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال : بعث النبي ﷺ بعثاً وأمَّر عليهم أسامة بن زيد ، فطعن بعض الناس في إمارته ، فقال النبي ﷺ : إن تطعنوا في إمارته ، فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل ، وأيم الله إن كان لخليقاً للإمارة ، وإن كان لمن أحب الناس إليّ ، وإن هذا لمن أحب الناس إليَّ بعده . اللفظ للبخاري وقد كرره في مواضع .

وقد أورد البخاري رحمه الله في باب كيف كانت يمين النبي ﷺ جملة من الأحاديث ، منها يمينه : والذي نفسي بيده ، وبوالذي نفس محمد بيده : ولبقيّ ابن مخلد من حديث حماد بن خالد عن محمد بن هلال عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كانت يمين رسول الله ﷺ لا وأستغفر الله

وأمَّا قوله إذا أراد القيام من مجلسه

فخرَّج أبو داود من حديث الحجاج بن دينار عن أبي هاشم عن أبي العالية عن أبي برزة قال : كان رسول الله ﷺ يقول بآخرة إذا أراد أن يقوم من المجلس : سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك . فقال رجل : يا رسول الله ، إنك لتقول قولاً ما كنت تقوله فيما ما مضى ، قال : كفارة لما يكون في المجلس . وخرَّجه النسَّائي بنحو أو قريب منه .

والنسائي من حديث الليث عن ابن الهاد عن يحي بن سعيد عن زرارة عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس إلا قال : لا إله

---

(١) يعني البخاري ومسلم .

إلا أنت استغفرك وأتوب إليك ، فقلت : يا رسول الله ! ما أكثر ما تقول هؤلاء الكلمات إذا قمت ! قال : لا يقولهن أحد حين يقوم من مجلسه إلا غُفر له ما كان في ذلك المجلس . وفي لفظ له : قالت : كان رسول الله ﷺ إذا قام من مجلس يكثر أن يقول : سبحانك اللهم وبحمدك ، وساق الحديث بنحوه .

فصل في ذكر زهد رسول الله ﷺ في الدنيا وإعراضه عنها وصبره على القوت الشديد فيها واقتناعه باليسير منها وأنه كان لا يدخر إلَّا قُوتَ أهله ، وصفة عيشه ، وأنه اختار الله والدار الآخرة

قال الله جل جلاله : ﴿ **ولا تَمُدَّن عينك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيها ورزق ربك خير وأبقى** ﴾[1] .

وأما زهده في الدنيا وإعراضه[2] عنها

فقد[3] روى أنه عليه السلام خُيِّر بين أن يكون عبداً نبياً وبين أن يكون ملكاً نبياً ، فاستشار فيه جبريل عليه السلام فأشار عليه بأن يتواضع ، فاختار أن يكون عبداً نبياً .

وخرَّج يعقوب بن سفيان الفسوى ، من حديث بقية بن الوليد ، عن الزبيدي عن الزهري ، عن محمد بن عبد الله بن عباس قال : كان ابن عباس رضي الله عنه يتحدث أن الله عزَّ وجلَّ أرسل إلى نبيه مَلكا من الملائكة معه جبريل عليه السلام ، فقال الملك لرسول الله ﷺ : إن الله يخيرك بين أن تكون عبداً نبياً ، وبين أن تكون ملكاً نبياً ، فالتفت نبي الله ﷺ إلى جبريل عليه السلام كالمستشير له ، فأشار جبريل إلى رسول الله ﷺ أن تواضع ، فقال رسول الله ﷺ : بل أكون عبداً نبياً ، قال : فما أكل بعد تلك الكلمة طعاماً متكئاً حتى لقى ربه عزَّ وجلَّ[4] .

---

(١) الآية ١٣١ / طه .
(٢) في (خ) « وإعراضها » .
(٣) في (خ) « وقد » .
(٤) سبق تخريج هذا الحديث .

وقال عمر بن الخطاب : رضي الله عنه في حديث اعتزال رسول الله ﷺ نساءه : فدخلت على رسول الله ﷺ في خزانته ، فإذا هو مضطجع على حصير ، فأدني عليه إزاره وجلس ، وإذا الحصير أثَّرتْ بجنبه ، وقلّبتُ عيني في خزانة رسول الله ﷺ فإذا ليس فيها شيء من الدنيا غير قبضتين - أو قال قبضة - من شعير ، وقبضة من قرظ نحو الصاعين ، وإذا أفيق أو أفيقان معلقان ، فابتدرت عيناي ، قال : ما يبكيك يا ابن الخطاب ؟ قلت : يا رسول الله ! ومالي لا أبكي وأنت صفوة الله ورسوله ، وخيرته من خلقه ، وهذه خزانتك ، وهذه الأعاجم كسرى وقيصر ، في الثمار والأنهار ، وأنت هكذا ؟ قال : يا ابن الخطاب ، أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا ؟ قلت : بلى يا رسول الله ، قال : فاحمد الله . وذكر الحديث .

وفي لفظ قال : فجلستُ فرفعت رأسي في البيت ، فوالله ما رأيت فيه شيئاً يرد البصر إلا أُهُب ثلاثة ، فقلتُ : أُدع الله يا رسول الله أن يوسع على أمتك ، فقد وسَّع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله ، فاستوى جالساً فقال : أفي شك يا ابن الخطاب ؟ أولئك عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا ، فقلتُ : أستغفر الله يا رسول الله .

وفي رواية أنس : دخلت على رسول الله ﷺ وهو على سرير مرمول بالشريط ، وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف ، ودخل عليه عُمَرُ وناس من أصحابه ، فانحرف النبي ﷺ انحرافة ، فرأى عمر - رضي الله عنه - أثر الشريط في جنبه فبكى ، فقال له : ما يبكيك يا عمر ؟ فقال عمر : ومالي لا أبكي وكسرى وقيصر يعيشان فيما يعيشان فيه من الدنيا ، وأنت على الحال التي أرى ؟ فقال له النبي ﷺ : يا عمر ! أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ؟ قال : بلى ، قال : هو كذلك .

ولأبي داود من حديث عمرو بن مرة عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : اضطجع النبي ﷺ على حصير فأثر الحصير بجلده ، فجعلت أمسحه عنه وأقول : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، ألا آذنتنا فنبسط لك شيئاً يقيك منه تنام عليه ؟ فقال : مالى وللدنيا ؟ ما أنا والدنيا ؟ إنما أنا والدنيا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها .

وخرَّجه الترمذي بهذا السند ولفظه : نام رسول الله على حصير فقام وقد أثّر

في جنبه ، فقلنا يا رسول الله ! لو اتخذنا لك ؟ فقال : مالى والدنيا ؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها . قال : هذا حديث حسن صحيح[1] .

وخرَّجه الحاكم من حديث ثابت بن زيد : حدثنا هلال بن خباب[2] عن عكرمة عن ابن عباس ، ومن حديث عمرو بن مرة كما تقدم وصححاه .

وخرَّج ابن حبان من طريق أبي حسين الجعفي عن فضيل بن عياض عن مطرح ابن يزيد عن عبيد الله بن زحر عن القثم عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ عرض عليّ ربي بطحاء مكة ذهباً فقلت : لا يارب ، ولكن أجوع يوماً وأشبع يوماً ، فإذا شبعت حمدتك وشكرتك ، وإذا جعت تضرعت إليك ودعوتك[3] .

وله من حديث محمد بن حمير عن الزارع بن نافع عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها قالت : اتخذتُ لرسول الله ﷺ فراشين حشوهما ليف وإذخر فقال : يا عائشة ! مالى والدنيا ؟ إنما أنا والدنيا كراكب استظل تحت شجرة في أصلها ، حتى إذا فاء الفيء ارتحل فلم يرجع إليها أبداً .

وخرَّج الإمام أحمد من حديث مالك بن مغول عن مقاتل بن بشير عن شريح ابن هانيء قال : سألت عائشة عن صلاة رسول الله قالت : لم تكن صلاة أحرى أن يؤخرها إذا كان على حدث من صلاة العشاء الآخرة ، وما صلاها قط فدخل عليّ إلّا صلّى بعدها أربعاً أو ستاً ، وما رأيته متقى الأرض بشيء قط [ولقد مُطرنا مرة بالليل فطرحنا له نطعاً ، فكأني أنظر إلى ثقب فيه ينبع الماء منه][4] .

وله من حديث ابن لهيعة عن الأسود عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت : ما أعجب رسول الله شيئاً من الدنيا ولا أعجبه أحد قط إلا ذو تقى . وفي رواية : ولا أعجبه شيء من الدنيا إلا أن يكون فيها ذو تقى . وله من حديث مروان بن معاوية قال : أخبرني هلال بن يزيد أبو يعلي قال : سمعت أنس بن مالك يقول :

---

(١) (الجامع الصحيح للترمذي) جـ٤ ص ١٧ حديث رقم ٢٤٨٣ .

(٢) في (خ) « حباب » ، والتصويب من (الجرح والتعديل) جـ٩ ص ٧٥ ترجمة رقم ٢٩٤ .

(٣) ونحوه في المرجع السابق باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه حديث رقم ٢٤٥١ .

(٤) ما بين القوسين تكملة من (سنن أبي داود) جـ٢ ص ٧١ حديث رقم ١٣٠٣ .

أُهْدِيَت لرسول الله ﷺ ثلاثة طوائر ، فأطعم خادمه طائراً ،فلما كان من الغد أتيته به فقال لها : ألم أنهك أن ترفعي شيئاً لغد ؟ فإن الله يأتي برزق كل غد[1] .

وروي بكر بن مُضر عن أبي هاني عن علي بن رباح أنه سمع عمرو بن العاص وهو على المنبر يقول : ما أبعد هديكم من هدي نبيكم ؛ أما هو فكان أزهد الناس في الدنيا ، وأما أنتم فأرغب الناس فيها .

ولأبي نعيم من حديث الفضيل بن عياض ، أخبرنا سفيان الثوري عن عون ابن أبي جحيفة عن أبيه أن معاوية ضرب على الناس بعثاً فخرجوا ، فرجع أبو الدحداح فقال له معاوية : ألم تكن خرجت مع الناس ؟ قال : بلى ، ولكني سمعت من رسول الله حديثاً فأحببت أن أضعه عندك مخافة أن لا تلقاني ، سمعتُ [من][2] رسول الله ﷺ يقول : يا أيها الناس من ولى منكم عملاً فحجب بابه عن ذي الحاجة المسلم[3] حجبه الله أن يلج باب الجنة ، ومن كانت الدنيا نهمته حرَّم الله عليه جِواري ، فإني بُعثت بخراب الدنيا ولم أُبعث بعمارتها[4] .

وأما صبره على القوت الشديد وقنعه من الدنيا بالشيء اليسير

فخرَّج البخاري من حديث عمارة عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : اللهم ارزق آل محمد قوتاً . ذكره في باب كيف كان عيش النبي ﷺ[5] .

وخرَّجه عنه مسلم بمثله في كتاب الأدب . وفي رواية : اللهم ارزق آل محمد قوتاً ، وفي رواية : اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً ، وفي رواية : اللهم اجعل رزق آل محمد كفافاً . وقال محمد بن دينار الأزدي عن هشام بن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما رفع رسول الله ﷺ قط عشاء الغداء ولا غداء العشاء ، ولا اتخذ من شيء زوجين ؛ لا قميصين ولا رداءين ولا إزارين ولا من النعال ، ولا

---

(١) (مسند أحمد) جـ٣ ص ١٩٨ .
(٢) زيادة من (الحلية) .
(٣) في الحلية « للمسلمين » .
(٤) (حلية الأولياء لأبي نعيم) جـ٨ ص ١٣٠ .
(٥) (صحيح البخاري) جـ٤ ص ١٢٣ .

رُؤي قط فارغاً في بيته ؛ إما يخصف نعلاً لرجل مسكين ، أو يخيط ثوباً لأرملة .

وخرَّج البخاري من حديث عبد الرزَّاق عن معمر عن همام سمع أبا أهرير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : لو كان عندي أُحُد ذهباً لأحببتُ أن لا تأتي ثلاث وعندي منه دينار ، ليس شيء أرصده في دين عليَّ أَجِدُ من يقبله . ذكره في كتاب التمني في باب تمني الخير[1] .

وخرَّج في كتاب الرقاق من حديث يونس عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله ، قال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ : لو كان لي مثل أحد ذهباً لسرَّني ألا تمرّ عليّ ثلاث ليالٍ وعندي منه شيء إلا شيء أرصده لدين . وذكره في كتاب الاستقراض في باب أداء الدين ، قال بعقبه : رواه صالح وعقيل عن الزهري .

وذكر في الرقاق حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ : ما يَسرُّني أن عندي بمثل أُحد ذهباً تمضي عليّ ثلاثة وعندي منه دينار إلا شيء أرصده لدَيْني .

وخرَّجه مسلم من طُرق ، وخرَّجه الإمام أحمد أيضاً ، ولأحمد من حديث الأعمش عن شقيق[2] ، عن مسروق عن عائشة قالت : ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ، ولا شاةً ولا بعيراً ، ولا أوصى بشيء .

ولابن سعيد من حديث الأعمش عن عمرو بن عمر ، عن أبي نصر ، سمعتُ عائشة تقول : إني لجالسة مع رسول الله ﷺ في البيت ، فأهدى لنا أبو بكر رجل شاة ، فإنى لأقطعها مع رسول الله في ظلمة البيت ، فقال لها قائل : يا محمد ! ألكم سراج ؟ فقالت : لو كان لنا ما يُسرج به أكلناه .

وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : لقد أُخِفْتُ في الله ولا أخاف أحد ، ولقد أوذيتُ في الله وما يؤذي[3] أحد ، ولقد أتت عليَّ ما بين ثلاثين من يوم وليلة ، مالي طعام آكله إلا شيء يواريه إبط بلال . خرجه ابن حبان في صحيحه .

---

(١) (المرجع السابق) ص ٢٤٩ .

(٢) هذه الكلمة غير واضحة في (خ) وأثبتناها من (المسند) .

(٣) في (خ) « يؤذا » ..

وخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه ، حدثنا وكيع عن حماد عن ثابت عن أنس ، قال : قال رسول الله ﷺ : لقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد ، ولقد أخفت في الله وما نخاف أحد ، ولقد أتت عليّ ثلاثة ما بين يوم وليلة ما لي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا ما والاه إبط بلال .

وأما أنه لا يدّخر إلّا قوت أهله

فخرج ابن حبان من حديث قيس بن حفص ، أخبرنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ لا يدخر شيئاً .

وخرَّج البخاري من حديث عمر بن سعيد قال : أخبرني ابن أبي مليكة عن عقبة قال : صليت وراء النبي ﷺ بالمدينة العصر ، فسلم فقام مُسرعاً فتخطى رقاب الناس إلى بعض حجر نسائه ، ففزع الناس من سرعته ، فخرج عليهم فرأى أنهم عجبوا من سرعته فقال : ذكرتُ شيئاً من تبرٍ عندنا فكرهت أن يحبسني فأمرت بقسمته .

وفي حديث رَوْحٍ فقال : ذكرت وأنا في الصلاة تبراً عندنا ، فكرهتُ أن يُمْسِيَ أو يبيت عندنا ، فأمرت بقسمته [1] . ذكره في كتاب الصلاة في باب يُفْكِرُ الرجل [2] [في] [3] الشيء في الصلاة ، وذكره في كتاب الزكاة في باب من أحب تعجيل الصدقَة من يومها ولفظه : فقال : كنت خلفت في البيت تبراً من الصدقة ،

---

(١) الحديث رقم (١٢٢١) : « حدثنا إسحاق بن منصور ، حدثنا روح ، حدثنا عمر – هو ابن سعيد – قال : أخبرني ابن أبي مُليكة عن عقبة بن الحارث رضي الله عنه قال : صليتُ مع النبي ﷺ العصر ، فلما سلَّم قام سريعاً دخل على بعض نسائه ، ثم خرج ورآى ما في وجوه القوم من تعجبهم لسرعته ، فقال : ذكرتُ – وأنا في الصلاة – تبراً عندنا ، فكرهت أن يُمْسي أو يبيت عندنا ، فأمرتُ بقسمته » (فتح الباري) جـ ٣ ص ١١٥ .

(٢) والتقييد بالرجل لا مفهوم له ، لأن بقية المُكَلَّفين في حكم ذلك سواء ، قال المهلب : التفكر أمر غالب لا يمكن الاحتراز منه في الصلاة ولا في غيرها ، لما جعل الله للشيطان من السبيل على الإنسان ، ولكن يفترق الحال في ذلك ، فإن كان في أمر الآخرة والدين ، كان أخفَّ مما يكون في أمر الدنيا . (المرجع السابق) ص ١٢١ .

(٣) كذا في (خ) ، وفي (البخاري) بدونها – وروح : هو روح بن عبادة بن العلاء بن حسان القيسي أبو محمد البصري . (تهذيب التهذيب) جـ ٣ ص ٢٥٣ .

فكرهت أن أبيته فقسمته[1] ، وذكره في كتاب الاستئذان في باب من أسرع في مشيه لحاجة [أو قصد][2] .

وخرَّج تقي بن مخلد من حديث محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ في وجعه الذي مات فيه : ما فعلت تلك الذّهب ؟ قالت : هي عندنا ، قال : آتيني بها - وهي بين السبعة والخمسة - فجعلها في كفه ثم قال : ما ظن محمد بالله لو لقي ربه وهذه عنده ؟ أنفقيها[3] .

وخرَّجه الإمام أحمد من حديث محمد بن عمرو ، قال : حدثني أبو سلمة قال قالت عائشة رضي الله عنها : قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه : ما

---

(١) الحديث رقم (١٤٣٠) : « حدثنا أبو عاصم ، عن عمر بن سعيد ، عن ابن أبي مليكة ، أن عقبة بن الحارث رضي الله عنه حدّثه قال : « صلى بنا النبي ﷺ العصر فأسرع ، ثم دخل البيت ، فلم يلبث أن خرج ، فقلتُ : أو قيل - له فقال : كنتُ خلَّفْتُ في البيت تِبْراً من الصدقة، فكرهتُ أن أُبَيِّتَهُ فقَسمْتُه » . (فتح الباري) جـ ٣ ص ٣٨١ .

قوله : « أن أُبَيِّتَهُ » أي أتركه حتى يدخل عليه الليل ، يقال : بات الرجل : دخل في الليل ، وبَيَّتَهُ : تركه حتى دخل في الليل .

قال ابن بطال : فيه أن الخير ينبغي أن يبادر به ، فإن الآفات تعرض ، والموانع تمنع ، والموتُ لا يؤمن ، والتسويف غير محمود .

زاد غيره : وهو أخلص للذمة ، وأنفى للحاجة ، وأبعد من المطل المذموم ، وأرضى للرب ، وأمحى للذنب . (المرجع السابق) ص ٣٨٢ .

(٢) زيادة من البخاري ، والحديث رقم (٦٢٧٥) : « حدثنا أبو عاصم عن عمر بن سعيد ، عن ابن أبي مُليكة أن عقبة بن الحارث حدَّثه قال : صلى النبي ﷺ العصر ، فأسرع ثم دخل البيت » (فتح الباري) جـ ١١ ص ٧٩ .

(٣) ذكره ابن حبان في كتاب الرقاق ، باب الفقر والزهد والقناعة ، وعَنْوَنَ له : ذكر ما يُستحب للمرء أن يكون خروجه من هذه الدنيا الفانية الزائلة وهو صفر اليدين ممَّا يُحاسب عليه مما في عنقه، حديث رقم (٧١٥) : أخبرنا اسماعيل بن داود بن وردان بالفسطاط ، حدثنا عيسى بن حماد ، أخبرنا الليث ، عن ابن عجلان ، عن أبي حازم ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن عائشة أنها قالت : اشتدّ وجع رسول الله ﷺ ، وعنده سبعة دنانير أو تسعة ، فقال : « يا عائشة ، ما فعلت تلكَ الذهب » ؟؟ فقلت : هي عندي ، قال : « تَصَدَّقي بها » قالت : فشغلتُ به ثم قال : « يا عائشة ، ما فعلت تلك الذهب » ؟ فقلت : هي عندي ، فقال : « ائتني بها » ، قالت : « فجئت بها ، فوضعها في كفه ، ثم قال : « ما ظن محمد أن لو لقى الله وهذه عنده ؟ ما ظن محمد أن لو لقى الله وهذه عنده » ؟ هذا الحديث إسناده حسن ، وابن عجلان صدوق ، روى له مسلم متابعة ، وباقي رجاله على شرط الصحيح . (الإحسان) جـ ٢ ص ٤٩١ - ٤٩٢ .

فعلت بالذهب ؟ فجاءت ما بين الخمسة إلى السبعة أو الثمانية أو التسعة ، فجعل يقلبها بيده ويقول : ما ظن محمد بالله لو لقيه وهذه عنده ؟ أنفقيها[1] .

ولأبي ذر عبد بن أحمد الهروي من حديث مفضل بن صالح قال : حدثني سليمان الأعمش عن طلحة بن مصرف الهمداني عن مسروق عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : أطعمنا يا بلال ، قال : يا رسول الله ! ما عندي إلا صُبَرَ من تمر خبأته لك ، قال : أما تخشى أن يخسف الله به في نار جهنم ، أنفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالاً[2] .

---

(١) (مسند أحمد) جـ ٧ ص ٧٤ ، حديث رقم (٢٣٧٠٢) ، وص (٢٦١ ، حديث رقم ٢٤٩٦٤) .

(٢) الطبراني في الكبير ، والبزار في مسنده ، من حديث عاصم بن علي ، والطبراني فقط ، وكذا القضاعي في مسنده ، من حديث مالك بن إسماعيل كلاهما عن قيس بن الربيع ، عن أبي حُصين ، عن يحيى بن وثاب ، عن مسروق ، عن ابن مسعود ، قال : دخل النبي ﷺ على بلال وعنده صبر من تمر ، فقال : « ما هذا يا بلال ؟ » قال : يا رسول الله ذَخَرْتُه لله ، ولضيفانك ، قال : « أما تخشى أن يفور لها بخار من جهنم ، أنفق يا بلال » ، وذكره ، قال البزار : هكذا رواه جماعة عن قيس ، وخالفهم يحيى بن كثير عنه ، فقال : عن عائشة بدل ابن مسعود .

وتابعه طلحة بن مصرف ، عن مسروق ، عن عائشة ؟ أخرجه العسكري في (الأمثال) ، من طريق مفضل بن صالح ، عن الأعمش ، عن طلحة به ، ولفظهما قالت : قال رسول الله ﷺ : « أطعمنا يا بلال » فقال : يا رسول الله ما عندي إلا صبر تمر خبأته لك فقال : « أما تخشى أن يقذف به في نار جهنم ، أنفق يا بلال ، ولا تخش من ذي العرش إقلالاً » .

وقيل عن مسروق ، عن بلال ، أخرجه البزار من طريق محمد بن الحسن الأسدي ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مَسْروق ، عن بلال ، ولفظه : دخل النبي ﷺ وعنده صبر من المال . فقال : « انفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالاً » .

ومن هذا الوجه ، أخرجه الطبراني ، بلفظ: « أنفق يا بلال » .

وقال البزار : لم يقل عن بلال إلا محمد بن الحسن ، وقيل : عن مسروق مرسلاً بدون صحابي .

وفي الباب عن أبي هريرة ، أخرجه البزار ، من حديث موسى بن داود ، عن مبارك بن فضالة ، عن يونس بن عبيد ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ دخل على بلال وعنده صبر من تمر ، فقال : « ما هذا ؟ » قال : أدخره ، فقال : « أما تخشى أن يُرى له بخار في نار جهنم ، أنفق يا بلال ، ولا تخشى من ذي العرش إقلالاً » وقال : تفرد به مبارك » وكذا أخرجه الطبراني في الكبير ، من حديث موسى بن داود ، وإسناده حسن . ولكن خولف مبارك ، فرواه بشر بن المفضل ، ويزيد بن زريع ، كلاهما عن يونس مرسلاً بدون أبي هريرة ، وكذلك اختلف على عوف بن أبي جميلة في وصله وإرساله .

وقال الزهري عن مالك بن أوس بن الحدثان عن عمر رضي الله عنه قال : كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، وكانت لرسول الله ﷺ خاصة ، فكان ينفق على أهله منها نفقة سنة ، وما بقي جعله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله (١) .

وقال وكيع عن ابن عيينة قال : قال لي معمر : قال لي الثوري : هل سمعت في الرجل يجمع لأهله قوت سنتهم أو بعض سنتهم ؟ قال معمر : فلم يحضرني ، ثم ذكرت حديثاً حدثناه الزهري عن مالك بن أوس عن عمر أن النبي ﷺ نحل بني النضير ، ويحبس لأهله قوت سنتهم . هذا الحديث والذي قبله واحد ، وهو متفق عليه ، وبهذا تبين أنه ﷺ كان يعطي نفقاتهم ولا يدخر لنفسه.

وأما صفة عيشه وعيش أهله(٢)

فقال الأسود عن عائشة رضي الله عنها : ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة ثلاثة أيام تباعاً من خبز بُرٍ حتى مضى إلى سبيله .

فأخرجه البيهقي في (الشُعَب) من حديث عثمان بن الهيثم ، حدثنا عوف ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ دخل على بلال وعنده صبر من تمر ، فقال : « ما هذا يا بلال ؟ » قال : تمر ذخرته ، فقال : « أما تخشى يا بلال أن يكون له بخار في نار جهنم ، أنفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالاً » ، قال : وخالفه روح بن عبادة ، فرواه عن عوف ، عن ابن سيرين ، قال : دخل رسول الله ﷺ على بلال فوجد عنده تمر ادخره ، فذكره مُرسلاً ، ثم ساقه كذلك .

وكذا اختلف فيه على ابن عون ، فقال معاذ بن معاذ ، ومحمد بن أبي عدي عنه عن ابن سيرين مرسلاً ، وأخرجه الطبراني ، والبيهقي في (الدلائل) ، من حديث بكار بن محمد السيريني ، حدثنا ابن عون به متصلاً ، فلفظ البيهقي : « أنفق بلال » ، ولفظ الآخر : « أنفق يا بلال » .

ولم يُختلف على هشام بن حسان ، في وصله ، فأخرجه أبو يعلي ، والطبراني ، من حديث حرب بن ميمون ، حدثنا هشام فقط ، فلفظ أبي يعلي : « أنفق يا بلال ، ولا تخافَنَّ من ذي العرش إقلالاً » ، ولفظ الطبراني : « ولا تخش » .

وما يُحكى على لسان كثيرين في لفظ هذا الحديث ، وأنه بلالاً ، ويتكلفون في توجيهه لكونه نهياً عن المنع وبغير ذلك ، فشيء لم أقف له على أصل .

(١) (المغازي) جـ ١ ص ٣٧٨ .

(٢) (صحيح سنن ابن ماجه) باب رقم (٤٨) باب خبز البّر ، وباب رقم (٤٩) باب خبز الشعير ، وفيهما الأحاديث :

(٣٣٤٣) : عن أبي هريرة أنه قال : والذي نفسي بيده ، ما شبع نبي الله ثلاثة أيام تباعاً من خبز الحنطة حتى توفاه الله عز وجل .

وفي رواية : ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة ثلاث ليال تباعاً من خُبزِ بُرٍ حتى توفى . وفي لفظ : ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعاً حتى مضى لسبيله . وفي لفظ : ما شبع آل محمد من خبزِ شعيرٍ يومين متتابعين حتى قبض ﷺ .

وقال عبد الرحمن بن عائش عن أبيه عن عائشة قالت : ما شبع آل محمد من خبز مأدوم ثلاثة أيام حتى لحق بالله ، وفي لفظ : ما شبع آل محمد من خبز بُر فوق ثلاث .

وقال هلال عن عروة عن عائشة قالت : ما أكل محمد أكلتين في يوم إلا إحداهما تمر . وفي لفظ : ما شبع آل محمد يومين من خبز بُر إلا إحداهما تمر [(1)] .

وقال ابن قسيط عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت : لقد مات رسول الله ﷺ وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين .

وقال منصور بن عبد الرحمن عن أمه عن عائشة : تُوفّي النبي ﷺ حين شبعنا من الأسودين التمر والماء . وفي لفظ : وما شبعنا من الأسودين . وقال عكرمة عن عائشة قالت : لما فتحت خيبر قلنا : الآن نشبع من التمر .

وقال أبو حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : والذي نفسي بيده ، ما شبع آل محمد من طعام ثلاثة أيام حتى قبض . وفي لفظ : ما أشبع رسول الله ﷺ وأهله ثلاثة أيام تباعاً من خبز حنطة حتى فارق الدنيا .

وخرّج ابن عساكر من حديث حماد عن إبراهيم عن عائشة أنها قالت : ما شبع

(٣٣٤٤) : عن عائشة ، قالت : ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدموا المدينة ثلاث ليالٍ تباعاً من خُبز بُرّ حتى توفي ﷺ .

(٣٣٤٥) : عن عائشة قالت : لقد توفي النبيُّ ﷺ وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رفّ لي . فأكلت منه حتى طال عليّ ، فَكِلْتُهُ ففنى .

(٣٣٤٦) : عن عائشة قالت : ما شبع آل محمد ﷺ من خُبز الشعير حتى قُبض .

(٣٣٤٧) : عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله ﷺ يبيتُ الليالي المتتابعة طاوياً ، وأهله لا يجدون العشاء ، وكان عامة خبزهم خبز الشعير . ونحوه (مسند أحمد) جـ ٦ ص ٢٥٥ ، حديث رقم (٢٥٦٤٤) .

(١) (المستدرك) جـ ٤ ص ١٠٦ ، ولفظه : « ما أكل آل محمد ﷺ في يوم أكلتين إلا إحدهما تمر » وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

آل محمد ثلاثة أيام متتابعات من خبز البُرّ حتى ذاق محمد ﷺ الموت ، وما زالت الدنيا علينا عَسِرة حتى مات ﷺ ، فلما مات انصبّت الدنيا علينا صباً[1] .

---

(١) عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان يأتي علينا الشهر ما نوقد فيه ناراً ، إنما هو التمر والماء ، إلا أن يُؤتى باللُّحَيْم » ، وفي رواية قالت : « ما شبع آل محمد من خُبز البر ثلاثاً حتى مضى لسبيله » ، وفي أخرى قالت : « ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام ثلاث ليال تباعاً حتى قُبض » ، وفي أخرى : « ما شبع آل محمد من خبز شعير يومين متتابعين حتى قُبض رسول الله ﷺ » .

وفي أخرى قالت : « ما أكل آل محمد أكلتين في يوم واحد إلا وإحداهما تمر » وفي أخرى كانت تقول لعروة : « والله يا ابن أختي ، إن كنا لننظر إلى الهلال ، ثم الهلال ، ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين – وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار ، قال : قلت : يا خالة ، فما كان يُعيشكم ؟ قالت : الأسودان : التمر والماء ، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار ، وكانت لهم منائح ، فكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقيناه » .

وفي أخرى قالت : « توفى رسول الله ﷺ حين شبع الناس من الأسودين: التمر والماء » ، وفي رواية : « ما شبعنا من الأسودين » .

هذه روايات البخاري ومسلم . ولمسلم أيضاً قالت : « لقد مات رسول الله ﷺ وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين » .

وأخرج الترمذي الرواية الأولى ، إلى قوله : « الماء » والرابعة .

وله في أخرى عن مسروق ، قال : « دخلتُ على عائشة ، فدعت لي بطعام فقالت : ما أشبعُ فأشاء أن أبكي إلا بكيتُ ، قلت : لِمَ ؟ قالت : أذكر الحال التي فارق عليها رسول الله ﷺ الدنيا ، والله ما شبع من خبز ولحم مرتين في يوم » .

المنائح : جمع منيحة ، وهي الناقة يعيرها صاحبُها إنساناً ليشرب لبنها ويعيدها .

الأسودين : السواد : من صفات التمر ، لأن الغالب على أنواع تمر المدينة السواد ، فأما الماء فليس بأسود ، وإنما جُعل أسود حيث قُرن بالتمر ، فَغُلِّبَ أحدهما على الآخر فَسُمِّي به ، وهذا من عادة العرب يفعلونه بالشيئين – يصطحبان ، فيغلبون اسم الأشْهَر ، كقولهم : « القمران » للشمس والقمر .

رواه (البخاري) في الأطعمة باب ما كان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون ، وفي الرقاق ، باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم عن الدنيا .

و (لمسلم) في الزهد والرقائق ، رقم (٢٩٧٠) ، (٢٩٧١) ، (٢٩٧٢) ، (٢٩٧٣) .

(مسلم بشرح النووي) جـ ١٨ ص ٣١٥ – ٣١٨ و (الترمذي) في معيشة النبي ﷺ وأهله رقم (٢٣٥٧) ، (٢٣٥٨) ﷺ ، ورقم (٢٤٧١) في صفة القيامة باب رقم ٣٤ (صحيح سنن الترمذي) جـ ٤ ص ٥٠٠ ، ٥٥٦ .

وقال سعيد المقبري عن أبي هريرة : أنه مرّ بقوم بين أيديهم شاة مَصْليَّة ، فدعوه فأبى أن يأكل وقال : خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير (١) .

وهذه الأحاديث : منها ما خرّجاه ، ومنها ما خرَّجه أحدهما ، وللترمذي من حديث ثابت بن يزيد عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس ، رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاوياً ، وأهله لا يجدون شيئاً ، وكان أكثر خبزهم الشعير . قال : هذا حديث حسن صحيح (٢) .

ولتقي بن مخلد من حديث عقبة بن مكرم ، أخبرنا عبد الله بن خراش عن العوام عن المسيب بن رافع عن أبي هريرة قال : ما ترك النبي ﷺ ديناراً ولا درهما ، ولا عبداً ولا أمة ، ولا شاة ولا بعيراً ، ولقد كان يربط على بطنه حجراً من الجوع (٣) .

ولمسلم من حديث أبي الأحوص عن سماك قال : سمعت النعمان بن بشير يقول : ألستم في طعام وشراب ما شئتم ؟ لقد رأيتُ نبيكم ﷺ وما يجد من الدقل ما يملأ به بطنه . وخرّجه الترمذي (٤) بهذا الإسناد مثله وقال : هذا حديث [حسن] (٥) صحيح .

ولمسلم من حديث شعبة عن سماك بن حرب قال : سمعت النعمان يخطب قال : ذكر عمر رضي الله عنه ما أصاب الناس من الدنيا ، [فقال] (٥) لقد رأيتُ رسول الله ﷺ [يظل] (٦) اليوم يتلوى ما يجد دقلاً يملأ به بطنه (٧) .

وخرَّج البخاري من حديث هشام الدستوائي عن قتادة عن أنس رضي الله عنه

---

(١) ونحوه في (سنن الترمذي) جـ ٤ ص ٩ حديث رقم (٢٤٦٢) ، (٢٤٦٣) باب ما جاء في معيشة النبي ﷺ ، و (مسلم) في الزهد حديث رقم (٢٩٧٦) .

(٢) المرجع السابق حديث رقم (٢٤٦٥) .

(٣) ونحوه في (سنن الترمذي) جـ ٤ ص ١٥ حديث رقم (٢٤٧٦) وقال فيه : « ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر ورفع رسول الله ﷺ عن حجرين » وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

(٤) المرجع السابق ص ١٥ حديث رقم ٢٤٧٧ .

(٥) زيادة من المرجع السابق والدَّقْل : ضعف الجسم ، والدَّقَل أردأ التمر .

(٥) زيادة من (صحيح مسلم) .

(٦) هذه الكلمة غير واضحة في (خ) وأثبتناها من (صحيح مسلم) .

(٧) (مسلم بشرح النووي) جـ ١٨ ص ١٠٩ .

أنه مشى إلى النبي ﷺ بخبز شعير وإهالةٍ سَنِخةٍ ، ولقد رهن النبي ﷺ درعاً له بالمدينة عند يهوديّ وأخذ منه شعيراً لأهله . ولقد سمعته يقول : ما أمسى عند آل محمد صاعُ بُرّ ولا صاعُ حَبّ ، وإن عنده لِتسعَ نِسوة . ذكره في كتاب البيوع في باب شراء النبي ﷺ بالنسيئة[1] . وذكره الترمذي في جامعه بهذا السند وقال : هذا حديث حسن صحيح ، ذكره في البيوع[2] .

وخرَّج البخاري من حديث همام بن حيي ، أخبرنا قتادة قال : كنا نأتي أنس بن مالك و [خبَّازُه][3] قائم فقال[4] : كلوا فما أعلم النبي ﷺ رأى رغيفاً مرقَّقاً حتى لحق بالله ، ولا رأى شاة سميطاً بعينه قط . ذكره في الرقاق وفي كتاب الأطعمة[5] .

وله من حديث قتادة عن أنس[6] قال : ما علمت النبي ﷺ أكل على[7] سكرجة قط ولا خبز له مرقق قط ، ولا أكل على خوان[8] ، قيل لقتادة : فعلى ما كانوا يأكلون ؟ قال : على السُّفَر[9] .

ولأحمد من حديث سليمان بن رومان عن عروة عن عائشة أنها قالت : والذي بعث محمداً بالحق ، ما رأى منخلاً ولا أكل خبزاً منخولاً منذ بعثه الله إلى أن قبضه ، فقلت : كيف كنتم تأكلون الشعير ؟ قالت : كنا نقول : أفّ أفّ .

ولأبي ذر الهروي من حديث حماد عن ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : لقد أخفت في الله وما يخاف أحد ، ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد ، ولقد أتت عليّ من بين يوم وليلة ومالى طعام نأكله إلا شيء يواريه إبط بلال .

وخرّج البخاري[10] من حديث أبي حازم : سألْتُ سهل بن سعد فقلت : هل

---

(١) (صحيح البخاري بحاشية السندي) جـ ٢ ص ٦ .
(٢) (سنن الترمذي) جـ ٢ ص ٣٤٤ حديث رقم (١٢٣٣) .
(٣) هذه الكلمة غير واضحة في (خ) وأثبتناها من (البخاري) .
(٤) كذا في (خ) ، ورواية البخاري (قال) .
(٥) (صحيح البخاري بحاشية السندي) جـ ٣ ص ٢٩٧ (٦) (المرجع السابق) ص ٢٩٦ .
(٧) كذا في (خ) وفي (البخاري) «في سكرجة » والسكرجة : إناء صغير يؤكل فيه الشيء ، وكل ما يوضع فيه الكوامخ ونحوها على المائدة حول الأطعمة للتشهي والهضم .
(٨) الخوان : ما يؤكل عليه . (٩) السفرة : ما يُحمل فيه الطعام .
(١٠) (صحيح البخاري بحاشية السندي) جـ ٣ ص ٢٩٦ .

أكل رسول الله ﷺ النَّقي ؟ قال [سهل][1] ما رأى رسول الله النَّقيَّ من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله ، قال : قلت : فهل كانت لكم في عهد رسول الله مناخل ؟ قال : ما رأى رسول الله منخلاً من حين بعثه الله حتى قبضه الله ، قال : فكيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول ؟ قال : كنا نطعنه وننفخه فيطير [ما طار وما بقى ثرَّيناه فأكلناه][1] .

وَأَمَّا تَبَسُّمُهُ[2] ﷺ

فقد قالت عائشة رضي الله عنها : ما رأيت النبي ﷺ مستجمعاً قط ضاحكاً حتى أرى منه لهواته ، إنما كان يتبسم[3] .

وخرج الإمام أحمد من حديث ابن لهيعة ، عن عبد الله بن المغيرة قال : سمعت عبد الله بن الحارث بن جزء يقول : ما رأيت أحداً كان أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ[4] .

وخرَّج ابن حبان من حديث عبد الحميد بن زياد بن صهيب ، عن أبيه عن صهيب قال : ضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه[5] .

---

(1) زيادة من المرجع السابق .

(2) بَسَمَ ، يَبْسِمُ بَسْماً وابْتَسَمَ وتَبَسَّمَ : وهو أَقَلُّ الضَّحِك وأحسنُه . وفي التنزيل : ﴿ **فتبسَّم ضاحكاً من قولها** ﴾ (١٩ / النمل) . قال الزَّجَّاج : التبسم أكثر ضحك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . وقال الليث : يَبْسِمُ بَسْماً إذا فتح شفتيه كالمُكاشِر ، وامرأة بسَّامة ورجل بسَّام . وفي صفته ﷺ : أنه كان جُلّ ضحكه التَّبَسُّم . (لسان العرب) جـ ١٢ ص ٥٠ .

(3) (المستدرك) جـ ٢ ص ٤٥٦ ، حديث رقم (٣٧٠٠ / ٨٣٧) : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا بحر بن نصر ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث أن أبا النضر حدَّثه ، عن سليمان بن يسار ، عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت : « ما رأيت رسول الله ﷺ قط مستجمعاً ضاحكاً حتى أرى منها لهواته ، إنما كان يتبسم » . قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة . واللهوات : جمع لَهاة ، وهي اللحمة المشرفة على الحلق أو ما بين مُنْقَطَع أصل اللسان إلى منقطع القلب من أعلى الفم . (ترتيب القاموس) جـ ٢ ص ١٧٩ .

(4) (مسند أحمد) جـ ٥ ص ٢١٢ ، حديث رقم (١٧٢٦١) .

(5) (الإحسان) جـ ١٦ ص ٣١٨ ، حديث رقم (٧٣٢٥) ، (٧٣٢٦) فأما الحديث الأول : « أخبرنا أحمد بن علي بن المثني ، قال : حدثنا أبو خيثمة قال : حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : جاء رجل من أهل الكتاب إلى رسول الله ﷺ فقال : إن الله يُمسك السماوات على إصبع ، والماء والثرى على إصبع ، والخلائق كلها على إصبع ، ثم يقول : أنا الملك ، فضحك رسول الله حتى بدت نواجذه ، ثم قرأ هذه الآية : ﴿ **وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً**

وخرج من حديث بقية ، عن حبيب بن عمر الأنصاري ، عن شيخ يكنى أبا عبد الله الصمد ، قال : سمعت أم الدرداء [1] تقول :

قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى ما يشركون ﴾ (٦٧ / الزمر) ، أخرجه البخاري في التوحيد (٧٤١٥) ، ومسلم في صفة القيامة (٢٧٨٦) .

إسناده صحيح على شرط الشيخين ، أبو خيثمة : هو زهير بن حرب ، وجرير : هو ابن عبد الحميد ، وإبراهيم : هو ابن يزيد النخعي ، وعلقمة : هو ابن قيس النخعي .

وأما الحديث الثاني : أخبرنا عبد الله بن محمد الأزدي ، قال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، قال : أخبرنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن عبيدة ، عن عبد الله قال : جاء حبرٌ من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إذا كان يوم القيامة جعل الله السماوات على إصبع ، ثم يَهُزُّهُنَّ ، ثم يقول : أنا الملك ، فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه تعجباً لما قال اليهوديُّ تصديقاً له ، ثم قرأ ﴿ **وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة** ﴾ أخرجه البخاري في التوحيد (٧٥١٣) ، ومسلم في صفة القيامة (٢٧٨٦) إسناده صحيح على شرط الشيخين ، ومنصور هو ابن المعتمر ، وعبيدة : هو ابن عمرو السلماني .

وأخرجه أحمد (١ / ٤٥٧) ، والبخاري (٤٨١١) في تفسير سورة الزمر ، باب قوله تعالى : ﴿ **وما قدروا الله حق قدره** ﴾ .

والنواجذ : من الأسنان الضواحك ، وهي التي تبدو عند الضحك ، والأكثر الأشهر أنها أقصى الأسنان ، والمراد الأول ، إنه ما كان يبلغ به الضحك حتى تبدو أواخر أضراسه ، كيف وقد جاء في صفة ضحكه ﷺ : جُلُّ ضحكه التبسم ؟ وإن أُريد بها الأواخر ، فالوجه فيه أن يريد مبالغة مثله في ضحكه ، من غير أن يُراد ظهور نواجذه في الضحك ، وهو أقيس القولين لاشتهار النواجذ . بأواخر الأسنان ، ومنه حديث عمر رضي الله عنه : ولن يَلِيَ الناسَ كقرشيٍّ عضَّ على ناجذه أي صبر وتصلَّب في الأمور ، ومنه حديث العرباض : عضوا عليها بالنواجذ ، أي تمسكوا بها كما يتمسك العاضّ بجميع أضراسه . (لسان العرب) ج ٣ ص ٥١٣ – ٥١٤ .

(١) هي خَيْرة بنت أبي حَدْرَد ، أم الدرداء الكبرى ، سماها أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين فيما رواه ابن أبي خيثمة عنهما ، وقالا : اسم أبي حَدْرَد « عبد » وقال : أم الدرداء الصغرى اسمها هُجَيْمَة ، وقال غيرهما : جُهيمة .

وقال أبو عمر : كانت أم الدرداء الكبرى من فضلى النساء وعقلائهن ، وذوات الرأي فيهن ، مع العبادة والنسك ، توفيت قبل أبي الدرداء بسنتين ، وذلك بالشام في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه ، وكانت حفظت عن النبي ﷺ ، وعن زوجها .

روى عنها جماعة من التابعين ، منهم : ميمون بن مهران ، وصفوان بن عبد الله ، وزيد بن أسلم .

قال عليّ بن المديني : كان لأبي الدرداء امرأتان كلتاهما يقال لها أم الدرداء : إحداهما رأت النبي ﷺ ، وهي خيرة بنت أبي حرد ، والثانية تزوجها بعد وفاة النبي ﷺ ، وهي هجيمة الوصابية .

كان أبو الدرداء(١) إذا حدَّث حديثاً تبسَّم ، فقلت : لا يقول الناس إنك أى أحمق ، فقال : ما رأيت أو ما سمعت رسول الله ﷺ يحدث حديثاً إلا تبسم .

وأورد ابن منده لأم الدرداء حديثاً مرفوعاً ، من طريق شريك ، عن خلف بن حَوْشب ، عن ميمون بن مهران ، قال : قلت لأم الدرداء : سمعت من النبي ﷺ شيئاً ؟ قالت : نعم ، دخلتُ عليه وهو جالس في المسجد ، فسمعتُه يقول : « ما يوضع في الميزان أثقل من خلق حسن » .

وأخرج الطبراني من طريق زَبَّان بن فائد ، عن سهل بن معاذ بن أنس ، عن أبيه ، أنه سمع أم الدرداء تقول : خرجتُ من الحمام فلقيني رسول الله ﷺ فقال : من أين أقبلت يا أم الدرداء ؟ قلت : من الحمام ، قال : ما منكن امرأة تضع ثيابها في غير بيت إحدى أمهاتها أو زوج ، إلا كانت هاتكة كل سِتْر بينها وبين الله . وسنده ضعيف جداً .

(الإصابة) : جـ ٧ ص ٦٢٩ - ٦٣١ ، ترجمة رقم (١١١٣٧) ، (الاستيعاب) : جـ ٤ ص ١٩٣٤ ترجمة رقم (٤١٥٠) .

(١) هو عمير بن عامر ، ويقال : عويمر بن قيس بن زيد ، وقيل : عويمر بن ثعلبة بن عامر بن زيد بن قيس بن أمية بن مالك بن عامر بن عديّ بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج ، أبو الدرداء الأنصاري ، هو مشهور بكُنيته .

وقد قيل في نسبه : عويمر بن زيد بن قيس بن عائشة بن أمية بن مالك بن عامر بن عديْ بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج .

وقيل : إن اسمه عامر ، وَصُغِّر ، فقيل عويمر . وقال ابن اسحاق : أبو الدرداء عويمر بن ثعلبة من بني الحارث بن الخزرج .

وقال إبراهيم بن المنذر : أبو الدرداء اسمه عويمر بن ثعلبة بن زيد بن قيس بن عايشة بن أمية بن مالك بن عامر بن عديّ بن كعب بن الخزرج . وأُمُّه : محبّة بنت واقد بن عمرو بن الإطنابة بن عامر بن زيد مناة بن مالك بن ثعلبة بن كعب .

وقيل : أمه واقدة بنت واقد بن عمرو بن الإطنابة .

شهد أُحُداً وما بعدها من المشاهد ، وقد قيل : إنه لم يَشْهَدْ أُحُداً لأنه تأخر إسلامه ، وشهد الخندق وما بعدها من المشاهد .

كان أبو الدرداء أَحَدَ الحكماء ، العلماء ، الفُضَلاء .

روى ابن عبد البرّ : لما حضرت معاذاً الوفاة قيل له : يا أبا عبد الرحمن ، أوصنا ، قال : أجلسوني ، إن العلم والإيمان مكانهما من ابتغاهما وجدهما ، يقولها ثلاث مرات - التمسوا العلم عند أربعة رَهْطٍ : عند عُويمر أبي الدرداء ، وسلمان الفارسي ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن سلام ، الذي كان يهودياً فأسلم ، فإني سمعتِ رسول الله ﷺ يقول : إنه عاشر عشرة في الجنة .

وفي رواية : كان أبو الدرداء لا يحدث بحديث إلا تبسم ، فقالت له : إني أخشى أن يُحَمِّقَكَ الناس ، فقال : كان رسول الله ﷺ لا يحدث بحديث إلا تَبَسَّم [1] .

ومن حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال : ضحك رسول الله ﷺ حتى بدت أنيابه . وكذا من حديث وهب بن جرير ، أخبرنا أبي قال : سمعت ابن اسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه قال : أقبل أعرابي على ناقة له حتى أناخ بباب المسجد ، فدخل على نبي الله وحمزة بن عبد المطلب جالس في نفر من المهاجرين والأنصار ، فيهم النعيمان ، فقالوا للنعيمان : ويحك ! إن ناقته نادية أى سمينة ، فلو نحرتها فإنا قد قدمنا إلى اللحم ، ولو فعلت غرمها رسول الله وأكلنا لحمها ، فقال : إني إن فعلت ذلك وأخبرتموه وجد عليّ ، قالوا : إلا تفعل !! فقام ،

عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ « أنا أفرطكم على الحوض ، فلا أُلْفِيَنّ ما نوزعت في أحدكم فأقول : هذا مني ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدث بعدك ، فقلت : يا رسول الله ، أُدْعُ الله ألا يجعلني منهم ، قال : لستَ منهم » . فمات قبل عثمان رضي الله عنه بسنتين .

ولهذا الحديث قريب منه في (مسند أحمد) : من حديث عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « أنا أفرطكم على الحوض ولأنازعن أقواماً ، ثم لأغلبن عليهم ، فأقول : يارب أصحابي فيقول : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك » ونظيرهُ في (مسلم) .

قال أبو عمر : ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال : « حكيم أمتي أبو الدرداء عُوَيمر » . قال أبو عمر : له حكم مأثورة مشهورة : منها قوله : « وجدْت الناس أخبر تقل ، أي من جرَّبهم رماهم بالمقت لخُبث سرائرهم وقلة إنصافهم » .

ومنها : « من يأت أبواب السلطان يُقام ويُقعد » .

ووصف الدنيا فأُحسن ، فمن قوله فيها : « الدنيا دار الكدر ، ولن ينجو منها إلا أهل الحذر ، ولله فيها علامات يسمعها الجاهلون ، ويعتبر بها العالمون ، ومن علاماته فيها أن حفّها بالشبهات ، فارتطم فيها أهل الشهوات ، ثم أعقبها بالآفات ، فانتفع بذلك أهل العظات ، ومزج حلالَها بالمئونات، وحرامها بالتبعات ؛ فالمُثري فيها تعِب ، والمُقِل ففيها نَصِب » .

(الاستيعاب) : جـ ٣ ص ١٢٢٧ - ١٢٣٠ ترجمة رقم (٢٠٠٦) ، (الإصابة) : جـ ٤ ص ٧٤٧ - ٧٤٨ ترجمة رقم (٦١٢١) ، (مسند أحمد) : جـ ١ ص ٦٣٥ حديث رقم (٣٦٣٢) ، (مسلم بشرح النووي) : جـ ١٥ ص ٦٤ حديث رقم (٢٢٩٧) .

(١) (كنز العمال) : جـ ٧ ص ١٤٠ حديث رقم (١٨٤٠١) ، (سند أحمد) : جـ ٥ ص ١٩٩ حديث رقم (٢١٢٨٨) : « حدثنا عبد الله ، حدثني أبي ، حدثنا يونس ، حدثنا بقية عن حبيب بن عمر الأنصاري ، عن أبي عبد الصمد ، عن أم الدرداء قالت : كان أبو الدرداء لا يحدث بحديث إلا تبسم فيه ، فقلت له : إني أخشى أن يحمقك الناس ، فقال : « كان رسول الله ﷺ لا يحدث بحديث إلا تبسم » .

فضرب لبتها ثم انطلق ، فمر بالمقداد قد حفر حفرة استخرج منها طيناً ، فقال : يا مقداد ! غيبني في هذه الحفرة وأطبق عليّ شيئاً ، ولا تدل عليّ أحداً ، فإني قد أحدثت حدثاً ، ففعل .

فما خرج الأعرابي ورأى ناقته صرخ ، فخرج نبي الله ﷺ وقال : من فعل هذا ؟ قالوا : نعيمان ! قال : فأين توجه ؟ قالوا : ها هنا ، فتبعه رسول الله ﷺ ومعه حمزة وأصحابه ، حتى أتى على المقداد فقال له : هل رأيت نعيمان ؟؟ فصمت ، فقال : لتخبرني أين هو ؟ فقال : مالي به علم وأشار بيده إلى مكانه ، فكشف رسول الله ﷺ عن الحفرة ، فلما رآه قال : أى عدوَّ نفسه ! ما حملك على ما صنعت ؟؟ قال : والذي بعثك بالحق لأمرني حمزة وأصحابه ، فأرضى عليه السلام الأعرابي وقال : شأنكم بها فأكلوها ، فكان رسول الله ﷺ إذا ذكر صنعه ضحك حتى تبدو نواجذه .

وقال زائدة عن إبان ، عن قيس بن أبي حازم ، عن جرير بن عبد الله قال : ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت ولا رآني إلا ضحك[1]

---

(١) (الشمائل المحمدية) ص ١٨٩ حديث رقم (٢٣٢) : حدثنا أحمد بن منيع ، حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا زائدة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس ، عن جرير قال : « ما حجبني رسول الله ﷺ ولا رآني منذ أسلمت إلا تبسّم » ، (صحيح سنن الترمذي) : جـ ٣ ص ٢٣٢ حديث رقم (٤٠٩١) : عن جرير بن عبد الله قال : « ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت ، ولا رآني إلا ضحك » ، وحديث رقم (٤٠٩٢) : عن جرير قال : « ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت ، ولا رآني إلا تبسّم » . قال الألباني : (صحيح ، وهو بهذا اللفظ أرجح) . وهو في (البخاري) : في باب من لا يثبتُ على الخيل ، حديث رقم (٣٠٣٥) حدثنا محمد بن عبد الله بن نُمير ، حدثنا محمد بن إدريس عن إسماعيل ، عن قيس ، عن جَرير رضي الله عنه قال : « ما حجبني ﷺ منذ أسلمت ، ولا رآني إلا تبسم في وجهي » (فتح الباري) : جـ ٦ ص ١٩٨ ، (مسند أحمد) : جـ ٤ ص ٣٥٨ ، حديث رقم (١٨٦٩٢) ، ص ٣٥٩ ، حديث رقم (١٨٦٥٥) ، ص ٣٦٥ ، حديث رقم (١٨٧٦٥) .

(مسند الحميدي) : جـ ٢ ص ٣٥٠ ، حديث رقم (٨٠٠) : حدثنا الحميدي قال : حدثنا سفيان قال : حدثنا إسماعيل بن أبي خالد قال : سمعتُ قيساً يقول : سمعت جرير بن عبد الله البجلي : « مارآني رسول الله ﷺ قط إلا تبسّم في وجهي » ، قال : وقال رسول الله ﷺ : « يطلع عليكم من هذا الباب رجل من خير ذي يمن على وجهه مسحة ملك ، فطلع جرير بن عبد الله » .

قال الحافظ في (الفتح) : التَّبسُّمُ : مبادىء الضحك ، والضحك انبساط الوجه حتى تظهر الأسنان من السرور ، فإن كان بصوت ، وكان بحيث يُسمع من بُعد فهو القهقهة ، وإلا فهو الضحك ، وإن كان

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ حكى عن رجل أُخرج من النار ، فقيل له ، تَمَنَّ فَتَمَنَّى ، فيقال : لك ما تمنيت وعشرة أضعاف الدنيا ، فيقول أتسخر بي وأنت الملك ؟ فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه[1] .

ولابن حبان من حديث الليث ، عن جرير بن حازم عن الحسن بن عمارة ، عن سلمة بن كهيل ، عن عبد الرحمن قال : سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : لما بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن ، أتاني ثلاثة نفر يختصمون في غلام ابن امرأة وقعوا عليها جميعاً في طهر واحد ، كلهم يدعى أنه ابنه ، فأقرعت بينهم فألحقته بالذي أصابته القرعة ، ولصاحبيه ثلثي دية الحد ، فلما قدمت على رسول الله ﷺ ذكرت له ذلك ، فضحك حتى ضرب برجْليه الأرض ثم قال : حكمت فيهم بحكم الله ، أو قال لقد رضي الله حكمك فيهم[2] .

بلا صوت فهو التبسم ، وتسمى الأسنان في مقدم الفم : الضواحك ، وهي الثنايا والأنياب ، وما يليها يسمى النواجذ .

(١) (المرجع السابق) ص ١٨٩ - ١٩٠ ، حديث رقم (٢٣٣) : حدثنا هَنَادُ بنُ السَّرِيّ ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عَبِيدة السَّلْمانيّ ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إني لأعرف آخر أهل النار خروجاً ، رجلاً يَخْرُجُ منها زَحْفاً ، فيقال له إنطلق فَادْخُل الجنة » . قال : « فيذهب ليدخُل الجنة فيجدُ النَّاسَ قَدْ أَخَذُوا الْمَنَازِلَ ، فيرجع فيقول : يارب قد أخذ الناسُ المنازل – فيُقال له : أَتَذْكُرُ الزّمان الذي كنت فيه ؟ فيقول : نَعمْ » ، قال : « فَيُقَالُ تَمَنَّ » ، قال : « فيتمنى ، فيقال له : فإنَّ لَكَ الذي تَمنيتَ وعَشْرَة أضعاف الدنيا » ، قال : « فيقول : أَتَسْخَرُ مني وأنت الملك » ؟ قال : « فلقد رأيتُ رسول الله ﷺ ضحك حتى بَدَتْ نَواجِذُهُ » .

أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ، حديث رقم (٦٥٧١) باختلاف يسير ، وحديث رقم (٧٥١٣) .

(فتح الباري) جـ ١١ ص ٥١٠ ، جـ ١٣ ص ٥٨٠ .

(٢) (كنز العمال) جـ ٥ ص ٨٤١ - ٨٤٢ ، حديث رقم (١٤٥٣٢) : « عن زيد بن أرقم قال : بينا نحن عند رسول الله ﷺ ، إذ أتاه رجل من أهل اليمن ، وعليٌّ بها ، فجعل يحدث النبي ﷺ . ويخبره قال : يارسول الله ، أتى علياً ثلاثةُ نفر فاختصموا في ولد كلهم زعم أنه ابنه ، وقعوا على امرأة في طُهر واحد ، فقال عليٌّ : إنكم شركاء متشاكسون ، وإني مُقْرعٌ بينكم ، فمن قَرَعَ فله الولد ، وعليه ثُلثا الدية لصاحبه ، فأقرع بينهم ، فَقَرع أحدهم ، فدفع إليه الولد ، وجعل عليه ثلثي الدية ، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه أو أضراسه » . ثم رَمَزَ إليه : (عب) ، (ش) أي مصنف عبد الرزاق ، وابن أبي شيبة . قَرَع : المقارعة : المساهمة ، يقال : قارعه فقرعه : إذا أصابته القرعة دونه ، وقَرَعَهم : غلبهم بالقُرعة .

(ترتيب القاموس) جـ ٣ ص ٥٩٧ .

قال ابن الجوزي : وهذا الحديث لا يثبت ، فيه جماعة مجروحون ، ولا يصح عن رسول الله ﷺ أنه كان يزيد على التبسم .

وخرَّج الإمام أحمد[1] وأبو يعلي ، والبزار والطبراني في الكبير ، من حديث هشام عن أبي الزبير ، عن عبد الله بن سلمة ، عن علي أو عن الزبير قال : كان رسول الله ﷺ يخطبنا فيذكرنا بأيام الله ، حتى نعرف ذلك في وجهه ، وكأنه نذير قوم يصبحهم الأمر غدوة ، وكان إذا كان حديث عهد بجبريل لم يتبسم ضاحكاً حتى يرتفع (عنه)[2] .

وأما محبته الفأل[3] وتركه الطيرة[4] وتغيير الاسم القبيح

فخرج مسلم من حديث يحيى بن عتيق قال : أخبرنا محمد بن سيرين عن أبي

(١) (مسند أحمد) جـ ١ ص ٢٧٢ ، حديث رقم (١٤٤٠) ، وقال فيه : « عن عبد الله بن سلمة . أو مسلمة »

(٢) زيادة من المرجع السابق .

(٣) الفأل : ضدّ الطيرة ، والجمع فُؤول . وتَفَاْلت به ، وتَفَأَّل به . قال ابن الأثير : يقال : تفاءلْتُ بكذا ، وتَفَاْلْتُ ، على التخفيف والقلب ، قال : وقد أولع الناس بترك هَمْزِهِ تخفيفاً .
والفأل : أن يكون الرجل مريضاً فيسمع آخر يقول : ياسالم ، أو يكون طالب ضالة فيسمع آخر يقول : ياواجد ، فيقول : تفاءلْتُ بكذا ، ويتوجه له في ظنه كما سمع أنه يبرأ من مرضه ، أو يجد ضالته .
وفي الحديث : أنه ﷺ كان يحب الفأل ويكره الطيرة ؛ والطيرة : ضد الفأل ، وهي فيما يكره ، كالفأل فيما يُستحب ، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء ، والفأل يكون فيما يَحْسُن وفيما يسوء .
قال أبو منصور : من العرب من يجعل الفأل فيما يكره أيضاً . قال أبو زيد تفاءلتُ تفاؤلاً ، وذلك أن تَسمع الإنسان وأنت تريد الحاجة يدعو : يا سعيد ، يا أفلح ، أو يدعو باسم قبيح . والاسم : الفأل ، مهموز .
وفي نوادر الأعراب : يقال : لا فأل عليك بمعنى لا ضَيْرَ عليك ، ولا طَيْرَ عليك ، ولا شرَّ عليك .
وفي الحديث ، عن أنس ، عن النبي ﷺ قال : « لا عدوى ولا طيَرَة ويعجبني الفأل الصالح والفأل الصالح الكلمة الحسنة » .
قال : وهذا يدل عى أن من الفأل ما يكون صالحاً ، ومنه ما يكون غير صالح ، وإنما أحب النبي ﷺ الفأل ، لأن الناس إذا أمَّلُوا فائدة الله وَرَجَوْا عائدته عند كل سبب ضعيف أو قوي ، فهم على خير . ولو غلِطوا في جهة الرجاء ، فإن الرجاء لهم خير ، ألا ترى أنهم إذا قطعوا أملهم ورجاءهم من الله كان ذلك من الشر ؟ وإنما خبرَّ النبي ﷺ عن الفطرة كيف هي ، وإلى أي شيء تنقلب . (لسان العرب) جـ ١١ ص ٥١٣ – ٥١٤

(٤) الطيرة : مضاد للفأل ، وكانت العرب مذهبها في الفأل والطيرة واحد ، فأثبت النبي ﷺ الفأل واستحسنه ، وأبطل الطيرة ونهى عنها . والطِّيَرَةُ من اطَّيَّرْتُ وتَطيَّرْتُ ، ومثل الطِّيَرَةُ الخِيَرَةُ .

هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لا عدوى ولا طيرة وأحب الفأل الصالح[1] .

ومن حديث هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لا عدوى ولا هامة ولا طيرة ، وأحب الفأل الصالح[2] .

وخرَّجا من حديث معمر وشعيب عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، أن أبا هريرة[3] قال : سمعت النبي ﷺ يقول : لا طيرة ، وخيرها الفأل ، قيل : يا رسول الله ، وما الفأل ؟ قال : الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم[4] .

وخرج البخاري وأبو داود من حديث هشام ، أخبرنا قتادة عن أنس ، عن النبي ﷺ قال : لا عدوى ولا طيرة ، ويعجبني الفأل ، الكلمة الحسنة[5] .

وخرج أبو داود[6] من حديث هشام عن قتادة ، عن عبيد الله بن بريدة ، عن

والطِّيَرَةُ من الشرك ، لأنهم كانوا يعتقدون أن الطير تجلب لهم نفعاً ، أو تدفع عنهم ضرراً إذا عملوا بموجبه ، فكأنهم أشركوه مع الله في ذلك .

وفي التنزيل : ﴿ **قالوا إنا تطيرنا بكم** ﴾ ١٨ / ياسين ، ﴿ **قالوا اطيرنا بك وبمن معك** ﴾ ١٣١ / الأعراف ، ﴿ **ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لايعلمون** ﴾ ١٣١ / الأعراف .

(المرجع السابق) جـ ٤ ص ٥١٢ - ٥١٣ .

(١) (مسلم بشرح النووي) جـ ١٤ ص ٤٧٠ كتاب السلام (٣٩) باب (٣٤) حديث رقم (١١٣ - ٢٢٢٣) .

(٢) (المرجع السابق) حديث رقم (١١٤) .

(٣) (اللؤلؤ والمرجان) جـ٣ ص ٧١ باب (٣٤) (الطيرة والفأل وما يكون فيه الشؤم)حديث رقم (١٤٣٨).

(٤) وضيرها : أي ضير الطيرة ، والفأل : ضد الطيرة ويستعمل في الخير والشر ، وفي حديث عروة بن عامر عند أبي دواد قال : « ذُكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال : ضيرها الفأل ، ولا تَردّ مسلما ؛ فإذا رآى أحدكم ما يكره فليقل : اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ، ولا يدفع السيئات إلا أنت ، ولا حول ولا قوه إلا بالله » . (المرجع السابق) .

(٥) (فتح الباري) : جـ ١٠ ص ٢٦٣ ، كتاب الطب ، باب (٤٤) ، حديث رقم (٥٧٥٦) ، (مسلم بشرح النووي) جـ ١٤ ص ٤٧٠ ، كتاب السلام باب (٣٤) ، حديث رقم (١١١ - ٢٢٢٤) : وزاد فيه « الكلمة الطيبة » بعد قوله : « الكلمة الحسنة » .

(٦) (صحيح سنن أبي دواد) : جـ ٢ ص ٧٤٢ حديث رقم (٣٩٢٠) ، قال الألباني : صحيح ، و (مسند أحمد) : ٥ / ٣٤٧ حديث رقم (٢٢٤٣٧) باختلاف يسير .

أبيه أن النبي ﷺ كان لا يتطير من شيء ، وكان إذا بعث عاملاً سأل عن اسمه ، فإذا أعجبه اسمه فرح به ، ورؤى أثر [1] ذلك في وجهه ، وإن كره اسمه رؤى كراهه[2] ذلك في وجهه ، وإذا دخل قرية سأل عن اسمها ، فإذا[3] أعجبه اسمها [فرح بها] ، وَرُؤى بشر ذلك في وجهه ، وإن كره اسمها رؤى كراهية[4] ذلك في وجهه .

وقال مالك عن يحيى بن سعيد أن رسول الله ﷺ قال لِلَقْحَة تُحْلَبُ : من يَحْلُب هذه ؟ فقام رجل ، فقال رسول الله ﷺ : ما اسمك ؟ فقال له الرجل : مُرَّة ، فقال له رسول الله ﷺ : اجلس ، ثم قال : من يحلُب هذه ؟ فقام رجل فقال له رسول الله ﷺ : ما اسمك ؟ فقال : حرب ، فقال رسول الله ﷺ : اجلس ، ثم قال : من يحلب هذه ؟ فقام رجل فقال له رسول الله ﷺ : ما اسمك ؟ فقال يعيش ، فقال له رسول الله ﷺ : احلب . هكذا رواه مالك مرفوعاً عن يحيى[5] .

وخرج قاسم بن أصبغ من حديث الحسين بن واقد ، عن عبد الله بن بريدة[6] عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ لا يتطير ولكن يتفاءل ، فركب بريدة في سبعين راكباً من أهل بيته من بني سهم ، فلقي رسول الله ﷺ بماء ، فقال له رسول الله ﷺ : من أنت ؟ قال : بريدة ، فالتفت إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال : برد أمرنا وصلح ، ثم قال : ممن ؟ قال : من أسلم ، قال : لأبي بكر : سلمنا ، ثم قال : ممن ؟ قال : من سهم ، قال : خرج سهمك[7] ، قال بريدة للنبي ﷺ فمن أنت ؟ قال :

---

(١) في (خ) : « بشر ذلك » (٢) في (ج) : « كراهية » . (٣) في (خ) : « فإن »

(٤) في (خ) : « كراهة » وما أثبتناه من (المرجع السابق) ، (شعب الإيمان) جـ ٢ ص ٦٢ حديث رقم (١١٧٠) بسياقة أُخرى .

(٥) (الموطأ) كتاب الجامع ، باب مايُكْره من الأسماء ، حديث رقم (١٧٧٦) قال أبو عمر : ليس هذا من باب الطيرة ، لأنه مُحال أن ينهي عن شيء يفعله ، وإنما هو من باب طلب الفأل الحسن ، وقد كان أخبرهم عن سيء الأسماء أنه حَرْب ، ومُرَّة ، وأكدَّ ذلك حتى لا يتسمى بهما أحد . (شرح الزرقاني على الموطأ) جـ ٤ ص٤٩٠ .

(٦) هو بُرَيْدة بن الحصيب الأسلمي (ستأتي ترجمته تفصيلاً) .

(٧) إلى هنا ورد الخبر في (الاستيعاب) : جـ ١ ص ١٨٥ - ١٨٦ ، ترجمة بريدة بن الحصيب الأسلمي رقم (٢١٧) .

محمد بن عبد الله ، رسول الله ، قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك عبده ورسوله . فأسلم بريدة ، وأسلم الذين معه جميعاً ، فقال[1] بريدة للنبي ﷺ لا تدخل المدينة إلا معك لواء ، فحل عامته ، ثم شدها في رمح ، ثم مشى بين يديه حتى دخل المدينة ، قال بريدة : الحمد لله الذي أسلمت [له] بنو سهم طائعين .

وخرج الترمذي من حديث حماد بن سلمة عن حميد عن أنس ، أن نبي الله ﷺ كان إذا خرج لحاجته ، يعجبه أن يسمع : يا راشد .. يا نجيح . قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب صحيح[2] .

وخرج البزار من حديث معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : إذا أبردتم إليّ بريداً فأبردوه حسن الوجه ، حسن الاسم[3] . وقال : لا نعلم رواه بهذا الإسناد إلا قتادة .

وقال هشام الدستواني ، عن يحيي بن كثير قال : كتب رسول الله ﷺ إلى أمراء الأجناد : ألا توفدوا إلينا إلابرجل حسن الوجه ، حسن الاسم .

وخرَّج ابن حبان من حديث مبارك بن فضالة[4] ، عن عبيد الله بن عمر ، عن

---

(١) قال ابن أبي حاتم في (تاريخ الصحابة) : ص ٤٤ ترجمة بريدة بن الحصَيب الأسلمي رقم (١٠٨) : لحق النبي ﷺ قبل قدومه المدينة فقال : « يارسول الله لا تدخل المدينة إلا معك لواء » ثم حلَّ عمامته ، وشدَّها في رمح ، ومشى بين يدي النبي ﷺ يوم قدم المدينة .

(٢) (تحفه الأحوذي) : جـ ٥ ص ٢٠٠ ، حديث رقم (١٦٦٥) ، قوله : « هذا حديث حسن صحيح » ، وأخرج الشيخان معناه من حديث أبي هريرة ، قوله : « كان يُعجبه » أي يستحسنه ويتفاءل به ، « أن يسمع يا راشد » ، أي واجد الطريق المستقيم ، « يانَجيح » ، أي من قُضِيَتْ حاجته ، (صحيح سنن الترمذي) : جـ ٤ ص ١٣٨ ، حديث رقم (١٦١٦) .

(٣) (المقاصد الحسنة) : ص ١٤٩ ، عند الكلام على الحديث رقم (١٦١) ، « التمسوا الخير عند حسان الوجوه » ، قال : وله أيضا من حديث عمر بن أبي خثعم ، عن يحى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة مرفوعاً : « إذا بعثتم إليّ رجلاً فابعثوه حسن الوجه حسن الاسم » . وقال أيضاً . لا نعلمه روي عن أبي هُريرة إلا بهذا الاسناد . قال (السخاوي) : وأحدهما يقوي الآخر .
وفي (المطالب العالية) : جـ ٢ ص ٤٢٢ ، حديث رقم (٢٦٣٨) : الحضرمي بن لاحق ، أن النبي ﷺ قال : « إذا أبردتم بريداً فأبردوه حسن الوجه حسن الاسم » (لابن أبي عمر) . وقال في هامشه : سكت عليه البوصيري .

(٤) أحاديث مبارك بن فضاله في (صحيح ابن حبان) (١٩) حديثاً ليس من بينهم هذا الحديث . (الاحسان في تقريب صحيح ابن حبان) : جـ ١٨ ص ٢١٩ (الفهارس) .

نافع عن ابن عمر رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ سمع كلمة فأعجبته ، فقال : أخذنا فألك من فيك[(١)] .

وخرج الترمذي من حديث عمر بن عليّ المقدَّميّ ، عن هشام بن عروة عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يغير الاسم القبيح . وربما قال عمر ابن على عن هشام بن عروة عن أبيه عن النبي ﷺ مرسل ، ولم يذكر فيه [عن] عائشة[(٢)] .

وخرَّج مسلم والترمذي من حديث يحيى عن سعيد عن عبيد الله قال : أخبرني نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ غيّر اسم عاصية ، وقال : أنت جميلة[(٣)] .

ولمسلم من حديث حماد بن سلمة عن عُبيد الله عن نافع ، عن ابن عمر ، أن ابنة لعمر رضي الله عنه يقال لها عاصية ، فسماها رسول الله ﷺ جميلة[(٤)] ، وله من حديث سفيان بن عبد الرحمن - مولى أبي طلحة - عن كريب عن ابن عباس رضي الله عنه قال : كانت جويرة اسمها برة ، فحول رسول الله ﷺ اسمها جويرة ، وكان

---

(١) (صحيح سنن أبي دواد) : جـ ٢ ص ٤٧٢ ، رقم (٣٣١٧ - ٣٩١٧) ، (المجموعة الصحيحة) : حديث رقم ٧٢٦ ، (كشف الخفا) : جـ ١ ص ٦٦ ، حديث رقم (١٥٤) ، (المقاصد الحسنة) : ص ٧٠ ، حديث رقم (٤٠) من حديث محمد بن يونس ، حدثنا عون بن عمارة ، حدثنا السري بن يحى ، عن الحسن ، عن سمرة بن جندب قال : كان رسول الله ﷺ يعجبه الفأل الحسن ، فسمع علياً يوماً وهو يقول : هذه خضرة ، فقال ﷺ : « ياَلَبَّيك قد أخذنا فألك من فيك فاخرجوا بنا إلى خضرة » ، قال : فخرجوا إلى خيبر ، فما سل سيف إلا سيف علي بن أبي طالب رضي الله عنه . زاد (العسكري) : حتى فتح الله عزَّ وجلّ . والعسكري هو : أبو هلال العسكري ، مؤلف كتاب الصناعتين ، وديوان المعاني ، وجمهرة الأمثال ، وغيرهم ، حيث تزيد مؤلفاته على العشرين مصنفا ، مات في القرن الخامس .

(٢) (سنن الترمذي) : جـ ٥ ص ١٢٣ - ١٢٤ ، حديث رقم (٢٨٣٩) ، (صحيح سنن الترمذي) جـ ٢ ص ٣٧٢ ، باب ما جاء في تغيير الأسماء ، حديث رقم (٢٢٧٥ - ٣٠٠٧) ، (المجموعة الصحيحة) حديث رقم (٢٠٧) ، (٢٠٨) .

(٣) (المرجع السابق) حديث رقم (٢٨٣٨) : « حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقيّ ، وأبو بكر محمد بن بشار ، وغير واحد قالوا : حدثنا يحى بن سعيد القطان عن عُبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر : أن النبي ﷺ غير اسم عاصية ، وقال : « أنت جميلة » ، (صحيح سنن الترمذي) : جـ ٢ ص ٣٧٢ ، حديث رقم (٢٢٧٤ - ٣٠٠٦) ، قال الألباني : « صحيح » (صحيح سنن ابن ماجه) : جـ ٢ ص ٣٠٦ حديث رقم (٣٠٠٨ - ٣٧٣٣) ، (المجموعة الصحيحة) حديث رقم (٢١٣) .

(٤) (مسلم بشرح النووي) : جـ ١٤ ص ٦٦٦ - ٣٦٧ ، حديث رقم (٢١٣٩)

يكره أن يقال : خرج من عند برة[1] .

وللبخاري ومسلم من حديث شعبة عن عطاء بن ميمونة ، عن أبي رافع ، عن أبي هريرة، أن زينب كان اسمها برة، فقيل : تزكي نفسها ، فسماها رسول الله ﷺ زينب[2].

ولمسلم من حديث الوليد بن كثير قال : حدثني محمد بن عمرو ، عن عطاء قال: حدثتنى زينب ابنة أم سلمة ، قالت : كان اسمي برة ، فسمانى رسول الله زينب . قالت : دخلت عليه بنت جحش واسمها برة ، فسماها زينب[3].

ومن حديث الليث عن يزيد بن أبي حبيب ، عن محمد بن عمرو بن عطاء ، قال سميت ابنتى برة ، فقالت لي زينب بنت أبي سلمة : إن رسول الله ﷺ نهى عن هذا الاسم ، وسُمِّيت بَرَّة ، فقال رسول الله ﷺ : لا تزكوا أنفسكم ، الله أعلم بأهل البر منكم ، فقالوا : بم نسميها ؟ قال : سموها زينب[4] .

وخرّج الإمام أحمد من حديث عبيد الله بن عمر ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن محمد بن علي ، عن علي رضي الله عنه قال : لما ولد الحسن سماه حمزة، فلما ولد الحسين سماه بعمه جعفر فدعانى رسول الله ﷺ ، فقال : إني أمرت أن أغير اسم هذين ، قلت : الله ورسوله أعلم ، فسماها ، حسناً وحسيناً[5] .

وخرّج قاسم بن أصبغ وأحمد بن حنبل من حديث إسرائيل عن أبي إسحق عن هانئ عن علي رضى الله عنه قال : لما وُلد الحسن جاء النبي فقال : أرونى ابني ، ماسميتموه ؟ قلت : سميتُه حَرْباً ، قال : بل هو حسن ، فلما وُلد الحسين

---

(١) (المرجع السابق) : حديث رقم (٢١٤٠) .

(٢) (اللؤلؤ والمرجان) : جـ ٣ ص ٤٧ حديث رقم (١٣٨٤) .

(٣) (مسلم بشرح النووى) : جـ ١٤ ص ٣٦٧ حديث رقم (٢١٤٢) .

(٤) (المرجع السابق) ، حديث رقم (١٩) .

قال الإمام النووى فى (المرجع السابق) : معنى هذه الأحاديث تغيير الاسم القبيح أو المكروه إلى حسن ، وقد ثبتت أحاديث بتغييره ﷺ أسماء جماعة كثيرين من الصحابة ، وقد بين العلة فى النوعين وما في معناهما ، وهى التزكية أو خوف التطيرّ .

(٥) (مسند أحمد) : جـ١ ص ١٥٩ ، حديث رقم (١٣٧٤) .

قال: أرونى ابني ، ماسميتموه ؟ قلت : سميته حرباً ، قال بل هو حسين ، فلما وُلد الثالث جاء النبي ﷺ فقال : أروني ابني ، ماسميتموه ؟ قلت : حرباً ، قال هو محسن(١) .

وخرج الإمام أحمد من حديث سفيان عن أبي إسحق عن رجل من جهينة قال سمع النبي ﷺ رجلاً يقول : ياحرام ، فقال : ياحلال .

ومن حديث يحيى بن أبي بكير ، حدثنا عبيد الله بن إياد(٢) بن لقيطة [السدوسي](٣) عن أبيه عن ليلى امرأة بشير بن الخصاصية عن بشير قال : وكان قد أى النبي ﷺ واسمه زحم - فسماه النَبي بشيراً(٤) .

ومن حديث إسماعيل بن عياش عن بكر بن زرعة الخولانى عن مسلم بن عبد الله الأزدي قال : جاء عبد الله بن قرظ الأزدي إلى النبي ﷺ فقال له : ماأسمك ؟ قال : شيطان بن قرط ، فقال له النبي ﷺ : أنت عبد الله بن قرظ .

ومن حديث شعبة عن عبد الله بن أبي السفر(٥) عن عامر الشعبي عن عبد بن مطيع بن الأسود ، حدثنى عدي بن كعب عن أبيه مطيع - وكان اسمه العاصي - فسماه رسول لله ﷺ مطيعاً . قال : سمعت رسول الله ﷺ أمر بقتل هؤلاء الرهط بمكة يقول : لا تُغزى مكة بعد هذا اليوم أبداً .

ولأبي داود(٦) من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبيه عن جده أن

---

(١) ثم زاد أسد ، ثم قال : إني سَمَّيْتُهم بأسماء ولد هارون : شبَّر وشَبِّر ومشَبَّر . (الاستيعاب لابن عبد البر) جـ ٣ ص ١٠٠ .

(٢) فى (خ) «إبان» .

(٣) مابين القوسين غير واضح في (خ) ، وما أثبتناه من (الجرح والتعديل) جـ ٢ قسم ٢ ص ٣٠٧ ترجمة رقم (١٤٦٢) وهو ثقة كما قال عنه يحيى بن معين .

(٤) ونحوه في (سنن أبي داود) جـ ٣ ص ٥٥٤ حديث رقم ٣٢٣٠ باب المشي في النعل بين القبور .

(٥) فى (خ) «اليفر» وما أثبتناه من (تهذيب التهذيب) جـ ٤ ص ٣٤٠ عند ترجمة شعبة بن الحجاج رقم (٥٨٠) .

(٦) وأخرجه ٠البخارى في الأدب باب اسم الحزن وفيه [قال ابن المسيَّب : فمازالت فينا الحزونة بعد] .

النبي ﷺ قال له : ما اسمك ؟ قال : حَزْنٌ، قال : بل أنت سَهْلٌ ، قال : لا ، السهل يوطأ ويمتهن ، قال سعيد : فظننت أن ستُصيبنا بعده حُزُونَةٌ . قال أبو داود : وغير النبي ﷺ اسمه العاص وعزيز وعتلة[1] ووشيطان والحكم وغُراب وحُباب وشهاب فسماه هشاماً ، وسمى حرباً سلماً[2] ، وسمي المضطجع المنبعث ، وأرض تسمى عَفِرة[3] سماها خَضِرة ، وشعْب الضلالة سماها شعْب الهدى ، وبنى الزِّنْية سماهم بني الرِّشْدة ، وسمى بني مُغْوِيَة بني رِشْدَةَ[4] . قالَ أبو داود : وتركنا أسانيدهما للاختصار .

---

(١) العتلة : عمود حديد تهدم به الحيطان ، وقيل : حديدة كبيرة يقلع بها الشجر والحجر .

(٢) أما (العاص) : فإنما غيره كراهة لمعنى العصيان ، وإنما سمة المؤمن : الطاعة والاستسلام .

و(عزيز) : إنما غيره لأن العزة لله سبحانه ، وشعار العبد : الذلة والاستكانة ، وقد قال سبحانه عندما يُقَرِّع بعض أعدائه : ﴿ذُق إنك أنت العزيز الحكيم﴾ [الدخان : ٤٩] .

و(عتلة) : معناها الشدة والغلظة ، ومنه قولهم : رجل عُتُلّ : أي شديد غليظ . ومن صفة المؤمن:اللين والسهولة .

و(شيطان) : اشتقاق من الشَّطْن : وهو البعد عن الخير ، وهو اسم المارد الخبيث من الجن والإنس .

و(الحكم) : هو الحاكم الذي إذا حكم لم يُرَدُّ حُكمه ، وهذه الصفة لا تليق بغير الله سبحانه ، ومن أسمائه الحكم .

و (غراب) : مأخوذ من الغَرْب ، وهوالبعد . ثم هو حيوان خبيث الفعل ، خبيث الطعم ، وقد أباح رسول الله ﷺ قتله في الحل والحرم .

و (حباب) : نوع من الحيات ، وقد روي أن الحباب اسم الشيطان .

فقيل : إنه أراد الخبيث من شياطين الجن ، وقيل - : أراد نوعاً من الحيات يقالها لها : الشياطين. ومن ذلك قوله تبارك وتعالى : ﴿طلعها كأنه رووس الشياطين﴾ [الصافات :٦٥] .

(٣) وأما (عفرة) : فهى نعت للأرض التى لا تنبت شيئاً ، أخذت من العُفْرة ، وهى : لون الأرض القحلة فسماها خضرة على معنى التفاؤل لتُخضر وتُمرع .

وقوله : (عقرة) : المحفوظ عقرة بالقاف . كأنه كره اسم العقرة ، لأن العاقر هي المرأة التي لا تحمل ، وشجرة عاقر : لا تحمل .

(٤) يقال : هذا ولد رشدة : إذا كان لنكاح صحيح ، كما يقال فى ضده : ولد زنية ، بالكسر فيهما =

وخرَّج بقي [بن] مخلد من حديث عبدة بن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ مرَّ بأرض تسمى مجدبة فسماها خضرة .

وخرَّج البخاري من حديث الزهري عن ابن المسيب عن أبيه أن أباه جاء النبي فقال : ما اسمك ؟ قال : حزن ، قال : أنت سهل ، قال لا أغير اسماً سمانيه أبي ، قال ابن المسيب : فمازالت الحزونة فينا بعده . ترجم عليه باب اسم الحزن ، وذكره أيضا في باب تحويل الاسم إلي اسم أحسن منه .

[و][1] من حديث ابن جريج ، أخبرني عبد الحميد بن جبير بن شيبة قال : جلست إلى سعيد بن المسيب فحدثني أن جده قدم على النبي فقال : ما اسمك ؟ الحديث بنحو منه .

وللبخاري ومسلم من حديث أبي غسان حدثني أبو حازم عن سهل بن سعد قال : أتي بالمنذر بن أبي أُسيد إلى النبي ﷺ حين وُلد فوضعه على فخذه وأبو أسيد جالس ، فلهى النبي ﷺ بشئ بين يديه ، فأتي أبو أسيد بابنه فاحتمل من فخذ النبي فأقلبوه[2] ، فاستفاق النبي[3] ﷺ فقال : أين الصبي ؟ فقال أبو أسيد : أقلبناه يارسول الله ، قا ما اسمه ؟ قال : فلان ، قال :لا ، ولكن اسمه المنذر ، فسماه يومئذ المنذر . وذكره البخاري[4] في باب تحويل الاسم إلى اسم أحسن منه ولم يقل : فأقلبوه ، وقال : ولكن اسمه المنذر ، لم يذكر لا . وخرَّج أبو داود[5]من حديث بشير ابن ميمون عن عمه عن أسامة بن أَخْدَرِيّ أن رجلا يقال له أصرم كان في النفر

= وقيل بالفتح . (معالم السنن للخطابي) على هامش (سنن أبي داود) جـ ٥ ص ٢٤١ ومابعدها، تعليقاً على الحديث رقم (٤٩٥٦) .

(١) زيادة للسياق .

(٢) فأقلبوه : أي ردوه وصرفوه في جميع نسخ (صيح مسلم) فأقلبوه بالألف وأنكره جمهور أهل اللغة والغريب وشراح الحديث وقالوا : صوابه قلبوه بحذف الألف . قالوا : قال : قلبتُ الصبي والشئ صرفته ورددته .

(٣) أى انتبه من شغله وفكره الذي كان فيه والله أعلم (مسلم بشرح النووي) جـ١٤ ص ١٢٨ .

(٤) (صحيح البخاري) جـ٤ ص ٨٠ .

(٥) (سنن أبي داود) جـ٥ ص ٢٣٩ حديث رقم (٤٩٥٤) .

الذين أتوا رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ ما اسمك ؟ قال [أنا][1] أصرم ، قال : بل أنت زُرْعَة .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة ، أخبرنا يزيد بن المقدام بن شريح عن المقدام بن شريح عن أبيه عن جده هانئ بن شريح أنه ذكر أنه أول ما وفد إلى النبي ﷺ فى قومه سمعهم وهو يكنون هاني أبا الحكم ، فدعاه النبي ﷺ فقال : إنه الله هو الحكم وإليه الحكم ، فلم تكن أبا الحكم؟ فقال : إن قومي إذا اختلفوا في شئ فحكمت بينهم رضي كلا الفريقين ، قال : ما أحسن هذا ، قال : فما لك من الولد ؟ قال : شريح بن هاني وعبد الله ومسلم قال أين أكبرهم ؟ قال : شريح ، قال : أنت أبو شريح ، فدعاه له ولولده ، وسمع القوم وهم يسمون رجلا منهم عبد الحجر فقال : ما اسمك ؟ فقال : عبد الحجر ، فقال : بل أنت عبد الله – وأنه لما حضر خروج القوم إلى بلادهم أعطى كل رجل منهم [ ][2] في بلاده حيث أحب ، إلا أن هانئ قال له : يارسول الله، أخبرني بشئ يوجب لي الجنة ، قال : عليك بُحسن الكلام وبذل الطعام . وذكره أبو داود فى باب تغيير الاسم القبيح إلى قوله : فأنت أبو شريح ، وبعده قال أبو داود : هذا هو الذي كسر السلسلة وهو ممن دخل تستر . وخرّجه النسائى[3] أيضاً والبخاري في (الأدب المفرد)[4] .

---

(١) زيادة من نص (أبي داود) .

وإنما غير اسم (أصرم) لمافيه معنى الصَّرْم وهو القطيعة ، يقال : صرمت الحبل : إذا قطعته ، وصرمت النخلة ، إذا جذذت ثمرها . (معالم السنن للخطابى) جـ٥ ص ٢٤٠ .

(٢) هذه الكلمة غير واضحة فى (خ) ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٣) (سنن النسائى) جـ٨ ص ٣٢٦ باب إذا حكّموا رجلا فقضى بينهم .

(٤) (فضل الله الصمد) جـ٢ ص ٢٨٣ حديث رقم (٨١١) .

فصل في ذكر اجتهاد رسول الله ﷺ في طاعة ربه ومداومته على عبادته

خرَّج البخاري من حديث حيوة عن أبي الأسود ، سمع عروة عن عائشة رضي الله عنها أن نبي الله ﷺ كان يقوم الليل حتى تتفطر (١) قدماه ، فقالت عائشة : لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً ؟ فلما كثر لحمه صلى جالساً فإذا أراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع (٢) .

---

(١) تتفطر : تتشقق

(٢) (فتح الباري) جـ ٨ ص ٧٥١ ، كتاب التفسير ، سورة (٤٨) : باب (٢) ﴿ **ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيما** ﴾ حديث رقم (٤٨٣٧) .

وحيوة : هو ابن شريح المصري . وأبو الأسود : هو محمد بن عبد الرحمن النوفلي المعروف بيتيم عروة ، ونصف هذا الإسناد مصريون ونصفه مدنيون . قوله : « فلما كثر لحمه » ، أنكره الداودي وقال : المحفوظ « فلما بدن » أي كبر ، فكأن الراوي تأوله على كثرة اللحم .

وتعقبه أيضا ابن الجوزي فقال : لم يصفه أحد بالسمن أصلاً ، ولقد مات ﷺ وما شبع من خبز الشعير في يوم مرتين ، وأحسب بعض الرواه لما رأى « بدن » ظنه كثر لحمه ، وليس كذلك ، وإنما هو بدن تبديناً أي أسنّ ، قاله أبو عبيدة .

قال الحافظ ابن حجر : وفي استدلاله بأنه لم يشبع من خبز الشعير نظر ، فإنه يكون من جملة المعجزات ؛ كما في كثرة الجماع ، وطوافه في الليلة الواحدة على تسع وإحدى عشرة ، مع عدم الشبع وضيق العيش ، وأي فرق بين تكثير المني مع الجوع ، وبين وجود كثرة اللحم في البدن مع قلة الأكل ؟ وقد أخرج مسلم من طريق عبد الله بن عروة ، عن عائشة قالت : « لما بدن رسول الله ﷺ وثقل كان أكثر صلاته جالساً » ، لكن يمكن تأويل قوله : « ثقل » ، أي ثقل عليه حمل لحمه ، وإن كان قليلاً لدخوله في السن .

قوله: «صلى جالساً ، فإن أراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع» في رواية هشام بن عروة عن أبيه ، « قام فقرأ نحواً من ثلاثين أو أربعين آية ثم ركع » ، أخرجاه .

وأخرجا من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن عائشة بلفظ ، « فإذا بقي من قراءته نحو من ثلاثين أو أربعين آية ، قام فقرأها وهو قائم ثم ركع » .

ولمسلم من طريق عمرة عن عائشة : « فإذا أراد أن يركع قام فقرأ قدر ما يقرأ إنسان أربعين آية » . وقد روى مسلم من طريق عبد الله بن شقيق عن عائشة في صفة تطوعه ﷺ ، وفيه : « وكان إذا قرأ وهو قائم ركع وسجد وهو قائم ، وإذا قرأ قاعداً ركع وسجد وهو قاعد » . وهذا محمول على حالته الأولى قبل أن يدخل في السنّ جمعاً بين الحديثين . (المرجع السابق) : ٧٥٢ .

وخرَّجه مسلم من حديث أبي صخر عن ابن قسيط عن عروة عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تفطر رجلاه ، قالت عائشة : يا رسول الله ! أتصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : أفلا أكون عبداً شكوراً ؟[1] .

ولهما من حديث أبي عوانة عن زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبة أن النبي ﷺ صلى حتى انتفخت قدماه ، فقيل له : أتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : أفلا أكون عبداً شكوراً ؟ [2] .

وللبخاري من حديث مسعر[3] عن زياد قال : سمعت المغيرة يقول : إنْ كان النبي ﷺ ليقوم أو يصلي حتى ترم قدماه أو ساقاه ، فيقال له ، فيقول : أفلا أكون عبداً شكوراً ؟[4] .

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : جـ ١٧ ص ١٦٨ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، حديث رقم (٨١ - ٢٨٢٠) .

والتفطر : التشقق ، قالوا : ومنه فطر الصائم ، وأفطره لأنه خرق صومه وشقه ، قال القاضي : الشكر ، معرفة إحسان المحسن والتحدث به ، وسميت المجازاة على فعل الجميل شكراً ، لأنها تتضمن الثناء عليه ، وشكر العبد لله تعالى اعترافه بنعمه وثناؤه عليه ، وتمام مواظبته على طاعته ، وأما شكر الله تعالى أفعال عِبَاده ، فمجازاته إياهم عليها ، وتضعيف ثوابها ، وثناؤه بما أنعم به عليهم ، فهو المعطي والمثني سبحانه ، والشكور : من أسمائه سبحانه وتعالى بهذا المعنى ؛ والله أعلم . (المرجع السابق) : ص ١٦٨ - ١٦٩ .

(٢) (مسلم بشرح النووي) جـ ١٧ ص ١٦٨ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، حديث رقم (٧٩ - ٢٨١٩) .

(٣) في (خ) : « مسعود » وما أثبتناه من (البخاري) .

(٤) (فتح الباري) : جـ ٣ ص ١٨ حديث رقم (١١٣٠) . قال الحافظ ابن حجر : الفاء في قوله : « أفلا أكون » للسببية ، وهي عن محذوف تقديره : أأترك تهجدي فلا أكون عبداً شكوراً ، والمعنى : أن المغفرة سبب لكون التهجد شكراً فكيف أتركه ؟

قال ابن بطال : في هذا الحديث أخذ الإنسان على نفسه بالشدة في العبادة ، وإن أضرَّ ذلك ببدنه ، لأنه ﷺ إذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له ، فكيف بمن لم يعلم بذلك ، فضلاً عمن لم يأمن أنه استحق النار .

ومحل ذلك ما إذا لم يُفْضِ إلى الملال ، لأن حال النبي ﷺ كانت أكمل الأحوال ، فكان لا يمل من عبادة ربه وإن أضرَّ ذلك ببدنه ، بل صح أنه قال : « وجعلت قرة عيني في الصلاة » ، كما أخرجه النسائي من حديث أنس ، فأما غيره ﷺ فإذا خشي الملل لا ينبغي له أن يُكره نفسه ، وعليه يُحمل قوله ﷺ « خذوا من الأعمال ما تطيقون ، فإن الله لا يمل حتى تملوا » .

وله من حديث أبي عيينة ، أخبرنا زياد أنه سمع المغيرة يقول : قام النبي ﷺ حتى تورمت قدماه ، فقيل له : قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، قال : أفلا أكون عبداً شكوراً ؟[1] .

وخرَّج قاسم بن أصبغ من حديث سفيان عن زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبة قال : قال رسول الله ﷺ : جُعلت قُرة عيني الصلاة[2] ، وكان يصلي حتى ترم قدماه ، قال : فقيل له يا رسول الله ! أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : أفلا أكون عبداً شكوراً ؟

وله من حديث شعبة عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يصلي حتى ترم قدماه ، فقيل له : تفعل هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : أفلا أكون عبداً شكوراً ؟

وخرَّج ابن حبان في صحيحه من حديث أبي اسحاق عن حارثة بن مضرب أن علياً قال : إن رسول الله ﷺ لما أصبح ببدر من الغد أحيا تلك الليلة كلها وهو مسافر[3] .

وفيه : مشروعية الصلاة للشكر ، وفيه أن الشكر يكون بالعمل ، كما يكون باللسان ، كما قال تعالى : ﴿ **إعملوا آل داود شكراً** ﴾

وقال القرطبي : ظن من سأله عن سبب تحمله المشقه في العبادة أنه إنما يعبد الله خوفاً من الذنوب وطلباً للمغفرة والرحمة ، فمن تحقق أنه غُفر له لا يحتاج إلى ذلك ، فأفادهم أن هناك طريقاً آخر للعبادة وهو الشكر على المغفرة ، وإيصال النّعمة لمن لا يستحق عليه فيها شيئاً ، فيتعين كثرة الشكر على ذلك .

والشكر : الاعتراف بالنعمة والقيام بالخدمة ، فمن كثر ذلك منه سُمّي شكوراً ، ومن ثم قال سبحانه وتعالى : ﴿ **وقليل من عبادي الشكور** ﴾ وفيه : ما كان عليه النبي ﷺ من الاجتهاد في العبادة ، والخشية من ربه ، قال العلماء : إنما ألزم الأنبياء أنفسهم بشدّة الخوف لعلمهم بعظيم نعمة الله تعالى عليهم ، وأنه ابتدأهم بها قبل استحقاقها ، فبذلوا مجهودهم في عبادته ليؤدوا بعض شكره ، مع أن حقوقه أعظم من أن يقوم بها العباد . وطرفه في الحديث رقم (٦٤٧١) .

(١) (المرجع السابق) : جـ ٨ ص ٧٥١ حديث رقم (٤٨٣٦) : « حدثنا صَدَقَةُ بن الفضل ، أخبرنا ابن عيينة ، حدثنا زياد أنه سمع المغيره يقول : « قام النبي ﷺ ؛ حتى تورمت قدماه ، فقيل له : غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، قال : أفلا أكون عبداً شكوراً » .

(٢) (البداية والنهاية) : جـ ٦ ص ٣٠ ، (كنز العمال) : جـ ٧ ص ٢٨٦ حديث رقم (١٨٩١٢) ، الطبراني عن أنس .

(٣) (الإحسان) : ج ١١ ص ٧٣ ، حديث رقم (٤٧٥٩) ، إسناده حسن ، رجاله رجال الشيخين ،

ومن حديث شعبة عن حارثة بن مضرب عن علي رضي الله عنه قال : ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد ، ولقد رأيتنا وما فينا قائم إلا رسول الله ﷺ تحت شجرة يصلي ويبكي حتى أصبح(١)

وخرَّج الإمام أحمد من حديث مالك عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر عن أبي يوسف مولى عائشة عن عائشة أن [رجلاً سأل رسول الله ﷺ] فقال : يا رسول الله ، تدركني الصلاة وأنا جنب ، وأنا أريد الصيام فقال رسول الله ﷺ وأنا تدركني الصلاة وأنا جنب وأنا أريد الصيام فأغتسل وأصوم ، فقال الرجل : إنا لسنا مثلك ، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فغضب رسول الله وقال : والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله عز وجل وأعلمكم بما أتقى(٢)

وخرَّج ابن عساكر من حديث آدم ، أخبرنا أبو شيبة عن عطاء الخراساني عن أبي عمران الجوني عن عائشة قالت : كان أحب الأعمال إلى رسول الله أربعة ، فعملان يجهدان ماله وعملان يجهدان جسده ، فأما اللذان يجهدان ماله فالجهاد والصدقة ، وأما اللذان يُجهدان جسده فالصوم والصلاة(٣).

وخرَّج من حديث عبد الرزاق ، أخبرنا ابن جريج قال : قال عبد الله بن أبي مليكة : سمعت أهل عائشة يذكرون عنها أنها كانت تقول : كان رسول الله شديد الإنصاب لجسده في العبادة ، غير أنه حين دخل في السن وثقل من اللحم كان أكثر ما يصلي وهو قاعد(٣).

غير حارثة بن مضرب ، فقد روى له أصحاب السنن ، وهو ثقة ، والأزرق بن علي ، ذكره المؤلف في الثقاتِ وقال : يُغرب ، وروىَ عنه أبو يعلي ، وابن عاصم ، وعبد الله بن أحمد ، وأبو زرعة ، وغيرهم ، وأخرج له الحاكم في (المستدرك) ، وقد اعتمد الشيخان رواية يوسف بن أبي إسحاق ، وهو يوسف بن إسحاق بن أبي إسحاق ، عن جده .

(١) (المرجع السابق) : جـ ٦ ص ٣٢ حديث رقم (٢٢٥٧) ، وإسناده صحيح . رجاله ثقات رجال الصحيح غير حارثة بن مضرب ، وهو ثقة روى له أصحاب السنن .

(٢) (مسند أحمد) : جـ ٧ ص ١٠٠ ، حديث رقم (٢٣٨٦٤) ، ص ٣٤٩ ، حديث رقم (٢٥٥٥٢) باختلاف يسير ، من حديث عائشة أيضاً .

(٣) لم أظفر بهما فيما بين يديّ من مراجع .

وخرَّج البخاري [1] ومسلم [2] وأبو داود [3] من حديث منصور عن إبراهيم عن علقمة قال : سألت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قلت : يا أم المؤمنين ، كيف كان عمل رسول الله ﷺ ؟ هل كان يخص شيئاً من الأيام ؟ قالت : لا ، كان عمله ديمة ، وأيّكم تستطيعون ما كان رسول الله ﷺ يستطيع . ذكره البخاري في كتاب الرقاق ، وفي كتاب الصيام [4]

وخرَّج البخاري من حديث عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن همام بن منبه قال : هذا ما حدثني أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : أياكم والوصال ، قال : قلت : فإنك تواصل يا رسول الله ، قال : إني لست في ذاكم مثلكم ، إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني ، فاكلفوا من العمل مالكم به طاقة [5] . وخرَّجه مسلم من

---

(١) (فتح الباري) : جـ ٤ ص ٢٩٥ ، حديث رقم (١٩٨٧) ولفظه : حدثنا مُسدَّدٌ ، حدثنا يحيى عن سفيان عن منصور عن إبراهيم عن علقمة « قلتُ لعائشة رضي الله عنها : هل كان رسول الله ﷺ يختصُّ من الأيام شيئاً ؟ قالت : لا ، كان عمله دِيمة ، وأيكم يُطيق ما كان رسول الله ﷺ يُطيق » ؟ و (المرجع السابق) : جـ ١١ ص ٣٥٥ ، حديث رقم (٦٤٦٦) ، « سألتُ أم المؤمنين عائشة قلت : يا أم المؤمنين ، كيف كان عمل النبي ﷺ ، هل كان يخص شيئاً من الأيام ؟ قالت : لا ، كان عملُه دِيمة ، وأيكم يستطيع ما كان النبي ﷺ يستطيع » ؟

قوله : « كان عمله ديمة » ، بكسر الدال المهملة وسكون التحتانية أي دائماً ، والديمة في الأصل المطر المستمر مع سكون بلا رعد ولا برق ، ثم استُعمل في غيره ، وأصلها الواو ، فا نقلبت بالكسره قبلها ياء .

قوله : « وأيكم يستطيع » أي في العبادة ، كميةً كانت أو كيفية من خشوع وخضوع وإخبات وإخلاص . والله أعلم . (المرجع السابق) .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : جـ ٦ ص ٣١٩ حديث رقم (٢١٧ - ٧٨٣) ، « حدثنا زهير بن حرب ، وإسحاق بن إبراهيم ، قال زهير : حدثنا جرير عن منصور ، عن إبراهيم عن علقمة قال : سألتُ أم المؤمنين عائشة ، قال : قُلت : يا أم المؤمنين ، كيف كان عمل رسول الله ﷺ هل كان يخص شيئاً من الأيام ؟ قالت : لا ، كان عمله ديمة ، وأيكم يستطيع ما كان رسول الله ﷺ يستطيع » ؟ .

(٣) (عون المعبود) : جـ ٤ ص ١٧٠ ، حديث رقم (١٣٦٧) .

(٤) وأخرجه أيضاً :

الإمام أحمد في (المسند) : جـ ٧ ص ٦٦ ، حديث رقم (٢٣٦٤٢) ، ص ٨٣ ، حديث رقم (٢٣٧٦١) ، ص ٢٧١ ، حديث رقم (٢٥٠٣٤) ، وفي (الزهد) : ص ٨ .

ابن حبان في صحيحه ، (الإحسان) : جـ ٢ ص ٢٦ ، حديث رقم (٣٢٢) ، جـ ٨ ص ٤٠٨ ، حديث رقم (٣٦٤٧) .

(٥) (فتح الباري) : جـ ٤ ص ٢٥٨ ، حديث رقم (١٩٦٦) ، قوله : « بما تطيقون » ، في رواية أحمد : « بما لكم به طاقة » ، وكذا لمسلمٍ من طريق أبي الزناد عن الأعرج . قوله : « يطعمني ويسقيني » ، أي =

أوجه[1] .

وخرَّجا معناه من حديث ابن عمر وأنس وعائشة والنسائي في كتاب عمل اليوم والليلة من [حديث] سعيد بن عبد العزيز عن إسماعيل بن عبيد الله عن خالد بن عبد الله بن الحسين قال : سمعت أبا هريرة يقول : ما رأيت أحداً أكثر أن يقول : أستغفر الله وأتوب إليه من رسول الله ﷺ ، قال : إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة[2] .

يشغلني بالتفكر في عظمته ، والتملي بمشاهدته ، والتغذي بمعارفه ، وقره العين بمحبتة ، والاستغراق في مناجاته ، والإقبال عليه عن الطعام والشراب . وإلي هذا جنح ابن القيم وقال : قد يكون هذا الغذاء أعظم من غذاء الأجساد ، ومن له أدنى ذوق وتجربة يعلم استغناء الجسم بغذاء القلب والروح ، عن كثير من الغذاء الجسماني .

ولاسيما الفَرِح المسرور بمطلوبه ، الذي قرت عينه بمحبوبه . (المرجع السابق)

(١) (مسلم بشرح النووي) : جـ ٧ ص ٢٢٠ ، حديث رقم (٥٨ - (...)) ، قوله : « إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني » معناه : يجعل الله تعالى في قوة الطاعم والشارب ، وقيل : هو على ظاهره ، وأنه يطعم من طعام الجنة كرامة له ، والصحيح الأول ، لأنه لو أكل حقيقة ، لم يكن مواصلاً . ، قوله : « فَاكْلَفُوا من الأعمال ما تطيقون » ، هو بفتح اللام ، ومعناه : خذوا وتحملوا . (المرجع السابق) .

وخرجه أيضاً : الإمام أحمد في (المسند) : جـ ٢ ص ٤٦١ ، حديث رقم (٧١٢٢) ، وص ٤٨٤ ، حديث رقم (٧٢٨٦) .

البيهقي في (السنن الكبرى) : جـ ٤ ص ٢٨٢ ، باب النهي عن الوصال في الصوم .

مالك في (الموطأ) : جـ ٢ ص٢٤٠ ، حديث رقم (٦٧٦) ، باب النهي عن الوصال في الصيام ، وص ٢٤٣ ، حديث رقم (٦٧٧) ، قوله : (إني لستُ كهيئتكم) ، أي ليس حالي كحالكم ، والمراد لستُ كأحدكم . (شرح الزرقاني على الموطأ) .

الدارمي في (السنن) : جـ ٢ ص ٨ باب النهي عن الوصال في الصوم .

(٢) (مسند أحمد) : جـ ٣ ص ٢٠٢ ، حديث رقم (٩٥١٥) ، (حلية الأولياء) : جـ ٢ ص ٨٨ ، ترجمة رقم (١٧٣) ، أبو بكر بن عبد الرحمن وقال فيه « أكثر من سبعين مرة » ثم قال : رواه عقيل وغيره عن الزهري ، ولم يروه عن موسى بن عقبة إلا سليمان ، (فتح الباري) : جـ ١١ ص ١٢١ ، حديث رقم (٦٣٠٧) باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة ، قوله : إني لأ ستغفر الله وأتوب إليه » ظَاهِرُهُ أنه يطلب المغفرة ، ويعزم على التوبة ، ويحتمل أن يكون المراد يقول هذا اللفظ بعينه ، ويرجح الثاني ما أخرجه النسائي بسند جيد من طريق مجاهد عن ابن عمر ، أنه سمع النبي ﷺ يقول : « أستغفر الله الذي لا إلّه إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه في المجلس قبل أن يقوم مائة مرة » .

وله من رواية محمد بن سوقة عن نافع عن ابن عمر بلفظ « إنا كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس : رب اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الغفور ، مائة مرة » ، (كنز العمال) : جـ ١ ص ٤٨٣ حديث رقم (٢١١٣ - ٢١١٤) ، (صحيح سنن ابن ماجة) جـ ٢ ص ٣٢١ ، حديث رقم (٣٠٧٦ - ٣٨١٥) ، وقال فيه : « مائة مرة » ، قال الألباني : حسن صحيح ، (المرجع السابق) : =

وله من حديث مغيرة بن أبي الخواء الكندي عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن جده قال : جاء رسول الله ﷺ ونحن جلوس فقال : ما أصبحتُ غداةً قط إلا استغفرتُ الله فيها مائة مرة[1] .

وله من حديث عفان عن حماد بن سلمة قال : أخبرنا ثابت عن أبي بردة عن [الأغر المزني][2] قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنه ليغان على قلبي حتى استغفر الله في كل يوم مائة مـرة[3] .

حديث رقم (٣٠٧٧ - ٣٨١٦) ، وقال فيه « سبعين مرة » ، قال الألباني : صحيح .

(١) (المطالب العالية) : جـ ٣ ص ١٩٧ ، حديث رقم (٢٣٤٢) ، رواه الطبراني بغير هذا اللفظ ، وبزيادة . « وأتوب إليه » قال الهيثمي : رجال أحد إسناديه رجال الصحيح (١٠ / ٢٠٩) ، وصحح إسناده البوصيري (٣/ ٩٦) .

(٢) مابين القوسين غير واضح في (خ) ، وما أثبتناه من (صحيح مسلم) .

(٣) (مسلم بشرح النووي) : جـ ١٧ ص ٢٦ - ٢٧ ، حديث رقم (٤١ - ٢٧٠٢) باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه ، وقال فيه : « إنه ليغان على قلبي ، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة » .
قال أهل اللغة : الغين والغيم بمعنى ، والمراد هنا ما يتغشّى القلب . قال القاضي :
قيل : المراد الفترات والغفلات عن الذكر الذي كان شأنه الدوام عليه ، فإذا فتر عنه أو غفل ، عدَّ ذلك ذنباً واستغفر منه .
وقيل : هو همه بسبب أمته ، وما أطلع عليه من أحوالها بعده فيستغفر لهم .
وقيل : سببه اشتغاله بالنظر في مصالح أمته وأمورهم ، ومحاربة العدو ومداراته ، وتأليف المؤلفة ، ونحو ذلك ، فيشتغل بذلك من عظيم مقامه ، فيراه ذنباً بالنسبة إلي عظيم منزلته ، وإن كانت هذه الأمور من أعظم الطاعات ، وأفضل الأعمال ، فهي نزول عن عالي درجته ، ورفيع مقامه ، من حضوره مع الله تعالى ، ومشاهدته ، ومراقبته ، وفراغه مما سواه ، فيستغفر لذلك .
وقيل : يحتمل أن يكون هذا الغين هو السكينة التي تغشي قلبه ، لقوله تعالى : ﴿ **فأنزل السكينة عليهم** ﴾ (آية ١٨ / الفتح) ، ويكون استغفاره إظهاراً للعبودية والافتقار ، وملازمة الخشوع ، وشكراً لما أولاه .
وقيل : يحتمل أن يكون هذا الغين حال خشية وإعظام يغشي القلب ، ويكون استغفاره شكراً كما سبق .
وقيل : هو شيء يعتري القلوب الصافية ، مما تتحدث به النفس ، فهو شأنها ، والله أعلم . (المرجع السابق) .
(عون المعبود) : جـ ٤ ص ٢٦٥ ، حديث رقم (١٥١٢) وقال فيه : « في كل يوم مائة مرة » ، قال في النهاية : وغينت السماء تغان إذا أطبق عليها الغيم ، وقيل : الغين شجر مُلْتَف . أراد ما يغشاه من السهو الذي لا يخلو منه البشر ، لأن قلبه أبداً كان مشغولاً بُالله تعالى ، فإن عرض له وقتاً ما عارض بشرىّ يشغله عن أمور الأمة أو الملة ومصالحهما ، عدَّ ذلك ذنباً وتقصيراً ، فيفرغ إلى الاستغفار .

ومن حديث جعفر بن سليمان عن ثابت عن أبي بردة عن رجل من أصحابه قال : قال رسول الله ﷺ إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله كل يوم مائة مرة .

ومن حديث سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال : حدثني أبو بردة قال : جلست إلى رجل من المهاجرين يعجبني تواضعه ، فسمعته يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب إلى الله وأستغفره كل يوم [مائة] مرة ، أو قال : أكثر من مائة مرة [1] .

وقال السيوطي : هذا من المتشابه الذي لا يُعلم معناه . وقد وقف الأصمعي إمام اللغة على تفسيره وقال : لو كان قلب غير النبي ﷺ لتكلمت عليه .

وقال السنديّ : وحقيقته بالنظر إلى قلب النبي ﷺ لا تدري ، وإن قَدْرَهُ ﷺ أجلّ وأعظم مما يخطر في كثير من الأوهام ، فالتفويض في مثله أحسن ؛ نعم القدر المقصود بالإفهام مفهوم ، وهو أنه ﷺ كان يحصل له حالة داعية إلي الاستغفار ، فيستغفر كل يوم مائة مرة ، فكيف غيره . والله أعلم . (المرجع السابق) .

(مسند أحمد) : جـ ٥ ص ٢٤٢ ، حديث رقم (١٧٣٩٢) ، وقال فيه : « فإني أستغفر الله » ، وحديث رقم (١٧٣٩٣) ، وقال فيه : « حتى أستغفر الله » . كلاهما من حديث الأغرّ المزنيّ رضى الله تعالى عنه .

(السنن الكبرى للبيهقي) : جـ ٧ ص ٥٢ باب : كان يغان على قلبه ، فيستغفر الله ويتوب إليه في اليوم مائة مرة .

(إتحاف السادة المتقين) : جـ ٥ ص ٢٨٤ ، كتاب الأذكار والدعوات ، الباب الثاني : قوله : « إنه لَيُغان على قلبي » ، الغين : شيء رقيق من الصدأ يغشى القلب فيغطيه بعض التغطية ، وهو كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهواء ، فلا يحجب الشمس ، لكنه يمنع ضوءها . والمزني : له صحبه ، روي عنه معاوية ابن قرة ، وأبو بردة . (المرجع السابق) .

(جامع الأصول) : جـ ٤ ص ٣٨٦ ، حديث رقم (٢٤٤٣) ، قوله : « لَيُغان على قلبي » ، أي لَيُغطي ويُغشى ، والمراد به : السهو ، لأنه كان لا يزال في مزيد من الذكر والقُربة ، ودوام المراقبة ، فإذا سها عن شيء منها في بعض الأوقات ، أو نسي ، عدّه ذنباً على نفسه ، ففزع إلى الاستغفار . (المرجع السابق) .

(كنز العمال) : جـ ١ ص ٤٧٦ ، حديث رقم (٢٠٧٥) .

(١) (مسلم بشرح النووي) جـ ١٧ ص ٢٧ ، حديث رقم (٤٢ - (...)) ، وقوله : « يأيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب في اليوم مائة مرة » ، هذا الأمر بالتوبة موافق لقوله تعالى ﴿ **وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون** ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبه نصوحاً** ﴾ ، (آية ٣١ / النور) ، (آية ٨ / التحريم) على الترتيب . وقد سبق في الباب قبله بيان سبب استغفاره وتوبته ﷺ ، ونحن إلى الاستغفار والتوبة أحوج .

قال أصحابنا وغيرهم من العلماء : للتوبة ثلاثة شروط : أن يقلع عن المعصية ، وأن يندم على فعلها ، =

ورواه النضر بن شميل من حديث محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : إني لأستغفر الله وأتوب إليه في كل يوم مائة مرة[1] .

وخرج الإمام أحمد من حديث داود عن الشعبي عن مسروق قالَ : قالت عائشة : كان رسول الله ﷺ يكثرفي آخر أمره من قول : سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه ، قالت : فقلت : يا رسول الله ! مالي أراك تكثر من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه ؟ قال : إني ربي عزّ وجل كان أخبرني أني

وأن يعزم عزماً جازماً أن لا يعود إلى مثلها ، فإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فلها شرط رابع ، وهو رد الظلامة إلى صاحبها ، أو تحصيل البراءة منه . والتوبة من أهم قواعد الإسلام ، وهي أول مقامات سالكي طريق الآخرة . (المرجع السابق) .

(مسند أحمد) : جـ ٥ ص ٢٤٢ ، حديث رقم (١٧٣٩٤) من حديث الأغَرّ المزني ، ص ٢٢٢ ، حديث رقم (١٧٨٢٨) من حديث الأغر المزني أيضاً ، ص ٣٢٢ ، حديث رقم (١٧٢٩) عن رجل رضي الله عنه ، حديث رقم (١٧٨٣٠) ، من حديث رجل من المهاجرين رضي الله عنه ، لعل الرجل المجهول في هذين الحديثين هو الأغَرّ المزني ، جـ ٦ ص ٥٧٠ ، حديث رقم (٢٢٩٧٧) ، من حديث شيخ من أصحاب النبي ﷺ ، حدثنا عبد الله ، حدثني أبي ، حدثنا اسماعيل ، حدثنا يونس عن حميد بن هلال ، عن أبي بردة قال : جلست إلي شيخ من أصحاب النبي ﷺ في مسجد الكوفة ، فحدثني فقال : سمعت رسول الله ﷺ – أو قال : قال رسول الله ﷺ – : « يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه ، فإني أتوب إلى الله وأستغفره كل يوم مائة مرة ، فقلت : اللهم إني أستَغْفِرُك اثنتان ، قال : هو ما أقول لك .

(علل الحديث) : جـ ٢ ص ١٣٧ حديث رقم (١٩٠٤) : سألت أبي عن حديث رواه يحيى القطان ، عن سليمان بن المغيرة ، عن حميد بن هلال ، عن أبي برزة ، عن رجل من المهاجرين يعجبني تواضعه ... فذكر الحديث . قال أبي : يقال إن هذا الرجل هو الأغر المزني ، وله صحبه . (المرجع السابق) .

(المجموعة الصحيحة) : جـ ٣ ص ٤٣٥ ، حديث رقم (١٤٥٢) ، قال الألباني : وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ، وجهالة الصحابي لا تضر ، ويبدو أنه الأغر المزني .

(١) (سنن ابن ماجه) : جـ ٢ ص ١٢٥٤ ، كتاب الأدب ، حديث رقم (٣٨١٥) : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا محمد بن بشْر ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، وقال فيه : « مائة مرة »

وحديث رقم (٣٨١٦) : حدثنا على بن محمد ، حدثنا وكيع ، عن مغيرة بن أبي الحُرّ ، عن سعيد ابن أبي بردة بن أبي موسى ، عن أبيه ، عن جده ، وقال فيه : « سبعين مرة » .

(صحيح سنن ابن ماجه » : جـ ٢ ص ٣٢١ ، باب الاستغفار ، حديث رقم (٣٠٧٦ – ٣٨١٥) ، قال الألباني : حسن صحيح ، وحديث رقم (٣٠٧٧ – ٣٨١٦) ، قال الألباني ، صحيح .

سأرى علامة في أمتي وأمرني إذا رأيتها أن أسبح بحمده وأستغفره إنه كان تواباً ، فقد رأيتها ، ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً** ﴾[1] .

وخرّج البخاري ومسلم من حديث الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة السليماني عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : إقرأ عليّ القرآن ، فقلت : يا رسول الله ! أقرأ عليك القرآن وعليك أنزل ؟ قال : إني أشتهي أن أسمعه من غيري ، قال : [فقرأت عليه] حتى إذا بلغت ﴿ **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً** ﴾[2] ، فرفعت بصري أو غمزني رجل إلى جنبي فرفعت رأسي فرأيت دموعه تسيل . وقال البخاري : إني أحب أن أسمعه من غيري – وهنا انتهى حديثه – لم يذكر ما بعده . ترجم عليه باب من أحب أن يسمع القرآن من غيره ، وذكره في باب البكاء عند قراءة القرآن[3] .

---

(١) سورة النصر

(مسند أحمد) : جـ ٧ ص ٥٤ ، حديث رقم (٢٣٥٤٥) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها .

(ابن كثير في التفسير) جـ ٤ ص ٦٠٢ قال : ورواه مسلم من طريق داود بن هند به ، وقال ابن جرير : حدثنا أبو السائب ، حدثنا حفص ، حدثنا عاصم عن الشعبي ، عن أم سلمة قالت : كان رسول الله ﷺ في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ، ولا يذهب ولا يجيىء إلا قال : « سبحان الله وبحمده ، فقلت : يارسول الله ! رأيتك تكثر من سبحان الله وبحمده ، لا تذهب ولا تجيىء ، ولا تقوم ولا تقعد ، إلا قلت : « سبحان الله وبحمده » ؟ قال : إني أُمرت بها ، فقال : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ إلى آخر السورة . غريب .

ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه ، عن عمرو بن مرة ، عن شعبة ، عن إسحاق به . والمراد بالفتح هنا ، فتح مكة قولاً واحداً ، فإن أحياء العرب كانت تتلوم بإسلامها فتح مكة ؛ يقولون : إن ظهر على قومه فهو نبي ، فلما فتح الله عليه مكة دخلوا في دين الله أفواجاً ، فلم تَمْضِ سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب إيماناً ، ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام . ولله الحمد والمنة . (المرجع السابق) .

(٢) آية ٤١ / النساء

(٣) (اللؤلؤ والمرجان) جـ ١ ص ١٥٥ باب فضل استماع القرآن ، وطلب القراءة من حافظه للاستماع ، والبكاء عند القراءة والتدبر ، حديث رقم (٤٦٣) .

(فتح الباري) : جـ ٩ ص ١١٥ ، باب (٣٢) من أحبَّ أن يستمع القرآن من غيْرِه ، وباب (٣٣) قول المقرىء للقارىء : حسبك ، حديث رقم (٥٠٤٩) ، (٥٠٥٠) . قال ابن بطال : يحتمل أن يكون أَحَبَّ أن يسمعه من غيره ، ليكون عرض القرآن سنة . ويحتمل أن يكون لكي يتدبره ويتفهمه ، وذلك أن المستمع أقوى على التدبر ، ونفسه أخلى وأنشط لذلك من القارىء لاشتغاله بالقراءة =

وفي رواية لمسلم : قال لي رسول الله ﷺ وهو على المنبر إقرأ عليّ ، فذكره [1] .

وذكر البخاري في كتاب التفسير من حديث سفيان عن سليمان عن إبراهيم عن عبيده عن عبد الله قال يحيى بعض الحديث « عن عمرو بن مرة قال : قال لي النبي ﷺ إقرأ عليّ ، قلت : أقرأ عليك وعليك أنزل ، قال : إني أحب أن أسمعه من غيري ، فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت : ﴿ **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً** ﴾ قال : أمسك ، فإذا عيناه تذرفان »[2] . وذكره في فضائل القرآن وكرره[3] . وذكر له مسلم عدة طُرق .

وخرج الترمذي من حديث عبد الله بن المبارك ، حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال : أتيت النبي ﷺ وهو يصلي ،

= وأحكامها ، وهذا بخلاف قراءته هو ﷺ على أُبَيّ بن كعب ، فإنه أراد أن يعلمه كيفية أداء القراءة ، ومخارج الحروف ، ونحو ذلك . باختصار من (المرجع السابق) .

(المرجع السابق) : ص ١٢١ ، باب ٣٥ البكاء عند قراءة القرآن ، حديث رقم (٥٠٥٥) ، (٥٠٥٦) . قال الغزالي : يستحب البكاء مع القراءة وعندها ، وطريق تحصيله أن يحضر قلبه الحزن والخوف ، بتأمل ما فيه من التهديد والوعيد الشديد ، والمواثيق والعهود ، ثم ينظر تقصيره في ذلك ، فإن لم يحضره حزن فليبك على ذلك ، فإنه من أعظم المصائب .

قال ابن بطال : إنما يبكي عند تلاوه هذه الآية لأنه مثل لنفسه أهوال يوم القيامة ، وشدة حال الداعية له إلى شهادته لأمته بالتصديق ، وسؤاله الشفاعة لأهل الموقف ، وهو أمر يحق له طول البكاء .

والذي يظهر أنه بكى رحمة لأمته ، لأنَّه علم أنه لابد أن يشهد عليهم بعملهم ، وعملهم قد لا يكون مستقيما ، فقد يُفضي إلى تعذيبهم . والله أعلم . (المرجع السابق) .

(١) (مسلم بشرح النووي) : جـ ٦ ص ٣٣٤ – ٣٣٥ ، باب (٤٠) ، فضل استماع القرآن ، وطلب القراءة من حافظ للاستماع والبكاء عند القراءة والتتبع

حديث رقم (٢٤٧ – ٨٠٠) ، وحديث رقم (٢٤٨ – ٨٠٠) ، وفي هذا الحديث من الفوائد : استحباب استماع القراءة والإصغاء لها ، والبكاء عندها ، وتدبرها ، واستحباب طلب القراءة من غيره ليستمع له ، وهو أبلغ في التفهم والتدبر من قراءته بنفسه ، وفيه تواضع أهل العلم والفضل ، ولو مع أتباعهم . (المرجع السابق) .

(٢) (فتح الباري) : جـ ٨ ص ٣١٧ ، كتاب التفسير ، حديث رقم (٤٥٨٢)

(٣) (المرجع السابق) : جـ ٩ ص ١١٥ ، كتاب فضائل القرآن باب من أحب أن يسمع القرآن من غيره ، حديث رقم (٥٠٤٩) ، باب قول المقريء للقاريء : حسبُك ، حديث رقم (٥٠٥٠) .

ولجوفه أزيز[1] كأزيز المرجل (من البكاء)[2] .

وخرجه ابن حبان من حديث هدبه عن حماد بمثله سواء[3] .

ورواه يزيد بن هارون عن حماد عن ثابت عن مطرف عن أبيه أنه قال : رأيت

---

(١) أزيز : أي خَنين من الخوف بالخاء المعجمة ، وهو صوت البكاء ، وقيل : هو أن يجيش جوفه ويغلي بالبكاء . (النهاية) : جـ ١ ص ٤٥ ، ومنه الحديث : « فإن المسجد يتأزز » أي يموج فيه الناس وفي حديث الأسْتَر : « كان الذي أزَّ أم المؤمنين على الخروج ابن الزبير » ، أي هو الذي حرَّكها وأزْعَجَها وحملها على الخروج ، وفي رواية أخرى : « أن طلحة والزبير أزَّا عائشة حتى خرجت » . وقال الحربي : الأزّ أن تحمل إنساناً على أمر بحيلة ورفق حتى يفعله . (المرجع السابق) ، وفي التنزيل : ﴿ **ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزُّهم أزًّا** ﴾ آية ٨٣ / مريم . ، (الشمائل المحمدية) : ص ٢٦٣ باب ما جاء في بكاء الرسول ﷺ ، حديث رقم (٣٢٣) .

(٢) مابين القوسين زيادة من المرجع السابق .

(٣) (الإحسان) : جـ ٢ ص ٤٣٩ ، كتاب الرقاق ، باب الخوف ، والتقوى ، ذكر البيان بأن المرء إذا تهجَّد بالليل وخلا بالطاعات ، يجب أن تكون حالةُ الخوف عليه غالبة لئلا يعجب بها وإن كان فاضلاً في نفسه ، تقياً في دينه ، حديث رقم (٦٦٥) : أخبرنا أبو يعلي ، حدثنا حَوْثَرة بن أشرس العدوي ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت البناني ، عن مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير ، عن أبيه قال : « دخلتُ على النبي ﷺ المسجد وهو قائم يصلي ، وبصدره أزيز كأزيز المِرْجَل » . إسناده صحيح ، حَوْثَرة بن أشرس : روي عنه أبو حاتم وأبو زرعة فيما ذكره ابن أبي حاتم في (الجرح والتعديل) : جـ ٣ ص ٢٨٣ ، ترجمة رقم (١٢٦٢) . وقال ابن حجر في (تعجيل المنفعة) : ص ١٠٩ ، ترجمة رقم (٢٤٣) : ورى عن حماد ابن سلمة ، وأبي الأشهب وجماعة ، وروى عنه عبد الله بن أحمد ، ومسلم بن الحجاج خارج الصحيح ، وأبو يعلي وغيرهم ، مات سنه إحدى وثلاثين ومائة ، ذكره ابن حبان في (الثقات) جـ ٨ ص ٢١٥ وقال : « حَوْثَرة بن أشرس العدوي ، أبو عامر ، من أهل البصرة ، يروي عن حماد بن سلمة والبصريين ، حدثنا عنه الحسن بن سفيان وأبو يعلي » . وباقي رجاله ثقات على شرط الصحيح .

و(الإحسان) جـ ٣ ص ٣٠ – ٣١ ، حديث رقم (٧٥٣) من طريق يزيد بن هارون ، عن حماد بهذا الإسناد ، وقال في آخره : « من البكاء » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : في هذا الخبر بَيانٌ واضح أن التحزن الذي أذن الله ، جلَّ وعلا ، فيه بالقرآن ، واستمع إليه وهو التحزن بالصوت مع بدايته ونهايته ؛ لأن بداءته هو العزم الصحيح على الانقلاع عن المزجورات ، ونهايته وفور التشمير في أنواع العبادات ، فإذا اشتمل التحزن على البداية التي وصفتها ، والنهاية التي ذكرتها ، صار المتحزن بالقرآن كأنه قذف بنفسه في مقلاع القربة إلي مولاه ، ولم يتعلق بشيء دونه .

و(مسند أحمد) : جـ ٤ ص ٦٠٤ ، حديث رقم (١٥٨٨٢) ، عن عبد الرحمن بن مهدي ، حديث رقم (١٥٨٩١) ، عن عفان ، كلاهما من حديث مطرف بن عبد الله عن أبيه رضي الله تعالى عنهما .

رسول الله ﷺ يصلي وفي صدره أزيز كأزيز الرحي من البكاء[1] .

وخرج الترمذي من حديث أبي كريب ، أخبرنا معاوية بن هشام عن شيبان عن أبي اسحاق عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله ! أراك شبت ! قال : شيبتني هود ، والواقعة ، والمرسلات ، وعم يتساءلون ، وإذا الشمس كورت . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه[2] .

---

(١) (عون المعبود) : جـ ٣ ص ١٢١ ، باب البكاء في الصلاة ، حديث رقم (٨٩٩) ، « المرجل » : القدر من حديد ، أو حجر ، أو خزف ، لأنه إذا نُصب كأنه أقيم على الرجل .

وفي الحديث دليل على أن البكاء لا يبطل الصلاة سواء ظهر منه حرفان أم لا ، وقد قيل : إن البكاء من خشية الله لم يُبطل ، وهذا الحديث يدل عليه . ويدل عليه أيضاً ما رواه ابن حبان بسنده إلى علي بن أبي طالب قال : « ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد بن الأسود ، ولقد رأيتنا وما فينا قائم إلا رسول الله ﷺ تحت شجرة يُصلي ويبكي حتى أصبح » ، وبَوَّب عليه : ذكر الإباحة للمرء أن يبكي من خشية الله . واستدل على جواز البكاء في الصلاة بقوله تعالى : ﴿ **إذا تُتلى عليهم آيات الرحمٰن خروا سُجَّداً وبُكِيّاً** ﴾ آية ٥٨ / مريم .

(صحيح سنن أبي دواد) : جـ ١ ص ١٧٠ باب البكاء في الصلاة ، حديث رقم ٧٩٩١ – ٩٠٤) قال الألباني : صحيح .

وأخرجه الحاكم في (المستدرك) : جـ ١ ص ٣٩٦ ، حديث رقم (٩٧١ – ٢٩٨) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه . والبيهقي في (السنن الكبرى) جـ ٢ ص ٢٥١ ، باب من بكى في صلاته فلم يظهر من صوته ما يكون كلاماً له هجاء ، إلا أنه قال : « ولجوفه أزيز كأزيز المرجل » ، من طريق يزيد بن هارون .

و(النسائي) : جـ ٣ ص ١٨ ، كتاب السهو ، باب البكاء في الصلاة ، حديث رقم (١٢١٣) .
(صحيح سنن النسائي) : جـ ١ ص ٢٦٠ حديث رقم (١١٥٦) . قال الألباني : صحيح .

(٢) (الشمائل المحمدية) ص ٥٦ – ٥٧ ، حديث رقم (٤١) ، وفيه : « يارسول الله قد شِبْتَ » . وهو صحيح بشواهده ، أخرجه الترمذيّ في (الجامع الصحيح) : جـ ٥ حديث رقم (٣٢٩٧) ، قال أبو عيسى : هذا حديث غريب ، لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه ، وروى عليُّ بن صالح هذا الحديث عن أبي إسحاق ، عن أبي جُحَيْفة نحو هذا . ورُوي عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة شيءٌ من هذا مرسلا .

وروى أبو بكر بن عَيَّاش عن أبي إسحاق عن عكرمة ، عن النبي ﷺ نحو حديث شيبان عن أبي إسحاق ، ولم يذكر فيه عن ابن عباس ، حدثنا بذلك هاشم بن الوليد الهَرَويُّ ، حدثنا أبو بكر بن عيَّاش .
(صحيح سنن الترمذي) : جـ ٣ ص ١١٣ حديث رقم (٢٦٢٧ – ٣٥٢٨) ، قال الألباني صحيح .
(الصحيحة) : جـ ٢ ص ٦٧٦ ، حديث رقم (٩٥٥) . =

وروى علي بن صالح هذا الحديث عن أبي اسحاق عن أبي جحيفه نحو هذا[1]، وقد روى عن أبي الحق عن أبي ميسرة شيء من هذا مرسلاً ، ورواه معاوية ابن هشام أيضاً عن شيبان عن فراس عن عطية عن أبي سعيد قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا رسول الله ! أسرع عليك الشيب ! فقال : شيبتني هود ، وأخواتها : الواقعة ، وعم يتساءلون ، وإذا الشمس كورت[2].

وقال سيف بن عمر عن محمد بن عون عن عكرمة عن ابن عباس قال : أَلَظَّ[3] رسول الله ﷺ بالواقعة والحاقة ، وعم يتساءلون ، والنازعات ، وإذا

= وأخرجه الحاكم في (المستدرك) : جـ ٢ ص ٥١٨ ، حديث رقم (٣٧٧٧ / ٩١٤) وقال : هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه . وابن سعد في (الطبقات) : جـ ١ ص ٤٣٥ : أخبرنا يعلي بن عبيد ، أخبرنا حجاج بن دينار بن محمد بن واسع قال : قيل : « يارسول الله أسْرَعَ عليك الشيب ! قال ﷺ : شيبتني ﴿ **الٓر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت** ﴾ وأخواتها » ، وعن الزهري عن أبي سلمة قال : قيل : « يارسول الله نرى في رأسك شيباً ! قال : ما لي لا أشيب وأنا أقرأ هوداً وإذا الشمس كورت ؟ » .

(١) أخرجه أيضاً أبو نعيم في (الحلية) جـ ٤ ص ٣٥٠ ، وقال : اختُلف على أبي إسحاق ، فرواه أبو إسحاق عن أبي جحيفة ، وروى عنه عمرو بن شرحبيل ، عن أبي بكر ، وروى عنه عن مسروق عن أبي بكر ، وروى عنه مصعب بن سعد عن أبيه ، وروى عنه عن عامر بن سعد عن أبي بكر ، وروى عنه عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، رضي الله تعالى عنهم . (المرجع السابق) .

والبيهقي في (الدلائل) جـ ١ ص ٣٥٧ – ٣٥٨ ، وللحديث شواهد من حديث عقبة بن عامر ، وأنس ، وعمران بن حصين ، وأبي سعيد ، وسهل بن سعد وغيرهم .

وأخرجه الخطيب في (تاريخ بغداد) جـ ٣ ص ١٤٥ من حديث ابن سيرين عنه بلفظ « شيبتني هود وأخواتها » عند ترجمة محمد بن غالب أبو جعفر التمتام رقم (١١٧٦) .

(٢) الحديث صحيح بشواهده كما سبق .

(٣) أَلَظَّ بالمكان ، وأَلَظَّ عليه : أقام به وألحَّ . وأَلَظَّ بالكلمة : لزمها . والإِلْظَاظُ : لزوم الشيء والمثابرة عليه . يقال : أَلْظَظْتُ به أُلِظّ إِلْظَاظًا . وأَلَظَّ فُلانٌ إذا لزمه . ولَظَّ بالشيء : لزمه مثل أَلَظَّ به . (النهاية) : ٤ / ٢٥٢ ، (لسان العرب) : ٧ / ١٥٩ ، (الفائق) : ٣ / ٣١٧ . ومنه حديث النبي ﷺ الذي أخرجه الإمام أحمد في (المسند) : ٥ / ١٨٩ ، حديث رقم (١٧١٤٣) ، وابن كثير في (التفسير) : ٤ / ٣٠١ في تفسير سورة الرحمٰن : « أَلِظُّوا بياذا الجلال والإكرام » وهذا الحديث أخرجه ابن حجر في (الكافي الشافي) : ص ٦٢ ، حديث رقم (٧٧) ، الترمذي من رواية يزيد الرقاشي . عن أنس ، ويزيد ضعيف ، ومن رواية مؤمل عن حماد بن حميد عن أنس مرفوعاً ، وقال غيره : محفوضاً ، وإنما هو عن حماد عن حميد عن الحسن مرسلاً وهو أصح ، وأخرجه من رواية مؤمل إسحاق وابن أبي شيبة وبالثاني أبو يعلي والبزار . قال ابن أبي حاتم في (العلل) : ٢ / ١٧٠ ، ٢ / ١٩٢ ، عن أبيه : أخطأ فيه مؤمل ، =

الشمس كورت ، وإذا السماء انفطرت ، فاستطار[1] فيه القتير[2] فقال له أبو بكر رضي الله عنه : أسرع فيك القتير[2] ! بأبي أنت وأمي ، فقال : شيبتني هود وصواحباتها[3] هذه ، وفيها ، والمرسلات .

وخرَّج البخاري من حديث أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ لن يُنجِيَ أحداً منكم عملُه ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله برحمة ، سدِّدُوا ، وقاربوا ، وأغدُوا ، وروحوا ، وشيءٌ من الدُّلْجةِ ، والقصد القصد (تبلَغوا)[4] ذكره في الرقاق[5]

= والصحيح مارواه أبو سلمة عن حماد عن ثابت . وحميد عن الحسن مرسلاً ، ورواه ابن مردويه من رواية روح بن عبادة ، عن حماد ، عن حميد عن أنس موصولاً أيضاً ، وهذه متابعة قوية لمؤمل .

وفي الباب عن ربيعة بن عامر بن نجاد ، أخرجه الحاكم في (المستدرك) : ١ / ٦٧٦ ، حديث رقم (١٨٣٦ / ٣٦) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يُخرّجاه ، وفيه رشد بن سعد ، وهو ضعيف ، وعن ابن عمر أخرجه ابن مردويه ، وإسناده ضعيف .

(١) استطار : انتشر وتفرق كأنه طار في نواحيها ، ومنه استطار الصدع في الحائط إذا انتشر فيه ، واستطار البرق إذا انتشر في السماء . (لسان العرب) : ٤ / ٥١٣ .

(٢) القتير : الشيب (سنن أبي دواد) : جـ ٢ ص ٥٨١ ، كتاب النكاح ، باب في تزويج من لم يولد ، وقال في (لسان العرب) : القتير : هو الشيب ، أول ما يظهر منه ، وفي الحديث : « وَبِقَرْن أيِّ النساء هي اليوم ؟ قال : قد رأتْ القتير » ، قال الخطابي : يُريد بسنٍّ أيِّ النساء هي ، والقرن : بنو سِنٍّ واحد ، يُقال : هؤلاء قرن زمان ، وفي النهاية : بقرن أي النساء هي ؟ أي بِسِنِّ أيتهن ؟ ، قد رأت القتير : كناية عن تجاوزها سنِّ التزويج . (عون المعبود) : ٣ / ٩٣ ، (لسان العرب) : ٥ / ٧٢ .

(٣) لم أقف على حديث شيبتني هود بلفظ (صواحباتها) .

(٤) تتمه من البخاري .

(٥) (فتح الباري) : ١١ / ٣٥٥ ، حديث رقم (٦٤٦٣) ، وبعده حديث رقم (٦٤٦٤) : « عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال : « سدِّدوا وقاربوا ، واعلموا أن لن يُدخِلَ أحدَكم عملُه الجنة ، وأن أحب الأعمال إلى الله أدْوَمُها وإن قَلَّ »

قوله : « ينجي » ، أي يخلص ، والنجاةُ من الشيء : التخلص منه ، قال ابن بطال في الجمع بين هذا الحديث وقوله تعالى : ﴿ **وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون** ﴾ ما محصله : أن تحمل الآية على أن الجنة تُنال المنازل فيها بالأعمال ، فإن درجات الجنة متفاوتة بحسب الأعمال ، وأن يحمل الحديث على دخول الجنة والخلود فيها ، ثم أورد على هذا الجواب قوله تعالى : ﴿ **سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون** ﴾ فصرح بأن دخول الجنة أيضاً بالأعمال ، وأجاب بأنه لفظ مجمل بينه الحديث ، والتقدير : ادخلوا منازل الجنة وقُصُورَها بما كنتم تعملون ، وليس المراد بذلك أصل الدخول .

وقال القاضي عياض : طريق الجمع أن الحديث فسَّر ما أجمل في الآية ، فذكر نحواً من كلام ابن بطال =

الأخير ، وأن من رحمة الله توفيقه للعمل ، وهدايته للطاعة ، وكل ذلك لم يستحقه العامل بعمله ، وإنما هو بفضل الله ورحمته .

وقال ابن الجوزي : يتحصل عن ذلك أربعة أجوبة : الأول أن التوفيق للعمل من رحمة الله ، ولولا رحمة الله السابقة ما حصل الإيمان ، ولا الطاعة التي يحصل بها النجاة . الثاني ، أن منافع العبد لسيده ، فعمله مستحق لمولاه ، فمهما أنعم عليه من الجزاء فهو من فضله .

الثالث ، جاء في بعض الأحاديث أن نفس دخول الجنة برحمة الله ، واقتسام الدرجات بالأعمال . الرابع ، أن أعمال الطاعات كانت في زمن يسير ، والثواب لا ينفد ، والإنعام الذي لا ينفد في جزاء مايَنْفَد بالفضل لا بمقابلة الأعمال .

وقال ابن القيم في كتاب (مفتاح دار السعادة) : الباء المقتضية للدخول ، غير الباء الماضية ، فالأولى السببية الدالة على أن الأعمال سبب الدخول المقتضية له ، كاقتضاء سائر الأسباب لمسبباتها ، والثانية بالمعاوضة ، نحو اشتريت منه بكذا ، فأخبر أن دخول الجنة ليس في مقابلة عمل أحد ، وأنه لولا رحمة الله لعبده لما أدخله الجنة ، لأن العمل بمجرده ولو تناهى لايوجب بمجرده دخول الجنة ، ولا أن يكون عوضاً لها ، لأنه لو وقع على الوجه الذي يحبه الله لا يقاوم نعمة الله ، بل جميع العمل لا يوازي نعمة واحدة ، فتبقى سائر نعمه مقتضية لشكرها ، وهو لم يوفها حق شكرها ، فلو عذَّبه في هذه الحالة لعذبه وهو غير ظالم ، وإذا رحمه في هذه الحالة ، كانت رحمته خيراً من عمله ، كما في حديث أُبيّ بن كعب ، الذي أخرجه أبو داود وابن ماجة في ذكر القَدَر ، ففيه : « لو أن الله عذَّب أهل سماواته وأرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم » .

قال : وهذا فَصْل الخطاب مع الجبرية الذين أنكروا أن تكون الأعمال سبباً في دخول الجنة من كل وجه . والقدرية الذين زعموا أن الجنة عوض العمل وأنها ثمنه ، وأن دخولها بمحض الأعمال . والحديث يُبطل دعوى الطائفتين .

قوله : « قالوا ولا أنت يارسول الله » ؟ قال الكرماني : إذا كان كل الناس لايدخلون الجنة إلا برحمة الله ، فوجه تخصيص رسول الله ﷺ بالذكر أنه إذا كان مقطوعاً له بأنه يدخل الجنة ثم لا يدخلها إلا برحمة الله ، فغيره يكون في ذلك بطريق الأُولى .

قوله : « برحمة » ، في رواية أبي عبيد : «بفضل ورحمة» ، وفي رواية الكشميني من طريقه : « بفَضْلِ رحمته » ، وفي رواية الأعمش : « برحمة وفضل » ، وفي رواية بشر بن سعيد : « منه برحمة » ، وفي رواية ابن عون : « بمغفرة ورحمة » قال أبو عبيد : المراد بالتغمد ، الستر ، وما أظنه إلا مأخوذاً من غمد السيف ، لأنك إذا أغمدت السيف فقد ألبسته الغمد وسترته به .

قال الرافعي : في الحديث أن العامل لا ينبغي أن يتكل على عمله في طلب النجاة ونيل الدرجات ، لأنه إنما عمل بتوفيق الله ، وإنما ترك المعصية بعصمة الله ، فكل ذلك بفضله ورحمته .

قوله : « سدّدوا » ، في رواية بشر بن سعيد ، عن أبي هريرة عند مسلم : « ولكن سدّدوا » ، ومعناه : اقصدوا السداد ، أي الصواب ، ومعنى هذا الاستدراك أنه قد يفهم من النفي المذكور نفي فائدة العمل ، فكأنه قيل : بل له فائدة ، وهو أن العمل علامة على وجود الرحمة التي تُدخل العامل الجنة ، فاعملوا واقصدوا بعملكم الصواب ، أي اتباع السنة من الإخلاص وغيره ليقبل عملكم ، فينزل عليكم

وخرَّجه مسلم من حديث ليث عن بكير عن بُسْر بن سعيد عن أبي هريرة عن رسول ﷺ أنه قال : لن يُنجي أحداً منكم عَملُه ، قال رجل : ولا إياك يا رسول الله ؟ قال : ولا إياي إلا أن يتغمدني الله منه برحمة ، ولكن سددوا[1] . وفي رواية له : قاربوا وسددوا ، واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله ، قالوا : يا رسول الله ، ولا أنت ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل[2] .

الرحمة . قوله « قاربوا » ، أي لا تفرطوا ، فتجهدوا أنفسكم في العبادة ، لئلا يُفضي بكم ذلك إلى الملال ، فتتركوا العمل فتفرطوا .

قوله : « واغدوا وروحوا وشيئاً من الدلجة » المراد بالغدو السير من أول النهار ، وبالرواح السير من أول النصف الثاني من النهار ، والدلجة (بضم المهملة وسكون اللام ويجوز فتحها وبعد اللام جيم » سير الليل ، يقال : سار دلجة من الليل ، أي ساعة ، فلذلك قال : شيئاً من الدلجة لعُسر سير جميع الليل .

فكأنه فيه إشارة إلى صيام جميع النهار ، وقيام بعض الليل ، وإلى أعمّ من ذلك من سائر أوجه العبادة ، وفيه إشارة إلى الحث على الترفق في العبادة ، وهو الموافق للترجمة ، وعبَّر بما يدل على السّير ، لأن العابد كالسائر إلى محل إقامته وهو الجنة . و« شيئاً » منصوب بفعل محذوف ، أي افعلوا .

قوله : « والقصْدَ القصْدَ » ، بالنصب على الإغراء ، أي الزموا الطريق الوسط المعتدل . (المرجع السابق) .

(١) (مسلم بشرح النووي) : ١٧ / ١٦٤ باب لن يدخل أحد الجنة بعمله ، بل برحمة الله تعالى : حديث رقم (٧١ - ٢٨١٦) ، قال الإمام النووي : اعلم أن مذهب أهل السنة أنه لا يثبت بالعقل ثواب ، ولا عقاب ، ولا إيجاب ، ولا تحريم ، ولا غيرهما من أنواع التكليف ، ولا تثبت هذه كلها ولا غيرها إلا بالشرع . ومذهب أهل السنة أيضاً أن الله تعالى لا يجب عليه شيء - تعالى الله - بل العالم ملكه ، والدنيا والآخرة في سلطانه ، يفعل فيهما ما يشاء ، فلو عَذَّب المطيعين والصالحين أجمعين وأدخلهم النار ، كان عدلاً منه ، وإذا أكرمهم ونعَّمهم وأدخلهم الجنة ، فهو فضل منه ، ولو نعَّم الكافرين وأدخلهم الجنة ، كان له ذلك ، ولكنه أخبر وخبره صدق ، أنه لا يفعل هذا ، بل يغفر للمؤمنين ، ويدخلهم الجنة برحمته ، ويعذب المنافقين ويدخلهم في النار عدلاً منه .

وأما المعتزلة فيثبتون الأحكام بالفعل ، ويوجبون ثواب الأعمال ، ويوجبون الأصلح ، ويمنعون خلاف هذا ، في ضبط طويل لهم ، تعالى الله عن اختراعاتهم الباطلة ، المنابذة لنصوص الشرع .

وفي ظاهر هذه الأحاديث دلالة لأهل الحق ، أنه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته ، وأما قوله تعالى : ﴿ **ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون** ﴾ و ﴿ **تلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون** ﴾ ، ونحوهما من الآيات الدالة على أن الأعمال يُدخل بها الجنة ، فلا يُعارض هذه الأحاديث ، بل معنى الآيات أن دخول الجنة بسبب الأعمال ، ثم التوفيق للأعمال ، والهداية للإخلاص فيها ، وقبولها برحمة الله تعالى وفضله ، فيصبح أنه لم يدخل بمجرد العمل ، وهو مراد الأحاديث ، ويصح أنه دخل بالأعمال ، أي بسببها ، وهي من الرحمة ، والله أعلم . (المرجع السابق) .

(٢) (المرجع السابق) : ص ١٦٦ ، حديث رقم (٧٦ - (...)) .

وله من حديث معقل عن أبي الزبير عن جابر قال : سمعت النبي ﷺ قال : ما من أحد يدخله عمله الجنة ، فقيل له : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة . [1] وذكره من طرق عديدة .

وللبخاري[2] ومسلم[3] من حديث موسى بن عقبة قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف يحدث عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول : قال رسول الله ﷺ : سددوا وقاربوا وأبشروا ، فإنه لن يدخل الجنة أحداً عملهُ ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمته ، واعلموا أن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل .

ولابن حبان من حديث جعفر بن عوف قال : حدثنا أبو جناب الكلبي ، حدثنا عطاء قال : دخلت أنا وعبد الله بن عمر وعبيد بن عمير على عائشة رضي الله عنها ، فقال ابن عمر : حدثيني بأعجب ما رأيت من رسول الله ، فسكتت ثم قالت : كل أمره كان عجباً ، أتاني في ليلتي حتى إذا دخل معني في لحافي ، وألصق جلده بجلدي ، قال : يا عائشة ، إئذني لي في ليلتي لربي ، فقلت ، إني أحب قربك وهواك ، فقام إلى قربة في البيت ، فما أكثر صب الماء ، ثم قام فقرأ القرآن ثم بكى حتى رأيت دموعه قد بلغت حجره ، ثم اتكأ على جنبه الأيمن ، ووضع يده اليمنى تحت خده ، ثم بكى حتى رأيت دموعه قد بلغت الأرض ، قالت : فجاءه بلال فآذنه بالصلاة ، فلما رآه يبكي قال : يا رسول الله ! أتبكي وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : أفلا أكون عبداً شكوراً ؟ وقال : أفلا أبكي وقد أنزل علي الليلة : ﴿ **إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار** ﴾[4] ،

---

(١) (المرجع السابق) : ص ١٦٧ ، حديث رقم (٧٧ - ٢٨١٧) .

(٢) (فتح الباري) : ١١ / ٣٥٥ ، حديث رقم (٦٤٦٧) ، وقال : « بمغفرة ورحمة » .

(٣) (مسلم بشرح النووي) : ١٧ / ١٦٧ حديث رقم (٧٨ - ٢٨١٨) .

(٤) سورة آل عمران الآيات ١٩٠ - ١٩١

وويل لمن قرأ هذه الآية ولم يتفكر فيها[1] .

وله من حديث شعبة عن أبي اسحاق قال : سمعت حارثة بن مضرب يحدث عن علي رضي الله عنه قال : لقد رأيتنا وما فينا قائم إلا رسول الله ﷺ تحت شجرة يصلي ويبكي حتى أصبح ، يعني ليلة القدر[2] .

وخرَّج البخاري من حديث معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : إني لأنقلب إلى أهلي فأجد التمرة ساقطة على فراشي فأرفعها لآكلها ، ثم أخشى أن تكون صدقة فألقيها[3] . وخرَّجاه من طرق متعددة .

---

(١) (الإحسان) : ٢ / ٣٨٦ ، كتاب الرقائق ، باب التوبة ، ذكر البيان بأن المرء إذا تخلى لزومُ البكاء على ما ارتكب من الحوبات وإن كان بائناً عنها مجتهداً في إثبات ضدها ، حديث رقم (٦٢٠) : أخبرنا عمران ابن موسى بن مُجاشع ، حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا يحيى بن زكريا ، عن إبراهيم بن سويد النُّخَعِيّ ، حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء قال : دَخَلْتُ أنا وعبيد بن عمير على عائشة فقالت لعُبَيْد بن عُمير : قد آن لك أن تزورنا ، فقال : أقول يا أُمَّه كما قال الأُوَلُ : زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا . قال : فقالت : دعونا من رَطانتكم هذه . قال ابن عمير : أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله ﷺ ، قال : فسكتت ثم قالت : لما كان ليلةٌ من الليالي قال : « يا عائشة ذريني أتعبَّد الليلة لربي » . قلت : والله إني لأُحِبُّ قُربَك ، وأُحِبَّ ما سرَّك . قالت : فقام فتطهر ، ثم قام يُصلي . قالت : فلم يزل يبكي حتى بلَّ حِجْرَه ، قالت : ثم بكى ، فلم يزل يبكي حتى بلَّ الأرض ، فجاء بلالٌ يُؤْذِنُهُ بالصلاة ، فلما رآه يبكي قال : يارسول الله ، لم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر ؟ قال : « أفلا أكون عبداً شكوراً ؛ لقد نزلت عليّ الليلة آية ، ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها ﴿ **إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار** ﴾ الآية كلها . إسناده قوي على شرط مسلم ، وأخرجه أبو الشيخ في (أخلاق النبي) : ص ١٨٦ عن الفريابي ، عن عثمان بن أبي شيبة ، بهذا الإسناد . وله طريق أخرى عن عطاء عند أبي الشيخ ص ١٩٠ - ٩٩١ وفيه أبو جناب الكلبي يحي بن أبي حية ، ضعفوه لكثرة تدليسه ، لكن صرَّح بالتحديث هنا ، فانتفت شبهة تدليسه .

(٢) سبق الإشارة إليه .

(٣) (جامع الأصول) : ٤ / ٦٥٧ ، حديث رقم (٢٧٤٨) ، البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ، البخاري في الزكاة وفي الجهاد ، ومسلم في تحريم الزكاة على النبي وآله .

قوله : « إني لأنقلب إلى أهلي فأجد التَّمْرَةَ ساقطة على فراشي ثم أرفها لأكلها ثم أخشى أن تكون صدقة فألقيها » ، وفيه تحريم الصدقة عليه ﷺ وأنه لا فرق بين صدقة الفرض والتطوع ، لقوله ﷺ : « لولا أن تكون من الصدقة لأكلتُها » فهي تعم النوعين ، ولم يقل الزكاة ، وفيه استعمال الورع ، لأن هذه التمرة لا تحرم بمجرد الاحتمال ، لكن الورع تركها . وفيه أن التمرة ونحوها من محقرات الأموال لا يجب تعريفها ، بل يُباح أكلها والتصرف فيها في الحال ، لأنه ﷺ إنما تركها خشية أن تكون من الصدقة لا لكونها لقطه ، وهذا الحكم متفق عليه ، وعلله أصحابنا وغيرهم بأن صاحبها في العادة لا يطلبها ، ولا يبقى له فيها =

وخرَّج الحاكم من حديث عبد الله بن المبارك ، أخبرنا أسامة بن زيد عن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ تضور ذات ليلة فقيل له : ما أسهرك ؟ قال : إني وجدت تمرة ساقطة فأكلتها ثم ذكرت تمراً كان عندنا من تمر الصدقة ، فما أدري أمن ذلك كانت التمرة أو من تمر أهلي ؟ فذلك أسهرني . قال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (١) .

وله من حديث المعافي بن عمران عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم عن ضمرة ابن حبيب عن أم عبد الله أخت شداد بن أوس أنها بعثت إلى النبي ﷺ بقدح لبن عند فطره ، وذلك في طول النهار وشدة الحر ، فرد إليها الرسول : أنى لك هذا اللبن ؟ قالت : من شاةٍ لي ، قال : أنى لك هذه الشاة ؟ قالت : أشتريتها من مالي ، فشرب فلما أن كان من الغد أتت أمُّ عبد الله رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ! بعثت إليك بذلك اللبن مرثيَّة لك من شدة الحر وطول النهار ، فرددتها إلي مع الرسول ! فقال النبي ﷺ : « بذلك أُمِرَتْ الرسل ، أن لا تأكل إلا طيباً ، ولا تعمل إلا صالحاً » قال : هذا حديث صحيح الإسناد (٢) .

وخرَّج أبو داود في كتاب الجهاد عن مخلد بن خالد (٣) ، وخرَّج الترمذي في السير عن محمد بن المثنى (٤) ، وخرَّج ابن ماجة عن عبدة بن عبد الله ، وخرَّج محمد

مطمع . والله أعلم . (مسلم بشرح النووي) : ٧ / ١٨٣ ، حديث رقم (١٦٢ - ١٠٧٠) ، (السنن الكبرى للبيهقي) : ٥ / ٣٢٥ ، كتاب البيوع ، باب كراهية مبايعة من أكثر ماله من الربا أوثمن المحرم . (كنز العمال) ٦ / ٤٥٥ ، حديث رقم(١٦٥٠٩) ، (الحلية) : ٨ / ١٨٧ ، وقال فيه : « على فراشي فلا أدري أمن تمر الصدقة هي أم من تمر أهلي فلا آكلها » وقال في أخرى : صحيح متفق عليه ، أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن المبارك عن معمر .

(١) (المستدرك) : ٢ / ١٧ ، حديث رقم (٢١٧٣ / ٤٤) . قال في التلخيص : صحيح .

(٢) (المرجع السابق) : ٤ / ١٤٠ ، حديث رقم (٧١٥٩ / ٨٨) . قال في التلخيص : ابن أبي مريم واهٍ .

(٣) (صحيح سنن أبي دواد) : ٢ / ٥٣٤ ، حديث رقم (٢٤١٢ - ٢٧٧٤) ، قال الألباني : « صحيح » ، ولفظه : « كان إذا جاءه أمر سرور ، أو بُشِّرَ به ، خَرَّ ساجداً شاكراً » .

(٤) (صحيح سنن الترمذي) : ٢ / ١١٢ ، حديث رقم (١٢٨٢ - ١٦٤٢) . قال الألباني : « حسن » ، ولفظه : « أن النبي ﷺ أتاه أمرٌ فَسُرَّ به ، فخرَّ ساجداً » ، قال أبو عيسي : والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم : رأوا سجدة الشكر .

(صحيح سنن ابن ماجه) : ١ / ٢٣٣ ، حديث رقم (١١٤٣ - ١٣٩٤) ، قال الألباني : « حسن » .

ابن يوسف أربعتهم عن أبي عاصم الضحاك بن مخلد النبيل عن أبي بكرة بكار بن عبد العزيز بن أبي بكرة أن رسول الله ﷺ كان إذا أتاه أمر يسُرُّه أو يُسَرّ به خرّ ساجداً[1] .

وقال ابن سعد : أخبرنا محمد بن عبد الله الأسدي ، أخبرنا كثير بن زيد عن زياد بن أبي زياد مولى عياش بن أبي ربيعة عن رسول الله ﷺ قال : كانتا خصلتان لا يكلهما ، إلى أحد : الوضوء من الليل حين يقوم والسائل يقوم حتى يعطيه[2] .

وله من طريق الليث بن سعد أن معاوية بن صالح حدثه أن أبا حمزة حدثه أنّ عائشة قالت : ما خُيرٌ رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ، [قالت] :[3] وما انتقم رسول الله لنفسه من أحد قط إلا أن يُؤذَى في الله فينتقم ، ولا رأيت رسول الله وَكَل صَدَقَتَهُ إلى غير نفسه حتى يكون هو الذي يضعها في يد السائل ، ولا رأيت رسول الله ﷺ وكل [في وضوئه][4] إلى غير نفسه حتى يكـون هو

(١) وقد ذهب إلى شرعية سجود الشكر ، الشافعيُّ وأحمد ، خلافاً لمالك ورواية أبي حنيفة بأنه لا كراهة فيها ولا ندب ، والحديث دليل للأولين .

قال الحافظ شمس الدين بن القيم رحمه الله : وقد روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي بكره : « أنه شهد النبي ﷺ أتاه بشير يبشره بظفر جند له على عدوهم – ورأسه في حجر عائشة – فقام فَخَرَّ ساجداً » .

وفي المسند أيضاً عن عبد الرحمٰن بن عوف قال : خرج النبي ﷺ فتوجه نحو صدقته ، فدخل فا ستقبل القبلة فَخَرَّ ساجداً ، فأطال السجود ثم رفع رأسه وقال : إن جبريل أتاني فبشرني فقال : إن الله عزَّ وجلَّ يقول لك : من صلى عليك صليت عليه ، ومن سلم عليك سلمت عليه ، فسجدتُ لله شكراً »

واعلم أنه قد اختلف هل يُشترط لها الطهارة أم لا ؟ فقيل : يشترط قياساً على الصلاة ، وقيل : لا يشترط ، وهو الأقرب .

وليس في أحاديث سجود الشكر ما يدل على التكبير . وفي (زاد المعاد) : وفي سجود كعب حين سمع صوت المبشر ، دليل ظاهر على أن تلك كانت عادة الصحابة ، وهو سجود الشكر عند النعم المتجددة ، والنقم المندفعة . وقد سجد أبو بكر الصديق لما جاءه قتل مسيلمة الكذاب ، وسجد عليٌّ لما وجد ذا الثدية مقتولاً في الخوارج ، وسجد رسول الله ﷺ حين بشَّره جبريل أنه من صلى عليه مرة ، صلى الله عليه بها عشراً ، وسجد حين شفع لأمته فشفَّعه فيهم ثلاث مرات ، وأتاه بشيرٌ فبشره بظفر جند له على عدوهم ورأسه في حجر عائشة رضي الله عنها ، فقام فخرَّ ساجداً . وقد جاء حديث سجدة الشكر من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما بإسناد صحيح ، ومن حديث كعب بن مالك رضي الله عنه ، وغير ذلك .

(٢) (طبقات ابن سعد) :١ / ٣٦٩ .

(٣) زيادة في (خ) .

(٤) في (ابن سعد) : « وكل وضوءة »

الذي يُهيىء وضوءه لنفسه حتى يقوم من الليل(١) .

وقال محمد بن حمير حدثنا أبو بكر بن أبي مريم عن عطاء بن أبي رباح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : اشترى أسامة بن زيد بمائة دينار إلى شهر ، فسمعت النبي ﷺ يقول : « لا تعجبوا من أسامة المشتري إلى شهر ، إن أسامة لطويل الإبل ، والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي إلا ظننتُ أن شفراى لا يلتقيان حتى أُقبض ، ولا لقمت لقمة إلا ظننتُ أن لا أُسيغها حتى أغصّ بها من الموت » ، ثم قال : « يابني آدم إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى ، والذي نفسي بيده إنما توعدون لآت ، وما أنتم بمعجزين »(٢) .

وقال ابن لهيعة عن أبي هريرة عن حيثر عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يهريق الماء فيمسح التراب ، فأقول : يارسول الله ! الماء منك قريب ، فيقول : « وما يدريني لعلي لا أبلغه » .

وخرج الإمام أحمد من حديث مسلم بن محمد بن زائدة ، قال عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن ، عن عائشة أنها قالت : ما رفع رسول الله ﷺ رأسة إلى السماء إلا قال : « يا مصرف القلوب ثبت قلبي على طاعتك »(٣) .

وقال ابن المبارك : حدثنا الحسن بن صالح ، عن منصور عن إبراهيم قال : حدثنا أن النبي ﷺ لم يُرَ خارجاً من الغائط قط إلا توضأ(٤) .

وذكر ابن عساكر من حديث محمد بن الحجاج عن محمد بن عبد الرحمٰن بن

---

(١) (المرجع السابق) : ١ / ٣٦٩ - ٣٧٠ .

(٢) مسند أبي سعيد الخدري في (مسند أحمد) : ٣ / ٣٦٧ ، يبدأ من الحديث رقم (١٠٦٠٢) إلى الحديث رقم (١١٥٢٩) ، لم أجد من بينهم هذا الحديث .

(٣) (مسند أحمد) : ٣ / ١٤٦ ، حديث رقم (٩١٣٩) .

(٤) اختلف العلماء في موجب الوضوء : فقيل : يجب بالحدث وجوباً موسعاً . وقيل : به وبالقيام إلى الصلاة معاً ، ورجحة جماعة من الشافعية . وقيل بالقيام إلى الصلاة حسب ، ويدل له ما رواه أصحاب السنن عن ابن عباس مرفوعاً : إنما أمرت بالوضوء إذا قُمْتُ إلى الصلاة . (المواهب اللدنية) : ٤ / ٢٢ - ٢٣ .

حدثنا أبو الوليد هشام بن عبد الملك قال : حدثنا شُعْبَةُ عن أبي معاذ - واسمه عطاء بن أبي ميمونة - قال : سمعتُ أَنس بن مالك يقول : كان النبي ﷺ إذا خرج لحاجته أجيء وأنا غلام ، معنا إداوة من ماء ، يعني يستنجي به . (فتح الباري) : ١ / ٣٣٣ ، حديث رقم (١٥٠) ، وأطرافه في (١٥١) ، (١٥٢) ، (٢١٧) ، (٥٠٠) .

سفينة عن أبيه عن سفينة قال : تعبّد النبي ﷺ واعتزل النساء حتى صار كالشن[1] البالي قبل موته بشهرين[2] .

(١) الشن : القِرْبَة (النهاية) : ١ / ٥٠٦ .

(٢) هذا الحديث يتعارض مع ما أخرجه (البخاري) في النكاح باب (١) حديث رقم (٥٠٦٣) ، و (مسلم) في النكاح باب (١) حديث رقم (١٤٠١) ، و (النسائي) في النكاح باب (٥) ، و (أبو دواد) في النكاح باب (٣) ، و (أحمد) ٣ / ٢٤١ ، حديث رقم (١٣١٢٢) ، كلهم عن أنس : « جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ ، فلما أخبروا كأنهم تقالّوها ، فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ ؟ وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم : أما فأنا أصلي الليل أبداً . وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أُفطر . وقال آخر : أنا أعتزل النساء ولا أتزوج أبداً . فجاء رسول الله ﷺ فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » واللفظ للبخاري . وفي رواية ثابت عند (مسلم) « أن نفراً من أصحاب النبي ﷺ » ، ولا منافاة بينهما ؛ فالرهط من ثلاثة إلى عشرة ؛ والنفر من ثلاثة إلى تسعة ، كل منهما اسم جمع لا واحد له من لفظه .

ووقع في مرسل سعيد بن المسيب عن عبد الرزاق ، أن الثلاثة المذكورين هم علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعثمان بن مظعون . وعند ابن مردويه من من طريق الحسن العدني : « كان عليّ في أناس ممن أرادوا أن يحرموا الشهوات ، فنزلت الآية في المائدة » .

ووقع في (أسباب النزول للواحدي) بغير إسناد أن رسول الله ﷺ « ذكّر الناس وخَوَّفهم ، فا جتمع عشرة من الصحابة وهم : أبو بكر وعمر وعلي وابن مسعود وأبو ذرّ وسالم مولى أبي حذيفة والمقداد وسلمان وعبد الله بن عمرو بن العاص ومعقل بن مقرن - في بيت عثمان بن مظعون ، فاتفقوا على أن يصوموا النهار ويقوموا الليل ولا يناموا على الفُرش ، ولا يأكلوا اللحم ، ولا يقربوا النساء ويجبوا مذاكيرهم » فإن كان هذا محفوظاً ، احتمل أن يكون الرهط الثلاثة هم الذين باشروا السؤال ، فنُسب ذلك إليهم بخصوصهم تارة ، ونُسب تارة للجميع لاشتراكهم في طلبة ، ويؤيد أنهم كانوا أكثر من ثلاثة في الجملة ، ماروي مسلم من طريق سعيد بن هشام أنه « قدم المدينة ؛ فأراد أن يبيع عقاره فيجعله في سبيل الله ، ويجاهد الروم حتى الموت ، فلقي ناساً بالمدينة فنهوه عن ذلك ، وأخبروه أن رهطاً ستة أرادوا ذلك في حياة رسول الله ﷺ فنهاهم ، فلما حدثوه ذلك راجع امرأته وكان قد طلقها » يعني بسبب ذلك ، لكن في عدّ عبد الله بن عمرو معهم نظر ، لأن عثمان بن مظعون مات قبل أن يهاجر عبد الله فيما أحسب .

قوله : « إني لأخشاكم لله وأتقاكم له » فيه إشارة إلى ردّ ما بنوا عليه أمرهم ، من أن المغفور له لا يحتاج إلى مزيد في العبادة بخلاف غيره ، فأعلمهم أنه مع كونه يبالغ في التشديد في العبادة أخشى الله وأتقى من الذين يشددون ، وإنما كان كذلك لأن المشدِّد لا يأمن من الملل بخلاف المقتصد ، فإنه أمكن لاستمراره ، وخير العمل ما داوم عليه صاحبه ، وقد أرشد إلى ذلك قوله في الحديث الآخر « المنبتّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى » .

قوله : « فمن رغب عن سنتي فليس مني » المراد بالسنة الطريقة ، لا التي تقابل الفرض ، والرغبة عن الشيء الإعراض عنه إلى غيره . والمراد : من ترك طريقتي وأخذ بطريقة غيري فليس مني ، ولمح بذلك إلى طريقة الرهبانية ، فإنهم الذين ابتدعوا التشديد كما وصفهم الله تعالى ، وقد عابهم بأنهم ما وفوه بما التزموه ، وطريقة النبي ﷺ الحنيفية السمحة ، فيفطر ليقوى على الصوم ، وينام ليقوى على القيام ، ويتزوج لكسر = د

[تنبيه] : حديث وجود التمر في بعض طرقه : لقي تمرة على فراشه ، وفي بعضها لقي تمرة في منزلة ، وفي أخرى لقي تمرة في الطريق ، فكان في ذلك ثلاث رتب في الورع ، متفاوتة في التأكيد ، أيسرها تمرة الفراش ؛ فإنه ﷺ لم يكن يقبل الصدقة ، ولا تدخل منزله غالباً ، فكيف بأخص منزله وهو الفراش ، فَيَنْدُرُ كَوْنها من تمر الصدقة ، وفوق ذلك في التأكيد تمرة المنزل ، وآكدها تمرة الطريق لكثرة مرور الصدقات فيها ، هذا كله مع أن تمر الصدقة قليل بالنسبة إلى جنس التمر ، فآكد هذه الصور الثلاث لا يجاوز الورع في المباح ، ولا تنتهي التمرة به إلى حد النهي ، لكن مقام النبوة كريم ، والورع به جدير .

* * *

الشهوة وإعفاف النفس وتكثير النسل .

وقوله : « فليس مني » إن كانت الرغبة بضرب من التأويل يُعذر صاحبه فيه ، فمعنى « فليس مني » أي على طريقتي ، ولا يلزم أن يخرج عن الملة ، وإن كان إعراضاً وتنطعاً يفضي إلى اعتقاد أرجحيَّة عمله ، فمعنى « فليس مني » ليس على ملتي ، لأن اعتقاد ذلك نوعٌ من الكفر ، وفي الحديث دلالة على فضل النكاح والترغيب فيه .

وفيه تتبع أحوال الأكابر للتأسي بأفعالهم وأنه إذا تعذرت معرفته من الرجال جاز استكشافه من النساء ، وأن من عزم على عمل بر واحتاج إلى إظهاره حيث يأمن الرياء لم يكن ذلك ممنوعاً .

وفيه تقديم الحمد والثناء على الله عند إلقاء مسائل العلم وبيان الأحكام للمكلفين ، وإزالة الشبهة عن المجتهدين ، وأن المباحات قد تنقلب بالقصد إلى الكراهة والاستحباب .

وقال الطبري : فيه الرد على من منع استعمال الحلال من الأطعمة من الملابس وآثر غليظ الثياب وخشن الأكل . قال عياض : هذا مما اختلف فيه السلف ، فمنهم من نحا إلى ما قال الطبري ، ومنهم من عكس واحتج بقوله تعالى : ﴿ أذهبتم طيباتكم في الحياة الدنيا ﴾ ، قال : والحق أن هذه الآية في الكفار ، وقد أخذ النبي ﷺ بالأمرين ، كما أن الأخذ بالتشديد في العبادة يفضي إلى الملل القاطع لأصلها وملازمة الاقتصار على الفرائض مثلاً ، وترك التنفل يُفضي إلى إيثار البطالة ، وعدم النشاط إلى العبادة ، وخير الأمور الوسط . (فتح الباري) : ٩ / ١٢٩ - ١٣٢ .

وقد أخرج الإمام أحمد في (المسند) : ٤ / ٢٥ ، ٢٦ ، ٤١٤ ، حديث رقم (١٥٨٨٠) « من صام الدهر ضُيقت عليه جهنم » ، لأنه رغب رخصة الله تعالى ويسره ، والراغب عن الرخصة كالراغب عن العزم ، وكلاهما مستحق للعقوبة . (تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة) ص ١٣٥ وقد قال رسول الله ﷺ في صائم الدهر : « ولا صام ولا أفطر » . أخرجه مسلم في كتاب الصيام (١٣) ، (١٤) ، وأبو داود في كتاب الصوم (١٤) ، (٥٣) ، والنسائي : (٢٢) كتاب الصوم . قال يحى : وهو حديث حسن .

فصل في حفظ الله لنبيه ﷺ
في تثبيته عن أقذار الجاهلية ومعايبها
تكرمةً له وصيانة

قال يونس بن بكير عن ابن إسحاق : فتثبت رسول الله ﷺ مع أبي طالب يكلؤه الله عزَّ وجلَّ ويحفظه من أقذار الجاهلية ومعايبها لما يريد به من كرامته ورسالته ، حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقاً وأكرمهم مخالطة ، وأحسنهم جواراً ، وأعظمهم حلماً ، وأصدقهم حديثاً ، وأعظمهم أمانة ، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال تنزهاً وتكرماً ، حتى ما اسمه في قومه إلا الأمين[1] ، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة . وكان رسول الله ﷺ فيما

---

(١) قال أبو نعيم في (دلائل النبوة) باب ذكر خروج النبي ﷺ إلى الشام ثانياً مع ميسرة غلام خديجة رضي الله عنها ، وقصة نسطورا الراهب : ومما يدخل في هذا الباب مما خصَّ الله به نبيه في الجاهلية الجهْلاء ، أن وفقة لوضع الحجر الأسود موضعه بيده لما اختلفت قريش في وضعه ، دلالة بصحة نبوته ، حديث رقم (١١٣) : حدثنا سليمان بن أحمد قال : حدثنا أحمد بن القاسم بن مشاور قال : حدثنا سعيد بن سليمان الواسطي قال : حدثنا عباد بن العوام ، عن هلال بن خَبَّاب عن مجاهد قال : حدثني مولاي عبد الله بن السائب قال : « كنتُ فيمن بني البيت وأخذتُ حجراً فسويّته ووضعتهُ إلى جنْب البيت ، وإن قريشاً قد اختلفوا في الحجر حيث أرادوا وضعه ، حتى كاد أن يكون بينهم قتال بالسيوف ، فقالوا : اجعلو بينكم أول رجل يدخل من الباب ، فدخل رسول الله ﷺ وكانوا يسمونه في الجاهلية [الأمين] ، فقالوا : قد دخل الأمين ، فقالوا : يا محمد ، قد رضينا بك ، فدعا بثوب فبسطه ، ثم وضع الحجر فيه ، ثم قال لهذا البطن ولهذا البطن ، لجميع البطون من قريش : ليأخذ كلُّ رجل من كل بطن منكم بناحية من الثوب ، فرفعوه ، فأخذه رسول الله ﷺ فوضعه » .

هذا الحديث أخرجه الحاكم في (المستدرك) ١ / ٤٥٨ ، حديث رقم (١٦٨٣ / ٧٥) باختلاف يسير ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرّجاه ، وله شاهد صحيح على شرطه . قال ابن حجر في (تهذيب التهذيب) : ١١ / ٦٨ ترجمة رقم (١٢٣) : هلال بن خباب العبدي أبو العلاء البصري ، مولى زيد بن صوحان . سكن المدائن ومات بها . روى عن أبي جحيفة ، ويحي بن جعدة بن هبيرة ، وعكرمة مولى ابن عباس وميسرة أبي صالح وسعيد بن جبير ، وعبد الرحمٰن بن الأسود بن يزيد ، ومجاهد بن جبير ، والحسن بن محمد بن الحنفية وغيرهم ، وعنه الثوري ومعر ، ويونس بن أبي إسحاق ، وثابت بن زيد أبو يزيد الأحول ، وعبد الواحد بن زياد ، وهشيم وأبو عوانه ، وآخرون .

وقال أبو بكر بن أبي الأسود ، عن يحي بن سعيد القطان : أتيتُ هلال بن خباب وكان قد تغيَّر قبل موته ، وقال إبراهيم بن الجنيد : سألت ابن معين عن هلال بن خباب وقلت : إن يحي القطان يزعم أنه تغير قبل أن يموت واختلط ، فقال يحي : لا ، ما اختلط ولا تغيَّر ، قلت ليحي : فثقة هو ؟ قال : ثقة مأمون ،

ذكر لي يُحدِّثُ عما كان يحفظه الله به في صغره ، فحدثني والدي إسحاق بن يسار عمن حدثه عن رسول الله ﷺ ، أنه قال فيما يذكر من حفظ الله إياه : إن لمعي غلمان هم أسناني[1] ، قد جعلنا أزرنا[2] على أعناقنا لحجارة ننقلها نلعب بها إذ لكمني لاكم لكمة شديدة ثم قال : أُشْدُدْ عليك إزارك[3] .

= وذكره ابن حبان في الثقات وقال : يخطىء ويخالف ، وقال ابن عمار الموصلي ، والمفضل بن غسان الغلابي ثقة . (تهذيب التهذيب) : ١١ / ٦٨ - ٦٩ ، ترجمة رقم (١٢٣) ، (الثقات) : ٧ / ٥٧٤ .

وقال ابن سعد : فلما انتهوا إلى حيث يوضع الركن من البيت ، قالت كل قبيلة : نحن أحق بوضعه ، واختلفوا حتى خافوا القتال ، ثم جعلوا بينهم أول من يدخل من باب بني شيبة ، فيكون هو الذي يضعه ، وقالوا : رضينا وسلمنا ، فكان رسول الله ﷺ أول من دخل من باب بني شيبة ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، قد رضينا بما قضى بيننا ، ثم أخبروه الخبر ، فوضع رسول الله ﷺ رداءه ، وبسطه في الأرض ، ثم وضع الركن فيه ، ثم قال : ليأت من كل رُبع من أرباع قريش رجل ، فكان في رُبع بني عبد مناف عتبة بن ربيعة ، وكان في الربع الثاني أبو زمعة ، وكان في الربع الثالث أبو حذيفة بن المغيرة ، وكان في الربع الرابع قيس بن عديّ .

ثم قال رسول الله ﷺ : ليأخذ كل رجل منكم بزاوية من زوايا الثوب ، ثم ارفعوه جميعاً ، فرفعوه ، ثم وضعه رسول الله ﷺ بيده موضعه ذلك ؛ فذهب رجل من أهل نجد ليناول النبي ﷺ حجراً يشدّ به الركن ، فقال العباس بن عبد المطلب : لا ، ونحّاه ، وناول العباسُ رسولَ الله ﷺ حجراً فشدَّ به الركن ، فغضب النجديّ حيث نُحيّ ، فقال النبي ﷺ : إنه ليس يبني معنا في البيت إلاّ مِنّا ، فقال النجديّ : يا عجباً لقوم أهل شرف ، وعقول ، وسنّ ، وأموال ، عمدوا إلى أصغرهم سنّا ، وأقلهم مالاً ، فرأسوه عليهم في مكرمتهم وحرزهم ، كأنهم خدم له ، أما والله ليفوتنهم سبقاً ، وليقسمن بينهم حظوظاً وجدوداً ! ويقال : إنه إبليس ، فقال أبو طالب :

إن لنــــا أولـــه وآخـــره
في الحكم والعدل الذي لاننكره
وقد جَهَدْنا جَهْدَنـا لِنَعْمُـــرَه
وقــد عَمَرْنــا خيره، وأَكْثَـــرَه
فإن يكنْ حقاً ففينا أوفَرَه .

(طبقات ابن سعد) : ١ / ١٤٦ .

(١) يقال : فلانٌ سِنُّ فلان ، إذا كان مثله في السنّ (لسان العرب) ١٣ / ٢٢٢ .

(٢) جمع إزار .

(٣) إسحاق بن يسار مولى قيس بن مخرمة ، والد محمد بن إسحاق صاحب (المغازي) ، روي عن مقسم مولى عبد الله بن الحارث ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، روى عنه ابنه محمد بن إسحاق ، سمعتُ أبي وأبا زرعة يقولان ذلك ، زاد أبي : وروى عنه ابن طحلاء . وزاد أبو زرعة : يُعدّ في المدنيين . قال : وسئل أبو زرعة عنه ، فقال : ثقة ، هو أوثق من ابنه .

حدثنا عبد الرحمٰن ، أخبرنا يعقوب بن إسحاق الهروي ، فيما كتب إليّ ، حدثنا عثمان بن سعيد قال : سألتُ يحى بن معين قلت: والد محمد بن إسحاق ، كيف حاله ؟ قال : ثقة . (الجرح والتعديل) : =

وخرج البخاري ومسلم من حديث روح بن عبادة قال : أخبرنا زكريا بن إسحاق ، أخبرنا عمرو بن دينار قال : سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنه يحدث أن رسول الله ﷺ كان ينقل معهم الحجارة للكعبة وعليه إزاره ، فقال له العباس عمه : يا ابن أخي ، لو حللت إزارك فجعلته على منكبيك دون الحجارة ، قال : فحله فجعله على منكبيه فسقط مغشياً عليه ، قال : فما رؤي بعد ذلك اليوم عرياناً . لفظهما فيه سواء[1] .

وخرجا أيضاً من حديث ابن جريج قال : أخبرني عمرو بن دينار أنه سمع جابر ابن عبد الله يقول : لما بنيت الكعبة ذهب النبي ﷺ وعباس ينقلان حجارة – وقال البخاري : الحجارة – فقال عباس للنبي ﷺ : إجعل إزارك على عاتقك – وقال

= ٢ / ٢٣٨ ، ترجمة رقم (٨٣٨) .

والحديث أخرجه البيهقي في (الدلائل) ٢ / ٣٠ – ٣١ ، باب ما جاء في حفظ الله عزَّ وجلَّ رسوله ﷺ في شبيبته عن أقذار الجاهلية ومعائبها ، لما يريد به من كرامته برسالته حتى بعثه رسولاً ، وزاد بقية الخبر في الهامش وعزاها إلى ابن هشام في (السيرة) ١ / ١٩٧ : « قال : فأخذته وشددته عليّ ، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتي ، وإزارى عليَّ من بين أصحابي » .

(١) حديث روح بن عبادة أخرجه البخاري ومسلم ، وقد أوْرده الحافظ أبو نعيم في (الدلائل) : ١ / ١٨٨ – ١٨٩ ، الفصل الثالث عشر ، باب : ومما عُظِّم به ﷺ وحُرِس منه أن لا يتعرى كفعل قومه وأهله ، وإذا حُفظ من التعري فما فوقه أوْلى أن يُعصم منه ، ويُنهى عنه ، حديث رقم (١٣٢) : قوله : « إن رسول الله ﷺ كان ينقل معهم » أي مع قريش لما بنوا الكعبة ، وكان ذلك قبل البعثة ، فرواية جابر لذلك من مراسيل الصحابة ، فإما أن يكون سمع ذلك من رسول الله ﷺ بعد ذلك أو من بعض من حضر ذلك من الصحابة . والذي يظهر أنه العباس ، وقد حدَّث به عن العباس أيضاً ابنه عبد الله ، وسياقه أتم . (فتح الباري) : ١ / ٦٢٥ ، كتاب الصلاة ، باب كراهية التعري في الصلاة وغيرها ، حديث رقم (٣٦٤) .

قوله : « عن جابر رضي الله عنه » هذا الحديث مرسل صحابي ، وقد قدمنا أن العلماء من الطوائف متفقون على الاحتجاج بمرسل الصحابي ، إلا ما انفرد به الأستاذ أبو إسحاق الاسفرايني منه أنه لا يُحتج به . وسميت الكعبة كعبة لعلوها وارتفاعها ، وقيل لاستدارتها وعلوها .

قوله : « اجعل إزارك على عاتقك من الحجارة » معناه ليقيك من الحجارة ، أو من أجل الحجارة . والعاتق ما بين المنكب والعنق ، وجمعه عواتق وعُتُق ، وهو مذكر وقد يؤنث .

قوله : « فخرَّ إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء » ، مَعْنَى خَرَّ سقط ، وطمحت بفتح الطاء والميم ، أي ارتفعت . وفي هذا الحديث بيان بعض ما أكرم الله سبحانه وتعالى به رسوله ﷺ ، وأنه ﷺ كان مصوناً في صغره عن القبائح وأخلاق الجاهلية . وجاء في رواية غير الصحيحين أن الملك نزل فشدَّ عليه ﷺ إزاره . والله أعلم . (مسلم بشرح النووي) : ٤ / ٢٧٣ – ٢٧٤ ، كتاب الحيض ، باب الاعتناء بحفظ العورة ، حديث رقم (٧٦ – (٣٤٠)) .

البخاري : على رقبتك - يقك من الحجارة ، فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء ثم أفاق فقال : إزاري إزاري فشدَّ عليه إزاره[1] . ورواه ابن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر نحوه .

ورواه عمرو بن أبي قيس عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس عن أبيه قال : كنا ننقل الحجارة إلى البيت حين بَنَتْ قريشٌ البيت ، وأفردتْ قريش رجلين رجلين ينقلون الحجارة ، والنساء تنقل الشِّيد ، وكنت أنا وابن أخي وكنا نحمل على رقابنا وأُزُرُنا تحت الحجارة ، فإذا غشِيَنا اتزرنا ، فبينما أمشي ومحمد عليه السلام قدامي ليس عليه شيء ، فخر محمد فانبطح على وجهه ، قال : فجئت أسعى وألقيتُ حجري ، قال وهو ينظر إلىّ السماء فوقه فقلت : ما شأنك ؟ قال : فأخذ إزاره ثم قال : نُهيتُ أن أمشي عرياناً ، قلت : اكتمها الناس مخافة أن يقولوا : مجنون[2] .

ورواه شعيب عن عكرمة عن ابن عباس مثله[3] .

وروى إبراهيم بن الحكم بن إبان عن أبيه عن جده عن عكرمة عن ابن عباس

---

(١) قوله : « يقك من الحجارة فخرَّ إلى الأرض » ، فيه حذف تقديره : ففعل ذلك فخر . وفي حديث أبي الطفيل : « فبينما رسول الله ﷺ ينقل الحجارة معهم إذ انكشفت عورته ، فنودي : يا محمد غط عورتك . فذلك أول ما نودى ، فما رؤيت له عورة قبل ولا بعد » . (فتح الباري) : ٧ / ١٨٤ - ١٨٥ ، كتاب مناقب الأنصار ، باب بنيان الكعبة ، حديث رقم (٣٨٢٩) .

وأخرجه الإمام أحمد في (المسند) : ٤ / ٢٤٨ حديث رقم (١٣٩٢٢) ، ٤ / ٢٨٦ حديث رقم (١٤١٦٨) ، ٦ / ٦٣٥ حديث رقم (٢٣٢٨٢) .

وأبو نعيم في (الدلائل) : ١ / ١٨٩ . حديث رقم (١٣٣) .

(٢) (دلائل النبوة للبيهقي) : ٢ / ٣٣ ، والشَّيّد : كل ماطُلِيَ به البناء من جَصّ أو نحوة . وأخرجه أيضاً أبو نعيم في (الدلائل) ١ / ١٩٨ - ١٩٩ ، حديث رقم (١٣٤) ، وقال فيه : « نُهيت أن أمشي عرياناً قال : فكتمته حتى أظهر الله عزَّ وجلّ نبُّوته » .

(٣) رواية شعيب بن خالد ، كلهم عن سماك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، حدثني أبي العباس بن عبد المطلب قال : « لما بَنَتْ قريشٌ الكعبة ، انفردت رجلين رجلين ينقلون الحجارة ، فكنتُ أنا وابن أخي ، جعلنا نأخذ أُزرنا فنضعها على مناكبنا ونجعل عليها الحجارة ، فإذا دنونا من الناس لبسنا أزرنا ، فبينما هو أمامي إذ صُرِع ، فسعيت وهو شاخص ببصره إلى السماء ، قال : فقلت لابن أخي : ما شأنك ؟ قال : نُهيت أن أمشي عرياناً ، قال : فكتمته حتى أظهر الله نبوته » . تابعه الحكم بن إبان عن عكرمة ، وروى ذلك أيضاً من طريق النضر أبي عمر عن عكرمة عن ابن عباس ليس فيه العباس ، وقال في آخره : « فكان أول شيء رأى من النبوة » ، والنضر ضعيف ، وقد خبط في إسناده وفي متنه ، فإنه جعل القصة في معالجة زمزم بأمر أبي طالب وهو غلام . (فتح الباري) : ٣ / ٥٦٣ ، كتاب الحج .

قال : لما قُبض النبي ﷺ غسّله عليٌّ والفضلُ ، وكان العباس يناول الماء من وراء الستر ، وقال العباس ، ما منعني أن أغسله إلا أنا كنا صبياناً نحمل الحجارة إلى المسجد يعني لبناء الكعبة ، فننزع أزرنا ونضعها على أكتافنا ونضع الحجر عليها فبينما نحن كذلك ورسول الله ﷺ إذ وقع وسقط الحجر وأنا قائم فقلت : يا ابن أخي ! قم ، وإني لا أرى بك بأساً ولا أرى الحجر ضرك [فقام] ثم نظر إلي فقال : أشدد عليك إزارك ، فإني قد نُهيت أن أتعرى بعد هذا اليوم . قال العباس : هذا أول ما رأيت منه .

وروى محمد بن إسماعيل [الأحمسيّ][1] عن المجازي ، حدثنا النضر عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان أبو طالب يعالج زمزم ، وكان النبي ﷺ ينقل الحجارة وهو غلام ، فأخذ إزاره واتقى به الحجارة ، [فغشي عليه][2] فقيل لأبي طالب عن غشيته : الحق ابنك قد غُشي عليه ، فلما أفاق النبي ﷺ من غشيته سأله أبو طالب عن غشيته فقال : أتاني آت عليه ثياب بياض فقال لي : استتر ، قال ابن عباس : فكان أول شيء رأى النبي ﷺ من النبوة أن قيل له : استتر ، فما رؤيت عورته من يومئذ .

ورواه الأحمسيّ عن الحماني عن النضر أبي عمر عن عكرمة عن ابن عباس قال : أول شيء أتي النبي ﷺ من النبوة وهو غلام أن قيل له استتر ، فما رؤيت عورته من يومئذ .

ورواه الحسن بن حماد الوراق عن الحماني عن النضر مثله .

وخرجه الحاكم من حديث الحماني عبد الحميد بن عبد الرحمٰن ، حدثنا النضر به ونحوه . وقال : هذا حديث صحيح الإسناد[3] .

---

(١) في (خ) « الأحمس » وما أثبتناه من (تهذيب التهذيب) : ٩ / ٥٨ ترجمة رقم ٥٨ .

(٢) زيادة للسياق من (المستدرك) .

(٣) (المستدرك) : ٤ / ١٩٨ ، حديث رقم (٧٣٥٦ / ٣) ولفظه : « حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا العباس بن محمد الدوري ، حدثنا أبو يحى الحماني عبد الحميد بن عبد الرحمٰن ، حدثنا النضر أبو عمر الخزاز ، عن عكرمة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان أبو طالب يعالج زمزم ، وكان النبي ﷺ ممن ينقل الحجارة ، وهو يومئذ غلام ، فأخذ النبي ﷺ إزاره فتعري واتقى به الحجر ، فغُشي عليه ، فقيل لأبي طالب : أدرك ابنك فقد غُشي عليه ، فلما أفاق النبي ﷺ من غشيته ، سأله أبو طالب عن غشيته فقال : « أتاني آتٍ عليه ثياب بيض فقال لي : استتر » فقال ابن عباس : فكان ذلك =

وقال الحسن بن سفيان : حدثنا زهير بن سلام ، حدثنا عمرو بن محمد عن طلحة بن عمرو عن عطاء أن أبا طالب كان يرسل بنيه ومحمد عليه السلام ، معهم صبيان صغار ينقلون الحجارة إلى صفة زمزم ، فأخذ محمد ﷺ نمرة[1] صغيرة كانت عليه على عنقه ، ثم حمل عليها حجرين فطرح عنه الحجرين وأغمى عليه ساعة ، ثم قام فشد نمرته[1] عليه ، فقال له بنو عمه : مالك يا محمد ؟ قال : نُهيتُ عن التعري[2] .

وقال عبد الأعلى بن حماد : حدثنا دواد العطار ، حدثنا عبد الله بن عثمان بن خيثم عن أبي الطفيل قال : قلت له : يا خال ، حدثنا عن بنيان الكعبة قبل أن تبنها قريش ، قال : كانت رضمه[3] يابس ليس بمدر[4] ينزوة[5] العناق[6] ، وتوضع الكسوة على الجدُر ثم تُدلي ، ثم إن سفينة الروم أقبلت حتى إذا كانت بالشعيبة انكسرت ، فسمعت بها قريش فركبوا إليها ، فأخذوا خشبها ، وروى كذا : يقال بالقوم نجاريان ، فلما قدموا مكة قالوا : لو بنينا بيت ربنا ، فا جتمعوا كذلك ونقلوا الحجارة من أجياد الضواحي ، فبينا رسول الله ﷺ ينقلها إذ انكشفت نمرته ، فنودي : يا محمد عورتك ، فذلك أول ما نودى والله أعلم ، فما رؤيت له عورة قبل ولا بعد .

ورواه الحسن بن الربيع وداود بن مهران عن دواد العطار مثله .

= أول ما رآه النبي ﷺ من النبوة أن قيل له : « استتر ، فما رؤيت عورته من يومئذ » .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يُخرجاه ، وشاهده حديث أبي الطفيل ، وهو الحديث رقم (٧٣٥٧ / ٤) : « أخبرنا محمد بن عبد الحميد الصَّنْعَاني ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن عباد ، أنبأنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر ، عن عبد الله بن عثمان بن خيثم ، عن أبي الطفيل قال : « لما بني البيت كان الناس ينقلون الحجارة ، والنبي ﷺ ينقل معهم ، فأخذ الثوب ووضعه على عاتقه فنودي : « لا تكشف عورتك » ، فألقي الحجر ولبس ثوبه . (المرجع السابق) ، وذكره البيهقي في (الدلائل) : ص ١٩٠ حديث رقم (١٣٥) ، وابن سعد في (الطبقات) ١ / ١٥٧ مُختصراً .

(١) نمرة : شملة مخططة من مآزر الأعراب النهايه جـ ٥ ص ١١١ .

(٢) (فتح الباري) : ٣ / ٥٦٣ ، كتاب الحج ، باب (٤٢) .

(٣) هذه الكلمة ممجوجة في (خ) وأثبتناها من (عرائس المجالس للثعالبي) ص ٧٨ ، والرضام : صخور عظام يرضم بعضها فوق بعض في الأبينة (ترتيب القاموس) جـ ٢ ص ٣٤٩ .

(٤) المدر : قطع الطين اليابس (المرجع السابق) جـ ٤ ص ٢١٦ .

(٥) نزت الحُمُر : وثبت من المراح (المرجع السابق) جـ ٤ ص ٣٥٩ .

(٦) العناق (بفتح العين) : الدواب ونحوها (المرجع السابق) جـ ٣ ص ٣٢٩ .

وقال عبد الرازق عن معمر عن عبد الله بن عثمان بن حشيم عن أبي الطفيل قال : كانت الكعبة مبنية بالرضم ليس فيها مدَرَ ، وكان قدر ما تقتحمها العناق وكانت غير مسقوفة ، إنما توضع ثيابها عليها ثم تسدل سدلاً عليها ، وكان الركن الأسود موضوعاً على سورها بادياً ، وكان ذات ركنين كهيئة الحلقة ، فأقبلت سفينة من أرض الروم حتى إذا كانوا قريباً من جدة انكسرت ، فخرجت قريش ليأخذوا خشبها ، فذكروا بناء البيت ، وقال : فبينا النبي ﷺ يحمل حجارة من أجياد وعليه نمرة فضاقت عليه النمرة ، فذهب يضع النمرة على عاتقة ، فترى عورته من صغر النمرة ، فنودي : يا محمد خمِّر عورتك ، فلم يُرَ عُرياناً بعد ذلك ، وكان بين بُنيان الكعبة وبين ما أنزل عليه خمس سنين[١] .

قال الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصفهاني : وحديث أبي الطفيل جائز أن يكون وقوعه في حالة ثالثة ، وهي انكشاف الثوب لا سقوطه ، والحالتان المتقدمتان ، بسقوط الثوب مرة بفعله وأخرى بغير فعله تنبيها له ﷺ في الأحوال الثلاث ، قال : وإذا حفظ من التعري فما فوقه أولى أن يعصم منه وينهى عنه[٢] .

وقال ابن إسحاق : حدثني محمد بن عبد الله بن قيس بن مخرمة عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده عن أبي طالب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يهمون به إلا ليلتين من الدهر ، كلتاهما يعصمني الله فيها ، قلت ليلة لبعض فتيان مكة ونحن رعاية غنم أهلنا ، فقلت لصاحبي : أبصر لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر فيها كما يسمر الفتيان[٣] ، قال : فدخلت حتى إذا جئت أول دار من دور مكة سمعت عزفاً بالغرابيل والمزامير ، فقلت : ما هذا ؟ فقيل : تزوج فلان ، فجلست أنظر ، وضرب الله على أذني ، فو الله ما أيقظني إلا مسُّ الشمس ، فرجعتُ إلى صاحبي فقال : ما فعلت ؟ قلت ما فعلت شيئاً ، ثم أخبرته بالذي رأيت ، ثم قلت له ليلة أخرى : أبصر لي غنمي حتى أسمر بمكة ، ففعل ، فدخلت ، فلما جئت مكة سمعت مثل الذي سمعت تلك الليلة ، فسألت ، فقيل : فلان نكح فلانة ، فجلست أنظر فضرب الله

---

(١) (فتح الباري) : ٣ / ٥٦٣ ، كتاب الحج ، باب (٤٢) .

(٢) (دلائل النبوة لأبي نعيم) : ١٨٨ .

(٣) في (خ) : بعد قوله : « الفتيان » عبارة : « فقال بلى » والسياق يقتضي حذفها .

على أذني ، فو الله ما أيقظني إلا مسّ الشمس ، فرجعت إلى صاحبي فقال : ما فعلت ؟ فقلت : لا شيء ثم أخبرته الخبر ، فو الله ما هممتُ ولا عدتُ بعدها لشيء من ذلك حتى أكرمني الله بنبوته[1] .

وخرجه الحاكم[2] بنحوه وقال : حديث صحيح على شرط مسلم .

وخرج الحافظ أبو نعيم من حديث مسعر بن كدام[3] عن العباس بن ذريح[4] الكلبي عن زياد بن عبد الله النخعي قال : حدثني عمار بن ياسر رضي الله عنه أنهم قالوا : يا رسول الله ، هل أتيت في الجاهلية من النساء شيئاً ؟ قال : لا ، وقد كنت منه على ميعادين ؛ أما أحدهما فغلبتني عيناي ، وأما الآخر فحال بيني وبينهم سامر قوم[5] .

---

(١) (عيون الأثر) : ١ / ٤٤ - ٤٥ ، (دلائل النبوة للبيهقي) : ٢ / ٣٣ - ٣٤ ، (دلائل النبوة لأبي نعيم) : ١ / ١٨٦ ، حديث رقم (١٢٨) ، أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده ، وابن إسحاق ، والبزار ، والبيهقي ، وأبو نعيم ، وابن عساكر ، كلهم عن علي بن أبي طالب . وقال ابن حجر : إسناده حسن متصل ، ورجاله ثقات ، والحاكم في (المستدرك) : ٤ / ٢٧٢ ، حديث رقم (٧٦١٩ / ١٩) وقال : حديث صحيح على شرط مسلم . وقال في التلخيص : على شرط مسلم .

(٢) في (خ) « الحاكم بن نحوه » .

(٣) في (خ) « مسعد بن لرام » وما أثبتناه من (تهذيب التهذيب) جـ ١٠ ص ١٠٢ ترجمة رقم ٢١٠ .

(٤) (خ) « موبح » وما أثبتناه من (تهذيب التهذيب) جـ ٥ ص ١١٦ ترجمة رقم ٢٠٢ ، قال ابن معين : ثقة ، وقال النسائي : ليس به بأس ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال الدارقطني : ثقة .

(٥) لم أجده ، ويُؤيِّد بحديث : « ما هممتُ بقبيح مما كان أهل الجاهلية يهمون به إلا مرتين في الدهر » .

وفي (الدلائل) للبيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، قال : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، قال حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، قال : حدثنا يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثني محمد بن عبد الله بن قيس بن مخرمة ، عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب ، عن أبيه ، عن جده علي بن أبي طالب ، قال : سمعت رسول الله ﷺ ، يقول : « ما هممتُ بشيء مما كان أهل الجاهلية يهمون به من النساء إلا ليلتين ، كلتاهما عصمني الله تعالى .. » وذكر باقي الحديث بنحوه . إحداهما المذكورة بقوله : « ما هممتُ بقبيح مما كان أهل الجاهلية يهمون به إلا مرتين الدهر ، كلتاهما يعصمني الله عزَّ وجل منهما » (دلائل أبي نعيم) : ١٨٦ ، حديث رقم (١٢٨) .

والسياقة الأخرى بقوله « ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يهمون به من النساء إلا ليلتين ، كلتا هما عصمني الله تعالى فيهما » (دلائل البيهقي) : ٢ / ٣٣ . وقال في (الاحسان) : إسناده حسن ، ومحمد ابن إسحاق روى له البخاري تعليقاً ، ومسلم متابعة ، وهو صدوق ، وقد صرح بالتحديث ، فا نتفت شبهة تدليسة ، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح ، غير محمد بن عبد الله بن قيس بن مخرمة ، فقد روى عنه جمع ، وذكره المؤلف في الثقات ٧ / ٣٨٠ ، وله ترجمة عند ابن أبي حاتم ٧ / ٣٠٣ ، والبخاري في التاريخ الكبير ٩ / ١٣٠ ، ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً ، وذكر صاحب (الكمال) : أن الشيخين =

وخرج من حديث أبي سنان عن الضحاك بن مزاحم عن النزال بن سبرة عن علي رضي الله عنه قال : قيل للنبي ﷺ : هل عبدت وثناً قط ؟ قال : لا ، قال : شربت خمراً قط ؟ قال : لا ، وما زلت أعرف أن الذي هم عليه كفر ، وما كنتُ أدرى ما الكتاب ولا الإيمان ، وبذلك نزل القرآن : ﴿ **ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان** ﴾[1] .

أخرجا حديثه ، وقال المزي فيما نقله عن الإمام الذهبي والحافظ ابن حجر : لم أقف على رواية أحدهما .

قال محقق (الإحسان) : ولم يرد له ذكر في كتاب رجال مسلم لابن منجويه ، ولا في الجمع بين رجال الصحيحين لابن طاهر ، ولا في رجال البخاري للكلاباذي .

وأخرجه الحاكم في (المستدرك) : ٤ / ٢٧٣ ، حديث رقم (٧٦١٩ / ١٩) ، من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق ، وعلقه البخاري في (تاريخه) ١ / ١٣٠ باختصار ، فقال : قال لي شهاب : حدثنا بكر بن سليمان ، عن ابن إسحاق به ، (البداية والنهاية) : ٢ / ٣٥١ .

(١) (الشورى : ٥٢) ، قال الزمخشري : فإن قلتَ : قد عُلم أن رسول الله ﷺ ما كان يدري ما القرآن قبل نزوله عليه ، فما معنى قوله تعالى : ﴿ **ولا الإيمان** ﴾ ، والأنبياء لا يجوز عليهم إذا عقلوا وتمكنوا من النظر والاستدلال ، أن يخطئهم الإيمان بالله وتوحيده ، ويجب أن يكونوا معصومين من ارتكاب الكبائر ، ومن الصغائر التي يكون فيها تنفير قبل المبعث وبعده ، فيكف لا يعصمون من الكفر ؟ .

قلت : الإيمان اسم يتناول أشياء ، بعضها الطريق إليه العقل ، وبعضها الطريق إليه السمع ، فعَنَى به ما الطريق إليه السمع دون العقل ، وذلك ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحي ، ألا ترى أنه فسَّر الإيمان في قوله تعالى : ﴿ **وما كان الله ليضيع إيمانكم** ﴾ بالصلاة ، لأنها بعض مايتناوله الإيمان . (الكشاف) : ٣ / ٤٠٩ - ٤١٠ .

قال الإمام ناصر الدين أحمد بن المنير الاسكندري المالكي : لما كان معتقد الزمخشري أن الإيمان اسم التصديق مضافاً إليه كثير من الطاعات فعلاً وتركاً ، حتى لا يتناول الموحد العاصي ولو بكبيرة واحدة اسم الإيمان ، ولا يناله وعد المؤمنين ، وتفطن لإمكان الاستدلال على صحة معتقده بهذه الآية ، عدَّها فرصة لينتهزها ، وغنيمة ليحرزها ، وأبعد الظن بإرادة مذهب أهل السنة على صورة السؤال ، ليجيب عنه بصورة معتقده ، فكأنه يقول : لو كان الإيمان وهو مجرد التوحيد والتصديق ، كما تقول أهل السنة ، للزم أن ينفي عن النبي ﷺ قبل المبعث بهذه الآية كونه مُصدِّقاً ، ولما كان التصديق ثابتاً للنبي ﷺ قبل البعث باتفاق الفريقين ، لزم أن لا يكون الإيمان المنفي في هذه الآية عبارة عما اتفق على ثبوته ، وحينئذ يتعين صرفه إلى مجموع أشياع من جملتها التصديق ، ومن جملتها كثير من الطاعات التي لم تعلم إلا بالوحي ، وحينئذ يستقيم نَفْيُه قبل البعث ، وهذا الذي طمع فيه ، لا يبلغ منه ما أراد ، وذلك أن أهل السنة وإن قالوا أن الإيمان هو التصديق خاصة ، حتى يتصف به كل موحد وإن كان فاسقاً ، يخصون التصديق بالله وبرسوله ، فالنبيّ ﷺ مخاطب في الإيمان بالتصديق برسالة نفسه ، كما أن أمته مخاطبون بتصديقه ، ولا شك أنه قبل الوحي لم يكن يعلم أنه رسول الله ، وما علم ذلك إلا بالوحي ، وإذا كان الإيمان عند أهل السنة هو التصديق بالله ورسوله . ولم يكن هذا المجموع ثابتاً قبل الوحي ، بل كان الثابت هو التصديق بالله تعالى خاصة استقام نفي الإيمان قبل الوحي على هذه الطريقة الواضحة ، والله أعلم . (الانصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال) : ٣ / ٤١٠ .

وخرج من حديث عمر بن صبح عن ثور بن يزيد عن مكحول عن شداد بن أوس قال : بينا رسول الله ﷺ يحدثنا على باب الحجرات فقال : لما ولدتني أمي فنشأتُ بُغّضت إلي أوثان قريش وبغض إليّ الشعر[1] .

وخرج البيهقي من حديث محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ويحى بن عبد الرحمٰن بن حاطب ، عن أسامة بن زيد ، عن زيد بن حارثة قال : كان صنم من نحاس يقال له إساف أو نائلة ، يتمسح به المشركون إذا طافوا ، فطاف رسول الله ﷺ فطفت معه ، فلما مررتُ مسحت به ، فقال رسول ﷺ : لا تمسه ، قال زيد : فطفنا ، فقلت في نفسي : لأمسنه حتى أنظر ما يكون ، فمسحته ، فقال رسول الله ﷺ ألم تُنه ؟ قال زيد : فوالذي أكرمه وأنزل عليه الكتاب ، ما استلم رسول الله ﷺ صنماً حتى أكرمه الله بالذي أكرمه وأنزل عليه[2] .

وسيأتي في قصة بحيرا الراهب حين قيل لرسول الله ﷺ وهو غلام : أسألك بحق اللات والعُزى إلا ما أخبرتني عما أسألك ، فقال عليه السلام : لا تسألني باللات والعزى ، فو الله ما أبغضتُ شيئاً بغضهما[3] .

وخرج أبو نعيم من حديث حسين بن عبد الله عن عكرمة عن ابن عباس قال : حدثتني أم أيمن قالت : كانت ببوانة[4] صنماً تحضره قريش ، وتعظمه ، وتنسك له النسائك ، ويحلقون رءوسهم عنده ، ويعكفون عنده يوماً إلى الليل وذلك يوم في السنة ، وكان أبو طالب يحضره مع قومه ، فيأبى رسول الله [ﷺ][5] حتى رأيتُ

= وقالوا : معنى الآية : ما كنت تدري قبل الوحي كيف تقرأ القرآن ولا كيف تدعو الخلق إلى الإيمان ، وقيل : كان هذا قبل البلوغ حين كان طفلاً وفي المهد .

وقال الحسين بن الفضل : إنه على حذف مضاف : أي ولا أهل الإيمان ، وقيل : المراد بالإيمان دين الإسلام ، وقيل : الإيمان هنا عبارة عن الإقرار بكل ما كلّف الله به العباد . (فتح القدير) : ٤ / ٧٦٤ .

(١) لم أجده .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٢ / ٣٤ ، (البداية والنهاية) : ٢ / ٣٥١ ، وذكر أبو نعيم في (الدلائل) : ١٨٧ - ١٨٨ : حدثنا أبو عمر بن حمدان ، قال : حدثنا طلحة بن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس : « أن محمداً ﷺ كان يقوم مع بني عمه عند الصنم الذي عند زمزم ، واسمه « إساف » فرفع رسول الله ﷺ بصره إلى الكعبة ساعة ثم انصرف ، فقال له بنو عمه : ما لك يا محمد ؟ قال : نُهيت أن أقوم عند هذا الصنم » .

(٣) (البداية والنهاية) : ٢ / ٣٤٦ ، (دلائل البيهقي) : ٢ / ٣٥ .

(٤) بوانة : هضبة وراء بلدة ينبع (معجم البلدان) : ٢ / ٥٩٩ موضع رقم (٢٢١٣) .

(٥) زيادة للسياق من كتب السيرة .

أبا طالب غضب عليه أسوأ غضب ، فيقول : إنا نخاف عليك مما تصنع من اجتناب آلهتنا ، وجعل يقول : ما ترى يا محمد أن تحضر لقومك عيداً ولا تكثر لهم جمعاً ، قالت : فلم يزالوا به حتى ذهب فغاب عنهم ما شاء الله ثم رجع إلينا مرعوباً ، فقلن عماته : ما دهاك ؟ [قال إني أخشى أن يكون بي لمم ، فقلن ما كان الله ليبتليك وفيك من خصال الخير ما فيك ، فما الذي رأيت ؟][1]قال إني كلما دنوت من صنم منها تمثل لي رجل أبيض طويل يصيح بي : وراءك يا محمد ! لا تمسّه ، قالت أم أيمن : فما عاد إلى عيد لهم ﷺ [حتى تنبأ][1] .

وخرج من حديث المنذر بن عبد الله بن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال النبي ﷺ : مرَّ عليّ جبريل وميكائيل عليهما السلام وأنا بين النائم واليقظان بين الركن وزمزم ، فقال أحدهما للآخر : هو هو ؟ قال نعم ونعم المرء هو لولا أنه يمسح الأوثان . قال النبي ﷺ فما مسحتهن حتى أكرمني الله بالنبوة خمس حجج .

وخرج من حديث دواد بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال : بينا النبي ﷺ بأجياد رأى ملكاً واضعاً إحدى رجليه على الأخرى في أفق السماء يصيح : يا محمد ! أنا جبريل ، فذعر من ذلك وجعل يراه كلما رفع رأسه إلى السماء ورجع سريعاً إلى خديجة رضي الله عنها فأخبرها خبره فقال : يا خديجة ، ما أبغضت بغض هذه الأصنام شيئاً قط ولا آلهتكن .

وخرج من حديث عمرو بن محمد حدثنا طلحة بن عمر عن عطاء عن ابن عباس أن محمداً ﷺ كان يقوم مع بني عمه عند الصنم الذي عند زمزم واسمه إساف ، فرفع رأسه إلى ظهر الكعبة ساعة ثم انصرف ، فقال له بنو عمه : ما لك يا محمد ؟ قال : نهيت أن أقوم عند هذا الصنم[2] .

وخرج الحافظ أبو أحمد بن عدي من حديث عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا جرير عن سفيان الثوري عن عبد الله بن عقيل عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال :

---

(١) ما بين القوسين سقط من (خ) وما أثبتناه من كتب السيرة ، والحديث أخرجه أبو نعيم في (الدلائل) : ١٨٦ - ١٨٧ ، حديث رقم (١٢٩) ، وابن سعد في (الطبقات) : ١ / ١٥٨ .

(٢) سبق الإشارة إليه .

كان النبي ﷺ يشهد مع المشركين مشاهدهم ، قال : فسمع ملكين خلفه وأحدهما يقول لصاحبه : اذهب حتى نقوم خلف رسول الله ﷺ قال : كيف نقوم خلفه وإنما عهده باستلام الأصنام قبيل ؟ قال : فلم يعد بعد ذلك أن يشهد مع المشركين مشاهدهم . قال أبو القاسم الطبراني في تفسير قول جابر : وإنما عهده باستلام الأصنام يعني أنه شهد مع من استلم الأصنام وذلك قبل أن يوحى إليه[1] .

---

(١) (المطالب العالية) : ٤ / ١٧٩ ، حديث رقم (٤٢٦١) قال في هامشه : « هذا الحديث أنكره الناس على عثمان بن أبي شيبة فبالغوا ، والمنكر منه قوله عن الملك أنه قال : عهده باستلام الأصنام ، فإن ظاهره أنه باشر الاستلام ، وليس ذلك مُراداً ، بل المراد أن الملك أنكر شهوده لمباشرة المشركين قبل البعثة منكراً عليهم .

وقال البوصيري : رواه أبو يعلى بسند فيه عبد الله بن محمد بن عقيل . وقال الهيثمي : فيه عبد الله بن محمد ، ولا يحتمل هذا من مثله ، إلا أن يكون يشهد تلك المشاهد للإنكار ، وهذا يتجه . وبقية رجاله رجال الصحيح ٨٠ / ٢٦٦ .

وفي الباب بعده : باب البيان بأن النبي ﷺ لما مسَّ الصنم إنما مسَّه مُوَبِّخاً لعابديه ، حديث رقم (٤٢٦٢) : ابن بريدة عن أبيه قال : دخل جبريل المسجد الحرام فطفق ينقلب ، فَبَصُر بالنبي ﷺ نائماً في ظل الكعبة ، فأيقظه ، فقام ، وهو ينفض رأسه ولحيته من التراب ، فانطلق به نحو باب بني شيبة ، فتلقاهما ميكائيل ، فقال جبريل لميكائيل : ما منعك أن تصافح النبي ﷺ ، فقال : أجد من يده ريح النحاس ، وكأن جبريل أنكر ذلك ، فقال : أفعلت ذلك ؟ فكأن النبي ﷺ نسي ، ثم ذكر فقال : « صدق أخي ، مررتُ أوَّل من أمس على إساف ونائلة ، فوضعتُ يدي على أحدهما فقلت : إن قوماً رضوا بكما إلٰهاً مع الله قوم سوء » . هذا الحديث ضَعَّف البوصيري سنده لضعف صالح بن حبان ، وقد استدل به الحافظ على كون الحديث الأول (٤٢٦١) مصروفاً عن الظاهر .

وأيضاً في (المطالب العالية) ٤ / ٩٥ - ٩٦ ، حديث رقم (٤٠٥٧) : زيد بن حارثة قال : خرجت مع رسول الله ﷺ يوماً حاراً من أيام مكة ، وهو مُرْدِفي إلى نُصُبٍ من الأنصاب ، وقد ذبحنا له شاة فأنضجناها قال : فقال النبي ﷺ : « يا زيد ! ما لي أرى قومك قد شنفوا لك ؟ » - [شَنَفَ له : إذا أبغضه] - قال : والله يا محمد إن ذلك لغير نائلة لي منهم ، ولكني خرجت أبتغي هذا الدين حتى أقدم على أحبار فدك ، فوجدتهم يعبدون الله ويشركون به ، فقلت : ما هذا الدين الذي أبتغي ، فقال شيخ منهم : إنك لتسأل عن دين ما نعلم أن أحداً يعبد الله به إلا شيخاً بالحيرة ، فخرجت ، حتى أقدم فلما رآني قال : مِمَّنْ أنت ؟ قلت : من أهل بيت الله ومن أهل الشوك والقَرظ -[ورق السلم يُدبغ به] - فقال : إن الذي تطلب قد ظهر ببلادك ، قد بُعث نبي قد طلع نجمه ، وجميع من رأيتهم في ضلال ، فلم أحسّ بشيء بعد يا محمد ، قال : فقرب إليه السفرة فقال : ما هذا ؟ قال : « شاة ذبحناها لنُصُبٍ من الأنصاب » فقال : ما كنت لآكل مما لم يذكر اسم الله عليه ، قال زيد بن حارثة : فأتى النبي ﷺ البيت فطاف به وأنا معه ، وبالصفا والمروة ، وكان عند الصفا والمروة صنمان من نحاس ، أحدهما يقال له : يساف ، والآخر يقال له : نائلة ، وكان المشركون إذا طافوا مسحوا بهما ، فقال النبي ﷺ : « لا تمسحهما فإنهما رجْسٌ » فقلت في نفسي : لأ مسهّما حتى أنظر ما يقول النبي ﷺ ، فمسحتهما ، فقال : « ألم تُنْهَ ؟ » .

وقد أنكر الإمام أحمد هذا الحديث جداً وقال : هذا موضوع أو شبيه بالموضوع . وقال الدارقطني : أن عثمان وهم في إسناده . قال القاضي عياض : والحديث بالجملة منكر غير متفق على إسناده فلا يلتفت إليه ، والمعروف عن النبي ﷺ خلافه عند أهل العلم من قوله : بغضت إلى الأصنام[1] .

وخرج أبو نعيم من حديث موسى بن عقبة ، أخبرني سالم أنه سمع عبد الله بن عمر يحدث عن رسول الله ﷺ أنه لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح وذلك قبل أن ينزل على رسول الله الوحي فقدم إليه رسول الله ﷺ سفرة[2] فيها لحم فأبى أن يأكل ، قال : لا آكل ما يذبحون على أنصابهم ، إني لا آكل إلا مما ذكر اسم الله عليه[3] ، وإن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول : الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء الماء ، وأنبت لها من الأرض المرعى ، ثم يذبحونها على غير اسم الله إنكاراً لذلك واعظاماً له .

* * *

(١) قال الهيثمي : رواه أبو يعلي ، والبزار ، ورجالهما ورجال أحد أسانيد الطبراني رجال الصحيح ، غير محمد بن علقمه ، وهو حسن الحديث (٩ / ٤١٨) . وقال البوصيري : رواه النسائي في الكبرى في كتاب الحج بسند رجاله ثقات . (المرجع السابق) ، وذكره ابن كثير في (البداية والنهاية) : ٢ / ٣٥٢ ، وفي (السيرة الشامية) : المراد بالمشاهد مشاهد الحلف ونحوها ، لا مشاهد استلام الأصنام . (هامش المرجع السابق) ، ونحوه في (دلائل البيهقي) : ٢ / ٣٤ - ٣٦ .

(٢) السفرة : السُفْرَةُ بالضم طعام المسافر (ترتيب القاموس) جـ ٢ ص ٥٧١ .

(٣) كذا في (خ) وبا ختلاف يسير في اللفظ في السنن الكبرى للبيهقي جـ ٩ ص ٢٥١ وصحيح البخاري جـ ٣ ص ٣١٠ ومسند أحمد جـ ٢ ص ٦٩ ، ص ٨٩ وفيهم (إني لا آكل مما تذبحون على أنصابكم) بدلاً من (لا آكل ما يذبحون على أنصابهم) .

وخرج من حديث عبد الله بن محمد بن يحى بن عروة عن هشام بن عروة عن أبية عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : سمعتُ زيد بن عمرو بن نُفيل يعيب أكل ما ذبح لغير الله ، فما ذقتُ شيئاً ذبح على النصُب حتى أكرمني الله بما أكرمني به من رسالته .

وقال عمرو بن شيبة : حدثنا إبراهيم بن المنذر ، حدثنا ابن وهب ، حدثنا عبد الله بن عمر أنه بلغه أن النبي ﷺ قال : إن أول ما أوقع الله في نفس هذا الأمر أن عمي أبا طالب ذبح للأنصاب فبعثني بلحم على حمار إليها ، فمررت بزيد بن عمرو بن نفيل[1] فقلت : يا عم ، ألَّا نأكل من هذا اللحم ؟ قال : يا ابن أخي ، إني

---

(١) هو زيد بن عمرو بن نُفيْل العدوي ، كان ممن فرَّ إلى الله من عبادة الأصنام ، وساح في أرض الشام يتطلَّب الدين القيم ، فرأى اليهود والنصارى ، فكره دينهم ، وقال : اللهم إني على دين إبراهيم ، ولكن لم يظفر بشريعة إبراهيم عليه السلام كما ينبغي ، ولا رأى من يوقفه عليها ، وهو من أهل النجاة ، فقد شهد له النبي ﷺ ، ولم يعش حتى بُعث .

وروى هشام بن عروة فيما نقله عن ابن أبي الزناد ، أنه بلغه أن زيد بن عمرو كان بالشام ، فلما بلغه خبر رسول الله ﷺ أقبل يُريده ، فقتله أهل مَيْفة بالشام . وروى الواقدي أنه مات فدفن بأصل حراء ، وقال ابن إسحاق : قُتل ببلاد لخم . والظاهر أن زيداً رحمه الله توفى قبل المبعث ، فقد نقل ابن إسحاق أن ورقة بن نوفل رثاه بأبيات منها :

رَشَدْتَ وَأَنْعَمْتَ ابنَ عَمْرو وإنما
تَجَنَّبْتَ تَنُوراً من النَّارِ حَاميا

بدينك رباً ليس ربٌّ كمثله
وَتَرْكِكَ أوثان الطواغي كما هِيا

(تهذيب سير أعلام النبلاء) : ١ / ١٧ ، ترجمة رقم (٧) .

وقال الحافظ ابن حجر : إنَّ زيد بن عمرو ، وورقة بن نوفل ، خرجا يلتمسان الدين ، حتى انتهيا إلى راهب بالموصل ، فقال لزيد بن عمرو : من أين أقبلت يا صاحب البعير ؟ فقال : من بَنِيَّه إبراهيم ، قال : وما تلتمس ؟ قال : ألتمس الدين ، قال : ارجع ، فإنه يوشك أن يظهر الذي تطلب في أرضك ، فأمَّا ورقة فتنصَّر ، وأما أنا فَعُرضت عليّ النصرانية ، فلم يوافقني ، فرجع وهو يقول :

لبيك حقّاً حقّاً
تعبُّداً ورقًّا

البرُّ أبغي لا الخالْ
وهل يرى مهجَراً كمن قالْ

آمنت بما أُمِر به إبراهيم ثم يقول :

أنفي لربّ البيت عانٍ راغم
مهما تُجشّمني فإني جاشم

=

لا آكل من ذبائحكم هذه[1] .

وخرج البخاري ومسلم من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة ، وكانوا يسمون الحُمْس[2] ، وكان سائر العرب يقفون بعرفات ، فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه أن

= عُذْتُ بما عاذ به إبراهيم
مستقبل القبلة وهو قائم

ثم يخر فيسجد [ذو خال : أي كِبْر ، المهجِّر : المسافر في الهاجرة ، قال : من القيلولة]

قال : وجاء ابنه إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، إن أبي كان كما رأيت وكما بلغك فاستغفر له ، قال : « نعم ، فإنه يُبعث يوم القيامة أُمّةً وَحْدَه » . (المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية) ٤ / ٩٤ – ٩٥ باب (زيد بن عمرو بن نُفيل العدوي والد سعيد ، أحد العشرة ، وورقة) ، حديث رقم (٤٠٥٥) ، أنظر أيضاً : (البداية والنهاية) : ٢ / ٢٩٦ – ٣٠٢ .

قال البخاري في صحيحه : حدثنا معلي بن أسد ، حدثنا عبد العزيز – يعني ابن المختار – أخبرنا موسى ابن عقبة قال : أخبرني سالم أنه سمع عبد الله يحدث عن رسول الله ﷺ ، أنه لقي زيد بن عمرو بن نُفيل بأسفل بَلْدح ، وذاك قبل أن ينزل على رسول الله ﷺ الوحي ، « فقدم إليه رسول الله ﷺ سفرة لحم ، فأبى أن يأكل منها ، ثم قال : إني لا آكل مما تذبحون على أنصابكم ، ولا آكل إلا مما ذكر اسم الله عليه » ، وفي الرواية التي في آخر المناقب : « فقدم إليه رسول الله ﷺ سفره » وللكشميهني : « فقدم إلى رسول الله ﷺ سفرة » وجمع ابن المنير بين هذا الاختلاف بأن القوم الذين كانوا هناك قدموا السفرة للنبي ﷺ ، فقدمها لزيد ، فقال زيد مخاطباً لأولئك القوم ما قال . (فتح الباري) : ٩ / ٧٨٥ – ٧٨٦ كتاب الذبائح والصيد ، باب ما ذُبح على النصب والأصنام ، حديث رقم (٥٤٩٩) ، ونحوه ٧ / ١٧٩ – ١٨٠ كتاب مناقب الأنصار ، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل ، حديث رقم (٣٨٢٦) ، وزاد فيه بعد قوله : « ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه » ، « وأن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول : الشاة خلقها الله ، وأنزل لها من السماء الماء ، وأنبت لها من الأرض ، ثم تذبحونها على غير اسم الله ، إنكاراً لذلك وإعظاماً له » .

(١) (المطالب العالية) : ٤ / ٩٥ ، وفيه : وأتي زيد بن عمرو على رسول الله ﷺ ومعه زيد بن حارثة ، وهما يأكلان من سُفرة لهما ، فدعواه لطعامهما ، فقال زيد بن عمرو للنبي ﷺ : « انا لا نأكل مما ذُبح على النُّصُب » قال الهيثمي : رواه أحمد وفيه المسعودي وقد اختلط ، وبقيه رجاله ثقات .

(٢) التحمّسُ : التشدّد ، وكانوا قد ذهبوا في ذلك مذهب التزهّد والتألّه ، فكانت نساؤهم لا ينسجن الشَّعْر ولا الوبر ، وكانوا لا يَسْلَئُون السمن ، وسلأُ السمن : أن يُطبخ الزبد حتى يصير سمناً ، ومن القبائل التي آمنت مع قريش بالحمس : كنانة ، وخزاعة . (الروض الأنف) : ١ / ٢٩٩ – ٢٣٠ .

قال ابن إسحاق : وقد كانت قريش – لا أدري أقبْل الفيل أمْ بعده – ابتدعت رأي الحُمْس رأياً رأوه فقالوا : نحن بنو إبراهيم ، وأهل الحُرمة ، وولاة البيت ، وقُطّان مكة وساكنها ، فليس لأحد من العرب مثلُ حقنا ، ولا مثلُ منزلتنا ، ولا تعرفُ له العرب مثلُ ما تعرفُ لنا ، فلا تُعظّموا شيئاً من الحِلّ كما تُعظمون الحرم ، فإنكم إن فعلتم ذلك استخفّت العربُ بحرمتكم ، وقالوا : قد عظموا من الحل مثل =

يأتي عرفات فيقف بها ثم يفيض منها ، فذلك قوله عزَّ وجل : ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ﴾[1] . ذكره البخاري في كتاب التفسير[2] ، وخرجه أبو دواد

ما عظموا من الحرم ، فتركوا الوقوف على عرفة والإفاضة منها ، وهم يعرفون ويقرون أنها من المشاعر والحج ودين إبراهيم ﷺ ، ويرون لسائر العرب أن يفيضوا منها ، إلا أنهم قالوا : نحن أهل الحرم ، فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرمة ، ولا نعظم غيرها ، كما نعظهما نحن الحُمْس ، والحُمْس : أهل الحرم ، ثم جعلوا لمن وُلدوا من العرب من ساكن الحل والحرم مثل الذي لهم بولادتهم إياهم ، يحل لهم ما يحل لهم ويحرمُ عليهم ما يحُرم عليهم .

قال ابن هشام : وحدثني أبو عبيدة النحوي : أن بني عامر بن صَعْصَعة بن معاوية بن بكر بن هَوازن دَخلوا معهم في ذلك .

قال ابن إسحاق : ثم ابتدعوا في ذلك أموراً لم تكن لهم ، حتى قالوا : لا ينبغي للحُمْس أن يأْتَقِطُوا الأقِط ، ولا يسْلَئوا السمن وهم حُرُم ، ولا يدخلوا بيتاً من شَعْر ، ولا يستظلوا – إن استظلوا – إلا في بيوت الأَدَم ما كانوا حرماً ، ثم رفعوا في ذلك فقالوا : لا ينبغي لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحِلّ إلى الحرَم إذا جاءوا حُجَّاجاً أو عُمَّاراً ، ولا يطوفون بالبيت إذا قدموا أول طوافهم إلا في ثياب الحُمْس . فإن لم يجدوا منها شيئاً طافوا بالبيت عراة .

ومن طاف منهم في ثيابه التي جاء فيها من الحِلّ ألقاها ، فلم ينتفع بها هو ولا غيره ، وكانت العرب تسمي تلك الثياب : اللَّقَى ، فحملوا على ذلك العرب فدانت به ، ووقفوا على عرفات وأفاضوا منها ، وطافوا بالبيت عراة ، أما الرجال فيطوفون عراة ، وأما النساء فتضع إحْداهُنّ ثيابها كلَّها إلا درعاً مُفَرَّجاً عليها ، ثم تطوف فيه ، فقالت امرأة من العرب ، وهي كذلك تطوف بالبيت :

اليومَ يَبْدو بَعْـضُهُ أو كُلُّه
وما بدا منه فلا أُحِلُّـه

ويذكر أن هذه المرأة هي : ضُباعة بنت عامر بن صَعْصَعَة ، ثم من بني سلمة بن قُشير .

وذكر محمد بن حبيب أن رسول الله ﷺ خطبها ، فذُكرتْ له عنها كبرة ، فتركها ، فقيل إنها ماتت كمداً وحُزناً على ذلك . قال ابن حبيب : إن كان صح هذا ، فما أخَّرها عن تكون أماً للمؤمنين ، وزوجاً لرسول رب العالمين إلا قولها « اليوم يبدو بعضُه أو كلُّه » تكرمة من الله لنبيه ، وعِلْماً منه بغيرته ، والله أغير منه

ومن اللَّقَى : حديث فاختة أم حكيم بن حزام ، وكانت دخلت الكعبة ، وهي حامل مُتِمٌّ بحكيم بن حزام ، فأجاءها المخاض ، فلم تستطع الخروج من الكعبة ، فوضعته فيها ، فَلُفَّتْ في الأَنطاع هي وجنينها ، وطرح مثبرها [المِثْبَر : مِسقط الولد] وثيابها التي كانت عليها ، فجُعلت لقى لا تُقرب .

ومما ذُكر من تعريِّهم في الطواف أَنَّ رجلاً وامرأةً طافا كذلك ، فانضم الرجل إلى المرأة تلذّذاً واستمتاعاً ، فلصق عضده بعضدها ، ففزعا عند ذلك ، وخرجا من المسجد ، وهما ملتصقان ، ولم يقدر أحد على فك عضده من عضدها ، حتى قال لهما قائل : تُوبا مما كان في ضميركما ، وأخلصا لله التوبة ، ففعلا ، فا نحلّ أحدهما من الآخر .

(سيرة ابن هشام) : ٢ / ٢١ – ٢٦ .

(١) (البقرة : ١٩٩) .

(٢) (فتح الباري) : ٨ / ٢٣٦ ، كتاب التفسير ، باب ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ﴾ حديث رقم (٤٥٢٠) .

بمثله[1] .

وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي [أحمد بن جحش] عن عثمان بن أبي سليمان عن نافع بن جبير عن أبيه قال : لقد لقيت رسول الله ﷺ وهو على دين قومه وهو يقف على بعير له بعرفات من بين قومه حتى يدفع بعدهم توفيقاً من الله له[2] .

وقد خرج البخاري ومسلم هذا الحديث من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو ، سمع محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه جبير بن مطعم قال : أُضْلَلْتُ بعيراً لي فذهبت أطلبه يوم عرفة ، فرأيت رسول الله ﷺ واقفاً مع الناس بعرفة فقلت : والله إن هذا لمن الحمس ، فما شأنه ها هنا ؟ وكانت قريش تُعد من الحمس[3] .

---

(1) (عون المعبود) : ٥ / ٢٧١ – ٢٧٢ ، كتاب المناسك ، باب الوقوف بعرفة ، حديث رقم (١٩٠٧) ، (تحفة الأحوذي) : ٣ / ٥٣٢ ، أبواب الحج ، باب ما جاء في الوقوف بعرفات والدعاء فيها ، حديث رقم (٨٨٥) ، وقال فيه : « يقفون بالمزدلفة يقولون : نحن قطين الله » قال في القاموس : قَطَن قطوناً : أقام ، وفلاناً خدمه فهو قاطن ، والجمع قطان ، وقاطنة ، وقطين ، وقطين الله ، على حذف المضاف ، أي سكان بيت الله .

قال أبو عيسى : هذا الحديث حسن صحيح . ومعنى الحديث : أن أهل مكة كانوا لا يخرجون من الحرم ، وعرفات خارج من الحرم ، فأهل مكة كانوا يقفون بالمزدلفة ويقولون : نحن قطين الله ، يعني سكان الله ، ومن سوى أهل مكة كانوا يقفون بعرفات ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس** ﴾ (المرجع السابق) : ٥٣٣ .

(2) (البداية والنهاية) : ٢ / ٣٥٢ ، و (دلائل البيهقي) : ٢ / ٣٧ ، وقال البيهقي : قوله : « على دين قومه » معناه : على ما كان قد بقي فيهم من إرث إبراهيم وإسماعيل ، في حجّهم ، ومناكحهم ، وبيوعهم ، دون الشرك ، فإنه لم يُشرك بالله قط . وما بين القوسين زيادة من المرجعين السابقين .

(3) (فتح الباري) : ٣ / ٦٥٧ ، كتاب الحج ، باب الوقوف بعرفة ، حديث رقم (١٦٦٤) ، قال الكرماني : وقفة رسول الله ﷺ بعرفة كانت سنة عشر ، وكان جبير حينئذ مسلماً لأنه أسلم يوم الفتح فإن كان سؤاله عنه إنكاراً وتعجباً ، فلعله لم يبلغه نزول قوله تعالى : ﴿ **ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس** ﴾ ، وإن كان للاستفهام عن حكمة المخالفة عما كانت عليه الحُمس فلا إشكال ، ويحتمل أن يكون لرسول الله ﷺ وقفة بعرفة قبل الهجرة . (المرجع السابق) . وفي (البداية والنهاية) : ٢ / ٣٥٢ : ويفهم من قوله هذا أيضاً أنه كان يقف بعرفات قبل الوحي إليه ، وهذا توفيق من الله له .

وخرجه الإمام أحمد من حديث جبير بن مطعم قال : « حدثنا عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم الأنصاري ، عن عثمان بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم ، عن عمه نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه جبير قال : « رأيتُ رسول الله ﷺ قبل أن ينزل عليه ، وإنه لواقف على بعير له بعرفات مع الناس حتى يدفع معهم منها ، توفيقاً من الله له » . (مسند أحمد) : ٥ / ٣٨ ، حديث رقم (١٦٣١٦) .

وأخرجه أبو بكر البرقاني وزاد بعد قوله : هذا من الحمس : فما باله خرج من الحرم ، وكان سائر الناس تقف بعرفة ، وذلك قول الله عزَّ وجل : ﴿ **ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس** ﴾ ، قال سفيان : الأحمس : الشديد في دينه .

* * *

فصل في ذكر ما كـان رسول الله ﷺ يتديّن به قبـل أن يوحي إليه

قال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا ابن المبارك عن الأوزاعي عن عروة بن رويم قال : قال رسول الله ﷺ : أول ما نهاني ربي عن عبادة الأصنام وعن شرب الخمر وعن ملاجأة الرجال(١) .

قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رحمه الله : من قال أن رسول الله ﷺ كان على دين قومه فهو قول سوء ، أليس كان لا يأكل مما ذبح على النصب ؟ .

وقد خرج البيهقي من حديث يونس بن شبيب عن ابن إسحاق قال : حدثني عبد الله بن أبي بكر عثمان بن أبي سليمان عن نافع عن جبير بن مطعم عن أبيه جبير قال : لقد رأيت رسول الله ﷺ وهو على دين قومه وهو يقف على بعير له بعرفات من بين قومه حتى يدفع معهم توفيقاً من الله عزَّ وجل له . قال البيهقي : قوله على دين قومه معناه : على ما كان قد بقي فيهم من إرث إبراهيم وإسماعيل في حجهم ومناكحهم وبيوعهم دون الشرك ، فإنه لم يشرك بالله قط . وفيما ذكر من بغضه اللات والعزى دليل على ذلك(٢) .

وقال أبو نعيم : وما أضيف إلى النبي ﷺ من الذبح على النُّصُب خلاف ما كانت قريش تذبحه ، لأن قريشاً تذبحه عند الآلهة تقرباً وتديناً وهو شرك وكفر ، ورسول الله ﷺ قد عصمه الله من هذا ، ويجوز أن يكون هذا الفعل في موضع ذبائحهم ، فيكون القربان لله ؛ كما لو صلى إنسان من المسلمين في كنيسة صلاة الإسلام جاز ، وهو في الظاهر مستقبح ، ويحتمل أن يكون يحضر مذابحهم مدارياً لأعمامه وعماته كما رواه ابن عباس رضي الله عنه في قصه عيد بوانة على ما تقدم ذكرنا مع طمأنينة قلبه للإيمان وبغضه لأنصابهم وأعيادهم كما روينا ، مع أن بعض الناس من أهل العلم كان يقول : كان النبي ﷺ على دين قومه في أكل ذبائحهم

---

(١) تلجَّأ من القوم : انفرد عنهم وخرج عن زمرتهم وعدل إلى غيرهم . وفي حديث كعب : « من دخل ديوان المسلمين ثم تلجَّأ منهم فقد خرج من قبة الإسلام » (المعجم الوسيط) جـ ٢ ص ٨١٥ .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٢ / ٣٧ .

وغيره ، محتجاً بقوله تعالى : ﴿ **ووجدك ضالاً فهدى** ﴾[1] ، والأحرى والأشبه برسول الله ﷺ أن يضاف ذلك على ما قدمنا لأن قوله : ﴿ **ووجدك ضالاً فهدى** ﴾ تأولوه على غير وجه ، فقيل : مغموراً في بحور ضلال ، كقوله : ضل الماء في اللبن فلا يتميز منه ، فكذلك كان النبي ﷺ مختلطاً بقومه غير متميز منهم ، فحمل الضلال على هذا الوجه . وقيل : وجدك ضالاً عن الكتاب والشرائع كما قال تعالى : ﴿ **ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان** ﴾[2] وكيف تحمل على غير ما اخترناه وتأولناه ، وقد نُهي عن التعري حين نقل الحجارة إلى بناء الكعبة مع قومه ؟ أفلا تراه ينهى عن الشرك والتدين بدين قومه لو أراده عليه السلام .

وقال أبو الوفاء بن عقيل : كان رسول الله ﷺ متديناً قبل بعثه ، فهل كان متعبداً بشريعة من قبله ؟ فيه روايتان ؛ إحداهما أنه كان متعبداً بما صح من شرائع من قبله بطريق الوحي إليه لا من جهتهم ولا بنقلهم ولا من كتبهم المبدلة ، واختارها أبو الحسن التميمي ، وهو قول أصحاب أبي حنيفة رحمه الله .

والرواية الثانية أنه لم يكن متعبداً بشيء من الشرائع إلا ما أوحي إليه في شريعته ، وهو قول المعتزلة والأشعرية . ولأصحاب الشافعي رحمه الله وجهان كالروايتين ؛ قال : واختلف القائلون بأنه متعبد بشرع من قبله بأية شريعه كان يتعبد ؟ فقال بعضهم بشريعة إبراهيم عليه السلام خاصة ، وإليه ذهب أصحاب الشافعي . وذهب قوم منهم إلى أنه كان متعبداً بشريعة موسى عليه السلام إلا مانُسخ في شرعنا . قال : وظاهر كلام أحمد رحمه الله : أنه كان متعبداً بكل ما صح أنه شريعة لنبي قبله ما لم يثبت نسخه ، يدل عليه قوله تعالى : ﴿ **أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده** ﴾[3] .

وقال النووي : والمختار أنه لا يجزم في ذلك بشيء ، إذ ليس فيه دلالة عقل ، ولا يثبت فيه نص ولا إجماع .

وقال محمد بن قتيبة : لم تزل العرب على بقايا من دين إسماعيل ، من ذلك : حج البيت ، والختان ، وإيقاع الطلاق إذا كان ثلاثاً ، وأن للزوج الرجعة في الواحدة والاثنين ، ودية النفس مائة من الإبل ، والغسل من الجنابة ، وتحريم ذوات المحارم

---

(١) الضحى : ٧ . (٢) الشورى : ٥٢ . (٣) الأنعام : ٩٠ .

بالقرابة والصهر ، فكان رسول الله ﷺ على ما كانوا عليه من الإيمان بالله والعمل بشرائعهم في الختان والغسل والحج . قال : وقوله تعالى : ﴿ **ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان** ﴾ **يعني به شرائع الإيمان ، ولم يُرِد به الإيمان الذي هو الاقرار [بواحدانية]**[1] **الله تعالى ، لأن آباءه الذين ماتوا في الشرك كانوا يؤمنون بالله ويحجون له مع شركهم .**

وذكر الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي : في المسألة بحثان : الأول : أنه قبل النبوة هل كان متعبداً بشرائع من قبله ؟ أثبته قوم ونفاه آخرون ، وتوقف فيه ثالث ، احتج المنكرون بأمرين ، **الأول** : لو كان مقيداً بشرع أحد لوجب عليه الرجوع إلى علماء تلك الشريعة والاستفتاء منهم ، والأخذ بقولهم ، ولو كان كذلك لاشتهروا ولنُقل بالتواتر قياساً على سائر أحواله ، فحيث لم يُنقل علمنا أنه ما كان متعبداً بشرعهم . **الثاني** : لو كان على ملة قوم لافتخر به هؤلاء القوم ونسبوه إلى أنفسهم ولاشتهر ذلك . فإن قيل : ولو لم يكن متعبداً بشرع أحد ، فبقاؤه لا على شرع أحد البتة لا يكون شيئاً مخالفاً للعادة فلا تتوفر الدواعي على نقله ، أما كونه شرع ، إما كان على خلاف عادة قومه وجب أن ينقل ، احتجوا بأمرين : الأول : أن دعوة من تقدمه كانت عامة فوجب دخوله فيها ، الثاني أنه كان يركب البهيمة ويأكل اللحم ويطوف بالبيت . والجواب عن الأول : أنا لا نسلم عموم دعوة من تقدمه سلمناه ، لكن لا نسلم وصول تلك الدعوة إليه بطريق ، فوجب العلم أو الظن الغالب ، وهذا من زمن الفترة ، وعن الثاني أن نقول : أما ركوب البهائم فحسنٌ في العقل إذا كان طريقاً إلى حفظها ونفعها بالعلف وغيره ، وأما أكل اللحم الذكي فحسنٌ أيضاً لأنه ليس فيه مضيرة على حيوان ، وأما طوافه بالبيت فبتقدير ثبوته لا يجب ، أو فعله من غير شرع أن يكون حراماً .

البحث الثاني : في حالة بعد النبوة ، قال جمهور المعتزلة وكثير من الفقهاء : لم يكن متعبداً بشرع أحد . وقال قوم من الفقهاء : بل كان متعبداً بذلك إلا باستثناء الدليل الراجح ثم اختلفوا ، قال قوم : كان متعبداً بشرع إبراهيم عليه السلام ، وقيل بشرع موسى عليه السلام ، وقيل بشرع عيسى عليه السلام .

---

(١) زيادة للسياق .

واعلم أن من قال : كان متعبداً بشرع من قبله ؛ إما أن يريد أن الله تعالى كان يوحي إليه بمثل الأحكام التي أمر بها من قِبَله ، أو يريد به أن الله تعالى أمره باقتباس الأحكام من كتبهم ، فإن قالوا بالأول ، فإما أن يقولوا به في كل شرعه أو في بعضه ، والأول معلوم البطلان بالضرورة ، لأن شرعنا يخالف شرع من قبلنا في كثير من الأمور . والثاني مسلم [به][1] ولكن ذلك لا يقتضي إطلاق القول بأنه متعبد بشرع غيره لأن ذلك يوهم التبعية ، وأنه ﷺ ، ما كان تبعاً لغيره بل كان أصلاً في شرعه .

وأما الاحتمال الثاني وهو حقيقة المسألة فيدل على بطلانه وجوه :

الأول : لو كان متعبداً بشرع أحد لوجب أن يرجع إلى أحكام الحوادث إلى شرعه ، وأن لا يتوقف إلى نزول الوحي ، لكن لم يفعل ذلك لوجهين : الأول : أنه لو فعل لاشتهر، والثاني أن عمر رضي الله عنه طالع ورقة في التوراة فغضب ﷺ وقال : لو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعي ، ولما لم يكن كذلك علمنا أنه لم يكن متعبداً بشرع أحد ، فإن قيل : الملازمة ممنوعة لا حتمال أن يقال : أنه ﷺ علم في تلك الصورة أنه غير متعبد فيها بشرع من قبله ، ولا جرم توقف فيها على نزول الوحي عليه ، أو لأنه ﷺ علم خلو شرعهم على حكم تلك الواقعة فانتظر الوحي ، أو لأن أحكام تلك الشرائع إن كانت منقولة بالتواتر فلا يُحتاج في معرفتها إلى الرجوع إليهم في كتبهم ، وإن كانت منقولة بالآحاد لم يجز قبولها ، لأن أولئك الرواة كانوا كفاراً ، ورواية الكفار غير مقبولة سلمنا الملازمة ، لكن قد ثبت رجوعه إلى التوراة في الرجم لما احتكم إليه اليهود ، والجواب قوله : إنما لم يرجع إليها في شيء من الوقائع إليهم ، وجب أن يكون ذلك لأنه علم أنه غير متعبد في شيء منها بشرع من قبله ، قوله : إنما لم يرجع إليها لعلمه بخلو كتبهم عن تلك الوقائع ، قلنا : العلم بخلو كتبهم عنها لا يحصل إلا بالمطلب الشديد والبحث الكثير ، فكان يجب أن يقع منه ذلك الطلب والبحث . قوله : « ذلك الحكم إما أن يكون متواتراً أو آحاداً » قلنا : يجوز أن يكون متن الدليل متواتراً إلا أنه لا بد من العلم بدلالته على المطلوب من نظر كثير أو بحث دقيق ، وكان يجب اشتغال النبي ﷺ بالنظر في كتبهم ، والبحث عن كيفية دلالتها على الأحكام . قوله : « رجع في الرجم إلى التوراة » قلنا : لم يكن

(١) زيادة للسياق .

رجوعه إليها رجوع مثبت الشرع بها ، والدليل عليه أمور ، أحدها : أنه لم يرجع إليها في غير الرجم ، وثانيها : أن التوراة محرفة عنده ، فكيف يعتمد عليها ؟ وثالثها : أن من أخبره بوجوب الرجم في التوراة لم يكن ممن يقع العلم بخبره ، فثبت أن رجوعه إليها كان ليقرر عليهم أن ذلك الحكم أنه ثابت في شرعه فهو أيضاً ثابت في شرعهم ، وأنهم أنكروه كذباً وعناداً .

الحجة الثانية أنه ﷺ لو كان متعبداً بشرع من قبله لوجب على علماء الأمصار أن يرجعوا في الوقائع إلى شرع من قبله ضرورة أن التأسي به واجب ، وحيث [أنهم][1] لم يفعلوا ذلك علمنا بطلان ذلك .

الحجة الثالثة : أنه ﷺ صوَّب معاذاً على حكمه باجتهاده إذا عدم حكم الحادثة من الكتاب والسنة ، ولو كان متعبداً بحكم التوراة كما تعبد بحكم الكتاب لم يكن له العمل باجتهاد نفسه حتى ينظر في التوراة والانجيل ، فإن قلت : أن رسول الله ﷺ لم يصوب معاذاً في العمل باجتهاده إلا إذاعدمه من الكتاب – والتوراة كتاب – ولأنه إنما لم يذكر التوراه لأن في القرآن آيات تدل على الرجوع إليها ، كما أنه لم يذكر الاجماع لهذا السبب ، قلنا : الجواب عن الأول من وجهين : أحدهما : أنه لا يفهم من إطلاق الكتاب إلا القرآن ، فلا يُحمل على غيره إلا بدليل . الثاني : أنه لم يُعهد من معاذ قط تعليم التوراة والانجيل بتمييز المحرف منهما عن غيره كما عهد منه تعلم القرآن ، وبه ظهر الجواب عن الثاني .

الحجة الرابعة : لو كانت تلك الكتب حجة علينا لكان حفظها من فروض الكفايات كما في القرآن والأخبار ، ولرجعوا إليها في مواقع اختلافهم حين أشكل عليهم : كمسألة العول وميراث الجد والمفوضة ، وبيع أم الولد وحد الشرب ، والربا في غير النسيئة ، ودية الجنين ، والردّ بالعيب بعد الوطء ، والتقاء الختانين وغير ذلك من الأحكام . ولما لم ينقل عن واحد منهم مع طول أعمارهم وكثرة وقائعهم ، واختلافهم مراجعة التوراة ، سيما وقد أسلم من أحبارهم من تقوم الحجة بقولهم ، كعبد الله بن سلام وكعب [الأحبار] ووهب ، وغيرهم . ولا يجوز القياس إلا بعد اليأس من الكتاب ، وكيف يحصل اليأس قبل العلم ؟ احتجوا بأمور أحدها : قوله

---

(١) زيادة للسياق .

تعالى : ﴿ **إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون** ﴾[1] وثانيها : قوله تعالى : ﴿ **فبهداهم اقتده** ﴾[2]أمره أن يقتدي بهداهم ، وثالثها : قوله تعالى : ﴿ **إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده** ﴾[3] ، ورابعها : قوله تعالى : ﴿ **أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً** ﴾[4] ، وخامسها : قوله تعالى : ﴿ **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً** ﴾[5] .

والجواب عن الأول ﴿ **يحكم بها النبيون** ﴾ : لا يمكن إجراؤه على ظاهره ، لأن جميع النبيين لم يحكموا بجميع ما في التوراة ، ذلك معلوم بالضرورة ، فوجب إما تخصيص الحكم وهو أن كل النبيين حكموا ببعضه وذلك لا يضرنا ، فإن نبينا ﷺ حكم بما فيه من معرفة الله تعالى وملائكته وكتبه ورسله ، أو تخصيص النبيين وهو أن بعض النبيين حكموا بكل ما فيه وذلك لا يضرنا .

وعن الثاني أنه تعالى أمر بأن[6] يهتدي بهدي مضاف إلى كلهم ، وهداهم الذي اتفقوا عليه هو الأصول دون ما وقع عليه النسخ .

وعن الثالث : أنه يقتضي تشبيه الوحي بالوحي ، لا تشبيه الوحي بالموحي به .

وعن الرابع : أن المسألة محمولة على الأصول دون الفروع ، ويدل عليه أمور ، أحدها : أنه يقال : ملة الشافعي وأبي حنيفة واحدة وإن كان مذهبهما في كثير الشرعيات مختلفاً ، وثانيها : قوله تعالى بعد هذه الآية : ﴿ **وما كان من المشركين** ﴾[7] . وثالثها : أن شريعة إبراهيم عليه السلام قد اندرست .

وعن الخامس : أن الآية تقتضي أنه وصى محمداً ﷺ بالذي وصى به نوحاً من أن يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه ، وأمرهما بإقامة الدين لا يدل على اتفاق دينهما ، كما أن أمر الاثنين بأن يقوما بحقوق الله تعالى يدل على أن الحق على أحدهما مثل الحق على الآخر ، وعلى أن الآية تدل على أنه تعبَّدَ محمداً ﷺ بما وصى به نوحاً عليه السلام ، والله أعلم .

وقال الحافظ الفقيه أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم : وأما شريعة

---

(١) المائدة : ٤٤ . (٢) الأنعام : ٩٠ . (٣) النساء : ١٦٣ .
(٤) النحل : ١٢٣ . (٥) الشورى : ١٣ . (٦) في (خ) « بأن أن » .
(٧) البقرة : ١٣٥ .

إبراهيم عليه السلام فشريعتنا ، ولسنا نقول : أن الله تعالى بعث محمداً ﷺ إلى الناس كافة بالشريعة التي بعث الله تعالى بها إبراهيم إلى قومه خاصة دون سائر أهل عصره ، وإنما لزمتنا لأن محمداً ﷺ بُعث بها إلينا لا لأن إبراهيم بُعث بها ، قال تعالى : ﴿ **ثم أوحينا إليك أن أتبع ملة إبراهيم حنيفاً**﴾[1] وقال تعالى : ﴿ **بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين** ﴾ . قال : تبلجت المسألة والحمد لله .

قال : ونسخ الله تعالى عنا بعض شريعة إبراهيم عليه السلام كما نسخ عنا ما كان يلزمنا من شريعة محمد ﷺ ، فمن ذلك ذبح الأولاد نُسخ بقوله تعالى : ﴿ **ولا تقتلوا أولادكم** ﴾[2] ، وبقوله تعالى : ﴿ **وإذا الموءودة سُئلت بأي ذنب قتلت** ﴾[3] ، وبقوله تعالى : ﴿ **قد خسر الذين قتلوا أولادهم** ﴾[4] . ونسخ الاستغفار للمشركين بقوله تعالى : ﴿ **ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين** ﴾[5] .

قال : وقد قال قوم : ماذا كانت شريعة النبي قبل أن يُنَبَّأ ؟ والجواب : أن يقال : في نفس سؤالكم جوابكم ، وهو قولكم : قبل أن يُنَبَّأ ، وإذا لم يكن نبياً فلم يكن مكلفاً شيئاً من الشرائع التي لم يؤمر بها ، ومن قبل أن يكون مأموراً بما لم يؤمر به ، فصح يقيناً أنه لم يكن ألزم شيئاً من الشريعة حاشا التوحيد اللازم لقومه من عهد إبراهيم لولده ونسله حتى غيَّره عمرو بن يحي ، وحاشا ما صانه الله من الزنا وكشف العورة والكذب والظلم وسائر الفواحش التي سبق في علم الله تعالى [أنه][6] سيحرمها عليه وعلى الناس .

ذكر ما ورد في أنه عقَّ عن نفسه ﷺ

قال الخلال : أخبرني أبو المثنى العنبري أن أبا دواد حدثهم قال : سمعت أحمد يحدث بحديث الهيثم بن جميل عن عبد الله بن المثنى عن ثمامة عن أنس أن النبي ﷺ عق عن نفسه .

---

(١) النحل : ١٢٣ .
(٢) الأنعام : ١٥١ . ، الإسراء : ٣١ .
(٣) التكوير : ٩ . وفي (خ) « وإذا المودة » .
(٤) الأنعام : ١٤٠ . (٥) التوبة : ١١٣ . وفي (خ) « ما كان للنبيين » .
(٦) في (خ) « والتي » ولعل ما أثبتناه أجود للسياق .

قال أحمد [بن] عبد الله بن قتادة عن أنس أن النبي ﷺ عق عن نفسه ، منكر ، وضعَّف عبد الله بن محرز قال الجلال : أخبرنا محمد بن عوف الحمصي ، أخبرنا الهيثم بن جميل ، حدثنا عبد الله بن المثنى عن رجل من آل أنس أن النبي ﷺ عقَّ عن نفسه بعد ما جاءته النبوة[1] .

وفي مصنف عبد الرزاق : أخبرنا عبد الله بن محرز عن قتادة أن النبي ﷺ عقَّ عن نفسه بعد النبوة . قال عبد الرزاق : انما تركوا ابن محرز لهذا الحديث[2] .

* * *

(١) ذكره ابن القيم في (زاد المعاد) ٢ / ٣٣٢ وأخبر أنّ عبد الله بن المثنى كثير الغلط فالسند ضعيف .

(٢) ذكره الحافظ في الفتح جـ ٩ ص ٥٩٥ ونسبه للبزار وقال البزار : تفرد به عبد الله بن محرز وهو ضعيف ووصفه الحافظ في (التقريب) بقوله : متروك وأخرجه أبو الشيخ من وجهين آخرين : أحدهما من رواية إسماعيل بن مسلم عن قتاده وإسماعيل ضعيف أيضاً ، وقد قال عبد الرازق : إنهم تركوا حديث عبد الله بن محرز من أجل هذا الحديث ، فلعل إسماعيل تركه منه . ثانيهما من روايه أبي بكر المستملي عن الهيثم بن جميل ودواد بن المحبر قالا حدثنا عبد الله بن المثنى عن ثمامه عن أنس ، ودواد ضعيف لكن الهيثم ثقه وعبد الله من رجال البخاري فالحديث قوي الإسناد وقد أخرجه محمد بن عبد الملك بن أيمن عن إبراهيم بن إسحاق السراج عن عمرو الناقد وأخرجه الطبراني في « الأوسط » عن أحمد بن مسعود كلاهما عن الهيثم بن جميل وَحْدَهُ به ، فلولا ما في عبد الله بن المثنى من المقال لكان هذا الحديث صحيحاً ، لكن قد قال ابن معين : ليس بشيء ، وقال النسائي : ليس بقوي ، وقال أبو دواد : لا أخرج حديثه،وقال الساجي : فيه ضعف لم يكن من أهل الحديث وروى مناكير وقد قال العقيلي : لا يتابع على أكثر حديثه ، قال ابن حبان في « الثقات » : ربما أخطأ ، ووثقه العجلي والترمذي وغيرهما ، فهذا من الشيوخ الذين إذا انفرد أحدهم بالحديث لم يكن حجه ا . هـ .

فصل في ذكر بدء الوحي لرسول الله ﷺ وكيف تراءى الملك له وإلقاؤه الوحي إليه وتقريره له أنه يأتيه من عند الله عز وجل وأنه قد صار يوحى إليه نبياً ورسولاً إلى الناس جميعاً

قال ابن سيده في كتاب المحكم : وجاء وحياً : كتب ، والوحي المكتوب أيضاً وعلى ذلك جمعوا فقالوا : أُوحِيَ ، وأَوْحَى إليه : ألهمه[1] ، وفي التنزيل : ﴿ **وأَوْحى**

(١) الوحي : ما يقع به الإشارة القائمة مقام العبارة من غير عبارة ، فإن العبارة يجوز منها إلى المعنى المقصود بها ، ولذا سميت عبارة ، بخلاف الإشارة التي هي الوحي فإنها ذاتُ المشار إليه ، والوحي هو المفهوم الأول ، والإفهام الأول ، ولا تعجب من أن يكون عين الفهم عين الإفهام عين المفهوم منه ، فإن لم تحصل لك هذه النكتة فلست بصاحب وحي ، ألا ترى أن الوحي هو السرعة ، ولا سرعة أسرع مما ذكرنا ، فهذا الضرب من الكلام يسمى وحياً ، ولما كان بهذه المثابة وأنه تجلٍّ ذاتيّ ، لهذا ورد في الحديث الذي رواه ابن حبان في صحيحه ، والقسطلاني في (إرشاد الساري) ١ / ١٦٧ من عدة طرق ، وبألفاظ تزيد وتنقص ، وكلها متقاربة المعنى : « **أنَّ الله إذا تكلم بالوحي سمع أهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفاة فيصعقون ، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل ، فإذا جاءهم فُزِّع عن قلوبهم** [كشف عنهم الخوف] **فيقولون : يا جبريل ، ماذا قال رَبُّك ؟ فيقول : الحقّ ، فينادون الحق وهو العلي الكبير** » ، وما سألت الملائكة عن هذه الحقيقة وإنما عن السبب من حيث هويته .

فالوحي : ما يُسرع أثره من كلام الحق في نفس السامع ، ولا يعرف هذا إلا العارفون بالشئون الآلهية ، فإنها عين الوحي الإلهي في العالَم وهم لا يشعرون . وقد يكون الوحي إسراع الروح الآلهي بالإيمان بما يقع به الإخبار والمفطور عليه كلُّ شيء مما لا كسب فيه من الوحي أيضاً ، كالمولود يلتقم ثدي أمه ، ذلك من أثر الوحي الإلهي كما قال : ﴿ **ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون** ﴾ [الواقعة : ٨٥] ، ﴿ **ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون** ﴾ [البقرة : ١٥٤] ، وقال تعالى : ﴿ **وأحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون** ﴾ ، [النحل : ٦٨] ، فلولا أنها فهمت من الله وحيه لما صدر منها ما صدر ، ولهذا لا تُتَصَوَّر معه المخالفة إذا كان الكلام وحياً ، فإن سلطانه أقوى من أن يُقَاوم ، ﴿ **وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفتِ عليه فألقيه في اليمّ** ﴾ [القصص : ٧] ، ولذا فعلت ولم تُخالف ، والحالة تؤذن بالهلاك ولم تُخالف ولا تردَّدت ، ولا حكمتْ عليها البشرية بأن هذا من أخطر الأشياء ، فدلَّ على أن الوحي أقوى سلطاناً في نفس الموحَى إليه من طبعه الذي هو عين نفسه ، قال تعالى : ﴿ **ونحن أقرب إليه من حبل الوريد** ﴾ [ق : ١٦] ، وحبل الوريد من ذاته .

فإذا زعمتَ ياوَلِيُّ بأن الله أوحى إليك فانُظر نفسك في التردُّد والمخالفة ، فإن وجدت لذلك أثر تدبير أو تفضيل أو تفكُّر فلستَ بصاحب وحي ، فإن حكم عليك وأَعماكَ وأصمَّكَ وحال بينك وبين فكرك وتدبيرك وأمضى حُكْمَهُ فيك ، فذلك هو الوحي ، وأنت عند ذلك صاحبُ وحي ، وعَلِمْتَ عند ذلك أن = ـ

= رِفْعَتَكَ وعُلُوَّ مرتبتك أن تلحق بمن يقول إنه دونك من حيوانٍ أو نباتٍ أو جمادٍ ، فإن كل شيء مفطورٌ على العلم بالله ، إلا أن مجموع الإنس والجانّ فإنه من حيث تفصيله منطوٍ على العلم بالله كسائر ما سواهما من المخلوقات ؛ من مَلَك ، وحيوان ، ونبات ، وجماد ، فما من شيء فيه شَعْر ، وجلد ، ولحم ، وعصب ، ودم ، وروح ، ونفس ، وظُفرُ ، وناب ، إلا هو عالم بالله ، حتى ينظر ويفكّر ، ويرجع إلى نفسه ، فيعلم أن له صانعاً صَنَعَهُ ، وخالقاً خَلَقَهُ ، فلو أسمعه الله نُطق جلده ، أو يده ، أو لسانه ، أو عينه ، لسَمِعَهُ نَاطِقاً بمعرفته بربه ، مُسبِّحاً لجلاله ، مقدِّساً لجماله ﴿ **يوم تشهد عليهم ألسنتهم** ﴾ [النور : ٢٤] ، ﴿ **اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم** ﴾ [يٓس : ٦٥] ، ﴿ **وقالوا لجلودهم لم شهدتهم علينا** ﴾ [فصلت : ٣١] . فالإنسان من حيث تفصيلُه عالمٌ بالله ، ومن حيث جملتهُ جاهلٌ بالله حتى يعلم ، أي يعلم بما في تفصيله ، فهو العالم الجاهل ، ﴿ **فلا تعلم نفسٌ ما أخفي لهم من قره أعين** ﴾ [السجدة : ١٧] .

قال أبو القاسم الأصفهانيّ : الوحي : الإشارة السريعة ، ولِتَضَمُّن السُّرعة قيل : أمرٌ وَحِيٌّ ، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز أو التعريض فالرمزُ : الصوتُ الخفيّ ، أو الإشارة بالشَّفَة ، والتعريض : خلاف التصريح ، وهو تورية في القول ، ولحن الكلام – وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب ، وبإشارة ببعض الجوارح ، وبالكتابة ، وقد حُمل على كل ذلك قوله تعالى : ﴿ **فأوحى إليهم أن سبِّحوا بكرةً وعشياً** ﴾ [مريم : ١١] ، فقد قيل : رَمَز ، وقيل : أشَار ، وقيل كتَبَ ، وحمل على هذه الوجوه أيضاً قوله تعالى : ﴿ **يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً** ﴾ [الأنعام : ١١٢] ، وقوله : ﴿ **وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم** ﴾ [الأنعام : ١٢١] ، فلذلك بالوَسْواس المشار إليه بقوله : ﴿ **ومن شر الوسواس الخناس** ﴾ [الناس : ٤] وبقوله ﷺ : « إن للشيطان لَمَّةً » .

ويقال للكلمة الإلـٰهية التي تُلقى إلى أنبيائه وأوليائه وحيٌ ، وذلك أَضْرُبٌ حسب ما دلَّ عليه قوله تعالى : ﴿ **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء** ﴾ [الشورى : ٥١] ، وذلك إما برسول مُشاهَدٍ تُرى ذاتُه ، ويُسمع كلامُه ، كتبليغ جبريل عليه السلام للنبي ﷺ في صورةٍ مُعَيَّنة ، وإما بسماع كلام من غير مُعَاينة ، كسماع موسى عليه السلام كلامَ الله تعالى .

وإما بإلقاء في الرُّوع [القلب أو النفس] ، كما ذكر ﷺ : « إن روح القُدُس نفثَ في روعي » [رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي أُمامة] ، وإما بإلهام نحو قوله تعالى : ﴿ **وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه** ﴾ [القصص : ٧] ، وإما بتسخيرٍ نحو قوله تعالى : ﴿ **وأوحى ربُّك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون** ﴾ [النحل : ٦٨] وإما بمنام كما قال ﷺ : « لم يبْقَ من النبوة إلا المبشرات » [الحديث أخرجه الإمام أحمد ، ومسلم ، وأبو دواد ، وابن ماجه ، عن ابن عباس ، وأول الحديث : « أيها الناس ، لم يبق من مبشرات النبوة ...] .

فالإلهام ، والتسخير ، والمنام ، دلَّ عليه قوله تعالى : ﴿ **إلا وحْياً** ﴾ [الشورى : ٥١] ، وسماع الكلام من غير معاينة ، دلَّ عليه قوله تعالى : ﴿ **من وراء حجاب** ﴾ [الشورى : ٥١] ، وتبليغ جبريل عليه السلام في صورة مُعَيَّنة ، دل عليه قوله تعالى : ﴿ **أو يُرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء** ﴾ [الشورى : ٥١] .

=

ربك إلى النحل ﴾[(١)] ، وفيه : ﴿ **بأن ربك أوْحى لها** ﴾[(٢)] أي إليها ؛ فمعنى هذا : أمرها ، وَوَحى في هذا المعنى وأوحى إليه وَوَحى إليه : أومأ . وفي التزيل : ﴿ **فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشياً** ﴾[(٣)] .

وقال الحافظ أبو نعيم[(٤)] : ومعنى الوحي مأخوذ من الوحا ، وهو العجلة ، فلما

وقوله تعالى : ﴿ **ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحي إليّ ولم يُوحَ إليه شيء** ﴾ [الأنعام : ٩٣] ، فذلك ذمّ لمن يدعي شيئاً من أنواع ما ذكرنا من الوحي ، أي نوع ادّعاه من غير أن يكون حَصَل له .

وقوله تعالى : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه** ﴾ [الأنبياء : ٢٥] ، فهذا الوحي هو عامٌّ في جميع أنواعه ، وذلك أن معرفة وحدانية الله تعالى ، ومعرفة وجوب عبادته ، ليست مقصورة على الوحي المختص بأولي العزم من الرسُل ، بل ذلك يُعرف بالعقل والإلهام ، كما يُعرف بالسمع ، فإذاً القصدُ من الآية تنبيه أنه من المحال أن يكون رسولٌ لا يعرف وحدانية الله تعالى ووجوب عبادته .

وقوله تعالى : ﴿ **وإذْ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي** ﴾ [المائدة١١١] ، فذلك وحي بواسطة عيسى عليه السلام .

وقوله تعالى : ﴿ **وأوحينا إليهم فعل الخيرات** ﴾ [الأنبياء : ٧٣] فذلك وحى إلى الأمم بواسطة الأنبياء عليهم السلام .

ومن الوحي المختص بالنبي ﷺ قوله تعالى : ﴿ **اتَّبع ما أُوحي إليك من ربك** ﴾ [الأنعام : ١٠٦] ، وقوله تعالى : ﴿ **وأوحينا إلى موسى وأخيه** ﴾ [يونس : ٨٧] ، فوحيه إلى موسى بوساطة جبريل ، وهارون بواسطة موسى عليهما السلام .

وقوله تعالى : ﴿ **إذ يوحي ربك إلى الملائكة أنّي معكم** ﴾ [الأنفال : ١٢] ، فذلك وحيٌ إليهم بوساطة اللوح والقلم فيما قبل .

وقوله تعالى : ﴿ **وأوحى في كل سماء أمرها** ﴾ [فصلت : ١٢] ، فإن كان الوحي إلى أهل السماء فقط ، فالموحي إليه محذوفٌ ذِكْرُه ، كأنه قال : أوحى إلى الملائكة ، لأن أهل السماء هم الملائكة ، ويكون كقوله تعالى : ﴿ **إذ يوحي ربك إلى الملائكة** ﴾ [الأنفال : ١٢] ، وإن كان الموحي إليه هي السماوات ، فذلك تسخيرٌ عند من يجعل السماء غير حيٍّ ، ونُطقٌ عند من يجعله حياً .

وقوله تعالى : ﴿ **بأن ربك أوحى لها** ﴾ [الزلزلة : ٥] ، قريب من الأول .

وقوله تعالى : ﴿ **ولا تَعْجَلْ بالقرآن من قبل أن يُقْضَى إليك وحيه** ﴾ [طه : ١١٤] ، فحثٌّ على التثبت في السّماع ، وعلى ترك الاستعجال في تلقيه وتَلَقُّنه . (بصائر ذوي التمييز) : ٥ / ١٧٧ - ١٨٢ .

(١) النحل : ٦٨ . (٢) الزلزلة : ٥ . (٣) مريم : ١١ .

(٤) هو أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران المهراني الأصبهاني ، نسبة إلى أصبهان ، وهي بلدة في وسط إيران .

وينقل ابن خلكان في (وفيات الأعيان) عن أبي نُعَيْم نفسه أنه قد ذكر أن جده « مهران » قد أسلم ، وكأنه يُشير بذلك إلى أنه أول من أسلم من أجداده ، وقد كان « مهران » هذا مولى لعبد الله بن جعفر ، هذا =

= نسبه من جهة أبيه .

أما نسبه من جهة أمه ، فقد ذكر في (تذكرة الحفاظ) أن أبا نعيم هو سبط - [ولد الولد ويغلب إطلاقه على ابن البنت] - محمد بن يوسف البناء ، ومحمد بن يوسف البناء هذا كان عابداً ، زاهداً ، له شهرته في تلك البلاد ، وله ذكر في غيرها من بلاد الإسلام والمسلمين ، تخرج عليه جماعة من العباد الزهاد ، قال عنه أبو نعيم في مقدمته لحلية الأولياء : « فقد كان جدي محمد بن يوسف البناء رحمه الله ، أحد من نشر الله عزَّ وجلَّ به ذكر بعض المنقطعين إليه ، وعمرٌ به أحوال كثير من المقبلين عليه » ، ترجم له ابن الجوزي في (صفة الصفوة) وعدَّه من المصطفين من أهل أصبهان .

وفي يوم مُشرق من أيام رجب عام ست وثلاثين وثلاثمائة ، كانت الولادة السعيدة لأبي نعيم ، وُلد ولادة عادية . دون أن يدري أحد من مستقبل هذا الطفل شيئاً ، وما أن فتح عينيه إلى النور ، حتى رأى الناسُ جميعاً وميض الذكاء فيهما ، فتنبأوا له بمستقبل زاهر ، إن تمَّ له ما يتطلبه هذا الذكاء الفَذُّ من رعاية وتوجيه .

بدت معالم الذكاء على أبي نُعيم مُنذ نعومه أظفاره ، ولذلك وجَّهه والدُه الوجهة العلمية ، لأن ذلك أحسن ميدان للذكاء ، تتفتَّح فيه العبقرية ، ويعظُم الأثر ، وفعلاً فقد بدأ الغلام بمجالسة العلماء ، والسماع منهم في سنٍّ مبكرة جداً ، ولم تمض سنوات حتى ذاع صيتُه بين العلماء ، وامتدت شهرته في الآفاق ، وأجاز له مشايخ الدنيا سنة نيف وأربعين وثلاثمائة ، وقد كان له من العمر ست سنين .

فأجاز له من واسط : المعمر عبد الله بن عمر بن شوذب ، ومن نيسابور : شيخها أبو العباس الأصمّ ، ومن الشام : شيخها خيثمة بن سليمان الأطرابلسي ، ومن بغداد : جعفر الخلدي ، وأبو سهل بن زياد ، وغيرهم خلق كثير ، كلهم من علية القوم ورءوس العلماء ، وقد كان بعض هؤلاء الذين أجازوه ممسكاً عن الإجازة ، ومع ذلك فقد أجازوا لأبي نعيم . قال الذهبي : وأجازه طائفة تَفرَّد في الدنيا بإجازتهم » .

ولم يكن أبو نعيم من الذين يفترون بذكائهم وقوة حافظتهم فيعرضون عن الدَّأب ، بل كان يرى أن ما وهبه الله من قوة الحافظة نعمة يجب أن يستغلها حق الاستغلال ، مؤدياً حق الله تعالى فيها ، ولذلك كان دائباً على العلم ، عاكفاً على المطالعة ، فلم تكن تراه إلا مدرِّساً ، أو دارساً ، أو مصنِّفاً ، حتى قال عنه أحمد بن محمد بن مردويه : « لم يكن له غذاء سوى التسميع والتصنيف » ، فاجتمعت لأبي نعيم الأسباب الرئيسية التي تحمل الإنسان إلى المراتب ، وهي الذكاء ، والدأب ، واللذة بما يعمل ، فقد وصل أبو نعيم فعلاً إلى أعلى المراتب العلمية في عصرة ، وأطلق عليه ابن كثير في (البداية والنهاية) لقب « الحافظ الكبير » ، فقال : أبو نعيم هو الحافظ الكبير ذو التصانيف المفيدة الكثيرة الشهيرة . وقال عنه ابن خلكان في (وفيات الأعيان) : كان أبو نعيم من أعلام المحدثين وأكابر الحفاظ الثقات . أما الحافظ الذهبي ، فقد أطلق عليه « محدِّث العصر » فقال : أبو نعيم الحافظ الكبير محدِّث العصر ... رحلت الحفاظ إلى بابه لعلمه وحفظ أسانيده . ويقول أحمد بن محمد بن مردويه : كان أبو نعيم في وقته مرحولاً إليه ، لم يكن في أفق من الآفاق أحدٌ أحفظَ منه ولا أسنَدَ منه ، فإن حفاظ الدنيا قد اجتمعوا عنده ، وكل يوم نوبة أحد منهم ، يقرأ ما يريده إلى قريب الظهر ، فإذا قام أبو نعيم إلى داره ، ربما كان يُقْرأ عليه في الطريق جُزْءاً ، وكان لا يضجر . أما الخطيب البغدادي فإنه يقول : لم أرَ أحداً أطلق عليه اسم الحافظ غير أبي نعيم وأبي حازم العبدري .
=

= ويذكر حمزة بن العباس العلوي أنَّ أصحاب الحديث قد قالوا : بقي أبو نعيم فترة طويلة من الزمن وهو لا نظير له أبداً ، فقال : كان أصحاب الحديث يقولون : بقي الحافظ أبو نعيم أربع عشر سنة بلا نظير لا يوجد شرقاً ولا غرباً أعلى إسناداً منه ، ولا أحفظ منه .

وهكذا نجد أن المحدثين جميعاً قد اتفقوا على أن أبا نعيم كان محدث عصره ، وأنه لم يكن له نظير في كثرة ما يحفظ ، ولا في علو الإسناد ، والإسناد العالي : هو الذي قلَّ عدد رجاله مع سلامتهم من الضعيف ، وهو على خمسة أقسام : [١] قربه من الرسول ﷺ ، [٢] قربه من إمام من أئمة الحديث ، [٣] العلو بالنسبة إلى رواية الصحيحين ، أو أحدهما ، أو غيرهما من الكتب المعروفة المعتمدة ، [٤] العلو المستفاد من تقدم وفاة الراوي ، [٥] العلو المستفاد من تقدم السماع .

وحيازة محدث الأسانيد العالية ، ميزة ترجحه على غيره من المحدثين ، فالمحدثون يتحرون الأسانيد العالية ، ويرحلون في طلبها ، حتى قال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه : « طلب الإسناد العالي سنة عمن سلف » ، وذلك لأن العُلوّ يُبعد الإسناد عن الخلل ، لأن كل رجل من رجال السند يُحتمل أن يقع الخلل من جهته سهواً أو عمداً ، ففي قلتهم قلة جهات الخلل ، وفي كثرتهم كثرة جهات الخلل ، ولهذا رَجُحَ الحافظ أبو نعيم على غيره من محدثي عصره ، فهو يحدث بأسانيد عالية لم تجتمع لأحد غيره من محدثي عصره .

وقد أخذ أبو نعيم العلم من مُسْنِد أصبهان المعمّر أبي محمد بن فارس ، وأبي أحمد العسَّال ، وأحمد بن محمد القَصَّار ، وأبي بحر بن كوثر ، وأبي القاسم الطبراني ، وإبراهيم بن عبد الله بن أبي العزائم الكوفي ، وغيرهم كثير فأكثر وأجاد . قال الحافظ الذَّهبي : « وتهيَّأ له من لقيا الكبار ما لم يقع لحافظ » .

وقد أخذ العلم من أبي نعيم خلقٌ كثير ، منهم : الخطيب البغدادي ، وأبو صالح المؤذن ، وأبو بكر محمد ابن إبراهيم العطار ، وغيرهم كثير ، حتى قال علي بن المفضل الحافظ : قد جمع شيخنا السلفي أخبار أبي نعيم ، فسمي نحواً من ثمانين نفساً حدثوا عنه .

ومما أخذه العلماء على أبي نعيم ، أنه كان يخلط المسموع له بالمجاز ، ولا يوضح أحدهما من الآخر ، وأجاب الحافظ الذهبي عن هذه الدعوى وقال : ربما فعله نادراً . ومن هذه المآخذ : روايته الأحاديث الموضوعة دون التنبيه إليها في كثير من الأحيان ، حتى قال في ميزان الاعتدال : هو عندي مقبول ، لا أعلم له ذنباً أكبر من روايته الموضوعات ساكتاً عنها ، وهذه كبيرة من أبي نعيم لأن من كان مثله لا ينبغي له أن يروي شيئاً من هذه الموضوعات دون التنبيه عليها ، ولكن ذلك لا يقدح في عدالته وإمامته ، ولعل أبا نعيم كان يكتفي بذكر السند عن التنبيه عليها .

وقد أحسن أبو نعيم التصنيف ، ولهذا فقد عدَّه ابن الصلاح أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمٰن الشهرزوري ، المتوفي سنة [٦٤٣ هـ] في مقدمته واحداً من سبعة من الذين أحسنوا التأليف ، وعظمت الاستفادة من مصنفاتهم ، فقال : « سبعة من الحفاظ في ساقتهم أحسنوا التصنيف ، وعظم الانتفاع بتصانيفهم في عصرنا ، منهم أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني الحافظ » .

ومن أشهر مؤلفات أبي نعيم : [١] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، وقد طُبع كتاب الحلية في عشر مجلدات ، وقد حاز إعجاب العلماء في حُسن تصنيفه ، وغزارة مادته ، فقال عنه ابن خلكان : « كتاب الحلية من أحسن الكتب » ، وقال عنه ابن كثير : « من كتب أبي نعيم الحلية ، دلَّ على رواية أبي نعيم ، =

كان الرسول متعجلاً لما يفهم قيل لذلك التفهيم : وحي ، وله مراتب ووجوه في القرآن :

— وحى إلى الرسول ، وهو أن يخاطبه المَلَك شفاهاً ويلقي ذلك في روعه ، وذلك قوله تعالى : ﴿ **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء** ﴾[1] يريد بذلك خطاباً يلقي فهمه في قلبه حتى يعيه ويحفظه .

— وما عداه من غير خطاب ، فإنما هو ابتداء إعلام وإلهام وتوقيف من غير كلام ولا خطاب كقوله تعالى : ﴿ **وأوحى ربك إلى النحل** ﴾[2] ، ﴿ **وأوحينا إلى أم موسى** ﴾[3] وما في معناهما .

= وكثرة مشايخة ، وقوه اطلاعه في مخارج الحديث ... » ، ويذكر الذهبي في تذكرة الحفاظ ، أن أبا نعيم لما صنف كتاب الحلية ، حُمل الكتاب إلى نيسابور ، فاشتروه بأربعمائة دينار » .

[٢]كتاب دلائل النبوة ، فقد ساق أبو نعيم في هذا الكتاب الأحاديث بإسناده ، دون أن ينبه إلى صحتها أو عدم صحتها ، ودون أن يتكلم على أحدٍ من رجال هذه الأسانيد ، ودون أن يشير إلى وجودها في شيء من كتب المحدثين الذين تقدموه ، وقد حوى هذا الكتاب خمسة وثلاثين فصلاً ، تحدثتْ عن أسماء الرسول ﷺ ، واشتهار أمره قبل مبعثه ، وذكْر الكتب السماوية له ، وتحدثها عن صفاته ، وما خصه الله به ، وغير ذلك ، وقد طُبع الكتاب في الهند بعد مرة ، في جزء واحد ، بدون تحقيق ، ثم طُبع في دار النفائس [بيروت – لبنان] بتحقيق كل من : الدكتور / محمد روَّاس والأستاذ عبد البر عباس .

وبعد أن امتدت حياة أبي نعيم أربعة وتسعين عاماً ، قضاها كلها ، إلا الأعوام الأربعة الأولى منها ، ما بين درس ، ومدرسة ، وتدريس ، وفي يوم الاثنين الحادي والعشرين من محرم سنة ثلاثين وأربعمائة كما يذكر ابن خلكان ، حمل النعي إلى العالم الإسلامي نبأ الفجيعة ، نبأ وفاة أبي نُعيم في أصفهان ، فبكي الناسُ العالِمَ المحقق ، والزاهد العابد ، والحافظ المحدِّث ، والمؤرخ المتبحر ، رحمه الله رحمةً واسعه وجزاه عن الإسلام خيراً .

(دلائل النبوة) : ١ / ٥ – ١٥ ، (الحلية) : ١ / المقدمة ، (البداية والنهاية) : ١٢ / ٥٦ ، (وفيات الأعيان) : ١ / ٩١ – ٩٢ ، ترجمة رقم (٣٣) ، (سير أعلام النبلاء) : ١٧ / ٤٥٣ – ٤٦٤ ، ترجمة رقم (٣٠٥) ، (الكامل في التاريخ) : ١٠ / ١١٩ ، ٢٥٤ ، ١١ / ٣٤٩ ، (طبقات الحفاظ) : ٤٢٣ ، ترجمة رقم (٩٥٨) ، (ميزان الاعتدال) : ١ / ١١١ ، ترجمة رقم (٤٣٨) ، (الوافي بالوفيات) : ٧ / ٨١ – ٨٤ ، ترجمة رقم (٣٠٢٤) ، (مرآة الجنان) : ٣ / ٥٢ ، (لسان الميزان) : ١ / ٢١٦ ، ترجمة رقم (٦٣٨) ، (شذرات الذهب) : ٣ / ٢٤٥ ، (المستفاد من ذيل تاريخ بغداد) : ١٩ / ٤٩ – ٥٢ ، ترجمة رقم (٣٥) .

(١) الشورى : ٥١ . (٢) النحل : ٦٨ . (٣) القصص : ٧ .

وقال ابن سيده[1] في كتاب المخصص : النبي هو من نَبَّأْتُ ، أي أخبأتُ ، لأنه إنباء عن الله ، وأنبيء ، ومن زعم أن أصله غير الهمز فقد أخطأ ، لأن سيبويه قال : وليس أحد من العرب إلا وهو يقول : تنبأ مسيلمة ، فلو كان من النبوة - كما ذهب إليه غير سيبويه لقالوا : تنبأ مسيلمة ، وبعضهم يقول تنبا مسيلمة ، كما أن سنة لما كانت من الهاء عند قوم ومن الواو عند آخرين ؛ قالوا : سنهات وسنوات ، وكذلك عضة ، قالوا مرة عضاة ومرة عضوات ، فكذلك النبي : لو كان من النبوة ومن النبأ لهمز مرة وترك همزة أخرى .

قال : وزعم سيبويه[2] أن بعض أهل الحجاز يهمزون النبي ، وهي لغة رديئة ،

---

(١) هو الحافظ أبو الحسن علي بن إسماعيل ، المعروف بابن سِيدَةَ المُرسْيّ ، كان إماماً في اللغة والعربية ، حافظاً لهما ، وقد جمع في ذلك جموعاً ، من ذلك كتاب [المحكم] في اللغة ، وهو كتاب كبير جامع ، مشتمل على أنواع اللغة ، وله كتاب [المخصص] في اللغة أيضاً وهو كبير ، وكتاب [الأنيق] في شرح الحماسة في ست مجلدات ، وغير ذلك من المصنفات النافعة ، وكان ضريراً ، وأبوه ضريراً ، وكان أبوه أيضاً قيّماً بعلم اللغة ، وعليه اشتغل ولده في أول أمره ، ثم على أبي العلاء صاعد البغدادي ، وقرأ أيضاً على أبي عمر الطَّلمنكي ، قال الطلمنكي : ذهبتُ إلى مُرْسِية ، فتشبَّث بي أهلها يسمعون عليّ [غريب المصنف لأبي عبيد] ، فقلت لهم : أنظروا لي من يقرأ لكم وأمسك أنا كتابي ، فأتوني برجل أعمى يُعرف بابن سيدة ، فقرأة عليّ من أوله إلى آخره ، فتعجبتُ من حفظه ، وكان له في الشعر حظ وتصرف .

توفي بحضرة [دانية] عشية يوم الأحد لأربع بقين من شهر ربيع الآخر ، سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ، وعمره ستون سنة أو نحوها . رأيت على ظهر مجلد من المحكم بخط بعض فضلاء الأندلس أن ابن سيدة المذكور كان يوم الجمعة قبل يوم الأحد المذكور صحيحاً سوياً إلى وقت صلاة المغرب ، فدخل المتوضَّأ فأُخرج منه وقد سقط لسانه ، وانقطع كلامه ، فبقي على تلك الحال إلى العصر من يوم الأحد ثم توفي ، رحمه الله . وقيل : سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ، والأول أصح وأشتهر . و [سِيدَة] : بكسر السين المهملة ، وسكون الياء المثناة من تحتها ، وفتح الدال المهملة ، وبعدها ياء ساكنة . و [المرسيّ] : بضم الميم وسكون الراء ، هذه النسبة إلى مُرْسِيَة ، وهي مدينة في شرق الأندلس ، و [الطَّلَمَنْكيّ] : بفتح الطاء المهملة واللام والميم وسكون النون وبعدها كاف ، هذه النسبة إلى طلمنكة ، وهي مدينة في غرب الأندلس ، إلى الغرب من وادي الحجارة ، وقال الحميري : بينها وبين وادي الحجارة عشرون ميلاً .

(وفيات الأعيان) : ٣ / ٣٣٠ - ٣٣١ ، ترجمة رقم (٤٤٩) ، (مرآة الجنان) : ١ / ٨٣ ، (سير أعلام النبلاء) : ١٨ / ١٤٤ - ١٤٦ ، ترجمة رقم (٧٨) ، (معجم مصنفي الكتب العربية) : ٣٣٦ ، (كشف الظنون) : ١ / ٦٩١ ، ٢ / ١٦١٦ - ١٦١٧ ، (لسان الميزان) : ٤ / ٢٠٥ - ٢٠٦ ، (البداية والنهاية) : ١٢ / ١١٦ - ١١٧ .

(٢) إمام النحو ، حجة العرب ، أبو بِشْر ، عمرو بن عثمان بن قَنْبَر ، الفارسيّ ، ثم البصريّ ، وقد طلب الفقه والحديث مُدة ، ثم أقبل على العربية ، فبرع وساد أهل العصر ، وألَّف فيها كتابه الكبير الذي لا يُدرك شأْوه فيه . استملى على حمَّاد بن سلمة ، وأخذ النحو عن عيسى بن عمر ، ويونس بن حبيب ، والخليل ، وأبي الخطاب الأخفش الكبير .
=

ولم يستردىء ذهاباً منه إلى أن أصله غير الهمز ، وإنما استردأها من حيث كثرة استعمال الجمهور من العرب لها من غير همز .

قال أبو عبيد[1] : قال يونس : أهل مكة يخالفون غيرهم من العرب ، يهمزون

= وقد جمع يحى البرمكي ببغداد بينه وبين الكسائي للمناظرة . بحضور سعيد الأخفش ، والفَّراء ، وجرت مسألة الزنبور ، وهي كذب : أَظُنُّ الزُّنْبُورَ أَشدُّ لسعاً من النحلة فإذا هو إياها ، فقال سيبويه : ليس المثل كذا ، بل : فإذا هو هي : وتشاجرا طويلاً ، وتعصبوا للكسائي دونه ، ثم وصله يحى بعشره آلاف ، فسار إلى بلاد فارس ، وكان قد قصد الأمير طلحة بن طاهر الخُزاعي . ومعنى [سيب]: تفاح ، و [ويه] : رائحة ، [رائحة التفاح] .

وقيل : كان فيه مع فرط ذكائه حُبْسَةٌ في عبارته ، وانطلاقٌ في قلمه . قال إبراهيم الحربيّ : سمي سيبويه ، لأن وجنتيه كانتا كالتفاحتين ، بديع الحُسن . قال أبو زيد الأنصاري : كان سيبويه يأتي مجلس ، وله ذؤابتان ، فإذا قال : حدثني من أَثِقُ به فإنما يعنيني . وقال العيشي : كنا نجلس مع سيبويه في المسجد ، وكان شاباً جميلاً نظيفاً ، قد تعلق من كل علم بسبب ، وضرب بسهم في كل أدب ، مع حداثة سنة .

عاش سيبويه اثنتين وثلاثين سنة ، ومات بشيراز سنة ثمانين ومائة .

(تاريخ بغدَاد) : ١٢ / ١٩٥ - ١٩٩ ، ترجمة رقم (٦٦٥٨) ، (وفيات الأعيان) : ٣ / ٤٦٣ - ٤٦٥ ، ترجمة رقم (٥٠٤) ، (مرآة الجنان) : ١ / ٤٤٥ ، (البداية والنهاية) : ١٠ / ١٨٩ - ١٩٠ ، (مفتاح السعادة ومصباح السيادة) : ١ / ١٢٨ - ١٣٠ ، (شذرات الذهب) : ١ / ٢٥٢ .

(١) هو الإمام الحافظ المجتهد ذو الفنون ، أبو عُبيد ، القاسم بن سلَّام بن عبد الله ، ولد سنة سبع وخمسين ومائة ، وسمع إسماعيل بن جعفر ، وشريك بن عبد الله ، وهُشَيماً ، وخلقاً كثيراً ، إلى أن ينزل إلى رفيقه هشام بن عمار ، ونحوه ، وقرأ القرآن على أبي الحسن الكسائي ، وطائفة . وأخذ اللغة عن أبي عبيدة ، وأبي زيد ، وجماعة . وصنَّف التصانيف المونقة ، التي سارت بها الركبان ، وهو من أئمة الإجتهاد ، له كتاب [الأموال] في مجلد كبير ، وكتاب [الغريب] ، وكتاب [فضائل القرآن] ، وكتاب [الطهور] ، وكتاب [الناسخ والمنسوخ] ، وكتاب [المواعظ] ، وكتاب [الغريب المصنف في علم اللسان] ، وغير ذلك ، وله بضعة وعشرون كتاباً .

حدَّث عنه نصر بن داود ، وعباس الدوري ، وآخرون . كما قال عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي : وكان ذا فضل ودين وسَتْر ، ومذهب حسن ، ثقة دَيِّناً ، ورعاً ، كبير الشأن . وقال أحمد بن كامل القاضي : كان أبو عبيد فاضلاً في دينه وفي علمه ، ربانياً ، مُفنَّناً في أصناف علوم الإسلام من القرآن ، والفقه ، والعربية والأخبار ، حسن الرواية ، صحيح النقل ، لا أعلم أحداً طعن في شيء من أمر دينه .

عن ابن معين قال : أبو عبيد ثقة ، وقال أبو داود : أبو عبيد ثقة مأمون ، وقال الدارقطني : إمامٌ جَبل . قال البخاري وغيره : مات سنة أربع وعشرين ومائتين بمكة ، قال الخطيب : وبلغني أنه بلغ سبعاً وستين سنة .

(طبقات ابن سعد) : ٧ / ٣٥٥ ، (التاريخ الكبير) : ٧ / ١٧٢ ، ترجمة رقم (٧٧٨) ، (التاريخ الصغير) : ٢ / ٣٥٠ ، (المعارف) : ٥٤٩ ، (الجرح والتعديل) : ٧ / ١١١ ، ترجمة رقم =

النبي والبرية[1] ، وذلك قليل في الكلام .

وقال [يعني ابن سيده] في كتاب المحكم في مادة نَ بَ أَ : والنبي المخبر عن الله عز وجل مكية ، قال سيبويه : الهمز فيه لغة رديئة ، يعني لقلة استعمالها ، لا لأن القياس يمنع من ذلك ، ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ وقد قيل له : يا نبيء الله فقال : « لست بنبيء الله ولكني نبيّ الله » ، وذلك أنه عليه السلام أنكر الهمز في اسمه ، فرده على قائله لأنه لم يرد بما سماه ، فأشفق أن يمسك على ذاك وفيه شيء يتعلق بالشرع ، فيكون بالإمساك عنه مبيح محظور أو حاظر مباح ، والجمع أنبياء ونُبآء ، وتنبأ الرجل : ادعى النبوة .

وقال في مادة نَ بَ وَ : والنبي العلم من أعلام الأرض التي يُهتدى بها ، قال بعضهم : ومنه اشتقاق النبي لأنه أرفع خلق الله ، وذلك لأنه يُهتدى به .

وقال أبو نعيم : فالنبوة هي سفارة العبد بين الله وبين ذوي الألباب من خليقته ، ولهذا يوصف أبداً بالرسالة والبعثة .

وقيل : إن النبوة إزاحة علل ذوي الألباب فيما تقصر عقولهم عنه من مصالح الدارين ، ولهذا يوصف دائما بالحجة والهداية ليزيح عللهم على سبيل الهداية و [السقيف][2] .

ومعنى النبي وذو النبأ والخبر أن يكون مخبراً عن الله بما خصه به من الوحي —

= (٦٣٧) ، (تاريخ بغداد) : ٢ / ٤٠٣ — ٤١٦ ، ترجمة رقم (٦٨٦٨) ، (صفوة الصفوة) : ٤ / ١١٧ ، ترجمة رقم (٦٩٣) ، (الكامل في التاريخ) : ٦ / ٥٠٩ ، (تهذيب الأسماء واللغات) : ٢ / ٢٥٧ ، (وفيات الأعيان) : ٤ / ٦٠ — ٦٣ ، ترجمة رقم (٥٣٤) ، (تهذيب التهذيب) : ٨ / ٢٨٣ — ٢٨٥ ، ترجمة رقم (٥٧٤) ، (ميزان الاعتدال) : ٣ / ٣٧١ ، ترجمة رقم (٦٨٠٧) ، (مرآة الجنان) : ٢ / ٨٣ — ٨٦ ، (البداية والنهاية) : ١٠ / ٣١٩ — ٣٢٠ ، (المزهر في علوم اللغة وأنواعها) : ٢ / ٤١١ — ٤١٢ ، (مفتاح السعادة ومصباح السيادة) : ٢ / ٣٠٦ ، (خلاصة تذهيب الكمال) : ٢ / ٣٤٣ ، ترجمة رقم (٥٧٧٨) ، (طبقات الحفاظ) : ٢ / ١٨٢ — ١٨٣ ، ترجمة رقم (٤٠٣) ، (الأموال) : ٥ — ٩ (المقدمة) ، (الرسالة المستطرفة) : ٣٥ ، (غريب الحديث) : (المقدمة) ، (سير أعلام النبلاء) : ١٠ / ٤٩٠ — ٥٠٩ ، ترجمة رقم (١٦٤) .

(١) النبيء ، البريئة ، وهي قراءه وَرش ، (رواية ورش عن الإمام نافع المدني) : للشيخ محمود الحصري .

(١) كذا في (خ) ولم أجد لها معنى فيما بين يدي من المعاجم اللغوية .

وقيل إنها مشتقة من النَّبوة التي هي المكان المرتفع عن الأرض ، وهو أن يخص بضرب من الرفعة ، فجعل سفيراً بين الله وبين خلقه ، يعنى بذلك وصفه بالشرف والرفعة .

ومن جعل النبوة من الأنباء التي هي الأخبار ، لم يفرق بين النبوة والرسالة ، ومعنى الرسول : فهو المرسل ، معول على لفظ مُفعل ، وإرساله أمره إياه بإبلاغ الرسالة والوحي .

قال كاتبه : والنبي أصله بالعبرانية نُبِي – بضم النون وكسر الباء الموحدة ثم ياء آخر الحروف لا همز عليها ــ فلما عُرِّبَت قيل : نبي بفتح النون ، وهذا يؤيد أن ترك الهمز أشهر وأعرف ، وفوق كل ذي علم عليم .

تنبيه وإرشاد إلى معنى النبوة – والله أعلم – وكيفية تلقي الأنبياء الوحي : إعلم أن الله سبحانه اصطفى من البشر أشخاصاً فضلهم بخطابه ، وفطرهم على معرفته ، وجعلهم وسائل بينه وبين عباده ، يعرفونهم مصالحهم ويحرصون على هدايتهم ، ويأخذون بحجزاتهم عن النار ، ويدلونهم على طرق النجاة ، وكان مما يلقيه الله تعالى إليهم من المعارف ، ويظهره على ألسنتهم من الخوارق ، وقوع الكائنات المغيبة عن البشر التي لا سبيل إلى معرفتها إلا من الله بوساطتهم ، ولا يعلمونها إلا بتعليم الله إياهم ، قال ﷺ : « ألا وإني لا أعلم إلا ما علمني الله » .

واعلم أن خبرهم في ذلك من خاصته وضرورته الصدق ، كما يتبين لك عند بيان حقيقة النبوة ، وعلامة هذا الصنف من البشر أن يوجد لهم في حال الوحي غيبة عن الحاضرين ، مع غطيط كأنها غشي أو إغماء وليست منها في شيء ، إنما هي بالحقيقة استغراق في لقاء الملَك الروحاني بإدراكهم المناسب لهم ، الخارج عن مدارك البشر كلية . ثم يتنزل إلى المدارك البشرية إما سماع دوي من الكلام فيتفهمه ، أو يتمثل له في صورة شخص يخاطبه بما جاء به من عند الله ، ثم ينجلي عنه تلك الحال ، وقد وعى ما أُلقي عليه .

قال ﷺ وقد سُئل [1] عن الوحي :

---

(١) السائل هو : الحارث بن هشام المخزومي ، أخو أبي جهل شقيقه ، أسلم يوم الفتح ، وكان من فضلاء الصحابة ، واستشهد في فتوح الشام .

« أحياناً[1] يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أَشَدُّهُ عليّ ، فيفصم عني وقد وعيت

(١) [أحياناً]: جمع حين ، يطلق على كثير الوقت وقليله ، والمراد به هنا مجرد الوقت ، فكأنه قال : أوقاتاً يأتيني ، وانتصب على الظرفية ، وعاملهُ « يأتيني » مؤخر عنه . ولابن حجر من وجه آخر عن هشام في بدء الخلق قال : كل ذلك يأتي الملك ، أي كل ذلك حالتان فذكرهما ، وروى ابن سعد من طريق أبي سلمة الماجشون ، أنه بَلَغَهُ أن النبي ﷺ كان يقول : « كان الوحي يأتيني على نحوين : يأتيني به جبريل فيُلقيه عليّ كما يلقي الرجل على الرجل ، فذاك ينفلت مني . ويأتيني في بيتي مثل صوت الجرس حتى يخالط قلبي ، فذاك الذي لا ينفلت مني » وهذا مرسل مع ثقة رجاله ، فإن صحَّ فهو محمول على ما كان قبل نزول قوله تعالى : ﴿ **لا تحرك به لسانك** ﴾ [القيامة : ١٦] ، فإن الملك قد تمثل رجلاً في صُوَرٍ كثيرة ، ولم ينفلت منه ما أتاه به ، كما في قصة مجيئه في صورة دحية ، وفي صورة أعرابي ، وغير ذلك ، وكلها في الصحيح .

وأورد على ما اقتضاه الحديث - وهو أن الوحي منحصر في الحالتين - حالات أُخرى : إما من صفة الوحي كمجيئه كدوي النحل ، والنفث في الروع ، والإلهام ، والرؤيا الصالحة ، والتكلم ليلة الإسراء بلا واسطة . وإما من صفة حامل الوحي كمجيئه في صورته التي خُلق عليها له ستمائة جناح ، ورؤيته على كرسي بين السماء والأرض وقد سدَّ الأفق . والجواب : منع الحصر في الحالتين المقدم ذكرهما وحملهما على الغالب ، أو حمل ما يغايرهما على أنه وقع بعد السؤال ، أو لم يتعرض لصفتي الملك المذكورتين لندورهما ، فقد ثبت عن عائشة أنه لم يره كذلك إلا مرتين ، أو لم يأته في تلك الحالة بوحي ، أو أتاه به ، فكان على مثل صلصلة الجرس ، فإنه بيَّن بها صفة الوحي ، لا صفة حامله .

وأما فنون الوحي ، فدوي النحل لا يعارض صلصلة الجرس ، لأن سماع الدويّ بالنسبة إلى الحاضرين - كما في حديث عمر - يُسمع عنده كدوي النحل ، والصلصلة بالنسبة إلى النبي ﷺ ، فشبهه عمر بدوي النحل بالنسبة إلى السامعين ، وشبَّهه هو ﷺ بصلصلة الجرس بالنسبة إلى مقامه .

وأما النفث في الروع : فيحتمل أن يرجع إلى إحدى الحالتين ، فإذا أتاه الملك في مثل صلصلة الجرس ، نفث حينئذ في روعه . وأما الإلهام فلم يقع السؤال عنه ، لأن السؤال وقع عن صفة الوحي الذي يأتي بحامل ، وكذا التكليم ليلة الإسراء .

وأما الرؤيا الصالحة : فقال ابن بطال : لا ترد ، لأن السؤال وقع عما ينفرد به عن الناس ، لأن الرؤيا قد يشركه فيها غيره . والرؤيا الصادقة وإن كانت جُزْءاً من النبوة ، فهي باعتبار صِدْقها لا غير ، وإلا لساغ لصاحبها أن يُسمى نبياً وليس كذلك ، ويحتمل أن يكون السؤال قد وقع عما في اليقظة ، أو يكون حال المنام لا يخفي على السائل ، فاقتصر على مايخفى عليه ، أو كان ظهور ذلك له ﷺ في المنام أيضاً على الوجهين المذكورين لاغير . وقد ذكر الحليمي أن الوحي كان يأتيه على سُتة وأربعين نوعاً - فذكرها - وغالبها من صفات حامل الوحي ، ومجموعها يدخل فيما ذكر . وحديث « إن روح القدس نفث في روعي » ، أخرجه ابن أبي الدنيا في القناعة ، وصححه الحاكم من طريق ابن مسعود .

قوله : [مثل صلصلة الجرس] ، في رواية مسلم : « في مثل صلصلة الجرس ، والصلصلة بمهملتين مفتوحتين بينهما لام ساكنة : في الأصل صوت وقوع الحديد بعضه على بعض ، ثم أُطلق على كل صوت له طنين ، وقيل : هو صوت متدارك لا يُدرك في أول وهلة ، والجرس : الجلجل الذي يعلق في رؤوس الدواب ، واشتقاقه من الجرْس بإسكان الراء وهو الحسّ . =

= وقال الكرماني : الجَرَس : ناقوس صغير أو سطل في داخله قطعة نحاس يعلق منكوساً على البعير ، فإذا تحرك تحركت النحاسة فأصابت السطل فحصلت الصلصلة . فإن قيل : المحمود لا يُشبَّه بالمذموم ، إذ حقيقة التشبيه إلحاق ناقص بكامل ، والمشبه الوحي وهو محمود ، والمشبه به صوت الجرس وهو مذموم لصحة النهي عنه ، والتّنفير من مرافقة ما هو معلق فيه ، والإعلام بأنه لا تصحبهم الملائكة ، كما أخرجه مسلم ، وأبو داود ، وغيرهما ، فكيف يشبه ما فعله الملك بأمر تنفر منه الملائكة ؟ .

والجواب : أنه لا يلزم في التشبيه تساوي المشبه والمشبه به في الصفات كلها ، بل ولا في أخصّ وصف له . بل يكفي اشتراكهما في صفة ما ، فالمقصود هنا بيان الجنْس ، فذكر ما أَلِفَ السامعون سماعه ، تقريباً لأفهامهم . والحاصل أن الصوت له جهتان : جهة قوة وطنين ، فمن حيث القوة وقع التشبيه به ، ومن حيث الطرب وقع التنفير عنه ، وعلل بكونه مزمار الشيطان . قيل : والصلصلة المذكورة صوت الملك بالوحي .

قال الخطابي : يريد أنه صوت متدارك يَسْمَعُه ولا يتبينه أول ما يسمعه حتى يفهمه بعد . وقيل : بل هو صوت حفيف أجنحة الملك . والحكمة في تقدمه أن يقرع سمعه الوحي ، فلا يبقى فيه مكان لغيره . ولما كان الجرس لا تحصل صلصلتُهُ إلا متدار ٪ . وقع التشبيه دون غيره من الآلات .

قوله : [وهو أشدّ عليّ] ، يفهم منه أن لوحي كلّه شديد ، ولكن هذه الصفة أشدها ، وهو واضح ، لأن الفهم من كلام مثل الصلصلة أ. كل من الفهم من كلام الرجل بالتخاطب المعهود ، والحكمة فيه أن العادة جرت بالمناسبة بين القائل و سّامع ، وهي هنا إما باتصاف السامع بوصف القائل بغلبة الروحانية وهو النوع الأول ، وإما باتصاف الدائل بوصف السامع وهو البشرية وهو النوع الثاني ، والأول أشدّ بلا شك .

قوله : [فيفصم] بفتح أوله وسكون الفاء وكسر المهملة ، أي يقلع ويتجلي ما يغشاني ، ويروي بضم أوله ، وفي رواية بضم أوله وفتح الصاد على البناء للمجهول ، وأصل الفصم القطع ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **لا انفصام لها** ﴾ [البقرة : ٢٥٦] ، وقيل : الفصم بالفاء القطع بلا إبانة ، وبالقاف القطع بإبانة ، فذكر بالفصم إشارة إلى أن الملك فارقه ليعود ، والجامع بينهما بقاء العلة .

قوله : [وقد وعيتُ عنه ما قال] ، أي القول الذي جاء به ، وفيه إسناد الوحي إلى قول الملك ، ولا معارضة بينه وبين قوله تعالى – حكاية عمن قال من الكفار – : ﴿ **إنْ هذا إلا قول البشر** ﴾ [المدثر : ٢٥] لأنهم كانوا ينكرون الوحي ، وينكرون مجيء الملك به .

قوله : [يتمثل لي الملك] ، التمثل مشتق من المثل ، أي يتصور ، واللام في الملك للعهد وهو جبريل ، وقد وقع التصريح به في رواية ابن سعد ، وفيه دليل على أن الملك يتشكل بشكل البشر . قال المتكلمون : الملائكة أجسام علوية لطيفة تتشكل أي شكل أرادوا ، وزعم بعض الفلاسفة أنها جواهر روحانية .

و [رجُلاً] ، منصوب بالمصدرية ، أي يتمثل مثل رجل ، أو بالتمييز ، أو بالحال ، والتقدير هيئة الرجل . قال إمام الحرمين : تمثل جبريل معناه أن الله أفنى الزائد من خلقه ، أو أزاله عنه ، ثم يعيده إليه بعد . وجزم ابن عبد السلام بالإزالة دون الفناء ، وقرر ذلك بأنه لا يلزم أن يكون انتقالها موجباً لموته ، بل يجوز أن يبقى الجسد حياً ، لأن موت الجسد بمفارقة الروح ليس بواجب عقلاً ، بل بعادة أجراها الله تعالى في بعض خلقه . ونظيره انتقال أرواح الشهداء إلى أجواف طيور خُضر تسرح في الجنة . قال الحافظ =

ما قال ، وأحياناً يتمثل لي الملكُ رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول » ويدركه أثناء ذلك

= في (الفتح) : وقال شيخنا شيخ الإسلام : ما ذكره إمام الحرمين لا ينحصر الحال فيه ، بل يجوز أن يكون الآتي هو جبريل بشكله الأصلي ، إلا أنه انضم فصار على قدر هيئة الرجُلَ ، وإذا ترك ذلك عاد إلى هيئته ، ومثال ذلك القطن ، إذا جُمع بعد أن كان مُنْتَفِشاً ، فإنه بالنَّفْش يحصل له صورة كبيرة ، وذاته لم تتغير ، وهذا على سبيل التقريب ، والحق أن تمثل الملك رجلاً ليس معناه أن ذاته انقلبت رجلاً ، بل معناه أنه ظهر بتلك الصورة تأنيساً لمن يخاطبه . والظاهر أيضاً أن القدر الزائد لا يزول ولا يفنى ، بل يخفى على الرائي فقط . والله أعلم .

قوله : [فيكلمني] ، كذا للأكثر ، ووقع في رواية البيهقي من طريق القعنبي عن مالك « فيعلمني » بالعين بدل الكاف ، والظاهر أنه تصحيف ، فقد وقع في الموطأ رواية القعنبي بالكاف ، وكذا للدارقطني في حديث مالك من طريق القعنبي وغيره .

قوله : [فأعي ما يقول] ، زاد أبو عوانه في صحيحه : « وهو أهونه عليّ » . وقد وقع التغاير في الحالتين ، حيث قال في الأول : « وقد وعيت » بلفظ الماضي ، وهنا : « فأعي » بلفظ الاستقبال ، لأن الوعي حصل في الأول قبل الفصم ، وفي الثاني حصل حال المكالمة ، أو أنه كان في الأول قد تلبس بالصفات الملكية فإذا عاد إلى حالته الجِبِلِّيَّة كان حافظاً لما قيل له ، فعبر عنه بالماضي ، فإنه على حالته المعهودة .

قوله : [قالت عائشة] ، وحيث يريد التعليق يأتي بحرف العطف . وقد أخرجه الدارقطني في حديث مالك من طريق عتيق بن يعقوب ، عن مالك مفْصُولاً عن الحديث الأول ، وكذا فصلهما مسلم من طريق أبي أسامة عن هشام ، ونكتة هذا الاقتطاع هنا ، اختلاف التحمل ، لأنها في الأول أخبرت عن مسألة الحارث ، وفي الثاني أخبرت عما شاهدت تأييداً للخبر الأول .

قوله : [ليتفصّد] بالفاء وتشديد المهملة ، مأخوذ من الفصد ، وهو قطع العرق لإسالة الدم ، شبّه جبينه بالعرق المفصود مبالغة في كثرة العرق . وفي قولها : « اليوم الشديد البرد » دلالة على كثرة معاناة التعب والكرب عند نزول الوحي ، لما فيه من مخالفة العادة ، وهو كثرة العرق في شدة البرد ، فإنه يُشعر بوجود أمر طارىء زائد على الطباع البشرية .

قوله : [عرقاً] ، بالنصب على التمييز ، زاد ابن أبي الزناد عن هشام بهذا الإسناد عند البيهقي في الدلائل : « وإن كان ليوحى إليه وهو على ناقته فيضرب حزامها من ثقل ما يوحى إليه » . حكى العسكري في (التصحيف) عن بعض شيوخه أنه قرأ : « ليَتَقَدَّد » بالقاف ، ثم قال العسكري : إن ثبت فهو من قولهم : تَقَصَّد الشيءُ إذا تكسر وانقطع ، ولا يخفى بُعْدهُ .

وفي حديث الباب من الفوائد : أن السؤال عن الكيفية لطلب الطمأنينة لا يقدح في اليقين ، وجواز السؤال عن أحوال الأنبياء من الوحي وغيره ، وأن المسؤول عنه إذا كان ذا أقسام يذكر المجيب في أول جوابه ما يقتضي التفصيل . والله أعلم (فتح الباري) : ١ / ٢٣ - ٢٨ ، كتاب بدء الوحي باب (٣) حديث رقم (٢) ، (ابن سعد في طبقاته) : ١ / ١٩٨ ، (تحفة الأحوذي) : ١٠ / ٧٨ - ٧٩ ، أبواب المناقب ، باب (٣٤) كيف كان ينزل الوحي على النبي ﷺ ، حديث رقم (٣٨٧٧) ، (دلائل النبوة لأبي نعيم) : ٢٢٣ باب وأما كيفية إلقاء الوحي إلي النبي ﷺ ، حديث رقم (١٧١) .

من الشدة[1] والغط ما لا يعبر عنه ، ففي الحديث : كان مما يعالج من التنزيل شدة[1] ، وقالت عائشة رضي الله عنها : « فلقد رأيتُه ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد [البرد][2] فيفصم عنه وإن جبينه ليفصد عرقاً » وقال تعالى : ﴿ **إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً** ﴾[3] ولأجل هذه الحالة في تنزيل الوحي كان المشركون يرمُون الأنبياء بالجنون ويقولون : له رئِيٌ أو تابع من الجن ، وإنما لبس عليهم بما شاهدوه من ظاهر تلك الحال ﴿ **ومن يضلل الله فما له من هاد** ﴾[4] .

ومن علاماتهم أيضاً أنهم يوجد لهم قبل الوحي خُلق الخير والزكاة ومجانبة المذمومات والرجس أجمع ، وهذا هو معنى العصمة ، وكأنه مفطور على التنزه عن المذمومات والمنافرة لها ، وكأنها منافية لجبلته[5] ، واعتَبِرْ بسقوط إزار رسول الله ﷺ [حين] انكشف كيف خرَّ مغشياً عليه[6] ، وبقصده وليمة العرس كيف غشيه النوم ليله كله ولم يحضر شيئاً من شأنهم[7]، بل نزَّهَهُ الله عن ذلك بجبلته[1] حتى أنه عليه السلام ليتنزه عن المطعومات المستكرهة ؛ فلم يقرب البصل ولا الثوم ، فلما قيل له في ذلك قال : إني أناجي من لا تناجي[8] ، وانظر لما أخبر ......

---

(١) قال بعضهم : وإنما كان شديداً عليه ليستجمع قلبه فيكون أوعى لما سمع ، وقيل : إنه إنما كان ينزل هكذا إذا نزلت آية وعيد أو تهديد ؛ وهذا فيه نظر ، والظاهر أنه لا يختص بالقرآن ، وفائدة هذه الشدة ما يترتب على المشقة من زيادة الزلفى والدرجات . (فتح الباري) : ١ / ٢٧ .

(٢) تكملة من (البخاري) . (٣) المزمل : ٥ .

(٤) الرعد : ٣٣ . ، الزمر : ٢٣ . ، الزمر : ٣٦ . ، غافر : ٣٣ .

(٥) جَبَل الله الخلق يَجْبِلُهم ويَجْبُلُهم : خلقهم . وجَبَلَهُ على الشيء : طَبَعَه . وجُبِل الإنسان على هذا الأمر أي طُبِعَ عليه ، وجِبْلَةُ الشيء : طبيعتُهُ وَأَصْلُهُ وما بُنِيَ عليه . قال تعالى : ﴿ **ولقد أضلَّ منكم جِبِلاً كثيراً** ﴾ ، خَلْقاً كثيراً ، وقوله تعالى : ﴿ **والجِبِلَّةَ الأولين** ﴾ ، الخِلْقَةَ الأولين . آية ٦٢ / يس ، آية ١٨٤ / الشعراء ، على الترتيب . (لسان العرب) : ١١ / ٩٨ - ٩٩ .

(٦) سبق ذكره وتخريجه ، حيث أورده أبو نعيم في (دلائل النبوة) ، باب : « ومما عُظِّم به ﷺ وحُرِسَ منه أن لا يتعرى كفعل قومه وأهله ، وإذا حُفظ من التعرى ، فما فوقه أولى أن يُعصم منه ويُنهى عنه » .

(٧) سبق ذكره وتخريجه ، حيث أورده أبو نعيم في (دلائل النبوة) : باب : « ذكر ما خصه الله عزَّ وجلَّ به من العصمة ، وحماه من التدين بدين الجاهلية ، وحراسته إياه عن مكائد الجن والإنس ، واحتيالهم عليه ﷺ » .

(٨) أخرجه البخاري في كتاب (الأذان) ، باب : ما جاء في الثوم النّيِّء والبصل ، والكُرَّاث ، حديث رقم (٨٥٥) ، قوله : « كل فإني أُناجي من لا تُناجي » ، أي الملائكة : (فتح الباري) :

[رسول][1] الله ﷺ خديجة رضي الله عنها بحال الوحي أول ما فجئه وأرادت اختباره فقالت له : اجعلني بينك وبين ثوبك ، فلما فعل ذلك ذهب عنه !! فقالت : إنه مَلك وليس بشيطان[2] ، ومعناهُ أنه لا يقرب النساء ، وكذلك سألته عن أحب الثياب إليه أن يأتيه فيها ، فقال : البياض والخضرة ، فقالت إنه الملك ، بمعنى أن الخضرة والبياض من ألوان الخير والملائكة ، والسواد من ألوان الشرّ والشياطين وأمثال ذلك .

ومن علاماتهم أيضاً دعواهم الخلق إلى الدين والعبادة من الصلاة والصدقة والعفاف ، وقد استدلت خديجة رضي الله [عنها][1] على صدقه ﷺ بذلك ، وكذلك أبو بكر رضي الله عنه ، فلم يحتاجا – رضي الله عنهما – في أمره عليه السلام إلى دليل خارج عن حاله وخلقه ، وكذا هرقل لما جاءه كتاب رسول الله ﷺ يدعوه إلى الإسلام سأل عن حاله ، وكان فيما قال : فبم يأمركم ؟ فقال أبو سفيان : بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف ، فأجابه عن ذلك ، فقال : إن يكن ما يقول حقاً إنه نبي وسيملك ما تحت قدمي هاتين[3] ، والعفاف الذي أشار إليه هرقل هو العصمة ، فانظر كيف أخذ من العصمة والدعاء إلى الدين والعبادة دليلاً على صحة النبوة ، ولم يحتج إلى معجزة ، فدل على أنَّ ذلك من علامات النبوة .

ومن علاماتهم أيضاً أن يكونوا ذوى حسب في قومهم ، كما قال ﷺ : « ما بَعَث الله نبياً في منعه[4] من قومه » ، وفي رواية للحاكم : في ثروة من قومه .

---

٢ / ٤٣٥ ، وابن حبان في صحيحه ، كتاب (الصلاة) ، باب : المساجد ، فصل ذكر الزجر عن إتيان المساجد لأكل الثوم والبصل والكراث إلى أن تذهب رائحتها ، حديث رقم (١٦٤٤) ، عن جابر بن عبد الله ، عن رسول الله ﷺ قال : « من أكل من هذه البقلة : الثوم والبصل والكراث ، فلا يَغْشَنا في مساجدنا ، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الإنس » ، والطحاوي في (شرح معاني الآثار) : ٤ / ٢٥٠ .

(١) زيادة للسياق .

(٢) سيأتي تخريجه إن شاء الله تعالى في فصل « ذكر مجيء الملك إلى رسول الله ﷺ برسالات ربه تعالى » .

(٣) سيأتي تخريجه إن شاء الله تعالى عند شرح مكاتيب النبي ﷺ إلى الملوك .

(٤) مَنعَ : مَنَعَهُ يمنَعَه – بفتح نونهما – ضد أعطاه ، كَمنَّعَهُ فهو مانع ومنّاع ومَنُوع : جمع الأول منعه مُحرَّكة ، وهو في عزّ ومنعة – محرَّكة وتُسكّن – أي معه من يمنعه من عشيرته . (ترتيب القاموس) : ٤ / ٢٨٧ .

وكذا قال هرقل في مسائلته أبا سفيان : كيف هو فيكم ؟ فقال أبو سفيان : هو فينا ذو حسب ، قال هرقل : والرسل تبعث في أحساب قومها ، ومعناه أن تكون له عصبية وشوكة تمنعه من أذى الكفار حتى يبلغ رسالات ربه ، ويتم مراد الله من إكمال دينه وملته .

ومن علاماته أيضاً وقوع الخوارق لهم شاهدة بصدقهم ، وهي أفعال تعجز البشر عن مثلها ، فسميت لذلك معجزة وليست من جنس مقدور العباد ، وإنما تقعِ في غير محل قدرتهم ، وللناس في كيفية وقوعها ودلالتها على تصديق الأنبياء خلاف ليس هذا موضع إيراده .

وأما حقيقة النبوة : فاعلم أنّا نشاهد هذا العالم بما فيه من المخلوقات كلها على هيئة من الترتيب والإحكام ، وربط الأسباب بالمسببات ، واتصال الأكوان بالأكوان ، واستحالة بعض الموجودات إلى بعض ، لا تنقضي عجائبه ، ولا تنتهي غاياته ، وأبدأ من ذلك بالعالم المحسوس الجسماني ، وأولاً : عالم العناصر المشاهد كيف تدرج صاعداً من الأرض إلى الماء ، ثم إلى الهواء ، ثم إلى النار متصلاً بعضها ببعض ، وكل واحد منها مستعد أن يستحيل إلى ما يليه صاعداً أو هابطاً ، ويستحيل بعض الأوقات ، والصاعد منها ألطف مما قبله إلى أن ينتهي إلى عالم الأفلاك وهي ألطف من الكل ، وعلى طبقات اتصل بعضها ببعض على هيئة لا يدرك الحس منها إلا الحركات فقط ، وما يهتدي بها بعضهم إلى معرفة مقاديرها وأوضاعها ، وما بعد ذلك من وجود الذات التي لها هذه الآثار فيها . ثم انظر إلى عالم التكوين ؛ كيف ابتدأ من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على هيئة بديعة من التدريج [إلى][1] آخر أفق المعادن ، متصل بأول أفق النبات مثل الحشائش وما لا بذر له ، وآخر أفق النبات مثل النخل والكرم ، متصل بأول أفق الحيوان كالحلزون والصدف ، ولم يوجد لهما إلا قوة اللمس فقط ، ومعنى الاتصال في هذه المكونات أن آخر أفق منها مستعد بالاستعداد القريب لأن يصير أول أفق من الذي بعده ، واتسع عالم الحيوان وتعددت أنواعه ، وانتهى في تدرج التكوين إلى الإنسان صاحب الفكر ، والرؤية ترتفع إليه

---

(١) زيادة للسياق .

من عالم [القدرة][1] الذي استجمع فيه الكيس والإدراك ، ولم ينته إلى الرؤية والفكر بالفعل ، وكان ذلك في أول أفق من الإنسان بعده ، وهذا غاية شهودنا .

ثم أنا نجد في العوالم على اختلافها آثاراً متنوعة ؛ ففي عالم الحس آثار من حركة الأفلاك والعناصر ، وفي عالم التكوين آثار من حركات النمو والإدراك تشهد كلها بأن لها مؤثراً مبايناً للأجسام ، فهو روحاني متصل بالمكونات ، لوجود اتصال هذه العوالم في وجودها ، وذلك هو النفس المدركة والمحركة ، ولابد فوقها من موجود آخر يعطيها قوى الإدراك والحركة ، ويتصل بها أيضاً وتكون [ذواته][2] إدراكاً صرفاً ، وتعقلاً محضاً ، وهو عالم الملائكة ، فوجب من ذلك أن يكون للنفس استعداد للانسلاخ من البشرية إلى الملائكية ، لتصير بالفعل من جنس الملائكة وقتاً من الأوقات ، وفي لمحة من اللمحات ، وذلك بعد أن تكمل ذاتها الروحانية بالفعل - كما نذكره بعد [ذلك][3] إن شاء الله - ويكون لها اتصال بالأفق الذي بعدها ، شأن الموجودات المترتبة كما قدمناه ، فلها في الاتصال جهة العلو والسفل ، فهي متصلة بالبدن من أسفل منها ، ومكتسبة به المدارك الحسية التي تستعد بها للحصول على التعقل بالفعل ، ومتصلة من جهة الأعلى منها بأفق الملائكية ، ومكتسبة منه المدارك العلية والغيبية ، فإن علم الحوادث موجود في ذواتهم من غير زمان ، وهذا على ما قدَّمْناه من الترتيب المحكم فى الوجود باتصال ذواته وقواه بعضها ببعض .

ثم إن هذه النفس الإنسانية غائبة من العيان ، وآثارها ظاهرة في البدن ، وكأنه وجميع أجزائه مجتمعة ومتفرقة آلاتٌ للنفس ولقواها ؛ أما الفاعلة : فالبطش باليد ، والمشي بالرجل ، والكلام باللسان ، والحركة الكلية بالبدن متدافعاً ، وأما المدركة وإن كانت قوى الإدراك مترتبة ومرتقية إلى القوة العليا منها وهي المعركة التي يعبرون عنها بالناطقة ؛ فقوى الحس الظاهر بآلاته من البصر والسمع وسائرها ترتقي إلى الباطن ، وأوله الحس المشترك ، وهو قوة تُدرك المحسوسات ، مبصرَة ، ومُسْمَعَة ، وملموسَة ، وغيرها في حالة واحدة ، وبذلك فارقت قوة الحس الظاهر ، لأن

---

(١) في (خ) : « القردة » . (٢) في (خ) : « ذواية » . (٣) زيادة للسياق .

المحسوسات لا يزدحم عليها في الوقت الواحد ، ثم يؤديه الحس المشترك إلى الخيال ، وهو قوة تمثل الشيء المحسوس في النفس كما هو مجرد عن المواد الخارجة فقط ، وآلة هاتين القوتين في تصرفهما : البطن الأول من الدماغ مقدمهُ للأولى ومؤخرهُ للثانية ، ثم يرتقي الخيال إلى الوهمية والحافظة ؛ فالوهمية لإدراك المعاني المتعلقة بالشخصيات ، كعداوة زيد ، وصداقة عمرو ، ورحمة الأب ، وافتراس الذئب ، والحافظة لإيداع المدركات كلها متخلية ، وهي لها كالخزانة تحفظها إلى وقت الحاجة إليها ، وآلة هاتين القوتين في تصرفهما : البطن المؤخر من الدماغ أولهُ للأولى ومؤخرهُ للأخرى ثم ترتقي جميعها إلى قوة الفكر وآلته البطن الأوسط من الدماغ ، وهو القوة التي تقع بها حركة الرؤية والتوجه نحو التعقل ، فتحرك النفس بها دائماً بما ركب فيها من النزوع إلى ذلك لتخلص من درك القوة والاستعداد الذي للبشرية ، وتخرج إلى الفعل في خلقها متشبهة بالملأ الأعلى الروحاني ، وتعتبر في أول مراتب الروحانيات في إداركها بغير الآلات الجسمانية ، فهي متحركة دائماً ومتوجهة نحو ذلك ، وقد تنسلخ بالكلية من البشرية وروحانيتها إلى الملائكية من الأفق الأعلى من غير اكتساب بما جعل الله تعالى فيها من الجبلة والفطرة الأولى في ذلك .

واعلم أن النفوس البشرية في ذلك على ثلاثة أصناف : صنف عاجز بالطبع عن الوصول إلى الإدراك الروحاني ، فيقنع بالحركة السفلى نحو المدارك الحسية والخيالية ، وتركيب المعاني من الحافظة والوهمية على قوانين محصورة وترتيب خاص ، يستفيدون به العلوم التصورية والتصديقية التي للفكر في البدن ، وكُلُّها خيالي منحصر نطاقه ، إذ هو من جهة مبدئية ينتهي إلى الأوليات ولا يتجاوزها ، وإن فسدت فسد ما بعدها ، وهذا هو [أغلب][1] نطاق الإدراك البشري الجسماني ، وإليه ينتهي مدارك العلماء ، وفيه ترسخ أقدامهم .

وصنف متوجه بتلك الحركة الفكرية نحو التعقل الروحاني والإدراك الذي لا يفتقر إلى آلات البدن بما جعل فيه من الاستعداد لذلك ، فيتّسع نطاق إدراكه عن الأوليات التي هي نطاق الإدراك الأول البشري ، ويسرح في فضاء المشاهدات

---

(١) في (خ) : « الأغلب » .

الباطنة ، وهي وجدان كلها ، لا نطاق لها من مبدئها ولا من منتهاها ، وهذه مدارك الأولياء ، أهل العلوم اللدنية والمعارف الربانية ، وهي الحاصلة بعد الموت لأهل السعادة .

وصنف مفطور على الانسلاخ من البشرية جملة : جسمانيها وروحانيها إلى الملائكية من الأفق الأعلى ليصير في لمحة من اللمحات مَلَكاً بالفعل ، ويحصل له شهود الملأ الأعلى في أفقهم ، وسماع الكلام النفساني والخطاب الإلٰهي في تلك اللمحة ، وهو لأهم الأنبياء صلوات الله عليهم ، جعل الله لهم الانسلاخ من البشرية في تلك اللمحة وهي حالة الوحي ، فطرة فطرهم الله عليها ، وجبلة صورهم فيها ، ونزههم عن موانع البدن وعوائقه ماداموا ملابسين لها بالبشرية بما ركب في غرائزهم من العصمة والاستقامة التي يحادون بها تلك الوجهة ، وركز في طبائعهم رغبة في العبادة تكتنف بتلك الوجهة ، وتشيع نحوها ، فهم يتوجهون إلى ذلك الأفق بذلك النوع من الانسلاخ متى شاءوا بتلك الفطرة التي فطروها عليها ، لا باكتساب ولا صناعة ، فإذا توجهوا وانسلخوا عن بشريتهم ، وتلقوا في ذلك الملأ الأعلى ما يتلقونه على جوابه على المدارك البشرية ، متنزلاً في قواها لحكمة التبليغ للعباد ، فتارة بسماع دَوِيّ كأنه رمز من الكلام يأخذ منه المعنى الذي ألقى إليه ؛ فلا ينقضي الدويّ إلا وقد وعاه وفهمه .

وتارة يتمثل له الملك الذي يلقى إليه رجلاً يكلمه ويلقى ما يقوله ، والتلقي من الملك والرجوع على المدارك البشرية وفهمه ما أُلقي عليه كأنه في لحظة واحدة بل أقرب من لمح البصر ، لأنه ليس في زمان بل كلها تقع جميعاً ، فتظهر كأنها سريعة ، ولذلك سميت وحياً ، لأن الوحي في اللغة الإسراع .

واعلم أن الأولى وهي حالة الدوي رتبة الأنبياء غير المرسلين على ما حققوه ، والثانية وهي حالة يتمثل الملك رجلاً يخاطب [و][(١)] هي رتبة الأنبياء المرسلين ، ولذلك كانت أكمل من الأولى ، وهذا معنى الحديث الذي فسر فيه النبي ﷺ الوحي لما سأله الحارث بن هشام وقال : كيف يأتيك الوحي ؟ فقال ﷺ : أحياناً

(١) زيادة للسياق .

يأتيني مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده عليّ فيفصم عني وقد وعيت ما قاله ، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقوله[1] ، وإنما كانت الأولى أشد لأنها مبدأ الخروج في ذلك الاتصال من القوة إلى الفعل ، فيعسر بعض العسر ، ولذلك لما عاج[2] فيها على المدارك البشرية اختصت بالسمع وصعب ما سواه ، وعندما يتكرر الوحي ويكثر التلقي يسهل ذلك الاتصال ؛ فعندما يَعْرُجُ على المدارك البشرية يأتي على جميعها ، وخصوصاً الأوضح منها ، وهو إدارك البصر ، وفي العبارة عن الوعي في الأولى بصيغة الماضي وفي الثانية بصيغة المضارع لطيفة من البلاغة ، وهي أن الكلام جاء مجيء التمثيل لحالتي الوحي ، فتمثلت الحالة الأولى بالدويّ الذي هو المتعارف[3] غير كلام وإخبار ، أن الفهم والوعي يتبعه عقب[4] انقضائه ، فناسب عند تصوير انقضائه وانفصاله العبارة عن الوعي بالماضي المطابق للانقضاء والانقطاع ، ويمثل الملك في الحالة الثانية برجل يخاطب ويتكلم ، والكلام يساوقه الوعي فناسب العبارة بالمضارع المقتضى للتجدد .

واعلم أن في حالتي الوحي كلها على الجملة صعوبة وشدة ، قد أشار إليها القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ **إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً** ﴾[5] وقالت عائشة رضي الله عنها : كان مما يعاني من التنزيل شدة ، وقالت : كان ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه ، وإن جبينه ليتفصد عرقاً ، ولذلك ما كان يحدث فيه تلك الحالة من الغيبة والغطط ما هو معروف .

وشبيه ذلك أن الوحي كما قررناه مفارقة البشرية إلى المدارك الملائكية ، وتلقي كلام النفس ، فيحدث عنه شدة من مفارقة الذات ذاتها ، وانسلاخها من أفقها إلى ذلك الأفق الآخر ، وهذا معنى الغط الذي عَبَّر به في مبدأ الوحي في قوله : فغطني حتى بلغ من الجهد ثم أرسلني فقال : ﴿ **اقرأ** ﴾[6] .

---

(١) سبق شرحه .
(٢) طريق عاج : ممتليء (ترتيب القاموس) جـ٣ ص ١٥٨ .
(٣) في (خ) « المتعاف » .
(٤) في (خ) « عب » .
(٥) آية : ٥ / المزمل .
(٦) آية : ١ / العلق .

وقد يقضي الاعتبار فيه بالتدريج شيئاً فشيئاً إلى بعض السهولة بالقياس إلى ما قبله ، وكذلك كانت تنزل نجوم القرآن[1] ، وسوره وآياته حين كان بمكة أقصر منها وهو بالمدينة ، وانظر إلى ما قيل في نزول سورة براءة[2] في غزوة تبوك ، وأنها أُنزلت أو أكثرها على رسول الله ﷺ وهو يسير على ناقته بعد أن كان بمكة ينزل عليه بعض السورة من القصار المفصل[3] في وقت ، وينزل عليه الباقي في حين آخر ، وكذلك كان من آخر ما نزل عليه بالمدينة آية الدين[4] ، وهي ما هي بالطول ، بعد أن كانت الآيات تنزل بمكة مثل آيات سورة الرحمن ، والذاريات ، والمدثر ، والضحى ، والعلق ، وأمثالها ، واعتبر من ذلك علامة تميزها بين المكي والمدني من السور والآيات ، والله المرشد إلى الصواب . هذا ما تحصل من أمر النبوة .

---

(١) واعلم أن القرآن نزل ليلة القدر جملة واحدة إلى سماء الدنيا ، في مكان يقال له : بيت العزة ، على هذا الترتيب الذي نقرؤه ، فإنه توقيفي ، ثم نزل على النبي ﷺ في ثلاث وعشرين سنة ، على حسب الوقائع لقوله تعالى : ﴿ **ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً** ﴾ [آية ٣٣ / الفرقان] ، لكن لا على هذا الترتيب ، فإنه نزل عليه ثلاث وثمانون سورة بمكة ، أي قبل الهجرة ، ثم بالمدينة أحد وثلاثين على التحقيق .

فأول ما نزل بمكة ﴿ **اقرأ** ﴾ ، وآخر ما نزل بها ، قيل : العنكبوت ، وقيل : المؤمنون ، وقيل : ﴿ **ويل للمطففين** ﴾ . وأول سورة نزلت بالمدينة : البقرة ، وآخر سورة نزلت بها : المائدة . وهناك بعض سور اختلف بها ، منها الفاتحة ، ويمكن تكرار نزولها .

وأما أول آية نزلت على الإطلاق : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾ ، وآخر آية على الإطلاق ﴿ **واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون** ﴾ [الآية ٢٨١ البقرة] . (حاشية العلامة الصاوي على الجلالين) : ١ / ٤ .

(٢) براءة : من أسماء سورة التوبة ، وهي السورة رقم [٩] في المصحف ، وعدد آياتها [١٢٩] آية : نزلت بعد سورة المائدة ، وهي من القرآن المدني ، إلا الآيتين الأخيرتين فمكيتان .

(٣) سور المفصل : من أول سورة الحجرات حتى آخر القرآن الكريم .

(٤) هي الآية رقم ٢٨٢ / البقرة وهي أطول آية في القرآن الكريم ، أولها : ﴿ **يأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه** ﴾ .

أنواع الوحي وأقسامه

وتبيان لأنواع الوحي وأقسامه : إعلم أن الوحي للأنبياء والمرسلين يكون تارة في النوم وتارة في اليقظة ؛ فالذي يكون في اليقظة إما بواسطة الملك أو بغير واسطة، ومن الرسل من فضله الله تعالى بأن كلمه الله في اليقظة من وراء حجاب دون وحي ولا بتوسط ملك ، لكن بكلام مسموع بالآذان ، معلوم بالقلب ، زائد على الوحي الذي هو معلوم بالقلب فقط ، أو مسموع من الملك عن الله تعالى ، وهذا هو الذي خصّ به موسى عليه السلام[1] من الشجرة ، ومحمد ﷺ ليلة الإسراء[2] من المستوى الذي سمع فيه صريف[3] الأقلام ، وقد كان لرسول الله ﷺ في الوحي حالات متعددة ، فكان الوحي الذي يلقاه[4] رسول الله ﷺ منحصرة أقسامه في ثلاثة عشرة وهي : نزول الملك في صورة دحية[5] ، ونزوله على الصورة التي خلق عليها وله ستمائة جناح ، ونفث[6] روح القدس في رَوعه ، ورؤيته في المنام ، وسماعه مثل صلصلة الجرس ، ونزول إسرافيل عليه ، وتكليمه الله تعالى بلا واسطة من وراء حجاب في اليقظة ، وتكليمه تعالى كذلك في المنام ، والعلم الذي يلقيه سبحانه في صدره وعلى لسانه عند الاجتهاد في الوقائع لأن الشيطان ليس له إلى باطن الأنبياء من سبيل ؛ فخواطر الأنبياء كلها إما ربانية أو ملكية أو نفسية ، لا حَظّ للشيطان في قلوبهم ، لأنهم مشرعون ، فلذلك عُصمتْ بواطنهم ، والوحي المشبه بدويّ النحل ، ومجيء جبريل في صورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ، ومجيء ملك الجبال ، والخطاب مشافهة على قول من يُثبت الرؤية ، وسنقف على شرح ذلك وتبيانه من الأحاديث المسندة بطرقها إن شاء الله تعالى .

* * *

---

(١) لعلها شجرة الأنبياء عليهم السلام .

(٢) سيأتي الحديث عنها عند الكلام على الإسراء والمعراج إن شاء الله تعالى ، وفي (خ) : « الإسرى » .

(٣) صريف الأقلام : أي صوت جريانها بما تكتبه من أقضية الله ووحيه ، وما يستنسخونه من اللوح المحفوظ ، وفي حديث موسى ، على نبينا وعليه السلام : أنه كان يسمع صريف القلم حين كتب الله تعالى له التوراة . (لسان العرب) : ٩ / ١٩٣ .

(٤) في (خ) : « يقاه » . (٥) هو دحية الكلبي . (٦) في (خ) : « نفس » .

[فصل في أمارات نبوته ﷺ
التي رآها قبل البعثة]

وأما أمارات النبوة التي رآها رسول الله ﷺ قبل بعثته بالرسالة : قال الواقدي : عن علي بن محمد بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن منصور بن عبد الرحمن عن أمه صفية بنت شيبة عن برة بنت أبي تجزان أن رسول الله ﷺ كان حين أراد الله عز وجل كرامته وابتداءه بالنبوة إذا خرج لحاجته أبعد حتى لا يرى بيتاً ، ويفضي إلى الشعاب و [بطون] الأودية ، فلا يمر بحجر ولا شجر[ة] إلا قال : السلام عليك يارسول الله ، [فكان] يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحداً(1) .

---

(1) (سنن الدارمي) : ١ / ١٢ ، عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إني لأعرف حجراً بمكة كان يُسلِّم عليَّ قبل أن أُبعث ، إني لأعرفه الآن » ، قوله : « كان يسلم عليّ » ، أي يقول : السلام عليك يا رسول الله (تحفة الأحوذي) : ١٠ / ٦٩ أبواب المناقب ، حديث رقم (٣٨٦٧) ، « إن بمكة حجراً كان يسلم عليّ ليالي بُعثت ، إني لأعرفه الآن » قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب ، وفي (طبقات ابن سعد) : ١ / ١٥٧ ، وما بين القوسين زيادات منه .

قوله : « إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أُبعث إني لأعرفه الآن » ، فيه معجزة له ﷺ ، وفي هذا إثبات التمييز في بعض الجمادات ، وهو موافق لقوله تعالى في الحجارة : ﴿ **وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله** ﴾ [الآية : ٦٤ / البقرة] ، (مسلم بشرح النووي) : ١٥ / ٤١ ، كتاب الفضائل ، باب : فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة ، حديث رقم (٢٢٧٧) ، (تاريخ الإسلام) : ٢ / ١٢٥ ، باب ذكر مبعثه ﷺ ، (مسند أحمد) : ٦ / ٩٢ ، من حديث جابر بن سمرة ، حديث رقم (٢٠٣١٧) ، (دلائل البيهقي) : ٢ / ١٤٦ ، باب مبتدأ البعث والتنزيل ، وما ظهر عند ذلك من تسليم الحجر والشجر وتصديق ورقة ابن نوفل إياه .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الملك بن عُبَيْد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي ، وكان واعية عن بعض أهل العلم : « أن رسول الله ﷺ حين أراد الله بكرامته ، وابتداأه بالنبوة ، كان إذا خرج لحاجة أبعد حتى تحسَّر عن البيوت ، ويُفضي إلى شعاب مكة وبطون أوديتها ، فلا يمر رسول الله ﷺ بحجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله ، قال فيلتفت رسول الله ﷺ حوله ، وعن يمينه ، وشماله ، وخلفه ، فلا يرى إلا الشجر والحجارة ، فمكث رسول الله ﷺ كذلك

وفي رواية لغير الواقدي : فكان رسول الله ﷺ يرد عليهم : وعليك السلام ، وكان علمه جبريل التحية[١] .

وخرج أبو نعيم من حديث الحرث بن أبي أسامة ، حدثنا ، داود ابن [المحبر][٢] ، حدثنا حماد بن أبي عمران الجوني عن يزيد بن[٣] بابنوس عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ نذر أن يعتكف شهراً هو وخديجة بحراء ، فوافق ذلك من شهر رمضان ، فخرج النبي ﷺ فسمع : السلام عليك ، فظنها فجأة الجن ، فجاء مسرعاً حتى دخل على خديجة فسجّته[٤] ثوباً وقالت : ماشأنك يا ابن عبد الله ؟ فقلت : قيل : السلام عليك فظننتها فجأة الجن ، فقالت : أبشر

= يرى ويسمع ، ما شاء الله أن يمكث ، ثم جاءه جبريل عليه السلام بما جاءه من كرامة الله ، وهو بحراء في شهر رمضان » (ابن هشام) : ٢ / ٦٦ - ٦٧ .

وقال السهيلي : وهذا التسليم : الأظهر فيه أن يكون حقيقة ، وأن يكون الله أنطقهُ إنطاقاً ، كما خلق الحنين في الجذع ، ولكن ليس من شروط الكلام الذي هو صوت وحرف : الحياة والعلم والإرادة ، لأنه صوت كسائر الأصوات ، والصوت عرض في قول الأكثرين ، ولم يخالف فيه إلا النَّظام ، فإنه زعم أنه جسم ، وجعله الأشعريُّ اصكاكاً في الجواهر بعضها لبعض ، وقال أبو بكر بن الطيب : ليس الصوت نفس الأصكاك ، ولكنه معنى زائد عليه ، ولو قدِّرت الكلام صفة قائمة بنفس الحجر والشجر ، والصوتُ عبارة عنه ، لم يكن بُد من اشتراط الحياة والعلم مع الكلام ، والله تعالى أعلم أي ذلك كان ؛ أكان كلاماً مقروناً بحياة وعلم ، فيكون الحجر به مؤمناً ؟ أو كان صوتاً مجرداً غير مقترن بحياة ؟ ، وفي كلا الوجهين هو علم من أعلام النبوة . وأما حنين الجذع فقد سُمّي حنيناً ، وحقيقة الحنين تقتضي شرط الحياة ، وقد يحتمل تسليم الحجارة أن يكون مضافاً في الحقيقة إلى ملائكة يسكنون تلك الأماكن ، ويغمرونها ، فيكون مجازاً من قوله تعالى : ﴿ وسْئَلِ القرية ﴾ [الآية ٨٢ / يوسف] أي أهل القرية ، والأول أظهر ، وإن كانت كل صورة من هذه الصور التي ذكرناها فيها علم على نبوته ﷺ ، غير أنه لا يسمى معجزة في اصطلاح المتكلمين إلا ما تحدى به الخلق فيعجزون عن معارضته . (الروض الأنف) : ٢ / ٢٦٦ - ٢٦٧ .

(١) كل الروايات المعتمدة بدون هذه الزيادة .

(٢) تصويب من (تهذيب التهذيب) : ٣ / ١٩٩ ، ترجمة رقم ٣٨١ ، وقال فيه : كذبه أحمد بن حنبل ، وقال ابن حبان : كان يضع الحديث على الثقات ، ويروي عن المجاهيل المقلوبات .

(٣) قال عنه البخاري : كان ممن قاتل علياً كرم الله وجهه ، وقال ابن عديّ : أحاديثه مشاهير ، وقال الدارقطني : لا بأس به ، وذكره ابن حبان في (الثقات) ، قال الحافظ ابن حجر : وقال أبو حاتم مجهول ، وقال أبو داود : كان شيعياً . (المرجع السابق) ١١ / ٢٣١٦ ، ترجمة رقم ٦٠٧ .

(٤) كذا في (خ) ، وفي (دلائل أبي نعيم) : ١ / ٢١٥ ، ٢١٦ ، « فظنَنْتُها » ، « فجئتُ » ، « فسجتني » ، حديث رقم (١٦٣) .

يا ابن عبد الله فالسلام خير ، وذكر الحديث .

وخرج من حديث يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن أبيه عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة ، أن النبي ﷺ كان إذا برز سمع من ينادي : يا محمد ، فإذا سمع الصوت أنطلق هارباً فأتى خديجة رضي الله عنها فذكر ذلك لها فقال : يا خديجة ، قد خشيت أن يكون خالط عقلي شيء ! إني إذا برزت أسمع شيئاً يناديني فلا أرى شيئاً فأنطلق هارباً ، فقالت : ما كان الله ليفعل ذلك بك ، إنك ما علمت تصدق الحديث وتؤدي الأمانة وتصل الرحم ، وما كان الله ليفعل ذلك بك ، فأسرَّت ذلك إلى أبي بكر رضي الله عنه وكان صديقاً له في الجاهلية ، فأخذ أبو بكر بيده فقال : انطلق بنا إلى ورقة ، فقال له ورقة : ترى شيئاً ؟ قال : لا ، ولكني إذا برزت سمعتُ النداء ولا أرى شيئاً ! فأنطلق هارباً فإذا هو عندي يناديني ، قال : فلا تفعل ذلك ، إذا سمعت النداء فاثبت حتى تسمع مَا يقول لك ، فلما برز سمع : يا محمد ، قال : لبيك ، قال : قل : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، ثم قال : قل : الحمد لله رب العالمين من فاتحة الكتاب – ثم أتى ورقة فذكر ذلك له فقال له : أبشر ثم أبشر ، أشهد أنك الرسول الذي بشّر به عيسى [إذ قال : ﴿ **ومبشراً**][1] **برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد** ﴾ ، فأنا أشهد أنك أحمد ، وأنا أشهد أنك محمد ، وأنا أشهد أنك رسول الله [وأنك ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا ، ولئن أدركني ذلك لأجاهدن معك ، فلما توفي ورقة قال رسول الله ﷺ : لقد رأيت القس في الجنة عليه ثياب الحرير لأنه آمن بي وصدَّقني][2] . قال أبو نعيم[3] : ورواه شريك عن إسحق عن عمرو بن شرحبيل .

وروى الواقدي عن ابن أبي حبيبة عن داود بن الحصن عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال : بينا رسول الله ﷺ بأجياد إذ رأى ملكاً واضع إحدى رجليه على الأخرى في أفق السماء يصيح : يا محمد ، أنا جبريل ، فذعر ورجع

---

(١) زيادة يقتضيها السياق .
(٢) ما بين الحاصرتين غير واضع في (خ) ، وأثبتناه من (الروض الأُنف) : ١ / ٢٧٤ – ٢٧٥ .
(٣) هذا لفظ البيهقي وهو مرسل ، وفيه غرابة ، وهي كون الفاتحة أول ما نزل .

سريعاً إلى خديجة رضي الله عنها فقال : إني لأخشى أن أكون كاهناً ! قالت : كلا يا ابن العم ، لا تقل ذلك ، إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث ، وتؤدي الأمانة ، وإن خلقك لكريم(١) .

وخرج الإمام أحمد من حديث حماد قال(٢) : حدثنا عمار بن أبي عمار عن ابن عباس قال : أقام النبي ﷺ بمكة خمسة عشر سنة ؛ سبعاً يرى الضوء [والنور](٣) ويسمع الصوت ، وثماني سنين يوحى إليه .

وخرج مسلم من حديث إبراهيم بن طهمان قال : حدثني سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث ، إني لأعرفه الآن(٤) .

ورواه سليمان بن معاذ عن سماك عن جابر أن رسول الله ﷺ قال : إن بمكة لحجراً كان يسلم عليّ ليالي بعثت ، إني لأعرفه إذا مررتُ عليه .

وخرج البيهقي من حديث السّدي عن عّباد بن عبد الله عن علي رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ بمكة ، فخرج في بعض نواحيها ، فما استقبله شجر ولا حجر ولا جبل إلا قال له : السلام عليك يا رسول الله(٥) .

وفي رواية : لقد رأيتني أدخل معه بعد النبي ﷺ الوادي ، فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله وأنا أسمعه . [(٦)] .

---

(١) لم أجده بهذه السياقة ، وفي الباب من الأحاديث نحواً منه ، وفيه : « فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسيّ بين السماء والأرض » ، وفيه حديث آخر : « فرفعت رأسي إلى السماء أنظر إلى السماء ، فإذا جبريل عليه السلام في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء » ، (دلائل أبي نعيم) : ١ / ٢١٥ ، [فصل في ذكر بدء الوحي وكيفية ترائي الملك وإلقائه الوحي إليه وتقريره عنده أنه يأتيه من عند الله ، وما كان من شق صدره ﷺ] ، (دلائل البيهقي) : ٢ / ١٤٨ (على الترتيب) . وانظر أيضاً الحديث رقم (٤) من باب (٣) ، كتاب بدء الوحي ، (صحيح البخاري) .

(٢) (مسند أحمد) : ١ / ٤٦٠ ، حديث رقم (٢٥١٩) ، وفيه : « سبع سنين » وقال في آخره : « وأقام بالمدينة عشر سنين » .

(٣) ما بين الحاصرتين ليس في المسند .(٤) سبق شرحه وتخريجه .

(٥) (دلائل البيهقي) : ٢ / ١٥٣ ، ١٥٤ .

(٦) ما بين الحاصرتين في (خ) كلمة « لطيفة » ولا فائدة من إثباتها .

الفهـــــــرس

إمتاع الأسماع

بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع

تأليف

تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي
المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

تحقيق وتعليق

محمد عبد الحميد النميسي

الجزء الثالث

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

ISBN 2-7451-2208-8

http://www.al-ilmiyah.com.lb/
e-mail : sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر مجيء المَلَك إلى رسول الله ﷺ برسالات ربه تعالى

خرج البخاري ومسلم من حديث يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال : حدثني عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته كذا ، أنها قالت : كان أول ما بُديء به رسول الله ﷺ من الوحي[1] الرؤيا الصادقة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - قال : والتحنث : هو التعبد - الليالي ذوات العدد ، وقال مسلم : أولات العدد - قبل أن يرجع إلى أهله ، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى فجئه الحق في غار حراء ، فجاءه الملك فقال : ﴿ اقرأ ﴾ ، فقال رسول الله ﷺ ما أنا بقاريء ، قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : ﴿ اقرأ ﴾ ، فقلت : ما أنا بقاريء ، فقال : فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : ﴿ اقرأ ﴾ ، فقلت : ما أنا بقاريء ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق**

---

(١) (من الوحي) : يحتمل أن تكون « من » تبعيضية ، أي من أقسام الوحي ، ويحتمل أن تكون بيانية ، ورجحة محمد بن جعفر القيرواني أبو عبد الله التيمي القزاز ، صاحب [الجامع في اللغة] .

والرؤيا الصالحة ، وقع في رواية معمر ويونس عند المصنف في التفسير : « الصادقة » ، وهي التي فيها ضِغْث ، وبُديء بذلك ليكون تمهيداً ، وتوطئة لليقظة ، ثم مهّد له في اليقظة أيضاً رؤية الضوء ، وسماع الصوت ، وسلام الحجر .

قوله : « في النوم » ، لزيادة الإيضاح ، أو ليخرج رؤيا العين في اليقظة لجواز إطلاقها مجازاً .

قوله : « مثل فلق الصبح » ، يُنصب « مثلَ » على الحال ، أي مشبهة ضياء الصبح ، أو على أنه صفة لمحذوف ، أي جاءت مجيئاً مثل فلق الصبح ، والمراد بفلق الصبح : ضياؤه . وخص بالتشبيه لظهوره الواضح ، الذي لا شك فيه .

قوله : « حُبِّبَ » ، لم يُسمَّ فاعله لعدم تحقق الباعث على ذلك ، وإن كان كل من عند الله ، أو لينبه على أنه لم يكن من باعث البشر ، أو يكون ذلك من وحي الإلهام ، و« الخلاء » بالمد ، الخلوة ، والسرّ فيه أن الخلوة فراغ القلب لما يتوجه إليه ، وحراء : جبل معروف بمكة ، والغار نقبٌ في الجبل ، وجمعه غيران .

قوله : « فيتحنث » ، هي بمعنى يتحنف ، أي يتبع دين الحنفية ، وهي دين إبراهيم ،

....

= و « الفاء » تبدل « ثاء » في كثير من كلامهم ، وقد وقع في رواية ابن هشام في (السيرة) : « يتحنف » بالفاء . أو التَّحَنُّثُ إلقاء الحِنْث وهو الإثم ، كما قيل : يتأثم ، ويتحرج ، ونحوهما .

قوله : « هو التعبد » ، هذا مدرج في الخبر ، وهو من تفسير الزهري ، كما جزم به الطيبي ولم يذكر دليله ، نعم في رواية المؤلف من طريق يونس عنه في التفسير ما يدل على الإدراك .

قوله : « الليالي ذوات العدد » ، يتعلق بقوله : يتحنث ، وإبهام العدد لاختلافه ، كذا قيل ، وهو بالنسبة إلى المدد التي يتخللها مجيئه إلى أهله ، وإلا فأصل الخلوة قد عرفت مدتها وهي شهر ، وذلك الشهر كان في رمضان ، رواه ابن إسحاق . والليالي منصوبة على الظرف ، وذوات منصوبة أيضاً ، وعلامة النصب فيه كسر التاء .

قوله : « لمثلها » أي الليالي ، والتزود استصحاب الزاد .

قوله : « حتى جاءه الحق » ، وفي التفسير : حتى فجئة الحق - بكسر الجيم وهي الرواية التي أثبتها المقريزي - أي بغته ، وإن ثبت من مرسل عبيد بن عمير أنه أُوحي إليه بذلك في المنام أولاً قبل اليقظة ، أمكن أن يكون مجيء الملك في اليقظة عقب ما تقدم في المنام ، وسمي حقاً لأنه وحي من الله تعالى ، وقد وقع في رواية أبي الأسود ، عن عروة ، عن عائشة قالت : إن النبي ﷺ كان أول شأنه يرى في المنام ، وكان أول ما رأى جبريل بأجياد ، صرخ جبريل : « يا محمد » ، فنظر يميناً وشمالاً فلم ير شيئاً ، فرفع بصره فإذا هو على أفق السماء فقال : « يا محمد ، جبريل جبريل » ، فهرب فدخل في الناس فلم ير شيئاً ، ثم خرج عنهم ، فناداه فهرب ، ثم استعلن له جبريل من قبل حراء ، فذكر قصة إقرائه ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾ ، ورأى حينئذ جبريل له جناحان من ياقوت يختطفان البصر ، وهذا من رواية ابن لهيعة عن أبي الأسود ، وابن لهيعة ضعيف .

وقد ثبت في صحيح مسلم من وجه آخر عن عائشة مرفوعاً : « لم أره - يعني جبريل - على صورته التي خُلق عليها إلا مرتين » ، وبيَّن أحمد في حديث ابن مسعود ، أن الأولى كانت عند سؤاله إياه أن يريه صورته التي خُلق عليها ، والثانية عند المعراج .

وللترمذي من طريق مسروق عن عائشة : « لم ير محمد جبريل في صورته إلا مرتين : مرة عند سدرة المنتهى ، ومرة في أجياد » ، وهذا يقوي رواية ابن لهيعة ، وتكون هذه المرة غير المرتين المذكورتين ، وإنما لم يضمها إليها لاحتمال أن لا يكون رآه فيها على تمام صورته ، والعلم عند الله تعالى .

ووقع في السيرة التي جمعها سليمان التيمي ، فرواها محمد بن عبد الأعلى عن ولده معتمر بن سليمان عن أبيه أن جبريل أتى النبي ﷺ في حراء وأقرأه : ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾ ثم انصرف ، فبقي مُتردّداً ، فأتاه من أمامه في صورته ، فرآى أمراً عظيماً .

قوله : « فجاءه » ، هذه الفاء تسمى التفسيرية وليست التعقيبية ، لأن مجيء الملك ليس بعد مجيء الوحي حتى تعقب به ، بل هو نفسه ، ولا يلزم من هذا التقرير أن يكون من باب تفسير الشيء بنفسه ، بل التفسير عين المفسَّر به من جهة الإجمال ، وغيره من جهة التفصيل .

قوله : « ما أنا بقاريء » ثلاثاً ، « ما » نافية ، إذ لو كانت استفهامية لم يصلح دخول الباء ، وإن حُكي عن الأخفش جوازه فهو شاذ ، والباء زائدة لتأكيد النفي ، أي ما أُحسِنُ القراءة ، فلما قال ذلك ثلاثاً قيل له : ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾ أي لا تقرؤه بقوتك ولا بمعرفتك ، لكن بحول ربك =

الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم ﴾[1] ، فرجع بها[2] رسول الله ﷺ ترجف بوادره حتى دخل على خديجة رضي الله عنها فقال : زملوني زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع – وقال مسلم : حتى ذهب عنه ما يجد من الروع – ثم قال لخديجة : أي خديجة ! مالي قد خشيت على نفسي ؟ وأخبرها الخبر فقالت له خديجة : ....

وإعانته ، فهو يعلمك ، كما خلقك ، وكما نزع عنك علق الدم وغمز الشيطان في الصغر ، وَعَلَّم أمتك حتى صارت تكتب بالقلم بعد أن كانت أمية . ذكره السهيلي .

وقال غيره : إن هذا التركيب – وهو قوله : ما أنا بقارىء – يفيد الاختصاص .

وردَّه الطيبي بأنه إنما يفيد التقوية والتأكيد ، والتقدير : لستُ بقارىء البتّة . فإن قيل : لم كرر ذلك ثلاثاً ؟ أجاب أبو شامة بأن يُحمل قوله أولاً : « ما أنا بقارىء » على الامتناع ، وثانياً : على الإخبار بالنفي المحض ، وثالثاً : على الاستفهام . ويؤيده أن في رواية أبي الأسود في مغازيه عن عروة أنه قال : كيف أقرأ ؟ وفي رواية عبيد بن عمير عند ابن إسحاق : ماذا أقرأ ؟ . وفي مرسل الزهري في (دلائل البيهقي) : كيف أقرأ ؟ وكل ذلك يؤيد أنها استفهامية . والله أعلم .

قوله : « فغطني » ، بغين معجمة وطاء مهملة . وفي رواية الطبري : « فغتني » بتاء مثناة من فوق ، كأنه أراد ضمني وعصرني ، والغط : حبس النَفَس ، ومنه : غطه في الماء ، أو أراد غمني ، ومنه الخنق ، ولأبي داود الطيالسي في مسنده بسند حسن : فأخذ بحلقي .

قوله : « حتى بلغ مني الجهد » ، روى بالفتح والنصب ، أي بلغ مني غاية وسعي . وروى بالضم والرفع ، أي بلغ مني الجهد مبلغه ، وقوله : « أرسلني » أي أطلقني ، ولم يذكر الجهد هنا في المرة الثالثة ، وهو ثابت عند البخاري في (التفسير) .

(1) الآيات من أول سورة العلق .

(2) قوله : « فرجع بها » ، أي بالآيات أو بالقصة .

قوله : « فزملوه » ، أي لفوه ، والرَّوع بالفتح : الفزع .

قوله : « لقد خشيتُ على نفسي » ، دلَّ هذه مع قوله : « يرجف فؤاده » على انفعال حصل له من مجيء الملك ، ومن ثم قال : « زملوني » . والخشية المذكورة اختلف العلماءُ في المراد بها على اثني عشر قولاً :

[١] الجنون وأن يكون ما رآه من جنس الكهانة ، جاء مصرحاً به في عدة طرق ، وأبطله أبو بكر ابن العربي ، وحق له أن يبطل ، لكن حمله الإسماعيلي على أن ذلك حصل له قبل حصوله العلم الضَّروريّ له ، أن الذي جاءه ملك ، وأنه من عند الله تعالى .

[٢] الهاجس ، وهو باطل أيضاً ، لأنه لا يستقر ، وحصلت بينهما المراجعة .

[٣] الموت من شدة الرعب . [٤] المرض ، وقد جزم به ابن أبي جمرة .

[٥] دوام المرض . [٦] العجز عن حمل أعباء النبوة .

[٧] العجز عن النظر إلى الملك من الرعب .

كلا(١) ، فأبشر ، فوالله لا يخزيك الله ....

---

[٨] عدم الصبر على أذى قومه .
[٩] أن يقتلوه . [١٠] مفارقة الوطن . [١١] تكذيبهم إياه .
[١٢] تعييرهم إياه .
وأولى هذه الأقوال بالصواب ، وأسلمها من الارتياب ، الثالث واللذان بعده ، وما عداها فهو معترض . والله الموفق : (فتح الباري) : ١ / ٢٨ – ٣٢ ، كتاب بدء الوحي ، حديث رقم (٣) .

(١) « كلا » ، معناها في العربية على ثلاثة أوجه : حرف ردع وزجر ، وبمعنى حقاً ، وبمعنى إي : فالأول كما في قوله تعالى : ﴿ **كلا إنها كلمة هو قائلها** ﴾ ، إشارة إلى قَوْل القائل : ﴿ **رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت** ﴾ [الآية ١٠٠ / المؤمنون] ، أي انْتَهِ عن هذه المقالة ، فلا سبيل إلى الرجوع .

والثاني : نحو ﴿ **كلا إن الإنسان ليطغى** ﴾ [الآية ٦ / العلق] ، أي حقاً ؛ لم يتقدم على ذلك ما يُزجر عنه ، كذا قال قوم ، وقد اعترض على ذلك بأن حقاً تُفْتحُ « أنَّ » بعدها ، وكذلك أما تأتي بمعناها ، فكذا ينبغي في « كلا » ، والأوْلى أن تُفسَّر « كلا » في الآية بمعنى ألا التي يُستفتح بها الكلام ، وتلك تكسر ما بعدها « إنَّ » ، نحوْ : ﴿ **ألا إنَّ أولياء الله لا خوف عليهم** ﴾ ، [الآية ٦٣ / يونس] ، والثالث : قبل القسم ، نحو ﴿ **كلا والقمر** ﴾ [الآية ٣٢ / المدثر] ، معناه إي والقمر ، كذا قال النضر بن شميل ، وتبعه جماعة منهم ابن مالك ، ولها معنى رابع ، تكون بمعنى ألَا . (شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب) : ١٥ .

وقال العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي : وهي « أي كلا » عند سيبويه والخليل والمبرِّد والزَّجّاج وأكثر نحاة البصرة ، حرف معناه الرّدْع والزجر ، لا معنى له سواه ؛ حتى إنهم يجيزون الوقف عليها أبداً والابتداء بما بعدها ، حتى قال بعضهم : إذا سمعت « كلا » في سورة ، فاحكم بأنها مكية ، لأن فيها معنى التهديد والوعيد ، وأكثر ما نزل ذلك بمكة ، لأن أكثر العتوّ كان بها . وفيه نظر ، لأن لزوم المكية إنما يكون عن اختصاص العتوّ بها لا عن غلبته . ثم إنه لا يظهر معنى الزجر في « كلا » المسبوقة بنحو ﴿ **في أي صورة ما شاء ركبك** ﴾ [الآية ٨ / الانفطار] ، ﴿ **يوم يقوم الناس لرب العالمين** ﴾ [الآية ٦ / المطففين] ، ﴿ **ثم إن علينا بيانه** ﴾ [الآية ٣٠ / القيامة] .

وقول من قال : فيه ردع عن ترك الإيمان بالتصوير ، في أيِّ صورة شاء الله ، وبالبعث ، وعن العجلة بالقرآن ، فيه تعسّف ظاهر . ثم إن أول ما نزل خمس آيات من أول سورة العلق ، ثم نزل : ﴿ **كلا إن الإنسان ليطغى** ﴾ [الآية ٦ / العلق] ، فجاءت في افتتاح الكلام ، والوارد منها في التنزيل ثلاثة وثلاثون موضعاً ، كلها في النصف الأخير .

ورآى الكسائيُّ وجماعة أن معنى الردع ليس مستمراً فيها ، فزادوا معنى ثانياً يصح عليه أن يوقف دونها ، ويُبتدأ بها ، ثم اختلفوا في تعيين ذلك المعنى على ثلاثة أقوال : فقيل : بمعنى حقاً ، وقيل بمعنى ألا الاستفتاحية ، وقيل : حرف جواب بمنزلة إي ونَعَمْ ، وحملوا عليه : ﴿ **كلا** =

أبداً[1] ، فوالله إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة ابن نوفل بن أسد بن عبد العزى وهو ابن عم خديجة – أخي أبيها – وكان امرءًا تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب ، ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي ، فقالت له خديجة : يا ابن عم –

والقمر ﴾ [الآية ٣٢ / المدثر] ، فقالوا : معناه إي والقمر ، وهذا المعنى لا يتأتي في آيتي المؤمنين والشعراء : ﴿ **كلا إنها كلمة هو قائلها** ﴾ [الآية ١٠٠ / المؤمنون] ، ﴿ **كلا إن معي ربي** ﴾ [الآية ٦٢ / الشعراء] .

وقول من قال : بمعنى حقاً ، لا يتأتّي في نحو : ﴿ **إن كتاب الفجار** ﴾ ، ﴿ **كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون** ﴾ [الآيتان ٧ ، ١٥ المطففين] ، لأنَّ « إنَّ » تُكسر بعد ألَا الاستفتاحية ، ولا تُكسر بعد حقاً ، ولا بعد ما كان بمعناها ، ولأن تفسير حرف بحرف أولى من تفسير حرف باسم .

وإذا صلح الموضع للردع ولغيره ، جاز الوقف عليها ، والابتداء بها ، على اختلاف التقديرين . والأرجح حملها على الردع ؛ لأنه الغالب عليها ، وذلك نحو : ﴿ **أطَّلَعَ الغيْب أم اتخذ عند الرحمن عهداً كلا سنكتُب ما يقول** ﴾ [الآيتان ٧٨ ، ٧٩ مريم] ، ﴿ **واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عِزّاً كلا سيكفرون بعبادتهم** ﴾ [الآيتان ٨١ ، ٨٢ / مريم] .

وقد يتعين للردع أو الاستفهام نحو : ﴿ **رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها** ﴾ [الآية ١٠٠ / المؤمنون] ، لأنها لو كانت بمعنى حقاً لما كُسرت همزة إنَّ ، ولو كانت بمعنى نعم لكانت للوعد بالرجوع ، لأنها بعد الطلب ، كما يقال : أكرم فلاناً ، فتقول : نعم . ونحو : ﴿ **قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا إن معي ربي سيهدين** ﴾ [الآيتان ٦١ ، ٦٢ / الشعراء] ، وذلك لكسر إنَّ ، ولأن نَعَمْ بعد الخبر للتصديق .

وقد يمتنع كونها للزجر والردع ، نحو : ﴿ **وما هي إلا ذكرى للبشر كلا والقمر** ﴾ [الآيتان ٣١ ، ٣٢ / المدثر] ، إذ ليس قبلها ما يصح رَدُّهُ .

وقُرِيء : ﴿ **كلا سيكفرون بعبادتهم** ﴾ [الآية ٨٢ / مريم] بالتنوين ، إما على أنه مصدر كَلَّ إذا أعيا ، أي كَلُّوا في دعواهم وانقطعوا ، أو من الكلِّ وهو الثِّقل ، أي حملوا كلاً . وجوَّز الزمخشري كونه حرفَ الردع نُوِّن كما في ﴿ **سلاسلاً** ﴾ [الآية ٤ / الإنسان] ، ورُدَّ عليه بأن ﴿ **سلاسلاً** ﴾ لسم أصله التنوين فرُدَّ إلى أصله ، ويُصحح تأويل الزمخشري قراءة من قرأ ﴿ **والليل إذا يسر** ﴾ [الآية ٤ / الفجر] إذا الفعل ليس أصله التنوين .

وقال ثعلب : كَلَّا مركب من كاف التشبيه ولا النافية ، وإنما شُددت لامُها لتقوية المعنى ، ولدفع توهم بقاء معنى الكلمتين ، وعند غيره بسيطة كما ذكرنا ، والله تعالى أعلم . (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز) : ٤ / ٣٨١ – ٣٨٣ .

(١) قوله : « فوالله لا يخزيك الله أبداً » لغير أبي ذر بضم أوله ، والخاء المعجمة ، والزاي المكسورة ، ثم الياء الساكنة ، من الخزي ، ثم استدلت على ما أقسمت عليه من نفي ذلك أبداً بأمر استقرائي ،

وصفته بأصول مكارم الأخلاق ، لأن الإحسان إما إلى الأقارب أو إلى الأجانب ، وإما بالبدن أو بالمال ، وإما على من يستقل بأمره أو بمن لا يستقل ، وذلك كله مجموع فيما وصفه به و « الكَلّ » بفتح الكاف هو من لا يستقل بأمره ، كما قال تعالى : ﴿ **وهو كَلٌّ على مولاه** ﴾ [الآية ٧٦/ النحل] .

و « تكسب المعدوم » : في رواية الكشمهيني وتُكسب بضم أوله ، وعليها قال الخطابي : الصواب : المعدم بلا واو ، أي الفقير ، لأن المعدوم لا يكسب . قال الحافظ ابن حجر : ولا يمتنع أن يطلق على المعدم المعدوم لكونه كالمعدوم الميت الذي لا تَصَرُّفَ له ، والكسب هو الاستفادة ، فكأنها قالت : إذا رغب غيرك أن يستفيد مالاً موجوداً رغبت أنت أن تستفيد رجلاً عاجزاً فتعاونه . وقال قاسم ابن ثابت في (الدلائل) : قوله يكسب معناه ما يعدمه غيره ويعجز عنه يصيبه ويكسبه . قال أعرابي يمدح إنساناً : كان أكسبهم لمعدوم ، وأعطاهم لمحروم .

ولغير الكشمهيني « وتكسب » بفتح أوله ، قال عياض : وهذه الرواية أصح – قال الحافظ ابن حجر : قد وجّهنا الأولى ، وهذه الراجحة ، ومعناها تُعطي الناس مَا لاَ يجدونه عند غيرك ، فحذف أحد المفعولين ، ويقال : كسبتُ مالاً وأكسبته بمعنى . وقيل : معناه تكسب المال المعدوم وتصيب ما لا يصيب غيرك . وكانت العرب تتمادح بكسب المال ، لا سيما قريش ، وكان النبي ﷺ قبل البعثة محظوظاً في التجارة ، وإنما يصح هذا المعنى إذا ضُم إليه ما يليق به من أنه كان مع إفادته للمال يجود به في الوجوه التي ذكرت في المكرمات .

وقولها : « وتعين على نوائب الحق » ، كلمة جامعة لأفراد ما تقدم ولما لم يتقدم . وفي رواية (البخاري في التفسير) ، من طريق يونس عن الزهري من الزيادة : « وتصدق الحديث » ، وهي من أشرف الخصال . وفي رواية هشام بن عروة عن أبيه في هذه القصة : « وتؤدي الأمانة » .

وفي هذه القصة من الفوائد :

* استحباب تأنيس من نزل به أمر بذكر تيسيره عليه وتهوينه لديه .
* وأن من نزل به أمر استحب له أن يُطْلع عليه من يثق بنصيحته وصحة رأيه .

قوله : « فانطلقت به » ، أي مضت معه ، فالباء للمصاحبة ، وورقة بفتح الراء ، وقوله : « ابن عم خديجة » ، هو بنصب « ابن » ، ويكتب بالألف ، وهو بدل من ورقة ، أو صفة ، أو بيان ، ولا يجوز جره ، فإنه يصير صفة لعبد العُزى ، وليس كذلك ، ولا يجوز كَتْبُه بغير ألف لأنه لم يقع بين علمين .

قوله : « تَنَصَّرَ » ، أي صار نصرانياً ، وكان قد خرج هو وزيد بن نُفيل لما كرها عبادة الأوثان إلى الشام وغيرها يسألون عن الدين ، فأما ورقة فأعجبه دين النصرانية فتنصَّر ، وكان لقي من بقي من الرهبان على دين عيسى ولم يبدل ، ولهذا أخبر بشأن النبي ﷺ والبشارة به ، إلى غير ذلك مما أفسده أهل التبديل .

قوله : « فكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية » ، وفي رواية يونس ومعمر : ويكتب من الإنجيل بالعربية ، ولمسلم : فكان يكتب الكتاب العربي ، والجميع صحيح ، لأن ورقة تعلم اللسان العبراني والكتابة العبرانية ، فكان يكتب الكتاب العبراني ، كما كان يكتب الكتاب العربي ، لتمكنه من الكتابين واللسانين . ووقع لبعض الشراح هنا ضبط فلا يُعرَّج عليه .

....

وإنما وصفته بكتابة الإنجيل دون حفظه ، لأن حفظ التوراة والإنجيل لم يكن متيسراً كتيسر حفظ القرآن الذي خُصَّت به هذه الأمة ، فلهذا جاء في صفتها : « أناجيلها صدورها » . قولها : « يا ابن عم » ، هذا النداء على حقيقته ، ووقع في مسلم « يا عم » وهو وهَمَ ، لأنه وإن كان صحيحاً لجواز إرادة التوقير ، لكن القصة لم تتعد ، ومخرجها متحد ، فلا يُحْمل على أنها قالت ذلك مرتين ، فتعين الحمل على الحقيقة .

قال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري) : وإنما جوزنا ذلك فيما مضى في العبراني والعربي ، لأنه من كلام الراوي في وصف ورقة ، واختلفت المخارج فأمكن التعداد ، وهذا الحكم يطرد في جميع ما أشبهه ، وقالت في حق النبي ﷺ : اسمع من ابن أخيك ، لأن والده عبد الله بن عبد المطلب وورقة في عدد النسب إلى قصي بن كلاب الذي يجتمعان فيه سواء ، فكان من هذه الحيثية في درجة إخوته . أو قالته على سبيل التوقير لسنه .

وفيه إرشاد إلى أن صاحب الحاجة يقدم بين يديه من يُعرِّف بقدره ممن يكون أقرب منه إلى المسؤول ، وذلك مستفاد من قول خديجة لورقة : « اسمع من ابن أخيك » أرادت بذلك أن يتأهب لسماع كلام النبي ﷺ ، وذلك أبلغ في التعظيم .

قوله : « ماذا ترى » ؟ فيه حذف يدل عليه سياق الكلام ، وقد صرَّح به في (دلائل النبوة) لأبي نعيم بسند حسن إلى عبد الله بن شداد في هذه القصة قال : فأتت به ورقة ابن عمها فأخبرته بالذي رأى .

قوله : « هذا الناموس الذي نزل الله على موسى » . وللكشميهني : « أنزل الله » ، وفي كتاب التفسير « أُنزل » على البناء للمفعول ، وأشار بقوله : « هذا » إلى الملكٰ الذي ذكره النبي ﷺ في خبره ، ونزله منزلة القريب لقرب ذكره . والناموس : صاحب السر كما جزم به المؤلف في أحاديث الأنبياء . وزعم ابن ظفر أن الناموس صاحب سرّ الخير ، والجاسوس صاحب سر الشّر ، والأول الصحيح الذي عليه الجمهور ، وقد سوّى بينهما رؤبة بن العجاج أحد فصحاء العرب . والمراد بالناموس هنا جبريل عليه السلام . وقوله : « على موسى » ولم يقل على عيسى مع كونه نصرانياً ، لأن كتاب موسى عليه السلام مشتمل على أكثر الأحكام ، بخلاف عيسى . وكذلك النبي ﷺ . أو لأن موسى عليه السلام بُعث بالنقمة على فرعون ومن معه ، بخلاف عيسى . كذلك وقعت النقمة على يد النبي ﷺ بفرعون هذه الأمة ، وهو أبو جهل بن هشام ومن معه ببدر . أو قاله تحقيقاً للرسالة ، لأن نزول جبريل على موسى متفق عليه بين أهل الكتاب ، بخلاف عيسى فإن كثيراً من اليهود ينكرون نبوته .

وأما ما تحمل له السهيلي ، من أن ورقة كان على اعتقاد النصارى في عدم نبوة عيسى ، ودعواهم أنه أحد الأقانيم [الثلاثة] فهو محال لا يُعَرَّج عليه في حق ورقة وأشباهه ممن لم يدخل في التبديل ، و لم يأخذ عمن بَدَّل . على أنه قد ورد عند الزبير بن بكار من طريق عبد الله بن معاذ عن الزهري في هذه القصة أن ورقة قال : ناموس عيسى ، والأصح ما تقدم ، وعبد الله بن معاذ ضعيف .

نعم في (دلائل النبوة لأبي نعيم) بإسناد حسن إلى هشام بن عروة عن أبيه في هذه القصة ، أن خديجة أولاً أتت ابن عمها ورقة فأخبرته الخبر فقال : لئن كنت صدقتني إنه ليأتيه ناموس عيسى الذي لا يعلمه بنو إسرائيل أبناءهم ، فعلى هذا فكان ورقة يقول تارة ناموس عيسى ، وتارة ناموس

موسى عليهما السلام ، فعند إخبار خديجة له بالقصة ، قال لها ناموس عيسى بحسب ما هو فيه من النصرانية ، وعند إخبار النبي ﷺ له قال له : ناموس موسى للمناسبة التي قدمناها ، وكل صحيح ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

قوله : « ياليتني فيها جذع » ، كذا في رواية الأصيلي ، وعند الباقين : « ياليتني فيها جذعاً » ، بالنصب على أنه خبر كان المقدرة . قاله الخطابي ، وهو مذهب الكوفيين في قوله تعالى : ﴿ انتهوا خيراً لكم ﴾ [الآية ١٧١ / النساء] ، وقال ابن بري : التقدير ياليتني جعلت فيها جذعاً ، وقيل : النصب على الحال إذا جعلت « فيها » خبر ليت ، والعامل في الحال ما يتعلق به الخبر من معنى الاستقرار ، قاله السهيلي . وضمير « فيها » يعود على أيام الدعوة ، والجَذَع - بفتح الجيم ، والذال المعجمة - هو الصغير من البهائم ، كأنه تمنى أن يكون عند ظهور الدعاء إلى الإسلام شاباً ، ليكون أمكن لنصره ، وبهذا يتبين سرّ وصفه بكونه كان كبيراً أعمى .

قوله : « إذ يخرجك » ، قال ابن مالك : فيه استعمال « إذ » في المستقبل كإذا ، وهو صحيح وغفل عنه كثير من النحاة ، وهو كقوله تعالى : ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قُضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون ﴾ [الآية ٣٩ / مريم] ، هكذا رواه ابن مالك ، وأقره عليه غير واحد ، وتعقبه شيخنا شيخ الإسلام بأن النحاة لم يغفلوه بل منعوا وروده ، وأولوا ما ظاهره ذلك وقالوا في مثل هذا : استعمل الصيغة الدالة على المضيّ لتحقق وقوعه فأنزلوه منزلته ، ويقوي ذلك هنا أن في رواية البخاري في (التعبير) : « حين يخرجك قومك » . وفيه دليل على جواز تمني المستحيل إذا كان في فعل خير ، لأن ورقة تمنى أن يعود شاباً ، وهو مستحيل عادة ، ويظهر لي - والكلام للحافظ ابن حجر - أن التمني ليس مقصوداً على بابه ، بل المراد من هذا التنبيه على صحة ما أخبر به ، والتنويه بقوة تصديقه فيما يجيء به .

قوله : « أوَ مُخْرِجِيَّ هم » ؟ - بفتح الواو وتشديد الياء وفتحها - ، فهُم : مبتدأ مؤخر ، ومخرجيّ : خبر مقدم ، قاله ابن مالك ، واستبعد النبي ﷺ أن يُخرجوه ، لأنه لم يكن فيه سبب يقتضي الإخراج ، لما اشتمل عليه ﷺ من مكارم الأخلاق التي تقدم من خديجة وصفها .

قوله : « إلا عودي » ، وفي رواية يونس في (التفسير) : « إلا أوذي » ، فذكر ورقة أن العلة في ذلك مجيئه لهم بالانتقال عن مألوفهم ، ولأنه علم من الكتب أنهم لا يجيبونه إلى ذلك ، وأنه يلزمه لذلك منابذتهم ومُعاندتهم ، فتنشأ العداوةُ من ثَمَّ ، وفيه دليل أن المجيب يقيم الدليل على ما يجيب به إذا اقتضاه المقام .

قوله : « إن يدركني قومك » ، إن : شرطية والذي بعدها مجزوم ، زاد في رواية يونس في (التفسير) : « حيّاً » ، ولابن إسحاق : « إن أدركتُ ذلك اليوم » يعني الإخراج .

قوله : « مؤَزَّراً » - بهمزة - أي قوياً ، مأخوذ من الأزر ، وهو القوة ، أنكر القزاز أن يكون في اللغة مؤزر من الأزر ، وقال أبو شامة : يحتمل أن يكون من الإزار ، أشار بذلك إلى تشميره في نُصرته . قال الأخطل :

* قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم *

قوله : « ثم لم ينشب » - بفتح الشين المعجمة - أي لم يلبث ، وأصل النشوب التعلق ، =

وقال مسلم : أي عم - اسمع من ابن أخيك ، فقال [له] ورقة يا ابن أخي ، ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى ، فقال له ورقة ابن نوفل : هذا الناموس الذي أنزل على موسى [بن عمران] ، يا ليتني فيها جذعاً ، يا ليتني أكون حياً حين يخرجك قومك - وقال البخاري : يا ليتني أكون حياً [إذْ] ... - فقال رسول الله ﷺ أو مُخرجيّ هم ؟ قال ورقة : نعم ، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي - وقال مسلم : إلا أوذي - وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً ، ثم لم ينشب ورقة أن توفي ، وفتر الوحي [فترة حتى حزن رسول الله ﷺ] .

قال محمد بن شهاب[1] : وأخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن

أي لم يتعلق بشيء من الأمور حتى مات . وهذا بخلاف ما في السيرة لابن إسحاق أن ورقة كان يمر ببلال وهو يعذب ، وذلك يقتضي أنه تأخر إلى زمن الدعوة ، وإلى أن دخل بعض الناس في الإسلام .

قال الحافظ ابن حجر : فإن تمسكنا بالترجيح فما في الصحيح أصح ، وإن لحظنا الجمع أمكن أن يقال : الواو في قوله : « وفتر الوحي » ليست للترتيب ، فلعلَّ الراوي لم يحفظ لورقة ذكراً بعد ذلك في أمر من الأمور ، فجعل هذه القصة انتهاء أمره بالنسبة إلى عمله ، لا إلى ما هو الواقع ، وفتور الوحي عبارة عن تأخره مدة من الزمان ، وكان ذلك ليذهب ما كان ﷺ وجده من الروع ، وليحصل له التشوف إلى العود ، فقد روى البخاري في كتاب (التعبير) من طريق معمر ما يدل على ذلك .

[**فائدة**] : وقع في تاريخ أحمد بن حنبل عن الشعبي ، أن مدة فترة الوحي كانت ثلاث سنين ، وبه جزم ابن إسحاق ، وحكي البيهقي أن مدة الرؤيا كانت ستة أشهر ، وعلى هذا فابتداء النبوة بالرؤيا وقع من شهر مولده وهو ربيع الأول بعد إكماله أربعين سنة ، وابتداء وحي اليقظة وقع في رمضان ، وليس المراد بفترة الوحي المقدرة بثلاث سنين ، وهي ما بين نزول ﴿ **اقرأ** ﴾ و ﴿ **يأيها المدثر** ﴾ ، عدم مجيء جبريل إليه ، بل تأخر نزول القرآن فقط ، (فتح الباري) : ١ / ٣٣ - ٣٦ ، كتاب بدء الوحي حديث رقم (٣) .

(١) قوله : « قال ابن شهاب : « وأخبرني أبو سلمة » ، إنما أتى بحرف العطف ليعلم أنه معطوف على ما سبق ، كأنه قال : أخبرني عروة بكذا ، وأخبرني أبو سلمة بكذا . وأبو سلمة هو ابن عبد الرحمن ابن عوف ، وأخطأ من زعم أن هذا معلق ، وإن كانت صورته التعليق ، ولو لم يكن في ذلك إلا ثبوت الواو العاطفة ، فإنها دالة على تقدم شيء عطفته ، وقد تقدم قوله : عن ابن شهاب عن عروة فساق الحديث إلى آخره ثم قال : ابن شهاب - أي بالسند المذكور - وأخبرني أبو سلمة بخبر آخر وهو كذا .

ودلَّ قوله : « عن فترة الوحي » وقوله : « الملك الذي جاءني بحراء » على تأخر نزول سورة المدثر عن ﴿ **اقرأ** ﴾ ، ولما دخلت رواية يحيى بن أبي كثير الآتية في (التفسير) عن أبي سلمة عن جابر عن هاتين الجملتين أشكل الأمر ، فجزم من جزم بأن ﴿ **يأيها المدثر** ﴾ أول ما نزل ، ورواية الزهري هذه صحيحة ترفع الإشكال ، وسياق بسط القول في ذلك في كتاب التفسير من (صحيح البخاري) في تفسير سورة ﴿ **اقرأ** ﴾ ، فليراجع هناك . (المرجع السابق) .

عبد الله الأنصاري [رضي الله عنه] ، قال فسلم : وكان من أصحاب رسول الله ﷺ - وهو - يحدث عن فترة الوحي : قال في حديثه : بينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء ، فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض ، [فرعبتُ][1] منه فرجعت ، - وقال مسلم : قال رسول الله ﷺ : فخشيت منه فرقاً فرجعت - فقلت : زملوني [زملوني] ، فَدَّثروه - وقال مسلم : فدثروني - فأنزل الله : ﴿ **يٰأيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر** ﴾[2] - وهي الأوثان - قال : ثم تتابع الوحي[3] -

وقال البخاري : قال أبو سلمة : وهي الأوثان التي كانت الجاهلية يعبدون ، قال : ثم تتابع الوحي ، ولم يذكر مسلم : ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله ﷺ . ذكره البخاري في كتاب التفسير وفي كتاب الإيمان[4] .

وذكره مسلم من حديث معمر عن الزهري[5] ولفظه : أول ما بديء به

---

(١) قوله : « فرُعِبتُ منه - بضم الراء وكسر العين ، وللأصيلي بفتح الراء وضم العين - أي فزعت ، دلَّ على بقية بقيت معه من الفزع الأول ، ثم زالت بالتدريج .
قوله : « فقلت : « زملوني زملوني » - وفي رواية الأصيلي وكريمة « زملوني » مرة واحدة ، وفي رواية يونس في (التفسير) : « فقلت : دثروني » فنزلت : ﴿ **يٰأيها المدثر * قم فأنذر** ﴾ ، أي حَذِّر من العذاب من لم يؤمن بك . ﴿ **وربك فكبر** ﴾ أي عظم ، ﴿ **وثيابك فطهر** ﴾ أي من النجاسة ، وقيل : الثياب النفس ، وتطهيرها اجتناب النقائص ، والرجز هنا الأوثان ، والرِّجز في اللغة العذاب ، وسمي الأوثان رجزاً لأنها سببه .

(٢) أول سورة المدثر .

(٣) قوله : « تتابع » ، تأكيد معنوي ، وتتابع تكاثر . وقد وقع في رواية الكشمهيني وأبي الوقت: « تواتر » ، والتواتر مجيء الشيء يتلو بعضه بعضاً من غير تخلل . (المرجع السابق) : حديث رقم (٤) .

(٤) هذا الحديث ذكره البخاري في كتاب بدء الخلق ، باب (٧) حديث رقم (٣٢٣٨) ، وفي كتاب التفسير ، باب (١ ، ٢) حديث رقم (٤٩٢٢) ، (٤٩٢٣) ، باب (٣) ، حديث رقم (٤٩٢٤) باب (٤) حديث رقم (٤٩٢٥) ، باب (٥) ، حديث رقم (٤٩٢٦) ، (٤٩٥٤)، وفي كتاب الأدب ، باب (١١٨) ، حديث رقم (٦٢١٤) . بسياقات مختلفة وتقديم وتأخير .

(٥) حديث معمر عن الزهري : رقم (٢٥٣) من كتاب الإيمان ، باب (٧٣) بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ، من (صحيح مسلم بشرح النووي) ٢ / ٥٥٩ .

رسول الله ﷺ من الوحي .. وساق الحديث بمثل حديث يونس ، غير أنه قال : فوالله لا يخزيك الله أبداً ، وقال : قالت خديجة أيا ابن العم ! اسمع من ابن أخيك ، وذكره أيضاً من حديث عقيل عن ابن شهاب ، سمعت عروة بن الزبير يقول : قالت عائشة زوج النبي ﷺ : فرجع إلى خديجة يرجف فؤاده ، فاقتص الحديث بمثل حديث يونس ومعمر ، ولم يذكر أول حديثهما من قوله : أول ما بُديء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة ، وتابع يونس على قوله : فوالله لا يخزيك الله أبداً ، وذكر قول خديجة : أي ابن عم ! اسمع من ابن أخيك .

وذكر من حديث عقيل عن ابن شهاب[1] قال : سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يقول : أي جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : ثم فتر الوحي عني فترة ، فبينا أنا أمشي .. ثم ذكر بمثل حديث يونس ، غير أنه قال : فخشيتُ منه فرقاً حتى هويت إلى الأرض . قال : وقال أبو سلمة : الرجز الأوثان ، قال : حمي الوحي بعد ذلك وتتابع .

وذكره من حديث معمر عن الزهري بهذا الإسناد نحو حديث يونس ، قال : فأنزل الله تعالى : ﴿ **يأيها المدثر** ﴾ إلى[2] ﴿ **والرجز فاهجر** ﴾ - قبل أن تفرض الصلاة - وهي الأوثان ، قال فخشيت منه كما قال عقيل[3] .

وذكر البخاري في كتاب التعبير حديث عقيل ولفظه[4] : أول ما بُديء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم بنحو حديث يونس وقال فيه : حتى أتت به ورقة ابن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وقال : فقالت له خديجة : أي ابن عم .. الحديث إلى قوله نصراً مؤزراً ، وقال بعده : ثم لم ينشب ورقة أن توفى وفتر الوحى فترة حتى حزن النبي ﷺ فيما بلغنا حزناً غدا منه مراراً كي يتردى من رءوس شواهق الجبال ، فكلما أوفي بذروة جبل لكي يلقى [منه] بنفسه تبدى له جبريل فقال : يا محمد إنك رسول

---

(١) حديث عقيل عن ابن شهاب : رقم (٢٥٤) ، (المرجع السابق) .
(٢) أول سورةالمدثر .
(٣) حديث رقم (٢٥٥) ، (المرجع السابق .
(٤) حديث عقيل عن ابن شهاب ، ذكره البخاري في أول كتاب التعبير ، باب أول ما بُديء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة ، حديث رقم (٦٩٨٢) من (فتح الباري) : ١٢ / ٤٣٦ .

الله حقاً ، فيسكن لذلك جأشه ، وتقر نفسه فيرجع ، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك ، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك[1].

ترجم عليه أول ما بُدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة .

وذكر في أول حديث عقيل ولفظه : أول ما بدىء به رسول الله ﷺ الرؤيا الصالحة في النوم وقال فيه : يرجف فؤاده ، وقال : وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وقال : فقالت له خديجة : يا ابن عم ، وقال : هو الناموس الذي نزل على موسى ، وقال : ليتني أكون حياً إذا يخرجك قومك ، وقال : رجل قط بما جئت به إلا عودي ، قال في التعبير وقال بعد قوله نصراً مؤزراً : ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي[2] .

قال ابن شهاب : وأخبرني سلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله الأنصاري قال وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه : بينا أمشي إلا سمعتُ صوتاً من السماء فرفعتُ بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض ، فرعبت منه ، فرجعتُ فقلت : زملوني زملوني ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **يأيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر** ﴾[3] ،

---

(١) زاد بعد قوله : « مثل ذلك » : [قال ابن عباس : فالق الإصباح : ضوء الشمس بالنهار ، وضوء القمر بالليل .

قوله : « فإذا طالت عليه فترة الوحي » ، قد يتمسك به من يصحح مرسل الشعبي في أن مدة الفترة كانت سنتين ونصفاً ، كما نقله الحافظ ابن حجر في أول بدء الوحي ، ولكن يعارضه ما أخرجه ابن سعد من حديث ابن عباس بنحو هذا البلاغ الذي ذكره الزهري .

وقوله : مكث أياماً بعد مجيء الوحي لا يرى جبريل ، فحزن حزناً شديداً حتى كان يغدو إلى ثبير مرة ، وإلى حراء أخرى يريد أن يُلقي بنفسه ، فبينا هو كذلك عامداً لبعض تلك الجبال ، إذ سمع صوتاً فوقف فزعاً ، ثم رفع رأسه فإذا جبريل على كرسيّ بين السماء والأرض ، متربعاً يقول : يا محمد أنت رسول الله حقاً وأنا جبريل ، فانصرف وقد أقرَّ الله عينه ، وانبسط جأشه ، ثم تتابع الوحي » ، فيستفاد من هذه الرواية تسمية بعض الجبال التي أُبهمت في رواية الزهري ، وتقليل مدة الفترة . والله تعالى أعلم . (المرجع السابق) : ١٢ / ٤٤٦ .

(٢) حديث عقيل عن ابن شهاب ، ذكره البخاري في أول كتاب التعبير ، باب أول ما بُدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة ، حديث رقم (٦٩٨٢) من (فتح الباري) : ١٢ / ٤٣٦ .

(٣) أول سورة المدثر .

فحمي الوحي وتتابع . تابعه عبد الله بن يونس وأبو صالح ، وتابعه هلال بن ردَّاد عن الزهري . وقال يونس ومعمر : بوادره .

وذكر في التفسير من حديث معمر عن الزهري : أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن عن جابر سمعت النبي ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي[1] فقال في حديثه : فبينا أنا أمشي إذا سمعت صوتاً من السماء فرفعت رأسي إليه ، فإذا الملك الذي جاءني بحراء على كرسي بين السماء والأرض فَجَثَثْتُ منه رعباً ، فرجعتُ فقلتُ : زملوني زملوني ، فزملوني ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **يأيها المدثر * قم فأنذر** ﴾ ، إلى ﴿ **والرجز فاهجر** ﴾ قبل أن تفرض الصلاة ، وهي الأوثان ، وذكر فيه أيضاً حديث عقيل عن ابن شهاب قال : سمعتُ أبا سلمة بن عبد الرحمن قال : أخبرني جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي ، [قال] : فبينا أنا أمشي سمعت تصويتاً من السماء ، فرفعت بصري قبل السماء فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض ، فجئثت منه حتى هويت إلى الأرض ، فجئت أهلي فقلت : زملوني زملوني ، فزملوني ، فأنزل الله : ﴿ **يأيها المدثر** ﴾ إلى قوله : ﴿ **والرجز فاهجر** ﴾ ، قال أبو سلمة : والرجز : الأوثان ، ثم حمي الوحي وتتابع .

وخرج الحافظ أبو نعيم من حديث محمد بن عثمان بن أبي شيبة[2] ، حدثنا

---

(١) « قال رسول الله ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي قال في حديثه : بينا أمشي » ، هذا يُشعر بأنه كان في أصل الرواية أشياء غير المذكور ، وهذا أيضاً من مرسل الصحابي ، لأن جابراً لم يُدركه زمان القصة فيحتمل أن يكون سمعها من النبي ﷺ أو من صحابي آخر حضرها ، والله تعالى أعلم .

قوله : « سمعت صوتاً من السماء فرفعتُ بصري » يؤخذ منه جواز رفع البصر إلى السماء عند وجود حادث من قبلها ، وقد ترجم له البخاري في (الأدب) . ويستثنى من ذلك رفع البصر إلى السماء في الصلاة ، لثبوت النهي عنه كما تقدم في (الصلاة) من حديث أنس ، وروي ابن السني بإسناد ضعيف عن ابن مسعود قال : أُمرنا أن لا نتبع أبصارنا الكواكب إذا انقضت .

ووقع في رواية يحي بن أبي كثير : « فنظرتُ عن يميني فلم أر شيئاً ، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً ، ونظرتُ أمامي فلم أر شيئاً ، ونظرت خلفي فلم أر شيئاً ، فرفعتُ رأسي » .

وفي رواية مسلم بعد قوله : « شيئاً » ، « ثم نوديتُ » ، فنظرتُ فلم أر أحداً ، ثم نوديت فرفعتُ رأسي » . (فتح الباري) : ٨ / ٩٣٥ ، حديث رقم (٤٩٥٣) .

(٢) حديث محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، في (دلائل النبوة لأبي نعيم) رقم (١٧٤) بغير هذه السياقة .

منجاب بن الحارث ، حدثنا علي بن مسهر عن الشيباني عن عبد الله بن شداد قال : نزل جبريل عليه السلام على النبي ﷺ فغمه ثم قال له : اقرأ ، قال ما أقرأ ؟ فغمه ثم قال له : اقرأ ، قال : ما أقرأ ، فغمه ثم قال له : اقرأ ، قال : ما أقرأ ، قال : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾ إلى ﴿ **ما لم يعلم** ﴾ ، فأتى خديجة رضي الله عنها فأخبرها بالذي رأى ، فأتت ورقة ابن نوفل ابن عمها فأخبرته بالذي رأى فقال : هل رأى زوجك صاحبه في خضر ؟ فقالت : نعم ، فقال : إن زوجك نبي وسيصيبه في أمته بلاء .

وخرج من حديث منجاب قال : حدثنا على بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه قال : لما أُنزل على رسول الله ﷺ قال لخديجة : لقد خشيت أن أكون كاهناً أو مجنوناً ، قالت : لا والله لا يفعل الله ذلك بك ، إنك لتصدق الحديث ، وتصل الرحم ، وتؤدي الأمانة ، والله لا يفعل ذلك بك ، فأتت ابن عمها ورقة ابن نوفل وكانت تضيفه إليه ؛ فأخبرته بالذي رأى ، فقال : لئن كنت صدقتني إنه ليأتيه الناموس الأكبر ؛ ناموس عيسى الذي لا تُعلِّمه بنو إسرائيل أبناءهم ، ولئن نطق وأنا حيّ لأبلين الله فيه بلاءاً حسناً ، قال أبو نعيم : هكذا رواه علي بن مسهر وأصحاب هشام مرسلاً ، ورواه يعقوب بن محمد الزهري عن عبد الله بن محمد ابن يحيى بن عروة عن هشام متصلاً ، وفيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال ورقة لما ذكرت له خديجة أنه ذكر لها جبريل : سُبّوح سُبّوح ، وما لجبريل يذكر في هذه الأرض التي تعبد فيها الأوثان ، جبريل أمين الله بينه وبين رسله ، إذهبي به إلى المكان الذي رأى فيه ما رأى ، فإذا أتاه فتحسّرى فإن يكن من عند الله لا يراه ، ففعلت ، قالت : فلما تحسَّرتُ تغيَّبَ جبريل فلم يره ، فرجعتْ فأخبرتْ ورقة فقال : إنه ليأتيه الناموس الأكبر الذي لا يُعلِّمه بنو إسرائيل أبناءهم إلا بالثمن ، ثم أقام ورقة ينتظر إظهار الدعوة ، فقال في ذلك :

لججت وكنت في الذكري لجوجاً[1]   لهَمٍ طالما بعث النشيجا[2]

---

(١) اللجلجة والتلجلج : التردد في الكلام . (ترتيب القاموس) : ٤ / ١٢٤ .

(٢) نشج الباكي ينشج نشيجاً : غُصَّ في حلقه من غير انتحاب (المرجع السابق) ٣٧٠ .

ووصف من خديجة بعد وصف ... فقد طال انتظاري يا خديجا
ببطن المكتين[1] على رجائي[2] ... حديثك أن[3] أرى منه خروجاً
بما خبرتنا[4] عن قول قَسٍّ ... من الرهبان أكره[5] أن يعوجا
بأن محمداً سيسود فينا[6] ... ويخصم من يكون له حجيجاً
ويظهر في البلاد ضياء نور[7] ... يقيم به البرية أن تعوجا

---

(١) ثنى « مكة » ، وهي واحدة ؛ لأن لها بطاحاً وظواهر ، وقد ذكرنا من أهل البطاح ، ومن أهل الظواهر ، على أن للعرب مذهباً في أشعارها في تثنية البقعة الواحدة ، وجمعها ، وإنما يقصد العرب في هذه الإشارة إلى جانبي كل بلدة ، أو الإشارة إلى أعلى البلدة وأسفلها ، فيجعلونها اثنين على هذا المغزى وأحسن ما تكون هذه التثنية إذا كانت في ذكر جنة أو بستان ، فتسميها جنتين في فصيح الكلام ، إشعاراً بأن لها وجهين ، وأنك إذا دخلتها ونظرت إليها يميناً وشمالاً رأيت من كلتا الناحيتين ما يملأ عينيك قوة ، وصدرك مسرّة ، وفي التنزيل : ﴿ **لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور** ﴾ [الآية ١٥ / سبأ] ، ﴿ **فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أُكُلٍ خمط وأثل وشيء من سِدْرٍ قليل** ﴾ [الآية ١٦ / سبأ] ، وفيه : ﴿ **جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً** ﴾ ﴿ **كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً وفجرنا خلالهما نهراً** ﴾[الآيتان ٣٢ ، ٣٣ / الكهف] ، ثم قال سبحانه : ﴿ **دخل جنته** ﴾ ، ثم قال : ﴿ **ولولا إذ دخلت جنتك** ﴾ ، ثم قال : ﴿ **فعسى ربي أن يؤتيني خيراً من جنتك** ﴾ [من الآيتين ٣٥ ، ٣٩ ، ٤١ / الكهف] ، فأفرد بعد ما ثني وهي هي ، وقد حمل العلماء على هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾ [الآية ٤٦ / الرحمن] ، والقول في هذه الآية يتسع . (الروض الأنف) : ١ / ٢١٨ – ٢٢٠ .

(٢) في (خ) : « على رجاء » ، وما أثبتناه من (ابن هشام) : ٢ / ١٠ ، (البداية والنهاية) : ٣ / ١٥ ، قوله : « حديثك أن أرى منه خروجاً » ، فالهاء في « منه » راجعة على الحديث ، وحرف الجر متعلق بالخروج ، وإن كره النحويون ذلك ؛ لأن ما كان من صلة المصدر عندهم ، فلا يتقدم عليه ؛ لأن المصدر مقدر بأن والفعل ، فما يعمل فيه هو من صلة « أن » فلا يتقدم ، فمن أطلق القول في هذا الأصل ، ولم يخصص مصدراً من مصدر ، فقد أخطأ المفصل وتاه في تضلل ؛ ففي التنزيل : ﴿ **أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم** ﴾ [الآية : ٢ / يونس] ، ومعناه : أكان عجباً للناس أن أوحينا ، ولابد للّامها هنا أن تتعلق بعجب ، لأنها ليست في موضع صفة ، ولا موضع حال لعدم العامل فيها . (المرجع السابق) .

(٣) في (خ) : « لو أرى » ، وما أثبتناه من (ابن هشام) ، (البداية والنهاية) .

(٤) في (خ) : « بما خبرتني » ، وما أثبتناه من (ابن هشام) ، (البداية والنهاية) .

(٥) في (خ) : « يكره » ، وما أثبتناه من (ابن هشام) ، (البداية والنهاية) .

(٦) في (خ) ، (البداية والنهاية) : « سيسود قوماً » ، وما أثبتناه من (ابن هشام) .

(٧) هذا البيت يوضح لنا معنى النور ومعنى الضياء ، وأن الضياء هو المنتشر عن النور ، وأن النور =

فيلقى من يحاربه خساراً ويلقى من يسالمه فلوجاً[1]
فياليتي[2] إذا ما كان ذاكم شهدتُ فكنت أولهم ولوجاً
ولوجا[3] في الذي كرهت قريش ولو عجت بمكتها عجيجا[4]
أرجى بالذي كرهوا جميعاً إلى ذي العرش إن سفلوا عروجا
وإن يبقوا وأبق[5] تكن أمورٌ يضجّ الكافرون بها ضجيجا[6]
وإن أهلك فكل فتى سيلقى من الأقدار متلفةً خلوجا[7]

= هو الأصل للضوء ، ومنه مبدؤه ، وعنه يصدر ، وفي التنزيل : ﴿ **فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم** ﴾ [الآية ١٧ / البقرة] ، وفيه : ﴿ **جعل الشمس ضياء والقمر نوراً** ﴾ [الآية ٥ / يونس] ، لأن نور القمر لا ينتشر عنه من الضياء ما ينتشر من الشمس ، ولا سيما طرفي الشهر ، وفي الصحيح : « الصلاة نور ، والصبر ضياء » ، وذلك أن الصلاة هي عمود الإسلام ، وهي ذكر وقرآن ، وهي تنهي عن الفحشاء والمنكر ، فالصبر عن المنكرات ، والصبر على الطاعات هو : الضياء الصادر عن هذا النور الذي هو القرآن والذكر ، وفي أسماء الباري سبحانه ﴿ **الله نور السموات والأرض** ﴾ [الآية ٣٠ / النور] ، ولا يجوز أن يكون الضياء من أسمائه سبحانه . (الروض الأنف) .

(١) فلج : ظَفِرَ ، ويقال : فلج بحاجته ، وبحجته : أحسن الإدلاء بها فغلب خصمه . (المعجم الوسيط) : ٢ / ٦٩٩ .

(٢) ليتي : بحذف نون الوقاية ، وحذفها مع ليت رديء ، وهو في لعلَّ أحسن منه ، لقرب مخرج اللام من النون ، حتى لقد قالوا : لعل ولعن ولأن بمعنى واحد ، وقد حكي يعقوب أن من العرب من يخفف بلعلَّ ، وهذا يؤكد حذف النون من لعلني ، وأحسن ما يكون حذف هذه النون في إنَّ ، وأنَّ ، ولكن ، وكأنَّ ، لاجتماع النونات ، وحسنه في لعلّ أيضاً كثرة حروف الكلمة ، وفي التنزيل : ﴿ **لعلي أرجع إلى الناس** ﴾ [الآية ٤٦ / يوسف] بغير نون ، ومجيء هذه الياء وليتي بغير نون مع أن ليت ناصبة ، يَدُلُّكَ على أن الاسم المضمر في ضربني هو الياء ، دون النون كما هو في ضربك ، وضربه حَرف واحد ، وهو الكاف ، ولو كان الاسم هو النون مع الياء ، كما قالوا في المخفوض : مني وعني بنونين . نون : من ، ونون أخرى مع الياء ، فإذاً الياء وحدها هي الاسم في حال الخفض ، وفي حال النصب ، (ابن هشام) : ٢ / ١٢ هامش .

(٣) ولج الشيء في غيره ولوجاً : دخل فيه (المعجم الوسيط) : ٢ / ١٠٥٥ ، وفي التنزيل : ﴿ **يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل** ﴾ [الآية ٦ / الحج] .

(٤) عَجّ عجًّا وعجَّة وعجيجاً : رفع صوته وصاح . (المرجع السابق) : ٢ / ١٠٥٥ ، وفي الصحيح : « الحج عجٌّ وثجّ » .

(٥) في (خ) : « ونبق » ، وما أثبتناه من (ابن هشام) ، (الروض الأنف) ، (البداية والنهاية) .

(٦) ضج ضجيجاً : الصياح عند المكروه ، والمشقة ، والجزع ، (لسان العرب) : ٢ / ٣١٢ .

(٧) في (خ) : « خلوجاً » ، وهو الاضطراب . (المعجم الوسيط) : ١ / ٢٤٨ . وفي (ابن هشام) : « حروجاً » ، وهي الجسيمة (المرجع السابق) : ١ / ١٦٤ .

وخرج أيضاً من حديث الحارث بن أبي أسامة قال : حدثنا داود بن المحبر ، حدثنا حماد عن أبي عمران الجوى عن يزيد بن بابنوس عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ نذر أن يعتكف شهراً هو وخديجة رضي الله عنها بحراء ، فوافق ذلك شهر رمضان ، فخرج النبي ﷺ ذات ليلة فسمع : السلام عليك ! قال : فظننتها فجأة الجن ، فجئت مسرعاً حتى جئت إلى خديجة فسجتني ثوباً فقالت : ما شأنك يا ابن عبد الله ؟ فأخبرها فقالت له : أبشر يا ابن عبد الله ، فإن السلام خير ، قال : ثم خرجت مرة أخرى فإذا أنا بجبريل على الشمس ؛ جناح له بالمشرق وجناح له بالمغرب ، قال[1] : فهلتُ منه فجئت مسرعاً فإذا هو بيني وبين الباب ، فكلمني حتى أنستُ به ، ثم وعدني موعداً فجئتُ له فأبطأ عليّ فرأيت أن أرجع ، فإذا أنا به وميكائيل بين السماء والأرض قد سدّ الأفق ، فهبط جبريل وبقي ميكائيل بين السماء والأرض ، فأخذني جبريل فاستلقاني لحلاوة القفا[2] ، ثم شق عن قلبي فاستخرج ما شاء الله أن يستخرج ، ثم غسله ، في طست من ذهب بماء زمزم ، ثم أعاده مكانه ثم لأَمَهُ ثم أكفأني كما يُكفأ الأديم ، ثم ضم في ظهري حتى وجدتُ مسَّ الخاتم في قلبي ، ثم قال لي : اقرأ ، ولم أكن[3] قرأتُ كتاباً قط ، فلم أدر ما أقرأ ، ثم قال : اقرأ ، فقلتُ ما أقرأ ؟ قال : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾[4] ، حتى انتهى إلى خمس آيات منها فما نسيتُ شيئاً بعد ، ثم وزنني برجل فوزنته ، ثم وزنني بآخر فوزنته حتى وزنت بمائة فقال ميكائيل : تبعته أمته ورب الكعبة ، فجعلت لا يلقاني حجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله حتى دخلت على خديجة فقالت : السلام عليك يا رسول الله[5] .

وفي رواية يونس بن حبيب عن داود : فقال ميكائيل : تبعته أمته ، وقال :

---

(١) كذا في (خ) ، وفي (دلائل النبوة لأبي نعيم) : ١ / ٦٩ : « فهللت » كما في أصل الدلائل ، وفي الخصائص « فهلت » ، وفي مسند أبي داود والطيالسي : « فهبتُ منه » .

(٢) في (خ) : « فسبقني بحلاوة القفا » ، وما أثبتناه من (المرجع السابق) .

(٣) كذا في (خ) ، وفي (دلائل أبي نعيم) : « أكُ » ، « فلم أجد ما أقرأ » .

(٤) أول سورة العلق .

(٥) (دلائل أبي نعيم) ١ / ٢١٥ ، ٢١٦ ، حديث رقم (١٦٣) .

كما يكفأ الإناء ، وقال : أخذ بحلقي حتى اجهشت بالكباء ثم قال لي : اقرأ .. والباقي مثله سواء .

وخرج من حديث إسماعيل بن أبي حكيم عن عمر بن عبد العزيز عن أبي بكر ابن عبد الرحمن بن [الحارث][1] بن هشام عن أم سلمة عن خديجة[2] رضي الله عنها أنها قالت : قلت لرسول الله ﷺ : يا ابن عم ، أتستطيع إذا جاءك هذا الذي يأتيك أن تخبرني به ؟ قال : نعم ، قالت خديجة : فجاءه جبريل عليه السلام ذات يوم وأنا عنده فقال : يا خديجة ، هذا صاحبي الذي يأتيني قد جاء ، فقلت له : قم فاجلس على فخذي[3] ، فجلس عليهما[4] فقلت : هل تراه ؟ قال : نعم ، فقلت : تحول فاجلس على فخذي اليسرى فجلس فقلت : هل تراه ؟ قال : نعم ، قالت خديجة [فتحسرت][5] فطرحت خماري فقلت : هل تراه ؟ قال : لا ، فقلت : هذا والله ملك كريم ، والله ما هذا شيطان ، قالت خديجة فقلت لورقة ابن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي : ذلك مما أخبرني محمد ﷺ ، فقال ورقة :

إن[6] يك حقاً يا خديجة فاعلمي ... حديثك إيَّانا فأحمد مرسلُ
[وجبريل يأتيه وميكال معهما ... من الله وحي بشرح الصدر مُنَزَّلُ][7]
يفوز به من فاز فيها بتوبة ... ويشقى به العاني الغويّ المضَلَّلُ[8]
فريقان منهم فرقة في جنانه ... وأُخرى بأجواز الجحيم تغلَّلُ[9]

---

(١) في (خ) : « الحرث » وما أثبتناه من (المرجع السابق) .
(٢) كذا في (خ) وفي (المرجع السابق) : « خديجة بنت خويلد » .
(٣) كذا في (خ) وفي (المرجع السابق) : « على فخذي » بالإفراد .
(٤) كذا في (خ) وفي (المرجع السابق) : « عليهما » بالتثنية ، والسياق يقتضي الإفراد .
(٥) زيادة من المرجع السابق .
(٦) في (دلائل البيهقي) : ٢ / ١٥٠ ، و (البداية والنهاية) : ٣ / ١٦ « فإن يك » .
(٧) هذا البيت ليس في (دلائل أبي نعيم) ، وأثبتناه من (دلائل البيهقي) و (البداية والنهاية) .
(٨) (في المرجع السابق) : « ويشقى به العاني الغرير المضلل » .
(٩) أجواز الجحيم : وسط جهنم ، ومفرده « جَوْز » .

إذا ما دعوا بالويل فيها تتابعت مقامع في هاماتهم ثم تُشعَلُ[1]
فسبحان من تهوى الرياح بأمره ومن هو في الأيام ما شاء يفعلُ
ومن عرشه فوق السموات كلها وأحكامه[2] في خلقه لا تُبدَّلُ

وقال ورقة أيضاً :

يا للرجال وصرف الدَّهر والقدر وما[3] لشيء قضاه الله من غير
حتى خديجة تدعوني لأخبرها وما لنا[4] بخفى الغيب من خبرِ
فكان ما سألت عنه لأخبرها أمراً أراه سيأتي الناس عن أخرِ[5]
فخبرتني بأمر قد سمعتُ به فيمامضى من قديم الدهر[6] والعصرِ
بأن أحمد يأتيه فيخبره جبريل إنك مبعوثٌ إلى البشرِ
فقلت على الذي ترجين ينجزه لك الإله فرجّى الخير وانتظري
وأرسليه إلينا كي نسائله عن أمر ما يري في النوم والسهرِ
فقال خيرٌ أتانا منطقاً عجباً يقفُّ منه أعالي الجلد والشَّعْرِ
إني رأيت أمين الله واجهني في صورة أكملت في أهيب الصُّوَرِ
ثم استمر فكاد الخوف يذعرني مما يسلم من حولي من الشجرِ
فقلتُ ظني وما أدرى سيصدقني أن سوف يُبعث يتلو مُنزل السُّوَرِ[7]

---

(١) في (دلائل أبي نعيم) : « مقامع في هاماتهم ثم مزعل » .
(٢) في (البداية والنهاية) ، و (دلائل البيهقي) : « وأقضاؤه » .
(٣) في (دلائل أبي نعيم) ، و (دلائل البيهقي) : « وما لشيء » ، وفي (خ) : « وبالشيء » .
(٤) في (خ) ، (دلائل أبي نعيم) : « وما لنا » ، وفي (دلائل البيهقي) ، « ومالها » ، وفي (البداية والنهاية) :

حتى خديجة تدعوني لأخبرها أمراً أراه سيأتي الناس من أُخَر

وهذه الأبيات متساوية من حديث عددها (١٢) بيتاً في (دلائل أبي نعيم) و (دلائل البيهقي) ، و (خ) ، لكنها في (البداية والنهاية) : (١١) بيتاً فقط .
(٥) في (دلائل أبي نعيم) : « أمراً رآه » .
(٦) في (دلائل أبي نعيم) : « من قديم الناس » .
(٧) في (دلائل البيهقي) : « أن سوف تُبعث » .

وسوف أوليك[1] إن أعلنت دعوتهم مني[2] الجهاد بلا مَنٍّ ولا كَدَرِ[3]

وخرج من حديث فليح بن إسماعيل عن عبد الرحمن بن عبد العزيز الإماميّ عن يزيد بن رومان ، [والزهري][4] عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان جالساً مع خديجة [رضي الله عنها][5] يوماً من الأيام إذ رأى شخصاً بين السماء والأرض فقالت خديجة[6] : لا يزول ، أُدن مني ، فدنا منها ، فقالت له : أتراه ؟ [قال : نعم][7] قالت : أدخل [يدك][8] تحت [الدرع][9] ، ففعل ذلك ، فقالت[10] : أتراه ؟ قال : لا ، قد أعرض عني ، قالت : أبشر فإنه ملك كريم ، لو كان شيطاناً ما استحى . فبينا رسول الله ﷺ

(١) في (البداية والنهاية) : « وسوف يليك » ، وفي (دلائل البيهقي) : « وسوف أنبيك » . وما أثبتناه من (خ) ، و (دلائل أبي نعيم) .

(٢) في (البداية والنهاية)، و (دلائل البيهقي): « من الجهاد »، وما أثبتناه من (خ)، و (دلائل أبي نعيم) .

(٣) قال الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) : ٣ / ١٧ : « هكذا أورد ذلك الحافظ البيهقي في (الدلائل) ، وعندي في صحتها عن ورقة نظر ، والله أعلم » .

(٤) كذا في (خ) ، و (دلائل أبي نعيم) ، وصوابه : « يزيد بن رومان الأسدي أبو روح المدني » (تهذيب التهذيب) : ١١ / ٢٨٤ ، ترجمة رقم (٥٢٦) روى عن ابن الزبير وأنس بن عبيد الله وسالم ابني عبد الله بن عمر وصالح بن خوات بن جبير ، وعروة بن الزبير والزهري ، وهو من أقرانه ، وأرسل عن أبي هريرة .

وعنه هشام بن عروة وعبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر رضي الله عنه ، وأبو حازم سلمة بن دينار ومعاوية بن ثابت ومالك ويزيد بن عبد الملك النوفلي وجرير بن حازم وجماعة . قال النسائي : ثقة . وذكره ابن حبان في الثقات .

قال ابن سعد عن الواقدي وغيره : مات سنة ثلاثين ومائة ، وكان عالماً كثير الحديث ثقة . قال الحافظ ابن حجر : وقال إسحاق بن منصور عن ابن معين : ثقة ، وقال غيره : قرأ القرآن على عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة ، وقرأ عليه نافع بن أبي نعيم . (المرجع السابق) .

(٥) زيادة من (خ) .

(٦) كذا في (خ) ، وفي (دلائل أبي نعيم) : ١ / ٢١٨ ، ٢١٩ ، حديث رقم (١٦٥) : « بين السماء والأرض لا يزول فقالت خديجة » .

(٧) كذا في (خ) ، وفي (المرجع السابق) : « فقال النبي ﷺ : نعم » .

(٨) كذا في (خ) ، وفي المرجع السابق) : « رأسك » .

(٩) كذا في (خ) ، وفي المرجع السابق) : « درعي » .

(١٠) كذا في (خ) ، وفي المرجع السابق) : « فقالت خديجة له » .

يوماً من الأيام إذا رأى شخصاً بين السماء والأرض بأجياد[1] إذ بدا له جبريل فسلم عليه ، وبسط بساطاً كريماً مكللاً بالياقوت والزبرجد ، ثم بحث في الأرض فنبع الماء ، فعلَّم جبريلُ رسولَ الله كيف يتوضأ ، فتوضأ رسول الله ﷺ ثم صلى ركعتين نحو [الكعبة][2] مستقبل الركن الأسود ، وبشَّره بنبوته ، ونزل عليه ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾[3] ثم انصرف منقلباً فلم يمر على شجر ولا حجر[4] إلا وهو يسلم عليه يقول : سلام[5] عليك يا رسول الله ، فجاء إلى خديجة فقال : يا خديجة ! أشعرت [أن][6] الذي كنت أراه قد بدا لي [وبسط لي][7] بساطاً كريماً وبحث من[8] الأرض فنبع الماء فعلمني الوضوء ، فتوضأتُ وصليت ركعتين ، [فقالت][9] : أرني كيف أراك ؟ فأراها النبي ﷺ [وتوضأتْ][10] ثم صلت معه وقالت : أشهد أنك رسول الله .

ولأبي نعيم من حديث حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لخديجة : إني أسمع صوتاً وأرى ضوءاً ، وإني أخشى أن يكون خبل ، فقالت : لم يكن الله ليفعل بك ذلك يا ابن عبد الله ، ثم أتت ورقة ابن نوفل فذكرت ذلك له فقال : إن يك صادقاً إن هذا ناموس مثل ناموس موسى ، وإن يبعث وأنا حي فسأعزره وأنصره وأعينه[11] .

---

(١) كذا في (خ) ، وفي (المرجع السابق) : « بجياد الأصغر » .
(٢) كذا في (خ) ، وفي (المرجع السابق) : « نحو القبلة » .
(٣) أول سورة العلق .
(٤) كذا في (خ) ، وفي (المرجع السابق) : « حجر ولا شجر » .
(٥) كذا في (خ) ، وفي (المرجع السابق) : « السلام عليك » .
(٦) كذا في (خ) ، وفي (المرجع السابق) : « بأن » .
(٧) كذا في (خ) ، وفي (المرجع السابق) : « قد بدا لي بساطاً كريماً » .
(٨) كذا في (خ) ، وفي (المرجع السابق) : « بحث لي » .
(٩) كذا في (خ) ، وفي (المرجع السابق) : « فقالت خديجة » .
(١٠) هذه الزيادة ليست في (المرجع السابق) .
(١١) هذا الحديث أخرجه الإمام أحمد فقال : حدثنا عبد الله ، حدثني أبي ، حدثنا أبو كامل وحسن ابن موسى ، قالا : حدثنا حماد قال : أخبرنا عمار بن أبي عمار قال حسن عن عمار : قال حماد : وأظنه عن ابن عباس ولم يشك فيه حسن ، قال : قال ابن عباس ، قال أبي : وحدثنا عفان ، =

وله من حديث إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحٰق عن وهب بن كيسان مولى آل الزبير قال : سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثي حديث أخبرنا عبيد كيف كان بدء ما ابتدأ الله به رسوله من النبوة حين جاءه جبريل ؟ فقال عبيد : وأنا حاضر يحدث عبد الله بن الزبير وهو من عنده من الناس قال : كان رسول الله ﷺ يجاور[1] في حراء من كل سنة شهراً ، وكان ذلك مما تحنثْ به قريش - والتحنث : التبرر[2] - فكان رسول الله ﷺ يجاور ذلك الشهر في كل سنة يطعم من جاءه من المساكين ، فإذا قضى جواره من ذلك الشهر كان أول ما ابتدأ به إذا انصرف من جواره الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعاً أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله به ما أراد من كرامته من السبنة التي بُعث فيها ، وذلك الشهر شهر رمضان ، خرج رسول الله ﷺ إلى حراء كما كان يخرج لجواره معه أهله ، حتى كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسـالته ، ورحم العباد بها ، جاءه جبريل من الله تعالى[3] .

وقال إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحٰق قال : قال رسول الله ﷺ فجاءني

حدثنا حماد عن عمار بن أبي عمار ، مرسل ليس فيه ابن عباس ، أن النبي ﷺ قال لخديجة ، فذكر عثمان الحديث ، وقال أبو كامل وحسن في حديثهما : أن النبي ﷺ قال لخديجة : « إني أرى ضوءاً ، وأسمع صوتاً ، وإني أخشى أن يكون بي جنن ، قالت : لم يكن الله ليفعل ذلك بك يا ابن عبدالله ، ثم أتت ورقة ابن نوفل ، فذكرت ذلك له فقال : إن يك صادقاً ، فإن هذا ناموس مثل ناموس موسى ، فإن بُعث وأنا حيّ فسأُعزره ، وأنصره وأومن به » . (مسند أحمد) : ١ / ٥١٢ ، ٥١٣ ، حديث رقم (٢٨٤١) .

(١) الجوار بالكسر في معنى المجاورة ، وهي الاعتكاف إلا من وجه واحد ، وهو أن الاعتكاف لا يكون إلا داخل المسجد ، والجوار قد يكون خارج المسجد ، كذلك قال ابن عبد البر ؛ ولذلك لم يُسَمَّ جواره بحراء اعتكافاً ، لأن حراء ليس من المسجد ، ولكنه من جبال الحرم ، وهو الجبل الذي نادى رسول الله ﷺ حين قال له ثبير وهو على ظهره : اهبط عني ، فإني أخاف أن تُقتل على ظهري فأُعذَّب ، فناداه حراء : إليّ يا رسول الله . (الروض الأنف للسهيلي) .

(٢) التبرر : تفعُّل من البر ، وتفعّل : يقتضي الدخول في الفعل ، وهو الأكثر فيها مثل : تفقُّه ، وتعبُّد ، وتنسُّك . قال ابن هشام : تقول العرب : التحنث والتحنف ، يريدون الحنيفية فيبدلون الفاء من الثاء ، قال ابن هشام : وحدثني أبو عبيدة أن العرب تقول : « فُمَّ » في موضع « ثُمَّ » . (المرجع السابق) .

(٣) (سيرة ابن هشام) : ٢ / ٦٩ ، ٧٠ .

وأنا نائم[1] بنمط من ديباج فيه كتاب[2] ، فقال : اقرأ ، قلت : ما أقرأ[3] قال : فغتني حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ، قلت : ما أقرأ[3] ، فغتني حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ، قلت : ما أقرأ[3] ، قال : فغتني حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ، قلت : ماذا أقرأ ؟ ما أقول ذلك إلا [لأفتدي][4] منه أن يعود لي بمثل ما صنع فيّ ، قال : ﴿ **اقرأ باسم[5] ربك**

---

(١) ليس ذكر النوم في حديث عائشة ولا غيرها ، بل في حديث عروة عن عائشة ما يدل ظاهره على أن نزول جبريل نزل بسورة ﴿ **اقرأ** ﴾ كان في اليقظة ؛ لأنها قالت في أول الحديث : « أول ما بُديء به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح : ثم حَبَّبَ الله إليه الخلاء - إلى قولها - حتى جاءه الحق وهو بغار حراء ، فجاءه جبريل » .

فذكرت في هذا الحديث أن الرؤيا كانت قبل نزول جبريل على النبي ﷺ بالقرآن ، وقد يمكن الجمع بين الحديثين بأن النبي ﷺ جاءه جبريل في المنام قبل أن يأتيه في اليقظة توطئة وتيسيراً عليه ورفقاً به ، لأن أمر النبوة عظيم ، وعبؤها ثقيل ، والبشر ضعيف .

وقد ثبت بالطرق الصحاح عن عامر الشعبي أن رسول الله ﷺ وُكِل به إسرافيل ، فكان يتراءى له ثلاث سنين ، ويأتيه بالكلمة من الوحي والشيء ، ثم وكل به جبريل ، فجاءه بالقرآن والوحي ، فعلى هذا كان نزول الوحي عليه ﷺ في أحوال مختلفة ، سيأتي شرحها مفصلاً . (المرجع السابق) : هامش ص ٧٠ .

(٢) فيه دليل وإشارة إلى أن هذا الكتاب يفتح على أمَّته مُلك الأعاجم ، ويسلبونهم الديباج والحرير الذي كان زينهم وزينتهم ، وبه أيضاً يُنال مُلك الآخرة ، ولباس الجنة ، وهو الحرير والديباج . (المرجع السابق) هامش ص ٧١ .

(٣) قوله : « ما أنا بقاريء » - على إحدى الروايات - أني أُمِّيٌّ فلا أقرأ الكتب ، قالها ثلاثاً ، فقيل له : ﴿ **اقرأ باسم ربك** ﴾ ، أي : إنك لا تقرؤه بحولك ، ولا بصفة نفسك ، ولا بمعرفتك ،ولكن اقرأ مفتتحاً باسم ربك ، مستعيناً به ، فهو يعلمك كما خلقك ، وكما نزع عنك علق الدم ، ومغمز الشيطان بعد ما خلق فيك ، كما خلقه في كل إنسان .

أما على رواية « ما أقرأ » ، يحتمل أن تكون « ما » استفهاماً ، يريد أي شيء أقرأ ؟ ويحتمل أن تكون نفياً ، ورواية البخاري ومسلم تدل على أنه أراد النفي ، أي ما أُحسن أن أقرأ ، كما تقدم من قوله : « ما أنا بقاريء » . (المرجع السابق) .

(٤) في رواية ابن إسحاق : « ما أقول ذلك إلا افتداءً منه » .

(٥) في قوله : ﴿ **اقرأ باسم ربك** ﴾ من الفقه : وجوب استفتاح القراءة ببسم الله الرحمن الرحيم ، غير أنه أمر مبهم لم يبين له بأي اسم من أسماء ربه يفتتح ، حتى جاء البيان بعد في قوله : ﴿ **بسم الله مجريها** ﴾ [الآية ٤١ / هود] ، ثم قوله تعالى : ﴿ **إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ [الآية ٣٠ / النمل] ، ثم كان بعد ذلك ينزل جبريل عليه ببسم الله الرحمن الرحيم مع كل سورة ، على بعض الآراء . (المرجع السابق) .

الذي خلق ﴾ إلى قوله : ﴿ ما لم يعلم ﴾، قال : فقرأتها ، ثم انتهى فانصرف عني وهببت من نومي فكأنما كتبت في قلبي كتاباً ، [قال : ولم يكن من خلق الله تعالى أحد أبغض إليّ من شاعر أو مجنون ، كنت لا أطيق أن أنظر إليهما ، قال : قلت : إن الأبعد يعني لشاعر أو مجنون لا يتحدث بهذا قريش عني أبداً إلا عمدت إلى خالق من الجبل ، ولأطرحت نفسي منه فلأقتلنها ولأستريحن][1] ، قال : فخرجت [أريد ذلك][1] حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتاً من [السماء][2] يقول : يا محمد ! أنت رسول الله وأنا جبريل ، قال : فرفعتُ رأسي إل السماء أنظر ، فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول : يا محمد ! أنت رسول الله وأنا جبريل ، قال : فوقفت أنظر إليه [فشغلني ذلك عما أردت][3] ما أتقدم ولا أتأخر ، وجعلتُ أصرف وجهي[4] في آفاق السماء ولا أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك فمازلت واقفاً ما أتقدم أمامي ولا أرجع ورائي حتى بعثتْ خديجة [في][5] رسلها في طلبي ، فبلغوا[6] مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكان ذلك ثم انصرف عني ، [فانصرفت][7] راجعاً إلى أهلي حتى أتيت خديجة فجلست إلى فخذها مضيفاً [إليها][8] فقالت : يا أبا القاسم ! أين كنت : فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا [إليّ][9] ، قال : [قلت لها : إن الأبعد لشاعر مجنون ، قال : فقالت : أعيذك بالله يا أبا القاسم ، ما كان الله تعالى ليصنع ذلك بك مع صدق حديثك وحسن خلقك وعظم أمانتك وصلتك رحمك ، وما ذاك يا ابن عم ؟ لقد رأيت شيئاً ؟ قال : قلت[10] نعم] ، ثم

---

(١) ما بين الحاصرتين من (خ) ، وهو زيادة عن رواية ابن إسحاق .
(٢) زيادة للسياق من ابن إسحاق ، (الروض الأنف) : ١ / ٢٦٩ ، (سيرة ابن هشام) : ٧٢/٢ .
(٣) ما بين الحاصرتين زيادة من (خ) .
(٤) في ابن إسحاق : « وجهي عنه في آفاق السماء » .
(٥) زيادة من (خ) والأولى حذفها .
(٦) في (ابن إسحاق) : « فبلغوا أعلى مكة » .
(٧) في (ابن إسحاق) : « وانصرفت » .
(٨) زيادة للسياق من : (ابن إسحاق) .
(٩) في (ابن إسحاق) : « فرجعوا لي » .
(١٠) ما بين الحاصرتين من (خ) ، وليس في (ابن إسحاق) .

حدثتها الذي رأيت فقالت : أبشر يا ابن العم واثبت ، فوالذي نفس خديجة بيده أن تكون نبي هذه الأمة ، قال : ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ثم انطلقت إلى ورقة ابن نوفل بن أسد[1] وهو ابن عمها - وكان ورقة قد تنصر وقرأ الكتب وسمع من أهل التوراة [وأهل] الإنجيل - فأخبرته بما أخبرها به رسول الله ﷺ أنه رأى وسمع فقال ورقة[2] : قدوس قدوس ، والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتني يا خديجة ، لقد جاءه الناموس الأكبر الذي يأتي [به][3] موسى ، وإنه لنبي هذه الأمة فقولي له [فليثبت][4] ، فرجعت خديجة إلى رسول الله ﷺ [وأخبرته][5] بقول ورقة[6] [وسهّل عليه ذلك بعض ما كان فيه من الهم بما جاءه][7] ، فلما قضى رسول الله ﷺ جواره وانصرف صنع فيه كما يصنع ؛ بدأ بالكعبة فطاف بها فلقيه ورقة ابن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال : يا ابن أخي ! أخبرني بما رأيت وسمعت ، فأخبره فقال له ورقة : والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ، ولتكذبَنَّهْ ولتؤذينَّهْ ولتخرجنَّهْ ولتقاتلنَّهْ[8] ولئن أنا أدركت[9] ذلك لأنصرن الله نصراً يعلمه ، ثم أدنى رأسه [منه][10] فقبّل يافوخه ، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله . [وقد زاده ذلك من قول

---

(١) زيادة في نسبه من (ابن إسحاق) : « ابن عبد العزي بن قصي » .
(٢) (ابن نوفل) .
(٣) زيادة من (خ) .
(٤) زيادة من (ابن إسحاق) .
(٥) في (ابن إسحاق) : « فأخبرته » .
(٦) في (ابن إسحاق) : « ورقة ابن نوفل » .
(٧) ما بين الحاصرتين زيادة من (خ) .
(٨) الهاءات الأربعة لا يُنطق بها إلا ساكنة ، فإنها هاءات سكت وليست بضمائر . وفي (خ) بغير هذه الهاءات .
(٩) قوله : « ولئن أنا أدركت » ، وفي رواية « إن أُدرك ذلك اليوم أنصرك نصراً مؤزراً » ، وقال في أخرى : « إن يدركني يومك » ، وهو القياس ، لأن ورقة سابق بالوجود ، والسابق هو الذي يدركه من يأتي بعده ، كما جاء في الحديث : « أشقى الناس من تدركه الساعة وهو حي » ، وابن إسحاق أيضاً له وجه ، لأن المعنى أنرى ذلك اليوم ، فسمى رؤيته إدراكاً ، وفي التنزيل : ﴿ **لا تدركه الأبصار** ﴾ [الآية ١٠٣ / الأنعام] ، أي : لا تراه على أحد القولين . وقوله : « مؤزراً » من الأزر ، وهو القوة والعون .
(١٠) زيادة من رواية (ابن إسحاق) .

ورقة ثباتاً ، وخفف عنه بعض ما كان فيه من الهم][1] .

قال أبو نعيم : وروى سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عبيد نحوه مختصراً ، وله من حديث ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير قال : بعث الله محمداً ﷺ على رأس خمس عشرة سنة من بُنيان الكعبة ؛ أراه الله رؤيا في المنام فشق ذلك عليه ، ورأى أنه بينما هو بمكة أتى إلى سقف بيته فنزع شبحة شبحة[2] حتى إذا نزل أدخل فيه سلم من فضة فيما يخيل إليه ، ثم نزل إليه رجلان ، قال رسول الله ﷺ : فأردت أن استغيث فحبساني مكاني ومنعت الكلام ، فقعد أحدهما إليّ والآخر إلى جنبي وأنا فرِق ، فأدخل أحدهما يده في جنبي فنزع ضلعين منه كما ينزل علق الصندوق الشديد ، فأدخل يده في جوفي وأنا أجد بردها ، فأخرج قلبي فوضعه على كفه وقال لصاحبه ، نعم القلب ، وقال : قلب رجل صالح ، ثم أدخلا القلب مكانه وردا الضلعين كما يرد علق الصندوق الشديد ، ثم ارتفعا ورفعا سلمهما فاستيقظت فإذا السقف كما هو فقلت يحلم ، وذكره النبي ﷺ لخديجة بنت خويلد فعصمها الله من التكذيب وقالت : أبشر ! فوالله لا يفعل الله بك إلا خيراً ، وأخبرها أنه رأى بطنه طهر وغُسل ثم أعيد كما كان ، فقالت : هذا والله خير فأبشر ، ثم استعلن له جبريل وهو بأفلاء مكة من قبل حراء فوضع يده على رأسه وفؤاده وبين كتفيه وقال له : لا تخف ! أنا جبريل ، وأجلسه معه على مجلس كريم كهيئة الدر ، نوره فيه الياقوت واللؤلؤ ، فبشره برسالات الله حتى اطمأن إلى جبريل ثم قال : اقرأ ، قال : كيف أقرأ ؟ قال : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾ إلى قوله : ﴿ **ما لم يعلم** ﴾ ، فأبدى له جبريل نفسه ، له جناحان من ياقوت يخطفان البصر ، ففتح جبريل عيناً من ماء فتوضأ ، ومحمد ينظر إليه فوضأ وجهه ويديه

---

(١) ما بين الحاصرتين من (خ) وليس في رواية (ابن إسحاق) .

(٢) المشبَّح : المقشور ، والكساء القوى (ترتيب القاموس) : ٢ / ٦٦٥ وفي (خ) : « شبخة سبخة » ، ولم أدرِ ما المراد بها ، ولعلها « سِجة » من السياج ، وهو الحائط ، وما أحيط به على شيء مثل النخل والكرم ، وقد سيَّج حائطه تسييجاً . (المرجع السابق) : ٢ / ٦٥٥ .

إلى المرفقين ، ومسح برأسه ورجليه إلى الكعبين ونضح فرجه [وسجد][1] سجدتين مواجه البيت ، ففعل محمد ﷺ كما رأى جبريل يفعل ، وقبل رسول الله ﷺ رسالة ربه ، وسألها الله بحقها ، واتَّبع الذي نزل به جبريل من عند رب العرش العظيم ، فلما قضى جبريل الذي أمره به ، انصرف رسول الله ﷺ لا يمر على حجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله ، فرجع إلى بيته وهو مؤمن قد رأى أمراً عظيماً ، فلما دخل على خديجة أخبرها ، قال : أرأيتك الذي كنت أخبرتك أني رأيته في المنام ؟ فإنه جبريل قد استعلن لي ، أرسله إليّ ربي عزّ وجلّ ، أخبرها بالذي جاءه من الله وسمع فقالت : أبشر ، فوالله لا يفعل الله بك إلا خيراً ، فاقبل الذي أتاك من الله فإنك رسول الله حقاً ، ثم انطلقت حتى أتت غلاماً لعتبة بن ربيعة بن عبد شمس - نصرانياً من أهل نينوى يقال له : عداس - فقالت : يا عدَّاس اذكرك بالله ، هل عندك من جبريل علم ؟ فلما سمعها : عداس تذكر جبريل قال : قدوس قدوس ، ما شأنه يذكر بهذه الأرض التي أهلا أهل الأوثان ؟ قالت : أحب أن تحدثني فيه بعلمك ، قال : فإنه أمين الله بينه وبين النبيين ، وهو صاحب عيسى وموسى عليهما السلام .

رجعت خديجة من عنده فأتت ورقة ابن نوفل ، وكان ورقة قد كره عبادة الأوثان هو وزيد بن عامر بن نفيل ، وكان زيد قد حرم كل شي حرمه من الدم والذبيحة ، على النصب ، وكل شيء من أبواب الظلم في الجاهلية ، فلما وصفت خديجة لورقة حين جاءته شأن محمد ﷺ وذكرت له جبريل وما جاء به من عند الله إلى رسول الله ﷺ قال لها : يا ابنة أخي ! والله ما أدري لعل صاحبك الذي ينتظره أهل الكتاب الذي يجدونه مكتوباً في الإنجيل ، وأقسم بالله إن كان إياه ثم دعا إلى الله وأنا حيّ لأبلين الله في طاعة رسوله وحُسن المؤازرة والنصرة له ، فمات ورقة[2] .

---

(١) زيادة للسايق .

(٢) ونحوه بسياقة أخرى فيها تقديم وتأخير في (البداية والنهاية) : ٣ / ٢٠ - ٢٣ ، وهي رواية موسى ابن عقبة بمعنى حديث عروة بن الزبير .

ورواه من طريق محمد بن فليح عن موسى بن عقبة بمعنى حديث عروة بن الزبير من طريق محمد بن عبد الأعلى عن معتمر بن سليمان عن أبيه بأتم من روايتي عروة وموسى بن عقبة وأحسن ، فقد اختلفت الروايات في نزول [أول سورة من القرآن على النبي ﷺ][1] .

ذكر الاختلاف في أول سورة من القرآن أُنزلت على رسول الله ﷺ

خرج البخاري في كتاب التفسير من حديث وكيع عن علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير قال : سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن قال : ﴿ **يـأيها المدثر** ﴾ ، قلت : يقولون : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾ فقال أبو سلمة : سألت جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن ذلك وقلت له مثل الذي قلت ، فقال جابر : لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله ﷺ ، قال : جاورت بحراء ، فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً ، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً ، ونظرت أمامي فلم أر شيئاً ، ونظرت خلفي فلم أر شيئاً ، فرفعت رأسي فرأيت شيئاً ، فأتيت خديجة فقلت : دثّروني وصبُّوا عليّ ماءاً بارداً ، فدثَّروني وصبّوا عليّ ماءاً بارداً ، فنزلت : ﴿ **يـأيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر** ﴾[2] ، وكرره غير مرة .

وخرجه مسلم من حديث الأوزاعي قال : سمعت يحيى يقول : سألت أبا سلمة أي القرآن أنزل قبل ؟ قال : ﴿ **يـأيها المدثر** ﴾ فقلت : ﴿ **اقرأ** ﴾ ؟ فقال جابر : أحدثكم ما حدثنا رسول الله ﷺ : قال : جاورت بحراء شهراً فلما قضيت جواري نزلت فاسبطنتُ بطن الوادي فنوديت ؛ فنظرت أمامي وخلفي ، وعن يميني وعن

---

(١) زيادة للسياق والبيان .

(٢) أول سورة المدثر ، وقوله : ﴿ **يـأيها المدثر** ﴾ : أي أنها أول ما نزل حين تتابع الوحي وحمي ، والذين كانوا يقولون : هو ﴿ **اقرأ** ﴾ ، ذكرو ذلك بناء على أنها الأول مطلقاً ، ويحتمل أن بعض الناس ظن ﴿ **اقرأ** ﴾ أول سورة حين تتابع الوحي ، بناء على ظن نزولها مرتين مثلاً ، فهذا ردّ عليهم ، والله تعالى أعلم . (حاشية السندي على صحيح البخاري) : ٣ / ٢٠٩ ، كتاب التفسير .

شمالي فلم أر أحداً ، ثم نوديت ، فنظرت فلم أر أحداً ثم نوديت فرفعت رأسي فإذا هو على العرش في [الهواء][1] – يعني جبريل عليه السلام – فأخذتني رجفة شديدة فأتيت خديجة فقلت : دثروني ، فدثروني وصبوا عليَّ ماءاً[2] ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ : ﴿ يـٰأيها المدثر[3] قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر ﴾ .

---

(١) في (خ) : « في الهوى » .
أما قوله : « إن أول ما أُنزل قوله تعالى : ﴿ يـٰأيها المدثر ﴾ ، فهو ضعيف بل باطل ، والصواب أن أول ما أنزل على الإطلاق : ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾ ، كما صرح به في حديث عائشة رضي الله عنها ، وأما ﴿ يـٰأيها المدثر ﴾ فكان نزولها بعد فترة الوحي ، كما صرح به في رواية الزهري عن أبي سلمة عن جابر ، والدلالة صريحة فيه في مواضع ، منها قوله وهو يحدث عن فترة الوحي إلى أن قال : فأنزل الله تعالى : ﴿ يـٰأيها المدثر ﴾ ، ومنها قوله : ثم تتابع الوحي – يعني بعد فترته – فالصواب : أن أول ما نزل : ﴿ اقرأ ﴾ ، وأن أول ما نزل بعد فترة الوحي : ﴿ يـٰأيها المدثر ﴾ . وأما قول من قال من المفسرين : أول ما نزل الفاتحة ، فبطلانه أظهر من أن يُذكر . والله أعلم .
وقوله ﷺ : « فاستبطنت الوادي » ، أي صرت في باطنه ، وقوله ﷺ في جبريل عليه السلام : « فإذا هو على العرش في الهواء » ، المراد بالعرش الكرسي ، كما تقدم في الرواية الأخرى « على كرسي بين السماء والأرض » ، قال أهل اللغة : العرش هو السرير ، وقيل : سرير الملك .
قال الله تعالى : ﴿ ولها عرش عظيم ﴾ [الآية ٢٣ / النمل] ، والهواء هنا ممدود يُكتب بالألف ، وهو الجو بين السماء والأرض كما في الرواية الأخرى ، والهواء : الخالي ، قال تعالى : ﴿ وأفئدتهم هواء ﴾ [الآية ٤٣ / إبراهيم] .
قوله ﷺ : « فأخذتني رجفة شديدة » ، هكذا هو في الروايات المشهورة « رجفة : بالراء » ، قال القاضي : ورواه السمرقندي « وجفة : بالواو » وهما صحيحان متقاربان ، ومعناهما : الاضطراب . قال الله تعالى : ﴿ قلوب يومئذ واجفة ﴾ [الآية ٨ / النازعات] ، وقال تعالى : ﴿ يوم ترجف الراجفة ﴾ [الآية ٦ / النازعات]، وقال تعالى : ﴿ يوم ترجُف الأرض والجبال ﴾ [الآية ١٤/ المزمل] .
(٢) قوله ﷺ : « فصبوا على ماء » ، فيه أنه ينبغي أن يصب على الفَزِعِ الماء ليسكن فزعه . والله تعالى أعلم .
(٣) وأما تفسير قوله تعالى : ﴿ يـٰأيها المدثر ﴾ ، فقال العلماء : المدثر ، والمتلفف ، والمشتمل ، بمعنى واحد ، ثم الجمهور على أن معناه المدثر بثيابه . وحكى الماوردي قولاً عن عكرمه أن معناه المدثر بالنبوة وأعبائها .
وقوله تعالى : ﴿ قم فأنذر ﴾ ، معناه حذِّر العذاب من لم يؤمن ، ﴿ وربك فكبر ﴾ أي عظمه ونزهه عما لا يليق به ، ﴿ وثيابك فطهر ﴾ قيل معناه طهرها من النجاسة ، وقيل قصِّرها ، وقيل : المراد بالثياب النفس ؛ أي طهرها من الذنب وسائر النقائص . ﴿ والرجز ﴾ بكسر الراء في قراءة الأكثرين ، وقرأ حفص بضمها ، وفسره في الكتاب الأوثان ، وكذا قاله جماعات من المفسرين . والرِّجز في اللغة العذاب ، وسمّي الشرك وعبادة الأوثان رجزاً لأنه سبب العذاب ، وقيل : المراد بالرجز في الآية الشرك ، وقيل : الذنب وقيل : الظلم . والله أعلم . (مسلم بشرح النووي) : ٢ / ٥٦٥ – ٥٦٧ ، كتاب الإيمان باب (٧٣) حديث رقم (٢٥٧) .

وفي لفظ له : فإذا جبريل جالس بين السماء والأرض[1] ، وفي لفظ البخاري[2] : فإذا هو جالس على عرش بين السماء والأرض .

وخرج الحاكم من حديث الحميدي ، حدثنا سفيان عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : أول سورة أنزلت : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق** ﴾ إلى ﴿ **ما لم يعلم** ﴾[3] .

ذكر الاختلاف في شق[4] صدر[5] رسول الله ﷺ ، متى كان وأين وقع ؟؟

إعلم أن شق صدر رسول الله ﷺ وغسل قلبه وحشوه بالإيمان والحكمة ،

---

(١) في الحديث رقم (٢٥٥) : « جالساً على كرسي بين السماء والأرض . وفي الحديث رقم (٢٥٨) : « فإذا هو جالس على عرش بين السماء والأرض » . (المرجع السابق) .

(٢) في الحديث رقم (٤) - كتاب بدء الوحي : « جالسٌ على كرسيّ بين السماء والأرض » (فتح الباري) : ١ / ٣٧ .

(٣) (المستدرك) : ٢ / ٥٧٦ ، كتاب التفسير ، باب (٩٦) تفسير سورة ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾ ، حديث رقم (٣٩٥٣ / ١٠٩١) ، وقال في آخره : (فإذا ابن عيينة لم يسمعه من الزهري) . وحديث رقم (٣٩٥٤ / ١٠٩٢) ، وقال في آخره : (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه) .

(٤) الشّق : الخرم الواسع في شيء ، يقال : شقَّه نصفين . قوله تعالى : ﴿ **وانشق القمر** ﴾ [١ / القمر] ، كان انشقاقه في زمن النبي ﷺ ، وقيل : انشقاق يعرض فيه حين تقرب القيامة ، وقيل معناه : وضح الأمر . والشُّقَّة : القطعة المنشقَّة كالنصف . والشِّق - بالكسر - المشقَّة والانكسار الذي يلحق النفس والبدن ، وذلك كاستعارة الانكسار لها ، قال تعالى : ﴿ **لم تكونوا بالغيه إلا بشِقّ الأنفس** ﴾ [الآية ٦ / النحل] .

والشُّقَّة : الناحية التي تلحقك المشقة في الوصول إليها قال تعالى : ﴿ **ولكن بعدت عليهم الشُّقة** ﴾ [الآية ٤٢ / التوبة] ، والشّقاق : المخالفة ، قال تعالى : ﴿ **وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما** ﴾ [الآية ٣٥ / النساء] ، وكونك في شِقّ غير شِقّ صاحبك ، أو من شَقّ العصا بينك وبينه .

وقوله تعالى : ﴿ **ومن يشاقق الله ورسوله** ﴾ [الآية ١٣ / الأنفال] ، أي صار في شِقّ غير شِقّ أوليائه ، وفلان شِقُّ نفسي ، وشقيق نفسي ، أي كأنه شُقّ مني لمشابعة بعضنا بعضاً ، (البصائر) : ٣ / ٣٣٠ - ٣٣١ .

(٥) الصدر : الجارحة ، والجمع : صدور ، ثم استعير لمقدم الشيء ؛ مثل صدر القناة ، وصدر

قال الله تعالى : ﴿ **ألم نشرح لك صدرك** ﴾[1] ، قال إبراهيم بن طهمان : سألت سعيداً عن قوله تعالى : ﴿ **ألم نشرح لك صدرك** ﴾ قال : فحدثني عن قتاة عن أنس بن مالك أنه قد شق بطنه – يعني النبي ﷺ – من عند بطنه إلى صدره ، فاستخرج قلبه فغُسل في طست من ذهب ثم ملىء إيماناً وحكمة ثم أعيد مكانه ، قد روى من وجوه باختلاف الأماكن والأيام ؛ فروى أن ذلك وقع وهو مسترضع في بني سعد كما تقدم ذكره عند ذكر حليمة في فصل أمهاته من الرضاعة ، وقيل وقع ذلك في موضع آخر في زمان آخر ، فروى أنه أعيد له شرح الصدر بعد أن تم له عشر سنين .

وقد أخرج في الصحيحين أنه شق صدره ليلة المعراج ، وخرج الحافظ أبو نعيم من حديث معاذ بن محمد بن معاذ بن محمد بن أبيّ بن كعب قال حدثني أبي عن أبيه عن جده أبيّ بن كعب أن أبا هريرة سأل رسول الله ﷺ – وكان حريّاً[2] أن يسأله عن الذي لا يسأله غيره – فقال : يا رسول الله ! ما أول ما ابتدئت به من أمر النبوة ؟ فقال[3] : إذا سألتني إني لفي صحراء أمشي ابن عشر حجج ، إذا

= السهم . وسهم مُصَدَّر : غليظ الصدر ، وأخذ الأمر بصدره : بأوله . والأمور بصدورها ، وهؤلاء صُدْرة القوم : مقدَّموهم . وصُدِّر فلان فتصدَّر : قُدِّمَ فتقدَّم ، وصَدَرَه : أصاب صدره ، ومنه رجل مصدور : يشتكي صدره ، فإذا عُدِّي « صدر » بعن اقتضى الانصراف ؛ نحو صدرت الإبل عن الماء صَدَراً .

والمصدر يقال في مصدر صَدَر عن الماء ، ولموضع الصدر ، ولزمانه ، وقد يقال في عُرف النحاة للفظ الذي روعي فيه صدور الفعل الماضي والمستقبل عنه . وقال بعض العلماء : حيثما ذكر الله القلب فإشارة إلى العقل والعلم ؛ نحو قوله تعالى : ﴿ **إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب** ﴾ [٣٦ / ق] ، وحيثما ذكر الصدْر ، فإشارة إلى ذلك وإلى سائر القوى : من الشهوة ، والهوى والغضب ، ونحوها .

وقوله تعالى : ﴿ **رب اشرح لي صدري** ﴾ [٢٥ / طه] ، سؤال لإصلاح قواه ، وكذا قوله : ﴿ **ويشف صدور قوم مؤمنين** ﴾ [١٤ / التوبة] ، إشارة إلى اشتفائهم ، وقوله : ﴿ **فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور** ﴾ [٤٦ / الحج] ، أي العقول التي هي مُندسَّة فيما بين سائر القوى . (المرجع السابق) : ٣٩٢ ، ٣٩٣ .

(١) أول سورة الشرح .

(٢) كذا في (خ) ، وفي (دلائل البيهقي) : « حريصاً » .

(٣) كذا في (خ) ، وفي (دلائل البيهقي) : « إذ» .

أنا برجلين فوق رأسي ، يقول أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال : نعم ، [قال][1] : فأخذاني فلصقاني بحلاوة القفا ، ثم شقا بطني ، [وكان][2] جبريل يختلف بالماء في طَسْت من ذهب ، وكان ميكائيل يغسل جوفي ، فقال أحدهما لصاحبه : افلق صدره ، فإذا صدري [فيما أرى][3] مفلوقاً لا أجد له وجعاً ثم قال : اشقق قلبه ، فشق قلبي ، فقال أَخْرِج الحسد والغل[4] منه ، فأخرج شبه العلقة فنبذ به[5] ثم قال : أَدْخِل الرأفة والرحمة قلبه[6] ، فأدخل شيئاً كهيئة الفضة ، ثم أخرج ذروراً كان معه فذَّر عليه ثم نقر إبهامي ثم قال : أغد ، فرجعتُ بما لم أغدُ به من رحمتي على الصغير ورقتي على الكبير . قال : أبو نعيم : وهذا الحديث مما تفرد به معاذ ابن محمد [عن آبائه][7] ، وتفرد بذكر السن الذي شق فيه عن قلبه والذي رواه عبد الله بن جعفر عن حليمة السعدية وعبد الرحمن بن عمرو السلمي عن عتبة ابن عبد ، اتفقا على أنه كان مسترضعاً في بني سعد ، فأما رواية أبي ذر ، فرواه الزهري عن أنس عنه ، قال كاتبه : معاذ مما يروى عن أبيه وعن أبي بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم ، وأبي الزبير المكي وجماعة ، ويروى عنه معاوية بن صالح الحضرمي وعبد الله بن لهيعة ، ومحمد بن عمر الواقدي وآخرون ، ذكره ابن حبان في الثقات .

وفي أفراد مسلم من حديث شيبان بن فروخ قال : حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان ، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه ، فاستخرج القلب ، فاستخرج منه علقة ثم قال : هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأَمَهُ ثم أعاده إلى

---

(١) زيادة من (خ) .
(٢) كذا في (خ) ، وفي (دلائل أبي نعيم) : « فكان » .
(٣) زيادة من المرجع السابق .
(٤) في (المرجع السابق) : « الغل والحسد » .
(٥) في (المرجع السابق) : « فنبذه » .
(٦) في (المرجع السابق) : « في قلبه » .
(٧) زيادة من (خ) .

مكانه ، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه – يعني ظئره[1] – فقالوا : إن محمداً قد قُتِل ! فاستقبلوه وهو منتقع اللون ، قال أنس : وقد كنت [أرى][2] أثر المخيط في صدره ﷺ[3] .

قال البيهقي : وهو موافق لما هو معروف عند أهل المغازي – يعني وقوع ذلك – وهو مسترضع في بني سعد ، وسيأتي في الإسراء حديث مسلم[4] من طريق سليمان بن المغيرة قال : حدثنا ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : أُتيتُ فانطلقوا بي إلى زمزم فشرح عن صدري ثم غسل بماء زمزم ثم أُنزلت ، وحديث البخاري من طريق سليمان عن شريك بن عبد الله عن أنس ، وحديث البخاري

(١) الظئر : المرضع أو الأم من الرضاعة . (٢) زيادة للسياق .

(٣) الحديث الأول في (دلائل أبي نعيم) ، ١ / ٢١٩ – ٢٢٠ ، رقم (١٦٦) رواه عبد الله بن أحمد في زوائد (المسند) ، ورجاله ثقات ، وثقهم ابن حبان .

والحديث الثاني في (المرجع السابق) ١ / ٢٢١ ، رقم (١٦٨) ، أخرجه مسلم في صحيحه بسنده ومتنه في كتاب الإيمان باب الإسراء ، حديث رقم (٢٦١) ، والبيهقي في (الدلائل) ٢ / ٥ ، باب ما جاء في شق صدر النبي ﷺ واستخراج حظ الشيطان من قلبه سوى ما مضى في باب ذكر رضاعه ، (مسند أحمد) : ٣ / ٦١٧ ، حديث رقم (١٢٠٩٧) .

(٤) قوله ﷺ : « فشرح عن صدري ثم غسل بماء زمزم ثم أنزلت » ، معنى شرح شق ، وقوله ﷺ : « ثم أُنزلْت » ، هو بإسكان اللام وضم التاء ، هكذا ضبطناه ، وكذا هو في جميع الأصوال والنسخ ، وكذا نقله القاضي عياض رحمه الله عن جميع الروايات ، وفي معناه خفاء واختلاف ، قال القاضي : قال الوقشيّ : هذا وهم من الرواة ، وصوابه : تركت ، فتصحَّف ، قال القاضي : فسألت عنه ابن سراج فقال : أُنزلت في اللغة بمعنى تُركت صحيح ، وليس فيه تصحيف . قال القاضي : وظهر لي أنه صحيح بالمعني المعروف في أنزلت ، فهو ضدّ رُفَعْتُ ، لأنه قال : انطلقوا بي إلى زمزم ثم أُنزلت ، أي ثم صرفت إلى موضعي الذي حملت منه ، قال : ولم أزل أبحث عنه حتى وقعتُ على الجلاء فيه من رواية الحافظ أبي بكر البرقاني ، وأنه طرف حديث ، وتمامه : « ثم أنزلت على طست من ذهب مملوءة حكمة وإيماناً » هكذا بفتح اللام وإسكان التاء ، وكذلك ضبطناه في الجمع بين الصحيحين للحميدي ، وحكى الحميدي هذه الزيادة المذكورة عن رواية البرقاني وزاد عليها ، وقال : أخرج البرقاني بإسناد (مسلم) ، وأشار الحميدي إلى أن رواية (مسلم) ناقصة وأن تمامها ما زاده البرقاني ، والله تعالى أعلم . (مسلم بشرح النووي) : ٢ / ٥٧٣ ، حديث رقم (٢٦٠) ، كتاب الإيمان باب (٧٤) .

ومسلم عن طريق همام عن قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة[1] ، وفيها شق صدره ليلة الإسراء .

وخرج الحافظ أبو نعيم من حديث يونس عن أنس بن مالك قال : كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال : فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل فعرج صدري حتى غسله من ماء زمزم ، ثم جاء بطسْت من ذهب ممتلىء حكمة وإيماناً فأفرغها في صدري ثم أطبقه .

ولأبي داود الطيالسي من حديث عمار بن عروة بن الزبير عن أبيه عروة ابن الزبير عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله ! كيف علمت أنك نبي ؟ وبما علمت حتى استيقنت ؟ قال : يا أبا ذر ، أتاني آتيان وأنا ببطحاء مكة ، فوقع أحدهما بالأرض[2] والآخر بين السماء والأرض ، فقال أحدهما للآخر[3] : أهو هو[4] ؟ فقال : فزنه برجل ، [فوزنني برجل][5] فرجحته ، ثم قال [6] : زنه بعشرة ، فوزنني بعشرة فرجحتهم ، ثم قال : زنه بمائة ، فوزنني بمائة فرجحتهم ، ثم قال : زنه بألف ، فوزنني [بألف] [7] فرجحتهم ، ثم جعلوا يتساقطون[8] على[9] كفة الميزان ، ثم قال أحدهما لصاحبه :

---

(١) حديث مالك بن صعصعة : ذكره (البخاري) في كتاب مناقب الأنصار ، باب (٤٢) ، حديث رقم (٣٨٨٧) . وذكره (مسلم في كتاب الإيمان ، باب (٧٤) ، حديث رقم (٢٦٤) . ومالك ابن صعصعة هو مالك بن صعصعة بن وهب بن عدي بن مالك الأنصاري ، من بني النجار ، ليس له في البخاري ولا في غيره سوى هذا الحديث ، ولا يعرف من روى عنه إلا أنس بن مالك . (فتح الباري) : ٧ / ٢٥٨ .

(٢) في (دلائل أبي نعيم) : « وكان الآخر بين السماء والأرض » .

(٣) في (دلائل أبي نعيم) : « فقال أحدهما لصاحبه » .

(٤) في (دلائل أبي نعيم) : « أهو هو ؟، قال : هو هو نعم » .

(٥) ما بين الحاصرتين زيادة للبيان من المرجع السابق .

(٦) في المرجع السابق : « قال فزنه بعشرة » .

(٧) ما بين الحاصرتين زيادة للبيان من المرجع السابق .

(٨) في المرجع السابق : « ثم جعلوا يتساقطون عليَّ » .

(٩) في المرجع السابق : « في كفة الميزان » .

شُقَّ بطنه ، فشقَّ بطني فأخرج قلبي ، فأخرج منه مغمز الشيطان ، وعلق الدم فطرحهما ، فقال أحدهما لصاحبه : اغسل بطنه غسل الإناء ، واغسل قلبه[1] غسل الملأ ، ثم قال أحدهما لصاحبه : خِطْ بطنه فخاط بطني وجعل الخاتم بين كتفي كما هو الآن وَوَلَّيا عني وكأني أعاين [الأمر][2] معاينة[3] .

وفي رواية : لو وزنته بأمته لرجحهم ، وقال : واغسل قلبه غسل الماء ، ثم أُتِيتُ بسكينة وهرهرة[4] بيضاء فأُدخلت قلبي .

ولأبي نعيم من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : أتيت في أهلي فأتى بي إلى زمزم ، فشرح عن صدري ثم غسل بماء زمزم ثم نزلت طست من ذهب قد ملئت إيماناً وحكمة ، فحشى بها صدري ، قال أنس : فكأني أنظر والنبي ﷺ يُرى الأثر في صدره[5] .

---

(١) في (خ) : « واغسل بطنه » .

(٢) في (دلائل أبي نعيم) : « أعاين معاينة » ، وما بين الحاصرتين من (خ) .

(٣) الحديث في (دلائل أبي نعيم) : ١ / ٢٢١ ، حديث رقم (١٦٧) .

(٤) تقول : « سمعتُ له هَرْهَرَةً أي صوتاً عند الحلب » (لسان العرب) : ٥ / ٢٦٢ ولم أدر معناها في سياق هذه العبارة من الحديث .

(٥) الحديث رقم (١٦٨) في (دلائل أبي نعيم) : ١ / ٢٢١ ، ٢٢٢ : حدثني عمر بن حمدان قال : حدثنا الحسن بن سفيان قال : حدثنا هدبة وشيبان قالا : حدثنا حماد بن سلمة قال : حدثنا ثابت عن أنس رضي الله عنه ، أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ وهو يلعب مع الغلمان ، فأخذه فصرعه فشق بطنه ، فاستخرجه ، ثم استخرج من قلبه علقة سوداء ، فقال : هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسل القلب في طست من ذهب بماء زمزم ، ثم أعاده مكانه ، ثم لأمه . قال أنس : فلقد رأيت أثر المخيط في صدره ﷺ .

وحادث شق الصدر ورد في كتب السيرة باتفاق ، فهو في (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان): ١ / ٢٣٦ ، كتاب الإسراء ، ذكر وصف الإسراء برسول الله ﷺ من بيت المقدس ، حديث رقم (٤٨) ، قال محقق (الإحسان) نقلاً عن الحافظ ابن حجر في (الفتح) : « وجميع ما ورد من شقّ الصدر ، واستخراج القلب ، وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة ، مما يجب التسليم له ، دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحيته القدرة ، فلا يستحيل شيءٌ من ذلك . قال القرطبي في (المفهم) : لا يلتفت لإنكار الشق ليلة الإسراء ، لأن رواته ثقات مشاهير ، ثم ذكر نحو ما تقدم » ، وفي (المستدرك) : ٢ / ٦٧٣ ، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين ، حديث رقم (٤٤٣٠ / ٢٤٠) ، قال في التلخيص : على شرط مسلم ، وفي (مسند أحمد) : ٣ / ٥٧١ ، حديث رقم (١١٨١٢) ، وفي (طبقات ابن سعد) : ١١٢/١ ، وفي (البداية والنهاية) : ٣٣٥/٢ - ٣٣٧ ، =

وقد ذكر بعضهم أن الله تعالى خلق في قلوب البشر علقة قابلة لما يلقيه الشيطان فيها ، فأزيلت هذه العلقة من قلب رسول الله ﷺ ، فلم يبق فيه مكان قابل لأن يلقي فيه الشيطان شيئاً .

وفي (سيرة ابن هشام : ١ / ٣٠١ .

وقد تكرر هذا الحادث مرتين بعد طفولته المبكرة ، فكانت المرة الثانية لما كان النبي ﷺ ابن عشر سنين ، والمرة الثالثة لما جاوز ﷺ الخمسين من عمره . وقصة شق الصدر هذه تشير إلى تعهد الله تعالى نَبِيَّهُ ﷺ عن مزالق الطبع الإنساني ، ووساوس الشيطان ، وهو حصانة للرسول الكريم التي أضفاها الله عليه ، فإن الله تعالى قد شاءت إرادته أزلاً ، أن يكون محمد ﷺ خاتم المرسلين ، أراد سبحانه أن يجعل منه المثل الكامل ، للإنسان الكامل ، الذي يسير نحو الكمال بطهارة القلب ، وصفاء النفس .

ولما شبَّ رسول الله ﷺ ، كانت مكة تعجّ بمختلف أنواع اللهو والفساد ، والملاذ الشهوانية الدنسة ، كانت حانات الخمر منتشرة ، وبيوت الريبة عليها علامات تُعرف بها ، مع كثرة الماجنات والراقصات ، وغير ذلك من أمور الجاهلية التي كانت تعج بها مكة في ذلك المجتمع الجاهلي ، وتتوجها عبادة الأصنام والأوثان ، والله تبارك وتعالى بَرَّأ رسوله ﷺ ؟ واختاره من أكرم معادن الإنسانية ، ثم اختاره لحمل أكمل رسالات السماء إلى أم الأرض ، وتشهد الأثار على ما حباه ربه من العصمة ، فمن ذلك ما سبق أن أوردناه بتمامه مع شرحه من قوله ﷺ : « ما همتُ بشيء من أمر الجاهلية إلا مرتين ، كلتاهما عصمني الله تعالى فيها » ، وقوله ﷺ فيما رواه ابن عباس رضي الله عنهما ما حدثته به أم أيمن رضي الله عنها : « كانت بوانة صنماً تحضره قريش لتعظمه ... إلخ » .

ولا يطمئن بعض الجاهلين ، ومعهم المستشرقين ، إلى حادثة شق الصدر ، واستخراجه ، ومعالجته ، سواء التي حدثت للنبي ﷺ ، وهو عند حليمة السعدية ، أو ما ورد من شق الصدر ، واستخراج القلب في معجزة الإسراء والمعراج .

وابن حبان – منذ أكثر من ألف سنة – يناقش الموضوع ، ويعتبره من معجزات النبوة ، ويقول : « كان ذلك له فضيلة فُضِّل بها على غيره ، وإنه من معجزات النبوة ، إذ البشر إذا شُقَّ عن موضع القلب منهم ، ثم استُخْرِج قلوبهم ماتوا » ، فهذا فعلاً كان في عصر ابن حبان ، المتوفي سنة (٣٥٤) هجرية ، لا بل هو إلى عهد قريب جداً .

وتقدُّم العلم ، والطب ، والجراحة ، والتخدير ، والعمليات الجراحية صارت تُجرى في غرف معقمة ، وبوسائل مختلفة ، وتقنية ماهرة ، فأمكن للجراحين اليوم من إجراء مختلف أنواع العلميات الجراحية ، في كل موضع من مواضع الجسم ، الهدف منها استئصال الداء وطرحه ، حيث لم تعد تنفع الوسائل الطبية ، حتى أمكن الآن استخراج القلب ، وليس فقط معالجته ، لا بل استبدال قلب سليم من إنسان مات حديثاً ، بالقلب التالف ، أو حتى قلب صناعي ، ثم تُخاط طبقات الجسم وتُعاد ، فلا يموت المريض ! وهذا أصبح في استطاعة الإنسان .

أفما استطاعه الإنسان ، لا يستطيعه الله الذي يقول للشيء ﴿ كن فيكون ﴾ ؟ .

ذكر مجيء جبريل عليه السلام
إلى النبي ﷺ في الصورة التي خلقه الله تعالى عليها

خرج الحافظ أبو نعيم من حديث أيوب بن فرقد عن الأعمش عن عبد الله ابن عبد الله الرازي عن سعيد بن جبير عن أنس رضي الله عنه قال : قال ورقة ابن نوفل لرسول الله ﷺ : يا محمد ! كيف يأتيك الوحي ؟ يعني جبريل عليه السلام ؟ فقال : يأتيني من السماء جناحاه لؤلؤ ، وباطن قدميه أخضر[1] .

وفي حديث سليمان : سألت زر بن حبيش عن قول الله تعالى : ﴿ **لقد رأى من آيات ربه الكبرى** ﴾ قال زر : قال عبد الله : لقد رأى جبريل له ستمائة جناح .

وفي رواية زرّ عن عبد الله ﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأى** ﴾[2] ، قال رأى جبريل له ستمائة جناح .

وفي رواية : سأل زر بن حبيش عن قول الله عز وجل : ﴿ **فكان قاب قوسين أو أدنى** ﴾[3] قال : قال عبد الله : قال رسول الله ﷺ : رأيت جبريل عليه السلام له ستمائة جناح[4] .

---

(١) (المرجع السابق) : ١ / ٢٢٢ حديث رقم (١٦٩) وقال في سنده « حدثنا عبد الله بن محمد ابن جعفر قال : حدثنا محمد بن عبد الله بن رستة ، ومحمد بن نصير قالا : حدثنا سليمان بن داود ، قال : حدثنا أيوب بن فرقد ... » .

(٢) الآية : ١١ / النجم . (٣) الآية : ٩ / النجم .

(٤) وردت أحاديث هذا الباب بسياقات مختلفة، في بعضها تقديم وتأخير ، وفي بعضها زيادة ونقصان ، وكلها صحيحة إن شاء الله تعالى ، فمنها ما أخرجه (البخاري) في ، باب ﴿ **فكان قاب قوسين أو أدنى** ﴾ حيث الوتر من القوس ، حديث رقم (٤٨٥٦): حدثنا أبو النعمان ، حدثنا عبد الواحد ، حدثنا الشيباني قال : سمعت زِرًّا « عن عبد الله ﴿ **فكان قاب قوسين أو أدنى * فأوحى إلى عبده ما أوحى** ﴾ قال : حدَّثنا ابن مسعود أنه رأى جبريل له ستمائة جناح » .

هكذا أورده ، والمراد بقوله : « عن عبد الله ، وهو ابن مسعود أنه قال في تفسير هاتين الآيتين ما سأذكره ، ثم استأنف قال : « حدثنا ابن مسعود » وليس المراد أن ابن مسعود حدَّث عبد الله كما هو ظاهر السياق ، بل عبد الله هو ابن مسعود ، وأخرجه في [الحديث الذي يليه] من وجه آخر عن الشيباني فقال : سألت زرّاً عن قوله فذكره . ولا إشكال في سياقه ، وقد أخرجه أبو نعيم في (المستخرج) ، من طريق سليمان بن داود الهاشمي ، عن عبد الواحد بن زياد ، عن الشيباني

ولأبي يعلى الموصلي من حديث يحيى بن حماد بن سلمة ، حدثنا عاصم عن زر عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : رأيت جبريل عند السدرة وله ستمائة جناح ينتشر من ريشه تهاويل الدر والياقوت ، قال أبو نعيم : رواه عن عاصم مثله مرفوعاً زائدة وحسين بن واقد . ورواه شريك وغيره موقوفاً على عبد الله . وقال أبو وائل عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ أتاني جبريل فى خضر معلقا به الدرّ ، وزاد عاصم : وله ستمائة جناح[1] .

وخرج أبو نعيم من طريق يحيى بن عبد الحميد الحماني وآدم عن شريك عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى** ﴾[2] قال : رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته عند السدرة له ستمائة جناح ؛ جناح منها سد الأفق تتناثر من أجنحته التهاويل الدر والياقوت ما لا يعلمه إلا الله[3] .

= قال : « سألتُ زر بن حبيش عن قول الله : ﴿ **فكان قاب قوسين أو أدنى** ﴾ ، فقال : قال عبد الله ، قال رسول الله » فذكره . (فتح الباري) : ٨ / ٧٨٤ ، ٧٨٥ ، كتاب التفسير ، سورة (٥٣) .

(١) هذا الحديث أخرجه (البخاري) في كتاب التفسير ، باب ﴿ **فأوحى إلى عبده ما أوحى** ﴾ ، الحديث رقم (٤٨٥٧) : حدثنا طلق بن غنام ، حدثنا زائدة عن الشيباني قال : « سألتُ زِرّاً عن قوله تعالى : ﴿ **فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى** ﴾ قال : أخبرنا عبد الله أنه محمد ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح .

قوله : « أنه محمد » ، الضمير للعبد المذكور في قوله تعالى : ﴿ **إلى عبده** ﴾ ووقع عند أبي ذر « أن محمداً رأى جبريل » وهذا أوضح في المراد ، والحاصل أن ابن مسعود كان يذهب في ذلك إلى أن الذي رآه النبي ﷺ هو جبريل ، كما ذهبت إلى ذلك عائشة ؛ والتقدير على رأيه فأوحى ، أي جبريل ، إلى عبده ، أى عبد الله محمد ﷺ ، لأنه يرى أنه الذي دنا فتدلى هو جبريل ، وأنه هو الذى أوحى إلى محمد . وكلام أكثر المفسيرين من السلف يدل على أن الذي أوحى هو الله ، أوحى إلى عبده محمد ، ومنهم من قال : إلى جبريل .

قوله : « له ستمائة جناح » : زاد عاصم عن زِرٍّ في هذا الحديث « يتناثر من ريشه التهاويل من الدرّ والياقوت » . أخرجه النسائيّ وابن مردويه ، ولفظ النسائيّ : « يتناثر منها تهاويل الدر والياقوت » . (المرجع السابق) . ونحوه في كتاب بدء الخلق ، باب (٧) حديث رقم (٣٢٣٢) . (المرجع السابق) : ٦ / ٣٨٥ .

(٢) الآية : ١٤ / النجم .

(٣) أخرج البخاري نحوه في كتاب التفسير ، باب ﴿ **لقد رأى من آيات ربه الكبرى** ﴾ ، حديث رقم (٤٨٥٨) : حدثنا قبيصةُ ، حدثنا سفيان عن الأعمش ، عن إبراهيم عن علقمة ، « عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه ﴿ **لقد رأى من آيات ربه الكبرى** ﴾ قال : رأى رفرفاً أخضر قد =

....

= سدَّ الأفق » .

قوله : « رأى رفرفاً أخضر قد سدَّ الأفق » ، هذا ظاهره يغاير التفسير السابق أنه رأى جبريل ، ولكن يوضح المراد ، أخرجه النسائيّ والحاكم ، عن طريق عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله بن مسعود قال : أبصر نبي الله ﷺ جبريل عليه السلام على رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض » فيجتمع من الحديثين أن الموصوف جبريل ، والصفة التي كان عليها .

وقد وقع في رواية محمد بن فضيل عند الإسماعيلي ، وفي رواية ابن عيينة عن النسائيّ ، كلاهما عن الشيباني عن زرّ عن عبد الله ، أنه رأى جبريل له ستمائة جناح قد سدّ الأفق ، والمراد أن الذي سدّ الأفق الرفرف الذي فيه جبريل ، فنسب جبريل إلى سد الأفق مجازاً .

وفي رواية أحمد والترمذي ، وصححها من طريق عبد الرحن بن يزيد عن ابن مسعود رأى جبريل في حلة من رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض ، وبهذه الرواية يعرف المراد بالرفرف وأنه حلة ، ويؤيده قوله تعالى : ﴿ **متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان** ﴾ [الآية ٧٦ / الرحمٰن] ، وأصل الرفرف ما كان من الديباج ، رقيقاً حسن الصنعة ، ثم اشتهر استعماله في الستر ، وكل ما فضل من شيء فعطف وثنى فهو رفرف . ويقال : رفرف الطائر بجناحه إذا بسطهما ، وقال بعض الشُّراح : يحتمل أن يكون جبريل بسط أجنحته فصارت تشبه الرفرف ، كذا قال ، والرواية التي أوردتها توضح المراد . (فتح الباري) : ٨ / ٧٨٦ ، ٧٨٧ .

ومن أحاديث الباب ما رواه الإمام مسلم في صحيحه ، في كتاب الإيمان ، باب (٧٧) معنى قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى** ﴾ ، وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء ، حديث رقم ٢٨٧ (١٧٧) : « حدثني زهير بن حرب ، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن داود عن الشعبي ، عن مسروق قال : كنتُ متكئاً عند عائشة فقالت : ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية ، قلت : ماهن ؟ قالت : من زعم أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ، قال : وكنت متكئاً فجلستُ ، فقلت : يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني ، ألم يقل الله عزَّ وجلَّ : ﴿ **ولقد رآه بالأفق المبين** ﴾ ، ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى** ﴾ ، فقالت : أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ ، فقال : إنما هو جبريل ، لم أره على صورته التي خُلق عليها غير هاتين المرتين : رأيته منهبطاً من السماء ، سادّاً عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض ، فقالت : أو لم تسمع أن الله يقول : ﴿ **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير** ﴾ ؟ أو لم تسمع أن الله يقول : ﴿ **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وَحْياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه عليّ حكيم** ﴾ ؟ قالت : ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية ، والله يقول : ﴿ **يـٰأيها الرسول بلغ ما أُنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلَّغت رسالته** ﴾ ؟ قالت : ومن زعم أنه يُخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية ، والله يقول : ﴿ **لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله** ﴾ . (مسلم بشرح النووي) : ٣ / ١٠ - ١٢ .

وأخرج ابن حبان في صحيحه ، باب : ذكر رؤية المصطفى ﷺ جبريل بأجنحته ، حديث رقم (٦٤٢٧) أخبرنا الفضل بن الحباب الجمحيّ ، حدثنا أبو الوليد ، حدثنا شُعبة عن الشيباني ، قال : « سألت زِرّ بن حبيش عن هذه الآية : ﴿ **لقد رأى من آيات ربه الكبرى** ﴾ [١٨ / النجم] قال : قال عبد الله : رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح » . وقال في هامشه : إسناده صحيح على شرط الشيخين . والشيباني : هو أبو إسحاق سليمان بن أبي سليمان . (الإحسان) : ١٤ / ٣٣٦ .

ومن طريق إسرائيل عن أبي إسحٰق عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله في قوله : ﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأى** ﴾ قال : رأى رسول الله ﷺ جبريل في حلتي رفرف قد سد ما بين السماء والأرض[١] .

ومن حديث قيس بن وهب عن مرة عن عبد الله : ﴿ **ولقد رآه نزلة** ﴾ قال : رأى رسول الله ﷺ جبريل معلقاً رجليه بالسدرة ، عليهما الدر كأنه قطر المطر على البقل .

ومن حديث سفيان عن الأعمش عن أبي الضحى عن علقمة عن عبد الله ﴿ **ولقد رآه بالأفق المبين** ﴾ ، قال : جبريل في رفرف خضر قد سد الأفق[٢] .

---

(١) ونحوه في (صحيح ابن حبان) في باب ذِكر خَبَرٍ أوهَمَ مَنْ لم يُحْكِمْ صناعة العلم أنه مضادٌ للخبر الذي ذكرناه ، حديث رقم (٥٩) : أخبرنا محمد بن صالح بن ذَريح بعكبرا ، حدثنا مسروق ابن المَرْزُبان ، حدثنا ابن أبي زائدة ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن بن يزيد : « عن ابن مسعود في قوله تعالى : ﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأى** ﴾ قال : رأى رسول الله ﷺ جبريل في حلة من ياقوت – وفي رواية غير المؤلف –: في حلة من رفرف ، قد ملأ ما بين السماء والأرض . قال أبو حاتم : قد أمر الله تعالى جبريل ليلة الإسراء أن يعَلِّم محمداً ﷺ ما يجب أن يعلمه كما قال : ﴿ **علمه شديد القوى * ذو مرة فاستوى * وهو بالأفق الأعلى** ﴾ يريد به جبريل ﴿ **ثم دنا فتدلى** ﴾ يريد به جبريل ﴿ **فكان قاب قوسين أو أدنى** ﴾ يريد به جبريل ﴿ **فأوحى إلى عبده ما أوحى** ﴾ بجبريل ﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأى** ﴾ يريد به ربه بقلبه في ذلك الموضع الشريف ، ورأى جبريل في حلة من ياقوت قد ملأ ما بين السماء والأرض على ما في خبر ابن مسعود الذي ذكرناه . (الإحسان) : ١ / ٢٥٥ – ٢٥٧ .

وأخرجه الإمام أحمد بنحوه فقال : حدثنا عبد الله ، حدثني أبي ، حدثنا يحيى بن آدم حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله ، في قوله : ﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأى** ﴾ قال : رأى رسول الله ﷺ جبريل في حلة من رفرف ، قد ملأ ما بين السماء والأرض . (مسند أحمد) : ١ / ٦٥١ ، حديث رقم (٣٧٣٢) .

(٢) الحاكم في (المستدرك) : ٢ / ٥٠٩ ، كتاب التفسير ، تفسير سورة النجم ، حديث رقم (٣٧٤٦ / ٨٨٣) : « أخبرنا أبو زكريا العنبري ، حدثنا محمد بن عبد السلام ، حدثنا إسحاق ، أنبأنا يحيى ابن آدم ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله رضي الله عنه في قوله عزّ وجلّ : ﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأى** ﴾ ، قال : رأى رسول الله ﷺ جبريل في حلة رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض » وقال في آخره : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

و (الفردوس بمأثور الخطاب) : ٢ / ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، حديث رقم (٣١٩٢) عن ابن مسعود « رأيت جبريل واقفاً على السدرة له ستمائة جناح تسد أجنحته ما بين المشرق والمغرب .

ومن حديث عثمان ، حدثنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن الشعبي عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قال : قال رسول الله ﷺ : رأيت جبريل منهبطاً قد ملأ ما بين السماء إلى الأرض عليه ثياب سندس معلق به الدر والياقوت[1] .

ومن حديث مسلمة بن أبي الأشعث عن أبي صالح عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ لجبريل : وددت أن أراك في صورتك ، قال : أتحب ذلك ؟ قلت : نعم ، قال : موعدك كذا وكذا من الليل في بقيع الغرقد ، فلقيه النبي ﷺ لموعده ، فنشر جناحاً من أجنحته فسد أفق السماء حتى ما يرى النبي ﷺ من السماء شيئاً ، وأحب النبي ﷺ عند ذلك[2] .

وللإمام أحمد من حديث أبي بكر بن عياش عن إدريس بن وهب بن منبه عن أبيه وهب عن ابن عباس رضي الله عنه قال : سأل رسول الله ﷺ جبريل أن يراه في صوره ، فقال : ادع ربك ، فدعا ربه فطلع عليه سواد من قبل المشرق فجعل يرتفع فينتشر ، فلما رآه رسول الله ﷺ صعق ، فنعشه فمسح البزاق عن فمه[3] .

---

(١) (المسند) : ١ / ٦٥٢ ، حديث رقم (٣٧٤٠) : حدثنا عبد الله ، حدثني أبي ، حدثنا حجاج ، حدثنا شريك عن عاصم ، عن أبي وائل ، عن عبد الله قال : « رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته ، وله ستمائة جناح ، كل جناح منها قد سدّ الأفق ، يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم » ، و ١ / ٦٨٠ ، حديث رقم (٣٩٠٥) : حدثنا عبد الله ، حدثني أبي ، حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن عاصم بن بهدلة ، عن زر ، عن ابن مسعود : « أنه قال في هذه الآية : ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى** ﴾ ، قال رسول الله ﷺ : رأيت جبريل عند سدرة المنتهى ، عليه ستمائة جناح ، ينشر من ريشه التهاويل ، الدر والياقوت » .

(٢) (الحبائك في الملائك للسيوطي) : ١٦ .

(٣) (المسند) : ١ / ٥٣٠ ، حديث رقم (٢٩٥٩) : حدثنا عبد الله ، حدثني أبي ، حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن إدريس بن منبه ، عن أبيه وهب بن منبه ، عن ابن عباس قال : « سأل النبي ﷺ جبريل أن يراه في صورته ؟ فقال : ادع ربك ، قال : فدعا ربه ، قال : فطلع عليه سواد من قبل المشرق ، قال : فجعل يرتفع وينتشر ، قال : فلما رآه النبي ﷺ صُعق ، فأتاه ، فنعشه ، ومسح البزاق عن شدقيْه » .

ولابن حبان من حديث صفوان بن عَمْرو عن شريح بن عبد الله قال : لما صعد النبي ﷺ إلى السماء فأوحى الله إلى عبده ما أوحى ، خرّ جبريل ساجداً حتى قضى الله إلى عبده ما قضى ، ثم رفع رأسه فرأيته في خلقه الذي خلق عليه ، منظوم بالزبرجد ، واللؤلؤ والياقوت ، فخُيِّل إليّ أنَّ ماء عينيه قد سد الأفق ، وكنت لا أراه قبل ذلك إلا على صورة مختلفة ، وأكثر ما كنت أراه على صورة دحية الكلبي ، وكنت أحياناً لا أراه قبل ذلك إلا كما يرى الرجل صاحبه من وراء الغُربال[1] .

قال أبو نعيم : والروايات تتسع في ترائي جبريل عليه السلام للنبي ﷺ في صور مختلفة ، ووجه ذلك : أن يكون لجبريل ضروب من الصور ، فكل مرة يترآا فيها للنبي ﷺ يثبت الله قلب رسوله لرؤيته فيها بقوة يجددها الله له ، وكل حالة إبقاء الله تعالى رسوله على جبلته ، ولا يحدث له فيها قوة ، يضعف ﷺ عن رؤيته ، فيصعق ﷺ حتى ثبته الله تعالى .

* * *

(١) صفوان بن عمر بن هرم السكسكيّ له في صحيح ابن حبان أحد عشر حديثاً لم أجد من بينها هذا الحديث . (الإحسان) : ١٨ / ١٥٦ (فهرس الرواة) .

ذكر كيفية إلقاء الوحي إلى رسول الله ﷺ

خرج البخاري من حديث مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن الحرث بن هشام سأل رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، كيف كان يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله ﷺ : أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده عليّ فينفصم عني وقد وعيت عنه ما قال ، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول . قالت عائشة رضي الله عنها : ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد وإن جبينه ليتفصد عرقاً .

وخرجه النسائي أيضاً ، وخرجه البخاري ومسلم من حديث علي بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن الحرث بن هشام سأل رسول الله ﷺ كيف يأتيك الوحي ؟ قال : كل ذلك ؛ يأتيني أحياناً مثل صلصلة الجرس فيفصم عني وقد وعيت ما قال وهو أشده عليّ ، ويتمثل لي الملك أحياناً رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول . ذكره البخاري في كتاب بدء الخلق ، وخرجه النسائي عن سفيان عن هشام وقال فيه : وأحياناً يأتيني في مثل صورة الفتى فينبذه إليّ[1] .

وخرجه مسلم من حديث أبي أسامة ومحمد بن بشر عن هشام ولفظه : أن الحرث بن هشام سأل النبي ﷺ : كيف كان يأتيك[2] الوحي ؟ فقال : أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أَشَدُّ عليّ ، ثم يفصم عني وقد وعيته ، وأحياناً ملك في مثل صورة الرجال ، فأعى ما يقول .

---

(١) في (خ) « فينبذه مسلم إليّ » وما أثبتناه من (سنن النّسائي) جـ ٢ ص ١٤٧ .

(٢) قوله : « كيف يأتيك الوحي » ظاهره أن السؤال عن كيفية الوحي نفسه لا عن كيفية الملك الحامل له ، ويدل عليه أول الجواب ، لكن آخر الجواب يميل إلى أن المقصود بيان كيفية الملك الحامل ، فيقال : يلزم من كون الملك في صورة الإنسان كون الوحي في صورة مفهوم متبين أول الوهلة ، فالنظر إلى هذا اللازم صار بياناً لكيفية الوحي ، فلذلك قوبل بصلصلة الجرس ، ويحتمل أن المراد السؤال عن كيفية الحامل ، أي كيف يأتيك حامل الوحي . وقوله : « في مثل صلصلة الجرس » يأتيني في صوت متدارك لا يدرك في أول الوهلة كصوت الجرس ، أي يجيء في صورة وهيئة لها مثل هذا الصوت ، =

ولمسلم من حديث أبي أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : إن كان لَيُنزل على رسول الله ﷺ في الغَداة الباردة ثم تفيض جبهته عرقاً .

وله من حديث قتاة عن الحسن عن حطان بن عبد الله عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا أُنزل عليه كرب لذلك وتربد وجهه ، وفي لفظ : كان النبي ﷺ إذا أُنزل عليه الوحي نكس رأسه ، ونكس أصحابه رءوسهم ، فلما أُتْلي[1] عنه رفع رأسه .

وفي رواية لغير مسلم : كان رسول الله ﷺ إذا أنزل عليه الوحي عرفنا ذلك فيه وغمض عيينه وتربد وجهه ، فنزل عليه فأمسكنا عنه ، فلما سرى عنه قال : خذوهن اقتلوهن[2] .

ولعبد الرزاق من حديث يونس بن يزيد الأشهلي عن ابن شهاب عن عروة ابن الزبير عن عبد الرحمن بن عبد الله القاري قال : سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي نسمع عنه دوياً كدويّ النحل .

فنبه بالصوت غير المعهود على أنه يجيء في هيئة غير معهودة ، فلذا قابله بقوله : « في مثل صورة الفتى » ، وعلى الوجهين فصلصلة الجرس مثال لصوت الوحي ، والصلصلة – بصادين مهملتين مفتوحتين بينهما لام ساكنة – صوت وقوع الحديد بعضه على بعض ، والجرس – بفتحتين – الجلجل الذي يعلق في رءوس الدواب ، وجه الشبه هو أنه صوت متدارك لا يدرك في أول الوهلة . وقوله : « فيفصم » يضرب أي فيقطع عني حامل الوحي الوحي ، قوله : « وقد وعيت عنه » أي حفظت عنه ، أي أجده في قلبي مكشوفاً متبيناً بلا التباس ولا إشكال ، قوله: « فينبذه » – كيضرب – أي يلقيه إليّ في صوت إنسان . والله تعالى أعلم (سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي) جـ ٢ ص ١٤٦ ، ١٤٧ .

(١) قوله : « أتلى عنه » هكذا هو في معظم نسخ بلادنا ؛ أُتلي بهمزة ومثناة فوق ساكنة ولام وياء ، ومعناه : ارتفع الوحي ، هكذا فسَّرهُ صاحب (التحرير) وغيره ، ووقع في بعض النسخ : « أُجلي » بالجيم ، وفي رواية ابن ماهان « إنجلى » ، ومعناها : أُزيل عنه وزال عنه ، وفي رواية (البخاري) : « إنجلى » ، والله أعلم . (مسلم بشرح النووي) جـ ١٥ ص ٨٩ .

(٢) في حدّ الزنا .

وخرجه الترمذي من حديث عبد الرزاق بهذا السند ولفظه : كان النبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي يسمع عند وجهه دويّ كدويّ النحل[1] ، فأنزل عليه يوماً فمثكنا ساعة فسرى عنه فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال : اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وارض عنا ، ثم قال : أُنزل عليّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ، ثم قرأ ﴿ **قد أفلح المؤمنون** ﴾[2] حتى ختم عشر آيات . قال الترمذي : سمعت إسحٰق بن منصور يقول : رواه أحمد بن حنبل وعلي بن المديني وإسحٰق بن إبراهيم عن عبد الرزاق عن يونس بن سليمان عن يونس بن يزيد عن الزهري هذا الحديث نحوه ، ومن سمع من عبد الرزاق فربما قال لهم : إنما تذكرون فيه عن يونس بن يزيد ، وبعضهم لا يذكر فيه عن يونس بن يزيد ، ومن ذكر فيه عن يونس بن يزيد فهو أصح ، وكذا عبد الرزاق ربما ذكر في هذا الحديث يونس بن يزيد ، وربما لم يذكره وهو عندنا أصح .

وخرجه أيضاً عنه ابن حميد ، وخرجه الحاكم وقال : الإسناد صحيح .

وفي حديث قصة الإفك قالت عائشة : فوالله ما رام رسول الله ﷺ ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أُنزل عليه ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق وهو في يوم شاتٍ من ثقل الذي ينزل عليه ، قالت : فلما سُرّى عن رسول الله ﷺ سُرّي عنه وهو يضحك[3] .

ولأبي بكر بن أبي شيبة من حديث يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن علقمة ابن وقاص ، حدثتني عائشة رضي الله عنها قالت : شخص رسول الله ﷺ بصره إلى السقف ، وكان إذا نزل عليه وجد ثقلاً ؛ قال الله تعالى : ﴿ **إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً** ﴾[4] .

(١) في (خ) : « سمع عليه وجهه كدوي النحل » ، وما أثبتناه من (مسند أحمد) جـ١ ص ٣٤ .
(٢) من أول سورة المؤمنون .
(٣) (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي) عند تفسيره لسورة النور .
(٤) سورة المزمل الآية / ٥ .

وللإمام أحمد من حديث صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن سهل بن سعد قال : سمعت زيد بن ثابت يقول : كان إذا نزل الوحي على رسول الله ﷺ ثقل لذلك وتحدر جبينه عرقاً كأنه الجمان ، وإن كان في البرد .

وله من حديث معمر عن الزهري عن قبيصة بن ذؤيب عن زيد بن ثابت قال : كنت أكتب لرسول الله ﷺ فقال : اكتب ﴿ **لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله** ﴾[1] ، فجاء ابن أم مكتوم فقال : يا رسول الله ، إني أُحب الجهاد ، ولكن بي من الزَّمانة[2] ما ترى ، قال زيد : فثقلت فخذ رسول الله ﷺ على فخذي حتى خشيتُ أن ترضها ثم قال : اكتب ﴿ **لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله** ﴾[3] .

ولأبي نعيم من حديث ابن لهيعة قال : حدثني يزيد بن أبي حبيب عن عمرو ابن الوليد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : قلت لرسول الله ﷺ : هل تحس بالوحي ؟ قال : نعم أسمع صلاصل ثم أسبت عند ذلك ، وما من مرة يوحى إلّي إلا ظننت أن نفسي تقبض منه .

ولأبي نعيم من حديث عبد الواحد بن زياد ، حدثنا عاصم بن كليب قال : حدثني أبي عن خالد الفلتان بن عاصم قال : كنا عند النبي ﷺ وأُنزل عليه ، وكان إذا أنزل عليه دام بصره مفتوحة عيناه ، وفرغ سمعه وقلبه لما يأتيه من الله عز وجل .

وله من حديث أبي عون عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي صدع فعلف رأسه بالحناء .

وله لأحمد بن حنبل من حديث سفيان عن ليث عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت : كنت آخذة بزمام ناقة النبي ﷺ حين نزلت المائدة ، فكاد

---

(١) سورة النساء الآية / ٩٥ .

(٢) الزَّمانة : العاهة (ترتيب القاموس) جـ٢ ص ٤٧٧ .

(٣) أخرجه أيضاً : أبو نعيم في (دلائل النبوة) جـ١ ص ٧٣ .

أن ينكسر عضدها من ثقل المائدة[١] .

وخرج الإمام أحمد من حديث ابن لهيعة ، حدثنا حيي عن عبد الله أن أبا عبد الرحمن الجبلي حدثه قال : سمعت عبد الله بن عمرو[٢] يقول : أنزلت على رسول الله ﷺ سورة المائدة وهو راكب على راحلته ، فلم تستطع أن تحمله فنزل عنها[٣] .

وللبخاري ومسلم من حديث همام قال : حدثنا عطاء بن أبي رباح قال : حدثني صفوان بن يعلى بن أمية عن أبيه أن رجلاً أتى النبي ﷺ وهو بالجعرانة[٤] وعليه جبة وعليه أثر الخلوق[٥] – أو قال : أثر صفرة – فقال : كيف تأمرني أن أصنع في عمرتي ؟ قال : فأنزل الله على النبي الوحي [صلواة الله وسلامه عليهما][٦] فستر بثوب ، [وكان يعلى يقول][٧] : وددت أن أرى النبي ﷺ وقد أنزل[٨] الله عليه الوحي ، فقال عمر رضي الله عنه : أيسرك أن ترى النبي ﷺ

---

(١) قال الإمام الحافظ عماد الدين ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشيّ الدمشقي في تقدمته لسورة المائدة : « قال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر ، حدثنا أبو معاوية شيبان ، عن ليث ، عن شهر بن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد قالت : إني لآخذة بزمام العَضْباء ناقة رسول الله ﷺ ، إذ نزلت عليه المائدة كلها ، وكادت من ثقلها تدق عضد الناقة » .

« وروى ابن مردويه ، من حديث صباح بن سهل ، عن عاصم الأحول قال : حدثتني أم عمرو عن عمها ، أنه كان في مسير مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ، فنزلت عليه سورة المائدة ، فاندق عنق الراحلة من ثقلها » .

« وقال أحمد أيضاً : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثني حُيَيّ بن عبد الله ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي ، عن عبد الله بن عمرو قال : أُنزلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم سورة المائدة ، وهو راكب على راحلته ، فلم تستطع أن تحمله ، فنزل عنها . تفرد به أحمد » . (تفسير القرآن العظيم لابن كثير) : ٢ / ٣ .

(٢) في (خ) : « عمر » ، والتصويب من المرجع السابق والمرجع التالي .

(٣) (مسند أحمد) : ٢ / ٣٦٨ ، مسند عبد الله بن عمرو ، حديث رقم (٦٦٠٥) .

(٤) الجعرانة : ماء بين الطائف ومكة ، وهي إلى مكة أقرب ، والعراقيون يُشَدِّدون راءها ويكسرون عينها ، أما الحجازيون ، فإنهم يسكنون عينها ويُخففون راءها . (معجم ما استعجم) ٢ / ٣٨٤ .

(٥) الخلوق : بفتح الخاء المعجمة ، نوع من الطيب مركب فيه زعفران .   (٦) زيادة في (خ) .

(٧) كذا في (دلائل أبي نعيم) : ١ / ٢٢٥ ، حديث رقم (١٧٦) .

(٨) في (المرجع السابق) : « وقد نزل » .

وقد أنزل[١] عليه الله الوحي ؟ قلت : نعم ، فرفع عمر طرف الثوب ، فنظرت إليه له[٢] غطيط ، قال : وأحسب[٣] قال : كغطيط البكر ، قال : فلما سرى عنه قال : أين السائل عن العمرة ؟ إخلع الجبة واغسل[٤] أثر الخلوق وأنق[٥] الصفرة ، واصنع في عمرتك كما[٦] تصنع في حجك[٧] وقال مسلم : اغسل عنك أثر الصفرة أو قال : أثر الخلوق ، واخلع عنك جبتك ، واصنع في عمرتك ما أنت صانع في حجك[٨] . وخرجاه من طُرق مطولاً ومختصراً[٩] .

---

(١) في (المرجع السابق) : « وقد نزل » .

(٢) في (المرجع السابق) : « وله » .

(٣) في (المرجع السابق) : « قال همام : أحسبه » .

(٤) في (المرجع السابق) : « واغسل عنك » .

(٥) في (المرجع السابق) : « أو الصفرة ».

(٦) في (المرجع السابق) : « ما صنعت ».

(٧) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب العمرة ، باب (١٠) ما يفعل بالعمرة ما يفعل بالحج ، حديث رقم (١٧٨٩) ، ورواه بسياقة أخرى في كتاب الحج ، باب (١٧) غسل الخلوق ثلاث مرات من الثياب ، حديث رقم (١٥٣٦) : قال أبو عاصم : أخبرنا ابن جريج ، أخبرني عطاء أن صفوان بن يعلى أخبره « أن يعلى قال لعمر رضي الله عنه : أرني النبي ﷺ حين يوحي إليه . قال فبينما النبي ﷺ بالجعرانة – ومعه نفر من أصحابه – جاءه رجل فقال : يا رسول الله ، كيف ترى في رجل أحرم بعمرة وهو متضمِّخ بطيب ؟ فسكت النبي ﷺ ساعة ، فجاءه الوحي ، فأشار عمر رضي الله عنه إلى يعلى ، فجاء يعلى – وعلى رسول الله ﷺ ثوب قد أُظِلّ به – فأدخل رأسه ، فإذا رسول الله ﷺ محمرُّ الوجه وهو يغط ، ثم سرِّي عنه فقال : أين الذي سأل عن العمرة ؟ فَأُتِيَ برجل فقال : إغسل الطيب الذي بك ثلاث مرات ، وانزع عنك الجبة ، واصنع في عمرتك كما تصنع في حَجَّتك » . قلت لعطاء : أراد الإنقاء حسن أمره أن يغسل ثلاث مرات ؟ قال : نعم » .

قوله : « يَغطّ » – بفتح أوله وكسر المعجمة وتشديد الطاء المهملة – أي ينفخ ، والغطيط : صوت النفس المتردد من النائم أو المغمى ، وسبب ذلك شدة ثقل الوحي ، وكان سبب إدخال يعلى رأسه عليه في تلك الحال ، أنه كان يحب لو رآه في حالة نزول الوحي . (فتح الباري) : ٣ / ٥٠٣ .

(٨) (صحيح مسلم) : كتاب الحج ، باب (١) ، ما يُباح للمحرم بحج أو عمرة ، وما لا يُباح ، وبيان تحريم الطيب عليه ، حديث رقم (٦ – (١١٨٠) .

(٩) فمما أخرجه (البخاري) : كتاب جزاء الصيد ، باب (١٩) ، إذا أحرم جاهلاً وعليه قميص ، حديث رقم (١٨٤٧) ، وفي كتاب فضائل القرآن ، باب (٢) ، نزل القرآن بلسان قريش والعرب ، ﴿ **قرآناً عربياً** ﴾ ﴿ **بلسان عربي مبين** ﴾ ، حديث رقم (٤٩٨٥) ، وفي كتاب المغازي ، باب (٥٧) ، غزوة الطائف في شوال سنة ثمان – قال موسى بن عقبة – حديث رقم (٤٣٢٩) .

ومما أخرجه (مسلم) : كتاب الحج ، باب (١) ، ما يباح للمُحرم بحج أو عمرة ، وما لا يباح ، وبيان تحريم الطيب عليه ، حديث رقم (٦ – (١١٨٠) ، (٧) ، (٨) ، (٩) ، (١٠) ، وقال فيه : « خمَّره عمر بالثوب » ، أي غطَّاه ، وأما إدخال يعلى رأسه ، ورؤيته النبي ﷺ في تلك الحال ، وإذن عمر له في ذلك ، فكله محمول على أنهم علموا من النبي ﷺ أنه لا يكره الاطلاع عليه في ذلك الوقت وتلك الحال ، لأن فيه تقوية الإيمان بمشاهدة حالة الوحي الكريم ، والله تعالى أعلم .

وخرج الإمام أحمد من حديث أبي الزناد عن خارجة بن زيد قال : قال زيد ابن ثابت : إني قاعد إلى جنب رسول الله ﷺ إذ أوحي إليه ، قال : وغشيته السكينة [و][1] وقع فخذه على فخذي حين غشيته السكينة ، [قال زيد][1] : فلا والله ما وجدت شيئاً أثقل من فخذ رسول الله ﷺ ثم سرى عنه فقال : أُكتب يا زيد[2] .

وروى الحسين بن إسماعيل المحاملي من حديث أبي الزياد عن خارجة بن زيد عن زيد بن ثابت قال : كان إذا أنزل على رسول الله ﷺ السورة الشديدة أخذه من الشدة والكرب على قدر شدة السورة ، وإذا أُنزل عليه السورة اللينة أخذ[3] به من ذلك على قدر لينها .

ولابن سعد من حديث صالح بن محمد عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي أروى الدوسي قال : رأيت الوحيَ ينزل على رسول الله ﷺ وإنه على راحلته فترغو وتقبل يديها حتى أظن أن ذراعها تنفصم فربما بركت وربما قامت موئدة يديها حتى يسرى عنه مثل الوحي ، وإنه ليتحدر مثل الجمان[4] .

وخرج الحاكم من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت البناني عن عبد الله بن رباح الأنصاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا أوحي إليه لم يستطع أحد منا يرفع طرف إليه حتى ينقضي الوحي . قال هذا حديث صحيح

---

(١) زيادة من (مسند أحمد) .

(٢) (مسند أحمد) : ٦ / ٢٤٥ ، حديث رقم (٢١١٥٦) ، وتمام لفظه : « فأخذتُ كتفاً ، فقال : أكتب ﴿ **لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون** ﴾ الآية كلها إلى قوله : ﴿ **أجراً عظيماً** ﴾ ، فكتبتُ ذلك في كتف ، فقام حين سمعها ابن أم مكتوم – وكان رجلاً أعمى – فقام حين سمع فضيلة المجاهدين ، قال : يا رسول الله ، فكيف بمن لا يستطيع الجهاد ممن هو أعمى وأشباه ذلك ؟ قال زيد : فوالله ما مضى كلامه ، أو ما هو إلا أن قضي كلامه ، غشيتْ النبيَّ ﷺ السكينة فوقعت فخذه على فخذي ، فوجدت من ثقلها كما وجدت في المرة الأولى ثم سُرّي عنه . فقال : اقرأ ، فقرأتُ عليه : ﴿ **لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون** ﴾ ، فقال النبي ﷺ : ﴿ **غير أولي الضرر** ﴾ . قال زيد : فألحقتها ، فوالله لكأني أنظر إلى ملحقها عند صدع كان في الكتف » .

(٣) في (خ) : « أخذا » .

(٤) (طبقات ابن سعد) : ١ / ١٩٧ ، باب ذكر شدة نزول الوحي على النبي ﷺ .

على شرط مسلم[1] . [ولم يخرجاه][2] .

وله من حديث معمر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن النبي ﷺ كان إذا أوحي إليه وهو على ناقته وضعت جرانها فلم تستطع أن تتحرك ، وتلت قول الله عزّ وجلّ : ﴿ **إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً** ﴾ قال : هذا حديث صحيح الإسناد[3] ، [ولم يخرجاه][2] والله الموفق بمنه وكرمه وحسن توفيقه .

* * *

(١) (المستدرك) : ٢ / ٢٤٢ ، حديث رقم (٢٨٨٠ / ٩) .
(٢) زيادة من المرجع السابق .
(٣) (المستدرك) : ٢ / ٥٤٨ ، حديث رقم (٣٨٦٥ / ١٠٠٢) .

ذكر تعليم جبريل عليه السلام
رسول الله ﷺ الوضوء والصلاة

قال أبو عمر بن عبد الله : ومعلوم أن الجنابة لم يفترض الغسل منها قبل الوضوء ، كما أنه معلوم عند جميع أهل السير أن رسول الله ﷺ افترضت عليه الصلاة بمكة والغسل من الجنابة ، وأنه لم يصل قط بمكة إلا بوضوء مثل وضوئه بالمدينة ومثل وضوئنا اليوم ، وهذا لا يجهله عالم ولا يدفعه إلا معاند .

وخرج الإمام أحمد من حديث [ابن] لهيعة عن عقيل عن الزهري عن عروة عن أسامة بن زيد عن النبي ﷺ أن جبريل أتاه أول ما أوحي إليه فعلمه الوضوء والصلاة ، فلما فرغ من الوضوء أخذ غرفة ماء فنضح بها فرجه[1] .

وروى الواقدي من حديث معمر عن الزهري وقتادة والكلبي قالوا : علم جبريل رسول الله ﷺ الوضوء والصلاة ، واقرأهُ ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾[2] ، فأتى خديجة رضي الله عنها فأخبرها بما أكرمه الله عز وجل به ، وعلمها الوضوء فصلت معه ، وكانت أول خلق صلى معه[3] .

ومن حديث أبي معشر عن محمد بن قيس قال : فحص جبريل بعقبه الأرض فنبع ماء ، فعلم جبريل رسول الله ﷺ الوضوء ؛ فمضمض ثم استنشق وغسل وجهه وذراعيه ، ومسح رأسه وغسل رجليه ، ثم نضح تحت إزاره ثم صلى ركعتين ، فانصرف رسول الله ﷺ مسروراً فجاء إلى خديجة رضي الله عنها فحدثها وأراها ما أراه جبريل ، ثم صلت معه ركعتين[3] .

وقال الواقدي : وكان علي بن أبي طالب وزيد بن حارثة رضي الله عنهما يلزمان

---

(١) (مسند أحمد) : ٥ / ١٦٥ - ١٦٦ ، حديث رقم (١٧٠٢٦) .
(٢) أول سورة العلق .
(٣) سبق الإشارة إليهم في سياق الغزوات .

رسول الله ﷺ ، وكان يخرج إلى الكعبة أول النهار ويصلي صلاة الضحى – وكانت تلك صلاة لا تنكرها قريش – وكان إذا صلى في سائر اليوم بعد ذلك قعد عليٌّ أو زيد يرصدانه[1] .

وروى عن سلمة بن [ ][2] عن عميرة بنت عبيد الله بن كعب بن مالك عن بنت أبي بحراة قالت : كانت قريش لا تنكر صلاة الضحى إنما تنكر غيرها ، وكان ﷺ وأصحابه إذا جاء وقت العصر تفرقوا في الشعاب فيصلون فرادى ومثنى ؛ قال الواقدي : كانوا يصلون الضحى والعصر ، ثم نزلت الصلوات الخمس قبل الهجرة ، وكانت الصلاة ركعتين ركعتين ، ثم نزل تمامها بالمدينة للمقيم ، وبقيت صلاة المسافر ركعتين .

وقال مقاتل بن سليمان : فرض الله تعالى على المسلم في أول الإسلام صلاة ركعتين بالغداة وركعتين بالضحى ، ثم فرض الخمس في ليلة المعراج ، وقد جاء أن رسول الله ﷺ صلى عند زوال الشمس في أول النبوة ، ولما نزلت سورة المزمل بمكة كان قيام الليل فرضاً على رسول الله ﷺ ، وكان يقوم ومعه طائفة من المؤمنين ، فشق ذلك عليه وعليهم ، فنسخ ذلك عنه وعنهم بقوله تعالى : ﴿ **إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى نم ثلثي الليل** ﴾[3] .

وقال عطاء بن السائب ومقاتل بن سليمان : نزل قوله تعالى ﴿ **إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل** ﴾[3] بالمدينة ، والأول أصح ، وقيل : نسخ قيام الليل في حقه بقوله تعالى : ﴿ **ومن الليل فتهجد به نافلة لك** ﴾[4] ، ونسخ في حق المؤمنين بالصلوات الخمس ، وقيل : نسخ عن الأمة وبقى فرضه عليه ، وقيل : إنما كان مفروضاً عليه دونهم ، وعن ابن عباس رضي الله عنه : كان بين نزول أول المزمل وآخرها سنة .

---

(١) سبق الإشارة إليهم في سياق الغزوات .

(٢) ما بين القوسين في (خ) كلمة غير واضحة ، لم أجد لها توجيهاً فيمن اسمه « سلمة » ، فيما بين يدي من كتب الرجال .

(٣) سورة المزمل ، آية / ٢٠ .

(٤) سورة الإسراء ، آية / ٧٩ .

وقال الحافظ أبو عمر بن عبد البر : ولا خلاف بين أهل العلم وجماعة أهل السّير أن الصلاة إنما فرضت على النبي ﷺ بمكة في حين الإسراء حين عُرج به إلى السماء ، ولكنهم اختلفوا في هيئتها حين فرضت ، فروي عن عائشة رضي الله عنها أنها فرضت ركعتين ركعتين ، ثم زيدت في صلاة الحضر، فأكملت أربعاً ، وأقرت صلاة السفر على ركعتين ، وبذلك قال الشعبي وميمون بن مهران ومحمد ابن إسحٰق .

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنها فرضت أربعاً وفي السفر ركعتين ، وقال نافع بن جبير : أنها فرضت في أول ما فرضت أربعاً إلا المغرب ، فإنها فرضت ثلاثاً ، والصحيح ركعتين ، وكذلك قال الحسن البصري وهو قول ابن جريج .

وقد روي عن النبي ﷺ من حديث القشيري وغيره ما يوافق ذلك ، ولم يختلفوا في أن جبريل عليه السلام هبط صبيحة ليلة الزوال عند الإسراء ، فعلم النبي ﷺ الصلاة ومواقيتها وهيئتها .

وقال إسحٰق الحربي : أول ما فرضت الصلاة بمكة ، ركعتان في أول النهار وركعتان في آخره ، وذكر حديث عائشة قالت : فرض على رسول الله ﷺ الصلاة ركعتين ركعتين ثم زاد فيها في الحضر ،هكذا حدث ابن الحربي عن أحمد بن الحجاج عن ابن المبارك عن ابن عجلان عن صالح بن كيسان عن عروة عن عائشة قالت : فرض على رسول الله ﷺ الصلاة ركعتين ركعتين . الحديث ، وليس في حديث عائشة هذا دليل على صحة ما ذهب إليه من قال : أن الصلاة فرضت ركعتين في أول النهار وركعتين في آخره ، وليس يوجد هذا في أثر صحيح ، بل في حديث عائشة دليل على أن الصلاة التي فرضت ركعتين ركعتين في الصلوات الخمس ثم زيد في صلاة الحضر ، وأقرت صلاة السفر ، لأن الإشارة بالألف واللام إلى الصلاة في حديث عائشة هذا هي إشارة إلى الصلاة المعهودة ، وهذا هو الظاهر المعروف في الكلام ، وقد أجمع العلماء أن الصلوات الخمس إنما فرضت في الإسراء ، والظاهر من حديث عائشة أنها أرادت تلك الصلاة ، والله أعلم .

وأورد من طريق النسائي حديث الوليد بن مسلم قال : أخبرني أبو عمر يعني الأوزاعي أنه سأل الزهري عن صلاة رسول الله ﷺ بمكة قبل الهجرة إلى المدينة فقال : أخبرني عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : فرض الله الصلاة على رسول الله ﷺ أول ما فرضها ركعتين ركعتين ثم أتمت في الحضر أربعاً ، وأقرت صلاة السفر على الفريضة الأولى[1] ، فهذا ومثله يدلك على أنها الصلاة المعهودة ، وهي الخمس المفترضة في الإسراء به لا صلاتان ، ومن ادَّعى غير ذلك كان عليه الدليل من كتاب أو سنة ، ولا سبيل له إليه .

وقال جماعة من أهل العلم أن النبي ﷺ لم يكن عليه صلاة مفروضة قبل الإسراء إلا ما كان أمر به من صلاة الليل على نحو قيام الليل من رمضان من غير توقيت ولا تحديد ، لا بركعات معلومات ولا بوقت محصورة ، وكان ﷺ يقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه ، وقامه المسلمون معه نحواً من حول حتى شق عليهم ذلك فأنزل الله التوبة عنهم والتخفيف في ذلك ، ونسخه بقوله تعالى : ﴿ **علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرأوا ما تيسر من القرآن** ﴾[2] ، فنسخ آخر السورة أولها ، فضلاً منه ورحمة ، فلم تبق في الصلاة فريضة إلا الخمس ، ألا ترى إلى حديث طلحة بن عبيد الله في الأعرابي النجدي إذا سأل رسول الله ﷺ عما عليه من الصلاة فقال : الصلوات الخمس ، فقال : هل على غيرها ؟ فقال : لا .

ذكر وكيع عن مسعر عن سماك الحنفي قال : سمعت ابن عباس يقول : لما نزلت ﴿ **يـأيها المزمل** ﴾ كانوا يقومون نحواً من قيامهم في شهر رمضان حتى نزل[3] آخرها ، وكان بين أولها وآخرها حولٌ .

وعن عائشة مثله بمعناه وقالت : فجعل قيام الليل تطوعاً بعد فريضة . وعن الحسن مثله قال : فنزلت الرخصة بعد حول .

قال كاتبه : حديث عائشة خرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث مالك عن صالح بن كيسان عن عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت :

---

(١) (صحيح سنن النسائي) : ١ / ٩٩ ، حديث رقم (٤٤) .
(٢) سورة المزمل ، آية / ٢٠ .
(٣) في (خ) : « نزلت » .

فرضت الصلاة ركعتين ركعتين في الحضر والسفر ، فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر .

وقال البخاري : فرض الله الصلاة حين فرضها ... الحديث مثله ، ذكره في كتاب الصلاة ، وخرجه البخاري ومسلم من حديث سفيان بن عيينة عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : الصلاة أول ما فرضت ركعتان ؛ فأقرت في صلاة السفر وأتمت صلاة الحضر ... الحديث ، ذكره البخاري في أبواب تقصير الصلاة[1] .

وخرجه مسلم من حديث ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب قال : حدثني عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها قالت : فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ثم أتمها في الحضر فأقرت صلاة السفر على الفريضة الأولى[2] .

---

(١) (فتح الباري) : ٢ / ٧٢٤ ، حديث رقم (١٠٩٠) .

(٢) (صحيح مسلم بشرح النووي) : ٥ / ٢٠١ ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، حديث رقم (٢) من أحاديث الباب .

اختلف العلماء في القصر في السفر ؛ فقال الشافعي ومالك بن أنس ، وأكثر العلماء : يجوز القصر والإتمام ، والقصر أفضل ، ولنا قول : أن الإتمام أفضل ، ووجه أنهما سواء ، والصحيح المشهور أن القصر أفضل .

وقال أبو حنيفة وكثيرون : القصر واجب ولا يجوز الإتمام ، ويحتجون بهذا الحديث ، وبأن أكثر فعل النبي ﷺ وأصحابه كان القصر .

واحتج الشافعي وموافقوه بالأحاديث المشهورة في صحيح مسلم وغيره ، أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يسافرون مع رسول الله ﷺ ، فمنهم القاصر ، ومنهم المتمم ، ومنهم الصائم ، ومنهم المفطر ، لا يعيب بعضهم على بعض ، وبأن عثمان كان يتم ، وكذلك عائشة وغيرها ، وهو ظاهر قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ **فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة** ﴾ ، وهذا يقتضي رفع الجناح والإباحة .

وأما حديث : فرضت الصلاة ركعتين ، فمعناه فرضت ركعتين لمن أراد الاقتصار عليهما ، فزيد في صلاة الحضر ركعتان على سبيل التحتيم ، وأقرت صلاة السفر على جواز الاقتصار ، وثبتت دلائل جواز الإتمام ، فوجب المصير إليها ، والجمع بين دلائل الشرع . (المرجع السابق) : ٢٠١ - ٢٠٢ .

ورواية البخاري : عائشة رضي الله عنها : « فرض الله الصلاة - حين فرضها - ركعتين ، ثم أتمها في الحضر ، وأقرت صلاة السفر على الفريضة الأولى » ، وفي رواية ، قالت : « فرض الله الصلاة - حين فرضها - ركعتين ركعتين في الحضر والسفر ، فأقرت صلاة السفر ، وزيد في صلاة الحضر » .

وفي أخرى ، قالت : « فرضت الصلاة ركعتين ، ثم هاجر رسول الله ﷺ ، ففرضت أربعاً ، وتركت صلاة السفر على الفريضة الأولى . قال الزهري : قلت لعروة : ما بال عائشة تُتم ؟ =

وخرجه البخاري من حديث يزيد بن ذريع ، حدثنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : فرضت الصلاة ركعتين ركعتين ، ثم هاجر النبي ﷺ ففرضت أربعاً ، وتركت صلاة السفر على الأولى ، تابعه عبد الرزاق عن معمر ، ذكره البخاري في كتاب الهجرة[1] ، وأما حديث ابن عباس فخرجه النسائيُّ[2] من حديث أبي عوانة عن بكير الأخنس عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنه قال : فرضت الصلاة على لسان النبي ﷺ في الحضر أربعاً وفي السفر ركعتين ، وفي الخوف ركعة ، قال ابن عبد البر : انفرد به بكير بن الأخنس وليس بحجة فيما انفرد به .

وخرج ابن أبي شيبة من حديث عبيدة بن حميد عن داود بن أبي هند عن الشعبي قال : أول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين ، فلما أتى النبي ﷺ المدينة زاد مع كل ركعتين ركعتين إلا المغرب .

قال ابن عبد البر : قول الشعبي هذا أصله حديث عائشة رضي الله عنها ، وقد يمكن أن يأخذه عن الأسود عن مسروق عن عائشة ، فأكثر ما عنده عن عائشة هو عنهما .

قال : تأولت كما تأول عثمان » .

أخرجه البخاري ومسلم . وأخرج الرواية الثانية الموطأ وأبو داود ، وأخرج الثانية والثالثة النسائيُّ

رواه البخاري في الصلاة ، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء ، وفي تقصير الصلاة ، باب يقصر إذا خرج من موضعه ، وفي فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب إقامة المهاجر بمكة بعد قضاء نسكه ، ومسلم في صلاة المسافرين باب صلاة المسافرين وقصرها ، والموطأ في قصر الصلاة في السفر ، وأبو داود في الصلاة ، باب صلاة المسافر ، والنسائيُّ في الصلاة ، باب كيف فرضت الصلاة – ر : (جامع الأصول في أحاديث الرسول) : ٥ / ١٨٤ – ١٨٥ ، حديث رقم (٣٢٤٩) .

(١) (فتح الباري) : ٧ / ٣٤١ ، كتاب مناقب الأنصار ، باب التاريخ ، من أين أرَّخوا التاريخ ، حديث رقم (٣٩٣٥) ، وقال فيه : « فرضت الصلاة ركعتين ثم هاجر النبي » ، أي بمكة ، وقوله : « تركت » أي على ما كانت عليه من عدم وجوب الزائد ، بخلاف صلاة الحضر ، فإنها زيدت في ثلاث منها ركعتان ، فالمعنى : أقرت صلاة السفر على جواز الإتمام ، وإن كان الأحب القصر .

(٢) (صحيح سنن النسائيُّ) : ١ / ٩٩ ، حديث رقم (٤٤٢) ، وقال عنه : « صحيح » ، و (صحيح سنن ابن ماجة) : ١ / ١٧٦ ، حديث رقم (١٠٦٨) ، (صحيح أبي داود) : ١ / ٢٢٧ ، حديث رقم (١٠٨٩) : عن أنس بن مالك ، قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ من المدينة إلى مكة ، فكان يصلي ركعتين حتى رجعنا إلى المدينة ، فقلنا : هل أقمتم بها شيئاً ؟ قال : أقمنا عشراً . ذكر في باب متى يتم المسافر .

وروى يونس بن بكير عن سالم بن أبي المهاجر قال : سمعت ميمون بن مهران يقول : كان أول الصلاة مثنى ثم صلى رسول الله ﷺ أربعاً فصارت سنة ، وأقرت الركعتان للمسافر وهي تمام . قال ابن عبد البر : وهذا إسناد لا يحتج بمثله ، وقوله : فصارت سنة قول نكر ، وكذلك استثنى الشعبي المغرب وحدها ، ولم يذكر الصبح قول لا معنى له ، ومن قال بهذا من أهل السير قال : إن الصلاة أتمت بالمدينة بعد الهجرة بشهرٍ وأربعة أيام .

* * *

وأمَّا إقَامةُ جِبريل عليه السَّلام
أوقَاتَ الصَّلاةِ للنَّبي ﷺ وأنَّه أَمَّهُ فِيهَا

فخرج البخاري ومسلم من حديث مالك عن ابن شهاب أن عمر بن عبد العزيز أخَّر الصلاة يوماً فدخل عليه عروة بن الزبير فأخبره أن المغيرة بن شعبة أخَّر الصلاة يوماً وهو في [الكوفة][1] فدخل عليه أبو مسعود الأنصاري فقال : ما هذا يا مغيرة ؟! أليس قد علمت أن جبريل نزل فصلى ، فصلى رسول الله ﷺ ، ثم صلى ، فصلى رسول الله ﷺ ، ثم صلى ، فصلى رسول الله ﷺ[2] ، ثم قال بهذا أُمرت ، فقال عمر[3] لعروة : انظر ما تحدثت به يا عروة ، أَوَ أَن جبريل هو الذي أقام لرسول الله ﷺ وقت الصلاة ؟ فقال عروة : كذلك كان بَشير بن أبي مسعود يحدث عن أبيه ، قال[4] عروة : ولقد حدثتني عائشة زوج النبي ﷺ [أنه] كان يصلي العصر والشمس في حجرتها قبل أن تظهر[5] .

وأخرجاه والنسائي من حديث الليث بن سعد عن ابن شهاب أن عمر بن عبد العزيز أخّر الصلاة شيئاً ، فقال له عروة : أما أن جبريل قد نزل فصلى أمام رسول الله ﷺ ، فقال له عمر : اعلم ما تقول يا عروة ، فقال : سمعت بشير بن أبي مسعود يقول : سمعت أبا سلمة مسعود يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : نزل جبريل فأمني فصليت معه ، ثم صليت معه ، ثم صليت معه ، ثم صليت معه ، ثم صليت معه ؛ ويحسب بأصابعه خمس صلوات .

---

(١) كذا في (خ) ، وفي صحيح البخاري : بدونها ، وفي رواية : « وهو بالعراق » .
(٢) كذا في (خ) ، وفي صحيح البخاري : « ثم صلى فصلى رسول الله ﷺ » [خمس مرات] .
(٣) يعني ابن عبد العزيز . (٤) بداية حديث آخر في البخاري ، على ما سيأتي شرحه . .
(٥) فتح الباري ٢ / ٤ – ٨ .

قوله : « أخَّر الصلاة يوماً » : وللبخاري في بدء الخلق من طريق الليث عن ابن شهاب بيان الصلاة المذكور ، ولفظه : « أخَّر العصر شيئاً » . قال ابن عبد البر : ظاهر سياقه أنه فعل ذلك يوماً ما ، لا أن ذلك كان عادة له وإن كان أهل بيته معروفين بذلك ، وكذا في نسخة الصغاني ، وفي رواية عبد الرزاق عن معمر عن ابن شهاب : « أخَّر الصلاة مرة » ، يعني العصر .

وللطبراني من طريق أبي بكر بن حزم ، أن عروة حدَّث عمر بن عبد العزيز – وهو يومئذ أمير المدينة في زمان الوليد بن عبد الملك – وكان ذلك زمان يؤخرون فيه الصلاة ، يعني بني أمية . قال ابن عبد البر : المراد أنه أخرها حتى خرج الوقت المستحب ، لا أنه أخرها حتى غربت الشمس . =

= ويؤيده سياق رواية الليث المتقدمة . وأما ما رواه الطبراني من طريق يزيد بن أبي حبيب عن أسامة بن زيد الليثي ، عن ابن شهاب في هذا الحديث ، قال : « دعا المؤذن لصلاة العصر فأمسي عمر بن عبد العزيز قبل أن يصليها » ، فمحمول على أنه قارب المساء لا أنه دخل فيه ، وقد رجع عمر بن عبد العزيز عن ذلك ، فروى الأوزاعي عن عاصم بن رجاء بن حيوة عن أبيه أن عمر بن عبد العزيز - يعني في خلافته - كان يصلي الظهر في الساعة الثامنة والعصر في الساعة العاشرة حين تدخل .

قوله : « أن المغيرة بن شعبة أخَّر الصلاة يوماً » ، بين عبد الرزاق في روايته عن ابن جريج عن ابن شهاب أن الصلاة المذكورة العصر أيضاً ، ولفظه : « أمسى المغيرة بن شعبة بصلاة العصر .

قوله : « وهو بالعراق » ، في الموطأ ، رواية القعنبي وغيره عن مالك « وهو بالكوفة » ، وكذا أخرجه الإسماعيلي عن أبي خليفة عن القعنبي ، والكوفة من جملة العراق ، فالتعبير بها أخصّ من التعبير بالعراق ، وكان المغيرة إذ ذاك أميراً عليها من قِبَل معاوية بن أبي سفيان .

قوله : « ما هذا » ؟ الأكثر في الاستعمال في مخاطبة الحاضر : « ألست » ، وفي مخاطبة الغائب : « أليس » .

قوله : « قد علمت » ، قال عياض : يدل ظاهره على علم المغيرة بذلك ، ويحتمل أن يكون ذلك على سبيل الظن من أبي مسعود لعلمه بصحبة المغيرة . قلت : ويؤيد الأول رواية شعيب عن ابن شهاب عند المصنف في غزوة بدر بلفظ « فقال لقد علمت » بغير أداة استفهام ، ونحوه لعبد الرزاق عن معمر وابن جريج جميعاً .

قوله : « إن جبريل نزل » ، بين ابن إسحاق في المغازي ، أن ذلك كان صبيحة الليلة التي فُرضت فيها الصلاة ، وهي ليلة الإسراء ، قال ابن إسحاق : « حدثني عتبة بن مسلم عن نافع بن جبير » ، وقال عبد الرزاق : « عن ابن جريج قال : قال نافع بن جبير وغيره : لما أصبح النبي ﷺ من الليلة التي أسري به لم يرعه إلا جبريل نزل حين زاغت الشمس ، ولذلك سُمّيت « الأولى » أي صلاة الظهر ، فأمر فصيح بأصحابه : الصلاة جامعة ، فاجتمعوا ، فصلى به جبريل ، وصلى النبي ﷺ بالناس » ، فذكر الحديث ، وفيه ردّ على من زعم أن بيان الأوقات إنما وقع بعد الهجرة ، والحقّ أن ذلك وقع قبلها ببيان جبريل ، وبعدها ببيان النبي ﷺ .

قوله : « نزل فصلى ، فصلى رسول الله ﷺ » ، قال عياض : ظاهره أن صلاته كانت بعد فراغ صلاة جبريل ، لكن المنصوص في غيره أن جبريل أَمَّ النبي ﷺ ، فيحمل قوله : « صلى فصلى » ، على أن جبريل كان كلما فعل جزءاً من الصلاة تابعه النبي ﷺ بفعله . وبهذا جزم النووي .

وقال غيره : الفاء بمعنى الواو ، واعترض بأنه يلزم أن يكون النبي ﷺ كان يتقدم في بعض الأركان على جبريل ، على ما يقتضيه مطلق الجمع ، وأجيب بمراعاة الحيثية وهي التبين ، فكان لأجل ذلك يتراخى عنه ، وقيل : الفاء للسببية كقوله تعالى : ﴿ **فوكزه موسى فقضى عليه** ﴾ . وفي رواية الليث عند المصنف وغيره : « نزل جبريل فأمَّني فصليتُ معه » ، وفي رواية عبد الرزاق عن معمر : « نزل فصلى ، فصلى رسول الله ﷺ فصلى الناس معه » ، وهذا يؤيد رواية نافع بن جبير المتقدمة ، وإنما دعاهم إلى الصلاة بقوله : « الصلاة جامعة » ، لأن الأذان لم يكن شُرع حينئذ .

واستدل بهذا الحديث على جواز الائتمام بمن يأتم بغيره ، ويُجاب عنه بما يُجاب به عن قصة =

أبي بكر في صلاته خلف النبي ﷺ وصلاة الناس خلفه ، فإنه محمول على أنه كان مُبَلِّغاً فقط ، كما سيأتي تقريره في أبواب الإمامة .

واستدلوا به أيضاً على جواز صلاة المفترض خلف المتنفِّل من جهة أن الملائكة ليسوا مكلفين بمثل ما كلف به الإنس ، قاله ابن العربي وغيره .

وأجاب عياض باحتمال أن لا تكون تلك الصلاة كانت واجبة على النبي ﷺ حينئذ ، وتعقبه بما تقدم من أنها كانت صبيحة ليلة فرض الصلاة ، وأجاب باحتمال أن الوجوب عليه كان معلقاً بالبيان ، فلن يتحقق الوجوب إلا بعد تلك الصلاة .

قال : وأيضاً لا نسلم أن جبريل كان متنفلاً بل كانت تلك الصلاة – واجبة علي لأنه مكلف بتبليغها ، فهي صلاة مُفترض بفرض خلف مفترض بفرض آخر .

قوله : « بهذا أُمرتَ » ، بفتح المثناة على المشهور ، والمعنى هذا الذي أمرت به أن تصليه كل يوم وليلة ، وروي بالضم ، أي هذا الذي أمرت بتبليغه لك .

قوله : « كذلك كان بشير » ، هو بفتح الموحَّدة ، بعدها معجمة بوزن فعيل ، وهو تابعي جليل ، ذُكر في الصحابة لكونه ولد في عهد النبي ﷺ ورآه . قال ابن عبد البر : هذا السياق منقطع عند جماعة من العلماء ، لأن ابن شهاب لم يقل : حَضَرْتُ مراجعة عروة لعمر ، وعروة لم يقل : حدثني بشير ، لكن الاعتبار عند الجمهور بثبوت اللقاء والمجالسة ، لا بالصيغ .

وقال الكرماني : اعلم أن الحديث بهذا الطريق ليس متصل الإسناد ؛ إذ لم يقل أبو مسعود : « شاهدت رسول الله ﷺ » ، ولا قال : « قال رسول الله ﷺ » . قلت : هذا لا يسمى منقطعاً اصطلاحاً ، وإنما هو مرسل صحابي لأنه لم يدرك القصة ، فاحتمل أن يكون سمع ذلك من النبي ﷺ ، أو بلغه عنه بتبليغ من شاهده أو سمعه كصحابي آخر . على أن رواية الليث عند المصنف تزيل الإشكال كله ، ولفظه : « فقال عروة : سمعت بشير بن أبي مسعود يقول : سمعت أبي يقول : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول » ، فذكر الحديث .

وكذا سياق ابن شهاب ، وليس فيه التصريح بسماعه له من عروة ، وابن شهاب قد جُرِّب عليه التدليس ، لكن وقع في رواية عبد الرزاق ، عن معمر ، عن ابن شهاب قال : « كنا مع عمر بن عبد العزيز » ، فذكره . وفي رواية شعيب عن الزهري : « سمعت عروة يحدث عمر بن عبد العزيز » ، الحديث .

قال القرطبي : قول عروة إن جبريل نزل ليس فيه حجة واضحة على عمر بن عبد العزيز إذ لم يعين له الأوقات . قال : وغاية ما يتوهم عليه أن نبَّهه وذكَّره بما كان يعرفه من تفاصيل الأوقات . قال : وفيه بُعد ، لإنكار عمر على عروة حيث قال له : « اعلم ما تحدث يا عروة » . قال : وظاهر هذا الإنكار أنه لم يكن عنده علم من إمامة جبريل . قال الحافظ ابن حجر : لا يلزم من كونه لم يكن عنده علم منها أن لا يكون عنده علم بتفاصيل الأوقات المذكورة من جهة العمل المستمر ، لكن لم يكن يعرف أن أصله لم يكن بتبيين جبريل بالفعل ، فلهذا استثبت فيه ، وكأنه كان يرى أن لا مفاضلة بين أجزاء الوقت الواحد ، وكذا يحمل عمل المغيرة وغيره من الصحابة، ولم أقف في شيء من الروايات على جواب المغيرة لأبي مسعود ، والظاهر أنه رجع إليه والله أعلم . ...

....

وأما ما زاده عبد الرزاق في مصنفه عن معمر عن الزهري في هذه القصة قال : فلم يزل عمر يعلم الصلاة بعلامة حتى فارق الدنيا ، رواه أبو الشيخ في كتاب (المواقيت) له من طريق الوليد عن الأوزاعي عن الزهري قال : « ما زال عمر بن عبد العزيز يتعلم مواقيت الصلاة حتى مات » . ومن طريق إسماعيل ابن حكيم « أن عمر بن عبد العزيز جعل ساعات ينقضين مع غروب الشمس » زاد من طريق ابن إسحاق عن الزهري « فما أخّرها حتى مات » . فكله يدل على أن عمر لم يكن يحتاط في الأوقات كثير احتياط إلا بعد أن حدثه عروة بالحديث المذكور .

وقد نبّه الحافظ ابن حجر على أنه قد ورد في هذه القصة من وجه آخر عن الزهري بيان أبي مسعود للأوقات ، وفي ذلك ما يرفع الإشكال ، ويوضح توجيه احتجاج عروة به ، فروى أبو داود وغيره ، وصححه ابن خزيمة وغيره من طريق ابن وهب ، والطبراني من طريق يزيد بن أبي حبيب ، كلاهما عن أسامة بن زيد ، عن الزهري هذا الحديث بإسناده ، وزاد في آخره : « قال أبو مسعود : فرأيت رسول الله ﷺ يصلي الظهر حين تزول الشمس » فذكر الحديث .

وذكر أبو داود أن أسامة بن زيد تفرد بتفسير الأوقات فيه ، وأن أصحاب الزهري لم يذكروا ذلك . قال : وكذا رواه هشام بن عروة وحبيب بن أبي مرزوق عن عروة ، لم يذكروا تفسيراً .

ورواية هشام أخرجها سعيد بن منصور في سننه ، ورواية حبيب أخرجها الحارث بن أبي أسامة في مسنده . وقد وجدت ما يُعضد رواية أسامة ويزيد عليها ، أن البيان من فعل جبريل ، وذلك فيما رواه الباغندي في (مسند عمر بن عبد العزيز) ، والبيهقي في (السنن الكبرى) من طريق يحيى ابن سعيد الأنصاري ، عن أبي بكر بن حزم أنه بلغه عن أبي مسعود ، فذكره منقطعاً .

لكن رواه الطبراني من وجه آخر عن أبي بكر عن عروة ، فرجع الحديث إلى عروة ، ووضح أن له أصلاً ، وأن في رواية مالك ومن تابعه اختصاراً ، وبذلك جزم ابن عبد البر ، وليس في رواية مالك ومن تابعه ما ينفي الزيادة المذكورة ، فلا توصف والحالة هذه بالشذوذ . وفي هذا الحديث من الفوائد :

[١] دخول العلماء على الأمراء . [٢] إنكارهم عليهم ما يخالف السنة .

[٣] إستثبات العالم فيما يستقر به السماع .

[٤] الرجوع عند التنازع إلى السنة . [٥] فيه فضيلة عمر بن عبد العزيز .

[٦] فيه فضيلة المبادرة بالصلاة في الوقت الفاضل .

[٧] قبول خبر الواحد الثبت .

[٨] استدل به ابن بطال وغيره على أن الحجة بالمتصل دون المنقطع ، لأن عروة أجاب عن استفهام عمر له لما أن أرسل الحديث بذكر من حدَّثه به فرجع إليه ، فكأنما عمر قال له : تأمل ما تقول ، فلعله بلغك عن غير ثبت . فكأن عروة قال له : بل قد سمعته ممن قد سمع صاحب رسول الله ﷺ ، والصاحب قد سمعه من النبي ﷺ .

[٩] واستدل به عياض على جواز الاحتجاج بمرسل الثقة ، كصنيع عروة حين احتج على عمر قال : وإنما راجعه عمر لتثبته فيه ، لا لكونه لم يرض به مرسلاً . كذلك قال ، وظاهر السياق يشهد لما قال ابن بطال . وقال ابن بطال أيضاً : ....

....

= [١٠] في هذا الحديث دليل على ضعف الحديث الوارد في أن جبريل أَمَّ بالنبي ﷺ في يومين لوقتين مختلفين لكل صلاة، قال: لأنه لو كان صحيحاً لم ينكر عروة على عمر صلاته في آخر الوقت محتجاً بصلاة جبريل، مع أن جبريل قد صلى في اليوم الثاني في آخر الوقت وقال: «الوقت ما بين هذين».

وأُجيب باحتمال أن تكون صلاة عمر كانت خرجت عن وقت الاختيار وهو مصير ظل الشيء مثليه، لا عن وقت الجواز وهو مغيب الشمس، فيتجه إنكار عروة، ولا يلزم منه ضعف الحديث. أو يكون عروة أنكر مخالفة ما واظب عليه النبي ﷺ، وهو الصلاة في أول الوقت، ورآى أن الصلاة بعد ذلك إنما هي لبيان الجواز، فلا يلزم منه ضعف الحديث أيضاً.

وقد روى سعيد بن منصور من طريق طلق بن حبيب مرسلاً قال: «إن الرجل ليصلي الصلاة وما فاتته، ولما فاته من وقتها خير له من أهله وماله». ورواه أيضاً عن ابن عمر من قوله، ويؤيد ذلك احتجاج عروة بحديث عائشة في كونه ﷺ كان يصلي العصر والشمس في حجرتها، وهي الصلاة التي وقع الإنكار بسببها، وبذلك تظهر مناسبة ذكره لحديث عائشة بعد حديث أبي مسعود، لأن حديث عائشة يُشعر بمواظبته على صلاة العصر في أول الوقت، وحديث أبي مسعود يُشعر بأن أصل بيان الأوقات كان بتعليم جبريل. (فتح الباري): ٢ / ٣ - ٨، كتاب مواقيت الصلاة، باب مواقيت الصلاة وفضلها، حديث رقم (٥٢١)، وذكر البخاري نحواً منه في كتاب بدء الخلق، حديث رقم (٣٢٢١): «أما إن جبريل قد نزل فصلى أمام رسول الله ﷺ، فقال عمر: اعلم ما تقول يا عروة، قال: سمعت بشير بن أبي مسعود يقول: سمعت أبا مسعود يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: نزل جبريل فأمني فصليتُ معه، ثم صليتُ معه، ثم صليتُ معه، ثم صليتُ معه، ثم صليتُ معه، يَحْسُبُ بأصابعه خمس صلوات.

وذكره البخاري في كتاب المغازي (حديث رقم ٤٠٠٧): «سمعت عروة بن الزبير يُحدّث عمر ابن عبد العزيز في إمارته: أَخَّر المغيرةُ بن شعبة العصر وهو أمير الكوفة، فدخل أبو مسعود عقبة بن عمرو الأنصاريُّ جد زيد بن حسن شهد بدراً فقال: لقد علمتَ نزل جبريل فصلى، فصلى رسول الله ﷺ خمس صلوات ثم قال: هكذا أُمِرت، ذلك كان بشير بن أبي مسعود يحدث عن أبيه».

ورواه مسلم في المساجد باب استحباب التبكير بالعصر، والموطأ ١ / ٨ - ٩ في وقت الصلاة، وأبو داود في الصلاة، باب في وقت صلاة العصر، والنسائيُّ في المواقيت، باب تعجيل العصر.

وأما قول عروة: «ولقد حدثتني عائشة أن رسول الله ﷺ كان يصلي العصر والشمس في حجرتها قبل أن تظهر»، فهو الحديث الذي ذكره البخاري برقم (٥٢٢) في كتاب مواقيت الصلاة بعد الحديث السابق شرحه وتخريجه، وقد ذكر البخاري نحواً منه في باب وقت العصر من كتاب مواقيت الصلاة، الأحاديث أرقام: (٥٤٤)، (٥٤٥)، (٥٤٦)، بسياقات متقاربة مفادها أن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ يصلي صلاة العصر والشمس طالعة في حجرتي، لم يظهر الفيءُ بعدُ». قال الحافظ ابن حجر: والحاصل أن أنس بن عياض - وهو أبو ضمرة الليثي - وأبا أسامة رويا الحديث عن هشام - وهو ابن عروة بن الزبير - عن أبيه عن عائشة، وزاد أبو أسامة التقييد بقعر الحجرة، وهو أوضح في تعجيل العصر من الرواية المطلقة، وقد وصل الإسماعيلي طريق أبي أسامة في مستخرجه، لكن بلفظ «والشمس واقعة في حجرتي، وعرف بذلك أن الضمير في قوله: =

وقال البخاري والنسائي[1] : أخر العصر شيئاً ، ذكره البخاري في كتاب بدء الخلق في ذكر الملائكة[2] ، وخرجه في كتاب المغازي من حديث شعيب عن الزهري : سمعت عروة بن الزبير يحدث عمر بن عبد العزيز في إمارته : أخَّر المغيرة ابن شعبة العصر وهو أمير الكوفة ، فدخل أبو مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري جد زيد بن حسن - شهد بدراً - فقال : لقد علمت نزل جبريل فصلى ، فصلى رسول الله ﷺ خمس صلوات ثم قال هكذا أمرت ، كذلك كان بشير بن أبي مسعود يحدث عن أبيه . ذكره في الباب الذي بعد باب شهود الملائكة بدراً[3] .

وخرجه قاسم بن أصبغ من حديث سفيان قال : حدثنا الزهري قال : أخَّر عمر ابن عبد العزيز يوماً الصلاة فقال له عروة : أن رسول الله ﷺ قال : نزل جبريل فأمَّني فصليت معه ، ثم نزل فأمني فصليت معه ، ثم نزل فأمني فصليت معه ، حتى عد الصلوات الخمس فقال له عمر بن عبد العزيز : اتق الله يا عروة وانظر ما تقول : فقال عروة : أخبرنيه بشير بن أبي مسعود عن أبيه عن رسول الله ﷺ[4] .

قال الحافظ أبو عمر بن عبد [البر][5] : وظاهر مساقه في رواية مالك تدل على الانقطاع لقوله : أن عمر بن عبد العزيز أخر الصلاة يوماً ودخل عليه عروة ، ولم يذكر فيه سماعاً لابن هشام من شهاب من عروة ، ولا سماعاً لعروة من بشير بن أبي

= « حجرتها » لعائشة ، وفيه نوع التفات ، وإسناد أبي ضمرة كلهم مدنيون ، والمراد بالحجرة - وهي بضم المهملة وسكون الجيم - البيت ، والمراد بالشمس ضوؤها ، وقوله في رواية الزهري : « والشمس في حجرتها » ، أي باقية ، وقوله : « لم يظهر الفيء » ، أي في الموضع الذي كانت الشمس فيه ، ومن طريق مالك عن الزهري بلفظ : « والشمس في حجرتها قبل أن تظهر » ، أي ترتفع ، فهذا الظهور غير ذلك الظهور ، ومحصله أن المراد بظهور الشمس خروجها من الحجرة ، وبظهور الفيء انبساطه في الحجرة ، وليس بين الروايتين اختلاف ، لأن انبساط الفيء لا يكون إلا بعد خروج الشمس . (فتح الباري) : ٢ / ٣١ - ٣٢ ، كتاب مواقيت الصلاة .

(١) (صحيح سنن النسائي) : ١ / ١٠٨ ، كتاب المواقيت ، باب إمامة جبريل عليه السلام ، للنبي ﷺ ، حديث رقم ٤٨٠ .

(٢) (فتح الباري) : ٦ / ٣٧٥ - ٣٧٦ ، كتاب بدء الخلق ، ذكر الملائكة ، حديث رقم (٣٢٢١) .

(٣) (فتح الباري) : ٧ / ٤٠٢ - ٤٠٣ ، كتاب المغازي ، باب رقم (١٢) ، حديث رقم (٤٠٠٧) .

(٤) سبق شرحه وتخريجه .

(٥) في (خ) : « عبد العزيز » .

مسعود ، وهذه اللفظة – أعني أن عند جماعة من [أهل][1] العلم بالحديث – محمولة على الانقطاع حتى يتبين السماع واللقاء ، ومنهم من لا يلتفت إليها ، ويحمل الأمر على المعروف من مجالسة بعضهم بعضاً ، ومشاهدة بعضهم لبعض ، وأخذهم بعضهم من بعض ، فإن كان ذلك معروفاً لم يسأل عن هذا اللفظة ، وكان الحديث عنده على الاتصال ، وهذا يشبه أن يكون مذهب مالك – رحمه الله – لأنه في موطئه لا يفرق بين شيء من ذلك ، وهذا الحديث متصل عند أهل العلم مسند صحيح لوجوه : منها أن مجالسة بعض المذكورين فيه لبعض مشهورة ، ومنها أن هذه القصة قد صح شهود ابن شهاب لما جرى فيها بين عمر بن عبد العزيز وعروة بن الزبير بالمدينة ، وذلك في أيام إمارة عمر عليها لعبد الملك وابنه الوليد ، وهذا محفوظ من رواية الثقات لهذا الحديث عن ابن شهاب .

قال : وممن ذكر مشاهدة ابن شهاب للقصة عند عمر بن عبد العزيز مع عروة ابن الزبير في هذا الحديث من أصحاب ابن شهاب : معمر والليث بن سعد وشعيب ابن أبي حمزة وابن جريج ، فذكروا رواية الليث التي تقدم ذكرها من طريق النسائي إلا أن سياقه عن ابن شهاب أنه كان قاعداً على منابر عمر بن عبد العزيز في إمارته على المدينة ومعه عروة بن الزبير ، فَأَخَّر عمرُ العصرَ ، فقال له عروة : أما أن جبريل قد نزل فصلى أمام رسول الله ﷺ فقال له عمر : إعلم يا عروة ما تقول ، فقال : سمعت بُشير بن أبي مسعود يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : نزل جبريل فأمّني فصليتُ معه ، ثم صليتُ معه ، ثم صليتُ معه ، ثم صليتُ معه ، يحسب بأصابعه خمس مرات .

وذكر عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال : كنا مع عمر بن عبد العزيز فأخر العصر مرة ، فقال له عروة : حدثني بشير بن أبي مسعود الأنصاري أن المغيرة ابن شعبة أخر الصلاة مرة – يعني العصر – فقال له أبو مسعود : أما والله يا مغيرة لقد علمت أن جبريل نزل فصلى ، فصلى رسول الله ﷺ فصلى الناس معه ، ثم نزل فصلى ، فصلى رسول الله ﷺ وصلى الناس معه ، حتى عدَّ خمس صلوات ، فقال له عمر : انظر ما تقول يا عروة ، أو أن جبريل هو سنَّ وقت الصلاة ؟

(١) زيادة للسياق .

فقال له عروة : كذلك حدثني بشير بن أبي مسعود . قال : فمازال عمر يعتلم وقت الصلاة بعلامة حتى فارق الدنيا[1] .

قال عبد الرزاق : أنبأنا ابن جريج قال : حدثني ابن شهاب أنه سمع عمر بن عبد العزيز يسأل عروة بن الزبير ، فقال عروة بن الزبير : مشى المغيرة بن شعبة بصلاة العصر وهو على الكوفة فدخل عليه أبو مسعود الأنصاري فقال له : ما هذا يا مغيرة ؟ أما والله لقد علمت أن جبريل نزل فصلى ، فصلى رسول الله ﷺ فصلى بالناس معه خمس مرات ، ثم قال : هكذا أمرت ، فقال عمر لعروة : إعلم ما تقول ، أو أن جبريل هو أقام وقت الصلاة ؟ فقال عروة : كذلك كان بشير بن أبي مسعود يحدث عن أبيه فقد بان بما ذكرنا من رواية الثقات عن ابن شهاب لهذا الحديث اتصاله وسماع ابن شهاب له من عروة ، وسماع عروة من بشير ، وبان بذلك أيضاً أن الصلاة التي أخرها عمر هي صلاة العصر ، وأن الصلاة التي أخرها المغيرة تلك أيضاً ، وبان بما ذكرنا أيضاً أن جبريل صلى برسول الله ﷺ الخمس صلوات في أوقاتها ، وليس في شيء من معنى حديث ابن شهاب هذا ما يدل على أن جبريل صلى برسول الله ﷺ مرتين كل صلاة في وقتين .

وظاهر من حديث ابن شهاب هذا [ما][2] يدلك على أن ذلك إنما كان مرة واحدة لا مرتين ، وقد روى من غير وجه في إمامة جبريل للنبي ﷺ أنه صلى مرتين في كل صلاة من الصلوات الخمس في وقتين .

قال : ورواية ابن عيينة لهذا الحديث عن ابن شهاب بمثل حديث الليث ومن ذكرنا معه في ذلك ، وفي حديث معمر وابن جريج أن الناس صلوا خلف رسول الله ﷺ حينئذ ، وقد روى ذلك من غير حديثهما ، ثم ذكر حديث سفيان من طريق قاسم بن أصبغ كما تقدم ذكره ، وقال : فهذا وضح ما ذكرنا من أنه إنما صلى به الصلوات الخمس مرة واحدة ، وهو ظاهر الحديث ، إلا أن في رواية ابن أبي ذؤيب وأسامة بن زيد الليثي عن ابن شهاب في هذا الحديث ما يدل على أنه صلى به مرتين في يومين على نحو ما ذكره عن ابن شهاب في حديث إمامة جبريل ؛

---

(١) سبق شرحه وتخريجه .

(٢) زيادة للسياق .

فأما رواية ابن أبي ذؤيب له ، فإن ابن أبي ذؤيب ذكره في موطنه عن ابن شهاب أنه سمع عروة بن الزبير يحدث عمر بن عبد العزيز عن أبي مسعود الأنصاري أن المغيرة بن شعبة أخّر الصلاة ، فدخل عليه أبو مسعود فقال : ألم تعلم أن جبريل نزل على محمد ﷺ فصلى وصلى وصلى وصلى ، ثم صلى ثم صلى ثم صلى ثم صلى ثم صلى [ثم صلى][1] ، ثم قال : هكذا أُمرت .

وأما حديث أسامة بن زيد الليثي أن ابن شهاب أخبره أن عمر بن عبد العزيز كان قاعداً على المنبر ، فأخر العصر شيئاً ، فقال له عروة : أما أن جبريل قد أخبر محمداً ﷺ بوقت الصلاة ، فقال له عمر : إعلم ما تقول ، فقال عروة : سمعت بشير بن أبي مسعود يقول : سمعت أبا مسعود الأنصاري يقول : سمعت رسول الله ﷺ [يقول][2] : نزل جبريل فأخبرني بوقت الصلاة فصليت معه ، ثم صليتُ [معه][3] ، ثم صليت معه ، ثم صليت معه ، ثم صليت معه ، يحسب بأصابعه خمس صلوات ، فرأيت رسول الله ﷺ صلى الظهر حين زالت الشمس وربما أخرها حين يشبه الحر ، وروايته : يصلي العصر والشمس مرتفعة بيضاء قبل أن تدخلها الصُّفرة ، فينصرف الرجل من الصلاة فيأتي ذا الحليفة قبل غروب الشمس ، ويصلي المغرب حين تسقط الشمس ، ويصلي العشاء حين يسود الأفق ، وربما أخرها حين يجتمع الناس ، ويصلي الصبح مرة بغلس ، ثم صلى مرة آخراً فأسفر بها ، ثم كانت صلاته بعد ذلك إلى الغلس حتى مات لم يعد يغد إلى أن يسفر .

قال أبو داود : روي هذا الحديث عن الزهري : معمر ومالك وابن عيينة وشعيب بن أبي حمزة والليث بن سعد وغيرهم ، لم يذكروا الوقت الذي صلى فيه [و][4] لم يفسروه ، وكذلك رواه أيضاً : هشام بن عروة وحبيب بن أبي مرزوق عن عروة نحو رواية معمر وأصحابه ، إلا أن حبيباً لم يذكر .

قال ابن عبد البر : هذا كلام أبي داود ، ولم يسبق في كتابه رواية معمر ولا من ذكر معه عن ابن شهاب لهذا الحديث ، وإنما ذكروا رواية أسامة بن زيد هذه

---

(١) كذا في (خ) ، ولعلّ ما بين القوسين تكرار من الناسخ .

(٢) زيادة للسياق . (٣) زيادة للسياق . (٤) زيادة للسياق .

عن ابن شهاب وحدها من رواية ابن وهب ، ثم أردفها بما ذكرنا من كلامه ، وصدق فيما حكى ، إلا أن حديث أسامة ليس فيه من البيان ما في حديث ابن أبي ذؤيب من تكرير الصلوات الخمس مرتين مرتين ، وكذلك رواية معمر ومالك والليث ومن تابعهم ظاهرها مرة واحدة ، وليس فيها ما يقطع به على أن ذلك كذلك ، وقد ذكرنا رواية معمر ومالك والليث وغيرهم ، وقد روى الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن أسامة بن زيد عن ابن شهاب هذا الحديث مثل رواية ابن وهب عن أسامة سواء .

قال محمد بن يحى الذهلي في رواية أبي بكر بن حزم عن عروة بن الزبير ما يُقَوِّى رواية أسامة ، لأن رواية أبي بكر بن حزم شبيهة برواية أسامة ؛ فيه أنه صلى الوقتين ، وإن كان لم يُسنده عنه إلا أيوب بن عتبة فقد روى عنه معناه مرسلاً يحيى بن سعيد وغيره من الثقات .

قال ابن عبد البر : وقد روى هذا الحديث جماعة عن عروة بن الزبير منهم : هشام بن عروة ، وحبيب بن أبي مرزوق ، وأبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وغيرهم ، فأما رواية هشام بن عروة عن أبيه ، فذكرها من طريق أحمد بن زهير قال : حدثنا شريح بن النعمان ، حدثنا فليح عن هشام بن عروة عن أبيه قال : أخَّر عمر بن عبد العزيز الصلاة يوماً فدخلت عليه فقلت : إن المغيرة بن شعبة أخر الصلاة يوماً فدخل عليه أبو مسعود ... فذكر الحديث ، وقال فيه : كذلك سمعت بشير ابن أبي مسعود يحدث عن ابنه ، قال : ولقد حدثتني عائشة أن رسول الله ﷺ كان يصلي العصر والشمس في حجرتها لم تظهر ، وقال أحمد بن زهير : وحدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا هشام بن عروة عن أبيه أن المغيرة ابن شعبة كان يوجز الصلاة ، فقال له رجل من الأنصار : أما سمعت أن رسول الله ﷺ يقول : قال جبريل عليه السلام : صل صلاة كذا في وقت كذا حتى عدَّ الصلوات الخمس ؟ قال : بلى ، قال : فاشهد أنا كنا نصلى العصر مع النبي ﷺ ، والشمس نقية بيضاء ، ثم نأتي بني عمرو وإنها لمرتفعة — وهي على رأس ثلثي فرسخ من المدينة .

وأما رواية حبيب بن أبي مرزوق ، فذكرها من طريق الحرث بن أبي أسامة قال : حدثنا كثير بن هشام ، حدثنا جعفر قال : حدثني حبيب بن أبي مرزوق عن عروة بن الزبير قال : حدثني أبو مسعود أن جبريل نزل فصلى ، فصلى رسول الله ﷺ ، ثم نزل فصلى ، فصلى رسول الله ﷺ ، ثم نزل فصلى ، فصلى رسول الله ﷺ ، ثم نزل فصلى ، فصلى رسول الله ﷺ ، ثم نزل فصلى ، فصلى رسول الله ﷺ ، حتى أتمها خمساً ، فقال له عمر بن عبد العزيز : أنظر يا عروة ما تقول أن جبريل هو الذي وقت مواقيت الصلاة ؟ قال : كذلك حدثني ابن مسعود ، فبحث عمر عن ذلك حتى وجد ثَبْتَهُ ، فمازال عمر عنده علامات الساعات ينظر فيه حتى قُبض .

قال ابن عبد البر : قد أحسن حبيب بن أبي مرزوق في سياقه هذا الحديث على ما ساقه أصحاب ابن شهاب في الخمس صلوات لوقت واحد مرة واحدة ، إلا أنه قال فيه عن عروة : حدثني أبو مسعود ، والحفاظ يقولون : عن عروة عن بشير عن أبيه ، وبشير هذا ولد على عهد رسول الله ﷺ ، وأبوه أبو مسعود الأنصاري ، اسمه عقبة بن عمر ، ويُعرف بالبدري لأنه كان يسكن بدراً ، واختلف في شهوده بدراً .

وأما رواية أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم بمثل رواية ابن أبي ذؤيب وأسامة ابن زيد عن ابن شهاب في أنه صلى الصلوات الخمس لوقتين مرتين ، وحديثه أبين في ذلك وأوضح ، وفيه ما يضارع قول حبيب بن أبي مرزوق عن عروة عن أبي مسعود ، فذكره من طريق على بن عبد العزيز قال : حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا أيوب بن عتبة ، حدثنا أبو بكر بن حزم أن عروة بن الزبير كان يحدث عمر بن عبد العزيز – وهو يومئذ أمير المدينة في زمن الحجاج والوليد بن عبد الملك ، وكان ذلك زماناً يؤخرون فيه الصلاة – فحدث عمر عروة وقال : حدثني أبو مسعود الأنصاري ، وبشير بن أبي مسعود – قال كلاهما قد صحب النبي ﷺ – أن جبريل جاء إلى النبي ﷺ حين دلكت الشمس – قال أيوب : فقلت : وما دلوكها ؟ قال : حين زالت – قال : فقال : يا محمد ، صلّ الظهر ، قال : فصلى ، ثم جاءه حين

كان ظل كل شيء مثله فقال : يا محمد ، صلِّ العصر ، فقال : فصلى ، ثم أتاه جبريل حين غربت الشمس فقال : يا محمد ، صل المغرب ، فصلى ، قال : ثم جاءه حين غاب الشفق فقال : يا محمد ، صل العشاء ، فصلى ، ثم أتاه حين انشق الفجر فقال : يا محمد ، صلِّ الصبح ، قال : فصلى ثم جاءه الغد حين كان ظل كل شيء مثله فقال : يا محمد ، صل[1] الظهر ، قال : فصلى ، ثم أتاه حين كان ظل كل شيء مثليه فقال : يا محمد ، صلّ[1] العصر ، قال : فصلى ، ثم أتاه حين غربت الشمس فقال : يا محمد ، صلّ[1] المغرب ، قال : فصلى ، ثم أتاه حين ذهبت ساعة من الليل فقال : يا محمد ، صل[1] العشاء ، قال فصلى ، ثم أتاه حين أضاء الفجر وأسفر فقال : يا محمد ، صل[1] الصبح ، قال فصلى ، قال ثم قال : ما بين هذين وقت ، يعني أمس واليوم . قال عمر لعروة : أجبريل أتاه ؟ قال : نعم .

ففي هذا الحديث وهذه الرواية بيان واضح أن صلاة جبريل بالنبي ﷺ في حين تعليمه له الصلاة في أول وقت فرضها كانت في يومين لوقتين وقتين كل صلاة ، وكذلك رواية معمر عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه أن جبريل نزل صلى فذكر مثله سواء إلا أنه مرسل .

وكذلك رواه الثوري عن عبد الله بن أبي بكر ويحيى بن سعيد ، جميعاً عن أبي بكر بن حزم مثله سواء ، أن جبريل صلى الصلوات الخمس بالنبي ﷺ مرتين في يومين لوقتين ، ومراسيل هؤلاء عند مالك حجة ، وهو خلاف ظاهر حديث الموطأ ، وحديث هؤلاء جميعاً بالصواب أولى ؛ لأنهم زادوا وأوضحوا ، وفسروا ما أجمله غيرهم وأهمله ، ويشهد بصحة ما جاءوا به : رواية ابن أبي ذؤيب ومن تابعه عن ابن شهاب ، وعامة الأحاديث في إمامة جبريل على ذلك جاءت مفسرة لوقتين ، ومعلوم أن حديث أبي مسعود من رواية ابن شهاب وغيره في إمامة جبريل وَرُدَّ برواية من زاد وأتم وفسَّر أولى من رواية من أجمل وقصَّر ، وقد رويت إمامة جبريل بالنبي ﷺ من حديث ابن عباس ، وحديث جابر ، وأبي سعيد الخدري على نحو ما ذكرنا .

---

(١) في (خ) : « صلى » ، وما أثبتناه حق اللغة .

فأما حديث ابن عباس رضي الله عنه فذكره من طريق قاسم بن أصبغ قال : حدثنا أحمد بن زهير بن حرب ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا سفيان الثوري عن عبد الرحمن بن الحرث ، ومن طريق أبي بكـر بن أبي شيبة : حدثنا وكيع عن سفيان عن عبد الرحمن ، ومن طريق قاسم : حدثنا أحمد بن زهير ، وحدثنا سعيد بن عبد الحميد بن جعفر ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن عبد الرحمن بن الحرث .

قال كاتبه : وخرجه الترمذي من حديث هناد : حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن عبد الرحمن بن الحرث بن عَيَّاش بن أبي ربيعة عن حكيم بن حكيم – وهو ابن عباد بن حنيف – أخبرني نافع بن جبير بن مطعم قال : أخبرني ابن عَبَّاس أن النبي ﷺ قال : « أمني جبريل عليه السلام عند البيت مرتين ، فصلى الظهر في الأولى منهما حين كان الفيء مثل الشراك ، ثم صلى العصر حين [كان][1] [ظل][2] كل شيء [مثله][3] ، ثم صلى المغرب حين وجبت الشمس وأفطر الصائم ، ثم صلى العشاء حين غاب الشفق ، ثم صلى الفجر حين برق[4] وَحَرُمَ الطعامُ على الصائم ، وصلى المرة الثانية الظهر حين كان ظل كل شيء مثله لوقت العصر بالأمس ، ثم صلى العصر حين كان ظل كل شيء مثليه ، ثم صلى المغرب لوقته الأول ، ثم صلى العشاء الآخرة حين ذهب ثلث الليل ، ثم صلى الصبح حين أسفرت الأرض ، ثم التفت إلى جبريل فقال : يا محمد ، هذا وقت الأنبياء من قبلك ، والوقت [فيما][5] بين هذين الوقتين[6] .

---

(١) تكملة من رواية الترمذي .
(٢) زيادة ليست في رواية الترمذي .
(٣) تصويب من رواية الترمذي .
(٤) في رواية الترمذي : « حين برق الفجر » .
(٥) في (خ) : « ما » ، والتصويب من الترمذي .
(٦) قال أبو عيسى : « وفي الباب عن أبي هريرة ، وبُريدة ، وأبي موسى ، وأبي مسعود الأنصاري ، وأبي سعيد ، وجابر وعمرو بن حزم ، والبراء ، وأنَس » .

هذا الحديث أخرجه الترمذي في أبواب الصلاة عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في مواقيت الصلاة ، حديث رقم (١٤٩) ، قوله : « عن عبد الرحمن بن الحارث بن عياش بن أبي ربيعة » ، قال في التقريب : عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي ، أبو الحارث المدني ، صدوق له أوهام .

قوله : « عن حكيم بن حكيم وهو ابن بعاد بن حُنيف » ، الأنصاريّ الأوسيّ ، صدوق . قاله الحافظ ، وذكره ابن حبان في الثقات ، قاله الخزرجي . ... =

= قوله : « قال : أخبرني نافع بن جبير بن مطعم » ، النوفلي أبو محمد أو أبو عبد الله المدني ، ثقة فاضل من الثانية ، مات سنة (٩٩) تسع وتسعين ، وهو من رجال الكتب الستة .

قوله : « أمني جبريل عند البيت » ، أي عند بيت الله ، وفي رواية في (الأم) للشافعي رضي الله تعالى عنه : « عند باب الكعبة » .

قوله : « مرتين » ، أي في يومين ليعرفني كيفية الصلاة وأوقاتها .

قوله : « فصلى الظهر في الأولى منهما » ، أي المرة الأولى من المرتين ، قال الحافظ في الفتح : بين ابن إسحاق في المغازي أن ذلك كان صبيحة الليلة التي فرضت فيها الصلاة ، وهي ليلة الإسراء ، قال ابن إسحاق : وحدثني عتبة بن مسلم عن نافع بن جبير ، وقال عبد الرزاق : عن ابن جريج قال : قال نافع بن جُبير وغيره : لما أصبح النبي ﷺ من الليلة التي أُسري به ، لم يرعه إلا جبريل ، نزل حين زالت الشمس ، ولذلك سميت الأولى - أي صلاة الظهر - فأمر فصيح بأصحابه : الصلاة جامعة ، فاجتمعوا ، فصلى به جبريل ، وصلى النبي ﷺ بالناس .. فذكر الحديث .

قوله : « حين كان الفيء » ، هو ظل الشمس بعد الزوال .

قوله : « مثل الشراك » ، أي قدره ، قال ابن الأثير : الشراك أحد سيور النعل التي تكون على وجهها . وفي رواية أبي داود : « حين زالت الشمس وكانت قدر الشراك » . قال ابن الأثير : قدره هاهنا ليس على معنى التحديث ، ولكن زوال الشمس لا يبين إلا بأقل ما يُرى من الظل ، وكان حينئذ بمكة هذا القدر ، والظل يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة ؛ وإنما يتبين ذلك في مثل مكة من البلاد التي يقل فيها الظل ، فإذا كان طول النهار واستوت الشمس فوق الكعبة ، لم يُر بشيء من جوانبها ظل ، فكل بلد يكون أقرب إلى خط الاستواء ومعدل النهار يكون الظل فيه أقصر ، وكل ما بعد عنهما إلى جهة الشمال يكون الظل أطول .

قوله : « ثم صلى العصر حين كان كل شيء مثله ظل » ، أي سوي ظله الذي كان عند الزوال ، يدل على ما رواه النسائي من حديث جابر بلفظ : « خرج رسول الله ﷺ فصلى الظهر حين زالت الشمس ، وكان الفيء قدر الشراك وظل الرجل » .

قوله : « ثم صلى المغرب حين وجبت الشمس ، وأفطر الصائم » ، أي غربت الشمس ودخل وقت إفطار الصائم ، بأن غابت الشمس ، فهو عطف تفسير .

قوله : « ثم صلى العشاء حين غاب الشفق » ، أي الأحمر - على الأشهر - قاله القاري ، وقال النووي في شرح مسلم : المراد بالشفق الأحمر ، هذا مذهب الشافعي ، وجمهور الفقهاء ، وأهل اللغة ، وقال أبو حنيفة والمزني رضي الله عنهما وطائفة من الفقهاء وأهل اللغة : المراد الأبيض ، والأول هو الراجح المختار . (انتهى كلام النووي) .

قال المباركفوري : وإليه ذهب صاحبا أبي حنيفة ، أبو يوسف ومحمد ، وقالا : الشفق هو الحمرة ، وهو رواية عن أبي حنيفة ، بل قال في (النهر) : وإليه رجع الإمام ، وقال في (الدر) : الشفق هو الحمرة عندهما ، وبه قالت الثلاثة ، وإليه رجع الإمام كما هو في شروح (المجمع) وغيره ، فكان هو المذهب ، قال صدر الشريعة : وبه يُفتَى ، كذا في حاشية النسخة الأحمدية ، ولا شك في أن =

المذهب الراجح المختار ، هو أن الشفق الحمرة ، يدل عليه حديث ابن عمر عن النبي ﷺ قال : « الشفق الحمرة » ، رواه الدارقطني ، وصححه ابن خزيمة ، وغيره ، ووقفه على ابن عمر ، كذا في (بلوغ المرام) .

قال محمد بن إسماعيل الأمير في (سبل السلام) : البحث لُغويّ ، والمرجع فيه إلى أهل اللغة ، وابن عمر من أهل اللغة ، ومُخّ العرب ، فكلامه حُجّه ، وإن كان موقوفاً عليه .

ويدل عليه قوله ﷺ في حديث عبد الله بن عمرو عند مسلم : وقتُ المغرب ما لم يسقط ثور الشفق ، قال الجزري في (النهاية) : أي انتشاره وثوران حمرته ، من ثار الشيء يثور إذا انتشر وارتفع ... وفي (البحر الرائق) من كتب الحنفية ، قال الشمني : هو ثوران حمرته ... ووقع في رواية أبي داود : وقت المغرب ما لم يسقط فور الشفق ، قال الخطابي : هو بقية حمرة الشفق في الأفق ، وسمى فوراً بفورانه وسطوعه ، وروى أيضاً ثور الشفق ، وهو ثوران حمرته .. وقال الجزري في (النهاية) : هو بقية حُمرة الشمس في الأفق الغربي ، سمي فوراً لسطوعه وحمرته ، ويروى بالثاء ، وقد تقدم .

قوله : « ثم صلى الفجر حين برق الفجر » ، أي طلع ، « وصلى المرة الثانية » أي في اليوم الثاني ، « حين كان ظل كل شيء مثله لوقت العصر بالأمس » ، أي فرغ من الظهر حينئذ كما شرع في العصر في اليوم الأول ، حيئنذ قال الشافعي رضي الله تعالى عنه : وبه يندفع اشتراكهما في وقت واحد ، على ما زعمه جماعة ، ويدل له خبر مسلم : وقت الظهر ما لم يحضر العصر .

قوله : « ثم صلى المغرب لوقته الأول » ، استدل به من قال : إن لصلاة المغرب وقتاً واحداً ، وهو عقب غروب الشمس ، بقدر ما يتطهر ، ويستر عورته ، ويؤذن ، ويقيم ، فإن أخّر الدخول في الصلاة عن هذا الوقت أثم وصارت قضاءاً ، وهو قول الشافعية .

قال الإمام النووي : وذهب المحققون من أصحابنا ، إلى ترجيح القول بجواز تأخيرها ، ما لم يغب الشفق ، وأنه يجوز ابتداؤها في كل وقت من ذلك ، ولا يأثم بتأخيرها عن أول الوقت ، وهذا هو الصحيح الصواب ، الذي لا يجوز غيره . والجواب عن حديث جبريل عليه السلام ، حين صلى المغرب في اليومين حين غربت الشمس ، من ثلاثة أوجه :

الأول : أنه اقتصر على بيان وقت الاختيار ، ولم يستوعب وقت الجواز ، وهذا جارٍ في الصلوات سوى الظهر .

والثاني : أنه متقدم في أول الأمر بمكة ، وأحاديث امتداد وقت المغرب إلى غروب الشفق متأخرة في أواخر الأمر بالمدينة ، فوجب اعتمادها .

والثالث : أن هذه الأحاديث أصح إسناداً من حديث بيان جبريل عليه السلام فوجب تقديمها .

قوله : « فقال : يا محمد هذا » ، أي ما ذكر من الأوقات الخمسة ، « وقت الأنبياء من قبلك » ، قال ابن العربي في (عارضه الأحوذي) : ظاهره يوهم أن هذه الصلوات في هذه الأوقات كانت مشروعة لمن قبلهم من الأنبياء ، ليس كذلك ، وإنما معناه : أن هذا وقتك المشروع لك ، يعني الوقت الموسع ، المحدد بطرفين ، الأول والآخر ، وقوله : وقت الأنبياء من قبلك ، يعني ومثله وقت الأنبياء قبلك ، أي صلاتهم كانت واسعة الوقت ، وذات طرفين ، وإلا فلم تكن هذه الصلوات على هذا الميقات

قال أبو عيسى : حديث ابن عباس حديث حسن ، وقال ابن عبد البر : لا يوجد هذا اللفظ (وقت الأنبياء قبلك) إلا في هذا الإسناد ، وتكلم بعض الناس في إسناد حديث ابن عباس هذا بكلام لا وجه له ، ورواته كلهم معروفو[1] النسب ، مشهورون[2] في العلم .

وقد خرجه أبو داود[3] وغيره ، وذكره عبد الرزاق عن الثوري ، وابن أبي سبرة عن عبد الرحمن بن الحرث بإسناده مثل رواية وكيع وأبي نعيم ، وذكره عبد الرزاق عن العمري عن عمر بن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه عن ابن عباس نحوه .

وأما حديث جابر رضي الله عنه[4] فذكره من طريق أحمد بن زهير : حدثنا أحمد ابن الحجاج ، ومن طريق النسائي[5] : حدثنا سويد بن نصر قالا : حدثنا ابن المبارك قال : أخبرني حسين بن علي بن حسين قال : أخبرني وهب بن كيسان ، حدثنا جابر بن عبد الله قال : جاء جبريل إلى النبي ﷺ حين مالت الشمس فقال : قم يا محمد فصل الظهر ، فصلى الظهر حيث مالت الشمس ، ثم مكث حتى إذا

إلا لهذه الأمة خاصة ، وإن غيرهم قد شاركهم في بعضها . وقد روى أبو داود في حديث العشاء : أعتموا بهذه الصلاة فإنكم قد فضلتم بها على سائر الأمم ، وكذا قال ابن سيد الناس ، وقال : يريد في التوسعة عليهم في أن الوقت أولاً وآخراً ، لا أن الأوقات هي أوقاتهم بعينها . كذا في (قوت المغتذي) .

قوله : « والوقت فيما بين هذين الوقتين » ، قال ابن سيد الناس : يريد هذين وما بينهما ، أما إرادته أن الوقتين اللذين أوقع فيهما الصلاة وقت لها ، فتبين بفعله ، وأما الإعلام ما بينهما أيضاً وقت ، فبينه قوله ﷺ .

(١) في (خ) : « معروف » . (٢) في (خ) : « مشهور » .

(٣) خرّجه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب (١) في المواقيت حديث رقم (٣٨٩) ، (عون المعبود) : ٢ / ٤٠ .

(٤) وقال محمد : أصح شيء في المواقيت حديث جابر عن النبي ﷺ ، قال : وحديث جابر في المواقيت قد رواه عطاء بن أبي رباح ، وعمرو بن دينار ، وأبو الزبير عن جابر بن عبد الله ، عن النبي ﷺ ، نحو حديث وهب بن كيسان ، عن جابر ، عن النبي ﷺ ، (تحفة الأحوذي) : ١ / ٣٩٨ ، عقب الحديث رقم (١٥٠) .

(٥) (صحيح سنن النسائي) : ١ / ١١٥ - ١١٦ ، باب (١٧) أول وقت العشاء ، حديث رقم (٥١٢) ، باختلاف يسير .

كان الفيء في الرجل مثله ، جاء العصر فقال : يا محمد ، قم صل العصر ، فصلاها ، ثم مكث حتى إذا غابت الشمس جاء فقال : قم فصل المغرب ، فقام فصلاها حين غابت الشمس ، ثم غاب حتى إذا غاب الشفق جاءه فقال : قم فصل العشاء فصلاها ، ثم جاء سطع الفجر بالصبح فقال : قم يا محمد فصل الصبح ، فصلاها ، ثم جاءه حين كان فيء الرجل مثليه ، فقال : يا محمد ، قم فصل العصر ، ثم جاء للمغرب حين غابت الشمس وقتاً واحداً لم يغب عنه فقال : قم فصل المغرب ، ثم جاءه حين ذهب ثلث الليل فقال : قم فصل العشاء ، ثم جاءه للصبح حين ابيض جداً فقال : قم فصل ، ثم قال له : الصلاة ما بين الوقتين .

وقال سويد بن نصر في حديثه : ما بين هذين وقت كله ، قلت : وخرجه الترمذي من حديث أحمد بن محمد بن موسى ، أنبأنا عبد الله بن المبارك ، أنبأنا حسين بن علي ، أخبرني وهب بن كيسان عن جابر عن رسول الله ﷺ أنه قال : أمني جبريل .. فذكر الحديث بنحو حديث ابن عباس بمعناه ولم يذكر فيه لوقت العصر بالأمس[1] .

قال أبو عيسى : وقال محمد : أصح شيء في المواقيت حديث جابر عن النبي ﷺ ، قال : وحديث جابر في المواقيت قد رواه عطاء بن أبي رباح وعمرو ابن دينار ، وابن الزبير عن جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ نحو حديث وهب ابن كيسان عن جابر[2] .

وذكر ابن عبد البر من طريق النسائي : حدثنا يوسف[3] ، حدثنا قدامة ابن شهاب عن برد عن عطاء بن أبي رباح عن جابر : أن جبريل أتى النبي ﷺ يعلمه مواقيت الصلاة ، فتقدم جبريل ورسول الله ﷺ خلفه ، والناس خلف رسول الله ﷺ ، فصلى الظهر حين زالت[4] الشمس ، وأتاه حين كان الظل مثل شخصه فصنع كما صنع ، فتقدم جبريل ورسول الله ﷺ خلفه ، والناس خلف رسول الله ﷺ

---

(١) سبق شرحه وتخريجه .
(٢) سبق الإشارة إليه .
(٣) في (خ) : « حدثنا يوسف واصح » .
(٤) في (خ) : « زالت الشمس » ، وهو تكرار من الناسخ .

فصلى العصر ، ثم أتاه حين وجبت الشمس ، فتقدم جبريل ورسول الله ﷺ خلفه ، والناس خلف رسول الله ﷺ فصلى المغرب ، ثم أتاه حين غاب الشفق ، فتقدم جبريل ورسول الله ﷺ خلفه ، والناس خلف رسول الله ﷺ فصلى العشاء ، ثم أتاه حين انشق الفجر ، فتقدم جبريل ورسول الله ﷺ خلفه ، والناس خلف رسول الله ﷺ فصلى الغداة ، ثم أتاه اليوم الثاني حين كان ظل الرجل مثل شخصه ، فصنع مثل ما صنع بالأمس فصلى الظهر، ثم أتاه جبريل حين كان ظل الرجل مثل شخصيه ، فصنع كما صنع بالأمس فصلى العصر ، ثم أتاه حين وجبت الشمس ، فصنع كما صنع بالأمس فصلى المغرب فيها ، ثم أتاه فصنع كما صنع بالأمس فصلى العشاء ، فأتاه جبريل حين امتد الفجر واضح والنجوم بادية مشتبكة ، فصنع كما صنع بالأمس فصلى الغداة ثم قال : ما بين هذين وقت[1] .

ورواه أبو الدرداء[2] عن برد عن عطاء عن جابر مثله سواء ، إلا أنه قال في اليوم الثاني في المغرب : ثم جاءه حين وجبت الشمس لوقت واحد فذكره ، قال : ثم جاء نحو ثلث الليل للعشاء فذكره ، ثم جاء حين أضاء الصبح ولم يقل : والنجوم بادية مشتبكة .

وأما حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه[3] ، فذكره ابن عبد البر من طريق محمد بن سنجر قال : حدثنا سعيد بن الحكم حدثنا ابن لهيعة قال : حدثني بكر[4] بن [عبد الله][5] الأشج عن عبد الملك بن سعيد بن سويد الساعدي أنه سمع أبا سعيد الخدري يقول[6] : قال رسول الله ﷺ أمني جبريل في الصلاة فصلى الظهر حين زالت الشمس ، وصلى العصر حين كان الفيء قامةً[7] ، وصلى المغرب حين غابت الشمس [في وقت واحد ، وصل العشاء ثلث الليل ، وصلى الصبح

---

(١) (صحيح سنن النسائي) : ١ / ١١٢ ، (١٠) آخر وقت العصر ، حديث رقم (٥٠٠) .
(٢) في (خ) : « أبو الوراد » ، ولعل الصواب ما أثبتناه .
(٣) حديث أبي سعيد الخدري ، أخرجه الإمام أحمد في مسنده : ٤١٤/٣ ، حديث رقم (١٠٨٥٦) .
(٤) في (خ) : « بكير » ، وما أثبتناه من (المسند) .
(٥) تكملة من (المسند) .
(٦) في (المسند) : « عن أبي سعيد الخدري قال» .
(٧) في (خ) : « كانت الشمس قائمة » ، وما أثبتناه من (المسند) .

حين كادت الشمس أن تطلع ، ثم قال : الصلاة فيما بين هذين الوقتين][1] .

قال ابن عبد البر : هذا مافي إمامة جبريل بالنبي ﷺ من صحيح الآثار ، قال : واحتج من زعم أن جبريل صلى بالنبي ﷺ في اليوم الذي يلي ليلة الإسراء مرة واحدة الصلوات كلها لا مرتين على ظاهر حديث مالك في ذلك ، فذكر من طريق أحمد بن زهير قال : حدثنا هدبة بن خالد عن هشام عن قتادة ، قال فحدثنا الحسنْ أنه ذكر له أنه لما كان عند صلاة الظهر نودي أن الصلاة جامعة ، ففزع الناس فاجتمعوا إلى نبيهم ﷺ فصلى بهم الظهر أربع ركعات يؤم جبريل عليه السلام محمداً ﷺ ، ويؤم محمد الناس ؛ يقتدي محمد بجبريل ، ويقتدي الناس بمحمد ﷺ ، ثم سلم جبريل على محمد وسلم محمد على الناس ، فلما [زالت] الشمس نودي أن الصلاة جامعة ، ففزع الناس واجتمعوا إلى نبيهم ﷺ ، فصلى بهم العصر أربع ركعات وهي أخف ، يؤم جبريل محمداً ، ويؤم محمد الناس ، يقتدي محمد بجبريل ويقتدي الناس بمحمد ﷺ ، ثم سلم جبريل على محمد ، وسلم محمد على الناس ، فلما غربت الشمس نودي الصلاة جامعة ، ففزع الناس واجتمعوا إلى نبيهم فصلى بهم ثلاث ركعات أسمعهم القراءة في ركعتين وسبح في الصلاة الثالثة - يعني به قام لم يظهر القراءة - يؤم جبريل محمداً ويؤم محمد ﷺ الناس ، ويقتدي محمد بجبريل ، ويقتدي الناس بمحمد ﷺ ، ثم سلم جبريل على محمد وسلم محمد على الناس ، فلما بدت النجوم نودي أن الصلاة جامعة ، ففزع الناس واجتمعوا إلى نبيهم ﷺ ، فصلى بهم أربع ركعات أسمعهم القراءة في ركعتين وسبح في الأخريين ، يؤم جبريل محمداً ، ويؤم محمد الناس ، يقتدي محمد بجبريل ، ويقتدي الناس بمحمد ﷺ ، ثم سلم جبريل على محمد وسلم محمد على الناس ، ثم رقدوا ولا يدرون أيزادون أم لا ؟ حتى إذا طلع الفجر نودي أن الصلاة جامعة ، ففزع الناس واجتمعوا إلى نبيهم ﷺ ، فصلى بهم ركعتين أسمعهم فيها القراءة ، يؤم جبريل محمداً ، ويؤم

---

(١) السياق مضطرب فيما بين الحاصرتين ، ورواية (المسند) بعد قوله : « حين غابت الشمس » ، « وصلى العشاء حين غاب الشفق ، وصلى الفجر حين طلع الفجر ، ثم جاء الغد ، فصلى الظهر وفيء كل شيء مثله ، وصلى العصر والظل قامتان ، وصلى المغرب حين غربت الشمس ، وصل العشاء إلى ثلث الليل الأول ، وصلى الصبح حين كادت الشمس تطلع ، ثم قال : الصلاة فيما بين هذين الوقتين » .

محمد الناس ، يقتدي محمد بجبريل ويقتدي الناس بمحمد ، ثم سلم جبريل على محمد وسلم محمد على الناس ، وصلى الله على جبريل ومحمد وسلم تسليماً كثيراً .

ففي هذا الخبر أن جبريل لم يصل الصلوات الخمس بالنبي ﷺ إلا مرة واحدة ، وهو وإن كان مرسلاً فإنه حديث حسن مهذب .

واحتجوا أيضاً فذكر من طريق أحمد بن زهير وعبيد بن عبد الواحد قالا : حدثنا أحمد بن محمد بن أيوب ، حدثنا إبراهيم بن سعد عن ابن إسحق عن عتبة ابن مسلم مولى بني تميم عن نافع بن جبير قال : وكان نافع بن جبير كثير الرواية عن ابن عباس ، قال : فلما فرضت الصلاة وأصبح النبي ﷺ ....

وذكره عبد الرزاق عن ابن جريج قال : قال نافع ابن جبير وغيره : لما أصبح النبي ﷺ من ليلة أسري به لم يرعه إلا جبريل ، نزل حين زاغت الشمس ، ولذلك سميت الأولى ، فأمر فصيح بأصحابه : الصلاة جامعة فاجتمعوا ، فصلى جبريل بالنبي ﷺ ، وصلى النبي ﷺ بالناس ، طوّل الركعتين الأوليين ثم قصر الباقين ، ثم سلم جبريل على النبي وسلم النبي ﷺ على الناس ، ثم نزل في العصر على مثل ذلك ففعلوا كما فعلوا في الظهر ، ثم نزل في الليل في أوله فصيح الصلاة جامعة ، فصلى جبريل بالنبي ﷺ ، وصلى النبي ﷺ بالناس ، طول في الأولين وقصر في الثالثة ، ثم سلم جبريل على النبي ﷺ ، وسلم النبي على الناس ، ثم لما ذهب ثلث الليل نزل ، فصيح الصلاة جامعة ، فاجتمعوا ، فصلى جبريل بالنبي ﷺ ، وصلى النبي بالناس ، فقرأ في الأولين فطوَّل وجهر ، وقصر في الباقيتين ، ثم سلم جبريل على النبي ﷺ ، وسلم النبي ﷺ على الناس ، فلما طلع الفجر فصيح الصلاة جامعة ، فصلى جبريل بالنبي ، وصلى النبي بالناس ، فقرأ فيهما فجهر وطول ورفع صوته ، وسلم جبريل على النبي ، وسلم النبي ﷺ على الناس .

قال ابن عبد البر : فقال : من ذكرنا حديث نافع بن جبير هذا مثل حديث الحسن في أن جبريل لم يصل في وقت فرض الصلاة بالنبي ﷺ الصلوات الخمس إلا مرة واحدة ، وهو ظاهر حديث مالك ، والجواب عن ذلك ما تقدم ذكرنا له من الآثار الصحاح المتصلة في إمامة جبريل لوقتين ، وقوله : ما بين هذين وقت ،

وفيها زيادة يجب قبولها والعمل بها لنقل العدول لها ، وليس تقصير من قصَّر عن حفظ ذلك وإتقانه والإتيان به بحجة ، وإنما الحجة في شهادة من شهد لا في قول من قصر وأجمل واختصر ، على أن هذه الآثار منقطعة ، وإنما ذكرناها لما وصفنا ، ولأن فيها أن الصلاة فرضت في الحضر أربعاً لا ركعتين على خلاف ما زعمت عائشة ، وقال بذلك جماعة ، وردّوا حديث عائشة رضي الله عنها ، وإن كان إسناده صحيحاً لضروب من الأعمال ، والله سبحانه وتعالى الموفق بمنه وكرمه .

* * *

ذكر الجهة[1] التي كان ﷺ يستقبلها في صلاته

ذكر ابن جريج في تفسيره ، وذكر سُنينة عن حجاج عن ابن جريج قال : صلى النبي ﷺ أول ما صلى إلى الكعبة[2] ، ثم صرف إلى بيت المقدس[3] ، فصلت الأنصار نحو بيت المقدس قبل قدومه ﷺ بثلاث حجج[4]، وصلى النبي ﷺ

---

(١) الجِهَةُ : والجُهَةُ ، والجَهَةُ ، بالكسر ، والضم ، والفتح ، والوَجْهُ : الجانب والناحية ، والجمع جهات ، ووجوه ، على الترتيب . (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز) : ١٦٧/٥ .

(٢) الكعبة : البيت المربَّع ، وجمعه كِعاب ، والكعبة ، البيت الحرام ، منه ، لتكعيبها أي تربيعها ، وقالوا : كعبةُ البيت فأضيف ، لأنهم ذهبوا بكعبته إلى تربع أعلاه ، وسُمّي كعبة لارتفاعه وتربعه ، وكل بيت مربع ، فهو عند العرب كعبة . (لسان العرب) : ١ / ٧١٨ ، مادة « كعب » ، (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز) : ٤ / ٣٥٧ .

(٣) التقديس : التطهير والتبريك ، وتَقَدَّس أي تطهر ، وفي التنزيل : ﴿ **ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك** ﴾ [٣٠ / البقرة] . الزجاج : معنى نقدس لك ، أي نُطهر أنفسنا لك وكذلك نفعل بمن أطاعك ، نُقَدِّسُه أي نطهره . ومن هذا قيل للسَّطْل : القَدَس ، لأنه يُتَقَدَّسُ منه أي تُتطهَّر ، ومن هذا بيت المقدس ، أي البيت المُطَهَّر ، أي المكان الذي يُتَطَهَّر به من الذنوب .

ابن الكلبيّ : القُدّوس الطاهر ، وقوله تعالى : ﴿ **الملك القدوس** ﴾ الطاهر في صفة الله عزّ وجلّ [٢٣ / الحشر] ، وجاء في التفسير أنه المبارك ، والقُدّوس : هو الله عزَّ وجلَّ . والقُدْس : البركة ، والأرض المقدسة : الشام منه ، وبيت المقدس من ذلك أيضاً ، ابن الأعرابي : المقدس المبارك ، والأرض المقدسة ، المطهرة .

وقال الفَّراء : الأرض المقدسة الطاهرة ، وهي : دمشق ، وفلسطين ، وبعض الأُردن . ويقال : أرض مقدسة أي مباركة ، وهو قول قتادة ، وإليه ذهب ابن الأعرابي . وروح القُدُس : جبريل عليه السلام ، وفي الحديث : « إن رُوح القُدُس نفث في رُوعي » ، يعني جبريل عليه السلام ، لأنه خُلق من طهارة .

وقال الله عزَّ وجلَّ في صفة عيسى – على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام –: ﴿ **وأيدناه بروح القدس** ﴾ ، وهو جبريل عليه السلام ، معناه روح الطهارة ، أي خُلق من طهارة . وفي الحديث : « لا قُدِّستْ أمة لا يؤخذ لضعيفها من قويّها » ، أي لا طَهُرتْ . (لسان العرب) : ٦ / ١٦٨ – ١٦٩ ، مادة « قدس » .

(٤) يعني ثلاث سنين ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **على أن تأجرني ثماني حجج** ﴾ [٢٧ / القصص] .

بعد قدومه ستة عشر شهراً ، ثم وجهه الله إلى الكعبة[1] .

قال ابن عبد البر : وهذا أمر قد اختلف فيه ، وأحسن شيء روى في ذلك فذكر من حديث أبي عوانة عن سليمان عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يصلي نحو بيت المقدس وهو بمكة ، والكعبة بين يديه ، وبعد ما هاجر إلى المدينة ستة عشر شهراً ، ثم صرفه الله إلى الكعبة[1] .

وخرج مسلم من حديث عفَّان[2] قال : حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يصلي نحو بيت المقدس ، فنزلت ﴿ **قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام** ﴾[3] ، فمر رجل من بني سلمة وهم ركوع في صلاة الفجر وقد صلوا ركعة ، فنادى : ألا إن القبلة قد حولت ، فمالوا كما هم نحو القبلة[4] . قال أبو عمر بن عبد البر : وروى أن المخبر لهم بما في هذا الحديث هو عباد بن بشر[5] .

---

(١) ونحوهما في (مسند أحمد) بسياقات متقاربة :
١ / ٤١٣ ، حديث رقم (٢٢٥٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما : حدثنا عبد الله ، حدثني أبي ، حدثنا حسين بن علي عن زائدة ، عن سماك بن حرب ، عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « صلى رسول الله ﷺ وأصحابه إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً ، ثم صرفت القبلة » .
و ١ / ٥٧٦ ، حديث رقم (٣٢٦٠) بنحوه سواء .
و ١ / ٥٨٩ ، حديث رقم (٣٣٥٣) : من حديث ابن عباس أيضاً : « صلى النبي ﷺ نحو بيت المقدس – قال عبد الصمد : ومن معه – ستة عشر شهراً ثم حولت القبلة بعد ، قال عبد الصمد : ثم جُعلت القبلة – نحو بيت المقدس » . وقال معاوية – يعني ابن عمرو – : ثم حولت القبلة بعد .

(٢) في (خ) : « عنان » ، وما أثبتناه من صحيح مسلم .

(٣) آية ٤٤ / البقرة . (٤) (مسلم بشرح النووي) : ٥ / ١٤ ، حديث رقم (٥٢٧) .

(٥) هو عَبَّاد بن بشر بن وقْش بن زُغْبة بن زعوراء بن عبد الأشهل ، الإمام أبو الربيع الأنصاري الأشهلي ، أحد البدريين ، كان من سادة الأوس ، عاش خمساً وأربعين سنة ، وهو الذي أضاءت له عصاته ليلة انقلب إلى منزله من عند رسول الله ﷺ ، أسلم على يد مصعب بن عمير ، وكان أحد من قتل كعب ابن الأشرف اليهوديّ ، واستعمله النبي ﷺ على صدقات مُزينة وبني سُليم ، وجعله على حرسه في غزوة تبوك ، وكان كبير القدر ، رضي الله عنه ، أبلى يوم اليمامة بلاءً حسناً ، وكان أحد الشجعان الموصوفين .
ابن إسحاق : عن يحيى بن عباد بن عبد الله ، عن أبيه قال : قالت عائشة : ثلاثة من الأنصار لم يكن أحد يعتد عليهم فضلاً ، كلهم من بني عبد الأشهل : سعد بن معاذ ، وعباد بن بشر ، =

روى إبراهيم بن حمزة الزبيري قال : حدثني إبراهيم بن جعفر بن محمود بن محمد ابن سلمة عن أبيه عن جدته تويلة بنت أسلم[1] ، وكانت من المبايعات ، قالت : كنا في صلاة الظهر فأقبل عباد بن بشر بن قيظي فقال : إن رسول الله ﷺ قد استقبل الكعبة - أو قال : البيت الحرام - فتحول الرجال مكان النساء ، وتحول النساء مكان الرجال .

وخرج البخاري ومسلم من حديث يحيى بن سعيد عن سفيان قال : حدثني أبو إسحق قال : سمعت البراء يقول : صلينا مع رسول الله ﷺ نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً ، ثم صرفنا نحو الكعبة . وقال البخاري : ثم صرفه نحو القبلة[2] . ذكره في التفسير في باب قوله : ﴿ **ولكل وجهة [هو موليها]** ﴾[3] .

وأُسيد بن الحُضير ، آخى النبي ﷺ بينه وبين أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة .

وروي بإسناد ضعيف ، عن أبي سعيد الخدري : سُمع عباد بن بشر يقول : رأيت الليلة كأن السماء فرجت لي ، ثم أطبقت عليَّ ، فهي إن شاء الله الشهادة . فنظر يوم اليمامة وهو يصيح . احطموا جفون السيوف . وقاتل حتى قتل بضربات في وجهه . رضي الله عنه .

ابن إسحاق : عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن عائشة قالت : تهجد رسول الله ﷺ في بيتي ، فسمع صوت عباد بن بشر ، فقال : « يا عائشة ! هذا صوت عباد ابن بشر ؟ » قلت : نعم ، قال : « اللهم اغفر له » .

لعباد بن بشر حديث واحد ، أن رسول الله ﷺ قال : « يا معشر الأنصارى ! أنتم الشِّعار والناس الدِّثار ، فلا أوتين من قبلكم » ، قال عليّ بن المديني : لا أحفظ لعبادٍ سواه ، وهذا الحديث رجاله ثقات ، أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب ، وأخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب غزوة الطائف حديث رقم (٤٣٣٠) ، ومسلم في الزكاة ، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم ، وأحمد ٤ / ٤٢ ، وعندهم جميعاً : « الأنصار شعار والناس دثار » .

* (طبقات ابن سعد) : ٣ / ٢ / ١٦ ، (التاريخ الصغير) : ٣٦ ، (الجرح والتعديل) : ٧٧/٦ ، (الاستيعاب) : ٨٠١/٢ - ٨٠٤ ، (الإصابة) : ٣ / ٦١١ - ٦١٢ ، (سير أعلام النبلاء) : ٣٣٧/١ - ٣٤٠ .

(١) « ثويلة » ، بالتصغير ، بنت أسلم ، روى حديثها الطبراني ، من طريق إبراهيم بن حمزة الزبيري ، عن إبراهيم بن جعفر بن محمود بن محمد بن سلمة ، عن أبيه ، عن جدته أم أبيه ، ثُويلة بنت أسلم ، وهي من المبايعات ؛ قالت : بينا أنا في بني حارثة ، فقال عباد بن بشر بن قيظي : إن رسول الله ﷺ قد استقبل البيت الحرام ، فتحول الرجال مكان النساء ، والنساء مكان الرجال ، فصلوا السجدتين الباقيتين نحو الكعبة . وذكر أبو عمر فيه أن الصلاة كانت الظهر ، وقيل فيها : تولة بغير تصغير ، وقيل : أولها نون . (الإصابة) : ٧ / ٥٤٦ ، ترجمة رقم (١٠٩٥٩) .

(٢) (فتح الباري) : ٨ / ٢٢٠ - ٢٢١ ، كتاب التفسير ، باب : ﴿ **ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً إن الله على كل شيء قدير** ﴾ ، حديث رقم (٤٤٩٢) .

(٣) زيادة للسياق .

ولمسلم من حديث أبي الأحوص عن أبي إسحق عن البراء بن عازب قال : صليت مع النبي ﷺ إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً حتى نزلت الآية التي في البقرة ﴿ وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾[1] ، فنزلت بعد ما صلى النبي ﷺ فانطلق رجل [من القوم][2] فمر بناس من الأنصار وهم يصلون ، فحدثهم [بالحديث][3] ، فولوا وجوههم [نحو القبلة ، وهو البيت][4]

وخرج البخاري من حديث زهير ، حدثنا أبو إسحق عن البراء أن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده - أو قال : على أخواله - من الأنصار ، وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً ، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت ، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر ، وصلى معه قوم ، فخرج رجل ممن صلى معه فمر على مسجد فيه قوم راكعون فقال : أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قبل مكة ، فداروا كما هم قبل البيت ، وكانت

---

(١) آية ١٤٤ / البقرة . (٢) زيادة من رواية مسلم .

(٣) في مسلم : « فحدثهم فولوا » .

(٤) ما بين الحاصرتين ليست في مسلم ، ورواية مسلم : « فولوا وجوههم قبل البيت » .

وفي هذا الحديث - حديث البراء - دليل على جواز النسخ ووقوعه . وفيه قبول خبر الواحد . وفيه جواز الصلاة الواحدة إلى جهتين ، وهذا هو الصحيح عند أصحابنا من صلى إلى جهة بالاجتهاد ثم تغير اجتهاده في أثنائها فيستدير إلى الجهة الأخرى حتى لو تغير اجتهاده أربع مرات في الصلاة الواحدة ، فصلى كل ركعة منها إلى جهة صحت صلاته على الأصح ، لأن أهل هذا المسجد المذكور في الحديث استداروا في صلاتهم واستقبلوا الكعبة ولم يستأنفوها .

وفيه دليل على أن النسخ لا يثبت في حق المكلف حتى يبلغه ، فإن قيل : هذا نسخ للمقطوع به بخبر الواحد ، وذلك ممتنع عند أهل الأصول ، فالجواب : أنه احتفت به قرائن ومقدمات ، أفادت العلم ، وخرج عن كونه خبر واحد مجرداً ، واختلف أصحابنا وغيرهم من العلماء - رحمهم الله تعالى - في أن استقبال بيت المقدس هل كان ثابتاً بالقرآن ؟ أم كان باجتهاد النبي ﷺ ؟ فحكى الماوردي في (الحاوي) وجهين في ذلك لأصحابنا .

قال القاضي عياض - رحمه الله تعالى - : الذي ذهب إليه أكثر العلماء : أنه كان بسنة لا بقرآن ، فعلى هذا يكون فيه دليل لقول من قال : إن القرآن ينسخ السنة ، وهو قول أكثر الأصوليين المتأخرين ، وهو أحد قولي الشافعي ، رحمه الله تعالى - .

والقول الثاني له ، وبه قال طائفة : لا يجوز لأن السنة مبينة للكتاب فكيف ينسخها ؟ وهؤلاء يقولون : لم يكن استقبال بيت المقدس بسنة ، بل كان بوحي .

اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قبل بيت المقدس وأهل الكتاب ، فلما ولي وجهه قبل البيت أنكروا ذلك .

قال زهير : حدثنا أبو إسحق في حديثه عن البراء أنه مات على القبلة قبل أن تحول رجال وقتلوا ، فلم ندر ما نقول فهيم ، فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ **وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم** ﴾[1] ، ذكره في كتاب الإيمان[2]،

---

(١) آية ١٤٤ / البقرة ، ورواية البخاري حتى ﴿ **إيمانكم** ﴾ .

(٢) (فتح الباري) : ١ / ١٢٨ ، كتاب الإيمان ، باب (٣٠) ، الصلاة من الإيمان ، وقول الله تعالى : ﴿ **وما كان الله ليضيع إيمانكم** ﴾ يعني صلاتكم عند البيت ، حديث رقم (٤٠) .

قوله : « يعني صلاتكم عند البيت » ، وقع التنصيص على هذا التفسير من الوجه الذي أخرج منه البخاري حديث الباب ، فروى الطيالسي والنسائيُّ ، من طريق شريك وغيره عن أبي إسحاق عن البراء في الحديث المذكور : « فأنزل الله : ﴿ **وما كان الله ليضيع أيمانكم** ﴾ صلاتكم إلى بيت المقدس » .

وعلى هذا فقول البخاري : « عند البيت » مشكل ، مع أنه ثابت عنه في جميع الروايات ، ولا اختصاص لذلك بكونه عند البيت ؛ وقد قيل إن فيه تصحيفاً ، والصواب يعني صلاتكم لغير البيت .

قال الحافظ ابن حجر : وعندي أنه لا تصحيف فيه ، بل هو صواب ومقاصد البخاري في هذه الأمور دقيقة ، وبيان ذلك أن العلماء اختلفوا في الجهة التي كان النبي ﷺ يتوجه إليها للصلاة وهو بمكة ، فقال ابن عباس وغيره : كان يصلى إلى بيت المقدس ، ولكنه لا يستدبر الكعبة ، بل يجعلها بينه وبين بيت المقدس .

وأطلق آخرون : أنه كان يصلي إلى بيت المقدس ، وقال آخرون : كان يصلي إلى الكعبة ، فلما تحول إلى المدينة استقبل بيت المقدس ، وهذا ضعيف ، ويلزم منه دعوى النسخ مرتين ، والأول أصح ، لأنه يجمع بين القولين ، وقد صححه الحاكم وغيره من حديث ابن عباس .

وكأن البخاري أراد الإشارة إلى الجزم بالأصح ، من أن الصلاة لما كانت عند البيت ، كانت إلى بيت المقدس ، واقتصر على ذلك اكتفاء بالأولوية ، لأن صلاتهم إلى غير جهة البيت وهم عند البيت إذا كانت لا تضيع ، فأحرى أن لا تضيع إذا بعدوا عنه ، فتقدير الكلام : يعني صلاتكم التي صليتموها عند البيت إلى بيت المقدس .

قوله : « قِبَل بيت المقدس » ، بكسر القاف وفتح الموحدة ، أي إلى جهة بيت المقدس .

قوله : « ستة عشر شهراً أو سبعة عشر » ، كذا وقع الشك في رواية زهير هذه هنا ، وفي الصلاة أيضاً عن أبي نعيم عنه ، وكذا في رواية الثوري عنده ، وفي رواية إسرائيل عند البخاري ، وعند الترمذي أيضاً . ورواه أبو عوانة في صحيحه ، عن عمار بن رجاء وغيره عن أبي نعيم فقال : « ستة عشر » من غير شك ، وكذا لمسلم من رواية أبي الأحوص ، وللنسائيِّ من رواية زكريا بن أبي زائدة وشريك ، ولأبي عوانة أيضاً من رواية عمار بن رزيق - بتقديم الراء مصغراً - كلهم عن أبي إسحاق ، وكذا لأحمد بسند صحيح عن ابن عباس . وللبزار والطبراني من حديث عمرو بن عوف « سبعة عشر » ، وكذا للطبراني عن ابن عباس . ... =

والجمع بين الروايتين سهل بأن يكون من جزم بستة عشر لفق من شهر القدوم وشهر التحويل شهراً وألغى الزائد ، ومن جزم بسبعة عشر عدَّهما معاً ، ومن شك تردَّد في ذلك . وذلك أن القدوم كان في شهر ربيع الأول بلا خلاف ، وكان التحويل في نصف شهر رجب من السنة الثانية على الصحيح ، وبه جزم الجمهور .

ورواه الحاكم بسند صحيح عن ابن عباس . وقال ابن حبان : « سبعة عشر شهراً وثلاثة أيام » ، وهو مبني على أن القدوم كان في ثاني عشر شهر ربيع الأول .

وشذَّت أقوال أخرى : ففي ابن ماجه من طريق أبي بكر بن عياش ، عن أبي إسحاق في هذا الحديث : « ثمانية عشر شهراً » ، وأبو بكر سيىء الحفظ ، وقد اضطرب فيه ، فعند ابن جرير من طريقه في رواية : « سبعة عشر » ، وفي رواية : « ست عشر » ، وخرَّجه بعضهم على قول محمد ابن حبيب أن التحويل كان في نصف شعبان ، وهو الذي ذكره النووي في (الروضة) وأقرَّه ، مع كونه رجَّح في شرحه لمسلم رواية « ستة عشر شهراً » ، لكونها مجزوماً بها عند مسلم ، ولا يستقيم أن يكون ذلك في شعبان إلا إن ألغي شهري القدوم والتحويل .

وقد جزم موسى بن عقبة بأن التحويل كان في جمادي الآخرة ، ومن الشذوذ أيضاً رواية : « ثلاثة عشر شهراً » ، ورواية : « تسعة أشهر » ، و « عشرة أشهر » ، ورواية : « شهرين » ، ورواية : « سنتين » ، وهذه الأخيرة يمكن حملها على الصواب . وأسانيد الجمع ضعيفة ، والاعتماد على القول الأول ، فجملة ما حكاه تسع روايات .

قوله : « وأنه صلى أول » ، بالنصب لأنه مفعول صلى ، والعصر كذلك على البداية ، وأعربه ابن مالك بالرفع ، وفي الكلام مقدر لم يذكر لوضوحه ، أي أو صلاة صلاها متوجها إلى الكعبة صلاة العصر . وعند ابن سعد : حولت القبلة في صلاة الظهر أو العصر – على التردد – وساق ذلك من حديث عمارة بن أوس قال : « صلينا إحدى صلاتي العشى » . والتحقيق : أن أول صلاة صلاها في بني سلمة لما مات بشر بن البراء بن معرور الظهر ، وأول صلاة صلاها بالمسجد النبوي العصر ، وأما الصبح فهو من حديث ابن عمر بأهل قباء ، وهل كان ذلك في جمادي الآخرة أو رجب أو شعبان ؟ أقوال .

قوله : « قبل مكة » ، أي قبل البيت الذي في مكة ، ولهذا قال : « فداروا كما هم قبل البيت » ، و « ما » موصولة ، والكاف للمبادرة ، وقال الكرماني : للمقارنة ، و « ما » مبتدأ وخبره محذوف .

قوله : « قد أعجبهم » أي النبي ﷺ ، (وأهل الكتاب) : هو بالرفع عطفاً على اليهود ، من عطف العام على الخاص . وقيل : المراد النصارى ، لأنهم من أهل الكتاب ، وفيه نظر ، لأن النصارى لا يصلون لبيت المقدس ! فكيف يعجبهم ؟ وقال الكرماني : كان إعجابهم بطريق التبعية لليهود .

قال الحافظ ابن حجر : وفيه بُعد لأنهم أشد الناس عداوة لليهود ، ويحتمل أن يكون بالنصب ، والواو بمعنى (مع) ، أي يصلي مع أهل الكتاب إلى بيت المقدس ، واختُلف في صلاته إلى بيت المقدس وهو بمكة .

فروى ابن ماجة من طريق أبي بكر بن عياش المذكورة : « صلينا مع رسول الله ﷺ نحو بيت المقدس ثمانية عشر شهراً » ، وصرفت القبلة إلى الكعبة بعد دخول المدينة بشهرين » ، وظاهره

....

أنه كان يصلي بمكة إلى بيت المقدس محضاً ، وحكى الزهري خلافاً في أنه هل كان يجعل الكعبة خلف ظهره ، أو يجعلها بينه وبين بيت المقدس ؟

قال الحافظ ابن حجر : وعلى الأول فكان يجعل الميزاب خلفه ، وعلى الثاني كان يصلي بين الركنين اليمانيين ،. وزعم ناس أنه لم يزل يستقبل الكعبة بمكة ، فلما قدم المدينة استقبل بيت المقدس ثم نُسخ ، وحمل ابن عبد البر هذا على القول الثاني ، ويؤيد حمله على ظاهره إمامة جبريل، ففي بعض طرقه أن ذلك عند باب البيت .

قوله : « أنكروا ذلك » ، يعني اليهود ، فنزلت : ﴿ **سيقول السفهاء من الناس** ﴾ وقد صرح البخاري بذلك في روايته عن طريق إسرائيل .

قوله : « قال زهير » ، يعني ابن معاوية بالإسناد المذكور بحذف أداة العطف كعادته ، ووهم قال إنه معلق ، وقد ساقه البخاري في (التفسير) ، مع جملة الحديث ، عن أبي نعيم ، عن زهير سياقاً واحداً .

قوله : « أنه مات على القبلة » ، أيْ قبلة بيت المقدس قبل أن تُحوَّل « لأجاب ، وقُتِلوا » ، ذكر القتل لم أره إلا في رواية زهير، وباقي الروايات إنما فيها ذكر الموت فقط ، وكذلك روى أبو داود ، والترمذي ، وابن حبان ، والحاكم ، صحيحاً عن ابن عبّاس ، وكذلك والذين ماتوا بعد فرض الصلاة ، وقبل تحويل القبلة من المسلمين عشر أنفس : فبمكة من قريش : [١] عبد الله بن شهاب . [٢] المطلب ابن أزهر الزهريان . [٣] السكران بن عمرو العامري .

وبأرض الحبشة منهم : [١] حطاب – بالمهملة – ابن الحارث الجمحي . [٢] عمرو بن أمية الأسدي . [٣] عبد الله بن الحارث السهمي . [٤] عروة بن عبد العزى . [٥] عدي بن نضلة العدويان .

ومن الأنصار بالمدينة : [١] البراء بن معرور (بمهملات) . [٢] أسعد بن زرارة ، فهؤلاء العشرة متفق عليهم . ومات في المدة أيضاً : إياس بن معاذ الأشهلي ، لكنه مختلف في إسلامه .

قال الحافظ ابن حجر : ولم أجد في شيء من الأخبار أن أحداً من المسلمين قُتِلَ قبل تحويل القبلة ، لكن لا يلزم من عدم الذكر عدم الوقوع ، فإن كانت هذه اللفظة محفوظة ، فتحمل على أن بعض المسلمين ممن لم يشتهر قتل في تلك المدة في غير الجهاد ، ولم يضبط اسمه لقلة الاعتناء بالتاريخ إذ ذاك .

ثم وجدتُ في المغازي ذكر رجل اختُلف في إسلامه ، وهو سويد بن الصامت ، فقد ذكر ابن إسحاق : أنه لقى النبي ﷺ ، قبل أن تلقاه الأنصار في العقبة ، فعرض عليهم الإسلام فقال : إن هذا القول حسن . وانصرف إلى المدينة فقتل بها في وقعة بُعاث – بضم الموحدة وإهمال العين وآخره مثلثة – وكانت قبل الهجرة ، قال : فكان قومه يقولون . لقد قُتل وهو مسلم ، فيحتمل أن يكون هو المراد . وذكر لي بعض الفضلاء : أنه يجوز أن يراد من قتل بمكة من المستضعفين كأبوي عمار ، قلت : يحتاج إلى ثبوت أن قتلهما بعد الإسراء .

من فوائد هذا الحديث :

[١] الرد على المرجئة في إنكارهم تسمية أعمال الدين إيماناً .

وذكره في التفسير مختصراً[1] ، وذكره في كتاب الصلاة[2] ، وفي باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق[3] .

= [٢] تغيير بعض الأحكام جائز إذا ظهرت المصلحة في ذلك . [٣] بيان شرف المصطفى وكرامته على ربه لإعطائه له ما أحب من غير تصريح بالسؤال . [٤] بيان ما كان في الصحابة من الحرص على دينهم والشفقة على إخوانهم ، وقد وقع لهم نظير هذه المسألة لما نزل تحريم الخمر ، كما صح من حديث البراء أيضاً فنزل : ﴿ **ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين** ﴾ [٩٣ / المائدة] ، وقوله تعالى : ﴿ **إنا لانضيع أجر من أحسن عملا** ﴾ [٣٠ / الكهف] ، ولملاحظة هذا المعنى ، عقَّب البخاري على هذا الباب بقوله : « باب حسن إسلام المرء » فذكر الدليل على أن المسلم إذا فعل الحسنة أثيب عليها ، وهو الحديث رقم (٤١) من الباب (٣١) في كتاب (الإيمان) . (فتح الباري) ١/١٢٨ – ١٣٣ حديث رقم (٤٠) .

(١) (فتح الباري) : ٨ / ٢١٦ ، كتاب التفسير ، باب (١٢) ، ﴿ **سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم** ﴾ [١٤٢ / البقرة] ، حديث رقم (٤٤٨٦) وقال فيه : « السفهاء » : جمع سفيه ، وهو خفيف العقل ، وأصله من قولهم : ثوب سفيه ، أي خفيف النسيخ ، واختلف في المراد بالسفهاء ، فقال البراء ، وابن عباس ، ومجاهد : هم اليهود ، وأخرج ذلك عنهم الطبري بأسانيد صحيحة ، وروي من طريق السدي قال : هم المنافقون ، والمراد بالسفهاء الكفار ، وأهل النفاق ، واليهود .

أما الكفَّار فقالوا لما حولت القبلة : رجع محمد إلى قبلتنا ، وسيرجع إلى ديننا ، فإنه علم أنا على الحق .

وأما أهل النفاق فقالوا : إن كان أولاً على الحق ، فالذي انتقل إليه باطل وكذلك بالعكس .

وما اليهود فقالوا : خالف قبلة الأنبياء ، ولو كان نبياً لما خالف ، فلما كثرت أقاويل هؤلاء السفهاء أُنزلت هذه الآيات من قوله تعالى : ﴿ **ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير** ﴾ [١٠٦ / البقرة] ، إلى قوله تعالى : ﴿ **ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون** ﴾ [١٥٠ / البقرة] ، من أحاديث الباب أيضاً ، الأحاديث أرقام : (٤٤٩٠) ، (٤٤٩١) ، (٤٤٩٢) ، (٤٤٩٣) ، (٤٤٩٤) ، بسياقات مختلفة .

(٢) (فتح الباري) : ١ / ٦٦١ ، كتاب الصلاة ، باب (٣١) التوجه نحو القبلة حيث كان ، أي حيث وجد الشخص في سفر أو حضر ، والمراد بذلك صلاة الفريضة ، كما يتبين ذلك في الحديث الثاني من الباب ، وهو حديث جابر ، وأما حديث تحويل القبلة المذكور في هذا الباب فهو الحديث رقم (٣٩٩) .

(٣) (فتح الباري) : ١٣ / ٢٨٧ ، كتاب أخبار الآحاد ، باب (١) : ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان ، والصلاة ، والصوم ، والفرائض ، والأحكام ، وقول الله تعالى : ﴿ **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون** ﴾ [١٢٢ / التوبة] ، ويسمى الرجل طائفة لقوله تعالى : ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا** ﴾ [٩/ الحجرات] ، =

وخرج البخاري ومسلم[1] من حديث عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال : بينما الناس في صلاة الصبح بقباء إذ جاءهم آت فقال : إن رسول الله ﷺ قد أُنزل عليه الليلة[2] وقد أمر أن يستقبل الكعبة ، فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام ، فاستداروا[3] إلى الكعبة ، وقال البخاري : فاستداروا إلى القبلة ، ذكره في التفسير[4] وفي كتاب الصلاة[4] ، وفي باب إجازة خبر الواحد الصدوق[4] .

وقال ابن عبد البر : وأجمع العلماء أن شأن القبلة أول ما نسخ من القرآن ، وأجمعوا أن ذلك كان بالمدينة ، وأن رسول الله ﷺ إنما صرف عن الصلاة إلى بيت المقدس ، وأمر إلى الصلاة إلى الكعبة بالمدينة ، واختلفوا في صلاته حين فرضت عليه الصلاة بمكة ؛ هل كانت إلى بيت المقدس أو إلى الكعبة ؟ فقالت طائفة : كانت صلاته إلى بيت المقدس من حين فرضت عليه الصلاة بمكة إلى أن قدم المدينة ، ثم بالمدينة سبعة عشر شهراً أو نحوها حتى صرفه الله إلى الكعبة .

ذكر سفيان عن حجاج عن ابن جريج قال : قال ابن عباس : كان النبي ﷺ يستقبل صخرة بيت المقدس ، فأول [ما][5] نسخت من القرآن القبلة ، ثم الصيام الأول ، قال ابن عبد البر : من حجة الذين قالوا : إن رسول الله ﷺ إنما صلى إلى بيت المقدس بالمدينة ، وأنه إنما كان يصلى بمكة إلى الكعبة ، فذكر حديث البراء ثم قال : فظاهر هذا الخبر يدل على أنه لما قدم المدينة صلى إلى بيت المقدس لا قبل ذلك ، ويدلل[6] على ذلك أيضاً ، فذكر من حديث عبدِ الله بن صالح ، حدثنا

= فلو اقتتل رجلان دخلا في معنى الآية ، وقوله تعالى : ﴿ **إن جاءكم فاسق بنبإٍ فتبينوا** ﴾ [٦/الحجرات] ، وكيف بعث النبي ﷺ أمراءه واحداً بعد واحدٍ ، فإن سها أحدٌ منهم رُدَّ إلى السنة ، حديث رقم (٧٢٥١) ، حديث رقم (٧٢٥٢) .

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٥ / ١٣ ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، (٢) باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة ، حديث رقم (٥٢٦) ، ونحوه حديث رقم (٥٢٧) .

(٢) في (خ) : « الليل » ، والتصويب من المرجع السابق .

(٣) في (خ) : « فاستداروها » ، والتصويب من المرجع السابق .

(٤) سبق الإشارة إليهم .

(٥) زيادة للسياق ، وفي (خ) « فأول أنه » ، وهو خطأ من الناسخ .

(٦) في (خ) « ويدل » ولعل الصواب ما أثبتناه .

معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : أول ما نسخ الله من القرآن القبلة ، وذلك أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة وكان أكثر أهلها اليهود ، أَمَرهُ الله أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود ، فاستقبلها بضعة عشر شهراً ، وكان رسول الله ﷺ يحب قبلة إبراهيم ، وكان يدعو الله وينظر إلى السماء ، فأنزل الله : ﴿ **قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره** ﴾[(١)] - يعني نحوه - فارتاب اليهود من ذلك وقالوا : ﴿ **ما ولَّاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها** ﴾[(٢)] ؟ فأنزل الله : ﴿ **قل لله المشرق والمغرب** ﴾[(٢)] ، ﴿ **فأينما تولوا فثم وجه الله** ﴾[(١)] ، وقال : ﴿ **وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من[(٣)] يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه** ﴾[(٤)] ، قال ابن عباس : ليميز أهل اليقين من أهل الشك ، قال ابن عبد البر : ففي قول ابن عباس هذا من الفقه : أن الصلاة لم يُنسخ منها شيء قبل القبلة ، وفيه أنه كان يصلي بمكة إلى الكعبة ، وهو ظاهره أنه لم يصل إلى بيت المقدس إلا بالمدينة وهو محتمل غيره[(٥)] .

---

(١) سورة البقرة ، آية / ١٤٤ . (٢) سورة البقرة ، آية / ١٤٢ .

(٣) في (خ) « ممن » . (٤) سورة البقرة ، آية / ١٤٣ .

(٥) قال ابن أبي حاتم بعد رواية الأثر المتقدم عن ابن عباس في نسخ القبلة ، عن عطاء عنه : وروي عن أبي العالية ، والحسن ، وعطاء الخرساني ، وعكرمة ، وقتادة ، والسدي ، وزيد بن أسلم نحو ذلك .
وقال ابن جرير ، وقال آخرون : بل أنزل الله هذه الآية قبل أن يفرض التوجه إلى الكعبة ، وإنما أنزلها ليعلم نبيه ﷺ وأصحابه أن لهم التوجه بوجوههم للصلاة حيث شاءوا من نواحي المشرق والمغرب ، لأنهم لا يوجهون وجوههم وجهاً من ذلك وناحية إلا كان جلّ ثناؤه في ذلك الوجه وتلك الناحية ، لأن له تعالى المشارق والمغارب ، وإنه لا يخلو منه مكان ، كما قال تعالى : ﴿ **ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا** ﴾ [٧ / المجادلة] .

قالوا : ثم نسخ ذلك بالفرض الذي فرض عليهم ، التوجه إلى المسجد الحرام ، هكذا قال ، وفي قوله : وأنه تعالى لا يخلو منه مكان : إن أراد علمه تعالى فصحيح ، فإن علمه تعالى محيط بجميع المعلومات ، وأما ذاته تعالى فلا تكون محصورة في شيء من خلقه ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

قال ابن جرير : وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ إذناً من الله أن يصلي المتطوع حيث توجه من شرق أو غرب ، في مسيره في سفره ، وفي حال المسايفة ، وشدة الخوف ، حدثنا أبو كريب ، أخبرنا ابن إدريس ، حدثنا عبد الملك - هو ابن أبي سليمان - عن سعيد بن جبير ، عن ابن عمر أنه كان يصلي حيث توجهت به راحلته ، ويذكر أن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك ويتأول هذه الآية : ﴿ **فأينما تولوا فثم وجه الله** ﴾ .

ورواه مسلم ، والترمذي ، والنسائي ، وابن أبي حاتم وابن مردويه من طرق ، عن عبد الله بن أبي سليمان به ، وأصله في الصحيحين من حديث ابن عمر ، وعامر بن ربيعة من غير ذكر الآية .

وفي صحيح البخاري من حديث نافع عن ابن عمر ، أنه كان إذا سُئل عن صلاة الخوف وصفها ، ثم قال : « فإن كان خوف أشدّ من ذلك صلوا رجالاً قياماً على أقدامهم ، وركباناً ، مستقبلي القبلة وغير مستقبليها » . قال نافع : ولا أرى ابن عمر ذكر ذلك إلا عن النبي ﷺ .

وقد روى من طريق آخر عن جابر ، فقال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه الآية : أخبرنا إسماعيل بن علي بن إسماعيل ، أخبرنا الحسن بن علي بن شبيب ، حدثني أحمد بن عبد الله بن الحسن ، قال : وجدت في كتاب أبي : أخبرنا عبد الملك العزرمي ، عن عطاء ، عن جابر قال : بعث رسول الله ﷺ سرية كنت فيها ، فأصابتنا ظلمة ، فلم نعرف القبلة ، فقالت طائفة منا : قد عرفنا القبلة هي هاهنا قبل الشمال ، فصلوا وخطوا خطوطاً ، فلما أصبحوا وطلعت الشمس ، أصبحت تلك الخطوط لغير القبلة ، فلما قفلنا من سفرنا سألنا النبي ﷺ ، فسكت ، وأنزل الله تعالى : ﴿ **ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله** ﴾ .

ثم رواه من حديث محمد بن عبيد الله العزرمي عن عطاء ، عن جابر به ، وقال الدارقطني : قرىء على عبد الله بن عبد العزيز وأنا أسمع : حدثكم داود بن عمر ، وأخبرنا محمد بن يزيد الواسطي ، عن محمد بن سالم ، عن عطاء ، عن جابر ، قال : كنا مع رسول الله ﷺ في مسير فأصابنا غيم ، فتحيرنا ، فاختلفنا في القبلة ، فصلى كل رجل منا على حدةٍ ، وجعل أحدنا يخط بين يديه ، لنعلم أمكنتنا ، فذكرنا ذلك للنبي ﷺ ، فلم يأمرنا بالإعادة وقال : « قد أجازت صلاتكم » ، ثم قال الدارقطني : كذا قال عن محمد بن سالم . وقال غيره : عن محمد بن عبد الله العزرمي ، عن عطاء ، وهما ضعيفان .

ورواه ابن مردويه أيضاً ، من حديث الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ بعث سرية فأخذتهم ضبابة ، فلم يهتدوا إلى القبلة ، فصلوا لغير القبلة ، ثم استبان لهم بعد ما طلعت الشمس ، أنهم صلوا لغير القبلة ، فلما جاءوا إلى رسول الله ﷺ حدَّثوه ، فأنزل الله تعالى هذه الآية : ﴿ **ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله** ﴾ . وهذه الأسانيد فيها ضعف ، ولعله يشد بعضها بعضاً . وأما إعادة الصلاة لمن تبين خطؤه ففيها قولان للعلماء ، وهذه دلائل على عدم القضاء والله أعلم .

قال ابن جرير : وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية في سبب النجاشي ، كما حدثنا محمد بن بشار ، أخبرنا معاذ بن هشام ، حدثني أبي عن قتادة ، أن النبي ﷺ قال : « إن أخاً لكم قد مات فصلوا عليه » . قالوا : نصلي على رجل ليس بمسلم ؟ قال : فنزلت : ﴿ **وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله** ﴾ ، قال قتادة : فقالوا : إنه كان لا يصلي إلى القبلة ، فأنزل الله : ﴿ **ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله** ﴾ ، وهذا غريب والله تعالى أعلم .

وقيل إنه كان يصلي إلى بيت المقدس قبل أن يبلغه الناسخ إلى الكعبة ، كما حكاه القرطبي عن قتادة ، وذكر القرطبي : أنه لما مات صلى عليه رسول الله ﷺ فأخذ بذلك من ذهب إلى الصلاة على الغائب ، قال : وهذا خاص عند أصحابنا من ثلاثة أوجه :

[**أحدها**] : أنه صلى الله عليه وسلم شاهده حين سوى عليه طويت له الأرض .

وقال أبو إسحق الحربي : ثم قدم رسول الله ﷺ المدينة في ربيع الأول فصلى إلى بيت المقدس تمام سنة إحدى عشرة أشهر ، وصلى من سنة ثنتين ستة أشهر ثم حولت القبلة في رجب .

= [الثاني] : أنه لما لم يكن عنده من يصلي عليه ، صلى عليه ، واختاره ابن العربي ، قال القرطبي : ويبعد أن يكون ملك مسلم ليس عنده أحد من قومه على دينه ، وقد أجاب ابن العربي عن هذا ، لم يكن عندهم شرعية الصلاة على الميت ، وهذا جواب جيد .

[الثالث] : أنه عليه الصلاة والسلام إنما صلى عليه ليكون ذلك كالتأليف لبقية الملوك . والله تعالى أعلم .

وقد أورد الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه الآية ، من حديث أبي معشر ، عن محمد بن عمرو بن علقمة ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما بين المشرق والمغرب قبلة لأهل المدينة وأهل الشام وأهل العراق » ، وله مناسبة هاهنا . وقد أخرجه الترمذي وابن ماجة من حديث أبي معشر - واسمه نجيح بن عبد الرحمن السدي المدني - به : « ما بين المشرق والمغرب قبلة » .

وقال الترمذي : وقد روى من غير وجه عن أبي هريرة ، وتكلم بعض أهل العلم في أبي معشر قبل حفظه ، ثم قال الترمذي : حدثني الحسن بن بكر المروزي ، أخبرنا المعلي بن منصور ، أخبرنا عبد الله ابن جعفر المخزومي عن عثمان بن محمد بن المغيرة الأخنس ، عن أبي سعيد المقبري ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ، قال : « ما بين المشرق والمغرب قبلة » ، ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وحكى عن البخاري ، أنه قال : هذا أقوى من حديث أبي معشر وأصح ، قال الترمذي : وقد روى عن غير واحد من الصحابة : « ما بين المشرق والمغرب قبلة » ؛ منهم : عمر ابن الخطاب ، وعلي ، وابن عباس ، رضي الله عنهم أجمعين .

وقال ابن عمر : إذا جعلت المغرب عن يمينك ، والمشرق عن يسارك ، فما بينهما قبلة ، إذا استقبلت القبلة » ، ثم قال ابن مردويه : حدثنا علي بن أحمد بن عبد الرحمن ، أخبرنا يعقوب بن يوسف مولى بني هاشم ، أخبرنا شعيب بن أيوب ، أخبرنا ابن نمير عن عبد الله بن عمر ، عن نافع عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ قال : « ما بين المشرق والمغرب قبلة » .

وقد رواه الدارقطني والبيهقي ، وقال : المشهور عن ابن عمر رضي الله عنهما قوله : قال ابن جرير : ويحتمل فأينما تولوا وجوهكم في دعائكم لي ، فهنالك وجهي أستجيب لكم دعاءكم ، كما حدثنا القاسم ، أخبرنا الحسين ، حدثني حجاج قال : قال ابن جريج : قال مجاهد : لما نزلت ﴿ **ادعوني أستجب لكم** ﴾ ، قالوا : إلى أين ؟ فنزلت : ﴿ **فأينما تولوا فثم وجه الله** ﴾ ، قال ابن جرير : ومعنى قوله : ﴿ **إن الله واسع عليم** ﴾ يسع خلقه كلهم بالكفاية والجود والإفضال ، وأما قوله : ﴿ **عليم** ﴾ فإنه يعني عليم بأعمالهم ما يغيب عنه منها شيء ، ولا يعزب عن علمه ، بل هو بجميعها عليم . (تفسير ابن كثير) : ١ / ١٦٢ - ١٦٥ .

وقال موسى بن عقبة وإبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن ابن عبد الرحمن ابن عبد الله بن كعب بن مالك أن القبلة صرفت في جمادي .

وقال الواقدي : إنما صرفت صلاة العصر يوم الثلاثاء في النصف من شعبان .

وذكر أبو بكر أحمد بن علي الرازي الحنفي في كتاب أحكام القرآن[1] : أن من الناس من يقول : أن النبي ﷺ كان مخيَّراً في أن يصلي إلى حيث شاء ، وإنما كان توجهه إلى بيت المقدس على وجه الاختيار لا علي وجه الإيجاب حتى أمر بالتوجه إلى الكعبة ، وكان قوله تعالى : ﴿ **فأينما تولوا فثم وجه الله** ﴾[2] في وقت التخيير قبل الأمر بالتوجه إلى الكعبة ، والله الموفق .

* * *

---

(١) « أن نفراً قصدوا الرسول عليه الصلاة والسلام من المدينة إلى مكة للبيعة قبل الهجرة ، وكان فيهم البراء ابن معرور ، فتوجه بصلاته إلى الكعبة في طريقه ، وأبى الآخرون وقالوا : إنه عليه السلام يتوجه إلى بيت المقدس ، فلما قدموا مكة سألوا النبي ﷺ فقال له : قد كنت على قبلة - يعني بيت المقدس - لو ثبت عليها أجزؤك ، ولم يأمره باستئناف الصلاة ، فدلّ على أنهم قد كانوا مخيرين » (التفسير الكبير للفخر الرازي) ج ٤ ص ١١١ .

(٢) ١١٥ / البقرة .

ذكر مَنْ قُرِنَ برسُول الله ﷺ من الملائكــة

خرج الإمام أحمد من حديث ابن عدي عن داود عن عامر الشعبي : نزلت عليه ﷺ النبوة وهو ابن أربعين سنة ، فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين ، وكان يعلمه الكلمة والشيء . لم ينزل [من][1] القرآن على لسانه ، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل عليه السلام ، فنزل القرآن على لسانه [عشرين ؛ عشراً بمكة وعشراً بالمدينة][1] .

ولحديث ابن سعد من حديث وهيب بن خالد عن داود بن أبي هند عن عامر أن رسول الله ﷺ أنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة ، وكان معه إسرافيل عليه السلام ثلاث سنين قرن بنبوته ثم عزل عنه إسرافيل عليه السلام ، وقرن به أيضا جبريل عليه السلام بمكة عشر سنين مهاجره بالمدينة ، قال ابن سعد : فذكرت هذا الحديث لمحمد بن عمر فقال : ليس يعرف أهل العلم ببلدنا أن إسرافيل قرن برسول الله ﷺ ، وأن علماءهم وأهل السير منهم يقولون : لم يقرن به ﷺ غير جبريل صلوات الله وسلامه عليه من حيث أنزل عليه ﷺ الوحي إلى أن قُبض ﷺ ، وصحح الحاكم ذلك ، والله سبحانه الموفق بمنه .

* * *

---

(١) زيادة من (دلائل النبوة للبيهقي) جـ ١ ص ٣٩١ .

فصل في ذكر الفضائل
التي خصّ الله تعالى بها نبيَّه ورسولَه محمداً ﷺ
وشرفه بها على جميع الأنبياء

اعلم أن الله تعالى فضَّل رسوله محمداً ﷺ بفضائل عديدة ميَّزهُ بها وشرَّفه على من عداه من الأنبياء عليهم السلام ؛ فجعله رحمة للعالمين ، ولم يخاطبه باسمه وإنما خاطبه بالنبوة والرسالة التي لا أجلّ منها ولا أعظم ، ونَهى تعالى الأمة أن يخاطبوه باسمه ، ودفع عنه ماقذفه به المشركون ، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ولم يذكر له ذنباً ولا زلة ، وأخذ الميثاق على جميع الأنبياء أن يؤمنوا به إن أدركوه ، وأمر الناس أن يتأسوا به فعلاً وقولاً ، وفرض طاعته على الكافة ، وقرن اسمه تعالى باسمه ، وقدم نبوته قبل خلق آدم عليه السلام ، ونوه باسمه من عهد آدم ، وشرَّف أصله ، وكرَّم حسبه ونسبه ، وطيب مولده ، وسماه بخير الأسماء ، وأقسم بحياته ، وأفرده بالسيادة يوم القيامة على جميع الأنبياء ؛ فآدم ومن دونه تحت لوائه ، وخصَّه بالشفاعة العظمى يوم الفزع الأكبر وبالحوض المورود ، وجعله أعظم الأنبياء تبعاً ، وأعطاه خَمساً لم يعطهن أحداً قبله ، وبُعث بجوامع الكلم ، وأولى مفاتيح خزائن الأرض ، وأمدَّهُ الله بالملائكة حتى قاتلت معه ، وختم به الأنبياء ، وجعل أمته خير الأمم ، وذكره في كتب الأنبياء وصحفهم ، وأنطق العلماء بالبشارة به حتى كانت بَعْثتُه ﷺ تنتظرها الأمم ، وسمع الأخبار بنبوته ﷺ من هواتف الجن ومن أجواف الأصنام ومن رجز الكهان ، صلى الله تعالى عليه وعلى جميع الأنبياء وَعَظَّم وَكرَّم .

* * *

فأما أنه ﷺ
رحمة للعالمين

فقد قال تعالى : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾[1] ، وذلك أن أعداءه أمنوا من العذاب مدة حياته ؛ قال تعالى : ﴿ **وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم** ﴾[2] ، فلم يعذبهم الله تعالى حتى ذهب عنهم إلى ربه ، فأنزل بهم ما أوعدهم من قبل وأشد ، وذلك قوله تعالى : ﴿ **فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون** ﴾[3] .

خرج الحرث بن أبي أسامة من حديث على بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : بعثني الله رحمة وهدى للعالمين ، وهو هدي الدعاء والبيان .

ورواه محمد بن إسحاق من حديث الفرح بن فضالة عن علي بن يزيد به ولفظه : إن الله بعثني رحمة للعالمين وهدى للمتقين ، وهو هدى التعريف والاستهداء .

وقال يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قيل يارسول الله ؛ ألا تدعو على المشركين ؟ قال : إنما بعثت رحمة ولم أبعث عذاباً ؛ فإن قيل : كيف يكون رحمة للعالمين وقد أنزل بمن عاداه الذل والصَّغار ، فحطَّم بعد الرفعة ، وأهانهم بعد المنعة ، وصيرهم بعد الملك إلى الهلك ، بأن حوى أموالهم ، وسبى حريمهم ، وملك معاقلهم ، وقتل حُمَاتَهُم ، ثم إن أصحابه من بعده دوخوا ممالك الأرض بدعوته ، فاجتاحوا العرب من بني حنيفة وغيرهم عند ارتدادهم عن ملته ، ومزقوا ملك كسرى وملك فارس ، وأذلوا الفرس ، وشردوا قيصر ملك الروم عن الشام والجزيرة ، وقتلوا الروم والفرس أبرح قتل ، وغلبوا قبط مصر وجبروهم أن يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون بعد ما ملكوا ديارهم وأموالهم

---

(١) الأنبياء : ١٠٧ . (٢) الأنفال : ٣٣ . (٣) الزخرف : ٤١ .

بمصر ، وأزاحوا البربر عن بلاد المغرب وانتزعوها منهم ومن القوط الجلالقة ، فلم يتركوا نوعاً من أنواع العذاب حتى أحلّوه بمن ذكرنا من الأمم ، وهم سكان البسيطة ومعظم الخليقة من البشر ؟ .

قلنا : هذا اعتراض من لم ترض نفسه بالحكمة ، حتى غفل عن ترتيب حكمة الباري تعالى في مصنوعاته ، ولم يعلم ما تعطيه حقائق الأشياء ، وذلك أن المحالَّ إنما تقبل على قدر الاستعداد المهيأ فيها ، وبيان ذلك أن الله تعالى وصف كتابه العزيز بأنه هدى للناس ، قال تعالى : ﴿ **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس** ﴾[1] ، وهذا عام مُطَّرد باعتبار القوة والصلاحية ، أي في قوته وصلاحيته أن يهدي جميع الناس ، وهو عام مخصوص بمن لم يهتد باعتبار الفعل ؛ إذ كثير من الناس لم يهتد به ، ثم وصف تعالى كتابه بوصفين متضادين في وروده على الناس بحسب قبول قلوبهم له على قدر استعدادها ، قال تعالى : ﴿ **وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا * فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون * وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون** ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً** ﴾[3] ، وقال تعالى : ﴿ **قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد** ﴾[4] ، فانظر - أعزك الله - كيف كانت عين القرآن واحدة ، وأثره في قلوب الناس مختلف ، فيزيد المؤمن به إيماناً على إيمانه ، ويزداد به الكافر كفراً على كفره حتى يموت كافراً ، وانظر كيف تكون شفاء ورحمة لقوم وخساراً لآخرين ، وكيف يهتدي به قوم ويكون عمى على قوم ؟ ، وذلك بحسب ما أعطاه الله من الاستعداد والمهيأ للقبول ، وقد كشف لنا رسول الله ﷺ قناع هذا المعنى ببليغ بيانه :

فخرج البخاري[5] ....

(١) البقرة : ١٨٥ . (٢) التوبة : ١٢٤ ، ١٢٥ .
(٣) الإسراء : ٨٢ . (٤) فصلت : ٤٤ .
(٥) (فتح الباري) : ١ / ٢٣٢ ، كتاب العلم ، باب (٢٠) فضل من عِلم وعلَّم ، حديث رقم (٧٩) .

ومسلم[1] ....

(١) قال المقريزي - رحمه الله - بعد أن ساق هذا الحديث : « اللفظ لمسلم » ، ولفظ مسلم : « حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، وأبو عامر الأشعري ، ومحمد بن العلاء [واللفظ لأبي عامر] ، قالوا : حدثنا أبو أسامة ، عن بريد عن أبي بردة ، عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال : إن مثل ما بعثني به الله عزَّ وجلّ من الهدى والعلم ، كمثل غيث أصاب أرضاً فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكان منها أجادب أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس فشربوا منها ، وسقوا ، ورعوا ، وأصاب طائفة منها أخرى ، إنما هي قيعان لا تمسك ماءاً ، ولا تنبت كلأً ، فذلك مثل من فقه في دين الله ، ونفعه بما بعثني الله به ، فعلِم ، وعلّم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ، ولم يقبل هدى الله الذي أُرسلت به » .

(مسلم بشرح النووي) : ١٦ / ٥١ - ٥٣ ، كتاب الفضائل ، باب (٥) ، بيان مثل ما بعث به النبي ﷺ من الهدى والعلم ، حديث رقم (٢٢٨٢) .

أما الغيث فهو المطر ، وأما العشب والكلأ والحشيش ، فكلها أسماء للنبات لكن الحشيش مختص باليابس والرطب . وقال الخطابي وابن فارس : الكلأ يقع على اليابس ، وهذا شاذ ضعيف . وأما الأجادب - فبالجيم والدال المهملة - وهي الأرض التي تنبت كلأً . وقال الخطابي هي الأرض التي تمسك الماء ، فلا يسرع فيه النضوب .

قال ابن بطال ، وصاحب المطالع ، وآخرون : هو جمع جدب ، على غير قياس ، كما قالوا في حسن : جمعه محاسن ، والقياس : أن محاسن جمع محسن ، وكذا قالوا : مشابه جمع شبه ، وقياسه : أن يكون جمع مشبه ، قال الخطابي : وقال بعضهم : أحادب - بالحاء المهملة والدال - قال : وليس بشيء . قال : وقال بعضهم : أجارد - بالجيم والراء والدال - . قال : وهو صحيح المعنى .

قال الأصمعي : الأجارد من الأرض ما لا ينبت الكلأ ، معناه : أنها جرداء هزرة ، لا يسترها النبات ، قال : وقال بعضهم : إنما هي أخاذات - بالخاء والذال المعجمتين وبالألف - وهو جمع أخاذة ، وهي الغدير الذي يمسك الماء . وذكر صاحب (المطالع) هذه الأوجه التي ذكرها الخطابي ، فجعلها روايات منقولة .

وقال القاضي في (الشرح) : لم يرد هذا الحرف في مسلم ولا في غيره ، إلا بالدال المهملة من الجدب ، الذي هو ضد الخصب . قال : وعليه شرح الشارحون . وأما القيعان فبكسر القاف - جمع القاع ، وهو الأرض المستوية ، وقيل : الملساء ، وقيل : التي لا نبات فيها ، وهذا هو المراد في هذا الحديث ، كما شرح به ﷺ ، ويجمع أيضاً على أقوع ، وأقواع ، والقيعة - بكسر القاف - بمعنى القاع . قال الأصمعي : قاعة الدار : ساحتها .

وأما الفقه في اللغة فهو الفهم . يقال منه : فقه - بكسر القاف - يفقه فقهاً ، بفتحها كفرح يفرح فرحاً ، وقيل : المصدر فقهاً - بإسكان القاف - وأما الفقه الشرعي ، فقال صاحب (العين) ، والهروي ، وغيرهما : يقال منه فقه - بضم القاف - وقال ابن دريد : بكسرها كالأول .

والمراد بقوله ﷺ : « فقه في دين الله » ، هذا الثاني ، فيكون مضموم القاف على المشهور ، وعلى

....

= قول ابن دريد بكسرها ، وقد روى بالوجهين ، والمشهور الضم .

وأما قوله ﷺ : « فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء » ، فهكذا هو في جميع نسخ مسلم « طائفة طيبة » . ووقع في البخاري : « فكانت منه نقية قبلت الماء » – بنون مفتوحة ثم قاف مكسورة ثم ياء مثناة من تحت مشددة – وهو بمعنى طيبة ، هذا هو المشهور في روايات البخاري . ورواه الخطابي وغيره : « ثغبة » – بالثاء المثلثة والغين المعجمة والباء الموحدة – قال الخطابي : وهو مستنقع الماء في الجبال والصخور ، وهو الثغب أيضاً ، وجمعه ثغبان . قال القاضي وصاحب (المطالع) : هذه الرواية غلط من الناقلين وتصحيف ، وإحالة للمعنى ، لأنه إنما جعلت هذه الطائفة الأولى مثلا لما ينبت ، والثغبة لا تنبت .

وأما قوله ﷺ : « وسقوا » فقال أهل اللغة : سقى وأسقى : بمعنى لغتان ، وقيل : سقاه : ناوله ليشرب ، وأسقاه : جعل له سقيا .

وأما قوله ﷺ : « ورعوا » فهو بالراء من الرعى ، هكذا هو في جميع نسخ مسلم ، ووقع في البخاري « وزرعوا » ، وكلاهما صحيح ، والله تعالى أعلم .

أما معاني الحديث ومقصوده : فهو تمثيل الهدى الذي جاء به ﷺ بالغيث ؛ ومعناه أن الأرض ثلاثة أنواع ، وكذلك الناس :

فالنوع الأول ، من الأرض ينتفع بالمطر ، فيحيى بعد أن كان ميتاً وينبت الكلأ ، فتنتفع بها الناس والدواب والزرع وغيرها ، وكذا النوع الأول من الناس يبلغه الهدى والعلم ، فيحفظه ، فيحيا قلبه ، ويعمل به ، ويعلمه غيره ، فيَنفَع ويُنفِع .

والنوع الثاني ، من الأرض ما لا تقبل الانتفاع في نفسها ، لكن فيها فائدة ، وهي إمساك الماء لغيرها ، فينتفع بها الناس والدواب ، وكذا النوع الثاني من الناس ، لهم قلوب حافظة ، لكن ليست لهم أفهام ثاقبة ، ولا رسوخ لهم في العقل ، يستنبطون به المعاني والأحكام ، وليس عندهم اجتهاد في الطاعة والعمل به ، فهم يحفظونه حتى يأتي طالب محتاج ، متعطش لما عندهم من العلم ، أهل للنفع والانتفاع ، فيأخذه منهم ، فينتفع به ، فهؤلاء نفعوا بما بلغهم .

والنوع الثالث ، من الأرض السباخ ، التي لا تنبت ، ونحوها ، فهي لا تنتفع بالماء ، ولا تمسكه لينتفع بها غيرها ، وكذا النوع الثالث من الناس ، ليست لهم قلوب حافظة ، ولا أفهام واعية ، فإذا سمعوا العلم لا ينتفعون به ، ولا يحفظونه لنفع غيرهم ، والله تعالى أعلم . وفي هذا الحديث أنواع من العلم ، منها :

[١] ضرب الأمثال . [٢] فضل العلم والتعليم .

[٣] شدة الحث عليهما . [٤] ذم الإعراض من العلم .

والله تعالى أعلم . (المرجع السابق) .

والنَّسائي[1] من حديث سويد عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي ﷺ : أن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً ، فكان منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكان منها أجادب فمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا ، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءاً ولا تنبت كلأً ، فذلك مثل من فقه معاني دين الله ونفعه بما بعثني به فَعَلِمَ وعلَّم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به . اللفظ لمسلم ، ذكره في كتاب المناقب ، وذكره البخاري في كتاب العلم وقال فيه : كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء ، وقال فيه : فشربوا وسقوا وزرعوا ، وقال فيه : ونفعه بما بعثني الله ، وقال بعده : قال إسحاق : وكان منها طائفة قبلت الماء قاع يعلوه الماء .

---

(١) لم أجده في (النسائي) بهذه السياقة ، لكن أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي موسى الأشعري ، ضمن حديث طويل أوله : عبد الله حدثني أبي ، حدثني عبد الله بن محمد – وسمعته أنا من عبد الله بن محمد – حدثنا أبو أسامة ، عن بريد بن أبي بردة ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى ، قال : « ولد لي غلام ، فأتيتُ به النبي ﷺ ، فسماه إبراهيم وحنكه بتمرة ، وقال : احترق بيت بالمدينة على أهله ، فحدث النبي ﷺ بشأنهم فقال : إنما هذه النار عدوّ لكم ، فإذا نمتم فأطفؤوها عنكم ، قال : وكان رسول الله ﷺ إذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أمره قال : بشروا ولا تنفروا ، ويسروا ولا تعسروا ، وقال رسول الله ﷺ : إن مثل ما بعثني الله عزَّ وجلَّ به من الهدى والعلم ... » وساق الحديث بنحو سياقه البخاري ومسلم . (مسند أحمد) : ٥ / ٥٤٤ ، حديث رقم (١٩٠٧٦) .

قال القرطبي وغيره : ضرب النبي ﷺ لما جاء به من الدين ، مثلا بالغيث العام الذي يأتي الناس في حال حاجتهم إليه ، وكذا كان حال الناس قبل مبعثه ﷺ ، فكما أن الغيث يحي البلد الميت ، فكذا علوم الدين تحي القلب الميّت ، ثم شبَّه السامعين له بالأرض المختلفة التي ينزل بها الغيث ، فمنهم العالم العامل المعلم ، فهو بمنزلة الأرض الطيبة ، شربت فانتفعت في نفسها ، وأنبتت فنفعت غيرها .

ومنهم الجامع للعلم ، المستغرق لزمانه فيه ، غير أنه لم يعمل بنوافله ، أو لم يتفقه فيما جمع ، لكنه أدَّاه لغيره ، فهو بمنزلة الأرض التي يستقر فيها الماء فينتفع به الناس .

ومنهم من يسمع العلم فلا يحفظه ، ولا يعمل به ، ولا ينقله لغيره ، فهو بمنزلة الأرض السبخة أو الملساء التي لا تقبل الماء أو تفسده على غيرها .

وإنما جمع في المثل بين الطائفتين الأُوليين المجودتين ، لا شتراكهما في الانتفاع بهما ، وأفراد الطائفة الثالثة المذمومة لعدم النفع بها . (الأمثال في الحديث النبوي) : ٣٧٨ – ٣٧٩ ، حديث رقم (٣٢٦) والتعليق عليه .

فانظر ما أبلغ هذا المثال النبوي وأبينه لما نحن بصدده ؛ فهذه عين الماء الذي نزل من السماء واحدة ، وأثره في الأرض مختلف على قدر ما أعطاها الحكيم الخبير سبحانه من الاستعداد ، وهيأ فيها من القبول حتى قبلت [كل][1] قطعة منها الماء بحسب استعدادها ، فأنبتت الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات التي يفضل بعضها على بعض في الأُكُل ، وقبلت قطعة أخرى من الأرض ذلك الماء بعينه ، فأنبتت بحسب استعدادها كَلَأً وعُشباً ترعاه الأنعام ، وفقدت قطعة أخرى هذا الاستعداد المهيىء لقبول الإنبات ، فأمسكت الماء ولم تغيره عن أصله لطيبها حتى استقى منه الناس فشربوا وحملوا وسقوا أنعامهم ، وكانت قطعة أخرى من الأرض لم يجعل الله تعالى فيها من الاستعداد لقبول الإنبات شيئاً ، وسلبها مع ذلك الطيب والاعتدال ، حتى انحرفت عنه فلم تخرج نبتاً ولا أمسكت ماءاً ، بل أحالته لخبثها أُجاجاً وملحاً لا يُنتفع به ، فكما اختلفت الأرض في الاستعداد واختلفت في القبول ، وهكذا نفوس الناس لما اختلفت في الاستعداد لقبول الخير والهدى ، اختلفت في قبوله ، وعين الهدى واحدة ، ولكن أثره في نفوس الناس مختلف ؛ فواحد قبل هدى الله الذي جاء به نبيه محمدٌ ﷺ حال ما جاء به من غير أن يدعى إليه ولا طلب منه دليلاً عليه كخديجة بنت خويلد ، وأبي بكر الصديق ، وعلي بن أبي طالب ، وزيد الحِبّ ، رضي الله عنهم ، وذلك بحسب قوة استعدادهم لقبول الهدى ، وقد عبَّر عن هذا الاستعداد في اصطلاح القرآن بالهداية ، ويقال له التوفيق أيضاً ، وإليه الاشارة بقوله تعالى : ﴿ **حبَّب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان** ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ **والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم** ﴾[3] ، أي والذين اهتدوا يعني قبلوا الهداية العامة الإيمانية بقابليتهم الأصلية ، وأقبلوا بكلية مواطنهم إليها ، زادهم الله هدى بما أدركهم من عناية مدد الحضرة الرحمانية بالهداية الخاصة من مقام الإحسان ، ﴿ **وآتاهم تقواهم** ﴾ يعني أعطاهم تقوى نفوسهم بأن جعلوا حُكم توحيدهم الباطن في قلوبهم وقاية تصون أنفسهم عن التلبس من أحشاء الانحرافات المبعدة لهم عن جناب

---

(١) زيادة للسياق . (٢) الحجرات : ٧ . (٣) محمد : ١٧ .

موجدهم تقدَّس وتعالى .

وآخرون آتاهم الله تعالى من هذا الاستعداد دون ما أتى من ذكرنا ، فاحتاجوا إلى أن يُدعَوْا إلى الله ويُدَلُّوا على الطريق إليه ، وهم الذين دخلوا في دين الإسلام من المهاجزين والأنصار ، وقصر هذا الاستعداد في قلوب آخرين حتى احتاجوا في دخولهم في الإيمان إلى أن أظهر لهم رسول الله ﷺ من آياته ومعجزاته ما قادهم إلى الإيمان به طوعاً ، وانحط فريق عن هذه الرتب لضعف الاستعداد عندهم لقبول الهدى ، فلم يدخلوا فيه إلا كرهاً من تحت السيف ، كمُسلمة الفتح الذين قيل لهم : « الطلقاء »[(١)] .

وعدمت طوائف من الناس هذا الاستعداد جملة فشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى وعاندوا الحق بعد ما وضح ، وصدّوا عن سبيل الله من آمن به ، وبذلوا جهدهم في إطفاء نور الله - رسول الله ﷺ - حتى ماتوا وهم كافرون من أجل أنه لم يكن فيهم من الاستعداد المهيء لقبول الهدى شيء ؛ قلّ ولا جلّ ، بل كانوا في ورود الهدى عليهم بمنزلة الأرض الخبيثة التي أحاطت ماء الغيث العذب الطهور إلى السباخ الرديء ، وبمنزلة من به آفة في معدته من خلط رديء ، [فأحالت][(٢)] أطيب المآكل وأنفعها سماً مهلكاً وداءاً عياءاً .

وانظر - رحمك الله - إلى الآية الواحدة من كتاب الله تعالى فإنها ترد على الأسماع ؛ فواحد يفهم أمراً واحداً ، وآخر لا يفهم منها ذلك الأمر بل يفهم أمراً آخر ، وآخر يفهم منها أموراً كثيرة ، ولهذا يستشهد كل واحد من الناظرين فيها بها ، فالآية واحدة العين ، والسامعون لها مختلفون في القبول ، وذلك لا ختلاف استعداد أفهامهم فيها .

واوع سمعك أمثالاً أُفَصِّلُها مما قد أَلِفْتَهُ من المحسوسات : منها أن الشمس تبسط أنوارها على الموجودات كلها فتقبل المحال ذلك النور على قدر الاستعداد ؛ فالجسم

---

(١) إشارة إلى قوله ﷺ يوم الفتح : « إذهبوا فأنتم الطلقاء » .

(٢) زيادة للسياق .

المبرود يسخن بها فيتلذذ بذلك ، والجسم المحرور يزيد في كمية حرارته فيتألم بها ، فالنور واحد لهما ، وكل واحد منهما يتألم بما به ينعم الآخر بعينه ، فلو كان النور لإعطائه حقيقة واحدة ، وإنما ذلك لاستعداد القابل .

وهكذا تجد الشمس تُسوّد وجه القصَّار[1] وتبيض الثوب الذي يقصره ، فإن استعداد الثوب تعطي الشمس فيه التبييض ، ووجه القصَّار تعطي الشمس فيه التسويد ، وكذلك ترى الشمس تذيب الشمع والشحم ، وتجفف الطين والثوب المبلول ، فإن استعداد كل واحد من هذه المذكورات تعطيه الشمس بحسب قبوله ، ومن ذلك الهواء ؛ إذا هبّ فإنه في هبوبه يطفيء السراج ويشعل النار في الحطب ونحوه مما من شأنه أن يقبل الاشتعال ، وهكذا نفخك يطفيء السراج ويشعل النار في الحطب ، وربما كان ذلك بنفخة واحدة ، وذلك أن اختلافهما في الاستعداد يوجب اختلافهما في القبول ، والهواء واحد في عينه ، ومن هذا القبيل العطايا الإلّهية ؛ قال تعالى : ﴿ **وما كان عطاء ربك محظوراً** ﴾[2] أي ممنوعاً ، فهو سبحانه معطٍ على الدوام ، والمحالّ تقبل على قدر ما أعطاها الله تعالى من الاستعدادات ، فإذا فهمت هذا علمت أن عطاء الله تعالى ليس بممنوع ، إلا أنك تحب أن يعطيك مالا يقبله استعدادك ، وتنسب المنع إليه – سبحانه – فيما طلب منه ، ولا تجعل ما لك من الاستعداد وتقول : إن الله تعالى على كل شيء قدير ، وتصدق في ذلك ، ولكنك تغفل عن ترتيب الحكمة الإلّهية وما تعطيه حقائق الأشياء والكل من عند الله ، فمنعه عطاء ، وعطاؤه منع ، ولكن بقي أن تعلم بكذا أو من كذا .

وإذا تدبرت هذه الأمثلة انجلت لك شبهة ما أورده أهل الزيغ والإلحاد على عموم أن رسالة محمد رسول الله ﷺ رحمة للعالمين ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

قال أبو عبد الله محمد بن علي المعروف بالحكيم الترمذي : إن الأنبياء والرسل

---

(١) القصَّارة المحوِّر للثياب لأنه يدقها بالقصَرَة التي هي القطعة من الخشب وحرفته القِصارة ، والمِقْصَرَة : خشبة القَصَّار . (لسان العرب) : ٥ / ١٠٤ .

(٢) الإسراء : ٢٠ .

صفوة الخلق ، وأما محمد ﷺ فقد جازت مرتبته الاصطفاء لأنه [نور][1] ورحمة ، قال الله تعالى : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾[2] ، فالرسل خُلقوا للرحمة ، ومحمد ﷺ خلق بنفسه رحمة ، فلذلك صار أماناً للخلق لما بعثه سبحانه وتعالى أَمِن الخلق العذاب إلى نفخة الصور ، وسائر الأنبياء عليهم السلام لم يحلوا هذا المحل ، ولذلك قال ﷺ : أنا رحمة مهداه ، فأخبر أنه بنفسه رحمة للخلق من الله تعالى ، وقوله : مهداه ، أي هدية من الله سبحانه وتعالى للخلق ، والله الموفق .

* * *

(١) زيادة للسياق .

(٢) الأنبياء : ١٠٧ .

وأما مخاطبة الله له بالنبوة والرسالة
ومخاطبة من عداه من الأنبياء باسمه

فإن ذلك أبان الله تعالى به عن إجلال قدر نبيه محمد ﷺ وتمجيده وتعظيمه ، فإنه لا أجلّ من النبوة ، ولا أعظم خطراً منها ، قال تعالى : ﴿ **يـٰأيها النبي إنا أرسلناك** ﴾[1] ، وقال : ﴿ **يـٰأيها النبي حسبك الله** ﴾[2] ، وقال : ﴿ **يـٰأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر** ﴾[3] ، وقال : ﴿ **يـٰأيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك** ﴾[4] ، وخاطب سبحانه الأنبياء بأسمائهم ، وأخبر عنهم بأسمائهم ؛ فقال تعالى : ﴿ **يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة** ﴾[5] ، وقال في الإخبار عنه : ﴿ **وعصى آدم ربه فغوى** ﴾[6] ، وقال : ﴿ **يا نوح اهبط** ﴾[7] ، وقال في الإخبار عنه : ﴿ **ونادى نوح ابنه** ﴾[8] ، وقال : ﴿ **يا إبراهيم أعرض عن هذا** ﴾[9] ، وقال في الإخبار عنه : ﴿ **وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت** ﴾[10] ، وقال : ﴿ **يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي** ﴾[11] ، وقال في الإخبار عنه : ﴿ **فوكزه موسى فقضي عليه** ﴾[12] ، وقال : ﴿ **يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك** ﴾[13] ، وقال في الإخبار عنه : ﴿ **وإذ قال عيسى ابن مريم يابني اسرائيل** ﴾[14] ، وقال : ﴿ **يا هود ما جئتنا ببينة** ﴾[15] ، وقال : ﴿ **يا صالح ائتنا بعذاب الله** ﴾[16] ، وقال : ﴿ **يا داود إنا جعلناك** ﴾[17] ، وقال : ﴿ **ولقد فتنا سليمان** ﴾[18] ، ....

---

(1) الأحزاب : ٤٥ . (2) الأنفال : ٦٤ . (3) آل عمران : ١٧٦ .
(4) المائدة : ٦٧ . (5) الأعراف : ١٩ . (6) طه : ١٢١ .
(7) هود : ٤٨ . (8) هود : ٤٢ . (9) هود : ٧٦ .
(10) البقرة : ١٢٧ . (11) الأعراف : ١٤٤ . (12) القصص : ١٥ .
(13) المائدة : ١١٠ . (14) الصف : ٦ . (15) هود : ٥٣ .
(16) الأعراف : ٧٧ . (17) ص : ٢٦ . (18) ص : ٣٤ .

وقال : ﴿ **يا زكريا إنا نبشرك بغلام** ﴾[1] ، وقال : ﴿ **يا يحى خذ الكتاب** ﴾[2] ، فلم يخاطب أحداً منهم ولا أخبر عنه إلا باسمه ، وكل موضع ذكر فيه محمداً ﷺ أضاف إليه ذكر الرسالة ؛ فقال تعالى : ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل** ﴾[3] ، وقال : ﴿ **محمد رسول الله** ﴾[4] ، وقال : ﴿ **ما كان محمداً أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله** ﴾[5] ، وقال : ﴿ **وآمنوا بما أنزل على محمد وهو الحق من ربهم** ﴾[6] ؛ فسماه ليُعلم من جحده أن أمره وكتابه هو الحق ، ولأنهم لم يعرفوه إلا بمحمد ، فلو لم يسمه لم يُعلم اسمه من الكتاب ، وكأن تسمية الله له بمحمد زيادة في جلالة قدره وتنبيهاً على مزيد شرفه ، لأن اسمه عليه السلام مشتق من اسم الله تعالى ، كما مدحه به عمه أبو طالب بقوله :

وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمودٌ وهذا محمدُ

ولما جمع الله تعالى بين ذكر محمد وإبراهيم عليهما السلام ، سمي خليله باسمه وكنّي حبيبه محمداً بالنبوة فقال تعالى : ﴿ **إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا** ﴾[7] ؛ فأبان سبحانه بذلك عن شرف مقدار محمد ﷺ وعلو رتبته عنده ، ثم قدمه الله عز وجل في الذكر على من تقدمه في البعث ، قال تعالى : ﴿ **إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ...** ﴾[8] ، إلى قوله : ﴿ **وآتينا داود زبوراً** ﴾[9] ، وقال تعالى : ﴿ **وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم** ﴾[10] الآية ، وقد رُوى من طرق عن سعيد بن بشير ، حدثنا قتادة عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى : ﴿ **وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح** ﴾[11] ، قال : كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث ، فانظر كيف خاطب الله سبحانه محمداً ﷺ بالنبوة والرسالة ، ولم يخاطب غيره من الأنبياء إلا باسمه ، إلا أن يكون محمداً ﷺ في جملتهم فيشركهم معه

---

(١) مريم : ٧ . (٢) مريم : ٢٠ . (٣) آل عمران : ١٤٤ .
(٤) الفتح : ٢٩ . (٥) الأحزاب : ٤٠ . (٦) محمد : ٢ .
(٧) آل عمران : ٦٨ . (٨) النساء : ١٦٣ . (٩) النساء : ١٦٣ .
(١٠) الأحزاب : ٧ . (١١) الأحزاب : ٧ .

في الخطاب والخبر ، ليبين تعالى لعباده ارتفاع رتبة رسول الله ﷺ على جميع الأنبياء ، وعلوّ مكانته على مكاناتهم كلهم ، إذ الكناية عن الاسم غاية التعظيم للمخاطب ، لأن من بلغ به الغاية في التعظيم كُني عن اسمه بأخص أوصافه وأجَلّها ، والله الموفق .

* * *

وأما دفع الله عن الرسول ﷺ ما قرفه به المكـذبون ، ونهي الله تعالى العباد عن مخاطبته باسمه

إعلم أن الأمم السالفة كانت تخاطب أنبياءهم بأسمائهم ، كقولهم : ﴿ **يا موسى اجعل لنا إلَها كما لهم آلهة** ﴾[1] ، وقولهم : ﴿ **يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة** ﴾[2] ، وقولهم : ﴿ **يا هود ما جئتنا ببينة** ﴾[3] ، وقولهم : ﴿ **يا صالح ائتنا** ﴾[4] ، فشرف الله الرسول ﷺ بتبجيل قدره ، ونهى الكافة أن يخاطبوه باسمه ، فقال تعالى : ﴿ **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً** ﴾[5] ، فندبهم الله تعالى إلى تكنيته بالنبوة والرسالة ، رفعة لمنزلته وتشريفاً لقدره على جميع الرسل والأنبياء ، وأوجب تعالى تعزيره ﷺ وتوقيره ، وألزم سبحانه إكرامه وتعظيمه ، قال ابن عباس : تعزروه : تبجلوه ، وقال المبرد : تعزروه : تبالغوا في تعظيمه ، وقال الأخفش : تنصرونه ، وقال الطبري : تعينونه ، وقرأ تعززونه بزائيين من العز .

[و][6] خرج محمد بن عثمان بن أبي شيبة من حديث أبي رزق عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً** ﴾[7] قال : كانوا يقولون : يا محمد يا أبا القاسم ، قال : فنهاهم الله عن ذلك إعظاماً لنبيه ﷺ ، قال : فقالوا : يا نبي الله ، يارسول الله .

ولأبي نعيم من حديث محمد بن السائب عن أبي صالح عن ابن عباس : ﴿ **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً** ﴾ يعني كدعاء أحدكم إذا

---

(١) الأعراف : ١٣٨ . (٢) المائدة : ١١٢ . (٣) هود : ٥٣ .
(٤) الأعراف : ٧٧ . (٥) النور : ٦٣ . (٦) زيادة للسياق .
(٧) النور : ٦٣ .

دعى أخاه باسمه ؛ ولكن وقروه وعزروه وعظموه ، وقولوا : يارسول الله ، ويانبي الله .

وعن عاصم عن الحسن : ﴿ **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً** ﴾ قال : لا تقولوا : يا محمد ، قولوا يارسول الله .

وعن سعيد بن جُبير في قوله تعالى : ﴿ **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً** ﴾ قال : لا تقولوا : يا محمد ، قولوا يارسول الله .

وعن قتادة : ﴿ **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً** ﴾ قال : أمر الله سبحانه وتعالى أن يهاب نبيه صلوات الله عليه وأن يعظم ويفخَّم ويسوَّد ، وفي رواية قال : أمرهم الله تعالى أن يفخموه ويشرفوه ، ونهى المؤمنين أن يقولوا لرسول الله ﷺ : راعنا سمعك ، قال تعالى : ﴿ **يـٰأيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا** ﴾[1] ، قال الضحاك عن ابن عباس : لا تقولوا : راعنا ، وذلك أنها سُبَّة بلُغَة اليهود ، فقال : قولوا انظرنا ؛ يريد أسمعنا ، فقال المؤمنون بعدها : من سمعتموه يقولها فاضربوا عنقه ، فانتهت اليهود بعد ذلك .

وعن أبي صالح عن ابن عباس : ﴿ **لا تقولوا راعنا** ﴾ قال : راعنا بلسان اليهود السب القبيح ، فكان اليهود يقولون لرسول الله ﷺ ذلك سراً ، فلما سمعوا أصحابه يقولونه أعلنوا بها ، فكانوا يقولون ذلك ويضحكون فيما بينهم ، فسمعها منهم سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال لليهود : يا أعداء الله ، عليكم لعنة الله ، والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله ﷺ لأضربن عنقه .

وعن مجاهد : ﴿ **يـٰأيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا** ﴾ خلافاً وقولوا : انظرنا ، أفهمنا ، بين لنا .

وعن قتادة : ﴿ **لا تقولوا راعنا** ﴾ قال : كانت اليهود تقول : راعنا استهزاءاً ، فنهى الله المؤمنين أن يقولوا كقولهم .

---

(١) البقرة : ١٠٤ .

وعن عطية : ﴿ **لا تقولوا راعنا** ﴾ قال : كان أناس من اليهود يقولون : راعنا سمعك ، حتى قالها أناس من المؤمنين ، فكره لهم ما قالت اليهود ، فقال : ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا** ﴾ كما قالت اليهود ﴿ **وقولوا انظرنا** ﴾ والله الموفق .

* * *

وأما دفع الله تعالى
عن النبي ﷺ ما قرفه المكذبون له

كان من تقدم من أنبياء الله صلوات الله عليهم كانوا يردون عن أنفسهم ويدفعون ما قرفهم مكذبوهم ، فتولى الله ذلك عن رسول الله محمد ﷺ ، قال تعالى [حكاية][1] عن قوم نوح : ﴿ **إنا لنراك في ضلال مبين** ﴾[2] ، فقال دافعاً عن نفسه : ﴿ **يا قوم ليس بي ضلالة** ﴾[3] ، وقال قوم هود : ﴿ **إنا لنراك في سفاهة** ﴾[4] ، فقال دافعاً عن نفسه : ﴿ **قال يا قوم ليس بي سفاهة** ﴾[5] ، وقال فرعون لموسى : ﴿ **إني لأظنك يا موسى مسحوراً** ﴾[6] ، فقال موسى مجيباً له : ﴿ **إني لأظنك يا فرعون مثبوراً** ﴾[7] ، فتولى الله سبحانه وتعالى المجادلة عن رسول الله ﷺ حين قال المشركون عنه : إنه شاعر ، فقال : ﴿ **وما علمناه الشعر** ﴾[8] ، ولما قالوا : كاهن قال تعالى : ﴿ **وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون * ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون** ﴾[9] ، ولما قالوا : ضال ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ **ما ضل صاحبكم وما غوى** ﴾[10] ، ولما قالوا عنه ﷺ : إنه مجنون ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون** ﴾[11] .

* * *

---

(١) زيادة للسياق . (٢) الأعراف : ٦٠ . (٣) الأعراف : ٦٦ .
(٤) الأعراف : ٦١ . (٥) الأعراف : ٦٧ . (٦) الإسراء : ١٠١ .
(٧) الإسراء : ١٠٢ . (٨) يس : ٦٩ . (٩) الحاقة : ٤١ . .
(١٠) النجم : ٢ . (١١) الطور : ٢٩ .

وأما مغفرة ذنبه
من غير ذكره تعالى له خطأً ولا زَلّة

فقد خرج الحاكم من حديث الحكم بن إبان قال : سمعت عكرمة يقول : قال ابن عباس : إن الله فضل محمداً ﷺ على جميع الأنبياء وعلى جميع أهل السماء ، وفضله على أهل الأرض ، قالوا : يا ابن عباس !! بم فضله على أهل السماء ؟ قال : قال الله تعالى : ﴿ **ومن يقل منهم إني إلّه من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين** ﴾[1] ، وقال لمحمد : ﴿ **إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر** ﴾[2] الآية ، قالوا : فبم فضَّلَه على أهل الأرض ؟ قال : قال الله تعالى : ﴿ **وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم** ﴾[3] ، الآية ، وقال لمحمد : ﴿ **وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً** ﴾[4] ، فأرسله إلى الجن والإنس ، قال الحاكم : هذا حديث صحيح .

واعلم أن من تقدم الرسولَ ﷺ من الأنبياء ذكر الله تعالى أحوالهم [و][5] ما كان منهم يَقُصّهُ تعالى على ما غفره لهم ، قال تعالى في قصه موسى : ﴿ **رب إني قتلت منهم نفساً** ﴾[6] ، وقال : ﴿ **إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له** ﴾[7] ؛ فَقَصَّ تعالى ماغفر له وسأل فيه المغفرة ، وقال تعالى عن داود : ﴿ **وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوّروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لاتخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تُشطط واهدنا إلى سواء الصراط * إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجه ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزَّني في الخطاب * قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعموا الصالحات وقليل ماهم وظن داود أنما فتناه فاستغفر رَبَّهُ وخر راكعاً وأناب فغفرنا له ذلك** ﴾[8] ، فقصّ تعالى على

---

(١) الأنبياء : ٢٩ . (٢) الفتح : ١ ، ٢ . (٣) إبراهيم : ٤ .
(٤) سبأ : ٢٨ . (٥) زيادة للسياق . (٦) القصص : ٣٣ .
(٧) القصص : ١٦ . (٨) ص : ٢١ — ٢٤ .

ما كان فيهم ، ولم يقصّ على خطأ كان من رسول الله ﷺ إكراماً له وتشريفاً ، فقال عز من قائل : ﴿ **إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً وينصرك الله نصراً عزيزاً** ﴾[1] ، وهذا غاية الفضل والشرف ، لأنه تشريف النبي ﷺ من غير أن يكون هناك ذنب ، ولكنه تعالى استوعب في هذه الآية جميع أنواع النعم الأخروية والدنيوية التي أنعم الله بها على عباده ، فلم تبق نعمة يمكن أن تكون من الله تعالى على عباده إلا وقد جمعها لرسول الله ﷺ ، فإن جميع النعم الأخروية شيئان : سلبية وهي غفران الذنوب ، وثبوتية وهي لا تتناهى ، أشار إليها بقوله : ﴿ **ويتم نعمته عليك** ﴾[1] ، وجميع النعم الدنيوية شيئان : دينية أشار إليها بقوله : ﴿ **ويهديك صراطاً مستقيماً** ﴾[1] ، ودنيوية ، وإن كانت هنا المقصود بها الدين ، وهي قوله : ﴿ **وينصرك الله نصراً عزيزاً** ﴾[1] ، وقدم الأخروية على الدنيوية ، وقدم في الدنيوية الدينية على غيرها تقديماً للأهم فالمهم ، فانتظم بذلك تعظيم قدر رسول الله ﷺ بإتمام نعم الله تعالى عليه ، المتفرقة في غيره ، ولهذا قال : جعل ذلك غاية الفتح المبين الذي عظمه وفخمه بإسناده إليه بنون العظمة ، وجعله خاصاً برسول الله ﷺ بقوله : ﴿ **لك** ﴾ .

وقد أشار ابن عطية إلى هذا فقال : وإنما المعنى : التشريف بهذا الحكم ، ولو لم يكن له ذنب البتة . انتهى .

وقد ذكر الناس أقوالا أُخر ، منها : ما يجب تأويله ، ومنها ما يجب ردّه ؛ فمن ذلك ما روى عن ابن عباس رضي الله عنه : ﴿ **ليغفر لك الله** ﴾ أي ما يكون ، وهذا يمكن تأويله على ما قدمناه ، أي مما يكون لو كان ، والمعنى أنك يا سيد المرسلين بحالة لو كان لك ذنوب ماضية ومستقبلة لغفرنا جميعها لك لشرفك عندنا .

ومنها قول مقاتل : ﴿ **ليغفر لك** ﴾ ما كان في الجاهلية ، وهذا مردود ، لأن رسول الله ﷺ ليس له جاهلية ، ومن قال : ليغفر لك ما كان قبل النبوة فهو مردود

---

(١) أول سورة الفتح .

أيضاً ، لأنه ﷺ معصوم قبل النبوة وبعدها .

ومنها قول سفيان الثوري : ليغفر لك ما كان في الجاهلية ما علمت ومالم تعلم ، وهو مردود بمثل الذي قبله ، ومنها قول عطاء الخرساني : ليغفر لك ما تقدم من ذنب أبويك آدم وحواء ببركتك ، وما تأخر من ذنوب أمتك بدعوتك على حذف مضاف .

ومنها ما حكى عن مجاهد : ﴿ **ليغفر لك ما تقدم** ﴾ من حديث مارية وما تأخر من امرأة زيد ، وهذا قول باطل ، فإنه لم يكن في قصه مارية وامرأة زيد ذنب أصلاً ، وقد أوردنا ما جاء في قصتيهما عند ذكر أزواجه وسراريه ﷺ ، وليس فيهما ما يُعدّ زلة ولا ذنباً ، ومن اعتقد ذلك فقد أخطأ .

ومنها قول الزمخشري : جميع ما فرط منك ، وهذا مردود بشيئين : **أحدهما** : عصمة الأنبياء ، وقد أجمعت الأمة على عصمتهم فيما يتعلق بالتبليغ وفي غير ذلك من الكبائر ومن الصغائر الرذيلة التي تحط مرتبتهم ، ومن المداومة على الصغائر ، فهذه الأربعة مجمع عليها ، واختلفوا في الصغائر التي لا تحط مرتبتهم ، فذهبت المعتزلة ، وكثير من غيرهم إلى جوازها ، والمختار المنع لأنا مأمورون بالاقتداء في كل ما يصدر منهم في قول وفعل ، فكيف يقع منهم مالا ينبغي ، ونُؤمر بالاقتداء بهم فيه ؟

وتجاسر قوم على الأنبياء فنسبوا إليهم تجويزها عليهم مطلقاً ، وهم محجوجون بما تقدم من الإجماع ، ثم إن الذين جوزوا الصغائر لم يجوزوها بنص ولا دليل ، وإنما أخذوا ذلك من هذه الآية وأمثالها ، وقد ظهر بجواب هذه ، وفي كل موضع من الباقيات يذكر جوابه إن شاء الله تعالى .

والذين جوزوا الصغائر التي ليست برذائل ، قال ابن عطية : اختلفوا هل وقع ذلك من محمد ﷺ أو لم يقع ؟ قال كاتبه : والحق الذي لا مرية فيه أنه لم يقع ، وكيف يستحيل خلاف ذلك وأحواله ﷺ منقسمة إلى قول وفعل ؟ أما القول، فقال تعالى : ﴿ **وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى** ﴾[1] ، وأما الفعل،

---

(١) النجم : ٣ – ٤ .

فإجماع الصحابة المعلوم منهم قطعاً على اتباعه والتأسي بما يفعله في كل ما يفعله من قليل أو كثير ، أو صغير أو كبير ، لما عندهم في ذلك توقف ولا بحث ، حتى أعماله عليه السلام في السر والخلوة يحرصون على العلم بها وعلى اتباعها ، علم بهم ﷺ أو لم يعلم .

والثاني : أنا لو سلمنا بعدم العصمة - وحاش لله - فإنه لا يناسب ما تشير إليه الآية من التعظيم والامتنان ، وجعل ذلك غاية الفتح المبين ، المقرون بالتعظيم ، فحمله على ذلك مخل بالبلاغة ، والمعنى الذي حملنا عليه الآية يناسب البلاغة ، فوجب المصير إليه ، وقوله : ﴿ **وينصرك الله نصراً عزيزاً** ﴾[1] أُعيد لفظه لمَّا بَعُد عما عطف عليه ، وليكون المبتدأ والمنتهي بالاسم الظاهر ، والضميران في الوسط ، وأتت هذه النعم الأربع بلفظ الغيبة ، وجاء الفتح قبلها بضمير المتكلم تعظيماً لأمر الفتح ، لأن المغفرة وإن كانت عظيمة فهي عامة ، قال تعالى : ﴿ **ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾[2] وكذلك إتمام النعمة ، قال تعالى : ﴿ **وأتممت عليكم نعمتي** ﴾[3] ، وهكذا الهداية ، قال تعالى : ﴿ **يهدي من يشاء** ﴾[4] ، ومثله النصر ، قال تعالى : ﴿ **إنهم لهم المنصورون** ﴾[5] ، وأما الفتح : فإنه لم يتفق لغير رسول الله ﷺ ، وقيل في الاسم مع النصر : إنه تعظيم له ، ولهذا قلَّ ما ذكر الله تعالى النصر من غير إضافة إليه أو اقتران باسمه ليطمئن القلب بذكر الله تعالى ، فيحصل الصبر ، وبه يحصل النصر ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

وقال سفيان عن عيينة قال : عن ميسرة قال ابن عبد الله : أَخْبَرهُ بالعفو قبل أن يُخبره بالذنب ، قال تعالى : ﴿ **عفا الله عنك لم أذنت لهم** ﴾[6] ، وقال عبد الله بن يزيد المصري : ليس هذا لنبي قبله ولا بعده ؛ يعني قوله تعالى : ﴿ **عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين** ﴾[6] ، فبدأ سبحانه بالعفو قبل العقاب .

* * *

---

(١) الفتح : ٣ . (٢) النساء : ٤٨ . (٣) المائدة : ٣ .
(٤) البقرة : ١٤٢ . (٥) الصافات : ١٧٢ . (٦) التوبة : ٤٣ .

وأما أخذ الله تعالى
الميثاق على جميع الأنبياء أن يؤمنوا برسول الله ﷺ
وينصروه إن أدركوه

فقد قال تعالى : ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنُنَّ به ولتنصرُنَّه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون** ﴾[1] .

قوله : ﴿ **لما آتيتكم من كتاب** ﴾ ما ، بمعنى الذي ، قال النحاس : التقدير على قول الخليل : الذي آتيتكموه ثم حذف الهاء لطول الاسم ، والإصر : العهد .

وعن أبي أيوب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : لم يبعث الله نبياً [من لدن][2] آدم فمن بعده إلا أخذ الله العهد عليه في محمد لئن بُعث وهو حيّ ليؤمنن به ولينصرنه ، ويأمره فيأخذ العهد على قومه ، فقال : ﴿ **وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ....** ﴾

وعن سعيد عن قتادة : قوله : ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ...** ﴾ الآية ، هذا ميثاق قد أخذه الله على النبيين أن يُصدّقوا بعضهم بعضاً ، وأن يبلغوا كتاب الله ورسالاته ، فبلغت الأنبياء كتاب الله ورسالاته إلى قومهم ، وأخذ عليهم فيما بلغتهم رسلهم أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ويصدقوه وينصروه .

وقال أسباط عن السدي : ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة** ﴾ الآية ، قال : لم يبعث الله نبياً قط من لدن نوح إلا أخذ ميثاقه ليؤمنن

---

(١) المائدة : ٨٣ .

(٢) زيادة للسياق .

بمحمد ﷺ ولينصرنه إن خرج وهو حيّ ، وإلا أخذ على قومه أن يؤمنوا به ولينصرونه هم إن خرج وهم أحياء .

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس : قال : ثم ذكر ما أخذ عليهم – يعني على أهل الكتاب – وعلى أنبيائهم من الميثاق بتصديقه – يعني بتصديق محمد ﷺ – إذا جاءهم ، وإقرارهم به على أنفسهم فقال : ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ...** ﴾ إلى آخر الآية .

وقال أسباط عن السدي في قوله : ﴿ **لما آتيتكم** ﴾ : يقول لليهود : أخذت ميثاق النبيين لمحمد ﷺ وهو الذي ذكر في الكتاب عندكم ، فهذا كما ترى ، وقد أخذ الله الميثاق على جميع الأنبياء عليهم السلام إن جاءهم رسول مصدق لما معهم وهو محمد ﷺ آمنوا به ونصروه ، فلم يكن أحد منهم ليدرك الرسول ﷺ إلا وجب عليه الإيمان به ونصره على أعدائه لأخذه الميثاق منهم ، فجعلهم تعالى كلهم أتباعاً لمحمد ﷺ يلزمهم الانقياد له والطاعة لأمره لو أدركوه .

وقد نَصَّ رسول الله ﷺ على معنى ما قلنا ، فروى هُشيم عن مجالد عن الشعبيّ عن جابر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « أتيتُ النبي ﷺ ومعي كتاب أصبته من بعض أهل الكتاب فقال : والذي نفسي بده ، لو أن موسى كان حياً اليوم ما وسعه إلا أن يتبعني »[1] .

---

(١) رواه البخاري عن يحى بن بكير ، وعن موسى بن إسماعيل ، عن إبراهيم بن سعد ، وقال البيهقي في (الشُّعب) : وقد روينا عن مجالد ، عن الشعبي ، عن جابر بن عبد الله ، عن النبي ﷺ ، أن عمر أتاه فقال : إنا نسمع أحاديث من اليهود تعجبنا ، أفترى أن نكتب بعضها ؟ فقال : أمتهوّكون أنتم كما تهوّكت اليهود والنصارى ؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، ولو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتّباعي .

قال أبو عبيد : قال ابن عون فقلت للحسن : متهوكون ؟ قال : متحيرون .

وأخبرنا أحمد بن الحسن القاضي ، حدثنا أبو علي حامد بن محمد الرفَّاء ، حدثنا محمد بن شاذان الجوهري ، حدثنا زكريا بن عدي ، حدثنا حماد بن زيد ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء ، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا » . زاد القاضي في روايته : « والله لو كان موسى عليه السلام حياً ما حلّ له إلا أن يتبعني » .

وروى عن جبير بن نفير ، عن عمر بن الخطاب ، عن النبي ﷺ في محو ما كتب من قول اليهود =

وقال بعض العارفين بالله تعالى . وبهذا يتبين لك سيادة محمد رسول الله ﷺ على جميع الأنبياء [والمرسلين من][1] قوله ﷺ : أنا سيد ولد آدم[2] ولا فخر ، وفي رواية مسلم[3] : أنا سيد الناس يوم القيامة ، فثبتت له السيادة والشرف على

بريقه والنهي عن ذلك .

(شعب الإيمان للبيهقي) : ١ / ١٩٩ - ٢٠٠ ، باب في الإيمان بالقرآن والكتب المنزلة ، ذكر حديث جمع القرآن ، حديث رقم (١٧٦) ، (١٧٨) ، (١٧٩) ، وحديث رقم (٥٢٠٥) : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو عبد الله الصنعاني ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، أنبأنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري ، أن حفصة جاءت إلى النبي ﷺ بكتاب فيه قصص يوسف في كتف ، فجعلت تقرأ عليه ، والنبي ﷺ يتلون وجهه فقال : « والذي نفسي بيده ، لو أتاكم يوسف وأنا بينكم فاتبعتموه وتركتموني لضللتم » . (المرجع السابق) : ٤ / ٣٠٨ - ٣٠٩ ، باب حفظ اللسان ، فصل في ترك قراءة كتب الأعاجم . ونحوه في (المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية) ٣ / ١١٤ - ١١٥ ، باب الزجر عن النظر في كتب أهل الكتاب ، حديث رقم (٣٠٢٤) .

وخرَّج الإمام أحمد من حديث عبد الله بن ثابت رضي الله تعالى عنه ، قال : حدثنا عبد الله ، حدثني أبي، حدثنا عبد الرزاق قال : أنبأنا سفيان ، عن جابر ، عن الشعبي ، عن عبد الله بن ثابت قال : « جاء عمر بن الخطاب إلى النبي ﷺ فقال : يارسول الله ، إني مررتُ بأخٍ لي من قريظة ، فكتب لي من جوامع التوراة ، ألا أعرضها عليك ؟ قال : فتغير وجه رسول الله ﷺ ، قال عبد الله : فقلت له : ألا ترى ما بوجه رسول الله ﷺ ؟ فقال عمر : رضينا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ رسولاً ، قال : فَسُرِّي عن النبي ﷺ ثم قال : والذي نفسي بيده ، لو أصبح فيكم موسى ، ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم ، إنكم حظي من الأمم، وأنا حظكم من النبيين » . (مسند أحمد) : ٤ / ٥١٣ - ٥١٤ ، حديث رقم (١٥٤٣٧) .

(١) زيادة للسياق ، ومكانها مطموس في (خ) .

(٢) (المستدرك) : ٣ / ١٣٣ ، ١٣٤ ، كتاب معرفة الصحابة ، حديث رقم (٤٦٢٥ / ٢٢٣) : حدثنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي ، حدثنا محمد بن معاذ ، حدثنا أبو حفص عمر بن الحسن الراسي ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي ﷺ قال : « أنا سيد ولد آدم ، وعليّ سيد العرب » . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، وفي إسناده عمر بن الحسن ، وأرجو أنه صدوق ، ولولا ذلك لحكمت بصحته على شرط الشيخين ، وله شاهد من حديث عروة عن عائشة رقم (٤٦٢٦ / ٢٢٤) : أخبرنا أبو بكر محمد بن جعفر القاري ببغداد ، حدثنا أحمد بن عبيد بن ناصح ، حدثنا الحسين بن علوان ، عن هشام بن عروة عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « ادعوا لي سيد العرب » فقلت : يارسول الله ! ألست سيد العرب ؟ قال : « أنا سيد ولد آدم ، وعلي سيد العرب » . وله شاهد آخر من حديث جابر رقم (٤٦٢٧ / ٢٢٥) : قال : قال رسول الله ﷺ : « ادعوا لي سيد العرب ، فقالت عائشة رضي الله عنها : ألست سيد العرب يارسول الله ؟ فقال : أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب » .

(٣) (مسلم بشرح النووي) : ٣ / ٦٦ - ٦٩ ، كتاب الإيمان ، باب (٨٤) ، حديث رقم (٣٢٧) ، =

أبناء جنسه من البشر ، وقال ﷺ : كنت نبياً وآدم بين الماء والطين[1] ، فأخبره الله تعالى بمرتبته ، وأنه عليه السلام إذ ذاك صاحب شرع ، فإنه قال : كنت نبياً ولم

وحديث رقم (٣٢٨) ، قوله ﷺ : « أنا سيد الناس يوم القيامة » ، ضمن حديث طويل معروف باسم (حديث الشفاعة) ، وسيأتي ذكره مشروحاً إن شاء الله تعالى في فصل [اختصاصه بالشفاعة العظمى يوم الفزع الأكبر] .

(١) المعروف أن هذا الحديث بلفظ : « كنتُ أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث » ، أخرجه أبو نعيم في (الدلائل) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ، وابن لال ، ومن طريقه الديلمي ؛ كلهم من حديث سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن أبي هريرة به مرفوعاً . وله شاهد من حديث ميسرة الفجر ، بلفظ : « كنتُ نبياً وآدم بين الروح والجسد » ، أخرجه أحمد ، والبخاري في (التاريخ) ، والبغوي ، وابن السكن ، وغيرهما في (الصحابة) ، وأبو نعيم في (الحلية) ، وصححه الحاكم ، وكذا هو بهذا اللفظ عند الترمذي وغيره عن أبي هريرة : متى كنت أو كتبْتَ نبياً ؟ قال : « وآدم » ، وذكره . وقال الترمذي : إنه حسن صحيح ، وصححه الحاكم أيضاً ، وفي لفظ : « وآدم منجدل في طينته » ، وفي صحيحى ابن حبان والحاكم ، من حديث العرباض بن سارية مرفوعاً : « إني عند الله لمكتوب خاتم النبيين وأن آدم لمنجدل في طينته » . وكذا أخرجه أحمد ، والدارمي في مسنديهما ، وأبو نعيم والطبراني ؛ من حديث ابن عباس ، قال : قيل : يارسول الله ، متى كتبت نبياً ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد » .

وأما الذي على الألسنة بلفظ « كنتُ نبياً وآدم بين الماء والطين » ، فلم نقف عليه بهذا اللفظ ، فضلاً عن زيادة : « وكنت نبياً ولا آدم ولا ماء ولا طين » . وقد قال شيخنا – الحافظ ابن حجر – في بعض الأجوبة عن الزيادة : إنها ضعيفة ، والذي قبلها قوي . (المقاصد الحسنة) : ٥٢٠ – ٥٢١ ، حديث رقم (٨٣٧) .

وقال الزركشي : لا أصل له بهذا اللفظ ، قال السيوطي في (الدر) : وزاد العوام : « ولا آدم ولا ماء ولا طين » ، لا أصل له أيضاً ، وقال القاري : يعني بحسب مبناه ، وإلا فهو صحيح باعتبار معناه . وروى الترمذي أيضاً عن أبي هريرة ، أنهم قالوا : يارسول الله ، متى وجبت لك النبوة ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد » ، وفي لفظ : متى كتبت نبياً ؟ قال : « كتبتُ نبياً وآدم بين الروح والجسد » . وعن الشعبي ، قال رجل : يارسول الله متى استنبئت ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد ، حين أخذ مني الميثاق » .

وقال التقي السبكي : فإن قلت : النبوة وصف ، لابد أن يكون الموصوّف به موجوداً ، وإنما يكون بعد أربعين سنة ، فكيف يوصف به قبل وجوده وقبل إرساله ؟ قلت : جاء أن الله تعالى خلق الأرواح قبل الاجساد ، فقد تكون بقوله : « كنت نبياً » ، إلى روحه الشريفة ، أو حقيقته ، والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها ، وإنما يعرفها خالقها ، ومن أمدَّه بنور آلهي .

ونقل العلقمي عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده مرفوعاً أنه قال : « كنتُ نوراً بين يدي ربي عزَّ وجلَّ قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام . (كشف الخفا ومزيل الإلتباس) : ٢ / ١٢٩ ، حديث رقم (٢٠٠٧) .

يقل : كنت إنساناً ، ولا كنت موجوداً ، أَوَليست النبوة إلا بالشرع المقدر عليه من عند الله تعالى ؟ فأخبر سبحانه وتعالى أنه عليه السلام صاحب النبوة قبل وجوده في الأنبياء في الدنيا وهو روح قبل اتخاذه تعالى الأجسام الإنسانية ، فكانت الأنبياء عليهم السلام في هذا العالم نواب محمد ﷺ من آدم إلى عيس عليهما السلام ، وإلى هذا الاشارة بقوله عليه السلام : لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني ، وكذلك لو كان محمد ﷺ موجوداً بجسمه من لدن آدم عليه السلام إلى زمان وجوده ، لكان جميع بني آدم تحت شريعته ، ولهذا لم يُبعث بشريعة عامة إلا هو ﷺ ، فإنه الملك والسيد ، وكل رسول إنما بعث إلى قوم مخصوصين ، ولم تعم ، فمن زمن آدم إلى زمن بعثة محمد رسول الله ﷺ وإلى يوم القيامة ملكه ، وله يوم القيامة التقدم أيضاً على جميع الرسل مع السيادة ، فكانت روحانيته ﷺ روحانية كل رسول موجودة ، والإمداد يأتي إليهم من روحه الطاهرة بما يظهر منهم من الشرائع والعلوم في زمن وجودهم رسلاً ، وكان تشريعهم الشرائع كما كان علي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم يقضون في زمان وجود جسم رسول الله ﷺ ، وكما يكون عيسى عليه السلام حين ينزل آخر الزمان بشرع محمد ﷺ ، لكن لما لم يوجد ﷺ في الحسّ نسب كل شرع إلى من بعث به ، وهو في الحقيقة شرع محمد ﷺ ، وإن كان مفقود العين ، كما يكون ﷺ مفقود العين في زمان نزول عيسى وحكمه بالشرع المحمدي ، وكون محمد ﷺ نسخ الله بشرعه جميع الشرائع ، لا يخرجها النسخ عن أن تكون من شرعه ، فإن الله تعالى قد أشهدنا في القرآن والسنة النسخ مع إجماعنا واتفاقنا على أنه شرعه ، فنسخ بالمتأخر ، فكان هذا النسخ الموجود في القرآن والسنة المحمدية تنبيها لنا على أن نسخه لجميع الشرائع المتقدمة لا يخرجها عن كونها شرعاً له ، وكان نزول عيسى آخر الزمان حاكماً بغير شرعه الذي كان عليه في زمان رسالته ، وحكمه بشرع محمد ﷺ أَدَلّ دليل على أنه لا حكم لأحد من الأنبياء مع وجود محمد ﷺ أو وجود ما قرره من الحكم ، فخرج من هذا كله أن محمداً ﷺ ملك وسيد على جميع بني آدم ، وأن جميع من تقدمه كان ملكاً له ، والحاكمون فيه كانوا نواباً عنه ؛ فإن قلتَ : قال الله تعالى : ﴿ **أولئك الذين هدي الله فبهداهم** ....

اقتده ﴾[1] ، قلتُ : هذا صحيح ، فقد قال تعالى : ﴿ **فبهداهم** ﴾ ، وهداهم من الله وهو شرعه ﷺ ، أي الزم شرعك الذي أظهرته نُوَّابُك من إقامة الدين وعدم التفرق فيه ، ولم يقل سبحانه : فبهم اقتد ، وكذا قال سبحانه : ﴿ **ثم أوحينا إليك أن أتبع ملة إبراهيم حنيفاً** ﴾[2] وهو الدين ، فهو ﷺ مأمور باتباع الدين ، فإن أصل الدين إنما هو من الله تعالى لا من غيره ، وأين هذا من قوله ﷺ : لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني ؟ فأضاف الاتباع إليه ، وأُمر هو ﷺ باتباع الدين لا باتباع الأنبياء، فإن السلطان الأعظم إذا حضر لا يبقي لنائب من نوابه حُكم إلا له ، فإذا غاب حكم النائب بمراسمه ، فهو الحاكم في الحقيقة غيباً وشهادة ، مما قيل في شرفه :

فإنك شمسٌ والملوك كواكبُ إذا ظهرتْ لم يبدُ منهن كوكبُ[3]

فانظر ما أبدع هذا الفضل الذي لرسول الله ﷺ ، الذي لم ينتبه إليه إلا من شاء الله ، وقليل ماهم ، والله يختص برحمته من يشاء .

* * *

(1) الأنعام : ٩٠ .
(2) النحل : ١٢٣ .
(3) البيت للنابغة الذبياني .

وأما عموم رسالته إلى الناس جميعاً وفرض الإيمان به على الكافة ، وأنه لا ينجو أحد من النار حتى يؤمن به ﷺ

فاعلم أن الإيمان به ﷺ هو التصديق بنبوته وإرسال الله تعالى له وتصديقه في جميع ما جاء به من الله وما قاله ، ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بأنه رسول الله ، فإذا اجتمع التصديق بالقلب والنطق بالشهادة باللسان ، تم الإيمان به والتصديق له ، قال الله تعالى : ﴿ **فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا** ﴾[1] ، وقال : ﴿ **إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله** ﴾[2] ، وقال : ﴿ **فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يجدونه** ﴾[3] الآية ، فالإيمان بمحمد ﷺ واجب لا يتم الإيمان إلا به ، ولا يصح الإسلام إلا معه ، وقد تقرر بما تقدم ثبوت نبوته وصحة رسالته ، فوجب الإيمان به وتصديقه فيما أتى به وتعيّن ذلك ، قال تعالى : ﴿ **ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيراً** ﴾[4] ، وقال تعالى : ﴿ **وما أرسلناك إلا كافة للناس** ﴾[5] ، وقال : ﴿ **يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً** ﴾[6] ، وقال : ﴿ **وأرسلناك للناس رسولاً وكفى بالله شهيداً** ﴾[7] ، أي على رسالتك يشهد لك بإظهار المعجزات على صدقك ، إذ المعجزة في قوة قول الله تعالى : صدق عبدي في أنه رسول ، والثانية مقررة للأولى ، لأنه إنما تثبت عموم دعوته بإخباره ، وما ورد على لسانه ، وخبره إنما يقبل إذا ثبت صدقه ، وصدقه إنما ثبت بالمعجزات ، فإذن نظم الدليل هكذا : محمد ﷺ أتي بالمعجزات فهو صادق ، وكل صادق يجب قبول خبره بعموم دعوته ، وهو المطلوب .

وخرج مسلم من حديث يزيد بن زريع قال : حدثنا روح عن العلاء بن

---

(١) التغابن : ٨ .
(٢) الفتح : ٨ .
(٣) الفتح : ١٣ .
(٤) الفتح : ١٣ .
(٥) سبأ : ٢٨ .
(٦) الأعراف : ١٥٨ .
(٧) النساء : ٧٩ .

عبد الرحمن بن يعقوب عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، ويؤمنوا بي وبما جئت به ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله[1] .

وخرج البخاري ومسلم من حديث شعبة ، عن واقد بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوه عصموا مني دماءهم وأموالهم وحسابهم

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ١ / ٣١٤ – ٣١٥ ، كتاب الإيمان ، باب (٨) الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، ويؤمنوا بجميع ما جاء به النبي ﷺ ، وأن من فعل ذلك عصم نفسه وماله إلا بحقها ، ووكلت سريرته إلى الله تعالى ، وقتال من منع الزكاة أو غيرها من حقوق الإسلام ، واهتمام الإمام بشعائر الإسلام ، حديث رقم (٣٢) ، (٣٣) ، (٣٤) ، (٣٥) ، (٣٦) .

قوله ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله » ، قال الخطابي رحمه الله : معلوم أن المراد بهذا أهل الأوثان دون أهل الكتاب ، لأنهم يقولون : لا إله إلا الله ، ثم يقاتلون ، ولا يرفع عنهم السيف .

قال : ومعنى حسابه على الله : أي فيما يستسرون به ويخفونه ، دون ما يخلون به في الظاهر من الأحكام الواجبة . قال : ففيه أن من أظهر الإسلام وأسّر الكفر قبل إسلامه في الظاهر ، وهذا قول أكثر العلماء . وذهب مالك إلى أن توبة الزنديق لا تقبل . ويحكى ذلك أيضاً عن أحمد بن حنبل رضي الله عنهما . هذا كلام الخطابي .

وذكر القاضي عياض معنى هذا ، وزاد عليه ، وأوضحه ، فقال : اختصاص عصمة المال والنفس بمن قال : لا إله إلا الله ، تعبير عن الإجابة إلى الإيمان ، وأن المراد بها مشركو العرب ، وأهل الأوثان ، ومن لا يوحد ، وهم كانوا أول من دعي إلى الإسلام ، وقوتل عليه ، فأما غيرهم ممن يقر بالتوحيد ، فلا يكتفي في عصمته بقول لا إله إلا الله ، إذ كان يقولها في كفره ، وهي من اعتقاده ، فلذلك جاء في الحديث الآخر : « وأني رسول الله ، ويقيم الصلاة ، ويؤتي الزكاة » . هذا كلام القاضي عياض .

قال الحافظ ابن حجر : ولابد مع هذا من الإيمان بجميع ما جاء به رسول الله ﷺ ، كما جاء في الرواية الأخرى لأبي هريرة ، هي مذكورة في الكتاب : « حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، ويؤمنوا بي ، وبما جئت به » . والله أعلم .

واختلف أصحابنا في قبول توبة الزنديق – وهو الذي ينكر الشرع جملة – فذكروا فيه خمسة أوجه ، لأصحابنا أصحها ، والأصوب منها قبولها مطلقاً للأحاديث الصحيحة المطلقة .

على الله[1] .

وقال البخاري : فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله . ذكره في كتاب الإيمان .

---

(١) قوله ﷺ : « فإذا فعلوا ذلك » ، فيه التعبير بالفعل عما بعضه قول ، إما على سبيل التغليب ، وإما على إرادة المعنى الأعم ، إذ القول فعل اللسان .

قوله ﷺ : « عصموا » أي منعوا ، وأصل العصمة من العصام وهو الخيط الذي يشد به فم القربة ليمنع سيلان الماء .

قوله ﷺ : « حسابهم على الله » ، أي في أمر سرائرهم ، ولفظة « على » مشعرة بالإيجاب ، وظاهرها غير مراد ، فإما أن تكون بمعنى اللام ، أو على سبيل التشبيه ، أي هو كالواجب على الله في تحقيق الوقوع ، وفيه دليل على قبول الأعمال الظاهرة والحكم بما يقتضيه الظاهر ، والاكتفاء في قَبُول الإيمان بالاعتقاد الجازم ،خلافاً لمن أوجب تعلم الأدلة ، وقد تقدم فيه ، ويؤخذ منه ترك تكفير أهل البدع المقرين بالتوحيد ، الملتزمين للشرائع ، وقبول توبة الكافر من كفره ، من غير تفصيل بين كفر ظاهر أو باطن .

فإن قيل : مقتضى الحديث قتال كل من امتنع من التوحيد ، فكيف ترك مؤدي الجزية والمعاهد ؟ الجواب من أوجه :

أحدها : دعوى النسخ ، بأن يكون الإذن بأخْذ الجزية والمعاهدة متأخراً عن هذه الأحاديث ، بدليل أنه متأخر عن قوله تعالى : ﴿ **اقتلوا المشركين** ﴾ .

ثانيها : أن يكون من العام الذي خص منه البعض ، لأن المقصود من الأمر حصول المطلوب . فإذا تخلف البعض لدليل لم يقدح في العموم .

ثالثها : أن يكون من العام الذي أُريد به الخاص ، فيكون المراد بالناس في قوله ﷺ « أقاتل الناس » ، أي المشركين من غير أهل الكتاب ، ويدل عليه رواية النسائي بلفظ : « أمرت أن أقاتل المشركين » . فإن قيل : إذا تم هذا في أهل الجزية ، لم يتم في المعادين ولا فيمن منع الجزية ، أجيب بأن الممتنع في ترك المقاتلة رفعَها لا تأخيرها مدة كما في الهدنة ، ومقاتلة من امتنع من أداء الجزية ، بدليل الآية .

رابعُها : أن يكون المراد بما ذكر من الشهادة وغيرها ، التعبير عن إعلاء كلمة الله ، وإذعان المخالفين ، فيحصل في بعض بالقتل ، وفي بعض بالجزية ، وفي بعض بالمعاهدة .

خامسها : أن يكون المراد بالقتال هو ، أو ما يقوم مقامه من جزية أو غيرها .

سادسها : أن يقال الغرض من ضرب الجزية اضطرارهم إلى الإسلام وسبب السبب سبب ، فكأنه قال : حتى يسلموا أو يلتزموا بما يؤديهم إلى الإسلام ، وهذا أحسن ، ويأتي فيه ما في الثالث وهو آخر الأجوبة . والله تعالى أعلم (فتح الباري) : ١ / ١٠٢ - ١٠٥ ، كتاب الإيمان باب (١٧) ﴿ **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم** ﴾ ، حديث رقم (٢٥) .

وخرج مسلم من حديث عبد الله بن بريد عن يحى بن يعمر قال : كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني ، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن [الحميري][1] حاجين أو معتمرين ، فقلنا : لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عن ما يقول [هؤلاء][2] في القدر فوفق لنا عبد الله بن عمر فاكتنفتُه أنا وصاحبي ؛ كان أحدنا عن يمينه ، والآخر عن شماله ، فظننت أن صاحبي سيُكل الكلام إليّ فقلتُ : أبا عبد الرحمن ، إنه قد ظهر قبلنا ناسٌ يقرؤون القرآن ويتقفّرون العلم ، وذكر من شأنهم ، وأنهم يزعمون ألا قدر ، وأن الأمر أنف ، [قال : فإذا][3] لقيت أولئك فأخبرهم أني برىء منهم وأنهم برآء مني ، والذي يحلف به

---

(١) في (خ) : « الحميدي » والتصويب من رواية مسلم .
(٢) زيادة من رواية مسلم .
(٣) في (خ) : « فقال إذا » والتصويب من رواية مسلم .

قوله : « فاكتنفته أنا وصاحبي » ، يعني صرنا في ناحيتيه ، ثم فسَّره فقال : أحدنا عن يمينه ، والآخر عن شماله ، وكنفا الطائر جناحاه ، وفي هذا تنبيه على أدب الجماعة في مشيهم مع فاضلهم ، وهو أنهم يكتنفونه ويحفون به .

قوله : « فظننتُ أن صاحبي سيكل الكلام إليّ » معناه يسكت ويفوضه إليّ لإقدامي وجرأتي وبسطة لساني ، فقد جاء عنه في رواية « لأني كنت أبْسَطْ لسانا » .

قوله : « ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم » ، هو بتقديم القاف على الفاء ، ومعناه يطلبونه ويتتبعونه ، هذا هو المشهور ، وقيل معناه يجمعونه ، رواه بعض شيوخ المغاربة من طريق ابن ماهان « يتفقرون » – بتقديم الفاء – وهو صحيح أيضا ، معناه يبحثون عن غامضه ، ويستخرجون خَفِيَّهُ . وروى في غير مسلم : « يتقفون » بتقديم القاف ، وحذف الراء ، وهو صحيح أيضاً ، ومعناه يتتبعون .

قال القاضي عياض : ورأيت بعضهم قال فيه : « يتقعرون » بالعين ، وفسَّره بأنهم يطلبون قعره ، أي غامضه وخفيّه . ومنه تقعَّر في كلامه إذا جاء بالغريب منه ، وفي رواية أبي يعلي الموصلي : « يتفقهون » بزيادة الهاء ، وهو ظاهر .

قوله : « وذكر من شأنهم » . هذا الكلام من كلام بعض الرواة الذين دون يحى بن يعمر ، والظاهر أنه من ابن بريدة الراوي ، عن يحى بن يعمر ، وذكر ابن يعمر من حال هؤلاء ، وصفهم بالفضيلة في العلم ، والاجتهاد في تحصيله والاعتناء به .

قوله : « يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أُنُف » ، هو بضم الهمزة والنون ، أي مستأنف لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالى ، وإنما يعلمه بعد وقوعه كما قدمنا حكايته عن مذهبهم الباطل ، وهذا القول قول غلاتهم ، وليس قول جميع القدرية ، وكذب قائله وضلّ وافترى . عافانا الله وسائر المسلمين .

عبد الله بن عمر لو أن لأحد مثل أُحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر ، ثم قال : حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه وقال : يا محمد ! أَخْبِرني عن الإسلام فقال رسول الله ﷺ : الإسلام : أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً ، قال : صدقت ، فعجبنا له ؛ يسأله ويصدقه ! قال : فأَخْبِرني عن الإيمان ، قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال : صدقت ، قال : [فأخبرني][1] عن الاحسان ، قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، قال : [فأخبرني][1] عن الساعة ، قال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ، قال : فأخبرني عن أمارتها ، [قال :][2] [أمارتها][3] أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة [العالة][4] رعاء الشاء يتطاولون في البنيان ، قال : ثم انطلق فلبث ملياً ، ثم قال لي : يا عمر ! أتدري من السائل ؟ قلت : الله

قوله : « قال – يعني ابن عمر رضي الله عنهما – : فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم ، وأنهم برآء مني ، والذي يحلف به عبد الله بن عمر ، لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر » ، هذا الذي قاله ابن عمر رضي الله عنهما ، ظاهر في تكفير القدرية .

قال القاضي عياض رحمه الله : هذا في القدرية الأُوَل ، الذين نفوا تقدم علم الله تعالى بالكائنات ، قال : والقائل بهذا كافر بلا خلاف ، وهؤلاء الذين ينكرون القدر هم الفلاسفة في الحقيقة .

قال غيره : ويجوز أنه لم يرد بهذا الكلام التكفير المخرج من الملة ، فيكون من قبيل كُفران النعم ، إلا أن قوله: ما قبله الله منه، ظاهر في التكفير ، فإن إحباط الأعمال إنما يكون بالكفر ، إلا أنه يجوز أن يقال في المسلم : لا يقبل عمله لمعصيته وإن كان صحيحاً ، كما أن الصلاة في الدار المغصوبة صحيحة ، غير محوجة إلى القضاء عند جمهور العلماء ، بل بإجماع السلف ، وهي غير مقبولة ، فلا ثواب فيها على المختار عند أصحابنا . والله تعالى أعلم . (مسلم بشرح النووي) : ١ / ٢٥٩ ، كتاب الإيمان ، حديث رقم (١) .

(١) في (خ) : « أخبرني » والتصويب من رواية مسلم .
(٢) زيادة للسياق من رواية مسلم .
(٣) زيادة من (خ) .
(٤) زيادة من رواية مسلم .

ورسوله أعلم ، قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم . هذا الحديث انفرد به مسلم[1] ، ولم يخرجه البخاري ، وأخرجه أبو داود من طريق ابن بُريدة بمثله أو

(١) أخرجه مسلم في أول كتاب الإيمان ، باب الإيمان والإسلام والإحسان ، ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى ، وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر ، وإغلاظ القول في حقه ، حديث رقم (١) .

قوله : « لا يُرى عليه أثر السفر » ضبطناه بالياء المثناة من تحت ، المضمومة ، وكذلك ضبطناه في الجمع بين الصحيحين وغيره ، وضبطه الحافظ أبو حازم العدوي هنا : « نرى » بالنون المفتوحة ، وكذا هو في مسند أبي يعلي الموصلي ، وكلاهما صحيح .

قوله : « ووضع كفيه على فخذيه » ، معناه أن الرجل الداخل وضع كفيه على فخذي نفسه ، وجلس على هيئة المتعلم . والله تعالى أعلم .

قوله ﷺ : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » ، هذا من جوامع الكلم التي أوتيها ﷺ ، لأنا لو قدرنا أن أحدنا قام في عبادة وهو يعاين ربه سبحانه وتعالى ، لم يترك شيئاً مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع ، وحُسن السمت واجتماعه بظاهره وباطنه ، على الاعتناء بتتميمها على أحسن وجوهها ، إلا أتي به ، فقال ﷺ : أُعبد الله في جميع أحوالك كعبادتك في حال العيان ، فإن التتميم المذكور في حال العيان ، إنما كان لعلم العبد باطلاع الله سبحانه وتعالى عليه ، فلا يقدم العبد على تقصير في هذه الحال للاطلاع عليه ، وهذا المعنى موجود مع عدم رؤية العبد ، فينبغي أن يعمل بمقتضاه ، فمقصود الكلام الحث على الإخلاص في العبادة ، ومراقبة العبد ربه تبارك وتعالى ، في إتمام الخشوع والخضوع ، وغير ذلك ، وقد ندب أهل الحقائق إلى مجالسة الصالحين ، ليكون ذلك مانعاً من تلبسه بشيء من النقائص احتراماً لهم ، واستحياءاً منهم ، فكيف بمن لا يزال الله تعالى مطلعاً عليه في سرّه وعلانيته .

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى : وهذا الحديث قد اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة ؛ من عقود الإيمان ، وأعمال الجوارح ، وإخلاص السرائر ، والتحفظ من آفات الأعمال ، حتى أن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ، ومتشعبة منه .

قال : وعلى هذا الحديث وأقسامه الثلاثة ، ألّفنا كتابنا الذي سميناه : [المقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان] ، إذ لا يشذّ شيء من الواجبات ، والسنن ، والرغائب ، والمحظورات ، والمكروهات ، عن أقسامه الثلاثة . والله تعالى أعلم .

قوله ﷺ : « ما المسؤول عنها بأعلم من السائل » ، فيه أنه ينبغي للعالم والمفتي وغيرهما ، إذا سُئل عما لا يعلم أن يقول : لا أعلم ، وأن ذلك لا ينقصه ، بل يُستدل به على ورعه ، وتقواه ، ووفور علمه .

قوله : « أن تلد الأمة ربتها » ، وفي الرواية الأخرى « ربها » على التذكير ، وفي الأخرى « بعلها » وقال : يعني السراري ، ومعنى ربها وربتها ، سيدها ومالكها ، وسيدتها ومالكتها ، قال الأكثرون من العلماء : هو إخبار عن كثره السراري وأولادهم ، فإن ولدها من سيدها بمنزلة سيدها ، لأن مال =

= الإنسان صائر إلى ولده ، وقد يتصرف فيه في الحال تصرف المالكين ، إما بتصريح أبيه له بالإذن ، وإما يعلمه بقرينة الحال ، أو عرف الاستعمال .

وقيل : معناه أن الإماء يلدن الملوك ، فتكون أمه من جملة رعيته ، وهو سيدها وسيد غيرها من رعيته ، وهذا قول إبراهيم الحربي ، وقيل : معناه أن تفسد أحوال الناس فيكثر بيع أمهات الأولاد في آخر الزمان ، فيكثر ترددها في أيدي المشترين ، حتى يشتريها ابنها ولا يدري ، ويحتمل على هذا القول أن لا يختص هذا بأمهات الأولاد ، فإنه متصور في غيرهن ، فإن الأمة تلد ولداً حراً من غير سيدها بشبهة ، أو ولداً رقيقاً بنكاح أو زنا ، ثم تباع الأمة في الصورتين بيعاً صحيحاً ، وتدور في الأيدي حتى يشتريها ولدها ، وهذا أكثر وأعم من تقديره في أمهات الأولاد .

وأما بعلها ، فالصحيح في معناه أن البعل هو المالك أو السيد ، فيكون بمعنى ربها على ما ذكرناه . قال أهل اللغة : بعل الشيء ربه ومالكه . وقال ابن عباس رضي الله عنهما والمفسرون في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **أتدعون بعلاً** ﴾ : أي رباً ، وقيل : المراد بالبعل في الحديث ، الزوج ، ومعناه نحو ما تقدم ، أنه يكثر بيع السراري حتى يتزوج الإنسان أمه وهو لا يدري ، وهذا أيضاً معنى صحيح ، إلا أن الأول أظهر ، لأنه إذا أمكن حمل الروايتين في القضية الواحدة على معنى كان أولى ، والله أعلم .

واعلم أن هذا الحديث ليس فيه دليل على إباحة بيع أمهات الأولاد ، ولا منع بيعهن ، وقد استدل إمامان من كبار العلماء به على ذلك ، فاستدل أحدهما على الإباحة ، والاخر على المنع ، وذلك عجب منهما ، وقد أنكر عليهما ، فإنه ليس كل ما أخبر ﷺ بكونه من علامات الساعة يكون محرماً أو مذموماً ، فإن تطاول الرعاء في البنيان ، وفشو المال ، وكون خمسين امرأة لهن قيم واحد ليس بحرام بلا شك ، وإنما هذه علامات ، والعلامة لا يشترط فيها شيء من ذلك ، بل تكون بالخير والشرّ ، والمباح والمحرم ، والواجب وغيره ، والله أعلم .

قوله ﷺ : « وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان » ، أما العالة فهم الفقراء ، والعائل الفقير ، والعيلة الفقر ، وعال الرجل يعيل عيلة أي افتقر ، والرعاء بكسر الراء وبالمد ، ويقال فيهم الرعاة بضمّ الراء وزيادة الهاء بلامدّ ، ومعناه أن أهل البادية وأشباههم من أهل الحاجة والفاقة ، تبسط لهم الدنيا ، حتى يتباهون في البنيان . والله أعلم .

قوله : « فلبث ملياً » هكذا ضبطناه ، لبث آخره ثاء مثلثة من غير تاء ، وفي كثير من الأصول المحققة « لبثتُ » بزيادة تاء المتكلم ، وكلاهما صحيح ، وأما « ملياً » بتشديد الياء ، فمعناه وقتا طويلاً ، وفي رواية أبي داود والترمذي ، أنه قال ذلك بعد ثلاث ، وفي شرح السنة للبغوي بعد ثالثة ، وظاهر هذا أنه بعد ثلاث ليال ، وفي ظاهر هذا مخالفة لقوله في حديث أبي هريرة بعدْ هذا بم أدبر الرجل فقال رسول الله ﷺ : رُدّوا عليّ الرجل ، فأخذوا ليردوه فلم يروا شيئاً ، فقال النبي ﷺ : « هذا جبريل » فيحتمل الجمع بينهما أن عمر رضي الله عنه لم يحضر قول النبي ﷺ لهم في الحال ، بل كان قد قام من المجلس ، فأخبر النبي ﷺ الحاضرين في الحال ، وأُخبر عمر رضي الله عنه بعد ثلاث ، إذا لم يكن حاضراً وقت إخبار الباقين ، والله أعلم .

قوله ﷺ : « هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » ، فيه أن الإيمان والإسلام والإحسان تسمى كلها

نحوه ، وقال فيه : فلبثت ملياً[1] وخرجه الترمذي بنحو حديث مسلم وقال في آخره : فلقيني النبي ﷺ بعد ذلك بثلاث فقال : يا عمر ، أتدري من السائل ؟ ذاك جبريل أتاكم يعلمكم دينكم[2] .

قال القاضي عياض : فقد قرر أن الإيمان محتاج[3] إلى العقد بالجنان ، والإسلام

= ديناً . واعلم أن هذا الحديث يجمع أنواعاً من العلوم والمعارف ، والآداب واللطائف ، بل هو أصل الإسلام . ومن فوائد هذا الحديث :

[١] أنه ينبغي لمن حضر مجلس العالم إذا علم بأهل المجلس حاجة إلى مسألة لا يسألون عنها ، أن يسأل هو عنها ليحصل الجواب للجميع .

[٢] أنه ينبغي للعالم أن يرفق بالسائل ويدنيه منه ، ليتمكن من سؤاله ، غير هائب منه ولا منقبض .

[٣] أنه ينبغي للسائل أن يرفق في سؤاله . (المرجع السابق) : ١ / ٢٦٩ – ٢٧٥ .

(١) (صحيح سنن الترمذي) : ٣ / ٨٨٧ ، باب (١٧) في القدر ، حديث رقم (٣٩٢٨ – ٤٦٩٥) ، (تحفة الأحوذي) : ١٢ / ٣٠٠ ، كتاب السنة ، باب (١٦) ، حديث رقم (٤٦٨١) .

(٢) وأخرجه أيضاً ابن ماجة ، (صحيح ابن ماجة) : ١ / ١٦ – ١٧ ، حديث رقم (٥٣ – ٦٣) ، (٥٤ – ٦٤) ، وقال في آخره : « ولكن سأحدثك عن أشراطها ، إذا ولدت الأمة ربتها فذلك من أشراطها وإذا تطاول رعاء الغنم في البنيان فذلك من أشراطها ، في خمس لا يعلمهن إلا الله ، فتلا رسول الله ﷺ : ﴿ **إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت** ﴾ [لقمان : ٣٤] .

وأخرجه أيضاً النسائي ، وقال في أوله : « عن أبي هريرة وأبي ذر قالاً : كان رسول الله ﷺ يجلس بين ظهراني أصحابه ، فيجيء الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل ، فطلبنا إلى رسول الله ﷺ أن نجعل له مجلساً يعرفه الغريب إذا أتاه ، فبنينا له دكاناً من طين كان يجلس عليه ، وإنا لجلوس ورسول الله ﷺ في مجلسه ، إذ أقبل رجل أحسن الناس وجهاً ، وأطيب الناس ريحاً ، كأن ثيابه لم يمسها دنس ، حتى سلم في طرف البساط فقال : السلام عليك يامحمد ، فرد عليه السلام . قال : أدنو يامحمد ، .. فما زال يقول : أدنو مراراً حتى وضع يده على ركبتي رسول الله ﷺ ، قال : يا محمد ، أخبرني ما الإسلام ... وساق الحديث باختلاف يسير . (صحيح سنن النسائي) : ٣ / ١٠٢٥ – ١٠٢٦ ، كتاب (٤٧) الإيمان وشرائعة ، باب (٦) صفة الإيمان والإسلام ، حديث رقم (٤٦١٨) .

وأخرجه الإمام أحمد في المسند ، وقال في آخره بعد قوله ﷺ : ذاك جبريل جاءكم يعلمكم دينكم ، قال : وسأله رجل من جهينة ، أو مزينة فقال : يارسول الله ، فيما نعمل ؟ أفي شيء قد خلا أو مضى ؟ أو في شيء يُستأنف الآن ؟ قال : في شيء قد خلا أو مضى ، فقال رجل أو بعض القوم : يارسول الله فيما نعمل ؟ قال : أهل الجنة ييسرون لعمل أهل الجنة ، وأهل النار ييسرون لعمل أهل النار . (مسند أحمد) : ١ / ٤٦ ، مسند عمر بن الخطاب ، حديث رقم (١٨٥) .

(٣) في (خ) « يحتاج » ، وما أثبتناه من (الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض) .

به مضطر إلى النطق باللسان ، وهذه الحالة المحمودة التامة ، وأما الحال المذمومة : فالشهادة باللسان دون تصديق القلب ، وهذا هو النفاق ، قال : وللفرق بين القول والعقد ما جُعل في حديث جبريل عليه السلام ، الشهادة من الإسلام ، والتصديق من الإيمان ، وبقيت حالتان [أخريان بين هذين][1] .

إحداهما : أن يصدق بقلبه ثم يُخْتَرم[2] قبل اتساع وقت للشهادة بلسانه ، فاختلف فيه فشرط بعضهم من تمام الإيمان القول والشهادة به ، ورآه بعضهم مؤمنا مستوجباً للجنة لقوله ﷺ : يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان[3] ، فلم يذكر سوى ما في القلب ، وهذا مؤمن بقلبه غير عاصٍ ولا مفرط بترك غيره ، وهذا هو الصحيح في هذا الوجه .

الثانية : أن يصدق بقلبه ويطول مهله وعلم مايلزمه من الشهادة فلم ينطق بها جملة ، ولا استشهد في عمره ولا مرة ، فهذا اختلف فيه أيضاً فقيل : هو مؤمن لأنه مصدق ، والشهادة من جملة الأعمال ، فهو عاصٍ بتركها غير مخلد [في النار][4] ، وقيل : ليس بمؤمن حتى يقارن عقده بشهادة ، إذ الشهادة إنشاء عقد وإلزام إيمان ، وهي مرتبطة مع العقد ، ولا يتم التصديق مع المهملة إلا بها ، وهذا هو الصحيح .

وخرج الحاكم من حديث عبد الرازق عن معمر عن أيوب عن سعيد بن هيثم ، عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ما من أحد يسمع بي من هذه الأمة ولا يهودي ولا نصراني فلا يؤمن بي إلا دخل النار ، فجعلت أقول : أين[5] تصديقها في كتاب الله ، [وقلَّ ما سمعت حديثاً عن النبي ﷺ إلا وجدت

---

(١) تكلمة من المرجع السابق .

(٢) في (خ) و (الشفا) « يُحترم » بالحاء ، وما أثبتناه أجود للسياق، حيث اختُرِمَ فلانٌ عنّا : مات وذهب ، واخترمته المنية من بين أصحابه : أخذته من بينهم، واخترمهم الدهر وتخرَّمهم أي اقتطعهم واستأصلهم ، ويقال : خرَمَتْهُ الخوارم إذا مات . (لسان العرب) : ١٢ / ١٧٢ مادة خَرَم .

(٣) في (خ) : « الإيمان » ، وما أثبتناه من (الشفا) .

(٤) زيادة للسياق من هامش المرجع السابق .

(٥) في (خ) : « أن » ، ما أثبتناه من (المستدرك) : ٢ / ٣٧٢ ، كتاب التفسير ، تفسير سورة هود عليه السلام ، حديث رقم (٣٣٠٩ / ٤٤٦) .

تصديقه في كتاب الله تعالى][1] ، حتى وجدت هذه الآية : ﴿ **ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده** ﴾[2] ، قال : الأحزاب الملل كلها ، قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين .

* * *

(١) مابين الحاصرتين زيادة من (خ) ، وليست في (المستدرك) .
(٢) هود : ١٧ .

وأما فرض طاعته ، فإذا وجب الإيمان به وتصديقه بما جاء به وجبت طاعته لأن ذلك مما أتي به ﷺ

قال الله تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول** ﴾[1] ، وقال : ﴿ **قل أطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون** ﴾[2] ، فجمع تعالى بينهما بواو العطف المشتركة ، ولا يجوز جمع هذا الكلام في غير حقه ﷺ ، قال : ﴿ **وإن تطيعوه تهتدوا** ﴾[3] ، وقال : ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع الله** ﴾[4] ، وقال : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾[5] ، وقال : ﴿ **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم** ﴾[6] الآية ، وقال : ﴿ **وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله** ﴾[7] ، فجعل طاعة رسوله طاعته تعالى ، وقرن طاعته بطاعة رسوله ﷺ ، ووعد على ذلك بجزيل الثواب ، وأوعد على مخالفته بسوء العقاب ، وأوجب امتثال أمره واجتناب نهيه ، فبيّن أنه سبحانه وتعالى فرض على الكافة بأسرها طاعة رسوله ﷺ فرضاً مطلقاً لا شرط فيه ولا استثناء ، كما فرض تعالى طاعته ولم يقل من طاعتي ، أو من كتابي أو بأمري ، وحين فرض أمره ونهيه ﷺ على الخلق طُراً كفرض من التنزيل ، لا يزاد في ذلك ، ولا يطلب فيه تنبيه ، كما أخبر تعالى عن قوم موسى عليه السلام أنهم قالوا : ﴿ **لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة** ﴾[8] ، وذلك أن رسول الله ﷺ أولى بأمته وبأموالهم وأنفسهم وأهليهم وذراريهم منهم بأنفسهم ، قال تعالى : ﴿ **النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم** ﴾[9] ، وقع ذلك منهم بوفاقهم وكراهيتهم ، فإنه تعالى حكم على من وجد في نفسه شيئاً من

---

(١) النساء : ٥٩ ، وفي (خ) : « ورسوله » .
(٢) آل عمران : ٣٢ . (٣) النور : ٥٤ . (٤) النساء : ٨٠ .
(٥) الحشر : ٧ . (٦) النساء : ٦٩ . (٧) النساء : ٦٤ .
(٨) البقرة : ٥٥ . (٩) الأحزاب : ٦ .

حكمه ﷺ وقضائه بالخروج من الإيمان ، قال تعالى : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما** ﴾[1] ، فأقسم سبحانه وتعالى بأن أحداً لا يؤمن حتى يُحَكِّم رسوله محمداً ﷺ ، ثم مع تحكيمه إياه لا يجد في نفسه كرها لما قضى به عليه مما هو مخالف لهواه ، بل يرضى بما حكم به ، ويسلم لأمره تسليماً لا شائبة فيه من اعتراض ولا تعقيب .

وانظر - أعزك الله وهداك - كيف أقسم تعالى بإضافة الرب إلى كاف الخطاب ، يتبين لك تعظيمه تعالى للرسول ﷺ ، ﴿ **حتى** ﴾ هنا : غاية ، أي ينتفي عنهم الإيمان إلى هذه الغاية ، فإذا وجد ما بعد الغاية كانوا مؤمنين ، و ﴿ **فيما شجر بينهم** ﴾ ، في كل أمر دنيوي وأخروي وقع بينهم فيه تنازع وتجاذب ، ومعنى ﴿ **يحكموك** ﴾ : يجعلوك حكماً ، وفي الكلام حذف تقديره : فتقضي بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً ، أي ضيقاً من حكمك .

وقال مجاهد : شكّاً ، لأن الشاكّ في ضيق من أمره حتى يلوح له الشأن ، وقال الضحاك : إثماً ، أي سبب إثم ، والمعنى : لا يخطر ببالهم ما يأثمون به من عدم الرضى ، وقيل : هماً وحزناً ، ويسلموا : أي ينقادوا ويذعنوا لقضائك لا يعارضون فيه بشيء ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما والجمهور .

وقيل : معناه ويسلموا : أي سارعوا فيه لحكمك ، ذكره الماوردي ، وأكد تعلق الفعل بالمصدر على سبيل صدور التسليم حقيقة .

قال المفسرون والأئمة : طاعة الرسول في التزام محبته والتسليم لما جاء به ، وقالوا : وما أرسل الله من رسول إلا فرض طاعته على من أرسله إليه ، وقالوا : من يطع الرسول في سنته يطع الله في فرائضه .

وسُئل سهل بن عبد الله عن شرائع الإسلام فقال : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه** ﴾[2] ، وقال السمرقندي : يقال : أطيعوا الله في فرائضه والرسول في سننه ، وقيل : أطيعوا الله فيما حرَّم عليكم والرسول فيما بلغكم ، ويقال : أطيعوا الله

---

(١) النساء : ٦٥ . (٢) الحشر : ٧ .

بالشهادة له بالربوبية ، والنبي بالشهادة له بالنبوة .

وخرج البخاري في كتاب الأحكام من حديث الزهري : أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أنه سمع [من][1] أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصى أميري فقد عصاني[2] . وخرجه مسلم[3] مثله

---

(١) زيادة في السياق .

(٢) قوله ﷺ : « من أطاعني فقد أطاع الله » ، هذه الجملة منتزعه من قوله تعالى : ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع الله** ﴾ ، أي أني لا آمر إلا بما أمر الله به ، فمن فعل ما آمره به فإنما أطاع من أمرني أن آمره ، ويحتمل أن يكون المعنى لأن الله أمر بطاعتي فمن أطاعني فقد أطاع أمر الله له بطاعتي ، وفي المعصية كذلك . والطاعة هي الإتيان بالمأمور به ، والانتهاء عن المنهي عنه ، والعصيان بخلافه .

قوله ﷺ : « ومن أطاع أميري فقد أطاعني » ، في رواية (همام) ، و (الأعرج) وغيرهما عند مسلم : « ومن أطاع الأمير » ، ويمكن رد اللفظين لمعنى واحد ، فإن كل من يأمر بحق وكان عادلاً فهو أمير الشارع ، لأنه تولى بأمره وبشريعته ، ويؤيده توحيد الجواب في الأمرين ، وهو قوله : ﷺ : « فقد أطاعني » ، أي عمل بما شرعته ، وكأن الحكمة في تخصيص أميره بالذكر ، أنه المراد وقت الخطاب ، ولأنه سبب ورود الحديث .

وأما الحكم ، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، ووقع في رواية همام أيضاً : « ومن يطع الأمير فقد أطاعني » بصيغة المضارعة ، وكذا « ومن يعص الأمير فقد عصاني » وهو أدخل في إرادة تعميم من خوطب ومن جاء بعد ذلك .

قال ابن التين : قيل : كانت قريش ومن يليها من العرب لا يعرفون الإمارة ، فكانوا يمتنعون على الأمراء ، فقال هذا القول يحثهم على طاعة من يؤمرهم عليهم ، والانقياد لهم ، إذا بعثهم في السرايا ، وإذا ولاهم البلاد ، فلا يخرجوا عليهم ، لئلا تفترق الكلمة .

قال الحافظ في الفتح : هي عبارة الشافعي في (الأم) ، ذكره في سبب نزولها ، و عجبتُ لبعض شيوخنا الشراح من الشافعية ، فكيف قنع بنسبة هذا الكلام إلى ابن التين ، معبراً عنه بصيغة « قيل » ، وابن التين إنما أخذه من كلام الخطابي ؟

ووقع عند أحمد ، وأبي يعلي ، والطبراني ، من حديث ابن عمر ، قال : « كان رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه فقال : ألستم تعلمون أن من أطاعني فقد أطاع الله ، وأن من طاعة الله طاعتي ؟ قالوا : بلى نشهد ، قال : فإن من طاعتي أن تطيعوا أمراءكم » . وفي لفظ : « أئمتكم » .

وفي الحديث وجوب طاعة ولاه الأمور ، وهي مقيدة بغير الأمر بالمعصية ، والحكمة في الأمر بطاعتهم ، المحافظة على اتفاق الكلمة ، لما في الافتراق من الفساد ، والله أعلم . (فتح الباري) : ١٣ / ١٣٩ - ١٤١ ، كتاب الأحكام ، باب (١) ﴿ **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** ﴾ ، حديث رقم (٧١٣٧) .

(٣) (مسلم بشرح النووي) : ١٢ / ٤٦٤ ، كتاب الإمارة ، باب (٨) وجوب طاعة الأمراء من غير

سواءاً ؛ فطاعة الرسول من طاعة الله ، إذ الله أمر بطاعته ، وطاعته امتثال لما أمر الله به وطاعة له .

وقد حكى الله تعالى عن الكفار في دركات[1] جهنم يوم تقلب وجوههم في النار يقولون : ﴿ **ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا** ﴾[2] فتمنوا طاعته حيث لاينفعهم التمني .

وخرج البخاري ومسلم من حديث ابن شهاب قال : أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن ، وسعيد بن المسيب قالا : كان أبو هريرة يحدث أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم ، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم[3] .

وخرجه البخاري من حديث مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : عن النبي ﷺ قال : دعوني ما تركتكم ، إنما هلك من كان

معصية وتحريمها في المعصية ، حديث رقم (٣٢) ، (٣٣) :

قال الإمام النووي : أجمع العلماء على وجوبها في غير معصية ، وعلى تحريمها في المعصية ، قال العلماء : المراد بأولي الأمر ، من أوجب الله طاعته من الولاة والأمراء ، هذا قول جماهير السلف والخلف من المفسرين والفقهاء وغيرهم . وقيل : هم العلماء ، وقيل : هم الأمراء والعلماء ، وأما من قال : الصحابة خاصة فقد أخطأ . (المرجع السابق) .

(١) دركاتُ النار : منازل أهلها ، والنار دركات ، والجنة درجات ، والدَّرَكُ إلى أسفل ، والدَّرَجُ إلى فوق . (لسان العرب) : ١٠ / ٤٢٢ مادة درك .

(٢) الأحزاب : ٦٦ .

(٣) (مسلم بشرح النووي) : ١٥ / ١١٨ ، كتاب الفضائل ، باب (٣٧) توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه ، أو لا يتعلق به تكليف ، وما لا يقع ، ونحو ذلك ، حديث رقم (١٣٠) .

قال الإمام النووي : مقصود أحاديث الباب أنه ﷺ نهاهم عن إكثار السؤال والابتداء بالسؤال عما لا يقع ، ذكره ذلك لمعانٍ :

- منها أنه ربما كان سبباً لتحريم شيء على المسلمين فيلحقهم به المشقة .
- ومنها أنه ربما كان في الجواب ما يكرهه السائل ويسوؤه ، ولهذا أنزل الله تعالى في ذلك قوله تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم** ﴾
- ومنها أنهم أحفوه ﷺ بالمسألة ، والحفوه المشقة والأذى ، فيكون ذلك سببا لهلاكهم . (المرجع السابق) .

قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم . ذكره في كتاب الاعتصام[1] .

---

(١) (فتح الباري) : ١٣ / ٣١٢ ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب (٢) ، الاقتداء بسنة رسول الله ﷺ ، وقول الله تعالى : ﴿ واجعلنا للمتقين إماماً ﴾ ، حديث رقم (٧٢٨٨) .

قال الإمام النووي : هذا من جوامع الكلم ، وقواعد الإسلام ، ويدخل فيه كثير من الأحكام ، كالصلاة لمن عجز عن ركن منها أو شرط فيأتي بالمقدور ، وكذا الوضوء ، وستر العورة ، وحفظ بعض الفاتحة ، وإخراج بعض زكاة الفطر لمن لم يقدر على الكل ، والإمساك في رمضان لمن أفطر بالعذر ثم قدر في أثناء النهار ، إلى غير ذلك من المسائل التي يطول شرحها .

وقال غيره : فيه أن من عجز عن بعض الأمور لا يسقط عنه المقدور ، وعبَّر عنه بعض الفقهاء بأن الميسور لا يسقط بالمعسور ، كما لا يسقط ما قدر عليه من أركان الصلاة بالعجز عن غيره ، وتصح توبة الأعمى عن النظر المحرم ، والمجبوب عن الزنا ، لأن الأعمى والمجبوب قادران على الندم فلا يسقط عنهما بعجزهما عن العزم على عدم العود ، إذ لا يتصور منهما العود عادة ، فلا معنى للعزم على عدمه .

* واستدل به على أن من أُمر بشيء فعجز عن بعضه ففعل المقدور أنه يسقط عنه ما عجز عنه ، وبذلك استدل المزني على أن [ما وجب أداؤه لا يجب قضاؤه] ، ومن ثم كان الصحيح أن القضاء بأمر جديد .

واستدل بهذا الحديث على أن اعتناء الشرع بالمنهيات فوق اعتنائه بالمأمورات ، لأنه أطلق الاجتناب في المنهيات ولو مع المشقة في الترك ، وقيد في المأمورات بقدر الطاقة ، وهذا منقول عن الإمام أحمد .

فإن قيل : أن الاستطاعة معتبرة في النهي أيضاً ، إذ ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ ، فجوابه أن الاستطاعة تطلق باعتبارين ، كذا قيل ، والذي يظهر أن التقييد في الأمر بالاستطاعة ، لا يدل على المدعي مع الاعتناء به ، بل هو من جهة الكف ، إذ كل أحد قادر على الكف لولا داعية الشهوة مثلاً ، فلا يتصور عدم الاستطاعة عن الكف ، بل كل مكلف قادر على الترك ، بخلاف الفعل ، فإن العجز عن تعاطيه محسوس ، فمن ثم قيد في الأمر بحسب الاستطاعة دون النهي .

وعبَّر الطوفي في هذا الموضوع بأن ترك المنهي عنه عبارة عن استصحاب حال عدمه ، أو الاستمرار على عدمه ، وفعل المأمور به عبارة عن إخراجه من العدم إلى الوجود ، وقد نوزع بأن القدرة على استصحاب عدم النهي عنه قد تتخلف ، واستدل له بجواز أكل المضطر الميتة ، وأجيب بأن النهي في هذا عارضه الإذن بالتناول في تلك الحالة .

وقال ابن فرج في (شرح الأربعين) : قوله ﷺ : « فاجتنوه » ، هو على إطلاقه ، حتى يوجد ما يبيحه ، كأكل الميتة عند الضرورة ، وشرب الخمر عند الإكراه ، والأصل في ذلك جواز التلفظ بكلمة الكفر إذا كان القلب مطمئناً بالإيمان ، كما نطق به القرآن .

والتحقيق أن المكلف في ذلك كله ليس منهياً في تلك الحال ، وأجاب الماوردي بأن الكف عن المعاصي ترك وهو سهل ، وعمل الطاعة فعل وهو يشق ، فلذلك لم يبح ارتكاب المعصية ولو مع العذر لأنه ترك ، والترك لايعجز المعذور عنه ، وأباح ترك العمل بالعذر لأن العمل قد يعجز المعذور عنه . =

....

= وادعى بعضهم أن قوله تعالى : ﴿ **فاتقوا الله ما استطعتم** ﴾ ، يتناول امتثال المأمور واجتناب المنهي وقد قيد بالاستطاعة واستويا ، فحينئذ يكون الحكمة في تقييد الحديث بالاستطاعة في جانب الأمر دون النهي ، أن العجز يكثر تصوره في الأمر بخلاف النهي ، فإن تصور العجز فيه محصور في الاضطرار .

وزعم بعضهم أن قوله تعالى : ﴿ **فاتقوا الله ما استطعتم** ﴾ ، نسخ قوله تعالى : ﴿ **فاتقوا الله حق تقاته** ﴾ . والصحيح أن لا نسخ ، بل المراد بحق تقاته ، امتثال أمره واجتناب نهية مع القدرة لا مع العجز .

واستدل به على أن المكروه يجب اجتنابه لعموم الأمر باجتناب المنهي عنه ، فشمل الواجب والمندوب . وأجيب بأن قوله تعالى : ﴿ **فاجتنبوه** ﴾ ، يعمل به في الإيجاب والندب بالاعتبارين ، ويجيء مثل هذا السؤال وجوابه في الجانب الآخر وهو الأمر .

وقال الفاكهاني : النهي يكون تارة مع المانع من النقيض وهو المحرم ، وتارة لا معه وهو المكروه ، وظاهر الحديث يتناولهما .

واستدل به على أن المباح ليس مأموراً به ، لأن التأكيد في الفعل إنما يناسب الواجب والمندوب ، وكذا عكسه . وأجيب بأن من قال : المباح مأمور به ، لم يرد الأمر بمعنى الطلب ، وإنما أراد بالمعنى الأعم وهو الإذن .

واستدل به على أن الأمر لا يقتضي التكرار ولا عدمه ، وقيل : يقتضيه ، وقيل : يتوقف فيما زاد على مرة ، وحديث الباب قد يتمسك به لذلك ، لما في سببه أن السائل قال في الحج : أكل عام ؟ فلو كان مطلقه يقتضي التكرار أو عدمه لم يحسن السؤال ولا العناية بالجواب . وقد يقال : إنما سأل استظهاراً أو احتياطاً .

وقال المازري : يحتمل أن يُقال : إن التكرار إنما احتمل من جهة أن الحج في اللغة قصد تكرار ، فاحتمل عند السائل التكرار من جهة اللغة ، لا من صيغة الأمر . وقد تمسك به من قال بإيجاب العمرة ، لأن الأمر بالحج إذا كان معناه تكرار قصد البيت بحكم اللغة والاشتقاق ، وقد ثبت في الإجماع أن الحج لا يجب إلا مرة ، فيكون العود إليه مرة أُخرى دالاً على وجوب العمرة .

* واستدل به على أن النبي ﷺ كان يجتهد في الأحكام لقوله ﷺ : « لو قلت نعم لوجبت » ، وأجاب من منع باحتمال أن يكون أوحى إليه ذلك في الحال .

* واستدل به على أن جميع الأشياء على الإباحة ، حتى يثبت المنع من قبل الشارع .

* واستدل به على النهي عن كثرة المسائل والتعمق في ذلك .

قال البغوي في (شرح السنة) : المسائل على وجهين :

أحدهما : ما كان على وجه التعليم لما يحتاج إليه من أمر الدين ، فهو جائز ، بل مأمور به لقوله تعالى : ﴿ **فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾ ، وعلى ذلك تتنزل أسئلة الصحابة عن الأنفال والكلالة وغيرهما .

ثانيهما : ما كان على وجه التعنت والتكلف ، وهو المراد في هذا الحديث ، والله تعالى أعلم ، =

وخرج البخاري ومسلم من حديث أبي أُمامة عن بُريدة عن أبي بريدة عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال : إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً فقال : ياقوم ، إني رأيت الجيش بعينيّ وإني أنا النذير العريان ، فالنجاء [النجاء][1] ، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا وانطلقوا على مهلهم فنجوا ، وكذبت طائفة فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم ، فذلك مثل من أطاعني [فاتبع][2] ما جئت به ، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق . لفظهما فيه متقارب ، ولم يقل فيه مسلم : فنجوا . ذكره البخاري في كتاب الاعتصام[3] ....

ويؤيده ورود الزجر في الحديث عن ذلك وذم السلف ، فعند أحمد من حديث معاوية : « أن النبي ﷺ نهي عن الأُغلوطات » ، قال الأوزاعي : هي شداد المسائل ، وقال الأوزاعي أيضا : « إن الله إذا أراد أن يحرم عبده بركة العلم ألقى على لسانه المغاليط ، فلقد رأيتهم أقل الناس علماً » .

وقال ابن وهب : سمعت مالكا يقول : « المراء في العلم يذهب بنور العلم من قلب الرجل » ، وقال ابن العربي : « كان النهي عن السؤال في العهد النبوي خشية أن ينزل ما يشق عليهم ، فأما بعد فقد أمن ذلك ، لكن أكثر النقل عن السلف بكراهة الكلام في المسائل التي لم تقع » ، قال : « وإنه لمكروه إن لم يكن حراماً ، إلا للعلماء ، فإنهم فرعوا ومهدوا ، فنفع الله من بعدهم بذلك ، ولا سيما مع ذهاب العلماء ودروس العلم .

وينبغي أن يكون محل الكراهية للعالم ، إذا شغله ذلك عما هو أعم منه ، وكان ينبغي تلخيص ما يكثر وقوعه مجرداً عما يندر ، ولا سيما في المختصرات ليسهل تناوله ، والله المستعان .

* واستدل به على أن الاشتغال بالأهم المتاح إليه عاجلاً عما لا يحتاج إليه في الحال ، فكأنه قال : عليكم بفعل الأوامر واجتناب النواهي ، فاجعلوا اشتغالكم بها عوضاً عن الاشتغال بالسؤال عما لم يقع .

فينبغي للمسلم أن يبحث عما جاء عن الله ورسوله ، ثم يجتهد في تفهم ذلك ، والوقوف على المراد به ، ثم يتشاغل بالعمل به ، فإن كان من العلميات ، يتشاغل بتصديقه واعتقاد أحقيته ، وإن كان من العمليات ، بذل وسعه في القيام به فعلاً وتركاً ، فإن وجد وقتاً زائداً على ذلك فلا بأس بأن يصرفه في الاشتغال بتعرف حكم ما سيقع على قصد العمل به أن لو وقع ، فأما إن كانت الهمة مصروفة عن سماع الأمر والنهي إلى فرض أمور قد تقع وقد لا تقع ، مع الإعراض عن القيام بمقتضى ما سمع ، فإن هذا مما يدخل في النهي ، فالتفقه في الدين إنما يُحمد إذا كان للعمل ، لا للمراء والجدال . (المرجع السابق) : ٣٢٥ - ٣٢٨ .

(١) في (خ) : « النجاء » مرتين خلافاً لرواية البخاري .

(٢) في (خ) : « واتبع » ، وما أثبتناه من رواية البخاري .

(٣) (فتح الباري) : ١٣ / ٣١١ ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب (٢) الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ، وقول الله تعالى : ﴿ واجعلنا للمتقين إماماً ﴾ ، حديث رقم (٧٢٨٣) .

وفي كتاب الرقاق[1] .

---

(١) (المرجع السابق) : ١١ / ٣٨٣ ، كتاب الرقاق ، باب (٢٦) الانتهاء عن المعاصي ، حديث رقم (٦٤٨٢) .

قوله ﷺ : « ما بعثني الله » ، العائد محذوف ، والتقدير بعثني الله به إليكم .

قوله ﷺ : « أتى قوماً » التنكير فيه للشيوع .

قوله ﷺ : « بعيني » ، بالإفراد ، وللكشميهني بالتثنية بفتح النون والتشديد ، قيل : ذكر العينين إرشاداً إلى أنه تحقَّق عنده ما أخبر عنه ، تَحَقُّق من رآى شيئاً بعينه ، لا يعتريه وهم ، ولا يخالطه شك .

قوله ﷺ : « وإني أنا النذير العريان » ، قال ابن بطال : النذير العريان ، رجل من خثعم ، حمل عليه رجل يوم ذي الخلصة ، فقطع يده ويد امرأته ، فانصرف إلى قومه فحذرهم ، فضُرب به المثل في تحقيق الخبر .

قال الحافظ في الفتح : وسبق إلى ذلك يعقوب بن السكيت وغيره ، وسُمِّيَ الذي حمل عليه (عوف ابن عامر اليشكري) ، وأن المرأة كانت من بني كنانة ، وتعقب باستبعاد تنزيل هذه القصة على لفظ الحديث ، لأنه ليس فيها أنه كان عرياناً .

وزعم ابن الكلبي أن النذير العريان امرأة من بني عامر بن كعب ، لما قتل المنذر بن ماء السماء أولاد أبي داود – وكان جار المنذر – خشيت على قومها ، فركبت جملاً ولحقت بهم وقالت : أنا النذير العريان .

ويقال : أول من قاله أبرهة الحبشي لما أصابته الرمية بتهامة وقد سقط لحمه . وذكر أبو بشر الآمدي : أن زَنْبراً – بزاي ونون ساكنة ثم موحدة – ابن عمرو الخثعمي ، كان ناكحاً في آل زبيد ، فأرادوا أن يغزوا قومه ، وخشوا أن ينذر بهم ، فحرسه أربعة ، فصادف منهم غرة ، فقذف ثيابه وعَدا ، وكان من أشدّ الناس عدواً فأنذر قومه .

وقال غيره : الأصل فيه أن رجلاً لقي جيشاً فسلبوه وأسروه ، فانفلت إلى قومه فقال : إني رأيتُ الجيش فسلبوني ، فرأوه عرياناً فتحققوا صدقه ، لأنهم كانوا يعرفونه ولا يتهمونه في النصيحة ، ولا جرت عادته بالتعري ، فقطعوا بصدقه لهذه القرائن ، فضرب النبي ﷺ لنفسه ولما جاء به مثلاً بذلك ، لما أبداه من الخوارق والمعجزات الدالة على القطع بصدقه ، تقريباً لأفهام المخاطبين بما يألفونه ويعرفونه .

ويؤيد ما أخرجه الرامهرمزي في الأمثال ، وعند أحمد أيضاً بسند جيد ، من حديث عبد الله بن بريدة ، عن أبيه قال : « خرج النبي ﷺ ذات يوم فنادى ثلاث مرات : أيها الناس ، مثلي ومثلكم مثل قوم خافوا عدواً أن يأتيهم ، فبعثوا رجلاً يترايا لهم ، فبينما هم كذلك إذ أبصر العدو ، فأقبل لينذر قومه فخشي أن يدركه العدو قبل أن ينذر قومه ، فأهوى بثوبه أيها الناس أُتيتم ثلاث مرات » . وأحسن ما فُسِّر به الحديث من الحديث .

وأخرجه أبو الشيخ بنحوه في كتاب (الأمثال في الحديث النبوي) ، وقال : رجاله رجال الصحيح . ص ٢٩٧ ، حديث رقم (٢٥٣) .

وهذا كله يدل على أن العريان من التعري ، وهو المعروف في الرواية .

قوله ﷺ : « فالنجاء النجاء » ، بالمد فيهما ، وبمد الأولى وقصر الثانية ، وبالقصر فيهما تخفيفاً ، وهو منصوب على الإغراء ، أي اطلبوا النجاء بأن تسرعوا الهرب ، إشارة إلى أنهم لا يطيقون مقاومة ذلك =

وخرج البخاري من حديث سعيد بن ميناء قال : حدثنا - أو سمعت - جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول : جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم فقال بعضهم : إنه نائم ، وقال بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظان ، فقالوا : [بأن][(١)] لصاحبكم هذا مثلاً فاضربوا له مثلا ، فقالوا : مثله كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مأدبة ، وبعث داعياً فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل [من][(٢)] المأدبة ، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل [من][(٢)] المأدبة ، فقالوا : أولوها له بفقهها ، [قال][(٣)] بعضهم : إنه نائم وقال بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظان ، فقالوا : فالدار الجنة ، والداعي محمد ﷺ[(٢)] ، فمن أطاع محمداً ﷺ[(٢)] فقد أطاع الله ، ومن عصى محمداً ﷺ[(٢)] فقد عصى الله ، ومحمد فرق بين

= الجيش . قال الطيبي : في كلامه أنواع من التأكيدات :

* **أحدها** : « بعيني » . * **ثانيهما** : « وإني أنا » . * **ثالثها** : « العريان » ، لأنه الغاية في قرب العدو ، ولأنه الذي يختص في إنذاره بالصدق .

قوله : « فأطاعه طائفه » ، كذا فيه بالتذكير ، لأن المراد بعض القوم .

قوله : « فأدلجوا » ، بهمزة قطع ثم سكون ، أي ساروا أول الليل ، أو ساروا الليل كله ، على الاختلاف في مدلول هذه اللفظة .

قوله : « على مهلهم » ، بفتحتين ، والمراد به الهينة والسكون ، وبفتح أوله وسكون ثانيه الإمهال ، وليس مراداً هنا ، وفي رواية مسلم « على مُهْلَتِهم » بزيادة تاء تأنيث ، وضبطه النووي بضم الميم وسكون الهاء وفتح اللام .

قوله : « وكذبته طائفة » ، قال الطيبي : عبَّر في الفرقة الأولى بالطاعة ، وفي الثانية بالتكذيب ، ليؤذن بأن الطاعة مسبوقة بالتصديق ، ويشعر بأن التكذيب مستتبع للعصيان .

قوله : « فصبّحهم الجيش » ، أي أتاهم صباحاً ، هذا أصله ، ثم كثر استعماله ، حتى استُعمل فيمن طرق بغتة في أي وقت كان .

قوله : « فاجتاحهم » ، بجيم ثم حاء مهملة ، أي استأصلهم ، من جحْتُ الشيء أجوحه إذا استأصلته ، والاسم : الجائحة ، وهي الهلاك ، وأُطلقت على الآفة لأنها مهلكة .

قال الطيبي : شبه ﷺ نفسه بالرجل ، وإنذاره بالعذاب القريب بإنذار الرجل قومه بالجيش المصبح ، وشبه من أطاعه من أمته ومن عصاه ، بمن كذَّب الرجل في إنذاره ومن صدَّقه .

(١) كذا في (خ) ورواية البخاري : « إن » .

(٢) زيادات من رواية البخاري .

(٣) كذا في (خ) ، ورواية البخاري « فقال » .

الناس[1] . ...

(1) (فتح الباري) : ١٣ / ٣١٠ ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب (٢) الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ، وقول الله تعالى : ﴿ واجعلنا للمتقين إماماً ﴾ ، حديث رقم (٧٢٨١) .

قوله : « حدثنا أو سمعت » ، القائل ذلك سعيد بن ميناء ، والشَّاك هو سليم بن حيان ، شك في أيّ الصيغتين قالها شيخه سعيد .

قوله : « جاءت ملائكة » ، لم أقف على أسمائهم ولا أسماء بعضهم ، ولكن في رواية سعيد بن أبي هلال المعلقة عقب هذا عن الترمذي أن الذي حضر في هذه القصة جبريل وميكائيل ، ولفظة : « خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً فقال : إني رأيتُ في المنام كأن جبريل عند رأسي ، وميكائيل عند رجلي .. » ، فيحتمل أنه كان مع كل منهما غيره . واقتصر في هذه الرواية على من باشر الكلام منهم ابتداءاً وجواباً ، ووقع في حديث ابن مسعود عند الترمذي ، وحسنه وصححه ابن خزيمة : أن النبي ﷺ توسّد فخذه فرَقَد ، وكان إذا نام نفخ ، قال : فبينا أنا قاعد ، إذ أنا برجال عليهم ثياب بيض ، الله أعلم بما بهم من الجمال ، فجلست طائفة منهم عند رأس رسول الله ﷺ ، وطائفة منهم عند رجليه .

قوله : « إن لصاحبكم هذا مثلاً قال: فا ضربوا له مثلاً » ، كذا للأكثر ، وسقط لفظ « قال » من رواية أبي ذر .

قوله : « فقال بعضهم : إنه نائم .... إلى قوله : يقظان » ، قال الرامهرمزي : هذا تمثيل يُراد به حياة القلب وصحة خواطره ، يقال : رجل يقظ ، إذا كان ذكى القلب ، وفي حديث ابن مسعود ، فقالوا بينهم : ما رأينا عبداً قط أوتي مثل ما أوتي هذا النبي ، إن عينيه تنامان وقلبه يقظان ، اضربوا له مثلا .

وفي رواية سعيد بن أبي هلال : فقال أحدهما لصاحبه : اضرب له مثلاً ، فقال : « اسمع سمع أذنك ، واعقل عقل قلبك ، إنما مثلك » . ونحوه في حديث ربيعة الجرشي ، عند الطبراني ، زاد أحمد في حديث ابن مسعود ، فقالوا : اضربوا له مثلاً ، ونؤول أو نضرب وأولوا ، وفيه : ليعقل قلبك .

قوله : « مثله كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مأدبة » ، في حديث ابن مسعود : « مثل سيد بنى قصراً » ، وفي رواية أحمد : « بنياناً حصيناً ثم جعل مأدبة فدعا الناس إلى طعامه وشرابه ، فمن أجاب أكل من طعامه وشرب من شرابه ، ومن لم يجبه عاقبه – أو قال – عذبه » . وفي رواية أحمد « عذب عذاباً شديداً .

والمأدُبة بسكون الهمزة وضم الدال بعدها موحدة ، وحكى بالفتح ، وقال ابن التين : عن أبي عبد الملك الضم والفتح لغتان فصيحتان ، وقال الرامهرمزي نحوه في حديث « القرآن مأدبة الله » قال : وقال لي أبو موسى الحامض : من قاله بالضم أراد الوليمة ، ومن قاله بالفتح أراد أدب الله الذي أدب به عباده . قال الحافظ ابن خجر : فعلى هذا يتعين الضم .

قوله : « فبعث داعياً » ، في رواية سعيد : « ثم بعث رسولاً يدعو الناس إلى طعامه ، فمنهم من أجاب الرسول ومنهم من تركه » .

قوله : « فقال بعضهم : أوّلوها بفقهها » ، قيل : يؤخذ منه حجة لأهل التعبير ، أن التعبير إذا وقع في المنام اعتمد عليه . قال ابن بطال : قوله : « أولوها له » يدل على أن الرؤيا ما عبرت في النوم ، أ . هـ . وفيه نظر لاحتمال الاختصاص بهذه القصة ، لكون الرائي النبي ﷺ ، والمرئي الملائكة ، فلا يطرد ذلك في =

حق غيرهم .

قوله : « فقالوا : الدار الجنة » ، أي الممثل بها ، زاد في رواية سعيد بن أبي هلال : « فالله هو الملك ، والدار الإسلام ، والبيت الجنة ، وأنت يا محمد رسول الله » . وفي حديث ابن مسعود عند أحمد : « أما السيد فهو الله رب العالمين ، وأما البنيان فهو الإسلام ، والطعام الجنة ، ومحمد الداعي » ، فمن اتبعه كان في الجنة .

قوله : « فمن أطاع محمداً فقد أطاع الله » ، أي لأنه رسول صاحب المأدبة ، فمن أجابه ودخل في دعوته أكل من المأدبة ، وهو كناية عن دخول الجنة ، ووقع بيان ذلك في رواية سعيد ، ولفظه : « وأنت يا محمد رسول الله ، فمن أجابك دخل الإسلام ، ومن دخل الإسلام دخل الجنة ، ومن دخل الجنة أكل ما فيها » .

قوله : « ومحمد فرق بين الناس » ، كذا لأبي ذر بتشديد الراء فعلاً ماضياً ، ولغيره بسكون الراء والتنوين ، وكلاهما متجه . قال الكرماني : ليس المقصود من هذا التمثيل تشبيه المفرد بالمفرد ، بل تشبيه المركّب بالمركّب ، مع قطع النظر عن مطابقة المفردات من الطرفين . ا . هـ .

وقد وقع في غير هذه الطريق ما يدل على المطابقة المذكورة ، زاد في حديث ابن مسعود : « فلما استيقظ قال : سمعت ما قال هؤلاء ، هل تدري من هم ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : هم الملائكة ، والمثل الذي ضربوا : الرحمن بنى الجنة ودعا إليها عباده » الحديث .

تنبيه : قال الحافظ في الفتح : تقدم في كتاب المناقب من وجه آخر عن سليم بن حيان بهذا الإسناد ، « قال النبي ﷺ مثلي ومثل الأنبياء كرجل بنى داراً فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة » الحديث . وهو حديث آخر ، وتمثيل آخر ، فالحديث الذي في المناقب – وهو الحديث رقم (٣٥٣٤) – يتعلق بالنبوة وكونه ﷺ خاتم النبيين . وهذا يتعلق بالدعاء إلى الإسلام ، وبأحوال من أجاب أو امتنع ، وقد وهم من خلطهما كأبي نعيم في (المستخرج) ، فإنه لما ضاق عليه مخرج حديث الباب ، ولم يجده مروياً عنده ، أورد حديث اللبنة ، ظناً منه أنهما حديث واحد ، وليس كذلك لما بينتُ .

وسلم الإسماعيلي من ذلك ، فإنه لما لم يجده في مروياته ، أورده من روايته عن الفربري ، بالإجازة عن البخاري بسنده ، وقد روى يزيد بن هارون بهذا السند حديث اللبنة ، أخرجه أبو الشيخ في (كتاب الأمثال) ، من طريق أحمد بن سنان الواسطي عنه ، وساق بهذا السند حديث « مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً » الحديث ، لكنه عن أبي هريرة لا عن جابر ، وقد ذكر الرامهرمزي حديث الباب في (كتاب الأمثال) معلقاً فقال : وروى يزيد بن هارون ، فساق السند ولم يوصل سنده بيزيد ، وأورد معناه من مرسل الضحاك بن مزاحم .

(١) زاد في رواية البخاري بعد قوله : « ومحمد فرّق بين الناس » ، تابعه قتيبة عن ليث عن خالد عن سعيد بن أبي هلال « عن جابر ، خرج علينا النبي ﷺ ... » .

قوله : « تابعهُ قتيبة عن ليث » ، يعني ابن سعد ، « عن خالد » ، يعني ابن يزيد ، وهو أبو عبد الرحيم المصري أحد الثقات .

قوله : « عن سعيد بن أبي هلال عن جابر قال : خرج علينا النبي ﷺ ، هكذا اقتصر على هذا القدر من الحديث ، وظاهر أن بقية الحديث مثله ، وقد بينت ما بينهما من الاختلاف ، وقد وصله الترمذي عن قتيبة بهذا السند ، ووصله أيضاً الإسماعيلي عن الحسن بن سفيان ، وأبو نعيم من طريق أبي العباس =

السراج ، كلاهما عن قتيبة ، ونسب السراج في روايته الليث وشيخه كما ذكرته . قال الترمذي بعد تخريجه : هذا حديث مرسل ، سعيد بن أبي هلال لم يدرك جابر بن عبد الله .

قال الحافظ ابن حجر : وفائدة إيراد البخاري له ، رفع التوهم عمن يظن أن طريق سعيد بن ميناء موقوفة ، لأنه لم يصرح برفع ذلك إلى النبي ﷺ ، فأتى بهذه الطريق لتصريحها ؛ ثم قال الترمذي : وجاء من غير وجه عن النبي بإسناد أصحّ من هذا . قال : وفي الباب عن ابن مسعود ، ثم ساقه بسنده وصححه ، وقد بينت ما فيه أيضاً بحمد الله تعالى . ووصف الترمذي له بأنه مرسل ، يريد أنه منقطع بين سعيد وجابر ، وقد اعتضد هذا المنقطع بحديث ربيعة الجرشي عند الطبراني ، فإنه بنحو سياقه وسنده جيد ، وسعيد بن أبي هلال غير سعيد بن ميناء الذي في السند الأول ، وكل منهما مدني ، لكن ابن ميناء تابعي ، بخلاف ابن أبي هلال .

والجمع بينهما إما بتعدد المرئي ، وهو واضح ، أو بأنه منام واحد ، حفظ فيه بعض الرواه مالم يحفظ غيره ، وتقدم طريق الجمع بين اقتصاره على جبريل وميكائيل في حديث ، وذكره الملائكة بصيغة الجمع في الجانبين الدال على الكثرة في آخر ، وظاهر رواية سعيد بن أبي هلال أن الرؤيا كانت في بيت النبي ﷺ لقوله : « خرج علينا فقال : إني رأيت في المنام » .

وفي حديث ابن مسعود أن ذلك كان بعد أن خرج إلى الجن فقرأ عليهم ، ثم أغفى عند الصبح فجاءوا إليه حينئذ . ويجمع بأن الرؤيا كانت على ما وصف ابن مسعود ، فلما رجع إلى منزله خرج على أصحابه فقصها ، وما عدا ذلك فليس بينهما منافاة ، إذ وصف الملائكة برجال حسان ، يشير إلى أنهم تشكلوا بصورة الرجال .

وقد أخرج أحمد والبزار والطبراني ، من طريق علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، نحو أول حديث سعيد بن أبي هلال ، لكن لم يسمّ الملكين ، وساق المثل على غير سياق من تقدم ، قال : « إن مثل هذا ومثل أمته كمثل قوم سفر ، انتهوا إلى رأس مفازة ، فلم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المفازة ، ولا ما يرجعون به ، فبينما هم كذلك ، إذ أتاهم رجل فقال : أرأيتم إن وردتُ بكم رياضاً معشبة ، وحياضاً رواءاً ، أتتبعوني ؟ قالوا : نعم ، فا نطلق بهم فأوردهم ، فأكلوا ، وشربوا ، وسمنوا ، فقال لهم : إن بين أيديكم رياضاً هي أعشب من هذه ، وحياضاً أروى من هذه فاتبعوني ، فقالت طائفة : صدق ، والله لنتبعه ، وقالت طائفة : قد رضينا بهذا نقيم عليه » .

وهذا إن كان محفوظاً قوى الحمل على التعدد ، إما للمنام وإما لضرب المثل ، ولكن عليّ بن زيد ضعيف من قبل حفظه . قال ابن العربي في حديث ابن مسعود : إن المقصود « المأدبة » ، وهو ما يؤكل ويشرب ، ففيه رد على الصوفية الذين يقولون : لا مطلوب في الجنة إلا الوصال ، والحق أن لا وصال لنا إلا بانقضاء الشهوات الجسمانية والنفسانية والمحسوسة والمعقولة ، وجماع ذلك كله في الجنة . (ا . هـ) .

وليس ما ادَّعاه من المرد بواضح ، قال : وفيه أن من أجاب الدعوة أُكرم ، ومن لم يُجبها أهين ، وهو بخلاف قولهم : من دعوناه فلم يجبنا فله الفضل علينا ، فإن أجابنا فلنا الفضل عليه ، فإنه مقبول في النظر ، وأما حكم العبد مع المولى ، فهو كما تضمنه هذا الحديث . (المرجع السابق) : ٣١٧ - ٣٢٠ .

وله من حديث فليح : حدثنا هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى ، قالوا : [يارسول الله][1] ومن يأبى ؟ قال : من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى[2] » . ذكره والذي قبله في كتاب الاعتصام .

* * *

(١) مابين الحاصرتين تكملة من رواية البخاري .

(٢) (فتح الباري) : ١٣ / ٣١٠ ، كتاب الاعتصام بالسنة ، باب (٢) الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ، وقول الله تعالى : ﴿ واجعلنا للمتقين إماماً ﴾ ، حديث رقم (٧٢٨٠) .

قوله : « فليح » ، بالفاء والمهملة ، مصغر ، هو ابن سليمان المدني ، وشيخه هلال بن علي ، هو الذي يقال له ابن ميمونة .

قوله ﷺ : « كل أمتي يدخل الجنة إلا من أبى » ، بفتح الموحّدَة ، أي امتنع ، وظاهره أن العموم مستمر ، لأن كلاً منهم لا يمتنع من دخول الجنة ، ولذلك قالوا : « ومن يأبى » فبين لهم أن إسناد الامتناع إليهم عن الدخول ، مجاز عن الامتناع عن سننه ، وهو عصيان الرسول ﷺ .

وأخرج أحمد والحاكم من طريق صالح بن كيسان عن الأعرج ، عن أبي هريرة رفعه « لتدخلن الجنة إلا من أبى وشرد على الله شراد البعير » ، وسنده على شرط الشيخين ، وله شاهد عن أبي أمامة عن الطبراني ، وسنده جيد ، والموصوف بالإباء وهو الامتناع ، إن كان كافراً فهو لا يدخل الجنة أصلاً ، وإن كان مؤمنا ، فالمراد منعه من دخولها مع أول داخل ، إلا من شاء الله تعالى .

وأمـا وجـوب اتبـاعه
وامتثـال سنته والاقتداء بهديه ﷺ

فقد قال الله تعالى : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم** ﴾[(١)] فوعد تعالى محبته ومغفرته [للذين][(٢)] اتبعوا الرسول ﷺ وآثروه على أهوائهم وما تجنح إليه نفوسهم ، قال الحسن : إن أقواماً قالوا : يارسول الله ، إنا نحب الله ، فأنزل الله سبحانه وتعالى : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله** ﴾ الآية ، وقيل إن كعب بن الأشرف وغيره قالوا : نحن أبناء الله وأحباؤه ، ونحن أشد حباً لله ، فأنزل الله : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله** ﴾ الآية ، وقال الزجاج : معناه إن كنتم تحبون الله أن تقصدوا طاعته فافعلوا ما أمركم ، إذ محبة العبد لله والرسول طاعته لهما ورضاه بما أمر ، ومحبة الله لهم عفوه عنهم وإنعامه عليهم برحمته ، وقال تعالى : ﴿ **فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون** ﴾[(٣)] ، فأمر تعالى الكافة بمتابعته ﷺ ، ووعدهم الاهتداء باتباعه لأنه الله تعالى أرسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى صراط مستقيم .

وقال تعالى : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم** ﴾ الآية ، أي ينقادون لحكمك ، يقال : سلم واستسلم وامتثل إذا انقاد ، فجعل تعالى صحة إيمان خليقته بانقيادهم له ﷺ ورضائهم بحكمه وترك الاعتراض عليه . وقال سهل في قوله : ﴿ **صراط الذين أنعمت عليهم** ﴾[(٤)] قال : بمتابعة السنة .

وخرج أبو داود من حديث ثور بن يزيد قال : حدثني خالد بن معدان قال : حدثني عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر بن حجر قالا : أتينا العرباض بن

---

(١) آل عمران : ٣١ .
(٢) زيادة للسياق .
(٣) الأعراف : ١٥٨ .
(٤) الفاتحة : ٧ .

سارية[1] وهو ممن نزل فيه : ﴿ ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه ﴾[2] ، فتكلمنا وقلنا : أتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين ، فقال العرباض : صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة تامة بليغة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، فقال قائل : يارسول الله [كأن][3] هذه موعظة مُودِّع فماذا تعهد إلينا ، فقال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً ، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ....

---

(١) هو العرباض بن سارية السُّلَمي ، من أعيان أهل الصُّفَّة ، سكن حمص ، وروى أحاديث ، روى عنه جُبير بن نُفير ، وأبو رهم السَّمَعي ، وعبد الرحمن بن عمرو السُّلَمي ، وحبيب بن عُبيد ، وحُجْر بن حُجر ، ويحى بن أبي المطاع ، وعمر بن الأسود وعدَّة . ابن وهب : حدثنا سعيد بن أبي أيوب ، عن سعد بن إبراهيم ، عن عروة بن رويم ، عن العرباض بن سارية – وكان يحب أن يُقبض – فكان يدعو : اللهم كَبِرتْ سني ، ووهن عظمي ، فاقبضني إليك . قال : فبينا أنا يوماً في مسجد دمشق أصلي ، وأدعو أن أُقبض ، إذا أنا بفتىً من أجمل الرجال ، وعليه دُوَّاج [ثوب] أخضر ، فقال : ما هذا الذي تدعو به ؟ قلت : كيف أدعو يا ابن أخي ؟ قال : قل اللهم حسِّن العمل وبلِّغ الأجل . فقلت : ومن أنت يرحمك الله ؟ قال : أنا « رتبابيل » الذي يسُلّ الحزن من صدور المؤمنين ، ثم التفت فلم أرَ شيئاً . قال أحمد بن حنبل : كنية العرباض ، أبو نَجيح .

روى إسماعيل بن عيَّاش ، عن ضَمْضَم بن زُرعة ، عن شُريح بن عبيد ، قال : قال عُتبة بنُ عبد : أتينا النبي ﷺ سبعة من بني سُلَيم ، أكبرنا العرباض بن سارية فبايعناه . [رجاله ثقات] .

إسماعيل بن عيَّاش : حدثنا أبو بكر بن عبد الله ، عن حبيب بن عُبيد ، عن العرباض : قال : لولا أن يُقال : فعل أبو نجيح ؛ لألحقتُ مالي سُبلة ، ثم لحقتُ وادياً من أودية لبنان عبدتُ الله حتى أموت .

شعبة : عن أبي الفيض ؟ سمع أبا حفص الحمّصي يقول : أعطى معاويةُ المقداد حماراً من المغنم ، فقال له العرباضُ بنُ سارية : ما كان لك أن تأخذه ، ولا له أن يُعطيك ، كأني بك في النار تحمله ؛ فردّه .

قال أبو مُسهر وغيره : تُوفي العرباض سنة خمس وسبعين .

* (طبقات ابن سعد) : ٤ / ٢٧٦ ، ٧ / ٤١٢ ، (التاريخ الكبير) : ٧ / ٨٥ ، (الجرح والتعديل) : ٧ / ٣٩ ، (تهذيب الأسماء واللغات) : ١ / ٣٣٠ ، (مرآة الجنان) : ١ / ١٥٦ ، (الإصابة) : ٤ / ٤٨٢ ، ترجمة رقم (٥٥٠٥) ، (تهذيب التهذيب) : ٧ / ١٤٧ ، (خلاصة تذهيب الكمال) : ٢ / ٤٣٦ ، (شذرات الذهب) : ١ / ٨٢ ، (سير أعلام النبلاء) : ٣ / ٤١٩ – ٤٢٢ ، ترجمة رقم (٧١) .

(٢) التوبة : ٩٢ ، وتمامها : ﴿ تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألَّا يجدوا ما ينفقون ﴾ .

(٣) تكلمة من (صحيح سنن أبي داود) : ٣ / ٨٧١ ، حديث رقم (٣٨٥١ – ٤٦٠٧) ، قال الألباني : صحيح .

ضلالة[1] . وأخرجه الترمذي[2] وقال : حديث حسن صحيح .

وخرج بقي بن مخلد من حديث زيد بن الجناب عن معاوية بن صالح قال : حدثني الحسن بن جابر أنه سمع المقدام بن معديكرب يقول : قال رسول الله ﷺ : يوشك برجل متكيء على أريكته يحدث بحديثي يقول : بيننا وبينكم كتاب الله ،

---

(١) قوله : « فسلمنا » ، أي على العرباض ، « زائرين » من الزيارة ، « وعائدين » من العيادة ، « ومقتبسين » ، أي محصلين منك العلم ، « ذرفت » ، أي دمعت ، « ووجلت » ، أي خافت ، « كأن هذه موعظة مودع » ، فإن المودِّع - بكسر الدال - عند الوداع ، لايترك شيئاً مما يهم المودَّع - بفتح الدال - أي كأنك تودعنا بها ، لما رأى من مبالغته ﷺ في الموعظة ، « فماذا تعهد » ، أي توصي ، « وإن عبداً حبشياً » أي وإن كان المطاع عبداً حبشياً .

قال الخطابيّ : يريد به طاعة من ولاه الإمام عليكم وإن كان عبداً حبشياً ، ولم يرد بذلك أن يكون الإمام عبداً حبشياً . وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال : « الأئمة من قريش » ، وقد يُضرب المثل في الشيء بما لا يكاد يصح في الوجود ، كقوله ﷺ : « من بنى لله مسجداً ولو مثل مفحص قطاة ، بنى الله له بيتاً في الجنة » ، وقدر مفحص القطاة لا يكون مسجداً لشخص آدمي ، ونظائر هذا الكلام كثير .

قوله ﷺ : « وعضوا عليها بالنواجذ » ، جمع ناجذة بالذال المعجمة ، قيل : هو الضرس الأخير ، وقيل : هو مرادف السن ، وهو كناية عن شدة ملازمة السنة والتمسك بها . وقال الخطابي : وقد يكون معناه أيضاً الأمر بالصبر على ما يصيبه من المضض في ذات الله ، كما يفعله المتألم بالوجع يصيبه .

قوله ﷺ : « وإياكم ومحدثات الأمور » ، قال الحافظ ابن رجب في كتاب (جامع العلوم والحكم) : فيه تحذير للأمة من اتباع الأمور المحدثة المبتدعة ، وأكد ذلك بقوله : « وكل بدعة ضلالة » . والمراد بالبدعة ما أُحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه ، وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعاً ، وإن كان بدعة لغة .

فقوله ﷺ : « وكل بدعة ضلالة » ، من جوامع الكلم ، لا يخرج عنه شيء ، وهو أصل عظيم من أصول الدين . وأما ما وقع في كلام السلف من استحسان بعض البدع ، فإنما ذلك في البدع اللغوية لا الشرعية ، فمن ذلك قول عمر رضي الله عنه في التراويح : « نعمت البدعة هذه » ، وروى عنه أنه قال : « إن كانت هذه بدعة فنعمت البدعة » ، ومن ذلك أذان الجمعة الأول ، زاده عثمان لحاجة الناس إليه ، وأقرّه عليّ ، واستمر عمل المسلمين عليه . وروى عن ابن عمر أنه قال : هو بدعة ، ولعله أراد ما أراد أبوه في التراويح . (عون المعبود) : ١٢ / ٢٣٤ ، كتاب السنه ، باب التمسك بالسنه ، حديث رقم (٤٥٩٤) .

(٢) قال المنذري : وأخرجه الترمذي وابن ماجه ، وليس في حديثهما ذكر حُجْر بن حُجْر ، غير أن الترمذي أشار إليه تعليقاً ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

والخلفاء : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي : والمحْدَث على قسمين : محدث ليس له أصل إلا الشهوة والعمل بالإرادة فهذا باطل ، وما كان على قواعد الأصول أو مردود إليها فليس ببدعة ولا ضلالة . (المرجع السابق) : ٢٣٥ .

وما وجدنا فيه من حلال أحللناه ، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ، ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله[1] .

وخرج البخاري في كتاب الأدب[2] وفي كتاب الاعتصام[3] من حديث الأعمشي ، حدثنا مسلم عن مسروق [قال][4] : قالت عائشة رضي الله عنها : صنع النبي ﷺ شيئاً [فرخص][5] فيه فتنزه عنه قوم ، فبلغ النبي ﷺ ، فخطب فحمد

---

(١) أخرج أبو داود نحوه في كتاب السنة ، باب لزوم السنة ، حديث رقم (٣٨٤٨ - ٤٦٠٤) : عن المقدام بن معديكرب ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ألا إني أُوتيتُ الكتاب ومثله معه ، لا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي ، ولا كل ذي ناب من السَّبُع ، ولا لُقَطَةُ مُعاهد ، إلا أن يستغنَى عنها صاحبُها . ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه ، فإن لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قِراه » .

وحديث رقم (٣٨٤٩ - ٤٦٠٥) : ، عن أبي رافع عن النبي ﷺ قال : « لا أُلفيَنَّ أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرتُ به أو نهيتُ عنه فيقول : لا ندري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه . (صحيح سنن أبي داود للألباني) : ٣ / ٨٧٠ - ٨٧١ .

قوله ﷺ : « على أريكته » أي على سريره المزين بالحلل والأثواب ، وأراد بهذه الصفة أصحاب الترفة والدعة ، الذين لزموا البيوت ، ولم يطلبوا العلم من مظانه . قال الخطابي : في الحديث دليل على أن لا حاجة بالحديث أن يعرض على الكتاب ، وأنه مهما ثبت عن رسول الله ﷺ شيء كان حجة بنفسه ، فأما ما رواه بعضهم أنه قال : إذا جاءكم الحديث فاعرضوه على الكتاب فإن وافقه فخذوه ، فإنه حديث باطل لا أصل له . وقد حكى زكريا الساجي عن يحى بن معين أنه قال : هذا حديث وضعته الزنادقة .

قال المنذري : وأخرجه الترمذي وابن ماجة ، وقال الترمذي : حسن غريب من هذا الوجه ، وحديث أبي داود أتم من حديثهما . (عون المعبود) ١٢ / ٢٣١ ، حديث رقم (٤٥٩١) .

(٢) (فتح الباري) : ١٠ / ٦٢٨ ، باب (٧٢) من لم يواجه الناس بالعتاب ، حديث رقم (٦١٠١) . [أي حياءً منهم] .

(٣) (المرجع السابق) : ١٣ / ٣٤٢ ، باب (٥) ما يكره من التعمق والتنازع والغلوّ في الدين والبدع ، لقوله تعالى : **﴿ ياأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق ﴾** ، حديث رقم (٧٣٠١) .

قوله : « صنع النبي ﷺ شيئاً فترخص فيه » ، في رواية مسلم من طريق أبي معاوية عن الأعمش : « رخَّص النبي في أمر » .

قوله : « فتنزه عنه قوم » ، في رواية مسلم من طريق جرير عن الأعمش « فبلغ ذلك ناساً من أصحابه فكأنهم كرهوه وتنزهوا » .

قوله : « فخطب » ، في رواية أبي معاوية « فبلغ ذلك النبي ﷺ فغضب حتى بان الغضب في وجهه .

(٤) زيادة للسياق .

(٥) في (خ) : « ترخص فيه » .

الله ثم قال : [ما بال][1] أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه ، فو الله إني لأعلمهم بالله وأشدهم [له][1] خشية . وخرجه مسلم بنحوه أو قريب منه[2] .

وخرج الترمذي من حديث سفيان عن عبد الرحمن بن زياد الأفريقي عن

---

(١) تكملة من البخاري .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ١٥ / ١١٥ ، كتاب الفضائل ، باب (٣٥) علمه ﷺ بالله تعالى وشدة خشيته ، حديث رقم (١٢٧) ، (١٢٨) .

قوله : « ما بال أقوام » ، في رواية جرير « ما بال رجال » قال ابن بطال : هذا لا ينافي الترجمة ، لأن المراد بها المواجهة مع التعيين ، كأن يقول : ما بالك يافلان تفعل كذا ، وما بال فلان يفعل كذا ، فأما مع الإبهام فلم تحصل المواجهة وإن كانت صورتها موجودة ، وهي مخاطبة من فعل ذلك ، لكنه لما كان من جملة المخاطبين ولم يميز عنهم ، صار كأنه لم يخاطب .

قوله : « يتنزهون عن الشيء أصنعه » ، في رواية جرير « بلغهم عني أمر ترخّصْتُ فيه فكرهوه وتنزهوا عنه » ، وفي رواية أبي معاوية : « يرغبون عما رخص لي فيه » .

قوله : « فو الله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية » ، جمع بين القوة العملية ، والقوة العلمية ، أي أنهم توهموا أن رغبتهم عما أفعل أقرب لهم عند الله ، وليس كذلك ، إذ هو أعلمهم بالقربة ، وأولاهم بالعمل بها .

قال ابن بطال : كان النبي ﷺ رفيقاً بأمته ، فلذلك خفف عنهم العتاب ، لأنهم فعلوا ما يجوز لهم من الأخذ بالشدة ، ولو كان ذلك حراماً لأمرهم بالرجوع إلى فعله .

قال الحافظ ابن حجر : أما المعاتبة فقد حصلت منه لهم بلا ريب ، وإنما لم يميز الذي صدر منه ذلك ستراً عليه ، فحصل منه الرفق من هذه الحيثية ، لا بترك العتاب أصلاً ، وأما استدلاله بكون ما فعلوه غير حرام ، فواضح من جهة أنه لم يلزمهم بفعل ما فعله هو .

وفي الحديث الحث على الاقتداء بالنبي ﷺ ، وذم التعمق والتنزه عن المباح ، وحسن العشرة عند الموعظة ، والإنكار والتلطف في ذلك .

قال الإمام النووي في شرح مسلم : فيه الحث على الاقتداء به ﷺ ، والنهي عن التعمق في العبادة ، وذم التنزه عن المباح شكّا في إباحته .

* وفيه الغضب عند انتهاك حرمات الشرع . وإن كان المنتهك متأولاً تأويلاً باطلاً .

* وفيه حسن المعاشرة بإرسال التعزير والإنكار في الجمع ، ولا يعين فاعله ، فيقال : ما بال أقوام ونحوه .

* وفيه أن القرب إلى الله تعالى سبب لزيادة العلم به وشدة خشيته .

وأما قوله ﷺ : « فو الله لأنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية » ، فمعناه أنهم يتوهمون أن سننهم عما فعلت أقرب لهم عند الله ، وإن فعل خلاف ذلك ، وليس كما توهموا ، بل أنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية ، وإنما يكون القرب إليه سبحانه وتعالى ، والخشية له على حسب ما أمر ، لا بمخيلات النفوس ، وتكلف أعمال لم يأمر بها . والله أعلم .

عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمرو [بن العاص][1] رضي الله [عنهما][2] قال : قال رسول الله ﷺ : ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل ، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية [ليكونَنَّ][3] في أمتي من يصنع ذلك ، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة ، [وستفترق][4] أمتي على ثلاث وسبعين ملة ، كلهم في النار إلا ملة واحدة ، قالوا من هي يارسول الله ؟ قال : [من كان على][5] ما أنا عليه وأصحابي . قال أبو عيسى : هذا حديث مفسّر غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه[6] . قال الترمذي : الإفريقي ضعيف عند أهل الحديث ،

---

(١) تكملة من (جامع الأصول) : ١٠ / ٣٣ . (٢) في (خ) : « عنه » . (٣) في (خ) : « لكان » .

(٤) في (خ) : « وتفترق » ، والتصويب من المرجع السابق .

(٥) تكملة من المرجع السابق ، حديث رقم ٧٤٩١ .

(٦) قوله ﷺ : « ليأتينَّ على أمتي » ، من الإتيان وهي المجيء بسهولة ، وعُدِّى بعلى لمعنى الغلبة المؤدية إلى الهلاك ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ما تذر من شيء أتت عليه ﴾ [الذاريات : ٤٢].

قوله ﷺ : « حذو النعل بالنعل » استعارة في التساوي ، وقيل : الحذو القطع والتقدير أيضاً ، يقال : حذوتُ النعل بالنعل إذا قدرت كل واحدة من طاقاتها على صاحبتها لتكونا على السواء ، ونصبه على المصدر ، أي يحذونهم حذواً مثل حذو النعل بالنعل ، أي تلك المماثلة المذكورة في غاية المطابقة والموافقة ، كمطابقة النعل بالنعل .

قوله ﷺ : « حتى إذا كان منهم من أتى أمه » ، حتى : ابتدائية ، والواقع بعدهُ جملة شرطية ، وإتيان الأم كناية عن الزنا .

قوله ﷺ : « وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين مله » ، سمى ﷺ طريقة كل واحد منهم « ملة » اتساعاً ، وهي في الأصل ما شرع الله لعباده على ألسنة أنبيائه ليتوصلوا به إلى القرب من حضرته تعالى ، ويستعمل في جملة الشرائع دون آحادها ، ولا تكاد توجد مضافة إلى الله تعالى ، ولا إلى آحاد أمة النبي ، بل يقال : ملة محمد ﷺ أو ملتهم كذا ، ثم إنها اتسعت فاستعملت في الملل الباطلة ، لأنهم لما عظم تفرقهم ، وتَدَيَّنَتْ كل فرقة منهم بخلاف ما تَدَيَّن به غيرها ، كانت طريقة كل منهم كالملة الحقيقية في التدين ، فسميت باسمها مجازاً .

وقيل : الملة كل فعل وقول اجتمع عليه جماعة ، وهو قد يكون حقاً ، وقد يكون باطلاً ، والمعنى أنهم يفترقون فرقاً ، تتديّن كل واحدة منها بخلاف ما تتديَّن به الأخرى .

قوله ﷺ : « وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة » ، قيل : فيه إشارة لتلك المطابقة ، مع زيادة هؤلاء في ارتكاب البدع بدرجة . وقوله ﷺ : « إلا ملة » ، بالنصب ، أي إلا أهل ملة ، « قالوا : من هي » ؟ أي تلك الملة أي أهلها الناجية .

قوله : « هذا حديث حسن غريب » ، في سنده عبد الرحمن بن زياد الإفريقي ، وهو ضعيف ، فتحسين الترمذي له لاعتضاده بأحاديث الباب ، وحديث عبد الله بن عمرو هذا أخرجه أيضاً الحاكم

ضعفه يحى بن سعيد القطان وغيره ، وقال أحمد : لا أكتب حديث الإفريقي .

وخرج الترمذي من حديث محمد بن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن علي بن زيد عن سعيد بن [المسيب][1] قال : قال أنس بن مالك رضي الله عنه : قال [لي][2] رسول الله ﷺ : يابني إن قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل ، ثم قال لي : يابني ، وذلك من سنتي ومن [أحيا][3] سنتي فقد [أحياني][4] ومن [أحياني][5] كان معي في الجنة - وفي الحديث قصة طويلة - قال أبو عيسى : هذا حديث غريب من هذا الوجه ، ومحمد بن عبد الله الأنصاري ثقة ، وأبوه ثقة ، وعلي بن زيد صدوق إلا أنه [ربما][6] يرفع الشيء الذي يوقفه

= وفيه : « ما أنا عليه اليوم وأصحابي » .

واعلم أن أصول البدع كما نقل في (المواقف) ثمانية :

[١] **المعتزلة** القائلون بأن العباد خالقوا أعمالهم ، وبنفي الرؤية ، وبوجوب الثواب والعقاب ، وهم **عشرون فرقة** .

[٢] **الشيعة** المفرطون في محبة علي كرم الله وجهه وهم **اثنان وعشرون** فرقة .

[٣] **الخوارج** المفرطة المكفِّرة له رضي الله عنه ، ومن أذنب كبيرة وهم **عشرون** فرقة .

[٤] **المرجئة** القائلة بأن لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، وهي **خمس** فرق .

[٥] **والنجَّارية** الموافقة لأهل السنة في خلق الأفعال ، **فرقة** أيضاً .

[٦] **المعتزلة** في نفي الصفات وحدوث الكلام ، وهم **ثلاث** فرق .

[٧] **والجبرية** القائلة بسلب الاختيار عن العباد **فرقة** واحدة .

[٨] **والمشبهه** الذين يشبهون الحق بالخلق في الجسمية والحلول . **فرقة** أيضاً ، فتلك ثلاث وسبعون فرقه ، والفرقة الناجية هم أهل السنة البيضاء المحمدية ، والطريقة النقية الأحمدية . (تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي) : ٧ / ٣٣٣ - ٣٣٤ ، أبواب الإيمان باب (١٨) افتراق هذه الأمة ، حديث رقم (٢٧٧٧٩) .

وأخرجه أيضا الحاكم في (المستدرك) : ١ / ١٢٩ ، حديث رقم (٤٤٤ / ١٥٥) ذكره في كتاب العلم . قال في التخليص : رواه ثابت بن محمد العابد ، عن الثوري ، عن ابن أنعم الإفريقي ، عن عبد الله بن يزيد عنه . وقال إسماعيل بن أبي أويس : حدثنا كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف بن يزيد ، عن أبيه ، عن جده مرفوعاً : « لتسلكن سنن من قبلكم ، إن بني إسرائيل افترقت .... » الحديث .

(١) ما بين الحاصرتين سقط من (خ) ، وما أثبتناه من صحيح الترمذي .

(٢) ما بين الحاصرتين سقط من (خ) ، وما أثبتناه من صحيح الترمذي .

(٣) في (خ) : « أحب » . (٤) في (خ) : « أحبني » .

(٥) في (خ) : « أحبني » وما أثبتناه من صحيح الترمذي . (٦) زيادة من صحيح الترمذي .

غيره . [قال][1] : وسمعت محمد بن بشار يقول : قال أبو الوليد : قال شعبة : [أخبرنا][1] علي بن زيد وكان رفاعاً ، ولا يعرف لسعيد بن المسيب [عن أنس][2] رواية إلا في هذا الحديث بطوله . وقد روى عباد [بن ميسرة][3] المقبري هذا الحديث عن علي بن زيد عن أنس ولم يذكر فيه عن سعيد بن المسيب ، قال أبو عيسى : وذاكرت محمد بن إسماعيل [ولم][4] يعرفه ، ولم يعرف لسعيد بن المسيب ، عن أنس هذا الحديث ولا غيره ، ومات أنس [بن مالك][5] سنة ثلاث وتسعين ، ومات سعيد بن المسيب بعده بسنتين ، مات سنة خمس وتسعين والله أعلم[6] .

---

(١) زيادة من (خ) ، وفي (خ) : « حدثنا » وما أثبتناه من صحيح الترمذي .

(٢) زيادة من صحيح الترمذي . (٣) في (خ) : « عباد بن ميسرة المقبري » .

(٤) في (خ) : « فلم » . (٥) تكملة من صحيح الترمذي .

(٦) والحديث أخرجه الترمذي في (الجامع الصحيح) في أبواب العلم ، باب الأخذ بالسنة واجتناب البدعة .

قوله : « قال لي » ، أي وحدي أو مخاطباً لي من بين أصحابي ، « يابني » بضم التاء تصغير ابن ، وهو تصغير لطف ومرحمة ، ويدل على جواز هذا لمن ليس ابنه ، ومعناه اللطف ، وأنك عندي بمنزلة ولدي في الشفقة .

قوله : « إن قدرت » ، أي استطعت ، والمراد : اجتهد قد ما تقدر « أن تصبح وتمسي » ، أي تدخل في وقت الصباح والمساء ، والمراد جميع الليل والنهار « ليس في قلبك » الجملة حال من الفاعل ، تنازع فيه الفعلان ، أي وليس كائناً في قلبك « غش » بالكسر ضد النصح ، الذي هو إرادة الخير للمنصوح له .

قوله : « لأحد » وهو عام للمؤمن والكافر ، فإن نصيحة الكافر أن يجتهد في إيمانه ، ويسعى في خلاصه من ورطة الهلاك باليد واللسان ، وللتألف بما يقدر عليه من المال . كذا ذكره الطيبي .

قوله : « فافعل » ، جزاء كناية عما سبق في الشرط ، أي افعل نصيحتك « وذلك » ، أي خلو القلب من الغش ، قال الطيبي : وذلك إشارة إلى أنه رفيع المرتبة أي بعيد التناول « من سنتي » أي طريقتي ، « ومن أحيا سنتي » أي أظهرها وأشاعها بالقول أو العمل ، « فقد أحياني ومن أحياني » كذا في النسخ الحاضرة من الإحياء في المواضع الثلاثة .

وأورد صاحب المشكاة هذا الحديث نقلاً عن الترمذي بلفظ « من أحب سنتي فقد أحبني ، ومن أحبني كان معي في الجنة » ، ومن الإحباب في المواضع الثلاثة ، فالظاهر أنه قد وقع في بعض نسخ الترمذي هكذا ، والله تعالى أعلم .

قال محققه : ولعل المقريزي – رحمه الله – قد نقل من إحدى هذه النسخ ذلك اللفظ الذي حققناه وصوبناه من الرواية الأخرى حسب الهوامش السابقة على متن هذا الحديث .

قوله : « كان معي في الجنة » ، أي معية مقاربة لا معية متحدة في الدرجة ، قال تعالى : **﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن** =

ومخالفة أمر رسول الله ﷺ وتبديل سنته ضلال وبدعة ، يوعد الله تعالى على ذلك بالخذلان والعذاب ، قال تعالى : ﴿ **فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم** ﴾(١) ، وقال : ﴿ **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً** ﴾(٢) .

والآثار المسندة والموقوفة أيضاً كثيرة جداً وفي استيعابها خروج عما نحن بصدده ، وفيما أوردته كفاية إن شاء الله تعالى ، والله سبحانه وتعالى الموفق بمنه .

* * *

= **أولئك رفيقا** ﴾ [النساء : ١٦٩] .

قوله : « وعلي بن زيد صدوق » ، وضعّفه غير واحد من أئمة الحديث ، « وكان رفّاعاً » بفتح الراء وتشديد الفاء ، أي كان يرفع الأحاديث الموقوفة كثيراً « وقد روى عباد » بن ميسرة « المنقري » بكسر الميم وسكون النون ، البصري المعلم ، لين الحديث ، عابد من السابعة « ولا غيره » بالنصب عطف على هذا الحديث .

قوله : « ومات أنس بن مالك سنة ثلاث وتسعين ومات سعيد بن المسيب بعده بسنتين » مقصود الترمذي بهذا أن المعاصرة بين أنس وبين سعيد بن المسيب ثابتة ، فيمكن سماعة منه . (تحفة الأحوذي) : ٧ / ٣٧٠ – ٣٧١ ، أبواب العلم ، باب الأخذ بالسنة واجتناب البدعة ، حديث رقم (٢٨١٨) .

(١) النور : ٦٣ .

(٢) النساء : ١١٥ .

وأما أمر الكافَّة
بالتَّأسي به قولا وفعلاً

فقال تعالى : ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم والآخر** ﴾[1] ، فأمر تعالى بالتأسي به ﷺ أمراً مطلقاً ، لم يستثن من التأسي به شيئاً بخلاف أمره تعالى بالتأسي بإبراهيم عليه [السلام][2] ، فإنه استثنى بالتأسي به ، قال تعالى : ﴿**قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومه إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك** ﴾[3] ، فحثَّ تعالى المؤمنين أن يتأسوا بإبراهيم عليه السلام والذين معه من أنبياء الله فيما ذكر تعالى ، ثم استثنى من التأسي به استغفاره عليه السلام لأبيه ، فنهى المؤمنين عن التأسي به في ذلك . قال ابن أبي نجيح عن مجاهد : ﴿ **إلا قول إبراهيم لأبيه** ﴾ ، قال : نهوا أن يتأسوا به في استغفاره لأبيه ، فيستغفروا للمشركين . وقال مطرف عن مجاهد : ﴿ **أسوة حسنة في إبراهيم** ﴾ إلى قوله : ﴿ **لأ ستغفرن لك** ﴾ يقول تعالى : ائتسوا به في كل شيء ماخلا قوله لأبيه : ﴿ **لأستغفرن لك** ﴾ فلا تأتسوا بذلك منه ، فإنها كانت عن موعدة وعدها إياه .

وقال معمر عن قتادة : يقول : لا تأتسوا بذلك منه فإنه كان عليه موعداً ، وتأسوا بأمره كله . وقال ابن وهب : قال ابن زيد : قول الله تعالى : ﴿ **قد كان لكم أسوة حسنة في إبراهيم** ﴾ إلى قوله : ﴿ **إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك** ﴾ قال : يقول : ليس لكم في هذه أسوة . وقال محمد بن علي الترمذي : الأسوة في الرسول ﷺ الاقتداء به والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول أو فعل .

وقال الإمام محمد بن عمر الرازي : اختلفوا في أن فعل الرسول ﷺ بمفرده ،

---

(١) الأحزاب : ٢١ .
(٢) زيادة للسياق .
(٣) الممتحنة : ٤ .

هل يدل على حكم في حقنا أم لا ؟ على أربعة أقوال :

أحدها : أنه للوجوب وهو قول ابن شريج وأبي سعيد الاصطخري ، وأبي على ابن خيران .

وثانيها : أنه للندب ونسب ذلك إلى الشافعي رحمه الله .

وثالثها : أنه للإباحة وهو قول مالك رحمه الله .

ورابعها : أنه يتوقف على الكل ، وهو قول الصيرفي وأكثر المعتزلة ، وهو المختار لنا ؛ إنا إذا جوّزنا في ذلك الفعل أن يكون ذنباً له ولنا ، وحينئذ لا يجوز لنا فعله ، وإن لم نجوز الذنب عليهم جوزنا كونه مباحاً ومندوباً وواجباً ، وبتقدير أن يكون واجباً جوزنا أن يكون ذلك من خواصه ، وأن لا يكون ، ومع احتمال هذه الأقسام امتنع الجزم بواحد منها ، واحتج القائلون بالوجوب بالقرآن والاجماع والمعقول ؛ أما القرآن : فسبع آيات .

[**أولها**] : قوله تعالى : ﴿ **فليحذر الذين يخالفون عن أمره** ﴾ ، والأمر حقيقة الفعل ، والتحذير عن مخالفة فعله يقتضي وجوب موافقة فعله .

وثانيها : قوله تعالى : ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر** ﴾ ، وهذا يجري مجرى الوعيد فيمن ترك التأسي به ، ولا معنى للتأسي إلا أن يفعل الإنسان مثل فعله .

وثالثها : قوله تعالى : ﴿ **فاتبعوه** ﴾ ، وظاهر الأمر للوجوب ، والمتابعة هي الاتيان بمثل فعله .

ورابعها : قوله تعالى : ﴿ **إن كنتم تحبون الله فاتبعوني** ﴾ ، دلت الآية على أن محبته تعالى مستلزمة للمتابعة ، لكن المحبة واجبة بالاجماع ، ولازم الواجب واجب ، فمتابعه واجبة .

وخامسها : قوله تعالى : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه** ﴾ ، فإذا فعل فعلاً فقد أتانا بالفعل ، فوجب علينا أن نأخذه .

وسادسها : قوله تعالى : ﴿ **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول لعلكم ...** ﴾ ،

دلت الآية بإطلاقها على وجوب طاعة الرسول ، والآتي بمثل ما فعله الغير لأجل أن ذلك الغير فعله طائع لذلك الغير ، فوجب أن يكون ذلك واجباً .

وسابعها : قوله تعالى : ﴿ **فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها** ﴾[1] ، بين أنه تعالى إنما زوجه لها ليكون حكم أمته مساوياً لحكمه في ذلك وهو المطلوب .

وأما الإجماع فلأن الصحابة بأجمعهم اختلفوا في الغسل بالتقاء الختانين ؛ فقالت عائشة رضي الله عنها : فعلته أنا ورسول الله ﷺ فاغتسلنا ، فرجعوا إلى ذلك ، وإجماعهم على الرجوع حجة ، وهو المطلوب .

وإنما كان ذلك لفعل رسول الله ﷺ ، فقد أجمعوا هاهنا على أن مجرد الفعل للوجوب ، ولأنهم واصلوا الصيام لما واصل ، وخلعوا نعالهم لما خلع ، وأمرهم عام الحديبية بالتحلل فتوقفوا ، فشكا ذلك إلى أم سلمة رضي الله عنها فقالت : اخرج إليهم فاحلق واذبح ، ففعل ، فحلقوا وذبحوا مسارعين ، وأنه خلع خاتمه فخلعوا ، وأن عمر رضي الله عنه كان يقبل الحجر الأسود ويقول : إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك لما قبلتك ، وأما خلع الخاتم فهو مباح ، فلما خلع أحبوا موافقته لا لاعتقادهم وجوب ذلك عليهم .

والجواب عن الوجه الأول من المعقول أن الاحتياط إنما يُصار إليه إذا خلا عن الضرر قطعاً ، وهاهنا ليس كذلك لاحتمال أن يكون ذلك الفعل حراماً ، وإذا احتُمل الأمران لم يكن المصير إلى الوجوب احتياطاً .

وعن الثاني إن ترك الإتيان بمثل ما يأتي به الملك العظيم قد يكون تعظيماً ، ولذلك يقبح من العبد أن يفعل كل ما يفعله سيده ، واحتج القائلون بالندب بالقرآن والاجماع والمعقول .

أما القرآن : فقوله تعالى : ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة** ﴾ ، فلو كان التأسي به واجباً لقال عليه ، ولما لم يقل ذلك وقال لكم دل على عدم الوجوب ، ولما أثبت الأسوة دل على رجحان جانب الفعل على الترك ، فلم يكن

---

(١) الأحزاب : ٣٧ .

مباحاً .

وأما الإجماع : فهو أنا رأينا أهل الأمصار متطابقين على الاقتداء في الأفعال بالنبي ﷺ ، وذلك يدل على انعقاد الاجماع على أنه يفيد الندب .

وأما المعقول : فهو أنه يفيد أن فعله إما أن يكون راجح العدم أو مساوي العدم أو مرجوح العدم ، والأول باطل لما ثبت أنه لا يوجد منه الذنب ، والثاني باطل ظاهر ، لأن الاشتغال به عبث ، والعبث مزجور عنه لقوله تعالى : ﴿ **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً** ﴾[1] ، فتعين الثالث ، وهو أن يكون مرجوح العدم .

ثم لما تأملنا أفعاله ﷺ وجدنا بعضها مندوباً وبعضها واجباً ، والقدر المشترك هو رجحان جانب الوجوب وعدم الوجوب ثابت بمقتضى الأصل ، فأثبتنا الرجحان مع عدم الوجوب .

والجواب عن الأول ما تقدم : أن التأسي في إيقاع الفعل على الوجوب الذي أوقعه ، فلو فعله واجباً أو مباحاً وفعلناه مندوباً لما حصل التأسي .

وعن الثاني أنا لا نسلم أنهم استدلوا بمجرد الفعل ، فلعلهم وجدوا مع الفعل قرائن أُخر .

وعن الثالث : لا نسلم أن فعل المباح عبث ، لأن العبث هو الخالي عن العرض ، وإذا حصل في المباح منفعة ناجزة لم يكن عبثاً ، بل من حيث النفع به خرج عن العبث ، فلم قلتم بأنه خليّ عن العرض ، ثم حصول العرض في التأسي بالنبي ﷺ متابعته في أفعاله بيّن ، فلا يعد من أقسام العبث .

واحتج القائلون بالإباحة بأنه لما ثبت أنه لا يجوز صدور الذنب منه ﷺ ثبت أن فعله لا بد وأن يكون مباحاً أو مندوباً أو واجباً ، وهذه الأقسام الثلاثة مشتركه في رفع الحرج عن الفعل ، فأما رجحان جانب الفعل يثبت على وجوده دليلاً لأن الكلام فيه ، وثبت على عدمه دليل ، لأن هذا الرجحان كان معدوماً ، والأصل

---

(١) المؤمنون : ١١٥ .

في كل شيء بقاؤه ، فقد ثبت بهذا أنه لا حرج في فعله قطعاً ، ولا رجحان في فعله ظاهراً ، فهذا الدليل يقتضي في كل أفعاله ﷺ أن يكون مباحاً ترك العمل به في الأفعال التي كونها واجبة أو مندوبة ، فبقى معمولاً به في الباقي ، وإذا ثبت كونه مباحاً ظاهراً وجب أن يكون في حقنا كذلك ، للآية الدالة على وجوب التأسي ترك العمل به فيما إذا كان من خواصه ، فبقى معمولاً به في الباقي .

والجواب هنا : أنه في حقه ﷺ كذلك ، فلم يجب أن يكون في حق غيره كذلك ؟ والله أعلم .

قال جمهور الفقهاء والمعتزلة : التأسّي واجب ، ومعنى ذلك أنا إذا علمنا أن الرسول ﷺ فعل فعلاً على وجه الوجوب فقد تعبدنا أن نفعله على وجه الوجوب ، وإن علمنا أنه مستقل به كنا متعبدين بالتنفل به ، وإن علمنا أنه فعله على وجه الإباحة كنا متعبدين باعتقاد إباحته ، وجاز لنا أن لا نفعله .

وقال أبو علي بن خلاد – تلميذ أبي هاشم من المعتزلة – : نحن متعبدون بالتأسي به في العبادات دون غيرها كالمناكحات والمعاملات ، ومن الناس من أنكر ذلك في الكل ، احتج أبو الحسن بالقرآن والإجماع .

أما القرآن فقوله تعالى : ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة** ﴾ والتأسي بالغير في أفعاله هو أن يفعل على الوجه الذي فعل ذلك الغير ، ولم يفرق الله تعالى بين أفعال النبي ﷺ إذا كانت مباحة أو لم تكن مباحة .

وأما الإجماع : فهو أن السلف رجعوا إلى أزواجه ﷺ في قُبلة الصائم ، وفي من أصبح جنباً لم يفسد صومه ، وفي تزويج النبي ميمونة رضي الله عنها وهو حرام ، وذلك يدل على أن أفعاله لا بد من أن يُمتثل بها في طريقه .

ولقائل أن يقول : على الدليل الأول ، الأمر يفيد التأسي به مرة واحدة ، كما أن قول القائل لغيره : لك في الدار ثوب حسن ، يفيد ثوباً واحداً ، فإن قلت : هذا إن ثبت تم عرضاً من التعبد بالتأسي به ﷺ في الجملة ، ولأنه يفيد إطلاق كون الشيء أسوة لنا ، ولا يطلق وصف الإنسان بأنه أسوة لزيد إلا إذا لم يجز لزيد وصف أن يتبعه إلا في واحد ، وإنما يطلق ذلك أن لو كان ذلك الإنسان لزيد قدوة يهتدي به في

أموره كلها ما خصه الدليل .

قلت : **الجواب عن الأول** : أن أحداً لا ينازع في التأسي به ﷺ في الجملة ، لأنه لما قال : صلوا كما رأيتموني أصلي ، وخذوا عني مناسككم ، فقد أجمعوا على وقوع التأسي به ، والآية مادلت إلا على المرة الواحدة ، فكان التأسي به ﷺ في هذه الصورة كافياً في العمل بالآية ، لا سيما والآية إنما وردت على صيغة الإخبار عما مضى ، وذلك يكفي فيه وقوع التأسي به فيما مضى .

والجواب عن الثاني : أنك إن أردت أنه لا يصح إطلاق اسم الأسوة إلا إذا كان أسوة في كل شيء فهو ممنوع ، ثم يدل على فساده وجهان :

الأول : أنه من يعلم من إنسان نوعاً واحداً من العلم يقال له : إن لك في فلان أسوة حسنة في كل شيء ، ويقال لك في فلان أسوة حسنة في هذا الشيء دون ذاك ولو اقتضى اللفظ العموم لكان الأول تكرار ، والثاني نقصاً ، وإن أردت أنه يصح إطلاق اسم الأسوة إذا كان أسوة في بعض الأشياء فهذا مُسَلّم ، ولكنه ﷺ أسوة لنا في أقواله وأفعاله التي أمرنا بالاقتداء بها كقوله : « صلوا كما رأيتموني أصلي ، وخذوا عني مناسككم » .

والجواب عن الحجة الثانية : أن قوله تعالى : ﴿ **فاتبعوه** ﴾ يطلق في الاتباع فلا يفيد العموم في كل الاتباعات ، والأمر لا يقتضي التكرار ، فلا يفيد العموم في كل الأزمنة ، فإن قلت : ترتب الحكم على الاسم يشعر بأن المسمى علة لذلك الحكم ، فماهية المتابعة علة الأمر بها ، قلت : فعلى هذا لو قال السيد لعبده : اسقني ، يلزمه أن يكون أمراً له يجمع أنواع السقى في كل الأزمنة ، وفي هذه الأمثلة كثرة ، وما ذكرناه في فساد ما قالوا ، وأما الإجماع فقد سبق الكلام عليه ، قال : لما عرفت أن التأسِّي مطابقة المتأَسَّى به في الوجه وجب معرفة الوجه الذي عليه وقع فعل الرسول ﷺ وهو ثلاثة : الندب والإباحة والوجوب .

أما الإباحة فتعرف بطرق أربعة :

أحدها : أن ينص رسول الله ﷺ على أنه مباح .

وثانيها : أن تقع امتثالاً لأنها دالة على الإباحة .

وثالثها : أن تقع بيانا لأنها دالة على الإباحة .

ورابعها : أنه لما ثبت أنه لا ندب ثبت أنه لا حرج عليه في ذلك الفعل ، ويعرف نفي كيفية الوجوب والندب بالبقاء على الأصل ، فحينئذ نعرف كونه مباحاً . أما الندب فيعرف بتلك الثلاثة الأدلة مع أربعة أخرى .

أحدها : أن يعلم من قصده ﷺ أنه قصد القربة بذلك الفعل ، فيعلم أنه راجح الوجود ، ولم يعرف انتفاء الوجوب بحكم الاستصحاب فيثبت الندب .

وثانيها : أن ينص على أنه كان مخيَّراً بين ما فعل وبين فعل ما ثبت أنه ندب ، لأن التخيير لا يقع بين الندب وبين ماليس بندب .

وثالثها : أن يقع قضاء لعبادة كانت مندوبة .

ورابعها : أن يداوم على الفعل ثم يخل به من غير نسخ ، فيكون إدامته ﷺ دليلاً على كونه طاعة ، وإخلاله به من غير نسخ دليل على عدم الوجوب .

وأما الوجوب ، فيعرف بتلك الثلاثة الأول مع خمسة أخرى :

أحدها : الدلالة على أنه كان مخيراً بينه وبين فعل آخر قد ثبت وجوبه ، لأن التخيير لا يقع بين الواجب وماليس بواجب .

وثانيها : أن يكون قضاءً لعبادة ثبت وجوبها .

وثالثها : أن يكون على وقوعه أمارة قد تقرر في الشريعة أنها أمارة الوجوب كالصلاة بأذان وإقامة .

ورابعها : أن يكون جزاء الشرط موجب كفعل ما وجب نذره .

وخامسها : أن يكون لو لم يكن واجباً لم يجز كالجمع بين الركوعين في الكسوف .

قال : الفعل إذا عارضه معارض ، فمعارض فعله ﷺ إما أن [يكون] قولاً

---

(١) زيادة للسياق .

أو فعلاً ، أما القول : فإما أن يُعلم أن المقدم هو القول أو الفعل ، ولا يُعلم واحد منهما .

أما القسم الأول : وهو أن يكون المتقدم هو القول والفعل المعارض إما أن يحصل عقيبه أو متراخيا عنه ، فإن كان متعاقباً له فإما أن يكون القول متناولاً له خاصة ، أو لأُمّته خاصة ، أَوْ لَهُ ولهم معاً ، لا يجوز أن يتناوله خاصة إلا على قول من يُجَوِّز نسخ الشيء قبل حضور وقته ، فإن تناول أمته خاصة وجب المصير إلى القول دون الفعل ، وإلا لكان القول لغواً ولا يلغو الفعل لأن حكمه ثابت في الرسول ﷺ ، وإن كان الخطاب يعمه وإياهم ، ذلك فعله على أنه مخصوص من القول ، وأمته داخلة فيه لا محالة وإن كان الفعل متراخياً عن القول ، فإن كان القول عاماً لنا وله صار مقتضاه منسوخاً عنا وعنه ، وإن تناول ما دونه كان ناسخاً عنا دونه ، لأن القول لم يتناوله ، وإن تناوله دوننا كان منسوخاً عنه دوننا ، ثم يلزمنا مثل فعله لوجوب التأسي به .

القسم الثاني : أن يكون هو الفعل ، فالقول المعارض له إما أن يحصل عقيبه أو متراخيا عنه ؛ فإن كان متعقبا : فإما أَنْ يكون الفعل متناولاً له خاصة ، أو لأمته خاصة ، أو عاماً فيه وفيهم ، فإن كان متناولاً له خاصة وقد كان الفعل المتقدم على لزوم مثله لكل مكلف في المستقبل فيصير ذلك القول المخصص به مخصصاً له عن ذلك العموم ، وإن كان متناولاً لأمته خاصة ، دل على أن حكم الفعل مختص به دون أمته ، وإن كان عاماً فيه وفيهم دلّ سقوط حكم الفعل عنه [و][1] عنهم ، وأما إن كان القول متراخياً عن الفعل ؛ فإن كان القول متناولاً له ولأمته فيكون القول ناسخاً لحكم الفعل عنه وعن أمته ، أو يتناول أمته دونه فيكون منسوخاً عنهم دونه أو يتناوله دون أمته ، فيكون منسوخاً عنه دون أمته .

القسم الثالث : إذا لم يعلم تقدم أحدهما على الآخر فهاهنا يقدم القول على الفعل ويدل عليه وجهان .

---

(١) زيادة للسياق .

أحدهما : أن القول أقوى من الفعل ، والأقوى راجح ، إنما قلنا أنه موافق لأن دلالة القول تستغني على الفعل ، ودلالة الفعل لا تستغني عن القول ، والمستغني أقوى من المحتاج .

والثاني : أنا نقطع بأن القول قد يتناولها ، وأما الفعل فبتقدير أن [يتراخى][1] كان متناولاً لنا معلوم ، وبتقدير أن يتناولنا [أو][2] لا يتناولنا ، وكون [الفعل][2] متناولاً لنا معلوم ، وكون الفعل متناولاً لنا مشكول ، والمعلوم مقدم لنا [على][2] المشكول .

فرع : نهى رسول الله ﷺ عن استقبال القبلة واستدبارها في قضاء الحاجة ، ثم جلس في البيت لقضاء الحاجة مستقبل بيت المقدس ، فعند الشافعي - رحمه الله - أن نهيه مخصوص بفعله حتى يجوز استقبال القبلة واستدبارها في البيوت لكل أحد ، وعند الكرخي : يجب إجراء النهي على إطلاقه في الصحراء والبنيان ، وكان ذلك من خواص النبي ﷺ ، وتوقف القاضي عبد الجبار في المسألة .

وحجة الشافعي : أن النهي عام ومجموع الدليل الذي يوجب علينا أن نفعل مثل فعل الرسول ﷺ مع كونه مستقبل القبلة في البنيان عند قضاء الحاجة أخص من ذلك النهي ، والخاص مقدم على العام ، فوجب القول بالتخصيص ، أما إذا كان الفعل للفعل فعلاً آخر ، فذاك على وجهين .

الأول : أن يفعل الرسول ﷺ فعلاً فيعلم بالدليل أن غيره مكلف به ثم نراه بعد ذلك قد أقر الناس على فعل ضده ، فنعلم أنه خارج منه .

الثاني : إذا علمنا أن ذلك الفعل مما يلزم أمثاله للرسول ﷺ في مثل تلك الأوقات مالم يرد ناسخ ، ثم يفعل ﷺ ضده في مثل ذل الوقت ، فنعلم أنه قد نسخ عنه .

تنبيه : التخصيص والنسخ في الحقيقة إنما لحقا مادلّ على أن ذلك الفعل لازم لغيره ، فإنه لازم له في مستقبل الأوقات ، وإنما يقال : أن ذلك الفعل قد لحقه

---

(١) في (خ) « يتراخا » .

(٢) زيادة للسياق .

النسخ ، يعني أنه قد زال التعبد بمثله ، فإن التخصيص قد لحقه على معنى أن المكلفين لا يلزمهم مثله والله أعلم . وأنه قال في جواب [من سأل][1] أم سلمة رضي الله عنها عن قبلة الصائم : ألا أخبرتيه أني أقبّل وأنا صائم ، وأما المعقول فمن وجهين :

الأول : أن الاحتياط يقتضي حمل الشيء على أعظم مراتبه ، وأعظم مراتب فعل الرسول ﷺ أن يكون واجباً عليه وعلى أمته ، فوجب حمله عليه ببيان الأول أن الاحتياط يتضمن دفع ضرر الخوف عن النفس بالكلية ، ودفع الضرر واجب ببيان الثاني ، أن أعظم مراتب الفعل أن يكون واجباً على الكل .

الثاني : أنه لا نزاع في وجوب تعظيم الرسول ﷺ في الجملة ، وإيجاب الاتيان بمثل فعله تعظيم له بدليل العرف ، والتعظيمان مشتركان في هذا القدر من المناسبة ، فيجمع بينهما بالقدر المشترك فيكون ورود الشرع بإيجاب ذلك التعظيم يقتضي وروده بأن يجب على الأمة الإتيان بمثل فعله ، والجواب عن الأول : أنا لا نسلم أن الأمر حقيقة في الفعل ، فليس حمله على ذلك بأولى من حمله على هذا سلمناه ، لكن هاهنا ما يمنع حمله على الفعل من وجهين : الأول أن تقدم ذكر الدعاء وذكر المخالفة ، وذكر الدعاء يمنع منه ، فإن الانسان إذا قال لعبده : لا تجعل دعائي كدعاء غيري واحذر مخالفة أمري ، فهم منه أنه أراد بالأمر القول الثاني ، وهو أنه قد أُريد به القول بالاجماع ، ولا يجوز حمله على الفعل ، إلا أن اللفظ المشترك لا يجوز حمله على معنييه سلمنا ذلك ، ولكنها راجعة إلى الله تعالى لأنه أقرب المذكورين ، فإن قلت : القصد هو الحث على اتباع الرسول ﷺ لأنه تعالى قال : ﴿ **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً** ﴾[2] ، فحث بذلك على الرجوع إلى أقواله وأفعاله ، ثم عقب ذلك بقوله : ﴿ **فليحذر الذين يخالفون عن أمره** ﴾[2] ، فعلمنا أنه حث بذلك على التزام ما كان دعاء الله من الرجوع إلى أمر النبي ﷺ ، وأيضا فلم لا يجوز الحكم بصرف الكناية إلى الله والرسول ؟ قلت : **الجواب عن الأول** صرف الضمير إلى الله تعالى مؤكد لهذا الغرض أيضاً ، ولأنه لما حثّ على الرجوع إلى أقوال الرسول وأفعاله

---

(١) مابين القوسين مثبت في هامش (خ) .

(٢) النور : ٦٣

ثـم حـذر عن مخـالفة أمـر الله تعالى كـان ذلك تأكيداً لما هو المقصود من متابعة الرسول ﷺ .

وعن الثاني : أن الهاء كناية عن واحد ، فلا يجوز عودهُ إلى الله تعالى وإلى الرسول معاً ، سلمنا عود الضمير إلى الرسول فلم قلت أن الاتيان بمثل فعله مخالفة لأمره . فإن قلت يدل عليه أمران :

الأول : أن المخالفة ضد الموافقة ، لكن موافقة الغير هو أن يفعل مثل فعله ، فمخالفته هو أن لا يفعل مثل فعله .

الثاني : وهو أن المعقول من المختلفين هما اللذان لا يقوم أحدهما مقام الآخر ، والعدم والوجود لا يقوم أحدهما مقام الآخر بوجه أصلاً ، فكانا في غاية المخالفة ، فثبت أن عدم الإتيان بمثل فعله مخالف للإتيان بمثل فعله من كل الوجوه .

قلت : هب أنها في أصل الوضع كذلك ، لكنها في عرف الشرع ليست كذلك ، ولهذا لا يسمى إخلال الحائض بالصلاة مخالفة للمسلمين ، بل هي عبارة عن عدم الإتيان بمثل فعله إذا كان الإتيان به واجباً ، وعلى هذا لا يسمى ترك مثل فعل النبي ﷺ مخالفة إلا إذا فعله على الوجوب ، وإذا بينا ذلك بهذا لزم الدور وهو محال .

والجواب عن الثاني : لم قلتم أن الإتيان بمثل فعل الغير مطلقا يكون تأسياً به ، بل عندنا كما يشترط في التأسي المساواة في الصورة يشترط فيه المساواة في الكيفية ، حتى لو صام واجباً فتطوعنا بالصوم لم نكن متأسيين به ، وعلى هذا لا يكون مطلق فعل الرسول ﷺ سببا للوجوب في حقنا لأن فعله قد لا يكون واجباً فيكون فعلنا إياه على سبيل الوجوب قادحاً في التأسي به .

فالجواب عن الثالث : أن قوله تعالى : ﴿ **فاتبعوه** ﴾ ، إما أن لا يفيد العموم أو يفيد ؛ فإن كان الأول سقط التمسك به ، وإن كان الثاني فبتقدير أن لا يكون ذلك الفعل واجباً عليه وعلينا ، وجب أن نعتقد فيه أيضاً هذا الاعتقاد ، فالحكم بالوجوب يناقضه ، فوجب أن لا يتحقق ، وهذا هو الجواب عن التمسك بقوله تعالى :

﴿ **فاتبعوني** ﴾[1] .

والجواب عن الخامس : لا نسلم أن قوله تعالى : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه** ﴾[2] يتناول الفعل ، ويدل عليه وجهان .

الأول : أن قوله تعالى : ﴿ **وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾[2] على أنه عني بقوله : ﴿ **ما آتاكم** ﴾ ما أمركم .

الثاني : أن الإتيان إنما يتأتى بالقول لأنا نحفظه ، وامتثاله يصير كأننا أخذناه ، فكأنه ﷺ أعطاناه .

والجواب عن السادس : أن الطاعة هي الإتيان بالمأمور به أو بالمراد على اختلاف المذهبين ، فلم قلت : أن مجرد فعل الرسول ﷺ يدل على أنّا أمرنا بمثله أو أُريد منا مثله ؟ والجواب عن الإجماع من وجوه .

الأول : أن هذه آحاد ولا تفيد العلم ، ولهم أن يقولوا : هب أنها تفيد الظن ، لكن ما حصل ظن كونه دليلاً ترتب عليه ظن ثبوت الحكم ، فيكون العمل به دافعاً للضرر المظنون فيكون واجباً ، إلا أن أكثر هذه الأخبار واردة في الصلاة والحج ، فلعله ﷺ كان قد بين لهم أن شرعه وشرعهم سواء في هذه الأمور ، قال ﷺ : « صلوا كما رأيتموني أصلي » ، وعليه خرج مسألة التقاء الختانين[3] ، وقال : « خذوا عني مناسككم » ، وعليه يقبل عمر رضي الله عنه الحجر ، وقال : « هذا وضوئي ووضوء الأنبياء قبلي » .

وأما عن الوصال[4] : فإنهم ظنوا لما أمرهم بالصوم واشتغل معهم به أنه قصد بفعله بيان الواجب ، فرد عليهم ظنهم وأنكر عليهم الموافقة .

وأما خلع النعل : فلا نعلم أنهم فعلوا ذلك واجباً ، وأيضاً لا يمتنع أن يكونوا

---

(١) آل عمران : ٣١ . (٢) الحشر : ٧ .

(٣) بوجوب الغسل من الإكسال ، والإكسال : هو الجماع بدون إنزال .

(٤) الوصال لغة : يكون في عفاف الحب ودعارته (ترتيب القاموس) جـ ٤ ص ٦٢٠ ، وشرعاً : تتابع الصوم من غير إفطار بالليل . قال (الخطابي) في (معالم السنن) : الوصال من خصائص ما أبيح لرسول الله ﷺ ، وهو محظور على أمته . راجع (عون المعبود شرح سنن أبي داود) جـ ٦ ص ٤٨٧ .

لما رأوه قد خلع نعله مع قوله تعالى : ﴿ **خذوا زينتكم عند كل مسجد** ﴾[1] ظنوا أن خلعها مأمور به غيرهم ، لأنه لو كان مباحاً ما ترك له المستنون في الصلاة على أنه ﷺ قال لهم : لم خلعتم نعالكم ؟ فقالوا : لأنك خلعت نعلك ، فقال : إن جبريل أخبرني أن فيهما أذى ، فبين بهذا أنه ينبغي أن يعرفوا الذي وقع عليه فعله ﷺ ثم يتبعوه ، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

* * *

(١) الأعراف : ٣١ .

وأما اقتران
اسم النبي ﷺ باسم الله تعالى

فإنه سبحانه قرن اسمه تعالى باسمه ﷺ في كتابه العزيز عند ذكر طاعته ومعصيته ، وفرائضه وأحكامه ، ووعده ووعيده ، قال الله تعالى : ﴿ **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول** ﴾[١] ، وقال : ﴿ **وأطيعوا الرسول واحذروا** ﴾[٢] ، وقال : ﴿ **يطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله** ﴾[٣] ، وقال : ﴿ **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله** ﴾[٤] ، وقال : ﴿ **استجيبوا لله وللرسول** ﴾[٥] ، وقال : ﴿ **ومن يعص الله ورسوله** ﴾[٦] ، وقال : ﴿ **إن الذين يؤذون الله ورسوله** ﴾[٧] ، وقال : ﴿ **براءة من الله ورسوله** ﴾[٨] ، وقال : ﴿ **وأذان من الله ورسوله** ﴾[٩] ، وقال : ﴿ **ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله** ﴾[١٠] ، وقال : ﴿ **ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله** ﴾[١١] ، وقال : ﴿ **إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله** ﴾[١٢] ، وقال : ﴿ **ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله** ﴾[١٣] ، [وقال] : ﴿ **ومن يشاقق الله ورسوله** ﴾[١٤] ، وقال : ﴿ **قل الانفال لله وللرسول** ﴾[١٥] ، وقال : ﴿ **فردوه إلى الله وإلى الرسول** ﴾[١٦] ، وقال : ﴿ **ولو أنهم رضوا ما أنزل الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله** ﴾[١٧] ، وقال : ﴿ **فإن لله خمسه وللرسول** ﴾[١٨] ، وقال : ﴿ **وما نقموا إلا أن أغناهم الله**

---

(١) النساء : ٥٩ . (٢) المائدة : ٩٢ . وفي (خ) ﴿ **وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين** ﴾ .
(٣) التوبة : ٧١ ، وفي (خ) ﴿ **ورسوله أولئك** ﴾ .
(٤) التوبة : ٦٢ . (٥) الأنفال : ٢٤ . (٦) الأحزاب : ٣٦ .
(٧) الأحزاب : ٥٧ . (٨) التوبة : ١ . (٩) التوبة : ٣ .
(١٠) التوبة : ٦٣ . (١١) التوبة : ١٦ . وفي (خ) ﴿ **يحاد الله ورسوله** ﴾ .
(١٢) المائدة ٣٣ . (١٣) التوبة : ٢٩ .
(١٤) الأنفال : ١٣ . (١٥) الأنفال : ١ . (١٦) النساء : ٥٩ .
(١٧) التوبة : ٥٩ . (١٨) الأنفال : ٤١ .

ورسوله من فضله ﴾[١] ، **وقال : ﴿ وقعد الذين كذبوا الله ورسوله ﴾**[٢] ، وقال : ﴿ **أنعم الله عليه وأنعمت عليه** ﴾[٣] ، فقرن تعالى اسمه الكريم باسم رسوله محمد في جميع الأحكام والأصول ، تعظيماً لقدره وتشريفاً له على غيره ﷺ .

* * *

(١) التوبة : ٧٤ . (٢) التوبة : ٩٠ . (٣) الأحزاب : ٣٧ .

وأما تقدم نبوته ﷺ
قبل تمام خلق آدم عليه السلام

فخرج الترمذي من حديث الوليد بن مسلم قال : حدثنا الأوزاعي ، حدثنا يحي بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قالوا : يارسول الله ! متى وجبت لك النبوة ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد[1] ، قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب من حديث أبي هريرة لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، هذا آخر كلام الترمذي .

وقد رواه عباد بن جويرية عن الأوزاعي مرسلاً ، واختلف على الوليد بن مسلم فيه ، فرواه بعضهم عنه مرسلاً ، ورواه بعضهم عنه فأسنده كما تقدم ذكره .

ولأبي نعيم من حديث إبراهيم بن طهمان عن بديل عن ميسرة ، عن عبد الله بن شقيق عن ميسرة الفجر قال : متى كنت يارسول الله نبياً ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد[1] .

وله من حديث حجاج بن مبهال ، حدثنا حماد بن سلمة عن خالد الحذاء عن عبد الله بن شقيق عن رجل أنه سأل النبي ﷺ : متى كنت نبياً ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد . كذا رواه حماد ولم يسم ميسرة ، وتابعه عليه عن خالد الحذاء وَهْب بن خالد[1] .

ولأبي نعيم من حديث عمرو بن واقد ، عن عروة بن رويم[2] ، عن الصنابحي قال عمر رضي الله عنه : متى جعلت نبياً ؟ قال : وآدم منجدل في الطين .

وله من حديث نصر بن مزاحم ، حدثنا قيس بن الربيع عن جابر عن الشعبي ،

---

(١) سبق تخريج هذه الأحاديث والتعليق عليها .
(٢) عروة بن رويم اللخمي أبو القاسم الأردني ، قال ابن أبي حاتم عن أبيه : عامة أحاديث مرسلة .

عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قيل : يارسول الله ! متى كنت نبيا ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد . تفرد به نصر بن مزاحم .

وله من حديث أبي بكر بن أبي مريم عن سعيد بن سويد ، عن العرباض بن سارية قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إني عبد الله في أم الكتاب وخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته .

وفي رواية : أنا عبد الله خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته . وفي رواية : إني عبد الله مكتوب بخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته . وفي رواية : إني عبد الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته(١) .

وخرجه الحاكم من حديث عثمان بن سعيد الدارمي قال : قلت لأبي اليمان : حدثك أبو بكر بن أبي مريم الغساني عن سعيد بن سويد عن العرباض بن سارية السلمي قال : سمعت النبي ﷺ يقول : إني عبد الله في أول الكتاب بخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته ، وسآتيكم بتأويل ذلك دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى قومه ، ورُؤيا أمي بي التي رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد(٢) .

وخرج أبو نعيم من حديث سعيد عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث(٣) .

وفي الصحيحين(٤) من حديث أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال : قال

---

(١) (دلائل النبوة لأبي نعيم) جـ ١ ص ٨ - ٩ ، وفي (خ) « بخاتم »

(٢) (المستدرك للحاكم) جـ ٢ ص ٦٠٠ وله شاهد على صحته ص ٦٠٩ .

(٣) سبق تخريجه وشرحه .

(٤) ذكره البخاري في كتاب الجمعة ، باب (٢) هل على من لم يشهد الجمعة غُسل من النساء والصبيان وغيرهم ؟ وقال ابن عمر : إنما الغسل على من تجب عليه الجمعة ، حديث رقم (٨٩٦) : حدثنا مسلم ابن إبراهيم قال : حدثنا وُهَيْبٌ قال : حدثنا ابن طاوس عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « نحن الآخِرون والسابقون يوم القيامة ، أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم ، فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله ، فغداً لليهود ، وبعد غدٍ للنصارى » فسكت . (٨٩٧) : ثم قال : « حق على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يوماً يغسل فيه رأسه وجسده » . =

رسول الله ﷺ : « نحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة » الحديث . وله طرق[1] ، قال أبو نعيم : وكان ﷺ آخرهم في البعث ، وبه ختمت النبوة ، وهو

وأخرجه مسلم من كتاب الجمعة باب (٦) هداية هذه الأمة ليوم الجمعة ، حديث رقم (١٩) : وحدثنا عمرو الناقد ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن أبي الزناد عن الأعرج ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « نحن الآخرون ونحن السابقون يوم الجمعة ، بيد أن كل أمة أوتيت الكتاب من قبلنا ، وأوتيناه من بعدهم ، ثم هذا اليوم الذي كتبه الله علينا ، هدانا الله له ، فالناس لنا فيه تبع ، اليهود غدا ، والنصارى بعد غد .

وحدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان ، عن أبي الزناد عن الأعرج ، عن أبي هريرة وابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « نحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة » بمثله .

وحديث رقم (٢٠) : حدثنا قتيبة بن سعيد ، وزهير بن حرب قالا : حدثنا جرير عن الأعمش ، عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ، ونحن أول من يدخل الجنة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، وأوتيناه من بعدهم فاختلفوا ، فهدانا الله له ، قال يوم الجمعة ، فاليوم لنا ، وغداً لليهود ، وبعد غد للنصارى »

قوله ﷺ : « نحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة » ، قال العلماء : معناه الآخرون في الزمان والوجود ، السابقون بالفضل ودخول الجنة ، فتدخل هذه الأمة الجنة قبل سائر الأمم .

قوله ﷺ : « بيد أن كل أمة أوتيت الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم » ، هو بفتح الباء الموحدة وإسكان المثناه تحت ، قال أبو عبيد : لفظه « بيد » تكون بمعنى غير ، وبمعنى على ، وبمعنى من أجل ، وكله صحيح هنا ، ويقال : « ميد » بمعنى « بيد » .

قوله ﷺ : « هذا اليوم الذي كتبه الله علينا هدانا الله له » ، فيه دليل لوجوب الجمعة ، وفيه فضيلة هذه الأمة . قوله ﷺ : « اليهود غداً » ، أي عيد اليهود غدا ، لأن ظروف الزمان لا تكون أخباراً عن الجثث فيقدر فيه معنى يمكن تقديره خبراً .

قوله ﷺ : « فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه هدانا الله » ، قال القاضي : الظاهر أنه فرض عليهم تعظيم يوم الجمعة بغير تعيين ، ووكل إلى اجتهادهم لإقامة شرائعهم فيه ، فاختلف اجتهادهم في تعيينه ، ولم يهدهم الله له ، وفرضه على هذه الأمة مبيناً ، ولم يكله إلى اجتهادهم ، ففازوا بتفضيله . قال : وقد جاء أن موسى عليه السلام أمرهم بالجمعة ، وأعلمهم بفضلها فناظروه أن السبت أفضل ، فقيل له : دعهم .

قال القاضي : ولو كان منصوصاً لم يصح اختلافهم فيه ، بل كان يقول : خالفوا فيه . قال الإمام النووي : ويمكن أن يكون أُمروا به صريحاً ، ونصَّ على عينه ، فاختلفوا فيه ، هل يلزم تعيينه أم لهم إبداله ، وأبدلوه وغلطوا في إبداله . (مسلم بشرح النووي) : ٦ / ٣٩١ ، كتاب الجمة ، باب (٦) هداية هذه الأمة ليوم الجمعة ، حديث رقم (١٩) ، (٢٠) ، (٢١) .

(١) باقي طرق الحديث في المرجع السابق ، حديث رقم (٢٢) ، (٢٣) ، كلها بسياقات قريبة من بعضها مع التقديم والتأخير والزيادة والنقصان لكن بمعنى واحد ، وذكره أبو نعيم في (الدلائل) : ١ / ٤٩ ، باب ماروي في تقديم نبوته ﷺ قبل خلق آدم عليه السلام ، حديث رقم (١١) ، والنسائي في الجمعة ، باب إيجاب يوم الجمعة ، حديث رقم (١٣٦٦) .

....

= قال الحافظ السيوطي : قوله ﷺ : « نحن الآخرون » ، أي الآخرون زمانا ، الأولون منزلة ، والمراد أن هذه الأمة وإن تأخر وجودها في الدنيا عن الأمم الماضية ، فهي سابقة لهم في الآخرة ، بأنهم أول من يُحشروا ، وأول من يُحاسَب ، وأول من يُقضى بينهم ، وأول من يدخل الجنة .

وقيل : المراد بالسبق إحراز فضيلة اليوم السابق بالفضل ، وهو يوم الجمعة ، وقيل المراد به السبق إلى القبول والطاعة التي حرمها أهل الكتاب فقالوا : ﴿ سمعنا وعصينا ﴾ ، والأول أقوى . « بيد » بموحدة ثم تحتية ساكنه مثل « غير » وزناً ، ومعنىً ، وإعراباً ، وبه جزم الخليل والكسائي ، ورجحه ابن سيدة . وروى ابن أبي حاتم في مناقب الشافعي رحمه الله ، عن الربيع ، عنه ، أن معنى « بيد » من أجل ، وكذا ذكره ابن حبان والبغوي ، عن المزني عن الشافعي ، وقد استبعده القاضي عياض ، ولا بعد فيه .

والمعنى إنا سبقنا بالفضل إذ هدينا للجمعة ، مع تأخرنا في الزمان ، بسبب أنهم ضلوا عنها مع تقدمهم . ويشهد لهم ما في (فوائد المقري) بلفظ : نحن الآخرون في الدنيا ، ونحن أول من يدخل الجنة ، لأنهم أوروثوا الكتاب من قبلنا . وقال الراوي : هي بمعنى « على » أو « مع » .

قال القرطبي : إن كانت بمعنى « غير » فنصب على الاستثناء ، وإن كانت بمعنى « مع » ، فنصب على الظرف ، وقال الطيبي : هي للاستثناء ، وهي من باب تأكيد المدح بما يشبه الذم . « أنهم أوتوا الكتاب قبلنا » اللام للجنس ، والمراد التوراة والإنجيل : « وأوتيناه » المراد الكتاب ، مراداً به القرآن ، « وهذا اليوم الذي كتب الله عليهم » ، أي فرض عليهم تعظيمه ، « فاختلفوا فيه » ، قال ابن بطال : ليس المراد أن يوم الجمعة فرض عليهم بعينه فتركوه ، لأنه لا يجوز لأحد أن يترك ما فرض الله عليه وهو مؤمن ، وإنما يدل والله تعالى أعلم على أنه فرض عليهم يوم الجمعة ووكل على اختيارهم ليقيموا فيه شريعتهم ، فاختلفوا في أي الأيام هو ، ولم يهتدوا ليوم الجمعة .

وقال النووي : يمكن أن يكونوا أُمروا به صريحاً فاختلفوا ، هل يلزم تعيينه أم يسوغ إبداله بيوم آخر ، فاجتهدوا في ذلك فأخطؤا . وقد روى ابن أبي حاتم عن السدّي ، في قوله تعالى : ﴿ إنما جُعل السبت على الذين اختلفوا فيه ﴾ ، قال : إن الله فرض على اليهود يوم الجمعة فأبوا وقالوا : ياموسى إن الله لم يخلق يوم السبت شيئاً فاجعله لنا ، فجعله عليهم .

قوله ﷺ : « اليهود غداً والنصارى بعد غد » ، قال القرطبي « غداً » منصوب على الظروف ، وهو متعلق بمحذوف تقديره : اليهود يعظمون غداً وكذا بعد غدٍ ولابد من هذا التقدير لأن ظرف الزمان لا يكون خبراً عن الجثة ، وقدر ابن مالك تقييد اليهود غداً . (حاشية الحافظ السيوطي على سنن النسائي) : ٣ / ٩٥ - ٩٦ ، كتاب الجمعة ، باب إيجاب الجمعة ، حديث رقم (١٣٦٦) .

وقال الإمام السندي : قوله ﷺ : « نحن الآخرون السابقون » ، أي الآخرون زماناً في الدنيا ، الأولون منزلة وكرامة يوم القيامة ، والمراد أن هذه الأمة وإن تأخر وجودها في الدنيا عن الأمم الماضية ، فهي سابقة إياهم في الأخرة ، بأنهم أول من يُحشر ، وأول من يُحاسب ، وأول من يُقضى بينهم ، وأول من يدخل الجنة .

وقيل : المراد بالسبق إحراز فضيلة اليوم السابق بالفضل ، وهو يوم الجمعة ، وقيل : المراد بالسبق إلى القبول والطاعة التي حُرمها أهل الكتاب فقالوا : ﴿ سمعنا وعصينا ﴾ .

قوله ﷺ : « أوتوا الكتاب » ، اللام للجنس ، فيحمل بالنسبة إليهم على كتابهم ، وبالنسبة إلينا =

السابق يوم القيامة لأنه أول مكتوب في النبوة ، ففي هذا الخبر الفضيلة العظيمة لرسول الله ﷺ ، لما أوجب الله تعالى له النبوة قبل تمام خلق آدم الذي هو أبو البشر ، ويحتمل أن يكون هذا الايجاب هو ما أعلم الله ملائكته ما سبق في علمه وقضائه من بعثته ﷺ في آخر الزمان ، فمن حاز هذه الفضيلة حق له الصبر على مواصلة الدعوة واحتمال الأذية ممن ردها ، وإعظام من قبلها ، واستفراغ الوسع في احتمال كل عارض وشدة وبلوى تعرض دون إقامتها ، إذ الفضيلة سابقة على فضائل من تقدمه من الأنبياء في العهد والخلق الأول .

وقال بعض العارفين بالله : لما خلق الله الأرواح المدبرة للأجسام عند حركة الفلك أول ما خلق الزمان بحركته ، كان أول ما خلق روح محمد ﷺ ، ثم صدرت الأرواح الفلكية عن الحركات الفلكية ، فكان لها وجود في عالم الغيب دون عالم الشهادة ، وأعلمه الله بنبوته ، وآدم لم يكن إلا كما قال بين الماء والطين ، فاقتضى قوله : « كنت نبياً وآدم بين الماء والطين » أن يكون وجوده حقيقة ، فإنه لا يكون العدم بين أمرين موجودين لانحصاره ، والمعدوم لا يوصف بالحصر في شيء ، ثم انتهى الزمان في حقه عليه السلام إلى وجود جسمه وارتباط الروح به ، فظهر محمد ﷺ بكليته جسماً وروحاً ، فكان له الحكم أولاً باطناً في جميع ماظهر من الشرائع على أيدي الأنبياء والرسل عليهم السلام ، ثم صار له الحكم ظاهراً فنسخ كل شرع وإن كان المشرع واحداً ، وهو صاحب الشرع ، فإنه قال : « كنت نبياً » .. ،

= على كتابنا ، وهذ بيان زيادة شرف لنا ، أي فصار كتابنا ناسخاً لكتابهم ، وشريعتنا ناسخة لشريعتهم ، وللناسخ فضل على المنسوخ ، فهو من باب تأكيد المدح بما يشبه الذم .

أو المراد بيان أن هذا يرجع إلى مجرد تقدمهم علينا في الوجود ، وتأخرنا عنه فيه ، ولا شرف لهم فيه ، أو هو شرف لنا أيضا من حيث قلة انتظارنا أمواتاً في البرزخ ، ومن حيث حيازة المتأخر علوم المتقدم دون العكس ، فقولهم الفضل للتقدم ليس بكلي . قوله ﷺ : « وهذا اليوم » ، الظاهر أنه أوجب عليهم يوماً بعينه والعبادة فيه ، فاختاروا لأنفسهم أن يبدل الله لهم يوم السبت ، فأجيبوا إلى ذلك ، وليس بمستبعد من قوم قالوا لنبيهم : ﴿ **اجعل لنا إلٰهاً** ﴾ .

قوله ﷺ : « فهدانا الله » ، بالثبات عليه حين شرع لنا العبادة فيه ، « اليهودُ غداً » أي يعبدون الله في يوم الجمعة . فأخذ المصنف قوله : « كتب الله » ، الوجوب ، والظاهر أن الحكم بالنظر إلى واحد ، فحيث إن ذلك الحكم هو الوجوب بالنسبة إلى قوم تعين أنه الوجوب بالنظر إلى الآخرين ، والله تعالى أعلم (المرجع السابق) .

ما قال : كنت إنساناً ، ولا كنت موجوداً ، وليست النبوة إلا بالشرع المقرر من عند الله ، فأخبر أنه صاحب النبوة قبل وجود الأنبياء في الدنيا كما تقرر فيما تقدم ، فكانت استدارته إليها دورته بالاسم الباطن ، وابتداء دورة أخرى بالاسم الظاهر ، فقال ﷺ : « إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض »[1] ؛

---

(١) ذكره البخاري في مواضع متفرقة من صحيحه يتمم بعضها بعضاً ، لكن أخرجه مسلم بتمامه في كتاب القسامة باب (٩) تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال ، حديث رقم (٢٩) : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، ويحى بن حبيب الحارثي « وتقاربا في اللفظ » قالا : حدثنا عبد الوهاب الثقفي ، عن أيوب ، عن ابن سيرين ، عن ابن أبي بكرة ، عن أبي بكرة ، عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب شهر مُضَر ، الذي بين جمادي وشعبان ، ثم قال : أي شهر هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : أليس ذا الحجة ، قلنا : بلى ، قال : فأي بلد هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : أليس البلدة ؟ قلنا : بلى ، قال : فأي يوم هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : أليس يوم النحر ؟ قلنا : بلى يارسول الله ، قال فإن دماءكم وأموالكم قال محمد : وأحسبه قال : وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا ، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، فلا ترجعن بعدي كفاراً – أو ضُلالاً – يضرب بعضكم رقاب بعض ، ألا ليبلغ الشاهد الغائب ، فلعل بعض من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه ، ثم قال : ألا هل بلغت » ؟ قال ابن حبيب في روايته : « ورجب مضر » وفي رواية أبي بكر : « فلا ترجعوا بعدي » .

قوله ﷺ : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حُرُم ، ثلاث متواليات ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب شهر مُضَر ، الذي بين جمادي وشعبان » ، أما ذو القعدة ، فبفتح القاف ، وذو الحجة بكسر الحاء ، هذه اللغة المشهورة ، ويجوز في لغة قليلة كسر القاف وفتح الحاء ، وقد أجمع المسلمون على أن الأشهر الحرم الأربعة هي هذه المذكورة في الحديث ، ولكن اختلفوا في الأدب المستحب في كيفية عدّها ، فقالت طائفة من أهل الكوفة وأهل الأدب ، يقال : المحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة ، ليكون الأربعة من سنة واحدة ، وقال علماء المدينة والبصرة ، وجماهير العلماء ، هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ، ثلاثة سرد ، وواحد فرد ، وهذا هو الصحيح الذي جاءت به الأحاديث الصحيحة ، منها هذا الحديث الذي نحن فيه ، وعلى هذا الاستعمال أطبق الناسُ من الطوائف كلها .

وأما قوله ﷺ : « ورجب شهر مضر الذي بين جمادي وشعبان » ، وإنما قيّده هذا التقييد مبالغة في إيضاحه ، وإزالة للبس عنه ، قالوا : وقد كان بين بني مضر وبين ربيعة اختلاف في رجب ، فكانت مضر تجعل رجباً هذا الشهر المعروف الآن ، وهو الذي بين جمادي وشعبان ، وكانت ربيعة تجعله رمضان ، فلهذا أضافه النبي ﷺ إلى مضر .

وقيل : لأنهم كانوا يعظمونه أكثر من غيرهم ، وقيل : إن العرب كانت تسمي رجباً وشعبان =

الرجبين ، وقيل كانت تسمى جمادي ورجباً جمادين ، وتسمى شعبان رجباً .
وأما قوله ﷺ : « إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض » ، فقال العلماء : معناه أنهم في الجاهلية يتمسكون بملة إبراهيم ﷺ في تحريم الأشهر الحرم ، وكان يشق عليهم تأخير القتال ثلاثة أشهر متواليات ، فكانوا إذا احتاجوا إلى قتال أخروا تحريم المحرم إلى الشهر الذي بعده ، وهو صفر ، ثم يؤخرونه في السنة الأخرى إلى شهر آخر ، وهكذا يفعلون في سنة بعد سنة ، حتى اختلط عليهم الأمر ، وصادفت حجة النبي ﷺ تحريمهم ، وقد تطابق الشرع ، وكانوا في تلك السنة قد حرَّموا ذا الحجة لموافقة الحساب الذي ذكرناه ، فأخبر النبي ﷺ أن الاستدارة قد صادفت ما حكم الله تعالى به يوم خلق السموات والأرض .
وقال أبو عبيد : كانوا ينسؤن أي يؤخرون ، وهو الذي قال الله تعالى فيه : ﴿ **إنما النسيء زيادة في الكفر** ﴾ ، فربما احتاجوا إلى الحرب في المحرم ، فيؤخرون تحريمه إلى صفر ، ثم يؤخرون صفر في سنة أخرى ، فصادف تلك السنة رجوع المحرم إلى موضعه .
قوله : « ثم قال : أي شهر هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : أليس ذا الحجة ؟ قلنا : بلى ، قال : فأي بلد هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم .. إلى آخره » ، هذا السؤال ، والسكوت ، والتفسير ، أراد به التفخيم ، والتقرير ، والتنبيه على عظم مرتبه هذا الشهر ، والبلد ، واليوم ، وقولهم : « الله ورسوله أعلم » ، هذا من حسن أدبهم ، وأنهم علموا أنه ﷺ لا يخفى عليه ما يعرفونه من الجواب ، فعرفوا أنه ليس المراد مطلق الإخبار بما يعرفون .
قوله ﷺ : « فإن دماءكم ، وأموالكم ، وأعراضكم ، حرام عليكم ، كحرمة يومكم هذا ، في بلدكم هذا ، في شهركم هذا » . المراد بهذا كله بيان توكيد غليظ تحريم الأموال والدماء ، والأعراض ، والتحذير من ذلك .
قوله ﷺ : « لا ترجعوا بعدي كُفَّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » ، قيل في معناه سبعة أقوال :

[١] أن ذلك كفر في حق المستحل بغير حق .

[٢] المراد كفر النعمة ، وحق الإسلام .

[٣] أنه يقرب من الكفر ، ويؤدي إليه .

[٤] أنه فعل كفعل الكفار .

[٥] المراد حقيقة الكفر ، ومعناه : لا تكفروا ، ودوموا مسلمين .

[٦] حكاه الخطابي وغيره ، أن المراد بالكفار : المتكفرون بالسلاح ، يقال : تكفَّر الرجل بسلاحه إذا لبسه . قال الأزهري في كتاب (تهذيب اللغة) : يقال للابس السلاح كافر .

[٧] قال القاضي عياض رحمه الله : ثم إن الرواية « يضربُ » برفع الباء ، هكذا هو الصواب ، وكذا رواه المتقدمون والمتأخرون ، وبه يصح المقصود هنا .

ونقل القاضي عياض رحمه الله ، أن بعض العلماء ضبطه بإسكان الباء . قال القاضي : وهو إحالة للمعنى ، والصواب الضم ، قال الإمام النووي : وكذا قال أبو البقاء العكبري : إنه يجوز جزم الباء على تقدير شرط مضمر ، أي إن ترجعوا يضربْ ، والله تعالى أعلم .

يعني في نسبة الحكم لنا ظاهراً كما كان في الدورة الأولى منسوباً إلينا باطنا ، وإن كان في الظاهر منسوباً لمن نُسب إليه من الأنبياء ، ولما كانت العرب تنسيء[1] في الشهور فترى المحرَّم منها حلالاً والحلال منها محرَّماً ، جاء محمد رسول الله ﷺ برد الزمان إلى أصله الذي حكم إليه به عند خالقه ، فبين الحرم من الشهور على حد ما خلقها الله

= وأما قوله ﷺ : « لا ترجعوا بعدي كفاراً » ، فقال القاضي : قال الصبري : معناه بعد فراقي من موقفي هذا ، وكان هذا يوم النحر بمنى في حجة الوداع ، أو يكون بعدي أي خلافي ، أي لا تخلفوني في أنفسكم بغير الذي أمرتكم به ، أو يكون تحقق ﷺ أن هذا لا يكون في حياته ، فنهاهم عنه بعد مماته .

قوله ﷺ : « ليبلغ الشاهد منكم الغائب » ، فيه وجوب تبليغ العلم ، وهو فرض كفاية ، فيجب تبليغه بحيث ينتشر .

قوله ﷺ : « فلعل بعض من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه » ، احتج به العلماء لجواز رواية الفضلاء وغيرهم من الشيوخ الذين لا علم لهم عندهم ولا فقه ، إذا ضبط ما يحدث به . (مسلم بشرح النووي) : ٢ / ٤١٥ – ٤١٦ ، كتاب الإيمان ، باب (٢٩) بيان معنى قول النبي ﷺ : « لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » ، حديث رقم (١١٨) ، (المرجع السابق) : ١١ / ١٨٠ ، كتاب القسامة ، باب (٩) . تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال ، حديث رقم (٢٩) .

(١) **النسيء** : يقال نَسَأْهُ وأَنْسَأَهُ ، إذا أخّره ، حكاه الكسائي . قال تعالى : ﴿ **إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرَّم الله فيحلوا ما حرَّم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين** ﴾ .

قال الجوهري وأبو حاتم : النسيء فعيل بمعنى مفعول ، من نسأتُ الشيء فهو منسوء إذا أخّرته ، ثم حوِّل إلى نسيء ، كما حُوِّل مقتول إلى قتيل . ورجل ناسيء ، وقوم نسأة ، مثل فاسق وفسقة .

وقيل : النسيء مصدر من أنسأ ، كالنذير من أنذر ، والنكير من أنكر ، وهو ظاهر قول الزمخشري لأنه قال : النسيء تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر .

وقال الطبريّ : النسيء بالهمز معناه الزيادة . قال أبو حيان : فإذا قلت : أنسأ الله أجله بمعنى أخّر ، لزم من ذلك الزيادة في الأجل ، فليس النسيء مرادفاً للزيادة ، بل قد يكون منفرداً عنها في بعض المواضع . وإذا كان النسيء مصدراً كان الإخبار عنه بمصدر واضحاً ، وإذا كان بمعنى مفعول فلابد من إضمار إما في النسيء أي : إن نسأ النسيء ، أو في زيادة ، أي : ذو زيادة . وبتقدير هذا الإضمار يرد على ما يرد على قوله . ولا يجوز أن يكون فعيلاً بمعنى مفعول ، لأنه يكون المعنى : إنما المؤخر زيادة ، والمؤخر الشهر ، ولا يكون الشهر زيادة في الكفر .

وأخبر أن النسيء زيادة في الكفر ، أي جاءت مع كفرهم بالله ، لأن الكافر إذا أحدث معصية ازداد كفراً . قال تعالى : ﴿ **فزادتهم رجساً إلى رجسهم** ﴾ [التوبة : ١٢٥] ، كما أن المؤمن إذا أحدث طاعة ازداد إيماناً . قال تعالى : ﴿ **فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون** ﴾ [التوبة : ١٢٤] ، وأعاد الضمير في ﴿ **به** ﴾ على النسيء ، لا على لفظ ﴿ **زيادة** ﴾ . =

عليه ، فلهذا قال : « إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق السموات والأرض » ، كذلك استدار الزمان فأظهر محمداً ﷺ جسماً وروحاً ، فنسخ[1] من شرعه المتقدم ما أراد أن ينسخ منه . وأبقى ما أراد الله أن يبقي عليه ، وذلك النَّسخ في الأَحكام لا في الأصول ، ولما كان ظهوره ﷺ [بالميزان][2] وهو العدل في الكون وهو معتدل حار رطب كان زمان ملته متصلاً بالآخرة ، وكان العلم في أمته أكثر مما كان في الأوائل ، وأُعطي ﷺ علم الأولين وعلم الآخرين ، فكان الكشف في هذه الأمة

= وقرأ ابن مسعود والأخوان وحفص : ﴿ يضل ﴾ مبنياً للمفعول ، وهو مناسب لقوله : ﴿ زين ﴾ ، وباقي السبعة مبنياً للفاعل . وابن مسعود في رواية ، والحسن ومجاهد ، وقتادة ، وعمرو بن ميمون ، ويعقوب : ﴿ يضل ﴾ أي الله ، أي يضل به الذين كفروا أتباعهم .

ورويت هذه القراءة عن الحسن ، والأعمش ، وأبي عمرو ، وأبي رجاء . وقرأ أبو رجاء : ﴿ يَضَل ﴾ بفتحتين ، من ضَلِلتُ بكسر اللام ، أضلُّ بفتح الضاد منقولاً ، فتحها من فتحة اللام ، إذ الأصل أضلل . وقرأ النخعي ومحبوب عن الحسن : ﴿ نُضِلّ ﴾ بالنون المضمومة وكسر الضاد ، أي فضل نحن .

ومعنى تحريمهم عاماً وتحليله عاماً : لا يُراد أن ذلك كان مداولة في الشهر بعينه ، عام حلال وعام حرام ، وقد تأول بعض الناس القصة على أنهم كانوا إذا شقَّ عليهم توالي الأشهر الحرم ، أحل لهم المحرم ، وحرم صفراً بدلاً من المحرم ، ثم مشت الشهور مستقيمة على أسمائها المعهودة ، فإذا كان من قابل ، حرّم المحرم على حقيقته ، وأحلَّ صفر ، ومشت الشهور مستقيمة ، وإن هذه كانت حال القوم .

وقال ابن عباس ، وقتادة ، والضحاك : الذين شرعوا النسيء هم بنو مالك من كنانة ، وكانوا ثلاثة .

وعن ابن عباس : إن أول من فعل ذلك عمرو بن لحيّ ، وهو أول من سيب السوائب وغيَّر دين إبراهيم عليه السلام . وقال الكلبي : أول من فعل ذلك رجل من بني كنانة يقال له : نعيم بن ثعلبة .

والمواطأة : الموافقة ، أي ليوافقوا العدة التي حرَّم الله ، وهي الأربعة ولا يخالفونها ، وقد خالفوا التخصيص الذي هو أصل الواجبين . والواجبان هما العدد الذي هو أربعة ، في أشخاص أشهر معلومة ، وهي رجب وذو القعدة ، وذو الحجة والمحرم . يقال : تواطؤوا على كذا ، إذا اجتمعوا عليه ، كأن كل واحد منهم يطأ حيث يطأ صاحبه . ومن الإيطاء في الشعر ، وهو أن يأتي في الشعر بقافيتين على لفظ واحد ومعنى واحد .

قال ابن عطية : ليحفظوا في كل عام أربعة أشهر في العدد ، فأزالوا الفضيلة التي خصَّ بها الأشهر الحرم وحدها ، بمثابة أن يفطر رمضان ، ويصوم شهراً من السنة بغير مرض أو سفر . باختصار من (البحر المحيط) : ٥ / ٤١٦ – ٤١٨ .

(١) النسخ إبطال الشيء وإقامة آخر مكانه ؛ وفي التنزيل : ﴿ **ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها** ﴾ ؛ والآية الثانية ناسخة والأولى منسوخة ، والشيء ينسخ الشيء أي يزيله ويكون مكانه . (لسان العرب) : ٣ / ٦١ .

(٢) في (خ) « بالميراث » ، وما أثبتناه أجود للسياق .

أكثر مما كان في غيرها ، لغلبة البرد واليبس على سائر الأمم قبلنا ، وإن كانوا أذكياء وعلماء فآحاد مهم معينون بخلاف الأمة المحمدية ؛ ألا ترى كيف ترجمت هذه الأمة جميع علوم الأمم ، ولو لم يكن المترجم عالماً بالمعنى الذي دل عليه لفظ المتكلم به لما صح أن يكون مترجماً ، ولا كان ينطبق على ذلك اسم الترجمة ، فقد علمت هذه الأمة علم من تقدم ، واختصت بعلوم لم تكن للمتقدمين ، ولهذا أشار ﷺ بقوله : « فعلمت علم الأولين » ، وهم الذين تقدموه ، ثم قال : « وعلم الآخرين » ، وهو علم ما لم يكن عند المتقدمين ، وهو ما تعلمته أمته من بعده إلى يوم القيامة ، فقد أخبر عليه السلام أن عندنا علوماً لم تكن قبل ، فقد ثبت له ﷺ السيادة في الدنيا في العلم ، وثبت له أيضاً السيادة في الحكم حيث قال : « لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني » ، وتبين ذلك عند نزول عيسى عليه السلام ، وحكمه فينا بالقرآن ، فصحّت لنبينا محمد ﷺ السيادة في الدنيا بكل وجه ومعنى .

ثم أثبت له السيادة على سائر الناس يوم القيامة بفتحه باب الشفاعة ، ولا يكون ذلك [لنبي في[1] يوم القيامة] إلا له ﷺ ، فقد شفع ﷺ في الرسل والأنبياء أن تشفع ، نعم ، وفي الملائكة ، فأذن الله تعالى عند شفاعته عليه السلام في ذلك لجميع من له شفاعة من ملك ورسول ونبي ومؤمن أن يشفع ، فهو ﷺ أول شافع بإذن الله تعالى ، وأرحم الراحمين ، أخرج من النار من لم يعمل خيراً قط كما ورد في الحديث الصحيح ، فأي شرف أعظم من دائرة تدار يكون آخرها أرحم الراحمين ، وآخر الدائرة متصل بأولها ، ولا شرف أعظم من شرف محمد ﷺ ، حيث كان ابتداء الأشياء ، وبه كملت ، وما أعظم شرف المؤمن حيث ثلث شفاعته بشفاعة أرحم الراحمين ، فلا دائرة أوسع من دائرة محمد ﷺ ، فإن له الإحاطه – [ولأمته بحكم التبعية فلها الاحاطة][2] – بسائر الأمم ، ولذلك كانوا شهداء على الناس[3] .

---

(1) في (خ) « ولا يكون ذلك لنبي إلا في يوم القيامة » ، وهو خطأ من الناسخ .

(2) ما بين القوسين من هامش (خ) .

(3) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس ﴾ [الحج : ٧٨] .

[وأعطى][1] الله محمداً ﷺ ما لم يعط غيره ، فمن ذلك القرآن لم يبدل [ولم يحرف][2] ، ولا نسخت شريعته بل ثبتت محفوظة ، واستقرت بكل عين ملحوظة ، يُستشهد بها على كل طائفة ، وخُصّ ﷺ بعلم الأولين والآخرين ، وبالتؤدة والرفق والرحمة ﴿ **وكان بالمؤمنين رحيماً** ﴾[3] ، وما غلظ على من غلظ إلا بالأمر الإلهي حين قيل له ﴿ **جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم** ﴾[4] ، فصحت له السيادة على العالم بما تقرر ، فإنه لم يحصل لغيره .

قال تعالى : ﴿ **يحرفونه من بعد ما عقلوه** ﴾[5] ، وقال : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾[6] ، فلذلك ثبت القرآن ولم يحرف ، وكذا علمه الإحاطي لم يكن لغيره ممن تقدمه . ومما خص به : السيف الذي بُعث به ، وقتال الملائكة معه ، فإن ذلك لم يكن لغيره ، وهو من رتبة الكمال ، وبعث من قوم ليس لهم هَمّ إلا في قرى الضيفان ونحر الجزور ، والقتال الدائم الذي لم يكن في غيرهم من الناس ، وبهذا ولهذا كانوا يتمدحون كما هو معروف في أشعارهم ، ولا خفاء عند كل أحد بفضل العرب على العجم بالكرم والشجاعة ، وإن كان في العجم كرماء وشجعان كما في العرب بخلاء وجبناء لكن آحاد ، والكلام يقع في الغالب لا في النادر ، فهذا أمر لا ينكره أحد .

ومما اختُص به ﷺ أنه حببت إليه النساء[7] ، فإن حبهن بكون الله تعالى حببهن إليه ، فكان يحبهن . ومن سنته النكاح لا التبتل ، وجعل النكاح عبادة ، وحبب إليه أيضا الطيب[7] .

---

(1) في (خ) « وأعطا » . (2) في (خ) « ولا حَرْف » . (3) الأحزاب : ٤٣ .

(4) التوبة : ٧٣ ، التحريم : ٩ . (5) البقرة : ٧٥ . (6) الحجر : ٩ .

(7) أخرجه النَّسائيُّ في كتاب عِشْرة النساء ، باب (1) ، حب النساء ، حديث رقم (٣٩٤٩) : حدثنا الشيخ الإمام أبو عبد الرحمن النَّسائيُّ قال : أخبرنا الحسين بن عيسى القَوْمَسيُّ قال : حدثنا عفان بن مسلم قال : حدثنا سلّام أبو المنذر عن ثابت ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « حُبِّبَ إليَّ من الدنيَا النساءُ والطِّيبُ ، وجُعِلَ قرةُ عيني في الصلاة » . وحديث رقم (٣٩٥٠) : أخبرنا عليّ بن مسلم الطوسيّ قال : حدثنا سيَّار قال : حدثنا جعفر قال : حدثنا ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « حُبِّبَ إليَّ النّساءُ والطيبُ ، وجعلتْ قُرَّةُ عيني في الصلاة » .

قال الحافظ السيوطي : قال بعضهم : في هذا قولان : أحدهما : أنه زيادة في الابتلاء والتكليف ، =

. . . .

= حتى يلهو بما حبب إليه من النساء ، عما كلف من أداء الرسالة ، فيكون ذلك أكثر لمشاقه وأعظم لأجره .

والثاني : لتكون خلواته مع ما يشاهدها من نسائه ، فيزول عنه ما يرميه به المشركون من أنه ساحر أو شاعر ، فيكون تحببهن إليه على وجه اللطف به ، وعلى القول الأول على وجه الابتلاء ، وعلى القولين فهو له فضيلة .

وقال التستري في (شرح الأربعين) : « من » في هذا الحديث بمعنى « في » ، لأن هذه من الدين لا من الدنيا ، وإن كانت فيها . والإضافة في رواية « دنياكم » للإيذان بأن لاعلاقة له بها .

وفي هذا الحديث : إشارة إلى وفائه ﷺ بأصلي الدين ، وهما التعظيم لأمر الله ، والشَّفَقَة على خلق الله ، وهما كمالُ لقوَّتيه ، النظرية والعملية ، فإن كمال الأولى بمعرفة الله ، والتعظيم دليل عليها ، لأنه لا يتحقق بدونها ، والصلاة لكونها مناجاة الله تعالى على ما قال ﷺ : « المصلي يناجي ربه » ، نتيجة التعظيم على ما يلوح من أركانها ووظائفها .

وكمال الثانية في الشفقة وحُسن المعاملة مع الخَلْق ، وأَوْلى الخَلْق بالشفقة بالنسبة إلى كل واحد من الناس ، نفسه وبدنه ، كما قال ﷺ : « أبدأ بنفسك ثم بمن تعول » ، والطيب أخص الذات بالنفس ، ومباشرة النساء أَلذّ الأشياء بالنسبة إلى البدن ، مع ما يتضمن من حفظ الصحة ، وبقاء النسل المستمر لنظام الوجود ، ثم إن معاملة النساء ، أصعب من معاملة الرجال ، لأنهن أرق ديناً ، وأضعف عقلاً ، وأضيق خلقاً ، كما قال ﷺ : « ما رأيت من ناقصات عقل ودين ، أذهَبُ للُبّ الرجل الحازم منكن » .

فهو عليه الصلاة والسلام أحسن معاملتهن بحيث عوتب بقوله تعالى : ﴿ **تبتغي مرضاة أزواجك** ﴾ ، وكان صدور ذلك طبعاً لا تكلفاً ، كما يفعل الرجل ما يحبه من الأفعال ، فإذا كانت معاملته معهن هذا ، فماظنك بمعاملته مع الرجال ، الذين هم أكمل عقلاً ، وأمثل ديناً ، وأحسن خُلُقاً ؟ .

وقوله ﷺ : « وجعلت قرة عيني في الصلاة » ، إشارة إلى أن كمال القوة النظرية أهم عنده وأشرف في نفس الأمر ، وأما تأخيره فللتدرج التعليمي من الأدنى إلى الأعلى ، وقدم الطيب على النساء ، لتقدم حظ النفس على حظ البدن في الشرف .

وقال الحكيم الترمذي في (نوادر الأصول) : الأنبياء زيدوا في النكاح لفضل نبوتهم ، وذلك أن النور إذا امتلأ منه الصدر ، ففاض في العروق ، التذت النفس والعروق ، فأثار الشهوة وقوَّاها .

وروى عن سعيد بن المسيب أن النبيين عليهم الصلاة والسلام ، يُفَضَّلون بالجماع على الناس ، وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « أُعطيتُ قوة أربعين رجلاً في البطش والنكاح ، وأعطى المؤمن قوة عشرة » ، فهو بالنبوّة ، والمؤمن بإيمانه ، والكافر له شهوة الطبيعة فقط .

قال : وأما الطيبُ فإنه يزكي الفؤاد ... وروى أحمد والترمذي من حديث أبي أيوب قال : قال رسول الله ﷺ : « أربع من سنن المرسلين : التعطّر ، والحياء ، والنكاح ، والسواك » . وقال الشيخ تقي الدين السبكي : السرُّ في إباحة نكاح أكثر من أربع لرسول الله ﷺ ، أن الله تعالى أراد نقل بواطن الشريعة وظواهرها ، وما يُستَحيا من ذكره ، وما لا يستحيا منه ، وكان رسول الله ﷺ أشدّ الناس حياءً ، فجعل الله تعالى له نسوة ، ينقلن من الشرع ما يرينه من أفعاله ، ويسمعنه من أقواله ، التي قد يستحي من الإفصَاح بها بحضرة الرجال ، ليكتمل نقل الشريعة ، وكثر عدد النساء ليكثر الناقلون لهذا =

واختص أيضاً بإعجاز القرآن ، وأُعطي جوامع الكلم ، ولم يعط ذلك نبي قبله ، واعطي كما قال : ستاً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبله : بعث إلى الناس كافة فعمت رسالته ، ونصر بالرعب ، وأُحلت له ولأمته الغنائم ، وجعلت له ولأمته الأرض مسجداً وتربتها طهوراً ، ومما خُصَّ به أن أعطاه الله مفاتيح خزائن الأرض ، وخَصَّه بصورة الكمال فكملت به الشرائع وكان خاتم الأنبياء ، ولم يكن ذلك

= النوع ، ومنهن عُرف مسائل الغُسل ، والحيض ، والعدة ، ونحوها .

قال : ولم يكن ذلك لشهوة منه في النكاح ، ولا كان يحب الوطء للذة البشرية ، معاذ الله ، وإنما حُبِّبَ إليه النساء لنقلهن عنه ما يستحي هو من الإمعان في التلفظ به ، فأحبهن لما فيه من الإعانة على نقل الشريعة في هذه الأبواب.

وأيضاً فقد نقلن ما لم ينقله غيرهن مما رأينه في منامه ، وحال خلوته ، من الآيات البينات على نبوته ، ومن جِدِّه ، واجتهاده في العبادة ، ومن أمورٍ يشهد كل ذي لُب أنها لا تكون إلا لنبي ، وما كان يشاهدها غيرهن ، فحصل بذلك خير عظيم .

وقال الموفق عبْد اللطيف البغدادي : لما كانت الصلاة جامعة لفضائل الدنيا والآخرة ، خصَّها بزيادة صفة ، وقدَّم الطيب لإصلاحه النفس ، وثنَّي بالنساء لإماطة أذى النفس بهن ، وثلَّث بالصلاة لأنها تحصل حينئذ صافية عن الشوائب ، خالصة من الشواغل . (سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي) : ٧ / ٧٢ - ٧٣ .

وقال الإمام السندي : قوله ﷺ : « حُبِّبَ إليّ من الدنيا النساء » ، قيل : إنما حُبب إليه النساء لينقلن عنه ما لا يطلع عليه الرجال من أحواله ، ويُستحيا من ذكره .

وقيل : حُبب إليه زيادة في الابتلاء في حقه ، حتى لا يلهو بما حُبب إليه من النساء عما كلف به من أداء الرسالة ، فيكون أكثر لمشاقه ، وأعظم لأجره ، وقيل غير ذلك .

وأما الطيب ، فكأنه يحبه لكونه يناجي الملائكة ، وهم يحبون الطيب ، وأيضاً هذه المحبة تنشأ من اعتدال المزاج ، وكمال الخلقة ، وهو ﷺ أشدُّ اعتدالاً من حيث المزاج ، وأكمل خلقة .

وقوله ﷺ : « قرة عيني في الصلاة » ، إشارة إلى أن تلك المحبة ، غير ما نعقله عن كمال المناجاة مع الرب تبارك وتعالى ، بل هو مع تلك المحبة منقطع إليه تعالى ، حتى أنه بمناجاته تقر عيناه ، وليس له قريرة العين فيما سواه .

فمحبته الحقيقية ليست إلا لخالقه تبارك وتعالى ، كما قال : ﷺ : « لو كنت متخذاً أحداً خليلاً لاتخذتُ أبا بكر ، وإن صاحبكم لخليل الرحمن » - أو كما قال -

وفيه إشارة إلى أن محبة النساء والطيب إذا لم يكن مخلاً لأداء حقوق العبودية ، بل للانقطاع إليه تعالى ، يكون من الكمال ، وإلا يكون من النقصان ، فليتأمَّل .

وعلى ما ذكر ، فالمراد بالصلاة ، هي ذات ركوع وسجود ، ويحتمل أن المراد في صلاة الله تعالى عليَّ ، أو في أمر الله تعالى الخلق بالصلاة عليَّ . والله تعالى أعلم . (المرجع السابق) : ٧٣ - ٧٤ .

لغيره[1] .

---

(١) هذا الحديث أخرج البخاري في كتاب التيمم ، باب (١) ، حديث رقم (٣٣٥) : أخبرنا سيار قال : حدثنا يزيد الفقير قال : أخبرنا جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال : « أُعْطِيتُ خمساً لم يعطهن أحدٌ قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيُّما رجلٍ من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأُحِلَّتْ لي المغانم ولم تَحِلَّ لأحد قبلي ، وأُعطِيتُ الشفاعة ، وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة ، وبُعثتُ إلى الناس عامة » .

قوله : « حدثنا يزيد الفقير » ، هو ابن صهيب يكني أبا عثمان ، التابعي مشهور ، قيل له الفقير لأنه كان يشكو فقار ظهره ، ولم يكن فقيراً من المال ، قال صاحب المحكم : رجل فقير مكسور فقار الظهر ، ويقال له : فقير بالتشديد أيضاً .

فائدة : مدار حديث جابر هذا على هشيم بهذا الإسناد ، وله شواهد من حديث ابن عباس وأبي موسى وأبي ذر ، من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، رواها كلها أحمد بأسانيد حسان .

قوله ﷺ : « لم يُعطهن أحد قبلي » ، زاد في كتاب الصلاة عن محمد بن سنان : « من الأنبياء » ، وفي حديث ابن عباس : « لا أقولهن فخراً » ، ومفهومه أنه لم يختص بغير الخمس المذكورة ، لكن روى مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعاً : « فضلت على الأنبياء بست » ، فذكر أربعاً من هذه الخمس ، وزاد ثنتين كما سيأتي بعد .

وطريق الجمع أن يقال : لعله اطلع أولا على بعض ما اختص به ، ثم اطلع على الباقي ، ومن لا يرى مفهوم العدد حجة يدفع هذا الإشكال من أصله . وظاهر الحديث يقتضي أن كل واحدة من الخمس المذكورات لم تكن لأحد قبله ، وهو كذلك .

ولا يعترض بأن نوحاً عليه السلام ، كان مبعوثاً إلى أهل الأرض بعد الطوفان ، لأنه لم يبق إلا من كان مؤمناً معه ، وقد كان مُرسلاً إليهم ، لأن هذا العموم لم يكن في أصل بعثته ، وإنما اتفق بالحادث الذي وقع ، وهو انحصار الخلق في الموجودين بعد هلاك سائر الناس ، وأما نبينا ﷺ فعموم رسالته من أصل البعثة ، فثبت اختصاصه بذلك .

وأما قول أهل الموقف لنوح كما صح في حديث الشفاعة : « أنت أول رسول إلى أهل الأرض » ، فليس المراد به عموم بعثته ، بل إثبات أولية إرساله ، وعلى تقدير أن يكون مراداً فهو مخصوص بتنصيصه سبحانه وتعالى في عدة آيات ، على أن إرسال نوح كان إلى قومه ، ولم يذكر أنه أُرسل إلى غيرهم .

واستدل بعضهم لعموم بعثته بكونه دعا على جميع من في الأرض ، فأُهلكوا بالغرق إلا أهل السفينة ، ولو لم يكن مبعوثاً إليهم لما أهلكوا ، لقوله تعالى : ﴿ **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا** ﴾ ، وقد ثبت أنه أول الرسل .

وأجيب بجواز أن يكون غيره أُرسل إليهم في أثناء مدة نوح ، وعلم نوح بأنهم لم يؤمنوا ، فدعا على من لم يؤمن من قومه ومن غيرهم فأُجيب ، وهذا جواب حسن ، لكن لم يُنقل أنه نُبِّيء في زمن نوح غيره .

ويحتمل أن يكون معنى الخصوصية لنبينا ﷺ في ذلك بقاء شريعته إلى يوم القيامة ، ونوح وغيره بصدد أن يبعث نبي في زمانه ، أو بعده ، فينسخ بعض شريعته ، ويحتمل أن يكون دعاؤه قومه إلى التوحيد ، بلغ بقية الناس ، فتمادوا على الشرك فاستحقوا العذاب ، وإلى هذا نحا ابن عطيه في تفسيره =

سورة هود قال :

وغير ممكن أن تكون نبوَّته لم تبلغ القريب والبعيد لطول مدته ، ووجَّهه ابن دقيق العيد بأن توحيد الله تعالى يجوز أن يكون عامّاً في حق بعض الأنبياء ، وإن كان التزام فروع شريعته ليس عاماً ، لأن منهم من قاتل غير قومه على الشرك ، ولو لم يكن التوحيد لازماً لهم لم يقاتلهم .

ويحتمل أنه لم يكن في الأرض عند إرسال نوح إلا قوم نوح ، [وهذا الاحتمال الأخير أظهر مما قبله ، لقول الله تعالى : ﴿ **وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن** ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ **وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديّاراً** ﴾] فبعثته خاصة لكونها إلى قومه فقط ، وهي عامة في الصورة لعدم وجود غيرهم ، لكن لو اتفق وجود غيرهم لم يكن مبعوثا إليهم .

وغفل الداودي الشارح غفلة عظيمة فقال : قوله : « لم يعطهن أحد » يعني لم تجمع قبله ، لأن نوحاً بعث إلى كافة الناس ، وأما الأربع فلم يُعط أحد واحدة منهن . وكأنه نظر في أول الحديث وغفل عن آخره ، لأنه نص ﷺ على خصوصيته بهذه أيضاً لقوله : « وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة » ، وفي رواية مسلم : « وكان كل نبي » .

قوله ﷺ : « نُصرت بالرعب » ، زاد أبو أُمامة : « يقذف في قلوب أعدائي » ، أخرجه الإمام أحمد .

قوله ﷺ : « مسيرة شهر » ، مفهومه أنه لم يوجد لغيره النصر بالرعب في هذه المدة ولا في أكثر منها ، أما ما دونها فلا ، لكن لفظ رواية عمرو بن شعيب : « ونصرتُ على العدو بالرعب ، ولو كان بيني وبينهم مسيرة شهر » ، فالظاهر اختصاصه به مطلقاً ، وإنما جعل الغاية شهراً ، لأنه لم يكن بين بلده وبين أحد من أعدائه أكثر منه ، وهذه الخصوصية حاصلة له على الإطلاق ، حتى لو كان وحده بغير عسكر ، وهل هي حاصلة لأمته من بعده ؟ فيه احتمال .

قوله ﷺ : « وجعلت لي الأرض مسجداً » ، أي موضع سجود ، لا يختص السجود منها بموضع دون غيره ، ويمكن أن يكون مجازاً عن المكان المبني للصلاة ، وهو من مجاز التشبيه ، لأنه لما جازت الصلاة في جميعها ، كانت كالمسجد في ذلك .

قال ابن التين : قيل : المراد جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وجعلت لغيري مسجداً ، ولم تجعل له طهوراً ، لأن عيسى عليه السلام ، كان يسبح في الأرض ، ويصلي حيث أدركته الصلاة ، كذا قال ، وسبقه إلى ذلك الداودي .

وقيل : إنما أبيحت لهم في موضع يتيقنون طهارته ، بخلاف هذه الأمة ، فأبيح لها في جميع الأرض ، إلا فيما يتيقنوا نجاسته ، والأظهر ما قاله الخطابي ، وهو أن من قبله إنما أبيحت لهم الصلوات في أماكن مخصوصة ، كالبيع والصوامع ، ويؤيده رواية عمرو بن شعيب بلفظ : « وكان من قبلي إنما يصلون في كنائسهم » ، وهذا نص في موضع النزاع ، فثبتت الخصوصية ، ويؤيده ما أخرجه البزار من حديث ابن عباس نحو حديث الباب فيه : « ولم يكن من الأنبياء أحد يصلي حتى يبلغ محرابه » .

قوله ﷺ : « وطهوراً » ، استُدِلّ به على أن الطهور هو المطهر لغيره ، لأن الطهور لو كان المراد به الطاهر لم تثبت الخصوصية ، والحديث إنما سيق لإثباتها . وقد روى ابن المنذر ، وابن الجارود ، بإسناد صحيح ، عن أنس مرفوعاً : « جعلت لي كل أرض طيبة مسجداً وطهوراً » ، ومعنى طيبة طاهرة ،

= فلو كان معنى طهوراً طاهراً للزم تحصيل الحاصل .

واستدل به على أن التيمم يرفع الحدث كالماء لا شتراكهما في هذا الوصف ، قال الحافظ في (الفتح) : « وفيه نظر » . قال محققه : « ليس للنظر المذكور وجه ، والصواب أن التيمم رافع للحدث كالماء ، عملاً بظاهر الحديث المذكور ، وما جاء في معناه ، وهو قول جم غفير من أهل العلم . والله تعالى أعلم . (ا . هـ) .

وعلى أن التيمم جائز بجميع أجزاء الأرض ، وقد أكد في رواية أبي أمامة بقوله : « وجعلت لي الأرض كلها ولأمتي مسجداً وطهوراً » .

قوله ﷺ : « فأيما رجل » ، « أيّ » مبتدأ فيه معنى الشرط ، و « ما » زائدة للتأكيد ، وهذه صيغة عموم يدخل تحتها من لم يجد ماءً ولا تراباً ، ووجد شيئاً من أجزاء الأرض ، فإنه يتيمم به ، ولا يقال : هو خاص بالصلاة ، لأنا نقول : لفظ حديث جابر مختصر ، وفي رواية أبي أمامة عند البيهقي : « فأيما رجل من أمتي أتى الصلاة فلم يجد ماءً ، وجد الأرض طهوراً ومسجداً . وعند الإمام أحمد : « فعنده طهوره ومسجده » . وفي رواية عمرو بن شعيب : « فأينما أدركتني الصلاة تمسحتُ وصليتُ » .

واحتج من خصّ التيمم بالتراب ، بحديث حذيفة عند الإمام مسلم بلفظ : « وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً ، وجعلت تربتها لنا طهوراً إذا لم نجد الماء » ، وهذا خاص ، فينبغي أن يُحمل العام عليه ، فتختص الطهورية بالتراب ، ودلّ الافتراق في اللفظ ، حيث حصل التأكيد من جعلها مسجداً دون الآخر على افتراق الحكم ، وإلا لعطف أحدهما على الآخر نسقاً ، كما في حديث الباب .

ومنع بعضهم الاستدلال بلفظ « التربة » على خصوصية التيمم بالتراب بأن قال : تربة كل مكان ما فيه من تراب أو غيره . وأجيب بأنه ورد في الحديث المذكور بلفظ « التراب » ، أخرجه ابن خزيمة وغيره . وفي حديث علي : « وجعل التراب لي طهوراً » ، أخرجه الإمام أحمد والبيهقي بإسناد حسن ، ويقوى القول بأنه خاص بالتراب ، أن الحديث سيق لإظهار التشريف والتخصيص ، فلو كان جائزاً بغير التراب لما اقتصر عليه . قوله ﷺ : « فليصل » ، عرف مما تقدم أن المراد فليصل بعد أن تيمم .

قوله ﷺ : « وأحلت لي الغنائم » ، وللكشميهني « المغانم » وهي رواية الإمام مسلم ، قال الخطابي : كان من تقدم على ضربين ، منهم من لم يؤذن له في الجهاد فلم تكن لهم مغانم ، ومنهم من أذن له فيه ، لكن كانوا إذا غنموا شيئاً لم يحل لهم أن يأكلوه ، وجاءت نارٌ فأحرقته .. وقيل : المراد أنه خُصَّ بالتصرف في الغنيمة يصرفها كيف يشاء ، والأول أصوب ، وهو أن من مضى لم تحل لهم المغانم أصلاً .

قوله ﷺ : « أُعطيتُ الشفاعة » ، قال ابن دقيق العيد : الأقرب أن اللام منها للعهد ، والمراد الشفاعة العظمى في إراحة الناس من هول الموقف ، ولا خلاف في وقوعها . وكذا جزم النووي وغيره . وقيل : الشفاعة التي اختص بها أنه لا يُرد فيما يسأل . وقيل : الشفاعة لخروج من في قلبه مثقال ذرَّة من إيمان ، لأن شفاعة غيره تقع فيمن في قلبه أكثر من ذلك ، قاله عياض . والذي يظهر لي أن هذه مع الأولى ، لأنه يتبعها بها .

وقال البيهقي : يحتمل أن الشفاعة التي يختص بها أن يشفع لأهل الصغائر والكبائر ، وغيره إنما يشفع لأهل الصغائر دون الكبائر . ونقل عياض أن الشفاعة المختصه به شفاعة لا ترد . وقد وقع في حديث ابن عباس : « وأعطيت الشفاعة ، فأخّرتها لأمتي ، فهي لمن لا يشرك بالله شيئاً » . وفي حديث عمرو بن =

....

= شعيب : « فهي لكم ولمن شهد أن لا إله إلا الله » ، والظاهر أن المراد بالشفاعة المختصّة في هذا الحديث إخراج من ليس له عمل صالح إلا التوحيد ، وهو مختص أيضاً بالشفاعة الأولى ، لكن جاء التنويه بذكر هذه لأنها غاية المطلوب من تلك لاقتضائها الراحة المستمرة .

وقد ثبتت هذه الشفاعة في رواية الحسن عن أنس في كتاب التوحيد : « ثم أرجع إلى ربي في الرابعة فأقول : يارب ائذن لي فيمن قال : لا إله إلا الله ، فيقول : وعزتي وجلالي لأُخرجن منها من قال : لا إله إلا الله » . ولا يعكر على ذلك ما وقع عند مسلم قبل قوله : « وعزتي » فيقول : « ليس ذلك ، وعزتي .. الخ » ، لأن المراد أنه لا يباشر الإخراج كما في المرات الماضية ، بل كانت الشفاعة سببا في ذلك .

وأما قوله ﷺ : « وبعثت إلى الناس عامة » ، فوقع في رواية مسلم : « وبُعثتُ إلى كل أحمر وأسود » ، فقيل : المراد بالأحمر العجم ، وبالأسود العرب ، وقيل : الأحمر الإنس ، والأسود الجن ، وعلى الأول التنصيص على الإنس من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى ، لأنه مرسل إلى الجميع ، وأصْرحُ الروايات في ذلك وأشملها ، رواية أبي هريرة عند مسلم : « وأرسلت إلى الخلق كافة » .

قال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري) : أول حديث أبي هريرة هذا : « فُضّلتُ على الأنبياء بست » ، فذكر الخمس المذكورة في حديث جابر إلا الشفاعة ، وزاد خصلتين وهم : « وأعطيت جوامع الكلم ، وختم بي النبيون » ، فتحصل منه ومن حديث جابر سبع خصال .

ولمسلم أيضاً من حديث حذيفة : « فضلنا على الناس بثلاث خصال : جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة » وذكر خصلة الأرض كما تقدم ، قال : وذكر خصلة أخرى ، وهي الخصلة المهمة بينها ابن خزيمة والنسائي ، وهي : « وأعطيت هذه الآيات من سورة البقرة من كنز تحت العرش » ، يُشير إلى ما حطه الله عن أمته من الإصر ، وتحميل ما لا طاقة لهم به ، ورفع الخطأ والنسيان ، فصارت الخصال تسعاً .

ولأحمد من حديث علي : « أعطيتُ أربعاً لم يُعطَهُنَّ أحدٌ من أنبياء الله : أُعطيت مفاتيح الأرض ، وسميتُ أحمد ، وجعلت أمتي خير الأمم » وذكر خصلة التراب فصارت الخصال اثنتي عشرة خصلة .

وعند البزار من وجه آخر عن أبي هريرة رفعه : « فُضّلتُ على الأنبياء بست : غفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر ، وجعلت أمتي خير الأمم ، وأعطيت الكوثر ، وإن صاحبكم لصاحب لواء الحمد يوم القيامة ، تحته آدم فمن دونه » ، وذكر ثنتين مما تقدم .

وله من حديث ابن عباس رفعه : « فُضّلتُ على الأنبياء بخصلتين : كان شيطاني كافراً فأعانني الله عليه فأسلم » قال : ونسيتُ الأخرى ، قال الحافظ ابن حجر : فينتظم بهذا سبع عشرة خصلة . ويمكن أن يوجد أكثر من ذلك لمن أمعن التتبع . وقد تقدم طريق الجمع بين هذه الروايات ، وأنه لا تعارض فيها .

وقد ذكر أبو سعيد النيسابوري في كتاب (شرف المصطفى) ، أن عدد الذي اختص به نبينا ﷺ عن الأنبياء ستون خصلة . وفي حديث الباب من الفوائد غير ما تقدم :

[١] مشروعية تعديد نعم الله . [٢] إلقاء العلم قبل السؤال .

[٣] أن الأصل في الأرض الطهارة . [٤] أن صحة الصلاة لا تختص بالمسجد المبني لذلك .

وأما حديث : « لاصلاة لجار المسجد إلا في المسجد » فضعيف ، أخرجه الدارقطني من حديث =

فبهذا وأمثاله انفرد بالسيادة الجامعة للسيادات كلها ، والشرف المحيط الأعم ﷺ . وكان من رتبة الكمال الذي اختص به عليه السلام في جميع أموره : الكمال في [العبودية][1] فكان عبداً صِرفاً لم تقم بذاته ربانية على أحد ، وهي التي أوجبت له السيادة ، وهي الدليل على شهوده على الدوام ، وقد قالت عائشه رضي الله عنها : « كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه » ، وهو أمر يختص بباطن الإنسان وقوله ، وقد يظهر خلاف ذلك بأفعاله مع تحققه بالمقام ، فيلتبس على من لا معرفة له بالأحوال . والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

* * *

جابر . واستدل به صاحب (المبسوط) من الحنفية على إظهار كرامة الآدمي وقال : لأن الآدمي خلق من ماء وتراب ، وقد ثبت أن كل منهما طهور ، ففي ذلك بيان كرامته . قال محققه :

وحديث جابر ، يغني عنه ما رواه ابن ماجة ، وابن حبان ، والحاكم بإسناد حسن عن ابن عباس مرفوعاً : « من سمع النداء فلم يأت فلا صلاة له إلا من عُذر » ، وما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة : « أن رجلاً أعمى سأل النبي ﷺ أن يصلي في بيته ، فقال له النبي ﷺ : هل تسمع النداء بالصلاة ؟ قال : نعم ، قال : فأجب » ، وهذا في الفرائض كما هو معلوم ، أما النافلة فلا تختص بالمسجد بل هي في البيت أفضل ، إلا ما للشرع دليل على استثنائه . والله تعالى أعلم . (فتح الباري) : ١ / ٥٧٤ كتاب التيمم باب (١) حديث (٣٣٥) .

(١) في (خ) : « العبودة » .

ذكر التنويه[1] بذكر رسول ﷺ من زمـن آدم علـيه السـلام

فخرج الحاكم من حديث عمر بن أوس الأنصاري ، حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال : « أوحى الله إلى عيسى : يا عيسى ، آمن بمحمد ومن أدركه من أمتك أن يؤمنوا به ، فلولا محمد ما خلق آدم ، ولولا محمد ما خلقت العرش على الماء فاضطرب ، فكتبت عليه لا إله إلا الله فسكن[2] » قال الحاكم : حديث صحيح الإسناد .

وذكر إبراهيم بن طهمان[3] عن بديل بن ميسرة عن عبد الله بن شقيق عن

---

(١) ناه الشيءُ يَنُوهُ : ارتفع وعلا ؛ عن ابن جني ، فهو نائه . ونُهْتُ بالشيء نَوْهاً ، ونَوَّهْتُ به ، ونَوَّهتُه تنويها : رَفَعْتُه . ونَوَّهتُ باسمه : رفعتُ ذكره . (لسان العرب) : ١٣ / ٥٥٠ .

(٢) (المستدرك) : ٢ / ٦٧١ ، كتاب تواريخ المتقدمين ، حديث رقم (٤٢٢٧ / ٢٣٧) : حدثنا علي بن حمشاد العدل إملاءً ، حدثنا هارون بن العباس الهاشمي ، حدثنا جندل بن والق ، حدثنا عمرو بن أوس الأنصاري ، حدثنا سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « أوحى الله إلى عيسى عليه السلام : يا عيسى ، آمن بمحمد ، وأْمُرْ من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به ، فلولا محمد ما خلقت آدم ، ولولا محمد ما خلقت الجنة ولا النار ، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب ، فكتبتُ عليه لا إلّه إلا الله محمد رسول الله فسكن » . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه . قال في (التخليص) : أظنه موضوعاً على سعيد .

(٣) هو إبراهيم بن طهمان بن شعبة الخراساني أبو سعيد ، وُلد في بهراة وسكن نيسابور ، وقدم بغداد ، ثم سكن مكة إلى أن مات . روى عن أبي إسحاق السبيعي ، وأبي إسحاق الشيباني ، وعبد العزيز بن صهيب ، وأبي جمرة نصر بن عمران الضبعي ، ومحمد بن زياد الجمحي ، وأبي الزبير ، والأعمش ، وشعبة ، وسفيان والحجاج بن الحجاج الباهلي ، وجماعة .

وروى عنه حفص بن عبد الله السلمي ، وخالد بن نزار ، وابن المبارك ، وأبو عامر العقدي ، ومحمد بن سنان العوفي ، ومحمد بن سابق البغدادي وغيرهم . وروى عنه صفوان بن سليم ، وهو من شيوخه .

قال ابن المبارك : صحيح الحديث . وقال أحمد وأبو حاتم وأبو داود : ثقة . زاد أبو حاتم : صدوق حسن الحديث . وقال ابن معين والعجلي : لا بأس به . وقال عثمان بن سعيد الدارمي : كان ثقة في الحديث ، لم يزل الأئمة يشتهون حديثه ، ويرغبون فيه ، ويوثقونه .

وقال صالح بن محمد : ثقة ، حسن الحديث ، يميل شيئاً إلى الإرجاء في الإيمان ، حبب الله حديثه =

ميسرة قال : قلت : يارسول الله ، متى كنت نبياً ؟ قال : لما خلق الله الأرض واستوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ، وخلق العرش ، كتب على ساق العرش : محمد رسول الله ، خاتم الأنبياء ، وخلق الله الجنة التي أسكنها آدم وحواء ، وكتب على أبوابها اسمي ، والأوراق والقباب والختام وآدم بين الروح والجسد ، فلما أحياه الله نظر إلى العرش فرأى اسمي فأخبره الله تعالى أنه سيد ولدك ، فلما غرهما الشيطان تابا واستشفعا باسمي إليه .

وخرج الطبراني من حديث عبد الله بن مسلم ، حدثنا إسماعيل المدني عن عبد الرحمن بن يزيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لما أصاب آدم الخطيئة رفع رأسه فقال : يارب ، بحق محمد ﷺ إلا غفرت لي ، فأوحى الله إليه : وما محمد ، ومن محمد ؟ فقال : يارب ، إنك لما أتممت خلقي رفعت رأسي إلى عرشك فإذا عليه مكتوب : لاإله إلا الله محمد رسول الله ، فعلمت أنه أكرم خلقك عليك إذ قرنت اسمه مع اسمك ، فقال : نعم ، قد غفرت لك ، وهو آخر الأنبياء من ذريتك ، ولولاه ما خلقتك . قال البيهقي :

= إلى الناس ، جيد الرواية . وقال إسحاق بن راهويه : كان صحيح الحديث ، حسن الرواية ، كثير السماع ، ما كان بخراسان أكثر حديثا منه ، وهو ثقة .

وقال يحى بن أكثم القاضي : كان من أنبل الناس ممن حدَّث بخراسان والعراق والحجاز ، وأوثقهم وأوسعهم علماً .

وقال أحمد : كان يرى الإرجاء ، وكان شديداً على الجهمية . وقال أبو زرعة : ذُكر عند أحمد ، وكان متكئاً فاستوى جالساً وقال : لا ينبغي أن يذكر الصالحون فنتكيء .

وقال الدارقطني : ثقة ، إنما تكلموا في الإرجاء . وقال البخاري في (التاريخ) : حدثني رجل ، حدثني علي بن الحسن بن شقيق ، سمعت ابن المبارك يقول : أبو حمزة السكري ، وإبراهيم بن طهمان العلم والحديث .

قال البخاري : وسمعت محمد بن أحمد يقول : سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل عن إبراهيم فقال : صدوق اللهجة . وقال ابن حبان في (الثقات) : قد روى أحاديث مستقيمه تشبه أحاديث الأثبات ، وقد تفرد عن الثقات بأشياء معضلات .

قال الحافظ ابن حجر : الحق فيه أنه ثقة صحيح الحديث إذا روى عنه ثقة ، ولم يثبت غلوه في الإرجاء ولا كان داعية إليه ، بل ذكر الحاكم أنه رجع عنه . (تهذيب التهذيب) : ١ / ١١٢ - ١١٤ ، ترجمة رقم (٢٣١) باختصار .

تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه عنه ، وهو ضعيف[1] .

قال كاتبه : هو أبو زيد عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، مولى عمر بن الخطاب ، ضعَّفه أحمد وأبو داود والنسائي ، وقال ابن عدي : له أحاديث حسان ، وهو ممن احتمله وصدقه بعضهم ، وهو ممن يكتب حديثه . وخرجه الحاكم من حديث عبد الرحمن بن زيد عن أبيه عن جده عن عمر بنحوٍ أو قريب منه ، ثم قال : حديث صحيح الإسناد .

وروى أبو بكر بن أبي الدنيا من حديث سعيد بن جبير أنه قال : اختصم ولد آدم أي الخلق أكرم على الله تعالى ؟ فقال بعضهم : آدم خلقه الله بيده وأسجد له ملائكته ، وقال آخرون : بل الملائكة الذين لم يعصوا الله ، فذكروا ذلك لآدم ، فقال : لما نفخ في الروح لم يبلغ قدمي حتى استويت جالساً ، فبرق لي العرش ، فنظرت فيه : محمد رسول الله ، فذاك أكرم الخلق على الله .

وروى الحسين بن [علي] بن أبي طالب مرفوعاً : أهل الجنة ليست لهم كنى إلا آدم فإنه يكنى أبا محمد توقيراً وتعظيماً . وقال محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة : حدثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب قال : أوحى الله تعالى إلى آدم عليه السلام : أنا الله ، وبكة[2] أهلها خيرتي ، وزوارها وفدي كنفي ، أعمر [بيتي][3] بأهل السماء وأهل الأرض ، يأتونه أفواجاً شعثاً غبراً ، يعجون بالتكبير عجيجاً ، ويرجون بالتلبية رجيجاً ، ويثجون بالبكاء ثجاً ، فمن اعتمره لا يريد غيره فقد زارني وضافني ، ووفد إليّ ، ونزل بي ، وحق لي أتحفه بكرامتي ، أجعل ذاك البيت وذكره وشرفه ومجده وسناه لنبي من ولدك يقال له إبراهيم ، أرفع له قواعده ، وأقضي على يديه عمارته ، وأبسط له سقايته ، وأريه حله وحرمه ،

---

(١) (المستدرك للحاكم) وقال : حديث صحيح الإسناد ، وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن بن زيد ابن أسلم في هذا الكتاب ، وقال (الحافظ الذهبي) في (التلخيص) : « قلت : بل موضوع وعبد الرحمن واهٍ » جـ ٢ ص ٦١٥ .

(٢) من أسماء مكة المكرمة : بكة ، وأم القرى .

(٣) في (خ) « أعمره » ، وما بين القوسين زيادة للسياق .

وأعلمه مشاعره ، ثم تعمره الأمم والقرون حتى ينتهي إلى بني من ولدك يقال له محمد ، وهو خاتم النبيين ، فأجعله من سكـانه وولاته وحجابه وسقاته ، ومن سألك عني يومئذ فأنا الشعث الغُبْر الموفين بنذورهم ، المقبلين إلى ربهم .

وقال سعيد بن عمرو الأنصاري عن أبيه عن كعب الأحبار قال : لما أراد الله أن يخلق محمداً ﷺ أمر جبريل فأتاه بالقبضة التي هي موضع قبر رسول الله ﷺ فعجنت بماء التسنيم ، ثم غمست في أنهار الجنة وطيف بها في السموات والأرض ، فعرفت الملائكة محمداً وفضله قبل أن تعرف آدم ، ثم كان نور [محمد][1] يُرى في غرة جبهة آدم ، وقيل له يا آدم ، هذا سيد ولدك من المرسلين ، فلما حملت [حواء][2] بشيث انتقل النور من آدم إلى [حواء][2] ، وكانت تلد في كل بطن ولدين إلَّا شيثاً فإنه ولدته وحده كرامة لمحمد ﷺ ، ثم لم [يزل][3] ينتقل من طاهر إلى طاهر إلى أن ولد ﷺ .

وقال ورقاء بن عمر عن ابن أبي الحجيج عن عطاء بن السائب ومجاهد عن مرة الهمزاني عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ، أين كنت وآدم في الجنة ؟ قال : كنت في صلبه ، وأهبطت إلى الأرض وأنا في صلبه ، وركبت السفينة في صلب نوح ، وقذفت في النار في صلب إبراهيم ، لم يلتق لي أبوان قط على سفاح ، لم يزل ينقلني من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام النقية مهذباً ، لا يتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما ، فأخذ الله لي بالنبوة ميثاقي ، وفي التوراة بَشَّرَ بي ، وفي الإنجيل شهر اسمي ، تشرق الأرض لوجهي ، والسماء لرؤيتي[4] .

---

(١) في (خ) : « محمداً » وما أثبتناه حق اللغة .

(٢) في (خ) : « حوى » . (٣) زيادة للسياق .

(٤) يشهد لهذا الأثر ما أخرجه كل من :

البخاري : في كتاب المناقب ، باب (٢٣) ، حديث رقم (٣٥٥٧) : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ، عن عمرو ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « بُعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً ، حتى كنتُ من القرن الذي كنتُ منه » .

قوله ﷺ : « بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً » ، القرن الطبقة من الناس المجتمعين في عصر واحد » ، ومنهم من حدَّه بمائة سنة ، وقيل : بسبعين ، وقيل بغير ذلك . فحكى الحربي الاختلاف فيه من عشرة إلى مائة وعشرين ، ثم تعقب الجميع وقال : الذي أراه أن القرن كل أمة هلكت =

= حتى لم يبق منها أحد . وقوله ﷺ : « قرناً » ، بالنصب حال للتفصيل .

قوله ﷺ : « حتى كنت من القرن الذي كنت منه » ، في رواية الإسماعيلي : « حتى بُعثتُ من القرن الذي كنتُ فيه » ... والقرن أهل زمان واحد متقارب ، اشتركوا في أمر من الأمور المقصودة ، ويقال : إن ذلك مخصوص بما إذا اجتمعوا في زمن نبي أو رئيس يجمعهم على ملة ، أو مذهب ، أو عمل . ويطلق القرن على مدة من الزمان ، واختلفوا في تحديدها ، ذكر الجوهري بين الثلاثين والثمانين ، وقد وقع في حديث عبد الله بن بُسر عند مسلم ، ما يدل على أن القرن مائة وهو المشهور .

وقال صاحب المطالع : القرن أمة هلكت ، فلم يبق منهم أحد ، وثبتت المائة في حديث عبد الله بن بُسر ، وهو ما عند أكثر أهل العراق . ولم يذكر صاحب (المحكم) الخمسين ، وذكر من عشر إلى سبعين ، ثم قال : هذا هو القدر المتوسط من أعمار أهل كل زمن ، وهذا أعدل الأقوال ، وبه صرح ابن الأعرابي وقال : إنه مأخوذ من الأقران ، ويمكن أن يحمل عليه المختلف من الأقوال المتقدمة ممن قال إن القرن أربعون فصاعداً ، أما من قال إنه دون ذلك فلا يلتئم على هذا القول والله أعلم .

والمراد بقرن النبي ﷺ في هذا الحديث الصحابة . قوله ﷺ : « وبعثتُ في خير قرون بني آدم » ، وفي رواية بريدة عند الإمام أحمد : « خير هذه الأمة القرن الذي بُعثتُ فيهم » ، وقد ظهر أن الذي بين البعثة وآخر من مات من الصحابة مائة سنة وعشرون سنة ، أو دونها ، أو فوقها بقليل ، على الاختلاف في وفاة أبي الطفيل ، وإن اعتبر ذلك من بعد وفاته ﷺ فيكون مائة سنة أو تسعين أو سبعاً وتسعين .

وأما قرن التابعين ، فإن اعتبر من سنة مائة كان نحو سبعين أو ثمانين ، وأما الذين بعدهم ، فإن اعتبر منها ، كان نحواً من خمسين ، فظهر بذلك أن مدة القرن تختلف باختلاف أعمار أهل كل زمان والله تعالى أعلم .

واتفقوا أن آخر من كان من أتباع التابعين ممن يقبل قوله من عاش إلى حدود العشرين ومائتين ، ورفعت الفلاسفة رؤوسها ، وامتُحن أهل العلم ليقولوا بخلق القرآن ، وتغيرت الأحوال تغيراً شديداً ، ولم يزل الأمر في نقص إلى الآن ، وظهر قوله ﷺ : « ثم يفشو الكذب » ظهوراً بيناً ، حتى يشمل الأقوال ، والأفعال ، والمعْتقدات ، والله المستعان . (فتح الباري) : ٦ / ٧١٢ ، ٧ / ٦ – ٧ .

ومسلم : في كتاب الفضائل ، باب (١) ، فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة ، حديث رقم (٢٢٧٦) : حدثنا محمد بن مهران الرازي ، ومحمد بن عبد الرحمن بن سهم ، جميعا عن الوليد ، قال ابن مهران : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا الأوزاعي ، عن أبي عمار شداد ، أنه سمع واثلة بن الأسقع يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم » .

وباب (٢) تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق ، حديث رقم (٢٢٧٨) ؛ حدثني الحكم بن موسى أبو صالح ، حدثنا هقل – يعني ابن زياد – عن الأوزاعي ، حدثني أبو عمار ، حدثني عبد الله بن فروخ ، حدثني أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع ، وأول مشفّع »

....

= قوله ﷺ : « إن الله اصطفى كنانة » ، قال الإمام النووي : استدل به أصحابنا على أن غير قريش من العرب ليس بكفءٍ لهم ، ولا غير بني هاشم كفوءٌ لهم ، إلا بني المطلب فإنهم هم وبنو هاشم شيء واحد ، كما صرح به في الحديث الصحيح .

قوله ﷺ : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع ، وأول مشفَّع » ، قال الهروي : السيد هو الذي يَفُوق قوْمَهُ في الخير ، وقال غيره : هو الذي يُفزع إليه في النوائب والشدائد ، فيقوم بأمرهم ، ويتحمَّل عنهم مكارههم ، ويدفعها عنهم .

وأما قوله ﷺ : « يوم القيامة » ، مع أنه سيدهم في الدنيا والآخرة ، فسبب التقييد أن في يوم القيامة يظهر سؤدده لكل أحد ، ولا يبقى مناع ولا معاند ونحوه ، بخلاف الدنيا فقد نازعه ذلك فيها ملوك الكفار ، وزعماء المشركين .

وهذا التقييد قريب من معنى قوله تعالى : ﴿ **لمن الملك اليوم لله الواحد القهار** ﴾ مع أن الملك له سبحانه قبل ذلك ، لكن كان في الدنيا من يدعي الملك ، أو من يُضاف إليه مجازاً ، فانقطع كل ذلك في الآخرة .

قال العلماء : وقوله ﷺ : « أنا سيد ولد آدم » ، لم يقله فخراً ، بل صرَّح بنفي الفخر في غير مسلم ، في الحديث المشهور : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » ، وإنما قاله لوجهين :

أحدهما : إمتثال قوله تعالى : ﴿ **وأما بنعمة ربك فحدث** ﴾ .

والثاني : أنه من البيان الذي يجب عليه تبليغه إلى أمته ، ليعرفوه ويعتقدوه ، ويعملوا بمقتضاه ، ويوقروه ﷺ بما يقتضي مرتبته ، كما أمرهم الله تعالى .

الآدميين أفضل من الملائكة ، وهو ﷺ على الخلائق كلهم ، لأن مذهب أهل السنة أن الآدميين أفضل من الملائكة ، وهو ﷺ أفضل الآدميين وغيرهم . وأما الحديث الآخر : « لا تفضلوا بين الأنبياء » ، فجوابه من خمسة أوجه :

أحدها : أنه ﷺ قاله قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم ، فلما علم أخبر به .

والثاني : قاله أدباً وتواضعاً .

والثالث : أن النهي إنما هو عن تفضيل يؤدي إلى تنقيص المفضول .

والرابع : إنما نهى عن تفضيل يؤدي إلى الخصومة والفتنة ، كما هو المشهور في سبب الحديث .

والخامس : أن النهي مختص بالتفضيل في نفس النبوة ، فلا تفاضل فيها ، وإنما التفاضل بالخصائص وفضائل أخرى ، ولابد من اعتقاد التفضيل ، فقد قال تعالى : ﴿ **تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض** ﴾ .

قوله ﷺ : « وأول شافع وأول مشفع » ، إنما ذكر الثاني لأنه قد يشفع اثنان ، فيشفع الثاني منهما قبل الأول . والله تعالى أعلم .

والترمذي : في أبواب المناقب ، باب (٢٠) ما جاء في فضل النبي ﷺ حديث رقم (٣٨٥٠) : حدثنا محمود بن غيلان ، أخبرنا أبو أحمد ، أخبرنا سفيان عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث ، عن المطلب بن أبي وداعة قال : « جاء العباس إلى رسول الله ﷺ وكأنه سمع شيئاً ،=

قال جامعه وقد أشار إلى هذا الحديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه في شعره المشهور عنه ، خرج أبو بكر الشافعي قال : حدثني أبو الشيخ محمد بن الحسين الأصفهاني ، وعبد الله بن محمد بن ياسين قالا : حدثنا زكريا بن يحى بن عمر بن حصن بن حمير عن مُنْهب بن حارث بن خريم بن أوس بن حارثة قال : قال : خريم بن أوس : هاجرت إلى رسول الله ﷺ فأسلمتُ فسمعت العباس رضي الله عنه يقول : يا رسول الله إني أريد أن أمتدحك ، فقال له رسول الله ﷺ : فقل لا يُفْضض الله فاك ، فأنشأ العباس يقول :

= فقام النبي ﷺ على المنبر فقال : من أنا ؟؟ فقالوا : أنت رسول الله عليك السلام ، قال : أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب . إن الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم ، ثم جعلني في خيرهم فرقة ، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة ، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً وخيرهم نَفْساً » ، قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب . ورُوي عن سفيان الثوري ، عن يزيد بن أبي زياد ، نحو حديث إسماعيل بن أبي خالد ، عن يزيد بن أبي زياد عن عبْد الله بن الحارث ، عن العباس بن عبد المطلب .

قوله : « جاء العباس » ، أي غضبان « وكأنه سمع شيئاً » ، أي من الطعن في نسبه أو حسبه ، « فقال : من أنا ؟ » استفهام تقرير على جهة التبكيت ، « فقالوا : أنت رسول الله ، فلما كان قصده ﷺ بيان نسبة وهم عدلوا عن ذلك المعنى ، ولم يكن الكلام في ذلك المبنى ، « أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب » ، يعني وهما معروفان عند العارف المنتسب .

قال الطيبي : قوله : « فكأنه سمع » ، مسبب عن محذوف ، أي جاء العباس غضبان بسبب ما سمع طعناً من الكفار في رسول الله ﷺ ، نحو قوله تعالى : ﴿ **لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم** ﴾ ، كأنهم حقَّروا شأنه ، وأن هذا الأمر العظيم الشأن لا يليق إلا بمن هو عظيم من إحدى القريتين ، كالوليد بن المغيرة ، وعروة بن مسعود الثقفي مثلاً ، فأقرهم ﷺ ، على سبيل التبكيت ، على ما يلزم تعظيمه وتفخيمه ، فإنه الأوْلى بهذا الأمر من غيره ، لأن نسبه أعرف . ومن ثم لما قالوا : أنت رسول الله ، ردَّهم بقوله : أنا محمد بن عبد الله . (تحفة الأحوذي) : ١٠ / ٥٤ .

وابن الأثير في (جامع الأصول) : ٨ / ٥٣٦ ، حديث رقم (٦٣٣٨) ، رقم (٦٣٣٩) .

والإمام أحمد في (المسند) : ١ / ٣٤٥ ، حديث رقم (١٧٩١) ، حديث رقم (١٧٩٣) .

وأبو حيان الأندلسي في (البحر المحيط) : ٨ / ١٩٨ ، عند تفسير قوله تعالى من سورة الأعراف : ﴿ **وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلُّبك في الساجدين** ﴾ ، قال ابن عباس : في أصلاب آدم ، ونوح ، وإبراهيم ، حتى خرجت .

وابن كثير في (التفسير) : ٣ / ٣٦٥ ، وروى البزار وابن أبي حاتم ، من طريقين عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية ﴿ **وتقلبك في الساجدين** ﴾ : يعني تقلبه من صلب نبي إلى صلب نبي ، حتى أخرجه نبياً .

من قبلها طبت في الظلال وفي   مستودع حيث يخصف الورقُ
ثم هبطت البلاد ولا بشرٌ   أنت ولا مضغة ولا علقُ
بل نطفة تركب السفين وقد   ألجم نسراً وأهله الغرقُ
وَرَدْتَ نار الخليل فكنتما   تجول فيها فليس تحترقُ
نقلت من صالب إلى رحم   إذا مضى عالَم بدا طبقُ
حتى احتوى بيتك المُهَيْمِن من   من خِنْدف علياء تحتها النُّطُقُ
وأنت لما ولدت أشرقت الأرض   وضاءت بنورك الأفقُ
فنحن في ذلك الضياء وفي   النور وسبل الرشاد نخترقُ

قوله : (في الظلال) ، يريد ظلال الجنة حيث كان كونه ﷺ في صلب آدم عليه السلام .

ويشير بقوله : (مستودع) ، إلى موضع آدم وحواء من الجنة ، وقيل المستودع : النطفة في الرحم .

ويشير بقوله : (يخصف الورق) إلى قوله تعالى حكاية عن آدم وحواء : ﴿ **فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة** ﴾[1] .

وفي رواية : (وأهلها الغرق) ، كأنه عني أهل الأرض أو البلاد لتقدم ذكرها ، ويكون الضمير في قوله : (نسراً وأهله) ، عائد على قوم نوح المغرقين ، يريد : كنت يا محمد في صلب آدم وهو في الجنة ، ثم لما هبط إلى الأرض هبطت في صلبه ، وتنقلت من بعده في الأصلاب حتى ركبت مع نوح عليه السلام السفينة وأنت في صلبه ، لما غرق قوم نوح بالطوفان من أجل كفرهم بالله عز وجل ، وعباده الأصنام التي هي وَدًّا وسُواعاً ويَغُوثَ ويَعُوق ونَسْراً ، وعبَّر عن السفينة بالسفين ، وهو جمع سفينة ، يقال : سفينة وسفين ، وتجمع على سفن والسفائن أيضاً .

وقوله : (وردت نار الخليل) ، يريد أنك كنت في صلب إبراهيم عليه السلام

---

(١) الأعراف : ٢٢ .

لما ألقي في النار فلم تحرقه .

وقوله : (تنقل) ، وفي رواية : نقلت من صَالِب إلى رحم ، يريد من صلب ذكر إلى رحم امرأة ؛ وفي الصلب ثلاث لغات : بضم الصاد وإسكان اللام ، وصُلُب بضم الصاد واللام جميعاً ، وصَلَب بفتح الصاد واللام معاً ، حكى هذه الأخيرة في (مختصر العين) .

وقد روى (تُنقل من صلب) ، ورواية (صالب) أشهر ، والصالب بمعنى الصلب لغة قليلة .

وقوله : (إذا مضى عالم بدا طبق) ، يريد بالطبق القرن لأنهم طبق الأرض ، فينقرضون ويأتي طبق آخر .

وقوله : (حتى احتوى بيتكِ المهيمن من خندف) ، قيل : حتى احتوى بيتك المهيمن أي يامهيمن من خندفٍ علياء فأقام البيت مقامه ﷺ لأن بيته إذا حل بهذا المكان فقد حل هو به ، وهو كما يقال : بيته أعزّ بيت ، وإنما يراد صاحبه ، واعتُرض على هذا بأنه إذا عُبر بالبيت عنه ﷺ فإنه كما قال زياد الأعجم .

إن السماحة والمروءة والنَّدى   في قبة ضربت على ابن الحشرج

فإن هذا وإن كان ممكنا ، لا ضرورة تدعو إليه ، إذ بقاؤه على ظاهره ممكن ، وهو مدح أهل بيته ﷺ وهو داخل فيهم ، فإن مدح بيت الرجل قد يكون أبلغ في مدحه .

فإن قيل : هذا مثل من العباس ؛ أي جعلك الله عاليا وجعل خندف كالنطاق لك ، قيل : هذا لا يقتضيه اللفظ إلا بإكراه وتقديم وتأخير ، بأن يكون تقديره : حتى احتويت واحتوى بيتك علياء تحتها النطق من خندف ، وإنما الوجه أن يكون المعنى : احتوى بيتك المهيمن من خِنْدف علياء كل النطق تحتها ، أو يعلق من خِنْدَفٍ بعلياء أي علياء من خِنْدَفٍ كل نطاق دونها أو تحتها .

والنُّطُق : هي أوساط الجبال العالية .

والمهيمن : الشاهد ، كأنه حتى احتوى شرف بيتك الشاهد منه الفرع الذي

هو أنت على طيب الأصل ، ويمكن أن يكون قد عبَّر بالنطق عن ذوات النطاق ، والنُّطُق : جمع نطاق ، والنطاق : إزار له تكه تنتطق به المرأة ، وكأنه لما قال : أنه احتوى علياء خِنْدِفٍ ، والقبيلة إنما سميت بالمرأة ، حسنٌ أن يقال : أن هذه العلياء التي احتواها دونها علياء كل ذات نطاق ، هي أم الشخص أو القبيلة ، ويمكن أن يكون مأخوذاً من نطاق البيت وهو ما يراد عليه من خشب يجمع أركانه ، فكأنه لما وصف شرفه الليالي وكنى عنه البيت ، رشَّحَهُ إلى ذكر النطاق المستعمل للبيت ، أي تحت علياء بيته نطاق كل بيت .

وقيل معناه : حتى احتويت يامهيمن من خِنْدَفٍ علياء ، يريد النبي ﷺ فأقام البيت مقامه ، لأن البيت إذا حل بهذا المكان فقد حلَّ به صاحبه ، وأراد ببيته شرفه ، والمهيمن من نعته ، كأنه قال : حتى احتوى شرفك الشاهد على فضلك علياء الشرف من نسب ذوي خِنْدَف إلى تحتها النطق – وهي أوساط الجبال العالية – وَخِنْدَف : هي إمرأة إلياس بن مضر بن نزار ، فنُسب إليها وَلَدُ الناس[1] .

وقيل : أراد بقوله : النُطق ، العفاف من لبس المرأة النطاق ليحصنها ، فيكون النطق بمعنى نطاق ، أي تحتها نطاق العفاف ، وقيل : النطق ، جمع ناطق ، وقيل : النطق : جمع نطاق ، وهو الذي يشده الإنسان على وسطه ، ومنه المنطق ، وهذا من العباس رضي الله تعالى عنه مثلٌ ، أي جعلك الله عالياً ، وجعل خندف كالنطاق لك . والله أعلم .

وقد روى أن جبير بن مطعم قال : لما بعث الله تعالى نبيه ﷺ فظهر أمره بمكة خرجت إلى الشام ، فلما كنت ببُصْرى أتاني جماعة من النصارى فقالوا لي : من أهل الحرم أنت ؟ قلت : نعم ، قالوا : فتعرف هذا الذي تنبأ فيكم ؟ قلت :

---

(١) هي ليلى بنت حُلوان بن عمران ، وكان إلياس خرج في نُجْعَةٍ فنفرت إبله أرنب ، فخرج إليها عمرو فأدركها ، وخرج عامر فتصيدها وطبخها ، وانقمع عمير في الخباء ، وخرجت أمهم تُسرع ، فقال لها إلياس : أين تخندفين ؟ فقالت : ما زلت أخندف في إثركم ، فلقبوا : مُدركة ، وطابخة ، وقمعة ، وَخِنْدَف (ترتيب القاموس) : جـ ٢ ص ١١٥ ، (الأعلام للزكلي) : جـ ٦ ص ١١٦ ، (معجم قبائل العرب) : جـ ١ ص ٤٠ .

نعم ، قال : فأخذو بيدي فأدخلوني ديراً فيه تماثيل وصور فقالوا : انظر ، هل ترى صورة هذا الذي بُعث ؟؟ فنظرت ، فلم أر صورته فقلت : لا أرى صورته ، فأدخلوني ديراً أكبر من ذلك الدير ، فإذا فيه تماثيل وصور أكثر مما في ذلك الدير ، فقالوا لي : أنظر هل ترى صورته ؟ فإذا أنا بصورة رسول الله ﷺ وصفته ، وإذا أنا بصفة أبي بكر رضي الله تعالى عنه وصورته وهو آخذ بعقب رسول الله ﷺ فقالوا لي : هل ترى صورته ؟ فقلت : نعم ، وقلت : لا أخبرهم حتى أعرف ما يقولون ، قالوا : هو هذا ؟ قلت : نعم ، وأشاروا إلى جبهة رسول الله ﷺ ، قلت : اللهم نعم ، أشهد أنه هو ، قالوا : هل تعرف هذا ؟ قلت : نعم ، قالوا لي : نشهد أن هذا صاحبكم وهذا الخليفة بعده[1] .

وقال موسى بن عقبة : إن هشام بن العاص ونعيم بن عبد الله ورجل آخر بُعثوا إلى ملك الروم زمن أبي بكر رضي الله تعالى عنه ، قالوا : فدخلنا على جبلة بن الأهثم وهو بالغوطة ، فإذا عليه ثياب سود ، وإذا كل شيء حوله أسود ، قالوا : ياهشام ، كلمه ، فكلمه ودعاه إلى الله تعالى ، فقال : ماهذه الثياب السود ؟ قال : لبستها نذراً ولا أنزعها حتى أخرجكم من الشام كلها !! قال : قلنا اتئد – أو كلمة تشبهها – حتى تمنع مجلسك ، فو الله لنأخذنه منك وملك الملك الأعظم إن شاء الله ، أخبرنا بذلك نبينا ، قال : فأنتم إذن السمراء ، قلنا : السمراء ؟ قال : لستم هم ، قلنا : ومن هم ؟ قال : هم الذين يصومون النهار ويقومون الليل ، قلنا : نحن هم والله ، قال : فكيف صومكم ؟ فوصفنا له صومنا ، فقال : فكيف صلاتكم ؟ فوصفنا له صلاتنا ، فقال : فالله يعلم لقد غشيه سواد حتى صار وجهه كأنه قطعة طابق وقال : قوموا ، فأمر بنا إلى الملك ، فانطلقنا ، فلقينا الرسول بباب المدينة فقال : إن شئتم آتيتكم ببغال ، وإن شئتم آتيتكم ببراذين ، فقلنا : لا والله لا ندخل

---

(١) ونحوه باختلاف يسير في (دلائل النبوة للبيهقي) جـ ١ ص ٣٨٥ ، ٣٨٦ وسنده : « أخبرني الشيخ أبو الفتح رحمه الله من أصله قال : أنبأنا عبد الرحمن بن أبي شريح الهروي قال : حدثنا يحى بن محمد ابن صاعد قال : حدثنا عبد الله بن شبيب أبو سعيد الربعي قال : حدثنا محمد بن عمر بن سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه سعيد بن محمد بن جبير عن أبيه قال : سمعت أبي جبير بن مطعم يقول ... » وأورد الحديث .

عليه إلا كما نحن ، فأرسل إليهم أن يأتون ، فأرسل : أن خلِّ سبيلهم ، فدخلنا مُعْتَمِّين متقلدين السيوف على الرواحل ، فلما كنا بباب الملك ، إذا هو في غرفة له عالية ، فنظر إلينا ، قال : فرفعنا رءوسنا فقلنا : لاإلـه [إلا] الله ، فالله يعلم لنقضت الغرفة كلها حتى كأنها غدق نفضته الريح ، فأرسل : إن هذا ليس لكم أن تجهروا بدينكم عليّ ، وأرسل إلينا : أن ادخلوا ، فدخلنا ، فإذا هو على فراش إلى السقف ، وإذا عليه ثياب حُمْر ، وإذا كل شيء عنده أحمر ، وإذا عنده بطارقة الروم ، وإذا هو يريد أن يكلمنا برسول ، فقلنا : لا والله ما نكلمه برسول ، وإنما بُعثنا إلى الملك ، فإذا كنت تحب أن نكلمك فأْذن لنا نكلمك ، فلما دخلنا عليه ضحك ، فإذا هو رجل فصيح بالعربية ، فقلنا : لا إلـه إلا الله ، فالله يعلم لقد نقض السقف حتى رفع رأسه هو وأصحابه فقال : ما أعظم كلامكم عندكم ، فقلنا : هذه الكلمة ؟ قال : التي قلتماها قبل ؟ قلنا : نعم ، قال : فإذا قلتموها في بلاد عدوكم نقضت سقوفهم ؟ قلنا : لا ، قال : فإذا قلتموها في بلادكم نقضت سقوفكم ؟ قلنا لا ، وما رأيناها فعلت هذا ، وما هو إلا شيء عبرت به ، فقال : ما أحسن الصدق ! فما تقولون إذا فتحتم المدائن ؟ قلنا : نقول : لا إله إلا الله والله أكبر ، قال : تقولون : لا إله إلا الله ليس معه شيء ، والله أكبر من كل شيء ؟ قلنا : نعم ، قال : فما منعكم أن تحيوني بتحية نبيكم ؟ قلنا : إن تحية نبينا لا تحل لكم ، وتحيتك لا تحل لنا فنحييك بها ، قال : وما تحيتكم ؟ قلنا : تحية أهل الجنة ، قال : وبها كنتم تحيون نبيكم ؟ قلنا : نعم ، قال : وبها كان يحييكم ؟ قلنا نعم ، قال : فمن كان يورث منكم ؟ قلنا : من كان أقرب قرابة ، قال : وكذلك ملوككم ؟ قلنا : نعم ، فأمر لنا بنزل كثير ومنزل حسن ، فمكثنا ثلاثاً ثم أرسل إلينا ليلاً ، فدخلنا عليه وليس عنده أحد ، فاستعاد كلامنا فأعدنا عليه ، فإذا عنده مثل الربعة العظيمة مذهبة ، وإذا فيها أبواب صغار ، ففتح منها باباً ، واستخرج منه خرقة حرير سوداء ، فيها صورة بيضاء ، فإذا رجل طوّال أكثر الناس شعراً فقال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا آدم ، ثم أعاد وفتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة سوداء فيها صورة بيضاء فإذا رجل ضخم الرأس عظيم ، له شعر كشعر القبط ، أعظم الناس أليتين ، أحمر العينين فقال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا نوح ، ثم أعاده وفتح باباً آخر فاستخرج

حريرة سوداء فيها صورة بيضاء ، فإذا رجل أبيض الرأس واللحية ، كأنه يتبسم ، قال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا إبراهيم ، ثم أعاده وفتح باباً آخر فاستخرج حريرة سوداء فيها صورة بيضاء ، وإذا والله رسول الله ﷺ فقال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : نعم ، محمد رسول الله ، وبكينا ، والله يعلم أنه قام قائما ثم جلس وقال : والله إنه لهو ؟ قلنا : نعم ، إنه لهو كأننا ننظر إليه ، فأمسك ساعة ينظر إليها ثم قال : أما إنه كان آخر الأبواب ولكني عجلته لأنظر ما عندكم ، ثم أعاده وفتح باباً آخر ، واستخرج خرقة حرير سوداء فيها صورة بيضاء ، فإذا رجل مقلص الشفتين غائر العينين ، متراكم الأسنان كث اللحية عابس ، فقال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا موسى ، وإذا جنبه رجل يشبهه غير أن في عينيه قيلاً وفي رأسه استدارة ، فقال : هذا هارون ، ثم رفعهما ، وفتح باباً آخر واستخرج منه خرقة سوداء فيها صورة حمراء أو بيضاء ، فإذا رجل أحمر أحمش الساقين أخفش العينين ، ضخم البطن مقلد سيفاً ، فقال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا داود ، ثم أعاده وفتح باباً آخر واستخرج منه حريرة سوداء ، وإذا فيها صورة بيضاء ، وإذا رجل راكب على فرس ، طويل الرجلين قصير الظهر ، كل شيء منه جناح تحفه الريح ، قال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا سليمان ، ثم أعاده ففتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة أو خرقة سوداء ، فيها صورة بيضاء ، فإذا صورة شاب تعلوه صفرة ، صلت الجبين حسن اللحية ، يشبهه كل شيء منه ، قال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا عيسى ابن مريم ، ثم أعاده وأمر بالربعة فرفعت ، فقلنا : هذه صورة نبينا قد عرفناها ، فإنا قد رأيناه ، فهذه الصورة التي لم نرها كيف نعرفها أنى هي ؟ قال : إن آدم عليه السلام سأل ربه أن يريه صورة نبي نبي ، فأخرج إليه صورهم في خرق الحرير من الجنة ، فأصابها ذو القرنين في خزانة آدم في مغرب الشمس ، فلما كان دانيال ، صورها هذه الصّور ، فهي بأعيانها ، فو الله لو تطيب نفسي في الخروج عن مُلكي ما باليت أن أكون عبداً لأشدّكم ملكة ، ولكن عسى أن تطيب نفسي ، قال : فأحسن جائزتنا وأخرجنا[1] .

---

(١) وفي المرجع السابق : « فأحسن جائزتنا وسرحنا ، فلما أتينا أبا بكر الصديق فحدثناه بما رأيناه وما قال لنا وما أجازنا ، قال : فبكى أبو بكر وقال : مسكين ، لو أراد الله به خيراً لفعل ثم قال : أخبرنا رسول الله ﷺ أنهم واليهود يجدون نعت محمد ﷺ عندهم » ص ٣٩٠ .

وقد رواه شرحبيل بن مسلم الخولاني عن أبي أمامة الباهلي ، عن هشام بن العاص ، قال : بعثني أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ورجلاً آخر من قريش إلى هرقل صاحب الروم ندعوه إلى الإسلام ، فخرجنا حتى قدمنا الغوطة ، فنزلنا على جبلة بن الأهتم الغساني ، فذكروه ... وزاد بعد قوله في صورة نبينا عليه السلام وذكر موسى وهارون : ففتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فإذا فيها صورة رجل آدم سبط ربعة كأنه غضبان حسن الوجه ، قال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا لوط ، ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فيها صورة رجل أبيض مشرب حمرة أجنأ ، خفيف العارضين حسن الوجه ، قال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا إسحاق ، ثم فتح باباً آخر فاستخرج حريرة بيضاء فيها صورة تشبه صورة إسحاق ، إلا أن بشفته السفلى خالاً ؛ قال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا يعقوب ، ثم فتح باباً آخر فاستخرج حريرة سوداء فيها صورة رجل أبيض حسن الوجه أقنى الأنف حسن القامة ، يعلو وجهه النور ، يعرف في وجهه الخشوع ، يضرب إلى الحمرة فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا إسماعيل جد نبيكم ، ثم فتح باباً آخر ، فاستخرج حريرة بيضاء فيها صورة كأنها صورة آدم ، كأن وجهه الشمس ، قال : هل تعرفون هذا ؟ [قلنا : لا ، قال :][1] هذا يوسف . ثم ذكر قصة داود وسليمان وعيسى مثل حديث موسى ابن عقبة ، وزاد : قال : فلما قدمنا على أبي بكر رضي الله تعالى عنه حدثناه بما رأيناه وما قال لنا وما أرانا ، فبكى أبو بكر رضي الله تعالى عنه وقال : مسكينا ، لو أراد الله به خيراً لفعل ، ثم قال : أخبرنا رسول الله ﷺ أنهم واليهود يجدون نعت محمد ﷺ ، وقال تعالى : ﴿ **يجدونه مكتوباً عندهم في التورة والإنجيل** ﴾[2] .

* * *

---

(١) زيادة للسياق من المرجع السابق ص ٢٩١ .

(٢) وأخرج الإمام أحمد في (المسند) ، من حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ قال : حدثنا عبد الله ، حدثني أبي ، حدثنا إسماعيل عن الجريري ، عن أبي صخر العقيلي ، حدثني رجل من الأعراب =

....

= قال : « جلبتُ جلوبة إلى المدينة في حياة رسول الله ﷺ ، فلما فرغتُ من بيعتي قلتُ : لألقين هذا الرجل فلأسمعن منه ، قال : فتلقاني بين أبي بكر وعمر يمشون ، فتبعهم في أقفائهم حتى أتوا على رجل من اليهودي ناشراً التوراة يقرؤها ، يُعزى بها نفسه على ابن له في الموت ، كأحسن الفتيان وأجمله ، فقال رسول الله ﷺ : « أُنشدك بالذي أنزل التوراة ، هل تجد في كتابك ذا صفتي ومخرجي ؟ فقال برأسه : هكذا ، أي لا ، فقال ابنه : إني والذي أنزل التوراة ، لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك ، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وأنك رسول الله ، فقال : أقيموا اليهود عن أخيكم ، ثم ولى كفنه ، وحنطه ، وصلى عليه » . (المرجع السابق) : ٦ / ٥٧١ ، حديث رقم (٢٢٩٨١) .

وذكر ابن كثير في (التفسير) ، عند قوله تعالى في سورة الأعراف : ﴿ **الذين يتبعون الرسول النبي الأمّي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل** ﴾ ، باختلاف يسير ، وقال في آخره : هذا حديث جيد ، قوي له شاهد في الصحيح عن أنس (تفسير ابن كثير) : ٢ / ٢٦٢ .

وأما حديث صور الأنبياء ، فقد أخرجه ابن كثير في (التفسير) ، عن الحاكم صاحب (المستدرك) : أخبرنا محمد بن عبد الله بن إسحاق البغوي ، حدثنا إبراهيم بن الهيثم البلدي ، حدثنا عبد العزيز بن مسلم ابن إدريس ، حدثنا عبد الله بن إدريس ، عن شرحبيل بن مسلم ، عن أبي أمامة الباهلي ، عن هشام ابن العاص الأموي قال : بُعثت أنا ورجل آخر إلى هرقل صاحب الروم ندعوه إلى الإسلام ، فخرجنا حتى قدمنا الغوطة – يعني غوطة دمشق – فنزلنا على جبلة بن الأهتم الغسَّاني ، فدخلنا عليه فإذا هو على سرير له ، فأرسل إلينا برسوله نكلمه ، فقلنا : والله لا نكلم رسولاً وإنما بُعثنا إلى الملك ، فإن أذن لنا كلمناه ، وإلا لم نكلم الرسول ، فرجع إليه الرسول فأخبره بذلك ، قال : فأذن لنا فقال : تكلموا ، فكلمه هشام بن العاص ، ودعاه إلى الإسلام ، فإذا عليه ثياب سود ، فقال له هشام : وما هذه الثياب التي عليك ؟ فقال : لبستُها وحلفت أن لا أنزعها حتى أخرجكم من الشام ، قلنا : ومجلسك هذا لنأخذنه منك ، ولنأخذن ملك الملك الأعظم إن شاء الله ، أخبرنا بذلك نبينا محمد ﷺ ، قال : لستم بهم ، بل هم قوم يصومون بالنهار ويقومون بالليل ، فكيف صومكم ؟ فأخبرناه ، فملىء وجهه سواداً فقال : قوموا ، وبعث معنا رسولاً إلى الملك ، فخرجنا حتى إذا كنا قريباً من المدينة قال لنا الذي معنا : إن دوابكم هذه لا تدخل مدينة الملك ، فإن شئتم حملناكم على براذين وبغال ، قلنا : والله لا ندخل إلا عليها ، فأرسلوا إلى الملك أنهم يأبون ذلك ، فأمرهم أن ندخل على رواحلنا ، فدخلنا عليها متقلدين سيوفنا ، حتى انتهينا إلى غرفة له ، فأنخنا في أصلها وهو ينظر إلينا ، فقلنا : لا إلـه إلا الله والله أكبر ، فالله يعلم لقد انتفضت الغرفة حتى صارت كأنها عذق تصفقه الرياح .

قال : فأرسل إلينا ليس لكم أن تجهروا علينا بدينكم ، وأرسل إلينا أن ادخلوا ، فدخلنا عليه وهو على فراش له ، وعنده بطارقة من الروم ، وكل شيء في مجلسه أحمر ، وما حوله حُمرة ، وعليه ثياب من الحمرة ، فدنونا منه ، فضحك فقال : ما عليكم لو جئتموني بتحيتكم فيما بينكم ؟ ، وإذا عنده رجل فصيح بالعربية ، كثير الكلام ، فقلنا : إن تحيتنا فيما بيننا لا تحل لك ، وتحيتك التي تُحيًّا بها لا يحل لنا أن نحيك بها ، قال : كيف تحيتكم فيما بينكم ؟ قلنا : السلام عليكم ، قال : فكيف تحيون ملككم ؟ قلنا : بها ، قال : فكيف يرد عليكم ؟ قلنا : بها ، قال : فما أعظم كلامكم ؟ قلنا : لا إلـه =

إلا الله والله أكبر ، فلما تكلمنا بها – والله يعلم – لقد انتفضت الغرفة حتى رفع رأسه إليها ، قال : فهذه الكلمة التي قلتموها حيث انتفضت الغرفة ، أكلّما قلتموها في بيوتكم انتفضت عليكم غرفكم ؟ قلنا : لا ، ما رأيناها فعلت هذا قط إلا عندك ، قال لوددت أنكم كلما قلتم انتفض كل شيء عليكم ، وإني قد خرجتُ من نصف ملكي ، قلنا : لم ؟ .

قال : لأنه كان أيسر لشأنها وأجدر أن لا تكون من أمر النبوة ، وأنها تكون من حيل الناس ، ثم سألنا عما أراد ، فأخبرناه ، ثم قال : كيف صلاتكم وصومكم ؟ فأخبرناه ، فقال : قوموا ، فأمر لنا بمنزل حسن ، ونزل كثير ، فأقمنا ثلاثاً ، فأرسل إلينا ليلاً ، فدخلنا عليه ، فاستعاد قولنا فأعدناه ، ثم دعا بشيء كهيئة الربعة العظيمة ، مذهبة ، فيها بيوت صغار ، عليها أبواب ، ففتح بيتاً وقفلاً ، فاستخرج حريرة سوداء ، فنشرناها ، فإذا فيها صورة حمراء ، وإذا فيها رجل ضخم العينين ، عظيم الأليتين ، لم أر مثل طول عنقه ، وإذا ليست له لحية ، وإذا له ضفيرتان أحسن ما خلق الله . فقال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا آدم عليه السلام ، وإذا هو أكثر الناس شعراً .

ثم فتح باب آخر ، فاستخرج منه حريرة سوداء ، وإذا فيها صورة بيضاء وإذا له شعر كشعر القطط ، أحمر العينين ، ضخم الهامة ، حسن اللحية ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا نوح عليه السلام .

ثم فتح باباً آخر ، فاستخرج منه حريرة سوداء ، وإذا فيها رجل شديد البياض ، حسن العينين ، صلت الجبين ، طويل الخد ، أبيض اللحية ، كأنه يبتسم ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا إبراهيم عليه السلام .

ثم فتح باباً آخر ، فإذا فيه صورة بيضاء ، وإذا والله رسول الله ﷺ ، فقال : أتعرفون هذا ؟ قلنا نعم ، هذا محمد رسول الله ﷺ ، قال : وبكينا ، قال : والله يعلم أنه قام قائماً ثم جلس ، وقال : والله إن لهو ؟ قلنا : نعم إنه لهو ، كأنك تنظر إليه ، فأمسك ساعة ينظر إليها ثم قال : أما إنه كان آخر البيوت ، ولكني عجلته لكم ، لأنظر ما عندكم .

ثم فتح باباً آخر ، فاستخرج منه حريرة سوداء ، فإذا فيها صورة أدماء سمحاء ، وإذا رجل جعد قطط ، غائر العينين ، حديد النظر ، عابس ، متراكب الأسنان ، متقلص الشفة ، كأنه غضبان ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا موسى عليه السلام ، وإلى جنبه صورة تشبهه ، إلا أنه مدهان الرأس ، عريض الجبين ، في عينيه قبل ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا هارون بن عمران عليه السلام .

ثم فتح باباً آخر ، فاستخرج منه حريرة بيضاء ، فإذا فيها صورة رجل آدم ، سبط ، ربعة ، كأنه غضبان ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا لوط عليه السلام .

ثم فتح باباً آخر ، فاستخرج منه حريرة بيضاء ، فإذا فيها صورة رجل أبيض مشرب حمرة ، أقنى خفيف العارضين حسن الوجه ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا إسحاق عليه السلام .

ثم فتح باباً آخر ، فاستخرج منه حريرة بيضاء ، فإذا فيها صورة تشبه إسحاق إلا أنه على شفته خال ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا يعقوب عليه السلام .

ثم فتح باباً آخر ، فاستخرج منه حريرة سوداء ، فيها صورة رجل أبيض ، حسن الوجه ، أقنى الأنف ، حسن القامة ، يعلو وجهه نور ، يُعرف في وجه الخشوع ، يضرب إلى الحمرة ، قال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا إسماعيل جد نبيكم ﷺ .

ثم فتح باباً آخر ، فاستخرج منه حريرة بيضاء ، فإذا فيها صورة كصورة آدم ، كأن وجهه الشمس ، فقال : تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا يوسف عليه السلام .

ثم فتح باباً آخر ، فاستخرج منه حريرة بيضاء ، فإذا فيها صورة رجل أحمر ، حمش الساقين ، أخفش العينين ، ضخم البطن ، ربعة ، متقلد سيفاً ، فقال : تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا داود عليه السلام .

ثم فتح باباً آخر ، فاستخرج منه حريرة بيضاء ، فيها صورة رجل ضخم الأليتين ، طويل الرجلين ، راكب فرساً ، فقال ، هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا سليمان بن داود عليهما السلام .

ثم فتح باباً آخر ، فاستخرج منه حريرة سوداء ، فيها صورة بيضاء ، وإذا شاب شديد سواد اللحية ، كثير الشعر ، حسن العينين ، حسن الوجه ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا عيسى ابن مريم عليه السلام .

قلنا : من أين لك هذه الصور ، لأنا نعلم أنها على ما صُوِّرت عليه الأنبياء عليهم السلام ، لأنا رأينا صورة نبينا عليه السلام مثله ؟ فقال : إن آدم عليه السلام ، سأل ربه أن يريه الأنبياء من ولده ، فأنزل عليه صورهم ، فكانت في خزانة آدم عليه السلام عند مغرب الشمس ، فاستخرجها ذو القرنين من مغرب الشمس ، فدفعها إلى دانيال .

ثم قال : أما والله إن نفسي طابت بالخروج من ملكي ، وإني كنتُ عبداً لا [يترك] ملكه حتى أموت ، ثم أجازنا فأحسن جائزتنا وسَّرحنا .

فلما أتينا أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، فحدثناه بما أرانا وبما قال لنا ، وبما أجازنا ، قال : فبكى أبو بكر وقال : مسكين ! لو أراد الله به خيراً لفعل ، ثم قال : أخبرنا رسول الله ﷺ ، أنهم واليهود يجدون نعت محمد ﷺ عندهم . (تفسير ابن كثير) : ٢ / ٢٦٢ - ٢٦٣ ، تفسير الآية (١٥٧) من سورة الأعراف .

وهكذا أورده أيضا الحافظ الكبير أبو بكر البيهقي في (دلائل النبوة) : ١ /٣٨٥ - ٣٩٠ ، باب ما وجد من صورة نبينا محمد ﷺ مقرونة بصورة الأنبياء قبله بالشام ، عن الحاكم إجازة ، فذكره ، وإسناده لا بأس به .

وذكر أبو نعيم في (الدلائل) : ١ / ٥٠ - ٥٦ ، بنحوه وقال في آخره : قال الشيخ رضي الله عنه : ففي هذه القصة عِلْمُ أهل الكتابين بصفة نبينا ﷺ ، وباسمه ، وبعثته .

وانتفاض الغرفة حين أهلُّوا بلا إلّـه إلا الله ، وما يوجد من المعجزات بعد موت الأنبياء ، كما يوجد أمثالها قبل بعثتهم ، إعلاماً وإيذاناً بقرب مبعثهم ومجيئهم . (المرجع السابق) .

وأما شرف أصله ،
وتكريم حسبه ونسبه ،
وطيب مولده

فخرج مسلم والترمذي من حديث الوليد بن مسلم قال : حدثنا الأوزاعي عن أبي عمار شداد ، أنه سمع واثله بن الأسقع يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى من كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم . وقال الترمذي : واصطفى هاشماً من قريش ، وقال : هذا حديث حسن غريب[1] .

وخرج الترمذي من حديث محمد بن مصعب ، حدثنا الأوزاعي عن أبي عمار عن واثلة بن الأسقع قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من بني إسماعيل بني كنانة ، واصطفى من بني كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح[1] .

وقد خرج الفسوي من حديث حماد بن زيد عن عمرو بن دينار عن محمد ابن على أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله اختار العرب ، ثم اختار منهم كنانة أو النضر بن كنانة ، ثم اختار منهم قريشاً ، ثم اختار منهم بني هاشم . وهو حديث مرسل .

وله أيضاً من حديث إسماعيل بن أبي خالد ، عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله ابن الحرث بن نوفل ، عن العباس رضي الله تعالى عنه قال : قلت : يارسول الله إن قريشاً إذا التقوا ، لقي بعضهم بعضاً بالبشاشة ، وإذا لقونا لقونا بوجوه لا

---

(١) سبق تخريج هذه الأحاديث والتعليق عليها بالشرح .

لا نعرفها !! فغضب رسول الله ﷺ عند ذلك غضباً شديداً ثم قال : والذي نفس محمد بيده ، لا يدخل الجنة قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله ، وقلت : يارسول الله ، إن قريشاً جلسوا فتذاكروا أحسابهم ، فجعلوا مثلك مثل نخلة في كناس الأرض ، فقال رسول الله ﷺ : إن الله عز وجلّ يوم خلق الخلق جعلني في خيرهم ، ثم حين فرقهم جعلني في خير الفريقين ، ثم حين جعل القبائل جعلني في خير قبيلة ، ثم جعلني حين جعل البيوت في خير بيوتهم ، فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً[1] .

وخرج الترمذي من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحرث عن العباس بن عبد المطلب ، قال : قلت : يارسول الله ! إن قريشاً جلسوا فتذاكروا أحسابهم ، فجعلوا مثلك كمثل نخلة في كناسة الأرض ، فقال رسول الله ﷺ : إن الله خلق الخلق فجعلني من خير فرقهم ، وخير الفريقين ، ثم خير القبائل ، فجعلني في خير القبيلة ، ثم في خير البيوت ، فجعلني في خير بيوتهم ، فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً . انفرد به الترمذي وقال : هذا حديث

---

(١) ونحوه في أبواب المناقب من (سنن الترمذي) : ١٠ / ٥٤ حديث رقم (٣٨٤٩) ، وقال فيه « فجعلوا مثلك مثل نخلة في كبوة من الأرض » ، أي كصفة نخلة نبتت في كناسة من الأرض ، والمعنى أنهم طعنوا في حسبك .

قال الجزري في (النهاية) : ٤ / ١٤٥ : كَبَاَ ، فيه : « ما عَرَضْتُ الإسلام على أحد إلا كانت عنده له كَبْوَة ، غير أبي بكر فإنه لم يتلعثم » . الكبوة : الوقفة كوقفة العاثر ، أو الوقفة عند الشيء يكرهه الإنسان . ومنه « كبا الزَّندُ » إذا لم يُخرجْ ناراً .

ومنه حديث أم سلمة قالت لعثمان : « لا تقدحْ بزنْد كان رسول الله ﷺ أكباها » ، أي عطَّلها من القدح فلم يوربها .

وفي حديث العباس « قال : يارسول الله ، إن قريشاً جعلوا مَثَلَكَ مَثَلَ نخلةٍ في كبوة من الأرض » قال شَمِر : لم نسمع الكبوة ، ولكنا سمعنا الكِبا ، والكُبَة ، وهي الكناسة والتراب الذي يكنس من البيت .

وقال الزمخشري في (الفائق) : ٣ / ٢٤٢ : وعنه ﷺ أنه قيل له : أين ندفن ابنك ؟ قال : عند فَرَطِنا عثمان بن مظعون ، وكان قبر عثمان عند كِبَا بني عمرو بن عوف .

وقال أصحاب الفراء : الكبة المزبلة ، وجمعها كبون ، وأصلها كُبْوة ؛ من كبوت البيت إذا كنسته ، وعلى الأصل جاء الحديث ، إلا أن المحدِّث لم يضبط الكلمة فجعلها كَبْوة بالفتح ، وإن صحت الرواية فوجهها أن تطلق الكبوة ، وهي الكَسْحة ، على الكساحة .

حسن . وعبد الله بن الحرث هو ابن نوفل[١] .

ورواه أبو نعيم عن سفيان عن يزيد بن أبي زياد ، فزاد في إسناده : المطلب ابن أبي وداعة . قال الإمام أحمد : حدثنا أبو نعيم عن سفيان عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحرث بن نوفل ، عن المطلب بن أبي وداعة قال : قال العباس : بلغه ﷺ بعض ما يقول الناس ، قال : فصعد المنبر فقال : من أنا ؟ فقالوا : أنت رسول الله ، قال : أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، إن الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه ، وجعلهم فريقين فجعلني في خير فرقة ، فأنا خيركم بيتاً وخيركم نفساً . وقد خرجه الترمذي من حديث أبي عوانة عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحرث قال : حدثني المطلب بن ربيعة أن العباس دخل على رسول الله ﷺ مغضباً وأنا عنده فقال : ما أغضبك ؟ فذكر نحوه وقال : هذا حديث حسن صحيح . قال : ورواه جرير عن عبد الحميد عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحرث عن المطلب بن ربيعة وهو الصواب . قال كاتبه : وهكذا رواه يزيد بن عطاء عن يزيد بن أبي زياد كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

[وخرج][٢] أبو بكر بن أبي شيبة من حديث ابن فضيل عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث ، عن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب قال : بلغ النبي ﷺ أن قوماً نالوا منه وقالوا له : إنما مثل محمد كمثل نخلة تنبت في كناس ، فغضب رسول الله ﷺ [و][٢] قال : إن الله خلق خلقه فجعلهم فرقتين ، فجعلني في خير الفرقتين ، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلاً ، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً ، ثم قال رسول الله ﷺ : إني خيركم قبيلاً وخيركم بيتاً . قال البيهقي : كذا قال عن ربيعة بن الحرث ، وقال غيره : عن المطلب بن ربيعة بن الحرث ، وابن ربيعة إنما هو عبد المطلب بن ربيعة له صحبة ، وقد قيل : عن المطلب بن أبي وداعة . ثم ذكر حديث أبي نعيم الفضل بن دكين قال : حدثنا سفيان عن يزيد ابن أبي زياد عن عبد الله بن الحرث بن نوفل عن عبد المطلب بن أبي وداعة قال :

---

(١) سبق الإشارة إليه وشرحه .

(٢) زيادة للسياق .

قال العباس : بلغه بعض ما يقول الناس ، وفي رواية : عن عبد المطلب بن أبي وداعة قال : قال رسول الله ﷺ – وبلغه بعض ما يقول الناس – فصعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال : من أنا ؟ قالوا : أنت رسول الله ، قال : أنا محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب ، إن الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه ، وجعلهم فريقين فجعلني في خير فرقة ، وجعلهم قبائل فجعلني في خير قبيلة ، وجعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً ، فأنا خيركم بيتاً وخيركم نفساً[1] .

وخرجه الإمام أحمد من حديث حسين بن محمد ، حدثنا يزيد بن عطاء عن يزيد بن عبد الله عن عبد الله بن الحرث بن نوفل عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحرث قال : أتى ناس من الأنصار النبي ﷺ فقالوا : إنا نسمع من قومك حتى يقول القائل منهم : إنما محمد مثل نخلة تنبت في كنا ، قال : حسين : الكنا ، الكناسة ، فقال رسول الله ﷺ : أيها الناس ! من أنا ؟ قالوا : أنت رسول الله ، قال : أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، قال : فما سمعناه ينتمي قبلها إلا أن الله خلق خلقه فجعلني في خير خلقه ، ثم فرقهم فرقتين فجعلني في خير الفريقين ، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة ، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً ، فأنا خيركم بيتاً وخيركم نفسا[1] .

وخرجه الترمذي من حديث سفيان عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحرث ، عن عبد المطلب بن أبي وداعة قال : جاء العباس إلى رسول الله ﷺ وكأنه سمع شيئاً فقام النبي فقال : من أنا ؟ فقالوا : أنت رسول الله ، قال : أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، إن الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم ، ثم جعلهم فريقين فجعلني في خيرهم فرقة ، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة ، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً وخيرهم نفساً . انفرد به الترمذي وقال : هذا حديث حسن [صحيح غريب][2] .

---

(١) سبق تخريج وشرح نظائر هذه الأحاديث على خلاف في السياقات لكن بنفس المعنى .
(٢) زيادة من رواية الترمذي ، (تحفة الأحوذي) : ١٠ / ٥٤ – ٥٥ ، حديث رقم (٣٨٥٠) ، وسبق شرحه .

وللفسوي من حديث قيس عن الأعمش عن عباية بن ربعي عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله عز وجل خلق الخلق قسمين فجعلني في خيرهم قسماً ، وذلك قوله : ﴿ **لأصحاب اليمين** ﴾[1] ، ﴿ **أصحاب الشمال** ﴾[2] ، فأنا من أصحاب اليمين ، وأنا خير أصحاب اليمين ، ثم جعل القسمين [أثلاثاً][3] فجعلني في خيرهم ثلثا ، فذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ **فأصحاب الميمنة** ﴾[4] ، ﴿ **والسابقون** ﴾[5] ، فأنا من السابقين وأنا خير السابقين ، ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة ، وذلك قول الله عز وجل : ﴿ **وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير** ﴾[6] ، فأنا[7] أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر ، ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرهم[8] ، بيتاً ، فذلك قوله عز وجل : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾[9] ، فأنا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب[10] .

وخرج البيهقي من حديث محمد بن ذكوان عن عمرو بن دينار عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما : إنا لقعود بفناء النبي ﷺ إذ مرت[11] إمرأة ، فقال بعض

---

(١) الواقعة : ٣٨ . (٢) الواقعة : ٤١ ، وفي (خ) : « وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال » ، وما أثبتناه موافق للتنزيل .

(٣) في (خ) : « ثلاثاً » والتصويب من (دلائل البيهقي) .

(٤) الواقعة : ٨ (٥) الواقعة : ١٠ ، وفي (خ) بين الآيتين قوله تعالى : ﴿ **وأصحاب المشئمة** ﴾ ، والسياق يقتضي عدم إثباتها .

(٦) الحجرات : ١٣ (٧) في (دلائل البيهقي) : « وأنا » .

(٨) في المرجع السابق : « في خيرها » (٩) الأحزاب : ٣٣ .

(١٠) (دلائل النبوة للبيهقي) : ١ / ١٧٠ - ١٧١ ، وقال : « فيه غرابة ونكارة » .

ورواية عباية بن ربعي - من غلاة الشيعة - له عن علي : « أنا قسيم النار » ، وحديث الصراط ، قال الخريبي : « كنا عند الأعمش فجاءنا يوماً وهو مغضب ، فقال : « ألا تعجبون من موسى بن طريف يحدث عن عباية عن علي : « أنا قسيم النار » .

وذكره العقيلي في (الضعفاء الكبير) : ٣ / ٤١٥ ، وقال : روى عنه موسى بن طريف ، كلاهما غاليان ملحدان .

(١١) زيادة من (دلائل البيهقي) : ١ / ١٧٢ .

القوم : هذه [ابنة][1] رسول الله ، فقال أبو سفيان : مثل محمد في نبي هاشم مثل الريحانة في وسط النتن ، فانطلقت المرأة فأخبرت النبي ﷺ ، فجاء يُعرف في وجهه الغضب فقال : ما بال أقوال تبلغني عن أقوام ؟! إن الله عز وجل خلق السموات سبعاً ، فاختار العلياء منها فأسكنها من شاء من خلقه ، ثم خلق الخلق واختار من الخلق بني آدم ، واختار من بني آدم العرب ، واختار من العرب مضر ، واختار من مضر قريشاً ، واختار من قريش بني هاشم ، واختارني من بني هاشم ، فأنا من خيار إلى خيار ، فمن أحب العرب فبحبي أحبهم ، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم[2] .

وخرج البخاري من حديث عبد الواحد ، أنبأنا كريم بن وائل ، حدثتني ربيبة النبي ﷺ - زينب بنت أبي سلمة - قالت : قلت لها : أرأيت النبي ﷺ أكان من مضر ؟ قالت : فَمِمَّن كان إلا من مضر ؟ من بني النضر بن كنانة[3] .

---

(١) في (خ) : « امرأة » وما أثبتناه من المرجع السابق .

(٢) سرده العقيلي في الضعفاء وقال : « لا يتابع عليه » ، ومن رواته يزيد بن عوانة ، عن محمد بن ذكوان ، فيزيد بن عوانة ، ضعَّفَهُ العقيلي ، وسرد له الحديث المنكر هذا ، وقال : « لا يتابع عليه » . (الميزان) : ٤ / ٤٣٦ ، أما محمد بن ذكوان الأزدي الطاحي اتفقوا على ضعفه ، قال البخاري : منكر الحديث . وقال النسائي : ليس بثقة ولا يكتب حديثه . وقال ابن حبان : سقط الاحتجاج به .

(٣) أخرجه البخاري في أول كتاب المناقب ، باب قول الله تعالى : ﴿ **يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ [الحجرات : ١٣] ، وقوله : ﴿ **واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا** ﴾ [النساء : ١] وما ينهى عن نسب الجاهلية ، حديث رقم : (٣٤٩١) ، حدثنا قيس بن حفص ، حدثنا عبد الواحد ، حدثنا كليب ابن وائل قال : حدثتني ربيبة النبي ﷺ زينب ابنة أبي سلمة قال : « قلت لها : أرأيت النبي ﷺ أكان من مُضر ؟ قالت : فممن كان إلا من مُضر ؟ من بني النضر بن كنانة » .

وحديث رقم (٣٤٩٢) ، حدثنا موسى ، حدثنا عبد الواحد ، حدثنا كليب ، حدثتني ربيبة النبي ﷺ - زينب - قالت : « نهى رسول الله ﷺ عن الدُّبّاء ، والحنتم ، والمقيَّر ، والمزفَّت . وقلت لها : أخبريني ، النبي ﷺ ممن كان ، من مُضر كان ؟ قالت : فممن كان إلا من مضر ؟ كان من ولد النضر بن كنانة » .

قوله : « مضر » ، هو ابن نزار بن معد بن عدنان . والنسب ما بين عدنان إلى إسماعيل بن إبراهيم مختلف فيه كما سيأتي ، وأمامن النبي ﷺ إلى عدنان فمتفق عليه . وقال ابن سعد في (الطبقات) : حدثنا هشام بن الكلبي قال : « علمني أبي وأنا غلام نسب النبي ﷺ فقال : محمد بن عبد الله =

ولأبي داود الطيالسي من حديث حماد بن سلمة عن عقيل بن طلحة السلمي عن مسلم بن هَيْضَم عن الأشعث بن قيس قال : قلت : يارسول الله ، إنا نزعم أنا منكم أو أنكم منا ؟ فقال : نحن من بني النضر بن كنانة ، لا ننتفي من أبينا ولا نقفوا أمنا ، قال : فقال الأشعث : لَا أُوتَى بِرَجُل نَفَى رَجُلاً من قريش من النَّضْر بن كنانة ، إلاَّ جَلَدْتُهُ ....

ابن عبد المطلب - وهو شيبة الحمد - بن هاشم - واسمه عمرو - بن عبد مناف واسمه المغيرة بن قصي واسمه زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهر وإليه جماع قريش » .

« وما كان فوق فهر فليس بقرشيّ بل هو كناني ، ابن مالك بن النضر واسمه قيس بن كنانة بن خزيمة بن مدركه ، واسمه عمرو بن إلياس بن مُضر .

وروى الطبراني بإسناد جيد ، عن عائشة قالت : « استقام نسب الناس إلى معد بن عدنان » . ومُضر بضم الميم وفتح المعجمة ، يقال : سمي بذلك لأنه كان مولعاً بشرب اللبن الماضر ، وهو الحامض ، وفيه نظر لأنه يستدعي أنه كان له اسم غيره قبل أن يتصف بهذه الصفة ، نعم يمكن أن يكون هذا اشتقاقه ، ولا يلزم أن يكون متصفاً به حال التسمية ، وهو أول من حدا الإبل .

وروى ابن حبيب في تاريخه عن ابن عباس قال : « مات عدنان ، وأبوه ، وابنه معد ، وربيعة ، ومُضر ، وقيس ، وتميم ، وأسد وضبَّة ، على الإسلام على ملة إبراهيم عليه السلام .

وروى الزبير بن بكار من وجه آخر ، عن ابن عباس رضي الله عنهما : « لا تسبوا مُضَر ولا ربيعة ، فإنهما كانا مسلمين » ، ولابن سعد من مرسل عبد الله بن خالد ؛ رفعه : « لا تسبوا مُضر فإنه كان قد أسلم » .

قوله : « من بني النضر بن كنانة » ، أي المذكور ، وروى أحمد وابن سعد ، من حديث الأشعث ابن قيس الكندي قال : « قلت : يا رسول الله ، أنَّا نزعم أنكم منا - يعني من اليمن - فقال : نحن بنو النضر بن كنانة » . وروى ابن سعد من حديث عمرو بن العاص ، بإسناد فيه ضعف مرفوعاً « أنا محمد بن عبد الله ، وانتسب حتى بلغ النضر بن كنانة ، قال : فمن قال غير ذلك فقد كذب » .

وإلى النضر تنتهي أنساب قريش ، وسيأتي بيان ذلك في الباب الذي يليه [من أبواب البخاري] ، وإلى كنانة منتهى أنساب أهل الحجاز .

وقد روى مسلم من حديث واثلة مرفوعاً : « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى من كنانة ، قريشاً ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم » .

ولابن سعد من مرسل أبي جعفر الباقر : ثم اختار بني هاشم من قريش ، ثم اختار بني عبد المطلب من بني هاشم .

قوله : « وأظنها زينب » كأن قائله موسى ، لأن قيس بن حفص في الرواية التي قبلها قد جزم بأنها زينب ، وشيخهما واحد . لكن أخرجه الإسماعيلي من رواية حبان بن هلال ، عن عبد الواحد وقال : لا أعلمها إلا زينب ، فكأن الشك فيه من شيخهم عبد الواحد ، كان يجزم بها تارة ، ويشك تارة أخرى .

الحد[1] .

وقال أبو محمد عبد الله بن محمد بن ربيعة القدامي : حدثنا مالك بن أنس عن الزهري عن أنس بن مالك وعن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام قال : بلغ النبي ﷺ أن رجالاً من كندة يزعمون [أنه][2] منهم ، فقال : « إنما كان يقول [ذاك][3] العباس وأبو سفيان بن حرب إذا قدما المدينة ليأمنا بذلك ، وإنا لن نَنْتَفي من آبائنا ، نحن [بنو][4] النضر بن كنانة ، قال : وخطب رسول الله ﷺ فقال : أنا محمد بن عبد الله ، بن عبد المطلب ، بن هاشم ، بن عبد مناف ، ابن قصي ، بن كلاب ، بن مرة ، بن كعب ، بن لؤي ، بن غالب ، بن فهر ، ابن مالك ، بن النضر ، بن كنانة ، بن خُزَيمة ، بن مدركة ، بن إلياس ، ابن مضر ، ابن نزار » ، وما افترق الناس فريقين إلا جعلني [الله][5] في خيرهما ، فأخرجت [من][5] بين أبوين فلم يصبني شيء من عهر الجاهلية ، خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح ، من لدن آدم حتى [انتهيت][6] ، إلى أبي وأمي ، فأنا خيركم نفساً وخيركم أباً . قال البيهقي : تفرد به أبو محمد عبد الله بن محمد بن ربيعة

---

(١) أخرجه ابن ماجه في (السنن) ، كتاب الحدود ، باب (٣٧) من نفي رجلاً من قبيلته ، حديث رقم (٢٦١٢) ولفظه : عن مسلم بن الهيضم ، عن الأشعث بن قيس ، قال : أتيتُ رسول الله ﷺ في وفد كنده ، ولا يروني إلا أفضلهم . قلت : يارسول الله ! ألستم منا ؟ فقال : « نحن بنو النضر ابن كنانة ، لا نقفوا أمنا ولا ننتفي من أبينا » ، قال : فكان الأشعث بن قيس يقول : لا أُوتى برجل نفي رجلاً من قريش ومن النضر بن كنانة إلا جلدته الحدّ .

قال في (الزوائد) : هذا إسناد صحيح ، رجاله ثقات ، لأن عقيل بن طلحة وثّقهُ ابن معين والنسائي ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وباقي رجال الإسناد على شرط الإمام مسلم .

وقال في (النهاية) : « لا نقفوا أمَّنا » ، أي لا نتّهمها ولا نقذفها ، يقال : قفا فلان فلاناً : إذا اتهمه بما ليس فيه . وقيل معناه : لا نترك النسب إلى الآباء ، وننتسب إلى الأمهات . (سنن ابن ماجه) : ٢ / ٨٧١ . وفي (خ) : « ولا نقثوا من أمنا » ، وهو خطأ من الناسخ وما أثبتناه من المرجع السابق ومن المرجع التالي .

وأخرجه أيضاً الإمام أحمد في (المسند) : ٦ / ٢٧٦ ، حديث رقم (٢١٣٣٢) بنحوه سواء .

(٢) في (خ) : « أنهم » .

(٣) في (خ) : « ذلك » .

(٤) في (خ) : « بني » .

(٥) زيادة من (دلائل البيهقي) .

(٦) في (خ) : « أتيت » والتصويب من المرجع السابق .

القدامي ، وله عن مالك وغيره أفراد لم تُتَابَعْ عليها .

قال كاتبه : قال ابن عدي : عن عبد الله بن محمد بن ربيعة بن قدامة بن مظعون أبو محمد المصيصي[1] ، عامة أحاديثه غير محفوظة ، وهو ضعيف على ما تبين لي من رواياته واضطرابه ، ولم أر للمتقدمين فيه كلاماً .

وخرج البخاري من حديث قتيبة بن سعيد ، أنبأنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد المقبرى عن أبي هريرة رضي أن رسول الله ﷺ قال : بعثتُ من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى كنت من القرن الذي كنت فيه . ذكره في باب صفة النبي ﷺ[2] .

وخرج البيهقي من حيث عمرو بن عبد الله بن نوفل عن الزهري عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : [قال] لي جبريل عليه السلام : قلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلاً أفضل من محمد ، وقلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد بني أب أفضل من بني هاشم[3] .

وخرج البخاري من حديث شعبة ، حدثني عبد الملك عن طاووس عن ابن عباس [في قوله تعالى] : ﴿ **إلا المودة في القربي** ﴾ ، قال : فقال سعيد بن جبير :

---

(١) هو عبد الله بن محمد بن ربيعة القُدامي من أهل المصيصة ، كان يقلب الأخبار ، قلب على مالك أكثر من مائة حديث وخمسين حديثاً ، ذكره ابن حبان في (المجروحين) : ٢ / ٣٩ . (دلائل النبوةالبيهقي) : ١٧٤ - ١٧٥ .

(٢) (فتح الباري) : ٦ / ٧٠١ ، كتاب المناقب ، باب (٢٣) صفة النبي ﷺ ، حديث رقم (٣٥٥٧) . ورواية البيهقي : « كنتُ فيه » .

قوله : « بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً » ، القرن الطبقة من الناس المجتمعين في عصر واحد ، ومنهم من حدَّه بمائة سنة ، وقيل بسبعين ، وقيل بغير ذلك . فحكى الحربي الاختلاف فيه من عشرة إلى مائة وعشرين ، ثم تعقب الجميع وقال : الذي أراه أن القرن كل أمة هلكت حتى لم يبق منها أحد . وقوله : « قرناً » بالنصب على الحال للتفصيل . وفي رواية الإسماعيلي : « حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه » . (المرجع السابق) ، (دلائل البيهقي) : ١ / ١٧٥ .

(٣) (دلائل النبوة للبيهقي) : ١ / ١٧٦ ، وتعقَّبه بقوله : « قال أحمد : هذه الأحاديث وإن كان في روايتها من لا تصح به ، فبعضها يؤكد بعضاً ، ومعنى جميعها يرجع لما روينا عن واثلة بن الأسقع وأبي هريرة . والله تعالى أعلم .

قربى محمد ، فقال : إن النبي ﷺ لم يكن بطن[1] من قريش إلا وله فيه قرابة ، فنزلت [عليه][2] فيه إلا أن تصلوا قرابة بيني وبينكم . ذكره في باب قوله تعالى : ﴿ يٰأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ﴾[3] .

وخرجه في التفسير من حديث شعبة عن عبد الملك بن ميسرة ، سمعت طاووساً يقول : عن ابن عباس أنه سئل عن قوله : ﴿ إلا المودة في القربى ﴾ فقال سعيد

---

(١) في (خ) : « في بطن » . (٢) زيادة من (البخاري) .

(٣) (فتح الباري) : ٦ / ٦٥٢ ، حديث رقم : (٣٤٩٧) ، ونحوه حديث رقم : (٤٨١٨) ، حدثني محمد بن بشّار ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة قال : سمعت طاووساً عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سُئل عن قوله : ﴿ إلا المودة في القربى ﴾ ، فقال سعيد بن جبير : قُربى آل محمد ﷺ ، فقال ابن عباس : عجلتَ ، إن النبي ﷺ لم يكن بَطْنٌ من قريش إلا كان له فيهم قرابة ، فقال : إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة » .

قوله : ﴿ إلا المودة في القربى ﴾ ، ذكَرَ فيه حديث طاووس « عن ابن عباس ، سئل عن تفسيرها ، فقال سعيد بن جبير : قربى آل محمد ، فقال ابن عباس : « عجلت » أي أسرعت في التفسير ، وهذا الذي جزم به سعيد بن جبير ، قد جاء عنه من روايته عن ابن عباس مرفوعاً ، فأخرج الطبري وابن أبي حاتم من طريق قيس بن الربيع عن الأعمش عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت قالوا : يارسول الله ، من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم ؟ .. الحديث ، وإسناده ضعيف ، وهو ساقط لمخالفته هذا الحديث الصحيح .

والمعنى : إلا أن تودوني لقرابتي فتحفظوني ، والخطاب لقريش خاصة ، والقربي قرابة العصوبة والرحم ، فكأنه قال : احفظوني للقرابة إن لم تتبعوني للنبوة .

وقد جزم بهذا التفسير جماعة من المفسرين ، واستندوا إلى ما ذكرته عن ابن عباس من الطبري وابن أبي حاتم ، وإسناده واهٍ فيه ضعيف ورافضي .

وذكر الزمخشري هنا أحاديث ظاهر وضعها ، وردَّه الزجاج بما صح عن ابن عباس من رواية طاووس .

وقد روى سعيد بن منصور من طريق الشعبي قال : أكثَروا علينا في هذه الآية فكتبتُ إلى ابن عباس أسأله عنها ، فكتب : إن رسول الله ﷺ كان واسط النسب في قريش ، لم يكن حيّ من أحياء قريش إلا ولده ، فقال الله : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾ تودوني بقرابتي منكم ، وتحفظوني في ذلك .

وقوله : ﴿ القربى ﴾ ، هو مصدر ، كالزلفى والبشرى ، بمعنى القرابة ، والمراد في أهل القُربى ، وعبَّر بلفظ ﴿ في ﴾ دون اللام كأنه جعلهم مكاناً للمودة ومقراً لها ، كما يقال : في آل فلان هوى ، أي هم مكان هواى ، ويحتمل أن تكون ﴿ في ﴾ سببية ، وهذا على أن الاستثناء متَّصل ، فإن كان منقطعاً فالمعنى لا أسألكم عليه أجراً قط ، ولكن أسألكم أن تودوني بسبب قرابتي فيكم . (فتح الباري) : ٨ / ٧٢٤ - ٧٢٦ باختصار من شرح الحديث رقم (٤٨١٨) من كتاب التفسير .

ابن جبير : قربى آل محمد ، فقال ابن عباس : [عجلت][1] إن رسول الله[2] ﷺ لم يكن [بطنٌ][3] من قريش إلا كان له [فيهم][4] قرابة : إلا أن تصلوا[5] ما بيني وبينكم من القرابة .

وخرج أبو نعيم من حديث ورقاء بن عمر عن ابن أبي نجيح عن عطاء ومجاهد عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : لم يلتق أبواي على سفاح ، لم يزل الله ينتقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة ، مصفى مهذباً ، ولا يتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما[6] .

وخرج البيهقي في سننه من حديث هُشيم ، حدثنا الملالي أو المليلي ، أو كما قال عن أبي الحويرث عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : ما ولدني من سفاح أهل الجاهلية ، ما ولدني إلا نكاح كنكاح أهل الإسلام[7] .

قال أبو نعيم : ووجه الدلالة في هذه الفضيلة أن النبّوة مُلك وسياسة عامة ، وذلك قوله تعالى : ﴿ **أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً** ﴾[8] ، والملك في ذوي الأحساب والأخطار من الناس ، وكلما كانت خصال فضله أوفر كانت الرعية بالانقياد له أسمع ، وإلى طاعة مطيعة أسرع .

---

(١) في (خ) : « علمت » .
(٢) في (خ) : « إن النبي ﷺ » .
(٣) في (خ) : « بطناً » .
(٤) في (خ) : « فيهم » .
(٥) في (خ) : « تصلوا قرابة ما بيني وبينكم من القرابة » والتصويبات السابقة من رواية المرجع السابق .
(٦) أخرجه أبو نعيم في (دلائل النبوة) : ١ / ٥٧ ، الفصل الثاني ، ذكر فضيلته ﷺ بطيب مولده وحسبه ونسبه ، حديث رقم (١٥) ، ولفظه : حدثنا محمد بن سليمان الهاشمي قال : أحمد بن محمد بن سعيد المروزي قال : حدثنا محمد بن عبد الله ، حدَّثني أنس بن محمد قال : حدثنا موسى بن عيسى قال : حدثنا يزيد بن أبي حكيم ، عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « لم يلتق أبواي في سفاح ، لم يزل الله عزَّ وجلَّ ينقلني من أصلاب طيبة إلى أرحام طاهرة صافيا مهذباً لا تتشعب شعبتان إلا كنتُ في خيرهما » . قال السيوطي في (الخصائص) : ١ / ٩٣ ، أخرجه أبو نعيم من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما .
(٧) أخرجه البيهقي في (السنن الكبرى) : ٧ / ١٩٠ ، باب نكاح أهل الشرك وطلاقهم .
(٨) النساء : ٥٤ .

وإذا كان في الملك وتوابعه نقيصة ، نقص عدد أتباع رعيته ، ففي اختيار الله له ﷺ أن أمده بكل ما بالملوك إليه حاجة ، ليدعو الناس إلى اتباعه ، ولذلك قال قوم شعيب : ﴿ **ما نفقه كثيراً مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك لرجمناك** ﴾[1] الآية . وقال فرعون لموسى : ﴿ **أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين** ﴾[2] ، فأزرى فرعون به ليثبط بذلك القوم عن اتباعه ، حتى شكا موسى إلى الله تعالى وسأله أن يحل العقدة عن لسانه ليفقهوا قوله ، وقال : ﴿ **وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي رِدْءاً يصدقني** ﴾[3] ، فدل ذلك على أن الملك لا يُجعل إلا في أهل الكمال والمهابة ، وهاتان الخصلتان لا توجدان في غير ذوي الأحساب .

فجل الله تعالى لنبيه محمد ﷺ من الحظوظ أوفرها ، ومن السهام أوفاها وأكثرها ، ولذلك قال عليه السلام فأنا من خيار إلى خيار ، وجعله أيضا من أفضل البقاع مولداً ومسكناً ومخرجاً ، وهي البقعة التي افترض الله على جميع الموحدين من المستطيعين حجَّها ، فكان بهذا أيضا أفضلهم نفساً وحسباً وداراً ﷺ ، ولذلك سأل هرقل أبا سفيان بن حرب عن حسبه فقال : كيف حسبه فيكم ؟ فقال : هو من أوسطنا حسباً ، فقال له هرقل : كذلك الأنبياء .

* * *

---

(١) هود : ٩١ .

(٢) الزخرف : ٥٢ .

(٣) القصص : ٣٤ .

وأمـــا أنَّ
أسماءه خير الأسـمـاء

فقد تقدم أنه محمد وأحمد والماحي والحاشر والعاقب والفاتح والخاتم والمقفى ونبي التوبة ، ونبي الملحمة ، ونبي الرحمة[1] .

قال أبو نعيم : وفيما تضمنه اسمه الماحي والحاشر ونبي الرحمة والملحمة من معانٍ لطيفة ، وفوائد جليلة ؛ فإن الماحي إذا جرى على اللفظ المفسر في الخبر أن الله يمحو به الكفر ، كان ذلك دلالة وبشارة بكثرة الفتوح وانتشار ضياء الإسلام في الأرضيين وصفحتيها شرقاً وغرباً ، وأن سلطان الإسلام يكون غالباً ، وسلطان الكفر دارساً عافنا ، وذلك يرجع إلى معنى قوله تعالى : ﴿ **ليظهره على الدين كله** ﴾[2] ، وليس معنى المحو أن يحسم الكفر أصلاً حتى لا يوجد في الأرض كافراً ، بل معناه أن يكونوا مقهورين باعتلاء المسلمين عليهم ، حتى تكون الأقضية والأحكام والحل والعقد للمسلمين دونهم ، وأن الكفار مغمورون خاملون ، خاملو الذكر ساقطو الصيت والكلام ، أما الذمةعقدت عليهم بصغار الجزية ، وإما لخوفهم من سيوف الإسلام فيهم غزواً وجهاداً ، وهذا سائغ بين أهل اللسان والبيان ، أن معنى المحو مرجعه إلى الخمول والكتمان ، ويريدون بالمحو سقوطه وخموله لظهور العالمين والقاهرين عليهم ، ومعنى المحو إنْ أضيف إليه ﷺ فلإجراء الله ذلك على يديه ، فأضيف إليه كما أن الهداية مضافة إليه ﷺ والهادي هو الله ، فكذلك الماحي في

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب ، باب (١٧) ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ ، وقول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار** ﴾ [الفتح : ٢٩] ، وقوله : ﴿ **من بعدي اسمه أحمد** ﴾ [الصف : ٦] ، حديث رقم (٣٥٣٢) ، قال رسول الله ﷺ : « ولي خمسة أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب » . (فتح الباري) : ٦ / ٦٨٨ ، (المرجع السابق) : ٨ / ٨٢٦ ، حديث رقم (٤٨٩٦) بنحوه .

(٢) الفتح : ٢٨ ، الصف : ٩ .

الحقيقة هو الله تعالى القاهر ، فأضاف ذلك إلى الرسول عليه السلام ، إذ جرى ذلك على يده بتمكين الله تعالى له ، وتسليطه على من كذبه وجحده ، وهذه بشارة قد تحقق صدقها فيه لظهور المسلمين وعلوهم على من خالفهم ، فتحققت الدلالة ولله الحمد .

ومعنى الحاشر على ماروى الخبر : أنه الذي يحشر الناس على قدمه ، أي لا نبوة بعده ، وأن شريعته قائمة ثابتة إلى قيام الساعة ، اهتدى بها من اهتدى ، أو ضَلَّ عنها من ضَلَّ .

ومعنى نبي الرحمة مثل قوله : إنما أنا رحمة مهداه ، فبعثته من الله رحمة ، هدى بها من شاء رحمته وهداه ، وسمى كالمطر المسمى رحمة ، لأن الله يرحم عباده بالمطر فيسوق إليهم بالمطر الخيرات ، ويوسع عليهم بها النبات والأقوات ، ولا يوجب هذا الاسم أن الله رحم به كل المدعوين من عباده ، وذلك إنما يجري الله على لسانه من الدعاء والبيان ، وإن كان رحمة فصورته كعطيةٍ من قبلها فاز بنفعها ، ومن تركها وردَّها حُرم نفعها ووجب عليه العقاب .

قال كاتبه ويؤيد هذا ما رواه البيهقي من حديث السعودي عن سعيد بن أبي سعيد عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾[1] ، قال : من آمن بالله ورسوله تمت له الرحمة في الدنيا والآخرة ، ومن لم يؤمن بالله ورسوله عوفي مما كان يصيب الأمم في عاجل الدنيا من العذاب من الخسف والمسخ والقذف ، فتلك الرحمة في الدنيا .

قال أبو نعيم : ومعنى نبي الرحمة : فهو إعلام منه يكون بعده وفي زمانه من الحروب والجهاد ، والقتل والسبي . ومعنى الرحمة في إرساله : أن الله تعالى لم يعجل معجزته ودلائله كدلائل الماضين قبله من الأنبياء ؛ وذلك أن الماضين من الأمم كانوا يقترحون على أنبيائهم ويتحكمون عليهم بالآيات على حسب شهوتهم واقتراحهم ، فكان دأب الله فيهم الاصطلام إذ لم يؤمنوا بها كقوله لما اقترحوا على عيسى المائدة : ﴿ **قال**

---

(١) الأنبياء : ١٠٦ .

الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ﴾[1] ، واقتدى بهم المشركون فسألوا النبي ﷺ الآيات اقتراحاً وتحكماً ، كقولهم : اجعل الصفا لنا ذهباً ، وأحيي لنا قصياً ، وسيِّر جبالنا لتتسع مزارعنا ، وائتنا بالملائكة إن كنت من الصادقين ، وأنزِلْ علينا كتاباً نقرؤه ، فأنزل الله تعالى رداً عليهم : ﴿ **ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعاً** ﴾[2] ، وقال : ﴿ **ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذاً منظرين** ﴾[3] فجعل الله تعالى لرحمته بهم الآية الباقية مدة الدنيا له ﷺ القرآن المعجز ، وتحدى به أرباب اللغة واللسان أن يأتوا بمثله أو بسورة أو بآية مثله ، فباؤا بالعجز عن معارضته مع تمكينهم من أصناف الكلام نظماً ونثراً ورجزاً وسجعاً ، وكان القرآن معجزة له ﷺ كإبراء الأكمه وإحياء الموتى لعيسى عليه السلام مع تقدم قومه بصناعة الطب ، وكقلب العصا حَيَّة لموسى وفلق البحر مع تمكن قوم فرعون وحذقهم بالسِّحر .

فكان من رحمة الله بهذه الأمة أن جعل أظهر دلائل نبوة محمد ﷺ القرآن الذي يعلم صدقه بالاستدلال الذي تعرض فيه الشبهة والشكوك ، لكنه لا يستأصل القوم المنكرون له كما استؤصل قوم صالح لما كفروا بالناقة ، وقوم موسى بانفلاق البحر ، وتلقف العصا حبالهم وعصيهم .

وإلى هذا المعنى يرجع قوله تعالى : ﴿ **وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً** ﴾[4] ، المعنى : أن إرادتنا لاستبقاء المقترحين للإيمان منعاً من إرسال الآيات التي اقترحوها بها ، لعلمنا بأنا نخرج من أصلابهم من يؤمن ، وإن من سبق له منا الرحمة بالإيمان فقال تعالى : ﴿ **أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى** ﴾[5] ، فدعاهم إلى التفكر والتذكر في القرآن الذي هو من

---

(1) المائدة : ١١٥ .
(2) الرعد : ٣١ .
(3) الحِجْر : ٨ .
(4) الإسراء : ٥٩ .
(5) العنكبوت : ٥١ .

جنس ما يعرفونه ويتعاطونه من الفصاحة والبيان .

أَبانَ بعد هذا وجه الرحمة في تسمية الله رسوله نبي الرحمة ، ونبي الملحمة ، والحاشر ، وإن الكتاب المعجز باقٍ عندهم بقاء الدهر ، كما قال : ﴿ **وأوحي إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ** ﴾[1] ، فمن بلغ وقبل فاز ونجا ، ومن رده وكذب به قوتل ، ونصبت بينه القتال والملحمة حتى ينقاد لشريعته ،أو يُقْتَل لسوء اختياره ، فتتم الرحمة بهذه المعاملة ، ويعرف فضل هذه الأمة على غيرها بإزالة الاستئصال والاصطلام الواقعة بغيرها من الماضين من الأمم .

وذكر من طريق عبد الجبار بن عمر الأيلي ، عن عبيد الله بن عطاء بن إبراهيم عن جدته : أم عطاء – مولاة الزبير بن العوام – قالت : سمعت الزبير بن العوام يقول : لما نزلت ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾[2] ، صاح رسول الله ﷺ على أبي قبيس : يابني عبد مناف ، إني نذير لكم ، فجاءت قريش فحذرهم وأنذرهم ، فقالوا : تزعم أنك نبي يوحى إليك ، وأن سليمان سخر له الجبال والريح ، وأن موسى سخر له البحر ، وأن عيسى كان يحي الموتى ، فادع الله أن يُسيِّر عنا الجبال ويفجر لنا الأرض أنهاراً ، فنتخذها محارث فنزرع ونأكل ، وإلا فادع الله بأن يحي لنا موتانا فنكلمهم ويكلمونا ، وإلا فادع الله أن يصير هذه الصخرة التي تحتك ذهباً ، فنبحث عنها وتغنينا عن رحلة الشتاء والصيف ، فإنك تزعم أنك كهيئتهم ، قال : فبينا نحن حوله إذ نزل عليه الوحي ، فلما سري عنه قال : والذي نفسي بيده ، لقد أعطاني ما سألتم ، ولو شئت لكان ، ولكن خيرني بين أن تدخلوا باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم ، وبين أن يكلكم إلى ما اخترتم لأنفسكم فتضلوا عن باب الرحمة فلا يؤمن منكم أحد ، فاخترت باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم ، وأخبرني أنه إن أعطاكم ذلك ثم كفرتم أنه يعذبكم عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين ، فنزلت : ﴿ **وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة** ﴾[3] ، فقرأ ثلاث آيات فنزلت : ﴿ **ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى** ﴾[4] .

---

(١) الأنعام : ١٩ .
(٢) الشعراء : ٢١٤ .
(٣) الإسراء : ٥٩ .
(٤) الرعد : ٣١ .

وخرج الحاكم من حديث معمر عن قتادة أنه تلا هذه الآية : ﴿ **فإما نذهبنَّ بك فإنا منهم منتقمون** ﴾[1] ، فقال : قال أنس : ذهب رسول الله وبقيت النقمة ، ولم يُرى الله نبيه في أمته شيئاً يكرهه حتى مضى ﷺ ، ولم يكن نبي من الأنبياء عليهم السلام إلا قد رأى العقوبة في أمته إلا نبيكم ﷺ . قال الحاكم : صحيح الإسناد .

* * *

---

(١) الزخرف : ٤١ .

وأما قسم الله تعالى بحياته ﷺ

فقد قال تعالى : ﴿ لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون ﴾[1] ، وإنما يقع القسم بالمعظم وبالمحبوب ، قوله : ﴿ لعمرك ﴾[2] ، أصله ضم العين من العُمُر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ، ومعناه : وبقائك يامحمد ، وقيل : وحياتك . قال القاضي أبو بكر محمد بن العربي[3] : قال المفسرون بأجمعهم : أقسم الله تعالى

---

(١) الحجر : ٧٢ .

(٢) الحجر : ٧٢ .

(٣) فيها ثلاث مسائل :

المسألة الأولى : قال المفسرون بأجمعهم : أقسم الله هنا بحياة محمد ﷺ تشريفاً له ، أن قومه من قريش في سكرتهم يعمهون » وفي حيرتهم يتردّدون ، قالوا : روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : ما خلق الله وما ذرأ ولا برأ نفساً أكرم عليه من محمد ﷺ ، وما سمعت اللهَ أقسم بحياة أحدٍ غيره ، وهذا كلام صحيح .

ولا أدري ما الذي أخرجهم عن ذكر لوط إلىٰ ذكر محمد ﷺ ، وما الذي يمنع أن يقسم بحياة لوطٍ ، ويبلغ به من التشريف ما شاء ؟ فكل ما يعطي الله للوطٍ من فضل ، ويؤتيه من شرف ، فلمحمد ﷺ ضعفاه ، لأنه أكرم على الله منه ، أوَلاَ تـراه قد أعطى لإبراهيم الخُلّة ، ولموسى التكليم ، وأعطى ذلك لمحمد ﷺ ، فإذا أقسم الله بحياة لوطٍ ، فحياة محمد أرفع ، ولا يخرج من كلام إلى كلامٍ آخر غيره لم يجر له ذكر لغير ضرورة .

المسألة الثانية : قوله : ﴿ لعمرك إنهم لفي سكرتهم ﴾ ، أراد به الحياة والعيش ، يقال : عُمْر ، وعَمْرٌ بضم العين وفتحها لغتان ، وقالوا : إن أصلها الضم ، ولكنها فُتحت في القسم خاصة لكثرة الاستعمال ، والاستعمال إنما هو غير القسم ، فأما القسم فهو بعض الاستعمال ، فلذلك صارا لغتين ، فتدبروا هذا .

المسألة الثالثة : قال أحمد بن حنبل : من أقسم بالنبي ﷺ لزمته الكفارة ؛ لأنه أقسم بما لا يتم الإيمان إلا به ، فلزمته الكفارة ، كما لو أقسم بالله تعالى .

وقدّمنا أن الله تعالى يقسم بما شاء من خلقه ، وليس لخلقه أن يقسموا إلا به ، لقوله ﷺ : « من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت » ، فإن أقسم بغيره فإنه آثم ، أو قد أتى مكروها على قدر درجات القسم وحاله .

وقد قال مالك : إن المستضعفين من الرجال والمؤمنين منهم ، يقسمون بحياتك وبعيشتك ، وليس من كلام أهل الذكر ، وإن كان الله أقسم به في هذه القصة ، فذلك بيان لشرف المنزلة ، وشرف المكانة ، فلا يُحمل عليه سواه ، ولا يستعمل في غيره .

وقال قتادة : هو من كلام العرب ، وبه أقول ؛ لكن الشرع قد قطعه في الاستعمال ، وردَّ القسم إليه . (أحكام القرآن لابن العربي) : ٣ / ١١٣٠ - ١١٣١ .

بحياة محمد ﷺ تشريفاً له ، أن قومه من قريش في سكرتهم يعمهون ، وفي حيرتهم يترددون . وقال القاضي عياض[1] : اتفق أهل التفسير في هذا أنه قسم من الله تعالى بمدة حياة محمد ﷺ ، ومعناه : وبقائك يامحمد ، وقيل : وعيشتك ، وقيل : وحياتك ، وهذه نهاية التعظيم ، وغاية البر والتشريف .

وخرج الحرث بن أبي أسامة من حديث عمرو بن مالك البكري ، عن أبي الجوزاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال : ما خلق الله وما ذرأ نفساً أكرم على الله من محمد ﷺ ، وما سمعت أن الله أقسم بحياة أحد إلا بحياته فقال : ﴿ **لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون** ﴾[2] ، وفي رواية : ما حلف الله بحياة أحد قط إلا بمحمد فقال : ﴿ **لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون** ﴾[2] ، وقال أبو الجوزاء : ما أقسم الله بحياة أحد غير محمد لأنه أكرم البرية عنده ، وقال ابن عقيل الحنبلي : وأعظم من قوله لموسى : ﴿ **واصطنعتك لنفسي** ﴾[3] ، وقوله لمحمد ﷺ : ﴿ **إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله** ﴾[4] ، وقوله تعالى : ﴿ **لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد** ﴾[5] ، المعنى : أقسم لا بالبلد ، فإن أقسمت بالبلد فلأنك فيه . قال ابن الجوزي : أقسم تعالى بتراب قدم محمد ﷺ فقال : ﴿ **لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد** ﴾[5] ، قال ابن عقيل : وقال تعالى : ياموسى ﴿ **فاخلع نعليك** ﴾[6] ، أي ولا تجيء إلا ماشياً ، ومحمد ركب البراق ولا يجيء إلا راكباً .

وقال القاضي أبو بكر بن العربي : أقسم الله بحياته ثم زاده شرفاً فأقسم بغبار رجليه فقال تعالى : ﴿ **والعاديات ضبحاً** ﴾[7] ، الآية[8] ، وقال أبو نعيم :

---

(١) (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) : ١ / ٢٥ ، الفصل الرابع في قسمه تعالى بعظيم قدره ﷺ .

(٢) الحجر : ٧٢ . (٣) طه : ٤١ . (٤) الفتح : ١٠ .

(٥) البلد : ١ . (٦) طه : ١٢ . (٧) العاديات : ١ .

(٨) (أحكام القرآن لابن العربي) : ٤ / ١٩٧٣ ، سورة العاديات ، قال : أقسم الله بمحمد ﷺ ، فقال : ﴿ **يس * والقرآن الحكيم** ﴾ ، وأقسم بحياته فقال : ﴿ **لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون** ﴾ ، وأقسم بخيله ، وصهيلها ، وغبارها ، وقدح حوافرها النار من الحجر ، فقال : ﴿ **والعاديات ضبحا * فالموريات قدحاً * فالمغيرات صبحاً * فأثرن به نقعاً * فوسطن به جمعاً** ﴾ العاديات : ١ - ٥ .

والمعنى في هذا ، أن المتعارف بين العقلاء : أن الإقسام لا يقع إلا على المعظمين والمبجلين ، فتبين بهذا جلالة الرسول الله ﷺ وتعظيم أمره وما شرع الله تعالى على لسانه من الشرائع ، وتنبيهه عباده على وحدانيته ، ودعائه إلى الإيمان به ، وعرفت جلالة نبوته ورسالته بالقسم الواقع على حياته ، إذ هو أعز البرية وأكرم الخليقة ﷺ .

وعن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ **يس * والقرآن الحكيم** ﴾[1] قال : هو قسم وهو من أسماء الله . وعن كعب ﴿ **يس** ﴾[1] قسم أقسم الله به قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام يامحمد إنك لمن المرسلين ، ثم قال : ﴿ **والقرآن الحكيم * إنك لمن المرسلين** ﴾[2] ، قال القاضي عياض : ومؤكد فيه القسم عطف القسم الآخر عليه ، وإن كان بمعنى النداء ، فقد جاء قسم آخر بعده لتحقيق رسالته والشهادة بهدايته ، أقسم الله تعالى باسمه ، وكني به أنه من المرسلين بوحيه إلى عباده ، وعلى صراط مستقيم من إيمانه ، أي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق . وقال النقاش : لم يقسم الله تعالى لأحد من أنبيائه بالرسالة في كتابه إلا له ﷺ[3] .

* * *

---

(١) يس : ١ – ٢ .

(٢) يس : ٢ ، ٣ .

(٣) (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) : ١ / ٢٦ .

وأما تفرده بالسيادة يوم القيامة على جميع الأنبياء والرسل وأن آدم ومن دونه تحت لوائه

قال تعالى : ﴿يس * والقرآن الحكيم﴾[1] ، روي عن جعفر بن محمد أنه قال : أراد الله (يا سيد) مخاطبة لنبيه محمد ﷺ

فخرج مسلم من حديث الأوزاعي قال : حدثني أبو عمار قال : حدثني عبد الله بن فروح قال : حدثني أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع وأول مشفع .

وخرج الترمذي من حديث سفيان عن ابن جدعان عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال : قال : قال رسول الله ﷺ : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وبيدي لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبي يومئذ [من]،آدم فمن تحته إلا تحت لوائي ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر ... الحديث . قال : أبو عيسى : هذا حديث حسن ، وقد روى بعضهم هذا الحديث عن أبي نضرة عن ابن عباس .. الحديث بطوله[2] .

وله من حديث عبد السلام بن حرب عن ليث عن الربيع بن أنس عن أنس ابن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : أنا أول الناس خروجاً إذا بُعثوا ، وأنا خطيبهم إذا وفدوا ، وأنا مبشرهم إذا يأسوا ، لواء الحمد يومئذ بيدي ، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب .

وخرج بقي بن مخلد من حديث سفيان عن كثير بن زيد عن الوليد بن رباح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : فضلت بخصال ستٍ لا أقولهن فخراً ، لم يُعطهنَّ أحدٌ قبلي : غفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر ، وأخرجت لي

---

(١) يسٓ : ١ ، ٢ . (٢) سبق تخريج وشرح هذه الأحاديث ونحوها وشواهدها .

خير الأمم ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأعطيت الكوثر ، ونصرت بالرعب . والذي نفسي بيده إن صاحبكم لصاحب لواء الحمد يوم القيامة ، تحته آدم فمن دونه[1] .

وخرج أبو نعيم من حديث معمر بن راشد عن محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب عن بشر بن شغاف ، عن عبد الله بن سلام قال : قال رسول الله ﷺ : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وأول من تنشق الأرض عنه ولا فخر ، وأول شافع ومشفع ، لواء الحمد بيدي يوم القيامة ، تحتى آدم فمن دونه[1] .

وله من حديث أبي معمر إسماعيل بن إبراهيم القطيعي قال : أنبأنا عبد الله ابن جعفر عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر ، وأنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وأنا صاحب لواء الحمد بيدي ولا فخر ، وأنا أول من يدخل الجنة ولا فخر ، آخذ بحلقة باب الجنة فيؤذن لي فيستقبلني وجه الجبار تعالى فأخِرّ له ساجداً فيقول : يا محمد ارفع رأسك ، واشفع تشفع ، وسل تعط ، فأقول : رب أمتي[2] .

---

(١) سبق تخريج وشرح هذه الأحاديث ونحوها وشواهدها .

(٢) أخرجه البيهقي في (الدلائل) : ٥ / ٤٧٩ - ٤٨٠ ، باب ما جاء في تحدُّث رسول الله ﷺ بنعمة ربه عزَّ وجلَّ لقوله تعالى : ﴿ **وأما بنعمة ربك فحدث** ﴾ ، وما جاء في خصائصه ﷺ على طريق الاختصار : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن إسحاق الصغاني ، حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا ليث بن سعد ، عن يزيد بن الهاد ، عن عمرو بن أبي عمرو ، عن أنس قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « إني أول الناس تنشق الأرض عن جبهتي يوم القيامة ولا فخر ، وأُعطى لواء الحمد ولا فخر ، وأنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول من يدخل الجنة يوم القيامة ولا فخر ، وأنا آتي باب الجنة فآخذ بحلقيها فيقولون : من هذا ؟ فأقول : أنا محمد ، فيفتحون لي ، فأجد الجبَّار فأسجد له ، فيقول : ارفع رأسك يا محمد ، وتكلم يُسمع منك ، وقل يقبل منك ، واشفع تشفّع ، فأرفع رأسي فأقول : أُمَّتي ، أُمَّتي يارب ، فيقول : اذهب إلى أمتك ، فمن وجدت في قلبه مثقال حبة من شعير من الإيمان فأدخله الجنة » .

،وذكر الحديث فيمن كان في قلبه نصف حبَّة من شعير ، ثم حبَّة من خردل ، ثم في إخراج كل من كان يعبد الله لا يشرك به شيئاً .

وزاد الإمام أحمد في (المسند) : ٤ / ٦١٠ : « وفرغ الله من حساب الناس وأدخل من بقى من أمتي النار مع أهل النار ، فيقول أهل النار : ما أغنى عنكم أنكم كنتم تعبدون الله عزَّ وجلَّ لا تشركون به شيئاً » ، فيقول الجبار عزَّ وجلَّ : فبعزتي لأعتقنهم من النار ، فيرسل إليهم فيخرجون وقد =

وله من حديث ليث بن أبي سليم عن أبي إسحق عن صلة عن حذيفة عن النبي ﷺ ، قال : أنا سيد الناس يوم القيامة ، يدعوني ربي فأقول : لبيك وسعديك [تباركت لبيك][1] وحنانيك ، [والمهدى][2] من هديت وعبدك بين يديك ، [لا ملجأ ولا منجأ][3] منك إلا إليك ، تباركت رب البيت[4] . [قال : وإن قذف المحصنة ليهدم عمل مائة سنة][5] .

ومن حديث خديج عن أبي إسحق عن صلة ، عن حذيفة قال : قال أصحاب رسول الله ﷺ : إبراهيم خليل الله ، وموسى كلمهُ الله تكليماً ،وعيسى كلمة الله وروحه ، فما أعطيت يا رسول الله ؟ قال : ولد آدم كلهم تحت رايتي ، فأنا أول من يفتح له باب الجنة .

ومن حديث سلام بن سليم عن عبد الله بن غالب عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : أنا سيد الناس يوم القيامة[6] . وفي رواية روح بن مسافر عن أبي إسحق

امتحشوا ، فيدخلون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في غثاء السيل ، ويكتب بين أعينهم : هؤلاء عتقاء الله عزَّ وجلَّ ، فيذهب بهم فيدخلون الجنة ، فيقول أهل الجنة : هؤلاء الجهنميون ، فيقول الجبار : بل هؤلاء عتقاء الجبار عزَّ وجلَّ » حديث رقم (١٢٠٦٠) .

(١) تكملة من (المستدرك) .   (٢) في (خ) : « والهادي » والتصويب من المرجع السابق .

(٣) في (خ) : « لا منجا ولا ملجأ » والتصويب من المرجع السابق .

(٤) أخرجه الحاكم في (المستدرك) : ٤ / ٦١٨ ، حديث رقم (٨٧١٢ / ٣٧) ، وقال في آخره : « وقد أخرجه له مسلم شاهداً » ، وقال الذهبي في (التلخيص) : « قد استشهد مسلم بليث بن أبي سليم .

(٥) ما بين الحاصرتين تكملة من (المستدرك) .

(٦) أخرجه الحاكم في (المستدرك) : ١ / ٨٣ ، حديث رقم (٨٢ / ٨٢) من كتاب الإيمان ، وهذا الحديث يشهد لكثير من أحاديث الباب التي لم نقف لها على تخريج ولفظه : « أخبرنا أبو عبد الله محمد ابن عبد الله الصفار ، حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي ، حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي ، حدثنا فضيل بن سليمان ، حدثنا موسى بن عقبة ، حدثني إسحاق بن يحيى ، عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر ، ما من أحدٍ إلا وهو تحت لوائي يوم القيامة ينتظر الفرج ، وإن معي لواء الحمد ، أنا أمشي ويمشي الناسُ معي ، حتى آتي باب الجنة فأستفتح ، فيقال من هذا ؟ فأقول محمد ، فيقال : مرحباً بمحمد ، فإذا رأيتُ ربي خررتُ له ساجداً أَنْظُر إليه » .

قال الحاكم : هذا حديث كبير في الصفات والرؤية ، على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وقال الذهبي في (التلخيص) على شرطهما ولم يخرجاه .

ونحوه في (دلائل البيهقي) : ٥ / ٤٧٩ – ٤٨٠ ، ونحوه أيضاً في (المسند) : ٣ / ٦٠٩ ، حديث رقم (١٢٠٦٠) .

أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر . وفي رواية زكريا بن عدي قال : حدثنا سلام عن أبي إسحق عن عبد الله عن حذيفة قال : محمد سيد الناس يوم القيامة .

وله من حديث عبد الأعلى قال : حدثنا سعد عن قتادة عن أنس ، أن النبي ﷺ قال : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، [وأنا][1] أول من تنشق عنه الأرض ، وأول شافع ، ولواء الحمد معي ، تحته آدم ومن دونه ومن بعده من المؤمنين[2] .

وفي رواية يعلى بن الفضل قال : حدثنا زياد بن ميمون عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : أنا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ؛ فأخرج من قبري وحولي المهاجرون والأنصار ، ينفضون التراب عن رءوسهم ، وأنا أول شافع وأول مشفع ، ولا تزال لي دعوة عند ربي مستجابة ، وأنا لكم عند النفخة الثانية[3] .

وفي رواية منصور بن أبي مزاحم قال : حدثنا أبو سعيد المؤدب عن زياد النميري عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : أنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر ، وأنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة ولا فخر ، ولواء الحمد بيدي ولا فخر[4] .

وفي رواية عبد العزيز بن أبي حازم قال : حدثنا سهيل بن أبي صالح عن زياد النميري عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : أنا أول من تنفلق الأرض عن جمجمته ولا فخر ، وأنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر ، ومعي لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول من تفتح له أبواب الجنة ولا فخر ، فأتي فآخذ بحلقة باب الجنة

---

(١) تكملة من رواية أبي نعيم .

(٢) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ٦٤ ، حديث رقم (٢٣) ، وأخرجه أيضاً الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري ، حديث رقم (٣١٤٨) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وابن ماجه في (الزهد) ، باب ذكر الشفاعة مختصراً ، والإمام أحمد في (المسند) : ١ / ٤٦٣ ، حديث رقم (٢٥٤٢) ، (٢٦٨٧) ، وقال أحمد محمد شاكر : إسناده صحيح ، وقال في (مجمع الزوائد) : ١٠ / ٣٧٢ : فيه علي بن زيد وقد وثق على ضعفه ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

وأخرجه البيهقي في (الدلائل) : ٥ / ٤٨١ ، ضمن حديث طويل أوله : « ما من نبي إلا وله دعوة تنجَّزها في الدنيا ، وإني ادَّخرت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة .. » وذكر الحديث بنحوه وزيادة .

(٣) لم أجده بهذه السياقة ، وسيأتي الكلام على النفختين بعد قليل .

(٤) سبق الإشارة إليه .

فيقال : من هذا ؟ فأقول : محمد ، فيفتح ، فيستقبلني الجبار تعالى ، فأخر له ساجداً فيقول : يا محمد ، قل تُسمع ، واشفع تشفع ، وسل تعطه(١) .

وفي رواية منصور بن أبي الأسود عن ليث عن الربيع بن أنس عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : أنا أولهم خروجاً إذا بعثوا ، وقائدهم إذا وفدوا ، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا ، وأنا شافعهم إذا حبسوا ، وأنا مبشرهم إذا يئسوا ، لواء الكرامة ومفاتيح الجنة يومئذ بيدي ، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ، يطوف عليّ ألف خادم كأنهم بيض مكنون أو لؤلؤ منثور(٢) .

وفي رواية حبان بن علي عن ليث عن عبيد الله بن زحر ، عن الربيع بن أنس عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول من تنشق عنه القبور يوم القيامة ولا فخر ، لواء الحمد بيدي ولا فخر ، مفاتيح الجنة يومئذ بيدي ولا فخر ، آدم ومن دونه من النبيين تحت لوائي يوم القيامة ولا فخر ، يطوف عليّ ألف خادم كأنهن بيض مكنون(٢) .

وفي رواية جرير والثوري وزائدة ، عن [المختار](٣) بن فلفل عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : أنا أول من يشفع في الجنة ، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً(٤) .

وفي رواية الحميدي وسفيان بن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة فأُقعقعها فيفتحها الله(٥) . وفي رواية خلف بن هشام قال : أخبرنا عيسى بن ميمون عن عسل

---

(١) في (دلائل البيهقي) : ٥ / ٤٧٩ ، باختلاف يسير ، وفيه : « عن جبهتي يوم القيامة ولا فخر » .

(٢) (المرجع السابق) : ٨٤ بنحوه ، (دلائل أبي نعيم) : ١ / ٦٤ ، حديث رقم (٢٤) وفيه : « الكرامة ومفاتيح الجنة ولواء الحمد يومئذ بيدي ، وأنا أكرم ولد آدم على ربي يطوف عليّ ألف خادم كأنهن بيض مكنون أو لؤلؤ منثور » . والبيض المكنون : المستور عن الأعين . ولفظهما فيه متقارب .

(٣) في (خ) : « المختال » ، والتصويب من صحيح مسلم .

(٤) (مسلم بشرح النووي) : ٣ / ٧٢ ، حديث رقم (٣٣٠) من كتاب الإيمان ، باب (٨٥) في قول النبي ﷺ « أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً » .

(٥) (مسند الحميدي) : ٢ / ٥٠٦ – ٥٠٧ ، حديث رقم (١٢٠٤) . وأخرجه أيضاً الترمذي في آخر حديث الشفاعة ، حديث رقم (٣١٤٨) وقال في آخره : قال سفيان : ليس عن أنس إلا هذه الكلمة : « فآخذ بحلقة باب الجنة فَأُقَعْقِعُهَا » ، قال أبو عيس : هذا حديث حسن صحيح ، وقد روى =

ابن سفيان عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا ، وأنا قائدهم إذا وفدوا ، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا ، وأنا مبشرهم إذا [أُبْلسوا][1] ، لواء [الكرامة][1] يومئذ بيدي ، يطوف علي ألف خادم كأنهم لؤلؤ مكنون .

وله من طريق أبي داود الطيالسي وسليمان بن حرب قالا : حدثنا حماد ابن سلمة ، حدثنا علي بن زيد عن أبي نضرة قال : خطبنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما على منبر البصرة ، فحمد الله تعالى وأثني عليه وقال : قال رسول الله ﷺ : ألا إني سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وأول من تنشق عنه الأرض ولا فخر ، وبيدي لواء الحمد تحته آدم فمن دونه ولا فخر .

ورواه هشيم عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : أنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول شافع ولا فخر ، وإن لواء الحمد بيدي يوم القيامة ولا فخر[2] .

ورواه سفيان بن عيينة عن ابن جدعان عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، بيدي لواء الحمد ولا فخر[2] .

وله من حديث زمعة بن صالح عن سلمة بن وهران عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة فيفتحها الله لي ، وأنا سيد الأولين والآخرين من النبيين ولا فخر .

وله عن ابن عباس قال : جلس ناس من أصحاب رسول الله ﷺ ينظرون ، فخرج حتى دنا منهم ، فسمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم : عجباً ! إن الله اتخذ من خلقه خليلاً ، وقال آخر : ماذا بأعجب من كلامه موسى تكليماً ، وقال آخر : فعيسى كلمة الله وروحه ، وقال آخر : آدم اصطفاه الله ، فخرج عليهم

= بعضُهم هذا الحديث عن أبي نَضْرة عن ابن عباس الحديث بطوله .
والقَعْقَعَة : حكاية حركة لشيء يُسمع له صوت (لسان العرب) : ٨ / ٢٨٦ .

(١) سيأتي شرحه بعد قليل ، وفي (خ) : « بلسوا » ، « الكرم » .

(٢) سبق الإشارة إليه .

فسلم وقال : قد سمعتُ كلامكم وعجبكم أن الله اتخذ إبراهيم خليلاً ، وهو كذلك ، وموسى نجيّ الله ، وهو كذلك ، وعيسى كلمته وروحه ، وهو كذلك ، وآدم اصطفاه الله ، وهو كذلك ، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر ، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة وتحته آدم ومن دونه ولا فخر ، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول من يحرك حلق [باب][1] الجنة فيتفح الله لي ، فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر ، [و][1] أنا أكرم الأولين والآخرين على الله عز وجل ولا فخر .

ورواه عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : أرسلتُ إلى الجن والإنس ، [وإلى][2] كل أحمر وأسود ، وأحلت لي الغنائم دون الأنبياء ، وجعلت لي الأرض كلها طهوراً ومسجداً ، ونصرت بالرعب أمامي شهراً ، وأعطيت خواتيم سورة البقرة[3] وكانت من كنوز العرش ، وخُصِصْتُ بها دون الأنبياء ، وأعطيت المثاني مكان التوراة ، [والمئين][5] مكان الإنجيل ، والحواميم[6] مكان الزبور ، وفضلت بالمفصَّل ، فأنا سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة ولا فخر ، وأنا أول من تنشق الأرض عني وعن أمتي ولا فخر ، وبيدي لواء الحمد يوم القيامة ، آدم وجميع الأنبياء من ولد آدم تحته ولا فخر ، وإليّ مفاتيح الجنة يوم القيامة ولا فخر ، وبي تفتح الشفاعة يوم القيامة ولا فخر ، وأنا سابق[7] الخلق

---

(١) زيادة للسياق ، وأخرج الحاكم نحوه مختصراً في (المستدرك) : ٢/٦٢٩ حديث رقم (٤٠٩٨/١٠٧) .

(٢) زيادة من (دلائل أبي نعيم) .

(٣) وهي من قوله تعالى : ﴿ **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون** ﴾ حتى آخر السورة [من الآية ٢٨٥ حتى الآية ٢٨٦] .

(٤) المثاني : سورة الفاتحة ، وسميت بالمثاني لأنها تثنى وتقرأ في كل ركعة من ركعات الصلاة . قال تعالى : ﴿ **ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم** ﴾ [٨٧ : الحجر] .

(٥) كذا في (خ) ، وفي رواية البيهقي في (الدلائل) ، لكن في رواية أبي نعيم في (الدلائل) : « والمائدة مكان الإنجيل » ، أي سورة المائدة . والمئين : أي السور التي أولها ما يلي سورة الكهف لزيادة كل منها على مائة آية .

(٦) الحواميم : السور التي أولها ﴿ حمٓ ﴾ وهي سبع سور: [١] سورة غافر ، [٢] سورة فصلت ، [٣] سورة الشورى ، [٤] سورة الزخرف ، [٥] سورة الدخان ، [٦] سورة الجاثية ، [٧] سورة الأحقاف .

(٧) في (خ) : « سابق » ، وهي رواية السيوطي في (الخصائص) .

إلى الجنة يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أمامهم وأمتي بالأثر[1] .

وفي رواية مردان بن معاوية عن يحيى اللخمي عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : لواء الحمد بيدي يوم القيامة ، وأقرب الناس من لوائي العرب .

وله من حديث ابن لهيعة عن جعفر بن ربيعة عن صالح بن عطاء ، عن عطاء عن جابر أن رسول الله ﷺ قال : أنا قائد المسلمين ولا فخر ، وأنا خاتم النبيين ولا فخر ، وأنا شافع ومشفع ولا فخر .

وله من حديث شريح بن النعمان قال : حدثنا عبد الله بن نافع عن عاصم ابن عمر ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب ، عن سالم عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : أنا أول من تنشق الأرض عنه ثم أبو بكر ثم عمر ، ثم يأتي أهل البقيع فيحشرون معي ، ثم أنتظر أهل مكة فأحشر بين الحرمين[2] .

---

(١) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ٦٥ ، حديث رقم (٢٥) من الفصل الرابع : ذكر الفضيلة الرابعة بإقسام الله بحياته ، وتفرده بالسيادة لولد آدم في القيامة ، وما فُضل هو وأمته على سائر الأنبياء وجميع الأمم ﷺ ، وقال فيه : « وأنا سائق الخلق .. » .

و (دلائل البيهقي) : ٥ / ٤٧٥ ، في باب ما جاء في تحدث رسول الله ﷺ بنعمة ربه عزَّ وجلَّ لقوله تعالى : ﴿ **وأما بنعمة ربك فحدث** ﴾ ، وما جاء في خصائصه على طريق الاختصار : أخبرنا أبو بكر بن فورك ، أنبأنا عبد الله بن جعفر ، حدثنا يونس بن حبيب ، حدثنا أبو داود ، حدثنا عمران ، عن قتادة ، عن أبي المليح ، عن واثلة بن الأسقع قال : قال النبي ﷺ : « أعطيت مكان التوراة السبع الطوال ، ومكان الزبور المئين ، ومكان الإنجيل المثاني ، وفضّلت بالمفصل » .

والسبع الطوال : من البقرة إلى براءة (التوبة) . والمفصَّل : من أول سورة الحجرات حتى آخر القرآن الكريم .

والحديث أخرجه الطبراني في الكبير ، وأشار إليه السيوطي بالحسن .

(٢) (المستدرك) : ٢ / ٥٠٥ ، حديث رقم (٣٧٣٢ / ٨٦٩) : بدون قوله : « فأُحشر بين الحرمين » ، وزاد في رواية (المستدرك) : « وتلا عبد الله بن عمر : ﴿ **يوم تشقق الأرض عنهم سراعاً ذلك حشر علينا يسير** ﴾ [قٓ : ٤٤] قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ذكره في باب (٥٠) تفسير سورة قٓ من كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين . و (دلائل أبي نعيم) : ١/٦٦ حديث رقم (٢٦) بمثله سواء .

وله من حديث حماد بن شعيب وزائدة وإسرائيل ، كلهم عن عاصم عن زر ابن حبيش عن عبد الله قال : إن الله اتخذ إبراهيم خليلاً ، وإن صاحبكم خليل الله ، وإن محمداً سيد ولد آدم يوم القيامة ، ثم قرأ : ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾(١) .

ورواه المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله قال : إن الله اتخذ إبراهيم خليلاً ، وإن صاحبكم خليل الله ، وإن نبي الله أكرم الخلائق على الله يوم القيامة ، ثم قرأ : ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾(٢) .

وله من حديث كثير بن زيد عن الوليد بن رباح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده إن صاحبكم لصاحب لواء الحمد يوم القيامة ، تحته آدم فمن دونه(٣) .

وفي رواية سعيد بن رافع عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : أنا سيد الخلائق يوم القيامة في اثنى عشر نبياً ، منهم إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب .

---

(١) ونحوه باختلاف يسير بدون ذكر الآية في (المستدرك) : ٢ / ٥٥٠ ، حديث رقم (٤٠١٨ / ٢٧) ، ذكره في باب ذكر إبراهيم النبي ﷺ خليل الله عزَّ وجلَّ ، وبينه وبين نوح هود وصالح صلوات الله عليهما ، من كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين ، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

ونحوه في (المستدرك) : ١ / ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، الأحاديث أرقام (٣٧٤١) ، (٣٧٤٢) ، (٣٧٤٣) ، (٣٧٤٤) بسياقات متقاربة .

(٢) أخرجه البيهقي في (الدلائل) : ٥ / ٤٨٥ ، وقال فيه : « وأن محمداً ﷺ أكرم الخلاق على الله .. » ، والآية رقم ٧٩ : الإسراء .

(٣) ونحوه بدون قوله : « فمن بعده المؤمنين » ، وقال فيه : « ومن دونه » ، في (دلائل أبي نعيم) : ١ / ٦٤ ، حديث رقم (٢٣) ، بدون الآية .

ورواه الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري في (الجامع الصحيح) ، حديث رقم (٣١٤٨) ، وقال : حديث حسن صحيح ، (سنن الترمذي) : ٥ / ٢٨٨ ، كتاب (٤٨) باب (١٨) . ورواه الإمام أحمد في (المسند) من حديث ابن عباس في الشفاعة ، ورواه ابن ماجة في (السنن) : ٢ / ١٤٤٠ ، كتاب الزهد ، باب (٣٧) ذكر الشفاعة ، حديث رقم (٤٣٠٨) . والترمذي أيضاً في المناقب ، حديث (٣٦١٥) ، قال أبو عيسى : وفي الحديث قصة ، وهذا حديث حسن صحيح ، وقد روي بهذا الإسناد عن أبي نضرة ، عن ابن عباس .

وفي رواية بديل بن المحبِّر قال : حدثنا عبد السلام بن عجلان قال : سمعت أبا يزيد المدني يحدث عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : أنا أول من يدخل الجنة ولا فخر ، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر ، وأنا بيدي لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر ، وأنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وأول شخص يدخل عليّ الجنة : فاطمة بنت محمد ، ومثلها في هذه الأمة مثل مريم في بني إسرائيل[١] .

ورواه يعقوب الحضرمي عن عبد السلام عن أبي عثمان النهدي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : أنا أول من يدخل الجنة ولا فخر ، وأول من تنشق الأرض عن هامته ولا فخر ، وأنا أول مشفع ولا فخر ، لواء الحمد بيدي يوم القيامة ، حرم الله الجنة على كل آدمي يدخلها قبلي[٢] .

وله من حديث زكريا بن أبي زائدة عن عامر الشعبي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : إني أول من يرفع [رأسه][٣] بعد النفخة الأخيرة ، فإذا موسى متعلق بالعرش فلا أدري أكذاك كان أو بعد النفخة[٤] ؟.

ومن حديث شعيب عن الزهري قال : حدثني أبو سلمة وسعيد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : إن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق .

---

(١) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ٦٦ ، حديث رقم (٢٧) . وأخرجه الترمذي بسند آخر وقال : حديث غريب . وتوقف غيره في الاحتجاج به ثم قال : عن بديل بن المحبّر ، عن عبد السلام بن عجلان ، عن أبي يزيد المدني ، عن أبي هريرة .. ، فذكره ، ثم قال : أخرجه أبو صالح المؤذن في مناقب فاطمة عليها السلام .

(٢) وفي (صحيح مسلم بشرح النووي) : ٣ / ٧٣ - ٧٤ ، كتاب الإيمان ، باب (٨٥) في قول النبي ﷺ : « أنا أول الناس يشفع في الجنة ، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً » ، حديث رقم (٣٣٣) ، حدثني عمرو الناقد ، وزهير بن حرب قالا : حدَّثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح ، فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد ، فيقول : بك أُمرت لا أفتح لأحد قبلك .

وأخرجه البيهقي في (الدلائل) من حديث أنس بمثله سواء . (دلائل النبوة للبيهقي) : ٥ / ٤٨٠ .

(٣) زيادة للسياق .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب (٤٣) النفخ في الصور ، قال مجاهد : الصور كهيئة البوق ، زجرةٌ : صيحة ، وقال ابن عباس : الناقور الصور ، الراجفة : النفخة الأولى ، والرادفة : النفخة الثانية ، حديث رقم (٦٥١٧) : حدثني عبد العزيز بن عبد الله قال : حدّثني إبراهيم بن سعد عن =

ابن شهاب ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، وعبد الرحمن الأعرج أنهما حدَّثاه أن أبا هريرة قال : « استبَّ رجلان ؛ رجل من المسلمين ورجل من اليهود ، فقال المسلم : والذي اصطفى محمداً على العالمين ، فقال اليهودي : والذي اصطفى موسى على العالمين . قال : فغضب المسلم عند ذلك ، فلطم وجه اليهودي ، فذهب اليهوديُّ إلى رسول الله ﷺ ، فأخبره بما كان من أمره وأمر المسلم ، فقال رسول الله ﷺ : لا تخيّروني على موسى ، فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق ، فإذا موسى باطِش بجانب العرش ، فلا أدري أكان موسى فيمن صَعِق فأفاق قبلي ، أو كان ممن استثنى الله عزَّ وجلَّ » .

وحديث رقم (٦٥١٨) : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، حدثنا أبو الزناد عن الأعرج ، عن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ : « يصعقُ الناس حين يصعقون ، فأكون أول من قام ، فإذا موسى آخذ بالعرش ، فما أدري أكان فيمن صُعق » . رواه أبو سعيد عن النبي ﷺ .

قوله : « باب نفخ الصور » تكرر ذكره في القرآن الكريم ، في الأنعام ، والمؤمنين ، والنمل ، والزمر ، وق ، وغيرها ، وهو بضم المهملة وسكون الواو ، وثبت كذلك في القراءات المشهورة والأحاديث ، وذكر عن الحسن البصري أنه قرأها بفتح الواو ، جمع صورة ، وتأوله على أن المراد النفخ في الأجساد لتعاد إليها الأرواح .

وقال أبو عبيدة في (المجاز) : يقال : الصور - يعني بسكون الواو - جمع صورة ، كما يقال : سور المدينة جمع سورة ، قال الشاعر :

[فلما أتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة]

فيستوي معنى القراءتين .

وحكى مثله الطبري عن قوم وزاد : كالصوف جمع صوفة ، قالوا : والمراد النفخ في الصُّوَر وهي الأجساد لتعاد فيها الأرواح، كما قال تعالى : ﴿ **ونفختُ فيه من روحي** ﴾ ، وتعقب قوله : « جمع » ، بأن هذه أسماء أجناس لا جموع ، وبالغ النحاس وغيره في الردّ على التأويل ، وقال الأزهري : إنه خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة .

قال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري) : وقد أخرج أبو الشيخ في (كتاب العظمة) ، من طريق وهب بن منبه من قوله قال : خلق الله الصور من لؤلوة بيضاء في صفاء الزجاجة ، ثم قال للعرش : خذ الصور فتعلق به ، ثم قال : كن ، وكان إسرافيل ، فأمره أن يأخذ الصور ، فأخذه وبه ثقبٌ بعدد كل روح مخلوقة ، ونفس منفوسة ، فذكر الحديث وفيه : « ثم تجمع الأرواح كلها في الصور ، ثم يأمر الله إسرافيل فينفخ فيه ، فتدخل كل روح في جسدها » ، فعلى هذا فالنفخ يقع في الصور أولاً ، ليصل النفخ بالروح إلى الصور ، وهي الأجساد ، فإضافة النفخ إلى الصور الذي هو القرن ، حقيقه ، وإلى الصُّوَر التي هي الأجساد ، مجاز .

قوله : « قال مجاهد : الصور كهيئة البوق » ، وصله الفريابي من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد ، قال في قوله تعالى : ﴿ **ونفخ في الصور** ﴾ ، قال كهيئة البوق ، وقال صاحب الصحاح : البوق الذي يزمر به ، وهو معروف ، ويقال للباطل ، يعني يطلق ذلك عليه مجازاً ، لكونه من جنس الباطل .

قال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري) : لا يلزم من كون الشيء مذموماً أن لا يشبه به

وفي رواية محمد بن يوسف الفريابي قال : حدثنا سفيان عن عمر بن يحيى عن أبيه عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : إن الناس يصعقون [يوم القيامة][1] فأكون أول من يفيق[2] .

الممدوح ، فقد وقع تشبيه صوت الوحي بصلصلة الجرس ، مع النهي عن استصحاب الجرس ، كما تقدم تقريره في بدء الوحي .

قوله : « قال ابن عباس : الناقور الصور » ، وصله الطبري وابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ **فإذا نُقِر في الناقور** ﴾ قال : الصور ، ومعنى نقر نفخ ، قاله في الأساس . وأخرج البيهقي من طريق أخرى عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ **فإذا نقر في الناقور** ﴾ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن » ؟ وللحاكم بسند حسن ، عن يزيد بن الأصم ، عن أبي هريرة رفعه « إن طرف صاحب الصور منذ وكل به مستعد ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه كأن عينيه كوكبان دُرِّيَّان » .

قوله : « الراجفة النفخة الأولى ، والرادفة النفخة الثانية » ، هو من تفسير ابن عباس ، وصله الطبري وابن أبي حاتم بالسند المذكور ، وقد تقدم بيانه في تفسير سورة النازعات ، فليراجع هناك .

وإذا تقرر أن النفخة للخروج من القبور فكيف تسمعها الموتى ؟ والجواب : يجوز أن تكون نفخة البعث تطول إلى أن يتكامل إحياؤهم شيئاً بعد شيء ، وتقدم الإلمام في قصة موسى مما ورد في تعيين من استثنى الله تعالى في قوله تعالى : ﴿ **فصعق من في السمٰوات ومن في الأرض إلا من شاء الله** ﴾ ، وحاصل ما جاء في ذلك عشرة أقوال ذكرهم الحافظ ابن حجر في (الفتح) : ١١ / ٤٥١ باب (٤٣) من كتاب الرقاق فليراجع هناك .

(١) ما بين الحاصرتين تكملة من (دلائل أبي نعيم) .

(٢) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ٦٧ ، حديث رقم (٢٨) . وخرَّج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه ، قال : « جاء رجل من اليهود إلى النبي ﷺ قد لُطِم وَجْهُه ، فقال : يا محمد ! إن رجلاً من الأنصار من أصحابك لطم وجهي ، فقال : ادعوه ، فَدَعَوْهُ ، فقال : لم لطمت وجهه ؟ قال : يا رسول الله ، إني مررتُ باليهودي ، فسمعته يقُول : والذي اصطفى موسى على البشر ، فقلتُ : وعلى محمد ؟ فأخذتني غضبة ، فلطمتُه ، فقال : لا تخيِّروني من بين الأنبياء ، فإن الناس يصعقون يوم القيامة ، فأكون أول من يُفيق ، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش ، فلا أدري : أفاق قبلي ، أو جوزى بصعقة الطور » .

وفي رواية : « فأكون أول من تنشق عنه الأرض ، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش ... » وذكر نحوه .

رواه البخاري في (الخصومات) ، باب ما يذكر من الأشخاص والخصُومة بين المسلم واليهودي ، وفي (الأنبياء) ، باب قول الله تعالى : ﴿ **وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر** ﴾ ، وفي تفسير سورة الأعراف ، باب ﴿ **ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك** ﴾ ، وفي (الديات) ، باب إذا لطم المسلم يهودياً عند الغضب ، وفي (التوحيد) ، باب وكان عرشه على الماء ﴿ **وهو رب العرش العظيم** ﴾ . ورواه مسلم في (الفضائل) ، باب من فضائل موسى ﷺ .

وله من حديث يحيى الحماني وحبان بن موسى قالا : حدثنا عبد الله بن المبارك ، أنبأنا حبان [عن] يحيى بن سعيد التيمي قال : حدثني أبو زرعة عن أبي هريرة قال : أُتي رسول الله ﷺ بلحم فَرُفِع إليه الذراع وكانت تعجبه ، فنهس منها نهسة ثم قال : أنا سيد الناس يوم القيامة . رواه مسلم[1] .

وفي رواية عثمان بن أبي شيبة قال : حدثنا جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال : وُضعت بين يدي رسول الله ﷺ قصعة من ثريد فتناول الذراع - وكانت أحب الشاة إليه - فنهس نهسة ثم قال : أنا سيد [الناس][2] يوم القيامة[3] .

ولأبي نعيم من حديث يحيى الحماني ، حدثنا شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن الطفيل بن أبي كعب عن أبيه أن النبي ﷺ قال : إذا كان يوم القيامة ، كنت إمام الناس يوم القيامة وخطيبهم وصاحب شفاعتهم ولا فخر[4] .

وله من حديث عبيد الله بن عمرو عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إذا كان يوم القيامة كان لواء الحمد بيدي ، وكنت إمام المرسلين وصاحب شفاعتهم[5] .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب (٨٤) ، حديث رقم (٣٢٧) وهو حديث الشفاعة كاملاً ، والبيهقي في (الدلائل) : ٥ / ٤٧٦ .

قوله : « فنهس منها نهسة » ، هو بالسين المهملة . قال القاضي عياض : أكثر الرواة رووه بالمهملة ، ووقع لابن ماهان بالمعجمة وكلاهما صحيح ، بمعنى أخذ بأطراف أسنانه . قال الهروي : قال ابن عباس : النهس بالمهملة بأطراف الأسنان ، وبالمعجمة الأضراس .

قوله ﷺ : « أنا سيد الناس يوم القيامة » ، إنما قال هذا ﷺ تحدثاً بنعمة الله تعالى ، وقد أمره الله تعالى بهذا ، ونصيحة لنا بتعريفنا حقه ﷺ ، قال القاضي عياض : السيد الذي يفوق قومه ، والذي يفزع إليه في الشدائد ، والنبي ﷺ سيدهم في الدنيا والآخرة ، وإنما خصَّ يوم القيامة لارتفاع السؤدد فيه، وتسليم جميعهم له ، ولكون آدم وجميع أولاده تحت لوائه ﷺ (مسلم بشرح النووي) : ٣ / ٦٦ - ٦٧ .

(٢) ما بين الحاصرتين في (خ) : « سيد ولد آدم » وما أثبتناه من (صحيح مسلم) .

(٣) (صحيح مسلم بشرح النووي) : ٣ / ٦٩ ، كتاب الإيمان باب (٨٤) ، حديث رقم (٣٢٨) .

(٤) أخرجه البيهقي في (الدلائل) : ٥ / ٤٨١ ، والترمذي في (المناقب) باب (١) في فضل النبي ﷺ ، حديث رقم (٣٦١٣) ، وقال : هذا حديث حسن .

(٥) سبق الإشارة إليه .

وله من حديث أبي عوانة عن أبي بشير ، عن سعيد عن جابر عن عائشة رضي الله عنها قالت : كنت عند النبي ﷺ فقال : أنا سيد ولد آدم .

وله من حديث أحمد بن أبي ظبية عن أبيه عن عبد الله بن جابر عن عطاء عن أم كرز أنها قالت : سمعت النبي ﷺ يقول : أنا سيد المؤمنين إذا بعثوا ، وسابقهم[1] إذا وردوا ، ومبشرهم إذا أبلسوا[2] ، وإمامهم إذا سجدوا ، وأقربهم مجلساً من الرب تعالى إذا اجتمعوا ، [أقوم][3] ، فأتكلم فيصدِّقني ، وأشفع فيشفِّعني ، وأسأل فيُعطيني[4] .

وله من حديث الحرث بن أسامة قال : حدثنا عبد العزيز بن إبان ، حدثنا إسرائيل عن آدم بن علي قال : سمعت ابن عمر رضي الله عنه يقول : تصير الأمم يوم القيامة تجيء كل أمة نبيها فيرقاهم على كوم فيقول : يا فلان إشفع ، فيردها بعضهم إلى بعض حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ فهو المقام المحمود الذي قال الله تعالى عنه : ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾[5] .

---

(١) كذا في (خ) : وفي (الخصائص) : ٣ / ٢٢٢ ، وفي (دلائل أبي نعيم) : « وسائقهم » .

(٢) أبلسوا : أسكتوا من الحزن ، ومنه إبليس لعنه الله ، وفي التنزيل : ﴿ **ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون** ﴾ ، ﴿ **حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون** ﴾ ، ﴿ **حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون** ﴾ ، ﴿ **لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون** ﴾ ، ﴿ **وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين** ﴾ [١٢ : الروم] ، [٤٤ : الأنعام] ، [٧٧ : المؤمنون] ، [٧٥ : الزخرف] ، [٤٩ : الروم] على الترتيب .

(٣) في (خ) : « أقول » ، وما أثبتناه من رواية أبي نعيم .

(٤) أخرجه أبو نعيم في (دلائل النبوة) : ١ / ٦٧ ، الفصل الرابع ، ذكر الفضيلة الرابعة بإقسام الله تعالى بحياته ، وتفرده بالسيادة لولد آدم في القيامة ، وما فُضِّل به هو وأمته على سائر الأنبياء وجميع الأمم ﷺ ، حديث رقم (٢٩) . وقال السيوطي في (الخصائص) : ٣ / ٢٢٢ « أخرجه أبو نعيم عن أم كرز » .

(٥) ٧٩ : الإسراء ، و ﴿ **عسى** ﴾ ، مدلولها في المحبوبات الترجي ، فقيل : هي على بابها في الترجي تقديره لتكن على رجا من أن ﴿ **يبعثك** ﴾ . وقيل هي بمعنى كي ، وينبغي أن يكون هذا تفسير معنى .
والأجود أن هذه الترجية والإطماع بمعنى الوجود من الله تعالى ، وهو متعلق من حيث المعنى بقوله : ﴿ **فتهجد** ﴾ . و ﴿ **عسى** ﴾ هنا تامة ، وفاعلها ﴿ **أن يبعثك** ﴾ ، و ﴿ **ربك** ﴾ فاعل يبعثك ، و ﴿ **مقاماً** ﴾ الظاهر أنه معمول ليبعثك ، هو مصدر من غير لفظ الفعل ، لأن يبعثك بمعنى يقيمك ، تقول : أُقيم من قبره ، وبُعث من قبره . وقال ابن عطية : منصوب على الظرف أي في مقام =

....

= محمود . وقيل : منصوب على الحال ، أي ذا مقام محمود . وقيل : هو مصدر لفعل محذوف ، التقدير فتقوم ﴿ **مقاماً** ﴾ ، ولا يجوز أن تكون ﴿ **عسى** ﴾ هنا ناقصة ، وتقدم الخبر على الاسم فيكون ﴿ **ربك** ﴾ مرفوعاً اسم ﴿ **عسى** ﴾ و ﴿ **أن يبعثك** ﴾ الخبر في موضع نصب بها ، إلا في هذا الإعراب الأخير .

وفي تفسير المقام المحمود أقوال :

أحدها : أنه في أمر الشفاعة التي يتدافعها الأنبياء حتى تنتهي إليه ﷺ ، والحديث في الصحيح ، وهي عِدةٌ من الله تعالى له ﷺ ، وفي هذه الشفاعة يحمده أهل الجمع كلهم ، في دعائه المشهور : « وابعثه المقام المحمود الذي وعدته » واتفقوا على أن المراد منه الشفاعة .

الثاني : أنه في أمر شفاعته لأُمَّته في إخراجه لمذنبهم من النار ، وهذه الشفاعة لا تكون إلا بعد الحساب ودخول الجنة ودخول النار ، وهذه لا يتدافعها الأنبياء بل يشفعون ويشفع العلماء . وقد روي حديث الشفاعة وفي آخره : « حتى لا يبقى في النار إلا من حبسه القرآن » ، أي وجب عليه الخلود . قال : ثم تلا هذه الآية ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾ . وعن أبي هريرة أنه عليه السلام قال : « المقام المحمود هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي » فظاهر هذا الكلام تخصيص شفاعته لأمته ، وقد تأوله من حمل ذلك على الشفاعة العظمى ، التي يحمده بسببها الخلق كلهم ، على أن المراد لأمته وغيرهم ، أو يقال : إن كل مقام منها محمود .

الثالث : عن حذيفة : يجمع الله الناس في صعيد فلا تتكلم نفس ، فأول مدعوّ محمد ﷺ ، فيقول : لبيك وسعديك والشر ليس إليك ، والمهدى من هديت ، وعبدك بين يديك ، وبك وإليك ، لا منجأ ولا ملجأ إلا إليك ، تباركت وتعاليت ، سبحانك رب البيت . قال : فهذا قوله تعالى : ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾ .

الرابع : قال الزمخشري : معنى المقام المحمود المقام الذي يحمده القائم فيه ، وكل من رآه وعرفه وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من أنواع الكرامات (ا . هـ) ، وهو قول حسن ولذلك نُكِّر ﴿ **مقاماً محموداً** ﴾ ، فلم يتناول مقاماً مخصوصاً ، بل كل مقام محمود صدق عليه إطلاق اللفظ .

الخامس : ما قالت فرقة – منها مجاهد – وقد روي أيضاً عن ابن عباس أن المقام المحمود هو أن يُجلسه الله تعالى معه على العرش . وذكر الطبري في ذلك حديثاً ، وذكر النقاش عن أبي داود السجستاني أنه قال : من أنكر هذا الحديث فهو عندنا متهم ، مازال أهل العلم يتحدثون بهذا . قال ابن عطية : يعني من أنكر جوازه على تأويله . وقال أبو عمر ومجاهد : إن كان أحد الأئمة يتأول القرآن فإن له قولين مهجورين عند أهل العلم هذا أحدهما ، والثاني تأويل ﴿ **إلى ربها ناظرة** ﴾ [٢٢ : القيامة] ، قال تنتظر الثواب ليس من النظر ، وقد يؤوَّل قوله معه على رفع محله وتشريفه على خلقه كقوله : ﴿ **إن الذين عند ربك** ﴾ [٢٠٦ : الأعراف] ، وقوله : ﴿ **ابن لي عندك بيتاً** ﴾ [١١ : التحريم] ، و ﴿ **إن الله لمع المحسنين** ﴾ [٦٩ : العنكبوت] ، كل ذلك كناية عن المكانة لا عن المكان .

وقال الواحدي : هذا القول مروي عن ابن عباس وهو قول رذل ، موحش ، فظيع ، لا يصح مثله عن ابن عباس ، ونَصُّ الكتاب ينادي بفساده من وجوه : ....

ورواه البخاري من حديث أبي الأَحْوَصِ عن آدم، وله من حديث أبي نعيم قال : حدثنا داود بن يزيد الأودي عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾قال : الشفاعة[1] .

ورواه إدريس الأودي عن أبيه مثله ، قال الحافظ أبو نعيم : أحمد . وفيه عن سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود وكعب بن مالك وجابر وأبي سعيد وعبد الله بن عمرو بن العاص في المقام المحمود[1] .

ورواه الزهري عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن رجل من أهل العلم عن النبي ﷺ في المقام المحمود[1] .

واعلم أن كل من خبرك عن نفسه بأمر يحتاج إلى علمه لو إخباره ما عرفته ، فليس يقبح ذكره وإن اتصل بمدحه ، ولهذه العلة مدحت الأنبياء عليهم السلام أنفسها مع تواضعها .

وخرج الحاكم من حديث إسحق بن إبراهيم ، أنبأنا يزيد بن أبي حكيم ، حدثنا الحكم بن أبان قال : سمعت عكرمة يقول : قال ابن عباس [رضي الله عنهما][2] : إن الله فضل محمداً على أهل السماء وفضله على أهل الأرض قالوا : [ياابن عباس][2] :

الأول : أن البعث ضد الإجلاس ، بعث التارك ، وبعث الله الميت أقامه من قبره ، فتفسير البعث بالإجلاس تفسير الضد بالضد .

الثاني : لو كان جالساً – تعالى – على العرش لكان محدوداً متناهياً ، فكان يكون محدثاً .

الثالث : أنه قال : ﴿ **مقاماً** ﴾ ولم يقل مقعداً ﴿ **محموداً** ﴾ ، والمقام موضع القيام لا موضع القعود .

الرابع : أن الحمقى والجهال يقولون : إن أهل الجنة يجلسون كلهم معه تعالى ويسألهم عن أحوالهم الدنيوية ، فلا مزِّية له بإجلاسه معه !

الخامس : إذا قيل : بعث السلطان فلاناً ، لا يفهم منه أنه أجلسه مع نفسه . (البحر المحيط) : ٧ / ١٠٠ – ١٠٢ ، تفسير سورة الإسراء .

(١) أخرجه البيهقي في (الدلائل) : ٥ / ٤٨٤ ، والترمذي في كتاب تفسير القرآن ، تفسير سورة الإسراء ، حديث رقم (٣١٣٧) ٥ / ٢٨٣ وقال : هذا حديث حسن .

(٢) زيادة للسياق من (المستدرك) .

فبم[1] فضله على أهل السماء ؟ قال : قال الله تعالى : ﴿ **ومن يقل منهم إني إلّه من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين** ﴾[2] ، وقال لمحمد : ﴿ **إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفرك لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر** ﴾[3] الآية ، قالوا : فبم[1] فضله الله على أهل الأرض ؟ قال : إن الله تعالى قال : ﴿ **وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه** ﴾[4] الآية ، وقال لمحمد : ﴿ **وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً** ﴾[5] ، فأرسله إلى الجن والإنس . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، فإن الحكم بن أبان قد احتج به جماعة من أئمة الإسلام [أيضاً][6] [ولم يخرجه الشيخان][7] .

* * *

---

(1) كذا في (خ) : وفي المرجع السابق : « فبما » .

(2) الأنبياء : ٢٩ .

(3) الفتح : ١ .

(4) إبراهيم : ٤ .

(5) سبأ : ٢٨ .

(6) زيادة في (خ) .

(7) تكملة من المستدرك . والحديث أخرجه الحاكم في (المستدرك) : ٢ / ٣٨١ ، حديث رقم (٣٣٣٥ / ٤٧٢) ، وقال الذهبي في (التلخيص) : صحيح . وأخرجه البيهقي في (الدلائل) : ٥ / ٤٨٦ – ٤٨٧ بالإسناد السابق . .

والحكم بن أبان العدني أبو عيسى ، روي عن عكرمة ، وطاووس ، وشهر بن حوشب ، وإدريس ابن سنان بن بنت وهب ، وغيرهم ، وعنه ابنه إبراهيم ، وابن عيينة ، ومعمر ، ومات قبله ، وابن جريج – وهو من أقرانه – ومعتمر بن سليمان ، وابن علية ، ويزيد بن أبي حكيم ، وموسى بن عبد العزيز القنباري ، وغيرهم .

قال ابن معين والنسائي : ثقة . وقال أبو زرعة : صالح ، وقال العجلي : ثقة صاحب سُنَّة ، كان إذا هدأت العيون وقف في البحر إلى ركبتيه يذكر الله تعالى حتى يُصبح . وقال سفيان بن عيينة : أتيتُ عدن فلم أر مثل الحكم بن أبان . وقال ابن عُيينة : قدم علينا يوسف بن يعقوب قاصٌ كان لأهل اليمن ، وكان يذكر منه صلاح ، فسألتُه عن الحكم بن أبان ، قال : ذاك سيد أهل اليمن . قال أحمد : مات سنة (١٥٤) وهو ابن (٨٤) سنة . ترجمته في : (تهذيب التهذيب) : ٢ / ٣٦٤ ، ترجمة رقم (٧٣٦) ، (الثقات) : ٦ / ١٨٥ ، (التاريخ الكبير) : ٢ / ٣٣٦ ، ترجمة رقم (٦٦٢) .

فصل في ذكر المفاضلة بين المصطفى وبين إبراهيم الخليل صلوات الله عليهما وسلامه(*)

إعلم أنه لما ثبتت سيادة رسول الله ﷺ وأنه إمام الأنبياء والمرسلين وأفضلهم ، قيل : فكيف طلب له من أمته من صلاة الله تعالى عليه ما لإبراهيم عليه السلام حين قالوا في صلواتهم : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، مع أن المشبه به أصله أن يكون فوق المشبه ؟ فاقتضى هذا أن يكون إبراهيم أفضل من محمد ﷺ .

(*) قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ **تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض** ﴾ [٢٥٣ : البقرة] ، فأخبره بأنه فاوت بينهم في الفضل ، فأما الأخبار التي وردت في النهي عن التخيير بين الأنبياء فإنما هي في مجادلة أهل الكتاب في تفضيل نبينا ﷺ على أنبيائهم عليهم السلام ، لأن المخايرة إذا وقعت بين أهل دينين مختلفين لم يؤمن أن يخرج كل واحد منهما في تفضيل من يريد تفضيله إلى الإزراء بالآخر ، فيكفر بذلك .

فأما إذا كانت المخايرة من مسلم يريد الوقوف على الأفضل ، فيقابل بينهما ليظهر له رجحان الأرجح ، فليس هذا بمنهي عنه ، لأن الرسل إذا كانوا متفاضلين ، وكان فضل الأفضل يوجب له فضل حق ، وكان الحق إذا وجب لا يُهتدى إلى أدائه إلا بعد معرفته ، ومعرفة مستحقه كانت إلى معرفة الأفضل حاجة ، ووجب أن يكون لله عزَّ وجلَّ عليه دلالة ، وطلب العلم المحتاج إليه من قبل إعلامه المنصوبة عليه ليس مما يُنكر والله تعالى أعلم . وهذا قول أبو عبد الله الحليمي رحمه الله .

قال البيهقي : ومن تكلم في التفضيل ذكر في مراتب نبينا ﷺ وخصائصه وجوهاً لا يحتمل ذكرها بأجمعها هذا الكتاب ، ونحن نشير إلى وجه منها على طريق الاختصار .

فمنها : أنه ﷺ كان رسول الثقلين الإنس والجن ، وأنه خاتم الأنبياء .

ومنها : أن شرف الرسول بالرسالة ، ورسالته أشرف الرسالات بأنها نسخت ما تقدمها من الرسالات ، ولا تأتي بعدها رسالة تنسخها .

ومنها : أن الله تبارك وتعالى أقسم بحياته ﷺ .

ومنها : أنه جمع له بين إنزال الملك عليه أو إصعاده إلى مساكن الملائكة ، وبين إسماعه كلام الملك ، وإرائه إياه في صورته التي خلقه عليها ، وجمع له بين إخباره عن الجنة والنار وإطلاعه عليهما ، وصار العلم له ، واقعاً بالعالمين ؛ دار التكليف ودار الجزاء عياناً .

ومنها : قتال الملائكة معه ﷺ .

ومنها : ما أخبر عن خصائصه التي يخُصُّهُ الله تعالى بها يوم القيامة ، وهو المقام المحمود الذي وعده بقوله : ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾ [٧٩ : الإسراء] . ... =

قيل : قد اختلفت طرق العلماء في الجواب عن ذلك ؛ فقالت طائفة : هذه الصلاة علمها النبي ﷺ قبل أن يعرف أنه سيد ولد آدم ، ورُدَّ هذا بأن هذه هي الصلاة التي علمها أمته لما سألوه عن تفسير قول الله تعالى : ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي يٰأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً** ﴾[1] ، وجعلها مشروعة في الصلاة إلى يوم القيامة ، وهو لم يزل أفضل ولد آدم قبل أن يعلم بذلك وبعده ، فلما علم بأنه سيد ولد آدم لم يغيّر نظم الصلاة عليه التي علمها أمته ، ولا أبدلها بغيرها ، ولا روي عن أحد خلافها ، [فَصَلُح][2] هذا الجواب .

وقالت طائفة : هذا السؤال والطلب شرع ليتخذه الله خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ، وقد أجابه الله تعالى إلى ذلك كما ثبت في الصحيح : « ألا وإن صاحبكم خليل الرحمن »[3] ، يعني نفسه ﷺ ، وهذا القول من جنس ما قبله ؛ فإن مضمونه أنه بعد أن اتخذ خليلاً لا تشرع الصلاة عليه على هذا الوجه ، وهذا من أبطل الباطل .

وقالت طائفة أخرى : إنما هذا التشبيه راجع إلى المصلي فيما يصير له من ثواب الصلاة عليه ، فطلب من ربه ثواباً وهو أن يصلي عليه كما صلى على إبراهيم ، لا بالنسبة إلى النبي ﷺ فإن المطلوب لرسول الله ﷺ من الصلاة وأعظم مما هو حاصل لغيره من العالمين ، وردّ هذا : بأن التشبيه ليس فيما يحصل للمصلّي ، بل فيما يحصل للمصلى عليه ، وهو النبي ﷺ وآله ، فمن قال : أن المعنى اللهم أعطني ثواب صلاتي عليه كما صليت على إبراهيم و [على][4] آل إبراهيم فقد حرف الكلام

ومنها : أن الله جلَّ ثناؤه لم يخاطبه في القرآن إلا بالنبي أو الرسول ، ودعا سائر الأنبياء بأسمائهم ، وحين دعا الأعرابُ نبينا ﷺ باسمه أو كنيته نهاهم عن ذلك ، وقال : ﴿ **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً** ﴾ [٦٣ : النور] ، وأمرهم بتعظيمه وبتفخيمه ، ونهاهم عن التقديم بين يديه ، وعن رفع أصواتهم فوق صوته ، وعاب من ناداه من وراء الحجرات ، إلى غير ذلك مما يطول بشرحه الكتاب ، وهو مذكور في كتب أهل الوعظ والتذكير .

ومنها : أنه ﷺ أكثر الأنبياء إعلاماً ، وقد ذكر بعض المصنفين أن أعلام نبينا ﷺ تبلغ ألفاً . (دلائل البيهقي) : ٥ / ٤٩١ ، باب ما جاء في التخيير بين الأنبياء .

(١) الأحزاب : ٥٦ .
(٢) في (خ) : « فطاح » ، ولعل الصواب ما أثبتناه .
(٣) سبق الإشارة إليه .
(٤) زيادة للسياق .

وأبطل في كلامه .

وقالت طائفة : التشبيه عائد إلى الآل فقط ، وتم الكلام عند قوله : اللهم صل على محمد ، ثم قال : وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم ، فالصلاة المطلوبة لآل محمد هي المشبهة بالصلاة الحاصلة لإبراهيم ، وهذا الجواب نقله العمراني عن الشافعي ، واستبعدت صحته عنه رحمه الله ، فإنه ورد في كثير من الأحاديث : « اللهم صل على محمد كما صليت على آل إبراهيم » ، وأيضاً فإنه لا يصح هذا الجواب من جهة العربية ، فإن العامل إذا ذكر معموله وعطف عليه غيره ، ثم قيد بظرف أو جار أو مجرور أو مصدر أو صفة مصدر ، كان ذلك راجعاً إلى المعمول وما عطف عليه ، هذا الذي لا تحتمل العربية غيره .

فإذا قلت : جاءني زيد وعمرو يوم الجمعة ، كان الظرف مقيداً بمجيئهما لا بمجيء أحدهما دون الآخر ، وكذلك إذا قلت : ضربت زيداً وعمراً ضرباً مؤلماً ، وأمام الأمير ، أو قلت : سلم عليّ زيد وعمرو يوم الجمعة .. ونحوه .

فإن قيل : هذا متجه إذا لم تُعد العامل ، فأما إذا أعيد العامل حسن ذلك ، تقول : سلِّم علي زيد وعلى عمرو إذا لقيته لم يمنع أن تختص ذلك بعمرو دون زيد ؛ وهنا قد أعيد العامل في قوله : وعلى آل محمد ، قيل : ليس هذا المثال بمطابق لمسألة الصلاة ، وإنما المطابق أن تقول : سلم علي زيد وعلى عمرو كما تسلم على المؤمنين ، ونحو ذلك ، وحينئذ فادّعاء أن التشبيه بسلامه على عمرو وحده دون زيد دعوى باطلة .

وقالت طائفة : لا يلزم أن يكون المشبه به أعلى من المشبه ، بل يجوز أن يكونا متماثلين ، وأن يكون المشبه أعلى من المشبه به ، قال هؤلاء : والنبي ﷺ أفضل من إبراهيم من جهات غير الصلاة عليه وإن كانا متساويين في الصلاة ، والدليل على أن المشبه قد يكون أفضل من المشبه به قولُ الشاعر :

بنونا بنو أبنـائنا وبناتنا   بنوهن أبناء الرجال الأباعـد

وعورض هذا القول بوجوه من الرد :

أحدهما : أن هذا خلاف المعلوم من قاعدة تشبيه الشيء بالشيء ، فإن العرب

لا تشبه الشيء إلا بما فوقه[1] .

الثاني : أن الصلاة من الله تعالى من أفضل المراتب وأجل وأتم من كل صلاة ، تحصل لكل مخلوق فلا يكون غيره مساوياً له فيها .

الثالث : أن الله تعالى أمر بها بعد أن أخبر أنه وملائكته يصلون عليه ، فأمر بالصلاة والسلام عليه ، وأكده بالتسليم ، وهذا الخبر والأمر لم يثبتهما لغيره في القرآن من المخلوقين .

الرابع : أن النبي ﷺ قال : إن الله وملائكته يصلون على معلم الناس الخير ، وهذا لا بتعلمهم الخير ، فلما هداهم إلى خير الدنيا والآخرة وتسبَّبُوا بذلك إلى سعادتهم وفلاحهم ، وذلك سبب دخولهم في جملة المؤمنين المهديين الذين يصلي عليهم الله وملائكته .

ومن المعلوم أنه لا أحد من معلمي الخير أفضل ولا أكثر تعليماً له من النبي ﷺ ، ولا أنصح لأمته ولا أصبر على تعليم الخير منه ، ولهذا أنال أمته من تعليمه لهم ما لم تنله أمة من الأمم سواهم ، وحصل للأمة من تعليمه من العلوم النافعة والأعمال الصالحة ما صارت به خير أمة أخرجت للعالمين ، فكيف تكون الصلاة على هذا الرسول المعلم للخير مساوية في الصلاة على من لم يماثله في التعليم ؟ وما بقول الشاعر على جواز كون المشبه به أفضل من المشبه ، فلا يدل ذلك لأن قوله :

* بنونا بنو أبنائنا *

إما أن يكون المبتدأ فيه مؤخراً والخبر مقدماً ، ويكون قد شبه بنو أبنائه ببنيه ، وكان تقديم الخبر لظهور المعنى وعدم وقوع اللبس ، وعلى هذا جاز على أصل التشبيه ، وإما أن يكون من باب عكس التشبيه كما يشبه القمر بالوجه الكامل في حسنه ، ويشبه الأسد بالكامل في شجاعته ، وعلى هذا فيكون الشاعر قد نزل

---

(١) ومع ذلك فقد ضرب الله تعالى مثلاً لنوره ﴿ **كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار** ﴾ [٣٥ : النور] .

بني أبنائه منزلة بنيه وأنه لم يفرقهم عنده ، ثم شبه بنيه بهم ، وهذا قول طائفة من أهل المعاني .

وظاهر البيت أن الشاعر لم يرد ذلك وإنما أرا دالتفريق بين بني بنيه وبين بني بناته ؛ فأخبر أن بني بناته تتبع لآبائهم ليسوا بأبناء لنا ، وإنما أبناؤنا بني أبنائنا لا بنو بناتنا و لم يرد تشبيه بني بنيه ببنيه ولا عكسه ، وإنما أراد ما ذكرنا من المعنى ، وهذا ظاهر .

وقالت طائفة : النبي ﷺ له من الصلاة الخاصة التي لا تساويها صلاة من لم يشركه فيها أحد ، والمسئول له إنما هو صلاة زائدة على ما أعطيته مضافاً إليه ، [وتكون تلك][1] الزائدة [مشبهة][2] بالصلاة على إبراهيم ، وليس بمستنكر أن يسأل للفاضل فضيلة أعطيها المفضول منضماً إلى ما اختص به من هو من الفضل الذي لم يحصل لغيره .

قالوا : ومثال ذلك أن يعطي السلطان رجلاً مالاً عظيماً ، ويعطي غيره دون ذلك فيسأل السلطان أن يعطي صاحب المال الكثير مثل ما أعطي صاحب من هو دونه لينضم إلى ما أُعْطِيَهُ فيحصل له مثل مجموع العطائين أكثر ما يحصل له من الكثير وحده ، وهذا جواب ضعيف ، لأن الله سبحانه وتعالى أخبر أنه وملائكته يصلون عليه ، ثم أمر بالصلاة عليه ، ولا ريب أن المطلوب من الله سبحانه وتعالى هو الصلاة المخبر بها لا ما هو دونها ، وهو أكمل الصلاة عليه وأرجحها لا الصلاة المرجوحة المفضولة ، وعلى قول هؤلاء إنما يكون الطلب لصلاة مرجوحة لا راجحة ، وإنما تصير راجحة بانضمامها إلى صلاة لم تطلب ، ولا ريب في فساد ذلك ، فإن الصلاة التي تطلبها الأمة له ﷺ من ربه تعالى هي أجلّ صلاة وأفضلها .

وقالت طائفة : التشبيه المذكور إنما هو في أصل الصلاة لا في قدرها ولا كيفيتها ، إنما هو راجع إلى الهبة لا إلى قدرها ، وهذا كما تقول للرجل : أحسن إلى أبيك كما أحسنت إلى فلان ، وأنت لا تريد بذلك قدر الإحسان وإنما تريد به أصل الإحسان .

---

(١) في (خ) : « ويكون ذنك » .
(٢) في (خ) : « مشبها » .

وقد يحتج لذلك بقوله تعالى : ﴿ **وأحسن كما أحسن الله إليك** ﴾[1] ، ولا ريب أنه لا يقدر أحد أن يُحسن بقدر ما أحسن الله إليه ، وإنما أُريد به أصل الإحسان لا قدره .

ومنه قوله تعالى : ﴿ **إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده** ﴾[2] ، وهذا التشبيه إنما هو في أصل الوحي لا في قدره وفضيلة الموحي به ، وقوله تعالى : ﴿ **فليأتنا بآية كما أُرسل الأولون** ﴾[3] ، إنما مرادهم جنس الآية لا نظيرها .

وقوله تعالى : ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم** ﴾[4] ، ومعلوم أن كيفية الاستخلاف مختلفة ، وإنما لهذه الأمة أكمل ما لغيرها .

وقال تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم** ﴾[5] ، والتشبيه إنما هو في أصل الصوم لا في عينه وقدره وكيفيَّته .

وقال تعالى : ﴿ **كما بدأكم تعودون** ﴾[6] ، ومعلوم تفاوت ما بين النشأة الأولى وهي المبتدأ ، وبين الثانية وهي المعاد .

وقال تعالى : ﴿ **إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً** ﴾[7] ، ومعلوم أن الشبيه في أصل الإرسال لا يقتضي تماثل الرسولية .

وقال رسول الله ﷺ : « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقنكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصاً وتروح بطاناً » ، فالتشبيه هنا في أصل الرزق لا في قدره ، ولا في كيفيته ، ونظائر ذلك [كثير] .

---

(١) القصص : ٧٧ . (٢) النساء : ١٦٣ . (٣) الأنبياء : ٥ .
(٤) النـور : ٥٥ . (٥) البقرة : ١٨٣ . (٦) الأعراف : ٢٩ .
(٧) المزمل : ١٦ .

واعترض على هذا بوجوه :

أحدها : ما ذكروه يجوز أن يستعمل في الأعلى والأدنى ، فلو قلت : أحسن إلى ابنك وأهلك كما أحسنت إلى مركوبك وخادمك ونحوه ، جاز ذلك .

ومن المعلوم أنه لو كان التشبيه في أصل الصلاة لحسن أن تقول : اللهم صل على محمد كما صليت على آل أبي أوفي ، أو كما صليت على آحاد المؤمنين ونحوه ، أو كما صليت على آدم ونوح ، وهود ولوط ، فإن التشبيه عند هؤلاء إنما هو واقع في أصل الصلاة لا في قدرها ولا في صفتها ، ولا فرق في ذلك بين كل من صلى عليه ، وأيّ مزيَّة في ذلك لإبراهيم وآله ، وما الفائدة حينئذ . في ذكره وذكر آله ، وكان الكافي في ذلك أن يقال : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد فقط .

الثاني : أن الأمثلة المذكور ليست بنظير الصلاة على رسول الله ﷺ فإنها نوعان : خبر وطلب ؛ فما كان منها خبراً فالمقصود بالتشبيه الاستدلال والتقريب إلى الفهم ، وتقرير ذلك الخبر وأنه لا ينبغي لعاقل إنكاره كنظيره المشبه به ، فكيف تنكرون الإعادة وقد وقع الاعتراف بالبداءة وهي نظيرها ، وحكم النظير حكم نظيره .

ولهذا يحتج سبحانه بالمبدأ على المعاد كثيراً ، قال تعالى : ﴿ **كما بدأكم تعودون** ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ **كما بدأنا أول خلق نعيده** ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ **وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم** ﴾[3] ، وهذا كثير في القرآن .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ **إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً** ﴾[4] ، أي كيف يقع الإنكار منكم وقد تقدم قبلكم رسل مني مبشرين ومنذرين ، وقد علمتم حال من عصى رسلي كيف أخذتهم أخذاً وبيلاً .

---

(١) الأعراف : ٢٩ .
(٢) الأنبياء : ١٠٤ .
(٣) يــس : ٧٨ .
(٤) المزمل : ١٦ .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ **إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح** ﴾[1] الآية ، أي لست أول رسول طرق العالم ، قد تقدمت قبلك رسل أوحيت إليهم كما أوحيتُ إليك كما قال تعالى : ﴿ **قل ما كنت بدعاً من الرسل** ﴾[2] ، فهذا ردّ وإنكار على من أنكر رسالة محمد ﷺ مع مجيئه ﷺ ولست من الأمور التي لم تطرق العالم ، بل لم تخل الأرض من الرسل وآثارهم ، فرسولكم جاء على منهاج من تقدمه من الرسل في الرسالة لم يكن بدعاً .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم** ﴾[3] ، إخباراً عن عادته سبحانه وتعالى في خلقه ، وحكمته التي لا تبديل لها ؛ من آمن وعمل صالحاً مكَّن له في الأرض واستخلفه فيها ولم يهلكه ويقطع دابره كما أهلك من كذب رسله وخالفهم ، وأخبرهم سبحانه وتعالى عن معاملته من آمن برسله وصدقهم ، وأنه لم يفعل بهم كما فعل بمن قبلهم من أتباع الرسل .

وهكذا قول رسول الله ﷺ : « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدوا خماصاً وتروح بطاناً » ، إخبار بأنه سبحانه وتعالى يرزق المتوكلين عليه من حيث لا يحتسبون ، وأنه لا يخليهم من رزق قط كما ترون ذلك في الطير فإنها تغدوا من أوكارها خماصاً فيرزقها سبحانه وتعالى حتى ترجع بطاناً من رزقه ، فأنتم أكرم على الله سبحانه وتعالى من الطير ومن سائر الحيوانات ، فلو توكلتم عليه سبحانه وتعالى لرزقكم من حيث لا تحتسبون ، ولم يمنع أحداً منكم رزقه ، هذا ما كان من قبيل الإخبار .

وأما في قسم الطلب والأمر ، فالمقصود منه التنبيه على العلة وأن الجزاء من جنس العمل ، فإذا قلت : علم كما علمك الله ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، واعْفُ كما عفا الله عنك .. ونحوه ، كان في ذلك تنبيهاً للمأمور على شكر النعمة التي أنعم الله سبحانه وتعالى بها عليه ، وأنه حقيق أن يقابلها بمثلها ويقيدها بشكرها ، وأن جزاء تلك النعمة من جنسها ، ومعلوم أنه يمتنع خطاب الرب سبحانه وتعالى بشيء

---

(١) النساء : ١٦٣ . (٢) الأحقاف : ٩ . (٣) النور : ٥٥ .

من ذلك ، ولا يحسن في حقه ، فيصير ذكر التشبيه لغواً لا فائدة فيه وهذا غير جائز .

الثالث : أن قوله : كما صليت على آل إبراهيم صفة لمصدر محذوف تقديره : صلاةً مثل صلاتك على آل إبراهيم ، وهذا الكلام حقيقته أن تكون الصلاة مماثلة في الصلاة المشبهة بها ، فلا تعدل عن حقيقة الكلام ووجهه .

وقالت طائفة : إن هذا التشبيه حاصل بالنسبة إلى كل صلاة من صلوات المصلين ، فكل مصل صلى على رسول الله ﷺ بهذه الصلاة فقد طلب من الله تعالى أن يصلي على رسوله صلاة مثل الصلاة الحاصلة لآل إبراهيم ، ولا ريب أنه إذا حصل من كل من طلب من الله مثل صلاته على آل إبراهيم حصل له من ذلك أضعافاً مضاعفة من الصلاة لا تُعَدّ ولا تحصى ، ولم يقاربه فيها ﷺ أحد ، فضلاً عن أن يساويه أو يفضله ﷺ .

ونظير هذا : أن يعطى ملكٌ لرجلٍ ألف درهم فيسأله كل واحد منهم أن يعطيه ألفاً، فيحصل له من الألوف بعدد كل واحد منهم ، وأورد على هذا أن التشبيه حاصل بالنسبة إلى أصل هذه الصلاة المطلوبة وكل فرد من أفرادها ، فالإشكال وارد كما هو ، وتقديره أن العطية التي [يعطاها] الفاضل لابد أن تكون أفضل من العطية التي يعطاها المفضول ، فإذا سُئِل عطية دون ما يستحقه لم يكن لائقاً بمنصبه .

وأجيب بأن هذا الإشكال إنما يرد إذا لم يكن الأمر للتكرار ، فأما إذا كان الأمر للتكرار فالمطلوب من الأمة أن يسألوا الله سبحانه وتعالى له صلاة بعد صلاة ، كل صلاة منها نظير ما حصل لإبراهيم ، فيحصل لرسول الله ﷺ من الصلوات ما لا يحصى مقداره بالنسبة إلى الصلاة الحاصلة لإبراهيم عليه السلام .

وردَّ هذا الجواب بأن التشبيه إنما هو واقع في صلاة الله سبحانه وتعالى عليه ، لا في صلاة المصلى عليه ، ومعنى هذا الدعاء : اللهم أَعطه نظير ما أعطيت إبراهيم ، فالمسئول له ﷺ صلاة مساوية للصلاة على إبراهيم عليه السلام ، وكلما تكرر هذا السؤال كان هذا معناه ، فيكون كل مصل قد سأل الله سبحانه وتعالى أن يصلي عليه صلاة دون التي يستحقها ، وهذا السؤال والأمر به متكرر ، فهل هذا إلا تقوية

لجانب الإشكال ؟.

ثم إن التشبيه واقع في أصل الصلاة وأفرادها ولا يعني جوابكم عنه بقضية التكرار شيئاً ، فإن التكرار لا يجعل جانب المشبه به أقوى من جانب المشبه كما هو مقتضى التشبيه ، فلو كان التكرار يجعله كذلك لكان الاعتزار به نافعاً ، بل التكرار يقتضي زيادة تفضيل المشبه وقوته ، فكيف يشبه حينئذ بما هو دونه ، فظهر ضعف هذا الجواب .

وقالت طائفة : آل إبراهيم فيهم الأنبياء الذين ليست في آل محمد مثلهم ، فإذا طُلب لرسول الله ﷺ ولآله من الصلاة مثل ما لإبراهيم وآله وفيهم الأنبياء حصل لآل محمد من ذلك ما يليق بهم فإنهم لا يبلغون مراتب الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ، وتبقى الزيادة التي للأنبياء وفيهم إبراهيم عليه السلام لمحمد ﷺ فتحصل له بذلك من المزية ﷺ ما لم يحصل لغيره ، وتقدير ذلك : أن تجعل الصلاة الحاصلة لإبراهيم ولآله وفيهم الأنبياء جملة مقسومة على محمد ﷺ وآله .

ولا ريب أنه لا يحصل لآله ﷺ مثل ما حصل لآل إبراهيم عليه السلام وفيهم الأنبياء ، بل يحصل لهم ما يليق بهم ويبقى سهم رسول الله ﷺ مع الزيادة المتوفرة التي لم يستحقها آله مختصة به ﷺ ، فيصير الحاصل له ﷺ من مجموع ذلك أعظم وأفضل من الحاصل لإبراهيم عليه السلام ، وهذا أحسن من كل ما تقدم .

وأحسن منه أن يُقال : محمد ﷺ من آل إبراهيم بل هو خير آل إبراهيم ، كما روي عن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ **إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين** ﴾[1] ، قال ابن عباس رضي الله عنه : محمد ﷺ من آل إبراهيم عليه السلام ، فدخول رسول الله ﷺ أولى فيكون قولنا : كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم متناولاً للصلاة عليه وعلى سائر الأنبياء الذين من ذرية إبراهيم ، ثم قد أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نصلي عليه وعلى آله خصوصاً بقدر ما صلينا عليه مع سائر آل إبراهيم عموماً وهو فيهم ،

---

(١) آل عمران : ٣٤ .

فيحصل لآله ﷺ ما يليق بهم ويبقى الباقي كله له ﷺ .

وتقدير ذلك : أنه يكون قد صلى عليه خصوصاً ، وطلب له من الصلاة ما لآل إبراهيم وهو داخل معهم ، ولا ريب أن الصلاة الحاصلة لآل إبراهيم عليه السلام ورسول الله ﷺ معهم أكمل من الصلاة الحاصلة له ﷺ دونهم ، فيطلب له ﷺ هذا الأمر العظيم الذي هو أفضل مما لإبراهيم قطعاً .

وحينئذ تظهر فائدة التشبيه وجريه على أصله ، وأن المطلوب بالدعاء إنما هو مثل المشبه به ، وله أوفر نصيب منه ، صار له ﷺ من المشبه المطلوب أكثر مما لإبراهيم عليه السلام وغيره ، وتضاف إلى ذلك ما له من المشبه به من الحصة التي لم تحصل لغيره ، فظهر بهذا من فضله ﷺ وشرفه على إبراهيم عليه السلام وعلى كل من آله – وفيهم النبيون – ما هو اللائق به ، وصارت هذه الصلاة دالة على هذا التفضيل وتابعة له ، وهي من موجباته ومقتضياته .

واعلم أن الأحاديث الواردة في الصلاة والواردة لرسول الله ﷺ كلها صريحة بذكر رسول الله ﷺ وبذكر آله ، وأما في حق إبراهيم عليه السلام – وهو المشبه به – فإنما جاءت بذكر آل إبراهيم عليه السلام فقط دون ذكر إبراهيم ، أو بذكره عليه السلام دون ذكر آله ، ولم يجيء حديث صحيح فيه لفظ إبراهيم وآل إبراهيم كما تظاهرت على لفظ محمد وآل محمد ؛ وبيانه أن أشهرَ الأحاديث الواردة في الصلاة على النبي ﷺ حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : لقيني كعب بن عجرة فقال : ألا أهدي لك هدية ؟ خرج علينا رسول الله ﷺ فقلنا : قد عرفنا كيف نسلم عليك ، فكيف نصلي عليك ؟ فقال : « قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد » ، رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد ، وهذا لفظهم إلا الترمذي فإنه قال : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم فقط ، وكذا في ذكر البركة ولم يذكر الآل ، وهي رواية لأبي داود ، وفي رواية : كما صليتَ على آل إبراهيم بذكر الآل فقط ، وكما باركت على إبراهيم (بذكره فقط) .

وفي الصحيحين من حديث أبي حميد الساعدي : قالوا : يا رسول الله ، كيف نصلي عليك ؟ قال : « قولوا : اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد » . هذا هو اللفظ المشهور ، وقد روي فيه : « كما صليت على إبراهيم وكما باركت على إبراهيم بدون لفظ الآل في الموضعين .

وفي البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قلنا : يا رسول الله هذا السلام عليك ، فكيف نصلي عليك ؟ فقال : « قولوا : اللهم صلِّ على محمد عبدك ورسولك كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد » .

وفي صحيح مسلم عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال : أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة ، فقال له بشير بن سعد : أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نصلي عليك ، فكيف نصلي عليك ؟ قال : فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنينا أنه لم يسأله ، ثم قال رسول الله ﷺ : « قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد ، والسلام كما قد علمتم » .

وقد روي هذا الحديث بلفظ آخر : كما صليت على إبراهيم وكما باركت على إبراهيم (لم يذكر الآل فيهما) . وفي رواية أخرى : كما صليت على إبراهيم وكما باركت على آل إبراهيم بذكر إبراهيم عليه السلام وحده في الأولى ، والآل فقط في الثانية ، هذه هي الألفاظ المشهورة في هذه الأحاديث المشهورة ؛ أكثرها بلفظ آل إبراهيم في الموضعين ، وفي بعضها بلفظ آل إبراهيم فيهما ، وفي بعضها بلفظ إبراهيم في الأول والآل في الثاني ، وفي بعضها عكسه .

وأما الجمع بين إبراهيم وآل إبراهيم فرواه البيهقي في سننه من حديث حيي ابن السباق عن رجل من بني الحرث عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ [أنه قال :] « إذا تشهد أحدكم في الصلاة فليقل : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد ، وارحم محمداً وآل محمد كما صليت

وباركت وترحمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد » . وهذا إسناد ضعيف .

ورواه الدَّارقطني من حديث ابن إسحق : حدثني محمد بن إبراهيم بن الحرث التيمي عن محمد بن عبد الله بن زيد بن عبد ربه عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه فذكر الحديث وفيه : « اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد » ، ثم قال : هذا إسناد حسن متصل .

وفي النسائيِّ من حديث موسى بن طلحة عن أبيه قال : قلنا : يا رسول الله كيف الصلاة عليك ؟ قال : « قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد » ، ولكن رواه هكذا ورواه مقتصراً فيه على ذكر إبراهيم في الموضعين .

وقد روي ابن ماجة حديثاً موقوفاً آخر عن ابن مسعود فيه إبراهيم وآل إبراهيم ، قال في السنن : حدثنا الحسين بن بيان ، حدثنا زياد بن عبد الله حدثنا المسعودي عن عون بن عبد الله عن ابن أبي فاختة عن الأسود بن يزيد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : إذا صليتم على رسول الله ﷺ فأحسنوا الصلاة عليه فإنكم لا تدرون لعل ذلك يُعرض ، قال : فقالوا له : فعلمنا ، قال : قولوا : « اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة ، اللهم ابعثه مقاماً محموداً يغبطه الأولون والآخرون ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وهذا حديث موقوف ، وابن أبي فاختة اسمه نوير ، قال يونس بن أبي إسحق : كان رافضياً ، وقال ابن معين : ليس بشيء ، وقال أبو حاتم : ضعيف ، وقال الدارقطني : متروك .

وعامة الأحاديث التي في الصحاح والسنن كما ذكرنا باقتصار على الآل وإبراهيم

في الموضعين ، أو الآل في إحداهما وإبراهيم في [الأخرى][1] فحيث جاء ذكر إبراهيم وحده في الموضعين فلأنه الأصل في الصلاة المخبر بها وآله تبعاً له عليه السلام فيها ، فذلك ذكر المتبوع على التابع ، واندرج فيه وأغنى عن ذكره ، وحيث جاء ذكر آله فقط فلأنه داخل في آله كما تقرر في موضعه ، فيكون ذكر آل إبراهيم عليه السلام مغنياً عن ذكره وذكر آله بلفظين ، وحيث جاء في أحدهما ذكره عليه السلام فقط وفي الآخر ذكر آله فقط، كان ذلك جمعاً بين الأمرين فيكون ذكر المتبوع الذي هو الأصل ، وذكر أتباعه بلفظ يدخل هو فيهم .

وأما ذكر محمد ﷺ وذكر آله فقد جاء بالاقتران دون الاقتصار على أحدهما في عامة الأحاديث ، فلأن الصلاة عليه ﷺ وعلى آله ذكرت في مقام الطلب والدعاء بخلاف الصلاة على إبراهيم عليه السلام ، فإنها جاءت في مقام الخبر وذكر الواقع لأن قوله : « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد » جملة طلبية ، وقوله : « كما صليت على آل إبراهيم » جملة خبرية ، والجملة الطلبية إذا وقعت موقع الدعاء والسؤال كان بسطها وتطويلها أنسب من اختصارها وحذفها ، ولهذا شرع تكرارها وإبداؤها وإعادتها فإنها دعاء ، والله سبحانه وتعالى يحب الملحين في الدعاء ، ولهذا تجد كثيراً من أدعية رسول الله ﷺ فيها من بسط الألفاظ وذكر كل معنى بصريح لفظه دون الاكتفاء بدلالة اللفظ الآخر عليه ، ما يشهد لذلك كقوله ﷺ في حديث علي الذي رواه مسلم في صحيحه : « اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أنت أعلم به مني ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت » .

ومعلوم أنه لو قيل : اغفر لي كل ما صنعت كان أوجز ، ولكن ألفاظ الحديث في مقام الدعاء والتضرع وإظهار العبودية والافتقار ، واستحضار الأنواع التي يتوب العبد منها تفصيلاً أحسن أوبلغ من الإيجاز والاختصار .

وكذلك قوله في الحديث الآخر : « اللهم اغفر لي ذنبي كله ، دقه وجله ، سره وعلانيته ، أوله وآخره » . وفي حديث آخر : « اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي

---

(١) زيادة للسياق .

وإسرافي في أمري ، وما أنت أعلم به مني ، اللهم اغفر لي جدي وهزلي ، وخطأي وعمدي ، وكل ذلك عندي » . وهذا كثير في الأدعية المأثورة ، فإن الدعاء عبودية لله سبحانه وتعالى وافتقار إليه ، وتذلل بين يديه سبحانه وتعالى ، فكلما كثَّره العبد وطوله ، وأعاده وأبدأه ، ونوَّع جملته ، كان ذلك أبلغ في عبوديته ، وإظهار فقره ، وتذلله وحاجته ، فكان ذلك أقرب له من ربه سبحانه وتعالى وأعظم لثوابه .

وهذا بخلاف المخلوق ؛ فإنك كلما كثرت سؤالك إياه وعددت له حوائجك أَبْرَمْتَهُ وثقلت عليه وهنْتَ في نفسه عنده ، وكلما تركت سؤاله كنت أعظم عنده وأحب إليه ، والله جل جلاله كلما سألته كنت أقرب إليه وأحب إليه ، وكلما ألححت في الدعاء أحبك ، ومن لم يسأل الله سبحانه وتعالى يغضب عليه ، فالله سبحانه وتعالى يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يُسأل يغضب[1] ، فالمطلوب منه سبحانه وتعالى يزيد بزيادة الطلب وينقص بنقصانه .

وأما الخبر ، فهو خبر عن أمر قد وقع وانقضى لا يحتمل الزيادة والنقصان ، فلم تكن في زيادة اللفظ فيه كبير فائدة ، ولا سيما والمقام ليس مقام إيضاح وتفهيم المخاطب ليحسُن معه البسط والإطناب ، فكان الإيجاز والاختصار فيه أكمل وأحسن ، فلهذا جاء فيه بلفظ إبراهيم تارة ، وبلفظ آله تارة أخرى ، لأن كلا اللفظين يدل على ما يدل عليه الآخر من الوجه الذي تقدم ذكره ، فكان المراد باللفظين واحداً مع الإيجاز والاختصار ، بخلاف ما لو قيل : صل على محمد ، لم يكن في هذا ما يدل على الصلاة على آله ، إذ هو طلب ودعاء ينشأ بهذا اللفظ ، ليس خبراً عن أمر قد وقع واستقر .

ولو قيل : صل على آل محمد لكان النبي ﷺ إنما يصلي عليه ضمناً في العموم ، فقيل : على محمد وعلى آل محمد ليحصل له ﷺ بذلك الصلاة عليه بخصوصه ،

---

(١) إشارة إلى قول الشاعر :

لا تسألنَّ بُنَيَّ آدم حاجة　　وسل الذي أبوابه لا تقضب
فالله يغضب إن تركت سؤاله　　وبُنَيَّ آدم حين يُسأل يغضب

القضب : القطع . (لسان العرب) : ١ / ٦٧٨ .

والصلاة عليه ﷺ بدخوله في آله .

وهنا للناس طريقان في مثل هذا ، هل يقال : داخل في آله مع اقترانه بذكره فيكون قد ذكر مرتين : مرة بخصوصه ومرة في اللفظ العام ، وعلى هذا فيكون قد صلى عليه مرتين خصوصاً وعموماً ، وهذا على أصل من يقول : أن العام إذا ذكر بعد الخاص كان متناولاً له أيضاً ، ويكون الخاص قد ذكر مرتين ، وكذلك في ذكر الخاص بعض العام كقوله تعالى : ﴿ **من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين** ﴾[1] ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ **وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم** ﴾[2] الآية ، والطريق [الذي اختاره][3] إلى ذكره بلفظ الخاص يدل على أنه غير داخل في اللفظ العام ، فيكون ذكره بخصوصه مُغْنياً عن دخوله في العام ، وعلى هذه الطريقة فيكون في ذلك فوائد :

الأولى[4] : أنه لما كان ﷺ من أشرف النوع العام أفرد ﷺ بلفظه يخصه ﷺ ، فيكون في ذلك تنبيهاً على اختصاصه ﷺ ومزيته على النوع الداخل في اللفظ العام .

الثانية : أنه يكون فيه تنبيه على أن الصلاة عليه ﷺ أصل ، وأن الصلاة على آله تبع له ، وأنهم إنما نالوا ذلك بتبعيتهم له ﷺ .

الثالثة : أن إفراده ﷺ بالذكر يرفع عنه توهم التخصيص ، وأنه لا يجوز أن يكون مخصوصاً من اللفظ العام ، بل هو مراد قطعاً .

واعلم أن قوله : « وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم » دعاء يتضمن إعطاء محمد رسول الله ﷺ من الخير ما أعطاه الله سبحانه وتعالى لآل إبراهيم مع إدامة ذلك الخير وثبوته له ﷺ ومضاعفته وزيادته ، فإن هذا هو حقيقة البركة ، وقد قال الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ **وبشرناه بإسحق نبياً من الصالحين** ﴾ ، ﴿ **وباركنا عليه وعلى إسحق** ﴾[5] ، وقال تعالى فيه وفي

---

(١) البقرة : ٩٨ . (٢) الأحزاب : ٧ . (٣) زيادة للسياق .
(٤) زيادة للسياق ، وفي (خ) : « منها » . (٥) الصافات : ١١٢ - ١١٣ .

أهل بيته : ﴿ **رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد** ﴾[1] ، وتأمل كيف جاء في القرآن : ﴿ **وباركنا عليه وعلى إسحق** ﴾[2] ، ولم يذكر إسماعيل ، وجاء في التوراة ذكر البركة على إسماعيل ولم يذكر إسحق ، فقال بعد أن ذكر إسماعيل : وأنه سيلد اثنى عشر عظيماً ما حكايته سمعتك ها أنا باركته وأيمنته بماد ماد أي بمحمد ﷺ ، فجاء في التوراة ذكر البركة في إسماعيل إيذاناً بما حصل لبنيه من الخير والبركة ، ولا سيما خاتم بركتهم ، وأعظمهم وأجلهم محمد رسول الله ﷺ ، فنبههم سبحانه وتعالى بذلك على ما يكون في بني إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام من البركة العظيمة الموافية على لسان المبرك ﷺ .

وذكر لنا في القرآن الكريم بركته سبحانه وتعالى ، منها ما حصل في أولاده من نبوة موسى وغيره ، وما أوتوه من الكتاب والعلم ، مستدعياً سبحانه وتعالى من عباده الإيمان بذلك والتصديق به ، وأن لا يهملوا معرفة حقوق بيت إبراهيم عليه السلام ، إذا هو البيت المبارك ، وأهله أهل النبوة والعلم والكتاب .

ولا يقول القائل : هؤلاء أنبياء بني إسرائيل لا تعلق لنا بهم ، فإنه يجب علينا معشر المسلمين احترامهم وتوقيرهم والإيمان بهم ومحبتهم ، ومُوَالَاتهم والثناء عليهم ، وصلوات الله عليهم وسلامه .

ولما كان هذا البيت المبارك المطهر أشرف بيوت العالم على الإطلاق ، خص الله سبحانه وتعالى أهله بخصائص منها : أن جعل فيهم النبوة والكتاب ، فلم يأت بعد إبراهيم عليه السلام نبي إلا من أهل بيته .

ومنها : أنه سبحانه وتعالى جعلهم أئمة يهدون بأمره تعالى إلى يوم القيامة ، فكل من دخل الجنة أولياء الله سبحانه وتعالى بعدهم فإنما دخل بدعوتهم من طريقهم .

ومنها : أنه اتخذ منهم سبحانه وتعالى الخليلين إبراهيم عليه السلام ومحمد ﷺ ، فبدأ هذا البيت بإبراهيم عليه السلام ، وختمه بمحمد ﷺ ، أنه من ولد إبراهيم

---

(١) هود : ٧٣ . (٢) الصافات : ١١٣ .

عليه السلام ، قال تعالى : ﴿ **واتخذ الله إبراهيم خليلاً** ﴾[1] ، وثبت أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً » ، ولم يكن لبيت من بيوت العالم مثل هذه الخصوصية .

ومنها : أنه سبحانه وتعالى جعل صاحب هذا البيت إماماً للعالمين ، قال تعالى : ﴿ **وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً** ﴾[2] .

ومنها : أنه سبحانه وتعالى أجرى على يديه بناء بيته الحرام الذي جعله قبلة للناس وحجاً لهم ، فكان ظهور هذا البيت المحرم من أهل هذا البيت الأكرمين ، ومن تبحر في أحوال العالم علم أنه كان في الدهر الغابر سبعة بيوت في الأرض يحج الناس إليها ، لم يبلغ بيت منها عظمة هذا البيت ولا بركته ، ما منها إلا ما أباده الله وأبقى هذا البيت دونها ، وزاده تشريفاً وتكريماً وتعظيماً .

قال تعالى : ﴿ **جعل الله الكعبةُ البيت الحرام قياماً للناس** ﴾[3] ، أي صير الله الكعبة قواماً للناس الذين لا قوام لهم من رئيس يحجز ضعيفهم عن قويهم ، ومسيئهم عن محسنهم ، وظالمهم عن مظلومهم ، فحجز سبحانه وتعالى بكل واحد من ذلك بعضهم عن بعض إذ لم يكن لهم قيام غيره ، وجعلها معالم لدينهم ومصالح أمورهم ، فجعل سبحانه وتعالى الكعبة والشهر الحرام قواماً لمن كان يحترم ذلك من العرب ، ويعظمه بمنزلة الرئيس الذي يقوّم أمر أتباعه .

ومنها : أنه سبحانه وتعالى أخرج منهم الآيتين العظيمتين التي لم يخرج من أهل بيت غيرهم مثلهما ، وهما أمة موسى عليه السلام وأمة محمد ﷺ ، تمام سبعين أمة خيرها وأكرمها على الله سبحانه وتعالى .

ومنها : أن الله سبحانه وتعالى أبقى عليهم لسان صدق وثناءاً حسناً في العالم ، فلا يذكرون إلا بالثناء عليهم ، والصلاة والسلام عليهم ، قال تعالى : ﴿ **وتركنا عليه في الآخرين * سلام على إبراهيم * كذلك نجزي المحسنين** ﴾[4] .

---

(١) النساء : ١٢٥ . (٢) البقرة : ١٢٤ . (٣) المائدة : ٩٧ .
(٤) الصافات الآيات : ١٠٨ - ١١٠ .

ومنها : أنه سبحانه وتعالى جعل أهل هذا البيت فرقاناً بين الناس ، فالسعداء أتباعهم ومحبوهم ومن تولاهم ، والأشقياء من أبغضهم وأعرض عنهم وعاداهم ، فالجنة لهم ولأتباعهم ، والنار لأعدائهم ومخالفيهم .

ومنها : أنه سبحانه وتعالى جعل ذكرهم مقروناً بذكره تعالى ؛ فيقال : إبراهيم خليل الله ورسوله ونبيه ، وموسى كليم الله ورسوله ، وعيسى روح الله وكلمته ، ومحمد رسول الله ، قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ : ﴿ **ورفعنا لك ذكرك** ﴾[1] ، قال ابن عباس رضي الله عنه : إذا ذكرت ذكرت معي ؛ فيقال : لا إله إلا الله محمد رسول الله في كلمة الإسلام وفي الأذان وفي الخطب وفي التشهد وغير ذلك .

ومنها : أنه سبحانه وتعالى جعل خلاص خلقه من شقاء الدنيا والآخرة على يدي أهل هذا البيت ، فلهم على الناس من النعم ما لا يمكن إحصاؤها ولا جزاؤها ، ولهم من المنن الجسام في رقاب الأولين والآخرين من أهل السعادة مع الأيادي العظام عندهم ما لا يمكن أن يجازيهم عليها إلا الله سبحانه وتعالى .

ومنها : أن كل خير ونفع وعمل صالح وطاعة لله سبحانه وتعالى حصلت وكانت في العالم فلهم من الأجر مثل أجور عاملها فضيلة خصهم الله سبحانه وتعالى بها من بين أهل العالم .

ومنها : أنه سبحانه وتعالى سد جميع الطرق بينه وبين البشر وأغلق دونهم الأبواب فلم يفتح لأحد إلا من طريقهم وبابهم ، قال الجنيد رحمه الله : يقول الله عز وجل لرسوله محمد ﷺ : وعزتي وجلالي لو أتوني من كل طريق واستفتحوا كل باب لما فتحت لهم حتى يدخلوا خلفك .

ومنها : أنه سبحانه وتعلى خصهم من العلم بما لم يخص به أهل بيت سواهم ، فلم يطرق العالم أهل بيت أعلم بالله سبحانه وتعالى وأسمائه وصفاته وأحكامه وأفعاله ، وثوابه وعقابه وشرعه ، ومواقع رضاه وغضبه ، وملائكته ومخلوقاته منهم ،

---

(١) الشرح : ٤ .

فجمع سبحانه وتعالى لهم علم الأولين والآخرين .

ومنها : أنه سبحانه وتعالى خصهم من توحيده ومحبته وقربه والاختصاص به بما لم يخص أهل بيتٍ سواهم .

ومنها : أنه سبحانه وتعالى مكن لهم الأرض واستخلفهم فيها ، وأطاع أهل الأرض لهم ، ما لم يحصل لغيرهم .

ومنها : أنه سبحانه وتعالى أيدهم ونصرهم وأظفرهم بأعدائهم وأعدائه ما لم يؤيد به غيرهم .

ومنها : أنه سبحانه وتعالى مَحَا بِهِمْ من آثار أهل الضلال والشرك ، ومن الآثار التي يبغضها ويمقتها ، ما لم يمحه بسواهم .

ومنها : أنه سبحانه وتعالى جعل آثارهم في الأرض سبباً لبقاء العالم وحفظه ، فلا يزال العالم باقياً مادامت آثارهم باقية ، فإذا ذهبت آثرهم من الأرض فذاك أوان خراب العالم ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ **جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد** ﴾ ، قال ابن عباس في تفسير هذه الآية : لو تركتْ الناسُ كُلُّهم الحج لوقعت السماء على الأرض ، وقال : لو ترك الناس الحج كلهم لما مطروا .

وأخبر النبي ﷺ أن في آخر الزمان يرفع الله بيته من الأرض وكلامه من المصاحف وصدور الرجال ، فلا يبقى في الأرض بيت يُحَجّ ولا كلامٌ يُتْلى ، فحينئذ يقرب خراب العالم .

وهكذا الناس اليوم ، إنَّما قيامهم بقيام آثار نبيهم وشرائعه بينهم ، وقيام أمورهم وحصول مصالحهم واندفاع أنواع البلاء والشر عنهم بحسب ظهورها بينهم وقيامها ، وهلاكهم وحلول البلايا والشر بهم عند تعطلها والإعراض عنها والتحاكم إلى غيرها واتخاذ سواها .

ومن عرف حوادث الزمان فإنه يقف على أن البلاد التي سلَّط الله سبحانه وتعالى عليها من سلَّطه حتى أخرب البلاد وأهلك العباد ، إنما كان سببه تعطيلهم لدينه بينهم

وشرائعه ، فكان ذلك انتقاماً منهم بتسليط الله سبحانه وتعالى عليهم ، وأن البلاد التي لآثار رسول الله ﷺ وسنته وشرائعه فيها ظهور دفع الله سبحانه وتعالى عنهم بحسب ظهور ذلك بينهم .

وهذه الخصائص وأضعاف أضعافها من آثار رحمة الله سبحانه وتعالى وبركاته على أهل هذا البيت الإبراهيمي ، فلهذا أمرنا رسول الله ﷺ أن نطلب له من الله سبحانه وتعالى أن يبارك عليه وعلى آله كما بارك على [آل][1] هذا البيت المعظم .

ومن بركاته : أنه سبحانه وتعالى أظهر على أيديهم من بركات الدنيا والآخرة ما لم يظهره على يدي أهل بيت غيرهم .

ومنها : أنه سبحانه وتعالى أعطاهم من خصائصهم ما لم يعط غيرهم ؛ فمنهم من اتخذه خليلاً[2] ، ومنهم الذبيح[3] ، ومنهم من كلَّمه تعالى تكليماً[4] ، ومنهم من آتاه الله سبحانه وتعالى شطر الحسن وجعله من أكرم الناس عليه[5] ، ومنهم من أتاه الله سبحانه وتعالى ملكاً لم يؤته أحداً غيره[6] .

ولما ذكر الله سبحانه وتعالى أهل هذا البيت وذرَّيتَهم أخبر أن كلهم فضَّله على العالمين[7] .

ومن خصائصهم : بركاتهم على أهل الأرض [أنه][8] يرفع العذاب عن سكان البسيطة بهم ويبعثهم ، فإن عادة الله سبحانه وتعالى كانت في أمم الأنبياء الذين قبلهم أن يهلكهم إذا كذبوا أنبياءهم ورسله بعذاب يعمهم كلهم كما فعل بقوم نوح إذْ أغرق الأرض كلها وأهلك من عليها بالطوفان إلا أصحاب السفينة[9] ، وكما

---

(١) زيادة للسياق .
(٢) إبراهيم عليه السلام .
(٣) إسحاق أو إسماعيل على خلاف بين أهل التفسير فليراجع هناك .
(٤) موسى عليه السلام .
(٥) يوسف عليه السلام .
(٦) سليمان عليه السلام .
(٧) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **وكلاً فضلنا على العالمين** ﴾ [٨٦ : الأنعام] .
(٨) زيادة للسياق .
(٩) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **فأنجيناه وأصحاب السفينة** ﴾ [١٥ : العنكبوت] .

فعل تعالى بقوم هود إذ أهلك عاداً بريح دمَّرتهم كلهم[1] ﴿ **ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم** ﴾[2] ، وكما فعل سبحانه وتعالى بقوم صالح : ﴿ **أخذتهم الرجفة فأصبحوا في ديارهم جاثمين** ﴾[3] ، وكما فعل تعالى بقوم لوط جعل مدائنهم ﴿ **عاليها سافلها** ﴾[4] ، فلما أنزل الله سبحانه وتعالى التوراة والإنجيل والزبور والقرآن ، رفع بنزولها العذاب العام عن أهل الأرض ، وأمر سبحانه وتعالى بجهاد من كذبها وخالفها ، فكان ذلك نصرة لأهل دينه بأيديهم ، وشفاءاً لصدورهم واتخاذ الشهداء منهم ، وإهلاك عدوّ الله بأيديهم لتحصل [نصرتُهُ] سبحانه وتعالى على أيديهم .

وحق لأهل بيت هذا من بعض فضائلهم وخصائصهم أن لا تزال الألسنة رطبة بالصلاة عليهم والسلام ، والثناء والتعظيم ، ولا تزال القلوب ممتلئة من محبتهم وتوقيرهم وإجلالهم ، وليعلم المصلي عليهم أنه لو صرف أنفاسه كلها في الصلاة عليهم لما وفّى القليل من حقهم ، فجزاهم الله سبحانه وتعالى [عنا][5] أفضل الجزاء ، وزادهم في الملأ الأعلى تعظيماً وتشريفاً ، ومهابة وتكريماً ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **واذكر أخا عادٍ إذا أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النّذر من بين يديه ومن خلفه** ﴾ [٢١ : الأحقاف] .

(٢) الذاريات : ٤٢ .

(٣) الأعراف : ٧٨ .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل** ﴾ [الحجر : ٧٤] .

(٥) زيادة للسياق .

وأما اختصاصه ﷺ
بالشفاعة(1) العظمى يوم الفزع(2) الأكبر

قال الله تعالى : ﴿ **وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم** ﴾(3) ، قال قتادة والحسن وزيد بن أسلم : قدم صدق هو محمد ﷺ يشفع لهم .

وعن أبي سعيد الخدري : هي شفاعة نبيهم محمد ، وهو شفيع صدق عند ربهم .

---

(1) الشفاعة : الانضمام إلى آخر ناصراً له ومسائلاً عنه . وأكثر ما يستعمل في انضمام مَن هو أعلى مرتبة إلى من هو أدنى . ومنه الشفاعة في القيامة ، قال تعالى : ﴿ **فما تنفعهم شفاعة الشافعين** ﴾ [٤٨ : المدثر] ، أي لا تشفع لهم .

وقوله : ﴿ **من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها** ﴾ [٨٥ : النساء] ، أي من انضم إلى غيره وعاونه ، وصار شفعاً له أو شفيعاً في فعل الخير أو الشَّر وقوَّاه ، شاركه في نفعه وضرّه .

وقيل الشفاعة هاهنا : أن يشرع الإنسان لآخر طريق خير أو طريق شرّ ، فيقتدي به ، فصار كأنه شفع له ، وذلك كما قال النبي ﷺ : « من سنَّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها » . [رواه مسلم مطولاً] .

وقوله تعالى : ﴿ **يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه** ﴾ [٣ : يونس] ، أي يدبر الأمر وحده لا ثاني له في فصل الأمر ، إلا أن يأذن للمدبرات والمقسمات من الملائكة فيفعلون ما يفعلونه بعد إذنه .

واستشفعتُ بفلان على فلان فتشفَّع لي إليه . وشفَّعه : أجاب شفاعته . ومنه الحديث : « القرآن شافع مشفَّع » . [رواه ابن حبان] . وإن فلاناً ليستشفع به . قال الشاعر :

مضى زمن والناس يستشفِعون بي ... فهل لي إلى ليلى الغداة شفيع

(بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز) : ٣ / ٣٢٨ - ٣٢٩ .

(2) الفزع : الذُّعْرُ والفَرَقُ . وربما جُمع على الأفزاع ، وإن كان مصدراً يقال : فزِع - بالكسر -: خفا . قال تعالى : ﴿ **وهم من فزعٍ يومئذ آمنون** ﴾ [٨٩ : النمل] . وفزع أيضاً : استغاث . والإفزاع : الإخافة والإغاثة .

والتفزيع من الأضداد ، يقال : فَزَّعه إذا أخافه . وفُزِّع عنه : كشف عنه الفزع . قال تعالى : ﴿ **حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم** ﴾ [٢٣ : سبأ] ، أي كشف عنها الفزع . (المرجع السابق) : ٤ / ١٩١ .

(3) يونس : ٢ .

خرج البخاري وأبو داود من حديث مسدد قال : حدثنا يحيى عن الحسن بن ذكوان قال : حدثنا أيوب قال : حدثني عمران بن الحصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : يخرج قوم فيدخلون الجنة ويسمون الجهنميون . ذكره البخاري في الرقاق في باب صفة الجنة والنار ، وذكره أبو داود في كتاب السنة في باب الشفاعة ولفظهما فيه سواء(١) .

وخرج البخاري من حديث همام عن قتادة قال : حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : يخرج قوم من النار بعد ما مسهم منها سفع فيدخلون الجنة ، فيسميهم أهل الجنة الجهنميون(١) . ذكره في الرقاق في كتاب التوحيد في باب قوله تعالى : ﴿ **إن رحمة الله قريب من المحسنين** ﴾(٢) .

[و] من حديث هشام عن قتادة عن أنس : أن النبي ﷺ قال : ليصيبن أقواماً سفع من النار بذنوب أصابوها عقوبة ثم يدخلهم الله تعالى الجنة بفضل رحمته يقال لهم : الجهنميون(٣) .

وللترمذي من طريق عن الرزاق عن معمر عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه(٤) .

وله من حديث سعيد عن قتادة عن أبي المليح عن عوف بن مالك الأشجعي قال : قال رسول الله ﷺ : أتاني آت من عند ربي فخيَّرني بين أن يدخل نصف

---

(١) سبق الإشارة إليه وشرحه .

(٢) الأعراف : ٥٦ . (٣) سبق الإشارة إليه .

(٤) رواه الترمذي رقم (٢٤٣٧) في صفة القيامة ، باب ما جاء في الشفاعة ، وأبو داود رقم (٤٧٣٩) في السنة ، باب في الشفاعة ، ورواه أيضاً ابن ماجة رقم (٤٣١٠) في الزهد ، باب ذكر الشفاعة ، وهو حديث صحيح ، وأخرجه الترمذي أيضاً من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مثله ، وزاد فيه : قال الراوي : فقال لي جابر : « يا محمد ! من لم يكن من أهل الكبائر ، فما له وللشفاعة ؟ » رقم (٢٤٣٨) في صفة القيامة ، باب رقم (١٢) وهو حديث حسن .

أمتي الجنة وبين الشفاعة ، فاخترت الشفاعة ، وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئاً[1] .

وخرج أبو بشر بن محمد بن أحمد بن حماد الدولابي من حديث محمد بن عوف ابن سفيان الطائي قال : حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع ، أخبرنا شعيب عن الزهري قال : حدثنا أنس بن مالك عن أم حبيبة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : أُريت ما [يلقى][2] أمتي بعدي وسفك بعضهم دماء بعض ، [فأحزنني وشق ذلك عليّ][3] ، وسبق ذلك من الله [تعالى][3] كما سبق في الأمم قبلهم ، فسألته [أن يوليني الشفاعة فيهم يوم القيامة ففعل][4] .

وخرج مسلم من طريق أبي بكر بن أبي شيبة قال : حدثنا سفيان عن عمرو سمع جابراً رضي الله عنه يقول : سمعه من النبي ﷺ بأذنه يقول : إن الله تبارك وتعالى يخرج ناساً من النار فيدخلهم الجنة[5] .

وخرج من حديث حماد بن زيد قال : قلت لعمرو بن دينار : أسمعت جابر ابن عبد الله يحدث عن رسول الله ﷺ أن الله تعالى يخرج قوماً من النار بالشفاعة ؟

---

(١) حديث رقم (٢٤٤٣) في صفة القيامة ، باب ما جاء في الشفاعة ، وإسناده حسن ، وفي (خ) : « وهي لمن مات » ، وفي الترمذي : « وهي نائلة من مات .. » .

(٢) في (خ) : « تلقى » .

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة عن رواية (المستدرك) .

(٤) كذا في (خ) ، وفي (المستدرك) : « فسألته أن يوليني الشفاعة فيهم يوم القيامة ففعل » . والحديث رواه الحاكم في (المستدرك) : ١ / ١٣٨ - ١٣٩ ، حديث رقم (٢٢٧ / ٢٢٨) من كتاب الإيمان وقال في آخره : هذا حديث حسن صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، والعلة عندهما فيه أن أبا اليمان حدَّث به مرتين ، فقال مرة : عن شعيب ، عن الزهري ، عن أنس ، وقال مرة : عن شعيب ، عن ابن أبي حسين ، عن أنس .. وقد قدمنا القول في مثل هذا أنه لا ينكر أن يكون الحديث عند إمام من الأئمة عن شيخين ، فمرة يحدث به هذا ، ومرة عن ذاك . وقد حدثني أبو الحسن علي بن محمد بن عمر ، حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد ، حدثنا إبراهيم بن هانيء النيسابوري قال : قال لنا أبو اليمان : الحديث حديث الزهري والذي حدثتكم عن ابن أبي حسين غلطت فيه بورقة قلبتها . قال الحاكم : هذا كالأخذ باليد ، فإن إبراهيم بن هانيء ثقة مأمون . وقال الذهبي في (التلخيص) بنحو كلام الحاكم .

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب (٨٤) ، حديث رقم (٣١٧) .

قال : نعم[1] .

وخرجه البخاري من حديث حماد عن عمرو عن جابر أن النبي ﷺ قال : « يخرج من النار [قوم][2] بالشفاعة كأنهم الثَّعاريرُ ، قلنا : ما الثعارير ؟ قال : الضغابيس » [وفي رواية][2] : « إن الله يُخرج ناساً من النار فيدخلهم الجنة » وفي أخرى : « إن الله يخرج قوماً من النار بالشفاعة »][3] .

وخرج من حديث حماد ، عن عمرو ، عن جابر رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « يخرج من النار بالشفاعة كأنهم الثعارير » . قلت : وما الثعارير ؟ قال : الضغابيس . وكان قد سقط فمه ، فقلت لعمرو [بن دينار][3] : أبا محمد ، سمعت جابر بن عبد الله يقول : سمعتُ النبي ﷺ يقول : « يخرج بالشفاعة من النار » ؟ قال : نعم[4] . ذكره في كتاب الرقاق .

ولمسلم من حديث أبي أحمد الزبيري ، حدثنا قيس بن سيم العنبري ، قال : حدثني يزيد الفقير ، حدثنا جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أم قوماً يخرجون من النار يحترقون فيها ، إلا دارات وجوههم حتى يدخلون الجنة »[5] .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب (٨٤) ، من حديث رقم (٣١٨) . وكلاهما في (مسلم بشرح النووي) : ٣ / ٥١ .

(٢) زيادة للسياق من (جامع الأصول) : ١٠ / ٥٥٠ ، و (الثعارير) : صغار القثاء ، وهي الضغابيس أيضاً ، واللفظة بالثاء المعجمة والعين المهملة . وذكرها الهروي في حرف الغين المعجمة ، وبعدها الراء المهملة ، وبعدها الزاي المعجمة « كما تنبت التغاريز » والتاء معجمة بنقطتين من فوق قبل الغين ، وقال : هي فسيل النخل إذا حولت من موضع إلى موضع فغرزت فيه ، الواحدة تغريز وتنبيت . وقال مثله في التقدير : التناوير ، لنَوْر الشجر ، والتقاصيب لما قُصِّبَ من الشعر . قال : وقد رويت « الثعارير » يعني الأول ، والوجه الأول ، وهو الرواية ، وتعضده الرواية الأخرى التي قال فيها : « الضغابيس » .

(٣) ما بين الحاصرتين تكملة من (جامع الأصول) ، والحديث أخرجه البخاري في الرقاق باب (٥١) ، حديث رقم (٦٥٥٨) ، ومسلم في الإيمان ، باب (٨٤) أدني أهل الحجنة منزلة فيها ، حديث رقم (٣١٧) ، (٣١٨) .

(٤) أنظر التعليق السابق .

(٥) أخرجه مسلم في الإيمان ، باب (٨٤) أدني أهل الجنة منزلة فيها ، حديث رقم (٣١٩) .

وله من حديث ابن جريج قال : أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يسأل عن الورود فقال : « نجيء نحن يوم القيامة عن كذا وكذا، أنظر أي ذلك فوق الناس ، قال : فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد الأول فالأول ، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول : من تنظرون ؟ فيقولون : ننظر ربنا ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : حتى ننظر إليك ، فيتجلى لهم يضحك ، قال : فينطلق بهم ويتبعونه ، ويعطى كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نوراً ، ثم يتبعونه وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك ، تأخذ من شاء الله ، ثم يطفأ نور المنافقين ، ثم ينجو المؤمنون ، فتنجو أول زمرة ، وجوههم كالقمر ليلة البدر ، سبعون ألفاً لا يحاسبون ، ثم الذين يلونهم ، كأضواء نجم في السماء ، ثم كذلك ، ثم تحل الشفاعة ، ويشفعون حتى يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله ، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، فيجعلون بفناء الجنة ، ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء حتى ينبتوا نبات الشيء في السيل ، ويذهب حراقه ، ثم يسأل حتى تجعل له الدنيا وعشرة أمثالها معها »[1] .

[قال كاتبه : هكذا وقع في رواية هذا الحديث « عن كذا وكذا ، أنظر » .

وقال الحفاظ : هو كلام فاسد غير مستقيم ، وصوابه : « على كُوَم » ، وهو جمع كَوْمة ، وهو المكان المشرف ، أي نحن فوق الناس ، فلم يذكر المؤلف اللفظة أو المكنى عنه ، فكنى عنها بكذا وكذا ، وفسرها بقوله : « أي ذلك فوق الناس » ، وقوله : « أُنظر » أي تأمل هذا الموضع واستثبت فيه ، فظنه الناسخ من الحديث

---

(١) (المرجع السابق) ، حديث رقم (٣١٦)

قوله : « حتى ينبتوا نبات الشيء في السيل ويذهب حراقه ثم يسأل حتى تجعل له الدنيا وعشرة أمثالها » ، وهكذا هو في جميع الأصول ببلادنا « نبات الشيء » ، وكذا نقله القاضي عياض عن رواية الأكثرين ، وعن بعض رواة مسلم « نبات الدمن » ، يعني بكسر الدال وإسكان الميم ، وهذه الرواية هي الموجودة في (الجمع بين الصحيحين) لعبد الحق ، وكلاهما صحيح ، لكن الأول هو المشهور الظاهر ، وهو بمعنى الروايات السابقة « نبات الحبة في حميل السيل » ، وأما « نبات الدمن » فمعناها أيضاً كذلك ، فإن الدمن البَعْر ، والتقدير : نبات ذي الدمن في السيل ، أي كما ينبت الشيء الحاصل في البعر ، والغثاء الموجود في أطراف النهر ، والمراد التشبيه به في السرعة والنضارة ، وقد أشار صاحب (المطالع) إلى تصحيح هذه الرواية ، ولكن لم ينقح الكلام في تحقيقها ، بل قال : عندي أنها رواية صحيحة ، ومعناه سرعة نبات الدمن مع ضعف ما ينبت فيه ، وحُسن منظره . والله تعالى أعلم . (مسلم بشرح النووي) : ٣ / ٥٠ - ٥١ .

فألحقه بمتنه ، ولا يخفى ما فيه من التخليط][1] .

[وقال الشيخ محي الدين النووي : « .... هكذا في جميع الأصول من صحيح مسلم ، واتفق المتقدمون والمتأخرون على أنه تصحيف »][1] .

[وقال الحافظ عبد الحق في كتابه (الجمع بين الصحيحين) : « هذا الذي وقع في كتاب مسلم تخليط »][1] .

[وقال القاضي عياض : « هذه صورة الحديث في جميع النُّسخ ، وفيه تغيير كثير وتصحيف »][1] .

[وفي طريق ابن أبي خيثمة من حديث أنس بن مالك : « يحشر الناس يوم القيامة على تل وأمتي على تل »][1] .

[وفي رواية : « يحشر الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي على تل » ، قال القاضي عياض : « .... فجمع النقلة الكُلَّ ونسَّقوه على أنه من متن الحديث كما تراه .... وقد تابعه عليه جماعة من المتأخرين »][1] .

وخرج من حديث محمد بن [بشر][2] حدثنا أبو حيان عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال : أُتي رسول الله ﷺ بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه ، فنهس منها نهسة فقال : أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون بم ذاك[3] ؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي[4] ، وينفذهم البصر[4] ، وتدنو الشمس ، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ، وما لا يحتملون ، فيقول بعض الناس لبعض : ألا ترون ما قد بلغكم ، ألا تنظرون ، من يشفع لكم إلى ربكم ، فيقول بعض الناس لبعض : ائتوا آدم ، فيأتون آدم فيقولون : يا آدم ، أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة

---

(١) ما بين الحاصرتين غير واضح في التصوير الميكروفيلمي للمخطوطة (خ) ، وقد قمنا بصياغة هذه العبارات بحيث تفيد المعنى الذي أراده المصنف من خلال الأجزاء الواضحة في الميكروفيلم .

(٢) في (خ) : « عبيد » . (٣) في (خ) : « بم يجمع » .

(٤) في (خ) : « فيبصرهم الناظر » ، « ويُسمعهم الداعي » .

فسجدوا لك ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟ .

فيقول آدم : إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته ، نفسي نفسي ، إذهبوا إلى غيري ، إذهبوا إلى نوح .

فيأتون نوحاً ، فيقولون : يا نوح ، أنت أول الرسل إلى الأرض ، وسمّاك الله عبداً شكوراً ، اشفع لنا إلى ربك ، لا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها ، على قومي ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى إبراهيم ﷺ .

فيأتون إبراهيم فيقولن : أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم إبراهيم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولا يغضب بعده مثله ، وذكر كذباته ، نفسي نفسي ، إذهبوا إلى موسى .

فيأتون موسى ﷺ فيقولون : يا موسى ، أنت رسول الله فضَّلك الله برسالاته وبتكليمه على الناس ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم موسى ﷺ : إن ربي قد غضب اليوم غصباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإني قتلت نفساً لم أومر بقتلها ، نفسي نفسي ، إذهبوا إلى عيسى ﷺ .

فيأتون عيسى فيقولون : يا عيسى ، أنت رسول الله ، وكلمت الناس في المهد ، وكلمةٌ منه ألقاها إلى مريم وروح منه ، فاشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم ﷺ : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، ولم يذكر له ذنباً ، نفسي نفسي ، إذهبوا إلى غيري ، إذهبوا إلى محمد ﷺ .

فيأتون فيقولون : يا محمد ، أنت رسول الله ، وخاتم الأنبياء ، وغفر لك

ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشتفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فأنطلق فآتي تحت العرش ، فأقع ساجداً لربي ، ثم يفتح الله عليّ ويلهمني من محامده ، وحُسن الثناء عليه ، شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي ، ثم قال : يا محمد ، ارفع رأسك ، سل تُعطه ، اشفع تُشفّع ، فأرفع رأسي فأقول : يارب أمتي أمتي ، فيقال : يا محمد ، أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، والذي نفس محمد بيده ، إن ما بين المصراعين[1] من مصاريع الجنة ، لكما بين مكة وهجر ، أو كما بين مكة وبُصرى[2] .

---

(١) المصراعان - بكسر الميم - جانبا الباب ، وهجر - بفتح الهاء والجيم - مدينة عظيمة ، هي قاعدة بلاد البحرين ، وهَجَر هذه غير هَجَر المذكورة في حديث « إذا بلغ الماء قلتين بقلال هجر » ، تلك قرية من قرى المدينة ، كانت القلال تصنع بها ، وهي غير مصروفة . (مسلم بشرح النووي) : ٣ / ٦٩ ، (معجم البلدان) موضع رقم (١٢٦٣٧) .

(٢) بُصرى - بضم الباء - مدينة معروفة ، بينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل ، وهي مدينة حوران ، وبينها وبين مكة شهر (المرجع السابق) ، (معجم البلدان) موضع رقم (١٩٤٩) .

والحديث أخرجه مسلم في الإيمان ، باب (٨٤) ، حديث رقم (٣٢٧) ، قوله ﷺ : « يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد ، فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر » ، أما الصعيد فهو الأرض الواسعة المستوية ، وأما ينفذهم البصر ، فهو بفتح الياء وبالذال المعجمة ، وذكر الهروي وصاحب (المطالع) وغيرهما ، أنه روي بضم الياء ، وبفتحها ، قال صاحب (المطالع) : رواه الأكثرون بالفتح ، وبعضهم بالضم .

وأما معناه ، فقال الهروي : قال أبو عبيد : معناه ينفذهم بصر الرحمن تبارك وتعالى ، حتى يأتي عليهم كلهم . وقال غير أبي عبيد : أراد تخرقهم أبصار الناظرين لاستواء الصعيد ، والله تبارك وتعالى قد أحاط الناس أولاً وآخراً . هذا كلام الهروي .

وقال صاحب (المطالع) : معناه أنه يحيط بهم الناظر ، لا يخفى عليه منهم شيء لاستواء الأرض ، أي ليس فيها ما يستتر به أحد عن الناظرين . قال : وهذا أولى من قول أبي عبيد : يأتي عليهم بصر الرحمن سبحانه وتعالى ، لأن رؤية الله تعالى تحيط بجميعهم في كل حال ، في الصعيد المستوى وغيره ، هذا قول صاحب (المطالع) .

قال الإمام أبو السعادات الجزري بعد أن ذكر الخلاف بين أبي عبيد وغيره ، في أن المراد بصر الرحمن سبحانه وتعالى ، أو بصر الناظر من الخلق : قال أبو حاتم : أصحاب الحديث يروونه بالذال المعجمة ، وإنما هو بالمهملة ، أي يبلغ أولهم وآخرهم ، حتى يراهم كلهم ويستوعبهم ، من نفد الشيء وأنفدته . قال : وحمْل الحديث على بصر الناظر أولى من حمله على بصر الرحمن تبارك وتعالى . مختصراً من (مسلم بشرح النووي) : ٣ / ٦٧ - ٦٨ .

ولمسلم من حديث عمارة بن القعقاع ، عن أبي زُرعة ، عن أبي هريرة ، قال : وضعتُ بين يدي رسول الله ﷺ قصعة من ثريد ولحم ، فتناول الذراع ، وكانت أحب الشاة إليه ، فنهس نهسة فقال : أنا سيد الناس يوم القيامة ، ثم نهس أخرى فقال : أنا سيد الناس يوم القيامة ، فلما رأى أصحابه لا يسألونه قال : ألا تقولون كيفه ؟ قالوا : كيفه يا رسول الله ؟ قال : يقوم الناس لرب العالمين ، وساق الحديث بمعنى حديث أبي حيان عن أبي زرعة . وزاد في قصة إبراهيم فقال : وذكر قوله في الكوكب : هذا ربي ، وقوله لآلهتهم : بل فعل كبيرهم هذا ، وقوله : إني سقيم . قال : والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة إلى عضادتي الباب لكما بين مكة وهجَرٍ ، أو هجرٍ ومكة ، قال : لا أدري أي ذلك قال[1] .

وله من حديث أبي مالك الأشجعي عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ، وأبو مالك عن ربعي [بن خراش][2] ، عن حذيفة قالا : قال رسول الله ﷺ : يجمع الله تبارك وتعالى الناس ، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة ، فيأتون آدم ، فيقولون ، يا أبانا استفتح لنا الجنة ، فيقول : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم ، لست بصاحب ذلك ، اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله ، قال : فيقول إبراهيم : لست بصاحب ذاك ، إنما كنت خليلاً من وراء وراء[3] أعمدوا إلى موسى ﷺ ، الذي كلَّمه الله تكليماً ، فيأتون موسى ﷺ فيقول : لستُ بصاحب ذاك ، إذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه ، فيقول عيسى ﷺ : لست بصاحب ذاك .

---

(١) (المرجع السابق) : ٣ / ٦٩ - ٧٠ ، حديث رقم (٣٢٨) .

(٢) زيادة للنسب من (خ) .

(٣) قوله : « إنما كنت خليلاً من وراء وراء » ، قال صاحب (التحرير) : هذه الكلمة تذكر على سبيل التواضع ، أي لست لتلك الدرجة الرفيعة ، قال : وقع لي معنى مليح فيه ، وهو أن معناه أن المكارم التي أعطيتُها كانت بوساطة سفارة جبريل عليه السلام ، ولكن ائتوا موسى فإنه حصل له سماع الكلام بغير واسطة ، قال : وإنما كرر « وراء وراء » ، لكون نبيناً محمد ﷺ حصل له السماع بغير واسطة ، وحصل له الرؤية ، فقال إبراهيم عليه السلام : أنا وراء موسى الذي هو وراء محمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين وسلم . هذا كلام صاحب التحرير ، وأما ضبط « وراء وراء » ، فالمشهور فيه الفتح فيهما بلا تنوين ، ويجوز عند أهل العربية بناؤهما على الضم ، على خلاف بين أهل اللغة ، فليراجع في مظانه . (المرجع السابق) .

فيأتون محمداً ﷺ ، فيقوم فيؤذن له ، وتُرسل الأمانة والرحم[1] ، فتقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً ، فيمر أوّلكم كالبرق ، قال : قلت : بأبي أنت وأمي ، أي شيء كمرّ البرق ؟ قال : ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين ، ثم كمرّ الريح ، ثم كمرّ الطير ، وشدّ الرجال تجري بهم أعمالهم ، ونبيكم [قائم][2] على الصراط ، يقول : ربّ سلّم سلّم ، حتى تعجز أعمال العباد ، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً .

قال : وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة ، مأمورة بأخذ من أُمرت به ، فمخدوش ناجٍ ، ومكدوسٌ في النار ، والذي نفسُ أبي هريرة بيده ، إن قعر جهنم لسبعون خريفاً[3] .

وخرج البخاري ومسلم من حديث مالك بن أنس ، عن عمرو بن يحيى بن عمارة ، قال : حدثني أبي ، عن أبي سعيد الخدريّ ، أن رسول الله ﷺ قال : يدخل الله أهل الجنة الجنة ، يدخل من يشاء برحمته ، ويدخل أهل النار النار ،

---

(١) وأما إرسال الأمانة والرحم ، فهو لعظم أمرهما ، وكثير موقعهما ، فتصوران مشخصتين على الصفة التي يريدها الله تعالى ، قال صاحب (التحرير) : في الكلام اختصار ، والسامع فهم أنهم تقومان لتطالبا كل من يريد الجواز بحقهما . (المرجع السابق) .

(٢) في (خ) : « ونبيم على الصراط » ، وما أثبتناه من (المرجع السابق) قوله : « فيمر أولهم كالبرق ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرجال تجري بهم أعمالهم » ، أما شدّ الرجال فهو بالجيم جمع رجل ، هذا هو الصحيح المعروف المشهور .

ونقل القاضي أنه في رواية ابن ماهان بالحاء ، قال القاضي : وهما متقاربان في المعنى ، وشدّها : عدوها البالغ وجَرْيهَا . وأما قوله ﷺ : « تجري بهم أعمالهم » ، فهو كالتفسير ، لقوله ﷺ ، « فيمر أولكم كالبرق ، ثم كمر الريح .. إلخ » معناه أنهم يكونون في سرعة المرور على حسب مراتبهم وأعمالهم .

قوله : « والذي نفس أبي هريرة بيده أن قعر جهنم لسبعون خريفاً » ، هكذا هو في بعض الأصول « لسبعون » بالواو ، وهذا ظاهر ، وفيه حذف تقديره أن مسافة قعر جهنم سير سبعين سنة ، ووقع في بعض الأصول والروايات : لسبعين بالياء ، وهو صحيح أيضاً ، أما على مذهب من يحذف المضاف ويبقى المضاف إليه على جره ، فيكون التقدير سير سبعين .

وأما على أن قعر جنهم مصدر ، قال : قعرتُ الشيء إذا بلغت قعره ، ويكون « سبعين » ظرف زمان ، وفيه خبر « أن » ، التقدير أن بلوغ قعر جنهم لكائن في سبعين خريفاً ، والخريف السنة . والله تعالى أعلم . (المرجع السابق) .

(٣) والحديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب (٨٤) ، حديث رقم (٣٢٩) ، وفي (خ) بعد قوله : وراء وراء » « اعمدوا إلى ابني إبراهيم خليل الله » ، وهو تكرار من الناسخ .

ثم يقول : انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه ، فيخرجون منها حُمماً قد امتحشوا ، فيلقون في نهر الحياة أو الحيا ، فينبتون فيه كما تبنت الحبة إلى جانب السيل ، ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية ؟ هذا لفظ مسلم ، وعند البخاري : « فيخرجون منها قد اسودّوا ، وقال : « من خردل من خير »[1] .

وأخرجاه من حديث وهيب ، حدثنا حجاج بن الشاعر ، حدثنا عمرو ابن عون ، أخبرنا خالد ، كلاهما عن عمرو بن يحيى بهذا الإسناد [وقالا][2] : فيلقون في نهر يقال له : الحياة ، ولم يَشُكَّا ، وفي حديث خالد : كما تنبت الغثاءة في جانب السيل ، وفي حديث وهيب : كما تنبت الحبة في حمئة أو حميلة السيل[3] ، [ذكره البخاري في باب صفة الجنة والنار ، وذكره مسلم في باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار] .

وخرج مسلم من حدث بشر بن المفضل عن أبي مسلمة عن أبي نصرة عن أبي سعيد [الخدري][4] قال : قال رسول الله ﷺ : أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم - أو قال : - بخطاياهم - فأماتهم [الله][4] إماتة حتى إذا كانوا فحماً أذن بالشفاعة[5] فجيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة ، ثم قيل[6] : يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل ، فقال رجل من القوم : كأَنَّ رسول الله ﷺ قد كان بالبادية[7] .

---

(١) رواه البخاري في الرقاق ، باب صفة الجنة والنار حديث رقم (٦٥٦٠) ، ومسلم في الإيمان باب (٨٤) أدني أهل الجنة منزلة فيها .

(٢) في (خ) : « وقال » .

(٣) ذكره مسلم في كتاب الإيمان باب (٨٢) إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار حديث رقم (٣٠٥) ، والبخاري كما في تعليق (٧) .

(٤) زيادة من (خ) .

(٥) في (خ) : « في الشفاعة » .

(٦) في (خ) : « فقيل » .

(٧) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب (٨٢) إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار ، حديث رقم (٣٠٤) ، قوله ﷺ : « فأماتهم » ، أي أماتهم إماتة ، وَحُذِفَ للعلم به ، وفي بعض النسخ « فأماتتهم » بتاءين ، أي أماتتهم النار . ... =

وخرج البخاري ومسلم من حديث حماد بن زيد ، أخبرنا معبد بن هلال الغزي قال : انطلقنا إلى أنس بن مالك رضي الله عنه وتشفعنا بثابت فانتهينا إليه وهو يصلي الضحى ، فاستأذن لنا ثابت فدخلنا عليه وأجلس ثابتاً معه على سريره فقال له [ثابت][1] : يا أبا حمزة ، إن إخوانك من أهل البصرة يسألونك أن تحدثهم حديث الشفاعة ، فقال : حدثنا محمد [رسول الله ﷺ][1] قال : إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض ، فيأتون آدم [ﷺ][1] فيقولون[2] : اشفع لذريتك فيقول : لست لها ، ولكن عليكم بإبراهيم [عليه السلام][3] فإنه خليل الله ، فيأتون إبراهيم ﷺ فيقول : لست لها [بأهل][4] ، ولكن عليكم بموسى [عليه السلام][3] فإنه كليم الله ، فيؤتى موسى ﷺ فيقول : لست لها ، ولكن

وأما معنى الحديث ، فالظاهر أن الكفار الذين هم أهل النار والمستحقون للخلود لا يموتون فيها ولا يحيون حياة ينتفعون بها ويستريحون معها ، كما قال الله تعالى : ﴿ **لا يقضي عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها** ﴾ [٣٦ : فاطر] ، وكما قال تعالى : ﴿ **ثم لا يموت فيها ولا يحيى** ﴾ ، [١٣ : الأعلى] ، وهذا جار على مذهب أهل الحق أن نعيم أهل الجنة دائم ، وأن عذاب أهل الخلود في النار دائم .

وأما قوله ﷺ : « ولكن ناس أصابتهم النار ... إلخ » فمعناه أن المذنبين من المؤمنين يميتهم الله تعالى إماتة بعد أن يعذبوا المدة التي أرادها الله تعالى ، وهذه الإماتة إماتة حقيقية يذهب معها الإحساس ، ويكون عذابهم على قدر ذنوبهم ، ثم يميتهم ، ثم يكونون محبوسين في النار من غير إحساس المدة التي قدَّرها الله تعالى ، ثم يخرجون من النار موتى قد صاروا فحماً ، فيحملون ضبائر كما تحمل الأمتعة ، ويلقون على أنهار الجنة ، فيصب عليهم ماء الحياة ، فيحيون وينبتون نبات الحبة في حميل السيل في سرعة نباتها وضعفها ، فتخرج لضعفها صفراء ملتوية ، ثم تشتد قوتهم بعد ذلك ، ويصيرون إلى منازلهم وتكمل أحوالهم . فهذا هو الظاهر من لفظ الحديث ومعناه .

وحكى القاضي عياض رحمه الله فيه وجهين : **أحدهما**: أنها إماتة حقيقية . **والثاني** : ليس بموت حقيقي ، ولكن يغيب عنهم إحساسهم بالآلام . قال : ويجوز أن تكون آلامهم أخفّ ، فهذا كلام القاضي ، والمختار ما قدمناه والله تعالى أعلم .

وأما قوله ﷺ ، « ضبائر » ، فكذا هو في الروايات والأصول ، « ضبائر ضبائر » مكررة مرتين ، وهو منصوب على الحال ، وهو بفتح الضاد المعجمة ، وهو جمع ضبارة ، بفتح الضاد وكسرها لغتان ، حكاهما القاضي عياض ، وصاحب (المطالع) ، وغيرهما ، أشهرها الكسر ، ولم يذكر الهروي وغيره إلا الكسر ، ويقال فيها أيضاً إضبارة بكسر الهمزة ، قال أهل اللغة : الضبائر جماعات في تفرقة ، وروي : « ضبارات في ضبارات » . والله تعالى أعلم . (مسلم بشرح النووي) : ٣ / ٤٠ - ٤١ .

(١) زيادة من (خ) .

(٢) في (خ) ، والبخاري : « فيقولون : اشفع » ، وفي رواية مسلم : « فيقولون له : اشفع » .

(٣) زيادة من رواية مسلم .

(٤) زيادة من (خ) .

عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته ، فيؤتى عيسى ﷺ فيقول : لست لها ، ولكن عليكم بمحمد ﷺ ، فأُوتي فأقول : أنا لها ، فأنطلق فاستأذن على ربي عزّ وجلّ فيؤذن لي ، فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليه إلا أن[1] يلهمنيه الله عزّ وجلّ ، ثم أخرّ له[2] ساجداً فيقال[3] لي : يا محمد ، ارفع رأسك ، وقل يُسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع ، فأقول : يا رب[4] أمتي أمتي ، فيقال : انطلق ، فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان فأَخْرجه منها . قال البخاري : فيقال : انطلق فأَخْرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان ، فأنطلق فأفعل ، ثم أرجع إلى ربي فأحمده بتلك المحامد ثم أخرُّ له ساجداً ، فيقال لي : يا محمد ، ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعطه ، واشفع تشفّع ، فأقول : رب[5] أمتي أمتي ، فيقال لي : انطلق ، فمن كان في قلبه[6] مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه منها . وقال البخاري : فيقال : انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من خردل من إيمان فأنطلق فأفعل ، ثم أعود إلى ربي فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً ، فيقال لي : يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع ، فأقول : يارب أمتي ، فيقال لي انطلق فمن كان في قلبه ... ، وقال البخاري : فيقال : انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار ، فأنطلق فأفعل . هذا حديث أنس الذي أنبأنا به ، فخرجنا من عنده فلما كنا بظهر الجبان قلنا : لو ملنا إلى الحسن فسلمنا عليه وهو مستخف في دار أبي خليفة ، قال : فدخلنا عليه فسلمنا عليه ، قلنا[7]

---

(١) في مسلم : « الآن » ولعلها خطأ مطبعي ، وفي (خ) ، والبخاري : « إلا أن » .
(٢) في (خ) ، ومسلم : « ثم أخرّ له » ، وفي البخاري : « ثم أخرّ لربنا ساجداً » .
(٣) في (خ) ، ومسلم : « فيقال لي » ، وفي البخاري : « فيقول » .
(٤) في (خ) ، والبخاري : « يارب أمتي » ، وفي مسلم : « رب أمتي » .
(٥) في (خ) : « رب أمتي » ، وفي البخاري ومسلم : « يارب أمتي » .
(٦) في رواية مسلم أيضاً ، « فمن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار » ، وهو مطابق لرواية البخاري .
(٧) كذا في (خ) والبخاري ، وفي مسلم : « فقلنا » .

يا أبا سعيد ، جئنا من عند أخيك أبي حمزة فلم نسمع بمثل حديث حدثناه في الشفاعة ، [قال][1] : هيه ، قال : فحدثناه الحديث فقلنا هيه ، قلنا : ما زادنا ، قال : قد حدثنا به منذ عشرين سنة وهو يومئذ جميع ، ولقد ترك شيئاً ما أدري أنسي الشيخ أم كره[2] أن يحدثكم فتتكلوا ، قلنا له ، حدثنا ، فضحك وقال : خلق الإنسان من عجل ، ما ذكرت لكم هذا إلا وأنا أريد أن أحدثكموه : ثم أرجع إلى ربي [عز وجل][3] في الرابعة فأحمده بتلك المحامد ، ثم أخر له ساجداً ، فيقال : يا محمد ، ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأقول : يارب إئذن لي فيمن [قال][4] : لا إله إلا الله ، قال : ليس[5] ذلك لك ، أو قال : ليس ذلك[6] إليك ، ولكن وعزتي وكبريائي ، وعظمتي وجبريائي[7] لأخرجن من قال : لا إله إلا الله . قال : فأشهد على الحسن أنه حدثنا به أنه سمع أنس بن مالك ، أراه قال : قبل عشرين سنة وهو يومئذ جميع . اللفظ لمسلم[8] .

وقال البخاري في أوله : اجتمعنا ناس من أهل البصرة فذهبنا إلى أنس بن مالك ، وذهبنا معنا بثابت البناني إليه يسأله لنا عن حديث الشفاعة ، فإذا هو في قصره فوافقناه يصلي[9] الضحى فاستأذنا فأذن لنا وهو قاعد على فراشه فقلنا لثابت : لا تسأله عن شيء أول من حديث الشفاعة ، فقال : يا أبا حمزة هؤلاء إخوانك من أهل البصرة جاءوك يسألونك عن حديث الشفاعة ، فقال : حدثنا محمد ﷺ .. الحديث وقال فيه : ويُلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن فأحمده بتلك المحامد ، وقال فيه : خلق الإنسان عجولاً ، وقال في آخره : فأقول : يارب ائذن لي فيمن قال : لا إله إلا الله ، فيقول : وعزتي وجلالي ، وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال : لا إله إلا الله . هذا آخر الحديث عنده ، ذكره في كتاب التوحيد

---

(١) في (خ) : « فقال » ، وما أثبتناه من رواية البخاري ومسلم .
(٢) في رواية مسلم : « أو كره » .
(٣) زيادة من (خ) .
(٤) في (خ) : « يقول » .
(٥) في البخاري : « فليس » .
(٦) في مسلم : « ليس ذاك » .
(٧) كذا في (خ) ، ومسلم ، وفي البخاري : « وعظمتي لأخرجن » .
(٨) حديث رقم (٣٢٦) من كتاب الإيمان ، باب (٨٤) أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، من صحيح مسلم .
(٩) في (خ) : « فصلى » والتصويب من رواية البخاري .

في باب كلام الرب تعالى يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم[1] .

وخرج في هذا الباب حديث أبي بكر بن عيَّاش عن حُميد قال : سمعت أنساً قال : سمعت النبي ﷺ يقول : إذا كان يوم القيامة [شُفعت][2] فقلت : يارب أَدْخِل الجنة من كان في قلبه خردلة فيدخلون ، ثم أقول : أدخل الجنة من كان في قلبه أدنى شيء ، فقال أنس : كأني أنظر إلى أصابع رسول الله ﷺ[3] .

وخرج البخاري ومسلم من حديث أبي عوانة عن قتادة عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك [وقال ابن عبيد : فيلهمون من ذلك][4] فيقولون : لو استشفعنا [على][5] ربنا عزّ وجلّ حتى يريحنا من مكاننا هذا ، قال : فيأتون آدم عليه السلام فيقولون : أنت آدم أبو الخلق ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا[6] فيقول : لست هناكم فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها [ولكن ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله ، فيأتون نوحاً ﷺ فيقول : لست هناكم ، فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها][7] ولكن ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلاً ، فيأتون إبراهيم عليه السلام

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٧١٠) . قوله : « وهو يومئذ جميع » في رواية مسلم ، وفي رواية البخاري « وهو جميع » ، أي مجتمع العقل ، وهو إشارة إلى أنه كان حينئذ لم يدخل في الكبر ، الذي هو مظنة تفرق الذهن ، وحدوث اختلاط الحفظ .

وأخرجه البخاري أيضاً في التوحيد ، باب (١٩) قول الله تعالى : ﴿ **لما خلقت بيديّ** ﴾ ، حديث رقم (٧٤١٠) ، وفي باب (٣٧) في قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ **وكلم الله موسى تكليماً** ﴾ ، حديث رقم (٧٥١٥) ، وفي تفسير سورة البقرة ، باب (١) قول الله تعالى : ﴿ **وعلم آدم الأسماء كلها** ﴾ ، حديث رقم (٤٤٧٦) ، وفي الرقاق ، باب (٥١) صفة الجنة والنار حديث رقم (٦٥٦٥) .

(٢) في (خ) : « تشفعت » .

(٣) أخرجه البخاري في التوحيد ، باب (٣٦) كلام الرب عزَّ وجلَّ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ، حديث رقم (٧٥٠٩) .

(٤) ما بين الحاصرتين تكملة من صحيح مسلم .

(٥) في (خ) : « إلى » .

(٦) في (خ) بعد قوله : « مكاننا هذا » قال : فيأتون آدم عليه السلام وهو تكرار من الناسخ ، والتصويب من صحيح مسلم .

(٧) ما بين الحاصرتين سقط في (خ) .

فيقول : لست هناكم [ويذكر][1] خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ، ولكن ائتوا موسى الذي كلمه الله وأعطاه التوراة ، قال : فيأتون موسى عليه السلام فيقول : لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ، ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته ، فيأتون عيسى روح الله وكلمته عليه السلام فيقول : لست هناكم ، ولكن ائتوا محمداً قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال : قال رسول الله ﷺ : فيأتوني فاستأذن على ربي فيؤذن لي ، فإذا أنا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله ، فيقال : يا محمد ، ارفع رأسك ، قل تُسمع ، سل تعطه ، اشفع تشفع ، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي ثم أشفع [فيحدّ لي حداً][2] فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ، ثم أعود فأقع ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال [لي][3] : يا محمد ، قل تُسمع ، وسل تعطه ، اشفع تُشفع ، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ، ثم أشفع [فيحد لي حداً][2] فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة . قال : [فلا][4] أدري في الثالثة أو في الرابعة قال : فأقول : يارب ما بقى في النار إلا من حبسه القرآن ، أي وجب الخلود ، واللفظ لمسلم[5] ولم يذكر البخاري فيه قوله : فيهتمون لذلك ، ولا فيلهمون لذلك ، ولا قوله : التي اصاب فيستحي ربه منها في المواضع الثلاثة . وقال في آخره : حتى ما بقى في النار إلا من حبسهم القرآن ، فكان قتادة يقول عند هذا : إلا من وجب عليه الخلود . ذكره في كتاب الرقاق[6] .

وخرج مسلم من حديث ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيهتمون بذلك أو يلهمون ذلك ، بمثل حديث أبي عوانة ، وقال في الحديث : ثم آتيه الرابعة فأقول : يارب ، ما بقى إلا من حبسه القرآن[7] . لم يذكر مسلم من الحديث غير هذا ، وذكر بعده

---

(١) في (خ) : « فيذكر » .
(٢) في (خ) : «فنخر ساجداً» وهو خطأ بين .
(٣) زيادة من (خ) .
(٤) في (خ) : « ولا » .
(٥) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب (٨٤) أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، حديث رقم (٣٢٢) .
(٦) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب (٥١) صفة الجنة والنار ، حديث رقم (٦٥٦٥) .
(٧) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب (٨٤.) ، أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، حديث رقم (٣٢٣) .

حديث معاذ بن هشام قال : حدثني أبي عن قتادة عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال : يجمع الله المؤمنون يوم القيامة فيلهمون لذلك بمثل حديثهما ، وذكر في الرابعة : فأقول : يارب ما بقى في النار إلا من حبسه القرآن ، أي وجب عليه الخلود[1] .

وأخرجه البخاري من هذه الطريق ولفظه : عن أنس أن النبي ﷺ قال : يجمع المؤمنون يوم القيامة لذلك فيقولون ، لو استشفعنا إلى ربنا ... الحديث بنحو حديث أبي عوانة عن قتادة ، وقال فيه في ذكر نوح وأنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض ، وقال فيه : فأستأذنُ على ربي ويؤذن لي عليه ، فإذا رأيت ربي وقعت له ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول : ارفع محمد ، وهكذا في موضعين بعد هذا ، ثم أرجع فإذا رأيت ربي كما قال في هذا ، وقال في الرابع : ثم أرجع فأقول : رب ما بقى في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود[2] .

وخرج البخاري في تفسير سورة البقرة من طريق مسلم بن إبراهيم ، أخبرنا هشام ، [حدثنا][3] قتادة عن أنس عن النبي ﷺ قال : يجمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا ، فيأتون آدم فيقولون : أنت أبو الناس ، خلقك الله بيده ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء ، فاشفع لنا عند ربك حتى يُريحنا مكاننا هذا ، فيقول : لست هناكم ، ويذكر ذنبه فيستحى ائتوا نوحاً فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض ، فيأتونه فيقول : لست هناكم ، ويذكر سؤاله ربه ما ليس له به علم ، فيستحي ويقول : ائتوا خليل[4] الرحمن ، فيأتون فيقول : لست هناكم ، [ائتوا موسى ، عبداً كلمه الله وأعطاه التوارة ، فيأتونه فيقول : لست هناكم][5] فيستحي من ربه [فيقول][6] : ائتوا عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمة الله وروحه ، فيقول : لست هناكم ، ائتوا محمداً ، عبداً غفر

---

(1) المرجع السابق ، حديث رقم (٣٢٤) .
(2) سبق الإشارة إليه .
(3) في (خ) : « أخبرنا » .
(4) في (خ) : « كليم » .
(5) ما بين الحاصرتين سقط من (خ) .
(6) زيادة للسياق من البخاري .

الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فيأتوني فأنطلق حتى[1] استأذن على ربي فيؤذن لي ، فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً فيدعني ما شاء ثم يقال : ارفع رأسك [وسل][2] تعطه ، وقل يُسمع ، واشفع تُشفع ، فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه ، ثم أشفع [فيحدّ لي حداً فأدخلهم الجنة ، ثم أعود الثالثة][2] ثم أعود الرابعة : فأقول : ما بقى في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود . قال أبو عبد الله[3] : إلا من حبسه القرآن يعني قول الله تعالى : ﴿ **خالدين فيها** ﴾[4] .

وخرج في كتاب التوحيد من حديث همام بن يحيى عن قتادة عن أنس أن النبي ﷺ قال : يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يَهِمُّوا بذلك فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا[5] فيريحنا من مكاننا ، فيأتون آدم فيقولون : أنت آدم أبو الناس : خلقك الله بيده ، واسكنك جنته[6] ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء ، لتشفعْ[7] لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا ، قال : فيقول لست هناكم ، قال : ويذكر خطيئته التي أصاب – أكله من الشجرة وقد نُهِىَ عنها – ولكن ائتوا نوحاً أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض ، فيأتون نوحاً فيقول : لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب – سؤاله ربه تعالى بغير علم – ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن ، قال : فيأتون إبراهيم فيقول : [إني][8]لستُ هناكم ويذكر ثلاث [كذبات][9] كذبهن ، ولكن ائتوا موسى عبداً آتاه الله التوراة وكلّمه وقرَّبه نجياً ، قال : فيأتون موسى فيقول : إني لست هناكم ، ويذكر خطيئته ، التي أصاب – قَتْله النفس – ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله ، وروح الله وكلمته ، قال : فيأتون عيسى فيقول : لست هناكم ولكن ائتوا محمداً عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ،

---

(١) في (خ) : « فأستأذن » .
(٢) زيادة للسياق من البخاري .
(٣) هو الإمام البخاري .
(٤) الحديث أخرجه البخاري في التفسير باب (١) ﴿ **وعلم آدم الأسماء كلها** ﴾ ، حديث رقم (٤٤٧٦) ، واختلف في المراد بالأسماء : فقيل أسماء ذريته ، وقيل أسماء الملائكة ، وقيل أسماء الأجناس دون أنواعها ، وقيل أسماء كل ما في الأرض ، وقيل أسماء كل شيء حتى القصعة . (فتح الباري) : ٨ / ٢٠٢ – ٢٠٣ .
(٥) في (خ) : « إلى الله » .
(٦) في (خ) : « الجنة » .
(٧) في (خ) : « إشفع » .
(٨) زيادة للسياق من البخاري .
(٩) في (خ) : « كلمات » .

فيأتوني[1] فاستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه ، فإذا رأيتُه وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعي ، فيقول : ارفع محمد ، وقل يُسمع ، واشفع تُشفع ، وسل تعطه ، قال : وأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه[2] ، فيُحدّ لي حداً فأخرج فأدخلهم الجنة .

قال قتادة : وسمعته أيضاً يقول : فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ، ثم أعود فاستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه ، فإذا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول : ارفع محمد ، وقل يُسمع ، واشفع تشفع ، وسل تُعطه[3] ، قال : فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميدٍ يعلمنيه ، قال : ثم أشفع فيحدّ لي حداً ، فأخرج فأدخلهم الجنة ، قال قتادة : وسمعته[4] يقول : فأخرج فأُخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ، ثم أعود الثالثة فاستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه ، فإذا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول : ارفع محمد ، وقل يُسمع ، واشفع تُشفع ، وسل تُعطه ، قال : فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميدٍ يعلمنيه ، قال : ثم أشفع فيحدّ لي حداً فأخرج فأدخلهم الجنة ، قال قتادة : وقد سمعته يقول : فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة حتى ما[5] يبقى في النار إلا من حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾ ، قال : وهذا المقام المحمود الذي وُعِدَهُ[6] نبيكم ﷺ[7] .

وخرج مسلم من حديث مالك عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : لكل نبي دعوة يدعوها[8] ،

---

(1) في (خ) : « قال : فيأتوني » .
(2) في (خ) : « يعلمنيه ثم أشفع » .
(3) في (خ) : « تعط » .
(4) في (خ) : « وقد سمعته » .
(5) في (خ) : « حتى لا يبقى » .
(6) في (خ) : « وعد » .
(7) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ، باب (٢٤) قوله تعالى : ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة** ﴾ ، حديث رقم (٧٤٤٠) .
(8) في (خ) : « يدعو بها » .

فأريد[١] أن أختبي[٢] دعوتي شفاعة[٣] لأمتي يوم القيامة[٤] .

ومن حديث ابن أخي ابن شهاب عن عمه قال : أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : لكل نبي دعوة ، وأردت إن شاء الله أختبي[٥]دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة[٦] . خرجه البخاري من حديث شعيب عن الزهري ولفظه : لكل نبي دعوة ، وأريد إن شاء الله أن أختبي دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة . ذكره في كتاب التوحيد في المشيئة والإرادة[٧] .

وخرج مسلم من حديث يونس عن ابن شهاب أن عمرو بن أبي سفيان بن أسيد بن جارية الثقفي أخبره أن أبا هريرة قال لكعب الأحبار : أن النبي ﷺ قال : لكل نبي دعوة يدعوها ، فأنا أُريد إن شاء الله أن أختبي دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ، فقال كعب لأبي هريرة : أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ قال أبو هريرة : نعم[٨] .

وخرج البخاري من حديث مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : لكل نبي دعوة [مستجابة][٩] يدعو بها ، وأريد أن أختبي دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة[١٠] . ذكره في أول كتاب الدعاء .

وخرج مسلم من حديث أبي معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : لكل نبي دعوة مستجابة ، [فتعجل كل نبي دعوته][١١] وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ، فهي[١٢] نائلة إن

---

(١) في (خ) : « وأنا أريد » .
(٢) في (خ) : « أختبي » .
(٣) في (خ) : « شفاعتي » .
(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب (٨٦) اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته ، حديث رقم (٣٣٤) .
(٥) في (خ) : « أختبي » .
(٦) المرجع السابق ، حديث رقم (٣٣٥) .
(٧) حديث رقم (٧٤٧٤) .
(٨) مسلم في كتاب الإيمان ، باب (٨٦) اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته ، حديث رقم (٣٣٧) .
(٩) زيادة للسياق من البخاري .
(١٠) ذكره البخاري في أول كتاب الدعاء ، باب (١) لكل نبي دعوة مستجابة ، حديث رقم (٦٣٠٤) .
(١١) زيادة للسياق من صحيح مسلم .
(١٢) في (خ) : « وهي » .

شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً[1] .

وأخرجه الترمذي من هذه الطريق ، ولم يقل فيه : فتعجل كل نبي دعوته . وقال : هذا حديث حسن صحيح[2] .

وخرج مسلم من حديث جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها فيستجاب له فيؤتاها ، وإني اختبأتُ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة[3] .

وله من حديث شعبة عن محمد بن زياد قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : لكل نبي دعوة دعا بها في أمته فاستجيب له ، وإني أريد إن شاء الله أن أؤخر دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة[4] .

[و][5] وله من حديث ابن جريج قال : أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر ابن عبد الله رضي الله عنه يقول عن النبي لله : لكل نبي دعوة قد دعا بها في أمته ، وخبأتُ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة[6] .

وله من حديث معاذ بن[7] هشام قال : أخبرنا[8] أبي عن قتادة ، أخبرنا[8] أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال : لكل نبي دعوة دعاها[9] لأمته ، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة[10] . وذكر له طرقاً أُخَر . وخرجه البخاري تعليقاً

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب (٨٦) ، اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته ، حديث رقم (٣٣٨) .

(2) رواه الترمذي رقم (٣٥٩٧) في الدعوات ، باب رق (١٤١) ، ط (الموطأ) : ١ / ٢٢ في القرآن ، باب ما جاء في الدعاء .

(3) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب (٨٦) اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته ، حديث رقم (٣٣٩) .

(4) المرجع السابق ، حديث رقم (٣٤٠) ، في (خ) : « أدّخر » .

(5) زيادة للسياق .

(6) المرجع السابق ، حديث رقم (٣٤٥) .

(7) في مسلم : « معاذ يعنون ابن هشام » .

(8) كذا في (خ) ، وفي مسلم : « حدثنا » .

(9) في (خ) : « دعا بها » .

(10) المرجع السابق ، حديث رقم (٣٤١) .

في كتاب الدعاء[1] .

وخرج أبو بكر بن أبي شيبة من حديث أحمد بن عبد الله قال : أخبرنا زهير ابن معاوية ، أخبرنا أبو خالد الأسدي ، أخبرنا عون بن أبي جحيفة السواري عن عبد الرحمن بن علقمة الثقفي عن عبد الرحمن بن أبي عقيل قال : انطلقت في وفد فأتينا رسول الله ﷺ فأنخنا الباب وما في الناس أبغض إلينا من رجل نلج عليه ، فما خرجنا حتى ما في الناس رجل أحب إلينا من رجل دخلنا عليه ، فقال قائل منا : يا رسول الله ! ألا سألت ربك ملكاً كملك سليمان بن داود ؟ فضحك ثم قال : لعل لصاحبكم عند الله أفضل من ملك سليمان بن داود ! إن الله لم يبعث نبياً إلا أعطاه دعوة ؛ فمنهم من اتخذ بها دنيا فأعطيها ، ومنهم من دعا بها على قومه إذا عصوه فأهلكوا بها ، وإن الله أعطاني دعوة فاختبأتها عند ربي شفاعة لأمتي

---

(١) أخرجه البخاري في الدعوات ، باب (١) ، لكل نبي دعوة مستجابة ، حديث رقم (٦٣٠٤) ، (٦٣٠٥) .

قوله ﷺ : « وأريد أن أختبيء دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة » ، وفي رواية أبي سلمة عن أبي هريرة « فأريد إن شاء الله أن أختبيء » ، وزيادة « إن شاء الله » في هذا للتبرك ، ولمسلم من رواية أبي صالح عن أبي هريرة « وإني اختبأت » ، وفي حديث أنس « فجعلت دعوتي » ، وزاد « يوم القيامة » ، وزاد أبو صالح « فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً » .

وقوله ﷺ « من مات » في محل نصب على المفعولية ، و « لا يشرك » في محل نصب على الحال ، والتقدير : شفاعتي نائلة من مات غير مشرك ، وكأنه ﷺ أراد أن يؤخرها ثم عزم ففعل ، ورجا وقوع ذلك ، فأعلمه الله به ، فجزم به .

وقد استشكل ظاهر الحديث بما وقع لكثير من الدعوات المجابة ، ولا سيما نبينا ﷺ ، وظاهره أن لكل نبي دعوة مستجابة فقط ، والجواب : أن المراد بالإجابة في الدعوة المذكورة القطع بها ، وما عدا ذلك من دعواتهم فهو على رجاء الإجابة .

وقيل : معنى قوله ﷺ : « لكل نبي دعوة » ، أي أفضل دعواته ، ولهم دعوات أخرى ، وقيل : لكل منهم دعوة عامة مستجابة في أمته ؛ إما بإهلاكهم وإما بنجاتهم ، وأما الدعوات الخاصة ، فمنها ما يستجاب ومنها ما لا يستجاب ، وقيل : لكل منهم دعوة تخصه لدنياه أو لنفسه ، كقول نوح : ﴿ **لا تذر على الأرض** ﴾ ، وقول زكريا : ﴿ **فهب لي من لدنك ولياً يرثني** ﴾ ، وقول سليمان : ﴿ **وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي** ﴾ ، حكاه ابن التين .

والمراد بهذا الحديث أن كل نبي دعا على أمته بالإهلاك إلا أنا فلم أدع ، أعطيتُ الشفاعة عوضاً عن ذلك للصبر على أذاهم ، والمراد بالأمة أمة الدعوة لا أمة الإجابة . ...

يوم القيامة[1] .

وخرج البخاري من حديث سليمان بن بلال عن عمرو بن أبي عمرو عن سعيد بن أبي سعيد [المقبري][2] عن سعيد عن أبي هريرة أنه قال : قيل[3] يا رسول الله ، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال [رسول الله ﷺ][4] لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أولى منك لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال : لا إله إلا الله خالصاً من قلبه ، أو نفسه[5] . ذكره في كتاب العلم وترجم عليه باب الحرص

وتعقبه الطيبيّ – وفي نسخة القرطبي – بأنه ﷺ دعا على أحياء من العرب ، ودعا على أناس من قريش بأسمائهم ، ودعا على رعل ، وذكوان ، ودعا على مضر ، قال : والأولى أن يقال : إن الله جعل لكل نبي دعوة تستجاب في حق أمته ، فنالها كل منهم في الدنيا ، وأما نبينا ﷺ فإنه لما دعا على بعض أمته ، نزل عليه ﴿ **ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم** ﴾ ، فبقى تلك الدعوة المستجابة مدخرة للآخرة ، وغالب من دعا عليهم لم يرد إهلاكهم ، وإنما أراد ردعهم ليتوبوا .

وأما جزمه أولاً بأن جميع أدعيتهم مستجابة ، ففيه غفلة عن الحديث الصحيح : « سألتُ الله ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة» . قال ابن بطال : في هذا الحديث بيان فضل نبينا ﷺ على سائر الأنبياء ، حيث آثر أمته على نفسه وأهل بيته بدعوته المجابة ، ولم يجعلها أيضاً دعاء عليهم بالهلاك كما وقع لغيره ممن تقدم .

وقال ابن الجوزي : هذا من حُسن تصرفه ﷺ ، لأنه جعل الدعوة فيما ينبغي ، ومن كثرة كرمه أنه آثر أمته على نفسه ، ومن صحة نظره لأنه جعلها للمذنبين من أمته ، لكونهم أحوج إليها من الطائعين .

وقال النووي : فيه كمال شَفَقَته ﷺ على أمته ورأفته بهم ، واعتناؤه بالنظر في مصالحهم ، فجعل دعوته في أهم أوقات حاجتهم .

وأما قوله : « فهي نائلة » ، ففيه دليل لأهل السنة أن من مات غير مشرك لا يخلد في النار ، ولو مات مُصراً على الكبائر . مختصراً من (فتح الباري) : ١١ / ١١٦ – ١١٧ .

(١) له شواهد من أحاديث الباب على صحته .

(٢) زيادة في النسب من البخاري . (٣) في (خ) : « قال » .

(٤) زيادة للسياق من البخاري .

(٥) ذكره البخاري في كتاب العلم ، باب (٣٢) الحرص على الحديث ، حديث رقم (٩٩) . قوله ﷺ : أولى منك » ، فيه فضل أبي هريرة رضي الله عنه ، وفضل الحرص على تحصيل العلم .

قوله ﷺ : « من قال : لا إله إلا الله » ، احتراز من المشرك ، والمراد مع قوله : محمد رسول الله ، لكن قد يكتفي بالجزء الأول من كلمتي الشهادة ، لأنه صار شعاراً لمجموعهما كما تقدم في الإيمان . ...

على الحديث . وخرجه في كتاب الرقاق من حديث إسماعيل بن جعفر عن عمرو ... إلى آخره ، وقال : خالصاًمن قبل نفسه [1] . وخرجه النسائي بنحوه[2] .

وخرج مسلم من حديث ابن وهب قال : أخبرني عمرو بن العاص أن النبي ﷺ تلى قول الله عز وجل في إبراهيم : ﴿ **رب إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مني ...** ﴾[3] الآية ، وقال عيسى عليه السلام : ﴿ **إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم** ﴾[4] ، فرفع يديه وقال : اللهم أمتي .. أمتي[5] ، وبكي ، فقال الله عز وجل : يا جبريل ، اذهب إلى محمد وربك أعلم ، فسله ما يبكيك ، فأتاه جبريل فسأله ، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال

قوله ﷺ : « خالصاً » احتراز من المنافق ، ومعنى أفعل في قوله : « أسعد » الفعل ، لا أنها أفعل التفضيل ، أي سيد الناس ، كقوله تعالى :﴿ **وأحسن مقيلا** ﴾ ، ويحتمل أن يكون أفعل التفضيل على بابها ، وأن كل أحد يحصل له سعد بشفاعته ، لكن المؤمن المخلص أكثر سعادة بها ، فإنه ﷺ يشفع في الخلق لإراحتهم من هول الموقف ، ويشفع في الكفار بتخفيف العذاب كما صح في حق أبي طالب ، ويشفع في بعض المؤمنين بالخروج من النار بعد أن دخلوها ، ويشفع في بعضهم بعدم دخولها بعد أن استوجبوا دخولها ، ويشفع في بعضهم بدخول الجنة بغير حساب ، ويشفع في بعضهم برفع الدرجات فيها ، فظهر الاشتراك في السعادة بالشفاعة، وأن أسعدهم بها المؤمن المخلص .

قوله ﷺ : « من قلبه ، أو نفسه » شك من الراوي ، وللمصنف في الرقاق : « خالصاً من قبل نفسه » ، وذكر ذلك على سبيل التأكيد كما في قوله تعالى : ﴿ **فإنه آثم قلبه** ﴾ .

وفي الحديث دليل على اشتراط النطق بكلمتي الشهادة ، لتعبيره بالقول في قوله ﷺ : « من قال » ، والله تعالى أعلم . مختصراً من (فتح الباري) ١ / ٢٥٧ - ٢٥٨ .

(١) ذكره البخاري في كتاب الرقاق ، باب (٥١) صفة الجنة والنار ، حديث رقم (٦٥٧٠) ، وقال النووي : الشفاعة خمس :

[١] في الإراحة من هول الموقف . [٢] في إدخال قوم الجنة بغير حساب .

[٣] في إدخال قوم حوسبوا فاستحقوا العذاب أن لا يعذبوا .

[٤] في إخراج من أدخل النار من العصاة .

[٥] في رفع الدرجات .

(٢) لم أجده في (سنن النسائي) .

(٣) ٣٦ : إبراهيم ، وتمامها : ﴿ **ومن عصاني فإنك غفور رحيم** ﴾ .

(٤) ١١٨ : المائدة .

(٥) في (خ) : « اللهم أمتي اللهم أمتي » .

وهو أعلم ، فقال الله : يا جبريل ، اذهب إلى محمد فقل : إنا سنرضيك في أمتك ولا نسؤك[1] .

* * *

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب (٨٧) دعاء النبي ﷺ لأمته وبكائه شفقة عليهم ، حديث رقم (٣٤٦) : وسنده : حدثني يونس بن عبد الأعلى الصدفي ، أخبرنا ابن وهب قال : أخبرني عمرو ابن الحارث ، أن أبا بكر بن سوادة حدثه عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص ... وهذا أتم من السند المذكور في (خ) .

وهذا الحديث مشتمل على أنواع من الفوائد :

منها بيان كمال شفقة النبي ﷺ على أمته ، واعتنائه بمصالحهم ، واهتمامه بأمرهم .

ومنها استحباب رفع اليدين في الدعاء .

ومنها البشارة العظيمة لهذه الأمة ، زادها الله شرفاً بما وعدها الله تعالى بقوله : سنرضيك في أمتك ولا نسؤك ، وهذا من أرجى الأحاديث لهذه الأمة ، أو أرجأها .

ومنها بيان عظم منزلة النبي ﷺ عند الله تعالى ، وعظيم لطفه سبحانه به ﷺ والحكمة في إرسال جبريل لسؤاله ﷺ إظهار شرف النبي ﷺ ، وأنه بالمحل الأعلى ، فيسترضى ويكرم بما يرضيه والله تعالى أعلم .

وهذا الحديث موافق لقول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ **ولسوف يعطيك ربك فترضى** ﴾ ، وأما قوله تعالى : ولا نسؤك ، فقال صاحب (التحرير) : هو تأكيد للمعنى ، أي لا نحزنك ، لأن الإرضاء قد يحصل في حق البعض بالعفو عنهم ، ويدخل الباقي النار ، فقال تعالى : نرضيك ولا ندخل عليك حزناً ، بل ننجي الجميع والله تعالى أعلم . (مسلم بشرح النووي) : ٣ / ٧٨ - ٧٩ .

ذكر المقام المحمود
الذي وعد الله تعالى به الرسول ﷺ

قال الله جل جلاله : ﴿ **ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾[1] .

خرج أبو بكر بن أبي شيبة من حديث وكيع عن إدريس الأودي عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً**[1] قال : الشفاعة .

وخرج الحاكم من حديث الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب ابن مالك عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : يُبعث الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي على تل ، ويكسوني ربي حلة خضراء ، ثم يؤذن لي فأقول ما شاء الله أن أقول ، فذلك المقام المحمود ، قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين [ولم يخرجاه][2] .

وله من حديث إسرائيل قال : أخبرنا أبو إسحق عن صلة بن زفر عن حذيفة ابن اليمان [سمعته يقول][3] في قوله عز وجل : ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾[4] قال : يجمع الناس في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا ، سكوتاً لا تكلم نفس إلا بإذنه ، قال : فينادى محمد ﷺ

---

(١) ٧٩ : الإسراء .

(٢) أخرجه الحاكم في (المستدرك) : ٣ / ٣٩٥ ، في كتاب التفسير ، تفسير سورة بني إسرائيل ، حديث رقم (٣٣٨٣) وما بين الحاصرتين زيادة منه ، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : على شرط البخاري ومسلم .

وأخرجه أيضاً الإمام أحمد في (المسند) : ٤ / ٤٩٢ من حديث كعب بن مالك الأنصاري ، حديث رقم (١٥٣٥٦) بنحوه سواء .

(٣) تكلمة من (المستدرك) .

(٤) ٧٩ : الإسراء .

فيقول : « لبيك وسعديك والخير في يديك ، والشر ليس إليك ، المهدي من هديت ، وعبدك بين يديك ، ولك وإليك ، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك ، تباركت وتعاليت ، سبحان رب البيت » ، فذلك المقام المحمود الذي قال الله : ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾[1] . قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة ، إنما خرج مسلم حديث أبي مالك الأشجعي عن ربعي بن حراش عن حذيفة ، ليخرجن من النار فقط[2] .

وخرج الإمام أحمد من حديث سعيد بن زيد قال : حدثنا علي بن الحكم عن عثمان عن إبراهيم عن علقمة والأسود عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إني لأقوم المقام المحمود يوم القيامة ، فقال رجل من الأنصار : وما المقام المحمود ؟ قال : ذاك إذا جيء بكم عراة حفاة غُرْلاً ، فأقوم مقاماً لا يقومه أحد غيري يغبطني به الأولون والآخرون[3] .

وله من حديث وكيع قال : حدثنا داود بن عبد الله الأودي الزعافري عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : المقام المحمود الشفاعة[4] ، وخرجه الترمذيّ وقال : هذا حديث حسن[5] ، وداود الزعافري هو داود الأودي ، وهو عم عبد الله بن إدريس وفي الباب عن كعب بن مالك وأبي سعيد وابن عباس .

وخرجه البغوي من حديث أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر ، حدثنا أبو أسامة عن داود بن يزيد الأودي عن أبيه ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾[1] قال : هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي .

---

(1) 79 : الإسراء .

(2) (المستدرك): 3 / 395 في كتاب التفسير ، تفسير سورة بني إسرائيل ، حديث رقم (3384) ، وحديث مسلم المشار إليه قد سبق شرحه .

(3) هذا الحديث جزء من حديث طويل أخرجه الإمام أحمد في (المسند) من حديث عبد الله بن مسعود ، حديث رقم (3777) ج 1 ص 658 ، وأخرجه أيضاً الحاكم في (المستدرك) : 2 / 396 في كتاب التفسير ، تفسير سورة بني إسرائيل حديث رقم (3385) وقال في آخره : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(4) (مسند أحمد) : 3 / 253 ، حديث رقم (9844) .

(5) (صحيح سنن الترمذي) : 3 / 68 - 69 ، حديث رقم (3358) ، وقال الألباني : صحيح ، و (المجموعة الصحيحة) برقم (2639) ، (2370) .

ورواه سفيان بن وكيع عن جرير بن عبد الحميد عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال : [قال رسول الله ﷺ] : يقيمني رب العالمين مقاماً لم يُقمه أحداً قبلي ولن يقيمه أحداً بعدي .

وروى حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾ قال : إن لمحمد من ربه مقاماً لا يقومه نبي مرسل ولا ملك مقرب ، يبين الله للخلائق فضله على جميع الأولين والآخرين .

وقال أبو سفيان العمري عن معمر عن الزهري ، عن علي بن الحسن أن النبي ﷺ قال : إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مدَّ الأديم حتى لا يكون للإنسان إلا موضع قدميه ، قال النبي ﷺ : فأكون أول من يدعى ، وجبريل عن يمين الرحمن فأقول : يارب إن هذا أخبرني أنك أرسلته إليّ ، فيقول تبارك وتعال : صدق ، ثم أشفع فأقول : يارب عبادك في أطراف الأرض ، فهو المقام المحمود .

قال أبو عمر بن عبد البر : على هذا أصل في تأويل قول الله عز وجل : ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾ أنه الشفاعة .

وقد روي عن مجاهد : أن المقام المحمود أن يقعده معه يوم القيامة على العرش ، وهذا عندهم منكر في تفسير هذه الآية ، والذي عليه جماعة العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين أن المقام المحمود هو المقام الذي يشفع فيه لأمته .

وقد روي عن مجاهد مثل ما عليه الجماعة من ذلك فصار إجماعاً في تأويل الآية من أهل العلم بالكتاب والسنة .

ذكر ابن أبي شيبة عن شبابة عن ورقاء عن أبي نجيح عن مجاهد في قوله : ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾ ، قال : شفاعة محمد ﷺ .

وذكر بقيّ ، حدثنا يحيى بن عبد الحميد ، أخبرنا قيس عن عاصم عن عبد الله مثله ، وذكر الغرباني عن الثوري عن سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء عن ابن مسعود مثله .

وذكر ابن أبي شيبة ، حدثنا أبو معاوية عن عاصم عن أبي عثمان عن سلمان قال : المقام المحمود الشفاعة . وروى سفيان وإسرائيل عن أبي إسحق عن صله عن حذيفة قال : يجتمع الناس في صعيد واحد ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي — زاد سفيان في حديثه — : حُفاة عراة سكوتاً ، كما خلقوا قياماً ، لا تكلم نفس إلا بإذنه ، ثم اجتمعوا ، فينادي منادي : يا محمد ، على رءوس الأولين والآخرين ، فيقول : لبيك وسعديك والخير في يديك ، زاد سفيان : والشر ليس إليك ، ثم اجتمعا والمهدي من هديت تباركت وتعاليت ، ومنك وإليك ، لا ملجأ ولا منجى إلا إليك . قال حذيفة : فذلك المقام المحمود . وذكر له عن حذيفة عدة طرق ، قال : وروى يزيد عن زريع عن سعيد عن قتادة في قوله : ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾ ، قال : ذكر لنا أن نبي الله ﷺ خُيِّر بين أن يكون عبداً نبياً أو ملكاً نبياً فأومأ إليه جبريل أن تواضع ، واختار نبي الله ﷺ أن يكون عبداً نبياً ، وأعطى بها اثنتين : أول من تنشق عنه الأرض وأول شافع .

قال قتادة : وكان أهل العلم يرون أن المقام المحمود الذي قال الله عزّ وجلّ : ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾شفاعته يوم القيامة ، قال : وممن روى عنه أيضاً : أن المقام المحمود الشفاعة : الحسن البصري وإبراهيم النَّخْعِيّ وعلي ابن الحسين بن علي وابن شهاب وسعد بن أبي هلال وغيرهم .

* * *

تنبيـه وإرشـــــاد

قال الحافظ أبو نعيم : وهذه الأخبار وما يجانسها في الشفاعة وإجابة آدم عليه السلام فمن دونه في الشفاعة عليه كلها داخلة في علو مرتبة نبينا محمد ﷺ وشرف منزلته ورفعته عند ربه تعالى ، لأن النبوة لا يخص الله بها إلا المنتخبين من خلفة في الأمم ، وذوي الأخطار العظيمة ، والمناقب الرفيعة ، فإذا كان سائر الأنبياء يدفعون عن أنفسهم التشفيع والمسألة ، ويحيئون بها على محمد ﷺ بأن فضله وعلو مرتبته على مراتبهم ، وفي تعريف هذه المنزلة وإن لم تكن في نفسها معجزة ، وأن الله تعالى وضع نبيه ﷺ في أعلى المراتب وأشرف المناقب ، لتكون القلوب مقبلة على قبوله ، والنفوس مسرعة إلى طاعته ﷺ ، هذا له مع ما خصه الله من الخصال التي لم تعط من تقدمه من النَّبيين والمرسلين من المنافع البهية والمرافع السنية . انتهى .

واعلم أن الشفاعة خمسة أقسام :

الأولى : الشفاعة في إراحة المؤمنين من طول الوقوف وتعجيل الحساب كما تقدم ذكره .

والثانية : الشفاعة في إدخال قوم من المؤمنين الجنة بغير حساب كم تقدم من حديث أنس ، وفيه : فيقال يا محمد أدْخِل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن .

والثالثة : الشفاعة لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا ﷺ ومن يشاء الله .

والرابعة : الشفاعة فيمن دخل النار من المذنبين فيخرجهم الله بشفاعة نبينا ﷺ وبشفاعة الملائكة وإخوانهم المؤمنين ، ثم يخرج الله عز وجل من النار كل من قال لا إله إلا الله ولا يبقى في النار إلا الكافرون .

والخامسة : الشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها .

واتفقوا على شفاعة الحشر وعلى الشفاعة في زياة درجات أهل الجنة ، وخالفت الخوارج والمعتزلة في الأقسام الثلاثة الأُخَر . وقال ابن عبد البر : وقد قيل إن الشفاعة

منه ﷺ تكون من مرتين : مرة في الموقف يشفع في قوم فينجون من النار ولا يدخلون الجنة ، ومرة بعد دخول قوم من أمته النار فيخرجون منها بشفاعته .

وقد رويت آثار بنحو هذا الوجه بنفي الوجه الأول ، ثم ذكر من طريق ثور ابن يزيد عن هشام بن عروة عن أسماء بنت عميس أنها قالت : يا رسول الله ، أُدع الله أن يجعلني ممن يشفع له يوم القيامة ، فقال لها رسول الله ﷺ : إذن تخمشك النار فإن شفاعتي لكل هالك من أمتي تخمشه[1] النار .

وذكر من طريق يحيى بن معين قال : حدثنا أبو اليمان عن شعيب عن أبي حمزة عن الزهري عن أنس بن مالك عن أم حبيب رضي الله عنها أن النبي ﷺ ذكر ما تلقى أمته بعده من سفك دم بعضها بعضاً ، وسبق ذلك من الله كما سبق في الأمم قبلهم ، فسألته أن يوليني شفاعة فيهم ففعل .

وذكر من طريق أبي عوانة عن الأعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير عن أبي ذرّ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي : بعثت إلى الأحمر والأسود ، وأُحلّت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، ونصرت بالرعب شهراً فيرعب العدو مني مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وقيل سل تُعط فاختبأتُ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة وهي نائلة إن شاء الله من لم يشرك بالله شيئاً .

وذكر شيبان بن فروح قال : حدثنا حرب بن شريح ، أخبرنا أيوب عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال : مازلنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر حتى سمعنا من نبينا ﷺ يقول : إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، وقال إني ادخرتُ شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي .

---

(١) الخمش : الخدش في الوجه ، وقد يستعمل في سائر الجسد ، والخموش الخدوش ، قال الفضل بن عباس يخاطب امرأته :

هاشم جدُّنا ، فإن كنت غضبى　　　فاملئي وجهَكِ الجميلَ خدوشاً

والخُماشة من الجراحات : ما ليس له أُرش [دية] معلوم ، كالخدش ونحوه ، والخماشة : الجناية . مختصراً من (لسان العرب) : ٦ / ٢٩٩ .

وذكر من طريق أبي داود الطيالسي قال : أخبرنا محمد بن ثابت عن جعفر ابن محمد بن على عن أبيه جابر بن عبد الله قال : قال النبي ﷺ : شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي، قال : فقال لي جابر : من لم يكن من أهل الكبائر فماله وللشفاعة . قال أبو عمرو : والآثار في هذا كثيرة متواترة، والجماعة وأهل السنة على التصديق بها ، ولا ينكرها إلا أهل البدع .

وذكر من طريق قاسم بن أصبغ قال : أخبرنا الحرث بن أبي أسامة، أخبرنا إسحق بن عيسى ، أخبرنا حماد بن زيد عن على بن زيد عن يوسف بن عوان عن ابن عباس قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا أيها الناس ، إن الرجم حق ولا تُخْدَعُنّ عنه ، وآية ذلك أن رسول الله ﷺ قد رجم ، وأبا بكر [قد رجم][1] ، ورجمنا بعدهما ، وأنه سيكون أناس يكذبون بالرجم ، ويكذبون باللعان ، ويكذبون بطلوع الشمس من مغربها ، ويكذبون بعذاب القبر ، ويكذبون بالشفاعة ، ويكذبون بقوم يخرجون من النار بعد ما امتحشوا ، قال أبو عمر : كل هذا يكذب به جميع طوائف أهل البدع والخوارج والمعتزلة والجهمية وسائر الفرق المبتدعة ، وأما أهل السنة ، أئمة الفقه والأمر في جميع الأمصار فيؤمنون بذلك كله ويصدقونه ، وهم أهل الحق ، والله المستعان .

* * *

---

(١) زيادة للسياق .

إيضاح وتبيان

قد استشكل ظاهر قوله : لكل نبي دعوة يدعو بها ، إنما وقع لكثير من الأنبياء من الدعوات المجابة ، ولا سيما نبينا ﷺ ، فإنه ظاهره أن لكل نبي دعوة واحدة مجابة فقط ، والجواب : أن المراد بالإجابة الدعوة المذكورة القطع بها ، وما عدا ذلك من دعوات فهو على رجاء الإجابة ، وقيل : مضى قوله : لكل نبي دعوة أي أفضل دعواته ، ولهم دعوات أُخَر ، وقيل : لكل منهم دعوة عامة مستجابة في أمته إما بإهلاكهم أو بنجاتهم ، وأما الدعوات الخاصة فمنها ما يستجاب ومنها ما لا يستجاب . وقيل : لكل منهم دعوة تخصه لدنياه أو لنفسه ، كقول نوح عليه السلام : ﴿ **لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً** ﴾[1] ، وقول زكريا عليه السلام : ﴿ **فهب لي من لدنك ولياً** ﴾[2] ، وقول سليمان عليه السلام : ﴿ **وهب لي ملكاً لا ينبغي من بعدي** ﴾[3] ، حكاه ابن التين .

وقال بعض شراح (المصابيح) : اعلم أن جميع دعوات الأنبياء مستجابة ، والمراد بهذا الحديث أن لكل نبي دعاء على أمته بالإهلاك إلا أنا فلم أدع ، فأعطيت الشفاعة عوضاً عن ذلك للصبر على أذاهم ؛ والمراد بالأمة : أمة الدعوة لا أمة الإجابة ، وتعقبه الطيبي بأنه ﷺ دعا على أحياء من العرب ، ودعا على الناس من قريش بأسمائهم ، فدعا على رعل وذكوان وغيرهم . قال : والأولى أن يقال : أن الله تعالى جعل لكل نبي دعوة تستجاب في حق أمته ، فنالها كل منهم في الدنيا إلا نبينا فإنه لما دعا على بعض أمته نزل عليه : ﴿ **ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم** ﴾[4] ، فبقى تلك الدعوة المستجابة مدَّخرة للآخرة ، وغالب من دعا عليهم لم يرد إهلاكهم ، وإنما أراد ردعهم ليتوبوا[5] .

---

(١) ٢٦ : نوح .
(٢) ٥ : مريم .
(٣) ٣٥ : ص .
(٤) ١٢٨ : آل عمران .
(٥) (فتح الباري) : ١١ / ١١٦ - ١١٧ .

وأما جزمه أولاً بأن جميع أدعيتهم مستجابة ففيه غفلة عن الحديث الصحيح : سألت الله ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة . وقال ابن بطال : في هذا الحديث بيان فضيلة نبينا ﷺ على سائر الأنبياء حيث آثر أمته على نفسه وأهل بيته بدعوته المجابة ، ولم يجعلها أيضاً دعاءً عليهم بالهلاك كما وقع لغيره ممن تقدم[1] .

وقال ابن الجوزي : هذا من حسن تصرفه ﷺ ، لأنه جعل الدعوة بشيء ينبغي ، ومن كثرة كرمه أنه آثر أمته على نفسه ، ومن صحة نظره أنه جعلها للمذنبين من أمته لكونهم أحوج إليها من الطائعين .

وقال النووي : فيه كمال شفقته ﷺ على أمته ورأفته بهم ، واعتناؤه بالنظر في مصالحهم ، فجعل دعوته في أهم أوقات حاجتهم[2] .

قال أبو عمر بن عبد البر : وأما قوله : لكل نبي دعوة يدعو بها ، فمعناه : أن كل نبي أُعطى أمنية وسؤلاً ودعوة يدعو بها ما شاء أُجيب وأعطيه . ولا وجه لهذا الحديث غير ذلك ، لأن لكل نبي دعوات مستجابات ، ولغير الأنبياء أيضاً ، دعوات مستجابات ، وما يكاد أحد من أهل الإيمان يخلو من أن تجاب دعوته ولو مرة في عمره ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ **ادعوني استجب لكم** ﴾[3] ، وقال : ﴿ **بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء الله** ﴾[4] ، وقال ﷺ : ما من داع يدعو إلا كان بين إحدى ثلاث : إما يستجاب له فيما دعا به ، وإما أن يدخر له مثله ، أو يكفر عنه[5] . وقال : دعوة المظلوم لا ترد ولو كانت من كافر ، والدعاء عند حضرة النداء ، والصف في سبيل الله ، وعند نزول الغيث ، وفي ساعة يوم الجمعة لا يرد ، فإذا كان هذا ، هكذا لجميع المسلمين ، فكيف يتوهم متوهم أن ليس للنبي ﷺ ولا لسائر الأنبياء إلا دعوة واحدة يجابون فيها ، هذا ما لا يتوهمه ذو لُب ولا إيمان ، ولا من له أدنى فهم ، وبالله التوفيق .

* * *

(١) (فتح الباري) : ١١ / ١١٦ - ١١٧ .
(٢) أنظر شرح النووي لأحاديث الشفاعة بصحيح مسلم كتاب الإيمان .
(٣) ٦٠ : غافر . (٤) ٤١ : الأنعام .
(٥) رواه الترمذي رقم (٣٣٧٨) في الدعوات ، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة ، وهو حديث صحيح لكن باختلاف يسير ، وأخرجه مالك موقوفاً في القرآن ١ / ٢١٧ .

وأما حوض رسول الله ﷺ وهو الكوثر

قال الله جل جلاله : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾[1] ، واختلف في المراد به ؛ فقيل إنه نهر في الجنة ، وقيل : الكوثر : الخير الكثير الذي أعطيه النبي ﷺ ، فقد بلغ التواتر عن جماعة من علماء الآثار ، ورواه الجم الغفير عن رسول الله ﷺ : وبان ، وجابر ، وأبو هريرة ، وجابر بن سمرة ، وعقبة بن عامر ، وعبد الله بن عمرو ، وأبوه عمرو بن العاص ، وحارثة بن وهب ، والمستورد ، وأبو برزة ، وحذيفة ، وأبو أمامة ، وأبو بكر ، وعمر ، وابن مسعود ، وعبد الله بن زيد ، وسهل بن سعيد ، وسويد بن عبلة ، وبريدة وأبو سعيد ، والبراء بن عازب ، وعتبة ابن عبد السلمي وجندب ، والصنابحي ، وأبو بكرة ، وأبو ذر الغفاري ، وأسماء بنت أبي بكر ، وخولة بنت قيس ، ذكرهم اللالكاني وغيره .

قال القاضي عياض[2] : أحاديث الحوض صحيحة ، والإيمان به فرض ، والتصديق به من الإيمان ، وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة ، لا يتأول ولا يختلف فيه ، وحديثه متواتر النقل ، رواه خلائق من الصحابة . قاله ابن عباس .

وقيل : هو العلم والقرآن ، قاله الحسن ، وقيل : النبوة ، قاله عكرمة ، وقيل : إنه حوض النبي ﷺ يكثر عليه الناس . قاله عطاء ، وقيل : إنه كثرة أتباعه وأمته ، قاله أبو بكر بن عياش ، وقال جعفر بن محمد الصادق : يعني بالكوثر نوراً في قلبك يدلّك عليّ ويقطعك عمن سواي . وعنه أيضاً أنه الشفاعة . وقال هلال بن يسار : هو قول لا إله إلا الله ، وقيل : هو الصلوات الخمس .

وأصح هذه الأقوال : ما ثبتَ عن رسول الله ﷺ ، [فقد][3] خرج البخاري في آخر كتاب الرقاق من حديث هدبة بن خالد ، حدثنا همام ، حدثنا

---

(١) ١ : الكوثر .

(٢) (الشفا) : ١ / ١٨٥ .

(٣) زيادة للسياق .

قتادة ، حدثنا أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال : [بينما][1] أنا أسير في الجنة ، [إذا][2] أنا بنهر [حَافَّتَاهُ][3] قباب الدر المجوف ، قلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذي أعطاك ربك ، فإذا طيبه أو طينه [مسك][4] أذفر شكَّ هُدْبَة[5] .

وخرج في التفسير من حديث شيبان ، حدثنا قتادة عن أنس : لما عُرج بالنبي ﷺ إلى السماء قال : أتيت على نهر حافاته قباب اللؤلؤ [مجوَّف][6] ، فقلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر[7] .

ومن حديث إسرائيل عن أبي إسحق عن أبي عبيدة عن عائشة رضي الله عنها قال : سألتها عن قوله [تعالى][8] : ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ قالت : هو نهر أعطيه نبيكم ﷺ شاطئاه [عليه][9] درٌّ مجوف ، آنيته كعدد النجوم[10] . [رواه زكريا وأبو الأحوص ومطرف عن أبي إسحاق][8] .

ومن حديث أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال في ﴿ **الكوثر** ﴾ : هو الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه ، قال أبو بشر : قلت لسعيد بن جبير : فإن ناساً يزعمون أنه نهر في الجنة ، فقال سعيد : النهر الذي في الجنة هو الخير الذي أعطاه الله إياه[11] .

---

(١) في (خ) : « بينا » وما أثبتناه من البخاري .
(٢) في (خ) : « وإذا » .
(٣) في (خ) : « حافته » .
(٤) زيادة للسياق من البخاري .
(٥) حديث رقم (٦٥٨١) ، كتاب الرقاق ، باب (٥٣) في الحوض وقول الله تعالى : ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ .
(٦) في (خ) : « مجوفة » ، وما أثبتناه من البخاري .
(٧) حديث رقم (٤٩٦٤) من كتاب التفسير باب (١٠٨) ، سورة ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ .
(٨) زيادة للسياق من البخاري .
(٩) في (خ) : « عليهما » .
(١٠) حديث رقم (٤٩٦٥) ، من كتاب التفسير ، باب (١٠٨) ، سورة : ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ .
(١١) أخرجه البخاري في التفسير ، باب (١٠٨) ، سورة ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ ، حديث رقم (٤٩٦٦) ، وفي الرقاق ، باب (٥٣) ، في الحوض وقول الله تعالى : ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ ، حديث رقم (٦٥٧٨) .

وخرج مسلم من حديث علي بن مسهر قال : أخبرنا المختار بن فلفل عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال : بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ غفا إغفاءة ثم رجع ، فرأيته مبتسماً !! فقلنا : ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال : نزلت على آنفاً سورة ، فقرأ : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾[1] ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر * فصلّ لربك وانحر * إن شانئك هو الأبتر** ﴾[2] ، ثم قال : أتدرون ما الكوثر ؟ فقلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنه نهر في الجنة وعدنيه ربي عليه خير كثير ، أو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة ، آنيته عدد النجوم ، فيختلج العبد منهم ، فأقول : رب إنه من أمتي ، فيقول : ما تدري ما أحدثت بعدك[3] .] زاد

---

(١) أول سورة الفاتحة . (٢) أول سورة الكوثر ١ - ٣ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة ، باب (١٤) ، حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة سوى (براة) ، حديث رقم (٤٠٠) .

وقوله : « يختلج » ، أي ينتزع وينقطع ، وفي هذا الحديث فوائد ، منها : أن البسملة في أوائل السور من القرآن ، وهو مقصود مسلم بإدخال هذا الحديث هنا .

وفيه جواز النوم في المسجد ، وجواز نوم الإنسان بحضرة أصحابه ، وأنه إذا رآى التابع من متبوعه تبسماً أو غيره مما يقتضي حدوث أمر ، يستحب له أن يسأل عن سببه .

وفيه إثبات الحوض والإيمان به واجب .

قوله : « وهل تدري ما أحدثوا بعدك » ، وفي الرواية الأخرى : قد بدلوا بعدك فأقول: « سحقاً سحقاً » ، هذا مما اختلف العلماء في المراد به على أقوال :

أحدها : أن المراد به المنافقون والمرتدون ، فيقال : ليس هؤلاء ممن وعدت بهم ، إن هؤلاء بدلوا بعدك ، أي لم يموتوا على ما ظهر من إسلامهم .

والثاني : أن المراد من كان في زمن النبي ﷺ ، ثم ارتد بعده ، فيناديهم النبي ﷺ وإن لم يكن عليهم سيما الوضوء ، لما كان يعرفه ﷺ في حياته من إسلامهم ، فيقال : ارتدوا بعدك .

والثالث : أن المراد به أصحاب المعاصي والكبائر ، الذين ماتوا على التوحيد ، وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام ، وعلى هذا القول لا يقطع لهؤلاء الذين ينادون بالنار ، بل يجوز أن يزاد عقوبة لهم ، ثم يرحمهم الله سبحانه وتعالى فيدخلهم الجنة بغير عذاب .

وقال الإمام الحافظ أبو عمر بن عبد البر : كل من أحدث في الدين فهو من المطرودين عن الحوض ، كالخوارج ، والروافض ، وسائر أصحاب الأهواء . قال : وكذلك الظلمة المسرفون في الجور ، وطمس الحق ، والمعلنون بالكبائر . قال : وكل هؤلاء يُخاف عليهم أن يكونوا ممن عنوا بهذا الخبر . والله تعالى أعلم . مختصراً من (مسلم بشرح النووي) : ٣ / ١٣٨ - ١٣٩ ، كتاب الطهارة ، باب (١٢) استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء ، حديث رقم (٢٤٦) ، ٤ / ٣٥٥ - ٣٥٦ ، كتاب الصلاة ، باب (١٤) حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة سوى (براءة) ، حديث رقم (٤٠٠) .

ابن حجر في حديثه : « بين أظهرنا في المسجد » وقال : « ما أحدث بعدك »][1] .

وفي رواية النسائي : « أحدثت بعدك » ، وهي رواية لمسلم أيضاً ، وقال النسائي في حديثه : « آنيته أكثر من عدد الكواكب » ، ذكره النسائي في كتاب الصلاة ، وفي كتاب التفسير .

[....][2]

وخرج الترمذي من حديث محمد بن فضيل ، عن عطاء بن السائب عن محارب ابن دثار عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : الكوثر نهر في الجنة ، حافتاه من ذهب ، ومجراه على الدر والياقوت ، تربته أطيب من المسك ، وماؤه أحلى من العسل ، وأبيض من الثلج . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، ذكره في التفسير[3] .

وخرج البخاري في الرقاق من حديث شعبة عن عبد الملك [بن عمير][4] قال : سمعت جُنْدَباً يقول : سمعت النبي ﷺ يقول : أنا فرطكم على الحوض[5] . وخرجه مسلم من حديث زائدة عن عبد الملك[6] ، وذكر له طرقاً ، وله من

(١) ما بين الحاصرتين تكملة من المرجع السابق .

(٢) في (خ) بعد قوله : « في كتاب التفسير » طمس في الأصل ، لم يظهر في التصوير الميكروفيلمي، قال المقريزي بعده : « وخرجه أبو داود بهذا الإسناد وقال : فإنه نهر وعدنيه ربي في الجنة ، عليه خير كثير ، عليه حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة ، آنيته عدد الكواكب ، ذكره في كتاب شرح السنة ، في باب الحوض » .

(٣) رقم (٣٣٥٨) باب ومن سورة الكوثر ، وأخرجه ابن ماجه في الزهد حديث رقم (٤٣٣٤) باب صفة الجنة ، وأحمد في (المسند) ٢ / ٢٥٦ ، حديث رقم (٥٨٧٧) ، وإسناده صحيح ، فإن الراوي عن عطاء عنده هو حماد بن زيد ، وقد سمع منه قديماً . وذكره السيوطي في (الدر المنثور) : ٦ / ٤٠٣ ، وزاد نسبته لابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، وابن أبي حاتم ، وابن جرير .

(٤) زيادة من (خ) .

(٥) أخرجه البخاري في الرقاق ، باب (٥٣) ، في الحوض ، وقول الله تعالى : ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ ، حديث رقم (٦٥٨٩) .

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل ، باب (٩) إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته ، حديث رقم (٢٥) ، وجُنْدَب : هو أبو ذر الغفاري الصحابي الجليل رضي الله عنه ، وسبقت له ترجمة .

حديث سماك بن حرب عن جابر بن سمرة عن النبي ﷺ قال : ألا إني فرط لكم على الحوض ، وإن بعد ما بين طرفيه كما بين صنعاء وأيلة ، كأن الأباريق فيه النجوم[1] .

وله من حديث حاتم بن إسماعيل ، عن المهاجر بن مسمار ، عن عامر بن سعد ابن أبي وقاص قال : كتبت إلى جابر بن سمرة مع غلامي نافع : أخبرني بشيء سمعته من رسول الله ﷺ ، فكتب إليّ : أني سمعته يقول : أنا الفرط على الحوض[2] .

وخرج مسلم من حديث ابن أبي عدي عن شعبة عن معبد بن خالد عن حارثة أنه سمع النبي ﷺ قال : حوضه ما بين صنعاء والمدينة ، فقال له المستورد : ألم تسمعه قال الأواني ؟ فقال : لا ، فقال المستورد : ترى فيه الآنية مثل الكواكب[3] .

وخرجه البخاري من حديث حرمي بن عمارة ، حدثنا شعبة عن معبد بن خالد « عن حارثة سمع النبي ﷺ وذكر الحوض فقال : كما بين المدينة وصنعاء »[4] [قال][5] : وزاد ابن أبي عدي عن شعبة عن معبد بن خالد عن حارثة سمع

---

(١) المرجع السابق ، حديث رقم (٤٤) ، وصنعاء : منسوبة إلى جودة الصنعة ذاتها ، كقولهم : امرأة حسناء وعجزاء وشلاء ، والنسبة إليها صنعانيّ على غير قياس ، كالنسبة إلى بهراء بهراني . روى البخاري في صحيحه في كتاب مناقب الأنصار ، باب (٢٩) من حديث خباب مرفوعاً ، وفيه : « وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله » قال البخاري : زاد بيان : « والذئب على غنمه » .

وصنعاء موضعان ، أحدهما باليمن ، وهي العظمي ، وأخرى قرية بالغوطة من دمشق ، وقد ذكرهما ياقوت الحموي في (معجم البلدان) بالتفصيل ، وفرَّق بين من نسب إلى هذه وهذه ، جـ٣ ص ٤٨٣ – ٤٨٩ ، فليراجع هناك ، و (تقويم البلدان) : ٩٤ – ٩٥ .

وأيلة : بالفتح : مدينة على ساحل بحر القُلْزُم مما يلي الشام ، وقيل : هي آخر الحجاز وأول الشام ، قال أبو زيد : أيلة مدينة صغيرة ، عامرة ، بها زرع يسير ، وهي مدينة اليهود الذين حرَّم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فخالفوا فمسخوا قردة وخنازير . (معجم البلدان) : ١ / ٣٤٧ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل ، باب (٩) إثبات حوض نبينا ﷺ وشفاعته ، حديث رقم (٤٥) .

(٣) المرجع السابق ، حديث رقم (٣٣) .

(٤) أخرجه البخاري في الرقاق باب (٥٣) في الحوض ، وقول الله تعالى : ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ ، حديث رقم (٦٥٩١) .

(٥) زيادة من (خ) .

النبي ﷺ قال : حوضه ما بين صنعاء والمدينة ، فقال له المستورد : ألم تسمعه قال الأواني ؟ قال : لا ، قال المستورد : تُرى فيه الآنية مثل الكواكب[1] .

وخرج مسلم وأحمد من حديث عبد العزيز بن عبد الصمد العمى ، عن أبي عمران الجوني عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ، ما آنية الحوض ؟ قال : والذي نفس محمد بيده ، لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء ، وكواكبها ، ألا في الليلة المظلمة المصحية ، آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة ، من شرب منه لم يظمأ ، عرضه مثل طوله ؛ ما بين عمان إلى أيلة ، وماؤه أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، ذكره في المناقب[2] .

وله من حديث يزيد بن أبي حبيب ، عن مرثد عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : صلى رسول الله ﷺ على قتلى أُحد ، ثم صعد المنبر كالمودع للأحياء والأموات فقال : إني فرطكم على الحوض ، وإن عرضه كما بين أيلة إلى الجحفة[3] ،

---

(١) المرجع السابق ، حديث رقم (٦٥٩٢) .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل ، باب (٩) إثبات حوض نبينا ﷺ وشفاعته ، حديث رقم (٣٦) . وأخرجه أحمد في (المسند) : ٦ / ١٨٤ - ١٨٥ عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ، حديث رقم (٢٠٨٢٠) ، وأخرجه أحمد بنحو منه في المرجع السابق ٢ / ٢٥٦ ، حديث رقم (٥٨٧٧) مسند عبد الله بن عمر .

(٣) الجُحْفَةُ : بالضم ثم السكون ، والفاء : كانت قرية كبيرة ذات منبر على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل ، وهي ميقات أهل مصر والشام إن لم يمروا على المدينة ، فإن مروا بالمدينة فيمقاتهم ذو الحُليفة ، وكان اسمها مَهْيَعَةُ ، وإنما سميت الجحفة ، لأن السيل اجتحفها وحمل أهلها في بعض الأعوام ، وهي الآن خراب ، وبينها وبين ساحل الحجاز نحو ثلاث مراحل ، وبينها وبين المدينة ست مراحل .
وقال السكري : الجحفة : على ثلاث مراحل من مكة في طريق المدينة ، والجحفة أول الغور إلى مكة ، وكذلك هي من الوجه الآخر إلى ذات عِرْق ، وأول الثغر من طريق المدينة أيضاً الحجفة .
وقال الكلبي : إن العماليق أخرجوا بني عقيل ، وهم إخوة عاد بن رب ، فنزلوا الجحفة ، وكان اسمها يومئذ مهيعة ، فجاءهم سيل واجتحفهم ، فسميت الجحفة .
ولما قدم النبي ﷺ المدينة استوبأها وحُمَّ أصحابه ، فقال : اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة أو أشدّ ، وصحّحها ، وبارك لنا في صاعها ومُدّها ، وانقل حُمَّاها إلى الجحفة .
وروى أن النبي ﷺ نعس ليلة في بعض أسفاره ، إذ استيقظ فأيقظ أصحابه وقال : مرّت بي الحمى في صورة امرأة ثائرة الرأس منطلقة إلى الجحفة ، (معجم البلدان) : ٢ / ١٢٩ .

إني لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدي ، ولكن أخشى عليكم الدنيا أن [تنافسوا][1] فيها فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم ، قال عقبة : فكان آخر ما رأيت رسول الله ﷺ على المنبر[2] .

وذكره البخاري بهذا السند ولفظه : قال : صلى رسول الله ﷺ على قتلى أُحد بعد ثماني سنين كالمودع للأحياء والأموات ، ثم طلع المنبر فقال : إني بين أيديكم فرط ، وأنا شهيد عليكم ، إن موعدكم الحوض ، وإني لأنظر إليه من مقامي هذا ، وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا ، ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها . قال : فكانت آخر نظرة نظرها إليّ رسول الله[3] .

وخرج البخاري ومسلم من حديث الليث عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي الخير عن عقبة بن عامر ، أن النبي ﷺ خرج يوماً فصلى على أهل أُحد صلاته على الميت ، ثم انصرف إلى المنبر فقال : إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم وأني والله لأنظر إلى حوضي الآن ، وإني أُعطيت مفاتيح خزائن الأرض ، أو مفاتيح الأرض ، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ، ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها[3] . لفظهما متقارب جداً ، ذكره البخاري في باب الصلاة على الشهيد ، وفي كتاب الرقاق ، وفي آخر غزوة أُحد . وذكره في باب علامات النبوة في الإسلام وقال : مفاتيح خزائن الأرض (من غير شك) . وذكره أبو داود بهذا الإسناد[4] ، وانتهى من الحديث إلى قوله : ثم انصرف . وذكره النسائي[5] وانتهى إلى قوله : وأنا شهيد عليكم .

---

(١) في (خ) : « تتنافسوا » .

(٢) أخرجه مسلم في الفضائل ، باب (٩) إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته ، حديث رقم (٣١) .

(٣) كذا في (خ) ، وفي البخاري : « نظرتها إلى رسول الله ﷺ » . والحديث رواه البخاري في الرقاق ، باب في الحوض ، وباب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها ، وفي الجنائز ، باب الصلاة على الشهيد ، وفي الأنبياء ، باب علامات النبوة في الإسلام ، وفي المغازي ، باب غزوة أُحد ، وباب أحد يحبنا ونحبه . ومسلم في الفضائل ، باب (٩) إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .

(٤) (صحيح سنن أبي داود) : ٢ / ٦٢٠ ، باب (٧٥) ، الميت يصلى على قبره بعد حين ، حديث رقم (٢٧٦٠) ، قال الألباني : صحيح .

(٦) (صحيح سنن النسائي) : ٢ / ٤٢٠ ، باب (٦١) ، الصلاة على الشهداء ، حديث رقم (١٨٤٦) ، قال الألباني : صحيح .

وخرج مسلم من حديث معاذ بن هشام قال : حدثني أبي عن قتادة عن سالم ابن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة اليعمري عن ثوبان ، أن النبي ﷺ ، قال : إني لبعُقْرِ حوضي أذود الناس [عنه][1] لأهل اليمن ، أضرب بعصاي حتى يرفض عليهم ، فسئل عن عرضه فقال : من مقامي إلى عمان ، وسئل عن شرابه فقال : أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من الذهب والآخر من وَرِق[2] .

وخرج أيضاً من حديث الربيع بن مسلم عن محمد بن زياد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : لأذودن عن حوضي رجالاً كما تذاد الغريبة من الإبل[3] .

وخرج البخاري في كتاب الشرب من حديث شعبة عن محمد بن زياد سمعت أبا هريرة عن النبي ﷺ قال : والذي نفسي بيده لأذودن رجالاً عن حوضي كما تذاد الغريبة من الإبل عن الحوض[4] .

وخرج مسلم من حديث عبد الله بن وهب قال : أخبرني عمرو – وهو ابن الحرث – أن بكيرا حدثه عن القاسم بن عباس الهاشمي ، عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة ، عن م سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت : كنت أسمع الناس يذكرون الحوض ، ولم سمع ذلك من رسول الله ﷺ ، فلما كان [يوماً][5] من ذلك – والجارية تمشطني – فسمعت رسول الله ﷺ يقول : [أيها][6] الناس ، فقلت للجارية : استأخري عنها ، قالت : إنما دعا الرجال ولم يدع النساء ، فقلت : إني من الناس ، فقال رسول الله ﷺ : إني لكم فرط على الحوض ؛ فإياي لا يَأْتِيَنَّ

---

(١) زيادة من (خ) .

(٢) أخرجه مسلم في الفضائل باب (٩) إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته ، حديث رقم (٣٧) ، وعقر الحوض : مؤخره .

(٣) المرجع السابق ، حديث رقم (٣٨) ، وفي (خ) : « تزاد » .

(٤) (جامع الأصول) : ١٠ / ٤٧٣ ، في ورود الناس على الحوض ، حديث رقم (٨٠٠٤) ، وإسناده صحيح .

(٥) في (خ) : « يوم » .

(٦) في (خ) : « يا أيها » .

أحدكم فيذبّ عني كما يذب البعير الضال ، فأقول : فيم هذا ؟ فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول : [سحقاً](١) .

وخرج البخاري من حديث نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة قال : قال عبد الله بن عمرو ، قال النبي ﷺ : حوضي مسيرة شهر ، ماؤه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه كنجوم السماء ، من شرب منها فلا يظمأ أبداً . ذكره في الرقاق في باب الحوض(٢) .

وله فيه من حديث نافع بن عمر ، حدثني ابن أبي مليكة عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت : قال النبي ﷺ : إني على الحوض حتى أنظر من يرد عليّ منكم ، [وسيؤخذ](٣)ناس دوني ، فأقول : يارب [مني](٤) ومن أمتي ، فيقال : هل شعرت ما عملوا بعدك ؟ والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم . فكان ابن أبي مليكة يقول : اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نفتن عن ديننا . على أعقابهم ينكصون : يرجعون على العقب ، ذكره في كتاب الفتن(٥) .

وخرج مسلم في المناقب من حديث نافع بن عمر الجمحي ، عن ابن أبي مليكة ، قال : قال عبد الله بن عمرو بن العاص : قال رسول الله ﷺ : حوضي مسيرة شهر ، زواياه سواء وماؤه أبيض من الورق ، وريحه أطيب من المسك ، كيزانه كنجوم السماء ، فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبداً . قال : وقالت أسماء بنت أبي بكر : قال رسول الله ﷺ : إني على الحوض [حتى](٦) أنظر من يرد عليّ منكم ، وسيؤخذ ناس دوني فأقول : يارب مني ومن أمتي ، فيقال : أما شعرت ما عملوا بعدك ؟ والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم ، قال : وكان ابن أبي مليكة

---

(١) في (خ) : « فسحقاً » ، أخرجه مسلم في الفضائل باب (٩) إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته ، حديث رقم (٢٩) .

(٢) حديث رقم (٦٥٧٩) .

(٣) في (خ) : « وسيوجد » .

(٤) في (خ) : « أمتي » .

(٥) باب (١) ما جاء في قول الله تعالى : ﴿ **واتقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة** ﴾ ، وما كان النبي ﷺ يُحذّر من الفتن ، حديث رقم (٧٠٤٨) وذكره أيضاً في كتاب الرقاق ، باب (٥٣) في الحوض ، وقول الله تعالى : ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ ، حديث رقم (٦٥٩٣) .

(٦) تكملة من رواية البخاري .

يقول : اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو أن نفتن عن ديننا[1] .

وله من حديث ابن خيثم عن عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة ، سمع عائشة رضي الله عنها تقول : سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول بين ظهراني أصحابه : إني على الحوض أنتظر من يرد عليّ منكم ، فوالله ليقتطعن دوني رجال فلأقولن : أي رب ، مني ومن أمتي ، فيقال : إنك لا تدري ما عملوا بعدك ، مازالوا يرجعون على أعقابهم[2] .

وخرج البخاري في الرقاق من حديث أبي عوانة عن سليمان عن شقيق عن عبد الله عن النبي ﷺ [أنه قال] : أنا فرطكم على الحوض ، وليرفعنّ إليّ رجال منكم حتى إذا هويت لأناولهم اختلجوا دوني ، فأقول : أي رب أصحابي ! يقول : لا تدري ما أحدثوا بعدك[3] . وخرجه مسلم من طرق[4] .

وخرج البخاري من حديث عبد الله قال : حدثني نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال لي : إنَّ أمامكم حوضاً ما بين جرباء وأَذْرُح[5] .

وخرجه مسلم من طرق في بعضها : حوضي ، وفي بعضها : إن أمامكم حوضاً ما بين ناحيتيه . وخرجه كذلك أبو داود وفي بعضها : إن أمامكم حوضاً كما بين جرباء وأذرح ، فيه أباريق كنجوم السماء ، من ورده فشرب منه لم يظمأ بعدها أبداً[6] .

---

(١) وأخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب (٥٣) الحوض ، حديث رقم (٦٥٩٣) ، وفي كتاب الفتن ، باب (١) ، حديث رقم (٧٠٤٨) .

(٢) أخرجه مسلم في الفضائل ، باب (٩) حديث رقم (٢٨) .

(٣) أخرجه البخاري في الرقاق ، باب (٥٣) الحوض بسند آخر وسياقة أخرى ، حديث رقم (٦٥٧٦) .

(٤) أخرجه مسلم في الفضائل ، باب (٩) ، حديث رقم (٤٠) .

(٥) كتاب الرقاق ، باب (٥٣) ، حديث رقم (٦٥٧٧) .

(٦) مسلم في الفضائل ، باب (٩) ، حديث رقم (٣٤ ، ٣٥) ، والجرباء : كأنه تأنيث الأجرب ، موضع من أعمال عمان بالبلقاء من أرض الشام ، قرب جبال السراة من ناحية الحجاز ، وهي قرية من أذرُح ، وبينهما كان أمر الحكمين بين عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعريّ . والجرباء أيضاً : ماء لبني سعد بن زيد مناة بن تميم بين البصرة واليمامة . (معجم البلدان) : ٢ / ١٣٧ .
وأَذْرُح : بالفتح ، ثم السكون ، وضم الراء ، والحاء المهملة : اسم بلد في أطراف الشام من أعمال =

وخرج البخاري من حديث ابن وهب عن يونس ، قال ابن شهاب : حدثني أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : ما بين ناحيتي حوضي كما بين صنعاء والمدينة[1] . وخرجه مسلم من طرق ، في بعضها : ما بين لابتي حوضي . وله من حديث خالد بن الحرب عن سعيد عن قتادة ، قال أنس : قال نبي الله ﷺ ترى فيه : أباريق الذهب والفضة كعدد نجوم السماء[2] . وفي لفظ : أو أكثر من عدد نجوم السماء[3] .

وذكر البخاري ومسلم أحاديث فيها ذكر الحوض من حديث سهل بن سعد بمعنى ما تقدم ، وجاءت أحاديث أُخَر في ذكر الحوض ، وفيما أوردتُه من الصحيحين والسنن ما يشبع ويكفي إن شاء الله .

وقال أبو عمر بن عبد البر : وكل من أحدث في الدين ما لا يرضاه الله ، ولم يأذن به الله ، فهو من المطرودين عن الحوض ، المبعدين عنه ، وأشدهم طرداً من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم ؛ مثل الخوارج على اختلاف فرقها ، والروافض على تباين ضلالها ، والمعتزلة على أصناف أهوائها ، هؤلاء كلهم مبدلون ، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم وتطميس الحق ، وقتل أهله وإذلالهم ، والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي ، وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع ، كل هؤلاء يُخاف عليهم أن يكونوا عُنوا بهذا الخبر ، ولا يخلد في النار إلا كل فاجرٍ جاحدٍ ، ليس في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان .

وقد قال أبو القاسم : قد يكون من غير أهل الأهواء من هو شر من أهل الأهواء ، وكان يقال : تمام الإخلاص تجنب المعاصي . (انتهى) .

= الشراة ، ثم من نواحي البلقاء ، وفي كتاب مسلم بن الحجاج : بين أذرح والجرباء ثلاثة أيام ، (المرجع السابق) : ١ / ١٥٧ .

(١) أخرجه البخاري في الرقاق ، باب (٥٣) ، حديث رقم (٦٥٩١) ، وقال فيه : « كما بين المدينة وصنعاء » ، ورواية مسلم في الفضائل : « بين صنعاء والمدينة » .

(٢) أخرجه مسلم في الفضائل باب (٩) ، حديث رقم (٤٣) .

(٣) المرجع السابق في الباب .

والظاهر أن الشرب من الحوض يكون بعد الحساب والنجاة من النار ، وقيل : يشرب منه إلا من قدر له السلامة من النار . والله الرحيم الرحمن[1] .

* * *

(١) قال القاضي عياض رحمه الله : أحاديث الحوض صحيحة ، والإيمان به فرض ، والتصديق به من الإيمان ، وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة ، لا يتأوّل ولا يختلف فيه .

قال القاضي : وحديثه متواتر النقل ، رواه خلائق من الصحابة ، فذكره مسلم من رواية ابن عمرو ابن العاص ، وعائشة ، وأم سلمة ، وعقبة بن عامر ، وابن مسعود ، وحذيفة ، وحارثة بن وهب ، والمستورد ، وأبي ذر ، وثوبان ، وأنس ، وجابر بن سمرة .

ورواه غير مسلم من رواية أبي بكر الصديق ، وزيد بن أرقم ، وأبي أمامة ، وعبد الله بن زيد ، وأبي برزة ، وسويد بن جبلة ، وعبد الله بن الصنابحي ، والبراء بن عازب ، وأسماء بنت أبي بكر ، وخولة بن قيس ، وغيرهم .

قال الإمام النووي : ورواه البخاري ومسلم أيضاً من رواية أبي هريرة ، ورواه غيرهما من رواية عمر بن الخطاب ، وعائذ بن عمر ، وآخرين .

وقد جمع ذلك كله الإمام الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه (البعث والنشور) بأسانيده ، وطرقه ، المتكاثرات . قال القاضي : وفي بعض هذا ما يقتضي كون الحديث متواتراً .

قوله ﷺ : « أنا فرطكم على الحوض » ، قال أهل اللغة : الفرط بفتح الفاء والراء ، والفارط : هو الذي يتقدم الوارد ليصلح لهم الحياض ، والدلاء ، ونحوها من أمور الاستقاء . فمعنى « فرطكم على الحوض » : سابقكم إليه كالمهيء له . (مسلم بشرح النووي) : ١٥ / ٥٩ .

وأما كثرة أتباعه ﷺ

فخرج مسلم من حديث جرير عن المختار بن فلفل عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : أنا أول الناس يشفع في الجنة ، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً[1] .

وفي رواية سفيان عن مختار : أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة ، وأنا أول من يقرع باب الجنة[2] . وفي رواية زائدة عن المختار : أنا أول شفيع في الجنة ، لم يُصِدَّق نبي من الأنبياء ما صدقت ، وإن من الأنبياء نبياً ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد[3] .

وخرج البخاري[4] ومسلم[5] والنسائي من حديث الليث عن سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي [أوتيته] وحياً أوحي إليّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم [تابعاً] يوم القيامة .

وخرج الترمذي من حديث سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : إن لكل نبي حوضاً وإنهم يتباهون أكثرهم واردة ، وإني

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب (٨٥) في قول النبي ﷺ : « أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً » ، حديث رقم (٣٣٠) .

(٢) المرجع السابق ، حديث رقم (٣٣١) .

(٣) المرجع السابق ، حديث رقم (٣٣٢) .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب (١) كيف نزل الوحي ، وأول ما نزل ، حديث رقم (٤٩٨١) ، وفي (خ) : « أوتيت » ، و « تبعاً » ، والتصويب من رواية البخاري ، وأخرجه البخاري أيضاً في كتاب الاعتصام بالسنة ، باب (١) قول النبي ﷺ : بُعثت بجوامع الكلم ، حديث رقم (٧٢٧٤) .

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب (٧٠) وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ، ونسخ الملل بملته ، حديث رقم (٣٢٩) .

لأرجو أن أكون أكثرهم واردة[1] . قال هذا حديث غريب ، وقد روى الأشعث ابن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النبي ﷺ مرسلاً ، ولم يذكر عن سمرة ، وهذا أصح .

* * *

(1) (صحيح سنن الترمذي) : ٢ / ٢٩٥ - ٢٩٦ ، باب (١٢) صفة الحوض ، حديث رقم (١٩٨٨) ، قال الألباني : صحيح ، و (الصحيحة) : حديث رقم (١٥٨٩) .

وأما الخمس التي أُعطيها ﷺ

وقد روى ست ، وروى ثلاث وأربع ، وهي تنتهي إلى أزيد من سبع ، قال : فهن لم يؤتهن أحد قبلي .

فخرج البخاري من حديث هشيم ، أخبرنا سيار ، حدثنا يزيد الفقير ، قال : أخبرنا جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة . ذكره في باب التيمم[1] ، وخرجه في كتاب الصلاة[2] ولفظه : أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي .. الحديث إلى آخره ، وقال : وبعثت إلى كافة الناس . وخرجه مسلم[3] بهذا السند ولفظه : أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي : كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وجعلت لي الأرض طيبة طهوراً ومسجداً فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان ، ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر ، وأعطيت الشفاعة .

وخرجه النسائي[4] ، ولفظه عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : جعلت لي الأرض مسجداً طهوراً ، فأينما أدرك رجل من أمتي الصلاة صلى . لم يذكر

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التيمم . قول الله تعالى : ﴿ **فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه** ﴾ [المائدة : ٦] باب (١) ، حديث رقم (٣٣٥) .

(٢) باب (٥٦) قول النبي ﷺ : « جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً » ، حديث رقم (٤٣٨) . وأخرجه البخاري أيضاً في كتاب فرض الخمس ، باب (٨) قول النبي ﷺ : « أُحلّت لي الغنائم . وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ **وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها** ﴾ [الفتح : ٢٠] ، وهي للعامة حتى بينه الرسول ﷺ ، حديث رقم (٣١٢٢) ، ورقم (٣١٢٤) .

(٣) ذكره في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، حديث رقم (٥٢١) .

(٤) ذكره النسائي في كتاب المساجد ، باب (٤٢) الرخصة في الصلاة في أعطان الإبل ، حديث رقم (٧٣٥) .

منه غير هذا(١) .

وخرج مسلم من حديث محمد بن فضيل عن أبي مالك الأشجعي عن ربعيّ عن حذيفة رضي الله قال : قال رسول الله ﷺ : فضلنا على الأنبياء بثلاث : جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً وجعلت تربتها لنا طهوراً إذا لم نجد الماء ، وذكر خصلة أخرى(٢) .

وخرجه أبو داود الطيالسي من حديث أبي عوانة عن أبي مالك بسنده ولفظه : فضلنا على الناس بثلاث : جعلت صفوفاً كصفوف الملائكة ، وجعلت لنا الأرض مسجداً وترابها طهوراً ، وأعطيت آخر سورة البقرة وهي كنز من العرش .

وروى أبو داود السجستاني من حديث جرير عن الأعمش عن مجاهد عن عبيد ابن عمير عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : جُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً(٣) .

وخرج ابن الجارود من حديث يزيد بن هارون قال : أخبرنا محمد - يعني ابن عمرو - عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : مثله سواءاً .

وخرج أبو بكر بن أبي شيبة بسنده ولفظه . وخرجه ابن الجارود أيضاً من حديث حماد عن ثابت وحميد عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : جُعلت لي كل أرض طيبة مسجداً وطهوراً .

---

(١) قال محققه : لكن ذكره النسائيُ أيضاً في كتاب الغسل ، باب (٢٦) التيمم بالصعيد ، حديث رقم (٤٣٠) : أخبرنا الحسن بن إسماعيل بن سليمان ، حدثنا هشيم قال : أنبأنا سيَّار عن يزيد الفقير ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « أُعطيت خمساً لم يعطهن أحداً قبلي ، نُصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، فأينما أدرك الرجل من أمتي الصلاة يصلي ، وأعطيت الشفاعة ، ولم يعط نبي قبلي ، وبعثت إلى الناس كافة وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة » . (سنن النسائي) ١ / ٢٢٩ - ٢٣١ .

(٢) ذكره في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، حديث رقم (٤) .

(٣) ذكره في كتاب الصلاة ، باب (٢٤) في المواضع التي لا تجوز فيها الصلاة ، حديث رقم (٤٨٩) .

وخرج أبو نعيم من حديث شعبة عن واصل عن مجاهد عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال : أوتيت خمساً لم يؤتهن نبي قبلي : جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، ونصرت بالرعب على مسيرة شهر ، وبعثت إلى الأحمر والأسود ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي كان قبلي ، وأعطيت الشفاعة وهي نائلة من أمتي من مات منهم لا يشرك بالله شيئاً . قال أبو نعيم : هكذا رواه شعبة عن واصل عن مجاهد عن أبي ذر ، وتابعه عليه عمرو بن ذَرْ[1] .

وخرجه الإمام أحمد من حديث ابن إسحق قال : حدثني سليمان الأعمش عن مجاهد بن جبير أبي الحجاج عن عبيد بن عمير الليثي عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : أوتيت خمساً لم يؤتهن نبي كان قبلي : نصرت بالرعب فيرعب مني العدو من مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد كان قبلي ، وبعثت إلى الأحمر والأسود ، وقيل لي : سل تعطه فاختبأتها شفاعة لأمتي ، وهي نائلة منكم - إن شاء الله - من لقى الله عز وجل لا يشرك به شيئاً ، وكان مجاهد يرى أن الأحمر الإنس والأسود الجن[1] .

ولأبي نعيم من حديث جرير عن الأعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير عن أبي ذر قال : طلبتُ رسول الله ﷺ ليلاً فوجدته قائماً يصلي فأطال الصلاة ثم قال : أوتيت الليلة خمساً لم يؤتها نبي قبلي : أرسلت إلى الأحمر والأسود ، ونصرت بالرعب فيرعب العدو وهو مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحدٍ قبلي ، وقيل لي : سل تعطه فاختبأتها شفاعة لأمتي ، وهي نائلة لمن لا يشرك بالله شيئاً[1] .

قال أبو نعيم : تابع جرير استدل ابن علي وأبو معاوية ومحمد بن إسحاق على عبيد بن عمير وقال مرة : متن هذا الحديث وخصائص النبي ﷺ راتب مشهور ومتفق عليه من حديث يزيد الفقير عن جابر بن عبد الله وغيره، وحديث عبيد بن عمير عن أبي ذر مختلف في سنده ، فمنهم من يرويه عن الأعمش عن مجاهد عن أبي ذر من دون عبيد ، وتَفَرَّدَ جرير بإدخال عبيد بين مجاهد وأبي ذر عن الأعمش .

---

(١) سبق تخريج هذه الأحاديث والتعليق عليها في فصل (اختصاصه ﷺ بالشفاعة العظمى يوم الفزع الأكبر) فتراجع هناك .

وله من حديث سلمة عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : أعطيت خمساً لم يعطهن نبي قبلي : بعثت إلى الناس كافة الأحمر والأسود وإنما كان النبي يبعث إلى قومه ، ونصرت بالرعب يرعب مني عدوي شهراً ، وأطعمت المغنم ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً[1] .

وله من حديث سلمة بن كهيل عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ مثله ، قال : وتابعه عليه الحكم بن عيينة ، ورواه يزيد بن أبي زياد مثله عن مجاهد وفيه : أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي ، ولا أقول فخراً : بعثت إلى الأحمر والأسود ، فذكر مثله سواءاً .

وله من حديث ابن لهيعة عن الحرث بن يزيد عن على بن رباح عن رجل سمع عبادة بن الصامت قال : خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : إن جبريل أتاني فبشرني أن الله أمدني بالملائكة وأتاني النصر ، وجعل بين يدي الرعب ، وأتاني السلطان والملك ، وطيب لي ولأمتي الغنائم ، ولم يكن لأحد قبلنا . والله يؤتي فضله من يشاء وبه يكتفى[1] .

* * *

(١) سبق تخريجه أو نحوه والتعليق عليه .

وأما أنه بعث بجوامع الكلم وأوتي مفاتيح خزائن الأرض

فخرج البخاري في الجهاد من حديث عقيل عن ابن شهاب عن سعيد ابن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : بعثت بجوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، فبينا أنا نائم أوتيت مفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي ، قال أبو هريرة : وقد ذهب رسول الله وأنتم تنتثلونها[1] .

وخرجه في كتاب التعبير في باب المفاتيح في اليد ولفظه : بعثت بجوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وبينا أنا نائم أتيت مفاتيح خزائن الأرض وضعت[2] في يدي ، قال محمد : وبلغني أن جوامع الكلم : أن الله يجمع الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد والأمرين أو نحو ذلك[3] .

وخرجه في كتاب الاعتصام من حديث إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن سعيد عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : بعثت بجوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وبينا أنا نائم رأيتني أُتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي ، قال أبو هريرة : فقد ذهب رسول الله ﷺ وأنتم تلغثونها أو ترغثونها ، أو كلمة تشبهها[4] .

وخرجه مسلم من حديث يونس عن ابن شهاب ، ومن حديث الزبيدي عن الزهري ، أخبرنا سعيد بن المسيب وأبو سلمة أن أبا هريرة قال : سمعت رسول

---

(١) باب (١٢٢) قول النبي ﷺ : « نصرت بالرعب مسيرة شهر » ، حديث رقم (٢٩٧٧) .

(٢) في (خ) : « فوضعت » .

(٣) حديث رقم (٧٠١٣) ، قوله : (باب المفاتيح في اليد) أي إذا رؤيت في المنام ، قال أهل التعبير : المفتاح مال ، وعز ، وسلطان ، فمن رأى أنه فتح باباً بمفتاح فإنه يظفر بحاجته ، بمعونة من له بأس ، وإن رأى أن بيده مفاتيح فإنه يصيب سلطاناً عظيماً . (فتح الباري) : ١٢ / ٤٩٦ .

(٤) باب (١) قول النبي ﷺ : « بعثت بجوامع الكلم » ، حديث رقم (٧٢٧٣) ، واللغث والرغث كناية عن سعة العيش ، وأصله من رغث الجدي أمه إذا ارتضع منها ، وأرغثته هي أرضعته . (فتح الباري) : ١٣ / ٣٠٨ .

الله ﷺ يقول : .. فذكره[١] ، وخرجه من حديث معمر عن الزهري[٢] ، وخرجه النسائي أيضاً من حديث معمر ويونس عن الزهري[٣] ، وأخرجه أيضاً من حديث الزبيدي عن الزهري عن سعيد[٤] ، وأبي سلمة عن أبي هريرة[٥] .

وقال ابن إسحق : حدثني من لا أتهم عن أبي هريرة أنه كان يقول حين فتحت الأمصار في زمان عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ومن بعده : افتحو ما بدا لكم ، فوالذي نفس أبي هريرة بيده ما افتتحتم من مدينة ولا تفتحونها إلى يوم القيامة إلا الله قد أعطى محمداً ﷺ مفاتيحها قبل ذلك .

وخرج البخاري من حديث أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ : أعطيت مفاتيح الكلم ونصرت بالرعب ، وبينما أنا نائم البارحة إذا أتيت بمفاتيح خزائن الأرض حتى وضعت في يدي ، قال أبو هريرة : فذهب رسول الله وأنتم تنتقلونها . ذكره في كتاب التعبير في باب رؤيا بالليل[٦] .

وخرج مسلم من حديث ابن وهب عن عمرو بن الحرث عن أبي يونس مولى أبي هريرة أنه حدثه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : نصرتُ بالرعب على العدو ، وأوتيت جوامع الكلم ، وبينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي[٧] .

وله من حديث عبد الرزَّاق ، حدثنا معمر عن هشام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ فذكر أحاديث منها : وقال رسول الله ﷺ : نصرت بالرعب وأوتيت جوامع الكلم ، ذكره والذي قبله في كتاب الصلاة[٨] .

---

(١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، حديث رقم (٦) من (صحيح مسلم) .
(٢) الحديث الذي يليه بالمرجع السابق .
(٣) (سنن النسائي) : ٦ / ٣١٠ كتاب الجهاد ، باب (١) وجوب الجهاد ، حديث رقم (٣٠٨٧) .
(٤) المرجع السابق ، حديث رقم (٣٠٨٩) .
(٥) المرجع السابق ، حديث رقم (٣٠٨٨) . (٦) حديث رقم (٦٩٩٨) .
(٧) ذكره في كتاب المساجد ومواضع الصلاة فيها ، حديث رقم (٧) .
(٨) المرجع السابق، حديث رقم (٨) .

وخرج من حديث إسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ، وأحلت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً ، وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بي النبيون[1] .

وخرجه أبو نعيم من حديث أبي عوانة عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : فضلت على النبيين بست : أوتيت جوامع الكلم ، ونصت بالرعب ، وبينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض ، وأرسلت إلى الناس كافة ، وأحلت لي الغنائم ، وختم بي النبيون[2] .

وله من حديث محمد بن عبد الرحمن الطفاوي عن أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : أعطيت فواتح الكلم ، ونصرت بالرعب ، وبينا أنا نائم إذ أتيت بمفاتح خزائن الأرض حتى وضعت في يدي[2] .

وله من حديث الحسن بن سفيان قال : حدثنا شيبان بن فروح ، حدثنا عيسى ابن ميمون ، حدثنا محمد بن كعب قال : سمعت ابن عياش رضي الله عنه يقول : كان النبي ﷺ يقول : أوتيت خصالاً لا أقولها فخراً ، قيل : وما هن يا رسول الله ؟ قال : غفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر ، وجعلت أمتي خير الأمم ، وأوتيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأوتيت الكوثر آنيته عدد نجوم السماء .

وله من طريق الغرياني جعفر بن محمد قال : حدثنا أبو جعفر النفيلي ، حدثنا موسى بن أمين عن عطاء بن السائب عن أبي جعفر عنه أبيه عن جده عن أبي طالب عن النبي ﷺ ، قال : أعطيت خمساً لم يعطهن نبي قبلي : أرسلت إلى الأبيض والأسود والأحمر ، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي ، وأعطيت جوامع الكلم ، يعني القرآن[2] .

---

(١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، حديث رقم (٦) من صحيح مسلم .
(٢) سبق تخريج هذه الأحاديث والتعليق عليها .

وخرج مسلم من حديث مالك بن مغول عن الزبير بن عديّ عن مرة الهمداني عن عبد الله قال : لما أسري برسول الله ﷺ انتُهي به إلى سدرة المنتهى ، أُعطي ثلاثاً : أُعطي الصلوات الخمس ، وأُعطي خواتيم سورة البقرة ، وغفر لمن كان من أمته لا يشرك بالله المقحمات[1] .

وذكر قتادة عن أبي المليح عن واثلة بن الأسقع قال : قال النبي ﷺ : أعطيتُ مكان التوراة السبع ، ومكان الزبور المئين ، ومكن الإنجيل المثاني ، وفضلت بالمفصل[2] .

* * *

(1) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان . باب (٧٦) في ذكر سدرة المنتهى ، حديث رقم (٢٧٩) ، والمقحمات : الذنوب الكبائر التي تقحم أصحابها في النار .

(2) (دلائل البيهقي) : ٥ / ٤٧٥ ، وأخرجه الطبراني في الكبير ، وأشار إليه السيوطي بالحسن ، (فيض القدير) : ١ / ٥٦٥ .

وأما تأييده بقتال الملائكة معه

فخرج البخاري من حديث يحيى ين سعيد عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقي عن أبيه – وكان أبوه من أهل بدر – قال : جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال : ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ قال من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها ، قال : وكذلك من شهد بدراً من الملائكة[١] .

ومن حديث خالد عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال يوم بدر : هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب[٢] .

ولمسلم قال أبو زميل : فحدثني ابن عباس قال : بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه ، وصوت الفارس يقول : أقدم حيزوم ، فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقياً ، فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه ، وشق وجهه كضربة السوط ، فَاخْضَرَّ ذلك أجمع ، فجاء الأنصاري فحدث ذلك رسول الله ﷺ فقال : صدقت ، ذلك من مدد السماء الثالثة ، فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين[٣] .

ولعثمان بن سعيد الدارمي من حديث معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله عزّ وجلّ : ﴿ **وإذا يعدكم الله إحدى الطائفتين** ﴾[٤] ، قال : أقبلت عير مكة تريد الشام ، فبلغ أهل مكة ذلك ، فخرجوا ومعهم رسول الله ﷺ يريدون العير ، فبلغ ذلك أهل مكة فأسرعو السير إليها لكيلا يغلب عليها النبي ﷺ ، وكان الله عز وجل قد وعدهم إحدى الطائفتين ، وكانوا أن يلقوا

---

(١) أخرجه في كتاب المغازي ، باب (١١) شهود الملائكة بدراً ، حديث رقم (٣٩٩٢) .

(٢) المرجع السابق ، حديث رقم (٣٩٩٥) ، وأخرجه أيضاً في باب (١٧) غزوة أحد برقم (٤٠٤١) وفيه : « قال النبي ﷺ يوم أحد .... » وباقي الحديث بمثله سواء .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب (١٨) الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم ، حديث برقم (٥٨) ، وهو حديث طويل .

(٤) ٧ : الأنفال .

العير أحب إليهم وأيسر شوكة ، وأحضر مغنماً ، فلما سبقت العير وفاتت سار رسول الله ﷺ بالمسلمين يريد القوم ، فكره القوم مسيرهم لشوكة القوم ، فنزل النبي ﷺ والمسلمين بينهم وبين الماء رملة دَعْصَةٌ ، فأصاب المسلمين ضعف شديد وألقى الشيطان في قلوبهم القنط يوسوسهم : تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم كذا ، فأمطر الله عليهم مطراً شديداً ، فشرب المسلمون وتطهروا ، فأذهب الله عنهم رجز الشيطان ، وصار الرمل كذا ، ذكر كلمة أخبر أنه أصابه المطر ، ومشى الناس عليه والدواب ، فساروا إلى القوم ، وأمدّ نبيَّهُ والمؤمنين بألف من الملائكة ، فكان جبريل في خمسمائة من الملائكة مجنبة ، [وميكائيل في خمسمائة مجنبة][1] ، وجاء إبليس في جند من الشياطين معه ، رأيته في صورة رجال بني مُدّلج ، والشيطان في صورة سراقة بن مالك بن جشعم ، فقال الشيطان للمشركين : ﴿ **لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم** ﴾[2] ، فلما اصطف القوم قال أبو جهل : اللهم أولانا بالحق فانصره .

ورفع رسول الله ﷺ يده فقال : يارب إنك إن تُهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض أبداً ، فقال جبريل : خذ قبضة من التراب ، فأخذ قبضة من تراب فرمى بها وجوههم ، فما من المشركين من أحد إلا أصاب عينه ومنخريه وفمه تراباً من تلك القبضة فولوا مدبرين ، وأقبل جبريل عليه السلام إلى إبليس – لعنهُ الله – فلما رآه وكانت يده في يد رجل من المشركين ، انتزع إبليس يده ثم ولى مدبراً وشيعته ، فقال الرجل : يا سراقة!! لم تزعم أنك جار لنا ؟ ﴿ **وقال إني أرى ما لاترون إني أخاف الله والله شديد العقاب** ﴾[2] ، وذلك حين رأى الملائكة .

وقال يونس عن ابن إسحق : حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال : وحدثني الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله ابن أبي بكر وغيرهم من علمائنا ، فذكر الحديث في يوم بدر إلى أن قال : فكان رسول الله ﷺ في العريش هو وأبو بكر رضي الله عنه ما معهما غيرهما ، وقد تداني القوم بعضهم من بعض ، فجعل رسول الله ﷺ يناشد ربه ما وعده من

---

(١) زيادة للسياق من تفسير ابن كثير .
(٢) ٤٨ : الأنفال .

نصره ويقول : اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد ، وأبو بكر رضي الله عنه يقول : بعض مناشدتك يا رسول الله فإن الله موفيك ما وعدك من نصره .

وخفق رسول الله ﷺ خفقة [ثم هب][1] ، فقال رسول الله ﷺ : أبشر يا أبا بكر ، أتاك نصر الله ، هذا جبريل آخذ بعنان فرس يقوده على ثناياه النقع - يقول الغبار - ، ثم خرج رسول الله ﷺ فعبأ[2] أصحابه وهيأهم وقال : لا يعجلن رجل بقتالٍ[3] حتى نؤذنه ، فإذا أكثبوكم[4] القوم - يقول : اقتربوا منكم - فانضحوهم [عنكم][5] بالنبل ، ثم تزاحم الناس ، فلما تدانى بعضهم من بعض خرج رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من حصباء[6] ثم استقبل بها قريشاً فنفخ بها في وجوههم وقال : شاهت الوجوه - يقول : قَبُحت الوجوه - ثم قال رسول الله ﷺ : احملوا يا معشر المسلمين ، فحمل المسلمون ، وهزم الله قريشاً ، وقتل من قتل من أشرافهم ، وأسر من أسر منهم[7] .

وقال يزيد بن هارون عن محمد بن إسحق : قال عبد الله بن أبي بكر : حدثني بعض بني ساعدة عن أبي أسيد مالك بن ربيعة - وكان شهد بدراً - قال بعد أن أذهب بصره : لو كنت معكم ببدر الآن ومعي بصري ، لأريتكم الشِّعب الذي خرجت منه الملائكة[8] .

وقال موسى بن عقبة : فمكث رسول الله ﷺ بعد قتل ابن الحضرمي شهرين ، ثم أقبل أبو سفيان بن حرب في عير لقريش من الشام ، فذكر قصة بدر ، إلى أن قال : وعجَّ المسلمون إلى الله تعالى يسألونه النصر حين رأوا القتال قد نشب ، ورفع رسول الله ﷺ يديه إلى الله تعالى يسأله ما وعده ويسأله النصر ويقول : اللهم إن ظُهر على هذه العصابة ظَهر الشرك ولم يقم لك دين ، وأبو بكر رضي الله عنه

---

(١) في (خ) : « ثم قال هب » .
(٢) في (خ) : « فعبى » .
(٣) في (خ) : « لقتال » .
(٤) في (خ) : « أكثبكم » .
(٥) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي) .
(٦) في (خ) : « حصاه » .
(٧) (دلائل البيهقي) : ٣ / ٨١ .
(٨) المرجع السابق ، و (ابن هشام) : ٣ / ١٨١ ، وزاد : « لا أشك فيه ولا أتمارى » .

يقول له : يا رسول الله ، والذي نفسي بيده لينصرنك الله عز وجل ، وليبيض وجهك ، فأنزل الله عز وجل من الملائكة جنداً في أكتاف العدو ، فقال رسول الله ﷺ : قد أنزل الله ونزلت الملائكة ، أبشر يا أبا بكر فإني قد رأيت جبريل مُعتجراً يقود فرساً بين السماء والأرض ، فلما هبط إلى الأرض جلس عليها فتغيب عني ساعة ، ثم رأيت على شفته غباراً .

وقال ابن إسحق في رواية محمد بن عبد الملك بن هشام عن زياد بن عبد الله البكائي : حدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث عن ابن عباس رضي الله عنه قال : حدثني رجل من بني غفار قال : أقبلت أنا وابن عم لي حتى أصعدنا في جبل يشرف بنا على بدر ونحن مشركان ، ننظر الوقعة على من تكون الدائرة ، فننتهب مع من ينتهب ، فبينا نحن في الجبل إذ دنت منا سحابة فسمعنا فيها حمحمة الخيل ، فسمعت قائلا يقول : أقدم حيزوم ، فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه مات مكانه ، وأما أنا فكدت أن أهلِك ثم تماسكت[1] .

قال ابن إسحق : وحدثني أبي إسحق عن يسار عن رجال من بني مازن ابن النجار عن أبي داود المازني - وكان شهد بدراً - فقال : إني لأتبع رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه، إذ وقع على رأسه قبل أن يصل إليه سيفي ، فعرفت أنه قد قتله غيري[2] .

قال ابن إسحق : وحدثني من لا أتهم عن مقسم مولى عبد الله بن الحرث عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال : كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضاء وأرسلوها في ظهورهم ، ويوم حنين عمائم حمراً[3] .

قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : العمائم تيجان العرب ، وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضاء قد أرخوها على ظهورهم ، إلا جبريل فقد كانت عليه عمامة صفراء[4] .

---

(١) المرجع السابق ، وقال : « على من تكون الدَّبْرة » وهي بمعنى الدائرة .
(٢) المرجع السابق ، وقال : « وقع رأسُه » .
(٣) المرجع السابق : ١٨٢ ، وقال : « بيضاً قد أرسلوها على ظهورهم » .
(٤) المرجع السابق ، وقال : « عمائم بيضاً » .

قال ابن إسحق : وحدثني من لا أتهم عن مِقْسَم[1] عن ابن عباس قال : ولم تقاتل الملائكة في يوم سوى يوم بدر من الأيام ، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عدداً ومدداً لا يضربون[2] .

وقال الواقدي : فحدثني عمر بن عقبة عن شعبة مولى ابن عباس قال : سمعت ابن عباس يقول : لما تواقف الناس - يعني يوم بدر - أُغمي على رسول الله ﷺ [ساعة][3] ، ثم كشف عنه ، فبشر المؤمنين بجبريل في جند من الملائكة [في][3] ميمنة الناس ، وميكائيل في جند آخر [في][3] ميسرة رسول الله ﷺ ، وإسرافيل في جند آخر بألف[4] ، قال : وكانت سيما الملائكة عمائم قد أرخوها بين أكتافهم ، خضراً وصفراً [وحمراً][3] من نور ، والصوف في نواصي خيلهم[5] .

وحدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر ، عن محمود بن لبيد قال : قال رسول الله ﷺ : إن الملائكة قد سوَّمت فسوِّموا ، فأعلموا بالصوف في مغافرهم وقلانسهم .

وحدثني موسى بن محمد عن أبيه قال : كان أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ يعلمون في الزحوف : حمزة بن عبد المطلب معلم يوم بدر بريشة نعامة ، وكان عليّ معلماً بصوفة بيضاء ، وكان الزبير معلماً بعصابة صفراء ، وكان الزبير يحدث : إن الملائكة نزلت يوم بدر على خيلٍ بُلق عليها عمائم صفر ، وكان على الزبير يومئذ عصابة صفراء ، وكان أبو دجانة يعلم بعصابة حمراء[6] .

وقال الزبير بن بكار : حدثني علي بن صالح عن عامر بن صالح بن عبد الله ابن عروة بن الزبير ، عن هشام بن عروة عن عباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير أنه بلغه أن الملائكة نزلت يوم بدر وهم طير بيض عليهم عمائم صفر ، وكانت

---

(١) في (خ) : « مغنم » ، والتصويب من المرجع السابق .
(٢) المرجع السابق .
(٣) زيادة للسياق من (مغازي الواقدي) .
(٤) المرجع السابق : ١ / ٧٠ - ٧١ .
(٥) المرجع السابق : ١ / ٧٥ .
(٦) المرجع السابق : ١ / ٧٦ ، وقال : « فكان على الزبير » .

على الزبير يومئذ عمامة صفراء من بين الناس ، فقال النبي ﷺ : نزلت الملائكة اليوم على سيما أبي عبد الله ، وجاء النبي ﷺ وعليه عمامة صفراء .

حدثني أبو المكرم عقبة بن مكرم الضبي قال : حدثني مصعب بن سلام التميمي عن سعد بن طريف عن أبي جعفر محمد بن علي قال : كانت على الزبير بن العوام يوم بدر عمامة صفراء ، فنزلت الملائكة وعليهم عمائم صفر .

حدثني محمد بن حسن عن محمد بن يحيى عن معمر عن هشام بن عروة عن أبيه قال : نزلت الملائكة يوم بدر على سيما الزبير ؛ عليهم عمائم صفر، وقد أرخوها في ظهورهم ، وكانت على الزبير عمامة صفراء ، وفي ذلك يقول عامر بن صالح ابن عبد الله بن عروة بن الزبير رضي الله عنه :

جُدَيّ بن عمة أحمد ووراء عند البلاء وفارس الشقراء
وغداة بدر كان أول فارس شهد الوغى في لَأْمَةٍ الصفراء
نزلت بسيماه الملائكة قصره بالحوض يوم بسالة الأعداء

وقال الواقدي : وحدثني عبد الله بن موسى بن أمية بن عبد الله بن أبي أمية عن مصعب بن عبد الله عن مولي لسهيل قال : سمعتُ بن عمرو يقول : لقد رأيتُ يوم بدر رجالاً بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض معلمين يقتلون ويأسرون[1] .

وحدثني خارجة بن إبراهيم بن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس عن أبيه قال : سأل رسول الله ﷺ جبريل : من القائل يوم بدر من الملائكة : « أَقْدِمْ حَيْزوم » ؟ فقال : يا محمد ، ما كلّ أهل السماء أعرف[2] .

وحدثني عبد الرحمن بن الحرث عن أبيه عن جده عبيد بن أبي [عبيد ، عن أبي][3] رهم الغفاري عن ابن عم له قال : بينما أنا وابن عم لي على ماء بدر ، فلما رأينا قلة مع محمد وكثرة قريش قلنا : إذا التقت الفئتان عمدنا إلى عسكر محمد

---

(١) (مغازي الواقدي) : ١ / ٧٦ . (٢) المرجع السابق : ١ / ٧٧ .
(٣) زيادة في النسب من المرجع السابق .

وأصحابه فانطلقنا إلى المجنَّبة اليسري من أصحاب محمد ونحن نقول : هؤلاء رُبْع قريش ، فبينا نحن نمشي [في][1] الميسرة إذ جاءت سحابة فغشيتنا ، فرفعنا أبصارنا إليها فسمعنا أصوات الرجال والسلاح ، وسمعنا رجلاً يقول لفرسه : « أَقْدِمْ حيزوم » ، وسمعناهم يقولون : رُويداً تتامّ أُخراكم » ، فنزلوا على ميمنة رسول الله ﷺ ، ثم جاءت أخرى مثل تلك ، فكانت مع النبي ﷺ ، فنظرنا إلى النبي ﷺ وأصحابه ، فإذا هم الضِّعْف على قريش ، فمات ابن عمي وأما أنا فتماسكت وأخبرت النبي ﷺ. وأسلم وحسُن إسلامه[2] .

قالوا : قال رسول الله ﷺ : ما رؤي الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أحقر ولا أدْحَر ولا أغيظ منه في يوم عرفة – وماذاك إلا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام – إلا ما رأى يوم بدر ، قيل : وما رأى يوم بدر ؟ قال : أما أنه قد رأى جبريل يزع الملائكة . قالوا : قال رسول الله ﷺ يومئذ : هذا جبريل يسوق الريح كأنه دِحْية الكلبي ، إني نصرت بالصَّبا ، وأُهلكت عاد بالدَّبُور[3] .

وحدثني أبو إسحق بن أبي عبد الله ، عن عبد الواحد بن أبي عون ، عن صالح ابن إبراهيم قال : كان عبد الرحمن بن عوف يقول : رأيت يوم بدر رجلين ، عن يمين النبي ﷺ أحدهما ، وعن يساره أحدهما ، يقاتلان أشد القتال ، ثم ثلثهما ثالث من خلفه ، ثم ربعهما رابع أمامه[4] .

وحدثني أبو إسحق بن أبي عبد الله عن عبد الواحد بن أبي عون عن زياد مولى سعد ، عن سعد قال : رأيت رجلين يوم بدر يقاتلان عن النبي ﷺ ، أحدهما عن يساره والآخر عن يمينه ، وإني لأراه ينظر إلى ذا مرة ، وإلى ذا مرة ، سروراً بما ظفَّره الله تعالى[5] .

حدثني إسحق بن يحيى عن حمزة بن صُهَيب عن أبيه قال : ما أدري كم يدٍ مقطوعة ، أو ضربة جائفة لم يدم كَلمُها يوم بدر ، قد رأيتها[6] !! .

---

(١) زيادة للسياق من المرجع السابق .
(٢) المرجع السابق .
(٣) المرجع السابق .
(٤) المرجع السابق .
(٥) المرجع السابق : ١ / ٧٨ .
(٦) المرجع السابق : ١ / ٧٨ .

وحدثني محمد بن يحيى عن أبي عفير عن رافع بن خديج ، عن أبي بردة بن نيار قال : جئت يوم بدر بثلاثة رءوس فوضعتهن بين يدي رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ! أما رأسان فقتلتهما ، وأما الثالث ، فإني رأيت رجلاً أبيض طويلاً ضربه فَتَدَهْدَى أمامه ، فأخذتُ رأسه ، فقال رسول الله ﷺ : ذاك فلان من الملائكة . وكان ابن عباس يقول : لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر[1] .

وحدثني أبو حبيبة[2] عن داود بن حصين عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال : كان الملك يتصور في صورة من يعرفون من الناس يثبتونهم فيقول : إني قد دنوت منهم فسمعتهم يقولون : لو حملوا علينا ما ثبتنا ، ليسوا بشيء ، وذلك قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا** ﴾[3] إلى آخر الآية .

وحدثني موسى بن محمد عن أبيه قال : كان السائب بن أبي حُبيش الأسديّ يحدث في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : والله ما أسرني أحد من الناس ، فيقال : فمن ؟ فيقول : لما انهزمت قريش ما انهزمتُ معها ، فيدركني رجل طويل أبيض على فرس أبلق بين السماء والأرض ، فأوثقني رباطاً ، وجاء عبد الرحمن بن عوف فوجدني مربوطاً ، وكان عبد الرحمن ينادي في العسكر[4] : من أسر هذا ؟ فليس أحد يزعم أنه أسرني ، حتى انتهيت[5] إلى رسول الله ﷺ فقال لي رسول الله ﷺ : من أسرك ؟ قلت : لا أعرفه[6] ، وكرهتُ أن أخبره بالذي رأيت ، فقال رسول الله ﷺ : أسره ملك من الملائكة كريم ، اذهب يا ابن عوف بأسيرك ، فذهب بي عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ، فقال السائب ، فمازلت تلك الكلمة أحفظها ، وتأخر إسلامي حتى [كان][7] ما كان من إسلامي .

---

(١) المرجع السابق : ١ / ٧٨ – ٧٩ .
(٢) في المرجع السابق : « ابن أبي حبيبة » .
(٣) الأنفال : ١٨ ، وتمامها : ﴿ **سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب** ﴾ .
(٤) في المرجع السابق : « العسكر » .
(٥) في المرجع السابق : « حتى انتهى بي » .
(٦) في المرجع السابق : « لا أعرف » .
(٧) زيادة للسياق من المرجع السابق .

وحدثني عائذ بن يحيى عن ابن الحويرث عن عمارة بن أكيمة الليثي عن حكيم ابن حزام قال : لقد رأيتنا يوم بدر وقد وقع بوادي خلص بجاد من السماء قد سد الأفق ، فإذا الوادي يسيل نملاً ، فوقع في نفسي أن هذا شيء من السماء أُيِّد به محمد ﷺ ، فما كانت إلا الهزيمة ، وهي الملائكة[1] .

حدثني موسى بن يعقوب عن أبي الحويرث عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن رجل من بني أود قال : سمعت علياً رضي الله عنه يقول وهو يخطب بالكوفة : بينا أنا [أسيح][2] في قليب ببدر جاءت ريح لم أر مثلها قط شدة ، ثم ذهبتْ فجاءت ريح أخرى لم أر مثلها إلا التي كانت قبلها ، ثم جاءت ريح أخرى لم أر مثلها إلا التي كانت قبلها ؛ فكانت الأولى جبريل في ألف مع رسول الله ، والثانية ميكائيل في ألف عن ميمنة رسول الله وأبي بكر ، وكانت الثالثة إسرافيل في ألف نزل عن ميسرة رسول الله ، وأنا في الميسرة ، فلما هزم الله أعداءه حملني رسول الله على فرس [ ][3] فلما جرت خررت على عنقها ، فدعوت ربي فأمسكني حتى استويت ، ومالي والخيل ، إنما كنت صاحب غنم ، فلما استويت طعنتُ بيدي هذه حتى اختضبت مني ذا ، يعني إبطه .

وفي مغازي ابن عقبة : أن ابن مسعود وجد أبا جهل جالساً لا يتحرك ولا يتكلم ، فسلبه درعه ، فإذا في بدنه نكت سود ، فحلّ سبغة البيضة وهو لا يتكلم ، واخترط سيفه - يعني سيف أبي جهل - فضرب به عنقه ثم سأل رسول الله ﷺ حين احتمل رأسه إليه عن تلك النكت السود التي رآها في بدنه ، فأخبره عليه السلام أن الملائكة قتلته ، وأن تلك آثار ضرب الملائكة له[4] .

وخرج البخاري ومسلم من حديث إبراهيم بن سعد قال : حدثنا سعد عن أبيه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : لقد رأيت يوم أُحد عن يمين

---

(١) المرجع السابق : ١ / ٨٠ ، والبجاد : الكساء .

(٢) كذا في (خ) ، ولم أجد لها توجيها .

(٣) في (خ) كلمة لم أتبين معناها لعدم وضوحها .

(٤) (مغازي الواقدي) : ١ / ٩٠ ، و (ابن هشام) : ٣ / ١٨٥ [هامش] ، (شرح ابن أبي الحديد على النهج) : ٤ / ١٤٣ .

رسول الله ﷺ وعن يساره رجلين عليها ثياب بيض يقاتلان عنه كأشد القتال ، ما رأيتهما قبل ولا بعد(١) . وذكره البخاري في [المغازي](٢) ، وخرجاه من حديث مسعر عن سعد بن إبراهيم عن أبيه قال : رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بياض ، ما رأيتهما قبل ولا بعد ، يعني جبريل وميكائيل ، لم يقل البخاري : يعني جبريل وميكائيل ، ذكره البخاري في كتاب اللباس(٣) .

وقال ورقاء عن ابن أبي نجيح قال : قال مجاهد : لم تقاتل الملائكة يومئذ ولا قبله ولا بعده إلا يوم بدر ، قال البيهقي : إنما أراد أنهم لم يقاتلوا يوم أحد عن القوم حين عصوا الرسول ولم يصبروا على ما أمرهم به(٤) .

وحدث الواقدي عن شيوخه في قوله تعالى : ﴿ **إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى إن تصبروا وتتقوا يأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين** ﴾(٥) ، قال : فلم يصبروا فانكشفوا فلم يمدوا(٦) .

وقال ابن لهيعة : حدثنا أبو الأسود عن عروة بن الزبير قال : وكان الله عزَّ وجلَّ وعدهم على الصبر والتقوى أن يمدهم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ، وكان قد فعل ، فلما عصوا أمر الرسول وتركوا مصافهم ، وتركت الرماة عهد الرسول إليهم أن لا يبرحوا منازلهم ، وأرادوا الدنيا رفع عنهم مدد الملائكة ،

---

(١) ذكره البخاري في المغازي ، باب (١٨) ﴿ **إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون** ﴾ ، حديث رقم (٤٠٥٤) .

(٢) في (خ) : « المناقب » ، والصواب ما أثبتناه ، وذكره مسلم في الفضائل باب (١٠) في قتال جبريل وميكائيل عن النبي ﷺ يوم أحد ، حديث رقم (٤٧) . و (مغازي الواقدي) : ١ / ٢٣٤ .

(٣) باب (٢٤) الثياب البيض ، حديث رقم (٥٨٢٦) ولفظه : « رأيت بشمال النبي ﷺ ويمينه رجلين عليهما ثياب بيض يوم أُحد ، ما رأيتهما قبل ولا بعد » .

(٤) (دلائل البيهقي) : ٣ / ٢٥٥ - ٢٥٦ .

(٥) آل عمران : ١٢٤ . .

(٦) المرجع السابق : ٢٥٦ ، و (مغازي الواقدي) : ١ / ٣١٩ - ٣٢٠ ، باب ما نزل من القرآن بأُحد .

وأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ **ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه** ﴾(١) ، فصدق الله وعده وأراهم الفتح ، فلما عصوا الرسول أعقبهم البلاء .

وقال ابن هشام : مسوَّمين : معلَّمين ، بلغنا عن الحسن بن أبي الحسن [البصري](٢) أنه قال : أُعلموا أذناب خيلهم ونواصيها بصوف أبيض(٣) .

وذكر يونس بن بكير عن عبد الله بن عون عن عمير بن إسحق قال : لما كان يوم أحد انكشفوا عن رسول الله ﷺ ، وسعد يرمي بين يديه ، وفتى ينبل له ، كلما ذَهَبَتْ نبله أتاه بها قال : ارم أبا إسحق ، فلما فرغوا نظروا من الشاب فلم يروه ولم يعرف .

ورواه الواقدي عن عبيدة بنت نائل عن عائشة بنت سعد عن أبيها سعد بن أبي وقاص قال : لقد رأيتني أرمي بالسهم يومئذ فيرده عليّ رجل أبيض حسن الوجه لا أعرفه ، حتى كان بَعُد فظننت أنه ملك(٤) .

وقال الواقدي : حدثني الزبير بن سعيد عن عبد الله العضل قال : أعطى رسول الله ﷺ مصعب بن عمير اللواء ، فقيل : فأخذه ملك في صورة مصعب ، فجعل رسول الله ﷺ يقول لمصعب في آخر النهار : يا مصعب ، فالتفت إليه الملك فقال : لست بمصعب ، فعرف رسول الله ﷺ أنه ملك أيّد به(٥) . [وسمعت أبا معشر يقول مثل ذلك](٦) .

وحدثني عبد الملك بن سليم عن قَطَن بن وَهْبٍ عن عبيد بن عمير قال : لما رجعت قريش من أحد جعلوا يتحدثون في أنديتهم بما ظفروا ويقولون : لم نر الخيل البلق ولا الرجال البيض الذين كنا نراهم يوم بدر ، قال عبيد بن عمير : ولم تقاتل الملائكة يوم أحد(٧) .

---

(١) آل عمران : ١٥٢ .
(٢) زيادة للسياق من ابن هشام .
(٣) (سيرة ابن هشام) : ٤ / ٥٨ .
(٤) (مغازي الواقدي) : ١ / ٢٣٤ .
(٥) المرجع السابق .
(٦) ما بين الحاصرتين زيادة من المرجع السابق .
(٧) المرجع السابق : ٢٣٤ - ٢٣٥ .

وحدثني ابن أبي سبرة عن عبد الحميد بن سهيل ، عن عمر بن الحكم قال : لم يمد رسول الله ﷺ يوم أحد بملك واحد ، وإنما كانوا يوم بدر[1] .

وحدثني ابن خديج عن عمرو بن دينار عن عكرمة مثله[2] .

وحدثني معمر بن راشد عن أبي لحيحٍ عن مجاهد قال : حضرت الملائكة يومئذٍ ولم تقاتل[3] .

وحدثني سفيان بن[4] سعيد عن عبد الله بن عثمان عن مجاهد قال : لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر[5] .

وحدثني ابن أبي سبرة عن ثور بن يزيد عن أبي الغيث[6] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قد وعدهم الله أن يمدهم لو صبروا ، فلما انكشفوا لم تقاتل الملائكة يومئذٍ[7] .

وحدثني سعيد بن عبد الله بن أبي الأبيض ، عن جدته – وهي مولاة جويرية – [قالت][8] : سمعت جويرية بنت الحارث تقول : أتانا رسول الله ﷺ ونحن على المريسيع ، فأسمع أبي يقول : أتانا ما لا قبل لنا به ، قالت : فكنت أرى من [الخيل والناس][9] [والسلاح][10] ما لا أصف من الكثرة ، فلما أن أسلمت وتزوجني رسول الله ﷺ ورجعنا ، جعلت أنظُر إلى المسلمين فليسوا كما كنت أرى ، [فعرفت][11] أنه رعب من الله يلقيه في قلوب المشركين ، [فكان رجل منهم][12] قد أسلم فحسن إسلامه يقول : لقد كنا نرى رجالاً بيضاً على خيل بلق ما كنا نراهم قبل ولا بعد[13] .

---

(١) المرجع السابق .
(٢) المرجع السابق .
(٣) المرجع السابق .
(٤) في (خ) : « ابن أبي سعيد » وما أثبتناه من المرجع السابق .
(٥) المرجع السابق .
(٦) في (خ) : « الليث » .
(٧) (مغازي الواقدي) : ١ / ٢٣٥ .
(٨) في (خ) : « قال » .
(٩) في المرجع السابق : « من الناس والخيل » .
(١٠) زيادة من (خ) .
(١١) في المرجع السابق : « فعلمت » .
(١٢) في (خ) : « وكان منهم » .
(١٣) (مغازي الواقدي) : ٤٠٧/١ ، ٤٠٨ .

وقال ابن إسحاق : حدثني أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان أنه حدَّث : أن مالك بن عوف بعث عيوناً [من رجاله][1] ، فأتوه وقد تقطعت أوصالهم ، فقال : ويلكم ! ما شأنكم ؟ فقالوا : أتانا رجال بيض[2] على خيل بُلق ، فو الله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى ، فما رده[3] ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد[4] يعني في يوم حنين .

وخرج بقي بن مخلد من حديث النضر بن شميل قال : أخبرنا عوف عن عبد الرحمن مولى أم برثن صاحب السقاية – سقاية المربد – قال : حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال : لما التقينا نحن وصحابة رسول الله ﷺ لم يقوموا لنا حلب شاة[5] أن كشفناهم ، قال : فبينما نحن نسوقهم في آثارهم فإذ صاحب البغلة البيضاء ، قال : فتلقَّانا عنده رجال بيض الوجوه وقالوا لنا : شاهت الوجوه ، ارجعوا ، قال : فانهزمنا من قولهم ، وركبوا أجيادنا فكانت إياها[6] .

وذكر يونس بن بكير عن ابن إسحق قال : حدثني والدي إسحق بن يسار عن من حدثه عن جبير بن مطعم قال : إنا لمع رسول الله ﷺ يوم حنين والناس يقتتلون ، إذ نظرت إلى مثل البجاد[7] الأسود يهوي من السماء حتى وقع بيننا

---

(١) تصويب من (ابن هشام) . (٢) في المرجع السابق :«رأينا رجالاً بيضاً » .

(٣) في المرجع السابق : « فوالله ما ردّه » .

(٤) (سيرة ابن هشام) : ٥ / ١٠٧ ، عيون مالك بن عوف ونزول الملائكة ، وهي رواية ابن إسحاق .
وقال الواقدي : وبعث مالك بن عوف رجالاً من هوازن ينظرون إلى محمد وأصحابه – ثلاث نفر – وأمرهم أن يتفرقوا في العسكر ، فرجعوا إليه وقد تفرقت أوصالهم ، فقال : ما شأنكم ؟ ويلكم ! قالوا : رأينا رجالاً بيضاً على خيل بُلْق ، فوالله ، ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى ! وقالوا له : ما نقاتل أهل الأرض ، إن نقاتل إلا أهل السموات – وإن أفئدة عيونه تخفق ، وإن أطعتنا رجعت بقومك ، فإن الناس إن رأوا مثل ما رأينا أصابهم مثل الذي أصابنا .
قال : أفٍ لكم ! بل أنتم قوم أجبن أهل العسكر ، فحبسهم عنده فَرَقاً أن يشيع ذلك الرعب في العسكر ، وقال : دلوني على رجل شجاع ، فأجمعوا له على رجل ، فخرج ، ثم رجع إليه وقد أصابه نحو ما أصاب من قبله منهم .
فقال : ما رأيت ؟ قال : رأيت رجالاً بيضاً علي خليل بُلق ، ما يطاق النظر إليهم ؛ فوالله ما تماسكتُ أن أصابني ما ترى، فلم يُثنه ذلك عن وجهه ، (مغازي الواقدي) : ٣ / ٨٩٢ – ٨٩٣ .

(٥) كناية عن الزمن اليسير ، وهو ما يساوي زمن حلب الشاة .

(٦) ونحوه في (المرجع السابق) : ٣ / ٩٠٦ . (٧) البجاد يعني الكساء من النمل مبثوثاً .

وبين القوم ، فإذا نمل منثور قد ملأ الوادي ، فلم يكن إلا هزيمة القوم ، فما كنا نشك أنها الملائكة[1] .

وقال الواقدي[2] : حدثني عبد الله بن علي عن سعيد بن محمد بن جبير ابن مطعم عن أبيه عن جده قال : لما تراءينا نحن والقوم ، رأينا سواداً لم نر مثله قط كثرة ، وإنما ذلك السواد نَعَم ، فحملوا النساء عليه ، قال : فأقبل مثله الظُّلَّة السوداء من السماء حتى أظلت علينا وعليهم وسترت الأفق ، فنظرت فإذا وادي حنين يسيل بالنمل - نمل أسود مبثوث - لم أشك أنه نصر أيدنا الله به فهزمهم الله عزَّ وجلَّ .

وحدثني ابن أبي سبرة ، حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم ، عن يحيى ابن عبد الله بن عبد الرحمن ، عن شيوخ من قومه من الأنصار قال : رأينا يومئذ كالبُجُد[3] الأسود هَوَتْ من السماء ركاماً[4] ، فنظرنا فإذا نمل مبثوث ، فإن كنا لننفضه عن ثيابنا ، فكان نصر أيدنا الله به[5] .

وكان سيما الملائكة يوم حنين عمائم حمر قد أرخوها بين أكتافهم ، وكان الرعب الذي قذف الله في قلوب المشركين يوم حنين ، فكان يزيد بن عامر السوائي يحدث وكان حضر يومئذ فسُئِل عن الرعب فكان يأخذ الحصاة يرمي بها في الطست فيطن ، فقال : كنا نجد في أجوافنا مثل[6] هذا .

وكان مالك بن أوس بن الحدثان يقول : حدثني عدَّة من قومي شهدوا ذلك اليوم يقولون : لقد رمى رسول الله ﷺ بتلك الكف من الحصا ، فما منا أحد إلا يشكو القذى في عينه ، وقد كنا نجد في صدورنا خفقاناً كوقع الحصا في

---

(١) وقريب منه في (سيرة ابن هشام) : ٥ / ١١٧ - ١١٨ .
(٢) (المغازي) : ٣ / ٩٠٥ .
(٣) البُجُد : جمع البجاد ، وهو كساء مخطط من أكسية الأعراب .
(٤) الركام : السحاب المتراكم ، وفي التنزيل : ﴿ ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً ﴾ [٤٣ : النور] .
(٥) (مغازي الواقدي) : ٣ / ٩٠٥ .
(٦) المرجع السابق) : ٣ / ٩٠٥ - ٩٠٦ .
(٧) في المرجع السابق .

الطساس ، ما يهدأ ذلك الخفقان عنا ، ولقد رأينا يومئذ رجالاً بيضاً على خيل بلق ، عليهم عمائم حمر ، أرخوها بين أكتافهم بين السماء والأرض ، كتائب كتائب ، ما يلقون شيئاً ، وما نستطيع أن نتأملهم من الرعب[1] [منهم] .

* * *

(١) (المرجع السابق) : ٣ / ٩٠٦ ، وما بين الحاصرتين زيادة منه .

وأما أنه خاتم الأنبياء

فقد قال الله تعالى : ﴿ ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾[1] ، قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : ﴿ خاتم النبيين ﴾[1] : الذي ختم النبوة فطبع عليها ، فلا تفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة ، واختلفت القراء في قراءة قوله : ﴿ وخاتم النبيين ﴾[1] ، فقرأ ذلك الأمصار سوى الحسن وعاصم بكسر التاء من خاتم النبيين ، بمعنى أنه ختم النبيين ، ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله ، ولكنَّ نبياً ختم النبيين ، فذلك دليل على صحة قراءة من قرأه بكسر التاء ، بمعنى أنه الذي ختم الأنبياء ﷺ . وقرأ ذلك فيما يذكر الحسن وعاصم ﴿ وخاتم النبيين ﴾ بفتح التاء ، بمعنى أنه آخر النبيين ، كما قرأ ﴿ مختوم ختامه مسك ﴾ بمعنى آخره مسك ، من قرأ ذلك كذلك[2] .

وخرج البخاري ومسلم من حديث إسماعيل بن جعفر عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح السمان ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنياناً – وقال البخاري : بيتاً – فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ويقولون : هلا وُضعت هذه اللبنة ؟ قال : فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين ، ولم يذكر البخاري قوله : من زواياه[3] .

ولمسلم من حديث سفيان بن عيينة عن أبي الزناد[4] عن الأعرج ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه

---

(١) الأحزاب : ٤٠ ، وتمامها ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ .

(٢) (تفسير الطبري) : ١٢ / ١٦ ، تفسير سورة الأحزاب .

(٣) ذكرهُ البخاري في كتاب المناقب ، باب (١٨) خاتم النبيين ، حديث رقم (٣٥٣٥) ، ومسلم في كتاب الفضائل ، باب (٧) ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين ، حديث رقم (٢٢) .

(٤) في (خ) : « النهاد » .

وأجمله ، فجعل الناس يطيفون به ويقولون : ما رأينا بنياناً أحسن من هذا[1] ، إلا هذه اللبنة ، فكنت أنا تلك اللبنة[2] .

وله من حديث عبد الرزاق قال : حدثنا معمر عن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ ، فذكر أحاديث منها ، قال : وقال أبو القاسم ﷺ : ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل ابتنى بيوتاً فأحسنها [وأجملها][3] وأكملها إلا موضع لبنة من زاوية من زواياها ، فجعل الناس [يطوفون][4] ويعجبهم البنيان فيقولون : ألا وَضَعْتَ هاهنا لبنة فيتم [بنيانك][5] ؟ فقال محمد ﷺ : فكنت أنا اللبنة[6] .

وخرج البخاري[7] ومسلم[8] من حديث سليم بن حيان قال : حدثنا سعيد ابن مينا عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال : مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى داراً فأتمها وأكملها - وقال البخاري فأكملها وأحسنها - إلا موضع لبنة ،

---

(١) في (خ) : « هذه » .

(٢) المرجع السابق ، حديث رقم (٢٠) .

(٣) زيادة للسياق من المرجع السابق .

(٤) في (خ) : « يطيفون » ، والتصويب من المرجع السابق .

(٥) في (خ) : « بناؤك » .

(٦) (صحيح مسلم) : كتاب الفضائل ، باب (٧) ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين ، حديث رقم (٢١) ، وفيه فضيلته ﷺ ، وأنه خاتم النبيين ، وجواز ضرب الأمثال في العلم وغيره ، واللبنة ، بفتح اللام وكسر الباء - ويجوز إسكان الباء مع فتح اللام وكسرها ، كما في نظائرها ، والله تعالى أعلم . (مسلم بشرح النووي) : ١٥ / ٥٦ - ٥٧ .

(٧) (صحيح البخاري) : كتاب المناقب ، باب (١٨) خاتم النبيين ، حديث رقم (٣٥٣٤) ، قال الحافظ في (الفتح) : أي أن المراد بالخاتم في أسمائه أنه ﷺ خاتم النبيين ، ولمح بما وقع في القرآن ، وأشار إلى ما أخرجه في التاريخ من حديث العرباض بن سارية يرفعه : « إني عبد الله وخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته » ، الحديث ، وأخرجه أيضاً أحمد وصححه ابن حبان والحاكم ، فأورد فيه حديثي أبي هريرة وجابر رضي الله عنهما ، ومعناهما واحد ، وسياق أبي هريرة أتم ، ووقع في آخر حديث جابر عند الإسماعيلي من طريق عفان عن سليم بن حيان : « فأنا موضع اللبنة ، جئتُ فختمتُ الأنبياء » ، وفي الحديث : ضرب الأمثال للتقريب للأفهام ، وفضل النبي ﷺ على سائر النبيين ، وأن الله تعالى ختم به المرسلين ، وأكمل به شرائع الدين . (فتح الباري) : ٦ / ٦٩٤ .

(٨) (صحيح مسلم) : كتاب الفضائل ، باب (٧) ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين ، حديث رقم (٢٣) .

فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون : لولا موضع اللبنة ، قال رسول الله ﷺ : فأنا موضع اللبنة ، جئت فختمتُ الأنبياء . انتهى حديث البخاري عند قوله : إلا موضع اللبنة . وترجم عليه وعلى حديث إسماعيل بن جعفر : باب خاتم الأنبياء .

و [خرج] الإمام أحمد من حديث زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد ابن عقيل عن الطفيل بن أبيّ بن كعب ، عن أبيه عن النبي ﷺ قال : مثلي في النبيين كمثل رجل بنى داراً فأحسنها وأكملها وترك فيها موضع لبنة لم يضعها ، فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه ويقولون : لو تم موضع هذه اللبنة !. فأنا في النبيين موضع تلك اللبنة[1] .

ولمسلم من حديث إسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : خُتم بي النبيون . وله من حديث حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ : أنا خاتم النبيين لا نبي بعدي[2] . انفرد بإخراجه مسلم .

وله من حديث محمد بن المنكدر عن سعيد بن المسيب عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه : أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي[3] .

وخرج البخاري من حديث شبعة عن الحكم عن مصعب بن سعد[4] عن أبيه ، أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف علياً رضي الله عنه فقال :

---

(١) (مسند أحمد) : ٦ / ١٦٤ ، حديث الطفيل بن أُبيّ بن كعب عن أبيه رضي الله تعالى عنه ، حديث رقم (٢٠٧٣٧) .

(٢) (جامع الأصول) : ١٠ / ٣٦ - ٣٧ ، حديث رقم (٧٤٩٦)، ١١ / ٣١٦ ، حديث رقم (٨٨٧٩) .

(٣) (صحيح مسلم) : كتاب فضائل الصحابة ، باب (٤) من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه حديث رقم (٣٠) .

(٤) هو سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه .

أتخلفني في النساء والصبيان ؟ قال : ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي[1] ؟.

وخرجه مسلم وأبو داود مثله سواءاً . وفي لفظٍ لمسلم : خلف رسول الله ﷺ علياً بن أبي طالب في غزاة تبوك فقال : يا رسول الله ! أتخلفني في النساء والصبيان ؟ فقال : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي[2] ؟. وخرجه النسائي بإسناده ومتنه[3] . وفي لفظٍ لمسلم والترمذي[4] والنسائي : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ؟

* * *

---

(١) (صحيح البخاري) : كتاب المغازي ، باب (٧٩) غزوة تبوك ، وهي غزوة العُسْرة ، حديث رقم (٤٤١٦) ، وقال في آخره : « وقال أبو داود : حدثنا شعبة عن الحكم ، سمعتُ مصعباً » ، قال الحافظ في (الفتح) : أراد بيان التصريح بالسماع في رواية الحكم عن مصعب ، وطريق أبي داود هذه وصلها أبو نعيم في (المستخرج) ، والبيهقي في (الدلائل) من طريقه . (فتح الباري) : ٨ / ١٤١ .

(٢) (صحيح مسلم) : كتاب فضائل الصحابة ، باب (٤) من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، حديث رقم (٣١) .

(٣) يشهد له ما قبله .

(٤) أخرجه الترمذي في المناقب ، باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه حديث رقم (٣٧٣٢) ، وهو حديث صحيح بشواهده ، منها الذي قبله .

وأما أن أمته خير الأمم

قال الله جل ذكره : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾[1] .

خرج الحاكم من حديث سفيان عن ميسرة الأشجعي عن أبي حازم عن أبي هريرة في قوله تعالى : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس** ﴾[1] ، تجروهم بالسلاسل فتدخلونهم الإسلام . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد[2] .

وقال ابن عباس رضي الله عنه : هم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة[2] ، [وشهدوا بدراً والحديبية][3] .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من فعل فعلهم كان مثلهم ، وقيل : هم أمة محمد ﷺ ؛ يعني الصالحين منهم وأهل الفضل ، وهم الشهداء على الناس يوم القيامة .

وقال مجاهد[3] : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس** ﴾[1] على الشرائط المذكورة في الآية ، وقيل معناه : كنتم في اللوح المحفوظ ، وقيل : كنتم مذ أنتم خير أمة ، وقيل : جاء ذلك لتقدم البشارة بالنبي ﷺ وأمته ، فالمعنى : كنتم عند من تقدمكم من أهل الكتب خير أمة .

وقال الأخفش[3] : أي خير أهل دين ، وقيل : خلقتهم ووجدتهم خير أمة ، وقيل : أنتم خير أمة ، وقيل : كنتم للناس خير أمة .

وقيل : ﴿ **كنتم خير أمة** ﴾[1] إذا أنتم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر .

---

(١) آل عمران : ١١٠ ، (صحيح البخاري) : كتاب التفسير ، باب (٣) حديث رقم (٤٥٥٧) .

(٢) (المستدرك) : ٢ / ٣٢٣ ، كتاب التفسير ، باب (٣) تفسير سورة آل عمران ، حديث رقم (٣١٦٠ / ٢٧٧) . وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وقال الذهبي في (التلخيص) : على شرط مسلم.

(٣) (فتح البيان) : ٢ / ١١٤ .

وقيل : إنما صارت أمة محمد ﷺ خير أمة لأن المسلمين منهم أكثر ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيهم أفشى ، وقيل : هذا لأصحاب النبي ﷺ كما قال ﷺ : خير الناس قرني : أي الذين بُعث فيهم .

وقال الحافظ أبو نعيم : ومن إكرام الله تعالى [لنبيه][1] ﷺ ، أن فضل أمته على سائر الأمم ، كما فضله على سائر الأنبياء ، وكما أنه فاتح نبيه ﷺ بالعطية قبل المسألة ، كذلك أعطى أمته أفضل العطية قبل المسألة إعظاماً له وإكراماً .

وخرج الحاكم من طريق عبد الرزاق [عن] معمر عن بُهز بن حكيم بن معاوية عن أبيه عن جده أنه سمع النبي ﷺ في قوله تعالى : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس** ﴾ ، قال : أنتم متمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد[2] .

ومن حديث يزيد بن هارون [عن] سعيد بن إياس الجريري عن حكيم بن معاوية عن أمية قال : قال رسول الله ﷺ : أنتم توفون سبعين أمة ، أنتم أكرمهم على الله وأفضلهم[3] .

وخرج أبو نعيم من حديث محمد بن يوسف الفريابي قال : حدثنا سفيان الثوري عن أبي حازم عن سهل بن سعد عن عمرو بن عبسة قال : سألت النبي ﷺ عن قوله : ﴿ **وما كنت بجانب الطور إذا نادينا** ﴾[4] ، ما كان النداء[5] ؟ وما كانت

---

(١) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) (المستدرك) : ٥ / ٦٢٣ ، حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ، حديث رقم (١٩٥٢٥) ، ولفظه : « ألا إنكم توفون سبعين أمة ، أنتم خيرها وأكرمها على الله عزَّ وجلَّ » .

(٣) المرجع السابق ، حديث رقم (١٩٦٤٥) ، ولفظه : « إنكم وفّيتم سبعين أمة ، أنتم آخرها وأكرمها على الله عزَّ وجلَّ » . وما بين الحاصرتين في هذا الحديث والذي قبله غير واضح في (خ) ، ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٤) القصص : ٤٦ ، وتمامها : ﴿ **ولكن رحمة من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون** ﴾ .

(٥) قال الطبري : ﴿ **إذ نادينا** ﴾ بأن : ﴿ **سأكتبها للذين يتقون** ﴾ [الأعراف : ١٥٧] ، وعن أبي هريرة : أنه نودي من السماء حينئذ : يا أمة محمد استجبت لكم قبل أن تدعوني ، وغفرت لكم قبل أن تسألوني ، فحينئذ قال موسى عليه السلام : اللهم اجعلني من أمة محمد ، فالمعنى : إذ نادينا بأمرك ، وأخبرنا بنبوتك ، (البحر المحيط) : ٨ / ٣١٠ .

الرحمة[1] ؟ قال : كتاب كتبه الله قبل أن يخلق خلقه بألفي عام ، وستمائة عام على وزن عرشه ، ثم نادى : يا أمة محمد ، سبقت رحمتي غضبي ، أعطيتكم قبل أن تسألوني ، وغفرت لكم قبل أن تستغفروني ، فمن لقيني منهم يشهد أن لا إلٰه إلا الله ، وأن محمداً عبدي ورسولي أدخلته الجنة[2] .

وله من حديث أبي مسلم عبد الرحمن بن واقد الواقدي ، قال : حدثنا سفيان ابن عيينة عن منصور عن ربعي عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : في قوله تعالى : ﴿ **وما كنت بجانب الطور إذ نادينا** ﴾[3] ، قال : نودوا يا أمة محمد ، ما دعوتمونا إذ استجبنا لكم ، ولا سألتمونا إذ أعطيناكم[4] .

ومن حديث حمزة الزيات عن الأعمش عن علي بن مدرك عن أبي زرعة ابن عمرو بن جرير عن أبي هريرة في قوله : ﴿ **وما كنت بجانب الطور إذ نادينا** ﴾ ، قال : نودي يا أمة محمد ، أعطيتكم قبل أن تسألوني ، واستجبت لكم

---

(١) ﴿ **رحمةً** ﴾ بالنصب ، فَقُدِّر : ولكن جعلناك رحمة ، وقد أعلمناك ونبأناك رحمة . وقرأ عيسى وأبو حيوة : ﴿ **رحمةٌ** ﴾ بالرفع ، وقدر : ولكن هو رحمة ، أو هو رحمة ، أو أنت رحمة ﴿ **لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك** ﴾ : أي في زمن الفترة بينك وبين عيسى عليه السلام ، وهو خمسمائة وخمسون عاماً ونحوه . (المرجع السابق) .

(٢) أخرج الفريابي ، والنسائيّ ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم وصححه ، وابن مردويه ، وأبو نعيم ، والبيهقي معاً في (الدلائل) ، عن أبي هريرة رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ **وما كنت بجانب الطور إذ نادينا** ﴾ ، قال : نودوا يا أمة محمد ، أعطيتكم قبل أن تسألوني ، واستجبت لكم قبل أن تدعوني . وأخرجه ابن مردويه من وجه آخر عن أبي هريرة مرفوعاً . وأخرجه عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن عساكر عنه من وجه آخر بنحوه ، (فتح القدير) : ٤ / ٢٥١ - ٢٥٢ .

(٣) القصص : ٤٦ .

(٤) أخرج ابن مردويه وأبو نعيم عن حذيفة في قوله : ﴿ **وما كنت بجانب الطور إذ نادينا** ﴾ مرفوعاً قال : نودوا : يا أمة محمد ما دعوتمونا إذ استجبنا لكم ، ولا سألتمونا إذ أعطيناكم . وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس مرفوعاً : « إن الله نادى : يا أمة محم أجيبوا ربكم قال : فأجابوا وهم في أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم إلى يوم القيامة ، فقالوا : لبيك أنت ربنا حقاً ، ونحن عبيدك حقاً ، وقال صدقتم أنا ربكم وأنتم عبيدي حقاً ، قد عفوت عنكم قبل أن تدعوني ، وأعطيتكم قبل أن تسألوني ، فمن لقيني منكم بشهادة أن لا إلٰه إلا الله دخل الجنة . (المرجع السابق) ، (تفسير ابن كثير) : ٣ / ٤٠٢ .

قبل أن تدعوني[1] .

وله من حديث محمد بن عثمان بن أبي شيبة قال : حدثنا جبارة بن المغَلِّس ، حدثنا الربيع بن النعمان عن سهيل بن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : إن موسى عليه السلام لما نزلت عليه التوراة وقرأها ، فوجد فيها ذكر هذه الأمة قال : يا ربي ، إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون السابقون[2] فاجعلها أمتي ، قال : تلك أمة أحمد ، قال يارب إني أجد في الألواح أمة هم السابقون المشفوع لهم ، فاجعلها أمتي ، قال : تلك أمة أحمد ، قال : يا رب ، إني أجد في الألواح أمة هم المستجيبون المستجاب لهم ، فاجعلها أمتي ، قال : تلك أمة أحمد ، قال : يارب إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم يقرأونه[3] ظاهراً ، فاجعلها أمتي ، قال : تلك أمة أمد ، [قال يارب إني أجد في الألواح أمة يأكلون الفيء فاجعلها أمتي، قال تلك أمة أحمد][4]، قال: يارب إني أجد في الألواح أمة يجعلون الصدقة في بطونهم يؤجرون عليها ، فاجعلها أمتي ، قال : تلك أمة أحمد ، قال : يارب إني أجد في الألواح أمة إذا همَّ أحدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة [واحدة][4] ، وإن عملها كتبت له عشر حسنات ، فاجعلها أمتي ، قال : تلك أمة أحمد ، قال يارب إني أجد في الألواح أمة إذا همَّ أحدهم بسئة و لم يعملها لم تكتبْ ، وإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة ؛ فاجعلها أمتي ، قال : تلك أمة أحمد ، قال : يارب إني أجد في الألواح أمة يُؤْتَوْن العلم الأول والعلم الآخر فيقتلون [قرون الضلالة][4] المسيح الدجال ، فاجعلها أمتي ، قال : تلك أمة أحمد ،

---

(١) أخرجه ابن مردويه ، وأبو نعيم في (الدلائل) ، وأبو نصر السجزي في (الإبانة) ، والديلمي في (مسند الفردوس) [٧٤٠٢] ، عن عمرو بن عبسة قال : سألت النبي ﷺ عن قول الله تعالى : ﴿ **وما كنت بجانب الطور إذ نادينا** ﴾ ، ما كان النداء ؟ وما كانت الرحمة ؟ قال : كتبه الله قبل أن يخلق خلقه بألفي عام ، ثم وضعه على عرشه ، ثم نادى : يا أمة محمد ، سبقت رحمتي غضبي ، أعطيتكم قبل أن تسألوني ، وغفرت لكم قبل أن تستغفروني ، فمن لقيني منكم يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبدي ورسولي صادقاً أدخلته الجنة . (المرجع السابق) .

(٢) أي يأتون آخر الأمم في الترتيب التاريخي في الدنيا ، ويكونون في مقدمة الأمم في دخول الجنة يوم القيامة .

(٣) في (خ) : « يقرأونه » .

(٤) مابين الحاصرتين زيادة للسياق من أبي نعيم .

قال : يارب فاجعلني من أمة أحمد ، فأعطى عند ذلك خصلتين ؛ فقال : ﴿ **يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين** ﴾[١] ، قال : قد رضيت يارب .

قال أبو نعيم : وهذا الحديث من غرائب حديث سهيل ، لا أعلم أحداً رواه مرفوعاً إلا من هذ الوجه ، تفرَّد به الربيع بن نعمان ، وبغيره من الأحاديث عن سهيل ، وفيه لين[٢] .

[وخرَّج البيهقي من حديث سلام بن مسكين ، عن مقاتل بن حيَّان قال : وذكر وهب بن منبه في قصة داود النبي ﷺ وما أوحي إليه في الزبور : يا داود ، إنه سيأتي من بعدك نبي يسمى : أحمَدَ ومحمداً ، صادقاً سيداً ، لا أغضب عليه أبداً، ولا يغضبني أبداً، وقد غفرت له قبل أن يعصيني ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأمته مرحومة ، أعطيتهم من النوافل مثل ما أعطيتُ الأنبياء ، وافترضت عليهم الفرائص التي افترضتُ على الأنبياء والرسل ، حتى يأتون يوم القيامة نورهم مثل نور الأنبياء ، وذلك أني افترضتُ عليهم أن يتطهروا لي لكل صلاة ، كما افترضتُ على الأنبياء قبلهم ، وأمرتهم بالغسل من الجنابة كما أمرت الأنبياء قبلهم ، وأمرتهم بالحج كما أمرت الأنبياء قبلهم ، وأمرتهم بالجهاد كما أمرتُ الرسل قبلهم][٣] .

[يا داود ، فإني فضَّلْتُ محمداً وأمته على الأمم كلها : أعطيتهم ستة خصال لم أعطها غيرهم من الأمم : لا أؤاخذهم بالخطأ والنسيان ، وكل ذنب ركبوه على غير عمد إذا استغفروني منه غفرته لهم ، وما قدموا لآخرتهم من شيء طيبة به أنفسهم عجلته لهم أضعافاً مضاعفة ، ولهم في المدخور عندي أضعافاً مضاعفة وأفضل من

---

(١) الأعراف : ١٤٤ .

(٢) هذا الحديث تفرد به أبو نعيم ، وفيه جبارة بن المغَلِّس ، قال عنه ابن حجر في (التقريب) : ضعيف ، وقال عنه الدارقطني : متروك ، وقال البخاري : حديثه مضطرب ، وقال عنه ابن معين : كذاب ، ترجمته في : (ميزان الاعتدال) ، (تهذيب التهذيب) . والحديث ذكره أبو نعيم في (الدلائل) : ١ / ٦٨ - ٦٩ ، حديث رقم (٣١) .

(٣) ما بين الحاصرتين غير واضح في (خ) ، وأثبتناه من (دلائل البيهقي) : ١ / ٣٨٠ ، وابن كثير في (البداية والنهاية) عن البيهقي أيضاً .

ذلك ، وأعطيتهم على المصائب في البلايا إذا صبروا وقالوا : ﴿ **إنا لله وإنا إليه راجعون** ﴾ الصلاة والرحمة والهدى إلى جنات النعيم ، فإن دعوني استجبت لهم ، فإما أن يروه عاجلاً ، وإما أن أصرف عنهم سوءاً ، وإما أن أدّخره لهم في الآخرة][1] .

[يا داود ، من لقيني من أمة محمد يشهد أن لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي صادقاً بها فهو معي في جنتي وكرامتي . ومن لقيني وقد كذَّب محمداً ، وكذَّب بما جاء به ، واستهزأ بكتابي صببتُ عليه في قبره العذاب صباً ، وضربتْ الملائكةُ وجْهَهُ ودُبُرَهُ عند منشره من قبره ، ثم أدخله في الدرك الأسفل من النار][1] .

وذكر من حديث شيبان عن قتادة قال : حدثنا رجال من أهل العلم أن موسى عليه السلام لما أخذ الألواح قال : يارب ، إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون السابقون يوم القيامة – الآخرون في الخلق ، السابقون في دخول الجنة – فاجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة أحمد ... وذكره بطوله .

وله من حديث سفيان بن الحرث بن مضر عن إبراهيم بن يزيد النخعي عن علقمة بن قيس عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : صفتي أحمد المتوكل ، مولده مكة ، ومهاجره طيبة ، ليس بفظ ولا غليظ ، يجزي بالحسنة الحسنة ، ولا يكافيء بالسيئة ، وأمته الحمادون ، يأتزرون على أنصافهم ، ويوضئون أطرافهم ، أناجيلهم في صدورهم ، يُصَفّون للصلاة كما يُصفّون للقتال ، قربانهم الذي يتقربون به إليّ دماؤهم ، رهبان بالليل ، ليوث بالنهار .

وله من حديث شريك عن عاصم بن بهدلة ، عن أبي صالح عن كعب أنه قال : محمد ﷺ في التوراة مكتوب : محمد المختار ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، أمته الحمادون ، يوضئون أطرافهم ، ويأتزرون على أوساطهم ، يصلون الصلاة لوقتها

---

(١) ما بين الحاصرتين غير واضح في (خ) ، وأثبتناه من (دلائل البيهقي) : ١ / ٣٨١ ، وابن كثير في (البداية والنهاية) عن البيهقي إيضاً .

ولو على رأس كناسة ، لهم دوي بالقرآن حول العرش كدوي النحل ، مولده مكة ، ومهاجره بالمدينة ، وملكه بالشام .

وذكر أبو نعيم حديث كعب من طرق باختلاف ألفاظ وزيادة ونقصان .

وله من حديث موسى بن عقبة قال : أخبرني سالم بن عبد الله بن عمر عن كعب الأحبار أنه سمع رجلاً يقول : رأيت في المنام كأن الناس جمعوا للحساب ، فدعى الأنبياء فجاء مع كل نبي أمته ، ورأى لكل نبي نورين ، ولكل من اتبعه نوراً يمشي به ، فدعى محمد ﷺ فإذا لكل شعرة في رأسه ووجهه نوراً ، ولكل من اتبعه نوران يمشي بهما ، فقال كعب وهو لا يشعر أنها رؤيا : من حدثك هذا ؟ فإني أنا والله الذي لا إلٰه إلا هو رأيت هذا في المنام ، فقال : بالله الذي لا إلٰه إلا هو رأيت هذا في منامك ؟ قال : نعم ، قال : والذي نفس كعب بيده إنها لصفة محمد ﷺ وأمته ، وصفة الأنبياء وأممها في كتاب الله ، لكأنما قرأه من التوراة .

وذكر الأوزاعي عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني قال : حدثني البكالي قال : كان عمرو البكالي إذا افتتح موعظة قال : ألا تحمدون ربكم الذي حضر غيبتكم ، وأخذ سهمكم ، وجعل وفادة القوم لكم ، وذلك أن موسى عليه السلام وفد ببني إسرائيل فقال الله لهم : إني قد جعلت لكم الأرض مسجداً حيث ما صليتم منها تقبلتُ صلاتكم إلا في ثلاثة مواطن ؛ من صلى فيهن لم أقبل صلاته : المقبرة ، والحمام ، والمرحاض ، قالو : لا إلا في كنيسة ، قال : وجعلت لكم التراب طهوراً إذا لم تجدوا الماء ، قالوا : لا إلا بالماء ، قال : وجعلت لكم حيث ما صلى الرجل مكان وجده تقبلت صلاته ، قالوا : لا إلا في جماعة .

* * *

وأما ذكره في كتب الأنبياء وصحفهم وإخبار العلماء بظهوره حتى كانت الأمم تنتظر بعثته

فقد قال الله جل ذكره : ﴿ **الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون** ﴾[1] ؛ فقوله : ﴿ **الذين يتبعون الرسول النبي الأمي** ﴾ ، يخرج اليهود والنصارى من عموم قوله : ﴿ **فسأكتبها للذين يتقون** ﴾ ، ويخصها بأمة محمد ﷺ . قاله ابن عباس وسعيد بن جبير . وقوله : ﴿ **الذي يجدونه** ﴾ ، أي يجدون نعته أو اسمه أو صفته ، مكتوباً عندهم . وقوله : ﴿ **يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر** ﴾ ، قال عطاء : يأمرهم بالمعروف بخلع الأنداد ومكارم الأخلاق وصلة الأرحام ، ﴿ **وينهاهم عن المنكر** ﴾ ، عبادة الأصنام وقطع الأرحام ، ﴿ **ويحل لهم الطيبات** ﴾ ، وهو ما كانت العرب تستطيبه ، وقيل : هي الشحوم التي حرمت على بني إسرائيل ، والبحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، ﴿ **ويحرم عليهم الخبائث** ﴾ ، وهو ما كانت العرب تستخبثه ، وما كانوا يستحلون من الميتة والدم ولحم الخنزير ، ﴿ **ويضع عنهم إصرهم** ﴾ ، الإصر الثقل ، قاله قتادة ومجاهد وسعيد ابن جبير ، والإصر : العهد ، قاله ابن عباس والضحاك والحسن ، فجمعت الآية المعنيين ؛ فإن بني إسرائيل قد كان أخذ عليهم عهد أن يقوموا بأعمال ثقال ، فوضع بمحمد ﷺ ذلك العهد ، وثقل تلك الأعمال من تحريم السبت والشحوم والعروق ، والتشديد في البول ، ومجانبة الحائض في كل حال ، وتحريق الغنائم بالنار .

وقال الزجاج : ذكر الأغلال تمثيل ؛ فقد كان عليهم أن لا يُقبل في القتل دية ، ولا يعمل في يوم السبت عمل ، وأن لا تقبل توبتهم إلا بقتل أنفسهم ... إلى غير ذلك .

---

(١) ١٥٧ : الأعراف .

وقد ذُكر ﷺ في عدة مواضع من التوراة باسمه وصفته على ما سَيَرِدُ إن شاء الله . وذكرت صفته في الإنجيل في فصل (الفارقليط) من إنجيل يوحنا[١] ، هذا مع ما لحق الكتابين من التحريف والتبديل ، فبقي ذكره ﷺ فيهما من قبيل المعجزة ، لأن اجتهاد أمتين عظيمتين على إزالة ذكره من كتابين لطيفي الحجم ثم لا يستطيعون ذلك معجزة لاشك فيه ، وتعجيز إلّهي لا ريب فيه .

حدَّث سعيد بن بشير عن قتادة عن كعب قال : أوحى الله تعالى إلى أشعياء[٢] أن قم من قومك ، أوحِ على لسانك ، فقام أشعياءُ خطيباً ، فلما قام أطلق الله لسانه بالوحي ، فحمد الله وسبحه وقدسه وهلله ، ثم قال : يا سماء اسمعي ، ويا أرض أنصتي ، ويا جبال أوبي ، فإن الله يريد أن [يفُضَّ][٣] شأن بني إسرائيل الذين رباهم بنعمته ، واصطفاهم لنفسه ، وخصهم بكرامته ، فذكر معاتبة الله إياهم ، ثم قال : وزعموا أنهم[٤] لو شاءوا أن يطلعوا على الغيب [بما][٥] توحي إليهم الشياطين والكهنة اطلعوا ، وكلهم مستخف بالذي يقول ويُسرُّه ، وهم يعلمون أني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما يبدون وما يكتمون ، وأني قد قضيت يوم خلقت السموات والأرض قضاءاً أثبته ، وحتماً حتمتُه على نفسي ، وجعلت دونه أجلاً مؤجلاً ، لابد أنه واقع . فإن صدَّقوا بما ينتحلون من علم الغيب [فليخبروك][٦] متى هذه [المدة][٧] ، وفي أي زمان تكون ، [وإن][٨] كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاءون [فليأتوا][٩] بمثل هذه القدرة التي بها أمضيتُه ، فإن كانوا يقدرون على أن يؤلفوا ما يشاءون [فيؤلفوا][٩] مثل هذه الحكمة التي بها أدبّر مثل ذلك القضاء إن كانوا صادقين ، وإني قضيت يوم خلقتُ السموات

---

(١) لعله في نسخة لم تمتد إليها يد التحريف ، حيث لم أجد ذلك في النسخة التي عندي ، وهي المترجمة من اللغة اليونانية .

(٢) أشعياء : أحد أنبياء بني إسرائيل .

(٣) (في دلائل أبي نعيم) : « يفضّ » ، وفي (خ): « يقصّ » .

(٤) كذا في (خ) ، وفي المرجع السابق : « إن شاءوا » .

(٥) كذا في (خ) ، وفي المرجع السابق . « لما » .

(٦) كذا في (خ) ، وفي المرجع السابق : « فيخبرونك » .

(٧) في المرجع السابق : « العدَّة » .

(٨) في المرجع السابق : « فإن » .

(٩) في المرجع السابق : « فلْيُؤلفوا » .

والأرض أن أجعل النبوة في غيرهم ، وأن أحول الملك عنهم ، وأجعله في الرعاء ، والعز في الأذلاء ، والقوة في الضعفاء ، والغنى في الفقراء ، والكثرة في الأقلاء ، والمدائن في الفلوات ، والآجام [والمفاوز][1] في الغيطان ، والعلم في الجهلة ، [والحكمة][2] في الأُميين ، فسلهم متى هذا ، ومن القائم بهذا[3] ، وعلى يدي من أثبته ، ومن أعوان هذا الأمر وأنصاره إن كانوا يعلمون ؟[4] .

وزاد وهب بن منبه في روايته[5] فإني [سأبعث][6]لذلك نبياً أمياً ، أعمى من عميان ، ضالاً من ضالين ، أفتح به آذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً ، وأعيناً عمياً ، مولده بمكة ، ومهاجره بطيبة ، وملكه بالشام ، عبدي المتوكل ، المصطفى المرفوع ، الحبيب المتحبب المختار . لا يجزي [بالسيئة][7] السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ويغفر ، بالمؤمنين رحيم[8] ، يبكي للبهيمة المثقلة ، ويبكي لليتيم في حجر الأرملة ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ، لا يتزيىء بالفحش ، ولا قوال بالخنا[9] ، أسدده بكل جميل ، وأهب له كل خلق كريم ، أجعل السكينة لباسه ، والبرّ شعاره ، والتقوى زاد ضميره ، والحكمة معقوله ، والصدق والوفاء طبيعته ،

---

(١) في (خ) : « والمعادن » . (٢) في (خ) : « والحكم » .

(٣) في (خ) : « على هذا » .

(٤) هذا الحديث لم أجده غير عند أبي نعيم ، وسعيد بن بشير أربعة كلهم ضعفاء ، وهم : [١] سعيد ابن بشير الأزدي ، ويقال : البصري ، مولاهم أبو عبد الرحمن ، ويقال : أبو سلمة من البصرة ، ويقال : من واسط .[٢] سعيد بن بشير الأنصاري النجاري أو البخاري . [٣]سعيد بن بشير القرشيّ . [٤] سعيد بن بشير صاحب قتادة . ترجمتهم في : (المغني في الضعفاء) : ١ / ٢٥٦ ، (الضعفاء المتروكين) : ١ / ٣١٤ ، ٣١٥ ، (الضعفاء الكبير) : ٢ / ١٠٠ ، ١٠١ ، (تهذيب التهذيب) : ٤ / ١٠ ، (الكامل في ضعفاء الرجال) : ٣ / ٣٦٩ ، ٣٩٠ ، (لسان الميزان) : ٣ / ٣٠ ، (المجروحين) : ١ / ٣١٨ ، ٣١٩ ، (التاريخ الكبير) : ٣ / ٤٦٠ ، ولعل في بعض أسمائهم تشابه ، والله تعالى أعلم .

(٥) [الآجام في الصحاري ، والبراري في المفاوز والغيطان] ، هذه الزيادة من (دلائل أبي نعيم) .

(٦) في المرجع السابق : « مُبتعث » .

(٧) زيادة للسياق من (خ) .

(٨) في (دلائل أبي نعيم) : « رحيماً بالمؤمنين » .

(٩) الخنا : الفاحش من القول ، وفي (الخصائص) بعد قوله : « بالخنا » : [لو يمر إلى جانب السراج لم يطفئه من سكينته ، ولو مشى على القصب الرعراع لم يسمع من تحت قدميه ، أبعثه مبشراً ونذيراً] .

والعفو والمغفرة والمعروف خلقه ، والعدل سيرته ، والحق شريعته ، والهدى إمامه ، والإسلام ملته ، وأحمد اسمه ، أهدى به بعد الضلالة ، وأعلم به بعد الجهالة ، وأرفع به بعد الخمالة ، وأُسمِّي به بعد النكْرة ، وأكثر به القلَّة ، وأغنى به بعد العيله ، وأجمع به بعد الفرقة ، وأُؤلِّف به بين قلوبٍ وأهواءَ مُتشتته ، وأمم مختلفة ، وأجعل أمته خير أمة أُخرجت للناس ، آمراً[1] بالمعروف وناهياً[2] عن المنكر ، وتوحيداً بي[3] ، وإيماناً بي ، وإخلاصاً وتصديقاً لما جاءت به رسلي ، وهم رعاة الشمس ، طوبى لتلك القلوب والأرواح والوجوه[4] التي أخلصت إلي[5] الهمم ، أُلهمهم التسبيح والتكبير والتحميد والتوحيد في مساجدهم ومجالسهم ، ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم . يصفون في مساجدهم كما تصف الملائكة حول عرشي ، هم أوليائي وأنصاري ، أنتقم بهم من أعدائي عبدة الأوثان ، يصلون لي قياماً وقعوداً وركعاً وسجداً[6] ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء مرضاتي ألوفاً ، ويقاتلون في سبيلي صفوفاً وزحوفاً ، أختم بكتابهم الكتب ، وبشريعتهم الشرائع ، وبدينهم الأديان ، فمن أدركهم فلم يؤمن بكتابهم ، ويدخل في دينهم وشريعتهم فليس مني ، وهو مني بريء ، وأجعلهم أفضل الأمم ، وأجعلهم أمة وسطاً ، [ليكونوا][7] شهداء على الناس ، إذا غضبوا هللوني ، وإذا قبضوا كبروني ، وإذا تنازعوا سبحوني ، يطهرون الوجوه والأطراف ، ويشدون الثياب إلى الأنصاف ، ويكبرون ويهللون على التلال والأشراف ، قربانهم دماؤهم ، وأناجيلهم في صدورهم ، رهباناً بالليل ليوثاً بالنهار ، ينادي مناديهم في جو السماء ، لهم دوي كدوي النحل ، طوبى لمن كان منهم وعلى دينهم ومناهجهم وشريعتهم ، ذلك فضلي أوتيه من أشاء ، وأنا ذو الفضل العظيم[8] .

---

(١) في (دلائل أبي نعيم) : أمراً . (٢) في (المرجع السابق) : ونهياً .
(٣) في (المرجع السابق) : « بي » في الموضعين ، وما أثبتناه من (خ) ، فهو أجود للسياق .
(٤) في (دلائل أبي نعيم) : « الوجوه والأرواح » .
(٥) في (المرجع السابق) : « لي » ، وفي (خ)« إلى الهمم » ، « ألهمتهم » .
(٦) كذا في (خ) ، وفي (الخصائص) ، لكن في (المرجع السابق) : « وركوعاًوسجوداً » .
(٧) زيادة من المرجع السابق . (٨) هذا الحديث أخرجه ابن أبي حاتم وأبو نعيم ، عن وهب بن منبه ، وفيه عبد المنعم بن إدريس القصاص المشهور ، قال الذهبي : ليس يعتمد عليه ، وقال أحمد بن حنبل : كان يكذب على وهب بن منبه ، وقال ابن حبان : يضع الحديث على أبيه وعلى غيره ، (أنظر ميزان =

وفي رواية : ولا صخاب في الأسواق ، ولو يمر إلى جنب السراج لم يطفئه من سكينته ، ولو يمشي على القصب اليابس لم يسمع من تحت قدميه ، أبعثه مبشراً ونذيراً ، وأستنقذ به قياماً من الناس عظماء من الهلكة ، أجعل في أهل بيته وذريته السابقين والصديقين ، والشهداء والصالحين ، وأمته من بعده يهدون بالحق وبه يعدلون ، أُعِزُّ من نصرهم ، وأؤيد من دعا إليهم ، أجعل دائرة السوء على من خالفهم وبغى عليهم ، وأراد أن ينزع شيئاً مما في أيديهم ، أجعلهم ورثة لنبيهم ، والداعية إلى ربهم ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويوفون بعهدهم ، أختم بهم الخير الذي بدأتُ به أوَّلَهم ، ذلك فضلي أُوتيه من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم .

وقال عوف عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بلغني أن بني إسرائيل لما أصابهم ما أصابهم من ظهور بخت نصَّر عليهم ، وفرقتهم وذلتهم تفرقوا ، وكانوا يجدون محمداً رسول الله ﷺ في كتابهم ، وأنه يظهر في بعض هذه القرى العربية ، في قرية ذات نخل ، ولما خرجوا من أرض الشام جعلوا يميزون كل قرية من تلك القرى العربية بين الشام واليمن ، يجدون نعتها نعت يثرب ، فينزل بها طائفة منهم ويرجون أن يلقوا محمداً فيتبعونه ، حتى نزل من بني هارون من حمل التوراة بيثرب منهم طائفة ، فمات أولئك الآباء وهم يؤمنون بمحمد ﷺ أنه [آت][1] ، ويحثون أبناءهم على اتباعه إذا جاء ، فأدركه من أدركه من أبنائهم وكفروا به وهم يعرفونه .

وقال محمد بن إسحق : حدثنا صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، عن محمود بن لبيد[2] عن سلمة بن سلامة[3] قال : كان لنا جار من يهود في بني عبد الأشهل ، فخرج علينا يوماً من بيته[— وذلك قبل مبعث النبي ﷺ

= الاعتدال) : ٢ / ٦٦٨ ، ترجمة رقم (٥٢٧٠) .
وفيه أيضاً إدريس بن سنان ، وقد ضعفه ابن عدي ، وقال عنه الدارقطني : متروك .

(١) هذه الكلمة غير واضحة في (خ) ، ولعل الصواب ما أثبتناه .
(٢) [أخي بنى عبد الأشهل] ، زيادة من رواية ابن إسحاق .
(٣) [ابن وقش ، وكان سلمة من أصحاب بدر] ، زيادة من رواية ابن إسحاق .

بيسير –][1] حتى وقف على مجلس بني عبد الأشهل وأنا يومئذ أحدث من فيه سناً ، عليَّ بردة لي مضطجعاً فيها بفناء أهلي ، فذكر البعث والقيامة ، والحساب والميزان ، والجنة والنار ، قال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان ، لا يرون أن بعثاً كائن بعد الموت ، فقالوا : ويحك وتكون داراً فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم ؟ قال : نعم والذي أحلف به ، ولودَّ أن حظه من تلك النار أعظم تنور في [هذه][1] الدار ، يحمونه ثم يدخلونه إياه [فيطبقونه][2] عليه ، [ثم][3] ينجو من تلك النار غداً ، [قالوا][4] ويحك . وما آية ذلك ؟ قال : نبي [يبعث][5] من هذه البلاد – وأشار بيده نحو مكة واليمن – قالوا : [فمتى][6] تراه ؟ [فرمى بطرفه فرآني وأنا مضطجع بفناء باب أهلي][7] وأنا أحدث القوم سناً فقال : إن يستنفد هذا الغلام عمره يُدركْه ، قال سلمة : فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله نبيه ﷺ ، وهو حيّ بين أظهرنا فآمنا به ، وكفر به بغياً وحسداً ، فقلنا : [ويلك][8] يا فلان ، ألستَ الذي قلت لنا فيه ما قلت ؟ قال : بلى ولكن ليس به . وذكر الواقدي أن اليهودي اسمه يوشع[9] .

وقال الخرائطي[10] : حدثنا عبد الله بن أبي سعيد قال : حدثنا حازم بن عقال ابن حبيب بن المنذر بن أبي الحصن بن السموأل بن عاديا قال : حدثني جامع بن حيران ابن جميع بن عثمان بن سماك بن أبي الحصن بن السموأل بن عاديا قال : لما حضرت الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر الوفاة ، اجتمع إليه قومه من غسان فقال : إنه حضر من أمر الله ما ترى ، وقد كنا نأمرك في شبابك أن تتزوج فتأبى ، وهذا أخوك الخزرج له خمس بنين ، وليس لك ولد غير مالك ، فقال : لن يهلك هالك ،

---

(١) زيادة للسياق من (خ) . (٢) رواية ابن إسحاق : « فيطينونه » .
(٣) رواية ابن إسحاق : « بأن ينجو » .
(٤) رواية ابن إسحاق : « فقالوا له : ويحك يا فلان ، فما .. » .
(٥) رواية ابن إسحاق : « نبي مبعوث من نحو هذه البلاد .. » .
(٦) رواية ابن إسحاق : « ومتى » .
(٧) كذا في (خ) ، وفي رواية ابن إسحاق : « قال فنظر إليّ وأنا من أحدثهم سناً » .
(٨) في رواية ابن إسحاق : « ويحك » (٩) (سيرة ابن هشام) : ٢ / ٣٨ .
(١٠) في (خ) : « الخوائطي » ، والخبر بتمامه وزيادة في (البداية والنهاية) : ٢ / ٤٠٤ – ٤٠٥ .

ترك مثل مالك ، إن الذي يُخرج النار من [الورسة][1] ، قادر [على][2] أن يجعل لمالك نسلاً ، ورجالاً بسلاً ، وكل إلى موت ، ثم أقبل على مالك وقال : أي بني ، المنيّة ولا الدنيّة ، العقاب ولا العتاب ، التجلدد ولا التلدد ، القبر خير من الفقر ، ومن قَلَّ ذلّ ، ومن كرم الكريم الدفع عن الحريم ، الدهر يومان : يوم لك ويوم عليك ، فإذا كان لك فلا تبطر ، وإذا كان عليك فاصطبر ، وكلاهما سينحسر ، إنه ليس ينفلت منها ملك متوج ، ولا لئيم معلج ، سلم ليومك ، حياك ربك ، ثم أنشأ يقول :

شهدتُ السبايا يومَ آلِ محرِّق ... وأدركُ عمري صيحة الله في الحجرِ
فلم أَرَ ذَا مُلكٍ من الناس واحداً ... ولا سوقه إلا إلى الموت والقبرِ
فعلّ الذي أردى ثموداً وجرهما ... سيعقب لي نسلاً على آخر الدهرِ
يقربهم من آل عمرو بن عامرٍ ... عيون لدى الداعي إلى طلب الوترِ
فإن تكن الأيام أبلين جِدَّتي ... وَشَيَّبْنَ رأسي والمشيب مع العمرِ
فإن لنا فاعلاً فوق عرشه ... عليماً بما نأتي من الخير والشرِّ
ألم يأت قومي أن لله دعوة ... يفوز بها أهل السعادة والبِشْر
إذا بُعث المبعوث من آل غالب[3] ... بمكه فيما بين زمزم[4] والحجْرِ
هنالك فابغوا نُصْرةً ببلادكم ... بني عامرٍ إن السعادة في النَّصْرِ

ثم قضى من ساعته .

وقال ابن اسحق : حدثني صالح بن إبراهيم [بن عبد الرحمن بن عوف][5] ، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن [سعد][6] بن زرارة قال : حدثني من [شئت] من رجال قومي عن حسان بن ثابت رضي الله عنه قال : والله إني

---

(١) في (خ) : « الوسة » ، لعل الصواب ما أثبتناه ، فهو يخدم المعنى ، لأن « الورسة » من وَرَسَ النبتُ رءوساً : اخضَرَّ . (لسان العرب) : ٦ / ٢٥٤ ، قال محققه : وهذا من أبلغ الإعجاز ، حيث تخرج النار من الورسة ، وهذا ما لا يستطيعه إلا اللطيف الخبير جلَّ وعلا .

(٢) زيادة في السياق .

(٣) إشارة إلى النبي محمد ﷺ .

(٤) في (البداية والنهاية) : « بين مكة والحجر » .

(٥) زيادة في النسب من رواية ابن إسحاق (٢) في (خ) : « أسعد » .

(٦) في (خ) : « تثبت » ، وما أثبتناه من رواية ابن إسحاق .

[لغلام][1] [يفعه][2] ابن [سبع سنين أو ثمان][3] ، أعقل [كل][4] ما سمعتُ ، إذا سمعت يهودياً يصرخ [بأعلى صوته][4] على أطمة بيثرب : يا معشر يهود ! فلما اجتمعوا إليه[5] وقالوا له : ويلك ، مالك ؟ قال : طلع الليلة نجمُ أحمد الذي ولد به . وفي رواية : طلع الليلة نجم أحمد نبي هذه الأمة الذي ولد به[6] .

وفي رواية الواقدي : هذا كوكب أحمد قد طلع ، هذا كوكب لا يطلع إلا بالنبوة ، ولم يبق من الأنبياء إلا أحمد . وفيه قصة . وفي رواية له : قال : لما صاح اليهودي من فوق الأطم : هذا كوكب أحمد قد طلع ، وهو لا يطلع إلا بالنبوة ؛ قال : وكان أبو قيس من بني عدي بن النجار قد ترهَّب ولبس المسوح ، فقالوا : يا أبا قيس ! أُنظر ما يقول هذا اليهودي ، قال : فانتظاري الذي صنع بي هذا ، فأنا أنتظره حتى أصدقه وأتبعه .

وقال ابن اسحق : عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، حدثنا محمد بن عمرو بن حزم قال : حُدثت عن صفية بنت حُيي أنها قالت : كنتُ أَحَبُّ وَلَدِ أبي[7] إليه وإلى عمي أبي ياسر ، لم ألقهما قط مع [ولدٍ لهما][8] إلا أخذاني دونه ، قالت : فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة [ونزل][9] قباء في بني عمرو بن عوف ، غدا عليه أبي حُيَي بن أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب [مغلّين][10] ، قالت : فلم يرجعا حتى [كانا][11] مع غروب الشمس فأتيا

---

(١) في (خ) : « غلام » ، وما أثبتناه من رواية ابن إسحاق .
(٢) في (خ) : « يومئذ » ، وما أثبتناه من رواية ابن إسحاق .
(٣) في (خ) : « ابن ثمان سنين أو سبع » ، وما أثبتناه من رواية ابن إسحاق .
(٤) زيادة للسياق من المرجع السابق.
(٥) في المرجع السابق : « حتى إذا اجتمعوا إليه » .
(٦) قال ابن إسحاق «فسألت سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت، فقلت : ابنُ كمْ كان حسان بن ثابت مَقْدمَ رسول الله ﷺ المدينة ؟ فقال : ابن ستين ، وقدمها رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ، فسمع حسان ما سمع وهو ابن سبع سنين » (سيرة ابن هشام) ١ / ٢٩٥ - ٢٩٦ .
(٧) في (خ) : « والداي » ، وما أثبتناه من رواية ابن إسحاق .
(٨) في (خ) : « ولدهما » .
(٩) في (خ) : « فنزل في قباء » .
(١٠) في (خ) : « مغليين » .
(١١) في (خ) : « كان » .

كالّين كسلانين [ساقطين][1] ، يمشيان الهوينا ، قالت : فمشيت إليهما كما كنت أصنع ، فوالله ما التفتَ إليَّ واحد منهما مع مابهما من الهم[2] ، قالت : وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حُيَيّ بن أخطب : أهو هو ؟ قال : نعم والله قال[3] : أتعرفه وتثبته ؟ قال : نعم ، قال[3] : فما في نفسك منه ؟ قال : عداوته والله ما بقيت [أبداً][4] .

قال ابن إسحق : وكان من حديث مخيريق وكان حَبْراً عالماً ، وكان رجلاً غنياً كثير الأموال من النخل ، وكان يعرف رسول الله ﷺ بصفته وما يجد في علمه [وغلب عليه إلف دينه][5] ، فلم يزل على ذلك حتى إذا كان يوم أُحد - وكان يوم أُحد يوم السبت - قال : يا معشر يهود ! والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عاكم لحق ، قالوا : إن اليوم يوم السبت ، قال : لا سبت [لكم][5] ، ثم أخذ سلاحه فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ وأصحابه بأُحُد ، وعهد إلى مَن وراءَه مِن قومه : إن قتلت هذا اليوم [فأموالي][6] لمحمد ﷺ يصنع [فيها][7] ما أراه الله ، فلما اقتتل الناس قاتل حتى قُتل ، فكان رسول الله ﷺ - فيما بلغني[8] - يقول : مخيريق خير يهود ، وقبض رسول الله ﷺ أمواله فعامةُ صدقاتِ رسول [الله][9] ﷺ بالمدينة فيها .

وقال يونس بن بكير عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في قوله : ﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده** ﴾[9] : ذكر قصة المعراج وما أعطي الأنبياء ، فقال له ربُّه : قد

---

(١) زيادة للسياق من رواية ابن إسحاق .
(٢) في ابن إسحاق : « الفمّ » .
(٣) في (خ) : « قالت » .
(٤) زيادة من (خ) ، والأثر في (سيرة بن هشام) : ٣ / ٥٢ .
(٥) زيادة للسياق من رواية ابن إسحاق .
(٦) في (خ) : « فمالي » .
(٧) في (خ) : « فيه » .
(٨) زيادة للسياق من رواية ابن إسحاق .
(٩) سقط في (خ) ، وأثبتناه من رواية ابن إسحاق . (سيرة ابن هشام) : ٣ / ٥١ - ٥٢ .
(٩) أول سورة الإسراء .

اتخذتك خليلاً فهو في التوراة مكتوب : محمد حبيب الرحمن ، وأرسلتك إلى الناس كافة ، وجعلت أمتك هم الأولون وهم الآخرون ، وجعلت أمتك لا تجوز لهم خُطبة حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي ، وجعلتك أول النبيين خلقاً وآخرهم بعثاً ، وأعطيتك سبعاً من المثاني لم أعطها نبياً قبلك ، وجعلتك فاتحاً وخاتماً ، وشرحت صدرك ، ورفعت ذكرك ، فلا أذكر إلا ذكرت معي ، وجعلت أمتك أمة وسطاً ، وأرسلتك رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً ، وأنزلت عليك الفرقان فيه تبيان كل شيء ، فقال إبراهيم عليه السلام للأنبياء : بهذا فضلكم محمد ﷺ .

وقال داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال سموأل اليهودي لتبع – وهو يومئذ أضلهم – : أيها الملك ، إن هذا بلد يكون إليه مهاجر نبي مولده مكة ، واسمه أحمد ، وهذه دار هجرته .

وقال عكرمة عن ابن عباس ، قال : كانت يهود قريظة والنضير وفدك وخيبر ، يجدون صفة رسول الله ﷺ عندهم قبل أن يبعث ، وأن دار هجرته المدينة ، فلما ولد رسول الله ﷺ قالت أحبار يهود : ولد أحمد الليلة ، هذا الكوكب قد طلع ، فلما تنبأ قالوا : قد تنبأ أحمد ، كانوا يعرفون ذلك ويقرون به ويصفونه .

وقال عاصم بن عمرو بن قتادة عن نملة بن أبي نملة عن أبيه أبي نملة قال : كانت يهود بني قريظة يدرسون ذكر رسول الله ﷺ في كتبهم ، ويعلمون الولدان بصفته واسمه ومهاجره إلى المدينة ، فلما ظهر رسول الله ﷺ حسدوا ، وبغوا ، وأنكروا .

وقال عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه قال : سمعت أبي مالك بن سنان يقول : جئت بني عبد الأشهل يوماً لأتحدث فيهم – ونحن يومئذ في هدنة من الحرب – فسمعتُ يوشع اليهودي يقول : أظلَّ خروج نبي يقال له أحمد يخرج من الحرم ، فقال له خليفة بن ثعلبة الأشهلي – كالمستهزىء به – : ما صفته ؟ قال : رجل ليس بالطويل ولا بالقصير ، في عينيه حمرة ، يلبس الشملة ويركب الحمار ، سيفه على عاتقه ، وهذا البلد مهاجره ، قال : فرجعت إلى قومي بني خدرة . وأنا يومئذ أتعجب مما يقول يوشع ، فأسمع رجلاً منا يقول : ويوشع يقول هذا وحده ؟

كل يهود يثرب تقول هذا . قال أبي مالك بن سنان : فخرجت حتى جئت قريظة فأجد جمعاً فتذاكروا النبي ﷺ ، فقال الزبير بن باطا : قد طلع الكوكب الأحمر الذي لم يطلع إلا لخروج نبي وظهوره ، ولم يبق أحدٌ إلا أحمد ، وهذا مهاجره . قال أبو سعيد : فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، أخبره أبي هذا الخبر ، فقال رسول الله ﷺ : لو أسلم الزبير وذووه من رؤساء يهود لأسلم كلهم ، إنما هم له تبع .

وقال عاصم بن عمرو بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن محمد بن مسلمة قال : لم يكن في بني عبد الأشهل إلا يهودي واحد يقال له يوشع فسمعته يقول : وإني لغلام في إزار قد أظلكم خروج نبي يبعث من نحو هذا البيت ، ثم أشار بيده إلى بيت الله ، فمن أدركه فليصدقه ، فَبُعِثَ رسول الله ﷺ فأسلمنا وهو بين أظهرنا ، ولم يسلم حسداً وبغياً .

وعن عبد الله بن سلام قال: ما تمت سبع حتى صدق بالنبي ﷺ أحمد لما كان يهود يثرب يخبرونه ، وأن تبع مات مسلماً . وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه : كان أحبار يهود بني قريظة والنضير يذكرون صفة النبي ﷺ ، فلما طلع الكوكب الأحمر أخبروا أنه نُبِّيء ، وأنه لا نبي بعده ، اسمه أحمد ، مهاجره إلى يثرب ، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزلها أنكروه وحسدوا وبغوا .

وعن زياد بن لبيد أنه كان على أطم من آطام المدينة فسمع : يا أهل يثرب !! — ففزع عنا وفزع الناس — : قد ذهبت والله نبوة بني إسرائيل ، هذا نجم طلع بمولد أحمد ، وهو نبي آخر الأنبياء ، ومهاجره إلى يثرب .

وقال داود بن الحصين ، عن عبد الرحمن بن عبد الرحمن عن الحرث بن خزمة قال : كان يهود المدينة ويهود خيبر ويهود فدك يخبرون بصفة النبي ﷺ ، وأنه خارج [من نحو هذاالبيت](1) ، وأن مهاجره إلى يثرب واسمه أحمد ، وأنه يقتلهم قتل الذَّر حتى يدخلهم في دينهً ، وأنه ينزل عليه كتاب الله كما نزل على موسى التوراة ، ويخبرون بصفته ، فلما نزل النبي ﷺ المدينة أنكروه وحسدوه .

(1) زيادة للسياق .

وقال مسلم بن يسار عن عمارة بن خزيمة بن ثابت قال : ما كان في الأوس والخزرج رجل أوصف لمحمد ﷺ منه – يعني من بني عامر – كان يألف اليهود ويسائلهم عن الدين ، ويخبرونه بصفة رسول الله ، وأنَّ هذه دار هجرته ، ثم خرج إلى يهود تيماء فأخبروه بمثل ذلك ، ثم خرج إلى الشام فسأل النصارى ، فأخبروه بصفة النبي ﷺ ، وأن مهاجره يثرب .

فرجع أبو عامر وهو يقول : أنا على دين الحنفية ، فأقام مترهباً لبس المسوح ، وزعم أنه على دين إبراهيم عليه السلام ، وأنه ينتظر خروج النبي ، فلما ظهر رسول الله ﷺ بمكة لم يخرج إليه ، وأقام على ما كان عليه .

فلما قدم النبي ﷺ المدينة حسد وبغى ونافق ، فأتى النبي ﷺ فقال : يا محمد ! بم بُعثت ؟ فقال : بالحنفية ، فقال : أنت تخلطها بغيرها ، فقال النبي ﷺ : أتيتُ بها بيضاء ، أين ما كان يخبرك الأحبار من اليهود والنصارى من صفتي ؟ فقال : لست بالذي وصفوا ، فقال رسول الله ﷺ : كذبت ، فقال : ما كذبت ، فقال رسول الله ﷺ : الكاذب أمانة الله وحيداً طريداً ، قال : آمين ، ثم رجع إلى مكة فكان مع قريش يتبع دينهم ، وترك ما كان عليه[1] .

وذكر محمد بن إسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن شيخ من بني قريظة قال : هل تدري علام كان إسلام ثعلبة بن سعية ، وأُسيد بن سعية[2] ، وأسد بن

---

(١) (سيرة ابن هشام) : ٣ / ١٢٨ .

(٢) قال إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف المدني ، عن ابن إسحاق – وهو أحد رواه المغازي – عنه : أُسيد بن سعية بضم الألف ، وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق – وهو قول الواقدي وغيره – : أَسيد بفتحها ، قال الدارقطني : وهذا هو الصواب ، ولا يصح ما قاله إبراهيم عن ابن إسحاق .

وبنو سعية هؤلاء ، فيهم أنزل الله عزَّ وجلّ : ﴿ **من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون * يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين * وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين** ﴾ [١١٣ – ١١٥ : آل عمران] ، وسعية أبوهم يقال له : ابن العريض ، وهو بالسين المهملة ، والياء المنقوطة باثنتين .

وأما سُعْنة بالنون ، فزيد بن سُعْنه ، حبر من أحبار اليهود ، كان قد داين النبي ﷺ ، فجاءه يتقاضاه قبل الأجل ، فقال : ألا تقضيني يا محمد ؟! فإنكم يا بني عبد المطلب مُطُل ، وما أردت إلا =

عبيد ، نفر من بني [هدل][1] ، [أو هُذيل ، أتوا بني قريظة ، فكانوا معهم في جاهليتهم ، ثم كانوا سادتهم في الإسلام ، قال : قلت : لا ، قال : فإن رجلاً من يهود أهل الشام ، يقال له : ابن الهيِّبان][2] ، قدم علينا قُبيل الإسلام [بسنوات][3] فحل بين أظهرنا [قال لي :][4] والله ما رأينا رجلاً قط لا يصلي الخمس أفضل منه ، فأقام عندنا ، فكنا إذا أقحطنا[5] قلنا له : اخرج يا ابن الهيبان فاستسق ، فيقول : لا والله حتى تقدموا بين يدي مخرجكم صدقة ، فيقولون[6] : كم ؟ فيقول : صاع[6] من تمر أو مدان[6] من شعير [عن كل إنسان حي][7] ، قال : فنخرجها ، فيخرج بنا إلى ظاهر حَرَّتنا فيستسقي لنا ، فوالله ما يبرح مجلسه حتى تمرّ [السحاب الشراج سائله][8] ونسقي [به][9] ، فعل[10] ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث[11] ، قال : ثم حضرته الوفاة [عندنا][12] ، فلما عرف أنه ميت قال : أيا معشر يهود ! ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض الجوع والبؤس ؟ قال : قلنا : إنك[13] أعلم ، قال : فأني قدمت هذا[14] البلد

أعلم علمكم ، فارتعد عمر ، ودار ، كأنه في فلك ، وجعل يلحظ يميناً وشمالاً ، وقال : تقول هذا لرسول الله يا عدوّ الله ؟! فقال له رسول الله ﷺ : أنا إلى غير هذا منك أحوك يا عمر : أن تأمرني بحسن الأداء ، وتأمره بحُسن التِّبعة ، قُم فاقضه عني ، فوالله ما حلَّ الأجل ، وزده عشرين صاعاً بما روعته .

وفي حديث آخر أنه قال : دعه ، فإن لصاحب الحق مقالاً ، ويُذكر أنه أسلم لما رأى من موافقة وصف النبي ﷺ لما كان عنده في التوراة ، وكان يجده موصوفاً بالحلم ، فلما رأى من حلمه ما رأى أسلم ، وتوفي غازياً مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك . ويقال في اسمه : سعْية بالياء كما في الأول ، ولم يذكره الدارقطني إلا بالنون .

(١) في (خ) : « وهل » ، وما أثبتناه من رواية ابن إسحاق .

(٢) في (خ) : السياق مضطرب فيما بين الحاصرتين ، وما أثبتناه من رواية ابن إسحاق ، والهيّبان : من المسمين بالصفات ، يقال : قطن هَيِّبان : أي منتفش ، والهيبان : أيضاً الجبان .

(٣) في رواية ابن إسحاق : « بسنين » .

(٤) زيادة من رواية ابن إسحاق .

(٥) في رواية ابن إسحاق : « فكنا إذا قحط عنا المطر » .

(٦) في رواية ابن إسحاق : « فنقول » ، « صاعاً » ، « مُدَّيْن » .

(٧) ما بين الحاصرتين ليس في رواية ابن إسحاق .

(٨) ما بين الحاصرتين ليست في رواية ابن إسحاق .

(٩) زيادة من (خ) .

(١٠) في رواية ابن إسحاق : « قد فعل » .

(١١) في (خ) : « ثلاثاً » ، وما أثبتناه من رواية ابن إسحاق ، وهو حق اللغة .

(١٢) زيادة من رواية ابن إسحاق .

(١٣) في (خ) : « الله أعلم » ، وما أثبتناه من رواية ابن إسحاق .

(١٤) في رواية ابن إسحاق : « هذه البلدة » .

أتَوَكف[1] خروج نبي قد أظل زمانه ، هذه البلدة مهاجره ، فكنت أرجو أن يبعث فأتبعه ، وقد أظلكم زمانه ، فلا تُسْبَقُنَّ[2] إليه يا معاشر يهود ، فإنه يبعث بسفك الدماء وسبي الذراري والنساء ممن خالفه ، فلا يمنعنكم ذلك منه .

فلما بعث رسول الله ﷺ وحاصر بني قريظة ، قال : هؤلاء الفتية – كانوا شباباً أحداثاً – : يا بني قريظة ، والله إنه لهو بصفته ، فنزلوا وأسلموا ، فأحرزوا دماءهم وأموالهم [وأهليهم][3] .

وقال ابن إسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ منهم[4] ، قال : قالوا : فينا والله وفيهم نزلت هذه القصة ، كنا قد علوناهم ظهراً في الجاهلية – ونحن أهل شرك وهم أهل كتاب – فكانوا يقولون : إن نبياً يبعث الآن نتبعه قد أظلّ زمانه ، نقتلكم معه قتل عاد وإرم ، فلما بعث الله رسوله من قريش واتَّبعناه كفروا به ، يقول الله تعالى : ﴿ **فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين** ﴾ ، إلى قوله : ﴿ **عذاب مهين** ﴾[5] .

وعن عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس ، أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله قبل مبعثه ، فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه ، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور : يا معشر يهود ، اتقوا الله وأسلموا ، قد كنتم تستفتحون علينا بمحمد وإنا أهل شرك ، وتخبروننا بأنه مبعوث ، وتصفونه لنا بصفته ، فقال سلام بن مشكم : ما هو بالذي كنا نذكر لكم ، ما جاءنا بشيء نعرفه ! فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم ﴿ **ولما**

---

(١) التوكف : التوقع والانتظار ، وفي حديث ابن عمير : أهل القبور يتوكفون الأخبار ، أي ينتظرونها ويسألون عنها . وفي التهذيب : أي يتوقعونها ، فإذا مات الميت سألوه : ما فعل فلان وما فعل فلان ؟ يُقال : هو يتوكف الخبر أي يتوقعه ، ونقول : ما زلتُ أتوكفه حتى لقيته . (لسان العرب) : ٩ / ٣٦٤ .

(٢) في (خ) : « يسبقنكم » .

(٣) في (خ) « وأهاليهم » ، وما أثبتناه من رواية ابن إسحق فهي أجود ، وبها جاء التنزيل : ﴿ **قوا أنفسكم وأهليكم ناراً** ﴾ [٦ : التحريم] (سيرة ابن هشام) : ٢ / ٣٩ – ٤٠ وهامشهما ، وفي آخر هذا الأثر قال ابن إسحاق : (فهذا ما بلغنا من أخبار يهود) .

(٤) في رواية ابن إسحاق : « عن رجال من قومه » .

(٥) هذا الأثر مختصر من رواية ابن إسحاق ، (سيرة ابن هشام) : ٢ / ٣٧ .

جاءهم كتاب من عند الله مصدقاً لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ﴾[١] .

وقال عطاء والضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه : كانت يهود [بني][٢] قريظة و [بني][٢] النضير من قبل مبعث محمد ﷺ يستفتحون - يدعون - على الذين كفروا يقولون : اللهم إنا نستنصرك بحق النبي الأمي ألا تنصرنا عليهم فيُنصرون ، فلما جاءهم ما عرفوا - يريد محمداً ﷺ ولم يشكوا فيه - وكانوا يتمنونه ويقولون لجميع العرب : هذا محمد قد أظلنا ، هذا أوان مجيئه ، والله لنقتلنكم معه قتل عاد وإرم ، وكان الناس من لدن اليمن إلى الشام وجميع الدنيا قد عظموا شأن قريظة والنضير لخصال كثيرة : أنهم أهل كتاب وأحبار ورهبان وربانيون ، لكثرة الأموال التي كانت لهم ، ولأنهم كانوا من ولد هارون عليه السلام ، وكان الناس يرغبون إليهم ، ويسألونهم عن الدين ، وكانوا إذا استنصروا على أحد من العرب استنصروا بالنبي ﷺ ، ويذكرونه بالجميل .

عن أبي صالح عن ابن عباس قال : كان يهود أهل المدينة قبل قدوم رسول الله ﷺ إذا قاتلوا من يليهم من مشركي العرب من أسد وغطفان وجهينة وعذرة يستفتحون عليهم ، يستنصرون يدعون عليهم باسم نبي الله فيقولون : اللهم ربنا انصرنا عليهم باسم نبيك ، وبكتابك الذي تنزل عليه ، وعدتنا أنك باعثه في آخر الزمان ، وكانوا يرجون أن يكون منهم ، فكانوا إذا قالوا ذلك نُصروا على عدوهم .

وعن قتادة قال : كانت اليهود تستفتح بمحمد على كفار العرب يقولون : اللهم ابعث النبي الذي نجده في التوراة يعذبهم ويقتلهم ، فلما بعث الله نبيه محمداً ﷺ كفروا به حين رأوه بعث من غيرهم ، حسداً للعرب وهم يعلمون أنه رسول الله .

وعن ابن أبي نجيح عن علي البارقيّ في قوله تعالى : ﴿ **وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا** ﴾ ، أن اليهود كانوا يقولون : اللهم ابعث هذا النبي يحكم بيننا وبين الناس ، يستفتحون ويستكثرون على الناس .

---

(١) ٨٩ : البقرة .

(٢) زيادة للسياق والبيان .

وقال قتادة عن كعب الأحبار : كان سبب استنقاذ بني إسرائيل من أرض بابل ، رؤيا بختنصر ، فإنه رأى رؤيا فزع منها ، فدعا كهنته وسحرته فأخبرهم بما أصابه من الكرب في رؤياه ، وسألهم أن يعبروها له ، فقالوا : قُصَّها علينا ، قال : قد نسيتها ! فأخبروني بتأويلها ، قالوا : فإنا لا نقدر حتى تقصها علينا ، فغضب وقال : اخترتكم واصطفيتكم لمثل هذا ، أذهبوا فقد أجلتكم ثلاثة أيام ، فإن أتيتموني بتأويلها وإلا قتلتكم ! وشاع ذلك في الناس ، فبلغ دنيال وهو محبوس ، فقال لصاحب السجن وهو إليه محسن : هل لك أن تذكرني للملك ؟ فإن عندي [تأويل][1] رؤياه ، وإني أرجو أن تنال عنده بذلك منزلة ، ويكون سبب عافيتي ، قال له صاحب السجن : إني أخاف عليك سطوة الملك ، لعل غم السجن حملك على أن تتروح بما ليس عندك فيه علم ، مع أني أظن إن كان أحد عنده في هذه الرؤيا علم فأنت هو ، قال دانيال : لا تخف عليّ فإن لي رباً يخبرني بما شئت من حاجتي ، فانطلق صاحب السجن فأخبر بختنصَّر بذلك ، فدعا دانيال فأُدخل عليه – وكان لا يدخل عليه أحد إلا سجد – فوقف دانيال فلم يسجد ، فقال الملك لمن في البيت : اخرجوا ، فخرجوا ، فقال بختنصَّر لدانيال : ما منعك أن تسجد لي ؟ قال دانيال : إن لي رباً آتاني هذا العلم الذي سمعت به على أن لا أسجد لغيره ، فخشيت أن أسجد لك فينسلخ عني هذا العلم ، ثم أصير في يدك أمياً لا يُنتفع بي فتقتلني ، فرأيت ترك سجدة أهون من القتل ، وخطر سجدة أهون من الكرب والبلاءالذي أنت فيه ، فتركت السجود نظراً إلى ذلك ، فقال بختنصَّر : لم يكن قط أوثق في نفسي منك حين وفيت لإلّهك ، أعجب الرجال عندي الذين يوفون لأربابهم العهود ، فهل عندك علم بهذه الرؤيا التي رأيت ، قال نعم عندي علمها وتفسيرها ، رأيتَ صنماً عظيماً رجلاه في الأرض ورأسه في السماء ، أعلاه من ذهب ، ووسطه من فضة ، وسفله من نحاس ، وساقاه من حديد ، ورجلاه من فخار ، فبينا أنت تنظر إليه قد أَعْجَبَكَ حُسْنُهُ وإحكام صنعته ، قذفه الله بحجر من

---

(١) زيادة للسياق .

السماء فوقع في قبة رابية فدقه حتى طحنه ، فاختلط ذهبه وفضته ، ونحاسه وحديده وفخاره ، حتى تخيل إليك أنه لو اجتمع جميع الإنس والجن على أن يميزوا بعضه من بعض لم يقدروا على ذلك ، ولو هبت ريح لأذرته ، ونظرتَ إلى الحجر الذي قذف به يربو ويعظم وينتشر حتى ملأ الأرض كلها ، فصرت لا ترى إلا السماء والحجر ، قال له بختنصَّر : صدقتَ ! هذه الرؤيا التي رأيتُ ، فما تأويلها ؟ قال دانيال : أما الصنم فأمم مختلفة في أوَّل الزمان وفي أوسطه وفي آخره ، وأما الذهب فهذا الزمان وهذه الأمة التي أنت فيها وأنت ملكها ، وأما الفضة فابنك يملكها من بعدك ، وأما النحاس فإنه الروم ، وأما الحديد ففارس ، وأما الفخار فأُمتان يملكهما من بعدك امرأتان : إحداهما في مشرق اليمن والأخرى في غربي الشام ، وأما الحجر الذي قذف به الصنم فدين يقذف الله به هذه الأمم في آخر الزمان ليُظْهره عليها ، فيبعث الله نبياً أمياً من العرب فيدوّخ الله به الأمم والأديان كما رأيت الحجر دوَّخ أصناف الصنم ، ويظهره على الأديان والأمم ، كما رأيت الحجر ظهر على الأرض وانتشر فيها حتى يملأها ، فيمحص الله به الحق ويزهق الباطل ، ويهدي [به][1] أهل الضلالة ، يعلم به الأميين ، ويقوي به الضعيف ويعزّ به الأذلاء ، وينصر به المستضعفين . قال بختنصَّر : ما أعلم أحداً استعنت منذ وليت الملك على شيء غلبني غيرك ، ولا أحد له عندي يداً أعظم من يدك ، وأنا جازيك بإحسانك ..وذكر القصة .

ورويت هذه القصة أيضاً عن وهب بن منبه ، وقال ابن إسحق : كان فيما بلغني عما وَضَعَ عيسى ابن مريم عليه السلام فيما جاءه من الله تعالى لأهل الإنجيل في الإنجيل من صفة رسول الله ﷺ[2] : اللهم[3] من أبغضني فقد أبغض الرب ، ولولا أني صنعت بحضرتكم[4] صنائع ما كانت لكم[5] خطيئة ، ولكن [من][6] الآن بَطِروا وظنوا أنهم يعزونني ولكن لابد أن تتم الكلمة[7] التي في الناموس أنهم

---

(١) زيادة للسياق ، (دلائل أبي نعيم) : ١ / ٨٣ - ٨٥ ، حديث رقم (٤٤) تفرد به أبو نعيم .

(٢) [مما أثبت يُحَنَّس الحواري لهم ، حين نسخ لهم الإنجيل عن عهد عيسى ابن مريم عليه السلام في رسول الله ﷺ إليهم أنه قال : من أبغضني ...] ما بين الحاصرتين تكملة من رواية ابن إسحاق .

(٣) زيادة في (خ) .

(٤) في رواية ابن إسحاق : « بحضرتهم لم يصنعها أحد قبلي ما كانت .. » .

(٥) « لهم »

(٦) زيادة للسياق من رواية ابن إسحاق . في (خ) : « المملكة » .

(٧) في (خ) : « فجاءوا » .

أبغضوني [مجّاناً][2] ، أي باطلاً ، فلو قد جاء المُنحمنّا [هذا][1] الذي أرسله الله إليكم من عند الرب وروح القدس هذا الذي من عند الرب خرج[3] ، فهو شهيد[4] عليّ وأنتم أيضاً ، لأنكم قديماً كنتم معي [في][1] هذا قُلتُ لكم كي لا تشكوا . قالوا : والمُنْحَمَنَّا بالسريانية محمد ، وهو بالرومية الْبرقْليطِس[5] ، ﷺ .

قال ابن إسحق : وقد ذكر لي بعض أهل العلم ، أنه وجد عند حَبْرٍ من أحبار يهود عهداً من كتاب إبراهيم خليل الرحمن فيه : (مود مود) ، فقلت له : أنشدك بالله ما هذان الحرفان ؟ قال : اللهم عمِّر من ذكر محمد . وحدثني علي بن نافع الجُرشيُّ قال : قرأت في بيت مجرش كتاباً كتبه الحبشة حين ظهروا على اليمن - وكانوا نصارى أهل كتاب - : مصلحاً محمداً رشيداً أمماً . وقال زياد : سيد الأمم .

وقال الواقدي : حدثني محمد بن سعيد الثقفي ، وعبد الرحمن بن عبد العزيز ابن عبد الله بن عثمان بن سهل بن حنيف ، وعبد الملك بن عيسى الثقفي ، وعبد الله بن عبد الرحمن بن يعلي بن كعب الثقفي ، ومحمد بن يعقوب بن عتبة عن أبيه وغيرهم ، كل قد حدثني من هذا الحديث طائفة ؛ قال : قال المغيرة بن شعبة في خروجه إلى المقوقس مع بني مالك أنهم لما دخلوا على المقوقس قال لهم : كيف خلصتم إلَيَّ ومحمد وأصحابه بيني وبينكم ؟ قالوا : لصقنا بالبحر وقد خضناه على ذلك ، قال : فكيف صنعتم فيما دعاكم إليه ؟ قالوا : ما تبعه منا رجل واحد ، قال : ولم ذاك ؟ قالوا : جاءنا بدين مجدد لا يدين به الآباء ولا يدين به الملك ، ونحن على ما كان عليه آباؤنا ، قال : فكيف صنع قومه ؟ قالوا : تبعه أحداثهم وقد لاقاه من خالفه من قومه وغيرهم من العرب في مواطن : مرة تكون عليهم الدبرة ، ومرة تكون له .

قال : ألا تحدثونني وتصدقونني ؟ إلى ماذا يدعو ؟ قالوا : يدعو إلى أن يُعبد الله وحده لا شريك له ، ونخلع ما كان يعبد الآباء ، ويدعو إلى الصلاة والزكاة ، قال : وما الصلاة والزكاة ؟ ألهما وقت يعرف وعدد ينتهى إليه ؟ قال : يصلون

---

(1) زيادة للسياق . (2) في (خ): « فجاءوا » . (3) في (خ) : « يخرج » .

(4) في (خ) : « وهو يشهد » .

(5) في (خ) : « البلقليطس » ، وما أثبتناه من رواية ابن إسحاق (سيرة ابن هشام) : ٢ / ٦٣ - ٦٤ ، باب صفة رسول الله ﷺ في الإنجيل .

في اليوم والليلة خمس صلوات كلها لمواقيت ، وعدد قد سموه له ، ويؤدون من كل ما بلغ عشرين مثقالاً نصف دينار ، وكل إبل بلغت خمساً شاة ، قال : ثم أخبروه بصدقة الأموال كلها .

قال : أفرأيتم إذا أخذها أين يضعها ؟ قال : يردها على فقرائهم ، ويأمر بصلة الرحم ووفاء العهد وتحريم الزّنا والرّبا والخمر ، ولا يأكل ما ذبح لغير الله . قال : هو نبي مرسل إلى الناس كافة ، ولو أصاب القبط والروم تبعوه ، وقد أمرهم بذلك عيسى ابن مريم ، وهذا الذي تصفون منه بعثت به الأنبياء من قبله ، وستكون له العاقبة حتى لا ينازعه أحد فيظهر دينه إلى منتهى الخف والحافر ومقطع النحور ، ويوشك قومه أن يدافعونه بالراح .

قال : فقلنا لو دخل الناس كلهم معه ما دخلنا ، قال : فأخفض رأسه وقال : أنتم في اللعب !؟ قال : كيف نسبه في قومه ؟ قلنا : هو أوسطهم نسباً ، قال : كذلك والمسيح ، الأنبياء تبعث في نسب قومها ، قال : فكيف صدق حديثه ؟ قال : قلنا : ما يسمى إلا الأمين من صدقه ، قال : انظروا في أمركم ، أترونه يصدق فيما بينكم وبينه ويكذب على الله ؟ .

قال : فمن اتبعه ؟ قلنا : الأحداث ، قال : هم والمسيح أتباع الأنبياء قبله ، قال : فما فعلت يهود يثرب ، فهم أهل التوراة ؟ قلنا : خالفوه فأوقع بهم وسباهم وتفرقوا في كل وجه ، قال : هم قوم حُسَّدٌ حسدوه ، أما إنهم يعرفون من أمره مثل ما نعرف .

قال المغيرة : فقمنا من عنده وقد سمعنا كلاماً ذللَنا لمحمد ﷺ وخضعنا وقلنا : ملوك العجم يصدقونه ويخافونه في بُعد أرحامهم منه ، ونحن أقرباؤه وجيرانه لم ندخل معه وقد جاءنا داعياً إلى منازلنا ؟ .

قال المغيرة : فرجعت إلى منزلنا فأقمت بالإسكندرية لا أدع كنيسة إلا دخلتها ، وسألت أساقفتها من قبطها ورومها عما يجدون من صفة محمد ﷺ .

وكان أسقف من القبط هو رأس الكنيسة ، أبى [يحسر][1] كانوا يأتونه بمرضاهم فيدعو لهم ، لم أر أحداً إلا يصلي الصلوات الخمس أشدَّ اجتهاداً منه ، فقلت : أخبرني هل بقي أحد من الأنبياء ؟ قال : نعم ، وهو آخر الأنبياء ليس بينه وبين عيسى ابن مريم أحد ، وهو نبي قد أمرنا عيسى باتباعه ، وهو النبي الأمي العربي ، اسمه أحمد .

ليس بالطويل ولا بالقصير ، في عينيه حمرة ، ليس بالأبيض ولا بالأدم ، يعفي شعره ويلبس ما غلظ من الثياب ، ويجتزىء بما لقى من الطعام ، سيفه على عاتقه ، ولا يبالي بمن لاقى ، يباشر القتال بنفسه ، ومعه أصحابه يفدونه بأنفسهم ، هم له أشد حباً من أولادهم وآبائهم ، يخرج من أرض القرظ ، ومن حرم يأتي وإلى حرم يهاجر إلى أرض سباخ ونخل ، يدين بدين إبراهيم عليه السلام .

قال المغيرة بن شعبة : زدني في صفته ، قال : يأتزر على وسطه ، يغسل أطرافه ، ويخص بما لا يخص به الأنبياء قبله ، كان النبي يبعث إلى قومه وبعث إلى الناس كافة ، وجعلت له الأرض مسجداً وطهوراً ، أينما أدركته الصلاة تيمم وصلى ، ومن كان قبله مُشدَّداً عليهم ؛ لا يصلون إلا في الكنائس والبيع ، قال المغيرة : فوعيت ذلك كله من قوله وقول غيره وما سمعت من ذلك .

فذكر الواقدي[2] حديثاً طويلاً في رجوعه من عند المقوقس ومجيئه إلى النبي ﷺ وقال : فأسلمت ثم أخبرته ﷺ عن مخرجنا من الطائف وقدومنا الأسكندرية ، وأخبرته بما قال الملك وما قال الأساقفة الذي كنت أسائلهم وأسمع منهم ومن رؤساء القبط والروم فأعجب ذلك رسول الله ﷺ وأحب أن يُسمعه أصحابه ، فكنت أحدثهم ذلك في اليومين والثلاثة .

وخرج الحسن بن سفيان من حديث ملازم بن عمرو ، حدثنا عبد الله بن بدر عن قيس بن طلق عن أبيه قال : خرجنا وفد إلى النبي ﷺ فبايعناه وصلينا معه وأخبرناه أن بأرضنا بيعة لنا واستوهبناه من فضل طهوره ، فدعا بماء فتوضأ منه

(١) هذه الكلمة غير واضحة في (خ) ، ولعل الصواب ما أثبتناه .
(٢) (المغازي) : ٣ / ٩٦٤ - ٩٦٥ .

رمضمض منه وصبَّ لنا في إداوة ثم قال : إذهبوا بهذا الماء ، فإذا قدمتم بلدكم فاكسروا بيعكم وانضحوا مكانها من هذا الماء ، واتخذوا مكانها مسجداً ، قلنا : إن البلد [بعيد][1] والحر شديد والماء ينشف ، قال : فأمدّوه من الماء فإنه لا يزيده إلا طيباً ، قال : فخرجنا وتشاححنا على حمل الإداوة أينا يحملها ؟ فجعلها نبي الله ﷺ بيننا نُوَباً ؛ على كل رجل يوماً وليلة ، فخرجنا حتى قدمنا بلدنا ، ففعلنا الذي أمرنا به النبي ﷺ – وراهبُنا يومئذ من طيء – فأذَّنا، فقال الراهب لما سمع الأذان: دعوة حق ، ثم استقبل تلعة من تلاعنا[2] ثم هرب فلم يُر بعد[3] .

وللطبراني من حديث يحيى بن عبد الحميد قال : حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا عاصم بن كليب قال : حدثني أبي قال : أخبرني الفلتان بن عاصم قال : كنا قعوداً مع رسول الله ﷺ في المسجد فشخص بصره إلى رجل يمشي في المسجد فقال : أفلان ، قال : لبيك يا رسول الله – ولا ينادي الكلام إلا قال برسول الله – فقال له النبي ﷺ : أتشهد أني رسول الله ؟ قال : لا ! قال : أتقرأ في التوراة ؟ قال : نعم ، قال : والإنجيل ؟ قال : نعم ، قال : والقرآن ؟ قال : لا ، قال : والذي نفسي بيده لو تشاء لقرأته ، قال : ثم ناشده : هل تجدني في التوراة والإنجيل ؟ فقال : سأحدثك مثَلك ومثَل هيئتك ومخرجك ، وكنا نرجوا أن تكون منَّا ، فلما خرجت تخوفنا أن تكون هو أنت ، فنظرنا فإذا ليس هو أنت ! قال : فلم ذاك ، قال : إن معه من أمته سبعين ألفاً ليس عليهم حساب ولا عذاب ، وإنما معك نفر يسير ، قال : فوالذي نفسي بيده لأنا هو ، إنهم لأمتي ، وإنهم لأكثر من سبعين ألفاً ، وقد بشر برسول الله ﷺ كعب بن لؤي بن غالب كما ستراه في أخباره .

وروى حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن جدعان عن سعيد بن المسيب قال : بينا العباس في زمزم إذ جاء كعب الأحبار فقال له العباس : ما منعك أن تُسْلم في عهد النبي ﷺ وأبي بكر حتى أسلمت الآن في عهد عمر رضي الله عنهم ؟

---

(١) في (خ) : « ببعد » .

(٢) التلعة : ما ارتفع من الأرض وما انخفض منها ، فهي من أسماء الأضداد .

(٣) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ٩٠ – ٩١ ، حديث رقم (٤٧) قال في (الخصائص): ١ / ٢١٧ : أخرجه ابن أبي شيبة ، وابن سعد ، والبيهقي ، وأخرجه أيضاً النسائي في كتاب المساجد من طريق رجاله ثقات .

فقال : إن أبي كتب لي كتاباً من التوراة ودفعه إليّ وقال : اعمل بهذا واتبعه ، وأخذ علي حق الوالد على الولد أن لا أُفضَّ هذا الخاتم ، وختم على سائر كتبه ، فلما رأيت الإسلام قد ظهر ولم أر إلا خيراً قالت لي نفسي : لعل أباك غيب عليك علماً ، ففضضت هذا الخاتم فإذا فيه صفة محمد ﷺ وأمته ، فجئت الآن وأسلمت . وقد تقدم في ذكر حلم رسول الله ﷺ وصفحه ، حديث إسلام زيد بن سعنة ، وفيه : قال زيد : ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في وجه محمد سوى آيتين لم أخبرهما منه : يسبق حلمه جهله ، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً .

وخرَّج ابن حبان من حديث أبي سلمة ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أسامة بن زيد[1] قال : قال زيد بن عمرو بن نفيل : قال لي حبر من أحبار الشام : قد خرج نبي في بلدك أو هو خارُج قد خرج نجمه ، فارجع فصدِّقه واتَّبِعْهُ وآمن به .

ولأبي نعيم من حديث سلمة بن كهيل عن عبد الله بن شداد بن الهاد ، عن دحية الكلبي قال : بعثني النبي ﷺ إلى قيصر صاحب الروم بكتاب ، فاستأذنت فقلت : استأذنوا لرسول رسول الله ، فأتى قيصر فقيل : إن على الباب رجلاً يزعم أنه رسول رسول الله ، ففزعوا لذلك وقال : أُدخلوه ، فدخلت عليه وعنده بطارقته ، فأعطيته الكتاب فقُرىء عليه فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى قيصر صاحب الروم ، فنخر ابن أخ له أحمر أزرق سبط الشعر فقال : لا يُقرأ الكتاب اليوم ، لأنه بدأ بنفسه ، وكتب صاحب الروم ولم يكتب ملك الروم ، قال : فقُرىء الكتاب حتى فرغ منه ، ثم أمرهم قيصر فخرجوا من عنده ثم بعث إليّ فدخلتُ إليه فسألني فأخبرته ، فبعث إلى الأسقف فدخل عليه وكان صاحب أمرهم يصدرون عن قوله ورأيه ، فلما قرأ الكتاب قال الأسقف : هو والله الذي بشرنا به عيسى وموسى الذي كنا ننتظره ، قال قيصر : فما تأمرني ؟ قال الأسقف : أما أنا فإني مصدقه ومتبعه ، فقال قيصر : إني أعرف أنه كذلك ، ولكن

---

(١) مرويات أسامة بن زيد في (صحيح ابن حبان) (١٦) حديثاً ليس من بينها هذا الحديث – ر : (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان) : ١٨ / ٩٧ (فهرس الرواة) .

لا استطيع أن أفعل ، فإن فعلت ذهب ملكي وقتلني الروم[1] .

وله من حديث العلاء بن الفضل بن أبي سوية بن خليفة قال : حدثني أبي عن جده أبي سوية بن خليفة - وكان خليفة مسلماً - قال : سألت محمد بن عدي ابن ربيعة بن سوادة بن حبتم بن سعد فقلت كيف سماك أبوك محمداً ؟ فضحك ثم قال : أخبرني - أي عدي بنَ ربيعة - قال : خرجت أنا وسفيان بن مجاشع ويزيد ابن ربيعة وأسامة بن مسكة نريد ابن جَفْنَة ، فلما قربنا منه نزلنا إلى شجرات وغدير فقلنا : لو اغتسلنا وادهنا ولبسنا ثيابنا من قشف السفر ، فجعلنا نتحدث فأشرف علينا دَيْراني[2] من قائم له فقال : إني أسمع بلغة قوم ليس بلغة أهل هذه البلاد ، قلنا : نحن قوم من مُضَر ، قال : من أي المضريين ؟ قلنا : من خِنْدف[3] ، قال : إنه سيبعث وشيكاً نبي منكم فخذوا نصيبكم منه تسعدوا ، قلنا : ما اسمه ؟ قال : محمد .

فأتينا ابن جَفْنَة فقضينا حاجتنا ثم انصرفنا ، فولد لكل رجل منا ابن فسماه محمداً يدور على ذلك الاسم[4] .

---

(١) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ١٠١ - ١٠٢ ، حديث رقم (٥٣) ، وقال الحافظ في (الفتح) : « وأخرجه ابن إسحاق مرسلاً عن بعض أهل العلم » ، (سيرة ابن هشام) : ٦ / ١٤ ، هامش (١) ، (٢) ، (مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة) : ٣٥ - ٣٧ ، (المصباح المضّي) : ٢ / ٦٨ - ٧١ ، (الاستيعاب) : ٢ / ٤٦١ ترجمة دحية الكلبي رقم (٧٠١) .

(٢) الديرانيّ : صاحب الدير ، أو المقيم فيه ، نسبة إلى الدَّيْر ، على غير قياس .

(٣) خندف : هي ليلى بنت حُلوان بن عمران ، زوجة إلياس بن مضر والد مُدركة ، قال مجد الدين الفيروزآبادي في (القاموس المحيط) : ٢ / ١١٥ : خرج إلياس في نجعة فنفرت إبله من أرنب ، فخرج إليها ابنه عمرو فأدركها ، وخرج عامر - ابنه الثاني - فتصيدها وطبخها ، وانقمع عمير . ابنه الثالث في الخباء ، وخرجت أمهم - تسرع ، فقال لها إلياس : أين تخندفين ؟ فقالت : مازلت أخندف في أثركم ، فلقبوا : مدركة ، وطابخة ، وقمعة ، وخندف .

(٤) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ٩٣ - ٩٤ ، حديث رقم (٤٩) ، والحديث أخرجه البيهقي والطبراني ، والخرائطي في (الهواتف) - ر : (الخصائص) : ١ / ٥٧ ، وقال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري) : رواه البغوي وابن سعد ، وابن شاهين ، وابن السكن وغيرهم . وقال في (الإصابة) : هو من طريق العلاء بن الفضل بن أبي سويَّة المنقري ، حدثني أبو الفضل بن عبد الملك ، عن أبيه عبد الملك بن أبي سوية ، عن أبيه أبي سوية ، عن أبيه خليفة بن عبدة . قال الهيثمي في (مجمع الزوائد) : ٨ / ٢٣٢ : رواه الطبراني ، وفيه من لم أعرفهم .

وسيأتي في التعريف لعبد المطلب ذكر اليهودي الذي نظر في أنفه وقال له : أُرى في إحدى يديك مُلكاً وفي أنفك نبوة ، وذكر وفادته على سيف بن ذي يزن وإخباره إياه أنه يولد له ولد اسمه محمد ، وبشَّر بنبوته .

قال أبو بكر بن عبد الله بن الجهم عن أبيه عن جده قال : سمعت أبا طالب يحدث عن عبد المطلب قال : بينما أنا نائم في الحِجْر إذ رأيت رؤيا هالتني ففزعت منها فزعاً شديداً ، فأتيت كاهنة قريش فقلت : إني رأيت الليلة وأنا نائم كأن شجرة نبتت من ظهري قد نال رأسها السماء ، وضربت بأغصانها المشرق والمغرب ، وما رأيت نوراً أزهر منها ، أعظم من نور الشمس سبعين ضعفاً .

ورأيت العرب والعجم ساجدين لها ، وهي تزداد كل ساعة عظماً ونوراً وارتفاعاً ، ساعة تختفي وساعة تزهر .

ورأيت رهطاً من قريش قد تعلقوا بأغصانها ، ورأيت قوماً من قريش يريدون قطعها ، فإذا دنوا منها أخَّرهم شاب لم أر قط أحسن منه وجهاً ولا أطيب منه ريحاً ، فيكسر أظهرهم ويقلع أعينهم فرفعت يدي لأتناول منها نصيباً ، فقلت : لمن النصيب ؟ فقال : لهؤلاء الذين تعلقوا بها وسبقوك إليها .

فانتبهت مذعوراً فزعاً ، فرأيت وجه الكاهنة قد تغير ، ثم قالت : لئن صدقتْ رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب ، يدين له الناس ، فكان أبو طالب يحدث بهذا الحديث ، والنبي ﷺ قد خرج ، ويقول : كانت الشجرة أبا القاسم الأمين ، فيقال له : ألا تؤمن به فيقول : السُّبَّة والعار[1] !! .

عن الحرث بن عبد الله الأزدي قال : لما نزل أبو عبيدة اليرموك وضم إليه قواصيه وجاءتنا جموع الروم فذكر أن ماهان صاحب جيش الروم بعث رجلاً من كبارهم وعظمائهم يقال له : جرجير إلى أبي عبيدة بن الجراح ، فأتى أبا عبيدة فقال : إني رسول ماهان إليك ، وهو عامل ملك الروم على الشام ، وعلى هذه الحصون ،

---

(١) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ٩٩ - ١٠٠ ، حديث رقم (٥١) ، انفرد به أبو نعيم ، وفيه خالد بن إلياس ، متروك الحديث ، (البداية والنهاية) : ٢ / ٣٨٧ - ٣٨٨ .

وهو يقول لك : أرسل إلى الرجل الذي كان قبلك أميراً ، قد ذكر لي أن ذلك الرجل له عقل وله فيكم حسب ، وقد سمعنا أن ذوي الأحساب أفضل عقولاً من غيرهم ، فنخبره بما نريد ، ونسأله عما تريدون ، فإن وقع بيننا وبينكم أمر لنا فيه ولكم صلاح أخذنا الحظ من ذلك وحمدنا الله عليه ، وإن لم يتفق ذلك بيننا وبينكم فإن القتال من وراء ما هناك .

فدعا أبو عبيدة خالداً فأخبره بالذي جاء فيه الرومي وقال لخالد : ألقهم فادعهم إلى الإسلام ، فإن قبلوا وإلا فافرض عليهم الجزية ، فإن أبوا فأعلمهم أنا سنناجزهم حتى يحكم الله بيننا وبينهم . قال : وجاءهم رسولهم الرومي عند غروب الشمس فلم يمكث إلا يسيراً حتى حضرت الصلاة فقام المسلمون يصلون ، فلما قضوا صلاتهم قال خالد للرومي : قد غشينا الليل ، ولكن إذا أصبحت غدوت إلى صاحبك إن شاء الله ، فارجع إليه فأعلمه .

فجعل المسلمون ينتظرون الرومي أن يقوم إلى صاحبه فيرجع إليه ويخبره بما اتعدوا عليه ، فأخذ الرومي لا يبرح وينظر إلى رجال من المسلمين وهم يصلون فيدعون الله ويتضرعون إليه ، ثم أقبل على أبي عبيدة فقال : أيها الرجل ! متى دخلتم هذا الدين ومتى دعوتم الناس إليه ؟ فقال : منذ بضع وعشرين سنة ؛ فمنا من أسلم حين أتاه الرسول ، ومنا من أسلم بعد ذلك .

فقال : هل كان رسولكم أخبركم أنه يأتي من بعده رسول ؟ قال : لا ، ولكن أخبرنا أنه لا نبي بعده ، وأخبرنا أن عيسى ابن مريم قد بشر به قومه ، قال الرومي ، وأنا على ذلك من الشاهدين ، وأن عيسى قد بشرنا براكب الجمل ، وما أظنه إلا صاحبكم ، فأَخْبِرْني هل قال صاحبكم في عيسى شيئاً ؟ وما قولكم أنتم فيه ؟ .

قال أبو عبيدة : قول صاحبنا هو قول الله وهو أصدق القول وأبرّه : ﴿ **إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون** ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ **يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه** ﴾[2] إلى قوله : ﴿ **ولا الملائكة المقربون** ﴾ .

---

(١) ٥٩ : آل عمران . (٢) ١٧١ : النساء .

قال : ففسَّر له الترجمان هذا بالرومية ، فقال : أشهد أن هذا صفة عيسى نفسه ، وأشهد أن نبيكم صادق ، وأنه الذي بشرنا به عيسى وأنكم قوم صدق ، وقال لأبي عبيدة : أُدع لي رجلين من أوائل أصحابك إسلاماً هما فيما ترى أفضل .

فدعا له معاذ بن جبل وسعيد بن جبير وزيد بن عمرو بن نفيل ، فقيل له : هذا من أفضل المسلمين فضلاً ومن أوائل المسلمين إسلاماً ، فقال لهم الرومي : أتضمنون لي الجنة إن أنا أسلمت وجاهدت معكم ؟ قالوا : نعم ، إن أنت أسلمت واستقمت ولم تُغيّر حتى تموت وأنت على ذلك فإنك من أهل الجنة ، قال : فإني أشهدكم أني من المسلمين ، فأسلم ، ففرح المسلمون بإسلامه وصافحوه ودعوا له بخير .

وخرج أبو نعيم من حديث أبي بشر محمد بن عبيد الله قال : حدثني عطاء بن عجلان عن بهز بن حوشب عن كعب بن ماتع الحميري أن إسلامه كان [عند] مقدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام ، وأخبرني كيف كان بدء أمره ، قال : إن أبي كان من أعلم الناس بما أنزل الله على موسى عليه السلام ، وكان لم يدخر عني شيئاً مما كان يعلم .

فلما حضره الموت دعاني فقال لي : يا بني ! إنك قد علمت أني لم أدخر عنك شيئاً مما كنت أعلم إلا أني قد حبست عنك ورقتين فيهما نبي يبعث قد أظل زمانه ، فكرهت أن أخبرك بذلك ولا آمن عليك أن يخرج بعض هؤلاء الكذابين فتطيعه ، وقد جعلتهما في هذه الكوة التي ترى، وطينت عليهما، لا تعرض لهما ولا تنظرن فيهما حينك هذا ، فإنّ الله إنْ يُرد بك خيراً ويخرج ذلك الذي تتبعه .

قال : ثم إنه مات فدفناه ، ولم يكن شيء أحب إلي من أن يكون المأتم قد انقضى حتى أنظر ما في الورقتين، فلما انقضى المأتم فتحت الكوة ، ثم استخرجت الورقتين فإذا فيهما : محمد رسول الله ، خاتم النبيين لا نبي بعده ، مولده بمكة ومهاجره بطيبة ، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ، ويجزىء بالسيئة الحسنة ، ويعفو ويصفح .

أمته الحمادون الذين يحمدون الله على كل حال ، تذلل ألسنتهم بالتكبير ، وينصر نبيهم على كل من ناوأه ، يغسلون فروجهم ويأتزرون على أوساطهم ، أناجيلهم في

صدورهم ، وتراحمهم بينهم تراحم بني الأم ، وهم أول من يدخل الجنة يوم القيامة من الأمم .

قال : فلما قرأت ذلك قلت في نفسي : وهل علمني أبي شيئاً هو خير لي من هذا ؟ فمكثت ما شاء الله ، ثم بلغني أن النبي ﷺ قد خرج بمكة وهو يظهر مرة ويستخفي أخرى فقلت : هو ذا ، فلم يزل كذلك حتى قيل لي : قد أتى المدينة ، فقلت في نفسي إني لأرجو أن يكون إياه ، وكانت تبلغني وقائعه : مرة له ، ومرة عليه ، ثم بلغني أنه توفى ، فقلت في نفسي : لعله ليس بالذي كنت أظن حتى بلغني أن خليفته قد قام مقامه ، ثم لم يلبث إلا قليلاً حتى جاءتنا جنوده ، فقلت في نفسي : لا أدخل في هذا الدين حتى أعلم أنهم هم الذين أرجو وأنظر سيرتهم وأعمالهم .

فلم أزل أدافع ذلك وأؤخره لأستثبت حتى قدم علينا عمال عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما رأيت وفاءهم بالعهد وما صنع الله لهم على الأعداء علمت أنهم هم الذين كنت أنتظر ، فحدثتُ نفسي بالدخول في دينهم ، فوالله إني ذات ليلة فوق سطحي فإذا رجل من المسلمين يتلو قول الله عز وجل : ﴿ **يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولاً** ﴾[1] ، قال : فلما سمعت هذه الآية خشيتُ أن لا أصبح حتى يحول وجهي في قفاي ، فما كان شيء أحبّ إليّ من الصباح فغدوت على المسلمين .

قال : وحدثني عطاء عن شهر بن حوشب عن كعب قال : قلت لعمر رضي الله عنه بالشام عند انصرافه أنه مكتوب في الكتب: أن هذه البلاد التي كان بنو إسرائيل أهلها مفتوحة على رجل من الصالحين ، رحيم بالمؤمنين ، شديد على الكافرين ، سره مثل علانيته ، وقوله لا يخالف فعله ، والقريب والبعيد سواء في الحق عنده ، أتباعه رهبان بالليل وأُسْدٌ بالنهار ، متراحمون متواضعون متبارون ، فقال عمر رضي الله عنه : ثكلتك أمك ! أهو ما تقول ؟ فقال : إي والذي يسمع ما أقول ، فقال : الحمد لله الذي أعزنا وأكرمنا وشرفنا ورحمنا بنبينا محمد ﷺ .

---

(١) النساء : ٤٧ .

وله من حديث المسعودي عن نفيل بن هشام بن سعيد بن زيد عن أبيه ، عن جده سعيد بن زيد ، أن زيد بن عمرو وورقة ابن نوفل خرجا يلتمسان الدين ، حتى انتهيا إلى راهب بالموصل ، فقال لزيد بن عمرو : من أين أقبلت يا صاحب البعير ؟ قال : من بيت إبراهيم ، قال : وما تلتمس ؟ قال : ألتمس الدين ، قال : ارجع فإنه يوشك أن يظهر الذي تطلب في أرضك ، فرجع وهو يقول : لبيك حقا حقا ، تعبُّداً ورقّاً ، البرّ أبغي لا الخال ، وهو كمن قال : آمنت بما آمن به إبراهيم وهو يقول : أبقي لك فإني واهم ، مهما تجشمني فإني جاشم ، ثم يخر فيسجد .

وله من حديث النضر بن مسلمة قال : حدثنا محمد بن موسى أبو غزية ، عن علي بن عيسى بن جعفر عن أبيه عن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، عن أبيه عامر ابن ربيعة العدوي قال : لقيتُ زيد بن عمرو بن نفيل وهو خارج من مكة يريد حراء يصلي فيها ، وإذا هو قد كان بينه وبين قومه يوفي صدر النهار في ما أظهر من خلافهم ، واعتزال آلهتهم وما كان يعبد آباؤهم .

فقال زيد بن عمرو : يا عمر إني خالفت قومي واتبعت ملة إبراهيم خليل الله وما كان يعبد وابنه اسماعيل من بعده ، وما كانوا يصلون إلى هذه القبلة ، وأنتظر نبياً من ولد إسماعيل من بني عبد المطلب اسمه أحمد ، ولا أراني أدركه ، فأنا يا عامر أؤمن به وأصدقه وأشهد أنه نبي ، فإن طالت بك مدة فرأيته فأقرئه مني السلام ، وسأخبرك يا عامر ما نَعْتُه حتى لا يخفى عليك ، قلت : هلم .

قال : هو رجل ليس بالقصير ولا بالطويل ، ولا بكثير الشعر ولا بقليله ، وليس يفارق عينيه حمره ، وهو خاتم النبوة واسمه أحمد ، وهذا البلد مولده ومبعثه ، ثم يخرجه قومه منها ، ويكرهون ما جاء به حتى يهاجر إلى يثرب فيظهر أمره ، فإياك أن تُخدع عنه فإني بلغت البلاد كلها أطلب دين إبراهيم عليه السلام ، فكل من أسأل من اليهود والنصارى والمجوس يقول : هذا الدين وراءك ، وينعتونه مثل ما نعته لك ويقولون : لم يبق نبي غيره .

قال عامر : فوقع في نفسي الإسلام من يومئذ ، فلما تنبأ رسول الله ﷺ كنت حليفاً في قومي ، وكان قومي أقل قريش عدداً ، فلم أقدر على اتباعه ظاهراً فأسلمت

سراً ، وكنت أخبرت رسول الله ﷺ بما أخبرني به زيد بن عمرو فترحم عليه وقال : قد رأيته في الجنة يسحب ذيلاً له أو ذيولاً له[1] .

وله من حديث أبي بكر الهذلي عن عكرمة بن عباس قال : قال العباس : خرجتُ في تجارة إلى اليمن في ركب منهم أبو سفيان بن حرب فقدمتُ اليمن ، وكنت أصنع يوماً طعاماً وأنصرف بأبي سفيان والنفر ، ويصنع أبو سفيان يوماً ويفعل مثل ذلك ، فقال لي في يومي الذي كنت أصنع فيه : هل لك يا أبا الفضل أن تنصرف إلى بيتي وترسل إليَّ غداك ؟ قلت : نعم .

فانصرفت أنا والنفر إلى بيته وأرسلت [إليه][2] الغداء ، فلما تغدى القوم قاموا واحتبسني فقال : هل علمت يا أبا الفضل أن ابن أخيك يزعم أنه رسول الله ؟ قلت أيُّ بني أخي ؟ قال : إياي تكتم ؟ وأيُّ بني أخيك ينبغي أن يقول هذا إلا رجل واحد ، قلت : وأيهم ؟ هو محمد بن عبد الله ؟ .

قلت : قد فعل ؟ قال : قد فعل[3] ، وأخرج كتاباً من ابنه حنظلة بن أبي سفيان : أخبرك أن محمداً أقام بالأبطح فقال : أنا رسول الله أدعوكم إلى الله ، قال العباس : قلت : لعله يا أبا حنظلة صادق ، فقال : مهلاً يا أبا الفضل ، فو الله ما أحب أن تقول هذا ، إني لأخشى أن تكون كنت على صبر من هذا الحديث ، يا بني عبد المطلب إنه والله ما برحت قريش تزعم أن لكم هنة وهنة كل واحد منهما قامته ، نشدتك يا أبا الفضل هل سمعت ذلك ؟ .

قلت : نعم قد سمعت ، قال : فهذه والله شؤمتكم ، قلت : فلعلها يُمنتنا ، قال : فما كان يبعد ذلك إلا ليالٍ حتى قدم عبد الله بن خرافة بالخبر وهو مؤمن ، ففشا ذلك في مجالس اليمن ، وكان أبو سفيان يجلس مجلساً باليمن يتحدث وفيه حَبْر من أحبار اليهود ، فقال له اليهودي : ما هذا الخبر ؟! بلغني أن فيكم عم هذا الرجل الذي قال ما قال .

---

(١) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ١٠٠ - ١٠١ ، حديث رقم (٥٢) ، رواه ابن سعد في (الطبقات) : ١ / ١٦١ ، والفاكهي بإسناده ثم ذكر الحديث . وانظر الإصابة أيضاً ، ويظهر أن إسناده عنده مقبول ، و (الخصائص) : ١ / ٦١ .

(٢) في (خ) : « إلى » ، وما أثبتناه أجود للسياق .

(٣) في (خ) : « بلى قد فعل » ، وما أثبتناه حق اللغة .

قال أبو سفيان : صدقوا ، وأنا عمه ، قال اليهودي : أخو أبيه ؟ قال نعم ، قال : فحدثني عنه ، قال : لا تسألني ، ما كنت أحب أن يدعي هذا الأمر أبداً ، وما أحب أن أعيبه وغيره خير منه ، فرأى اليهودي أنه يغمص عليه ولا يحب أن يعيبه ، فقال : ليس به بأس على اليهود وتوراة موسى .

قال العباس : فنادى إلى الحبر فحمت وخرجت حتى جلست هذا المجلس من الغد ، وفيه أبو سفيان والحبر ، فقلت للحبر : بلغني أنك سألت ابن عمي عن رجل منا ، زعم أنه رسول الله فأخبرك أنه عمه وليس بعمه ، ولكن ابن عمه ، وأنا عمه وأخو أبيه ، قال : أخو أبيه ؟ قلت : أخو أبيه ، فأقبل على أبي سفيان فقال : صدق ، قال نعم صدق ، فقلت : سلني ، فإن كذبت فيرده عليّ .

فقلت : نشدتك هل كانت لابن أخيك صبوة أو سفهة ؟ قلت : لا ، وإله عبد المطلب ، ولا كذب ولا خان ، وإن كان اسمه عند قريش الأمين ، قال : هل كتب بيده ؟ قال العباس : فظننت أنه خير له أن يكتب بيده ، فأردت أن أقولها ، ثم ذكرت مكان أبي سفيان أنه مكذّبي ورادّ عليّ ، فقلت : لا يكتب ، فوثب الحبر وترك رداءه وقال : ذُبِحَتْ يهود وقُتِلَتْ يهود .

قال العباس : فلما رجعنا إلى منزلنا قال أبو سفيان : يا أبا الفضل إن اليهود تفزع من ابن اخيك ، قلت : قد رأيت ، فهل لك أيا أبا سفيان أن تؤمن به ، فإن كان حقاً كنت قد سبقتك ، وإن كان باطلاً فمعك غيرك من أكفائك .

قال : لا أؤمن به حتى أرى الخيل في كذا ، قلت : ما تقول ؟ قال : كلمة جاءت على فمي إلا أني أعلم أن الله لا ينزل خيلاً تطلع من كذا .

قال العباس : فلما استفتح رسول الله ﷺ مكة ونظرنا إلى الخيل قد طلعت من كذا ، قلت : يا أبا سفيان ! تذكر الكلمة ؟ قال : إي والله ، إني أذكرها ، والحمد لله الذي هداني للإسلام .

وله من حديث إسماعيل بن الطريح بن إسماعيل الثقفي قال : حدثني أبي عن عمران بن الحكم عن معاوية بن أبي سفيان عن أبيه قال : خرجت أنا وأمية بن معاوية

ابن أبي الصلت الثقفي تجاراً إلى الشام، فكلما نزلنا منزلاً أخذ أمية سفراً له يقرؤه علينا، وكنا كذلك حتى نزلنا قرية من قرى النصارى فجاءوه وأكرموه وأهدوا له ، وذهب معهم إلى بيوتهم ، ثم رجع في وسط النهار فطرح ثوبيه وأخذ ثوبين له أسودين فلبسهما وقال لي : يا أبا سفيان ، هل لك في عالم من علماء النصارى إليه يتناهى علم الكتاب نسأله ؟ قلت : لا أرب لي فيه ، والله لئن حدثني بما أحب لا أثق به ، ولئن حدثني بما أكره لأرحل منه .

قال : فذهب وخالفه فتى من النصارى فدخل عليه فقال : ما يمنعك أن تذهب إلى هذا الشيخ ؟ قلت : لست على دينه ، قال : وإن ، فإنك تسمع منه عجباً وتراه ، ثم قال لي الثقفيّ : أنت قلت : لا ، ولكني قُرَيشيّ، قال : فما يمنعك من الشيخ ؟ فوالله إنه ليحبكم ويوصي بكم ، قال : وخرج من عندنا ومكث أمية حتى جاءنا بعد هدأه من الليل ، فطرح ثوبيه ثم انجذل إلى فراشه ، فوالله ما نام ولا قام حتى أصبح كئيباً حزيناً ساقطاً غبوقه على صبوحه[1] ، ما يكلمنا وما نكلمه .

ثم قال : ألا ترحل ؟ فرحلنا ، فسرنا بذلك ليلتين من همه ، ثم قال لي في الليلة الثالثة : ألا تحدث أبا سفيان ؟ قلت : وهل بك من حديث ؟ والله ما رأيت مثل الذي رجعت به من عند صاحبك ، قال : أما إن ذلك شيء لست فيه ، إنما ذلك شيء وجلت به من منقلبي ، قال : قلت : هل أنت قابل أمانتي ؟ قال : على ماذا ؟ قلت : على أنك لا تبعث ولا تحاسب ، فضحك ثم قال : بلى والله يا أبا سفيان لنبعثن ولنحاسبن ، وليدخلن فريق الجنة وفريق النار ، قلت : ففي أيهما أنت أخبرك صاحبك ؟ قال : لا علم لصاحبي بذلك في ولا في نفسه .

قال : فكنا في ذلك ليلتين يعجب مني وأضحك منه ، حتى قدمنا على غوطة دمشق فبعنا متاعنا فأقمنا شهرين وارتحلنا حتى نزلنا قرية من قرى النصارى ، فلما رأوه جاءوه أهدوا له ، وذهب معهم إلى بيعتهم ، حتى جاء بعدما انتصف النهار ، فلبس ثوبيه وذهب إليهم حتى جاءنا بعد هدأة من الليل فطرح ثوبيه ورمى بنفسه على فراشه ، فو الله ما نام ولا قام ، وأصبح كئيباً حزيناً لا يكلمنا ولا نكلمه .

---

(١) الغبوق : شراب اللبن في المساء ، والصبوح : شرابه في الصباح ، والمقصود هنا كناية عن الاضطراب وعدم الاتزان .

ثم قال : ألا نرحل ؟ قلت : بلى إن شئت ، فرحلنا لذلك [من بيته وحزبه][1] ليالي ثم قال لي : يا أبا سفيان ! هل لك في المسير فنقدم أصحابنا ؟ فسرنا حتى برزنا من أصحابنا ساعة ثم قال : هيا صخر ، قلت : ما تشاء ، قال : حدثني عن عتبة بن ربيعة ، أيجتنب المظالم والمحارم ؟ قلت : إي والله ، قال : ويصل الرحم ويأمر بصلتها ؟ قلت : أى والله ، قال : وكريم الطرفين وسيط في العشيرة ؟ قلت : نعم ، قال : فهل تعرف في قريش من هو أفضل منه ؟ قلت : لا والله ما أعلمه ، قال : أمحوج ؟ قلت : لا ، بل هو ذو مالك كثير ، قال : وكم أتى له من السن ؟ قلت : قد زاد على المائة ، قال : فالشرف والسن والمال أزرين به ، قلت : ولم ذلك يُردى به ؟ قال : لا والله بل يزيده خيراً .

قال : هو ذاك ، هل لك في المبيت ؟ قلت : لي فيه ، فاضطجعنا حتى مرَّ الثقل ، فسرنا على ناقتين نحيلتين حتى إذا برزنا قال : هيا صخر[2] [عن][1] عتبة ابن ربيعة ، قلت : هيا فيه ، [ ][3] قال : وذو مال ؟ قلت : وذو مال ، قال : أتعلم في قريش أسود[4] ؟ قلت : لا والله ما أعلمه ، قال : كم أتى له من السن ؟ قلت قد زاد على المائة ، قال : فإن الشرف والمال أزرين به ، قلت : كلا والله ، ما أرى ذلك به وأنت قائل شيئاً فقلته ، قال : لا تذكر حديثي حتى يأتي منه ما هو آت ، ثم قال : فإن الذي رأيت أصابني أني جئت هذا العالم فسألته عن أشياء ثم قلت : أخبرني من هذا النبي الذي ينتظر .

قال : هو رجل من العرب ، قلت : قد علمت أنه من العرب ، فمن أي العرب هو ؟ قال : من أهل بيت تحجه العرب ، قلت : وفينا بيت تحجه العرب ؟ قال : هو في إخوانكم من قريش ، قال : فأصابني والله شيء ما أصابني مثله قط ، وخرج من يدي فوز الدنيا والآخرة ، وكنت أرجو أن أكون إياه .

فقلت : فإذا كان فصفه لي ، قال : رجل شاب حين دخل في الكهوله ، بدء

(١) كذا في (خ) . (٢) في (خ) هيا فيه .
(٣) في (خ) : تكرار من الناسخ لعبارة : « أيجتنب ..... إلى ويفعل ذلك » .
(٤) من السيادة .

أمره يجتنب المظالم والمحارم ، ويصل الرحم ويأمر بصلتها ، وهو محوج كريم الطرفين متوسط في العشيرة ، أكثر جنده الملائكة .

قلت : وما آية ذلك ؟ قال : قد رجعت الشام منذ هلك عيسى ابن مريم ثلاثين رجعة كلها مصيبة ، وبقيت رجعة عامة فيها مصائب ، قال أبو سفيان : فقلت له : هذا والله الباطل ، لئن بعث الله رسولاً لا يأخذه إلا مسناً شريفاً .

قال أمية : والذي أحلف به إن هذى لكذا يا أبا سفيان يقول : إن قول النصراني حق ، هل لك في المبيت ؟ قلت : لي فيه ، فبتنا حتى جاءنا الثقل ، ثم خرجنا حتى إذا كنا بيننا وبين مكة ليلتان أدركنا راكب من خلفنا فسألناه ، فإذا هو يقول : أصاب أهل الشام بعدكم رجفة دمَّرت أهلها ، وأصابهم فيها مصائب عظيمة .

قال أبو سفيان : فأقبل على أمية فقال : كيف ترى قول النصراني يا أبا سفيان ، قلت : أى والله ، وأظن أن ما حدَّثك صاحبك حق ، قال : وقَدِمْنا مكة فقضيت ما كان معي ، ثم انطلقت حتى جئت اليمن تاجراً فكنت بها خمسة أشهر ، ثم قدمت مكة ، فبينا أنا في منزلي جاءني الناس يسلمون ويسألون عن بضائعهم .

* * *

[ثم جاءني محمد بن عبد الله ﷺ][1]

وهند عندي تلاعب صبياً لها ، فسلم عليّ ورحب بي ، وسألني عن سفري ومقامي ، ولم يسألني عن بضاعته ، ثم قام ، فقلت لهند : والله إن هذا ليعجبني ؛ ما من أحد من قريش له معي بضاعة إلا وقد سألني عنها ، وما سألني هذا عن بضاعته ، فقالت: وما علمت شأنه ؟ قلت : – وفزعت – ما شأنه ؟ قالت : يزعم أنه رسول الله ، فأيقظتني وذكرت قول النصراني ووجمت[2] حتى قالت هند : مالك ؟ فانتبهت وقلت : إن هذا لهو الباطل ، هو أعقل من أن يقول هذا ، قالت : بلى ، والله إنه ليقول ذلك ، فبوأنا عليه ، وإن له لصاحبه على دينه ، قلت : هذا الباطل ، وخرجت ، فبينا أنا أطوف بالبيت لقيته فقلت : إن بضاعتك قد بلغت كذا وكذا ، وكان فيها خيرٌ ، فأرسلْ فخذها ، ولست بآخذ منك فيها ما آخذ من قومك ، فأبى عليّ وقال : إذاً لا آخذها ، قلت : فأرسل وخذها وأنا آخذ منك ما آخذ من قومك ، فأرسل إلي بضاعته فأخذها ، وأخذت منه ما كنت آخذ من قومه غيره .

ولم أنشب أن خرجت تاجراً إلى اليمن فقدمت الطائف ، فنزلت على أمية بن أبي الصلت فقلت له : أبا عثمان ! هل تذكر حديث النصراني ؟ قال : أذكره ، قلت : قد كان ، قال : ومن ؟ قلت : محمد بن عبد الله ، قال : ابن عبد المطلب ؟ قلت : ابن عبد المطلب ، ثم قصصت عليه خبر هند ، قال : فالله يعلم يتصبب عرقاً ثم قال : والله يا أبا سفيان لعله ، إنَّ صفته لهي ، ولئن ظهر وأنا حيّ لأبلين الله نصره عذراً .

قال : ومضيت إلى اليمن فلم أنشب أن جاءني هنالك استهلاله ، فأقبلت حتى نزلت إلى أمية بن أبي الصلت بالطائف فقلت : يا أبا عثمان ! قد كان من أمر الرجل

---

(١) ما بين الحاصرتين عنوان في (خ) ، إلا أنها بداية فقرة جديدة ، وقد أثبتناها كما هي في (خ) .
(٢) وجم : سكت على غيظ . (لسان العرب) ١٢ / ٦٣٠ .

ما قد بلغك وسمعت ، قال : قد كان لعمري ، قلت : فأين أنت يا أبا عثمان عنه ؟ قال : والله ما كنت لأؤمن لرسول من غير ثقيف أبداً ، قال أبو سفيان : وأقبلت إلى مكة ، فو الله ما أنا ببعيد حتى جئت مكة فوجدتُ أصحابه يضربون ويعزفون ، فجعلت أقول : فأين جنده من الملائكة ؟ قال : فدخلني ما يدخل الناس من النفاسة[1] .

وله من حديث الليث بن سعيد عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير عن معاوية ابن أبي سفيان ، أن أمية بن أبي الصلت كان بغزة أو قال : بإيلياء ، فلما قفلنا قال لي : يا أبا سفيان ! هل لك أن تتقدم على الرفقة فنتحدث ؟ قلت : نعم ، ففعلنا ، فقال لي : يا أبا سفيان ، إيه عن عتبة بن ربيعة ، قلت : إيه عن عتبة بن ربيعة ، قال : كريم الطرفين ، ويجتنب المظالم والمحارم ؟ قلت : نعم ، قال : وشريف حسن ، قال : السن والشرف أزريا به ، فقلت له : كذبت ، ما ازداد شيئاً إلا ازداد شرفاً ، قال : يا أبا سفيان ! إنها لكلمة ما سمعت أحداً يقولها لي منذ تنصرت ، لا تعجل عليّ حتى أخبرك ، قلت : هات .

قال إني أجد في كتبي نبياً يبعث من حرتنا هذه ، فكنت أظن بل كنت لا أشك أني هو ! فلما دارست أهل العلم إذا هو من بني عبد مناف ، فنظرت في بني عبد مناف فلم أجد أحداً يصلح لهذا الأمر غير عتبة بن ربيعة ، فلما أخبرتني بسنه عرفت أنه ليس به حين جاوز الأربعين ولم يوح إليه ، قال أبو سفيان : فضرب الدهر من ضربه .

[وأوحي إلى رسول الله ﷺ][2]

وخرجت في ركب من قريش أريد اليمن في تجارة ، فمررت بأمية فقلت له كالمستهزىء به : يا أمية ! قد خرج النبي الذي كنت تنعته ، قال : أما إنه حق فأتبعه ، قلت : ما يمنعك من اتباعه ؟ قال : ما يمنعني إلا الاستحياء من نسيات

(١) نَفِسْتُ عليه بالشيء أنفَسه نفاسة ، إذا ضَنِنْتَ به ولم تحب أن يصل إليك . (القاموس المحيط) : ٦ / ٢٣٨ .
(٢) ما بين الحاصرتين عنوان في (خ) ، إلا أنها بداية فقرة جديدة ، وقد أثبتناها كما هي في (خ) .

ثقيف ، كنت أحدثهن أني هو ، ثم يرينني تابعاً لغلام من بني عبد مناف ، ثم قال ابن مية : فكأني بك يا أبا سفيان إن خالفته قد ربطت كما يربط الجدي ، ثم يؤتى بك إليه فيحكم فيك بما يريد ! .

وله من حديث ابن إسحق عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان يهودي سكن مكة يتَّجر بها ، فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ قال في مجلس : يا معشر قريش ! هل ولد فيكم الليلة مولود ؟ قال القوم : ما نعلمه ، قال : الله أكبر ، أما إنْ أخطأكم فلا بأس ، أنظروا واحفظوا يا معشر قريش ما أقول لكم : ولد هذه الليلة نبي هذه الأمة الآخر ، بين كتفيه علامة فيها شعيرات متواترات كأنهن عرف فرس ، لا يرضع ليلتين ، وذاك أن عفريتاً من الجن أدخل أصبعه في فيه ومنعه من الرضاع ، فتصدع القوم من مجلسهم وهم يعجبون من قوله وحديثه ، فلما صاروا إلى منزلهم أخبر كل إنسان منهم أهله فقالوا : ولد لعبد الله بن عبد المطلب الليلة غلام وأسموه محمداً .

فالتقى القوم فقالوا : هل سمعتم حديث اليهودي وقد بلغكم مولد هذا الغلام ؟ فانطلقوا حتى جاءوا اليهودي فأخبروه الخبر فقال : اذهبوا بي حتى أنظر إليه ، فخرجوا به حتى دخلوا على آمنة بنت وهب فقالوا : أخرجي إلينا ابنك فأخرجته آمنة ، فكشفوا له عن ظهره فرأى تلك الشامة فوقع مغشياً عليه ، فلما أفاق قالوا له : ويلك ! ما لك ؟ قال : ذهبت والله النبوة من بني إسرائيل ، أفرحتم به يا معشر قريش ؟ أما والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق إلى المغرب .

وكان في النفر يومئذ هشام والوليد ابنا المغيرة ، ومسافر بن أبي عمرو وعبيدة ابن الحرث بن عبد المطلب ، وعتبة بن ربيعة في نفر من بني عبد مناف وغيرهم من قريش .

وله من حديث محمد بن شريك عن شعيب بن شعيب عن أبيه عن جده قال : كان بمر الظهران راهب من الرهبان يدعى (عيصا) من أهل الشام ، وكان متخفّراً[1] بالعاص بن وائل، وكان الله قد أتاه علماً كثيراً ، وجعل فيه منافع كثيرة

(١) خفير القوم : مُجيرهم ، الذي يكونون في ضمانه ما داموا في بلاده .

لأهل مكة من طب ورفق وعلم ، وكان يلزم صومعة له ، ويدخل مكة في كل سنة فيلقي الناس ويقول : يوشك أن يولد فيكم مولود يا أهل مكة ، يدين له العرب ويملك العجم ، هذا زمانه فمن أدركه واتبعه أصاب حاجته ، ومن أدركه وخالفه أخطأ حاجته ، وتالله ما تركت الخمر والخمير [والأمّي][1] ، ولا حللتُ بأرض الجوع والبؤس والخوف إلا في طلبه .

فكان لا يولد بمكة مولود إلا يسأل عنه فيقول : ما جاء بعد ، فيقال له : فصفه ، فيقول : لا ، ويكتم ذلك للذي قد علم أنه لا نبي من قومه مخافة على نفسه أن يكون ذلك داعية إلى أدنى ما يفضي إليه من الأذى يوماً .

ولما كان ظهور اليوم الذي ولد فيه رسول الله ﷺ خرج عبد الله بن عبد المطلب حتى أتى (عصيا) فوقف في أصل صومعته ثم نادى : يا (عصيا) ، فناداه : من هذا ؟ فقال : أنا عبد الله ، فأشرف عليه فقال : كن أباه ، فقد ولد ذلك المولود الذي كنت أحدثكم عليه يوم الأثنين ، ويبعث يوم الأثنين ، ويموت يوم الأثنين .

قال : فإنه قد ولد لي مع الصبح مولود ، قال : فما سميته ؟ قال : محمداً ، قال : والله لقد كنت أشتهي أن يكون فيكم هذا المولود أهل البيت لثلاث خصال بها نعرفه ؛ فقد أتى عليه منها أن نجمه طلع البارحة ، وأنه ولد اليوم ، وأن اسمه محمداً ، انطلق إليه فإن الذي كنت أحدثكم عنه ابنك .

قال : فما يمنعك أن تأتيني ؟ ولعله لن يولد يومنا هذا مولودون عدة ، قال : قد وافق ابنك الاسم ، ولم يكن الله يشبِّه علمه على العلماء لأنه حجة ، وآية ذلك أنه الآن وَجِعٌ فيشتكي أياماً ثلاثة ؛ يظهر الوجع ثم يعافي ، فاحفظ لسانك فإنه لم يُحسد حسده أحدٌ قط ، ولم يُبغ على أحد كما يبغى عليه ، وإن تعش حتى تبدو معالمه ثم يدعو يظهر لك من قومك ما لا يحتمله إلا على ذُلّ ، فاحفظ لسانك ودارِ عنه .

قال : فما عمره ؟ قال : إن طال عمره أو قصر لم يبلغ السبعين ، يموت في وتر دونها من السنين ، في إحدى وستين أو ثلاث وستين ، أعمار جُلِّ أمته ، قال :

---

(١) كذا في (خ) .

وحُمل برسول الله ﷺ في عاشوراء المحرم ، وولد يوم الاثنين لثنتي عشر ليلة خلت من رمضان سنة ثلاث وعشرين من غزوة أصحاب الفيل .

وله من حديث النضر بن سلمة قال : حدثنا يحيى بن إبراهيم بن أبي قُتَيْلة عن زيد بن أسلم ، عن أبيه عن جده أسلم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى سعد بن أبي وقاص وهو بالقادسية أن يسرح نضلة بن معاوية الأنصاري وهو من أصحابه في ثلاثمائة فارس إلى حلوان فيغير على قراها ، لعل الله يفيدهم إبلاً ورقيقاً ، فلما انتهى كتاب عمر إلى سعد دعا سعدٌ نضلة فعقد له [لواءاً][1] وقال : اخرج ، فسار نضلة حتى إذا شارف حلوان فَرَّق أصحابه في ثلاث رساتق منها ، فأغاروا فأصابوا إبلاً ورقيقاً وشاءاً كثيراً ، فانصرفوا فتبعهم المشركون ، فكرَّ عليهم نضلة وأصحابه فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم إن الله صرف وجوه المشركين وولوا ، وسار نضلة في أصحابه معهم الغنائم ، وأرهق القوم صلاة العصر ، فنادى نضلة أصحابه فقال لهم : سوقوا الغنائم إلى سفح الجبل وعليكم بالصلاة .

ثم نزل فأَذَّنَ فقال : الله أكبر الله أكبر ، فأجابه كلام من الجبل : كبرَّت كبيراً يا نضلة ، فقال نضلة : أشهد أن لا إله إلا الله ، فقال : اخلصت لله إخلاصاً حرمت جسدك على النار ، قال : أشهد أن محمداً رسول الله ، قال : نبي بعث خاتم النبيين ، وصاحب شفاعة يوم القيامة ، قال : حيّ على الصلاة حيّ على الفلاح ، قال : البقاء لأمة محمد وهو الفلاح ، قال : الله أكبر الله أكبر ، قال : كبَّرت كبيراً ، قال : لا إله إلا الله ، قال أخلصت لله إخلاصاً .

قال : فتعجب نضلة وأصحابه ، فقال نضلة : من أنت يرحمك الله ؟ أهاتف من الجن ؟ أم عبد صالح جعل الله لك في هذا الجبل رزقاً ؟ حدثنا ما حالك ؟ أرنا وجهك ، قال : فانشق الجبل عن رأس كأن هامته رحى ، شديد بياض الرأس واللحية ، عليه ثياب الصوف ، فقال : أنا زريب بن يرثلمي وَصِيُّ العبد الصالح عيسى ابن مريم ، سألته فطلب إلى ربه حين رُفع ، فوهب لي عمراً إلى أن يهبط عليّ . فإن لي في هذا الجبل رزقاً ، فأقرىء عمر بن الخطاب السلام وقل : سدّدْ

---

(١) زيادة للسياق .

وقارِبْ وأبشِرْ ، حضر الأمر ونعم العبد أنت .

ثم انسدَّ الجبل فنادوا كثيراً فلا جواب ، فأخبر نضلة سعداً فكتب بذلك سعد إلى عمر رضي الله عنه فأجابه : يا سعد ، ذاك رجل من أوصياء عيسى ابن مريم عليه السلام ، أعطى فيها رزقاً وعمراً فسل عنه ، فركب سعد فأقام بفناء الجبل أربعين يوماً فلم يُجَب بشيء ، فكتب سعد بذلك إلى عمر رضي الله عنه .

ورواه الواقدي : حدثني عبد العزيز بن عمر ، حدثنا جعونة بن نضلة قال : كنت في الجبل يوم فتح حلوان ، فطلبنا المشركين في الشعب فأمعنَّا فيه ، فحضرت الصلاة فانتهيت إلى ماء فنزِلت [عن فرسي][1] فأخذت بعنانه ، فتوضأت ثم صعدت صخرة فأذّنت ، فلما قلت : الله أكبر الله أكبر .. فذكره .

وقد روى من حديث مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر تفرد [به][2] عبد الرحمن الراسبي وفيه ضعف ولين .

وله من حديث إسحق بن أبي إسحق الشيباني عن أبيه عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه قال : إني أجد فيما أقرأ من الكتب أنه ترفع راية بمكة ، الله مع صاحبها ، وصاحبها مع الله ، يظهره الله على جميع القرى .

وقال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة : إعلام نبينا ﷺ الموجودة في كتب الله المتقدمة ، قول الله عز وجل في السفر الأول من التوراة لإبراهيم عليه السلام : قد أجبت دعاءك في إسماعيل ، وباركت عليه وكثّرتُه وعظّمتُه جداً جداً ، وسيلد اثنى عشر عظيماً ، وأجعله لأمة عظيمة ، ثم أخبر موسى عليه السلام مثل ذلك في السفر وزاد فقال : لما هربت من سارة تراءى لها ملك الله وقال : يا هاجر أَمَة سارة ! إرجعي إلى سيدتك واخضعي لها ، فإني سأكثر ذريتك وزرعك حتى لا يُحْصَوَا كثرة ، وها أنت تحبلين وتلدين ابناً وتسميه إسماعيل ، لأن الله قد سمع خشوعك ، وتكون يده فوق الجميع ، ويدُ الجميع مبسوطة إليه بالخضوع .[3]

---

(١) في (خ) : « عرفوسي » . (٢) في (خ) : « عنه » .

(٣) (العهد القديم) : سفر التكوين ، الإصحاح السادس عشر ، وفيه : ٧ — فوجدها ملاك الرب على

قال ابن قتيبة : فتدبَّر هذا القول فإن فيه دليلاً بينا على أن المراد به رسول الله ﷺ ، لأن إسماعيل لم تكن يده فوق يد إسحق ، ولا كانت يد إسحق مبسوطة إليه بالخضوع ، وكيف يكون ذلك والنبوة والملك في ولد إسرائيل والعيص ، وهما ابنا إسحق ؟ فلما بعث رسول الله ﷺ انتقلت النبوة إلى ولد إسماعيل ، فدانت له الملوك وخضعت له الأمم ، ونسخ الله به كل شرعة ، وختم به النبيين ، وجعل الخلافة والملك في أهل بيته إلى آخر الزمان ، فصارت أيديهم فوق أيدي الجميع ، وأيدي الجميع مبسوطة بالخضوع ، قال :

* * *

= عين الماء في البرية . على العين التي في طريق شور * ٨ ــ وقال ياهاجر جارية ساراى من أين أتيت وإلى أين تذهبين . فقالت : أنا هاربة من وجه مولاتي ساراى * ٩ ــ فقال لها ملاك الرب : ارجعي إلى مولاتك واخضعي تحت يدها * ١٠ ــ وقال لها ملاك الرب : تكثيراً أُكثّر نسلك فلا يعد من الكثرة * ١١ ــ وقال لها ملاك الرب : ها أنت حُبلى فتلدين ابناً وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك * ١٢ ــ وإنه يكون إنساناً وحشياً . يده على كل واحد ويد كل واحد عليه . وأمام جميع إخوته يسكن » .

ومن إعلامه في التوراة

قال : جاء الله من سيناء ، وأشرق من ساعير[١] ، واستعلن من جبال فاران[٢] ، وليس بهذا خفاء على من يُدَبِّرُهُ ولاغموض ، لأن مجيء الله من سيناء : إنزاله التوراة على موسى عليه السلام بطور سيناء هو عند أهل الكتاب وعندنا ، لذلك يجب أن يكون إشراقه من ساعير إنزاله على المسيح عليه السلام الإنجيل ، وكان المسيح يسكن ساعير بأرض الجليل بقرية تدعى ناصرة وباسمها سمي من اتبعه نصارى ، وكما وجب أن يكون إشراقه من ساعير بالمسيح ، فكذلك يجب أن يكون استعلانه من جبال فاران بإنزال القرآن على محمد ﷺ في جبال فاران وهي جبال مكة ، وليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف في أن فاران هي مكة ، فإن ادعوا أنها غير مكة فليس ينكر من تحريفهم وإفكهم .

قلنا : ليس في التوراة أن إبراهيم أسكن هاجر وإسماعيل فاران ، وقلنا : دلونا على الموضع الذي استعلن الله منه واسمه فاران والنبي الذي أنزل الله عليه كتاباً بعد المسيح ، أوليس استعلن وعَلَن بمعنى واحد ، وهما ظهر وانكشف ؟ فهل تعلمون ديناً ظهر ظهور الإسلام وفشا في مشارق الأرض ومغاربها فشوه ؟

(١) ساعير ، سعير : كلمة عبرانية معناها « كثير الشعر » ، وهي اسم الأرض التي كان يسكنها الحواريون ، ثم استولى عليها (عيسو) ونسله ، وكانت تسمى أيضاً جبل سعير ، لأنها أرض جبلية على الجانب الشرقي من البرية العربية ، ويصل ارتفاع أعلى قمة في هذه الأرض ١٦٠٠ متراً ، وهي قمة جبل هور . وساعير أيضاً جبل في أرض يهوذا ، بين قرية يعاريم وبيت شمس ، وربما كانت سلسلة الجبال التي تقع عليها قرية ساريس إلى الجنوب الغربي من قرية يعاريم ، وإلى الشمال الغربي من أورشليم ، ولا زالت آثار الغابات التي كانت تنمو فوقه موجودة إلى اليوم . (قاموس الكتاب المقدس) : ٤٦٦ – ٤٦٧ .

(٢) جبال فاران : برية واقعة إلى جنوب جبل يهوذا وشرق برية بئر سبع وشور . (المرجع السابق) : ٦٦٧ .

ومن إعلامه في التوراة أيضاً

قال الله لموسى في السفر الخامس : إني أقيم لبني إسرائيل نبياً من إخوتهم مثلك ، أجعل كلامي على فمه ، فمن إخوة بني إسرائيل إلا بنو إسماعيل كما تقول بكر وتغلب أبناء وائل ، ثم تقول : تغلب أخو بكر ، وبنو تغلب إخوة بني بكر ، ترجع في ذلك إلى أخوة الأبوين ، فإن قالوا : إن هذا النبي الذي وعد الله نقيمه لهم هو أيضاً من بني إسرائيل ، لأن بني إسرائيل إخوة بني إسرائيل ، كذبتهم التوراة وألد بهم النظر ، لأن في التوراة أنه لم يقم في بني إسرائيل نبي مثل موسى ، وأما النظر : فإنه لو أراد إني أقيم لهم نبياً من بني إسرائيل مثل موسى لقال : أقيم لهم من أنفسهم مثل موسى و لم يقل : من إخوتهم ، كما أن رجلاً لو قال لرسوله : ائتني برجل من إخوة بكر بن وائل لكان يجب أن يأتيه برجل من بني تغلب بن وائل ، ولا يجب أن يأتيه برجل من بني بكر .

قال : ومن قول حبقوق[1] المتنبي في زمن دانيال قال حبقوق : وجاء الله من [اليتير][2] ، والتقديس من جبال فاران ، وامتلأت الأرض من تحميده وتقديسه ، وملك الأرض بيمينه ورقاب الأمم .

وقال أيضاً: تضيء له الأرض، ومحمد خيله في البحر، قال : وزادني بعض أهل الكتاب أنه قيل في كلام حبقوق : وستنزع في قِسِيكَ إغراقاً ، وترتوي السهام بأمرك يا محمد ارتواءاً ، وهذا إفصاح باسمه وصفاته ، فإن ادعوا غير نبينا وليس ينكر ذلك من جحودهم وتحريفهم ، فمن أحمد هذا الذي امتلأت الأرض من تحميده ، والذي جاء من جبال فاران فملك الأرض ورقاب الأمم ؟ قال : -

* * *

(١) يبدو أن (حبقوق) تنبأ أثناء حكم يهويا قيم (٦٠٧ – ٥٩٧ ق . م .) لكن من الصعب تعيين العصر بدقة ، ويعتقد غالبية النقاد أن النبوة ترجع إلى زمن وقوع معركة كركميش (بين الكلدانيين والمصريين ٦٠٥ ق . م .) . ويعتقد آخرون أن تاريخ النبوة كان قبل تلك المعركة بزمن وجيز (قاموس الكتاب المقدس) : ٢٨٨ ، وفيه أن حبقوق كان سبط لاوي .

(٢) هذه الكلمة غير واضحة في (خ) ، ولعل الصواب ما أثبتناه ، ويتير : اسم عبري معناه « رفعه » وهي مدينة في جبال اليهودية خصصت للكهنة (المرجع السابق) : ١٠٥٣ .

ومن ذكر شعيا له

قال شعيا عن الله تعالى : عبدي الذي سرت به نفسي ، وفي ترجمه أخرى قال : عبدي خيرتي رضى نفسي أفيض عليه روحي ، وفي ترجمة أخرى قال : أنزل عليه وحيي فيظهر في الأرض [وفي][1] الأمم عدله ، ويوصي الأمم بالوصايا ، لا يضحك ولا يسمع صوته في الأسواق ، يفتح العيون العور ، ويسمع الآذان الصم ، ويحي القلوب الغلف ، وما أعطيته لا أعطي غيره ، أحمد يحمد الله حمداً ، حديثاً يأتي من أقصى الأرض ، يفرح البرية وسكانها ، يهللون الله على كل شرف ، ويكبرونه على كل رابية .

وزاد آخر في الترجمة : لا يضعف ولا يُغلب ولا يميل إلى الهوى ، ولا يسمع في الأسواق صوته ، ولا يذل الصالحين الذين هم كالقصبة الضعيفة ، بل يُقوى به الصديقين ، وهو ركن المتواضعين ، وهم نور الله الذي لا يُطفَأ ولا يخصم حتى يثبت في الأرض حجتي ويقطع به العذر ، وإلى توراته تنقاد الجن ، وهذا إيضاح باسمه وصفاته . فإن قالوا : أي توراة له ؟ قلنا : أراد أنه يأتي بكتاب يقوم مقام التوراة لكم . ومنه قول كعب : شكا بيت المقدس إلى الله عز وجل الخراب ، فقيل له : لأبدلنّك توراة محدثة ، وعمالاً محدثين ، يدفون بالليل دفيف النسور ، ويتحنّنون عليك تحنّ الحمامة على بيضها ، ويملئونك خدوداً سجداً . قال ابن قتيبة :

* * *

---

(١) زيادة للسياق . .

ومن ذكر شعيا له

قال : أنا الله عظمتك بالحق وأيدتك ، وجعلتك نور الأمم وعهد الشعوب ، لتفتح أعين العميان وتنقذ الأسرى من الظلمات إلى النور ، وقال في الفصل الخامس من إليا : إن سلطانه على كتفه – يريد علامة نبوته – هذا في التفسير السرياني ، وأما في العبراني فإنه يقول : إن على كتفه علامة النبوة .

قال ابن قتيبة : ومن ذكر داود عليه السلام له في الزبور : سبحوا الرب تسبيحاً حديثاً ، سبحوا الذي هيكله الصالحون ، ليفرح اسرائيل بخالقه ، وبيوت صهيون من أجل أن الله اصطفاه لكرامته ، وأعطاه النصر ، وسدد الصالحين منهم بالكرامة ، يسبحون على مضاجعهم ، ويكبرون الله بأصوات مرتفعة ، بأيديهم سيوف ذات شفرتين لينتقموا لله من الأمم الذين لا يعبدونه ، يوثقون ملوكهم بالقيود وأشرافهم بالأغلال ، قال : فمن هذه الأمة التي سيوفها ذات شفرتين غير العرب ؟ ومن المنتقم بها من الأمم الذين لا يعبدون الله ؟ ومن المبعوث بالسيف من الأنبياء غير نبينا محمد ﷺ ؟ ومن خرت الأمم تحته غيره ؟ ومن قرنت شرائعه بالهيبة ، فإما القبول أو الجزية أو السيف ونحوه ، فقوله ﷺ : نصرت بالرعب .

قال : وفي مزمور آخر : أن الله أظهر من صهيون إكليلاًد محموداً ، قال : ضرب الإكليل مثلاً للرياسة والأمانة ، ومحمود هو محمد ﷺ . قال : وفي مزمور آخر : من صفته أنه يجوز من البحر إلى البحر ، ومن لدن الأنهار إلى منقطع الأرض ، أنه تخر أهل الجزائر بين يديه على ركبهم ، ويلحس أعداؤه التراب ، تأتيه الملوك بالقرابين وتسجد له ، وتدين له الأمم بالطاعة والانقياد ، وليخلص البائس المضطهد ممن هو أقوى منه ، وينقذ الضعيف الذي لا ناصر له ، ويرأف بالضعفاء والمساكين ، وأنه يعطي من ذهب من بلاد سبأ ، ويُصلي عليه ويُبارك في كل يوم ، ويدوم ذكره إلى الأبد .

قال ابن قتيبة : فمن هذا الذي ملك ما بين البحر والبحر ، وما بين دجلة

والفرات إلى منقطع الأرض، ومن ذا الذي يصلي عليه ويبارك في كل وقت من الأنبياء غيره ﷺ ؟ . قال : وفي موضع آخر من الزبور قال داود : اللهم ابعث صاحب إنه بشر ، وهذا إخبار عن المسيح وعن محمد صلى الله عليهما قبلهما بأحقاب ، يريد : ابعث محمداً حتى يُعلّم الناس أن المسيح بشر لعلم داود أنهم سيدّعوا في المسيح ما ادّعوا .

قال : وفي كتاب أشعيا قيل : قم فانظر ترى فخبرٍّ به ، قلت : أرى راكبين مقبلين أحدهما على حمار والآخر على جمل ، يقول أحدهما للآخر : سقطت بابل وأصنامها المبخرة ، قال : فصاحب الحمار عندنا وعند النصارى المسيح ، فإذا كان صاحب الحمار المسيح فلم لا يكون محمد ﷺ صاحب الجمل ؟ أو ليس سقوط بابل والأصنام المبخرة به وعلى يديه لا بالمسيح ؟ و لم يزل في إقليم بابل ملوك يعبدون الأوثان من لدن إبراهيم عليه السلام ؟ أو ليس هو بركوب الجمل أشهر من المسيح بركوب الحمار ؟ .

قال ابن قتيبة : فأما ذكر النبي ﷺ في الإنجيل : فقد قال المسيح للحواريين : أنا أذهب وسيأتيكم الفارقليط[1] روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه ، إنما هو كما يقال له وهو يشهد عليّ وأنتم تشهدون ، لأنكم مع من قتل الناس ، فكل شيء أعده الله لكم يخبركم به . قال :

* * *

(١) في بعض كتب النصارى : « البارقليط »

وفي حكاية يوحنا عن المسيح

أنه قال : الفارقليط لا يجيئك ما لم أذهب ، فإذا جاء سبح العالم من الخطيئة ، ولا يقول من تلقاء نفسه ، ولكنه مما يسمع به يكلمكم ويسوسكم بالحق ويخبركم بالحوادث والغيوب .

وفي حكاية أخرى : أن الفارقليط[1] روح الحق الذي يرسله أبي باسمي هو يعلمكم كل شيء ، وقال : إني سائل أبي أن يبعث إليكم فارقليطاً آخر يكون معكم إلى الأبد ، وهو يعلمكم كل شيء .

وفي حكاية أخرى : أن البشر ذاهب والفارقليط من بعده ، يجيء لكم الأسرار ويقر لكم [كل] شيء، وهو يشهد لي كما شهدت له، فإني أجيئكم بالأمثال وهو يأتيكم بالتأويل .

قال ابن قتيبة : وهذه الأشياء على اختلافها متقاربة ، وإنما اختلفت لأن من نقل الإنجيل عن المسيح عليه السلام عدة ، فمن هذا الذي هو روح الحق سبحانه ، الذي لا يتكلم إلا بما يوحى إليه ؟ ومن العاقب للمسيح والشاهد له بأنه قد بلَّغ ؟ ومن الذي أخبر بالحوادث في الأزمنة مثل خروج الدجال ، وظهور الدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، وأشباه هذا ؟ وأخبر بالغيوب من أمر القيامة والحساب ، والجنة والنار ، وأشباه ذلك مما لم يذكر في التوراة والإنجيل غير نبينا محمد ﷺ ؟ وقال :

* * *

(١) في بعض كتب النصارى : « البارقليط »

وفي إنجيل متى

أنه لما حبس يحيى بن زكريا ليقتل ، وبعث تلاميذه إلى المسيح وقال لهم : قولوا له : أنت هو الآتي ، أو يتوقع غيرك ؟ فأجابه المسيح وقال : الحق أقول لكم ، أنه لم تقم النساء عن أفضل من يحيى بن زكريا ، وأن التوراة وكتب الأنبياء يتلو بعضها بعضاً بالنبوة والوحي حتى جاء يحيى ، فأما الآن فإن شئتم فأقبلوا أن ألياهو مزمع أن يأتي ، فمن كانت له أذنان سامعتان فليستمع .

قال ابن قتيبة : وليس يخلو هذا الاسم من إحدى خلال : إما أن يكون قال : إن أحمد مزمع أن يأتي ، فغيروا الاسم كما قال تعالى : ﴿ **يحرفون الكلم عن مواضعه** ﴾[1] ، وجعلوه إلياهو ، وإما أن يكون قال : إن إيل مزمع أن يأتي ، وإيل هو الله عز وجل ، ومجيء الله مجيء رسوله بكتابه ، كما قال في التوراة : جاء الله من سيناء ؛ فمعناه : جاء موسى من سيناء بكتاب الله ، ولم يأت كتاب بعد المسيح إلا القرآن ، وإما أن يكون أراد النبي المسمى بهذا الاسم ، وهذا لا يجوز عندهم لأنهم مجمعون على أن لا نبي بعد المسيح .

قال ابن قتيبة : وقد وقع ذكر مكة والبيت والحرم في الكتب المتقدمة فقال في كتاب شعيا : أنه ستمتلي البادية والمدن من قصور قيدار يسبحون ، ومن رءوس الجبال ينادون ، هم الذين يحصلون لله الكرامة ، ويبثون تسبيحه في البر والبحر ، وقال : ارفع عَلَماً بجميع الأمم من بعيد ، فيصفر بهم من أقاصي الأرض ، فإذا هم سراع يأتون .

قال ابن قتيبة : وبنو قيدار هم العرب ، لأن قيدار بن إسماعيل باجماع الناس ، والعلم الذي يرفع هو النبوة ، والصفير بهم : دعاؤهم من أقاصي الأرض للحج ، فإذا هم سراع يأتون ، وهو قول الله تعالى : ﴿ **وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق** ﴾[2] ، وقال في موضع آخر من كتاب

---

(١) ١٣ : المائدة .　(٢) ٢٧ : الحج .

شعيا : سأبعث من الصبا قوماً فيأتون من المشرق مجيبين بالتلبيه أفواجاً ، كالصعيد كثرة ، ومثل الطيان تدوس برجله الطين ، والصبا تأتي من مطلع الشمس ، يبعث عز وجل من هناك قوماً من أهل خراسان وما صاقبها ، وممن هو نازل بمهب الصبا فيأتون مجيبين بالتلبية أفواجاً كالتراب كثرة ومثل الطيان يدوس برجله الطين ، يريد أن منهم رجاله كالين ، وقد يجوز أن يكون أراد الهرولة إذا طافوا بالبيت .

قال ابن قتيبة : وقال في ذكر الحجر المسلَّم : قال شعيا : قال الرب السيد : هأنذا مؤسس بصهيون ، وهو بيت الله حجراً في زاوية مكة ، والحجر في زاوية البيت ، والكرامة أن يُستلم ويُلثم .

وقال شعيا في ذكر مكة : سُرِّى واهتزي أيتها العاقر التي لم تلد ، وانطقي بالتسبيح وافرحي إن لم تحبلي ، فإن أهلك يكونون أكثر من أهلي ، يعني بأهله : أهل بيت المقدس من بني إسرائيل ، [أو] أراد أن أهل مكة يكون ممن يأتيهم من الحجاج والعمار أكثر من أهل بيت المقدس ، فأشبه مكة بامرأة عاقر لم تلد ، لأنه لم يكن فيها قبل نبينا محمد ﷺ إلا إسماعيل وحده ، ولم ينزل بها كتاب ، ولا يجوز أن يكون أراد بالعاقر بيت المقدس لأنه بيت الأنبياء ومهبط الوحي ، ولا يشبه بالعاقر من النساء .

وفي كتاب شعيا أيضاً من ذكر مكة : قد أقسمت بنفسي كقسمي أيام نوح ألا أغرق الأرض بالطوفان كذلك أقسمت أن لا أسخط عليك ولا أرفضك ، وأن الجبال تزول ، والقلاع تنحط ، ونعمتي عليك لا تزول ، ثم قال : يا مسكينة يا مضطهدة ، هأنذا بان ، بالحسن حجارتك ومزينك بالجوهر ، ومكلل باللؤلؤ سقفك ، وبالزبرجد أبوابك ، وتبعدين من الظلم ولا تخافين ، ومن الضعف لا تضعفي ، وكل سلاح يصنع لايعمل فيك ، وكل لسان ولغة يقوم معك بالخصومه تفلحين معها .

ثم قال : وسيسميك الله اسماً جديداً – يريد أنه سمى المسجد الحرام وكان قبل ذلك يسمى الكعبة – فقومي فأشرقي ، فإنه قد دنا نورك ووقار الله عليك ، أنظري بعينك حولك ، فانهم مجتمعون ، يأتوك بنوك وبناتك عَدْواً ، فحينئذ تسرين

ويخاف قدرك ويتبع قلبك ، وكل غنم قيدار مجتمع إليك ، وسادات نباوث يخدمونك (ونباوث هو ابن إسماعيل ، وقيدار أبو النبي ﷺ هو أخو نباوث) .

ثم قال : وتفتح أبوابك دائماً الليل والنهار لا تغلق ، وتتخذونك قبلة ، وتدعون بعد ذلك مدينة الرب (أي بيت الله تعالى) .

وقال أيضاً : ارفعي إلى ما حولك بصرك تبتهجين وتفرحين من أجل أنه تميل إليك ذخائر البحر ، ويحج إليك عساكر الأمم حتى تعمرك قطر الإبل الموبلة ، وتضيق أرضك عن القطرات التي تجتمع إليك ، وتساق إليك كباش مدين ، ويأتيك أهل سبأ ، ويسير إليك بأغنام قاذار ، ويخدمك رجالات نباوث (يعني سدنة البيت ، أنهم من ولد نباوث بن إسماعيل) . قال ابن قتيبة :

* * *

وذكر شعيا طريق مكة فقال :

عن الله عز وجل : أني أعطي البادية كرامة وبها الكرمان ، ولبنان وكرمان الشام وبيت المقدس ، يعني أريد الكرامة التي كانت هناك بالوحي وظهور الأنبياء للبادية بالحج وبالنبي ﷺ ، ويشق في البادية مياه وسواقي أرض الفلاة ، ويكون الفيافي والأماكن العطاش ينابيع ومياها ، ويصير هناك محجة فطريق الحريم لا يمر به أنجاس الأمم ، والجاهل به لا يصل هناك ، ولا يكون به سباع ولا أسد ، ويكون هناك ممر المخلصين .

وفي كتاب حزقيل أنه ذكر معاصي بني إسرائيل وشبههم بكرمة فقال : ما تلبث تلك الكرمة أن قلعت بالسخطة ، ورمى بها على الأرض فأحرقت السمائم ثمارها ، فعند ذلك عرشها في البدو ، وفي الأرض المهملة العطش ، فخرجت من أغصانها الفاضلة نارٌ أكلت ثمار تلك حتى لم يوجد فيها عصى قوية ولا قضيب .

قال ابن قتيبة : وذكر الحرم في كتاب شعيا فقال : إن الذئب والحمل فيه يرعيان معاً ، وكذلك جميع السباع لا تؤذي ولا تفسد في كل حرمي ، ثم ترى بذلك الوحش إذا خرجت من الحرم عاودت الذعر وهربت من السباع ، وكان السبع في الطلب والحرص في الصيد كما كان قبل دخوله الحرم .

قال : وذكر أصحاب النبي ﷺ وذكر يوم بدر فقال شعيا وذكر قصة العرب ويوم بدر : ويدوسون الأمم كدياس البيادر ، وينزل البلاء بمشركي العرب ويهزمون ، ثم قال : ينهزمون بين يدي سيوف مسلولة ، وقسيٍّ موتورة ، ومن شدة الملحمة .

قال ابن قتيبة : فهذا ما في كتب الله المتقدمة الباقية في أيدي أهل الكتاب ، يتلونه ولا يجحدون ظاهره ، ما خلا اسم نبينا محمد ﷺ ، فإنهم لا يسمحون بالإقرار به تصريحاً ، ولن يخفى ذلك عنهم ، لأن اسم النبي ﷺ بالسريانية عندهم مشفح ، ومشفح هو محمد بغير شك ، واعتباره أنهم يقولون شفحا لإلاهيا إذا أرادوا أن يقولوا : الحمد لله .

فإذا كان الحمد شفحاً فمشفح محمد ، لأن الصفات التي أقروا أنها هي وفاق لأحواله وزمانه ومخرجه ومبعثه وشرعته فليدلونا على من له هذه الصفات ، ومن خرت الأمم بين يديه وانقادت لطاعته ، واستجابت لدعوته ، ومن صاحب الجمل الذي هلكت بابل وأصنامها به ، وأن هذه الأمة من ولد قيدار بن إسماعيل الذين ينادون من رءوس الجبال بالتلبية والأذان ، والذين نشروا تسبيحه في البر والبحر ، هيهات أن يجدوا ذلك إلا في محمد وأمته .

قال ابن قتيبة : ولو لم تكن هذه الأخبار في كتبهم بدليل قوله تعالى ﴿ **الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل** ﴾[1] ، وقوله : ﴿ **لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون * يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون** ﴾[2] ، وقوله : ﴿ **يعرفونه كما يعرفون أبناءهم** ﴾[3] ، وقوله : ﴿ **قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب** ﴾[4] ، وكيف جاز لرسول الله ﷺ أن يحتج عليهم بما ليس عندهم ويقول : من علامة نبوتي أنكم تجدوني مكتوباً عندكم ، ولا تجدونه وقد كان عيباً أن يدعوهم بما ينفرهم ، ولما أيقن الحال عبد الله بن سلام ومن أسلم أسلموا .

وقد ذكر يوحنا الإلهي الذي كتب الإنجيل في كتاب اسمه الأبوعلمسيس نبينا محمداً ﷺ وسماه : ماما ديوس ، ومعنى ماما بالعبرية ميم ، ومعنى ديوس ح م د ، وقال ابن الجوزي : وما زال أهل الكتاب يعرفون رسول الله ﷺ بصفاته ويقرون به ويعدون بظهوره ، ويوصون أهاليهم بالايمان به ، فلما ظهر آمن عقلاؤهم ، وحمل الحسدُ آخرين على العناد كحيي بن أخطب ، وأبو عامر الراهب ، وأمية بن أبي الصلت ، وقد أسلم جماعة من علماء متأخري أهل الكتاب ، وصنفوا كتباً يذكرون فيها صفاته التي في التوراة والإنجيل ، فالعجب ممن يتيقن وجود الحق ثم يحمله الحسد على الرضا بالخلود في النار .

* * *

---

(١) ١ٵ٧ : الأعراف .
(٢) ٧٠ ــ ٧١ : آل عمران .
(٣) ١٤٦ : البقرة .
(٤) ٤٣ : الرعد .

وأما سَمَاعُ الأَخْبَارِ بِنُبُوَّتِهِ من الجِنِّ وأجْوافِ الأَصْنَامِ ومِنَ الكُهَّان

فخرج الحافظ أبو نعيم من حديث عبيد الله بن عمرو بن محمد بن عقيل عن جابر رضي الله عنه قال : أول خبر قدم المدينة عن رسول الله ﷺ أن امرأة من أهل المدينة كان لها تابع فجاء في صورة طائر فوقع على حائط[1] دارها فقالت : انزل بخبرنا ونخبرك ، قال : إنه بعث بمكة نبي منع منا القرار وحرم علينا الزنا[2] .

وخرج من حديث الزهري عن علي بن الحسين قال : إن أول خبر قدم المدينة عن رسول الله ﷺ من امرأة تدعى فاطمة بنت النعمان النجارية كان لها تابع فجاءها ذات يوم فقام على الجدار ، فقالت : انزل ، قال : لا ، قد بعث الرسول الذي حرم الزنا .

ومن حديث أشعث بن شعبة عن أرطأة بن المنذر قال : سمعتُ ضمرة يقول : كانت امرأة بالمدينة يغشاها جان ، فكان يتكلم ويسمعون صوته ، قال : فغاب[3] فلبث ما لبث فلم يأتها و لم يختلف إليها ، فلما كان بعد إذ هو يطلع من كوة فنظرت إليه فقالت : يا ابن لوذان ! ما كانت لك عادة تطلع من الكوة فما بالك ؟ فقال : إنه خرج نبي بمكة وإني سمعت ما جاء به فإذا هو يحرم الزنا ، فعليك السلام[4] .

---

(١) في (دلائل أبي نعيم) : « الحائط لهم » ، « ألا تنزل إلينا فتحدثنا ونحدثك وتخبرنا ونخبرك ؟ ، قال لها : إنه قد بُعِث نبيٌّ بمكة حرم الزنا ومنع منا القرار » .

(٢) المرجع السابق : ١ / ١٠٧ ، حديث رقم (٥٦) ، أخرجه ابن سعد في (الطبقات) : ١ / ١٨٩ ، وأحمد ، والطبراني في الأوسط ، والبيهقي ، كلهم عن جابر ، وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد) : ٨ / ٢٤٣ : ورجاله وثقوا .

(٣) ف (خ) : « فغاب بعد » .

(٤) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ١٠٧ ، حديث رقم (٥٧) ، قال السيوطي في (الخصائص) : ١ / ٢٨٥ : أخرجه أبو نعيم عن أرطأة بن المنذر

ومن حديث الواقدي قال : حدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة قال : قال عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه : خرجنا في عير إلي الشام قبل[1] مبعث رسول الله ﷺ ، فلما كنا بأفواه الشام وبها كاهنة ، فتعرضنا لها فقالت : أتاني صاحبي فوقف على بابي فقلت : ألا تدخل ؟ فقال : لا سبيل إلى ذلك ، خرج أحمد بمكة[2] يدعو إلى الله[3] .

قال الواقدي : وحدثني محمد بن عبد الله عن الزهري قال : كان الوحي يسمع ، فلما كان الإسلام منعوا ، وكانت امرأة من بني أسد يقال لها سعيدة ، لها تابع من الجن ، فلما رأى الوحي لا يُستطاع أتاها فدخل في صدرها يصيح فذهب عقلها ، فجعل يقول من صدرها : وضع العناق[4] ، ورُفع الرفاق[5] ، وجاء أمر لا يطاق ، أحمد حرم الزنا .

قال الواقدي : وحدثنا أبو داود سليمان بن سالم عن يعقوب بن زيد بن طلحة التيمي ، أن رجلاً مر على مجلس بالمدينة فيه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فنظر إليه فقال : أكاهن أنت ؟ قال : يا أمير المؤمنين ! هُدي بالاسلام كل جاهل ، ودُفع بالحق كل باطل ، وأُقيم بالقرآن كل مائل ، وَغُني بمحمد ﷺ كل عائل ، فقال عمر : متى عهدك بها ؟ - يعني صاحبته - قال : قبيل الإسلام ؛ أتتني فصرخت : ياسلامُ ياسلامُ ، الحق المبين والخير الدائم ، خير حلم النائم ، الله أكبر .

فقال رجل من القوم : يا أمير المؤمنين ! أنا أحدثك مثل هذا ، والله إنا لنسير في « دَويَّه »[6] ملساء لا يسمع فيها إلا الصدى ، إذ نظرنا فإذا راكب مُقْبِل أسرع

---

(١) في (دلائل أبي نعيم) : « قبل أن يُبعث » .

(٢) في المرجع السابق : « خرج أحمد ، وجاء أمر لا يُطاق ، ثم انصرفتُ فرجعتُ إلى مكة ، فوجدتُ رسول الله ﷺ قد خرج بمكة يدعو إلى الله عزَّ وجلَّ » .

(٣) (المرجع السابق) : ١ / ١٠٨ ، حديث رقم (٥٨) ، قال السيوطي في (الخصائص) : ١ / ٢٥٨ : أخرجه أبو نعيم ، وفيه الواقدي ، وهو متروك .

(٤) العَنَاق : الكذب الفاحش . (القاموس المحيط) : ١٠ / ٢٧٦ .

(٥) الرفاق : النزع إلى الهوى (المرجع السابق) : ١٠ / ١١٩ .

(٦) في (خ) : « دواية » . والدوية مؤنث الدَّوّ ، وهو الفلاة الواسعة ، أو المستوية من الأرض . (المرجع السابق) : ١٤ / ٢٧٦ .

من الفرس حتى كان منا على قدر ما يسمعنا صوته ، قال : يا أحمد ، يا أحمد ، الله أعلى وأمجد ، أتاك ما وعدك من الخير يا أحمد ، ثم ضرب راحلته حتى أتى من ورائنا ، فقال عمر رضي الله تعالى عنه : الحمد لله الذي هدانا بالإسلام وأكرمنا .

فقال رجل من الأنصار : أنا أحدثك يا أمير المؤمنين مثل هذا وأعجب ، قال عمر : حدِّث ، قال : انطلقتُ أنا وصاحبان لي نريد الشام حتى إذا كنا بقفرة من الأرض نزلنا بها ، فبينا نحن كذلك لحقنا راكب وكنا أربعة قد أصابنا سَغَبٌ[1] شديد فالتفت فإذا أنا بظبية عضباء[2] ترتع قريباً مني ، فوثبت إليها ، فقال الرجل الذي لحقنا : خلِّ سبيلها لا أباً لك ، والله لقد رأيتها ونحن نسلك هذه الطرق ونحن عشرة أو أكثر من ذلك فيختطف بعضنا فما هو إلا أن كانت هذه الظبية فما هاج بها أحد فأبيت وقلت : لا لعمر الله لا أخلها ، فارتحلنا وقد شددتها حتى إذا ذهب سَدَف[3] من الليل إذا هاتف يقول :

يا أيها الركب السراع الأربعهْ ... خلوا سبيل النافر المفزعهْ
خلوا عن العضباء في الوادي سعهْ ... لا تذبحن الظبية المروّعهْ
فيها لأيتام صغار منفعهْ

قال : فخليت سبيلها ثم انطلقنا حتى أتينا الشام ، فقضينا حوائجنا ثم أقبلنا حتى إذا كنا بالمكان الذي كنا فيه هتف هاتف من خلفنا :

إياك لا تعجل وخذها من ثقهْ ... فإن شر السير سير الحقحقهْ[4]
قد لاح نجم فأضاء مَشْرِقُهْ ... يخرج من ظلماء ضوق[5] موبقه[6]
ذاك رسول مفلح من صدَّقهْ ... الله أعلا أمره وحققهْ

---

(١) السَّغَبُ : الجوع الشديد ، وفي التنزيل : ﴿ أو إطعام في يوم ذي مسغبة ﴾ [البلد : ١٤] .
(٢) قال الزمخشري : هو منقول من قولهم : ناقة عضباء : أي قصيرة اليد .
(٣) السَدَف : ظلمة الليل ، وهو بعد الجُنح . (القاموس المحيط) : ١٩ / ١٤٦ .
(٤) الحقحقة : سير الليل في أوله ، وقد نُهي عنه (المرجع السابق) : ١٠ / ٥٨ .
(٥) ضوق من الضيقة ، وهي منزلة للقمر ، وهو مكان نحس على ما تزعم العرب (المرجع السابق) : ١٠ / ٢٠٩ .
(٦) موبقة : مُهلكة : (المرجع السابق) : ١٠ / ٣٧٠ .

وله من حديث القسم بن محمد بن بكر عن عائشة رضي الله تعالى عنها : أنها كانت تحدث عن عمر بن الخطاب ، ومن حديث محمد بن عمران بن موسى ابن طلحة ، عن أبيه طلحة قال : كان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يحدث قال : كنت جالساً مع أبي جهل وشيبة بن ربيعة ، فقام أبو جهل فقال : يا معشر قريش ! إن محمداً قد شتم آلهتكم وسفه أحلامكم وزعم أنه من مضى من آبائكم يتهافتون في النار تهافت الحمير ، ألا ومن قتل محمداً فله عليّ مائة ناقة حمراء وسوداء ، وألف أوقية من فضة .

قال عمر فقمت فقلت : يا أبا الحكم ، الضمان صحيح ؟ قال : نعم ، عاجل غير آجل ، قال عمر : فقلت : واللات والعزى ؟ قال أبو جهل : نعم يا عمر فأخذ أبو جهل بيدي فأدخلني الكعبة ، فأشهد عليّ هُبل – وكان هبل عظيم أصنامهم – وكانوا إذا أرادوا سفراً أو حرباً أو سلماً أو نكاحاً ، لم يفعلوا حتى حتى يأتوا هبل فيستأمروا ، فأشهد عليه هبل وتلك الأصنام . قال عمر : فخرجت متقلداً السيف متنكباً[1] كنانتي أريد النبي ﷺ ، فمررت على عِجْل وهم يريدون قتله ، فقمت أنظر إليهم فإذا صائح يصيح من جوف العِجْل : يا آل ذريح ، أمر نجيح ، رجل يصيح بلسان فصيح ، يدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ! فقلت إن هذا لشأن ! ما يراد بهذا إلا لحالي ، ثم مررت بغنم فإذا هاتف [يهتف وهو يقول][2] :

يا أيها الناس ذوو[3] الأجسام ... ما أنتم وطائش الأحلامِ
ومسندو[4] الحكم إلى الأصنام ... فكلكم أراه كالنعامِ
أما ترون ما أرى أمامي ... من ساطع يجلو لذي الظلامِ
أكرمه الرحمٰن من إمام ... قد جاء بعد الكفر بالإسلامِ

---

(١) في (خ) : « كانتي » ، والكِنانة : بالكسر كنانة السهام ، جعبة من جلد . (ترتيب القاموس) : ٤ / ٩١ .
(٢) السياق مضطرب في (خ) ، وما أثبتناه من (دلائل أبي نعيم) .
(٣) في (خ) : « ذوي » ، وما أثبتناه من المرجع السابق ، وهو حق اللغة .
(٤) في (خ) : « ومسند » ، وما أثبتناه من المرجع السابق ، وهو حق اللغة .

وبالصلاة والزكاة والصيام والبر والصلوات للأرحامِ
ويزع[1] الناس عن الآثام [مستعلن في البلد الحرام][2]

فقلت : والله ما أراه إلا أن يرادني ، ثم مررت بهاتف الضماد[3] وهو يهتف من جوفه فقال :

ترك الضماد[3] وكان يُعبد وحده بعد الصلاة مع النبي محمدِ
إن الذي ورث النبوة والهدى بعد ابن مريم من قريش مهتدِ
سيقول من عبد الضماد ومثله ليت الضماد[3] ومثله لم يُعبدِ
فاصبر أبا حفص فإنك لا مردّ يأتيك عزّ غير عزّ بني عدي
لا تعجلن فأنت ناصر دينه حقاً يقيناً باللسان وباليدِ
وتظهر دين الله إن كنت مسلماً وتسطح بالسيف الصقيل المهنَّدِ
جماجم قومٍ لا يزال حلومها عكوفاً على أصنامها بالمهنَّدِ

قال عمر : فو الله لقد علمت أنه أرادني ، فجئتُ حتى دخلت على أختي ، وإذا خَبَّاب بن الأَرتّ عندها ، وزوجها سعيد بن زيد ، فلما رأوني ومعي السيف

---

(١) في (خ) : « ويزعر » ، وما أثبتناه من المرجع السابق ، وهو حق اللغة .

(٢) هذا العجزُ من (المرجع السابق) : ١٧ / ١١٧ ، وهي مذكورة عقب قصة أخرى في الحديث رقم (٦٤) ، وهي : حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن قال : حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا المنجاب قال : حدثنا أبو عامر الأسدي عن ابن خَرَّبوذ المكي عن رجل من خثعم قال : كانت العرب لا تحرِّم حلالاً ، ولا تحلّ حراما ، وكانوا يعبدون الأوثان ، ويتحاكمون إليها ، فبينا نحن ذات ليلة عند وثن جلوس وقد تقاضينا إليه في شيء قد وقع بيننا أن يفرق بيننا ، إذ هتف هاتف وهو يقول :

يا أيها الناس ذوو الأجسام ما أنتم وطائش الأحلام
ومسندو الحكم إلى الأصنام هذا نبيّ سيدُ الأنام
أعدل في الحكم من الحكام يصدع بالنور وبالإسلام
ويزع الناس عن الآثام مستعلن في البلد الحرام

قال : ففزعنا وتفرقنا من عنده ، وصار ذلك الشعر حديثاً ، حتى بلغنا أن النبي ﷺ قد خرج بمكة ، ثم قدم المدينة ، فجئتُ فأسلمت .

قال السيوطي في (الخصائص) : ١ / ٢٦٥ : وأخرجه الخرائطي وابن عساكر .

(٣) الضماد : كما في (القاموس) ، (أساس البلاغة) ، (اللسان) : هو أن تصادق المرأة اثنين أو ثلاثة في القحط ، لتأكل عند هذا وهذا لتشبع ، ولم أدر المقصود بها في سياق الباب ، ولعله اسم لصنم كان يُعبد من دون الله قبل بعث النبي ﷺ .

أنكروا ، فقلت لهم : لا بأس عليكم ، فدخلت ، فقال خباب : يا عمر ! ويحك أسلم ، فدعوت بالماء فأسبغت الوضوء ، وسألتهم عن محمد ﷺ فقالوا : في دار أرقم بن الأرقم ، فأتيتهم فضربت عليهم الباب ، فخرج حمزة بن عبد المطلب ، فلما رآني والسيف صاح بي – وكان رجلاً عبوباً[1] – فصحت به ، فخرج إليَّ رسول الله ﷺ ، فلما رآني ورأى ما في وجهي عرف فقال : استُجيب لي فيك يا عمر ! أسلم ، [فقلت] : أشهد أن لا إلـٰه إلا الله وأنك رسول الله ، فسُرَّ رسول الله ﷺ والمسلمون ، وكنت رابع أربعين رجلاً ممن أسلم ، ونزلت على رسول الله ﷺ ، ﴿ **يـٰأيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين** ﴾[2] ، فقلت : يا نبي الله ! اخرج ، فو الله لا يغلبنا المشركون أبداً ، فخرجنا وكبَّرنا حتى طاف النبي ﷺ ورجعت معه ، فلم أزل أقاتل واحداً واحداً حتى أظهر الله الدين .

وله من حديث الواقدي عن ابن ذؤيب عن مسلم عن جندب عن النضر بن سفيان الهذلي عن أبيه قال : خرجنا في عير لنا إلى الشام ، فلما كنا بين الزرقاء ومعان عَرَّسْنا من الليل ، فإذا بفارس يقول وهو بين السماء والأرض :

أيها [النيام][3] هُبّوا فليس هذا بحين رقاد ، قد خرج أحمد وطردت الجنّ كل مطرد ، ففزعنا ونحن رفقة حزاورة[4] كلهم قد سمع بهذا ، فرجعنا إلى أهلنا فإذا هم يذكرون اختلافاً بمكة بين قريش لنبي خرج فيهم من بني عبد المطلب اسمه أحمد[5] .

وله من حديث خرّبوذ عن موسى بن عبد الملك بن عمير عن أبيه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال : هتف هاتف من الجن على أبي قبيس[6] بمكة فقال :

---

(١) كذا في (خ) ، ولعلها « عُبْعَاباً » وهي صفة للرجل إذا كان واسع الحلْق والجوف ، جليل الكلام . (لسان العرب) : ١ / ٥٧٥ .

(٢) الأنفال : ٦٤ . (٣) في (خ) : « النيا » .

(٤) جمع حَزَوَّر ، وهو الغلام إذا اشتَّد وقوى . (لسان العرب) : ٤ / ١٨٧ .

(٥) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ١٠٨ ، حديث رقم (٥٩) ، قال السيوطي في (الخصائص) : ١ / ٢٥٩ : أخرجه ابن سعد : ١ / ١٦١ ، وأبو نعيم وابن عساكر .

(٦) جبل بمكة .

قبَّح الله رأي كعبِ بنِ فهرٍ ما أرق العقول والأحلامِ
دينها أنها يُعَنَّفُ فيها دين آبائها الحماةِ الكرامِ
حالف الجن حين يقضى[1] عليكم ورجال النخيل والآطامِ
يوشك الخيل أن تراها[2] تهادى تُقتل القوم في بلاد التهامِ[3]
هل كريم منكم له نفس حُرٍّ ما جد الوالدين والأعمامِ ؟
ضارب ضربة تكون نكالاً ورواحاً من كربة واغتمامِ

قال [ابن عباس][4] : فأصبح هذا الحديث قد شاع بمكة وأصبح[5] المشركون يتناشدونه بينهم ، وهمّوا بالمؤمنين ، فقال رسول الله ﷺ : هذا شيطان يكلم الناس في الأوثان يقال له : مِسْعَر والله يخزيه ، قال : فمكثوا ثلاثة أيام فإذا هاتف على الجبل يقول :

نحن قتلنا مسعرا لما طغى واستكبرا
وسفه الحق وسنَّ المنكرا قنّعته سيفا جروفاً مبتَّرا
بشتمه نبيَّنا المطَهَّرا

فقال رسول الله ﷺ : ذلكم عفريت من الجن يقال له سمحج سميتُه عبد الله ، آمن بي فأخبرني أنه في طلبه منذ أيام ، فقال علي بن أبي طالب : جزاك الله خيراً يارسول الله[6] .

وروى من حديث ابن شهاب وعبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف سمعا كلاهما حميد بن عبد الرحمن عن أبيه عبد الرحمن بن عوف قال : لما ظهر

---

(١) في (خ) : « بُصرى » . (٢) في (خ) : « تردها » .
(٣) في (الخصائص) : ١ / ٢٦١ : « في البلاد العظام » .
(٤) زيادة للسياق من (دلائل أبي نعيم) . (٥) في المرجع السابق : « فأصبح » .
(٦) (المرجع السابق) : ١ / ١٠٩ - ١١٠ ، حديث رقم (٦٠) ، قال السيوطي في (الخصائص) : ١ / ٢٦١ : ذكره أبو نعيم عن ابن عباس ، ثم قال : وأخرج الفاكهي في (أخبار مكة) من حديث ابن عباس عن عامر بن ربيعة ، فذكر مثله ، وفيه موسى بن عبد الملك بن عمير ، ضعَّفه أبو حاتم ، وذكره البخاري في كتاب (الضعفاء) .

- أي رسول الله - ﷺ قام رجل من الجن على أبي قبيس يقال له مسعر فقال :

قبَّح الله رأي كعب بن فهرٍ ما أرقَّ العقول والأحلاما
حالف الجن حين [يقضي] عليكم ورجال النخيل والآطاما
هل غلام منكم له نفس حُرٍّ ما جدُ الوالدين والأعماما

فأصبحت قريش يتناشدونه بينهم ، [فإذا رجل من الجن يقال له سمحج يقول :][1]

نحن قتلنا مسعراً لما طغى واستكبرا بشتمه نبينا المطهرا
أوردته سيفاً جروفاً مبتراً إنا نذود من أراد البطرا

فسماه رسول الله ﷺ عبد الله .

ومن حديث ابن إسحاق عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة قال : قال خُزَيْم بن[2] فاتك لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ألا أخبرك ببدء[3] إسلامي ؟ بينا أنا في طلب نَعَم لي إذ جَنَّ الليل بأبرق العزاف[4] ، فناديت بأعلى صوتي : أعوذ بعزيز هذا الوادي من سفهائه ، وإذا هاتف يهتف بي :

عُذْ يا فتى بالله ذي الجلال والمجد والنَّعماء والأفضالِ
[واقرأ بآيات][5] من الأنفال ووحد الله ولا [تبالِ][6]

[قال :][7] فرعُت من ذلك رَوْعاً شديداً ، فلما رجعت إلى نفسي قلت :

يا أيها الهاتف ما تقولُ أَرَشَدٌ عندك أم تضليلُ
بين لنا هديت ما السبيل[8]

(١) ما بين الحاصرتين زيادة للسياق حيث أن السياق مضطرب في (خ) .
(٢) في (خ) : « خزيم فاتك » ، في (المستدرك) : « خريم » .
(٣) في (خ) : « بيدو » . (٤) ماء لبني أسد .
(٥) في (خ) : « واقتن آيات » ، وما أثبتناه من (دلائل أبي نعيم) .
(٦) في (خ) : « تبالي » ، وما أثبتناه من المرجع السابق ، وهو حق اللغة .
(٧) زيادة من المرجع السابق .
(٨) في المرجع السابق : « ما العويل » ، وما أثبتناه من (خ) ، وهو أجود للسياق .

قال : فقال :

هذا رسول الله ذو الخيرات يدعو إلى الخيرات والنجاةِ
يأمر بالصوم والصلاة ويزع الناس عن الهِناتِ

قال فأتبعتُ راحلتي وقلت :

أرشدْني رشداً بهاهديتَ لا جعت يا هذا ولا عريتَ
ولا صبحت صاحباً مَقيتَ لا يثوينَّ الخير إن ثويْتَ[1]

قال : فأتبعني وهو يقول :

صاحبك الله وسلم نفسكا وبلغ الأهل [وسلَّم][2] رَحْلَكَا
آمنْ به أَفْلَح ربي حقكا وانصر نبياً عزَّ ربي نصركا

قال : فدخلت المدينة فاطلعت في المسجد ، فخرج إليَّ أبو بكر رضي الله تعالى عنه فقال : ادخل رحمك الله ، قد بَلغَنا إسلامك ، فقلت : لا أُحسن الطهور فَعُلِّمت ودخلتُ المسجد ، ورسول الله ﷺ على المنبر كأنه البدر وهو يقول : ما من مسلم توضأ فأحسن الوضوء ، ثم صلى صلاة يعقلها ويحفظها إلا دخل الجنة . فقال عمر رضي الله تعالى عنه لتأتيني على هذا ببينة أو لأنكِّلنَّ بك ، قال : فشهد له شويخ[3] قريش عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه فأجاز شهادته[4] .

* * *

(١) في المرجع السابق : « هديتا » ، « عريتا » ، « مقيتا » ، « ثويتا » .

(٢) في (خ) : « وأدى » .

(٣) في (مجمع الزوائد) : ٨ / ٢٦٢ : « شيخ من قريش » .

(٤) أخرجه أبو نعيم في (الدلائل) : ١ / ١١٠ - ١١١ ، حديث رقم (٦١) ، قال في (الخصائص) : ٢ / ١٨٨ : أخرجه الطبراني وأبو نعيم وابن عساكر .

وأخرجه الحاكم في (المستدرك) : ٣ / ٧٢٠ - ٧٢١ ، كتاب معرفة الصحابة ، باب ذكر خريم ابن فاتك الأسدي رضي الله عنه ، حديث رقم (٦٦٠٦ / ٢٢٠٤) ، (٦٦٠٧ / ٢٢٠٥) ، وساق الحديث باختلاف يسير ... إلى أن قال : فإذا هاتف يهتف بي ويقول : =

=

ويحك عُذْ بالله ذي الجلالِ	منـــزل الحرام والحلال
ووحِّـد الله ولا تبـالِ	ما هو ذو الحزم من الأهوالِ
إذ يذكروا الله على الأميالِ	وفي سهول الأرض والجبالِ
وما وكيل الحق في سفالِ	إلا التقى وصالح الأعمالِ

قال : فقلتُ : يا أيها الداعي بما يخيـل ... رشد يُرى عندك أم تضليلُ ؟

فقال : هذا رسول الله ذو الخيراتِ ... جاء بيـاسين وحاميمـاتِ

في سور بعد مـفصلاتِ ... محرمـات محلـلاتِ

يأمـر بـالصوم والصلاةِ ... ويزجر الناس عن الهنـاتِ

قد كُنّ في الأيام منكرات

قال : فقلت من أنت يرحمك الله ؟ قال : أنا مالك بن مالك ، بعثني رسول الله ﷺ من أرض أهل نجده ، قال : فقلت : لو كان لي من يكفيني إبلي هذه لأتيته حتى أؤمن به ، فقال : أنا أكفيكها حتى أؤديها إلى أهلك سالمة إن شاء الله تعالى ، فاعتقلتُ بعيراً منها ثم أتيتُ المدينة فوافقتُ الناسَ يوم الجمعة وهم في الصلاة ، فقلت : يقضون صلاتهم ثم أدخل فإني لذاهب أنيخ راحلتي إذ خرج أبو ذر رضي الله تعالى عنه فقال : يقول لك رسول الله ﷺ : أدخُل ، فدخلت ، فلما رآني قال : ما فعل الشيخ الذي ضمن لك أن يؤدي إبلك إلى أهلك سالمة ؟ أما أنه قد أدَّاها إلى أهلك سالمة ، قلت : رحمه الله ، فقال النبي ﷺ : أجل رحمه الله ، قال خريم : أشهد أن لا إلّـه إلا الله ، وحسنُ إسلامه .

قال الذهبي في التخليص : « لايصح » .

إمتاع الأسماع

بما للنبي صلى الله عليه وسلم من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع

تأليف

تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي

المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

تحقيق وتعليق

محمد عبد الحميد النميسي

الجزء الرابع

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت

تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠

صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.

Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98

P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

ISBN 2-7451-2208-8

http://www.al-ilmiyah.com.lb/

e-mail : sales@al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ومن حديث محمد بن كعب القرظيّ قال :

بينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المسجد إذ مرّ رجل في مؤخر المسجد فقال رجل : يا أمير المؤمنين ، تعرف هذا المار ؟ قال : لا ، فمن هو ؟ قال : هذا سواد بن قارب ، وهو رجل من أهل اليمن له فيهم شرف وموضع ، وهو الذي أتاه رَئِيُّهُ[1] بظهور رسول الله ﷺ فقال [عمر][2] : عليّ به ، فدُعي به ، فقال[3] : أنت سواد بن قارب ؛ قال : نعم ، قال : فأنت[4] الذي أتاك رَئِيّك بظهور رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، قال : فأنت على ما كنت عليه من كهانتك ؟ فغضب غضباً شديداً وقال : يا أمير المؤمنين ! ما استقبلني أحدٌ[5] بهذا منذ أسلمت ، فقال عمر رضي الله عنه : يا سبحان الله ! والله ما كنا عليه من الشرك أعظم مما كنت عليه من كهانتك ، أخبرني بإتيانك[6] رئيك بظهور رسول الله ﷺ قال : نعم .

يا أمير المؤمنين ، بينا أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان ، إذ أتاني رَئِيِّي فضربني برجله وقال : قم يا سواد بن قارب ، فافهم[7] واعقل إن كنت تعقل إنه قد بُعث رسول من لؤى بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته ، ثم أنشأ يقول :

عجبت للجن وتجساسها[8] وشدها العيسَ[9] بأحلاسها[10]
تهوى إلى مكة تبغي الهدى ما خير الجن كأنجاسها[11]

---

(١) الرَّئيّ والرِّئيّ : الجنيّ يراه الإنسان ، وقال اللحياني : له رَئيّ من الجن ورِئيّ إذا كان يحبه ويؤالفه . الليث : الرَّئيّ : جِنّي يتعرض الرجل يريه كهانة وطباً . (لسان العرب) : ١٤ / ٢٩٧ .

(٢) زيادة للسياق من (دلائل أبي نعيم) .

(٣) في (خ) : « قال » . (٤) في (خ) : « أنت » .

(٥) كذا في (خ) ، وفي (دلائل أبي نعيم) : « بهذا أحد » .

(٦) في (خ) : « بإتيان » . (٧) في (خ) : « وافهم » .

(٨) في (الفتح) ٧ / ٢٢٩ : « وتَحساسها » ، بفتح المثناة وبمهملات ، أي أنها فقدت أمراً ، فشرعت تفتش عليه .

(٩) العيس : الإبل البيض ، يخالط بياضها سواد خفيف .

(١٠) الأحلاس : جمع حلس ، وهو كل ما يوضع على ظهر الدابة .

(١١) في (فتح الباري) : ٧ / ٢٢٩ : « ما مؤمنوها مثل أرجاسها » .

فارْحَل[1] إلى الصفوة من هاشم   واسمُ بعينيك إلى رأسها

قال : فلم أرفع بقوله رأساً وقلت : دعني أنام[2] ، فإني أمسيت ناعساً ، فلما أن كانت الليلة الثانية أتاني فضربني برجله وقال : ألم أقل لك يا سواد بن قارب : قم فافهم واعقل إن كنت تعقل إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته ، ثم أنشأ الجنّي وهو يقول :

عجبت للجن وتَطْلابِها   وشدِّها العيسَ بأقتابها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى   ما صادق الجن كَكَذَّابها
فارحَل إلى الصفوة من هاشم   ليس قُداماها[3] كأذنابها

قال : فلم أرفع بقوله رأساً ، فلما كانت الليلة الثالثة أتاني وضربني برجله وقال : ألم أقل لك يا سواد بن قارب : إفهم واعقل إن كنت تعقل أنه قد بُعث رسولٌ من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته ، ثم أنشد[4] الجني يقول :

عجبت للجن وأخبارها   وشدها العيس بأكْوارها[5]
تهوي إلى مكة تبغي الهدى   ما مؤمنو[6] الجن ككفارها
فادخل إلى الصفوة من هاشم   بين روابيها[7] وأحجارها

فوقع في نفسي حب الإسلام ، ورغبت فيه ، فلما أصبحتُ شَدَدْتُ على راحلتي فانطلقتُ متوجهاً إلى مكة ، فلما كنت ببعض الطريق أُخبرت أن النبي ﷺ قد هاجر إلى المدينة ، فأتيت المدينة فسألت عن النبي ﷺ فقيل لي : في المسجد ، فانتهيت إلى المسجد فعقلتُ ناقتي وإذا رسول الله ﷺ والناس حوله ، فقلتُ : اسمع مقالتي يارسول الله ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : ادْنُه ادْنُه ، فلم يزل بي حتى صِرْتُ بين يديه فقال : هاتِ ، فأخبِرْني بإتيانك رئيّك ، فقلتُ :

---

(١) في المرجع السابق : « فَاسْمُ » .   (٢) في (خ) : « أنم » .
(٣) كذا في (خ) ، و (دلائل أبي نعيم) ، وفي (الخصائص) : « قدَّامها » .
(٤) في (دلائل أبي نعيم) : « أنشأ » .
(٥) أكوار : جمع كور ، وهو ما يوضع على ظهر الدابة .
(٦) في (خ) : « مؤمن » ، وما أثبتناه من « دلائل أبي نعيم » ، وهو حق اللغة .
(٧) الروابي : جمع رابية ، والرابية ، والربوة ، والرباة : ما ارتفع من الأرض . (ترتيب القاموس) : ٢ / ٢٩٨ .

أتاني نجيي بعد هَدْءٍ ورقْدةٍ ... فلم أَكُ[1] قد تلوتُ بكاذب
ثلاث ليالٍ قوله كلَّ ليلة ... أتاك رسول[2] من لؤي بن غالب
فشمرَّتُ من ذيل الازار ووسَّطَتْ ... بي الذعلَبُ الوَجْناء بين السباسب[3]
فأَشهد أن الله لا ربَّ غيرهُ ... وأنك مأمونٌ على كُل غائب
وأنك أدنى المرسلين وسيلةً ... إلى الله يا ابن الاكرمين الأطايب
فمرنا بما يأتيك يا خير من مشى ... وإن كان فيما جاء شيبُ الذوائب[4]
وكن لي شفيعاً يوم لاذو شفاعة ... سواك بمُغْنٍ عن سواد بن قارب[5]

قال : ففرح رسول الله ﷺ وأصحابه بإسلامي فرحاً شديداً حتى رؤى في وجوههم . قال : فوثب إليه عمر رضي الله عنه فالتزمه وقال : قد كنتُ أُحبُّ أن أسمع هذا منك[6] .

وقد رواه عبيد الله بن الوليد الوصافي عن أبي جعفر عن سواد بن قارب ، ورواه الحسن ابن عمارة عن عبد الله بن عبد الرحمن عن سواد ، ورواه أبو معمر عياد بن عبد الصمد

---

(١) في (خ) : « ولم يك فيما قد تلوت » ، وفي (الاستيعاب) : « ولم يك فيما قد بلوت » .
(٢) في المرجع السابق : « أتاك نجيٌّ » .
(٣) في المرجع السابق :
فرفعت أذيال الإزار وشمّرت ... بي الفرس الوجناء حول السباسب
(٤) في المرجع السابق :
فمرنا بما يأتيك من وحي ربنا ... وإن كان فيما جئت سيب الذوائب
(٥) في المرجع السابق : « بمغن فتيلاً عن سواد بن قارب » .
شرح المفردات :
الذعلب الوجْناء : الفرس القوية الشديدة .
السباسب : الأراضي الممتدة البعيدة ، مفردها سَبْسَب .
الذوائب : مفردها « ذُؤابة » ، وهي الناصية .
(٦) رواه أبو نعيم في (دلائل النبوة) : ١/١١١ - ١١٤ ، حديث رقم (٦٢) ، ابن عبد البر في (الاستيعاب) : ٢/٦٧٤ ، ترجمة رقم (١١٠٩) سواد بن قارب الدَّوْسيّ ، الحاكم في (المستدرك) : ٣/٧٠٤ - ٧٠٦ ، كتاب معرفة الصحابة ، باب ذكر سواد بن قارب الأزدي رضي الله تعالى عنه ، حديث رقم (٦٥٥٨ / ٢١٥٦) ، وقال عنه الذهبي في (التخليص) : « الإسناد منقطع » ، الإمام البخاري في (الصحيح) : كتاب مناقب الأنصار ، باب (٣٥) ، إسلام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، حديث رقم (٣٨٦٦) ، وشرحه ابن حجر في (الفتح) : ٧ / ٢٢٧ - ٢٣٠ ، والبيهقي في (الدلائل) : ٢ / ٢٤٣ - ٢٥٤ .

عن سعيد بن جبير عن سواد .

وله من حديث علي بن حرب قال حَدَّثنا أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب عن أبيه عن عبد الله العماني[1] قال : كان منا رجل[2] يقال له : مازن بن الغضوبة[3] ، يسدن[4] صنماً بقرية يقال لها : (سمايا) من عمان ، وكانت تعظمه بنو الصامت وبنو خَطامة ومهرة ، وهم أخوان[5] مازن [لأمه زينب بنتْ عبد الله ابن ربيعه بن حُويص أحد بني نمران ، قال مازن][6] : فعترنا ذات يوم عند الصَّنم عتيرة – وهي الذبيحة – فسمعت صوتاً من الصنم يقول : يا مازن ! إسمع تُسرّ ، فظهر خيرٌ وبَطن شرٌ ، بُعث نبي من بني مُضر[7] ، بدين الله الكُبَرَ[8] ، فدع نحيتاً[9] من حجر ، تسلم من حرّ سقَر[10] .

قال : ففزعت لذلك ، ثم عترنا بعد أيام عتيرة أخرى فسمعت صوتاً من الصنم يقول : أقبلْ إليّ أقبلْ ،.تسمع ما لا تجهلْ ، هذا نبي مرسلْ ، جاء بحق منزلْ ، فآمنْ به كي تُعْدَلْ ، عن حرِّ نارٍ تُشعَلْ ، وقودها الجندلْ[11] .

قال مازن : فقلت : إن هذا لعجبٌ ، وإنه لخيرٌ يُرادُ بي .

وقدم علينا رجل من أهل الحجاز فقلنا : ما الخبر وراءك ؟ قال : ظهر رجل يقال له : أحمد ، يقول لمن أتاه : ﴿ **أجيبوا داعي الله** ﴾ فقلت : هذا نبأ ما سمعت ،

---

(١) في (خ) ، و (الخصائص) : « العماني ، وفي (دلائل أبي نعيم) : ١ / ١١٤ : « المعاني » .

(٢) كذا في (خ) ، وفي المرجع السابق : « كان رجل منا » .

(٣) في المرجع السابق : « الغضوب » ، وفي (الإصابة » و (مجمع الزوائد) : « الغضوبة » ، وفي (الاستيعاب) : « المغضوبة » ، وهو مازن بن الغضوبة بن غراب بن بشر بن خُطامة .

(٤) يسدن : يخدم .

(٥) في (خ) : « أخوال » ، وفي (دلائل أبي نعيم) : « أخوان » .

(٦) ما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (دلائل أبي نعيم) .

(٧) في المرجع السابق : « من مُضر » .

(٨) في المرجع السابق : « الأكبر » .

(٩) نحيت : بمعنى منحوت ، كقتيل ومقتول .

(١٠) سقر : من أسماء جهنم ، قال تعالى : ﴿ **سأصليه سقر** ﴾ المدثر : ٢٦ .

(١١) في (دلائل أبي نعيم) : « بالجندل » ، والجندل : الحجر العظيم ، إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **ناراً وقودها الناس والحجارة** ﴾ التحريم : ٦ .

فِسْرت[1] إلى الصنم فكسرته جُذاذاً[2] ، وركبت راحلتي حتى قدمت على رسول الله ﷺ ، فشرح لي الإسلام فأسلمت وقلت :

كسَّرت باجرَ[3] أجذاذاً وكان لنا ... رباً نُطيف[4] به ضلاً بتضلالِ
بالهاشمي هدانا من ضلالتنا ... ولم يكن دينه منّي على بال
يا راكباً بلغنا عَمْراً ، وإخوته[5] ... أني لمن قال : ربي باجرٌ[6]،قالي[7]

يعني بعمرو : بني الصامت ، وإخوته[5] : بني خطامة .

فقلت : يا رسول الله ! إني امرؤ مولَعٌ بالطرب وبالهلوك[8] من النساء وبشرب الخمر ، فأتت[9] علينا السنون فاذهبن بالأموال وأهزلن الذراري [والعيال][10] .

وليس لي ولد ، فادع الله أن يُذهب عني ما أجد ، ويأتينا بالحياء ، ويهب لي ولداً . فقال النبي ﷺ : اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن ، وبالحرام الحلال ، وبالإثم وبالعُهر عفّةً ، وآتِه بالحياء ، وهب له ولداً ، قال : فأذهب الله عني ما أجد ، وأخْصبتْ عُمَانُ ، وتزوجت أربع حرائر ، [وحفظت شَطْر القرآن][11] ، ووهب الله لي حَيَّان بن مازن ، وأنشأتُ أقول :

إليكَ رسول الله خبَّتْ مطيتي ... تجوب الفيافي من عُمان إلى العَرْجِ

---

(1) في (خ) : « فثرت » .
(2) في (خ) : « أجذاذاً » ، وما أثبتناه من رواية أبي نعيم ، وبها جاء التنزيل ، قال تعالى : ﴿ **فجعلهم جُذاذاً إلا كبيراً لهم** ﴾ الأنبياء : ٥٨ . والجذاذ والأجذاذ بمعنى ، وهي القطع الصغيرة .
(3) باجر : اسم الصنم الذي خرج منه الصوت .
(4) لغة في « نطوف » .
(5) في (خ) : « وإخوتها » ، والتصويب من : (دلائل البيهقي) ، (دلائل أبي نعيم) .
(6) في « دلائل البيهقي » : « ناجر » .
(7) قالي : تارك ، قال تعالى : ﴿ **ماودعك ربك وما قلى** ﴾ الضحى : ٣ .
(8) الهلوك من النساء : الساقطة منهن .
(9) في (خ) : « فأتت » ، وفي (الحثّ) : « والرجال » .
(10) زيادة للسياق من (أبي نعيم) ، وفي (البيهقي) : « والرجال » .
(11) ما بين الحاصرتين في (خ) ، و (أبي نعيم) ، وليست في (البيهقي) .

لتشفع لي يا خير من وطىء الحصا فيغفر لي ربي وأرجع بالفُلْجِ
إلى معشر خالفتُ في الله دينهم فلا رأيُهم رأيي ولا شرجُهم شَرْجي
وكنت امرءاً بالعُهر[1] والخمر مولَعاً شبابي حتى آذن الجسم بالنهجِ
[فبدلني بالخمر خَوفاً وخَشْيَةً وبالعهر إحصاناً فَحَصَّنَ لي فرجي][2]
فأصبحت همِّي في الجهاد ونيتي[3] فلله ماصومي ولله ما حجِّي[4]

[قال مازن][5] فلما أتيت[6] قومي أنَّبوني وشتموني ، وأمروا شاعراً[7] لهم فهجاني ، فقلت : إن رددتُ[8] عليه فإنما أهجو نفسي[9] ، فرحلتُ عنهم فأتتني منهم أرفلة عظيمة ، وكنت القيّم بأمورهم ، فقالوا : يا ابن عم ! عتبنا عليك أمراً وكرهنا ذلك ، فإن أبيت فارجع فقم بأمورنا ، وشأنك وما تدين به ، فرجعت معهم وقلت[10] :

---

(١) في (البيهقي) : « بالزَّعب » .
(٢) هذا البيت ساقط من (البيهقي) في سياق الأبيات ، ثم استدركه بعد ذلك .
(٣) في (خ) ، و (أبي نعيم) : « نيتي » ، وفي (البيهقي » : « نية » .
(٤) بهذه الأبيات تنتهي رواية (أبي نعيم) : ١ / ١١٤ – ١١٧ ، حديث رقم (٦٣) ، قال الحافظ ابن حجر في (الإصابة) في ترجمة مازن بن الغضوبة : أخرجه الطبراني والفاكهي في كتاب (مكة) ، والبيهقي في (الدلائل) ، وابن السكن ، وابن قانع ، كلهم من طريق هشام بن الكلبي عن أبيه قال : حدثني عبد الله العماني . وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد) : ٨ / ٢٤٨ : رواه الطبراني من طريق هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه ، وكلاهما متروك .
(٥) من قوله : « قال مازن » حتى آخر هذا الأثر من (دلائل البيهقي) و (خ) ، وليس في (دلائل أبي نعيم) .
(٦) في (دلائل البيهقي) : « فلما رجعت إلى قومي » .
(٧) في (دلائل البيهقي) : « شاعرهم » .
(٨) في (دلائل البيهقي) : « إن هجوتهم » .
(٩) في (دلائل البيهقي) : « فتركتهم وأنشأتُ أقول : » .
(١٠) هذه الأبيات في (دلائل البيهقي)هكذا :
وشتمكم عندنا مُرّ مذاقته وشتمنا عندكم يا قومنا لبنُ
لا ينشب الدهر أن يثبت معايبكم وكلكم أبداً في عيبنا فَطِنُ
قال أبو جعفر : إلى هنا حفظتُ وأخذتُه من أصل جدي ، كأنه يريد الباقي :
فشاعرنا مفحمٌ عنكم وشاعركم في حربنا مُبْلغ في شتمنا لَسِنُ
ما في الصدور عليكم فا علموا وغرٌ وفي صدوركم البغضاء والإحَنُ =

لبغضكم عندنا مُرٌّ مذاقته　　وبغضنا عندكم يا قومنا لئنُ
لا يفطن الدهر أن يثبت معايبكم　　وكلكم حين بتنا عيبنا فطنُ
شاعرنا مفحم عنكم وشاعركم　　في حربنا مبلغ في شتمنا لسنُ
ما في القلوب عليكم فا علموا وغرٌ　　وفي قلوبكم البغضاء والإِحَنُ

قال مازن : فهداهم الله بعد إلى الإسلام فأسلموا جميعاً .

وله من حديث أبي محمد عبد الله بن داود [وعن دلهاب][1] بن إسماعيل بن عبد الله بن مسرع بن ياسر بن سويد قال : حدثنا أبي عن أبيه [دلهاب][1] عن أبيه إسماعيل ؛ أن أباه عبد الله حدثه عن أبيه مسرع ، أن أباه ياسر بن سويد حدثه عن عمرو بن مرة الجهني أنه كان يحدث قال : خرجت حاجاً في جماعة من قومي في الجاهلية ، فرأيت في المنام وأنا بمكة نوراً ساطعاً من الكعبة حتى أضاء إلى جبل يثرب وأشعر جهينة ، فسمعتُ صوتاً في النور وهو يقول :

= وباقي الأثر كما في (دلائل البيهقي) :

فحدثنا مُوادُّنا من أهل عمان عن سلفهم أن مازناً لما تنحى عن قومه أتي موضعاً فابتني مسجداً يتعبد فيه ، فهو لا يأتيه مظلوم يتعبد فيه ثلاثاً ، ثم يدعو محقاً على من ظلمه ، يعني إلا استجيب .

وفي أصل السماع فيكاد أن يعافي من البرص ، فالمسجد يُدعى مُبْرِصاً إلى اليوم . قال أبو المنذر : قال مازن : ثم إن القوم ندموا ، وكنتُ القيِّم بأمورهم ، فقالوا : ما عسانا أن نصنع به ، فجاءني في منهم أُزْفَلَةٌ عظيمة فقالوا : يا ابن العم ، عِبْنا عليك أمراً فنهيناك عنه ، فإذ أبيت فنحن تاركوك ، ارجع معنا ، فرجعتُ معهم فأسلموا بعدُ كلهم .

قال البيهقي : وقد رُوي في معنى ما روينا عن مازن أخبارٌ كثيره ، منها حديث عمرو بن جبلة فيما سمع من جوف الصنم : « يا عصام يا عصام ، جاء الإسلام وذهبت الأصنام » .

* ومنها حديث طارق من بني هند بن حرام : « يا طارق يا طارق ، بُعث النبي الصادق » .

* ومنها حديث ابن دَقْشَةَ فيما أخبر به رَئِيُّهُ ، فنظر إلى ذباب بن الحارث وقال : ياذُبابُ ، اسمع العَجَب العُجَابْ ، بُعث محمد بالكتابْ ، يدعو بمكة ولا يجاب » .

* ومنها حديث عمرو بن مرة الغطفاني فيما رأى من النور الساطع في الكعبة في نومه ، ثم ما سمع من الصوت : « أقبل حقّ فسطع ، ودُمِّر باطلٌ فانقمع » .

* ومنها حديث العباس بن مرداس فيما سمع من الصوت .

* ومنها حديث خالد بن سطيح حين أتته تابعته فقالت : « جاء الحق القائم والخير الدائم » ، وغير ذلك مما يطول بسياق جميعه الكتاب ، وبالله التوفيق (دلائل النبوة للبيهقي) : ٢ / ٢٥٧ – ٢٥٩ .

(١) كذا في (خ) ، ولم أجده فيما بين يدي من كتب الرجال .

انقشعتْ الظلماء وسطع الضياءْ
وبُعث خاتم الأنبياءْ

ثم أَضاء إضاءةً أخرى حتى نظرتُ إلى قصور الحيرة وأبيض المدائن ، فسمعت صوتاً في النور وهو يقول :

ظهر الإسلامُ وكُسرت الأصنامُ
ووُصلت الأرحامُ

فانتبهت فزعاً فقلت لقومي : والله ليحدثن في هذا الحي من قريش حدث ، وأخبرتهم بما رأيتُ ، فلما انتهينا إلى بلادنا جاءنا رجل فقال : إن رجلاً يقال له : أحمد قد بُعث فأتيته فأخبرته بما رأيت ، فقال : يا عمرو بن مرة ! إني المرسلُ إلى العباد كافة أدعوهم إلى الإسلام ، وآمرهم بحقن الدماء وصلة الأرحام ، وعبادة الله ورفض الأصنام ، وحج البيت وصيام شهر رمضان ، شهر من اثني عشر شهراً ، فمن أجاب فله الجنة ، ومن عصى فله النار ، فآمن بالله يا عمرو بن مرة يؤمنك الله من هول جهنم .

فقلت : أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأنك رسول الله آمنت بكل ما جئت به من حلال وحرام ، وأن أرغم ذلك كثيراً من الأقوام ، ثم أنشدته أبياتاً قلتها حين سمعت به ، وكان لنا صنم وكان أبي سادناً له ، فقمت إليه فكسرته ، ثم لحقت بالنبي ﷺ وأنا أقول :

شهدتُ بأنَّ الله حقٌّ وإنني لآلهة الأحجار أولُ تاركِ
وشمَّرتُ[1] عن ساقي الإزار[2] مهاجراً إليك أجوب الوعث[3] بعد الدكادك[4]
لأصحب خير الناس نفساً ووالداً رسولَ مليك الناس فوق الحبائكِ[5]

---

(١) في (خ) : « فشمرَّت » .
(٢) في (خ) : « إزاراً » .
(٣) في (خ) : « أدب القُورَ » ، وأيضا في (اللسان) : « أجوب القور » .
(٤) الدكادك : جمع دكداك ، وهو رمل ذو تراب يتلبد .
(٥) الحبائك : الطرق ، واحدتها حبيكه ، يعني بها السماوات ، لأن فيها طرق النجوم ، في (خ) : « الحبايك » ، وتصويبات هذه الأبيات من (لسان العرب) : ١٠ / ٤٠٨ ، ٤٢٦ ، (طبقات ابن سعد) : ١ / ٣٣٣ - ٣٣٤ ، (وفد جهينة) .

فقال النبي ﷺ : من حبابك يا عمرو بن مرة ! فقلت : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ابعثني على قومي لعل الله أن يمن بي عليهم كما من بك عليّ .

فبعثني إليهم وقال : عليك بالرفق في القول السديد ، ولا تكن فظاً ولا متكبراً ولا حسوداً ، فأتيت قومي فقلت فقلت لهم : يا بني رفاعة ثم يابني جهينة ، إني رسول رسول الله إليكم أدعوكم إلى الجنة وأحذركم النار ، وآمركم بحق الدماء وصلة الأرحام ، وعبادة الله ورفض الأصنام ، وحج البيت وصيام شهر رمضان ، شهر من اثني عشر شهراً ، فمن أجاب فله الجنة ، ومن عصى فله النار ، يا معشر جهينة ! إن الله – وله الحمد – جعلكم خيار من أنتم منه ، وبغَّض إليكم في جاهليتكم ما حبب إلى غيركم من الرفث ؛ إنهم كانوا يجمعون بين الأختين ، ويخلف الرجل منهم على امرأة أبيه التراث في الشهر الحرام ، فأجيبوا هذا النبي المرسل من بني لؤي ابن غالب تنالوا شرف الدنيا وكبير الأجر في الآخرة ، فسارعوا في ذلك تكن[1] لكم فضيلة عند الله .

فأجابوا إلا رجلاً منهم قام فقال : يا عمرو بن مرة ، أمرَّ الله عليك عيشك ! أتأمرنا أن نرفض آلهتنا ونفارق جماعتنا ، ونخالف ديننا إلى ما يدعو إليه هذا القُرَشِيُّ من أهل تهامة ؟ لا ، ولا حُباً ولا كرامة ، ثم أنشأ الخبيث يقول :

إن ابـن مـرة قـد أتـى بمقالـة — ليسـت مقـالة من يريـد صـلاحا
إني لأحسب قولـه وفعالــه — يوماً وإن طال الزمان رياحا
أتُسَفِّهُ الأشياخ ممن قد مضى ؟ — من رام ذلك لا أصاب ولاحا

فقال عمرو بن مرة : الكاذب مني ومنك أَمَرَّ الله عيشته ، وأبكم لسانه وأكمه بصره ، قال عمرو بن مرة : والله مامات حتى سقط فوه ، وكان لا يجد طعم الطعام ، وعمي وخرس ، فخرج عمرو بن مرة ومن أسلم من قومه حتى أتوا النبي ﷺ فرحب بهم وحياهم ، وكتب لهم كتاباً نسخته :

بسم الله الرحمٰن الرحيم ، هذا كتاب من الله على لسان رسول الله ، بكتاب

(١) في (خ) : « تكون » .

صادق ، وحق ناطق ، مع عمرو بن مرة الجهني لجهينة بن زيد : أن لكم بطون الأرض وسهولها ، وتلاع الأودية وظهورها ، تزرعون نباته ، وتشربون صافيه ، على أن تقروا بالخُمس ، وتصلوا الصلوات الخَمس ، وفي السعة والضرعة شاتان إن اجتمعتا ، وإن تفرقتا فشاه ، ليس على أهل [المثير][1] صدقة ، [ولا على الواردة لبقه][2] ، وشهد من حضر من المسلمين[3] بكتاب قيس بن شمَّاس . فذلك حيث يقول عمرو بن مرة :

ألم تر أن الله أظهر دينه ... وبيَّن برهان القُران لعامر
كتاب من الرحمن نور لجمعنا ... وأحلافنا في كل بادٍ وحاضر
إلى خير من يمشي على الأرض كلها ... وأفضلها عند اعتكار الضرائر[4]
أطعنا رسول الله لما تقطعت ... بطون الأعادي بالظبا والخُواطر
فنحن قبيل قد بني المجد حولنا ... إذا اختليتْ في الحرب هام الأكابر
بنو نغزيها بأيسدٍ طويلةٍ ... وبيضٍ زلالاً في أكف المغاور
ترى جولة الأنصار يحمي أميرهم ... بسمر العوالي والصفاح البواتر
إذا الحرب دارت عند كل عظيمة ... ودارت رحاها بالليوث الهواجر
يبلج منه اللون وازدان وجهه ... كمثل ضياء البدر بين الزواهر

وله من حديث ابن خرَّبوذ عن رجل من خثعم قال : كانت العرب لا تحرم حراماً ولا تحل حلالاً ، وكانوا يعبدون الأوثان ويتحاكمون إليها ، فبينا نحن ذات ليلة عند وثن لنا جلوس ، وقد تقاضينا إليه في شيء وقع بيننا [كاد] يفرق بيننا ، إذ هتف هاتف يقول :

يا أيها الناس ذووا الأجسام ... ما أنتم وطائش الأحلام
ومسندو الحكم إلى الأصنام ... هذا نبي سيد الأنام

---

(١) في (خ) : « الميرة » . (٢) في (خ) : « ليس الوردة اللبقة » .
(٣) كذا في (خ) ، وفي (مجموعة الوثائق السياسية) : ١٥٦ : « والله شهيد على ما بيننا ومن حضر من المسلمين » ، وباقي التصويبات منه .
(٤) الاعتكار : الازدحام والكثرة ، اعتكال الضرائر أي اختلاطها ، والضرائر : الأمور المختلفة ، أي عند اختلاط الأمور ، ويروى : « عند اعتكار الضرائر » . (اللسان) : ٤ / ٦٠٠ .

أعدل ذي حكم من الحكام يصدع بالنور وبالإسلام
ويمنع الناس عن الآثام مستعلن في البلد الحرام

قال : ففزعنا وتفرقنا من عنده ، وصار ذلك الشعر حديثاً حتى بلغَنا أن النبي ﷺ قد خرج بمكة ثم قدم المدينة ثم جئت وأسلمت[١] .

ومن حديث الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : كنا جلوساً عند صنم ببوانة قبل أن يبعث رسول الله ﷺ بشهر وقد نحرنا جُزُراً ، فإذا صائح يصيح من جوف واحدةٍ منها يقول :

* اسمعوا إلى العجب * ذهب استراق السمع وترمى بالشُّهبِ * لنبي بمكة اسمه أحمد ومهاجره إلى يثربِ *

قال : فأمسكنا وعجبنا ، وخرج رسول الله ﷺ .

وله من حديث شُهر بن حوشب ، عن عبد الله بن عباس ، عن سعد بن عبادة رضي الله عنه ، قال : بعثني رسول الله ﷺ إلى حضرموت في حاجة قبل الهجرة ، حتى إذا كنتُ في بعض الطريق عرست ساعة من الليل ، فسمعت هاتفاً يقول :

أبا عمرو ناوبني[٢] السهود وراح النوم وامتنع الهجودُ[٣]
لذكر عصابة سلفوا وبادوا وكل الخلق قصرهم يبيدُ
تولوا واردين إلى المنايا حياضاً ليس سهلها الورودُ
مضت لسبيلهم وبقيتُ خلفاً وحيداً ليس يستغني وحيدُ
سدىً لا أستطيع علاج أمرٍ إذا ما عولج الطفل الوليدُ
فلا يا مابقيتُ إلىّ أنا وقَدْ مَاتت بمهلكها ثمودُ
وعادٌ والقرونُ بذي شعوب سواءٌ كلهُمُ إرمُ حصيدُ

قال : ثم صاح به آخر : يا خرعبْ ذهب بك اللعبْ ، إن أعجب العجبْ ،

---

(١) أخرجه أبو نعيم في (الدلائل) ، ١ / ١١٧ ، حديث رقم (٦٤) ، وسبق الإشارة إليه وتصويب الأبيات .
(٢) تناوبنا الخطب والأمر ، نتناوبه : إذا قمنا به نوبة بعد نوبة ، والمراد هنا كثرة السهر . (اللسان) : ١ / ٧٧٥ .
(٣) الهجود : النوم . (اللسان) : ٣ / ٤٣١ .

بين زهرة ويثربْ ، قال : وما ذاك يا شاحب ؟ قال : نبي السلامْ ، بعث بخير الكلامْ ، إلى جميع الأنامْ ، فاخرج[1] من البلد الحرام إلى نخيل وآطام .

قال : ما هذا النبي المرسلْ ، والكلامْ المنزلْ ، والآى المفصَّلْ ؟ قال : هذا رجل من لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ، قال : هيهات ، فات عن هذا سني ، وذهب عنه زمني ، لقد رأيتني والنضر بن كنانة نرمي غرضاً واحداً ، ونشرب حلباً بارداً ، ولقد خرجت معه من دومة في غداة شيمة ، وطلع مع الشمس وغرب معها ، نروي ما نسمع ونثبت ما ينضر ، فلئن كان هذا من ولده فلقد سُلّ السيف وذهب الحيف ، ودحض الزنا وهلك الربا .

قال : فأخبرني ما تكون ، قال : ذهبتْ الضراء والمجاعة ، والشدة والشجاعة ، إلا بقية من خزاعة ، وذهبتْ الضراء والبؤس ، والخلق المنفوس ، إلا بقية في الخزرج والأوس ، وذهبت الخيلاء والفقر والنميمة والغدر ، إلا بقية في بني بكر ، وذهب الفعال المندم ، والعمل المؤثم ، إلا بقية في خثعم .

قال أخبرني ما يكون ، قال : إذا غلت البرة ، وكظمت الجرة ، فاخرج من بلاد الهجرة ، وإذا كف السلام وقطعت الأرحام ، فاخرج من بلاد التهام .

قال أخبرني ما يكون ، قال : لولا أذن تسمع وعين تلمع ، لأخبرتك بما تفزع ، ثم صرصر وأضاء الفجر ، فذهبت لأنظر ، فإذا عصا وثعبان ميتان ، قال : فما علمت أن رسول الله ﷺ هاجر إلى المدينة إلا بهذا الحديث .

وفي رواية عن سعد بن عبادة قال : لما بايعنا رسول الله ﷺ [بيعة][2] العقبة ، خرجت إلى حضرموت لبعض الحاجة ، فقضيت حاجتي ثم أقبلتُ حتى إذا كنتُ ببعض الطريق نمت ، ففزعت من الليل بصائح يقول : أبا عمرو ناوبني السهود ، فذكر مثله بطوله .

وله من حديث العطاف بن خالد الوابصي عن خالد بن سعيد عن أبيه

---

(١) كذا في (خ) ، ولعلها : « يخرج » ، إشارة إلى الهجرة من مكة إلى المدينة .

(٢) في (خ) : « البيعة » .

قال : سمعت تميم الداري يقول : كنت بالشام حين بعث رسول الله ﷺ ، فخرجت إلى بعض حاجتي فأدركني الليل فقلت : أنا في جوار عظيم هذا الوادي الليلة ، فلما أخذت مضجعي إذا أنا بمنادٍ ينادي لا أراه : عُذ بالله فإن الجن لا تجيرأحداً على الله .

فقلت : أيم الله يقول ، فقال : قد خرج رسول الأميين رسول الله وصلينا خلفه بالحجون ، فأسلمنا واتبعناه وذهب كيد الجن ، ورميت بالشهاب ، فانطلق إلى محمد رسول رب العالمين فأسلم .

قال : فلما أصبحتُ ذهبتُ إلى دير أيوب فسألت راهباً وأخبرته الخبر فقال : قد صدقوك ، يخرج من الحرم(١) ومهاجره الحرم(٢) ، وهو خير الأنبياء ، ولا تُسبق إليه ، قال : فتكلفت الشخوص حتى جئت رسول الله ﷺ فأسلمت .

ومن حديث سعد(٣) بن عثمان بن سعيد الضمري عن أبيه قال : حدثني [أبي عن](٤) خويلد الضمري قال : كنا عند صنم جُلوساً إذْ سمعنا من جوفه صائحاً يصيح : ذهب استراق [السمع](٥) بالشهب ، لنبي بمكة اسمه أحمد ، مهاجره إلى يثرب ، يأمر بالصَّلاة والصيام ، والبر والصِّلات للأرحام(٦) ، فقمنا من عند الصنم فسألنا ، فقالوا : خرج نبي بمكة اسمه أحمد(٧) .

ومن حديث الأصمعي قال : حدثني الوصافي عن منصور بن المعْتمر عن قبيصة ابن عمرو بن إسحاق الخزاعي عن العباس بن مرداس السلمي قال : كان أول إسلامي أن مرداساً [أبي](٨) لما حضرته الوفاة أوصاني بصنم له يقال له : [ضِمار](٩) ، فجعلته في بيتٍ وجعلتُ آتيه كل يوم مرة ، فلما ظهر النبي ﷺ [إذ](٨) سمعت

---

(١) الحرم المكي . (٢) الحرم المدني .
(٣) في (خ) « سعيد » . (٤) كذا في (خ) ، وليست في (دلائل أبي نعيم) .
(٥) زيادة للسياق من (الخصائص) .
(٦) في (دلائل أبي نعيم) : « والبر وصلة الأرحام » .
(٧) أخرجه أبو نعيم في (الدلائل) : ١ / ١١٧ - ١١٨ ، حديث رقم (٦٥) وقال السيوطي في (الخصائص) : ١ / ٧٦٧ : انفرد به أبو نعيم .
(٨) زيادة للسياق من (دلائل أبي نعيم) .

صوتاً في جوف الليل راعني ، فوثبت إلى [ضِمار][1] مستغيثاً ، فإذا بالصوت من جوفه وهو يقول :

قل للقبيلة من سُلَيْمٍ كلِّها ... هلك الأنيس وعاش أهلُ المسجد
أوْدي[ضِمار][1] وكان يعبد مدة ... قبل الكتاب إلى النبي محمد
إن الذي ورث النبوة والهدى ... بعد ابن مريم من قريش مهتدى

فكتمته الناس ، فلما رجع الناس من الأحزاب بينا أنا في إبلي بطرف العقيق من ذات عرق راقد ، سمعت صوتاً فإذا برجل على جناحَيْ نعامة وهو يقول : النور الذي وقع [ليلة الأثنين و][2] ليلة الثلاثاء ، مع صاحب الناقة العضباء ، في ديار إخوان بني العنقاء .

فأجابه هاتف عن شماله وهو يقول : بشر الجن وإبلاسها ، إن وضعتْ المطيُّ أحْلَاسَهَا ، وكلأتْ السماء أحراسُها ، [قال :][2] فوثبت مذعوراً وعلمت أن محمداً مرسلٌ .

فركبت فرسي وسرت حتى انتهيت إليه فبايعتُه ، ثم انصرفت إلى [ضِمار][1] فأحرقته بالنار ، ثم رجعت إلى رسول الله ﷺ [فأنشدته شعراً أقول فيه][3] :

---

(١) زيادة للسياق من (دلائل أبي نعيم) .

(٢) في (خ) « ضماد » ، والتصويب من (ترتيب القاموس) : ٣ / ٣٧ .

(٣) في (خ) : « فأنشد شعراً فذكره » وما أثبتناه من رواية أبي نعيم في (الدلائل) ، وهذه الأبيات منه :

لعمرُك إنّي يوم أجعل جاهلا ... ضِماراً لرب العالمين مشاركاً
وتركي رسولَ الله والأوسُ حوله ... أولئك أنصار له ما أولئكا
كتارك سهل الأرض والحزنَ يَبْتغي ... ليسلك في وعث الأمور المسالكا
فآمنتُ بالله الذي أنا عبده ... وخالفتُ من أمسي يريد المهالكا
ووجَّهتُ وجهي نحو مكة قاصداً ... أبايع نبي الأكرمين المباركا
نبيّ أتى بعد عيسى بناطقٍ ... من الحق فيه الفصل فيه كذلكا
أمينٌ على الفرقان أولُ شافع ... وأول مبعوث يجيب الملائكا
تلافي عُرى الإسلام بعد انتقاضها ... فأحكمها حتى أقام المناسكا
عنيتُك يا خير البرية كلِّها ... توسطت في الفرعين والمجد مالِكا
وأنت المصفَّى من قريش إذا سمتْ ... على ضُمرها تبقي القرون المباركا
إذا انتسب الحيان كعبٌ ومالكٌ ... وجدناك محْضاً والنساء العواركا =

ومن حديث الزهري عن عبد الرحمن بن أنيس السلمي ، عن العباس بن مرداس قال : كان إسلام العباس بن مرداس أنه كان بغمرة في لقاح له نصف النهار ، إذ طلعت عليه نعامة بيضاء مثل القطن ، عليها راكب عليه ثياب بيض مثل القطن فقال : يا عباس بن مرداس ! ألم تر أن السماء خُفَّت أحراسها ، وأن الحرب جوعت أنفاسها ، وأن الخيل وضعت أحلاسها ، وأن الذي جاء بالبر ولد يوم الاثنين في ليلة الثلاثاء ، صاحب الناقة القصواء .

فخرجت مرعوباً قد راعني ما رأيت وسمعت ، حتى جئت وثناً لي يدعى الضماد ، كنا نعبده وَنُكَلَّمُ من جوفه ، فدخلت عليه وكنست ما حوله ، ثم قمت فتمسَّحتُ به وقبلته ، فإذا صائح يصيح من جوفه : يا عباس بن مرداس !

قل للقبائل[1] من سليم كلها ... هلك الضمار[2] وفاز أهل المسجد
هلك الضمار[2] وكان يُعبد مدة ... قبل الصلاة[3] على النبي محمد
إن الذي ورث النبوة والهدى ... بعد ابن مريم من قريش مهتدى

قال : فخرجت مرعوباً حتى جئت قومي ، فقصصتُ عليهم القصة وأخبرتهم الخبر ، فخرجت في ثلاثمائة راكب من قومي إلى رسول الله ﷺ ، فدخلنا المسجد ، فلما رآني رسول الله ﷺ تبسم وقال : يا عباس بن مرداس ! كيف كان إسلامك ؟

= (دلائل أبي نعيم) : ١ / ١١٨ - ١١٩ ، حديث رقم (٦٦) قال في (الخصائص) ١ / ٢٦٧ : أخرجه أيضاً ابن جرير ، والمُعافَى بن زكريا ، وابن الطراح في كتاب (الشواعر) بأسانيدهم ، وقال في هامشه : « كذا في الأصل ، ولعلَّ الصواب العواتكا » ، ونقول : أن العواتك والعوارك كل منهما تخدم المعنى ، فإذا أراد الشاعر « العوارك » فمعناها النساء الشابات اللاتي في سنّ الحيض ، قال في (ترتيب القاموس) : ٣ / ٢٠٧ : عركت المرأة عَرْكاً وعُروكاً : حاضت .

وإذا أراد « العواتك » ، فالعواتك : في جدات النبي ﷺ تسع : ثلاث من سُلَيْم : بنت هلال أم جَدِّ هاشم ، وبنت مُرَّة بن هلال أم هاشم ، وبنت الأوقص بن مرة بن هلال أم وهب بن عبد مناف . والبواقي من غير بني سُلَيْم .

والعواتك من الصحابيات : عاتكه بن أسَيْد ، وبنت خالد ، وبنت زيد بن عمرو ، وبنت عبد المطلب ، وبنت عَوف ، وبنت نُعَيم ، وبنت الوليد . (المرجع السابق) : ٣ / ١٥٠ - ١٥١ .

(١) كذا في (خ) ، و (الخصائص) ، وفي (دلائل أبي نعيم) : « للقبيلة » .
(٢) في (خ) : « الضماد » وصوابه في (القاموس) : « ضمار » .
(٣) في (دلائل أبي نعيم) : « قبل الكتاب » .

فقصصتُ عليه القصة فقال : صدقت ، وسُرَّ بذلك ، فأسلمتُ أنا وقومي .

ومن حديث سعيد بن عمرو بن سعيد الهذالي عن أبيه عمرو بن سعيد ، وكان شيخاً كبيراً قد أدرك الجاهلية الأولى والإسلام ، قال : حضرتُ مع رجال من قومي صنماً بسواع وقد سقنا إليه الذبائح ، فكنت أول من قرَّب إليه هدية سمينة ، فذبحتها على الصنم ، فسمعنا صوتاً من جوفها : العجب كل العجب ، خروج نبي من بني عبد المطلب ، يحرم الزنا ويحرم الذبح للأصنام ، وحرست السماء ورمينا بالشهب .

فتفرقنا فقدمنا مكة ، فلم نجد أحداً يخبرنا بخروج محمد ﷺ حتى لقينا أبا بكر الصديق [و][1] عبد الله بن عثمان رضي الله عنهما فقلنا : يا أبا بكر ! خرج أحد بمكة يدعو إلى الله يقال له أحمد ؟ فقال : وما ذاك ؟ فأخبرتُ أبا بكر الخبر فقال : نعم ، خرج محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، وهو رسول الله ، فدعانا أبو بكر إلى الإسلام ، فقلنا : حتى ننظر ما يصنع قومنا ، وياليت كنا أسلمنا يومئذ .

وعن عبد الله بن يزيد الهذلي ، عن عبد الله بن ساعدة الهذلي ، عن أبيه قال : كنا عند صنمنا بسواع ، وقد جلبنا إليه غنماً لنا مائتي شاة قد كان أصابها الجرب ، فأدنيتها منه أطلب بركته ، فسمعت منادياً من جوف الصنم ينادي : قد ذهب كيد الجن ورمينا بالشهب لنبي اسمه أحمد ، فصرفت وجه غنمي منحدراً إلى أهلي ، فلقيت رجلاً فخبرني بظهور رسول الله ﷺ .

وعن يحى بن سليمان عن حكيم بن عطاء السلمي[2] من بني سليم من ولد راشد بن عبد ربه عن أبيه عن جده[3] راشد بن عبد ربه قال : كان الصنم الذي يقال سواع بالمعلاة[4] من رهاط[5] تدين له هذيل وبنو ظَفَر من سليم ، فأرسلت بنو ظَفَر راشد بن عبد ربه بهدية من سُلَيْم إلى سُواع ، قال راشد : فألفَيت مع الفجر إلى صنم قبْل صنم سواع ، وإذا صارخ يصرخ من جوفه : العجب كل العجب [من خروج نبي من بني عبد المطلب ، يحرم الزنا والربا ، والذبح للأصنام ، وحُرِسَت

---

(١) زيادة للسياق .
(٢) في (خ) : « الظفري » .
(٣) في (خ) : « جده عن راشد » .
(٤) موضع قرب بدر .
(٥) موضع على ثلاثة أميال من مكة .

السماء ورُمينا بالشهب ، العجب كل العجب][1] ثم هتف صنم آخر من جوفه : [ترك الضمار وكان يُعبد][1] خرج أحمد ؛ نبي يصلي الصلاة ويأمر بالزكاة والصيام ، والبر والصِّلاتِ للأرحام[2] ثم هتف من[3] جوف صنم آخر هاتف :

إن الذي ورث النبوة والهدى بعد ابن مريم من قريش مهتدى
نبيّ يخبر الناس بما سبـ ـقَ وبما يكون في غـدِ

قال راشد : فألفيتُ سواعاً مع الفجر ، وثعلبان يلحسان ما حوله ، ويأكلان ما يُهدى إليه [ثم][4] يعرجان عليه ببولهما ، فعند ذلك يقول راشد بن عبد ربه :

أربٌّ يبول الثعلبان[5] برأسه لقد ذلَّ من بالت عليه الثعالبُ

وذلك عند مخرج رسول الله ﷺ [ومهاجره][6] إلى المدينة وتسامع الناس به ، فخرج راشد حتى أتى رسول الله ﷺ بالمدينة[7] ومعه كلب له - واسم راشد يومئذ (ظالم) ، واسم كلبه (راشد) - فقال [له][8] رسول الله ﷺ ما اسمك ؟ قال : (ظالم) قال : فما اسم كلبك ؟ قال : (راشد) ، فقال رسول الله ﷺ : اسمك راشد ، واسم كلبك ظالم ؟ وضحك النبيُّ ﷺ ، وبايع النبيَّ ﷺ وأقام معه ، ثم طلب من رسول الله ﷺ قطيعةً برُهاط ، فأقطعة رسول الله ﷺ بالمعلاة من رهاط شأوَ الفَرسِ[9] ورَمْيةً ثلاث مرات بحجر ، وأعطاه أداوة[10] مملوءة من ماء ، وتفل فيها [رسول الله ﷺ][11] وقال له : فرغها أعلى القطيعة ولا تمنع الناس فضولها ، ففعل ، فجعل الماء معيناً مُجمَّة [إلى اليوم][11]

(١) ما بين الحاصرتين تكملة من (دلائل أبي نعيم) ، وهو سقط في (خ) .
(٢) كذا في (خ) ، وفي المرجع السابق : « وصلة الأرحام » .
(٣) كذا في (خ) ، وفي المرجع السابق : « في ».
(٤) زيادة للسياق .
(٥) الثُّعلبان : ذكر الثعلب ، والثعلب يطلق على الذكر والأنثى ، والثَّلعبان : مثنى ثعلب ، وهو المراد هنا .
(٦) في (خ) ، و (دلائل أبي نعيم) : « ومجازه » ، ولعل الصواب ما أثبتناه فهو أجود للسياق .
(٧) في المرجع السابق : « المدينة » .
(٨) زيادة للسياق من المرجع السابق .
(٩) شأو الفرس : الشوط منه .
(١٠) إناء صغير يوضع فيه الماء .
(١١) زيادة للسياق من (دلائل أبي نعيم) .

فغرس عليها النخل وصارت رهاطاً كلها تشرب منه وسماها الناس ماء الرسول ، وأهل رهاط يغتسلون منها ويستشفون بها ، وغدا راشد على[1] سواع وكسَّرة[2] .

وله من حديث إسماعيل بن عَيَّاش ، عن يحى بن أبي عمرو الشيباني[3] عن عبد الله بن الديلمي قال : أتى رجل عبد الله بن عبَّاس[4] رضي الله تعالى عنه فقال : بلغت أنك تذكر سطيحاً [و][5] تزعم أن الله خلقه [و][5] لم يخلُقْ من ولد آدم شيئاً يشبهه ! قال : نعم ، إن الله خلق سطيحاً الغسانيّ لحماً على وضم - والوضم : شرائح النخل[6] - وكان يحمل على وضمه فيؤتي به حيث يشاء ، ولم يكن فيه عظْم ولا عصب إلا الجمجمة والكفان ، وكان يُطوى من رجليه إلى تُرقوته كما يطوى الثوب ، فلم يكن فيه شيء يتحرك إلا لسانُه .

فلما أراد الخروج إلى مكة حُمل على وضمه ، فأتى به مكة ، فخرج إليه أربعة من قريش : عبد شمس وهاشم ابنا عبد مناف بن قُصيّ ، والأحوص بن فهر ، وعَقيل ابن أبي وقاص ، انتموا إلى غير نسبهم [فقالوا][7] : نحن أناس من جُمح ، أتيناك [وقد][8] بلغنا قدومُك ، فرأينا أن [إتياننا][9] إياك حق لك ، واجب علينا

---

(١) في المرجع السابق : « إلى سواع فكسَّره » .

(٢) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ١٢٠ - ١٢٢ ، حديث رقم (٦٨) ، قال الدميري في (حياة الحيوان) : ١ / ٢٢١ : وأخرجه البغوي في (المعجم) ، وابن شاهين وغيرهما ، وذكره السيوطي في (الخصائص) : ١ / ١٩٣ ، وابن حجر في (الإصابة) : ٢ / ٤٣٤ ، ترجمة راشد بن عبد ربه السلمي ، رقم (٢٥١٩) وفيه : ورواه أبو حاتم بسند له ، والبيت عنده هكذا :

أربٌّ يبـول الثعلبـان بـرأسه ... لقد هان من بالت عليه الثعالب

و (مجموعة الوثائق السياسية) : ١٩٧ ، وثيقه رقم (٢١٣) لراشد السلمي : « بسم الله الرحمٰن الرحيم ، هذا ما أعطى محمدٌ رسول الله ﷺ راشدَ بن عبد ربه السلمي ، أعطاه : غلوتين بسهم وغلوةً بحجر بُرهاط ، فمن حاقه فلا حق له ، وحقه حق ، وكتب خالد بن سعيد » .

(٣) كذا في (خ) ، و (دلائل أبي نعيم) ، وصوابه (السيباني) بالمهملة (الجرح والتعديل) : ٩ / ١٧٧ ، ترجمة رقم (٧٣٥) يحي بن أبي عمرو السيباني أبو زرعة .

(٤) كذا في (خ) « عياش » ، والتصويب من (دلائل أبي نعيم) .

(٥) زيادة للسياق .

(٦) في (دلائل أبي نعيم) : « شرائح من جريد النخل » .

(٧) في (خ) : « وقالوا » ، وما أثبتناه من (دلائل أبي نعيم) .

(٨) زيادة للسياق .

(٩) كذا في (خ) ، وفي المرجع السابق : « زيارتنا » .

وأهدى له عقيل صفيحة هندية[1] ، وصعدة[2] ، رُدَيْنية[3] فوضعت على باب البيت الحرام لينظروا هل يراها سطيح أم لا .

فقال : يا عقيل ، ناولني يدك ، فناوله يده ، فقال : يا عقيل ! والعالمِ الخفيَّة ، والغافر الخطيَّه ، والذمَّة الوفيه ، والكعبة المبنيَّة ، إنك للجائيْ[4] بالهديَّة ، الصفيحة الهنديَّة ، والصعدة الردينيّة .

قالو : صدقت يا سطيح ، فقال : والآت بالفرح ، وقوس قُزح ، وسائرِ القُرَّحِ[5] ، واللطيم[6] المنبطح[7] ، والنخل والرطب والبلح ، إن الغراب حيث مرَّسنحَ[8] ، فأخبر أن القوم ليسوا من جمح ، وأن نسبهم في قريش ذي البطح ، قالوا : صدقت يا سطيح ، نحن أهل البيت الحرام ، أتيناك لنزورك لما بلغنا من علمك ، فأخبرنا عما يكون في زماننا هذا وما يكون بعده ، لعلَّ[9] أن يكون عندك في ذلك علم .

قال : الآن صدقتم ، خذوا مني إلهام الله إياي : أنتم يا معشر العرب في زمان الهرم ، سواء[10] بصائركم وبصيرة العجم ، لا علم عندكم ولا فهم ، وينشأ من عقبكم ذَوُو فهم ، يطلبون أنواع العلم ، فيكسرون الصنم ، ويبلعون الردم[11] ، ويقتلون العَجَم ، يطلبون الغُنْم .

---

(١) الصفيحة : السيف العريض (لسان العرب) : ٢ / ٥١٣ .
(٢) الصعدة : القناة المستقيمة (لسان العرب) : ٣ / ٢٥٥ .
(٣) رُدَيْنَة : اسم امرأة ، تنسب إليها الرماح (لسان العرب) : ١٣ / ١٧٨ .
(٤) في (خ) : « للجائي » ، وفي (أبي نعيم) : « الجائي » .
(٥) القُرَّح : جمع قارح ، وهي الناقة أول ما تحمل . (اللسان) : ٢ / ٥٥٩ .
(٦) اللطيم : صفة من صفات الخيل أو الإبل (المرجع السابق) : ١٢ / ٥٤٣ .
(٧) المنبطح : الملقي على وجهه . (المرجع السابق) : ٢ / ٤١٢ .
(٨) السانح : ما أتاك عن يمينك من ظبي أو طائر أو غير ذلك ، والبارح : ما أتاك من ذلك عن يسارك (المرجع السابق) : ٢ / ٤٩٠ .
(٩) في (خ) : « بعد أن يكون » . (١٠) كذا في (خ) ، و (الخصائص ، وفي (أبي نعيم) : « فتبينوا »
(١١) في (أبي نعيم) : « يتبعون الردم » ، والردم : ما يسقط من الجدار إذا انهدم ، وكل مالفق بعضه ببعض فهو رُدِمَ . (اللسان) : ١٢ / ٢٣٦ .

قالوا : يا سطيح ! ممن يكون أولئك ؟ قال[1] : والبيت ذي الأركان ، والأمن والسكان ، لينشأن من عقبكم وِلْدان ، يكسرون الأوثان ، وينكرون عبادة الشيطان ، ويوحدون الرحمٰن ، وينشرون دين الدَّيان ، يُشرفون البنيان ، ويقتنون القيان .

قالوا : يا سطيح ! من نسل من يكون أولئك ؟ قال : وأشرف الأشراف ، والمفضيِّ للإسراف ، والمزعزع الأحفاف ، والمضعف للأضعاف ، لينشأن الآلاف من بني عبد شمس وعبد مناف ، نشواً يكون فيهم اختلاف .

قالوا : يا سوأتاه يا سطيح مما تُخبر من العلم بأمرهم ؟ ومن أي بلد يكون أولئك ؟ قال : والباقي الأبد ، والبالغ الأمد ، ليخرُجن من ذا البلد ، فتى يهدي إلى الرَّشَد ، يرفض يغوث[2] والفند[3] ، يبرأ من عبادة الضدد[4] ، يعبد رباً انفرد ، ثم يتوفاه [الله][5] محموداً ، من الأرض مفقوداً ، في السماء مشهوداً[6] ، وذكر باقية في القوم الذين يلون أمر الأمة المحمدية .

ومن حديث ابن إسحاق قال : حدثني من أثق به من علمائنا ، عن من حدثه من أهل اليمن[7] ....

(١) في (أبي نعيم) : « فقال لهم » . (٢) اسم صنم . (٣) الفِنْد : الكذب .

(٤) في (خ) ، و (الخصائص) ، بالصاد المهملة ، والصدد : من أسماء الحجر . (٥) زيادة للسياق من (خ) .

(٦) في (دلائل أبي نعيم) ، بعد قوله « مشهوداً » [ثم يلي أمره الصديق ، إذا قضى صدق ، وفي رد الحقوق لاخرق ولا نزق ، ثم يلي أمره الحنيف ، مجرَّبٌ غطريف ، ويترك القول العنيف ، قد ضاف المضيف ، وأكرم التحنيف ، ثم يلي أمره داعياً لأمره مجرباً ، فيجتمع له جموعاً وعصباً ، فيقتلونه نقمة وغضباً ، فيؤخذ الشيخ إرْباً ، فيقوم به رجال خطباء ، ثم يلي أمره الناصر ، يخلط الرأي برأي الناكر ، يُظهر في الأرض الفساد ، ثم يلي بعده ابنه ، يأخذ جمعه ويقل حمده ، ويأخذ المال ويأكله وحده ، ويكنز المال لعقبه من بعده ، ثم يلي من بعده عدة الملوك ، لاشك ، الدم فيهم مسفوك ، وذكر القصة] .
(دلائل النبوة لأبي نعيم) : ١ / ١٢٢ - ١٢٥ ، حديث رقم (٦٩) ، أخرجه أيضاً ابن عساكر ، والسيوطي في (الخصائص) : ١ / ٧٣ . قال محقق (الدلائل) : وفيه سليمان بن عبد الرحمن ، صدوق يخطيء ، وآخر القصة يبدو فيها الوضع .

(٧) السَّنَد في (دلائل أبي نعيم) هكذا : « حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر قال : حدثنا جعفر بن أحمد بن فارس قال : حدثنا محمد بن حميد قال : حدثنا سلمة بن الفضل قال : حدثني محمد بن إسحاق ، وحدثنا سليمان بن أحمد قال : حدثنا أحمد بن إبراهيم القرشيّ قال : حشدثنا سليمان بن عبد الرحمن بن بشير الشيباني عن محمد بن إسحاق قال : حدثني من أثق به من علمائنا ، عمَّن حدَّثه من أهل اليمن ... » .

أن ملكا من لَخْم[١] من أهل الملك الأول القديم قبل حسّان ذي نواس ، يُقال له : ربيعة بن نَصْر ، رأى رؤيا فظع بها حين رآها ، وهالته وأنكرها ، وبعث إلى الحُزاق[٢] من أهل الأرض ، من كان في مملكته من الكهان والمنجمين والعرافين[٣] ، فقال[٤] لهم : قد رأيت رؤيا فَظعتُ بها وهالتني ، فأخبروني عنها .

قالوا : أيها الملك اقصصها علينا نخبرك بتأويلها ، قال : إني إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم[٥] ، فقال رجل منهم إن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى سطيح وشِقٍّ ، فإنهما يخبران عما أراد [الملك][٦] من ذلك ، فهما أعلم من ترى[٧] ، وكان سطيح رجلاً من غسَّان - [وهو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذؤيب بن عدي بن مازن][٨] - وكان شق [رجلاً][٨] ، من بجيلة ، وقال سلمة بن الفضل في حديثه عن [ابن إسحاق][٨] : يقال له : سطيح الذئبيّ لنسبته إلى الذئب بن عدي ، وشِقّ بن صَعْب بن يَشكر بن رُهم بن أفرك بن نذير ابن قيس بن عبقر بن أنمار[٩] .

فلما قالوا له ذلك بعث إليهما ، فقدم عليه سطيح قبل شق - و لم يك في زمانهما مثلهما من الكهان - فلما قدم سطيح عليه[١٠] قال له الملك : يا سطيح : إني قد

---

(١) لخم : اسمه مالك بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن غريب بن يزيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .
ولخم وجذام قبيلتان من اليمن ، ينسب إلى لخم خلق كثير . (اللباب في تهذيب الأنساب) : ٣ / ١٣٠ .

(٢) في (دلائل أبي نعيم) : « الحزأة » ، وهم العالمون .

(٣) في (دلائل أبي نعيم) : « العراف » .

(٤) في (دلائل أبي نعيم) : « وقال » .

(٥) في (سيرة ابن هشام) : « إلى خبركم عن تأويلها » .

(٦) زيادة من المرجع السابق .

(٧) في المرجع السابق : « نراه » .

(٨) زيادة من (خ) .

(٩) في (سيرة ابن هشام) : « ابن رهم بن أفرك بن قسر بن عَقْبر بن أنمار بن نزار ، وأنمار أبو بجيلة وخثعم » .

(١٠) في (دلائل أبي نعيم) : « فلما قدم سطيح عليه قبل شق دخل عليه ، قال الملك ... » ، وفي (سيرة ابن هشام » : « فقدم عليه سطيح قبل شق فقال له : إني رأيت ... » .

رأيت رؤيا هالتني وفظعت بها حين رأيتها ، وإنك إن تصفها [لي][1] قبل أن أخبرك تُصب تأويلها[2] .

قال : أفعل ؛ رأيتَ حُمَمَة خرجت من ظلمة ، فوقعت بأرض تَعَمَة فأكلت منها كلَّ ذات جُمجمة[3] .

فقال الملك : والله ما أخطأتَ من رؤياي[4] [وسمة][5] ، فما عندك [من][6] تأويلها يا سطيح ؟ .

قال : أحلف بما بين الحرَّتين من حَنَشْ ، لينزلن أرضكم الحبشْ ، وليملكن ما بين أَبْيَنَ إلى جُرَشْ[7] .

قال له الملك : وأبيك يا سطيح ، إن هذا لنا لغائظ موجع ، فمتى[8] هو كائن يا سطيح ؟ أفي زماننا هذا ؟ أم بعده ؟ قال[9] : بعده بحين ، خمسين إلى ستين أو سبعين تمضين من السنين[10] .

قال له الملك : أفيقيم ويدوم سلطانهم أم ينقطع[11] ؟ .

قال : ينقطع بسبع وسبعين من السنين[12] ، ثم يقتلون أجمعين ، ويخرجون هاربين .

---

(١) زيادة من (خ) .
(٢) في (سيرة ابن هشام) : « فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها » .
(٣) في (دلائل أبي نعيم) : « كلُّ ذات جمجمة من العشاء إلى العتمة ، ونصب كلَّ أفصح وأصحّ » .
(٤) في (سيرة ابن هشام) : « ما أخطأتَ منها شيئاً » .
(٥) كذا في (خ) .
(٦) في (سيرة ابن هشام) ، و (دلائل أبي نعيم) : « في تأويلها » .
(٧) أبين وجُرش : بلدان في اليمن .
(٨) في المرجع السابق : « متى هو » .
(٩) في (ابن هشام) ، وفي (دلائل أبي نعيم) : « بل بعده بحين » .
(١٠) في (دلائل أبي نعيم) : « أكثر من ستين إلى سبعين سنة يمضين » وفي (ابن هشام) : « أكثر من ستين أو سبعين يمضين من السنين » .
(١١) في (ابن هشام) : « أفيدوم ذلك من ملكهم أم ينقطع ؟ » ، وفي (دلائل أبي نعيم) : « أفيقوم أو يدوم سلطانهم أم ينقطع » ، وفي (خ) : « أفيقيم » .
(١٢) في (ابن هشام) : « لبضع وسبعين » ، وفي (دلائل أبي نعيم » : « لبضع وستين » ، وما أثبتناه من (خ) .

قال له الملك : ومن الذي يقتلهم ويلي إخراجهم ؟ .

قال : يليه إرم ذي يزن[١] ، يخرج عليهم من عدن ، ولا يبقي منهم أحدٌ باليمن[٢] ، قال له الملك : أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع ؟ .

قال : بل ينقطع .

قال : ومن يقطعه ؟ .

قال : نبي زكيّ ، يأتيه الوحي من قبل[٣] الله العلي .

قال : وممن هذا النبي يا سطيح ؟ .

قال : من[٤] ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر ، يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر .

قال : وهل للدهر من آخر ؟ .

قال : نعم يوم يجمع الله فيه الأولين والآخرين ، يشقى فيه المسيئون ، ويسعد فيه المحسنون ، قال : أحقٌّ ما تقول ؟ قال : نعم ، والشفق والغسق ، والفلق [إذا اتَّسَق][٥] ، إن ما أنبأتك لحق .

فلما فرغ خرج من عنده . وقدم شق[٦] فقال له الملك مثل ما قال لسطيح

---

(١) كذا في (خ) ، و (ابن هشام) ، وفي (دلائل أبي نعيم) : « إنه ابن ذي يزن » ، والمعروف أنَّ اسمه : سيف بن ذي يزن ، ولكن جعله « إرماً » ؛ إما لأن الارم هو العلم ممدحه بذلك ، وإما شبهه بعاد إرم في عظم الخِلقة .

(٢) كذا في (خ) ، (ابن هشام) ، وفي (أبي نعيم) : « في اليمن » .

(٣) في (ابن هشام) : « من قبل العلي » .

(٤) كذا في (خ) ، و(ابن هشام) وفي (أبي نعيم) : « لؤي بن غالب » .

(٥) ما بين الحاصرتين في (خ) فقط .

(٦) سمي « شِقّ » لأنه كان شق إنسان ؛ له يد واحدة ، ورجل واحدة ، وعين واحدة . ووُلد سطيح وشق في اليوم الذي ماتت فيه « طريفة الكاهنة » ، امرأة عمرو بن عامر ، وهي بنت الخير الحميرية ، ودعت بسطيح قبل أن تموت ، فأتيت به ، فتفلت في فيه ، وأخبرت أنه سيخلفها في علمها وكهانتها ، ودعت بشق ؛ ففعلت به مثل ما فعلت بسطيح ، ثم ماتت ، وقبرها بالجحفة .

لينظر : أيتفقان أم يختلفان ؟ .

فقال شقّ : نعم أيها الملك ، رأيت جِمَمَةً[1] خرجت من ظلمة فوقعت بين روضة وأكمة ، بأرض بُهُمَة ، فأكلت منها كل ذات نسمة صحيحة مسلمة .

ثم قال : أحلف بما بين الحرتين من إنسان ، لينزلن أرضكم السودان ، وليغلبن على كل طفلة البنان ، وليملكن ما بين أبين إلى نجران ، فقال الملك : يا شق ! وأبيك إن هذا لنا لغائظ موجع ، فمتى هو كائن ؟ أفي زماني ، [2] أم بعده ؟ .

قال : بعده بزمان ، يبيدهم عظيم ذو شان[3] ، فيذيقهم أشد الهوان .

قال له الملك : ومن هذا[4] العظيم الشان ؟ .

قال : غلام ليس بدنّي ولا مدنٍّ ، يخرج من بيت ذي يزن ، قال : فهل يدوم سلطانهم أم ينقطع ؟ .

قال : لا بل ينقطع برسول يأتي بحقٍّ وعدلٍ ، ومن أهل الدين والفضل ، يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل ، قال : وما يوم الفصل يا شِقّ ؟ .

قال : يوم تُجزى فيه الوُلاة ويدعى فيه من السماء دعوات ، فيسمع الأحياء والأموات ، ويجتمع فيه الناس للميقات ، يكون فيه لمن اتقى الفوزُ والخيرات .

قال له الملك : ما تقول ياشِق ؟ [قال :][5] ورب السماء والأرض ، وما بينهما من رفْع وخَفْض ، إن ما أنبأتك لحق ما فيه أُمْضْ[6] ، فلما فرغ من مساءلتهما جهزّ بنيه وأهل بيته إلى العراق ، وكتب [لهما][7] إلى ملك فارس[8] ، وهو

---

(١) في (خ) : « جمجمة » .
(٢) في (خ) ، و(ابن هشام) : « زماني » ، وفي (أبي نعيم) : « زماننا » .
(٣) كذا في (خ) ، وفي (ابن هشام) ، و(دلائل أبي نعيم) : « ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شان » .
(٤) كذا في (خ) و(ابن هشام) ، وفي (أبي نعيم » : « ومن هو هذا » .
(٥) زيادة للسياق من (أبي نعيم) .
(٦) أمض : شك أو باطل .
(٧) زيادة للسياق من (أبي نعيم) .
(٨) في (ابن هشام) : « إلى ملك من ملوك فارس » .

شابور[1] فأسكنهم الحيرة[2] .

فمن بقية ولد ربيعة بن نَصْر : النعمان بن المنذر ، فهو في نسب اليمن وعلمهم : النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر ، [ذلك الملك][3] .

وحدَّث أبو علي قال : كان جُنافر بن التوائم الحميري كاهنا ، وكان قد أوتي بسطه في الجسم وسعة في المال ، وكان عاتياً ، فلما وفدت وفود اليمن على النبي ﷺ وظهر الإسلام ، أغار على إبل لمسواد فاكتسحها ، وخرج بأهله ولحق بالشجر فخالف جودان بن يحي الفرصمي ، وكان سيداً منيعاً ، وترك بوادٍ من أودية الشجر مخصباً كثير الشجر من الأيك والعرين .

قال جُنافر : وكان رَئّي في الجاهلية لا يكاد يتغيب عليّ ، فلما شاع الإسلام فقدته مدة طويلة وساءني ذلك ، فبينا أنا ليلة بذلك الوادي إذ هَوَى هَوِيَّ العقاب ، قال جُنافر : فقلت : شصار ! فقال : اسمع أقل ، قلت : اسمع ، فقال : عِهْ تغنم ؛ لكل مدة نهاية ، وكل ذي أمدٍ إلى غاية ، فقلت : أجل ، فقال : كل دولة إلى أجل ، ثم يتاح لها حول ، انتشحت النِّحَل ورجعت إلى حقائقها الملل ، إنك بيحبر

---

(١) هو شابور بن خرزاذ وهو في (ابن هشام) : بالسين المهملة .

(٢) هذا الحديث ذكره كل من :

* أبو نعيم في (دلائل النبوة) : ١ / ١٢٥ ، حديث رقم (٧٠) .
* إبن عساكر من طريق ابن إسحاق عن بعض أهل الرواية .
* إبن إسحاق في السيرة ؛ (ابن هشام) : ١ / ١٢٤ .
* السيوطي في (الخصائص) : ١ / ٨٧ .
* أحمد بن حُديدة الأنصاري في (المصباح المضيّ) : ٢ / ٢٠٦ .
* إبن كثير في (البداية والنهاية) : ٢ / ٣٢٩ ، وفيه : « وأخبار سطيح كثيرة ، وقد جمعها غير واحد من أهل العلم ، والمشهور أنه كان كاهناً ، وقد أخبر عن النبي ﷺ وعن نعته ومبعثه ، وروى لنا بإسناد الله أعلم به أن النبي ﷺ سئل عن سطيح فقال : « نبي ضيعه قومه » .

قال الحافظ ابن كثير : أما هذا الحديث فلا أصل له في شيء من كتب الإسلام المعهودة ، ولم أره بإسناد أصلاً !! .

* إبن الأثير في (الكامل) : ١ / ٤١٨ .
* إبن جرير الطبري في (التاريخ) : ٢ / ١١٢ .

(٣) زيادة في (خ) .

موصول ، والنصح لك مبذول ، إني آنست بأرض الشام ، نفراً من آل العذام ، حكاماً على الحكام ، يتدبرون ذَا رَوْنَقٍ من الكلام ، ليس بالشعر المؤلف ، ولا السجع المتكلف ، فأصْغيت فزُجرت ، وعاودتُ فلطفت ، فقلت : بم يهيمنون ، وإلام يعتزون ؟ قالوا : خطاب كبار ، جاء من عند الملك الجبار ، فاسمع يا شصار ، عن أصدق الأخبار ، واسلك أوضح الآثار ، تنج من أوار النار ، فقلت : وما هذا الكلام ؟ قالوا : فرقان بين الكفر والإيمان ، رسول من مضر من أهل المدار ، ابتعث فظهر. فجاء بقول قد بهر ، وأوضح نهجاً قد دثر ، فيه مواعظ لمن اعتبر ، ومعاذ لمن ازدجر ، أُلّف بالآي الكبر ، قلت : ومن هذا المبعوث من مُضر ، قالوا : أحمد خير البشر ، وإن خالفت أصليت سقر ، فآمنت يا جُنافر ، وأقبلت إليك أُبادر ، فجانبْ كل نجس كافر ، وشايعْ كل مؤمن ظاهر ، وإلا فهو الفراق على تلاق ، قلت : من أين أبغي هذا الدين ؟ قال : من ذات الآخرين ، والنفر الميامين ، أهل الماء والطين ، قلت : أوضح ، قال : الحق بيثرب ذات النخل ، والحرة ذات النعل ، فهناك أهل الفضل ، والطول والبذل ، ثم أملس عني فبت مذعوراً أراعي الصباح ، فلما برق لي النور ، امتطيت راحلتي وأذنت أعبدي ، واحتملت بأهلي حتى وردت الجوف ، فرددت الإبل على أربابها ، بحولها وسقائها ، وأقبلت أريد صنعاء ، فأصبتُ بها معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه أميراً لرسول الله ﷺ ، فبايعته على الإسلام ، وعلمني سوراً من القرآن ، فمن الله عليّ بالهدى بعد الضلالة ، والعلم بعد الجهالة[1] ، وقلت في ذلك :

ألم تر أن الله عاد بفضله ... فأنقذ من لفح الرحيج جُنافراَ
وكشفه لي جحمتي عما هما ... وأوضح لي نهجي وقد كان داثراَ
دعاني شصار للتي لو رفضتها ... لأصليت جمراً من لظى الهوف واهراَ
فأصبحت والإسلام حشو جوانحي ... وجانبت من أمسى عن الحق بائراَ
وكان مضلي من هديت برشده ... فلله مغو عاد بالرشد آمـراَ
نجوت بحمد الله من كل قحمة ... تورث هلكاً يوم شايعتُ شاصراَ

(١) لم أجد هذا الخبر فيما بين يدي من المراجع .

وقد أمنتني بعد ذاك بحائـر   بما كنت أغشى المندبات بحائرا
فمن مبلغ فتيان قومي ألوكة   بأني من أقاتل من كان كافراَ
عليكم سواء القصد لأفلَّ حدّكم   فقد أصبح الإسلام للكفر قاهراَ

ويروى أن تيم اللات بن ثعلبة عمَّر ستمائة سنة وأدرك عيسى عليه السلام ، وآمن به وكان على دينه ، وأنه صَوَّر محمداً ﷺ وكتب تحتها : منعت وجّ الحجاز وتهايم مكة وديار ربيعة إلا من دولة اليتيم ، فطوبى لمن أدركه واتبعه ، وتيم اللات هذا كان [محارباً][1] في حرب البسوس ، وكان قائدهم ، وكان أجمل الناس .

وقال الخرائطي في كتاب (الهواتف) : أخبرنا عبيد بن محمد البلوي ، حدثنا عمادة بن زيد ، حدثني عبيد الله بن العلاء ، عن هشام بن عروة عن أبيه عن جدته أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنها قالت : كان زيد بن عمرو بن نفيل وورقة ابن نوفل يَذكُرَان [أنهما أتيا][2] النجاشي بعد رجوع أبرهة عن مكة .

قالا : فلما دخلنا عليه قال لنا : أَصْدقاني أيها القرشيان ، هل ولد فيكم مولود أراد أبوه ذبحه ؟ قلنا : نعم .

قال : فهل لكما علم بما فعل ؟ قلنا : تزوج امرأة اسمها آمنة وتركها حاملاً وخرج .

قال : فهل تعلمان وُلد له أم لا ؟ قال ورقة : أخبرك أيها الملك أنه لما ولد له كنت عند صنم لنا نطيف به ونعبده ، إذ سمعت من جوفه هاتفاً يقول :

وُلد النبي فَذَلَّتْ الأمـلاكُ   ونآي الضلالُ وأدْبَرَ الإشْراكُ

ثم انتكس على رأسه ، فقال زيد : عندي كخبره أيها الملك ، قال : هات ، قال : إني في هذه الليلة التي ذكر فيها حديثه ، خرجت من عند أهلي وهم يذكرون حمل آمنة ، حتى أتيت جبل أبي قُبيس أريد الخلوة فيه لأمر رابني ، إذ رأيت رجلاً نزل من السماء له جناحان أخضران ، فوقف عليه[3] ثم أشرف على مكة وقال :

---

(١) هذه الكلمة مطموسة في (خ) ، ولعل الصواب ما أثبتناه .
(٢) في (خ) : « أنها أتت » .   (٣) في (خ) : « على » .

ذل الشيطان ، وبطلت الأوثان ، وولد الأمين .

قال النجاشي : إني أخبركما عما أصابني : إني لنائم في الليلة التي ذكرتما في قبتي وقت خلوتي ، إذ خرج عليّ من الأرض عنق ورأس وهو يقول : حل الويل بأصحاب الفيل ، رمتهم طير أبابيل ، بحجارة من سجيل ، هلك الأشرم، المعتدي المجرم ، وولد النبي الأمي ، الحرمي المكي ، من أجابه سعد ، ومن أتاه عند .

وقال عبد الله البلوي : حدثنا عمارة ، حدثنا عبيد الله بن العلاء ، حدثنا محمد ابن عكير[1] عن سعيد بن جبير ، أن رجلاً من بني تميم يقال له : رافع بن عمير ، كان أهدى[2] الناس بطريق ، وأسراهم بليل ، وأهجمهم على هول ، فكانت العرب تسميه : دعموص[3] الرمل لهدايته وجرأته ، فذكر عن بدء إسلامه قال : إني لأسير برمل عالج[4] ذات ليلة ، إذ غلبني النوم ، فنزلت عن راحلتي وأنختها وتوسدت ذراعها وقلت : أعوذ بعظيم هذا الوادي من الجن ، من أن أوذي أو أهاج .

فرأيت في النوم رجلاً شاباً يرصد ناقتي بحربة ، يريد أن يضعها في نحرها ، فانتبهت فزعاً ، فرأيت ناقتي تضطرب ، وإذا برجل كالذي رأيت في منامي بيده حربة ، وشيخ ممسك بيده بردة وهو يقول :

يا مالك بن مهلهل بن أثار   مهلاً فداً لك مئزري وإزاري
عن ناقة الإنس لا تعرض لها   واختر بها ما شئت من أثواري

---

(١) لم أجده فيمن روى عن سعيد بن جبير في (تهذيب التهذيب) .

(٢) في (خ) : « أهدا » .

(٣) الدعموص : دويبة صغيرة تكون في مستنقع الماء ، وقيل : هي دويبة تغوص في الماء ، والجمع الدعاميص والدعامص . والدعموص أيضاً : الدَّخال في الأمور ، الزوَّار للملوك . ودُعَيْميص الرمل : اسم رجل كان داهياً يُضرب به المثل ، يقال : هو دُعَيْميص هذا الأمر ، أي عالم به . (اللسان) : ٧ / ٣٦ .

(٤) هو رملة بالبادية مسماة بهذا الاسم ، قال أبو عبد الله السكوني : عالج رمال بين فَيد والقُريات ، ينزلها بنو بُحتر من طّيء ، وهي متصلة بالثعلبية عن طريق مكة ، لا ماء بها ، ولا يقدر أحد عليه فيه ، وهو مسيرة أربع ليال ، وفيه برك إذا سالت الأودية امتلأت ، وعالج لها ذكر في شعر حسان بن ثابت بعد أحد ، في غزوة بدر الآخرة يؤنب قريشا . (معجم البلدان) : ٤ / ٧٨ ، (سيرة ابن هشام) : ٤ / ١٦٧ .

ولقد بدالي منك مالم أجب	إلا دعيت قرابتي وذماري
تسمو إليه بحربة مسمومة	تباً لفعلك يا أبا العفـاري
لولا الحياء وأن أهلك جيرة	لعلمت ما كشفت من أخباري

قال رافع : فأجابه الشاب :

أأردت أن تعلو وتخفض ذكرنا	في غير مرزية أبا العيـزار
ما كان فيكم سيد فيما مضى	إن الخيار همو بنو الأخيار
فاقصد لقصدك ما معيكم إنما	كان المجير مهلهل بن أثار

قال : فبينما هما يتنازعان إذ طلعت ثلاثة أثوار من الوحش ، فقال الشيخ للفتى : قم يا ابن أخت فخذ أيها شئت فداءاً لناقة جاري الإنسي ، فأخذ منها ثوراً ثم انصرف ، فالتفت إلى الشيخ فقال : ياهذا ! إذا نزلت وادياً من الأودية فخفت هَوْله فقل : أعوذ برب محمد من هول هذا الوادي ، ولا تعذ بأحد من الجن فقد بطل أمرها .

قال : فقلت : ومن محمد ؟ قال : نبي عربي لا شرقي ولا غربي ، قلت : فأين مسكنه ؟ قال : يثرب .

قال : فركبت راحلتي حتى دخلت المدينة ، فنزلت على النبي ﷺ فحدثني بحديثي قبل أن أذكر له منه شيئاً ، ودعاني إلى الإسلام فأسلمت .

قال سعيد بن جبير فكنا نرى أنه هو الذي أنزل الله فيه : ﴿ **وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً** ﴾[1] .

---

(1) الجن: ٦ ، قوله تعالى : ﴿ **وأنه كان رجال من الإنس** ﴾ ، روى الجمهور أن الرجل كان إذا أراد المبيت أو الحلول في وادٍ ، نادى بأعلى صوته : يا عزيز هذا الوادي ، إني أعوذ بك من السفهاء الذين في طاعتك ، فيعتقد بذلك أن الجني الذي بالوادي يمنعه ويحميه . فروي أن الجن كانت تقول عند ذلك : لا نملك لكم ولا لأنفسنا من الله شيئاً .

قال مقاتل : أول من تعوذ بالجن قوم من اليمن ، ثم بنو حنيفة ، ثم فشا ذلك في العرب . وقال قتادة : ﴿ **فزادوهم** ﴾ ، أي الجن زادت الإنس مخافة أن يتخيلون لهم بمنتهى طاقتهم ويعوذونهم لما رأوا من خفة أحلامهم ، فازدروهم واحتقروهم . وقال ابن جبير : ﴿ **رهقاً** ﴾ : كفراً . (البحر المحيط) : ١٠ / ٢٩٥ – ٢٩٦ باختصار .

وذكر ابن سعد في طبقاته عن الواقدي : حدثنا علي بن عيسى الحكمي عن أبيه عن عامر بن ربيعة قال : سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يقول : إنا ننتظر[١] نبياً من ولد إسماعيل ، ثم من بني عبد المطلب ، ولا أراني أدركه وأنا أؤمن به وأصدقه وأشهد أنه نبي ، فإن طالت بك مدة فرأيته فأقرئه مني السلام ، وسأخبرك ما نعته حتى لا يخفى عليك ، فقلت : هلم ، قال : هو رجل ليس بالطويل ولا بالقصير ، ولا بكثير الشعر ولا بقليله ، وليست تفارق عينه حمرة ، وخاتم النبوة بين كتفيه ، واسمه أحمد ، وهذه البلده[٢] مولده ومبعثه ، ثم يخرجه قومه منها[٣] ، ويكرهون ما جاء به حتى يهاجر إلى يثرب ، فيظهر أمره ، فإياك أن تُخدع عنه ، فإني طفت البلاد كلها أطلب دين إبراهيم ، فكل من أسلم[٤] من اليهود والنصارى والمجوس يقولون : هذا الدين وراءك ، وينعتونه بمثل نعتي[٥] لك ويقولون : لم يبق نبي غيره .

قال عامر بن ربيعة : فلما أسلمت أخبرت النبي ﷺ بقول[٦] زيد وأقرأته منه السلام ، فردّ عليه السلام ورحّم عليه وقال : قد رأيته في الجنة يسحب ذيولاً[٧] .

وقال أبو عمر بن عبد البر : روينا من حديث واثلة بن الأسقع قال : كان إسلام الحجاج بن علاط [السلمي ثم][٨] البهزي أنه خرج في ركب من قومه إلى مكة ، فلما جَنَّ عليه الليل وهو في وادٍ مخوفٍ[٩] قعد فقال له أصحابه : يا أبا كلاب ! قم فخذ لنفسك ولأصحابك أماناً ، فقام الحجاج بن علاط يطوف حولهم يكلؤهم ويقول :

---

(١) في (الطبقات) : « أنا أنتظر » .
(٢) في (ابن سعد) : « وهذا البلد » .
(٣) في (ابن سعد) : « منه » .
(٤) في (ابن سعد) : « أسأل » .
(٥) في (ابن سعد) : « مانعته » .
(٦) في (ابن سعد) : « قول » .
(٧) (طبقات ابن سعد) : ١ / ١٦١ - ١٦٢ .
(٨) زياده في النسب من (الاستيعاب) .
(٩) في المرجع السابق : « وحش مخوف » .

أعيذ نفسي وأعيذ صحبي من كل جني بهذا النقب
حتى أؤوب سالماً وركبي

فسمع قائلاً يقول : ﴿ **يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لاتنفذون إلا بسلطان** ﴾[1] ، فلما قدموا مكة خبَّر[2] بذلك في نادي قريش فقالوا له : صبأت[3] يا أبا كلاب ، إن هذا[4] مما يزعم محمد أنه أنزل عليه ، قال : والله لقد سمعته وسمعه هؤلاء معي ، ثم أسلم الحجاج فحسن إسلامه[5] .. الحديث[6] .

* * *

(١) الرحمن : ٣٣ .
(٢) في المرجع السابق : « أخبر » .
(٣) في المرجع السابق : « صبأت والله يا أبا كلاب » .
(٤) في المرجع السابق : « فيما » .
(٥) (الاستيعاب) : ١ / ٣٢٥ - ٣٢٦ ، ترجمة الحجاج بن علاط السلمي رقم (٤٨٢) .
(٦) قال أبو عمر بن عبد البر : وحديثه بذلك صحيح من رواية ثابت البُناني وغيره عن أنس . (المرجع السابق) .

فصل في ذكر ما كان من أعلام نبوة رسول الله ﷺ منذ حملت به أمه آمنة بنت وهب[1] إلى أنِ بعثه الله برسالته

إعلمْ أنه كان لرسول الله ﷺ من أمارات النبوة آيات وأعلام يُهتدى بها إلى ثبوت نبوته وصدق رسالته ، قدمها الله تعالى قبل بعثته برسالته ليكون دليلاً واضحاً وبرهاناً صحيحاً لائحاً على نبوته وتحقيق رسالته .

فمن ذلك : إخبار الحبر لعبد المطلب بأن في إحدى يديه مُلكاً وفي الأخرى نبوة ، وأن ذلك في بني زهرة ، وأن عبد الله بن عبد المطلب كان يُرى بين عينيه نور النبوة ، وأن أمة آمنة بنت وهب لما حملت به بُشّرتْ بأنه خير البرية ، ولما ضربها المخاض دنت منه نجوم السماء ، وخرج منها لما وضعته نور أضاء له البيت ، وانتشر حتى أضاءت له قصور الشام وغيرها ، وطرحوا عليه بعد ولادته برمة فانفلقت ، وولد مختوناً مسروراً ، وفتحت لولادته أبواب السماء ، واستبشرت الملائكة ، وتطاولت الجبال وارتفعت البحار ، وقلَّ الشيطان ومردته ، وألبست الشمس نوراً عظيماً ، ونكست الأصنام وحجبت الكهان ، وارتجس إيوان كسرى ، وسقطت منه أربع عشرة شرفة ، وخمدت نار فارس ، وغاضت بحيرة ساوي ، ورأى المؤبذان

---

(١) هي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زُهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر ابن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مُدركة بن إلياس بن مضر .

ولا نعلم أنه كان لآمنة أخ فيكون خالاً للنبي ﷺ ، ولكن بنو زُهرة يقولون : نحن أخوال رسول الله ﷺ ، لأن آمنة منهم ، كانت أفضل امرأة في قريش نسباً وموطناً ، ويؤخذ من اللهجة التي كانت تتكلم بها السيدة آمنة أن أصلها من المدينة .

وكانت السيدة آمنة وفية لزوجها عبد الله والد الرسول ﷺ بعد وفاته ، فكانت تخرج في كل عام إلى المدينة تزور قبره ، فلما أتى على رسول الله ﷺ ست سنين خرجت زائرة لقبره ومعها عبد المطلب وأم أيمن حاضنة رسول الله ﷺ ، فلما صارت بالأبواء منصرفة إلى مكة ماتت بها . (معجم البلدان) : ١ / ١٠١ ، موضع رقم (١٥٢) ، (الأبواء) وهي موضع بين مكة والمدينة ، وهو إلى المدينة أقرب ، (المعارف) : ١ / ١٢٩ ، (أعلام النساء) : ١ / ١٨ .

أن إبلاً تقود خيلاً وانتشرت في بلاد فارس .

وردّ الله ببركته أصحاب الفيل عن مكة ، ومنعهم من تخريب البيت الحرام الذي جعل الله حجَّهُ أحد أركان الإسلام ، تحقيقاً لشريعته ، و تأييداً لدعوته ، وما ظهر لظئره حليمة من البركة حين أرضعته من إقبال لبنها ، وكثرته بعد قلته ، وحلبها اللبن من شاتها التي لم يكن بها قطرة لبن ، وسبق أتانُها حُمُرَ رفاقها بعد تخلفها عنهم لضعفها ، وسمن أغنامها دون أغنام قومها ، وشق صدره المقدس عندها ، ومعرفة اليهود له وهو طفل مع أمه بالمدينة ، وتوسم جده عبد المطلب فيه السيادة ، وقول بني مدلج : إن قدمه أشبه بقدم إبراهيم الخليل ، ومعرفة أسقف نجران وهو غلام ، وإخبار اليهودي أنه يخرج من صُلب عبد المطلب نبي يقتل يهود ، وما كان عمه أبو طالب يرى من البركة منذ كفله ، وتظليل الغمام له ، واعتراف بحيرا الراهب بنبوته ، وإخبار نسطور بذلك .

* * *

وأما إخبار الحبر لعبد المطلب بأن في إحدى يديه مُلكا وفي الأخرى نبوة ، وأن ذلك في بني زهـرة

فخرج الحافظ أبو نعيم من حديث أبي عون[١] مولى المسور بن مخرمة ، عن المسور عن عبد الله بن عباس عن أبيه العباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنهما قال : قال عبد المطلب : قدمت اليمن في رحلة الشتاء فنزلتُ على حبر من أحبار اليهود ، فقال لي رجل من أهل الزبور – يعني من أهل الكتاب – : ممن الرجل ؟ قلت : من قريش ، قال : من أيهم ؟ قلت : [من بني هاشم][٢] ، قال : يا عبد المطلب ! تأذن[٣] لي أن أنظر إلى بعضك ؟ قلت : نعم ، مالم يكن عَوْرَةً ، قال : ففتح أحد مَنْخَرَيَّ ثم فتح الآخر فقال : أشهد أن في إحدى يديك مُلكاً وفي الأخرى نُبَّوة ، وإنا نجد ذلك في بني زُهرة ، فكيف ذلك ؟ فقلت[٤] لا أدري ، قال : هل لك من شاعة ؟ قلت : وما الشاعة ؟ قال : الزوجة ، قلت : أما اليوم فلا ، قال : فإذا رجعت فتزوج منهم[٥] ، فرجع عبد المطلب إلى مكة فتزوج بهالة[٦] بنت وهَيب بن عبد مناف بن زهرة ، فولدت له حمزة وصفية ، وتزوج

---

(١) سند هذا الحديث في (دلائل أبي نعيم) : حدثنا سليمان بن أحمد قال : حدثنا أحمد بن عمر الخلال المكي قال : حدثنا محمد بن منصور الجواز قال : حدثنا يعقوب بن محمد بن عيسى بن عبد الملك ابن حميد بن عبد الرحمن الزهري قال : حدثنا عبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز قال : حدثنا عبد الله ابن جعفر المخرميّ ، عن أبي عون مولى المسْور بن مَخْرَمة ، عن المسور عن ابن عباس عن أبيه العباس ابن عبد المطلب قال : ...

(٢) في (خ) : « من أيهم شئت » ، وما أثبتناه من (دلائل أبي نعيم) .

(٣) في المرجع السابق : « أتأذن » .

(٤) في المرجع السابق : « قلت » .

(٥) في المرجع السابق : « فيهم » .

(٦) في المرجع السابق : « هالة » .

- عبد الله بن عبد المطلب آمنة بنت وهب فولدت له رسول الله ﷺ ، ووهب ووهيب أخوان ، فقالت قريش حين تزوج عبد الله : فلج عبد الله على أبيه[1] . ورواه الزهري وعبد الرحمن بن حميد عن حميد بن عبد الرحمن عن أبيه ، أن عبد المطلب ... فذكر نحوه .

* * *

(١) أخرجه أبو نعيم في (دلائل النبوة) : ١ / ١٢٩ - ١٣٠ ، حديث رقم (٧١) ، والسيوطي في (الخصائص) : ١ / ٩٩ ، وابن سعد في (الطبقات الكبرى) : ١ / ٨٦ لكن بسياقه أخرى ضمن قصة طويلة ، والحاكم في (المستدرك) : ٢ / ٦٥٦ ، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين ، باب ذكر أخبار سيد المرسلين وخاتم النبيين ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، المصطفى صلوات الله عليه وعلى آله الطاهرين من وقت ولادته إلى وقت وفاته ما يصح منها على ما رسمنا في الكتاب لا على ما جرينا عليه من أخبار الأنبياء قبله إذ لم نجد السبيل إليها إلا على الشرط في أول الكتاب ، حديث رقم (٤١٧٦ / ١٨٦) ، وقال الذهبي في (التلخيص) : يعقوب وشيخه ضعيفان ، (ميزان الاعتدال) : ٢ / ٦٣٢ ، ترجمة رقم (٥١١٩) عبد العزيز بن عمران الزهري المدني ، وهو عبد العزيز بن أبي ثابت ، قال البخاري : لا يكتب حديثه ، وقال النسائي وغيره : متروك ، وقال عثمان بن سعيد : قلت ليحيى : فابن أبي ثابت عبد العزيز بن عمران ما حاله ؟ قال ليس بثقه ، إنما كان صاحب شعر ؛ وهو من ولد عبد الرحمن بن عوف .

وابن كثير في (البداية والنهاية) : ٢ / ٣٠٩ ؛ فصل تزويج عبد المطلب ابنه عبد الله من آمنة بنت وهب الزهرية ، والبيهقي في (دلائل النبوة) : ١ / ١٠٦ - ١٠٧ .

وأما رؤيــة النــور بين عيني
عبد الله بن عبد المطلب

فخرج أبو نعيم من حديث ابن شهاب[١] عن أبي بكر بن عبد الرحمن عن أم سلمة، وعامر بن سعد عن أبيه سعد، قال: أقبل عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله ﷺ وكان في بناء له وعليه أثر الطين والغبار، فمرّ بامرأة من خَثْعم، وقال[٢] عامر بن سعد[٣] عن أبيه في حديثه فمرّ بليلى العدوّية، فلما رأته ورأت ما بين عينيه دعته إلى نفسها وقالت له: إن وقعت بي فلك مائة من الإبل، فقال لها [عبد الله بن عبد المطلب][٤]: حتى أغسل عني هذا الطين الذي عليّ وأرجع إليك، فدخل على آمنة بنت وهب فواقعها فحملت برسول الله ﷺ الطيب المبارك، ثم رجع إلى الخثعمية، وقال عامر في حديثه إلى ليلى العدويّة فقال لها: هل لك فيما قلت؟ فقالت: لا [يا عبد الله][٥]، قال: ولم؟ قالت: لأنك مررت بي وبين عينيك نور، ثم رجعتَ إليّ وقد انتزعته آمنة بنت[٦] وهب منك. فولدت[٧] آمنة رسول الله ﷺ.

وله من حديث النضر بن سلمة[٨] قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عبد العزيز الزهري عن أبيه محمد عن أبيه عمر بن عبد الرحمن بن عوف قال: سمعت سعد ابن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه يقول: نحن أعظم خلق الله بركة، وأكثر خلق

---

(١) السَّند في (دلائل أبي نعيم) : حدثنا عمر بن محمد بن جعفر قال : حدثنا إبراهيم بن السندي، حدثنا النضر بن مسلمة قال : حدثنا أحمد بن محمد بن عبد العزيز عن أبيه قال : حدثني ابن شهاب عن أبي بكر بن عبد الرحمن عن أم سلمة وعامر بن سعد عن أبيه سعد قال ...

(٢) في المرجع السابق : « فقال ». (٣) في (خ) : « سعيد ».

(٤) زيادة للسياق من (دلائل أبي نعيم). (٥) زيادة للسياق من (دلائل أبي نعيم).

(٦) في (دلائل أبي نعيم) : « ابنة ». (٧) في (دلائل أبي نعيم) : « فحملت آمنة برسول الله ﷺ ».

(٨) السند في (دلائل أبي نعيم) : حدثنا سليمان بن أحمد قال : حدثنا أحمد بن عمر الخلال المكي قال : حدثنا عبد العزيز بن عمران قال : حدثني محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه عن جده قال : سمعت سعد بن أبي وقاص يقول : ...

الله ولداً ، خرج عبد الله بن عبد المطلب ذات يوم مُتَخصِّراً[1] مترجلاً حتى جلس في البطحاء ، فنظرتْ إليه ليلى العدوية ، فدعته إلى نفسها ، فقال عبد الله [بن عبد المطلب][2] : أرجع إليك ، ودخل [عبد الله][2] على آمنة [بنت وهب][2] فقال لها اخرجي فواقعها وخرج ، فلما رأته ليلى قالت : ما فعلت ؟ فقال [عبد الله][2] : قد رجعت إليك ، قالت [ليلى][2] : لقد دخلت بنور ما خرجت به ، ولئن كنت ألممت بآمنة بنت وهب لتلدن مَلِكاً[3] .

وله من حديث ابن جريج عن عطاء[4] عن ابن عباس رضي الله عنه قال : لما خرج عبد المطلب بابنه ليزوجه مرَّ به على كاهنة من أهل تبالة[5] مُتَهَوِّدَة[6] قد قرأت الكتب ، يقال لها : فاطمة بنت مُرٍّ الخثعمية ، فرأت نور النبوة في وجه عبد الله ، فقالت له : يا فتى ! هل لك أن تقع عليّ الآن وأعطيك مائة من الإبل فقال [عبد الله][7] :

أما الحرامُ فالممات دونه   والحِلُّ لاحِلَّ فأستبينُه
فكيف بالأمر الذي تبغينه ؟

ثم مضى مع أبيه فزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، فأقام عندها ثلاثاً ، ثم إن نفسه دعته إلى ما دعته[8] إليه الخثعمية فأتاها فقالت : يا فتى ! ما صنعت بعدي ؟ قال : زوجني أبي آمنةَ بنتَ وهب وأقمت عندها ثلاثا ، قالت :

---

(١) كذا في (خ) ، وفي (دلائل أبي نعيم) : « مُتَحضِّراً » ، والحديث أخرجه أبو نعيم في (الدلائل) ١ / ١٣٠ ، حديث رقم (٧٢) ، والسيوطي في (الخصائص) : ١ /١٠٠ ، عن أبي نعيم ، وأخرج القصة ابن هشام في (السيرة) : ١ / ٢٩١ - ٢٩٢ .

(٢) زيادات للسياق والنسب من (دلائل أبي نعيم) .

(٣) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ١٣١ ، حديث رقم (٧٣) وفيه عبد العزيز بن عمران ، وهو متروك .

(٤) السند في (دلائل النبوة لأبي نعيم) : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا علي بن حرب ، قال : حدثنا محمد بن عمارة القرشيّ ، قال : حدثنا مسلم بن خالد الزنجي ، عن ابن جريج ، عن عطاء عن ابن عباس قال : ...

(٥) تبالة : بلد باليمن   (٦) في (خ) : « مشهورة » ، وما أثبتناه من (دلائل أبي نعيم) .

(٧) زيادة للسياق من المرجع السابق .

(٨) في (خ) : « دعت » .

إي والله ما أنا بصاحبة ريبة ، ولكن رأيتُ في وجهك نوراً وأردت أن يكون فيَّ ، وأبى الله إلا أن يصيرة حيث أَحَبَّ ، [ثم قالت فاطمةُ الخثعمية][1] :

وله من حديث داود بن أبي هند[2] عن عكرمة قال : كانت امرأة من خثعم تعرض نفسها في [موسم الحج][3] ، وكانت ذات جمال ، ومعها أدم تطوف به كأنها تبيعه ، فأتت على عبد الله بن عبد المطلب ، فلما رأته أعجبها[4] فقالت : إني والله ما أطوف لبيع[5] الأدم ، وما بي إلى ثمنه من حاجه ، ولكني إنما أتوسم الرجال[6] ، أنظر هل أجد كفؤاً ، فإن كانت لك إليّ حاجة فقم ، فقال لها : مكانك [حتى][7] أرجع إليك ، فانطلق إلى أهله[8] ، فبدا له[9] فواقع أهله ، فحملت بالنبي ﷺ ، فلما رجع إليها قال : ألا أراكِ هاهنا ؟ قالت : ومن أنت[10] ؟ قال : أنا الذي وعدتك ، قالت لا : ما أنت هو ، ولئن كنت ذاك[11]

---

(١) في (خ) : « وقالت شعراً فذكره » ، قالت :

إني رأيتُ مخيلـــــة لمعتْ ... فتــلألأتْ بحنـــاتم القَطْـــرِ
فلمائهـــا نـــورٌ يُضيء لـــه ... ما حولـه كـــإضاءة البـــدرِ
ورجوتـه فخـراً أبـوءُ بـــه ... ما كل قادحٍ زِنْـدَهُ يـورى
لله ما زهريـــــة سَلَـــبَتْ ... ثوبيك ما استلبت وما تـدري

والحديث أخرجه أبو نعيم في (الدلائل) : ١ / ١٣١ – ١٣٣ ، حديث رقم (٧٤) ، وابن سعد في (الطبقات) : ١ / ٩٦ – ٩٧ ، وفيه صدر البيت الثالث هكذا :

* فلمأتُها نوراً يُضيء به *

وما أثبتناه من (دلائل أبي نعيم) ، و (طبقات ابن سعد) .

(٢) السند في (دلائل البيهقي) ، هكذا : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، قال : حدثنا عبد الباقي بن قانع ، قال : حدثنا عبد الوارث بن إبراهيم العسكري ، قال : حدثنا مسدّد ، قال : حدثنا مسلمة بن علقمة ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : ...

(٣) في (خ) : « موسم من المواسم » ، وما أثبتناه من (دلائل البيهقي) .

(٤) كذا في (خ) ، وفي (دلائل البيهقي) : « فأظن أنه أعجبها » .

(٥) كذا في (خ) ، وفي (دلائل البيهقي) : « ما أطوف بهذا الأدم ومالي إلى ثمنها حاجة » .

(٦) كذا في (خ) ، وفي دلائل البيهقي : « وإنما أتوسم الرجل هل أجد كفؤاً » .

(٧) زيادة للسياق من المرجع السابق .

(٨) كذا في (خ) ، وفي (دلائل البيهقي) : « إلى رحلة » .

(٩) كذا في (خ) ، وفي (دلائل البيهقي) : « فبدأ فواقع أهله » .

(١٠) كذا في (خ) ، وفي (دلائل البيهقي) : « فمن كنت ؟ » .

(١١) كذا في (خ) ، وفي (دلائل البيهقي) : « قال : الذي واعدتك » .

لقد رأيت بين عينيك نوراً ما أراه الآن[1] .

وله من حديث ابن وهب[2] قال : أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب الزهري قال : كان عبد الله بن عبد المطلب أحسن رجل رُءِي قط ، فخرج[3] يوماً على نساء قريش وهن مجتمعات ، فقالت امرأة منهن : أيتكن تتزوج بهذا الفتى فَتَصْطَبّ النور الذي أرى[4] بين عينيه ؟ فإني أرى بين عينيه نوراً ، فتزوجَتْهُ آمنةُ بنتُ وهب بن عبد مناف بن زهرة[5] ، فحملت بمحمد ﷺ[6] .

وقال يونس بن بكير عن ابن إسحق[7] : ثم انصرف عبد المطلب آخذاً بيد عبد الله ، فمرّ به – فيما يزعمون – على امرأة من بني أسد بن عبد العزى بن قصي وهي عند الكعبة ، فقالت له حين نظرت إلى وجهه : أين تذهب يا عبد الله ؟ فقال : مع أبي ، قالت : لك عندي من الإبل مثل الذي نحرت عنك وقَعْ عليّ الآن ، فقال لها : إن معي أبي [الآن][8] ، لا أستطيع خلافه ولا فراقه ، ولا أريد أن أعصيه شيئاً .

---

(١) (دلائل البيهقي) : ١ / ١٠٧ – ١٠٨ .

(٢) السند في (دلائل أبي نعيم) هكذا : حدثنا محمد بن أحمد بن سليمان ، قال حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا ابن وهب عن يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب الزهري ، قال : ... .

(٣) كذا في (خ) وفي (أبي نعيم) : « خرج » .

(٤) في (أبي نعيم) : « النور الذي بين عينيه » .

(٥) كذا في (خ) ، وفي (أبي نعيم) : « بن زهرة فجأة فحملت » .

(٦) (دلائل النبوة لأبي نعيم) : ١ / ١٣٣ ، حديث رقم (٧٥) ، وهو حديث مرسل ، أخرجه أيضاً السيوطي في (الخصائص) : ١ / ١٠٤ قال الشيخ أبو نُعَيْم رحمه الله : ففي ابتغاء اليهود واليهودية وضع هذا النور الذي انتقل إلى آمنة بنت وهب فيها ، وذكرهم بني زُهرة ، وأن هذا الأمر لا يكون فيهم ، دلالة واضحة على تقديم الخبر والبشارة بذلك في الكتب السالفة ، وما يكون من أمر النبي ﷺ وبعثته ، كل ذلك آيات واضحة ، وبراهين صحيحة لائحة ، على نبوته وبعثته ﷺ . (المرجع السابق) : ١ / ١٣٣ .

(٧) السند في (دلائل البيهقي) هكذا : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، قال : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، قال : حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، قال : حدثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ... ، وفي (سيرة ابن هشام) بغير سند ، وفي (تاريخ الطبري) بغير سند ، بل قال : « فمر به فيما يزعمون على امرأة من بني أسد » وكذلك قال (البيهقي والمقريزي) .

(٨) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي) .

فخرج به عبد المطلب حتى أتى به وَهْبَ بن عبد مناف بن زهرة – ووهب يومئذ سيد بني زهرة نسباً وشرفاً – فزوجه آمنة بنت وهب ، وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعاً[1]

قال : وذكروا أنه دخل عليها حين أملكها[2] مكانه ، فوقع عليها فحملت برسول الله ﷺ .

قال : ثم خرج من عندها حتى أتى المرأة التي قالت له ما قالت – وهي أخت ورقة ابن نوفل بن أسد بن عبد العزى – وهي في مجلسها ، فجلس إليها وقال : مالك لا تَعْرضين عليّ اليوم مثل الذي عرضت أمس ؟ .

قالت[3] : فارقك[4] النور الذي كان فيك ، فليس لي بك اليوم حاجة ، وكانت فيما زعموا تسمع من أخيها ورقة ابن نوفل – وكان قد تَنَصَّر واتّبع الكتب – يقول : إنه لكائن في هذه الأمة نبي من بني إسماعيل[5] ، فقالت في ذلك شعراً فذكره[6] ، واسمها أم قتَّال بنت نوفل بن أسد .

---

(١) [وهي لِبَرَّة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قُصيّ . وأم برة : أم حبيب بنت أسد بن عبد العزى بن قُصيّ . وأم حبيب بنت أسد : لِبَرَّة بنت عوف بن عبيد بن عدي بن عدى بن كعب ابن لؤي بن غالب بن فهر] مابين الحاصرتين زيادة من (دلائل البيهقي) ، و (ابن هشام) ، و (تاريخ الطبري) .

(٢) كذا في (خ) ، وفي (الطبري) ، و (ابن هشام) ، وفي (البيهقي) : « ملكها » .

(٣) كذا في (خ) ، و (ابن هشام) ، وفي (الطبري) ، و (البيهقي) : « فقالت » .

(٤) في (البيهقي) : « قد فارقك » .

(٥) (دلائل البيهقي) : ١ / ١٠٢ – ١٠٤ ، باب تزوج عبد الله بن عبد المطلب : أبي النبي ﷺ بآمنة بنت وهب ، وحملها برسول الله ﷺ ووضعها إياه ، (سيرة ابن هشام) . ١ / ٢٩٢ باب ذكر المرأة المتعرضة لنكاح عبد الله بن عبد المطلب ، (تاريخ الطبري) : ٢ / ٢٤٣ – ٢٤٤ .

(٦) هذا الشعر ذكره البيهقي في (الدلائل) ، حيث قالت أم قتَّال بنت نوفل بن أسد :

آلآن وقد ضيَّعْتَ ما كنتَ قادراً ... عليه وفارقك الذي كان جاءكَ
غدوتَ عليَّ حَافِلاً قد بَذَلْتَهُ ... هناك لغيري فالحقَنَّ بشانِكا
ولا تحسبنّي اليوم خِلْواً وليتني ... أصبتُ جنيناً منك يا عبْدَ داركا
ولكن ذاكم صار في آل زهرة ... به يَدْعَمُ الله البرية ناسكا

وقالت أيضاً :

عليك بآل زهرة حيث كانوا ... وآمنة التي حملت غلاما =

=

ترى المهديَّ حين ترى عليه ونـوراً قـد تقدَّمـه أمامـا

وقالت أيضاً :

فكـل الخلـق يرجـوه جميعـا يسود النـاس مهتدياً إمامـا

بَـرَأَهُ الله مـن نُـور صفـاءً فَأَذْهَبَ نوره عنـا الظلامـا

وذلك صنعُ ربك إذ حباه إذا ما سار يومـاً أو أقامـا

فيهدي أهل مكة بعد كفرٍ ويفرض بعد ذلكم الصِّيامـا

قال البيهقي : قلت : وهذا الشيء قد سمِعَتْهُ من أخيها في صفة رسول الله ﷺ . ويحتمل أن كانت أيضاً امرأة عبد الله مع آمنة .

قال الدكتور عبد المعطي قلعجي محقق (دلائل البيهقي) تعليقاً على هذا الخبر : خبر غريب موضوع ، لا سند له ، ولا منطق يؤيده ، ويناقض الأحاديث الصحيحة ، تناقلته كتب السيرة بما دسّه عليها أعداء الإسلام ، من يهود ، وسبيئة ، وشانئين ، ومنافقين .

١ – فرغم ما عرف عن تمسك المؤرخين بالسند ، وأن كل الأخبار الصحيحة وردت بالسند القوي المتواتر ، فهذا الخبر ليس له سند ، فلا هو بمتصل ، ولا بمرفوع ، لا ، بل نقله (الطبري) : ٢ / ٢٤٣ ، [ابن هشام : ١ / ٢٩١] ، [البيهقي : ١ / ١٠٢] ، [المقريزي في النسخة (خ) من إمتاع الأسماع] ، [بقولهم جميعاً] : « فيما يزعمون » .

٢ – إن متنه وما تضمنه من حكاية المرأة التي عرضت الزنا على عبد الله وهو حديث عهد بزواج ، تناقض الأحاديث الصحيحة ، من طهارة وشرف نسب الأنبياء ، وأن هذه الطهارة ، وهذا الشرف من دلائل نبوتهم ، قال ﷺ : « إن الله اصطفى بني كنانة من بني إسماعيل ، واصطفى من بني كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم » .

وهذا الحديث في الترمذي ومسند أحمد ، وأن الله طهره من عهر الجاهلية وأرجاسها ، ووالده عبد الله كان صورة طبق الأصل من عبد المطلب ، ولو أمهله الزمن لتولى مناصب الشرف التي كانت بيد عبد المطلب ، وكان شعاره الذي التزمه طيلة حياته :

* أما الحرام فالممات دونه *

رجل هذا شأنه ، هل نطمئن إلى هذه الروايات المزعومة ، وأنه بعد أن دخل بزوجته آمنة ، عاد فأتى المرأة التي عرضت عليه ما عرضت فقال لها : « مالكِ لا تعرضين عليَّ اليوم ما كنتِ عرضتِ عليّ بالأمس ؟ » !! .

٣ – تخبطت الروايات في اسم المرأة ؛ فهي مرة امرأة من خثعم ، ومرة أم قتال أخت ورقة ابن نوفل ، ومرة هي ليلى العدوية ، ومرة كاهنة من أهل قبالة مُتَهَوِّدة ، ومرة أنه كان متزوجاً بامرأة أخرى غير آمنة ... الخ هذا التخبط الدال على الكذب ، ولماذا اختار الرواة أخت ورقة ابن نوفل، أو امرأة كانت قد قرأت الكتب ؟! .

٤ – إننا إذا نظرنا إلى الشعر الوارد في هذا الخبر على لسان المرأة ، لوجدناه شعراً ركيكاً ، مزيفاً ، مصنوعاً ، ملفقاً ، مضطرب القافية ، محشورة الكلمات فيه بشكل مصطنع واضح الدلالة على تلفيقه ، وبهذا كله يسقط هذا الخبر الواهي ، ويدل على هذا قول ابن إسحاق ، والطبري ، =

قال ابن إسحق[1] : حدثني والدي إسحق بن يسار قال : حُدثت أنه كان لعبد الله بن عبد المطلب امرأة مع آمنة بنت وهب [بن عبد مناف][2] ، فمر بامرأته [تلك][3] وقد أصابه أثر من طين عمل به ، فدعاها إلى نفسه فأبطأت عليه لما رأت من أثر الطين .

فدخل فغسل عنه أثر الطين ، ثم دخل عامداً إلى آمنة ، ثم دعته صاحبته التي كانت أرادته إلى نفسها ، فأبى[4] للذي صنعت به أول مرة ، فدخل على آمنة فأصابها ثم خرج ، فدعاها إلى نفسه فقالت : لا حاجة لي بك ؛ مررت بي وبين عينيك غُرَّةٌ فرجوت أن أصيبها ، فدخلتَ على آمنة فذهبت بها منك .

قال ابن إسحق : فحدثتُ أن امرأته تلك كانت تقول : لمرَّ بي وإن بين عينيه لنوراً مثل الغُرَّة ، ودعوته له رجاء أن يكون لي ، فدخل على آمنة فأصابها فحملت برسول الله ﷺ[5] .

* * *

[والبيهقي] ، و [المقريزي] ، وغيرهم ممن نقلوا الخبر - فيما يزعمون - وهو زعم باطل . (دلائل البيهقي) ١ / ١٠٤ - ١٠٥ « هامش » .

(١) السند في (دلائل البيهقي) : وأخبرنا أبو عبيد الله الحافظ ، قال : حدثنا أبو العباس : أحمد بن عبد الجبار ، قال : حدثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني والدي : إسحاق بن يسار ، قال : ....

(٢) زيادة للنسب من (البيهقي) .

(٣) زيادة للسياق من (البيهقي) .

(٤) في (خ) : « فأبا » والتصويب من (البيهقي) .

(٥) (دلائل النبوة للبيهقي) : ١ / ١٠٥ - ١٠٦ ، (سيرة ابن هشام) : ١ / ٢٩٢ ، قصة حمل آمنة برسول الله ﷺ ، (تاريخ الطبري) : ٢ / ٢٤٤ .

وأما إخبار آمنة بأنها قد حملت بخير البرية وسيّد الأمة

فخرج أبو نعيم من حديث النضر بن سلمة ، حدثنا أبو غَزِيَّة محمد بن موسى [الأنصاري][1] عن أبي عثمان سعيد بن زيد [الأنصاري][1] عن ابن بُريدة عن أبيه بُريدة قال : رأت آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ في منامها ، فقيل لها : إنك قد حملت بخير البرية وسيد العالمين ، فإذا ولدتِه فسميه أحمَدَ ومحمداً ، وعلقي عليه هذه ، قال : فانْتَبَهَتْ وعند رأسها صحيفة من ذهب مكتوب فيها[2] : أعيذه بالواحد ، من شر كل حاسد ، من كل خلق زائد ، من قائم أو قاعد ، عن السبيل حائد[3] ، على الفساد جاهد ، من نافث أو عاقد ، وكل جن[4] مارد ، يأخذ بالمراصد ، في طرق الموارد ، أَنْهاهُم عنه بالله الأعلى ، وأحوطه [منهم][5] باليد العليا ، والكف الذي لا يُرَى[6] ، يد الله فوق أيديهم ، وحجاب الله دون عاديهم ، لا تطردوه ولا تضروه[7] ، في مقعد ولا منام ، ولا مسير ولا مقام ، أول الليالي وآخر الأيام [أربع مرات بهذا][8] .

[قال سعيد بن زيد الأنصاري : فلقيت بريدة بن سفيان الأسلمي ، فذكرت له هذا الحديث الذي حدثنا ابن بريدة عن أبيه ، فقال بريدة بن سفيان : حدثنيه بريدة بهذا ، وحدثني محمد بن كعب عن ابن عباس بهذا][9] .

---

(١) زيادة للنسب من (أبي نعيم) . (٢) في (خ) : « فيها هذه » .
(٣) في (خ) ، و (المواهب) : حائد ، وفي (أبي نعيم) : « عاند » .
(٤) كذا في (خ) ، وفي (المواهب) ، و (أبي نعيم) : « خلق مارد » .
(٥) زيادة للسياق من (أبي نعيم) . (٦) في (خ) : « الذي يدني » ، وما أثبتناه من (أبي نعيم) .
(٧) كذا في (خ) ، وفي (أبي نعيم) : « لا يطردونه ولا يضرونه » .
(٨) زيادة للسياق من (أبي نعيم) .
(٩) ما بين الحاصرتين من (خ) ، وغير موجود في رواية أبي نعيم ، وهذا الحديث ذكره أبو نعيم في (دلائل النبوة) : ١ / ١٣٦ ، حديث رقم (٧٨) وقد انفرد به أبو نعيم ، وفيه أبو غزية محمد بن موسى الأنصاري ، وهو ضعيف كما في (ميزان الاعتدال) : ٤ / ٤٩ ، ترجمة رقم (٨٢٢٢) ، =

وقال يونس بن بكير عن ابن إسحق : وكانت آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ تحدث أنها أُتيتْ حين حملت بمحمد ﷺ فقيل لها إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ، فإذا وقع على الأرض فقولي : أعيذه بالواحد ، من شر كل حاسد ، من كل بر عاهد ، وكل عبد رائد ، يذود عني ذائد ، فإنه عند الحميد الماجد ، حتى أراه قد أتى المشاهد .

وقال : فإن آية ذلك أن يخرج معه نور يملأ قصور بُصرى من أرض الشام ، فإذا وقع فسميه محمداً ، فإن اسمه في التوراة والإنجيل أحمد ، يحمده أهل السماء والأرض ، واسمه في الفرقان محمد ، فسمته بذلك .

فلما وضعته بعثت إلى عبد المطلب جاريتها ، وقد كان هلك أبوه عبد الله وهي حبلى ، ويقال : إن عبد الله هلك والنبي ﷺ ابن ثمانية وعشرين شهراً [فالله أعلم أي ذلك كان][1] .

فقالت : قد ولد لك الليلة غلام فانظر إليه ، فلما جاءها خبرته خبره وحدثته بما رأت حين حملت به وما قيل لها فيه وما أُمرت أن تسميه .

فأخذه عبد المطلب فأدخله على هُبل في جوف الكعبة ، فقام عبد المطلب يدعو الله ويتشكَّر لله [عزَّ وجلَّ][2] الذي أعطاه إياه ، فقال :

الحمد لله الذي أعطاني   هذا الغلام الطيب الأردان[3]
قد ساد في المهد على الغلمان   أعيذه بالله[4] ذي الأركان

= قال البخاري : عنده مناكِر ، وقال ابن حبان كان يسرق الحديث ، ويروي عن الثقات الموضوعات ، وقال أبو حاتم : ضعيف ، ووثَّقه الحاكم . مات سنة سبع ومائتين .

ومن قوله : « أعيذه بالواحد ... إلى آخر الأبيات » كما في (المواهب) أو إلى قوله : « طرق الموارد » كما في (خ) ، قال عنه الحافظ عبد الرحيم العراقي : هكذا ذكر هذه الأبيات بعض أهل السير ، وجعلها من حديث ابن عباس ، ولا أصل لها ، قال الشامي : وسنده واهٍ جداً ، وإنما ذكرته لأنبه عليه لشهرته في كتب المواليد . (المواهب اللدنية) ١ / ١٢٠ - ١٢١ .

(١) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي) .

(٢) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي) .

(٣) الأردان : جمع رُدْن ، وهو أصل الكم ، وذلك كناية عن العفة والطهارة .

(٤) في (البداية والنهاية) : « بالبيت ذي الأركان » ، وفي (خ) ، و (صفة الصفوة) ، و (ابن سعد) : « بالله ذي الأركان » .

حتى يكون بلغة الفتيان حتى أراه بالغ البنيان
أعيذه من كل ذي شنآن[1] من حاسد من مضطرب العنان
ذي همدة ليس له عينان حتى أراه رافع اللسان
أنت الذي سميت في الفرقان في كتب ثابتة المثاني
أحمد مكتوب على اللسان[2]

[ويقال : إنه أتاها في منامها حين مرّ بها من حملها ثلاثة أشهر] .

وخرج أبو نعيم من حديث أبي بكر بن أبي مريم عن سعيد بن عمرو الأنصاري عن أبيه عن كعب الأحبار في صفة النبي ﷺ قال ابن عباس : وكان من دلالات حمل محمد رسول الله ﷺ أن كل دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة وقالت : حمل برسول الله ﷺ ورب الكعبة ، وهو أمان الدنيا وسراج أهلها .

ولم يبق كاهنة في قريش ولا قبيلة من قبائل العرب إلا حجبت عن صاحبتها ، وانتزع علم الكهانة منها ، ولم يبق سرير ملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوساً ، والملكُ مخْرساً لا ينطق يومه ذلك ، ومرت وحش المشرق إلى وحش المغرب بالبشارات ، وكذلك أهل البحار يبشر بعضهم بعضاً في كل شهر من شهوره نداءً[3] في الأرض ونداءً[3] في السماء أن أبشروا فقد آن لأبي القاسم أن يخرج إلى الأرض ميموناً مباركاً .

قال : وبقي في بطن أمة تسعة أشهر كُملاً لا تشكو وجعاً ولا ريحاً ولا مغصاً ولا ما يعرض للنساء من أداء الحمل .

وهلك أبوه عبد الله وهو في بطن أمة فقالت الملائكة : إلّهنا وسيدنا ! بقى

(١) الشنآن : البُغض .

(٢) وردت هذه الأبيات بسياقات مختلفة ، في بعضها تقديم وتأخير ، وزيادة ونقصان ، وما أثبتناه ما رواه ابن كثير في (البداية والنهاية) ، فهو أتم الروايات وأصحها ، والخبر ورد في : (دلائل البيهقي) : ١ / ١١١ - ١١٢ ، و(صفة الصفوة) : ١ / ٢٥ - ٢٦ ، و(سيرة ابن هشام) : ١ / ٢٩٦ ، و(طبقات ابن سعد) : ١ / ١٠٣ ، و(البداية والنهاية) : ٢ / ٢٢٤ ، راجع (امتاع الأسماع) : ١ / ٨ ، بتحقيقنا .

(٣) في (خ) : « نداءٌ » ، والتصويب من (المواهب اللدنية) .

نبيك هذا يتيما ، فقال الله للملائكة : أنا له وليّ وحافظ ونصير ، وتباركوا بمولده ، فمولده ميمون مبارك ، وفتح الله تعالى لمولده أبواب السماء وجنانه .

فكانت آمنة تحدث عن نفسها وتقول : أتاني آت حين مرَّ بي من حمله ستة أشهر ، فوكزني برجله في المنام وقال لي : يا آمنة ، إنك قد حملت بخير العالمين طُرّاً ، فإذا ولدتيه فسميه محمداً ، واكتمي شأنك .

قال : فكانت تحدث عن نفاسها وتقول : لقد أخذني ما يأخذ النساء ولم يعلم بي أحد من القوم ، ذكر ولا أنثى ، وإني لوحيدة في المنزل – وعبد المطلب في طوافه – قالت : فسمعت رجَّة شديدة وأمراً عظيماً فهالني ، وذلك يوم الاثنين فرأيت كأن جناح طير أبيض قد مسح على فؤادي ، فذهب عني كل رعب وكل فزع ووجع كنت أجد .

ثم التفت فإذا أنا بشَرْبة بيضاء ظننتها لبناً – وكنت عطشى – فتناولتها فشربتها ، فأضاء مني نور عالٍ ، ثم رأيت نسوة كالنخل طولاً[1] ، كأنهن من بنات عبد مناف يحدقن بي ، فبينا أنا أعجب وأقول : واغوثاه ، من أين علمن بي هؤلاء ، واشتد الأمر وأنا أسمع الوجبة في كل ساعة أعظم وأهول ، فإذا أنا بديباح قد مُدّ بين السماء والأرض وإذا قائل يقول : خذوه عن أعين الناس .

قالت : ورأيت رجالاً قد وقفوا في الهواء بأيديهم أباريق فضة ، وأنا أرشح عرقاً كالجمان ، أطيب ريحاً من المسك الإذفر وأقول : ياليت عبد المطلب قد دخل عليّ وعبد المطلب نائي .

قالت : فرأيت قطعة من الطير قد أقبلت من حيث لا أشعر حتى غطت حجرتي ، مناقيرها من الزمرد وأجنحتها من اليواقيت ، فكشف الله لي عن بصري ، فأبصرت ساعتي تلك مشارق الأرض ومغاربها ، ورأيت ثلاثة أعلام مضروبات : علما في المشرق وعلماً في المغرب وعلماً على ظهر الكعبة ، فأخذني المخاض واشتد بي الأمر جداً ، فكنت كأني مستندة إلى أركان النساء ، وكثرن عليّ حتى لا أرى

---

(١) في (خ) : « الطول » ، وما أثبتناه من (المواهب اللدنية) .

معي في البيت أحداً وأنا لا أرى شيئاً ، فولدت محمداً ﷺ .

فلما خرج من بطني نظرت إليه فإذا أنا به ساجداً قد رفع اصبعيه كالمتضرع المبتهل ، ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت من السماء تنزل حتى غشيته ، فغيب عن وجهي ، فسمعت منادياً ينادي ويقول : طوفوا بمحمد شرق الأرض وغربها ، وأدخلوه البحار كلها ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ، ويعلمون أنه سمي الماحي لا يبقي شيء من الشرك إلا محى به في زمنه .

ثم تجلت عنه في أسرع وقت ، فإذا به مدرج في ثوب صوف أبيض ، أشد بياضاً من اللبن ، وتحته حبرة خضراء ، قد قبض محمد ﷺ على ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ الرطب الأبيض ، وإذا قائل يقول : قبض محمد على مفاتيح النصر ومفاتيح الريح ومفاتيح النبوة .

ثم أقبلت سحابة أخرى أعظم من الأولى ونور ، يسمع منها صهيل الخيل وخفقان الأجنحة من كل مكان ، وكلام الرجال ، حتى غشيته فغيب عني أطول وأكثر من المرة الأولى ؛ فسمعت منادياً ينادي [و] يقول : طوفوا بمحمد الشرق والغرب على مواليد النبيين ، واعرضوه على كل روحاني من الجن والإنس والطير والسباع ، واعطوه صفاء آدم ، ورقة نوح ، وخُلة إبراهيم ، ولسان إسماعيل ، وصبر يعقوب ، وجمال يوسف ، وصوت داود ، [وصبر أيوب] ، وزهد يحى ، وكرم عيسى ، واعمروه في أخلاق الأنبياء .

ثم تجلت عنه في أسرع من طرف العين ، فإذا به قد قبض على حريرة خضراء ، مطوية طياً شديداً ، ينبع من تلك الحريرة ماء معين ، وإذا قائل يقول : بخٍ بخٍ ، قبض محمد على الدنيا كلها ، لم يبق خلق من أهلها إلا دخل في قبضته طائعاً بإذن الله تعالى ، ولا قوة إلا بالله .

قالت آمنة : فبينا أنا أتعجب وإذا بثلاثة نفر – ظننت بأن الشمس تطلع من خلال وجوههم – في يد أحدهم إبريق من فضة ، وفي ذلك الإبريق ريح المسك ، وفي يد الثاني طست من زمرد أخضر ، عليها أربعة نواحي كل ناحية من نواحيها لؤلؤة بيضاء ، وإذا قائل يقول : هذه الدنيا شرقها وغربها وبرها وبحرها ، فاقبض

ياحبيب الله على [أية] ناحية شئت .

قالت : فدرت لأنظر أين قبض من الطست ، فإذا هو قد قبض على وسطها ، فسمعتُ القائل يقول : قَبض على الكعبة ورب الكعبة ، أما إن الله قد جعلها له قبلة ومسكناً مباركاً ، ورأيت في يد الثالث حريرة بيضاء مطوية طياً شديداً فنشرها ، فأخرج منها خاتماً تحارُ أبصار الناظرين دونه ، ثم حمل ابني فناوله صاحب الطست وأنا أنظر إليه ، فغسله بذلك الإبريق سبع مرات ، ثم ختم بين كتفيه بالخاتم ختماً واحداً ولفه في الحريرة ، واستدار عليه خطاً من المسك الإذفر ، ثم حمله فأدخله بين أجنحته ساعة .

قال ابن عباس : كان ذلك رضوان خازن الجنان ، وقال في أذنه كلاماً كثيراً لم أفهمه ، وقبل بين عينيه وقال : أبشر يامحمد ، فما بقى لنبي علم إلا أُعطيته ، فأنت أكثرهم علماً وأشجعهم قلباً ، معك مفاتيح النصر ، وقد ألبست الخوف والرعب ، ولا يسمع أحد بذكرك إلا وجل في فؤاده ، وخاف قلبه ، وإن لم يرك ياحبيب الله .

قالت : ثم رأيت رجلاً قد أقبل نحوه حتى وضع فاه على فيه ، فجعل يزقه كما تزق الحمامة فرخها ، فكنت أنظر إلى ابني يشير بأصبعه يقول : زدني زدني ، فزقه ساعة ثم قال : أبشر يا حبيبي ، فما بقى لنبي حلم إلا وقد أوتيته .

ثم احتمله فغيبه عني ، فجزع فؤادي وذهل قلبي ، فقلت : ويح لقريش والويح لها ! ماتت كلها ، أنا في ليلتي وفي ولادتي ، أرى ما أرى ، ويُصنع بي ما يصنع ولا يقربني أحد من قومي ، إن هذا لهو أعجب العجب .

قالت : فبينا أنا كذلك إذ أنا به قد رُدَّ عليّ كالبدر ، وريحه يسطح كالمسك وهو يقول : خذيه ، فقد طافوا به الشرق والغرب على مواليد الأنبياء أجمعين ، والساعة كان عند أبيه آدم فضمه إليه ، وقبله بين عينيه ، وقال : أبشر حبيبي ، فأنت سيد الأولين والآخرين ، ومضى ، وجعل يلتفت ويقول : أبشر يا عزّ الدنيا وشرف الآخرة ، فقد استمسكت بالعروة الوثقى ، فمن قال بمقالتك وشهد بشهادتك حُشر غداً يوم القيامة تحت لوائك وفي زمرتك ، وناولنيه ومضى ، ولم

أره بعد تلك المرة .

قال كاتبة : هكذا أورد الحافظ أبو نعيم هذا الحديث ، وأن الوضع يلوح عليه[1] !

* * *

(١) وأورده القسطلاني في (المواهب) تحت عنوان : « حديث شديد الضعف في حمله ﷺ » ، وتحت عنوان : « أحاديث مطعون فيها ومنكره في الموالد » . (المواهب اللدنية) : ١ / ١٢١ ، ١٢٤ - ١٢٦ ، وقال في آخره : ورواه أبو نعيم عن ابن عباس ، وفيه نكارة .

وأما دُنُوّ النجوم منها عند ولادته وخروج النور منها

فخرج الحافظ أبو نعيم[1] وأبو بكر البيهقي[2] من حديث يعقوب بن محمد الزهري قال : حدثني عبد العزيز بن عمران ، قال : حدثني عبد العزيز بن عمر ابن عبد الرحمن بن عوف قال : أخبرني عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان عن ابن أبي سويد الثقفي عن عثمان بن أبي العاص قال : أخبرتني أمي أنها حضرت آمنة أم النبي ﷺ لما ضربها المخاض ، [قالت][3] : فجعلت أنظر إلى النجوم [تدلى][3] حتى قلت : لتقعن عليّ ، فلما وضعت خرج منها نور أضاء له البيت والدار ، حتى جعلت لا أرى إلا [نورا][3] .

قال كاتبه : سند هذا الحديث واهٍ جداً ؛ فيعقوب[4] وإن كان حافظاً فقد

---

(١) سند (أبي نعيم) : حدثنا سليمان بن أحمد ، قال : حدثنا أحمد بن عمر الخلّال المكي ، قال : حدثنا محمد بن منصور قال : حدثنا يعقوب بن محمد الزهري ، قال : حدثني عبد العزيز بن عمران ، قال : حدثني عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف ، قال : أخبرني عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان ، عن أبي سويد الثقفي ، عن عثمان بن أبي العاص ، قال : ...

(٢) وسند (البيهقي) : أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ ، قال : حدثنا محمد بن إسماعيل ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، قال : حدثنا أبو بشر مبشر بن الحسن ، قال : حدثنا يعقوب بن محمد الزهري ، قال : حدثنا عبد العزيز بن عمران ، قال : حدثنا عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان بن جبير بن مُطعم ، عن أبيه ، عن ابن أبي سويد الثقفي ، عن عثمان بن أبي العاص ، قال : ... .

(٣) زيادات للسياق من (أبي نعيم) ، وأما رواية (البيهقي) :

حدثتني أمي : أنها شهدت ولادة آمنة بنت وهب رسولَ الله ﷺ ، ليلة ولدته . قالت : فما شيء أنظر إليه في البيت إلا نور ، وإني لأنظر إلى النجوم تدنوا حتى إني لأقول ليقعُنّ عليّ .

والحديث ذكره أبو نعيم في (دلائل النبوة) : ١ / ١٣٥ ، حديث رقم (٧٦) ، والبيهقي في (دلائل النبوة) : ١ / ١١١ ، رواه الهيثمي في (مجمع الزوائد) : ٨ / ٢٢٠ ، وقال : رواه الطبراني ، وفيه عبد العزيز بن عمران وهو متروك ، والسيوطي في (الخصائص) : ١ / ١١٣ .

(٤) يعقوب بن محمد بن عيسى بن عبد الملك بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى ، أبو يوسف المدنى نزيل بغداد . قال عبد الله بن أحمد عن أبيه ليس بشيء ، ليس يسوى شيئاً . وقال أحمد بن سنان القطان عن ابن معين : ما حدثكم عن الثقات فاكتبوه ، ومالا يعرف من الشيوخ فدعوه . وقال=

ضعَّفه أحمد وأبو زُرعة وابن معين وعبد العزيز بن عمران[1] ، قال ابن معين : وتكلم فيه البخاري والنسائي .

ولأبي نعيم من حديث ابن لهيعة قال : حدثني عمارة بن غزية عن سعد بن عبيد بن إبراهيم مولى الزبير ، أنه حدثه عن عطاء بن عياد عن آمنة بنت وهب - أم رسول الله ﷺ - قالت : لقد رأيت ليلة وضعته نوراً أضاء له قصور الشام حتى رأيتها .

ورواه عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن عمارة بن غزية عن سعيد بن عبيد عن عطاء بن يسار عن أم سلمة عن آمنة بمثله سواء ، فجوده الدراوردي عن عمارة[2] .

ومن حديث أبي غزية محمد بن موسى عن أبي عثمان سعيد بن زيد الأنصاري عن ابن بريدة عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ مسترضعاً في بني سعد بن بكر فقالت أمه آمنة لمرضعته : أُنظري ابني هذا ! فسلي عنه ، فإني رأيت كأنه خرج من فرجي شهاب أضاءت له الأرض كلها حتى رأيت قصور الشام ، فسلي عنه[3] .

= الآجرى : عن أبي داود سمعت الدقيقي يقول : سألت ابن معين عنه فقال : إذا حدثكم عن الثقات . وقال أبو زرعة : واهي الحديث . (تهذيب التهذيب) : ١١ / ٣٤٧ - ٣٤٨ ، ترجمة رقم (٦٦٥) .

(١) عبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، المدني الأعرج ، المعروف بابن أبي ثابت . قال معاوية بن صالح ، عن يحيى بن معين : كان صاحب نسب ، ولم يكن من أصحاب الحديث . وقال عثمان الدارمي عن يحيى : ليس بثقة ، إنما كان صاحب شعر . وقال الحسين ابن حبان عن يحيى : قد رأيته ببغداد كان يشتم الناس ويطعن في أحسابهم ، وليس حديثه بشيء .

وقال البخاري : منكر الحديث ، لا يكتب حديثه .

وقال النسائي : متروك الحديث ، وقال مرة : لا يكتب حديثه ، وقال ابن حبان : يروى المناكِر عن المشاهير . وقال أبو حاتم : ضعيف الحديث ، منكر الحديث جداً ، قيل له : يكتب حديثه ، قال : على الاعتبار وقال ابن أبي حاتم : امتنع أبو زرعة من قراءة حديثه وترك الرواية عنه . وقال الترمذي والدارقطني : ضعيف . وقال عمر بن شبة في (أخبار المدينة) : كان كثير الغلط في حديثه ، لأنه احترقت كتبه ، فكان يحدث منه حفظه . (المرجع السابق) : ٦ / ٣١٢ - ٣١٣ ، ترجمة رقم (٦٧٤) .

(٢) (طبقات ابن سعد) : ١ / ١٠٢ ، (دلائل أبي نعيم) : ١ /١٣٧ ، حديث رقم (٧٩) .

(٣) المرجع السابق ضمن الحديث السابق رقم (٧٩) ، وهو حديث طويل وقال فيه : « كأنه خرج مني » ، وفي (خ) « خرج من فرجي » .

وله من حديث أبي اليمان الحكم بن نافع قال : حدثنا أبو بكر بن مريم عن سعيد بن سويد عن العرباض بن سارية قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إني عبد الله في أم الكتاب وخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته ، وسأنبئكم بتأويل ذلك : دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى قومه ، ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام ، وكذلك أمهات النبيين يرين[1] .

ورواه معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد عن عبد الأعلى بن هلال السلمي عن العرباض بن سارية قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى ، ورؤيا أمي التي رأت ، وكذلك أمهات النبيين يرين ، وأن أم رسول الله ﷺ [رأت] حين وضعته نوراً أضاءت له قصور الشام[1] .

ومن حديث الحرث بن أبي أسامة قال : حدثنا الحكم بن موسى ، حدثنا الفرج ابن فضالة عن لقمان بن عامر عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال : قلت : يا نبي الله ! ما كان بدؤ أمرك ؟ قال : دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أمي أنه خرج عنها نور أضاءت منه قصور الشام[1] .

* * *

---

(١) (المواهب اللدنية) : ١ / ١٢٧ ، (مسند أحمد) : ٥ / ١١٠ – ١١١ ؛ من حديث العرباض بن سارية ، حديث رقم (١٦٧٠٠) ، حديث رقم (١٦٧٠١) ، (المستدرك) : ٢ / ٢٥٣ ، حديث رقم (٢٥٦٦ / ٧٠٣) ، وقال في آخره : ثم تلا : ﴿ **يأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً * وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً** ﴾ [الأحزاب : ٤٥ ، ٤٦] ، ثم قال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال عنه الذهبي في (التلخيص) : صحيح ، (المرجع السابق) ، ص ٦٥٦ ، حديث رقم (٤١٧٤ / ١٨٤) ، وقال عنه الذهبي في (التلخيص) : صحيح . (سيرة ابن هشام) : ١ / ٢٩٣ ، (الإحسان) : ١٤ / ٣١٢ – ٣١٣ ، كتاب التاريخ ، باب صفته ﷺ وأخباره ، حديث رقم (٦٤٠٤) ، (دلائل البيهقي) : ١ / ٨٠ – ٨٢ ، باب ذكر مولد المصطفى ﷺ ، والآيات التي ظهرت عند ولادته وقبلها وبعدها ، (المرجع السابق) : ٢ / ١٣٠ ، جماع أبواب المبعث ، باب الوقت الذي كتب فيه محمد نبياً

وأما انفلاق البُرْمَة عنه

فخرج البيهقي من حديث أبي صالح عبد الله بن صالح قال : حدثني معاوية ابن صالح عن أبي الحكم التَنوخي قال : كان المولود إذا ولد من قريش دفعوه إلى نسوة من قريش إلى الصبح فيكفين عليه برمة ، فلما وُلد رسول الله ﷺ دفعه عب المطلب إلى نسوة يكفين عليه برمة ، فلما أصبحن [أتين][1] فوجدن[2] البرمة قد انفلقت فلقتين[3] ، ووجدنه[3] مفتوح العينين شاخصاً ببصره إلى السماء ، فأتاهن عبد المطلب فقلن له : ما رأينا مولوداً مثله ، وجدناه قد انفلقت عنه البرمة ، ووجدناه مفتوحاً عينيه[4] ، شاخصاً ببصره إلى السماء فقال : احفظنه ، فإني أرجو أن يصيب خيراً .

فلما كان يوم السابع ذبح عنه ، ودعا له قريشاً ، فلما أكلوا قالوا : يا عبد المطلب ! أرأيت ابنك هذا الذي أكرمتنا على وجهه ، ما سمَّيته ؟ قال : سميته محمداً ، قالوا : فلم رغبت به عن أسماء أهل بيته ؟ قال : أردت أن يحمده الله في السماء وخلقه في الأرض[5] .

وخرج أبو نعيم من حديث إسحاق بن عبد الله بن كيسان عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال : كان عهد الجاهلية إذا ولد لهم المولود من تحت الليل رموه تحت الإناء فلا ينظرون إليه حتي يصبحوا ، فلما ولد النبي ﷺ طرحوه تحت البرمة ، فلما أصبحوا اشتغلوا بأمه ، فلما أتوا البرمة إذا هي قد انفلقت ثنتين ، وعيناه إلى السماء ، فعجبوا من ذلك ، فأرسلوا إلى جده وهو حيّ فجاء فنظر

---

(١) زيادة للسياق من رواية (البيهقي) .

(٢) في (خ) : « وجدن » .

(٣) كذا في (خ) ، وفي (البيهقي) : « باثنتين » . ، « فوجدنه » .

(٤) في بعض النسخ : « مفتوح العينين » .

(٥) (دلائل النبوة للبيهقي) : ١ / ١١٣ ، ونقله ابن كثير في (البداية والنهاية) ، عن (تهذيب تاريخ ابن عساكر) ، وابن الجوزي في (صفة الصفوة) : ١ / ٢٥ والبرمة : قدر من الحجر .

فعجب منه وقال : ادفعوا ابني هذا فإنه مناً ، ودُفع إلى امرأة من بني بكر ترضعه ، فلما أرضعته دخل عليها الخير من كل جانب ، وكان لها شويهات [عجاف] فبارك الله فيها فنمت وزادت زيادة حسنه .

ومن حديث الصلت بن محمد أبي همام قال : حدثنا مسلمة بن علقمة ، حدثنا داود بن أبي هند قال : توفى أبو النبي عليه السلام وأمه حبلى به ، فلما وضعته نارت الظراب[1] لوضعه ، واتقى الأرض بكفيه حين وقع ، وأصبح يتأمل السماء بعينيه ، وكفأوا[2] عليه برمة ضخمة فانفلقت عنه فلقتين[3] .

* * *

(١) الظراب : الروابي .
(٢) في (خ) : « وكفوا » .
(٣) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ١٣٨ ، حديث رقم (٨٠) .

وأمـا ولادته مختوناً مسروراً

فخرج البيهقي من حديث الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس عن أبيه العباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه قال : ولد رسول الله ﷺ مختوناً مسروراً ، [قال][1] فأعجب جده عبد المطلب ، وحظى عنده وقال : ليكونن لابني هذا شأن ، فكان له شأن[2] .

ولأبي نعيم من حديث الحسن بن عرفة قال : حدثنا هُشيم[3] بن بشير عن يونس[4] بن عبيد عن الحسن [عن أنس بن مالك][5] عن النبي ﷺ قال : من كرامتي على ربي أني ولدت مختوناً ولم ير أحدٌ سوْأتي[6] .

وله من حديث علي بن محمد المدائني قال : حدثنا سلمة[7] بن محارب [بن سلم][8] بن زياد عن أبيه عن أبي بكرة ، أن جبريل ختن النبي ﷺ حين طهَّر قلبه[9] .

* * *

---

(١) زيادة للسياق من رواية (البيهقي) .

(٢) (دلائل البيهقي) : ١ / ١١٤ ، و (طبقات ابن سعد) : ١ / ١٠٣ .

(٣) في (خ) : « هيثم » . (٤) في (خ) : « موسى » .

(٥) في (خ) : الحسن بن مالك .

(٦) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ١٥٤ ، حديث رقم (٩١) ، بيان رضاعه وفصاله وأنه ولد مختوناً مسروراً ﷺ ، والمسرور : مقطوع السُّرَّة .

(٧) في (خ) : « مسلمة » . (٨) زيادة للنسب من (دلائل أبي نعيم) .

(٩) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ١٥٥ / حديث رقم (٩٣) .

قال القسطلاني في (المواهب) : قال الحاكم في (المستدرك) : تواترات الأخبار أنه ﷺ ولد مختوناً . وتعقبه الحافظ الذهبي فقال : ما أعلم صحة لذلك ، فكيف يكون متواتراً ؟ وأجيب : باحتمال أن يكون أراد بتواتر الاخبار اشتهارها وكثرتها في السير ، لا من طريق السند المصطلح عليه عند أئمة الحديث .

=

وأما استبشار الملائكة وتطاول الجبال وارتفاع البحار وتنكيس الأصنام وحجب الكهان ونحو ذلك

فخرج أبو نعيم من حديث أبي أحمد الزبيري قال : حدثنا سعيد بن محمد المدني عن عمرو بن قتيبة قال : سمعت أبي وكان من أوعية العلم قال : لما حضرت الولادة آمنة قال الله لملائكته : افتحوا أبواب السماء كلها ، وأمر الله الملائكة بالحضور ، فنزلت تبشر بعضها بعضاً ، وتطاولت جبال الدنيا ، وارتفعت البحار وتناثر أهلها ، فلم يبق ملك إلا حضر .

= وقد حكى الحافظ زين الدين العراقي ، أن الكمال بن العديم ضعَّف أحاديث كونه ولد مختوناً ، وقال إنه لا يثبت في هذا شيء من ذلك .

وأَقَرَّهُ عليه ، وبه صرَّح ابن القيم في (الهدي النبوي) ثم قال : ليس من خصائصه ، إن كثيراً من الناس ولد مختوناً .

ويحكى الحافظ ابن حجر أن العرب تزعم أن الغلام إذا ولد في القمر ، فسخت قلفته - أي اتسعت - فيصير كالمختون .

وفي (الوشاح) لابن دريد : قال ابن الكلبي : بلغني أن آدم خُلق مختوناً ، واثنى عشر نبياً من بعده خلقوا مختونين ، آخرهم محمد ﷺ ، وهم : شيث ، وإدريس ، ونوح ، وسام ، ولوط ، ويوسف ، وموسى ، وسليمان ، وشعيب ، ويحيى ، وهود ، وصالح صلوات الله عليهم أجمعين .

وفي هذه العبارة تجوّز ، لأن الختان هو القطع ، وهو غير ظاهر ، لأن الله تعالى يوجد ذلك على هذه الهيئة من غير قطع ، فيحمل الكلام باعتباره أنه على صفة المقطوع .

الخلاصة في ختانه ﷺ : وقد حصل من الاختلاف في ختانه على ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه ولد مختونا كما تقدم .

الثاني : أنه ختنه جده عبد المطلب يوم سابعه ، وصنع له مأدبة وسماه محمداً . رواه الوليد ابن مسلم بسنده إلى ابن عباس ، وحكاه ابن عبد البر في (التمهيد) .

الثالث : أنه خُتن عند حليمة ، كما ذكره ابن القيم ، والدمياطي إن جبريل عليه السلام ختنه حين طهَّر قلبه .

وكذا أخرجه الطبراني في (الأوسط) ، وأبو نعيم من حديث أبي بكرة . قال الذهبي وهذا منكر . (المواهب اللدنية) ١ / ١٣٣ - ١٣٦ . وللقسطلاني في المرجع السابق بحث في فقه الختان ص ١٣٦ - ١٣٨ وهو بحث نفيس ، فليراجع هناك .

وأُخذ الشيطانُ فغُلّ سبعين غلاً ، وألقي منكوساً في لجة البحر الخضراء ، وغُلّت الشياطين والمردة ، وأُلبست الشمس يومئذ نوراً عظيماً ، وأقمن على رأسها سبعون ألف حوراء في الهواء ينتظرن ولاده محمد ﷺ .

وكان قد أذن الله ملك السنة لنساء الدنيا أن يحملن ذكوراً كرامة لأحمد ، وأن لا تبقي شجرة إلا حملت ، ولا خوف إلا عاد أمناً .

فلما ولد النبي ﷺ امتلأت الدنيا كلها نوراً ، وتباشرت الملائكة وضُرب في كل سماء عمود من زبرجد ، وعمود من ياقوت ، وقد استنار به ، وهي معروفة في السماء ، قد رآها النبي ﷺ ليلة أسرى به ، قيل : ما ضرب استبشاراً بولادتك .

وقد أنبت الله ليلة ولد على شاطىء الكوثر سبعين ألف شجرة من المسك الإذفر ، وجعلت ثمارها بخور أهل الجنة ، وكل أهل السموات يدعون الله بالسلامة .

ونكست الأصنام كلها ، وأما اللات والعزى فإنها أُخرجا من خزانتهما وهما يقولان : ويح قريش ، جاءهم الأمين ، جاءهم الصديق ، لا تعلم قريش ماذا أصابها .

وأما البيت : فسمعوا أياماً من جوفه صوتاً وهو يقول : الآن يرد عليّ نوري ... الآن يجيئني زوّاري ... الآن أطهر من أنجاس الجاهلية .. أيتها العزى هلكت .

قال : ولم تسكن زلزلة البيت ثلاثة أيام بلياليها ، وهذه أول علامة رأت قريش من مولد رسول الله ﷺ .

قال كاتبة : هكذا أورد الحافظ أبو نعيم هذا الحديث ، وهو من تلفيق القصاص وتنميقهم ، وحكى أبو الربيع بن سالم الكلاعي أن تقي بن مخلد ذكر في تفسيره أن إبليس رَنَّ أربع رنَّات : رنَّة حين لعن ، ورنَّة حين أُهبط ، ورنَّة حين ولد النبي ﷺ ، ورنَّة حين أُنزلت فاتحة الكتاب .

* * *

وأما ارتجاس إيوان كسرى وسقوط شرفاته وخمود نار فارس ورؤيا الموبـذان

فخرج الحافظ أبو نعيم وأبو بكر البيهقي – والسياق للبيهقي – من حديث علي ابن حرب قال : حدثنا أبو أيوب يعلي بن عمران البجلي ، حدثنا مخزوم بن هانيء المخزومي[١] عن أبيه وأتت عليه خمسون ومائة سنة قال : لما كانت الليلة[٢] التي وُلد فيها رسول الله ﷺ ارتجس إيوان كسرى – [هو كسرى أنو شروان بن قباذ بن فيروز][٣] – وسقطت منه أربع عشرة شرفة[٤] ، وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام ، وغاضت بحيرة ساوة ، ورأى المؤبذان . إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها[٥] ، فلما أصبح كسرى أفزعه ذلك[٦] وتصبر عليه تشجعاً ، ثم رأى أن لا يدخر[٧] ذاك عن وزرائه ومرازبته [حين عيل صبره ، فجمعهم][٨] لبس تاجه ، وقعد على سريره ، ثم بعث إليهم ، فلما اجتمعوا عنده قال : أتدرون فيما بعثت لكم ؟ قالوا : لا ، إلا أن يخبرنا الملك بذلك ، فبيناهم كذلك إذ أتاه كتاب بخمود نار فارس ، فازداد غماً إلى غمه ، ثم أخبرهم بما هالهُ ، فقال الموبذان : وأنا – أصلح الله الملك – قد رأيت في هذه الليلة ، ثم قص عليه رؤياه في الإبل ، قال : أي نبي[٩] يكون هذا يا موبذان ؟ وكان أعلمهم في أنفسهم ، قال : يحدث من[١٠] ناحية العرب ، فكتب كسرى عند ذلك :

---

(١) في (خ) : « المخزوم » .

(٢) في (دلائل البيهقي) : « لما كانت ليلة ولد فيها » ، وقال محقق (دلائل أبي نعيم) : « لعل الصواب « لما كانت الليلة التي .... » ، وهي رواية النسخة (خ) ، وأيضا رواية (دلائل البيهقي) .

(٣) زيادة من (خ) .

(٤) في (أبي نعيم) : « شُرَّافة » .

(٥) في (أبي نعيم) : « في بلاده » .

(٦) في أبي نعيم : « أفزعه مارأى » .

(٧) في (خ) : « يكتم » .

(٨) مابين الحاصرتين في (خ) ، و(دلائل البيهقي) وليس في دلائل أبي نعيم ، والمرازبة : جمع مرزبان ، وهو دون الملك في المرتبة .

(٩) في (دلائل البيهقي) : « أي شيء » .

(١٠) في (دلائل البيهقي) : « حدث يكون » .

« من ملك الملوك كسرى إلى النعمان بن المنذر ، أما بعد فوجه إليَّ برجل عالم بما أريد أن أسأله عنه » ، فوجه إليه بعبد المسيح بن عمرو بن حيان بن بقيلة الغساني ، فلما قدم عليه قال الملك : ألك علم أخبرته ، وإلا دللته على من يعلمه ، قال : فأخبره بما رأى . قال : علم ذلك عند خال لي يسكن مشارف الشام يقال له سطيح ، قال : فاذهب إليه فاسأله وَائْتني بتأويل ما عنده ، فنهض عبد المسيح حتى قدم على سطيح وقد أشفى على الموت فسلم عليه وحياه ، فلم يجد جواباً ، فأنشد عبد المسيح يقول :

أَصُمَّ أم يسمع غطريف اليمن أم فادَ فَازْلَمَّ به شَأْوُ العَنَنْ
يا فاصل الخُطة أعيت من ومن وكاشف الكربة عن وجهٍ غَضِنْ
أتاك شيخُ الحي من آل سَنَنْ وأمه من آل ذئب بن حَجَنْ
أزرقُ بَهْمُ الناب صّوار الأذن أبيض فضفاض الرداء والبدنْ
رسول قيل العُجْم يسرى بالرَّسَن لا يرهب الرعدَ ولا ريبَ الزمنْ
تجوب بي الأرض علنداتٌ شَزَن ترفعني وجناً[1] وتهوي بي وَجَنْ
حتى أتى عاري الجآجي والقُطَن تلفه في الريح بَوْعاء الدِّمَـنْ
كأنما حُثْحِثَ من حِضني ثكنْ

[قال][2] : ففتح عينيه ثم قال : عبد المسيح ، على جمل مُسيح ، جاء إلى سطيح ، وقد أوفي على الضريح ، بعثك ملك بني ساسان ، لا رتجاس الإيوان ، وخمود النيران ، ورؤيا الموبذان ، رآى إبلاً صعاباً ، تقود خيلاً عِراباً ، قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها ، [يا][2] عبد المسيح ! إذا كثرت التلاوة ، وظهر صاحب الهراوة ، وخمدت نار فارس وفاض وادي السماوة ، وغاضت بحيرة ساوة ، فليس الشام لسطيح شاماً ، يملك منهم ملوك وملكات ، على عدد الشرفات ، وكل ما هو آت آت .

ثم قضى سطيح مكانه ، فنهض عبد المسيح إلى رحله وهو يقول :

---

(١) في (خ) : « وجنٌ » ، وفي سائر النسخ : « وجناً » .
(٢) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي) .

شَمِّر فإنك ماضي الهم شِمِّيرُ | لا يُفزعنك تفريقٌ وتغييرُ
إن يُمس ملكُ بني ساسان أفرطهمُ | فإن ذا الدهر أطوار دهاريرُ [1]
فربَّما ربَّما أضحوا بمنزلةٍ | يهاب صولهم[2] الأُسْدُ المَهاصِيرُ
منهم أخو الصرح بهرامٌ وإخوته | والهرمزان وسابورٌ وسابورُ
والناسُ أولادُ علَّاتٍ فمن علموا | أن قد أقلَّ فمحقورٌ ومهْجُورُ
وهم بنو الأم أما إن رَأَوْا نَشَباً | فذاك بالغيب محفوظٌ ومنصورُ
والخير والشَّرُّ مقرونان في قَرَنٍ | فالخير متَّبَعٌ والشَّرُّ محذورُ

فلما قدم عبد المسيح على كسرى أخبره بقول سطيح فقال : إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكا كانت أمور ، فملك منهم عشرة في أربع سنين ، والباقون إلى أن قتل عثمان رضي الله عنه[3] .

---

(١) في (دلائل البيهقي) : « فإن ذلك أطوار دهارير » .
(٢) في (دلائل البيهقي) : « صولتها » .
(٣) هذا الخبر أورده كل من :
الطبري في (التاريخ) : ٢ / ١٦٦ - ١٦٨ .
الذهبي في (تاريخ الإسلام) : ٢ / ٣٥ - ٣٨ ، وقال : هذا حديث منكر غريب .
البيهقي في (الدلائل) : ١ / ١٢٦ - ١٢٩ .
ابن سيد الناس في (عيون الأثر) : ١ / ٢٨ - ٢٩ .
ابن عبد ربه في (العقد الفريد) : ١ / ٢٩٣ - ٢٩٥ .
أبو نعيم في (الدلائل) : ١ / ١٣٩ - ١٤١ ، حديث رقم (٨٢) .
ابن كثير في (البداية والنهاية) : ٢ / ٣٢٧ - ٣٢٩ ، وقال : أما هذا الحديث فلا أصل له في شيء من كتب الإسلام المعهودة ، ولم أره بإسناد أصلاً .
معاني مفردات الأبيات :
شأوُ العَنَن : يريد الموت وما عنَّ منه .
وفاد : مات ، يقال منه : فاد يفود .
صرار الأذن : صرَّها : نَصَبها وسوَّاها .
قَيْل : ملك .
علنداة : القوية من النوق .
شزَن : تمشي من نشاطها على جانب .
الوَجَن : الأرض الصلبة ذات الحجارة .
ثكن : اسم جبل بالحجاز .
الجآجي : جمع جؤجؤ ، وهو الصدر .
=

وأما صرف أصحاب الفيل
عن مكـة المكرمة

فقد قال الله جل جلاله في كتابه لنبيه ﷺ – وقريش بأجمعها تسمعه ، والعرب شاهدة له ، والحرب بينهم راكدة ، والتكذيب منهم ظاهر – : ﴿ **ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل * ألم يجعل كيدهم في تضليل * وأرسل عليهم طيراً أبابيل * ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصف مأكول** ﴾[١] ، فلولا أن قصة الفيل كانت عندهم كالعيان ، وكان العهد قريباً ، والأمر مشهوراً مستفيضاً ، لاحتجـوا فيه بغاية الاحتجاج ، والقوم في غاية العداوة والإرصاد ، وفي غاية المباينة والتكذيب ، وهم الذين عناهم الله تعالى بقوله : ﴿ **وتنذر به قوماً لداً** ﴾[٢] ، وقال : ﴿ **بل هم قوم خصمون** ﴾[٣] ، وقال : ﴿ **فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد** ﴾[٤] ، وقال : ﴿ **وإن كان مكرهـم لتزول منه الجبال** ﴾[٥] .

قوله : ﴿ **ألم تر** ﴾ : قال الفراء : ألم تخبر ، وقال ابن عباس : ألم تسمع ، وهو استفهام معناه التقرير ، والخطاب للرسول ولكنه عام ، ومعناه : ألم تروا ما فعلت بأصحاب الفيل ؟ و ﴿ **كيدهم** ﴾ : هو ما أرادوا من تخريب الكعبة ، ﴿ **في تضليل** ﴾ : أي في ذهاب .

والمعنى : أنَّ كيدهم ضل عما قصدوا له ، فلم يصلوا إلى مرادهم . ﴿ **وأرسل عليهم طيراً** ﴾ : أي وأرسل الرب عليهم ، وهذا عطف على معنى ﴿ **ألم يجعل** ﴾ لا على لفظه .

= القَطَنْ : أصل ذنب الطائر ، وأسفل الظهر من الإنسان ، ومنه : [الفقرات القطنية] .
التوْعَاء : التراب الناعم .
الدِّمَن : ما تدمَّن منه ، أي : تجمَّع وتلبدَّ .

وقد ورد هذا الخبر في المراجع السابقه بسياقات مختلفه ، في بعضها تقديم وتأخير واختلاف يسير في عدد الأبيات .

قال الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ، محقق كتاب (المصنوع في معرفة الحديث الموضوع) ، في المقدمة ص ١٨ : « فهذا الحديث ليس بصحيح ، ولا يجوز قوله ولا إنشاده ، ويزيده منعاً أنه يتعلق بشأن من شؤون النبي ﷺ ، وبأمور خارقة للعادة ، ولا يغرنَّك ذكر بعض العلماء له في كتب السيرة أو التاريخ » ، وله في ذلك بحث طويل فليراجع هناك .

(٤) الأحزاب : ١٩ . (٥) إبراهيم : ٤٦ .

وقال ابن مسعود : الأبابيل : المتفرقة من هاهنا وهاهنا ، وتبعه عليه الأخفش .

وقال ابن عباس ومجاهد ومقاتل : هي التي يتبع بعضها بعضاً .

وقال الحسن وطاووس : هي الكثيرة .

وقال عطاء وأبو صالح وأبو عبيدة وابن قتيبة والزجاج : إنها الجمع بعد الجمع ، والأبابيل : جماعات في تفرقة .

وقال زيد بن أسلم : هي المختلفة الألوان .

وقوله : ﴿ **ترميهم بحجارة من سجيل** ﴾ ، قيل : حجارة من طين ، وقال عبد الرحمن بن أبزي[1] : من سجيل ، من السماء ؛ وهي الحجارة التي نزلت على قوم لوط .

وقيل : من الجحيم ، وهي سجين . وقال الزجاج : ﴿ **من سجيل** ﴾ ، أي مما يكتب عليهم أن يعذبوا به ، وهو مشتق من السجل الذي هو الكتاب ، ﴿ **فجعلهم كعصف مأكول** ﴾ : أي فجعل الله أصحاب الفيل كورق الزرع إذا أكلته الدواب ، فرمت به من أسفل وييس وتفرقت أجزاؤه .

وقال عكرمة : فصاروا كالحب إذا أكله الدود فصار أجوف .

وقال ابن عباس : المراد به قشر البُر ، يعني الغلاف الذي يكون فوق حبة البُر .

ويروى أن الحجر كان يقع على أحدهم فيخرج كل ما [في] جوفه ، فيبقى كقشر الحنطة إذا خرجت منه الحبة .

ثم قال تعالى ﴿ **لإيلاف قريش** ﴾[2] ، أي فعل ذلك ليؤلف قريشاً رحلتي

---

(١) هو عبد الرحمن بن أبزي الخزاعي ، له صحبه ، ورواية ، وفقه ، وعلم . قال ﷺ فيما رواه الإمام مسلم (٨١٧) ، في صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه : « إن هذا القرآن يرفع الله به أقواماً ، ويضع به آخرين » ، ويروى عن عمر بن الخطاب أنه قال : ابن أبزي رفعه الله بالقرآن . (طبقات ابن سعد) : ٦ / ٦٣ ، (الجرح والتعديل) : ٥ / ٢٠٩ ، (التاريخ الكبير) : ٥ / ٢٤٥ ، (تهذيب الأسماء واللغات) : ١ / ١ / ٢٩٣ ، (الاستيعاب) : ٢ / ٨٢٢ ، ترجمة رقم (١٣٨٨) ، (سير أعلام النبلاء) : ٣ / ٢٠١ - ٢٠٢ ، (تهذيب التهذيب) : ٦ / ١٢١ ، ترجمة رقم (٢٧٧) .

(٢) قريش : ١ .

الشتاء والصيف اللتين بهما تَعيُّشُهم ومُقَامهم بمكة ؛ تقول : ألفت موضع كذا إذا لزمته وآلَفنيه كما تقول : لزمت موضع كذا وألزمنيه الله .

وكرر ﴿ **لإيلاف** ﴾ كما تقول : أعطيتك المال لصيانة وجهك صيانته عن كل الناس ، فيكرر الكلام للتوكيد .

ثم أمرهم بالشكر فقال : ﴿ **فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم** ﴾[1] في هذا الموضع الجدب من الجوع ، ﴿ **وآمنهم** ﴾ فيه والناس يتخطفون حوله ﴿ **من خوف** ﴾

وقال أبو نعيم : وقصة أصحاب الفيل من أشهر القصص ، قد نطق القرآن بها[2] ، ورويت الأشعار فيها[3] ، ولم يختلف أحد فيها ؛ لا مشرك ولا موحد ، وصارت هذه القصة في جملة القصص التي لا يمكن إنكارها ، وذلك في العام الذي ولد فيه رسول الله ﷺ .

فدل ظاهر الحال على أن صرف الله تعالى أصحاب الفيل عن قصدهم في تخريب الكعبة دلالة على تقوية أمر الحج ، وتأييدٌ لمن [هو] قائم به ، ويدعي أنه شريعة له ، فصار أمر الفيل لهذا المعنى بشارة بالنبي ﷺ ، وتحقيقاً لشريعته ، وتأييداً لدعوته ولله الحمد .

* * *

---

(١) قريش : ٣ - ٤ .

(٢) في (دلائل أبي نعيم) : ١ / ١٤٣ : « نطق بها القرآن » .

(٣) هؤلاء الشعراء هم :

[١] عبد الله بن الزِّبَعْرَي بن عدي بن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم ، وله خمسة أبيات .

[٢] أبو قيس : صَيْفي بن الأسلت بن جُشَم بن وائل بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الأوس ، وله ستة أبيات ثم خمسة أبيات أُخر .

[٣] طالب بن أبي طالب بن عبد المطلب ، وله بيتان .

[٤] أبو الصلت بن ربيعة بن وهب بن علاج ، وله ثمانية أبيات .

[٥] الفرزدق ، واسمه همام بن غالب ، أحد بني مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك ابن زيد مناة بن تميم ، وله خمسة أبيات .

[٦] عبد الله بن قيس الرقيات ، أحد بني عامر بن لؤي بن غالب ، وله ثلاثة أبيات .

وهذه الأشعار ذكرها ابن إسحاق في السيرة ، أنظر : (سيرة ابن هشام) : ١ / ١٧٦ - ١٨١ ، « ما قيل في قصة الفيل من الشعر » ، وابن كثير في (التفسير) : ٤ / ٥٨٦ - ٥٩١ ، تفسير سورة الفيل .

وكان مولده ﷺ
عـــام الفيـــل

وكان مبعثه بعد الفيل بأربعين سنة ، حتى أن قباث بن أَشْيَم[١] وعائشة رضي الله تعالى عنهم يذكرون من أمر الفيل وسائقه وقائده ، فذكروا من أمر حديث محمد ابن عثمان بن أبي شيبة قال : حدثنا زكريا بن يحيى الكنائي ، حدثنا محمد بن فضيل عن عبد الله بن سعيد بن أبي سعيد عن جده قال : دخل قباث بن أشْيَم أخو بني المليح على مروان بن الحكم – وقباث يومئذ أكبر العرب – فقال له مروان : أنت أكبر أم رسول الله ﷺ ؟ فقال : رسول الله ﷺ أكبر مني وأنا أقدم منه بعشرين سنة ، قال : فما أبعد ذكرك ؟ قال : أذكر حتى الفيل[٢] .

ومن حديث أبي الحويرث قال : سمعت عبد الملك بن مروان يقول لقباث بن أَشْيَم الليثي : ياقُباث ! أنت أكبر أم رسول الله ﷺ ؟ فقال : رسول الله أكبر مني وأنا أسن منه ؛ ولد رسول الله ﷺ عام الفيل ، وتنبأ على رأس أربعين من الفيل ، ووقفت بي أمي على روث الفيل محيلاً أعقله[٢] .

ومن طريق محمد بن إسحاق عن عبد المطلب بن عبد الله بن قيس بن مخرمة عن أبيه عن جده قال : وُلدتُ أنا ورسول الله ﷺ عام الفيل ، وسأل عثمان بن عفان

---

(١) هو قُبَاث بن أُشَيْم بن عامر بن الملوَّح بن يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن كنانة الليثي ، هذا هو المشهور في نسبه ، وقيل : هو تميمي ، وقيل : كندي ، وقال ابن حبان : يعمري ليثي من بني كنانة ، له صحبة ، وحديثه عند أهل الشام . شهد بدراً مع المشركين ، وكان له فيها ذكر ، ثم أسلم بعد ذلك ، وشهد مع النبي ﷺ بعض المشاهد ، وكان على مجنبة أبي عبيده بن الجراح يوم اليرموك (طبقات ابن سعد) : ٧ / ٤١١ ، (الإصابة) : ٥ / ٤٠٧ – ٤٠٨ ، ترجمة رقم (٧٠٦١ ز) ، (الاستيعاب) : ٣ / ١٣٠٣ – ١٣٠٤ ، ترجمة رقم (٢١٦٥) .

(٢) (دلائل أبي نعيم) ١ / ١٤٣ ، حديث رقم (٨٤) ، (المستدرك) : ٣ / ٢٧٢٤ ، حديث رقم (٦٦٢٤ / ٢٢٢٢) ، (الإصابة) : ٥ / ٤٠٧ ، (الإستيعاب) : ٣ / ٣٠٣ ، (دلائل البيهقي) : ١ / ٧٨ ، (سنن الترمذي) : برقم (٣٦٢٣) ، وقال حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن إسحاق ، (البداية والنهاية) : ٢ / ٣٢١ .

رضي الله عنه قُباث بن أشْيَم أخا بني عمرو بن ليث : أنت أكبر أم رسول الله ؟ قال : رسول الله أكبر مني وأنا أقدم منه في الميلاد ، ورأيتُ خَذْقَ[1] الفيل أخضر محيلاً[2] [بعده بعام ، ورأيت أمية بن عبد شمس شيخاً كبيراً يقوده – إما قال ابنه أو قال غلام له – فقال : يا قباث ، أنت أعلم وما تقول][3] .

ومن حديث محمد بن عمر الواقدي قال : حدثنا أبو بكر بن أبي سبرة عن يزيد بن الهاد عن أبي بكر بن حزم عن عمرة عن عائشة رضي الله عنها قالت : رأيت قائد الفيل [وسائسه][4] بمكة أَعْمَيَيْنِ مُقْعَدَيْن يستطعمان [الناس][5] .

ومن حديث جرير عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال : أقبل أصحاب الفيل حتى لما أن دنوا من مكة استقبلهم عبد المطلب فقال لملكهم : ما جاء بك إلينا ؟ ما عناك إلينا ؟ ألا بعثتَ إلينا فنأتيك بكل ما أردت ، فقال : أُخبرت بهذا البيت الذي لا يدخله أحد إلا أَمِنَ فجئتُ أُخيف أهله ، فقال : إنا نأتيك بكل شيء تريده فارجع ، فأبى إلا أن يدخله ، وانطلق يسير نحوه .

وتخلف عبد المطلب ، وقام على جبل فقال : لا أشهد مهلك هذا البيت وأهله ، ثم قال : اللهم إن لكل إله حلالاً فامنع حلالك ، لا يغلبن غدا محالهم محالك ، اللهم إن فعلت فَأْمُر ما بدا لك .

فأقبلت مثل السحابة من نحو البحر حتى أظلتهم طير أبابيل ، التي قال الله تعالى : ﴿ **ترميهم بحجارة من سجيل** ﴾ قال : فجعل الفيل يعج عجيجاً ﴿ **فجعلهم كعصف مأكول** ﴾ .

ومن حديث عبد الله بن وهب[6] قال : أخبرني ابن لهيعة عن عقيل بن خالد

---

(١) الخذق : الروث .

(٢) (دلائل البيهقي) : ١ / ٧٧ وقال : ورواه محمد بن بشّار عن وهب بن جرير فقال : « خذق الطير أخضر محيلاً » .

(٣) ما بين الحاصرتين من (تاريخ الطبري) : ٢ / ١٥٥ – ١٥٦ ، باختلاف يسير .

(٤) في (خ) : « وسائقه » والتصويب من رواية ابن إسحاق .

(٥) زيادة من رواية ابن إسحاق . (سيرة ابن هشام) : ١ / ١٧٦ .

(٦) السند في (دلائل أبي نعيم) : حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : حدثنا محمد بن أحمد بن

عن عثمان بن المغيرة بن الأخنس أنه قال : كان من حديث أصحاب الفيل أن أبرهة الأشرم الحبشي كان ملك اليمن ، وأن ابن ابنته أكشوم بن الصباح الحميري خرج حاجاً .

فلما انصرف من مكة نزل بكنيسة بنجران فعدا[1] عليها ناس من أهل مكة ، فأخذوا ما فيها من الحلي ، وأخذوا متاع أكشوم ، فانصرف إلى جده الحبشي مغضباً ، فلما ذكر له ما لقي بمكة من أهلها تألَّي[2] أن يهدم البيت ، فبعث رجلاً من أصحابه يقال له : شَمِر بن مصفود على عشرين ألفاً من خَوْلان ونفراً من الأشعريين ، فساروا حتى نزلوا بأرض خثعم ، فتنحت خثعم عن طريقهم ، فكلمهم التَّقْتَال [الخثعمي][3] – وكان يعرف كلام الحبشة – فقال : [هذان على شمران قوسي ، على أكلت وسهمي ، قحافة][4] وأنا جارٌ لك .

فسار معهم وأحبه ، فقال له تقتال : إني أعلم الناس بأرض العرب ، وأهداه بطريقهم ، فطفق في مسيرهم بجيشها الأرض ذات المهمة[5] حتى تقطعت أعناقهم عطشاً ، فلما دنا من الطائف خرج إليهم ناس من بني جشم ونصر وثقيف ، فقالوا : ما حاجتك إلى طريقنا ، وإنما هي قرية صغيرة ، ولكنا ندلك على بيت بمكة يُعبد ، وهو حرز لمن لجأ إليه من ملكه ، ثم له ملك العرب ، فعليك به ودعنا عنك .

فأتاه حتى إذا بلغ المغمَّس[6] ، وجد إبلاً لعبد المطلب بن هاشم ، مائة ناقة مقلدة فأنهبها بين أصحابه ، فلما بلغ ذلك عبد المطلب جاءه – وكان جميلاً وكان

سليمان ، قال : حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، حدثنا عبد الله بن وهب ، قال : أخبرني ابن لهيعة عن عُقيل بن خالد ، عن عثمان بن المغيرة بن الأخنس أنه قال : ... .

(١) في (دلائل أبي نعيم) : « فغدا » وما أثبتناه من (خ) ، وهو أجود للسياق .

(٢) تألَّي : آلى على نفسه بيمين حلفه .

(٣) زيادة من (دلائل أبي نعيم) .

(٤) كذا في (خ) ، وسياقها مضطرب ، ولعلها « هاتان يداي لك على شهران وناعس » ، كما في (الروض الأنف) ، وشهران وناعس : قبيلي خثعم .

(٥) في (دلائل أبي نعيم) : « فطفق يجبهم في مسيرهم الأرض ذات المهْمَةِ » ، والمهمة : المفازة ، الأرض المقفرة .

(٦) المغمَّس : موضع قرب مكة في طريق الطائف .

له صديق من أهل اليمن يقال له ذو عمير[1] - فسأله أن يرد إليه إبله ، فقال : إني لا أطيق ذلك ، ولكن إن شئت أدخلتك على الملك ، فقال عبد المطلب : فافعل ، فأدخله عليه فقال : إن لي إليك حاجة ، قال : قضيت كل حاجة جئت تطلبها ، قال : أنا في بلد حرام ، وفي سبيل بين أرض العرب وبين أرض العجم ، وكانت لي مائة ناقة مقلدة ترعى هذا الوادي بين مكة وتهامة ، عليها نمير[2] أهلنا ونخرج إلى تجارتنا ونتحمل من عدونا ، عدا عليها جيشك فأخذوها ، وليس مثلك يظلم من جاوره ، فالتفت الحبشيُّ إلى ذي عمرو ثم ضرب بإحدى يديه على الأخرى عجباً ، فقال : لو سألني كل شيء أحرزه أعطيته إياه أما إبلك فقد رددتها عليك ، ومثلها ، فما يمنعك أن تكلمني في بيتكم هذا وبلدكم هذا ؟ فقال له عبد المطلب : أما بيتنا هذا وبلدنا هذا فإن لهما رباً إن شاء أن يمنعهما منعهما ، ولكني [إنما][3] أكلمك في مالي ، فأمر عند ذلك بالرحيل ، وتألَّى ليهدمنَّ الكعبة مكة[4] ، فانصرف عبد المطلب وقد سمع تأليّه في مكة وقد هرب أهلها ، فليس بها إلا عبد المطلب وأهل بيته ، فأخبرهم بذلك واندفع يرتجز وهو يطوف حول الكعبة :

لاهم[5] إن المرء يمنع أهله فامنع حلالك[6]
لا يغلبن صليبهم ومحالهم غدواً[7] محالك[8]
فإن فعلت فربما أولا فَأْمر ما بدا لك
فإن فعلت فإنه أمر يتم به فعالك

---

(١) كذا في (خ) ، وفي (دلائل البيهقي) : « ذو عمرو » ، وفي ابن هشام : « ذو نفر » .
(٢) الميرة : المؤنة ، قال تعالى : ﴿ **ونمير أهلنا ونحفظ أخانا** ﴾ [يوسف : ٦٥] .
(٣) زيادة في (خ) . (٤) في (دلائل أبي نعيم) : « ليهدمن مكة » .
(٥) لاهمَّ : أصلها : اللهم ، والعرب تحذف منها الألف واللام ، وكذلك تقول في « والله إنك » : « لاهنك » ، وذلك لكثرة دوران هذا الاسم على الألسنة . بل قالوا فيما هو دونه - في الاستعمال : « أجنك » في « من أجل أنك » . (سيرة ابن هشام) : ١ / ١٧٠ هـ .
(٦) الحلال في هذا البيت : الحلول في المكان ، والحلال : مركب من مراكب النساء ، والحلال أيضاً : متاع البيت ، وجائز أن يستعيره ههنا . (المرجع السابق) .
(٧) في (خ) و (دلائل أبي نعيم) : « عدواً » وما أثبتناه من (سيرة ابن هشام) ، وغدواً : غداً .
(٨) المحال : القوة والشدة .

غدوا بجموعهم والفيل كي يبتزوا عيالك

فإن تركتهم وكعبتنا فواحُزناً هنالك

فانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك[1]

وقال [عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَيّ[2] :

لَاهُمَّ أخزِ الأسود بن مقصودْ   الآخِذَ الهجْمة ذات التقليد[3]
بين حراء وثبير فالْبيدْ   أخفر به رب وأنت المحمودْ[4]
قد أجمعوا على أن لا يكون عيدْ   ويهدموا البيت الحرام المعمودْ
والمروتين والمشاعر السودْ   فضحها إلى طماطم سودْ[5]

فلما توجه شمر[6] وأصحابه بالفيل - وقد أجمعوا ما أجمعوا - طفق كلما وجهوه أناخ وبرك ، وإذا صرفوه عنها من حيث أتى أسرَع المسير ، فلم يزل كذلك حتى غشيهم الليل .

وخرجت عليهم طير من البحر لها خراطيم كأنها البَلَس[7] ، شبيهة بالوطاويط حمر وسود ، فلما رأوها أشفقوا منها وسقط في أذرعهم ، فقال شمر : ما يعجبكم من طير خمال جنبها الليل إلى مساكنها ، فرمتهم بحجارة مدحرجة كالبنادق ، تقع في[8] رأس الرجل فتخرج من جوفه .

---

(١) وردت هذه الأبيات في (خ) ، (سيرة ابن هشام) ، (دلائل أبي نعيم) ، (تاريخ الطبري) ، (سبل الهدى والرشاد) ، (الروض الأنف) ، بزيادة ونقص ، وتقديم وتأخير . وروى ابن هشام هذه الأبيات الثلاثة :

لاهم إن العبد يمـ   ـنع رحله فامنع حلالكْ
لا يغلبن صليبهم   ومحالهم غَدْواً مِحَالكْ
إن كنتَ تاركهم وقبـ   ـلتنا فأَمْرٌ ما بدا لكْ

ثم قال : هذا ما صحَّ له منها . (سيرة ابن هشام) : ١ / ١٧٠ .

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة من (سيرة ابن هشام) .

(٣) الهجمة : مابين التسعين إلى المائة من الإبل .

(٤) حراء وثبير : جبلان بالحجاز ، أخفره : أي انقض عزمه وعهده فلا تؤمنه .

(٥) طماطم سود : يعني العلوج ، ويقال لكل أعجمي كافر : طمطمان ، والأعلاج : جمع علج .

(٦) هو الأسود بن مفصود .   (٧) البلس : الزرازير .

(٨) في (خ) : « على » ، وما أثبتناه من (دلائل أبي نعيم) ، وهو أجود للسياق .

وكان فيهم أَخَوان من كِندة ، أما أحدهما ففارق القوم قبل ذلك ، وأما الآخر فلحق بأخيه حين رأى ما رأى ، فبينا هو يحدثه عنها إذ رأى طيراً منها فقال : كان هذا منها ، فدنا منه الطائر فقذفه بحجر فمات ، فقال أخوه الناجي منها :

إنك لو رأيت ولن ترانا ... لدى جنب المغمس ما لَقَيْناَ
خشيتَ الله لمَّا بثَّ طيْراً ... بظل سحابةٍ مرت علينـاَ
وما تواكلهـم يدعـو بحق ... كأنْ قد كان للحُبْشان ديناَ

فلما أصبحوا الغد أصبح عبد المطلب ومن معه على جبالهم فلم يروا أحداً غشيهم ، فبعث ابنه عبد الله على فرس له سريع ينظر ما لقوا ، فإذا القوم مُشَدَّخون[1] جميعاً فرجع يرفع فرسه كاشفاً عن فخذه ، فلما رأى ذلك أبوه قال : إن ابني أفْرسُ العرب ، وما كشف عن فخذه إلا بشيراً ونذيراً .

فلما دنا من ناديهم بحيث يُسمعهم الصوت ، قالوا : ما وراءَك ؟ قال : هلكوا جميعاً ، فخرج عبد المطلب وأصحابه فأخذوا أموالهم ، فكانت أموال بني عبد المطلب من ذلك المال . وقال عبد المطلب :

أأنت منعت الجيش والأفيالا ... وقد رعوا بمكة الأجبالا ؟
وقد خشينا منهم القتـالا ... وكلُّ أمـرٍ لهم مِـعْضالا
شكراً وحمداً لك ذا الجلالا

وقال عكرمة بن عامر العبدري :

الله ربـي ولـي الأنفسِ ... أنت حبست الفيل بالمُغَمَّسِ

فانصرف شمر بن مفصود هارباً وحده ، وكان أول منزل نزله سقطت يده اليمنى ، ثم نزل منزلاً آخر فسقطت رجله[2] اليسرى ، فأتى منزله وقومه وهو حينئذ لا أعضاء له ، فأخبرهم بالخبر وقصَّ عليهم مالقيت جيوشه ، ثم فاضت نفسه وهم ينظرون .

---

(١) الشّدخ : الشَّج .
(٢) في (دلائل أبي نعيم) : « يده » في الموضعين .

قال أبو نعيم[1] : رويت قصة أصحاب الفيل من وجوه ، وسياق عثمان بن المغيرة أتمها وأحسنها شرحاً ، وما ذكر أن عبد المطلب بعث بابنه عبد الله فهو وَهَم من بعض النقلة ، لأن الزهري ذكر أن عبد الله بن عبد المطلب كان موته عام الفيل ، وأن الحرث بن عبد المطلب كان أكبر ولد عبد المطلب ، وكان هو الذي بعثه على فرسه لينظر ما لقي القوم[2] .

وخرج من حديث ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير قال : كان من شأن الفيل أن أبرهة الأشرم ملك الحبشة بعث مع أبي يكسوم[3] فبعث فيهم يريد أن يغزو الكعبة فيهدمها ، وساكنها يومئذ قريش ، وإن أبا يكسوم أقبل بالفيل ومن معه ، حتى إذا أبصر الحرم ودنوا منه ، حبس الله الفيل بذي المغمَّس[4] ، فكان إذا ضربوه ليدخل مكة أبي عليهم ، وإذا تركوه وجَّه راجعاً إلى وجهه الذي جاء منه ، فرجعوا ذلك العام ، حتى إذا كان [بعد ذلك بعامين خرج رجال من] العرب حتى قدموا على أبرهة فعجزوه في إرساله أول مرة ، وأمروه أن يبعث الثانية ، فبعث الأسود بن مفصود ، وبعث معه بكتيبة عظيمة معها الفيل ، حتى إذا دنوا من الحرم ونظروا إليه ، بعث الله عليهم بقدرته طيراً أبابيل خرجت من البحر . والأبابيل : من أفواج الطير ، وزعموا - والله أعلم - أن لها خراطيم أمثال البلس[5] ، فلما بلغ ذلك قريشاً قام رجال منهم فاستقبلوا الكعبة يدعون الله على الفيل ومن معه ، فكان ممن قام في ذلك اليوم عبد المطلب بن هاشم ، وعكرمه بن عامر العبدري ، فقال عبد المطلب : لاهم فأخْزِ الأسود بن مفصود ... ،

---

(١) في (دلائل أبي نعيم) : « قال الشيخ » .

(٢) هذا الحديث أخرجه أبو نعيم في (دلائل النبوة) : ١ / ١٤٤ - ١٤٨ ، حديث رقم (٨٦) ، وابن سعد في (الطبقات الكبرى) : ١ / ٩٠ من طرق متعدده جمع رواياتها ، والحاكم في (المستدرك) : ٢ / ٥٨٣ - ٥٨٤ ، حديث رقم (٣٩٧٤ / ١١١٢) وقال في آخره : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وابن كثير في (التفسير) : ٤ / ٥٨٧ - ٥٩١ ، تفسير سورة الفيل .

(٣) في هذه العبارة نظر ؛ فأبو يكسوم هو أبرهة ، قال ابن إسحاق : ولما هلك أبرهة ، ملَكَ الحبشة ابنُهُ يكسوم بن أبرهة ، وبه كان يُكْنى ، فلما هلك يكسوم بن أبرهة ، ملك اليمن في الحبشة أخوه مسروق ابن أبرهة [سيرة ابن هشام] : ١ / ١٨٢ ، تحت عنوان : « ولدا أبرهة » .

(٤) المغمَّس : موضع على ثلث فرسخ من مكة .

(٥) وزاد ابن كثير في (التفسير) : « وأكفّ كأكفّ الكلاب » .

الأبيات[1] ، وقال أيضاً :

فلم أسمع بأرض من رجال أرادوا الغزو ينتهكوا حرامك
لاهم إن المرء يمنع رحله فامنع حلالك لا يغلبن صليبهم ومحالهم فيه محالك
وإن تركتهم وكعبتنا فَشأُ ما بدا لك

وقال عكرمة بن عامر حين أُهلكوا :

أنت منعت الحبش والأفيالا وقد رعوا بمكة الأَجبالا
وقد خشينا منهم القتالا كل كريم ماجد بطالا[2]
يمشي يجر المجد والأذيالا ولا يبالي جنة المختالا
ثم قلبتهم بشر حالا وقد لقوا أمراً له مفصالا

وكان بين غزوة أصحاب الفيل الأخيرة وبين الفجار أربعون سنة ، وإنما سمي الفجار لحرب كانت بين بني كنانة وقيس استحلوا فيها الحرمات وفجروا فيها ، وكان بين الفجار وبين بنيان الكعبة خمس عشرة سنة[3] .

وقال الواقدي : حدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد عن عبد الرحمن بن الحارث عن عبد الله بن كعب مولى آل عثمان قال في حديث ذكره : خرج أبرهة وهو يكسوم وهو الأشرم ، فخرج بمن أراد الحبشة ، وقوم من أهل اليمن كثير ، وكان فيمَن خرج من أهل اليمن ملك حمير ذو نفرٍ ، واستعمل على اليمن ابنه يكسوم ، فجعل لا يمر بحيّ من العرب إلا استتبعهم فتبعوه ، فأقبل في جمع كثير من الحبشة ، وحميَر ، ومن كندة ، حتى مرَّ ببلاد خثعم ، فخرج إليه نفيل بن حبيب الخثعمي فقال : يميني على شهران وشمالي على ناهس (بطنين من خثعم) .

قال الواقدي : فحدثني أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه قال : خرج أبرهة

---

(١) سبق ذكرها وشرحها ضمنْ أحاديث هذا الباب .
(٢) هذه الأبيات في (دلائل أبي نعيم) : ١ / ١٤٨
وقد خشينا منهم القتالا وكل أمر لهم معضالا
شكراً وحمداً لك ذا الجلالا
(٣) (إمتاع الأسماع) بتحقيقنا : ١ / ١٦ ، هامش (٥) .

حتى انتهى إلى بلاد خثعم ، فخرج إليه نفيل بن حبيب الخثعمي في شهران وناهس ، ومن أفناء العرب ، فاعترضوا ليقاتلوهم فهزمهم أبرهة ، وقتل من قتل ، وأخذ نفيل أسيراً فأمر أن يضرب عنقه ، فقال نفيل : أيها الملك ! لا تقتلني ، فإني أدلّ العرب ، وعلى شهران وناهس بالطاعة ، فاستحياه ، وخرج معه نفيل دليلاً ومعه ذو نفر دليلا .

فلما افترقت الطريقان ؛ طريق إلى مكة وطريق إلى الطائف تآمر العربيان ومن معهما فقالوا : يذهبون إلى بيت الله الذي ليس له في الأرض بيت غيره لهدمه ؟! ألفتوه واشغلوه بثقيف عسى أن يجد عندهم ما يكره ، فمالا به إلى الطائف .

قال الواقدي : فحدثني محمد بن أبي سعد الثقفي ، عن يعلي عن عطاء عن وكيع بن عدس ، عن عمير أبي رزين[2] قال : كنا نرعى غنما بين دجنا إلى الطائف ، فأتى بالطائف مع الشمس ما شعرنا ولا شعر من بها إلا بالأشرم أبرهة قد جاءهم ضحى ، معهم الفيلة والدُّهْم من الناس .

فخرج إليه أبو مسعود في رجال من ثقيف فقالوا : أيها الملك ! خرجت لأمر تريده ، فامض الذي تريد ، أمامك ما عندك مكان يُحج إليه ، إنما البيت الذي تحج إليه العرب بمكة ، وإنما أتيت من الذين معك ، فدعا ذا نفر ونفيلاً فقال : قدمتما بي إلى هاهنا ؟ فقالا : هؤلاء عدو وأولئك عدو ، فقال : إني لم أُرِد هؤلاء ، إنما أردت أن أهدم البيت الذي يحج إليه العرب وأغيظهم مما صنعوا بكنيستي .

قال : فحدثني زيد بن أسلم عن أبيه ، قال : خرج إليه مسعود بن معتب . قال الواقدي : هذا أثبت من الذي يقول : أبو مسعود ، قال : ما أنت ؟ قال : مسعود منك ، ونحن ندلك على البيت الذي تعبده العرب ، فأرشده إلى مكة ، وبعث أبا رغال يدله على طريق مكة ، فأنزله أبو رغال بالمغمَّس ، فمات أبو رغال : بالمغمَّس ، فقبره هناك ترجمه العرب[1] .

قال الواقدي : فحدثني عبد الله بن عثمان عن أبي سليمان عن أبيه قال : خرج

---

(١) (سيرة ابن هشام) : ١ / ١٦٦ ، تحت عنوان : « أبو رغال ورجم قبره » . (٢) كذا في (خ) .

أبرهة من اليمن بذي نفر ونفيل بن حبيب فعدلا به إلى الطائف وقالا : لو أتينا مكة هؤلاء وراء ظهورنا فخشينا أن نؤتي من خلفك ، فأردنا أن تبدأ بهم حتى لا يكون من ورائك أحد ، فصدقهما ثم انصرف عن الطائف .

قال الواقدي : وأقبل أبرهة حتى إذا كان عن يسار عرفة ، ودنا من الحرم عسكر هناك ، وكان أبرهة قد بعث على مقدمته رجلا من الحبشة يقال له : الأسود[1] ، على خيل يحشر عليه أموال أهل مكة ، فدخل الحرم فجمع سوائم ترعى في الحرم فضمها إليه ، فأصاب لعبد المطلب مائتي بعير ثم انصرف إلى معسكره فأخبره الخبر ، وأنه لم يصدّهُ أحدٌ عن أخذها .

فبعث أبرهةُ حناطةَ الحميريَّ فقال : سل عن أشرف أهلها فأخبره بأني لم آت لقتال أحد ؛ إنما جئت لهدم هذا البيت لما نذرت وأوحيت على نفسي لما صنعت العرب بكنيستي ثم أنصرف ، فإن صددتمونا عنه قاتلناكم ، وإن تركتمونا هدمناه وأنصرف عنكم .

فقال عبد المطلب : ما عندنا له قتال ، وما لنا به طاقة ولا يدان ، وسنخلي بينه وبين ما يريد ، فإن لهذا البيت رباً مانعه .

قال له حناطة : انطلق معي إليه ، فركب عبد المطلب على فرس وركب معه ابنه الحرث ، فلما دخل عسكره جاء حناطة إلى أبرهة فأخبره بما قال عبد المطلب ، وأنه دخل عسكره ، فقال له أبرهة : أخبرني عن بيتهم ، أي شيء بناؤه ؟ قال : حجارة منضودة ، فعجب أبرهة من ذلك .

وكان عبد المطلب حين دخل العسكر سأل عن ذي نفر الحميري – وكان له صديقاً – فدخل عليه فقال : هل عندك من غنى ؟ قال : فيماذا ؟ قال : في إبلي التي أخذت ، قال : وما عندي من الغنى وأنا أسير في يد رجل عجمي لا أدري

---

(١) هو الأسود بن مفصود بن الحارث بن منبه بن مالك بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو بن عُلَةَ بن خالد بن مذحج ، بعثه النجاشيّ مع الفيلة والجيش ، وكانت الفيلة ثلاثة عشر فيلاً ، هلكت كلها إلا [محمود] فيل النجاشي لا متناعه عن التوجه إلى الكعبة .

متى هو قاتلي ، ولكن سأكلم لك أُنيساً سائس الفيل محمود وإنه صديقي ، قال عبد المطلب : فذلك .

فقال : هذا سيد قريش الذي يحمل على الجياد ويهب الأموال ويطعم في السهل ، ما هبَّت الريح والوحش والطير ، وقد أصاب له الملك مائتي بعير ، فأحب أن تكلمه حتى يردها عليه .

قال : فذكر ذلك أُنيس لأبرهة فقال له : قد أتاك سيد قريش الذي يحمل على الجياد ، وقد طلبه الملك قبل ذلك فأرسل إليه حناطة ، فوافى عبد المطلب باب الملك وعنده حناطة وأنيس فقال أنيس : هذا صاحب عير مكة ، وهو يطعم في السهل والجبل ، [ما هبت الريح] والوحش والطير ، وقال حناطة : هو سيد أهل مكة فأذن له ، فدخل – وكان عبد المطلب من أوسم الناس وجها وأجلهم – فلما رآه أبرهة أجلّه واستبشر برؤيته ، وأبرهة على سرير فنزل عنه ، وكره أن يكون تحته ، وكره أن يجلسه على السرير فيراه الحبشة جالساً معه على سرير ملكه ، فنزل أبرهة فجلس على بساط وأجلسه إلى جنبه ورحَّب به وقال لترجمانه : قل له ما حاجتك ؟ .

فقال : حاجتي أن تردّ عليّ مائتي بعير أصابوها إليّ ، فلما قال ذلك قال أبرهة لترجمانه : قل له : قد عجبت حين رأيتك لهيبتك مع ما ذكر لي من شرفك وفعالك وتقدمك على أهل بيتك ، ثم قد زهدت فيك حين كلمتني في مائتي بعير قد غصبنا [منك] ، وتترك ما هو دينك ودين آبائك وعزك وشرفك ، وقد جئت لأهدمه [و] لا تكلمني فيه .

قال عبد المطلب : أنا رب الإبل ، وإن للبيت الذي تريد ربّاً سيمنعه .

فقال أبرهة : ما كان سيمتنع مني .

قال عبد المطلب : أنت وذاك .

قال : ما أرى القوم يصدقون أنّا نصل إليه ، وسيرون نصل إليه أم لا ، فإني لا أرى أحداً همَّ بشيء من هذا قبلي فيقولون قد حيل بينه وبين ذلك .

قال أنت وذاك ، قد خرجنا عنه وما دونه أحد يصدك عنه ، فأمر بإبله فردت عليه .

قال : ولما نزل المغمَّس جاء مكة أول من جاء بنزوله آبو قحافة ومعمر بن عثمان وعمير بن جدعان ، كانوا في إبل عبد الله بن جدعان هناك ، فأخبروا الناس ، فحف الناس ولحقوا برءوس الجبال وبالشعاب وبطون الأودية .

قال الواقدي : وحدثني سيف بن سليمان قال : سمعتُ مجاهداً يقول : لما وَلّي عبد المطلب من عند أبرهة منصرفاً ، أمر أبرهة أصحابه بالتهيؤ والتعبئة لإقحامهم الحرم ، فعبئوا كتيبة القتال ، وصفوا الصفوف ، وقدَّموا الفيلة كما كانوا يصنعون في الحروب ، وقدم صاحب مقدمته الأسود بن مفصود ، ووقف أبرهة كما كان يقوم في الحروب ، معه وجوه أصحابه قد حفوا به من وجوه الحبشة والعرب ممن قد سار به ، وقد أخذت صفوف أقطار الأرض بعضها خلف بعض .

وكان الفيل إذا حملوا لم يسر ويحرن كحران الدابة وَيَكِرُّ كَرَّ الناس ، حتى بلغ أبرهة ذلك ، فجاء وهو في أصحابه حتى وقف على دابته فجعل يصيح بسائس الفيل فيضربه ، فإذا ألح عليه ربض وصخّ[1] ، فيُنخس بالرمح ولا ينثني .

قال : وحدثني عبد الله بن عمرو بن زهير عن أبيه ، عن عبد الله بن خراش الكعبي عن أبيه قال : أقبل عبد المطلب يومئذ وأقبل أصحاب الفيل ، فلما رأى عبد المطلب ما هموا به سار سريعاً على فرسه حتى أوفى على حراء ، ومعه عمرو بن عائذ بن عمران ابن مخزوم ومطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف ، ومسعود بن عمرو الثقفي ، ينظرون كلما حمل الحبشةُ الفيل على الحرم ربض ، فيقبل الحبشة بحرابهم ورماحهم وعصيهم يطعنونه بها فيقوم ، فإذا حملوه على الحرم برك وصاح ، وإذا وجهوه من حيث جاء ولّى وله وجيف[2] ، وأي وجه شاءوا طاوعهم مالم يحملوه على الحرم .

قالوا : فبينا عبد المطلب وأصحابه على حراء – وهم يحملون الفيل على الحرم –

---

(١) صخَّ الصوتُ الأذن يَصُخّها صخّاً ، وفي حديث ابن الزبير وبناء الكعبة : فخاف الناسُ أن تصيبهم صاخَّة من السماء ؛ هي الصيحة التي تصُخّ الأسماع ، أي تقرعها وتصمها . قال ابن سيده : الصاخة صيحة تصخّ الأذن أي تطعنها فتصمها لشدّتها ؛ ومنه سميت القيامة الصاخة . (لسان العرب) : ٣ / ٣٣ ، (النهاية) : ٣ / ١٤ ، وفي (دلائل أبي نعيم) : « برك وصاح » .

(٢) وجيف : اضطراب من سرعة المشي .

ويأبى ، إذ قال عمرو بن عائذ لعبد المطلب : أنظر ! هل ترى شيئاً ؟ قال : إني لأرى طيراً يأتي من قبل البحر قطعاً قطعاً ، وهي أصغر من الحمام ، سود الرءوس ، حمر الأرجل والمناقير .

قال عمرو : فأقبلت حتى حلقت على القوم ، مع كل طائر ثلاثة أحجار : في منقاره حجر ، وفي رجليه حجران ، وقال عبد المطلب لمسعود : هل ترى شيْئاً ؟ قال : نعم ، أرى سواداً كثيراً من قبل البحر كثيفاً ، قال عبد المطلب : هو طائر ، قال مسعود : صدقت ، قد والله عرفت حين حلوا بنا أن لو أرادوا الدية لقدروا عليها ، فلم أزل أبعث الأشرم وأصرفه حتى ولى إلى ما هاهنا ، وعرفت أنه لا يصل إلى البيت حتى لا يعذب ، وهذا والله عذابه .

قال الواقدي : وحدثني قيس بن الربيع عن الأعمش عن أبي سفيان عن عبيد ابن عمير قال : لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل ، أرسل عليهم طيراً أُنشئت من البحر كأنها الخطاطيف ، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار مجزعة[1] : حجر في منقارة وحجران في رجليه ، فجاءت حتى صَفَّت على رءوسهم ، فصاحت وألقت ما في أرجلها ومناقيرها ، فما وقع[2] حجر على رجل منهم إلا خرج من الجانب الآخر ؛ إذا وقع على رأسه خرج من دبره[3] [وإذا وقع على جسده خرج من الجانب الآخر ، وبعث الله ريحاً شديدة فضربت الحجارة فزادت شدة فأُهلكوا] .

---

(١) مجزعة : مقطعة .

(٢) في (دلائل أبي نعيم) : « فما على الأرض حجر وقع على رجل » .

(٣) هذا آخر الحديث رقم (٨٨) في (دلائل أبي نعيم) : ١ / ١٤٩ - ١٥٠ ، وفيه الواقدي وعبد الله ابن خراش متروكان ، وما بين الحاصرتين زيادة من (خ) ، وابن كثير في (التفسير) : ٤ / ٥٩٠ ، وقال ابن كثير : وقد ذكر الحافظ أبو نعيم في كتاب (دلائل النبوة) : من طريق ابن وهب عن ابن لهيعة عن عقيل بن خالد عن عثمان بن المغيرة ، قصة أصحاب الفيل ؛ ولم يذكر أن أبرهة قدم من اليمن ، وإنما بعث على الجيش رجلاً يقال له شمر بن مفصود ، وكان الجيش عشرين ألفاً ، وذكر أن الطير طرقتهم ليلاً فأصبحوا صرعى ، وهذا السياق غريب جداً ، وإن كان أبو نعيم قد قواه ورجحه على غيره ، والصحيح أن أبرهة الأشرم قدم من مكة ، كما دلّ على ذلك السياقات والأشعار .

وهكذا روى عن ابن لهيعة عن الأسود عن عروة ، أن أبرهة بعث الأسود بن مفصود على كتيبة معهم الفيل ، ولم يذكر قدوم أبرهة نفسه ، والصحيح قدومه ، ولعل ابن مفصود كان على مقدمة الجيش . والله تعالى أعلم . (تفسير ابن كثير) : ٤ / ٥٩٠ .

وذكر عمر بن شيبة في كتاب (أخبار مكة) : عن أبي عاصم أخبرنا عمرو ابن سعيد قال : سمعت مشيختنا يقولون : حمام مكة من بقيه طير أبابيل .

قال الواقدي : وحدثني ابن أبي سبرة عن ثور عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال : الحجارة مثل البندق ، وبها نضْح حُمرة مختمه ، مع كل طائر ثلاثة أحجَار ؛ حجران في رجليه وحجر في منقاره ، حلقت عليهم من السماء ثم أرسلت تلك الحجارة عليهم فلم تَعْدُ عسكرَهم .

وحدثني عمر بن طلحة عن جونةَ بن عبد عن أمية بن عبد الرحمن قال : سمعت نوفل بن معاوية الديلي يقول : رأيت الحصا الذي رمى به أصحاب الفيل ، حصا مثل الحمص وأكبر من العدس ، حمر مختمة ، كأنها جزع ظفار[1] .

وحدثني ابن أبي سبرة عن عمر بن عبد الله العبسي قال : قال حكيم بن حزام : كان في المقدار بين الحمصة والعدسة ، حصاته نضح أحمر ، مختم كالجزع ، فلولا أنه عذب به قوم [لأخذت] منه ما أتخذه في مسجدي ، أسلمت وهو بمكة كثير في بيوتكم .

وحدثنا سعيد بن حسان عن عطاء بن أبي رباح عن حبيب بن ميسرة ، عن أم كرز الخزاعية قالت : رأيت الحجارة التي رُمي بها أصحاب الفيل حمراً مختمة كأنها جزع ظفار ، وحدثني ابن أبي سبرة عن عمر بن عبد الله العيشي عن ابن كعب القرظي قال : جاءوا بفيلين ؛ فأما محمود فربض ، وأما الآخر فجثع فَحُصِبَ .

وحدثني رباح بن مسلم عن من سمع وهب بن منبه قال : كانت الفيلة معهم ، فكان محمود - وهو فيل الملك - إذا تقدم يربض لتقتدي به الفيلة فجثع منها فيل فَحُصِبَ فرجعت الفيلة .

وحدثني سيف بن سليمان عن مجاهد قال : كان فيل حصب بالمغمَّس .

وحدثني عبد الله بن عمرو بن زهير الكعبي عن أبي مالك الحميري عن عطاء

---

(١) جزع : خرز ، وظفار : بلد باليمن قرب صنعاء ، ينسب إليها هذا الخرز ، وأن به سواداً وبياضاً .

ابن يسار قال : حدثني من كلّم قائدَ الفيل وسائسَه قال لهما : أخبراني خبر الفيل .

قالا : أقبلنا وهو فيل الملك النجاشي الأكبر ، لم يَسِرْ به قط إلى جمْعٍ إلا هَزمهم ، فاختُرت أنا وصاحبي هذا لجلدنا وحرفتنا بسياسة الفيل ، قال : فلما دنونا من الحرم جعلنا كلما وجهناه إلى الحرم يربض ؛ فتارة نضربه فينهض ، وتارة نضربه حين برك ثم نتركه ، فلما أتينا إلى المغمَّس ربض فلم يقم ، وطلع العذاب .

فقلت : نجا غيركما ؟ قالا : نعم ؛ ليس كلهم أصاب العذابُ ، وولى أبرهة ومن تبعه يريد بلاده ، كلما دخلوا أرضاً وقع منه عضو ، حتى انتهى إلى بلاد خثعم وليس عليه غير رأسه فمات .

وحدثني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم قال : أفلت نفيل والحميري . قال الواقدي : وسمعت أنه لما ولى أبرهة مدبراً جعل نفيل يقول :

أين المفر والإلّه الطالب   والأشرم المغلوب ليس الغالب [1]

وذكر ابن الكلبي في (الجمهرة) أن ضبّة وعمراً وحميساً أبناء أدّ بن طابخة ابن إلياس بن مضر شهدوا الفيل فهلكوا ، وأفلت منهم ستون رجلاً ؛ إذا وُلد مولودٌ مات منهم رجلٌ .

قال الواقدي : وحدثني حزام بن هشام عن أبيه قال : لما رد الله الحبشة عن البيت أعظمت قريشاً وقالوا : هؤلاء أهل الله لما كفاهم مؤنة عددهم ، وجعلوا يقولون في ذلك الأشعار ، وخرجت الحبشة يسقطون في كل طريق ويهلكون في كل منهل .

وأصيب أبرهة في جسده ، وخرجوا به معهم تسقط أنامله أنملة أنملة ، كلما سقطت أنملة اتبعتها مدة ودم وقيح ، حتى قدموا صنعاء وهو مثل فرخ طير ، فمات حين انصدع صدره عن قلبه فيما يقولون[2]

---

(١) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ١٥٠ ، (سيرة ابن هشام) : ١ / ١٧٢ ، وقال ابن هشام : قوله : « ليس الغالب » عن غير ابن إسحاق .

(٢) (المرجع السابق) : ١٧٣ .

وحدثني موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحرث قال : دخلت مع أبي على فاطمة بنت المنذر فحدثتنا أحاديث ، وكان فيما حدثت أن قالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها تقول : لما قدم أصحاب الفيل بالفيل وأصابهم ما أصابهم ، دخل سائقه وقائده مكة ، فلم يزالا بها حتى رأيتهما قبل أن يُنبأ رسول الله ﷺ أعميين مقعدين يستطعمان الناس ، يكونان حيث يذبح المشركون ذبائحهم ، فقال لها : أي أين كانوا يذبحون ؟ قالت : على إساف ونائله[1] .

وقد ذكر محمد بن إسحاق أن سبب غزو أبرهة البيت أنه بني القُلّيس بصنعاء ، فبني كنيسة لم ير مثلها في زمانها بشيء من الأرض ، ثم كتب إلى النجاشي ملك الحبشة : إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبق مثلها لمن كان قبلك ، ولستُ بمنته حتى أصرف إليها حاج العرب ، فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة غضب رجل [من][2] النّسَأة (أحد بني فقيم بن علي بن عامر بن ثعلبة بن الحرث بن مالك ابن كنانة بن خزيمة) فخرج حتى أتى القليس فقعد فيها (يعني سلح)[3] ، ثم خرج فلحق بأرضه فأخبر أبرهة بذلك فقال : من صنع هذا ؟ فقيل له : صنع هذا رجل من العرب أهل هذا البيت الذي يحج العرب إليه بمكة لما سمع قولك : « أصرف إليه حاج العرب » ، غضب فجاء فقعد فيها ، أي لست لذلك بأهل .

فغضب عند ذلك أبرهة ، وحلف ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه ، وتجهزتْ ثم أمر الحبشة فتهيأتْ ثم ساروا ، وخرج معه بالفيل ، وسمعتْ بذلك العرب فأعظموه وفظعوا به ، ورأوا جهاده حقاً عليهم لما رأوا أنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام .

فخرج إليه رجل كان من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له : ذو نفر فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله ، فأجابه

---

(١) (المرجع السابق) : ١٧٦ ، (تفسير ابن كثير) : ٤ / ٥٩٠ ، وقال : كان اسم قائد الفيل [أُنيساً] .

(٢) زيادة للسياق ، والنسأة : جمع ناسيء ، وهم الذين كانوا ينسئون الشهور ، أي يؤخرون حرمة أحد الأشهر الحرم ، وقد سبق شرح ذلك .

(٣) سَلَح : من السَّلاح ، وهو النَّجْو ، [وهو الغائط] ، (ترتيب القاموس) : ٢ / ٥٩٢ ، (دلائل أبي نعيم) : ١ / ١٥١ ، قال أبو نعيم : « فقعد فيها أي تغوَّط فيها) .

من أجابه إلى ذلك ، ثم عرض له فقاتله ، فهُزم ذو نفر وأصحابه ، وأُخذ فأُتي به أسيراً ، فلما أراد قتله قال له : لا تقتلني فإنه عسى أن يكون بقائي خيراً لك .

فتركه وحبسه عنده ، ثم مضى حتى كان بأرض خثعم عرض له نفيل بن حبيب في قتلى خثعم شَهْران ونَاهِس[1] ومن تبعه من قبائل العرب ، فقاتله فهزمه أبرهة وأخذ له أسيراً ، فخلى سبيله وخرج معه يدله حتى [إذا][2] مرَّ بالطائف خرج ابنه مسعود بن معتب[3] فتجاوز عنهم ، وبعثوا معه أبا رغال يدله على الطريق إلى مكة حتى أنزله المغمَّسَ مات أبو رغال ، وبعث أبرهةُ الأسود بن مسعود على خيل إلى مكة ، فساق أموال أهل تهامة ، وذكر القصة بمعنى ما تقدم .

وخرج عبد الرزاق عن معمر عن عبد الكريم عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال : لما أرسل الله على أصحاب الفيل جعل لا يقع حجر على واحد منهم إلا تفطَّر جسده ، فذلك أول ما كان الجدري ، فأرسل الله سيلاً فذهب بهم[4] فألقاهم في البحر .

وعن عكرمة عن ابن عباس قال : جاء أصحاب الفيل حتى نزلوا الصِّفاح[5] ، فأتاهم عبد المطلب جد النبي ﷺ فقال : إن هذا بيت الله لم يسلط عليه أحد ، قالوا : لا نرجع حتى نهدمه ، فكانوا لا يقدمون فيلهم إلا تأخر .

فدعا الله بالطير الأبابيل ، فأعطاها حجارة سوداً عليها الطين ، فلما حاذتهم صُفَّتْ عليهم ثم رمتهم ، فما بقي منهم أحد إلا أخذته الحكة ، فكان لا يحك إنسان منهم جلده إلا تساقط لحمه .

وقال قيس عن حصين بن عبد الرحمن في قوله : ﴿ **وأرسل عليهم طيراً**

---

(١) يقال : إن خثعم ثلاث : شهرانِ ، وناهس ، وأكلب ، غير أن أكلب عند أهل النسب هو : ابن ربيعة ابن نزار ، ولكنهم دخلوا في خثعم وانتسبوا إليهم . (ابن هشام) : ١ / ١٦٤ .

(٢) زيادة للسياق من المرجع السابق .

(٣) هو مسعود بن معتِّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف .

(٤) في (خ) : « بها » .

(٥) الصِّفاح بكسر الصاد : موضع بين حنين وأنصاب الحرم على يسرة الداخل إلى مكة من مُشاش . (معجم البلدان) : ٣ / ٤٦٧ ، موضع رقم (٧٥٥٨) .

أبابيل ﴾[1] قال : طير خرجت من قبل البحر ، لها رءوس مثل رءوس السباع ترميهم ؛ فمن أصابتْ جُدِر[2] ، وذلك أول ما كان الجدري ، لم يُر قبله .

وقد روى عن أبي جعفر محمد بن علي بن حسين عليهم السلام : أن قدوم الفيل للنصف من المحرم ، وبين الفيل وبين مولد رسول الله ﷺ خمس وخمسون ليلة[3]

* * *

(١) الفيل : ٣ .

(٢) أصابه داء الجدري .

(٣) ذكروا أن الفيل جاء مكة في المحرم ، وأنه ﷺ وُلد بعد مجيء الفيل بخمسين يوماً ، وهو الأكثر والأشهر ، وأهل الحساب يقولون : وافق مولده من الشهور الشمسية نيسان (أبريل) ، فكانت لعشرين مضت منه ، وولد بالغفر من المنازل « منازل القمر » . (ابن هشام) : ١ / ٣٩٤ ، فصل ولادة رسول الله ﷺ (هامش) .

وأما الآيات التي ظهرت
في مدة رضاعته ﷺ

فقد روى محمد بن إسحق عن جهم بن أبي الجهم[1] ، عن عبد الله بن جعفر [بن أبي طالب][2] عن حليمة بنت الحرث السعدية[3] قالت : أصابتنا سنة شهباء[4] لم تبق لنا شيئاً ، فخرجتُ مع نسوة من بني سعد بن بكر نلتمس الرضعاء[5] بمكة على أتان[6] لي قمْراء[7] ، فلم تبق منا امرأة إلا عُرض عليها النبي ﷺ فتأباه ، وعُرض عليّ فأبيته ، ذلك أن الظؤورةَ[8] إنما كانوا يرجون الخير من قبل الآباء ويقولون : لا أب له وما عسى أن تفعل أمه ، فلم تبق منهن امرأة إلا أخذت رضيعاً غيري ، وحان انصرافهن إلى بلادهن .

فقلت لزوجي : لو أخذت ذلك الغلام اليتيم كان أمثل من أن أرجع بغير رضيع ، فأتيت أمه فأخذتُه ثم جئت بعد ذلك ، إلى منزلي ، فكان لي ابن صغير والله لن ينام من الجوع ، فلما ألقيت رسول الله ﷺ على ثدي أقبلا عليه بما شاء من

---

(١) هو جَهْم بن أبي جَهْم مولى الحارث بن حاطب الجمحي .

(٢) زيادة في النسب من (ابن هشام) .

(٣) هي حليمة ابنة أبي ذُؤَيب ، وأبو ذُؤَيب : عبد الله بن الحارث بن شِجْنَة بن جابر بن رِزام بن ناصرة ابن فُصَيَّة بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة بن قَيْس بن عَيْلان ابن مُضَر ، قدمتْ عليه ﷺ وقد تزوج خديجة فشكت إليه جدب البلاد ، فكلم خديجة فأعطتها أربعين شاة ، وأعطتها بعيراً ، ثم قدمت عليه ﷺ بعد النبوة فأسلمت وبايعت ، وأسلم زوجها الحارث بن عبد العزى .

(٤) سنة شهباء : يعني سنة قحط ، لأن الأرض فيها تكون بيضاء .

(٥) الرضعاء : جمع رضيع ، وهم الأطفال حديثو الولادة .

(٦) الأتان : أنثى الحمار .

(٧) قَمْراء : أي يميل لونها إلى الخضرة .

(٨) الظُؤورة : جمع ظِئر ، وهي العاطفة على ولد غيرها ، المرضعة له ، في الناس وغيرهم ، للذكر والأنثى ، وتجمع على : أَظْؤُر ، وأظآر ، وظُؤور ، وظُؤورة ، وظُؤار ، وظُؤْرَة . (ترتيب القاموس) : ٣ / ١١٩ .

اللبن حتى روي وروي أخوه وناما ، وقام زوجي إلى شارف[1] لنا والله ما أن تبضّ[2] بقطرة ، فلما وقعت يده على ضرعها فإذا هي حافل[3] ، فحلب ثم أتاني فقال : والله يا ابنة أبي ذُؤَيْب ما أظن هذه النسمة التي أخذتها إلا مباركة ! وأخبرني بخبر الشارف وأخبرته بخبر ثديي وما رأيت منهما .

ثم أصبحنا فغدونا ، فكنت على أتان قمراء ، والله ما أن تلحق الحُمُر ضَعفاً ، فلما أن وضعتُ رسول الله ﷺ عليها جعلتْ تتقدم الركب فيقولون : والله إن لأتانِك هذه لشأناً .

قالت : فقدمنا بلادنا – بلاد سعد بن بكر – لا نتعرف من الله إلا البركة ، حتى إن كان راعينا لينصرف بأغنامنا حفلاً وتأتي أغنام قومنا ما أن تبضّ بقطرة ، فيقولون لرعيانهم : ويحكم ! إرعوا حيث يرعى راعي ابنة أبي ذؤيب ، فلم يزل كذلك .

فبينا هما يوماً يلعبان في بهم لنا وراء بيوتنا ، إذ جاء أخوه يسعى فقال : ذاك أخي القرشي قد قُتل ، فانطلقت وأبوه فاستقبلنا وهو منتقع اللون ، فجعلت أضمه إليَّ مرة وأبوه مرة ويقول : ما شأنك ؟ فيقول : لا أدري ، إلا أنه أتاني رجلان فشقَّا بطني وساطها[4] ، فقال أبوه : ما أظن هذا الغلام إلا قد أصيب ، فبادرى به أهله من قبل أن يتفاقم به الأمر .

عند ذلك لم يكن له همة إلا أن أتيت مكة [فأتيتُ به أمه ، فقلت : أنا ظئر ابني هذا ، وقد فصلْتُه ، وخشيتُ أن تقع عليه العاهة فاقبليه ، فقالت : مالك زاهدة فيه ؟ وقدق كنت قبل اليوم تسأليني أن أتركه عندك لعلك خفت على [ابني][5] الشيطان – أو كلام هذا معناه – ألا أخبرك عني وعنه ؟ إني رأيت حيث ولدته

---

(١) الشارف : الناق المسنة . (٢) تبضُّ : ترشح .

(٣) الحافل : الممتلئة الضرع من اللبن ، والحَفَل : اجتماع اللبن في الضرع .

(٤) في (خ) : « وساطا » ، وفي (ابن هشام) : « يسوطانه » ولعل ما قد أثبتناه يناسب المعنى ، يقال : سِطْتُ اللبن أو الدم أسوطُه ، إذا ضربت بعضه ببعض ، والمِسْوَط : عودٌ يُضرب به .

(٥) السياق مضطرب في (خ) فيما بين الحاصرتين ، وقد صوبناه من كتب السيرة .

أنه خرج مني نور أضاءت له قصور بُصرى من أرض الشام[1] . هذا لفظ زياد ابن عبد الله البكائي عن ابن إسحق .

وفي رواية يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن ابن إسحق ، قالت أمه : إن لابني هذا لشأناً ! ألا أحدثك عنه ؟ فما زالت بنا حتى أخبرتنا خبره ، قالت : إني حملت به ، فلم أحمل حملاً قط كان أخف منه ولا أعظم بركة منه ، إني لقد رأيت نوراً كأنه شهاب خرج مني حين وضعته أضاءت له أعناق الإبل ببُصْرى ، ثم وضعته ، فما وقع كما يقع الصبيان ؛ وقع واضعاً يده بالأرض رافعاً رأسه إلى السماء ، وألحقا بشأنكما[2] .

---

(١) هذا آخر حديث آمنة في (خ) ، لكنه ليس آخر لفظ زياد بن عبد الله البكائي عن ابن إسحاق ، وتمامه : « ثم حملتُ به ، فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف ولا أيسر منه ، ووقع حين ولدته وإنه لواضع يديه بالأرض ، رافع رأسه إلى السماء ، دعيه عنك وانطلقي راشدة » .

(٢) حديث حليمة السعدية ورد في كتب السيرة بسياقات مختلفة ، بعضها مطول ، وبعضها مختصر ، وبروايات مختلفة ، عن ابن إسحاق ، وابن راهْويه ، وأبو يعلي ، والطبراني ، والبيهقي ، وأبو نعيم ، فذكره كل من :

* ابن الجوزي في (صفة الصفوة) : ١ / ٢٨ - ٣٠ ، وقال في آخره . وظاهر هذا الحديث يدل [على] أن آمنة حملت غير رسول الله ﷺ ، وقال الواقدي : لا يُعرف عند أهل العلم أن آمنة وعبد الله ولدا غير رسول الله ﷺ .

* القسطلاني في (المواهب اللدنية) : ١ / ١٥٠ - ١٥٣ ، وقال في آخره : كانت الشيماء أخته من الرضاعة تحضنه وترقصه وتقول :

هذا أخ لم تلده أمـي ... وليس من نسل أبي وعمي
فديته مـن مخول معمـي ... فأنْمِه اللهم فيما تنمـي

وذكر من شعر حليمة ما كانت تُرقِّص به النبي ﷺ

يارب إذا أعطيته فأبقِـهِ ... وأعلـه إلى العُلا وأرقِـهِ
وأدحض أباطيل العِدا بحقّهِ

* ابن هشام في (السيرة النبوية) : ١ / ٢٩٧ - ٣٠٣ .
* البيهقي في (دلائل النبوة) : ١ / ١٣٣ - ١٣٦ .
* الطبري في (التاريخ) : ٢ / ١٥٨ - ١٦٠ .
* ابن سيد الناس في (عيون الأثر) : ١ / ٣١ - ٣٥ .
* أبو نعيم الأصفهاني في (دلائل النبوة) : ١ / ١٥٥ - ١٥٧ .
* ابن كثير في (البداية والنهاية) : ٢ / ٣٣٣ - ٣٣٥ .

وقال الواقدي : وقدم مكة عشرة نسوة من بني سعد بن بكر يطلبن الرضعاء، وخرجت حليمة بنت عبد الله بن الحرث بن شجنة بن جابر بن رزام بن ناصرة ابن فُصية بن نصر بن بكر بن هوازن ، واسم أبيه الذي أرضعه : الحرث بن العَزى ابن رفاعة بن ملان [بن ناصرة][1] بن فصية بن سعد بن بكر بن هوازن ، وأخوته عبد الله بن الحرث ، وحذافة بنت الحرث – وهي الشيماء – وكانت الشيماء هي تحضنه مع أمها وتوركه .

وخرجوا في سنة حمراء[2] ، وخرجت بابنها عبد الله ترضعه ، وأتان قمراء تدعى سدرة ، وشارف دلقاء لا سنّ لها ، يقال لها السمراء ، لقوح قد مات سَقَبُها[3] بالأمس ، ليس في ضرعها قطرة لبن قد يبس من العجف[4] ، وقالت أمه آمنة لظئره حليمة : يا ظئر ! سلي عن ابنك فإنه يكون له شأن ، فإنه لم يزل يذكر أنه يخرج من ضِئْضِيء عبد المطلب نبي ، ولقد حملت فما وجدت له ما تجد النساء من المشقة في الحمل ، ولقد أُتيت فقيل لي : قد حملت بسيد الأنام ، ولقد قيل لي ثلاث ليالٍ : استرضعي ابنك في بني سعد ثم في آل أبي ذؤيب .

قالت حليمة : فإن أبا هذا الغلام الذي في حجري أبو ذؤيب وهو زوجي ، فطابت نفس حليمة وسرت بكل ما سمعت ، ثم قالت : والله إني لأرجو أن يكون مباركاً ، فخرجتْ برسول الله ﷺ إلى منزلها ، فتجد حمارها قد قطعت رسنها فهي

* ابن سعد في (الطبقات الكبرى) : ١ / ١١٠ – ١١٢ .
* الدِّياربَكْري في (تاريخ الخميس) : ١ / ٢٢٢ – ٢٢٣ .
* ابن حجر في (الإصابة) : ٧ / ٧٢٢ – ٧٣٣ ، في ترجمة الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى ابن رفاعة ، رقم (١١٣٨٤) ، قال : وذكر محمد بن المعلي الأزْدي في كتاب (الترقيص) ؛ قال : وقالت الشيماء ترقِّص النبي ﷺ وهو صغير :

يا ربنا أبقِ لنا محمداً ... حتى أراه يافعاً وأمردا
ثم أراه سيد مسوّداً ... واكبتْ أعاديه معاً والحُسَّدا
وأعطه عزاً يدوم أبدا

قال : فكان أبو عُروة الأزْدي إذا أنشد هذا يقول : ما أحسنَ ما أجاب الله دعاءها ! .

(١) زيادة للنسب . (٢) سنة حمراء : شديدة الجدب .
(٣) سقبها : ما قاربها من العمر . (٤) العجف : الضعف .

تجول في الدار ، وتجد شارفها قائمة تقصع بجِرَّتها[1] ، فقالت لزوجها : إن هذا المولود لمبارك ! فقال أبوه : قد رأينا بعض بركته .

قال : ثم عمد إلى شاتها فحلبها قعباً فسقى حليمة ، ثم حلبها قعباً آخر فشرب حتى روى ، ولمس ضرعها فإذا هي بعدُ حافل ، فحلب قعباً آخر فحقنه في سقاءٍ[2] له ثم حدجوا[3] أتانها فركبتها حليمة ، وركب الحرث شارفهم ، وحملت حليمة رسول الله ﷺ بين يديها على الأتان فطلعا على صواحبها بوادي السَّرر مرتعات وهما يتواهقان في السير ، فقلن : هي حليمة وزوجها ، ثم قلن : هذا حمار أنجى من حمارتها ، وهذا بعير أنجى من بعيرها ، ومايقدران على أن يضبطا رءوسهما حتى نزلتْ معهن فقلن : يا حليمة ! ماذا صنعت ؟ قالت : أخذتُ والله خير مولود رأيته قط وأعظمه بركة ، فقالت النسوة : أهو ابن عبد المطلب ؟ قالت : نعم ، وأخبرتهن بما قالت آمنة في رسول الله ﷺ وما أمرتها أن تسأل عنه ، وما رأت حليمة من إقبال درّها ودرّ لقوحها وما رأوا من نجاء الإتان واللقحة ، فقالت حليمة : فما رحلنا من منزلنا حتى رأيت الحسد في بعض نسائنا [فيمرون بسُنح[4] من هذيل على عراف كبير ، فقالت النسوة : سلي هذا ، فجاءت حليمة إليه برسول الله ﷺ وأخبرته خبره وما قالت فبه آمنة ، فصاح الهذلي : يا آل هذيل ! اقتلوه .. اقتلوه ، وآلهته ليمكن في الأرض وإنه لينتظر من السماء أمراً ، فرحن إلى بلادهن ، وإنما اعتاف العائف في قبض النبي ﷺ التراب حين ولد][5] .

قالت : فقدمنا على عشرة أعنز ما يرمن البيت هزالاً فإن كنا لتريح الإبل وإنها لحفل ، فنحلب ونشرب ، ونحلب شارفنا غبوقاً وصبوحاً[6] ، وإني لأنظر إلى الشارف قد نضبت في سنامها ، وأنظر إلى عجز الأتان فكأن فيها

---

(١) تقصع بجرتها : تجتر ، وذلك يعني أنها كانت قد أُكلت فامتلأت .

(٢) في (خ) : « سقاية » ، وما أثبتناه من (دلائل أبي نعيم) .

(٣) حَدَجوا : شدوا عليه الحدج ، وهو الحِمل .

(٤) سنح : موضع في طرق من أطراق المدينة وهي منازل بني الحارث بن الخزرج .

(٥) ما بين الحاصرتين زيادة من (خ) ، وليس في رواية أبي نعيم .

(٦) الغبوق : ما يشرب في المساء ، والصبوح : ما يُشرب في الصباح .

الأفهار[١] وإن كان عجزها لدبراء[٢] مما ننخسها ، وجَعل أهل الحاضر يقولون لرعيانهم : ابلغوا حيث تبلغ غنمُ حليمة ، فيبلغون ، فلا تأتي مواشيهم إلا كما كانت تأتي قبل ذلك ، ولقد كان رسول الله ﷺ يمس ضرع شاة لهم يقال لها « أطلال » ، فما يطلب منها ساعة من الساعات إلا حلبت غبوقاً وصبوحاً ، وما على الأرض شيء تأكله دابة[٣] .

فحدثني عبد الصمد بن محمد السعدي عن أبيه عن جده قال : حدثني بعض من كان يرعى غنم حليمة أنهم كانوا يرون غنمها ما ترفع رؤوسها ، ويرى الخضر في أفواهها وأبعارها ، وما تزيد غنمنا على أن تربض[٤] ، ما تجد عوداً تأكله ، فتروح الغنم أغرث[٥] منها حين غدت ، وتروح غنم حليمة يُخاف عليها الحبَطَ[٦] .

قالوا : فمكث سنتين ﷺ حتى فُطم ، فكأنه ابن أربع سنين ، فقدموا به على أمه زائرين لها ، وهم أحرص شيء على رده مكانه ، لما رأوا من عظيم بركته ، فلما كانوا بوادي السُّرر لقيت نفراً من الحبشة وهم خارجون منها ، فرافقتهم ، فسألوها ، فنظروا إلى رسول الله ﷺ نظراً شديداً ، ثم نظروا إلى خاتم النبوة بين كتفيه ، وإلى حمرة في عينيه ، فقالوا : يشتكي أبداً عينيه للحمرة التي فيها ؟ قالت : لا ، ولكن هذه الحمرة لا تفارقه ، فقالوا : هذا والله نبي ، فغالبوها عليه ، فخافتهم أن يغلبوها ، فمنعه الله عزَّ وجلَّ ، فدخلت به على أمه ، وأخبرتها بخبره ، وما رأوا من بركته ، وخبر الحبشة ، فقالت أمه : ارجعي بابني فإني أخاف عليه وباء مكة ، فوالله ليكونن له شأن ، فرجعت به .

---

(١) أي أن لحمها قد تكتل كتلاً من السِّمن .

(٢) الدبراء : التي بها قرحة .

(٣) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ١٥٧ – ١٥٩ ، حديث رقم (٩٦) ، أخرجه ابن سعد في (الطبقات) : ١ / ١١٠ مختصراً .

(٤) تربض : تطوي قوائمها وتقيم .

(٥) أغرث : أكثر جوعاً ، وفي شعر حسان يعتذر لعائشة رضي الله تعالى عنها :

* وتصبح غرثي من لحوم الغوافل *

(٦) الحبط : الانتفاخ من كثرة الأكل .

وقام سوق ذي المجاز فحضرت به وبها يومئذ عراف يؤتى إليه بالصبيان ينظر إليهم من هوازن ، فلما نظر إلى رسول الله ﷺ وإلى الحمرة التي في عينيه وإلى خاتم النبوة صاح : يا معشر العرب ! فاجتمع إليه أهل الموسم فقال : اقتُلوا هذا الصبي ولا يرون شيئا قد انطلقت به أمه ، فيقال له : ما هو ؟ فيقول : رأيت غلاماً وآلهته ليغلبن أهل دينكم وليكسرن أصنامكم وليظهرن أمره عليكم .

فطلب بذي المجاز[1] فلم يوجد ، ورجعت به حليمة إلى منزلها ، فكانت بعد هذا لا تعرضه لأحد من الناس ، ولقد نزل بهم عراف ، فأخرج إليه صبيان أهل الحاضر وأبت حليمة أن تخرجه إليه ، إلى أن غفلت عن رسول الله ﷺ فخرج من المظلة فرآه العراف فدعاه ، فأبى رسول الله ﷺ ودخل الخيمة ، فجهد بهم العراف أن يخرج إليه فأبت ، فقال : هذا نبي [هذا نبي][2] ، قالوا : فلما بلغ أربع سنين كان يغدو مع أخيه وأخته في البَهم قريباً من الحي .

فبينا هو يوماً مع أخيه في البَهم ، إذ رأى رسول الله ﷺ قد أخذته غُمية ، فجعل يكلم رسول الله فلا يجيبه ، فخرج الغلام يصيح بأمه : أدركي أخي القرشي ! فخرجت أمه تعدو ، ومعها أبوه فيجدان رسول الله ﷺ قاعداً منتقع اللون ، فسألت أمه أخاه : ما رأيت ؟ قال : رأيت طائرين أبيضين وقعا[3] ، فقال أحدهما : أهوهو ؟ فقال : نعم ، فأخذاه فاستلقياه على ظهره فشقا بطنه فأخرجا ما كان في بطنه ، ثم قال أحدهما : ائتني بماء ثلج ، فجاء به فغسل بطنه ، ثم قال : ائتني بماء بَرَد[4] ، فجاء به فغسل بطنه ثم أعادهُ كما هو .

قال : فلما رآى أبواه[5] ما أصابه شاورت أمه أباه وقالت : نرى أن نرده على[6] أمه ؛ إنا نخاف أن يصيبه عندنا ما هو أشد من هذا فنرده إلى أمه فيعالج ،

---

(١) في (دلائل أبي نعيم) : « فطلب بعكاظ » .
(٢) زيادة للسياق من المرجع السابق .
(٣) في المرجع السابق : « فوقنا » .
(٤) في المرجع السابق : « بماء ورد » .
(٥) في المرجع السابق : « أبوه » .
(٦) في المرجع السابق : « إلى أمه » .

فإني أخاف أن يكون به لمم[1] ، [فقال أبوه : لا والله ما به لمم][2] إن هذا أعظم مولود رآه أحد بركة ، والله إن أصابه [ما أصابه][2] إلا حسد من آل فلان ، لما يرون من عظم بركته منذ كان بين أظهرنا [يا حليمة][2] .

قال أبوه : يا حليمة ! أخذناه ولنا عشر أعنز عجاف فغنمنا اليوم ثلاثمائة ، قالت : إني أخاف عليه ، فنزلت به إلى أمه فذكرت من بركته وخيره ، ولكنه قد كان من شأنه فأخبرتها[3] خبره .

قال الواقدي : فحدثني معاذ بن محمد ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قالت حليمة : إنا لا نرده إلا على جدع أنفنا ، ما رأينا مولوداً أعظم بركة منه ، ولكنا كرهنا أن نحدث به عندما حدث .

قال ابن عباس : فرجعت فكان عندنا سنة أو نحوها ، لا تدعه أن يذهب مكاناً بعيداً ، فغفلت عنه ، فجاءتها أخته الشيماء في وقت الظهيرة ، ورسول الله ﷺ في البَهم وقد ردت البَهم ، فخرجت أمه تطلبه حتى وجدته مع أخته فقالت : في هذا الحر ؟ فقالت أخته : يا أمه ! ما وجد أخي حراً ، رأيت غمامة تظل عليه ؛ إذا وقَفَ وقَفَتْ وإذا سارَ سارتْ حتى انتهى إلى هذا الموضع ، تقول أمها : أحقاً يا بنية ؟ قالت : إي والله .

قال : تقول حليمة : أعوذ بالله من شَرّ ما نحذر على ابني ، فكان ابن عباس يقول : رجع إلى أمه وهو ابن خمس سنين ، وكان غيره يقول : رُدَّ على أمه وهو ابن أربع سنين ، فكان معها إلى أن بلغ ست سنين .

وخرَّج أبو محمد بن حبان من حديث الصلت بن محمد أبي همام قال : حدثنا

---

(١) اللمم : ضرب من الجنون .

(٢) زيادة للسياق من المرجع السابق .

(٣) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ١٥٩ - ١٦٢ ، حديث رقم (٩٧) ، وقال في آخره زيادة عن (خ) : قال ابن عباس : رجع إلى أمه وهو ابن خمس سنين . وكان غيره يقول : رُدَّ إلى أمه وهو ابن أربع سنين ، وكان معها إلى أن بلغ ست سنين . ، (الخصائص الكبرى) : ١ / ١٤٤ وقال : أخرجه أبو نعيم من طريق الواقدي ، عن عبد الصمد بن محمد السعدي عن أبيه عن جده ، والواقدي متروك .

سلمة بن علقمة ، أخبرنا داود بن أبي هند قال : لما وَلَدَتْ آمنة ذهب عبد المطلب يطلب ظئراً ، فوافق امرأة من بني سعد بن بكر يقال لها حليمة بنت الحرث فجاء بها فدفعه إليها وشيعها وهو يقول :

يارب هذا الراكب المسافر محمدٍ فاقلب بخير طائرِ
وازجره عن طريقة الفواجر واخل عنه كل خُلق فاجرِ
أخنس ليس قلبه بطاهر وجِنَّةٌ تصيد بالهواجرِ
إني أراهُ مُكرمي وناصري[1]

فانطلقت به الظِّئْر ، فذكر نحو حديث الجهم .

* * *

(١) هذه الأبيات مضطربة السياق والوزن في (خ) ، وصوبناها من (دلائل أبي نعيم) .

وأما معرفة اليهود له
وهو غلام مع أمه بالمدينة ،واعترافهم
إذ ذاك بنبوته

فقد قال الله جل جلاله : ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون** ﴾[1] ، أي يعرفون نبوته وصدق رسالته ، والضمير عائد على محمد ﷺ ، قال مجاهد وقتادة وغيرهما : وخص الأبناء في المعرفة بالذكر دون الأنفس ، وإن كانت ألصق ، لأن الإنسان يمر عليه في زمنه برهة لا يعرف فيها نفسه ، ولا يمر عليه وقت لا يعرف فيه ابنه ، وقد روى أن عمر رضي الله عنه قال لعبد الله بن سلام : أتعرف محمداً ﷺ كما تعرف ابنك ؟ قال : نعم وأكثر ؛ بعث الله أمينه في السماء إلى أمينه في الأرض فعرفته ، وابني لا أدري ما كان من أمه ﴿ **وإن فريقاً منهم** ﴾ : يعني اليهود الذين أوتوا الكتاب ليكتمون الحق يعني محمداً ﷺ . قال مجاهد وقتادة وخصيف ، وهم يعلمون ظاهر كفرهم عناداً . ومثله : ﴿ **وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم** ﴾ ، وقوله : ﴿ **فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به** ﴾[2] .

وقال الواقدي : حدثنا موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحرث ، وعبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة ، وأبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة بن أبي رهم العامري ، وربيعة بن عبد الله بن الهدير التيمي ، وموسى بن يعقوب الزمعي في عدة[4] ، كل قد حدثه من هذا الحديث بطائفة ، قالوا : [وغير هؤلاء المسمين قد حدثوني أيضاً أهل ثقة وقناعة][5] كان رسول الله ﷺ يكون مع أمه ، فلما بلغ ست سنين خرجت به أمه إلى أخواله بني عدي بن النجار

---

(١) البقرة : ١٤٦ . (٢) النمل : ١٤ .
(٣) البقرة : ٨٩ . (٤) في (دلائل أبي نعيم) : « عن عدة من شيوخه » .
(٥) زيادة في السَّند من المرجع السابق .

بالمدينة تزور أخواله ، ومعه أم أيمن[1] ، فنزلت به في دار النابغة – رجل من بني عدي بن النجار – فأقامت به شهراً ، وكان رسول الله ﷺ يذكر أموراً كانت في مقامه ؛ ذلك لما نظر إلى أطم بني عدي بن النجار عرفها ، قال ﷺ : نظرت إلى رجل من يهود يختلف إليّ ، ينظر إليّ ثم ينصرف عني ، فلقيني يوماً خالياً فقال : يا غلام ، ما اسمك ؟ قلت : محمد ، ونظر إلى ظهري فأسمعه يقول : هذا نبي هذه الأمة ، ثم راح إلى أخوالي فخبرهم الخبر ، فأخبروا أمي فخافت عليّ وخرجنا من المدينة ، وكانت أم أيمن تحدث تقول : أتاني رجلان من يهود يوماً نصف النهار بالمدينة فقالا : أَخْرِجي لنا أحمد . فأخرجته فنظر إليه وقلَّباه ملياً ، حتى أنهما لينظران إلى سوأته ، ثم قال أحدهما لصاحبه : هذا نبي هذه الأمة ، وهذه دار هجرته ، وسيكون بهذه البلدة من القتل والسبي أمر عظيم ، قالت أم أيمن : فوعيتُ ذلك كله من كلامهما[2] .

(١) وهي بركة ، أم أسامة بن زيد ، وهي حاضنة النبي ﷺ .

(٢) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ١٦٣ – ١٦٤ ، حديث رقم (٩٩) ، وفيه الواقدي ، متروك ، وموسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث ، منكر الحديث ، وأبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة بن أبي رُهم العامري ، رموه بالوضع ، وأخرجه ابن سعد في (الطبقات) : ١ / ١١٨ من طريق الواقدي أيضاً .

وأما توسم جده فيه السيادة لما كان يشاهد منه في صباه من مخايل(1) الـرِّبَاء(2)

فقال الواقدي : فرجعت به أمه إلى مكة ، فلما كان بالأبواء توفيت آمنة ، فرجعت به أم أيمن على البعيرين اللذين قدما عليهما إلى مكة وكانت تحضنه . قالوا : فلما توفيت آمنة قبضه عبد المطلب وضمه إليه ، فرق له [عبد المطلب](3) رقة لم يرقها على ولد ، وكان يقربه ويدنيه ، وكان عبد المطلب إذا نام لا يدخل عليه أحد إعظاماً له ، وإذا خلا كذلك أيضاً ، وكان له مجلس لا يجلس عليه غيره ، وكان يُفرش له في ظل الكعبة فراش ، ويأتي بنو عبد المطلب فيجلسون حول ذلك الفراش ينتظرون عبد المطلب(4) ، ويأتي رسول الله ﷺ [حتى](3) يرقى على الفراش فيجلس عليه ، فيقول له أعمامه : مهلاً يا محمد عن فراش أبيك ، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك : دعوا ابني ، إنه ليؤنس ملكاً . ويقال : إنه قال : إن ابني ليحدث نفسه بذلك(5) .

وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحق : حدثني العباس بن عبد الله بن سعيد ابن العباس بن عبد المطلب قال : كان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة ، فكان لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له ، وكان رسول الله ﷺ يأتي حتى يجلس عليه فيذهب أعمامه يؤخرونه ، فيقول عبد المطلب : دعوا ابني ، ويمسح على ظهره ويقول : إن لابني هذا لشأناً ، وإنه ليحس من نفسه بخير ، فتوفى عبد المطلب ورسول الله ابن ثماني سنين .

---

(1) تَفَرّس الخير فيه ﷺ ، (ترتيب القاموس) : ٢ / ١٣٨ .

(2) الرباء : الزيادة والنماء ، المرجع السابق : ٢٩٧ .

(3) زيادة للسياق من (دلائل أبي نعيم) .

(4) في المرجع السابق : « ينظرون إلى عبد المطلب » .

(5) هذا الحديث امتداد للحديث رقم (٩٩) من (دلائل أبي نعيم) ولعل إسنادهما واحد .

وروى الأزرقي أحمد بن محمد بن الوليد عن سعيد بن سالم القداح ، حدثني ابن جريج قال : كنا جلوساً مع عطاء بن أبي رباح في المسجد الحرام فتذاكرنا ابن عباس وفضله .

وقال عطاء : سمعت ابن عباس يقول : سمعت أبي يقول : كان عبد المطلب أطول الناس قامة ، وأحسن الناس وجهاً ، ما يراه أحد قط إلا أحبه ، وكان له مفرش في الحجر لا يجلس عليه أحد غيره ، ولا يجلس عليه معه أحد ، وكان الندى من قريش حرم بن أمية فمن دونه يجلسون دون المفرش ، فجاء رسول الله ﷺ يوماً وهو غلام فجلس على المفرش فجبذه رجل فبكى ، فقال عبد المطلب : ما لابني قالوا له : أراد أن يجلس على المفرش فمنعوه ، فقال : دعوا ابني أن يجلس عليه ، فإنه يحس من نفسه بشيء ، وأرجو أن يبلغ من الشرف ما لم يبلغه غيره قبله ولا بعده .

قال : ومات عبد المطلب والنبي ﷺ ابن ثماني سنين ، وكان خلف جنازة عبد المطلب يبكي حتى دفن بالحجون .

وروى النضر بن سلمة عن محمد بن موسى أبي غزبة ، عن أبي عثمان سعيد ابن زيد عن ابن بريدة عن أبيه ، وعن بريدة بن سفيان الأسلمي قال : لما وُلد رسول الله ﷺ عَقَّ[1] عبد المطلب عنه يوم السابع بكبش وسماه محمداً ، ولم يسمه بأسماء آبائه ، وقال : أردت أن يحمده الله في السماء ويحمده الناس في الأرض . وقد فعل الله تعالى ذلك ، والله خير الحامدين .

* * *

(١) عقَّ عنه : صنع له عقيقة ، وقد سبق شرحها .

وأما إلحاق القَافَّة[1] قدمه بقدم إبراهيم عليه السلام وتحدّثُ يهود بخروج نبي من ضِئْضِيء[2] عبد المطّلب

فقال الواقدي : وخرج رسول الله ﷺ يلعب مع الصبيان حتى بلغ الردم ، فرآه قوم من بني مُدْلِج ، فدعوه فنظروا إلى قدميه وإلى أثره ، ثم خرجوا في إثره فصادفوا عبد المطلب قد لقيه فاعتنقه ، وقالوا لعبد المطلب : ما هذا منك ؟ قال : ابني ، قالوا : احتفظ به ، فإنا لم نر قدماً أشبه بالقدم الذي في المقام منه ، فقال عبد المطلب لأبي طالب : اسمع ما يقول ، فكان أبو طالب يحتفظ به[3] .

وقالوا : بينا يوماً عبد المطلب جالس في الحجر وعنده أسقف نجران - وكان صديقاً له - وهو يحادثه ويقول : إنا نجد صفة نبي بقى من ولد إسماعيل هذا [البلد][4] مولده ، من صفته كذا وكذا ، وأتى رسول الله ﷺ على بقية الحديث ، فنظر إليه الأسقف وإلى عينيه وإلى ظهره وإلى قدميه فقال : هو هذا ! ما هذا منك ؟ قال : ابني ، قال الأسقف : لا ، ما نجد أباه حياً ، قال عبد المطلب : هو ابن ابني ، وقد مات أبوه وأمّه حبلى [به][5] ، قال : صدقت ، فقال عبد المطلب [لبنيه][5] : تحفظوا بابن أخيكم ، ألا تسمعون ما يقال فيه[6] ؟ .

قال : فحدثني موسى بن شيبة عن خارجة ، بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه قال : حدثني شيوخ من قومي أنهم خرجوا عُماراً وعبد المطلب يومئذ حي

---

(١) القافَّة : جمع قافّ ، وهو الذي يقتفى الأثر .

(٢) الضئضيء : الأصل والمعدن ، أو كثرة النسل وبركته . (ترتيب القاموس) : ٣ / ٣ .

(٣) جزء من الحديث رقم (٩٢) من (دلائل أبي نعيم) : ١ / ١٦٥ .

(٤) زيادة للسياق من كتب السيرة .

(٥) زيادة للسياق من (دلائل أبي نعيم) .

(٦) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ١٦٥ ، حديث رقم (١٠٠) ، وهو بإسناد الحديث رقم (٩٩) .

بمكة ، ومعهم رجل من يهود تَيماء[1] صحبهم للتجارة يريد مكة أو اليمن ، فنظر إلى عبد المطلب فقال : إنا نجد في كتابنا الذي لم يُبَدَّلْ أنه يخرج من ضِئْضِئي هذا نبي يقتلنا وقَومَهُ قتْل عادٍ[2] .

ولأبي داود من حديث إسرائيل عن سماك بن [حرب] عن عكرمة عن ابن عباس قال : أتى نفر من قريش امرأة كاهنة فقالوا : أخبرينا بأقربنا شبهاً من صاحب هذا المقام ، قالت إن جردتم على السّهلة عباءة ومشيتم عليها ، أنبئكم بأقربكم شبهاً ، فجردوا عليها عباءة ثم مشوا عليها ، فرأت أثر قدم محمد ﷺ فقالت : هذا والله أقربكم شبهاً به .

قال ابن عباس رض الله عنه : فمكثوا بعد ذلك عشرين سنة ، ثم بُعث محمد ﷺ ، قلت : ويؤيد هذا قوله ﷺ : ورأيت إبراهيم فإذا أقربكم شبهاً به أنا .

وذكر هشام بن الكلبي أن الذي نظر قدم النبي ﷺ فقال : هذه القدم من تلك القدم التي في المقام – يعني قدم إبراهيم عليه السلام – هو كرز بن علقمة ابن هلال[3] ، الذي قفا أثر رسول الله ﷺ وأبي بكر حين خرجا إلى الغار .

* * *

---

(١) تَيْماء : قرية في أطراف بلاد الشام بين الشام ووادي القُرى .

(٢) (دلائل أبي نعيم) : ١٦٥ – ١٦٦ ، حديث رقم (١٠١) ، وهو من طريق الواقدي وهو متروك ، وفيه أيضاً موسى بن شيبة لين الحديث .

(٣) هو كُرز بن علقمة بن هلال بن جُرَيْبَة بن عبد نهم بن حُليل بن حُبشيّة بن سلول الخزاعي . أسلم يوم الفتح ، وعمَّر طويلاً ، وعمي في آخر عمره ، وكان ممن جدَّد أنصاب الحرم في زمن معاوية ، فهي إلى اليوم . وذكر ابن الكلبي هذه القصة فقال : عمي على الناس بعض أعلام الحرم ، وكتب مروان إلى معاوية بذلك ، فكتب إليه : إن كان كرز حياً فله أن يقيمك على معالم الحرم ؛ ففعل .

وقال أبو سعد في (شرف المصطفى) : أن المشركين كانوا استأجروه لما خرج النبي ﷺ مهاجراً ، فقفى أثره حتى انتهى إلى غار ثور ، فرأى نسج العنكبوت على باب الغار ، فقال : إلى هنا انتهى أثره ، ثم لا أدري أخذ يميناً أو شمالاً أو صعد الجبل .

وهو الذي قال حين نظر إلى قدم النبي ﷺ : هذه القدم من تلك القدم التي في المقام . (الإصابة) : ٥ / ٥٨٣ – ٥٨٤ ، ترجمة كرز بن علقمة بن هلال ، رقم (٧٤٠٢) .

وأما رؤية عمه
أبي طالب منذ كفله ومعرفته بنبوته

قال الواقدي : حدثني ابن أبي سبرة عن سليمان بن سُحيم عن نافع بن جبير قال : سُئل رسول الله ﷺ : أتذكر موت عبد المطلب ؟ قال : نعم وأنا ابن ثماني سنين[١] .

قالوا : فلما توفي عبد المطلب ضم أبو طالب رسول الله ﷺ إليه وهو يومئذ ابن ثماني سنين ، وكان يكون معه ، وكان أبو طالب لا مال له ، وكان له قطيعة من إبل تكون بعُرنة[٢] فيبدو إليها ، فيكون [ينشأ فيها][٣] ويوتي بلبنها إذا كان حاضراً بمكة .

وكان أبو طالب قد رق عليه وأحبه ، وكان إذا أكل عيال أبي طالب جميعاً أو فرادى لم يشبعوا ؛ وإذا أكل معهم رسول الله ﷺ شبعوا ، وكان إذا أراد أن يعشّيهم أو يغدّيهم يقول : كما أنتم حتى يحضر ابني ، فيأتي رسول الله ﷺ فيأكل معهم ، وكانوا يفضلون من طعامهم .

وإن كان لبنا شرب رسول الله أولهم ، ثم يتناول العيال القعب فيشربون منه ، فيروون عن آخرهم من القعب الواحد ، وإن كان أحدهم ليشرب قعباً وحده ، فيقول أبو طالب : إنك لمبارك ، وكان الصبيان يصبحون شعثاً رُمْصاً ، ويصبح رسول الله ﷺ دهيناً كحيلاً[٤] .

---

(١) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ١٦١ ، حديث رقم (١٠٣) حديث مرسل ، وهو من رواية الواقدي ، وهو متروك .

(٢) عُرَنَة : وادي عرفة ، والفقهاء يقولون : عُرُنة بضم الراء ، وذلك خطأ . (معجم ما استعجم) : ٢ / ٩٣٥ .

(٣) زيادة للسياق من (دلائل أبي نعيم) .

(٤) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ١٦٦ - ١٦٧ ، حديث رقم (١٠٤) ، وهو بإسناد الحديث رقم =

قال : فحدثني على بن عمر بن[1] الحسين عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن محمد بن الحنفية ، عن عقيل بن أبي طالب قال : سمعته يقول : كنا إذا أصبحنا وليس عندنا طعام لصبوحنا يقول أبو طالب : [أي بني][2] ائتو زمزم ، [فنأتي زمزم][2] فنشرب منها فنجتزيء به[3] .

قال : فحدثني محمد بن الحسن بن أسامة بن زيد عن أهله عن أم أيمن قالت : ما رأيت رسول الله ﷺ شكا جوعاً قط ولا عطشاً ، وكان يغدو إذا أصبح فيشرب من ماء زمزم شربة ، فربما عرضنا عليه الغداء فيقول : لا أريد ، أنا شبعان[4] .

وخرج أبو نعيم من حديث الحسين بن سفيان قال : حدثنا زهير بن سلام قال : قال عمرو بن محمد : حدثنا طلحة بن عمرو بن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ في حجر أبي طالب بعد جده عبد المطلب فيصبح ولد عبد المطلب غُمصا[5] ويصبح رسول الله ﷺ دهيناً صقيلاً[6] .

قال أبو نعيم : ورواه محمد بن حميد عن سلمة بن الفضل عن طلحة مثله ، وبسند الحسن بن سفيان المذكور عن ابن عباس أن أبا طالب كان يقرب للصبيان يصبحهم فيضعون أيديهم فينتهبون ، ويكف محمد ﷺ يده ، فلما رأى ذلك عمه عزل له طعامه .

= (٩٩) ، (طبقات ابن سعد) : ١ / ١١٩ ، باب ذكر أبي طالب وضمه رسول الله ﷺ إليه ، وخروجه معه إلى الشام في المرة الأولى ، (الخصائص الكبرى) : ١ / ٢٠٥ ، وقال : أخرجه ابن سعد وابن عساكر من طريق عطاء عن ابن عباس ، ومن طريق مجاهد وغيره ، [قال : وحدثنا محمد ابن صالح ، وعبد الله بن جعفر ، وإبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة ، دخل بعضهم في حديث بعض ، قالو : لما توفي عبد المطلب ...] وذكر الحديث باختلاف يسير .

(١) في (خ) : « عمر بن علي بن الحسين » ، « عن ابن الحنفية » .

(٢) زيادة للسياق من (دلائل أبي نعيم) .

(٣) (دلائل أبي نعيم) : ١ ١٦٧ ، حديث رقم (١٠٥) وسنده كالحديث رقم (٩٩) .

(٤) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ١٦٧ ، حديث رقم (١٠٦) ، وهو من طريق الواقدي .

(٥) الغمص في العين : ما سال منها من رَمَص .

(٦) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ١٦٧ ، حديث رقم (١٠٧) ، وهو من طريق طلحة بن عمرو ، متروك ، (طبقات ابن سعد) : ١ / ١١٩ .

وروى أن رسول الله أن رسول الله ﷺ قال يوماً لعمه أبي طالب : إني أرى في المنام رجلاً يأتيني معه رجلان فيقولان : هوهو ، وإذا بلغ فشأنك به والرجل لا يتكلم ، فوصف أبو طالب مقالته هذه لبعض أهل العلم ، فلما نظر إلى رسول الله ﷺ قال : هذه الروح الطيبة ، هذا والله النبي المنتظر ؟ .

فقال أبو طالب : فأكتم على ابن أخي لا تغري به قومه ، فوالله إن قلت ما قلت ، لَعَلّي ما قلت ، ولقد أنبأني عبد المطلب أنه النبي المبعوث ، وأمرني أن أستر ذلك كيلا تغرى به الأعادي .

* * *

وأما تظليل الغمام
له في صغره واعتراف بحيرى
ونسطورا بنبوته

فقد أوردتُ ذلك بطرقه في ذكر الأماكن التي حلها رسول الله ﷺ . قال الحافظ أبو نعيم : وما تضمن هذا الفصل من أحواله ﷺ حين تزوجت آمنة وحملها به ، ووضعها له[1] ، واسترضاعه وحضانته[2] هي وحليمة ظئره إلى أن بلغ خمساً وعشرين سنة ، المقرونة بالآيات دالة على نبوته ﷺ ، لخروجها عن التعارف والمعتاد ، مع توسّم أهل الكتاب وغيرهم الأمارات التي دُوّنت في الكتب المتقدمة والأخبار السالفة بالبشارات به وترقبهم لمبعثه ومخرجه ، علامات ودلائل لمن منَّ الله عليه بالإيمان ، وصار به موقناً ، ولنبوته محققاً ﷺ[3] .

* * *

---

(١) في (دلائل أبي نعيم) : « وحملها ووضعها به » ، وما أثبتناه من (خ) ، وهو أجود للسياق .

(٢) في المرجع السابق « وحضانة حليمة ظئره » .

(٣) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ١٧٤ .

فصل في رعاية رسول الله ﷺ الغنم قبل النبوة

إعلم أن في رعي البهائم العجم التي لا تعقل ولا تعرب عن نفسها ، رياضة لحمل أعباء النبوة ، فإن راعيها يسوسها ويحوطها من المتالف المخوفة ، كالجوع والعطش والسباع ، ويكف عادية قويها عن ضعيفها في منعها الرعي في مراتعها ، وشرب الماء من مواردها ، وإن القيام بذلك لسياسة يصعب معاناتها ، ويشق على النفوس ملازمتها .

فإذا مُرِّن الإنسانُ عليها وتهذبت بها أخلاقه ، وصارت سيرة العدل والإحسان ملكةً له ، تأهل لسياسة العقلاء من البشر بحسن التدبير لهم ، وإرشادهم إلى مصالحهم والأخذ بحجزاتهم عما يؤذيهم ، والصبر على أذاهم ، واحتمال الأفعال عنهم .

ولهذا – والله أعلم – كانت الأنبياء صلوات الله علهيم رعاة البهائم أولاً ، حكمة من الله سبحانه لتتهذب أخلاقهم برعايتها ، وتتهذب نفوسهم بسياستها ، رياضة لقيامهم بأعباء النبوة ، وصبرهم على ما يلقون فيها من مصاعب تكذيب المكذبين ، ومشقات أذى المخالفين ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

خرج البخاري من حديث عمرو بن يحيى عن جده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم ، فقال أصحابه : وأنت ؟ قال : نعم ، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة ، ترجم عليه باب رعي الغنم على قراريط[1] .

وخرج النسائي من حديث خالد عن شعبة عن أبي إسحق عن ابن حزن

(١) (إمتاع الاسماع) بتحقيقنا : ١ / ١٦ .

وخرج النسائي من حديث خالد عن شعبة عن أبي إسحق عن ابن حزن قال : افتخر أهل الإبل والشاء ، فقال رسول الله ﷺ : بعث موسى وهو راعي غنم ، وبعث داود وهو راعي غنم ، وبعثت وأنا أرعى غنما لأهلي بأجياد[1] . ذكره في [تفسير] سورة طه[2] .

وخرجه البخاري في الأدب المفرد من طريق شعبة به مثله .

وخرج أبو نعيم من حديث زمعة بن صالح عن الزهري عن أبي سلمة عن جابر ابن عبد الله أن البني ﷺ قال : ما من نبي إلا وقد رعاها[3] .

ومن حديث موسى بن يزيد عن الزهري عن أبي سلمة عن جابر قال : كنا مع رسول الله ﷺ نجتني الكباث[4] فقال : عليكم بما اسود منه فإنه أطيبه ، فقلنا : وكنت ترعى الغنم ؟ قال : نعم ، وهل من نبي إلا وقد رعاها[5] .

قال ابن عبد البر : وهذا الحديث لا أعلمه يروى إلا من حديث أبي سلمة ابن عبد الرحمن ؛ وبعضهم يجعله عن أبي سلمة عن أبي هريرة ، وبعضهم يجعله عن أبي سلمة مرسلاً ، وبعضهم يجعله عن أبي سلمة عن أبيه ، وبعضهم يجعله عن جابر .

وخرج من حديث ابن إسحق قال : حدثني محمد بن قيس بن مخرمة عن الحسن

---

(١) في (خ) : « بجياد » وما أثبتناه من (طبقات ابن سعد) .

(٢) هذا الحديث في (طبقات ابن سعد) : ١ / ١٢٦ ولفظه : كان بين أصحاب الغنم وأصحاب الإبل تنازع ، فاستطال عليهم أصحاب الإبل ، قال : فبلغنا - والله أعلم أن النبي ﷺ قال : ... وذكر الحديث .

(٣) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ١٧٥ ، حديث رقم (١١٢) ، وأخرجه أيضاً البخاري في (الصحيح) من طريق ابن عمرو بن يحيى بن سعيد ، عن جده عن أبي هريرة ، ومالك في (الموطأ) : ٦٨٩ ، باب ما جاء في أمر الغنم ، حديث رقم (١٧٧٠) ، وابن ماجة في (السنن) : ٢ / ٧٢٧ ، كتاب التجارات باب (٥) الصناعات ، حديث رقم (٢٤٩) .

(٤) الكَباث : النضيج من ثمر الأراك .

(٥) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ١٧٤ - ١٧٥ ، حديث رقم (١١١) ، وقد أخرجه أيضاً البخاري في (الصحيح) ، ومسلم في (الصحيح) : ١٣ / ٢٤٨ - ٢٤٩ ، كتاب الأشربه ، باب (٢٩) فضيلة ما اسود من الكباث ، حديث رقم ١٦٣ - (٢٠٥٠) ، (طبقات ابن سعد) : ١ / ١٢٥ - ١٢٦ .

ابن محمد بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده علي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما هممت بقبيح مما كان أهل الجاهلية يهمون به إلا مرتين من الدهر ، كلتيهما يعصمني الله منها ، قلت ليلة لفتى كان معي من قريش بأعلا مكة في أغنام لأهلها نرعاها : أبصر لي غنمي حتى أسمر هذه الليلة كما يسمر الفتيان[1] .

ومن حديث مسعر قال : حدثنا سعد بن إبراهيم عن أبي سلمة عن أبيه قال : مرَّ بنا رسول الله ﷺ ونحن نجتني ثمر الأراك فقال : عليكم بما اسود منه ، فإني كنت أجتنيه وأنا أرعى الغنم ، قالوا : يارسول الله ! أوكنت ترعاها ؟ قال : مامن نبي إلا وقد رعاها[2] . وروى مرسلا .

* * *

---

(١) وهو حديث طويل سبق الإشارة إليه ، وقد أخرجه أبو نعيم في (دلائل النبوة) : ١ / ١٨٦ ، حديث رقم (١٢٨) ، قال في هامشه : أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده ، وابن إسحاق ، والبزار ، والبيهقي ، وأبو نعيم ، وابن عساكر ، كلهم عن على بن أبي طالب ، وقال ابن حجر : إسناده حسن ، ورجاله ثقات .

(٢) سبق توثيقه .

فصل في ذكر اشتهار رسول الله ﷺ بالأخلاق الفاضلة والخصال الحميدة قبل بعثته بالرسالة من الله تعالى إلى العباد

خرج البخاري ومسلم في حديث بدء الوحي أنه ﷺ لما أتاه الوحي قال لخديجة : لقد خشيتُ على نفسي ، وأخبرها الخبر فقالت له : كلا ، أبشر ! فوالله لا يخزيك الله أبداً ، فوالله إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق . وفي رواية لغيرهما : إنك لتصدق الحديث ، وتصل الرحم ، وتؤدي الأمانة[1] .

وخرج أبو نعيم من حديث ابن إسحق عن وهب مولى الزبير ، سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثي : حدثنا يا عبيد كيف كان بدء ما ابتدأ الله به رسوله من النبوة حين جاءه جبريل ، فذكره وفيه : فرجع إلى خديجة فقالت : أين كنت ؟ قال : قلت : إن الأبعد لشاعر أو مجنون ، فقالت : أعيذك بالله من ذاك ، ما كان الله ليصنع ذلك بك مع صدق حديثك ، وعظم أمانتك ، وحسن خلقك ، وصلتك رحمك[1] .

وله من حديث إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحق[2] عن محمد بن مسلم ابن شهاب ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام المخزومي ، عن أم سلمة

---

(١) (إمتاع الأسماع) بتحقيقنا : ٢ / ٣٦١ ، فصل في ذكر بدء الوحي لرسول الله ﷺ ، وكيف تراءى الملك له ، وإلقاؤه الوحي إليه ، وتقريره له أنه يأتيه من عند الله عزَّ وجلَّ ، وأنه قد صار يوحى إليه نبياً ورسولاً إلى الناس جميعاً .

(٢) سنده في (دلائل أبي نعيم) : حدثنا محمد بن أحمد أبو أحمد ، قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن شيرويه ، قال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، قال : حدثنا وهب بن جرير ، قال : حدثني أبي عن محمد ابن إسحاق عن محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي ، عن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيره ، زوج النبي ﷺ ، قالت ...

رضي الله تعالى عنها قالت : لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا [بها][1] خير جار : النجاشيّ ؛ آمننا على[2] ديننا ، وعبدنا الله لا نؤذي ولا نسمع شيئاً نكرهه .

فأرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم ، وكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فقال له : أيها الملك ! كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ، ونُسيء الجوار ويأكل القويُّ منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً نعرف نسبه وصدقه ، وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنعبده ونوحده ، ونخلع ما كان يعبده نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان .

وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة .

وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام .

قالت : فعدد عليه أمور الإسلام فصدقناه وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً ، فقال النجاشي : إن هذا والذي جاء به موسى يخرج من مشكاة واحدة[3] .

ولعظم مقدار رسول الله ﷺ في نفوس قومه كان هو الذي وضع الحجر الأسود موضعه بيده لما اختلفت قريش في وضعه ، فخرج غير واحد من الأئمة

---

(١) في المرجع السابق : « جاونا خير جار » .

(٢) في المرجع السابق : « أمِنَّا » .

(٣) أخرجه أبو نعيم مطوّلاً في (دلائل النبوة) : ١ / ٢٤٦ - ٢٥٠ ، حديث رقم (١٩٤) ، وفي (الحلية) : ١ / ١١٥ - ١١٧ في ترجمة جعفر بن أبي طالب ، ترجمة رقم (١٧) ، والبيهقي في (دلائل النبوة) : ٢ / ٢٨٥ - ٣٠٧ ، باب : الهجرة الأولى إلى الحبشة ثم الثانية ، وما ظهر فيها من الآيات وتصديق النجاشيّ ومن تبعه من القسسين والرهبان رسول الله ﷺ ، والإمام أحمد في (المسند) : ١ / ٣٣٢ - ٣٣٤ ، حديث رقم (١٧٤٢) ، حديث جعفر بن أبي طالب وهو حديث الهجرة ، وابن هشام في (السيرة) : ٢ / ١٧٦ - ١٨٢ ، فصل إرسال قريش إلى الحبشة في طلب المهاجرين إليها .

حديث حماد بن سلمة وقيس وسلام كلهم عن سماك بن حرب ، عن خالد عن عرعرة عن علي رضي الله عنه قال : لما بنت قريش البيت فبلغوا موضع الحجر اختلفوا في وضعه .

فقالوا : إن أول من يطلع من الباب ، قال : فطلع النبي ﷺ فقالوا : قد طلع الأمين ، فبسط ثوباً ووضع الحجر وسطه ، وأمر بطون قريش فأخذ كل بطن منهم طرفا من الثوب ، ووضعه بيده ﷺ[1] .

وقد روى من طرق كثيرة عن ابن جريج ومجاهد و [معمر][2] بن سليمان ، ومحمد بن جبير بن مطعم ، وقال : هبيرة بن أبي وهب المخزومي حين جعلت قريش رسول الله ﷺ حكماً :

لما تشاجرت قريشٌ الأحياء في فصل خطة ... جرت طيرهم بالنحس من سعدِ أسعدِ
فلاقوا لها بالبغض بعد مودة ... وأوقدوا ناراً بينهم شرَّ موقدِ
فلما رأينا الأمر قد جد جده ... ولم يبق شيء غير سل المهندِ
رضينا وقلنا العدل أول طالع ... يجيء من البطحاء على غير موعدِ
فلم يفجئنا إلا الأمين محمد ... فقلنا رضينا بالأمين محمدِ
بخيرِ قريش كلها أمسي شيمة ... وفي اليوم مع ما يُحدث الله في غدِ
فجاء بأمر لم ير الناس مثله ... أعم وأرضى في العواقب والبدي
أخذنا بأكناف الرداء وكلنا ... له حصة من رفعهِ قبضةُ اليدِ
فقال ارفعوا حتى إذا ما عَلَتْ به ... أكفٌّ إليه قَرَّ في خير مسندِ
فكان رضانا ذاك عنه بعينه ... وأعْظِمْ به من رأى هادٍ ومهتدِ
فتلك يد منه علينا عظيمةٌ ... يروح بها ركبُ العراقِ ويغتدي

---

(١) قال الحافظ أبو نعيم في (دلائل النبوة) : ١ / ١٧٥ : ومما يدخل في هذا الباب مما خصَّ الله به نبيه في الجاهلية الجهلاء ، أن وفقه لوضع الحَجَر الأسود موضعه بيده ، لما اختلفت قريش في وضعه ، دلالة بصحة نبوته ﷺ ، وقد سبق تخريج وشرح هذا الحديث .

(٢) في (خ) : « سليمان بن سليمان » ، وصوابه : « معمر بن سليمان النخعي أبو عبد الله الرق » ، (تهذيب التهذيب) : ١٠ / ٢٢٣ .

وخرج الأئمة أيضا من طريق عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنه قال : لما نزلت ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾[1] ، نادى رسول الله ﷺ في قريش بطناً بطناً ، فقال : أرأيتم لو قلت لكم إن خيلاً تغير عليكم أكنتم مصدقيّ ؟ قالوا : نعم ، ما جربنا عليك من كذب قط ، قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، فقال أبو لهب : ألهذا جمعتنا ؟ تباً لك سائر اليوم ، فأنزل الله : ﴿ **تبت يدا أبي لهب وتب** ﴾[2] .

ولأبي نعيم وغيره من حديث إسرائيل[3] عن أبي إسحق عن عمير وابن ميمون ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : انطلق سعد بن معاذ معتمراً ، فنزل على [أبي صوان][4] أمية بن خلف – وكان أمية إذا انطلق إلى الشام فمر بالمدينة نزل على سعد – فقال أمية لسعد : انتظرْ حتى [إذا][4] انتصف النهار وغفل الناس انطلقتَ فطفت .

فبينا سعد يطوف بالكعبة آمنا ، أتاه أبو جهل – خزاه الله تعالى – فقال : من هذا الذي يطوف بالبيت امناً ؟ فقال سعد : أنا سعد ، فقال أبو جهل : تطوف بالبيت آمناً وقد آويتم محمداً وأصحابه ؟ فكان بينهما ، حتى قال أميةُ لسعد : لا ترفع صوتك على أبي الحكم فإنه سيد أهل الوادي .

فقال له سعد : والله لئن منعتني أن أطوف بالبيت لأقطعن عليك متجرك إلى الشام ، فجعل أميه يقول لسعد : لا ترفع صوتك على أبي الحكم ، يُسكنُه ، فغضب سعد وقال : دعني عنك ، فإني سمعت محمداً ﷺ يزعم أنه قاتلك ، قال : إياي ؟ قال : نعم ، قال : والله ما يكذب محمد .

---

(١) الشعراء : ٢١٤ .

(٢) المسد : ١ ، تبَّ : خاب وخسر .

(٣) السند في (دلائل أبي نعيم) في تعليقه على الحديث رقم (١١٦) : فمما يقارب هذا الحديث ويوافقه ، ما حدثناه سليمان بن أحمد ، حدثنا علي بن عبد العزيز ، حدثنا عبد الله بن رجاء ، قال : حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله بن مسعود قال : ... .

(٤) زيادة للسياق من (دلائل أبي نعيم) .

فلما خرجوا رجع إلى امرأته فقال : ما علمت ما قال لي أخي اليثربي ؟ فأخبرها الخبر فقالت امرأة أمية : ما يدعُنا محمد .

فلما جاء الصريخ وخرجوا إلى بدر ، قالت له امرأته : أما تذكر ما قال لك أخوك اليثربي ؟ فأراد أن لا يخرج ، فقال له أبو جهل : إنك من أشراف أهل الوادي فسر معنا يوماً أو يومين ، فسار معهم فقتله الله [ببدر][1] .

ومن حديث الأعمش عن مجاهد قال : حدثني مولاي عبد الله بن السائب قال : كنت شريك النبي ﷺ في الجاهلية ، فلما قدمت المدينة قال : تعرفني ؟ قلت : نعم ، كنت شريكي ، فنعم الشريك لا تداري ولا تماري[2] .

* * *

---

(١) الحديث أخرجه البخاري من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق بهذا الإسناد ، ومن طريق يوسف بن إسحاق عن أبي إسحاق بهذا الإسناد أيضاً ، (فتح الباري) : ٧ / ٣٥٧ - ٣٥٨ ، كتاب المغازي ، باب (٢) ذكر النبي ﷺ من يُقتل ببدر ، حديث رقم (٣٩٥٠) . وأخرجه أبو نعيم في (دلائل النبوة) : ١ / ١٧٨ - ١٧٩ .

(٢) قال ابن هشام في (السيرة) : السائب بن أبي السائب شريك رسول الله ﷺ الذي جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ : « نعم الشريكُ السائبُ لا يُشاري ولا يُماري » ، وكان أسلم فحسُن إسلامه فيما بلغنا والله تعالى أعلم (سيرة ابن هشام) : ٣ / ٢٦٨ ، وفي هامشه : وذكر فيمن قتل من المشركين : السائب بن أبي السائب ، واسم أبي السائب : صيفي بن عابد ، وأنكر ابن هشام أن يكون السائب قُتل كافراً ، قال : وقد أسلم وحَسُنَ إسلامه ، وفي الموضوع اضطراب لا يثبت به شيء ، ولا تقوم به حجة ، والله تعالى أعلم .

فصل في

ذكر عصمة الله تعالى للرسول ﷺ من الجن والإنس والهوام[1]

خرج مسلم من حديث جرير عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن أبيه عن عبد ر الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ما منكم[2] من أحد إلا وقد وُكِّل به قرينه من الجن ، قالوا : وإياك يا رسول الله ؟ قال : وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم ، فلا يأمرني إلا بخير[3] .

ومن حديث سفيان عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن أبيه عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة .[4] الحديث .

ومن حديث ابن وهب قال : أخبرني أبو صخر عن ابن قسيط ، حدثه أن عروة حدثه أن عائشة رضي الله عنها حدثته أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلاً ، [قالت][5] : فغرت عليه ، فجاء فرأى ما أصنع فقال : مالك ياعائشة ؟ أغِرتِ ؟ فقلت : وما لي لا يغار مثلي على مثلك ؟ .

---

(١) الهوامُّ : ما كان من خشاش الأرض ، نحو العقارب وما أشبهها ، الواحدة : هامَّة ، لأنها تَهِمّ ، أي تدِبّ ، وهيمها دبيبها ، وروى ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ ، أنه كان يعوّذ الحسن والحسين فيقول : أُعيذكما بكلمات الله التامة ، من شر كل شيطان وهامّة ، ومن شرّ عين لامَّة ، ويقول : هكذا كان إبراهيم يعّوذ إسماعيل وإسحاق عليهم السلام .

والهوامُّ : الحيّات ، وكل ذي سَمٍّ يقتل سَمُّه ، وأما ما لا يقتل : فهو السوامّ مشدَّدة الميم ، لأنها تسُمّ ولا تبلغ أن تقتل ، مثل : الزُّنبور والعقرب وأشباهها .

والقوامّ : هي أمثال القنافذ ، والفأر ، واليراسيع ، والخنافس ، فهذه ليست بهوامّ ولا سوامّ ، والواحدة من هذه كلها : هامّة ، وسامَّة ، وقامَّه . (لسان العرب) : ١٢ / ٦٦١ - ٦٦٢ .

(٢) في (خ) : « ما فيكم » .

(٣) (مسلم بشرح النووي) : ١٧ / ١٦٣ ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم - باب (١٦) تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس ، وأن مع كل إنسان قريناً ، حديث رقم (٦٩) من أحاديث الباب ، وأخرجه أبو نعيم في (الدلائل) : ١ / ١٨٥ ، حديث رقم (١٢٧) .

(٤) المرجع السابق : ١٦٣ - ١٦٤ .

(٥) زيادة في السياق من المرجع السابق .

فقال رسول الله ﷺ : أقد جاءك شيطانك ؟ قلت : يارسول الله ! أو معي شيطان ؟ قال : نعم ، قلت : ومع كل إنسان ؟ قال : نعم ، قلت : ومعك يارسول الله ؟ قال : نعم ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم[١] .

وقال الترمذي : وسمعت علي بن خشرم يقول : قال سفيان بن عيينة في تفسير قول النبي ﷺ : ولكن الله أعانني عليه فأسلم ، يعني أسلمُ أنا منه[٢] . قال سفيان : الشيطان لا يُسلم .

وقال أبو نعيم : وقوله فأسلم ، يعني استسلم وانقاد ، فليس بأمر بِشَرٍ ، وقيل : أسلم : أي آمن ، فيكون عليه السلام مختصاً بإسلام قرينه وإيمانه[٣] .

وذكر [من] حديث إبراهيم بن صدقة قال : حدثنا يحيى بن سعيد عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : فضلت على آدم بخصلتين : كان شيطاني كافراً فأعانني الله عليه حتى أسلم ، وكن أزواجي عوناً لي ، وكان شيطان آدم كافراً وزوجته عوناً له على خطيئته[٤] .

وله من حديث الصلت بن مسعود قال : حدثنا عثمان بن مطر عن ثابت عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان ساجداً بمكة ، فجاء إبليس فأراد أن يطأ [على][٥] عنقه ، فنفخه جبريل عليه السلام نفخة بجناحيه ، فما استقرت

---

(١) المرجع السابق : ١٦٤ ، حديث رقم (٧٠) ، قوله : « إلا أن الله أعانني عليه فأسلم » ، « فأسلمَ » برفع الميم وفتحها ، وهما روايتان مشهورتان ، فمن رفع قال : معناه أسلمُ أنا من شرّه وفتنته ، ومن فتح قال : أن القرين أسلمَ من الإسلام ، وصار مؤمناً لا يأمرني إلا بخير ... وفي هذا الحديث إشارة إلى التحذير من فتنة القرين ووسوسته وإغوائه ، فأعلمنا بأنه معنا لنحترز منه بحسب الإمكان . (مسلم بشرح النووي) : ١٧ / ١٦٣ - ١٦٤ مختصراً .

(٢) راجع التعليق السابق .

(٣) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ١٨٥ ، الفصل الثالث عشر ، ذكر ما خصه الله به عزَّ وجلَّ من العصمة ، وحماه من التدين بدين الجاهلية ، وحراسته إياه عن مكائد الجن والإنس ، واحتيالهم عليه ﷺ ، حديث رقم (١٢٧) . وأخرجه أيضاً الأمام أحمد في (المسند) : ١ / ٦٦٢ ، حديث رقم (٣٧٩٢) .

(٤) أخرجه البيهقي في (الدلائل) : ٥ / ٤٨٨وهو من رواية محمد الوليد بن أبان القلانسيّ البغدادي ، مولى بني هاشم ، عن يزيد بن هارون . قال ابن عديّ : كان يضع الحديث . وقال أبو عَرُوبة : كذاب . وقال الدارقطني : ضعيف ، وله أباطيل ذكرها الذهبي في (ميزان الاعتدال) : ٤ / ٥٩ ، ترجمة رقم (٨٢٩٣) .

(٥) زيادة للسياق من (دلائل أبي نعيم) .

قدماه على الأرض حتى بلغ الأردن(١) . قال : ورواه حجاج الصواف عن ثابت .

وله من حديث الحسن بن سفيان قال : حدثنا عبيد الله بن عمر بن ميسرة ، حدثنا جعفر بن سليمان ، حدثنا أبو التَّيَّاح(٢) ، قال : سأل رجل عبد الرحمن بن خَنْبشَ(٢) : كيف صنع رسول الله ﷺ حين كادته الشياطين ؟ قال : تحدَّرت عليه الشياطين من الجبال والأودية يريدونه(٣) ، [قال :](٤) وفيهم شيطان بيده مشعلة من نار ، يريد أن يحرق بها رسول الله ﷺ ، فلما رآهم رسول الله ﷺ فزع منهم .

فجاءه(٥) جبريل فقال له : يا محمد ، **قل : أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن برٌّ ولا فاجرٌ من شر ما خلق وذرأ وبرأ ، ومن شرِّ فتنة الليل والنهار ، ومن شر كل طارق إلا طارقاً(٦) يطرق بخير يا رحمن** ، فقالهن فطفئت نار الشيطان وهزمهم .

قال : حدث به أحمد بن حنبل عن سياد بن حاتم عن جعفرمثله ، وقال : ابن حبيش(٧) .

ولأبي نعيم من حديث الأوزاعي قال : حدثني إبراهيم بن طريف قال : حدثني يحيى بن سعيد قال : حدثني عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : حدثني عبد الله بن مسعود قال : كنت مع رسول الله ﷺ ليلة صُرِف إليه نفر من الجن ، فأتى رجل من الجن بشعلة من نار إلى رسول الله ﷺ ، فقال جبريل : يا محمد ، ألا أعلمك

---

(١) أخرجه أبو نعيم في (الدلائل) ١ / ١٩٠ - ١٩١ ، باب : أما حراسة الله عزَّ وجلَّ إياه ﷺ من كيد إبليس وجنوده ، حديث رقم (١٣٦) ، وأخرجه الطبراني في (الأوسط) ، وفيه عثمان بن مطر ، وهو ضعيف .

(٢) في (خ) : « أبو السياج » ، « خنيس » ، وفي (مسند أحمد) : « خنيش » .

(٣) في (دلائل أبي نعيم) : « يريدون رسول الله ﷺ » .

(٤) زيادة من المرجع السابق .

(٥) في المرجع السابق : « فجاء » .

(٦) في (خ) : « طارق » ، وما أثبتناه حق اللغة .

(٧) أخرجه أبو نعيم في (دلائل النبوة) : ١ / ١٩١ ، حديث رقم (١٣٧) ، وأخرجه الإمام أحمد في (المسند) : ٤ / ٤٣١ ، من حديث عبد الرحمن بن خنيش رضي الله تعالى عنه . حديث رقم (١٥٠٣٤) قال : حدثنا عبد الله ، حدثني أبي ، حدثنا سيار بن حاتم أبو سلمة العنزي ، قال : حدثنا جعفر - يعني ابن سليمان - قال : حدثنا أبو التياح قال : قلت لعبد الرحمن بن خنيش وكان كبيراً : أدركت رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، قال : قلت : كيف صنع رسول الله ﷺ ليلة كادته الشياطين ؟ فقال .. وذكر الحديث . وهذا الحديث رجاله ثقات .

كلمات إذا قلتهن طُفئت[1] شعلته وانكب إلى منخره[2] ؟ .

قل : أعوذ بوجه الله الكريم وكلماته التامة التي لا يجاوزهن برٌ ولا فاجرٌ من شر ما ينزل من السماء وما يعرج فيها ، ومن شر ما ذرأ في الأرض وما يخرج منها ، ومن شر فتن الليل ومن شر طوارق الليل والنهار إلا طارق يطرق بخير يا رحمن[3] .

وله من حديث عبد الأعلى بن حماد قال : حدثنا يحيى بن سليم عن ابن خثم عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنه إن الملأ من قريش اجتمعوا في الحجر فتعاقدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، ونائلة وإساف ، لو قد رأينا محمداً لقمنا[4] إليه قيام رجل واحد فلم نفارقه حتى نقتله .

فأقبلت ابنته فاطمة عليها السلام حتى دخلتْ على النبي ﷺ فقالت : هؤلاء الملأ من قومك قد تعاقدوا عليك لو قد رأوك لقاموا إليك فقتلوك ، فليس منهم رجل إلا قد عرف نصيبه من ديتك[5] .

قال : يا بنية ، ائتني بوضوئي[6] ، فتوضأ ثم دخل المسجد ، فلما رأوه قالوا : ها هو ذا ، وخفضوا أبصارهم وسقطت أذقانهم في صدورهم وعقروا[7] في مجالسهم ، فلم[8] يرفعوا إليه أبصارهم[9] ، ولم يقم منهم إليه رجل ، وأقبل رسول الله ﷺ حتى قام على رؤوسهم فأخذ كفاً[10] من تراب فقال : شاهت الوجوه ، ثم حصبهم [بها][11] ، فما أصاب رجل منهم من ذلك الحصى حصاةٌ إلا قُتل يوم بدر [كافراً][11] .

---

(١) في (خ) : « كفيت » . (٢) في (دلائل أبي نعيم) : « لمنخره » .

(٣) هذا الحديث انفرد به أبو نعيم في (الدلائل) : ١ / ١٩٢ ، حديث رقم (١٣٨) وكذا أشار إليه السيوطي في (الخصائص) : ١ / ٣١٣ ، وله شاهد من أحاديث الباب .

(٤) في (خ) : « لقد قمنا » . (٥) في (خ) و (المسند) « من دمك » .

(٦) في (خ) : « بوضوء » .

(٧) في (خ) : « وعرقوا » ، وما أثبتناه من (دلائل أبي نعيم) ، (مسند الإمام أحمد) .

(٨) في (خ) : « ولم » . (٩) في (المسند) : « بصراً » .

(١٠) في (المسند) : « قبضة من تراب » وفي (دلائل أبي نعيم) « حفنة من تراب » .

(١١) زيادة للسياق من (المسند) .

هذا الحديث أخرجه أبو نعيم في (دلائل النبوة) : ١ / ١٩٢ - ١٩٣ ، باب عصمة الله رسوله ﷺ =

وخرج ابن حبان في صحيحه من حديث عبد الأعلى ، وله من حديث يحيى ابن عبد الحميد قال : حدثنا ابن فضيل عن عطاء عن سعيد بن جبير قال : لما نزلت : ﴿ **تبت يدا أبي لهب** ﴾[1] جاءت امرأة أبي لهب[2] إلى النبي ﷺ ومعه أبو بكر رضي الله عنه فقال أبو بكر : يا رسول الله : لو تنحيت عنها لا تسمعك شيئاً يؤذيك ، فإنها امرأة بذيئة ، فقال [ﷺ] : سيحال بيني وبينها ، فلم تره .

فقالت لأبي بكر : هجانا صاحبك ، فقال [أبو بكر][3] : والله ما ينطق بالشعر ولا يقوله ، قالت ، إنك لمصدق ، فاندفعت راجعة فقال أبو بكر : ما رأتك يا رسول الله ؟ قال : كان بيني وبينها ملك يسترني حتى ذهبت[4] .

قال أبو نعيم : كذا رواه ابن فضيل مرسلاً ، ورواه عبد السلام بن حرب وغيره متصلاً عن ابن عباس .

وله من حديث سفيان بن عيينة قال : حدثنا الوليد بن كثير عن ابن تدرس عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت : لما نزلت : ﴿ **تبت يدا أبي لهب** ﴾ أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ولها ولولة ، وبيدها فهر وهي تقول :

مذمماً أبينا * ودينه قلينا * وأمره عصينا

ورسول الله ﷺ جالس في المسجد ومعه أبو بكر رضي الله عنه ، فلما رآها

= حين تعاقد المشركون على قتله ، حديث رقم (١٣٩) . وأخرجه الإمام أحمد في (المسند) : ١ / ٤٩٨ – ٤٩٩ ، حديث رقم (٢٧٥٧) ، ١ / ٦٠٧ ، حديث رقم (٣٤٧٥) ، وأخرجه الحاكم في (المستدرك) : ٣ / ١٧٠ ، كتاب معرفة الصحابة ، حديث رقم (٤٧٤٢ / ٣٤٠) ، عن ابن عباس عن فاطمة رضي الله تعالى عنها قالت : اجتمع مشركو قريش في الحجر ، فقال رسول الله ﷺ : يا بنية اسكني ، ثم خرج فدخل عليهم المسجد فرفعوا رؤوسهم ثم نكسوا ، فأخذ قبضة من تراب فرمى بها نحوهم ثم قال : شاهت الوجوه ، فما أصاب رجلاً منهم إلا قتل يوم بدر .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وفي هامشه : حذفه الذهبي في التلخيص لضعفه .

(١) المسد : ١ . (٢) هي العوراء واسمها أروى بنت حرب بن أمية ، أخت أبي سفيان ، تكنى بأم جميل .

(٣) زيادة للسياق من (دلائل ابي نعيم) .

(٤) أخرجه أبو نعيم في (دلائل النبوة) : ١ / ١٩٣ – ١٩٤ ، حديث رقم (١٤٠) ، والبخاري في كتاب التفسير ، تفسير سورة المسد ، باب (٤) قوله : ﴿ **وامرأته حمالة الحطب** ﴾ ، حديث رقم (٤٩٧٣) (فتح الباري)٨ / ٩٥٧ – ٩٥٨ ، (تفسير ابن كثير) : ٤ / ٦٠٤ عند تفسير سورة المسد ،(الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان) : ١٤ / ٤٤٠ ، كتاب التاريخ ، باب المعجزات ، حديث رقم (٦٥١١) .

أبو بكر قال يا رسول الله قد أقبلت وأنا أخاف أن تراك ، فقال رسول الله ﷺ : إنها لن تراني وقرأ قرآنا فاعتصم به ، كما قال [تعالى][(1)] : ﴿ **وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً** ﴾[(2)] .

فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر ولم تر رسول الله ﷺ ، فقالت : يا أبا بكر ، إني خُبِّرتُ أن صاحبك هجاني ، فقال : لا ورب هذا البيت ما هجاك ، فولّت وهي تقول : قد علمت قريش أني بنت سيدها[(3)] .

قال : وعثرت أم جميل وهي تطوف بالبيت في مرطها [فقالت] : تعس مذمم ، فقالت أم حكيم بنت عبد المطلب : إني حصان فما أكلّم ، وثقاف فما أعلم ، وكلتانا من بني العم ، ثم قريش بعدُ أعلم[(4)] .

وله من حديث إبراهيم بن سعد وبُريد بن أبي حبيب ، وشعيب ومعاوية ويحيى وإبراهيم بن إسماعيل بن مجمع ، وعبيد الله بن زياد ، كلهم عن محمد بن شهاب الزهري عن سنان بن أبي سنان الدُّؤَليّ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة نجد ، فأدركنا القائلة في واد كثير العضاة ، فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من أغصانها .

قال : وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر ، قال : فقال رسول الله ﷺ : إن رجلاً أتاني وأنا نائم فأخذ السيف فاستيقظتُ وهو قائم على رأسي ، فلم أشعر إلا والسيف صلتاً في يده ، فقال : من يمنعك مني ؟ فقلت : الله ، قال : فشام السيف ، ها هو ذا [جَالس][(5)] لم يعرض [له][(5)] رسول الله ﷺ .

---

(1) في (المستدرك) : « كما قال وقرأ » .   (2) الإسراء : ٥٤ .

(3) أخرجه الحاكم في (المستدرك) : ٢ / ٣٩٣ ، كتاب التفسير تفسير سورة بني إسرائيل ، حديث رقم (٣٣٧٦ / ٥١٣) ، وقال في آخره : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الذهبي في التلخيص : (صحيح) ، والحميدي في (المسند) : ١ / ١٥٣ - ١٥٤ ، أحاديث أسماء بن أبي بكر الصديق رضي الله عنها ، حديث رقم (٣٢٣) ، ابن كثير في (التفسير) : تفسير سورة المسد ، ٤ / ٦٠٤ ، والفهر :الحجر ، والولولة : العويل .

(٤) هذه الفقرة ضمن الحديث رقم (٣٢٣) من (مسند الحميدي) ، وأولها : قال : فقال الوليد في حديثه ، أو قال غيره تعثرت ...

(٥) زيادة للسياق من (صحيح مسلم) .

ورواه أبو اليمان قال : حدثنا شعيب عن الزهري ، حدثني سنان[1] بن أبي سنان [الدؤلي][2] وأبو سلمة بن عبد الرحمن ، أن جابر بن عبد الله الأنصاري أخبرهما أنه غزا مع رسول الله ﷺ غزوة قبل نجد ، فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه ، فأدركتهم القائلة يوماً في وادٍ كثير العضاة ، فنزل رسول الله ﷺ تحت ظل [شجرة] فعلق بها سيفه فنمنا تحته كذا ، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا فأجبناه ، فإذا عنده أعرابي جالس فقال رسول الله ﷺ : إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم ، فاستيقظتُ وهو في يده صلتاً فقال : من يمنعك مني ؟ فقلت : الله ، فشام السيف فجلس فسلم بعافية رسول الله ﷺ وقد فعل ذلك[3] .

قال أبو نعيم : ورواه الحسن عن جابر ، ورواه معمر والنعمان بن راشد عن الزهري عن أبي سلمة دون سنان .

ومن حديث شعبة عن أبي إسرائيل عن جعدة قال : شهدت النبي ﷺ وأتى برجل فقيل : يا رسول الله ! هذا أراد أن يقتلك ، فقال له رسول الله ﷺ : لم ترع لم ترع ، لو أردت ذلك لم يسلطك الله على قتلي[4] . وخرجه الإمام أحمد به نحوه .

ولأبي نعيم من حديث عبد الله بن المبارك عن أبي بكر الهذلي ، عن عكرمة

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ١٥ / ٤٩ - ٥٠ ، كتاب الفضائل ، باب (٤) توكله على الله تعالى وعصمة الله تعالى له من الناس ، حديث رقم (٨٤٣) .

(٢) زيادة للسياق من (صحيح مسلم) .

(٣) (المرجع السابق) : حديث رقم (١٤) من أحاديث الباب .
والعضاة : كل شجرة ذات شوك . صلتاً : مسلولاً . شام السيف : غمده ورده في غمده ، فهو من الأضداد ، والمراد هنا : أغمده
وأخرجه أيضاً البخاري في كتاب المغازي ، باب (٣٢) غزوة ذات الرقاع حديث رقم (٤١٣٤) ، (٤١٣٥) ، واسم الرجل : غورث بن الحارث (فتح الباري) : ٧ / ٥٤١ - ٥٤٢ ، والبيهقي في (دلائل النبوة) : ٣ / ٣٧٣ باب عصمة الله عزَّ وجلَّ رسوله ﷺ عما همَّ به غَوْرَثُ بن الحارث من قتله وكيفية صلاة الخوف .

(٤) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ١٩٤ ، حديث رقم (١٤٣) ، (مسند الإمام أحمد) : ٤ / ٥١٤ ، من حديث جعدة رضي الله تعالى عنه ، حديث رقم (١٥٤٤١) ، وأخرجه ابن هشام في (السيرة) : ٤ / ١٥٩ تحت عنوان : غورث يهم بقتل الرسول ﷺ وما نزل فيه من القرآن ، وقال في آخره : فأنزل الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذْ هَمَّ قومٌ أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديَهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنين** ﴾ .

قال : قال شيبة بن عثمان : لمَّا غزا النبي ﷺ حُنيناً تذكرت أبي وعمي قتلهما عليٌّ وحمزة رضي الله عنهما ، فقلت : اليوم أدرك ثأري في محمد ، فجئته من خلفه فدنوت منه ودنوت ، حتى لم يبق إلا أن أسوره بالسيف ، رُفع لي شُواظٌ من نار [كأنه] البرق ، فخفت أن يحبسني ، فنكصتُ القهقري فالتفت النبي ﷺ فقال : تعالى يا شيبة ، قال : فوضع رسول الله ﷺ يده على صدري فاستخرج الله الشيطان من قلبي ، فرفعت إليه بصري وهو أحب إليّ من سمعي وبصري ومن كذا[١] فذكر الحديث .

ومن حديث ابن إسحق عن عمرو بن عبيد عن الحسن عن جابر أن رجلاً من محارب يقال له غورث بن الحرث قال لقومه : أقتل لكم محمداً ، قالوا : كيف تقتله ؟ فقال : أفتك به ، فأقبل إلى رسول الله ﷺ - وهو جالس وسيفه في حجره - فقال : يا محمد ! أَنْظرُ إلى سيفك هذا ؟ قال : نعم ، [وكان محلى بالفضَّة][٢] ، فأخذه فاستله وجعل يهزه ويهم فيكبته الله ، فقال : يا محمد ! ألا تخافني ؟[٣] قال : لا ، وما أخاف منك ، قال : أما تخافني وفي يدي السيف ؟ قال : لا ، يمنعني الله منك ، ثم غمد السيف ورده إلى رسول الله[٤] ﷺ فأنزل الله تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ همَّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون** ﴾[٥]

---

(١) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ١٩٥ ، حديث رقم (١٤٤) ، (الإصابة) : ٣ / ٣٧١ ، وقد أورد هذا الحديث بنحوه ضمن ترجمة شيبة بن عثمان ، وهو الأوقص بن أبي طلحة بن عبد الله بن عبد العزى ابن عبد الدار القرشي العبدري الحَجبيّ ، أبو عثمان ، قال البخاري وغير واحد : له صحبة ، أسلم يوم الفتح ، وكان أبوه ممن قُتل بأحد كافراً ، وكان شيبة ممن ثبت يوم حنين بعد أن كان أراد أن يغتال النبي ﷺ ، فقذف الله تعالى في قلبه الرعب . فوضع النبي ﷺ يده على صدره فثبت الإيمان في قلبه ، وقاتل بين يديه ﷺ . رواه ابن أبي خيثمة عن مصعب النميري ، وذكره ابن إسحاق في (المغازي) بمعناه . (الإصابة) : ٣ / ٣٧١ ، ترجمة رقم (٣٩٤٩) .

أخرجه أيضاً البيهقي في (دلائل النبوة) : ٥ / ١٢٨ ، عن ابن إسحاق والواقدي في (المغازي) : ٣ / ٩١٠ ، وقال فيه : فرفعتُ إليه رأسي وهو أحب إليّ من سمعي وبصري وقلبي ثم قال : يا شيب ، قاتل الكفار ، فقال : فتقدمتُ بين يديه أُحبّ والله أُقيمه بنفسي وبكل شيء ، فلما انهزمت هوازن رجع إلى منزله ، ودخلتُ عليه ﷺ فقال : الحمد لله الذي أراد بك خيراً مما أردتَ ، ثم حدثني بما هممتُ به .

(٢) زيادة للسياق من (ابن هشام) . (٣) في ابن إسحاق : « أما » .

(٤) في (ابن هشام) : « ثم عمد إلى سيف رسول الله ﷺ فرده عليه » .

(٥) المائدة : ١١ ، والحديث في (سيرة ابن هشام) : ٤ / ١٥٩ ، وفي (دلائل أبي نعيم) : ١ / ١٩٥ ، حديث رقم (١٤٥) ، وفيه عمرو بن عبيد ، وهو معتزلي مشهور ، كان داعية إلى بدعة ، اتهمه جماعة مع أنه كان عابداً .

ومن حديث سعيد بن سلمة بن أبي الحسام قال : حدثنا محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه قال : خرج النبي ﷺ إلى سفر فجاء إلى شجرة فقال تحتها وعلق سيفه بها ، فجاء أعرابي فسلّ السيف فقام به على رأسه فقال : يا محمد ! من يمنعك مني ؟ فاستيقظ فقال : الله ، فأخذه راجف فوضع السيف وانطلق[١] .

وخرج الإمام أحمد من حديث عفان قال : حدثنا إبان بن يزيد ، حدثنا يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن جابر قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بذات الرقاع ، وكنا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله ، فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله ﷺ معلق بالشجرة ، فأخذ سيف رسول الله ﷺ فاخترطه ، فقال لرسول الله ﷺ : أتخافني ؟ قال : لا ، قال : فمن يمنعك مني ؟ قال : الله يمنعني منك ، قال : فتهدده أصحاب النبي ﷺ فأغمد السيف وعلقه[٢] .

ولأبي نعيم من حديث آدم بن أبي إياس قال : حدثنا حبان بن علي ، حدثنا سعد بن طريف الإسكاف عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا أراد الحاجة أبعد المشي ، فانطلق ذات يوم لحاجته ثم توضأ ولبس أحد خفيه ، فجاء طائر أخضر ، فأخذ الخف الآخر فارتفع بها ثم ألقاه ، فخرج منه أسود[٣] سالخ ، فقال رسول الله ﷺ : هذه كرامة أكرمني الله بها ، ثم قال : اللهم إني أعوذ بك من شر من يمشي على بطنه ، وشر من يمشي على رجلين ، وشر من يمشي على أربع[٤] .

---

(١) ما قبله وما بعده يشهدان على صحته .

(٢) (مسند أحمد) : ٤ / ٣٣٩ ، حديث رقم (١٤٥١٢) وتمامه : فنودي بالصلاة ، فصلى بطائفة ركعتين وتأخروا ، وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين ، فكانت لرسول الله ﷺ أربع ركعات ، وللقوم ركعتان ، وأخرجه أبو نعيم في (دلائل النبوة) : ١ / ١٩٦ ، حديث رقم (١٤٦) ، وأخرجه الإمام أحمد أيضاً في (المسند) : ٤ / ٢٤٨ ، حديث رقم (٢٣٩٢٥) من حديث جابر أيضاً لكن بسياقة أخرى .

(٣) السالخ : الأسود من الحيّات شديد السّواد ، وأقْتَل ما يكون من الحيات إذا سلخت جلدها . (لسان العرب) : ٣ / ٢٥ .

(٤) أخرجه أبو نعيم في (دلائل النبوة) : ١ / ١٩٨ ، حديث رقم (١٥٠) ، والسيوطي في (الخصائص الكبرى) : ٢ / ٢٧٧ ، وابن كثير في (البداية والنهاية) : ٦ / ١٦٧ عن البيهقي من طريق أخرى غير طريق أبي نعيم عن عكرمة عن ابن عباس أيضاً ، وانتهى حديثه عن قوله ﷺ : « على بطنه » .

ومن حديث اسماعيل بن عباس عن شرحبيل بن مسلم عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : دعا رسول الله ﷺ بخفيه يلبسهما ، فلبس أحدهما ثم جاء غراب فاحتمل الآخر فرمى به ، فخرجت منه حية ، فقال رسول الله ﷺ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما[1] .

ومن حديث المعتمر بن سليمان عن أبيه ، أن رجلاً من بني مخزوم قام إلى النبي ﷺ وفي يده فهر ليرمي به رسول الله ، فلما أتاه وهو ساجد رفع يده وفيها الفهر ليدفع رسول الله ﷺ فيبست يده على الحجر فلم يستطع إرسال الفهر من يده .

فرجع إلى أصحابه فقالوا : أَجَبِنْتَ عن الرجل ؟ قال : لم أفعل ، ولكن هذا في يدي لا أستطيع إرساله ، فعجبوا من ذلك ، فوجدوا أصابعه قد يبست على الفهر ، فعالجوا أصابعه حتى خلصوها ، وقالوا : هذا شيء يراد[2] .

ومن حديث علي بن عبيد عن النضر [بن عبد الرحمن أبي][3] أبي عمرو الخزاز ، عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ يقرأ في المسجد فيجهر بالقراءة حتى تأذّى به ناس من قريش حتى قاموا ليأخذوه ، فإذا أيديهم مجموعةٌ إلى أعناقهم ، وإذا هم عمي لايبصرون .

فجاءوا إلى النبي ﷺ فقالوا : ننشدك الله والرَّحِم يا محمد ، قال : ولم يكن بطن من بطون قريش إلا وللنبي ﷺ فيهم قرابة – فدعا النبي ﷺ حتى ذهب ذلك عنهم فنزلت ﴿ **يس * والقرآن الحكيم * إنك لمن المرسلين** ﴾[4] إلى قوله : ﴿ **وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون** ﴾[5] ، قال : فلم يؤمن من أولئك النفر أحد[6] .

ومن حديث أبي شيبة الواسطي عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس رضي الله عنه أن رجلاً من آل المغيرة قال : لأقتلن محمداً فأوثب فرسه في الخندق ، فوقع فاندقت رقبته وقالوا : يا محمد ، ادفعه إلينا نواريهُ وندفع إليك ديته ، فقال : ذروه ، فإنه خبيث ، خبيث الدية .

---

(١) (كنز العمال) : ١٥ / ٤١٠ – ٤١١ ، حديث رقم (٤١٦١٢) وعزاه إلى الطبراني عن أبي أمامة .

(٢) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ١٩٩ ، حديث رقم (١٥٢) ، انفرد به أبو نعيم كما في (الخصائص) : ١ / ٣٢٠ ، وهو مرسل .

(٣) زيادة للنسب من (دلائل أبي نعيم) ، (تهذيب التهذيب) .

(٤) يس : ١ – ٣ .   (٥) يس : ١٠ .

(٦) انفرد به أبو نعيم في (دلائل النبوة) ١ / ١٩٩ – ٢٠٠ ، حديث رقم (١٥٣) ، وفيه النضر بن عبد الرحمن أبو عمر ، وهو متروك .

ومن حديث ابن إسحق قال : وحدثني الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس والحسن بن عمارة ، عن الحكم بن عيينة عن مجاهد عن ابن عباس قال : لما عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد كانت له شيعة وأصحاب من غير بلدهم ، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم ، عرفوا أنهم قد نزلوا داراً أصابوا منهم مَنَعةً ، فحذروا خروج رسول الله ﷺ إليهم وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم ، فاجتمعوا له في دار الندوة – وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً [إلا] فيها ، يتشاورون ما يصنعون في أمر رسول الله ﷺ حين خافوه .

فلما اجتمعوا لذلك في ذلك اليوم[١] الذي اتعدوا له ، وكان ذلك اليوم يسمى الزحمة ، اعترض لهم إبليس في هيئة [رجل][٢] شيخ جليل عليه بَتٌّ له ، فوقف على باب الدار فلما رأوه واقفاً على بابهم قالوا : من الشيخ ؟ قال : شيخ من أهل نجد سمع بالذي اتعدتم [له][٢] فحضر معكم ليسمع ما تقولون ، وعسى أن لا يُعدمكم منه رأي ونصح ، قالوا : أجل ، فادخل فدخل معهم .

فذكر الحديث إلى [أن] قال : اجتمعوا له وفيهم أبو جهل ، فخرج رسول الله ﷺ وأخذ حفنة من تراب في يده ، قال : وأخذ الله على أبصارهم فلا يرونه ، فجعل ينثر ذلك التراب على رءوسهم وهو يتلو هذه الآيات : ﴿ **يٰس * والقرآن الحكيم** ﴾[٣] إلى قوله : ﴿ **فأغشيناهم فهم لا يبصرون** ﴾[٤] ، حتى فرغ من هؤلاء فلم يبق رجل إلا وضع على رأسه تراباً ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب .

فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال : ما ينتظر هؤلاء ؟؟ قالوا : محمداً ، قال : خيبكم الله !! قد والله خرج عليكم محمد ، ثم ما ترك منكم رجلا إلا وضع على رأسه تراباً وانطلق لحاجته ، أفلا ترون ما بكم ؟ فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب[٥] ، الحديث ، وسيأتي مبسوطاً في ذكر خروج رسول الله ﷺ من مكة وهجرته إلى المدينة ونزوله على الأنصار .

وقال الواقدي : حدثني قدامة بن موسى عن عبد العزيز بن رمانة عن عروة

---

(١) في (خ) : « فلما اجتمعوا في ذلك لذلك اليوم » ، وما أثبتناه (دلائل أبي نعيم) .

(٢) زيادة للسياق من المرجع السابق. (٣) يٰس : ١ – ٢ . (٤) يس : ٩ .

(٥) هذا الحديث جزء من حديث طويل ذكره أبو نعيم في (دلائل النبوة) : ١ / ٢٠١ – ٢٠٤ ، حديث رقم (١٥٤) ، وأخرجه أيضاً ابن سعد في (الطبقات) : ١ / ٢٢٧ – ٢٢٨ .

ابن الزبير قال : كان النضر بن الحرث يؤذي رسول الله ﷺ ويتعرض له ، فخرج رسول الله ﷺ يوماً يريد حاجته نصف النهار وفي حر شديد ، فبلغ أسفل ثنية الحجون(١) ، فرآه النضر بن الحرث فقال : لا أجده أبداً أخلا منه الساعة فأغتاله .

قال : فدنى إلى رسول الله ﷺ ثم انصرف راجعاً مرعوباً إلى منزله ، فلقى أبا جهل(٢) فقال : من أين الآن ؟ قال النضر : اتبعت محمداً رجاء أن أغتاله وهو وحده ليس معه أحد ، فإذا أساود(٣) تضرب بأنيابها على رأسه ، فاتحة أفواهها فهالتني ، فذعرت منها ووليت راجعاً ، فقال أبو جهل : هذا بعض سحره(٤) .

وقال محمد بن إسحق عن بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه ، أن عتبة وشيبة وأبا سفيان بن [حرب] ، والنضر بن الحرث ، وأبا البختري والأسود بن عبد المطلب ، وزمعة بن الأسود ، والوليد بن المغيرة ، وأبا جهل بن هشام ، وعبد الله بن أمية ، وأمية بن خلف ، والعاص بن وائل ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج ، اجتمعوا ومن اجتمع منهم بعد غروب الشمس على ظهر الكعبة فقال بعضهم [إلى بعض](٥) :ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تُعذروا فيه .

فبعثوا إليه : إن أشراف قومك قد اجتمعوا إليك ليكلموك ، قال : فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً وهو يظن أن قد بدا لقومه في أمره بداء ، وكان عليهم حريصاً يحب رشدهم ، ويعز عليه عنتهم ، وذكر القصة .

فلما قام عنهم رسول الله ﷺ قال أبو جهل يا معشر قريش ! إن محمداً قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا ، وشتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وسب آلهتنا ، وإني أعاهد الله لأجلسَّن له غداً بحجر ما أطيق حمله – أو كما قال – فإذا سجد [في صلاته](٥) رضخت به رأسه ، فأسلموني عند ذلك أو امنعوني ، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم .

---

(١) الحجون : جبل بأعلى مكة .
(٢) في (دلائل أبي نعيم) : « فلقيه أبو جهل فقال : » .
(٣) أساود : أشباح .
(٤) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ٢٠٤ – ٢٠٥ ، حديث رقم (١٥٥) ، وفيه الواقدي ، وهو متروك ، وهو حديث مرسل ، لأنه عروة بن الزبير من التابعين .
(٥) زيادة للسياق من (دلائل أبي نعيم) .

قالوا : والله لا نسلمك لشيء أبداً ، فامض لما تريد ، فلما أصبح أبو جهل أخذ حجراً كما وصف ، وجلس لرسول الله ﷺ ينتظره ، وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدو ، وكان رسول الله ﷺ بمكة وقبلته إلى الشام ، فكان إذا صلى صلى بين الركنين اليماني والأسود ، وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، فقام رسول الله ﷺ وقد قعدت قريش في أنديتها ينتظرون ما أبو جهل فاعل ، فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه ، حتى إذا دنا منه رجع منهزماً منتقعاً لونه ، مرعوباً ، قد يبست يداه على الحجر ، فقذف الحجر من يده .

وقامت إليه رجال قريش فقالوا : مالك يا أبا الحكم ؟! قال : قمت إليه لأفعل ما قلت لكم البارحة ، فلما دنوت منه عرض دونه فحل من الإبل ! لا والله ما رأيت مثل هامته ولا قُصرته[1] ولا أنيابه لفحل قط ، فهم بأن يأكلني ، فَذُكر لي أن رسول الله ﷺ قال : ذاك جبريل ، لو دنا منه لأخذه . فلما قال لهم أبو جهل ذلك ، قام النضر بن الحرث فقال : يا معشر قريش ! إنه والله لقد نزل بكم أمر ما ابتليتم بمثله قط[2] .

ولأبي نعيم من حديث إبراهيم بن المنذر الحزامي قال : حدثنا بن عمران قال : حدثني عبد الله وعبد الرحمن ابنا زيد بن أسلم عن أبيهما ، عن عطاء بن يسار عن ابن عباس ، أن أربد بن قيس بن جزء بن جعفر بن خالد بن كلاب ، وعامر بن الطفيل بن مالك قدما المدينة على رسول الله ﷺ ، فانتهيا إلى النبي ﷺ وهو جالس فجلسا بين يديه ، فقال عامر بن الطفيل : يا محمد ! ما تجعل لي إن أسلمت ؟ قال رسول الله ﷺ : لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم ، قال عامر : أتجعل لي الأمر إن أسلمت من بعدك ؟ فقال رسول الله ﷺ : ليس ذلك لك ولا لقومك ولكن لك أعنة الخيل ، قال : أنا الآن في أعنة خيل نجد ، اجعل لي الوبر ولك المدر[3] ، قال [رسول الله ﷺ][4] : لا ، فلما قفا من عند رسول الله ﷺ قال [عامر][4] : أما والله لأملأنها عليك خيلاً ورجالاً ، فقال

---

(١) قُصرته : أصل عنقه .

(٢) أخرجه أبو نعيم في (الدلائل) : ١ / ٢٠٥ - ٢٠٦ ، حديث رقم (١٥٦) ، وابن إسحاق في (السيرة) : ١ / ٢٩٤ ، والسيوطي في (الخصائص الكبرى) : ١ / ٣١٠ ، ورجاله كلهم ثقات إلا أنه منقطع ، (هامش ٢٠٥ من دلائل أبي نعيم) .

(٣) الوبر : كناية عن أمر البادية ، والمدر : كناية عن الحاضرة .

(٤) زيادة للسياق .

النبي ﷺ يمنعك الله ، فلما خرج أربد وعامر ، قال عامر : إني أشغل عنك محمداً بالحديث فاضربه بالسيف ، فإن الناس إذا قتلت محمداً لم يزيدوا على أن يرضوا بالدية ويكرهوا الحرب ، فسنعطيهم الدية ، قال أربد : أفعل .

فأقبلا راجعين إلى النبي ﷺ ، فقال عامر : يا محمد ! قم معي أكلمك ، فقام معه رسول الله ﷺ يكلمه ، وسلَّ أربدُ السيفَ فلما وضع يده على سيفه يبست على قائم السيف فلم يستطع سلّه ، وأبطأ أربد على عامر بالضرب ، فلتفت رسول الله ﷺ فرأى أربد وما يصنع فانصرف عنهما .

فلما خرج عامر وأربد من عند رسول الله ﷺ حتى إذا كانا بالحرة - حرة واقم[1] - نزلا فخرج إليهما سعد بن معاذ وأسيد بن حضير فقالا : اشخصا يا عدوي الله ، لعنكما الله ، فقال عامر : من هذا يا سعد ؟ قال : هذا أسيد بن حضير الكتائب ، [قال][2] فخرجا حتى إذا كانا بالرقم[3] أرسل الله على أربد صاعقة فقتلته .

وخرج عامر حتى إذا كان بالخريب أرسل الله عليه قرحة فأخذته ، فأدركه الليل في بيت امرأة من بني سلول يرغب أن يموت في بيتها ثم ركب فرسه فأحضره حتى مات عليه راجعاً ، فأنزل الله فيهما : ﴿ **الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام** ﴾[4] إلى قوله : ﴿ **وما لهم من دون الله من وال** ﴾[5] ، قال : المعقبات من أمر الله : يحفظون محمداً ﷺ ثم ذكر أربد وما هم به فقال : ﴿ **هو الذي يريكم البرق** ﴾[6] الآية إلى قوله : ﴿ **وهو شديد المحال** ﴾[7] .

قال الواقدي : حدثني عبد الحميد بن جعفر عن يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال : قدم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس على رسول الله ﷺ وقد توافقا على ما توافقا عليه من الغدر برسول الله ﷺ ، فلما قدما قال عامر : خالني ، فقال رسول الله ﷺ : يأبى الله ذلك ، وأبنا قتله ، فلما ولى عامر قال رسول الله ﷺ : اللهم اكفني عامر بن الطفيل .

---

(١) حرة واقم : إحدى قرى المدينة المنورة . (٢) زيادة للسياق . (٣) الرقم : موضع بالمدينة المنورة .
(٤) الرعد : ٨ . (٥) الرعد : ١١ . (٦) الرعد : ١٢ .
(٧) الرعد : ١٣ . والحديث ذكر أبو نعيم في (دلائل النبوة) : ١ / ١٠٧ - ١٠٨ ، حديث رقم (١٥٧) بزيادة ونقصان ، لكن رواية (خ) أتم ، وفيه عبد العزيز بن عمران وهو متروك ، وأخرجه ابن هشام في (السيرة) بدون إسناد ، والبخاري في صحيحه ، كتاب المغازي - باب غزوة الرجيع .

فلما خرجا قال عامر لأربد : أين ما كت أوصيتك ووعدتني ؟ قال : والله ما كان على الأرض أحد أخوف عندي [على نفسي][1] منك ، وأيم الله لا أخافك بعد اليوم ، قال أربد : لا أباً لك ، لا تعجل فوالله ما هممت بالذي أمرتني به من أمره إلا دخلت[2] بيني وبينه ، حتى لو ضربته بالسيف ما ضربت غيرك ، فترى أني كنت ضاربك ، لا أباً لك ! .

قال : فخرجا راجعين إلى بلادهما ، حتى إذا كانا ببعض الطريق أصاب عامر الطاعون في عنقه فقتله في بيت امرأة من سلول ، ثم خرج أربد ومن معه من أصحابه حين رأوا عامراً قد مات ، فقدموا أرض بني عامر فقالت بنو عامر : يا أربد ! ما وراءك ؟ قال : لا شيء ، والله لقد دعاني إلى عبادة شيء ليته الآن عندي فأرميه بمثل هذه - وأشار إلى مكان قريب - حتى أقبله ، فخرج أربد بعد ذلك بيوم أو يومين معه جمل له يتبعه ، فأرسل الله صاعقة فاحترق هو وجمله ، فبكاه لبيد فقال : أخشى على أربد الحتوف ولا .. القصيدة ، وذكر القصة أيضا باختصار ، وذكرها ابن إسحق مطولة[3] .

ومن حديث الليث بن سعد عن إسحق بن عبد الله بن أبي فروة ، عن إبان ابن صالح عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال : كنت يوماً في المسجد فأقبل أبو جهل فقال : لله عليّ إن رأيت محمداً ساجداً أن أطأ على رقبته ، فخرجت على رسول الله ﷺ فأخبرته بقول أبي جهل ، فخرج غضباناً حتى جاء المسجد ، وعجل أن يدخل من البآب ، فاقتحم الحائط فقلت : هذا شر ! فائتزرت ثم اتبعته .

---

(١) زيادة للسياق من (ابن هشام) .

(٢) في (خ) : « إلاّ حُلت » ، وما أثبتناه من (ابن هشام) .

(٣) (سيرة ابن هشام) : ٥ / ٢٦٠ - ٢٦٦ ، قصة عامر بن الطفيل ، وأربد بن قيس في الوفادة على بني عامر ، وذكر شعراً كثيراً في بكاء لبيد أربد منه :

ما إن تُعدِّى المنون من أحد ... لا والِدِ مشفق ولا ولدِ
أخشي على أربدَ الحتوف ولا ... أرهب نوْءَ السِّماك والأسدِ
فعينِ هلا بكيت أربد إذ ... قمنا وقام النساءُ في كَبَدَ

وأخرجه البخاري في (الصحيح) ، حديث رقم (٤٠٩١) ، أنظر (فتح الباري) : ٧ / ٤٩٠ - ٤٩١ - كتاب المغازي باب (٢٩) غزوة الرجيع .

فدخل يقرأ : ﴿ **إقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق** ﴾[1] ، فلما بلغ شأن أبي جهل : ﴿ **كلا إنَّ الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى** ﴾[2] ، قال إنسان لأبي جهل : هذا محمد ، فقال [أبو جهل] : ما ترون ما أرى ! والله لقد سُدَّ أفق السماء عليّ ، فلما بلغ النبي ﷺ آخر السورة سجد[3] .

ومن حديث محمد بن عثمان عن أبي شيبة قال : حدثنا ضرار بن صرد ، حدثنا معتمر بن سليمان قال : سمعت أبي يذكر عن نعيم بن أبي هند عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال أبو جهل : أيعفر محمد وجهه بين أظهركم ؟ قالوا : نعم ، قال : والله لئن رأيته يفعل لأطأن رقبته ، ولأعفرن وجهه في التراب .

فأتاه وهو يصلي ليطأ على رقبته ، فما علم به إلا وهو ينكص على عقبيه ويرجع إلى خلفه ويتقي بيده ، فقيل له : مالك ؟ قال : رأيت بيني وبينه خندقاً من نار وهولاً ، ورأيت ملائكة ذوي أجنحة ، فقال رسول الله ﷺ : أما لودنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً ، وأنزل الله تعالى : ﴿ **كلا إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى** ﴾[4] ، إلى قوله : ﴿ **إن كذب وتولى** ﴾[5] يعني أبا جهل ﴿ **فليدع ناديه** ﴾[6] : قومه ﴿ **سندع الزبانية** ﴾[7] : الملائكة[8] . وقد رويت من طرق عن ابن عباس[8] .

وقال الزبير بن بكار : حدثنا أبو يحيى هارون وخرج الترمذي من حديث عبد الرزاق عن معمر عن عبد الكريم الجزري عن عكرمة عن ابن عباس : ﴿ **سندع الزبانية** ﴾[7] ، قال : قال أبو جهل : لئن رأيت محمداً يصلي لأطأن على عنقه ، فقال النبي ﷺ : لو فعل لأخذته الملائكة عيانا[9] . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب صحيح .

---

(١) العلق : ١ - ٢ . (٢) العلق : ٦ - ٧ .

(٣) (فتح الباري) : ٨ / ٩٣٨ ، كتاب التفسير ، باب (٤) ﴿ **كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية * ناصية كاذبة خاطئة** ﴾ حديث رقم (٤٩٥٨) ، (دلائل البيهقي) : ٢ / ١٩١ .

(٤) العلق : ٦ - ٧ . (٥) العلق : ١٣ . (٦) العلق : ١٧ . (٧) العلق : ١٨ .

(٨) أخرجه مسلم في (الصحيح) ، كتاب صفة القيامة ، باب ﴿ **إن الإنسان ليطغى** ﴾ ، والبخاري في (الصحيح) ، كتاب التفسير ، باب ﴿ **كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية * ناصية كاذبة خاطئة** ﴾ ، حديث رقم (٤٩٥٨) ، وأبو نعيم في (دلائل النبوة) : ١ / ٢٠٨ ، حديث رقم (١٨٥) ، وابن كثير في (التفسير) : ٤ / ٥٦٥ ، في تفسير سورة العلق ، والبيهقي في (الدلائل) : ٢ / ١٨٩٩ .

(٩) (صحيح الترمذي) : ٣ / ١٣٢ ، حديث رقم (٢٦٦٧ - ٣٥٨٦) .

وقال الزبير بن بكار : حدثنا أبو يحيى هارون بن عبد الله الزبيري عن عبد الله بن سلمة عن عبد الله بن عروة بن الزبير عن أبيه عروة بن الزبير قال : حدثني عمرو بن عثمان بن عفان عن أبيه عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : أكثر ما نالت قريش من رسول الله ﷺ أني رأيته يوماً – قال عمرو : ورأيت عيني عثمان ذرفتا حين ذكر ذلك .

قال عثمان : كان رسول الله ﷺ – يطوف بالبيت ويده في يد أبي بكر رضي الله عنه ، وفي الحجر ثلاثة جلوس : عتبة بن أبي معيط ، وأبو جهل ، وأمية بن خلف ، فمر رسول الله ﷺ فلما حاذاهم أسمعوه بعض ما يكره ، فعرف ذلك في وجه رسول الله ﷺ ، فدنوت منه حتى وسطته ، فكان بيني وبين أبي بكر وأدخل أصابعه في أصابعي حتى طفنا جميعاً ، فلما حاذاهم قالوا : والله ما نصالحك ما بلّ بَحْرٌ صوفةً وأنت تنهانا أن نعبد ما كان يعبد آباؤنا .

فقال لهم رسول الله ﷺ إنا على ذلك ، ثم مضى، فصنعوا به في الشوط الثالث مثل ذلك ، حتى إذا كان في الشوط الرابع ناهضوه ووثب أبو جهل يريد أن يأخذ بمجمع ثوبه فدفعتُه في صدره فوقع على استه ، ودفع أبو بكر أمية بن خلف ، ودفع رسول الله ﷺ عقبة بن أبي معيط ثم انفرجوا عن رسول الله وهو واقف ، ثم قال لهم : أما والله لا تنتهون حتى يحلكم الله عقابه عاجلاً .

قال عثمان رضي الله عنه : فوالله ما منهم رجل إلا وقد أخذه أَفْكَلٌ وهو يرتعد ، فجعل رسول الله ﷺ يقول : بئس أنتم لنبيكم ، ثم انصرف إلى بيته وتبعناه فقال : أبشروا فإن الله مظهر دينه ومتم كلمته وناصر نبيه ، إن هؤلاء الذين ترون ممن يذبح الله بأيديكم عاجلاً ، ثم انصرفنا إلى بيوتنا ، قال : فوالله لقد رأيتهم ذبحهم الله بأيدينا(1).

ومن حديث علي بن مسهر وعبد الأعلى بن عبد الأعلى قالا : حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة ، عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : ما رأيت قريشاً أرادوا قَتْل النبي ﷺ [إلا](2) يوم(3) ائتمروا به وهم جلوس في ظل الكعبة ،

---

(1) (مغازي الواقدي) : ١ / ١١٢ ، (الجامع الكبير المخطوط) : ٢ / ١٦ .

(2) زيادة للسياق من (دلائل أبي نعيم) .

(3) في (خ) وابن حبان : « يوماً » ، وما أثبتناه من المرجع السابق ، وهو حق اللغة .

ورسول الله ﷺ يصلي عند المقام ، فقام إليه عقبة بن أبي معيط فجعل رداءه في عنقه ثم جذبه حتى وجب لركبتيه ساقطاً ، وتصايح الناس فظنوا أنه مقتول ، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه يشتد حتى أخذ بضبعي[1] رسول الله من ورائه وهو يقول : أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ؟ ثم انصرفوا عن النبي ﷺ ، فقام فصلى .

فلما قضى صلاته مر بهم وهم جلوس في ظل الكعبة فقال : يا معشر قريش ! أما والذي نفسي بيده ما أُرسلت إليكم إلا بالذبح - وأشار بيده إلى حلقه - فقال أبو جهل : يا محمد ، ما كنت جهولاً ، فقال له رسول الله ﷺ : أنت منهم .

قال أبو نعيم : ورواه سليمان بن بلال عن هشام بن عروة عن أبيه عن عمرو ابن العاص نحوه ، ورواه محمد بن إسحق عن يحيى بن عروة بن الزبير عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص نحوه وقال : يا معشر قريش ! أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح .

قال : فأخذت القوم كلهم كلمته حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طير واقع ، حتى إنّ اشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفأه[2] بأحسن ما يجد من القول حتى إنه ليقول : انصرف [يا][3] أبا القاسم راشداً ، فوالله ما كنت جهولاً[4] .

ومن حديث داود بن أبي هند عن قيس بن حَبْتر قال : قالت ابنة الحكم : قلت لجدي الحكم : ما رأيت قوماً أعجز منكم ولا أسوأ رأياً يا بني أمية في رسول الله ﷺ ، قال : لا تلومينا يا بنية ، إني لا أحدثك إلا ما رأيت بعيني هاتين ، قلنا : والله لا نزال نسمع قريشاً تعلى أصواتها على رسول الله ﷺ في هذا المسجد ، تواعدوا له حتى يأخذوه .

---

(١) الضبْع : ما بين الأبط إلى نصف الفخذ . (٢) رفأ فلاناً : أزال فزعه وسكنه من الرعب ونحوه .

(٣) زيادة للسياق من المرجع السابق .

(٤) أخرجه أبو نعيم في (دلائل النبوة) : ١ / ٢٠٨ - ٢٠٩ ، حديث رقم (١٥٩) من طريقين : عن عبد الأعلى بن عبد الأعلى ، عن محمد بن عمرو بن العاص بهذا الإسناد ، (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان) : ١٤ / ٥٢٩ ، كتاب التاريخ ، باب كتب النبي ﷺ ، فصل ذكر جعل المشركين رداء المصطفى ﷺ في عنقه عند تبليغه إياهم رسالة ربه جلّ وعلا ، حديث رقم (٦٥٦٩) .

قال: فتواعدنا فجئنا إليه لنأخذه فسمعنا صوتاً ما ظننا أنه بقي جبل بتهامة إلا تفتت .

قال : فغشي علينا فما عقلنا حتى قضى صلاته ورجع إلى أهله ، ثم تواعدنا له ليلة أخرى ، فلما جاء نهضنا إليه فجاء الصفا والمروة حتى التقتا [إحداهما] بالأخرى فحالتا بيننا وبينه ، فوالله ما نفعنا ذلك حتى رزقنا الله الإسلام وأذن لنا فيه .

ومن حديث محمد بن إسحق عن عبد الله بن عبد الملك بن أبي سفيان الثقفي - وكان راعية - قال : قدم رجل من إراش[1] بإبلٍ له مكة ، فابتاعها أبو جهل بن هشام فمطله بأثمانها ، وأقبل الإراشي حتى وقف على نادٍ من قريش - ورسول الله ﷺ جالس في ناحية المسجد - فقال : يا معشر قريش ! من رجل يعينني على أبي الحكم بن هشام ، فإني رجل غريب ابن سبيل ، وقد غلبني على حقي ، قال : فقال أهل المجلس : ترى ذلك الرجل ؟ - لرسول الله وهم يهزءون به لما يعلمون بينه وبين أبي جهل من العداوة - اذهب إليه فهو يعينك عليه .

فأقبل الإراشّي حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال : يا عبد الله ، إن أبا الحكم بن هشام قد غلبني على حق لي قبله ، وأنا غريب ابن سبيل ، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يعينني عليه يأخذ لي حقي منه ، فأشاروا لي إليك ، فخذ لي حقي منه رحمك الله .

قال : انطلق إليه ، وقام رسول الله ﷺ معه ، فلما رأوه قام معه قالوا لرجل ممن كان معهم : اتبعه وانظر ماذا يصنع .

قال : وخرج رسول الله حتى جاءه فضرب عليه بابه فقال : من هذا ؟ قال : محمد ، فَاخْرُجْ إليّ ، فخرج إليه وما في وجهه رائحة كذا قد انتقع لونه ، فقال

---

(١) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ٢٠٩ - ٢١٠ ، باب دعاؤه ﷺ على مشيخة قريش ، حديث رقم (١٦٠) ، قال الهيثمي في (مجمع الزوائد) : ٨ / ٢٢٧ : وأخرجه الطبراني ورجاله ثقات ، غير ابنة الحكم و لم أعرفها . وقال السيوطي في (الخصائص الكبرى) : ١ / ٣٢١ : أخرجه الطبراني وابن منك .

(٢) قال الشيخ طه عبد الرؤف سعد في تعليقاته على (سيرة ابن هشام) : هو ابن الغوث أو ابن عمرو ابن الغوث بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ، وهو والد أنمار ولد بجيلة وخثعم . قال ابن هشام : ويقال إراشة . وإراشة : بطن من خثعم ، وإراشة مذكورة في العماليق ، في نسب فرعون صاحب مصر ، وفي بلى أيضاً : بنو إراشة .

له : أعط هذا الرجل حقه ، قال : نعم ، لا تبرح حتى أعطيه الذي له ، فدخل فخرج إليه بحقه فدفعه إليه ، ثم انصرف رسول الله ﷺ وقال للإراشيّ : ألحق بشأنك .

فأقبل الإراشيّ حتى وقف على ذلك المجلس فقال : جزاه الله خيراً ، فقد والله أخذ لي الذي لي . قال : وجاء الرجل الذي بعثوا معه فقالوا : ويحك ! ماذا رأيت .

قال : رأيت عجباً من العجب ، والله إن هو إلا أن ضرب عليه بابه فخرج إليه وما معه روحه فقال : أعط هذا حقه ، قال نعم ، لا تبرح حتى أخرج إليه حقه ، فدخل ، فخرج إليه بحقه فأعطاه إياه .

قال : ثم لم يلبثوا أن جاءهم أبو جهل فقالوا له : ويلك ! مالك ؟ والله ما رأينا مثل ما صنعت ، فقال : ويحكم ! إن هو إلا أن ضرب عليّ بابي وسمعت صوته فملئت منه رعباً ثم خرجت إليه وإن فوق رأسه لفحلاً من الإبل ، ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط ، والله لو أبيت لأكلني[1] .

ورواه أبو يزيد المدني وأبو قزعة الباهلي ، أن رجلاً كان له على أبي جهل دين فلم يعطه [له] ، فقيل له : ألا ندلك على من يستخرج لك حقك ؟ قال : بلى ، قالوا : عليك بمحمد بن عبد الله ، فأتاه فجاء معه إلى أبي جهل فقال : أعط حقه ، قال : نعم ، فدخل البيت فأخرج دراهمه فأعطاه إياه ، فقالوا لأبي جهل : فرقت من محمد كل هذا ؟ قال : والذي نفسي بيده لقد رأيت معه رجالاً معهم حراب تلألأ .

وقال أبو قزعة في حديثه : حراباً تلمع ، لو لم أعطه لخفت أن تنفخ بها بطني . ورواه ابن حبان عن الحسن بن محمد قال : قال أبو زرعة الرازي عن شيبان بن فروح وقال : حدثنا سلام بن مسكين ، حدثنا أبو يزيد المدني وأبو قزعة مثله وقد تقدم قوله ﷺ : ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم ؟ يشتمون

---

(١) (دلائل النبوة لأبي نعيم) : ١ / ٢١٠ - ٢١٢ ، باب ذكر خبر آخر فيما الله تعالى حجّ به أمر نبيه ﷺ لما كلم أبا جهل أن يؤدي غريمه حقه لما تقاعد به ، حديث رقم (١٦١) ، (سيرة ابن هشام) : ٢ / ٢٣٣ - ٢٣٥ ، باب أبو جهل والاراشي ، (دلائل النبوة للبيهقي) : ٢ / ١٩٢ - ١٩٤ .

مذمماً ويلعنون مذمماً ، وأنا محمداً[1] !

* * *

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب ، باب (١٧) ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ ، وقول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** ﴾ [الفتح : ٢٩] ، وقوله تعالى : ﴿ **من بعدي اسمه أحمد** ﴾ [الصف : ٦] ، حديث رقم (٣٥٣٣) ، قال الحافظ في (الفتح) : قوله ﷺ : « يشتمون مذمماً » ، كان الكفار من قريش من شدة كراهتهم في النبي ﷺ ، لا يسمونه باسمه الدال على المدح ، فيعدلون إلى ضده ، فيقولون : مذمم ، وإذا ذكروه بسوء قالوا : فعل الله بمذمم ، ومذمم ليس الإسم الدال على المدح ، فيعدلون إلى ذكر ضده فيقولون : مذمم ، وإذا ذكروه بسوء قالوا : فعل الله بمذمم ، ومذمم ليس هو اسمه ، ولا يعرف به ، فكان الذي يقع منهم في ذلك مصروفاً إلى غيره . قال ابن التين : استدل بهذا الحديث من أسقط حدّ القذف بالتعريض ، وهم الأكثر خلافاً لمالك ، وأجاب بأنه لم يقع في الحديث أنه لا شيء عليهم في ذلك ، بل الواقع أنهم عوقبوا على ذلك بالقتل وغيره . (فتح الباري) : ٦ / ٦٨٨ - ٦٩٢ . وأخرجه أيضاً أبو نعيم في (دلائل النبوة) : ١ / ١٩٤ ، باب عصمة الله رسوله ﷺ حين تعاقد المشركون على قتله ، حديث رقم (١٤٢) .

فصل في ذكر حراسة السماء من استراق الشياطين السمع[1] عند بعثة رسول الله ﷺ برسالات الله تعالى لعباده

خرج الائمة من حديث أبي عوانة عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه قال : ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن وما رآهم ، انطلق رسول الله في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خير السماء ، وأرسل عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا : ما لكم ؟ قالوا : حيل بيننا وبين السماء ، وأرسلت علينا الشهب ، قالوا : ما ذاك إلا من أمر حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن استمعوا له ، فقالوا : هذا والله الذي خال بينكم وبين خبر السماء . الحديث خرجه البخاري . وسيأتي في إسلام الجن[2] .

وخرج أبو نعيم من جديث إسرائيل عن أبي إسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان الجن يصعدون إلى السماء يستمعون الوحي ، فإذا سمعوا الكلمة زادوا تسعاً ، فأما الكلمة فتكون حقاً ، وأما ما زادوا فتكون باطلاً ، فلما بُعث النبي ﷺ منعوا مقاعدهم ، فذكر ذلك لإبليس – ولم يكن النجوم يرمى بها قبل ذلك – فقال لهم إبليس : هذا لأمر قد حدث في الأرض ، فبعث جنوده ، فوجدوا رسول الله ﷺ قائماً يصلي بين جبلين ، فأتوه فأخبروه فقال : هذا الأمر الذي قد حدث في الأرض[3] .

---

(١) قال تعالى ، حكاية عن الجن : ﴿ **وأنّا لمسنا السماء** ﴾ : أصل اللمس المسّ ، ثم استعير للتطلب ، والمعنى : طلبنا بلوغ السماء لاستماع كلام أهلها ، فوجدناها مُلئت .

وقوله : ﴿ **فوجدناها ملئت** ﴾ : يدل على أنها كانت قبل ذلك يطرقون السماء ولا يجدونها قد ملئت . ﴿ **مقاعد** ﴾ جمع مقعد ، وقد فسَّر رسول الله ﷺ صورة قعود الجن أنها كانوا واحداً فوق واحد ، فمتى أحرق الأعلى طلع الذي تحته مكانه ، فكانوا يسترقون الكلمة فيلقونها إلى الكهان ويزيدون معها ، ثم يزيد الكهان الكلمة مائة كذبة . (البحر المحيط) : ١٠ / ٢٩٦ .

(٢) سيأتي تخريجه وشرحه في مناسبته إن شاء الله تعالى .

(٣) ونحوه باختلاف يسير فى (تفسير ابن كثير) : ٤ / ١٧٥ – ١٧٦ تفسير سورة الأحقاف . قال ابن كثير : ورواه الترمذي والنسائي في كتابي التفسير من سننهما من حديث إسرائيل به ، وقال الترمذي : حسن صحيح ، وهكذا رواه أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما =

ومن حديث محمد بن فضيل عن عطاء ابن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال : لم تكن قبيلة من الجن إلا ولهم مقعد [للسمع][1] ، فإذا نزل الوحي سمعت الملائكة صوتاً كصوت الحديدة ألقيتها على الصفا[2] ، قال : فإذا سمعت الملائكة خروا سجداً ، فلم يرفعوا رءوسهم حتى ينزل ، فإذا نزل قال بعضهم لبعض : ماذا قال ربكم ؟ فإن كان مما يكون في السماء قالوا : الحق وهو العلي الكبير ، وإن كان مما يكون في الأرض من أمر الغيب أو موت أو شيء مما يكون في الأرض تكلموا به ، قالوا : يكون كذا كذا ، فتسمعه الشياطين فينزلونه على أوليائهم ، فلما بعث محمد ﷺ دحروا بالنجوم ، فكان أول من علم بها ثقيف ، فكان ذو الغنم منهم ينطلق إلى غنمه فيذبح كل يوم شاة ، وذو الإبل ينحر كل يوم بعيراً ، فأسرع الناس في أموالهم فقال بعضهم لبعض : لا تفعلوا ، فإن كان النجوم التي تهتدون بها [وإلا][3] فإنه أمر حدث ، فنظروا فإذا النجوم التي يُهتدى بها كما هي لم يَزُلْ من منها شيء ، فكفوا ، وصرف الله الجن فسمعوا القرآن ، فلما حضروه[4] قالوا : أنصتوا ، وانطلقت الشياطين إلى إبليس فأخبروه فقال : هذا حدثٌ حدثَ في الأرض ، فأتوني من كل أرض بتربة ، فأتوه بتربة تهامة فقال : ها هنا الحدث[5] .

ومن حديث الواقدي قال : فحدثني محمد بن صالح عن ابن أبي حكيم – يعني إسماعيل – عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما بعث رسول الله ﷺ

وكذا رواه العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً بمثل هذا السياق بطوله .

وأخرجه البيهقي في (دلائل النبوة) : ٢ / ٢٣٩ – ٢٤٠ باختلاف يسير أيضاً .

(١) زيادة للسياق من (دلائل أبي نعيم) .

(٢) أي كصوت الحديدة إذا ألقيتها على الصفا ، والصفا : الحجر الأملس ، قال تعالى : ﴿ **كمثل صفوان عليه تراب** ﴾ [البقرة : ٢٦٤] والصفوان : جمع الصفا .

(٣) زيادة للسياق من (دلائل أبي نعيم) .

(٤) في المرجع السابق : « فلما حضروا » ، وما أثبتناه من (خ) ، وهي كما في التنزيل .

(٥) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ٢٢٥ – ٢٢٦ ، باب حراسة السماء من استراق السمع لثبوت بعثته وعلوّ دعوته ﷺ ، حديث رقم (١٧٧) وأخرجه أيضاً البيهقي في (دلائل النبوة) : ٢ / ٢٤٠ – ٢٤١ ، وقال في آخره : فأتوني من كل تربة أرض ، فأتوه بها ، فجعل يشمّها فلما شم تربة مكة قال : من ها هنا جاء الحدث ، فنصتوا ، فإذا رسول الله ﷺ قد بُعث . ورواه ابن كثير في (التفسير) : ٤ / ٤٥٨ تفسير سورة الجن باختلاف يسير .

أصبح كل صنم منكساً ، فأتت الشياطين إبليس فقالت له : ما على الأرض من صنم إلا وقد أصبح منكساً ، قال : هذا نبي قد بعث ، فالتمسوه في قرى الأرياف ، فالتمسوه فقالوا : لم نجده ، قال : أنا صاحبه ، فخرج يلتمس فنودي : عليك بجبة القلب - يعني مكة - فالتمسه بها ، فوجده عند قرن الثعالب(١) ، فخرج إلى الشياطين فقال : قد وجدته معه جبريل ، فما عندكم ؟ قالوا : نزين الشهوات في أعين أصحابه ، ونحببها إليهم ، قال : فلا [شيء](٢) إذاً(٣) .

وحدثني طلحة بن عمرو عن ابن أبي مليكة عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : لما كان اليوم الذي [تنبأ](٤) فيه رسول الله ﷺ منعت الشياطين من السماء ، ورموا بالشهب ، فجاءوا إلى إبليس فذكروا له ذلك فقال : أمر قد حدث ، هذا نبي قد خرج عليكم بالأرض المقدسة مخرج بني إسرائيل قال : فذهبوا إلى الشام ثم رجعوا إليه فقالوا : ليس بها أحد ، فقال إبليس : أنا صاحبه ، فخرج في طلبه بمكة فإذا رسول الله ﷺ بحراء منحدراً ومعه جبريل عليه السلام ، فرجع إلى أصحابه فقال : قد بُعث أحمد ومعه جبريل ، فما عندكم ؟ قالوا : الدنيا نحببها إلى الناس(٥) ، قال : فذاك إذاً(٦) .

وحدثني أسامة بن زيد بن أسلم عن عمر بن عبد الله العنسي عن ابن كعب قال : لم يرم بنجم منذ رفع عيسى ابن مريم عليه السلام حتى [تنبأ] رسول الله ﷺ ، فلما [تنبأ] رمي بها ، فرأت قريش أمراً لم تكن تراه ، جعلوا يسيبون أنعامهم ويعتقون أرقاءهم ، يظنون أنه الفناء ، فبلغ ذلك من فعلهم أهل الطائف ،

---

(١) قرن الثعالب : هو قرن المنازل ، ميقات أهل نجد ، وهو يبعد عن مكة مسيرة يوم وليلة (معجم البلدان) : ٤ / ٣٧٧ . موضع رقم (٩٥٦٠) .

(٢) في (خ) : « فلا أساء» ، وما أثبتناه من (دلائل أبي نعيم) .

(٣) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ٢٢٦ - ٢٢٧ ، حديث رقم (١٧٨) ، وأخرجه السيوطي في (الخصائص) : ١ / ٢٧٣ .

(٤) زيادة للسياق من (دلائل أبي نعيم) .

(٥) في (خ) : « نحببها للناس » ، وما أثبتناه من المرجع السابق ، وهو أجود للسياق .

(٦) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ٢٢٧ ، حديث رقم (١٧٩) ، و (الخصائص الكبرى) : ١ / ٢٧٥ ، وفيه الواقدي وهو متروك .

ففعلت ثقيف مثل ذلك ، فبلغ عبد ياليل بن عمرو ما صنعت ثقيف فقال : ولم فعلتم ما أرى ؟ قالوا : رمي بالنجوم فرأيناها تتهافت من السماء ، قال : إن إفادة المال بعد ذهابه شديد ، فلا تعجلوا ، وانظروا : فإن تكن نجوماً تُعرف فهو عند فناء الناس ، وإن كانت نجوماً لا تعرف فهو عند أمر حدث ، فنظروا ، فإذا هن لا تعرف ، فأخبروه فقال : الأمر فيه مهلة بعد ، هذا عند ظهور نبي ، فما مكثوا إلا يسيرًا حتى قدم الطائف أبو سفيان بن حرب إلى أمواله ، فجاء عبد ياليل فذاكره أمر النجوم ، فقال أبو سفيان : ظهر محمد بن عبد الله يدعى أنه نبي مرسل ، قال عبد ياليل : فعند ذلك رمي بها .

وحدثني طلحة بن عمرو عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنه قال : كانت الشياطين يستمعون الوحي ، فلما بعث الله محمداً ﷺ منعوا ، فشكوا ذلك إلى إبليس فقال : لقد حدث أمر فرمى فوق أبي قبيس – وهو أول جبل وضع على الأرض – فرأى رسول الله ﷺ يصلى خلف المقام ، فقال : أذهبُ فأكسرُ عُنقه ، فجاء يخطر وجبريل عنده فركضه جبريل ركضة طرحه في كذا وكذا ، فولى الشيطان هارباً[1] .

ولأبي نعيم من حديث يعقوب الدورقي قال : حدثنا محمد بن عبد الرحمن الطفاوي عن حجاج بن أبي عثمان الصواف ، عن ثابت [البناني][2] عن أنس رضي الله عنه قال : إن إبليس ما بين قدميه[3] إلى كعبيه[3] مسيرة كذا وكذا ، وإن عرشه لعلى البحر ، ولو ظهر للناس لُعبِد ، قال : فلما بَعثَ الله محمد ﷺ أتاه وهو يجمع بكيده فانقض عليه جبريل فدفعه بمنكبه فألقاه بوادي الأردن[4] .

[وقال الواقدي : فحدثني عمر بن إسحق أخو محمد بن إسحق قال : سمعت نافع بن جبير يقول : كانت الشياطين في الفترة تسمع ولا ترى ، فلما بُعث رسول الله ﷺ رميت بالشهب][5] .

* * *

---

(١) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ٢٢٧ – ٢٢٨ ، حديث رقم (١٨٠) ، (الخصائص الكبرى) : ١ / ٢٧٨ ، وفيه الواقدي وهو متروك .

(٢) زيادة في النسب من (دلائل أبي نعيم) وكتب الرجال .

(٣) في (خ) : « قدمه » ، « كعبه » .

(٤) هذا الحديث انفرد به أبو نعيم في (دلائل النبوة) : ١ / ٢٢٨ ، حديث رقم (١٨١) ، ونقله عنه السيوطي في (الخصائص الكبرى) : ١ / ٢٨٧ .

(٥) ما بين الحاصرتين زيادة من (خ) .

فصل في

ذكر بعثة رسول الله ﷺ

إعلم أن الناس قد اختلفوا في بعثة رسول الله ﷺ ، فأنكرها قوم وأقرَّ بها قوم ، ثم اختلف المعترفون بها فجوزها البراهمة وجعلوا العقل كافياً ، وأنكر قوم كون الشرائع من عند الله ، وأنكر اليهود والنصارى والمجوس رسالة محمد ﷺ واعترف بعضهم برسالته إلى العرب فقط ، ولكل فريق منهم شُبْهَةٌ زينها الشيطان لأوليائه من قدمائهم ، وتبعهم مقلدوهم .

* * *

فأمَّا شبهة منكري التكليف

فقالوا : التكليف باطل ، فالبعثة باطلة ، **أما الأولى** : فلأن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى ، فلا تكون مقدورة لهم ، فلا يكلفون بها .

وأما الثانية : فلأنه لا فائدة في البعثة إلا توجيه التكاليف على الخلق ، فإذا كان المقصود باطلاً كان المتبع أولى بالبطلان .

وأجيب : أولاً : بأن أفعالهم لا تخلو عن قدرتهم واختيارهم كما يعدد في مسألة خلق الأفعال ، ولذلك يقولون : ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ وإنما يلزم من عدم القدرة من جعل الخلق نفس المخلوق ، وهم المعتزلة .

وأجيب : ثانياً : بمنع انحصار فائدة البعثة في توحيد التكليف كما سيأتي عند ذكر جواز بعثة الرسل .

* * *

وأما شبهة البراهمة

فقالوا : كل ما كان حسناً فعلناه ، وكل ما كان قبيحاً تركناه ، وما لا ندرك حُسنه ولا قُبحه فإن كنا مضطرين أو محتاجين إليه اكتفينا بالقدر الرافع للضرورة والحاجة ، وإن لم يكن بنا حاجة إليه امتنعنا منه احترازاً من الخطر .

وأجيب : بعد تسليم أن العقل كافٍ في التعريف ، لكن لم لا يجوز أن يكون فائدة البعثة تأكيد ذلك التعريف ، ولهذا السبب أكثر الله تعالى من الدلائل على التوحيد ، مع أن الواحد منها كافٍ .

* * *

وأما شبهة منكري كون الشرائع من عند الله

قالوا : نرى الشرائع من عند الله مشتملة على أشياء لا فائدة فيها ، فإن الصلاة والصوم والحج أفعال لا منفعة فيها للمعبود ، وهي مصادر متاعب في حق العابد ، فكان ذلك عبثاً بل سفهاً ، وذلك لا يليق بالحكيم ، فوجب أن لا تكون هذه الشرائع من عند الله تعالى ، وإنما هي مكر من القدماء .

وأجيب : بمنع أنها خالية عن الحكمة والمنفعة ، ولا يلزم من عدم اطلاعكم على الحكمة عدمها .

* * *

وأما شبهة اليهود

فهي أن موسى عليه السلام لما بلَّغ شرعه إلى أمته لا يخلو في تبليغه من أحد ثلاثة أمور : إما أن يكون قد بين أنه دائم ، أو بين أنه مؤقت ، أو لا هذا ولا هذا .

و الثاني باطل ، لأنه لو بيَّن أنه منقطع وشرح ذلك لأمته لكان معلوماً عندهم على سبيل التواتر ، ولو كان نُقل متواتراً كأصل دينه ولم يمكنهم إخفاؤه ، لأن ما علم تواتراً لا يمكن إنكاره ، ومعلوم أن اليهود متفقون في مشارق الأرض ومغاربها على إنكاره .

والثالث : باطل أيضاً ، لأنه لو كان كذلك لوجب أن لا يجب بمقتضى شِرعة موسى من الأعمال إلا مرة واحدة ، لأن مقتضى الأمر المطلق الفعل مرة واحدة لا التكرار .

وبالإجماع هذا باطل ، وإذا بين لأمته أن شرعه دائم وجب أن يكون دائماً ، وإلا لزم نسبته إلى الكذب وزوال البينة عن جميع الشرائع .

وأجيب : بجواز أنه بيَّن أنه منقطع محدود ، وكان ذلك معلوماً بالتواتر من دينه ، إلا أن قومه هلكوا بالكلية في بخت نصَّر ، وصار الباقي أقل من عدد التواتر ، ولا جرم انقطع هذا النقل ، وسنقيم الأدلة بالحجج الواضحة على صحة دين الإسلام وصدق محمد رسول الله ﷺ .

* * *

وأما بعثة الرسل هل هي جائزة أو واجبة ؟

فاعلم أن المؤمنين بالرسل اختلفوا : هل البعثة جائزة أو واجبة ؟ فقال عامة المتكلمين بعثة الرسل جائزة ، وعند المحققين أنها واجبة ، ولا يعنون أنها تجب على الله تعالى بإيجاب أحد ولا بإيجابه على نفسه ، بل يعنون أنها متأكدة الوجود لأنها من مقتضيات الحكمة ، فيكون عدمها من باب السفه ، وهو محال على الحكيم ، وهذا كما أن علم الله وجوده يجب لكون عدمه يوجب الجهل ، وهو محال على العليم .

ودليل الجواز أن ورود التكليف بالإيجاب والحظر والاطلاق والمنع ممن له الملك في مماليكه ليس مما يأباه العقل أو تدفعه الدلائل ، فله أن يتصرف في كل شخص من أشخاص بني آدم بأي شيء شاء من وجوه التصرف ، منعاً كان أو إطلاقاً ، حظراً كان أو إيجاباً ، ثم يعلمهم ذلك إما بتخليق العلم فيهم أو بتخصيص بعض عباده بالعلم من جنسهم أو من خلاف جنسهم ، بإفهام صحيح أو بوحي صريح .

ودليل الواجب أن في بعثة الأنبياء من الفوائد والحكم ما لايفى :

فمنها : تأكيد دليل العقل بدليل النقل ، ومنها قطع عذر المكلف على ما قال الله تعالى : ﴿ **لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل** ﴾[1] ، وقال : ﴿ **ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا** ﴾[2] .

ومنها : أن الله عز وجل خلق الخلق محتاجين إلى الغذاء للبقاء ، وإلى الدواء للسقام ولحفظ الصحة وإزالة العلل العارضة ، وخلق السموم القاتلة ، والعقل لا يقف عليها ، والتجربة لا تفي بمعرفتها إلا بعد الأدواء ، ومع ذلك فيها خطر ، وفي بعثة الأنبياء معرفة طبائعها من غير خطر .

ومنها : لو فوض كيفية العبادة إلى الخلق لجاز أن تأتي كل طائفة بوضع خاص ، ثم أخذوا يتعصبون لها ، فيقضي إلى الفتن .

ومنها : أن ما يفعله الإنسان بمقتضى عقله يكون كالفعل المعتاد ، والمعتاد لا يكون عبادة بخلاف ما يفعله امتثالاً فإنه يكون محض العبادة ، ولذلك ورد الأمر بالأفعال الغريبة كالحج ، والمقادير التي لا تفعل في غير ذلك .

---

(١) النساء : ١٦٥ . (٢) طه : ١٣٤ ، وتمامها ﴿ **لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى** ﴾ .

وأما الأدلة على صحة دين الإسلام وصدق نبينا محمد رسول الله ﷺ

فأحدهما : أن محمداً ﷺ ادعى النبوة وظهرت المعجزة على وفق دعواه ، وكل من كان كذلك كان رسول الله حقاً ، فمحمد رسول الله حقاً ، أما دعواه النبوة فمتواترة أيضاً لو لم يدّع النبوة لما كان لنزاع الخصم فائدة ، وأما ظهور المعجزة فلأنه أتى بالقرآن وهذا متواتر أيضاً .

وأما أن القرآن معجزة فلأنه تحدى البلغاء ، بل الجن والإنس بمعارضته على أبلغ الوجوه فقال : ﴿ **لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً** ﴾[١] ، ثم زاد في التحدي فقال : ﴿ **فأتوا بعشر سور مثله مفتريات** ﴾[٢] ، ثم بالغ فقال : ﴿ **فأتوا بسورة من مثله** ﴾[٣] ، وعجزوا عن معارضته وإلا لم يقابلوه ، لأنه المعارضة أسهل .

وأما أن كل من أتى بالمعجزة كان صادقاً فلا نعلم يقيناً أن الله تعالى سامع لدعواه ، وأن ما ظهر على يده خارج عن مقدور البشر ، فإذا ادَّعى الرسالة ثم قال : إلٰهى ، إن كنت صادقاً في دعواي الرسالة فافلق البحر وشق القمر أو غير ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل ففعل ذلك عقيب سؤاله فعلمنا بالضرورة أنَّه صدَّقه في دعواه .

كما أنَّا نقطع بأن رجلاً لو قال لقوم : أَنا رسول فلان الملك إليكم ، ودليل صدقي أنه يخرق على عادته الفلانية لأجلي ، مثل أن يقوم عن سريره أو ينزل عن مركبه فيمشي لأجلي ، أو ينزع تاجه فيجعله على رأسي ، فوجد ذلك من الملك دلّ على صدق مدعي الرسالة .

واعترض عليه بوجوه : **أحدهما** : لم لا يجوز إظهار المعجزة على يد المتنبىء ؟ **وأجيب** : بأنه لا فائدة فيه إلا تكليف الله الخلق بما يخبرهم الكاذب به ، ولا شك أنه تعالى قادر على أن يكلفهم بذلك على يد صادق ، فعدوله عن تكليف الخلق على يد رسول من عنده إلى تكليفهم على يد الكذاب خال عن الحكمة بالضرورة .

---

(١) الإسراء : ٨٨ . (٢) هود : ١٣ . (٣) البقرة : ٢٣ .

وأجاب بعضهم بأن في إظهار المعجزة على يد الكاذب إضلال [الخلق] وترك [مصلحتهم] ، ورد هذا بوجهين :

أحدهما : أنه لو فرض جواز إظهار المعجزة على يد المتنبىء لم يكن فيه إضلال الخلق بل هدايتهم ، لأن إظهار المعجزة والحالة هذه تكون أمراً لهم بما جاءهم به المتنبىء ، وأمر الله هداية لا إضلال .

والثاني : أن إضلال الخلق وترك [مصلحتهم] إنما لا يجوز إذا لم يكن فيه حكمة ، وعدم الحكمة غير معلوم .

الاعتراض الثاني : أن المعجزة تشتبه بالسحر ، فلا تدل على الصدق ، ورد بالفرق بأن التعليم يدخل السحر دون المعجزة .

وبأن المعجز هو الذي لا يأتي أحد من المبارزين و المنازعين بمثله ، [إما] لأنه ليس في قوته وإما بمنع الله له عزّ وجلّ ، والسحر ليس كذلك .

وبأن السحر لا يكون إلا باقتراح المقترحين ، بل بحسب ما يعرفه الساحر بخلاف معجزات الأنبياء .

وبأن آثار المعجزات حقيقية ، كشبع الجماعة من الطعام اليسير ، وريهم بالماء القليل ، والتزود منها للمستقبل من الزمان ، بخلاف السحر فإنه تخييلات لا تروج إلا في أوقات مخصوصة وأمكنة مخصوصة ، على أن أحداً من العقلاء لم يجوز انتهاء السحر إلى الموتى ، وقلب العصا ثعباناً ، وفلق البحر ، وشق القمر ، وإبراء الأكمه والأبرص ونحوها ، ولهم اعتراضات كلها [افتراضات][1] بنوها على نفي الفاعل المختار ، فلذلك أعرضت عنها .

* * *

(١) هذه الكلمة لم أجد لها توجيها في (خ) ، ولعل ما أثبتناه يناسب السياق .

الحجة الثانية

محمد ﷺ إما ملك ماحق أو نبي صادق ، ولكنه ليس ملكاً ماحقاً ، فهو نبي صادق ، وإنما قلنا : إما ملك أو نبي لأنه لا قائل بقول ثالث ، إذ الخصم وهو اليهود والنصارى – خزاهم الله – يزعمون أن رب العالمين – تعالى عن قولهم – أرسل ملكاً ظالماً فادعى النبوة وكذب على الله ، ومكث زمناً طويلاً يقول : أمرني بكذا ونهاني عن كذا ، ويستبيح دماء أولياء الله وأبنائه وأحبائه ، والرب تعالى يظهره ويؤيده ، ويقيم الأدلة والمعجزات على صدقه ، ويقبل بقلوب الخلق وأجسادهم إليه ، ويقيم دولته على الظهور والريادة ، ويذل أعداؤه أكثر من ثماني مائة سنة ، وهذا منهم غاية القدح في الرب – تعالى عن قولهم – .

ونحن نقول : إن محمداً ﷺ كان نبياً صادقاً مؤيداً من الله تعالى ، فقام ناموسه بالتأييد الإلٓهي . وإنما قلنا : أنه ليس ملكاً بل نبي صادق لأنا علمنا بالاستقراء التام والتواتر القاطع أن ملكاً من ملوك الدنيا لم يبق ناموسه بعده بل سيفنى بموته ، وإنما تبقى نواميس الأنبياء بعدهم ، ثم رأينا ناموس محمد ﷺ باقياً بعده زيادة عن ثماني مائة سنة ، فعلمنا أنه من الأنبياء لا من الملوك .

* * *

الحجة الثالثة

نبوة محمد ﷺ لازمة لنبوة من قبله من الأنبياء جميعهم ، ثم قد وجد الملزوم الذي هو نبوة الأنبياء قبله ، فيجب أن يوجد اللازم وهو نبوته ، وإنما قلنا : إن نبوته لازمة لنبوة من قبله لأنا أجمعنا وإياكم على أن المقتضى لنبوتهم إرادة الله تعالى ، والدليل عليها ظهور المعجز .

لكن إرادة الله تعالى خفية عن البشر ، لا سبيل إلى معرفتها ، فبقى الطريق إلى ثبوت النبوة منحصراً في ظهور المعجز ، والعجز مشترك بينه وبينهم بما حققناه ، وإنما قلنا : إن وجود الملزوم موجب لوجود اللازم للقطع بأن ملزوماً لا لازم له محال الوجود .

* * *

الحجة الرابعة

محمد ﷺ أَقَرَّ اليهود والنصارى في شريعته بالجزية مع علمه بأنهم يكذبونه ويقدحون في صدقه ، وما كان ذلك منه إلا مراعاة لحرمة كتابهم وأنبيائهم ، إنما علم أنهم وإن تصرَّفوا فيها بالتبديل والتحريف ، فإنهم لم يحرفوا الجميع ، وإنما حرفوا ما كان تحريفه مهماً عندهم ، فهم على بقايا من شرائعهم ، فراعاهم لذلك وجعل عقوبة كفرهم إيقاع الجزية والصَّغار عليهم .

ومن المعلوم أنه لو كان ملكاً محضاً لا نبوة له لأخلى الأرض منهم على تكذيبهم له وعدم طاعتهم ، لأن هذا من شأن الملوك لا يستبقون من خشوا عاقبته ، خصوصاً ولم يكن يخفى عليه أنه جنس الملتين يبقى بعده ، ويتطرق منهما تشكيك أمته بالشبهات والترهات ، وذلك مما يضعف الناموس الملوكي .

فلما تركهم بالجزية دل ذلك على أنه مأمور فيهم من الله تعالى بما لا تصبر عليه نفوس البشر ، ولا يتجه على هذه الحجة إلا أن يقال : لعله تركهم ليستنبط له من تركهم هذه الشبهة وليحب الناس العدل وأخلاق النبوة .

لكن الجواب : أنه لو كان قصده ذلك لكان ذلك يحصل له بأن يقف ، عنهم في حياته فقط ولا كان يوصي بهم كما أوصى بأمته حتى قال : أنا برىء ممن وافاني يوم القيامة ولذمي عليه مظلمة ، وقال : لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ، فلولا أنه مأمور فيهم من الله تعالى لما أبقاهم ، ولو كان ملكاً محضاً يحب الرياسة وإقامة الناموس لكان استبقاهم حال حياته وسكت عن الوصية فيهم بعد موته ، حتى كان المسلمون أخلوا منهم الأرض .

* * *

الحجة الخامسة

أنه ﷺ قال : إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ، وقولوا : آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم . الحديث[1] ، وإنما قال ذلك لأنه علم أنهم حرفوا بعض كتبهم لا كلها ، فمنع تصديقهم خشية أن يكون ما قالوه مما حرَّفوه . ومن تكذيبهم خشية أن يكون [ما قالوه][2] مما لم يحرفوه ، فالأول في غاية الحزم والثاني في غاية العدل ، ولو لم يكن نبياً مأموراً فيهم بذلك كما في القرآن : ﴿ **وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى** ﴾[3] ، لأغري الناس بتكذيب [كل ما][4] عندهم ، وكان ذلك أتم لناموسه ، وأذل لأعدائه ، لأنا علمنا بالاستقراء من ملوك الدنيا أجمعين أن أحداً منهم لم يترك من آثار من قبله من الملوك ما يحذر منه على ملكه إلا عجزاً .

* * *

---

(١) (ميزان الاعتدال) : ٣ / ٤٧٠ ، ترجمة رقم (٧١٩٧) ، محمد بن إسحاق بن يسار ، وقال في آخرها : فهذا إذن نبوى في جواز سماع ما تأثرونه في الجملة كما سمع منهم ما ينقلونه من الطب ، ولا حجة في شيء من ذلك ، إنما الحجة في الكتاب والسنة ، وأخرجه الإمام أحمد في (المسند) : ٥ / ١٢٤ ، حديث رقم (١٦٧٧٤) : عن أبي نملة الأنصاري أخبره : أنه بينا هو جالس عند رسول الله ﷺ جاءه رجل من اليهود فقال : يا محمد هل تتكلم هذه الجنازة ؟ فقال رسول الله ﷺ : الله أعلم ، قال اليهودي : أنا أشهد أنها تتكلم ، فقال رسول الله ﷺ : إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ، وقولوا : آمنا بالله وكتبه ورسله فإن كان حقاً لم تكذبوهم ، وإن كان باطلاً لم تصدقوهم .

(٢) زيادة يقتضيها السياق . (٣) النجم : ٣ - ٤ . (٤) زيادة يقتضيها السياق .

الحجة السادسة

تختص [بالنصارى][1] وتقريرها أنكم زعمتم أن المسيح هو الله أو ابن الله ، وأنه ظهر إلى العالم لينقذ أهل الإثم من إثمهم وخطاياهم وفداهم بنفسه ، ثم بعد ذلك صعد إلى أبيه فهو جالس عن يمينه ، فإن كان هذا حقاً فقد كان يجب عليه وينبغي له أن يقول لأبيه حين ظهر محمد ﷺ بدعوته : أهلك هذا ولا تَدَعْه يفتن الناس ويضلهم ، حتى إذا احتاج أن أنزل إليهم واستنقذُهم من فتنته ، وأُقتل وأصلب مرة ثانية ، لأن عندكم أن المسيح كامل العلم والقدرة ولا يخفي عنه شي في ملكه أو ملك أبيه . فبالضرورة أنه علم بظهور محمد ﷺ ، فسكوته عن الإنكار والتغيير بحضرة أبيه توجب إما التقصير والرضى بالضلال ، والراضي بالضلال ضال ، أو أن محمداً ﷺ على طريق الرَّشَد والكمال ، وقد خيرناكم بين الأمرين ، ولا واسطة بين القسمين ، فاختاروا لآلهتكم ما شئتم .

* * *

(١) زيادة يقتضيها السياق .

الحجة السابعة

جرت عادة الله تعالى في خلقه أن يتداركهم على كل فترة برسول يرشدهم إلى الهدى ، ويصدهم عن الردى ، ولا خلاف أن العرب في جاهليتها عند أوان ظهور محمد ﷺ كانت أحوج الخلق إلى ذلك ، لما كانت عليه من الظلم والبغي والغارات والبغي بغير حق ، وسَبْي الحريم وظلم الغريم ، فالعناية الإلٓهية يستحيل منها عادة إهمالهم على ذلك من غير معلم يرشدهم ويسددهم ، وما رأينا [أحداً] ظهر بناموس قمع تلك الجاهلية وما كانت عليه من المنكرات إلا محمد ﷺ ، فدل على أنه النبي المبعوث فيها ، وإذا ثبتت نبوته بهذا الطريق إلى العرب فالنبي لا يكذب ، وقد صح عنه بالتواتر أنه قال : بعثت إلى الناس كافة ، وبعثت إلى الأحمر والأسود[1] ، وبهذا يظهر تغفيل من سلَّم من اليهود أنه أرسل إلى العرب خاصة ، لا إلى غيرهم .

* * *

(١) سبق تخريج هذا الحديث وشرحه .

الحجة الثامنة

لا خلاف عند كل عاقل أن محمداً ﷺ كان من أعلى الناس همة ، وأوفرهم حكمة ، ولولا ذلك ما انتظم له أمر هذا الناموس [هكذا][1] بعد مدة طويلة ، مع أنه عند الخصم دعيّ لا حجة معه ، ولا خلاف أن من كان بهذه المثابة من علو الهمة ووفور الحكمة ، وهمته تعلو إلى تقدير منصب دائم ورئاسة باقية ، فإنه يحتاط بنتاج فكره حتى لا يتوجه عليه ما يفسد حاله ويبخس مآله .

ومن المعلوم عند كل حكيم فطن لبيب أن الكذب ينكشف ويستحيل رونقه ، ويعود تدبيره تدميراً ، خصوصاً والمسيح إله النصارى – بزعمهم – يقول : ما من مكتوم إلا سيعلن ، ولا خفي إلا سيظهر . فلو لم يكن محمداً ﷺ على يقين من صدق نفسه لما أقدم على دعواه خشية أن ينكشف أمره في تضاعيف الأزمان ، فيعود عليه سوء الذكر مدى الدهر .

وكلامنا في عالي الهمة وافر الحكمة يخشى معرة المآل كما يخشى معرة الحال ، ولا يرد علينا من يؤسس رئاسة في حياته بما أمكنه من كذبه وترهاته ، ثم لا يبالي ما كان بعد مماته ، فإنه ذلك في غاية الخساسة ، ويحصل مقصوده برئاسة الملك دون دعوى هذه الرئاسة .

* * *

---

(١) زيادة للسياق .

الحجة التاسعة

لو لم يكن محمداً ﷺ صادقاً لكان المسيح كاذباً ، لكن المسيح ليس بكاذب ، فمحمد صادق ، [و][1] بيان الملازمة أن المسيح عليه السلام قال في الإنجيل : ما من خفي إلا سيظهر ، ولا مكتوماً إلا سيعلن .

وهذه نكته في سياق النفي فتقتضي العموم ، وإن كل خفي لابد أن سيظهر بعد صدق محمد ﷺ في دعواه ، إما إن كان ظاهراً أو خفياً ، فإن كان ظاهراً كان يجب أن لا يتابعه أحد ، وإن تابعه لرهبة أو رغبة فبالظاهر دون الباطن ، حتى إذا زالت رغبته أو رهبته بزوال رجع عنه ، لأن عاقلاً لا يختار الباطل على الحق ، ولا الكذب على الصدق ، فكيف بهذا الجمع الكثير والجم الغفير في أقطار الأرض يختارون ذلك ؟ هذا محال .

وإن كان خفياً وجب أن يظهر ، لا سيما مع دهاء العرب وذكائهم وفطنتهم وصحة طبعهم وفصاحتهم ، فقد كان فيهم الكهنة والمنجمون ، والزيارج[2] والمتطيرون ، وأكثرهم يصيبون ولا يخطئون ، وأذكياؤهم كثير لا يحصرهم عدد ، وقد كانوا يستخرجون بأذهانهم ما يشبه السحر كما هو معروف في أخبارهم ، وكفاهم أن ابن المقفع فيلسوف الفرس شهد لهم بالفضيلة على الفرس والروم وسائر الأمم ، فمن المحال عادة أن يخفى عليهم أمر محمد ﷺ لو كان باطلاً .

فدل على أنهم ماهُرعوا إليه مع كونه أول الإسلام كان في نفر قليل مستضعف إلا وقد علموا صدقه ، فصح قولنا : لو لم يكن محمدٌ صادقاً لكان المسيح كاذباً ، فبالاتفاق منا ومنكم ، ولو تورعنا في صدقه لما وافقنا ، لأنّا نحن أحق به منكم .

* * *

---

(١) زيادة للسياق .

(٢) في (خ) « الزجارج » ولعل الصواب ما أثبتناه ، والزيارج : ضرب من السحر .

الحجة العاشرة

من نظر في دين الإسلام فإنه يجده معظماً لعيسى وموسى وغيرهما من الرسل ، بحيث أن من سب أحداً منهم أو [انتقصه][1] قتل ، ونرى اليهود [ينتقصون][1] من المسيح ، وهم [والنصارى] ينتقصون محمداً ﷺ .

[واعلم][1] أن المسلمين أهل حق لا يشوبه تحامل ، وأن اليهود والنصارى أهل عناد وتجاهل ، فإن قالت اليهود : إنما غضضنا[2] من المسيح ومحمد لأنهما كاذبان ، قلنا : فالذي يثبت به صدق موسى عليه السلام قد أتى المسيح بما هو أعظم منه ، فمقتضى التصديق مشترك ، فإما أن تصدقوا الاثنين أو تكذبوهما ، أما الفرق فهوى وتحامل .

وإن قالت [النصارى][1] إنما انتقصنا محمداً ﷺ لأنه ليس بصادق ، قلنا : يلزمكم مقالة اليهود في أنهم إنما انتقصوا المسيح لأنه ليس بصادق ، فإن قالوا : اليهود كفار عاندوا ، قلنا : كذلك أنتم بالنسبة إلىٰ [من][1] ينتقص محمداً ﷺ .

فإن قيل : اليهود عاندوا بعد قيام الحجة بإظهار المعجز ، ونحن لم يأتنا محمد بمعجز ، قلنا : قد جاءكم بمعجزات سبق تقريرها ، ولكن عاندتم أو جهلتم ، ولهذا سمي الله تعالى اليهود ﴿ **المغضوب عليهم** ﴾[3] والنصارى ﴿ **الضالين** ﴾[3] ، لأن تكذيب اليهود عناد ، وتكذيب النصارى يغلب عليه الجهل ، ولو أعطيتم النظر حقه لوفقتم ورشَدْتُم ، فثبت بثبوت هذه الأدلة أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم المكي الهاشمي ﷺ [رسول][1] حق ونبي صدق .

* * *

---

(١) زيادة للسياق . (٢) غضضنا : أنقصنا . (٣) آخر سورة الفاتحة .

وأما تقرير نسخ الملة المحمدية لسائر الملل

فإنا نقول : أكبر خصومنا في ذلك اليهود ، فلنجعل كلامنا معهم فنقول : إن من أعظم تلاعب الشيطان باليهود إصرارهم على الكفر بمحمد ﷺ ، وحجرهم على الله تعالى في نسخ الشرائع ، فحجروا عليه سبحانه أن يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، وجعلوا هذه الشبهة الشيطانية تراساً لهم في جحد نبوته ﷺ وقرروا ذلك أن النسخ يستلزم البداء(١) ، وذلك يقتضي الجهل بعواقب الأمور ، وهو على الله تعالى محال ، وردّ بمنع لزوم البداء من النسخ، وإنما هو بحسب اختلاف مصالح الخلق متعلقاً ذلك كله بالعلم الأزلي – كما يأتي تقريره – .

---

(١) « البداء » في اللغة : مصدر الفعل الثلاثي الماضي « بدا » بمعنى ظهر ، يقال : بدا الشيء يبدو ، إذا ظهر ، فهو بادٍ . أَوْرَدَهُ ابن فارس في (معجم مقاييس اللغة) : ٢١٢ . ونقله الأزهري في (تهذيب اللغة) : ٤ / ٢٠٢ عن الليث . وحكاه الزبيدي في (تاج العروس) ، وقد نصَّ الفيومي على نفس المعنى في (المصباح المنير) : ١ / ٥٥ إلا أنه قال : ويتعدى بالهمزة ، فيقال : أبديته ، وبدا الشيء يبدو بدواً وبُدُوّاً [بضم الباء و الدال وتشديد الواو] وبداءاً وبداً – الأخيرة عن سيبويه – ظَهَرَ ، وأبديتُه أنا ، أظهرتُه .

وتدور بقية معاجم اللغة حول نفس المعنى الذي أثبته هؤلاء بأن كلمة « بداء » تعني الظهور ، ودلّلوا على ذلك باشتقاقات لغوية ، تُشير إلى المعنى المذكور .

وإذا أرادت العرب أن ترفع من قيمة الرجل ، فهي تصفه بأنه ذو « بدوات » أي ذو آراء تظهر له ، فيختار بعضها ويُسقط بعضاً ، ويبدو أن الدلالة تشير إلى تطور فكر المرء في مواقفه إزاء موارد الحياة العامة التي تخضع دائما للتغيير والتباين . يقول أبو دريد : قولهم أبو البدوات ، معناه : أبو الآراء التي تظهر له ، وأحدها : بداة . وفي القرآن الكريم ورد المعنى إحدى وثلاثين مرة ، موزعاً على ستة عشرة سورة ، يفيد معنى الظهور حسب مدلولات الآيات .

أما « البداء » في الإصطلاح : فقد انسحب على الأمور الممكنة التي تقع في عالم « التكوُّن » والتي تمتاز بظاهرة « التغيُّر » بحيث تبدو هذه الأمور ثابتة أولاً ، كأنها تسير وفق سُنَّة واحدة ، ولكن سرعان ما يظهر فيها « التبدُّل » ، ولهذا اتخذت الحال التي تجري بمقتضاها هذه الحوادث صفة « البداء » ، بحيث يظهر منها خلاف ما كانت عليه أولاً .

ومن هنا ظهرت مشكلة في غاية التعقيد في تطور الجانب الإصطلاحي للكلمة ، فمن المتعارف عليه أن الحياة تسير وفق عناية إلّهية تامة ، وإن الله لا يجوز عليه التَّغَيُّر أو التبدُّل ، وهو أمر ثابت لكل من تكلم على الظاهرة نفسها ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فقد يلمس أن هناك تغيراً ملموساً يحدث في دائرة معينة ، فهناك تغيّر واضح تسلك بمقتضاه بعض حوادث عالم التكون ، ولهذا يتطلب الأمر حلاً للمشكلة القائمة بين عدم تغيّر الموقف الآلهي من جانب ، وطبيعة التغير الملموس في حوادث عالم التكوين المشمول بالإرادة الإلّهية من جانب آخر .
=

ولنا في جواز النسخ أنه إما بيان أنها مدة الحكم أو رفع الحكم الشرعي بطريق شرعي ، وكلاهما لا يلزم منه محال فوجب القول بجوازه ، ولأن الشرع للأديان كالطبيب للأبدان ، فجاز أن ينهي اليوم عن ما أمر به أمس ، كما يصف الطبيب اليوم للمريض ما نهاه عنه أمس ، وذلك بحسب المصالح أو إرادة المكلّف – وهو الشارع – ولأنه قد وقع في التوراة في عدة صور ، فالقول بجوازه لازم .

هذا ، وقد أكذبهم الله تعالى في نص التوراة ، كما أكذبهم القرآن بقوله : ﴿ **كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فَأْتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين * فمن افترى على الله الكذب بعد ذلك فأولئك هم الظالمون * قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين** ﴾[1] .

فتضمنت هذه الآيات بيان كذبهم في إبطال النسخ ، فإنه سبحانه أخبر أن الطعام كله كان حلالاً قبل إنزال التوراة سوى ما حرم إسرائيل على نفسه منه ، ومعلوم أن بني إسرائيل كانوا على شريعة أبيهم إسرائيل وملته ، وأن الذي كان حلالاً لهم إنما هو بإحلال الله لهم على لسان إسرائيل والأنبياء بعده إلى حين نزول التوراة ، ثم جاءت التوراة بتحريم كثير من المآكل عليهم ، وهي التي كانت حلالاً لبني إسرائيل ، وهذا محض النسخ .

وقد تبلور عن هذا الموقف اتجاهات ثلاثة حددت من خلالها طبيعة اللفظة في جانبها الاصطلاحي :

الاتجاه الأول : هذا الاتجاه الذي يجعل التغيُّر في المعلوم دون العلم ، فالعلم الإلٓهي ثابت أزلاً وأبداً ، وأما التغيّر الملموس فهو في طبيعة المعلوم ، وإن هذا التغيّر معلوم به أزلها .

الاتجاه الثاني : هذا الاتجاه يرى حدوث التغيُّر في ذات العلم لا في ذات المعلوم ، أي على عكس الاتجاه الأول ، إلا أن هذا الاتجاه يستخدم ظاهرة التأويل في العلم نفسه .

الاتجاه الثالث : وهذا الاتجاه يذهب إلى أن البداء هو تغيير في العلم دون تأويل لطبيعة العلم ، ولكن من هو الذي يتغيّر علمه ؟ وهل التغيُّر هنا بالنسبة للخالق أو للمخلوقين ؟ يرى هذا الاتجاه أن العلم المتغيّر ليس علم الخالق ، بل هو ما دونه .

ولمن أراد الاستزادة في هذا الموضوع بشكل تفصيليّ موسَّع فليرجع إلى : (نظرية البداء عند صدر الدين الشيرازي) (٩٧٩ – ١٠٥٠ هـ) وأما النسخ فسيأتي الكلام عنه إن شاء الله تعالى في فصل (الناسخ والمنسوخ) .

(١) آل عمران : ٩٣ – ٩٥ .

قولـه تعالى : ﴿ **من قبل أن تنزل التوراة** ﴾ متعلق بقوله : ﴿ **كان حلاً لبني إسرائيل** ﴾ ، أي كان حلالاً لهم قبل نزول التوراة وهم يعلمون ذلك ، ثم قال تعالى : ﴿ **قل فأتو بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين** ﴾ ، هل تجدون فيها أن إسرائيل حرم على نفسه ما حرمته التوراة ؟ أم تجدون فيها تحريم ما خصه بالتحريم وهو لحوم الإبل وألبانها خاصة ، وإذا كان إنما حرم هذا وحده وكان ما سواه حلالاً له ولبنيه ، وقد حرمت التوراة كثيراً من المحلل ظهر كذبكم وافتراؤكم في إنكار نسخ الشرائع والحجر على الله تعالى نسخها ، ثم يقال لهم : أتعرفون أنه كان قبل التوراة شريعة أم لا ؟ وهم لا ينكرون أن قبل التوراة شريعة ، فيقال لهم : فهل رفعت التوراة شيئاً من أحكام تلك الشرائع المتقدمة ؟ فقد جاهروا بالكذب .

وإن قالوا : رفعت بعض الشرائع المتقدمة فقد أقروا بالنسخ ، ويقال لهم : أليس الله تعالى أمر إبراهيم بذبح ولده ثم نهاه عنه ؟ وهذا نسخ ، أليس أن الأرض لما قسمت بين الأسباط كان غربيّ الشريعة لتسعة أسباط ونصف سِبْط ، وشرقيّه لسبطين ونصف سِبْطٍ ؟ فذلك من قبل الجميع وقسم الجميع ، وهذا نسخ ، أو ما تزوج إبراهيم بأخته لأبيه فمنع التوراة منه ، وتزوج عمران بعمته ، وجمع يعقوب بين الأختين وقد منع التوراة منه ، وهذا نسخ .

ويقال لهم أيضاً : هل أنتم اليوم على ما كان عليه موسى عليه السلام ؟ فإن قالوا : نعم ، قيل لهم : أليس في التوراة أن من مسَّ عظم ميت أو وطىء قبراً أو حضر ميتاً عند موته فإنه يصير من النجاسة بحال لا مخرج له منها إلا برماد البقرة التي كان الإمام الهاروني يحرقها ؟ ولا يمكنهم إنكار ذلك ! فيقال لهم : فهل أنتم اليوم على ذلك ؟ .

فإن قالوا : لا نقدر عليه ، قيل لهم : فلم جعلتم أن من مس العظم والقبر والميت طاهراً يصلح للصلاة ، والذي في كتابكم خلافه ؟ فإن قالوا : لأنا عدمنا أسباب الطهارة – وهي رماد البقرة – ، وعدمنا الإمام المستغفر ، قيل لهم : فهل أغناكم عدمه عن فعله أو لم يغنكم ؟ .

فإن قالوا أغنانا عدمه عن فعله قيل لهم : قد تبدل الحكم الشرعي من الوجوب إلى إسقاطه لمصلحة التعذر ، وكذلك يتبدل الحكم الشرعي من الوجوب إلى إسقاطه لمصلحة التعذر بنسخه لمصلحة النسخ ، فإنكم إن بنيتم على اعتبار المصالح والمفاسد في الأحكام فلا ريب أن الشيء قد يكون مصلحة في وقت دون وقت ، وفي شريعة دون أخرى ، كما كان تزوج الأخ بالأخت مصلحة في شريعة آدم عليه السلام ، ثم صار مفسدةً في سائر الشرائع ، وكذلك إباحة العمل يوم السبت ، كان مصلحة في شريعة إبراهيم عليه السلام ومن قبله ، ومفسدة في شريعة آدم عليه السلام ، وأمثال ذلك ذلك كثيرة .

وبالجملة فالتحليل والتحريم تبع لمجرد مشيئة الله الذي لا يُسأل عما يفعل ، فإن قالوا : لا نستغنى في الطهارة عن الطهور الذي كان عليه أسلافنا ، فقد أقروا بأنهم الأنجاس أبداً ، ولا سبيل لهم إلى حصول الطهارة ، فإن أقروا بذلك قيل لهم : فما بالكم تعتزلون الحائض بعد انقطاع الحيض وراتفاعه سبعة أيامٍ اعتزالاً تخرجون فيه عن الحدّ بحيث أن أحدكم إذا لمس ثوبُه ثوبَ المرأة تجنبتموه مع ثوبه ؟ .

فإن قالوا : كل ذلك من أحكام التوراة ، قيل لهم : أليس في التوراة أن ذلك يراد به الطهارة ؟ فإذا كانت الطهارة قد تعذرت عندكم ، والنجاسة التي أنتم عليها لا ترتفع بالغسل فهي إذاً أشد من نجاسة الحيض ، ثم إنكم ترون أن الحائض طاهِراً إذا كانت من غير ملَّتكم ولا تنجسون من لمسها ولا الثوب الذي لمسته ، فتخصيص هذا الأمر بطائفتكم ليس في التوراة منه شيء ، وهذا الفصل ممَّا يُحتاج إليه .

فافرض أن يهودياً رام مناظرتك أو رُمتَ مناظرته فإنك لم تعلم حقيقة ما هو عليه وما تبطل به قوله من كتابه ، وإلا تسلط عليك وتوجهتْ الملامة من الله ورسوله إليك ، فإن قال بعض اليهود : التوراة قد حظرت أموراً كانت متاحة من قبل ولم تأت بإباحة محظور ، والنسخ الذي ننكره ونمنع منه هو ما أوجب إباحة محظور ، لأن تحريم الشيء إنما هو لأجل ما فيه من المفسدة ، فإذا جاءت شريعةٌ بتحريمة كان ذلك من مؤكداتها ومقرراتها ، فإذا جاء من إباحة علمنا بإباحته المفسدة أنه غير نبي ، بخلاف تحريم ما كان مباحاً ، فإنا نكون متعبدين بتحريمه.وشريعتكم وردت بإباحة أشياء كثيرة مما حرمته التوراة ، مع أنه إنما حرمه الله لما فيه من المفسدة قيل له :

لا فرق في اقتضاء المصلحة بين تغيّر الإباحة بالتحريم أو التحريم بالإباحة ، والشبهة التي عرضت في أحد الموضعين ، هي بعينها في الموضع الآخر ، فإن إباحة الشيء في الشريعة تابع لعدم مفسدته ، إذ لو كانت هناك مفسدة راجحة لم تأت الشريعة بإباحته ، فإذا حرمته الشريعة الأخرى وجبت قطعاً أن يكون تحريمه فيها هو المصلحة ، كما كان إباحته في الشريعة الأولى هي المصلحة ، فإن تضمن إباحة المحرم في الشريعة الآخرة إباحة المفسدة – وحاش لله – تضمن تحريم المباح في الشريعة الأولى تحريم المصالح ، وكلاهما باطل قطعاً .

فإذا جاز أن تأتي شريعة التوراة بتحريم ما كان إبراهيم تقدمه يستبيحه ، فجائز أن تأتي شريعة أخرى بتحليل بعض ما كان في التوراة محظوراً ، وهذه الشبهة هي التي ردت بها اليهود نبوة محمد ﷺ ، هي بعينها التي رد بها أسلافهم نبوة المسيح عليه السلام ، لا تقر بنبوة من غير التوراة .

فيقال لهم : فكيف أقررتم لموسى عليه السلام بالنبوة ، وقد جاء بتغيير بعض الشرائع [التي] تقدمته ، فإن قدح ذلك في المسيح ومحمد صلوات الله عليهما قدح في موسى ، فلا [تكون] في نبوتهما بقادح إلا ومثله في نبوة موسى سواء ، كما أنكم لا تثبتون نبوة موسى ببرهان إلا و أضعافه شاهد على نبوة محمد ﷺ ، فمن أبين المحال أن يكون موسى رسولاً صادقاً ومحمد ليس برسول ، أو يكون المسيح رسولاً ومحمد ليس برسول .

ويقال لليهود أيضاً : لا تحلوا المحرم ، إما أن يكون تحريمه لعينه وذاته بحيث لم يعهد في زمان من الأزمنة إباحته ، وإما أن يكون تحريمه لما يتضمنه من المفسدة في زمان دون زمان ، ومكان دون مكان ، وحال دون حال ، وإن كان الأول لزم أن يكون ما حرمته التوراة محرماً على جميع الأنبياء في كل زمان ومكان ، من عهد نوح إلى خاتم الأنبياء ﷺ .

وإن كان الثاني ، ثبت أن التحريم والإباحة تابعان للمصلحة ، وإنما يختلف باختلاف الزمان والمكان والحال ، فيكون الشيء الواحد حراماً من ملة دون ملة ، ووقت دون وقت ، وفي مكان دون مكان ، وهذا معلوم بالاضطرار من دين الرسل عليهم السلام ، ولا يليق بحكمة أحكم الحاكمين غير ذلك .

ألا ترى أن تحريم السبت لو كان حراماً على نوح و إبراهيم وسائر النبيين ، وكذلك ما حرمته التوراة من المطاعم والمناكح وغيرها ، لو كان حراماً لعينه وذاته لوجب تحريمه على كل نبي وفي كل شريعة ، وإذا كان الله تعالى لا حجر عليه بل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، ويبتلي عباده بما شاء ، ويحكم ولا يحكم عليه ، فما الذي يحمل عليه ويمنعه أن يأمر أمة بأمر من أوامر الشريعة ثم ينهي أمة أخرى عنه ، أو يحرم على أمة شيئاً ويبيحه لأمة أخرى ، بل أي شيء يمنعه تعالى ؟ .

ذلك بقوله : ﴿ **ما ننسخ من آية أو [ننساها]**[1] **نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض** ﴾[2] ، فأخبر سبحانه أن عموم قدرته وتصرفه في مملكته و خلقه لا يمنعه أن ينسخ ما يشاء ويثبت ما يشاء ، كما أنه يمحو من أحكامه القدرية الكونية ما يشاء ويثبت ، فهكذا أحكامه الدينية الأمرية ينسخ منها ما يشاء ويثبت ما يشاء ، فمن أكفر الكفر وأظلم الظلم أن يعارض الرسول الذي جاء بالبينات والهدى ، ويدفع نبوته ويجحد رسالته بكونه أتى بإباحة بعض ما كان محرماً على من قبله ، أو بتحريم بعض ما كان مباحاً لهم ، ومن العجب أن اليهود تحجر على الله تعالى أن ينسخ ما يشاء من شرائعه ، وفي توراتهم أن الله – تعالى عن قولهم – يأسف على خلقه الإنسان لأفكارهم الخبيثة ، فخلقه أن يبيدهم فأبادهم .

ثم لما أرسل الطوفان أسف وندم وقال : ما عدت أهلك الخلق به مرة أخرى ، فمن يندم ويتأسف كيف يمتنع عليه البداء على قولهم ؟ وهم قد تركوا شريعة موسى عليه السلام في أكثر ما هم عليه ، وتمسكوا بما شرعه لهم أحبارهم وعلماؤهم ، فمن ذلك : أنهم يقولون في صلواتهم ما هذه ترجمته : اللهم اضرب ببوق عظيم لعتقنا واقبضنا جميعاً من أربعة أقطار الأرض إلى قدسك ، سبحانك يا جامع شتات قومة إسرائيل .

ويقولون كل يوم ما ترجمته : أُردُدْ حكامنا كالأولين ، وسيرتنا كالابتداء ، وابن أورشليم قرية قدسك وعزنا ببناها ، سبحانك يا باني يورشليم . فهذه أوقوالهم في صلواتهم مع علمهم بأن موسى وهارون عليهما السلام لم يقولا شيئاً من ذلك ، ولكنها فصول لفقت بعد زوال دولتهم .

---

(١) كذا في (خ) ، وهي رواية ورش عن نافع . (٢) البقرة : ١٠٦ .

وكذلك صيامهم : كصوم احتراق بيت المقدس ، وصوم كدليا وصوم صلب هامان ، ليس شيء منها في التوراة ، ولا صامها موسى ولا يوشع ، وإنما وضعوها لأسباب اقتضت عندهم وضعها – كما بينتُه في موضعه من كتاب (المواعظ و الاعتبار)[1] .

وهذا مع أنه في التوراة ما ترجمته : لا [تزيدوا] على الأمر الذي أنا موصيكم به شيئاً ولا تنقصوا منه شيئاً . وقد تضمنت التوراة أوامر كثيرة جداً ، وهم مجمعون عى تعطيلها وإلغائها ، فإما أن تكون منسوخة بنصوص أخرى من التوراة ، أو بنقل صحيح عن موسى عليه السلام ، أو باجتهاد علمائهم وأحبارهم ، وعلى التَّقادير الثلاث فقد بطلت شبهتهم في إنكار النسخ .

ثم من العجب أن أكثر تلك الأوامر التي هم مجمعون على عدم القول والعمل بها ، إنما يستندون فيها إلى قول علمائهم وآرائهم ، وقد اتفقوا على تعطيل رجم الزاني – وهو نص التوراة – ومن مذهبهم : أن الفقهاء إذا أحلوا لهم الشيء صار حلالاً ، وإذا حرموه صار حراماً وإن كان نص التوراة بخلافه !! .

وهذا تجويز منهم لنسخهم ما شاءوا من شريعة التوراة ، فحجروا على الرب تعالى أن ينسخ ما يريد من شريعته ، وجوزوا ذلك لأحبارهم وعلمائهم ، فأشبهوا إبليس في أنه تكبر في أن يسجد لآدم ، ورأى ذلك نقيصة له ، ثم رضى أن يكون قواداً لكل عاصٍ وفاسق من أولاد آدم .

وأشبهوا أيضاً [عُبَّاد] الأصنام في أنهم أَنِفُوا أن يكون النبي المرسل من الله تعالى إليهم بشراً ثم رضوا أن يكون إلههم ومعبودهم حجراً نحتوه بأيديهم ، وأشبهوا أيضاً النصارى فإنهم نزهوا[بطارقتهم] عن الولد والصاحبة ، ولم يتحاشوا من نسبة ذلك إلى الله رب العالمين سبحانه وتعالى .

ولم يبق لليهود إلا أن يقولوا : إن موسى عليه السلام نص على دوام شريعته وتأبدها ما دامت السموات والأرض ، وهو يقتضي أن لا ناسخ لها ، فأحد الأمرين لازم : إما كذب خبر موسى ، أو بطلان شرع من بعده .

---

(١) كتاب (المواعظ والاعتبار) أحد مؤلفات المقريزي رحمه الله .

وأجيب عن هذا بجوابين : **أحدهما** : أن هذا من موضوعات ابن الراوندي وضعه لليهود فتمسكوا به ، وهذا جواب ضعيف ، لأن النص [عنده] موجود في التوراة ، ولا حاجة لهم إلى وضع ابن الراوندي .

الثاني : القدح في تواتر هذا الخبر بأن بخت نصَّر لما فتح بيت المقدس حرق التوراة وقتل اليهود حتى أفناهم إلا يسيراً منهم لا تحصل التوراة بخبره ، فصار هذا الخبر آحاداً لا يقبل في العمليات .

وهذا الجواب قريب غير أنه ليس بشاف لأنهم يدَّعون أن تواتره تواتر التوراة جميعاً ويمنعون ما ذكر من سبب انقطاع التواتر بأن بخت نصّر أسر نحو عشرة آلاف من بني إسرائيل منهم أربعة آلاف من أولاد الأنبياء مثل دانيال ونحوه ، وكلهم يحفظ التوراة عن ظهر قلب ، وهم منازعون في تصحيح هذه الدعوى ، ولا معول لهم في تصحيحها إلا على أنقال[1] موجودة في كتب لا يقدرون من تصحيحها إلا على مجرد الدعوى .

وهبْ أن ما ادعوه كما قالوا ، فقد وقع بهم بعد ذلك عدة ملوك منهم ملك مصر ، واستبعدهم سبع سنين ونصب الأوثان والأصنام في محاريبهم ببيت المقدس ، فأمر غابيوس قيصر ملك الروم أن تنصب أصنامه هو في محاريب اليهود ومعابدهم ، فنصبت ، وأحاطت باليهود بلايا كثيرة ووقع فيهم الاختلاف حتى كان بعضهم يقتل بعضاً في الأسواق .

وفرّ ملكهم أعربماس بن أسربلوس من هردوس من القدس إلى رومية ، وأخبر قيصر بما هم عليه من الشر ، فبعث عسكراً كثيفاً قتل منهم وأسر ملا يحصى كثرة ، ونقل أكثرهم إلى أنطاكية ورومية وخربت القدس ، ثم بعث قيصر قائداً على جيش كبير لتخريب القدس وقتل جميع اليهود وقد عمروا القدس فحصرهم سنة وخرَّب معاملات اليهود وقتلهم ثم سار عنهم ، وقدم طيطش فحصر القدس سنتين حتى مات أكثر أهلها جوعاً ، ووقع بينهم مع ذلك الاختلاف فاقتتلوا وهم محصورون حتى فنى أكثرهم ، ثم أخذهم طيطش عنوة وقتل من اليهود ما يجل عن الوصف ، حتى

---

(١) أنقال ونُقُول : جمع نَقْل .

أن عدد من مات منهم في الحصار ألف ألف ومائة ألف .

وخرَّب المدينة واليهكل وأحرق الجميع بالنار ، وسار معه منهم نحو مائة ألف نفس ، فأفنى الجميع بأنواع القتل ، ولم يبق أحد منهم في بيت المقدس ، وأشتد الأمر على من بقى منهم برومية ونحوها ، حتى لم يكن أحد منهم يظهر إلا قتل ؛ وتراجع منهم أناس إلى بيت المقدس فبعث إليهم ملك الروم جيشاً قتل معظمهم ، ولم يبق منهم إلا من فَرّ .

ثم في سنة سبع وأربعين وأربع مائة للإسكندر أخرب ملك الروم ما بقى بالقدس من العمارة ، وقتل عامة من به من يهود ، و [بنى] عموداً على باب مدينة القدس ونقش عليه : هذه مدينة إليا ، ويعرف اليوم موضع هذا العمود بمحراب داود .

ثم عمرَّ القدس فقدم إليها عدة من اليهود فبعث إليهم ملك الروم عسكراً حصرهم حتى مات أكثرهم جوعاً ، ثم أخذ المدينة وقتل معظم اليهود ، وخَرَّبها حتى بقيت صحراء .

وتبع اليهود فاستأصل شأفتهم وأنزل اليونان بالقدس وذلك بعد تخريب طيطش بثلاث وخمسين سنة . ثم جمع اليهود رجل منهم فبعث ملك الروم جيشاً فقتلوا أكثرهم .

وفي سنة خمس وعشرون وخمسمائة للاسكندر وقعت حُروبٌ بين اليهود والسَّامرة قتل فيها من الفريقيين ما يجل عن الوصف ، وفي قسطنطين الأكبر أمر أن لا يسكن يهودي الفرس وأدخل الجميع في دين النصرانية ، ثم امتحنهم يوم [الفصح] بأكل الخنزير فلم يأكلوه فقتلهم عن آخرهم .

وما برحت ملوك النصارى بقتلهم أبرح قتل إلى أن كانت أيام هرقل وقد ظهر دين الإسلام فأوقع باليهود في سائر مملكته ببلاد الشام وأرض مصر وأفريقية وقسطنطينية وأعمالها ، وقتل جميعهم حتى لم يبق منهم إلا من اختفى أو فَرَّ .

وقد أفردت في محن اليهود وما أنزل الله بهم من البلاء الذي تأذَّن في كتابه العزيز أن يكون عليهم إلى يوم القيامة جزاءاً جمعته من كتبهم وكتب النصارى ، ليكون أعظم حجة عليهم ، فليت شعري ، أي تواتر يبقى مع هذه الرزايا المجيحة ، والدواهي المبيرة ، والمحن التي لا تبقي ولا تذر ، إلا أن القوم بُهْتٌ ، وأكثر أصحابنا من الفقهاء

والمحدثين ، والنظار والمتكلمين ، لا يلمون بأخبار اليهود ، فينصبون الكلام معهم جدلاً ، وإلا فاليهود إذا نوظروا بما في كتبهم من محنهم تبين لمناظرهم أنه ليس معهم خبر يصح ، فكيف يدعى فيه التواتر ؟ ومع ذلك ففي توراتهم نصوص كثيرة وردت مؤبدة ، ثم تبين أن المراد بها التوقيت بمدة مقدرة ، كقوله : إذا خربت صور لا تعمر أبداً ، ثم عمرت بعد خمسين عاماً .

ومنها أذا خدم العبد سبع سنين أعتق ، فإن لم يقبل العتق استخدم أبداً ، ثم أمر بعتقه بعد مدة معينة سبعين سنة ، فإذا جاز في هذه النصوص المؤبدة أن يراد بها التوقيت فلم لا يجوز في نص موسى على تأييد شريعته بتقدير صحته ؟ وإلا فما الفرق ؟ .

فإن قيل : إذا جاز أن يكون نصّ موسى المؤبد مؤقتاً حتى جاز نسخ شرعته ، جاز أن يكون نص محمد ﷺ على تأبيد شريعته مؤقتاً فيجوز نسخها بعده بغيره ، وأنتم أيها المسلمون تأبون ذلك ؟ .

قلنا : لا يلزم ذلك ، والفرق بين النَّصَّين أن كتاب موسى الذي بيدكم الآن قد بينا أنه غير متواتر ، بخلاف كتاب محمد ﷺ الذي هو القرآن ، فتواتره عندنا وعندكم غير خافٍ على علمائكم .

ونشترك معكم فنقول : قد ورد في توراتكم نصوص بلفظ التأبيد والمراد بها التوقيت كما بينا طرفاً منها ، بخلاف القرآن فإنه لم يرد بذلك ، فلم يرد مثله في نصه – بحمد الله – وها هو قد طبق الأرض ، واجتهدتهم أنتم وغيركم في نقضه ، فلم تطيقوا ذلك ، فإن الله قد حفظه من التحريف والتبديل والتغيير فيه بزيادة أو نقصان ، بخلاف توراتكم ، وها أنا أبين حقيقة توراتكم وأنها ليست بالتوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام والله المعين الموفق .

* * *

وأما أنَّ التوَّراة التي هي الآنَ بأَيْدِي اليهُود ليستْ التوراة التي أنزلَهَا الله على موسى عليه السلام

فاعلم أن توراة اليهود : بيد اليهود نُسخة ، وبيد السامرية نُسخة ، وبيد النصارى نُسخة ، والنُّسَخ الثلاث مختلفة في كثير من الأمور غير متوافقة ، وكل فرقة تُحيل التحريف على غيرها ، فالتغيير لازم ، ويظهر عند التأمل أن التوراة التي بأيديهم الآن في مشارق الأرض ومغاربها قد زيد فيها وغيرت ألفاظ منها وبدلت ، وليست هي التوراة التي أُنزلت على موسى ، لأن موسى عليه السلام صان التوراة عن بني إسرائيل خوفاً من اختلافهم من بعده في تأويلها المؤدي إلى تفرقهم أحزاباً وإنما سلمها إلى عشيرته أولاد لاوي .

والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ **يحرفون الكلم عن مواضعه** ﴾(١) ، قيل : حرفوه بالتبديل ، وقيل : بالتأويل ، والحق : أنهم حرفوه بالأمرين ، ولعل اختلاف العبارتين في قوله : ﴿ **يحرفون الكلم عن مواضعه** ﴾ و ﴿ **من بعد مواضعه** ﴾(٢) إشارة إلى ذلك ، ويشبه أن تحريفه من بعد مواضعه بالتبديل ، وعن مواضعه بالتأويل ، لأن التبديل أخص التحريفين ، ومن بعد مواضعه أخص العبارتين ، فيجعل الأخص للأخص عملاً بموجب المناسبة .

وقد قال في التوراة : وكتب موسى هذه التوراة ودفعها إلى الأئمة من بني لاوي وكان بنو هارون قضاة اليهود وحكامهم ، لأن الإمامة وخدمة القرابين والبيت المقدس كانت موقوفة عليهم ، ولم يبذل موسى عليه السلام من التوراة إلا نصف سورة ، وهي التي قال فيها : وكتب موسى هذه السورة وعلمها بني إسرائيل – هذا نص التوراة عندهم .

قال : وتكون لي هذه السورة شاهدة على بني إسرائيل ، وفيها : قال الله : لأن هذه السورة لاتُنسي من أفواه أولادهم ، وهذه السورة مشتملة على ذم طبائعهم ، وأنهم سيخالفون شرائع التوراة ، وأن السخط يأتيهم بعد ذلك ، ويخرب ديارهم ، ويشتتون في البلاد .

---

(١) المائدة : ١٣ . (٢) المائدة : ٤١ .

فهذه السورة تكون متداولة في أفواههم كالشاهد عليهم ، الموقف لهم على صحة ما قيل لهم ، فلما نصت التوراة على أن هذه السورة لا تُنسي من أفواه أولادهم دلَّ على أن غيرها من السور ليس [كذلك] . وأنه يجوز أن ينسي من أفواههم .

وهذا يدل على أن موسى عليه السلام لم يعط بني إسرائيل من التوراة إلا هذه السورة ، وأما التوراة نفسها فدفعها إلى أولاد هارون ، وجعلها فيهم ، وصانها عن سواهم.

وهؤلاء الأئمة الهارونيون الذين كانوا يعرفون التوراة ويحفظون أكثرها قتلهم بُخْت نَصَّر يوم فتح بيت المقدس ، وحرق التوراة والمزامير كما حرقها نردوش اليوناني لما استولى على القدس .

ولم يكن حفظ التوراة فرضاً عليهم ولا سُنّة بل كان كل أحد من الهارونيين يحفظ فصلاً من التوراة ، فلما رأى عزرا أن القوم قد احترق هيكلهم ، وزالت دولتهم ، ورفع كتابهم ، جمع من محفوظاته ومن الفصول التي تحفظها الكهنة ما اجتمعت منه هذه التوراة التي بأيديهم ، وذلك بعد حين من السنين ، ولذلك بالغوا في تعظيم عزراً هذا غاية المبالغة ، وزعموا أن النور الآن يظهر على قبره – وهو على بطائح العراق – لأنه جمع لهم ما يحفظ دينهم ، وغلا بعضهم فيه حتى قالوا : هو ابن الله ، ولذلك نسب الله تعالى ذلك إلى اليهود بقوله : ﴿ **وقالت اليهود عزير ابن الله** ﴾[1] نسبةً إلى جنسهم لا إلى كل فرد منهم .

فهذه التوراة التي بأيديهم في الحقيقة كتاب عزيرٍ ، وفيها من التوراة التي أنزلها الله على موسى ، وأول دليل على أنها ليست التوراة التي أنزلها الله أنه قال في آخرها : وتوفي هناك موسى عبد الله في أرض موآب بقول الرب ، ودفنه في الوادي في عربات موآب[2] ، ولم يعرف إنسان موضع قبره إلى اليوم ، وكان قد أتى على موسى يوم

(١) التوبة : ٣٠ .

(٢) موآب أرض للموآبيين ، ويقابلها اليوم القسم الشرقي من البحر الميت لمملكة الأردن اليوم، وكان طولها ٥٠ ميلاً وعرضها ٢٠ ميلاً ، وتنقسم إلى قسمين : ١ ـــ أرض موآب ، وهي ما وقع شرقي البحر الميت وتسمى أيضاً بلاد موآب ، ٢ ـــ عربات موآب ، وهي ما كان في وادي الأردن مقابل أريحا . (قاموس الكتاب المقدس) : ٨٢٧ - ٨٢٨ .

توفى مائة وعشرون سنة ، ولم يضعف بصره ، ولم يتسخ وجهه ، [وبكى] على موسى بنو إسرائيل ثلاثين يوماً في عربة موآب[1] .

فلما تمت أيام حزنهم على موسى امتلأ يوشع بن نون من روح الحكمة ، لأن موسى كان قد وضع يده على رأسه في حياته ، وكان بنو إسرائيل يطيعونه ويعملون بأمره ، كما أمر الرب موسى .

ولم يقم أيضاً نبي في بني إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهاً قبل وجهه، وعمل جميع الآيات التي أمره الله أن يعملها بأرض مصر لفرعون ، وجميع عبيده وكل أرضه ، وأكمل كل البيداء العزيزة مع المنظر العظيم الذي عاين بنو إسرائيل من فعال موسى .

هذا نص التوراة ! فتأملوا يا عقلاء بني آدم هذا الفصل ، هل يجوز أن يكون مُنزلاً من عند الله على موسى ؟ أو هو أخبار مخبر منهم عما جرى بعد وفاة موسى ، تجدوه حكايتهم لما جرى ، وقد أوردت هذا على حبر من أحبار يهود فانقطع ولم يجر جواباً .

ثم إن هذه التوراة تداولتها أمة قد مَزَّقها الله كل مُمَزَّق ، وشتت شملها ، وقطَّعها في الأرض أمماً – أي فرقاً متباينين في الأقطار جميعاً – فَقَلَّ أرض لا يكون فيها منهم شرذمة ، وتأذَّن ربك أن يبعث عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ، وهذا حالهم ، وهم في كل مكان تحت الصَّغار والذّل ، سواءً كان أهل الأرض مسلمين أو نصارى .

* * *

(١) انظر هامش رقم (٢) في الصفحة السابقة .

فلحقها ثلاثة أمور[1] :

أحدها : الزيادة والنقصان ، **والثاني** : اختلاف الترجمة ، **والثالث** : اختلاف التأويل والتفسير ، ففيها : بالحبشة نهراً يقال له : جيحون محيط بجبالها ، وليس بالحبشة نهر يقال له : جيحون أو جيحان ، بل النهران أحدهما في أقصى بلاد العجم ، والآخر ينزل من جبال الروم وينصب في بحر الروم ، فالواقع والرواية متناقضان ، والغلط في كتاب الله ممتنع ، فالتوارة مُغَيّرة .

ومنها : أن نوحاً أخبر أن حاماً يكون عبداً لأخويه ، ثم ذكروا أن نمروذ بن كنعان من أولاد حام كان ملكاً جباراً ، وهو أول ملك ضرب المثل بشدته وشجاعته ، وأن مصر وقبطها من أولاده وأنهم استعبدوا بني إسرائيل مئتين من السنين ، وهم من بني سام ، وهذا تناقض .

ومنها : أن إسحاق قال لولده عيص : قد صيرت يعقوب عليك سلطاناً ، وجعلت كل اخوته له عبيداً ، ثم ذكر أن يعقوب لما انصرف من عند أخواله لقى عيص وسجد له سبع سجدات ، وأسجد أهله له ، وخاطبه يعقوب بالعبودية ، وأهدى إليه ، وهذا تناقض .

ومنها : أن يعقوب قال عند وفاته : لا ينقطع من يهود القضيب ولا من نسله قائد ، وقد انقطع القضيب والقائد من نسله مرة ست مرات وسنتين، ومرة سبعاً وسبعين سنة ، وهذه المرة الثالثة ، وما اجتمع بعدها شملهم ، ولا يجتمع لقوله تعالى : ﴿ **غلت أيديهم** ﴾[2] ، والمراد القدرة والسلطة .

وعن لوط أنه خرج من المدينة وسكن كهف الجبل ومعه ابنتاه ، فقالت الصغرى للكبرى : قد شاخ أبونا فارقدي بنا معه لنأخذ منه نسلاً ، فرقدت معه الكبرى ثم الصغرى - وهو سكران - ثم فعلتا ذلك في الليلة الثانية وحملتا منه

---

(١) كذا في (خ) .
(٢) المائدة : ٦٤ .

بولدين ! فهل يستجير أحد من الناس [أن يصدق] أن يوقع نبياً كريماً في مثل هذه الفاحشة العظيمة في آخر عمره ثم يذيعها عنه ، ويجعل ذلك وحياً يتلى في المحاريب آلافاً من السنين في أقطار الأرض ؟ فهذا ما لا يجوّزه أحد له عقل .

* * *

ومنها أن الله تجلى لموسى في سيناء

وقال له بعض كلام كثير : أدخل يدك في [حجرتك] وأخرجها مبروصة كالثلج ! وهذا من النمط الأول ، والله لم يتجل لموسى ، وإنما أمره أن يُدخل يده في جيبه ، وأخبره أنها تخرج بيضاء من غير سوء ، أي برص .

ومنها : أن هارون هو الذي صاغ لهم العجل حتى عبدوه ، وهذا إن لم يكن من افترائهم فهو اسم للسامري لا أخو موسى .

ومنها : أن الله رأى كثرة فساد الآدميين في الأرض فندم على خلقهم وقال كلاماً في آخره : وإني نادم على خلقهم جداً ! تعالى الله وتنزه عن ذلك .

ومنها : أن الله - سبحانه وتعالى علوا كبيراً - تصارع مع يقوب فضرب به يعقوب الأرض ، **ومنها** : أن يهوذا بن يعقوب زوج ابنه الأكبر من امرأة يقال لها : يامارا ، فكان يأتيها مستدبراً فغضب الله من فعله فأماته ، فزوج يهوذا ولده الآخر بها ، فكان إذا دخل بها أمنى على الأرض ، علماً بأن [ولدها] كان أول أولاده مدعواً باسم أخيه ومنسوباً إلى أخيه ، فكره الله ذلك من فعله فأماته ، فأمر بها يهوذا باللحاق ببيت أبيها إلى أن يكبر شيلا ولده ويتم عقله ، ثم ماتت زوجة يهوذا وذهب إلى منزل له ليجز غنمه .

فلما أخبرت يامارا ولبست زي الزواني وجلست له على طريقه ، فلما مر بها خالها زانية فراودها عن نفسها فطالبته بالأجرة ، فوعدها بجدي ورمى عندها عصاه وخاتمه ، فدخل بها فعلقت منه ، ومن ولده هذا داود النبي ! .

فانظر كيف اشتمل هذا الافتراء القبيح على طامتين عظيمتين ، إحديهما : أم يهوذا هذا أحد الأسباط الأثنى عشر ، وقد أثنى الله تعالى عليهم ، وذكرهم مع كرام الرسل ، فقال الله تعالى : ﴿ **قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن مسلمون** ﴾[1] ، وقوله تعالى : ﴿ **إنا أوحينا**

---

(١) البقرة : ١٦٣ .

إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً ﴾[1] ، فكيف يجوز أن يخبر الله تعالى عن من أمرنا أن نؤمن بما أنزل إليه وأخبر أنه أوحى إليه بأنه زنى ثم يفضحه أشد الفضيحة بأن يجعل الخبر عنه بزنائه وحياً يتلى آلافاً من السنين ؟ هذا ما لا يشك من له [أدنى] تأمل بأنه إفكٌ مفتَرَى .

والثاني : أنهم جعلوا داود عليه السلام ابن زنا ، كما جعلوا المسيح [ابن] مريم - رسول الله وكلمته - ابن زنا ! ثم كفاهم ذلك حتى نسبوه إلى التوراة ، وليس هذا ببدع من شأنهم فقد نسبوا إلى الله العلي الكبير عظائم منها : أنه استراح في اليوم السابع من خلق السموات والأرض ! فأنزل الله تكذيبهم على لسان رسوله محمد ﷺ في قوله [تعالى] : ﴿ **ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسَّنا من لغوب** ﴾[2] .

فقد تبين أن التوراة وقع فيها التحريف والتبديل ، والزيادة والنقص في عدة مواضع .

* * *

---

(١) النساء : ١٦٣ .

(٢) ق : ٣٨ .

وهذه نبذة من مقتضيات غضب الله تعالى عليهم

واعلم أن مقتضيات غضب الله على اليهود كثيرة :

* منها أن الله تعالى فلق البحر لأسلافهم ، وأغرق فرعون عدوّهم ، وأنجاهم ، فما جفَّتْ أقدامهم حتى قالوا لموسى عليه السلام : ﴿ **اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة** ﴾[1] .
* ومنها أن موسى عليه السلام لما ذهب لميقات ربه ، لم يمهلوه حتى عبدوا العجل المصنوع بحضورهم .
* ومنها أنهم مع مشاهدتهم الآيات والعجائب ، كانوا يهمون برجم موسى وهارون – عليهما السلام – في كثير من الأوقات ، والوحي بين أظهرهم .
* ومنها أن موسى لما ندبهم إلى الجهاد قالوا له : ﴿ **فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون** ﴾[2] .
* ومنها أنهم آذوا موسى بأنواع الأذى ، حتى قالوا : أنه آدَر[3] ، ﴿ **فبرأه الله مما قالوا** ﴾[4] .
* ومنها أن هارون لما مات قالوا لموسى : أنت الذي قتلته وغيبته ، فرفعت الملائكة تابوته بين السماء والأرض حتى عاينوه ميتاً .
* ومنها أنهم آثروا العودة إلى مصر ليشبعوا من أكل اللحم والبصل ، والقثاء والعدس[5] ، هكذا عندهم ، والذي حكاه عنهم – وهو أصدق القائلين – أنهم آثروا ذلك على المن والسلوى .

---

(١) الأعراف : ١٣٨ . (٢) المائدة : ١٢٤ .

(٣) الأُدْرَة ، بالضم : نفخةٌ في الخصية ، ورجل آدَرُ : بيّن الأدَرَةِ ، ومنها الحديث : إن بني إسرائيل كانوا يقولون إن موسى آدَرُ ، من أجل أنه كان يغتسل وحده ، وفيه نزل قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً** ﴾ [الأحزاب : ٦٩] .

(٤) الأحزاب : ٦٩ .

(٥) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها** ﴾[البقرة : ٦١] .

* ومنها انهماكهم على الزنا وموسى بين أظهرهم ، وعدوهم بإزائهم حتى ضعفوا عنهم ، ولم يظفروا بهم كما هو معروف عندهم .
* ومنها أن يوشع تزوج زانية مشهورة بالزنا ، وأن داود زنا بالمرأة ، أو زنا وابنه سليمان منها وأن أَمْنُون بن داود افتضَّ أخته من أبيه فقتله شقيقها ، وأنه أخذ سراري أبيه داود وفسق بهن ، وأن سليمان بن داود بنى لنسائه بيوت الأوثان وأباح لهن عبادتها .
* ومنها عبادتهم الأصنام بعد عصر يوشع بن نون عليه السلام .
* ومنها تحايلهم على صيد الحيتان يوم السبت ، حتى مُسخوا قردة خاسئين ، واقتدى بهم إلى الآن خلفهم في الوفود ليلة السبت ، وغير ذلك من الأعمال المحرمة عليهم في السبت .
* ومنها قتلهم كل يوم سبعين نبياً ثم يقيمون سوقهم كأنهم جزور وأغنام .
* ومنها قتلهم يحيى بن زكريا ونشرهم أباه زكريا بالمنشار .
* ومنها اتفاقهم على تغيير كثير من أحكام التوراة .
* ومنها رميهم لوطاً عليه السلام بأنه زنا بابنتيه وهو سكران .
* ومنها رميهم يوسف عليه السلام بأنه حل سراويله وجلس من امرأة العزيز مجلس القابلة من المرأة ، فقام وهرب ، وهذا لعمري لو رآه أفسق الناس وأفجرهم لقام عن المرأة ولم يقض وطراً .
* ومنها طاعتهم للخارج على ولد سليمان بن [داود][1] ، لما وضع لهم كبشين من ذهب فعكفت جماعتهم على عبادتها إلى أن جرت حروب بينهم وبين المؤمنين الذين كانوا مع ولد سليمان ، قتل منهم في معركة واحدة أُلوف مؤلفة – كما ذكر في كتاب (المواعظ والاعتبار)[2] ، وفي كتاب (عقد جواهر الأسفاط)[2] .

ثم هم مع ذلك يزرون على أهل الإسلام ويقولون : أنها ترى أكثر الفواحش تقع في المسلمين ، إلا ممن هو أعلم وأفقه في دينكم ، كالزنا واللواط ، والخيانة والحسد ، والقتل والغدر ، والتكبر والخيلاء ، وقلة الورع ، وقلة اليقين ، وقلة الرحمة والمروءة والحمية ، وكثرة الهلع ، والتكالب على الدنيا ، والكسل في الحسنات ، وهذا الحال يكذب لسان المقال .

---

(١) زيادة للسياق . (٢) من مؤلفات المقريزي رحمه الله .

فيقال لهم : ألا تستحيون من يقين المسلمين الموحدين بذنوبهم ؟ أو لا تستحي ذرية قتلة الأنبياء من يقين المجاهدين لأعداء الله وذريتهم ؟ فأين ذريته من سيوف آبائهم تقطر من دماء أنبياء الله إلى ذرية من سيوفهم تقطر من دماء أعداء الله الذين كفروا بالله وأشركوا به ؟ .

أَو لا يستحي من يقول لربه في صلاته : انتبه ! كم تنام ! استيقظ من رقدتك أن يعير من يقول في صلاته : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، من همزه ونفخه ونفثه ، ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين * إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾(١) فيا الله ، لو بلغت ذنوب المسلمين عدد الحصا والرمال ، والتراب والأنفاس ، ما بلغت قتل نبي واحد ، ولا بلغت قول اليهود : ﴿ **إن الله فقير ونحن أغنياء** ﴾(٢) ، وقولهم : ﴿ **يد الله مغلولة ، غُلَّت أيديهم ولعنوا بما قالوا** ﴾(٣) ، وقولهم : ﴿ **عزير بن الله** ﴾(٤) ، وقولهم : إن الله بكى على الطوفان حتى رقد من البكاء وعادته الملائكة ! ، وقولهم : إنه تعالى عضَّ على أنامله على ذلك ، وقولهم : أنه ندم على خلق البشر ، وشقّ عليه لما رأى من معاصيهم وظلمهم .

وأعظم من هذا كله نسبة هذه العظائم إلى التوراة التي أنزلها الله تعالى على كليمه ، وفيها هدى ونور ، فوالذي تقوم السماء بأمره ، لو بلغت ذنوب المسلمين ما بلغت ، ما كانت في جنب ذلك إلا كقطرة في بحر ، أو ذرة في قفر . والله الموفق بمنه .

* * *

---

(١) الآيات من أول سورة الفاتحة .
(٢) آل عمران : ١٨١ .
(٣) المائدة : ٦٤ .
(٤) التوبة : ٣٠ .

بحث تاريخي عن
الأَناجيل التي بين يدي النصارى

إن النصارى كلهم : أريوسييهم ، وملكانييهم ، ونسطوريهم ، ويعقوبييهم ، ومارونييهم ، ويونانييهم ، لايختلفون في أن الأناجيل أربعة ، ألفها أربعة رجال في أزمان مختلفة .

فأولها : ألّفه مَتَّى[1] اليوناني تلميذ المسيح عليه السلام ، بعد ثماني سنين من رفع المسيح ، وكتبه بالسريانية في بلد يهوذا بالشام ، وهو نحو ثمان وعشرين ورقة بخط متوسط .

---

(١) متَّى : من الاسم العبري « متتيا » ، الذي معناه « عطية يهوه » وهو أحد الاثنى عشر رسولاً ، وكاتب الإنجيل الأول المنسوب إليه .

وكان متَّى في الأصل جابياً في كفر ناحوم ، ودعى من موضع وظيفته ، وكانت وظيفة الجباية محتقرة بين اليهود ، إلا أنها أفادت متى خبرةً بمعرفة الأشغال ، و لم يذكر شيء من أتعابه في العهد الجديد إلا أنه كان من جملة الذين اجتمعوا في العلية بعد صعود المسيح ، وزعم يوسيبيوس أنه بشر اليهود ، ويرجَّح أن مؤلف هذا الإنجيل هو متى نفسه ، وذلك للأسباب الآتية :

١ ــ يذكر لوقا أن متى صنع للسيد المسيح وليمة كبيرة في أول عهده بالتلمذة ، أما متى فيذكرها بكل اختصار تواضعاً .

٢ ــ الشواهد والبينات الواضحة من نهج الكتابة بأن المؤلف يهودي متنصّر .

٣ ــ لا يعقل أن إنجيلاً (خطيراً) كهذا هو في مقدمة الأناجيل ، ينسب إلى شخص مجهول ، وبالأحرى أن ينسب إلى أحد تلاميذ المسيح .

٤ ــ يذكر بابياس – في القرن الثاني الميلادي – أن متى قد جمع أقوال المسيح .

٥ ــ من المسلم به أن الجابي عادة يحتفظ بالسجلات ، لأن هذا من أهم واجباته لتقديم الحسابات ، وكذلك فإن هذا الإنجيليّ قد احتفظ بأقوال المسيح بكل دقة .

ويرجع أن هذا الإنجيل كُتب في فلسطين لأجل المؤمنين من بين اليهود الذين اعتنقوا الديانة المسيحية .

واختلف القول بخصوص لغة هذا الإنجيل الأصلية ، فذهب بعضهم إلى أنه كتب أولاً في العبرانية ، أو الأرامية التى كانت لغة فلسطين في تلك الأيام .

وذهب آخرون إلى أنه كتب في اليونانية كما هو الآن . أما الرأي الأول فمستند إلى شهادة الكنيسة القديمة ، فإن آباء الكنيسة قالوا : أنه تُرجم إلى اليونانية ويستشهدون بهذه الترجمة ، فإذا سلمنا بهذا الرأى ، التزمنا بأن نسلم بأن متى نفسه ترجم إنجليه ، أو أمر بترجمته .

أما الرأي بأن متى نفسه ترجم إنجيله العبراني ، فيفسّر سبب استشهاد الآباء بالإنجيل اليوناني نفسه ، فإن متى يوافق مرقس ولوقا في العظات ، ويختلف عنهما أكثر ما يكون في القصة ، ثم إن الآيات المقتطفة في العظات ، هي من الترجمة السبعينية ، وفي بقية القصة هي ترجمات من العبرانية .

ولابد أن هذا الإنجيل قد كتب قبل خراب أورشليم ، وذهب بعض القدماء إلى أنه كتب في السنة الثامنة بعد الصعود ، وآخرون إلى أنه كتب في الخامسة عشرة ، ويظن (البعض) أن إنجيلنا الحالي =

والثاني :(1) ألفه مارقس الهاروني ، ويقال له : مرقس(2) ، وهو من السبعين ، وهو تليمذ شمعون بن يونا ، بعد اثنتي عشرة سنة من رفع المسيح ، وكتبه باليونانية في بلد إيطاليا من بلاد الروم ، وهي أنطاكية ، ويقال : كتبه بمدينة رومية ، وزعموا أن شمعون هذا هو الذي ألّفه ، ثم محا اسمه من أوله ، ونسبه إلى تلميذه مارقس ، وهو نحو أربع عشرة ورقة بخط متوسط .

= كتب بين سنة ٦٠ وسنة ٦٥ م ، وأن إنجيل مرقس ولوقا كتبا في تلك المدة نفسها (قاموس الكتاب المقدس) : ٨٣٢ - ٨٣٣ .

(1) في (خ) : « الآخر » .

(2) مرقس : اسم لاتيني ، معناه مطرقة ، وهو ابن امرأة تقيَّة من أورشليم ، كانت أختاً لبرنابا ، وهي التي كان الرسل والمسيحيون الأولون يجتمعون مراراً في دارها للصلاة . وقيل : أنه آمن بواسطة إنذار بطرس الرسول لأنه كان يدعوه ابناً له ، وكان مرافقا لبولس وبرنابا في سفرهما الأول للتبشير ، حتى وصل إلى برجة ، ففارقهما هناك ، ورجع إلى أورشليم ، ولذلك أبى بولس أن يقبله رفيقاً له في سفره الثاني ، فانطلق مع برنابا إلى قبرس ، وكان حينئذ في أنطاكية ، ويحتمل أنه كان قد أُرسل إلى هناك من أورشليم من قِبَل الرسل ، غير أنه تصالح مع بولس فيما بعد ، وصار رفيقاً له ، وكان يمدحه بأنه كان نافعاً ، وأخيراً صحب تيماثاوس إلى رومية وكتب الإنجيل المدعو باسمه .

وقيل : إن بطرس أرسله إلى مصر ليبشر فيها باسم يسوع المسيح ، وكانت أتعابه ناجحة في ليبية ، ومرموريكا ، وبنتا بوليس ، ثم عاد إلى الاسكندرية وهاج عليه فيها اضطهادات شديدة من جمهور الوثنيين في موسم عيد إله لهم يسمى سيرابيس . ثم مات لشدة ما أنهكه من آلام العذابات الكثيرة ، بعد أن حُبس ليلة . (مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين) ٢ / ٢١٦ .

وإنجيل مرقس هو الثاني من ترتيب الأناجيل الأربعة ، مع أن هذا لا يعني بالضرورة أنه كتب بعد إنجيل متى . وهو أقصر الأناجيل الأربعة ، والمادة التي يقدمها مرقس في إنجيله يقدمها في تفصيل كثير .

فيتقدم قصة حياة المسيح ، وأعماله .... بسرعة ، وفي تصوير رائع ، وفي مناظر متعاقبة ، الواحد تلو الآخر ، وتسير هذه المناظر في ترتيب تاريخي متسلسل ، ويوجه مرقس عناية خاصة إلى ما عمله المسيح ، أكثر مما يوجهه إلى تعليم المسيح .

وكان الاعتقاد السائد في أواخر القرن الأول الميلادي ، أن هذا الإنجيل كتب في روما ، وَوُجِّه إلى المسيحيين الرومانيين ... وقد ذكر إيريليوس أحد آباء الكنيسة الأولين ، أن مرقس كتب البشارة التي تحمل اسمه قائلاً : « بعد أن نادى بطرس وبولس بالإنجيل في روما ، بعد انتقالهم - أو خروجهما - سلم لنا مرقس كتابة مضمون ما نادى به بطرس » .

وإذا كان الأمر كذلك ، فربما كتب هذا الإنجيل بين عام ٦٥ وعام ٦٨ م ، ويلاحظ أن الجزء الأخير من الإنجيل - وهو ص ١٦ : ٩ - ٢٠ - وجد في بعض المخطوطات القديمة ، ولم يوجد في (بعضها) الآخر ، مثل المخطوطة السينائية ، ومخطوطة الفاتيكان ، ولكن يجبُ أن لا يغرب عن بالنا أن حوادث الظهور الواردة في هذه الأعداد ، وكذلك أقوال المسيح المقام المذكورة فيها حقائق دامغة يؤيدها ورودها في الأناجيل الأخرى . (قاموس الكتاب المقدس) : ٨٥٣ - ٨٥٥ باختصار .

والثالث : ألفه لوقا[1] – الطبيب الأنطاكي ، تلميذ شمعون المذكور – وكتبه باليونانية في بلد [ ][2] وهي الاسكندرية بعد تأليف مارقس ، وهو نحو إنجيل متى .

والرابع : ألفه يوحنا ابن زَبدي[3] تلميذ المسيح بعد رفعه بثلاثين سنة ، وكتبه باليونانية في بلد آسية ، وهو نحو أربع وعشرين ورقة ، ويوحنا هذا هو الذي ترجم إنجيل متى من العبرانية إلى اليونانية .

---

(١) لوقا : إسم لاتيني ربما كان اختصار « لوقانوس » أو « لوكيوس » وهو صديق بولس ورفيقه ، وقد اشترك معه في إرسال التحية والسلام إلى أهل كولوسي ، حيث وصفه بالقول « الطبيب الحبيب » .

وقيل : إن لوقا البشير كان يهودياً دخيلاً من أنطاكية ، وزعم بعضهم أنه كان من تلاميذ المسيح السبعين ، وليس ذلك بصحيح كما يظهر من مقدمة إنجيله ، وكان هذا الرجل صاحباً أميناً لبولس الرسول في أسفاره الكثيرة ، وإتعابه وآلامه ، كما يتضح من سفر أعمال الرسل ، وكانت صناعته الطب .

وقيل : إن لوقا استشهد في حُكم نيرون الملك الروماني ، وهو لا يبعد عن الصواب ، لأنه كان غالباً مصاحباً لبولس الذي قضى نحبه هناك .

وهناك رأي آخر يقول : على أن زمن موته وكيفيته لا يعرف أحد منها شيئاً ، إلا أن هناك تقليداً يذكر أنه مات في بثينية في سن متقدمة ، وبثينيّة مقاطعة في الشمال الغربي من آسيا الصغرى ، يحدّها شرقاً بافلاغونيا ، وشمالاً البحر الأسود ، وجنوباً فريجية وغلاطية ، وغرباً بحر مرمرة .

وإنجيل لوقا هو الإنجيل الثالث ، وقد وُجّه إلى شخص شريف يُدعى ثاوفيلس ، يرجح أنه أحد المسيحيين من أصل أممي ، وكل الدلائل تشير إلى أن هذه البشارة كتبت حوالي عام ٦٠ ميلادي . (مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين) : ٢ / ٢١٦ ، (قاموس الكتاب المقدس) : ٨٢٢ – ٨٢٣ .

(٢) ما بين الحاصرتين كلمة غير واضحة في (خ) ، وما بعدها فسَّرها .

(٣) هو يوحنا ابن زَبدي ، أحد تلاميذ المسيح الأثنى عشر ، وهو المعروف بيوحنا الحبيب ، وقد كان في البداية يعمل صياداً للسمك ، ويبدو أنه لم يكن صياداً بسيطاً ، بل كان على قدر من اليسار ، إذا ذكر عنه أنه عندما دعاه السيد المسيح ترك السفينة والشبّاك والأجراء .

كتب يوحنا هذا الإنجيل بعد كتابة البشائر الثلاثة الأولى بزمن طويل ، والغالب أنه كتب بعد سنة ٩٠ ميلادية ، أي بعد رفع السيد المسيح بحوالي ٦٠ عاماً ، وكانت المسيحية في ذلك الوقت قد بدأت في الانتشار ، وبدأت أيضاً تقاسي ليس من اضطهاد اليهود فقط ، بل أيضاً من اضطهاد الدولة الرومانية .

وقد كانت اللغة اليونانية هي السائدة في ذلك العصر ، وهي لغة المثقفين في كل البلاد ، وكان كثير من اليونانيين قد آمنوا بالمسيح ، والآخرون يريدون أن يعرفوا هذه الديانة ، ولذلك كتب يوحنا إنجيله باللغة اليونانية ليسهل على الجميع قراءته ... ولم يتعرض يوحنا لذكر نسب السيد المسيح لأنه كتب إنجيله لليونانيين ، ولا شك أنه كان صعباً على الفكر اليوناني أن يتقبل مسألة الأنساب التي كان اليهود يهتمون بها جداً . (دراسات في الكتاب المقدس) : ١ / إنجيل يوحنا ، ٦ – ١١ .

وعدة هذه الأناجيل الأربعة تسعة آلاف واثنان وستون آية ، وليس أحد من النصارى يزعم أن هذه الأناجيل الأربعة منزلة من عند الله على المسيح ، ولا أن المسيح أتى بها ، بل كلهم يرى فيها ما قلنا .

ولا يستريب عالم في أن التبديل والتحريف تطرق إلى لفظها وإلى معناها ، وهذه الأناجيل الأربعة يخالف بعضها بعضاً ومتناقضة ، كما ذكر فيها قصة صلب عيسى ، وكيف تكون في الإنجيل الذي أنزل الله على المسيح قصة صلبه وما جرى له ، وأنه أصابه كذا وكذا ، وصُلب يوم كذا وكذا ، وقام من القبر ، وغير ذلك مما هو من كلام شيوخ النصارى .

والإنجيل على قولهم نزل على المسيح قبل صلبه بزعمهم ، وغايته أن يكون من كلام الحواريين ثلاثة أناجيل ، وسمُّوا الجميع إنجيلاً وفيها ذكر القول ونقيضه ، فمنها أنه قال : إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق غير مقبولة ، ولكن غيري يشهد لي .

وقال في موضع آخر : إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق ، لأني أعلم من أين جئت ، وإلى أين أذهب . ومنها أنه لما استشعر بوثوب اليهود عليه قال : جزعت نفسي الآن فماذا أقول يا أبتاه ، سلمني من هذا الموقف .

ومنها أنه لما رفع على خشبة الصلب صاح صياحاً عظيماً وقال : يا إلّهي ! لم أسلمتني ؟ فكيف تجمع هذا مع قولهم : إنه هو الذي اختار نفسه إلى اليهود يصلبوه ويقتلوه، رحمة منه بعباده حتى فداهم بنفسه من الخطايا ، وأخرج بذلك آدم ونوحاً وإبراهيم وموسى وجميع الأنبياء عليهم السلام ، من جهنم بالحيلة التي دبرها على إبليس .

وكيف يبتلى إلّه العالم بذلك ، وكيف يسأل السلامة منه ، وهو الذي اختاره ورضيه ، وكيف يشتد صياحه ويقول : يا إلّهي ! لم اسلمتني ؟ وهو الذي أسلم نفسه ، وكيف لم يخلصه أبوه مع قدرته على تخليصه ، وإنزال صاعقة على الصليب وأهله ؟ أم كان رباً عاجزاً مقهوراً مع اليهود ؟ جلّ الله عن قولهم .

ولو أتينا بما حرفوه في الإنجيل لأتينا به أو غالبه ، غير أن الله تعالى صرفهم عن بضع وثلاثين موضعاً فيها بشارات بنبينا محمد ﷺ ، وإنما إليه ليكون حجة عليهم .

ولهم إنجيل خامس يسمى إنجيل الصبوة ، فيه الأشياء التي صدرت من المسيح عليه السلام في حال طفولته ، وهو يحكي عن بطرس عن مريم عليها السلام ، وفيه زيادات ونقصان ، وذكر فيه قدوم المسيح وأمه ، ويوسف النجار إلى صعيد مصر ثم عودتهم إلى الناصرة .

فقد تبين أن الإنجيل إنما نقله أربعة رجال ، منهم اثنان [فقط][1] من أصحاب المسيح بل من التابعين لهم ، ولا جرم لما نقل هذا الكتاب بلفظ الآحاد وقع فيه الغلط . والله الموفق للصواب وإليه المرجع [والمآب][1] .

* * *

(١) زيادة للسياق .

[المعجزة في رأي المتكلمين]

وأما المعجزة ، فإنها على طريقة المتكلمين أمر يظهر بخلاف العادة في دار التكليف ، لإظهار صدق [مدعي النبوة] ، مع نكول من يتحدي به عن معارضته بمثله ، وقُيد بدار التكليف ، لأن ما كان في الآخرة من خلاف العادة لا يكون معجزة ، وبإظهار صدق مُدَّعى النبوة احترازاً عما يظهر على يد الولي والمتألّه ، إذ في ظهور إخلاف العادة على يد المتأله جائز دون المتنبي ، والفرق أن ظهوره على يد المتنبي يوجب انسداد باب معرفة النبي ، وأما ظهوره على يد المتأله [لا يوجب][1] انسداد باب معرفة الإلـٰه ، لأن كل عاقل يعرف أن الآدمي لاشتماله على أمارات القصور ، لا يكون إلّهاً ، ولو رؤى منه [أيُّ خارق][1] للعادة .

وقيد بإظهار صدقه لأنه لو ظهر لإظهار كذبه لا يكون معجزة ، كما لو ادعى المتنبيء أن معجزتي نطق هذه الشجرة فأنطقها الله تعالى بتكذيبه لا تكون معجزة ، وقيد بنكول من يُتحدى به عن معارضته ، لأنها تخرج عند المعارضة عن الدلالة ، ووجه دلالة المعجزة ما سبق من العلم ، فإن الله سامع لدعواه ، وأن ما ظهر على يده لا يقدر عليه إلا الله ... إلى آخره .

وقال بعضهم : المعجز هو الأمر المِمكن الخارق للعادة المقرون بالتحدي الخالي عن المعارض ، وقال آخر : المعجزة فعل يظهر على يد من يدعي النبوة بخلاف العادة في زمان التكليف موافقاً لدعواه ، وهو يدعو الخلق إلى معارضته ويتحداهم أن يأتوا بمثله فيعجزون عنه ، فيتبين به صدق من ظهر على يده .

وقال آخر : المعجزة أفعال تعجز البشر عن مثلها فسميت بذلك معجزة ، وليست من جنس مقدور العباد ، وإنما تقع في غير محل قدرتهم . وللناس في كيفية وقوعها ودلالتها على تصديق الأنبياء خلاف :

فقال المتكلمون بناء على القول بالفاعل المختار : هي واقعة بقدرة الله [تعالى][1]

---

(١) زيادة للسياق .

لا بفعل النبي ، وإن كانت أفعال العباد عند المعتزلة صادرة عنهم ، إلا أن المعجزة لا تكون من جنس أفعالهم ، وليس للنبي فيها عند الجميع إلا التحدي بها بإذن الله ، وهو أن يستدل بها النبي قبل وقوعها على صدقة في مُدعاه ، فتنزل منزلة القول الصريح من الله بأنه صادق ، وتكون دلالتها على الصدق قطعية ، فالمعجزة الدالة مجموع الخارق والتحدي ، ولذلك كان التحدي جزءاً منها ، والتحدي هو الفارق بينهما وبين الكرامة والسحر ، إذ لا حاجة إلى التصديق ، ولا وجود للتحدي ، إلا أن وجد اتفاقاً .

وإن وقع التحدي في الكرامة عند من يجيزها وكانت لها دلالة ، فإنما هي على الولاية ، وهي غير النبوة ، ومن هنا منع الأستاذ إبو إسحق وغيره وقوع الخوارق كرامة فراراً من الالتباس بالنبوة عند التحدي بالولاية .

ومنع المعتزلة أيضاً من وقوع الكرامة ، لأن الخوارق عندهم ليست من أفعال العباد ، وأفعالهم لهم معادة ، ولا خارق .

وعند الحكماء : أن الخارق من فعل النبي ، ولو كان في غير محل القدرة ، وبنوا ذلك على مذهبهم في الإنجاب الذاتي ، ووقوع الحوادث بعضها عن بعض متوقف على الشروط والأسباب الحادثة ، مستندة أخيرًا إلى الواجب بالذات [الفاعل][1] لا بالاختيار ، وأن النفس النبوية عندهم لها خواص ذاتية ، منها : صدور هذه الخوارق بقدرته وطاعة العناصر له في التكوين ، والنبي عندهم مجبول على التصريف في الأكوان ، متى توجه إليها واستجمع لها بما جعل الله له من ذلك .

والخارق عندهم يقع للنبي ، كان التحدي أو لم يكن ، وهو شاهد بصدقه من حيث دلالته على تصرف النبي في الأكوان ، الذي هو من خواص النفس النبوية عندهم ، لا تنزل منزلة القول الصريح بالتصديق ، فلذلك لا تكون دلالتها قطعية كما هي عند المتكلمين ، ولا يكون التحدي جزءاً من المعجزة ، ولم يصبح فارقاً لها عن السحر والكرامة .

وفارقها عندهم عن السحر : أن النبي مجبول على أفعال الخير مصروف عن أفعال الشر ، ولا يلم الشر بخوارقه .

---

(١) زيادة للسياق .

والساحر أفعاله كلها شر ، وفي مقاصد الشر ، وفارقها عن الكرامة : أن خوارق النبي مخصوصة كصعود السماء ، والنفوذ في الأجسام الكثيفة ، وإحياء الموتى ، وتكليم الملائكة ، والطيران في الهواء .

وخوارق الولي دون ذلك ، كتكثير القليل والحديث عن بعض المستقبل ، ونحو ذلك مما هو قاصر عن تصريف الأنبياء ، ويأتي النبي بمثل خوارقه ، ولا يقدر هو على مثل خوارق الأنبياء . وقد قرر ذلك المتصوفة ، فيما كتبوه في طريقهم وفعلوه عن مواجدهم .

* * *

[الآيـة]

وأما الآية : فإنها العلامة ، والمعجبة ، والخارقة للعادة ، فهي أعم من المعجزة ، لأن من شرط المعجزة التحدي بها ، بخلاف الآية ، فقد لا يتحدى بها ، بل تظهر خارقة للعادة على يد النبي ، وإن لم يتحد بها في الحال ، فعلى هذا يقال لما تقدم من ذلك البعثة النبوية ، بل وجوده عليه السلام آية ، ولا تقال له : معجزة ، إلا بنوع من المجاز بنا ، على أن المعجزة بمعنى الخارقة في الجملة ، ولذلك لما وقع من ذلك بعد وفاته عليه السلام آية ، لأن الآية تشمل المعجزة وغيرها .

وقد تغلغل بنا الكلام في هذه المهمات ، وفيها فوائد تعود بخير لمن وفقه الله إلى سواء السبيل ، وهذا حين أشرع في إيراد ما أمكن من معجزات رسول الله ﷺ فأقول :

إعلم أن معجزات الرسول ﷺ كثيرة جداً ، وقد ذكر بعض أهل العلم أن أعلام نبوته تبلغ ألفاً[١] ، وقال القاضي أبو بكر بن العربي[٢] : والنبي إذا عظم قدره عظمت أسماؤه ، وأما معجزاته فقد بينا في كتاب (الأصول والإملاء لأنوار الفجر)[٣] ألف معجزة جمعناها للنبي ﷺ ، منها ما هو في القرآن قد تواتر ، ومنها ما نقل آحاداً ، ومجموعها خرق للعادة على يديه ﷺ .

وكانت صورة رسول الله ﷺ وهيئته وسمته وشمائله ، تدل العقلاء على صدقه ، ولهذا قال عبد الله بن سلام : فلما رأيت وجهه عرفت أنه ليس بوجه كذاب ، ولذا كان من سمع كلامه ، ورأى آدابه ، لم يدخله شك ، وقد كان في صغر سنه وبدء[٤] أمره ، يعرف بالأمانة والصدق وجميل الأخلاق ، كما تقدم ذكره .

---

(١) (دلائل النبوة للبيهقي) : ٥ / ٤٩٩ – ٥٠٠ .

(٢) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد ، شيخ القاضي عياض (٤٦٨ – ٥٤٣ هـ) .

(٣) من مؤلفات المقريزي رحمه الله .

(٤) في (خ) : « وبدو » .

وما أحسن فهم قيصر ملك الروم حيث يقول : ما كان ليترك الكذب على الخلق ويكذب على الله . ومع ذلك فقد أيده الله تعالى بالآيات المعجزات ، وما يمتنع عن قُدَر المخلوقين من براهين النبوة وأعلامها ، كسجود الإبل له ، وتسليم الصخور عليه ، وسعي الأشجار إليه ، وكلام الذئاب إياه ، وحنين الخشب الموات إلى قربه ، وانشقاق القمر حتى رؤى الجبل بين فلقتيه ، وإخباره بالأمور قبل وقوعها ، إلى غير ذلك مما سنورده إن شاء الله من الأحاديث التي تَوَلَّاها أهل العدالة والصدق على روايتها ، خلفاً عن سلف ، حتى ينتهي إلى من عاين المعجزات وشاهدها .

فجرت عندنا لذلك معجزات رسول الرسول ﷺ مجرى ما شاهدناه ورأيناه ، لتوفر دواعي الكافة نقلها ، وكان من أجل أعلام نبوته ﷺ ما قصم به أعداءه في حياته ، وأبقاه الله حجة على معاندي الحق بعد وفاته ، وهو القرآن الذي تحدى العرب بأن يعارضوه في سورة أو سور فعجزوا .

وذلك أن الله تعالى لما بعث موسى عليه السلام إلى قوم جُل علمهم السحر ، أعطاه من جنس ما يدعون الحذق به : إلقاء العصا حتى تصير ثعباناً ، وإخراجه يده من جيبه بيضاء من غير برص ، فعارضوا ذلك بسحرهم فبطل عليهم ، ولم يصلوا به إلى إقامة الحجة على موسى .

ولما بعث بعيسى عليه السلام إلى قوم عظم عملهم الطب ، أعطاه من جنس ما يدعون الحذق به : إبراء الأكمه والأبرص ، وإحياء الموتى ، فانقطعوا عن مقاومته .

ولما بعث محمداً ﷺ إلى العرب ، كان جل علمهم الشعر والسجع والرجز والنثر ، والافتنان في القول ، أعطاه من جنس ما يدعون الحذق به ، القرآن ، وقال لهم ﷺ بلسان الإشارة : أنتم أرباب الفصاحة والبيان ، وأعلم الناس بأفانين المنطق ، وأجناس القول : شعره وسجعه ، ورجزه ونثره ، فعارضوني بمثل سورة من القرآن الذي نزل بألفاظكم ، موفقاً للسانكم ، لا يخالف لغتكم ، ولا يخرج عن معنى

من كلامكم ، فرموه بخزوق شعرهم ، ومؤلف سجعهم ، وبديع نثرهم ، فما أحاطوا به تشبيهاً ، ولا قاربوه تأليفاً ، حتى إنهم جعلوا يستروحون إلى أن يقولوا لصغارهم وأغبيائهم : هذا القرآن شعر ! وتقول طائفة أخرى : هو سحر ! ليُعذروا في تأخرهم عن الجواب والمعارضة .

هذا وقد علموا بأنه مخالف للسحر ، ومباين للشعر ، كما سنورده إن شاء الله بالأسانيد ، فهم ورسول الله ﷺ لم يزل يقرعهم ويوبخهم بانقطاعهم وعجزهم ، فيقرأ عليهم قوله تعالى : ﴿ **أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين** ﴾[1] ، وقوله تعالى : ﴿ **أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين** ﴾[2] ، وقوله تعالى : ﴿ **وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين** ﴾[3] ، وقوله تعالى : ﴿ **قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً** ﴾[4] .

وهم يألمون لما يسمعون من التوبيخ ، وقلقون لما يعلمون من وقوع الحجة بهم عند الاعتراف بالعجز ، فلما أبوا إلا عناد الحق ، دعاهم ذلك إلى القتال ، ولو وصلوا إلى أن يعارضوا لخصموا الرسول ﷺ وظهروا عليه ، واستغنوا عن قتاله ، فلما صبروا للحروب وبذل النفوس ، والجلاء عن الديار ، وذهاب الأموال والأولاد ، كان في ذلك أعظم دليل وأوضح برهان على إعجاز القرآن للعالمين ، وامتناعه عن قُدَر المخلوقين .

* * *

---

(١) يونس : ٣٨ .
(٢) هود : ١٣ .
(٣) البقرة : ٢٣ .
(٤) الإسراء : ٨٨ .

تنبيه وإرشاد لأهل التوفيق والرشاد

إعلم أن الله جلت قدرته ، خص كل نبي من أنبيائه ، ورسول من رسله ، بما شاء من فضله ، وأيدهم بمعجزات تدل على صدقهم فيما ادعوه من رسالة ربهم ، وما من فضيلة كانت لنبي ، أو معجزة أيد الله تعالى بها رسولاً من رسله ، إلا وقد أعطى سبحانه نبيه ورسوله محمداً ﷺ مثلها وشبهها ، ونحواً منها وأفضل وأجلّ منها ، يعرف ذلك من منحه الله تعالى العلم ، وورثه التوفيق في الفهم ، فكان أول الأنبياء بعثه الله تعالى إلى أهل الأرض ، نوح عليه السلام ، وكانت آيته التي أوتيها ، شفاء غيظه ، وإجابة دعوته ، في تعجيل نقمة الله تعالى لمن كذبه ، حتى هلك من على وجه الأرض من صامت وناطق ، إلا من آمن به وركب معه السفينة .

فصل في

[ذكر موازاة الأنبياء في فضائلهم بفضائل نبينا ﷺ ومقابلة ما أوتوا من الآيات بما أوتي عليه السلام]

وقد أتى الله تعالى نبينا محمداً ﷺ مثل ذلك ، فإن قريشا لما كذبوه وبالغوا في أذاه وإهانته ، دعا عليهم ، فاستجاب ربه دعاءه فيهم وقبله ، كما خرجه عبد الرزاق ، أخبرنا اسرائيل عن إسحاق عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : بينما رسول الله ﷺ يصلي عند الكعبة وجمع قريش ينظرون ، فقال قائل منهم : ألا ترون إلى هذا المرائي ، أيكم يقوم إلى جزور آل فلان ، فيعمد إلى فرثها ودمها وسلائها ، حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه ؟ .

فانطلق أشقاهم فجاء به ، حتى إذا سجد رسول الله ﷺ وضعه بين كتفيه ، وثبت رسول الله ﷺ ساجداً ، وضحكوا حتى مال بعضهم على بعض ، فانطلق منطلق إلى فاطمة رضي الله عنها - وهي جويرية - فأقبلت تسعى ، وثبت النبي ﷺ ساجداً حتى نحَّت عنه ، وأقبلت عليهم تسبهّم .

فلما قضى النبي ﷺ صلاته استقبل الكعبة فقال : اللهم عليك بقريش ، ثم سماهم فقال : اللهم عليك بعمرو بن هشام ، وشيبة ، وعتبة ، والوليد بن عتبة ، وأمية بن خلف ، وعقبة بن أبي معيط ، وعمارة بن الوليد ، قال عبد الله : والذي توفّى نفسه ، لقد رأيتهم صرعى يسحبون إلى القليب قليب بدر ، قال رسول الله ﷺ : اللهم أتبع أهل هذا القليب لعنة : وسيأتي هذا بطرقه .

فانظر لمشابهة هذا الخبر ما أوتيه نوح من إجابة دعائه في هلاك قومه ، وتأمل ما ميز الله تعالى به محمداً ﷺ من ذلك ، فإن نوحاً عليه السلام لما امتلأ غيظاً من أذى المكذبين له ، وعيل صبره ، ابتهل إلى ربه تعالى يسأله أن ينصره ، فقال : ﴿ **أني مغلوب فانتصر** ﴾[1] ، فهطلت السماء بماء منهمر ، فكانت دعوته دعوة انتقام وانتصار .

---

(١) القمر : ١٠ .

ومحمد ﷺ دعا ربه لما قحطت الأرض فهطلت السماء بدعائه بما منهمر ، أغاث الله به العباد والبلاد ، فكانت دعوته رحمة وغوثاً للأنام ، كما كان ﷺ رحمة للعالمين وسيأتي خبر استسقائه بطرقه .

وقد لبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ، يدعوهم ليلاً ونهاراً ، فلم يؤمن به إلا دون المائة ، ما بين رجل وامرأة[1] ، وهم الذين ركبوا معه السفينة ، ونبينا محمد ﷺ كانت مدة دعائه الناس عشرين سنة ، فآمن به أمم لا يحصون ، ودانت له جبابرة [الأرض] ، خافت ملوكها ككسرى ملك فارس ، وقيصر ملك الروم ، والنجاشيّ ملك الحبشة ، والمقوقس ملك مصر ، وإقبال اليمن وملوك البحرين ، وحضرموت ، وهجر ، وعمان ، وغيرهم .

ودانت له بحمل الأتاوة والجزية : أهل نجران ، وهجر ، وأيلة ، وأكيدر ، ودومة ، لما أيده الله تعالى به من الرعب الذي ينزله بقلوب أعدائه ، حتى فتح الفتوح الجليلة ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، فأتوا طائعين راغبين ، مصدقين له ، مؤمنين بما جاء به ، فأي كرامة أعظم ، وأي منزلة أرفع من هذا ؟ .

وقد خصَّ نوحاً عليه السلام بأن نحله اسماً من أسمائه تعالى فقال : ﴿ **إنه كان عبداً شكوراً** ﴾[2] ، وخصَّ محمداً ﷺ باسمين من أسمائه الحسنى ، جمعهما له ، و لم يشركه فيهما[3] أحد ، قال تعالى : ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم** ﴾[4] .

هذا مع ما خصه به تعالى من مزيد التشريف والتكريم ، حيث خاطبه بصفة من صفات الرفعة والشرف ، تقوم مقام الكُنية ، إذا يقول تعالى مخاطباً له ﷺ في كتابه العزيز : ﴿ **يا أيها النبي** ﴾[5] ، ﴿ **يا أيها الرسول** ﴾[6] ، ﴿ **يا أيها المدثر** ﴾[7] ،

---

(١) قال تعالى : ﴿ **وما آمن معه إلا قليل** ﴾ [هود : ٤٠] (٢) الإسراء : ٣ .
(٣) هما : رءوف ، رحيم . (٤) التوبة : ١٢٨ .
(٥) الأنفال : ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٠ ، التوبة : ٧٣ ، الأحزاب : ١ ، ٢٨ ، ٤٥ ، ٥٠ ، ٥٩ ، الممتحنة : ١٢ ، الطلاق : ١ ، التحريم : ١ ، ٩ .
(٦) المائدة : ٤١ ، ٦٧ .
(٧) المدثر : ١ .

﴿ يا أيها المزمل ﴾[1] .

ولم يخاطب سبحانه غيره من الرسل إلا باسمه ، فقال تعالى : ﴿ **يا آدم** ﴾[2] ، ﴿ **يا نوح** ﴾[3] ، ﴿ **يا إبراهيم** ﴾[4] ، ﴿ **يا موسى** ﴾[5] ، ﴿ **يا يحيى** ﴾[6] ، ﴿ **يا داود** ﴾[7] ، ﴿ **يا عيسى** ﴾[8] ، وكل ذي عقل سليم يرى أن الخطاب للرجل بكنية أجل وأعظم من دعائه وخطابه به [من][9] ندائه باسمه .

ولما رماه ﷺ المشركون بما رموا به من قبله من رسل الله تعالى منذ عهد نوح فقالوا : مجنون ، وساحر ، وشاعر ، ونحو ذلك من افترائهم الذي نزه الله عنه رسله عليهم السلام ، احتمل ﷺ أذاهم ، وصبر على تكذيبهم له ، ثقة منه بأن الله تعالى تولى نُصرته ، وأنه وليه وظهيره ، ولم يسلك مسلك من تقدمه من الرسل ، في انتصارهم لأنفسهم ، كقول نوح لما قال له قومه : ﴿ **إنا لنراك في ضلال مبين** ﴾[10] ، فقال مجيباً عن نفسه : ﴿ **يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول** ﴾[11] ، وكقول هود لما قال له قومه : ﴿ **إنا لنراك في سفاهة** ﴾[12] فقال دفعاً عن نفسه : ﴿ **يا قوم ليس بي سفاهة** ﴾[13] ، [و][14] كما قال [فرعون][15] لموسى : ﴿ **إني لأظنك يا موسى مسحوراً** ﴾[16] ، فنصر نفسه بنفسه فقال : ﴿ **إني لأظنك يا فرعون مثبوراً** ﴾[17] ، ولما قال المشركون لمحمد ﷺ : ﴿ **أئنا لتاركو**[18] **آلهتنا لشاعر مجنون** ﴾[19] ، وقالوا : ﴿ **يا أيها الذي نُزِّل عليه الذكر إنك لمجنون** ﴾[20] ، سكت ﷺ صابراً محتسباً .

فتولى الله تعالى نصرته بوحي يُتلى على مر الأيام إذا يقول : ﴿ **وما علمناه الشعر**

---

(1) المزمل : ١ .
(2) البقرة : ٣٣ ، ٣٥ ، الأعراف : ١٩ ، طه : ١١٧
(3) هود : ٤٦ ، ٤٨ .
(4) هود : ٧٦ ، الصافات : ١٠٤ .
(5) طه : ١١ ، ١٧ ، ١٩ ، ٣٦ ، ٤٠ ، ٨٣ ، النمل : ٩ ، ١٠ ، القصص : ٣٠ ، ٣١ .
(6) مريم : ١٢ .
(7) ص : ٢٦ .
(8) آل عمران : ٥٥ ، المائدة : ١١٠ ، ١١٦ .
(9) زيادة للسياق .
(10) الأعراف : ٦٠ .
(11) الأعراف : ٦١ .
(12) الأعراف : ٦٦ .
(13) الأعراف : ٦٧ .
(14) زيادة للسياق .
(15) زيادة للسياق .
(16) الإسراء : ١٠١ .
(17) الإسراء : ١٠٢ .
(18) في (خ) : « لتاركوا » .
(19) الصافات : ٣٦ .
(20) الحجر : ٦ .

وما ينبغي له ﴾[1] ، وإذ يقول الله تعالى : ﴿ **ما أنت بنعمة ربك بمجنون** ﴾[2] ، وكذلك لما قالت قريش : ﴿ **إنما يعلمه بشر** ﴾[3] ، ﴿ **وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون** ﴾[4] ، أعرض عنهم امتثالاً لأمر ربه تعالى ، إذ قال : ﴿ **فأعرض عمن تولى عن ذكرنا** ﴾[5] ، فأنزل الله تعالى براءته من ذلك ، ودافع عنه ونصره ، إذ يقول سبحانه : ﴿ **قل أنزله الذي يعلم السرَّ في السموات والأرض** ﴾[6] ، وإذ يقول : ﴿ **نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين** ﴾[7] ، في آيات أُخر ، ولهذا المعنى مزيد بيان فيما يأتي .

* * *

(1) يس : ٦٩ .
(2) القلم : ٢ .
(3) النحل : ١٠٣ .
(4) الفرقان : ٤ ، وفي (خ) . « وقالوا إن هذا » .
(5) النجم : ٢٩ .
(6) الفرقان : ٦ . (7) الشعراء : ١٩٣ .

وأما إبراهيم عليه السلام

فإن الله تعالى اختصه بمقام الخُلَّة ، فقال تعالى : ﴿ **واتخذ الله إبرهيم خليلاً** ﴾[(1)] ، وكسَّر عليه السلام أصنام قومه التي كانت آلهتهم التي يعبدونها من دون الله غضباً لربه تعالى ، وحجبه من نمروذ بحجب ثلاثة ، وقصم عليه السلام نمروذ ببرهان نبوته فبهته ، وبنى عليه السلام البيت .

وقد آتى الله تعالى نبينا محمداً ﷺ ذلك كله بمزيد شرف وأجل تكريم ، فالخلة مقامه ﷺ ، فيها أكمل مقام ، ثبت من طرق عديدة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذتُ أبا بكر خليلاً ، ولكن صاحبكم خليل الله .

وقد ثبت في صحيح مسلم من طريق أبي حازم عن أبي هريرة ، ومن طريق أبي مالك عن ربعي بن خراش ، عن حذيفة قالا : قال رسول الله ﷺ يجمع الله الناس فيقوم المؤمنون حتى يزلف لهم الجنة ، فيأتون آدم عليه السلام فيقولون : يا أبانا ، استفتح لنا الجنة ، فيقول : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم ؟ لست بصاحب ذلك ، إذهبوا إلى أبيكم إبراهيم خليل الله ، قال : فيقول إبراهيم عليه السلام : لست بصاحب ذلك ، إنما كنت خليلاً من وراء وراء ، اعمدوا إلى موسى الذي كلمه الله تكليماً ، فيأتون موسى عليه السلام ، فيقول : لستُ بصاحب ذلك ، اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه ، فيقول عيسى عليه السلام : لست [بصاحب][(2)] ذلك ، فيأتون محمداً ﷺ فيقوم ، فيؤذن له[(3)] ...

وهذا يدل على أنه ﷺ أعطى [أعلى من] مقام الخلة ، لأنه رفع له الحجاب ، وكشف له الغطاء ، ولو كان خليلاً من وراء وراء ، لا عتذر كما اعتذر إبراهيم عليه السلام ، فإذاً منصب المصطفى ﷺ هو [الأعلى] ، من مفهوم قول إبراهيم عليه السلام : إنما كنت خليلاً من وراء وراء ولم يشفع ، فدلّ [على] أنه إنما يشفع من كان خليلاً لا من وراء وراء ، مع الكشف والعيان ، وقرب المكانة من حضرة القدس لا المكان ، وذلك مقام المصطفى ﷺ .

---

(1) النساء : ١٢٥ .　(2) زيادة للسياق .　(3) سبق تخريجه وشرحه .

وقد تقدم في بعض طرق الإسراء ، أنه ﷺ لما بلغ سدرة المنتهى قيل له : اسأل ، فقال : إنك اتخذت إبراهيم خليلاً ، إلى أن قال له ربه عز وجلّ : قد اتخذتك حبيباً ، ولذلك كسَّر الأصنام ، فإن الذي أعطاه الله تعالى نبينا محمداً ﷺ من ذلك ، أفضل مما أعطاه إبراهيم عليه السلام ، وذلك أنه ﷺ رمى هُبل من [أعلى] الكعبة ، وأشار يوم فتح مكة إلى ثلاثمائة وستين صنماً فوقعت وكسرت بأسرها بمحضر أهل نصرها ، وذلك بإشارته ﷺ بقضيب ليس مما يكسر مثله عادة ، وكان كسر إبراهيم عليه السلام للأصنام بمعول يَكسر مثله عادة .

وكان كسره عليه السلام لتلك الأصنام التي كسرها بمعوله عند غيبة قومه عن أصنامهم ، ونبينا ﷺ إنما كسرها وقريش الحماة الأبطال ، تراها وهي تتساقط على وجوهها ، وقد كانوا أمس يرونها آلهة تجلب لهم النفع وتردّ عنهم الضرّ ، فما انتطح في كسرها عنزان ، ولا نطق بنصرها ذو لسان .

قال عبد الله بن عمر العمري ، عن نافع [عن ابن] عمر رضي الله [عنهما] قال : وقف رسول الله ﷺ يوم فتح مكة ، وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً قد أَلْزَمَهَا الشيطان بالرصاص والنحاس ، فكان كلما دنا منها مخصرته ، تهوى من غير أن يمسها ويقول : ﴿ **جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً** ﴾[1] فتسَّاقط لوجوهها ، ثم أمر بهن فأُخرجن إلى المسبل .

وقد حجب الله تعالى نبينا محمداً ﷺ عمن أرادوا قتله بخمسة حجب : ثلاثة منها في قوله تعالى : ﴿ **وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون** ﴾[2] ، وواحد في قوله تعالى : ﴿ **وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً** ﴾[3] ، والخامس في قوله تعالى : ﴿ **إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون** ﴾[4] ، ويتبين لك معنى كون هذه الحجب إذا نظرت في الهجرة النبوية ، ومكر الذين كفروا به ﷺ وخروجه من منزله وهم قيام يريدونه فلم يروه .

---

(١) الإسراء : ٨١ .
(٢) يس : ٩ .
(٣) الإسراء : ٤٥ .
(٤) يس : ٨ .

وقد قصم ﷺ ببرهان نبوته الذي أتاه مكذباً بالبعث بعد الموت – وهو أبيّ ابن خلف – وقد حمل عظاماً بالياً ، وفركه ثم قال : ﴿ **من يحيي العظام وهي رميم** ﴾ ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ **قل يحييها الذي أنشأها أول مرة** ﴾[1] ، فانصرف عدو الله مبهوراً .

كما بهت الذي كفر – وهو نمروذ – إذ يقول تعالى : ﴿ **ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبُهت الذي كفر** ﴾[2] .

وقد اختلف في هذا القائل ، فقال مجاهد وقتادة : هو أبي بن خلف ، وقال سعيد بن جبير [عن ابن][3] عباس : هو العاص بن وائل ، وصححه الحاكم ، وروى [عن أبيه] عباس : أنه عبد الله بن أبي [ابن][4] سلول .

وإبراهيم عليه السلام ، وإن كان له في بناية البيت الحرام شرفاً يميز به على من عداه ، فإن أعظم ما في البيت : الحجر الأسود ، وقد أعطى الله تعالى نبينا محمداً ﷺ مثل ذلك ، فإن قريشاً لما بنت البيت في جاهليتها ، اختلفت فيمن يضع الحجر ، حتى أُشير عليهم بتحكيم أول من يطلع عليهم ، فطلع رسول الله ﷺ فحكموه ، فوضع الحجر في رداء ، وأمر كل قبيلة أن ترفع منه شيئاً ، ثم وضعه ﷺ بيده ، كما تقدم ذلك بطرقه .

ثم انظر قوله تعالى : ﴿ **وكذلك نُري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين** ﴾[5] ، يظهر لك أن الخليل عليه السلام كان وصوله بواسطة ، وأين ذلك من قوله تعالى في حق محمد ﷺ : ﴿ **ثم دنا فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى * فأوحى إلى عبده ما أوحى** ﴾[6] .

وانظر قوله تعالى عن الخليل [عليه السلام] : ﴿ **والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين** ﴾[7] ، تجد بينه وبين قوله تعالى لنبينا محمد [ﷺ] :

---

(1) يس : ٧٩ .
(2) البقرة : ٢٥٨ .
(3) ، (4) زيادة للسياق .
(5) الأنعام : ٧٥ .
(6) النجم : ٨ – ١٠ .
(7) الشعراء : ٨٢ .

﴿ **ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر** ﴾[1] بوناً كبيرا : ذلك طمع في المغفرة ، وهذا غُفر له بيقين .

وكذا قوله [تعالى عن الخليل عليه السلام][2] : ﴿ **ولا تُخزني يوم يُبعثون** ﴾[3] ، مع قوله [تعالى عن نبينا محمد ﷺ][2] : ﴿ **يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه** ﴾[4] ، تجده ابتدأ محمداً [ﷺ] بالبشارة قبل السؤال .

وكذا قوله تعالى : ﴿ **يا أيها النبي حسبك الله** ﴾[5] والخليل قال : ﴿ **حسبي الله** ﴾[6] ، تجد بين المقامين بوناً كبيراً .

وكذلك قول الخليل : ﴿ **واجعل لي لسان صدق في الآخرين** ﴾[7] ، مع قوله تعالى لمحمد [ﷺ] : ﴿ **ورفعنا لك ذكرك** ﴾[8] ، يظهر لك شرف مقامه ، لأنه أُعطي بلا سؤال .

[وكذا][9] قول الخليل : ﴿ **واجنبني وبني أن نعبد الأصنام** ﴾[10] ، ومحمد ﷺ قيل له : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾[11] وفي ذلك تنبيه على علوّ مقام المصطفى ورفيع مكانته ﷺ .

وأما الذبيح : فإن الرسول ﷺ حصل له من شق صدره المقدس ما هو من جنس ما أوتيه الذبيح ، فإن الذبيح اسماعيل عليه السلام ، صبر على مقدمات الذبح : شد وثاقه ، وتله للجبين ، وإهواء أبيه بالمدية إلى منحره ، [فوفى][12] بما وعد به من قوله : ﴿ **ستجدني إن شاء الله من الصابرين** ﴾[13] .

وكان لنبينا محمد ﷺ من ذلك أوفى مقام من الصبر وأجلّ ، لأن الذي حصل من الذبيح إنما هو الصبر على مقدمات الذبح فقط ، والمصطفى [ﷺ صبر][14] على شق صدره ، واستخراج قلبه ، ثم شقه ، ثم استخراج العلقة ، ثم غسله ، ثم إطباقه ، ثم وضعه ، ثم إخاطة صدره .

---

(١) الفتح : ٢. (٢) زيادة للبيان . (٣) الشعراء : ٨٧ . (٤) التحريم : ٨ .
(٥) الأنفال . (٦) الزمر : ٣٨ . (٧) الشعراء : ٨٤ . (٨) الشرح : ٤ .
(٩) زيادة للسياق . (١٠) إبراهيم : ٣٥ . (١١) الأحزاب : ٣٣ . (١٢) زيادة للسياق .
(١٣) الصافات : ١٠٢ . (١٤) زيادة للسياق والبيان .

وأين الصبر على مقدمات جز المنحر بالمدية ، من الصبر على شق الصدر وإخراج القلب وشقه ، فإن صبر الذبيح إنما كان على ما أصابه من صورة القتل لا على فعله ، وصبر المصطفى ﷺ إنما كان على مقاتل عدوه ، ولكن انخرقت العادة ببقاء الحياة ، وأدل دليل على مقاساته ﷺ الألم في شق صدره قوله : فأقبل وهو ممتقع اللون أو منتقع اللون ، ومعناه أنه صار كلون النقع ، وهو الغبار ، وهو شبيه بلون الأموات ، هذا يدل على غاية المشقة ، فكان ابتلاؤه ﷺ بشق الصدر وما معه أعظم من ابتلاء الذبيح بما ذكر عنه باعتبارين :

أحدهما : أنه ابتُلي بذلك فصبر عليه وهو طفل صغير منفرد عن أمه ويتيم من أبيه .

والآخر : مقاساة حقيقة الشق للصدر والقلب ، وغاية ما ابتلى به الذبيح التعريض بذبحه وبين المقامين في الصبر بَوْن بعيد فتأمله .

وأمر آخر : وهو أن الذبيح توطنت نفسه على ما انتابه بقوله أبيه : ﴿ **إني أرى في المنام أني أذبحك** ﴾[1] ، والرسول ﷺ فجئه ذلك البلاء العظيم على غفلة ، فإنه اختطف من الأطفال وفُعل به ما فُعل ، وأين حال من هو مع أبيه وقد أنذره بما يفعل به ، ممن يختطفه من لايعرفه ، وينزل به ذلك البلاء العظيم ، فإن البغتة أشد على النفس ، والفجاءة أقوى رُعباً .

* * *

(١) الصافات : ١٠٢ .

وأما هود عليه السلام

فإن الله تعالى نصره على قومه الذين عادوه إذ كذبوه بالريح العقيم ، وقد أعطى الله سبحانه نبينا محمداً ﷺ أفضل من ذلك ، فانتصر من أعدائه بالريح يوم الخندق ، قال تعالى : ﴿ **فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها** ﴾[1] ، فكانت ريح هود ريح سخط وانتقام : ﴿ **ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم** ﴾[2] ، وريح محمد ﷺ ريح رحمة ، قال تعالى : ﴿ **اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها** ﴾[3] ، وقال حفص بن غياث ، عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله [عنهما][4] ، قال : لما كان يوم الأحزاب ، انطلقتْ الجنوب إلى الشمال ، فقالت : انطلقي بنا ننصر محمداً رسول الله ، فقالت الشمال للجنوب : إن الحرة لا تسري بليل ، فأرسل الله عليهم الصَّبا ، فذلك قوله تعالى : ﴿ [**فأرسلنا**][4] **عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها** ﴾[5] .

* * *

(١) الأحزاب : ٩ . (٢) الذاريات : ٤٢ . (٣) الأحزاب : ٩ .
(٤) زيادة للسياق . (٥) الأحزاب : ٩ .

وأما صالح عليه السلام

فإن الله تعالى أخرج له ناقة لتكون حجة له على قومه ، وآية لنبوته ، لها شِربٌ ولقومه شِربُ يومٍ معلوم ، وقد أعطى الله سبحانه نبينا محمداً ﷺ من ذلك ما لم يؤت صالحاً ، وذلك أن ناقة صالح عليه السلام لم تكلمه ولا شهدت له بالنبوة ، ومحمد ﷺ أتاه البعير الناد شاكياً إليه ما همَّ به صاحبه من نحره .

خرج أبو بكر بن أبي شيبة من طريق إسماعيل بن عبد الملك ، عن أبي الزبيري عن جابر رضي الله عنه قال : سرنا ورسول الله ﷺ بين أظهرنا كأن على رءوسنا الطير ، فأتاه جمل ناد ، حتى إذا كان بين السماطين خرَّ ساجداً لرسول الله ﷺ ، فجلس رسول الله ﷺ فقال : من صاحب هذا الجمل ؟ فإذا فتية من الأنصار قالوا : هو لنا يا رسول الله ، قال فما شأنه ؟ قالوا : سقينا عليه منذ عشرين سنة وكانت به مشيخة ، فأردنا أن ننحره فنقسمه بين علمائنا فانفلت منا ، قال : تبيعونه ؟ قالوا : لا ، بل هو لك يا رسول الله ، قال : أَمَا فأحسنوا إليه حتى يأتَيَ أجلُه . وسيأتي هذا الحديث بطرقه إن شاء الله تعالى .

* * *

وأما إدريس عليه السلام

فإن الله تعالى قال في حقه : ﴿ **ورفعناه مكاناً علياً** ﴾ ، والعلوّ من الأمور النسبية ، فتارة يكون علوّ مكان ، وتارة وتارة يكون علوّ مكانة ، فعلوّ المكان : مقام إدريس عليه السلام ، وهو على ما روى الفلك الرابع ، رفعه الله إليه .

وأما علو المكانة : فهو الذي خص الله تعالى به المقام المحمدي ، قال تعالى : ﴿ **وأنتم الأعلون والله معكم** ﴾[1] ، فهو سبحانه وتعالى [مُنَزَّه] عن المكان لا عن المكانة ، وعلو المكانة أجلّ من علو [المكان][2] ، وقد خصّ الله سبحانه نبينا محمداً ﷺ من علو المكانة بما لم ينله أحد غيره ، قال تعالى : ﴿ **ورفعنا لك ذكرك** ﴾[3] ، فرفع الله تعالى ذكره ﷺ في الدنيا والآخرة ، فليس خطيب ولا صاحب صلاة إلا ينادي : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فقرن تعالى اسمه الكريم باسمه ﷺ في توحيده والشهادة بربوبيته ، في مشارق الأرض ومغاربها ، وجعل ذلك مفتاحاً للصلوات المفروضات .

روى [عن][4] ابن لهيعة ، عن دراح عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ **ورفعنا لك ذكرك** ﴾[5] قال : قال لي جبريل عليه السلام : قال الله : إذا ذكرتُ ذكرتَ معي .

وقال عثمان بن عطاء الزهري ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لما فرغتُ مما أمرني الله به من أمر السموات والأرض قلت : يارب ، إنه لم يكن نبي قبلي إلا قد كرّمته ، جعلت إبراهيم خليلاً ، وموسى كليماً ، وسخرت لداود الجبال ، ولسليمان الريح والشياطين ، وأحييت لعيسى الموتى ، فما جعلت لي ؟ قال : أو ليس قد أعطيتك أفضل من ذلك كله ؟ أن لا أُذكر إلا ذكرت معي ، وجعلت صدور أُمتك أناجيل يقرأون ظاهراً ، ولم أعطها أمة ، وأنزلت عليك كلمة من كنوز عرشي (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) .

* * *

---

(١) محمد : ٣٥ .
(٢) زيادة للبيان .
(٣) الشرح : ٤ .
(٤) زيادة للسياق .
(٥) الشرح : ٤ .

وأما يعقوب عليه السلام

فإن الله تعالى قال : ﴿ **ووهبنا له إسحـٰق ويعقوب وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب** ﴾[١] ، فكانت الأسباط من سلالة يعقوب ومريم ابنة عمران من ذريته ، والهداة منه كانوا ، فعظم من الخير نصيبه ، حتى قال تعالى في أولاده : ﴿ **ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين * وآتيناهم بينات من الأمر** ﴾[٢] ، وقال تعالى : ﴿ **ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني إسرائيل * وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون** ﴾[٣] .

وقد أعطى الله نبينا محمداً ﷺ من الخير أوفر الحظّ وأرفع الذكر ، وأجزل النصيب ، فجعل ابنته فاطمة سيدة نساء العالمين ، وجعل من ذريته الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ، روي عن محمد بن حجادة عن عمران بن كثير عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : حسبك من نساء العالمين أبع : فاطمة بنت محمد ، وخديجة بنت خويلد ، ومريم بنت عمران ، وآسية بنت مُزَاحم .

وجاء من عدة طرق عن ابن عباس وأبي سعيد الخدري مرفوعاً : فاطمة سيدة نساء أهل الجنة . وعن الشعبي عن أبي جحيفة عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إذا كان يوم القيامة قيل : يا أهل الجنة غضوا أبصاركم حتى تمر فاطمة بنت محمد ، فتمر وعليها ريطتان حضراوان .

وقال حفص بن غياث عن العرزمي عن عطاء عن أبي هريرة رضي الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا كان يوم القيامة[نادى][٤] مناد من وراء الحجب : يا أيها الناس غضوا أبصاركم ونكسوا ، فإن فاطمة بنت محمد تجوز الصراط إلى الجنة[٥] .

---

(١) العنكبوت : ٢٧. (٢) الجاثية : ١٦ - ١٧ .
(٣) السجدة : ٢٣ - ٢٤ (٤) زيادة للسياق من (دلائل أبي نعيم) .
(٥) (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٦٠٥ ، باب غضّ البصر حين اجتياز فاطمة على الصراط ، حديث رقم (٥٥٠) .

وقال بشر بن إبراهيم عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبيه عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : إنما سميت فاطمة لأن الله فطم من أحبها من النار .
وقال علي بن عمر بن علي : إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك – وقال عمر ابن غياث عن عاصم عن عبد الله يرفعه : أن فاطمة أحصنت فرجها ، فحرمها الله وذريتها على النار .

* * *

وأما ذرية يعقوب عليه السلام
الذين هم بنو إسرائيل

فإن الله تعالى سخط عليهم بسوء أعمالهم ، وضرب عليهم الذلة والمسكنة ، ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ، وأنزل فيهم الكتاب ، وجعل منهم القردة والخنازير ، وقطعهم في الأرض أمماً ، وجعل الذين اتبعوا الحق فوقهم إلى يوم القيامة ، فبان بهذا أن الذي آتاه الله تعالى من الخير لنبيا محمد ﷺ أجل وأعظم مما أوتيه يعقوب عليه السلام ، وكذلك تميز نبينا ﷺ على يعقوب في محنته ، وذلك أن كلا منهما ابتلى بفقد ولده .

فأما يعقوب فإنه حزن على فقد يوسف حتى كاد يكون حَرضَاً من الحزن ، فإن حزنه كان حزن إيلاف ومضض واشتياق ووجد ، بدليل قوله : ﴿ **يا أسفي على يوسف** ﴾[1] ، فأصابه بفقد ولد واحد من جملة اثنى عشر ولداً هذا الأسف ، ونبينا محمد ﷺ فجع بوحيده من الدنيا ، وقُرَّة عينه في حياته ، فلم يجزع بل صبر واحتسب ، ووفي بصدق الاختيار ، مسلِّماً إلى ما سبقت به الأقدار ، فقال ﷺ وإنا عليك يا إبراهيم لمحزنون .

فكان سلوكه ﷺ في ذلك وفي جميع أحواله منهج الرضا عن الله تعالى ، والاستسلام له فيما يقضي ويحكم ، ولم يتأسف ، بل رضى واستسلم ، ففاق صبره ﷺ على صبر يعقوب عليه السلام ، لفضل قوته وعلو مقداره ومكانته ﷺ .

* * *

---

(١) يوسف : ٨٤ .

وأما يوسف عليه السلام

فإنه فاق في الحُسن على جميع الخلق ، وقد بلغ نبينا ﷺ من ذلك ما لاغاية فوقه ، وذلك أن يوسف عليه السلام قد ثبت أنه أوتي شطر الحُسن ، فزعم زاعم أنه عليه السلام اختص بالشطر من الحسن ، واشترك الناس جميعاً في [الشطر] الآخر ، وليس كذلك ، بل إنما أوتي شطر الحُسن الذي أوتيه المصطفي ﷺ ، لأن الرسول ﷺ بلغ الغاية ، وهو عليه السلام بلغ شطر الغاية ، بدليل ما خرجه الترمذي من طريق قتادة ، عن أنس رضي الله عنه قال : ما بعث الله نبياً إلا حسن الوجه وحسن الصَّوت ، وكان نبيكم أحسنهم وجهاً وأحسنهم صوتاً .

ويؤيد ذلك أنه ﷺ وصف بأنه كالشمس الطالعة ، وكالقمر ليلة البدر ، وأحسن من القمر ، ووجهه كأن مذهبة يستنير كاستنارة القمر ، وكان عرقه ﷺ له رائحة كرائحة المسك الأذخر ، وقد تقدم ذلك بطرقه .

وقد قاسى يوسف عليه السلام مرارة الغربة ، وامتحن بمفارقة أبويه ، والخروج عن وطنه ، وكان الذي قاسى نبينا محمد ﷺ من ذلك أعظم ، فإنه اغترب وفارق أهله وولده ، وعشيرته وأحبته ، كما هاجر من حرم الله وأمنه ، حيث مسقط رأسه مضطراً لا مُختاراً ، فاستقبل البيت مستعبراً متلهفاً حزيناً ، وقال : إني أعلم أنك أحب البلاد إلى الله ، ولولا أني أُخرجت منك ما [خرجت][1] ، وخرج ليتأوَّلها ، فلما بلغ الجحفة أنزل الله عليه : ﴿ **إن الذي فرض عليك القرآن لرادُّك إلى معاد** ﴾[2] وأراه الله تعالى رؤيا أزال بها الحزن عنه ، كما أُري يوسف عليه السلام رؤيا صدق تأويلها .

قال تعالى : ﴿ **لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين** ﴾[3] ، فدخل ﷺ مكة آمناً ، وصدق وعد الله له ، كما جاء تعالى بأبوي يوسف تأويلاً لرؤياه من قبل .

وقد ابتلى يوسف عليه السلام بالسجن توقياً للمعصية ، إذ قال : ﴿ **رب**

---

(١) زيادة للسياق من كتب السيرة .

(٢) القصص : ٨٥ . (٣) الفتح : ٢٧ .

السجن أحب إليّ مما يدعونني إليه ﴾[1] ، وكذلك ابتلى نبينا محمد ﷺ بالسجن في الشِّعب وضيق عليه فيه أشد الضيق مُدة ثلاث سنين ، حتى صنع الله بكيد أضعف خلقه وتسليطها على صحيفة مكر قريش التي عقدوها في قطيعته ﷺ ، فكان لنبينا من ذلك ما لم يكن ليوسف عليه السلام ، لأن يوسف كانت محنته بالسجن من أجل أن أمرأة العزيز دعته إلى نفسها فاستعصم ، وكانت محنة رسول الله ﷺ بالإلجاء إلى الشِّعب قطيعة من ذوي رحمه ، لأنه دعاهم إلى توحيد الله تعالى ، وترك عبادتهم الأصنام ، وشتان بين هذين المقامين من البون .

وعلّم الله يوسف من تأويل الأحاديث – يعني عبارة الرؤيا – ولم يقص تعالى عنه سوى تعبير ثلاث منامات ، ونقل عن نبينا من ذلك شيء كثير جداً ، مما رآه ومما عبرَّه لغيره فجاء كفلق الصبح .

ومكن تعالى ليوسف في الأرض – يعني أرض مصر خاصة – ونبينا مكَّنَ الله له ولأمته في الأرض كلها ، وملَكَ يوسف أهل مصر في زمن الغلاء ، وقد ملك نبينا [ﷺ] يوم الفتح جلة العرب وصناديد الحجاز وسمَّاهم الطلقاء ، فأحرز ﷺ خصائص يوسف عليه السلام وزاد عليها ، ولهذا ترقى عليه ليلة الإسراء ما شاء الله .

* * *

---

(١) يوسف : ٣٣ .

وأما موسى عليه السلام

فإن الله تعالى أيده بالعصا ، واليد البيضاء ، وتفجير الماء من الحجر ، وقال تعالى : ﴿ **وقربناه نجياً** ﴾[1] ، ومقام المصطفى ﷺ في المناجاه أرفع ، فإن موسى عليه السلام ، إنما سمع الكلام والمناجاة على الطور ، ومحمد ﷺ سمع الكلام وقد أُسرى به ، والملأ الأعلى فضله على الأرض .

فأما العصى الخشب الموات فإنها تصير بإذن الله تعالى ثعباناً تتلقف إفك سحرة فرعون ، ثم تعود إلى معناها ، وخاصتهامن مآرب موسى عليه السلام ، وقد أتى الله تعالى نبينا محمداً ﷺ أعجب من ذلك ، فإنه أشار بقضيب في يده يوم الفتح إلى الأصنام المشدودة بالرصاص شداً محكما إلى الكعبة فيما حولها ، وعدتها ثلاثمائة وستون صنماً ، فكان إذا أشار إليها بالقضيب وقال : ﴿ **جاء الحق وزهق الباطل** ﴾[2] سقط الصنم وتكسر جذاذاً ، فكانت عصا موسى مسلطة على آلة آل فرعون ، وقضيب محمد ﷺ سُلِّط على ما اتخذته قريش آلهة ، وأين التسليط على الآلة ، من التسلط على الآلهة ؟ .

وأيضاً فإن الله تعالى قال عن موسى عليه السلام : ﴿ **يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى** ﴾[3] فسلط عصاه على ذلك التخيل ، وقضيب رسول الله ﷺ تسلط على أمر حقيقي ، وأين الخيال من الحقيقة ؟ .

وقد حنَّ لنبينا [محمد][4] ﷺ الجذع اليابس ، وخار ، وهذا أعجب من حالات عصا موسى عليه السلام ، فإن موسى إنما جعل النَّبات حيواناً غير ناطق ، ونبينا [محمد][4] ﷺ جعل النبات حيواناً ناطقاً ، فشارك موسى في قلب الأعيان على وجه أتم ، لأن الناطق أتم من غير الناطق ، وأبلغ في الأعجوبة إجابة الأشجار واجتماعها لدعوة رسول الله ﷺ لما دعاها ، ورجوعها إلى أمكنتها بعد أن أمرها .

وكان من معجزات موسى عليه السلام ، أن يضرب بعصاه الحجر فينفجر منها اثنتا عشرة عيناً بعدد الأسباط الاثنا عشر ، وقد أيد الله نبينا محمداً ﷺ من ذلك

---

(١) مريم : ٥٢ .　　(٢) الإسراء : ٨١ .

(٣) طه : ٦٦ .　　(٤) زيادة للسياق .

بأعجب وأبدع وأغرب ، فإنه بعث سهماً ليوضع في عين كانت تبض بماء قليل ، فلما وُضع السهم فيها استخرج الماء بإذن الله تعالى من تخوم الأرض ، وصارت معيناً غُرس عليها جنان ، واشتُق منها أنهار .

ونبع الماء من بين أصابعه ﷺ ، وهذا أعجب من العجب ، فإن نبع الماء من الحجر لم يزل معهوداً مشهوراً في العالم ، بخلاف نبع الماء من بين أنامل رُكبت من عظم و لحم ودم ، فإن هذا لم يَعْطَ قط مثله إلا لنبينا محمد ﷺ ، فإنه كان يفرج بين أصابعه في مخضب فينبع من بين أصابعه الماء ، فيشرب منها الناس ويستقون ، وهم يعاينون ماءاً عذباً جارياً ، يروي الأعداد الكثيرة من النَّاس والخيل والإبل ، ويملأون منه قربهم وأدْوَاتهم ، كما سيرد بطرقه إن شاء الله .

* * *

وأما ضرب موسى البحر بعصاه فانفلق وجازه بأصحابه

فقد ورد أن بين السماء والأرض بحراً مكفوفاً ، تكون بحار الأرض بالنسبة إليه كالقطرة بالنسبة إلى البحر المحيط ، فعلى هذا يكون ذلك البحر قد انفلق لنبينا ﷺ حتى جاوزه ليلة الإسراء ، وذلك أعظم وأفخم من انفلاق بحر القلزم لموسى عليه السلام .

وقد أوتي نظير ما أوتى موسى من ذلك : أن العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه ، لما كان بالبحرين واضطر إلى عبور البحر ، فعبر هو ومن معه من المسلمين ، ولم يبتل لهم ثوب ببركة اتباعهم رسول الله ﷺ ، كما سيأتي ذكره إن شاء الله بطرقه .

وأما بياض يد موسى عليه السلام من غير سوء – وهو النور – فنظيره لنبينا محمد ﷺ أنه نور يُنقل في الأصلاب ، كما مرّ أنه كان نوراً في جبهة أبيه عبد الله ابن عبد المطلب .

ولما بعث رسول الله ﷺ الطفيل بن عمرو الدوسي يدعو قومه إلى الإسلام ، دعى له فَسطَعَ نور بين عينيه فقال : يا رسول الله ! أخاف أن يقولوا مثله ؟ فتحول النور إلى رأس سوطه ، وكان كأنه شمعة [مضيئة][1] آية للمصطفى ﷺ ، فكانت كاليد البيضاء ، وصارت كعصا موسى التي ذكر في الأخبار أنها كانت تُضيء .

وأما تفجير الماء من يده ﷺ فهو بياض معنوى ، فأيّ يد بيضاء أغنى غناء وأبيض ماء من يد كان البحر في الإحسان دونها ، والسحب تضاهي معينها ؟ .

وقد ذكر أيضاً أن عصا موسى عليه السلام هزم بها الألوف من قوم فرعون ، وقد أتى الله تعالى نبينا ﷺ أعجب من ذلك ، إذ تناول يوم حنين كفاً من تراب أو حصى ، ورمى به في وجوه هوازن ، وقال : شاهت الوجوه ، فلم يبق أحد منهم إلا أصاب عينه شيء من ذلك ، وولوا منهزمين .

وكان من كرامة موسى المناجاة ، ولكنها عن ميعاد واستعداد ، وكرامة المصطفى ﷺ بالمناجاة كانت على سبيل المفاجأة ، بدليل قوله ﷺ : (بينا أنا)[2] . وأما

---

(١) زيادة للبيان .

(٢) بداية كثير من الأحاديث النبوية .

قوله : فرج سقف بيتي ، ولا أبلغ في المناجاة من ذلك ، فقد حُمل عنه ﷺ ألم الانتظار كما حُمل عنه ألم الاعتذار في قول موسى عليه السلام : ﴿ **وعجلت إليك رب لترضى** ﴾[1] . ولا شك أن في منحه هاتين الكرامتين مزيد اختصاص وأجل كرامة .

وقد أتى موسى إلى فرعون بالعذاب الأليم ، من الجراد والقمل والضفادع والدم ، فقد أرسل الله سبحانه على قريش بتكذيبهم رسول الله ﷺ الدخان ، فكان آية بينة ، ونعمة بالغة ، قال تعالى : ﴿ **فارتقبْ يوم تأتي السماء بدخان مبين * يغشى الناس هذا عذاب أليم** ﴾[2] . ودعا رسول الله على قريش فابتلوا بالسنين ، وسيأتي ذلك إن شاء الله بطرقه .

وقد أنزل الله تعالى على موسى وقومه المن والسلوى ، وظلل عليهم الغمام ، وقد أتى الله نبينا ﷺ أعظم من ذلك ، فإن المن والسلوى رزق رزقهم الله كفاهم به السعي والاكتساب له ، وقد أحل الله لنبينا وأمته الغنائم التي [كانت][3] محرمة على من قبلهم ، وجعلها منة باقية لهم إلى يوم القيامة ، وأي قدر للمنّ والسلوى في جنب غنائم كسرى وقيصر ، والجلالقة والقوط والقبط وغيرهم ممن غنم المسلمون أموالهم وديارهم ، وسبَوْا نساءهم وذراريهم ، ومع هذا كله فإن الله تعالى أعطى أصحاب محمد ﷺ من جنس ما أعطى موسى وقومه من ذلك ، فقذف لهم البحر لما كانوا مع أبي عبيدة في سرية – وقد أصابتهم المجاعة – حوتاً يقال له : العنبر ، أكلوا منه ، وائتدموه نصف شهر بلا سعي ولا طلب .

وكان ﷺ يشبع النَّفَر الكثير من الطعام القليل واللبن اليسير ، حتى يصيرون شباعاً رواءاً . وكان موسى عليه السلام تنقلب له عصاه ثعباناً تتلقف ما صنعت السحرة ، حتى استغاث فرعون بموسى وأخيه رهبة منه وفرقاً . وقد أعطى نبينا ﷺ أخت هذه الآية بعينها ، [وهي][4] أن جعل أبا جهل فرعون هذه الأمة احتمل حجراً ، وأقبل يُريد أن يرضخ به النبي ﷺ وهو ساجد عند الكعبة ، وقد عدت قريش ينتظرون ما يصنع ، فلما سجد ﷺ ، احتمل أبو جهل الحجر وأقبل نحوه ،

---

(١) طه : ٨٤ . (٢) الدخان : ١٠ – ١١ .
(٣) زيادة للسياق . (٤) زيـــادة للسيـــاق .

حتى إذا دنا منه رجع مبهوتاً مُنْتَقِعاً لونه من [هول] ما قد يبست يداه على حجره ، فلما سأله قومه ما له قال : لما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الابل . لا والله ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ، ولا أنيابه لفحل قط ، فهم أن يأكلني .

وقد اختار موسى عليه السلام سبعين رجلاً من قومه لينفذوا معه إلى ربه تعالى ، فلما صاروا في البرية غلب عليه – عليه السلام – روح القرب ، فأسرع إلى ربه وترك قومه ، فقال له تعالى : ﴿ **وما أعجلك عن قومك يا موسى * قال هم [أولاء]**[1] **على أثري وعجلتُ إليك رب لترضى** ﴾[2] ، فعبّر عليه السلام عن قصده في العجلة بطلب رضى الله تعالى .

ونبينا محمد ﷺ ، أعظم الله شأنه في آيتين ، أعلمه فيهما رضاه عنه ، وأعطاه سؤله ومناه من غير سؤال منه في ذلك ولا رغبة تقدمت منه ، فقال تعالى : ﴿ **قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها** ﴾[3] ، وقال تعالى : ﴿ **ولسوف يعطيك ربك فترضى** ﴾[4] ، فمنحه الله رضاه ، وأعطاه مناه ، في جميع ما يهواه ويتمناه ، وغيره من الأنبياء سألوا وطلبوا رضا مولاهم ، ومع ذلك فقد خصه الله تعالى مع الرضا بالرحمة والرأفة ، فقال تعالى : ﴿ **فبما رحمة من الله لنت لهم** ﴾[5] ، وكان رقيق القلب ﷺ فأمر الله تعالى موسى بالملاينة لفرعون لما كان عليه من الغلظة ، فقال : ﴿ **فقولا له قولاً ليناً** ﴾[6] ، فذكر تعالى الملاينة ، وأمر محمداً ﷺ بضدِّ ذلك فقال تعالى : ﴿ **واغلظ عليهم** ﴾[7] ، لما خصَّه به من الرحمة والرأفة واللين ، كما قال تعالى : ﴿ **حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم** ﴾[8] .

وقد أكرم الله تعالى موسى بأن قال له : ﴿ **وألقيت عليك محبة مني** ﴾[9] ، قال بعضهم : أحببت إليك عبادتي . وقال آخر : جعل الله بين عينيه نوراً لا ينظر إليه أحد إلا أحبه . وقيل : اسكنتُ بين عينيك ملاحة تسبى بها من رأيته . وقد أوتي نبينا ﷺ من نظائر هذه الكرامة أشياء منها : أن الله تعالى أقسم بالضحى والليل إذا سجى ، أنه ما ودعه وما قلاه .

---

(١) تكملة سياق الآية . (٢) طه : ٨٣ – ٨٤ . (٣) البقرة : ١٤٤ .
(٤) الضحى : ٥ . (٥) آل عمران : ١٥٩ . (٦) طه : ٤٤ .
(٧) التوبة : ٧٣ ، التحريم : ٩ . (٨) التوبة : ١٢٨ . (٩) طه : ٣٩ .

ومنها أنه تعالى افترض على خلقه اعتقاد محبته ﷺ حتى جعل ذلك منهاجاً إلى طاعته تعالى ، ومفتاحاً للقربة إليه ، وسبيلاً إلى الفوز بغفرانه ورحمته . قال تعالى : ﴿ **إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ **وإن تطيعوه تهتدوا** ﴾[2] ، وكيف لا يكون معظماً مفضلاً على جميع أنبياء الله ورسله ، وقد أقسم تعالى بحياته فقال : ﴿ **لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون** ﴾[3] .

قال أبو نعيم : حدثنا سفيان الثوري عن الأسود بن قيس عن جندب قال : « اشتكى النبي ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين ، فأتته امرأة فقالت : يا محمد ! ما أرى شيطانك إلا قد تركك ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **والضحى * والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى** ﴾[4] ، أي لم أتركك ولم أُبغضك ، ﴿ **وللآخرة خير لك من الأولى * ولسوف يعطيك ربك فترضى** ﴾[5] .

وقال عبد الله بن أحمد : حدثني هارون قال : حدثنا جعفر ، حدثنا ثابت قال : قال رسول الله ﷺ : موسى صفيّ الله وأنا حبيب الله .

* * *

---

(١) آل عمران : ٣١ . (٢) النور : ٥٤ . (٣) الحجر : ٧٢ .
(٤) الضحى : ١ – ٣ . (٥) الضحى : ٤ – ٥ .

وأما هارون عليه السلام

فإن الله تعالى وصفه بفصاحة اللسان فقال : ﴿ **هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردءاً** ﴾[1] ، وقد علم أن لغة العرب أفصح اللغات ، ولنبينا محمد ﷺ من الفصاحة ما يعرف من مَارَسَ كلامه ، أنه أُوتي فيها [أعلى] مقام ، لم يصل إليه أحد من قبله وقد شارك هارون مع ذلك فيما ناله من بني إسرائيل ، فإنه لما خلف موسى عليه السلام فيهم عندما توجه لميقات ربه ، افترقوا وتحزَّبوا ونقضوا العهد ، واستضعفوه وهمُّوا بقتله ، وعبدوا العجل فلم يقبل توبتهم حتى قتلوا بعضهم بعضاً ، كما قصَّ الله تعالى ذلك في كتابه العزيز[2] ، فلقى نبينا ﷺ نظير ذلك من بني قريظة والنضير وقينقاع ، فإنهم نقضوا العهد وحزَّبوا الأحزاب ، وجمعوا وحشدوا ، وأظهروا له العداوة بعد ما هموا بإلقاء الرحي عليه ، لما أتاهم يستعين بهم في دية بعض أصحابه ، فقام ﷺ بحربهم ، وقتل مقاتلهم وسبى ذراريهم ، وقسم أموالهم ، فكان نظير استضعافهم لهارون استضعافهم للنبي ﷺ يوم الأحزاب ، حتى لقد قال قائلهم : محمد يخندق على نفسه وأصحابه ، ولا يستطيع أحدهم الخروج إلى الغائط ، وهو يعدهم بملك كسرى وقيصر ، فكان المسلمون كما قال تعالى : ﴿ **وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر** ﴾[3] ، حتى أيده الله بجنوده ، وجعل العاقبة له على اليهود والأحزاب ، كما هو مذكور في موضعه من هذا الكتاب[4] .

* * *

---

(١) القصص : ٣٤ .
(٢) في سورتي الأعراف وطه .
(٣) الأحزاب : ١٠ .
(٤) راجع أبواب المغازي .

وأما داود عليه السلام

فخصه الله تعالى بتسبيح الجبال معه ، قال تعالى : ﴿ **ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبال أوبي معه** ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ **واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أوّاب * إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق * والطير محشورة كل له أوّاب** ﴾[2] ، فسخر الله تعالى الجبال والطير له بالتسبيح ، وقد أعطى الله نبينا محمداً ﷺ مثل ذلك من جنسه وزيادة ، فسبَّح الحصا في كفه ، وفي يد من صدَّقه واتبعه رفعة لشأنه وشأن مصدقيه ، وقد سخرت الطير والبهائم العظيمة كالإبل والسباع العادية الضارية لنبينا ﷺ ، كسجود البعير الشارد له ، والذئب الذي نطق بنبوته ، وقد همهم الأسد لسفينة مولاه لما مرّ به ودله على الطريق ، وأخذ الطائر خفه ﷺ وارتفع به ثم ألقاه ، فخرج منه أسود سالخ !! وقد أوردت ذلك كله بطرقه .

وألين لداود عليه السلام الحديد ، حتى سرد منه الدروع السوابغ ، وقد لانت الحجارةُ وصُمُّ الصخور للمصطفى ﷺ ، فعادت له غاراً استتر به من المشركين يوم أُحد [و][3] ، مال برأسه إلى الجبل ليخفي شخصه عنهم ، فليَّن الله تعالى له الجبل حتى أدخل [رأسه][3] ، وهذا أعجب ؛ لأن الحديد تلينه النار ، ولم نر النار تلين الحجر .

قال أبو نعيم : وذلك بعد ظاهر باق يراه الناس ، وكذلك في بعض شعاب مكة حجر أصم استروح ﷺ في صلاته إليه ، فلان له الحجر حتى أثَّر فيه بذراعيه وساعديه ، قال أبو نعيم : وذلك مشهور يقصده الحجاج ويرونه ، ولانت الصخرة ببيت المقدس ليله أُسري به كهيئة العجين ، فربط [بها][3] دابته البراق ، ويلمسونه الناس إلى يومنا هذا باق . قاله أبو نعيم .

وكان داود عليه السلام حسن الصوت ، بحيث بات عدة ممن سمعه وهو يقرأ الزبور على ذكر ، وقد شبه نبينا ﷺ صوت أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى

---

(١) سبأ : ١٠ . (٢) صٓ : ١٧ - ١٩ . (٣) زيادة للسياق والبيان .

عنه بمزامير داود ، فقال : لقد أوتي مزماراً من مزامير آل داود ، هذا ، وما بلغ أبو موسى الحد ، فإنه قال : لو علمت أنك تسمع لحبرته تحبيراً ، فدل على أنه كان يقدر أن يتلو بنجى من ذلك .

وأما الموت من موعظة داود عليه السلام ، فإن القوة في الأمة المحمدية أعظم منها في بني إسرائيل ، فلهذا تفاوت حالها عند سماع الموعظة وعند تركها ؛ ولذلك لم يمت داود لأنه كان قوياً وهو الواعظ . وقد قال بعض الأمة المحمدية : لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً [أعلى][1] ما بقوة مقامه .

وأمر آخر ، وهو أن خلقاً من هذه الأمة ماتوا في مجالس الوعظ كما هو معروف في كتب الأخبار ، وقد تقرر أن كل كرامة لولي في علم أو عمل ، فهي بالنسبة إليه كرامة ، وإلى الرسول معجزة ، وقد جاء في الحديث : علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل .

* * *

(١) زيادة للسياق والبيان .

وأما سليمان عليه السلام

فإن الله تعالى وهب له ملكاً لا ينبغي لأحد من [بعده][1] ، وقد أعطى الله نبيَّنا ﷺ خزائن الأرض ، فأباها وردَّها اختياراً للنقل من الدنيا ، واستصغاراً لها بحذافيرها ، وآثر مرتبته ورفعته عند ربه تعالى على ما يُغني ، ورضي بالقوت اليسير ، فكان له من ذلك أعظم ما لسليمان لعلوِّ مقامه .

وقد سخر الله تعالى لسليمان الريح ، فسارت به في بلاد الله ، وكان غُدُوُّها شهراً ورواحُها شهراً ، فأعطى الله سبحانه نبيناً محمداً ﷺ أعظم من ذلك فأكثر ، لأنه سار في ليلة واحدة من مكة إلى بيت المقدس مسيرة شهر ، وخرج به في ملكوت السموات مسيرة خمسين ألف سنة فى أقل من ثلث ليلة ، فدخل السموات سماءاً سماءاً ، ورأى عجائبها ووقف على الجنة والنار ، وعرض عليه أعمال أمته ﷺ ، وصلى بالأنبياء وبملائكة السموات ، وخرق الحُجب ، ودلى له الرفرف الأخضر ، وأوحى إليه ربه تعالى ما أوحى ، وأعطاه خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش ، وعهد إليه أن يظهر دينه على الأديان ، حتى لا يبقى في شرق الأرض وغربها إلا دينه ، أو يؤدون إليه وإلى أهل دينه الجزية عن صغار ، وفرض عليه الصلوات الخمس .

ولقي موسى عليه السلام وماله [من][1] مراجعة ربه في التخفيف عن أمته ، وهذا كله في ليلة واحدة ، فأيما أعجب وأكثر من هذا ، أو الريح غدوها شهر ورواحها شهر ، ومع ذلك فإن الصَّبا سخّرت للنبي ﷺ وكانت من جملة أجناده ، ولهذا قال : نُصرت بالصَّبا ، ومع ذلك فإن سليمان سأل ذلك فقال : ﴿ **رب [اغفر لي و][2] هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي** ﴾[3] ، ونبينا ﷺ حباه الله تعالى بذلك من غير تعرض منه له ، وأين مقام من [يُعطي][1] حسب سؤاله ، من مقام من تأتيه المنح الإلّهية مخطوباً لها ومسئولاً بها ؟؟ .

---

(١) زيادة للسياق والبيان .

(٢) زيادة للسياق لتصويب النَّص .

(٣) صٓ : ٣٥ .

وقد خص الله المصطفى ﷺ بأن جعل الرعب يسير بين يديه مسيرة شهر ، وأين غدو الريح بسليمان شهراً من تقدم الرعب بين يدي المصطفى شهراً ، وقد سخر الله تعالى لسليمان الجن ، لكنها كانت تعتاص عليه حتى يصفدها ويعذبها بالأعمال الشاقة وغيرها ، ونبينا ﷺ أتته الجن راغبة فيه ، طائعة له ، مُعظِّمة لشأنه ، مصدقة بما جاءه من ربه ، مؤمنة به ، متبعة له ، ضَارعة خاضعة ، مستمدة مُسْتَمنحةً منه زادها ومأكلها ، فجعل لها كل روثة تُصيبها تعود علفاً لدوابها ، وكل عظم يعود طعاماً لها .

وسخرت له ﷺ عظماء الجن وأشرافها التسعة ، الذين قال تعالى فيهم : ﴿ **وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن** ﴾[١] ، وقال : ﴿ **قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً * يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نُشرك بربنا أحداً** ﴾[٢] ، وأقبلت إليه ﷺ ليلة الجن الألوف منها مبايعين له على الصوم والصلاة والنصح للمسلمين ، واعتذروا بأنهم قالوا على الله شططاً .

فشملت بعثته ورسالته الإنس والجن ، وهم لا يحصون عدداً ، وأين ما أعطيه سليمان من هذا ، وما قدر ملكه في جنب هذا الأمر العظيم ، وأين تصفيد سليمان الجن من أسر رسول الله ﷺ العفريت من الجن لما تَفَلَّت عليه ، وأين المقام السليماني من المقام المحمدي ، فإن سليمان كانت تخدمه الجن ، ونبينا محمد ﷺ كانت الملائكة المقربون أعوانه ، يقاتلون أعداءه بين يديه ، ويدفعون عنه من يريده بسوء ، وقد قبض أبو أسيد على الغول لما خالفته إلى سيره بسوق نمرة ، حتى علمته آية الكرسي ، وقبض أيضاً أبو أيوب الأنصاري على الغول ، وأسر معاذ بن جبل رضي الله عنه جِنِّيًّا من جن نصيبين ، وصارع عمار بن ياسر رضي الله عنه الجن لما التقيا على الماء ، ومع هذا فقد ضرب جبريل عليه السلام بجناحه لما توفي النجاشي بالحبشة الجبال ، حتى قام المصطفى ﷺ هو وأصحابه فصلى عليه وهو ﷺ ينظر إليه من المدينة .

وكذلك لما توفي معاوية بن معاوية ، ضرب جبريل بجناحه ، ورفع له ﷺ

---

(١) الأحقاف : ٢٩ .   (٢) الجن : ١ - ٢ .

جنازة معاوية حتى نظر إليه وصلى عليه ، وأين تسخير سليمان عليه السلام الجن ﴿ **يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجوابِ وقدور راسيات** ﴾[1] ، من تسخير الله سبحانه جبريل الروح الأمين ، الرسول الكريم ، ﴿ **ذي قوة عند ذي العرش مكين** ﴾[2] ، لمحمد ﷺ حين نزل على قريش يقاتل يوم بدر ، فكان عمل الجن المردة والقردة الكفرة الفسقة لسليمان في أمور الدنيا ، وعمل الملائكة المقربين الكرام البررة لمحمد ﷺ من غير استقصاء ، قال تعالى : ﴿ **إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين** ﴾[3] ، وقال تعالى : ﴿ **إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين** ﴾[4] ، ولم يؤيد الله تعالى نبياً قبل محمد ﷺ بالملائكة تقاتل معه كما قاتلت يوم بدر كفاحاً كقتال الناس .

قال تعالى : ﴿ **إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سأُلقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان** ﴾[5] ، فلما نزلت الملائكة يوم بدر للقتال ، قال ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه وهو معه في العريش : أبشر يا أبا بكر ، أتاك الله بالنصر ، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه .... إلى غير ذلك مما قد أوردتُه بطرقه في أبوابه .

وقد كان سليمان عليه السلام يفهم كلام الطير كما في قصة الهدهد ، ويفهم كلام النملة ، قال تعالى : ﴿ **وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد** ﴾[6] ، وقال تعالى : ﴿ **قالت نملة يـٰأيها النمل** ﴾[7] ، وقال : ﴿ **يـٰأيها الناس علمنا منطق الطير** ﴾[8] ، وقد أعطى نبينا محمد ﷺ مثل ذلك بزيادات ، فكلمته البهائم والسباع ، وحنَّ له الجذع ، ورغا له البعير ، وكلمته الشجر ، وسبَّح الحصا في كفه ، وسلم عليه الحجر والشجر ، وأقر الذئب بنبوته ، [ونطقت][9] له ذراع الشاة المسمومة ، وسخر الطير لطاعته ، وشكت إليه الظبية ؛ وكلمه الضَّب ، وقد أوردت ذلك كله بطرقه .

* * *

---

(1) سبأ : ١٣ . (2) التكوير : ٢٠ . (3) آل عمران : ١٢٤ .
(4) الأنفال : ٩ . (5) الأنفال : ١٢ . (6) النمل : ٢٠ .
(7) النمل : ١٨ . (8) النمل : ١٦ . (9) زيادة للسياق .

وأما يحيى بن زكريا عليهما السلام

فإنه أوتي الحكم صبياً ، وكان يبكي من غير ذنب ، ويواصل الصيام ، وقد أعطى الله نبينا ﷺ أفضل من هذا ، فإن يحيى لم يكن في قوم يعبدون الأوثان والأصنام من دون الله ، ولا كان في عصر الجاهلية ، بل كان في بني إسرائيل أهل الكتاب ، وبيت النبوة ، ومحمد ﷺ كان في عصر الجاهلية ، ما جاءهم قبله من نذير ، يعبدون الأوثان والأصنام والطواغيت ، فأوتي من بينهم الفهم والحكم صبياً بين حزب الشيطان وعبدة الأوثان ، فلم يرغب لهم في صنم قط ، ولا شهد معهم عيداً ، ولم يُسمع منه كذب قط ، وكانوا يعدونه صدوقاً أميناً حليماً رءوفاً ، وكان يواصل الأسبوع صوماً ويقول : إني أظل عند ربي يطعمني ويسقيني ، وكان يبكي حتي يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل ، وقد أثنى الله تعالى على يحيى فقال : ﴿ **وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين** ﴾[1] ، والحصور الذي لا يأتي النساء ، وذلك أن يحيى كان نبياً ولم يكن مبعوثاً إلى قومه ، وكان منفرداً [بمراعاة][2] ، ونبينا ﷺ كان رسولاً إلى كافة الناس ليقودهم [ويقربهم][3] إلى الله تعالى ، قولاً وفعلاً ، [فأقام][4] الله تعالى به الأحوال المختلفة ، والمقامات الغالبة المتفاوتة في تصرفاته ، ليقتدي الخلق كلهم بأفعاله وأوصافه .

فاقتدى به الصديقون في حالاتهم ، والشهداء في مراتبهم ، والصالحون في اختلاف أحوالهم ، ليأخذ العالي والداني والمتوسط من أفعاله قسطاً وحظاً ، إذ النكاح من أعظم حظوظ النفس وأبلغ الشهوات ، فأمر به ﷺ وحث عليه لما جبل الله تعالى عليه النفوس البشرية من توقان النفس وهيج الشهوة المطبوع عليها النفس .

وأباح ذلك ليتحصَّنوا به من السفاح ، فشاركوه ﷺ في ظاهره ، وشملهم الاسم معه ، وانفرد ﷺ عن مساواته معهم ، فقال : تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم ، فإذا غلب عليه وعلى قلبه ما أفرده ألحق به من قوله : وجعلت قرة عيني

---

(١) آل عمران : ٣٩ .
(٢) زيادة للسياق .
(٣) هذه الكلمة غير واضحة في (خ) ، ولعل الصواب ما أثبتناه .
(٤) هذه الكلمة غير واضحة في (خ) ، ولعل الصواب ما أثبتناه .

في الصلاة ، [و][1] تلطف ﷺ في مرضاتهن فقال لعائشة : ائذني لي أتعبد في هذه الليلة ، فقالت : إني لأحب قُربك ، وهواك أحب إليّ .

فقام إلى مصلاه إلى الصباح راكعاً وساجداً باكياً ، وربما خرج إلى البقيع فتعبد فيه وزار أهله ، وربما قام ليلة ثانية إلى الصباح يرددها ، فكانت نسبته عن أحكام البشرية ودواعي النفس ممحوة عند انشقاق صدره ، لما حشوه بالإيمان والحكمة الذي وزن أمته فرجحهم ، هذا مع ما أنزل الله تعالى من السكينة عليه وعلى قلبه المقدس ﷺ .

* * *

---

(١) زيادة للسياق .

وأما عيسى عليه السلام

فإن الله تعالى خصه بإرسال الروح الأمين إلى أمه ﴿ **فتمثل لها بشراً سوياً** ﴾[١] ، ليهب لها غلاماً زكياً ، فحملت به ، وأنه نطق في المهد ، وقد أعطى الله نبينا ﷺ ضروباً من هذه الآيات ، فبشرت به أمه آمنة وهي حامل به ، وظهرت لها الآيات عند وضعها كما تقدم ذكره ، وقد قال تعالى عن عيسى : ﴿ **ورحمة منا** ﴾[٢] .

ونبينا ﷺ وصفه الله بأعم الرحمة وأكملها ، فقال : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾[٣] ، فمن صدقه وآمن به فاز برحمته في الدارين ، ومن لم يصدقه أمن في حياته مما عوقب به المكذبون للرسل من الأمم من الخسف والمسخ والقذف ، [وأنقذ][٤] الله ببعثته من آمن من الضلال ، وانتعشوا بالإيمان من الدمار ، وأمنوا به من البوار ، قال تعالى : ﴿ **لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة** ﴾[٥] ، وقال : ﴿ **إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً** ﴾[٦] ، فكان ﷺ رحمة مهداة . وقال تعالى عن عيسى . ﴿ **ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل** ﴾[٧] وقد أوتي نبينا ما يجانس ذلك وأكثر منه وأفضل .

قال تعالى : ﴿ **ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم** ﴾[٨] ، وقال تعالى : ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر** ﴾[٩] ، وقال : ﴿ **وإنه لذكر لك ولقومك** ﴾[١٠] يعني القرآن شرف لك ولهم ، وقال : ﴿ **وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً** ﴾[١١] ، ويقول تعالى للأنبياء : ﴿ **وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه** ﴾[١٢] ، إلى غير ذلك من الآيات ، وكان عيسى يخلق من الطين كهيئة الطير

---

(١) مريم : ١٧ .
(٢) مريم : ٢١ .
(٣) الأنبياء : ١٠٧ .
(٤) زيادة للسياق والبيان .
(٥) آل عمران : ١٦٤ .
(٦) الأحزاب : ٤٥ .
(٧) آل عمران : ٤٨ .
(٨) الحجر : ٨٧ .
(٩) النحل : ٤٤ .
(١٠) الزخرف : ٤٤ .
(١١) سبأ : ٢٨ .
(١٢) إبراهيم : ٤١ .

فيكون طيراً بإذن الله ، وكان لنبينا [ﷺ][1] نظير ذلك .

فإن عكاشة انقطع سيفه يوم بدر ، فدفع له رسول الله ﷺ قضيباً من حطب ، قال : قاتل بهذا ، فعادل سيفاً في يده شديد المتن أبيض الحديدة طويل القامة فقاتل به ، حتى فتح الله على المسلمين ، ثم لم يزل يشهد به المشاهد إلى أيام الردّة .

فالمعنى الذي أمكن به نبينا أن تصير الخشبة حديداً يبقى على الأيام ، هو المعنى الذي خلق به عيسى من الطين كهيئة الطير ، بل ذلك أعظم وأبدع ، فإنه لم يعهد قط أن الحديد يخرج من الخشب ، وقد عُهد أن الحيوان يتكون من الطين .

وأيضاً فإن هذا الحديد القاطع الذي تولد من الخشب بقى أعواماً كثيرة ، ولم يُنْقَل أن الطير الذي خلقه عيسى من الطين بقى لذلك ، ومع هذا فقد سمع التسبيح من الحجارة الصم في يد نبينا ﷺ ، وشهدت الأشجار والأحجار له بالنبوة ، واجتمعت الأشجار والتزمت ثم افترقت عن أمره لها ، وكل هذا يجانس إحياء الموتى ، وطيران الطيور من الطين كهيئة الطير .

وقد كان عيسى يبرىء الأكمة والأبرص ، ولنبينا ﷺ مثل ذلك ، فقد ردَّ عين قتادة بعدما ندرت وسالت على خده ، ونفث في عيني رجل قد ابيضتا فأبصر ، وبصق في عين رفاعة بن رافع وقد فقئت عينه بسهم فلم يؤده منها شيء ، وتفل في عين علي رضي الله عنه وهو أرمد فبرىء من ساعته وما اشتكى عينيه بعد ، ومسح ﷺ بيده على عدة من المصابين والمرضى فبرءوا .

وقد كان عيسى يحي الموتى بإذن الله ، ولنبينا من هذا المعنى ما هو أعجب وأغرب ؛ فقد أحيا شاة جابر ، وأحيا الله تعالى لامرأة ولدها ببركته ، [وكلمته][2] ﷺ ذراع الشاة [المسمومة][2] ، وتكليم الذراع أغرب ، لأن حياة العضو المبان وتكليمه أعجب من حياة الذات الكاملة ، لأن الحياة عُهدت منها ، وقد تكلم جماعة بعد الموت بخلاف العضو من الحيوان ، لا سيما بعد طبخه بالنار .

---

(١) زيادة للسياق .

(٢) زيادة للسياق والبيان .

وقد كان عيسى يُخبر بالغيوب ، وينبيء قومه بما يأكلون في بيوتهم ويدخرونه ، ونبينا ﷺ له في هذا المقام الذي لا فوقه : فإن عيسى إنما كان يخبر بما كان من وراء جدار ، ونبينا كان يخبر بما كان منه بمسيرة شهر وأكثر ، كإخباره بموت النجاشي ، وبقتل زيد وجعفر وابن رواحة في مؤته ، وكان يأتيه السائل ليسأله عن شيء فيقول له : إن شئت أخبرتك بما جئت تسأل عنه أو تسأل فأخبرك ؟ فيقول : لا ، بل أخبرني فيخبره بما في نفسه .

وأخبر عمير بن وهب الجمحي بما تواطآ عليه هو وصفوان بن أمية لما قعدا بمكة في الحجر في الفتك به ﷺ بعد مصاب أهل بدر .

وأخبر عمه العباس لما أسر ببدر وأراد أن يفاديه فقال : ليس لي مال ، فقال : أين مالك الذي أودعته أم الفضل لما أردت الخروج وعهدت إليها فيه ؟ .

وبعث علياً والزبير إلى سارة ، وقد حملت كتاب حاطب إلى أهل مكة فأخرجاه منها ، وقال لعبد الله بن أنيس لما بعثه إلى الهذلي بوادي عرفة : إذا رأيته هبته ، وأطلعه الله في منصرفه من تبوك على موضع ناقته وقد ضلت .

وأخبر بموت كسرى في وقت قتله ، وأخبر ﷺ بأشياء قبل كونها فوقعت كما قال ، وبشّر بما يجري على أمته بعد موته ، فكان مثل ما وعد به ، فمما أخبر بكونه :

قول الله تعالى : ﴿ **وإن تولَّوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله** ﴾[1] ، فكفاه الله ووفاه ما وعده من نصره ، وأباد المستهزئين .

وقوله تعالى : ﴿ **قل للذين كفروا ستُغلبون وتحشرون إلى جهنم** ﴾[2] ، فكان كما وعده الله ؛ غلبوا وقتلوا ، ويحشرون إلى النار .

وقوله تعالى : ﴿ **ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون** ﴾[3] ، فكان كما وعده .

---

(١) البقرة : ١٣٧ . (٢) آل عمران : ١٢ . (٣) آل عمران : ١٣٩ .

وقوله تعالى : ﴿ **وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم** ﴾[1] ، فهزم الله المشركين يوم بدر .

وقوله تعالى : ﴿ **ولينصرن الله من ينصره** ﴾[2] ، وقواه بلا مال ولا عشيرة ، حتى ملكت أمته المشرق والمغرب .

وقوله تعالى : ﴿ **ليدخلنهم مدخلاً يرضونه** ﴾[3] ، فدخلوا مكة آمنين .

وقوله تعالى : ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض** ﴾[4] ، فكان كذلك .

وقوله تعالى : ﴿ **الٓمٓ * غلبت الروم * في أدنى الأرض** ﴾[5] فلعلمه بكونه ووقوعه ، حدَّد الوقت فقال : ﴿ **وهم من بعد غَلَبِهم سيُغْلَبون * في بضع سنين** ﴾[6] ، وأكده بقوله : ﴿ **وعد الله لا يخلف الله وعده** ﴾[7] .

وقوله تعالى : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾[8] ، يعني فتح مكة ، يبشر بفتح مكة لعظم قدرها مثل كونه ، وبدخول الناس في دينه أفواجا ، فكان [كذلك][9] .

وقدمت وفود العرب بإسلام قومهم وانقيادهم لدينه ، فلم يمت ﷺ حتى طبق الإسلام اليمن إلى شجر العمان وأقصى نجد العراق ، بعد تمكنه بالحجاز ، وبسط رواقه بالغور مجرى حكم الرسول على أهل مكة والطائف وعمان والبحرين واليمن واليمامة .

وقوله تعالى : ﴿ **وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها** ﴾[10] ، يعني : العجم وفارس ، لقوله : ﴿ **وأرضاً لم تطئوها** ﴾[11] ، يعني فارس والروم ، وكان كذلك ملكها الله أمته ﷺ .

وقوله تعالى : ﴿ **ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يُسلمون** ﴾[12] ،

---

(1) الأنفال : ٧ . (2) الحج : ٤٠ . (3) الحج : ٥٩ .
(4) النور : ٥٥ . (5) الروم : ١ – ٣ . (6) الروم : ٣ – ٤ .
(7) الروم : ٦ . (8) النصر : ١ . (9) زيادة للسياق .
(10) الفتح : ٢١ . (11) الأحزاب : ٢٧ . (12) الفتح : ١٦ .

هم أهل فارس والروم ، وبنو حنيفة أصحاب مسيلمة فقاتلهم أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما .

ولم يختلف أحد من أهل القبلة في أن المخلفين من الأعراب لم يدعوا إلى شيء من الحروب بعد توليهم عن النبي ﷺ ، حتى دعوا في زمن أبي بكر إلى قتال أصحاب مسيلمة ، ووعد ﷺ بفتح بيضاء المدائن وأخذ كنوز كسرى ، وقال لعديّ بن حاتم : لا يمنعنك ما ترى بأصحابي من الخصاصة ، فليوشكن أن تخرج الظعينة من الحيرة بغير جوار ، فأبصر ذلك عدي بعينه .

وتزوج رسول الله ﷺ بأم حبيبة ، وأسلم أبوها أبو سفيان ، فزالت العداوة وآلت إلى مودة وصلة ، وأطلعه الله تعالى على ما أكنه في الصدور ، وأضمر به القلوب ، فقال تعالى : ﴿ **ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلاً منهم** ﴾(١) .

وقال : ﴿ **وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم** ﴾(٢) ، يعني من بعث محمد ﷺ ﴿ **ليحاجوكم به عند ربكم** ﴾(٣) ، فأعلم الله نبيه بذلك ، وقال : ﴿ **أوَلَا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون** ﴾(٤) .

وقال تعالى : ﴿ **ويحبون [أن يحمدوا]**(٥) **بما لم يفعلوا** ﴾(٦) ، وذلك أن اليهود كتموا رسول الله ﷺ ما سألهم عنه ، وأخبروه بغير الحق ، وأوهموه صدقهم ليستحمدوه بذلك ، فأعلمه الله بخبرهم .

وقال تعالى : ﴿ **قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا** ﴾(٧) ، وذلك أن اليهود قالوا : لإخوانهم المنافقين في السير يوم الخندق : على ما تقتلون أنفسكم ؟ [هلم](٨) إلينا ، ما ترجون من محمد ؟ والله ما تجدون عنده خيراً .

---

(١) المائدة : ١٣ . (٢) البقرة : ٧٦ . (٣) البقرة : ٧٦ .
(٤) البقرة : ٧٧ . (٥) زيادة لتصويب الآية الكريمة . (٦) آل عمران : ٨٨ .
(٧) الأحزاب : ١٨ . (٨) زيادة للسياق .

وقال تعالى : ﴿ **إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سوَّل لهم وأملى لهم * ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم** ﴾[١] ذلك بأنهم قالوا لبني قريظة والنضير : سنطيعكم في بعض الأمر ، فأخرج الله أسرارهم لنبيه . ونظائر ذلك مما أطلع الله عليه نبيه مما أَسَرَّهُ اليهود والمنافقون في القرآن كثير .

وهذا مما لا يجوز أن يكون وقوعه بطريق الاتفاق ، ولا هو مما لا تصل قُدَر البشر إلى معرفته ، فلم يبق إلا أن يكون أطلع الله نبيه عليه ، مما أسره اليهود والمنافقون وأعلمه به ، وأين إعلام المسيح أصحابه بما يأكلون ، وإخباره لهم بما [يدخرون][٢] ، من إعلام الرسول ﷺ هذه الحوادث العظيمة ، والغيوب البديعة قبل كونها ؟ .

قال الحافظ أبو نعيم : ووجه الدلالة في إخباره ﷺ بالغيوب على صدق نبوته ، وثبوت رسالته ، أن مولده ومنشأة في قوم أميين ، لم يتعاظموا علماً بالنجوم ، ولا حكماً بالطوالع والكواكب ، حسب ما يستنبطه المنجمون ، ولا عُرف هو بطلب شيء من ذلك في بلده ولا في أسفاره ، وكانت الكهانة بَطُلت بمبعثه ، ولم يكن له علم بالغيوب ، إلا بوحي يأتيه به جبريل عن الله تعالى .

ولو كان في قومه وبلده المنجمون والمستنبطون وهو لم يخالطهم ، ولا عُرف بالأخذ عنهم ، وأخبر ما أخبر به من الغيوب لكان ذلك دلالة على نبوته ومعجزة له إذا أخفى ذلك على عشيرته وخلطائه لمفارقة تلك العادات ، وليس بجائز أن يكون إخباره مأخوذاً عن الشياطين مع ما جاء به من سبَّهم ولعنهم ، فثبت بهذا أن الإخبار فيما أخبر به من الغيوب عن الله تعالى .

وأما ما اعترض به بعض الملاحدة والكفرة بأنه لم يأت بآية قاطعة محتجاً بقوله تعالى : ﴿ **وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون** ﴾[٣] ، وما أشبهه من الآي ، فكيف وقد ورد القرآن بقوله : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق**

---

(١) محمد : ٢٥ - ٢٦ .   (٢) زيادة للسياق .   (٣) الإسراء : ٥٩ .

القمر ﴾[1] ، وقوله : ﴿ أنّا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً ﴾[2] ، وقوله : ﴿ فإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ﴾[3] ثم قال : ﴿ فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا ﴾[4] الآية ، وقال لليهود ﴿ فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولا يتمنونه أبداً ﴾[5] .

وقال : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض ﴾[6] الآية ، وقال : ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة ﴾[7] ، وقال : ﴿ أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنـي إسرائيل ﴾[8] ، وقال : ﴿ أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى ﴾[9] ، وقال : ﴿ الٓم * غلبت الروم * في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون * في بضع سنين ﴾[10] ، وما في معناه من الآي .

وإنما مُنعوا الآيات التي كانوا يقترحونها على النبي ﷺ بأن تأتيهم الملائكة عياناً فيقولون : ﴿ لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين ﴾[11] ، فأنزل الله تعالى : ﴿ ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذاً منظرين ﴾[12] ، وقولهم : ﴿ لولا أنزل عليه ملك فيكون معه نذير * أو يُلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها ﴾[13] ، وما في معناه .

وأنزل الله تعالى : ﴿ أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ﴾[14] ، وكان النبي ﷺ يعرفهم إنما الآيات عند الله ، ولا يرسلها إلا بما يعلم فيه الصلاح ، وأن شهوات الكفار والجهال لا نهاية لها ، وفيما أنزله من الكتاب المبني على الغيوب كفاية مع ما كان الله تعالى يظهره عليه من الآيات سفراً وحضراً .

---

(١) القمر : ١ .
(٢) الجن : ٩ .
(٣) البقرة : ٢٣ .
(٤) البقرة : ٢٤ .
(٥) الجمعة : ٦-٧.
(٦) النور : ٥٥ .
(٧) الأنفال : ٩ .
(٨) الشعراء : ١٩٧.
(٩) طه : ١٣٣ .
(١٠) الروم : ١ - ٤ .
(١١) الحجر : ٧ .
(١٢) الحجر : ٨ .
(١٣) الفرقان : ٧ - ٨ .
(١٤) العنكبوت : ٥١ .

واستفاضت الأخبار به بنقل الأمناء العدول من جهات كثيرة مختلفة ، يستحيل فيها على مضي السنين وتطاول المدة ، واختلاف همم النقلة ودواعيهم [التواطؤ][1] عليها ، فحصلت بحمد الله الدلائل خاصاً وعاماً .

والقرآن هو الحجة الباقية بقاء الدهر ، التي عجزت العرب مع خصاصتهم وبلاغتهم عن معارضته ، مع ما يرجعون إليه من العقول الراجحة ، [والافهام][2] الكاملة ، فليس يخلو تركهم معارضته من أحد أمرين : إما عجزاً عنها أو قدرة عليها ؛ فإن كان عجزاً فهو ما يقوله ، وإن كانوا قادرين على معارضته فلم يعارضوا لصرفة ، صرفهم الله عنها ، فهي أيضاً معجزة ، كما لو أن مدعياً ادَّعى النبوَّة فقال : [آيتي][3] أنكم لو أردتم الكلام يومكم هذا لم يمكنكم ، فلم يمكنهم الكلام ، كان ذلك معجزة له ، وآية للصرف التي صرفهم الله عن النطق والكلام ، وقد كان أمره ﷺ في الانتفاء عن علم الغيب ، و [براءته][4] من ادعائه ظاهراً منتشراً ، وأنه لا يعلم منه إلا ما علمه الله وأنبأه .

وذكر من حديث مسدد قال : أخبرنا بشر بن المفضل ، أخبرنا خالد بن ذكوان ، حَدَّثَنَا الربيع بنت معوذ بن عفراء قالت : جاء رسول الله ﷺ ، فدخل عليّ صبيحة بُني بي ، فجلس على فراشي كمجلسك مني ، فجعلن جويرات لنا يضربن بالدف من أمامي يوم بدر ، إلى أن قالت إحداهن : وفينا نبي يعلم ما في الغد ؟ فقال : دعي هذه وقولي [الذي][5] كنت تقولين .

ومن حديث إسماعيل بن أبي أويس قال : حدثني أبي عن يحيى بن سعيد عن عمرة عن عائشة ، أن النبي ﷺ مرَّ بناس من الأنصار في عرس لهن يتغنين :

وأهدى لها [كبشا][6] تبجح في المَرْبَدِ

وزوجك في النادي يعلم ما في غدِ

فقال رسول الله ﷺ لا يعلم ما في غد إلا الله عزَّ وجلَّ ، فكانوا أنصاره وأعوانه ،

---

(١) زيادة للسياق . (٢) زيادة للسياق . (٣) زيادة للسياق .
(٤) زيادة للسياق . (٥) زيادة للسياق . (٦) زيادة للسياق .

فمدحهم الله بذلك في كتابه ، فقد كان لرسول الله ﷺ عدة حواريين ، منهم الزبير . وقال : لكل نبي حواري ، وحواري الزبير ، على أن حواري عيسى كان مبلغهم في طاعته أن قالوا : ﴿ **هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء** ﴾[1] ؟ .

وكان لحواري رسول الله ﷺ في خلوص الطاعة وصحة النية وحسن المؤازرة ، ومجاهدة النفوس في نصر نبيهم ، وتبجيلهم وتعظيمهم له ، ومعرفتهم بجلالته ما تقدم ذكره ، وسيأتي إن شاء الله ، لأن الله تعالى امتحن قلوبهم للتقوى ، فكانوا لا يحدّون النظر إليه إعظاماً له ، ولا يرفعون أصواتهم عليه إجلالاً له ، ولا يتنخم نُخامة إلا ابتدروها يتمسحون بها ، ولا سقطت شعرة إلا تنافسوا فيها ، حتى إن معاوية أوصى أن يدفن معه شعر من شعر رسول الله ﷺ ، وشرب عبد الله بن الزبير محجمة من دمه ، وكان إذا حضر من [جُفاة] الأعراب من لا يوقره استأذنوه في قتله ، وقد ذكرت ذلك كله بطرقه .

وقد كان عيسى عليه السلام كثير السياحة ، جوَّاباً للقفار والبراري فقد كان لنبينا ﷺ من ذلك ما هو أعظم وأفخم ، فإنه ساح في الأرض بأصحابه مجاهداً أعداء الله ، فاستنقذ في عشر سنين ما لا يُعدّ من حاضر وباد ، وافتتح القبائل الكثيرة ، فأين سياحة عيسى ليخلو بعبادة ربه ، من سياحة محمد المبعوث بالسيف المصلت على أعداء الله لإقامة دين الله ؟ فكان لا يُداري لغيره بالكلام ، ويجاهد في الله ولا ينام إلا على دم ، ولا يستقر إلا متجهزاً لقتال الأعداء ، أو باعثاً إليهم سريةً في إقامة الدين وإعلاء الدعوة وإبلاغ الرسالة ﷺ .

وقد كان عيسى زاهداً يتقنَّع من دنياه باليسير ، ويرضيه منها القليل ، فخرج من الدنيا كفافاً لا له ولا عليه ، وقد كان لنبينا من مقام الزهد ما لا فوقه ، فإنه كانت له ثلاث عشرة زوجة سوى سراريه ، فما رفعت مائدته قط وعليها طعام ، ولا شبع من خبزين ثلاث ليال متتابعة ، وكان يربط الحجر على بطنه .

---

(١) المائدة : ١١٢ .

وكان لباسه الصوف ، وفراشه إهاب شاة ، ووسادته من أدم ، حشوها ليف ، فيأتي عليه الشهران والثلاثة فلا توقد في بيته نار لمصباح ، وتوفي ودرعه مرهونة ، ولم يترك صفراء ولا بيضاء ، هذا وقد عرضت عليه مفاتيح خزائن الأرض ، ووطئت له البلاد ، ومنح الغنائم الكثيرة ، فقسمها حتى أنه فرَّق في يوم واحد ثلاثمائة ألف ، وأعطى جماعة كل رجل ما ئتين من الإبل ، وأعطى ما بين جبلين من الغنم ، وكان يأتيه السائل فيقول : والذي بعثني بالحق ما أمس في آل محمد صاع من شعير ولا من تمر ، وكان يقول : أجوع يوماً وأشبع يوماً ، فإذا جعت تضرعت ، وإذا شبعت حمدت .

وقد كان عيسى يتقلب في حياطة الله له ، ومدافعته عنه المكر والغوائل بحيث كان يمسي ويصبح آمنا ساكن النفس ، قال تعالى : ﴿ **وإذ كففت بني إسرائيل عنك** ﴾[1] الآية .

وكذلك نبيناً عصمه الله ، فقال : ﴿ **والله يعصمك من الناس** ﴾[2] ، فكان يبرز وحده في سواد الليل وبالأسحار إلى البقيع والأودية ، ومعه اليهود أعداؤه المجاهرون بعداوته في بلد واحد ، فلم يصلوا منه إلى أي شيء ، وهو يقتلهم ويسبي ذراريهم ونساءهم .

ودفع الله تعالى عنه كيد قريش وهو بمكة ، وأنبت على الغار له شجرة وأقام الحمام فعشش عليه ، والعنكبوت فنسج على بابه ، وقد رفع الله عيسى إلى السماء ، ولنبينا ﷺ من ذلك [أعلى][3] مقام فإنه عرض عليه عند وفاته البقاء فاختار ما عند الله وقربه تعالى على البقاء في الدنيا ، فقبضه الله تعالى ورفع روحه ، ولو اختار البقاء ، لكان كعيسى والخضر وإلياس عند الله في سماواته ، وفي عالمه في أرضه ، لأن عيسى عليه السلام مقيم في السماء والخضر وإلياس يتجولان في السموات والأرض على ما قيل .

ومع هذا فإن جماعة من أمة محمد ﷺ رُفعوا كما رفع المسيح ، وذلك أعجب ،

---

(١) المائدة : ١١٠ .   (٢) المائدة : ٦٧ .   (٣) زيادة للسياق .

فرفع الله عامر بن فُهيرة والناس ينظرون ، ودفن العلاء بن الحضرمي لما مات في خلافة أبي بكر رضي الله عنه بأرض اليمن في أرض العدو ، فخافوا أن ينبش قبره ويستخرج ، فذهبوا يطلبونه لينقل من أرض العدو في يومهم الذي دفنوه فيه ، فلم يقدروا عليه ولا دروا أين ذُهب به .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة : أخبرنا جعفر بن عون ، عن إبراهيم بن إسماعيل ، عن الزهري قال : أخبرني جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه ، أن رسول الله ﷺ بعثه وحده عيناً إلى قريش ، قال : فجئت إلى خشبة خبيب وأنا أتخوف العين ، فرقبتُ فيها فحللتُ خبيباً ، فوقع إلى الأرض فانتبذت غير بعيد ، ثم التفت فلم أر خُبيباً ، كأنما ابتلعته الأرض ، فما رؤي خبيبٌ إلى الساعة ، قال أبو بكر بن أبي شيبة : وقد كان جعفر بن عون قال : عن جعفر بن عمرو بن أمية ، عن أبيه عن جدة .

* * *

أَمَّـا القُـرآنُ الكـريم

فقال ابن الأنباري : سُمي قرآناً لأنه جمع السور وَضَمَّها من قوله : ﴿ **فإذا قرأناه فاتبع قرآنه** ﴾[1] ، أي إذا [أَلَّفنا] منه شيئا فاعمل به .

وقيل : سمي قرآناً لأن القاريء يلقنه من فيه من قولهم : ما قرأت هذه الناقة علي قط ، أي ما رمت . وقال أبو زيد : قرئت القرآن فهو مقريء . وقال اللحياني : قرأت القرآن قَرْءاً مثل قرعاً ، وقراءة وقرآناً وهو الاسم .

وقال ابن دريد : من قال قران (بلا همز) جعله من قريت الشيء بعضه إلى بعض ، فالقرآن والكتاب اسمان علمان على المنزل على محمد ﷺ ووصفان له لأنه يقرأ ويكتب ، فحيث جاء بلفظ التعريف فهو العلم ، وحيث جاء بوصف النكرة فهو الوصف ، وإن شئت قلت : هما يجريان مجرى واحد كالعباس وابن العباس ، فهو في الحالين اسم العلم .

فالقرآن الكريم حجة على الملحدين ، وبيان للموحدين ، قائم بالحلال المنزل ، والحرام المفصل ، وفصل بين الحق والباطل ، يرجع إليه العالم والجاهل ، وإمام تقام به الفروض والنوافل ، وسراج لا يخبو ضياؤه ، ومصباح لا يخمد ذكاؤه ، وشهاب لا يُطفأ نوره ، وبحر لا يدرك غوره ، ومعجز لا يزال يظفر رموزه ، ومعقل يمنع من الهلكة والبوار ، ومرشد يدل على طريق الجنة والنار ، وهادٍ يدل على المكارم ، وزاجر يصد عن المحارم .

ظاهره أنيق ، وباطنه عميق ، وهو حبل الله الممدود ، وعهده المعهود ، وصراطه المستقيم ، وحجته الكبرى ، ومحجته الوسطى ، وهو الواضح سبيله ، الراشد دليله ، الذي من استضاء بصباحه أبصر ونجا ، ومن أعرض عنه زلَّ وهوى .

وفضائل القرآن لا تستقصي في ألف قرآن ، حجة الله ووعده ووعيده ، به

---

(١) القيامة : ١٨ .

يعلم الجاهل ، ويعمل به العامل ، وينتبه الساهي ، ويتذكر اللاهي ، بشير الثواب ونذير العقاب ، وشفاء الصدور وجلاء الأمور ، ومن فضائله أنه يقرأ دائما ويكتب ، ويَمُل ولا يُمل ، يتجدد على الابتذال ، ويزكو على الإنفاق .

والقرآن حجة الله على خلقه لما اشتمل عليه من حجج التوحيد والنبوات ، وغير ذلك ، وهو برهان لمحمد ﷺ ، على رسالته ، إذ القرآن معجز ، فهو برهان على صدق من جاء به ، وهو محمد ﷺ ، فالقرآن من حيث هو حجة ، حجة الله ولرسوله ، يسمى برهاناً ، ومن حيث هو مرشد الخلق إلى مصالح معاشهم ومعادهم ، كاشف عنهم العمى ، قائد لهم إلى الهدى يسمى نوراً .

والقرآن أعظم معجزات رسول الله ﷺ وأشرفها وأوضحها دلالة ، لأن المعجزات تقع في الغالب مغايرة للوحي [المدعي][1] ، وهو الخارق المعجز ، فدلالته في عينه ، ولا يفتقر إلى دليل أجنبي عنه كسائر الخوارق مع الوحي ، فهو أوضح دلالة لاتحاد الدليل والمدلول فيه .

واعلم أن المعجزات على قسمين .

أحدهما : ما اشتهر نقله وانقرض عصره بموت النبي ﷺ .

والثاني : ما تواردت الأخبار بصحته وحصوله ، واستفاضت بثبوته ووجوده ، ووقع لسامعها العلم بذلك ضرورة ، ومن شرطه أن يكون الناقلون له خلقاً [كثيراً] وجماً غفيراً ، وأن يكونوا عالمين بما نقلوه علماً ضرورياً ، وأن يستوي في النقل أولهم وآخرهم ووسطهم في كثرة العدد ، حتى يستحيل عليهم التواطؤ على الكذب ، وهذه صفة نقل القرآن ، ونقل وجود رسول الله ﷺ ، لأن الأمة لم تزل تنقل القرآن خلفاً عن سلف ، والسلف عن سلفه ، إلى أن يتصل ذلك برسول الله ﷺ ، والمعلوم وجوده بالضرورة ، وصدقه بالأدلة والمعجزات .

والرسول ﷺ أخذه عن جبريل عليه السلام ، عن رب العزة جلَّت قُدرته ؛

---

(١) زيادة للسياق .

فنقل القرآن الكريم في الأصل رسولان كريمان معصومان من الزيادة والنقصان ، ونقله إلينا بعدهما أهل التواتر ، الذين لا يجوز عليهم الكذب فيما ينقلونه ويسمعونه لكثرة العدد ، فلذلك وقع لنا العلم الضروري بصدقهم فيما نقلوه من وجود محمد رسول الله ﷺ ، ومن وجود ظهور القرآن على يديه ، وتحديه به ، ونظير ذلك من علم الدنيا علم الإنسان بما نُقل إليه من وجود البلدان التي لم يرها ، كالبصرة والعراق وخراسان والهند ، ونحو ذلك من الأخبار الكثيرة المتواترة .

ولنورد هنا وجه إعجاز القرآن ، وكيفية نزوله ، والمدة التي أُنزل فيها ، وجمعه ، والأحرف التي أنزل عليها ، فالقرآن معجزة نبينا محمد ﷺ الباقية بعده إلى يوم القيامة ، ومعجزة كل نبي انقرضت بانقراضه ، أو دخلها التبديل والتغيير ، كالتوراة والإنجيل .

* * *

أمّا إعجاز القرآن الكريم

فقد اختُلف فيه ، هل هو من جهة البلاغة أو الصرفة ؟ ثم اختلف القائلون بأنه من جهة البلاغة ، فقال قوم : الإعجاز باعتبار أسلوب البلاغة ، وقال آخرون : بل بشرف البلاغة .

والفرق بين الأسلوب والشرف ، أن الأسلوب هو النمط الخارج عن الأنماط المألوفة عندهم ، كالخطابة ، والمناظرة ، والقصيد ، والرجز ، والخصومة ، والرقي ، والعوذ .

وشرف البلاغة يدخل منه المعنى الذي هو سبق الكلام له ، ومن ذهب إلى هذا جعل وجوه الإعجاز عشرة :

أحدها : النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب وفي غيرها ، لأن نظمه ليس من نظم الشعر في شيء ، ولذلك قال الله تعالى : ﴿ **وما علمناه الشعر وما ينبغي له** ﴾[1] .

وفي صحيح مسلم : أن أنيساً أخا أبا ذر رضي الله عنه قال لأبي ذر : لقيت رَجُلاً بمكة على دينك يزعم أن الله أرسله ، قلت : فما يقول الناس ؟ قال : يقولون شاعر [و] كاهن [و] ساحر ، - وكان أنيس أحد الشعراء - قال أنيس : لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ، ولقد وضعت قوله على [إقراض] الشعر فلم يلتئم على [قول][2] أحد بعدي أنه شعر ، والله إنه لصادق ، وإنهم لكاذبون .

[وكذلك][2] أخبر عتبة بن ربيعة أنه ليس بسحر ولا شعر ، لما قرأ عليه رسول الله ﷺ : ﴿ حمٓ ﴾[3] فُصّلت ، فإذا اعترف عتبة على موضعه من اللسان والفصاحة والبلاغة بأنه ما سمع مثل القرآن قط ، كان في هذا القول مقراً بإعجاز

---

(١) يٰس : ٦٩ . (٢) زيادة للسياق . (٣) فُصّلت : ١ .

القرآن له ولغرمانة من المتحققين بالفصاحة ، والقدرة على التكلم بجميع أجناس القول وأنواعه .

ثانيها : غرابة الأسلوب العجيب ، والاتّساق الغريب ، الخارج عن أعارض النظم ، وقوانين النثر ، وأسجاع الخطب ، وأنماط الأراجيز .

ثالثها : حسن التركيب ، وبديع ترتيب الألفاظ ، وعذوبة مساقها وجزالتها ، وفخامتها وفصل خطابها .

وهذه الوجوه الثلاثة من النظم والأسلوب والجزالة ، لازمة بكل سورة ، بكل آية ، وبهذه الثلاثة يتميز مسموع كل آية وكل سورة عن سائر كلام البشر ، وبها وقع التحدي والتعجيز ، فكل سورة تنفرد بهذه الثلاث من غير أن يضاف إليها أمر إلا من الوجوه العشرة ، فهذه سورة الكوثر ، بثلاث آيات قصار ، وهي أقصر سورة في القرآن ، قد تضمنت الإخبار عن معنيين :

أحدهما : الإخبار عن الكوثر ، وهذا يدلك على أن المصدقين به أكثر من أتباع الرسل .

والثاني : الإخبار عن الوليد بن المغيره ، وقد كان عند نزول الآية ذا مال وولد ، فأهلك الله ماله وولده وانقطع نسله .

رابعها : التصرف في لسان العرب على وجه لا يستقل به عربي ، حتى يقع منهم الاتفاق بل جميعهم على إصابته في وضع كل كلمة وحرف في موضعه .

خامسها : الإخبار عن الأمور التي تقدمت من أول الدنيا إلى وقت نزوله ، من أُمّيّ ما كان يتلو من قبله من كتاب ولا يخطه بيمينه[1] ، فأخبرنا بما كان من قصص الأنبياء مع أممها ، والقرون الخالية في دهرها ، وذكر ما سأله أهل الكتاب عنه ، وتحدوه به من قصة أهل الكهف ، وشأن موسى والخضر[2] ، وحال ذي

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة العنكبوت : ﴿ **وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون** ﴾ آية : (٤٨) .

(٢) شأن موسى والخضر عليهما السلام : راجع سورة الكهف : ٦٠ – ٨٢ .

القرنين ، فجاءهم وهو أُمّيٌّ من أُمَّة أُمِّيَّة ، ليس لها بذلك علم بما عرفوا من الكتب السالفة صحته ، فتحققوا صدقه .

وهذا دليل على صحة نبوته ، وتقريره أن محمداً قد أخبر بغيب لم يحضره ، ولم يخبره به مُخبر سوى الله تعالى ، وكل من أخبر بغيب [كذلك][1] فهو نبي صادق ، فمحمد نبيّ صادق .

أما الأول فلأنه أخبرهم بما كان ولم يحضره قطعاً ، ولم يخبره به سوى الله ، إذ لم يكن كاتباً ولا مؤرخاً ، ولا خالط أحداً ممن هو كذلك حتى يخبره .

وأما [الثاني][2] فلأن من كان [كذلك][3] يعلم قطعاً أنه علم ذلك الغيب بوحي ، وكل من أُوحي إليه الوحي الحقيقي فهو نبي .

قال القاضي أبو الطيب : ونحن نعلم ضرورة أن هذا مما لا سبيل إليه إلا عن تعلم ، وإذا كان معروفاً أنه لم يكن ملابساً لأهل الآثار وحَمَلَة الأخبار، ولا متردداً إلى التعلم منهم ، ولا كان ممن يقرأ ، فيجوز أن يقع إليه كتاب فيأخذ منه علم ، إنه لا يصل إلى علم ذلك إلا بتأييد من جهة الوحي .

سادسها : الوفاء بالوعد المدرك بالحس في العيان ، في كل ما وعد الله تعالى ، وهي تنقسم إلى أخباره المطلقة ، كوعده بنصر رسوله ، وإخراج الذين أخرجوه من وطنه ، وإلى وعد مقيد بشرط لقوله ﴿ **ومن يتوكل على الله فهو حسبه** ﴾[4] ، و ﴿ **ومن يؤمن بالله يهد قلبه** ﴾[5] و ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجاً** ﴾[6] و ﴿ **إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين** ﴾[7] ، وشبه ذلك .

سابعها : الإخبار عن المغيبات في المستقبل ، التي لا يطلع عليها إلا بوحي ، فمن ذلك : ما وعد الله نبيه أنه سيُظهر دينه على الأديان بقوله : ﴿ **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله** ﴾[8] ، ففعل ذلك ، فكان

---

(١) زيادة للسياق . (٢) زيادة للسياق . (٣) زيادة للسياق .
(٤) الطلاق : ٣ . (٥) التغابن : ١١ . (٦) الطلاق : ٢ .
(٧) الأنفال : ٦٥ . (٨) التوبة : ٣٣ ، الفتح : ٢٨ ، الصف : ٩ .

أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما إذا [غزا][1] واحد منهما بجيوشه عرَّفهم ما وعد الله من إظهار دينه ليثقوا بالنصر ، وليستيقنوا بالنجح ، فلم يزل الفتح يتوالى شرقاً وغرباً ، وبراً وبحراً .

وقال تعالى : ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم** ﴾[2] ، وقال : ﴿ **لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين** ﴾[3] ، وقال : ﴿ **وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم** ﴾[4] ، وقال : ﴿ **الٓمٓ * غلبت الروم * في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون** ﴾[5] ، فهذه كلها أخبار عن الغيوب التي لا يقف عليها إلا ربُّ العالمين ، أو من أوقفه الله رب العالمين عليها ، فدل على أن الله تعالى قد أوقف عليها رسوله ، ليكون دلالة على صدقه .

ثامنها : ما تضمنه القرآن من العلم الذي هو قوام جميع الأنام ، في الحلال والحرام ، وسائر الأحكام .

تاسعها : الحِكَمُ البالغة التي لم تجر العادة بأن تصدر في كثرتها وشرفها من أُمّي .

عاشرها : التناسب في جميع ما تضمنه ظاهراً وباطناً من غير اختلاف ، قال الله تعالى : ﴿ **ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً** ﴾[6] ، وذلك أن الكفار لما طعنوا في القرآن وقالوا : ليس هو من عند الله ، وإنما هو من كلام محمد أو ﴿ **أساطير الأولين اكتتبها** ﴾[7] [ولما][8] لم يكن لهم على ذلك برهان أكثر من التهمة المجردة ، بيَّن الله بطلان دعواهم بهذه الملازمة المذكورة وتقديرها : لو كان القرآن من عند غير الله لوقع الاختلاف فيه ، لكن لم يقع الاختلاف فيه فليس من عند غير الله ، فوقوع الاختلاف فيه لازم لكونه من عند غير الله ،

---

(1) زيادة للسياق . (2) النور : ٥٥ . (3) الفتح : ٢٧ .
(4) الأنفال : ٧ . (5) الروم : ١ – ٣ . (6) النساء : ٨٢ .
(7) الفرقان : ٥ . (8) زيادة للسياق .

وقد [انتفى][1] فيبقى ملزومه .

وقد اعترض الملاحدةُ على هذا بوجهين .

أحدهما : منع الملازمة ؛ قالوا : لا نُسَلّم أنه لو كان من عند غير الله لاختلف [فيه][1] ، لأن كثيراً من الناس تكلموا فلم يختلف كلامهم لتحرزهم عن المتناقض فيما يقولونه ، فجاز أن يكون محمد [كذلك][1] أنشأ القرآن وتحرز من اختلافه ، ولا جرم [جاء متسقاً][1] غير مختلف .

الثاني : منع انتفاء اللازم ؛ قالوا : لا نسلم أن الاختلاف لم يقع فيه ، بل فيه اختلاف كثير قد قرره الطاعنون .

والجواب عن الأول : أن مراد الكفار يعني الله في قولهم : القرآن من عند غير الله هو محمد ، ومن أملى عليه القرآن كرحمان اليمامة ونحوه فيما زعموا ، وهذان الرجلان كانا أميين ، لا أنسَةَ لهما بالكتب ، ولا بدراسة الحكمة ، وخُلوّ كلام مثلهما عن الاختلاف .

وإن لم يكن محالاً لذاته فهو محال في العادة أن أمياً يأتي بمثل هذه المعاني المفحمة ، في مثل هذه الألفاظ الجزلة ، والجمل الكثيرة ، ولا يقع الاختلاف في كلامه ، وقلَّ في العالم متكلم لم يستند إلى تأييد إلٓهي تكلم فلم يختلف كلامه ، فلما رأينا هذا الكلام على قرب تناوله ، وبُعد مغزاه ، وكثرته في نفسه غير مختلف ، استدللنا بحكم العادة على أنه ليس من عند غير الله .

والجواب عن الثاني : أن ماظنه الطاعنون اختلافاً في القرآن ليس اختلافاً في نفس الأمر ، لأن شرط الاختلاف والتناقض بين كل قضيتين ، أن يتفقا في الزمان ، والمكان ، والموضوع ، والشرط ، والجزاء ، والكل ، والقوة ، والفعل ، ونحو ذلك من شروط التقابل إن وُجد ، وليس في القرآن قضيتان تقابلتا [كذلك][1] ، بل لابد من اختلافهما بزمان أو مكان أو غيره من الشروط .

---

(١) زيادة للسياق .

نعم ، فيه العام والخاص ، والمطلق والمقيد ، والمجمل والمبين ، والناسخ والمنسوخ ، ولا تناقض في شيء من ذلك ، ولكن الطاعنون في القرآن أخطأ ظنهم لجهلهم ، وقد ذكر مطاعنهم والجواب عنها جماعة من علماء الأمة ، كالإمام أحمد ابن حنبل في كتاب مفرد ، وأبي عبد الله محمد بن [مسلم][1] بن قتيبة في أول [كتاب][1] (مشكل القرآن) ، وغيرهما .

وذهب النظَّام وبعض القدرية وطائفة أخرى ، إلى أن وجه الإعجاز هو المنع عن معارضته ، والصرفة عند التحدي بمثله ، وأن المنع والصرفة هو المعجزة دون ذات القرآن ، وذلك أن الله تعالى [صرف][2] هممهم عن معارضته مع تحديهم أن يأتوا بسورة مثله بأن سلبوا العلوم التي كانوا بها يتمكنون من المعارضة في وقت مرامهم ذلك .

ورُدَّ هذا المذهب بإجماع الأمة قبل حدوث هذا القول ، على أن القرآن هو المعجز ، فلو قلنا أن المنع والصرفة هو المعجز ، لخرج القرآن عن أن يكون معجزاً ، لأن فصاحته وبلاغته أمر خارق للعادة ، إذ لم يوجد قط كلام على هذا الوجه ، فلما لم يكن ذلك الكلام مألوفاً معتاداً منهم ، دلَّ ذلك على أن مجرد المنع والصرفة لم يكن معجزاً ، واختُلف [في][2] من قال بالصرفة على قولين .

أحدهما : أنهم صُرفوا عن القدرة عليه ولو تعرضوا له لعجزوا عنه .

الثاني : أنهم صُرفوا عن التعرض له مع كونه في مقدورهم ، ولو تعرضوا له لجاز أن يقدروا عليه .

وأنت إذا تأملت قوله تعالى : ﴿ **وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله** ﴾[3] وجدت فيها إثبات نبوة محمد ﷺ بتقرير معجزه وهو القرآن ، وتقرير الدليل أن محمداً لو لم يكن صادقاً في دعوى النبوة لأمكنكم أن تعارضوا معجزه وهو القرآن ، ولو بسورة مثله ، لكن لا يمكنكم معارضته ، فيلزم أنه ليس بكاذب ، فهو إذاً صادق .

---

(١) زيادة للسياق . (٢) زيادة للسياق . (٣) البقرة : ٢٣ .

وقوله ﴿ **بسورة من مثله** ﴾ أي من مثل محمد ﷺ تنبيه على وجه صدقه ، وهو أن صدور مثل هذا الكلام المعجز للخلق عن أُميّ لا يقرأ ولا يكتب ، يدل على صدقه قطعاً ، كما أن قلب العصا حيَّة ، وإحياء الموتى ممن لم يشتغل بعلم السحر ولا الطب يدل على صدقه .

وقوله : ﴿ **ولن تفعلوا** ﴾[1] : معجز معترض في هذا الاستدلال ، لأنه إخبار عن غيب ، فإنهم لا يعارضون القرآن ، وكان كما قال . ولقد كان هذا مما يقوي دواعيهم في تعاطيهم المعارضة ، فلو قدروا عليها لفعلوها ثم يكذبوه في خبره ، وقالوا : زعمت أنَّا لن نفعل ، وها نحن قد فعلنا ، فلما لم يعارضوه مع توفر الدواعي على المعارضة ، دلَّ ذلك على العجز والإعجاز ، فقد تبين أن الإعجاز في القرآن بذاته ، ويكون أهل البلاغة من العرب صرفوا عن معارضته .

وقد ذهب إلى هذا بعض المتأخرين فقال : الإعجاز بالأمرين ، إذ لا مناقضة في الجميع ، ألا ترى أن القائل بالصرف يقول : صرف الله دواعي الفصحاء عن الفكر في المعارضة لا مع أفكارها ؟ .

وقال ابن عطية : وجه الإعجاز في القرآن إنما هو بنظمه وصحة معانيه ، وتوالى فصاحة ألفاظه ، ووجه إعجازه أن الله قد أحاط بكل شيء علماً ، فأحاط بالكلام كله علماً ، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن عُلم بإحاطته [أية][2] لفظة تصلح أن تلي الأولى ، ويتبين المعنى بعد المعنى ، عم [ذلك][2] من أول القرآن إلى آخره .

والبشر معهم الجهل والنسيان والذهول ، ومعلوم ضرورة أن بشراً لم يكن قط محيطاً ، فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة ، وبهذا النظر يبطل قول من قال : إن العرب كان في قدرتها أن تأتي بمثل القرآن ، فلما جاء محمد ﷺ صرفوا عن ذلك وعجزوا عنه .

والصحيح أن الإتيان بمثل القرآن لم يكن قط في قدرة أحدٍ من المخلوقين ،

---

(١) زيادة للسياق . (٢) زيادة للسياق .

ويظهر لك قصور البشر في أن الفصيح منهم يصنع خطبة أوقصيدة ، يستفرغ فيها جهده ، ثم لا يزال ينقحها حولاً كاملاً ، ثم [يُعطي][1] لآخر نظيره فيأخذها بقريحة جامة فيبذل فيها جهده ، وينقح ، ثم لا يزال [كذلك][1] وفيها مواضع للنظر والبدل ، وكتاب الله تعالى لو نزعت منه لفظه ثُم أُدِير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد (انتهى) .

فلما عجزت قريش عن الإتيان بمثله وقالت : أن النبي ﷺ تقوّله ، أنزل الله تعالى : ﴿ **أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون * فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين** ﴾[2] ، ثم أنزل تعجيزاً لهم أبلغ من ذلك فقال : ﴿ **أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات** ﴾[3] ، فلما عجزوا حطهم عن هذا المقدار فقال : ﴿ **وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله** ﴾[4] ، فأُفحموا عن الجواب ، وعدلوا إلى المحاربة[5] ، حتى أظهر الله دينه .

ولو قدروا على المعارضة لكان أهون وأبلغ في الحجة ، هذا مع كونهم أرباب البلاغة والفصاحة [والبيان][6] ، فبلاغة القرآن في [أعلى][1] طبقات الإحسان ، وأرفع درجات الإعجاز والبيان ، وبها قامت الحجة على العرب ، وقامت الحجة على العالم ، فالعرب إذا كانوا أرباب الفصاحة [وأقاموا][6] المعارضة ، كما قامت الحجة في معجزة عيسى عليه السلام على الأطباء ، ومعجزة موسى عليه السلام على السحرة ، فإن الله تعالى إنما جعل معجزات الأنبياء عليهم السلام بالوجه الشهير أبرع ما يكون في زمان النبي الذي أراد إظهاره ، وكان السحر في زمن موسى قد انتهى إلى غايته ، [وكذلك][7] الطب في زمن عيسى ، والفصاحة في زمن محمد ﷺ .

---

(1) زيادة للسياق .
(2) الطور : ٢٣ – ٢٤ .
(3) هود : ١٣ .
(4) البقرة : ٢٣ .
(5) في (خ) بعد قوله : « وعدلوا إلى المحاربة » ، وبعدها : « وآثروا » ثم كلمة غير واضحة ، ثم « حربهم وأولادهم » ، ولم نجد لها توجيها ، وبدونها يستقيم السياق .
(6) ما بين الحاصرتين مطموسة في (خ) ولعل الصواب ما أثبتناه .
(7) زيادة للسياق .

وقال القاضي عياض : ومعجزات نبينا أظهر من معجزات الرسل بوجهين :

أحدهما : [كثرتها][1] ، وأنه لم يؤت نبي معجزة إلا وعند نبينا مثلها أو ما هو أبلغ منها ، أما كونها كثيرة فهذا القرآن وكله معجز ، وأقل ما يقع الإعجاز فيه عند بعض أئمة المحققين سورة ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾[2] ، أو آية في قدرها ، لقوله تعالى : ﴿ **فأتوا بسورة من مثله** ﴾[3] فهو أقل ما تحداهم به ، وإذا كان هذا ففي القرآن من الكلمات نحو من سبعة وسبعين ألف كلمة ونيف ، وعدد كلمات ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾[2] عشر كلمات ، فتجزأ القرآن على نسبة ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾[2] أزيد من سبعة آلاف جزء ، وكل واحد منها معجز في نفسه .

ثم إعجازه بوجهين : طريق بلاغته ، وطريق نظمه ، فصار في كل جزء من هذا العدد معجزتان ، فتضاعف العدد من هذا الوجه ، ثم فيه وجوه إعجاز أُخر من الإخبار بعلوم الغيب ، فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزئة ، الجزء عن أشياء من الغيب ، كل جزء منها بنفسه مُعجز ، فتضاعف العدد كرةً أخرى . ثم وجوه الإعجاز الأخرى توجب التضعيف ، هذا في حق القرآن ، ولا يكاد يأخذ العدد معجزاته ، ولا يحوي الحصر ماهيته . ثم الأحاديث الواردة ، والأخبار الصادرة عنه ﷺ في هذه الأبواب ، وعما دلّ على أمره بتبليغ [نحوٍ][1] من هذا .

الوجه الثاني : في وضوح معجزاته ﷺ ، فإن معجزات الرسل كانت بقدر همم أهل زمانهم ، وبحسب الفن الذي سما فيه قرنه ، ثم بين ذلك بمعنى ما تقدم ذكره ، من غلبة السحر في زمان موسى ، والطب في أيام عيسى ، والبلاغة في العرب الذين بعث الله فيهم رسول الله ﷺ .

* * *

---

(١) زيادة للسياق . (٢) الكوثر : ١ . (٣) البقرة : ٢٣ .

وأما كيفية نزوله
والمـدة التـي أُنـزل فيهـا

فإن الله تعالى أنزل القرآن جملة إلى السماء الدنيا ، ثم فرّقه على النبي ﷺ في عشرين سنة ، وكانت السورة تنزل في أمر يحدث ، والآية تنزل جواباً لمستخبر يسأل ، [ويوقف][1] جبريلُ رسولَ الله ﷺ على موضع السورة والآية ، فاتسقت سور القرآن كما اتسقت آياته وحروفه عن محمد ﷺ عن الله رب العالمين ، لأن رسول الله ﷺ أخذ ترتيب القرآن عن جبريل عليه السلام ، يقف على مكان الآيات .

خرج النسائي[2] من حديث جرير عن منصور عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنه ، قوله : ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة القدر** ﴾[3] ، قال : أُنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا ، ثم كان الله تبارك وتعالى ينزل على رسوله بعضه في إثر بعض ، قال : ﴿**وقال الذين كفروا لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة [كذلك]**[4] **لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا** ﴾ وخرجه الحاكم[5] وقال : صحيح على شرطهما .

وللحاكم من حديث عبد [الأعلى] بن عبد [الأعلى] قال : حدثنا داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال : أنزل القرآن إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ، وكان الله إذا أراد أن يوحي منه شيئاً أوحاه ، أو يحدث في الأرض منه شيئاً أحدثه . قال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه[6] .

---

(١) زيادة للسياق . (٢) لم أجده في (سنن النسائي) ، ولعله في الكبرى .

(٣) القدر : ١ . (٤) زيادة لتصويب الآية الكريمة .

(٥) (المستدرك) : ٢ / ٢٤٢ ، حديث رقم (٢٨٧٨ / ٧) ، وقال فيه : « إلى السماء الدنيا بموقع النجوم » ، والآية رقم ٣٢ من سورة الفرقان . قال الحاكم : ... على شرطها ولم يخرجاه .

(٦) المرجع السابق ، حديث رقم (٢٨٧٧ / ٦) .

وله من حديث يزيد بن هارون قال : أخبرنا داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال : أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا ليلة القدر ، ثم أنزل بعد ذلك بعشرين سنة : ﴿ **ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً** ﴾[1] و ﴿ **وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً** ﴾[2] ، قال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه[3] .

وله من حديث سفيان عن الأعمش ، عن حسان بن حريث ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : فُصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة في السماء الدنيا ، فجعل جبريل عليه السلام ينزله على النبي ﷺ ويرتله ترتيلاً . قال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه[4] .

وله من حديث عبد الوهاب بن عطاء قال ، حدثنا داود بن أبي هند عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : نزل القرآن جملة إلى السماء الدنيا ، ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة ، وقال عز وجل : ﴿ **ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً** ﴾[5] ، وقال : ﴿ **وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مُكث ونزلناه تنزيلا** ﴾[6] . قال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه[7] .

وله من حديث هيثم عن حصين عن [حكيم][8] بن حزام ، عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس قال : تنزل القرآن في ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا جملة واحدة ، ثم فرق في السنين ، قال : [وتلا][9] هذه الآية : ﴿ **فلا أقسم بمواقع النجوم * وإنه لقسم لو تعلمون عظيم** ﴾[10] . قال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه[11] .

---

(١) الفرقان : ٣٣ . (٢) الإسراء : ١٠٦ .

(٣) (المستدرك) : ٢ / ٢٤٢ ، حديث رقم (٢٨٧٩ / ٨) .

(٤) المرجع السابق : حديث رقم ٢٨٨١ / ١٠ ، ونحوه باختلاف يسير حديث رقم (٤٢١٦ / ٢٢٦) ، وقال في آخره : « قال سفيان : خمس آيات ونحوها » .

(٥) الفرقان : ٣٣ . (٦) الإسراء : ١٠٦ .

(٧) (المستدرك) : ٢ / ٢٤٢ ، حديث رقم (٢٨٧٩ / ٨) .

(٨) زيادة للبيان وفي (المستدرك) : حكيم بن جبير . (٩) زيادة للبيان .

(١٠) الواقعة : ٧٥ . (١١) (المستدرك) : ٢ / ٥٧٨ ، حديث رقم (٣٩٥٩ / ١٠٩٧) .

وأمَّا جَمْعُ القرآن الكريم
فقد وقع ثلاث مرات

الأولى : عند ما أنزله الله تعالى على رسوله ﷺ فكان يمليه في كُتَّابه فيكتبون في العظام وغيرها ، حتى اجتمعت سور القرآن وآياته .

والجمع الثاني : في خلافة أبي بكر رضي الله عنه ، جمعه من العظام وغيرها في صحف ، قال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا وكيع عن سفيان عن السدي ، عن ابن عبد خير ، قال : قال علي رضي الله عنه يرحم الله أبا بكر ، هو أول من جمع من اللوحين . حدثنا قبيصة ، حدثنا ابن عيينة ، عن مجالد ، عن الشعبيّ ، عن صعصعة قال : أول من جمع من اللوحين وَوَرَّثَ الكَلالة(1) أبو بكر رضي الله عنه .

والجمع الثالث : في خلافة عثمان رضي الله عنه ، نسخ الصحف المذكورة وما أجمع عليه الصحابة في مصحف ، وجعله خمس نسخ : أقر مصحفاً بالمدينة ، وبعث مصحفاً إلى مكة ، ومصحفاً إلى الكوفة ، ومصحفاً إلى البصرة ، ومصحفاً إلى الشام ، وحرَّق ما عدا ذلك . فأجمع الصحابة رضي الله عنهم على أن ما في مصحف عثمان رضي الله عنه هو كلام الله الذي نزل به جبريل عليه السلام من رب العالمين على محمد رسول الله ﷺ ، وصار كل ما يخالف المصحف العثماني لا يُعتد به .

قال ابن عائذ في كتاب (المغازي) : حدثنا الوليد بن مسلم عن عبد الله بن لهيعة عن أبي الأسود ، عن عروة بن الزبير قال : لما أصيب المسلمون من المهاجرين

---

(١) الكلالة : الرجل لا والد له ولا ولد . وقيل : مالم يكن من النسب لحماً ، وقيل : الورثة كلهم سوى الوالدين والأولاد ، وقيل : من تكلل نسبه بنسبك كابن العم وشبهه ، وقيل : هي الإخوة لأمّ ، وقيل : هي من العصبة مَن ورث معه الإخوة للأُمّ ، وقيل : هم بنو العمّ الأباعد ، وقال ابن عباس : هي اسم لما عدا الوالد . وروي أن النبي ﷺ سُئل عن الكلالة فقال : « من مات وليس له ولد ولا والد » ، فجعله اسم الميّت ، وهو صحيح أيضاً ؛ فإن الكلالة مصدر يجمع الوارث والموروث جميعاً ، وقيل : اسم لكل وارث . (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز) : ٤ / ٣٧٣ - ٣٧٤ .

والأنصار باليمامة ، وقتل عامة المسلمين وفقهاؤهم ، فزع أبو بكر رضي الله عنه إلى القرآن فدعا به الناس ، وخاف أن يهلك منه ، وإنما هو في العُسُب والرقاع ، وكان رجال قد قرأوه كله ، منهم أُبيّ بن كعب ، وسالم مولى حذيفة ، وكان أول من جمع القرآن في مصحف خلف [ ][1] حتى يكتبه أجمع في مصحف واشفقوا منه أن يزاد فيه أو ينقص منه ، فجمعوه على رجل أبي بكر رضي الله عنه وبأمره .

فلما أخرجوه للناس ولا يسمونه يومئذ المصْحف ، قال أبو بكر رضي الله عنه : التمسوا له اسماً ، فقال بعضهم . إنجيلاً ، فكرهوا ذلك لما ذكر الله تعالى في الإنجيل ، وقال بعضهم : سموه سفراً ، فقالوا : اسماً يدعوه اليهود كتابهم الأسفار ، فقال عتبة ابن مسعود – وهو أخو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وكان في مهاجِرة الحبشة – : إني سمعت الحبشه يدعون المصحف ، فرضوا به .

فكان أبو بكر رضي الله عنه أول من جمع القرآن في مصحف ، وسماها المصاحف ، وذكر هشام عن أبيه محمد بن السائب في كتاب . (الجامع لأنساب العرب) ومنه نقلت أن نافع بن ظريب بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف بن قصي هو الذي كتب المصاحف لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكذا ذكر الزبير بن بكار في كتاب : (نسب قريش) فقال : حدثني أبو الحسن الأثرم عن هشام بن محمد بن السائب ، قال نافع بن ظريب الذي كتب المصاحف لعمر بن الخطاب ، وهو نافع بن ظريب بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف .

وخرج النَّسائي والترمذي من حديث يحيى بن سعيد ، قال في رواية النسائي : حدثنا يزيد الفارسي قال : قال لنا ابن عباس : قلت لعثمان ، وقال الترمذي حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا يحيى بن سعيد ومحمد بن جعفر وابن أبي عذي ، وسهل ابن يوسف : حدثنا عوف بن أبي جميلة ، حدثنا يزيد الفارسيّ ، حدثنا ابن عباس قال : قلت لعثمان رضي الله عنهما : ما حملكم أن عهدتم إلى الأنفال وهي من المثاني ،

---

(١) ما بين الحاصرتين كلمة مطموسه في (خ) .

وإلى ﴿ براءة ﴾[1] ، وهي من المئين [فقرنتم] بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾[2] ، ووضعتموهما في السبع الطوال ، ما حملكم على ذلك ؟ فقال عثمان رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول : ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ، وإذا نزلت عليه الآية يقول : ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ، وكانت الأنفال من أوائل ما أنزل بالمدينة ، وكانت ﴿ براءة ﴾[3] من آخر القرآن ، وكانت قصتها شبيهة بقصتها ، فظننت أنها منها ، فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها ، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾[4] ، فوضعتها في السبع الطُّوَل . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث عوف عن يزيد الفارسيّ[5] . وخرَّجه الحاكم[6] وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وللحاكم من حديث يحيى بن أيوب قال : حدثني يزيد بن أبي حبيب ، أن عبد الرحمن بن شماسة حدثه عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : كنا حول رسول الله ﷺ نؤلف القرآن إذ قال : طوبى للشام ، فقيل له : ولم ؟ قال : إن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليهم[7] . وفي رواية : كنا عند رسول الله نؤلّف القرآن وفي رواية : كنا عند رسول الله ﷺ نؤلّف القرآن من الرقاع[8] . قال : هذا

---

(1) أول سورة التوبة .

(2) أول سورة الفاتحة .

(3) أول سورة التوبة .

(4) أول سورة الفاتحة .

(5) يزيد الفارسيّ من التابعين من أهل البصرة ، (تحفة الأحوذي) : ٨ / ٣٧٩ ، حديث رقم (٣٢٨٢) .

(6) (المستدرك) : ٢ / ٢٤١ ، حديث رقم (٢٨٧٥ / ٤) ، ص ٢٦٠ ، حديث رقم (٣٢٧٢ / ٣٨٩) . وعن علي بن عبد الله بن عباس قال : سمعتُ أبي يقول : سألتُ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : لِمَ لَمْ تكتب في ﴿ براءة ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ؟ قال : لأن ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ أمان ، و ﴿ براءة ﴾ نزلت بالسيف ليس فيها أمان (المرجع السابق) ، حديث رقم (٣٢٧٣ / ٣٩٠) .

(7) (المستدرك) : ٢ / ٢٤٩ ، حديث رقم (٢٩٠٠ / ٢٩) .

(8) (المستدرك) : ٢ / ٢٤٩ ، حديث رقم (٢٩٠١ / ٣٠) .

حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وخرجه الإمام أحمد بهذا السَّند ، ولفظه : بينما نحن عند رسول الله ﷺ نؤلّف القرآن من الرقاع[1] . الحديث .

قال الحاكم : وفيه البيان الواضح أن جمع القرآن لم يكن مرة واحدة ، فقد جمع بعضه بحضرة رسول الله ﷺ ، ثم جمع بحضرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، والجمع الثالث هو ترتيب السور ، كان في خلافة أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه[2] .

وقال الشعبي : أبو بكر الصديق رضي الله عنه أول من جمع المصحف ، وقال مجالد الشعبي عن صعصعة بن صوحان قال : أبو بكر أول من جمع المصحف ، وقال سفيان عن [من حدثه][3] ، عن عبد خير عن علي رضي الله عنه أنه قال : رحم الله أبا بكر ، أول من جمع المصحف . وفي رواية : أول من جمع من اللوحين .

وخرج الحاكم من حديث شريك ، عن عبد الله بن أبي نمر ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال : دخلت المسجد يوم الجمعة – والنبي ﷺ يخطب – فجلست قريباً من أُبيّ بن كعب ، فقرأ النبي ﷺ سورة ﴿ براءة ﴾[4] ، فقلت لأبي : متى نزلت هذه السورة ؟ قال : فتجهمني ولم يكلمني . [قال وذكر][5] الحديث[6] .

وله من حديث إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد ، عن [ابن] عباس رضي الله عنه قال : أي القراءتين ترون كان آخر القراءة ؟ قالوا : قراءة زيد ، قال : لا ، إن رسول الله ﷺ كان يعرض القراءة كل سنة على جبريل عليه السلام ،

---

(١) (مسند أحمد) : ٦ / ٢٣٦ ، حديث رقم (٢١٠٩٦) ، وحديث رقم (٢١٠٩٧) ، كلاهما عن زيد بن ثابت رضي الله عنه .

(٢) (المستدرك) : ٢ / ٢٤٩ ، تعقيباً على الحديث رقم (٢٩٠١ / ٣٠) .

(٣) زيادة ليستقيم السياق حيث لم أتبين اسم الراوي .

(٤) أول سورة التوبة .

(٥) زيادة من (المستدرك) .

(٦) (المستدرك) : ٢ / ٢٥٠ ، حديث رقم (٢٩٠٢ / ٣١) .

فلما كانت السنة التي قُبض فيها عرضه عرضتين ، فكانت قراءة ابن مسعود آخرهن[1] . قال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة ، وفائدة الحديث ذكر عبد الله بن مسعود .

وله من حديث حجاج بن المنهال[2] قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن قتادة عن الحسن ، عن سمرة قال : عُرِض القرآن على رسول الله ﷺ عرضات ، فيقولون : إن قراءتنا هذه هي العرضة الآخرة[3] . قال : هذا حديث صحيح ، على شرط البخاري بعضه ، وبعضه على شرط مسلم ولم يخرجاه .

وخرج البخاري من حديث إبراهيم بن سعد قال : حدثنا ابن شهاب عن عبيد ابن السبّاق ، أن زيد بن ثابت قال ، أرسل إليَّ أبو بكر رضي الله عنه مقتل أهل اليمامة ، فإذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عنده ، فقال أبو بكر : إن عمر أتاني فقال : إن القتل قد استحَّر يوم اليمامة بقراء القرآن ، وإني أخشى إن استحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن ، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن ، قلت لعمر ، كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال عمر : هذا والله خير ، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر .

قال زيد : قال أبو بكر رضي الله عنه : إنك رجل شابّ عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ ، فَتَتَبَّعْ القرآن فاجمعه ، فو الله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به منَ جمع القرآن ! قلت : كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال : هو والله خير ، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر [رضي الله عنهما][4] .

---

(١) (المستدرك) : ٢ / ٢٥٠ ، حديث رقم (٢٩٠٣ / ٣٢) .

(٢) في (خ) : « محتاج بن منهال » ، وما أثبتناه من (المستدرك) .

(٣) (المستدرك) : ٢ / ٢٥٠ ، حديث رقم (٢٩٠٤ / ٣٣) .

(٤) زيادة من رواية البخاري .

فتتبعت القرآن أجمعه من العسُب واللخاف وصدور الرجال ، حتى وجدتُ آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري ، لم أجدها مع أحد غيره ، ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم [عزيز عليه ما عنتم]** ﴾[1] حتى خاتمة ﴿ **براءة** ﴾[2] ، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله تعالى ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر [رضي الله عنه][1] . ذكره في كتاب فضائل القرآن ، وترجم عليه جمع القرآن[3] ، وفي كتاب الأحكام[4] ، وفي كتاب التفسير[5] ، وخرجه الترمذي في التفسير[6] .

وللبخاري من حديث هشام بن يوسف ، أن ابن جريج أخبرهم قال : وأخبرني يوسف بن ماهك قال : إني عند عائشة [أم المؤمنين][7] رضي الله عنها ، إذ جاءها عراقي فقال : أي الكفن خير ؟ قالت ويحك ! وما يضرك ؟ قال : يا أم المؤمنين ، أريني مصحفك ، قالت : لم ؟ قال : [لعلي][7] أؤلف القرآن عليه فإنه يُقرأ غير مؤلف ، قالت : وما يضرك أيّهُ قرأت ، قيل : إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصَّل ، فيها ذكر الجنة والنار ، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أول شيء : لا تشربوا الخمر لقالوا : لا ندع الخمر أبداً ، ولو نزل : لا تزنوا لقالوا : لا ندع الزنا أبداً ، لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب : ﴿ **بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر** ﴾[8] ، وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده ، قال : فأخرجت له الصحف وأملت عليه -

---

(١) زيادة من رواية البخاري . (٢) أول سورة التوبة .

(٣) (فتح الباري) : ٩ / ١٢ - ١٣ ، حديث رقم (٤٩٨٦) .

(٤) (فتح الباري) : ١٣ / ٢٢٧ ، باب (٣٧) يستحبّ للكاتب أن يكون أميناً عاقلاً ، حديث رقم (٧١٩١) .

(٥) (فتح الباري) : ٨ / ٤٣٧ ، باب (٢٠) ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم** ﴾ من الرأفة ، حديث رقم (٤٦٧٩) .

(٦) (تحفة الأحوذي) : ٨ / ٤٠٥ ، باب تفسير سورة التوبة ، حديث رقم (٣٣٠٢) ، وقال في آخره : هذا حديث حسن صحيح .

(٧) زيادة للسياق من البخاري .

(٨) القمر : ٤٦ .

أي السور[1] .

وله من حديث شعبة عن أبي إسحاق ، سمعت عبد الرحمن بن يزيد ، سمعت ابن مسعود رضي الله عنه يقول في بني إسرائيل[2] ، والكهف ، ومريم ، وطه ، والأنبياء ، أنهن من العتاق[3] الأول ، وهي من تلادي[4] . وذكره في تفسير سورة بني إسرائيل[2] ، ولم يذكر فيه طه والأنبياء[5] . وذكر في تفسير سورة الأنبياء من حديث غُنْدُر ، حدثنا شعبة عن أبي إسحاق ، سمعت عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله قال : بني إسرائيل[2] ، والكهف ، ومريم ، وطه ، والأنبياء ، هن من العتاق الأول ، وهن من تلادي[6] .

وذكر في باب تأليف القرآن من حديث الوليد قال : حدثنا شعبة ، أنبأنا أبو إسحاق ، سمع البراء قال : تعلمتُ سورة ﴿ **سبح اسم ربك [الأعلى]** ﴾ قبل أن يقدم النبي[7] .

وقد صح عن ابن مسعود أنه قال : ولقد قرأت على رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة[8] وفي رواية : والله لقد قرأتُ من في رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة[9] وصح أنه جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة .

---

(١) (فتح الباري) : ٩ / ٤٦ – ٤٧ ، كتاب فضائل القرآن ، باب رقم (٦) تأليف القرآن ، حديث رقم (٤٩٩٣) .

(٢) سورة بني إسرائيل ، وهي سورة الإسراء .

(٣) العتاق : جمع عتيق ، وهو القديم ، أو هو كل ما بلغ الغاية في الجودة .

(٤) التلاد : قديم المِلك ، أي مما حُفظ قديماً ، ومراد ابن مسعود أنهن من أول ما تعلم من القرآن ، وأن لهن فضلاً لما فيهن من القصص ، وأخبار الأنبياء والأمم ، مختصراً من (فتح الباري) .

(٥) (فتح الباري) : ٨ / ٤٩٥ ، كتاب التفسير ، باب (١٧) سورة بني إسرائيل ، حديث رقم (٤٧٠٨) .

(٦) (فتح الباري) : ٨ / ٥٥٦ ، كتاب التفسير ، باب (٢١) سورة الأنبياء حديث رقم (٤٧٣٩) ، ٩ / ٤٧ ، كتاب فضائل القرآن ، باب (٦) تأليف القرآن ، حديث رقم (٤٩٩٤) . وتأليف القرآن : أي جمع آيات السورة الواحدة ، أو جمع السور مرتبة في المصحف .

(٧) (فتح الباري) : ٩ / ٤٧ ، كتاب فضائل القرآن ، باب (٦) تأليف القرآن ، حديث رقم (٤٩٩٥) .

(٨) (المستدرك) : ٢ / ٢٤٧ – ٢٤٨ ، حديث رقم (٢٨٩٦ / ٢٥) ، (٢٨٩٨ / ٢٧) .

(٩) المرجع السابق ، حديث رقم (٢٨٩٧ / ٢٦) ، وفي (خ) : « لقد أخذت » ، وما أثبتناه من المرجع السابق .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا وكيع ، عن سفيان عن السدي ، عن عبد خير قال : سمعت علياً رضي الله عنه يقول : [رحمة] الله على أبي بكر ، كان أول من جمع ما بين اللوحين . وحدثنا ابن مهدي عن سفيان به فذكره .

وللبخاري من حديث إبراهيم ، حدثنا ابن شهاب أن أنس بن مالك رضي الله عنه حدثه أن حُذيفة بن اليمان قدم على عثمان رضي الله عنه – وكان يغازي أهل الشام في فتح إرمينية وأذربيجان مع أهل العراق – فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة ، فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين ! أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى ، فأرسل عثمان إلى حفصة : أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك ، فأرسلتْ بها حفصةُ إلى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحرث ابن هشام ، فنسخوها في المصاحف .

وقال عثمان رضي الله عنه للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم ، ففعلوا ، حتى إذا نسخوا الصُّحُف في المصاحف ردّ عثمان الصحف إلى حفصة ، فأرسل إلى كل أفق مصحفاً مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يُحرق[1] .

قال ابن شهاب : وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت ، سمع زيد بن ثابت قال : فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها ، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة [بن ثابت][2] الأنصاري : ﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه** ﴾[3] ، فألحقناها في سورتها من المصحف[4] .

---

(١) (فتح الباري) : ٩ / ١٣ ، كتاب فضائل القرآن ، باب (٣) جمع القرآن ، حديث رقم (٤٩٨٧) .

(٢) زيادة في النسب من المرجع السابق . (٣) الأحزاب : ٢٣ .

(٤) (فتح الباري) : ٩ / ١٣ ، كتاب فضائل القرآن ، باب (٣) جمع القرآن ، حديث رقم (٤٩٨٨) .

(٤) (صحيح سنن الترمذي) : ٣ / ٢٦٠ أبواب تفسير القرآن ، حديث رقم (٢٤٨٠ – ٣٣١٥) تفسير سورة التوبة .

وأخرجه الترمذي في التفسير بنحوه وقال : قال الزهري : فاختلفوا يومئذ في ﴿ **التابوت** ﴾ و ﴿ **التابوه** ﴾[1] ، فقال : ﴿ **التابوت** ﴾ ، وقال زيد : ﴿ **التابوه** ﴾ ، فرفع اختلافهم إلى عثمان فقال : اكتبوه ﴿ **التابوت** ﴾ ، فإنه نزل بلسان قريش ، قال الزهري : فأخبرني عبيد الله بن عبد الله ، أن عبد الله بن مسعود كَرِهَ لزيد بن ثابت نسخ المصاحف وقال : يا معشر المسلمين ، أعزل عن نسخ كتابة المصاحف ويتولاها رجل ، والله لقد أسلمت وإنه[2] لفي صُلب رجل كافر ، يريد زيد بن ثابت .

[ولذلك][3] قال عبد الله بن مسعود : يا أهل العراق ، اكتموا المصاحف التي عندكم وغُلوها ، فإن الله يقول : ﴿ **ومن يَغْلُل يأت بما غَلَّ يوم القيامة** ﴾[4] ، فالْقوا[5] الله بالمصاحف .

قال الزهريّ : فبلغني أن ذلك كرهه من مقالة [ابن][6] مسعود رجال من أفاضل أصحاب النبي ﷺ . قال هذا حديث حسن صحيح ، وهو حديث إبراهيم ابن سعد عن الزهري ، لا نعرفه إلا من حديثه[7] .

وأخذ خالد بن عرفطة مصاحف ابن مسعود ، فأغلى الزيت وطرحها فيه ، وكان عثمان بن عفان قد [بعثه][8] إلى الكوفة ، وكانت له صحبه ، وقاتل مع معاوية ، فلما كانت أيام المختار بن أبي عبيد ، أخذه فأغلى له زيتاً وطرحه فيه .

وقال البخاري في باب نزل القرآن بلسان قريش والعرب : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب عن الزهري قال : وأخبرني أنس بن مالك رضي الله عنه قال : فأمر عثمان زيد بن ثابت ، وسعيد بن العاص ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن

---

(١) التابوه : قراءة في التابوت .
(٢) في (خ) : « وإني » والتصويب من (صحيح سنن الترمذي) .
(٣) زيادةمن المرجع السابق .
(٤) آل عمران : ١٦١ .
(٥) في (خ) : « فاتقوا » ، والتصويب من المرجع السابق .
(٦) زيادة للسياق من المرجع السابق .
(٧) (تحفة الأحوذي) : ٨ / ٤٠٩ ، حديث رقم (٣٣٠٣) .
(٨) زيادة للسياق .

الحرث بن هشام أن ينسخوها في المصاحف وقال لهم : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في عربية من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قريش ، فإن القرآن أُنزل بلسانهم ، ففعلوا . هكذا ذكره مختصراً[1] .

وذكر ابن وهب عن مالك عن ابن شهاب ، عن سالم وخارجة ، أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان قد جمع القرآن في قراطيس ، وكان قد سأل زيد بن ثابت النظر في ذلك ، فأبى عليه حتى استعان عليه بعمر بن الخطاب رضي الله عنه ففعل ، وكانت تلك الكتب عند أبي بكر ، ثم كانت عند عمر حتى توفي ، ثم كانت عند حفصة زوج النبي ﷺ ، فأرسل إليها عثمان رضي الله عنه فأبت أن تدفعها إليه حتى عاهدها ليردها إليه ، فبعث بها إليه فنسخها ثم ردَّها إليها ، فلم تزل عندها حتى أرسل مروان فأخذها فحرقها .

وقيل : لما تولى مروان المدينة أرسل إلى حفصة في الصحف ليمزقها فمنعته ، فلما ماتت [أعطاها][2] عبدُ الله أخوها فمزقها .

وقال مسعد بن سعد : أدركتُ الناس وقت جمع عثمان المصحف ، فما رأيت المهاجرين والأنصار اختلفوا في تصويبه .

وقد روى من طريق حسن الجعني ، عن زائدة ، عن حجاج ، عن عمير بن سعيد قال : قال علي بن أبي طالب : لو كنت الوالي وقت عثمان لفعلت في المصاحف مثل الذي فعل عثمان .

ومن طريق عفان قال : حدثنا محمد بن إبان ، حدثنا علقمة عن سويد[3] بن علقمة قال : سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : والله لو كنت الوالي وقت عثمان لفعلتُ في المصاحف مثل الذي فعل . وفيه قصة .

* * *

---

(١) (فتح الباري) : ٩ / ١٠ ، كتاب فضائل القرآن باب (٢) نزل القرآن بلسان قريش والعرب ، ﴿ **قرآناً عربياً** ﴾ – ﴿ **بلسان عربيّ مبين** ﴾ . حديث رقم (٤٩٨٤) .

(٢) زيادة للسياق . (٣) السياق مضطرب في (خ) فيما بين « علقمة وسويد » .

وأما الأحرف التي
أنزل عليها القرآن الكريم

فقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : أُنزل القرآن على سبعة أحرف[1] ، من رواية أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب وأبي بن كعب . وفي الباب عن عبد الله بن عباس وأبي هريرة ، وعبد الله بن مسعود ، وأبي جهيم الأنصاري ، وأبي بكرة ، وسمرة ، وغيره .

فأما حديث عمر رضي الله عنه فرواه مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عبد الرحمن عن عبد الأعلى ، ورواه معمر ويونس عن عقيل وشعيب بن أبي حمزة ، ومحمد بن عبد الله بن مسلم - وهو ابن أخي محمد بن شهاب الزهري - ، عن عروة بن الزبير ، عن المسَور وعبد الرحمن بن عبد القاري ، جميعاً عن عمر رضي الله عنه[2] .

وخرج حديث مالك هذا ، البخاري[3] ....

---

(١) على سبعة أحرف : أي على سبعة أوجه ، يجوز أن يُقرأ بكل وجه منها ، وليس المراد أن كل كلمة ولا جملة منه تقرأ على سبعة أوجه ، بل المراد أن غاية ما انتهى إليه عدد القراءات في الكلمة الواحدة سبعة . (فتح الباري) : ٩ / ٢٨ كتاب فضائل القرآن ، شرح الحديث رقم (٤٩٩٢) : « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرؤوا ماتيسر منه » ، وبسط القول في القراءات السبعة ، في (النشر في القراءات العشر) : ١ / ١٩ - ٥٤ .

(٢) (فتح الباري) : ٩ / ٢٧ ، كتاب فضائل القرآن ، باب (٥) أنزل القرآن على سبعة أحرف ، حديث رقم (٤٩٩١) .

(٣) (فتح الباري) : ٩ / ٢٨ ، كتاب فضائل القرآن ، باب (٥) أنزل القرآن على سبعة أحرف ، حديث رقم (٤٩٩٢) ، ٥ / ٩٢ ، كتاب الخصومات باب (٤) كلام الخصوم بعضهم في بعض ، حديث رقم (٢٤١٩) ، ٩ / ١٠٧ ، كتاب فضائل القرآن ، باب (٢٧) من لم ير بأساً أن يقول : سورة البقرة وسورة كذا وكذا ، حديث رقم (٥٠٤١) ، ١٢ / ٣٧٥ ، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم ، باب (٩) ما جاء في المتأولين ، حديث رقم (٦٩٣٦) ، ١٣ / ٦٣٦ ، كتاب التوحيد ، باب (٥٣) قول الله تعالى : ﴿ **فاقرأوا ما تيسَّر منه** ﴾ ، حديث رقم (٧٥٥٠) .

ومسلم[1] وأبو داود[2] والنسائي[3] وغيرهم من الحفاظ ، فخرجه البخاري في كتاب الخصومات عن عبد الله بن يوسف ، وأخرجه مسلم عن يحيى بن يحيى ، وأخرجه أبو داود عن القعنبي ، وأخرجه النسائي عن محمد بن سلمة ، والحرث بن مسكين عن أبي القُثم عن مالك ، وقد رواه مالك في الموطأ[4] عن محمد بن شهاب عن عروة بن الزبير ، عن عبد الرحمن بن عبد ، قال : سمعتُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها ، وكان رسول الله ﷺ أقرأنيها ، فكدت أن أعجل عليه ، ثم أمهلتُه حتى انصرف ، ثم لببتُه بردائه ، ثم جئت به رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ، إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأتنيها ، فقال لي رسول الله ﷺ : أرسله . ثم قال : اقرأ يا هشام ، فقرأ القراءة التي سمعته يقرأ . فقال رسول الله ﷺ : هكذا أُنزلت . ثم قال لي : اقرأ ، فقرأتها ، فقال : هكذا أنزلت ، إن هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف ، فاقرؤا ما تيسر منه .

وخرج البخاري ومسلم والنسائي حديث المسور ، وعبد الرحمن بن عبد القاري فقال البخاري في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم ، في باب ما جاء في المنافقين[5] .

وقال الليث : حدثني يونس عن ابن شهاب ، أخبرني عروة بن الزبير ، أن المسور بن مخرمة ، وعبد الرحمن بن عبد القاري ، أخبراه أنهما سمعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٦ / ٣٤٦ ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب (٤٨) بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه ، حديث رقم (٢٧٠ - ٨١٨) .

(٢) (صحيح سنن أبي داود) : ١ / ٢٧٦ ، باب (٣٥٧) أُنزل القرآن على سبعة أحرف ، حديث رقم (١٣٠٨ - ١٤٧٥) .

(٣) (سنن النسائي بشرح السيوطي) : ٢ / ٤٨٧ - ٤٨٩ ، باب (٣٧) جامع ما جاء في القرآن ، حديث رقم (٩٣٥) ، (٩٣٦) ، (٩٣٧) .

(٤) (شرح الزرقاني على الموطأ) : ٢ / ١٤ ، كتاب الصلاة ، باب (١٣٣) ما جاء في القرآن ، حديث رقم (٤٧٤) .

(٥) سبق الاشارة إليه .

الله ﷺ ، فاستمعت لقراءته ، فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة ، لم يقرئنيها رسول الله ﷺ [كذلك] ، فكدت أساوره في الصلاة ، فانتظرته حتى سلم ، فلما سلم لَبَبْتُهُ بردائه أو بردائي ، فقلت : من أقرأك هذه السورة ؟ قال : أقرأنيها رسول الله ﷺ ، فقلت له : كذبت ، فو الله إن رسول الله أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرأها ، فانطلقت أقوده إلى رسول الله ، فقلت : يا رسول الله ! إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها ، وأنت أقرأتني سورة الفرقان ، فقال رسول الله ﷺ : أرسله يا عمر ، إقرأ يا هشام ، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأها ، قال رسول الله : هكذا أُنزلت ، ثم قال رسول الله ﷺ : إقرأ يا عمر ، فقرأتُ ، فقال : هكذا أُنزلت ، ثم قال : إن هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف ، فاقرءوا ما تيسر منه .

وخرجه أيضا في آخر كتاب التوحيد في باب فاقرءوا ما تيسر من القرآن(١) . وخرجه في فضائل القرآن(١) .

وخرجه مسلم من حديث ابن وهب قال : أخبرني يونس عن ابن شهاب قال : أخبرني عروة بن الزبير أن المسوّر بن مخرمة ، وعبد الرحمن بن عبد أخبراه أنهما سمعا عمر يقول : سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان ، فذكره .

وخرجه أيضاً من حديث إسحق بن إبراهيم ، وعبد الرحمن بن حميد عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري ، كرواية يونس بإسناده . وخرجه النسائي من حديث يونس عن ابن شهاب بإسناد الليث .

قال الحافظ أبو عمر عبد الله بن عبد البر : في رواية معمر تفسير لرواية مالك في قوله : يقرأ سورة الفرقان ، لأن ظاهر السورة كلها أو جملتها ، فبان في رواية معمر أن ذلك في حروف منها بقوله : على حروف كثيرة .

وقوله : يقرأ سورة الفرقان على حروف لم يقرئنيها ، وهذا مجمع عليه أن القرآن [وآياته كلها](٢) لا يجوز في حروفه وكلماته أن يُقرأ على سبعة أحرف ولا شيء

---

(١) سبق الاشارة إليه . (٢) زيادة للبيان .

منها ، ولا يمكن ذلك فيها ، بل لا يوجد في القرآن كلمة تحتمل أن يُقرأ على سبعة أحرف إلا قليلاً ، مثل : ﴿ **وعبد الطاغوت** ﴾[1] و ﴿ **تشابه علينا** ﴾[2] و ﴿ **عذاب بئيس** ﴾[3] ونحو ذلك ، وذلك يسير جداً ، وهذا بين واضح يُغني عن الإكثار منه .

وأما حديث أبي بن كعب رضي الله عنه فخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنَّسائي ، وقاسم بن أصبغ ، وعدة من الحفاظ . فلمسلم من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن جده عن أُبيّ ابن كعب قال : كنت في المسجد فدخل رجل يصلي ، فقرأ قراءة أنكرتها عليه ، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه ، فلما قضينا الصلاة دخلنا [جميعا][4] على رسول الله ﷺ ، فقلت : إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه ، فأمرهما رسول الله ﷺ فقرآ ، فحسَّن النبي ﷺ شأنهما ، فسقط في نفسي من التكذيب ، ولا إذ كنت في الجاهلية .

فلما رأى رسول الله ما قد غشيني ، ضرب في صدري ففضت عرقاً ، وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فرقاً ، فقال لي : يا أُبيّ ! أرسل إليّ أن اقرأ القرآن على حرف ، فرددتُ إليه أن هون على أمتي ، فردّ إليّ الثانية أن اقرأه على حرفين ، فرددتُ إليه أن هون على أمتي ، فردّ إليّ الثالثة أن اقرأه سبعة أحرف ، فلك بكل ردة رددتكها مسألة تسألنيها ، فقلت : اللهم اغفر لأمتي ، وأخرت الثالثة ليوم ترغب إليّ الخلق كلهم حتى إبراهيم[5] .

وله من حديث شعبة ، عن الحكم عن مجاهد عن ابن أبي ليلى عن أبيّ بن كعب ، أن النبي ﷺ كان عند أضاة[6] بني غفار ، قال : فأتاه جبريل عليه

---

(١) المائدة : ٦٠ . (٢) البقرة : ٧٠ . (٣) الأعراف : ١٦٥ .

(٤) زيادة من صحيح مسلم .

(٥) (مسلم بشرح النووي) : ٦ / ٣٥٠ ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب (٤٨) بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه ، حديث رقم (٢٧٣) - (٨٢٠) .

(٦) هي الماء المستنقع كالغدير .

السلام فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف ، قال : أسأل الله عز وجل معافاته ومغفرته ، وإن أمتي لا تطيق ذلك .

ثم أتاه الثانية فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين ، فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته ، فإن أمتي لا تطيق ذلك .

ثم جاءه الثالثة فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك .

ثم جاءه الرابعة فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف ، فأيما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا[1] .

وخرج أبو داود[2] والنسائيّ[3] من حديث شعبة بنحو ذلك ، وقال النسائيّ بعد إيراده هذا الحديث : منصور خالف الحكم في هذا الحديث ، رواه عن مجاهد عن عبيد بن عمير مُرسلاً . وخرجه قاسم بن أصبغ من حديث أبي مُعمر عن عبد الوارث عن محمد بن جحاده ، عن الحكم بن عيينة إلى آخره بمعناه .

وخرجه النسائيّ أيضاً من حديث يحيى عن حميد عن أنس عن أُبيّ قال : ما حاك في صدري منذ أسلمت أني قرأت آية وقرأها آخر غير قراءتي ، فقلت : أقرأنيها رسول الله ﷺ وقال الآخر : أقرأنيها رسول الله ﷺ ، فأتيت النبي ﷺ فقلت : يا نبيَّ الله ، أقرأتني آية كذا وكذا ، قال : نعم وقال الآخر : ألم تقرئني آية كذا وكذا ؟ قال : نعم ، إن جبريل وميكائيل أتياني ، فقعد جبريل عن يميني ، وميكائيل عن يساري ، فقال جبريل : اقرأ القرآن على حرف ، قال ميكائيل : استزده ، حتى بلغ

---

(١) (مسلم بشرح النووي) ٦ / ٣٥٢ ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب (٤٨) بيان أن القرآن على سبعة أحرف ، وبيان معناه ، حديث رقم (٢٧٤ – ٨٢١) ، قال الإمام النووي : معناه لا يتجاوز أمتك سبعة أحرف ، ولهم الخيار في السبعة ، ويجب عليهم نقل السبعة إلى من بعدهم بالتخير فيها ، وأنها لا تتجاوز والله أعلم .

(٢) (سنن أبي داود) : ٢ / ١٦٠ ، باب (٣٥٧) أنزل القرآن على سبعة أحرف ، حديث رقم (١٤٧٨) .

(٣) (سنن النسائيّ) : ٢ / ٤٩٠ ، كتاب (١١) الافتتاح ، باب (٣٧) جامع ما جاء في القرآن ، حديث رقم (٩٣٨) .

سبعة أحرف ، فكل حرف شافٍ كافٍ[1] .

وخرج الترمذي من حديث شيبان عن عاصم عن زِرّ بن حُبيش ، عن أُبيّ ابن كعب قال : لقي رسول الله ﷺ جبريل ، فقال يا جبريل إني بعثتُ إلى أمة أمّيين ، منهم العجوز ، والشيخ الكبير ، والغلام ، والجارية ، والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط ، قال : يا محمد ، إن القرآن أُنزل على سبعة أحرف[2] .

قال الترمذي : وفي الباب عن عمر وحذيفة بن اليمان ، وأم أيوب – وهي امرأة أبي أيوب ، وسمرة ، وابن عباس ، وأبي جُهَيْم بن الحرث بن الصمة ، وعمرو بن العاص وأبي بكرة ، قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، قد روى من غير وجه عن أُبيّ بن كعب .

وقال ابن عبد البر : وأما حديث عاصم عن زرّ عن أُبيّ ، فاختلف على عاصم فيه ، وقد جاء بيان الرجل الذي رآه أُبيّ يقرأ في رواية همام بن يحيى عن قتادة ، عن يحيى بن يعمر ، عن سليمان بن صُرد ، عن أُبيّ بن كعب قال : قرأ أُبيّ آية ، وقرأ ابن مسعود خلافها ، وقرأ رجل آخر خلافها ، فأتينا النبي ﷺ فقلت : ألم تقرأ آية كذا وكذا ، وكذا وكذا ؟ وقال ابن مسعود : ألم تقرأ آية كذا وكذا ؟ فقال النبي ﷺ : كلكم محسن مجمل ، قال : ما كلنا أحسن ولا أجمل ! قال : فضرب صدري وقال : يا أُبي ، إني أقرئت القرآن فقلت : على حرف أو حرفين ؟ فقال لي الملَك الذي عندي : على حرفين ، فقلت : على حرفين أو ثلاثة ؟ فقال الملك الذي [عندي][3] : على ثلاثة ، هكذا حتى بلغ سبعة أحرف ، ليس منها إلا شاف كاف ، قلت : غفوراً رحيماً ، أو قلت : سميعاً حكيماً ، أو قلت : عليماً حكيماً ، أو عزيزاً حكيماً ، أي ذلك قلت فإنه [كذلك] [مالم تختم آية عذاب

---

(١) (المرجع السابق) ، حديث رقم (٩٤٠) ، قوله : « ما حاك في صدري » . أي ما أثّر ، أي أثر شك في صدري ، ولا وقع ، وقد جاء صريحاً أنه وقع في صدره يومئذ شكٌّ عصمه الله تعالى منه ببركة نبيه ﷺ .

(٢) (سنن الترمذي) : ٥ / ١٧٨ ، كتاب القراءات (٤٧) ، باب (١١) .

(٣) زيادة للبيان والسياق .

برحمة ، أو آية رحمة بعذاب][1] .

وزاد بعضهم في هذا الحديث : ما لم تختم عذاباً برحمة أو رحمة بعذاب . قال القاضي أبو بكر بن الطيب : وإذا ثبتت هذه الرواية ، حمل على أن هذا كان مطلقاً ثم نُسخ ، فلا يجوز للناس أن يبدلوا أسماء الله تعالى في موضع بغيره ، مما يوافق معناه أو يخالف .

وقال ابن عبد البر : أما قوله في هذا الحديث : قلت سميعاً عليماً أو غفوراً رحيماً ، أو عليماً حكيماً ، فإنما أراد به ضرب المثل للحروف التي يقرأ القرآن عليها ، أنها معان متفق مفهومها ، مختلف مسموعها ، لا تكون في شيء معنى وضده ، ولا وجه وخلاف معناه ، خلاف بنفسه ومضاده ، كالرحمة التي هي خلاف العذاب وضده ، والسورة التي أنكر فيها - أي القراءة - سورة النحل . وذكر ذلك الليث بن سعد عن هشام بن سعد عن عبيد الله بن عمر ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أُبيّ بن كعب قال ... ، الحديث .

وأما حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه ، فخرجه مسلم من حديث ابن وهب قال : أخبرني يونس عن ابن شهاب قال : حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن ابن عباس حدثه أن رسول الله ﷺ قال : أقرأني جبريل على حرف فراجعته ، فلم أزل أستزيد فيزيدني ، حتى انتهى إلى سبعة أحرف ، قال ابن شهاب : بلغني أن تلك السبعة الأحرف إنما هي في الأمر الذي يكون واحداً لا يختلف في حلال ولا حرام[2] .

وأما حديث أبي هريرة رضي الله عنه فخرجه أبو داود وقاسم بن أصبغ من حديث محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال :

---

(١) تكملة من (سنن أبي داود) : ٢ / ١٦٠ ، كتاب الصلاة ، باب (٣٥٧) أنزل القرآن على سبعة أحرف ، حديث رقم (١٤٧٧) .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ٦ / ٣٤٨ ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب (٤٨) بيان أن القرآن على سبعة أحرف ، وبيان معناه ، حديث رقم (٢٧٢ — (٨١٩) ، (سنن أبي داود) : ٢ / ١٦٠ كتاب الصلاة ، باب (٣٥٧) أنزل القرآن على سبعة أحرف ، حديث رقم (١٤٧٦) .

أنزل القرآن على سبعة أحرف ، غفوراً رحيماً ، عزيزاً حكيماً ، عليماً حكيماً[1] ، وربما قال : سميعاً بصيراً .

وخرجه قاسم بن أصبغ من حديث ابن أبي أويس قال : حدثني أخي سليمان ابن بلال عن محمد بن عجلان عن [ابن جرير][2] ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف ، فاقرءوا ولا حرج ، ولكن لا تختموا ذكر رحمة بعذاب ولا ذكر عذاب برحمة[3] .

وأما حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، فروى جرير بن عبد الحميد عن مغيرة ، عن واصل ابن حبان عن عبد الله بن أبي الهذيل عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : أنزل القرآن على سبعة أحرف ، لكل آية منها ظهر وبطن ، ولكل حرف حدٌّ ومطلع[4] .

وأما حديث أبي جهيم ، فخرج ابن وهب من حديث سليمان بن بلال بن يزيد بن عبد الله بن حضيعة ، عن بشر بن سعيد أن أبا جهيم الأنصاري رضي الله عنه أخبره بأن رجلين اختلفا في آية من القرآن ، فقال : هذا تلقيتُها من رسول الله ﷺ ، وقال الآخر : لُقِّنتها من رسول الله ، فَسُئِل رسولُ الله ﷺ عنها فقال : إن القرآن أنزل على سبعة أحرف ، ولا تماروا في القرآن ، فإن المراء[5] فيه كفر[6] .

وأما حديث أبي بكرة ، فخرجه الطحاوي من حديث حماد قال : أخبرني علي ابن زيد ، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة ، عن أبي بكرة رضي الله عنه قال :

---

(١) وأخرجه أيضا الإمام أحمد في (المسند) : ٢ / ٦٣٥ ، مسند أبي هريرة ، حديث رقم (٨١٩٠) .

(٢) تكملة من (كنز العمال) .

(٣) (كنز العمال) : ٢ / ٥٦ ، حديث رقم (٣١٠٢) ، وقال فيه : « ولكن لا تجمعوا » ، وقال في آخره : (ابن جرير عن أبي هريرة) .

(٤) (كنز العمال) : ٢ / ٥٣ ، حديث رقم (٣٠٨٦) وقال فيه : « لكل حرف منها ظهرٌ وبطنٌ ، ولكل حرف حَدٌّ ومطلعٌ » وقال في آخره : (طب عن ابن مسعود) .

(٥) المراء : المجادلة والخصام الشديد الذي يولد الحقد والبغضاء .

(٦) (كنز العمال) : ٢ / ٥٢ ، حديث رقم (٣٠٨٢) وقال فيه : « فإنَّ مراءً في القرآن كفر » ، وقال في آخره : (حم عن أبي جهيم) .

[أتي][1] جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ فقال : إقرأ على حرف ، قال : فقال ميكائيل : استزده ، فقال : اقرأ على حرفين ، فقال ميكائيل : استزده ، حتى بلغ سبعة أحرف ، فقال : اقرأه فكل شاف كاف إلا أن يخلط آية رحمة بآية عذاب ، أو آية عذاب بآية رحمة ، على نحو : هلم ، ويقال : وأقبل واذهب وأسرع وعجِّل[2] .

وأما حديث سمرة ، فخرج الحاكم من حديث عفان بن مسلم قال : حدثنا حماد ابن سلمة، حدثنا قتادة عن الحسن ، عن سمرة عن النبي ﷺ قال : أُنزل القرآن على ثلاثة أحرف[3] ، قال الحاكم[4] : وهذا حديث صحيح وليس له علة .

وقد اختلف الناس في معنى ذلك اختلافاً كثيراً ، فقال بعضهم : هي سبعة أحرف أودعها الله تعالى في كتابه ، قام بها إعجازه ، وقال قوم : هي زجر ، وأمر ، وحلال ، وحرام،ومحكم ، ومتشابه ، وأمثال .

وقيل : هي حلال،وحرام ، وأمر ، ونهي ، وزجر ، وخبر ما كان قبل ، وخبر ما هو كائن بعد ، وأمثال .

وقيل : هي وعد ، ووعيد ، وحلال ، وحرام ، ومواعظ ، وأمثال ، واحتجاج .

وقيل : هي أمر ، ونهي ، وبشير ، ونذير ، وإخبار ، وأمثال .

وقيل : هي محكم ، ومتشابه ، وناسخ ، ومنسوخ ، وخصوص ، وعموم ، وقصص .

---

(١) في (كنز العمال) : « أتاني جبريل وميكائيل » .

(٢) (كنز العمال) : ٢ / ٥٠ ، حديث رقم (٣٠٧٥) باختلاف يسير ، حتى « كلها كافٍ شافٍ » . وقال في آخره (حم وعبد بن حميد عن أبي بن كعب) ، (حم طب عن أبي بكرة) ، (ابن الضريس عن عبادة بن الصامت) .

(٣) (كنز العمال) : ٢ / ٥٣ ، حديث رقم (٣٠٨٧) ، وقال في آخره : (حم طب ك عن سمرة) .

(٤) (المستدرك) : ٢ / ٢٤٣ ، حديث رقم (٢٨٨٤ / ١٣) ، قال الحاكم : قد احتجَّ البخاري برواية الحسن عن سمرة ، واحتجَّ مسلم بأحاديث حماد بن سلمة ، وهذا الحديث صحيح ، وليس له علة .

وقيل : هي أمر ، ونهي ، وحد ، وعلم ، وسر ، وظهر ، وبطن .

وقيل : ناسخ ، ومنسوخ ، ووعد ، ووعيد ، ورجم ، وتأديب ، وإنذار .

وقيل : حلال ، وحرام ، وافتتاح ، وإضمار ، وفضائل ، وعقوبات .

وقيل : أوامر ، وزواجر ، وأمثال ، وأنباء ، وعتب ، ووعظ ، وقصص .

وقيل : الحلال ، والحرام ، والمنصوص ، والقصص ، والإباحات .

وقيل : الظهر ، والبطن ، والفرض ، والندب ، والخصوص ، والعموم ، والأمثال .

وقيل : الأمر ، والنهي ، والوعد ، والوعيد ، والإباحة ، والإرشاد ، والاعتبار .

وقيل : هي مقدم ، ومؤخر ، وفرائض ، وحدود ، ومواعظ ، ومتشابه ، وأمثال .

وقيل : هي تفسير ، ومجمل ، ومقتضى ، وندب ، وحتم ، وأمثال .

وقيل : هي أمر حتم ، وأمر ندب ، ونهي حتم ، ونهي ندب ، وأخبار ، وإباحات .

وقيل : الفرض ، والنهي الحتم ، والأمر الندب ، والنهي المرشد ، والوعد ، والوعيد ، والقصص .

وقيل : هي سبع جهات لا يتعداها الكلام ؛ إذ العرب تسمي الحرف جهة .

وقيل : هي لفظ خاص أُريد به العام ، ولفظ يغني تنزيله عن تأويله ، ولفظ لا يعلم فقهه إلا العلماء ، ولفظ لا يعلم معناه إلا الراسخون في العلم .

وقيل : هي سبع لغات متفرقة لجميع العرب ، فكل حرف منها لقبيلة مشهورة ، وبعض الأحياء أسعد من بعض ، مثل قريش ؛ لأن القرآن أُنزل بلغتها .

وقيل : هي سبع لغات : أربع منها لعجز هوازن ، وثلاثة لقريش ، وعجز هوازن : سعد بن بكر ، وجشم بن بكر ، ومضر بن معاوية .

وقيل : قال [ابن] عباس : نزل القرآن بلغة الكعبيين : كعب قريش وكعب

خزاعة ، قيل له : وكيف ذلك ؟ قال : كانت دارهم واحدة ، قال أبو عبيدة : يعني أن خزاعة جيران قريش .

وقال صالح بن نَضْر بن مالك الخزاعي : مرَّ بي شعبة بن الحجاج فقال لي : يا خزاعي ، ألا أحدثك حديثاً في قومك ؟ حدثنا قتادة عن أبي الأسود الدُّؤَلّي قال : نزل القرآن بلسان الكعبين : كعب بن عمرو ، وكعب بن لؤي .

وقال قتادة عن [ابن] عباس : نزل القرآن بلسان قريش ولسان خزاعة ، وذلك أن الدار واحدة ، هي سبع لغات : لقريش لغة ، ولليمن لغة ، ولجرهم لغة ، ولهوازن لغة ، ولقضاعة لغة ، ولتميم لغة ، ولطّي لغة .

وقيل : هي لغة الكعبين : كعب بن عمرو ، وكعب بن لؤي ولها سبع لغات .

وقيل : هي اللغات المختلفة لأحياء العرب في معنى الواحد ، مثل قولك : هلم ، هات ، تعال ، أقبل ، هاهنا ، عندي ، اعطف عليّ .

وقيل : هي قراءات سبعة من الصحابة هم : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس ، وأبي بن كعب رضي الله عنهم .

وقيل : هي ما في اللغة مثل : الهمز ، والفتح ، والكسر ، والإمالة ، والتفخيم ، والمد ، والقصر .

وقيل : هي تصريف ، ومصادر ، وعروض غريب ، وسجع ، ولغات مختلفة في شيء واحد ، كلها لغة العرب .

وقيل : هي كلمة واحدة تعرب بسبعة أوجه حتى يكون المعنى واحداً وإن اختلف اللفظ فيها .

وقيل : هي أمهات الهجاء : الألف ، والباء ، والجيم ، والدال ، والراء ، والسين ، والعين ، لأن عليها يدور جميع كلام العرب .

وقيل : هي أسماء الرب تعالى مثل : الغفور ، الرحيم ، السميع ، البصير ، العليم ، الحكيم .

وقيل : هي آية في الذات ، وآية تفسيرها في آية أخرى ، وآية بيانها في السنة الصحيحة ، وآية في وصف الأنبياء والرسل ، وآية في خلق الله تعالى الأشياء ، وآية في وصف الجنة ، وآية في وصف النار .

وقيل : هي آية في وصف الصانع سبحانه ، وآية في إثبات الوحدانية للصانع تعالى ، وآية في إثبات صفاته ، وآية في إثبات رسله ، وآية في إثبات كتبه ، وآية في إثبات الإسلام ، وآية في إثبات الكفر .

وقيل : هي سبع جهات من صفات الذات لله تعالى التي لا يقع عليها التكييف .

وقيل : هي إثبات الإيمان بالله ومباينة الشرك ، وإثبات الأوامر ومجانبة الزواجر والثبات على الإيمان ، وتحريم ما حرَّم الله ، وطاعة رسوله .

وقيل : هي إظهار الربوبية وإثبات الوحدانية ، وتعظيم الألوهية ، والتعبد لله تعالى ، ومجانبة الشرك بغير الله ، والترغيب في الثواب ، والترهيب من العقاب .

وقد ذكر هذه الأقوال كلها – ما عدا القول الأول – أبو حاتم محمد بن حبان البُستي ، ثم قال : هذه آخر خمسة وثلاثين قولاً لأهل العلم واللغة في معنى قوله ﷺ : « أُنزل القرآن على سبعة أحرف » ، وهي أقاويل يشبه بعضها بعضاً وهي كلها محتملة وتحتمل غيرها .

قال : والذي عندي أن لقوله : أُنزل القرآن على سبعة أحرف معنيين : أحدهما : علم القراءات للقرآن ، والآخر : علم تأويله بصحة البيان ، فأما المعنى الذي هو وجه [القراءات][(1)] للقرآن : فإنه يؤدي إلى سبعة أحرف على ما قاله المصطفى ﷺ :

أولها : التأنيث والتذكير : مثل قوله : ﴿ **لا يقبل منها شفاعة** ﴾[(2)] ، ﴿ **ولا تقبل منها** ﴾ ، و ﴿ **لا يحل لك النساء** ﴾[(3)] ، ﴿ **ولا تحل لك** ﴾ .

وثانيها : الجمع والوحدان : كقوله : ﴿ **وصدقت بكلمات ربها**

---

(1) زيادة للسياق والبيان . (2) البقرة : ٤٨ . (3) الأحزاب : ٥٢ .

وكتبه ﴾[1] ، و ﴿ وكتابه ﴾ ، وكقوله : ﴿ والذين هم لأماناتهم ﴾[2] ، ﴿ وشهادتهم ﴾[3] ، وما أشبه ذلك .

وثالثها : الخفض والرفع : مثل قوله تعالى : ﴿ في لوح محفوظٍ ﴾[4] ، ﴿ محفوظٌ ﴾ ، و ﴿ هل من خالق غيرُ الله ﴾[5] ، و ﴿ غيرِ الله ﴾ ، وما أشبه ذلك .

ورابعها : الأدوات والآلات ، مثل النون إذا شددتها ، والألف إذا كسرتها أو فتحتها ونصبت ما بعدها ، مثل قوله تعالى : ﴿ ولكن البر من اتقى ﴾[6] ، ﴿ ولكن الله رمى ﴾[7] ، وما أشبه ذلك .

وخامسها : الإعراب والتصريف : كقوله : ﴿ يعرِشون ﴾[8] ، و ﴿ يعرُشون ﴾ ، و ﴿ يعكفون ﴾[9] ، و ﴿ يعكُفون ﴾ ، وما أشبه ذلك .

وسادسها : تغيير اللفظ واللفظ : كقوله تعالى : ﴿ ننشرها ﴾[10] ، و ﴿ ننشزها ﴾ (بالراي والزاي) ، وما أشبه ذلك .

وسابعها : ما يدخل في اللفظ وحورته اللغة ، مثل القصر والمد ، والتفخيم والإمالة ، والكسر والفتح ، لأن هذه الأشياء عليها يدور جوامع كلام العرب ، وهذا المعنى الذي ذكرناه هو وجه القراءات للقرآن ، أعني قوله ﷺ أُنزل القرآن على سبعة أحرف .

وقال أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل عبد الله المرسي ، في كتاب (ري الظمآن) : وهذه الوجوه أكثرها متداخلة ، ولا أدري مسندها ولا عمَّن نقلت ، ولا أدري لم خص كل واحد منهم هذه الأحرف السبعة بما ذكر ، مع أن كلها موجودٌ في القرآن ، ولا أدري معنى التخصيص ، وفيها أشياء لا أفهم معناها على

---

(1) التحريم : ١٢ . (2) المعارج : ٣٢ . (3) المعارج : ٣٣ .
(4) البروج : ٢٢ . (5) فاطر : ٣ . (6) البقرة : ١٨٩ .
(7) الأنفال : ١٧ . (8) الأعراف : ١٣٧ ، النحل : ٦٨ .
(9) الأعراف : ١٣٨ . (10) البقرة : ٢٥٩ .

الحقيقة ، وأكثرها يعارضها حديث عمر رضي الله عنه ، فذكره ثم قال : وهذا يقتضى أن الحروف السبعة ليس كما ذكروا : زاجر ، وآمر ، وحلال وحرام ، ومحكم ، ومتشابه ، [وكذلك][1] أكثر الوجوه التي ذكروها في معنى : أُنزل القرآن على سبعة أحرف .

وهذا لا يقتضي أن يخالف بعضهم بعضاً فيه ، لأن الخلاف لا يُتصوَّر فيه ، فإنهم يقرءون ما في القرآن من هذه الوجوه وهي لا [تختلف][1] ، فكيف يخالف بعضهم بعضاً ؟ هذا لا أدري معناه .

وقال أبو عمر بن عبد البر : وقد اختلف الناس في معنى هذا الحديث اختلافاً كثيراً ، فقال الخليل بن أحمد : معنى قوله : سبعة أحرف : سبع قراءات ، والحرف هاهنا القراءة .

وقال غيره : هي سبعة ، إنما كل نحوٍ منها جزء ، ومن أجزاء القرآن خلاف [كثير في][2] غيرها ، وقد ذهبوا إلى أن كل حرف منها هو صنف من الأصناف ، نحو قول الله عز وجل : ﴿ **ومن الناس من يعبد الله على حرف** ﴾[3] ، وكان معنى الحرف الذي يعبد الله عليه هو صنف من الأصناف ، ونوع من الأنواع التي يعبد الله عليها ، فمنها ما هو محمود عنده تبارك وتعالى ، ومنها ما هو خلاف ذلك ، فذهب هؤلاء في قول رسول الله ﷺ : أنزل القرآن على سبعة أحرف ، إلى أنها سبعة أنحاء وأصناف منها : زاجر ، وآمر ، ومنها حلال ، ومنها حرام ، ومنها محكم ، ومنها متشابه ، ومنها أمثال .

واحتجوا بحديث يرويه سلمة بن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه ، عن ابن مسعود ، عن النبي ﷺ قال : كان الكتاب الأول نزل من باب واحد على وجه واحد ، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أوجه : زاجر ، وآمر ، وحلال ، وحرام ، ومحكم ، ومتشابه ، وأمثال ، فأحلوا حلاله ، وحرموا

---

(١) زيادة للسياق والبيان .
(٢) ما بين الحاصرتين غير واضح في « خ » ، ولعلَّ الصواب ما أثبتناه .
(٣) الحج : ١١ .

حرامه ، واعتبروا بأمثاله ، وآمنوا بمتشابهه ، وقولوا : ﴿ **آمنا به كل من عند ربنا** ﴾[1] .

وهذا حديث لا يثبت لأنه يرويه حيوة بن شريح ، عن عقيل بن خالد عن سلمة هكذا ، ويرويه الليث عن عقيل ، عن ابن شهاب عن سلمة بن أبي سلمة عن أبيه عن النبي ﷺ مرسلاً ، وأبو سلمة لم يلق ابن مسعود ، وابنه سلمة ليس ممن يحتج به ، وهذا الحديث [مجمع][2] على ضعفه من جهة إسناده ، وقد رده قوم من أهل النظر ، منهم : أحمد بن أبي عمران قال : من قال في تأويل السبعة الأحرف هذا القول فتأويله فاسد ، لأنه محال أن يكون الحرف منها حراماً لا ما سواه ، أو يكون حلالاً لا ما سواه ، لأنه يجوز أن تكون القراءة تقرأ على أنه حلال كله ، أو حرام كله ، أو أمثال كله . ذكره الطحاوي عن أحمد بن أبي عمران ، سمعه منه ، وهو كما قال ابن أبي عمران .

قال : واحتج ابن أبي عمران بحديث أبيّ بن كعب ، أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فقال : اقرأ على حرف فاستزاده حتى بلغ سبعة أحرف ، الحديث .

وقال قوم : هي سبع لغات في القرآن مفرقات على لغات العرب كلها ، يمنها وبرارها ، لأن رسول الله ﷺ لم يجهل شيئاً منها ، وكان قد أوتي جوامع الكلم ، وإلى هذا ذهب أبو عبيد في تأويل هذا الحديث .

قال : ليس معناه أن يقرأ الحرف على سبعة أوجه ، هذا معنى غير موجود ، ولكنه عندنا أنه نزل على سبع لغات مفرقة في جميع القرآن من لغات العرب ، فيكون الحرف منها بلغة قبيلة أخرى سوى الأولى ، والثالثة سواهما ، كذلك إلى السبعة .

قال : وبعض الأحياء أسعد بها ، وأكثر حظاً فيها من بعض ، وذكر حديث ابن شهاب عن أنس ، أن عثمان رضي الله عنه قال لهم حين أمرهم أن يكتبوا المصاحف : ما اختلفتم فيه أنتم وزيد فاكتبوه بلسان قريش فإنه نزل بلسانهم . وذكر

---

(١) آل عمران : ٧ . (٢) زيادة للسياق .

حديث ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : نزل القرآن بلغة الكعبين : كعب قريش وكعب خزاعة جيران قريش فأخذوا بلغتهم ، وذكر أخباراً قد ذكرنا أكثرها في هذا الباب .

وقال آخرون : هذه اللغات كلها السبعة ، إنما تكون لمضر ، واحتجوا بقوله : نزل القرآن بلسان مضر ، وقالوا : جائز أن يكون منها لقريش ، ومنها لكنانة ، ومنها لأسد ، ومنها لهذيل ، ومنها تميم ، ومنها لطيء ، ومنها لقيس ، فهذه قبائل مُضَر تستوعب سبع لغات على هذه المراتب .

وقد روى عن ابن مسعود أنه كان يحب الذين يكتبون المصاحف من مضر ، وأنكر آخرون أن تكون كلها في مُضر ، وقالوا : مضر شواذ لا يجوز أن يقرأ القرآن عليها ، مثل كشكشة قيس ، وعنعنة تميم ، فأما كشكشة قيس : فإنهم يجعلون كاف المؤنث شيئاً ، فيقولون في [قوله تعالى][1] : ﴿ **قد جعل ربك تحتك سرياً** ﴾[2] ، ﴿ **قد جعل ربّش تحتش سرياً** ﴾ ، وأما عنعنة تميم : فيقولون في ﴿ **أن** ﴾ : ﴿ **عن** ﴾ ، فيقرءون في قوله تعالى : [﴿ **فعسي الله أن يأتي بالفتح** ﴾][3] ، ﴿ **فعسي الله عن يأتي بالفتح** ﴾ ، وبعضهم يبدل السين تاءاً ، فيقول في ﴿ **الناس** ﴾ : ﴿ **النات** ﴾ ، وفي أكياس : أكيات ، وهذه لغات يرغب بالقرآن عنها ، ولا يحفظ عن السلف شيء منها .

وقال آخرون : أما بدل الهمزة عيناً ، وبدل حروف الحلق[4] بعضها من بعض ، فمشهور عن الفصحاء ، وقد فسروا به [العنعنة][5] ، واحتجوا بقراءة ابن مسعود : ﴿ **ليسجننه حتى حين** ﴾[6] ، وبقول ذي الرمة :

فعيناك عيناها وجيدك جيدها ولونك إلا عَنَّها غير طائل

يريد « إلا أنها » .

---

(١) زيادة للبيان والسياق . (٢) مريم : ٢٤ . (٣) المائدة : ٥٢ .

(٤) حروف الحلق سبعة يجمعها قول الناظم :

همزٌ فهاء ثم عين حاءٌ مُهملتين ثم غَيْنٌ خَاءُ

(٥) هذه الكلمة غير واضحة في (خ) ، ولعل الصواب ما أثبتناه . (٦) يوسف : ٣٥ .

وذكر من طريق أبي داود حديث هيثم عن عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب الأنصاري ، عن أبيه عن جده : أنه كان عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقرأ رجل ﴿ **بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين** ﴾ ، فقال عمر : من أقرأكها ؟ قال : أقرأنيها ابن مسعود ، فقال له عمر . ﴿ **حتى حين** ﴾ ، وكتب إلى ابن مسعود : أما بعد ، فإن الله أنزل القرآن بلسان قريش ، فإذا أتاك كتابي هذا فأقرئ الناس بلغة قريش ، ولا تقرئهم بلغة هذيل . والسلام .

قال ابن عبد البر : ويحتمل أن يكون هذا من عمر رضي الله عنه على سبيل الاختيار ، لأن ما قرأ به ابن مسعود لا يجوز أن يمنع منه ، وإذا أبيح لنا قراءته على كل ما أُنزل فجائز الاختيار فيما أُنزل . والله أعلم .

وقد روي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه مثل قول عمر هذا ، أن القرآن نزل بلغة قريش بخلاف الرواية الأولى ، وهذا أثبت عنه لأنه من رواية ثقات المدينة ، وذكر حديث ابن شهاب عن أنس ، أن حذيفة قدم على عثمان ، وقول عثمان رضي الله عنه : فإن اختلفتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلغة قريش ، فإن القرآن أُنزل بلسانهم .

وقال القاضي أبو بكر بن الطيب : معنى قول عثمان : فإنه نزل بلغة قريش ، يريد معظمه وأكثره ، ولم تقم دلالة قاطعة على أن القرآن بأسره نزل بلغة قريش فقط ، إذ فيه كلمات وحروف بخلاف لغة قريش ، وقد قال تعالى : ﴿ **جعلناه قرآناً عربياً** ﴾[1] ، ولم يقل قرشياً ، وهذا يدل على أنه منزل بجميع لسان العرب ، وليس لأحد أن يقول : أنه أراد قريشاً من العرب دون غيرها ، كما أنه ليس له أن يقول : أراد لغة عدنان دون قحطان ، أو ربيعة دون مضر ، لأن اسم العرب يتناول جميع هذه القبائل تناولاً واحداً .

وقال ابن عبد البر : قول من قال : إن القرآن نزل بلغة قريش ، معناه عندي الأغلب ، والله أعلم ، لأن غير لغة قريش موجودة في صحيح القرآن من تحقيق

---

(١) الزخرف : ٣ .

الهمزات ونحوها ، وقريش لا تهمز .

وقد روى الأعمش عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنه قال : أنزل القرآن على سبعة أحرف ، صار في عجز هوازن منها خمسة ، قال أبو حاتم : عجز هوازن : ثقيف ، وبنو سعد بن بكر ، وبنو جثم ، وبنو نضر بن معاوية . قال أبو حاتم : خصَّ هؤلاء دون ربيعة وسائر العرب لقرب جوارهم من مولد النبي ﷺ ومنزل الوحي ، وإنما مضر وربيعة أخوان .

قال : وأحب الألفاظ واللغات إلينا أن نقرأ بها لغات قريش ، أدناهم من بطون مضر . قال ابن عبد البر : هو حديث لا يثبت من جهة النقل ، وقد روى عن سعيد بن المسيب أنه قال : أُنزل القرآن على لغة هذا الحي من ولد هوازن وثقيف . وإسناد حديث سعيد هذا غير صحيح .

وقال الكلبي في قوله : أنزل القرآن على سبعة أحرف قال : خمسة منها لهوازن ، وحرفان لسائر الناس ، وأنكر أهل العلم [معنى][1] حديث النبي ﷺ أنزل القرآن على سبعة أحرف : سبع لغات ، وقالوا : هذا لا [معنى][1] له ، لأنه لو كان [كذلك][1] لم ينكر القوم في أول الأمر بعضهم على بعض ، لأنه من كانت لغته شيئاً قد جبل عليه وفطر لم ينكر عليه .

وفي حديث مالك عن ابن شهاب المذكور في هذا الباب ، ردّ قول من قال : سبع لغات ، لأن عمر رضي الله عنه قرشي عدوي ، وهشام بن حكيم بن حزام قرشّي أسديّ ، ومحال أن ينكر عليه عمر لغته ، كما محال أن [يقريء][1] رسول الله ﷺ واحداً منهما بغير ما يعرفه من لغته ، والأحاديث الصحاح المرفوعة كلها تدل على نحو ما يدل عليه حديث عمر هذا .

وقال قوم : إنما معنى السبعة الأحرف سبعة أوجه من المعاني المتفقة المتقاربة بألفاظ مختلفة ، نحو : أقبل ، وتعال ، وهلم . وعلى هذا أكثر أهل العلم ، وذكر حديث أبي جهيم وحديث ابن مسعود ، وحديث أُبّي بن كعب ثم قال : وهذا

---

(١) زيادة للسياق والبيان .

كله يعضد قول من قال : إن معنى السبعة الأحرف المذكورة في الحديث سبعة أوجه من الكلام المتفق معناه ، المختلف لفظه ، نحو : هلم ، وتعال ، وعجل ، وأسرع ، وانظر ، واجر ، ونحو ذلك

وسنورد من الآثار وأقوال علماء الأمصار في هذا الباب ما يبين لك به أن ما اخترناه هو الصواب فيه إن شاء الله ، وأنه أصح من قول من قال : سبع لغات متفرقات ، كما قدمنا ذكره ، وكما هو موجود في القرآن بإجماع من كثرة اللغات المختلفات المتفرقات فيه ، حتى لو تقصيت لكثير عددها .

وللعلماء في لغات القرآن مؤلفات تشهد لما قلنا ، وذكر من طريق أبي داود حديث محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : أنزل القرآن على سبعة أحرف : غفوراً رحيماً ، عزيزاً حكيماً ، عليما حكيماً . ومن طريق النسائي : حديث إسرائيل عن أبي إسحق عن شقير العبدي[1] ، عن سليمان بن صرد ، عن أبي بن كعب قال : سمعت رجلاً يقرأ فقلت : من أقرأك فقال : رسول الله ، فقال : انطلق إليه ، فانطلقنا إليه فقلت : استقرئه يا رسول الله ، قال : اقرأ ، فقرأ ، فقال : رسول الله ﷺ : أحسنت ، فقلت : أو لم تقرئني كذا وكذا ؟ قال : بلى ، وأنت قد أحسنت ، فقلت : [تقول][2] : قد أحسنت قد أحسنت ؟ قال : فضرب رسول الله ﷺ بيده في صدري ثم قال : اللهم أذهب عن أُبيّ الشك ، قال : نقضت عرقاً ، وامتلأ جوفي فرقاً ، قال : فقال النبي ﷺ : يا أُبي : إن ملكين أتياني فقال أحدهما : اقرأ على حرف ، قال الآخر : زده ، قلت : زدني ، قال : اقرأ على حرفين ، قال الآخر : زده ، قلت زدني ، قال : اقرأ على ثلاثة أحرف ، قال الآخر : زده ، قلت : زدني ، قال اقرأ على أربعة أحرف ، قال الآخر : زده ، قلت : زدني ، قال : اقرأه على خمسة أحرف ، قال الآخر : زده ، قلت : زدني ، قال اقرأه على ستة أحرف ، قال الآخر : زده ، قلت زدني ، قال اقرأه على سبعة أحرف ، فالقرآن أنزل على سبعة أحرف . وذكر طُرقاً[3] .

---

(١) لم أجده فيمن روى عن سليمان بن صُرَد .

(٢) زيادة يقتضيها السياق . (٣) سبق الإشارة إلى هذه الأحاديث .

ثم قال : وهذه الآثار كلها تدل على أنه لم يُقرئه على سبع لُغات على ما تقدم ذكرنا له ، وإنما هي أوجه تتفق معانيها ، وتتسع ضروب الألفاظ فيها ، إلا أنه ليس منها ما يخالف معنى إلى ضده ، كالرحمة بالعذاب ، وشبهه .

وذكر يعقوب بن شيبة قال : حدثنا يحيى بن أبي بكير ، حدثنا شيبان بن عبد الرحمن أبو معاوية ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن زرّ ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : أتيت المسجد فجلستُ إلى ناسٍ وجلسوا إليّ ، فاستقرأت رجلاً منهم سورة ما هي إلا ثلاثون آية[1] وهي ﴿ حٰمٓ ﴾[2] ، الأحقاف ، فإذا هو يقرأ حروفاً لا أقرأها ، فقلت من أقرأك ؟ قال : أقرأني رسول الله ﷺ ، قلت : وأنا الذي أقرأني رسول الله ﷺ ، وما أنا بمفارقكما حتى أذهب بكما إلى رسول الله ، فانطلقت بهما حتى أتيت رسول الله ﷺ ، وعنده علي رضي الله عنه فقلت : يا رسول الله ! إنا اختلفنا في قراءتنا ، قال : فتغير وجهه حين ذكرت الاختلاف وقال : إنما أهلك من كان قبلكم الاختلاف ، وقال عليّ : إن رسول الله يأمركم أن يقرأ كل رجل منكم كما عُلِّم ، ولا أدري أسرّ إليه رسول الله ﷺ مالم يُسمع ، أو علم الذي كان في نفسه فتكلم به .

وكذلك رواه الأعمش وأبو بكر بن عياش وإسرائيل وحماد بن سلمة وإبان العطار ، عن عاصم بإسناده ومعناه ، ولم يذكر [الأعمش][3] حماد وإبان وعليا ، وقالا : رجل . وقال الأعمش في حديثه : ثم أسرّ إلي عليّ في حديثه فقال عليّ : إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تقرءوا كما علمتم .

وقال أبو جعفر الطحاوي في حديث عمر وهشام بن حكيم المذكور في هذا الباب : قد علمنا أن كل واحد منهما إنما أنكر على صاحبه ألفاظاً قرأها الآخر ، ليس في ذلك حلال ولا حرام ، ولا زجر ولا أمر ، وعلمنا بقول رسول الله ﷺ : هكذا أنزلت ، أن السبعة الأحرف التي نزل القرآن بها لا تختلف في أمر ولا نهي ،

---

(١) كذا في (خ) ، لكن سورة الأحقاف خمسة وثلاثون آية .

(٢) أول سورة الأحقاف .

(٣) هذه الكلمة مطموسة في (خ) ،ولعل ما أثبتناه يناسب السياق .

ولا حلال ولا حرام ، وإنما هي كمثل قول الرجل للرجل : أقبل ، وتعال ، وادن ، وهلم ، ونحو هذا .

وأكثر أحاديث هذا الباب حجة لهذا المذهب ، وذكر حديث أبي بكرة الذي تقدم ذكره .

ومن طريق عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، قال : قال الزهري : إنما هذه الأحرف السبعة هي في الأمر الواحد الذي لا اختلاف فيه . وروي الأعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود قال : إني سمعت القراءة فرأيتهم متقاربين ، فاقرءوا كما عُلّمتم ، وإياكم والتنطع والاختلاف ، فإنما هو كقول أحدكم : هلم ، وتعال .

وروى ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ، عن ابن عباس عن أُبيّ بن كعب أنه كان يقرأ ﴿ **للذين آمنوا انظرونا** ﴾[1] . ﴿ **للذين آمنوا أَمهلونا** ﴾ ، ﴿ **للذين آمنوا أخّرونا** ﴾ ، ﴿ **للذين آمنوا ارقبونا** ﴾ . وبهذا الإسناد عن أُبيّ أنه كان يقرأ ﴿ **كلما أضاء لهم مشوا فيه** ﴾[2] ﴿ **مروا فيه** ﴾ ، ﴿ **سعوا فيه** ﴾ ، كل هذه الحروف كان يقرأها أُبيّ بن كعب ، فهذا معنى الحروف المراد بها الحديث . والله أعلم ، إلا أن مصحف عثمان الذي هو بأيدي الناس اليوم ، هو منها حرف واحد ، وعلى هذا أهل العلم ، فاعلم .

وذكر ابن وهب في كتاب (الترغيب والترهيب) قال : قيل لمالك رحمه الله : [أترى] أن تقرأ بمثل ما قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : ذلك جائز ، قال رسول الله ﷺ : أنزل القرآن على سبعة أحرف ، فاقرءوا منه ما تيسر ، ومثل تعلمون ؛ ويعلمون ، وقال : مالك : لا أرى باختلافهم في مثل هذا الباب بأساً .

قال : وقد كان الناس ولهم مصاحف ، والستة الذين أَوْصى إليهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانت لهم مصاحِف ، قال ابن وهب : وسألت مالكاً رحمه الله عن مصحَف عثمان بن عفان رضي الله عنه ، قال : وأخبرني مالك بن أنس قال : أَقْرَأَ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه رجلاً : ﴿ **إن شجرة الزقوم**

---

(١) الحديد : ١٣ .
(٢) البقرة : ٢٠ .

طعام الأثيم ﴾[1] ، فجعل الرجل يقول : ﴿ **طعام اليتيم** ﴾ ، فقال له عبد الله بن مسعود : طعام الفاجر ، فقلت لمالك : أترى أن تقرأ كذلك ؟ قال : نعم أرى ذلك واسعاً .

قال ابن عبد البر : معناه عندي أن يقرأ به في غير الصلاة ، وإنما ذكرنا ذلك عن مالك تفسيراً لمعنى الحديث ، وإنما لم تجز القراءة في الصلاة لأن ما عدا مصحف عثمان رضي الله عنه لا يقطع عليه ، وإنما يجري مجرى السنن التي نقلها الآحاد ، لا يُقدم أحد على القطع في رده .

وقد روى عيسى عن ابن القاسم في المصحف بقراءة ابن مسعود قال : أرى أن يمنع الإمام من تبعه ، ويضرب من قَرأَ به ، ويمنع من ذلك . وقد قال مالك : إن من قرأ في صلاته بقراءة ابن مسعود وغيره من الصحابة مما يخالف المصحف لم يُصلَّ وراءه ، وعلماء المسلمين مجمعون على ذلك ، إلا قوماً شذوا لا [يتابع][2] عليهم ، منهم : الأعمش سليمان بن بهزان . وهذا كله يدلك على أن السبعة الأحرف التي أُشير إليها في الحديث ليس بأيدي الناس منها إلا حرف زيد ابن ثابت الذي جمع عليه عثمان المصاحف .

وذكر من حديث محمد بن عبد الله الأصبهاني المقريء ، حدثنا أبو علي الحسن ابن صافي الصفَّار ، أن عبد الله بن سليمان قال : حدثنا أبو الظاهر قال : سألت سفيان بن عيينة عن الاختلاف في قراءة المدنيين والعراقيين ، هل تدخل في السبعة الأحرف فقال : لا ، وإنما السبعة الأحرف : كقولهم : أقبل ، تعال ، أي ذلك قلت أجزأك ، قال أبو الطاهر : وقاله ابن وهب .

قال أبو بكر بن عبد الله الأصبهاني المقريء : ومعنى سفيان هذا : إن اختلاف العراقيين والمدنيين راجع إلى حرف واحد من الأحرف السبعة ، وبه قال محمد بن جرير الطبري . وقال أبو جعفر الطحاوي : كانت هذه السبعة للناس في الحروف لعجزهم عن أخذ القراءة على غيرها ، لأنهم كانوا أميين لا يكتبون إلا القليل منهم ،

---

(١) الدخان : ٤٣ .　　(٢) زيادة للسياق والبيان .

فكان يشق على كل ذي لغة منهم أن يتحول إلى غيرها من اللغات ، ولو دام ذلك لم يتهيأ له إلا بمشقة عظيمة ، فوسّع لهم في اختلاف الألفاظ إذا كان المعنى متفقاً ، فكانوا كذلك حتى كبر من يكتب منهم ، وحتى عادت لغاتُهم إلى لسان رسول الله ﷺ ، فقرؤوا بذلك على تحفظ ألفاظه ، فلم يسعهم حينئذ أن يقرؤوا بخلافها .

وبان بما ذكرنا أن تلك السبعة الأحرف إنما كانت في وقت خاص لضرورة دعت إلى ذلك ، ثم ارتفعت تلك الضرورة ، فارتفع حكم هذه السبعة الأحرف ، وعاد ما يُقرأ به القرآن إلى حرف واحد . واحتج بحديث أبيّ بن كعب المذكور في هذا الباب من رواية ابن أبي ليلى عنه ، قوله فيه : إن أمتي لا تطيق ذلك في الحرف والحرفين والثلاثة ، حتى بلغ السبعة ، واحتج بحديث عمر مع هشام بن حكيم ، واحتج بجمع أبي بكر الصديق رضي الله عنه للقرآن في جماعة الصحابة ، ثم كتاب عثمان رضي الله عنه لذلك ، وكلاهما عول فيه على زيد بن ثابت . فأما أبو بكر رضي الله عنه فأمر زيداً بالنظر فيما جمع منه ، وأما عثمان رضي الله عنه فأمره بإملائه من تلك الصحف التي كتبها أبو بكر ، وكانت عند حفصة رضي الله عنها .

وقال بعض المتأخرين من أهل العلم بالقرآن : تدبرتُ وجوه الاختلاف في القراءة فوجدتها سبعة ، منها ما يتغير حركته ولا يزول معناه ولا صورته ، مثل : ﴿ **أطهر لكم** ﴾[1] ، و ﴿ **أطهر لكم** ﴾ ، و ﴿ **ويضيق صدري** ﴾[2] ، و ﴿ **ويضيق صدري** ﴾ ، ونحو هذا .

ومنها ما يتغير معناه ويزول بالإعراب ولا يتغير صورته ، مثل قوله : ﴿ **ربَّنا باعِدْ بين أسفارنا** ﴾[3] ، و ﴿ **رَبُّنا باعَدَ بين أسفارنا** ﴾ .

ومنها ما يتغير معناه بالحروف واختلافها بالإعراب ولا يتغير صورته ، مثل قوله : ﴿ **إلى العظام كيف ننشزها** ﴾[4] ، و ﴿ **ننشرها** ﴾ .

---

(١) هود : ٧٨ . (٢) الشعراء : ١٣ . (٣) سبأ : ١٩ .
(٤) البقرة : ٢٥٩ .

ومنها ما يتغير صورته ولا يتغير معناه ، كقوله : ﴿ **كالعهن المنفوش** ﴾[1] ، و ﴿ **كالصوف المنقوش** ﴾ .

ومنها ما يتغير صورته ومعناه ، مثل قوله : ﴿ **وطلح منضود** ﴾[2] ، و ﴿ **وطلع منضود** ﴾ .

ومنها بالتقديم والتأخير ، مثل : ﴿ **وجاءت سكرة الحق بالموت** ﴾[3] ، و ﴿ **وجاءت سكرة الموت بالحق** ﴾ .

ومنها بالزيادة والنقصان ، مثل : [﴿ **له تسع وتسعون نعجة** ﴾][4] ، و ﴿ **تسع وتسعون نعجة أنثى** ﴾ .

قال ابن عبد البر : وهذا وجه حسن من وجوه معنى الحديث ، وفي كل وجه منها حروف كثيرة لا تحصى عدداً ، فمثل قوله : ﴿ **كالعهن المنفوش** ﴾[1] ، و ﴿ **الصوف المنفوش** ﴾ ، قراءة عمر رضي الله عنه ، ﴿ **فامضوا إلى ذكر الله** ﴾[5] وهو كثير . ومثل قوله : ﴿ **نعجة أنثى** ﴾[6] ، قراءة ابن مسعود وغيره ، ﴿ **فلا جناح عليه ألا يطوف بهما** ﴾[7] ، وقراءة أُبيّ بن كعب : ﴿ **فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس وما أهلكناها إلا بذنوب أهلها** ﴾[8] ، وهذا كثير أيضاً .

وهذا يدلك على قول العلماء أن ليس بأيدي الناس من الحروف السبعة التي نزل القرآن عليها إلا حرف واحد ، وهو صورة مصحف عثمان ، وما دخل فيه بما يوافق صورته من الحركات واختلاف اللفظ من سائر الحروف .

ثم ذكر أبو [عمرو][9] عدة قراءات من الشواذ بأسانيدها وقال : وقد أجاز

---

(١) القارعة : ٥ . (٢) الواقعة : ٢٩ . (٣) قٓ : ١٩ .

(٤) صٓ : ٢٣ .

(٥) وهي في قراءة حفص عن عاصم : ﴿ **فاسعوا إلى ذكر الله** ﴾ [الجمعة : ٩] .

(٦) زيادة على قراءة حفص عن عاصم [صٓ : ٢٣] .

(٧) وهي في قراءة حفص عن عاصم : ﴿ **فلا جناح عليه أن يطوف بهما** ﴾ [البقرة : ١٥٨] .

(٨) وهي في قراءة حفص عن عاصم : بدون قوله : ﴿ **وما أهلكناها إلا بذنوب أهلها** ﴾ [يونس : ٢٤] .

(٩) زيادة للسياق والبيان .

مالك القراءة بهذا ومثله ، وذلك محمول عند أهل العلم اليوم على القراءة في غير الصلاة على وجه التعليم ، والوقوف على ما روى في ذلك من علم الخاصة .

وأما حرف زيد : فهو الذي عليه الناس في مصاحفهم اليوم ، وقراءتهم من بين سائر الحروف ، لأن عثمان رضي الله عنه جمع المصاحف بمحضر جمهور الصحابة . قال : وقد تقدم عن الطحاوي أن أبا بكر وعثمان رضي الله عنهما عوّلا على زيد بن ثابت في ذلك ، وأن الأمر عاد فيما يقرأ به القرآن إلى حرف واحد ، وهو الذي عليه جماعة الفقهاء فيما يقطع عليه ، وتجوز الصلاة به .

وقال القاضي أبو محمد عبد الحق بن أبي بكر بن عطية : اختلف الناس في معنى هذا الحديث اختلافاً شديداً ، فذهب فريق من العلماء إلى أن تلك الحروف السبعة هي فيما يتفق أن يقال على سبعة أوجه فما دونه ، كتعال ، وأقبل ، وإليّ ، ونحوي ، وقصدي ، أقرب ، وجيء ، وكاللغات التي في أب ، والحروف التي هي في كتاب الله فيها قراءات كثيرة ، وهذا قول ضعيف .

قال ابن شهاب في كتاب (مسلم) : بلغني أن تلك السبعة الأحرف إنما هي في الأمر الذي يكون واحداً لا يختلف في حلال ولا حرام ، وهذا كلام محتمل .

قال فريق من العلماء : أن المراد بالسبعة الأحرف : معاني كتاب الله ، وهي أمر ، ونهي ، ووعد ، ووعيد ، وقصص ، وعبادات ، وأمثال . وهذا أيضاً ضعيف لأن هذه لا تسمى أحرفاً ، وأيضاً [فالإجماع][(1)] أن التوسعة لم تقع في تحريم حلال ولا في تحليل حرام ، ولا في تغيير شيء من المعاني المذكورة .

وحكى صاحب (الدلائل) عن بعض العلماء ، وقد حكى نحوه القاضي أبو بكر الطيب قال : تدبرتُ وجوه الاختلاف في القراءة فوجدتها سبعة ، فذكر ما تقدم ، قال : وذكر القاضي أبو بكر الطيب في معنى هذه السبعة الأحرف : حدثنا عن النبي ﷺ قال : إن هذا القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف : نهي ، وأمر ، وحلال ، وحرام ، ومحكم ، ومتشابه ، وأمثال ، فأحلّوا حلاله وحرموا

(١) زيادة للسياق .

حرامه . الحديث .

قال القاضي : فهذا تفسير منه ﷺ للأحرف السبعة ولكن ليست هذه التي أجاز لهم القراءة بها على اختلافها ، وإنما الحرف في هذه بمعنى الجهة والطريقة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **ومن الناس من يعبد الله على حرف** ﴾[1] ، أي على وجه وطريقة ، هي شك وريب ، فكذلك يعني هذا الحديث على سبع طرائق من تحليل وتحريم وغير ذلك .

وذكر القاضي أيضاً أن أُبَيّاً رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : إني قرأتُ القرآن على حرف أو حرفين ، ثم زادني الملك حتى بلغ سبعة أحرف ، ليس منها إلا شاف كاف ؛ إن قلت : غفور رحيم ، سميع عليم ، أو عليم حكيم . وكذلك مالم تختم عذاباً برحمة أو رحمة بعذاب .

وقد أسند ثابت بن قاسم نحو هذا الحديث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ . وذكر من كلام ابن مسعود نحو قول القاضي ابن الطيب : وهذه سبعة غير السبعة التي هي قراءات ، ووسع فيها ، وإنما هي سبعة أوجه أسماء الله تعالى ، وإذا ثبتت هذه الرواية حمل على أن هذا كان مطلقاً ثم نُسخ ، ولا يجوز للناس أن يبدلوا أسماء الله تعالى في موضع بغيره مما يوافق معناه أو يخالفه .

قال القاضي : وزعم قوم أن كل كلمة تختلف القراءة بها فإنها على سبعة أوجه ، وإلا بطل معنى الحديث . قالوا : ونعرف بعض الوجوه لمجيء [الخبر به][2] ، ولا يعرف بعضها إذ لم يأت به خبر . قال : وقال قوم : ظاهر الحديث يوجب تواجد في القرآن كلمة أو كلمتان تقرآن على سبعة أوجه ، فإذا حصل ذلك تم معنى الحديث .

قال القاضي أبو بكر بن الطيب : وقد زعم قوم أن معنى هذا الحديث أنه أُنزل على سبع لغات مختلفات ، وهذا باطل إلا أن يريد الوجوه المختلفة التي تستعمل في القصة الواحدة ، والدليل على ذلك أن لغة عمر بن الخطاب ، وأبي بن كعب ،

---

(١) الحج : ١١ .
(٢) زيادة للسياق .

وهشام بن حكيم وابن مسعود واحدة ، وقراءتهم مختلفة ، وخرجوا فيها إلى المناكرة .

فأما الأحرف التي صوَّب الرسول ﷺ القراءة بجميعها ، وهي التي راجع فيها قراءته ، وسهل عليه بعلمه تعالى بما هم عليه من اختلافهم في اللغات ، فإنها سبعة أوجه وسبع قراءات مُختلفات بطرائق يُقرأ بها على اختلافها في جميع القرآن ، ومعظمه حسب ما تقتضيه القراءة .

[و][1] العبارة في قوله : أُنزل القرآن : فإنما أريد به الجميع أو المعظم ، فجائز أن يُقرأ بهذه الوجوه على اختلافها ، ويدل على ذلك قول الناس : حرف أُبيّ ، وحرف [ابن][1] مسعود ، ويقول في الجملة : إن القرآن أُنزل على سبعة أحرف من اللغات والإعراب ، وتغيير الأسماء والصور ، وأن ذلك متفرق في كتاب الله تعالى ليس موجوداً في حرف واحد وسورة واحدة يقطع على اجتماع ذلك فيها .

قال ابن عطية : انتهى ما جمعتُ من كلام القاضي أبي بكر ، وإطلاقه البطلان على القول الذي حكاه فيه نظر ، لأن المذهب الصحيح الذي قرره أجزاء من قوله ، ونقول في الجملة : إنما فتح وترتب من جهة الاختلاف ليس بشديد التباين ، حتى يجهل بعضهم ما عند بعض في الأكثر ، وإنما هو أن قريشاً استعملت في عبارتها شيئاً ، واستعملت هذيل في ذلك المعنى شيئاً غيره ، وسعد بن بكر غيره ، والجميع كلامهم في الجملة ولغتهم .

واستدلال القاضي بأن لغة عمرو ، وأُبيّ ، وهشام ، وابن مسعود واحدة ، فيه نظر ، لأن ما استعملته قريش في عبارتها ، ومنه عمر وهشام ، وما استعملته الأنصار ومنهم أُبيّ ، وما استعملته هذيل ومنهم ابن مسعود قد تختلف ، ومن ذلك النحو من الاختلاف هو الاختلاف في كتاب الله تعالى ، فليست لغتهم واحدة في كل شيء .

وأيضا فلو كانت لغتهم واحدة ، بأن نفرضهم جميعاً من قبيلة واحدة ، لما كان اختلافهم حجة على من قال : إن القرآن أُنزل على سبع لغات ، لأن مناكرتهم

---

(١) زيادة للسياق .

لم تكن لأن المنكر سمع ماليس فيه لغته فأنكره ، وإنما كانت لأنه سمع خلاف ما أقرأه النبي ﷺ ، وعساه قرأ قراءة ما ليس من لغته واستعمال قبيلته .

فقال القاضي رحمه الله : إنما أبطل أن يكون النبي ﷺ قصد في قوله : على سبعة أحرف بعدد اللغات التي تختلف بجملتها ، وأن تكون سبعاً متباينة لسبع قبائل ، تقرأ كل قبيلة القرآن كله بحرفها ، ولا تدخل عليها لغة غيرها ، بل قصد النبي ﷺ ، عنده عدَّ الوجوه والطرائق المختلفة في كتاب الله ، مرة من جهة لغة ، ومرة من جهة إعراب ، وغير ذلك .

ولا مرية أن هذه الوجوه إنما اختلفت لاختلاف في العبارات بين الجملة التي نزل القرآن بلسانها ، وذلك يقال فيه اختلاف لغات .

وصحيح أن يقصد عليه السلام عدَّ الأنحاء والوجوه التي اختلفت في القرآن بسبب اختلاف عبارات اللغات ، وصحيح أن يقصد عدَّ الجماهير والرؤوس من الجملة التي نزل القرآن بلسانها ، وهي قبائل مُضَر ، فجعلها سبعة ، وهذا القول أكثر توسعة للنبي ﷺ لأن الأنحاء تبقى غير محصورة ، فعسى أن الملكَ قد أقرأه بأكثر من سبعة طرائق ووجوه . قال القاضي أبو بكر في كلامه المتقدم : فجائز أن يقرأ بهذه الوجوه على اختلافها .

قال ابن عطيه : والشرط الذي يصح به هذا القول : هو أن يُروى عن النبي ﷺ ، وقال كثير من أهل العلم ، كأبي عبيد وغيره : إن معنى الحديث أنه أُنزل على سبع لغات لسبع قبائل ، أتيت فيها كل لغة منها . وهذا القول المتقرر من كلام القاضي أبي بكر .

وقد ذكر بعضهم قبائل من العرب رَوْماً منهم أن يعينوا السبع التي يحسُن أن تكون مراده عليه السلام ، نظروا في ذلك بحسب القطر ومن جاور منشأ النبي ﷺ . واختلفوا في التسمية ، لأن النبي ﷺ قرشيّ واسترضع في بني سعد ، ونشأ فيهم ثم ترعرع ، [ ][1] وهو يخالط في اللسان كنانة وهذيلاً وثقيفاً ،

---

(١) مابين الحاصرتين كلمتان غير واضحتين في (خ) .

وخزاعة وأسداً وضبّة وألفافها لقربهم من مكة ، وتكرارهم عليها ، ثم بعد هذه تميماً وقيساً ومن انضاف إليهم وسط الجزيرة .

فلما بعثه الله تعالى ويسَّر عليه أمر الأحرف أنزل عليه القرآن بلغة هذه الجملة المذكورة ، وهي التي قسمها على سبعة لها السبعة الأحرف ، وهي اختلافات في العبارات حسب ما تقدم .

قال ثابت بن قيس : لو قلنا من هذه الأحرف لقريش ، ومنها لكنانة ، ومنها لأسد ، ومنها لهذيل ، ومنها لتميم ، ومنها لضبة وألفافها ، ومنها لقيس ، لكان قد أتى على قبائل مضر في سبعة تستوعب اللغات التي نزل بها القرآن ، وهذا نحو ما ذكرناه .

وهذه الجملة هي التي انتهت إليها الفصاحة ، وسَلَمَت لغاتها من الدَّخَل ، ويسَّرها الله لذلك ، لتظهر آيات نبيه بعجزها عن معارضة ما أُنزل عليه ، وسبب سلامتها : أنها في وسط جزيرة العرب في الحجاز ، ونجد ، وتهامة ، لم تطرقها الأمم ، فأما اليمن وهو جنوب الجزيرة ، فأفسدت كلام عربه خلطه الحبشة والهنود ، على أن أبا عبيد القاسم بن سلام ، وأبا العباس المبرد قد ذكرا أن عرب اليمن من القبائل التي نزل القرآن بلسانها .

قال ابن عطية : وذلك عندي إنما هو فيما استعملته عرب الحجاز من لغة اليمن ، كالعَرِم والفتاح ؛ فأما ما انفرد به كالرجيح ، والغلوب ونحوه ، فليس في كتاب الله منه شيء ، وأما ما [والى][1] العراق من جزيرة العرب ، وهي بلاد ربيعة وشرقيّ الجزيرة ، فأفسدت لغتها مخالطة الفرس والنَّبط ، ونصارى الحيرة وغير ذلك ، وأما الذي يلي الشام وهو شمال الجزيرة وغيرهم فأفسدها مخالطة الروم ، وكثير من بني إسرائيل ، وأما غربي الجزيرة ، فهو جبال سكن بعضها هذيل وغيرهم ، وأكثرها غير معمور ، فبقيت القبائل المذكورة سليمة اللغات ، لم تكدر صفو كلامها أمة من العجم .

ويقوي هذا النوع أنه لما اتسع نطاق الإسلام ، وداخلت الأمم العرب وتجرد

---

(١) زيادة للسياق والبيان .

أهل المصرين : البصرة والكوفة لحفظ لسان العرب وكتب لغتها ، لم يأخذوا إلا عن هذه القبائل الوسيطة المذكورة ومن كان معها ، وتجنبوا اليمن والعراق والشام ، فلم يكتب عنهم حرف واحد ، ولذلك تجنبوا حواضر الحجاز : مكة والمدينة والطائف ، لأن السبي والتجار من الأمم كثروا فيها وأفسدوا اللغة ، وكانت هذه الحواضر في مدة النبي ﷺ سليمة لقلة المخالطة .

فمعنى قول النبي ﷺ : أُنزل القرآن على سبعة أحرف ، أي فيه عبارات سبع قبائل بلغة جملتها ، فنزل القرآن فيعبَّر عن المعنى فيه بعبارة قريش [مرة] ، ومرة بعبارة هذيل ، ومرة بغير ذلك بحسب الأفصح والأوجز في اللفظة ؛ ألا ترى أن « فطر » معناها عند غير قريش ابتدأ خلق الشيء وعمله ، فجاءت في القرآن فلم تتجه لابن عباس رضي الله عنه حتى اختصم إليه أعرابيان في بئر ، فقال أحدهما : أنا فطرتها ، قال ابن عباس : ففهمت حينئذٍ موقع قوله تعالى : ﴿ **فاطر السموات والأرض** ﴾[1] ، وقال أيضا : ما كنت أدري معنى قوله : ﴿ **ربنا افتح بيننا وبين قومنا** ﴾[2] حتى سمعت بنت ذي يزن تقول لزوجها : تعال أفاتحك ، أي أحاكمك[3] .

وكذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان لا يفهم معنى قوله تعالى : ﴿ **أو يأخذهم على تخوف** ﴾[4] فوقف به فتى فقال : إن أبي يتخوفني حقي ، فقال عمر : الله أكبر ، ﴿ **أو يأخذهم على تخوف** ﴾ ، أي على تنقص[5] لهم .

وكذلك اتفق لقطبة بن مالك ، إذ سمع النبي ﷺ يقرأ في الصلاة :

---

(١) فاطر : ١ . (٢) الأعراف : ٨٩ .

(٣) وقال الفرَّاء : أهل عمان يسمون القاضي : الفاتح . (البحر المحيط) : ٥ / ١١٥ ، تفسير سورة الأعراف : ٨٩ .

(٤) النحل : ٤٧ .

(٥) قاله ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك . وقال ابن قتيبة : يقال : خوَّفته وتخوَّفته ، إذا تنقصته وأخذت من ماله وجسمه ، وقال الهيثم بن عديّ : هو النقص بلغة أزد شنوءة . وفي حديث لعمر أنه سأل عن التخوف ، فأجابه شيخ : بأنه التنقص في لغة هذيل . (المرجع السابق) : ٦ / ٥٣٥ ، تفسير سورة النحل : ٤٧ .

﴿ **والنخل باسقات** ﴾[1] ، ذكره مسلم[2] في باب : القراءة في صلاة الفجر . إلى غير ذلك من الأمثلة .

خرج مسلم[2] من حديث أبي عوانة ، عن زياد بن علاقة ، عن قطبة بن مالك قال : صليت وصلى بنا رسول الله ﷺ ، فقرأ ﴿ **ق * والقرآن المجيد** ﴾[3] ، حتى قرأ : ﴿ **والنخل باسقات** ﴾[1] ، قال : فجعلت أرددها ولا أدري ما قال .

فأباح الله تعالى لنبيه هذه الحروف السبعة ، وعارضه بها جبريل في عرضاته على الوجه الذي فيه الإعجاز وجودة الوصف ، ولم تقع الإباحة في قوله عليه السلام : فاقرءوا بما تيسر منه بأن يكون كل أحد من الصحابه إذا أراد أن يبدل اللفظة من بعض هذه اللغات ، جعلها من تلقاء نفسه ، ولو كان هذا لذهب إعجاز القرآن ، وكان معرضاً أن يُبدِّل هذا وهذا ، حتى يكون غير الذي نزل من عند الله ، وإنما وقعت الإباحة في الحروف السبعة للنبي ﷺ ليوسّع بها على أمّته ، فقرأ مرة لأُبيّ بما عارضة به جبريل ، ومرة لابن مسعود بما عارضة به أيضاً .

وفي صحيح البخاري عن النبي ﷺ : قال : أقرأني جبريل على حرف فراجعته ، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى بي إلى سبعة أحرف . وعلى هذا تجيء قراءة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لسورة الفرقان ، وقراءة هشام بن حكيم لها ، وإلا فكيف يستقيم أن يقول النبي ﷺ في كل قراءة منها وقد اختلفتا : هكذا أقرأني جبريل ، هل ذلك إلا أنه أقرأه بهذه مرة وبهذه مرة .

وعلى هذا يحمل قول أنس بن مالك حين قرأ : ﴿ **إن ناشئة الليل هي أشدّ وطئاً وأصوب قيلاً** ﴾[4] ، فقيل له : إنما تقرأ : ﴿ **وأقوم قيلاً** ﴾[4] ، فقال : أصوب وأقوم واحد ، فإنما معنى هذا أنها مروية عن النبي ﷺ ، وإلا فلو كان

---

(1) ق : ١٠ .
(2) (مسلم بشرح النووي) : ٤ / ٤٢٢ ، كتاب الصلاة باب (٣٥) القراءة في الصبح ، حديث رقم (١٦٥ - (٤٥٧)) .
(3) ق : ١ - ٢ .
(4) المزمل : ٦ .

هذا لأحد من الناس أن يضعه ، لبطل معنى قول الله تعالى : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾[1] ، ثم إن هذه الرواية الكثيرة لما انتشرت عن رسول الله ﷺ ، وافترق الصحابة في البلدان ، وجاء الخلف ، وقُراء القرآن كثير من غير العرب ، ووقع بين أهل الشام والعراق ما ذكره حذيفة بن اليمان رضي الله عنه . وذلك أنهم اجتمعوا في غزوة أرمينية ، فقرأت كل طائفة بما روى لها ، فاختلفوا وتنازعوا حتى قال بعضهم لبعض : أنا كافر بما تقرأ به ، فأشفق حذيفة بما رأى منهم .

فلما قدم حذيفة المدينة – فيما ذكر البخاري وغيره – دخل إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه قبل أن يدخل بيته فقال : أدرك هذه الأمة قبل أن تهلك ، قال : [في ماذا] ؟ قال : في كتاب الله ، إني حضرت هذه الغزوة وجمعت ناساً من العراق ومن الحجاز ، ومن الشام ، فوصف له ما تقدم ، وقال : إني أخشى عليهم أن يختلفوا في كتابهم كما اختلفت اليهود والنصارى ، قال عثمان : أفعل ، فتجرد الأمر واستناب الكفاءة من العلماء الفصحاء في أن يكتبوا القرآن ، ويجعلوا ما اختلفت القراءة فيه على أشهر الروايات عن رسول الله ﷺ وأفصح اللغات ، وقال لهم : إذا اختلفتم في شيء فاكتبوه بلغة قريش .

فمعنى هذا : إذا اختلفتم فيما روي وإلاّ فمحال أن يحملهم على اختلافهم من قبلهم ، فكتبوا في القرآن من كل اللغات السبع ؛ مرة من هذه ، ومرة من هذه ، وذلك مقيد بأن الجميع مما روى عن النبي ﷺ وقريء عليه ، واستمر الصحابة رضي الله عنهم على هذا المصحف المتخيَّر ، وترك ما سواه ممّا كان كتب تفسيراً ونحوه ، سداً للذريعة ، وتغليباً لمصلحة الأُلفة ، وهي المصاحف التي أمر عثمان رضي الله عنه أن تحرق أو تمزق .

ألا ترى أن ابن مسعود رضي الله عنه أبى أن يزال مصحفه ؟ فترك ، ولكن أبى العلماء قراءته سداً للذريعة ، ولأنه رُوي أنه كتب فيه [سورة][2] النساء على

---

(١) الحجر : ٩ .　　(٢) زيادة للسياق .

جهة التفسير ، فظنها قوم من التلاوة ، فاختلط الأمر فيه ، ولم يسقط مما ترك معنى من معاني القرآن ، لأن المعنى جزء من الشريعة ، وإنما تركت ألفاظ معانيها موجودة في الذي أُثبت .

ثم إن القراء في الأمصار تتبَّعوا ما روي لهم من اختلاف لا يخالف خط المصحف المتميز ، فقرءوا بذلك حسب اجتهاداتهم ، فلذلك ترتب أمر القراء السبعة وغيرهم ، ومضت الأعصار والأمصار على قراءة السبعة ، وبها يُصلي لأنها ثبتت بالإجماع .

وأما شاذ القراءات فلا يصلي به ، وذلك لأنه لم يُجمع الناس عليه ، فأما المروي منه عن الصحابة وعن علماء التابعين ، فلا نعتقد منهم إلا أنهم رووه ، وأما ما يؤثر عن [غيرهم](1) فلا يوثق به .

وقال أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي في تفسيره : قال كثير من علمائنا : هذه القراءات السبع التي تنسب لهؤلاء القراء السبعة ليست إلا هي حرف السبعة التي اتسعت القراءة بها ، وإنما هي راجعة إلى حرف واحد من تلك السبعة ، وهو الذي جمع عليه عثمان رضي الله عنه المصحف .

وهذه القراءات المشهورة هي اختيارات أولئك الأئمة القراء ، وذلك أن كل واحد منم اختار مما روي وعلم وجهه من القراءات ما هو الأحسن عنده والأولى ، فالتزمه طريقةً ورواه ، وأَقْرَأَ بِه فاشتُهر عنه وعُرف به ونُسب إليه ، فقيل : حرف نافع ، وحرف ابن كثير ... ، ولم يمنع واحداً منهم اختيار الآخر ولا أنكره ، بل سوَّغه ، وجوَّزه ، وكل واحد من هؤلاء السبعة روي عنه اختياران وأكثر ، وكلّ صحيح .

وقد أجمع المسلمون في هذه الأعصار على الاعتماد على ما صح عن هؤلاء الأئمة فيما رووه ورواه من القرآن ، وكتبوا ذلك في مصنفات ، فاستمر الإجماع على الصواب ، وحصل ما وعد الله تعالى به من حفظ الكتاب ، وعلى هذه الأئمة المتقدمون والقضاة ، والمحققون ، كالقاضي أبي بكر بن الطيب ، والطبري وغيرهما .

* * *

(1) مابين الحاصرتين غير واضح في (خ) ولعلّ ما أثبتناه يناسب السياق .

[الناسخ والمنسوخ]

وأما النسخ فإنه إذا أُطلق يراد به شيئان :

أحدهما : بمعنى التحويل والنقل ، ومنه نسخ الكتاب ، وهو أن يحول من كتاب إلى كتاب ، فعلى هذا الوجه جميع القرآن منسوخ ، لأنه نسخ من اللوح المحفوظ ، وأُنزل إلى بيت العزة في سماء الدنيا ، وهذا لا مدخل له في قوله تعالى : ﴿ **ما ننسخ من آية أو [ننسها]** ﴾[1] الآية ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون** ﴾[2] ، أي نأمر بنسخه وإثباته .

والثاني : يكون بمعنى الرفع والإزالة ، وهو على ضربين : **أحدهما** : رفع الشيء وزواله ، ومنه قولهم : نسخت الشمس الظل ، وانتسخته : أي أزالته وذهبت به وأبطلته ، [و][3] [نسخت الريح آثار الدار ، ومن هذا المعنى قوله تعالى :][3] ﴿ **فينسخ الله ما يلقي الشيطان** ﴾[4] ، أي يزيله بلا شيء ، ولا يثبت في المصحف بدله ، وزعم أبو عبيد أن هذا النسخ الثاني كان ينزل على النبي ﷺ السورة فترفع ولا تتلى ولا تكتب ، فعلى القسم الأول يكون بعض القرآن ناسخاً ، وبعضه منسوخاً ، وهو المراد من قوله تعالى : ﴿ **ما ننسخ من آية أو [ننسها]**[3] **نأت بخير منها أو مثلها** ﴾[1] .

وقد اختلف في القرآن ، هل نسخ منه ما ليس في مصحفنا اليوم أو لا ؟ فمن قال نُسخ منه شيء جعل النسخ على ثلاثة أوجه :

أحدها : ما نسخ خطه وحكمه وحفظه ، فنسي : يعنى رفع خطه من المصحف وليس حفظه على وجه التلاوة ، ولا يقطع بصحته على الله تعالى ، ولا يحكم به اليوم أحد ، وذلك نحو ما روي أنه كان يُقرأ : لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم . ومنها قوله : لو أن لابن آدم وادياً من ذهب [لابتغى][5] إليه ثانياً ولو أن له ثانياً [لابتغى][5] إليه ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم

---

(١) البقرة : ١٠٦ . (٢) الجاثية : ٢٩ .

(٣) زيادة للسياق . (٤) الحج : ٢٥ .

(٥) زيادة للسياق من (صحيح مسلم) .

إلا التراب ويتوب الله على من تاب[١] ، ويقال : إن هذا كان في سورة ﴿ ص ﴾[٢] .

ومنها قوله : بَلِّغوا قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضى عنا ورضينا . وهذا من حديث مالك عن إسحق عن أنس أنه قال : أنزل الله في الذين قتلوا ببئر معونة قرآناً ثم نسخ بعد : بلغوا قومنا ... ، وذكره .

ومنها قول عائشة رضي الله عنها : كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات ، ثم نُسخْن بخمس معلومات ، فتوفي رسول الله ﷺ وهن مما يقرأ ، إلى أشياء في مصحف أُبيّ بن كعب ، وعبد الله بن مسعود ، وحفصة أم المؤمنين ، وغيرهم مما يطول ــ ذكره .

ومن هذا الباب قول من قال : أن سورة الأحزاب كانت نحو سورة البقرة أو الأعراف . روى سفيان وحماد عن عاصم ، عن زر بن حبيش قال : قال لي أبيّ بن كعب كانت تُقرأ سورة الأحزاب أو كانت نعدها قلت : ثلاثة وسبعين آية ، قال : قط ؟ لقد رأيتها وإنها لتعدل البقرة . ولقد كان فيما قرأنا : الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البته نكالاً من الله والله عزيز حكيم .

وقال مسلم بن خالد ، عن عمرو بن دينار قال : كانت سورة الأحزاب تقارب سورة البقرة . وروي أبو نعيم من حديث الفضل بن دُكين قال : حدثنا سيف (هو ابن أبي سليمان ، أو ابن سليمان) عن مجاهد قال : كانت الأحزاب مثل سورة البقرة وأطول ، ولقد ذهب يوم مسيلمة قرآناً . حدثنا عبد الله بن الأجلح عن أبيه عن عدي بن عدي بن عميرة بن بردة عن أبيه عن جده عميرة بن بردة ، أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال لأُبيّ بن كعب – وهو إلى جنبه – : أوليس كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله : الولد للفراش وللعاهر الحجر فيما فقدنا من كتاب الله ؟ فقال أُبيّ : بلى[٣] .

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٧ / ١٤٦ ، كتاب الزكاة ، باب (٣٩) لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثاً ، حديث رقم (١١٩ - (١٠٥٠)) . وفيه ذم الحرص على الدنيا وحب المكاثرة بها ، والرغبة فيها ، ومعنى لا يملأ جوفه إلا التراب : أنه لا يزال حريصاً على الدنيا حتى يموت ، ويمتلىء جوفه من تراب قبره . (المرجع السابق) .

(٢) صٓ : ١ .

(٣) هذه الفقرة مختصرة من (خ) لعدم وضوح بعض الكلمات .

الوجه الثاني : أن يُنسخ خطه [ويبقى][1] حكمه ، وذلك نحو قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لولا أن يقول قوم : زاد عمر في كتاب الله لكتبتُها بيدي ، الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما بما قضيا من اللذه نكالاً من الله والله عزيز حكيم[2] ، لقد قرأناها على عهد رسول الله ﷺ ، فهذا مما نُسخ ورُفع خطه من المصحف ، وحكمه باق في الثيب من الزنا إلى يوم القيامة إن شاء الله تعالى عند أهل السنة .

ومن هذا ما رواه مالك في الموطأ ، عن زيد بن أسلم ، عن القعقاع بن حكيم ، عن أبي يونس مولى عائشة ، زوج النبي ﷺ أنه قال : أمرتني عائشة رضي الله عنها أن أكتب لها مصحفاً ، وقالت : إذا بلغت هذه الآية فآذِنّي : ﴿ **حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى [وصلاة العصر]وقوموا لله قانتين** ﴾[3] ثم قالت : سمعتها من رسول الله ﷺ .

وقد تأول قوم في قول عمر رضي الله عنه : قرأنا على عهد رسول الله ﷺ ، أي تلوناها ، والحكمة تُتلى ، بدليل قول الله تعالى : ﴿ **واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة** ﴾[4] ، وبين أهل العلم في هذا تنازع يطول ذكره .

---

(١) زيادة للسياق من صحيح مسلم .

(٢) (روائع البيان بتفسير آيات الأحكام) : ٢ / ٢٥ ، وقال فيه : إن الله بعث محمداً بالحق وأنزل عليه الكتاب ، فكان فيما أُنزل عليه آية الرجم ، يعني بها قوله تعالى : ﴿ **الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم** ﴾ ، فقرأناها ووعينا ، ورجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده ، وأخشي أن يطول بالناس زمان فيقول قائل : لا نجد الرجم في كتاب الله تعالى ، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله عزَّ وجلَّ في كتابه ، ألا وإن الرجم حق على من زنى إذا أحصن ، من الرجال أو النساء وقامت البينة ، أو كان حمل أو اعتراف والله لولا أن يقول الناس : زاد في كتاب الله لكتبتها ، (تفسير التحرير والتنوير) : ١٨ / ١٩٤ .

(٣) (شرح الزرقاني على الموطأ) : ١ / ٤٠٢ ، كتاب الصلاة ، باب (٨٣) الصلاة الوسطى ، حديث رقم (٣١١) : حدثني يحيى عن مالك ، عن زيد بن أسلم عن القعقاع بن حكيم ، عن أبي يونس مولى عائشة أم المؤمنين أنه قال : أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفاً ثم قالت إذا بلغت هذه الآية فآذنّي : ﴿ **حافظوا على الصلاة والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين** ﴾ ، فلما بَلَغْتُهَا آذنتها فأملتْ عليَّ : حافظوا على الصلوات والصلاة والوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين . قالت عائشة : سمعتُها من رسول الله ﷺ ، وحديث رقم (٣١٢) : وحدثني عن مالك عن زيد بن أسلم عن عمرو بن رافع أنه قال : كنت أكتب مصحفاً لحفصة أم المؤمنين فقالت : إذا بلغت هذه الآية فآذني : ﴿ **حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين** ﴾ .

والآية من سورة البقرة : ٢٣٨ .

(٤) الأحزاب : ٣٤ .

والوجه الثالث : أن يُنسخ حكمه ويبقى خطه يتلى في المصحف ، وهذا كثير نحو قوله تعالى : ﴿ **والذين يُتَوفَّوْن منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج** ﴾[1] الآية ، نسختها : ﴿ **يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً** ﴾[2] الآية ، وهذا من الناسخ والمنسوخ [المجمع] عليه ، ومن هذا الباب : آية الوصية للأقارب ، وآية التخفيف في القتال ، وهو نسخ الثبات لعشرة بالثبات لاثنين ، وهو نسخ الأثقل إلى الأخف ، وعكسه : نسخ الأخف إلى الأثقل ، كنسخ صوم يوم عاشوراء بصوم رمضان ، وقد ينسخ الشيء لا إلى بدل ، كصدقة النجوى[3] ، والصلاة إلى بيت المقدس لم تكن في القرآن ، وإنما كانت في السنة .

ومنه أيضاً : آية الممتحنة ، وهي قوله تعالى : ﴿ **ولا ترجعوهن إلى الكفار** ﴾[4] ، فإن رجوعهن إنما كان بصلح النبي ﷺ لقريش ، وقد أبت طائفة أن يكون شيء من القرآن إلا ما بين الوحي مصحف عثمان رضي الله عنه ، واحتجوا بقوله تعالى : : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾[5] ، وأجمع العلماء أن ما في مصحف عثمان بن عفان ، وهو الذي بأيدي المسلمين اليوم في أقطار الأرض حيث كانوا ، هو القرآن المحفوظ الذي لا يجوز لأحد أن يتجاوزه ، ولا تحل الصلاة لمسلم إلا بما فيه . قالوا : قوله في حديث عائشة : والصلاة الوسطى وصلاة العصر ، ليس في شيء من معنى الناسخ والمنسوخ[6] ، وإنما هو من معنى السبعة الأحرف التي أنزل الله القرآن عليها ، نحو قراءة عمر ، وابن مسعود : فامضوا إلى ذكر الله ، وقراءة ابن مسعود : فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما ، وقراءة أُبيّ وابن عباس : وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين[7] ، وقراءة ابن مسعود وابن عباس :

---

(١) البقرة : ٢٤٠ . (٢) البقرة : ٢٣٤ . (٣) المجادلة : ٨ ، ١٠ ، ١٢ .

(٤) الممتحنة : ١٠ . (٥) الحجر : ٩ .

(٦) قوله : « سمعتها من رسول الله ﷺ » : قال الباجي : يحتمل أنها سمعتها على أنها قرآن ثم نسخت كما في حديث البراء ، فلعل عائشة لم تعلم بنسخها ، أو اعتقدت أنها مما نُسخ حكمه وبقي رسمه ، ويحتمل أنه ذكرها ﷺ على أنها من غير القرآن لتأكيد فضيلتها ، فظنتها قرآناً فأرادت إثباتها في المصحف لذلك ، أو أنها اعتقدت جواز إثبات غير القرآن معه ، على ما روي عن أبي وغيره من الصحابة ، أنهم جوزوا إثبات القنوت وبعض التفسير في المصحف وإن لم يعتقدوه قرآناً . (الزرقاني على الموطأ) : ٢ / ٤٠٣ .

(٧) وهي في قراءة حفص : ﴿ **وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين** ﴾ [الكهف : ٨٠] .

فلما خرّ تبينت الإنس أن لو كانت الجن يعلمون الغيب[1] ، ونحو ذلك من القراءات المضافة إلى الأحرف السبعة .

قالوا : فكل ما روي من القراءات في الآثار عن النبي ﷺ ، أو عن أحد من الصحابة مما يخالف مصحف عثمان لا يقطع بشيء من ذلك على الله ، ولكن ذلك في الأحكام يجري في العمل مجري خبر الواحد ، وإنما حلَّ مصحف عثمان هذا المحل لإجماع الصحابة وسائر الأمة عليه ، ولم يجمعوا على ما سواه ، وبيان ذلك أن من أنكر شيئاً مما في مصحف عثمان كفر ، ومن أنكر أن يكون التسليم من الصلاة ، أو قراءة أم القرآن ، أو تكبيرة الإحرام فرضاً لم يكفر[ ][2] ، فإن بان له في الحجة وإلا عذر إذا قام له دليله ، وإن لم يقم له على ما [ادعى][3] ، دليل محتمل هُجر ويُدَع ، وكذلك ما جاء من الآيات المضافات إلى القرآن في الآثار . فقف على هذا الأصل فإنه أصل عظيم في معناه ، والله الموفق لارب سواه . وصلي الله على سيدنا محمد وسلم .

* * *

---

(١) وهي في قراءة حفص : ﴿ **فلما خرَّ تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب** ﴾ [سبأ : ١٤] .

(٢) ما بين الحاصرتين كلمة مطموسة في (خ) .

(٣) زيادة للسياق والبيان .

[القراءات التي يُقرأ بها القرآن]

وأما القراءات التي يقرأ بها القرآن ، فإن الذي استقر عليه العمل ، أنها ثلاثة أقسام : متواترة ، ومشهورة ، وشاذة ، فالقراءات المتواترة : هي القراءات السبع وما يفرع منها ، وهي التي نقلت عن الأئمة القراء السبعة . والقراءات المشهورة : هي قراءة يعقوب ويزيد القاري وابن محيصن . والقراءات الشاذة : ما نقلت بطريق الآحاد ، وفيها للناس مقالات سنورد منها ما تيسر إن شاء الله تعالى ، وقد عُني جماعة من الصحابة رضي الله عنهم بجمع القرآن وحفظه كله ، حتى عرفوا به ، فجمع القرآن منهم مع كثرتهم اثنا عشر رجلاً ، وهم : أمير المؤمنين أبو عمرو ، وأبو عبد الله عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ ، وقرأ عليه المغيرة بن أبي شهاب المخزومي ، ويقال : قرأ عليه ابن عامر ، وليس بشيء ، إنما قرأ علي المغيرة عنه .

وأمير المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، رضي الله عنه ، جمع القرآن بعد وفاة رسول الله ﷺ ، قال الشعبي : لم يجمع القرآن أحد من الخلفاء الأربعة إلا عثمان .

وقال أبو بكر بن عياش عن عاصم قال : ما أقرأني أحد حرفاً إلا أبو عبد الرحمن السلمي ، وكان قد قرأ على عليّ رضي الله عنه ، فكنت أرجع من عنده ، فأعرض على زرّ وكان زرّ قد قرأ على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وهذا يرد على الشعبي قوله ، إلا أن يريد : لم يجمع القرآن أحد من الخلفاء الأربعة إلا عثمان ، أي في حياة رسول الله ﷺ فإنه صحيح .

وقال علي بن رباح : جمع القرآن في حياة رسول الله ﷺ أربعة : علي ، وعثمان ، وأُبيّ بن كعب ، وعبد الله بن مسعود .

وقال حماد بن زيد : أخبرنا أيوب عن [ابن] سيرين قال : مات أبو بكر رضي الله عنه ولم يختم القرآن .

وقال ابن علية ، عن منصور بن عبد الرحمن عن الشعبي : قُبض أبو بكر وعمر وعلي ، رضي الله عنهم ولم يجمعوا القرآن .

وقال يحيى بن آدم : قلت لأبي بكر بن عياش : إن علياً لم يقرأ القرآن ؟ قال : أبطل من قال هذا .

وروي عن عاصم بن أبي عن أبي عبد الرحمن السلمي قال : ما رأيت أحداً كان أقْرأ من علي رضي الله عنه ، وقال ابن سرين : يزعمون أن علياً كتب القرآن على تنزيله ، فلو أُصيب ذلك الكتاب لكان فيه علم كثير .

وأُبيّ بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن أبي النجار أبو المنذر الأنصاري رضي الله عنه أقْرأ الأمة ، عرض على رسول الله ﷺ القرآن ، وأخذ عنه القراءة عبد الله بن عباس ، وأبو هريرة ، وعبد الله بن السائب ، وعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة ، وأبو عبد الرحمن السلميّ .

وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ وأقرأه ، وكان يقول : حفظت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة ، قرأ عليه علقمة ، ومسروق ، والأسود ، وزرّ بن حبيش ، وأبو عبد الرحمن السُّلمي . وقال رسول الله ﷺ : من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل ، فليقرأ قراءة ابن أم عبد ، قال : استقرءوا القرآن من أربعة : عبد الله بن مسعود ، وسالم مولى أبي حذيفة ، ومعاذ بن جبل ، وأُبيّ بن كعب .

وقال عبد الله بن مسعود : ولقد [كان] أصحاب رسول الله ﷺ أقرأهم لكتاب الله ، وقال ابن الأنباري : الشائع الذائع المتعالم عند أهل الرواية و النقل : أن عبد الله بن مسعود تعلم بقية القرآن بعد وفاة رسول الله ﷺ ، وقال بعض الأئمة : مات قبل أن يختم القرآن كله .

قال يحيى بن آدم عن أبي بكر ، عن أبي إسحق قال : قال عبد الله بن مسعود : قرأت من في رسول الله ﷺ ثنتين وسبعين سورة ، أو ثلاثاً وسبعين سورة ، وقرأت عليه من البقرة إلى : ﴿ **يحب التوابين ويحب المتطهرين** ﴾[1] .

قال أبو إسحق : وتعلم عبد الله بقية القرآن من مجمع بن جارية الأنصاري ، وقال زكريا عن أبي إسحق عن معدي كرب قال : أتيت عبد الله ليعلمني : ﴿ **طسم** ﴾[2] المبين، فقال : لست أقرأها ، وأمرني أن آتي [ ][3] .

---

(١) البقرة : ٢٢٢ . (٢) أول سورة القصص . (٣) بياض في (خ) .

وقال زهير عن أبي إسحق قال : سألت الأسود ما كان عبد الله يصنع في سورة الأعراف فقال : ما كان يعلمها حتى قدم الكوفة .

وقال أبو عثمان سعيد بن عيسى صاحب الجيش : سمعت يزيد بن هارون يقول : المعوذتان بمنزلة البقرة وآل عمران ، من زعم أنهما ليستا من القرآن فهو كافر بالله العظيم ، فقيل له : يقول عبد الله بن مسعود فيهما ، فقال : لا خلاف بين المسلمين في أن عبد الله بن مسعود مات وهو لا يحفظ القرآن كله .

وزيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري ، جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ ، وجمعه في مصحف لأبي بكر رضي الله عنه ، ثم تولى كتابة مصحف عثمان رضي الله عنه ، الذي بعث به عثمان نسخاً إلى الأمصار ، وقرأ عليه أبو هريرة ، وعبد الله بن عباس في قول .

وقال سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : افتخر الحيان – الأوس والخزرج – فقالت الأوس : منا غسيل الملائكة حنظلة بن الراهب ، ومنا من حمت له الدبْر ، ومنا من اهتز لموته عرش الرحمن – سعد بن معاذ – ، ومنَّا من أجيزت شهادته بشهادة رجلين – خزيمة بن ثابت ، فقال الخزرج : منا الأربعة الذين جمعوا القرآن – لم يجمعه غيرهم – زيد ، وأبو زيد ، ومعاذ ، وأُبيّ ، رضي الله عنهم .

وقال محمد بن سعد : حدثنا محمد بن عمر – يعني الواقدي – حدثني الضحاك ابن عثمان عن الزهري قال : قال ثعلبة بن أبي مالك : سمعت عثمان رضي الله عنه يقول : من يعذرني من ابن مسعود ؟ أغضب إذ لم أُوَلِّه نسخ القرآن ، فهلا غضب علي أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وهما عزلاه عن ذلك ووليا زيداً فاتبعت أمرهما ؟ .

وقال الشعبي : غلب زيد الناس على القرآن والفرائض .

وقال داود بن أبي هند عن الشعبي : لم يجمع القرآن في حياة رسول الله ﷺ غير ستة ، كلهم من الأنصار : زيد بن ثابت ، وأبو زيد الأنصاري ، ومعاذ بن جبل ، وأُبيّ بن كعب ، وأبو الدرداء ، ونسي السادس ، فرواه إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي ، فسمى السادس ، سعد بن عبيد ، وزاد آخر ، وهو مجمع بن جارية ، فقال : قرأ أيضاً القرآن إلا سورة أو سورتين أو ثلاثاً .

وقال أبو عمر البزار حفص بن سليمان بن المغيرة ، عن عاصم بن أبي النجود ، وعطاء بن السائب ، ومحمد بن أيوب الثقفي ، وابن أبي ليلى ، عن عبد الرحمن السلمي أنه قال : كانت قراءة أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وزيد بن ثابت ، والمهاجرين ، والأنصار رضي الله عنهم جميعاً واحدة . وأبو موسى الأشعري رضي الله عنه حفظ القرآن والعلم ، قرأ عليه أبو رجاء العطاردي ، وحطان الرقاش .

قال مسلم بن إبراهيم : حدثنا قرة عن أبي رجاء قال : كان أبو موسى يطوف علينا في هذا المسجد - مسجد البصرة - فيقعدنا خلفاً فيقرئنا القرآن ، فكأني أنظر إليه بين ثوبين له أبيضين ، وعنه أخذتُ هذه السورة : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾[1] ، وكانت أول سورة أنزلها الله عزَّ وجلَّ على محمد ﷺ .

وأبو الدرداء رضي الله عنه قرأ القرآن على عهد رسول الله ﷺ ، يقال أن عبد الله بن عامر قرأ عليه . قال سويد بن عبد العزيز : كان أبو الدرداء إذا صلى الغداة في جامع دمشق ، اجتمع الناس للقراءة عليه ، فكان يجعلهم عشرة عشرة ، وعلى كل عشرة عريفاً ، ويقف هو في المحراب يرمقهم ببصره ، فإذا غلط أحدهم رجع إلى عريفهم ، فإذا غلط عريفهم رجع إلى أبي الدرداء فيسأله عن ذلك ، وكان ابن عامر عريفاً على عشرة ، فلما مات أبو الدرداء خلفه ابن عامر .

وعن مسلم بن مشكم قال : قال لي أبو الدرداء : أُعدد من يقرأ عندي القرآن ، فعددتهم ألفاً وستمائة ونيفاً ، وكان لكل عشرة منهم مقرىء ، وكان أبو الدرداء يطوف عليهم قائماً ، وإذا أحكم الرجل منهم تحول إلى أبي الدرداء ، فهؤلاء الذين روى الحفاظ أنهم حفظوا القرآن في حياة رسول الله ﷺ وأخذ عنهم القرآن عرضاً ، وعليهم دارت أسانيد قراءة الأئمة العشرة .

وقد جمع القرآن من أصحاب رسول الله ﷺ غير من سمينا ، وهم : معاذ بن جبل ، وأبو زيد ، وسالم مولى أبي حذيفة ، وعبد الله بن عمر ، وعقبة بن عامر ، ولكن لم يتصل بنا قراءتهم . وقال ابن الكلبي : وقيس بن سكن بن قيس بن زيد بن حزام ، [يكنى] أبا زيد ، وقتل يوم [جسر أبي عبيد][2] ، وهو أحد القراء الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ .

---

(١) أول سورة العلق .

(٢) ما بين الحاصرتين غير واضح في (خ) ، وأثبتناه من (الإصابة) : ٥ / ٤٧١ ترجمة قيس بن السكن رقم (٧١٨٦) .

وبعد هؤلاء طبقة ثانية عرضوا القرآن على بعض المذكورين ، وهم : أبو هريرة ، وعبد الله بن عباس ، وقرأ على أُبيّ بن كعب ، وقرأ عليه مجاهد ، وسعيد ابن جبير ، والأعرج ، وعكرمة بن خالد ، وسليمان بن منية شيخ عاصم الجحدري ، وأبو جعفر وغيرهم . قال ابن عباس : جمعت المفصل على عهد رسول الله ﷺ ، وعبد الله بن السائب بن أبي السائب ، صيفي بن عائذ بن عمر بن مخزوم المخزومي ، قارىء أهل مكة ، له صحبة ، قرأ على أُبيّ بن كعب ، وعرض عليه القرآن مجاهد ، وعبد الله بن كثير فيما قيل ، والمغيرة بن شهاب المخزومي قرأ على أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ، وقرأ عليه عبد الله بن عامر ، وكان يقرىء أهل الشام في أيام معاوية ، ولا يكاد يُعرف إلا من قراءة ابن عامر عليه .

وحطان بن عبد العزيز بن المغيرة بن ربيعة بن عمر بن مخزوم الرقاشي – ويقال السدوس البصري – قرأ على أبي موسى الأشعري ، وقرأ عليه الحسن البصري وعلقمة ابن قيس بن عبد الله النَّخْعِيّ، أبو شبل ، قرأ على ابن مسعود ، قرأ عليه يحيى ابن وثاب، وعبيد بن نضلة ، وأبو إسحق ، وطائفة .

وأبو عبد الرحمن السلمي واسمه : عبد الله بن حبيب ، عرض على عثمان ، وعليّ وابن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وأبي بن كعب .

وأخد القراءة عنه عرضاً : عاصم بن أبي النجود ، ويحيى بن وثاب ، وعطاء ابن السائب ، وعبد الله بن عيس بن أبي ليلى ، ومحمد بن أيوب أبو عون الثقفي ، وعامر الشعبي ، وإسماعيل بن أبي خالد ، وعرض عليه الحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وأقرأ الناس بالمسجد الأعظم بالكوفة أربعين سنة .

وعبد الله بن عياش بن ربيعة المخزومي أبو الحرث ، قرأ على أُبيّ بن كعب ، وقرأ عليه مولاه أبو جعفر يزيد بن القعقاع ، ويزيد بن رومان ، وشيبة بن نصاح ، ومسلم بن جندب وغيرهم ، وكان أقرأ أهل المدينة في زمانه .

وأبو رجاء العطاردي ، واسمه : عمران بن تيم البصري ، أخذ القراءة عرضاً عن عبد الله بن عباس ، وتلقن القرآن من أبي موسى الأشعري ، وقرأ عليه أبو الأشهب العطاردي .

وأبو الأسود الدؤلي ، واسمه : ظالم بن عمرو ، وقرأ على عليّ بن أبي طالب ، وأبو العالية رفيع بن مهران الرباحيّ ، قرأ على أُبيّ بن كعب ، أخذ القراءة عليه عرضا ، وعرض على زيد بن ثابت ، وعبد الله بن عباس ، ويقال قرأه على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضي الله عنهم أجمعين .

قرأ عليه شعيب بن الحبحاب ، والربيع بن أنس ، وسليمان بن مهران الأعمش ، ويقال : قرأ عليه أبو عمر ، فهؤلاء الذين دارت عليهم أسانيد القراءات العشرة ، ممن أدرك حياة رسول الله ﷺ .

ثم بعد هؤلاء طبقة ثالثة من التابعين ، ثم بعدهم [تابعو] التابعين ، ثم من بعدهم قرناً بعد قرن ، وكانت المدن التي سكنها هؤلاء القراء الذين أخذ عنهم القراءات : المدينة النبوية ، ومكة ، والبصرة ، ودمشق ، والشام ، والكوفة .

* * *

[التابعون بالمدينة المنوَّرة من القراء]

فأما التابعون بالمدينة الذين كثرت عنايتهم بقراءة القرآن والعلم بقراءاته : فسعيد ابن المسيب[1] ، وأبان بن عثمان[2] ، وعروة بن الزبير[3] ، وسالم بن عبد الله بن عمر[4] ، وسليمان بن يسار[5] ، ومحمد بن كعب القرظي[6] .

---

(١) هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشيّ المخزوميّ ، سيد التابعين ، وُلد لسنتين مضتا – وقيل لأربع – من خلافة عمر ، ليس في التابعين أنبل منه ، وهو أثبتهم في أبي هريرة . مات سنة أبع وتسعين وقيل : ثلاث وتسعين . له ترجمة في : (تهذيب التهذيب) : ٤ / ٧٤ ، ترجمة رقم (١٤٥) ، (طبقات الحفاظ) : ٢٥ ، ترجمة رقم (٣٧) ، (تذكرة الحفاظ) : ١ / ٥٤ ، (طبقات ابن سعد) : ٥ / ٨٨ .

(٢) هو أبان بن عثمان بن عفان ، الإمام الفقيه ، الأمير ، أبو سعد بن أمير المؤمنين أبي عمرو الأموي ، المدنيّ . سمع أباه ، وزيد بن ثابت ، حدَّث عنه الزهريّ ، وأبو الزناد ، وجماعة وله أحاديث قليلة ، ووفاده على عبد الملك . قال ابن سعد : ثقة ، له أحاديث عن أبيه ، توفي سنة خمس ومائة . لهُ ترجمة في : (طبقات ابن سعد) : ٥ / ١٥١ ، (تاريخ البخاري) : ١ / ٤٥٠ ، (المعارف) : ٢٠١ ، (الجرح والتعديل) : القسم الأول من المجلد الأول ٢٩٥ ، (تهذيب الأسماء واللغات) : القسم الأول من الجزء الأول ٩٧ ، (شذرات الذهب) ، ١ / ١٣١ ، (سير أعلام النبلاء) ، ٤ / ٣٥١ ، ترجمة رقم (١٣٣) .

(٣) هو عروة بن الزبير بن العوام الأسدي أبو عبد الله المدني ، فقيه عالم ، كثير الحديث ، صالح ، لم يدخل في شيء من الفتن . قال هشام : ما تعلمنا جزءاً من ألف جزء من أحاديثه ، وهو أحد الفقهاء السبعة . وقال الزهريّ : أربعة من قريش وجدتهم بحوراً : سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وأبو سلمة ابن عبد الرحمن ، وعبيد الله بن عبد الله . وقال ابن عيينة : إن أعلم الناس بحديث عائشة ثلاثة ، القاسم ابن محمد ، وعروة ، وعمرة بنت عبد الرحمن ، ولد سنة ثلاث أو تسع وعشرين ، ومات سنة إحدى وتسعين أو بعدها ، على خلاف بين أهل التاريخ . له ترجمة في : (طبقات الحفاظ) : ٢٩ ترجمة رقم (٤٩) ، (طبقات ابن سعد) : ٥ / ١٣٢ ، (شذرات الذهب) : ١ / ١٠٣ ، (سير أعلام النبلاء) : ٤ / ٤٢١ .

(٤) هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب أبو عمر ، أو أبو عبد الله ، أو أبو عبيد الله المدني الفقيه ، أشبه ولد أبيه به ، أحد الفقهاء السبعة ، من أفضل زمانه ، مات في ذي القعدة أو الحجة سنة ستة ومائة أو سبع أو ثمان . له ترجمة في : (طبقات الحفاظ) : ٤٠ ترجمة رقم (٧٥) ، (تهذيب الأسماء واللغات) : ١ / ٢٠٧ ، (حلية الأولياء) : ٢ / ١٩٣ ، (شذرات الذهب) : ١ / ١٣٣ ، (طبقات ابن سعد) : ٥ / ١٤٤ ، (سير أعلام النبلاء) : ٤ / ٤٥٧ .

(٥) هو سليمان بن يسار أبو أيوب ، أو أبو عبد الرحمن ، أو أبو عبد الله ، من فقهاء المدينة وعلمائهم وصلحائهم ، كثير الحديث ، مات سنة سبع ومائة . له ترجمة في (طبقات الحفاظ) : ١ / ٩١ ، (طبقات ابن سعد) ٥ / ١٣٠ ، (سير أعلام النبلاء) : ٤ / ٤٤٤ .

(٦) هو محمد بن كعب القُرَظِي ، وقال ابن سعد : محمد بن كعب بن حيَّان بن سُليم ، الإمام العلامة الصادق أبو حمزة ، وقيل : أبو عبد القرظيّ المدنيّ ، من حلفاء الأوس ، وكان أبوه كعبُ من سبي بني قريظة ،=

ودونهم في الرتبة : أبو جعفر يزيد بن القعقاع[1] ، وشيبة بن نصاح[2] ، وعمر بن عبد العزيز[3] ، ومعاذ بن الحرث القاري[4] ، وعبد الله بن عياش[5] ،

= سكن الكوفة ، ثم المدينة ، كان من أوعية العلم ، ثقة ، مدني تابعي ، رجل صالح ، عالم بالقرآن . له ترجمة في : (طبقات خليفة) : ٢٦٤ ، (التاريخ الكبير) : ١ / ٢١٦ ، (الجرح والتعديل) : ٨ / ٦٧ ، (حلية الأولياء) : ٣ / ٢١٢ ، (شذرات الذهب) : ١ / ١٣٦ .

(١) هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع القارىء ، مولى عبد الله بن عياش ، ويعرف أبو جعفر المذكور بالمدني ، أخذ القراءة عرضاً عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه . قال سليمان بن مسلم : أخبرني أبو جعفر يزيد بن القعقاع أنه كان يُقرىء الناس في مسجد رسول الله ﷺ قبل الحرة ، وكانت الحرة على رأس ثلاث وستين سنة من مقدم رسول الله ﷺ المدينة ، وقال نافع بن أبي نعيم : لما غُسّل أبو جعفر يزيد ابن القعقاع القارىء بعد وفاته ، نظروا ما بين نحره إلى فؤاده مثل ورقة المصحف ، فما شك أحد ممن حضره أنه نور القرآن . مات سنة ثمان وعشرون ومائة ، له ترجمة في : (المعارف) : ٥٢٨ ، (ميزان الاعتدال) : ٤ / ٥١١ ، (تاريخ خليفة) : ٦١٤ ، (شذرات الذهب) : ١ / ١٧٦ ، (وفيات الأعيان) : ٦ / ٢٧٤ - ٢٧٦ .

(٢) هو شيبة بن نصاح بن سرجس بن يعقوب المخزومي المدني القارىء ، مولى أم سلمة ، أُتي به إليها وهو صغير فمسحت رأسه وكان ختن يزيد بن القعقاع ، قال الدراوردي : كان قاضياً بالمدينة ، وقال النسائي : ثقة ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال الواقدي : كان ثقة قليل الحديث : مات زمن مروان ابن محمد سنة ثلاثين ومائة . له ترجمة في (تهذيب التهذيب) : ٤ / ٣٣٠ ، ترجمة رقم (٦٤٤) ، (الثقات لابن حبان) : ٤ / ٣٦٨ .

(٣) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بنُ قُصيّ بن كلاب ، الإمام الحافظ العلامة المجتهد الزاهد العابد ، السيد أمير المؤمنين حقاً ، أبو حفص القرشيّ الأموي ، المدني ، ثم المصري ، مات سنة إحدى ومائة له ترجمة في : (سير أعلام النبلاء) : ٥ / ١١٤ - ١٤٨ ، ترجمة رقم (٤٨) ، (سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم) ، (سيرة عمر بن عبد العزيز للآجري) ، (تاريخ الخلفاء) : ٢٢٨ ، (شذرات الذهب) : ١ / ١١٩ .

(٤) هو معاذ بن الحارث بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاريّ النجاريّ ، أخو عوف ، ورافع ، ورفاعة ، وأمهم عفراء بنت عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك النجار . كان شهد بدراً ، وشهد العقبتين جميعاً ، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين معمر بن الحارث الجُمَحيّ ، أحد البدريين ، ومات معاذ بعد مقتل عثمان ، وله عقب . له ترجمة في : (طبقات ابن سعد) : ٢ / ٤٩١ ، (طبقات خليفة) : ٩٠ ، (تاريخ خليفة) : ٢٠٢ ، (شذرات الذهب) : ١ / ٧١ ، (سير أعلام النبلاء) : ٢ / ٣٥٨ ، ترجمة رقم (٧٢) .

(٥) هو عبد الله بن عياش بن عباس ، الإمام العالم الصدوق ، أبو حفص القِتْباني المصريّ ، حدَّث عن عبد الرحمن بن هرمز عن الأعرج ، وأبي عُشّانة المعافري ، ويزيد بن أبي حبيب ، ووالده ، وجماعة . وعنه ابن وهب ، وزيد بن الحُباب ، وأبو عبد الرحمن المقرىء وآخرون ، احتج به مسلم والنسائي ، توفي سنة سبعين ومائة . له ترجمة في : (التاريخ الكبير) : ٥ / ١٥١ ، (المعارف) : ٥٣٩ ، =

ومسلم بن جندب[1] ، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج[2] ، ومحمد بن شهاب الزهري[3] ، وزيد بن أسلم[4] ، وأبو الزناد[5] .

= (الجرح والتعديل) : ٥ / ١٢٦ ، (خلاصة تذهيب الكمال) : ٢٠٩ ، (تهذيب التهذيب) : ٥ / ٣٠٧ ، ترجمة رقم (٦٠٣) .

(١) هو مسلم بن جندب الهذلي أبو عبد الله القاضي . ذكره ابن حبان في الثقات وقال : مات سنة ست ومائة . وقال ابن سعد في الطبقة الثانية من أهل المدينة : مات في خلافة هشام ، وكان يقضي بغير رزق . وقال العجلي : تابعيّ ثقة ، وقال ابن مجاهد : كان من فصحاء الناس ، وكان معلم عمر بن عبد العزيز ، وكان عمر يثني عليه وعلى فصاحته بالقرآن ، له ترجمة في (تهذيب التهذيب) : ١٠ / ١١٢ ، ترجمة رقم (٢٢٤) ، (ثقات ابن حبان) : ٥ / ٣٩٣ .

(٢) هو الأعرج عبد الرحمن بن هُرمز أبو داود المدني ، كثير الحديث ، وقال ابن المديني : أعلى أصحاب أبي هريرة سعيد بن المسيب ، وبعده أبو سلمة بن عبد الرحمن ، وأبو صالح السمان ، وابن سيرين ، قيل : فالأعرج ، قال : ثقة ، وهو دون هؤلاء ، مات سنة سبع عشرة ومائة . له ترجمة في : (طبقات الحفاظ للسيوطي) : ٤٥ ، ترجمة رقم (٨٧) ، (تهذيب الأسماء واللغات) : ١ / ٣٠٥ ، (شذرات الذهب) : ١ / ١٥٣ ، (سير أعلام النبلاء) : ٥ / ٦٩ ترجمة رقم (٢٥) ، (مرآة الجنان) : ١ / ٣٥٠ .

(٣) هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري المدني ، أحد الأعلام . قال ابن منجويه : رأى عشرة من الصحابة ، وكان من أحفظ أهل زمانه ، وأحسنهم سياقاً لمتون الأخبار ، فقيهاً فاضلاً . وقال الليث : ما رأيتُ عالماً قط أجمع من ابن شهاب ولا أكثر علماً منه . مات سنة أربع وعشرين ومائة . له ترجمة في : (شذرات الذهب) : ٢ / ١٢٢ ، (سير أعلام النبلاء) : ٥ / ٣٢٦ .

(٤) هو الإمام الحجة القدوة أبو عبد الله ، العدوي ، العمري ، المدني ، الفقيه . حدث عن والده أسلم مولى عمر ، وعن عبد الله بن عمر ، وجابر بن عبد الله ، وسلمة بن الأكوع ، وأنس بن مالك ، وعن عطاء بن يسار ، وعلي بن الحسين ، وابن المسيب ، وخلق ، حدث عنه مالك بن أنس ، وسفيان الثوري ، والأوزاعي ، وخلق كثير . وكان له حلقة للعلم في مسجد رسول الله ﷺ . وهو من العلماء العاملين . وفاته في ذي الحجة من سنة ست وثلاثين ومائة ، ظهر لزيد من المسند أكثر من مئتي حديث . له ترجمة في : (طبقات خليفة) : ٢٦٣ ، (التاريخ الكبير) : ٣ / ٢٨٧ ، (التاريخ الصغير) : ٢ / ٣٢ ، (الجرح والتعديل) : ٣ / ٥٥٤ ، (حلية الأولياء) : ٣ / ٢٢١ ، (شذرات الذهب) : ١ / ١٩٤ ، (سير أعلام النبلاء) : ٥ / ٣١٦ - ٣١٧ ترجمة رقم (١٥٣) .

(٥) هو عبد الله بن ذكوان ، الإمام الفقيه ، الحافظ المفتي ، أبو عبد الرحمن القرشي المدني ، ويلقب بأبي الزناد ، مولده في نحو سنة خمس وستين في حياة ابن عباس ، وثقه أحمد وابن معين ، وقال الذهبي : انعقد الإجماع على أن أبا الزناد ثقة رضي . مات لسبع عشر خلت من رمضان ، وهو ابن ست وستين سنة ، في سنة ثلاثين ومائة . له ترجمة في : (طبقات خليفة) : ٢٥٩ ، (التاريخ الكبير) : ٥ / ٨٣ ، (التاريخ الصغير) : ٢ / ٧٢ ، (الجرح والتعديل) : ٥ / ٤٩ ، (ميزان الاعتدال) : ٢ / ٤١٨ ، (شذرات الذهب) : ١ / ١٨٢ ، (سير أعلام النبلاء) : ١ / ٤٤٥ ، ترجمة رقم (١٩٩) .

وأخذ هؤلاء عن نافع أبو عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي مولاهم ، مولى جَعْوَنَة ابن شعوب الليثي ، أبو رُوَيم ، على الأشهر ، إمام أهل المدينة في القراءات ، وأحد الأئمة قراء السبعة ، قرأ على سبعين من تابعي أهل المدينة ، فيهم من سمينا ، وأقرأ الناس [سنة عشرين ومائة][1] فقرأ عليه الإمام مالك بن أنس وقال : قراءة نافع سُنَّة ، وقرأ عليه إسماعيل بن جعفر ، وعيسى بن وردان الحذاء ، وقالون ، وورش [وإسحاق بن محمد المسيبي] وقال : تركت من قراءة أبي جعفر سبعين حرفاً ، وفي رواية : قرأت على هؤلاء فنظرت إلى ما اجتمع عليه اثنان منهم فأخذته ، وما شذ فيه واحد تركته ، حتى ألفت هذه القراءة . وتوفي سنة تسع وستين ومائة على الأشهر [قبل مالك بعشر سنين][1] ، وعلى قراءته تعول أهل المدينة[2] .

* * *

(١) زيادة للسياق والبيان من كتب التراجم .

(٢) له ترجمة في : (التاريخ الكبير) : ٨ / ٨٧ ، (ميزان الاعتدال) : ٤ / ٢٤٢ ، (شذرات الذهب) : ١ / ٢٧٠ ، (سراج القارىء) : ٩ .

[التابعون بمكة المشرَّفة من القراء]

أما التابعون بمكة الذين اعتنوا بعلم القراءات حتى فاقوا أقرانهم ، فعطاء بن أبي رباح(1) ، ومجاهد بن جُبير (2) ، وسعيد بن جبير(3) ، وعكرمة(4) ، ....

---

(1) هو عطاء بن أبي ربَاح ، مفتي الحرم ، أبو محمد القرشي ، مولاهم المكي ، نشأ بمكة ، ولد في خلافة عثمان ، حدَّث عن عائشة ، وأم سلمة ، وأم هانئ ، وأبي هريرة ، وابن عباس ، وطائفة ، كان من أوعية العلم ، حدَّث عنه الزهري ، وقتادة ، والأعمش ، وأمم سواهم ، مات عطاء سنة أربع عشرة ومائةأو خمس وعشرة . له ترجمة في : (طبقات ابن سعد) : ٥ / ٤٦٧ ، (طبقات خليفة) : ٢٨٠ ، (تاريخ البخاري) : ٦ / ٤٦٣ ، (التاريخ الصغير) : ١ / ٢٧٧ ، (الجرح والتعديل) : ٦ / ٣٣٠ ، (وفيات الأعيان) : ٣ / ٢٦١ ، (ميزان الاعتدال) : ٣ / ٧٠ ، (شذرات الذهب) : ١ / ١٤٧ ، (سير أعلام النبلاء) : ٥ / ٧٨ .

(2) هو مجاهد بن جبير ، الإمام ، شيخ القراء والمفسرين ، أبو الحجاج المكي ، الأسود ، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي ، ويقال : مولى عبد الله بن السائب القارىء . روي عن ابن عباس ، فأكثر وأطاب ، وعنه أخذ القرآن ، والتفسير ، والفقه ، وعن أبي هريرة ، وعائشة ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن عمرو ، وابن عمر ، وعدة . قال يحيى بن معين وطائفة : مجاهد ثقة . مات وهو ساجد سنة ثنتين ومائة ، وقيل غير ذلك . له ترجمة في : (طبقات ابن سعد) : ٥ / ٤٦٦ ، (طبقات خليفة) : ت ٢٥٣٥ ، (تاريخ البخاري) : ٧ / ٤١١ ، (المعارف) : ٤٤٤ ، (حلية الأولياء) : ٣ / ٢٧٩ ، (تهذيب الأسماء واللغات) : ٢ / ٨٣ ، (طبقات الحفاظ للسيوطي) : ٤٢ ت (٨١) ، (سير أعلام النبلاء) : ٤ / ٤٤٩ ، ترجمة رقم (١٧٥) .

(3) هو سعيد بن جُبَير بن هشام الأسدي الوالبي أبو محمد أو أبو عبد الله الكوفي ، كان ابن عباس إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه يقول : أليس فيكم ابن أم الدهماء ؟ يعنيه ، وقال عمرو بن ميمون عن أبيه : لقد مات سعيد بن جبير وما على ظهر الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه . قتله الحجاج – لعنه الله – في شعبان سنة اثنتين وتسعين ، وهو ابن تسع وأربعين سنة . لهُ ترجمة في (طبقات الحفاظ للسيوطي) : ٣٨ ترجمة رقم (٧١) ، (حلية الأولياء) : ٤ / ٢٧٢ ، (شذرات الذهب) : ١ / ١٠٨ ، (طبقات ابن سعد) : ٦ / ١٧٨ ، (المعارف) : ٤٤٥ ، (وفيات الأعيان) : ١ / ٢٠٤ ، (سير أعلام النبلاء) : ٤ / ٣٢١ .

(4) هو العلامة ، الحافظ ، المفسر ، أبو عبد الله ، القرشيّ ، مولاهم ، المدني ، البربري الأصل ، مكّي ، تابعيّ ، ثقة ، كان من أهل العلم ، قال البخاري : ليس أحد من أصحابنا إلا وهو يحتج بعكرمة ، مات عكرمة بالمدينة سنة أربعة ومائة ، وقيل : غير ذلك . له ترجمة مطولة في : (سير أعلام النبلاء) : ٥ / ١٢ – ٣٦ ، ترجمة رقم (٩) ، (طبقات ابن سعد) : ٥ / ٢٨٧ ، (طبقات خليفة) : ٢٨٠ ، (التاريخ الصغير) : ١ / ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، (حلية الأولياء) : ٣ / ٣٢٦ ، ٣٤٦ ، (تهذيب الأسماء واللغات) : ١ / ٣٤٠ ، (وفيات الأعيان) : ٣ / ٢٦٥ ، (ميزان الاعتدال) : ٣ / ٩٣ ، (شذرات الذهب) : ١ / ١٣٠ ، (طبقات الحفاظ للسيوطي) : ٤٣ ، ترجمة رقم (٨٥) .

وعبيد بن عمير(١) ، وعبد الرحمن بن [أبزي](٢) ، وعبد الله بن أبي مليكة(٣) .
وأخذ عن هؤلاء القراءات بمكة : عبد الله بن كثير(٤) ، وحميد بن قيس(٥)

---

(١) هو عُبيد بن عُمير بن قتادة الليثي الجندعي المكيّ ، الواعظ المفسّر ، قاضي أهل مكة ، ولد في حياة رسول الله ﷺ ، وحدَّث عن أبيه ، وعن عمر بن الخطاب ، وعلي ، وأبي ذرّ ، وعائشة ، وأبي موسى الأشعري ، وابن عباس . حدث عنه : ابنه عبد الله بن عبيد ، وأبو الزبير ، وجماعة ، وكان من ثقات التابعين وأئمتهم بمكة ، توفي سنة أربع وسبعين . له ترجمة في : (سير أعلام النبلاء) : ٤ / ١٥٦ ، (طبقات ابن سعد) : ٥ / ٤٦٣ ، (طبقات خليفة) : ت (٢٥٢٤) ، (تاريخ البخاري) : ٥ / ٤٥٥ ، (المعارف) : ٤٣٤ ، (الجرح والتعديل) : ٢ / ٤٠٩ ، (حلية الأولياء) : ٣ / ٢٦٦ ، (طبقات الحفاظ للسيوطي) : ٢٢ ، ترجمة رقم (٢٨) .

(٢) هو عبد الرحمن بن أبزي الخزاعي ، له صحبة ورواية ، وفقه وعلم ، وهو مولى نافع بن عبد الحارث ، كان نافع مولاه استنابه على مكة حين تلقى عمر بن الخطاب إلى عسفان ، فقال له : من استخلفت على أهل الوادي ؟ يعني مكة ، قال ، ابن أبزي ، قال : ومن ابن أبزي ، قال : إنه عالم بالفرائض ، قارىء لكتاب الله ، قال : أما إن نبيكم ﷺ قال : إن هذا القرآن يرفع الله به أقواماً ويضع به آخرين ، عاش إلى سنة نيف وسبعين . له ترجمة في : (سير أعلام النبلاء) : ٣ / ٢٠١ - ٢٠٣ ، ترجمة رقم (٤٣) ، (طبقات ابن سعد) : ٥ / ٤٦٢ ، (طبقات خليفة) : ت (٦٧٧) ، (٩٤٥) ، (٢٥٢٧) ، (التاريخ الكبير) : ٥ / ٢٤٥ ، (الجرح والتعديل) : ٥ / ٢٠٩ ، (تهذيب الأسماء واللغات) : ١ / ٢٩٣ .

(٣) هو عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله بن أبي مُليكة بن عبد الله بن جُدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة . أمه ميمونة بنت الوليد بن أبي حسين بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ، واسم أبي مُليكة : زهير ولم يكن لعبد الله بن عبيد الله عقب . نافع ابن عمر قال : قال لي ابن أبي مليكة ، وسمع أناساً يستثقلون قراءة قُرائهم فقال : قد كنتُ أقوم بسورة الملائكة في ركعة واحدة فما شكا ذلك أحد . قال محمد ابن عمر : وكان ابن أبي مليكة يقوم بالناس في شهر رمضان بمكة بعد عبد الله بن السائب . وتوفي عبد الله ابن أبي مليكة بمكة سنة سبع عشرة ومائة ، وكان قد روى عن ابن عباس ، وعائشة ، وابن الزبير ، وعقبة ابن الحارث، وكان ثقة كثير الحديث . (طبقات ابن سعد) : ٥ / ٤٧٢ - ٤٧٣ .

(٤) هو عبد الله بن كثير بن عمر بن عبد الله بن زاذان بن فيروزان ، بن هرمز ، الإمام العلم ، مقرىء مكة ، وأحد القراء السبعة أبو معبد الكناني الداري المكيّ مولى عمرو بن علقمة الكناني ، وقيل : يكنى أبا عباد ، وقيل : أبا بكر ، فارسيّ الأصل . قرأ على مجاهد ودرباس مولى ابن عباس ، وقد حدَّث عن ابن الزبير وأبي المنهال عبد الرحمن بن مطعم وغيرهم . وهو قليل الحديث . روى عنه أيوب وابن جريج وآخرون . وَثَّقَهُ علي بن المديني وغيره ، ولد بمكة سنة (٤٨) ومات سنة عشرين ومائة . له ترجمة في : (طبقات خليفة) : ٢٢٨٢ ، (التاريخ الكبير) : ٥ / ١٨١ ، (التاريخ الصغير) : ١ / ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، (الجرح والتعديل) : ٥ / ١٤٤ ، (سير أعلام النبلاء) : ٥ / ٣١٨ - ٣٢٢ ، ترجمة رقم (١٥٥) .

(٥) هو حميد بن قيس الأعرج المكي أبو صفوان القارىء الأسدي مولاهم ، وقيل : مولى عفراء . قال ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث ، وكان قارىء أهل مكة ، وقال أبو طالب : سألت أحمد عنه فقال : هو ثقة وقال الدوري وغيره عن ابن معين : حميد بن قيس الأعرج ثقة . قال ابن حبان : =

ومحمد بن عبد الرحمن بن محيصن[1] ، وشبل بن عباد[2] ، وأخذ عن هؤلاء إسماعيل ابن عبد الله بن قسطنطين ، وعليه قرأ الإمام الشافعي - [رحمة] الله عليه - القرآن ، فصار مرجع [قراءة] أهل مكة إلى عبد الله بن كثير بن المطلب ، إلى معبد مولى عمرو بن علقمة الكناني ، الداري المكي ، إمام أهل مكة في القراءات ، وأحد الأئمة السبعة ، قرأ عليه عبد الله بن السائب المخزومي ، وعلي مجاهد ودرباس ، مولى عبد الله بن عباس ، وتصدر للإفتاء ، وصار إمام أهل مكة في ضبط القرآن ، قرأ عليه أبو عمرو بن العلاء ، وشبل بن عباد ، ومعروف بن مشكان ، وإسماعيل ابن قسطنطين ، وطائفة . وتوفي سنة عشرين ومائة ، وقيل : سنة اثنتين وعشرين .

* * *

مات سنة (١٣٠) ، وقال ابن سعد : توفي في خلافة أبي العباس . له ترجمة في : (تهذيب التهذيب) : ٥ / ٤٨٦ ، (ثقات ابن حبان) : ٦ / ١٨٩ .

(١) هو محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي المكي المقرىء ، قارىء أهل مكة مع ابن كثير ، ولكن قراءته شاذة ، فيها ما ينكر وسنده غريب ، وقد اختلف في اسمه على عدة أقوال . قرأ على مجاهد ، وسعيد بن جبير ، ودرباس مولى ابن عباس ، وعنه ابن جريج ، وشبل بن عباد ، وعبد الله بن المؤمل المخزومي ، وهشيم ، وابن عيينة وآخرون ، وقرأ عليه أبو عمرو بن العلاء ، وشبل ، وعيسى بن عمر . توفي سنة ثلاث وعشرين ومائة . له ترجمة في : (الوافي بالوفيات) : ٣ / ٢٢٣ ، (تاريخ الإسلام) : ٤ / ٢٢٠ - ٢٢١ (شذرات الذهب) : ١ / ١٦٢ .

(٢) هو شبل بن عباد المكي ، روى عن عمرو بن دينار وقيس بن سعد ، وعبد الله بن كثير ، وابن أبي نجيح . روى عنه ابن عيينة ، وابن المبارك ، وأبو أسامة ، وأبو نعيم . وشبل بن عباد المكي ثقة ، مات سنة ثمان وأربعين ومائة . له ترجمة في : (الجرح والتعديل) : ٤ / ٣٨٠ ، ترجمة رقم (١٦٥٩) ، (ثقات ابن حبان) : ٨ / ٣١٢ ، (تهذيب التهذيب) : ٤ / ٢٦٨ ، ترجمة رقم (٥٣٢) .

[التابعون بالبصرة من القراء]

وأما التابعون بالبصرة الذين اعتنوا بالقراءات ، واجتهدوا في تعلم الأحرف ، فهم : أبو رجاء العُطاردي[1] ، والحسن بن أبي الحسن[2] ، وأبو العالية[3] ، وغيرهم .

---

(١) هو أبو رجاء العُطاردي ، الإمام الكبير ، شيخ الإسلام ، عمران بن مِلْحان التميمي البصري ، من كبار المخضرمين ، أدرك الجاهلية ، وأسلم بعد فتح مكة ، ولم ير النبي ﷺ ، حدَّث عن عمر ، وعليّ ، وعمران بن حُصَين ، وعبد الله بن عباس ، وسَمُرَةَ بن جُندب ، وأبي موسى الأشعري ، وتلقن عليه القرآن ، ثم عرضه على ابن عباس ، وهو أسنُّ من ابن عباس ، قرأ عليه أبو الأشهب العُطاردي وغيره ، وحدث عنه أيوب ، وابن عون ، وخلق كثير . قال ابن عبد البر وغيره : مات أبو رجاء سنة خمس ومائة . له ترجمة في : (طبقات ابن سعد) : ٧ / ١٣٨ ، (طبقات خليفة) : ت ١٥٦٤ ، (تاريخ البخاري) : ٦ / ٤١٠ ، (المعارف) : ٤٢٧ ، (الجرح والتعديل) : ٣ / ٣٠٣ ، (حلية الأولياء) : ٢ / ٣٠٤ ، (الاستيعاب) : ٤ / ١٦٥٧ ، ت ٢٩٤٩ ، (طبقات الحفاظ للسيوطي) : ٣٢ ، ت ٥٥ ، (شذرات الذهب) : ١ / ١٣٠ ، (تهذيب التهذيب) : ٨ / ١٢٤ ، (سير أعلام النبلاء) : ٤ / ٢٥٣ - ٢٥٧ ، ترجمة رقم (٩٣) .

(٢) هو الحسن بن أبي الحسن يسار البصري ، أبو سعيد ، مولى زيد بن ثابت ، وقيل : جابر بن عبد الله ، وقيل : أبو اليسر ، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر ، قال أبو بردة : أدركت الصحابة فما رأيتُ أحداً أشبه بهم من الحسن . وقال خالد بن رباح الهذلي : سُئل أنس بن مالك عن مسألة فقال : سلوا مولانا الحسن ، فقيل له في ذلك ، فقال : إنه سمع وسمعنا ، فحفظ ونسينا ، وقال سليمان التيمي : الحسن شيخ أهل البصرة ، مات في رجب سنة عشر ومائة ، له ترجمة مطولة في : (طبقات ابن سعد) : ٧ / ١٢٨ ، (تهذيب التهذيب) : ٢ / ٢٣١ - ٢٣٦ ، ترجمة رقم (٤٨٨) ، (حلية الأولياء) : ٢ / ١٣١ ، (شذرات الذهب) : ١ / ١٣٦ ، (ميزان الاعتدال) : ١ / ٥٢٧ ، (وفيات الأعيان) : ٢ / ٦٩ - ٧٣ ، ترجمة رقم (١٥٦) .

(٣) هو أبو العالية رُفَيع بن مهران ، الإمام المقرىء ، الحافظ المفسّر ، أبو العالية الرياحيّ البصري ، أحد الأعلام ، أدرك زمان النبي ﷺ وهو شاب ، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق ، ودخل عليه ، وسمع من عُمر ، وعلي ، وأُبَيّ ، وأبي ذرّ ، وابن مسعود ، وعائشة ، وأبي موسى ، وأبي أيوب ، وابن عباس ، وزيد بن ثابت ، وعدَّة . وحفظ القرآن ، وقرأه على أُبيّ بن كعب ، وتصدر لإفادة العلم ، مات أبو العالية في شوال سنة تسعين ، وقال البخاري وغيره : مات سنة ثلاث وتسعين . له ترجمة في : (طبقات الحفاظ للسيوطي) : ٢٩ ت (٤٩) ، (شذرات الذهب) : ١ / ١٠٢ ، (طبقات ابن سعد) : ٧ / ١١٢ - ١١٧ ، (اللباب في تهذيب الأنساب) : ١ / ٤٨٣ ، (الزهد للإمام أحمد) : ٣٠٢ ، (طبقات خليفة) : ت (١٦٣٤) ، (تاريخ البخاري) : ٣ / ٣٢٦ ، (تهذيب الأسماء واللغات) : ٢ / ٢٥١ ، (سير أعلام النبلاء) : ٤ / ٢٠٧ - ٢١٣ ، ت (٨٥) .

وأخذ عنهم جماعة مثل : قتادة[1] ، وجابر بن زيد[2] ، [وهو] أبو الشعثاء[3] في آخرين .

وأخذ عن هذه الطبقة : أبو عمرو بن العلاء[4] ، وأيوب السّختيانى[5] ،

---

(١) هو قتادة بن دِعامة بن قتادة السدوسي ، أبو الخطاب الأكمه ، أحد الأعلام . روى عن أنس ، وعبد الله بن سرجس ، وأبي الطفيل ، وسعيد بن المسيب ، والحسن ، وابن سيرين ، وخلق . وعنه أبو حنيفة وأيوب ، وشعبة ، ومِسْعَر ، والأوزاعي ، وحماد بن سلمة ، وأبو عوانة ، وخلق . قال سعيد بن المسيب : ما أتاني عراقيّ أحفظ من قتادة . وقال أحمد : كان قتادة أحفظ أهل البصرة ، لم يسمع شيئاً إلا حفظه ، وكان من العلماء ، وُلد سنة ستين ، ومات سنة سبع عشرة ومائة . له ترجمة في : (طبقات الحفاظ للسيوطي) : ٥٤ ، ت (١٠٤) ، (طبقات ابن سعد) : ٧ / ٢٢٩ ، (طبقات خليفة) ٢١٣ ، (تاريخ خليفة) : ٣٣٢ و ٣٤٨ ، (التاريخ الكبير) : ٧ / ١٨٥ ، (التاريخ الصغير) : ١ / ٢٨٢ ، (المعارف) : ٤٦٢ ، (الجرح والتعديل) : ٧ / ١٣٣ ، (جمهرة الأنساب) : ٣١٨ ، (تهذيب الأسماء واللغات) : ٢ / ٥٧ ، (وفيات الأعيان) : ٤ / ٨٥ - ٨٦ ، (تهذيب التهذيب) : ٨ / ٣١٥ ، (ميزان الاعتدال) : ٣ / ٣٨٥ ، (شذرات الذهب) : ١ / ١٥٣ ، (سير أعلام النبلاء) : ٥ / ٢٦٩ - ٢٨٣ ، ترجمة رقم (١٣٢) .

(٢) هو جابر بن زيد أبو الشعْثاء الأزدي اليحمدي الجَوْفِيّ . قال ابن عباس رضي الله عنهما : لو أن أهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد لأوسعهم علماً من كتاب الله . وقال الزيات : سألت ابن عباس عن شيء فقال : تسألوني وفيكم جابر بن زيد ، وهو أحد العلماء ؟ مات سنة ثلاث وتسعين ، أو ثلاث ومائة أو أربع ومائة . له ترجمة في : (طبقات الحفاظ للسيوطي) : ٣٥ ، ت (٦٥) ، (تهذيب التهذيب) : ٢ / ٣٨ ، (شذرات الذهب) : ١ / ١٠١ ، (طبقات ابن سعد) : ٧ / ١٣٠ ، (اللباب) : ١ / ٢٥٤ ، (سير أعلام النبلاء) : ٤ / ٤٨١ - ٤٨٣ ، ت (١٨٤) .

(٣) في (خ) : « وأبو الشعثاء » .

(٤) هو أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان التميمي ، ثم المازني البصري ، شيخ القراء والعربية ، وأمه من بني حنيفة . اختلف في اسمه على أقوال : أشهرها زبَّان ، وقيل العُريان ، مولده في نحو سنة سبعين ، وكان من أشراف العرب ، ومن أهل السنة ، قال يحيي بن معين : ثقة . توفي في سنة أربع وخمسين ومائة ، وقيل سنة سبع وخمسين ومائة . له ترجمة في : (تاريخ البخاري) : ٩ / ٥٥ ، (وفيات الأعيان) : ١ / ٤٦٦ - ٤٧٠ ، (فوات الوفيات) : ١ / ٢٣١ ، (تهذيب التهذيب) : ١٢ / ١٩٧ ، (طبقات القراء لابن الجزري) : ١ / ٢٨٨ ، (سير أعلام النبلاء) : ٦ / ٤٠٧ - ٤١٠ ، ترجمة رقم (١٦٧) .

(٥) أيوب السَّخْتِياني ، الإمام الحافظ ، سيد العلماء ، أبو بكر بن أبي تميمة كَيْسان العنَزي ، عداده في صغار التابعين ، سمع من أبي بريد عمرو بن سلمة الجَرْميّ ، وأبي عثمان النهدي ، وسعيد بن جبير ، وخلق سواهم . حدَّث عنه الزهري وقتادة - وهم من شيوخه - وشعبة ، وسفيان ، ومالك ، وأمم سواهم . مولده عام توفي ابن عباس سنة ثمان وستين ، قال محمد بن سعد : كان أيوب ثقة ، ثبتاً في الحديث ، جامعاً ، كثير العلم ، حجّة ، عدلاً ، وقال الذهبي : إليه المنتهى في الإتقان . توفي سنة إحدى =

وعمرو بن عبيد[1] ، ورجع أهل البصرة إلى حاتم سهل بن محمد السجستاني[2] ، غير أن الاعتماد في القراءة على أبي عمرو بن العلاء المازني المقرىء النحوي البصري ، واسمه على الأصح : زبان بن العلاء بن عمار ، وأخذ القراءة عن أهل الحجاز وأهل البصرة ، فعرض بمكة على مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة بن خالد وابن كثير ، وقيل : أنه قرأ على أبي العالية ولم يصح ، وقيل : أنه عرض بالمدينة على أبي جعفر يزيد بن القعقاع ، وعلى يزيد بن رومان ، وشيبة بن نصاح ، وعرض بالبصرة على يحيى بن يعمر ، ونصر ابن عاصم ، والحسن البصري وغيرهم .

قرأ عليه خلق كثير منهم : يحيى بن المبارك اليزيدي ، وعبد الوارث بن سعيد السوري ، وعبد الله بن المبارك ، وجماعات . وإليه انتهت الإمامة في القراءة بالبصرة ، وكان قد عرف القراءات ، فقرأ من كل قراءة مما استحسنه وتختار العرب ، وما بلغة من لغة رسول الله ﷺ وجاء تصديقه في كتاب الله تعالى . قال يونس : لو كان يَنْبَغي لأحد أن يؤخذ قوله كله ، لكان ينبغي أن يؤخذ قول أبي عمرو ، ولكن ليس من أحد إلا وأنت تأخذ من قوله وتترك . وأخافه الحجاج ، فاستتر لأن عمه كان عاملاً له فهرب ، فطلب الحجاج أبا عمرو فاختفى وقال : ما رأيت أعلم مني . مات سنة أربع وخمسين ومائة .

وثلاثين ومائة بالبصرة ، زمن الطاعون ، وله ثلاث وستون سنة ، وآخر من روي حديثه عالياً : أبو الحسن ابنُ البخاري . له ترجمة في : (سير أعلام النبلاء) : ٦ / ١٥ - ٢٦ ، ترجمة رقم (١٥) ، (طبقات ابن سعد) : ٧ / ٢٤٦ ، (حلية الأولياء) : ٣ / ٢ - ١٤ ، (تهذيب التهذيب) : ١ / ٣٩٧ ، (شذرات الذهب) : ١ / ١٨١ ، (طبقات الحفاظ للسيوطي) : ٥٩ ، ترجمة رقم (١١٥) .

(١) هو عمرو بن عبيد الزاهد ، العابد ، القدريّ ، كبير المعتزلة وأولهم ، أبو عثمان البصري ، وعنه الحمادان وابن عيينة وآخرون . وقال النسائي : ليس بثقة ، وقال ابن المبارك : دعا إلى القدر فتركوه . اغترّ بزهده وإخلاصه ، وأغفل بدعته . مات بطريق مكة سنة ثلاث . وقيل سنة أربع وأربعين ومائة . له ترجمة في : (سير أعلام النبلاء) : ٦ / ١٠٤ -١٠٦ ، ترجمة رقم (٢٧) ، (ثقات ابن حبان) : ٣ / ١٤٧ ، (تاريخ بغداد) : ١٢ / ١٦٦ - ١٨٨ ، ترجمة رقم (٦٦٥٢) ، (وفيات الأعيان) : ٣ / ٤٦٠ - ٤٦٢ ، (ميزان الاعتدال) : ٣ / ٢٧٣ ، (البداية والنهاية) / ٨ / ١٩ ، ١٠ / ١٣١ - ١٣٣ ، (تهذيب التهذيب) : ٨ / ٣٠ ، (شذرات الذهب) : ١ / ٢١٠ .

(٢) هو أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد الجشَميّ السّجسْتاني النحوي اللغوي المقرىء ، نزيل=

[التابعون بالشام من القراء]

وأما التابعون بالشام الذين عنوا بالقراءات ومعرفة اللغات ، فمنهم : المغيرة بن أبي شهاب[١] ، ويعلي بن شداد بن أَوْس[٢] ، وميمون بن مهران[٣] ، وشهر بن حوشب[٤] ، وأخذ عنهم القراءات عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة ، أبي عمران على الأصح ، أدرك [صحبة] رسول الله ﷺ وقرأ على معاذ بن جبل ، وأبي الدرداء ، ومعاوية بن أبي سفيان ، ووائلة بن الأصبغ ، وقرأ على المغيرة بن أبي شهاب

البصرة وعالمها ، كان إماماً في علوم الآداب ، وعنه أخذ علماء عصره . قال المبرّد : سمعته يقول : قرأتُ كتاب سيبويه على الأخفش مرتين ، وكان كثير الرواية عن أبي زيد الأنصاري ، وأبي عبيدة والأصمعي ، عالماً باللغة والشعر ، وكان صالحاً عفيفاً ، يتصدق كل يوم بدينار ، ويختم القرآن في كل أسبوع ، وكانت وفاته في المحرم ، وقيل رجب ما بين سنة ثمان وأربعين وخمس وخمسين ومائتين ، على خلاف بين أهل التواريخ . له ترجمة في : (وفيات الأعيان) : ٢ / ٤٣٠ - ٤٣٣ ، ترجمة رقم (٢٨٢) ، (تهذيب التهذيب) : ٤ / ٢٥٧ ، (شذرات الذهب) : ٢ / ١٢١ .

(١) لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من مراجع .

(٢) هو يعلي بن شداد بن أوس ، شيخ مستور مَحَلُّهُ الصدق ، بعض الأئمة توقف في الاحتجاج بخبره ، يروي عن أبيه شداد بن أوس ، وعبادة بن الصامت ، حدث عنه سليمان بن يُسير ، وأبو سنان عيسى بن سنان ، وجماعة ، وقد وُثق . له ترجمة في : (ميزان الاعتدال) : ٤ / ٤٥٧ ترجمة رقم (٩٨٣٥) .

(٣) هو ميمون بن مهران ، الإمام الحجة ، عالم الجزيرة ومفتيها ، أبو أيوب الجزري الرَّقي ، أعتقته امرأة من بني نصْر بن معاوية بالكوفة فنشأ بها ، ثم سكن الرَّقة . حدَّث عن أبي هريرة ، وعائشة ، وابن عباس ، وابن عمر ، وعدة . روى عنه ابنه عمرو ، وحُميد الطويل ، وسليمان الأعمش ، وخلق سواهم ، كان ولي خراج الجزيرة وقضاءها ، وكان من العابدين ، قال ابن سعد : ثقة ، كثير الحديث ، وقال العجلي والنسائي : ميمون ثقة . توفي سنة سبع عشر ومائة ، له ترجمة في (تهذيب سير أعلام النبلاء) : ١ / ١٧٥ ، ترجمة رقم (٦٥٤) ، (حلية الأولياء) : ٤ / ٨٢ - ٩٧ ، ترجمة رقم (٢٥١) ، (شذرات الذهب) : ١ / ١٥٤ ، (تهذيب التهذيب) : ١٠ / ٣٤٩ ، ترجمة رقم (٧٠٣) ، (طبقات الحفاظ للسيوطي) : ٤٦ .

(٤) هو شُهْر بن حَوْشَب ، أبو سعيد الأشعري الشامي ، مولى الصحابية أسماء بنت يزيد الأنصارية ، كان من كبار علماء التابعين ، حدَّث عن مولاته أسماء ، وعن أبي هريرة ، وعائشة ، وابن عباس ، وعبد الله بن عمرو ، وأم سلمة ، وأبي سعيد الخدري ، وعدة ، حدَّث عنه : قتادة ، ومعاوية بن مرة ، وعبد الحميد بن بَهْرام ، توفي سنة مئة ، وقيل : غير ذلك . له ترجمة في : (سير أعلام النبلاء) : ٤ / ٣٧٢ - ٣٧٨ ، ترجمة رقم (١٥١) ، (طبقات ابن سعد) : ٧ / ٤٤٩ ، (طبقات خليفة) : ترجمة رقم (٢٩٣١) ، (تاريخ البخاري) : ٤ / ٢٥٨ ، (المعارف) : ٤٤٨ ، (حلية الأولياء) : ٦ / ٥٩ ، (شذرات الذهب) : ١ / ١١٩ .

صاحب أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وقيل : عرض على عثمان ، وقرأ على فضالة بن عبيد ، وروى عنه القراءة عرضاً يحيى بن الحرث الذماري . مات سنة ثمان وعشر ومائة[1] .

* * *

(١) له ترجمة مستوفاه في : (طبقات القراء) ، ١ / ٤٢٣ ، (طبقات خليفة) : ٢٣٥ ، (التاريخ الصغير) : ١ / ١٠٠ ، ١٦٤ ، (ميزان الاعتدال) : ٢ / ٤٩٩ ، (تهذيب التهذيب) : ٥ / ٢٤٠ ، (سير أعلام النبلاء) : ٥ / ٢٩٢ - ٢٩٣ ، ترجمة رقم (١٣٨) .

[التابعون بالكوفة من القراء]

وأما التابعون بالكوفة ، الذين اجتهدوا في علم القراءات ، فجماعة منهم : علقمة بن قيس[1] ، والربيع بن خُثَيْم[2] ، ومسروق بن الأجدع[3] ، والأسود بن يزيد[4] ، ....

---

(١) هو علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك بن علقمة بن سلامان بن كهل ، وقيل : ابن كهيل بن بكر ابن عوف ، ويقال : ابن المنتشر بن النخع ، النخعي ، الكوفي ، فقيه الكوفة وعالمها ومقرئها ، عم الأسود بن يزيد ، وأخيه عبد الرحمن ، وخال فقيه العراق إبراهيم النخعي ، ولد في أيام الرسالة المحمدية ، وعداده في المخضرمين ، وتصدى للإمامة والفُتيا بعد عليّ وابن مسعود ، وكان طلبتُه يسألونه ويتفقهون به والصحابة متوافرون . مات علقمة في خلافة يزيد سنة إحدى وستين ، وقيل غير ذلك . وقد عاش تسعين سنة . له ترجمة في : (سير أعلام النبلاء) : ٤ / ٥٣ - ٦١ ، ترجمة رقم (١٤) ، (طبقات خليفة) : ترجمة رقم (١٠٥٤) ، (طبقات الحفاظ للسيوطي) : ٢٠ ، ترجمة رقم (٢٤) ، (تاريخ البخاري) : ٧ / ٤١ ، (المعارف) : ٤٣١ ، (الجرح والتعديل) : ٣ / ٤٠٤ ، (حلية الأولياء) : ٢ / ٩٨ ، (تاريخ بغداد) : ١٢ / ٢٩٦ ، (تهذيب الأسماء و اللغات) : ١ / ٣٢٤ ، (مرآة الجنان) : ١ / ١٣٧ ، (شذرات الذهب) : ١ / ٧٠ .

(٢) هو الربيع بن خُثَيْم بن عائذ ، الإمام القدوة العابد ، أبو يزيد الثوري الكوفي ، أحد الأعلام . أدرك زمان النبي ﷺ ، وأرسل عنه ، وروى عن عبد الله بن مسعود ، وأبي أيوب الأنصاري ، وعمرو ابن ميمون ، وهو قليل الرواية إلا أنه كبير الشأن ، حدث عنه الشعبي وآخرون ، وكان يُعد من عقلاء الرجال ، توفي قبل سنة خمس وستين . له ترجمة في (طبقات ابن سعد) : ٦ / ١١٨ ، (طبقات خليفة) : ترجمة رقم ٩٩٢ ، (تاريخ البخاري) : ٣ / ٢٦٩ ، (المعارف) : ٤٩٧ ، (الجرح والتعديل) : ٢ / ٤٥٩ ، (حلية الأولياء) : ٢ / ١٠٥ ، (سير أعلام النبلاء) : ٤ / ٢٥٨ - ٢٦٢ ، ترجمة رقم (٩٥) ، (تهذيب التهذيب) : ٣ / ٢١٠ .

(٣) هو مسروق بن الأجدع ، الإمام القدوة ، العلم ، أبو عائشة الوداعيّ ، الهمدانيّ ، الكوفي ، وهو مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية بن عبد الله بن مرة بن سليمان بن معمر ، ويقال : سلامان ابن معمر بن الحارث بن سعد بن عبد الله بن وداعة بن عمر بن ناشح بن دافع بن مالك بن جشم ابن حاشد بن جشم بن حَيْوان بن نَوْف بن همدان . وعداده في كبار التابعين وفي المخضرمين الذين أسلموا في حياة النبي ﷺ ، مات سنة اثنتين وستين ، وقيل : سنة ثلاث وستين ، له ترجمة في : (سير أعلام النبلاء) : ٤ / ٦٣ - ٦٩ ، ترجمة رقم (١٧) ، (طبقات ابن سعد) : ٦ / ٧٦ ، (طبقات خليفة) : ترجمة رقم (١٠٦٦) ، (تاريخ البخاري) : ٨ / ٣٥ ، (المعارف) : ٤٣٢ ، (الجرح والتعديل) : ٤ / ٣٩٦ ، (حلية الأولياء) : ٢ / ٩٥ ، (تاريخ بغداد) : ١٣ / ٢٣٢ ، (تهذيب الأسماء واللغات) : ٢ / ٨٨ ، (طبقات الحفاظ للسيوطي) : ٢١ ، ترجمة رقم (٢٠٦) .

(٤) هو الأسود بن يزيد بن قيس ، الإمام ، القدوة ، أبو عمرو النخعيّ الكوفيّ ، وقيل : يكنى أبا عبد الرحمن =

وأبو وائل شقيق بن سلمة(١) ، وعامر بن شراحبيل الشعبي(٢) ، وأبو عبد الرحمن السُّلَمي(٣) ،

= وهو أخو عبد الرحمن بن يزيد ، ووالد عبد الرحمن بن الأسود ، وابن أخي علقمة بن قيس ، وخال إبراهيم النخعي ، فهؤلاء أهل بيت من رؤوس العلم والعمل . وكان الأسود مخضرماً ، أدرك الجاهلية والإسلام . وحدَّث عن معاذ بن جبل ، وبلال ، وابن مسعود ، وعائشة ، وحذيفة بن اليمان ، وطائفة سواهم . حدَّث عنه ابنه عبد الرحمن ، والشعبي وآخرون ، وهو نظير مسروق في الجلالة ، والعلم ، والثقة ، والسنّ ، يُضرب بعبادتهما المثل . نقل العلماء في وفاة الأسود أقوالاً أرجحها سنة خمس وسبعين . له ترجمة في : (طبقات خليفة) : ترجمة رقم(١٢٥٥) ، (تاريخ البخاري) : ١ / ٤٤٩ ، (المعارف) : ٤٣٢ ، (الجرح والتعديل) : ١ / ٢٩١ ، (حلية الأولياء) : ٢ / ١٠٢ ، (تهذيب الأسماء واللغات) : ١ / ١٢٢ ، (تهذيب التهذيب) : ١ / ٢٩٩ ، (شذرات الذهب) : ١ / ٨٢ ، (الاستيعاب) : ١ / ٩٢ ، ترجمة رقم (٥٣) ، (طبقات الحفاظ للسيوطي) : ٢٢ ، ترجمة رقم (٢٩) .

(١) هو شقيق بن سلمة ، الإمام الكبير شيخ الكوفة ، أبو وائل الأسديُّ ، أسد خزيمة الكوفي ، مُخضرم أدرك النبي ﷺ وما رآه . قال إسحاق بن منصور عن ابن معين : أبو وائل ثقة ، لا يُسأل عن مثله . مات سنة اثنتين وثمانين . له ترجمة في : (سير أعلام النبلاء) : ٤ / ١٦١ -١٦٦ ، ترجمة رقم (٥٩) ، (طبقات خليفة) : ترجمة رقم (١١١٤) ، (تاريخ البخاري) : ٤ / ٢٤٥ ، (المعارف) : ٤٤٩ ، (الجرح والتعديل) : ٢ / ٣٧١ ، (حلية الأولياء) : ٤ / ١٠١ ، (الاستيعاب) : ترجمة رقم (١٢٠١) ، (تاريخ بغداد) : ٩ / ٢٦٨ ، (تهذيب الأسماء واللغات) : ١ / ٢٤٧ ، (وفيات الأعيان) : ٢ / ٤٧٦ ، ترجمة رقم (٢٩٦) ، (تهذيب التهذيب) : ٤ / ٣١٧ ، (طبقات الحفاظ للسيوطي) : ٢٨ ، ترجمة رقم (٤٤) .

(٢) هو الشعبي عامر بن شراحبيل بن عبد بن ذي كبار - وذو كبار : قيلٌ من أقيال اليمن - الإمام العلامة ، أبو عمرو الهَمْداني ثم الشعبي ، ويقال : هو عامر بن عبد الله ، كانت أمه من سبي جلولاء . مولده في إمرة عمر بن الخطاب لستّ سنين خلت منها ، وقيل : ولد سنة إحدى وعشرين ، وقيل : سنة ثمان وعشرين ، رأى علياً رضي الله تعالى عنه وصلّى خلفه ، وسمع من عدة من كبراء الصحابة . قال ابن عيينة : علماء الناس ثلاثة : ابن عباس في زمانه ، والشعبي في زمانه ، والثوري في زمانه . وقال الواقدي : مات سنة خمس ومائة عن سبع وسبعين سنة ، له ترجمة في : (طبقات ابن سعد) : ٦ / ٢٤٧ ، (طبقات خليفة) : ترجمة رقم (١١٤٤) ، (تاريخ البخاري) : ٦ / ٤٥٠ ، (المعارف) : ٤٤٩ ، (الجرح والتعديل) : ٣ / ٣٢٢ ، (حلية الأولياء) : ٤ / ٣١٠ ، (تاريخ بغداد) : ١٢ / ٢٢٧ ، (وفيات الأعيان) : ٣ / ١٢ ، ترجمة رقم (٣١٧) ، (اللباب) : ٢ / ٢١ ، (تهذيب التهذيب) : ٥ / ٥٧ ، (شذرات الذهب) : ١ / ٢٦ ، (طبقات الحفاظ للسيوطي) : ٤٠ ، ترجمة رقم (٧٤) .

(٣) هو أبو عبد الرحمن السلمي مقرىء الكوفة ، الإمام العلم ، عبد الله بن حبيب بن رُبَيِّعة الكوفي ، من أولاد الصحابة ، مولده في حياة النبي ﷺ . قرأ القرآن وجَوَّدَهُ ومهر فيه ، وعرض على عثمان ، وعلى عليّ ، وابن مسعود ، وقد كان ثبتاً في القراءة ، وفي الحديث ، حديثه مُخرَّج في الكتب الستة ، توفي سنة أبع وسبعين ، وقيل غير ذلك . له ترجمة في : (طبقات الحفاظ للسيوطي) : ٢٧ ، ترجمة رقم (٤١) =

وزر بن حبيش[1] ، وأخذ عنهم طبقة دونهم : كإبراهيم النخعي[2] ، وسماك بن حرب[3] ،

(تهذيب التهذيب) : ٥ / ١٦١ ، (طبقات ابن سعد) : ٦ / ١٧٢ ، (طبقات خليفة) : ترجمة رقم (١١٠٢) ، (تاريخ البخاري) : ٥ / ٧٢ ، (المعارف) : ٥٢٨ ، (الجرح والتعديل) : ٢ / ٣٧ ، (حلية الأولياء) : ٤ / ١٩١ ، (تاريخ بغداد) : ٩ / ٤٣٠ ، (تهذيب التهذيب) : ٥ / ١٦١ ترجمة رقم (٣١٧) ، (سير أعلام النبلاء) : ٤ / ٢٦٧ - ٢٧٢ ، ترجمة رقم (٩٧) .

(١) هو زِرُّ بن حُبَيْش بن حباشة بن أوس ، الإمام القدوة ، مقرىء الكوفة مع السُّلَمي ، أبو مريم الأسدي الكوفي ، ويكنى أيضاً أبا مطرف ، أدرك أيام الجاهلية ، وقرأ على ابن مسعود وعليّ ، وتصدَّر للإقراء ، فقرأ عليه يحيى بن وثاب ، وأبو إسحاق والأعمش ، وغيرهم وحدَّثوا عنه . قال ابن سعد : كان ثقة ، كثير الحديث ، وقال عاصم : من أعرب الناس ، كان ابن مسعود يسأله عن العربية ، مات سنة إحدى أو اثنتين وثمانين وله ترجمة في : (سير أعلام النبلاء) : ٤ / ١٦٦ - ١٧٠ ، ترجمة رقم (٦٠) ، (طبقات ابن سعد) : ٦ / ١٠٤ ، (طبقات خليفة) : ترجمة رقم (٩٨٣) ، (تاريخ البخاري) : ٣ / ٤٤٧ ، (المعارف) : ٤٢٧ ، (الجرح والتعديل) : ٢ / ٦٢٢ ، (حلية الأولياء) : ٤ / ١٨١ ، (الاستيعاب) : ترجمة رقم (٨٦٩) ، (تهذيب الأسماء واللغات) : ١ / ١٩٦ ، (تهذيب التهذيب) : ٣ / ٢٧٧ ، (طبقات الحفاظ للسيوطي) : ٢٦ ، ترجمة رقم (٣٩) ، (شذرات الذهب) : ١ / ٩١ .

(٢) هو إبراهيم النَّخَعيّ ، الإمام الحافظ ، فقيه العراق ، أبو عمران ، إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود ابن عمرو بن ربيعة بن ذَهْل بن سعد بن مالك النخعي ، اليماني ثم الكوفي ، أحدُ الأعلام ، وهو ابن مليكة أخت الأسود بن يزيد ، ولم نجد له سماعاً من الصحابة المتأخرين الذين كانوا معه بالكوفة ، وكان بصيراً بعلم ابن مسعود ، واسع الرواية ، فقيه النفس ، كبير الشأن ، كثير المحاسن ، كان مفتي أهل الكوفة هو والشعبي في زمانهما ، وكان رجلاً صالحاً ، متوقياً ، قليل التكلف وهو مختف من الحجاج ، مات سنة ست وتسعين . له ترجمة في : (سير أعلام النبلاء) : ٤ / ٥٢٠ - ٥٢٩ ، ترجمة رقم (٢١٣) ، (طبقات ابن سعد) : ٦ / ٢٧٠ ، (طبقات خليفة) : ترجمة رقم (١١٤٠) ، (تاريخ البخاري) : ١ / ٣٣٣ ، (المعارف) : ٤٦٣ ، (الجرح والتعديل) : ١ / ١٤٤ ، (حلية الأولياء) : ٤ / ٢١٩ ، (تهذيب الأسماء واللغات) : ١ / ١٠٤ ، (وفيات الأعيان) : ١ / ٢٥ ، (تهذيب التهذيب) : ١ / ١١٠ ، (طبقات الحفاظ للسيوطي) : ٣٦ : ترجمة رقم (٦٨) .

(٣) هو سماك بن حرب بن أوس بن خالد بن نزار بن معاوية بن حارثة ، الحافظ ، الإمام الكبير ، أبو المغيرة الذهلي ، البكري الكوفي ، أخو محمد وإبراهيم ، له نحو مائتي حديث ، وقال النسائي : ليس به بأس ، وفي حديثه شيء ، وقال عبد الرحمن بن خراش : في حديثه لين ، وقال آخر ، كان فصيحاً مفوهاً ، يُزينُ الحديثَ منطقُه . مات سنة ثلاث وعشرين ومائة . له ترجمة في : (تهذيب التهذيب) : ٤ / ٢٠٤ ، (سير أعلام النبلاء) : ٥ / ٢٤٥ - ٢٤٨ ، ترجمة رقم (١٠٩) ، (طبقات ابن سعد) : ٦ / ٣٢٣ ، (طبقات خليفة) : ١٦١ ، (تاريخ خليفة) : ٣٦٣ ، (التاريخ الكبير) : ٤ / ١٧٣ ، (الجرح والتعديل) : ٤ / ٢٧٩ ، (المجروحين والضعفاء) : ٢ / ٢٤٩ ، (ميزان

وطلحة بن مصرف[1] ، وأبي إسحاق السبيعي[2] في آخرين .

وعنهم أخذ عاصم بن أبي النجود[3] ، ويحيى بن وثاب[4] ، وأَبان بن تَغْلِب[5]

= الاعتدال) : ٢ / ٢٣٢ ، (الثقات) : ٣ / ١٠٣ ، (خلاصة تذهيب الكمال) : ١٥٥ ، (شذرات الذهب) : ١ / ١٦١ .

(١) هو طلحة بن مُصَرِّف بن عمرو بن كعب ، الإمام الحافظ المقرىء ، المجوِّد ، شيخ الإسلام ، أبو محمد اليامي الهَمْداني الكوفي ، تلا على يحيى بن وثّاب وغيره ، وحدث عن أنس بن مالك ، وعبد الله بن أبي أوفى ، وَمُرَّة الطيب ، وزيد بن وهب ، ومجاهد ، وخيثمة بن عبد الرحمن ، وذرّالهمداني ، وأبي صالح السمان وطائفة . حدَّث عنه ابنه محمد بن طلحة ، ومنصور ، والأعمش ، وشُعبة ، وخلق كثير ، توفي طلحة في آخر سنة اثنتي عشرة ومائة ، له ترجمة في : (طبقات ابن سعد) : ٩ / ٣٠٨ ، (طبقات خليفة) : ١٦٢ ، (التاريخ الكبير) : ٤ / ٣٤٦ ، (التاريخ الصغير) : ١ / ٢٧١ ، (الجرح والتعديل) : ٤ / ٤٧٣ ، (حلية الأولياء) : ٥ / ١٤ ، (تهذيب التهذيب) : ٥ / ٢٣ ، (خلاصة تذهيب الكمال) : ١٨٠ ، (شذرات الذهب) : ١ / ١٤٥ ، (سير أعلام النبلاء) : ٥ / ١٩١ - ١٩٢ ، ترجمة رقم (٧٠) .

(٢) هو أبو إسحاق السبيعي ، عمرو بن عبد الله بن ذي يُحْمِدَ ، وقيل : عمرو بن عبد الله بن على الهمداني الكوفي الحافظ ، شيخ الكوفة وعالمها ومحدثها ، كان رحمه الله من العلماء العاملين ، ومن جلة التابعين ، قال : ولدت لسنتين بقيتا من خلافة عثمان ، ورأيت علي بن أبي طالب يخطب ، كان طَلاَّبَةً للعلم ، كبير القدر ، وهو ثقة حجة بلا نزاع ، وقد كَبِرَ وتغير حفظه تغيّر السِّنّ ، ولم يختلط ، وحديثه محتج به في دواوين الإسلام . قال أحمد بن حنبل ويحيى بن معين : ثقة . توفي أبو إسحاق في سنة سبع وعشرين ومائة . له ترجمة في : (طبقات ابن سعد) : ٦ / ٣١٣ ، ـ٣١٥ ، (طبقات خليفة) : ١٦٢ ، (التاريخ الكبير) : ٦ / ٣٤٧ ، (التاريخ الصغير) : ١ / ٣٢٦ ، (الجرح والتعديل) : ٦ / ٢٤٢ - ٢٤٣ ، (ميزان الاعتدال) : ٣ / ٢٧٠ ، (تهذيب التهذيب) : ٨ / ٥٦ ، (خلاصة تذهيب الكمال) : ٢٩١ ، (شذرات الذهب) : ١ / ١٧٤ ، (طبقات الحفاظ للسيوطي) : ٥٠ ، ترجمة رقم (٩٧) .

(٣) له ترجمة في : (طبقات خليفة) : ١٥٩ ، (التاريخ الكبير) : ٦ / ٤٨٧ ، (التاريخ الصغير) : ٩١٢ ، (الجرح والتعديل) : ٦ / ٣٤٠ ، (وفيات الأعيان) : ٣ / ٩ ، (ميزان الاعتدال) : ٢ / ٣٥٧ ، (تهذيب التهذيب) : ٥ / ٣٥ ، (خلاصة تذهيب الكمال) : ١٨٢ ، (سراج القارىء المبتدى) : ١١ .

(٤) هو يحيى بن وثّاب الإمام القدوة ، المقرىء الفقيه ، شيخ القراء ، الأسديّ الكاهلي ، مولاهم الكوفي ، أحد الأئمة الأعلام ، وتلا على أصحاب عليّ وابن مسعود ، حتى صار أقرأ أهل زمانه . حدَّث عن ابن عباس ، وابن عمر ، وروى مرسلاً عن عائشة ، وأبي هريرة وابن مسعود ، قرأ عليه الأعمش وطائفة ، وحـدَّث عنـه عاصم ، وقتادة ، والأعمش ، وعدة . قال العجلي : هو تابعيّ ثقة ، مقرىء يؤُمُّ قومه . مات سنة ثلاث ومائة . له ترجمة في (طبقات ابن سعد) : ٦ / ٢٩٩ ، (طبقات خليفة) ترجمة رقم ١١١٦ ، (تاريخ البخاري) : ٨ / ٣٠٨ ، (المعارف) : ٥٢٩ ، (الجرح والتعديل) : ٤ / ١٩٣ ، (تهذيب الأسماء واللغات) : ٢ / ١٥٩ ، (تهذيب التهذيب) : ١١ / ٢٥٨ ، (شذرات الذهب) : ١ / ١٢٥ .

(٥) هو أَبانُ بن تَغْلب ، الإمام المقرىء أبو سعد ، وقيل : أبو أمية الرَّبَعيّ ، الكوفيّ ، الشّيعيّ ، لم يُعَدّ في التابعين ، حدَّث عنه عدد كثير ، وهو صدوق في نفسه ، عالم كبير ، وبدعته خفيفة ، لا يتعرض للكبار ، وحديثه يكون=

ومنصور بن المعتمر(١) ، وسليمان بن مهران الأعمش(٢) ، وعنهم أخذ القراءات بالكوفة : حمزة ، والكسائي ، فصار مرجع علم القراءات بالكوفة إلى ثلاثة منهم هم : عاصم ، وحمزة ، والكسائي .

فأما عاصم بن أبي النجود(٣) - واسمه بهدلة على الصحيح - فإنه أَسَديّ بالولاء ، مولى بني جذيمة بن مالك بن نضر بن معين بن أسد ، [يكنى] أبا بكر ، قرأ على أبي عبد الرحمن السلمي ، وزر بن حبيش ، وتصدر للإقراء ، فقرأ عليه خلق كثير ، منهم الأعمش ، والمفضل بن محمد الضبي ، وحماد بن شعيب ، وأبو بكر بن عياش ، وحفص بن سليمان ، ونعيم بن ميسرة ، وانتهت إليه الإمامة في القراءة بالكوفة ، بعد شيخه أبي عبد الرحمن السلمي ، وذلك لما مات أبو عبد

= نحو المائة ، لم يخرج له البخاري ، توفي سنة إحدى وأربعين ومائة . له ترجمة في : (طبقات خليفة) : (١٦٦) ، (تاريخ البخاري) : ١ / ٤٥٣ ، (الجرح والتعديل) : ٢ / ٣٩٦ ، (الكامل في التاريخ) : ٥ / ٥٠٨ ، (الوافي بالوفيات) : ٥ / ٣٣٠ ، (تهذيب التهذيب) : ١ / ٨١ ، (خلاصة تذهيب الكمال) : ١٤ - ١٥ ، (سير أعلام النبلاء) : ٦ / ٣٠٨ .

(١) هو منصور بن المعتمر ، الحافظ الثبت القُدوة ، أبو عتاب السُّلمي الكوفي أحد الأعلام ، قال أبو عبيد القاسم ابن سلام : هو من بني بُهثة بن سُليم ، من رهط العباس بن مرداس السُّلمّي . كان من أوعية العلم ، صاحب إتقان وتألّه وخير ، حدَّث عنه خلق كثير ، منهم شعبة ، وسفيان الثوري ، وسفيان بن عيينة . مات سنة ثلاث وثلاثين ومائة . له ترجمة في (طبقات ابن سعد) : ٦ / ٢٣٣٧ ، (طبقات خليفة) : ١٦٤ ، (تاريخ خليفة) : ٤٠٤ ، (التاريخ الكبير) : ٧ / ٣٤٦ ، (الجرح والتعديل) : ٨ / ١٧٧ ، (حلية الأولياء) : ٥ / ٤٠ ، (تهذيب الأسماء واللغات) : ٢ / ١١٤ - ١١٥ ، (خلاصة تذهيب الكمال) : ٣٨٨ ، (شذرات الذهب) : ١ / ١٨٩ ، (سير أعلام النبلاء) : ٥ / ٤٠٢ .

(٢) هو سُليمان بن مهران الأعمش ، الإمام شيخ الإسلام ، شيخ المقرئين والمحدثين ، أبو محمد الأسدي ، الكاهلي ، مولاهم الكوفي الحافظ ، أصله من نواحي الري ، وُلد في سنة إحدى وستين ، فقد رأى أنس بن مالك وحكى عنه ، وروى عنه ، وعن عبد الله بن أبي أوفى ، وهو علامة الإسلام ، كان صاحب ليلٍ وتعبّد ، عزيز النفس ، قنوعاً . وعن ابن عيينة : سبق الأعمش الناس بأربع : كان أقرأهم للقرآن ، وأحفظهم للحديث ، وأعلمهم بالفرائض ، وذكر خصلة أخرى . قال ابن معين : ثقة ، وقال النَّسائي : ثقةٌ ثَبْتٌ . مات الأعمش سنة سبع وأربعين ومائة وقيل : سنة ثمان وأربعين .له ترجمة في : (طبقات ابن سعد) : ٦ / ٣٤٢ ، (تاريخ خليفة) : ٢٣٢ ، ٤٢٤ ، (طبقات خليفة) : ١٦٤ ، (التاريخ الصغير) : ٢ / ٩١ ، (الجرح والتعديل) : ٤ / ١٤٦ ، (حلية الأولياء) : ٥ / ٤٦ ، (تاريخ بغداد) : ٩ / ٣ ، (الكامل في التاريخ) : ٥ / ٥٨٩ ، (وفيات الأعيان) : ٢ / ٤٠٠ - ٤٠٣ ، (ميزان الاعتدال) : ٢ / ٢٢٤ ، (تهذيب التهذيب) : ٤ / ١٩٥ ، (خلاصة تذهيب الكمال) : ١٥٥ ، (شذرات الذهب) : ١ / ٢٢٠ - ٢٢٣ .

(٣) انظر هامش رقم (٣) بالصفحة السابقة .

الرحمن ، جلس عاصم يقرىء الناس ، قال أبو عمرو حفص بن سليمان الدوري : قال لي عاصم : ما كان من القراءة التي أقرأتك بها ، فهي القراءة التي [أُقرئت][1] بها على أبي عبد الرحمن السلمي ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وما كان من القراءة التي أقرأت بها أبا بكر بن عياش ، فهي القراءة التي كنت أعرضها على زر بن حبيش ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

وقال أبو بكر بن عياش عن أبي إسحاق قال : قال شهر بن عطية : في مسجدنا رجلان ؛ أحدهما أقرأ الناس بقراءة عبد الله بن مسعود ، والآخر أقرأ الناس بقراءة زيد بن ثابت ، فالذي أقرأ الناس بقراءة ابن مسعود : الأعمش ، والذي هو أقرأ الناس بقراءة زيد : هو عاصم بن أبي النجود .

وقال أبو عمر البزار حفص بن سليمان ، عن عاصم بن أبي النجود ، وعطاء ابن السائب ، وشهر بن أيوب الثقفي ، وابن أبي ليلى ، عن أبي عبد الرحمن السلميّ : أنه قرأ عامة القرآن على عثمان بن عفان ، وكان عثمان والي أمر الأمة ، فقال : إنك تشغلني عن النظر في أمور الناس ، فامض إلى زيد بن ثابت فإنه فارغ لهذا الأمر ، يجلس فيه للناس فاقرأ عليه ، فإن قراءتي وقراءته واحدة ، ليس بيني وبينه فيها خلاف ، فمضيت إلى زيد فقرأتُ عليه . وكنتُ ألقى عليّ بن أبي طالب فأسأله فيخبرني ويقول لي : عليك بزيد بن ثابت ، فأقمت على زيد ثلاث عشرة سنة أقرأ عليه فيها القرآن .

قال أبو عمر البزار : وكان عطاء بن السائب ، ومحمد بن أيوب الثقفي ، وابن أبي ليلى يذكرون لعاصم في القراءة ، ويعترفون بتقدمه عليهم ، وإذا غيرَّ شيئاً قبلوه وأخذوه عنه . توفي عاصم آخر سنة سبع ، وقيل أول سنة ثمان وعشرين ومائة .

وأما حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل ، أبو عمارة الكوفي الزيات[2] ، مولى آل عكرمة بن زنجي التميمي ، كوفي ، فإنه قرأ القرآن عرضاً على الأعمش ، وحُمران ابن أعين ، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، ومنصور ، وأبي إسحاق وغيرهم .

---

(١) زيادة للسياق والبيان

(٢) له ترجمة في : (طبقات ابن سعد) : ٦ / ٣٥٨ ، (التاريخ الكبير) : ٣ / ٥٢ ، (المعارف) : ٥٢٩ ، (الجرح والتعديل) : ٣ / ٢٠٩ - ٢١٠ ، (وفيات الأعيان) : ٢ / ٢١٦ ، (ميزان الاعتدال) : ١ / ٦٠٥ - ٦٠٦ ، (تهذيب التهذيب) : ٣ / ٢٤ ، (خلاصة تذهيب الكمال) : ٩٣ ، (شذرات الذهب) : ١ / ٢٤٠ ، (سراج القارىء المبتدى) : ١٢ ، (سير أعلام النبلاء) : ٧ / ٩٠ - ٩٢ .

وقرأ أيضاً على طلحة بن مُطرِف ، وجعفر بن محمد الصادق ، وتصدَّر للإقراء مدة ، وقرأ عليه عدد كثير منهم : الكسائي ، وسليم بن عيسى ، وهما أجل الصحابة ، وقرأ عليه عبد الرحمن بن أبي حماد ، وعائذ بن أبي عائذ ، والحسن بن عطية في آخرين . وكان إماماً حجة قيماً بكتاب الله ، له عدة فضائل ، وصار [أعظم][1] أهل الكوفة إلى قراءته . وقال : ما قرأت حرفاً إلا بأثر ، وقال عبد الله بن موسى : قرأ حمزة على الأعمش ، وقرأ الأعمش على يحيى بن وثاب ، وقرأ يحيى بن وثاب على علقمة بن قيس ، وقرأ علقمة على عبد الله بن مسعود ، وقرأ عبد الله بن مسعود على رسول الله ﷺ .

وقال خلف بن هشام عن سليم : قرأ حمزة على الأعمش وابن أبي ليلى ، فما كان من قراءة الأعمش فهي عن ابن مسعود ، وما كان عن ابن أبي ليلى فهي عن علي بن أبي طالب .

وقال هارون بن حاتم : حدثنا الكسائي قال : قلت لحمزة : على من قرأت ؟ قال : على ابن أبي ليلى وحمران بن أعين ، قلت : فحمران على من قرأ ؟ قال : [قرأ على][1] عبيد بن نَضْلة ، وقرأ عبيد على علقمة عن ابن مسعود ، وقرأ ابن أبي ليلى على المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب .

وقال عبد الله بن موسى والحسن بن عطية وغيرهما : قرأنا على حمزة ، وقرأ حمزة على حمران بن أعين ، وعلي بن أبي ليلى ، والأعمش ، وأبي إسحاق ، فأما حمران فقرأ على يحيى بن وثاب ، وأما الأعمش فقرأ على زر وزيد بن وهب ، والمنهال ابن عمرو ، وقرأ زر على عبد الله بن مسعود . وقال الأعمش : قرأ يحيى بن وثاب على علقمة ، والأسود وعبيد بن فضيلة ، ومسروق وعبيدة ، وكان الأعمش يقول : يحيى أقرأ الناس ، قالوا : قرأ الأعمش على إبراهيم النخعي ، فأما أبو إسحاق ، فقرأ على أصحاب علي وابن مسعود ، وأما ابن أبي ليلى فقرأ على الشعبي ، وجاءت أخبار تؤذن بقراءته على الأعمش أيضاً ، ثم جاءت أخبار بخلاف ذلك ، قال محمد بن يحيى الأزدي : قلت لداود : قرأ حمزة على الأعمش ؟ قال : من أين قرأ عليه ؟ إنما سأله عن حروف .

(١) زيادة للسياق .

وقال أحمد بن جبير : حدثنا حجاج بن محمد ، قلت لحمزة ، قرأت على الأعمش ؟ قال : لا ، ولكني سألته عن هذه الحروف حرفاً حرفاً . وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : حدثني عدة من أهل العلم ، عن حمزة أنه قرأ على حمران ، وكانت هذه الحروف التي يرويها حمزة عن الأعمش ، إنما أخذها [من][1] الأعمش أخذاً ، ولم يبلغنا أنه قرأ عليه القرآن من أول النهار إلى آخره . وقال يوسف بن موسى : قلت لجرير بن عبد الحميد : كيف أخذتم هذه الحروف عن الأعمش ؟ قال : كان إذا جاء شهر رمضان ، جاء أبو حيان التيمي ، وحمزة الزيات ، مع كل واحد منهما مصحف ، فيمسكان على الأعمش ، ويقرأ فيسمعون قراءته ، فأخذنا الحروف من قراءته . توفي حمزة آخر سنة ست وخمسين ومائة على الصحيح ، فرأى أعرابي كثرة الناس على جنازته فقال : ما رأيت أرفع لخسيس من عمل صالح .

وأما علي بن حمزة بن عبد الله بن مهران بن فيروز الكسائيُّ[2] ، أبو الحسن الأسدي مولاهم ، أحد الأعلام ، فإنه قرأ القرآن وجوَّده على حمزة الزيات ، وعيسى ابن عمر الهمذاني ، وقرأ على محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، واختار لنفسه قراءة ، ورحل إلى البصرة ، وأخذ العربية عن الخليل بن أحمد ، وأخذ الحروف أيضا عن أبي بكر بن عياش وغيره ، وقرأ عليه أبو عمرو الدوري ، وأبو الحرث الليثي ، ونصير ابن يوسف الرازي ، وقتيبة بن مهران الأصبهاني ، وأبو عبيدة القاسم بن سلام ، وخلائق ، وانتهت إليه الإمامة في القراءة والعربية ، وكان يتخير القراءات ، وأخذ من قراءة حمزة وترك . ومات في سنة تسع وثمانين ومائة .

فهؤلاء الأئمة القراء السبعة[3] ، هم الذين اشتهرت بالآفاق قراءتهم ، واعتمد

---

(١) زيادة للسياق .

(٢) له ترجمة في : (التاريخ الكبير) : ٦ / ٢٦٨ ، (التاريخ الصغير) : ٢ / ٢٤٧ ، (المعارف) : ٥٤٥ ، (الجرح والتعديل) : ٦ / ١٨٢ ، (تاريخ بغداد) : ١١ / ٤٠٣ ، (وفيات الأعيان) : ٣ / ٣٩٩٥ ، (مرآة الجنان) : ١ / ٤٢١ ، (تهذيب التهذيب) :٧ / ٢٧٥ (شذرات الذهب) : ١ / ٣٢١ ، (سراج القارىء المبتدى) : ١٢ ، (معجم مصنفي الكتب العربية) : ٣٤٥ ، (سير أعلام النبلاء) : ٩ / ١٣١ - ١٣٤ ، ترجمة رقم (٤٤) .

(٣) جمعهم الإمام العالم أبو محمد قاسم بن فيرة بن أبي القاسم ، خلف بن أحمد الرعيني الشاطبي ، في قصيدته اللامية المنظومة من الضرب الثاني من بحر الطويل ، المسماة (حِرْزُ الأماني ووَجْهُ التهاني) ،=

عليها الناس في صلاتهم وتلاوتهم ، ورَدُّوا ما عداها من القرآن ، وكَفَّروا من زاد فيها حرفاً أو أسقط منها حرفاً متعمداً لذلك ، لأنها تواترت عن رسول الله ﷺ ، وعلم كل أحد أنها صحت عن رسول الله ﷺ .

= المشهورة (بمتن الشاطبية) ، وهي أسهل ما يتوصل به إلى علم القراءات من التصانيف والمنظومات ، وعدة أبياتها كما يقول ناظمها :

وَقَدْ وَفَّقَ اللهُ الكريم بمَنِّهِ ... لإكمالِها حَسْنَاءَ مَيْمُونَةَ الجَلا
وَأبْياتُها أَلْفٌ تَزِيدُ ثلاثَـةً ... ومَعْ مائةٍ سَبْعين زُهراً وكُمَّلا

يقول رحمه الله عن القراء السبعة :

جَزَى اللهُ بالخيرات عَنَّا أئِمَّةً ... لَنَا نَقَلُوا القُرآن عذباً وسَلْسلاَ
فَمِنْهُمْ بُدورٌ سَبْعَةٌ قَدْ توسَّطَتْ ... سماءَ العُلا والعدْلِ زُهْراً وكُمَّلاَ
لهَا شُهُبٌ عنها اسْتَنَارَتْ فنوَّرَتْ ... سَوادَ الدُّجَى حتى تَفَرَّقَ وانْجَلى
وسَوْف تراهُم واحداً بعدَ واحِدٍ ... مع اثنين من أصحابه مُتَمَثِّلاَ
تخيرهم نُقَادُهُمْ كلُّ بارعٍ ... وليس على قُرآنـه مُتَأَكِّـلا
فأمّا الكريم السِّرُّ في الطيبِ نافِعٌ ... فَذَاكَ الذي اختار المدينَةَ مَنْزِلَا
وقالونُ عيسى ثُمَ عُثمانُ وَرْشُهُمْ ... بصُحْبَتِهِ المجدَ الرَّفيع تَأَثَّـلاَ
ومَكَّةُ عبدُ الله فيها مُقَـامه ... هُو ابنُ كثير كَاثِرُ القومِ مُعْتَلا
ورَوَى أحْمَدُ البزّي لهُ ومحمدٌ ... على سَنَدٍ وهو الملقّـب قُنْبُلا
وأمَّا الإمامُ المازنيّ صَريحُهُمْ ... أبو عَمْرو البَصْرِيّ فوالِدُهُ العَلا
أفَاضَ على يَحْيَى اليزيديّ سَيْبَهُ ... فأصْبَح بالعَذْبِ الفُراتِ مُعَلَّلاَ
أبو عُمَرَ الدُّورَيّ وصَالِحُهُمْ أبو ... شُعيبٍ هو السّوسِيُّ عَنْه تَقَبَّلاَ
وأمَّا دِمَشْقُ الشام دارُ ابْن عامرٍ ... فَتِلْكَ بعَبْدِ اللهِ طابَتْ مُحَلَّلاَ
هشامٌ وَعَبْدُ اللهِ وَهْوَ انْتِسَابُهُ ... لذِكوانَ بالإسنادِ عنه تَنَقَّلاَ
وبالكوفة الغَرَّاءِ منهم ثلاثَةٌ ... أذاعُوا فقدْ ضاعَتْ شَذاً وَقَرَنْفلاَ
فَأمَّا أبو بكرٍ وعاصم اسمُهُ ... فَشُعْبَةُ رَاوِيهُ المبَـرِّزُ أفْضَلَا
وذَاك ابن عَيَّاشٍ أبو بكرٍ الرِّضَا ... وحَفْصٌ وبالإتْقَانِ كان مُفَضَّلاَ
وَحَمْزَةُ ما أزْكَاهُ من مُتَورِّعٍ ... إماماً صَبُوراً للقُران مُرَتِّـلا
رَوَى خَلَفٌ عَنْهُ وخَلَّادٌ الذي ... رواه سُلَيْمٌ مُتْقَناً ومُحَصّلا
وأما عليّ فالكِسَائيُّ نَعتُـهُ ... لمَا كان في الإحرام فيه تَسَرْبَلاَ
روى لَيْثُهُم عنه أبو الحارث الرضا ... وَحفْصٌ هو الدُّوريُّ وفي الذكْرِ قَدْ خَلاَ
أبو عَمْرِهِمْ واليَحْصَبِيُّ ابنُ عامرٍ ... صَرِيحٌ وبَاقِيهم أحَاطَ بـه الـوَلاَ
لَهُمْ طُرُقٌ يَهْدِي بها كُلُّ طارِقٍ ... ولا طارِقٌ يـخْشَى بها مُتَمَحِّـلاَ

ومتن الشاطبية هذا ، له شروح كثيرة ، أحسنها الشرح المعروف باسم (سراج القارىء المبتدىء ، وتذكار المقرىء المنتهي) للإمام أبي القاسم على بن عثمان بن محمد بن أحمد بن الحسن ، القاصح ، العذري ، البغدادي ، من علماء القرن الثامن الهجري ، وقد أشرف على طبعه ومراجعته فضيلة الشيخ علي محمد الضباع شيخ المقارىء المصرية الأسبق .

قال حسين بن علي الجعفي : حدثنا ابن عيينة عن علي بن زيد ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة قال : قراءتنا التي جمع عثمان رضي الله عنه الناس عليها ، هي على العرضة الآخرة . وقال إسماعيل بن عياش ، عن شعيب بن دينار ، وعن محمد ابن المنكدر قال : القراءة سنة يأخذها الآخر عن الأول . وقال أبو الزناد عن خارجة ابن زيد بن ثابت ، عن زيد بن ثابت قال : القراءة سُنَّة من السنن فاقرءوا القرآن كما أقريتموه : ﴿ **إن هذان لساحران** ﴾[1] ﴿ **فأَصَّدَّق وأكن من الصالحين** ﴾[2] .

وقال ابن وهب عن ابن لهيعة ، عن خالد بن أبي عمران ، عن عروة بن الزبير ، قال : القراءة سنة يأخذها آخر عن أول . وقال سفيان عن حصين ، قال : سمعت أبا عبد الله السلمي يقول : كنتُ أقرىء الحسن والحسين فمر بي أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وأنا أقرئهما : ﴿ **وخاتِم النبيين** ﴾[3] ، فقال لي : يا عبد الله بن حبيب ، قلت : لبيك ، قال : أقرئهما : ﴿ **وخاتَم النبيين** ﴾[3] بفتح التاء ، والله الموفق للصواب .

* * *

(١) طه : ٦٣ .
(٢) المنافقون : ١٠ .
(٣) الأحزاب : ٤٠ .

[القراءات المشهورة]

وأما القراءات المشهورة ، فإنها أربع قراءات غير هذه القراءات السبعة ، منسوبة لثلاثة من الأئمة وهم : أبو جعفر ، وابن محيصن ، ويعقوب ، وخلف . وقد اختلف في قراءة أبي جعفر وابن محيصن ويعقوب وخلف وشبههم ، هل هي من الشواذ أم من المتواتر أم قسم ثالث ؟ فذهب أبو عمر بن أبي بكر بن يونس بن الحاجب ، والشيخ محيي الدين أبو زكريا يحيي بن شرف بن مرى النووي ، وأبو عمرو عثمان ابن عبد الرحمن بن عثمان بن الصلاح ، وغيرهم إلى تحريم القراءة بالشواذ ، وهي عندهم ما عدا القراءات السبع .

وهذه مسألة تكلم فيها أهل الكلام والفقهاء ، فتكلم أهل الكلام فيها من جهة كونها قرآناً ، وأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر ، وتكلم فيها الفقهاء من جهة أنه إن كان قرآناً صحت به الصلاة وتعليق الإيمان وغير ذلك ، وإلا فلا . ولقائل أن يقول : لا ريب أن أبا جعفر يزيد بن القعقاع أحد العشرة ، وشيخ نافع ، كان من سادات التابعين ، وأخذ قراءته عن ابن عباس وأبي هريرة ، وصلى بعبد الله بن عمر رضي الله عنه ، ولم يكن من هو بهذه المثابة ليقرأ كتاب الله تعالى بشيء محرم قراءته ، وكيف وقد تلقن القرآن بمدينة الرسول ﷺ غضاً رطباً ، قبل أن تطول الأسانيد ، ويدخل فيها النقلة غير الضابطين ، هذا ، وهم عرب آمنون من اللحن .

ولم تزل قراءة الأئمة متداولة في أمصار الإسلام ، حتى اختار أبو بكر بن مجاهد هؤلاء السبعة وسمَّاهم ، فغلب الكسل ، وقصرت الهمم على بعض الناس ، وأراد الله تعالى نقص العلم ، فاقتصروا على السبعة ، ثم اقتصروا من السبعة في هذه البلاد على السبعة المعينة ، ثم اقتصروا من السبعة المعينة على الطريقة المشهورة اليوم التي ذكرناها .

وقد كان شيخ شيوخنا العلامة [جمال][1] الدين أبو حيان رحمه الله يقول : دخلت هذا البلد - يعني مصر - وغالب من فيها يظن أن السبعة ما في الشاطبية[2] فقط ، حتى أخبرته بما صنف الناس في السبعة ، وأن في كتبهم أشياء تخالف ما في الشاطبية فرجع عن ذلك .

---

(١) ما بين الحاصرتين مطموسة في (خ) ، وأثبتناها من (المقفى الكبير) : ٧ / ٤٢٦ ، ترجمة رقم (٣٦٣٠) .

(٢) هي المنظومة التي سبق الإشارة إليها نسبة إلى الإمام الشاطبي المعروفة باسم (حرز الأماني ووجه التهاني) وقد سبق أن أشرنا إليها تفصيلاً .

وأما ابن محيصن فلم تشتهر الرواة عنه اشتهارهم عن يعقوب ، لأن يعقوب اشتهر عنه تسعة رجال ، رويس ، وروح ، والوليد بن حسان ، وأبو الوليد بن حسان ، وأبو أيوب الذهبي ، ومحمد بن عبد الخالق ، وأبو حاتم السجستاني ، وفضل بن أحمد ، وأبو المهلب عامر بن عبد [الأعلى][1] الدلالة . وأبو علي يزيد بن أحمد ابن إسحاق الحضرمي هو ابن أخي يعقوب . وهكذا اشتهر عن كل واحد من هؤلاء الرواة عن يعقوب جماعة ، فقراءته أقرب للسبعة .

وأما قتيبة بن مهران الأذاذاني الأصبهاني – صاحب الإمالة – فإن له إمالات عجيبة ، من أجلها عرف بالممال ، فإنه انتهت إليه رئاسة الإقراء بأصبهان ، وكان رفيق الدوري ، وأبي الحرث ، وقرأ على الكسائي ، ونقل عنه ، وربما قال : حدثنا فلان عنه ، فحكمه حكم محيصن وأضرابه ، وإنما جرى في هؤلاء السبعة نوع مما جرى في الفقهاء الأربعة أرباب المذاهب ، فقد غلب على أكثر الناس اعتقاد أن لا مذهب إلا لهؤلاء الأربعة فقط ، وقياس قول هؤلاء أن يكون ما قرأه علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، ومن بعدهم مثل الحسن البصري ، والأعمش ، وغيرهم ، ممن يطول تعداده ، ليس بقرآن ، والشأن إنما هو فيما صح الاستناد به ، وتواتر سليماً من معرة اللحن والخطأ والتصحيف ونحو ذلك .

وليس لنا فتح باب نطعن به على سادات السلف من الصحابة والتابعين ، وإن كنا نقول : أنه يحرم القراءة بالشواذ التي هي ليست من متن القرآن ، ولا تواترت تواتره ، وإنما يوجد في كتب القراءات والتفاسير أن فلاناً قرأ بها بتلك الأسانيد المفصلة ، التي لا نظم لها ولا أزمّة[2] ، وهذه بواطيل وتحرم القراءة بها ، وليست من قبيل ما كنا فيه ، أولاً ، كما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

والبلية كلها غلبة الجهل ، وتقليد الآباء والمشيخة ، والإكتفاء بما حضر وعُرف عند أهل البلد فقط ، ولذلك ظن غالب الناس أن لا سبعة إلا هذه التي في الشاطبية ونحوها ، كما هو ظن الغالب أن الفقهاء الأربعة ما عدا مذهبهم باطل ، ويلزم القول بذلك : إبطال ديانة سفيان [الثوري] ، والأوزاعي ، وعبد الله بن المبارك ،

---

(١) زيادة للسياق .

(٢) أزمّة : جمع زمام .

وإسحاق بن رهاويه ، ومن كان بالشام والأندلس على مذهب الأوزاعي ، حتى اشتهر مذهب مالك وغيره ، وإبطال ديانة من كان ببلاد المشرق على مذهب سفيان وغيره من الأئمة ، ومن كان على مذهب أهل الحديث الذين لا يتعدونه ، كأتباع داود ابن علي ، ومن خالف أتباع داود في بعض المسائل ، وبناء مذهبهم على وجوب الاجتهاد على من تأهّل لوجه استخراج الحكم الشرعي من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وأوتي أهلية النظر في الأسانيد ، بمراجعته لكتب النقل وتواريخ الرواة ، والنظر في التعديل والتجريح ، وإن كلاً عليه الاجتهاد بحسب ما بلغ من ذلك .

وأما الذين حرموا القراءة بما بالسبعة التي في المختصرات ، فإنهم كانوا في قرن السبع مائة ، ومازال المسلمون يقرأون بما عدا ذلك شرقاً وغرباً ، ينقلها خلف الأمة عن سلفها ، إلى أن ضاعت من المتأخرين ، وصنفت في ذلك كتب ، وعللت في كتب ، علم ذلك من له اطلاع على هذا الفن علم اليقين ، وقد كان المسلمون يصلون خلف أصحاب هذه القراءات كالحسن البصري ، ويعقوب ، وطلحة بن مصرف ، وابن محيصن ، والأعمش ، وأضرابهم ، فلم ينكر ذلك أحد من فقهاء الأمصار وأئمة الإسلام من أهل الفتوى ، حتى كان زمن أحمد بن محمد بن شنبوذ ، فإنه في منقولاته أشياء تخالف رسم مصحف أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه مخالفة كثيرة ، وكان بينه وبين أبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد شيخنا [عداوة][1] يعرفها جهابذة أهل النقل ، وكانت لابن مجاهد رئاسة وتمكن في الدولة العباسية ببغداد ، وله مع ذلك شهرة عند الكافة ، [فألَّب][2] على ابن شنبوذ فيمن ألب عليه ، حتى جرى من ضربه وهو حاضر مجلس الوزير أبي علي بن مقلة ما جرى ، وذلك بضع وعشرين وثلاثمائة ، كما ذكرت في كتاب التاريخ الكبير : (المقفى)[3] وابن مجاهد ، هذا الذي قصر الناس على السبعة وصنف فيها ، وإليه كانت رحلة الناس في القراءات فاشتهرت السبعة بالتمييز عن غيرها من عهده ، إلى أن صارت عند الناس هي القرآن .

* * *

---

(١) زيادة للسياق والبيان .

(٢) زيادة للسياق والبيان .

(٣) كتاب (المقفى الكبير) من مؤلفات المقريزي .

[تحريم الصلاة بالقراءة الشاذة]

وأما تحريم الصلاة بالشاذ [من القراءات][1] ، فهو المعروف في كتب المتقدمين [من أن علم هذه المسألة][1] عند الفقهاء الفروعية أجدر بها ، لأنها تحتاج إلى مواد : من حديث ، وفقه قديم ، واطلاع على عمل السلف ، وتحقيق قول أئمة التفسير ، ومعرفةٍ بما صحت أسانيده من القراءات وما اختلف من ذلك ، ولا ريبَ أن فقهاء زماننا عن هذا بمعزل إلا القليل منهم .

وأما الشواذ ، فإنها مأخوذة من : شذَّ الشيء ، ويشذُّ شذاً وشذوذاً ، أي ندر عن جمهوره ، فسميت [القراءة][1] شاذة لأنها فارقت ما عليه القراءات وانفردت عن ذلك ، وهي على قسمين :

أحدهما : ما روى عن رسول الله ﷺ أو عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم بإسناد صحيح .

والثاني : ما لم يصح سنده ، وللناس في هذه الشواذ مذهبان :

أحدهما : أنه يقرأ في غير الصلاة .

والثاني : أنه لا يجوز أن يقال له قرآن .

فأما من جوَّز تلاوته ، فقد تقدم ما نقله عن ابن وهب ، عن الإمام مالك رحمه الله أنه قيل له : أترى أن تقرأ بمثل ما قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « فامضوا إلى ذكر الله »[2] ؟ فقال : ذلك جائز ، وأنه قال : لا أرى باختلافهم في مثل هذا بأساً ، قد كان الناس ولهم مصاحف ، والستة الذين أوصى إليهم عمر رضي الله عنهم كانت لهم مصاحف ، وأنه قال في قراءة ابن مسعود : « طعام الفاجر »[2] ، فقلت لمالك : أترى أن تقرأ كذلك ؟ قال : نعم أرى ذلك واسعاً ، وأن ابن عبد البر قال : معناه عندي : أن تقرأ به في غير الصلاة ، لأن ما عدا مصحف عثمان رضي الله عنه [لا][1] يقطع عليه بالصحة ، وإنما يجري مجرى

---

(١) زيادة للسياق .

(٢) صوابهما في القراءة المعتمدة : ﴿ **فاسعو إلى ذكر الله** ﴾ ، ﴿ **طعام الأثيم** ﴾ .

السنة التي نقلها بطريق الآحاد ، لكنه لا يقدم أحد على القطع في ردّه ، وأن ابن القثم قال في مصحف ابن مسعود : أرى أن الإمام يمنع من تبعه ، ويصرف من قرأ به ، ويمنع من ذلك . وقد قال مالك : إن من قرأ في صلاته بقراءة ابن مسعود أو غيره من الصحابة ممن خالف المصحف[1] لم يصلّ وراءه .

قال ابن عبد البر : وعلماء [المسلمين][2] مجمعون على ذلك ، إلا قوماً شذوا ، لا [يعول][2] عليهم ، منهم الأعمش سليمان بن مهران ، وأما من منع أن يكون الشواذ قرآناً فإنهم قالوا : لا ينطلق اسم القرآن إلا على ما بين دافتي مصحف عثمان رضي الله عنه . وأما آحاد القراءات فإنها غير متواترة ، ولهذا قيل لها شاذة لخروجها عما عليه الجمهور .

وقال ابن مهدي : لا يكون إماماً في العلم من أخذ بالشاذ من العلم ، وقال خلاد بن يزيد الباهلي : قلت ليحيى بن عبد الله بن أبي مليكة بن عبد الله : إن نافعاً حدثني عن أبيك عن عائشة رضي الله عنها ، أنها كانت تقرأ ﴿ **إذ تَلِقُونَهُ بألسنتكم** ﴾[3] وتقول : إنما هو من ولق الكذب ، فقال يحيى : ما يضرك أن لا تكون سمعته عائشة ؟ نافع ثقة عن أبي ، وأبي ثقة عن عائشة ، وما [يضرني][2] أن قرأتها هكذا ، ولو كذا وكذا ، قلت : ولم أنت تزعُم أنها قد قالت ؟ قال : لأنه غير قراءة الناس ، ونحن لو وجدنا رجلاً يقرأ بما ليس بين اللوحين ، ما كان بيننا وبينه إلا التوبة أو نضرب عنقه ، نجيء به عن الأئمة عن النبي ﷺ عن جبريل عن الله ، وتقولون أنتم : حدثنا فلان عن فلان الأعمش ؟ ما أدري ماذا أن ابن مسعود قرأ غير ما بين اللوحين ؟ إنما هو والله ضرب العنق والتوبة .

وقال هارون بن موسى : ذكرت ذلك لأبي عمرو - يعني القراءة عن عائشة رضي الله عنها - فقال : سمعت هذا قبل أن تولد ولكنا لا نأخذ به . وقال محمد ابن صالح: سمعت رجلاً يقول لأبي عمرو : وكيف تقرأ : ﴿ **لا يعذب عذابه أحد * ولا يوثق وثاقه أحد** ﴾[4] ؟ قال : ﴿ **لا يعذَّب عذابه أحد** ﴾[4] ، فقال له الرجل : كيف وقد جاء عن النبي ﷺ : ﴿ **لا يعذِّب عذابه أحد** ﴾[4] ؟ فقال

---

(١) يعني مصحف عثمان رضي الله تعالى عنه .

(٢) زيادة للسياق والبيان (٣) النور : ١٥ . (٤) الفجر : ٢٥ - ٢٦ .

له أبو عمرو : لقد سمعت الرجل الذي قال سمعت النبي ﷺ وما أخذته عنه ، وتدري لم ذلك ؟ لأني أتهم الواحد بالشاذ ، وإذا كان على خلاف ما جاءت به العامة .

قال كاتبه : هذا الحديث خرجه الحاكم من حديث علي بن الحسن[1] بن شقيق قال : حدثنا عبد الله بن المبارك ، عن خالد الحذاء ، عن أبي قلابة ، عمن أقرأه النبي ﷺ ﴿ **فيومئذ لا يعذب عذابه أحد * ولا يوثق وثاقه أحد** ﴾ ، وقال [الحاكم][2] : هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ، والصحابي الذي لم يسمه قد سماه غيره ، وهو مالك بن الحويرث ، وهذه القراءة إنما أنكرها أبو عمر ، لأنها لم تبلغه على وجه التواتر ، وإن كانت تثبت عند غيره .

وقال أبو حاتم السجستاني : أول من تتبع بالبصرة من وجوه القرآن [وألَّفها][2] ، وتتبع الشاذ منها ، فبحث عن إسناد : هارون بن موسى الأعور ، وكان من العتيك مولى ، وكان من القراء ، فكره الناس ذلك وقالوا : قد أساء حين ألَّفها ، وذلك أن القراءة إنما يأخذها قرن وأمة عن أفواه أمة ، ولا يلتفت منها إلى ما جاء من وراء وراء .

وقال الأصمعي عن هارون هذا : كان ثقة مأموناً ، قال : وكنت أشتهي أن يضرب لمكان تأليفه الحروف ، وكان الأصمعي لا يذكر أحداً بسوء إلا من عُرف ببدعة . وقال الأصمعي : سمعت نافعاً يقرأ : ﴿ **يَقُصُّ الحق** ﴾[3] ، فقلت له : إن أبا عمر يقرأ ﴿ **يقضي الحق** ﴾ ، وقال : القضاء مع الفضل ، فقال نافع : وي[4] يا أهل العراق ! [تعبثون][2] في القرآن ؟ . قال يزيد بن هاشم : إياكم أن تأخذوا القراءة[5] على قياس العربية ، إنما أخذناها بالرواية .

وقال بعض أصحاب سليم : قلت لسليم في حرف من القرآن : من أي وجه كان كذا و كذا ؟ فرفع كمه وضربني به ، وغضب وقال : اتق الله ، لا تأخذون في شيء من هذا ، إنما يقرأ القرآن على الثقات من الرجال الذين قرأوه على الثقات .

---

(١) في (خ) « الحسين » ، وصوبناه من (المستدرك) .
(٢) زيادة للسياق . (٣) الأنعام : ٥٧ . (٤) كلمة تعجب .
(٥) في (خ) : « القرآن » . وماأثبتناه أجود للسياق .

وقال الكسائي : لو قرأت على قياس العربية لقرأت ﴿ كِبره ﴾[1] برفع الكاف ، لأنه أراد عِظمه ، لكنني قرأتُ على الأثر . وقال يحيى بن آدم : أخبرنا أبو بكر بن عياش بحروف عاصم في القراءات وقال : سألته عنها حرفاً حرفاً ، فحدثني بها ثم قال : أَقْرَأَنيها عاصم كما حدثتك بها حَرفاً حرفاً ، فتعلمتُها منه بعد أن اختلفت إليه نحواً من ثلاث سنين ، كل غداة في البرد والأمطار ، حتىٰ إني لأَستحيي من أهل مسجد بني كاهل في الصيف والشتاء ، وأعملت نفسي [فيه][2] سنة بعد سنة ، فلما قرأت عليه قال لي : إحمد الله فإنك قد جئت وما تُحسن شيئاً ، فتعلمت القرآن من عاصم كما يتعلم الغلام في الكُتَّاب ما أحسن غير قراءته .

وقال أبو عبيد بن القاسم بن سلام : ما يروى من الحروف التي تخالف المصحف الذي عليه الإجماع من الحروف التي تعرف أسانيدها الخاصة دون العامة ، مما نقلوا فيه عن أبيّ بن كعب : « وما كان ليهلكها إلا بذنوب أهلها » ، وعن ابن عباس : « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج » .

ومما يحكون عن عمر رضي الله عنه : أنه قرأ : « غير المغضوب عليهم وغير الضالين » ، مع نظائر لهذه الحروف كثيرة لم ينقلها أهل العلم ، على أن الصلاة بها تحل ، ولا على أنها مُعارَض بها مصحف عثمان رضي الله عنه ، لأنها حروف ، لو جحد جاحدٌ أَلِفاً من القرآن لم يكن كافراً . والقرآن الذي جمعه عثمان بموافقة أصحاب رسول الله ﷺ له ، لو أنكر بعضه منكر كان كافراً ، حكمه حكم المرتد ، يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه .

وقال أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري – وقد ذكر ما ينقل عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قرأ : « والعصر * ونوائب الدهر * إن الإنسان لفي خسر » – : قول أبي بكر بن عياش ، قال لي عاصم بن أبي النجود : ما أقرأني أحد من الناس حرفاً إلا أبو عبد الرحمن السلمي ، وأبو عبد الرحمن قرأ على عليّ رضي الله عنه ، وكنت أرجع من عند أبي عبد الرحمن فأعرض على زرّ بن حبيش ، وزرّ بن حبيش قرأ على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

---

(١) النور : ١١ .

(٢) زيادة للسياق .

قال ابن الأنباري : وإذا روى أبو عبد الرحمن السلمي عن علي رضي الله عنه : ﴿ **والعصر * إن الإنسان في خُسر** ﴾[1] ، كما يقرأ المسلمون جميعاً بشهادة عاصم على أبي عبد الرحمن ، فرواية أبي عبد الرحمن تنسخ كل رواية في القراءة عن علي ، لموضع أبي عبد الرحمن بن علي ، وضبطه عنه ، وأنه كان يُقرىء الحسن والحسين رضي الله عنهما ، فهذه **جهة** تبطل رواية من روى عن علي رضي الله عنه : « والعصر *ونوائب الدهر » .

الجهة الثانية : أن علياً لما أفضت الخلافة إليه بعد عثمان رضي الله عنه ، وكان إمام المسلمين وقدوتهم ، لو علم أن « والعصر » في مصحف عثمان الذي أجمع عليه المسلمون تنقص « ونوائب الدهر » ، لم يستحل ترك خلل في المصحف ، ونقص ألفاظ تنقص بها من ثواب القارىء حسنات ، ويزول من جهتها معنى أرادهُ الله وقَصَد له ، فَتَرْكُ عليّ ﴿ **والعصر** ﴾[2] في مصاحف المسلمين على ما لا يعرف غيره ، هو الدليل على أن من روى : « والعصر * ونوائب الدهر » كذب أو نسي .

والجهة الثالثة : أن المسلمين أجمعوا على أن هذا هو القرآن الذي أنزله رب العالمين على نبيه محمد ﷺ ، لا زيادة فيه ولا نقصان ، فمن ادعى زيادة أو نقصاناً منه فقد أبطل إلاجماع ، وبهّت الناس وردّ ما قد صح عن الرسول ﷺ ، وكان كمن قال : الصلوات المفروضات خمسون صلاة ، وتزوُّج تسعٍ من النساء ؟ حلال ، وفرض الله أياماً فصام مع شهر رمضان ، فإذا رُدَّ جميع هذا الإجماع ، كان الإجماع على القرآن أثبت وأوكد ، والبناء عليه أولى . وعليّ رضي الله عنه داخل في الإجماع غير خارج منه .

وأيضاً فقد كان علي يصلي بالمسلمين صلاة المغرب ، وصلاة العشاء الآخرة ، وصلاة الصبح ، فيقرأ والناس وراءه يستمعون قراءته . فلو خالف عثمانَ وأبا بكر وعمَر في حرف واحد أو أكثر ، لسارع الناس إلى سؤاله عنه ، وقبوله منه ، وتغييره من المصاحف بمحضر منه ، فلما سمعوا قراءته طول خلافته ، فلم ينكروا حرفاً ولم يغيروا مما سمعوا منه شيئاً من المصحف ، كان هذا هو الدليل على أن قراءة عليّ هي قراءة أبي بكر وعمر وعثمان ، والحجة واضحة برواية أبي عبد الرحمن السلمي ، عنه ما يوافق قراءتنا ولا يخالفها

---

(١) العصر : ١ - ٢ . (٢) العصر : ١ .

فالقرآن الذي حَصَّلَهُ عنه أبو عبد الرحمن ، هو الذي كان يؤم الناس به في صلاته ، فيجدونه موافقاً قرآن أبي بكر وعمر وعثمان وسائر المسلمين ، ولو وقفوا فيه على زيادة كلمة أو نقصان لفظة ، لوافقوا [علياً][1] عليها وأثبتوها في المصاحف على قوله ، وما يأمر به من رسمه لعلو درجته وارتفاع منزلته ، فقد حَصّلوا في كلامه المنثور ضمة في حرف ويَاء في كلمة ، فتابعوا حكايتهما عنه ،ونسبتهما إليه ، فأَحدُ الحرفين الدُّهقان[2] بضم الدال ، والآخر نيرز من النيروز .

قال عياش بن القدح الرياشي : حدثنا أبو عاصم عن معاذ بن العلاء – أخي أبي عمرو بن العلاء – عن أبيه عن جده قال : سمعت علي بن أبي طالب يقول : ما أصبت من فيئكم إلا هذه القارورة ، أهداها إليّ الدُّهقان بضم الدال ، ثم أتى بيت المال فقال : خذ خذ ، وأنشأ يقول :

[أفلح][3] من كانت له قَوْصَرَّة[4] يأكل منها كل يوم مرة

وقال سليمان بن حرب : حدثني حماد بن مسلمة بن زيد عن التميمي قال : أُهدى إلى عليّ فالوذج[5] في جام[6] يوم النيروز ، فقال : ما هذا ؟ قال : هذا يوم النيروز ، فقال : نيرز ، وأكل . يوم بالياء ، قال : فمن ضبط من لفظ عليّ وحصّل من كلامه ضمة نادرة ، وياء نادرة ، فهو صفيق بأن لا يغفل من قراءته كلمة تنبت ، ولفظة تسقط ، وحركة تغير ، فمن ادعى أن ألفاظه في منثور كلامه ضبطت ، وكلماته في قراءته القرآن أضيعت ، فقد أخبر بمحال لا يقبله عليم ، ولا يشهد بصحته حكيم .

وذكر ابن الأنباري ما يُنقل عن أبي بن كعب رضي الله عنه ، أنه قرأ ﴿ **كأن**

---

(١) زيادة للسياق والبيان .

(٢) الدَّهْقان ، والدُّهْقان : التاجر ، فارسيٌّ معرَّب . (لسان العرب) : ١٠ / ١٠٧ .

(٣) زيادة للسياق والبيان من المرجع السابق .

(٤) القوصرَّة : وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البوادي . قال ابن الأعرابي : العرب تكني عن المرأة بالقارورة والقَوْصَرَّرة قال ابن بري : وهذا الرجز ينسب إلى الإمام علي عليه السلام ، وقالوا : أراد بالقوصرة المرأة ، وبالأكل النكاح . (المرجع السابق) : ٥ / ١٠٤ .

(٥) نوع من الحلوى .

(٦) الجام : هو إناء من فضة ، عربي صحيح ، قاله ابن سيده . (اللسان) : ١٢ / ١١٢ .

لم تغن بالأمس ﴾[1] ، « وما كان الله ليهلكها إلا بذنوب أهلها » ، ثم إن الحسن ابن الحيان حدثنا قال : حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد القاسم بن نافع ابن أبي برة قال : قرأت القرآن على عكرمة بن سليمان أنه قرأ على شبل بن عباد ، وإسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين ، وأنهما أخبراه أنهما قرءآعلى عبد الله بن كثير ، وأن عبد الله بن كثير أخبره أنه قرأ على مجاهد [وأن مجاهد][2] أخبره أنه قرأ على عبد الله بن عياش ، وأن ابن عياش قرأ القرآن على أبي بن كعب ، فقرأه ابن كثير بهذا الإسناد عن أبي بن كعب : ﴿ **حصيداً كأن لم تغن بالأمس** ﴾[1] ، ﴿ **كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون** ﴾[3] ، فهذا الإسناد يبطل الإسناد الضعيف الذي نقل به عن أُبيّ .

وحدثنا حسن بن الحباب ، حدثنا محمد بن عبد الحكم ، حدثنا الشافعي قال : قرأت على ابن قسطنطين ، وأخبرني ابن قسطنطين أنه قرأ على ابن شبل بن عباد ، وأخبر شبل بن عباد أنه قرأ على عبد الله بن كثير ، وأخبر ابن كثير أنه قرأ على مجاهد ، وأخبر مجاهد أنه قرأ على ابن عياش ، وأخبر ابن عياش أنه قرأ على أُبيّ بن كعب ، وقرأ أُبيّ بن كعب على رسول الله ﷺ ، قال : فهذا السند الذي نقلته أهل العدالة والصيانة ، ما يثبت ما عليه الجماعة في البناء على مصحف عثمان ، ويوجب على من خالفه خلاف الرسول ﷺ ، لأن هذا السند متصل بالرسول ، ولذا صح عن رسول الله ﷺ أمر لم يؤخذ بحديث يخالفه .

وحدثنا الحسن بن الحباب ، حدثنا الطيب بن إسماعيل المقرىء ، حدثنا يحيى ابن المبارك اليزيدي قال : قرأت القرآن على أبي عمرو بن العلاء ، وقرأ أبو عمرو على مجاهد ، وقرأ مجاهد على ابن عياش ، وقرأ ابن عياش على أُبيّ بن كعب ، وقرأ أُبيّ على رسول الله ﷺ ، قال : فتصحيح هذا الخبر قراءة العامة كتصحيح الخبر الذي قبله ، وكلاهما يوجب أن رسول الله ﷺ لم يقرأ : « وما كان الله ليهلكهاإلا بذنوب أهلها » ، فمن جحد أن هذه الزيادة أنزلها الله تعالى على نبيه فليس بكافر ولا آثم .

---

(١) يونس : ٢٤ . (٢)زيادة للسياق .
(٣) الأعراف : ٥٨ .

وذكر ما نقل عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قرأ : « وليس له شراب إلا من غسلين من عين تجري من تحت الجحيم » ، وأنه قرأ : « في جيدها حبل من ليف » ، ثم قال : وما نعلم أن سنداً يتصل بعبد الله بن مسعود في أنه قرأ ذلك ، ولا يصح من هذا في مصحف مكتوب ، إذا لم يُصَحّحه إجماع أو أسانيد معروفة الأهل ، مشهورون بصحة النقل ، فلو أن حديثاً للرسول ﷺ أورده مورد في مصحف بسند لا يعرف ، لم يحكم على الرسول به ، ولم يقبله عليه ، فكيف يقبل على الله رب العالمين أنه قال في القرآن : « من عين تجري من تحت الجحيم » ، والصحابة متفقون على إبطال ذلك ، وروايتهم عن الرسول ﷺ ما يخالفه ، وفيهم من أتقن القرآن من أوله إلى آخره ، ورسول الله ﷺ حيّ ، فلو أسقط عثمان حرفاً لعارضه الحفاظ الذين حفظوا جميع القرآن على رسول الله ﷺ ، فلما وافقوه كان في هذا أوضح برهان على أن جميع ما يخالف ما مع المسلمين من القرآن ، من كلام الشياطين ووضع إبليس .

وما لعبد الله بن مسعود مما دخل فيه علي بن أبي طالب ، فذكر من طريق الحسن ابن عرفة قال : حدثنا عيسى بن يونس عن مجالد عن الحسن بن سعد عن قيس بن عبد ، قال : قرأتُ عند عليّ أو قُرئتْ عند علي شك مجالد : ﴿ **وطلح منضود** ﴾[1] ، فقال علي رضي الله عنه : ما قال الطلح ، أما يقرأ وطلع ؟ ثم قال : وطلع نضيد ، فقيل له : يا أمير المؤمنين أتحكها من المصحف ؟ فقال : لا ، لا يهاج القرآن اليوم .

قال : ومعنى هذا : أنه رجع إلى ما في المصحف ، وعلم أنه هو الصواب ، وأبطل الذي كان فرط من قوله ، فما يلحق عبد الله بن مسعود نقص برجوعه عما كان يقرأ به إلى قراءة عثمان كما رجع إليها عليّ ، وعثمان مشهود له بحفظ جميع القرآن وإتقانه .

قالت نائلة بنت العرائض : لما دخل المضريون على عثمان [قالوا][2] إن شئتم فاقتلوه وإن شئتم فاتركوه ، فقد كان يقرأ القرآن من أوله إلى آخره في ركعة .

وقال يحيى بن زكريا الأنصاري ، عن يعلي عن عمر بن أبي عبد الرحمن السلمي ، قال : ما رأيت قرشياً كان أقرأ لكتاب الله عزّ وجل منك يا ابن أبي طالب .

---

(١) الواقعة : ٢٩ .

(٢) زيادة للسياق والبيان .

وقال يحيى بن آدم عن ما نُقل عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن أبي بكر بن عياش ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن أبي عبد الرحمن السلمي قال : ما رأيت أحداً أقرأ لكتاب الله عزّ وجل من علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ولا يجوز أن يحكم على عبد الله بن مسعود بكتاب في رق ، يدعي مدعي أنه مصحف عبد الله ، لأن الخط ليس بشاهد عدل ، ما رأينا نقلة الأنساب وأصحاب الأخبار صححوا عن رسول الله ﷺ ما يرى مكتوباً في صحيفة ، حتى يشهد على الصحيفة عدول ، فما [ينفي][1] عن رسول الله ﷺ بضعف مذهب ، فنفيه عن رب العالمين أولى ، إذ الإجماع من أهل الإسلام كافة على صحة ما بأيدينا من مصحف عثمان ، وكل ما يرد أنه في مصحف ابن مسعود مما يخالف ما عليه الكافة ، ليس معه إجماع ولا له شهود ورواةٌ فهو مردود ، ولإبطال إجماع الأمة له ، وإن حمزة وعاصماً يرويان عن عبد الله بن مسعود ، ما عليه جماعة من المسلمين ، وإلينا على سندين [موافقين][1] الإجماع أولى من الأخذ بواحد يخالفه إجماع الأمة .

فإن قيل : إن عبد الله بن مسعود طالبه عثمان لما جمع المصحف بدفع مصحفه إليه فامتنع ، ولم يكن امتناعه إلا لخلاف بين المصحفين ، فكره عبد الله أن يحمل مصحفهُ على مصحف عثمان ، [فأبى][1] إلا احتجابه والإقامة عليه وأن لا يخرجه ، وقد قال خلاد القارىء ، عن قيس بن الربيع عن الأعمش قال : ليس بين مصحف عبد الله وبين ثابت خلاف في حلال وحرام إلا في حرفين : في سورة الأنفال : ﴿ **واعلموا أن ما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل [من] المهاجرين في سبيل الله** ﴾[2] ، وفي سورة الحشر : ﴿ **ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل [والمهاجرين في سبيل الله]** ﴾[3] .

وقد قال أبو عبيد : حدثنا معاذ عن ابن عون عن عمر بن قيس ، عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل قال : جاءني جَاءٍ وأنا أصلي فقال : ثكلتك أمك ! أتصلي وقد أمر بكتاب الله أن يمزق ؟ فتحورت في صلاتي وأتيت الدار وزقت وكنت لا

---

(١) زيادة للسياق .
(٢) الأنفال : ٤١ ، وما بين الحاصرتين وجه اختلاف القراءتين .
(٣) الحشر : ٧ ، وما بين الحاصرتين وجه اختلاف القراءتين .

أحبس ، فرأيت أبا موسى الأشعري ، وعبد الله بن مسعود ، وحذيفة [يتقاولون][1] ، وحذيفة يقول لعبد الله بن مسعود : أعطهم ، وعبد الله يقول : والله لا أدفعه إليهم ، قرأتُ من في رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة وأدفعه إليهم ؟ والله لا أدفعه إليهم .

فالامتناع الذي كان منه للحذر الذي حاذره من أن يحمل مصحفه على مصحف عثمان ، أجيب عن هذا بأن عثمان جمع المصاحف وطالب عبد الله بمصحفه بعد حصول مصحف المسلمين الذي اجتمعت على صحته الصحابة كلهم ، بعد تصحيح أبي بكر وعمر إشفاقاً من أن يكون في بعضها منسوخ لم يقف صاحب المصحف [عليه][1] لوقوفه هو وسائر المسلمين على ما يلحقه ويدخل عليه .

وكان امتناع عبد الله من دفع مصحفه إشفاقاً على تغيير يدخله ، يخالف ما [قد][1] رواه وأتقنه ، وكان هذا الذي حاذره زائلاً ساقطاً مأموناً منه ، فبعد ذلك حين وقف على اتقان المصحفين ، واجتماع الروايتين ، قرأ وأقرأ بمثل قراءة المسلمين ، على أنه قد كان [آخر][1] من تولى زيد بن ثابت جمع المصحف وقال : أنا أحق بهذه المنزلة لتقدمي في القراءة على رسول الله ﷺ وأخذي عنه ، وزيد في صلب أبيه .

ولم يكن الاختيار لزيد من جهة أبي بكر وعمر وعثمان ، على عبد الله بن مسعود في جمع القرآن ، وعبد الله بن مسعود أفضل من زيد ، وأقدم في الإسلام ، وأكثر سوابق ، وأعظم فضائل ، إلا لأن زيداً كان أحفظ للقرآن من عبد الله ، إذ وعاه كله ، ورسول الله ﷺ حيّ ، والذي حفظه منه عبد الله في حياة رسول الله نيف وسبعون سورة ، ثم تعلم الباقي بعد وفاة الرسول ، فالذي ختم القرآن وحفظه ورسول الله ﷺ حَيّ ، أولى بجمع المصحف ، وأحق بالإيثار والاختيار ، ولا ينبغي أن يظن بأن هذا طعناً على عبد الله بن مسعود ، لأن زيداً إذا كان أحفظ للقرآن منه فليس ذلك موجباً تقدمته عليه ، لأن أبا بكر وعمر كان زيدٌ أحفظ [منهما][1] للقرآن ، وليس هو خير [منهما][1] ، ولا مساوياً لهما في الفضائل والمناقب ، فحسن اختيار أصحاب رسول الله ﷺ لمن أسندوا إليه جمع القرآن واضح ، والذي لحق عبد الله ابن مسعود من الغضب ، وما أبداه من الإنكار غير معول عليه ، ولا مأخوذ

---

(١) زيادة للسياق والبيان .

به ، لأنهم كانوا يرجعون عنه إذا رضوا ، وقد قال زيد بن ثابت : كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع ، فإذا تقدم زيد في هذا ورسول الله حيّ ، كان أحق الناس بالجمع بعد وفاته ، وما اختلف أهل العلم في أن زيداً ضم القرآن وحفظه في حياة رسول الله ، وأن عبد الله بن مسعود قُبض رسول الله وهو غير حافظ لجميع القرآن ، وقراءة عبد الله هي قراءة زيد ، لا نعلم بينهما خلافاً أخل بمعنى ولا [يفسده][1] وما يروى مما يخالف ذلك لا [يخلو][1] من أن يكون موضوعاً على جهة العناد لعثمان وبقية الصحابة ، وللتشكيك [فيما][1] قد صح من كتاب الله الذي قد [جمعه صحابة رسول الله ﷺ][2] ، ولم يحصل ما روى ، أو أن يكون الحديث المتضمن له واهي السند منقطعه ، لا يقوم بمثله حجة .

وذكر ما نقل عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قرأ : ﴿ **وجاءت سكرة الحق بالموت** ﴾[3] ، ثم قال : رويت عنه روايتان : إحداهما موافقة للمصحف ، فعليها العمل ، والأخرى مرفوضة ، تجري مجرى النسيان منه إن كان قالها ، أو الغلط من بعض من نقل الحديث عنه ، وأورد حديث جرير عن منصور ، عن أبي وائل عن مسروق قال : لما حُضر أبو بكر رضي الله عنه أرسل إلى عائشة رضي الله عنها ، فلما دخلت عليه قالت : هـذا كما قال الشاعر :

* إذا حَشْرَجتْ يوماً وضَاقَ بها الصَّدْرُ *

فقال لها أبو بكر رضي الله عنه : ألا قلت كما قال الله تعالى : ﴿ **وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد** ﴾ الحديث .

وذكر ما نقل عن عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما ، أنهما قرءآ : فامضوا إلى ذكر الله ، ثم قال : إن الأمة اجتمعت على : ﴿ **فاسعوا إلى ذكر الله** ﴾[4] ، برواية ذلك عن رب العالمين ورسول الله ﷺ ، فأما عبد الله ابن مسعود ، فما صح عنه : « فامضوا » ، لأن السند غير متصل ، إذ إبراهيم النخعي

---

(١) زيادة للسياق .
(٢) ما بين الحاصرتين سياقه مضطرب في (خ) ، ولعل ما أثبتناه يناسب السياق .
(٣) ق : ١٩ ، وقراءتها على رواية حفص عن عاصم : ﴿ **وجاءت سكرة الموت بالحق** ﴾
(٤) الجمعة : ٩ .

لم يسمع من عبد الله ، إنما ورد : « فامضوا [إلى ذكر الله[1]] » عن عمر رضي الله عنه وحده ، فإذا انفرد واحد بما يخالف الأمة والجماعة كان ذلك نسياناً منه ، ويدل على ذلك أن الصحف التي كتبها أبو بكر رضي الله عنه ونسخ منها مصحف عثمان كانت عند عمر مكتوباً فيها ﴿ **فاسعوا** ﴾ ، وهي أمامه ، وهو أرضى الناس بما فيها لنفسه وللمسلمين ، فلو علم وقت قوله : « فامضوا » ، أن المصحف فيها : ﴿ **فاسعوا** ﴾ ما استجار الخلاف لها ، ولرجع إلى ما فيها ، لكنه غلب عليه نسيان البشر ، وطبع الآدميين ، وإنما كتب القرآن في المصاحف ليحفظ على الناس ، ويرجع إليه الناسي ، ويوقف بما فيه على غلط الغالط وتغيير المغيِّر ، وليس من آدمي يسلم من النسيان والغفلة .

وذكر ما نقل من قراءة عبد الله بن عياش رضي الله عنه : « والشمس تجري لا مستقر لها » ، ثم قال : هذا باطل مردود على من نقله ، لأن أبا عمرو روى عن مجاهد عن ابن عياش ، وابن كثير روى عن مجاهد عن ابن عياش : ﴿ **والشمس تجري لمستقر لها** ﴾[2] فهذان السندان عن ابن عياش اللذان [يشهد][1] بصحتهما الاجماع ببطلان ما ورد بالسند الضعيف مما يخالف مذهب الجماعة وما اتفقت عليه الأمة .

وذكر ما نقل عن ابن عباس أنه قرأ : « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج » ، ثم قال أبو عمرو وابن كثير : سنديهما المنضم إليهما الإجماع عن ابن عباس ﴿ **ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم فإذا أفضتم من عرفات** ﴾[3] ، فأبطل هذان الإسنادان غيرهما ، وحمل الحديث الآخر على أن ابن عباس قال : « في مواسم الحج »مفسِّراً لمعنى القرآن ، فحمل التفسير بعضُ الناقلين على أنه من القرآن فأدخله فيه غالطاً أو غافلاً .

وهذا بمنزلة حديث سفيان عن عمرو عن ابن عباس أنه قرأ : « يا حسرة للعباد » ، وبمنزلة حديث سفيان عن عمرو عن ابن عباس ، أنه قرأ ، « وإن عزموا السراح » ، قال : فالسراح تفسير الطلاق ، غلط فيه بعض الناقلين . ومثله حديث مالك عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر رضي الله عنه ، أنه قرأ : « يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لقَبْل عدتهن » ، قال : فما يُحمل ذا إلا على أن ابن عمر

---

(١) زيادة للسياق . (٢) يس : ٣٨ . (٣) البقرة : ١٩٨ .

ذكر « لِقَبْلِ » تفسيراً لمعنى القرآن ، فتوهم بعض من نقل الحديث أنه من القرآن فأدخله فيه ، وإجماع الأمة يدل على صحة هذا التأويل .

قال : وكل ما يحتج به مما يحكى عن الأئمة من خلاف المصحف المجمع عليه لا تقوم به حجة ، ولا يجوز أن يستعمل شيء منه في صلاة ولا غيرها ، لأنه لا [يخلو] من أن يكون الحرف المخالف تفسيراً لمعنى القرآن ، فأدخله بعض الناقلين في القرآن ، بقصور علمه ، أو يكون بعض الرواة لم يضبط ما نقل ، ولم يصحح ما آثر ، أو يكون المنقول عنه غلط كما يغلط البشر ، فقرأ بحرف يُقدِّر أنه مُثْبَتٌ في المصحف فلم يصح تقديره .

وذكر ما نقل عن عكرمة عن ابن عباس أنه قرأ « أفلم يتبين الذين آمنوا أن لو يشاء الله [لهدى] الناس جميعاً »[1] ، ثم قال هذا باطل عن ابن عباس ، لأن مجاهد وسعيد ابن جبير حكيا الحرف عن ابن عباس على ما في المصحف بقراءة أبي عمرو وروايته عن مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس ، يرفعه إلى أُبَيّ ، ويبلُغ به رسول الله ﷺ .

قال الحسن بن عيسى المقرىء : حدثنا هارون الكوفي ، حدثنا أبو العباس حسن الليثي قال : قلت لأبي عمرو بن العلاء : على من قرأت ؟ فقال : على مجاهد وسعيد ابن جبير ، والقراءة عندهم سُنَّة ، يأخذها آخر عن أول ، قال : فكل واحد من الأئمة – أئمة الأمصار – قراءته روايته ، ونقل الإسناد الذي يذكره ويفصح به .

وذكر ما نقل عن عطاء عن ابن عباس أنه قرأ : « فلا جناح عليه ألا يطوف بهما »[2] ، ثم قال : هو باطل ، من قرأه عامداً في صلاته فقد أفسدها ، وحكى عن الله تعالى ما لم يُنْقَل بإجماع المسلمين على خلافه ، واحتجاج عائشة رضي الله عنها خاصة ، على ما قرأته ، وإبطالها مذهبه .

وذكر حديث مالك عن هشام بن عروة عن أبيه قال : قلت لعائشة وأنا حديث السن : أرأيت قول الله تعالى : ﴿ **إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما** ﴾[2] ، فقد تطوف الناس بهما ، وما أرى على أحد شيئاً أن لا يطَّوف بهما ، فقالت : كلا يا بني ، لو كانت كما تقول

---

(١) الرعد : ٣١ ، وقراءة حفص : ﴿ **أفلم ييئس** ﴾ .

(٢) البقرة : ١٥٨ ، وقراءة حفص : ﴿ **فلا جناح عليه أن يطوف بهما** ﴾ .

لكانت : « فلا جناح عليه ألا يطوف بهما » ، وإنما هذه الآية في الأنصار ، وكانوا يهلون لمناة[1] ، وكانت مناة على قديد[2] ، وكانوا يتحرجون من الطواف بالصفا والمروة ، فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك ، فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ **إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما** ﴾[3] .

* * *

(١) اسم صنم . (٢) اسم جبل . (٣) البقرة : ١٥٨ .

[ترتيب نزول القرآن بمكة]

أول ما نزل من القرآن خمس آيات من سورة العلق بلاخلاف ، كما قاله القُشَيْريّ في أول تفسيره ، قال : ثم نزل بعد ذلك ﴿ نٓ والقلم ﴾ ، ثم ﴿ يا أيها المزمل ﴾ ، ثم ﴿ يا أيها المدثر ﴾ ، ثم ﴿ تبت يدا أبي لهب ﴾ ، ثم ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ ، ثم ﴿ سبح اسم ربك [الأعلى] ﴾ ، ثم ﴿ والليل إذا يغشى ﴾ ، ثم ﴿ والفجر ﴾ ، ثم ﴿ والضحى ﴾ ، ثم ﴿ ألم نشرح ﴾ ، ثم ﴿ والعصر ﴾ ، ثم ﴿ والعاديات ﴾ ، ثم ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ ، ثم ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ، ثم ﴿ والنجم ﴾ إلى قوله : ﴿ أفرأيت الذي تولى ﴾[1] ، ثم ﴿ عبس ﴾ ، ثم ﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر ﴾ ، ثم ﴿ والشمس وضحاها ﴾ ، ثم ﴿ والسماء ذات البروج ﴾ ، ثم ﴿ والتين ﴾ ، ثم ﴿ لإيلاف قريش ﴾ ، ثم ﴿ القارعة ﴾ ، ثم ﴿ لا أقسم بيوم القيامة ﴾ ، ثم ﴿ الهمزة ﴾ ، ثم ﴿ والمرسلات ﴾ ، ثم ﴿ قٓ ﴾ ، ثم ﴿ لا أقسم بهذا البلد ﴾ ، ثم ﴿ الطارق ﴾ ، ثم ﴿ اقتربت الساعة ﴾ ، ثم ﴿ صٓ ﴾ ، ثم ﴿ الأعراف ﴾ ، ثم ﴿ الجن ﴾ ، ثم ﴿ يسٓ ﴾ ، ثم ﴿ الفرقان ﴾ ، ثم ﴿ الملائكة ﴾ ، ثم ﴿ مريم ﴾ ، ثم ﴿ طه ﴾ ، ثم ﴿ الواقعة ﴾ ، ثم ﴿ الشعراء ﴾ ، ثم ﴿ النمل ﴾ ، ثم ﴿ القصص ﴾ إلى قوله : ﴿ إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ﴾الآية[2] ، فإنها نزلت بالجُحفة ، ثم ﴿ بني إسرائيل ﴾ غير قوله : ﴿ وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ﴾[3] ، وقوله : ﴿ رب أدخلني مدخل صدق ﴾[4] ، ثم ﴿ يونس ﴾ ، ثم ﴿ الحجر ﴾ ، ثم ﴿ الأنعام ﴾إلا قوله : ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾[5] ، ثم ﴿ والصافات ﴾ ، ثم ﴿ لقمان ﴾ ، ثم ﴿ سبأ ﴾ ، ثم ﴿ الزمر ﴾ غير قوله : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم .. ﴾[6] الآية ، ثم ﴿ حمٓ ﴾ المؤمن[7] ، ثم ﴿ حمٓ ﴾ فُصِّلتْ ، ثم ﴿ حمٓ عسٓق ﴾[8] ، ثم ﴿ الزخرف ﴾ ، ثم ﴿ الدخان ﴾ ، ثم ﴿ الجاثية ﴾ ، ثم ﴿ الأحقاف ﴾ إلا قوله : ﴿ وشهد شاهد من بني إسرائيل على

---

(١) النجم : ٣٣ .
(٢) القصص : ٨٥ .
(٣) الإسراء : ٧٦ .
(٤) الإسراء : ٨٠ .
(٥) الأنعام : ٩١ .
(٦) الزمر : ٥٣ .
(٧) سورة غافر .
(٨) أول الشورى .

مثله ﴾[1] ، ثم﴿ **والذاريات** ﴾ ، ثم ﴿ **الغاشية** ﴾ ، ثم ﴿ **الكهف** ﴾ غير قوله : ﴿ **واصبر نفسك** ﴾[2] ، ثم ﴿ **النحل** ﴾ غير قوله : ﴿ **وإن عاقبتم** ﴾[3] ، ثم ﴿ **نوح** ﴾ ، ثم ﴿ **إبراهيم** ﴾ ، ثم ﴿ **الأنبياء** ﴾ ، ثم ﴿ **المؤمنون** ﴾ ، ثم ﴿ **الٓمٓ تنزيل** ﴾[4] ، ثم ﴿ **الطور** ﴾ ، ثم ﴿ **تبارك الذي بيده الملك** ﴾ ، ثم ﴿ **الحاقة** ﴾ ، ثم ﴿ **سأل سائل** ﴾[5] ، ثم ﴿ **عم يتساءلون** ﴾[6] ، ثم ﴿ **إذا السماء انفطرت** ﴾ ، ثم ﴿ **إذا السماء انشقت** ﴾ ، ثم ﴿ **الروم** ﴾ ، فهذه خمس وثمانون سورة نزلت بمكة .

[آخر ما نزل بمكة]

وقال ابن عباس رضي الله عنه : آخر ما نزل بمكة ﴿ **العنكبوت** ﴾ ، وقال الضحاك وعطاء : ﴿ **المؤمنون** ﴾ ، وقال مجاهد : ﴿ **ويل للمطففين** ﴾ . وقيل فيما ذكر البغوي : إن سورة ﴿ **المطففين** ﴾ ، وسورة ﴿ **القدر** ﴾ ، و ﴿ **قل أعوذ برب الفلق** ﴾ ، و ﴿ **قل أعوذ برب الناس** ﴾ أنزلت بالمدينة ، وقال الزمخشري : المعوذتان مكيتان[7] ، وقال البغوي : مدنيتان .

* * *

---

(1) الأحقاف : ١٠ . (2) الكهف : ٢٨ . (3) النحل : ١٢٦ .
(4) سورة السجدة . (5) سورة المعارج . (6) سورة النبأ .
(7) (الكشاف) : ٤ / ٢٤٣ - ٢٤٤ .

[ترتيب نزول القرآن بالمدينة]

قال أبو القاسم القشيري : أول ما نزل بالمدينة « البقرة » ، ثم « الأنفال » إلا قوله : ﴿ **يا أيها النبي حسبك الله** ﴾[1] ، ثم « آل عمران » ، ثم « الأحزاب » ، ثم « الممتحنة » ، ثم « النساء » ، ثم ﴿ **إذا زلزلت** ﴾ ، ثم « الحديد » ، ثم « سورة محمد » ، ثم « الرعد » ، ثم ﴿ **الرحمن** ﴾ ، ثم ﴿ **هل أتى على الإنسان** ﴾ ، ثم « الطلاق » ، ثم ﴿ **لم يكن** ﴾ ، ثم « الحشر » ، ثم ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ ، ثم « النور » ، ثم « الحج » ، غير قوله : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول** ﴾ إلى قوله : ﴿ **عقيم** ﴾ ، ثم « المنافقون » غير قوله : ﴿ **يقولون لئن رجعنا إلى المدينة** ﴾ ، ثم « المجادلة » ، ثم « الحجرات » ، ثم ﴿ **لم تُحَـرِّمُ** ﴾[2] ، ثم « الصف » ، ثم « الجمعة » ، ثم « التغابن » ، ثم « الفتح » ، ثم « المائدة » ، ومنهم من يقدم المائدة على التوبة ، وقرأها النبي ﷺ في خطبته يوم حجة الوداع وقال : يا أيها الناس ، إن آخر القرآن نزولاً سورة المائدة ، فأحلوا حلالها وحرموا حرامها ، واختلف في ﴿ **ويل للمطففين** ﴾ ، فعن ابن عباس ، هي مدنية ، وقال الباقون : مكية . فهذه تسع وعشرون سورة [نزلت بالمدينة][3] ، وأكثرهم على أن الفاتحة مكية ، وقال مجاهد وغيره : نزلت بالمدينة .

وخرج الحاكم من حديث يحيى بن معين ، حدثنا وكيع عن أبيه عن الأعمش ، عن إبراهيم عن علقمة ، عن عبد الله قال : ما كان ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ نزل بالمدينة ، وما كان ﴿ **يا أيها الناس** ﴾ فبمكة . ومن حديث وكيع ، أخبرنا إسرائيل عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قرأنا المفصل حيناً وحججاً ، ليس فيها ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ . قال الحاكم : صحيح على شرح الشيخين[4] . ومن حديث معتمر بن سليمان ، عن مثنى بن

---

(١) الأنفال : ٦٤ . (٢) سورة التحريم . (٣) زيادة للسياق .

(٤) (المستدرك) : ٣ / ٢٠ ، كتاب الهجرة ، حديث رقم (٤٢٩٦ / ٤٠) ، وله أيضاً من حديث إسرائيل عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال : قرأنا المفصل بمكة حججاً ليس فيه ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ . (المرجع السابق) : ٢ / ٢٤٤ ، حديث رقم (٢٨٨٩ / ١٨) وقال الحاكم في آخره : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

الصباح ، عن عمرو بن دينار ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أن النبي ﷺ كان إذا نزل جبريل فقال : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ علم أنها سورة[١] .

قال الحاكم : حديث صحيح الإسناد [ولم يخرجاه][٢] .

* * *

(١) (المرجع السابق) : ٢ / ١١ ، حديث رقم (٤٢١٨ / ٢٢٨) .

(٢) زيادة من (المرجع السابق) .

[تتمَّة مفيدة]

اختلف السلف في أي سورة من القرآن أُنزلت أولا ، فقيل : ﴿ **يا أيها المدثر** ﴾[1] ، وقيل : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾[2] ، خرج البخاري في كتاب التفسير ، من حديث وكيع عن علي بن المبارك ، عن يحيى بن أبي كثير قال : سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما أنزل من القرآن قال : ﴿ **يا أيها المدثر** ﴾[1] ، قلت : يقولون : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾[2] ، فقال أبو سلمة : سألت جابر بن عبد الله عن ذلك ، وقلت له مثل الذي قلت ، فقال جابر : لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله ﷺ ، قال : جاورت بحراء فلما قضيت جواري هبطت فنوديت ، فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً ، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً ، ونظرت أمامي فلم أر شيئاً ، ونظرت خلفي فلم أر شيئاً ، فرفعت رأسي فرأيت شيئاً ، فأتيت خديجة فقلت : دثريني وصُبّوا عليّ ماءاً بارداً ، فنزلت : ﴿ **يا أيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر** ﴾[3] .

وذكر من حديث عبد الرحمن بن مهدي قال : حدثنا حرب بن شداد ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن جابر بن عبد الله ، عن النبي ﷺ قال : جاورت بحراء ...[3] ، فذكره . ومن حديث عبد الصمد ، حدثنا حرب ، حدثنا يحيى ، سألت أبا سلمة : أي القرآن نزل أول ؟ فقال : ﴿ **يا أيها المدثر** ﴾ ، فقلت : أُنبئت أنه ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾ ، فقال أبو سلمة : سألت جابر بن عبد الله : أي القرآن أُنزل أول ؟ فقال : ﴿ **يا أيها المدثر** ﴾ ، فقلت : أنبئت أنه ﴿ **اقرأ باسم ربك** ﴾ ، فقال : لا أخبرك إلا بما قال رسول الله ﷺ ، قال رسول الله ﷺ : جاورت في حراء ، فلما قضيت جِواري هبطت فاستبطنت الوادي ، فنوديت فنظرت أمامي وخلفي ، وعن يميني وعن شمالي ، فإذا هو جالس على عرش بين السماء والأرض فأتيت خديجة فقلت : دثروني وصبوا عليّ ماءاً بارداً ، وأُنزل عليّ : ﴿ **يا أيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر** ﴾ .

---

(١) أول سورة المدثر . (٢) أول سورة العلق .
(٢) سبق شرح وتخريج هذا الحديث في باب كيف كان بدء الوحي .
(٣) المدثر : ١ - ٣ .

وخرج مسلم في كتاب الإيمان ، من حديث الأوزاعي قال : سمعت يحيى يقول : سألت أبا سلمة : أيُّ القرآن أُنزل ؟ قال : ﴿ يا أيها المدثر ﴾ ، فقلت : أو ﴿ اقرأ ﴾ ؟ قال جابر : أحدثك ما حدثنا رسول الله ﷺ ، قال : جاورت بحراء شهراً ، فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت بطن الوادي ، فنوديت ، فنظرت أمامي وخلفي ، وعن يميني وعن شمالي ، فلم أر أحداً ، ثم نوديت ، فرفعت رأسي ، فإذا هو علي العرش في الهواء - يعني جبريل عليه السلام - فأخذتني رجفة شديدة ، فأتيتُ خديجة فقلت : دثروني ، فدثروني ، فصبّوا عليّ ماءاً ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **يا أيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر** ﴾[1] .

وخرجه من حديث علي بن المبارك عن يحيى بهذا الإسناد ، قال : فإذا هو جالس على العرش بين السماء والأرض . وثبت في الصحيحين وغيرها ، من حديث يونس بن يزيد قال : أخبرني ابن شهاب أن عروة بن الزبير أخبره أن عائشة رضي الله عنها قالت : كان أول ما بُدِىءَ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلاء ، فكان [يخلو] بغار حراء فيتحنث فيه ، قال : والتحنث : التعبد الليالي ذوات العدد . وقال مسلم : أولات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى فجئه الحق وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فقال : ﴿ إقرأ ﴾ ، فقال رسول الله ﷺ : ما أنا بقارىء ، قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : إقرأ ، فقلت : ما أنا بقارىء ، قال : فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : ﴿ **إقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * إقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم** ﴾ ، فرجع رسول الله ﷺ يرجف فؤاده ، حتى دخل على خديجة . الحديث بطوله[2] .

وخرجاه من حديث ابن شهاب قال : سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يقول : أخبرني[3] جابر بن عبد الله ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : ثم فتر الوحي عني فترة ، فبينا أنا أمشي سمعت صوتاً بين السماء والأرض ، فرفعت رأسي ، فإذا الملك

---

(١) المدثر : ١ - ٤ .

(٢) سبق شرحه وتخريجه في باب كيف كان بدء الوحي .

(٣) في (خ) : « أخبرنا » ، وما أثبتناه من (صحيح مسلم) .

الذي بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض ، فخبئت منه فرقاً حتى هويت إلى الأرض ، فرجعت فقلت : زملوني زملوني ، فدثروه – وقال مسلم : فدثروني – فأنزل الله : ﴿ **يا أيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر** ﴾ ، الحديث . وقال سفيان بن عيينة : عن ابن إسحاق ، إن أول شيء نزل من القرآن ﴿ **إقرأ** ﴾ .

وقال سفيان عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : أول ما نزل من القرآن : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾ ، ﴿ [نٓ] **والقلم وما يسطرون** ﴾[1] ، وقال وكيع ، عن مرة بن خالد ، عن أبي رجاء قال : أول سورة أُنزلت على محمد ﷺ : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾ ، وقال محمد بن سعد : أخبرنا محمد بن عمر ، حدثني معمر بن راشد عن الزهري ، عن محمد بن عباد عن جعفر قال : سمعت بعض علمائنا يقول : كان أول ما أنزل على النبي ﷺ : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * إقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم** ﴾ ، فهذا صدرها الذي أُنزل على النبي ﷺ يوم حراء ، ثم نزل آخرها بعد ذلك بما شاء الله .

قال النووي : قوله : إن أول ما نزل : ﴿ **يا أيها المدثر** ﴾ ، ضعيف ، بل باطل ، والصواب : إن أول ما نزل على الإطلاق : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾ ، كما صرح به في حديث عائشة رضي الله عنها ، وأما ﴿ **يا أيها المدثر** ﴾ فكان نزولها بعد فترة الوحي ، كما صرح به في رواية الزهري عن أبي سلمة عن جابر ، والدلالة صريحة فيه في قوله : فإذا الملك الذي جاءني بحراء ، ثم قال : وأنزل الله تعالى : ﴿ **يا أيها المدثر** ﴾ ، ومنها قوله : ثم تتابع يعني بعد فترته ، والصواب : أن أول ما نزل [على الإطلاق][2] : ﴿ **اقرأ** ﴾ ، وأول ما نزل بعد فترة الوحي : ﴿ **يا أيها المدثر** ﴾ ، وأما قول من قال : أول ما نزل الفاتحة ، فبطلانه أظهر من أن يُذكر .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا أبو الأحوص عن منصور عن مجاهد عن أبي هريرة قال : أُنزلت فاتحة الكتاب بالمدينة . حدثنا أبو أسامة عن زائدة ، عن منصور ، عن مجاهد عن أبي هريرة قال : أُنزلت فاتحة الكتاب بالمدينة . حدثنا أبو أسامة عن زائدة ، عن منصور عن مجاهد قال : ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ أُنزلت بالمدينة .

---

(١) أول سورة القلم . (٢) زيادة للسياق والبيان .

حدثنا أبو معاوية عن هشام ، عن أبيه قال : ما كان من حج أو فريضة فإنه نزل بالمدينة ، وما كان من ذكر الأمم والقرون والعذاب فإنه نزل بمكة .

حدثنا وكيع عن سلمة عن الضحاك : [ما كان][1] ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ [نـزل][1] في المدينة . حدثنا وكيع عن الأعمش ، عن إبراهيم عن علقمة قال : كل شيء في القرآن ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ أنزل في المدينة ، وكل شيء في القرآن ﴿ **يا أيها الناس** ﴾ نزل بمكة . حدثنا وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله - يعني ابن مسعود - رضي الله عنه قال : قرأنا المَفصَّل حججاً ونحن بمكة ليس فيها ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ ، حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة عن أيوب ، عن عكرمة قال : كل سورة فيها ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ فهي مدنية . حدثنا أبو أحمد عن مسعر عن النضر بن قيس ، عن عروة قال : ما كان ﴿ **يا أيها الناس** ﴾ [نزل][1] بمكة وما كان ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ [نزل][1] بالمدينة .

حدثنا وكيع عن ابن عون قال : ذكروا عند الشعبي قوله تعالى : ﴿ **وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله** ﴾[2] ، فقيل : عبد الله بن سلام ، فقال : كيف يكون ابن سلام وهذه السورة مكية . حدثنا علي بن مسهر عن هشام عن أبيه قال : إني لا أعلم ما نزل من القرآن بمكة وما نزل بالمدينة ، فأما ما نزل بمكة فضرب الأمثال وذكر القرون ، وأمَّا مَا نزل بالمدينة فالفرائض والحدود والجهاد . حدثنا وكيع عن سفيان ، عن ابن نجيح عن مجاهد قال : أول سورة نزلت ﴿ **إقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾ ، ثم ﴿ **نٓ** ﴾

حدثنا وكيع عن شعبة عن عمرو بن دينار قال : سمعت عبيد بن عمير يقول : أول ما نزل من القرآن : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾ ، ثم ﴿ **نٓ** ﴾ . حدثنا وكيع عن قرة عن أبي رجاء قال : أخذتُ عن أبي موسى ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾ ، وهي أول سورة أُنزلت على محمد ﷺ .

---

(١) زيادة للسياق والبيان .

(٢) الأحقاف : ١٠ .

حدثنا وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : آخر سورة نزلت كاملة : ﴿ **براءة** ﴾[1] ، وآخر آية نزلت من القرآن : ﴿**يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة** ﴾[2] ، حدثنا ابن نمير ، حدثنا ابن شيبة ، حدثنا مالك عن أبي السَّفَر عن البراء قال : آخر آية نزلت ﴿ **يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة** ﴾[2] ، حدثنا وكيع عن إسماعيل عن أبي خالد عن السُّدّي قال : آخر آية نزلت : ﴿ **واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله** ﴾[3] ، حدثنا ابن نمير ، حدثنا مالك بن معون عن عطية العوفي قال : آخر آية نزلت : ﴿ **واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله** ﴾[3] ، والله يفعل ما يريد .

* * *

(١) أول سورة التوبة . (٢) النساء : ١٧٦ . (٣) البقرة : ٢٨١ .

[فصل في ذكر أخذ القرآن
ورؤية رسول الله ﷺ بالقلوب حتى دخل كثير من العقلاء
في الإسلام في أول ملاقاتهم لـه]

خرج أبو نعيم من حديث محمد بن عثمان بن أبي شيبة قال : حدثنا منجاب ابن الحرث ، أخبرنا علي بن مُسهر ، عن الأجلح عن الذَّيال بن حرملة ، عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنه قال : اجتمعت قريش يوماً فقالوا : انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر ، فليأت هذا الرجل الذي قد فرق جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وعاب ديننا ، فليكلمه فلينظر ماذا يرد عليه ، فقالوا : ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة ، فقالوا : أنت يا أبا الوليد ، فأتاه عتبة فقال : يا محمد ! أنت خيرٌ أمْ عبد الله ؟ فسكت ، ثم قال : أنت خير أمْ عبد المطلب ؟ فسكت [رسول الله ﷺ ثم قال : أنت خير أم هاشم ؟ فسكت رسول الله ﷺ][1] فقال : وإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك ، فقد عبدوا الآلهة التي عبتها . وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك ، ما رأينا سَخلة قط أشأم على قومه منك ، فرقت جماعتنا ، وشتَّت أمرنا ، وفضحتنا في العرب ، حتى طار في العرب أن في قريش ساحراً ، وأن في قريش كاهناً ، والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى ، أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى [نتفانى][2] ، أيها الرجل ! إن كان إنما بك الباءة[3] فاختر أي نساء قريش فلنزوجك عشراً ، وإن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً ، فقال رسول الله ﷺ : فرغت ؟ قال ، نعم ، فقال رسول الله ﷺ : ﴿ **حمٓ * تنزيل من الرحمن الرحيم * كتاب فصلت آياته قرآنا عربياً لقوم يعلمون * بشيراً ونذيراً** ﴾[4] ، حتى قرأ : ﴿ **فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود** ﴾ ، فقال عتبة : حسبك حسبك ، ما عندك غير هذا ؟ قال : لا ، فرجع إلى قريش فقالوا : ما وراءك ؟ فقال : ما تركت شيئاً أرى

(١) ما بين الحاصرتين من (أبي نعيم) .
(٢) زيادة للسياق من المرجع السابق .
(٣) الباءة : القدرة على الزواج .
(٤) فصلت : ١ - ١٣ بما فيها المحذوف .

أنكم تكلمونه إلا وقد كلمته ، قالوا : فهل أجابك ؟ قال نعم ، قال : لا والذي نصبها بنَية[1] ، ما فهمت شيئاً مما قال ، غير أنه قال : ﴿ **أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود** ﴾ ، قالوا : ويلك ! يكلمك رجل بالعربية لا تدري ما قال ؟ قال : لا والله ما فهمت شيئاً مما قال ، غير ذكر الصاعقة[2] .

وخرجه البيهقي من حديث محمد بن فُضيل قال : حدثنا الأجلح عن الّذيال ابن حرملة ، عن جابر بن عبد الله قال : قال أبو جهل والملأ من قريش : لقد انتشر علينا أمر محمد ، فلو التمستم رجلاً عالماً بالسحر والكهانة والشعر ، فكلمه ثم أتانا من أمره ، فقال عتبة : لقد سمعت بقول السحرة والكُهَّان والشعراء ، وعلمت من ذلك علماً ، وما يخفى عليّ إن كان كذلك ، فأتاه .

فلما أتاه قال له عتبة : يا محمد ! أنت خير أم هاشم ؟ أنت خير أم عبد المطلب ؟ أنت خير أم عبد الله ؟ فلم يجبه ، قال : فيم تشتم آلهتنا وتضلل آباءنا ؟ فإن كنت إنما بك الرياسة عقدنا ألويتنا لك ، فكنت رأساً ما بقيت ، وإن كان الباءة زوجناك عشر نسوة تختار من أي أبيات قريش شئت ، وإن كان بك المال جمعنا لك من أموالنا ما تستغني بها أنت وعقبك من بعدك ، ورسول الله ﷺ ساكت لا يتكلم .

فلما فرغ قال رسول الله ﷺ : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم * حمٓ * تنزيل من الرحمن الرحيم * كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون** ﴾ فقرأ حتى بلغ : ﴿ **أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود** ﴾ ، فأمسك عتبة على فيه وناشده الرحم أن يكف عنه ، ولم يخرج إلى أهله واحتبس عنهم ، فقال أبو جهل : يا معشر قريش ، والله ما نرى عتبة إلا وقد صبأ إلى محمد وأعجبه طعامه ، وما ذاك إلا من حاجة أصابته انطلقوا بنا إليه ، فأتوه فقال أبو جهل : والله يا عتبة ما حسبنا إلا

---

(١) يقسم بالكعبة .

(٢) (دلائل أبي نعيم) ١ / ٢٣٠ - ٢٣١ ، حديث رقم (١٨٢) ، وأخرجه السيوطي في (الخصائص الكبرى) : ١ / ٢٨٣ وقال : أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه برقم (١٨٤٠٩) ، والبيهقي في (دلائل النبوة) : ٢ / ٢٠٢ - ٢٠٤ .

وقال في (مجمع الزوائد) : ٦ / ١٢٠ رواه أبو يعلي ، وفيه الأجلح الكندي وثقه ابن معين وغيره ، وضعفه النسائي وغيره ، وبقية رجاله ثقات .

أنك صبوت إلى محمد وأعجبك أمره ، فإن كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد ، فغضب وأقسم بالله لا يكلم محمداً أبداً ، وقال : لقد علمتم أني من أكثر قريش مالاً ، ولكني أتيته ، فقص عليهم القصة ، فأجابني بشيء والله ما هو بسحر و لا شعر ولا كهانة ، قرأ : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم * حمٓ * تنزيل من الرحمن الرحيم * كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون** ﴾ حتى بلغ : ﴿ **فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود** ﴾ ، فأمسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف ، وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب ، فخفت أن ينزل بكم العذاب[١] .

وخرجه من حديث ابن بكير عن ابن إسحاق قال : حدثني يزيد بن زيادة مولى بني هاشم ، عن محمد بن كعب قال : حُدثت أن عتبة بن ربيعة[٢] – وكان سيداً حكيماً – قال : ذات يوم وهو جالس في نادي قريش ، ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده ، يا معشر قريش ، ألا أقوم إلى هذا فأكلمه ، فأعرض عليه أموراً لعله يقبل منا بعضها ، ويكف عنا ؟ قالوا : بلى يا أبا الوليد ، فقام عتبة ابن ربيعة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ ، فذكر الحديث فيما قال له عتبة ، وفيما عرض عليه من المال والملك وغير ذلك ، حتى إذا فرغ [عتبة قال رسول الله ﷺ : أفرأيت يا أبا الوليد ؟ قال : نعم ، قال : فاسمع مِنّي ، قال : أفعل][٣] قال رسول الله ﷺ : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم * حمٓ * تنزيل من الرحمن الرحيم * كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا** ﴾ ، فمضى رسول الله يقرأها عليه ، فلما سمعها عتبة أنصت لها ، وألقى بيديه خلف ظهره معتمداً عليهما يستمع منه ، حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة[٤] فسجد فيها ، ثم قال : سمعت يا أبا الوليد ؟ قال : سمعت ، قال : فأنت وذاك .

فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به ، فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال :

---

(١) انظر التعليق السابق .

(٢) عتبة بن ربيعة (٢ هـ = ٦٢٤ م) .

(٣) ما بين الحاصرتين تكملة من (دلائل البيهقي) .

(٤) وهي قوله تعالى في ذات السورة : ﴿ **فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون** ﴾ ، آية : ٣٨ فصلت .

ورائي أني والله سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة ، يا معشر قريش ! أطيعوني واجعلوها بي ، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ ، فإن تصبه العرب فقد كُفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به ، قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ، فقال : هذا رأيي لكم ، فاصنعوا ما بدا لكم ، ثم ذكر شعراً يمدح به عتبة فيما قال[1] .

وله من حديث المثنى بن زرعة ، عن محمد بن إسحاق ، عن نافع عن ابن عمر قال : لما قرأ النبي ﷺ على عتبة بن ربيعة : ﴿ **حمٓ * تنزيل من الرحمن الرحيم** ﴾ ، أتى أصحابه فقال لهم : يا قوم ، أطيعوني في هذا اليوم واعصوني فيما بعده ، فوالله لقد سمعت من هذا الرجل كلاماً ما سمعتْ أذناي قط كلاماً مثله ، وما دريتُ ما أردّ عليه[2] .

وله من حديث يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق قال : حدثني الزهري قال : حُدثت أن أبا جهل وأبا سفيان والأخنس بن شُريق ، خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلي بالليل في بيته ، وأخذ كل رجل منهم مجلساً ليستمع فيه وكلاً لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا أصبحوا وطلع الفجر تفرقوا فجمعتهم الطريق ، فتلاوموا وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا ، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً ثم انصرفوا .

حتى إذا كانت الليلة الثانية فإذا كل رجل منهم في مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعتهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ثم انصرفوا .

فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل منهم مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فقالوا : لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود ، وتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا ، فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٢ / ٢٠٤ - ٢٠٥ .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٢ / ٢٠٥ - ٢٠٦ .

حتى [أتى][1] أبا سفيان في بيته قال : أخبرني يا أبا حنظلة ، أخبرني عن رأيك فيما سمعت من محمد ، فقال : يا أبا ثعلبة ، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها ، فقال الأخنس : وأنا والذي حلفت به .

ثم خرج من عنده حتى [أتى][1] أبا جهل ، فدخل عليه بيته فقال : يا أبا الحكم ، ما رأيت فيما سمعت من محمد ؟ فقال : ماذا سمعت ؟ تنازعنا نحن [وبنو] عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتى تدرك هذه ؟ والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه ، فقام عنه الأخنس [بن شريق][1] .

وله من حديث هشام بن سعد عن زيد بن أسلم ، عن المغيرة بن شعبة قال : إن أول يوم عرفتُ رسول الله ، أني أمشي أنا وأبو جهل بن هشام في بعض أزقّة مكة ، إذ لقينا رسول الله ﷺ ، فقال لأبي جهل : يا أبا الحكم ، هلمَّ إلى الله وإلى رسوله أدعوك إلى الله ، قال : يا محمد ! هل أنت منته عن سب آلهتنا ؟ هل تريد أن نَشهد إلا أن قد بلَّغتَ ، فنحن نشهد أن قد بلغت ، فوالله لو أني أعلم أن ما تقول حقاً ما اتبعتك ، فانصرف رسول الله ﷺ وأقبل عليٌّ فقال : والله إني لأعلم أن ما يقول حق ، ولكن بني قُصي قالوا : فينا الحجابة ، فقلنا : نعم ، فقالوا : فينا الندوة ، فقلنا : نعم ، قالوا : فينا اللواء ، فقلنا : نعم ، قالوا : فينا السقاية ، فقلنا نعم ، ثم أطعمنا ، حتى إذا تحاكّت الركب قالوا : منا نبيّ ، والله لا أفعل[2] .

ولأبي نعيم من حديث سعيد ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، أن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش ، وكان ذا سن فيهم ، وقد حضر الموسم ، فقال لهم : يا معشر قريش ، إنه قد حضر هذا الموسم وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا

---

(١) زيادات من (دلائل البيهقي) : ٢ / ٢٠٦ - ٢٠٧ .
(٢) (دلائل البيهقي) : ٢ / ٢٠٧ .

بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأياً واحداً ، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً ، ويرد قولكم بعضه [بعضاً][1] ، قالوا : فأنت يا عبد شمس ، قم وأقم لنا رأياً نقل به ، فقال : بل أنتم تقولوا وأسمع ، قالوا : نقول : إنه كاهن ، قال : فما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكهان ولا سجعهم ، قالوا : فنقول : إنه مجنون ، قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه ولا بتخالجه ولا وسوسته ، قالوا : فنقول إنه شاعر ، قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله ، رجزه وهزَجَهُ ، وقريضه ، ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشاعر ، قالوا : فنقول ساحر ، قال : ما هو بساحر ، لقد رأينا [السحرة][1] وسحرهم ، فما هو بنفثه ولا عقده ، فقالوا : فما نقول يا عبد شمس ؟ قال : والله إن لقوله لحلاوة ، وإن أصله لمغدق ، وإن فرعه لجناةٌ ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عُرف أنه باطل ، وإن أقرب القول فيه أن يقولوا : هو ساحر يفرق بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، [وبين المرء][2] وزوجه ، وبين المرء وعشيرته ، فتفرقوا عنه بذلك[3] .

---

(١) زيادة للسياق من (دلائل أبي نعيم) .

(٢) زيادة للسياق من (دلائل أبي نعيم) .

(٣) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ٢٣٢ - ٢٣٣ ، حديث رقم (١٨٣) ، وقال في آخره : [رواه يونس ابن بكير عن محمد بن إسحاق ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس] ، ولولا ذلك لكان الحديث مرسلاً ، حيث قد وصله أبو نعيم بذلك . وأخرجه أيضاً البيهقي في (دلائل النبوة) : ٢ / ٢٠٠ - ٢٠١ ، وزاد فيه : [فجعلوا يجلسون للناس حين قدموا الموسم ، لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه ، وذكروا لهم من أمره ، فأنزل الله عز وجل في الوليد بن المغيرة ، وذلك من قوله : ﴿ **ذرني ومن خلقت وحيداً** ﴾ - إلى قوله : ﴿ **سأصليه سقر** ﴾] ، [الآيات (١١ - ٢٦) من سورة المدثر ،] ، [وأنزل الله عز وجل في النفر الذين كانوا معه ، ويصنعون له القول في رسول الله ﷺ فيما جاء به من عند الله : ﴿ **الذين جعلوا القرآن عضين * فوربك لنسألنهم أجمعين** ﴾ ، أولئك النفر الذين يقولون ذلك لرسول الله ﷺ ، لمن لقوا من الناس قال وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله ﷺ ، وانتشر ذكره في بلاد العرب كلها .] ، [الآيتان (٢٠ - ٢١) من سورة الحجر] .

وأخرجه أيضاً ابن إسحاق في (السيرة) و (سيرة ابن هشام) : ٢ / ١٠٥ - ١٠٦ . ذكر ابن إسحاق قول الله تعالى : ﴿ **ذرني ومن خلقتُ وحيداً** ﴾ .. الآيات التي نزلت في الوليد ، وفيها تهديد ووعيد شديد ، لأن معنى : ﴿ **ذرني ومن خلقت** ﴾ أي دعني وإياه ، فسترى ما أصنع به ، كما قال : ﴿ **فذرني ومن يكذب بهذا الحديث** ﴾ . (المرجع السابق) .

وأخرجه أيضاً الحاكم في (المستدرك) ٢ / ٥٥٠ ، كتاب التفسير ، تفسير سورة المدثر ، حديث رقم (٣٨٧٢ / ١٠٠٩) ، وقال في آخره : هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه .

وله من حديث سفيان بن عمرو عن عكرمة ، أن الوليد بن المغيرة قال : قد سمعتُ الشعر رَجْزَهُ وقريضَه ومُخمَّسَهُ ، فما سمعت مثل هذا الكلام يعني القرآن – ما هو بشعر ، إن له لحلاوة ، وإن عليه لَطَلاوة ، وإن له لنوراً ، وإن له لَفَرعاً ، وإنه يعلو ولا [يعلى][1] .

وللبيهقي من حديث عبد الرزاق عن معمر ، عن أيوب السجستاني ، عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه ، أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن فكأنه رقَّ له ، فبلغ ذلك أبا جهل ، فأتاه فقال : يا عم إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالاً ، قال : لم ؟ قال : ليعطوكه ، فإنك أتيت محمداً لتعرض لما قِبَله ، قال : قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً .

قال : فقل فيه قولاً تبلغ قومك أنك منكر له أو كاره له ، قال : وماذا أقول ؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني ، ولا بأشعار الجن مني ، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ، والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ، وإنه ليعلو وما [يعلى] ، وإنه ليحطم ما تحته .

فقال : والله لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه ، قال : فدعني حتى أفكر فيه ، فلما فكر قال : هذا سحر يؤثر ، أي يأثره عن غيره ، فنزلت فيه : ﴿ **ذرني ومن خلقت وحيداً** ﴾[2] . قال البيهقي : هكذا حدثنا موصولاً .

وفي حديث حماد بن زيد عن أيوب ، عن عكرمة قال : جاء الوليد بن المغيرة إلى رسول الله ﷺ فقال له : اقرأ عليّ ، فقرأ عليه : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون** ﴾[3] ، قال : أعد ، فأعاد النبي ﷺ ، فقال : [أي الوليد] :

---

(١) زيادة للسياق من (دلائل أبي نعيم) : ١ / ٢٣٤ – ٢٣٥ ، حديث رقم (١٨٦) ، وقد انفرد به أبو نعيم وهو حديث مرسل ، وهو بعض حديث ابن عباس الذي أخرجه الحاكم في (المستدرك) : ٢ / ٥٥٠ ، حديث رقم (٣٨٧٢ / ١٠٠٩) في كتاب التفسير / تفسير سورة المدثر .

(٢) المدثر : ١١ .

(٣) النحل : ٩٠ .

والله إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وما يقول هذا بشر . قال : وكذلك رواه معمر عن عباد بن منصور ، عن عكرمة مرسلاً ، ورواه أيضاً معتمر بن سليمان عن أبيه ، فذكره أتم من ذلك مرسلاً ، وكل ذلك يؤكد بعضه بعضاً .

وله من حديث يونس بن بكير عن ابن إسحاق [قال : حدثني محمد بن أبي محمد عن ابن عباس][1] ، أن الوليد بن المغيرة اجتمع ونفر من قريش - وكان ذا سنّ فيهم - وقد حضر الموسم فقال : إن وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأياً واحداً ، ولا تختلفوا فيكذب بضعكم بعضاً ، ويرد قول بعضكم بعضاً .

فقالوا : أنت يا أبا عبد شمس ، فقل وأقم لنا رأياً نقوم به ، فقال : بل أنتم ، فقولوا أسمع ، فقالوا : نقول كاهن ، فقال ما هو بكاهن ، لقد رأيت الكهان فما هو بزمزمة الكاهن وسحره ، فقالوا : نقول مجنون ، فقال : ما هو بمجنون ، ولقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هوُ بخنقه ولا مخالجته ولا وسوسته ، قال : فنقول شاعر ، قال : ما هو بشاعر ، قد عرفنا الشعر برجزه وهزجه وقريضه ، ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر ، قال : فنقول ساحر ، فما هو بساحر ، قد رأينا السُّحار وسحرهم ، فما هو بنفثه ولا عقده ، قالوا : ما تقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله إن لقوله حلاوة ، إن أصله لمغدق ، وإن فرعه لجني ، فما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل ، وإن أقرب القول لأن تقولوا : ساحر ، فيقولوا : ساحر يفرق بين المرء وبين أبيه ، وبين المرء وبين أخيه ، وبين المرء وبين [زوجه] ، وبين المرء وبين عشيرته ، فيتفرقوا عنه بذلك ، فجعلوا يجلسون للناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه ، وذكروا لهم من أمره ، فأنزل الله تعالى في الوليد ابن المغيرة [من] قوله : ﴿ **ذرني ومن خلقت وحيداً** ﴾ إلى قوله : ﴿ **سأصليه سقر** ﴾ ، وأنزل الله في النفر الذين كانوا معه ويطيعون له القول في رسول الله فيما جاء به من هدي الله : ﴿ **الذين جعلوا القرآن عضين** ﴾ ، أي أصنافاً ، ﴿ **فوربك لنسألنهم أجمعين** ﴾ ، أولئك النفر الذين يقولون ذلك لرسول الله ﷺ لمن أتوا من

(١) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي) : ٢ / ١٩٨ - ١٩٩ ، باب اعتراف مشركي قريش بما في كتاب الله تعالى من الإعجاز ، وأنه لا يشبه شيئاً من لغاتهم ، مع كونهم من أهل اللغة وأرباب اللسان .

الناس قال : وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله ﷺ ، وانتشر ذكره في بلاد العرب كلها[1] .

وله من حديث يونس عن ابن إسحاق ، عن شيخ من أهل مصر ، عن عكرمة عن ابن عباس قال : قام النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَيّ فقال : يا معشر قريش ، والله لقد نزل بكم أمر ما ابتليتم بمثله ، لقد كان فيكم محمد غلاماً حدثاً ، أرضاكم فيكم ، وأصدقكم حديثاً وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم : ساحر ، لا والله ما هو بساحر ، قد رأينا السحرة ونَفْثَهم وعقدهم ، وقلتم : شاعر ، لا والله ما هو بشاعر ، لقد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها ، هزجه ورجزه وقريضه ، وقلتم : مجنون ، ولا والله ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه ، يا معشر قريش ! أنظروا في شأنكم ، فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم ، وكان النضر من شياطين قريش وممن كان يؤذي رسول الله ﷺ وينصب له العداوة[2] .

وخرج مسلم من حديث عبد [الأعلى] [وهو أبو همام[3]] قال : حدثنا داود عن عمرو بن سعيد عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنه : أن ضماداً قدم مكة ، وكان من أزد شنوئه ، وكان يرقي من هذه الريح ، فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون : إن محمداً مجنون ، فقال : لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي ، قال : فلقيه فقال : يا محمد ، إني أرقي من هذه الريح ، وإن الله يشفي علي يدي من شاء ، فهل لك ، فقال رسول الله ﷺ : إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد ، قال : فقال : أعد عليّ كلماتك هؤلاء ، فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات ، قال : فقال : [لقد][3] سمعت قول الكهنة ، وقول السحرة ، وقول الشعراء ، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء ، ولقد بلغن ناعوس البحر ، فقال : هات يدك

(١) المرجع السابق : ٢٠١ . (٢) المرجع السابق : ٢٠١ - ٢٠٢ .
(٣) ·يادة من (صحيح مسلم) .

أبايعك على الإسلام ، قال : فبايعه ، فقال رسول الله ﷺ : وعلى قومك ؟ قال : وعلى قومي ، قال فبعث رسول الله ﷺ سريّة فمروا بقومه ، فقال صاحب السرية للجيش : هل أصبتم من هؤلاء شيئاً ؟ فقال رجل من القوم : أصبت مِطْهَرَةً ، فقال : ردوها ، فإن هؤلاء قوم ضماد[1] .

وقال الواقدي : حدثنا محمد بن سليط عن أبيه عن عبد الله بن عبد الرحمن العدوي قال : قال ضماد : قدمت مكة معتمراً ، فجلست مجلساً فيه أبو جهل ، وعتبة بن ربيعة ، وأمية بن خلف ، فقال أبو جهل : هذا الرجل الذي فرق جماعتنا ، وسَفَّه أحلامنا ، وضلل من مات منا ، وعاب آلهتنا ، فقال أمية : الرجل مجنون غير شك ، قال ضماد : فوقعت في نفسي كلمته وقلت : إني رجل أعالج من هذه الريح ، فقمت من ذلك المجلس وأطلب رسول الله ﷺ فلم أصادفه ذلك اليوم ، حتى كان الغد فجئته فوجدته جالساً خلف المقام يصلي ، فجلست حتى فرغ ، ثم جلست إليه فقلت : يا ابن عبد المطلب ! فأقبل عليّ فقال : ما تشاء ؟ فقلت : إني أعالج من الريح ، فإن أحببتَ عالجتك ، ولا يكثرن ما بك ، فقد عالجتُ من كان به أشدّ مما بك فبرأ ، وسمعت قومك يذكرون فيك خصالاً سيئة ، من تسفيه أحلامهم ، وتفريق جماعتهم ، وتضليل من مات منهم ، وعبت آلهتهم ، فقلتُ : ما فعل هذا إلا رجل به جنه ، فقال رسول الله ﷺ : الحمد لله أحمده ، وأستعينه ، وأؤمن به وأتوكل عليه ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، قال ضماد : فسمعت كلاماً لم أسمع كلاماً قط أحسن منه ، فأستعيده الكلام فأعاد عليّ ، فقلت : إلى ما تدعو ؟ قال : إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له ، وتخلع الأوثان من رقبتك ، وتشهد أني رسول الله ، فقلت : فماذا إليّ إن فعلت ؟ قال : لك الجنة ، قلت : فإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأخلع الأوثان من رقبتي ، وأبرأ منها ، وأشهد أنك عبد الله ورسوله ، فأقمت مع رسول الله ﷺ علمت سوراً كثيرة من القرآن ، ثم رجعت إلى قومي ، قال عبد الله بن عبد الرحمن

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٦ / ٤٠٥ - ٤٠٦ ، كتاب الجمعة باب (١٣) تخفيف الصلاة والخطبة ، حديث رقم ٤٦ - (٨٦٨) ، (دلائل البيهقي) : ٢ / ٢٢٣ - ٢٢٤ ، باب إسلام ضماد وما ظهر له فيما سمع من النبي ﷺ من آثار النبوة .

العدوي : فبعث رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في سرية ، فأصابوا عشرين بعيراً بموضع كذا ، واستاقوها ، وبلغ علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنهم قوم ضماد ، فقال : ردوها إليهم ، فَرُدَّت .

وخرج البخاري ومسلم من حديث مالك عن ابن شهاب ، عن محمد بن جبير ابن مطعم ، عن أبيه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقرأ بالطور في المغرب[1] - وقال البخاري : قرأ في المغرب بالطور - ترجم عليه : باب الجهر في المغرب . وخرجه مسلم من حديث أبي بكر بن أبي شيبة ، وزهير بن حرب ، قالا : حدثنا سفيان . ومن حديث ابن وهب قال : أخبرني يونس . ومن حديث عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر ، كلهم عن الزهري بهذا الإسناد مثله . وخرجه البخاري في كتاب التفسير[2] من حديث الحميدي ، حدثنا سفيان ، حدثوني عن الزهري ، عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه ، سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور ، فلما بلغ هذه الآية : ﴿ **أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون * أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون * أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون** ﴾[3] ، كاد قلبي أن يطير ، قال سفيان : فأما أنا فإنما سمعت الزهري يحدث عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه ، سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور ، لم أسمعه الذي قالوا لي .

وخرج في كتاب المغازي في غزوة بدر ، من حديث عبد الرزاق ، حدثنا معمر عن الزهري ، عن محمد بن جبير عن أبيه قال : سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور ، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي ، وذكره في كتاب الجهاد في باب فكاك الأسير ، من حديث عبد الرزاق ، أخبرنا معمر عن الزهري ، عن محمد بن جبير عن أبيه - وكان جاء في أُساري بدر - قال : سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور[4] .

---

(١) (فتح الباري) : ٢ / ٣١٥ ، كتاب الأذان ، باب (٩٩) الجهر في المغرب ، حديث رقم (٧٦٥) .

(٢) (فتح الباري) : ٨ / ٧٧٦ ، كتاب التفسير ، باب (١) ، حديث رقم (٤٨٥٤) ، ٧ / ٤١٠ ، كتاب المغازي : باب (١٢) ، حديث رقم (٤٠٢٣) ، ٦ / ٢٠٦ ، كتاب الجهاد والسير ، باب (١٧٢) فداء المشركين ، حديث رقم (٣٠٥٠) .

(٣) الطور : ٣٥ - ٣٧ .

(٤) (فتح الباري) : ٧ / ٤١٠ ، كتاب المغازي ، باب (١٢) حديث رقم (٤٠٢٣) .

قال أبو عمر بن عبد البر – وقد ذكر حديث مالك – : وفي هذا الحديث شيء سقط من رواية ابن شهاب ، وهو شيء حسن من الفقه ، وذلك أن جبير ابن مطعم سمع هذا الحديث من النبي ﷺ وهو كافر ، وحدث به وهو مسلم .

قال : وقد روى هذه القصة فيه عن مالك عن علي بن الربيع بن الركين ، وإبراهيم بن علي التميمي المقرىء ، جميعاً عن مالك عن الزهري ، عن محمد بن جبير ابن مطعم عن أبيه قال : أتيتُ النبي ﷺ في فداء أسارى بدر ، فسمعته يقرأ في المغرب بالطور ، ولم أسلم يومئذ ، فكأنما صدع قلبي ، وقال لو كان مطعم حياً وكلمني في أساري بدر لتركتهم له ، ولم نتابع هذان على سياقه هذا الحديث بهذا اللفظ عن مالك .

وقد رواه كذلك عن ابن شهاب ، أسامة بن زيد الليثي وغيره ، روى ابن وهيب عن أسامة بن زيد عن ابن شهاب أسامة بن زيد الليثي وغيره : روى ابن وهب عن أسامة بن زيد عن ابن شهاب ، عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه ، أنه جاء في فداء أسرى بدر قال : فوافقتُ رسول الله ﷺ يقرأ في صلاة المغرب بالطور وكتاب مسطور ، فأخذني من قراءته كالكرب ، فكان ذلك أول ما سمعت من أمر الإسلام .

وذكر من طريق قاسم بن أصبغ حديث سفيان بن عيينة قال : سمعت الزهري يحدث عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه ، أنه سمع النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور ، قال سفيان : قال سمعته يقول : ﴿ **أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون** ﴾ قال : فكاد يطير قلبي .

قال : ورواه يزيد بن أبي حبيب عن ابن شهاب ، فجعل موضع المغرب العتمة ، إلا أنه من رواية ابن لهيعة ، فذكر حديث أسد بن موسى قال : حدثنا ابن لهيعة قال : حدثنا يزيد بن أبي حبيب ، أن ابن شهاب كتب إليه قال : حدثني محمد ابن جبير بن مطعم عن أبيه قال : قدمت على النبي ﷺ في فداء أسارى بدر ، فسمعته يقرأ في العتمة بالطور .

ورواه سفيان بن حسين – على الشك – في العتمة أو المغرب ، فذكر حديث أبي عبيد قال : حدثنا هيثم ، أخبرنا سفيان بن حسين عن الزهري ، قال هيثم : ولا

أظني إلا وقد سمعته من الزهري ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه قال : أتيت رسول الله ﷺ لأكلمه في أسارى بدر ، فوافقته وهو يصلي بأصحابه المغرب ، أو العشاء ، فسمعته وهو يقول أو يقرأ – وقد خرج صوته من المسجد – ﴿ **إن عذاب ربك لواقع * ما له من دافع** ﴾[1] ، قال : فكأنما صدع قلبي ، فلما فرغ من صلاته كلمته في أسارى بدر فقال : شيخك أو الشيخ لو كان أتانا فيهم شفعناه ، يعني أباه المطعم بن عدي .

قال أبو عبيد : قال هيثم وغيره : كانت له عند رسول الله ﷺ يداً ، قال ابن عبد البر : كانت يد المطعم بن عدي عند رسول الله ﷺ في شأن الصحيفة التي كتبتها قريش على بني هاشم ، وهو أيضاً أجار النبي ﷺ حين قدم من الطائف من دعاء ثقيف ، أجاره هو ومن كان معه يومئذ .

وخرج أبو نعيم من حديث إبان بن عثمان ، عن إبان بن تغلب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما : لما أمر الله نبيه أن يعرض نفسه على قبائل العرب ، خرج إلى [منى] وأنا معه وأبو بكر رجلاً نسَّابة[2] ، فوقف على منازلهم ، فسلم عليهم فردوا السلام ، وكان في القوم مفروق بن عمرو ، وهاني بن قبيصة ، والمثنى بن حارثة ، والنعمان بن شريك ، وكان أقرب القوم إلى أبي بكر مفروق ، وكان مفروق قد غلب عليهم بياناً ولساناً ، فالتفت إلى رسول الله ﷺ فقال له : إلى ماتدعو يا أخا قريش ؟ فتقدم رسول الله ﷺ فجلس ، وقام أبو بكر رضي الله عنه يظله بثوبه ، فقال النبي ﷺ : أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأني رسول الله ، وأن تؤووني وتمنعوني وتنصروني ، حتى أُؤدي عن الله الذي أمرني به ، فإن قريشاً قد تظاهرت على أمر الله ، فكذبت رسوله ، واستغنت بالباطل عن الحق ، والله هو الغني الحميد ، قال له : وإلى ما تدعو أيضاً يا أخا قريش ؟ فتلا عليه رسول الله ﷺ : ﴿ **قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وصاكم به لعلكم تتقون** ﴾[3] ،

---

(١) الطور : ٧ – ٨ . (٢) نسَّابة : عالم بالأنساب .
(٣) الأنعام : ١٥١ – ١٥٣ [آيات الوصايا العشر] .

فقال له مفروق : وإلى ما تدعو أيضاً يا أخا قريش ؟ فوالله ما هذا من كلام أهل الأرض ، ولو كان من كلامهم لعرفناه ، فتلا عليهم رسول الله ﷺ : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان** ﴾[1] الآية ، فقال له مفروق : دعوت والله يا قُرَيْشِيُّ إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ، ولقد أُفِكَ قوم كذبوك وظاهروا عليك ، وقال هانيء بن قبيصة : قد سمعت مقالتك يا أخا قريش ، وصدقت قولك ، وقال المثنى ابن حارثة : قد سمعت مقالتك واستحسنت قولك ، وأعجبني ما تكلمت به .

ثم قال لهم رسول الله ﷺ : أرأيتم أن تلبثوا إلا يسيراً حتى يمنحكم الله تعالى بلادهم وأموالهم - يعني أرض فارس وأنهار كسرى - ويفرشكم بناتهم ، أتسبحون الله وتقدسونه ؟ قال له النعمان بن شريك : وأي ذلك لك يا أخا قريش ؟ فتلا عليه رسول الله ﷺ : ﴿ **إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً * وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً** ﴾[2] ، الآية . ثم نهض قابضاً على يد أبي بكر رضي الله عنه ، ولما سمع أكثم بن صيفي قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان** ﴾[3] ، استجاب للإسلام أول ما قُرىء عليه القرآن ، وقال : إنه يأمر بمكارم الأخلاق[4] .

وخرج الحرث بن أبي أسامة من حديث دواد بن المحَبَّر ، حدثنا أبو الأشهب عن الحسن عن قيس بن عاصم المنقرى ، أنه قدم على النبي ﷺ ، فلما رآه قال : هذا سيد ذي وبر ، قال : فسلمت عليه فقلت : يا رسول الله ، المال الذي لا ينفقه [على منه في ضعيف إضافه][5] أو عيال وإن كثيروا ؟ قال : نعم ، المال الأربعون ، فإن كثر فستون ، ويل لأصحاب المئين ، ويل لأصحاب المئين ، إلا من أدى حق الله في رِسلها ونجدتها ، وأطرق فحلها وأفقر ظهرها ، وحمل على ظهرها ومنح

---

(١) النحل : ٧ - ٨ . (٢) الأحزاب : ٤٥ - ٤٦ . (٣) النحل : ٩٠ .

(٤) حديث أبان بن عبد الله البجلي في عرض رسول الله ﷺ نفسه على قبائل العرب ، وقصة مفروق ابن عمرو وأصحابه ، ذكره البيهقي في (دلائل النبوة) : ٢ / ٤٢٢ - ٤٢٧ ، أبو نعيم في (دلائل النبوة) : ١ / ٢٨٢ - ٢٨٨ ، حديث رقم (٢١٤) ، ذكره أبو نعيم مطولاً ، وقال ابن حجر : وأخرجه الحاكم ، والبيهقي في (الدلائل) بإسناد حسن .

(٥) كذا في (خ) ، ولا يخفى اضطراب السياق .

عزيزها ، ونحر سمينها ، وأطعم القانع والمعتر ، فقلت : يا رسول الله ! ما أكرم هذه الأخلاق وأحسنها ، ثم قال : يا قيس ، أمالك أحب إليك أم مولاك ؟ قال : قلت : بل مالي ، قال : فإنما لك من مالك ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو أعطيت فأمضيت ، وما بقي فلوارثك ، قلت : والله يا نبي الله ، لئن بقيت لأدعن عددها قليلاً . قال الحسن : ففعل رحمه الله . قال أبو نعيم : رواه زناد الجصاص عن الحسن مثله .

وخرج أبو نعيم من حديث السّدي ، عن أبي مالك عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قدم[١] ملوك حضرموت على رسول الله ﷺ ، بنو وَليعَة حَمدَ ومخوس ومَشْرح وإبضَعَه ، وأختهم العَمْرَدَة ، وفيهم الأشعث بن قيس - وهو أصغرهم - فقالوا : أبيت اللعن[٢] ، فقال رسول الله ﷺ : لست مِلِكاً ، أنا محمد بن عبد الله ، قالوا : لا نسميك باسمك ، قال : لكن الله سماني ، وأنا أبو [القاسم][٣] ، قالوا : يا أبا القاسم ، إنا قد خبأنا لك خبئاً[٤] فما هو ؟ - وكانوا قد خبئوا [لرسول الله][٥] عين جرادة في حميت[٦] سمن - فقال رسول الله ﷺ : سبحان الله ! إنما يُفعل ذلك بالكاهن[٧] ، وإن الكاهن والكهانة والتكهن في النار ، فقالوا : كيف نعلم أنك رسول الله ؟ فأخذ رسول الله ﷺ كفاً من حصباء فقال : هذا يشهد أني رسول الله ، فسبح الحصباء في يده وقالوا : نشهد أنك رسول الله ، قال رسول الله ﷺ : إن الله بعثني بالحق ، وأنزل علي كتاباً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، أثقل في الميزان من الجبل العظيم ، وفي الليلة الظلماء في مثل نور الشهاب .

---

(١) في (دلائل أبي نعيم) : « وفد » .

(٢) أبيْت اللعن : يُدْخل به على الملوك . قال النابغة الذبياني :

أتاني أبيت اللعن أنك لمتني ... وتلك التي أهْتَمُّ منها وأنصب

(٣) زيادة للسياق من (أبي نعيم) .

(٤) في (خ) : « خبيئاً » ، وما أثبتناه من المرجع السابق ، وبها جاء التنزيل ، قال تعالى : ﴿ **ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض** ﴾[النمل : ٢٥] .

(٥) زيادة للسياق من (أبي نعيم) .

(٦) الحميت : إناء للسمن أو الزيت .

(٧) في المرجع السابق : « إنما يفعل ذلك الكهان » .

قالوا : فأسمِعنا منه ، فتلا رسول الله ﷺ : ﴿ **والصافات صفاً** ﴾[1] حتى بلغ ﴿ **ورب المشارق** ﴾[1] ، ثم سكن رسول الله ﷺ وسكن روعه ، فما يتحرك منه شيء ، ودموعه تجري على لحيته ، فقالوا : إنا نراك تبكي ! أفمن مخافة من أرسلك تبكي ؟ قال : إن خشيتي منه أبكتني ، بعثني على صراط مستقيم في مثل حد السيف ، إن زُغت عنه هلكت ، ثم تلا : ﴿ **ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك** ﴾[2] إلى آخر الآية[3] . والله يؤتي فضله من يشاء .

* * *

(١) الصافات : ١ – ٥ ، وفي (خ) ، « المشارق والمغارب » وهو خطأ من الناسخ .
(٢) الإسراء : ٨٦ .
(٣) أخرجه أبو نعيم في (دلائل النبوة) ١ / ٢٣٧ – ٢٣٨ ، حديث رقم (١٩٠) ، والسيوطي في (الخصائص) : ٢ / ٣٠٥ عنه ، وفيه الحكم بن ظهير متروك .

إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي[1]

وروى إبراهيم بن سعيد عن محمد بن إسحاق ، وروى الواقدي أيضاً من حديث عبد الله بن جعفر ، عن عبد الواحد بن أبي عون الدوسي – وله حلف في قريش – قال : كان رسول الله ﷺ على ما يرى من قومه يبذل لهم النصيحة ، ويدعوهم إلى النجاة [مما][2] هم فيه ، وجعلت قريش حين منعه الله منهم يحذرونه الناس ، ومن قدم عليهم من العرب .

وكان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدث أنه قدم مكة ، ورسول الله ﷺ بها ، ومشى إليه رجال من قريش ، وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً لبيباً ، فقالوا له : يا طفيل ! إنك قدمت بلادنا ، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا ، وفرق جماعتنا ، وإنما قوله كالسِّحْرة ، يفرق بين الرجل وبين أبيه ، وبين الرجل وبين أخيه ، وبين الرجل وبين زوجته ، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا ، فلا تكلمنه ولا تسمع منه ، قالوا : فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت على أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه ، حتى حشوت أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفا[3] ، فرقاً أن يبلغني من قوله وأنا لا أريد أن أسمعه .

قال : فغدوت المسجد ، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة ، قال : فقمت قريباً منه ، فأبى إلا أن يسمعني بعض قوله ، قال : فسمعت كلاماً حسناً قال : فقلت في نفسي : واثكل أمي ، والله إني لرجل لبيب شاعر ، ما يخفى عليّ الحسن من القبيح ، فما يمنعني من أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ؟ فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته ، وإن كان قبيحاً تركته ، قال : فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته ، فأتبعته ، حتى إذا دخل بيته دخلت عليه ، فقلت : يا محمد ! إن قومك قالوا لي : كذا وكذا ، فوالله ما برحوا يخوفوننى أمرك حتى سددت أذني

---

(١) هو الطُّفَيْل بن عمرو الدوسي ، صاحب النبي ﷺ ، كان سيداً مطاعاً من أشراف العرب ، ودَوْس بطن من الأزد ، وكان الطفيل يلقب ذا النور ، أسلم قبل الهجرة بمكة . له ترجمة مطولة في : (سير أعلام النبلاء) : ١ / ٣٤٤ – ٣٤٧ ، ترجمة رقم (٧٥) ، (طبقات ابن سعد) : ٤ / ٢٣٧ ، (طبقات خليفة) : ١٣ / ٢٢٤ ، (تاريخ خليفة) : ١١١ ، (الجرح والتعديل) : ٤ / ٤٨٩ .

(٢) زيادة للسياق من (دلائل أبي نعيم) .

(٣) الكرسف : القطن .

بكرسف لأن لا أسمع قولك ، ثم أبى الله أن يُسمعنيه ، فسمعت قولاً حسناً فاعرض عليّ أمرك ، قال : فعرض عليّ الإسلام ، وتلا علي القرآن ، قال : فوالله ما سمعت قولاً قط أحسن ولا أمراً أعدل منه .

قال : فأسلمتُ وشهدتُ شهادة الحق ، وقلت : يا نبي الله ، إني امرؤ مطاع في قومي ، وأنا راجع إليهم داعيهم إلى الإسلام ، فادع الله أن يجعل لي آية تكن لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه ، فقال : اللهم اجعل له آية ، فخرجت إلى قومي ، حتى إذا كنت بثنية تطلعني على الحاضر ، وقع نور بين عيني مثل المصباح ، فقلت : اللهم في غير وجهي ، فإني أخشى أن يظنوا أنها مُثله وقعت في وجهي لفراقي دينهم .

قال : فتحول ، فوقع في رأس سوطي ، فجعل الحاضر يتراءون ذلك النور في سوطي كالقنديل المعلق ، وأنا أنهبط إليهم من الثنية ، حتى جئتهم وأصبحت فيهم ، فلما نزلتُ أتاني أبي وكان شيخاً كبيراً فقلت : إليك عني [يا أبت][1] ، فلست منك ولستَ مني ، قال : ولم أي بني ؟ قال : قلت أسلمت وتابعت دين محمد ، قال : فديني دينك ، واغتسل وطهر ثيابه ، ثم جاء فعرضت عليه الإسلام فأسلم .

قال : ثم أتتني صاحبتي فقلت لها : إليك عني ، فلست منك ولست مني [قالت][2] لم ؟ بأبي أنت وأمي ، قال : قلت : فرق بين وبينك الإسلام ، أسلمتُ وتابعتُ دين محمد ، قالت : فديني دينك ، فأسلمتْ ، ثم دعوتُ دوساً إلى الإسلام فأبطئوا عليّ ، ثم جئت رسول الله ﷺ بمكة فقلت : يا نبي الله ! إنه قد غلبني على دوس الزنا[3] ، فادع الله عليهم ، فقال : اللهم اهد دوساً ، إرجع إلى قومك فادعهم وأرفق بهم ، فرجعتُ فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الإسلام حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ، وقضى بدراً وأحداً والخندق ، ثم قدمت على رسول الله ﷺ بمن أسلم من قومي ، ورسول الله ﷺ بخيبر ، حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دوس[4] .

---

(١) زيادة للسياق من (دلائل أبي نعيم) .

(٢) زيادة للسياق من المرجع السابق .

(٣) كذا في (خ) ، وفي المرجع السابق : « قد غلبني دوس فادع الله عليهم » .

(٤) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ٢٣٨ - ٢٤٠ ، حديث رقم (١٩١) ، (طبقات ابن سعد) : ٤ / ٢٣٧ - ٢٤٠ ، (سيرة ابن هشام) : ٢ / ٢٢٦ - ٢٢٩ .

وقال هشام بن محمد ، عن أبيه محمد بن السائب الكلبي : وطفيل بن ذي النون بن طريف بن العاص ، وفد إلى النبي ﷺ فقال : نبي الله ! إن دوساً قد غلب عليها الزنا فادع الله عليهم ، فقال : اللهم اهد دوساً ، فقال : يا رسول الله ، ابعثني إليهم ففعل ، فقال : اجعل لي آية يُهدون بها ، فقال : اللهم نوّر له ، فسطع نور بين عينيه ، فقال : يارب ، أخاف أن يقولوا : مُثله ، [فحوَّله][1] إلى طرف سوطه ، وكان يضيء في الليلة الظلماء ، فقال يا رسول الله ، اجعلنا ميمنتك ، واجعل شعارنا مبرور بفعله ، فشعار الأزد اليوم كلها مبرور . ثم قتل يوم اليمامة ، وقتل ابنه عمرو بن الطفيل يوم اليرموك[2] .

وخرج أبو نعيم من حديث محمد بن عثمان بن أبي شيبة قال : حدثنا عبد الحميد ابن صالح ، حدثنا محمد بن أبان ، عن إسحاق بن عبد الله ، عن أبان بن صالح ، عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنه قال : سألت عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأي شيء سُميت الفاروق ؟ قال : أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام ، وخرجت بعده بثلاثة أيام ، فإذا فلان بن فلان بن فلان المخزومي ، فقلت له : أرغبت عن دين آبائِك واتبعت دين محمد ؟ قال : إن فعلتُ فقد فعله من هو أعظم عليك حقاً مني ، قلت : من هو ؟ قال : أختك وختنك[3] ، قال : فانطلقت فوجدت الباب مغلقاً وسمعت همهمة ، قال : ففتح لي الباب ، فدخلت فقلت : ما هذا أسمع عندكم ؟ قالوا : ما سمعت شيئاً ، فما زال الكلام بيني وبينهم حتى أخذت برأس ختني ، فضربته ضربة وأدميته ، فقامت إليّ أختي فأخذت برأسي فقالت : قد كان ذلك على رغم أنفك ، فاستحييت[4] حين رأيتُ الدم ، فجلستُ وقلت : أروني هذا الكتاب ، فقالت أختي : إنه لا يمسه إلا المطهرون ، فإن كنت صادقاً فقم فاغتسل ، قال : فقمت واغتسلت وجئت فجلست ، فأخرجوا إلي صحيفة فيها : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ [قلت : أسماء طاهرة طيبة[5]] ، ﴿ **طه * ما أنزلنا عليك**

(١) زيادة للسياق .
(٢) (سيرة ابن هشام) : ٢ / ٢٨٨ .
(٣) الخَتَن : زوج الأخت .
(٤) في (خ) : « فاستخبئته » ، وما أثبتناه من (دلائل أبي نعيم) .
(٥) كذا في (خ) ، وفي (أبي نعيم) : « قلت : أما ظاهره طيب » .

[القرآن] لتشقى ﴾[1] إلى قوله : ﴿ الأسماء الحسنى ﴾[1] ، فتعظمت في صدري وقلت : من هذا أفرَّت قريش ؟ ثم شرح الله صدري إلى الإسلام فقلت : ﴿ الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى ﴾ ، قال : فما في الأرض نسمة أحب إليّ من رسول الله ﷺ ، قلت : أين رسول الله ؟ قالت : عليك عهد الله وميثاقه أن لا تجبهه بشي يكره ؟ قلت : نعم ، قالت : فإنه في دار أرقم بن أبي الأرقم ، في دار عند الصفا ، فأتيت الدار وحمزة في أصحابه جلوس في الدار ، ورسول الله ﷺ في البيت ، فضربت الباب ، فاستجمع القوم ، فقال لهم حمزة : ما لكم ؟ قالوا : عمر بن الخطاب ، قال : افتحوا له ، فإن قبل قبلنا منه ، وإن أدبر قتلناه ، قال : فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال : مالكم ؟ قالوا : عمر بن الخطاب ، قال : فخرج رسول الله فأخذ بمجامع ثيابه ، ثم نتره نترة فما تمالك أن يقع على ركبتيه في الأرض ، فقال : ما أنت [بمنته يا عمر ! قال : قلت : أشهد أن لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، قال : فكبَّر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد . قلت : يا رسول الله ، ألسْنا على الحق إن متْنا أو حيينا ؟ قال : بلى — والذي نفسي بيده — إنكم لعلى الحق إن متّم وإن حييتم ، قال : فقلت : فيم الاختفاء ؟ ! والذي بعثك بالحق لتخرجن ، فأخرجناه في صفين : حمزة في أحدهما ، وأنا في الآخر ، له كديد ككديد الطحين[2] حتى دخلنا المسجد ، قال : فنظرتْ إليَّ قريش وإلى حمزة فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها ، فسماني رسول الله ﷺ : الفاروق ، أفرق بين الحق والباطل][3] .

[قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي نجيح المكي عن أصحابه : عطاء ، ومجاهد أو عمن روى ذلك ، أن إسلام عمر فيما تحدثوا به عنه ، أنه كان يقول : كنتُ للإسلام مباعداً ، وكنتُ صاحب خمرٍ في الجاهلية ، أحبها وأُسَرُّبها][4] ، وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالحزورة ، عند دور آل عمر بن عبد

---

(١) طه : ١ — ٨ . (٢) كناية عن إثارة الغبار أثناء مشيهم .

(٣) ما بين الحاصرتين مطموس في (خ) ، وما أثبتناه من (دلائل أبي نعيم) : ١ / ٢٤١ — ٢٤٣ ، باب إسلام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، حديث رقم (١٩٢) ، (حلية الأولياء) : ١ / ٤٠ .

(٤) ما بين الحاصرتين سقط في (خ) ، وما أثبتناه من (سيرة ابن هشام) .

ابن عمران المخزومي ، قال : فخرجت ليلة أريد جلسائي أولئك في مجلسهم ذلك ، قال : فجئتهم ، فلم أجد فيه منهم أحداً ، فقلت : لو أني جئت فلاناً الخمار ، وكان بمكة يبيع الخمر ، لعلي أجد عنده خمراً فأشرب منها ، قال : فخرجت ، فجئته فلم أجده .

قال : فقلتُ : لو أني جئتُ الكعبة فطفت بها سبعاً أو سبعين ، قال : فجئتُ المسجد أريد أن أطوف بالكعبة ، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي ، وكان إذا صلى استقبل الشام ، وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، وكان مصلاه بين الركنين : الركن الأسود ، والركن اليماني .

قال : فقلت حين أتَيْتُه : والله لو أني استمعت لمحمد الليلة حتى أسمع ما يقول ، فقلت : لئن دنوتُ منه أستمع منه لأروعنَّه ، فجئت من قِبَل الحِجْر ، فدخلت تحت ثيابها ، فجعلت أمشي رويداً ، ورسول الله ﷺ قائم يصلي يقرأ القرآن ، حتى قمت في قبلته مستقبله ، ما بيني وبينه إلا ثياب الكعبة .

قال : فلما سمعت القرآن رقَّ له قلبي فبكيتُ ودخلني الإسلام ، فلم أزل قائماً في مكاني ذلك ، حتى قضى رسول الله ﷺ صلاته ثم انصرف ، وكان إذا انصرف خرج على دار ابن أبي حُسين ، وكان طريقه حتى يَجزع[1] المسعى ، ثم يسلك بين دار عباس بن عبد المطلب ، وبين دار ابن أزهر بن عبد عَوْف الزهري ، ثم على دار الأخنس بن شَريق ، حتى يدخل بيته ، وكان مسكنه ﷺ في الدار الرقطاء[2] التي كانت بيدي معاوية بن أبي سفيان .

قال عمر رضي الله تعالى عنه : فتبعته حتى إذا دخل بين دار عباس ودار ابن أزهر أدركتُه ، فلما سمع رسول الله ﷺ حسي عرفني ، فظن رسول الله ﷺ أني إنما تبعته لأوذيه فنهمني[3] ثم قال : ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة ؟ قال : قلت : لأؤمن بالله وبرسوله ، وبما جاء به من عند الله .

قال : فحمد الله رسول الله ﷺ ثم قال : قد هداك الله يا عمر ، ثم مسح صدري ، ودعا لي بالثبات . ثم انصرفت عن رسول الله ﷺ ، ودخل رسول الله ﷺ بيته[4] .

---

(١) يجزع : يقطع . (٢) الرقطاء : الملونة . (٣) نهمني : زجرني .

(٤) (سيرة ابن هشام) : ٢ / ١٩١ - ١٩٢ فصل : ما رواه عطاء ومجاهد عن إسلام عمر .

واعلم أن من أمهات شرائعه وقبولها وانقياده له عليه السلام ، من أوضح الدلائل ، وتتضمن هذه القصة أيضاً إسلام عمرو بن العاص ، وخالد بن الوليد ، رضي الله عنهما .

* * *

[الهجرة الأولى إلى الحبشة]

وخرج البيهقي من حديث يونس بن بكير عن ابن إسحق قال : حدثني الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام [المخزوميّ][1] ، عن أم سلمة [بنت أبي أمية بن المغيرة][1] ، زوج النبي ﷺ أنها قالت : لما ضاقت علينا مكة وأوذي أصحاب رسول الله ﷺ وفتنوا ، ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم ، وإن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم ، وكان رسول الله ﷺ في منعة من قومه ومن عمه ، لا يصل إليه شيء مما يكره مما ينال أصحابه .

فقال لهم رسول الله ﷺ : إن بأرض الحبشة ملكاً لا يُظلم أحد عنده ، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه ، فخرجنا إليه أرسالاً ، حتى اجتمعنا بها ، فنزلنا خير دار إلى خير جار ، أمنا على ديننا ولم نخش منه ظلماً .

فلما رأت قريش أنا قد أصبنا داراً وأمناً ، اجتمعوا على أن يبعثوا إليه فينا فيخرجونا من بلاده ، وليردونا عليهم ، فبعثوا عمرو بن العاص ، وعبد الله بن أبي ربيعة ، فجمعوا له هدايا ولبطارقته ، فلم يَدَعوا منهم رجلاً إلا هيئوا له هدية على حدة ، وقالوا لهم : ادفعوا إلى كل بطْريق هديته قبل أن تكلموا فيهم ، ثم ادفعوا إليه هداياه ، وإن استطعتما أن يردهم عليكم قبل أن يكلمهم فافعلوا .

فقدِما عليه ، فلم يبق بطريق من بطارقته إلا قدَّموا إليه هديته وكلموه ، فقالوا له : إنا قدمنا على هذا الملك في سفهاء من سفهائنا ، فارقوا أقوامهم في دينهم ، فلم يدخلوا في دينكم ، فبَعَثَنا قومُهم ليردهم الملك عليهم ، فإذا نحن كلمناه فأشيروا عليه بأن يفعل ، فقالوا : نفعل .

ثم قدَّموا إلى النجاشيّ هداياه ، وكانت من أحب ما يُهدى إليه من مكة الإذفر[2] ، فلما أدخلوا عليه هداياه قالوا : أيها الملك ، إن فئة منا سفهاء فارقوا

---

(١) زيادة في النسب من (دلائل أبي نعيم) .

(٢) في المرجع السابق : « الأُدْم » .

دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه ، وقد لجئوا إلى بلادك ، فبعثنا إليك فيهم عشائرهم وآباؤهم وأعمامهم وقومهم ، لتردهم عليهم ، فهم أعلى بهم عيناً[1] وأعلم بما عابوه عليهم .

فقالت بطارقته : صدقوا أيها الملك ، لو رددتهم عليهم كانوا هم أعلى بهم عيناً[1] ، وأعلم بما عابوه عليهم ، فإنهم لم يدخلوا في دينك فتمنعهم بذلك ، فغضب ثم قال لعمرو : والله لا أردهم إليهم حتى أدعوهم فأكلمهم وأنظر ما أمرهم ، قوم لجئوا لبلادي ، واختاروا جواري على جوار غيري ، فإن كانوا كما تقولون رددتهم عليهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم ، لم أخل ما بينهم وبينهم ، ولم أُنْعِمْهم عيناً .

فأرسل إليهم النجاشي فجمعهم ، ولم يكن شيء أبغض إلى عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة من أن يسمع كلامهم ، فلما جاءهم رسول النجاشي اجتمع القوم فقال : ماذا تقولون ؟ قالوا : وماذا نقول ؟ نقول : والله ما نعرف وما نحن عليه من أمر ديننا ، وما جاءنا به نبينا كائن في ذلك ما كان .

فلما دخلوا عليه كان الذي يكلمه منهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال له النجاشيّ : ما هذا الدين الذي أنتم عليه ؟ فارقتم دين قومكم ولم تدخلوا في يهودية ولا نصرانية ، فما هذا الدين ؟ .

فقال جعفر : أيها الملك ، كنا قوماً على الشرك ، نعبد الأوثان ونأكل الميتة ، ونسيء الجوار ، ونستحل المحارم بعضنا من بعض في سفك الدماء وغيرها ، ولا نحل شيئاً ولا نحرمه ، فبعث الله إلينا نبياً من أنفسنا ، نعرف وفاءه وصدقه وأمانته ، فدعانا إلى أن نعبد الله وحده لا شريك له ، ونصل الرحم ، ونحسن الجوار ، ونصلي لله ونصوم له ، ولا نعبد غيره .

قال : فقال : هل معك شيء مما جاء به ؟ – وقد دعا أساقفته فأمرهم فنشروا المصاحف حوله – فقال له جعفر : نعم فقال : هلم فاتل عليّ ما جاء به ، فقرأ

(١) أي أبصر بهم من غيرهم .

عليه صدراً من ﴿ كهيعص ﴾[1] ، فبكى النجاشي حتى أخضل لحيته ، وبكوا أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم ، ثم قال : إن هذا الكلام ليخرج من المشكاة التي جاء بها موسى عليه السلام ، انطلقوا راشدين ، لا والله لا أردّهم عليكم ولا أُنْعِمكم عيناً .

فخرجنا من عنده وكان أبقى الرجلين فينا : عبد الله بن أبي ربيعة ، فقال عمرو ابن العاص : والله لآتيه غداً بما أستأصل به خضراءهم ، ولأخبرنه أنهم يزعمون أن إلٓهه الذي يَعبُد – عيسى ابن مريم – عبد ، فقال له عبد الله بن أبي ربيعة : لا تفعل ، فإنهم وإن كانوا خالفونا ، فإن لهم رحماً ولهم حقٌّ ، فقال : والله لأفعلن .

فلما كان الغد ، دخل عليه فقال : أيها الملك ، إنهم يقولون في عيسى قولاً عظيماً ، فأرسل إليهم فاسألهم عنه ، فبعث إليهم ولم ينزل بنا مَثَلُهَا ، فقال بعضنا لبعض : ماذا تقولون له في عيسى إن هو سألكم عنه ؟ فقال : نقول والله الذي قاله فيه ، والذي أمرنا به نبينا أن نقول فيه ، فدخلوا عليه وعنده بطارقته ، فقال : ما تقولون في عيسى [ابن][2] مريم ؟ فقال له جعفر : نقول : هو عبد الله ورسوله ، وكلمته وروحه ألقاها إلى مريم العذراء البتول .

فدلى النجاشي يده إلى الأرض ، فأخذ عويداً بين أصبعيه فقال : ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العويد[3] ، فتناخرت[4] بطارقته فقال : وإن تناخرتم[4] والله ، اذهبوا فأنتم سُيوم – والسّيوم الآمنون – من سبكم غرم ، ثم من سبكم غرم ، ثم من سبكم غرم (ثلاثا) ، ما أحب أن لي دبراً ، أو أني آذيت رجلاً منكم – والدَّبر بلسانهم : الذهب – فو الله ما أخذ الله مني الرشوة حين ردَّ عليّ ملكي ، فآخذ الرشوة فيه ولا أطاع الناس فيّ فأطيع الناس فيه ؟ رُدُّوا عليهما هداياهما ولا حاجة لي بها واخرجا من بلادي .

---

(١) مريم : ١ .
(٢) زيادة للسياق والبيان .
(٣) العُوَيْد : تصغير عود .
(٤) نخر : صوَّت من خياشيمه .

فرجعا مردودين مقبوحين ، مردوداً عليهما ما جاءآ به ، وأقمنا مع خير جار في خير دار ، فلم ينشب أن خرج عليه رجل من الحبشة ينازعه في ملكه ، فوالله ما علمنا حرباً قط كان أشد منه فرقاً من أن يظهر ذلك الملك عليه ، فيأتي ملك لا يعرف من حقنا ما كان يعرفه ، فجعلنا ندعوا الله ونستنصره للنجاشي ، فخرج إليه سائراً ، فقال أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم لبعض : من رجل يخرج [فيحضر][1] الوقعة ينظر على ما تكون ؟ فقال الزبير - وكان من أحدثهم سناً - : أنا ، فنفخوا له قربة جعلها في صدره ، ثم خرج فسبح عليها في النيل حتى خرج من شقه الآخر إلى حيث التقى الناس ، فحضر الوقعة ، فهزم الله ذلك الملك وقتله ، وظهر النجاشي عليه .

فجاءنا الزبير فجعل يليح إلينا بردائه ويقول : ألا أبشروا ، فقد أظهر الله النجاشي ، فوالله ما علمنا فرحنا بشيء قط فرحنا بظهور النجاشيّ ، ثم أقمنا عنده حتى خرج من خرج منا راجعاً إلى مكة ، وأقام من أقام . وقد رويت قصة الهجرة إلى الحبشة وإسلام النجاشيّ من طرق عديدة ، مطولة ومختصره[2] .

وقال محمد بن إسحق : حدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن راشد مولى حبيب ابن أوس، عن حبيب قال : حدثني عمرو بن العاص ، حدثه من فيه إلى أذني قال : لما انصرفنا من الخندق جمعت رجالاً من قريش يسمعون مني فقلت لهم : أترون رأيي وتسمعون مني ؟ قالوا : نعم ، قلت : إني أرى أمر محمد يعلو الأمور كلها علواً شديداً ، وإني قد رأيت [رأياً][3] ما ترون فيه ؟ قالوا : ما هو ؟ قلت : أرى أن ألحق في النجاشي ، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي فنكون تحت يديه أحب إلينا [من][3] أن نكون تحت يدي محمد ، وإن ظهر قومنا على محمد ، فهم من قد [عرفتموهم][3] ولا رأينا منهم إلا خيراً ، فقالوا : إن هذا للرأي ، فقلت : فأجمعوا هدايا نهدها له - وكان أحب ما يُهدى إليه من أرضنا الأُدْم .

---

(١) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي) .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٢ / ٣٠١ - ٣٠٤ ، (دلائل أبي نعيم) : ١ / ٢٤٧ - ٢٥٠ ، حديث رقم (١٩٤) ، (حلية الأولياء) ١ / ١١٥ .

(٣) زيادة للسياق .

قال : فجمعنا أدماً كثيراً ، وخرجنا حتى قدمنا عليه ، فوالله إنا لعنده حتى جاء عمرو بن أمية الضمري - وكان رسول الله ﷺ قد بعثه في شأن جعفر وأصحابه - قال : فدخلوا عليه ثم خرجوا من عنده ، فقلت لهم : - يعني أصحابه - هذا عمرو بن أمية الضمري ، فلوقد دخلت عليه ، فقدمنا إليه هداياه فسألته إياه لأعطانيه نقتله ، فإذا فعلت ذلك رأت قريش أني قد أجزأت حين قتلت رسول محمد .

قال : فَدَخَلْتُ عليه فسجدت له كما كنا نصنع به ، فقال : مرحباً بك ، هل أهديت لي من بلادك شيئاً ؟ قلت : نعم ، أهديت لك أيها الملك أدماً كثيراً ، قال : فقربته إليه فاشتهاه وأعجبه ، فقلت : أيها الملك ، إني رأيت رجلاً خرج من عندك الآن ، هو رسول رجل هو عدو لنا فاعطنيه فأقتله ، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا ، فغضب الملك ومد يده فضرب الأنف ضربة ، ظننت أنه كاسره .

قال فلو انشقت الأرض عند ذلك لدخلت فيها ، فقلت : أيها الملك ، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه ، قال : أتسألني أن أعطيك رجلاً لتقتله ، رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي يأتي موسى ، فقلت : أو كذلك هو ؟ قال : نعم ، ثم قال : أطعني واتبعه ، فوالله إنه لعلى الحق ، وليظهر على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده ، فقلت له : أَفَتُبَايِعُني له على الاسلام ؟ قال نعم ، فبسط يده فبايعته على الإسلام .

ثم خرجت من عنده وقد مال رأيي إلى غيره ، فلقيت خالد بن الوليد فقلت : أين يا أبا سليمان ؟ قال : والله لقد استقام الميسم ، إن الرجل لعلى الحق وأنا أذهب فأُسلم ، قلت : وأنا أيضاً ، قال : فقدمنا المدينة فأتينا رسول الله ﷺ ، فتقدم خالد فأسلم وبايع ، وتقدمت أنا فقلت : وأنا أبايع ، وذكرت ما تقدم من ذنبي ولا أذكر ما أستأخر ، فقال : بايع ، فإن الإسلام يجب ما كان قبله ، والهجرة تجب ما كان قبلها ، فبايعته .

ولأبي نعيم من طريق إسحق بن راهويه قال : حدثنا النضر بن شميل ، حدثنا ابن عون ، عن عمير بن إسحق قال : استأذن جعفر بن أبي طالب رسول الله ﷺ

فقال إئذن لي أرضاً أعبد الله فيها لا أخاف أحداً ، فأذن له فأتى النجاشيَّ ، قال عمير : فحدثني عمرو بن العاص قال : لما رأيت مكانه حسدته فقلت : لأستقبلن لهذا وأصحابه ، فأتيت النجاشي فقلت : إن بأرضك رجلاً ابن عمه بأرضنا ، وإنه يزعم أنه ليس للناس إلا إلٰـه واحد ، وإنك إن لم تصله وأصحابه لم أقطع إليك هذه النطفة أنا ولا أحد من أصحابي أبداً ، قال : أُدْعُهُ ، قلت إنه لا يجيء فأرسل معي رسولاً ، فانتهينا إلى الباب فنادينا ، فقلت : اندب لعمرو بن العاص ، ونادى هو خلفي ، إئذن لحرب الله ، فسمع صوته فأذن له من قبل ، فدخل هو وأصحابه ، ثم أذن لي فجلست ، فذكر أين كان مقعده من السرير ، قال : فذهبت حتى قعدت بين يديه وجعلته خلفي ، وجعلت بين كل رجلين من أصحابه رجلاً من أصحابي ، فقال النجاشي : بحروا ، قال عمير : أي تكلموا .

فقلت : إن بأرضك رجلاً ابن عمه بأرضنا ، ويزعم أنه ليس للناس إلا إلٰـه واحد ، وإنك إن لم تقتله وأصحابه لم يقطع إليك هذه النطفة ، أنا ولا أحد من أصحابي أبداً ، فقال جعفر : صدق ، هو ابن عمي وأنا على دينه ، فصاح وقال : أوه ! حتى قلت : ما لابن الحبشة لا يتكلم ؟ وقال : أناموسٌ مثل ناموس موسى ؟ .

فقال : ما تقول في عيسى ابن مريم ؟ قال : نقول : هو روح الله وكلمته ، فتناول شيئاً من الأرض وقال : ما أخطأ في أمره مثل هذا ، والله أولى بملكي لأتبعنكم ، وقال : ما أبالي أن لا تأتيني أنت ولا أحد من أصحابك أبداً ، أنت آمن في أرضي ، فمن ضربك قتلتُه ، ومن سبَّك غرَّمته ، ثم قال لآذنه : متى استأذنك هذا فَأْذَنْ له إلا أن أكون عند أهلي فأخبره أني عند أهلي ، فإن أبي فأْذَنْ له .

قال : فتفرقنا ، ولم يكن أحدٌ ألقاه خاليا أحب إلَّي من جعفر ، فاستقبلني في طريق مرة ، فنظرت خلفه فلم أر أحداً ، ونظرت خلفي فلم أر أحداً ، فدنوت منه فقلت له : أتعلم أني أشهد أن لا إلٰـه إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ؟ قال قد هداك الله فاثبت ، وتركني وذهب ، وأتيت أصحابي فكأنما شهدوه معي ، فأخذوا قطيفة أو ثوباً فجعلوه عليّ حتى غموني فيها ، فجعلت أُخرج رأسي من

هذه الناحية مرة ، ومن هذه الناحية مرة ، حتى أفلتّ وما علي قشره ، قال : فمررت بحبشيّة فأخذتُ متاعها فجعلتُه على عورتي ، فقالت : كذا وكذا ، فقلت : كذا وكذا ، قال : فأتيت جعفر فقال مالك ؟ فقلت : أُخذ مني كل شيء حتى ما ترك عليَّ قشرة ، فأتيتُ حبشية فأخذت متاعها فجعلته على عورتي ، قال : فانطلق ، فانطلقت معه حتى انتهينا إلى باب الملك ، فقال جعفر لآذنه : استأذن لي ، فقال : إنه عند أهله ، قال : استأذن لي ، فأذن له ، فقال : إن عمراً تابعني على ديني ، فقال : كلا ، فقال بلى ، فقال لإنسان : اذهب معه ، فإن فعل فلا يقولن شيئاً إلا كتبته ، قال : فجاء فقال : نعم ، قال : فجعلت أقول ويكتب كل شيء حتى القدح ، قال : ولو شئت أن آخذ من أموالهم إلى أموالي لفعلت[1] .

* * *

(١) لم أجد هذا الخبر فيما بين يدي من كتب السيرة ، وعلامات الوضع لائحة فيه .

[إســـلام أبي ذر]

وأما إسلام أبي ذر رضي الله عنه ، فخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الرحمن بن مهدي قال : حدثنا المثنى بن سعيد ، عن أبي جمرة عن ابن عباس رضي الله عنه قال : لما بلغ أبا ذرّ مبعث النبي ﷺ بمكة ، قال لأخيه : اركب إلى هذا الوادي فاعلم لي هذا الرجل الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء ، فاسمع من قوله ثم ائتني ، فانطلق الآخر حتى قدم مكة وسمع من قوله ثم رجع إلى أبي ذر فقال : رأيته يأمر بمكارم الأخلاق ، وكلاماً ما هو بالشعر ، فقال : ما شفيتني فيما أردت ، فتزوَّدَ وحمل شنةً[1] له فيها ماء حتى قدم مكة .

فأتى المسجد فالتمس النبيَّ ﷺ ولا يعرفه ، وكره أن يسأل عنه حتى أدركه – يعني الليل – فاضجع فرآه عليٌّ رضي الله عنه فعرف أنه غريب ، فلما رآه تبعه فلم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح ، ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد ، فظل ذلك اليوم ولا يرى النبي ﷺ حتى أمسى ، فعاد إلى مضجعه ، فمر به عليّ فقال : ما آن للرجل أن يعلم منزله ؟ فأقامه فذهب به معه ، ولا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء ، حتى إذا كان يوم الثالث فعل مثل ذلك ، فأقامه عليٌّ معه ثم قال له : أما تحدثني ما الذي أقدمك هذا البلد ؟ قال : إنْ أعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدني فعلت ، ففعل .

فأخبره فقال : فإنه حق وهو رسول الله ﷺ ، فإذا أصبحت فاتبعني ، فإني إن رأيت شيئاً أخاف عليك ، قمت كأني أريق الماء ، فإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي ، ففعل ، فانطلق يقفوه حتى دخل على النبي ﷺ ودخل معه ، فسمع من قوله وأسلم مكانه ، فقال له النبي ﷺ إرجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري ، فقال : والذي نفسي بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم .

---

(١) الشَّنّ بفتح الشين : القِربة البالية .

فخرج حتى أتى المسجد ، فنادى بأعلى صوته : أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وثار القوم فضربوه حتى أضجعوه ، فأتى العباس ، فاكب عليهم وقال : ويلكم ! ألستم تعلمون أنه من غفار ، وأن طريق تجاركم إلى الشام عليهم ؟ فأنقذه منهم ، ثم عاد من الغد بمثلها وثاروا إليه فضربوه ، فاكب عليه العباس فأنقذه . هذا لفظ مسلم[1] .

ولفظ البخاري قريب منه ، قال فيه : الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء ، وقال : فأطلق الأخ . وقال : أما نال للرجل أن يعلم منزله ؟ ترجم عليه . إسلام أبي ذر[2] . وذكره مسلم في المناقب .

وخرج البخاري في صدر كتاب المناقب[3] ، من حديث أبي قتيبة مسلم بن قتيبة قال : حدثني المثنى بن سعيد القصير قال : حدثني أبو جمرة قال : قال لنا ابن عباس رضي الله عنه : ألا أخبركم بإسلام أبي ذر ؟ قال : قلنا : بلى ، قال : قال أبو ذر : كنت رجلاً من غفار فبلغنا أن رجلاً قد خرج بمكة يزعم أنه نبي ، فقلت لأخي : انطلق إلى هذا الرجل كلمه وأتني بخبره ، فانطلق فلقيه ثم رجع ، فقلت : ما عندك ؟ فقال والله لقد رأيت رجلاً يأمر بالخير وينهى عن الشر ، فقلت له : لم تشفني من الخبر ، فأخذت جراباً وعصاً ثم أقبلت إلى مكة ، فجعلت لا أعرفه ، وأكره أن أسأل عنه ، وأشرب من ماء زمزم ، وأكون في المسجد .

قال : فمر بي علّي رضي الله عنه فقال : كأنَّ الرجل غريب ؟ قال : نعم ، قال فانطلق إلى المنزل ، قال : فانطلقت معه لا يسألني عن شيء ولا أخبره ، فلما أصبح غدوت إلى المسجد لأسأل عنه ، وليس أحد يخبرني عنه بشي .

قال : فمر بي علّي فقال : أما نال للرجل يعرف منزله بعد ؟ قلت : لا ، قال :

---

(١) (صحيح مسلم بشرح النووي) : ١٦ / ٢٦٥ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب (٢٨) من فضائل أبي ذرّ رضي الله تعالى عنه ، حديث رقم (١٣١٣) .

(٢) (فتح الباري) : ١٨ / ٢١٩ ، كتاب مناقب الأنصار ، باب (٣٣) إسلام أبي ذرّ الغفاري رضي الله تعالى عنه ، حديث رقم (٣٨٦١) .

(٣) (فتح الباري) : ٦ / ٦٨١ ، كتاب المناقب ، باب (١٠) قصة إسلام أبي ذرّ الغفاري رضي الله تعالى عنه ، حديث رقم (٣٥٢٢) .

انطلق معي ، قال : فقال : ما أمرك وما أقدمك هذه البلدة ؟ قال : قلت له : إن كتمت عليّ أخبرتُك ، قال : فإني أفعل ، قال : قلت له : بلغنا أنه قد خرج هاهنا رجلٌ يزعم أنه نبي ، فأرسلت أخي ليكلمه فرجع ولم يشفني من الخبر ، فأردت أن ألقاه ، فقال : أما إنك قد رشدت ، هذا وجهي إليه فاتبعني ، أُدخل حيث أَدخل ، فإني إن رأيت أحداً أخافه عليك قمت إلى الحائط كأني أصلح نعلي ، وامض أنت ، فمضى ومضيت معه ، حتى دخل ودخلت معه على النبي ﷺ فقلت له : إعرض عليّ الإسلام ، فعرضه عليّ فأسلمت مكاني ، فقال لي : يا أبا ذر ، اكتم هذا الأمر وارجع إلى بلدك ، فإذا بلغك ظهورنا فأقبل ، فقلت : والذي بعثك بالحق لأصرخن بها بين أظهرهم .

فجاء إلى المسجد وقريش فيه فقال : يا معشر قريش ! إني أشهد أن لا إلٰه إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فقالوا : قوموا إلى هذا الصابيء ، فقاموا فضُربت لأموت ، فأدركني العباس فأكبَّ علي ثم أقبل عليهم ، فقال : ويلكم ! تقتلون رجلاً من غفار ، ومتجركم وممركم على غفار ؟ فأقلعوا عني ، فلما أصبحت الغد رجعت فقلت مثلما قلت بالأمس ، فقالوا : قوموا إلى هذا الصابيء ، فصنع بي مثل ما صنع بالأمس ، وأدركني العباس فأكبّ عليّ وقال مثل مقالته بالأمس ، فكان هذا أول إسلام أبي ذر رحمه الله .

وخرج مسلم في كتاب المناقب من حديث سليمان بن المغيرة ، قال : حدثنا حميد بن هلال عن عبد الله بن الصامت قال : قال أبو ذر : خرجنا من قومنا غفار ، وكانوا يحلون الشهر الحرام ، فخرجت أنا وأخي أُنيس وأمنا ، فنزلنا على خالٍ لنا ، فأكرمنا خالنا وأحسن إلينا ، فحسدنا قومه فقالوا : إنك إذا خرجت عن أهلك خالف إليهم أنيس ، فجاء خالنا فنثا[1] علينا الذي قيل له ، فقلت له : أمَّامَا مضى من معروفك فقد كَدرته ، ولا جماع لك في ما بعد ، فقربنا صرمتنا فاحتملنا عليها ، وتغطى خالنا بثوبه فجعل يبكي ، فانطلقنا حتى نزلنا بحضرة مكة ، فنافر أنيس عن صرمتنا[2] وعن مثلها ، فأتينا الكاهن فخيَّر أنيساً ، فأتانا

---

(١) نثا : أشاع وأفشى . (٢) الصّرمة بكسر الصاد : القطعة من الإبل أو الغنم .

أنيس بصرمتنا[١] ومثلها معها .

قال : وقد صلّيت يابن أخي قبل أن ألقى رسول الله ﷺ بثلاث سنين فقلت : لمن ؟ قال : لله تعالى ، قلت : فأين توجه ؟ قال : أتوجه حيث يوجهني ربي ، أصلي عشاء حتى إذا كان من آخر الليل ألقيت كأني خفاء[٢] حتى تعلوني الشمس ، فقال أنيس : إن لي حاجة بمكة فاكفني ، فانطلق أنيس حتى أتى مكة فراث[٣] عليَّ ثم جاء فقلت : ما صنعت ؟ قال : لقيت رجلاً بمكة على دينك يزعم أن الله أرسله ! .

قلت : فما يقول الناس ؟ قال : يقولون : شاعر ، كاهن ، ساحر – وكان أنيس أحد الشعراء – قال أنيس : لقد سمعت قول الكهنة فما هو قولهم ، ولقد وضعت قوله على أقراء الشعر فما يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر ، والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون ، قال : قلت : فاكفني حتى أذهب فأنظر ، قال : فأتيت مكة فتضعَّفْتُ[٤] رجلاً منهم فقلت : أين هذا الذي تدعونه الصابيء ؟ فأشار إلي فقال : الصابيء !! فمال عليَّ أهل الوادي بكل مَدَره وعظمه حتى خررت مغشياً عليَّ ، قال : فارتفعت حين ارتفعت كأني نصب[٥] أحمر ، قال : فأتيت زمزم فغسلت عني الدماء وشربت من مائها ، ولقد لبثت بابن أخي ثلاثين بين ليلة ويوم ، وما كان لي طعام إلا ماء زمزم ، فسمنت حتى تكسَّرت عُكن[٦] بطني ، وما وجدت على كبدي سخفة[٧] جوع ، قال : فبينا أهل مكة في ليلة قمراء[٨]

---

(١) الصِّرمة بكسر الصاد : القطعة من الإبل أو الغنم .
(٢) الخِفاء : غثاء السيل .
(٣) راث عليّ : أبطأ عليّ .
(٤) تضعَّفتُ : نظرتُ إلى أضعفهم فسألته ، لأن الضعيف مأمون الغائلة غالباً .
(٥) نُصب أحمر : يعني من كثرة الدماء ، وهو الحجر الذي كانت الجاهلية تنصبه وتذبح عنده فيحمّر بالدم . قال تعالى : ﴿ **وما ذبح على النصُب** ﴾ [المائدة : ٣] .
(٦) يعني انثنت وتكسرت لكثرة السمن وانطوت .
(٧) سُخْفة الجوع بفتح السين وضمها وإسكان الخاء : رقة الجوع وضعفه وهزاله .
(٨) قمراء : مقمرة طالع قمرها .

إضحيان[١] ، إذ ضرب على أسمختهم[٢] ، فما يطوف بالبيت أحد ، وامرأتان منهم تدعوان إسافاً ونائلة [قال : فأتتا عليَّ في طوافهما فقلت : أنكحا أحدهما الأخرى ، قال : فما تناهتا[٣] عن قولهما ، قال : فأتتا عليّ فقلت : هن مثل الخشبة[٤] غير أني لا أكني][٥] فانطلقنا تولولان وتقولان : لو كان هنا أحد من أنفارنا ، قال : فاستقبلهما رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه وهما هابطان عن الخيل ، قالا : مالكم ؟ قالتا : الصابيء بين الكعبة وأستارها ، قالا : ما قال لكما ؟ قالتا : إنه قال كلمة تملأ الفم ، قال : فجاء رسول الله ﷺ حتى استلم الحجر ، وطاف بالبيت هو وصاحبه ، ثم صلى فلما قضى صلاته قال أبو ذرّ : وكنت أنا أول من حيَّاه بتحية الإسلام ، فقلت : السلام عليك يا رسول الله ، فقال : وعليك ورحمة الله ، ثم قال : من أنت ؟ قال : قلت : أنا من غِفَار ، قال : فأهوى بيده فوضع أصابعه على جبهته ، فقلت في نفسي : كره أن انتميت إلى غفار ، فذهبت آخذ بيده فقدعني صاحبه - وكان أعلم به مني - ثم رفع رأسه فقال : متى كنت هاهنا ؟ قال : [قلت] : كنت هاهنا منذ ثلاثين بين ليلة ويوم ، قال : فمن كان يطعمك ؟ قال : قلت : ما كان لي طعام إلا ماء زمزم ، فسمنت حتى تكسرت عكن بطني ، وما أجد على كبدي سخفة جوع ، قال : إنها مباركة ، إنها طعام طعم ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : ائذن لي في طعامه الليلة ، فانطلق رسول الله ﷺ وأبو بكر ، فانطلقت معهما ، ففتح أبو بكر باباً فجعل يفيض لنا من زبيب الطائف ، وكان ذلك أول طعام أكلته بها ، ثم غبرت ما غبرت ، ثم أتيت رسول الله ﷺ ، فقال : إنه قد وُجِّهت إلي أرض ذات نخل لا أراها إلا يثرب ، فهل أنت مبلغ عني قومك ؟ عسى الله أن ينفعهم بك ويأجرك فيهم ، فأتيت أنيساً فقال : ما صنعت ؟ قلت : صنعت

---

(١) إضحيان بكسر الهمزة والحاء : مضيئة ، ويقال : ليلة أضحيان ، وأضحيانة ، وضحياء ، ويوم ضحيان .

(٢) أسمختهم : جمع سماخ ، وهو الخرق الذي في الأذن يُفضى إلى الرأس ، يقال : صماخ وسماخ ، وبالصاد أفصح ، والمراد بأصمختهم هنا آذانهم أي ناموا ، قال تعالى : ﴿ فضربنا على آذانهم ﴾ [الكهف : ١١] أي أنمناهم .

(٣) ما تناهتا : ما انتهتا .

(٤) كناية عن الفرج والذكر ، وأراد بذلك سب إساف ونائلة ، وغيظ الكفار بذلك .

(٥) ما بين الحاصرتين سياقه مضطرب في (خ) ، وصوبناه من (صحيح مسلم) .

أني قد أسلمت وصدقت ، قال : مابي رغبة عن دينك فإني قد أسلمت وصدقت ، فأتينا أمنا فقالت : مابي رغبة عن دينكما ، فإني أسلمت وصدقت ، فاحتملنا حتى أتينا قومنا غفاراً ، فأسلم نصفهم ، وكان يؤمهم أيماء بن رحضة الغفاري وكان سيدهم ، وقال نصفهم : إذا قدم رسول الله المدينة أسلمنا ، فقدم رسول الله ﷺ المدينة فأسلم نصفهم الباقي ، وجاءت أسلم فقالوا : يا رسول الله : إخوتنا نسلم على ما أسلموا عليه فأسلموا ، فقال رسول الله ﷺ : غفار غفر الله لها ، وأسلم سالمها الله[1] .

وخرجه أيضاً [من حديث] حميد بن هلال بهذا الإسناد ، وزاد بعد قوله : فاكفني حتى أذهب فأنظر قال نعم ، وكن على حذر من أهل مكة فإنهم قد شنفوا له وتجهموا[2] .

وله أيضاً من حديث سليمان بن المغيرة قال : حدثنا حميد عن عبد الله بن الصامت قال : قال أبو زناد : يا ابن أخي صليت سنين قبل مبعث النبي ﷺ ، قال : قلت : فأين كنت توجه ؟ قال : حيث وجهني الله ، واقتصَّ الحديث بنحو حديث سليمان بن المغيرة ، وقال في الحديث : فتنافرا إلى رجل من الكهان . قال : فلم يزل أخي أنيس يمدحه ويثني عليه حتى غلبه ، قال : فأخذنا صرمته فضممناها إلى صرمتنا .

وقال أيضاً في حديثه : قال : فجاء النبي ﷺ فطاف بالبيت وصلي ركعتين خلف المقام ، قال : فأتيته فإني لأول الناس حيَّاهُ بتحية الإسلام ، قال : قلت : السلام عليك يارسول الله ، قال : وعليك السلام من أنت ؟ وفي حديثه أيضاً فقال : منذكم أنت هاهنا قال : قلت : منذ خمس عشرة . وفيه : فقال أبو بكر رضي الله عنه : أتحفني بضيافته الليلة[3] .

---

(١) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ٢٥٣ - ٢٥٦ ، حديث رقم (١٩٧) ، (مسلم بشرح النووي) : ١٦ / ٢٦٠ ، كتاب الفضائل ، باب (٢٨) من فضائل أبي ذر رضي الله عنه ، حديث رقم (١٣٢) .

(٢) (المرجع السابق) : ص ٢٦٤ .

(٣) (المرجع السابق) : ص ٢٦٤ .

وخرج البيهقي من حديث يحيى بن يحيى[1] قال : قالت قريش لليهود : اعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل ، فقالوا : سألوه عن الروح ، فنزلت : ﴿ **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** ﴾[2] ، قالوا : نحن لم نؤت من العلم إلا قليلاً وقد أوتينا التوراة فيها حكم الله ، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيراً كثيراً ، قال : فنزلت ﴿ **قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا** ﴾[3] .

وله من حديث يونس بن بكير ، عن ابن إسحق قال : حدثني رجل من أهل مكة ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، أن مشركي قريش بعثوا النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود بالمدينة وقالوا لهم : سَلُوهم عن محمد وصِفوا لهم صفته ، وأخبروهم بقوله ، فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم علم ماليس عندنا من علم الأنبياء ، فخرجا حتى قدما المدينة ، فسألا أحبار اليهود عن رسول الله ﷺ ، ووصفا لهم أمره ببعض قوله ، فقالت لهم أحبار يهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن ، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وإن لم يفعل فالرجل مُتقوّل فروْا فيه رأيكم ، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم ؟ فإنه كان لهم حديث عجيب ، وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها وما كان نبؤه ؟ وسلوه عن الروح ما هو ؟ .

فأقبل النضر وعقبة حتى قدما مكة على قريش فقالا : يا معشر قريش ! قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور ، وأخبروهم بها ، فجاءوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا محمد ! أخبرنا ، فسألوه عن

---

(١) كذا في (خ) ، وفي (دلائل البيهقي) : وهو يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، خالد بن ميمون بن فيروز الهمداني الوداعي مولاهم أبو سعيد الكوفي (تهذيب التهذيب) : ١١ / ١٨٣ .

(٢) الإسراء : ٨٥ .

(٣) الكهف : ١٠٩ ، (دلائل البيهقي) : ٢ / ٢٦٩ ، باب ذكر أسولتهم رسول الله ﷺ بمكة ، (تحفة الأحوذي) : ٨ / ٤٥٦ - ٤٥٨ ، أبواب تفسير القرآن ، سورة بني إسرائيل ، حديث رقم (٣٣٤٩) ، وقال الترمذي في آخره : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه .

ما أمروهم به ، فقال لهم رسول الله ﷺ : أخبركم بما سألتم عنه غداً ، ولم يستثن[1] ، فا نصرفوا عنه ، فمكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله إليه في ذلك وحياً ، ولم يأته جبريل [عليه السلام] حتى أرجف أهل مكة وقالوا : وعدنا محمد غداً ، واليوم خمس عشرة يوماً ، قد أصبحنا فيها لا يخبرنا فيها بشيء مما سألناه عنه ، حتى أحزن رسول الله ﷺ مُكثُ الوحي عنه ، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة .

ثم جاءه جبريل من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف ، فيها معاتبته إياه على حزنه ، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف ، كذا يقول تعالى : ﴿ **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** ﴾[2] .

قال ابن إسحق : فبلغني أن رسول الله ﷺ افتتح السورة فقال : ﴿ **الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب** ﴾[3] ، يعني محمداً ، إنك لرسول الله نبي تحقيقاً لما سألوه من نبوته ، ﴿ **ولم يجعل له عوجا * قيما** ﴾[3] أي معتدلا لا اختلاف فيه ، ﴿ **لينذر بأساً شديداً من لدنه** ﴾[4] قال : عاجل عقوبة في الدنيا وعذاب في الآخرة ، أي من عند ربك الذي بعثك رسولا[5] .

قال البيهقي : كذا في هذه الرواية أنهم سألوا عن الروح أيضاً ، وحديث ابن مسعود يدل على أن سؤال اليهود عن الروح ونزول الآية فيه كان بالمدينة[6] .

* * *

(1) لم يستثن : لم يقل : إلا أن يشاء الله .
(2) (دلائل البيهقي) : ٢ / ٢٦٩ - ٢٧٠ .
(3) الكهف : ١ - ٢ .
(4) الكهف : ٢ .
(5) (دلائل البيهقي) : ٢ / ٢٧١ ، (سيرة ابن هشام) : ٢ / ١٣٩ وما بعدها ، فصل [قريش تسأل أحبار اليهود في شأنه عليه الصلاة والسلام] .
(6) حديث عبد الله بن مسعود : أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالسنة باب (٣) ما يكره من كثرة السؤال ، ومن تكلف مالا يعنيه ، وقوله تعالى : ﴿ **لا تسألوا عن أشياء إن تُبد لكم تسؤكم** ﴾ ، حديث رقم (٧٢٩٧) ، (فتح الباري) : ١٣ / ٣٣٠ ، وأخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب (٤) سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح وقوله تعالى : ﴿ **يسألونك عن الروح** ﴾ ، حديث رقم (٢٧٩٤) ، (مسلم بشرح النووي) : ١٧ / ١٤٣ .

[ذكر إسلام
عمرو بن عَبَسة السُّلمي وما أخبره
أهل الكتاب من بعث النبي ﷺ]

وخرج أبو نعيم من حديث إسماعيل بن عياش عن يحيى بن عمرو السَّيباني ، عن أبي سلام الدمشقي ، وعمرو بن عبد الله الشيباني ، أنهما سمعا أبا أُمامة الباهليّ يُحدّث عمرو بن عَبَسه السُّلمي قال : رغبت عن [عبادة][1] آلهة قومي في الجاهلية ورأيت أنها الباطل ؛ يعبدون الحجارة[2] والحجارةُ لا تضر ولا تنفع ، قال : فلقيت رجلاً من أهل الكتاب فسألته عن أفضل الدين فقال : يخرج رجل من مكة فيرغب عن آلهة قومه [ويدعوهم][3] إلى غيرها ، وهو يأتي بأفضل الدين ، فإذا سمعتَ به فاتبعه ، فلم يكن لي همّ إلا مكة آتيها فأسأل : هل حدث فيها أمر ؟ فيقولون : لا ، فأنصرف إلى أهلي – وأهلي من الطريق غير بعيد – فأعترض الركبان خارجين من مكة فأسألهم : هل حدث فيها خبر أو أمر ؟ فيقولون : لا ، فإني لقاعد على الطريق [إذ] مرَّبي ركب فقلت : من أين جئت ؟ قال : من مكة ، قلت : هل حدث فيها خبر ؟ قال : نعم ، رجل رغب عن آلهة قومه ودعا إلى غيرها ، قلت : صاحبي الذي أريد .

فشددت راحلتي فجئت منزلي الذي كنت أنزل فيه ، فسألتُ عنه فوجدته مستخفياً بشأنه ، ووجدت قريشاً عليه جُرآء[4] ، فتلطفتُ له حتى دخلتُ عليه فسلمتُ عليه وقلت له : ما أنت ؟ قال : نبي الله ، قلت : وما نبي الله ؟ قال : رسول الله ، قلت : ومن أرسلك ؟ قال : الله تعالى ، قلت : وبماذا أرسلك ؟

---

(١) زيادة للسياق من (دلائل أبي نعيم) .
(٢) كذا في (خ) ، وفي المرجع السابق : « الحجارة لا تضر .. » .
(٣) كذا في (خ) ، وفي المرجع السابق : « يدعو إلى غيرها » .
(٤) جرآء : جمع جريء .

قال : أن توصل الأرحام ، وتحقن الدماء ، وتأمن السبيل ، وتكسّر الأوثان ، وتعبدَ اللَّهَ لا تُشرك به شيئاً ، قال : قلت : نِعْم ما أرسلك به ، أُشهدك أني قد آمنت بك وصدقت ، أفأمكث معك ، أم ماذا ترى ؟ قال : قد ترى كراهة الناس لما جئتُ به ، فامكُثْ في أهلك ، فإذا سمعت بي قد خرجت مخرجاً فاتبعني .

فلما سمعت به خرج إلى المدينة سرتُ حتى قدمت عليه ثم قلت : يا نبي الله ! أتعرفني ؟ قال : نعم ، أنت السُّلميّ الذي جئتني بمكة ، فقلت لي : كذا وكذا ، وقلت لك : كذا وكذا ، فقمت من ذلك المجلس فعرفت أنه لا يكون الدهر أفرغ منه في ذلك المجلس فقلت : يا نبي الله ! أي الساعات أسمع للدعاء ؟ قال : جوف الليل الآخِر والصلاة مشهودة متقبلة[1] [حتى تخرج الشمس][2] .

وله من حديث الوليد بن مسلم قال : حدثنا عبد الله بن العلاء قال : حدثني أبو سلام الأسود ، عن عمرو بن عبسة قال : ألقي في روعي أن عبادة الأوثان باطل ، وأن الناس في جاهلية ، فقال لي قائل : إن رجلاً بمكة يقول نحواً مما تقول ، يقول : إنه رسول الله .

قال : فقدمت مكة فسألت عن رسول الله فقيل لي : لا تلقاه إلا ليلاً عند الكعبة ، فمكثتُ له بين الكعبة وأستارها ، إذ سمعتُ حسّه وتهليله فخرجتُ إليه فقلت ما أنت ؟ قال : رسول الله ، قلت : الله أرسلك ؟ قال : نعم ، قلت : بماذا ؟ قال : بأن يُعبد الله ولا يشرك به شيئاً ، وتكسر الأوثان وتحقن الدماء وتوصل الأرحام ، قلت : أبايعك عليه ؟ قال : نعم ، فبسط يده فبايعته ، فلقد رأيتني وأنا في تلك الحال وأنا ربع الإسلام فقلت : من تبعك على هذا الأمر ؟ قال : حرّ وعبد ، قلت : أُقيم معك ؟ قال : بل ألحق بقومك ، فإذا سمعت بي قد خرجت مُخْرَجاً

---

(١) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ٢٥٧ ، باب ذكر إسلام عمرو بن عبسة السلمي ، وما أخبره أهل الكتاب من بعث النبي ﷺ ، حديث رقم (١٩٨) ، وأخرجه أيضاً من طرق مختلفة : ابن سعد في (الطبقات) : ٤ / ٢١٧ ، ابن عبد البر في (الاستيعاب) : ٣ / ١١٩٢ ، ترجمه رقم (١٩٣٧) ، والحاكم في (المستدرك) : ٣ / ٧١٤ - ٧١٥ ، حديث رقم (٦٥٨٤ / ٢١٨٢) ، وقال في آخره : هذا الحديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(٢) ما بين الحاصرتين من (خ) فقط .

فاقدم عليّ .

قال : فرجعت إلى قومي فمكثت فيهم حتى إذا سمعت بمهاجره إلى المدينة قدمتُ عليه ، فسلمت فردّ عليّ ، فقلت : أتعرفني يارسول الله ؟ قال : نعم ، أنت السلمي القادم عليّ بمكة .

* * *

تنبيه مفيد

كتب أبو بكر بن فهد الهاشمي سوى القرآن معجزات شهيرات ، وآيات على صدق نبّوته بينات ، وُجدت منه ﷺ في مواطن مختلفة ، وأحوال متغايره ، بلغ مجموعها التواتر الذي يورث علماً ضرورياً ، كشجاعة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وجود حاتم الطائي ، ومع ذلك فهذا القرآن الكريم بأيدينا ، نتلوه بألسنتنا ، ونحفظه في صدورنا ، لا نرتابُ فيه ، معجزة قائمة أبداً ، ينادي على منار التحدي : ﴿ **فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله** ﴾[1] ، ثم إذعان الملكوك للمصطفى ﷺ مع ضعف حاله وعدم ماله ، وإقرار أهل الكتاب بصفته ، واجتماع العرب [بأسرها][2] على نصرته وموالاته ، بعد تنافرها وتقاطعها ، وتدابرها في ذات نفسها ، وشدة محاربتها له ، ومبالغتها في عداوته ، من أكبر الدلالة على صدقة ﷺ ، ومن أراد أن يعلم كيفية نقل الكافة الذي لا يجوز فيه الغلط ، ولا يمكن فيه الكذب ، ولا يدخله الخلل ولا الخطأ بوجه من الوجوه البتة .

فينظر كيف نقل القرآن الكريم ، وكيف نقلت أحوال رسول الله ﷺ ، وأعلامه التي ذكرت في القران ، من الرمية التي رماها ، وإنذاره بالغيوب ، ودعائه اليهود إلى تمني الموت ، ودعائه النصارى إلى المباهلة ، ودعائه جميع مشركي العرب أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، وتوبيخهم بالعجز ، وتوبيخ اليهود بأنهم لا يتمنوا الموت ، علماً منه ﷺ بأنهم عاجزون عن ذلك ، ممنوعون عن النطق به .

وقصة رمي أصحاب الفيل بالطير الأبابيل ، فإن هذا نقله اليماني ، وهو عدوّ مُضر الذين هم رهط رسول الله ﷺ وأهله ، ونقله المضري واليماني ، وهم كلهم أعداء متضادون متنافرون .

---

(١) البقرة : ٢٣ .

(٢) زيادة للسياق .

ومع ذلك فإن كل من في الأرض ما بين أقصى السند إلى أقاصي خراسان ، إلى ثغور الديلم والجزيرة والشام ، إلى منتهى بلاد الأندلس ، إلى سواحل البربر إلى بلاد السودان ، وما بين ذلك من الأمم ، كلهم ينقلون القرآن كما هو ، ولم يكن ممنوعاً ولا مكتوماً عن أحد .

وكل من ذكرناه كانوا أعداءً متباينين ، وأحزاباً متجانبين ، وقوماً لقاحاً لا ملك عليهم لأحد عليهم ، فانقادوا لظهور الحق ، وآمنوا برسوله ﷺ وهم لا يخافون منه ، كباذان الملك بصنعاء اليمن ، وحيفر وعياذ ابنى الجلندي ، والملكين بعمان ، والنجاشي ملك الحبشة ، وصاروا إخوة كبني أب وأم ، وانحل كل من أمكنه منهم عن ملكه ، وأرسله إلى ولاة رسول الله ﷺ ، طوعاً ، كذي الكلاع وذي ظيلم ، وذي روذ ، وذي مران وغيرهم من ملوك اليمن ، وملك عمان والبحرين ، وشهر بن باذام ، إلا من لايمكنه ذلك خوف قومه كالنجاشي ، وهذا أمر مشهور منقول بنقل الكواف ، وأذعن سائر من ذكرنا بغلبة سيوف الحق ، دون مال أعطاه ﷺ ، ولا ملك منّى به من نَصَره ، بل حضّهم بأجمعهم على الصبر ، وأنذر بالأثرة عليهم أنصاره .

ولم يكن إسلام الأنصار الذين هم الأوس والخزرج ، وإسلام أكثر أهل مكة ، وأهل البحرين ، إلا لما بهرهم من المعجزات ، وهو ﷺ حينئذ مطرد مشرد ، لا ملك له ، ولا عوان ، لا يقرأ ولا يكتب ، قد نشأ في بلاد الجهل ، بينما لا مال له ، بل كان يرعى غنم قومه على قراريط يتقوت بها ، فعلمه الله تعالى الحكمة دون توسط معلم ، ولا تدرج يتعلم ، وعصمه من كل ما أراد على كثرة أعدائه ، دون حرس ولا ستور ولا أعوان ، وحماة الدنيا وزينتها ، واختار تعالى له أرفع الدرجات من الدعاء إلى ربه وإلى دينه فقط .

فهذه هي الحقائق المشهورة ، لا ما تدعيه النصارى فيما بأيديهم من الإنجيل أنه منقول بنقل الكواف ، وأن الملوك دخلت في دينهم اختياراً فإن الأمر بخلاف ذلك ، وبيانه أن الإنجيل ماهو إلا كتاب كتبه أربعة : اثنان من الحواريين

بزعمهم ، وهما متى ويوحنا ، واثنان من التلامذة ، وهما [لوقا][1] الطبيب تلميذ شمعون الصفا ، والآخر مارقس تلميذ شمعون أيضاً ، وزعموا أن أناجيلهم الأربعة منقولة عن هؤلاء الأربعة بنقل الكواف .

وزعموا أيضاً أن كتابها عندهم معصومون ، وأنهم أجلّ من الأنبياء ، وفي صدر إنجيل متى نسب المسيح عليه السلام ، وقد ساقه رجلاً رجلاً ، حتى وقف على يوسف النجار ، فذكر نيفاً وخمسين اسماً ، فأخرج نسبه إلى الملوك من ولد صيعام ابن سليمان بن داود عليهما السلام ، وبعد صدر من إنجيل لوقا هذا النسب بعينه بأسماء غير تلك الأسماء ، وذكر نحو أربعين اسماً فقط ، وأخرج نسبه إلى ماثان بن داود عليهما السلام .

ومثل هذا من التناقض الفاحش لا يقع من قوم معصومين ، وإنما يقع من الآحاد الذين يجوز عليهم الغلط والنسيان وتعمد الكذب ، وما كان منقولاً كهذا فلا يتدين به عاقل في توحيده ، ولا فيما يوجب يقين العلم ، وإنما يؤخذ بمثل هذا فيما جرى مجرى الشهادات التي تعيد العلم دون العمل .

وأول ملك تنصر قسطنطين بعد أزيد من مائتي عام وستين عاماً شمسية من رفع المسيح عليه السلام ، فأي آيةٍ رآى وشاهَدَ بعد هذه المدة الطويلة ، وقد علم كل ذي بصر بالأخبار سبب [تنصره][1] ، وهو أن أمه كانت نصرانية بنت نصراني ، تزوجها أبوه فولدت له قسطنطين وربته على دينها ، وقد علم كل ذي عقل قوة تأثير النشأة فيمن نشأ على دين من الأديان ، وما استطاع إظهار النصرانية حتى دخل على رومة مسيرة شهر ونصف ، وبني [برنطية][2] فغرقت بالقسطنطينية ، ثم أكره الناس على النصرانية بالسيف [والعصا][1] ، وكان من عهوده المحفوظة ألا يولي أحداً من الناس ولاية من الولايات إلا من تنصَّر ، والناس سراع إلى الدنيا ، نافرين عما يؤذيهم .

ولكن هذا من دعوى النصارى منافٍ إلى ما يدَّعونه من أنهم بعد هذه المدة

---

(١) زيادة للسياق .
(٢) كذا في (خ) ولم أجد لها توجيهاً ولعلها « بزنطية » .

. الطويلة ، وبعد خراب بيت المقدس مرة بعد مرة ، وبقائة خراباً لا ساكن فيه أزيد من مائتي عام وسبعين عاماً ، وجدوا الشوك الذي وضع على رأس المسيح عليه السلام ، ووجدوا المسامير التي ضربت في يده ، والدم الذي طار من جسده ، والخشبة التي صلب عليها بزعمهم .

فلا يدري العاقل ممن العجب ؟ أممن اخترع مثل هذه الكذبة ، وتجاسر على الحديث بها ؟ أم ممن قبلها وصدق بها ودان باعتقادها ؟ فياليت شعري ، كيف بقى ذلك الشوك وذلك الدم وتلك المسامير والخشبة طول تلك المدة ؟ وأهل ذلك مطرودون مقتولون بالسيف والرجم بالحجارة والإحراق بالنار لقتل من تستَّر بالزندقة في زماننا .

ومع ذلك فإن تلك المدينة خراب منذ عشرات الأعوام لم يسكنها أحد إلا السباع والوحش ، وقد شوهد ملوك جلة لهم أعوان وأتباع وأولاد ، وشيع وأقارب صلبوا ، فما مضت إلا مدة يسيرة حتى لم يبق لأخشابهم التي صلبوا عليها أثر ، فكيف بأمر لا طالب له ، وبِدُوَلٍ قد انقطعت ، وبلاد قد أقفرت وخلت ، ونسيت أخبارها .

وأما ديانة اليهود : فإنه لم تصفُ نيَّات بني إسرائيل – وموسى عليه السلام حَيٌّ بن أظهرهم – وما زالوا مائلين إلى عبادة الأوثان ، وتكذيب شريعتهم كلهم بعد وفاته عليه السلام ، إلى انقطاع دولتهم ، فكيف أن [يذعن](1) لهم غيرهم ؟ .

ولا خلاف بين اليهود والنصارى وسائر الملل كلها في أن بني أسرائيل كانوا في مصر في أشد عذاب يمكن أن يكون من قبل أولادهم ، وتسخيرهم في عمل الطوب ، والضرب العظيم ، والذل الذي لا يصبر عليه كلب مطلق ، فأتاهم موسى عليه السلام يدعوهم إلى فراق هذا الأسر الذي قتل النفوس أخف منه ، وإلى الحرية والملك والغلبة والأمن ، ومن المعلوم أن من كان في أقل من تلك الحال فإنه

---

(١) زيادة للسياق .

يسارع إلى كل من طمع على يديه بفرح ، وأن يستجيب إلى كل ما دعى إليه ، وإن أكثر من في هذا البلاء يستجيز عبادة من أخرجه منه إلى العز والحرمة ، ومع هذا فقد كان بنو إسرائيل أهل عسكر مجتمع ، يمكن منهم التواطؤ .

وأما عيسى عليه السلام فما اتبعه إلا نحو اثني عشر رجلاً معروفين ونساء قليل ، وعدد لا يبلغ المائة ، وكانوا مع هذه القلة مشردين غير ظاهرين ، ولا يقوم بمثل هذا ضرورة يقين العلم .

وأما محمد ﷺ فلا يختلف أحد من أهل شرق الأرض وغربها ، في أنه أتى إلى قوم لئام ، لا يقرون ملك ، ولا يطيعون لأحد ، ولا ينقادون لرئيس ، نشأ على هذا أجدادهم وأسلافهم ، منذ ألوف من الأعوام ، وقد سرى الفخر والنخوة ، والكبر والظلم ، والأنفة في طباعهم ، وهم أعداد عظيمة ، قد [ملكوا][1] جزيرة العرب ، وهي نحو مسيرة شهرين في شهرين ، فدعاهم بلا مال ولا أتباع ، بل قد خذله قومه إلى أن ينحطوا من ذلك العز إلى غُرم الزكاة ، ومن الحرية إلى جري الأحكام عليهم ، ومن طول الأيدي بقتل من أحبوا ، أو أخذ ماله إلى القصاص من النفس [والأعضاء][1] ، واللطمة من أَجَلِّ من فيهم لأقل علج[2] دخل فيهم ، وإلى إسقاط الأنفة والفخر ، وإلى ضرب الظهور بالسياط أو بالنِّعال إن شربوا خمراً ، أو إن قذفوا إنساناً ، وإلى الرجم بالحجارة حتى يموتوا إن زنوا .

وانقاد أكثرهم طوعاً ، ما منهم أحد أخذ بغلبة إلا مكة فقط ، فتبدلت به ﷺ طبائعهم من الظلم إلى العدل ، ومن الجهل إلى العلم ، ومن العسف والقسوة إلى الرأفة والرحمة ، وسيرة العدل العظيم الذي لا يبلغه أكابر الفلاسفة .

فقد رأى الناس كيف كانت سيرة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وكيف كانت طاعة العرب لهما ، كل ذلك بلا رزق جارٍ ، ولا عطاء [دائر][1] ، ولا غلبة ملوكية ، إلا بغلبة من الله تعالى على نفوسهم ، وكسر لطبائعهم ، كما قال تعالى : ﴿ **لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف**

---

(١) زيادة للسياق .

(٢) العلج : الرجل من كفار العجم وغيرهم .

بينهم ﴾[1] ، ثم بقي ﷺ كذلك بين أظهرهم بلا حرس ولا ديوان جند ولا بيت مال ، معصوماً محروساً .

وهكذا نقلت أعلامه ومعجزاته بخلاف معجزات سائر الأنبياء ، فإنها لم تصح إلا ما نقله هو ﷺ ، لصحة الطريق إليه ، وارتفاع دواعي الكذب والعصبية جملة عن أتباعه فيه ، فلقد كان جمهورهم غريباً من غير قومه ، ولا يمنيهم بدنيا ، ولا وعدهم بملك ، وهذا مالا ينكره أحد من الناس .

وأيضا فإن ابتداء أمره ﷺ أنه وقف على الصفا ونادى : يا صباحاه .. يا صبحاه ، فجاءوا يهرعون ، فقالوا : ما دهمك ؟ ما طرقك ؟ قال : ما تعرفونني ؟ قالوا : محمد الأمين ، قال : أرأيتم إن قلت لكم [إن خيلاً تغير عليكم خلف هذا الوادي][2] ، وإن عسكراً قد غشيكم من الصبح ، أكنتم تصدقوني ؟ قالوا : اللهم نعم ، ما جربنا عليك كذباً قط ، قال : [فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد من الله ، قولوا : لا إلـه إلا الله ، واشهدوا أني رسول الله ، واتبعوني يحببكم الله ، فإنه تعالى ناصري][2] ، وقال لي : استخرجهم كما استخرجوك ، وابعث جيشاً أبعث خمسة أمثاله ، وضمن لي أنه ينصرني بقوم منكم ، وقال لي : قاتل بمن أطاعك من عصاك ، وضمن لي أن يغلب سلطاني سلطان كسرى وقيصر .

وقالت له قريش مرة : أَتَابِعُك من هؤلاء الموالي ، كبلال وعمار وصهيب خير من قصي بن كلاب وعبد مناف وهاشم بن عبد شمس ؟ فقال : نعم والله ، لئن كانوا قليلاً ليكثرن ، ولئن كانوا وضعاء ليشرفن حتى يصيروا نجوماً يُهتدى بهم ويُقتدى ، فيقال : هذا قول فلان وذِكر فلان ، فلا تُفاخروني بآبائكم الذين موتوا في الجاهلية ، فما يذهب الجعل بمنخره خير من آبائكم الذين موتوا فيها ، فاتبعوني أجعل لكم أنساباً ، والذي نفسي بيده ، لتقسمن كنوز كسرى وقيصر ، فقال له عمه أبو طالب : أبق عليَّ وعلى نفسك ، وظن ﷺ أنه خاذله ، فقال : يا عم !

---

(١) الأنفال : ٦٣ .

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة للسياق وحيث أن سياق هذه الفقرة مضطرب فقد صوبناه من (البحر المحيط) : ١٠ / ٥٦٦ ، تفسير سورة المسد .

والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته ، ثم استعبر باكياً ثم قام ، فلما ولى ناداه : أقبل يا ابن أخي ، فقال : اذهب وقل ما شئت ، فوالله لا أسلمتك لسوءٍ أبداً .

هذا ، وقد كان ﷺ يذكر ما لقى من قومه من الجهد والشدة ، فقال : لقد مكثتُ أياماً وهذا صاحبي – يشير إلى أبي بكر رضي الله عنه – بضع عشر ليلة ، مالنا طعام إلا الثريد في شعب الجبال .

وكان عتبة بن غزوان يقول إذا ذكر البلاء والشدة التي كانوا عليها بمكة : لقد مكثنا أياماً مالنا طعام إلا ورق البشام[1] ، أكلناه حتى تقرحت أشداقنا ، ولقد وجدت يوماً تمرتين فجعلتهما بيني وبين سعد ، وما فينا اليوم أحد إلا وهو أمين على كورته ، وكانوا يقولون فيمن وجد تمرة فقسمها بينه وبين صاحبه : إن أسعد الرجلين من حصلت له النواه في قسميها يلوكها يومه وليلته ، وعدم القوت .

وكذا قال ﷺ : لقد رعيت غنيمات أهل مكة لهم بالقراريط ، وجاء ﷺ يوماً ليدخل الكعبة ، فدفعه عثمان بن طلحة العبدولي ، فقال : لا تفعل يا عثمان ! فكأنك بمفتاحها بيدي أضعه حيث شئت ، فقال له : [ذلتْ][2] يومئذ قريشٌ وقلّتْ ، فقال ﷺ : بل كثُرتْ وعزّتْ .

ثم غزا ﷺ تبوك في ثلاثين ألفاً ، فهذا من قبل الله عزّ وجلّ ، الذي يجعل من لا شيء كل شيء ، ويجعل كل شيء مالا شيء ، يجمد المائعات ، ويميع الجامدات ، يجمد البحر ، ثم يفجر الصخر ، وما مثله ﷺ في ذلك إلا كمثل من قال : هذه الزجاجة الرقيقة السخيفة ، أصك بها هذه الجبال الصلدة الصلبة المتينة ، فقرضها ونقضها ، وهذه النملة الضعيفة اللطيفة ، تهزم العساكر الكثيرة المعدة[3] .

وكذا حقيقة أمره ﷺ ، حتى قال عروة بن مسعود الثقفي لقريش – وكان

---

(١) شجر عطر الرائحة ، ورقه يسوّد الشعر ، ويُستاك بقُضُبه . (ترتيب القاموس) : ١ / ٢٧٩ .

(٢) زيادة للسياق . (٣) المعدَّة : من العتاد وآله الحرب .

رسولهم إليه ﷺ بالحديبية - : لقد وردت على النجاشي وقيصر وكسرى ، ورأيت حديثهم وأتباعهم ، [فما][1] رأيت أطوع ولا أوقر ولا أهيب من أصحاب محمد لمحمد ، [هم][1] حوله وكأن الطير على رءوسهم ؛ فإن أشار بأمر بادروا إليه ، وإن توضأ اقتسموا وضوءه ، وإن تنخم دلكوا بالنخامة وجوههم وجلودهم ، وكانوا له ﷺ بعد موته أطوع منهم في حياته ، حتى لقد قال بعض أصحابه : لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ ، فإنهم قوم أسلموا من خوف الله ، وأسلم الناس من خوف أسيافهم .

فتأمل - رحمك الله - كيف استفتح ﷺ دعوته وهو ضعيف وحده بأن قال : هذا سيكون فكان كما قال ، بحيث رآه العدوّ والوليّ ، وما كان مثله في ذلك إلا مثل من قال : هذه الهباءة تعظم وتصير جبلاً يغطي الأرض كلها ، ثم أنذر الناس بها في حال ضعفها ، فكان كما أنذر ، فعلم أن ذلك من فعل الله الذي لا يقدر عليه سواه ، ولا يفعله إلا إياه جلَّت قدرته .

فإن سيرة محمد رسول الله ﷺ لمن تدبرها تقتضي تصديقه ضرورة ، وتشهد أنه رسول الله ، فلو لم تكن له معجزة غير سيرته لكفى ، وذلك أنه ﷺ نشأ في بلاد الجهل ، لا يقرأ ولا يكتب ، ولا خرج عن تلك البلاد إلا مرتين : إحداهما وهو صبي مع عمه إلى أول الشام ، والأخرى أيضا إلى أول الشام ، ولم يطل بها المقام ، ولا فارق قومه ، ثم أوطأه الله تعالى رقاب العرب فلم تتغير نفسه ، ولا مالت به .

ومات ﷺ ودرعه - ذات الفضول - مرهونة في أصواع[2] من شعير ، [و][3] لم يتسبب ﷺ إلى شيء من أذى اليهود - وهم أعداؤه - ولا يعرض لذم أحد منهم ولا إلى ماله ، بل ودا[4] الأنصارى من عند نفسه مائة ناقة ، وهو ﷺ يحتاج إلى بعير واحد يتقوى به ، وهذا أمر لا تسمح به نفس ملك من ملوك الأرض وأهل الدنيا بوجه من الوجوه .

---

(١) زيادة للسياق .
(٢) جمع صاع .
(٣) زيادة للسياق .
(٤) ودا : دفع دية .

ولا يقتضي أيضا هذا ظاهر السيرة في السياسة ، فصح يقيناً أنه ﷺ متبع لما أمره به ربه تعالى ، وسواء كان ذلك الأمر مضراً به في ظاهر الأمر غاية الإضرار أو غير مضرٍ به ، وهذا أحب الناس إليه ، وابن عم أبيه من أخص الناس به ، وهو مع ذلك زوج ابنته التي لا ولد له غيرها ، وله منها ابنان ذكران ، وكل من عمه وابن عمه اللذين هما أقرب الناس إليه ، له من الفضل والسياسة والعقل وخلال الخير ما يستحق به سياسة العالم كله ، فلم يحابهما وهما من أحب الناس إليه وأشدهم [غنى][1] عنه ، إذ كان غيرهما متقدماً عليهما في الفضل ، وإن كان بعيد النسب عنه ، بل فوض الأمر إليه قاصداً إلى أمر الحق ، واتباع ما أمر به ، ولم يورث ﷺ ورثته فلساً فما فوقه ، وهم أحب الناس إليه ، وأطوعهم له ، وهذه أمور لمن تدبرها كافية مغنية .

قال الأعمش عن عمارة بن عمير ، عن عبد الرحمن بن يزيد قال : ذكروا عند عبد الرحمن – يعني ابن مسعود رضي الله عنه – أصحاب محمد ﷺ وإيمانهم ، فقال عبد الله : إن أمر محمد كان بيناً لمن رآه ، والذي لا إلـه غيره ، ما آمن مؤمن أفضل من إيمان بغيب ، [ثم قرأ][1] : ﴿ **آلم * ذلك الكتاب لا ريب فيه** ﴾[2] إلى قوله : ﴿ **يؤمنون [بالغيب]**[3] ﴾ . قال الحاكم : فقد صح ما ذكرنا أن رسول الله ﷺ وشريعته التي أتى بها ، هي التي وضحت براهينها ، واضطرت دلائلها إلى تصديقها ، والقطع على أنها الحق الذي لا حق سواه ، وأنها من الله تعالى الذي لا دين له في العالم غيره ، والحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، لقد جاءت رسل ربنا بالحق .

* * *

---

(١) زيادة للسياق .
(٢) البقرة : ١ – ٣ .
(٣) زيادة لتصويب الآية الكريمة .

[فصل جامع
في معجزات رسول الله ﷺ على
على سبيل الإجمال][1]

وكان له ﷺ مع هذه الفضائل الباهرة من المعجزات البينات : إبطال الكهانة وانشقاق القمر ، وردّ الشمس بعد غروبها ، وانقياد الشجر ، وانقلاب العود والقضيب سيفاً جيداً ، وتسليم الأشجار والأحجار عليه ، وتحرك الجبل لأجله وسكونه بأمره ، [وحثا][2] يوم حنين وجوه المشركين كفًّا من تراب فملأ أعينهم ، وإشارته إلى الأصنام وسقوطها ، وإلانة الصخر له ، وتسبيح الحصا في كفه ، وتأمين اسكفة الباب وحوائط البيت على دعائه .

ونبع الماء من بين أصابعه ، وظهور بركته في تكثير الماء القليل الذي كان في الميضأة ، فشرب منه أهل العسكر كلهم وهم عطاش وتوضئوا ، كل ذلك من قدح صغير ضاق عن أن يبسط فيه يده المكرمة ، وفي مزادتي المرأة ، وفي الماء بالحديبية ، وفي العين التي بتبوك ، وقد أهرق عليه وضوءه فيهما ، ولا ماء فيهما ، فجاشتا بالماء ، فشرب من عين تبوك أهل الجيش وهم ألوف ، حتى رَوَوْا كلُّهم وفاضت بعد ذلك ، وشرب من بئر الحديبية ألف وأربعمائة حتى رووا ، ولم يكن فيها قبل ذلك ماء .

وأمطرت بطريق تبوك عند دعائة وقد اشتد عطش الناس ، واستسقى وقد قحط المطر فسُقُوا بدعائه ، وظهرت بركته في ركى قليل الماء حتى صارت نهراً تجري ، وفي بئر بقُباء ، وفي بئر قليلة الماء بعث إليها بحصباء فأُلقيت فيها فغزر ماؤها .

وأفاق جابر بن عبد الله رضي الله عنه وقد أُغمي عليه لما صُبَّ من وضوئه عليه ، ونشط بعير قد أعيا ببركة وضوئه لمَّا رشَّه عليه وسقاه منه ، وعذب الماء

---

(١) هذا العنوان ليس في (خ) .

(٢) زيادة للسياق .

بريقه ، وحبس الدمع بما نضحه في وجه امرأة ، وذهب حزن امرأة ببركة ما شربته بَعد ما غمس فيه يده ، ومضمض ودعا في بقية الزاد مرجعه من الحديبية ، ومرجعه من تبوك ، فنما وزاد بعد قلته ، حتى أشبع قياماً من الناس .

وكثر طعام جابر يوم الخندق ببركة يده ، وكثر طعام أكل منه قصعة ، وأكل مائة وثلاثون رجلاً من صاع واحد ، وأخذ كل منهم جزأه من سواد بطن شاة ، وظهرت البركة في طعام بدار أبي بكر رضي الله عنه ، ورزق الله تعالى أهل بيت من الأنصار ذوي حاجة من حيث لم يحتسبوا ببركته ، وأكل سبعون أو ثمانون رجلاً في بيت أبي طلحة رضي الله عنه من قليل أقراص خبز شعير مأدوم بسمن حتى شبعوا ، وبقيت كما هي ببركته ، وأكل أهل الصفة من كسر يسيرة حتى شبعوا وفضل عنهم فضله ، وأكل بضع وسبعون رجلاً من حيسٍ عملت من نحو مُدٍّ تمرٍ وفضل عنهم قدر ما كان قبل أكلهم .

وأكل أربعون رجلاً من صاع طعام ورجل شاة حتى شبعوا ولم ينقص منه شيء – ومن عادة الواحد منهم أن يأكل الجذعة ويشرب الفرق – وأخذ أربعمائة رجل ما أحبوا من تمر قليل ، فلم ينقص من أخذهم شيئاً ، وأكل مائة وثلاثون رجلاً من الأنصار حتى صدروا بعد ما جاعوا ، من طعام صنعه أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه .

وأكل طائفة في بيت عائشة رضي الله عنها حيساً يسيراً وشربوا لبناً حتى شبعوا ورووا ، وغرس ﷺ نخلاً لسلمان الفارسي رضي الله عنه فأطعم من سنته ، ودعا لأبي هريرة رضي الله عنه في تمرات يسيرة فنمت حتى كمل منها عدة أَوْساقٍ سوى ما أكل وأُطعم .

وترك عند عائشة رضي الله عنها شطر شعير فأكلت منه حتى طال عليها ثم كالته ، وأطعم رجلاً شطر وسق من شعير ، فما زال يأكل منه وامرأته حتى كالاه ، ودفع لنوفل بن الحارث بن عبد المطلب ثلاثين صاعاً من شعير فطعم منه وأهله نصف سنة ، ثم كالهُ فوجده بحالــه .

وأطعم أعرابيا كسرة كانت [عنده][1] فشبع بما أكل منها وأفضل ، وأمر قوماً كانوا لا يشبعون بالاجتماع على طعامهم ، فأكلوا وشبعوا ، ودفع إلى أم شريك ثلاثين صاعاً من شعير وعكة سمن قد فرغ ما فيها فوجدتها ملآنة سمناً ، وأكلت من الشعير دهراً ثم كالته فلم ينقُصْ منه شيئاً .

وبعث أبا أمامة رضي الله عنه إلى أهله فإذا هم يأكلون الدم فتنزه عنه ونام ، فأُتي في منامه بشربة لبن فشربها فشبع وروي بعد انتباهه ، ونزل به ﷺ ضيف ولا شيء عنده ، فدعا الله فأعانه بشاة مصلية ، وقعد على تمر خلفه عبد الله بن عمرو بن حزام ، وأمر أن يكال منه لغرمائه ، فكالوا حقهم وبقي التمر كما هو .

وسمع أصحابه تسبيح الطعام وهو يؤكل ، ومسح ضرع شاة أم معبد فدرَّت باللبن بعد جهدها ، ومسح ضرع عناق ودعا الله تعالى فأنزلت لبناً ، وحلب لبنا من شاة لم [يَنْزُ][2] عليها فحل قط ، واحتاج ليلة إلى الغذاء فلم يجد شيئاً ، فقام المقداد ليذبح له عنزاً ، فإذا هي وأخواتها حفل ، فحلب له وسقاه حتى روى ، ومسح [ظهر][2] عناق لم تنتج فتدلى ضرعها وحلب منها لبناً كثيراً ، [وسقى][2] أهل الصفة من لبن في قدح حتى رووا ، وأروت الجند وقد عطشوا في سفر فشربوا من حلب عنز أتى الله بها ثم لم تُر بعد ذلك .

وأهدت إليه أم سليم عكة سمن فأفرغها ثم ردَّها إليها فوجدتها مملوءة سمناً ، فأتدمت به شهراً أو شهرين بعد ما فرقت منها ، وأهدت له أم مالك البهزية عكة سمن فأفرغها وردها ، فما زالت تجد فيها السمن حتى عصرتها ، وبعثت عمرة ابنة رواحة إلى زوجها وأخيها بجفنة تمر – وهم يحفرون الخندق – فأمر بها فصبت في كفه فما ملأته ، فدحاها على ثوب ودعا أهل الخندق [بأسرهم][2] فأكلوا منه حتى صدروا ، وإنه ليسقط من أطراف الثوب .

وشهد له الذئب بالرسالة ، وأتاه الذئب ليفرض له في شياه أصحابه ، فلم

---

(١) زيادة للسياق حيث أنها مطموسة بالأصل .

(٢) زيادة للسياق .

يفرضوا له شيئاً فأمره أن يخالسهم فذهب ، وكلمته ظبية في إرضاع حشفها وقد [شدها][1] أعرابي في وثاق فأطلقها حتى مضت ثم عادت ، وشهد له الضب بالرسالة ، وسجدت له الغنم ، وربض له الوحش لما أحسَّ به ، وسجد له البعير ، وشكى إليه ما به ، وازدلفت البدن إليه ليبدأ بنحرها ، وخاطبه الحمار .

ونسج العنكبوت على الغار الذي اختفى فيه ، ووقف الحمام به ، وقامت شجرة على بابه ليستتر عن أعين المشركين وقد أتوا ليأخذوه ، ووقفت له حيه وسلمت عليه ، وشكت إليه حمرة مافُجعت به من أخذ فرخها ، وسخر الله تعالى الأسد لمولاه سفينة تكرمه له ، وسخر له ﷺ طيراً من السماء ، وكثر الله تعالى غنم هند بنت [عتبة][1] بدعائه لها بالبركة ، وأحيا له شاة جابر بن عبد الله بعد ما ذبحها وطبخها وأكل لحمها ، وأحيا [الله][1] تعالى حمار رجل أقبل من اليمن ليجاهد في سبيل الله بعد ما ماتَ تكرمة له ﷺ ، [و][1] أحيا ولد [امرأة][1] أتت مهاجرة بعد موته ، وسقا العلاء بن الحضرمي ومن معه من المسلمين وقد عطشوا ، [وفرق][1] لهم البحر حتى مروا فوقهما لقتال المشركين ، ومشى أبو مسلم الخولاني على الماء بدجلة وهي ترمي الخشب من فوقها ، كل ذلك كرامة له ﷺ .

وشهد له ميت بعد موته بالرسالة ، وشهد له الرضيع والأبكم بالرسالة ، وكان حيث سلك توجد رائحة الطيب ، ويسجد له ما يمر به من حجر أو شجر ، وَمَجَّ بعد ما تمضمض في دلو مسكاً أو أطيب من المسك .

وكان إذا قعد لحاجته ابتعلت الأرض ما يخرج منه ، وكان يرى من خلفه كما يرى من أمامه ، ويرى في الظلمة كما يرى في النور ، وأضاءت عصا أسيد بن حضير وعَبَّاد بن بشر لما خرجا من عنده في ليلة مظلمة حتى مشيا في ضوئها ، كرامة له ﷺ .

وسهر ومعه عمر بن الخطاب عند أبي بكر ثم خرجا في ليلة مظلمة ، وخرج معه أبو بكر فأضاءت عصا أحدهما حتى بلغوا المنزل ، وأضاءت عصا أبو عيسى

---

(١) زيادة للسياق .

الأنصاري وقد رجع بعدما صلى معه ﷺ ، فنور له حتى دخل دار أبي حارثة ، وأعطى قتادة بن النعمان عرجوناً فأضاء له من بين يديه ومن خلفه ﷺ .

وخرج الحسن بن علي من عنده ليلاً إلى أمه ، فجاءت برقة من السماء فمشى في ضوئها حتى بلغ إلى أمه ، وأضاءت أصبع حمزة بن عمرو الأسلمي حتى جمع ما سقط من متاع رحله ﷺ .

وتفرق من إبل أصحابه في ليلة مكر فيها المنافقون بالرسول ﷺ وهو بطريق تبوك ، وأرى أنس بن مالك وقد خرج معه ليلاً إلى المسجد نوراً بأيدي قوم يدعون الله بدعائه له أن يريه الله ذلك ، [وكانت][1] الملائكة تسلم على عمران بن حصين ، ونزلت السكينة والملائكة عند قراءة البراء القرآن ، كان ذلك تكرمة له ﷺ .

وانقلبت بضعة لحم حجراً في بيت أم سلمة ، وذهبت صورة مصورة بوضع يده عليها ، وكان الله تعالى يعطيه ما سأل مالم تجر به العادة ، ويلهمه جواب ما يسأله عنه السائلون وهو في مقامه ، وأمر أبا هريرة أن يبسط بردة كانت عليه ، ثم قبضها فلم ينس بعد ذلك شيئاً سمعه منه ﷺ .

وضرب في صدر أبي عثمان بن أبي العاص فما نسي شيئاً بعد أن حفظه ، ودعا الله أن يهدي أم أبي هريرة فأسلمت بعد إبائها ، ومسح وجهه بمنديل فلم تعمل فيه النار بعد ذلك إذا وضع فيها ، وأعيا بعير جابر بن عبد الله وهو في سفر حتى أراد أن يسيبه ، فتحسسه أو ضربه ﷺ فسار عنه سيراً لم يسر مثله ، وركب فرس أبي طلحة – وكان ثبطاً قطوفاً – فكان بعد ذلك لا يجاري ، وضرب فرس جُعيل بمخفقة وكانت ضعيفة عجفاء وقال : اللهم بارك له فيها ، فصارت تتقدم الركب ، وباع من نتاجها باثني عشر ألفاً ، وضرب برجله ناقة لا تكاد تسير فصارت سابقة ، ودعا لرجل أن يحمله بعيره فمكث عنده عشرين سنة .

وذهب الجوع عن فاطمة الزهراء بدعائه ، وكفى على بن أبي طالب الحر والبرد بدعائه ، ووعك عليّ مرة فقال [ﷺ][1] : اللهم عافه : فما اشتكى وجعه ذاك

---

(١) زيادة للسياق .

بعد ، وبصق في عين عليٍّ وقد رمد في خيبر فبرىء حتى كأن لم يكن به وجع ، وضرب في صدره وقد بعثه قاضياً باليمن وقال : اللهم اهد قلبه وسدد لسانه ، فما شك في قضاء بعد .

وصرف الله ألوفاً عن المدينة ونقل حُمَّاها إلى الجحفة بدعائه ، ومرض سعد ابن أبي وقاص فوضع يده على جبهته ومسح وجهه وقال : اللهم اشف سعداً وأتمم هجوته ، فما زال يجد برده على كبده ، وأصاب أسماء ورمٌ في رأسها ووجهها ، فوضع يده على وجهها ورأسها من فوق الثياب وسمى الله ودعا ، فذهب الورم ، وجاءته امرأة بابن لها فدعا له فشفي وعمرَّ حتى جاهد في سبيل الله .

وأتته امرأة بابن لها وبه جنون فمسح رأسه ودعا له ، فخرج منه مثل الجرو الأسود يسعى ، وكانت أم زُفر تتكشَّف فاصرعت ، فدعا لها فلم تتكشَّف ، وشكى عبد الله بن رواحة وجع ضرسه ، فوضع يده على خده ودعا له فشفاه الله قبل أن يبرح ، ومسح بطن رافع أو رفاعة بن رافع وقد اشتكى بطنه فلم يشتك بطنه بعد ذلك .

وعاد عمه أبا طالب وقد مرض ، فدعا له فقام كأنما نشط من عقال ، ومسح ساق علي بن الحكم السلمي وقد تقنطر عن فرسه فدق جدار الخندق ساقه ، فما نزل عنها حتى برىء ، وأتته امرأة من خثعم بصبي لها به بلاءٌ لا يتكلم ، فشفاه ماء غسل فيه يده [ومضمض][1] فاه فبرأ وعقل عقلاً ليس كعقول الناس ، ونفث في فم غلام يأخذه الجنون كل يوم مراراً فذهب عنه ، وأتاه الوازع بابن له مجنون فمسح وجهه ودعا له فلم يكن في الوفد أحد يفضل عليه .

وشكى إليه عثمان بن أبي العاص سوء حفظه فتفل في فيه ووضع يده على صدره وقال : يا شيطان اخْرُجْ من صدر عثمان ، فما سمع شيئاً بعد ذلك إلا حفظه ، وكان الشيطان يلبس عليه صلاته فتفل في فمه وضرب في صدره وقال : اخْرُجْ عدوَّ الله ، فلم يعرض له بعد ذلك ، وردّ الله على الأعمى بصره بدعاء عَلَّمه إياه ، وردّ بصر

---

(١) زيادة للسياق .

من كانت عيناه مبيضتين بنفثه فيهما .

ورد عين قتادة بعد ما سالت على خده ، ونفث في يد محمد بن حاطب وقد احترقت فبرأ في الحال ، ووضع يده على شامة في كف شرحبيل الجعفي وقد نفث فيها ، فما رفع يده حتى لم يبق لها أثر ، وضُرِبَ حبيب بن إساف يوم بدر فمال شقه فتفل عليه ورده فانطبق ، وضرب بقدح سلعة في كف أبي سبرة ومسحها فذهبت ، ومسح وجه أبيض بن جمال وقد التمعت وجهه قوباً فما أمسى وله أثر ، وأصابت يد حبيب بن إساف ضربة فتفل عليها فبرأت ، ودعا لعمرو بن أخطب أن يجمله الله فأناف عن التسعين ولم يشب رأسه ولا لحيته .

وقال لعمرو بن الحمق : اللهم متعه بشبابه ، فبلغ الثمانين ولم تُر شعرة بيضاء ، وأخذ له يهودي من لحيته فقال : اللهم جمله ، فاسودت لحية اليهودي بعدما كانت بيضاء ، ودعا للسائب بن مزيد وهو شاك فأناف على التسعين وهو جلد معتدل ممتع بحواسه ، ومسح بيده على رأسه وقال : اللهم بارك فيك فلم يشب .

ومسح رأس محمد بن أنس فلم يشب موضع يده ، ومسح رأس حنظله بن حُديم وقال له : بورك فيك ، فكان حنظلة إذا تفل في يده ووضعها على ورم ذهب ، ومسح رأس أبي سفيان بدلوك فلم يبيض شعر ما مسه بيده ﷺ .

ودعا لعبد الله بن عتبة ولولده بالبركة فلم يهرم منهم أحد ، ومسح وجه عمرو ابن ثعلبة الجهني فمات عمرو وقد أتت عليه مائة سنة وما شابت منه شعرة ، ووضع يده على رأس مالك بن عمير ووجهه فلم يشب ، ومسح على ظهر عتبة بن فرقد بيده فصار أطيب أهله ريحاً ؛ ومسح وجه قتادة بن ملحان ، فصار كأن على وجهه دهان من وضاءته .

وقال للنابغة : لا يفضض الله فاك فنيف على المائة وما ذهب له سن ، وأصيب ساق سلمة بن الأكوع بضونة في خيبر فنفث فيها فما اشتكاها بعد ، وأعيت قرحة برِجْل رَجُل فوضع أصبعه عليها وسمى ورقاها فبرأت ، وتفل في فم عبد الله بن عامر فكان لا يُعالج أيضا إلا ظهر له الماء ، وكان يتفل في أفواه الرضعاء فيقوم مقام الغذاء لهم .

وبزق في فم محمد بن ثابت بن قيس وحَنَّكه فلم يحتج إلى إرضاع يومين والثالث ، وأخذ بجلدة ما بين عيني فراء بن عمرو ، وقد أصابه صداع شديد ، فذهب ولم يصدع بعد ، ودعا لأهل المسجد أن يذهب عنهم البرد فأذهبه الله عنهم ، ودعا لحذيفة بن اليمان في ليلة شديدة البرد وقد بعثه ليأتيه بخبر الأحزاب ، فمشى كأنه في حمام .

وأستأذنت عليه الحمى فبعث بها إلى أهل قباء لتكون كفارة لهم فلقوا منها شدة ، وذهبت الحمى عن عائشة بدعاء علمها إياه ، وأمر امرأتين وقد اغتابتا أن يتقيآ ، فتقيأتا لحماً وقيحاً ودماً ، وكان ﷺ يسمع أصوات أهل القبور ، ويسمع أطيط السماء ، وجعل خالد بن الوليد في قلنسوته ناصية الرسول لما حلق ، فلم يشهد قتالاً وهي معه إلا نصر ، واقتمح السم فلم يضره .

وقال لابن عباس : اللهم فقّهه في الدين ، فصار حَبْر الأمة ، وقال لأنس بن مالك : اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته ، فكثر ماله ، وصار له نحو المائة من الولد ، وكان بستانه يحمل الفاكهة في السنة مرتين ، ودعا لامرأة في لسانها فضل فظهرت بركة دعائه ، ودعا لرجل بخيل جبان كثير النوم ، فاشتد بأسه في الحرب ، وسخت نفسه ، وقلَّ نومه ، وقال لأبي طلحة – وقد جامع امرأته – بارك الله لكما في سائر ليلتكما ، فحملت وولدت غلاماً .

وضرب في صدر أبي بن كعب ودعا له فزال عنه الشك ، وقال لسعد بن أبي وقاص : اللهم استجب له إذا دعاك ، فما دعا إلا أجيبت دعوته ، وعلم أبا بكر رضي الله عنه دعاءاً [فوفّى][1] الله عنه ديناً كان عليه لما دعا به ، وقال لعبد الرحمن بن عوف : بارك الله لك فكثرت أمواله ، ودعا لعروة البارقي بالبركة في بيعه ، فكان لو اشترى التراب لربح فيه ، وقال لعبد الله بن جعفر : اللهم بارك له في تجارته ، فما باع شيئاً ولا اشترى إلا بورك فيه ، ودعا لعبد الله بن هشام بالبركة فكثر ربحه .

---

(١) زيادة للسياق .

وقال لأبي أمامة – وقد بعثة في غزاة – : اللهم سلّمهم وغنّمهم [فسلموا وغنموا][1] ، ومسح ضروع شويهات كان يرعاهن أبو قرصافة ، ودعا فيهن بالبركة فامتلأت شحماً ولبناً ، وقال له جوير بن عبد الله : إني لا أثبت على الخيل ، فصك في صدره وقال : اللهم ثبته ، فما سقط عن فرس بعد ، وأتاه المقداد بن عمرو بسبعة عشر دينار قد ظفر بها فقال : بارك الله لك فيها فصار عنده منها غرائر ورِق ، ولقي ﷺ العدو فقال : يا مالك يوم الدين ، إياك نعبد وإياك نستعين ، فلقد رأيت الرجال تصرع تضربها الملائكة ، وأمسك لسان شاب عن الشهادة وقد احتضر لغضب أمه عليه ، فلما استرضاها فرضيت نطق بالشهادتين .

وقال ليهودي – لما عطس وشمته – : هداك الله ، فأسلم ، وكثر مال صخر الماردي لامتثاله أمره في بعثة غلمانه بالتجارة بكرة ، وتحاب امرأة وزوجها بعد البغضاء بدعائه ، وأقبل الله بأهل اليمن وأهل الشام وأهل العراق بدعائه ، ودعا على مُضَر لما عتوا حتى قحطوا ، ثم دعا لهم حتى سقوا ، ودعا لأهل جُرش برفع قتل صُرد بن عبد الله وأصحابه فنجوا بدعائه ، ومكن الله تعالى لقريش العز والشرف بدعائه ، وأيد الله من كان معه وأجاب دعاءه حتى صرع ركانة بن عبد يزيد ، ولم يكن أحد يصرعه لشدته .

وقال لمسعود الضحاك : أنت مُطاع في قومك ، فكان يأخذ الراية إذا وقع بين القبائل شر فيصلح بينهم ، وأراد عامر بن الطفيل وأربد بن قيس أن يغدرا به وهو يقول : لأملأنها عليك خيلاً عامر ، فحيل بينهما وبين ذلك ، وخرج وهو يقول : لأملأنها عليك خيلاً عامر ورجالاً ، فقال : اللهم اكفني عامر بن الطفيل ، فقتله الله ، ونزلت صاعقة على أربد فقتلته ، وأمر رجلاً قد أكل بشماله أن يأكل بيمينة فقال [الرجل][1] : لا أستطيع ، فقال [ﷺ][1] : لا قد استطعت ، فما رفعها إلى فيه .

وقال للحكم بن أبي العاص وقد اختلج كأنه يحاكيه : كن كذلك ، فلم يزل

---

(١) زيادة للسياق .

يختلج حتى مات ، ودعا على رءوس قريش وقد تظافروا عليه بمكة فقتلهم الله بسيوفه يوم بدر ، ومرَّ بين يديه في صلاته رجل فقال : قطع الله أثره فأُقعد ، ومر كليب بين أيديهم وهم يصلون مع الرسول صلاة العصر ، فدعا عليه رجل منهم ، فما بلغت رجله الأرض حتى مات ، وقال لرجل : لا أقرته الأرض ، فما استقر بعدها بأرض ، وقال لمعاوية بن أبي سفيان : لا أشبع الله بطنه ، فما شبع بطنه أبداً .

وقال لرجل : ضرب الله [عنقك][1] ، فقال : في سبيل الله يارسول الله ؟ فقال : في سبيل الله ، فضربت عنقه في سبيل الله ، وقال : من احتكر طعاماً ضربه الله بالجذام ، فلم يعبأ رجل بذلك فجزم ، وقال لأبي ثروان : اللهم أطل شقاءه وبقاءه ، فشاخ حتى تمنى الموت ، وقال لعتبة بن أبي لهب : اللهم سلط عليه كلبك ، فافترسه الأسد ، وقصده سراقة بن مالك لما خرج مهاجراً ، فساخت يدا فرسه إلى الركبتين وخرَّ عنها .

ولما مزَّق كسرى ملك فارس كتابه الذي كتب إليه ، دعا عليهم أن يمزقوا كل ممزق ، فلم تبق لهم باقية ، وهزم الله المشركين يوم بدر وقتلهم بدعائه عليهم في العريش ، وقال هذا مصرع فلان غداً ، ووضع يده على الأرض وهو يسميهم واحداً واحداً ، فما جاوز أحد منهم موضع يده .

وأخبر بمكة أنه يقتل أبا جهل فقتله الله بسيوفه يوم بدر ، وقتل أمية بن خلف ببدر أيضاً بدعائه عليه ، وألقاه ومعه صناديد قريش بالقليب ، فأنجز الله وعده ، وقال عن عقبة بن أبي معيط : اللهم كبه لمنخره واصرعه ، فجمح به فرسه يوم بدر فأُخذ وضربت عنقه ، وقال : اللهم اكفني نوفل بن خويلد ، فأسر يوم بدر وقتله علي بن أبي طالب .

وقال للعباس بن عبد المطلب لما أُسر ببدر أين مالك الذي وضعت بمكة عند أم الفضل وليس معكما أحد ؟ فقال : والذي بعثك بالحق ما علم بهذا أحد غيري وغير عمير بن وهب وصفوان بن أمية وهما خاليان في الحجر أن همُّوا بقتل الرسول ،

---

(١) زيادة للسياق .

وقدم إلى المدينة ليقتله ، فلما دُخل به عليه حدَّثه بما جرى بينه وبين صفوان فأسلم عند ذلك .

وانهزم قباث بن أشيم يوم بدر فيمن انهزم ، وحدث نفسه بشيء ثم قدم المدينة بعد مرة ، وأتى الرسول ﷺ وهو بعرفه ، فقال له : يا قباث بن أشيم ! أنت القائل يوم بدر كذا ؟ فأسلم عند ذلك ، ولما أسر سهيل بن عمرو يوم بدر قال عمر : يا رسول الله ! إنزع ثنيته ، فقال : لعله يقوم مقاماً لا تكرهه ، فقام حين جاءه وفاة الرسول بخطبة أبي بكر رضي الله عنه ، ولما خرج إلى بدر ودعا لأصحابه أن يحملهم الله ويكسبهم ويشبعهم ويغنيهم ، فما رجع أحد منهم إلا كذلك .

ولما اشتد [أذى][1] كعب بن الأشرف له قال : اللهم اكفني ابن الأشرف بما شئت ، فقتله الله ، وقام دعثور بن الحرث على رأسه - وقد نام - ليقتله بالسيف ، فدفع جبريل في صدر دعثور ، فوقع السيف وأخذه الرسول ، فأسلم دعثور ، وخرج إلى بني النضير وجلس في ناديهم مستنداً إلى بعض بيوتهم فهموا بقتله وأن يطرح عليه عمرو بن جحاش صخره من فوق البيت ، فأتاه خبر السماء بذلك ، فقام وترك أصحابه ودخل المدينة .

وقال لأبي بن خلف وهو بمكة : أنا أقتلك إن شاء الله ، فلما كان يوم أُحد ، قدم فخدشه ﷺ في عنقه خدشة لطيفة هلك منها ، وقال عن عتبة بن أبي وقاص : اللهم لا تحل عليه الحول ، فمات دون ذلك كافراً ، وقال عن ابن قميئة ومن وافقه : اللهم لا [تحل][1] الحول على أحد منهم فهلكوا دون الحول ، وغسلت الملائكة حنظلة بن أبي عامر لما قتل بأحد شهيداً ورؤى رأسه يقطر ماءاً فإنه خرج جُنُباً .

وغشي النعاس المؤمنين يوم أُحد مع قرب العدو منهم وقال عن قزمان من أهل النار فقتل نفسه بجراحه المنية ، وصنعت امرأة سعد بن الربيع طعاماً يكفي رجلاً أو رجلين ، فأطعم منه ﷺ زيادة على عشرين رجلاً حتى شبعوا و لم ينقص ، وقتل المشركون عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ، وأرادوا أخذ شيء من جسده ، فبعث

---

(١) زيادة للسياق .

الله عليه مثل الظلة من الدَّبْر – وهي الزنابير – فحمته فلم يُقدر على قطع شيء من لحمه ، ثم جاء السيل فحمله فلم نعرف له مكان ، وذلك أنه كان نذر أنه لا يمسّ مشركاً ولا يمسه ، فوفَّى الله نذره تكرمة لرسوله ﷺ .

وبعث أبو سفيان بن حرب أعرابياً لقتال الرسول ﷺ ، فلما رآه الرسول قال : هذا الرجل يريد غدراً ، والله حائل بينه وبين ما يريد ، وأُخذ فظهر أمره ، وأخبر بما جاء به ، فخلى عنه وأسلم .

ولما قتل عامر بن فهيرة ببئر معونه رُفع إلى السماء بعد قتله ، وأعلم الله نبيه بما هَّم به المشركون من الميل عليهم وهم في الصلاة ، فصلى بأصحابه صلاة الخوف ، ونزلت [ ] تحت شجرة وعلق بها سيفه ونام ، فقام غورث على رأسه والسيف في يده وقال : من يمنعك مني ؟ فقال : الله ! ولم يعاقبه ، ولما حفر الخندق ضرب عدة ضربات وقال في كل ضربه : هذه الضربة يفتح الله بها كذا ، فما [سمى] شيئاً إلا فتحه الله على أمته .

وقال يوم الأحزاب عن المشركين : نغزوهم ولا يغزونا ، فما غَزَوْهُ بعدها ، ولما نزل على بني قريظة قذف الله الرعب في قلوبهم حتى أخذهم ، وخرج سعد ابن معاذ يوم الأحزاب فقال : اللهم لا تُخرج نفسي حتى تقر عيني من بني قريظة ، فاستمسك حتى حكم رسول الله ﷺ فيهم وقد نزلوا على حكمه ، فحكم بقتل رجالهم وسبي نسائهم وذراريهم .

وتبين لثعلبة وأسيد ابني سعية وأسد بن عبيد بما عندهم من العلم صدق الرسول فآمنوا به ، وامتنع عمرو بن سعدي القرظي من الدخول مع بني قريظة في غدرهم وخرج عنهم ، وقتل الله أبا رافع بن أبي الحقيق بتحريضه على الرسول ، وأخبر عبد الله بن أنيس وقد بعثه لقتل سفيان بن نبيح وكان لا يعرفه بأنه إذا رآه فرق منه ، فكان كذلك ، وقتله الله على يد ابن أُنيس ، وقد جمع لحرب الرسول .

وهبت ريح شديدة مرجعه من المرسيع ، فقال : مات اليوم منافق عظيم النفاق بالمدينة ، فلذلك عصفت الريح ، فكان ذلك زيد بن رفاعة بن التابوت ، وضلت ناقته فتكلم زيد بن اللصيت كلام منافق مع أصحابه ، فجاء الوحي بكلامه إلى

الرسول ﷺ فقال : إن رجلاً من المنافقين شمت أن ضلت ناقة رسول الله ، وأخبر بمكان ناقته فأتوا بها من ذلك المكان .

وشُجَّ عبد الله بن أنيس في قتله أسيد بن رزام ، فنفث في شجته فلم تقح ، وأمر في مسيره إلى الحديبية باصطناع الطعام ، و [أوقدت][1] أكثر من خمسمائة نار ، فخاف الصحابة أن يرى المشركون نيرانهم فقال : إنهم لن يروكم ، إن الله سيغيبكم عنهم ، فكان كذلك ولم يروهم ، وأخبر بقدوم أهل اليمن فقدموا ، وأخبر بأن الله غفر للركب جميعاً إلا رويكباً على جمل أحمر ، فطُلب فوُجد ولم يؤمن وهلك ، ولما نزل بخيبر شكى إليه الجهد ، فدعا الله أن يفتح عليهم أعظم حصن [و][1] أكثره طعاماً وودكاً ففتح الله من الغد حصن الصعب بن معاذ أكبر حصون خيبر ، وأكثرها طعاماً وودكاً منه .

وقال عن أبي اليسر : اللهم متعنا به ، فعمَّر عمراً طويلاً ، ورمى حصن البزار [وقد][1] استعصى بكف من حصا فرجف الحصن بمن فيه ثم ساخ في الأرض ، فأخذوا أهله أخذاً ، ولما نزل عيينة بن حصن بخيبر مدداً ليهود صاح به وبقومه صائح فلحقوا بأهاليهم وتركوا يهود ، ورأى عيينة مناماً فأخبره الرسول ﷺ بما رأى ، وكان معه رجل بخيبر يقاتل قتالاً شديداً وهو يخبر عنه أنه من أهل النار ، فخرج ولم يصبر فقتل نفسه .

وغلَّ بعضُ من شهد خيبر من الغنيمة شيئاً فأخبره بما غُلَّ منها ، وأهدت إليه يهودية شاة قد سمتها فأخبره عضو من أعضاء الشاة أنها مسمومة ، وقتل رجلٌ رجلاً أسلم بحرمات فلم تقله الأرض لما دُفن وأصبح على وجه الأرض ، وقد صدقت رؤياه ﷺ في دخوله المسجد الحرام فدخله عام القضية وعام الفتح وفي حجة الوداع ، وقالت قريش لما قدم لعمرة القضاة : قد وهنتهم حمى شرب فأطلعه الله على ذلك ، فأمر أصحابه بالرمل في طوافهم ليظهر لقريش قوتهم .

وكان تعيينه في غزاة مؤته زيد بن حارثة أميراً ، فإن قتل فجعفر ، فإن قتل

---

(١) زيادة للسياق .

فعبد الله بن رواحه ، إشارة إلى أنهم يقتلوا في غزاتهم ، فلما قتلوا نعاهم في اليوم الذي قتلوا فيه ، وبينه وبينهم مسيرة ليالي وأيام .

ونحر عوف بن مالك الأشجعي جزوراً لقوم في غزاة ذات السلاسل ، وأخذ منها جزءاً عن أجرته ، فأنكر عليه سادات الصحابة أن أخذ على المعروف أجراً ، فلما قدم كان الرسول أخبره خبر الجزور .

وبعث أبا عبيدة بن الجراح على سرية ، فلما أشتد بهم الجوع قذف لهم البحر حوتاً أكلوا منه حتى شبعوا وادخروا ، ونعى النجاشيّ ملك الحبشة في اليوم الذي مات فيه ، وأخبر بنصر بني كعب على بني بكر فكان كذلك ، وسأل الله تعالى أن يعمي على قريش خبره حتى يبغتهم لما توجه لفتح مكة فلم يعلموا به حتى قدم بطن مر .

وأطلعه الله على كتاب حاطب بن أبي بَلْتَعَة إلى قريش بمسيره إليهم ، وأطلعه على مقالة الأنصار يوم الفتح ، وأخبر أن مكة لا تُغزى بعد فتحه لها ، فحق الله ذلك ، وأرى الله عثمان بن طلحة صدق رسول الله في أخذه مفتاح الكعبة منه ووضعه حيث يشاء ، وأخبره الله تعالى بمقالات قريش عند أذان بلال ، وعفا عن سهيل ابن عمرو مع سوء أثره يوم الحديبية ، وأخبر بإسلام ابن الزبعري حيث نظر إليه مقبلاً .

وألقى الله محبته في قلب هند بنت عتبة بعد العداوة الشديدة ، وأخبر أبا سفيان ابن حرب بما حدَّث به نفسه في يوم الفتح من عوده إلى المحاربة ، وبما قال لهند .

وأخبر بمجيء عكرمة بن أبي جهل مسلماً قبل قدومه ، وحقق الله تعالى لصفوان ابن أمية صدق رسالة المصطفى ، وأنجز له تعالى وعده بدخول الناس أفواجاً في الدين بعد الفتح .

وصدق رسوله بأن العُزَّى لا تعبد بأرض العرب ، وكفاه أمر الذي أراد قتله بالقرب من أوطاس ، وكفاه كيد شيبة في يوم حنين ، وهداه بعد كفره إلى الإيمان

وأخبر عيينة بن حصن بما قاله لأهل حصن الطائف ، وسمع الناس تسبيح سارية كانت في مصلاه ، وأجيبت دعوته في رجل بحصن الطائف ، وهدي الله ثقيفاً وأتي

بهم إليه بدعائه .

وصدقت مقالته عن ذي الخويصره وأصحابه بأنهم يمرقون من الدين فكانت منهم الخوارج ، وظهر صدقه في إخباره عروة بن مسعود أن قومه يقتلونه ، واستجيبت دعوته على حارثة بن عمرو ، وأخبر عمار بن ياسر بما قاله المنافقون وهم سائرون إلى تبوك .

وصدق قوله لأبي ذر بأنه يموت وحده ، وبخرص حديقة المرأة ، وبأن ريحاً ستهب ، وصلى بتبوك على معاوية بن معاوية وقد مات بالمدينة ، وصدق قوله لخالد ابن الوليد عن أكيدر دومة بأن يجده يصيد البقر .

وأطعم بتبوك طائفة من سبع تمرات حتى أشبعهم غير مرة ولم تنقص ، وأجيبت دعوته لذى البجاد أن يحرم الله دمه على الكفار ، وأخبر بقدوم وفد عبد القيس قبل مجيئهم ، وصدق الله لعدي بن حاتم ما أخبره به .

وصدق في إخباره بقدوم أهل اليمن ، واستجيب دعاؤه في قدوم معاوية بن جيدة ، وشهدت أساقفة نجران بأنه النبي الذي كانوا ينتظرونه ، واستمع من دعاه منهم إلى ما [دعا إليه][1] خوفاً من الهلاك ، وتيقن عبد الله بن سلام صدق رسالته ﷺ ، وعرف الخبر من يهود صوّاب ما أجابه به وصدقه في نبوته .

وأقر عصابة من يهود بأنه أصاب في قوله ، وعلم [يهوديان][1] بأنه صادق في نبوته ، واعترف يهود بنبوته لما أتوه يسألونه عن حد الزاني ، وشهد ابن صوريا على يهود بمعرفته ، واعترفت اليهود بأن صفته عندهم في التوراة .

وأظهر الله تعالى معجزته الباهرة لليهود لما دعاهم إلى تمني الموت ، وأخبرهم لما دعاهم إلى ذلك أنهم لا يتمنونه أبداً فما أحد منهم تمناه ، تحقيقاً لصدق مقالته ، واعترف قوم من اليهود بأن سورة يوسف موافقه لما في التوراة ، وصدقته يهود في إخباره بأسماء النجوم التي رآها يوسف عليه السلام في منامه ، وأهلك الله تعالى

---

(١) زيادة للسياق .

رجلاً خالف أمره .

وأهلك مشركاً لما سأل عن كيفية الله تعالى ، وأهلك رجلاً كذب على رسوله ، وصدقت مقالته لرجل بما حدثته به نفسه وبما يؤول أمره إليه ، وأخبر امرأة قد صامت بما كان منها في صومها ، وأغنى الله تعالى أبا سعيد الخدري ببركة دعائه في التعفف مقالة الرسول ، وأخبر وابصة بما جاء يسأله عنه .

وأخبر رجلين أتياه ليسألاه بما يريدان أن يسألاه عنه ، وأخبر رجالاً من أهل الكتاب أتوه ليسألوه عن ذي القرنين بما أرادوا أن يسألوه عنه ، كل ذلك قبل أن يُسأل ، وأخبر بما هو مدفون مع أبي رعان ، وأخبر عن أمر السفينة ، وأخبر بإسلام أبي الدرداء قبل أن يُسلم .

وأخبر بحال الرجل الذي نحر نفسه ، وأشار إلى ما صار إليه أمر ماعِزٍ من الرجم ، وأخبر رجلاً عما قال في نفسه من الشعر ، وأخبر أبا شهم بما كان منه ، وأخبر عن شاة دعي لأكلها بأنها أُخذت بغير إذن أهلها .

وأخبر عن سحابة أمطرت باليمن ، وأخبر بوقعة ذي قار في يوم الوقعة ، وأخبر بغدر الحطيم ، وأخبر بالفتن التي وقعت بعد وفاته ، وأخبر بأن الله تعالى يتم أمره ويظهر دينه على الدين كله .

وأخبر بما فتح الله من بعده لأمته من ممالك الأرض ، وأخبر بأن القبط يكون ، وأن ملك أمته يبلغ ما روى له فيها ، فكان ذلك ، وبلغ ملكهم لأول المشرق من بلاد السند والترك ، إلى آخر بلاد العرب من سواحل البحر المحيط بالأندلس وبلاد البربر ، ولم يتسعوا في الجنوب والشمال كل الاتساع كما أخبر سواء .

وأخبر بقيام الخلفاء من بعده ، وأخبر بقيام ملوك بعد الخلفاء ، وأخبر عن مدة الخلافة ثم يكون مُلكاً ، وأخبر باختيار الله خلافة أبي بكر ، وأراه الله في منامه مدة خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وأشار إلى الفتن الواقعة في زمن عثمان وعلي – رضي الله عنهما – والاختلاف عليهما .

وأخبر عن جماعة من أصحابه أنهم شهداء ، وأخبر عن ثابت بن قيس بأنه

شهيد ، وأنذر بما كان من الردة بعده ، وبسوء عاقبة الرجال ، وأجيبت دعوته في مجيء ثمامة بن أثال ، وأدركت لعنته الأربعة وأختهم ، وأنذر بقتال أصحابه بعضهم بعضاً .

وأخبر فاطمة الزهراء رضي الله عنها أنها أول أهل بيته لحوقاً به ، وأن الله تعالى يبر قسم البراء بن مالك ، وأن عمر بن الخطاب من المحدثين ، وأن أول نسائه لحوقاً به أطولهن يداً ، وأخبر عن أويس بن القرني ، وعن صلة بن أشيم ، وأخبر على بن أبي طالب بولادة غلام له يسميه محمداً .

وأخبر أم ورقة بأنها تدرك الشهادة ، وأنذر بالطاعون الذي وقع بعده ، وأنذر بفتنة تموج موج البحر ، وأنذر عثمان بما أصابه من البلاء ، وأنذر بأن أقواماً يؤخرون الصلاة عن وقتها ، وصدق الله مقالته أن [أدخل][1] عقبة بن أبي معيط النار ، وأنذر بما وقع من الفتن من بعده ، وأن بعض نسائه تنبحها كلاب الحوب ، وأن الزبير بن العوام يقاتل على بن أبي طالب .

وأخبر زيد بن صوعان أنه يموت شهيداً ، وأنذر بوقعة صفين ، وأن عمار بن ياسر تقتله الفئة الباغية ، وأنذر بالحكمين الذين حكما بين على ومعاوية ، وأخبر عن الخوارج وقتال على لهم ، وأخبر أن علي بن أبي طالب يقتل ، وأنه يمحى اسمه ، وأن الحسين بن علي سيد ، وأن الله يصلح به بين فئتين عظيمتين .

وأخبر بتملك معاوية بن أبي سفيان ، وأن ميمونة تموت بغير مكة ، وأن أم حرام بنت ملحان تركب البحر للغزاة في سبيل الله ، وأخبر أن رجلاً يتكلم بعد موته ، وأن نفراً من المسلمين يقتلون بعذراء من أرض الشام .

وأخبر عمرو بن الحمق بمن يقتله ، وأخبر كيف يموت سمرة بن جندب ، وأن عبد الله بن سلام يموت على الإسلام ولا يستشهد ، وأن رافع بن جُريج يستشهد ، وأن هلاك أمته على يد أغيلمة من قريش ، وأن قيس بن خرشة لا يضره بشر ، وأن الحسين بن علي رضي الله عنه يقتل ، وأنذر بقتل أهل الحرة ، وبتحريق

---

(١) زيادة للسياق .

الكعبة ، وذهاب بصر عبد الله بن سلام ، وعمى زيد بن أرقم .

وأخبر بالكذابين من بعده ، وبما يلقي عبد الله بن الزبير وما يصيب الناس منه ، وبخروج الحجاج بن يوسف – وهو المبيرة – وأن معترك المنايا ما بين الستين إلى السبعين ، وأن الشر يقع بعد الخير الذي جاء به .

وأخبر بما يكون من أحداث يزيد بن معاوية ، وبتملك بني أمية ، وبسوء سيرة الوليد ، وأشار إلى خلافة عمر بن عبد العزيز ، وأخبر بوهب بن منبه ، وبغيلان القدري ، ومحمد بن كعب القرظي ، وبانخرام القرن الذي كان هو فيه على رأس مائة سنة ، وصدق الله قوله في تعيين عمر إنسان وهلاك آخر .

وأخبر بتملك بني العباس على الناس وبما نزل بأهل بيته من البلاء ، وبقيام اثنى عشر خليفة ، وبظهور الجور والمنكرات ، وأن قريشاً يسلط عليهم من ينزع الملك منهم بذنوبهم .

وأخبر باتساع الدنيا على أمته ، وتنافسهم فيها ، وتقاتلهم عليها ، وبوقوع ما بين أمته بينهم ، وأن السيف إذا وقع فيهم لا يرتفع عنهم ، وبظهور المعاون ، وأخبر بمجيء قوم بأيديهم سياط يضربون بها الناس ، وبنساء كاسيات عاريات ، وأشار إلى أن بغداد تبنى مدينة ، وأخبر عن البصرة .

وأخبر بما يكون من الفجور وتناول الحرام ، والتسرع إلى القتل ، وعن قوم يؤمنون به ولم يروه ، وأن أقصى أماني أمته من بعده أن تراه ، وبتبليغ الصحابة ما سمعوا منه من يأتيهم بعده ، وتفقههم في الدين ، وأنذر بظهور الاختلاف في أمته ، وأنها تتبع طرائق الأمم من قبلها ، وأن العلم يذهب ويظهر الجهل ، وأن أهل الزيغ يتبعون ما تشابه من القرآن وتظهر الروافض والقدرية ، وأن يُكذب عليه ، وأن الناس يتغيرون بعد اتباع القرون ، وأن طائفة من الأمة لا تزال متمسكة بالدين ، وأن الأنصار يرون بعده أثره .

وأخبر بخروج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى ، وأن أحجار الزيت بالمدينة تغرق من الدم ، وأخبر بما يكون بعده من الخسف ، وأن الأمر

يوسد إلى غير أهله ، وأن الإسلام يعود غريباً كما بدأ ، وأن التُّرك تتغلب على أهل الإسلام .

فما أخبر بشيء من ذلك إلا وقع كما أخبر ﷺ ، وهذه أشياء لا تعرف البتة بشيء ووجوه تقدمة المعرفة ، لا بنجوم ، ولا بكيف ، ولا بخط ، ولا بزجر

* * *

تم بحمد الله تعالى وحُسن توفيقه

الجزء الرابع من

إمتاع الأسماع للمقريزي

ويليه بمشيئة الله الجزء الخامس وأوله :

[فصل جامع في معجزات رسول الله ﷺ

على سبيل التفصيل]

* * *

إمتاع الأسماع

بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع

تأليف

تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي
المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

تحقيق وتعليق

محمد عبد الحميد النميسي

الجزء الخامس

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

ISBN 2-7451-2208-8

http://www.al-ilmiyah.com.lb/
e-mail : sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

[فصل جامع في معجزات رسول الله ﷺ على سبيل التفصيل][1]

[أولاً : إبطال الكهانـة][1]

فأما إبطال الله تعالى الكهانة بمبعث رسول الله ﷺ ، حتى انقطعت بعد ما كانت ظاهرة موجودة ، قال ابن سيده : كهن له يكهن ، وكهن كهانة ، وتكهن تكهيناً وتكهُّناً : قضى له بالغيب ، ورجل كاهن من قوم كهنة وكهان ، وحرفته الكهانة .

واعلم أن الكهانة من خواص النفس الإنسانية ، وذلك أن للنفس الإنسانية استعداد للانسلاخ عن البشرية إلى الروحانية التي فوقها ، وأعلا هذا الانسلاخ صنف الأنبياء ، فإنهم فُطِروا على ذلك ، فيحصل لهم من غير اكتساب ولا استعانة بشيء من المدارك ، ولا من التصورات ، ولا من الأفعال البدنية ، ولا بأمر من الأمور ، إنما هو انسلاخ من البشرية إلى [الملائكية][2] بالفطرة الإلّهية في لحظة أقرب من لمح البصر ، فاقتضت القسمة العقلية حركتها الفكرية بالإرادة ، عندما يتبعها النزوع لذلك ، وهي ناقصة عن إدراك الأنبياء بالجبلة ، وعندما يعوقها العجز عن ذلك ، فإنها تتشبث بأمور جزئية محسوسة أو متخيلة تنظر فيها ، كالأجسام الشفافة ، وعظام الحيوان ، وتتكلم بالسجع ، أو ترى ماينسلخ من طير أو حيوان ، فلا تزال تستعين بذلك في الإنسلاخ الذي تقصده ، فيكون كالمشيع له .. ، وهذه القوة التي في هذا الصنف مبدأ لذلك الإرادي ، هي الكهانة .

ولما كانت هذه النفوس مفطورة على النقص والقصور عن الكمال ، كان إدراكها في الجزئيات أكثر من الكليات ، وصارت متشبثة بها ، غافلة عن الكليات ، ولذلك تكون القوة المتخيلة فيهم في غاية القوة ، لأنها آلة الجزئيات فتنفذ فيها نفوذاً

---

(١) هذه العناوين ليست في (خ) .
(٢) زيادة للسياق .

تاماً ، إما في النوم أو في اليقظة ، وتكون عندها أبداً حاضرة تحضرها المتخيلة حضوراً يكون لها كالمرآة ينظر فيها دائماً ، ولا يقوى الكاهن على الكمالة في إدراك المعقولات ، لأن ما يوحَى إليه من الشياطين .

وأرفع أحوال الكهان من يستعين بالكلام المسجوع الموزون ، ليشتغل به عن الحواس ، ويقوى على ذلك الاتصال الناقص ، فيهجس في قلبه عن تلك الحركة ، والذي يشيعها من ذلك الأجنبي ما يقذفه على لسانه ، فربما صدق ووافق الحق ، وربما كذب ، لأنه يتمم نقصه بأمر أجنبي عن ذاته المدركة ، ومباين لها غير ملائم ، فيعرض له الصدق والكذب جميعاً ، ويكون غير موثوق به جميعاً ، وربما فزع إلى الظنون والتخمينات ، حرصاً منه على الظفر بالإدراك ، وتمويهاً على السائلين له .

وأصحاب السجع أخف من سائر المعينات من المرئيات والمسموعات ، فإن خفة المعين تدل على قرب ذلك الاتصال والإدراك ، كما أن البعد فيه عجز ما ، وإذا تقرر ذلك فنقول : قال الله جل جلاله : ﴿ **قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً * يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا * وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا * وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا * وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا * وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا * وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً * وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً * وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصدا * وأنا لا ندري أشر أُريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً** ﴾[1] .

[ومعنى] هذه الآيات : قل يا محمد لأمتك : أُوْحَى الله إليّ على لسان جبريل ، أنه استمع إليّ نفر من الجن – والنفر : الرهط كالحليل ما بين ثلاثة إلى عشرة – فقالوا : إنا سمعنا قرآناً عجبا ، أي في فصاحته ، وقيل عجباً في بلاغة مواعظه ، وقيل : عجباً في عظيم بركته ، وقيل : قرآنا عزيزاً لا يوجد مثله ، يهدي

---

(١) الجن : ١ – ١٠ .

إلى الرشد ، أي إلى مراشد الأمور ، وقيل : إلى معرفة الله ، فآمنا به أي فاهتدينا به ، وصدقنا أنه الذي من عند الله ، ولن نشرك بربنا أحداً ، أي لا نرجع إلى إبليس ولا نطيعه ، لأنه الذي كان بعثهم ليأتوه بالخبر [لما][1] رمى الجن بالشهب .

وقيل : لا نتخذ مع الله إلّهاً آخر لأنه المنفرد بالربوبية ، ﴿ **وأنه تعالى جد ربنا** ﴾ ، أي عظمته وجلاله . قاله عكرمة ومجاهد وقتادة ، وعن مجاهد أيضاً ذكره . وقال أنس بن مالك والحسن وعكرمة أيضاً عنهم . وقال أبو عبيد : أي ذي الغناء منك الغنى . وقال ابن عباس : قدرته . وقال الضحاك : فعله . وقال القرطبي والضحاك أيضا : آلاؤه ونعمه على خلقه . وقال أبو عبيد والأخفش : ملكه وسلطانه . وقال السّدي : أمره . وقال سعيد بن جبير : ﴿ **وأنه تعالى جد ربنا** ﴾ أي تعالى ربنا . وقيل غير ذلك .

ومعنى الآية : وأنه تعالى جلال ربنا أن يتخذ صاحبة أو ولداً للاستئناس بهما أو الحاجة إليهما ، فإن الرب يتعالى عن ذلك ، كما يتعالى عن الأنداد والنظراء ﴿ **وأنه كان يقول سفيهنا** ﴾ أي إبليس . قاله مجاهد وابن جريج وقتادة . ورواه أبو بردة ابن أبي موسى عن [أبيه][1] ، عن النبي ﷺ ، وقيل : سفيهنا : المشركون من الجن ، والشَّطَط والاشْتِطَاط : الغلو في الكفر . وقيل : الجور . وقيل : هو الكذب ﴿ **وأنا ظننا** ﴾ أي حسبنا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذباً ، فلذلك صدقناهم أن لله صاحبة وولداً ، حتى سمعنا القرآن وتبينا به الحق ، ﴿ **وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن** ﴾ أي أن [الرجل][1] كان إذا نزل بواد قال : أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه ، فيبيتُ في جواره حتى يصبح ، وكان أول من تعوذ بالجن قوم من أهل اليمن ، ثم من بني حنيفة ، ثم فشا ذلك في العرب ، فلما جاء الله بالإسلام تعوذوا بالله وتركوهم ، ﴿ **فزادوهم رهقا** ﴾ أي إثماً ، ﴿ **وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً** ﴾ أي ظنت الجن كما ظنت الإنس أن لن يبعث الله رسولاً إلى خلقه ، يقيم به الحجة عليهم ، وكان هذا هو توكيد الحجة على قريش ، أي إذا آمن هؤلاء الجن بمحمد فأنتم أحق بذلك ، ﴿ **وأنا لمسنا السماء** ﴾ أي طلبنا خبرها كما جرت عادتنا ، فوجدناها قد ملئت حرساً

---

(١) زيادة للسياق .

شديداً أي حفظة ، يعني الملائكة ، وشهباً جمع شهاب ، وهو انقضاض الكواكب المحرقة لهم عند استراق السمع ، وشديداً : من نعت الحرس ، أي ملئت ملائكة شداداً ، ﴿ **وأنا كنا نقعد منها مقاعد** ﴾ أي من السماء ، مقاعد أي مواضع يُقعد في مثلها لاستماع الأخبار من السماء ، يعني أن مردة الجن كانوا يفعلون ذلك ليستمعوا من الملائكة أخبار السماء حتى يلقوها إلى الكهنة ، فحرسها الله حين بعث رسوله محمداً ﷺ بالشهب المحرقة ، فقالت الجن حينئذ : ﴿ **فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً** ﴾،يعني بالشهاب : الكوكب المحرق .

وقيل لم يكن انقضاض الكواكب إلا بعد مبعث النبي ﷺ ، وهو آية من آياته ، وأنه كان من مبعثه أن رأت قريش النجوم يرمى بها في السماع عشرين يوماً ، وقد اختلف السلف : هل كانت الشياطين تقذف قبل المبعث ؟ أو كان ذلك أمراً حدث لمبعث النبي ﷺ ؟ وقيل : كان ذلك قبل المبعث ، وإنما زادت بمبعث رسول الله ﷺ إنذاراً بحاله ، وهو معنى قوله تعالى : [﴿ **ملئت** ﴾][1] أي زيد في حرسها ، وهو قول الأكثرين ، ﴿ **وأنا لا ندري أشر أُريد بمن في الأرض** ﴾ أي هذا الحرس الذي حرست به لشر أريد بأهل الأرض أم أراد بهذا ربهم بهم رشداً ؟ أي خيراً .

أخرج البخاري في التفسير من حديث سفيان ، حدثنا عمرو قال : سمعت عكرمة يقول : سمعت أبا هريرة رضي الله عنه قال : إن نبي الله ﷺ قال : إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله ، كأنه سلسلة على صفوان ، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قال للذي قال : الحق وهو العلي الكبير ، فيسمعها مسترق السمع ، ومسترق السمع هكذا بعضه[2] فوق بعض ، ووصف سفيان بكفه فحرفها وبدَّد بين أصابعه ، فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته ، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن ، فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة ، فيقال : أليس قد قال يوم كذا وكذا وكذا ؟ فيصدق بتلك الكلمة

---

(١) زيادة للسياق والبيان .

(٢) في (خ) : « بعضهم » .

التي سمع[1] من السماء[2] .

وقال تعالى : ﴿ **إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب * وحفظناها من كل شيطان مارد * لا يسَّمَّعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب * دحوراً ولهم عذاب واصب * إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب** ﴾[3] وقال : ﴿ **ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين** ﴾[4] ، وقال : ﴿ **ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين * وحفظناها من كل شيطان رجيم * إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين** ﴾[5] .

وخرج عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن الزهري ، عن يحيى بن عروة بن الزبير عن عروة بن الزبير ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله ! إن الكهان قد كانوا يحدثوننا بالشيء فنجده[6] حقاً ، قال : تلك الكلمة الحق[7] يخطفها الجني فيقذفها في أذن وليه ويزيد[8] فيها أكثر من مائة كذبة . خرجه مسلم[9] عن عبد بن حميد عن عبد الرزاق ، وخرجه البخاري[10] من وجه آخر عن معمر .

وقال الأوزاعي : حدثني ابن شهاب عن علي بن حسين ، عن عباس رضي الله عنه قال : حدثني رجال من الأنصار أنهم بيناهم جلوس مع رسول الله ﷺ إذ رُمي بنجم فاستنار ، فقال رسول الله ﷺ : ما كنتم تقولون في الجاهلية إذ

---

(١) (خ) : « سمعت » .
(٢) (فتح الباري) : ٨ / ٦٨٩ - ٦٩٠ ، كتاب التفسير ، باب (١) ﴿ **حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير** ﴾ ، حديث رقم (٤٨٠٠) .
(٣) الصافات : ٦ - ١٠ .
(٤) الملك : ٥ .
(٥) الحجر : ١٦ - ١٨ .
(٦) (خ) : « فيكون » وهي رواية البخاري .
(٧) (خ) : « من الحق » وهي رواية البخاري .
(٨) في (خ) : « فيزيد » وهي رواية البخاري .
(٩) (مسلم بشرح النووي) : ١٤ / ٤٧٥ ، كتاب السلام ، باب (٣٥) تحريم الكهانة وإتيان الكهان ، حديث رقم (٢٢٢٨) .
(١٠) (فتح الباري) : ١٠ / ٢٦٦ ، كتاب الطب ، باب (٤٦) الكهانة ، حديث رقم (٥٧٦٢) .

رمي بمثل هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، كنا نقول : ولد الليلة رجل عظيم ، ومات الليلة رجل عظيم ، فقال رسول الله ﷺ : فإنها[1] لا يرمي بها لموت أحد ولا لحياته ، ولكن ربنا عز وجل[2] إذا قضى أمراً سبحت[3] حملة العرش ، ثم سبحت[3] أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل السماء الدنيا ، ثم يقول الذين يلون حملة العرش [لحملة العرش :][4] ماذا قال ربكم ؛ [فيخبرونهم ماذا قال][4] فيستخبر أهل السموات بعضهم بعضاً حتى يبلغ الخبر أهل السماء الدنيا ، فيخطف الجن السمع فيلقونه إلى أوليائهم ويرمون به ، فما جاءوا به على وجهه فهو الحق ، ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون .

وفي رواية يونس بن يزيد عن الزهري : ولكنهم يرقون فيه ويزيدون . أخرجه مسلم من حديث الوليد بن مسلم عن الأوزاعي[5] .

ورواه محمد بن إسحق عن الزهري عن علي بن الحسين عن علي ، عن عبد الله بن عباس عن نفر من الأنصار ، أن رسول الله ﷺ قال لهم : ما كنتم تقولون في هذا النجم الذي يرمي به ؟ قالوا : يارسول الله كنا نقول حين رأيناها يرمى بها : مات ملك مُلِّك ملك ، ولد مولود مات مولود ، فقال رسول الله ﷺ ليس ذلك لذلك ، ولكن الله تبارك وتعالى ، كان إذا قضى في خلقه أمراً سمعه حملة العرش فسبحوا ، فسبح من تحتهم لتسبيحهم ، فسبح من تحت ذلك ، ولا يزال التسبيح يهبط حتى ينتهي إلى السماء الدنيا فيسبحوا .

ثم يقول بعضهم لبعض : مم سبحتم ؟ فيقولون : سبح من فوقنا فسبحنا لتسبيحهم ، فيقولون : ألا تسألون من فوقكم مم سبحوا ؟ فيقولون مثل ذلك حتى

---

(١) في (خ) : « فإنه » .

(٢) كذا في (خ) ، وفي (مسلم) : « ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه » .

(٣) كذا في (خ) ، وفي (مسلم) : « سبَّح » .

(٤) زيادة للسياق والبيان .

(٥) (مسلم بشرح النووي) : ١٤ / ٤٧٦ - ٤٧٧ ، كتاب السلام ، باب (٣٥) تحريم الكهانة وإتيان الكهان ، حديث رقم (٢٢٢٩) وأخرجه الترمذي في صحيحه ، في تفسير سورة سبأ ، والإمام أحمد في (المسند) : ١ / ٣٦٠ ، حديث رقم (١٨٨٦) .

ينتهوا إلى حملة العرش ، فيقولون لهم : مم سبحتم ؟ فيقولون : قضى الله في خلقه كذا وكذا - للأمر الذي كان - فيهبط به الخبر من سماء إلى سماء ، حتى ينتهي إلى السماء الدنيا فيتحدثوا به فيسترقه الشياطين بالسمع على توهم واختلاف ، ثم يأتوا به الكهان من أهل الأرض فيحدثوهم فيخطئوا ويصيبوا ، فيتحدث به الكهان فيصيبوا بعضاً ويخطئوا بعضاً ، ثم إن الله حجب الشياطين بهذه النجوم التي يقذفون بها ، فانقطعت الكهانة اليوم ولا كهانة[1] .

قال ابن إسحق : وحدثني عمرو بن أبي جعفر ، عن محمد بن عبد الرحمن ابن لبينة ، عن علي بن الحسين ، بمثل حديث شهاب عنه ، وقد روى هذا الحديث [عبد] الرزاق عن معمر عن الزهري وقال في آخره : قال : فقلت للزهري : أو كان يرمى به في الجاهلية ؟ فقال : نعم ، قلت : يقول الله تعالى : ﴿ **وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصدا** ﴾ ، قال : غُلِّظت واشتد أمرها حين بُعث النبي ﷺ .

قال البيهقي : وهذا يوافق ظاهر الكتاب لأنه قال خبراً عن الجن : ﴿ **وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً** ﴾ ، فأخبرت الجن أنه زيد في حراس السماء وشهبها ، حتى امتلأت منها ، وفي ذلك دليل على أنه كان قبل ذلك فيها حراس وشهب معدة معهم ، والشهاب في (لسان العرب)[2] النار المتوقدة .

ثم ذكر الحديث البخاري ومسلم والترمذي ، من طريق أبي عوانة ، عن أبي بشر عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم[3] ، انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٢ / ٢٣٥ - ٢٣٦ ، باب بيان الوجه الذي كان يخرج قول الكهان عليه حقاً ، ثم بيان أن ذلك انقطع بظهور نبينا ﷺ أو انقطع أكثره .

(٢) (لسان العرب) : ١ / ٥١٠ .

(٣) قال النووي : لكن ابن مسعود أثبت أن النبي ﷺ قرأ على الجن : فكأن ذلك كان مقدماً على نفي ابن عباس ، وقد أشار إلى ذلك مسلم ، فأخرج في (الصحيح) في كتاب الصلاة ، حديث رقم (٤٥٠) عقب حديث ابن عباس هذا حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ ، قال : أتاني داعي الجن فانطلقت معه فقرأت عليه القرآن . قال الحافظ : ويمكن الجمع بالتعدد . قال العلماء هما قضيتان ، وحديث ابن عباس في أول الأمر ، وأول النبوة ، ثم أتوا وسمعوا ﴿ **قل أوحي** ﴾ .

عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأُرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا : مالكم ؟ قالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأُرسلت علينا الشهب ، فقال : ما حال بيننا وبين خبر السماء إلا من [شيء][1] حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ، ومغاربها ، فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء ، قال : فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها يبتغون ما هذا الذي حال بينهم وبين خبر السماء ، فانصرف أولئك النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ وهو بنخلة ، عامداً إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الصبح ، فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا : هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء ، قال : فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا : ياقومنا ﴿ **إنا سمعنا قرآناً عجباً * يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً** ﴾ ، فأنزل الله على نبيه : ﴿ **قل أوحى إليّ أنه استمع نفر من الجن** ﴾[2] ، [وإنما أوحي إليه قول الجن][3] . هذه سياقة الترمذي ، وقال : حسن صحيح . قال البيهقي : فقد ذكرنا أن ذلك في أول ما علموا به .

وأما قولهم حيل بيننا وبين خبر السماء ، فإنما أرادوا بما زيد في الحرَّاس والشهب ، واستدل لذلك بحديث يونس بن بكير ، عن يونس بن عمرو عن أبيه ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : إنَّ الشياطين كانوا يصعدون إلى السماء فيستمعون الكلمة من الوحي فيهبطون بها إلى الأرض ، فيزيدون معها تسعاً ، فيجد أهل الأرض تلك الكلمة حقاً والتسع باطلاً ، فلم يزالوا بذلك حتى بعث الله

---

(1) زيادة للسياق من (جامع الأصول) . (2) الجن : ١ - ٢

(3) قال الحافظ : هذه الزيادة من كلام ابن عباس ، كأنه يقرر فيه ما ذهب إليه أولاً : أنه ﷺ لم يجتمع بهم ، وإنما أوحى الله إليه بأنهم استمعوا ، ومثله قوله تعالى : ﴿ **وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا** ﴾ [الأحقاف : ٤٩] ، ولكن لا يلزم من عدم ذكر اجتماعه بهم حين استمعوا ، أن لا يكون اجتمع بهم بعد ذلك .

وهذا الحديث أخرجه البخاري في تفسير سورة الجن ، وفي صفة الصلاة ، باب الجهر بقراءة صلاة الفجر ، ومسلم في الصلاة ، باب الجهر بالقراءة في الصبح ، والترمذي في التفسير ، باب : ومن سورة الجن ، والبيهقي في (دلائل النبوة) : ٢ / ٢٢٥ - ٢٢٦ ، ٢٣٩ ، والإمام أحمد في (المسند) : ١ / ٤١٧ ، حديث رقم (٢٢٧١) ، من مسند عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنه .

محمداً ﷺ ، فمنعوا تلك المقاعد ، فذكروا ذلك لإبليس فقال : لقد حدث في الأرض حدث ، فبعثهم فوجدوا رسول الله ﷺ يتلو القرآن بين جبلي نخل ، قالوا : هذا والله الحدث ، وإنهم ليرمون ، فإذا توارى النجم عنكم فقد أدركه لا يخطيء أبداً ولكنه لا يقتله ، يحرق وجهه ، جنبه ، يده[١] .

وخرجه الترمذي من حديث إسرائيل ، حدثنا أبو إسحاق عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فذكره بمعناه ثم قال : هذا حديث حسن صحيح[٢] .

واستدل البيهقي أيضاً بحديث آدم بن أبي إياس قال : حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **حتى إذا فزع عن قلوبهم** ﴾[٣] ، قال : كان لكل قبيل من الجن مقعد من السماء يستمعون منه الوحي ، وكان إذا نزل الوحي سمع له صوت كإمرار السلسلة عل الصفوان ، فلا ينزل على أهل سماء إلا صعقوا ، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا:الحق ، وهو العلي الكبير ، ثم يقول : يكون العام كذا ، ويكون [كذا][٤] ، فتسمعه الجن فيخبرون الكهنة به ، والكهنة [يقولون للناس][٥] : يكون كذا [و][٤] كذا فيجدونه كذلك ، فلما بعث الله محمداً ﷺ دُحروا ، فقالت العرب حين لم تخبرهم الجن بذلك : هلك من في السماء ، فجعل صاحب الإبل ينحر كل يوم بعيراً ، وصاحب البقر ينحر كل يوم بقرة ، وصاحب الغنم شاة ، حتى أسرعوا في أموالهم ، فقالت ثقيف - وكانت أعقل العرب - : أيها الناس ، أمسكوا على أموالكم ، فإنه لم يمت من في السماء ، وإن هذا ليس بانتثار ألستم ترون معالمكم من النجوم كما هي ؟ والشمس والقمر والليل والنهار ، قال : فقال إبليس : لقد حدث اليوم في الأرض حدث ، فأتوني من تربة كل أرض ،

---

(١) (دلائل النبوة للبيهقي) : ٢ / ٢٣٩ - ٢٤٠ ، وقال في هامشه : أخرجه أحمد في (المسند) ، ونقله ابن كثير في (البداية والنهاية) .

(٢) (سنن الترمذي) : ٥ / ٣٩٨ ، كتاب تفسير القرآن ، حديث رقم (٣٣٢٤) ، وأخرجه أيضاً النسائي في (الكبرى) ، في التفسير .

(٣) سبأ : ٣٣ .

(٤) زيادة للسياق من (البيهقي) .

(٥) زيادة للبيان .

فأتوه بها ، فجعل يشمها ، فلما شمّ تربة مكة قال : من هاهنا جاء الحدث ، فتصنتوا فإذا رسول الله ﷺ قد بعث[1] .

وقال محمد بن إسحق : وأما الكهان من العرب فأتتهم به الشياطين من الجن فيما تسترق من السمع ، إذ كانت وهي لا تحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم ، وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكر بعض أموره ﷺ ، ولا تلقي العرب لذلك فيه بالاً حتى بعثه الله ، ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرون فعرفوها ، فلما تقارب أمر رسول الله ﷺ وحضر مبعثه حجبت الشياطين عن السمع ، وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد لاستراق السمع فيها ، فرموا بالنجوم ، فعرفت الجن أن ذلك لأمر حدث من أمر الله في العباد ، يقول الله تعالى لنبيه – حين بعثه وهو يقص عليه خبر الجنِ إذ حجبوا عن السمع فعرفوا ما عرفوا وما أنكروا من ذلك حين رأوا مارأوا – ﴿ **قل أوحي إليّ** ..... ﴾ فذكر الآيات ، فلما سمعت الجن القرآن عرفت أنها مُنعت من السمع قبل ذلك ، لئلا يشكل الوحي بشيء من خبر السماء فيلبس على أهل الأرض ما جاءهم من الله فيه لوقوع الحجة وقطع التهمة ، فآمنوا وصدقوا ، ثم ولوا إلى قومهم منذرين ، قالوا : ﴿ **يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أُنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه** ﴾[2] الآية .

قال ابن إسحق : حدثني يعقوب بن عتبه بن المغيرة بن الأخنس ، أنه حُدِّث أن أول العرب فزع للرمي بالنجوم حين رمي بها هذا الحي من ثقيف ، وأنهم جاءوا إلى رجل منهم يقال له : عمرو بن أمية – أحد بني علاج – قال : وكان أدهى العرب وأمكرها رأياً ، فقالوا له : ياعمرو ! ألم تر ما حدث في السماء من القذف بهذه النجوم ؟ قال : بلى ، فانظروا ، فإن كانت معالم النجوم التي [يهتدى][3] بها في البر والبحر ، وتعرف بها الأنواء من الصيف والشتاء لما يصلح الناس في معايشهم هي التي يُرمى بها ،فهو والله طَيّ الدنيا وهلاكها، وهلاك هذا الخلق الذي فيها ،

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٢ / ٢٤٠ - ٢٤١ .
(٢) الأحقاف : ٣٠ .
(٣) زيادة للسياق .

وإن كانت نجوماً غيرها وهي ثابته على حالها فهذا لأمرٍ أراد الله به الخلق[1].

وخرج البيهقي من طريق سعيد بن منصور قال: حدثنا خالد عن حصين عن عامر الشعبي قال: كانت النجوم لا ترمى حتى بعث الله محمداً ﷺ، فَرُمي بها فسيبوا أنعامهم، وأعتقوا رقيقهم، فقال عبد ياليل: انظروا، فإن كانت النجوم التي تعرف فهي عند فناء الناس، وإن كانت لا تعرف فهو من أمرٍ حدث، فنظروا فإذا هي لا تعرف، قال: فأمسكوا ولم يلبثوا إلا يسيراً حتى جاءهم خروج النبي ﷺ[2].

وخرَّج من حديث عطية بن سعد العوفي، عن ابنْ عباس قال: لم تكن سماء الدنيا تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد، وكانوا يقعدون منها مقاعد للسمع، فلما بعث الله محمداً ﷺ حرست السماء حرساً شديداً، ورجمت الشياطين فأنكروا ذلك وقالوا: ﴿**لا ندري أشر أُريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً**﴾[3].

فقال إبليس لقد حدث في الأرض حدثٌ[4]، واجتمعت إليه الجن فقال: تفرقوا في الأرض فأخبروني ما هذا الخبر الذي حدث في السماء؟.

وكان أول بَعْثٍ بَعَث ركب أهل نصيبين، وهم أشراف الجن وسادتهم، فبعثهم إلى تهامة، واندفعوا حتى بلغوا الوادي – وادي نخلة – فوجدوا نبي الله ﷺ يصلي صلاة الغداة ببطن نخلة، فاستمعوا، فلما سمعوه يتلو القرآن قالوا: أنصتوا – ولم يكن نبي الله ﷺ علم أنهم استمعوا إليه وهو يقرأ القرآن – فلما قضى، يقول: فلما فرغ من الصلاة ولَّوْا إلى قومهم منذرين، يقول: مؤمنين[4].

وقال عكرمة رحمه الله: والسورة التي كان يقرأها رسول الله ﷺ: ﴿**إقرأ باسم ربك ...**﴾، قال البيهقي: فهذا يوافق الحديث الثابت عن أبي اليُسر عن

---

(١) (المرجع السابق).
(٢) (دلائل البيهقي): ٢ / ٢٤١.
(٣) الجن: ١٠.
(٤) (دلائل البيهقي): ٢ / ٢٤١ – ٢٤٢.

سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، إلا أن فيه زيادة ينفرد بها عطية العوفي ، وهي قوله : لم تكن سماء الدنيا تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد .

وروى ذلك عن غير ابن عباس ، ويحتمل أن يكون المراد بذلك أنها لم تَكن تُحرس الحراسة الشديدة حتى بُعث نبياً ﷺ ، فملئت حرساً شديداً وشُهباً[1] .

وقال ابن قتيبة : إن الرجم كان قبل مبعثه ﷺ ، ولكنه لم يكن مثله في شدة الحراسة بعد مبعثه ، وكانت تستَرَق في بعض الأحوال ، فلما بعث ﷺ مُنعت من ذلك أصلاً ، وعلى هذا وجدنا الشعر القديم قاله بشر بن أبي حازم – وهو جاهلي – :

والعير يرهقها الغبار وجحشها ينقضُّ خلفهما كانقضاض الكوكب

وقال أويس بن حجر – وهو جاهلي – :

فانقض كالدري يتبعه نقع بنور يخالطه طيباً

وقال عوف بن الجزع – وهو جاهلي – :

يرد علينا العير من دون الغدا والنور كالدري يتبعه الدمُ

وفي أيدى الناس كتب من كتب الأعاجم وسيرهم تنبيء عن انقضاض النجوم في كل عصر وكل زمان .

وقال السهيلي : وإن وُجد اليوم كاهن ولا يدفع ذلك بما أخبره الله تعالى من طرد الشياطين عن استراق السمع ، فإن التغليظ والتشديد كان في زمن النبوة ، ثم بقيت منه – أعني استراق السمع – بقايا يسيرة ، بدليل وجودهم على الندور في بعض الأزمنة وفي بعض البلاد .

وقد سئل رسول الله ﷺ عن الكهان فقال : ليسوا بشيء ، فقيل : إنهم يتكلمون بالكلمة فيكون كما قالوا : فقال : تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أُذُن وليه قر الدجاجه – بالدال – والزجاجة بالزاي أولى لما ثبت في الصحيح : فيقرها في أُذُن وليه

(١) المرجع السابق : ٢٤٢ .

كما تقر القارورة ، ومعنى يقرها ، يصبها ويُفرغها . قال الراجز :

لا تقــرعن في أذني بعـدها ما يستقــر فأريـك فقــدها

وفي تفسير ابن سلام عن ابن عباس قال : إذا رأى الشهابُ الجنِّيّ لم يخطئه ويحرق ما أصاب ولا يقتله . وعن الحسن : يقتله في أسرع من طرفة العين .

قال : والذي انقطع اليوم وإلى يوم القيامة : أن تدرك الشياطين ما كانت تدركه في الجاهلية الجهلاء ، وعند تمكنها من سماع أخبار السماء ، وما يوجد اليوم من كلام الجن على ألسنة المجانين ، إنما هو خبر منهم عما يرونه في الأرض مما لا نراه نحن ، كسرقة سارق أو خبيئه في مكان خفي أو نحو ذلك ، وإن أخبر أنما سيكون ، كان [تخرصاً][1] وتظنيناً ، فيصيبون قليلاً ويخطئون كثيراً .

وذلك القليل الذي يصيبون فيه هو مما تتكلم به الملائكة في العنان ، كما في حديث البخاري ، فيطردون بالنجوم ، فيضيفون إلى الكلمة الواحدة أكثر من مائة كذبة ، - كما قال ﷺ في الحديث - .

فإن قيل : قد كان صاف بن صياد ، وكان يتكهن ويدعي النبوة ، وخبأ له النبي ﷺ خبيئاً فعلمه ، وهو الدخان ، فقال : الدُّخ ، فأين انقطاع الكهانة في ذلك الزمان ؟ قلنا : عن هذا جوابان .

أحدهما : ذكره الخطابي في أعلام الحديث ، قال : الدخ نبات يكون بين النخل ، وخَبَّأَ له النبي ﷺ ﴿ **فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين** ﴾[2] ، فعلى هذا لم يصب ما خَبَّأَ له النبي ﷺ .

الثاني : أن شيطانه كان يأتيه بخبر السماء لمكان القذف والرجم ، فإن كان أراد بالدخ الدخان ، فليس هذا من أخبار السماء ، إذ يمكن أن يكون قَرُب من النبي ﷺ حين ذكر الآية سراً ، فسمع منها ذكر الدخان بقوة جُعِلت في أسماعهم

---

(١) زيادة للسياق . (٢) الدخان : ١٠

ليست لنا ، فألقى الكلمة على لسان صاف وحدها ، إذ لم يمكن للجني سماع سائر الآية ، ولذلك قال له ﷺ : اخسأ فلن تعدو قدرك ، أي لن تعدو منزلتك من العجز عن علم الغيب ، وإنما الذي يمكن في حقه هذا القدر دون مزيد عليه . على هذا فسره الخطابي .

* * *

[ثانياً : انشقاق القمر]

وأما انشقاق القمر ، فإنه أول آيات رسول الله ﷺ ، وهو غيظ لأهل الإلحاد ، قال الله تعالى : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر * وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر** ﴾[1] .

خرج عبد الرزاق من حديث ابن عيينة ومحمد بن أبي نجيح عن مجاهد ، عن أبي معمر ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : رأيت القمر منشقاً شقتين مرتين بمكة قبل مخرج النبي ﷺ ؛ شقة على أبي قيس وشقة على السويداء ، فقالوا سُحر القمر ، فنزلت : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر** ﴾ ، يقول : كما رأيتم القمر منشقاً فإن الذي أخبركم عن اقتراب الساعة حق .

وقال وهب بن جرير عن شعبة عن الأعمش ، عن مجاهد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في قوله عزَّ وجل : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر** ﴾ ، قال : قد كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ ، انشق فلقتين : فلقة من دون الجبل ، وفلقة من خلف الجبل ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم اشهد .

وقال هشيم : أخبرنا حصين عن جبير بن محمود بن جبير بن مُطعم ، عن أبيه عن جده في قوله : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر** ﴾ ، قال : انشق القمر ونحن بمكة على عهد رسول الله ﷺ . وحديث انشقاق القمر رواه جماعة من الصحابة [منهم] : عبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عمر ، وحذيفة رضي الله عنهم ، وعلى هذا جميع أئمة التفسير إلا ما روى عثمان بن عطية عن أبيه أنه قال : معناه : سينشق القمر ، وهو قول الحسن ، وأهل العلم بالحديث والتفسير جميعهم على

---

(١) القمر : ١ - ٢ .

خلافه .

وحكى النقاش عن بعضهم أنه قال : انشقاقه : كسوفه على عهد رسول الله ﷺ ، وهذا خلاف لما في التنزيل ، ولما جاءت به الأحاديث الصحيحه ، ولو كان كسوفاً لما قالت قريش : هذا سحر .

والأحاديث الصحيحة الثابتة بنقل الثقات ناطقة بأن هذه الآية قد مضت ، ويؤيد ذلك قوله تعالى . ﴿ **وانشق القمر** ﴾ ، فأتى بلفظ ماض ، وحمل الماضي على المستقبل يحتاج إلى قرينة ودليل ، فإنه لا يعدل عن ظاهر النص إلا بدليل .

وفي قوله تعالى : ﴿ **وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر** ﴾[1] دليل على أن انشقاق القمر وقع في هذه الدار ، لأن انشقاقه في الآخرة لا يكون آية ومعجزة للعباد ، لأن الآخرة ليست بدار تكليف ، ولو كان قوله : ﴿ **انشق** ﴾ ، بمعنى سينشق ، لكان معنى اقتربت : ستقترب ، وإنما ذكر اقتراب الساعة مع انشقاق القمر ، لأن انشقاقه من علامات نبوة محمد ﷺ ، ونبوته وزمانه من علامات اقتراب الساعة ، ولا مدفع بعد ظاهر القرآن وثبوت الأحاديث بكونه وحصوله .

فإن قيل : لو انشق القمر لتواتر الخَبَرُ بِهِ ، قلنا : هذه آية لتسليه ، ولم تكن في مجلس غاص بأهله ، بل جرى مع طائفة في جنح ليل ومعظم الناس نيام ، والذي شاهده من مشركي قريش عدد يمكن تواطؤهم مع كتمانه ، أو أنهم اعتقدوا أنه تخييل ، ومعظم الخلق في ذلك الوقت كانو نياماً ، والقمر قد يُعارضه غَيم في بعض البلدان ولا يُرى وهو في تلك الحالة ، يُرى في موضع آخر ، كما يكون السحاب المطبق والمطر الوابل في بلد في يوم واحد ، وفي ساعة واحدة ، ولا يكون في بلد آخر .

قيل : هذا مما لا يلزم فيه نقل التواتر ، ولا تقضي العادة والعرف فيه بوجوب التواتر ، فهو كغيره من المعجزات ما عدا القرآن ، ثم رب شيء ينتقل تواتره مدة ثم يندرس ، ومع ذلك فقد روى هذه الآية من الصحابة الأعلام جماعة تقدم ذكرهم ، ورواه عن كل واحد منهم عدد كثير .

---

(١) القمر : ٣ .

وقد جاء القرآن الكريم بأن عيسى عليه السلام تكلم في المهد ، والنصارى تنكر ذلك ، فإذا قيل لنا : لو كان هذا حقاً لتواتر الخَبَرُ بِهِ، قلنا : عدم التواتر في انشقاق القمر مثل ذلك ، ومعنى اقتربت : دنت ، والساعة : القيامة . قال الفراء : فيه تقديم وتأخير تقديره : انشق القمر واقتربت الساعة . وقرأ بعضهم : اقتربت الساعة وقد انشق القمر ، وهذا يؤيد قول الجمهور .

خرج البخاري في التفسير من حديث سعيد وسفيان عن الأعمش ، عن إبراهيم عن أبي معمر ، عن ابن مسعود قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين ، فرقة فوق الجبل وفرقة دونه ، فقال رسول الله : اشهدوا[1] .

وخرج مسلم من حديث شعبة عن الأعمش بهذا السند ولفظه : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فلقتين فستر الجبل فلقة ، [وكانت][2] [فلقة][3] فوق الجبل ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم اشهد[4] .

وخرجه من طرق ، وفي بعضها فقال:[اشهد][3] واشهدوا ، وفي بعضها عن عبد الله بن مسعود قال : بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى إذِ انفلق القمر فلقتين ، فكانت فلقة وراء الجبل وفلقة دونه ، فقال لنا رسول الله ﷺ : اشهدوا[5] .

وخرجه البخاري ولفظه : عن عبد الله قال انشق القمر ونحن مع رسول الله ﷺ بمنى ، فقال النبي ﷺ اشهدوا . وخرج البخاري ومسلم من حديث سفيان ابن عيينة ، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ، عن أبي معمر ، عن عبد الله قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ بشقتين ، فقال رسول الله ﷺ : اشهدوا . ذكره

---

(١) (فتح الباري) : ٨ / ٧٩٤ ، كتاب التفسير باب (١) ﴿ **وانشق القمر ۝ وإن يروا آية يعرضوا** ﴾ ، حديث رقم (٤٨٦٤) .

(٢) في (خ) : « وصارت » .

(٣) زيادة للسياق من (صحيح مسلم) .

(٤) (مسلم بشرح النووي) : ١٧ / ١٥٠ ، كتاب صفة المنافقين وأحكامهم ، باب (٨) انشقاق القمر ، حديث رقم (٤٥) .

(٥) المرجع السابق ، حديث رقم (٤٤) .

البخاري في المناقب[1] ، وذكره في التفسير أيضا ، ولفظه : عن عبد الله ، انشق القمر ونحن مع رسول الله ﷺ فصار فرقتين فقال لنا اشهدوا[2] .

وخرج الحاكم هذا الحديث من طريق عبد الرزاق قال : حدثنا ابن عيينة ، ومحمد ابن مسلم ، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ، عن أبي معمر ، عن عبد الله بن مسعود قال : رأيت القمر منشقاً بشقين مرتين في مكة قبل مخرج النبي ﷺ ؛ شقة على أبي قبيس ، وشقة على السويداء فقالوا : سُحر القمر فنزلت : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر** ﴾ ، يقول : كما رأيتم القمر منشقاً فإن الذي أخبرتكم عن اقتراب الساعة حق . قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه بهذه السياقة ، إنما اتفقا على حديث أبي معمر عن عبد الله مختصراً[3] .

وخرج أبو عوانة عن المغيرة عن أبي الضحى عن مسروق ، عن عبد الله قال : انشق القمر على عهد النبي ﷺ فقالت قريش : هذا سحر ابن أبي كبشة ، قال : انتظروا ما يأتيكم به السّفار ، فإن محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم ، قال : فجاء السّفار فقالوا كذلك .

ورواه هشيم عن مغيرة عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله قال : انشق القمر ونحن بمكة فقالت كفار قريش : سحرٌ سحركم ابن أبي كبشة ، فانظروا إلى السّفار يأتوكم ، فإن أخبروكم أنهم رأوا مثل ما رأيتم فقد صدق ، قال : فما قدم عليهم أحد من وجه من الوجوه إلا أخبروهم أنهم رأوا مثل ما رأوا .

ورواه عمرو بن أبي قبيس عن مغيرة مثله ، وخرجه الحسن بن علي بن الوليد

---

(١) (فتح الباري) : ٦ / ٥٧٨٣ ، كتاب المناقب ، باب (٢٧) سؤال المشركين أن يريهم رسول الله ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر ، حديث رقم (٣٦٣٦) ، (٣٦٣٧) ، (٣٦٣٨) .

(٢) المرجع السابق : ٨ / ٧٩٤ ، كتاب التفسير ، حديث رقم (٤٨٦٥) .

(٣) (المستدرك) : ٢ / ٥١٢ ، كتاب التفسير ، باب (٥٤) تفسير سورة القمر ، حديث رقم (٣٧٥٦ / ٨٩٣) ، وزاد في آخره : وهذا حديث لا نستغنى فيه عن متابعة الصحابة بعض لبعض ، لمغايظة أهل الإلحاد ، فإنه أول آيات الشريعة ، فنظرت فإذا في الباب مما لم يخرجاه : عن عبد الله ابن عباس ، وعبد الله بن عمرو ، وجبير بن مطعم ، رضي الله تعالى عنهم ، ولم يخرجاه منها إلا من حديث أنس .

الفسوي فقال : حدثنا سعيد بن سليم ، [حدثنا] هشيم عن مغيرة ، عن الشعبي عن مسروق ، عن عبد الله قال : انشق القمر فرقتين ونحن بمكة ، فقال كفار قريش : هذا سحر سحركم ابن أبي كبشة ، انظروا إلى السّفار ، فإن كانوا قد رأوا ما رأيتم وإلا فإنه سحر سحركم ، قال : فسُئل السفار – وقدموا من غير وجه – فقالوا : قد رأينا ما رأيتم .

وقال محمد بن إسحق الثقفي : حدثنا قتيبة ، أخبرنا جرير عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق ، عن عبد الله بن مسعود قال : خمس قد مضين : الدخان ، واللزام[١] ، والروم ، والبطشة الكبرى ، وانشقاق القمر .

وعن مسلم بن صبيح قال : سمعت مسروقاً يقول : سمعت عبد الله يقول : خمس قد مضين : القمر ، والبُطشة ، والروم ، والدخان واللزام[٢] .

وقال أسباط بن نصر عن سماك ، عن إبراهيم عن الأسود ، عن عبد الله قال : رأيت الجبل من فرج القمر حين انشق القمر .

وقال محمد بن يوسف الفريابي ، حدثنا إسرائيل عن سماك بن حرب ، عن إبراهيم عن الأسود بن يزيد النخعي ، عن عبد الله قال : انشق القمر فأبصرت الجبل بين فرجتي القمر[٣] .

وخرجه الحاكم بهذا السند ، ولفظه : عبد الله في قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ **وانشق القمر** ﴾ ، قال : رأيت القمر وقد انشق ، فأبصرت الجبل من بين فرجتي القمر[٣] ، قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه [بهذه السياقة و][٤] بهذا اللفظ .

---

(١) اللزام : العذاب اللازم . (لسان العرب) : ١٢ / ٥٤١ ، قال تعالى : ﴿ **ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً وأجلٌ مسمى** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **قل ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما** ﴾ [طه : ١٢٩ ، الفرقان : ٧٧] .

(٢) (الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف) ٣ / ١٤٨ ، حديث رقم (٣٨٤) ، (الكشاف للزمخشري) : ٣ / ٤٣٠ ، عند تفسير سورة الدخان . وسياق بداية الفقرة مضطرب وقد صوبناه .

(٣) (المستدرك) : ٢ / ٥١٢ ، تفسير سورة القمر ، حديث رقم (٣٧٥٦ / ٨٩٣) .

(٤) زيادة للسياق من المرجع السابق .

وقال المنصور بن المعتمر ، عن يزيد بن وهب ، عن عبد الله بن مسعود قال : رأيت القمر والله منشقاً فلقتين بينهما حراء .

وقال الليث بن سعد : حدثنا هشام بن سعيد ، عن عتبة بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن مسعود قال : انشق القمر ونحن بمكة ، فلقد رأيت أحد شقيه على الجبل الذي [بمنى] ونحن بمكة[1] .

وخرج البخاري في التفسير من حديث يونس بن محمد قال : حدثنا شيبان عن قتادة ، عن أنس رضي الله عنه : سأل أهل مكة أن يريهم آية ، فأراهم انشقاق القمر[2] .

وخرجه مسلم بهذا السند ، ولفظه : عن أنس أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية ، فأراهم انشقاق القمر[3] .

وخرجه في البعث ، وخرجه في التفسير من حديث شعبة عن قتادة ، عن أنس ابن مالك قال : انشق القمر فرقتين[4] .

وخرجه مسلم عن شعبة بمثله ، وفي حديث أبي داود : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ[5] .

وخرج البخاري في المناقب[6] وفي التفسير[7] ، من حديث بكر بن مضر

---

(١) قال الحاكم في (المستدرك) : ٢ / ٥١٣ : هذه الشواهد لحديث عبد الله بن مسعود كلها صحيحة على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(٢) (فتح الباري) : ٨ / ٧٩٤ ، حديث رقم (٤٨٦٧) في تفسير سورة القمر .

(٣) (مسلم بشرح النووي) : ١٧ / ١٥١ ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب (٨) انشقاق القمر ، حديث رقم (٢٨٠٢) .

(٤) (فتح الباري) : ٨ / ٧٩٤ ، حديث رقم (٤٨٦٨) .

(٥) (مسلم بشرح النووي) : ١٧ / ١٥١ ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب (٨) انشقاق القمر ، حديث رقم (٤٧) من أحاديث الباب .

(٦) (فتح الباري) : ٦ / ٧٨٣ ، كتاب المناقب ، باب (٢٧) سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية ، فأراهم انشقاق القمر ، حديث رقم (٣٦٣٨) .

(٧) (فتح الباري) : ٨ / ٧٩٤ ، كتاب التفسير ، حديث رقم (٤٨٦٦) تفسير سورة القمر .

قال : حدثنا جعفر بن ربيعة ، عن عراك بن مالك ، عن عبيد الله بن عتبة بن مسعود ، عن ابن عباس رضي الله عنه قال : إن القمر انشق في زمان رسول الله ﷺ . وخرجه مسلم بهذا السند وقال : على زمان رسول الله[1] .

ولأبي نعيم من حديث موسى بن عبد الرحمن ، عن ابن جريج عن عطاء ، عن ابن عباس ، وعن مقاتل عن الضحاك ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر** ﴾ قال ابن عباس : اجتمع المشركون إلى رسول الله ﷺ ، منهم الوليد بن المغيرة ، وأبو جهل بن هشام ، والعاصي بن وائل ، والعاصي بن هشام ، والأسود بن عبد يغوث ، والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى ، وزمعة بن الأسود ، والنضر بن الحارث ، ونظراؤهم كثير، فقالوا للنبي ﷺ : إن كنت صادقاً فشُقّ القمر فرقتين : نصفا على أبي قبيس[2] ، ونصفاً على قُعَيْقَعَان[3] ، فقال لهم النبي ﷺ : إن فعلت تؤمنوا ؟ قالوا : نعم ، وكانت ليلة بدر ، فسأل رسول الله ﷺ الله عز وجل أن يعطيه ما سألوا ، فأمسى القمر قد مُثِّلَ نصفاً على أبي قبيس ، ونصفا على قعيقعان ، ورسول الله ﷺ ينادي : يا أبا سلمة بن عبد الأسد ، والأرقم بن أبي الأرقم ، اشهدوا[4] !! .

وله من حديث إسماعيل بن أبي زياد ، عن ابن جريج عن عطاء ، عن ابن عباس قال : انتهى أهل مكة إلى النبي ﷺ فقالوا : هل من آية نعرف بها أنك رسول الله ؟ فهبط جبريل عليه السلام فقال : يا محمد ! قل لأهل مكة أن يحتفلوا هذه الليلة ، فسيروا آية إن انتفعوا بها ، فأخبرهم رسول الله ﷺ بمقالة جبريل عليه السلام ، فخرجوا ليلة أربعة عشر ، فانشق القمر نصفين ، نصفاً على الصفا ونصفا على المروة ، فنظروا ثم قالوا بأبصارهم فمسحوها ، ثم أعادوا النظر ، ثم مسحوا

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ١٧ / ١٥١ ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب (٨) انشقاق القمر ، حديث رقم (٢٨٠٣) .

(٢) أبو قبيس : جبل بمكة . (٣) قعيقعان : جبل بالأهواز .

(٤) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ٢٧٩ - ٢٨٠ ، فصل فأما إنشقاق القمر فكان بمكة لما افتتح المشركون أن يريهم النبي ﷺ ، حديث رقم (٢٠٩) . ولم أجده عند غير أبي نعيم ، وقال الحافظ في الفتح : إسناده ضعيف .

أعينهم ، ثم نظروا ، فقالوا : يا محمد ! ما هذا إلا سحر ذاهب ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر** ﴾ .

وله من حديث الزبير بن عدي ، عن الضحاك عن ابن عباس قال : جاءت أحبار اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا : أرنا آية حتى نؤمن ، فسأل النبي ﷺ ربه عز وجل أن يريهم آية ، فأراهم القمر قد انشق فصار قمرين ، أحدهما على الصفا والآخر على المروة ، قدر ما بين العصر إلى الليل ينظرون إليهما ، ثم غاب القمر فقالوا : هذا سحر مستمر[1] .

وعن داود بن أبي هند عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر** ﴾ قال : قد مضى كان قبل الهجرة انشق حتى رآه الناس شقين[2] .

وخرج الترمذي من حديث شعبة عن الأعمش ، عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنه قال : انفلق القمر على عهد رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : اشهدوا . وقال : هذا حديث حسن صحيح . ذكره في كتاب الفتن ، وذكره أيضاً في التفسير بهذا اللفظ وهذا الإسناد وقال : هذا حديث حسن صحيح[3] .

وذكر بعده من حديث سليمان بن كثير عن حصين ، عن محمد بن جبير ابن مطعم عن أبيه قال : انشق القمر على عهد النبي ﷺ حتى صار فرقتين على هذا الجبل وعلى هذا الجبل ، فقالوا : سحرنا محمد ، فقال بعضهم : لئن كان سحرنا ما كان يستطيع أن يسحر الناس كلهم ، قال أبو عيسى : وقد روى بعضهم

---

(١) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ٢٨٠ ، حديث رقم (٢١٠) ، ولم أجده عند غير أبي نعيم ، وفيه بشر ابن الحسين ، وهو متروك .

(٢) في المرجع السابق عن عبد الله بن مسعود : انشق القمر فرأيته فرقتين حديث رقم (٢٠٧) ، قال الحافظ في الفتح : أخرجه الطبراني .

(٣) (سنن الترمذي) : ٤ / ٤١٤ ، كتاب الفتن ، باب (٢٠) ما جاء في انشقاق القمر ، حديث رقم (٢١٨٢) ، وفي آخره : قال أبو عيسى : وفي الباب عن ابن مسعود ، وأنس ، وجبير بن مطعم ، وهذا حديث حسن صحيح .

هذا الحديث عن جبير بن مطعم نحوه[1] .

وخرج أبو نعيم من حديث سفيان الثوري وسفيان بن عيينة ، وعبد الحميد ابن الحسن الهلالي ، وخالد بن عبد الله ، وهمام بن يحيى ، وعبد الرحمن بن محمد المحاربي قالوا – كلهم عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي قال – : خطبنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه بالمدائن ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر** ﴾ ، ألا وإن الساعة قد اقتربت ، ألا وإن القمر قد انشق ، ألا وإن الدنيا قد أدنت بفراق ، ألا وإن اليوم المضمار وغداً السباق ، فلما كانت الجمعة الثانية ، انطلقت مع أبي إلى الجمعة ، فحمد الله وقال مثله وزاد : إلا وإن السابق من سبق إلى الجنة . ورواه حماد بن زيد عن عطاء مثله .

وله من حديث وهب عن جرير قال : حدثنا شعبة ، أخبرنا الأعمش عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو في قوله : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر** ﴾ ، قال : كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ فلقتين ، فلقة دون الجبل ، وفلقة وراء الجبل ، وقال النبي ﷺ : اشهدوا[2] .

* * *

(1) (سنن الترمذي) : ٥ / ٣٧٠ ، كتاب التفسير ، باب (٥٤) ومن سورة القمر ، حديث ابن مسعود رقم (٣٢٨٥) ، (٣٢٨٧) ، حديث أنس رقم (٣٢٨٦) ، وحديث ابن عمر رقم (٣٢٨٨) ، وحديث جبير بن مطعم رقم (٣٢٨٩) ، وقال أبو عيسى في آخره : وقد روى بعضهم هذا الحديث عن حصين ، عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه عن جده جبير بن مطعم نحوه .

(2) (الصحيح المسند من دلائل النبوة) : ١٨٢ ، فصل (١٥) ومن دلائل النبوة انشقاق القمر .

[ثالثا : رد الشمس بعد غروبها]

وأما رد الشمس بعد غروبها بدعاء رسول الله ﷺ ، فقد روى من حديث أبي هريرة ، وأسماء بنت عميس ، وجابر بن عبد الله ، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم[1] .

---

(١) (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) : ١٨٥ ، (مشكل الآثار) : ٤ / ٣٨٨ - ٣٨٩ .

* وفيه ما يدل على التغليظ في فوت العصر ، فوقى الله علياً ذلك بدعاء النبي ﷺ لطاعته وكرامته لديه .

* وفيه لعلى المقدار الجليل والرتبة الرفيعة .

* وفيه إباحة النوم بعد العصر ، وإن كان مكروها عن بعضهم بما روى عن النبي ﷺ : « من نام بعد العصر فاختلس عقله فلا يلومن إلا نفسه » ، لأن هذا منقطع ، وحديث أسماء متصل ، ويمكن التوفيق بأن نفس النوم بعد العصر مذموم ، وأما نوم النبي ﷺ كان لأجل وحي يوحى إليه ، وليس غيره كمثله فيه .

والذي يؤيد الكراهة قول عمرو بن العاص : النوم منه خرق ، ومنه خلق ، ومنه حمق ، يعني الضحى ، والقائلة ، وعند حضور الصلوات ، ولأن بعد العصر يكون انتشار الجن ، وفي الرقدة يكون الغفلة .

وعن عثمان : الصبحة تمنع الرزق . وعن ابن الزبير أن الأرض تعجّ إلى ربها من نومة العلماء بالضحى ، مخافة الغفلة عليهم ، فندب اجتناب ما فيه الخوف ، والله أعلم . (المرجع السابق) .

قال بعض المحققين : هذا الحديث ليس بصحيح ، وإن أوهم تخريج القاضي عياض له في (الشفاء) عن الطحاوي في (مشكل الآثار) من طريقين ، فقد ذكره ابن الجوزي في (الموضوعات) : ١ / ٣٥٥ - ٣٥٧ ، وقال إنه موضوع بلا شك ، وفي سنده أحمد بن داود وهو متروك الحديث كذاب ، كما قال الدارقطني . وقال ابن حبان : كان يضع الحديث .

قال ابن الجوزي : وقد روى هذا الحديث ابن شاهين ، فذكره ثم قال : وهذا حديث باطل ، قال : ومن تغفل واضعه أنه نظر إلى صورة فضيلة ، ولم يلمح عدم الفائدة فيها ، فإن صلاة العصر بغيبوبة الشمس تصير قضاءً ، ورجوع الشمس لا يعيدها أداء .

وقد أفرد ابن تيمية تصنيفاً مفرداً في الرد على الروافض ، ذكر فيه الحديث بطرقه ورجاله ، وأنه موضوع ، والعجب من القاضي عياض مع جلالة قدرة ، وعلو خطره في علوم الحديث ، كيف سكت عنه موهماً صحته ، ناقلاً ثبوته ، موثقاً رجاله . وقال أحمد : لا أصل له ، وتبعه ابن =

فأما حديث أبي هريرة رضي الله عنه : فمن طريق يحيى بن يزيد بن عبد الملك ، عن أبيه عن داود بن فراهيج عن أبي هريرة ، وعن عمارة بن فيروز ، عن أبي هريرة ، أنَّ رسول الله ﷺ أُنزل عليه حين انصرف من العصر – وعلي بن أبي طالب قريب منه ، ولم يكن علي أدرك الصلاة – فاقترب عليّ إلى النبي ﷺ ، فلم يُسَرَّ عن النبي ﷺ حتى غابت الشمس ، فالتفت رسول الله ﷺ فقال : من هذا ؟ فقال : عليّ يا رسول الله ، أنا لم أصل العصر وقد غابت الشمس ! فقال رسول الله ﷺ : اللهم اردد الشمس على عليّ ، فرجعت الشمس لموضعها الذي كانت فيه حتى صلى علي رضي الله عنه ، وبعض أصحابه يميناً وشمالاً يقولون : صل يا عليّ ، فإنّ رحمك وقرابتك من رسول الله ﷺ لن تُغْنِيَ عنك من الله شيئا ، فأخبر عليّ رسول الله ﷺ بذلك ، فخرج رسول الله ﷺ من بين ظهرانيّ الناس فقال : من آذى ذوي رحم الرجل وقرابته فقد آذاه – مراراً يقولها رسول الله ﷺ – ومن آذاني فقد آذى الله عز وجل .

وأما حديث أسماء بنت عميس رضي الله عنها فله طرق :

أحدها : من طريق أحمد بن الوليد بن برد الأنطاكي ، حدثنا محمد بن إسماعيل ابن أبي فديك قال : حدثني محمد بن موسى عن عون بن محمد ، عن أمه أم جعفر ، عن جدتها أسماء ابنة عميس ، أن رسول الله ﷺ صلى الظهر بالصهباء ثم أنفذ علياً في حاجة ، فرجع وقد صلى رسول الله ﷺ العصر ، فوضع رأسه في حجر علي فلم يحركه حتى غابت الشمس ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم إن عبدك علياً احتسب بنفسه على نبيه ، فردَّ عليه شرقها ، قالت أسماء : فطلعت الشمس حتى وقعت على الجبال وعلى الأرض ، فقام علي فتوضأ وصلى العصر ثم غابت الشمس ، وذلك في الصهباء في غزوة خيبر .

= الجوزي فأورده في الموضوعات .

ولكن قد صححه الطحاوي والقاضي عياض ، وأخرجه ابن منده وابن شاهين من حديث أسماء بنت عميس ، وابن مردويه من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه .

ورواه الطبراني في معجمه الكبير بإسناد حسن ، كما حكاه شيخ الإسلام ابن العراقي في شرح التقريب ، عن أسماء بنت عميس (المواهب اللدنية) ٢ / ٥٢٨ – ٥٣٠ مختصراً .

[**وثانيها**] : من طريق أحمد بن صالح قال : حدثنا ابن أبي فديك قال : أخبرني محمد بن موسى ، عن عون بن محمد ، عن أمه أمّ جعفر ، عن أسماء ابنة عميس ، أن رسول الله ﷺ صلى الظهر بالصهباء ، ثم أرسل علياً في حاجة ، فرجع وقد صلى النبي ﷺ العصر ، فوضع النبي ﷺ رأسه في حجر علي فلم يحركه حتى غابت الشمس ، فقال النبي ﷺ : اللهم إن عبدك علياً احتسب بنفسه على نبيه ، فرُدَّ عليه شرقها ، قالت أسماء : فطلعت الشمس حتى وقعت على الجبال وعلى الأرض فقام علي وتوضأ ، فصلى العصر ثم غابت ، وذلك بالصهباء في غزوة خيبر ، قال أحمد بن صالح : هذه دعوة النبي ﷺ فلا تستكثر ، وهي فضيلة لعلي رضي الله عنه .

[و] **ثالثها** : من طريق عبد الرحمن بن شريك ، حدثنا أبي حدثنا عروة بن عبد الله بن قشيرة قال : دخلتُ على فاطمة ابنة علي الأكبر – وهي عجوز كبيرة – فرأيت في عنقها خرزات ، وفي يدها مَسْكيْن غليظين ، فقلت : ما هذا ؟ فقالت : إنا معشر النساء نكره أن نتشبه بالرجال ، وقالت : حدثتني أسماء ابنة عميس أن النبي ﷺ أوحي إليه فستره عليٌّ بثوبه حتى غابت الشمس ، فلما سُرّيَ عن النبي ﷺ قال : يا علي ! صليت العصر ؟ قال : لا ، قال : اللهم رد الشمس على عليّ ، قالت : فرجعت الشمس حتى رأيتها في نصف الحجرة . أو قالت : نصف حجرتي .

[و] **رابعها** : من طريق فضيل بن مرزوي عن إبراهيم بن الحسن بن الحسن ، عن فاطمة ابنة الحسن ، عن أسماء ابنة عميس قالت : كان النبي ﷺ يوحى إليه ورأسه في حجر علي فلم [يُصل] العصر حتى غربت الشمس ، فقال رسول الله ﷺ لعليّ : صليت ؟ قال : لا ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم إنه في طاعة رسولك ، فاردد عليه الشمس ، قالت أسماء : فرأيتها غربت ، ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت .

وقال فضيل ، عن إبراهيم ابن الحسن عن فاطمة عن أسماء : كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي يكاد [يغشى] عليه ، فأُنزل عليه يوماً ورأسه في حجر علي حتى غابت الشمس ، فرفع رسول الله ﷺ رأسه وهو في حجر علي فقال

له : صليت العصر يا عليّ ؟ قال : لا يارسول الله ، فدعى الله فردَّ عليه الشمس حتى صلى العصر ، قالت : فرأيت الشمس بعد ما غربت حين رُدَّت حتى صلى العصر .

[و] **خامسها** : من طريق صبّاح[1] المري ، عن عبد الله بن عبد الله بن دينار ، عن عبد الله بن الحسن عن أمه فاطمة ابنة حسين ، عن أسماء ابنة عميس قالت : اشتغل عليّ مع رسول الله ﷺ في قسمة الغنائم يوم خيبر حتى غابت الشمس ، فقال رسول الله ﷺ : يا عليّ ! هل صليت العصر ؟ قال : لا يا رسول الله ، قال : فتوضأ رسول الله ﷺ وجلس في المسجد ، فتكلم بكلمتين أو ثلاثة كأنها من كلام الحبش ، فارتجعت الشمس كهيئتها في العصر ، فقام عليّ فتوضأ وصلى العصر ، ثم تكلم رسول الله ﷺ بمثل ما تكلم به قبل ذلك ، فرجعت إلى مغربها ، فسمعت لها صريراً كالمنشار في الخشبة ، وطلعت الكواكب .

وقال صبّاح أيضاً : عن عبد الله بن الحسن بن جعفر ، عن حسين المبتول عن فاطمة بنت على ، عن أم الحسن بنت علي ، عن أسماء بنت عميس قالت : لما كان يوم خيبر شغل عليّ بما كان من قسمة الغنائم حتى غابت الشمس أو كادت ، فسأل النبي ﷺ علياً : هل صليت العصر ؟ قال : لا ، فدعا الله عزَّ وجل فارتفعت حتى توسطت المسجد فصلى عليٌّ ، فلما صلى غابت . قالت : فسمعتُ لها صريراً كصرير المنشار في الخشب .

وقال صبّاح[1] : عن أبي سلمة مولى آل عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن محمد بن جعفر بن محمد بن عليّ ، عن أمه أم جعفر بنت محمد ، عن جدتها أسماء بنت عميس ، قالت : كانوا أقبلوا من ضيعة لهم حتى نزلوا إلى جبل ، فقامت أسماءُ تصلي ، فلما فرغت من صلاتها قالت : يا باي يا باي ؛ قلت : يا جدة ! لم تقولي يا باي وليس عندك أحد ؟ قالت يا بنية ذكرت علياً ، قلت : يا جدة ، ماذكرت من عليّ ؟ مرتين أهلك فوجدت في نفسي إن ذكرت علياً وتركت أبي ، قالت:شيء

---

(١) لم أقف له على ذكر في كتب الرجال .

كان من النبي ﷺ وهو في هذا المكان ومعه علي ، إذ أُغمي عليه فوضع رأسه في حجر عليّ ، فلم يزل كذلك حتى غابت الشمس ، ثم إن النبي ﷺ أفاق ، فقعد فقال : يا علي ! هل صليت ؟ قال : لا ، فقال النبي ﷺ : اللهم إن علياً كان في طاعتك وطاعة رسولك ، فاردد عليه الشمس ، قالت : فخرجت من تحت هذا الجبل كأنما خرجت من تحت سحابة ، فقام علي فصلى ، فلما فرغ آبت مكانها . قال : فخرجت فلقيت أبا جعفر فذكرت ذلك له فقال : أنت سمعت هذا من أم جعفر ؟ قلت نعم ، فأخذ بيدي حتى استأذن عليها فقال : حدثيني الحديث الذي حدثت هذا ، فحدثته فخرج وهو مستبشر .

وأما حديث جابر : فمن طريق الوليد بن عبد الواحد ، حدثنا معقل بن عبيد الله عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله ، أن النبي ﷺ أمر الشمس أن تتأخر ساعة من النهار فتأخرت ساعة من النهار .

وأما حديث علي : فمن طريق يحيى بن عبد الله بن حسين بن حسن بن عليّ ابن أبي طالب قال : لما كنا بخيبر شهر رسول الله ﷺ في قتال المشركين ، فاما كان من الغد وكان مع صلاة العصر حمية ، ولم أُصل صلاة العصر ، فوضع رأسه في حجري فنام فاستثقل ، قال : فلم ينتبه حتى غربت الشمس ، فلما استيقظ مع غروب الشمس قلتُ : يا رسول الله ! ما صليت صلاة العصر كراهية أن أوقظك من نومك ، فرفع رسول الله ﷺ يده إلى الله عزَّ وجل ثم قال : اللهم إن عبدك تصدق بنفسه على نبيك ، فاردد عليه شروقها ، قال : فرأيتها على الحال في وقت العصر بيضاء نقية ، حتى قمت ثم توضأت ثم صليت ثم غابت .

وقال إسحق بن إبراهيم التيمي : حدثنا محل الضَّبي عن إبراهيم النخعي ، عن علقمة عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال عليّ رضي الله عنه يوم الشورى : أنشدتكم الله هل فيكم من رفعت الشمس عندي حين نام رسول الله ﷺ وجعل رأسه في حجري حتى غابت الشمس ، فانتبه فقال : يا عليّ ! صليت العصر ؟ قلت : اللهم لا ، فقال : اللهم ارددها عليه ، فإنه كان في طاعتك وطاعة رسولك .

وأما ردها حين تبين لمكذبيه صدقه ، فخرج البيهقي من طريق يونس بن بكير ،

عن أسباط بن نصر الهمداني ، عن إسماعيل بن عبد الرحمن القرشي قال : لما أسري برسول الله ﷺ وأخبر قومه بالرفقة والعلامة في العير قالوا : فمتى تجيء ؟ قال : يوم الأربعاء ، فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجيء ، فدعا النبي ﷺ فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس .

فلم تردّ على أحد إلا على رسول الله ﷺ [يومئذ](١) وعلى يوشع بن نون حين قاتل الجبارين يوم الجمعة ، فلما أدبرت الشمس خاف أن تغيب قبل أن يفرغ منهم ، ويدخل السبت ، ولا يحل له قتالهم فيه ، فدعا الله فردَّ عليه الشمس حتى فرغ من قتالهم(٢) .

قال الحاكم أبو عبد الله الحافظ النيسابوري في كتاب (الجامع لذكر أئمة الأمصار المزكين لرواة الأخبار) : قرأت على قاضي القضاة أبي الحسن محمد بن صالح الهاشمي ، حدثنا عبد الله بن الحسين بن موسى ، حدثنا عبد الله بن علي المديني

---

(١) زيادة للسياق من (سنن البيهقي) .

(٢) قال الحافظ ابن كثير : فيه أن هذا كان من خصائص يوشع ، فيدل على ضعف الحديث الذي رويناه أن الشمس رجعت حتى صلى عليّ بن أبي طالب ، وقد صححه أحمد بن صالح المصري ، ولكنه منكر ، ليس في شيء من الصحاح والحسان ، وهو مما تتوافر الدواعي على نقله ، وتفردت بنقله امرأة من أهل البيت ، مجهولة لا يعرف حالها . (المواهب اللدنية) : ٢ / ٥٣٠ . وأخرجه البيهقي في (دلائل النبوة) : ٢ / ٤٠٤ ، (السيرة الشامية) : ٣ / ١٣٣ .

ويحتمل الجمع : بأن المعنى لم تُحبس الشمس على أحد من الأنبياء غيري إلا ليوشع . وكذا روى حبس الشمس لنبينا ﷺ أيضاً يوم الخندق ، حين شغل عن صلاة العصر ، فيكون حبس الشمس مخصوصاً بنبينا وبيوشع ، كما ذكره القاضي عياض في (الإكمال) ، وعزاه (لمشكل الآثار) ، ونقله النووي في (شرح مسلم) في باب حل الغنائم عن القاضي عياض ، وكذا الحافظ ابن حجر في باب الأذان ، في (تخريج أحاديث الرافعي) ، ومغلطاي في (الزهر الباسم) ، وأقروه .

وذكر البغوي في تفسيره : أنها حبست لسليمان عليه السلام أيضاً لقوله : ﴿ **ردوها عليّ** ﴾ [ص : ٣٣] ، ونوزع فيه بعدم ذكر الشمس في الآية ، فالمراد : الصافنات الجياد . والله تعالى أعلم .

قال القاضي عياض : واختلف في حبس الشمس المذكور هنا :

* فقيل : ردت على أدراجها .
* وقيل : وقفت ولم ترد .
* وقيل : بطء حركتها ، قال : وكل ذلك من معجزات النبوة . (المواهب اللدنية) : ٢ / ٥٣٠ - ٥٣١ .

قال : سمعت أبي يقول : خمسة أحاديث يروونها ولا أصل لها عن رسول الله ﷺ ، حديث : لو صدق السائل ما أفلح من ردَّه[1] ، وحديث : لا وجع إلا وجع العين ولا غم إلا غم الدَّيْن[2] ، وحديث : إن الشمس طلعت على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه[3] ، وحديث : أنه ﷺ قال : أنا أكرم على الله من أن يدعني تحت الأرض مائتي عام[4] ، وحديث : أفطر الحاجم والمحجوم[5] ....

---

(١) روى كما قال ابن عبد البر في (الاستذكار) : من جهة جعفر بن محمد عن أبيه ، عن جده مرفوعاً ، ومن جهة يزيد بن رومان ، عن عروة ، عن عائشة رفعه أيضاً : « لولا أن السؤَّال يكذبون ما أفلح من ردهم » . وحديث عائشة عند القضاعي بلفظ : « ما قدس » ، قال ابن عبد البر : وأسانيدها ليست بالقوية ، وسبقه ابن المديني فأدرجه في خمسة أحاديث . قال إنه لا أصل لها ، وكذا رواه العقيلي في (الضعفاء) من حديث عائشة وابن عمر ، وقال : إنه لا يصح في هذا الباب شيء . وعند الطبراني بسند ضعيف أيضاً ، من حديث أبي أمامة مرفوعاً : « لولا أن السائلين يكذبون ما أفلح من ردهم » ، (المقاصد الحسنة) : ٥٤٧ ، (الفوائد المجموعة) : ٦٤ ، حديث رقم (١٣) ، (الأسرار المرفوعة) : ٢٨٩ ، حديث رقم (٣٧٨) ، (الموضوعات لابن الجوزي) : ٣٥٥ ، باب فضائل عليّ عليه السلام .

(٢) البيهقي في (شعب الإيمان) ، والطبراني في (الصغير) ؛ من حديث سهل بن قرين عن أبيه ، حدثنا ابن أبي ذئب ، عن خالد بن الحارث بن عبد الرحمن ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر رفعه به . وقال البيهقي : أنه منكر ، وقرين – وهو بفتح القاف أو ضمها – منكر الحديث كذبه الأزدي ، وأبوه لا شيء ، (المقاصد الحسنة) : ٧٢٨ ، حديث رقم (١٣١٦) ، (كشف الخفا) : ٢ / ٢٤٠ ، ترجمه سهل بن قرين رقم (٣٥٩١) ، (الموضوعات لابن الجوزي) : ٢ / ٢٤٤ ، باب تعظيم أمر الدَّيْن ، (الأسرار المرفوعة) : ٣٨٦ ، حديث رقم (٥٩٧) .

(٣) قال الإمام أحمد : لا أصل له ، وقال ابن الجوزي : موضوع ، لكن خطَّأوه ، ومن ثم قال السيوطي : أخرجه ابن منده وابن شاهين ، عن أسماء بنت عميس ، وابن منده وابن مردويه عن أبي هريرة ، وإسنادهما حسن ، وصححه الطحاوي والقاضي عياض . قال القاري : ولعل المنفي ردها بأمر على والمثبت بدعاء النبي ﷺ ، (كشف الخفا) : ١ / ٢٢٠ ، حديث رقم (٦٧٠) ، (الموضوعات لابن الجوزي) : ١ / ٣٥٥ – ٣٥٦ ، (الأسرار المرفوعة) : ١٢١ ، حديث رقم (٧٧) ، (الفوائد المجموعة) : ٣٥٠ ، حديث رقم (٥٣) .

(٤) (كشف الخفا) : ١ / ٢٠٠ ، حديث رقم (٦٠٨) ، قال الصَّغاني : موضوع ، ولفظه : « أنا أكرم على الله من أن يتركني في التراب ألف عام » .

(٥) يُروى كما علقه البخاري بصيغة التمريض عن الحسن : عن غير واحد مرفوعاً ، ثم قال : وقال لي عياش : حدثنا عبد الأعلى ، حدثنا يونس ، عن الحسن مثله ، فقيل له : عن النبي ﷺ ؟ قال : نعم ثم قال : الله أعلم .

وهذا بعينه قد رواه في تاريخه ، ومن جهته البيهقي في سننه فقال : حدثني عياش .. وذكره ، =

[إنهما كانا يغتابان][1] .

= وبه يستدل على أن البخاري إذا قال : قال لي ، يكون محمولاً على السماع .

وللبيهقي أيضاً ، وكذا النسائي ، من حديث علي بن المديني ، عن المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن الحسن ، عن غير واحد من أصحاب النبي ﷺ ، قال - وذكره .

قال علي بن المديني : رواه يونس عن الحسن ، عن أبي هريرة ؛ ورواه قتادة ، عن الحسن ، عن ثوبان ؛ ورواه عطاء بن السائب ، عن الحسن ، عن معقل بن يسار ، ورواه مطر ، عن الحسن ، عن علي .

قال البيهقي : ورواه أشعث عن الحسن عن أسامة .

وقال الحافظ ابن حجر : ورواه قتادة أيضاً ، عن الحسن ، عن علي ؛ أخرجه عبد الرزاق عن معمر عنه ؛ ورواه أبو حُرَّة ، عن الحسن ، عن غير واحد من الصحابة ، ورواه أبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، وآخرون ، كالحارث من حديث ثوبان وشداد مرفوعاً في حديث .

وقال أحمد والبخاري : إنه عن ثوبان أصح . وصححه عن شداد إسحاق بن راهويه ، وصححهما معاً البخاري متبعاً لابن المديني ، ورواه الترمذي عن رافع بن خديج ، ورواه غيرهم عن آخرين .

وتأوله بعض العلماء المرخصين في الحجامة على أن معناه : إن تعرضا للإفطارأما المحجوم فللضعف ، وأما الحاجم فلأنه لا يأمن من أن يصل إلى جوفه شيء بالمص : ولكنّ جزم الشافعي في (الأم) بأنه منسوخ . (المقاصد الحسنة) : ١٣١ ، حديث رقم (١٣٩) ، (فتح الباري) : ٤ / ٢١٧ - ٢١٨ ، كتاب الصوم ، باب (٣٢) الحجامة والقيء للصائم ، (سنن الدارمي) : ٢ / ١٤ ، باب الحجامة تفطر الصائم ، (تلخيص الحبير) : ٢ / ٢٠٥ ، باب ذكر الإشارة إلى طرق حديث أفطر الحاجم والمحجوم ، (كشف الخفا) : ١ / ١٥٦ ، حديث رقم (٤٦١) ، (الأم للشافعي) : ٢ / ٩٣ ، (سنن أبي داود) : ٢ / ٧٧٠ ، كتاب الصوم ، باب (٢٨) في الصائم يحتجم ، (صحيح سنن ابن ماجة) : ١ / ٢٨١ ، باب (١٨) ، حديث رقم (١٣٦١) ، (١٣٦٢) ، (١٣٦٣) ، (صحيح سنن الترمذي) : ١ / ٢٣٤ ، باب (٥٩) كراهية الحجامة للصائم ، حديث رقم (٦٢١) ، (سنن البيهقي) : ٤ / ٢٦٤ ، كتاب الصوم باب الحديث الذي روى في الحجامة . (المستدرك) : ١ / ٤٢٨ - ٤٢٩ ، حديث رقم (١٥٦١ / ٣٠) ، (١٥٦٢ / ٣١) (١٥٦٣ / ٣٢) ، (١٥٦٤ / ٣٣) ، (١٥٦٥ / ٣٤) ، (١٥٦٦ / ٣٥) ، (١٥٦٧ / ٣٦) .

(١) مابين الحاصرتين زيادة من (خ) وليست في باقي المراجع .

[رابعاً : انقيـــاد الشجـــر]

وأما انقياد الشجر ، فخرج مسلم من حديث حاتم بن إسماعيل ، عن يعقوب ابن مجاهد أبي حزرة ، عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال : خرجت أنا وأبي نطلب العلم في هذا الحي من الأنصار قبل أن يهلكوا ، فذكر الحديث[١] إلى أن قال : عن جابر بن عبد الله ، وسرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا وادياً أفيح ، فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته ، فاتبعته بأداوة من ماء ، فنظر رسول الله ﷺ فلم ير شيئاً يستتر به ، فإذا شجرتان[٢] بشاطىء الوادي ، فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحديهما[٣] ، فأخذ بغصن من أغصانها فقال : انقادي عليّ بإذن الله ، فانقادت معه [كالبعير المخشوش الذي يصانع قائدة ، حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها فقال : انقادي عليّ بإذن الله فانقادت معه كذلك][٤] حتى إذا كان بالمنصف مما بينهما ، لأم بينهما - يعني جمعهما - فقال : التئما عليّ بإذن الله فالتأمتا ، قال جابر : فخرجت أُحضر مخافة أن يحسَّ رسول الله ﷺ بقربي فيبتعد ، فجلست أحدث نفسي ، فحانت مني لفتة ، فإذا أنا برسول الله ﷺ مقبلا

---

(١) قال ابن الأثير الجزريّ : هذا حديث عبادة بن الوليد عن أبي اليسر وجابر : قد مرَّ أوله في كتاب « الدَّيْن والقرض » من حرف الدال ، وبعضه في كتاب « فضيلة المسجد » ، وبعضه في كتاب « السّب واللعن » ، وبعضه في كتاب « الصلاة » ، لأن كل واحد من أحاديثه حديث منفرد مستقل بنفسه ، وقد جاءت في بعض الصحاح متفرقة ، قد ذكرناها كذلك ، وسردها مسلم حديثاً واحداً ، وأوردها الحميدي في مسند أبي اليسر ، وكان معظم معاني الحديث يتضمن ذكر المعجزات ، فأوردناه بطوله في هذا الباب لئلا يخلو الكتاب من ذكر الحديث مسروداً على حالته وإن كان قد جاء مفرقاً في أبوابه . (جامع الأصول) : ١١ / ٣٨٤ .

(٢) في (خ) : « وإذا بشجرتين » ، وما أثبتناه من رواية مسلم .

(٣) كذا في (خ) ، وفي رواية مسلم : « إلى إحداهما » ، وكلاهما صحيح .

(٤) ما بين الحاصرتين سقط في (خ) ، وأثبتناه من رواية مسلم .

وإذا الشجرتان قد افترقتا ، فقامت كل واحدة منهما على ساق ، فرأيت رسول الله ﷺ وقف وقفة فقال برأسه هكذا - وأشار أبو إسماعيل برأسه يميناً وشمالاً - ثم أقبل ، فلما انتهى إليّ قال : يا جابر ! هل رأيت مقامي ؟ قلت : نعم يا رسول الله ، قال فانطلق إلى الشجرتين فاقطع من كل واحدة منهما غُصناً فأقبل بهما ، حتى إذا قمت مقامي فأرسل غصنا عن يمينك وغصناً عن يسارك ، قال جابر : فقمت فأخذت حجراً فكسرته وحسرتُه فانذلق لي ، فأتيت الشجرتين فقطعت من كل واحدة منهما غصناً ، ثم أقبلت أجرهما حتى قمت مقام رسول الله ﷺ أرسلت غصناً عن يميني وغصناً عن يساري ، ثم لحقت فقلت : قد فعلت يا رسول الله نعم ذاك ، قال : إني مررت بقبرين يعذبان ، فأحببت بشفاعتي أن يرفَّه عنهما ما دام الغصنان رطبين[1] . وذكر الحديث .

وخرج البيهقي وغيره من حديث حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن أبي رافع ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ كان بالحجون وهو كئيب [حزين][2] لما آذاه المشركون ، فقال : اللهم أرني اليوم آية لا أبالي من كذبني بعدها ، قال : فأُمر فنادى شجرة من قبل عقبه أهل المدينة ، فأقبلت تخد الأرض حتى انتهت إليه [فسلمت عليه][3] ، قال : ثم أمرها فرجعت إلى موضعها ، فقال : ما أبالي من كذبني بعد هذا من قومي[4] .

وفي رواية : فنادى شجرة من جانب الوادي فأقبلت تخد الأرض خداً حتى وقفت بين يديه[5] .

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ١٨ / ٣٥١ - ٣٥٢ ، كتاب الزهد والرقاق ، باب (١٨) حديث جابر الطويل ، وقصة أبي اليُسر ، (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) : ١ / ١٩٦ - ١٩٧ ، (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٣٩٢ ، حديث رقم (٢٩٦) .

(٢) في (خ) : « كان على الحجون كئيباً ، وما أثبتناه من رواية أبي نعيم في (دلائل النبوة) .

(٣) زيادة للسياق من المرجع السابق .

(٤) (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٣٨٩ - ٣٩٠ ، حديث رقم (٢٩٠) ، (الخصائص الكبرى) : ١ / ٣٠٢ ، والحجون : موضع بأعلى مكة ، (دلائل البيهقي) : ٦ / ١٣ .

(٥) (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) : ١ / ١٩٨ .

ومن حديث أبي معاوية عن الأعمش ، عن أبي سفيان عن أنس بن مالك قال : جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ – وهو خارج من مكة قد خضبه أهل مكة بالدماء – فقال : مالك ؟ قال : خضبني هؤلاء بالدماء ، وفعلوا وفعلوا ، قال : تريد أن أُريك آية ؟ قال : نعم ، قال : ادْعُ تلك الشجرة ، فدعاها رسول الله ﷺ ، فجاءت تخط الأرض حتى قامت بين يديه ، قال : مُرها فلترجع ، قال : فارجعي إلى مكانك فرجعت إلى مكانها ، فقال رسول الله ﷺ : حسبي[1] .

ومن حديث يونس بن بكير عن المبارك بن فضالة عن الحسن قال : خرج رسول الله ﷺ إلى شعاب مكة – وقد دخله من الغم ما شاء الله من تكذيب قومه إياه – فقال : رب أرني ما أطمئن إليه ويذهب عني هذا الغم ، فأوحى الله إليه : أُدع أي أغصان هذه الشجرة شئت ، فدعى غصناً فانتزع من مكانه ، ثم خَدَّ في الأرض حتى جاء رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : إرجع إلى مكانك ، فرجع الغصن فَخَدَّ في الأرض حتى استوى كما كان ، فحمد رسول الله ﷺ وطابت نفسه ورجع ، وقد كان قال المشركون : أتضلل[2] آباءك وأجدادك يا محمد ؟ فأنزل الله عزَّ وجل : ﴿ **أفغير الله تأموني أعبد أيها الجاهلون** ﴾ ، إلى قوله . ﴿ **وكن من الشاكرين** ﴾[3] .

قال البيهقي : وهذا المرسل لما تقدم من الموصول شاهد ، وقد سخر الله تعالى الشجرة لنبينا ﷺ حتى جعلها آية لنبوتة لمن طلب منه آية ، وشهدت له الشجرة بالنبوة في بعض الرواية .

فذكر من طريق محمد بن فضيل عن أبي حبان عن عطاء ، عن ابن عمر رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر ، فأقبل أعرابي فلما دنا منه

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٢ / ١٥٤ ، باب مبتدأ البعث والتنزيل ، وما ظهر عند ذلك من تسليم الحجر والشجر ، وتصديق ورقة ابن نوفل إياه ، (سنن الدارمي) : ١ / ١٢ – ١٣ ، باب كيف كان أول شأن النبي ﷺ ، (المواهب اللدنية) : ٢ / ٥٣٩ ، (مسند أحمد) : ٣ / ٥٥٥ – ٥٥٦ ، حديث رقم (١١٧٠٢) .

(٢) كذا في (خ) ، وفي (دلائل البيهقي) : « أفضّلت » .

(٣) الزمر : ١٦٤ ، والحديث أخرجه البيهقي في (دلائل النبوة) : ٦ / ١٤ .

قال له رسول الله ﷺ أين تريد ؟ قال : إلى أهلي ، قال : هل لك إلى خير ؟ قال : ما هو ؟ قال : تشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، قال : هل من شاهد على ما تقول ؟ قال : هذه الشجرة ، فدعاها رسول الله ﷺ وهي على شاطيء الوادي ، فأقبلت تَخُدُّ الأرض خدًّاً ، فقامت بين يديه ، فاستشهدها ثلاثاً ، فشهدت له كما قال ثم رجعت إلى منبتها ، ورجع الأعرابي إلى قومه فقال : إن يتبعوني آتيك بهم ، وإلا رجعت إليك فكنت معك[1] .

وخرجه أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، عن محمد بن طريف قال : حدثنا محمد بن فضيل بنحوما أخرجه البيهقي .

وخرج البيهقي من حديث شريك عن سماك عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس رضي الله عنه قال : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : بم أعرف أنك رسول الله ؟ قال أرأيت لو دعوت هذه العذق من هذه النخلة ، فجعل العذق ينزل من النخلة حتى سقط في الأرض ، ثم جعل ينقر حتى أتى النبي ﷺ ، ثم قال له : ارجع ، فرجع حتى عاد إلى مكانه ،فقال : أشهد أنك رسول الله ﷺ وآمن[2] .

[و] رواه البخاري في (التاريخ) عن محمد بن سعيد بن الأصبهاني قال : أخبرني شريك فذكره .

وخرج البيهقي من حديث أبي معاوية عن الأعمش ، عن أبي ظبيان عن ابن عباس قال : أتى النبيَّ ﷺ رجل من بني عامر فقال : إني من أطـب الناس ، فإن كان بك جنون داويتك ! فقال النبي ﷺ : أتحب أن أريك آية ؟ قال : نعم ، قال : فادع ذاك العذق ، فدعاه ، فجاء ينقر على ذنبه حتى قام بين يديه ، ثم قال : ارجع ، فرجع ، فقال : يا بني عامر ! ما رأيت أسحر من هذا[3] .

وله من حديث الأعمش ، عن أبي ظبيان عن ابن عباس قال : جاء رجل من

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٦ / ١٤ - ١٥ .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٦ / ١٥ ، (المستدرك) : ٢ / ٦٢٠ وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، حديث رقم (٤٢٣٧ / ٢٤٧) .

(٣) (دلائل البيهقي) : ٦ / ١٥ - ١٦ .

بني عامر إلى رسول الله ﷺ قال : إن عندي طباً وعلماً فما تشتكي ؟ هل يريبك من نفسك شيء ؟ إلى من تدعو ؟ قال : أدعو إلى الله عزَّ وجل والإسلام ، قال : إنك لتقول قولاً ، فهل لك من آية ؟ قال : نعم إن شئتَ أريتك آية – وبين يديه شجرة – فقال لغصن منها : تعال يا غصن ، فانقطع الغصن من الشجرة ثم أقبل ينقر حتى قام بين يديه ، فقال : ارجع إلى مكانك فرجع ، قال العامري : ياآل عامر بن صعصعة ، لا [ألومك][1] على شيء قلته أبداً[2] .

ومن طريق الأعمش عن سالم بن أبي الجعد ، عن ابن عباس قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : ما هذا الذي يقول أصحابك ؟ قال : – وحول رسول الله ﷺ أعذاق – قال : فقال له رسول الله ﷺ : هل لك أن أريك آية ؟ قال : فدعا عذاقاً منها فأقبل يخد الأرض ويسجد ، ويرفع رأسه حتى وقف بين يديه ، ثم أمره فرجع ، قال : فخرج العامري وهو يقول : يا آل عامر بن صعصعة ! والله لا أكذبه بشيء يقوله أبداً[3] .

قال البيهقي : كذا قال سالم بن أبي الجعد ، وذكر في هذه الرواية تصديق الرجل إياه ، كما هو في رواية سماك ، ويحتمل أنه توهمه سحراً ثم علم أنه ليس بساحر ، فآمن وصدَّق ، وروى في ذلك عن بريدة ، عن النبي ﷺ[4] .

وخرج البيهقي من حديث يونس بن بكير ، عن إسماعيل بن عبد الملك ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : خرجت مع رسول الله ﷺ في سفر ، وكان رسول الله ﷺ إذا أراد البراز تباعد حتى لا يراه [أحد][1] فنزلنا منزلا بفلاةٍ من الأرض ليس فيها عَلَمٌ ولا شجر ، فقال لي : يا جابر خذ الأداوة وانطلق بنا ، فملأت الأداوة ماءاً فمشينا حتى لا نكاد نُرى .

فإذا شجرتان بينهما أذرع ، فقال رسول الله ﷺ : يا جابر ، انطلق فقل لهذه الشجرة : يقول لك رسول الله ﷺ : ألحقي بصاحبتك حتى أجلس خلفكما ،

---

(١) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي) .
(٢) (دلائل البيهقي) : ٦ / ١٦ .
(٣) (دلائل البيهقي) : ٦ / ١٧ .
(٤) المرجع السابق .

ففعلتُ ، فرجعتْ حتى لحقتْ بصاحبتها ، فجلس خلفهما حتى قضى حاجته .

ثم رجعنا[1] [فركبنا رواحلنا فَسِرْنا كأنما علينا الطير يَظلُّنا ، فإذا نحن بامرأة قد عرضت لرسول الله ﷺ ، ومعها صبي تحمله ، فقالت يارسول الله ! إن ابني هذا يأخذه الشيطان كل يوم ثلاث مرات لا يدعه ، فوقف رسول الله ﷺ فتناوله ، فجعله بينه وبين مقدمة الرحل ، فقال رسول الله ﷺ : إخسأ عدوَّ الله ! أنا رسول الله ، قال : فأعاد رسول الله ﷺ ذلك ثلاث مرات ، ثم ناولها إياه ، فلما رجعنا فكنا بذلك الماء ، عَرَضَتْ لنا المرأة معها كبشان تقودهما والصبي تحمله ، فقالت : يا رسول الله ، اقْبَلْ مني هديتي ، فو الذي بعثك بالحق إن عاد إليه ، فقال رسول الله ﷺ : خذوا أحدهما ورُدوا الآخر][2] وخرجه أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي[3] .

وخرج البيهقي من حديث زمعة بن صالح [عن زياد][4] ، عن أبي الزبير ، أنه سمع يونس بن خبَّاب الكوفي يحدث أنه سمع أبا عبيدة يحدث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان في سفر إلى مكة ، فذهب إلى الغائط فكان يُبْعِدُ حتى لا يراه أحد ، قال : فلم يجد شيئاً يتوارى به ، فَبَصُرَ بشجرتين ، فذكر قصة الشجرتين وقصة الجمل بنحوٍ من حديث جابر ، وحديث جابر أصح ، قال البيهقي : وهذه الرواية ينفرد به زمعة بن صالح عن زياد ، أظنه ابن سعد عن أبي الزبير[5] .

وله من حديث يونس بن بكير ، عن الأعمش عن المنهال بن عمرو ، عن يعلي ابن مرة عن أبيه قال : سافرت مع رسول الله ﷺ سفراً ، فرأيت أشياءً عجباً ، نزلنا منزلاً فقال : انطلق إلى هاتين الإشاءتين فقل : إن رسول الله ﷺ يقول لكما

---

(١) في (خ) : « ثم رجعنا » ، وما أثبتناه من (دلائل البيهقي) .
(٢) مابين الحاصرتين تكملة الحديث من المرجع السابق .
(٣) (سنن الدارمي) : ١ / ١٠ - ١١ ، وقال فيه : ثم رجعنا إلى مكانهما فركبنا رواحلنا فسرنا ... الخ الحديث .
(٤) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي) .
(٥) (دلائل البيهقي) : ٦ / ٢٠ .

أن تجتمعا ، فانطلقتُ فقلتُ لهما ذلك ، وانتزعت كل واحدة منهما من أصلها ، فنزلت كل واحدة إلى صاحبتها فالتقتا جميعاً ، فقضى رسول الله ﷺ حاجته من ورائها ثم قال : انطلق فقل لهما : فلتعد كل واحدة إلى مكانها ، فأتيتهما فقلت لهما ذلك ، فنزلت كل واحدة حتى عادت إلى مكانها .

وأتته امرأة فقالت : إن ابني هذا به لمم منذ سبع سنين يأخذه في كل يوم مرتين ، فقال رسول الله ﷺ أدنيه ، فأدنته منه ، فتفل في فيه وقال : اخرج عدوَّ الله ، أنا رسول الله ، ثم قال لها : إذا رجعنا فأعلمينا ما صنع ، فلما رجع رسول الله ﷺ استقبلته[1] ومعها كبشان وأُقط وسمن فقال لي رسول الله ﷺ : خذ هذا الكبش فأخذ منه ما أراد ، فقالت : والذي أكرمك ، ما رأينا به شيئاً منذ فارقتنا .

ثم أتاه بعير فقام بين يديه فرأى عينيه تدمعان ، فبعث إلى أصحابه فقال : مالبعيركم هذا يشكوكم ؟ فقالوا : كنا نعمل عليه فلما كبر وذهب عمله تواعدنا لننحره غداً ، فقال رسول الله ﷺ : فلا تنحروه واجعلوه في الإبل يكون فيها[2] .

وخرج من حديث وكيع عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن [يعلي] ابن مرة عن أبيه قال : رأيت من رسول الله ﷺ ثلاثة أشياء : فذكر الحديث بمعنى رواية يونس ، إلا أنه زاد : خذ أحد الكبشين ورد الآخر ، وخذ السمن والأقط .

مرة بن يعلي هو مرة بن أبي مرة الثقفي ، وقيل : فيه عن يعلي نفسه أنه قال : رأيت ...

فذكر من طريق وكيع عن الأعمش عن المنهال بن عمرو ، عن يعلي بن مرة قال : رأيت من النبي ﷺ عجباً : خرجت معه في سفر فنزلنا منزلاً ، فأتته امرأة بصبي لها به لمم ، فقال رسول الله ﷺ : اخرج عدو الله أنا رسول الله ، قال : [فبرأ][3] ، فلما رجعنا جاءت أم الغلام بكبشين وشيء من أُقط وسمن ، فقال

---

(١) في المرجع السابق : « فاستقبله ومعه » ، وما أثبتناه من (خ) .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٦ / ٢٠ – ٢١ .

(٣) زيادة للسياق من المرجع السابق .

النبي ﷺ : يا يعلي ، خذ أحد الكبشين ورد عليها الآخر ، وخذ السمن والأُقط ، قال : ففعلت[1] .

هذا أصح ، والأول وَهَم . قاله البخاري ، يعني روايته عن أبيه وَهَم ، إنما هو عن يعلي نفسه ، وَهِم في وكيع مرة ، ورواه على الصحة مرة . قال البيهقي : وقد وافقه فيما زعم البخاري أنه وهم يونس بن بكير ، فيحتمل أن يكون الوهم من الأعمش والله أعلم .

وخرج من حديث شريك عن عمر بن عبد الله بن يعلي بن مرة عن أبيه ، عن جده قال : رأيت من النبي ﷺ ثلاثة أشياء ما رآها أحد قبلي : كنت معه في طريق مكة .. الحديث . قال : ورواه عطاء بن السائب عن عبد الله بن حفص ، عن يعلي بن مرة الثقفي قال : ثلاثة أشياء رأيتها من رسول الله ﷺ بينا نحن نسير معه ... ، فذكر قصة البعير وقال : ثم سرنا حتى نزلنا منزلاً ، فنام النبي ﷺ فجاءت شجرة تشق الأرض حتى غشيته ثم رجعت إلى مكانها ، فلما استيقظ ذكرت له فقال : هي شجرة استأذنت ربها في أن تسلم على رسول الله فأذن لها[2] ، ثم ذكر قصة المرأة .

وخرج الإمام أحمد هذا الحديث من طريق عبد الرزّاق قال : أخبرنا معمر عن عطاء .. فذكره[1] . قال البيهقي : الرواية الأولى عن يعلي بن مرة في أمر الشجرتين أصح لموافقتها رواية جابر بن عبد الله الأنصاري ، إلا أن يكون أمر الشجرة في هذه الرواية حكاية عن واقعة أخرى[3] .

وخرج من حديث معاوية بن يحيى الصدفي قال : أخبرني الزهري عن خارجه ابن زيد ، قال : قال أسامة بن زيد : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى الحجة التي حجها ، حتى إذا كنا ببطن الروحاء ... ، فذكر قصة المرأة بزيادة ثم قال : يا أسيم ،

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٦ / ٢١ - ٢٢ ، (مسند أحمد) : ٥ / ١٨٢ حديث رقم (١٧١١٣) .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٦ / ٢٣ - ٢٤ ، (المواهب اللدنية) : ٢ / ٥٤٠ - ٥٤١ ، (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٣٩١ ، حديث رقم (٢٩٣) ، (مسند أحمد) : ٥ / ١٨٣ ، حديث رقم (١٧١١٥) .

(٣) (دلائل البيهقي) : ٦ / ٢٤ .

انظر هل ترى من خَمَرٍ لمخرج رسول الله ؟ فقلت : يا رسول الله ، قد دحس الناس الوادي فما فيه موضع ، فقال : انظر هل ترى من نخل أو حجاره ؟ فقلت : يا رسول الله قد رأيت نخلات متفرقات وَرَجْماً من حجارة ، قال : انطلق إلى النخلات فقل لهن : إن رسول الله يأمركن أن تدانين لمخرج رسول الله ، وقل للحجارة مثل ذلك ، قال : فأتيتهن فقلت ذاك لهن ، فوالذي بعثه[1] بالحق نبياً ، لقد جعلت أنظر الى النخلات يخْددن الأرض خَداً حتى اجتمعن ، وأنظُر إلى الحجارة يتقافزن حتى صرن رجماً خلف النخلات ، فأتيته فقلت ذاك له ، قال : خذ الأداوة وانطلق ، فلما قضى حاجته وانصرف قال : يا أُسيم ، عُد إلى النخلات والحجارة فقل لهن : إن رسول الله ﷺ يأمركن أن ترجعن إلى مواضعكن[2] .

وخرج أبو نعيم من حديث حيان بن علي ، عن صالح بن حيّان عن ابن بُريدة عن أبيه قال : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ! قد أسلمت فأرني شيئاً أزدد به يقيناً ، قال : ما الذي تريد ؟ قال : ادع تلك الشجرة فلتأتك ، قال : اذهب فادْعها ، فأتاها الأعرابي فقال : أجيبي رسول الله قال فمالت على جانب من جوانبها فقطعت عروقها ، ثم مالت على الجانب الآخر فقطعت عروقها ، ثم أتت النبي ﷺ فقالت : السلام عليك يا رسول الله ، فقال الأعرابي : حسبي حسبي ، فقال لها النبي ﷺ : إرجعي فرجعت فجلست على عروقها [وفروعها][3] .

---

(١) في المرجع السابق : « بعثك » .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٦ / ٢٥ – ٢٦ ، (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٣٩٣ – ٣٩٤ ، حديث رقم (٢٩٨) ، (المطالب العالية) : ٤ / ٨ – ١٠ ، حديث رقم (٣٨٣٠) ، (الخصائص الكبرى) : ٢ / ٣٠٢ .

(٣) (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٣٩٠ ، حديث رقم (٢٩١) ، وصالح بن حيان ضعيف ، وما بين الحاصرتين زيادة من المرجع السابق ، وزاد بعدها : فقال الأعرابي : ائذن لي يارسول الله أن أقبل رأسك ورجليك ، ففعل ، ثم قال : إئذن لي أن أسجد لك ، قال : لا يسجد أحدٌ لأحدٍ ، ولو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها ، (المستدرك) : ٤ / ١٩٠ ، حديث رقم (٧٣٢٦ / ٨٧) ، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الذهبي في (التلخيص) : بل واهٍ ، وفي إسناده صالح بن حيان : متروك .

وروى يحيى بن أبي عمرو [السيباني][1] قال : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن مسعر عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله قال : قال لي مسروق : أخبرني أبوك أن شجرة أنذرت النبي ﷺ بالجن[2] .

* * *

(١) تصويب للنسب من (تهذيب التهذيب) : ١١ / ٢٢٨ ، ترجمة رقم (٤٢٥) .

(٢) (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) : ١ / ١٩٧ .

لكن قال ابن أبي حاتم في (علل الحديث) : ٢ / ٣٩٢ - ٣٩٣ حديث رقم (٢٦٨٧) : سمعت أبي رضي الله عنه ذكر حديثاً رواه ابن فضيل عن أبي حيان ، عن عطاء عن ابن عمر قال : كنا مع النبي ﷺ في سفر ، فأقبل أعرابي ، فقال له النبي ﷺ : هل لك إلى خير من الذهاب ؟ قال : نعم ، قال : تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأني رسول الله ، قال الأعرابي فمن يشهد لك ؟ قال هذه الشجرة ... الحديث ، قال أبي : وقد حدثنا علي الطنافسيّ وعبد المؤمن بن علي ، عن ابن فضيل هكذا ، وأنا أنكر هذا ، لأن أبا حيان لم يسمع من عطاء ، ولم يرو عنه ، وليس هذا الحديث من حديث عطاء ، قلت : من تراه ؟ قال : لحديث أبي جناد أشبه .

* ولله درّ الإمام الأبوصيريّ حيث قال :

جاءت لدعوته الأشجار ساجدة تمشي إليه على ساق بلا قدمِ
فكأنما سطرت سطراً لما كتبت فروعها من بديع الخط في اللقمِ

واللقم : بفتح اللام والقاف : أوسط الطريق . فشبّه أثار مشي الشجر لما جاءت إليه ﷺ بكتابة كانت أوقعها على نسبة معلومة ، في أسطر منظومة . وإذا كانت الأشجار تبادر لامتثال أمره ﷺ حتى تخر ساجدة بين يديه ، فنحن أولى بالمبادرة لامتثال ما دعا إليه ، زاده الله شرفاً لديه . وتأمل قول الأعرابي : « ائذن لي أن أسجد لك » لما رأى من سجود الشجرة ، فرأى أنه أحرى بذلك حتى أعلمه ﷺ أن ذلك لا يكون إلا لله ، فحق على كل مؤمن أن يلازم السجود للرب المعبود ، ويقوم على ساق العبودية ، وإن لم يكن له قدم كما قامت الشجرة . (بردة المديح للإمام الأبوصيري) ، (حاشية الباجوري على متن البردة) ، (المواهب اللدنية) : ٢ / ٥٤١ - ٥٤٢ .

[خامســاً : انقلاب العود والقضيب سيفاً جيداً]

وأما انقلاب العود والقضيب سيفاً جيداً : قال الواقدي : فحدثني عمر بن عثمان الحجني عن أبيه عن عمته قالت : [قال] عكَّاشة بن محصن : انقطع سيفي في يوم بدر ، فأعطاني رسول الله ﷺ عوداً فإذا هو سيف أبيض طويل ، فقاتلت به حتى هزم الله المشركين ، فلم يزل عنده حتى هلك[1] .

وقال يونس عن ابن إسحق في تسمية من شهد بدراً ، قال : وعكاشه بن محصن وهو الذي قاتل بسيفه يوم بدر حتى انقطع في يده ، فأتى رسول الله ﷺ فأعطاه جذلاً[2] من حطب فقال : قاتل بهذا يا عكَّاشة ، فلما أخذه من يد رسول الله ﷺ هزَّه فعاد سيفاً في يده طويل القامة ، شديد المتن ، أبيض الحديدة ، فقاتل به حتى فتح الله على رسوله ، ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله ﷺ حتى قُتل – يعني في قتال أهل الردة – وهو عنده ، فكان ذلك ، السيف يسمى العَوْن[3] .

قال الواقدي : حدثني أسامة بن زيد ، عن داود بن الحِصين ، عن رجال من بني الأشهل عدة ، قالوا : انكسر سيف سلمة بن سالم بن حربش يوم بدر ، فبقي أعزل لا سلاح معه ، فأعطاه رسول الله ﷺ قضيباً كان في يده من عراجين ابن طاب[4] ، فقال : اضرب به ، فإذا هو سيف جيد ، فلم يزل عنده حتى قتل يوم جسر أبي عبيد[5] .

---

(١) (مغازي الواقدي) : ١ / ٩٣ .

(٢) الجِذْل : أصل الشجرة .

(٣) (سيرة ابن هشام) : ٣ / ١٨٥ ، (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) : ١ / ٢١٩ .

(٤) ابن طاب : ضرب من الرطب .

(٥) (مغازي الواقدي) : ١ / ٩٣ – ٩٤ .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر عن سعيد بن عبد الرحمن الجحشي قال : أخبرنا أشياخنا أن عبد الله بن جحش[١] جاء إلى النبي ﷺ يوم أحد وقد ذهب سيفه ، فأعطاه النبي ﷺ عسيباً من نخل ، فرجع في يده سيفاً[٢] .

* * *

---

(١) في (خ) : « جحيش » ، وصوبناه من (الشفا) .

(٢) (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) : ١ / ٢١٩ .

[سادساً : حنين الجذع]

وأما حنين الجذع : فإنه من الآيات المشهورة ، والأعلام الثابتة ، التي نقلها خلف الأمة عن سلفها ، خرج البخاري من حديث عبد الواحد بن أيمن عن أبيه جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه ، أن امرأة من الأنصار قالت : يارسول الله ! ألا تجعل لك شيئاً تقعد عليه ؟ فإن لي غلاماً نجاراً ، قال : إن شئت ، قال : فعملت له المنبر ، فلما كان يوم الجمعة قعد النبي ﷺ على المنبر الذي صُنع ، فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها حتى كادت أن تنشق ، فنزل النبي ﷺ حتى أخذها ، فضمها إليه ، فجعلت تئن أنين الصبي الذي يُسكَّت حتى استقرت ، قال : بكت على ما كانت تسمع من الذكر . ذكره في كتاب البيوع في باب النجار(١) .

وخرج في باب علامات النبوة من حديث يحيى بن سعيد قال : أخبرني حفص ابن عبيد الله بن أنس بن مالك أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : كان المسجد مسقوفاً على جذوع نخل ، فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها ، فلما صنع له المنبر فكان عليه ، سمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليها فسكت . وذكره في الجمعة في باب الخطبة على المنبر(٢) .

قال البيهقي : ولهذا الحديث طرق ، عن جابر بن عبد الله ، فذكر من طريق الشافعي رحمه الله ، قال : أخبرنا عبد المجيد بن عبد العزيز ، عن ابن جريج قال :

---

(١) (فتح الباري) : ٤ / ٤٠٠ ، كتاب البيوع ، باب (٣٢) النجار ، حديث رقم (٢٠٩٥) ، (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) : ١ / ١٩٩ .

(٢) (فتح الباري) : ٢ / ٥٠٤ – ٥٠٥ ، كتاب الجمعة ، باب (٢٦) الخطبة على المنبر ، حديث رقم (٩١٨) ، (فتح الباري) : ٦ / ٧٤٦ ، كتاب المناقب ، باب (٢٥) علامات النبوة في الإسلام ، حديث رقم (٣٥٨٤) ، (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) : ١ / ١٩٩ .

أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : كان النبي ﷺ إذا خطب استند إلى جذع نخلة من سواري المسجد ، فلما صُنع المنبر فاستوى عليه اضطربت تلك السارية كحنين الناقة ، حتى سمعها أهل المسجد ، حتى نزل رسول الله ﷺ واعتنقها فسكنت[١] .

وله من حديث آدم بن أبي إياس قال : حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق الهمذاني عن سعد بن أبي كرب ، عن جابر بن عبد الله قال : كان رسول الله ﷺ إذا خطب أسند ظهره إلى خشبة ، فلما صُنع له المنبر فقدته الخشبة فحنت حنين الناقة الخلوج إلى ولدها ، فأتاها رسول الله ﷺ فوضع يده عليها فسكنت[٢] .

ومن طريق الأعمش عن أبي صالح ، عن جابر قال : كان النبي ﷺ يخطب إلى جذع ، فلما جُعل له المنبر خطب عليه حنت الخشبة حنين الناقة الخلوج[٣] ، فاحتضنها فسكنت[٤] .

ومن طريق أبي عوانة عن الأعمش ، عن أبي صالح عن جابر عن أبي إسحاق عن ابن أبي كرب عن جابر قال : كانت خشبة في المسجد فكان رسول الله ﷺ يخطب عليها فقلنا له : لو جعلنا لك مثل العريش فقمت عليه ، ففعل ، فحنت الخشبة كما تحن الناقة ، فأتاها رسول الله ﷺ فاحتضنها ووضع يده عليها[٥] .

ومن حديث ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن جابر قال : كان النبي ﷺ يقوم إلى جذع نخلة فيخطب قبل أن يوضع المنبر ، فلما وضع المنبر صعد

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٢ / ٥٦١ ، (سنن البيهقي) : ٣ / ١٩٥ باب مقام الإمام في الخطبة .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٢ / ٥٦٠ ، (فتح الباري) : ٢ / ٥٠٤ - ٥٠٥ ، حديث رقم (٩١٨) من كتاب الجمعة ، باب (٢٦) الخطبة على المنبر .

(٣) ناقةٌ خَلُوجٌ : جُذِبَ عنها ولدُها بذبح أو موت ، فحنت إليه ، وقلَّ لذلك لبنها ، وقد يكون في غير الناقة ، وفي ذلك ذهاب إلى قوله تعالى : ﴿ **يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد** ﴾ [الحج] ، لسان العرب) : ٢ / ٢٥٦ .

(٤) (دلائل البيهقي) : ٢ / ٥٦٢ .

(٥) (دلائل البيهقي) : ٢ / ٥٦٢ ، وقال في هامشه : هذا الخبر رواه الطبراني في (الكبير) .

رسول الله ﷺ [عليه] فحنَّ ذلك الجذع حتى سمعنا حنينه ، قال : فأتاه رسول الله ﷺ فوضع يده عليه فسكن[1] .

ومن حديث يحيى بن سعيد عن ابن المسيب عن جابر مثله ، غير أنه قال : فحنَّ حنين العشار[2] .

وخرج البخاري من حديث يحيى بن كثير أبي غسان ، حدثنا أبو حفص عمر ابن العلاء أخو أبي عمرو بن العلاء ، قال : سمعت نافعاً عن ابن عمر قال : كان النبي ﷺ يخطب إلى جذع ، فلما اتخذ المنبر تحول إليه ، فحن الجذع فأتاه فمسح يده عليه[2] .

وقال عبد الحميد : أخبرنا عثمان بن عمر ، أخبرنا معاذ بن العلاء عن نافع بهذا ، ورواه أبو عاصم أيمن بن أبي داود عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ .

وخرج أبو بكر بن أبي شيبة من حديث حماد بن أبي سلمة ، عن عمار بن أبي عمار ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ كان يخطب إلى جذع ، فلما اتخذ المنبر تحول إليه ، فحن الجذع حتى أتاه فاحتضنه فسكن . قال : لو لم احتضنه لحن إلى يوم القيامة[3] .

وخرج البيهقي من حديث سليمان بن بلال ، عن سعد بن سعيد بن قيس ، عن عباس بن سهل بن سعد ، عن أبيه أن رسول الله ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إذا خطب إلى خشبة ذات فرضتين ، أراها من دوم كانت في مصلاه فكان يتكىء إليها ، فقال له أصحابه : يا رسول الله ! إن الناس قد كثروا فلو اتخذت شيئاً تقوم عليه إذا خطبت يراك الناس ، فقال : ما شئتم ، قال سهل : ولم يكن بالمدينة إلا

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٢ / ٥٥٦ .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٢ / ٥٥٧ ، ورواه الإمام البخاري في كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، عن محمد بن المثنى ، عن أبي غسان يحيى بن كثير . ، وبهذا الإسناد أخرجه الترمذي في صلاة الجمعة ، باب ما جاء في الخطبة على المنبر ، حديث رقم (٩١٨) ، (فتح الباري) : ٢ / ٥٠٤ - ٥٠٥ .

(٣) (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) : ١ / ١٩٩ .

نجار واحد ، قال : فذهبت أنا وذلك النجار إلى الغابة فقطعنا هذا المنبر من أثلة ، قال : فقام رسول الله ﷺ فحنت الخشبة فقال رسول الله ﷺ : ألا تعجبون من هذه الخشبة ؟ فأقبل الناس عليها فرقُّوا من حنينها حتى كثر بُكاؤهم ، فنزل رسول الله ﷺ فأتاها فوضع يده عليها فسكنت ، فأمر رسول الله ﷺ بها فدفنَت تحت منبره أو جعلت في السقف[1] .

ومن حديث عكرمة بن عمار قال : حدثني إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يقوم مسنداً ظهره إلى جذع منصوب في المسجد يوم الجمعة ، فخطب الناس فجاءه روميّ فقال : يارسول الله ! ألا أصنع لك شيئاً تقعد عليه كأنك قائم ؟ فصنع له منبراً درجتين ويقعد على الثالثة ، فلما قعد على المنبر خار الجذع كخوار الثور حتى ارتج المسجد بخوراه ، فنزل إليه رسول الله ﷺ فالتزمه فسكن ، فقال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده ، لو لم ألتزمه لما زال كذا إلي يوم القيامة حزنا على رسول الله ﷺ ، ثم أمر به فدفن[2] .

ومن حديث ابن المبارك قال : حدثنا مبارك بن فضالة قال : حدثني الحسن عن أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ كان يخطب يوم الجمعة ويسند ظهره إلى خشبة ، فلما كثر الناس قال : ابنوا لي منبراً ، فسُوي له منبراً إنما كانت له عتبتين ؛ فتحول من الخشبة إلى المنبر ، قال : فحنت والله الخشبة حنين الواله[2] ، قال أنيس : وأنا في المسجد أسمع ذلك ، قال : فوالله ما زالت تحن حتى نزل رسول الله ﷺ من المنبر فمشى إليها فاحتضنها فسكنت ، فبكى الحسن وقال : يا معشر المسلمين ! الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقاً إليه ! أفليس الرجال الذين يرجون لقاءه أحق أن يشتاقوا إليه[3] ؟

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٦ / ٥٥٩ – ٥٦٠ .

(٢) في (خ) « حنين الوالدة » ، وما أثبتناه من (دلائل البيهقي) .

(٣) (دلائل البيهقي) : ٢ / ٥٥٩ ، (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) : ١ / ٢٠٠ .

ومن حديث إسحاق الأزرق ، عن شريك بن عبد الله ، عن عمار الدهني ،(١) عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : كان لرسول ﷺ خشبة يستند إليها إذا خطب ، فصُنع له كرسي أو منبر ، فلما فقدته خارت كما يخور الثور حتى سمعها أهل المسجد ، فأتاها رسول الله ﷺ فاحتضنها فسكنت(٢) .

وخرج أبو محمد الدارمي قال : حدثنا زكريا بن عدي ، حدثنا عبيد الله بن عمرو عن عبد الله بن محمد عن عقيل ، عن الطفيل بن أُبي بن كعب عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ ، يصلي(٣) ، إلى جذع [ويخطب عليه إذا كان المسجد عريشاً](٤) ، فقال [له] رجل(٤) من أصحابه(٥) : ألا نجعل لك عريشاً(٦) تقوم

---

(١) في (خ) : « الذهبي » ولعله تصحيف وما أثبتناه من (دلائل البيهقي) ، و (تهذيب التهذيب) : ٧ / ٣٥٥ .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٢ / ٥٦٣ ثم قال : هذه الأحاديث التي ذكرناها في أمر الحنانة كلها صحيحة ، وأمر الحنانة من الأمور الظاهرة، والأعلام النيرة ، التي أخذها الخلف عن السلف ، ورواية الأحاديث فيه كالتكليف ، والحمد لله على الإسلام والسنة ، وبه العياذ والعصمة .

ثم قال محققه : أحاديث حنين الجذع : رويت عن أنس ، وجابر ، وسهل بن سعد في البخاري ، وحديث أبي بن كعب أخرجه ابن ماجه ، وعبد الله بن أحمد في زيادانه على المسند ، وحديثا ابن عباس وأم سلمة : أخرجهما الطبراني في (الكبير) .

وقد روى أحاديث حنين الجذع أيضاً البيهقي في (السنن الكبرى) ، وأبو نعيم في (الدلائل : بأسانيده عن جابر ، وعن أُبيّ بن كعب ، وعن سهل بن سعد ، وعن أبي سعيد الخدريّ وعن عائشة رضي الله تعالى عنها .

وفي الباب أحاديث كثيرة ، وصحح كثير من العلماء بالسنة أن حديث حنين الجذع من الأحاديث المتواترة ، لوروده عن جماعة من الصحابة من طرق كثيرة ، تفيد القطع بوقوع ذلك .

وقال الحافظ ابن حجر : حنين الجذع وانشقاق القمر ، نُقل كل منهما نقلاً مستفيضاً ، يفيد القطع عند من يطلع على طرق ذلك من أئمة الحديث دون غيرهم ، ممن لا ممارسة له في ذلك . (دلائل البيهقي) : ٢ / ٥٦٣ .

(٣) في (خ) : « يخطب » وصوبناه من (سنن الدارمي) .

(٤) زيادة للسياق المرجع السابق .

(٥) في (خ) : « من أصحاب رسول الله ﷺ » ، وما أثبتناه من المرجع السابق .

(٦) في (خ) : « هل لك أن نجعل لك منبراً » وما أثبتناه من المرجع السابق .

عليه يوم الجمعة حتى يراك الناس وتُسمع من خطبتك ؟ قال : نعم ، قال : فصنع له ثلاث درجات [هن اللواتي على المنبر][1] ، فلما صُنع المنبر ووضع في موضعه ، وأراد رسول الله ﷺ أن يقوم على المنبر [مرَّ عليه فلما جاوزه][2] ، خار[3] حتى تصدع وانشق ، فنزل[4] رسول الله ﷺ فمسحه بيده حتى سكن ، ثم رجع إلى المنبر ، فلما هدم المسجد أخذ ذلك الجذع أبي بن كعب فكان[5] عنده في داره حتى بلي وأكلته الأرضه وعاد رفاتاً[6] .

ومن حديث صالح بن حيان قال : حدثني ابن بريدة عن أبيه قال : قال : كان النبي ﷺ إذا خطب قام فأطال القيام ، فكان يشق عليه قيامه ، فَأُتِيَ بجذع نخلة فحفر له وأقيم إلى جنبه [قائماً للنبي ﷺ][7] ، فكان إذا خطب فطال القيام عليه استند إليه فاتكأ عليه ، فبصُر به رجل كان وَرَد المدينة [فرآه قائماً إلى جنب ذلك الجذع][7] فقال لمن يليه من الناس : لو أعلم أن محمداً يحمدني في شيء يرفق به لصنعت له مجلساً يقوم عليه ، فإن شاء جلس ما شاء ، وإن شاء قام .

فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال : ائتوني به ، فأتوه به فأمره أن يصنع له هذه المراقي [الثلاث أو الأربع هي الآن في منبر المدينة][7] ، فوجد النبي ﷺ في ذلك راحة ، فلما فارق النبي ﷺ الجذع وعمد إلى هذه التي صنعت له[8] ، جزع الجذع فحن كما تحن الناقة حين فارقه النبي ﷺ ، فزعم ابن بريدة عن أبيه أن النبي ﷺ حين سمع حنين الجذع رجع إليه فوضع يده عليه وقال : اختر أن أغرسك في المكان الذي كنت فيه فتكون كما كنت ، وإن شئت [أن][7] أغرسك في

---

(١) في (خ) : « وتسمعهم خطبتك » وما أثبتناه من المرجع السابق .

(٢) زيادة للسياق من (سنن الدارمي) .

(٣) خرج منه صوت كصوت الثور .

(٤) كذا في (خ) ، وفي المرجع السابق : « فرجع إليه » .

(٥) كذا في (خ) ، وفي المرجع السابق : « فلم يزل عنده » .

(٦) (مسند الدارمي) : ١ / ١٧ - ١٨ ، باختلاف يسير .

(٧) زيادة للسياق من المرجع السابق .

(٨) في (خ) : « إلى الذي صُنع له » ، وما أثبتناه من المرجع السابق .

الجنة فتشرب من أنهارها وعيونها فيحسن نبتك وتثمر فيأكل كل أولياء الله من ثمرك فعلت ، فزعم أنه سمع من النبي ﷺ وهو يقول له : نعم قد فعلت مرتين ، فسُئل النبي ﷺ فقال : اختار أن أغرسه في الجنة[١] .

وقال البغوي وعبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا عيسى بن سالم أبو سعيد الشاشي ، حدثنا عبيد الله بن عمر - يعني الرقي عن وهب عن عبد الله بن محمد ابن عقيل ، عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ يصلي إلى جذع [وكان المسجد عريشاً][٢] ، فقال رجال من أصحابه : ألا نجعل شيئاً تقوم عليه يوم الجمعة حتى يراك الناس وتُسمع خطبتك ؟ فقال : نعم ، فصنع له ثلاث درجات فقام عليها كما كان يقوم ، فصغى[٣] إليه الجذع فقال له : اسكن ، ثم[٤] قال لأصحابه : [هذا الجذع حَنَّ إليّ ، فقال له النبي ﷺ : اسكن][٥] إن تشأ غرستك[٦] في الجنة فيأكل منك الصالحون ، وإن تشأ أعيدك[٧] رطباً كما كنت ، فاختار الآخرة على الدنيا ، فلما قُبض رسول الله ﷺ دُفع إلى أُبيّ فلم يزل عنده حتى أكلته الأرضة[٨] .

قال البيهقي رحمه الله : هذه الأحاديث التي ذكرناها في أمر الحنانة كلها صحيحة ، وأمر الحنانة من الأمور الظاهرة ، والأعلام النيرة التي أخذها الخلف عن السلف ، ورواية الأحاديث فيه كالتكليف ، والحمد لله على الإسلام والسنة ، وبه العياذ والعصمة[٩] .

---

(١) (سنن الدارمي) : ١ / ١٦ .
(٢) زيادة للسياق من المرجع السابق .
(٣) في (خ) : « فأصغى » ، وما أثبتناه من (المسند) .
(٤) في (خ) : « ثم التفت فقال » ، وما أثبتناه من (المسند) .
(٥) زيادة للسياق من (المسند) .
(٦) في (خ) : « أن أغرسك » وما أثبتناه من (المسند) .
(٧) في (خ) : « أن أعيدك » وما أثبتناه من (المسند) .
(٨) (مسند أحمد) : ٦ / ١٦٧ ، حديث رقم (٢٠٧٥١) ، ورقم (٢٠٧٤١) ، (٢٠٧٤٥) ، من حديث الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه .
(٩) (دلائل البيهقي) : ٢ / ٥٦٣ .

وقال أبو [   ][1] ابن عقيل : لا ينبغي أن يتعجب من حنين الجذع ومجيء الأشجار إلى رسول الله ﷺ ، فإن من جعل في المغناطيس خاصية تجذب الحديد إليه ، يجوز أن يجعل في الرسول خاصية تجذب ذلك إليه .

وقال عمرو بن سواد : قال لي الشافعي رحمه الله : ما أعطى الله عزَّ وجلَّ نبياً ما أعطى محمداً ﷺ ، فقلت : أعطى عيسى عليه السلام إحياء الموتى ، فقال : أعطى محمداً ﷺ الجذع الذي كان يخطب إلى جنبه حتى هيء له المنبر ، فلما هيء له المنبر حن الجذع حتى سمع صوته ، فهذا أكبر من ذاك[2] .

* * *

---

(١) هذه الكلمة غير واضحة في (خ) ، ولم أجدها في كنى الرجال .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٦ / ٦٨ .

[سابعاً : تسليم الأحجار والأشجار عليه ﷺ]

وأما تسليم الأحجار والأشجار عليه : فخرج مسلم من حديث سماك بن حرب ، عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : إني لأعرف [حجراً بمكة] كان يسلم عليَّ قبل أن أُبعث ، إني لأعرفه الآن[1] .

وفي لفظ : إن بمكة لحجراً كان يسلم علي ليالي بعثت ، إني لأعرفه إذا مررت عليه[2]

وخرج الحاكم من حديث الوليد بن أبي ثور عن السُّدي ، عن عباد بن عبد الله ، عن علي رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ بمكة ، فخرج في بعض نواحيها ، فما استقبله شجر ولا جبل إلا قال : السلام عليك يا رسول الله . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه[3] .

وقال يونس بن بكير : عن إسحاق حدثني عبد الملك بن عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن حارثة الثقفي – وكان واعية عن بعض أهل العلم –

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ١٥ / ٤٣ ، كتاب الفضائل ، باب (١) فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة ، حديث رقم (٢٢٧٧) ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه .

(٢) وقد اختُلف في هذا الحجر ، فقيل : هو الحجر الأسود ، وقيل : حجر غيره بزقاق يعرف به بمكة ، والناس يتبركون بلمسه ، ويقولون : إنه هو الذي كان يسلم على النبي ﷺ متى اجتاز به .
وقد ذكر الإمام أبو عبد الله محمد بن رُشيد – بضم الراء – في رحلته مما ذكره في (شفاء الغرام) عن علم الدين أحمد بن إسماعيل بن خليل قال : أخبرني عمي سليمان قال : أخبرني محمد بن إسماعيل ابن أبي الصيف قال : أخبرني أبو حفص الميانشي قال : أخبرني كل من لقيته بمكة أن هذا الحجر هو الذي كلم النبي ﷺ ، وهو الحجر المبني في الجوار المقابل لدار أبي بكر المشهورة بسوق الليل . (المواهب اللدنية) : ٢ / ٥٣٤ .

(٣) (المستدرك) : ٢ / ٦٧٧ ، حديث رقم (٤٢٣٨ / ٢٤٩) ، قال الذهبي في التلخيص : على شرط البخاري ومسلم .

أن رسول الله ﷺ حين أراد الله كرامته ، وابتدأه بالنبوة ، كان لا يمر بحجر ولا شجر إلا سلم عليه وسمع منه ، فيلتفت رسول الله ﷺ خلفه وعن يمينه وعن شماله ، فلا يرى إلا الشجر وما حوله من الحجارة ، وهي تحييه بتحية النبوة : السلام عليك يارسول الله

وخرج الطبراني من حديث إبراهيم بن طهمان ، عن سماك بن حرب ، عن جابر بن سمرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لما كانت ليالي بُعثت ، ما مررت بشجر ولا حجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله(١) .

وقال الواقدي : حدثنا علي بن محمد بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب ، عن منصور بن عبد الرحمن ، عن أمه صفية بنت شيبة ، عن برة بنت أبي بحراه قالت : لما ابتدأ الله تعالى محمداً ﷺ بالنبوة ، كان إذا خرج لحاجته أبعد حتى لا يرى شيئاً ، وأفضى إلى الشعاب والأودية ، ولا يمر بحجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله ، فكان يلتفت عن يمينه وعن شماله ، وخلفه فلا يرى أحداً(١) .

وتقدم عن قريب حديث ابن بريدة عن أبيه قال : جاء أعرابي فقال : يا رسول الله ، قد أسلمت فأرني شيئاً أزدد به يقيناً ، قال : ما الذي تريد ؟ قال : ادع تلك الشجرة فلتأتك ، قال : اذهب فادعها ، فأتاها فقال : أجيبي رسول الله ، فمالت على جانب من جوانبها ، فقطعت عروقها ، ثم مالت على الجانب الآخر فقطعت عروقها ، حتى أتت النبي ﷺ فقالت : السلام عليك يا رسول الله . وحديث يعلي ابن مرة أنه قال : سرنا حتى نزلنا منزلاً ، فقام النبي ﷺ فجاءت شجرة تشق الأرض حتى غشيته ثم رجعت إلى مكانها ، فلما استيقظ ذكرت له ، فقال ، هي شجرة استأذنت ربها في أن تسلم على رسول الله ﷺ فأذن لها(٢) .

* * *

(١) أحاديث الباب تشهد على صحتهما .

(٢) سبق تخريجه .

[ثامناً : تحرك الجبل لأجله وسكونه بأمره]

وأما تحرك الجبل لأجله وسكونه بأمره ، فخرج البخاري في مناقب أبي بكر رضي الله عنه من حديث سعيد عن قتاده ، أن أنس بن مالك رضي الله عنه حدثهم أن النبي ﷺ صعد أُحداً وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم ، فقال : اثبت أُحد ، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان[1] .

وذكر الترمذي هذا الحديث بهذا الإسناد ، ونحو هذا اللفظ وقال : هذا حديث حسن صحيح[2] .

وخرجه البخاري في مناقب عمر رضي الله عنه ولفظه : عن أنس قال : صعد النبي ﷺ أُحداً[3] ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف [بهم فضربه برجله] ، وقال : اثبت فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد[4] .

وخرجه في مناقب عثمان رضي الله عنه ولفظه : إن أنساً حدثهم قال : صعد النبي ﷺ أُحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف ، فقال : أُسكن أُحد - أظنه ضربه برجله - فليس عليك [إلا نبي] وصديق وشهيدان[5] .

---

(١) (فتح الباري) : ٧ / ٢٥ - ٢٦ ، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب (٥) قول النبي ﷺ : لو كنت متخذاً خليلاً ، حديث رقم (٣٦٧٥) .

(٢) (سنن الترمذي) : ٥ / ٥٨٣ ، كتاب المناقب ، باب (١٩) في مناقب عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ، حديث رقم (٣٦٩٧) .

(٣) في (خ) : « حراء » ، وما أثبتناه من (فتح الباري) .

(٤) (فتح الباري) : ٧ / ٥١ ، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب (٦) مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشيّ العدوي رضي الله تعالى عنه ، حديث رقم (٣٦٨٦) .

(٥) (فتح الباري) : ٧ / ٦٦ ، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب (٧) ، مناقب عثمان بن عفان أبي عمرو القرشيّ رضي الله تعالى عنه ، حديث رقم (٣٦٩٧) .

وخرج مسلم[١] والترمذي[٢] من حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان ، وعلي وطلحة والزبير ، فتحركت الصخرة فقال النبي ﷺ : إهدأ[٣] ، إنما عليك وقال مسلم : فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح[٤] .

وخرج مسلم عن يحيى بن سعيد ، عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء فتحرك ، فقال رسول الله ﷺ أُسكن حراء ، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد ، وعليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم[٥] . قال أبو عبد الله محمد بن نصر الحميدي : كذا عند مسلم في ما رأينا من نسخ كتابه .

وفي رواية سليمان بن بلال ، عن يحيى بن سعيد الأنصاري ، لم يذكر علياً

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ١٥ / ١٩٩ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب (٦) من فضائل طلحة والزبير رضي الله تعالى عنهما ، حديث رقم (٢٤١٧) .

(٢) (سنن الترمذي) : ٥ / ٥٨٢ ، كتاب المناقب ، باب (١٩) في مناقب عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ، حديث رقم (٣٦٩٦) . قال أبو عيسى : وفي الباب عن عثمان ، وسعيد بن زيد ، وابن عباس ، وسهل بن سعد ، وأنس بن مالك ، وبريدة ، وهذا حديث صحيح .

(٣) في (خ) : « إهدئي » .

(٤) وفي هذا الحديث معجزات لرسول الله ﷺ منها : إخباره ﷺ أن هؤلاء شهداء ، وماتوا كلهم غير النبي ﷺ وأبي بكر شهداء ، فإن عُمرَ ، وعثمان ، وعلياً ، وطلحة ، والزبير رضي الله تعالى عنهم ، قتلوا ظلماً شهداء ، فقتل الثلاثة مشهور ، وقتل الزبير بوادي السباع بقرب البصرة منصرفاً تاركاً للقتال ، وكذلك طلحة اعتزل الناس تاركاً القتال ، فأصابه سهم فقتله ، وقد ثبت أن من قتل ظلماً فهو شهيد ، والمراد شهداء في أحكام الآخرة ، وعظيم ثواب الشهداء ، وأما في الدنيا فيغسلون ويصلى عليهم .

وفيه بيان فضيلة هؤلاء ، وفيه إثبات التمييز في الحجاز ، وجواز التزكية والثناء على الإنسان في وجهه ، إذا لم يُخف عليه فتنة بإعجاب ونحوه ، وأما ذكر سعد بن أبي وقاص في الشهداء في الرواية الثانية ، فقال القاضي : إنما سمي شهيداً لأنه مشهود له بالجنة . (مسلم بشرح النووي) : ١٥ / ١٩٩ - ٢٠٠ .

(٥) (المرجع السابق) : الحديث الذي يلي السابق من أحاديث ذات الباب بدون رقم .

رضي الله عنه وزاد سعداً ، وهكذا أخرجه أبو بكر البرقاني في كتابه من حديث سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد ، كما أخرجه مسلم ، وأخرجه البرقاني أيضاً من رواية معاوية بن صالح ، عن يحيى بن سعيد بهذا الإسناد ، أن رسول الله ﷺ كان على حراء ، ومعه أبو بكر وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، وعبد الرحمن بن عوف ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، فتحرك الجبل فقال رسول الله ﷺ : اسكن حراء ، فليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد ، فسكن الجبل. قال الحميدي : في هذا الحديث زيادة فوائد حسنة ، وإسناده على شرط مسلم .

وخرج النسائي[1] من حديث جرير عن حصين عن هلال ، عن عبد الله بن ظالم قال : دخلت على سعيد بن زيد فقلت : ألا تعجب من هذا الظالم ؟ أقام خطباء يشتمون علياً ، فقال : أوقد فعلوها ؟ أشهد على التسعة إنهم في الجنة ، ولو شهدت على العاشر لصدقت ، كنا مع رسول الله ﷺ على حراء فتحرك ، فقال : اثبت فما عليك إلا نبي أو صدِّيق أو شهيد ، قلت : ومن كان على حراء ؟ قال : رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن ، وسعد ، قلنا : فمن العاشر ؟ قال : أخبرنا هلال بن يساف لم يسمعه من عبد الله ابن ظالم .

وذكره النسائي[1] من حديث ابن إدريس عن حصين بهذا الإسناد مثله ، وذكره [أيضاً من حديث سفيان] عن منصور عن هلال بن يساف عن ابن حبان عن عبد الله بن ظالم ، عن سعيد بن زيد قال : تحرك حراء فقال رسول الله ﷺ ... ، فذكر مثله .

وخرجه الترمذي من حديث هشيم قال : أخبرنا حصين عن هلال بن يساف [عن عبد الله بن ظالم][2] المازني ، عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أنه قال : أشهدُ على التسعة أنهم في الجنة ، ولو شهدت على العاشر لم آثم ،قيل : وكيف ذاك ؟

---

(١) (السنن الكبرى للنسائي) ، كتاب المناقب ، باب طلحة بن عبيد الله ، رضي الله تعالى عنهم .
(٢) زيادة للسياق من (سنن الترمذي) .

قال : كنا مع رسول الله ﷺ ... ، الحديث . وقال : هذا حديث حسن [صحيح][1] .

قال القاضي عياض : وتحرك الجبل وكلام النبي ﷺ له ، وقوله : اهدأ فإنما عليك نبي أو صديق أو شهيد ، كله من آيات نبوته وإخباره بالغيوب ، وانخراق العادات له ، فكل من كان عليه بعد النبي ﷺ والصديق ماتوا شهداء ، وفيه كرامة عظيمة لهؤلاء الذين كانوا عليه وهم : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وفيه أن من قُتل ظلماً في غير معترك شهيد ، له اسم الشهيد وأجره ، وإن لم يكن حكمه في الصلاة والغسل حكمه[2] .

* * *

---

(١) (سنن الترمذي) : ٥ / ٦٠٩ ، كتاب المناقب ، باب (٢٨) مناقب سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله تعالى عنه ، حديث رقم (٣٧٥٧) ، وأخرجه أيضاً أبو داود في السنة ، (سنن أبي داود) : ٥ / ٤٠ ، حديث رقم (٤٦٥١) .

(٢) وقد روى أنه ﷺ حين طلبته قريش قال له ثبير : اهبط يا رسول الله ، فإني أخاف أن يقتلوك على ظهري فيعذبني الله ، فقال حراء : إليّ يا رسول الله . وروى ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ، أن النبي ﷺ قرأ على المنبر : ﴿ **وما قدروا الله حق قدره** ﴾ ثم قال : يمجد الجبار نفسه يقول : أنا الجبار أنا الجبار ، أنا الكبير المتعال ، فرجف المنبر حتى قلنا : ليخرن عنه . (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) : ١ / ٢٠٢ ، وثبير وأحد : جبلان متقابلان والوادي بينهما ، وهو على يسار السالك إلى منى ، وحراء قبلي ثبير مما يلي شمال الشمس . (المواهب اللدنية) : ٢ / ٥٣٨ .

[تاسعاً : رقم اسمه ﷺ على صفحات المخلوقات]

وأما رقم اسمه ﷺ على صفحات المخلوقات : فقال الفقيه الأديب أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن أُسيد في رحلته : حدثنا شيخنا الفقيه أبو عبد الله محمد المصري قال : ولد عندنا [بتوزر][1] ليلة غرة رجب الفرد من عام أربعة وسبعين وستمائة ، جَدْيٌ أسود غرته بيضاء على شكل الدائرة ، وفيها مكتوب : محمد ، بخط في غاية الحسن والبيان ، فألفت في ذلك تأليفاً سميته : (الغرة اللائحة والمسكة الفائحة في الحظوظ الصمدية والمفاخر المحمدية) ، ونظمت في ذلك قصائد ، منها قولي :

جدي غدا كالجدي أشرف جنسه ... فمحله فوق السماك الأعزلِ
رقمت به الأقدار صفحة وجهه ... رقماً بديعاً باسم لأكرم مرسلِ
فتلألأت أنواره الشريف موحدٌ ... إلا وقبّل منه خير مُقَبَّلِ
رويت به [الأنباء] كأنما ... وردت به الأفواه عذب منهلِ
عجبٌ [أتى] رجب به فتأكدت ... بركاته في قلب كل مُؤَمَّلِ
فكأن من قد قال : عش رجباً ترى ... عجباً عناه بالزمان المجملِ
ياغرة كالصبح نمنم حُسنها ... خط من الليل البهيم الأليلِ
أشهى وأحلى في النفوس من الكرى ... وألذ من عذب الدلال التعللِ
طرز به ازدان الزمان بأسره ... في الحال والماضي وفي المستقبلِ
يا توزر الغراء فُزتِ بغُرَّةٍ ... غراء في زمن أغر مُحَجَّلِ

---

(١) توزر – بالفتح ، ثم السكون ، وفتح الزاي ، وراء – : مدينة في أقصى إفريقية . (معجم البلدان) : ٢ / ٦٧ ، موضع رقم (٢٦٨٠) .

جرى ذيول العز من مرح بها ... جرَّ الفتاة ذيول بُرد مُسْبَلِ
أعطيت مالم يعط مثلك مثله ... شكراً لمولاك العلي المفضلِ
شرفٌ خُصصت به وفضل باهر ... يبقى على مر الزمان الأطولِ
هذا طراز الحسن لاما قاله ... حسَّان في حُسن الطراز الأولِ

قال جامعه – رحمه الله تعالى – : أخبرني القاضي الأديب يعقوب بن يوسف ابن علي المكناسي قال : شاهدت بمدينة بجاية من بلاد أفريقية رجلاً ببياض عينه اليمنى من أسفل [مكتوب بعرق أحمر] كتابة مليحة : محمد رسول الله ، وهذه الكتابة لا تظهر حتى يجبذ جفن عينه الأسفل ، وأما ما دامت عينه على حالها فلا تظهر الكتابة فإن الجفن يسترها .

وقال الحافظ أبو القاسم يحيى بن علي بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن هارون ، المعروف بابن الصواف وبابن الطحان الحضرمي المصري في كتاب (أخبار علماء مصر) ، وتوفي سنة ست عشرة وأربعمائة : حدثنا أبو أحمد محمد بن أحمد ابن علي قال : سمعت أبا عمران موسى بن إبراهيم الوراق بالرملة يقول : سمعت أحمد ابن أحمد الطبري بطرسوس يقول : ظهر عندنا بطبرستان قوم يقولون : لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له ، فأما محمد فلا نُقرّ بنبُوَّته ، واتفقنا طائفة أهل العلم على خلافهم ، وكثروا وكثر الغوغاء منهم ، وعمل جماعة منا على الرحيل من طبرستان خوفاً منا على أنفسنا ، وكان الرجل يهجر أباه ، وأخاه ، وولده ، فنحن كذلك في يوم شديد الحر ، إذ أظلتنا سحابة بيضاء شديدة البياض ، فلم يزل ينشأ حتى أخذت ما بين الخافقتين ، وأحالت بين السماءوبين البلد ، فلما كان وقت الزوال ظهر في السحابة بخط [مونق](١) : لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله ، فلم يزل كذلك إلى وقت العصر ، فتاب كل من كان افتتن ، وأسلم أكثر من كان عندنا من اليهود والنصارى(٢) .

---

(١) زيادة للسياق .

(٢) قام التليفزيون المصري بعرض صورة مشابهة قام بتسجيلها أحد المراصد ، وكان ذلك يوم ١٢ أكتوبر ١٩٩٣ حيث ظهرت عبارة لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله ، مكتوبة بقلم القدرة ، مداده السحاب وذلك لمدة ثماني ساعات على مساحة قدرها (٢ ’ ٧٠٠ ’ ٠٠٠) مليونان وسبعمائة ألف كيلو متر مربع ، كما قدرتها أجهزة المرصد .

وذكر أن في سنة أربع وخمسين وأربعمائة عصفت ريح شديدة بخراسان كريح عاد ، انقلعت فيها الجبال وفرت الوحوش ، فظن الناس أن القيامة قد قامت ، وخافوا وهلعوا هلعاً شديداً ، وابتهلوا إلى الله تعالى بالدعاء ، ونظروا ، فإذا نور عظيم قد نزل من السماء على جبل من تلك الجبال ، ثم تأملوا الوحوش فإذا هي منصرفة إلى ذلك الجبل الذي سقط فيه ذلك النور ، فصاروا معها إليه ، فوجدوا صخرة طولها ذراع في عرض ثلاث أصابع ، وفيها ثلاثة أسطر : سطر فيه : لا إلٰه إلا أنا فاعبدون ، وسطر فيه : محمد رسول الله القرشي ، وسطر ثالث فيه : احذروا وقعة المغرب فإنها تكون من سبعة أو تسعة ، والقيامة قد أزفتْ . ذكر ذلك في كتاب (عجائب الحكايات وغرائب الماجريات) .

وذكر أيضاً عن الحافظ السلفي قال : سمعت أبا الحسن الحمامي يقول : رأيت ببلاد سيلان شجرة لها أوراق خضر ، وعلى كل ورقة مكتوب بخط أشد خضرة من لون الورق : لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله ، وكان مقدمهم من الأكابر ، وكانوا عبدة أوثان فكانوا يقطعونها ويعفون[1] آثارها ، فترجع إلى ما كانت عليه في أقرب وقت ، فأذابوا الرصاص وأقلبوه في أصلها ، فخرج من حول الرصاص أربع فروع ؛ على كل فرع : لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله ، فصاروا يتبركون بها ويستشفون من المرض إذا اشتد ، [ويخلّقونها][2] بالزعفران وأجلّ الطيب .

* * *

(١) يعفون : يمحون .

(٢) يخلقونها : يطيبونها .

[عاشراً : تظليل الغمام له]

وأما تظليل الغمام له ، فقال ابن سعد : أخبرنا محمد بن عمر – يعني الواقدي – قال : حدثني معاذ بن محمد ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس رضي الله عنه قال : خرجت حليمة تطلب النبي ﷺ وقد بدت إليهم تقيل ، فوجدته مع أخته فقالت : في هذا الحر ؟ فقالت أخته : يا أماه ، ما وجد أخي حراً ، رأيت غمامة تظل عليه إذا وقف ، وإذا سار سارت معه حتى انتهى إلى هذا الموضع[1] .

أخبرنا محمد بن عمر ، حدثنا محمد بن صالح بن عبد الله بن جعفر قال : وحدثنا ابن أبي حبيبة عن داود بن الحصين قالوا : لما خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه رسول الله ﷺ في المرة الأولى وهو ابن ثنتي عشرة سنة ، فلما نزل بُصرى من الشام ، وبها راهب يقال له بحيرا في صومعة له ، وكان علماء النصارى يكونون في تلك الصومعة يتوارثونها عن كتاب يدرسونه ، فلما نزلوا ببحيرا – وكانوا كثيراً ما يمرون به لا يكلمهم – حتى إذا كان ذلك العام ونزلوا منزلاً قريباً من صومعته ، قد كانوا ينزلونه قبل ذلك كلما مرّوا ، فصنع لهم طعاماً ثم دعاهم ، وإنما حمله [على دعائهم] أنه رآهم حين طلعوا وغمامة تظل رسول الله ﷺ من بين القوم ، حتى نزلوا تحت شجرة ثم نظر إلى تلك الغمامة أظلت على تلك الشجرة ، ثم أظلت أغصان الشجرة على النبي ﷺ حتى استظل تحتها ، فلما رأى بحيرا ذلك نزل من صومعته وأمر بذلك الطعام ، فأتى به ، وأرسل إليهم فقال : إني قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش ، وأنا أحب أن تحضروا كلكم ، ولا تخلفوا منكم صغيراً ولا كبيراً ، حراً ولا عبداً ، فإن هذا شيء تكرموني به ، فقال رجل : إن لك لشأناً

---

(١) (طبقات ابن سعد) : ١ / ١٥٢ ، باب ذكر علامات النبوة في رسول الله ﷺ قبل أن يوحى إليه ، (البداية والنهاية) : ٢ / ٣٣٥ عن الواقدي أيضاً .

يا بحيرا ! ما كنت تصنع بنا هذا ، فما شأنك اليوم ؟ قال : إني أحببت أن أكرمكم ولكم حق ، فاجتمعوا إليه وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم لحداثة سنّه – ليس في القوم أصغر منه – في رحالهم تحت الشجرة ، فلما نظر بحيرى إلى القوم فلم ير الصفة التي يعرف ، ولا يجد لها عنده ، وجعل ينظر فلا يرى الغمامة على أحد من القوم ، ويراها متخلفة على رسول الله ﷺ ، قال بحيرى : يا معشر قريش ! لا يتخلفن منكم أحد عن طعامي ، قالوا : ما تخلف أحد إلا غلام هو أحدث القوم سِنّاً في رحالهم ، فقال : أُدعوه فليحضر طعامي ، فما أقبح أن تحضروا ويتخلف رجل واحد ، مع أني أراه من أنفسكم ، فقال القوم : هو والله أوسطنا نسباً ، وهو ابن أخي هذا الرجل – يعنون أبا طالب – وهو من ولد عبد المطلب ، فقال : الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف : والله إن كان بنا للُؤْم أن يتخلف ابن عبد المطلب من بيننا ، ثم قام إليه فاحتضنه وأقبل به حتى أجلسه على الطعام ، والغمامة تسير على رأسه ، وجعل بحيرى يلحظه لحظاً شديداً ، وينظر إلى أشياء في جسده ، قد كان يجدها عنده من صفته ، فلما تفرقوا عن طعامهم ، قام إليه الراهب فقال : يا غُلام ! أسألك باللات والعزى ألا أخبرتني عما أسألك ، فقال رسول الله ﷺ : لا تسلني باللات والعزى ، فوالله ما أبغضتُ شيئاً بغضهما ، قال فبالله إلا أخبرتني عما أسألك عنه ، قال : سلني عما [بدا لك ، فجعل][1] يسأله عن أشياء من حاله حتى نومه ، فجعل رسول الله ﷺ يخبره فيوافق ذلك ما عنده ، ثم جعل ينظر بين عينيه ، ثم كشف عن ظهره فرآى خاتم النبوة بين كتفيه على موضع الصفة التي عنده ، قال : فقبَّل موضع الخاتم ، وقالت قريش : إن لمحمد عند هذا الراهب لقدراً .. وذكر الحديث[2] .

---

(١) زيادة للسياق من (طبقات ابن سعد) .

(٢) (سيرة ابن هشام) : ١ / ٣١٩ – ٣٢٢ ، قصة بحيرى ، (طبقات ابن سعد) : ١ / ١٥٣ – ١٥٥ ، (دلائل أبي نعيم) : ١ / ١٦٨ حديث رقم (١٠٨) باب ذكر خروج رسول الله ﷺ إلى الشام في المرة الأولى ،وما اشتمل عليه ذلك من الدلائل المتقدمة لنبوته وهو ابن عشر سنين ، (تاريخ الإسلام للذهبي) : جزء السيرة النبوية باب سفره مع عمه ص ٥٨ – ٦٠ ، (دلائل البيهقي) : ٢ / ٢٤ – ٢٥ ، (سنن الترمذي) : كتاب المناقب باب (٣) ما جاء في بدء نبوة النبي ﷺ حديث رقم (٣٦٢٠) وقال : حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

أخبرنا محمد بن عمر ، حدثنا موسى بن شيبة عن عميرة بنت عبد الله بن كعب ابن مالك ، عن أم سعد بنت سعد عن نفيسة بنت منية أخت يعلي بن منية قالت : لما بلغ رسول الله ﷺ خمساً وعشرين سنة - فذكر الحديث في خروج رسول الله ﷺ في تجارة لخديجة بنت خويلد ، ومعه غلامها ميسرة ، إلى أن قال - : وكان ميسرة يرى رسول الله ﷺ إذا كانت الهاجرة واشتد الحرُّ يرى ملكين يظلانه من الشمس وهو على بعيره ، وكان الله قد ألقى على رسوله المحبة في ميسرة ، فكان كأنه عبداً لرسول الله ﷺ ، فلما رجعوا وكانوا بمر الظهران قال : يا محمد ! إنطلق إلى خديجة فاسبقني فأَخْبِرْهَا بما صنع الله لها على وجهك ، فإنها تعرف ذلك لك ، فتقدم رسول الله ﷺ حين دخل وهو راكب على بعيره وملكان يظلان عليه ، فأرته نساءها فعجبن لذلك ، ودخل عليها فخبرها بما ربحوا في وجههم ، فسرت بذلك ، فلما دخل ميسرة عليها أخبرته بما رأت ، فقال : قد رأيت هذا منذ خرجنا من الشام .. ، الحديث[1] .

(١) (تاريخ الطبري) : ٢ / ٢٨٠ ، باب ذكر تزويج النبي ﷺ خديجة رضي الله تعالى عنها ، (دلائل أبي نعيم) : ١ / ١٧٢ - ١٧٤ باب ذكر خروج النبي ﷺ إلى الشام ثانياً مع ميسرة غلام خديجة رضي الله تعالى عنها وقصة نسطورا الراهب ، (سيرة ابن هشام) : ٢ / ٥ ، باب حديث تزويج رسول الله ﷺ خديجة رضي الله عنها ، (طبقات ابن سعد) : ١ / ١٢٩ - ١٣٠ ، باب ذكر خروج رسول الله ﷺ إلى الشام في المرة الثانية ، (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) :١ / ٢٤٢ .

[حادي عشر :
رميه ﷺ وجوه المشركين كفاً من تراب فملأ أعينهم]

وأما رميه ﷺ وجوه المشركين كفاً من تراب فملأ أعينهم ، قال موسى بن عقبة في غزوة حنين : ولما غشي رسول الله [ﷺ] القتال قام في الركابين وهو على البغلة ويقولون : نزل فرفع يديه إلى الله يدعوه يقول : اللهم إني أنشدك ما وعدتني ، اللهم لا ينبغي لهم أن يظهروا علينا ، ونادى على أصحابه فذَّمرهم[1] : يا أصحاب البيعة يوم الحديبية ، يا أصحاب سورة البقرة ، يا أنصار الله وأنصار رسوله ، يا بني الخزرج .

وقبض قبضة من الحصى فحصب بها وجوه المشركين ونواصيهم كلها وقال : شاهت الوجوه ، فأقبل إليه أصحابه سراعاً يبتدرونه ، وقال رسول الله ﷺ : الآن حمي الوطيس ، فهزم الله أعداءه في كل ناحية حصبهم فيها رسول الله ، وأتبعهم المسلمون يقتلونهم ، وغنمهم الله نساءهم [وذراريهم][2] وشاءهم وإبلهم[3] .

وخرج مسلم والنسائي من حديث ابن وهب قال : أخبرني يونس عن ابن شهاب . قال : حدثني كثير بن عباس بن عبد المطلب قال : قال عباس رضي الله

---

(١) ذمَّرهم : حثهم على القتال ، قال عنترة .

لما رأيتُ القوم أقبل جميعهم يتذامرون كررتُ غير مذمّم

(٢) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي) .

(٣) (دلائل البيهقي) : ٥ / ١٣١ - ١٣٢ وقال : هذا لفظ حديث موسى بن عقبة ، وليس في رواية عروة : قيامه في الركابين ، ولا قوله : يا أنصار الله ، وقال في الحصباء : فرمى من بين يديه ، ومن خلفه ، وعن يمينه ، وعن شماله ، لا يرمي ناحية إلا انهزموا ، وانهزم المشركون ، وعطف أصحاب رسول الله ﷺ حين هزمهم الله ، واتبعهم المسلمون ... فذكره . قال محققه : رواية موسى بن عقبة ذكرها ابن عبد البر باختصار شديد في (الدرر) : ٢٢٦ .

عنه : شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب رسول الله ﷺ فلم نفارقه ، ورسول الله ﷺ على بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نُفاثة الجذامي ، فلما التقى المسلمون والكفار ، ولى المسلمون مدبرين ، فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قبل الكفار .

وقال عباس : وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله أكفها إرادة أن لا يُسرع ، وأبو سفيان أخذ بركاب رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : أي عباس ! ناد أصحاب الشجرة ، فقال عباس – وكان رجلاً صيتاً – : فقلت بأعلى صوتي : أين أصحاب السمرة ؟ قال : فوالله لكان عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها ، فقالوا : يالبيك يالبيك ، قال : فاقتتلوا [هم](1) والكفار ، والداعين(2) في الأنصار يقولون : يا معشر الأنصار .. ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج [فقالوا : يا بني الحارث بن الخزرج ، يا بني الحارث بن الخزرج](3) فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم وقال : هذا حين حمي والوطيس .

قال : ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال : انهزموا ورب محمد ، قال : فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى ، قال : فوالله ما هو إلا أن رماهم رسول الله ﷺ بحصياته(4) فما زلت أرى حدهم كليلاً وأمرهم مدبراً(5) . زاد النسائي بعد هذا : حتى يعني هزمهم الله . لفظهما فيه متقارب . ذكره النسائي في الجهاد وترجم عليه : رمي الحصا في وجوه الكفار(6) .

---

(1) زيادة في (خ) .

(2) كذا في (خ) ، وفي رواية (مسلم) : « والدعوة » .

(3) زيادة للسياق من (صحيح مسلم) . (4) في (خ) : « بحصيات » .

(5) (مسلم بشرح النووي) : ١٢ / ٣٥٥ – ٣٥٩ ، كتاب الجهاد والسير ، باب (٢٨) غزوة حنين ، حديث رقم (١٧٧٥) : وقوله : « على بغلة بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجزامي » ، قال القاضي : واختلفوا في إسلامه ، فقال الطبري : أسلم وعمَّر طويلاً ، وقال غيرهم لم يُسلِم وقد أطال النووي في (شرح مسلم) الكلام في قبول هدية الكافر ، فليراجع هناك .

(6) لم أجده في (سنن النسائي) ولعله في (الكبرى) .

وخرج مسلم من حديث عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن الزهري بهذا الإسناد نحوه غير أنه قال : فروة بن نعامة الجذامي ، وقال : انهزموا ورب الكعبة ، انهزموا ورب الكعبة ، وزاد في الحديث : حتى هزمهم الله ، قال : وكأني أنظر إلى النبي ﷺ يركض خلفهم على بغلته[1] .

وذكره أيضاً من حديث سفيان بن عيينة عن الزهري قال : أخبرني كثير بن العباس عن أبيه قال : كنت مع النبي ﷺ يوم حنين .. وساق الحديث ، غير أن حديث يونس وحديث معمر أكبر منه وأتم[2] .

وله من حديث عكرمة بن عماد قال : حدثني إياس بن سلمة قال : حدثني أبي قال : غزونا مع رسول الله ﷺ حنيناً ، فلما واجهنا العدو تَقَدَّمتُ فأَعْلَوْا ثنية ، فاستقبلني رجل من العدو فأرميه بسهم، فتوارى عني فما دريت ما صنع ، ونظرت إلى القوم فإذا هم قد طلعوا من ثنية أخرى ، فالتقوا مع[3] أصحاب النبي ﷺ ، فولى أصحاب النبي ﷺ وأرجع منهزمًا وعليَّ بردتان متزراً بإحديهما ، مرتدياً بالأخرى ، فاستطلق إزاري فجمعتُهما جميعاً ، ومررت على رسول الله ﷺ منهزماً وهو على بغلته الشهباء ، فقال رسول الله ﷺ لقد رأى ابن الأكوع فزعاً ، فلما غشوا رسول الله ﷺ نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب الأرض ، ثم استقبل به وجوههم فقال : شاهت الوجوه ، فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه ترابا من[4] تلك القبضة فولوا مدبرين فهزمهم الله ، وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين[5] .

وخرج البيهقي من حديث حماد بن سلمة ، عن يعلي بن عطاء ، عن عبد الله ابن يسار – ويكنى أبا همام – عن أبي عبد الرحمن الفهري قال : كنا مع رسول

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ١٢ / ٣٥٩ ، حديث رقم (١٧) .
(٢) المرجع السابق ، ص ٣٦٠ .
(٣) كذا في (خ) ، وفي رواية (مسلم) : « فالتقوا هم وصحابة النبي ﷺ » ، « فولى صحابة » .
(٤) كذا في (خ) ، وفي (مسلم) « بتلك » .
(٥) (مسلم بشرح النووي) : ١٢ / ٣٦٤ ، حديث رقم (١٧٧٧) .

ﷺ في حنين ، فسرنا في يوم قائظ شديد الحر ، فنزلنا تحت ظلال الشجر ، فلما زالت الشمس لبست لأمتي وركبت فرسي ، فأتيت رسول الله ﷺ وهو في فسطاطه فقلت : السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته ، قد حان الرواح يا رسول الله ، قال : أجل ، ثم قال رسول الله ﷺ : يا بلال ، فثار من تحت سمرة كأن ظله ظل طير فقال : لبيك وسعديك وأنا فداؤك ، قال : اسرج لي فرسي فأتاه برفّتين من ليف ليس فيهما أشر ولا بطر .

قال : فركب فرسه ثم سرنا يومنا ، فلقينا العدو وتشامَّت الخيلان ، فقاتلناهم فولى المسلمون مدبرين ، كما قال الله عزَّ وجل ، قال : فجعل رسول الله ﷺ يقول : يا عباد الله ! أنا عبد الله ورسوله ، يا أيها الناس ! إني أنا عبد الله ورسوله ، واقتحم رسول الله ﷺ عن فرسه .

وحدَّث من كان أقرب إليه مني أنه أخذ حفنة من تراب فحثي بها في وجوه القوم وقال : شاهت الوجوه ، قال يعلي[1] بن عطاء : فأخبرنا أبناؤهم عن آبائهم[2] أنهم قالوا : ما بقي منا أحد إلا امتلأت عيناه وفمه من التراب ، وسمعنا صلصلة من السماء كمرّ الحديد على الطست الحديد ، فهزمهم الله عزَّ وجَلَّ[3] .

ولأحمد ، من حديث عفان بن مسلم قال : حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا الحارث بن حصين ، حدثنا القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه قال : قال ابن مسعود : كنت مع رسول الله ﷺ يوم حنين ؛ فولى عنه الناس وبقيتُ معه في ثمانين رجلاً من المهاجرين والأنصار فنكصنا على أقدامنا نحواً من ثمانين قدماً ، ولم نولهم الدبر ، وهم الذين أنزل الله عليهم السكينة ، قال : ورسول الله ﷺ على بغلته يمضي قدماً ، فحادت بغلته فمال عن السرج فقلت : ارتفع رفعك الله ، فقال : ناولني كفاً من تراب ، فناولته ، فضرب به وجوههم فامتلأت أعينهم تراباً ، ثم قال : أين المهاجرون

---

(١) في (خ) : « يحيى » . (٢) في (خ) : « عن نسائهم » .

(٣) (دلائل البيهقي) : ٥ / ١٤١ ، باب رمي النبي ﷺ وجوه الكفار والرعب الذي أُلقي في قلوبهم ، ونزول الملائكة ، وما ظهر في كل واحد من هذه الأنواع من آثار النبوة ، (مسند أحمد) : ٦ / ٣٨٧ ، حديث رقم (٢١٩٦١) .

والأنصار ؟ قلت : هم هنا[1] ، قال : اهتف بهم ، فهتفت بهم ، فجاءوا وسيوفهم بأيمانهم كأنهم الشهب ، وولى المشركون أدبارهم[2] .

وله من حديث أبي قلابة قال : حدثنا أبو عاصم ، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي قال : أخبرني عبد الله بن عياض بن الحارث الأنصاري عن أبيه أن رسول الله ﷺ أتى هوازن في اثنى عشر ألفاً . فقتل من أهل الطائف يوم حنين مثل من قتل يوم بدر ، قال : فأخذ رسول الله ﷺ كفًّا من حصباء فرمى بها وجوهنا فانهزمنا . قال البيهقي : رواه البخاري في التاريخ عن أبي عاصم ولم ينسب عياضاً[3] .

وله من حديث البصري عن رجل من قومه شهد ذاك يوم حنين ، وعمرو ابن سفيان الثقفي قالا : انهزم المسلمون يوم حنين ولم يبق مع رسول الله ﷺ إلا عباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن الحارث ، قال : فقبض رسول الله ﷺ قبضة من الحصباء فرمى بها في وجوههم ، قال : فانهزمنا فما خُيِّل إلينا إلا أن كل حجر أو شجر فارس يطلبنا ، قال الثقفي : فأعجزت على فرسي حتى دخلت الطائف[4] .

وله من حديث السائب بن يسار عن يزيد بن عامر الشوائي أنه قال : عند انكشافه انكشف المسلمون يوم حنين فتبعهم الكفار ، أخذ رسول الله ﷺ قبضة من الأرض ثم أقبل على المشركين فرمى بها وجوههم وقال : حَمّ لا يُنصرون ، فانهزم القوم وما رميناهم بسهم ولا طعناهم برمح ، وفي رواية : فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً .

وخرج الحاكم من حديث يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق ، عن عثمان بن عبد الرحمن ، عن عائشة بنت سعد عن أبيها سعد بن أبي وقاص قال : لما جال

---

(١) كذا في (خ) ، وفي (المسند) : « هم أولاء » .

(٢) (مسند أحمد) : ٢ / ٣٦ ، حديث رقم (٤٣٢٤) .

(٣) (دلائل البيهقي) : ٥ / ١٤٢ .

(٤) (دلائل البيهقي) : ٥ / ١٤٣ .

الناس عن رسول الله ﷺ تلك الجولة يوم أُحد ، تنحيت فقلت : أذود عن نفسي فإما أن أستشهد وإما أن أنجو حتى ألقى رسول الله ﷺ ، فبينا أنا كذلك إذا برجل مخمر الوجه لا أدري[1] من هو ، فأقبل المشركون حتى قلت قد ركبوه ، ملأ يده من الحصباء ثم رمى به في وجوههم فتنكبوا على أعقابهم القهقري حتى يأتوا الجبل ، ففعل ذلك مراراً ولا أدري من هو ، وبيني وبينه المقداد بن الأسود ، فبينا أنا أريد أن أسأل المقداد عنه إذ قال المقداد : يا سعد ! هذا رسول الله يدعوك ، فقلت : وأين هو ؟ [فأشار المقداد][2] إليه ، فقمت وكأني لم يصبني شيء من أذى ، فقال : أين كنت اليوم يا سعد ؟ فقلت : حيث رأيت يا رسول الله ، فأجلسني أمامه فجعلت أرمي وأقول : اللهم سهمك فارم به عدوك ، ورسول الله ﷺ يقول : اللهم استجب لسعد ، اللهم سدد رميته ، [إيهاً سعد][2] فداك أبي وأمي ، فما من سهم أرمي به إلا قال رسول الله ﷺ : اللهم سدد رميته وأجب دعوته إيهاً سعد ، حتى فرغت من كنانتي ، نثر رسول الله ﷺ ما في كنانته ، فنبلني سهماً نضياً ، قال : وهو الذي قد ريش ، وكان أشد من غيره . قال الزهري : إن السهام التي رمى بها سعد يومئذ كانت ألف سهم[3] . قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم [ولم يخرجاه][2] .

وللبزار من حديث يونس بن أرقم ، حدثنا الأعمش عن سماك بن حرب ، عن ابن عباس أن علياً ناول النبي ﷺ التراب فرمى به في وجوه المشركين يوم حنين .

* * *

---

(١) كذا في (خ) ، وفي (المستدرك) : « فحمر وجهه ما أدري » .

(٢) زيادة للسياق من (المستدرك) .

(٣) (المستدرك) : ٣ / ٢٨ - ٢٩ ، حديث رقم (٤٣١٤ / ١٨) من كتاب المغازي والسرايا .

[ثاني عشر : إشارته ﷺ إلى الأصنام وسقوطها]

وأما إشارته إلى الأصنام وسقوطها ، فخرج البخاري ومسلم من حديث ابن عيينة ، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ، عن أبي معمر عن عبد الله قال : دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب ، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول : ﴿ **جاء الحق وزهق الباطل [إن الباطل كان زهوقا]**[1] ﴾ ﴿ **جاء الحق وما يبديء الباطل وما يعيد** ﴾ ذكره البخاري في باب : أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح . وذكره في التفسير . وذكره مسلم من طرق في بعضها : بدل نصب صنماً ، وذكر بعضها مطولاً ، وفيه : ثم طاف بالبيت ، قال : فأتى على صنم إلى جنب البيت كانوا يعبدونه ، قال : وفي يد رسول الله ﷺ قوس – وهو آخذ بسية القوس – فلما أتى على الصنم جعل يطعن في عينه ويقول : ﴿ **جاء الحق وزهق الباطل** ﴾[2] .

وقال ابن إسحاق : حدثنا عبد الله بن أبي بكر ، عن علي بن عبد الله بن عباس ، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : دخل رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وعلى الكعبة ثلاثمائة صنم ، قال : فأخذ قضيبه فجعل يهوي به إلى صنم صنم ، وهو يهوي حتى مر عليها كلها[3] .

---

(١) زيادة لتكملة الآية الكريمة .

(٢) رواه البخاري في المغازي ، باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح ، وفي المظالم ، باب هل تكسر الدنان التي فيها الخمر أو تخرق الزقاق ، وفي تفسير سورة بني إسرائيل ، باب : ﴿ **وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً** ﴾ . وأخرجه مسلم برقم (١٧٨١) في الجهاد ، باب إزالة الأصنام من حول الكعبة ، والترمذي في التفسير برقم (٣١٣٧) ، باب ومن سورة بني إسرائيل .

(٣) (سيرة ابن هشام) . ٥ / ٨٠ .

وذكر أبو الربيع بن سالم عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ يوم الفتح على راحلته فطاف عليها وحول الكعبة أصنام مشددة بالرصاص ، فجعل النبي ﷺ يشير بقضيب في يده وهو يقول : ﴿ **جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً** ﴾ فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه ، ولا أشار لقفاه إلا وقع لوجهه ، حتى ما بقي منها صنم إلا وقع ، فقال تميم بن أوس الخزاعي :

وفي الأصنام مُعتبر وعلمٌ لمن يرجو الثواب أو العقابا[1]

وخرج البيهقي من طريق سويد ، قال القاسم بن عبد الله عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ لما دخل مكة وجد بها ثلاثمائة وستين صنماً ، فأشار إلى كل صنم بعصاً وقال : ﴿ **جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً** ﴾ ، فكان لا يشير إلى صنم إلا سقط من غير أن يمسه بعصاً . قال البيهقي : هذا الإسناد وإن كان ضعيفاً فالذي قبله يؤكده[2] .

وخرج ابن حبان في صحيحه من حديث محمد بن إسحاق المسيبي ، حدثنا عبد الله بن نافع ، حدثنا عاصم بن عمر ، عن ابن دينار عن ابن عمر ، أن النبي ﷺ لما دخل مكة وجد بها ثلاثمائة وستين صنماً ، فأشار بعصاه إلى كل صنم منها وقال : ﴿ **جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً** ﴾ ، فسقط الصنم ولا يمسه[2] .

وقال الواقدي – رحمة الله عليه ، وقد ذكر فتح مكة بأسانيده – : ثم طاف رسول الله ﷺ بالبيت على راحلته آخذ بزمامها محمد بن مسلمة ، وحول الكعبة ثلاثمائة صنم وستون صنماً ، مرصصة بالرصاص وكان هبل أعظمها ، وهو وجاه الكعبة على بابها ، ويساف ونائلة حيث ينحرون ويذبحون الذبائح ، فجعل رسول

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٥ / ٧٢ .

(٢) (الإحسان) : ١٤ / ٤٥٢ حديث رقم (٦٥٢٢) ، وهذا الحديث إسناده ضعيف ، عاصم بن عمر : هو العمري ، ضعَّفه أحمد وابن معين ، وغيرهم ، وقال البخاري : منكر الحديث ، وقال الواقدي : متروك . (المرجع السابق) : هامش ص ٤٥٣ تعليقاً على الحديث السابق .

الله ﷺ كلما مر بصنم منها يشير بقضيب في يده [ويقول][1] ﴿ **جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً** ﴾[2] ، فيقع الصنم لوجهه[3] .

قال [الواقدي][1] : حدثني ابن أبي سبرة عن حسين بن عبد الله ، عن عكرمة عن ابن عباس قال : ما يزيد رسول الله ﷺ على أن يشير بالقضيب إلى الصنم ، فيقع لوجهه[3] .

وخرج أبو نعيم من حديث عبد الله بن عمر العمري ، عن نافع عن ابن عمر قال : وقف رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً قد ألزقها الشياطين بالنحاس والرصاص ، فكان كلما دنا منها بمخصرته تهوي من غير أن يمسها ويقول : ﴿ **جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً** ﴾ ، فتساقط على وجوهها[4] ، ثم أمر بهن فأخرجن إلى المسيل[5] .

وقال ابن عائذ : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا سعيد بن بشير عن أبي بشر جعفر بن أبي وحشية ، عن سعيد بن جبير قال : لما دخل رسول الله ﷺ مكة كان أول شيء صنعه أي البيت ، وكان حوله أصنام اتخذ كل بطن من قريش صنماً وكان إساف ونائلة لخزاعة ، وكان بين الركن الأسود واليماني ، فصرعهما وهو يقول : ﴿ **جاء الحق وزهق الباطل** ﴾[2] ، ثم طاف بالبيت .

* * *

---

(١) زيادة للسياق .　　(٢) الإسراء : ٨١ .

(٣) (مغازي الواقدي) : ٢ / ٨٣٢ .

(٤) في (خ) « لوجوهها » ، وما أثبتناه من (دلائل أبي نعيم) .

(٥) (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٥١٩ ، باب ذكر ما كان في فتح مكة ، حديث رقم (٤٤٦) ، وأخرجه ابن حبان مختصراً (١٧٠٢) من طريق عبد الله بن دينار عن ابن عمر ، وأخرجه الفاكهي ، والطبراني ، من حديث ابن عباس وفيه : فلم يبق وثن استقبله إلا سقط على قفاه ، مع أنها كانت ثابتة بالأرض ، قد شد لهم إبليس أقدامها بالرصاص .

[ثالث عشر : إلانـة الصَّـخْرِ له ﷺ]

وأما إلانة الصخر له ، فخرج البخاري في غزوة الخندق ، عن عبد الواحد ابن أيمن عن أبيه قال : أتيت جابراً فقال : إنا يوم الخندق نحفر ، فعرضت كيدة شديدة ، فجاءوا النبي ﷺ فقالوا : هذه كيدة عرضت في الخندق ، فقال : أنا نازل ، ثم قام وبطنه معصوب بحجر ، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً ، فأخذ النبي ﷺ المعول ، فضرب في الكدية فعاد كثيباً أَهْيَل أو أَهْيَم[1] . الحديث .

وقال يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق : وكان في الخندق أحاديث في تصديق رسول الله ﷺ وتحقيق نبوته ، وعاين ذلك المسلمون منه ، وكان مما بلغني : أن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما كان يحدث أنه اشتد عليهم في بعض الخندق كدية[2] فشكوها إلى رسول الله ﷺ ، فدعا بإناء من ماء فتفل فيه ، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ، ثم نضح ذلك الماء على تلك الكدية[2] ، فقال من حضرها : فوالذي بعثه بالحق نبياً لانهالت حتى عادت كالكثيب ما ترد فأساً ولا مسحاه[3] .

وللبيهقي من حديث يونس بن بكير ، عن عبد الواحد بن أيمن المخزومي قال : حدثني أيمن المخزومي قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : كنا يوم الخندق نحفر الخندق فعرضت فيه كدانة – وهي الجبل – فقلنا : يارسول الله ! إن كدانة قد عرضت فيه ، فقال : رُشُّوا عليها ، ثم قام رسول الله ﷺ فأتاها وبطنه معصوب بحجر من الجوع ، فأخذ المعول أو المسحاة فسمَّى ثلاثاً ثم ضرب ، فعادت كثيباً

---

(١) (فتح الباري) : ٧ / ٥٠٢ ، حديث رقم (٤١٠١) ، باب (٣٠) غزوة الخندق .

(٢) الكُدية : الأرض الصلبة ، والجمع : كُدَى ، وهذا الجمع سُمّي به موضع بأسفل مكة ، وفي (خ) : « كداية » .

(٣) (سيرة ابن هشام) : ٤ / ١٧٤ باب ظهور الكدية والتغلب عليها .

أُهيل . الحديث[1] .

وله من حديث يونس عن ابن إسحاق قال : حُدّثت عن سلمان قال : ضربت في ناحية من الخندق ، فعطف عليَّ رسول الله ﷺ وهو قريب مني ، فلما رآني أضرب ورآي شدة المكان عليّ نزل وأخذ المعول من يدي ، فضرب به ضربة فلمعت تحت المعول برقة ، ثم ضرب ضربة أخرى فلمعت تحته برقة أخرى ، ثم ضرب به الثالثة فلمعت تحته برقة أخرى ، فقلت : يارسول الله ! بأبي وأمي ، ما هذا الذي رأيتُ يلمع تحت المعول وأنت تضرب به ؟ فقال : هل رأيت ذلك ياسلمان ؟ قلت : نعم ، فقال : أما الأولى فإن الله عزَّ وجل فتح عليّ [بها][2]اليمن ، وأما الثانية فإن الله عزَّ وجل فتح عليّ بها الشام والمغرب ، وأما الثالثة فإن الله فتح عليّ بها المشرق[3] .

قال ابن إسحاق : حدثني من لا أتهم ، عن أبي هريرة أنه كان يقول : في زمن عمر وزمن عثمان وما بعده : افتتحوا ما بدا لكم ، فوالذي نفس أبي هريرة بيده ، ما افتتحتم من مدينة ولا تفتتحونها إلى يوم القيامة إلا الله عزَّ وجل قد أعطى محمداً ﷺ مفاتحها . قال البيهقي : وهذا الذي ذكره محمد بن إسحاق بن يسار من قصة سلمان قد ذكرنا معناه منقولاً عن معاذ بن أبي الأسود ، عن عروة ، ومغازي موسى ابن عقبة[4] . قال جامعه رحمه الله : وسيأتي لهذا الحديث طرق إن شاء الله .

وقال أبو نعيم الأصفهاني رحمه الله : لما دخل رسول الله ﷺ الغار مال برأسه إلى الجبل ليخفي شخصه عنهم ، فلين الله الجبل حتى أدخل فيه رأسه ، واستروح إلى الجبل من حجر أطم فلان له حتى أثّر فيه بذراعيه وساعده ، وذلك مشهور يقصده [الحجاج]يزورونه . وعادت صخرة بيت المقدس كهيئة العجين ، فربط دابته ، والناس يلتمسون ذلك الموضع إلى اليوم .

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٣ / ٤١٨ ، ورواه ابن هشام في (السيرة) .
(٢) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي) .
(٣) (دلائل البيهقي) : ٣ / ٤١٨ ، ورواه ابن هشام في (السيرة) .
(٤) (دلائل البيهقي) : ٣ / ٤١٧ – ٤١٨ ، وابن هشام في (السيرة) .

وقال محمد بن حزم – وقد ذكر خروج رسول الله ﷺ إلى الغار – : فلما فقدته قريش اتبعته بقائف معروف [فقفا] الأثر حتى وقف عند الغار ، فقال : هنا انقطع الأثر ، فنظروا فإذا العنكبوت قد نسج على فم الغار من وقته ، فأيقنوا أن لا أحد فيه فرجعوا ، وفتح الله تعالى في الوقت في جانب الغار باباً واسعاً خرجا منه في صخرة صلبة صماء ، لا تؤثر فيها المعاول ، فأمالها الله عزَّ وجل إلى اليوم ظاهرة ، لا يشك من رآها أنها لو رُدَّت لسدت المكان ، ولا يختلف أحد أن ذلك الباب لو كان هنالك حينئذ لرأته قريش جهاراً .

* * *

[رابع عشر :
تسبيح الحصا في كفه ﷺ]

وأما تسبيح الحصا في كفه ﷺ فخرج البيهقي وغيره ، من قريش بن أنس قال : حدثنا صالح بن أبي الأخضر عن الزهري ، عن رجل يقال له سويد بن يزيد قال : سمعت أبا ذر رضي الله عنه يقول : لا أذكر عثمان إلا بخير ، تقدمني رأيته كنت أتتبع خلوات رسول الله ﷺ ، فرأيته يوماً جالساً وحده فاغتنمت خلوته ، فجئت حتى جلست إليه ، فجاء أبو بكر رضي الله عنه فسلم ثم جلس عن يمين رسول الله ﷺ ، ثم جاء عمر رضي الله عنه فسلم ثم جلس عن يمين أبي بكر رضي الله عنه ، ثم جاء عثمان رضي الله عنه فسلم وجلس عن يمين عمر رضي الله عنه ، وبين يدي رسول الله ﷺ سبع حصيات – أو قال : تسع حصيات – فأخذهن فوضعهن في كفه فسبحن حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل ، ثم وضعهن فَخَرِسْنَ ، ثم أخذهن فوضعهن في يد أبي بكر رضي الله عنه فسبحن حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل ، ثم وضعهن فخرسن ، ثم تناولهن فوضعهن في يد عمر رضي الله عنه فسبحن حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل ، ثم وضعهن فخرسن ، ثم تناولهن فوضعهن في يد عثمان رضي الله عنه فسبحن حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل ، ثم وضعهن فخرسن ، فقال رسول الله ﷺ : هذه خرفة نبوة .

قال البيهقي : وكذلك رواه محمد بن بشار عن قريش بن أنس عن صالح بن أبي الأخضر ، وصالح لم يكن حافظاً ، والمحفوظ رواية شعيب بن أبي حمزة عن الزهري قال ذكر الوليد بن سويد أن رجلاً من بني سُلَيم كبير السن ، كان ممن أدرك أبا ذر بالربذة ، ذكر له فذكر هذا الحديث عن أبي[1] ذر رضي الله عنه .

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٦ – ٦٤ – ٦٥ ، باب ما جاء في تسبيح الحصيات في كفّ النبي ﷺ ، ثم في كف بعض أصحابه ، (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) : ١ / ٢٠١ ، فصل ومثل هذا في سائر الجمادات ، والخبر ذكره ابن كثير في (البداية والنهاية) عن البيهقي ، والسيوطي في (الخصائص الكبرى) ، والطبراني في (الأوسط) .

وخرج أبو نعيم من حديث أبي اليمان قال : أخبرنا شعيب بن أبي حمزة عن الزهري ، قال الوليد – وفي رواية : ذكر الوليد بن سويد – أن رجلاً من سُليم كبير السن ممن أدرك أبا ذر بالربذة ذكر أنه بينما هو قاعد يوماً في مجلس وأبو ذر في ذلك المجلس ، إذ ذكر عثمان بن عفان رضي الله عنه ، قال السُّلمي : وأنا أظن في نفسي أن في نفس أبي ذر على عثمان معتبة لإنزاله إياه بالربذة ، فلما ذكر له عثمان عرض له بعض أهل المجلس بذلك ، وهو يظن أن في نفسه عليه معتبة ، فلما ذكر قال أبو ذر : لا تقل في عثمان إلا خيراً ، فإني أحبه ، لقد رأيت منه منظراً ، وشهدت منه مشهداً لا أنساه حتى الموت : كنت رجلاً ألتمس خلوات النبي ﷺ لأسمع منه ولآخذ ، فهجرت يوماً من الأيام فإذا رسول الله ﷺ قد خرج من بيته ، فسألت عنه الخادم فأخبرني أنه في بيتٍ ، فأتيته وهو جالس ليس عنده أحد من الناس ، وكان حينئذ أرى أنه في وحي ، فسلمت عليه فرد عليّ السلام وقال لي : ما جاء بك ، فقلت : جاء بي الله ورسوله ، فأمرني أن أجلس فجلست إلى جنبه لا أسأله عن شيء ولا يذكره لي ، فمكثت غير كثير ثم جاء أبو بكر رضي الله عنه مسرعاً فسلم ، فرد السلام ثم قال : ما جاء بك ؟ قال : جاء بي الله ورسوله ، فأشار إليه بيده أن أجلس إلى ربوة مقابل رسول الله ﷺ الطريق بينه وبينها ، حتى إذا استوى أبو بكر جالساً أشار بيده فجلس إلى جنبي عن يميني ، ثم جاء عمر رضي الله عنه ففعل مثل ذلك ، فقال له رسول الله ﷺ مثل ذلك ، وجلس إلى جنب أبي بكر على تلك الربوة ، ثم جاء عثمان رضى الله عنه فسلم فرد عليه السلام ، فقال : ما جاء بك ؟ قال : جاء بي الله ورسوله ، فأشار إليه بيده فقعد إلى الربوة ، ثم أشار إليه فجلس إلى جنب عمر رضي الله عنه فتكلم رسول الله ﷺ بكلمة لم أفقه غير أنه قال : قليل ما تبقين ، ثم قبض على حصيات سبع أو تسع أو قريب من ذلك فسبحن في يده حتى سمع لهن حنين كحنين النحل في كف رسول الله ﷺ ، ثم ناولهن أبا بكر رضي الله عنه فسبحن في كفه . كما سبحن في كف رسول الله ﷺ ، ثم أخذهن منه ، فوضعهن في الأرض فخرسن ، ثم ناولهن عمر رضي الله عنه فسبحن في كفه كما سبحن في كف أبي بكر رضي الله عنه ، ثم أخذهن منه فوضعهن في الأرض فخرسن ، ثم ناولهن عثمان رضي الله عه فسبحن في كفه

كما سبحن في كف عمر رضي الله عنه ، ثم أخذهن فوضعهن في الأرض فخرسن . وقد روى هذا الحديث من وجه آخر عن أبي ذر[1] .

وخرج الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر من حديث عمرو بن حماد الفراهيدي قال : حدثنا محرز الغيّاث عن ثابت البناني ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ أخذ سبع حصيات في يده فسبحن حتى سمعنا التسبيح ، ثم صيرهن في يد أبو بكر ، فسبحن حتى سمعنا التسبيح ، ثم صيرهن في يد عمر رضي الله عنه فسبحن حتى سمعنا التسبيح ، ثم صيرهن في يد عثمان فسبحن حتى سمعنا التسبيح ، ثم صيرهن في أيدينا رجلا رجلاً فما سبحت حصاه منهن .

وذكر من طريق يوسف بن الصباح قال : حدثنا جرير بن عبد الحميد ،

---

(١) (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٤٣١ - ٤٣٢ ، تسبيح الحصى ، حديث رقم (٣٣٨) ، (٣٣٩) باختصار شديد .

قال الحافظ في (الفتح) : وقد اشتهر تسبيح الحصى ، ففي حديث أبي ذر قال : « تناول رسول الله ﷺ سبع حصيات فسبحن في يده حتى سمعت لهن حنينا ، ثم وضعهن في يد أبي بكر فسبحن ، ثم وضعهن في يد عمر فسبحن ، ثم وضعهن في يد عثمان فسبحن » أخرجه البزار والطبراني في (الأوسط) ، وفي رواية الطبراني : « فسمع تسبيحهن في الحلقة » وفيه « ثم دفعهن إلينا فلم يسبحن مع أحد منا » .

قال البيهقي في (الدلائل) : كذا رواه صالح بن أبي الأخضر - ولم يكن بالحافظ - عن الزهري ، عن سويد بن يزيد السلمي عن أبي ذر ، والمحفوظ ما رواه شعيب بن أبي حمزة عن الزهري قال : « ذكر الوليد بن سويد أن رجلاً من بني سليم كان كبير السن ممن أدرك أبا ذر بالربذة ذكر له عن أبي ذرٍّ بهذا » (فتح الباري) : ٦ / ٧٣٤ ، كتاب المناقب ، باب (٢٥) علامات النبوة في الإسلام .

فائدة : ذكر ابن الحاجب عن بعض الشيعة : أن انشقاق القمر ، وتسبيح الحصى ، وحنين الجذع ، وتسليم الغزالة ، مما نقل آحاداً مع توافر الدواعي على نقله ، ومع ذلك لم يكذب رواتها ، وأجاب بأنه استغنى عن نقلها تواتراً بالقرآن .

وأجاب غيره بمنع نقلها آحاداً ، وعلى تسليمه فمجموعها يفيد القطع كما تقدم في أول هذا الفصل ، والذي أقول : إنها كلها مشتهرة عند الناس ، وأما من حيث الرواية فليست على حد سواء ، فإن حنين الجذع وانشقاق القمر ، نقل كل منهما نقلاً مستفيضاً ، يفيد القطع عند من يطلع على طرق ذلك من أئمة الحديث دون غيرهم ممن لا ممارسة له في ذلك .

وأما تسبيح الحصى فليست له إلا هذه الطريق الواحدة مع ضعفها وأما تسليم الغزالة فلم نجد له إسناداً لا من وجه قوي ولا من وجه ضعيف ، والله تعالى أعلم . (المرجع السابق) : ٧٣٤ - ٧٣٥ .

حدثنا سعيد عن الحسن عن أنس قال : تناول النبي ﷺ من الأرض سبع حصيات فسبحن في يده ، ثم ناولهن أبا بكر رضي الله عنه فسبحن في يده كما سبحن في يد النبي ﷺ ، ثم ناولهن النبي ﷺ عمر رضي الله عنه فسبحن في يده كما سبحن في يد أبي بكر ، ثم ناولهن عثمان رضي الله عنه فسبحن في يده كما سبحن في يد أبي بكر وعمر رضي الله عنهم أجمعين .

* * *

[خامس عشر :
تأمين أَسْكُفَّة[1] الباب وحوائط البيت على دعائه ﷺ]

وأما تأمين أُسكُفّة الباب وحوائط البيت على دعائه ﷺ ، فخرج البيهقي من حديث محمد بن يونس الكُديمي[2] قال : حدثنا عبد الله بن عثمان بن إسحاق بن سعيد بن أبي وقاص الوقاصيّ ، حدثنا جدي أبو موسى مالك بن حمزة بن أبي أسيد الأنصاري ، عن أبي أسيد الأنصاري ، أن رسول الله ﷺ قال للعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه : يا أبا الفضل ، لا ترم منزلك غداً أنت وبنوك حتى آتيكم فإن لي فيكم حاجة ، فانتظروا حتى جاء [بعد ما أضحى فدخل عليهم][3] فقال : السلام عليكم ، قالوا : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، قال : كيف أصبحتم ؟ قالوا : أصبحنا بخير نحمد الله ، فكيف أصبحت بأبينا وأمنا أنت يا رسول الله ؟ قال : أصبحت بخير ، أحمد الله ، فقال تقاربوا تقاربوا ليزحف بعضكم إلى بعض ثلاثاً ، حتى إذا أمكنوه اشتمل عليهم بملاءته وقال : يارب ، هذا عمي وصنو أبي ، وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري إياهم بملاءتي هذه ، قال : فأمَّنتْ أسكفة الباب وحوائط البيت فقالت : آمين .. آمين .. آمين[4] .

قال البيهقي : تفرد به عبد الله بن عثمان الوقاصي هذا ، وهو ممن سأل عنه عثمان الدارمي يحيى بن معين فقال : لا أعرفه .

---

(١) أسكفة الباب : عتبته . (٢) الكُدَيْمي : وضّاع .

(٣) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي) .

(٤) (دلائل البيهقي) : ٦ / ٧١ - ٧٢ ، باب ما جاء في تأمين اسكفة الباب وحوائط البيت على دعاء نبينا محمد ﷺ لعمه العباس رضي الله عنه ولبني عمه إن صحت الرواية ، (ضعيف سنن ابن ماجه للألباني) : ٢٩٩ - ٣٠٠ ، كتاب الأدب ، باب (١٨) الرجل يقال له : كيف أصبحت ، حديث رقم (٨١٢ - ٣٧١١) ، قال الألباني : ضعيف - التعليق على ابن ماجه ، (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٤٣٢ - ٤٣٣ ، باب تأمين اسكفة الباب ، حديث رقم (٣٤٠) .

قال المؤلف رحمه الله : هذا الحديث خرجه ابن ماجه ، وعبد الله هذا يروي عن جده لأمه مالك بن حمزة ، وصباح الرومي ، ويروي عنه إبراهيم بن عبد الله الهروي ، وأحمد بن أخي ابن وهب ، والكديمي وجملة . قال أبو حاتم : شيخ يروي أحاديث مشتبهة . وقد خرجه ابن ماجه رحمه الله تعالى في الأدب ، عن إسحاق ابن إبراهيم بن عبد الله بن حاتم الهروي ، عن عبد الله الوقاصي .

* * *

[سادس عشر : نبع الماء من بين أصابعه ﷺ]

وأما نبع الماء من بين أصابعه ﷺ ، فخرج البخاري[1] ومسلم[2] من حديث حماد بن زيد عن ثابت ، عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ دعا بماء - وقال البخاري : بإناء من ماء - فأتى بقدح رَحْراح فيه شيء من ماء فوضع أصابعه فيه ، قال أنس رضي الله عنه فجعلت أنظر إلى الماء ينبع من بين أصابعه . قال أنس : فحرزت من توضأ مابين السبعين إلى الثمانين ، وقال مسلم : فأتى بقدح رَحْراح فجعل القوم يتوضأون فحرزتهم ما بين السبعين إلى الثمانين . ذكره البخاري في كتاب الطهارة في باب الوضوء من التور ، وذكره مسلم في أول المناقب .

وللبخاري من حديث يزيد قال : أخبرنا حميد عن أنس قال : حضرت الصلاة فقام من كان قريب الدار إلى أهله[3] ، وبقي قوم ، فأتى النبي ﷺ بمخضب من حجارة فيه ماء ، [فوضع كفه][4] فصغر المخضب أن يبسط فيه كفه ، [فضم أصابعه فوضعها في المخضب][5] فتوضأ القوم كلهم [جميعاً][5] ، قُلتُ : كم

---

(١) (فتح الباري) : ١ / ٤٠٢ ، كتاب الوضوء ، باب (٤٦) الوضوء من التَّوْر ، حديث رقم (٢٠٠) ، رحراح : متسع الفم .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ١٥ / ٤٣ ، كتاب الفضائل ، باب (٣) في معجزات النبي ﷺ ، حديث رقم (٢٢٧٩) قوله في هذه الأحاديث في نبع الماء من بين أصابعه ﷺ وتكثيره ، وتكثير الطعام ، هذه كلها معجزات ظاهرات ، وجدت من رسول الله ﷺ في مواطن مختلفة ، وعلى أحوال متغايرة ، وبلغ مجموعها التواتر . وأما تكثير الماء فقد صحَّ من رواية أنس ، وابن مسعود ، وجابر ، وعمران ابن الحصين . (المرجع السابق) : ٤٣ ، (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٤١٣ ، حديث رقم (٣٢١) بسياقة أخرى وسند آخر .

(٣) في (خ) : « قريب الدار من المسجد يتوضأ » وما أثبتناه من رواية (البخاري) .

(٤) زيادة من (خ) .

(٥) زيادة من (خ) .

كانوا[1] ؟ قال : ثمانون رجلاً[1] . ذكره في باب علامات النبوة في الإسلام ، وذكره [في كتاب] الطهارة في باب الغُسل والوضوء في المخضب والقدح والخشب والحجارة ، من حديث عبد الله بن بكر قال : حدثنا حميد عن أنس ... الحديث ، وقال : فقام من كان قريب الدار من أهله ، وقال في آخره : قلنا : كم كنتم ؟ قال : ثمانين وزيادة[2] .

وله من حديث عبد الرحمن بن المبارك قال : حدثنا حزم قال : سمعت الحسن [يقول :] حدثنا أنس قال : خرج النبي ﷺ في بعض مخارجه ومعه ناسٌ من أصحابه ، فانطلقوا يسيرون فحضرت الصلاة ولم يجدوا ماءاً يتوضأون ، فانطلق رجل من القوم فجاء بقدح من ماءٍ يسير فأخذه النبي ﷺ فتوضأ ثم مد أصابعه الأربع على القدح ثم قال : قوموا فتوضأوا ، فتوضأ القوم حتى بلغوا فيما يريدون من الوضوء ، وكانوا سبعين أو نحوه . ذكره في باب علامات النبوة في الإسلام[3] .

وخرج البخاري ومسلم من حديث مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس بن مالك أنه قال : رأيت رسول الله ﷺ وحانت[4] صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه ، فأُتي رسول الله ﷺ بوضوء فوضع رسول الله ﷺ يده في ذلك الإناء[5] ، وأمر الناس أن يتوضأوا منه ، قال : فرأيت الماء

---

(١) في (البخاري) : « قال : كم كنتم » ، « ثمانين وزيادة » ، والمخضب ، بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الضاد المعجمة : هو الإناء الذي يغسل فيه الثياب وقد يطلق على الإناء صغيراً أو كبيراً . (فتح الباري) : ١ / ٣٩٨ كتاب الوضوء باب (٤٥) الغسل والوضوء في المخضب والقدح والخشب والحجارة ، حديث رقم (١٩٥) .

(٢) (فتح الباري) : ٦ / ٧٢١ ، كتاب المناقب ، باب (٢٥) علامات النبوة في الإسلام ، حديث رقم (٣٥٧٥) ، والتصويبات السابقة منه .

(٣) (فتح الباري) : ٦ / ٧٢٠ - ٧٢١ ، كتاب المناقب ، باب (٢٥) علامات النبوة في الإسلام ، حديث رقم (٣٥٧٤) .

(٤) في (خ) : « وجاءت » .

(٥) في (خ) : « في ذلك الإناء يده » ، وما أثبتناه من (البخاري) .

ينبع من تحت أصابعه ﷺ ، [فتوضأ الناس][1] حتى توضأوا من عند آخرهم . ذكره البخاري في المناقب[2] ، وفي الطهارة في باب التماس الوضوء إذا حانت الصلاة[3] . وخرجه الترمذي في المناقب وقال : حديث حسن صحيح[4] .

وخرج البخاري[5] ومسلم[6] من حديث ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة ، عن أنس قال : أُتي النبي ﷺ بإناء وهو بالزوراء ، فوضع يده في الإناء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ القوم . قال قتادة : قلت لأنس : كم كنتم ؟ قال : ثلاثمائة أو زهاء ثلاثمائة .

وخرج مسلم من حديث معاذ بن هشام قال : حدثني أبي عن قتادة قال : حدثنا أنس بن مالك أن النبي ﷺ وأصحابه بالزوراء قال : والزوراء بالمدينة عند السوق والمسجد فيها ، ثم دعا بقدح فيه ماء فوضع كفه فيه فجعل ينبع بين أصابعه ، فتوضأ جميع أصحابه ، قال : قلت : كم كانوا يا أبا حمزة ؟ قال : كانوا زهاء الثلاثمائة[6] .

وخرج من حديث [سعيد] عن قتادة عن أنس أن النبي ﷺ كان بالزوراء ، فأتى بإناء ماء لا يغمر أصابعه أو قدر ما يواري أصابعه ، ثم ذكر نحو حديث هشام[7] .

---

(١) زيادة من (خ) في رواية أخرى .

(٢) (فتح الباري) : ٦ / ٧٢٠ ، كتاب المناقب ، باب (٢٥) علامات النبوة في الإسلام . حديث رقم (٣٥٧٣) .

(٣) (فتح الباري) : ١ / ٣٥٩ - ٣٦٠ ، كتاب الوضوء ، باب (٣٢) التماس الوضوء إذا حانت الصلاة ، حديث رقم (١٦٩) .

(٤) (تحفة الأحوذي) : ١٠ / ٧٥ - ٧٦ ، أبواب المناقب ، باب (٣١) ، حديث رقم (٣٨٧٤) ، وقال : وفي الباب عن عمران بن حصين ، وابن مسعود ، وجابر . (قال أبو عيسى) : حديث حسن صحيح .

(٥) (فتح الباري) : ٦ / ٧٢٠ ، كتاب المناقب ، باب (٢٥) علامات النبوة في الإسلام ، حديث رقم (٣٥٧٢) .

(٦) (مسلم بشرح النووي) : ١٥ / ٤٤ ، كتاب الفضائل ، باب (٣) في معجزات النبي ﷺ ، حديث رقم (٦) .

(٧) (المرجع السابق) : حديث رقم (٨) .

وخرج البيهقي من حديث إسماعيل بن أبي أويس قال : حدثنا أخي عن سليمان - وهو ابن بلال - عن عبيد الله بن عمر عن ثابت البناني ، عن أنس بن مالك قال : خرج النبي ﷺ إلى قباء فأتى من بعض بيوتهم بقدح صغير ، قال : فأدخل النبي ﷺ يده فلم يسعه القدح ، فأدخل أصابعه الأربع ولم يستطع أن يدخل إبهامه ثم قال للقوم : [هلموا] إلى الشراب ، قال أنس : بَصُرَ عينيَّ نبع الماء من بين أصابعه ، فلم يزل القوم يَرِدُون القدح حتى رَوَوْا منه جميعاً[1] .

قال البيهقي : هذه الروايات عن أنس تشبه أن يكون كلها خبراً عن واقعة [واحده ، وذلك حين خرج إلى قُبَاء ، ورواية قتادة عن أنس تشبه أن تكون خبراً عن واقعة أخرى ، والله أعلم][2] .

وخرج عن الرزاق من حديث معمر عن ثابت وقتادة ، عن أنس قال : نظر بعض أصحاب رسول الله ﷺ وضوءاً فلم يجدوا ، فقال النبي ﷺ هاهنا ماء ، فرأيت رسول الله ﷺ وضع يده في الإناء الذي فيه الماء ، ثم قال : توضؤا باسم الله ، قال : فرأيت الماء يفور من بين أصابعه والقوم يتوضئون حتى توضئوا من آخرهم ، قال ثابت : قلت لأنس : كم تراهم كانوا ؟ قال : نحواً من سبعين[3] .

وخرج البخاري من حديث حصين عن سالم بن أبي الجعد ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : عطش الناس يوم الحديبية والنبي ﷺ بين يديه ركوة ، فجَهِشَ الناس نحوه ، قال : مالكم ؟ قالوا ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك ، فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون ، فشربنا وتوضأنا ، قلت : كم كنتم قال : لو كنا مائة ألف لكفانا ،

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٤ / ١٢٣ ، باب ذكر البيان أن خروج الماء من بين أصابع رسول الله ﷺ كان غير مرة ، وزيادة ماء البئر ببركة دعائه ، كانت له عادة ، وكل واحدٍ فيهما دليلٌ واضح من دلائل النبوة .

(٢) مابين الحاصرتين تصويب للسياق من المرجع السابق .

(٣) (دلائل البيهقي) : ٤ / ١٢٤ ، وأخرجه البخاري بنحو منه في كتاب المناقب ، باب علامات النوة في الإسلام وقد سبق ذكره .

كنا خمس عشرة مائة . ذكره في باب علامات النبوة[1] ، وذكره في عُمرة الحديبية[2] أيضاً ، وقال : عن جابر عطش الناس ... الحديث إلى آخره بنحوه ، وقال فيه : فجعل الماء يفور ، وفيه : كم كنتم يومئذ ... الحديث مثله .

وخرج في كتاب الاشربه من حديث الأعمش قال : حدثني سالم بن أبي الجعد عن جابر بن عبد الله هذا الحديث قال : قد رأيتني مع النبي ﷺ وقد حضرت العصر وليس معنا ماء غير فضلة ، فجعل في إناء فأتى النبي ﷺ به ، فأدخل يده فيه وفرج أصابعه ثم قال : حي على أهل الوضوء والبركة من الله ، فلقد رأيت الماء ينفجر من بين أصابعه ، فتوضأ الناس وشربوا ، فجعلت لا آلو ماجعلت في بطني منه ، فعلمت أنه بركة . قلت لجابر : كم كنتم يومئذ ؟ قال : ألف وأربعمائه . تابعه عمرو بن دينار عن جابر ، وقال حصين عن جابر . ترجم عليه : باب شرب البركة والماء المبارك[3] .

وخرج البيهقي من حديث أبي عوانة ، عن الأسود عن قيس عن نُبيح[4] العنزي قال : قال جابر بن عبد الله : غزونا أو سافرنا [ونحن][5] مع رسول الله ﷺ ونحن يومئذ بضع عشرة مائة ، فحضرت الصلاة فقال رسول الله ﷺ : هل في القوم من طهور ؟ فجاء رجل يسعى باداوة فيها شيء من ماء ليس في القوم ماءٌ غيرُهُ ، وصب رسول الله ﷺ في قدح ثم توضأ فأحسن الوضوء ، ثم انصرف وترك القدح ، قال : فركب الناس ذلك القدح وقال : تسمحوا تمسحوا ، فقال

---

(١) (فتح الباري) : ٦ / ٧٢١ ، كتاب المناقب ، باب (٢٥) علامات النبوة في الإسلام ، حديث رقم (٣٥٧٦) ، جَهَشَ : أسرعوا لأخذ الماء .

(٢) (فتح الباري) : ٧ / ٥٦٠ ، كتاب المغازي ، باب (٣٦) غزوة الحديبية ، وقول الله تعالى : ﴿ **لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة** ﴾ [الفتح : ١٨] ، حديث رقم (٤١٥٢) .

(٣) (فتح الباري) : ١٠ / ١٢٥ ، كتاب الأشربة ، باب (٣١) ، شرب البركة والماء المبارك ، حديث رقم (٥٦٣٩) .

(٤) في (خ) : « نباح » وصوبناه من (دلائل البيهقي) ، (تهذيب التهذيب) : ١٠ / ٣٧٢ ، وهو نبيح ابن عبد العنزي أبو عمرو الكوفي .

(٥) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي) .

رسول الله ﷺ : على رِسْلكم حين سمعهم يقولون ذلك ، قال : فوضع رسول الله ﷺ كفه في الماء والقدح وقال : سبحان الله ! ثم قال : أسبغوا الوضوء .

فوالذي ابتلاني ببصري لقد رأيت العيون : عيون الماء تخرج من بين أصابع رسول الله ﷺ ، ولم يرفعها حتى توضئوا أجمعون[1] .

وخرج مسلم من حديث حاتم بن إسماعيل ، عن يعقوب بن مجاهد ، عن عباد ابن الوليد بن عبادة بن الصامت قال : خرجت أنا وأبي نطلب العلم[2] ، فذكر الحديث إلى أن قال : فأتينا العسكر ، فقال رسول الله ﷺ يا جابر ناد بوضوء ، فقلت : ألا وضوء ؟ ألا وضوء ؟ قال : قلت : يارسول الله ما وجدت في الركب من قطرة ، وكان رجل من الأنصار يبرد لرسول الله ﷺ الماء في أشجاب له على حمارةٍ من جريد ، قال : فقال لي : انطلق إلى فلان بن فلان الأنصاري ، فانظر هل في أشجابه من شيء ؟ قال : فانطلقت إليه فنظرت فيها فلم أجد فيها إلا قطرة في عزلاء شجب منها ، لو أني أفرغه لشربه يابسه .

فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله لم أجد فيها إلا قطرة في عزلاء شجب منها ، لو أني أفرغه لشربه يابسُهُ ، فقال : اذهب فأتني به ، فأتيته به فأخذه بيده فجعل يتكلم بشيء لا أدري ما هو ويغمزه بيده ، ثم أعطانيه فقال : يا جابر ، ناد بجفنة ، فقلت : يا جفنة الركب ، فأتيت بها تُحمل فوضعتها بين يديه ، فقال رسول الله ﷺ بيده الجفنة هكذا فبسطها وفرق بين أصابعه ثم وضعها في قعر الجفنة وقال : خذ يا جابر فصب عليَّ وقل : باسم الله ، فصببت عليه وقلت : باسم الله ، فرأيت الماء يتفوَّر من بين أصابع رسول الله ﷺ ، ثم فارت الجفنة ودارت حتى أمتلأت ، ثم قال : يا جابر ، ناد من كان له حاجة بماء ، قال : فأتى الناس فاستقوا

(١) (دلائل البيهقي) : ٤ / ١١٧ - ١١٨ ، باب ما ظهر في الحديبية بخروج الماء من بين أصابع رسول الله ﷺ حين لم يكن لأصحابه ماءٌ يشربونه ويتوضؤون به من دلالات النبوة ، والأشبه أن ذلك كان مرجعهم عام الحديبية حين دعا في أزوادهم بالبركة ، (سنن الدارمي) : ١٣ - ١٤ ، باب ما أكرم الله به النبي ﷺ من تفجير الماء من بين أصابعه باختلاف يسير .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ١٨ / ٣٤٣ ، كتاب الزهد والرقاق ، باب (١٨) حديث جابر الطويل ، حديث رقم (٣٠٠٦) .

حتى رووا ، قال : فقلت : هل بقي أحد له حاجة ؟ فرفع رسول الله ﷺ يده من الجفنة وهي ملآى[1] . وذكر الحديث .

وخرج البيهقي – رحمه الله – من حديث عبد الله بن يزيد المقري قال : حدثنا عبد الرحمن بن زياد بن نعيم الحضرمي قال :[2] سمعت زياد بن الحرث الصَّدائي [صاحب رسول الله][3] ، يحدث قال : أتيت رسول الله ﷺ فبايعته على الإسلام فذكر الحديث [إلى أن قال][3] ثم إن رسول الله ﷺ اعتشى من أول الليل – أي سار من أول الليل – فلزمته وكنت قوياً ، وكان أصحابه ينقطعون عنه ويستأخرون ، حتى لم يبق معه أحد غيري ، فلما كان أذان صلاة الصبح أمرني فأذَّنْتُ ، فجعلت أقول : أُقيم يارسول الله ؟ فجعل ينظر إلى ناحية المشرق إلى الفجر فيقول : لا ، حتى إذا طلع الفجر نزل فتَبرَّزَ ثم انصرف إليَّ وقد تلاحق أصحابه فقال : هل من ماء يا أخا صداء ؟ فقلت : لا ، إلا شيء قليل لا يكفيك ، فقال النبي ﷺ : اجعله في إناء ثم ائتني به ، ففعلت ، فوضع كفه في الماء ، قال الصدائي : فرأيت بين أُصبعين من أصابعه عيناً تفور !! فقال لي رسول الله ﷺ : لولا أني استحيي من ربي لسقينا واستقينا ، ناد في أصحابي من كان له حاجة في الماء ، فناديت فيهم ، فأخذ من أراد منهم . فذكر الحديث[4] .

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ١٨ / ٣٥٢ – ٣٥٣ ، كتاب الزهد والرقاق ، باب (١٨) حديث جابر الطويل ، حديث رقم (٣٠١٣) .

(٢) كذا في (خ) ، وفي (دلائل البيهقي) : « حدثنا عبد الرحمن بن زياد ، قال : حدثنا زياد بن نعيم الحضرمي ، قال : » .

(٣) زيادة للسياق من المرجع السابق .

(٤) (دلائل البيهقي) : ٤ / ١٢٥ – ١٢٧ ، باب ذكر البيان أن خروج الماء من بين أصابع رسول الله ﷺ كان غير مرة ، وزيادة ماء البئر ببركة دعائه كانت له عادة ، وكل واحد منها دليل واضح من دلائل النبوة .

والحديث أخرجه أيضاً الترمذي في الصلاة ، باب ما جاء أن من أذَّن فهو يقيم ، حديث رقم (١٩٩) مختصراً ، وأبو داود في الصلاة ، باب الرجل يؤذن ويقيم آخر ، حديث رقم (٥١٤) مختصراً من طريق عبد الله بن عمر بن غانم ، ابن ماجه في كتاب الأذان ، باب (٣) السنة في الأذان ، حديث رقم (٧١٧) ، ورواه البيهقي في (السنن) : ١ / ٣٨١ ، ١ / ٣٩٩ .

وخرج الإمام أحمد من حديث أبي كدينة عن عطاء بن السائب ، عن أبي الضحى ، عن ابن عباس رضي الله عنه قال : أصبح رسول الله ﷺ ذات يوم وليس في العسكر ماء ، فقال رجل : يا رسول الله ليس في العسكر ماء ، قال : هل عندك شيء ؟ قال : نعم ، فأتى بإناء فيه شيء من ماء ، قال : فجعل رسول الله ﷺ أصابعه في فم الإناء ، وفتح أصابعه ، قال : فلقد رأيت العيون تنبع من بين أصابعه ، قال : فأمر بلالاً ينادي في الناس : الوضوء المبارك[1] .

وخرج البخاري من حديث إسرائيل عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال : كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفاً ، كنا مع رسول الله ﷺ في سفر ، فقلّ الماء فقال : اطلبوا فضله من ماء ، فجاءوا بإناء فيه ماء قليل ، فأدخل يده في الإناء ثم قال : حي على الطهور المبارك والبركة من الله ، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل . ذكره في باب علامات النبوة[2] .

قال الحفاظ أبو عمر بن عبد الله بن عبد البر : الذي أوتي النبي ﷺ من هذه الآية المعجزة ، أوضح في آيات الأنبياء وأعلامهم مما أعطي موسى عليه السلام إذ ضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتي عشرة عيناً ، وذلك أن الحجارة مما يُشاهد انفجار الماء منها ، ولم يُشاهد قط أحد من الآدميين يخرج من بين أصابعه الماء إلا نبينا عليه الصلاة والسلام ، وقد برع بنحو ما قلت المزني وغيره .

قال الإمام الحافظ أبو نعيم : وهذه الآية من أعجب الآيات أعجوبة ، وأجلها معجزة ، وأبلغها دلالة ، شاكلت دلالة موسى عليه السلام في تفجر الماء من الحجر حين ضربه بعصاه ، لا بل هذا أبلغ من الأعجوبة ، لأن نبع الماء من بين اللحم والعظم أعظم من خروجه من الحجر ، لأن الحجر سنخ[3] من أسناخ الماء ، مشهور في المعلوم ، مذكور في المتعارف ، وما رُؤي وما سُمع بماء قط في ماضي

---

(١) (مسند أحمد) : ١ / ٤١٦ ، حديث رقم (٢٢٦٨) ، (دلائل البيهقي) : ٤ / ١٢٧ - ١٢٨ .
(٢) (فتح الباري) : ٦ / ٧٢٨ ، كتاب المناقب ، باب (٢٥) دلائل النبوة ، حديث رقم (٣٥٧٩) .
(٣) السنخ : الأصل .

الدهور نبع وانفجر من أجساد بني آدم ، حتى صدر عنه الجم الغفير من الناس والحيوان رواءاً ، وانفجار الماء من الأحجار ليس بمنكر ولا بديع ، وخروجه وتفجره من بين الأصابع معجز بديع(١) .

قال المؤلف رحمه الله : وحديث تفجر الماء من بين أصابع رسول الله ﷺ لا يرتاب في صحته إلا فاسد العقيدة مدخول في دينه ، فقد روي من طرق كثيرة عن عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ أنهم شاهدوا ذلك ، هم : عبد الله بن مسعود ، وجابر بن عبد الله ، وأبو قتادة ، وأنس بن مالك ، وعبد الله بن عباس ، وأبو ليلى ، والبراء بن عازب ، وأبو رافع ، وعبد الله بن أبي أوفى ، وسلمة بن الأكوع ، رضي الله عنهم .

قال القاضي عياض – رحمه الله – ومثل هذا في هذه المواطن الحفلة ، والجموع الكثيرة ، لا تتطرق التهمة إلى المتحدث بها ، لأنهم كانوا أسرع شيء إلى تكذيبه لما جبلت عليه النفوس من ذلك ، لأنهم كانوا ممن لا يسكت على باطل ، فهؤلاء قد رأوا هذا وأشاعوه ، ونسبوا حضور الجماعة الغفير له ، ولم ينكر أحد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم أنهم فعلوه ، فصار كتصديق جميعهم له(٢) .

* * *

---

(١) (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٤٠٥ ، الفصل الحادي والعشرون : في فوران الماء من بين أصابعه ﷺ سفراً وحضراً .

(٢) (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) : ١ / ١٨٨ ، فصل في نبع الماء بين أصابعه ، وتكثيره ببركته ﷺ .

[سابع عشر :
ظهور بركته ﷺ في تكثير الماء القليل]

وأما ظهور بركته في تكثير الماء القليل الذي كان في الميضأة ، فخرج مسلم من حديث سليمان بن المغيرة قال : حدثنا ثابت عن عبد الله بن رباح ، عن أبي قتادة قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : إنكم تسيرون عشيتكم وليلتكم ، وتأتون الماء إن شاء الله غداً ، فانطلق الناس لا يلوي أحد على أحد ، قال أبو قتادة : فبينما رسول الله ﷺ يسير حتى ابهارّ(1) الليل وأنا إلى جنبه .

قال : فنعس رسول الله ﷺ فمال عن راحلته ، فأتيته فدعمته من غير أن أوقظه حتى اعتدل على راحلته ، قال : ثم سار حتى تهوَّر(2) الليل مال عن راحلته ، قال : فدعمته من غير أن أوقظه حتى اعتدل على راحلته ، قال : ثم سار حتى إذا كان من آخر السحر مال ميلة هي أشد من الأوليين حتى كاد ينجفل ، فأتيته فدعمته ، فرفع رأسه فقال : من هذا ؟ قلت : أبو قتادة ، قال : متى كان هذا مسيرك مني ؟ قلت : ما زال هذا مسيري منذ الليلة ، قال : حفظك الله بما حفظت به نبيه ، ثم قال : هل ترانا نخفى على الناس ؟ ثم قال : هل ترى من أحد ؟ قلت : هذا راكب آخر [ثم قلت هذا راكب آخر](3) حتى اجتمعنا فكنا سبعة ركب .

قال : فمال رسول الله ﷺ عن الطريق [فوضع رأسه](3) ثم قال : احفظوا علينا صلاتنا ، فكان أول من استيقظ رسول الله ﷺ والشمس في ظهره ، قال : فقمنا فزعين ، ثم قال : اركبُوا ، فركبنا فسرنا حتى ارتفعت الشمس ، ثم دعا بميضأة كانت معي فيها شيء من ماء ، قال : فتوضأ منها وضوءاً دون وضوء ، قال :

---

(1) إبهارّ الليل : انتصف . (2) تهوَّر الليل : ذهب أكثره .

(3) زيادة للسياق من (صحيح مسلم) .

وبقي فيها شيء من ماء ، ثم قال لأبي قتادة : احفظ علينا ميضأتك فسيكون لها نبأ ، ثم أذن بلال بالصلاة ، فصلى رسول الله ﷺ ركعتين ، ثم صلى الغداة ، فصنع كما يصنع كل يوم ، قال : وركب رسول الله ﷺ وركبنا معه .

قال : وجعل بعضنا يهمس إلى بعض : ما كفارة ما صنعنا بتفريطنا في صلاتنا ؟ ثم قال : ما لكم فيَّ أسوة ؟ ثم قال : ليس في النوم تفريط ، إنما التفريط على من لم يُصل الصلاة حتى يجيء وقت الصلاة الأخرى ، فمن فعل ذلك فليصلها حين ينتبه لها ، فإذا كان الغد فليصلها عند وقتها ، ثم قال : ما ترون الناس صنعوا ؟ .

قال : ثم قال : أصبح الناس فقدوا نبيهم ، فقال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما : يارسول الله ، بعدكم لم يكن ليخلفكم ، وقال الناس : إن رسول الله ﷺ بين أيديكم ، فإن تطيعوا أبا بكر وعمر ترشدوا ، قال : فانتهينا إلى الناس حين امتد النهار وحمي كل شيء وهم يقولون : يا رسول الله ! هلكنا عطشاً ، فقال : لا هلك عليكم ، ثم قال : اطلقوا إلي غمري .

قال : ودعا بالميضأة ، فجعل رسول الله ﷺ يصب وأبو قتادة يسقيهم ، فلم يعد أن رأى الناس ماءً في الميضأة ، تكابوا عليها ، فقال : رسول الله ﷺ : أحسنوا الملأ ، كلكم سيروى ، قال : ففعلوا ، فجعل رسول الله ﷺيصب وأسقيهم حتى ما بقي غيري وغير رسول الله ﷺ ، قال : ثم صب رسول الله ﷺ فقال لي : اشرب ، فقلت : لا أشرب حتى تشرب يا رسول الله ، فقال : ساقي القوم آخرهم .

قال : فشربت وشرب رسول الله ﷺ ، قال : وأتى الناس الماء جامين[1] رواءً ، قال : فقال عبد الله بن رباح : إني لأحدث هذا الحديث في المسجد الجامع ، إذ قال عمران بن حصين : انظر أيها الفتى كيف تحدث ، فإني أحد الركب تلك الليلة ، قال : قلت : فأنت أعلم بالحديث ، فقال من أنت ؟ قلت : من الأنصار ، قال : حدِّث فأنت أعلم بحديثكم ، قال : فحدثنا القوم ، فقال عمران : لقد

---

(١) جامين : نشاطاً مستريحين .

شهدت تلك الليلة وما شعرت أن أحداً حفظه كما حفظته[1] .

وخرجه البيهقي من حديث يزيد بن هارون قال : أخبرنا حماد بن سلمة ، عن ثابت عن عبد الله بن رباح ، عن أبي قتادة قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقال : أن لا تدركوا الماء تعطشوا ؟ فانطلق سرعان الناس يريد الماء ، ولزمت رسول الله ﷺ تلك الليلة ، فمالت برسول الله ﷺ راحلته ، فنعس رسول الله ﷺ فمال فدعمته فادَّعم ، ومال فدعمته فادَّعم ، ثم مال [فدعمته] فادَّعم ثم مال حتى كاد أن ينجفل عن راحلته فدعمته فانتبه فقال : من الرجل ؟ فقلت : أبو قتادة ، فقال : حفظك الله بما حفظت به رسول الله ، ثم قال : لو عرسنا ، فمال إلى شجرة فنزل فقال : انظر هل ترى أحداً ؟ فقلت : هذا راكب ، هذا راكبان ، حتى بلغ سبعة ، فقال : احفظوا علينا صلاتنا .

قال : فنمنا فما أيقظنا إلا حرُّ الشمس ، فانتبهنا فركب رسول الله ﷺ ، وسار وسرنا هنيهة ثم نزل فقال : أمعكم ماء ؟ فقلت : نعم ميضأة فيها شيء من ماء ، قال : فأتني بها فأتيته بها فقال : صبوا منها ، فتوضأ القوم وبقي في الميضأة جرعة فقال : ازدهر بها يا أبا قتادة ، فإنه سيكون لها شأن .

ثم أذن بلال فصلى الركعتين قبل الفجر ، ثم ركب وركبنا ، فقال بعضنا لبعض : فرطنا في صلاتنا ، فقال رسول الله ﷺ : ما تقولون ؟ إن كان أمر دنياكم فشأنكم ، وإن كان أمر دينكم فإليّ ، قلنا : يارسول الله ! فرطنا في صلاتنا ، قال لا تفريط في النوم ، إنما التفريط في اليقظة ، فإذا كان ذلك فصلوها من الغد لوقتها ، ثم قال : ظُنوا بالقوم فقلنا : إنك قلت بالأمس : أن لا تدركوا الماء غداً تعطشوا ، فأتى الناسُ الماء ، فقال : أصبح الناس وقد فقدوا نبيهم .

فقال بعض القوم : إن لا تدركوا الماء غداً تعطشوا ، فأتى الناسُ الماء وفي القوم أبو بكر وعمر قالا : أيها الناس ، إن رسول الله ﷺ لم يكن ليسبقكم إلى

---

(١) (مسلم بشرح النووي) ج ١٩١/٥ ــ ١٩٣، كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب (٥٥) قضاء الفائتة واستحباب تعجيل قضائها ، حديث رقم (٦٨١) .

الماء ويخلِّفكم ، وإن يطع الناس أبا بكر وعمر يرشدوا - قالها ثلاثاً - فلما اشتدت الظهيرة رفع لهم رسول الله ﷺ فقالوا : يارسول الله ! هلكنا عطشاً ، انقطعت الأعناق ، قال : لا هلاك عليكم اليوم ، ثم قال :يا أبا قتادة ،ائتني بالميضأة ، فأتيته بها ، فقال : حل لي عن غمري - يعني قدحه - ، فحللته فأتيته به ، فجعل يصب فيه ويسقي الناس ، فقال : رسول الله ﷺ : أحسنوا الملأ فكلكم سيصدر عن ري ، فشرب القوم حتى لم يبق غيري ورسول الله ، فصب لي فقال : اشرب ياأباقتادة ، قلت : اشرب أنت يارسول الله ، فقال : إن ساقي القوم آخرهم ، فشربت ثم شرب بعدي ، وبقي في الميضأة نحو مما كان فيها ، وهم يومئذ ثلاثمائة ... الحديث .

قال حماد : وحدثنا حميد عن بكر بن عبد الله ، عن عبد الله بن رباح ، عن أبي قتادة ، عن النبي ﷺ مثله وزاد فيه : كان رسول الله ﷺ إذا عرس وعليه ليل توسد يمينه ، فإذا عرس قرب الصبح وضع رأسه على كفه اليمنى وأقام ساعده[١] .

وخرجه أيضاً من طريق الحافظ أبي أحمد عبد الله بن عدي قال : أخبرنا أبو يعلى ، حدثنا شيبان بن سعيد بن سليمان - يعني الضُّبَعيّ - حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ جهز جيشاً إلى المشركين فيهم أبو بكر رضي الله عنه ، فقال لهم : اغذوا السير ، فإن بينكم وبين المشركين ماء ، إن سبق المشركون إلى ذلك الماء شق على الناس وعطشتم عطشاً شديداً أنتم ودوابكم ، قال : وذكر الحديث[٢] .

قال البيهقي : وتمام الحديث فيما ذكر شيخنا أبو عبد الله الحافظ ، عن أبي محمد المَزني ، عن أبي يعلى بهذا الإسناد ، وقال تخلف رسول الله ﷺ في ثمانية أنا تاسعهم ، قال لأصحابه : هل لكم أن نُعَرِّسَ قليلاً ثم نلحق بالناس ؟ قالوا : نعم

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٦ / ١٣٢ - ١٣٤ ، باب حديث الميضأة وما ظهر في ذلك من آثار النبوة ودلالات الصدق .

(٢) المرجع السابق : ١٣٤ - ١٣٥ .

يارسول الله ، فعرسوا فما ايقظهم إلا حرّ الشمس ، فاستيقظ رسول الله ﷺ ، واستيقظ أصحابه فقال لهم : تقدموا واقضوا حاجتكم ، ففعلوا ورجعوا إلى النبي ﷺ ، فقال لهم : هل مع أحد منكم ماء ؟ قال رجل منهم : يارسول الله . معي ميضأة فيها شيء من ماء ، قال : جيء بها ، فأخذها رسول الله ﷺ فمسحها بكفه ودعا بالبركة فيها ، فقال لأصحابه : تعالوا فتوضأوا ، فجاءوا فجعل يصبُّ عليهم رسول الله ﷺ حتى توضأوا ، وأذن رجل منهم وأقام ، فصلى بهم رسول الله ﷺ ، وقال لصاحب الميضأة : ازدهر بميضأتك فسيكون لها نبأ .

وركب رسول الله ﷺ قبل الناس وقال لأصحابه : ما ترون الناس فعلوا ؟ قال : الله ورسوله أعلم ، فقال لهم : فيهم أبو بكر وعمر وسيرشد الناس ، وقد سبق المشركون إلى ذلك الماء فشق على الناس وعطشوا عطشاً شديداً ، ركائبهم ودوابهم ، فقال رسول الله ﷺ : أين صاحب الميضأة ؟ قال : هو ذا يارسول الله ، قال جئني بميضأتك ، فجاء بها وفيها شيء من ماء ، فقال لهم : تعالوا فاشربوا ، فجعل يصب لهم رسول الله ﷺ حتى شرب الناس كلهم ، وسقوا دوابهم وركائبهم ، وملؤا كل أداوَة وقربة ومزادة ، ثم نهض رسول الله ﷺ وأصحابه إلى المشركين ، فبعث الله ريحاً ، فهرب وجوه المشركين ، وأنزل الله نصره وأمكن من أدبارهم ، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وأسروا أسارى واستاقوا غنائم كثيرة ، فرجع رسول الله ﷺ والناس وافرين صالحين[1] .

وقال الواقدي : حدثني [عبد الله بن عبد][2] العزيز أخو عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي صعصعة المازني ، عن خلاد بن سويد عن أبي قتادة قال : بينا نحن نسير مع رسول الله ﷺ في الجيش ليلاً وهو قافل من تبوك وأنا معه ، إذ خفق خفقة وهو على راحلته ، فمال على شقه فدنوت منه فدعمته ، فانتبه فقال : من هذا ؟ قلت : أبو قتادة يارسول الله ، خفت أن تسقط فدعمتك ، فقال : حفظك الله كما حفظت رسوله ، ثم سار غير كثير ففعل مثلها فدعمته فانتبه فقال :

---

(١) المرجع السابق : ١٣٤ - ١٣٥ .

(٢) زيادة للنسب من (مغازي الواقدي) .

يأبا قتادة ، هل لك في التعريس ؟ فقلت : ما شئت يارسول الله ، فقال : انظر من خلفك ، فنظرت فإذا رجلان أو ثلاثة ، فقال : ادعهم ، فقلت : أجيبوا رسول الله ﷺ ، فجاءوا فعَرَّسْنَا ونحن خمسة برسول الله ﷺ ، وبقي إداوة فيها ماء وركوة لي أشرب فيها ، فما انتبهنا إلا بحر الشمس ، فقلت : إنا لله ! فاتنا ، فقال رسول الله ﷺ : لنغيظن الشيطان كما غاظنا ، فتوضأ من الإداوة ففضل فضلة فقال : يأبا قتادة ، احتفظ بما في الإداوة والركوة فإن لها شأناً ، ثم صلى بنا الفجر بعد طلوع الشمس ، فقرأ بالمائدة ، فلما انصرف من الصلاة قال : أما إنهم لو أطاعوا أبا بكر وعمر رشدوا ، وذلك أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما أرادا أن ينزلا بالجيش على الماء فأبوا عليهما ، فنزلوا بفلاة من الأرض على غير ماء بفلاة من الأرض ، فركب رسول الله ﷺ فلحق الجيش عند زوال الشمس ونحن معه ، وقد كادت تقطع أعناق الرجال والدواب عطشاً ، فدعا رسول الله ﷺ بالركوة فأفرغ ما في الإداوة فيها ، فوضع أصابعه عليها ، فنبع الماء من بين أصابعه ، وأقبل الناس فاستقوا وفاض الماء حتى رووا هم ورواحلهم[١] ، وكان في العسكر اثنى عشر ألف بعير ، ويقال : خمسة عشر ألف بعير ، والناس ثلاثون ألفاً ، والخيل عشرة آلاف . وذلك قول رسول الله ﷺ لأبي قتادة : احتفِظ بالركوة والإداوة[٢] .

* * *

---

(١) في (مغازي الواقدي) : « حتى ترَوّوْا وأروَوْا خيلهم وركابهم » .

(٢) (مغازي الواقدي) : ٣ / ١٠٤٠ - ١٠٤١ .

[ثامن عشر : ظهور بركته ﷺ في مزادتي[1] المرأة]

وأما ظهور بركته ﷺ في مزادتي المرأة ، فخرج البخاري ومسلم من حديث سلم بن زرير العطاردي قال : سمعت أبا رجاء العُطاري عن عمران بن حصين قال : كنت مع نبي الله ﷺ في مسيرته ، فأدلجنا ليلتنا حتى إذا كان في وجه الصبح عَرَّسْنا ، فغلبتنا أعيننا حتى بزغت الشمس - وقال البخارى حتى ارتفعت الشمس - قال : فكان أول من استيقظ منا أبو بكر رضي الله عنه ، وكنا لا نوقظ رسول الله ﷺ من منامه إذا نام حتى يستيقظ ، ثم استيقظ عمر رضي الله عنه فقام عند نبي الله ﷺ ، فجعل يكبر ويرفع صوته حتى استيقظ رسول الله ﷺ ، فلما رفع رأسه ورأى الشمس قال : ارتحلوا ، فسار بنا حتى إذا ابيضت الشمس نزل فصلى بنا الغداة ، فاعتزل رجل من القوم ولم يصل معنا ، فلما انصرف قال له رسول الله ﷺ : يافلان ! ما منعك أن تصلي معنا ؟ فقال : يا نبي الله أصابتني جنابة ، فأمره رسول الله ﷺ فتيمم بالصعيد فصلى ، ثم عجلني في ركب بين يديه ، نطلب الماء وقد عطشنا عطشاً شديداً ، فبينما نحن نسير ، إذا نحن بامرأة سادلة رجليها بين مزادتين[1] ، فقلنا لها : أين الماء ؟ قلت : أيهاه أيهاه[2] ، لا ماء لكم ، قلنا : فكم بين أهلك وبين الماء ؟ قالت مسيرة يوم وليلة ، قلنا : انطلقي إلى رسول الله ﷺ قالت : وما رسول الله ؟ فلم نملكها من أمرها شيئاً حتى انطلقنا بها ، فاستقبلنا بها رسول الله ﷺ فسألها فأخبرته مثل الذي أخبرتنا به ، وأخبرته أنها مُؤْتِمَة لها

---

(١) المزادتان : حمل البعير ، سميت مزادة لأنه يزاد فيها من جلد آخر من غيرها .

(٢) أيهاه أيهاه : بمعنى هيهات هيهات ، ومعناه : البعد من المطلوب واليأس منه ، كما قالت بعده : لا ماء لكم ، أي ليس لكم ماء حاضر ولا قريب ، وفي هذه اللفظة بضع عشرة لغة ذكرها الإمام النووي كلها مفصّلة ، واضحة متقنة ، مع شرح معناها وتصريفها ، وما يتعلق بها ، في (تهذيب الأسماء واللغات) : ٤ / ١٨٥ - ١٨٨ ، فليراجع هنالك .

صبيان أيتام ، فأمر براويتيها فَأُنيخَتْ ، فمجَّ في العزلاوين العلياوين[1] ، ثم بعث براويتها فشربنا ونحن أربعون رجلاً عطاش حتى روينا وملأنا كل قربة معنا وإداوة ، وغسَّلنا صاحبنا[2] ، غير أنا لم نسق بعيراً وهي تكاد تنضرج[3] من الماء - يعني المزادتين - ثم قال : هاتوا ما كان عندكم ، فجمعنا لها من كسر وتمر ، وصَرَّ لها صُرَّة فقال لها : اذهبي فأطعمي هذا عيالك ، واعلمي أنا لم نرزأ من مائك ، فلما أتت أهلها قالت : لقد لقيت أسحر البشر أو أنه نبي كما زعم ، كان من أمره ذيت وذيت ، فهدى الله ذلك الصرم بتلك المرأة فأسلمت وأسلموا[4] . اللفظ لمسلم ، ذكره في كتاب الطهارة[5] ، وهو أتم من لفظ البخاري وأكثر .

وقال البخاري في حديثه : فاستيقظ عمر فقعد أبو بكر عند رأسه فجعل يكبر ويرفع صوته حتى استيقظ النبي ﷺ فنزل وصلى بنا الغداة ، فاعتزل رجل . وقال فيه : فقلنا لها : أين الماء ؟ فقالت : إنه لا ماء ، ولم يقل : أيهاه أيهاه ، ولم يقل فيه : غسلنا صاحبنا ، وقال فيه : وهي تكاد من الماء . ذكره في باب علامات النبوة[6] .

وأخرجاه من حديث عوف بن أبي جميلة الأعرابي عن أبي رجاء العطاردي ، عن عمران بن الحصين قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر ، فسرنا ليلة حتى إذا كنا من آخر الليل قبيل الصبح ، وقعنا تلك الوقعة التى لا وقعة عند المسافر أحلى منها ، فما أيقظنا إلا حر الشمس . وساق الحديث بنحو حديث سلم بن زرير ،

---

(١) العزلاء بالمد : هو المشعب الأسفل للمزادة الذي يفرغ منه الماء ، ويطلق أيضاً على فمها الأعلى .

(٢) يعني الجُنُب : وفيه دليل على أن المتيمم عن الجنابة إذا أمكنه استعمال الماء اغتسل .

(٣) تنضرج : تتشقق .

(٤) (مسلم بشرح النووي) : ٥ / ١٩٤ - ١٩٦ ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة فيها ، باب (٥٥) قضاء الصلاة الفائتة ، واستحباب تعجيل قضائها ، حديث رقم (٨٦٢) .

(٥) كذا في (خ) ، والصواب ما أثبتناه في التعليق السابق .

(٦) (فتح الباري) : ٦ / ٧١٩ - ٧٢٠ ، كتاب المناقب ، باب (٢٥) علامات النبوة في الإسلام ، حديث رقم (٣٥٧١) ، (فتح الباري) : ١ / ٥٨٩ - ٥٩٠ ، كتاب التيمم ، باب (٦) الصعيد الطيب وضوء المسلم يكفيه من الماء ، حديث رقم (٣٤٤) .

وزاد ونقص ، وقال في الحديث : فلما استيقظ عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى ما أصاب الناس – وكان أجوف جليداً – فكبر ورفع صوته بالتكبير حتى استيقظ رسول الله ﷺ لشدة صوته بالتكبير ، فلما استيقظ رسول الله ﷺ شكوا إليه الذي أصابهم ، فقال رسول الله ﷺ : لا ضير ، ارتحلوا ، واقتصَّ الحديث . لم يزد مسلم على هذا[1] .

وخرجه البخاري من حديث عوف قال ، حدثنا أبو رجاء عن عمران قال : كنا في سفر مع النبي ﷺ وإنا أسرينا حتى كنا فى آخر الليل وقعنا وقعة ، ولا وقعة عند المسافر أحلى منها ، فما أيقظنا إلا حر الشمس ، فكان أول من استيقظ فلان ثم فلان يسميهم أبو رجاء ، فنسى عوف ثم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الرابع ، وكان النبي ﷺ إذا نام لم نوقظه حتى يكون هو المستيقظ ، لأنا لا ندري ما يحدث له في نومه ، فلما استيقظ عمر ورأى ما أصاب الناس – وكان رجلاً جليداً فكبر ورفع صوته بالتكبير ، فمازال يكبر ويرفع صوته بالتكبير حتى استيقظ بصوته النبي ﷺ ، فلما استيقظ ﷺ شكوا إليه الذي أصابهم فقال : لا ضيرَ أو لا يَضِير ، ارتحلوا فارتحل ، فسار غير بعيد ثم نزل فدعا بالوضوء فتوضأ ونودي بالصلاة بالناس ، فلما انفتل من صلاته إذا هو برجل معتزل لم يُصلِّ مع القوم ، فقال : ما منعك يا فلان أن تصلي مع القوم ؟ قال : أصابتني جنابة ولا ماء ، قال : عليك بالصعيد فإنه يكفيك ، ثم سار رسول الله فاشتكى إليه الناس من العطش ، فنزل فدعا فلاناً ، – كان يسميه أبو رجاء ، نسيه عوف – ودعا علياً رضي الله عنه فقال : اذهبا فابتغيا الماء ، فانطلقا فلقيا امرأة بين مزادتين أو سطيحتين من ماء على بعير لها ، فقالا لها : أين الماء ؟ قالت : عهدي بالماء أمس هذه الساعة ونفرنا خُلوفاً ، قالا لها : انطلقي إذاً ، قالت : إلى أين ؟ قالا : إلى رسول الله ﷺ ، قالت إلى الذي يقال له الصابيء ؟ قالا : هو الذي تعنين ، فانطلقى ، فجاءا بها إلى رسول الله ﷺ .. وحدثنا الحديث . قال : فاستنزلوها عن بعيرها ، ودعا النبي ﷺ

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٥/ ١٩٧ ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة فيها باب (٥٥) ، قضاء الصلاة الفائتة ، واستحباب تعجيل قضائها ، الحديث الذي يلي الحديث رقم (٨٦٢) من أحاديث الباب بدون رقم .

بإناء فأفرغ فيه من أفواه المزادتين أو السطيحتين وأوكأ أفواهما ، وأطلق العزالي ونودي في الناس : اسقوا واستقوا ، فسقى من شاء واستقى من شاء وأعطى ، وكان آخر ذاك أن أعطى الذي أصابته الجنابة إناء من ماء ، قال : اذهب فأفرغه عليك ، وهي قائمة تنظر إلى ما يفعل بمائها ، وأيم الله لقد أقلع عنها ، وإنه ليخيل إلينا أنها أشد ملأةً منها حين ابتدأ فيها ، فقال النبي ﷺ : اجمعوا لها ، فجمعوا لها ما بين عجوة ودقيقة وسويقة حتى جمعوا لها طعاماً فجعلوها في ثوب وحملوها على بعيرها ، ووضعُوا الثوب بين يديها ، قال لها ، تعلمين مارزئنا من مائك شيئاً ولكن الله هو الذي أسقانا ، فأتت أهلها – وقد احتبست عنهم – قالوا : ما حبسك يا فلانة ؟ قالت : العجب ! لقيني رجلان فذهبا بي إلى هذا الرجل الذي يقال له الصابيء ، ففعل كذا وكذا ، والله إنه لأسحر الناس من بين هذه وهذه ، وقالت بأصبعيها الوسطى ، والسبابة ، فرفعتهما إلى السماء تعنى السماء والأرض ، أو إنه لرسول الله حقاً ، فكان المسلمون بعد ذلك يغيرون على من حولها من المشركين ، ولا يصيبون الصِّرْم الذي هي منه ، فقالت يوماً لقومها : ما أدري أن هؤلاء القوم يدعونكم عمداً ، فهل لكم في الإسلام ؟ فأطاعوها فدخلوا في الإسلام[١] .

وخرج عبد الرزاق من حديث معمر ، عن عوف عن أبي رجاء ، عن عمران قال : سرى رسول الله ﷺ في سفر هو وأصحابه ، قال : فأصابهم عطش شديد ، فأقبل رجلان من أصحابه – قال : أحسبه علياً والزبير رضي الله عنهما أو غيرهما – قال : إنكما ستجدان امرأة بمكان كذا وكذا ، معها بعير عليه مزادتان فأتيا بها ، قال : فأتيا المرأة فوجداها قد ركبت بين مزادتين على البعير ، فقالا لها : أجيبي رسول الله ، قالت : ومن رسول الله ؟ أهذا الصابيء ؟ قالا : هو الذي تعنين وهو رسول الله حقاً ، فجاءا بها ، فأمر النبي ﷺ فجعل في إناء من مزادتيها ثم قال فيه ما شاء الله أن يقول ، ثم أعاد الماء في المزادتين ثم أمر بعزلاء المزادتين ففتحتا ، ثم أمر الناس فملئوا آنيتهم وأسقيتهم ، فلم يدعوا يومئذ إناء ولا سقاء إلا ملئوه ، قال عمران :

---

(١) (فتح الباري) : ١ / ٥٨٩ – ٥٩٠ ، كتاب التيمم ، باب (٦) الصعيد الطيب وضوء المسلم يكفيه من الماء ، حديث رقم (٣٤٤) .

فكان يخيل إلىّ أنها لم تزدد إلا امتلاء . قال : فأمر النبي ﷺ بثوبها فبسط ، ثم أمر أصحابه فجاءوا من زادهم حتى ملأوا لها ثوبها ، ثم قال لها : اذهبي فإنا لم نأخذ من مائك شيئاً ، ولكن الله عزَّ وجلَّ سقانا ، قال فجاءت أهلها فأخبرتهم فقالت : جئت من عند أسحر الناس أو أنه لرسول الله حقاً ، قال : فجاء أهل ذلك الصِّرم[1] حتى أسلموا كلهم .

وخرج البيهقي رحمه الله من حديث يونس بن بكير ، عن عباد بن منصور الناجي قال : حدثني أبو رجاء العُطاردي ، عن عمران بن حصين ، أن رسول الله ﷺ خرج في سبعين راكباً فسار بأصحابه ، وأنهم عرَّسوا قبل الصبح ، فنام رسول الله ﷺ وأصحابه حتى طلعت الشمس ، فاستيقظ أبو بكر رضي الله عنه فرأى الشمس قد طلعت فسبَّح وكبَّر ، كأنه كره أن يوقظ رسول الله ﷺ حتى استيقظ عمر رضي الله عنه ، فاستيقظ رجل جهير الصوت ، فسبح وكبر ورفع صوته جداً ، حتى استيقظ رسول الله ﷺ ، فقال رجل من أصحابه : يا رسول الله ! فاتتنا الصلاة ، قال : لم تفتكم ، ثم أمرهم فركبوا وساروا هنيهة ، ثم نزل رسول الله ﷺ ، ونزلوا معه ، وكأنه كره أن يصلي في المكان الذي نام فيه عن الصلاة ، ثم قال رسول الله ﷺ ائتوني بماء ، فأتوه بجريعة من ماء في مطهرةٍ ، فصبها رسول الله ﷺ في إناء ثم وضع يده في الماء ثم قال لأصحابه : توضأوا ، فتوضأ قريبٌ من سبعين رجلاً ، ثم أمر رسول الله ﷺ أن ينادى بالصلاة ، فنودي بها ، ثم قام فصلى رسول الله ﷺ ، فلما انصرف إذا رجل من أصحابه قائم ، فلما رآه قال له : ما منعك أن تصلي ؟ قال : يارسول الله أصابتني جنابة ، قال : فتيمم بالصعيد ، فإذا فرغت فصَلِّ ، وإذا أدركت الماء فاغتسل .

---

(١) الصِّرم : الأبيات المجتمعة من الناس ، وقال الحافظ في (الفتح) : وفي هذه القصة مشروعية تيمم الجنب ، وفيها جواز الاجتهاد بحضرة النبي ﷺ ، لأن سياق القصة يدل على أن التيمم كان معلوماً عندهم ، ولكنه صريح في الآية عن الحدث الأصغر ، بناء على أن المراد بالملامسة مادون الجماع ، وأما الحدث الأكبر فليست صريحة فيه . فكأنه كان يعتقد أن الجنب لا يتيمم ، فعمل بذلك مع قدرته على أن يسأل النبي ﷺ عن هذا الحكم ، ويحتمل أنه كان لا يعلم مشروعية التيمم أصلاً ، فكان حكمه حكم فاقد الطهورين ، ويؤخذ من هذه القصة أن للعالم إذا رأى محتملاً أن يسأل فاعله عن الحال فيه ليوضح له وجه الصواب ، وفيه التحريض على الصلاة في الجماعة ، وفيه حُسن الملاطفة ، والرفق في الإنكار . مختصراً من (فتح الباري) : ١ / ٥٩٤ .

وأصبح رسول الله ﷺ وأصحابه لا يدرون أين الماء منهم ، فبعث علياً رضي الله عنه معه نفر من أصحابه يطلبون له الماء ، فانطلق في نفر فسار يومه وليلته ، ثم لقي امرأة على راحلة بين مزادتين ، فقال لها علي رضي الله عنه : من أين أقبلت ؟ فقالت : [إني استقيت][1] لأيتام ، فلما قالت له وأخبرته أن بينه وبين الماء مسيرة ليلة وزيادة على ذلك ، قال عليٌّ والله لئن انطلقنا لا نبلغ حتى تهلك دوابّنا ويهلك من هلك منا ، ثم قال : ننطلق بهاتين المزادتين إلى رسول الله ﷺ حتى ينظر في ذلك ، فلما جاء عليّ وأصحابه ، وجاءوا بالمرأة على بعيرها بين مزادتين ، قال عليٌّ : يا رسول الله ، بأبي وأمي ، إنا وجدنا هذه بمكان كذا وكذا ، فسألتها عن الماء فزعمت أن بينها وبين الماء مسيرة ليلة وزيادة ، فظننا أن لم نبلغه حتى يهلك منا من هلك .

فقال رسول الله ﷺ : أنيخو لها بعيرها ، فأناخوا لها بعيرها ، فأقبلت عليهم فقالت : استقيت لأيتام وقد احتبست عنهم جداً ، فقال رسول الله ﷺ ائتوني بإناء ، فقال : افتحوا عزلاء هذه المزادة فخذوا منها ماءاً يسيراً ، ثم افتحوا عزلاء هذه فخذوا منها ماءاً يسيراً أيضاً ففعلوا ، ثم إن رسول الله دعا فيه وغمس يده فيه وقال : افتحوا لي أفواه المزادتين ففتحوا ، فحثا في هذه قليلاً وفي هذه قليلاً ثم قال رسول الله ﷺ : لأصحابه : اشربوا ، فشربوا حتى رَوُوا ، ثم قال : اسقوا ظهرهم ، فسقوا الظهر حتى روى ، ثم قال رسول الله ﷺ : هاتوا ما كان لكم من قربة أو مطهرة فاملأوها ، فجاءوا بقربهم ومطاهرهم فملؤها ، ثم قال رسول الله ﷺ شدوا عزلاء هذه وعزلاء هذه ثم قال : ابعثوا البعير فبعثوها، فنهضت وإن المزادتين لتكادان تقطران من ملئهما .

ثم أخذ رسول الله ﷺ كساء المرأة ثم قال لأصحابه : هاتوا ما كان عندكم من شيء ، فجعلوا يجيئون بالكسرة ، من الخبز والشيء من التمر حتى جمع لها ، ثم أخذ كساءها ذلك فشده ثم دفعه إليها ثم قال : خذي هذه لأيتامك ، وهذا ماؤك وافراً .

---

(١) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي) .

فجعلت تعجب مما رأت ، ثم انطلقت حتى أتت أهلها فقالوا : [قد][1] احتبست علينا ! فما حبسك ؟ قالت : حبسني أني رأيت عجباً من العجب ، أرأيتم مزادتي هاتين ؟ فوالله لقد شرب منها قريب من سبعين نفراً ، وأخذوا من القرب والمزاد والمطاهر ما لا أُحصي ، ثم لهما الآن أوفر منهما يومئذ ، فلبثتْ شهراً أو نحواً من ذلك عند أهلها ، ثم أقبلت في ثلاثين راكباً إلى رسول الله ﷺ فأسلمت وأسلموا[2] .

قال المؤلف - عفى الله عنه - : وقد اختُلف في نوم رسول الله ﷺ عن صلاة الصبح في سفره ، فروى مالك في (الموطأ) عن زيد بن أسلم أنه قال : عرَّس رسول الله ﷺ ليلة بطريق مكة ، ووكل بلالاً أن يوقظهم للصلاة ....، الحديث[3] .

قال ابن عبد البر : وأظنها قصة واحدة لم يعرض إلا مرة واحدة فيما تدل عليه الآثار ، والله أعلم أن بعضها فيه مرجعه من حنين ، وبعضها فيه مرجعه من خيبر ، لذلك قال ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب في حديثه هذا هو أقوى ما يروى في ذلك ، وهو الصحيح إن شاء الله .

وفي حديث ابن مسعود : من يوقظنا ؟ فقلت : أنا أوقظكم ، وليس في ذلك دليل على أنها غير قصة بلال ، لأنه لم يقل له أيقظنا ، ويحتمل أن لا يجيبه إلى ذلك ويأمر بلالاً .

وقال ابن مسعود في هذا الحديث زمن الحديبية ، وهو زمن واحد في عام واحد ، لأنه منصرفه من الحديبية مضى إلى خيبر في عامه ذلك ففتحها الله عليه ، وفي الحديبية نزلت : ﴿ **وعدكم الله مغانم كثيرة** ﴾[4] يعني خيبر ، وكذلك فتحها رسول الله ﷺ على أهل الحديبية .

---

(١) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي) .
(٢) (دلائل البيهقي) : ٤ / ٢٧٩ - ٢٨١ ، باب ذكر حديث عمران بن حصين وما ظهر في خبر النبي ﷺ عن صاحبة المزادتين ، ثم في ماء المزادتين حين أُتي به وفي بقية الماء التي كانت معه من علامات النبوة ودلالات الصدق .
(٣) (دلائل البيهقي) : ٤ / ٢٧٣ .
(٤) الفتح : ٢٠ .

وروى خالد بن شمير[1] عن عبد الله بن رباح عن أبي قتادة في هذا الحديث أنه كان في جيش الأمراء ، وهذا وهم عند الجميع ، لأن جيش الأمراء كان في غزاة مؤتة ، وكانت سرية لم يشهدها رسول الله ﷺ ، كان الأمير عليها زيد بن حارثة ، ثم جعفر بن أبي طالب ، ثم عبد الله بن رواحة ، وفيها قُتلوا - رضي الله عنهم - وقد روى هذا الحديث ثابت البناني وسليمان التيمي عن عبد الله بن رباح على غير ما رواه خالد بن شمير[1] ، وما قالوه فهو عند العلماء الصواب دون ما قاله خالد ابن شمير ، وقد قال عطاء بن يسار أنها كانت في غزوة تبوك وهذا لا يصح ، والآثار الصحاح على خلاف قوله مسنده ثابتة وقوله مرسل .

ذكره عبد الرزاق عن ابن جريج قال : أخبرني سعيد بن إبراهيم ، عن عطاء ابن يسار أنها غزوة تبوك ، وأن رسول الله ﷺ أمر بلالاً فأذن في [العسكر][2] ، ثم مشوا قليلاً ثم أقام فصلوا الصبح .

وقال البيهقي : وقد روينا عن يونس بن بكير عن المسعودي هذه القصة ، بعد ذكر نزول سورة الفتح مرجعهم من الحديبية ، فيشبه أن يكون التاريخ لنزول السورة دون هذه القصة ، فإن كان التاريخ لهما جميعاً فيشبهه ، والله أعلم أن يكون نومهم عن الصلاة وقع مرجعهم من الحديبية ثم وقع مرجعهم من خيبر ، وقد روى عمران ابن حصين وأبو قتادة الأنصاري نومهم عن الصلاة وذكرا في تلك القصة حديث الميضأة ، فلا أدري أكان ذلك مرجعهم من الحديبية أو مرجعهم من خيبر أو وقتاً آخر[3] .

قال : وقد زعم الواقدي في قصة أبي قتادة أنها كانت مرجعهم من غزوة تبوك ، وروى زافر بن سليمان عن شعبة عن جامع بن شداد في قصة ابن مسعود أن

---

(1) في (خ) « خالد بن سمير » ، وصوبناه من (تهذيب التهذيب) : ٣ / ٨٤ ، وهو خالد بن شمير السدوسي البصري .

(2) هذه الكلمة غير واضحة في (خ) ، ولعل ما أثبتناه يناسب السياق .

(3) ثم قال الإمام البيهقي بعد ذلك : « واستخرتُ الله تعالى في استخراج حديثهما ها هنا ، فوقعت الخيرة على ذلك . وبالله التوفيق » .

ذلك كان في غزوة تبوك . والله تعالى أعلم[1] .

وقال الواقدي رحمة الله عليه : وكان في تبوك أربعة أشياء ، فبينا رسول الله ﷺ يسير منحدراً إلى المدينة وهو في قيظ شديد ، عطش العسكر بعد المرتين الأوليين عطشاً شديداً حتى لا يوجد للشّفة ماء قليل ولا كثير ، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فأرسل أسيد بن الحضير في يوم صائف وهو متلثم ، فقال رسول الله ﷺ : عسي أن تجد لنا ماءاً ، فخرج أسيد وهو بين الحجر وتبوك فجعل يضرب في كل وجه ، فيجد راوية من ماء امرأة من بلى ، فكلمها أسيد فخبرها خبر رسول الله ﷺ وقد وصفت لهم الماء ، وبينهم وبين الطريق هنية ، فلما جاء أسيد بالماء دعا فيه رسول الله ﷺ ، بالبركة ثم قال : هلموا أسقيتكم ، فلم يبق معهم شيئاً إلا ملأوه ، ثم دعا بركابهم وخيولهم فسقوها حتى نهلت[2] .

ويقال : إن رسول الله ﷺ أمر بما جاء به أسيد فصبه في قعب عظيم من عساس[3] أهل البادية ، فأدخل رسول الله ﷺ فيه يديه ، وغسل وجهه ويديه ورجليه ، ثم صلى [ركعتين][4] ، ثم رفع يديه مداً ثم انصرف ، وإن القعب ليفور ، فقال رسول الله ﷺ للناس : زوِّدوا ، فاتسع الماء وانبسط حتى يصف عليه المائة والمائتان فأروَوْا وإن القعب ليجيش بالرَّواء ، ثم راح رسول الله ﷺ[مبرداً][4] متروِّياً من الماء .

قال الواقدي : وحدثني أسامة بن زيد بن أسلم ، عن أبي [سهل][5] عن عكرمة قال : خرجتْ الخيل في كل وجه يطلبون الماء ، فكان أول من طلع به وبخبره صاحب فرس أشقر ، ثم الثاني أشقر ، ثم الثالث أشقر ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم بارك في الشُّقْر[6] .

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٤ / ٢٧٥ .

(٢) في (خ) : « حتى فصلت » ، وما أثبتناه من (مغازي الواقدي) .

(٣) العساس : جمع العس ، وهو القدح الكبير . (النهاية) : ٢ / ٩٥ .

(٤) زيادة للسياق من (مغازي الواقدي) .

(٥) في (خ) : « اسماعيل » وصوبناه من المرجع السابق .

(٦) (مغازي الواقدي) : ٣ / ١٠٤١ - ١٠٤٢ .

[تاسع عشر : ظهور بركته ﷺ في الماء بالحديبية]

وأما ظهور بركته ﷺ فى الماء بالحديبية ، فخرج البخاري من حديث إسرائيل عن أبي إسحق ، عن البراء رضي الله عنه[1] قال : تعدون أنتم الفتح فتح مكة[2] ، وقد كان فتح مكة فتحاً ونحن نُعدّ الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية ، كنا مع النبي ﷺ أربع عشر مائة ، والحديبية بئر فنزحناها فلم نترك فيها قطرة ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ، ثم مضمض ودعا ثم صبه فيها ، فتركناها غير بعيد ، ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا[3] ، وفي رواية قال : نزلنا يوم الحديبية وهي بئر فوجدنا الناس قد نزحوها فلم يدعوا فيها قطرة ، فذكر ذلك للنبي ﷺ ، فدعا بدلو فنزع منها ثم أخذ منه بفيه فمجه ، ودعا الله فكثر ماؤها حتى صدرنا وركائبنا ونحن أربع عشرة مائة[4] .

وخرج مسلم من حديث عكرمة بن عمار العجلي عن سلمة بن الأكوع قال : أخبرني أبي قال : قدمنا مع النبي ﷺ الحديبية ونحن أربع عشرة مائة وعليها خمسون شاة لا ترويها ، قال : فقعد رسول الله ﷺ على جبا الركية ، فإمَّا دعا وإمَّا بصق فيها فجاش ، فسقينا واستقينا[5] .

وللبخاري من حديث معمر قال : أخبرني الزهري قال : أخبرني عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ، وهارون يصدق كل منهما حديث صاحبه ، قالا : خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية فذكر الحديث إلى أن قال : فعدل عنهم حتى نزل

---

(١) في (خ) : « عن أنس » وما أثبتناه من البخاري .

(٢) في (خ) : « بعد أن تم لنا الفتح فتح مكة » .

(٣) (فتح الباري) : ٧ / ٥٥٩ ، كتاب المغازي ، باب (٣٦) غزوة الحديبية ، وقول الله تعالى : ﴿ **لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة** ﴾ [الفتح : ١٨] ، حديث رقم (٤١٤٧) .

(٤) المرجع السابق ، حديث رقم (٤١٤٨) باختلاف يسير .

(٥) (مسلم بشرح النووي) : ١٢ / ٤١٦ ، كتاب الجهاد والسير ، باب (٤٥) غزوة ذي قَردَ وغيرها ، حديث رقم (١٨٠٧) ، وهذا المقطع جزء صغير من حديث طويل جداً ، وجبا الركية : يعني حول البئر ، وجاشت : ارتفعت وفاضت .

لهم فيه ، قال : فوالله ما زال يجيش بالرى حتى صدروا عنه[1] .

وقال يونس بن بكير عن ابن إسحق : حدثنا الزهري عن عروة بن الزبير ، عن مروان بن الحكم ، ولمسور بن مخرمة أنهما حدثاه جميعاً أن رسول الله ﷺ خرج يريد زيارة البيت لا يريد حرباً ، فذكر الحديث وقال فيه : قال رسول الله ﷺ : أيها الناس انزلوا ، فقالوا : يا رسول الله ما بالوادي من ماء ينزل عليه الناس ، فأخرج رسول الله ﷺ سهماً من كنانته فأعطاه رجلاً من أصحابه فقال له : إنزل في بعض هذه القُلُب[2] فاغرزه في حرفه ، ففعل ، فجاش بالماء والرواء حتى ضرب الناس [عنه][3] بعطن[4] .

وخرج البيهقي من حديث ابن لهيعة قال : حدثنا أبو الأسود قال : قال عروة : فذكر خروج النبي ﷺ ، قال : وخرجت قريش من مكة فسبقوه إلى بَلْدح وإلى الماء فنزلوا عليه ، فلما رأى رسول الله ﷺ أنه قد سبق نزل على الحديبية وذلك فى حر شديد وليس بها إلا بئر واحدة ، فأشفق القوم من الظمأ ، والقوم كثير ، فنزل فيها رجال يميجونها ، ودعا رسول الله ﷺ بدلو من ماء فتوضأ في الدلو ومضمض فاه ثم مج فيها وأمر أن يصب في البئر ، ونزع سهماً من كنانته فألقاه في البئر ، ودعا الله ففارت بالماء ، حتى جعلوا يغترفون بأيديهم وهم جلوس على شفتيها[5] .

---

(١) (فتح الباري) : ٥ / ٤١٢ - ٤١٣ ، كتاب الشروط ، باب (٥) الشروط في الجهاد ، والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ، حديث رقم (٢٧٣١) ، (٢٧٣٢) ، (مسند أحمد) : ٥ / ٤٣٠ - ٤٣١ ، حديث رقم (١٨٤٤٩) من حديث المسور بن مخرمة ، (عون المعبود) : ٨ / ٣١٧ ، كتاب الجهاد ، باب (١٦٧) فى صلح العدو ، حديث رقم (٢٧٦٢) ، رواه أبو داود مختصراً ولم يذكر فيه معجزة تكثير الماء ، قال الخطابي : « ثمد » بفتح المثلثة والميم ، أي حُفيرة فيها ماء مثمود ، أي قليل الماء ، وقوله : « قليل الماء » : تأكيد لدفع توهم أن يراد لغة من يقول : إن الثمد الماء الكثير .

(٢) القُلُب : جمع قليب ، وهو البئر .

(٣) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي) .

(٤) (دلائل البيهقي) : ٤ / ١١١ - ١١٢ ، باب ما ظهر في البئر التي دعا فيها رسول الله ﷺ وهي الحديبية من دلالات النبوة ، والعطن برك الإبل .

(٥) المرجع السابق : ١١٢ .

وقال ابن إسحق رحمه الله : حدثني بعض أهل العلم عن رجال من أسلم ، أن الذي نزل البئر بسهم رسول الله ﷺ ناجية بن جندب الأسلمي صاحب بُدن رسول الله ﷺ ، وقد زعم بعض أهل العلم أن البراء بن عازب كان يقول : أنا الذي نزلت بسهم رسول الله ﷺ ، قال : وأنشدت أسلم أبيات شعر قالها ناجية ، فزعمت أسلم أن جارية من الأنصار أقبلت بدلوها – وناجية في القليب يميح[1] [علي][2] الناس : فقالت :

يا أيها المائح دلوي دونكا   إني رأيت الناس يحمدونكا
[يثنون خيراً ويمجدونكا][2]

فقال ناجية وهو في القليب يميح على الناس :

قد علمت جارية يمانيه   أنى أنا المائح واسمي ناجيةْ
وطعنة[3] ذات رشاش واهيه   طعنتها تحت صدور العاديه

وذكر موسى بن عقبة أن الذي نزل في البئر خلّاد بن عبّاد الغفّاري ، ودلّاه رسول الله ﷺ بعمامته [فماح في البئر][2]فكثر الماء حتى روى الناس ، ويقال : بل المائح في البئر ناجية بن جندب الأسلمي[4] .

وقال الواقدي رحمه الله : حدثني معمر وعبد الرحمن بن عبد العزيز ، عن الزهري عن المسور بن مخرمة قال : وسار رسول الله ﷺ فلما دنى من الحديبية ، فذكر الحديث إلى أن قال : حتى نزل بالناس على ثمد من ثماد الحديبية ، ظنون[5] قليل الماء ، يتبرض ماؤه تبرضاً[6] ، فاشتكى الناس إلى رسول الله ﷺ قلة الماء ، فانتزع سهماً من كنانته فأمر به فغرز في الثمد ، فجاشت لهم بالرواء حتى صدروا

---

(١) يميح على الناس : يملأهم الدلاء .
(٢) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي) .
(٣) في (خ) : « وقصعة » ، وما أثبتناه من المرجع السابق .
(٤) المرجع السابق : ١١٣ – ١١٤ ، (ابن هشام) : ٤ / ٢٧٧ – ٢٧٨ .
(٥) الظنون : البئر لا يدري أفيها ماء أم لا .
(٦) برض الماء من العين إذا خرج وهو قليل .

عنه بعطن ، قال : وإنهم ليغترفون بآنيتهم جلوساً على شفير البئر .

ثم ذكر في الذي نزل بالسهم مثل ما تقدم عن ابن إسحاق ، ثم قال : وحدثني الهيثم بن واقد ، عن عطاء بن أبي مروان ، عن أمه قال : حدثني أربعة عشر[1] رجلاً من أسلم من أصحاب النبي ﷺ ، أن ناجية بن الأعجم ، وكان ناجية بن الأعجم يحدث - يقول : دعاني رسول الله ﷺ حين شُكي إليه قلة الماء ، فأخرج سهماً من كنانته ودفعه إليّ ، ودعا بدلو من ماء البئر ، فجئته به فتوضأ ، فقال : مضمض فاه ثم مجَّ في الدلو ، والناس في حرّ شديد ، وإنما هي بئر واحدة - وقد سبق المشركون على بلدح فغلبوا على مياهه - فقال : انزل بالماء فصبه وأثِّرْ[2] ماءَها بالسهم . ففعلتُ ، فوالذي بعثه بالحق ما كدتُ أخرج حتى كاد يغمرني ، وفارت كما يفور القدر حتى طمَّتْ واستوت بشفيرها ، يغترفون من جانبها حتى نهلوا من آخرهم .

قال : وعلى الماء يومئذٍ نفر من المنافقين : الجدّ بن قيس ، وأوس ، وعبد الله ابن أُبَيّ ، وهم جلوس ينظرون إلى الماء ، والبئر تجيش بالرواء وهم جلوس على شفيرها ، فقال أوس بن خولى : ويحك يا أبا الحباب ! أما آن لك أن تبصر ما أنت عليه أبعد هذا شيء ؟ وردنا بئراً يتبرض ماؤها تبرضاً ، يخرج في القعب جرعة ماء ، فتوضأ رسول الله ﷺ في الدلو ومضمض فاه في الدلو ثم أفرغ الدلو فيها ونزل بالسهم فحثحثها فجاشت بالرواء .

قال : يقول ابن أُبي قد رأيتُ مثل هذا ، فقال أوس : قبَّحك الله وقبَّح رأيك فيُقبل ابن أبي يريد رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : أي أبا الحباب أرأيت مثل ما رأيت اليوم ؟ فقال : ما رأيت مثله قط ، فقال رسول الله ﷺ : فلم قلت ما قلت ؟ قال ابن أبي : استغفر الله ، قال ابنه : يا رسول الله استغفر له ، فاستغفر له رسول الله ﷺ .

* * *

(١) كذا في (خ) ، وفي (مغازي الواقدي) : « حدثني رجل من أسلم » .

(٢) أثَّر في الشيء : ترك فيه أثراً .

(٣) (مغازي الواقدي) : ٢ /٥٨٧ - ٥٨٩ .

[عشرون : ظهور بركته ﷺ في العين التي بتبوك]

وأما ظهور بركته ﷺ في العين التي بتبوك ، [فخرج مسلم] من حديث مالك ، عن أبي الزبير المكي ، أن أبا الطفيل عامر بن واثلة أخبره أن معاذ بن جبل رضي الله عنه أخبره قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك ، فكان يجمع الصلاة فصلى الظهر والعصر جميعاً ، والمغرب والعشاء جميعاً حتى إذا كان يوماً أخّر الصلاة ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعاً ، ثم دخل ثم خرج بعد ذلك ، فصلى المغرب والعشاء جميعاً . ثم قال : إنكم ستأتون غداً إن شاء الله [عيناً] بتبوك[1] ، وإنكم لن تأتوها حتى يضحي النهار ، فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها [شيئاً] حتى آتي .

فجئناها وقد سبقنا إليها رجلان ، والعين مثل الشراك تَبِضُّ بشيء من ماء ، قال : فسألها رسول الله ﷺ : هل مسستما من مائها شيئاً ؟ قالا : نعم ، فسبهما النبي ﷺ ، وقال لهما ما شاء الله أن يقول ، قال : فغرفوا بأيديهم من العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع في شيء ، قال : وغسل رسول الله ﷺ فيه يديه ووجهه ، ثم أعاده فيها ، فجرت العين بماء منهمر - أو قال : غزير - قال : فاستقى الناس ثم قال : يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ههنا قد ملىء جناناً[2] .

قال البيهقي : وروينا زيادة ماء تلك العين بمضمضته فيها ، عن عروة بن الزبير ، وقال : فهي كذلك حتى الساعة . وروى ابن عبد البر عن أبي وضاح أنه قال : أنا رأيت ذلك الموضع كله [حول] تلك العين جناناً خضرة نضرة .

وخرج أبو نعيم من حديث ابن لهيعة ، عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير

---

(١) كذا في (خ) ، وفي (صحيح مسلم) : « عين تبوك » .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ١٥ / ٤٦ ، كتاب الفضائل باب (٣) في معجزات النبي ﷺ ، حديث رقم (٧٠٦) ، (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٥٢٢ ، حديث رقم (٤٥٠) ، (دلائل البيهقي) : ٥ / ٢٣٦ ، باب إخبار النبي ﷺ عن وقت إتيانهم عين تبوك ، وما ظهر في ذلك ، وفي وضوئه من تلك العين حتى كثر ماؤها ، وفيما قال لمعاذ فكان كما قال من آثار النبوة ، (مسند أحمد) : ٦ / ٣١٥ ، حديث رقم (٢١٥٦٥) من حديث معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه .

في قصة تبوك قال : وخرج حين خرج وهو يريد الروم ، فكان أقصى أثره منزله من تبوك ، وكان ذلك في زمان قل ماؤه ، فاغترف رسول الله ﷺ غرفة بيده فمضمض بها فاه ، وبصق فيها ففارت عينه حتى امتلأت ، وهي كذلك حتى الساعة[1] .

وخرج من حديث إبراهيم بن سعد ، عن محمد بن إسحق قال : أقام رسول الله ﷺ بتبوك بضع عشرة ليلة ولم يجاوزها ، ثم انصرف قافلاً إلى المدينة ، وكان في الطريق ماء يخرج من وشل ، ما يروى الراكب والراكبين والثلاث ، بواد يقال له : واد المشقّق ، فقال رسول الله ﷺ : من سبقنا إلى ذلك الماء فلا يستقينَّ منه شيئاً حتى نأتيه .

فسبقه إليه نفر من المنافقين ، فاستقوا ما فيه ، فلما أتاه رسول الله ﷺ فلم ير فيه شيئاً قال : من سبقنا إلى هذا الماء ؟ قيل : فلان وفلان[2] ، قال : أولم ننهاهم أن يستقوا منه شيئاً حتى نأتيه ؟ ثم لعنهم رسول الله ﷺ ، ودعا الله عليهم .

ثم نزل ، فوضع يده تحت الوشل فجعل يصب في يده ما شاء الله أن يصب ، ثم نضحه به ومسحه بيده . ودعا الله بما شاء الله أن [يدعو] به ، فانخرق الماء كما يقول من سمعه : إن له حساً كحس الصواعق ، فشرب الناس واستقوا حاجتهم منه ، فقال رسول الله ﷺ : لئن بقيتم - أو من بقى منكم - ليسمعن بهذا الوادي ، وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه[3] ، [وذلك الماء فوارة تبوك إلى اليوم][4] .

وقال الواقدي في غزوة تبوك : وأقبل رسول الله ﷺ قافلاً حتى إذا كان بين تبوك وواد يقال له : وادي الناقة ، وكان فيه وشل[5] يخرج منه في أسفله قدر ما يروى الراكبين والثلاثة ، فقال رسول الله ﷺ : من سبقنا إلى ذلك الوشل فلا يستقين منه شيئاً حتى نأتي .

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٥ / ٢٣٧ .
(٢) قال السهلي : ذكر لي الواقدي قال : سبقه إليها أربعة من المنافقين هم : معتب بن قشير ، والحارث ابن يزيد الطائي ، ووديعة بن ثابت ، وزيد بن اللصيت .
(٣) (سيرة ابن هشام) : ٥ / ٢٠٨ - ٢٠٩ ، وادي المشقق وماؤه ، والتعليق السابق منه .
(٤) ما بين الحاصرتين زيادة من (خ) .
(٥) الوَشَل : حجر أو جبل يقطر منه الماء قليلاً قليلاً ، والوشل أيضاً القليل من الماء .

فسبق إليه أربعة من المنافقين : معتب بن قشير ، والحرث بن يزيد الطائي حليف بني عمرو بن عوف ، ووديعة بن ثابت ، ويزيد بن اللصيت ، فاستقوا ما فيه ، فقال رسول الله ﷺ : ألم أنهكم ؟ ولعنهم ودعا عليهم ، ثم نزل ووضع يده في الوشل ، ثم مسحه بإصبعه حتى اجتمع في كفه منه ماء قليل ، ثم نضحه به ، ثم مسحه بيده ، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ، فانخرق[1] الماء .

قال معاذ بن جبل : والذي نفسي بيده ، لقد سمعت له من شدة انخراقه مثل الصواعق ، فشرب الناس ما شاءوا ، وسقوا ما شاءوا ، ثم قال رسول الله ﷺ : لئن بقيتم - أو من يبقى منكم - ليسمعن بهذا الوادي ، وهو أخصب ما بين يديه ومما خلفه ، قال : واستقى الناس وشربوا ، قال سلامة[2] بن وقش : قلت لوديعة ابن ثابت : ويلك أبعد ما ترى شيء ؟ أما تعتبر ؟ فقال : قد كان يفعل مثل هذا قبل هذا .[3] .

* * *

(١) انخرق : اشتدَّ واتَّسع .
(٢) كذا في (خ) ، وفي (مغازي الواقدي) : « سلمة بن سلامة بن وقش » .
(٣) (مغازي الواقدي) : ٣ / ١٠٣٩ .

[حادي وعشرون : نزول المطر بطريق تبوك عند دعائه ﷺ ، وإخباره بموضع ناقته لما ضلت ، وبما قال أحد المنافقين]

وأما [نزول] المطر بطريق تبوك عند دعائه وقد اشتد عطش الناس ، وإخباره بموضع ناقته لما ضلت ، وبما قال المنافق ، فخرج البيهقي من حديث ابن وهب قال : أخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال ، عن عتبة بن أبي عتبة ، عن نافع بن جبير ، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه ، قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : حدثنا من شأن ساعة العُسرة .

فقال عمر رضي الله عنه : خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد ، فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش ، حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع ، وحتى إن كان الرجل يذهب يلتمس الرجل فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع ، حتى إن كان الرجل ينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ، ويجعل ما يبقى على كبده ، فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : يا رسول الله ، إن الله عزَّ وجلَّ قد عودك في الدعاء خيراً ، فادع الله لنا ، قال : أتحب ذلك ؟ قال : نعم ، فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فأظلتْ ، ثم سكبت ، فملئوا ما معهم ، ثم ذهبنا ننظر ، فلم نجدها قد جاوزت العسكر[1].

وخرجه ابن حبان[2] - رحمه الله - من حديث سعيد بن أبي هلال ، عن نافع ابن جبير ، فسقط بين سعيد وبين نافع رجل ، وهو عتبة بن أبي عتبة ، كما رواه البزار في مسنده ، والطبراني في الأوسط ، والحاكم في المستدرك[3] ، قال الطبراني :

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٥ / ٢٣١ ، باب تسمية غزوة تبوك بالعسرة ، وما ظهر بدعاء النبي ﷺ في بقية الأزواد وفي الماء ، وإخباره عن قول المنافقين في غيبته ، ثم بموضع ناقته من آثار النبوة ، ورواه أيضاً الهيثمي في (مجمع الزوائد) : ٦ / ١٩٤ - ١٩٥ ، وقال : رواه البزار ، والطبراني في الأوسط ، ورجال البزار ثقات .

(٢) (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان) : ٤ / ٢٢٣ ، كتاب الطهارة ، باب (١٩) النجاسة وتطهيرها ، ذكر الخبر الدال على أن فرث ما يؤكل لحمه غير نجس ، حديث رقم (١٣٨٣) ، وقال في هامشه : إسناده صحيح ، رجاله رجال الشيخين خلا حرملة بن يحيى ، فإنه من رجال مسلم فقط .

(٣) (المستدرك) : ١ / ٢٦٣ ، كتاب الطهارة ، حديث رقم (٥٦٦ / ١٢١) ، وقال في آخره : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وقد ضمَّنَه سُنّة غريبة ، وهو أن الماء إذا خالط=

لم يروه عن نافع بن جبير إلا عتبة لعروبة بن سعيد ، وسئل عند الدارقطني في (العلل) فذكر الاختلاف في زيادة عتبة فيه وسقوطه وقال : القول قول من ذكر عتبة بن أبي عتبة ، وهو عتبة بن مسلم . وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وخرج البيهقي من حديث يونس عن ابن إسحق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة قال : أصبح الناس [ولا ماء معهم] ، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فدعا الله تعالى فأرسل سحابة فأمطرت ، حتى [ارتوى] الناس واحتملوا حاجتهم من الماء .

قال عاصم : وأخبرني رجال من قومي أن رجلاً من المنافقين كان معروفاً نفاقه ، كان يسير مع رسول الله ﷺ حيث سار ، فلما كان من أمر الناس بالحجر ما كان ، ودعاء رسول الله ﷺ حين دعا ، فأرسل الله تعالى سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس ، فأقبلنا عليه فقلنا : ويحك ! هل بعد هذا من شيء ؟ قال : سحابة مارة[1] .

وقال الواقدي – عفا الله عنه ورحمه –: وارتحل رسول الله ﷺ لما أصبح ولا ماء معهم ، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ . ورسول الله ﷺ على غير ماء ، قال عبد الله بن أبي حدره : فرأيت رسول الله ﷺ استقبل القبلة فدعا ، ولا والله ما أرى في السماء سحاباً ، فما برح يدعو حتى لأني أنظر إلى السماء تأتلف من كل ناحية ، فما رام مقامه حتى سحت علينا السماء بالرواء ، فكأني أسمع تكبير رسول الله ﷺ في المطر ، ثم كشفت السماء عنَّا من ساعتها ، وإن الأرض لغُدُرُ تَناخس[2] ، فسقى الناس وارتووا من آخرهم ، وأسمع رسول الله ﷺ يقول : أشهد أني رسول الله .

فقلت لرجل من المنافقين : ويحك ! بعد هذا شيء ؟ فقال سحابة مارة ، وهو أوس بن قيظي ، ويقال زيد بن اللُّصَيْت .

قال : ثم ارتحل رسول الله ﷺ موجِّهاً لماء تبوك فأصبح في منزِل ، فضلت

فرث ما يؤكل لحمه لم يُنجَسْهُ ، فإنه لو كان ينجس الماء لما أجاز رسول الله ﷺ لمسلم أن يجعله على كبده حتى ينجس يديه .

(1) (دلائل البيهقي) : ٥ / ٢٣١ – ٢٣٢ ، (سيرة ابن هشام) : ٥ / ٢٠٢ .

(2) غُدُر : جمع غدير ، تَنَاخَسُ : أي يصب بعضها في بعض ، (النهاية) : ٤ / ١٣٣ .

ناقة النبي ﷺ [القصواء] ، فخرج أصحابه في طلبها ، وعند رسول الله ﷺ عمارة ابن حزم [عقبى بدريّ قتل يوم اليمامة شهيداً][1] ، وكان في رحله زيد بن أبي اللصيت أحد بني قَيْنُقاع ، كان يهودياً فأسلم ونافق ، وكان فيه خُبْث اليهود وغِشُّهم – وكان مظاهراً لأهل النفاق – فقال زيد وهو في رحْل عمارة ،وعمارة عند النبي ﷺ : أليس محمد يزعم أنه نبي ويخبركم عن خبر السماء ؟ وهو لا يدري أين ناقته !! .

فقال رسول الله ﷺ : إن منافقاً يقول : إن محمداً يزعم أنه نبي وهو يخبركم بأمر السماء ؟ ولا يدري أين ناقته !! وإني والله لا أعلم إلا ما علمني الله ، وقد دلني عليها ، وهي في الوادي في شعب كذا وكذا – أشار لهم إليه – حبستها شجرة بزمامها ، فانطلقوا حتى تأتوا بها ، فذهبوا فجاءوا بها ، فرجع عمارة بن حزم إلى رحله فقال : العجب من شيء حدثناه رسوله الله ﷺ آنفاً عن مقاله قائل أخبره الله عنه ، قال : كذا وكذا للذي قال زيد ، فقال رجل ممن كان في رحل عمارة ولم يحضر رسول الله ﷺ قائل هذه المقالة زيد قبل أن يطلع علينا ، قال : فأقبل عماره على زيد بن اللصيت يجأُهُ[2] في عنقه ويقول : والله إن في رحلي لداهية ، وما أدري ، أخرج يا عدو الله من رحلي .

وكان الذي أخبر عمارة بمقالة زيد أخوه عمرو بن حزم ، وكان في الرحل مع رهط من أصحابه ، والذي ذهب فجاء بالناقة من الشعب الحارث بن خَزمَةَ الأشهلي ، وجدها وزمامها قد تعلق فى شجرة ، فقال زيد بن اللصيت : لكأني لم أُسلم إلا اليوم ، قد كنت شاكاً في محمد ، وقد أصبحتُ وأنا فيه ذو بصيرة ، فأشهد أنه رسول الله ، فزعم الناس أنه تاب ، وكان خارجة بن زيد بن ثابت ينكر توبته ويقول : لم يزل فسلاً[3] حتى مات[4] .

* * *

(١) زيادة للسياق من (مغازي الواقدي) .
(٢) يجأه : أي يضربــــه .
(٣) الفسل من الرجال : الرذل .
(٤) (مغازي الواقدي) : ٣ / ١٠٠٨ – ١٠١٠ ، (سيرة ابن هشام) : ٥ / ٢٠٢ – ٢٠٣ ، تقوّل ابن اللصيت ، عن ابن إسحاق .

[ثاني وعشرون : استقاؤه ﷺ وقد قحط المطر ، فسقاهم الله تعالى ببركة دعائه ﷺ]

وأما استسقاؤه ﷺ وقد قحط المطر فسقاهم الله ببركة دعائه ﷺ ، فخرج أبو داود من حديث يونس عن هشام بن عروة عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : شكا الناس إلى رسول الله ﷺ قحوط المطر ، فأمر بمنبر فوضع له في المصلى ، ووعد الناس يوماً يخرجون فيه ، قالت عائشة رضي الله عنها : فخرج رسول الله ﷺ حين بدا حاجب الشمس ، فقعد على المنبر فكبر وحمد الله تعالى ثم قال : إنكم شكوت جدب دياركم واستئخار المطر عن إبان زمانه عنكم ، وقد أمركم الله جل وعز أن تدعوه ، وقد وعدكم أن يستجيب لكم ، ثم قال : الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مَلِكِ يوم الدين ، لا إله إلا الله يفعل ما يريد ، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت الغني ونحن الفقراء إليك ، أنزل علينا الغيث ، واجعل ما أنزلت إلينا قوة وبلاغاً إلى حين .

ثم رفع يديه فلم ينزل الرفع حتى بدا بياض إبطيه ، ثم حول إلى الناس ظهره ، وقلَّب أو حوَّل رداءه وهو رافع يده ، ثم أقبل على الناس ، ونزل فصلى ركعتين ، فأنشأ الله عزَّ وجل سحابة فرعدت وبرقت ، ثم أمطرت بإذن الله فلم يأت مسجده حتى سالت السيول ، فلما رأى سرعتهم إلى الكِنِّ ضحك حتى بدت نواجذه ، فقال : أشهد أن الله على كل شيء قدير وأني عبد الله ورسوله[1] .

وذكر ابن عساكر أنه ﷺ خرج من بقيع الغرقد متعمماً بعمامة سوداء ، قد أرخى طرفها بين يديه ، والآخر بين كتفيه ، ممسكا قوساً عربية ، فاستقبل القبلة فكبر ، وصلى بأصحابه ركعتين جهر بالقراءة [فيهما] ، قرأ في الأولى ﴿ إذا

(١) (عون المعبود) : ٤ / ٢٥ - ٢٧ ، جُمَّاع أبواب صلاة الاستسقاء وتفريعها ، باب (٢٥٨) رفع اليدين في الاستسقاء ، حديث رقم (١١٧٠) ، قال أبو داود : هذا حديثٌ غريب إسناده جيد . أهل المدينة يقرؤون ﴿ مَلِكِ يوم الدين ﴾ ، وإن هذا الحديث حُجَّةٌ لهم .

الشمس كورت ﴾(١) ، والثانية ﴿ والضحى ﴾(٢) ، ثم قلب رداءه ، ثم حمد الله وأثنى عليه ، ثم رفع يديه فقال ... ، الحديث . ذكره من حديث أحمد بن [ ](٣) ، حدثنا سعيد بن مسلم حدثني سلامة بن سليم - يقال : ابن سلمة - عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قحط الناس على عهد رسول الله ﷺ ، فخرج من المدينة إلى بقيع الغرقد ...

وخرج مسلم من حديث حماد بن سلمة ، عن ثابت عن أنس رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ استسقى فأشار بظهر كفيه إلى السماء(٤) ، وخرجه أبو داود أيضاً ولفظه : أن النبي ﷺ كان يستسقي هكذا - يعني ومد يديه وجعل بطونها مما يلي الأرض حتى رأيت بياض إبطيه(٥) .

[وللإمام أحمد من حديث هارون بن معروف قال : قال ابن وهب : أخبرنا حيوة ، عن ابن الهاد ، عن محمد بن إبراهيم التيمي ، عن عمير مولى أبي اللحم ، أنه رأى رسول الله ﷺ يستسقي عند أحجار الزيت(٦) قريباً من الزوراء قائماً يدعو ، يستسقي رافعاً كفيه لا يجاوز بهما رأسه ، مقبل بباطن كفيّه إلى وجهه](٧) .

وخرجه الترمذي من حديث قتيبة قال : حدثنا الليث بن سعد عن خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن يزيد بن عبد الله ، عن عمير مولى آبي اللحم ، عن آبي اللحم ، أنه رأى رسول الله ﷺ عند أحجار الزيت(٦) يستسقي ، وهو مقنعٌ بكفيه(٨) يدعو(٩) .

---

(١) التكوير : ١ . (٢) الضحى : ١ .
(٣) ما بين الحاصرتين مطموس في (خ) .
(٤) (مسلم بشرح النووي) : ٦ / ٤٤٢ ، كتاب الاستسقاء ، باب (١) رفع اليدين بالدعاء في الاستسقاء ، حديث رقم (٨٩٦) .
(٥) (عون المعبود) : ٤ / ٢٤ ، جماع أبواب صلاة الاستسقاء وتفريعها ، باب (٢٥٨) رفع اليدين في الاستسقاء ، حديث رقم (١١٦٧) ، (١١٦٨) .
(٦) أحجار الزيت : موضع بالمدينة من الحرة ، سميت بذلك لسواد أحجارها ، كأنها طليت بالزيت .
(٧) (مسند أحمد) : ٦ / ٢٩٣ ، حديث رقم (٢١٤٣٧) ، وفي (خ) سياقه مضطرب ونسبه الناسخ للإمام مسلم .
(٨) في (خ) : « مقنعاً بكفيه يدعو » ، وما أثبتناه من رواية الترمذي .
(٩) (تحفة الأحوذي) : ٣ / ١٠٧ - ١٠٨ ، باب صلاة الاستسقاء ، حديث رقم (٥٥٤) .

قال أبو عيسى : هكذا قال قتيبة في هذا الحديث عن آبي اللحم ، ولا نعرف له عن النبي ﷺ إلا هذا الحديث الواحد ، وعمير مولى آبي اللحم قد روى عن النبي ﷺ أحاديث وله صُحبة[1] .

وخرج البخاري ومسلم والنسائي من حديث إسماعيل بن جعفر ، عن شريك بن أبي نمر ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ رجلاً دخل المسجد يوم الجمعةْ من باب كان نحو دار القضاء ، ورسول الله ﷺ قائماً يخطب ، فاستقبل رسول الله ﷺ قائما ثم قال : يا رسول الله ! هلكت الأموال وانقطعت السبل ، فادع الله يغيثنا ، فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال : اللهم أغثنا ... اللهم أغثنا ... اللهم أغثنا ... .

قال أنس : ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة ، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار ، قال : فطلعت من ورائه سحابة مثل التُّرس ، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت ، فلا والله ما رأينا الشمس سِتّاً ، قال : دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ، ورسول الله ﷺ قائم يخطب ، فاستقبله قائماً فقال : يا رسول الله ! هلكت الأموال وانقطعت السبل ، فادع الله يمسكها عنا .

قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال : اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر ، قال : فأقلعت وخرجنا نمشي في الشمس ، قال شريك فسألت أنس بن مالك : أهو الرجل الأول ؟ فقال : ما أدري[2] . ترجم عليه البخارى باب الاستقساء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة ، وقال فيه مسلم : اللهم حولنا ولا علينا .

---

(١) آبي اللحم بالمد : اسم رجل من قدماء الصحابة ، سمي بذلك لامتناعه عن أكل اللحم أو لحم ما ذبح على النصب في الجاهلية ، اسمه عبد الله بن عبد الملك ، استشهد يوم حنين .
وأخرجه أيضاً النسائي في (السنن) : ٣ / ١٧٧ ، حديث رقم (١٩٣) ، وأبو داود في (السنن) : ٤ / ٢٢ ، أبواب صلاة الاستسقاء وتفريعها ، باب (٢٥٨) رفع اليدين في الاستسقاء ، حديث رقم (١١٦٥) .

(٢) (فتح الباري) : ٢ / ٦٤٥ ، كتاب الاستسقاء ، باب (٧) الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة ، حديث رقم (١٠١٤) ، (مسلم بشرح النووي) : ٦ / ٤٤٣ ، كتاب صلاة الاستسقاء ، باب (٢) الدعاء في الاستسقاء ، حديث رقم (٨٩٧) ، (سنن النسائي) : ٣ / ١٧٩ - ١٨٠ ، كتاب الاستسقاء ، باب (١٠) ذكر الدعاء ، حديث رقم (١٥١٧) .

وخرجه البخاري من حديث أنس بن عياض قال : حدثنا شريك بن عبد الله ابن أبي نَمِر ، سمع أنس بن مالك يذكر أن رجلاً دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر ، ورسول الله ﷺ قائمٌ يخطب ، فاستقبل رسول الله ﷺ قائماً فقال : يا رسول الله ... ، الحديث إلى آخره بنحو حديث إبراهيم بن جعفر غير أنه قال : اللهم اسقنا .. اللهم اسقنا .. اللهم اسقنا ، وقال : اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام والجبال ، والظراب والأودية ومنابت الشجر ، فانقطعت [1] ... ، الحديث .

وخرج البخاري[2] والنسائي[3] من حديث مالك ، عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر ، عن أنس بن مالك قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، هلكت المواشي ، وانقطعت السبل ، فادع الله ، فدعا فمطرنا من الجمعة إلى الجمعة ، فجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ! تهدمت البيوت وتقطعت السبل ، وهلكت المواشي ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم على ظهور الجبال والآكام ، وبطون الأودية ومنابت الشجر ، فانجابت عن المدينة انجياب الثوب . ترجم عليه البخاري باب إذا استشفعوا إلى الإمام ليستسقي لهم لم يردهم .

وخرج في باب من اكتفى بصلاة الجمعة في الاستسقاء ، وقال فيه : فقال : تهدمت البيوت وتقطعت السبل ، وهلكت المواشي ، فقال : اللهم على الآكام والظراب والأودية[4] ... ، الحديث .

وخرجه في باب الدعاء إذا انقطعت السبل من كثرة المطر ، وقال فيه : فدعا

---

(١) (المرجع السابق) : ٦٣٦ - ٦٣٧ ، باب (٦) الاستسقاء في المسجد الجامع حديث رقم (١٠١٣) .

(٢) (فتح الباري) : ٢ / ٦٤٧ ، كتاب الاستسقاء ، باب (١٢) إذا استسقوا إلى الإمام ليستسقى لهم لم يردهم ، حديث رقم (١٠١٩) .

(٣) (سنن النسائي) : ٣ / ١٧٧ ، كتاب الاستسقاء ، باب (٩) كيف يرفع ، حديث رقم (١٥١٤) .

(٤) (فتح الباري) : ٢ / ٦٤٦ ، كتاب الاستسقاء ، باب (٩) من اكتفى بصلاة الجمة في الاستسقاء حديث رقم (١٠١٦) .

رسول الله ﷺ فمطروا من جمعة إلى جمعة ، فجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ... ، الحديث ، غير أن فيه : ورءوس الجبال[1] .

وخرج البخاري ومسلم من حديث الأوزاعي ، قال : حدثني إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس بن مالك قال : أصاب الناسَ سنة على عهد النبي ﷺ ، فبينا النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة ، قام أعرابي – وقال مسلم : فبينا رسول الله ﷺ يخطب الناس على المنبر يوم الجمعة إذا قال [أعرابي يا رسول الله] ! هلك المال وضاع العيال فادع الله لنا ، فرفع يديه وما نرى في السماء قزعة ماء ، فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال .

ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته ، فمطرنا يومنا ذلك ، ومن الغد ومن بعد الغد ، والذي يليه حتى الجمعة الأخرى ، فقام ذلك الأعرابي – أو قام غيره – فقال يا رسول الله ! تهدم البناء وغرق المال ، فادع الله لنا ، فرفع يديه [وقال] : اللهم حوالينا لا علينا ، فما يشير بيده إلى ناحية من السماء إلا انفرجت ، وصارت المدينة مثل الجونة ، وسال الوادي قناة شهراً ، ولم يجيء أحد من ناحية إلا حدث بالجود . ترجم عليه البخاري باب : الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة . وقال فيه مسلم : فما يشير إلى ناحية إلا تفرجت حتى رأيت المدينة في مثل الجونة ، وسال الوادي قناة شهراً ، ولم يجيء أحد من ناحية إلا أخبر بجود . وخرجه البخاري أيضاً في الاستسقاء في باب من تمطَّر في المطر حتى يتحادر على لحيته ، [بنحوه] أو قريب منه[2] .

وخرج البخاري ومسلم والنسائي رضي الله عنهم من حديث ثابت عن أنس

---

(١) (فتح الباري) : ٢ / ٦٤٦ ، كتاب الاستسقاء ، باب (١٠) الدعاء إذا انقطعت السبل من كثرة المطر ، حديث رقم (١٠١٧) .

(٢) (فتح الباري) : ٢ / ٥٢٤ – ٥٢٥ ، كتاب الجمعة ، باب (٣٥) الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة ، حديث رقم (٩٣٣) ، ٢ / ٦٦٠ ، كتاب الاستسقاء ، باب (٢٤) من تمطر في المطرحتى يتحادر على لحيته ، حديث رقم (١٠٣٣) ، وقوله : « تمطَّر » بتشديد الطاء ، أي تعرض لوقوع المطر ، (مسلم بشرح النووي) : ٦ / ٤٤٥ ، كتاب صلاة الاستسقاء ، باب (٢) الدعاء في الاستسقاء ، حديث رقم (٩) من أحاديث الباب .

ابن مالك قال : كان النبي ﷺ يخطب يوم الجمة ، فقام الناس فصاحوا فقالوا : يا رسول الله ! قحط المطر واحْمَرَّتْ الشجر وهلكت البهائم ، فادع الله لنا أن يسقينا ، فقال : اللهم اسقنا مرتين ، وأيم الله ما نرى في السماء قزعة من سحاب ، فنشأت سحابة وأمطرت ، ونزل عن المنبر فصلى ، فلما انصرف لم تزل تُمْطر إلى الجمعة التي تليها ، فلما قام النبي ﷺ يخطب ، صاحوا إليه : تهدمت البيوت وانقطعت السبل ، فادع الله يحبسها عنا .

فتبسَّم رسول الله ﷺ فقال : اللهم حوالينا ولا علينا ، فكشطت المدينة فجعلت تمطر حولها ، ولا تمطر بالمدينة قطرة ، فنظرت إلى المدينة وإنها لفي شكل الإكليل . ترجم عليه البخاري باب الدعاء إذا كثر المطر حوالينا ولا علينا[١] .

وخرجه مسلم بنحوه وزاد : وألف الله بين السحاب ومكثنا ، حتى رأيت الرجل الشديد تهمه نفسه أن يأتي أهله[٢] ، وخرجه من حديث أسامة أن حفص ابن عبد الله بن أنس حدثه أنه سمع أنس بن مالك يقول : جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ يوم الجمعة وهو على المنبر ... ، واقتصَّ الحديث وزاد : فرأيت السحاب يتمزق كأنه الملاء حين تطوى[٣] .

وخرج البخاري[٤] ، وأبو داود [٥] وقاسم بن أصبغ من حديث حماد عن عبد

---

(١) (فتح الباري) : ٢ / ٦٥١ ، كتاب الاستسقاء ، باب (١٤) الدعاء إذا كثر المطر : « حوالينا ولا علينا » ، حديث رقم (١٠٢١) ، (مسلم بشرح النووي) : ٦ / ٤٤٦ ، كتاب صلاة الاستسقاء ، باب (٢) الدعاء في الاستسقاء ، حديث رقم (١٠) من أحاديث الباب ، والإكليل بكسر الهمزة : قال أهل اللغة : هي العصابة ، وتطلق على كل محيط بالشيء ، (سنن النسائي) : ٣ / ١٧٨ - ١٧٩ ، كتاب الاستسقاء ، باب (١٠) وذكر الدعاء ، حديث رقم (١٥١٦) .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ٦ / ٤٤٧ ، كتاب صلاة الاستسقاء ، باب (٢) الدعاء في الاستسقاء ، حديث رقم (١١) من أحاديث الباب .

(٣) (مسلم بشرح النووي) : ٦ / ٤٤٧ ، كتاب صلاة الاستسقاء ، باب (٢) الدعاء في الاستسقاء ، حديث رقم (١٢) من أحاديث الباب .

(٤) (فتح الباري) : ٦ / ٧٢٩ ، كتاب المناقب ، باب (٢٥) علامات النبوة في الإسلام ، حديث رقم (٣٥٨٢) .

(٥) (عون المعبود) : ٤ / ٢٧ - ٢٨ ، جماع أبواب صلاة الاستسقاء وتفريعها ، باب (٢٥٨) رفع اليدين في الاستسقاء ، حديث رقم (١١٧١) .

العزيز بن صهيب ،عن أنس بن مالك قال : أصاب أهل المدينة قحط على عهد رسول الله ﷺ فبينما هو يخطب بهم جمعة ، إذ قام رجل فقال : يارسول الله ، هلك الكراع و هلك الشاءُ ، فادع الله لنا أن يسقينا ، فمد يديه فدعا ، قال أنس : وإن السماء كمثل الزجاجة ، فهاجت ريح أنشأت سحاباً ، ثم اجتمع ، ثم أرسلت السماء عزاليها .

فخرجنا نخوض الماء حتى أتينا منازلنا ، فلم نزل نمطر إلى الجمعة الأخرى ، فقام إليه ذلك الرجل فقال : يا رسول الله ! تهدمت البيوت فادع الله أن يحبسه ، فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال : حوالينا ولا علينا ، فنظرتُ إلى السحاب تصدع حول المدينة كأنه إكليل . ولفظهم فيه متقارب جداً ، وانتهى قاسم إلى قوله : إلى الجمعة الأخرى ، ثم أحاله على حديث مالك المتقدم .

وخرج البخاري من حديث أبي عوانة ، عن قتادة عن أنس ، ومن حديث سعيد عن قتادة عن أنس ، أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ وهو يخطب بالمدينة فقال : قحط المطر فاستسق ربك ، فنظر إلى السماء وما نرى من سحاب ، فاستسقي فنشأ السحاب بعضه إلى بعض ثم مطروا حتى سالت مثاعب المدينة ، فما زالت إلى الجمة المقبلة ما تقلع .

ثم قام ذلك الرجل أو غيره والنبي ﷺ يخطب ، فقال : غرقنا ، فادع ربك يحبسها عنا ، فضحك ثم قال : اللهم حوالينا ولا علينا – مرتين أو ثلاثاً – فجعل السحاب يتصدع عن المدينة يميناً وشمالاً ، يمطر ما حوالينا ولا يمطر منها على شيء ، يريهم الله كرامة نبيه ﷺ وإجابة دعوته .

ذكره في كتاب الأدب في باب التبسم والضحك(1) ، وذكره في [كتاب] الدعاء في باب الدعاء غير مستقبل القبلة من حديث أبي عوانه(2) .

---

(1) (فتح الباري) : ١٠ / ٦١٨ ، كتاب الأدب ، باب (٦٨) التبسم والضحك ، حديث رقم (٦٠٩٣) ، قال أهل اللغة : التبسم مبادىء الضحك ، والضحك انبساط الوجه حتى تظهر الأسنان من السرور ، فإن كان بصوت وكان بحيث يسمع من بعد فهو القهقة ، وإلا فهو الضحك ، وإن كان بلا صوت فهو التبسم ، وتسمى الأسنان في مقدم الفم الضواحك ، وهي الثنايا والأنياب ، وما يليها وتسمى النواجذ .

(2) (فتح الباري) : ١١ / ١٧٢ ، كتاب الدعوات ، باب (٢٤) الدعاء غير مستقبل القبلة ، حديث رقم (٦٣٤٢) .

وخرج قاسم بن أصبغ من حديث سهل بن يوسف ، عن حميد قال : سُئل أنس : هل كان رسول الله ﷺ يرفع يديه في الدعاء ؟ فقال : نعم ، شكى الناس إليه ذات جمعة فقالوا يا رسول الله ! قحط المطر وأجدبت الأرض وهلك المال ، قال : فرفع يديه حتى رأيت بياض إبطيه ، وما في السماء قزعة سحابة ، فما صلينا حتى أن الشاب القوي القريب المنزل ليهمنه الرجوع إلى منزله ، قال : فدامت علينا جمعة ، قال : فقالوا : يارسول الله ؟ تهدمت الدور واحتبس الركبان ، قال : فتبسم رسول الله ﷺ من سرعة ملالة ابن آدم فقال : اللهم حوالينا ولا علينا ، فأصحت السماء .

وذكر البخاري – غفر الله ذنوبه – في باب رفع الناس أيديهم مع الإمام في الاستسقاء ، من حديث سليمان بن بلال قال : قال يحيى بن سعيد : سمعت أنس ابن مالك [يقول :] أتى رجل أعرابي من أهل البدو إلى رسول الله ﷺ يوم الجمعة فقال : يا رسول الله ! هلكت الماشية ، هلك العيال ، هلك الناس ، فرفع رسول الله ﷺ يديه يدعو ، ورفعوا أيديهم معه يدعون ، قال : فما خرجنا من المسجد حتى مُطرنا ، فما زلنا نمطر حتى كانت الجمعة الأخرى ، فأتى الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، يشق المسافر ومُنع الطريق(١) .

وذكر أبو عمر بن عبد البر – رحمة الله عليه – عن موسى بن عقبة ، أن أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ وقد أجدبت عليهم السنة ، فقال : يارسول الله ! إنه مرت بنا سنون كسنى يوسف ، فادع الله لنا ، فقام رسول الله ﷺ إلى المنبر يجر رداءه وحوَّله عن كتفه ثم قال : اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً هزجاً نجحاً ، فما استتم الدعاء حتى استقلت سحابة تُمطر سحاً ، فلم يزل كذلك حتى قدم أهل الأسافل يصيحون : الغرق ، فضحك عليه السلام حتى بدت نواجذه ثم قال : لله درّ أبو طالب ! لو كان حاضراً لقرت عيناه ، أما منكم أحد ينشدني شعره ؟ فقام علي بن أبي طالب رضي الله عنه

---

(١) (فتح الباري) : ٢ / ٦٥٦ ، كتاب الاستسقاء ، باب (٢١) ، رفع الناس أيديهم مع الإمام في الاستسقاء ، حديث رقم (١٠٢٩) ، وقد تضمنت هذه الترجمة الرد على من زعم أنه يكتفي بدعاء الإمام في الاستسقاء.

فقال : لعلك تريد [يا] رسول الله قوله :

وأبيض يُستسقي الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمة للأرامل

فقال الأعرابي – وكان من مزينة – :

لله الحمد والحمد ممن شكر سُقينا بوجه النبي المطرْ
دعا ربه المصطفى دعوة فأسلم معها إليه البصر
فلم يك إلا أن ألقى أفرداً وأسرع حتى لقينا الدررْ
ولم ترجع الكف عند الدعا إلى النحر حتى أفاض الغدرْ
سحاب وما في أديم السما سحاب يراه الحديد النظرْ
فكان كما قال عمه وأبيض يسقي به ذو غُدرْ
به يُنزل الله غيث السما فهذا العيان لذاك الخبرْ
فمن يشكر الله يلقى المزيد ومن يكفر الله [يلق] الغبرْ

قال موس بن عقبة : فأمر له النبي ﷺ راحلتين وكساه ﷺ ثوباً .

قال أبو عمر – رضي الله عنه –: وقد رُوي هذا الخبر عن مسلم الملائي ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه بغير هذه الألفاظ ، قال : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ! أتيناك وما لنا صبي يصطبح ، ولا بعير يئط[1] ، وأنشد :

أتيناك والعذراء يدمي لبانها وقد شغلت أم الصبي عن الطفل
وألقى بكفيه وخرَّ استكانةً من الجوع هرما ما يمر وما يحلى
ولا شيء مما يأكل الناس عندنا سوى الحنظل العافي والغلمة الفشل
وليس لنا إلا إليك فرارنا وأين فرار الناس إلا إلى الرسل ؟

فقام رسول الله ﷺ يجر رداءه حتى صعد المنبر ، فرفع يديه ثم قال : اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً مرياً مريعاً طبقاً واسعاً ، نافعاً غير ضار ، عاجلاً غير رائث ، تملأ به الضرع وتنبت به الزرع ، وتحيي به الأرض بعد موتها ، وكذلك تُخرجون .

---

(١) يئط : بفتح أوله وكسر الهمزة ، وفي رواية : يغط بالمعجمة ، والأطيط : صوت البعير المثقل ، والغطيط : صوت النائم كذلك ، وكنَّى بذلك عن شدة الجوع ، لأنهما إنما يقعان غالباً عن الشبع ، (فتح الباري) : ٢ / ٦٢٩ .

قال : فما ردَّ رسول الله ﷺ يديه حتى التفت السماء بأزواجها ، وجاء أهل البطاح يضجون : الغرق .. الغرق ، فقال النبي ﷺ : اللهم حوالينا ولا علينا ، فانجاب السحاب عن المدينة حتى أحدق بها كالإكليل ، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه ، ثم قال : لله در أبي طالب ، لو كان حياً لقرت عيناه ، من ينشدني قوله : فقال علي رضي الله عنه : أنا يا رسول الله ، لعلك تريد قوله :

وأبيض يُستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأراملِ
يطيف به الهُلّاكُ من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضلِ
كذبتم وبيت الله يُبْزِى محمداً ولما نقاتل حوله ونناضلِ
ونُسْلِمُهُ حتى نُصرَّع حوله ونَذْهَلُ عن أبنائنا والحلائِلِ

فقال رسول الله ﷺ : أجل ، فقام رجل من كنانة فقال :

لك الحمد والحمد ممن شكر [سقينا بوجه النبي المطر]

فذكر الأبيات ، فقال رسول الله ﷺ : إن بك شاعراً حسن ، فقد أحسنت .

وخرج البخاري - رضي الله عنه ورحمه - من حديث عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار ، عن أبيه ، سمعت أن عمر يتمثل بشعر أبي طالب يقول :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل[1]

وقال عمر بن حمزة : حدثنا سالم عن أبيه ، ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه النبي ﷺ يستسقى ، فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وهو قول أبي طالب[2] .

---

(١) (فتح الباري) : ٢ / ٦٢٨ ، كتاب الاستسقاء ، باب (٣) سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا ، حديث رقم (١٠٠٨) .

(٢) المرجع السابق ، حديث رقم (١٠٠٩) ، قال الحافظ في (الفتح) : قال السهيلّي : فإن قيل : كيف قال أبو طالب : « يُستسقى الغمام بوجهه » ، ولم يره قط استسقى ، إنما كان ذلك منه بعد الهجرة ؟ وأجاب بما حاصله : إن أبا طالب أشار إلى ما وقع في زمن عبد المطلب حيث استسقى لقريش ، والنبي ﷺ معه غلام .

ويحتمل أن يكون أبو طالب مدحه بذلك لما رأى من مخايل ذلك فيه ، وإن لم يشاهد =

هكذا أورد البخاري – رحمه الله تعالى – هذا الحديث تعليقاً ، وقد أسنده تقي ابن مخلد فقال : حدثنا أحمد بن حنبل ، حدثنا أبو النصر ، حدثنا أبو عقيل عبد الله بن عقيل ، حدثنا علي بن حمزة ، عن عبد الله بن عمر – رضي الله تعالى عنهما – حدثنا سالم عن أبيه – رحمة الله تعالى عليه – قال : ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه رسول الله ﷺ على المنبر يستسقى ، فما ينزل – عليه الصلاة والسلام – حتى يجيش كل ميزاب ، فأذكر قول الشاعر حيث يقول – وهو قول أبي طالب –:

وأبيض[1] يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال[2] اليتامى عصمة[3] للأرامل[4]

= وقوعه . وذكر ابن التين أن في شعر أبي طالب هذا دلالة على أنه كان يعرف نبوة النبي ﷺ قبل أن يبعث ، لما أخبره بحيرا أو غيره من شأنه .

ومعرفة أبي طالب بنبوة رسول الله ﷺ جاءت في كثير من الأخبار ، وتمسك بها الشيعة في أنه كان مسلماً . ورأيت لعلي بن حمزة البصري جزءاً جمع فيه شعر أبي طالب ، وزعم في أوله أنه كان مسلماً ، وأنه مات على الإسلام ، وأن الحشوية تزعم أنه مات على الكفر ، وأنهم لذلك يستجيزون لعنه ، ثم بالغ في سبهم والردّ عليهم ، واستدل لدعواه بما لا دلالة فيه .

وقد بين الحافظ ابن حجر فساد ذلك كله في :

ـ ترجمة أبي طالب من كتاب (الإصابة) .

ـ ترجمة أبي طالب من كتاب مبعث النبي ﷺ في شرح البخاري ، (فتح الباري) : ٢ / ٦٣١ مختصراً .

(١) قوله : « وأبيضَ » بفتح الضاد ، وهو مجرور برُبَّ مقدَّرة ، أو منصوب بإضمار أعنى أو أخص ، والراجح أنه بالنصب عطفاً على قوله : « سيداً » في البيت الذي قبله :

وما ترك قوم لا أباً لك سيداً ... يحوط الذمار بين بكر ووائل

(٢) قوله : « ثمال » بكسر المثلثة وتخفيف الميم : هو العماد ، والملجأ ، والمطعم ، والمعين ، والمغيث ، والمكافىء ، وقد أطلق على كل من ذلك .

(٣) عصمة : أي يمنعهم مما يضرهم .

(٤) الأرامل : جمع أرملة ، وهي الفقيرة التي لا زوج لها ، وقد يستعمل في الرجل أيضاً مجازاً .

وهذا البيت من أبيات قصيدة طويلة ، ذكرها ابن إسحاق في السيرة بطولها ، [وهي أكثر من تسعين بيتاً] ، أولها :

ولما رأيتُ القــومَ لاوُدَّ فيهمُ ... وقد قطعوا كلَّ العُرى والوسـائِلِ

وآخرها

فإن تكُ كعبٌ من لؤيٍّ صُقَيْبةً ... فـلابُدَّ يومـاً مـرة من تزايل

قال ابن هشام بعد أن أوردها كاملة وشرح غريبها : هذا ما صح لي من هذه القصيدة ، وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها . (سيرة ابن هشام) : ٢ / ١٠٨ – ١١٦ ، شعر أبي طالب في معاداة خصومه .

وخرج أبو محمد بن حبان من حديث مروان بن أبي معاوية قال : حدثنا محمد ابن أبي ذؤيب المدني ، عن عبد الله بن محمد بن عمر بن حاطب الجمحي ، عن أبي وجزة يزيد بن عبيد السلمي[(١)] قال : لما قفل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك ، أتاه وفد بني فزارة بضعة عشر رجلاً ، فيهم : خارجة بن حصن ، والجدّ[(٢)] ابن قيس - وهو أصغرهم ، ابن أخي عيينة بن حصن - فنزلوا في دار رملة بنت الحارث من الأنصار ، وقدموا على إبل ضعاف عجاف وهم مُسْنتون ، فأتو رسول الله ﷺ مقرين بالإسلام فسألهم عن بلادهم فقالوا : يا رسول الله أَسْنَتَتْ بلادنا ، و أجدب جنابنا ، وعريت عيالنا ، وهلكت مواشينا ، فادع ربك أن يغيثنا و تشفّع لنا إلى ربك ويشفع ربك إليك ، فقال رسول الله ﷺ سبحان الله !! ويلك ، أنا شفعت إلى ربي ، فمن ذا الذي يشفع ربنا إليه ، لا إله إلا العظيم ، وسع كرسيه السموات والأرض ، وهو يئط من عظمته وجلاله كما يئط الرَّحْل الجديد[(٣)] .

---

(١) هو يزيد بن عبيد أبو وجزة - بفتح الواو وسكون الجيم بعدها زاي ، كما في (التقريب) - السعديّ المدني الشاعر ، ذكره ابن حبان في (الثقات) ، وقال الواقدي ومحمد بن عبد الله بن نمير وغيرهما : مات سنة ثلاثين ومائة ، وذكره ابن سعد في الطبقة الرابعة ، وقال : كان ثقة قليل الحديث ، شاعراً عالماً ، وقال إسحاق بن منصور عن ابن معين : ثقة . وحكى المرزباني قولاً : أن اسم أبيه مسلم . (تهذيب التهذيب) : ١١ / ٣٠٥ ، ترجمة رقم (٥٦٩) .

ويزيد بن عبيد هذا له في (الإحسان بتقريب صحيح ابن حبان) حديثان : رقم (٥٢١١ ، ٥٢١٥) ، ليس من بينهما هذا الحديث . (الإحسان بتقريب صحيح ابن حبان) : ١٨ / ٢٧٢ ، فهرس الرواة .

(٢) في (دلائل البيهقي) : « الحُرُ بن قيس » مضبوطة بضم الحاء والراء ، وهو خطأ ، وما أثبتناه من (خ) ، وابن هشام في (السيرة) ، والجد بن قيس هذا هو الذي قال له النبي ﷺ : يا جدُّ ، هل لك العام في جلاد بني الأصفر - يعني الروم - فقال : يا رسول الله ، أو تأذن لي ولا تفتني ؟ فوالله لقد عرف قومي أنه ما من رجل بأشدّ عُجْباً بالنساء مني ، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر ، فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال : قد أذنتُ لك .

ففي الجَدِّ بن قيس نزلت هذه الآية : ﴿ **ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين** ﴾ [التوبة : ٤٩] ، أي إن كان إنما خشي الفتنة من نساء بني الأصفر ، وليس ذلك به فما سقط فيه من الفتنة أكبر ، بتخلفه عن رسول الله ﷺ ، والرغبة بنفسه عن نفسه . (سيرة ابن هشام) : ٥ / ١٩٥ - ١٩٦ . غزوة تبوك .

(٧) إنما هو كلام تقريب ، أريد به تقريب عظمة الله عزّ وجلّ ، وفي الحديث : العرش على منكب إسرافيل وإنه لَيَئِطُّ أطيط الرَّحْل الجديد ، يعني كورَ الناقة أي أنه ليعجز عن حمله وعظمته ، إذ كان =

ثم قال رسول الله ﷺ إن الله ليضحك من شعثكم وأذاكم وقرب غياثكم ، فقال الأعرابي : أو يضحك ربنا يا رسول الله ؟ قال : نعم ، فقال الأعرابي : لن نعدم يا رسول الله من رب يضحك خيراً ، فضحك رسول الله ﷺ من قوله ، فقام رسول الله ﷺ فصعد المنبر ، وتكلم بكلمات ورفع يديه – وكان رسول الله ﷺ لا يرفع يديه في شيء من الدعاء إلا في الاستسقاء – فرفع يديه ﷺ رؤي بياض إبطيه ، وكان مما حفظ من دعائه : اللهم اسق بلدك وبهيمتك ، وانشر رحمتك ، وأحي بلدك الميت ، اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً ، مريأ مريعاً ، طبقاً واسعاً ، عاجلاً غير آجل ، نافعاً غير ضار ، اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ، ولا هدمٍ ولا غرقٍ ولا مَحْقٍ ، اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الأعداء ، .

فقام أبو لبابة بن عبد المنذر فقال : يا رسول الله ! إن التمر في المرابد فقال رسول الله ﷺ : اللهم اسقنا فقال أبو لبابة : يا رسول الله إن التمر في المرابد [ثلاث مرات] ، فقال رسول الله ﷺ اللهم اسقنا حتى يقوم أبو لبابة عرياناً يسد ثعلب مربده بإزاره .

قال : فلا والله ما في السماء من قزعة سحاب ، وما بين المسجد وسلع[1] من بناء ولا دار ، فطلعت من وراء سلع[1] سحابة مثل التُّرس ، فلما توسطت السماء انتشرت وهم ينظرون ثم أمطرت ، فوالله ما رأوا الشمس ستّاً ، فقام أبو لبابة عرياناً يسد ثعلب مربده بإزاره لئلا [يخرج][2] التمر منه .

فقال الرجل – يعني الذي سأله أن يستسقى لهم –: [يا رسول الله][2] هلكت الأموال وانقطعت السبل ، فصعد رسول الله ﷺ المنبر ، فدعا ورفع يديه مداً حتى رؤي بياض إبطيه ثم قال : اللهم حوالينا ولا علينا ، على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر ، فانجابت السحابة عن المدينة انجياب الثوب[3] .

= معلوماً أن أطيط الرَّحْل بالراكب إنما يكون لقوة ما فوقه وعجزه عن احتماله ، وفي حديث الاستسقاء : لقد أتيناك وما لنا بعير يَئِطُّ ، أي يحنُّ ويصيح ، يريد مالنا بعير أصلاً ، لأن البعير لابد أن يئط . وفي المثل : لا آتيك ما أطَّت الإبلُ . (لسان العرب) : ٧ / ٢٥٦ .

(١) اسم جبل .

(٢) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي) .

(٣) (دلائل البيهقي) : ٦ / ١٤٣ – ١٤٤ ، (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٤٤٩ حديث رقم (٣٧١) .

ولأبي عبد الرحمن بن أبي حاتم ، من حديث عبد الرحمن بن حرملة ، عن سعيد ابن المسيب ، عن أبي لبابة : عن عبد الله بن المنذر الأنصاري[١] ، قال : استسقى رسول الله ﷺ ، يوم الجمعة فقال : اللهم اسقنا ، [اللهم اسقنا][٢] ، فقام أبو لبابة فقال : يا رسول الله ، إن التمر في المرابد وما في السماء سحاب نراه ، فقال النبي ﷺ : اللهم اسقنا ، فقام أبو لبابة فقال : يا رسول الله ، إن التمر في المرابد ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم اسقنا حتى يقوم أبو لبابة يسد ثَعلب مِرْبده بإزاره ، فأزبدت السماء وأمطرت ، وصلى بنا رسول الله ﷺ ، ثم طاف الأنصار بأبي لبابة يقولون له : يا أبا لبابة ، إن السماء والله لن تقلع حتى تقوم عرياناً تسد ثعلب مربدك بإزارك كما قال رسول الله ﷺ ، قال فقام أبو لبابة عرياناً يسد ثعلب مربده[٣] بإزاره ، فأقلعت السماء[٤] .

وخرج البيهقي من حديث يحيى بن أيوب قال : حدثنا ابن زحر ، عن علي ابن يزيد عن القاسم ، عن أبي أمامة الباهلي قال : قام رسول الله ﷺ يوماً ضحى في المسجد ، فكبر ثلاث تكبيرات ثم قال : اللهم اسقنا - ثلاثا - اللهم ارزقنا سمناً ، ولبناً ، وشحماً ، وما نرى في السماء سحاباً ، فثارت ريح وغبرة ، ثم اجتمع سحاب فغمت السماء ، فصاح أهل الأسواق ، فانصرف رسول الله ﷺ ، وانصرفت أمشي بمشيه وهو يقول : هذا أحدثكم عهداً بربه[٥] .

وخرج من حديث شبابة قال : حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة : عن سالم ابن أبي الجعد ، بن السبط قال لكعب بن مرة - أو مرة بن كعب - البهري ، حَدِّثْنا بحديث سمعته من رسول الله ﷺ لله أبوك ، واحذر ، قال : دعا رسول الله ﷺ على مُضَر ، فأتاه أبو سفيان فقال : يا رسول الله ! إن قومك قد هلكوا فادع الله لهم ، قال شعبة : وزاد حبيب بن أبي ثابت فيه بهذا الإسناد ، أن أبا سفيان قال

---

(١) في (دلائل البيهقي) : « عن أبي أمامة بن عبد المنذر الأنصاري » .
(٢) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي) .
(٣) ثعلب المربد : مكان خروج الماء منه ، والمربد : ما يجمع فيه التمر .
(٤) المرجع السابق : ١٤٥ .
(٥) (دلائل البيهقي) : ٦ / ١٤٥ .

للنبي ﷺ : إني أتيتك من عند قوم لم يخطم لهم فحل و لم يتزود له راع ، ثم رجع إلى حديث عمرو ، فقال [النبي] ﷺ : اللهم اسقنا غيثاً ، مغيثاً ، غَدَقاً طبقاً مريعاً نافعاً ، غير ضار ، عاجلاً غير رائِث ، قال شعبة : وزاد حبيب بن أبي ثابت قال : فما لبثنا غير جمعة حتى مُطرنا[1] .

وخرج أبو نعيم من حديث جرير [بن حازم] قال سمعت محمد بن إسحق يحدث عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر ، عن الربيع بنت معوذ بن عفراء قال : بينا نحن عند رسول الله ﷺ في بعض أسفاره إذ احتاج الناس إلى وضوء ، فالتمسوا في الركب ماءاً فلم يجدوا ، فجاءني عمي معوذ بن عفراء فقال لي : يا بنية هل في إداوتك ماء يتوضأ رسول الله ﷺ ؟ فقلت : لا ، والذي بعثه بالحق ما فيها شيء ، فأتى رسول الله ﷺ وقال : ما في الركب ماء ، فدعا رسول الله ﷺ فأمطرت حتى استقى الناس وسقوا .

* * *

(١) (المرجع السابق) : ١٤٥ - ١٤٦ .

[ثالث وعشرون : ظهور بركته ﷺ في ركى قليل الماء حتى صارت نهراً يجري]

وأما ظهور بركته ﷺ في ركى قليل الماء حتى صارت نهراً يجري ، فخرج الإمام أحمد من حديث حميد ، عن يونس عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ في مسير ، فأتينا على ركى زمة – يعني قليلة الماء – فنزل فيها ستة أنا سادسهم ماحة ، قال : فأدليت إلينا دلوٌ ، قال : ورسول الله ﷺ على شفة الركى ، فجعلنا فيها نصفها أو قراب ثلثيها ، فرفعت إلى رسول الله ﷺ [قال البراء : فكدت بإنائي هل أجد شيئاً أجعله في حلقي ؟ فما وجدت . فرفعت الدلو إلى رسول الله ﷺ][1] فمس يده فيها فقال ما شاء الله أن يقول ، فعيدت إلينا الدلو بما فيها ، قال : فلقد رأيت أحدنا أخرج بثوب خشية الغرق ، قال : ثم ساحت ، يعني جرت نهراً[2] .

* * *

(١) ما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (مسند أحمد) .

(٢) (مسند أحمد) : ٥ / ٣٧٢ – ٣٧٣ ، حديث رقم (١٨١١١) .

[رابع وعشرون : ظهور بركته ﷺ في البئر بقباء]

وأما ظهور بركته ﷺ في البئر بقباء ، فخرج البيهقي من حديث ابن هيثم بن طهمان ، عن يحيى بن سعيد أنه حدثه أن أنس بن مالك رضي الله عنه أتاهم بقباء فسألهم عن بئر هناك ، قال : فدللته عليها فقال : لقد كانت هذه وإن الرجل لينضح على حماره فينزح[1] ، فيستخرجها له ، فجاء رسول الله ﷺ فأمر بذنوب[2] فسقى ، فإما أن يكون توضأ منه أو تفل فيه ، ثم أمر به فأعيد في البئر ، قال : فما نُزحت[3] بعد ، قال : فرأيته بال ثم جاء فتوضأ ومسح على خفيه ثم صلى[4] .

* * *

(١) في (خ) : « فيستريح » . (٢) الذنوب : هو الدلو .

(٣) في (خ) : « فما برحت » .

(٤) (دلائل البيهقي) : ٦ / ١٣٦ ، باب ما ظهر في البئر التي كانت بقباء من بركته ﷺ ، (البداية والنهاية) : ٦ / ١٠١ .

[خامس وعشرون : ظهور بركته ﷺ في بئر قليلة الماء ، بعث إليها بحصيات ألقيت فيها فغزر ماؤها]

وأما ظهور بركته ﷺ في بئر قليلة الماء ، بعث إليها بحصيات ألقيت [فيها] فعزر ماؤها ، فخرج أبو نعيم من حديث الحارث بن أبي أسامة قال : حدثنا أبو عبد الرحمن المقرى ، حدثنا عبد الرحمن بن زياد بن [أنعم] عن زياد بن نعيم الحضرمي ، عن زياد بن الحارث الصدائي قال :

أتيت النبي ﷺ فبايعته على الإسلام ، ثم أتى وفد من قومي بإسلامهم ، ثم قالوا : يا رسول الله ! إن لنا بئراً إذا كان الشتاء وسعنا ماؤها فاجتمعنا إليه ، فإذا كان الصيف قل ماؤها فتفرقنا على مياه حولنا ، وإنا لا نستطيع أن نتفرق اليوم [ولنا عدو] ، فادع الله لنا أن يسقينا ماؤها ، فدعى بسبع حصيات فعركهن بيده ودعا ، ثم قال : إذا أتيتموها فألقوها واحدة واحدة واذكروا اسم الله عليها ، قال : فما استطاعوا أن ينظروا إلى قعرها بعدها[1] وسيأتي حديث ابن زياد هذا بطوله .

وقال الواقدي في غزوة تبوك : قالوا : وقدم نفر من بني سعد هُذَيم على رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله ! إنا قدمنا عليك وتركنا أهلنا على بئر لنا قليل ماؤها ، وهذا القيظ ونحن نخاف إن تفرقنا أن تقطع ، لأن الإسلام لم يَفْشُ حولنابعد ، فادع الله لنا في ماء بئرنا ، وإن روينا به فلا قوم أعزّ منا ، لا يعير بنا أحد مخالف لديننا ، فقال رسول الله ﷺ : أبلغوني حصيات ! فتناولت ثلاث حصيات فدفعتهن إليه ، فعركهن بيده ثم قال : اذهبوا بهذه الحصيات إلى بئركم ، فاطرحوها واحدة واحدة وسمّوا الله .

قال : فانصرفوا من عند رسول الله ﷺ ففعلوا ذلك ، فجاشت بئرهم بالرواء ، ونفوا من قاربهم من المشركين ووطئوهم ، فما انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة حتى أوطأوا من حولهم غلبة ودانوا بالإسلام[2] .

---

(١) ذكره أبو نعيم في (دلائل النبوة) : ٢ / ٤١٢ - ٤١٣ ، حديث رقم (٣٢١) بسنده لكن بسياقة أخرى .

(٢) (مغازي الواقدي) : ٣ / ١٠٣٤ - ١٠٣٥ .

قال المؤلف – عفى الله عنه ورحمه –: في حديث زياد بن الحرث الصدائيُ أنها بئر قومه ، فإما أن يريد قبيلته من صداء ، فهم بطن من مذحج ، وصداء حلفاء بني الحرث بن كعب بن عمرو بن علة ، وإما أن يريد بقومه اليمن ، فإن صداء حي من اليمن ، وأما الذي خبرَّ الواقدي رحمه الله : فإن البئر لسعد هُذيم ، وسعد هُذيم من قضاعة ، وقضاعة من اليمن ، فإنهم بنو سعد هُذيم بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة ، وهذيم عبد حبشيّ حضن سعداً ورباه فغلب عليه فقيل : سعد هُذيم ، ومن بني سعد هُذيم بنو عذرة ، فاحتمل أن يكون ما في حديث زياد بن الحارث وما في خبر الواقدي قصة واحدة ، واحتمل أن يكون ذلك كان مرتين في بئرين ، والله أعلم أيّ ذلك كان .

* * *

[سادس وعشرون : إفاقة جابر بن عبد الله]

وأما إفاقة جابر بن عبد الله - وقد أغمي عليه - لما صب عليه من وضوئه ﷺ فخرج البخاري ومسلم من حديث سفيان بن عيينة ، عن محمد بن المنكدر ، سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : مرضت فأتاني رسول الله ﷺ وأبو بكر يعوداني ماشيين ، فأغمي عليّ فتوضأ ثم صب عليّ من وضوئه فأفقت فقلت : يا رسول الله ! كيف أقضي في مالي ؟ فلم يردّ عليّ شيئاً حتى نزلت آية الميراث : ﴿ **يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة** ﴾[1] .

وفي لفظ البخاري : عن محمد بن المنكدر ، سمع جابر بن عبد الله يقول : مرضت فعادني رسول الله ﷺ وأبو بكر وهما ماشيان ، فأتاني وقد أُغمي عليّ ، فتوضأ رسول الله ﷺ فصبَّ عليّ وضوءه فأفقت فقلت : يا رسول الله ! كيف أصنع في مالي ؟ كيف أقضي في مالي ؟ فلم يجبني [النبي] ﷺ حتى نزلت آية الميراث . وذكره في أول كتاب الفرائض[2] ، وذكره في كتاب المرضى[3] في باب عيادة المغمى عليه بنحو منه .

---

(١) هذا لفظ مسلم ، ذكره في كتاب الفرائض ، باب (٢) ميراث الكلالة ، حديث رقم (١٦١٦) وذكره أيضاً من طرق كلها عن محمد بن المنكدر (مسلم بشرح النووي) : ١١ / ٦٠ - ٦٢ ، وفي هذا الحديث فضيلة عيادة المريض واستحباب المشي فيها * وفيه التبرك بآثار الصالحين وفضل طعامهم وشرابهم ونحوهما ، وفضل مؤاكلتهم ومشاربتهم ونحو ذلك * وفيه ظهور آثار بركة رسول الله ﷺ * وفيه الاستدلال على طهارة الماء المستعمل في الوضوء والغسل ، رداً على أبي يوسف القائل بنجاسته ، وهي رواية عن أبي حنيفة ، وفي الاستدلال به نظر ، لأنه يحتم أنه صب من الماء الباقي في الإناء ، ولكن قد يقال البركة العظمى فيما لاقى أعضاءه ﷺ في الوضوء * وفيه جواز وصية المريض وإن كان يذهب عقله في بعض أوقاته ، بشرط أن تكون الوصية في حال إفاقته وحضور عقله * وفيه دليل على عدم جواز اجتهاد النبي ﷺ في الأحكام ، حيث لم يردّ عليه شيئاً رجاء أن ينزل الوحي . (المرجع السابق مختصراً) ، والآية : ١٧٦ . النساء .

(٢) (فتح الباري) : ١٢ / ١ ، كتاب الفرائض ، باب (١) قوله تعالى : ﴿ **يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين** ﴾ ، حديث رقم (٦٧٢٣) والآية :١١ من سورة النساء .

(٣) (فتح الباري) : ١٠ / ١٤٠ - ١٤١ ، باب (٥) عيادة المغمى عليه ، حديث رقم (٥٦٥١) ، و « المغمى عليه » أي الذي يصيبه غشي تتعطل معه قوته الحساسة . قال ابن المنير : فائدة =

وخرج البخاري ومسلم والنسائي ، من حديث هشام بن أبي جريج ، أخبرهم قال : أخبرني ابن المنكدر عن جابر قال : عادني رسول الله ﷺ وأبو بكر في بني سلمة ماشيين ، فوجدني النبي ﷺ لا أعقل ، فدعا بماء فتوضأ منه ثم رش عليّ فأفقت فقلت : يارسول الله ! ما تأمرني أن أصنع في [مالي ؟ فنزلتْ] : ﴿ **يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين** ﴾ الآية[1] .

وخرجه مسلم والنسائي من حديث حجاج بن محمد قال : حدثنا محمد بن جريج ، فذكراه بنحو أو قريب منه[2] .

وخرج البخاري من حديث شعبة قال : أخبرني محمد بن المنكدر قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : دخل عليّ رسول الله ﷺ وأنا مريض لا أعقل ، فتوضأ فصبوا عليّ من وضوئه [فعقلت ، فقلت] : يا رسول الله ! إنما ترثني كلالة ، فنزلت آية الميراث فقلت لمحمد بن المنكدر : ﴿ **يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة** ﴾ قال : هكذا أنزلت . ذكره البخاري في مواضع ، من كتاب الفرائض وغيره[3] .

= الترجمة أن لا يعتقد أن عيادة المغمى عليه ساقطة الفائدة لكونه لا يعلم بعائده ، ولكن ليس في حديث جابر التصريح بأنهما علما أنه مغمى عليه قبل عيادته ، فلعله وافق حضورهما .

قال الحافظ ابن حجر : بل الظاهر من السياق وقوع ذلك حال مجيئهما وقبل دخولهما عليه ، ومجرد علم المريض بعائده لا تتوقف مشروعية العيادة عليه ، لأن وراء ذلك جبر خاطر أهله ، وما يرجى من بركة دعاء العائد ، ووضع يده على المريض ، والمسح على جسده ، والنفث عليه عند التعويذ ، إلى غير ذلك . (المرجع السابق) : ١٤١ .

(١) (فتح الباري) : ٨ / ٣٠٨ ، كتاب التفسير ، باب (٤) ﴿ **يوصيكم الله في أولادكم** ﴾ ، حديث رقم (٤٥٧٧) ، (مسلم بشرح النووي) : ١١ / ٦١ ، كتاب الفرائض ، باب (٢) ميراث الكلالة ، حديث رقم (٦) من أحاديث الباب ، (سنن النسائي) : ١ / ٩٣ ، كتاب الطهارة ، باب (١٠٣) الانتفاع بفضل الوضوء ، حديث رقم (١٣٦) .

(٢) في (مسلم) : الحديث رقم (٧) ، (٨) من أحاديث الباب ، وفي (النسائي) : الحديث رقم (١٣٨) من أحاديث الباب . ر : التعليق السابق .

(٣) سبقت الإشارة إليه .

[سابع وعشرون : نشاط البعير الذي قد أعيا ببركة وضوئه ﷺ]

وأما نشاط البعير الذي قد أعيا ببركة وضوئه ﷺ لما رشَّه عليه وسقاه من وضوئه ، فقال الواقدي في (كتاب المغازي) : حدثني عبيد بن يحيى عن معاذ بن رفاعة ، عن أبيه قال : خرجت مع النبي ﷺ إلى بدر ، وكان كل ثلاثة يتعاقبون بعيراً ، فكنت أنا وأخي خلاد بن رافع على بكر لنا ، ومعنا عبيد بن يزيد بن عامر ، فكنا نتعاقب ، فسرنا حتى إذا كنا بالروحاء[1] أذم بنا بكرنا فبرك علينا وأعيا ، فقال أخي : اللهم إن لك عليّ نذراً لئن رددتنا المدينة لأنْحرنَّه .

قال : فمر بنا النبي ﷺ ونحن على تلك الحال ، فقلنا يا رسول الله برك علينا بكرُنا ، فدعا رسول الله ﷺ بماءٍ ، فمضمض وتوضأ في إناء ، قال : افتحا فاه ، ففعلنا ثم صبَّه في فيه ، ثم على رأسه ، ثم على عَنقه ، ثم على حاركه[2] ، ثم على سنامه ، ثم على عَجُزِهِ ، ثم على ذنبه ، ثم قال : اركبا ، ومضى رسول الله ﷺ فلحقناه أسفل المنصرف[3] ، وإن بكرنا لينفر بنا حتى إذا كنا بالمصلى[4] راجعين من بدر برك علينا ، فنحره أخي فقسم لحمه وتصدق به[5] .

(١) الروحاء : موضع على ليلتين من مكة بينهما أحد وأربعون ميلاً .

(٢) الحارك : أعلى الكاهل ، وهو عظم مشرف من جانبيه ، ومنبت أدنى العرف إلى الظهر الذي يأخذ به من يركبه .

(٣) المنصرف : موضع بين مكة وبدر ، وبينهما أربعة بُرد .

(٤) المصلى : لغة : موضع الصلاة ، وهو هنا موضع بعينه في عقيق المدينة كما ذكر ياقوت الحموي في (معجم البلدان) : ٥ / ١٦٨ ، موضع رقم (١١٣٠٩) .

(٥) (مغازي الواقدي) : ١ / ٢٥ .

[ثامن وعشرون : عذوبة الماء بريقه المبارك]

فخرج أبو نعيم من حديث محمد بن عبد الله الأنصاري قال : حدثني أبي عن ثمامة ، عن أنس رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ يصلي فيطيل القيام ، وإن النبي ﷺ بزق في بئر داره ، قال : فلم يكن في المدينة بئر أعذب منها ، قال : وكانوا إذا حضروا استعذب لهم منها ، وكانت تسمى في الجاهلية البرَود[1] .

* * *

(١) (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٤٤٤ ، باب بوله وغائطه ، حديث رقم (٣٦٦) وقال فيه : « بال في بئر داره » ، وما أثبتناه من (خ) ، وهذا الحديث انفرد به أبو نعيم ، حيث لم أجده عند غيره .
والبَرُود : بالفتح ثم الضم وسكون الواو ودال مهملة ، قال يعقوب : البرود فيما بين ملل وبين طرف جبل جهينة . قال : والبرود أيضاً بطرف حرة النار أودية يقال لهن البوادر . والبرود : واد فيه بئر بطرف حرة ليلى ، قال : والبرود قرب رابغ ، ورابغ بين الجحفة وودَّان ، (معجم البلدان) : ١ / ٤٨١ ، موضع رقم (١٨٢٣) ، والبرود ، اسم ماء لبني بدر ، من بني ضمرة ، (معجم ما استعجم) : ١ / ٢٤٦ .

[تاسع وعشرون : حبس الدمع بما نضحه ﷺ في وجه امرأة]

وأما حبس الدمع بما نضحه ﷺ في وجه امرأة ، فخرج أبو نعيم من حديث بشار بن عبد الملك قال حدثتني جدتي أم حكيم قالت : سمعت أم إسحق تقول : هاجرت مع أخي إلى رسول الله ﷺ بالمدينة ، فلما كنت في بعض الطريق قال لي أخي : اقعدي يا أم إسحق[1] ، فإني نسيتُ نفقتي بمكة ، فقلت : إني أخشى عليك الفاسق زوجي ، قال : كلا إن شاء الله ، قالت : فأقمت أياماً فمرّ بي رجل قد عرفته ولا أسميه ، فقال : يا أم إسحق ! ما يجلسك ها هنا ؟ قلت : انتظر إسحق ، قال : لا إسحق لك ، قد قتله زوجك ، فتحملت حتى قدمت المدينة ، فأتيت النبي ﷺ وهو يتوضأ ، فقمت بين يديه فقلت : يا رسول الله ! قتل إسحق ، وجعلتُ كلما أنظر إليه نكّس [في الوضوء][2] ثم أخذ كفاً من ماء فنضحه في وجهي .

قال : قالت جدتي : فقد كانت تصيبها المصيبة فنرى الدموع في عينيها فلا تسيل على خديها[3] . [قال ابن عبد البر : أم إسحق الغنوية هاجرت إلى رسول الله ﷺ ، يروي عنها أهل البصرة][4] ، [حديثها فيمن أكل ناسياً غريب الإسناد][5] .

---

(١) اسمها فاطمة ، وقيل : جويرية ، وهي التي هاجرت الهجرتين : إلى أرض الحبشة و إلى المدينة .
(٢) زيادة للسياق .
(٣) (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٤٦٧ - ٤٦٨ ، قصة أم إسحاق ، حديث رقم (٣٩٩) ، وذكره البخاري في (التاريخ الكبير) : ٢ / ١٢٩ ، ترجمة رقم (١٩٣١) ، وبشار بن عبد الملك ذكره ابن حبان في (الثقات) : ٦ / ١١٣ .
(٤) زيادة من (خ) .
(٥) زيادة من (الاستيعاب) : ٤ / ١٩٢٥ ، ترجمة رقم (٤١٢٠) .

[ثلاثون : ذهاب الحزن وسرور النفس ببركة ما غمس فيه يده الكريمة ﷺ]

وأما ذهاب الحزن وسرور النفس ببركة ما غمس فيه يده الكريمة ﷺ ، ومضمض فاه ﷺ ، فقال الواقدي - رحمه الله - في غزوة بدر : بينا حارثة بن سراقة كارعا[1] في الحوض ، إذ أتاه سهم غرب ، فوقع في نحره ، فلقد شرب القوم آخر النهار من دمه ، فبلغ أمه وأخته - وهم بالمدينة - مقتله ، فقالت أمه : والله لا أبكي عليه حتى يقدم رسول الله ﷺ فأسأله ، فإن كان ابني في الجنة لم أبك عليه ، وإن كان ابني في النار بكيتُه [لعمر الله][2] فأعولته .

فلما قدم رسول الله ﷺ من بدر ، جاءت أمه فقالت : يا رسول الله ، قد عرفت موقع حارثة من قلبي [فأردتُ أن][2] ، أبكي عليه ، ثم قلت لا أفعل حتى أسأل رسول الله ﷺ فإن كان في الجنة لم أبك عليه وإن كان في النار بكيته فأعولته ، فقال النبي ﷺ أهَبَلت !؟ جنة واحدة ، إنها جنان كثيرة ، والذي نفسي بيده إنه لفي الفردوس الأعلى ، قالت : فلا أبكي عليه أبداً ، ودعا رسول الله ﷺ بإناء من ماء ، فغمس يده فيه ومضمض فاه ، ثم ناول أم حارثة فشربت ، ثم ناولت ابنتها فشربت ، ثم أمرهما فنضحتا في جيوبهما ففعلتا ، فرجعتا من عند النبي ﷺ وما بالمدينة امرأتان أقر عيناً منهما ولا أَسَرّ . هكذا أورد محمد بن عمر الواقدي هذا الحديث في (كتاب المغازي) بغير إسناد[3] .

وقد خرج الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري في (كتاب الجامع الصحيح) ، في كتاب الرقاق ، في باب صفة الجنة والنار ، من حديث إسحق عن

---

(١) كل خائض ماءاً شرب أو لم يشرب . (اللسان) : ٨ / ٣٠٨ .

(٢) زيادة للسياق من (مغازي الواقدي) .

(٣) (مغازي الواقدي) : ١ / ٩٤ ، وقد ذكره الواقدي معطوفاً على الخبر الذي قبله ولعلَّ الخبرين بإسناد واحد وهو : « حدثني أسامة بن زيد عن داود بن الحصين : عن رجال من بني عبد الأشهل عدة ... » .
وقد ذكره الإمام البخاري في الفقرة التالية مما يؤكد على صحته .

حميد قال : سمعت أنساً يقول : أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام ، فجاءت أمه إلى النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله ! قد عرفت منزلة حارثة مني ، فإن يك بالجنة أصبر وأحتسب ، وإن تكن الأخرى ترى ما أصنع ؟ فقال : ويحك ! أَهَبلت ؟ أو جنة واحدة هي ؟ إنها جنان كثيرة ، وإنه في جنة الفردوس[1]

ومن حديث إسماعيل بن جعفر ، عن حميد عن أنس ، أن أم حارثة أتت النبي ﷺ ، وقد هلك حارثة يوم بدر – أصابه سهم غرب – فقالت : يا رسول الله ! قد علمت موقع حارثة من قلبي ، فإن كان في الجنة لم أبك عليه ، وإلا سوف ترى ما أصنع ، فقال لها : أجنة واحدة هي ؟ إنها جنان كثيرة ، وإنه في الفردوس الأعلى[2] .

وحارثة هذا هو حارثة بن سراقة بن الحارث بن عدي بن مالك بن عدي بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار ، وأمه أم حارثة عمة أنس بن مالك . قتله حبان ابن العَرِقة يوم بدر بسهم وهو يشرب من الحوض – وكان خرج نظَّاراً – رماه فأصاب حنجرته فقتله .

* * *

(١) (فتح الباري) : ١١ / ٥٠٦ ، كتاب الرقاق ، باب (٥١) صفة الجنة والنار ، حديث رقم (٦٥٥٠) .

(٢) (المرجع السابق) : ٥٠٩ – ٥١٠ ، حديث رقم (٦٥٦٧) .

[حادي وثلاثون : عذوبة الماء ببركته عليه السلام]

وأما عذوبة الماء ببركته ﷺ ، فقال الزبير بن بكار : حدثني إبراهيم بن حمزة عن إبراهيم بن فسطاس ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي قال : مرَّ رسول الله ﷺ في غزوة ذي قرد على ماء يقال له بَيْسان[1] ، فسأل عنه فقيل : اسمه يا رسول الله بَيْسان[1]وهو مالح ، فقال رسول الله ﷺ : لا بل هو نَعْمان وهو طيب ، فغيَّر رسول الله ﷺ اسمه ، وغيَّر الله تبارك وتعالى الماء ببركته ﷺ ، فاشتراه طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه [ثم تصدق به][2] ، فقال رسول الله ﷺ ! ما أنت يا طلحة إلا فيَّاض ، فبذلك سمى رضي الله عنه : طلحة الفياض . وضبطه البكري - رحمة الله تعالى عليه - بفتح أوله وبالسين المهملة[3] .

* * *

---

(١) موضعان : أحدهما بالشام ، والثاني بالحجاز .

(٢) زيادة للسياق من المرجع التالي .

(٣) ذكره ياقوت الحموي في (معجم البلدان) : ١ / ٦٢٥ ، موضع رقم (٢٣٥٤) ،وأبو عبيدة البكري في (معجم ما استعجم) : ١ / ٢٩٢ ، كلاهما عن الزبير بن بكار .

[ثاني وثلاثون : زيادة بقية أزواد القوم ببركة دعائه ﷺ]

وأما زيادة بقية أزواد القوم ببركة دعائه ﷺ عند مرجعه من الحديبية ومرجعه من تبوك ، فخرج البخاري ومسلم من حديث حاتم بن إسماعيل ، عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة قال : خَفّتْ أزواد الناس وأملقوا ، فأتوا النبي ﷺ في نحر إبلهم فأذن لهم ، فلقيهم عمر رضي الله عنه ، فأخبروه فقال : ما بقاؤكم بعد إبلكم ؟ فقال رسول الله ﷺ : [ناد] الناس فيأتون بفضل أزوادهم ، فبسط لذلك [نطعاً] فجعلوه فوق النطع ، فقام رسول الله ﷺ فدعا وبرَّك ، ثم دعاهم بأوعيتهم ، فاحتثى الناس حتى فرغوا ، ثم قال : رسول الله ﷺ أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله[1] .

وخرج مسلم والنسائي من حديث أبي النضر هاشم بن القاسم قال : حدثنا عبيد الله الأشجعي ، عن مالك بن مغول ، عن طلحة بن مصرف ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنا مع النبي ﷺ في مسير ، قال : فنفدت أزواد القوم ، قال : حتى هموا بنحر بعض حمائلهم ، قال : فقال عمر رضي الله عنه : يا رسول الله ! لو جمعت ما بقي من أزواد القوم فدعوت الله عليها ؟ قال : ففعل ، قال : فجاءه ذو البرُ بِبُرّه ، وذو التمر بتمره ، قال : وقال مجاهد : وذو النواة بنواه ، قلت : وما كانوا يصنعون بالنوى ؟ قال : يمصونه ويشربون عليه الماء ، قال : فدعا عليها ، قال : حتى ملأ القوم أزودتهم ، قال : فقال عند ذلك : أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك إلا دخل الجنة[2] .

---

(١) (فتح الباري) : ٥ / ١٦١ - ١٦٢ ، كتاب الشركة ، باب (١) الشركة في الطعام والنهد والعروض ، حديث رقم (٢٤٨٤) ، (فتح الباري) : ٦ / ١٥٩ - ١٦٠ ، كتاب الجهاد والسير باب (١٢٣) حمل الزاد في الغزو ، وقول الله عز وجل : ﴿ **وتزودوا فإن خير الزاد التقوى** ﴾ [البقرة : ١٩٧] ، حديث رقم (٢٩٨٢) ، وقول عمر رضي الله عنه : « ما بقاؤكم بعد إبلكم » أي لأن توالي المشي ربما أفضى إلى الهلاك . قال ابن بطال : استنبط منه بعض الفقهاء أنه يجوز للإمام في الغلاء إلزام من عنده ما يفضل عن قوته أن يخرجه للبيع ، لما في ذلك من صلاح الناس ، وفيه جواز المشورة على الإمام بالمصلحة ، وإن لم يتقدم منه الاستشارة . مختصراً من (فتح الباري) : ٦ / ١٦١ .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ١ / ٣٣٢ - ٣٣٦ ، كتاب الإيمان ، باب (١٠) الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ، حديث رقم (٢٧) .

وخرجه النسائي من حديث أبي أسامة عن مالك - وهو ابن مغول - عن طارق أبي صالح قال : بينما رسول الله ﷺ في مسير إذ نفذت أزواد القوم .. .. ، وساق الحديث مرسلاً . ذكره في الجهاد[1] .

وخرج مسلم من حديث أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة - أو عن أبي سعيد ، شك الأعمش - قال : لما كان غزوة تبوك ، أصاب الناس مجاعة فقالوا : يا رسول الله ! لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا فأكلناها وادّهنّا ، فقال رسول الله ﷺ : افعلوا ، قال : فجاء عمر فقال : يا رسول الله ! إن فعلت قل الظهر ، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ، ثم ادع الله عليها بالبركة ، لعل الله أن يجعل في ذلك .

فقال رسول الله ﷺ : نعم ، قال : فدعا بنطع فبسطه ، ثم دعى بفضل أزوادهم ، قال : جعل الرجل يجيء بكف ذره ، قال : ويجيء الآخر بكف تمر ، قال : ويجيء الآخر بكسرة ، حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير ، قال : فدعا رسول الله ﷺ بالبركة وقال : خذوا في أوعيتكم ، قال : فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاءاً إلا ملؤوه ، قال : فأكلوا حتى شبعوا ، وفضلت فضلة ، فقال رسول الله ﷺ : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة[2] .

وخرج أيضاً في آخر كتاب اللقطة[3] من حديث النَّضر بن محمد اليمامي قال : حدثني عكرمة - وهو ابن عمار - قال : حدثنا إياس بن سلمة عن أبيه قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ، فأصابنا جهد حتى هممنا أن ننحر بعض ظهرنا ، فأمر نبي الله ﷺ فجمعنا أزوادنا ، فبسطنا له نطعاً فاجتمع زاد القوم على النطع ، فتطاولتُ لأحرزه كم هو ؟ فحرزته كربضة العنز ، ونحن أربع عشرة مائة

---

(١) لعله في (السنن الكبرى) .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ١ / ٣٣٧ - ٣٣٩ ، حديث رقم (٤٥) من أحاديث الباب ، وفي هذا الحديث جواز خلط المسافرين أزوادهم وأكلهم مجتمعين ، وإن كان بعضهم يأكل أكثر من بعض ، وقد نصَّ أصحابنا على أن ذلك سنة . والله تعالى أعلم (المرجع السابق) .

(٣) في (خ) : « الأقضية » ، وهو خطأ من الناسخ .

قال : فأكلنا حتى شبعنا ، ثم حشونا جرُبنا ، فقال نبيُّ الله ﷺ : فهل من وضوء ؟ قال : فجاء رجل بإداوة فيها نطفةماء فأفرغها في قدح ، فتوضأنا كلنا ندغفقه دغفقةً أربع عشر مائة ، قال : ثم جاء بعد ذلك ثمانية فقالوا : هل من طهور ؟ فقال رسول الله ﷺ : فرغ الوضوء(١) .

وقال البيهقي – رحمة الله عليه –: ورواه عاصم بن عبيد الله ، عن أبيه عن جده عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقال في غزوة تبوك ، وروى عن عبد الرحمن ابن أبي عمرة الأنصاري عن أبيه قال : كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ، وروى عن أبي حبيش الغفاري قال : خرجت مع رسول الله ﷺ في غزوة تهامة حتى كنا بعسفان ، فذكر القصة وزاد : ثم أذن بالرحيل فلما ارتحلوا مُطروا ما شاءوا ، فنزل ونزلوا ، وشربوا من ماء السماء . والأحاديث كلها متفقة في دعائه في بقية الأزواد ، وإجابة الله تعالى دعاءه بظهور البركة فيها حتى ملؤا أوعيتهم وفضلت فضلة(٢) .

وخرج مسلم من طريق موسى بن عقبة ، عن ابن شهاب قال : قال ابن عباس رضي الله عنه : لما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية ، كلمه بعض أصحابه فقالوا : جهدنا وفي الناس ظهر فانحره لنا فنأكل من لحومه ، ولندهن من شحومه ، ولنحتذي من جلوده ، فقال عمر بن الخطاب : لا تفعل يا رسول الله ، فإن الناس إن يكن

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ١١ / ٢٧٦ – ٢٧٨ ، كتاب اللقطة ، باب (٥) استحباب خلط الأزواد إذا قلت والمؤاساة فيها ، حديث رقم (١٧٢٩) ، وربضة العنز : أي كمبركها ، أو كقدرها وهي رابضة ، قوله : ندغفقهُ دغفقة : أي نَصُبُّه صبّاً شديداً ، وفي هذا الحديث معجزتان ظاهرتان لرسول الله ﷺ : هما تكثير الطعام ، وتكثير الماء هذه الكثرة الظاهرة . قال المازي في تحقيق المعجزة : في هذا أنه كلما أكل منه جزء أو شرب جزء ، خلق الله تعالى جزءاً آخر ، وفي هذا الحديث استحباب المواساة في الزاد ، وجمعه عند قلته ، وجواز أكل بعضهم مع بعض في هذه الحالة ، وليس هذا من الربا في شيء ، وإنما هو من نحو الإباحة ، وكل واحد مبيح لرفقته الأكل من طعامه ، وسواء تحقق الإنسان أنه أكل أكثر من حصته أو دونها أو مثلها ، فلا بأس بهذا، لكن يستحب له الإيثار والتعلل ، ولاسيما إن كان في الطعام قلة ، والله تعالى أعلم ، مختصراً من (المرجع السابق) : ٢٨٧ – ٢٨٨ ، (دلائل البيهقي) : ٤ / ١١٨ – ١١٩ .

(٢) (دلائل البيهقي) ٥ / ٢٣٠ – ٢٣١ .

معهم بقية ظهر أمثل ، فقال رسول الله ﷺ : أبسطوا أنطاعكم وعباءكم ، ففعلوا ، ثم قال : من كان عنده بقية من زاد وطعام فلينثره ، ودعا لهم ثم قال : قربوا أوعيتكم فأخذوا ما شاء الله[(١)] .

وخرج البيهقي من حديث عبد الله بن عثمان بن خيثم ، عن أبي الطفيل ، عن عبد الله بن عباس ، أن رسول الله ﷺ لما نزل مرَّ في صلح قريش ، قال أصحاب النبي ﷺ : يا رسول الله ، لو انتحرنا من ظهورنا فأكلنا من لحومها وشحومها وحسونا من المرق وأصبحنا غداً إذا غدونا عليهم وبنا جمام ، قال : لا ، [ولكن ائتوني][(٢)] بما فضل من أزوادكم ، فبسطوا أنطاعاً ثم صبو عليها فضول ما فضل من أزوادهم ، فدعا عليهم[(٣)] رسول الله ﷺ بالبركة ، فأكلوا حتى تضلعوا ، [شبعاً][(٢)] ثم لفَّفُوا ما فضل من أزوادهم في جربهم[(٤)] .

وقال الواقدي في مغازيه : قام[(٥)] رسول الله ﷺ بالحديبية بضعة عشرة يوماً – ويقال : عشرين ليلة – فلما انصرف من الحديبية نزل بمر الظهران ، ثم نزل عُسْفان فأرملوا[(٦)] من الزاد ، فشكى الناس إلى رسول الله ﷺ أنهم قد بلغوا[(٧)] الجهد من الجوع ، [وفي الناس ظهر وقالوا :][(٨)] ، ننحر يا رسول الله وندَّهن من شحومه ، ونتخذ من جلوده حذاءً ، فأذن لهم رسول الله ﷺ ، فأخبر بذلك عمر ابن الخطاب ، فجاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! لا تفعل ، فإن يكن في الناس بقية ظهر يكن أمثل ، ولكن ادعهم بأزوادهم ، ثم ادع الله فيها ، فأمر رسول الله ﷺ بالأنطاع فبسطت ، ثم نادى مناديه : من كان عنده بقية من زاد

---

(١) لم أجده بهذه السياقة في (صحيح مسلم) ، ولكن أحاديث الباب تؤيده وتشهد على صحته ، وقد رواه البيهقي في (دلائل النبوة) : ٤ / ١١٩ .

(٢) زيادة للسياق من المرجع السابق .

(٣) في (خ) : « عليها » .

(٤) (دلائل البيهقي) : ٤ / ١٢٠ .

(٥) في (خ) : « وأقام » .

(٦) أرمل القوم : إذا نفد زادهم .

(٧) كذا في (خ) ، وفي (مغازي الواقدي) : « قد بُلغوا من الجوع » .

(٨) زيادة للسياق من المرجع السابق .

فلينثره على الأنطاع ، قال أبو شريح الكعبيّ : فلقد رأيت من يأتي بالتمرة الواحدة ، وأكثرهم لا يأتي بشيء ، ويؤتي بالكف من الدقيق والكف من السويق ، وذلك كله قليل ، فلما اجتمعت أزوادهم ، وانقطعت موادّهم ، مشى رسول الله ﷺ إليها ، فدعا فيها بالبركة ، ثم قال : قربوا أوعيتكم فجاءوا بأوعيتهم .

قال أبو شريح : فأنا حاضر ، فيأتي الرجل فيأخذ ما شاء من الزاد ، حتى أن الرجل ليأخذ ما لا يجد له محملاً ، ثم أذن رسول الله ﷺ بالرحيل ، فلما ارتحلوا مُطروا ما شاءوا وهم صائفون ، فنزل رسول الله ﷺ ونزلوا معه ، فشربوا من ماء السماء[1] ، فقام رسول الله ﷺ فخطبهم ، فجاء ثلاثة نفر ، فجلس اثنان مع النبي ﷺ ، وذهب واحد معرضاً ، فقال رسول الله ﷺ : ألا أخبركم خبر الثلاثة ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : أما الأول فاستحيا ، فاستحيا الله منه ، وأما الآخر فتاب فتاب الله عليه ، أما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه[2] .

وخرج الإمام أحمد – رحمه الله – من حديث الأوزاعي قال : حدثني أبي قال : كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ، فأصاب الناس مخمصة فاستأذن الناسُ رسول الله ﷺ في نحر بعض ظهرهم وقالوا : يبلغنا الله به ، فلما رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قد همَّ أن يأذن لهم في نحر ظهرهم .

قال : يا رسول الله ! كيف بنا إذا لقينا العدو غداً جياعاً رجالاً ، ولكن إن رأيت يا رسول الله ، أن تدعو الناس ببقايا أزوادهم ، فتجمعها ثم تدعو الله فيها بالبركة ، فإن الله تبارك وتعالى سيبلغنا بدعوتك – أو قال : سيبارك لنا في دعوتك – فدعا رسول الله ﷺ الناس ببقايا أزوادهم .

فجعل الناس يجيئون بالحفنة – وقال بعضهم : بالحثية – من الطعام وفوق ذلك ، وكان أعلاهم من جاء بصاع من تمر ، فجمعها رسول الله ﷺ ، ثم قام فدعا ما شاء الله أن يدعو ، ثم دعا الجيش بأوعيتهم ، وأمرهم أن يجيشوا[3] ، فما

---

(١) كذا في (خ) ، وفي المرجع السابق : « من الماء » .

(٢) (مغازي الواقدي) : ٢ / ٦١٦ – ٦١٧ .

(٣) كذا في (خ) ، وفي (مسند أحمد) : « يحتثوا » .

بقي في الجيش وعاء إلا ملؤوه وبقي مثله ، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه وقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، لا يلقى الله بهما عبد مؤمن بهما إلا حجبته عن النار[١] .

وخرج البيهقي - رحمه الله تعالى - من حديث سعيد بن سلمة قال : حدثني أبو بكر بن عمر بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن [عبد الله بن][٢] أبي ربيعة ، أنه سمع أبا خنيس الغفاري يقول : خرجت مع رسول الله ﷺ في غزوة تهامة ، حتى إذا كنا بعسفان جاء أصحابه فقالوا : يا رسول الله ! جهدنا الجوع فأذن لنا في الظَّهر أن نأكله ، قال : نعم ، فأُخْبِرَ بذلك عمر رضي الله عنه فقال : يا نبي الله ! ما صنعت ؟ أمرت الناس أن يأكلوا الظهر ، فعلام يركبون ؟ قال : فما ترى يا ابن الخطاب ؟ قال : أن تأمرهم - وأنت أفضل رأياً - فيجمعوا فضل[٣]أزوادهم في ثوب ، ثم تدعو الله لهم ، فإن الله يستجيب لك .

فأمرهم فجمعوا فضل أزوادهم في ثوب ، ثم دعا الله لهم ثم قال : ائتوا بأوعيتكم ، فملأ كل إنسان وعاءه ، ثم أذن النبي ﷺ بالرحيل ، فلما ارتحلوا مطروا ما شاءوا ، ونزل النبي ﷺ ونزلوا معه ، وشربوا من ماء السماء وهم بالكراع ، ثم خطبهم به ، فجاء ثلاثة ، فجلس اثنان مع النبي ﷺ وذهب آخر مُعرضاً ، فقال النبي ﷺ : ألا أخبركم عن النفر الثلاثة ؟ أما واحد فاستحيا من الله فاستحيا الله منه ، وأما الآخر فأقبل تائباً إلى الله فتاب الله عليه ، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه[٤] .

---

(١) (مسند أحمد) : ٤ / ٤٢٩ ، حديث رقم (١٥٠٢٣) ، ونحوه أو قريب منه في (الإحسان بتقريب صحيح ابن حبان) : ١٤ / ٤٦٤ - ٤٦٥ ، حديث رقم (٦٥٣٠) .

(٢) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي) .

(٣) في المرجع السابق : « أفضل » .

(٤) (دلائل البيهقي) : ٦ / ١٢٢ ، والجزء الأخير من هذا الحديث أخرجه البخاري في كتاب العلم (فتح الباري) : ١ / ٢٠٧ ، باب (٨) من قعد حيث ينتهي به المجلس ، ومن رأى فرجه في الحلقة فجلس فيها ، حديث رقم (٦٦) ، وفي كتاب الصلاة ، باب (٨٤) الحلق والجلوس في المسجد ، حديث رقم (٤٧٤) .

وقال الواقدي في مغازيه : فلما أجمع رسول الله ﷺ المسير من تبوك أرمل الناس إرمالاً شديداً فَشَخص على ذلك الحال حتى جاء الناس إلى رسول الله ﷺ يستأذنونه أن ينحروا ركابهم فيأكلوها ، فأذن لهم ، فلقيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهم على نحرها ، فأمرهم أن يمسكوا عن نحرها ، ثم دخل على رسول الله ﷺ في خيمة له فقال : أذنت للناس في نحر [حمولتهم يأكلونها][1] ؟ فقال رسول الله ﷺ : شكوا إلى ما بلغ منهم من الجوع ، فأذنت لهم ينحر الرفقة البعير والبعيرين ، ويتعاقبون فيما فضل من ظهرهم وهم قافلون إلى أهليهم ، قال : يا رسول الله ! لا تفعل ، فإن يك في الناس فضل من ظهر يكون خيراً ، فالظهر اليوم رقاق[2] ، ولكن ادع بفضل أزوادهم ثم اجمعها ، فادع فيها بالبركة ، كما فعلت في منصرفنا من الحديبية حيث أرملنا ، فإن الله سبحانه وتعالى مستجيب لك .

فنادى منادي رسول الله ﷺ : من كان عنده فضل زاد فليأت به ، وأمر بالأنطاع فبسطت ، فجعل الرجل يأتي بالمد الدقيق والسويق أو التمر ، أو القبضة من الدقيق والسويق والتمر والكِسَر، فيوضع كل صنف من ذلك على حدة ، وكل ذلك قليل ، فكان جميع ما جاءوا به من الدقيق والسويق والتمر ثلاثة أفراق[3] حرزاً[4] ، ثم قام فتوضأ وصلى ركعتين ، ثم دعا الله تعالى أن يبارك فيه .

فكان أربعة من أصحاب النبي ﷺ يحدثون جميعاً حديثاً واحداً ، حضروا ذلك وعاينوه : أبو هريرة ، وأبو حميدي الساعدي ، وأبو زرعة الجهني معبد بن خالد ، وسهل بن سعد الساعدي ، قالوا : ثم انصرف رسول الله ﷺ فنادى مناديه [هلموا][1] إلى الطعام خذوا منه حاجتكم .

فأقبل الناس فجعل كل من جاء بوعاء ملأه ، فقال بعضهم : لقد طرحت يومئذ كسرة من خبز ، وقبضة من تمر ، ولقد رأيت الأنطاع تفيض ، وجئت بجرابين فملأت أحدهما سويقاً والآخر خبزاً ، وأخذت في ثوبي دقيقاً ما كفاني إلى المدينة ،

---

(١) زيادة للسياق من (مغازي الواقدي) .

(٢) رقاق : جمع رقيق أي ضعيف .

(٣) الأفراق : جمع فرق ، وهو مكيال بالمدينة يسع ثلاثة آصع ، أو يسع ستة عشر رطلاً أو أربعة أربعاع .

(٤) الحرز : التقدير والخرص .

فجعل الناس يتزودون الزاد حتى نهلوا عن آخرهم ، حتى كان آخرهم ذلك أن أخذتُ الأنطاع ونثرنا[1] ما عليها ، فجعل رسول الله ﷺ يقول - وهو واقف -: أشهد أن لا إله إلا الله ، وأني عبْده ورسوله ، وأشهد أنه لا يقولها أحد من حقيقة قلبه إلا وقاه الله حر النار[2] .

وقد رويت هذه القصة من طرق : فرواها [أبو نعيم] من طريق عاصم بن عبيد الله ابن عاصم بن عمر عن أبيه ، عن جده عمر قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بعين الروم - التي يقال لها غزوة تبوك - يقول : أصابنا جوع شديد فقلت : يا رسول الله ! نلقى العدو غداً وهم شباع ونحن جياع ، فخطب الناس ثم قال : من كان عنده فضل طعام فليأتنا به ، وبسط نطعاً فأتى بتسع وعشرين صاعاً فجلس ودعا بالبركة ، ثم دعا الناس وقال : خذوا ، فأخذوا حتى جعل الرجل يربط كُم قميصه ثم يأخذ فيه ، ففضل فضلة ، فقال رسول الله ﷺ : أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، لا يقولها رجل فيدخل النار[3] .

وفي رواية ابن إسحق رضي الله عنه ،عن يزيد مولى نوفل بن الحارث ، عن عاصم بن عبيد الله ، عن عاصم بن عمر ، عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، فقلت : يا رسول الله ! يخرج إلينا الروم وهم شباع ونحن جياع ، وأرادت الأنصار أن ينحروا نواضحهم .

فإذا منادي رسول الله ﷺ ينادي في الناس : من كان عنده فضل من زاد فليأتنا به ، فحرزنا جميع ما جاءوا به فوجدناه سبعاً وعشرين صاعاً ، فجلس رسول الله ﷺ إلى جنبه فدعا فيه ثم قال : أيها الناس ، خذوا ولا تنتهبوا ، قال : فأخذوا في الجرب والغرائر ، حتى جعل الرجل يعقد قميصه فيأخذ فيه حتى صدروا ، وإنه نحو مما كانوا أخذوه .

---

(١) في (مغازي الواقدي) : « ونثر » .

(٢) (مغازي الواقدي) : ٣ / ١٠٣٧ - ١٠٣٩ ، وهذه القصة جزء من حديث طويل سنده : حدثني ابن أبي سبرة ، عن موسى بن سعيد ، عن عرباض بن سارية قال : كنت ألزم باب رسول الله ﷺ في الحضر والسفر ... ، وساق القصة من أولها . (المرجع السابق) ١٠٣٦ .

(٣) (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٤١٨ - ٤١٩ ، حديث رقم (٣٢٥) ، (٣٢٦) من الفصل الثاني والعشرين ، في ربوّ الطعام بحضرته وفي سفره ، لكن بسياقات مختلفة ، وأسانيد مختلفة .

قال القاضي عياض - رحمه الله - وقد أجمع على معنى حديث هذا الفصل بعضة عشر من الصحابة ، رواه عنهم أضعافهم من التابعين ، ثم من لا يعد من بعدهم ، وأكثرها في قصص مشهورة ، ومجامع مشهودة ، لا يمكن التحدث عنها إلا بالحق ، ولا يسكت المحاضر لها على ما أنكرو [منها][1] ، والله تعالى أعلم[2] .

* * *

(١) زيادة للسياق من (الشفا) .

(٢) (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) : ١ / ١٩٥ ، فصل ومن معجزاته تكثير الطعام ببركته ودعائه ﷺ .

[ثالث وثلاثون : تكثير طعام صنعه جابر بن عبد الله بالخندق]

وأما تكثير طعام صنعه جابر بن عبد الله بالخندق ، فخرج البخاري في غزوة الخندق ، من حديث عبد الواحد بن أيمن عن أبيه قال : أتيت جابراً فقال : إنا يوم الخندق نحفر ، فعرضت كيدة شديدة ، فجاءوا النبي ﷺ فقالوا ، هذه كيدة عرضت الخندق ، فقال : أنا نازل ، ثم قام وبطنه معصوب بحجر ، ولنا ثلاثة أيام لا نذوق ذوقاً ، فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب فعاد كثيباً أهيل - أو أهيم - فقلت : يا رسول الله ؟ إئذن لي إلى البيت ، فقلت لامرأتي : رأيت بالنبي ﷺ شيئاً ما في ذلك صبر ، فعندك شيء ؟ قالت : عندي شعير وعناق ، فذبحت العناق وطحنت الشعير ، حتى جعلنا اللحم في البرمة ، ثم جئت النبي ﷺ والعجين قد انكسر ، والبرمة بين الأثافي قد كادت أن تنضج ، فقلت : طُعيّم لي ، فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان ، قال : كم هو ؟ فذكرت له ، فقال : كثير طيب ، قال : قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي ، قال : قوموا ، فقام المهاجرون .

فلما دخل على امرأته قال لها : ويحك ! جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم ، قالت : هل سألك ؟ قلت : نعم ، قال : ادخلوا ولا تضاغطوا ، فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ، ويخمّرُ البرمة والتنور إذا أخذ منه ، ويقرب إلى أصحابه ثم ينزع ، فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقي بقية ، فقال : كلي هذا وأهدي ، فإن الناس أصابتهم مجاعة.[1] وخرج البخاري في غزوة الخندق ، ومسلم في الأشربة[2] من حديث أبي قاصم ، أخبرنا حنظلة بن أبي سفيان ، أخبرنا سعيد بن مينا ، سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : لما حفر الخندق رأيت النبي ﷺ خميصاً ، فانكفأت إلى امرأتي فقلت : هل عندك شيء ؟ فإني رأيت رسول

---

(١) (فتح الباري) : ٧ / ٥٠٢ - ٥٠٣ ، كتاب المغازي ، باب (٣٠) غزوة الخندق وهي الأحزاب ، قال موسى بن عقبة : كانت في شوال سنة أربع ، حديث رقم (٤١٠١) ، والكيدة : القطعة الشديد الصلبة من الأرض .

(٢) في (خ) : الأطعمة ، والصواب ما أثبتناه .

الله ﷺ خمصاً شديداً فأخرجت إلى جراباً فيه صاع من شعير ، ولنا بهيمة داجن ، فذبحتها وطحنت الشعير ، وفرغتُ إلى فراغي ، وقطعتها في برمتها ، ثم وليت إلى رسول الله ﷺ فقالت : لا تفضحني برسول[1] الله ﷺ وبمن معه .

قال : فجئته فساررته فقلت : يا رسول الله ! ذبحنا بُهيمة لنا ، وطحنت صاعاً من شعير كان عندنا ، فتعال أنت [ونفر][2] معك ، فصاح النبي ﷺ فقال : يا أهل الخندق ، إن جابراً قد صنع سوراً [فحى هلا][2] بكم ، ثم قال رسول الله ﷺ : لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء .

قال : فجئت وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس حتى جئت امرأتي ، فقالت : بك وبك ، فقلت : قد فعلت الذي قلت لي ، فأخرجت له عجيناً فبصق فيه وبارك ، ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك ثم قال : ادع خابزة فلتخبز معي ، واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها، وهم ألف ، فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا ، وإن برمتنا لتغط كما هي ، وإن عجينا ليخبز [كما هو][1] لفظهما فيه متقارب[3] .

---

(١) في (خ) : « مع رسول » ، وما أثبتناه من رواية البخاري .

(٢) زيادة للسياق من المرجع السابق .

(٣) (فتح الباري) : ٧ / ٥٠٣ ، كتاب المغازي ، باب (٣٠) غزوة الخندق وهي الأحزاب ، حديث رقم (٤١٠٢) ، قوله : « فعاد كثيباً » أي رملاً ، قوله : « أهيل أو أهيم » شك من الراوي ، في رواية الإسماعيلي « أهيل » بغير شك ، وكذا عند يونس ، وفي رواية أحمد « كثيباً يُهال » ، والمعنى أنه صار رملاً يسيل ولا يتماسك . قال تعالى : ﴿ **وكانت الجبال كثيباً مهيلاً** ﴾ ، [المزمل : ٤] ، وأخرجه أيضاً البخاري في كتاب الجهاد والسير باب (١٨٨) من تكلم بالفارسية والرطانة ، وقول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ **واختلاف ألسنتكم وألوانكم** ﴾ [الروم : ٢٢] ، وقوله : ﴿ **وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه** ﴾ [إبراهيم : ٤] ، حديث رقم (٣٠٧٠) ، وذكره الإمام مسلم في (الصحيح) ، كتاب الأشربة ، باب (٢٠) جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه ذلك ، ويتحقق تحققاً تاماً ، واستحباب الاجتماع على الطعام ، حديث رقم (٢٠٣٩) . وشرح الغريب :

(**الخمص والخميص**) : الضامر البطن .

(**البُهَيْمة**) : تصغير البهمة ، وهي ولد الضأن ، ويقع على المذكر منها والمؤنث ، والسخال : أولاد المعزي ، فإذا اجتمعت البهائم والسِّخال ، قلت لها جميعاً : بهام وبُهْم .

(**الداجن**) : الشاة التي تألف البيت وتتربى فيه . =

وقال الواقدي رحمه الله : فحدثني محمد بن زياد بن أبي هُنيدة ، عن محمد ابن إبراهيم بن الحارث ، عن جابر بن عبد الله قال : أصاب الناس كدية يوم الخندق فضربوا فيها جميعاً بمعاولهم حتى انكسرت ، فدعَوْا برسول الله ﷺ لها فدعا بماء فصبه عليها فعادت كثيباً .

قال جابر : فرأيت رسول الله ﷺ يحفر ورأيته خميصاً ، ورأيت بين كعنه الغبار ، فأتيت امرأتي فأخبرتها بما رأيت من خَمص بطن رسول الله ﷺ ، فقالت : والله ما عندنا شيء إلا هذه الشاة ، ومُدّ من شعير ، قال جابر : فاطحني وأصلحي ، فطبخنا ، وشوينا بعضها وخبزنا الشعير ثم أتيت رسول الله ﷺ فمكثتُ حتى رأيت أن الطعام قد بلغ ، فقلت يا رسول الله ! قد صنعت لك طعاماً فأت أنت ومن أحببت من أصحابك ، فشبك أصابعه في أصابعي ثم قال : أجيبوا جابراً يدعوكم .

قال : فأقبلوا معه فقلت : والله إنها الفضيحة ! فأتيت المرأة فأخبرتها فقالت : أنت دعوتهم أو هو دعاهم ؟ فقلت : بل هو دعاهم ، قالت : دعهم فهو أعلم .

قال : فأقبل رسول الله ﷺ وأمر أصحابه فكانوا فرقاً عشرة عشرة ، ثم قال لنا ، اغرفوا وغطوا البرمة ، وأَخْرجوا من التنور الخبز ثم غطوه ، ففعلنا ، فجعلنا نغرف ونغطي البرمة ، ثم نفتحها فما نراها نقصت شيئاً ، ونخرج الخبز من التنور ثم نغطيه فما نراه ينقص شيئاً ، فأكلوا حتى شبعوا ، وأكلنا وأهدينا ،

(**السور**) : لفظة فارسية معناها : الوليمة ، والطعام الذي يدعى إليه ، قال الأزهري : في هذا أن النبي ﷺ قد تكلم بالفارسية .

(**حيهلا**) : كلمتان جُعلتا في كلمة واحدة ، ومعناها : تعالوا وعجلوا ، وفي حديث الأذان : « أن يحوقل بين الحيعلتين » .

(**اقدحي**) : قَدَحْتُ القدر : إذا ما غرفتُ ما فيها ، والقديح : المرق ، فعيل بمعنى مفعول ، والمِقْدَحة : المغرفة .

(**لتغط**) : غطّت القدر تغط : غلَتْ ، وغطيطها : صوتها .

(**الكُدْية**) : حجر صلب يعرض لحافر البئر فيتعبه حفره .

(**الكثيب**) : المجتمع من الرمل .

(**أهيل**) : انهل وانهال الرمل : إذا سال وجرى ، وهلتُه أنا فانهال ، وأهلته : لغه فيه ، وأما « أهيم » فهو من الهيام ، وهو الرمل الذي يكون تراباً دقاقاً يابساً (جامع الأصول) : ١١ / ٣٥٣ - ٣٥٦ ، حديث رقم (٨٩٠٩) .

فعمل الناس يومئذ كلهم ، والنبي ﷺ معهم ، وجعلت الأنصار ترجز وتقول :

نحن الذين بايعوا محمــداً   على الجهاد ما بقينا أبـداً

فقال رسول الله ﷺ :

اللهم لا خيرَ إلا خيرُ الآخرة   فاغفـر للأنصـار والمهاجرة[1]

وخرجه أبو بكر بن أبي شيبة ، من حديث عبد الرحمن بن محمد البخاري ، عن عبد الرحمن بن أيمن عن أبيه ، عن جابر بمعناه ، ثم قال : أخبرني جـابرٌ أنهم كانوا ثمانمائة أو ثلاثمائة – شك أيمن .

* * *

(١) (مغازي الواقدي) : ٢ / ٤٥٢ – ٤٥٣ .

[رابع وثلاثون : ظهور بركته ﷺ في الأكل من القصعة]

وأما ظهور بركته في الأكل من القصعة ، فخرج الترمذي من حديث يزيد ابن هارون ، قال : حدثنا سليمان التيمي عن أبي العلاء ، عن سَمُرَةَ بن جُنْدُب قال : كنا مع رسول الله ﷺ نتداول في قصعة من غدوة حتى الليل ، يقوم[1] عشرة ويقعد[1] عشرة ، [قلنا فما كانت][2] تمد ؟ قال : من أي شيء تعجب ما كانت تمد إلا من هاهنا – وأشار بيده إلى السماء – قال : هذا حديث حسن صحيح ، وأبو العلاء اسمه يزيد بن عبد الله بن الشِّخِّير[3] .

وخرجه النسائي[4] بهذا الإسناد في الأطعمة ، وخرجه البيهقي[5] والحاكم[6] وصححه من حديث عبد الأعلى بن حماد النَّرسّي قال : حدثنا معتمر بن سليمان عن أبيه ، عن أبي العلاء عن سمرة بن جندب ، أن قصعة كانت عند رسول الله ﷺ ، قال : فجعل الناس يأكلون منها .

قال : فكلما شبع قوم قاموا وجلس مكانهم أناس آخرون ، كذلك إلى صلاة الأولى ، فقال رجل : أما كانت تمد بشيء ؟ فقال سمرة : فمم تعجب ؟ لو كانت تمد بشيء لم تتعجب ، ما كانت تمد إلا من هاهنا – فأومأ إلى السماء – أو كما قال .

---

(١) في (خ) : « نقوم » ، و « نقعد » .
(٢) زيادة للسياق من (سنن الترمذي) .
(٣) (سنن الترمذي) : ٥ / ٥٥٣ ، كتاب المناقب ، باب (٥) في آيات إثبات نبوة النبي ﷺ وما قد خصه الله عزَّ وجلَّ به ، حديث رقم (٣٦٢٥) .
(٤) لم أجده في (سنن النسائي) ، ولعله في (الكبرى) .
(٥) (دلائل البيهقي) : ٦ / ٩٣ ، وفي (خ) : « فأوحى إلى السماء » .
(٦) (المستدرك) : ٢ / ٦٧٥ ، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين ، باب ذكر أخبار سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب المصطفى ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين ، حديث رقم (٤٢٣٣ / ٢٤٣) ، قال الحاكم ، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وقال الذهبي في التلخيص : على شرط البخاري ومسلم .

وأخرجه أيضاً الإمام أحمد في (المسند) : ٥ / ٦٤٨ ، حديث رقم (١٩٦٨٤) ، وحديث رقم (١٩٦٢٢) .

وخرج أبو بكر بن شيبة من حديث يزيد بن هارون قال : أخبرنا سليمان التيمي عن أبي العلاء ، عن سمرة ، أن رسول الله ﷺ أتى بقصعة من ثريد فوضعت بين يدي القوم ، فتعاقبوها إلى الظهر من غدوة ، يقوم قوم ويجلس آخرون ، فقال رجل لسمرة : أكانت تمد ؟ فقال سمرة : من أي شيء تعجب ؟ ما كانت تمد إلا من هاهنا – وأشار بيده إلى السماء .

* * *

[خامس وثلاثون :
أكل مائة وثمانون رجلاً من صاع طعام]

وأما أكل مائة وثمانين رجلاً من صاع طعام وأخذ كل منهم حزَّةً من سواد بطن شاه ، فخرج البخاري ومسلم من حديث المعتمر بن سليمان قال : حدثنا أبي عن أبي عثمان ، حدث أيضاً عن عبد الرحمن بن أبي بكر قال : كنا مع النبي ﷺ ثلاثين ومائة ، فقال النبي : هل مع أحد منكم طعام ؟ فإذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه ، ثم جاء رجل مشرك مَشْعَانٌ طويل بغنم يسوقها ، فقال النبي ﷺ : أبيع أم عطية - أو قال : أم هبة - قال : لا بل بيع ، فاشترى منه شاة فصنعت ، وأمر رسول الله ﷺ بسواد البطن أن يشوي .

قال : وأيم الله ما في الثلاثين ومائة إلا حزَّ له رسول الله ﷺ حَزَّة من سواد بطنها ، إن كان شاهداً أعطاه إياه ، وإن كان غائباً خبأه له ، قال : وجعل منها قصعتين فأكلنا منها أجمعون وشبعنا ، وفضل في القصعتين فحملته على البعير ، أو كما قال . ذكره البخاري في كتاب الأطعمة في باب من أكل حتى شبع ، وذكره في كتاب الهبة في باب قبول الهدية من المشركين ، قال بعقبه في رواية المستملى : مشقان طويل جداً فوق الطول . والله تعالى أعلم .

* * *

(١) (فتح الباري) : ٤ / ٥١٦ ، كتاب البيوع ، باب (٩٩) الشراء والبيع مع المشركين وأهل الحرب ، حديث رقم (٢٢١٦) ، ٥ / ٢٨٧ - ٢٨٨ ، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها ، باب (٢٨) قبول الهدية من المشركين ، حديث رقم (٢٦١٨) ، ٩ / ٦٥٨ كتاب الأطعمة ، باب (٦) من أكل حتى شبع ، حديث رقم (٥٣٨٢) ، مشقان : إذا كان منتفش الشعر ثائر الرأس ، سواد البطن : الكبد ، (جامع الأصول) : ١١ / ٣٦٣ . حديث رقم (٨٩١٢) ، (مسلم بشرح النووي) : ١٤ / ٢٦٠ - ٢٦١ ، كتاب الأشربة ، باب (٣٢) إكرام الضيف وفضل إيثاره ، حديث رقم (٢٠٥٦) .

[سادس وثلاثون : ظهور بركته ﷺ في طعام أبي بكر]

وأما ظهور بركته ﷺ في الطعام الذي كان في دار أبي بكر رضي الله عنه ، فخرج البخاري في باب علامات النبوة في الإسلام ، وخرج مسلم في كتاب الأشربة[١] ، من حديث المعتمر بن سليمان قال أبي : حدثنا أبو عثمان أنه حدثه عن عبد الرحمن بن أبي بكر أن أصحاب الصفة كانو أناساً فقراء ، وأن رسول الله ﷺ قال من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس ، بسادس ، أو كما قال ، وأن أبا بكر رضي الله عنه جاء بثلاثة ، وانطلق نبي الله ﷺ بعشرة ، وأبو بكر بثلاثة ، قال : فهو أنا وأبي وأمي ، فلا أدري هل قال وامرأتي وخادم بين بيتنا وبيت أبي بكر . قال : وإن أبا بكر رضي الله عنه تعشى عند النبي ﷺ ، ثم لبث حتى صلى العشاء ثم رجع فلبث حتى تعشى رسول الله ﷺ ، فجاء بعد ما مضى من الليل ما شاء الله .

قالت له امرأته : ما حبسك عن أضيافك ؟ - أو قالت : ضيفك - قال : وما عَشَّيْتِيهم ؟ قالت : أبوا حتى تجيء ، قد عرضوا عليهم فغلبوهم ، قال : فذهبت أنا فاختبأت فقال : يا غُنْثَر ، فجدَّع وسبَّ وقال له : كلوا لا هنيئاً ، فقال : والله لا أطعمه أبداً ، قال وأيم الله ما كنا نأخذ من لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها ، قال : [يعني حتى شبعوا][٢] ، فصارت اكثر مما كانت قبل ذلك ، فنظر إليها أبو بكر رضي الله عنه فإذا هي كما هي أو أكثر ، قال لامرأته : يا أخت بني فِراس ما هذا ؟ قالت : لا وقرة عيني لهي الآن أكثر منها قبل ذلك بثلاث مرات ، فأكل منها أبو بكر رضي الله عنه وقال : إنما كان ذلك من الشيطان - يعني يمينه - ثم أكل منها لقمة ، ثم حملها إلى رسول الله ﷺ فأصبحت عنده ، قال : وكان بيننا وبينهم عهدٌ فمضى الأجل ففرقنا اثنا عشر رجلاً مع كل رجل منهم أناس الله أعْلم كم مع كل

---

(١) في (خ) : « الأطعمة » ، وما أثبتناه من المرجع السابق .

(٢) زيادة للسياق من (البخاري) .

رجلٍ ، غير أنه بَعثَ معهم ، قال فأكلوا منها أجمعون أو كما قال[1] .

وخرجه البخاري في كتاب الصلاة في باب السمر مع الأهل والضيف ، وقال فيه : من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ، وإن أربع فخامس أو سادس ، وأن أبا بكر رضي الله عنه جاء بثلاثة ، وانطلق النبي ﷺ بعشرة ، قال : فهو أنا وأبي وأمي ، فلا أدري هل قال : وامرأتي وخادم . الحديث ، وقال فيه [ثم حملها إلى النبي ﷺ فأصبحت عنده ، وكان بيننا وبين قوم عقد][2] .

* * *

---

(١) (فتح الباري) : ٦ / ٧٢٨ - ٧٢٩ ، كتاب المناقب ، باب (٢٥) علامات النبوة في الإسلام ، حديث رقم (٨٧) ، ما يكره من الغضب والجزع عند الضيف ، حديث رقم (٦١٤٠) .

(٢) (فتح الباري) : ٢ / ٩٥ - ٩٦ ، كتاب مواقيت الصلاة ، باب (٤١) السمر مع الضيف والأهل ، حديث رقم (٦٠٢) ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق مه ، (مسلم بشرح النووي) : ١٣ / ٢٦١ ، كتاب الأشربة ، باب (٣٢) ، إكرام الضيف وفضل إيثاره حديث رقم (٢٠٥٧) قوله : « غنثر » : هو ذباب أزرق ، شبهه به لتحقيره . قوله : « فجدع وسب » : أي دعا عليه بالجدع ، وهو قطع الأذن ، أو الأنف ، أو الشفة . قوله : « يا أخت بني فراس » خاطب أبو بكر بذلك امرأته أم رومان ، وبنو فراس - بكسر الفاء وتخفيف الراء وآخره مهملة - ابن غنم بن مالك بن كنانة ، وقال النووي : يا من هي من بني فراس ، أو المعنى : يا أخت القوم المنتسبين إلى بني فراس .

وفي هذا الحديث من الفوائد :

* إلتجاء الفقراء إلى المساجد عند الاحتياج إلى المواساة ، إذا لم يكن في ذلك إلحاح ، ولا إلحاف ، ولا تشويش على المصلين .

* وفيه استحباب مواساتهم عند اجتماع هذه الشروط .

* وفيه جواز الغَيْبة عن الأهل ، والولد ، والضيف ، إذا أعدت لهم الكفاية .

* وفيه تصرف المرأة فيما تقدم للضيف ، والإطعام بغير إذن خاص من الرجل .

* وفيه جواز سب الوالد للولد على وجه التأديب ، والتمرين على أعمال الخير وتعاطيه .

* وفيه جواز الحلف على ترك المباح .

* وفيه توكيد الرجل الصادق لخبره بالقسم ، وجواز الحنث بعد عقد اليمين .

* وفيه التبرك بطعام الأولياء والصلحاء .

* وفيه عرض الطعام الذي تظهر فيه البركة على الكبار وقبولهم ذلك . =

[سابع وثلاثون : رزق الله تعالى أهل بيت من الأنصار ذوي حاجة ببركته ﷺ]

وأما رزق الله تعالى أهل بيت من الأنصار ذوي حاجة من حيث لا يحتسبوا ببركة رسول الله ﷺ ، فخرج البيهقي من حديث أبي بكر بن عياش ، عن هشام بن حسَّان ، عن ابن سيرين ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى رجل أهله فرآى ما بهم من الحاجة ، فخرج إلى البرية فقالت امرأته : اللهم ارزقنا ما نعجن ونختبز، قال : فإذا الجفنة ملآ خميراً ، والرحى تطحن ، والتنور ملأى خبزاً وشواءاً ، فجاء زوجها فقال : هل عندكم[1]شيء ؟ قالت : نعم ، رزق الله[2] ، فرفع الرحى فكنس ما حوله ، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال : لو تركها لدارت إلى يوم القيامة[3] .

ومن حديث أبي صالح عبد الله بن صالح قال : حدثني الليث بن سعد رضي الله عنه ورحمه ، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً من الأنصار كان ذا[4] حاجة ، فخرج يوماً وليس عنده أهله شيء ،

= * وفيه العمل بالظن الغالب ، لأن أبا بكر ظن أن عبد الرحمن فرَّط في أمر الأضياف ، فبادر إلى سبه ، وقوى القرينة عنده اختباؤه منه .

* وفيه ما يقع من لطف الله تعالى بأوليائه . وذلك أن خاطر أبي بكر تشوش ، وكذلك ولده وأهله ، وأضيافه ، بسبب امتناعهم من الأكل وتكدر خاطر أبي بكر من ذلك حتى احتاج إلى ما تقدم ذكره من الحرج بالحلف ، وبالحنث ، وبغير ذلك .

فتدارك الله ذلك ، ورفعه عنه ، بالكرامة التي أبداها له ، فانقلب ذلك الكدر صفاءاً ، والنكد سروراً ، ولله الحمد والمنة . (فتح الباري) : ٦ / ٧٤٥ ، مختصراً .

وأخرجه البيهقي في (دلائل النبوة) : ٦ / ١٠٣ – ١٠٤ ، باب ما جاء في البركة التي ظهرت في الطعام الذي قُدِّم في دار أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى أضيافه في زمان النبي ﷺ .

(١) كذا في (خ) ، وفي (دلائل البيهقي) : « عندكم شيء » .

(٢) كذا في (خ) ، وفي (دلائل البيهقي) : « رزق فرفع » .

(٣) (دلائل البيهقي) : ٦ / ١٠٥ ، باب ما جاء في دعاء المرأة بالرزق في زمن النبي ﷺ ، ودعاء الآخر برد إبله وابنه عليه ، وقول الله عز وجلَّ : ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾ [الطلاق : ٣] ، والحديث نقله ابن كثير في (التاريخ) عن البيهقي .

(٤) في (خ) : « في حاجة » .

فقالت امرأته : لو أني حركت رحاي وجعلت في تنوري سَعَفَات ، فسمع جيراني صوت الرحي ورأوا الدخان فظنوا أن عندنا طعاماً وليس بنا[1] خصاصة ، فقامت إلى تنورها فأوقدته وقعدت[1] تحرك الرحى ، فأقبل زوجها وسمع الرحى ، فقامت إليه لتفتح له الباب ، فقال : ما كنت تطحنين ؟ فأخبرته فدخل ، وإن رحاهما لتدور وتصب دقيقاً ، فلم يبق في البيت وعاء إلا ملىء ، ثم خرجت إلى تنورها فوجدته مملوءاً خبزاً ، فأقبل زوجها فذكر ذلك لرسول الله ﷺ ، قال : فما فعلت الرحى ؟ قال : رفعتها ونفضتها ، فقال ﷺ : لو تركتموها ما زالت كما هي لكم حياتكم[3] .

(١) في (خ) : « وما بنا » .

(٢) كذا في (خ) ، وفي (دلائل البيهقي) : « وقد تحرك الرحى » .

(٣) (المرجع السابق) : ١٠٥ - ١٠٦ ، والحديث نقله ابن كثير في التاريخ عن البيهقي أيضاً ، وقال : « هذا الحديث غريب سنداً ومتناً » .

[ثامن وثلاثون : أكل سبعين رجلاً من قليل أقراص خبز شعير]

وأما أكل سبعين أو ثمانين رجلاً في بيت أبي طلحة الأنصاري من قليل أقراص خبز شعير قد فُتَّ وأُدم بيسير من أدام حتى شبعوا ، وبقيت كما هي ببركة رسول الله ﷺ ، فخرج البخاري ومسلم من حديث مالك ، عن إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة ، أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول : قال أبو طلحة لأم سليم رضي الله عنها ، لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفاً أعرف فيه الجوع ، فهل عندك من شيء ؟ قالت : نعم ، فأخرجت أقراصاً من شعير ، ثم أخذت خماراً لها فلفَّت الخبز ببعضه ثم دسَّته تحت ثوبي ، وردَّتني[1] ببعضه ، ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ ، قال : فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ جالساً في المسجد ومعه الناس ، فقمت عليهم فقال رسول الله ﷺ : أرسلك أبو طلحة ؟ فقلت : نعم ، فقال : بطعام ؟ .

وقال البخاري : قالت : بطعام ؟ - فقلت : نعم ، قال رسول الله ﷺ لمن معه : قوموا ، قال : فانطلق وانطلقت بين يديه حتى جئتُ أبا طلحة فأخبرته ، فقال أبو طلحة : يا أم سليم ، قد جاء رسول الله ﷺ بالناس وليس عندنا ما نطعمهم ، فقالت : الله ورسوله أعلم ، قال : فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ .

فأقبل رسول الله ﷺ معه ، حتى دخلا ، فقال رسول الله ﷺ : هلمّي ما عندك يا أم سُليم فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله ﷺ ، ففُتَّ وعصرت عليه أم سُليم عُكَّة لها فَأَدَمَتْهُ ، ثم قال فيه رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقول ، ثم قال : ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ، ثم خرجوا ، ثم قال : ائذن لعشرة ، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ، ثم أذن لعشرة حتى أكل القوم كلهم وشبعوا ، والقوم سبعون رجلاً أو ثمانون . وقال البخاري : والقوم ثمانون رجلاً[2] .

---

(١) رَدَّتني : أي جعلتْ بعضَه رداءاً على رأسي .

(٢) (فتح الباري) : ٦ / ٧٢٧ ، كتاب المناقب ، باب (٢٥) علامات النبوة في الإسلام ، حديث رقم (٣٥٧٨) ، ٩ / ٦٥٨ ، كتاب الأطعمة ، باب (٦) من أكل حتى شبع ، حديث رقم (٥٣٨١) ، باب (٤٨) من أدخل الضيفان عشرة عشرة ، والجلوس على الطعام عشرة عشرة ، ١١ / ٦٩٨ - ٦٩٩ ، كتاب الأيمان والنذور ، باب (٢٢) إذا حلف أن لا يأتدم فأكل تمراً بخبز ، وما يكون منه الأدم ، حديث رقم (٦٦٨٨) ، (مسلم بشرح النووى) : ١٣ / ٢٦٦ ،كتاب =

وخرجه البخاري أيضاً في المناقب ، في باب علامات النبوة في الإسلام ، بهذا الإسناد وقال فيه : ثم دَسَّته تحت يدي ولاثتنى ببعضه ، وقال : قال بطعام ؟ قلت : نعم ، وفي آخره : والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً[1] .

وخرجه في كتاب الأَيمان والنذور ، في باب إذا حلف أن لا يأدم فأكل تمراً بخبز ، وما يكون منه الأدم بنحو ذلك وقال : والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً[1] .

وخرجه أبو عيسى الترمذي من حديث معن قال : عرضت على مالك بن أنس عن إسحق إلى آخره ، وقال : والقوم سبعون رجلاً . وقال : هذا حديث حسن صحيح[2] . وخرجه البخاري في الصلاة ، في باب من دعى لطعام في المسجد ، من حديث مالك ، وقال فيه : وجدت النبي ﷺ في المسجد ومعه ناس فقمت ،

= الأشربة ، باب (٢٠) جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه ذلك ، ويتحقق تحققاً تاماً ، واستحباب الاجتماع على الطعام ، حديث (٢٠٤٠) ، (تحفة الأحوذي) : ١٠ / ٧٣ ، أبواب المناقب ، باب (٣٠) بدون ترجمة ، ، حديث رقم (٣٨٧٣) ، (شرح الزرقاني على الموطأ) : ٤ / ٣٧٥ ، كتاب الجامع ، باب (٦٤٦) جامع ما جاء في الطعام والشراب ، حديث رقم (١٧٨٩) ، (دلائل البيهقي) : ٦ / ٨٨ ، باب ما جاء في دعوة أبي طلحة الأنصاري - رضي الله عنه - رسول الله ﷺ وما ظهر في طعامه ببركة رسول الله ﷺ من آثار النبوة .

قوله : « سمعت صوت النبي ﷺ ضعيفاً أعرف فيه الجوع » ، كأنه لم يسمع في صوته لما تكلم إذ ذاك الفخامة المألوفة منه ، فحمل ذلك على الجوع بقرينة الحال التي كانوا فيها .

وفيه ردّ على دعوى ابن حبان أنه لم يكن يجوع ، واحتج بحديث : « أبيت يطعمني ربي ويسقيني » ، وتعقب بالحمل على تعدد الحال : فكان يجوع أحياناً ليتأسى به أصحابه ، ولا سيما من لا يجد مدداً وأدركه ألم الجوع صبر فضوعف له .

قال الطبراني : غير أن الشبع وإن كان مباحاً فإن له حداً ينتهي إليه ، وما زاد على ذلك فهو سرف ، والمطلق منه ما أعان الآكل على طاعة ربه ، ولم يشغله ثقله عن أداء ما وجب عليه .

وفيه دليل على جواز الشبع ، وما جاء من النهي عنه محمول على الشبع الذي يثقل المعدة ، ويثبط صاحبه عن القيام للعبادة ، ويفضي إلى البطر والأشر ، والنوم والكسل ، وقد تنتهي كراهته إلى التحريم بحسب ما يترتب عليه من المفسدة .

وذكر الكرماني تبعاً لابن المنير أن الشبع المذكور محمول على شبعهم المعتاد منهم ، وهو أن الثلث للطعام ، والثلث للشراب ، والثلث للنفس ، ويحتاج في دعوى أن تلك عبادتهم إلى نقل خاص . (فتح الباري) : ٩ / ٦٥٩ - ٦٦٠ مختصراً .

(١) انظر هامش رقم (٢) في الصفحة السابقة .

(٢) انظر التعليق السابق ، وأخرجه أيضاً أبو نعيم في (دلائل النبوة) : ٢ / ٤١٥ ، الفصل الثاني والعشرون في ربوّ الطعام بحضرته وفي سفره لإمساسه بيده ﷺ ووضعها عليه ، حديث رقم (٣٢٢) .

فقال لي : أرسلك أبو طلحة ؟ فقلت : نعم ، فقال : لطعام ؟ قلت : نعم ، قال لمن معه : قوموا ، فانطلق وانطلقت بين أيديهم[(١)] .

وخرج مسلم من حديث ابن نمير قال : حدثنا أبي قال : حدثنا سعد بن سعيد قال : حدثني أنس بن مالك قال : بعثني أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ [لأدعوه][(٢)] ، وقد جعل طعاماً ، قال : فأقبلتُ ورسول الله ﷺ مع الناس ، فنظر إليّ فاستحييت ، فقلت : أجب أبا طلحة ، فقال للناس : قوموا ، فقال أبو طلحة : يا رسول الله ! إنما صنعت لك شيئاً .

فَمَسَّها رسول الله ﷺ ، ودعا فيها بالبركة ثم قال : أدْخل [نفراً][(٢)] من أصحابي عشرة وقال : كلوا ، وأخرج لهم شيئاً من بين أصابعه ، فأكلوا حتى شبعوا فخرجوا ، فقال : أَدْخِل عشرة ، فأكلوا حتى شبعوا[(٣)] ، فما زال يُدخل عشرة ويخرج عشرة حتى لم يبق منهم أحد إلا دخل فأكل حتى شبع ، ثم هيأها فإذا هي مثلها حين أكلوا منها[(٤)] .

وخرجه أيضاً من حديث سعيد بن يحيى الأموي قال : حدثنا أبي قال : حدثني سعيد بن سعيد قال : سمعتُ أنس بن مالك قال : بعثني أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ . وساق الحديث بنحو حديث ابن نمير ، غير أنه قال في آخره : ثم أخذ ما بقي فجمعه ، ثم دعا فيه بالبركة ، قال : فعاد كما كان ، ثم قال : دونكم هذا[(٥)] .

وأخرجه أيضاً من حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى ويحيى بن عمارة ، وعبد الله بن أبي عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس بن مالك ، وفي حديث بعضهم : ثم

---

(١) (فتح الباري) : ١ / ٦٨١ ، كتاب الصلاة ، باب (٤٣) من دعا لطعام في المسجد ومن أجاب منه ، حديث رقم (٤٢٢) .
(٢) زيادة للسياقة من (صحيح مسلم) .
(٣) في (خ) : « خرجوا » وما أثبتناه من (صحيح مسلم) .
(٤) (مسلم بشرح النووي) : ١٣ / ٢٢٩ - ٢٣٠ ، كتاب الأشربة ، باب (٢٠) جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه ، حديث رقم (١٤٣) من أحاديث الباب .
(٥) (المرجع السابق) : ٢٣١ الحديث الذي بعده من أحاديث الباب .

أكل رسول الله ﷺ وأكل أهل البيت ، وأفضلوا ما بلَّغ[1] جيرانهم[2] .

وخرج من حديث حجاج بن الشاعر ، عن موسى بن محمد المؤدب قال : حدثنا حرب بن ميمون ، عن النضر بن أنس ، عن أنس قال : قالت أم سليم : اذهب إلى نبي الله ﷺ إن رأيت أن تغدى عندنا فافعل ، فقال : ومن عندي ؟ فقلت : نعم ، قال : فجئت فدخلت على أم سليم وأنا مدهش لمن أقبل مع نبي الله ﷺ ، فقالت أم سليم : ما صنعت يا أنس ؟ فدخل رسول الله ﷺ على أثر ذلك ، فذكرتْ له الذي أرسلتني إليك، وهذا غداؤك ، قال : هل عندك سمن ؟ قالت : نعم ، قد كان عندي منه عكة ، وفيها شيء من سمن .

قال : فأتها ، قال : فجئته بها ، ففتح رباطها فقال : بسم الله ، اللهم أعظم فيه البركة ، فقال : أقلبيها ، فأقلبتها ، فعصرها نبي الله ﷺ وهو يسمي ، فأخذت [منها][3] ، قدر ، فأكل منها بضع وثمانون رجلاً وفضل منها ، فدفعها إلى أم سليم فقال : كلي وأطعمي جيرانك[4] .

---

(١) كذا في (خ) ، وفي (صحيح مسلم) : « ما أبلغوا جيرانهم » .

(٢) (المرجع السابق) : ٢٣٣ .

(٣) هذه الكلمة مطموسة في (خ) ، ولعل الصواب يناسب السياق .

(٤) (المرجع السابق) : ٢٣٤ - ٢٣٥ مختصراً جداً عن (خ) ، قوله ﷺ : « أرسلك أبو طلحة فقلت : نعم » ، وقوله ﷺ : « الطعام فقلت : نعم » ، هذان علمان من أعلام النبوة ، وذهابه ﷺ بهم علم ثالث ، وتكثير الطعام علم رابع .

* وفيه ما تقدم من حديث أبي هريرة وحديث جابر من ابتلاء الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ، والاختبار بالجوع وغيره من المشاق ليصبروا ، فيعظم أجرهم ومنازلهم ، * وفيه ما كانوا عليه من كتمان ما بهم . * وفيه ما كانت الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - عليه من الاعتناء بأحوال رسول الله ﷺ . * وفيه استحباب بعث الهدية وإن كانت قليلة بالنسبة إلى مرتبة المبعوث إليه ، لأنها وإن قلت فهي خير من العدم . * وفيه جلوس العالم لأصحابه يفيدهم ويؤدبهم ، واستحباب ذلك في المساجد . * وفيه انطلاق صاحب الطعام بين يدي الضيفان ، وخروجه ليتلقاهم . * وفيه منقبة لأم سليم رضي الله تعالى عنها ، ودلالة على عظيم فقهها ، ورجحان عقلها ، لقولها : الله ورسوله أعلم ، ومعناه أنه قد عرف الطعام ، فهو أعلم بالمصلحة ، فلو لم يعلمها في مجيء الجمع العظيم لم يفعلها فلا تحزن من ذلك . * وفيه استحباب فتِّ الطعام واختيار الثريد على الغمس باللقم .

وقوله ﷺ : « فإن الله سيجعل فيه البركة » * فيه علم ظاهر من أعلام النبوة ، وقوله ﷺ : « ثم أكل رسول الله ﷺ وأكل أهل البيت » * فيه أنه يستحب لصاحب الطعام وأهله أن يكون أكلهم بعد فراغ الضيفان ، والله تعالى أعلم . (مسلم بشرح النووي) : ١٣ / ٢٣٢ - ٢٣٤ مختصراً .

قال المؤلف – رحمه الله – هذا الحديث من الأحاديث التي اشتهرت عند أهل العلم ، فرواه عن أنس بن مالك سوى من ذكرنا : يعقوب بن عبد الله بن أبي طلحة ، ومحمد بن كعب ، وعمرو بن يحيى بن عمارة المازني عن أبيه ، وبكر بن عبد الله ، وثابت البناني ، وربيعة بن أبي عبد الرحمن ، ومحمد بن سيرين ، والجعد أبو عثمان ، وسنان أبو ربيعة ، كلهم عن أنس ، يزيد بضعهم وينقص .

* * *

[تاسع وثلاثون : أكل أصحاب الصفة من كسَر يسيرة حتى شبعوا]

وأما أكل أهل الصفة من كِسر يسيرة حتى شبعوا ، فخرج الحافظ أبو نعيم من حديث هشام بن علي قال : حدثنا أبو حفص عمر بن الدرفس قال : حدثني عبد الرحمن بن أبي قسيمة عن واثلة بن الأسقع الليثي رضي الله عنه ، أنه حدثه قال : كنا في محرس يقال له الصفة - وهم عشرون رجلاً - فأصابنا جوع ، وكنت من أحدث أصحابي سناً ، فبعثوا بي إلي النبي ﷺ أشكو جوعهم .

فالتفت في بيته فقال : هل من شيء ؟ فقالوا : نعم ، هاهنا كسْرةٌ أو كسَر ، أو شيء من لبن ، فأتى به ففت فتاً رقيقاً ، ثم صب عليه اللبن ، ثم جبنه بيده حتى جعله [كالثريد][1] ، ثم قال : يا واثلة ، أُدع لي عشرة من أصحابك وخلِّفْ عشرة ، [ففعلت][1] ، فقال رسول الله ﷺ : اجلسوا [بسم الله][1] ، فجلسوا ، وأخذ رسول الله ﷺ برأس الثريد فقال : كلوا بسم الله من حواليها واعفوا رأسها . فإن البركة تأتيها من فوقها وإنها تُمدّ ، قال : فرأيتهم يأكلون ويتخللون أصابعهم[2] حتى تملؤوا شبعاً .

فلما انتهوا قال لهم : انصرفوا إلى مكانكم وابعثوا أصحابكم ، فانصرفوا ، فقمتُ متعجباً لما رأيت ، فأقبل علي العشرة ، فأمرهم بمثل الذي أمر به أصحابهم وقال لهم مثل الذي قال لهم ، فأكلوا منها حتى[3] تملؤوا شبعاً وحتى انتهوا ، وإن فيها فضلة[4] .

وخرج من حديث إسماعيل بن عياش قال : حدثنا سليمان بن حبان العذري قال : سمعت واثلة بن الأسقع يقول : كنت من أصحاب الصفة ، فشكى أصحابي

---

(١) زيادة للسياق من (دلائل أبي نعيم) .

(٢) في (خ) : « أصابعه » ، وما أثبتناه من المرجع السابق .

(٣) كذا في (خ) ، وفي المرجع السابق « حتى انتهوا » .

(٤) (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٤٢١ - ٤٢٢ ، حديث رقم (٣٢٨) ، وقال في هامشه : أخرجه الطبراني وابن عساكر ، وقال في مجمع الزوائد ٨ / ٣١٥ ، رواه الطبراني بإسنادين ، وإسناده حسن .

الجوع فقالوا : يا واثلة ، إذهب إلى رسول الله ﷺ فاستطعم لنا ، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ، إن أصحابي يشكون الجوع ، فقال : يا عائشة ، هل عندك من شيء ؟ فقالت : يا رسول الله ، ما عندي إلا فتات خبز ، قال : هاته .

فدعا رسول الله ﷺ بصحفة فأفرغ الخبز في [الصحفة][1] ، ثم جعل يصلح الثريد بيده وهو يربو ، حتى امتلأت [الصحفة][1] ، فقال : يا واثلة ، أذهب فجيء بعشرة من أصحابك وأنت عاشرهم ، فذهبت فجئت بعشرة من أصحابي أنا عاشرهم ، فقال : اجلسوا ، خذوا بسم الله ، خذوا من حواليها ولا تأخذوا [من أعلاها] ، فإن البركة تنحدر من أعلاها .

فأكلو حتى شبعوا ، ثم قاموا وفي الصحفة مثل ما كان فيها ، ثم جعل يصلحها بيده وهي تربو حتى امتلأت ، فقال : يا [واثلة][1] ، اذهب فجيء بعشرة من أصحابك ، فذهبت فجئت بعشرة فقال : اجلسوا ، فجلسوا ، فأكلوا حتى شبعوا ، ثم قاموا ، فقال : اذهب فجيء بعشرة من أصحابك ، فذهبت فجئت بعشرة ، ففعلوا مثل ذلك ، فقال : هل بقي أحد ؟ قلت : نعم ، عشرة ، قال : اذهب فجيء بهم ، فذهبت فجئت بهم ، فقال : اجلسوا ، فجلسوا فأكلوا حتى شبعوا ، ثم قاموا ، وبقي في [الصحفة][1] مثل ما كان ، ثم قال : يا واثلة ، اذهب بها إلى عائشة رضي الله عنها .

وخرج الحاكم من طريق واثلة هذا ، من طريق محمد بن إسحق الصنعاني ، حدثنا عبد الله بن يوسف التنيسي ، حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك ، عن أبيه أنه حدثه عن واثلة بن الأسقع ، فذكره بمعناه وسياقة غير هذه السياقة ، ثم قال : هذا حديث صحيح [الإسناد ولم يخرجاه][2] .

وخرج من حديث أبي بكر بن أبي شيبة قال : حدثنا حاتم بن إسماعيل ، عن أنيس بن أبي يحيى ، عن إسحق بن سالم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خرج

---

(١) زيادة للسياق .

(٢) (المستدرك) : ٤ / ١٣٠ ، كتاب الأطعمة ، حديث رقم (٧١١٩ / ٤٨) ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه ، وقال الذهبي في (التلخيص) : خالد وثقه بعضهم ، وقال النسائي : ليس بثقة .

على رسول الله ﷺ يوماً فقال لي : ادع أصحابك من أصحاب الصفة ، فجعلت أتتبعهم رجلاً رجلاً حتى جمعتهم ، فجئنا باب رسول الله ﷺ فاستأذنا ، فأذن لنا .

قال أبو هريرة : ووضعت بين أيدينا صحفة إن فيها قدر مُدّ من شعير ، قال : فوضع رسول الله ﷺ يده فقال : خذوا باسم الله ، فأكلنا ما شئنا ثم رفعنا أيدينا ، فقال رسول الله ﷺ حين وضعت [الصحفة] : والذي نفس رسول الله بيده ، ما أمسى في آل محمد طعام ليس ترونه ، قيل لأبي هريرة : قَدْرَكَمْ كانت حين فرغتم ؟ قال : مثلها حين وضعت ، إلا أن فيها أثر الأصابع .

* * *

[أربعون : أكل بضع وسبعين رجلاً من حيس فيه قدر مُدّ تمر]

وأما أكل بضع وسبعين رجلاً من حيس فيه قدر مُد تمر وفضل عنهم [كما كان] قبل أكلهم ، فخرج الطبراني من حديث شيبان بن فروح، حدثنا محمد بن عيسى العندلي ، حدثنا ثابت البناني قال : قلت لأنس بن مالك رضي الله عنه أخبرني بأعجب شيء رأيته ، قال : نعم يا ثابت . خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فلم يُعَيِّر عليّ في شيء أسأتُ فيه ، قال : فأعجبُ شيء رأيته منه ما هو ؟ .

قال : إن النبي ﷺ لما تزوج زينب ينت جحش رضي الله عنها قالت لي أمي : يا أنس ، إن نبي الله أصبح عروساً ولا أرى أصبح له غذاء ، فهَلُمَّ تلك العكة وتمراً قَدْر مُدٍّ ، فجعلت له حيساً[1] فقالت : يا أنس ، إذهب بهذا إلى رسول الله ﷺ وامرأته ، فلما أتيت النبي ﷺ بتَوْرٍ من حجارة فيه ذلك الحيس ، قال : ضعه في ناحية البيت ، واذهب فادع أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً ، ونفراً من أصحابه ، ثم ادع لي أهل المسجد ومن رأيت في الطريق ، فجعلت أتعجب من قلة الطعام وكثرة من يأمرني أن يدعو من الناس ، وكرهت أن أعصيه ، فدعوتهم حتى امتلأ البيت والحجرة ، فقال : يا أنيس ، هل ترى من أحد ؟ فقلت : لا يا نبي الله ، فقال : هلمَّ ذلك ، فجئت بذلك التَّوْر إليه ، فجعلته قدامه ، فغمس ثلاثة أصابعه في التَّوْر ، فجعل التَّوْر يربو ويرتفع ، فجعلوا يتغدون ويخرجون حتى إذا فرغوا أجمعون بقي في ذلك التَّوْر نحو ما جئت به .

قال : ضعه قدام زينب ، فخرجت ، فأصفقت الباب عليها باباً من جريد ، قال ثابت : فقلت : يا أبا حمزة ! كم ترى كانوا الذين يأكلون من ذلك التَّوْر ؟ قال : أحسبه قال : واحدٌ وسبعين أو اثنان وسبعون .

---

(١) الحيس : طعام يُصنع من تمر ينزع نواه ، ويدق مع أقط ويعجنان بالسمن ، وربما جعل معه سويق .

(٢) (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٤٢٤ ، الفصل الثاني والعشرون في ربوِّ الطعام بحضرته وفي سفره لإمساسه بيده ووضعها عليه ، حديث رقم (٣٣٠) ، (فتح الباري) : ٨ / ٦٧٦ - ٦٧٧ ، كتاب التفسير ، باب (٨) تفسير سورة الأحزاب ، حديث رقم (٤٧٩٣) ، ٩ / ٢٨٢ - ٢٨٣ ، كتاب النكاح ، باب (٦٥) الهدية للعروس ، حديث رقم (٥١٦٣) ، (تحفة الأحوذي) : ٩ / ٥٩ - ٦٠ ، أبواب تفسير القرآن ، سورة الأحزاب ، حديث رقم (٣٤٣٦) ، (المواهب اللدنية) : ٢ / ٥٧٤ - ٥٧٥ .

[حادي وأربعون : أكل أربعين رجلاً من صاعِ طعام ورِجْلِ شاةٍ حتى شبعوا ولم ينتقص منه شيء]

وأما أكل أربعين رجلاً من صاع طعام ورجل شاة حتى شبعوا و لم ينتقص منه شيء ، وإن منهم لمن يأكل الجذعة[1] ويشرب الفرق[2] : فخرج الحافظ أبو نعيم من حديث المنهال بن عمرو ، عن عبد الله بن الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب ، عن عبد الله بن عباس ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾[3] ، دعاني رسول الله ﷺ فقال :

يا علي ، إن الله تعالى أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين ، قال : فضقت لذلك ذراعاً ، وعلمت أني مَتَى أبادئهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره ، فضقت عليها حتى جاء جبريل عليه السلام فقال : يا محمد ! إنك إلا تفعل ما تُؤمر به يعذبك ربك ، فقال رسول الله ﷺ : يا علي ، فاصنع لنا صاعاً من طعام ، واجعل عليه رِجْل شاة ، واجمع لنا عُسّاً[4] من لبن ، واجمع لي بني عبد المطلب حتى أكلمهم وأبلغهم ما أُمرت به ، ففعلتُ ما أمرني به ، ثم دعوتهم له - وهم يومئذ أربعون رجلاً أو ينقصون - منهم أعمامه : أبو طالب وحمزة وأبولهب ، فلما اجتمعوا دعاني بالطعام الذي صنعت لهم ، فجئت به ، فلما وضعته تناول رسول الله ﷺ [حُذْية][5] من اللحم فشقها بأسنانه ، ثم ألقاها في نواحي الصحفة وقال : خذوا [باسم الله] ، فأكل القوم حتى ما [بقى][5] لهم بشيء من حاجة ، وما أرى إلا مواضع

---

(١) الجذعة : هي التي أوجبها النبي ﷺ في صدقة الإبل إذا جاوزت ستين ، وأما الجذع من الضّأْن - وهو المراد في هذا الحديث - فإنه يجزيء في الضحية ، وقد اختلفوا في وقت إجذاعه ، فقال أبو زيد : في أسنان الغنم المعزى خاصة إذا أتى عليها الحول ، وقال ابن الأعرابي : الجذع من الغنم لسنة . (لسان العرب) : ٨ / ٤٤ .

(٢) الفَرْقُ والفَرَقُ : مكيال ضخم لأهل المدينة معروف ، وقيل : هو أربعة أرباع ، وقيل : هو ستة عشر رطلاً ، والجمع فُرْقان . (المرجع السابق) : ١٠ / ٣٠٥ - ٣٠٦ .

(٣) الشعراء : ٢١٤ . (٤) العسّ : القدح الكبير .

(٥) زيادة للسياقة من (دلائل أبي نعيم) ، وهي القطعة .

أيديهم ، ثم قال : اسقهم ، فجئت بذلك العسّ فشربوا حتى رووا منه جميعاً ، وأيم الله الذي نفسي بيده ، إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله .

فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم ، بدره أبـو لهـب إلى الكلام فقال : يا قوم ! لقد سحركم صاحبكم ، فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله ﷺ ، فقال الغد : يا علي ، إن هذا الرجل قد سبقني إلى ما سمعت [من القول][(١)] ، فتفرق القوم قبل أن أكلمهم ، فعد لنا من الطعام مثل ما صنعت ، ثم اجمعهم لي ، قال : ففعلت ثم جمعتهم ، ثم دعا بالطعام فقربته لهم كما فعل بالأمس ، فأكلوا حتى ما [بقى][(١)] لهم منه حاجة ، ثم قال : اسقهم ، فجئت بذلك العُسّ فشربوا حتى رووا منه جميعاً ، ثم تكلم رسول الله ﷺ[(٢)] .

وخرجه أبو بكر بن أبي شيبة ، عن شريك ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن عباد بن عبد الله الأسدي ، وعبد الله بن عباد الأسدي عن علي رضي الله عنه قال : لما نزلت : ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾[(٣)] ، قال لي رسول الله ﷺ

(١) زيادة للسياق من (دلائل أبي نعيم) .

(٢) (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٤٢٥ - ٤٢٦ ، الفصل الثاني والعشرون في ربوّ الطعام بحضرته وفي سفره ، لإمساسه بيده ووضعها عليه ، حديث رقم (٣٣١) ، قال محققه : وفيه عبد الغفار بن قاسم ، رافضي ، ليس بثقة ، قال عنه ابن المديني : كان يضع الحديث ، وقال الهيثمي بعد أن أخرج نحو حديث الباب : رواه البزار واللفظ له ، وأحمد في (المسند) باختصار شديد : ١ / ١٧٨ ، حديث رقم (٨٨٥) ، مسند علي بن أبي طالب ، ٢ / ٦٣٧ ، حديث رقم (٨١٩٧) ، مسند أبي هريرة ، ٣ / ٣٢٥ ، حديث رقم (١٠٣٤٧) ، مسند أبي هريرة أيضاً ، ٦ / ٥١ ، حديث رقم (٢٠٠٨٢) من حديث قبيصة بن مخارق ، البيهقي في (السنن الكبرى) : ٦ / ٢٨٠ ، باب الوصية للقرابة ، من كتاب الوصايا ، ٣٧١ ، كتاب قسم الفيء والغنيمة باب إعطاء الفيء على الديوان ومن يقع به البداية .

وأما ما تكلم به رسول الله ﷺ فقد ذكره كل من الإمام أحمد في (المسند) على النحو السابق ، والإمام البيهقي في (السنن الكبرى) ولفظه : يا معشر قريش ، اشتروا أنفسكم من الله ، لا أغنى عنكم من الله شيئاً ، يا بني عبد مناف ، لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا عباس بن عبد المطلب ، لا أغني عنك من الله شيئاً ، يا صفية عمة رسول الله ، لا أغني عنك من الله شيئاً ، يا فاطمة بنت محمد سلين ما شئت ، لا أغني عنك من الله شيئاً .

رواه البخاري في (الصحيح) عن أبي اليمان ، وأخرجه مسلم من وجه آخر عن الزهري . وهذا الحديث حجة في دخول بني الأعمام في الأقربين .

والعُسّ : القدح الكبير .

(٣) الشعراء : ٢١٤ .

يا علي ، اصنع رجل شاه بصاع من طعام ، وأعد قعباً من لبن ، ففعلت ، قال : اجمع بني عبد المطلب ، فجمعتهم وهم يومئذ أربعون رجلاً - يزيدون رجلاً أو ينقصون رجلاً - .

قال : فوضعت بينهم الطعام فأكلوا حتى شبعوا وإن منهم لمن يأكل الجذعة ويشرب العُس - ثم جئت بالقعب فشربوا حتى رووا عنه ، فقال بعضهم : ما رأينا كالسحر اليوم - ترون أنه أبولهب - ثم قال : يا علي ، اصنع لنا غداء مثل ما صنعت ، فأكلوا مثل ما أكلوا في المرة الأولى ، وشربوا [مثل] ما شربوا ، ثم عرض عليهم رسول الله ﷺ ما عرض .

وخرجه من حديث أبي إسحق عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : لما نزلت : ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾[1] جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلب ، وهم يومئذ أربعون ، منهم العشرة يأكلون المُسِنَّة[2] ويشربون العُس ، فأمر رسول الله ﷺ علياً برجل شاة فصنعها لهم ، ثم قربها إلى رسول الله ﷺ فأخذ منها بضعة ، فأكل منها ثم تتبع بها جوانب القصعة ثم قال : ادنوا ، فدنا القوم عشرة عشرة .

فأكلوا حتى صدروا ، ثم دعا بقعب من لبن فجرع منه جرعاً فناولهم فقال : اشربوا باسم الله ، فشربوا حتى رووا عن آخرهم ، فقطع أبولهب كلامهم فقال لهم : ما سحركم مثل هذا الرجل ، فأسكت النبي ﷺ يومئذ فلم يتكلم ، ثم دعاهم من الغد على مثل ذلك الطعام والشراب ، ثم بدرهم رسول الله ﷺ بالكلام[3] .

وخرجه من حديث أبي عوانة ، عن عثمان بن المغيرة ، عن أبي صادق عن ربيعة ابن ناجذ ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما نزلت : ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ ، جمع بني عبد المطلب ، وأمرني فصنعتُ مُداً من طعام - ومنهم نفر يأكل كل واحد منهم الجذعة ويشرب الفرق - فأكلوا وكأن

---

(١) الشعراء : ٢١٤ .

(٢) سَنَّت البَدَنة : إذا نبتتْ أسنانُها .

(٣) الحديث السابق يشهد على صحته ، وقد سبق ذكر كلام رسول الله ﷺ لعشيرته الأقربين في التعليق السابق .

لم ينقص منه شيء ، وأتو بالغمر - وهو زي الراكب - فشربوا وكأن لم ينقص منه شيء ، ثم قال : يا بني عبد المطلب ، إني بُعثت إليكم خاصة ، وإلى الناس عامة ، فأيكم يبايعني على أن يكون أخي ؟ قال علي رضي الله عنه : فقلت : أنا ، فقال : اجلس ، فلما كان آخر ذلك ضرب يده على يدي[1] .

* * *

(١) الحديث السابق يشهد على صحته ، وقد سبق ذكر كلام رسول الله ﷺ لعشيرته الأقربين في التعليق السابق .

[ثاني وأربعون :
أَخْذ أربعمائة رجل ما أحبوا من تمر قليل ولم ينقص]

وأما أخذ أربعمائة رجل ما أحبوا من تمر قليل ولم ينقص ، فخرج أبو نعيم من حديث الحميدي ويحيى بن عبد الحميد قالا : حدثنا سفيان بن عيينة ، حدثنا إسماعيل قال : سمعت قيساً يقول : حدثني دكين بن سعيد قال : أتينا رسول الله ﷺ في أربعمائة راكب نسأله الطعام فقال : يا عمر ، اذهب فأطعمهم ، فقال : يا رسول الله ! ما عندي إلا آصُع[1] تمر مما يقتات عيالي ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : اسمع وأطع ، فقال عمر رضي الله عنه : سمعاً وطاعة .

فانطلق حتى أتى عُلَيَّة ، فأخرج مفتاحاً من حزَّته[2] فقال للقوم : ادخلوا ، فدخلوا - وكنت آخر القوم دخولاً - فقال : خذوا ، فأخذ كل رجل منهم ما أحب ، ثم التفَتُّ إليه وإني لمن آخر القوم ، وكأنا لم نرزأ تمرة. قال أبو نعيم : رواه عيسى بن يونس ، وعبد الله بن نمير ، ووكيع ، ويعلي ، ومحمد أبناء عُبيد ، والمعتمر في آخرين عن إسماعيل مثله[3] .

(١) في (خ) : « صاع » . (٢) حِزَّته : عنقه .

(٣) (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٤٢٧ ، حديث رقم (٣٣٣) ، (مسند أحمد) : ٥ / ١٨٥ - ١٨٦ ، من حديث دكين بن سعيد الخثعمي ، حديث رقم (١٧١٢٦) ، وقال فيه : ونحن أربعون وأربعمائة ، وحديث رقم (١٧١٢٧) ، وحديث رقم (١٧١٢٨) ، وحديث رقم (١٧١٢٩) ، وحديث رقم (١٧١٣٠) .

[ثالث وأربعون : أكل مائة وثمانين رجلاً من الأنصار حتى صدروا من طعام صنعه أبو أيوب الأنصاري]

أما أكل مائة وثمانون رجلاً من الأنصار حتى صدروا من طعام صنعه أبو أيوب الأنصاري لرسول الله ﷺ ولأبي بكر رضي الله عنه قدر ما يكفيهما ، فخرج الحافظان أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني ، وأبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي من حديث عبد الأعلى بن عبد الأعلى ، عن سعيد الجريري ، عن أبي الورد ، عن أبي محمد الحضرمي ، عن أبي أيوب الأنصاري قال : صنعت لرسول الله ﷺ ولأبي بكر طعاماً قدر ما يكفيهما فأتيتهما به .

فقال رسول الله ﷺ : اذهب فادع لي بثلاثين من أشراف الأنصار ، فشق ذلك عليّ وقلت : ما عندي شيء أزيده ، فكأني تثاقلت ، فقال : اذهب فادع لي بثلاثين من أشراف الأنصار ، فدعوتهم فجاءوا ، فقال : اطعموا ، فأكلوا [حتى صدروا][1] ثم شهدوا أنه رسول الله ، ثم بايعوه قبل أن يخرجوا .

ثم قال : اذهب فادع لي ستين من أشراف الأنصار ، فدعوتهم ، فوالله لأنا بالستين أخوف مني بالثلاثين ، قال : فدعوتهم ، فقال رسول الله ﷺ : ترفعوا ، فأكلوا حتى صدروا ، ثم شهدوا أنه رسول الله ، فبايعوه قبل أن يخرجوا .

ثم قال : اذهب فادع لي تسعين من الأنصار ، فلأنا أخوف بالتسعين والستين من الثلاثين ، قال : فدعوتهم ، فأكلوا حتى صدروا ، ثم شهدوا أنه رسول الله ، وبايعوه قبل أن يخرجوا ، قال : فأكل من طعامي ذلك مائة وثمانون رجلاً كلهم من الأنصار[2] .

* * *

(١) زيادة للسياق من (الدلائل) .

(٢) (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٤٢٨ ، حديث رقم (٣٣٤) ، (دلائل البيهقي) : ٦ / ٩٤ ، باب ما جاء في دعوة أبي أيوب الأنصاري وما ظهر في طعامه ببركة رسول الله ﷺ .

[رابع وأربعون :

أكل نفر حتى شبعوا من طعام يسير صنعه صُهيب]

وأما أكل نفر حتى شبعوا من طعام يسير صنعه صهيب ، فخرج أبو نعيم من حديث محمد بن المثنى قال : حدثنا سالم بن نوح عن الجريري ، عن أبي السليل ، عن صهيب رضي الله عنه قال : صنعت لرسول الله ﷺ طعاماً فأتيته به وهو في نفر من أصحابه جالس ، فقمت حياءاً له ، فلما نظر إليّ أومأت إليه ﷺ فقال : وهؤلاء ؟ فقلت : لا ، فسكت وقمت مكاني ، فلما نظر إلَّي أومأت إليه ﷺ فقال : وهؤلاء – مرتين أو ثلاثاً – قال : فقلت : نعم ، وإنما كان شيئاً يسيراً صنعته لك – صلى الله وسلم عليك – فأكلوا ، قال : فأحسبه وفضل منهم[1] .

* * *

(١) لم أجده في النسخة المحققة من (دلائل أبي نعيم) ، لكن أحاديث الباب تشهد على صحته .

[خامس وأربعون : أكل طائفة في بيت عائشة من حيس يسير وشربهم لبناً حتى شبعوا ورووا]

وأما أكل طائفة في بيت عائشة رضي الله عنها من حيس يسير وشربهم لبناً حتى شبعوا ورووا ، فخرج أبو نعيم من حديث يونس بن حبيب قال : حدثنا أبو داود ، حدثنا ابن أبي ذئيب ، عن الحرث بن عبد الرحمن قال : بينما أنا مع [أبي][1] سلمة بن عبد الرحمن ، إذ طلع رجل من بني غفار ابن لعبد الله بن طهفة ، فقال أبو سلمة : حدثنا حديثك عن أبيك .

فقال : حدثني عبد الله بن طهفة ، أن النبي ﷺ كان إذا اجتمع الضيفان قال : لينقلب كل رجل بضيفه حتى إذا كان في ليلة اجتمع في المسجد ضيفان كثيرة ، فقال رسول الله ﷺ : لينقلب كل رجلٍ مع جليسه ،قال : فكنت أنا ممن انقلب مع النبي ﷺ ، فلما دخل قال : يا عائشة ، هل من شيء ؟ قالت نعم ، حُوَيْسة[2] كنت أعددتها لإفطارك ، قال : فأتيني بها ، فأتت بها في قُعَيْبَةٍ لهم .

فأكل النبي ﷺ منها شيئاً ثم قدمها إلينا ثم قال : باسم الله كلوا ، فأكلنا منها حتى والله ما ننظر إليها ، ثم قال : هل عندك من شراب ؟ قالت : لُبَيْنَة أعددتها لإفطارك ، قال : هاتيها[3] ، فجاءت بها ، فشرب النبي ﷺ منها شيئاً ثم قال : باسم الله اشربوا ، فشربنا حتى والله ما ننظر إليها ، ثم خرجنا إلى الصلاة – وكان ﷺ يوقظنا[4] إذا خرج – فقال : الصلاة الصلاة ، فرأى رجلاً متكئاً على وجهه فقال : من هذا ؟ قلت : أنا عبد الله ، قال : إنها ضجعة يكرهها الله عزَّ وجلَّ[5] .

---

(١) زيادة للسياق من المرجع السابق .

(٢) الحويسة : تصغير حيس ، وهو طعام يتخذ من التمر والسمن والأقط . والأقط : هو اللبن المجفف ، وطهفة : هو طخفة بن قيس الغفاري ، وفي بعض المراجع طهفة وفي بعضها الآخر طخفة .

(٣) كذا في (خ) ، وفي المرجع السابق « هلميها » .

(٤) كذا في (خ) ، وفي المرجع السابق « يوقظ أهله » .

(٥) (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٤٢٩ – ٤٣٠ ، حديث رقم (٣٣٦) » .

وخرج من حديث هشام الدستوائي ، عن يحيى بن أبي سلمة ، عن يعيش بن طخفة [بن قيس الغفاري][1] قال : كان أبي من أهل الصفة ، قال : فأمرهم النبي ﷺ فجعل الرجل يذهب برجل ، والرجل يذهب بالرجلين ، حتى بقيت خامس خمسة ، فقال لنا رسول الله ﷺ : انطلقوا .

فانطلقنا معه إلى منزل عائشة رضي الله عنها ، فقال : يا عائشة أطعمينا ، فجاءت بحشيشة فأكلنا ، ثم جاءت بحيسة مثل القطاة فأكلنا ، ثم قال : يا عائشة : اسقينا ، فجاءت بعُسّ فشربنا ، ثم قال : يا عائشة اسقينا ، فجاءت بقدح صغير من لبن فشربنا ، ثم قال : إن شئتم بِتّمْ وإن شئتم انطلقتم إلى المسجد ، فقلنا : لا ، بل ننطلق إلى المسجد[2] ، قال أبو نعيم : رواه ابن عُلية ، وعبد الوهاب ، وعبد الصمد ، عن هشام مثله ورواه الأوزاعي وشيبان ومعمر ومحمد بن جابر عن يحيى بن أبي كثير على اختلاف بينهم فيه .

* * *

(١) زيادة للنسب من (مسند أحمد) .

(٢) (مسند أحمد) : ٤ / ٤٤٨ ، حديث رقم (١٥١١٥) ، من حديث طخفة بن قيس الغفاري ، رضي الله تعالى عنه ، وزاد فيه بعد قوله : بل ننطلق إلى المسجد : فبينا أنا من السحر مضطجع على بطني ، إذا رجل يحركني برجله فقال : إن هذه ضجعة يبغضها الله تبارك وتعالى ، فنظرت فإذا هو رسول الله ﷺ .

وذكره ابن حبان في (الإحسان) : ١٢ / ٣٥٨ - ٣٥٩ ، حديث رقم (٥٥٥٠) ، كتاب التطيّب والزينة ، باب (١) آداب النوم ، ذكر بُغض الله جل وعلا النائمين على بطونهم ، وقال محققه : إسناده ضعيف لجهالة ابن قيبس بن طهفة ويقال : ابن طخفة ، لكنه يتقوى بما قبله ، وقد سماه ابن حبان في (الثقات) : ٥ / ٥٩ : عبد الله ، وهو في عداد المجهولين ، وأخرجه النسائي في الوليمة من (الكبرى) . وأخرجه الحاكم في (المستدرك) : ٤ / ٣٠١ - ٣٠٢ ، كتاب الأدب ، حديث رقم (٧٧٠٨ / ٣٠) ، وقال في آخره : هذا حديث مختلف في إسناده على يحيى بن أبي كثير ، وآخره أن الصواب قيس بن طخفة الغفاري ، وشاهده حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه ، والبخاري في (التاريخ الكبير) : ٤ / ٣٦٥ - ٣٦٦ ، ترجمة طخفة الغفاري رقم (٣١٦٧) ، (الإصابة) : ٣ / ٥٤٤ ، ترجمة رقم (٤٣٠٠) ، (الاستيعاب) : ٢ / ٧٧٤ ، ترجمة رقم (١٢٩٤) ، حيث قال ابن عبد البر : طهفة الغفاري اختلف فيه اختلافاً كثيراً ، واضطرب فيه اضطراباً شديداً ، فقيل : طهفة بن قيس بالهاء ، وقيل : طخفة بن قيس بالخاء ، وقيل : طغفة بالغين ، وقيل : طقفة بالقاف والفاء ، وقيل : قيس بن طخيفة ، وقيل : يعيش بن طخفة عن أبيه ، وقيل : عبد الله بن طخفة عن أبيه ، .. ثم قال : وإنه صاحب القصة ، حديثه عند يحيى بن أبي كثير ، وعليه اختلفوا فيه .

[سادس وأربعون :
غرسُه لسلمان الفارسي نخلاً أطعم من سنته]

وأما غرسه ﷺ لسلمان الفارسي رضي الله عنه نخلاً أطعم من سنته ، فخرج البيهقي من حديث عبد الله بن أبي شيبة قال : حدثنا زيد بن الحباب ، عن الحسين ابن واقد قال : حدثني عبد الله بن بريدة عن أبيه ، أن سلمان رضي الله عنه لما قدموا إلى المدينة أتى رسول الله ﷺ بهدية على طبق ، فوضعها بين يديه فقال : ما هذا يا سلمان ؟ قال : صدقة عليك وعلى أصحابك ، قال : إني لا آكل الصدقة .

فرفعها ثم جاءه من الغد بمثلها فوضعها بين يديه فقال : ما هذا ؟ قال : هدية لك ، قال : فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : كلوا ، قالوا : لمن أنت ؟ قال : لقوم ، قال : فاطلب إليهم أنْ يكاتبوك ، قال : فكاتبوني على كذا وكذا نخلة أغرسها لهم ، ويقوم عليها سلمان حتى تَطعَم ، فجاء إلى النبي ﷺ فغرس النخل كله إلا نخلة واحدة غرسها عمر رضي الله عنه ، فأطْعم نخله[1] من سنته إلا تلك النخلة ، فقال النبي ﷺ : من غرسها ؟ قالوا : عمر ، فغرسها رسول الله ﷺ بيده فحملت من عامها .

قال البيهقي : وروينا عن أبي عثمان عن سلمان أنه قال : فجعل يغرس إلا واحدة غرستها بيدي ، فعلقن جميعاً إلا واحدة[2] .

قال المؤلف رحمه الله : قد خرج الحاكم[3] من حديث أبي عثمان أن هذا من طريق عفان بن مسلم قال : حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن سليمان وعلي بن يزيد

---

(١) في (خ) : « النخل » .

(٢) أخرج البيهقي طرفاً من هذا الحديث مختصراً في (دلائل النبوة) : ٢ / ٩٠ ، باب ذكر إسلام سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه ، ثم ذكره بتمامه في (دلائل النبوة) : ٦ / ٩٧ - ٩٨ ، باب ما ظهر في النخل التي غرسها النبي ﷺ لسلمان الفارسيّ رضي الله عنه ، وأطعمت من سَنَتِه من آثار النبوة ، واستبرائه عند قدومه عليه ، وما وصف له من حاله .

(٣) (المستدرك) : ٢ / ٢٣٧ ، كتاب المكاتب ، حديث رقم (٢٨٦٢ / ٤) .

عن أبي عثمان النَّهدي ، عن سلمان قال : كاتبتُ أهلي على أن أغرس لهم خمسمائة فسيلة ، فإذا علقت فأنا حُرّ ، فأتيت النبي ﷺ فذكرتُ ذلك له فقال : اغرس واشترط لهم ، فإذا أردتَ الغرس فأذني ، فجاء رسول الله ﷺ فجعل يغرس إلا واحدة غرستها بيدي ، فعلقت جميعاً إلا الواحدة .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح من [حديث عاصم][1] بن سليمان الأحول ، على شرط الشيخين و لم يخرجاه . وقد خرجه الإمام أحمد[2] من حديث عفان به نحوه .

* * *

(١) زيادة للسياق من (المستدرك) .
(٢) (مسند أحمد) : ٦ / ٦١٤ من حديث سلمان الفارسي ، حديث رقم (٢٣٢١٨) .

[سابع وأربعون :
ظهور البركة في تمرات يسيرة بمزود[1] أبي هريرة]

وأما ظهور البركة في تمرات يسيرة بمزود أبي هريرة حتى حمل منها عدة أوساق فخرج البيهقي من حديث علي بن المديني قال : حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا المهاجر – مولى آل أبي بكرة – عن أبي العالية ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتيتُ رسول الله ﷺ بتمرات فقلت : ادْعُ لي فيهن بالبركة .

قال فقبضهن ثم دعا فيهن بالبركة ثم قال : خذهن فاجعلهن في مزود ، أو قال في مزودك ، فإذا أردت أن تأخذ منهن فأدخل يدك فَخُذْ ولا تنثرهن نثراً ، قال : فحملت من ذلك التمر كذا وكذا وسقاً ، في سبيل الله ، وكنا نأكل ونُطِعم ، وكان المزود معلقاً بحقوي[2] ، لا يفارق حقويَّ ، فلما قتل عثمان رضي الله عنه انقطع[3] .

وخرج من حديث أيوب السختياني ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة قال : كان رسول الله ﷺ في غزوة ، فأصابهم عَوَزٌ من الطعام ، فقال : يا أبا هريرة ، عندك شيء ؟ قال : قلت : شي من تمر في مزود لي ، قال : جيء به ، قال : فجئت بالمزودة ، قال : هات نطعاً ، فجئت بالنطع فبسطته ، فأدخل يده الشريفة فقبض على التمر ، فإذا هو إحدى[4] وعشرين تمرة .

ثم قال : باسم الله ، فجعل يضع كل تمرة ويسمي ، حتى أتى على التمر فقال : به هكذا فجمعه ، وقال : ادع فلاناً وأصحابه ، فأكلوا حتى شبعوا وخرجوا ، ثم

---

(١) المزود : هو وعاء من جلد وغيره ، يجعل فيه الزاد .

(٢) الحقو : الوسط ، والمراد : موضع شد الإزار .

(٣) (دلائل البيهقي) : ٦ / ١٠٩ ، باب ما جاء في مزود أبي هريرة رضي الله عنه ، وما ظهر فيه ببركة دعاء النبي ﷺ من آثار النبوة ، وأخرجه الترمذي في مناقب أبي هريرة ، وقال : هذا حديث حسن غريب ، وقد روى من غير هذا الوجه عن أبي هريرة ، (سنن الترمذي) : ٥ / ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، كتاب المناقب باب (٤٧) مناقب أبي هريرة ، حديث رقم (٣٨٣٩) .

(٤) في (خ) : « واحد » .

قال : به هكذا فجمعه ، وقال : ادع فلاناً وأصحابه ، فأكلوا وشبعوا وخرجوا ، وفضل تمر فقال لي : اقعد ، فقعدت ، فأكل وأكلت ، قال : وفضل تمر فأخذه فأدخله في المزودة فقال لي : يا أبا هريرة إذا أردت شيئاً فأدخل يدك فخذ ، ولا تكفأ فيُكفأ عليك ، قال : فما كنت أريد تمراً إلا أدخلت يدي فأخذت منه خمسين وَسْقاً في سبيل الله ، وكان معلقاً خلف رجلي ، فوقع في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه [فذهب][1] .

وخرجه من حديث سهل بن أسلم العُذريّ ، عن زيد بن أبي منصور ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : أُصبت بثلاث مصائب في الإسلام لم أصب بمثلهن : بموت النبي ﷺ وكنت صويحبه ، وقتل عثمان ، والمزود ، قالوا : وما المزود يا أبا هريرة ؟ قال :

كنا مع رسول الله ﷺ في سفر ، فقال : يا أبا هريرة أمعك شيء ؟ قال : قلت : تمر في مزود ، قال : جيء به ، فأخرجت منه تمراً فأتيته به ، قال : فمسَّه فدعا فيه ثم قال : ادع عشرة ، فدعوتُ عشرة ، فأكلوا حتى شبعوا ، ثم كذلك حتى أكل الجيش كله وبقى تمر المزود ، قال : يا أبا هريرة ، إذا أردت أن تأخذ منه شيئاً فأدخل يدك فيه ولا تكبُّه[2] .

قال : فأكلتُ منه حياة النبي ﷺ ، وأكلت منه حياة أبي بكر رضي الله عنه كلها ، وأكلت منه حياة عمر رضي الله عنه كلها ، وأكلت منه حياة عثمان رضي الله عنه كلها ، فلما قتل عثمان انتهب ما في بيتي وانتهب المزود ، ألا أخبركم كم أكلت منه ؟ أكلت منه أكثر من مائتي وسق[3] [لفظ حديث المقرىء][4] .

* * *

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٦ / ١١٠ ، باب ما جاء في مزود أبي هريرة رضي الله عنه وما ظهر فيه ببركة دعاء النبي ﷺ من آثار النبوة ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه .

(٢) في (خ) : « تكفئه » .

(٣) (المرجع السابق) : ١١٠ - ١١١ ، ذات الباب .

(٤) زيادة للسياق من المرجع السابق .

[ثامن وأربعون : امتلاء النَّحْي[1] الذي أهريق ما فيه]

[وأما امتلاء النحى الذي أهريق ما فيه] فخرج البيهقي من حديث سفيان ابن حمزة ، عن كثير بن يزيد ، عن محمد بن حمزة بن عمرو الأسلمي ، عن أبيه قال : كان طعام رسول الله ﷺ يدور على أصحابه ، على هذا ليلة ، وعلى هذا ليلة ، فدار عليّ فعلمتُ طعام رسول الله ﷺ ، ثم ذهبت به فتحرك النحي فأهريق ما فيه ، فقلت : على يدي أهريق طعام رسول الله ﷺ ، فقال لي رسول الله ﷺ : اجلس ، فقلت : لا أستطيع يا رسول الله ، فرجعت فإذا النحي يقول : قَبْ قَبْ ، فقلت : فضلة فضلت فيه ، فاجتبذْتُهُ فإذا هو قد ملىء إلى يديه فأوكيته ، ثم جئت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فقال : أما إنك لو تركته لملىء إلى فيه فأوكه[2] .

* * *

---

(١) النَّحْي : زقّ السمن .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٦ / ١١٢ ، باب ما جاء في امتلاء النحي الذي أهريق ما فيه .

[تاسع وأربعون : البركة التي ظهرت في الشعير الذي خلَّفه رسول الله ﷺ بعد وفاته في بيت عائشة رضي الله عنها]

وأما البركة التي ظهرت في الشعير الذي خلفه رسول الله ﷺ بعد وفاته في بيت عائشة رضي الله عنها ، فخرج البخاري في باب فضل الفقر من كتاب الرقاق ، وخرج مسلم من حديث أبي أمامة ، عن هشام عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : لقد توفى رسول الله ﷺ - وقال مسلم - : توفي رسول الله ﷺ وما في رَفّي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رفٍّ لي ، فأكلت منه حتى طال عليَّ فَكِلْتُهُ ففني . لفظهما فيه سواء[1] .

وذكره البخاري أيضاً بهذا الإسناد في كتاب فرض الخمس في باب نفقة نساء النبي ﷺ بعد وفاته[2] ، وقال : توفي رسول الله ﷺ وقال : وما في بيتي من شيء ... ، والحكمة من ذلك أن كثيرهُ مضاد للتوكل ، فعوقب فاعله بزواله .

(١) (فتح الباري) : ١١ / ٣٢٩ ، كتاب الرقاق ، باب (١٦) فضل الفقر ، حديث رقم (٦٤٥١) .

(٢) (فتح الباري) : ٦ / ٢٥٧ ، كتاب فرض الخمس ، باب (٣) نفقة نساء النبي ﷺ بعد وفاته ، حديث رقم (٣٠٩٧) ، (مسلم بشرح النووي) : ١٨ / ٣١٦ - ٣١٧ ، كتاب الزهد والرقاق ، حديث رقم (٢٧٩٣) ، (سنن الترمذي) : ٤ / ٥٥٤ ، كتاب صفة القيامة والرقاق والورع باب (٣١) ، حديث رقم (٢٤٦٧) ، وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، ومعنى قولها : شَطْرٌ : تعني شيئاً ، (دلائل البيهقي) : ٦ / ١١٣ ، باب ما ظهر فيما خلَّف رسول الله ﷺ على عائشة رضي الله عنها من الشعير ... ، وزاد في آخر روايته المسندة : وليتني لم آكِلْهُ .

[خمسون : البركة التي حلت في
شطر وسق شعير دفعه النبي ﷺ لرجل استطعمه]

وأما البركة التي حلت في شطر وسق شعير دفعه النبي ﷺ لرجل استطعمه، فخرج مسلم من حديث سلمة بن شبيب قال : حدثنا الحسن بن محمد بن أعين، حدثنا معقل عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه، أن رجلاً أتى النبي ﷺ يستطعمه فأطعمه شطر وسق شعير، فما زال الرجل يأكل منه وامرأته وضيفهما حتى كاله، فأتى النبي ﷺ فقال : لو لم تكله لأكلتم منه ولقام لكم[1] . ذكره في المناقب .

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ١٥ / ٤٥ - ٤٦ ، كتاب الفضائل ، باب (٣) في معجزات النبي ﷺ ، حديث رقم (٢٢٨١) ، (دلائل البيهقي) : ٦ / ١١٤ .

[حادي وخمسون :
أكل نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وعياله
من شعير دفعه له النبي ﷺ نصف سنة لم ينقص لما كاله]

وأما أكل نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وعياله من شعير دفعه له النبي ﷺ نصف سنة ولم ينقص لما كاله ، فخرج البيهقي من حديث ابن لهيعة قال : حدثنا يونس بن يزيد ، حدثنا أبو إسحق عن سعيد بن الحرث بن عكرمة عن جده نوفل ابن الحرث بن عبد المطلب ، أنه استعان رسول الله ﷺ في التزويج ، فأنكحه امرأة فالتمس شيئاً فلم يجده ، فبعث رسول الله ﷺ أبا رافع وأبا أيوب رضي الله عنهما بدرعه فرهناه عند رجل من اليهود بثلاثين صاعاً من شعير ، فدفعه رسول الله ﷺ إليه ، قال : فطعمنا منه نصف سنة ثم كِلْناه ، فوجدناه كما أدخلناه ، قال نوفل : فذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ فقال : لو لم تكلْهُ لأَكَلْتَ منه ما عشت[1] .

* * *

(١) (المرجع السابق) : ٦ / ١١٤ .

[ثاني وخمسون : شبع أعرابي بشيء من كسرة قد يبست]

وأما شبع أعرابي بشيء من كسرة قد يبست ، فخرج البيهقي من حديث حفص ابن غياث ، حدثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ضاف النبي ﷺ [أعرابيٌّ][1] ، قال : فطلب له شيئاً فلم يجد إلا كسرة في كوة ، قال : فجزَّأها رسول الله ﷺ أجزاءً ودعا عليها وقال : كل ، فأكل وأفضل ، قال : فقال : يا محمد ، إنك لرجل صالح ، فقال له النبي ﷺ : أسلم ، قال : إنك لرجل صالح[2] .

وفي رواية ، قال : أتى أعرابيٌّ النبي ﷺ فسأله ، فدخل فلم يجد إلا كسرة قد يبست في جُحْرٍ ، فأخرجها ففتها أجزاء ، ثم وضع يده عليها ، ثم دعا ، ثم قال : كل يا أعرابي ، فجعل الأعرابي يأكل حتى شبع وفضل منه فضلة ، فجعل الأعرابي يرفع رأسه ينظر إليه ويقول : إنك لرجل صالح ، وجعل النبي ﷺ يدعوه إلى الإسلام ، ويقول : إنك لرجل صالح[2] .

---

(١) زيادة للسياق من المرجع السابق .

(٢) كلا الروايتين بسندهما في (دلائل البيهقي) : ٦ / ١١٧ - ١١٨ .

[ثالث وخمسون :
أَمْرُهُ قوماً كانوا لا يشبعون بأن اجتمعوا]

وأما أمره قوماً كانوا لا يشبعون بأن اجتمعوا إذا أكلوا ، ففعلوا فشبعوا بامتثالهم أمر رسول الله ﷺ ، فخرج أبو داود من حديث الوليد بن مسلم ، حدثنا وحشي ابن حرب ، عن ابنه عن جده ، أن أصحاب النبي ﷺ قالوا : يا رسول الله ! إنا نأكل ولا نشبع ، قال : فلعلكم تفترقون ؟ قالوا : نعم ، قال فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله عليه ، يُبارِكْ لكم فيه[1] .

* * *

(١) (عون المعبود) : ١٠ / ١٧٠ ، كتاب الأطعمة ، باب (١٥) في الاجتماع على الطعام ، حديث رقم (٣٧٥٨) ، (سنن ابن ماجه) : ٢ / ١٠٩٣ ، كتاب الأطعمة ، باب (١٧) الاجتماع على الطعام ، حديث رقم (٣٢٨٦) ، وأخرج ابن ماجه أيضاً حديث رقم (٣٢٨٧) بسنده ، قال رسول الله ﷺ : « كلوا جميعاً ولا تفرقوا ، فإن البركة مع الجماعة » .

وخرجه الإمام أحمد في (المسند) : ٤ / ٥٦٠ ، من حديث وحشي الحبشي ، حديث رقم (١٥٦٤٨) ، والبيهقي في (دلائل النبوة) : ٦ / ١١٩ ، باب ما جاء في القوم الذين كانوا لا يشبعون ، فأمرهم رسول الله ﷺ بالاجتماع على الطعام وتسمية الله تعالى عليه ففعلوا فشبعوا .

[رابع وخمسون : ظهور البركة في شعير أم شريك]

وأما ظهور البركة في شعير أم شريك وعكتها ، وريها من عند الله ببركة الرسول ﷺ ، فخرج البيهقي من حديث يونس بن بكير ، عن عبد الأعلى ، عن أبي المساور القرشي ، عن محمد بن عمرو بن عطاء ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كانت امرأة من دوس يقال لها : أم شريك ، أسلمت في رمضان ، فأقبلت تطلب من يصحبها إلى رسول الله ﷺ ، فلقيت رجلاً من اليهود فقال : ما لك يا أم شريك ؟ قالت : أطلب رجلاً يصحبني إلى رسول الله ﷺ ، قال : فتعالي فأنا أصحبك ، قالت : فانتظرني حتى أملأ سقائي ماءاً ، قال : معي ماء ، لا تريدين ماء .

قال : فانطلقت معهم فساروا يومهم حتى أمسوا ، فنزل اليهودي ووضع سفرته فتعشّى وقال : يا أم شريك ، تعالي إلى العشاء ، فقالت : اسقني من الماء فإني [عطشي][1] ، ولا أستطيع أن آكل حتى أشرب ، فقال : لا أسقيك حتى تهودي ، فقالت : لا جزاك الله عني خيراً ، غررتني[2] ومنعتني أن أحمل ماءاً ، فقال : لا والله لا أسقيك منه قطرة حتى تهودين ، فقالت : لا والله لا أتهود أبداً بعد أن هداني الله إلى الإسلام ، وأقبلت إلى بعيرها فعقلته ، ووضعت رأسها على ركبته فنامت ، قالت : فما أيقظني إلا [برد][3] دلو قد وقع على جبيني .

فرفعت رأسي فنظرت إلى ماء أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل ، فشربت حتى رويت ، ثم نضحت على سقائي حتى ابتل ، ثم ملأته ، ثم رُفع بين يدي وأنا أنظر حتى توارى مني في السماء ، فلما أصبحت جاء اليهودي فقال : يا أم شريك ، قلت : والله قد سقاني الله ، فقال : من أين ؟ أنزل عليك من السماء ؟ قلت : نعم ، والله لقد أنزل الله عزَّ وجلّ عليَّ من السماء ، ثم رفع بين يدي حتى توارى عني في السماء .

ثم أقبلتْ حتى دخلت على رسول الله ﷺ فقصت عليه القصة ، فخطب إليها نفسها ، فقالت : يا رسول الله ، لست أرضى نفسي لك ، ولكن بُضعي لك ،

---

(١) زيادة للسياق من المرجع السابق .

(٢) كذا في (خ) ، وفي المرجع السابق : « غربتني » .

(٣) في (خ) : « تردد » .

فزوجني من شئت ، فزوجها زيداً ، وأمر لها بثلاثين صاعاً وقال : كلوا ولا تكيلوا ، وكان معها عكة سمن هدية لرسول الله ﷺ ، فقالت لجارية لها : بلغي هذه العكة رسول الله ﷺ ، قولي : أم شريك تقرئك السلام ، وقولي : هذه عكة سمن هديتها لك ، فانطلقتْ بها فأخذوها ففرغوها ، وقال لها رسول الله ﷺ علقوها ولا توكوها[1] ، فعلقوها في مكانها .

فدخلت أم شريك فنظرت إليها مملوءة سمناً ، فقالت : يا فلانة ! أليس أمرتك أن تنطلقي بهذه العكة إلى رسول الله ﷺ ؟ فقالت : قد والله انطلقت بها كما قلت ، ثم أقبلتُ بها أصوبها ما يقطر منها شيء ، ولكنه قال : علقوها ولا توكوها ، فعلقتها في مكانها ، وقد أوكتها أم شريك حين رأتها مملوءة ، فأكلوا منها حتى فنيت ، ثم كالوا الشعير ، فوجدوه ثلاثين صاعاً لم ينقص منه شيء[2] . [قلت : وقد روى ذلك من وجه آخر ، والحديث في العكة شاهد صحيح عن جابر بن عبد الله في أم مالك .][3] .

(١) كذا في (خ) ، وفي المرجع السابق : « ولا يأكلوها » ، ورواية (خ) أقرب وأنسب للسياق .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٦ / ١٢٣ ، باب فيما ظهر من الكرامات على أم شريك في هجرتها إلى رسول الله ﷺ ، وما ظهر من دلالات النبوة في العكة التي أهدتها له .

(٣) زيادة للسياق من المرجع السابق .

[خامس وخمسون : إشباع أبي أُمامة تكرمة له ﷺ]

وأما إشباع الله تعالى أبي أمامة رضي الله عنه تكرمة لرسول الله ﷺ ، فخرج البيهقي من حديث علي بن الحسن بن شقيق بن دينار - أبي عبد الله المزوي - قال : أنبأنا الحسين ابن واقد قال : حدثني أبو غالب عن أبي أمامة قال : أرسلني رسول الله ﷺ - أظنه قال : إلى أهله - وهم على طعام - يعني الدم في خوان - فقالوا لي : كل ، قال : قلت : إني لأنهاكم عن هذا الطعام ، وأنا رسول رسول الله ﷺ إليكم ، وكذبوني وزبروني ، قال : فانطلقت [عن ذا][1] وأنا جائع ظمآن ، وقد نزل بي جهد فنمت ، فأتيتُ في منامي بشربة من لبن فشبعت ورويت وعظُم بطني ، فقال القوم : أتاكم رجل من خياركم وأشرافكم فرددتموه ؟ إذهبوا إليه فأطعموه من الطعام والشراب ما يشتهي ، فأتوني بطعام ، قال : قلت : لا حاجة لي في طعامكم ، فإن الله عزَّ وجلَّ قد أطعمني وسقاني ، فانظروا إلى حالتي التي أنا عليها ، فآمنوا بي وبما جئتهم من عند رسول الله ﷺ .

وخرجه من حديث صدقة بن هُرمز ، عن أبي غالب ، عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : بعثني رسول الله ﷺ إلى قومي ، فانتهيت إليهم وأنا طاوٍ ، وهم يأكلون الدم ، فقالوا : هلم ، فقلت : إنما جئتكم لأنهاكم عن هذا ، قال : فاستهزءوا بي ، وكنت [مجهداً][2] ، فسمعتهم يقول بعضهم لبعض : أتاكم رجل من سراة قومكم فما لكم بد من أن تسقوه[3] ولو مذقة ، قال : فوضعت رأسي فنمت ، فأتاني آت في منامي فناولني إناء فأخذته فشربته فاستقيت وقد كظَّني بطني ، فناولوني إناءاً قالوا : خُذ ، قلت : لا حاجة لي فيه ، قالوا : قد رأيناك بجهد ، قلت : إن الله عزَّ وجلَّ أطعمني وسقاني ، فأريتهم بطني ، فأسلموا عن آخرهم[4] .

* * *

---

(١) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي) .

(٢) كذا في (خ) ، وفي المرجع السابق : « وكنتُ بجهد » .

(٣) كذا في (خ) ، وفي المرجع السابق : « تطعموه » .

(٤) (دلائل البيهقي) ٦ / ١٢٦ - ١٢٧ ، باب ما جاء فيما ظهر على أبي أمامه حين بعث رسولاً إلى قومه من الكرامات . وأخرجه أيضاً الحاكم في (المستدرك) : ٣ / ٧٤٤ ، كتاب معرفة الصحابة ، ذكر أبي أمامة الباهلي رضي الله تعالى عنه ، حديث رقم (٦٧٠٥ / ٢٣٠٣) ، قال الذهبي في (التلخيص) : صدقة بن هرمز ضعفه ابن معين . وأبو غالب قد وثقه .

[سادس وخمسون : إغاثة الله له ﷺ عندما نزل به ضيف]

وأما إغاثة الله عز وجل نبيه الكريم ﷺ عندما نزل به ضيفه وليس عنده ما يقربه ، فخرج البيهقي من حديث عبيد الله بن موسى ، عن مسعر عن زبيد عن مرة ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : أضاف النبيُّ ﷺ ضيفاً ، فأرسل إلى أزواجه يبتغي عندهن طعاماً ، فلم يجد عند واحدة منهن شيئاً ، فقال : اللهم إني أسألك من فضلك ورحمتك ، فإنه لا يملكها إلا أنت ، قال : فأهديت إليه شاة مصلية[1] فقال : هذه من فضل الله عزَّ وجل ، ونحن ننتظر الرحمة . قال البيهقي : والصحيح عن زبيد قال : أضاف النبي ﷺ . مرسلاً من قول زبيد[2] .

وخرج من حديث الوليد بن سليمان بن أبي السائب ، حدثنا واثلة بن الخطاب عن أبيه عن جده واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال : حَضر رمضان ، ونحن في أهل الصفة ، فصمنا فكنا إذا أفطرنا أتى كل رجل منا رجلاً من أهل الصفة فأخذه فانطلق به فعشَّاه ، فأتت علينا ليلة لم يأتنا أحد[3] ، فانطلقنا إلى رسول الله ﷺ فأخبرناه بالذي كان من أمرنا ، فأرسل إلى كل امرأة من نسائه يسألها : هل عندك شيء ؟ فما بقيت منهن امرأة إلا أرسلت تُقسم : ما أمسى في [بيتها][4] ما يأكل ذو كبد ، فقال لهم رسول الله ﷺ : [اجتمعوا ،] فاجتمعوا ، فدعا وقال : اللهم إني أسألك من فضلك ورحمتك ، فإنهما بيدك لا يملكهما أحد غيرك ، فلم يكن إلا ومستأذن يستأذن ، وإذا بشاةٍ مُصْلِيَّة ورُغُفٍ ، فأمر بها رسول الله ﷺ فوضعت بين أيدينا ، فأكلنا حتى شبعنا ، فقال لنا رسول الله ﷺ : إنا سألنا الله من فضله ورحمته فهذا فضله ، وقد ذَخَر لنا عنده رحمته[2] .

* * *

---

(١) وفي رواية المقرىء : فأهوَتْ إليه شاة مصلية . (دلائل البيهقي) .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٦ / ١٢٨ - ١٢٩ ، باب ما جاء في إجابة الله تعالى دعاء رسول الله ﷺ حين ضافه ضيف ولم يكن عنده شيء .

(٣) [فأصبحنا صياماً ، ثم أتت علينا القائلة فلم يأتنا أحد] . (المرجع السابق) .

(٤) زيادة للسياق من (المرجع السابق) .

[سابع وخمسون :
ظهور البركة في التمر الذي خلفه عبد الله بن عمرو بن حرام]

وأما ظهور البركة في التمر الذي خلفه عبد الله بن عمرو بن حرام رضي الله عنه ، حتى قضى دينه ولم يكد ينقص ، فخرج البخاري من حديث أبي عوانه ، عن مغيرة عن عامر ، عن جابر رضي الله عنه قال : أصيب عبد الله وترك عيالاً وديناً ، فطلبت إلى أصحاب الدين أن يضعوا بعضاً من دَيْنِهِ ، فأَبَوْا ، فأتيت النبي ﷺ فاستشفعتُ به عليهم فأبوا ، فقال ﷺ : صنف تمرك كل شيء منه على حدته ، عِذقَ ابن زيد على حدةٍ ، واللين على حدةٍ ، والعجوه على حدةٍ ، ثم أحضرهم حتى آتيك ، ففعلت ، ثم جاء ﷺ فقعد عليه وكال لكل رجل حتى [استوفى][1] وبقى التمر كما هو كأنه لم يُمس[2] .

وغزوتُ مع النبي ﷺ على ناضح لنا فأزحف الجمل فتخلف عليَّ ، فوكزه النبي ﷺ من خلفه ، قال : بعنيه ولك ظهره إلى المدينة ، فلما دنونا استأذنت قلت : يا رسول الله ! إني حديث عهد بعُرس ، قال : فما تزوجت ؟ بكراً أم ثيباً ؟ قلت : ثيباً ، قلت : أصيب عبد الله وترك جواري صغار ، فتزوجت ثيباً تُعَلِّمُهنّ وتؤدبهن ، ثم قال : ائتِ أهلك ، فقدمت فأخبرت خالي ببيع الجمل فلامني ، فأخبرته بإعياء الجمل وبالذي كان من النبي ﷺ وَوَكْزِهِ إياه ، فلما قدم النبي ﷺ غدوت إليه بالجمل فأعطاني ثمن الجمل ، والجمل ، وسهمي مع القوم . ترجم عليه باب : الشفاعة في وضع الدين[3] .

وخرج البخاري في كتاب البيوع ، في باب الكيل على البائع والمعطى ، وخرج النسائي في كتاب الوصايا ، كلاهما من حديث جرير عن مغيرة عن الشعبي ، عن

---

(١) زيادة للسياق من رواية (البخاري) .

(٢) (فتح الباري) : ٥ / ٨٥ - ٨٦ ، كتاب الاستقراض و أداء الديون والحجْر والتفليس ، باب (١٨) الشفاعة في وضع الدين ، حديث رقم (٢٤٠٥) .

(٣) (المرجع السابق) : حديث رقم (٢٤٠٦) .

جابر رضي الله عنه قال : توفى عبد الله بن حرام وعليه دين ، فاستعنت النبي ﷺ على غرمائه أن يضعوا من دينه ، فطلب النبي ﷺ إليهم فلم يقبلوا ، فقال لي النبي ﷺ إذهب فصنف تمرك أصنافاً : العجوة على حدةٍ ، وعذق ابن زيد[1] على حدةٍ ، ثم أرسل إليّ ، ففعلت ، ثم أرسلت إلى النبي ﷺ فجاء فجلس إلى أعلاه - أو في وسطه - ثم قال : كِلْ للقوم ، فكلتهم حتى أوفيتهم الذي لهم وبقي تمري كأنه لم ينقص منه شيء[2] . وقال النسائي : فاستشفعت برسول الله ﷺ على غرمائي أن يضعوا من دينه شيئاً ، فطلب إليهم وأبوا[3] .

وخرجه البخاري في غزوة أُحد من حديث عبيد الله بن موسى ، حدثنا شيبان أبو معاوية[4] عن فراس عن الشعبي فذكره[5] . وخرجه في آخر كتاب الوصايا ، من حديث شيبان عن فراس قال : قال الشعبي : حدثني جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه أن أباه استشهد يوم أُحد وترك ستَّ بناتٍ وترك عليه ديناً ، فلما حضرهُ جِذَاذُ النخلِ أتيت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ! قد علمت أن والدي استشهد يوم أُحد وترك عليه ديناً كثيراً ، وإني أحب أن يراك الغرماء ، قال : اذهب فَبَيْدِرْ كل تمر على ناحية ففعلت ، ثم دعوته ، فلما نظروا إليه كأنما أغروا بي تلك الساعة ، فلما رأى ما يصنعون طاف حول أعظمها بَيْدراً ثلاث مرات ثم جلس عليه ، ثم قال : ادعُ أصحابك ، فما زال يكيل لهم حتى أدى الله أمانة والدي ، وأنا والله راضٍ أن يؤدي الله أمانة والدي ولا أرجع إلى أخواتي بتمرة ، فَسَلِم والله البيادِرُ كلها حتى أنظر إلى البيدر الذي كان عليه رسول الله ﷺ ،

---

(١) ابن زيد : شخص نسب إليه النوع المذكور من التمر ، وتمر المدينة أصنافه كثيرة جداً تزيد على الستين ، والتمر الأحمر أكثر من الأسود عندهم .

(٢) (فتح الباري) : ٤ / ٤٣٢ - ٤٣٣ ، باب (٥١) الكيل على البائع والمعطي ، حديث رقم (٢١٢٧) .

(٣) (سنن النسائي) : ٦ / ٥٥٦ ، كتاب الوصايا ، باب (٤) قضاء الدين قبل الميراث ، وذكر اختلاف الناقلين لخبر جابر فيه ، حديث رقم (٣٦٤٠) .

(٤) زيادة للسياق من (البخاري) .

(٥) (فتح الباري) : ٧ / ٤٥٣ - ٤٥٤ ، كتاب المغازي ، باب (١٨) ﴿ **إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون** ﴾ ، حديث رقم (٤٠٥٣) .

كأنه لم ينقص تمرة واحدة[1] . قال أبو عبد الله : أغروا بي : يعني هيجوا بي . ﴿ **فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء** ﴾ ترجم عليه في الوصايا باب قضاء الوصي ديون الميت بغير محضر من الورثة وذكره في غزوة أحد[2]: حتى أدى الله عن والدي أمانته ، وأنا أرضى أن يؤدي الله أمانة والدي ، ولا أرجع إلى أخواتي بتمرة ، فسلم الله البيادر كلها .. حتى [آخر] الحديث .

وقال في باب علامات النبوة في الإسلام : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا زكريا قال : حدثني عامر ، قال : حدثني جابر أن أباه توفي وعليه دين ، فأتيت النبي ﷺ فقلت : إن أبي ترك عليه ديناً وليس عندي إلا ما يخرج نخلهُ ، ولا يبلغ ما يُخرج سنين ما عليه ، فانطلق معي لكي لا يُفحش عليّ الغرماء ، فمشى حول بَيْدرٍ من بيادرِ التمر فدعا ، ثم أَخَّرَ ثم جلس عليه فقال : انزعوه ، فأوفاهم الذي لهم ، وبقى مثل ما أعطاهم[3] .

وخرج في كتاب الأطعمة ، من حديث أبي حازم ، عن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن أبي ربيعة ، عن جابر بن عبد الله قال : كان بالمدينة يهودي وكان يسلفني في [تمري] إلى الجِذاذ ، وكان لجابر الأرض التي بطريق رومة ، فجلست فخلا عاماً ، فجائني اليهودي عند الجذاذ و لم أجد منها شيئاً ، فجعلت استنظره إلى قابل فيأَبى ، فأخبر بذلك النبي ﷺ فقال لأصحابه : امشوا نستنظر لجابر من اليهودي ، فجاؤني في نخلي ، فجعل النبي ﷺ يكلم اليهودي ، فيقول يا أبا القاسم لا أُنظره ، فلما رأى النبيُّ ﷺ قام فطاف في النخل ، ثم جاءه فكلمه فأبى ، فقمت فجئت بقليل من رطب ، فوضعته بين يدي النبي ﷺ ، فأكل ثم قال : أين عَريشك يا جابر ؟ فأخبرته فقال : افرش لي فيه ، ففرشته فدخل فرقد ثم استيقظ ، فجئته بقبضة أخرى ، فأكل منها ثم قام فكلم اليهودي فأبى عليه ، فقام في الرِّطاب في النخل

---

(١) (فتح الباري) : ٥ / ٥١٨ – ٥١٩ ، كتاب الوصايا ، باب (٣٦) ، حديث رقم (٢٧٨١) قضاء الوصي دين الميت بغير محضر الورثة .

(٢) سبق الإشارة إليه تعليق رقم (٥) من الصفحة السابقة .

(٣) (فتح الباري) : ٦ / ٧٢٨ ، كتاب المناقب ، باب (٢٥) علامات النبوة في الإسلام ، حديث رقم (٣٥٨٠) ، ونحوه في (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٤٣٥ – ٤٣٦ ، باب قصة غرماء جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، حديث رقم (٤٣٥) .

الثانية ثم قال : يا جابر ، خذ واقض ، فوقف في الجذاذ ، فجذذتُ منها ما قضيته وفضل منه ، فخرجت حتى جئت النبي ﷺ فبشرته فقال : أشهد أني رسول الله[1] .

قال أبو عبد الله:عرش وعريش : بناء ، وقال ابن عباس : معروشات ما يعرش من الكروم وغير ذلك ، ويقال : عروشها : أبنيتها ، وقال أبو إسحق إبراهيم بن يوسف : [قد وقع][2] في هذا الحديث إشكال في لفظه ومعناه ، أما المعنى : فلأن جابر لم يداين أولئك اليهود ، وإنما كان أبوه مات وترك الدين عليه ، وهي قضية مشهورة .

وخرج البيهقي من حديث محمد بن عبد الله بن عبد الحكيم قال : أخبرنا عروة عن وهب بن كيسان ، عن جابر بن عبد الله أنه أخبره أن أباه توفي وترك عليه ثلاثين وَسْقاً لرجل من اليهود ، فاستنظره جابر فأبى أن ينظره ، فكلم جابر رسول الله ﷺ [ليشفع إليه ، فجاءه رسول الله ﷺ][2] فكلم اليهودي ليأخذ تمر نخله بالذي له فأبى ، فدخل رسول الله ﷺ فمشى فيها ثم قال : يا جابر ، جذّ له فأوفه الذي له ، فجذّ بعد ما رجع رسول الله ﷺ فأوفاه ثلاثين وسقاً وفضلت له سبعة عشرة وَسْقاً .

فجاء جابر رسول الله ﷺ ليخبره بالذي فعل ، فوجد رسول الله ﷺ يصلي العصر ، فلما انصرف [رسول الله ﷺ][2] جاءه فأخبره أنه قد وفّاه ، وأخبره بالفضل الذي فَضَل له ، فقال رسول الله ﷺ : أخبر ذلك ابن الخطاب ، فذهب جابر إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأخبره ، فقال عمر : لقد علمت حين مشى فيها رسول الله ﷺ ليباركن الله عزَّ وجلَّ فيها[3] .

قال البيهقي : رواه البخاري في الصحيح عن إبراهيم بن المنذر ، عن أنس بن

---

(1) (فتح الباري) : ٩ / ٧٠٦ - ٧٠٧ ، كتاب الأطعمة ، باب (٤١) الرطب والتمر ، وقول الله تعالى : ﴿ وهزي إليك بجذع النخلة تسّاقط عليك رطباً جنياً ﴾ ، حديث رقم (٥٤٤٣) .

(2) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي) .

(3) (دلائل البيهقي) : ٦ / ١٥٠ ، باب دعاء النبي ﷺ في التمر الموروث عن عبد الله بن عمرو بن حرام رضي الله عنه حتى قضى منه دينه وكأنه لم ينقص منه شيء ، وما ظهر في ذلك من آثار النبوة .

عياض ، وهذا لا يخالف الأول ، فإن الأول في سائر الغرماء الذين حضروا وحضر النبي ﷺ حتى أوفاهم ديونهم ، وهذا في اليهودي الذي أتاه بعدهم ، وطالب بدينه ، فأمر النبي ﷺ جابراً بجذ ما بقى على النخلات وإيفائه حقه ، والله أعلم[١] .

وقال الواقدي – وقد ذكر غزوة ذات الرقاع –: وحدثني إسماعيل بن عطية ابن عبد الله بن أنيس [عن أبيه] عن جابر بن عبد الله قال : لما انصرفنا راجعين فكنا بالشُّقْرةِ ، قال لي رسول الله ﷺ : يا جابر ، ما فعل دَيْنُ أبيك ؟ فقلت : عليه انتظرت يا رسول الله أن يُجذَّ له نخلُهُ ، قال رسول الله ﷺ إذا جَذَذْتَ فأحضرني ، قال : قلت : نعم ، ثم قال : من صاحب دَيْن أبيك ؟ فقلت : أبو الشحم اليهودي ، له على أبي سِقَة[٢] من تمر ، فقال لي رسول الله ﷺ : فمتى تجذّها ؟ قال : قلت : غداً ، قال : يا جابر ، إذا جذذتها فاعزل العجوة على حدتها ، وألوان التمر على حدتها .

قال : ففعلت ، فجعلت الصَّيْحانيّ على حدة ، وأمهات الجرادين على حدةٍ ، والعجوة على حدةٍ ، ثم عمدت إلى جُمَّاع من التمر مثل نُخبة وقرن وشقحة وغيرها من الأنواع – وهو أقل التمر – فجعلته حَبْلاً[٣] واحداً ، ثم جئت رسول الله ﷺ فأخبرته فانطلق ومعه عِلْيَةُ أصحابه ، فدخلوا الحائط ، وحضر أبو الشحم .

قال : فلما نظر رسول الله ﷺ إلى التمر مصنفاً قال : اللهم بارك له ، ثم انتهى إلى العجوة فمسها بيده ، وأصناف التمر ، ثم جلس وسطها ، ثم قال : ادع غريمك .

فجاء أبو الشحم ، فقال : اكتل ، فاكتال حقه كله من حبل واحد وهو العجوة ، وبقية التمر كما هو ، فقال : ياجابر ، هل بقى على أبيك شيء ؟ قال : قلت :

---

(١) المرجع السابق .
(٢) سقة من تمر : قال ابن الأثير : السقة جمع وسْق ، وهو الحمل ، وقدَّره الشرع بستين صاعاً ، وقد صحَّفه بعضهم بالشين المعجمة وليس بشيء ، مختصراً من (النهاية) : ٢ / ١٦٩ .
(٣) الحبل : قطعة من الرمل ضخمة ممتدة ، (المرجع السابق) : ١ / ١٩٧ .

لا ، قال : وبقي سائر التمر فأكلنا منه دهراً وبعنا منه حتى أدركت الثمرة من قابل ، ولقد كنت أقول : لو بعت أصلها ما بلغت ماعلى أبي من دين ، فقضى الله ما كان على أبي من الدين ، فلقد رأيتني والنبي ﷺ ليقول لي : ما فعل دين أبيك ؟ فقلت : قد قضاه الله ، قال : اللهم اغفر لجابر ، فاستغفر لي في ليلة خمساً وعشرين مرة[1] .

* * *

(١) (مغازي الواقدي) : ١ / ٤٠١ - ٤٠٢ .

[ثامن وخمسون : سماع الصحابة
تسبيح الطعام وهم يأكلونه]

وأما سماع الصحابة رضي الله عنهم تسبيح الطعام وهم يأكلونه مع المصطفى ﷺ ، فخرج البخاري في باب علامات النبوة في الإسلام ، من حديث إسرائيل عن منصور ، عن إبراهيم عن علقمة ، عن عبد الله قال : كنا نعد الآيات بركة وكنتم تعدونها تخويفاً ، كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقل الماء ، فقال : اطلبوا فضلة من ماء ، فجاءوا بإناء فيه ماء قليل ، فأدخل يده في الإناء ثم قال : حيّ على الطهور المبارك والبركة من الله ، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ ، ولقد كنا نسمع تسبيع الطعام وهو يؤكل[1] .

* * *

(١) (فتح الباري) : ٦ / ٧٢٨ ، كتاب المناقب ، باب (٢٥) علامات النبوة في الإسلام ، حديث رقم (٣٥٧٩) ، (دلائل البيهقي) : ٦ / ٦٢ - ٦٣ ، باب ما جاء في تسبيح الطعام الذي كانوا يأكلون مع نبينا محمد ﷺ ، وما في ذلك من آثار النبوة ، (سنن الترمذي) : ٥ / ٥٥٧ ، كتاب المناقب ، باب (٥) في إثبات نبوة النبي ﷺ وما قد خصَّهُ الله عز وجل ، حديث رقم (٣٦٣٣) ، وقال في آخره : هذا حديث حسن صحيح .

[تاسع وخمسون : مسحةُ ضرع شاة أم معبد فدرَّتْ باللبن]

وأما مسحه ﷺ ضرع شاة أم معبد فدرت باللبن ، بعد ما كانت في جهد لا تبض بقطره ، فخرجه الأئمة الحفاظ : خرجه الحرث بن أبي أسامة ، وأبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، من حديث أبي أحمد بشر بن محمد السكري المزوي قال : حدثنا عبد الملك بن وهب المدجحي ، حدثنا الحرّ بن الصباح ، عن أبي معبد الخزاعي[1] ، أن رسول الله ﷺ خرج ليلة هاجر من مكة إلى المدينة هو وأبو بكر رضي الله عنه وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ، ودليلهم عبد الله بن أريقط الليثي ، فمروا بخيمتي أم معبد الخزاعية[1] – وكانت أم معبد امرأة برزة جلدة ، تحتبي[2] وتجلس بفناء الخيمة ، فتطعم وتسقى – فسألوها : هل معها لحم أو لبن يشتروا منها ؟ فلم يجدوا عندها شيئاً من ذلك ، فقالت : لو كان عندنا شيئاً ما أعوزكم القرى ، وإذا القوم مرملون مسنتون .

فنظر رسول الله ﷺ فإذا شاة في كسر الخيمة ، فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ فقالت شاة خلفها الجهد عن الغنم ، قال : فهل بها من لبن ؟ قالت : هي أجهد من ذاك ، قال : تأذنين لي أن أحلبها ؟ قالت : إن كان بها حلب فاحلبها ، قال : فدعا رسول الله ﷺ بالشاة فمسحها ، وذكر اسم الله ومسح ضرعها ، وذكر اسم الله ودعا بإناء لها يربضُ الرهط فتفاجت[3] ودَّرت واجترت ، فحلب فيه

---

(١) أم معبد الخزاعية ، هي عاتكة ، بنت خالد بن منقذ بن ربيعة بن أصرم ، وقيل : عاتكة بنت خالد ابن خليف ، بن منقذ بن ربيعة ، وهي أخت حبيش بن خالد الأشعر الخزاعي القُدَيْدي ، وله صحبة ورواية ، وهو راوي حديثها . وزوجها أبو معبد الخزاعي مختلف في اسمه ، وتوفى في حياة رسول الله ﷺ ، وكان يسكن قُديداً ، وهي موضع قُرب مكة ، وفي (معجم ما استعجم) : ٣ / ١٠٥٤ ، أن هذه القرية سميت قديداً لتقدد السيول بها ، وهي لخزاعة .

(٢) تحتبي : تجلس على أليتها ، وتضم فخديها إلى بطنها بذراعيها لتستند .

(٣) تفاجَّت : فرَّجت ما بين رجليها للحلب .

ثجا حتى علاه البهاء ، فسقاها وسقى أصحابه فشربوا جميعاً حتى أراضوا ، وشرب ﷺ آخرهم وقال : ساقي القوم آخرهم ، ثم حلب فيه ثانياً عوداً على بدء فغادره عندها ثم ارتحلوا ، قال : فقل ما لبث أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزا حُيلاً عجافاً يتساوكن هزلاً[1] ، فلما رأى اللبن عجب وقال : من أين هذا اللبن يا أم معبد ولا حلوبة في البيت والشاة عازب ؟ فقالت : لا والله ، إلا أنه مرَّ بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت .

قال : صفيه لي يا أم معبد ، فو الله إني أراه صاحب قريش الذي يُطلب ، فقالت : رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة حسن الخلق ، مبلج الوجه ، لم تُعبه ثجلة ، ولم تزر به صَعْلة ، قسيم وسيم ، في عينيه دَعَج ، وفي أشفاره عَطَف ، وفي صَوته صَهَل ، أحور أكحل ، أزجّ أقرن ، في عنقه سطع ، وفي لحيته كثاثة ، إذا صمت فعليه الوقار ، وإذا تكلم سماه وعلاه البهاء ، حلو المنطق ، فصل لا نزر ولا هزر ، كأن منطقه خرزات نظم يتحدَّرْن ، أبهى الناس وأجمله من بعيد ، وأحلاه وأحسنه من قريب ، رِبْعَة ، لا تشنأه من طول ، ولا تقتحمه عين من قصر ، غصن بين غصنين ، فهو أجمل الثلاثة منظراً وأحسنهم قدراً ، له رفقاء يحفون به ، إن قال استمعوا لقوله ، وإن أمر تبادروا لأمره ، محفود محشود ، لا عابس ولا مفنّد .

قال : هذا والله صاحب قريش الذي تطلب ، ولو صادفني لالتمست أن أصحبه ، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً .

قال : وأصبح صوت بمكة عالياً بين السماء والأرض ، يسمعون ولا يدرون من يقوله وهو ينشد ويقول :

جزى الله ربُّ الناس خير جزائه ... رفيقين قالا خيمتي أم معبدِ
هما نزلا بالبرّ وارتحلا به ... فأفلح من أمسى رفيق محمدِ
فيالِ قصي ما روى الله عنكمُ ... به من فعالٍ لا تُجارى وسؤددِ
سلوا أُختكم عن شاتها وإنائها ... فإنكم إن تسألوا الشاة تشهدِ

* * *

(١) ضعافاً .

فغادرها رهناً لديها لحالبٍ يردّدُها في مصدر ثم موردِ

قال : فأصبح الناس وقد فقدوا نبيهم ، فأخذوا على خيمتي أم معبد حتى لحقوا رسول الله ﷺ ، قال : وأجابه حسان بن ثابت يقول :

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم وقدس من يسرى إليهم ويغتدى
ترحَّل عن قوم فزالت عقولهم وحل على قوم بنور مجدَّدِ
هداهم به بعد الضلالة ربهم وأرشدهم من يتبع الحق يَرشُدِ
وهل يستوى ضُلال قوم تسكعوا عمى ، وهداةً يقتدون بمهتدى
لقد نزلت منه على أهل يثرب ركاب هدى حلت عليهم بأسعدِ
نبي يرى مالا يرى الناس حوله ويتلو كتاب الله في كل مشهدِ
وإن قال في يوم مقالة غائبٍ فتصديقها في صحوة اليوم أو غدِ
لِيَهْنَ أبا بكر سعادة جـده بصحبته من يُسعد اللهُ يَسعَدِ
ويهن بني كعب مكان فتاتهم ومقعدها للمسلـمين بمرصدِ(1)

* * *

(1) (دلائل أبي نعيم) : ١ / ٣٣٧ - ٣٤٠ ، حديث رقم (٢٣٨) ، وقال في آخره : قال أبو أحمد بن بشر بن محمد ، حدثنا عبد الملك بن وهب : بلغني أن أم معبد هاجرت وأسلمت ، ولحقت برسول الله ﷺ . ورواه أبو أمية محمد بن إبراهيم بن بشر بن محمد مثله .

حدثنا سليمان بن أحمد ، إملاءاً وقراءةً ، قال حدثنا على بن عبد العزيز قال : قال أبو عبيد القاسم بن سلام :

البرزة من النساء : الجَلْدة ، التي تظهر للناس ، ويجلس إليها القوم .

مرملين مسنتين : المرمل الذي قد نفد زاده ، والمسنت الذي أصابته السَّنَة ، وهي الأزمة والمجاعة .

قال أبو عبيد : إذا قال : **يالَ فلان** : فذلك في الاستغاثة بالفتح ، ويالَ المسلمين . وإذا أراد التعجب والنداء قال : **يالِ فلان** بالكسرة .

كسر الخيمة : وهو مؤخرها ، وفيه لغتان : كَسر ، وكِسر .

وقال بعضهم : الكسر هو في مقدم الخيمة .

فتفاجّتْ عليه : يعني فرجت رجليها كما تفعل التي تُحلب .

بإناء يُربض الرهط : أي يُنهنهم مما يجتريهم لكثرته إذا شربوه .

فحلب فيها ثجاً : يعني سيلاً ، وكذلك كل سيل ، ومنه قوله ﷺ وقد سُئل عن الحجّ فقال : العَجُّ والثَّجُّ ، =

وخرج قاسم بن أصبغ من حديث أبي هاشم محمد بن سليمان بن الحكم ، عن جده أيوب بن الحكم عن حرام بن هشام عن أبيه هشام ، عند جده حبيش ابن خالد صاحب رسول الله ﷺ ، فذكره بمعناه .

= فالعَجُّ : رفع الصوت بالتلبية ، والثَّجُّ : سيل دماء الهدي ، وقال تعالى : ﴿ **ماءاً ثجاجاً** ﴾ [النبأ : ١٤] .

أراضوا : أصل هذا في صبّ اللبن على اللبن ، ومعنى قولها : أراضوا : هوُ شرب لبن صُبَّ على لبن .

فغادره عندها : تركه عندها .

تساوكْن هُزلاً : التساوك : المشي الضعيف .

الشاة عازب : يعني قد عزبن عن البيت فخرجن إلى المرعى .

الحيَّل : التي ليست بحوامل .

وقولها في صفة رسول الله ﷺ :

ظاهر الوضاءة : يعني الجمال ، والوضيء : الجميل .

المتبلّج الوجه : الذي فيه إضاءة ونور . رجل مبلّج وأبلج ، قال الأعشي :

حكّمتوه فقضى بينكم أبلج مثل القمر الباهر

لم تعبه ثُجلة : ومعناه عظم البطن ، تقول : فليس هو كذلك .

لم تُزرِ به صَعْلة : تريد صغر الرأس ، يقال : رجل صَعِل .

وسيم قسيم : كلاهما هو الجمال .

في عينيه دَعَج : وهو سواد الحدقة ، يقال : رجل أدعج ، امرأة دعجاء .

في أشفاره عطف : كان بعض الناس يظنها معطوفة ، وأنا أظنها وطَفاً ، وكذلك كل مستطيل مسترسل ، وأيضاً السحابة الدانية من الأرض وطف .

في صوته صَهَل : إنه صَحَل ، وهو شبيه بالبَحح ، وليس بالشديد منه ، ولكنه حسن ، وبذلك توصف الظباء .

في عنقه سَطَع : هو الطول ، يقال منه رجل أسطع ، وامرأة سطعاء ، وهذا مما يمدح به الناس .

الأزَجّ : هو المقوس الحاجبين ، والأقرن : هو الذي التقى حاجباه بين عينيه .

منطقه لا نَزْر ولا هَذْر : فالنزر : القليل : والهزر : الكثير ، تقول : **قصدٌ** بين ذلك .

لا تقتحمه عين من قصر : تقول : لا تزدريه فتنبذه ولكن تقبله وتهابه .

محفود محشود : فالمحفود : المخدوم ، قال الله عزَّ وجل : ﴿ **بنين وحفدة** ﴾ ، ومحشود : هو الذي قد حشده أصحابه وحفُّوا حوله ، (المرجع السابق) ، (دلائل البيهقي) : ٢ / ٤٩١ - ٤٩٦ ، باب اجتياز رسول الله ﷺ بالمرأة وابنها ، وما ظهر في ذلك من آثار النبوة ، ٦ / ٨٤ - ٨٦ ، باب ما جاء في ظهور بركته في الشاة التي لم يكن فيها لبن حتى نزل لها لبن ، وقد مضى ذلك في ذكر نزوله بخيمتي أم معبد ، ونزوله قبل ذلك بالأغنام التي كان يرعاها ابن أم معبد ، (المستدرك) : ٣ / ١٠ - ١٢ ، كتاب الهجرة ، حديث رقم (٤٢٧٤ / ١٨) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ويستدل على صحته وصدق رواته بدلائل : **منها** : نزول المصطفى ﷺ بالخيمتين متواتراً في أخبار صحيحة ذوات عدد . **ومنها** : أن الذين ساقوا الحديث على وجهه أهل الخيمتين من الأعاريب الذين لا يهتمون بوضع الحديث ، والزيادة والنقصان ، وقد =

وقال يونس بن بكير ، عن ابن إسحق قال : خرج رسول الله ﷺ من مكة ، لم يعلم أهل مكة أين وجَّه ، حتى سمعوا مغرداً بين أخشبي[1] مكة يقول :

جزى الله خيراً والجزاء بكفه رفيقين قالا خيمتي أم معبدِ
هما نزلا بالهدى واهتديا به فأفلح من أمسي رفيق محمدِ
ليهنيء بني كعب مكان فتائهم ومقعدها للمؤمنين بمرصدِ[2]

قال ابن إسحق : فعرف أهل مكة أن رسول الله ﷺ توجه قبل المدينة .

وقال الواقدي : حدثني حزام بن هشام عن أبيه عن أم معبد - واسمها عاتكة بنت خالد بن حبيب - قالت : لما طلعوا الأربعة على راحلتين ، نزلوا بنا ، فجئت رسول الله ﷺ بشاة أريد أن أذبحها ، فإذا هي ذات در ، فأدنيتها منه فلمس ضرعها فقال : لا نذبحها ، فأرسلتها وجئت بأخرى فذبحتها فطبخت لهم ، فأكل هو وأصحابه ، قلت : ومن معه ؟ قالت : ابن أبي قحافة ومولى ابن أبي قحافة وابن أريقط - وهو على شركه بعد - قالت : فتغدى رسول الله ﷺ ، منها وأصحابه ، وسفرتهم منها ، ما وسعته سفرتهم ، وأبقى عندنا لحمها أو أكثره .

فبقيت الشاة التي لمس ضرعها عندنا حتى كان زمان الرمادة ، زمان عمر بن

أخذوه لفظاً بعد لفظ ، عن أبي معبد وأم معبد ، **ومنها** : أن له أسانيد كالأخذ باليد أخذ الولد عن أبيه ، والأب عن جده ، لا إرسال ولا وهن في الرواة . **ومنها** : أن الحرّ بن الصباح النخعي ، أخذه عن أبي معبد ، كما أخذه ولده عنه ، فأما الإسناد الذي رويناه بسياقة الحديث عن الكعبيين ، فإنه إسناد صحيح عالٍ للعرب الأعاربة ، وقد علونا في حديث الحرّ بن الصباح ، (عيون الأثر) : ١ / ١٩٠ ، (سيرة ابن هشام) : ٣ / ١٤ ، (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٣٣٧ - ٣٤٣ ، حديث رقم (٢٣٨) .

(١) الأخشبان : جبلان بمكة .

(٢) هذه الأبيات في (عيون الأثر) : ١ / ١٨٨ - ١٨٩ ، هكذا :

جزى الله خيراً والجزاء بكفه رفيقين قالا خيمتي أم معبدِ
هما رحلا بالحق وانتزلا به فقد فاز من أمسي رفيق محمد
فما حملت من ناقة فوق رحلها أبر وأوفى ذمة من محمد
وأكسي لبرد الخال قبل ابتذاله وأعطى برأس السابح المتجرد
ليهن بني كعب مكان فتاتهم ومقعدها للمؤمنين بمرصدِ

وفي بعض المراجع : « السانح » بدلاً من « السابح » .

الخطاب رضي الله عنه ، وهي سنة ثماني عشرة من الهجرة ، كنا نحلبها صبوحاً وغبوقاً ، وما في الأرض قليل ولا كثير . قال حزام : وكانت أم معبد يومئذ مسلمة .

قال المؤلف – رحمه الله –: هكذا أورد أبو نعيم هذا الخبر من حديث أم معبد – رضي الله عنها – عن الواقدي ، وفيه ما يخالف ما تقدم ، على أن فيه علماً من أعلام النبوة .

وخرج أبو نعيم من حديث إبراهيم بن سعد ، عن محمد بن إسحق قال : حُدِّثتُ عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه أنها قالت : لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر ، أتانا نفرٌ من قريش فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على باب أبي بكر رضي الله عنه فخرجتُ إليهم ، فقالوا : أين أبوك يا بنت أبي بكر ؟ قلت : لا أدري والله أين أبي ، قالت : فرفع أبو جهل يده – وكان فاحشاً خبيثاً – فلطم خدي لطمة خرم قرطي .

قالت : ثم انصرفوا ، فمضى ثلاث ليالٍ ما ندري أين توجه رسول الله ﷺ ، حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة ، يغني بأبيات شعر غنى بها العرب ، وأن الناس ليتبعونه يسمعون صوته وما يرونه ، حتى خرج بأعلى مكة :

جزى الله رب الناس خير جزائه ... رفيقين قالا خيمتي أم معبد
هما نزلا بالهدى واهتديا به ... فأفلح من أمسى رفيق محمد
ليهن بني كعب مكان فتاتهم ... ومقعدها للمؤمنين بمرصد
فما حملت من ناقة فوق رحلها ... أبرُّ وأوفى ذمة من محمد
وأكسي لبرد الحال قبل ابتذاله ... وأغطى برأس السانح المتجرد

قالت : فلما سمعنا قوله عرفنا حيث توجه رسول الله ﷺ وأبو بكر وعامر ابن فهيرة ، وعبد الله بن أريقط دليلهما[1] .

وخرج البيهقي من حديث يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، حدثنا عبد الرحمن بن الأصبهاني قال : سمعت عبد الرحمن بن

(١) (عيون الأثر) : ١/ ١٨٩ ، حيث رواه بعد حديث أم معبد ثم قال في آخره : وبه قال أبو بكر الشافعي : حدثنا محمد بن يحيى بن سليمان ، حدثنا أحمد بن محمد بن أيوب ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حُدِّثت عن أسماء ... ، وساق الحديث ، وزاد بيتين .

أبي ليلى يحدث عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : خرجت مع رسول الله ﷺ من مكة فأتينا إلى حيّ من أحياء العرب ، فنظر رسول الله ﷺ إلى بيت مُنتحياً فقصد إليه ، فلما نزلنا لم يكن فيه إلا امرأة فقالت : يا عبدي الله ، إنما إنا امرأة وليس عندي أحد ، فعليكما بعظيم الحي إن أردتم القرى ، قال : فلم يجبها – وذلك عند المساء – فجاء ابن لها بأعنز له يسوقها فقالت له : انطلق يا بني بهذه العنز والشاة إلى هذين الرجلين فقل لهما : تقول لكما أمي : اذبحا هذه وكلا وأطعمانا .

فلما جاء ، قال له النبي ﷺ : انطلق بالشفرة وجئني بالقدح ، قال : إنها عزبت وليس لها لبن ، قال : انطلق ، فانطلق فجاء بقدح ، فمسح النبي ﷺ ضرعها ثم حلب حتى ملأ القدح ثم قال : انطلق به إلى أمك ، فشربتْ حتى رويتْ ، ثم جاء به فقال : انطلق بهذه وجئني بأخرى ، ففعل بها كذلك ، ثم جاء بأخرى فسقا أبا بكر ، ثم جاء بأخرى ففعل بها كذلك ، ثم شرب النبي ﷺ ، قال : فبتنا ليلتنا ثم انطلقنا ، فكانت تسمية المبارك .

وكثرت غنمها حتى جَلَبَتْ جلْباً إلى المدينة ، فمر أبو بكر الصديق رضي الله عنه فرآه ابنها فعرفه ، فقال : يا أماه ، إن هذا الرجل الذي كان مع المبارك ، فقامت إليه فقالت : يا عبد الله ، من الرجل الذي كان معك ؟ قال : وما تدرين من هو ؟ قالت : لا ، قال : هو النبي ﷺ ، قالت فأدخلني عليه ، قال : فأدخلها عليه فأطعمها وأعطاها(١) .

وفي رواية : قالت : دلني عليه ، فانطلقت معي وأهدت له شيئاً من أُقْط ومتاع الأعراب ، قال : فكساها وأعطاها ، قال : ولا أعلم إلا قال : أسلمت(٢) .

قال البيهقي – رحمة الله عليه –: هذه القصة وإن كانت تنقص عما روينا في قصة أم معبد وتزيد في بعضها فهي قريب منها ، وتشبه أن تكونا واحدة ، وقد ذكر

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٢ / ٤٩١ – ٤٩٢ باب اجتياز رسول الله ﷺ بالمرأة وابنها – وما ظهر في ذلك من آثار النبوة .

(٢) هي رواية ابن عبدان كما صرح بذلك البيهقي في المرجع السابق .

محمد بن إسحق بن يسار من قصة أم معبد شيئاً يدل على أنها وهذه القصة قصة واحدة سواء بها[1] .

وذكر من حديث يونس بن بكير عن ابن إسحق قال : لما نزل رسول الله ﷺ بخيمتي أم معبد – وهي التي غرد بها الجن بأعلا مكة – واسمها عاتكة بنت حنيف بن منقذ بن ربيعة بن أصرم ، فأرادوا القرى ، قالت : والله ما عندنا طعام ولا منحة ولا لنا شاة إلا حائل ، فدعا رسول الله ﷺ [ببعض غنمها ، فمسح ضرعها بيده ، ودعا الله ، وحلب في العس حتى رغى وقال : اشربي يا أم معبد ، فقالت : اشرب فأنت أحق به ، فردَّه عليها فشربت . ثم دعا بحائل أخرى ، ففعل بها مثل ذلك فشرب ، ثم دعا بحائل أخرى ، ففعل بها مثل ذلك فسقى دليله ، ثم دعا بحائل أخرى ، ففعل بها مثل ذلك فسقى عامراً ، ثم يروح .

وطلبتْ قريشٌ رسول الله ﷺ حتى بلغوا أم معبد فسألوها عنه ، فقالوا : رأيتِ محمداً وحليته كذا ؟ فوصفوه لها فقالت : ما أدري ما تقولون ، قد ضافني حالب الحائل ، قالت قريشٌ : فذاك الذي نريد] .

[قال البيهقي : فيحتمل أن يكون أولا ، أي التي في كِسْر الخيمة ، كما روينا في حديث أم معبد ، ثم رجع ابنها بأعنز ، كما روينا في حديث ابن أبي ليلى ، ثم لما أتى زوجها وصفته له ، والله تعالى أعلم][2] .

وخرج الحاكم قصة أم معبد من طريق [أبي سعيد ، أحمد بن محمد بن عمرو الأحمسّي بالكوفة ، حدثنا الحسين بن حميد بن الربيع الخزار ، حدثنا سليمان بن الحكم

---

(١) (المرجع السابق) ، وقد رجح هذا أيضاً الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) : ٣ / ٢٣٨ .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٢ / ٤٩٣ – ٤٩٤ ، وما بين الحاصرتين مطموس في (خ) وقد أثبتناه منه .
وقد سجَّل شاعر العروبة والإسلام [أحمد محرم] في (ديوان مجد الإسلام) هذا الحدث الجليل من خيمة أم معبد فقال :

ما حديثٌ لأمّ معبد تستقيه ... ظمأى النفوس عذباً نميراً
سائل الشاة كيف درَّت وكانت ... كزَّة الضرع لا تُرجّى الدرورا
بركاتُ السّمح المؤمَّلِ يقرى ... أُممَ الأرض زائراً أو مزورا
مُظهر الحق للنُّبوّة سبحانك ... رَبًّا فرد الجلال قديراً

وما بين الحاصرتين مطموس في (خ) ، واستدركناه من كتب السيرة .

ابن أيوب بن سليمان بن ثابت بن بشار الخزاعي ، حدثنا أخي أيوب بن الحكم ، وسالم بن محمد الخزاعي ، جميعاً ، عن حزام بن هشام ، عن أبيه حزام بن حبيش ابن خويلد صاحب رسول الله ﷺ : أن رسول الله ﷺ خرج من مكة مهاجراً إلى المدينة ، وأبو بكر رضي الله تعالى عنه ، ومولى أبي بكر : عامر بن فهيرة ، ودليلهما : الليثي عبد الله بن أريقط ، مروا على خيمتي أم معبد الخزاعية - وكانت امرأة برزة جلدة ، تحتبي بفناء الخيمة ، ثم تسقي وتطعم - فسألوها لحماً وتمراً ليشتروا منها ، فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك ، وكان القوم مرملين مُسنَتين .

فنظر رسول الله ﷺ إلى الشاة في كسر الخيمة فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ قالت : شاة خلفها الجهد عن الغنم ، قال : هل بها من لبن ؟ قالت : هي أجهد من ذلك ، قال : أتأذنين لي أن أحلبها ؟ قالت : بأبي أنت وأمي ، إن رأيت بها حلباً فاحلبها ، فدعا بها رسول الله ﷺ فمسح بيده ضرعها وسمى الله تعالى ، ودعا لها في شاتها ، فتفاجت عليه ودرَّتْ فاجْتَرَّتْ .

فدعا بإناء يربض الرهط ، فحلب فيه ثجاً ، حتى علاه البهاء ، ثم سقاها حتى رويت ، وسقى أصحابه حتى رووا ، وشرب آخرهم حتى أراضوا ، ثم حلب فيه الثانية على هدةٍ حتى ملأ الإناء ، ثم غادره عندها ، ثم بايعها ، وارتحلوا عنها .

فقلَّ ما لبث حتى جاء زوجها أبو معبد ليسوق أعنزاً عجافاً يتساوكن هزالاً ، مُخّهن قليل ، فلما رأى أبو معبد اللبن أعجبه،قال : من أين لك هذا يا أم معبد والشاء عازب حائل ، ولا حلوب في البيت ؟ قالت : لا والله إلا أنه مرّ بنا رجل مبارك ، من حاله كذا وكذا ، قال : صفيه لي يا أم معبد ، قالت :- رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة ، أبلج الوجه ، حسن الخَلْق ، لم تعبه ثجلة ، ولم تزريه صعلة ، وسيم قسيم ، في عينيه دعج ، وفي أشفاره وَطَف ، وفي صوته صهل ، وفي عنقه سطع ، وفي لحيته كثاثة ، أزجّ أقرن ، إن صمت فعليه الوقار ، وإن تكلم سماه وعلاه البهاء ، أجمل الناس وأبهاه من بعيد ، وأحسنه وأجمله من قريب ، حلو المنطق ،][1]

(١) ما بين الحاصرتين مطموس في (خ) ، واستدركناه من كتب السيرة .

فصلاً لا نزر ولا هذر ، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن ، ربعة ، لاتشنأه من طول ، ولا تقتحمه عين من قصر ، غصن بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظراً وأحسنهم قدراً ، له رفقاء يحفون به ، إن قال سمعوا لقوله ، وإن أمر تبادروا إلى أمره ، محفود محشود ، لا عابس ولا مفند .

قال أبو معبد : هذا والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر ، ولقد هَمَمْتُ أن أصحبه ، ولأفعلن إن وَجَدْتُ إلى ذلك سبيلاً .

وأصبح صوت بمكة عالياً يسمعون الصوت ولا يدرون من صاحبه وهو يقول :

جزى الله ربُّ الناس خير جزائه ... رفيقين حلا خيمتي أم معبدِ
هما نزلا بالهدى واهتدت به ... فقد فاز من أمسى رفيق محمدِ
فيال قصي ما زوى الله عنكم ... به من فعال لا تجازي وسؤددِ
ليهن أبا بكر سعادة جده ... بصحبته من يُسعد اللهُ يَسْعَدِ
وليهن بني كعب مقام فتاتهم ... ومقعدها للمؤمنين بمرصدِ
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها ... فإنكم إن تسألوا الشاة تشهدِ
دعاها بشاة حائل فتحلبت ... عليه صريحاً ضرة الشاة مزبدِ
فغادره رهناً لديها لحالب ... يرددها في مصدر بعد موردِ]

[فلما سمع حسان الهاتف بذلك شبب يجاوب الهاتف فقال رضي الله تعالى عنه :

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم ... وقدّس من يسري إليهم ويغتدي
ترحل عن قوم فضلت عقولهم ... وحلّ على قوم بنورٍ مجدّد
هداهم به بعد الضلالة ربهم ... فأرشدهم من يتبع الحق يرشدِ
وهل يستوي ضلال قومٍ تسفهوا ... عمى ، وهداة يهتدون بمُهتدِي
وقد نزلت منه على أهل يثرب ... ركاب هدى حلت عليهم بأسعدِ
نبي يرى ما لا يرى الناسُ حوله ... ويتلو كتاب الله في كل مشهدِ

وإن قال في يوم مقالة غائب فتصديقها في اليوم أو في ضحى الغَدِ[1]

قال ابن هشام : وأم معبد هي : أم معبد بنت كعب ، امرأة من بني كعب ، من خزاعة][2] .

(۱) (المستدك) : ۳ / ١٠ - ١١ ، حديث رقم ٤٢٧٤ / ١٨ ، وقال في آخره : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الذهبي في (التلخيص) : صحيح ، ونزول المصطفى ﷺ بالخيمتين متواتراً في أخبار صحيحة ، ولذلك دلائل **منها** : أن الذين ساقوا الحديث على وجهه أهل الخيمتين من الأعاريب الذين لا يتهمون ، وقد أخذوه عن أبي معبد وأم معبد . **ومنها** : أن له أسانيد كالأخذ باليد أخذ الولد عن أبيه ، لا إرسال ولا وهن في الرواه ، **ومنها** : أن الحرّ بن الصباح النخعي أخذه عن أبي معبد ، كما أخذه ولده عنه . وقد سبق شرح غريب هذا الحديث .

(۲) (سيرة ابن هشام) : ۳ / ١٤ ، وأم معبد اسمها : عاتكة بنت خالد ، إحدى بنى كعب من خزاعة ، وهي أخت حبيش بن خالد ، وله صحبة ورواية ، ويقال له الأشقر ، وأخوها حبيش بن خالد وخالد الأشعر أبوهما ، هو ابن حنيف بن منقذ بن ربيعة بن أصرم بن ضبيس بن حرام بن حبشية بن كعب ابن عمرو ، وهو أخو خزاعة . (هامش المرجع السابق) .

وما بين الحاصرتين مطموس في (خ) ، واستدركناه من كتب السيرة .

[ستون : حلبه ﷺ عناقاً[1] لا لبن فيها مع عبد يرعى غنماً]

وأما حلبه ﷺ عناقاً لا لبن فيها مع عبد يرعى غنماً ، فخرج البيهقي من حديث محمد بن غالب ، حدثنا أبو الوليد : حدثنا عبيد الله بن إياد بن لقيط ، عن قيس ابن النعمان قال :

لما انطلق النبي ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه مستخفين ، مروا بعبدٍ يرعى غنماً ، فاستسقياه اللبن فقال : ما عندي شاة تحلب ، غير أن ههنا عناقاً حملت أول الشتاء وقد أخدجت[2] وما بقى لها لبن ، فقال : ادع بها ، فاعتقلها النبي ﷺ ومسح ضرعها ، ودعا الله حتى أنزلت .

قال : وجاء أبو بكر رضي الله عنه بمجن فحلب ﷺ فسقى أبا بكر ، ثم حلب فسقى الراعي ، ثم حلب فشرب ، فقال الراعي : بالله من أنت ؟ فوالله ما رأيت مثلك قط ! قال : أو تراك تكتم عليّ حتى أخبرك ؟ قال : نعم ، قال : فإني محمد رسول الله .

قال : أنت الذي تزعم قريش أنه صابىء ؟ قال : إنهم ليقولون ذلك ، قال : فأشهد أنك نبي ، وأشهد أن ما جئت به حق ، وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبي ، وأنا متبعك .

قال : إنك لن تستطيع ذلك يومك ، فإذا بلغك أني قد ظهرت فأتنا[3] .

وخرجه أبو داود الطيالسي من حديث عبد الله بن إياد بن لقيط ، فذكره وقال في آخره : فأتى النبي ﷺ بعد ما ظهر بالمدينة . وخرجه الحاكم وقال : حديث صحيح الإسناد[4] .

* * *

(١) العناق : هي الأنثى من أولاد المعز ما لم يتم له سنة .

(٢) أخدجت : ولدت قبل أوانها .

(٣) (دلائل البيهقي) : ٢ / ٤٩٧ ، باب اجتيازه ﷺ مع صاحبه بعبد يرعى غنماً ، وما ظهر عند ذلك من آثار النبوة .

(٤) (المستدرك) : ٣ / ٩ - ١٠ ، حديث رقم ٤٢٧٣ / ١٧ ، وقال في آخره : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الذهبي في (التلخيص) : صحيح ، (البداية والنهاية) : ٣ / ٢٣٨ نقلاً عن البيهقي ، (عيون الأثر) : ١ / ١٩٠ - ١٩١ .

[حادي وستون : حلبه ﷺ اللبن من شاة لم ينز عليها الفحل]

وأما حلبه ﷺ اللبن من شاة لم ينز عليها الفحل ، فخرج أبو نعيم من حديث أبي داود قال : حدثنا حماد [بن سلمة][1] عن عاصم ، عن زِرّ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : كنت غلاماً يافعاً أرعى غنماً لعتبة بن أبي معيط بمكة ، فأتى عليّ رسول الله ﷺ وأبو بكر الصديق رضي الله عنه – وقد فرا من المشركين – فقال : يا غلام ، عندك لبن تسقينا ؟ فقال : إني مؤتمن ، [ولست بساقيكما ، قالا : هل عندك من جَذْعة لم ينزُ عليها الفحل بعد ؟ قلت : نعم ، فأتيتهما بها ، فاعتقلها أبو بكر ، وأخذ رسول الله ﷺ الضرع فمسحه ، ودعا ، فحفل الضرع ، وأتى أبو بكر بصخرة مُنْقَعِرةٍ ، فحلب فيها ، ثم شرب هو وأبو بكر ، ثم سقياني ، ثم قال للضرع : اقلِص ، فقَلص ، فلما كان الغد ، أتيتُ رسول الله ﷺ فقلت : علِّمني هذا القول الطيب – يعني القرآن – فقال رسول الله ﷺ : إنك غلام مُعلَّم ، فأخذت من فيه سبعين سورة ما ينازعني فيها أحد][2] .

* * *

(١) زيادة للنسب من (دلائل أبي نعمي) .

(٢) (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٣٢٩ ، حديث رقم ٢٣٣ ، (البداية والنهاية) : ٣ / ٢٣٨ – ٢٣٩ عن البيهقي ، (مسند أحمد) : ١ / ٦٢٦ ، حديث رقم (٣٥٨٧) ، حديث رقم (٣٥٨٨) ، (طبقات ابن سعد) : ٣ / ١٥٠ – ١٥١ ، باب : ومن حلفاء بني زهرة بن كلاب من قبائل العرب : عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه ، وقال أحمد شاكر : إسناده صحيح . وما بين الحاصرتين مطموس في (خ) ، وقد أثبتناه من كتب السيرة .

[ثاني وستون : ظهور الآية في اللبن للمقداد رضي الله عنه]

وأما ظهور الآية في اللبن للمقداد - رضي الله عنه - فخرج مسلم من حديث سليمان بن المغيرة ، عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن المقداد قال :

أقبلتُ أنا وصاحبان لي وقد ذهبت أسماعنا وأبصارنا من الجهد ، فجعلنا نعرض أنفسنا على أصحاب رسول الله ﷺ ، فليس أحد منهم يصلنا ، فأتينا النبي ﷺ فانطلق بنا إلى أهله ، فإذا ثلاثة أعنز ، فقال النبي ﷺ : احتلبوا هذا اللبن بيننا ، فكنا نحتلب فيشرب كل إنسان منا نصيبه ، ونرفع للنبي ﷺ نصيبه .

قال فيجيء من الليل فيسلم تسليما لا يوقظ نائماً ، [ويُسمع اليقظان ، قال : ثم يأتي المسجد فيصلي ، ثم يأتي شرابه ، فأتاني الشيطان ذات ليلة وقد شربت نصيبي ، فقال : محمد يأتي الأنصار فيتحفونه ، ويصيب عندهم ، ما به حاجة إلى هذه الجرعة ، فأتيتُها فشربتُها ، فلما أن وغلت في بطني ، وعلمتُ أنه ليس إليها سبيل .

قال : ندَّمني الشيطان ، فقال : ويحك ما صنعت ! أشربت شراب محمد ، فيجيء فلا يجده ، فيدعو عليك فتهلك ، فتذهب دنياك وآخرتك ؟ وعليَّ شملة ، إذا وضعتُها على قدميَّ خرج رأسي ، وإذا وضعتُها على رأسي خرج قدماي ، وجعل لا يجيئني النوم ، وأما صاحباي فناما ولم يصنعا ما صنعتُ ، قال : فجاء النبي ﷺ فسلم كما كان يُسلِّم ، ثم أتى المسجد فصلى ، ثم أتى شرابه ، فكشف عنه فلم يجد فيه شيئاً ، فرفع رأسه إلى السماء ، فقلت : الآن يدعو عليّ فأهلك ، فقال : اللهم أطعم من أطعمني وأسق من أسقاني .

قال : فعمدتُ إلى الشملة فشددتُها عليّ وأخذت الشفرة فانطلقتُ إلى الأعنز أيها أسمنُ فأذبحها لرسول الله ﷺ ، فإذا هي حافلةٌ ، وإذا هُنَّ حُفَّلٌ كلهن ، فعمدتُ إلى إناء لآل محمد ﷺ ، ما كانوا يطعمون أن يحتلبوا فيه ، قال : فحلبتُ فيه حتى علته رغوة ، فجئتُ إلى رسول الله ﷺ فقال : أشربتم شرابكم الليلة ؟ .

قال : قلت : يا رسول الله اشرب ، فشرب ، ثم ناولني ، فقلت : يا رسول الله اشرب ، فشرب ثم ناولني ، فلما عرفت أن النبي ﷺ قد روى ، وأصبتُ دعوته ، ضحكت حتى ألقيت إلى الأرض ، قال : فقال النبي ﷺ : إحدى سوآتك يا مقداد ، فقلت : يا رسول الله ! كان من أمري كذا وكذا ، وفعلتُ كذا ، فقال النبي ﷺ : ما هذه إلا رحمة من الله ، أفلا كنت آذنتني ، فنوقظ صاحبينا فيصيبان منها ، قال : فقلتُ : والذي بعثك بالحق ما أبالي إذا أصبتُها وأصبتُها معك من أصابَها من الناس][1] .

* * *

(١) (مسلم بشرح النووي) : ١٤ / ٢٥٧ - ٢٦٠ ، كتاب الأشربة ، باب (٣٢) إكرام الضيف وفضل إيثاره ، حديث رقم (١٧٤) ، **وفي هذا الحديث** : آداب السلام على الأيقاظ في موضع فيه نيام أو من في معناهم ، وأنه يكون سلاماً متوسطاً بين الرفع والمخافتة ، بحيث يُسمع الأيقاظ ولا يهوش به على غيرهم ، **وفيه** : الدعاء للمحسن والخادم ، ولمن سيفعل خيراً ، **وفيه** : ما كان عليه النبي ﷺ من الحلم ، والأخلاق والمحاسن المرضية ، وكرم النفس ، والصبر ، والإغضاء عن حقوقه ، فإنه ﷺ لم يسأل عن نصيبه من اللبن . والشاة الحافل : الممتلىء ضرعها باللبن ، (دلائل البيهقي) : ٦ / ٨٤ - ٨٦ ، باب ما جاء في ظهور بركته ﷺ في الشاة التي لم يكن فيها لبن ، حتى نزل لها لبن ، (طبقات ابن سعد) : ١ / ١٨٤ ، وما بين الحاصرتين مطموس في (خ) ، واستدركناه من كتب السيرة .

[ثالث وستون : سرعة سير الإبل بعد جهدها بدعائه ﷺ]

وأما سرعة سير الإبل بعد جهدها بدعائه ﷺ فخرج أبو نعيم من حديث المعتمر قال : سمعت أبي يقول : حدثنا أبو نضرة عن جابر ، وحدثنا محمد بن أحمد بن حمدان ، قال : حدثنا الحسن بن سفيان ، قال :

حدثنا أبو كامل [الجحْدريّ] ، قال : حدثنا عبد الواحد بن زياد ، قال : حدثنا الجريري عن أبي نضرة ، عن جابر رضي الله عنه ، وحدثنا سليمان بن أحمد ، قال : حدثنا محمد بن صالح بن الوليد النرسي ، قال : حدثنا جميل بن الحسن قال : حدثنا غسان بن مضر ، عن سعيد بن يزيد أبي سلمة ، عن أبي نضرة ، عن جابر رضي الله عنه قال :]

[كنا في مسير مع رسول الله ﷺ ، قال : وأنا على ناضح لي ، إنما هو في أخريات الناس ، قال : فضربه رسول الله ﷺ أو نخسه ، أراه قال : بشيء كان معه ، قال : فجعل بعد ذلك يتقدم الناس ينازعني حتى أني لأكفّه[1] .] .

[وخرّج من حديث أحمد بن محمد بن الحسن الماسرجي ، قال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، قال : حدثنا جرير عن مغيرة ، عن الشعبي ، عن جابر رضي الله عنه ، قال :]

[غزوت مع رسول الله ﷺ فتلاحق بي وتحتي ناضح لي قد أعيا ، ولا يكاد يسير ، قال : فقال لي : مالبعيرك ؟ قلت : عليل ، قال : فتخلف رسول الله ﷺ فزجره ودعا له ، فما زال بين يدي الإبل قُدامها يسير ، قال : فكيف ترى بعيرك ؟ قال : قلت : بخير قد أصابته بركتك[2] .] .

وخرَّج من حديث سليمان بن أحمد ، قال : حدثنا أحمد بن داود المكي قال : حدثنا موسى بن إسماعيل ، قال : حدثنا الصعق بن حزن ، وأبو هلال الراسبي ، قالا : حدثنا سيار أبو الحكم عن الشعبي ، عن جابر قال :]

---

(١) (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٤٣٧ - ٤٣٨ ، باب قصة البعير المتخلف لجابر بن عبد الله وأبي طلحة رضي الله عنهما ، حديث رقم (٣٤٨) ، وأخرجه البخاري ومسلم وأحمد .

(٢) (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٤٣٨ ، حديث رقم (٣٤٩) .

[كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة ، وأنا على بعير لي قطوف[1] ، فمر بي النبي ﷺ فغمز بعيري بعصا في يده ، فإذا هو في أول الركاب[2] .

وخرج من حديث يوسف القاضي قال : حدثنا أبو الربيع ، حدثنا حماد ، حدثنا أيوب عن أبي الزبير ، عن جابر قال :] .

[أتى عليّ رسول الله ﷺ وقد أعيي بعيري ، قال : فنخسه فوثب ، قال : فكنت أحبس بعد ذلك خطامه فما أقدر عليه[3] .] .

[ومن حديث جرير بن حازم ، عن محمد بن سيرين ، عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : فزع الناسُ ، فركب رسول الله ﷺ فرساً لأبي طلحة بطيئاً ، ثم خرج يركض وحده ، فركب الناس يركضون خلفه ، فقال : لن تُراعوا وإنه لبحر ، قال : فوالله ما سُبق بعد ذلك اليوم[4]] .

[وخرج البيهقي من حديث أبي نعيم ، حدثنا زكريا ، قال : سمعتُ عامراً يقول : حدثني جابر بن عبد الله رضي الله عنه : أنه كان يسير على جمل له قد أعيا ، فأراد أن يسيِّبُهُ فقال : فلحقني رسول الله ﷺ فضربه ودعا له ، فسار سيراً لم يسر مثله .

ثم قال : بِعْنِيه بأوقية ، قلت : لا ، قال : بعنيه بأوقيتين ، فبعتُه واشترطتُ حُملانه إلى أهلي ، فلما قدمنا أتيته بالجمل ، فنقدني ثمنه ، ثم انصرفت ، فأرسل على أثري وقال : أترى أني ماكستُكَ لآخذ جملك ؟ خذ جملك ، ودراهمك ، فهو لك[5]] .

[وخرج من حديث حماد بن زيد ، حدثنا أيوب ، عن أبي الزبير ، عن جابر

---

(١) قطوف : بطيء .

(٢) (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٤٣٨ ، حديث رقم (٣٥٠) ولم أجده عند غير أبي نعيم .

(٣) المرجع السابق ، حديث رقم (٣٥١) ، وأخرجه مسلم .

(٤) (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٤٣٩ ، حديث رقم (٣٥٢) ، وأخرجه البخاري بسند حديث الباب ، كما أخرجه من حديث أنس من طرق أخرى بألفاظ متقاربة .

(٥) (دلائل البيهقي) : ٦ / ١٥١ ، باب دعاء النبي ﷺ في بعير جابر بن عبد الله وقد أعيا ، حتى صار ببركة دعائه في أول الركب ... ، وقد أخرجه البخاري في (٥٤) كتاب الشروط ، (٤) باب إذا اشترط البائع ظهر الدابة ، ومسلم في (٢٢) كتاب المساقاة ، (٢١) باب بيع البعير واستثناء ركوبه ، (الإحسان) : ١٤ / ٤٥٠ ، باب ذكر البيان بأن جابر بن عبد الله استثنى حملان راحلته التي وصفناها إلى المدينة بعد البيع ، حديث رقم (٦٥١٩) .

رضي الله عنه قال : أتى عليّ النبي ﷺ وقد أعيا بعيري ، فنخسه فوثب ، فكنت بعد ذلك أحبس خطامه فما أقدر عليه ، فلحقني النبي ﷺ فقال : بعنيه ، فبعته منه بخمس أواقٍ ، قلت : على أن لي ظهره إلى المدينة ، قال ﷺ : ولك ظهره إلى المدينة ، فلما قدمتُ المدينة ، أتيتُ فزادني أوقية ، ثم وهبه لي .[1]] .

[وله من حديث عبد الله بن أبي الجعد الأشجعي ، عن جعيل الأشجعي ، قال : غزوت مع النبي ﷺ في بعض غزواته وأنا على فرس لي جعفاء ضعيفة ، قال : فكنت في أخريات الناس ، فلحقني رسول الله ﷺ فقال : سِرْ يا صاحب الفرس ، فقلتُ : يا رسول الله ! جعفاء ضعيفة ، قال : فرفع رسول الله ﷺ مخْفَقَةً معه ، فضربها بها ، وقال اللهم بارك له فيها ، قال : فلقد رأيتني ما أمسك رأسه إنْ تقدم الناس ، قال فلقد بعتُ من بطنها باثنى عشر ألفاً][2] .

وله من حديث أبي سهل بن زياد القطان ، حدثنا محمد بن شاذان الجوهري ، حدثنا زكريا بن علي ، حدثنا مروان بن معاوية ، عن يزيد بن كيسان ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ، قال :] .

جاء رجل إلى النبي ﷺ - أو قال : فتى - فقال : إني تزوجت امرأة فقال : هل نظرت إليها ؟ فإن في أعين الأنصار شيئاً ، قال : قد نظرتُ إليها ، قال : على كم تزوجتَها ؟ فذكر شيئاً ، قال : فكأنكم تنحتون الذهب والفضة من عُرض هذه الجبال ، ما عندنا اليوم شيء نُعطيكهُ ، ولكن سأبعثك في وجه تصيب فيه ، فبعث بعثاً إلى بني عَبْس ، وبعث الرجل فيهم فأتاه فقال : يا رسول الله ، أعيتني ناقتي أن تنبعث ، قال : فناوله رسول الله ﷺ كالمعتمد عليه للقيام ، فأتاها ، فضربها برجله ، قال أبو هريرة : والذي نفسي بيده ، لقد رأيتها تسبق القائد[3]] .

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٦ / ١٥٢ ، وأخرجه مسلم أيضا .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٦ / ١٥٣ ، (التاريخ الكبير) : ٢ / ٢٤٩ ، ترجمة رقم (٢٣٥٦) ، جعيل ، قال رافع بن زياد بن أبي الجعد ، أخي سالم بن أبي الجعد ، قال : حدثني جعيل ، قال : غزوتُ مع النبي ﷺ وأنا في أخريات الناس ... .

(٣) (دلائل البيهقي) : ٦ / ١٥٤ ، (صحيح مسلم) : (١٦) كتاب النكاح ، (١٢) باب ندب النظر إلى وجه المرأة وكفيها لمن يريد النكاح ، حديث رقم (٧٥) .

[وله من حديث جعفر بن عوف ، قال : أنبأنا الأعمش ، عن مجاهد ، أنَّ رجلا اشترى بعيراً ، فأتى النبي ﷺ فقال : إني اشتريتُ بعيراً ، فادع الله أن يبارك لي فيه ، فقال ﷺ : اللهم بارك له فيه ، فلم يلبث إلا يسيراً أن نفق ، ثم اشترى بعيراً آخر ، فأتى به رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ! إني اشتريتُ بعيرين ، فدعوتُ الله أن يبارك لي فيهما ، فادع الله أن يحملني عليه ، قال : فقال : اللهم احمله عليه ، قال فمكث عنده عشرين سنة][1] .

[قال البيهقي : هذا مرسل ، ودعاؤه صار إلى أمر الآخرة في المرتين الأوليين ، ثم سأله صاحب البعير الدعاء بأن يحمله عليه ، وقعت الإجابة إليه ﷺ أفضل زكاة ، وأطيبها ، وأنماها][1] .

* * *

---

(١) (المرجع السابق) : ١٥٤ – ١٥٥ . وما بين الحاصرتين مطموس في (خ) واستدركناه من كتب السيرة .

[رابع وستون : شُرب أهل الصفة من قدح لبن حتى رووا]

[وأما شرب أهل الصفة من قدح لبن حتى رووا ، فخرج البيهقي قال : أخبرنا أبو عبد الله إسحاق بن محمد بن يوسف السوسيّ قراءة عليه من أصله ، حدثنا أبو جعفر : محمد بن محمد بن عبد الله البغدادي ، أنبأنا عل بن عبد العزيز ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا عمرو بن ذر ، حدثنا مجاهد أن أبا هريرة كان يقول :][1] .

[والله الذي لا إله إلا هو ، إن كنتُ لاعتمد بكبدي على الأرض من الجوع ، وإن كنت لأشدّ الحجر على بطني من الجوع ، ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون فيه ، فمرَّ بي أبو بكر ، فسألته عن آية من كتاب الله ، ما سألته إلا ليستتبعني ، فمر ولم يفعل ، ثم مر بي عمر ، فسألته عن آية من كتاب الله ، ما سألته إلا ليستتبعني ، فمر ولم يفعل ، ثم مر بي أبو القاسم ﷺ فتبسم حين رآني ، وعرف ما في نفسي ، وما في وجهي .

ثم قال : يا أبا هر ! قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : ألحَقْ ، ومضى فاتبعته ، فدخل واستأذنتُ ، فأذن لي ، فدخلتُ ، فوجد لبناً في قدح ، فقال : من أين هذا اللبن ؟ قالوا : أهداه لك فلان أو فلانة .

قال : أبا هر ! قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : ألحَقْ بأهل الصفة فادعهم لي ، قال : وأهل الصفة أضياف الإسلام ، لا يأوون إلى أهل ولا مال ، إذا أتته صدقةٌ يبعث بها إليهم ، ولم يتناول منها شيئاً ، وإذا أتتهم هدية أرسل إليهم ، فأصاب منها وأشركهم فيها ، فساءني ذلك . قلت : وما هذا اللبن في أهل الصفة ، كنتُ أرجو أن أصيب من هذا اللبن شربةً أتقوى بها ، وإني لرسول ، فإذا جاءوا أمرني أن أعطيهم ، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن ، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بد ، فأتيتهم فدعوتهم ، فأقبلوا حتى استأذنوا فأذن لهم ، وأخذوا مجالسهم

---

(١) ما بين الحاصرتين مطموس في (خ) ، واستدركناه من كتب السيرة .

من البيت ، فقال : يا أبا هر ! قلتُ : لبيك يا رسول الله ، قال : خذ فأعطهم ، فأخذت القدح فجعلتُ أعطيه الرجل ، فيشرب حتى يروى ، ثم يُردّ عليّ القدح ، فأعطيه للآخر فيشرب حتى يروى ، ثم يُردّ عليّ القدح ، حتى انتهيتُ إلى رسول الله ﷺ ، وقد روى القوم كلهم .

فأخذ القدح فوضعه على يده ، ونظر إليّ وتبسَّم وقال : يا أبا هر ! قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : بقيتُ أنا وأنت ، قلت : صدقت يا رسول الله ! قال : اقعد فاشربْ ، فقعدت وشربتُ فقال : اشربْ ، فشربتُ ، فقال : اشرب ، فشربت ، فما زال يقول اشرب ، فأشرب ، حتى قلت : لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكاً ، قال : فأرني فأعطيته القدح فحمد الله وسمَّى ، وشرب الفضلة][1] .

* * *

(١) (دلائل البيهقي) : ٦ / ١٠١ – ١٠٢ ، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أهل الصفة على لبن يسير ، وما ظهر في ذلك من آثار النبوة ، وأخرجه البخاري في صحيحه عن أبي نعيم ، في (٨١) كتاب الرقاق ، (١٧) باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم عن الدنيا ، حديث رقم (٦٤٥٢) .

[خامس وستون : وجود عنز في مكان لم تُعهد فيه]

[وأما وجود عنز في مكان لم تعهد فيه ، فخرج البيهقي من حديث محمد بن الفرج الأزرق ، حدثنا عصمة بن سليمان الخزاز ، حدثنا خلف بن خليفة ، عن أبي هاشم الرماني ، عن نافع ، وكانت له صحبة من رسول الله ﷺ ، قال :] .

[كنا مع رسول الله ﷺ في سفر لنا كنا أربعمائة رجل ، فنزلنا في موضع ليس فيه ماءٌ ، فشقَّ ذلك على أصحابه فقالوا : رسول الله ﷺ أعلم ، قال : فجاءت شويهة[1] لها قرنان ، فقامت بين يدي رسول الله ﷺ فحلبها ، فشرب حتى روى ، وسقى أصحابه حتى رَوَوْا ، ثم قال : يا نافع ! املكها الليلة ، وما أراك تملكها ، قال : فأخذْتُها فوتدْتُ لها وتداً ، ثم قمت في بعض الليل فلم أرَ الشاة ، ورأيتُ الحبل مطروحاً ، فجئتُ النبي ﷺ فأخبرته من قبل أن يسألني ، فقال يا نافع ! ذهب بها الذي جاء بها][2] .

وفي كتاب محمد بن سعد : أنبأنا خلف بن الوليد أبو الوليد الأزدي ، حدثنا خلف بن خليفة ، عن أبان بن بشير ، عن شيخ من أهل البصرة ، عن نافع فذكره][3] .

[وخرَّج البيهقي أيضاً من حديث العباس بن محمد بن العباس ، حدثنا أحمد ابن سعيد بن أبي مريم ، حدثنا أبو حفص الرماحيُّ ، حدثنا عامر بن أبي عامر الخزاز ، عن أبيه ، عن الحسن بن سعد - يعني مولى أبي بكر - قال :

---

(١) شويهة : تصغير شاة .
وما بين الحاصرتين مطموس في (خ) ، واستدركناه من كتب السيرة .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٦ / ١٣٧ ، باب ما جاء في الشاة التي ظهرت ، فحلبَتْ ، فأروتْ ، ثم ذهبتْ ، فلم توجدْ ، (البداية والنهاية) : ٦ / ١١٢ - ١١٣ ، نقلاً عن البيهقي من المرجع السابق ، وقال في آخره : حديث غريب جداً ، إسناداً ، ومتناً ، (طبقات ابن سعد) : ١ / ١٧٩ - ١٨٠ .

(٣) (طبقات ابن سعد) : ٧ / ٧٠ - ٧١ ، عند ترجمة نافع بن الحارث بن كلدة بن عمرو .

[قال رسول الله ﷺ : احلب لي العنز ، قال : وعهدي بذلك الموضع لا عنْز فيه ، قال فأتيتُ بعنز حافل ، قال : فاحتلبتُها وأوصيت بها ، قال : فاشتغلتُ بالرحلة ففقدتُ العنْز ، فقلت : يا رسول الله ! فقدتُ العنز ؛ قال : فقال إن لها رباً][1] .

* * *

(١) (دلائل البيهقي) : ٦ / ١٣٨ ، (البداية والنهاية) : ٦ / ١١٣ ، نقلاً عن البيهقي من المرجع السابق ، وقال في آخره : حديث غريب جداً ، إسناداً ومتناً ، وفي إسناده من لا يعرف حاله .

[سادس وستون : ظهور البركة في السمن الذي كان لأم سُلَيْم[1]]

[قال أبو نعيم : حدثنا محمد بن سليمان إملاءً ، حدثنا يحيى بن محمد الحنائي قال : حدثنا شيبان بن فروخ ، حدثنا محمد بن زياد البرجمي ، قال : حدثنا أبو ظلال ، عن أنس بن مالك ، عن أمه أم سُلَيْم قالت :

كانت لي شاة فجمعتُ سمنها في عُكَّة ، فبعثت بها مع زينب ، فقلتُ : يا زينب ، أبلغي هذه العُكَّة رسول الله ﷺ يأتدم بها ، فجاءت زينبُ بها إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، هذه عُكَّة سمن قد بعثتْ بها إليك أمُّ سُلَيْم .

قال : فرغوا لها عكتها ، ففُرّغت العكةُ ، ودُفعت إليها ، فجاءت ــ وأم سليم ليست في البيت ــ فعلقت في وتدٍ ، فجاءت أم سُليم ، فرأت العكة ممتلئة تَقطُر سمناً ، وقالت :

---

(١) هي أم سليم بنت ملحان ، واسمها : سهله ، ويقال : رميلة ، ويقال رميثة ، ويقال : أنيثة ، ويقال : مليكة . وهي والدة أنس بن مالك ، وزوج أبي طلحة الأنصاري ، يقال : أنها هي الغميصاء ، أو الرميصاء ، ثبت ذلك في البخاري ، في حديث ابن المنكدر ، عن جابر ، عن النبي ﷺ قال : دخلت الجنة ، فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة .

وفي صحيح مسلم ، من حديث ثابت عن النبي ﷺ قال : دخلتُ الجنة فسمعتُ خشفة ، فقلت : من هذا ؟ فقالوا : هذه الرميصاء . وفي رواية : الرميصاء بنت ملحان ، أم أنس بن مالك .

روت عن النبي ﷺ ، وعنها ابنها أنس بن مالك ، وعبد الله بن عباس ، وعمرو بن عاصم الأنصاري ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف .

قال ابن عبد البر : كانت تحت مالك بن النضر في الجاهلية ، فولدت له أنساً ، فلما جاء الله تعالى بالإسلام أسلمت ، وعرضت على زوجها الإسلام فغضب عليها ، وخرج إلى الشام فهلك ، فتزوجت بعده أبا طلحة ، خطبها وهو مشرك ، فأبت عليه إلا أن يُسلم ، فأسلم ، فولدت له غلاماً كان أعجب به ، فمات صغيراً وأسف عليه ، وقيل : إنه أبو عمير صاحب النُّغَيْر ، ثم ولدت له عبد الله بن أبي طلحة ، فبورك فيه ، وهو والد إسحاق بن أبي طلحة الفقيه ، وإخوته كانوا عشرة ، كلهم حمل عنه العلم ، وروى عن أم سليم قالت : لقد دعا لي رسول الله ﷺ حتى ما أريد زيادة . ومناقبها كثيرة وشهيرة . (تهذيب التهذيب) : ١٢ / ٤٩٧ ، ترجمة رقم ٢٩٥٣ ، (الإصابة) : ٨ / ٢٢٧ ، ترجمة رقم (١٢٠٧٣) ، (الاستيعاب) : ٤ / ١٩٤٠ – ١٩٤١ ، ترجمة رقم (٤١٦٣) .

والعُكَّةُ : من السمن والعسل ، قال ابن الأثير في (النهاية) : وهي وعاء من جلود مستدير يختصّ بهما ، وهو بالسمن أخصّ . (لسان العرب) : ١٠ / ٤٦٩ . وما بين الحاصرتين مطموس في (خ) ، واستدركناه من كتب السيرة .

يا زينب ! أليس أمرتك أن تُبلِّغي هذه العُكَّة رسول الله ﷺ يأتدم بها ؟ قالت : قد فعلتُ ، فإن لم تصدقيني فتعالي معى إلى رسول الله ﷺ ، قال : فذهبت أمُّ سُلَيْم وزينب معها إلى رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسول الله ! إني قد بعثتُ إليك بعكة فيها سمن .

فقال : قد جاءت بها ، فقالت : والذي بعثك بالهدى ودين الحق ، إنها ممتلئة سمناً تقطر ، فقال النبي ﷺ : أتعجبين يا أم سليم ؟ إن الله أطعمك كما أطعمتِ نبيَّه] .

قال أبو نعيم : زاد البغوي عن شيبان : كلي وأطعمي ، قالت : فجئتُ إلى بيتي ، فقسمتها في قعبٍ[1] لنا كذا وكذا ، وتركتُ فيها ما ائتدمنا به شهراً أو شهرين][2] .

(١) القعب : القدح الضخم الغليظ .

(٢) (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٥٥٨ - ٥٥٩ ، باب قصة أم سُلَيْم ، حديث رقم (٤٩٩) ، (البداية والنهاية) : ٦ / ١١٣ ، باب تكثيره ﷺ السمن لأم سليم ، (الخصائص الكبرى) : ٢ / ٢٤٧ ، وفي بعض النسخ « ربيبة بدلاً من « زينب » ، ومحمد بن زياد البرجمي غير محمد بن زياد اليشكري الكذاب ، والله تعالى أعلم .

[سابع وستون : امتلاء عُكَّة أم مالك الأنْصَارية سمناً]

[قال أبو نعيم : حدثنا أحمد بن إسحاق : وعبد الله بن محمد ، قالا : حدثنا أبو بكر بن أبي عاصم ، قال : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال : حدثنا محمد بن فضيل ، عن عطاء بن السائب ، عن يحيى بن جَعْدة ، عن جدته قالت :] .

[جاءت أم مالك الأنصارية[1] بعُكّة سمن إلى رسول الله ﷺ ، فأمر رسول الله ﷺ بلالاً فعصرها ، ثم دفعها إليها ، فرجعت ، فإذا هي مملوءة ، فأتت النبي ﷺ ، فقالت : نزلتْ فيَّ شيء يا رسول الله ؟ قال : وما ذاك يا أم مالك ؟ قالت : ردَدْت عليَّ هديتي ، قال : فدعا بلالاً فسأله عن ذلك ، فقال : والذي بعثك بالحق لقد عصرتها حتى استحيَيْت ، فقال رسول الله ﷺ : هنيئاً لك يا أمَّ مالك ، هذه بركةٌ عجَّل الله لك ثوابَها[2] ، [ثم علمها تقول في دبر كل صلاة : سبحان الله عشراً ، والحمد لله عشراً ، والله أكبر عشراً][3] .

* * *

(١) لها ذكر في صحيح مسلم ، في حديث جابر بن عبد الله أنها كانت تهدي للنبي ﷺ في عكة لها سمنا ، وروى عبد الرحمن بن سابط الجمحي عن أم مالك الأنصارية (تهذيب التهذيب) : ١٢ / ٥٠٥ ، ترجمة رقم (٢٩٨٤) ، (الاستيعاب) : ٤ / ١٩٥٦ ، ترجمة رقم (٤٢٠٦) ، (الإصابة) : ٨ / ٢٩٨ ، ترجمة رقم (١٢٢٣٨) .

(٢) (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٥٥٩ ، حديث رقم (٥٠٠) ، (الخصائص الكبرى) : ٢ / ٢٤٧ وقال السيوطي : أخرجه ابن أبي شيبة برقم (١١٨٠٩) ، والطبراني ، وأبو نعيم ، عن يحيى بن جعدة ، عن رجل حدثه عن أم مالك الأنصارية .

(٣) ما بين الحاصرتين تكملة من (الإصابة) : ٨ / ٢٩٨ ، ترجمة أم مالك الأنصارية رقم (١٢٢٣٨) .

[ثامن وستون : إمتلاء عُكَّة أم أَوْسٍ البُهزية]

[قال البيهقي : أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا العباس بن محمد الدوري ، حدثنا علي بن نجيح القطان ، حدثنا خلف بن خليفة ، عن أبي هاشم الرماني ، عن يوسف بن خالد ، عن أوس بن خالد ، عن أم أوس البهزية[1] ، قالت :] .

[سليتُ سمناً لي ، فجعلتُه في عُكَّةٍ ، وأهديته للنبي ﷺ ، فقبله وترك في العكة قليلاً ، ونفخ فيه ودعا بالبركة ثم قال : رُدُّوا عليها عكتها ، فردوها عليها وهي مملوءة سمناً ، فظننتُ أن النبي ﷺ لم يقبلها ، فجاءت ولها صُراخ ، قالت : يا رسول الله ! إنما سليتُه لك لتأكله ، فعلم ﷺ أنه قد استجيب له .

فقال : اذهبوا فقولوا لها : فتأكل سمنها ، وتدعو بالبركة ، فأكلت بقية عُمْر النبي ﷺ ، وولاية أبي بكر - رضي الله تعالى عنه - وولاية عمر - رضي الله تعالى عنه - وولاية عثمان - رضي الله تعالى عنه ، حتى كان من أمر علي - رضي الله تعالى عنه - ومعاوية ما كان][2] .

(١) هي أم أوس البهزية ، روى أوس بن خالد حديثها من أعلام النبوة ، وأخرج الطبراني وابن منده من طريق عصمة بن سليمان ، عن خلف بن خليفة ، عن أبي هاشم الرُّمَّاني ، عن أوس بن خالد البهزي ، عن أم أوس بن خالد البهزية ، أنها أسْلَتْ سمناً لها ، فجعلته في عكة ، ثم أهدته إلى النبي ﷺ ... (الإصابة) : ٨ / ١٦٨ - ١٦٩ ، ترجمة رقم (١١٨٩٥) ، (الاستيعاب) : ٤ / ١٩٢٥ ، ترجمة رقم (٤١٢٢) .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٦ / ١١٥ ، (الخصائص الكبرى) : ٢ / ٥٤ ، وعزاه للطبراني والبيهقي ، (البداية والنهاية) : ٦ / ١١٣ - ١١٤ ، نقلاً عن البيهقي .

[تاسع وستون : أكل أهل الخندق من حفنة تمر]

[قال الواقدي : حدثني عمر بن عبد الله بن رياح الأنصاري ، عن القاسم ابن عبد الرحمن بن رافع – من بني عَديّ بن النجار – قال : كان المسلمون قد أصابتهم مجاعة شديدة ، فكان أهلوهم يبعثون إليهم بما قدورا عليه ، فأرسلت عَمْرَةُ بنتُ رواحة ابنتها بجَفْنَةِ تمرٍ عجوة في ثوبها ، فقالت : يا بنية إذهبي إلى أبيك بشير ابن سعد ، وخالك عبد الله بن رواحة بغدائهما .

فانطلقتْ الجارية حتى تأتي الخندق ، فتجد رسول الله ﷺ جالساً في أصحابه وهي تلتمسهما ، فقال : تعالي يا بنية ، ما هذا معك ؟ قالت : بعثتني أمي إلى أبي وخالي بغَدائهما . فقال رسول الله ﷺ : هاتيه ! قالت : فأعطيته ، فأخذه في كفيه ، ثم أمر بثوب فَبُسط له ، وجاء بالتمر فنشره عليه فوق الثوب ، فقال لجِعال ابن سُراقة : نادِ بأهل الخندق أن هلمَّ إلى الغداء ، فاجتمع أهل الخندق عليه يأكلون منه ، حتى صدر أهل الخندق ، وإنه ليفيض من أطراف الثوب][1] .

[وحدثني شعيب ، عن عبد الله بن معتب ، قال : أرسلتْ أمّ عامر الأشهلية بقعبة فيها حَيْسٌ[2] إلى رسول الله ﷺ ، وهو في قُبته وهو عند أم سَلَمَة ، فأكلتْ أُمُّ سلمة حاجتها ، ثم خرج بالبقية ، فنادى منادي رسول الله ﷺ إلى عشائه ، فأكل أهل الخندق حتى نهلوا ، وهي كما هي][3] .

[قال أبو نعيم : حدثنا حبيب بن الحسن ، حدثنا محمد بن يحيى ، حدثنا أحمد ابن محمد بن أيوب ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني سعيد بن ميناء ، أنه حُدِّث أن ابنةً لبشير بن سعد ، أخت النعمان بن بشير قالت :]

---

(١) (مغازي الواقدي) : ٢ / ٢٧٦ .

(٢) الحيس : تمر يخلط بسمن وأُقِط ، فيعجن شديداً ، ثم يندر منه نواه ، وربما جعل فيه سويق . (القاموس المحيط) .

(٣) (مغازي الواقدي) : ٢ / ٤٧٦ – ٤٧٧ .

[دعتني عَمْرة بنتُ رواحة [زوج بشير بن سعد] ، فأعطتني حفنة من تمر في ثوبي ، ثم قالت : يا بُنية ، اذهبي إلى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغدائهما ، قالت : فأخذْتُها فانطلقتُ بها ، فمررتُ برسول الله ﷺ ، وأنا ألتمس أبي وخالي ، فقال : تعالي يا بنية ، ما هذا معك ؟ فقلتُ : يا رسول الله ، هذا تمر ، بعثتني به أمي إلي أبي بشير بن سعد ، وخالي عبد الله بن رواحة يتغديان به .

قال : هاتيه ، فصببته في كفَّيْ رسول الله ﷺ ، فما ملأهما ، ثم أمر بثوب فَبُسط ، ثم دحاً التمر عليه ، فتبدد فوق الثوب ، ثم قال لإنسان عنده : اصرخ في أهل الخندق هلمَّ إلى الغداء ، فاجتمع أهل الخندق عليه ، فجعلوا يأكلون منه ، وجعل يزيدُ حتى صدر أهل الخندق عنه ، وإنه ليسقط من أطراف الثوب[1] .

[قال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس عن ابن إسحاق ، قال : حدثنا سعيد بن مينا ، عن ابنة بشير بن سعد ، قالت : بعثتني أمي بتمر في طرف ثوبي إلى أبي وخالي وهم يحفرون الخندق ، فمررتُ على رسول الله ﷺ ، فناداني فأتيته ، فأخذ التمر مني في كفيه ، وبسط ثوباً فنثره عليه ، فتساقط في جوانبه ، ثم أمر بأهل الخندق ، فاجتمعوا ، وأكلوا منه حتى صدروا عنه][2] .

* * *

---

(١) (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٤٩٩ - ٥٠٠ ، حديث رقم (٤٣١) ، (سيرة ابن هشام) : ٤ / ١٧٤ ، فصل ما تحقق من البركة في تمر ابنة بشير ، وما بين الحاصرتين مطموس في (خ) ، واستدركناه من كتب السيرة .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٣ / ٤٢٧ ، (البداية والنهاية) : ٤ / ١١٣ - ١١٤ ، نقلاً عن البيهقي ، وما بين الحاصرتين مطموس في (خ) .

[سبعون : شهادة الذئب له ﷺ بالرسالة]

[قال أبو نعيم : حدثنا فاروق الخطابي ، قال : حدثنا عباس ، قال : حدثنا هشام بن علي السيرافي ، قال : حدثنا هريم بن عثمان ، وأبو عمر الحوضي ، وهدب ابن خالد ، وحدثنا سليمان بن أحمد قال : حدثنا عباس الأسفاطي ، قال : حدثنا أبو الوليد الطيالسي ، قالوا : حدثنا القاسم بن الفضل الحداني ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري ، قال] :

بينما راعٍ يرعى بالحَرَّة ، إذ انتهز الذئب شاةً فتبعه الراعي ، فحال بينه وبينها ، فأقبل الذئب على الراعي فقال : يا راعي ، ألا تتقي الله ؟ تحول بيني وبين رزق ساقه الله إليَّ ؟ فقال الراعي : العجب من ذئبٍ مُقْعٍ على ذَنَبِه يكلمني بكلام الإنس ! فقال الذئب : ألا أخبرك بما هو أعجب من هذا ؟

هذا رسول الله ﷺ بين الحرَّتين يدعو الناس إلى أنباء ما قد سبق ، فساق الراعي شاءَهُ حتى أتى إلى المدينة ، فزواها إلى زاوية من زواياها ، ثم دخل على رسول الله ﷺ فأخبره بما قال الذئب ، فقال رسول الله ﷺ : صدق الراعي ، ألا إنه من أشراط الساعة كلام السباع الإنس ، والذي نفسي بيده ، لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس ، وحتى يكلم الرجل شراك نعلهِ ، ويحدثَهُ سوْطه ، ويخبره بما أحدث أهله بعده][1] .

[وقال : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الأشعث بن عبد الله ، عن شُهر بن حوشب ، عن

---

(١) (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٣٧٣ - ٣٧٤ ، الفصل الثامن عشر في ذكر الأخبار من شكوى البهائم والسباع ، وسجودها لرسول الله ﷺ ، وما حفظ من عهده من كلامها حديث رقم (٢٧٠) ، (مسند أحمد) : ٣ / ٥٠٤ ، حديث رقم (١١٣٨٣) ، (المستدرك) : ٤ / ٥١٤ ، حديث رقم (٨٤٤٢ / ١٥٠) ، (٨٤٤٤ / ١٥٢) وقال الذهبي في (التخليص) : « كلاهما » على شرط مسلم .

أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال :]

[جاء ذئب إلى غنم فأخذ منها شاة ، فطلبها الراعي حتى انتزعها من فيه ، فصعد الذئب على تلٍّ فأقعى ، ثم قال : عمدت إلى رزق رزقنيه الله فأخذته مني ، فقال الرجل : والله ما رأيتُ مثل اليوم قط ، ذئب يتكلم ! فقال [الذئب]: أعجب من هذا رجل في النخلات بين الحرتين يخبر بما مضى ، وبما هو كائن بعدكم ، فأتى الرجل إلى رسول الله ﷺ فأخبره وأسلم ، فصدقه النبي ﷺ وقال : إنها أمارة من أمارات ما بين يدى الساعة ، قد يوشك أن يخرج الرجل فلا يرجع حتى يحدثه نعلاه وسوطه بما أحدث أهله بعده][1] .

* * *

(١) (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٣٧٤ ، حديث رقم (٢٧١) ، (الخصائص الكبرى) : ٢ / ٢٦٧ ، (الإحسان) : ١٤ / ٤١٨ - ٤١٩ ، حديث رقم (٦٤٩٤) ، (دلائل البيهقي) : ٦ / ٤٢ - ٤٣،من طرق كلها عن أبي سعيد الخدري ، (تحفة الأحوذي) : ٦ / ٣٤٠ - ٣٤١ ، أبواب الفتن ، باب (١٧) ما جاء في كلام السباع ، حديث رقم (٢٢٧٢) ، ولم يذكر فيه قصة الذئب ، وقال في آخره : وهذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث القاسم بن الفضل ، والقاسم بن الفضل ثقة مأمون عند أهل الحديث ، وثّقهُ يحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي ، (دلائل البيهقي) : ٦ / ٤١ - ٤٣ ، وما بين الحاصرتين مطموس في (خ) واستدركناه من كتب السيرة .

[حادي وسبعون : مجيء الذئب إلى رسول الله ﷺ]

وأما مجيء الذئب إلى رسول الله ﷺ ، فخرج أبو نعيم والبيهقي من حديث محمد بن إسحق عن الزهري ، عن محمد بن خالد الأنصاري ، عن حمزة بن أبي أسيد الأنصاري قال : خرج رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار إلى البقيع ، فإذا الذئب مفترش ذراعيه على الطريق ، فقال رسول الله ﷺ هذا أويس يستفرض فأفرضوا له ، قالوا : رأيك يا رسول الله ، قال : من كل سائمة شاة في كل عام ، قالوا : كثير ، فأشار إليه أن خالسهم ، فانطلق الذئب[1] .

ولأبي نعيم من حديث محمد بن كثير قال : حدثنا سفيان ، أخبرنا الأعمش عن شمر بن عطية ، عن رجل من مزينة أو جهينة قال : أتت وفود الذئاب قريباً من مائة ذئب حين صلى رسول الله ﷺ الفجر فأُقْعَيْنَ فقال رسول الله ﷺ : هذه وفود الذئاب جئنكم يسألنكم لتفرضوا لهن من قوت طعامكم وتأمنوا على ما سوى ذلك ، فشكوا إليه الحاجة ، قال : فأدبروهم ، قال : فخرجن ولهن عواء[2] .

وله من طريق الواقدي ، عن رجل سماه ، عن المطلب بن عبد الله بن حنطب قال : بينا رسول الله ﷺ جالس بالمدينة في أصحابه ، إذ أقبل ذئب فوقف بين يدى النبي ﷺ يعوي بين يديه ، فقال رسول الله ﷺ : هذا وافد السباع إليكم ، فإن أحببتم أن تفرضوا له شيئاً لا يعدوه إلى غيره ، وإن أحببتم تركتموه [واحترزتم] منه ، فما أخذ فهو رزقه ، فقالوا : يا رسول الله ، ما تطيب أنفسنا له بشيء ، [فأومأ] إليه النبي ﷺ بأصابعه الثلاث ، أن خالسهم ، فَوَلَّى وله عسلان[3] .

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٦ / ٤٠ ، باب ما جاء في مجيء الذئب مجلس رسول الله ﷺ يطلب شيئاً ، (البداية والنهاية) : ٦ / ١٦١ ، باب حديث آخر عن أبي هريرة في الذئب ، ونقله ابن كثير عن البيهقي . (٢) (البداية والنهاية) : ٦ / ١٦١ - ١٦٢ ، عن الواقدي .

(٣) (المرجع السابق) : ٦ / ١٦١ - ١٦٢ ، وقال فيه : « وله عواء » . بدلاً من « عسلان » ، (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٣٧٤ - ٣٧٥ ، حديث رقم (٢٧٢) ، (سنن الدارمي) : ١ / ١٢ باب ما أكرم الله به نبيه ﷺ من إيمان الشجر به والبهائم والجن ، (طبقات ابن سعد) : ١ / ٣٥٩ ، باب وفد السباع ، من حديث محمد بن عمر الواقدي . والعَسَلان : الاضطراب .

قال الواقدي : وحدثني داود بن خالد ، عن يعقوب بن عتبة ، عن سليمان ابن يسار قال : أشرف النبي ﷺ على الحرة ، فإذا الذئب واقف بين يديه ، فقال : هذا أويس يسأل من كل سائمة شاة ، قالوا : يا رسول الله ! ما تطيب له أنفسنا بشيء ، [فأومأ] إليه بأصابعه فولى[1] .

وخرج البيهقي من حديث يزيد بن هارون قال : أخبرنا شعبة عن عبد الملك ابن عمير عن الحارثي ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إني لست أنا أصلي في نعلي ، ولكن رسول الله ﷺ صلى في نعليه ، إني لست أنا الذي أنهي [عن صيام] يوم الجمعة ولكن رسول الله ﷺ نهى ، قال : وجاء ذئب إلى رسول الله ﷺ واقفاً غير بعيد ، ثم جعل كأنه يطلب شيئاً ، فقال رسول الله ﷺ : إن هذا ليريد شيئاً ، فقال رجل : لا نجعل له يا رسول الله نصيباً في أموالنا ، فأخذ حجراً فرماه به ، فانطلق الذئب يسعى وهو يعوى ، فقال رسول الله ﷺ : الذئب وما الذئب[2] .

قال البيهقي : الحارثي هذا هو أبو الأدبر ، اسمه زياد . وخرجه أيضاً من حديث عبد الملك بن عمير ، عن أبي الأدبر الحارثي ، عن أبي هريرة قال : أتاه رجل فقال : ياأبا هريرة ! أنت الذي نهيت الناس ... فذكر الحديث .

قال : وجاء الذئب ورسول الله ﷺ جالس ، فأقعى بين يديه ، ثم جعل يبصبص بذنبه ، فقال رسول الله ﷺ : هذا وافد الذئاب جاء يسألكم أن تجعلوا له من أموالكم شيئاً ، قالوا : لا والله لا نفعل ، وأخذ رجل من القوم حجراً فرماه به ، فأدبر الذئب وله عواء ، فقال رسول الله ﷺ : الذئب وما الذئب[3] .

قال أبو يعلى : حدثنا زهير ، حدثنا جرير ، عن عبد الملك بن عمير ، عن رجل من بني الحرث بن كعب يقال له : أبو الأدبر ، قال : كنت قاعداً عند أبي هريرة ... ، فذكر قصة ثم أنشأ يحدث قال : كان رسول الله ﷺ يوماً جالساً ،

---

(١) نحوه مختصراً في (دلائل البيهقي) : ٦ / ٤٠ .
(٢) (دلائل البيهقي) : ٦ / ٣٩ ، باب ما جاء في مجيء الذئب مجلس رسول الله ﷺ يطلب شيئاً .
(٣) (المرجع السابق) : ٦ / ٤٩ - ٤٠ .

وجاء ونحن عنده إذا جاءه الذئب حتى أقعى بين يديه ، ثم بصبص بذنبه ، فقال رسول الله ﷺ هذا الذئب وهذا وافد الذئاب ، فما ترون ؟ أتجعلون له في أموالكم شيئاً ؟ فقال الراعي : لا والله يا رسول الله ، لا نجعل له من أموالنا شيئاً ، فقام إليه رجل من الناس فرماه بحجر ، فأدبر وله عواء ، قال رسول الله ﷺ : الذئب وما الذئب ثلاث مرات[1] .

* * *

(١) (المرجع السابق) : ٦ / ٤٠ ، (البداية والنهاية) : ٦ / ١٦١ ، باب حديث آخر عن أبي هريرة في الذئب ، نقلاً عن المرجع السابق .

قال القسطلاني في (المواهب اللدنية) في باب معجزات كلام الحيوانات : ومنها قصة كلام الذئب ، وشهادته له بالرسالة ، ثم قال : اعلم أنه قد جاء حديث قصة كلام الذئب في عدة طرق من حديث أبي هريرة ، وأنس ، وابن عمر ، وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم .

فأما حديث أبي سعيد ، فرواه الإمام أحمد بإسناد جيد ، وأما حديث ابن عمر ، فأخرجه أبو سعيد الماليني والبيهقي ، وأما حديث أنس ، فأخرجه أبو نعيم في (الدلائل) ، وأما حديث أبي هريرة ، فرواه سعيد بن منصور في سننه ، ورواه البغوي في (شرح السنة) ، وأحمد وأبو نعيم بسند صحيح عن أبي هريرة أيضاً ، قال : جاء ذئب إلى راعي غنم فأخذ منه شاة ... الحديث ، (المواهب اللدنية) : ٢ / ٥٥٢ .

وقال القاضي عياض : وفي بعض الطرق عن أبي هريرة : فقال الذئب : أنت أعجب مني ، واقفاً على غنمك ، وتركت نبياً لم يبعث الله قط أعظم منه عنده قدراً ، وقد فُتحتْ له أبواب الجنة ، وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم ، وما بينك وبينه إلا هذا الشعب ، فتصير من جنود الله . قال الراعي : من لي بغنمي ؟ قال الذئب : أنا أرعاها حتى ترجع ، فأسلم الرجل إليه غنمه ومضى ، وذكر قصته وإسلامه ووجوده النبي ﷺ يُقاتل ، فقال له النبي ﷺ : عُد إلى غنمك تجدها بوفرها ، فوجدها كذلك ، وذبح للذئب شاة منها .

وقد روى ابن وهب مثل هذا ، أنه جرى لأبي سفيان بن حرب ، وصفوان بن أمية ، مع ذئب وجداه أخذ ظبياً ، فدخل الظبي الحرم ، فانصرف الذئب ، فعجبا من ذلك ، فقال الذئب : أعجب من ذلك : محمد بن عبد الله بالمدينة ! يدعوكم إلى الجنة وتدعونه إلى النار ، فقال أبو سفيان : واللات والعزى ، لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفاً . (المواهب اللدنية) : ٢ / ٥٥٢ - ٥٥٣ ، (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) : ١ / ٢٠٤ - ٢٠٥ ، فصل في الآيات في ضروب الحيوانات ، خُلوفاً - بضم الخاء المعجمة - أي فاسدة متغيرة ، بمعنى الفساد والتغير في أهلها .

[ثاني وسبعون : كلام الظبية لرسول الله ﷺ]

وأما كلام الظبية لرسول الله ﷺ فخرج أبو نعيم من حديث زكريا بن خلاد قال : أخبرنا حبان بن أغلب بن تميم السعدي قال : حدثني أبي عن هشام بن حبان ، عن الحسين عن ضبة بن المحصن ، عن أم سلمة زوج النبي ﷺ قال : بينما النبي ﷺ في صحراء ، إذا هاتف يهتف به : يا رسول الله ! فاتبعت الصوت فهجمتْ عليّ ظبية مشدودة في وثاق ، وإذا أعرابي منجدل في شملة نائم في الشمس ، فقالت الظبية لرسول الله ﷺ : إن هذا الأعرابي صادني قبيل ، ولي خشفان في هذا الجبل ، فإن رأيت أن تطلقني حتى أرضعهما ثم أعود إلى وثاقي ! قال : وتفعلين ؟ قالت : عذبني الله عذاب العَشَّار إن لم أفعل .

فأطلقها رسول الله ﷺ فمضت وأرضعت الخشفين ، قال : فبينما رسول الله ﷺ يوثقها إذ انتبه الأعرابي فقال : بأبي أنت وأمي ، إني أصبتها قبيلاً فلك فيها حاجة ؟ قلت : نعم ، قال : هي لك ، وأطلقها فخرجت تعدو في الصحراء فرحاً وهي تضرب برجلها الأرض وهي تقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . قال أبو نعيم : رواه آدم بن أبي إياس ، عن نوح بن الهيثم - ختنه - قال : حدثني ختني الصدوق نوح بن الهيثم ، عن حبان بن أغلب ، عن أبيه ، ولم يجاوز به هشاماً[(١)] .

وخرج أبو نعيم والبيهقي من حديث أبي حفص عمرو بن علي الفلاس قال : أخبرنا[(٢)] يعلى بن إبراهيم الغزال ، أخبرنا[(٢)] الهيثم بن حماد ، عن أبي كثير ، عن زيد ابن أرقم رضي الله عنه قال : كنت مع النبي ﷺ في بعض سكك المدينة ،

---

(١) (البداية والنهاية) : ٦ / ١٦٣ ، باب حديث الغزالة . والعشَّار : هو صاحب المكس ، الذي يقف في مداخل المدن ، فلا يدع أحداً من التجار ونحوهم يدخلها ، إلا أخذ منه شيئاً ليس له به حق .

(٢) (في دلائل أبي نعيم) : « حدثنا » .

فمررنا بخباء أعرابي فإذا ظبية مشدودة إلى الخباء فقالت : يا رسول الله ! إن هذا الأعرابي صادني ولي خِشفان[1] في البرية ، وقد انعقد هذا اللبن في أخلافي[2] ، فلا هو يذبحني فأستريح ولا يدعني فأرجع إلى خشفيّ[1] في البرية ، فقال لها رسول الله ﷺ : إن تركتك ترجعين ؟ قالت : نعم ، وإلا عذبني الله بعذاب العَشّار .

فأطلقها رسول الله ﷺ ، فلم يلبث أن جاءت تلمَّظ[3] ، فشدها رسول الله ﷺ إلى الخِباء ، فأقبل الأعرابي ومعه قربة ، فقال له رسول الله ﷺ : أتبيعُنيها ؟ قال : هي لك يا رسول الله ، فأطلقها رسول الله ﷺ ، قال زيد بن أرقم : فأنا والله رأيتها تسبح في الأرض وهي تقول : [أشهد أن][4] لا إله إلا الله [وأن][4] محمداً رسول الله[5] .

ولأبي نعيم من حديث محمد بن عثمان بن أبي شيبة قال : حدثنا إبراهيم بن محمد [محمود][1] بن ميمون ، أخبرنا[6] عبد الكريم بن هلال الجعفي ، عن صالح المري ، عن ثابت البناني ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : مر رسول الله ﷺ

---

(١) الخِشف : ولد الظبي أول ما يولد .

(٢) أخلاف : مفردها خلف بكسر الخاء ، وهو حلمة الثدي .

(٣) لمَّظ : أخرج لسانه بعد الأكل أو الشرب فمسح به شفتيه .

(٤) زيادة للسياق من (دلائل أبي نعيم) ، وفي (البيهقي) بدون هذه الزيادة .

(٥) (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٢٧٣ ، فصل في ذكر الظبي والضب ، حديث رقم ٢٧٣ ، (دلائل البيهقي) : ٦ / ٣٤ ـ ٣٥ ، باب ما جاء في كلام الظبية التي فُجعت بخشفها ، وشهادتها لنبينا ﷺ بالرسالة ، (البداية والنهاية) : ٦ / ١٦٣ - ١٦٥ ، باب حديث الغزالة ، وقد نقله عن أبي نعيم والبيهقي ، وذكر له طرق أخرى ، والسيوطي في (الخصائص) عن أنس بن مالك ، وعن أم سلمة ، وغيرهما . وقال الذهبي: يعلى بن إبراهيم الغزال : لا أعرفه ، له خبر باطل ، عن شيخ واهٍ ، أخبرنا تسعة عشر ، أخبرنا ابن عبد الدائم ، أخبرنا يحيى حضوراً ، أخبرنا الحداد ، أخبرنا أبو نعيم ، أخبرنا أبو على الصواف من أصله ، أخبر بسر بن موسى ، حدثنا عمر بن على الفلاس ، حدثنا يعلى بن إبراهيم ، حدثنا الهيثم بن حماد عن أبي كثير ، عن زيد بن أرقم ، قال : كنتُ مع رسول الله ﷺ فمرَّ بخباء ، فإذا ظبية مشدودة ... الحديث . (ميزان الاعتدال) : ٤ / ٤٥٦ ، ترجمة يعلى بن إبراهيم الغزال رقم (٩٨٤٤) وقد أخرجه أيضاً القاضي عياض في (الشفا) من حديث أم سلمة ، (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) : ١ / ٢٠٧ .

قال ابن كثير : وفي بعضه نكارة والله أعلم . (البداية والنهاية) : ٦ / ١٦٤ .

(٦) في (دلائل أبي نعيم) : « حدثنا » .

على قوم قد اصطادوا ظبية ، فشدوها على عمود فسطاط ، فقالت : يا رسول الله ! إني أُخذت ولي خشفان ، فاستأذنْ لي أرضعهما وأعود ، فقال : أين صاحب هذه ؟ قال القوم : نحن يا رسول الله ، فقال ﷺ : خلوا عنها حتى [تأتي][(1)] خشفيها ترضعهما وترجع إليكم ، قالوا : ومن لنا بذلك [يا رسول الله][(1)] ؟ قال : أنا ، فأطلقوها ، فذهبت فأرضعت ثم رجعت إليهم فأوثقوها ، فمر بهم النبي ﷺ فقال : أين صَاحبُ هذه ؟ قالوا : هو ذا يا سول الله ، قال تبيعونها ؟ قالوا : يارسول الله هي لك ، قال خلوا عنها ، فأطلقوها فذهبت[(2)] .

وللبيهقي من حديث أحمد بن حازم بن أبي غَرْزَة الغفاري قال : حدثنا على ابن قادم ، حدثنا أبو العلاء خالد بن طهمان ، عن عطية ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : مرَّ رسول الله ﷺ بظبية مربوطة إلى خباء ، فقالت يارسول الله ! حُلَّني حتى أذهب فأرضع خشفيَّ ، ثم أرجع فتربطني ، فقال رسول

---

(1) زيادة للسياق من (دلائل أبي نعيم) .

(2) (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٣٧٦ ، فصل في ذكر الضب والظبي ، حديث رقم ٢٧٤ .

وصالح المري هو : صالح بن بشير بن وادع بن أبي الأقعس ، أبو بشر البصري القاصّ ، المعروف بالمري – بضم الميم وتشديد الراء – قال عباس عن ابن معين : ليس به بأس . وقال المفضل الغلابي وغيره عن ابن معين : ضعيف . وقال محمد بن إسحاق الصغاني وغيره عن ابن معين : ليس بشيء . وقال جعفر الطيالسي ، عن يحيى : كان قاصّاً ، وكان كل حديث يحدث به عن ثابت باطلاً .

وقال عبد الله بن علي المديني : ضعفه أبي جداً . وقال محمد بن عثمان بن أبي ثابت ، عن علي : ليس بشيء ، ضعيف ، ضعيف . وقال عمرو بن علي : ضعيف الحديث ، يحدث بأحاديث مناكير عن قوم ثقات ، وكان رجلاً صالحاً ، وكان يتهم في الحديث . وقال الجوزجاني : كان قاصاً واهي الحديث . وقال البخاري منكر الحديث .

وقال أبو إسحاق الحربي : إذا أرسل فبالحرىّ أن يصيب ، وإذا أسند فاحذروه . وقال أبو أحمد الحاكم : ليس بالقوي عندهم . وقال عفان : كنا عند ابن علية ، فذكر المريّ فقال : رجل ليس بثقة ، فقال له آخر : مه ! اغتبت الرجل ، فقال ابن علية : اسكتوا ، فإنما هذا دين .

وقال الدارقطني : ضعيف . له ترجمة في : (الضعفاء والمتروكين) : ٢ / ٤٦ ، ترجمة رقم (١٦٥٣) ، (المغني في الضعفاء) : ١ / ٣٠٢ ، ترجمة رقم (٢٨١٧) ، (الضعفاء الكبير) : ٢ / ١٩٩ ، ترجمة رقم (٧٢٣) ، (الكامل في ضعفاء الرجال) : ٤ / ٦٠ ، ترجمة رقم (٥ / ٩١٢) ، (المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين) : ١ / ٣٧١ – ٣٧٢ ، (التاريخ الكبير للبخاري) : ٤ / ٢٧٣ ترجمة (٢٧٨٢) ، (الجرح والتعديل) : ٤ / ٣٩٥ – ٣٩٦ ، ترجمة رقم (١٧٣٠) ، (تهذيب التهذيب) : ٤ / ٣٣٤ – ٣٣٥ ، ترجمة رقم (٦٥١) .

الله ﷺ : صيد قوم وربيطة قوم ، قال : فأخذ عليها فحلفت له ، فحلها .

فما مكثت إلا قليلاً حتى جاءت وقد نفضت ما في ضرعها ، فربطها رسول الله ﷺ ثم أتى خباء أصحابها فاستوهبها منهم فوهبوها له ، فحلها ، ثم قال رسول الله ﷺ : لو علمت البهائم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سميناً أبداً[(١)] . [وروى من وجه آخر ضعيفٍ][(٢)] .

وروى ابن شاهين من حديث يحيى بن حبيب بن عديّ قال : حدثنا حماد بن زيد عن منصور بن طاووس عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه قال : مرَّ رسول الله ﷺ ذات يوم في بعض شأنه ، فإذا هو بظبية في رحال قوم ، فنادته : يا رسول الله ! فوقف وقال : ما شأنك ؟ قالت : يارسول الله إن لي خشفين وهما جياع فأطلقني لأنطلق فأرويهما وأرجع فتشدني ، فقال : رحال قوم وربيطة قوم ، وأراد أن يولى فنادته ثانياً : يا رسول الله ! لي خشفان وهما جياع فحلني أنطلق فأرويهما وارجع إليك فتشدني ثانياً ، فقال : أتفعلين ؟ قالت : نعم وإلا يعذبني الله عذاب العشار .

فحلها وجلس مكانه ، فما لبثت أن رجعت وضرعها فارغ من اللبن ، فرق لها رسول الله ﷺ فاستوهبها من الرجل فوهبها له ، فأطلقها[(٣)] .

---

(١) في (خ) : « ما أكلتم سمينها أبداً » ، وما أثبتناه من (دلائل البيهقي) .

(٢) ما بين الحاصرتين من (المرجع السابق) ، والحديث أخرجه البيهقي في (دلائل النبوة) : ٦ / ٣٤ ، ونقله عنه ابن كثير في (البداية والنهاية) : ٦ / ١٦٤ ، والسيوطي في (الخصائص الكبرى) : ٢ / ٦١ عن البيهقي أيضاً .

(٣) لم أجده فيما بين يدي من كتب السيرة بهذه الألفاظ أو السياقة .
قال على القاري في (المصنوع في معرفة الحديث الموضوع) : حديث تسليم الغزالة : اشتهر على الألسنة ، وفي المدائح النبوية . قال ابن كثير : وليس له أصل ، ومن نسبه إلي النبي ﷺ فقد كذب ، وقال في هامشه : وقال ابن حجر في (فتح الباري) : وأما تسليم الغزالة فلم نجد له إسناداً ، لا من وجه قوي ، ولا من وجه ضعيف .
وقال السخاوي في (المقاصد الحسنة) بعد نقله كلام الحافظ ابن كثير ، وإقراره له : ولكن قد ورد الكلام – يعني : ورد تكليم الغزالة لرسول الله ﷺ لا تسليمها – في الجملة في عدة أحاديث يتقوى بعضها ببعض أوردها شيخنا – الحافظ بن حجر – في المجلس الحادي والستين من (تخريج أحاديث المختصر) ، ويعني (مختصر ابن الحاجب في أصول الفقه) . =

وقد روى أن النبي ﷺ لقى في سفره قانصاً قد صاد ظبية ، فقال : ما اسمك ؟ قال : عبد هُبل ، فغضب النبي ﷺ ، فقال الأعرابي : أنت الذي جئت بالسِّحْر ؟ فقال له النبي ﷺ : أرأيت إن آمنت جيداؤك هذه أتؤمن ؟ قال : نعم ، وإلا فلا .

فأمر النبي ﷺ بيده المباركة عليها وقال : أيتها الجيداء الغيداء ! من أنا ؟ قالت : أنت رسول الله وأنا ظبية ذات غيداء ، أفزعني هذا الأعرابي فقصدت عسكرك عائذة بك ، فأدركني فَمُرْهُ يُطْلقني أُحدث بخشفيَّ عهداً ، وله عليّ أن أرجع إليه ، فقال الأعرابي : أتكلمك ظبية وأعاندك ؟ فأسلم ، فقال النبي ﷺ : هُبّ يستحكم إيمانك فيما شيئاً ، ومضت الظبية فلاذ بها خشفان ، وأخبرتهما بما كان ، فبكى النبي ﷺ [وقال] : لولا أن أحرم ما أحل الله لحرمت قنص ظباء هذا الموضع[1] .

* * *

= قال محقق (الموضوعات الصغرى) : هي أحاديث ضعيفة واهية ، لا يصح الاعتماد عليها في إثبات ما هو خرق للعادة ، وإذا كانت لتعدد طرقها لا يحكم الحديثيُّ عليها بالوضع ، فإن إثبات مضمونها لا يُقبل ولا يَثْبُت إلا بالحديث الصحيح الرجيح ، ولدى النظر في أسانيدها ، يتبين أنها لا تخلو من مطاعن شديدة مُرْدية ، فلا تغفل . وبالنظر في متونها يتبدى تعارضٌ شديدٌ فيما بينها ، وفي الجمع بينها تعسّف ظاهر ، كما أشار إليه العلامة الزرقاني في (شرح المواهب اللدنية) .

ويبعد أن يكون الحافظ ابن كثير أراد بكلامه المذكور أن هذا المعنى - تسليم الغزالة أو تكليمها - لا أصل له . كما فهمه المؤلف عليٌّ القارى رحمه الله تعالى في شرحه على (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) للقاضي عياض : ١ / ٦٣٩ ، والله تعالى أعلم . (المصنوع في معرفة الحديث الموضوع) : ٨٠ ، حديث تسليم الغزالة رقم (٩١) .

(١) انظر الهامش السابق ص (٢٤١) .

[ثالث وسبعون : شهادة الضَّبِّ برسالة المصطفى ﷺ]

وأما شهادة الضَّبّ برسالة المصطفى ﷺ ، فخرج أبو نعيم من حديث أبي بكر بن أبي عاصم قال : أخبرنا يحيى بن خلف ، أخبرنا معمر قال : سمعت كهمس يحدث عن داود بن أبي هند ، عن عامر قال : صحبت ابن عمر سنتين فما سمعته يحدث عن رسول الله ﷺ إلا حديث الضَّبِّ ، وكان إذا حدثنا يحدثنا عن عمر ، ولم يكن يحدث إلا عن فقه ، قال أبو نعيم : كذا رواه يحيى بن خلف عن معتمر مختصراً ، وطوله محمد بن عبد الأعلى .

وخرج من حديث محمد بن عبد الأعلى الصنعاني قال : حدثنا معتمر بن سليمان ، حدثنا كهمس بن الحسن ، أخبرنا داود بن أبي هند ، قال : حدثنا عامر الشعبي قال : حدثنا عبد الله بن عمر ، عن أبيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بحديث الضب ، قال : إن رسول الله ﷺ كان في محفل من أصحابه ، إذ جاء أعرابي من بني سليم قد أصاب ضباً وجعله في كمه ليذهب به إلى رحله فيأكله ، فقال على من هذه الجماعة ؟ قالوا : على هذا الذي يزعم أنه نبيّ ، فشقّ الناسَ ثم أقبل على رسول الله ﷺ فقال : يا محمد ، ما اشتملت النساء على ذي لهجة أكذب منك ولا أبغض إليّ منك ، ولولا أن تسميني عجولاً لعجلت عليك فقتلتك فسررْتُ بقتلك الناسَ جميعاً ! فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يارسول الله ، دعني أقتله ، فقال رسول الله ﷺ : يا عمر لو علمت أن الحليم كاد أن يكون نبياً .

ثم أقبل على رسول الله ﷺ فقال : واللات والعزى لا آمنتُ بك ، قال له النبي ﷺ : ولم يا أعرابي ؟ ما حملك على الذي قلت ما قلت ؟ وقلت غير الحق ولم تكرم مجلسي ؟ فقال : وتكلمني أيضاً - استخفافاً برسول الله ﷺ -، واللات والعزى لا آمنت بك إلا أن يؤمن بك هذا الضَّبُّ - فأخرج الضب من كمه فطرحه بين يدي رسول الله ﷺ وقال : إن آمن بك هذا الضَّبُّ آمنت .

فقال رسول الله ﷺ : يا ضب ، فتكلم الضب بلسان عربي مبين يفهمه القوم جميعاً : لبيك وسعديك يا رسول رب العالمين ! فقال له رسول الله ﷺ : ومن تعبدُ ياضَبُّ ؟ قال : الله الذي في السماء عرشه ، وفي الأرض سلطانه ، وفي البحر سبيله ، وفي الجنة رحمته ، وفي النار عذابه .

قال : فمن أنا ياضَبُّ ؟ قال : أنت رسول رب العالمين ، وخاتم المرسلين ، قد أفلح من صدقك وقد خاب من كذبك ، فقال الأعرابي : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله حقاً ، والله لقد أتيتك وما على وجه الأرض أحد هو أبغض إليَّ منك ، [و] والله لأنت الساعة أحب إليّ من نفسي ومن ولدي ، وقد آمنتُ بشعري وبشري ، وداخلي وخارجي ، وسِرِّي وعلانيتي .

فقال له النبي ﷺ : الحمد لله الذي هداك إلى هذا الدين ، الذي يَعلو و لأيعلى ، لا يقبله الله إلا بالصلاة ، ولا تُقبل الصلاةُ إلا بالقرآن ، فعلمه رسول الله ﷺ ﴿ **الحمد** ﴾ ، و ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ ، فقال : يا رسول الله ! ما سمعت في البسيط ولا في الرَّجَز أحسن من هذا ، فقال رسول الله ﷺ : إن هذا كلام رب العالمين وليس بشعر ، فإذا قرأت ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ ، فكأنما قرأت ثلث القرآن ، وإذا قرأت ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ مرتين ، فكأنما قرأتَ ثلثي القرآن ، وإذا قرأتَ ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ ثلاث مرات فكأنما قرأتَ القرآن كله .

فقال الأعرابي : نعم الإِلَه إلَهنا ، يقبل اليسير ويعطي الجزيل ، ثم قال رسول الله ﷺ : أعطوا الأعرابي ، فأعطوه حتى أبطروه .

فقام عبد الرحمن بن عوف فقال : يا رسول الله ، إني أريد أن أعطيه ناقة أتقرب بها إلى الله عز وجل ، دون البُختي[1] وفوق العربي ، وهي عشراء تَلحق ولا تُلحق أُهديت لي .

فقال رسول الله ﷺ : قد وصفت ما تعطي ، أفأصف لك ما يعطيك الله عزَّ وجل جزاء ؟ قال : نعم ، فقال : لك ناقة من درة جوفاء ، قوائمها من الزبرجد

---

(١) البُختيُّ : جمعها بخاتي : وهي الإبل الخراسانية ، وفي رواية البيهقي : وفوق الأعرى .

الأخضر ، عليها الهودج من السندس والإستبرق ، وتمرُّ بك على الصراط كالبرق الخاطف .

فخرج الأعرابي من عند رسول الله ﷺ : فلقيه ألف أعرابي على ألف دابة ، بألف رمح وألف سيف ، فقال لهم : أين تريدون ، فقالوا : نقاتل هذا الذي يكذب ويزعم أنه نبيّ ، فقال الأعرابي : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فقالوا : صبوت ؟ قال : ما صبوت ، وحدثهم الحديث ، فقالوا بأجمعهم : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله .

فبلغ ذلك النبي ﷺ فتلقاهم ، فنزلوا عن ركبهم يقبلون ما ولوا منه[1] وهم يقولون : لا إله إلا الله محمد رسو ل الله ، قالوا : مرنا بأمر تحب يا رسول الله ، قال : تكونون تحت راية خالد بن الوليد ، قال : فليس أحد من العرب آمن منهم ألف رجل إلا من بني سليم[2] .

قال كاتبه : إن الوضع بين على هذا الحديث . قال البيهقي : وروى ذلك في حديث عائشة وأبي هريرة ، وما ذكرناه هو أمثل الإسناد فيه[3] .

---

(١) في (خ) : « منهم » وما أثبتناه من (دلائل أبي نعيم) .

(٢) (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٣٧٦ - ٣٧٩ ، حديث رقم (٢٧٥) (دلائل البيهقي) : ٦ / ٣٦ - ٣٨ ، باب ما جاء في شهادة الضب لنبينا ﷺ بالرسالة ، وما ظهر في ذلك من دلالات النبوة ، وقال البيهقي : قد أخرجه شيخنا أبو عبد الله الحافظ في (المعجزات) ، بالإجازة عن أبي أحمد بن عدي الحافظ ، فقال : كتب إليَّ أبو عبد الله بن عدي الحافظ يذكر أن محمد بن علي بن الوليد السُّلَمي حدثهم ، فذكره وزاد في آخره : قال أبو أحمد : أنبأنا محمد بن علي السلمي ، كان ابن عبد الأعلى يحدث بهذا مقطوعاً ، وحدثنا بطوله من أصل كتابه مع رغيف الوراق . (دلائل البيهقي): ٣٨/٦ .

(٣) المرجع السابق ، وقال الذهبي : محمد بن علي بن الوليد السلميّ البصري ، عن العدني محمد بن أبي عمر ، عن محمد بن عبد الأعلى ، وعنه الطبراني ، وابن عبدي ، روى أبو بكر البيهقي حديث الضب من طريقه بإسناد ضعيف ، ثم قال البيهقي : الحمل فيه على السّلميّ هذا ، قلت : صدق والله البيهقي ؛ فإنه خبر باطل . (ميزان الاعتدال) : ٣ / ٦٥١ ، ترجمة محمد بن عليّ بن الوليد السلميّ ، رقم (٧٩٦٤) .

وقال عليّ القاري : حديث الضبّ وشهادته له عليه الصلاة والسلام ، قيل : إنه موضوع ، وقال المزيّ : لا يصح إسناداً ولا متناً ، لكن رواه البيهقي بسند ضعيف ، وذكره القاضي عياض في (الشفا) ، فغايته الضعف لا الوضع ، (الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة) : ٢٣٨ ، =

وروى عثمان بن أبي شيبة ، من حديث ابن نمير عن مجالد عن ابن عباس رضي الله عنه قال : خرج أعرابي من بني سليم يتبدا في البرية ، فإذا هو بضب فاصطاده ، ثم جعله في كمه ، وجاء إلى النبي ﷺ فناداه : يا محمد ! أنت الساحر ؟ لولا أني أخاف أن قومي يسموني العجول لضربتك بسيفي هذا، فوثب إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليبطش به ، فقال النبي ﷺ : إجلس يا أبا حفص ، فقد كاد الحليم أن يكون نبياً ، ثم التفت رسول الله ﷺ إلى الأعرابي وقال له : أسلم تسلم من النار ، فقال : واللات والعزى لا أؤمن بك حتى يؤمن بك هذا الضب ، ثم رمى الضب عن كمه ، فولى الضب هارباً ، فناداه رسول الله ﷺ : أيها الضب ! أقبل ، فأقبل ، فقال له : من أنا ؟ قال : أنت محمد بن عبد الله ، ثم أنشأ الضب يقول :

ألا يارسول الله إنك صادق فبوركت مهدياً وبوركت هادياَ
شرعت لنا دين الحنيفة بعدما عبدنا كأمثال الحمير الطواغياَ
فيا خير مدعو ويا خير مرسل إلى الجن ثم الإنس لبيك داعياَ
أتيت ببرهان من الله واضح فأصبحت فينا صادق القول واعياَ
فبوركت في الأحوال حياً وميتاً وبوركت مولوداً وبوركت ناشياَ

ثم سكت الضب ، فقال الأعرابي : واعجباً ! ضبا اصطدته من البرِّ ، ثم أتيتُ [به في] كمي ، يكلم محمداً هذا الكلام ، ويشهد له بهذه الشهادة ، أنا لا أطلب أثراً بعد عين ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فأسلم وحسن إسلامه ، ثم التفت النبي ﷺ إلى أصحابه فقال : ألا علّموا الأعرابي سوراً من القرآن[(١)] .

* * *

= حديث رقم (٢٧٢) ، (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) : ١ / ٢٠٤ ، فصل في الآيات في ضروب الحيوانات .

وذكره ابن كثير في (البداية والنهاية) : ٦ / ١٦٥ - ١٦٦ ، وترجم عليه : حديث الضب على ما فيه من النكارة والغرابة !! ، نقلاً عن البيهقي .

(١) لم أجد هذا الخبر بهذه السياقة فيما بين يدي من كتب السيرة .

[رابع وسبعون : سجود الغنم له ﷺ]

وأما سجود الغنم له ، فخرج أبو نعيم من حديث جعفر بن محمد [الفريابي][1] قال : أخبرنا[2] إبراهيم بن العلاء الزبيدي ، حدثنا عباد بن يوسف الكندي ، أخبرنا[2] أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : دخل النبي ﷺ حائطاً للأنصار ، ومعه أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - في رجال من الأنصار ، وفي الحائط غنم فسجدن له ، فقال أبو بكر رضي الله عنه [يا رسول الله كنا][1] نحن أحق بالسجود لك من هذه الغنم ، فقال : إنه لا ينبغي من أمتي أن يسجد أحد لأحد ، لو كان ينبغي أن يسجد أحد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها[3] .

* * *

---

(١) زيادة للنسب من (دلائل البيهقي) .

(٢) في (دلائل البيهقي) : « حدثنا » .

(٣) انفرد به أبو نعيم في (دلائل النبوة) : ٢ / ٣٧٩ ، حديث رقم (٢٧٦) ، وعنه نقله ابن كثير في (البداية والنهاية) : ٦ / ١٥٨ ، وقال : غريب ، وفي إسناده من لا يُعرف . وذكره بمعناه من حديث أنس بن مالك ، القاضي عياض في (الشفا) : ١ / ٢٠٦ ، وعنه نقله القسطلاني في (المواهب اللدنية) : ٢ / ٥٥١ .

[خامس وسبعون : سكون الوحش إجلالاً له ﷺ]

وأما الوحش الذي أحسَّ بالمصطفى ﷺ ، فخرج أبو نعيم من حديث الحسن ابن سفيان ، أخبرنا[1] هشام بن عمارة ، حدثنا عيسى بن يونس عن أبيه ، أنه حدثه عن مجاهد عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان لآل رسول الله ﷺ وحش ، فإذا خرج رسول الله ﷺ قفز ولعب ، فإذا أحسّ برسول الله ﷺ رَبَض[2] .

وخرجه البيهقي من حديث أبي نعيم قال : حدثنا يونس بن أبي إسحق عن مجاهد ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان لأهل رسول الله ﷺ وحش ، فإذا خرج رسول الله ﷺ أقبل وأدبر ، وإذا أحس برسول الله ﷺ ربض فلم يترمرم[3] .

ومن حديث محمد بن فضيل عن يونس ، عن مجاهد عن عائشة قالت : كان لآل رسول الله ﷺ وحش ، فإذا خرج رسول الله ﷺ لعب وذهب وجاء ، فإذا جاء رسول الله ﷺ ربض فلم يترمرم ما دام رسول الله ﷺ في البيت[3] .

قال أبو نعيم : رواه ابن فضيل وعمر بن الهيثم في آخرين ، عن يونس عن مجاهد ، وذكره أيضاً من حديث المعافي بن عمران ، وأبي أحمد الزبير عن يونس عن مجاهد .

* * *

---

(١) (دلائل أبي نعيم) : « حدثنا » .

(٢) (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٣٨٠ ، حديث رقم (٢٧٧) ، ونقله عنه ابن كثير في (البداية والنهاية) : ٦ / ١٦٢ ، وترجم عليه : قصة الوحش الذي كان في بيت النبي ﷺ وكان يحترمه ﷺ ويوقره ويجله ، وقال في آخره : وهذا الإسناد على شرط الصحيح ولم يخرجوه ، وهو حديث مشهور والله أعلم . وأخرجه أيضاً الإمام أحمد في (المسند) : ٧ / ١٦٣ ، حديث رقم (٢٤٢٩٧) ، ٧ / ٢١٥ ، حديث رقم (٢٤٦٤٣) .

(٣) (دلائل البيهقي) : ٦ / ٣١ ، باب ذكر الوحش الذي كان يُقبل ويدبر فإذا أحس برسول الله ﷺ ربض فلم يترمرم . أي سكن ولم يتحرك ، وقال في حاشيته : أخرجه الإمام أحمد في (مسنده) ورواه الهيثمي في (مجمع الزوائد) وعزاه لأحمد ، وأبي يعلي والبزار ، والطبراني في (الأوسط) ، وذكره السيوطي في (الخصائص) عن البيهقي ، وأبي نعيم ، وأحمد - وأبي يعلي ، والبزار ، والدارقطني ، وابن عساكر .

[سادس وسبعون : سجود البعير وشكواه للمصطفى ﷺ]

وأما سجود البعير وشكواه ما به للمصطفى ﷺ ، فخرج أحمد من حديث عفان ، قال : أخبرنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن سعيد بن المسيب عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ كان في نفر من المهاجرين والأنصار ، فجاء بعير فسجد له ، فقال أصحابه : يا رسول الله ! تسجد لك البهائم والشجر ، فنحن أحق أن نسجد لك ، فقال : اعبدوا ربكم وأكرموا أخاكم ، ولو كنتُ آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ، ولو أمرها أن تنتقل من جبل أصفر إلى جبل أسود ، ومن جبل أسود إلى جبل أبيض كان ينبغي لها أن تفعله[1] .

وعن ابن ماجة بعضه بغير هذا السياق[2] . وخرج مسلم في المناقب من حديث مهدي بن ميمون قال : حدثنا محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب ، عن الحسن ابن سعد - مولى الحسن بن علي - عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال : أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه ، فاسرّ إليّ حديثاً لأ أحدّث به أحداً من الناس ، هكذا ذكره مسلم في المناقب ، وذكره في الطهارة[3] .

---

(١) (مسند أحمد) : ٧ / ١١١ - ١١٢ ، حديث رقم (٢٣٩٥٠) ، وسنده في (المسند) : حدثنا عبد الله ، حدثني أبي ، حدثنا عبد الصمد وعفان ، قالا : حدثنا حماد قال عفان : أنبأنا المعنى عن علي بن زيد ، عن سعيد . عن عائشة .

(٢) لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد ... قال في (الزوائد) : في إسناده علي بن زيد وهو ضعيف ، لكن للحديث طرق أُخر . وله شاهدان من حديث طلق بن علي ، رواه الترمذي والنسائي ، ومن حديث أم سلمة ، رواه الترمذي وابن ماجة وفي ابن ماجة : « لكان نولها أن تفعل » أي حقها والذي ينبغي لها .
والحديث في (صحيح ابن ماجة) : ١ / ٣١١ ، كتاب النكاح ، باب (٤) حق الزوج على المرأة ، حديث رقم (١٥٠٢ - ١٨٥٢) ، قال الألباني : ضعيف ، لكن الشطر الأول منه صحيح . (ضعيف سنن ابن ماجة) : ١٤٣ ، كتاب النكاح ، باب (٤) حق الزوج على المرأة ، حديث رقم (٤٠٦ - ١٨٥٢) .

(٣) (مسلم بشرح النووي) : ٤ / ٢٧٤ - ٢٧٥ ، كتاب (٣) الحيض ، باب (٢٠) ما يستتر به لقضاء الحاجة ، حديث رقم (٧٩) ، ١٥ / ٢٠٦ - ٢٠٧ ، كتاب (٤٤) فضائل الصحابة باب (١١) فضائل عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما ، حديث رقم (٦٨) ، وتمامه : وكان أحبَّ ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته هدفٌ أوحائش نخل ، قال ابن أسماء في حديثه : يعني حائط نخل .

وخرجه أبو داود وزاد فيه : وكان أحب ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته هدف أو حايش نخل ، بعد هذا قال : فدخل حائطاً لرجل من الأنصار فإذا فيه جمل ، فلما رأى النبي ﷺ حَنَّ وذرفت عيناه ، قال : فأتاه النبي ﷺ و مسح سراته إلى سنامه وذفراه فسكن ، فقال : من ربّ هذا الجمل ؟ لمن هذا الجمل ؟ فجاء فتى من الأنصار فقال : لي يا رسول الله ، قال : أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها ؟ فإنه قد شكى إليّ أنك تجيعه وتُدْئِبُهُ . ذكره أبو داود في باب : ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم[1] .

وخرج أبو بكر بن أبي شيبة ، من حديث أبي نمير قال : حدثنا الأجلح عن [الدربال] بن حرمة ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ من سفر ، حتى إذا دفعنا إلى حائط من حيطان بني النجار ، إذا جمل قطم - يعني هائجاً - لا يدخل الحائط أحد عليه .

قال : فجاء النبي ﷺ حتى أتى الحائط فدعى البعير فجاء واضعاً مشفره في الأرض حتى بَركَ بين يديه ، فقال النبي ﷺ : هاتوا خطاماً فخطمه ، ودفعه إلى أصحابه ، ثم التفت إلى الناس ، وقال : إنه ليس بين السماء والأرض إلا يعلم أني رسول الله غير عاصي الجن والإنس .

وخرجه الإمام أحمد من حديث مصعب بن سلام قال : حدثنا الأجلح .. فذكره . وخرجه أحمد بن عمرو بن أحمد بن عبد الخالق البزار قال : حدثنا محمد بن المستنير الكندي ، أخبرنا الوليد بن القثم ، أخبرنا الأجلح عن أبي الزبير ، عن جابر[2] .

قال أبو نعيم : ورواه شريك [بن عبد الله][3] بن أبي نمر عن جابر قال : خرجنا في غزوة ذات الرقاع ثم أقبلنا حتى إذا كنا بمهبط من الحرة أقبل جمل يرقل[4] حتى برك بين يدي رسول الله ﷺ ومد جرانه[5] .. فذكره[6] .

---

(١) (سنن أبي داود) : ٣ / ٥٠ ، كتاب (٩) الجهاد ، باب (٤٧) ما يُؤمر به من القيام على الدواب والبهائم ، حديث رقم (٢٥٤٩) .

(٢) (مسند أحمد) : ١ / ٣٣٥ ؛ حديث رقم (١٧٤٨) .

(٣) زيادة للنسب من أبي نعيم .

(٤) في (دلائل أبي نعيم) : « يَرْقُدُ » ، وارقدّ بتشديد الدال : أسرع ، وأما رواية (خ) ، كما في مجمع الزوائد : « يرقل » أي يعدو .

(٥) الجران من البعير : مقدم العنق .

(٦) (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٣٨١ ، حديث رقم (٢٨٠) ، وقد أخرجه الطبراني في الأوسط ، مطولاً والبزار مختصراً .

وخرجه أبو نعيم من حديث أبي بكر بن عياش عن الأجلح عن الذَّيال بن حرملة . عن ابن عباس رضي الله عنه قال : جاء قوم إلى النبي ﷺ فقالوا : إن بعيراً لنا قطن في حائط لنا قد غلبنا ، فجاء إليه النبي ﷺ فقال : تعالى ، فجاء مطأطئاً رأسه حتى خطمه النبي ﷺ وأعطاه أصحابه ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله ! كأنه علم أنك نبي ، فقال ما بين لابتيها أحد إلا يعلم أني نبي ، إلا كفرة الجن والإنس[١] . قال : كذا في كتاب (الذيال) عن ابن عباس ، والحديث مشهور بالذيال عن جابر[٢] .

وخرج من حديث أبي بكر بن أبي شيبة قال : حدثنا عبد الله بن موسى ، أخبرنا[٣] إسماعيل بن عبد الملك ، عن أبي الزبير عن جابر قال : خرجت مع رسول الله ﷺ في سفر ، ثم سرنا ورسول الله بيننا كأنما على رءوسنا الطير تظلنا ، فإذا جمل نادّ[٤] ، حتى إذا كان بين السماطين[٥] خرَّ ساجداً فجلس رسول الله ﷺ عليه ثم قال [على الناس][٦] : من صاحب هذا الجمل ؟ فإذا فتية من الأنصار فقالوا : هو لنا يا رسول الله ، قال : فما شأنه ؟ قالوا : أسنينا[٧] عليه منذ عشرين سنة فكانت به شحيمة[٨] ، فأردنا أن ننحره فيقسم[٩] بين غلماننا فانفلت عنا ، قال : تبيعونيه ؟ قالوا : لا ، بل هو لك يا رسول الله ، قال : أما لا ، فأحسنوا

---

(١) (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٣٨٠ - ٣٨١ ، حديث رقم (٢٧٩) ، (مسند أحمد) : ٤ / ٢٤٨ ، حديث رقم (١٣٩٢٣) ، لكن بسياقة أخرى قريبة ، وهي رواية جابر بن عبد الله ، (البداية والنهاية) : ٦ / ١٥٠ ، برواية ابن عباس وقال : هذا من هذا الوجه عن ابن عباس غريب جداً ، والأشبه رواية الإمام أحمد عن جابر ، إلا أن يكون الأجلح قد رواه عن الذيال عن جابر ، (دلائل البيهقي) : ٦ / ٣٠ ، باب ذكر البعير الذي سجد للنبي ﷺ ، وأطاع أهله بعد ما امتنع عليهم ببركته ، وذكر رواية ابن عباس .

(٢) انظر تعليق رقم (١) . وقطن : أقام .

(٣) في (دلائل أبي نعيم) : « حدثنا » .

(٤) ندَّ البعير : نفر وذهب شارداً .

(٥) السماط : الصف . (٦) زيادة للسياق من (أبي نعيم) .

(٧) (في أبي نعيم) : « أسنيناه » ، أي هو عندنا نستقي عليه منذ عشرين سنة .

(٨) الشحيمة : السمنة . (٩) في (أبي نعيم) : « فنقسمه » .

إليه حتى يأتيه أجله[1] .

ومن حديث الحسن بن بشر ، حدثنا أبي عن إسماعيل بن عبد الملك ، عن أبي الزبير عن جابر قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في سرية ، ورسول الله فينا وكأنما على رءوسنا الطير ، فأقبلنا حتى إذا ساوينا المدينة فإذا بعير مقبل فجاء يضرب بنفسه الأرض بين يدي رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ [أيكم صاحب] هذا البعير ؟ فقام فتية من الأنصار فقالوا : نحن يا رسول الله ، قال : إن بعيركم هذا يشكوكم ، يزعم أنكم استعملتموه شاباً حتى إذا كبر أردتم نحره .

فقالوا : يا رسول الله ! إن فيه شحيمة فأردنا أن نقسمها [بين رعائنا] ، قال : فتبيعونيه ؟ قالوا : لا ، بل هو لك يا رسول الله ، فقلنا : هذا البعير يا رسول الله سجد لك ، فنحن أحق أن نسجد لك ، فقال : لا ينبغي لأحد أن يسجد لأحد ، ولو أمرت بذلك لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها[2] .

وخرج من حديث يحيى بن بكير قال : حدثني الليث بن سعد ، عن [ابن][3] الهاد عن ثعلبة بن أبي مالك[4] قال : اشترى إنسان من بني سلمة جملاً

---

(١) (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٣٨١ - ٣٨٢ ، حديث رقم (٢٨١) ، (دلائل البيهقي) : ٦ / ١٨ ، باب ذكر المعجزات الثلاث التي شهدهن جابر بن عبد الله الأنصاري وغيره في الشجرتين ، والصبي ، والجمل ، وما كان في كل واحدة منهن من آثار النبوة ، وزاد فيه : قالوا : يا رسول الله نحن أحق أن نسجد لك من البهائم ، فقال رسول الله ﷺ : لا ينبغي لبشر أن يسجد لبشر ولو كان ذلك كان النساء لأزواجهن ، ابن كثير في (البداية والنهاية) : ٦ / ١٥٥ - ١٥٦ ، وقال في آخره : وهذا إسناد جيد ، ورجاله ثقات ، (سنن أبي داود) : ١ / ١٤ ، كتاب الطهارة باب (١) التخلي عند قضاء الحاجة ، حديث رقم (٢) ، ذكره مختصراً جداً ، ولم يذكر فيه قصة سجود الجمل ، (سنن ابن ماجة) : ١ / ١٢١ ، كتاب الطهارة وسننها ، باب (٢٢) التباعد للبزار في الفضاء ، حديث رقم (٣٣٥) ، ذكره مختصراً جداً ، ولم ينكر فيه قصة سجود الجمل ، أما مطولاً ، فقد ذكره الهيثمي في (مجمع الزوائد) : ٩ / ٧ - ٨ ، لكن باختلاف يسير ، عن جابر ، وقال : في الصحيح بعضه ، ورواه الطبراني والبزار مختصراً .

(٢) لم أجده بهذه السياقة ، ولكن أحاديث الباب تشهد له .

(٣) زيادة للسياق من (أبي نعيم) .

(٤) ثعلبة بن مالك : تابعيّ ثقة ، حديثه مرسل ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وترجمته في (تهذيب التهذيب) : ٢ / ٢٢ - ٢٣ ، ترجمة رقم (٣٩) ، (الإصابة) : ١ / ٤٠٧ ، ترجمة رقم (٩٥٣) .

ينضح عليه ، فأدخله في مربد[1] فجرد كيما يحمل عليه ، فلم يقدر أحد أن يدخل عليه إلا يخبطه ، فجاء رسول الله ﷺ فذكر ذلك له ، فقال : افتحوا عنه ، فقالوا : إنا نخشى عليك يا رسول الله [منه][2] ، فقال : افتحوا عنه ، ففتحوا ، فلما رآه الجمل خرّ ساجداً فسبح[3] القوم وقالوا : يارسول الله ! نحن كنا أحق بالسجود من هذه البهيمة ، قال : لو ينبغي لشيء من الخلق أن يسجد لشيء دون الله ، لانْبَغَى[4] للمرأة أن تسجد لزوجها[5] .

وخرج من طريق [ابن] أبي شيبة ، وأحمد بن حنبل قالا : حدثنا عبد الله ابن نمير ، حدثنا عثمان بن حكيم قال : حدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز عن يعلي ابن مرة قال : رأيت من النبي ﷺ ثلاثاً ما رآهن أحد قبلي ولا يراها أحد بعدي ، قال : كنت معه ذات يوم حتى جاء جمل فضرب بجرانه بين يديه ثم ذرفت عيناه فقال : انظر [ ] لمن هذا الجمل إن له لشأناً ، قال : فخرجت فالتمست صاحبه فوجدته لرجل من الأنصار ، فدعوته إليه فقال : ما شأن جملك هذا ؟ قال : وما شأنه ؟ قال : لا أدري ما شأنه ؟ قال : عملنا عليه ونضحنا حتى عجز عن السقاية ، فأتمرنا البارحة أن ننحره ونقسم لحمهُ ، قال : فلا تفعل ، هبه لي أو بعنيه ، قال : بل هو لك يا رسول الله ، فوسمه سمة الصدقة ، ثم بعث به[6] .

ومن حديث أحمد ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر عن عطاء بن السائب ، عن عبد الله بن حفص ، عن يعلي بن مرة الثقفي قال : ثلاثة أشياء رأيتهن من رسول الله ﷺ : بينا نحن نسير معه إذ مررنا ببعير يُسن[7] عليه ، فلما رآه البعير جرجر[8] ووضع جرانه ، فوقف عليه النبي ﷺ فقال : أين صاحب هذا البعير ؟ فجاء ، فقال : بعنيه ، فقال : لا بل أهبه ، فقال : لا ، بل بعنيه ، قال : لا بل أهبه لك ،

---

(١) المربد : مكان جلوس الإبل . (٢) زيادة في (خ) . (٣) في (خ) : « فضج » .

(٤) في (أبي نعيم) : « ينبغي » وما أثبتناه من (خ) .

(٥) (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٣٨٢ ، حديث رقم (٢٨٢) ، ونقله عنه السيوطي في (الخصائص) : ٢ / ٢٥٧ .

(٦) (مسند أحمد) : ٥ / ١٧٠ - ١٧١ ، حديث رقم (١٧٠٩٧) ، وابن كثير في (البداية والنهاية) : ٦ / ١٥٣ - ١٥٤ ، وما بين الحاصرتين بياض بالأصل (خ) .

(٧) يُسنى : يُستقى عليه . (٨) جرجر : ردَّد صوته في حنجرته.

وإنه لأهل بيت ما لهم معيشة غيره ، قال : أما [إذ][1] ذكرت هذا من أمره ، فإنه شكا كثرة العمل وقلّة العلف ، فأحسنوا إليه[2] .

وخرجه من حديث حجاج بن منهال وهدبة بن خالد قالا : حدثنا حماد بن سلمة عن عطاء عن يعلي قال : رأيت من النبي ﷺ شيئاً لم يره أحد إلا من كان معي : كنا في سفر حتى إذا كنا بمكان كذا وكذا ، جاء بعير فجرجر ، فقال رسول الله ﷺ : هل تدرون ما يقول ؟ قلنا : وما قال ؟ قال : شكا أهله ، فبعث رسول الله ﷺ إلى أهله فقال : أتبيعونيه ؟ قالوا : نهبه لك ، ثم قال : أتبيعونيه ؟ قالوا : بل نهبه لك - مرتين أو ثلاثاً - قلنا : مالنا غيره ، قال رسول الله ﷺ : فافعلوا به معروفاً - أو قال : خيراً .

وخرجه من حديث شريك ، عن عمر بن عبد الله بن يعلي بن مرة ، عن أبيبه عن جده قال : رأيت من النبي ﷺ ثلاثة أشياء ما رأها أحد قبلي : كنت معه في طريق مكة : فمر عليه بعيرٌ مادٌ جرانه ، فقال : عليّ بصاحب هذا ، فجيء به فقال : هذا يقول : نتجت عندهم فاستعملوني ، حتى إذا كبرت عندهم أرادوا أن ينحروني ، ثم قال رسول الله ﷺ : ما من شيء إلا يعلم أني رسول الله ، إلا كفرة أو فسقة الجن والإنس[3] .

---

(١) زيادة للسياق من أبي نعيم .

(٢) (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٣٨٢ - ٣٨٣ ، حديث رقم (٢٨٣) ، وأخرجه الإمام أحمد والبيهقي وابن كثير بالرواية التامة ، وذكروا فيها الأشياء الثلاثة (مسند أحمد) : ٥ / ١٨٣ ، حديث رقم (١٧١١٥) ، ورجاله رجال الصحيح ، (دلائل البيهقي) : ٦ / ٢٢ - ٢٤ باب ذكر المعجزات الثلاث التي شهدهن جابر بن عبد الله الأنصاري وغيره في الشجرتين ، والصبي ، والجمل ، وما كان في كل واحدة منهن من آثار النبوة ، وذلك بروايتين ثم قال : الرواية الأولى عن يعلي بن مرة في أمر الشجرتين أصح ، لموافقتها رواية جابر بن عبد الله الأنصاري ، إلا أن يكون أمر الشجرة في هذه الرواية حكاية عن واقعة أخرى ، (البداية والنهاية) : ٦ / ١٥٢ ، رواية يعلي بن مرة الثقفي من طريق أخرى عنه .

(٣) ذكره البيهقي مطولاً في (دلائل النبوة) : ٦ / ٢٢ - ٢٣ ، ونقله عنه ابن كثير في (البداية والنهاية) : ٦ / ١٥٤ ، (سنن الدارمي) : ١ / ١١ ، (المستدرك) : ٢ / ٦٧٤ - ٦٧٥ ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه الصياغة ، وقال الذهبي في (التلخيص) : صحيح ، أبو نعيم في (دلائل النبوة) : ٢ / ٣٨٠ - ٣٨١ ، حديث رقم (٢٧٩) لكن بسياقة أخرى .

وخرجه من حديث الأعمش ، عن المنهال بن عمرو قال : حدثني ابن يعلي عن مرة عن أبيه . ومن حديث وكيع قال : حدثنا الأعمش عن المنهال بن عمرو عن يعلي بن مرة . وقال وكيع : مرة عن أبيه . ومن حديث يحيى بن سليم عن عبد الله بن عثمان بن خيثم ، عن يونس بن حراب ، عن يعلي بن مرة ، فذكره وقال : رواه الثوري والعرزمي [عن أبي الزبير] نحوه[1] .

وحدث مطلب بن زيادة قال : حدثنا عمر بن عبيد الله بن يعلي بن مرة حكاية ، كذا عن يعلي بن [مرة قال] : خرج النبي ﷺ يوماً فجاء بعير يرغو حتى سجد له ، فقال المسلمون : نحن أحق أن نسجد للنبي ﷺ ، فقال : لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ، أتدرون ما يقول هذا ؟ زعم أنه خدم مواليه أربعين سنة ، حتى إذا كبر أنقصوا من علفه وزادوا في عمله ، حتى إذا كان لهم عرس أخذوا الشِّفار لينحروه ، فأرسل إلى مواليه فقصَّ عليهم ، فقالوا : صدق يا رسول الله ، قال إني أحب أن تدعوه لي فتركوه[2] .

وخرجه من حديث علياء بن أحمر ، عن علي عن عبد الله بن بريدة ، أن رجلاً من الأنصار أتى النبي ﷺ وقال : يا رسول الله ، إن لنا جملاً [شارد] في الدار وليس أحد منا يستطيع أن يقربه أو يدير أنفه ، فقام معه النبي ﷺ وقمنا معه ، فأتى ذلك الباب ففتحه ، فلما رآه الجمل جاء إليه فسجد له ، ووضع جرانه فأخذ النبي ﷺ برأسه فمسحه ، ثم دعا بالخطام فخطمه ، ثم دفعه إلى أصحابه ، فقال له أبو بكر رضي الله عنه : قد عرفك يا رسول الله أنك نبي ، والله إنك رسول الله ، فقال : إنه ليس من شيء إلا يعرف أني رسول الله غير كفرة الجن والإنس[3] .

---

(١) (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٣٨٣ ، حديث رقم (٢٨٤) ، والسيوطي في (الخصائص) : ٢ / ٢٥٨ ، وفيه عمر بن عبد الله بن يعلي بن مرة ، ضعّفه أحمد ، ويحيى ، والنسائي ، وقال الدرقطني : متروك .

(٢) انظر هامش رقم (٣) في الصفحة السابقة .

(٣) نحوه باختلاف ألفاظ في (سنن الدارمي) : ١ / ١١ ، في روايته عن الأجلح عن الذيال بن حرملة : « إلا عاصي الجن والإنس » . وما بين الحاصرتين زيادة للسياق من كتب السيرة ، ونحوه باختلاف يسير في (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٣٨٠ - ٣٨١ حديث رقم (٢٧٩) وقد سبق الإشارة إليه .

ومن حديث مُعلَّى[1] بن منصور قال : حدثني شبيب بن شيبة قال : حدثني بشر بن عاصم ، عن غيلان بن سلمة الثقفي قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فرأينا عجباً ، من ذلك : أنا مضينا فنزلنا منزلاً فجاء رجل فقال : يا نبي الله ! إنه كان لي حائط فيه عيشي وعيش عيالي ، ولي فيه ناضحان فاغتلما عليَّ[2] ، فمعناني أنفسهما وحائطي وما فيه ، فلا يقدر أحد أن يدنو منهما ، فنهض نبي الله ﷺ بأصحابه حتى أتى الحائط ، فقال لصاحبه : افتح ، فقال : يا نبي الله ! أمرهما أعظم من ذلك ، قال افتح ، فلما حرك الباب أقبلا لهما جلبة كحفيف الريح ، فلما انفرج الباب ، ونظرا إلى النبي ﷺ بركا ثم سجدا .

فأخذ نبي الله ﷺ برءوسهما ، ثم دفعهما إلى صاحبهما ، فقال : [استعملهما][3] وأحسن علفهما ، فقال القوم : يا نبي الله ! تسجد لك البهائم ؟ فبلاء الله عندنا بك أحسن حين هدانا من الضلاله ، واستنقذنا بك من الهلكة[4] ، أفلا تأذن [لنا][3] في السجود لك ؟ فقال النبي ﷺ : إن السجود ليس إلا للحي الذي لا يموت ، ولو كنت آمراً أحداً من هذه الأمة بالسجود لأحد ، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها[5] .

ومن حديث النضر بن شميل ، حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل حائطاً من حوائط الأنصار ، فإذا

---

(١) في (خ) : « يعْلي » ، وصوبناه من هامش أبي نعيم و (الإصابة) وغيرهما .

(٢) اغتلما عليّ : تمردا عليّ . (٣) زيادة للسياق من أبي نعيم .

(٤) كذا في (خ) وفي أبي نعيم : « من المهالك » .

(٥) (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٣٨٣ - ٣٨٤ ، حديث رقم (٢٨٥) ، وأخرجه الطبراني ، وفيه شبيب ابن شيبة بن عبد الله بن عمرو بن الأهتم ، واسمه سنان بن شمر بن سنان بن خالد بن منقر التميمي المنقري الأهتمي ، أبو معمر البصري الخطيب . قال الدوري عن ابن معين : ليس بثقة ، وقال أبو زرعة أبو حاتم : ليس بالقوي ، وقال أبو داود : ليس بشيء ، وقال النسائي والدارقطني والبرقاني : ضعيف . وقال صالح بن محمد البغدادي : صالح الحديث ، وقال الساجي : صدوق يُتَّهَم ، وقال ابن المبارك : خذوا عنه فإنه أشرف من أن يكذب ... ، له ترجمة في (تهذيب التهذيب) : ٤ / ٢٧٠ ، ترجمة رقم (٥٣٥) ، (الكامل في ضعفاء الرجال) : ٤ / ٣١ - ٣٢ ، ترجمة رقم (١٢ / ٨٩٢) ، (تاريخ بغداد) : ٩ / ٢٧٤ ، ترجمة رقم (٤٨٣٦) .

فيه جملان يصرمان ويواعدان ، فاقترب رسول الله ﷺ منهما فوضعا جرانيهما بالأرض ، فقال من معه : نسجد له ؟ فقال رسول الله ﷺ : ما ينبغي لأحد [أن] يسجد لأحد ، ولو كان أحد ينبغي أن يسجد لأحد ، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ، لما عظّم الله تعالى عليها من حقه[1] .

ومن حديث خلف بن خليفة ، عن حفص بن أخي أنس - وهو حفص بن عمر بن عبد الله بن أبي طلحة - عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : كان أهل بيت من الأنصار ، وإنه كان لهم جمل يسنون عليه ، وإن الجمل استصعب عليهم ومنعهم ظهره ، فجاءت الأنصار إلى النبي ﷺ فقالوا : يا رسول الله ! إنه كان لنا جمل نسنى عليه ، وإنه قد استصعب علينا ، ومنعنا ظهره ، وقد يبس النخل والزرع ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : قوموا .

فقاموا معه ، فجاء إلى الحائط ، والجمل قائم في ناحية ، فجاء يمشي نحوه ، فقالوا : يا رسول الله ! إنه صار مثل الكلْب [الكلِب][2] ، وإنا نخاف عليك صولته ، فقال ﷺ : ليس عليّ منه بأس ، فجاء الجمل يمشي حتى خرَّ ساجداً بين يديه ﷺ ، فقال أصحابه : هذه بهيمة لا تعقل ، ونحن نعقل ، فنحن أحق أن نسجد لك ، فقال رسول الله ﷺ : إنه لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ، من عِظَمِ حقِّه عليها[3] ، [والذي نفسي بيده ، لو كان من قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تنبجس بالقيح والصديد ، ثم استقبلته فلحسته ، ما أدت حقَّه][4] .

وخرجه من حديث سلام بن أبي الصهباء ، عن أبي الظلال قال : حدثني أنس ابن مالك أن رجلاً من الأنصار كان له بعير قد شرد عليه ، فأتى النبي ﷺ ، فقال :

---

(١) ذكره ابن كثير بسياقة أخرى وسند آخر عن ابن عباس في (البداية والنهاية) : ٦ / ١٥٠ ، وقال في آخره : هذا إسناد غريب ومتن غريب .

(٢) زيادة للسياق من (المسند) ، (البداية والنهاية) .

(٣) (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٣٨٥ ، حديث رقم (٢٨٧) ، (مسند أحمد) : ٣ / ٦٣٣ ، حديث رقم (١٢٢٠٣) ، (البداية والنهاية) : ٦ / ١٤٩ ، باب ما يتعلق بالحيوانات من دلائل النبوَّة : قصة البعير النادّ وسجوده له ﷺ ، وشكواه إليه .

(٤) زيادة للسياق من (المسند) ، (دلائل البيهقي) : ٦ / ٢٩ بسياقة أخرى وسند آخر .

يا رسول الله ، إن لي بعيراً قد شرد عليّ وهو في أقصى أرضي ، وأنا لا أستطيع أن أدنو منه خشية أن يتناولني ، فقال رسول الله ﷺ : انطلقوا بنا إليه .

فلما مشى الأنصاريُّ هنيهة ، استرجع ثم قال : ما صنعت يا رسول الله ؟ أخاف عليك البعير . قال : فبينما هم يمشون إذ قال رسول الله ﷺ : كلا يا فلان ، إن لو قد رآني رأيتَ منه ، فلما دخل رسول الله ﷺ الأرض ودخلوا ، مشى رسول الله ﷺ إذ نظر البعير إليه ، فأقبل يحمحم ، فألقى بجرانه حتى برك عند رسول الله ﷺ ، وجعلتْ عيناه تسيلان ، فقال ﷺ ، يا فلان ! بعيرك يشكوك فأحسن إليه ، فجاء بحبل فألقاه في رايته ثم قال : ها دونك أحسن إليه[(١)] .

وخرجه من حديث مكي ، حدثنا فائد أبو الورقاء عن عبد الله بن أبي أوفى قال : بينما نحن قعود مع رسول الله ﷺ ، إذ أتاه آت فقال : يا رسول الله ! ناضح [آل فلان][(٢)] قد أتى عليهم ، فنهض رسول الله ﷺ ونهضنا معه فقلنا : يا رسول الله ! لا تقربه فإنا نخافه عليك ، فدنا رسول الله ﷺ من البعير ، فلما رآه البعير سجد له ، ثم إن رسول الله ﷺ وضع يده على رأس البعير فقال : هات الشفار ، فجيء بالشفار فوضعه في رأسه .

فقال رسول الله ﷺ : ادعوا [إليّ صاحبَ البعير][(٢)] فدُعي ، فقال له أصحابه : يا رسول الله ! بهيمة من البهائم تسجد لتعظيم حقك ؟ فنحن أحق أن نسجد لك ، قال : لا ، لو كنت آمراً أحداً من أمتي أن يسجد بعضهم لبعض ، لأمرت النساء أن يَسجدن لأزواجهن[(٣)] .

ومن حديث العمري وسفيان الثوري – كلاهما عن أبي الزبير عن جابر – قال : كنا مع رسول الله ﷺ نسير ، إذا أقبل بعير فسجد لرسول الله ﷺ ثم

---

(١) لم أجده بهذه السياقة ، وله شواهد من أحاديث الباب .

(٢) زيادة يقتضيها السياق من (دلائل أبي نعيم) .

(٣) (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٣٨٤ ، حديث رقم (٢٨٦) ، وعنه نقله السيوطي في (الخصائص) ٢ / ٢٥٥ ، (دلائل البيهقي) : ٦ / ٢٩ ، وفيه فائد أبو الورقاء : قال البخاري : منكر الحديث ، وتركه أحمد ، وقال ابن عدي : مع ضعفه يكتب حديثه .

دلك جرانه بالأرض وأرخى عينيه وبكى وجرجر ، فقال رسول الله ﷺ : أتدرون ما يقول هذا البعير ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال يزعم أنه كان لبني سلمة بكراً صغيراً يحتطبون عليه وينتضحون عليه ، فلما كبرت سنه ورقَّ عظمه ، أرادوا أن ينحروه على عروس لهم .

فقال رسول الله ﷺ إبغوني بعض بني سلمة ، فإذا رجل منهم قد أقبل ، فقال : لمن هذا البعير ؟ فقال الرجل : لي يا رسول الله ، قال : ومتى كان لك ؟ قال : كان لي بكراً صغيراً ، قال : فما كنت تعمل عليه ؟ قال : كنا نحتطب وننتضح عليه ، قال : فما أردتم به ؟ قال : أردنا أن ننحره على عروس لنا ، فقال رسول الله ﷺ : بعنيه ، فقال : لا ، بل هو لك يا رسول الله ، فردَّد عليه : بعنيه ، فقال : هو لك يا رسول الله ، قال : فإني قد قبلته على أن تعمل عليه ما كنت تعمل عليه أولاً فيما خلا ، قال : نعم .

فأخذ برأسه وولى ، فقلنا : يا رسول الله ! هذه بهيمة تسجد لك ، فنحن أحق بالسجود ، فقال : لا ينبغي لأحدأن يسجد لأحد ، ولو كان ينبغي لأحد أن يسجد لأحد من دون الله لسجدت المرأة لزوجها لما له عليها من الفضل[1] .

وخرج البيهقي من حديث عفان بن مسلم ، حدثنا حماد بن سلمة قال : سمعت شيخاً من قيس يحدث عن أبيه أنه قال : جاءنا رسول الله ﷺ وعندنا بَكْرَةٌ صعبة لا يُقْدَرُ عليها ، قال : فدنا منها رسول الله ﷺ فمسح ضرعها ، فحفل فاحتلب فشرب[2] .

ومن حديث يونس بن بكير ، عن إسماعيل بن عبد الملك ، عن أبي [الزبير][3] عن جابر قال : خرجت مع النبي ﷺ في سفرٍ ، وكان رسول الله

---

(١) ذكره أبو نعيم مختصراً عن يعلي بن مرة ، وفيه عمر بن عبد الله بن يعلي بن مرة : ضعفه أحمد ويحيى والنسائي ، وقال الدارقطني : متروك ، (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٣٨٣ ، حديث رقم (٢٨٤) .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٦ / ٢٩ ، باب ذكر البعير الذي سجد للنبي ﷺ و أطاع أهله بعد ما امتنع عليهم ببركته ، ونقله السيوطي عنه في (الخصائص) : ٢ / ٥٧ .

(٣) زيادة يقتضيها السياق من البيهقي .

ﷺ إذا أراد البِراز تباعد حتى لا يراه أحد ، فنزلنا منزلاً بفلاةٍ من الأرض ليس فيها علم ولا شجر ، فقال لي : يا جابر ، خذ الأداوة وانطلق بنا ، فملأت الأداوة ماءاً [فانطلقنا](١) فمشينا حتى لا نكاد نُرى ، فإذا شجرتان بينهما أذرع ، فقال رسول الله ﷺ ، يا جابر ، انطلق فقل لهذه الشجرة : يقول لك رسول الله : ألحقي بصاحبتك حتى أجلس خلفكما ، [ففعلت فرجعت](١) حتى لحقت بصاحبتها ، فجلس خلفهما حتى قضى حاجته .

ثم رجعنا فركبنا رواحلنا ، فسرنا كأنما علينا الطير تظلنا ، فإذا نحن بامرأة قد عرضت لرسول الله ﷺ ، معها صبي تحمله فقالت : يا رسول الله ! إنَّ ابني هذا يأخذه الشيطان ثلاث مرات كل يوم لا يدعه ، فوقف [رسول الله ﷺ](١) فتناوله فجعله بينه وبين مقدمة الرَّحْل ، فقال [رسول الله ﷺ](١) : اخْسأْ عدوَّ الله ، أنا رسول الله ، وأعاد ذلك ثلاث مرات ثم ناولها إياه .

فلما رجعنا فكنا بذلك الماء ، عرضت لنا المرأة معها كبشان تقودهما ، والصبي تحمله ، فقالت : يا رسول الله ! [اقبل من هديتي](١) ، فوالذي بعثك بالحق إن عاد إليه بعد ، فقال رسول الله ﷺ : خذوا أحدهما منها وردّوا الآخر .

ثم سرنا ، ورسول الله ﷺ ، بيننا ، فجاء جملٌ نادٌّ ، فلما كان بين السماطين خرَّ ساجداً ، فقال رسول الله ﷺ : أيها الناس ، من صاحب هذا الجمل ؟ فقال فتية من الأنصار : هو لنا يا رسول الله ، قال : فما شأنه ؟ قالوا : سَنَوْنَا عليه منذ عشرين سنة ، فلما كبرت سنُّه وكانت عليه شحيمة [و](٢) أردنا نحره لنقسمه بين غِلْمَتِنَا ، فقال رسول الله ﷺ : تبيعونيه ؟ فقالوا : يا رسول الله ، هو لك ، قال : فأحسنوا إليه حتى يأتيه أجله – قالوا : يا رسول الله : نحن أحق أن نسجد لك من البهائم ، فقال : لا ينبغي لأحدٍ(٣) أن يسجد لأحد(٣) ، ولو كان ذلك لكان النساء لأزواجهن(٤) .

---

(١) زيادة يقتضيها السياق من البيهقي . (٢) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي) .

(٣) في المرجع السابق : « لبشر » .

(٤) (دلائل البيهقي) : ٦ / ١٨ – ١٩ ، باب ذكر المعجزات الثلاث التي شهدن جابر بن عبد الله الأنصاري وغيره ، في الشجرتين ، والصبي ، والجمل ، وما كان في كل واحد منهن من آثار النبوة ، وأخرجه ابن كثير في (البداية والنهاية) : ٦ / ١٥٥ – ١٥٦ ، وقال في آخره : وهذا إسناد جيد =

وخرج من حديث زمعة بن صالح ، عن زياد عن أبي الزبير ، أنه سمع يونس ابن خَبَّاب الكوفي يحدث : أنه سمع أبا عبيدة يحدث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ ، أنه كان في سفر إلى مكة ، فذهب إلى الغائط – وكان يبعد حتى لا يراه أحد – قال : فلم يجد شيئاً يتوارى به ، فَبَصُر بشجرتين ... ، فذكر قصة الشجرتين وقصة الجمل بنحوٍ من حديث جابر .

قال البيهقي : وحديث جابر أصحُّ ، وهذه الرواية ينفرد بها زمعة بن صالح عن زياد ، أظنه ابن سعدٍ عن أبي الزبير[1]

رجاله ثقات . وبهذا الإسناد أخرجه أبو داود في أول كتاب الطهارة مختصراً ، وابن ماجه في كتاب الطهارة باب (٢٢) التباعد للبراز في الفضاء ، حديث رقم (٣٣٥) مختصراً أيضاً .

أما مطولاً ، فقد ذكره الهيثمي في (مجمع الزوائد) : ٩ / ٧ – ٨ ، باختلاف يسير عن جابر ، وقال : في الصحيح بعضه ، ورواه الطبراني والبزّار باختصار كثير .

والخبر يبدو أن به نقصاً في آخره في قصة سجود الجمل له ﷺ ، ذكرها الهيثمي عن أنس بن مالك قال : وعن ابن عباس قال : جاء قوم إلى رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله ، إن لنا بعيراً فطم في حائط ، فجاء إليه النبي ﷺ فقال : تعال ، فجاء مطأطأً رأسه حتى خطمه وأعطاه أصحابه ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله ! كأنه علم أنك نبي ، فقال رسول الله ﷺ : ما بين لابتيها أحد إلا يعلم أني نبي ، إلا كفرة الجن والإنس . رواه الطبراني ، وورجاله ثقات ، و في بعضهم ضعف ، (دلائل البيهقي) : ٦ / ١٩ « هامش » .

وعن ابن عباس ، أن رجلاً من الأنصار كان له فحلان فاغتلما ، فأدخلهما حائطاً ، فسدَّ عليهما الباب ، ثم جاء النبي ﷺ ، فأراد أن يدعو له والنبي ﷺ قاعد مع نفرٍ من الأنصار ، فقال : يا نبي الله ، إني جئتُ في حاجة ، وإن فحلين لي اغتلما ، وإني أدخلتهما حائطاً وسددتُ عليهما الباب ، فأحب أن تدعو لي أن يسخرهما الله لي ، فقال لأصحابه : قوموا معنا ، فذهب حتى أتى الباب فقال : افتح ، فأشفق الرجل على النبي ﷺ ، قال : افتح ، ففتح الباب ، فإذا أحد الفحلين قريب من الباب ، فلما رأى النبي ﷺ سجد له ، فقال النبي ﷺ : ائتني بشيء أشدُّ برأسه وأمكنك منه ، فجاء بخطام فشدَّ رأسه وأمكنه منه ، ثم مشى إلى أقصى الحائط إلى الفحل الآخر ، فلما رآه وقع له ساجداً ، فقال للرجل : ائتني بشيء أشدّ رأسه ، فشدَّ رأسه وأمكنه منه ، ثم قال : اذهب فإنهما لا يعصيانك ، فلما رأى أصحاب النبي ذلك قالوا : هذان فحلان لا يعقلان سجدا لك ! أفلا نسجد لك ؟ قال : لا آمر أحداً أن يسجد لأحد ، ولو أمرت أحداً يسجد لأحد ، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها . رواه الطبراني ، وفيه أبو عزَّة الدباغ ، وثَّقه ابن حبان ، واسمه الحكم بن طهمان ، وبقية رجاله ثقات . (المرجع السابق) : ٦ / ٢٠ .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٦ / ٢٠ ، وذكره الهيثمي في (مجمع الزوائد) ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار بنحوه ، إلا أنه قال : في غزوة حنين وزاد فيه : ثم أصاب الناس عطش شديد=

وخرج من حديث يونس بن بكير عن الأعمش عن المنهال بن عمرو ، عن يعلي بن مرة عن أبيه قال : سافرت مع رسول الله ﷺ سفراً فرأينا منه أشياء عجباً :

نزلنا منزلاً فقال : انطلق إلى هاتين الأشائتين فقل : إن رسول الله يقول لكما : أن تجتمعا ، فانطلقتُ فقلتُ لهما ذلك ، فانتزعت كل واحدة منهما من أصلها ، فنزلت كل واحدة إلى صاحبتها فالتفتا جميعاً ، فقضى رسول الله ﷺ حاجته من ورائهما ثم قال : انطلق فقل لهما : [فلتعد] كل واحدة إلى مكانها ، فأتيتهما فقلت لهما ذلك ، فنزلت كل واحدة حتى عادت إلى مكانها .

وأتته امرأة فقالت : إن ابني هذا به لمم منذ سبع سنين ، يأخذه في كل يوم مرتين ، فقال رسول الله ﷺ : أدنيه ، فأَدْنَتْهُ منه ، فتفل في فيه وقال : أُخرج عدوّ الله ، أنا رسول الله ، ثم قال لها ﷺ : إذا رجعنا فأعلمينا ما صنع .

فلما رجع رسول الله ﷺ استقبلته ومعه كبشان وأَقِطٌ وسمن ، فقال لي رسول الله ﷺ : خذ هذا الكبش ، فأخذ منه ما أراد ، فقالت : والذي أكرمك ما رأيناه به شيئاً منذ فارقتنا . ثم أتاه بعير فقام بين يديه فرأى عينيه تدمعان ، فبعث إلى أصحابه فقال : ما لبعيركم ، هذا يشكوكم ؟ فقالوا : كنا نعمل عليه فلما كبر وذهب عمله تواعدنا لننحره غداً ، فقال : لا تنحروه واجعلوه في الإبل يكون فيها[1] .

وخرجه من حديث وكيع عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن يعلى بن مرة عن أبيه قال : رأيت من رسول الله ﷺ ثلاثة أشياء ... ، فذكر الحديث ،

= فقال لي : يا عبد الله ، التمس لي ماءً ، فأتيتُهُ بفضل ماء وجدته في إداوة ، فأخذه فصبه في ركوة ، ثم وضع يده فيها وسمَّى ، فجعل الماء يتحادر من بين أصابعه ، فشرب الناس وتوضَّأُوا ما شاؤا . ورواه البزار بنحوه ، وفي إسناد الأوسط زمعة بن صالح ، وقد وُثِّق على ضعفه ، وبقية رجاله حديثهم حسن وأسانيد الطريقين ضعيفة .

(1) (دلائل البيهقي) : ٦ / ٢٠ - ٢١ ، ذكره الهيثمي في (مجمع الزوائد) : ٩ / ٦ ، وقال : رواه أحمد بإسنادين ، والطبراني بنحوه ، وأحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح ، (مسند أحمد) : ٦ / ١٨٢ - ١٨٣ ، حديث رقم (١٧١١٣) ، (١٧١١٤) ، (١٧١١٥) ، (١٧١١٧) ، بسياقات مختلفة ، كلها من حديث يعلي بن مرة الثقفي .

يعنى رواية يونس ، إلا أنه زاد : خذ أحد الكبشين ورد الآخر ، وخذ السمن والأَقِطَ[1] .

قال البيهقى : مُرة أبو يعلى هو مُرة بن أبى مُرة الثقفى ، وقيل فيه عن يعلى نفسه أنه قال : رأيت .... ، فذكر من طريق وكيع عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن يعلى بن مرة قال : رأيت من النبى ﷺ عجباً : خرجت معه فى سفر ، فنزلنا منزلاً فأتته امرأة بصبى لها به لمم ، فقال رسول الله ﷺ : أخرج عدوّ الله ، أنا رسول الله ، قال :فبرأ ، فلما رجعنا جاءت أم الغلام بكبشين وشيء من أقِط وسمن ، فقال النبى ﷺ : يايعلى ، خذ أحد الكبشين ورد عليها الآخر ، وخذ السمن والأقط ، قال : ففعلت[2] .

قال البيهقى : هذا الأصح ، والأول وَهَم . قاله البخارى : يعنى روايته عن أبيه وَهَمٌ ، إنما هو عن يعلى نفسه ، وَهَم فيه وكيع مرَّة ، ورواه على الصحة مَرَّة .

قال البيهقى : وقد وافقة فيما زعم البخارى أنه وهم يونس بن بكير ، فيحتمل أن يكون الوَهَم عن الأعمش . والله أعلم[2] .

وذكرالبيهقي من طرق ثم قال : ولما روينا من حديث يعلى بن مرة فى أمر البعير الذى شكى إلى النبى ﷺ حاله بإسناد صحيح ، وكأنه غير البعير الذى أرادوا نحره ، والله أعلم[3].

---

(١) (المرجع السابق) :٦ / ٢٢ ، (مجمع الزوائد) : ٩ / ٥ ــ ٦ ، والحاكم فى (المستدرك) : ٢ / ٦٧٤ ــ ٦٧٥ ، حديث رقم (٤٢٣٢ / ٢٤٢) .

(٢) (المرجع السابق) : ٦ / ٢٢ . (٣) (المرجع السابق) ٦ / ٢٦ .

قال الحافظ ابن كثير : وقد اعتنى الحافظ أبو نعيم بحديث البعير فى كتابه (دلائل النبوة) ، وطرقه من وجوه كثيرة . (البداية والنهاية) : ٦ / ١٥٥ .

وقال الحافظ أبو نعيم فى (دلائل النبوة) : فيما تضمنت هذه الأخبار من الآيات والدلائل الواضحة ، من سجودهن ، وشكايتهن ، وما فى معناه ، ليس يخلو من أحد أمرين :

إما أن يكون رسول الله ﷺ أُعْطِيَ علماً بنغم هذه البهائم وشكايتهن ، كما أُعطى سليمان عليه السلام علماً بمنطق الطير ، فذلك له آية كما كان نظيرها لسليمان عليه السلام ، أو أنه عَلِمَ ذلك بالوحى ، وأى ذلك كان فيه أعجوبة ، وآية ومعجزة .

فإن اعترض بعض الطاعنين فزعم أن فيه قسماً ثالثاً ، وهو أنه استدلّ بالحال على سوء إمساكهم ، قيل : هذا محتمل ، لكن الاستدلال لا يُعلم به أن صاحب البهيمة رجل من بنى فلان ، وأنه استعملها كذا سنة ، وأنه يريد لينحرها للعرس ، فإن ذلك لا يصل إليه بالاستدلال بالحال ، فهذا قسم باطل . (دلائل أبى نعيم) : ٢ / ٣٨٦ .

[سابع وسبعون : مخاطبة الناقة له ﷺ]

وأما مخاطبة الناقة له ﷺ ، فخرج الحاكم من حديث يحى بن عبدالله المصرى ، حدثنا عبد الرزاق عن معمر [عن][1] الزهرى ، عن سالم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، قال : كنا جلوساً حول رسول الله ﷺ إذ دخل عليه أعرابى جهورى [الصوت][2]بدوىٌّ يمانىٌّ على ناقة حمراء ، فأناخ بباب المسجد ، فدخل فسلم [على النبى ﷺ] ثم قعد ثم قضى نَحبهُ ، قالوا : يارسول الله إن الناقة التى تحت الأعرابى سرقه ، قال :أَثَمَّ بَيِّنَةٌ ؟ قالوا : نعم يارسول الله ، قال : ياعلى ، خذ حق الله من الأعرابى إن قامت عليه البينة ، وإن لم تقم فردَّه إلّى .

قال فأطرق الأعرابى ساعة ، فقال له النبى ﷺ : قم ياأعرابى لأمر الله وإلا فأدل بحجتك ، فقالت الناقة من خلف الباب : والذى بعثك بالكرامة يارسول الله ! إنَّ هذا ماسرقنى وما يملكنى أحد سواه ، فقال له النبى ﷺ : ياأعرابى ! بالذى أنطقها بعذرك ما الذى قلت ؟ قال : قلت : اللهم إنك لست برب استحدثناك ، ولا معك إله أعانك على خلقنا ، ولا معك رب فَنَشُكُّ فى ربوبيتك ، أنت ربنا كما تقول ، وفوق ما يقول القائلون ، أسألك أن تُصلى على محمدوأن ترينى براءتى[3] ، فقال له النبىُّ ﷺ والذى بعثنى بالكرامة ياأعرابى ، لقد رأيت الملائكة يبتدرون أفواه الأزقة يكتبون مقالتك ، فأكثر الصلاة علّى[4] . قال الحاكم : رواةُ هذا الحديث عن آخرهم ثقات ، ويحى بين عبدالله المصرى هذا ، لست أعرفه

---

(١) زيادة للسياق من (المستدرك) .

(٢) ليست فى المرجع السابق .

(٣) كذا فى (خ) . وفى المرجع السابق : « أن تبرئنى ببراءتى » .

(٤) (المستدرك) : ٢ / ٦٧٦ ، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين ، فصل : ومن كتاب آيات رسول الله ﷺ التى هى دلائل النبوة ، حديث رقم (٤٢٣٦ / ٢٤٦) . وقال الذهبى فى (التلخيص) بعد أن ساق جزءاً من الخبر : وذكر باق الخبر وهو كذب ، قال الحاكم : رواة هذا الحديث ثقات ، ويحى لست أعرفه بعدالةولاجرح ، قلت : هو الذى اختلقه .

قال محققه : يحى بن عبدالله بن بكير القرش المخزومى ، مولاهم أبو زكرياء ، المصرى الحافظ =

أعرفه بعدالة ولاجرح .

= وقد ينسب إلى جده . روى عن مالك والليث وبكر بن مُضر ، وحماد بن زيد ، وعبدالله بن سويد المصرى ، وعبد الله بن لهيعة ومغيرة بن عبد الرحمن الحزامى ، ويعقوب بن عبد الرحمن القارىء وعبد العزيز الدراوردى وعون بن سليمان القاضى ، ومفضل بن فضالة ، وضمرة بن ربيعة ، وجماعة .

روى عنه البخارى ، وروى مسلم وابن ماجه له بواسطة محمد بن عبد الله هو الذهلى ، ومحمد بن عبد الله بن نمير ، ومحمد بن إسحاق الصغانى ، وسهل بن زنجلة ، وحرملة بن يحى ، وأبو زرعة الرازى ، وأبو عبيد القاسم بن سلام ، ومات قبله ابنه عبد الملك بن يحى بن بكير ، ويحى بن معين ، ودحيم ويونس ابن عبد الأعلى الصدفى ، وبقى بن مخلد ، وإسماعيل سمويه ، ويحى بن أيوب بن بادى العلاف ، ومحمد ابن إبراهيم البوشنجى ، وأبو على الحسن بن الفرج الغزى وآخرون .

قال أبو حاتم : يكتب حديثه ولا يحتج به ، وكان يفهم فى هذا الشأن ، وقال النسائى : ضعيف ، وقال فى موضع آخر : ليس بثقة . وذكره ابن حبان فى الثقات . قال ابن حجر فى (تهذيب التهذيب) : وقال أبو داود : سمعت يحى بن معين يقول : أبو صالح أكثر كتباً ، ويحى بن بكير أحفظ منه . وقال الساجى : قال ابن معين : سمع يحى بن بكير الموطا بعرض حبيب كاتب الليث ، وكان شرَّ عرض ، كان يقرأ على مالك خطوط الناس ، ويصفح ورقتين ثلاثة ، وقال يحى : سألنى عنه أهل مصر فقلت : ليس بشئ .

وقال الساجى : هو صدوق ، روى عن الليث فأكثر ، وقال ابن عدى : كان جار الليث بن سعد ، وهو أثبت الناس فيه ، وعنده عن الليث ماليس عند أحد . وقال مسلمة بن قاسم : تكلم فيه ، لأن سماعه من مالك إنما كان بعرض حبيب . وقال الخليلى : كان ثقة ، وتفرد عن مالك بأحاديث . وقال البخارى فى تاريخه الصغير : ماروى ابن بكير عن أهل الحجاز، فى التاريخ فإنى أنفيه . وقال ابن قانع : مصرى ثقة . له ترجمة فى (تهذيب التهذيب) : ١١ / ٢٠٨ ، ترجمة رقم (٣٨٨) ، (الجرح والتعديل) : ٩ / ١٦٥ ، ترجمة رقم (٦٨٢) ، (المغنى فى الضعفاء) :٢ /٧٣٩ ، ترجمة رقم (٧٠٠٥) ، (لسان الميزان) : ٦ / ٢٣٢٥ ترجمة رقم (٩٢ / ٩١٦٦) ، وقال : شيخ مصرى عن عبد الرزاق ، فذكر حديثا باطلاً بيقين فلعله افتراه ، والحديث المذكور أورده الحاكم فى (المستدرك) فى علامات النبوة ... وهذا موضوع على الإسناد المذكور ، (ميزان الاعتدال) : ٤ / ٣٩١ ، ترجمة رقم (٩٥٦٤) .

[ثامن وسبعون : ازدلاف البُدْن إلى المصطفى ﷺ ليبدأ بنحرهنَّ]

وأما ازدلاف البدن إلى المصطفى ليبدأ بنحرهن ، فخرج أبو نعيم من حديث أبي عاصم النبيل ، ويحى بن سعيد القطان ، عن نور بن يزيد ، عن راشد بن سعد ، عن عبد الله بن يحى ، عن عبد الله بن قرط قال : قال رسول الله ﷺ : أفضل الأيام عند الله يوم النحر ، ثم يوم القر [يستقر فيه الناس — وهو الذى يلى يوم النحر] وقدم إلى رسول الله ﷺ فيه بدنات خمس أو ست فطفقن يزدلفن إليه بأيتهن يبدأ بها فلما وجبت جنوبها قال رسول الله ﷺ كلمةً خفيفةً لم أفهمها ، فقلت للذى إلى جنبى ، ما قال ؟ قال : من شاء اقتطع[1] .

وخرجه الحاكم من حديث مسدد ، حدثنا يحى عن ثور به نحوه ، ثم قال : هذا حديث صحيح الإسناد[2] .

قال أبو نعيم : فما تضمنت هذه الأخبار من الآيات والدلائل الواضحة من سجود الإبل وشكايتهن وازدلافهن وما فى معناه ، لايخلو من أحد أمرين : إما أن يكون رسول الله ﷺ أعطى علما [بمنطق] هذه البهائم وشكايتهن كما أعطى سليمان عليه السلام علماً بمنطق الطير ، فذلك له آية كما كان يُظهرها لسليمان آية ، أو علم ذلك بالوحى ، وأى ذلك كان ، ففيه أعجوبة [وآية] ومعجزة .

فإن اعترض بعض الطاعنين فزعم أن فيه قسماً ثالثا وهو أنه ﷺ استدل بالحال على سوء إمساكهم ، قيل : هذا يحتمل ، ولكن الاستدلال لايعلم به أن صاحب البهيمة رجل من بنى فلان ، وأنه استعملها [كذا] سنة ، وأنه مريد لنحرها ، فإن ذلك لا يتوصل إليه بالاستدلال ، فهذا القسم باطل ، وأحد الأولين ثابت صحيح ، والله أعلم ، حسبنا الله تعالى ونعم الوكيل ، والحمد لله[3] .

* * *

---

(١) لم أجده فى (دلائل أبى نعيم) .

(٢) (المستدرك) : ٤ / ٢٤٦ ، كتاب الأضاحى ، حديث رقم (٣٥٢٢ / ٦) ، ومابين الحاصرتين زياده من (خ) ، وقال الحاكم : « أعظم الأيام » ، وقال عنه الذهبى فى (التلخيص) : صحيح .

(٣) (دلائل أبى نعيم) : ٢ / ٣٨٦ ، عقب الحديث رقم (٢٨٧) .

[تاسع وسبعون : مخاطبة الحمار له ﷺ]

وأما مخاطبة الحمار له ، فخرج أبو نعيم من حديث إبراهيم بن سويد الجدوعى قال : حدثنى عبدالله بن أذينة الطائى ، عن ثَوْرٍ بن يزيد ، عن خالد بن معدان ، عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال :

أتى النبىَّ ﷺ وهو بخيبر حمار أسود فوقف بين يديه فقال : من أنت ؟ قال : أنا عمرو بن فلان ، كنا سبعة إخوة . كُلّنَا رَكِبَناَ الأنبياء عليهم السلام ، وأنا أصغرهم وكنتُ لك ، فملكنى رجل من اليهود ، فكنتُ إذا ذكرتُك كبوتُ به فيوجعنى ضرباً ، فقال النبى ﷺ : فأنت يَعْفور[1] .

* * *

(١) (دلائل أبى نعيم) : ٢ / ٣٨٦ ــ ٣٨٧ ، حديث رقم (٢٨٨) ، وقد انفرد به أبونعيم ،قال الحافظ ابن كثير : وقد أنكره غير واحد من الحفاظ الكبار ، فقال أبو محمد بن عبدالله بن حامد : أخبرنا أبو الحسن أحمد بن حمدان السحركى ، حدثنا عمر بن محمد بن بجير ، حدثنا أبو جعفر محمد بن يزيد ــ إملاءً ــ أنبأنا أبو عبدالله محمد بن عقبة بن أبى الصهباء ، حدثنا أبو حذيفة عن عبدالله بن حبيب الهذلىّ ، عن أبى عبد الرحمن السلمى ، عن أبى منظور قال : لما فتح الله على نبيه ﷺ خيبر ، أصابه من سهمه أربعة أزواج بغال ، وأربعة أزواج خفاف ، وعشر أواق ذهب وفضة ، وحمار أسود ، ومكتل ، قال : فكلم النبىُّ ﷺ الحمار فكلمه الحمار ، فقال له : ما اسمك ؟ قال : يزيد بن شهاب ، أخرج الله من نَسْلِ جدى ستين حماراً ، كلهم لم يركبهم إلا نبى ، لم يبق من نسل جدى غيرى ، ولا من الأنبياء غيرك ، وقد كنتُ قبلك لرجل يهودىّ ، وكنتُ أعثر به عمداً ، وكان يجيع بطنى ويضرب ظهرى ، فقال النبى ﷺ : سميتك يعفور يايعفور ، قال لبيك ، قال تشتهى الإناث ؟ قال : لا ، فكان النبى ﷺ يركبه لحاجته ، فإذا نزل عنه بعث به إلى باب الرجل ، فيأتى الباب فيقرعه برأسه ، فإذا خرج إليه صاحب الدار ، أومأ إليه أن أجب رسول الله ﷺ ، فلما قُبض النبى ﷺ ، جاء إلى بئر كانت لأبى الهيثم بن التيهان فتردى فيها ، فصارت قبره ، جزعاً منه على رسول الله ﷺ . (البداية والنهاية) : ٦ / ١٦٦ ــ ١٦٧ باب حديث الحمار . ويعفور : على وزن عُصْفور : اسم ولد الظبى ، وسمى به لسرعته .

قال ابن الجوزى : هذا حديث موضوع . فلعن الله واضعه ، فإنه لم يقصد إلا القدح فى الإسلام ، والاستهزاء به . قال أبو حاتم بن حبان : لا أصل لهذا الحديث ، واسناده ليس بشىء ، ولا يجوز الاحتجاج بمحمد بن يزيد . (الموضوعات) : ١ / ٢٩٣ ، باب تكليم حماره يعفور له .

قال القسطلانى : ومن ذلك حديث الحمار : أخرج ابن عساكر عن أبى منظور قال ، لما فتح رسول الله ﷺ خيبر ، أصاب حماراً أسود ... ثم ذكر الحديث ، وقال : لكن الحديث مطعون فيه =

[ثمانون : نسج العنكبوت على الغار]

وأما نسج العنكبوت على الغار ، فخرج أبو نعيم من حديث عبدالرزاق قال :أخبرنا معمر قال : أخبرنى عثمان الجَزْرِىّ ، أن مقسماً مولى ابن الحارث[1] أخبره عن ابن عباس رضى الله عنه فى قوله تعالى : ﴿ **وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ...** ﴾[2] الآية .

قال : فتشاورت قريش بمكة فقال بعضهم : إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق ـــ يريدون رسول الله ﷺ ـــ وقال بعضهم : بل اقتلوه ، وقال بعضهم : بل أخرجوه .

فأطلع الله نبيه على ذلك ، فبات علىّ رضى الله عنه على فراش رسول الله ﷺ تلك الليلة ، وخرج النبى ﷺ : حتى لحق بالغار ، وبات المشركون يحرسون علياً ـــ يحسبون أنه النبى ﷺ .

= (المواهب اللدنية) : ٢ / ٥٥٤ .

قال الزرقاني في شرحه على (المواهب) : لا أصل له . (شرح الزرقاني على المواهب اللدنية) : ٨ / ٢٩٧ .

وقال كمال الدين الدميرى بعد قصة الحمار هذه : قال الإمام الحافظ أبو موسى : هذا حديث منكر جداً ، إسناداً ، ومتناً ، لايحل لأحد أن يرويه إلا مع كلامى عليه . (حياة الحيوان الكبرى) : ١ / ٣١٩ .

وقال الذهبى : عبد الله بن أذينه ، عن ثور بن يزيد ، قال ابن حبان : حدثنا حمزة بن داود ، حدثنا إسماعيل بن عيسي بن زاذان الأيلى ، حدثنا عبد الله بن أذينة بنسخة لايحلّ ذكرها إلاعلى سبيل القدح ... (ميزان الاعتدال) : ٢ / ٣٩١ ترجمة رقم (٤٢٠٤) ترجمة عبدالله بن أذينة .

وقال ابن عدى : هو عبدالله بن عطارد بن أذينة الطائىّ ، بصرىّ منكر الحديث ، وقال الأزدى : قال أبو زكريا فى (تاريخ أهل الموصل) : قال خضر بن حسَّان : أتيتُ علىَّ بن حرب أسأله عن ابن أذينة فضعَّفه . وقال الحاكم : والنقاش : روى أحاديث موضوعة ، وقال الدار قطنى : متروك الحديث . (لسان الميزان) : ٣ / ٣٢١ ، ترجمة رقم (١٣١ / ٤٤٨٢) ، (الكامل فى ضعفاء الرجال) : ٤ / ٢١٤ ، ترجمة رقم (٥٤ / ١٠٢١) .

(١) هذه الكلمة مطموسة فى (خ) ، وأثبتناها من (تهذيب التهذيب) : ١٠ / ٢٥٦ ترجمة (٥٠٩) ، مِقْسَم بن بجرة ، ويقال : ابن نجدة ، أبو القاسم ، ويقال : أبو العباس للزومه له .

(٢) سورة الأنفال الآية : ٣٠ .

فلما أصبحوا ثاروا إليه ، فلما رأوه علياً ردَّ الله مكرهم فقالوا : أين صاحبك ؟ قال : لا أدرى ، فاقتفوا[1] أثره ، فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم الأمر ، فصعدوا فى الجبل فمروا بالغار ، فرأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا : لو دخل ها هنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه ، فمكث فيه[1] ثلاثاً[2] .

وخرج من طريق الواقدى قال : فحدثنى موسى بن محمد بن إبراهيم عن أبيه قال : لما فقدت قريش النبى ﷺ ، طلبوه بمكة فى أعلاها وأسفلها ، وبعثوا إلى قائفين[3] يتبعان أثره : أحدهما كرز بن علقمة ، والآخر رجل من خزاعة ، فذهب الخزاعى قبل حراء أو ثور . ، وذهب كرز بن علقمة فأصاب أثره قبل ثور ، فلم يزل عليه يتبعه ، فلما انتهوا إلى ثور انقطع أثره ومعه جماعة .

قال : وكان رسول الله ﷺ حين دخل الغار ، ضرب العنكبوت على بابه بعشاش بعضها على بعض ، فلما انتهوا إلى الغار قال قائل منهم : أدخل الغار ، فقال أمية بن خلف : وما أربكم إلى الغار ؟ إن عليه لعنكبوت كان قبل ميلاد [محمد] ، ثم قام فبال فى صدع الغار حتى سال بوله بين يدى النبى ﷺ وأبى بكر رضى الله عنه ، فنهى النبى ﷺ يومئذ عن قتل العنكبوت وقال : إنها جند من جنود الله .

وقال أبو جهل : أما والله إنى لأ حسبه قريباً يرانا ، ولكن بعض سحره قد أخذ على أبصارنا ، فانصرفوا ، ورجع اليهم الخزاعى بين ثور وحراء[4] .

* * *

---

(١) كذا فى (خ) ، وفى ابن كثير : « فاقتصوا » ، « ثلاث ليال » .

(٢) (تفسير ابن كثير) : ٢ / ٣١٤ — ٣١٦ ، تفسير سورة الأنفال .

(٣) هم قُصَّاص الأثر .

وقال ابن كثير بعد أن ذكره : وهذا إسناد حسن ، وهو من أجود ماروى فى قصة نسج العنكبوت على فم الغار ، وذلك من حماية الله لرسوله ﷺ ، (البداية والنهاية) : ٣ / ٢٢١.

(٤) لم أجده بهذه السياقة ، لكن أحاديث الباب تشهد له .

[حادى وثمانون : وقوف الحمام بفم الغار ، وقيام شجرة على باب الغار]

وأما وقوف الحمام بفم الغار ، وقيام شجرة على باب الغار ، فخرج الأئمة : أبو نعيم والبيهقى وغيرهما من حديث مسلم بن إبراهيم قال : حدثنا عون بن عمر القيسي قال : سمعت أبا مصعب المكى يقول : أدركتُ أنس بن مالك وزيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة رضى الله عنهم ، فسمعتهم يحدثون أن النبى ﷺ ليلة الغار ، أمر الله سبحانه وتعالى شجرة فنبتت فى وجه النبى ﷺ فسترته ، وأمر الله سبحانه العنكبوت فنسجت فى وجه النبى ﷺ فسترته ، وأمر الله حمامتين وحشيتين فوقفتا بفم الغار .

وأقبل فتيان قريش من كل بطن رجل ، بعصيّهم وهروائهم وسيوفهم ، حتى إذا كانوا من النبى ﷺ قدر أربعين ذراعاً ، فعجل بعضهم لينظر فى الغار ، فرأى حمامتين بفم الغار ، فعرفت أنه ليس فيه أحد ، فسمع النبى ﷺ ماقال ، فعلم أن الله عزَّ وجلَّ درأهم عنه بهما ، فدعا لهما النبى ﷺ وسمَّت عليهن وفرض جزاءهن ، وانحدرن إلى الحرم ، وأفرخ ذلك الزوج كل شيء فى الحرم(١) .

يُشعر قوله : وأفرخ ذلك الزوج كل شيء فى الحرم ، أن حمام الحرم كله من هذا الزوج ، وفيه نظر ، فإنه روى فى قصة نوح عليه السلام : أنه بعث الحمامة من السفينة لتأتيه بخبر الأرض ، فوقعت بوادى الحرة ، فإذا الماء قد نضب من موضع الكعبة ، وكانت طينتها حمراء فأخضبت رجليها ثم جاءته ، فمسح عنقها [وطوقها]

---

(١) (عيون الأثر) : ١ /١٨٢ ، حديث الغار ، (طبقات ابن سعد) : ١ / ٢٢٨ ـــ٢٢٩ ، ذكر خروج رسول الله ﷺ وأبى بكر رضى الله عنه إلى المدنية ، عن مسلم بن إبراهيم بسنده وفيه زياده قصة العنكبوت ، (دلائل أبى نعيم) : ٢ / ٣٢٥ ، باب ومما ظهر من الآيات فى مخرجه إلى المدينة ، وفى طريقه ﷺ ، حديث رقم (٢٢٩) ، (دلائل البيهقى) : ٢ / ٤٨١ ـــ ٤٨٢ ، وقال ابن كثير فى (السيرة) : ١ / ٢٤٠ : رواه ابن عساكر عن طريق يحى بن محمد بن صاعد ، عن عمرو بن على ، عن عمرو بن عون ، فذكره ثم قال : هذا حديث غريب جداً من هذا الوجه .

ووهب لها الحمرة فى رجليها وأسكنها الحرم ، ودعا لها بالبركة . وفى شعر الحارث ابن فنحاص الذى أوله :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا   أنيسٌ ولم يسمر بمكه سامر
ويبكى لبيت ليس يؤذَى حمامه   تظل به أمناً وفيه العصافر

ففى هذا أن الحمام كانت فى الحرم من عهد جُرْهُم .

وقال ابن عائذ : أخبرنى الوليد قال : أخبرنى طلحة بن عمرو عن عطاء بن أبي رباح قال : خرجتْ عليهم من البحر فوجاً فوجاً ، قال : فسألت طلحة : أى طير هو ؟ قال : سمعت أشياخنا يقولون : حمام الحرم بقية منه ، يعنى بقية من الطير الأبابيل التى أرسلها الله على أصحاب الفيل .

وخرج أبو نعيم من حديث الحكم بن عيينة ، عن مقسم عن [ابن عباس] رضى الله عنه قال : لما خرج رسول الله ﷺ من الليل فلحق بغار ثور ، قال : وتبعه أبو بكر رضى الله عنه ، فلما سمع رسول الله حسَّه خلفه ، خاف أن يكون الطلب ، فلما رأى أبو بكر رضى الله عنه تنحنح ، فلما سمع رسول الله ﷺ عرفه ، فقام له حتى تبعه ، فأتيا الغار فأصبحت قريش في طلبه ، فبعثوا إلى رجل قافة من بني مدلج فتبع الأثر حتى انتهى إلى الغار وعلى بابه شجرة ، فبال فى أصلها القائف ثم قال : ماجاز صاحبكم الذى تطلبون هذا المكان .

قال : فعند ذلك حزن أبو بكر رضى الله عنه ، فقال له رسول لله ﷺ : ﴿ **لاتحزن إن الله معنا** ﴾ ، قال : فمكث هو وأبو بكر فى الغار يختلف إليهما بالطعام عامر بن فهيرة ، وعلّى رضى الله عنه يجهزهم[(١)] .

ومن طريق الواقدى قال : فحدثنى موسى بن محمد عن أبيه قال : لما دخل رسول الله ﷺ الغار ، دعا شجرة كانت أمام الغار ، فقال : ائتينى ، فأقبلت حتى وقفت على باب الغار ، فقامت على باب الغار وهم يطوفون بالجبل ، فأقبل بعضهم فبال [مستقبل باب] الغار ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : مانراه يرانا ، فقال

---

(١) لم أجده عند أبى نعيم .

رسول الله ﷺ : لورآنا ما استقبلنا بفرجه[1] ، [سيعيننا الله عليهم] .

قال : فكان الذى بال عقبة بن أبى معيط ، قال : فلم يلق أحد من الجزع بخروج رسول الله مالقى الخبيث أبو جهل ، وبعث منادياً ينادى أسفل مكة وأعلاها : من جاء بمحمد فله مائة بعير أو دل عليه ، أو جاء بابن أبى قحافة أو دلّ عليه فله مائة بعير .

* * *

(١) (فتح البارى) : ٧ / ١٤ ، كتاب فضائل أصحاب النبى ﷺ ، باب مناتب المهاجرين وفضلهم منهم : أبو بكر عبد الله بن أبى قحافة التيمى رضى الله تعالى عنه ، حديث رقم (٣٦٥٢) تعليقاً ، نقلاً عن (السير للواقدى) : وما بين الحاصيرتين زيادة من (خ) ، (المطالب العالية) : ٤ / ٢٠٦ ، باب هجرة النبى ﷺ إلى المدينة حديث رقم (٤٢٩٢) ، وقال فيه : « لم يستقبلنا بعورته » وعزاه الأبى يعلى ، (كنز العمال) : ١٦ / ٦٦١ ، كتاب الهجرتين من قسم الأفعال حديث رقم (٤٦٢٨٠) وأشار إلى ضعفه .

[ثانى وثمانون : وقوف الحية له وسلامها عليه ﷺ]

وأما وقوف الحية له وسلامها عليه ﷺ ، فقال الواقدى فى كتاب المغازي — وقد ذكر غزوة تبوك —: قالوا : وعارض الناس فى مسيرهم حية ذُكر من عِظَمها وخَلْقها وانصاع الناسُ عنها ، فأقبلت حتى واقفت رسول الله ﷺ وهو على راحلته طويلاً والناس ينظرون إليها ، ثم التوت حتى اعتزلت الطريق ، فقامت قائمة .

فأقبل الناس حتى لحقوا برسول الله ﷺ فقال لهم : هل تدرون من هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ! قال : فإن هذا أحد الرهط الثمانية من الجن الذين وفدوا يستمعون القرآن[1] ، فرأى عليه من الحق حين ألَمَّ رسول الله ﷺ ببلده أن يسلم عليه ، وها هو [ذا][2]يقرئكم السلام فسلِّموا عليه ، فقال الناس جميعاً . وعليه السلام ورحمة الله ، يقول رسول الله ﷺ أجيبوا[3] عباد الله من كانوا[4] .

* * *

(١) كذا فى (خ) ، وفى (مغازى الواقدى) : « الذين يريدون أن يسمعوا القرآن » .
(٢) ما بين الحاصرتين زيادة من المرجع السابق .
(٣) فى (خ) : « أحبوا » ، وما أثبتناه من المرجع السابق .
(٤) (مغازى الواقدى) : ٣ / ١٠١٥ .

[ثالث وثمانون : شكوى الحمّرة حالها للمصطفى ﷺ لما فجعت بفرخيها]

وأما شكوى الحمرة[1] حالها للمصطفى ﷺ لما فجعت بفرخيها ، فخرج أبو داود من حديث الحسن بن سعد عن عبد الرحمن بن عبدالله بن مسعود ، عن عبد الله قال : كنا مع النبى ﷺ فى سفر ، فدخل رجل غيضه[2] فأخرج بيضة حمرة ، فجاءت الحمرة ترفرف على رأس رسول الله ﷺ وأصحابه ، فقال : أيكم فجع هذه ؟ فقال رجل من القوم : أنا أخذت بيضتها ، فقال : [رُدَّه رحمة][3] لها[4] .

وخرجه البخارى فى الأدب المفرد ولفظه : عن عبد الله أن النبى ﷺ نزل منزلاً ، فأخذ رجل بيض حمرة فجاءت ترفرف على رأس رسول لله ﷺ ، فقال : أيكم فجع هذه ببيضتها ؟ فقال رجل : أنا يارسول الله أخذت بيضتها ، فقال النبى : اردده رحمة لها[4] .

وخرجه البيهقى من حديث أبى معاوية ، عن أبى إسحق الشيبانى ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال : كنا مع النبى ﷺ فى سفر ، فمررنا بشجرة فيها فرخا حمرة ، فأخذناهما ، فجاءت الحمرة إلى النبى ﷺ وهى تعرض ، فقال : من فجع هذه بفرخيها ؟ قال : فقلنا : نحن ، قال ردوهما ، قال : فرددناهما

---

(١) الحُمَّرَةُ والحُمَرةُ : طائر من العصافير ، وفى (الصحاح) : الحُمَّرَةُ ضربٌ من الطير كالعصافير ، وجمعها الحُمَرُ والحُمَّرُ ، والتشديد أعلى . وفى الحديث :نزلنا مع رسول الله ﷺ فجاءت حُمَّرَة ؛ هى بضم الحاء وتشديد الميم وقد تخفف : طائر صغير كالعصفور . (القاموس) ٤ / ٢١٤ ــ ٢١٥ .

(٢) الغَيْضَةُ : مغيضُ ماء يجتمع فينبت فيه الشجر ، وفى حديث عمر رضى الله تعالى عنه : لا تُنزلوا المسلمين الغياض ، والغياض جمع غَيْضة ، وهى الشجر الملتف ، لأنهم إذا نزلوها تفرقوا فيها فتمكَّن منهم العدو . قال ابن الأثير : الغابة غيضة ذات شجر كثير . وهى على تسعة أميال من المدينة (المرجع السابق) : ٧ / ٢٠٢ .

(٣) زيادة للسياق من كتب السيرة .

(٤) (صحيح سنن أبى داود) : ٢ / ٥٠٨ ، باب (١٢٢) فى كراهية حرق العدو بالنار ، حديث رقم (٢٦٧٥) وقال الألبانى : وأخرجه أيضا فى كتاب الأدب بنفس الإسناد السابق ، حديث رقم (٥٢٦٨) ، وقال الألبانى : صحيح . (صحيح سنن أبى داود) : ٣ / ٩٨٨ ، باب (١٧٦) فى قتل الذرّ .

إلى مواضعهما . قال البيهقى : كذا فى كتابى : تعرض ، وقال غيره : تفرش ، يعنى تقرب إلى الأرض وترفرف بجناحيها[1] .

وخرجه الحاكم من حديث عثمان بن أبى شيبة ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا أبو إسحق الشيبانى ، حدثنا الحسين بن سعد عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه فذكره قريباً منه ثم قال : حديث صحيح الإسناد[2] .

وقال الواقدى — وقد ذكر غزوة ذات الرقاع — : فكان جابر بن عبد الله رضى الله عنه يقول : إنا لمع النبى ﷺ إذ جاء رجل من أصحابه بفرخ طائر ، ورسول الله ﷺ ينظر إليه ، فأقبل أبواه أو أحدهما حتى طرح نفسه بين يدى الذى أخذ فرخه ، فرأيت الناس عجبوا من ذلك ! فقال رسول الله ﷺ : أتعجبون من هذا الطائر ؟ أخذتم فرخه فطرح نفسه رحمة لفرخه ، والله لربكم أرحم بكم من هذا الطائر بفرخه[3] .

* * *

(١) (دلائل البيهقى) : ٦ / ٣٢ — ٣٣ ، باب ماجاء فى الحمرَّة التى فجعت ببيضتها أو بفرخيها ، فشكت إلى النبى ﷺ حالها . وقال فيه قوله :وترفرف بجناحيها : ورواه أبو إسحاق الفزارىّ ، عن أبى إسحاق الشيبانى ، عن الحسن بن سعد ، عن عبد الرحمن بن عبد الله ، عن أبيه ، وقال فى الحديث : فجعلتْ تفرش ، وهو فى السادس و الثلاثين من سنن أبى داود . وأخرجه ابن كثير فى (البداية والنهاية) : ٦ / ١٦٧ ، باب حديث الحمرة وهو طائر مشهور عن البيهقى ، والسيوطى فى (الخصائص الكبرى) : ٢ / ٦٣ ، وعزاه للبيهقى ، وأبى نعيم ، وأبى الشيخ فى (كتاب العظمة) كلهم عن ابن مسعود .

(٢) (المستدرك) : ٤ / ٢١٧ ، حديث رقم (٧٥٩٩ / ٣٠) وزاد : ولم يخرجاه ، ذكره فى آخر كتاب الذبائح .

(٣) (مغازى الواقدى) : ١ / ٣٩٨ .

[رابع وثمانون : تسخير الأسد لسفينة (أحد الموالى) كرامة للمصطفى ﷺ]

وأما تسخير الأسد لسفينة[1] ــ أحد الموالى ــ كرامة للمصطفى ﷺ ، فخرج البيهقى وغيره من حديث أسامة بن زيد ، عن محمد بن عمرو ، عن محمد بن المنكدر ، عن سفينة ــ مولى النبى ﷺ ــ قال : ركبت سفينة فى البحر فانكسرت ، فركبت لوحاً منها فأخرجنى إلى أجمة[2] فيها أسد ، إذ أقبل الأسد فلما رأيته قلت : يا أبا الحارث[3] ! أنا سفينة مولى رسول الله ، فأقبل نحوى حتى ضربنى بمنكبه ، ثم مشى معى حتى أقامنى على الطريق ، ثم همهم[4] ساعة وضربنى بذنبه ، فرأيت أنه يودعنى[5] .

(١) مولى رسول الله ﷺ أبو عبد الرحمن ، كان عبداً لأم سلمة رضى الله تعالى عنها ، فأعتقته ، وشرطت عليه خدمة رسول الله ﷺ ماعاش . رُوى له فى (مسند بقى) أربعة عشر حديثاً وحديثه مُخرَّج فى الكتب سوى صحيح البخارى .

وسفينة لقبٌ له . واسمه مهران ، وقيل : رومان ، وقيل قيس . قيل : إنه حمل مرة متاع الرفاق ، فقال له النبى ﷺ : « ما أنت إلا سفينة » ، فلزمه ذلك .توفى بعد سنة سبعين ، فى زمن الحجاج . له ترجمة فى : (طبقات خليفة) :ت ٣٢ ، ١١٧ ، (التاريخ الكبير) : ٤ / ٢٠٩ ، ٧ / ٤٢٧ ، (التاريخ الصغير) : ١ / ١٩٧ ، (المعارف) : ١٤٦ ــ ١٤٧ (الجرح والتعديل) : ٤ / ٣٢٠ ، ٨ / ٣٠٠ ، (المستدرك) : ٣ / ٦٠٦ ، (الاستيعاب) ٦٨٤ ــ ٦٨٥ ، ترجمة رقم (١١٣٥) ، (تهذيب الأسماء واللغات) : ١ / ٢٢٥ ، (تاريخ الإسلام) : ٢ / ٤٨٤ ، (الإصابة) : ٣ / ١٣٢ ، ترجمة رقم (٣٣٣٦) ، (خلاصة تذهيب الكمال) : ١٣٧ ، (المطالب العالية) : ٤ / ١٢٥ ــ ١٢٦ ، ترجمة رقم (٤١٢٧) ، (تهذيب التهذيب) : ٤ / ١١٠ ، ترجمة رقم (٢١٢) ، (سير أعلام النبلاء) : ٣ / ١٧٢ ــ ١٧٣ ، ترجمة رقم (٢٩) .

(٢) الأجمة : المكان الذى فيه شجر مجتمع كثير كثيف .

(٣) أبو الحارث : اسم من أسماء الأسد .

(٤) همهم : ردَّدَ زئيره فى صدره .

(٥) (دلائل أبى نعيم) : ٢ / ٥٨٣ ــ ٥٨٤ ، قصة سفينة مولى رسول الله ﷺ ، حديث رقم (٥٣٥) ، (حلية الأولياء) : ١ / ٣٦٩ ، ترجمة سفينة أبو عبد الرحمن رقم (٧٤) ، المطالب العالية : ٤ / ١٢٥ ــ ١٢٦ ، باب سفينة ، حديث رقم (٤١٢٧) ، (دلائل البيهقى) : ٦ / ٤٥ ، باب ماجاء فى تسخير الله عزَّ وجلَّ الأسد لسفينة مولى رسول الله ﷺ كرامة لرسول الله ﷺ وماروى فى معناه ، =

ومن طريق عبد الله بن وهب ، عن أسامة بن زيد أن محمد بن عبد الله بن عمرو ابن عثمان حدثه عن محمد بن المنكدر ، أن سفينة مولى رسول الله ﷺ قال : ركبت البحر فانكسرت بى سفينتى التى كنت فيها ، فركبت لوحاً من ألواحها فطرحنى اللوح إلى أجمة فيها الأسد ، فدخلت فخرج إلىَّ الأسد فأقبل إلىّ ، فقلت : يا أبا الحارث : أنا مولى رسول الله ﷺ فطأطأ رأسه وأقبل إلىّ يدفعنى بمنكبيه ، فأخرجنى من الأجمة ، ووقفنى على الطريق ثم همهم فظننت أنه يودعنى ، فكان هذا آخر عهدى به[1] .

وخرجه الحاكم به نحوه وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم[2]

ومن طريق عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن الحجبى ، عن ابن المنكدر ، أن سفينة مولى رسول الله ﷺ أخطأ الجيش بأرض الروم أو أسر بأرض الروم، فانطلق هارباً يلتمس الجيش فإذا هو بالأسد ! قال له : يا أبا الحارث ، إنى مولى رسول الله ، كان من أمرى كيت وكيت ، فأقبل الأسد يُبَصْبِصُهُ حتى قام إلى جنبه كلما سمع صوتاً أهوى إليه ثم أقبل يمشى إلى جنبه ، فلم يزل كذلك حتى بلغ الجيش ثم رجع الأسد[3] .

* * *

= (المستدرك) : ٢ / ٦٧٥ ــ ٦٧٦ ، كتاب تواريخ المتقدمين ، من الأنبياء والمرسلين ، حديث رقم (٤٢٣٥ / ٢٤٥)، وقال : هذا حديث حسن صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الذهبى فى (التلخيص) : صحيح .

(١) (دلائل البيهقى) : ٦ / ٤٦ ذات الباب المذكور فى التعليق السابق ونقله عنه ابن كثير فى (البداية والنهاية) : ٦ / ١٦٢ ــ ١٦٣ .

(٢) (المستدرك) : ٣ / ٧٠٢ ، كتاب معرفة الصحابة ، حديث رقم (٦٥٥٠ / ٢١٤٨) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وقال الذهبى فى (التلخيص) : على شرط مسلم .

(٣) (دلائل البيهقى) : ٦ / ٤٦ ذات الباب المذكور فى التعليق السابق ونقله عنه ابن كثير أيضا فى (البداية والنهاية) : ٦ / ١٦٣ .

[خامس وثمانون : احتمال سفينة ما ثقل من متاع القوم ببركته ﷺ]

وظهرت فى سفينة معجزة أخرى خرجها النسائى والحاكم [وصحح روايتها] من حديث سعيد بن [جمهان قال] : قلت لسفينة : ما اسمك ؟ قال : ماأنا بمخبركم ، ثم قال : سمانى رسول الله ﷺ سفينة ، قلت : ولم سمَّاك سفينة ؟

قال : خرج رسولِ الله ﷺ ومعه أصحابه ، فثقل عليهم متاعهم ، فقال لى رسول الله ﷺ : ابسط كِساءك ، فبسطته ، فجعلوا فيه متاعهم فحملوه علىّ ، فقال رسول الله ﷺ إحمل فإنما أنت سفينة ، فلوحملت من يومئذ .وقر بعير ، أو بعيرين ، أو ثلاثه ، أو أربعة ، أو خمسة ، أو سته ، أو سبعة ، ماثقل علىّ[1] . [إلا أن يخفوا][2] .

* * *

(١) (دلائل البيهقى) : ٦ / ٤٧ ، باب ماجاء فى معجزة أخرى ظهرت له فى مولاه سفينة ، وبذلك سُمِّى سفينة ، (المستدرك) : ٣ / ٧٠١ ، كتاب معرفة الصحابة ، باب ذكر سفينة مولى رسول الله ﷺ حديث رقم (٦٥٤٨ / ٢١٤٦) ، وقال الذهبى فى (التلخيص) : صحيح ، (حلية الأولياء) : ١ / ٣٦٩) ترجمة سفينة أبو عبد الرحمن رقم (٧٤) .

(٢) مابين الحاصرتين زيادة من كتب السيرة .

وقال أبو تُميْلة يحى بن واضح ، عن أبى طيبة عبد الله بن مسلم ، عن ابن بُرَيْدة ، عن أبيه قال : كنتُ مع النبى ﷺ فى سفر ، فَثَقُلَ على القوم بعض متاعهم ، فجعلوا يطرحونه علىّ ، فمرَّ بى النبى ﷺ فقال : أنت زاملة . والزاملة البعير الذى يُحمل عليه الطعام والمتاع . وقال حَشْرَج بن نباتة ، عن سعيد بن جمهان : سمعت سفينة يقول :ثُقُل على القوم متاعهم ... وذكر الحديث . (تاريخ الإسلام) : ٢ / ٤٨٤ ، باب فى مزاحه ودماثة أخلاقه الزكية ﷺ .

[سادس وثمانون : إحياء شاة جابر بعد ما طُبِختْ وأُكِلَتْ]

وأما إحياء شاة جابر بعدما طُبخت وأكلت ، فقال الحافظ أبو نعيم : فان قلت إن عيسي عليه السلام كان يحى [الموتى بإذن][1] الله ، فأعجب منه مارفع الله تعالى به شأن محمد ﷺ ، وجعله[2]آية بينة شهدها الجماعة الكثيرة على[3] إحياء شاة جابر بن عبد الله ، وما أحيا الله لامرأة من الأنصار ابنها على عهد النبى ﷺ آية عجيبة لنبى الله ﷺ[4] .

ثم ذكر من حديث أبى بَرَّة[5] محمد بن أبى هاشم مولى بنى هاشم [بمكة][1] قال : حدثنا أبو كعب البداح بن سهل الأنصارى ، عن أبيه سهل بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الرحمن بن كعب ، عن أبيه كعب بن مالك قال :

أتى جابر بن عبدالله النبيَّ ﷺ فسلم عليه فرد عليه السلام ، قال : جابر فرأيت وجه رسول الله ﷺ متغيراً ، وما أحسب وجه رسول الله تغير إلا من الجوع[6] ، فأتيت منزلى فقلت للمرأة : ويحك ! لقك رأيت رسول الله ﷺ فَسلمت عليه فردّ علىّ السلام ، فرأيت[7]وجهه متغيراً ، وما أحسب وجه رسول الله متغيراً إلا من الجوع ، فهل عندك من شيء ؟ فقالت : والله مالنا إلا هذا الداجن وفضلةٌ من زاد نُعلِّل بها الصبيان .

قال : فقلت لها هل لك أن نذبح هذا الداجن وتصنعين ما كان عندك ثم نحمله إلى رسول الله ؟ قالت : أفعل من ذلك ما أحببت ، فذبحتْ الداجن وصنعت ما

---

(١) زيادة للسياق من (دلائل أبى نعيم) .
(٢) فى (المرجع السابق) :« وجُعلتْ له آية ... » .
(٣) فى (المرجع السابق) « فى » .
(٤) (دلائل أبى نعيم) : ٢ /٦١٦ ، فصل ما أوتى عيسى عليه السلام .
(٥) فى (خ) : « برزة » وصوبناه من المرجع السابق .
(٦) كذا فى (خ) ، وفى المرجع السابق : « من جوع » .
(٧) كذا فى (خ) ، وفى المرجع السابق : « ووجهه متغيراً » .

كان عندها ، وطحنت وخبزت ، ثم ثردنا فى جفنة لنا ، فوضعت الداجن ثم حملتها إلى رسول الله ﷺ فوضعناها بين يديه ، فقال : ماهذا ياجابر ؟ قلت : يارسول الله ! أتيتك فسلمت عليك فرأيت وجهك متغيراً ، فظننت أن وجهك لم يتغير إلا من الجوع ، فذبحت داجنا كانت لنا ، ثم حملتها إليك .

قال : ياجابر ، اذهب فاجمع لى قومك ، قال : فَأَتَيْتُ أحياء العرب فلم أزل أجمعهم فأتيته بهم ، ثم دخلت إليه فقلت : يارسول الله ، هذه الأنصار قد اجتمعت ، فقال : أدخلهم علىّ أَرْسالاً ، فأدخلتهم عليه أرسالاً فكانوا يأكلون منها ، فإذا شبع قوم خرجوا ودخل آخرون ، حتى أكلوا جميعاً ، وفضل فى الجفنة شبيه ما كان فيها ، وكان رسول الله ﷺ يقول لهم : كلوا ولاتكسروا عظماً .

ثم إن رسول الله ﷺ جمع العظام فى وسط الجفنة ، ووضع يده عليها ، ثم تكلم بكلام لم أسمعه إلا أنى أرى شفتيه تتحركان ، فإذا الشاة قد قامتْ تنفض أذنيها ، فقال لى : خذ شاتك ياجابر ، بارك الله لك فيها .

فأخذتها ومضيتُ ، وإنها لتنازعُنى أذنها حتى أتيتُ بها البيت ، فقالت لى المرأة : ماهذا ياجابر ؟ قلت : والله هذه شاتنا التى ذبحناها لرسول الله ﷺ ، دعا الله فأحياها لنا ، قالت : أنا أشهد أنه رسول الله ، أنا أشهد أنه رسول الله ، أنا أشهد أنه رسول الله ، ﷺ(١) .

* * *

(١) (دلائل أبى نعيم) : ٢ / ٦١٦ — ٦١٧ ، حديث رقم (٥٦٠) ، وذكره السيوطى فى (الخصائص الكبرى) : ٢ /٢٨٣ ، وعزاه إلى أبى نعيم .

وقال ابن كثير فى (البداية والنهاية) : ٦ / ٣٢٥ : قلت : وقد ذكرت فى قصة سخلة جابر يوم الخندق وأكل الألف منها ومن قليل شعير ما تقدم ، وقد أورد الحافظ محمد بن المنذر المعروف بيشكر فى كتابه (الغرائب والعجائب) بسنده كما سبق أن رسول الله ﷺ جمع عظامها ثم دعا الله تعالى فعادت كما كانت ، فتركها فى منزله . والله تعالى أعلم . وقد أخرج البخارى فى صحيحه قصة شاة جابر لكن بغير معجزة إحيائها . (فتح البارى) : ٧ / ٥٠٣ ، كتاب المغازى ، باب (٣٠) غزوة الخندق وهى الأحزاب ، حديث رقم (٤١٠٢) .

[سابع وثمانون : تسخير الطائر له ﷺ]

وأما تسخير الطائر له ، فخرج البيهقى من حديث حبان قال : حدثنا أبو سعيد البقال ، عن عكرمة ، عن ابن عباس رضى الله عنه قال : كان النبى ﷺ إذا أراد الحاجة أبعد ، قال : فذهب يوماً فبعد تحت سمرة فنزع خفيه ولبس أحدهما ، فجاء طائر فأخذ الخف الآخر فحلَّق به فى السماء ، فانسلت منه أسود سالخ ، فقال النبى ﷺ : هذه كرامة أكرمنى الله بها ، اللهم إنى أعوذبك من شر ما يمشى على رجلين ، ومن شر ما يمشى على أربع ، ومن شر ما يمشى على بطنه[1] .

* * *

(١) ونقله ابن كثير عن البيهقى بسنده ولفظه فى (البداية والنهاية) : ٦ / ١٦٧ وعنون له : حديث آخر فى ذلك وفيه غرابة .

[ثامن وثمانون : كثرة غنم هند[بنت عُتْبَة][1] بدعائه ﷺ]

وأما كثرة غنم هند بدعائه ﷺ ، فقال أبو الوليد الواقدى : حدثنى عبد الله ابن يزيد عن أبى حصين الهُذَلّى قال : لما أسلمت هند بنت عُتبة ، أرسلت إلى رسول الله ﷺ بهدية وهو بالأبطح مع مولاة[2] لها ، بجديين مرضوفين[3] وقدٍ[4] ، فانتهت الجارية إلى خيمة رسول الله ﷺ . فَسَلَّمتْ واستأذنتْ فأذن لها ، فدخلت على رسول الله ﷺ وهو بين نسائه : أم سلمة [زوجته][5] وميمونة ، ونساء من نساء بنى عبد المطلب ، فقالت : إن مولاتى أرسلتْ إليك بهذه الهدية ، وهى معتذرة إليك وتقول : إن غنمنا اليوم قليلة الوالدة ، فقال رسول الله ﷺ : بارك الله لكم فى غنمكم ، وأكثر والدتها .

فرجعت المولاة إلى هند فأخبرتها بدعاء رسول الله ﷺ ، فسرت بذلك ، فكانت المولاة تقول : لقد رأينا من كثرة غنمنا ووالدتنا مالم نكن نرى قبلُ ولا

---

(١) هى هند بنت عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشية ، والدة معاوية بن أبى سفيان . أخبارها قبل الإسلام مشهورة ، وشهدت أحداً ، وفعلتْ بحمزة مافعلتْ ، ثم كانت تؤلب على المسلمين إلى أن جاء الله تعالى بالفتح فأسلم زوجها ، ثم أسلمت هى يوم الفتح .

ومن طرق ما أخرجه ابن سعد بسند صحيح مرسل عن الشعبى ، وعن ميمون بن مهران ؛ ففى رواية الشعبى لما سمعت قوله تعالى : ﴿ **ولايزنين** ﴾ ، قالت هند : وهل تزنى الحرة ، وعند قوله تعالى : ﴿ **ولا يقتلن أولادهن** ﴾ ، قالت هند : أنت قتلتهم ، وفى رواية نحوه ، لكن قالت : وهل تركْتَ لنا ولداً يوم بدر ؟

وسؤالها عن أخذها من مال زوجها بغير إذنه ما يكفيها ، وهل عليها فيه من حرج ؟ مُخَرَّجٌ فى الصحيحين ، وفيه : خذى من ماله بالمعروف ما يكفيك وولدك ، وهو من رواية هشام بن عروة ، عن أبيه عن عائشة ، ترجمتها فى : (الإصابة) : ٨ / ٢١٥٥ ترجمة رقم (١١٨٥٦) ، (طبقات ابن سعد) : ٨ / ١٧٠ ، (الاستيعاب) : ٤ / ١٩٢٢ — ١٩٢٣ ، ترجمة رقم (٤١١٣) .

(٢) فى (خ) : « مولاتها » وما أثبتناه من (مغازى الواقدى) .

(٣) المرضوف :الذى يشوى على الرضف ، والرضف الحجارة المحماة على النار . (النهاية) : ٢ / ٨٥ .

(٤) القدّ : جلد السخلة . (القاموس المحيط) .

(٥) زيادة من (مغازى الواقدى) .

قريباً ، فتقول هند : هذا دعاء رسول الله ﷺ وبركته ، فالحمد لله الذى هدانا للإسلام ، ثم تقول : لقد كنتُ أرى فى النوم أنى فى الشمس أبداً قائمة والظلّ منِّى قريبٌ لا أقدر عليه ، فلما دنا رسول الله ﷺ منا رأيت كأنى دخلتُ الظل[1] .

* * *

---

(١) (مغازى الواقدى) : ٢ / ٨٦٨ — ٨٦٩ .

[تاسع وثمانون : إحياء الحمار الذى نفق]

وأما الذى أحيا الله تعالى له حماره ، فخرج البيهقى من حديث الحسن بن عرفة ، حدثنا عبد الله بن إدريس ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى سبرة النخعى قال : أقبل رجل من أهل اليمن ، فلما كان فى بعض الطريق نفق حمارهُ فقام فتوضأ ثم صلى ركعتين ثم قال : اللهم إنى خرجت من الدثينة [1] مجاهداً فى سبيلك [و] ابتغاء مرضاتك ، وأشهد أنك تحى الموتى وتبعث من فى القبور ، لا تجعل لأحد علىّ اليوم منَّة ، أطلب إليك أن تبعث لى حمارى ، فقام الحمار ينفض أذنيه[2] .

قال البيهقى : هذا إسناد صحيح ، ومثل هذا يكون كرامة لصاحب الشريعة ، حيث يكون فى أمته مثل هذا . وقد رواه محمد بن يحى الذهلى ، وغيره ، عن محمد ابن عبيد عن إسماعيل ، عن الشعبى[2] . [وكأنه سمعه منهما][3] .

وخرجه من طريق أبى بكر بن أبى الدنيا قال : حدثنا إسحق بن إسماعيل ، وأحمد بن بُجَيْر وغيرهما ، قالوا :حدثنا[4] محمد بن عبيد عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن الشعبى ، أن قوماً أَقبَلوا من اليمن متطوعين فى سبيل الله ، فنفق حمار رجل منهم ، فأرادوه أن ينطلق معهم [فأبى][3] ، قال : فقام فتوضأ وصلى وقال : اللهم إنى جئت من الدثينة — أو قال — الدفينة — مجاهداً فى سبيلك وابتغاء مرضاتك ، وإنى أشهد أنك تُحى الموتى وتبعث من فى القبور ، لاتجعل لأحد علىّ مَّنة ، وإنى أطلب إليك أن تبعث لى حمارى ، ثم قام إلى الحمار فضربه ، فقام الحمار ينفض أذنيه ، فأسرجه ثم ألجمه ثم ركبه ، [فأجراه فلحق][5] بأصحابه ، فقالوا : ما شأنك ؟

---

(١) كذا فى (خ) ، (دلائل البيهقى) ، وفى (البداية والنهاية) : « الدفينة » .
(٢) (دلائل البيهقى) : ٦ / ٤٨ ، باب ماجاء فى المجاهد فى سبيل الله الذى بُعث حماره بعد مانفق .
(٣) زياده للسياق من (المرجع السابق) .
(٤) كذا فى (خ) ، وفى (المرجع السابق) : « أنبأنا » .
(٥) زياده للسياق من (المرجع السابق) .

قال : شأنى[1] أن الله بعث لى حمارى[2] .

قال الشعبى : فأنا رأيت الحمار بيع أو يباع بالكناسة[3] ، قال ابن أبى الدنيا : أخبرنى العباس بن هشام عن أبيه عن جده ، عن مسلم[4] بن عبد الله بن شريك النخعى ، أن صاحب الحمار رجل من النخع يقال له : نُباته بن يزيد ، خرج فى زمن عمر رضى الله عنه غازياً ، حتى إذا كان بسرّ [5] عميرة نفق حماره ، فذكر القصة غير أنه قال : فباعه[بعد][6] بالكناسه ، فقيل له : تبيع حماراً أحياه الله لك ؟ قال : فكيف أصنع ؟ فقال رجل من رهطه ثلاثة أبيات فحفظت هذا البيت :

وَمِنَّا الذى أحيا الإِلَه حماره وقد مات منه كل عضو ومفصل[7]

وفى كتاب (الجمهرة لابن الكلبى) : وولد عامر بن سعد بن مالك بن النخع عوفاً ومالكاً والحارث وحزناً ، منهم نباته بن يزيد الذى أحيا الله حماره فى زمن عمر بن الخطاب وقد نفق بسنِّ سميرة فأحياه الله حتى غزا قزوين ثم رجع فباعه بعد بالكوفة[8] وذكر البكرى أن سِنَّ سميرة بالقرب من عانات[9] .

---

(١) كذا فى (خ) ، وفي (المرجع السابق) : « قال : ماشأني » وما أثبتناه أجود للسياق ، وهو حق اللغة .

(٢) (دلائل البيهقى) : ٦ / ٤٩ ، باب ماجاء فى المجاهد فى سبيل الله الذى بعث حماره حق بعد مانفق .

(٣) الكناسة : موضع مشهور بالكوفة . (٤) فى (خ) : « سلمة » ، وصوبناه من (المرجع السابق) .

(٥) فى (خ) : « ببئر » ، وصوبناه من (المرجع السابق) .

(٦) زيادة للسياق من المرجع السابق .

(٧) (دلائل البيهقى) : ٦ / ٤٩ ، فى ذات الباب ، وعنه نقله ابن كثير فى (البداية والنهاية) : ٦ / ١٦٩ ، ١٧٠ باب حديث فيه كرامة لولىّ من هذه الأمة ، ثم قال : وقد ذكرنا فى باب رضاعه عليه السلام ، ما كان من حمارة حليمة السعدية ، وكيف كانت تسبق الركب فى رجوعها لما ركب معها عليها رسول الله ﷺ وهو رضيع ، وقد كانت أدمت بالركب فى مسيرهم إلى مكة ، وكذلك ظهرت بركته عليه فى شارفهم ــ وهى الناقة التى كانوا يحلبونها ــ وشياههم ، وسمنهم ، وكثرة ألبانها ، صلوات الله وسلامه عليه .

(٨) (اللباب) : ٢ / ٣٠٦ ، قال : وقد فاته عامر بن سعد بن مالك بن النخع ، بطن من النخع ، ومنهم نباته بن يزيد الذى أحيا الله حماره ....

(٩) (معجم ما استعجم) : ٢ / ٧٦١ . قال كُثَيِّر :

[تسعون : إحياء الله ولد المهاجرة بعد موته ، وإجابة دعاء العلاء بن الحضرمى[1]]

وأما إحياء الله ولد المهاجرة بعد موته ، وإجابة دعاء العلاء بن الحضرمى حتى سقى الله المسلمين وقد عطشوا ، وحتى جاز بهم البحر للقاء عدوهم ، ومشي مسلم الخولانى على الماء تكرمة للمصطفى ﷺ ، فخرج البيهقى من طريق أبى أحمد بن عدى الحافظ قال : حدثنا محمد بن طاهر بن أبى الدميك ، حدثنا عبيد الله بن عائشة ، حدثنا صالح المرى ، حدثنا ثابت عن أنس قال : عِدْنا شاباً من الأنصار وعنده أم له عجوز عمياء ، قال . فما برحنا أن فَاضَ — يعنى مات — ومددنا على وجهه الثوب وقلنا لأمه : ياهذه ، احتسبي مصابك عند الله ، قالت : أمات ابنى ؟ قلنا نعم .

قالت : اللهم إن كنت تعلم أنى هاجرت إليك و إلى نبيك رجاء أن تعيننى عند كل شديدة ، فلا تحمل على هذه المصيبة اليوم . قال أنس ، فوالله ما برحت حتى

= خيلي بعاناتٍ فَسِنٌّ سُميرةٍ ... له لا يَرُدُّ الذائدون نِهالَهاَ

وعانات : موضعٌ من أرياف العراق ، قال الخليل : مما يلى ناحية الجزيرة تُنسب إليه الخمر الجيدة . (المرجع السابق) : ٢ / ٩١٤ .

(١) هو العلاء بن الحضرمى، وكان اسمه عبد الله بن عماد [أوعباد أوهناد] بن أكبر بن ربيعة بن مالك ابن عوين الحضرمى، وكان عبد الله الحضرمى أبوه قد سكن مكة ، وحالف حرب بن أميه والد أبى سفيان ، وكان للعلاء عدة إخوة ، منهم عمرو بن الحضرمى ، وهو أول قتيل من المشركين ، وماله أول مالٍ خُمِّس في المسلمين ، وبسببه كانت وقعة بدر ، واستعمل النبى ﷺ العلاء على البحرين ، وأمَّره أبوبكر ، ثم عمر . مات سنة أربع عشرة ، وقيل سنة إحدى وعشرين .

روى عن النبى ﷺ ، وروى عنه من الصحابة السائب بن يزيد ، وأبو هريرة ، وكان يقال : أنه مجاب الدعوة ، وخاض البحر بكلمات قالها ، وذلك مشهور فى كتب الفتوح . له ترجمة فى : (الإصابة) : ٤ / ٥٤١ ، ترجمة رقم (٥٦٤٦) ، (الاستيعاب) : ٣ / ١٠٨٥ ، ترجمة رقم (١٨٤١) ، (أسماء الصحابة الرواه) : ٢٢٧ — ٢٢٨ ، ترجمة رقم (٣١٣) ، (تهذيب التهذيب) ، ٨ / ١٥٩ ترجمة رقم (٣٢٠) .

كشف الثوب عن وجهه وطَعِم وطعمنا معه[1] .

• ومن طريق ابن أبى الدنيا قال : حدثنا خالد بن خداش بن عجلان المهلبى ، وإسماعيل بن إبراهيم بن بسام قالا : حدثنا صالح المرى عن ثابت البنانى عن أنس ابن مالك قال : عدت شاباً من الأنصار فما كان أسرع من أن مات فأغمضناه ومددنا عليه الثوب فقال بعضنا لأمه : احتسبيه ، قالت : وقد مات ؟ قلنا : نعم ، قالت : أحق ماتقولون ؟ قلنا نعم .

فمدت يدها إلى السماء وقالت : اللهم إنى آمنت بك وهاجرت إلى رسولك ، فإذا نزلت بى شديدة دعوتك ففرجتها ، فأسألك اللهم لا تحمل علىّ هذه المصيبة اليوم ، قال : فكشف الثوب عن وجهه ، فما برحنا حتى أكلنا ، وأكل معنا[2] .

قال البيهقى : صالح بن بشير المرى من صالحى أهل البصرة وقصاصهم ، تفرد بأحاديث مناكير عن ثابت وغيره[3] ، وقد روى هذا من وجه آخر مرسلا بين ابن عون وأنس بن مالك ، فذكر حديث أبى حمزة إدريس بن يونس قال : حدثنا محمد ابن يزيد بن مسلمة ، حدثنا عيس بن يونس ، عن عبد الله بن عون عن أنس قال : أدركت فى هذه الأمة ثلاثاً لو كان[3] مثلها فى بنى إسرائيل [لما تقاسمتها الأمم][4] ولكان عجباً ، قلنا[5] ماهن ياأبا حمزة ؟

---

(١) (دلائل البيهقى) : ٦ / ٥٠ ، باب ماجاء فى المهاجرة إلى النبى ﷺ التى أحياء الله تعالى بدعائها ولدها بعد ما مات ، وما جاء فى الكرامات التى ظهرت على العلاء الحضرمى وأصحابه ، (دلائل أبى نعيم) : ٢ / ٦١٧ ــ٦١٨ ، حديث رقم (٥٦١) .

(٢) (دلائل البيهقى) : ٦ / ٥٠ ــ ٥١ ، وفى (خ) : « خالد بن خداش » .

(٣) صالح بن بشير المرى : بصرى ، واعظ شهير ، ضعفه ابن معين ، والدارقطنى ، والعقيلى ، وابن حبان ، وقال أحمد : هو صاحب قصص ، ليس هو بصاحب حديث ولابعرف الحديث ، وقال الفلاس : منكر الحديث جداً ، وقال النسائىُ : متروك . له ترجمة فى : (التاريخ الكبير) : ٤ / ٢٧٣ ، ترجمة رقم (٢٧٨٢) ، (الضعفاء الكبير للعقيلى) : ٢ / ١٩٩ ، ترجمة رقم (٧٢٣) ، (المجروحين) : ١ / ٣٧١ ، (الميزان) : ٢ / ٢٨٩ ، ترجمة رقم (٣٧٧٣) .

(٣) كذا فى (خ) ، وفى (دلائل البيهقى) : « كانوا » .

(٥) كذا فى (خ) ، وفى (المرجع السابق) : « قلن » ، وما أثبتناه أجود للسياق .

قال : كنا فى الصفة عند رسول الله ﷺ فأتته امرأة مُهاجرة ومعها ابن لها قد بلغ ، فأضاف المرأة إلى النساء وأضاف ابنها إلينا ، فلم يلبث أن أصابه وباء المدينة ، فمرض أياماً ثم قبض ، فَغَمَّضَهُ النبى ﷺ وأمربجهازه ، فلما أردنا أن نغسّله قال : ياأنس ، ائت أمَّهُ فأعلمها ، قال : فأعلمتها ، فجاءت حتى جلست عند قدميه فأخذت بهما ثم قالت اللهم إنى أسلمت لك طوعاً ، وخلعت الأوثان زهداً ، وهاجرت إليك رغبةً ، اللهم لاتُشمت بى عبدة الأوثان ، ولا تحملنى من هذه المصيبة ما لا طاقة لى بحملها .

قال : فوالله [ما انقضى][1] كلامها حتى حرك قدميه وألقى الثوب عن وجهه ، وعاش حتى قَبَضَ الله رسوله وحتى هلكت أمه ، ثم [قال :][2] جهز عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعنى جيشاً ـــ واستعمل عليه العلاء بن الحضرمى .

قال : وكنت فى غزاته فأتينا مفازة[3] فوجدنا القوم قد نذروا بنا فعفوا آثار الماء ، قال : و الحرّ شديدٌ فجهدنا [العطش][2] ودوابّنا ، وذلك يو الجمعة [قال :][2] [فلما مالت][2] الشمس لقرنها[4] صلى بنا ركعتين ثم مد يده وما نرى فى السماء شيئاً ، قال : فوالله ماحط يده حتى بعث الله ريحاً وأنشأ سحاباً . فأفرغتْ حتى ملأتِ الغُدُرَ والشعاب[5] ، فشربنا ، وسقينا واستقينا ، ثم أتينا عدونا وقد جاوزوا خليجاً فى البحر إلى جزيرة ، فوقف على الخليج وقال : ياعلىُّ ياعظيمُ [ياحليم][5] ياكريمُ ، ثم قال : أجيزوا بسم الله . قال : فأجزنا مايبل الماء حوافر دوابنا ، فأصبنا العدوَّ غيلةً ، فقتلنا ، وأسرنا وسبينا ، ثم أتينا الخليج ، فقال مثل مقالته ، فأجزنا مايبل الماء حوافر دوابنا . فلم يلبث إلايسيراً حتى رُؤى فى دفنه ، فحفرنا له وغسّلناه ودفنّاه .

فجاء رجل يعدو [بعد] فراغنا من دفنه فقال : من هذا ؟ فقلنا : هذا خير البشر .

---

(١) كذا فى (خ) ، وفى (دلائل البيهقى) : « ماتقضَّى » .
(٢) زيادة للسياق من (المرجع السابق) .
(٣) كذا فى (خ) ، وفى (المرجع السابق) :« مغازينا » .
(٤) كذا فى (خ) ، وفى (المرجع السابق) : « لغربها » .

هذا ابن الحضرمى ، فقال : إن هذه الأرض تلفظ الموتى ، فلو نقلتموه إلى ميل أو ميلين إلى أرض تقبل الموتى ، فقلنا : ماجزاء صاحبنا أن نعرضه للسباع تأكله ؟ قال : فاجتمعنا على نبشه ، فلما وصلنا إلى اللحد إذا صاحبنا ليس فيه . وإذا اللحد مدُّ البصر نوراً[1] يتلألأ ، فأعدنا التراب إلى القبر ثم ارتحلنا .

قال البيهقى : وقد روى عن أبى هريرة فى قصة العلاء بن الحضرمى واستسقائه ومشيهم على الماء ، دون قصة الموت بنحو من هذا ، وقال فى الدعاء : ياعليم ياحليم ياعظيم ياعلى ، إنا عبيدك وفى سبيلك نقاتل عدوك ، فاسقنا غيثا نشرب منه ونتوضأ ، وإذا تركناه فلا تجعل لأحد فيه نصيباً غيرنا . وقال فى البحر : فاجعل لنا سبيلاً إلى عدوك . وقال فى الموت : أخف جثتى ولا تطلع على عورتى أحد فلم يقدر عليه[2] .

وخرج أيضا من حديث ابن نمير عن الأعمش ، عن بعض أصحابه قال : انتهينا إلى دجلة ، وهى مادَّةُ والأعاجم خلفها ، فقال رجل من المسلمين : بسم الله ، ثم اقتحم فرسه فاندفع على الماء ، فقال الناس : بسم الله ، ثم اقتحموا فارتفعوا على الماء ، فلما ظهر إليهم الأعاجم قالوا : ديوانٌ ديوانٌ ، ثم ذهبوا على وجوهم ، فما فقدوا إلا قدحاً كان معلقاً بعذبة سرْج ، فلما خرجوا أصابوا الغنائم فاقتسموها ، فجعل الرجل يقول : من يبادل صفراء بيضاء ؟[3] .

---

(١) كذا فى (خ) ، وفى المرجع السابق « نورٌ » ، وما أثبتناه أجود للسياق فهو حق اللغة .

(٢) (دلائل البيهقى) : ٦ / ٥٣ .

(٣) (المرجع السابق) : ٦ / ٥٣ ــ ٥٤ ، ثم قال البيهقى : قلت : كل هذا يرجع إلى إكرام الله تعالى نبيه وإعزازه دينه الذى بعث به رسول الله ﷺ ، وتصديقه ما وعده من إظهاره وإظهار شريعته .

وعن البيهقى ذكر ابن كثير قصة العلاء بن الحضرمى فى (البداية والنهاية) : ٦ / ١٧١ ــ ١٧٢ ، وذكرها أبو نعيم فى (الحلية) : ١ / ٨٠٧ ، وذكر أيضاً فى (دلائل النبوة) : ٢ /٥٧٣ ، الفصل التاسع والعشرون : ماجرى على يدى أصحابه ﷺ بعده ، كعبور العلاء بن الحضرمى وجيش سعد على البحر ، وماجرى على يد خالد فى أيام أبى بكر ، ونوحة الجن ، وغيره ، حديث رقم (٥٢١) .

قال محققا (دلائل النبوة لأبى نعيم) :

هذا الفصل يتحدث لنا عن الأمور الخارقة لقوانين الطبيعة التى حصلت لبعض أصحاب نبينا محمد ﷺ بعد وفاته ، والخوارق على خمسة أنواع :

أ ــ فإن ظهرت لرسول قبل بعثته سميت إرهاصاً ، أى تأسيساً للرسالة . =

وقال سيف بن عمر عن الصعب بن عطية بن بلال ، عن سهم بن منجاب ، عن منجاب بن راشد ، قال : بعث أبو بكر رضى الله عنه العلاء بن الحضرمى على قتال أهل الردة بالبحرين ، فذكره إلى أن قال : وخرج مع العلاء سعد والرباب مثل عسكره ، وسلك بنا الدَّهْناء حتى إذا كنا فى بُحبوحتها [والحنَّانات والعزافات][1] ، أرادا الله عزَّ وجل أن يرينا آية[2] ، نزل وأمر الناس بالنزول فنفرت الإبل فى جوف الليل ، فما بقى عندنا بعير ولا ناد ولا مزاد ، ولابناء إلا ذهب عليها فى عرض الرمل ، وذلك حين نزول الناس وقَبْل أن يحطوا ، فما علمت جمعاً هجم عليهم من الهم والغم ما هجم علينا ، وأوصى بعضنا إلى بعض ، ونادى منادى العلاء : اجتمعوا ، فاجتمعنا إليه فقال : ماهذا الذى قد ظهر فيكم وغلب عليكم ؟ فقال الناس [وكيف][1] نُلام ونحن غداً لم تحم شمسه[3] حتى نصير حديثاً ؟

فقال : أيها الناس ! لاتراعوا ، ألستم[4] مسلمين ؟ ألستم فى سبيل الله ؟ ألستم أنصار الله قالوا : [بلى] ، قال : فأبشروا ، فوالله لايخذل الله من كان [فى][1]

ب ــ وإن ظهرت لرسول بعد بعثته سميت معجزة .

ج ــ وإن ظهرت لمؤمن ظاهر الصلاح ولم يدَّعِ النبوة سُمّيت كرامة ، وهذامايسمى ب« كرامات الأولياء » ، وإنما قلنا : « ظاهر الصلاح » لأن العصمة لا تكون إلا للأنبياء ، والأولياء يخطئون ، لكنهم سرعان ما يهرعون إلى التوبة ، والمذكور فى هذا الفصل كله كرامات لأولئك الصفوة الأخيار من أصحاب محمد ﷺ ، وإن كنا نؤمن بوجود الكرامة إلا أننا نلحُّ فى إثبات صحتها بالسند الصحيح ، لأن الخرافة قد شاعت وانتشرت ، فيجب تمييز الكرامة عنها بالنقل الصحيح .

جـ ــ وإن ظهرت الخوارق لمن ظاهره الفسق كان استدراجاً ، حيث يملى الله تعالى له ، فيتمادى فى غيّه ، حتى إذا أخذه الله كان أخذه له شديداً ، [قال تعالى : ﴿ **فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ، وأملى لهم إن كيدى متين** ﴾ [القلم ٤٤ ــ ٤٥] .

هـ ــ وإن ظهرت الأمور الخارقة على يد رجل على نقيض مايريد ، كمن تفل فى عين أرمد ليبرئها فاعورَّت العين ، كانت إخزاءاً وتبكيتاً .

وذكرها الذهبى فى (تاريخ الاسلام) : ٣ / ٢٣٥ ــ ٢٣٦ ، فى ترجمة العلاء بن الحضرمى .

(١) زيادة للسياق من (تاريخ الطبرى) .

(٢) فى (خ) : « إبانةٌ » وما أثبتناه من (المرجع السابق) .

(٣) فى (خ) : « شمسها » وما أثبتناه من (المرجع السابق) .

(٤) فى (خ) :« السنا » وما أثبتناه من (المرجع السابق) .

مثل حالكم ونادى المنادى بصلاة الصبح حين طلع الفجر ، [فصلى][1] بنا — ومنا المتيممون[2] ومنا من لم يزل على طهوره — فلما قضى صلاته جثا لركبتيه وجثا الناس ، فنصب فى الدعاء[3] ، ونصبوا معه ، فلمع [لهم][1] سرابٌ [مع][4] الشمس ، فالتفت إلى الصف فقال : رائد ينظر ماهذا ؟ ففعل ثم رجع [فقال سراب][5] ، فأقبل على الدعاء ، ثم لمع لهم آخر فكذلك ، ثم لمع لهم آخر ، فقال :ماء ، فقام وقام الناس ، فمشينا إليه حتى نزلنا عليه ، فشربنا واغتسلنا ، فما تعالى النهار حتى أقبلتْ الإبل تكرد[6] من كل وجه ، فأناخت إلينا ، فقام رجل إلى ظهره [فأخذه][7] ، فما فقدنا سلكا[8] فأرويناها وأسقيناها العلَلَ بعد النَّهَل ، وترويْنا ثم تروحنا .

وكان أبو هريرة رضى الله عنه رفيقى ، فلما غِبْنَا عن ذلك المكان قال لى : كيف علمك بموضع ذلك الماء ؟ فقلت : أنا من أهدى العرب بهذه البلاد ، قال :فكرَّ معى حتى يقيمنى عليه ، قال فكررت به ، فأتيت [به][7] على ذلك المكان [بعينه ، فإذا هو لا غدير به ، ولا أثر للماء ، فقلت له][9] : والله لولا الغدير لأخبرتك أن هذا هو المكان ، وما رأيت بهذا المكان ماءً ناقعاً قبل اليوم ، وإذا إداوة مملوءة ، فقال : يا أبا سهم ! هذا والله [ذلك][10] المكان ، ولهذا رجعت ورجعت بك ، ملأتُ إداوتى ثم وضعتها على شفيره ، فقلت : إن كان مناً من المنّ وكانت آية عرفتها ، وإن كان غياثاً عرفته ، فإذا منٌّ مِنَ المنّ فحمد الله ثم سرنا حتى ننزل هجر ، فذكر سيف الخبر إلى أن قال : وندب الناس إلى

---

(١) زيادة للسياق من (تاريخ الطبرى) .
(٢) كذا فى (خ) ، وفى (المرجع السابق) : « المتيمم » .
(٣) نصب فى الدعاء : إذا تعب فيه واجتهد ، قال تعالى : (فإذا فرغت فانصب) [الشرح : ٧] .
(٤) زيادة فى (خ) .
(٥) زياده للسياق من (تاريخ الطبرى) .
(٦) الكرد : الطرد .
(٧) زياده للسياق من (المرجع السابق) .
(٨) السلك : جمع سلكة وهو الخيط الذى يخاط به الثوب .
(٩) ما بين الحاصرتين سقط فى (خ) ، واستدركناه من (المرجع السابق) .
(١٠) زيادة من (خ) .

دارين .

ثم جمعهم فخطبهم وقال : إن الله عزَّ وجلَّ قد جمع لكم أحزاب الشياطين وشُرَّد الحرب فى هذا البحر ، وقد أراكم من آياته فى البر لتعتبروا بها فى البحر ، فانهضوا إلى عدوكم ، ثم استعرضوا البحر اليهم ، فإن الله عز وجلّ قد جمعهم فقالوا : نفعل ولا نهاب والله بعد الدَّهناء هؤلاء ما بقينا ، فارتحل وارتحلوا حتى إذا أتى ساحل البحر اقتحموه على الصاهل[1] والجامل[2] ، والشاحج[3] والناهق ، والراكب والراجل ، ودعا ودعوا ، وكان دعاؤه ودعاؤهم :

ياأرحم الراحمين ياكريم ياحليم ، ياأحد يا[صمد][4] ياحىّ يامحى الموتى ، ياحى ياقيوم ، لا إله إلا أنت ياربَّنا ، [فأجازوا ذلك][4] الخليج بإذن الله جميعاً ، يمشون على مثل رملة ميثاء فوقها ماء [يغمر][4] أخفاف الإبل ، وإنما بين الساحل ودارين مسيرة يوم وليلة لسفن [5] البحر فى بعض الحالات ، فالتقوا بها فاقتتلوا [قتالا شديداً][4] فما تركوا بها مخبراً[6] وسَبُوا الذرارى واستاقوا الأموال ، فبلغ نفل الفارس ستة آلاف ، والراجل ، ألفين قطعوا ليلهم[7] ، وساروا يومهم ، فلما فرغوا رجعوا عودهم على بدئهم حتى عَبروا ، وقال فى ذلك[8] عفيف بن المنذر :

ألم تــر أن الله ذَلَّـلَ بـحـره ... وأنزل بالكُفَّار إحدى الجلائل
دعونا الذى شَقَّ البحارَ فجاءنَا ... بأعجب من فَلْق البحار الأوائلِ

قال : وكان مع المسلمين راهب فى هَجَر فأسلم يومئذ[9] ، فقيل [له][10] :

---

(١) الصاهل : الفرس ، والصهيل صوته .
(٢) الجامل : القطيع من الإبل .
(٣) الشاحج : البغل ، والشحيج صوته .
(٤) زيادة للسياق من (المرجع السابق) .
(٥) فى (خ) « بسقن » ، وما أثبتناه من (المرجع السابق) .
(٦) مخبراً ، أى أحداً يخبر بما كان ؛ يريد أنهم استأصلوهم .
(٧) فى (خ) : « إليهم » ، وصوبناه من (المرجع السابق) .
(٨) فى (خ) : « إليهم » ، وصوبناه من (المرجع السابق) .
(٩) فى (خ) : « أيامئذ » . وما أثبتناه من (المرجع السابق) .
(١٠) زيادة من (خ) .

ما دعاك إلى الإسلام ؟ قال : ثلاثة أشياء ، خشيت أن يمسخنى الله بعدها إن أنا لم أفعل : فيضٌ فى الرمال ، وتمهيد أثياج البحار ، ودعاء سمعته فى عسكرهم فى الهواء من السَّحَر ، قالوا وماهو ؟ قال :

اللهم أنت الرحمن الرحيم لا إله غيرك،والبديع ليس قبلك شىء ، والدائم غير الغافل ، والحىّ الذى لا يموت ، خالق ما يُرى وما لا يُرى ، وكل يوم أنت فى شأن ، وعلمت اللهم كلَّ شىء بغير تعليم ، فعلمت أن القوم لم يغاثوا[1] بالملائكة إلا وهم على أمر الله ، فلقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يسمعون من ذلك الهَجَرىّ بعد .

وكتب العلاء إلى أبى بكر رضى الله عنه :

أما بعد ، فإن الله عز وجل فجَّر لنا الدَّهْنَاَءَ فيضاً لا تُرى غواربه ، وأرانا آية وعبرة بعد غمّ وكرب ، لنحمد الله ونحمدهُ ، فادع الله واستنصره لجنوده وأعوان دينه ، فحمد [أبو بكر][2] الله ودعاه وقال : مازالت العرب [فيما][2] تحدث عن بلدانها ، يقولون : إن لقمان حين سُئِل عن الدَّهنَاء : أيحتفرونها أو يدعونها ؟ نَهاَهُم وقال : لاتبلغها الأرْشِيَة ، ولم تقر العيون ، وقال : إن شأن هذا الفيض من عظيم الآيات ، وماسمعنا به فى أمة قبلنا ، اللهم اخلف محمداً فينا[3] ، فلما عبر العلاء البحر إلى دارين[4] كتب إليه :

---

(١) كذا فى (خ) ، وفى المرجع السابق : « لم يعانوا » .

(٢) زيادة للسياق من (المرجع السابق) .

(٣) (تاريخ الطبرى) : ٣ / ٣٠١ وما بعدها ، من أحداث سنة (١١هـ) ، ذكر خبر أهل البحرين ، وردّة الحُطَم ، ومن تجمع معه بالبحرين ، وقال فيه بعد قول أبى بكر : اللهم اخلف محمداً ﷺ فينا : ثم كتب إليه العلاء بهزيمة أهل الخندق ، وقَتْل الحُطَم ، قتله زيد ومعمر :أما بعد ، فإن الله تبارك اسمه سلب عدوَّنا عقولهم ، وأذهب ريحهم بشراب أصابوه من النهار ، فاقتحمنا عليهم خندقهم ، فوجدناهم سكارى ، فقتلناهم إلا الشريد ، وقد قتل الله الحُطَم .

فكتب إليه أبو بكر : أما بعد ، فإنْ بلغك عن بنى شيمان بن ثعلبة تمامٌ على مابلغك ، وخاض فيه المرجفون ، فابعث إليهم جنداً فأوطئهم ، وشرِّدْ بهم من خلفهم ، فلم يجتمعوا ، ولم يصرْ ذلك من إرجافهم شىء . (المرجع السابق) ٣ / ٣١٣ ، (الكامل فى التاريخ) : ٢ / ٣٦٨ ـــ ٣٧٢ ، ذكر ردَّة ، أهل البحرين .

(٤) دارين : فُرضة بالبحرين تُجلب إليها المسك من الهند ، والنسبة إليها :دارِىُّ . قال الفرزدق :

كـأن تريكة من مـاء مُزْنٍ ودارىّ الزكـىّ مـن المـُدام

وفى كتاب سيف : أن المسلمين اقتحموا إلى دارين البحر مع العلاء بن الحضرمىّ فأجازوا ذلك الخليج =

أما بعد ، فإن الله عزَّ وجلّ حفظ محمداً فيمن لزم عهده ، وقام على أمره ، وكفاهم فقده ، وأحسن عليهم الخلافة من بعده ، فكنا فيمن حفظ منه ، ومنا كمن كان معه نبيه ﷺ فيمن قبلنا ، وانتهينا إلى البحر فتوكلنا على الله فركبناه ، فَمَهَّدَ لنا أثباجه ، وأرانا آياته ، فعبرنا إلى عدونا بدارين ، فلم ندع مقاتلاً إلا قتلناه ، وسبينا الذرارى والنساء ، وقسمنا ذلك على المسلمين ، فبلغ سهم الفارس ستة آلاف والراجل ألفين ، سوى ما نفلت من الأخماس أهل البلاد ، وبعث إليه بالخمس .

قال كاتبه : تأمل كتاب العلاء بن الحضرمى إلى أبى بكر رضى الله عنهما تجده قد عدَّ عبورهم إلى البحر معجزة ، وعلماً من أعلام نبوة رسول الله ﷺ وتصديقه ما وعده من إظهاره وإظهار شريعيه[1] .

وخرج من حديث أبى العباس السراج ، حدثنا الفضل بن سهل وهارون بن عبدالله قالا : حدثنا أبو النضر ، حدثنا سليمان بن المغيرة أن أبامسلم الخولانى رحمه الله ، جاء إلى الدجله وهى ترمى الخشب من مدها ، فمش على الماء والتفت إلى أصحابه وقال : هل تفقدون من متاعكم شيئاً فندعوا الله ؟ قال البيهقى: هذا إسناد صحيح[1] .

* * *

بإذن الله جميعاً يمشون على رملة ميثاء فوقها ماء يغمر أخفاف الإبل ..... ثم قال ياقوت الحموى : وهذه صنفة أوال ، أشهر مدن البحرين اليوم ، ولعل اسمها أول ودارين ، والله أعلم ، فتحت فى أيام أبى بكر رضى الله تعالى عنه سنة(١٢هـ) . (معجم البلدان) : ٢ / ٤٩٢ ، موضع رقم (٤٦٥٨) ، وقال فى هامشه : قال محمد بن عبد المنعم الحميرى فى كتاب (الروض المعطار) : ٢٣٠ :دارين : وبعضهم يقول دارون ، قرية فى بلاد فارس على شاطىء البحر ، فيقال مسك دارين وطيب دارين ، وليس بدارين ، طيب . قال الأصمعى : سأل كسرى عن هذه القرية من بناها . فقالوا : دارين ، أى عتيقة بالفارسية ، وقيل : بل كسرى قال : دارين لما لم يَدْر أوليتها .

(١) (دلائل البيهقى) : ٦ / ٥٤ ، وعنه نقلها ابْن كثير فى (البداية والنهاية) : ٦ / ١٧٣ . والعبارة السابقة على هذا الخبر من كلام المقريزى رحمه الله ، ولعله اقتبسها من كلام البيهقى ، حيث قال فى ذات الموضع : قلت : كل هذا يرجع إلى إكرام الله تعالى نبيهﷺ وإعزازه دينه الذى بعث به رسوله ﷺ وتصديقه ما وعده من إظهاره وإظهار شريعته .

[حادى وتسعون : شهادةُ الميِّتِ للمصطفى ﷺ بالرسالة]

وأما شهادة الميت للمصطفى ﷺ بالرساله ، فخرج البيهقىُّ وغيره من حديث القعنبىّ ، قال : حدثنا سليمان بن بلال عن يحى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، أن زيد بن خارجة الأنصارى ، من بنى الحارث بن الخزرج ، توفى زمن عثمان بن عفان رضى الله عنه فسجى فى ثوبه[1] ، ثم إنهم سمعوا جلجلة فى صدره ، ثم تكلم فقال : أحمد أحمد فى الكتاب الأول ، صَدَقَ صَدَقَ أبو بكر الصديق الضعيف فى نفسه القوى فى أمر الله فى الكتاب الأول ، صَدَقَ صَدَق عمربن الخطاب القول الأمين فى الكتاب الأول ، صَدَقَ صَدَقَ عثمان بن عفان على منهاجهم ، مضت أربع وبقيت اثنتان ، أتت الفتن ، وأكل الشديد الضعيف ، وقامت الساعة وسيأتيكم من جيشكم خبر بئر أريس[2] ، وما بئر أريس[3] .

---

(١) فى (خ) : « بقوبه » ، وما أثبتناه من (دلائل البيهقى) .

(٢) بئر أريس : بفتح الهمزة ، وكسر الراء ، وسكون الياء آخر الحروف ، وسين مهملة : بئر بالمدينة ، ثم بقباء مقابل مسجدها ، قال أحمد بن يحى بن جابر : نسبت إلى أريس رجل من المدنية من اليهود ، عليها مال لعثمان بن عفان رضى الله عنه ، وفيها سقط خاتم النبى ﷺ من يد عثمان ، فى السنة السادسة من خلافته ، واجتهد فى استخراجه بكل ماوجد إليه سبيلاً ، فلم يوجد إلى هذه الغاية ، فا ستدلوا بعد به على حادث فى الإسلام عظيم ، وقالوا : إن عثمان لما مال عن سيرة من كان قبله ، كان أول ما عوقب به ذهاب خاتم رسول الله ﷺ من يده ، وقد كان قبله فى يد أبى بكر ، ثم يد عمر ، ثم فى يد عثمان .

وقصة خاتم عثمان مذكورة فى (صحيح مسلم) كتاب اللباس والزينة ، باب لبس النبى ﷺ خاتماً من ورق ، من حديث ابن عمر ، وسيأتى ذلك فى موضعه مفصلاً إن شاء الله تعالى .

ولبئر أريس أيضاً من الفضل أن رسول الله ﷺ كان يضع رجليه فيها ، ويتوضأ منها ، وعندها بشَّر رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان بالجنة ، رضى الله عنهم أجمعين ، كما ورد ذلك فى (صحيح البخارى) ، وسيأتى ذلك فى موضعه مفصلاً إن شاء الله تعالى .

والأريس فى لغة أهل الشام : الفلَّاح ، وهو الأكار ، وجمعه أريسيون ، و أرارسة وأرارس ، فى الأصل جمع أرِّيس بتشديد الراء ، و أظنها لغة عبرانية ، وأحسب أن الرئيس مقدم القرية تعريبه ، وفى كتاب رسول الله ﷺ إلى هرقل عظيم الروم : « وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين » . (معجم البلدان) : ١ / ٣٥٤ ، موضع رقم (١٢٠٩) ، (المصباح المضىء) : ٢ / ٧٤

(٣) (دلائل البيهقى) : ٦ / ٥٥ ، باب ماجاء فى شهادة الميت لرسول الله ﷺ بالرسالة والقائمين بعده بالخلافة ، والرواية فى ذلك صحيحه ثابته ، وفى ذلك دلالة ظاهرة من دلالات النبوة .

قال يحى : قال سعيد : ثم هلك رجل من بنى خطمة فَسُجِّىَ بثوبه ، فَسُمِعَ جَلْجَلةٌ فى صدره ثم تكلم فقال : إن أخا بنى الحارث بن الخزرج صَدَقَ صَدَقَ[1] .

قال البيهقى : وهذا صحيح وله شواهد ، فذكر من طريق أبى بكر بن أبى الدنيا قال : حدثنا أبو مسلم عبد الرحمن بن يونس ، حدثنا عبد الله بن إدريس ، عن إسماعيل بن أبى خالد قال : جاءنا يزيد بن النعمان بن بشير إلى حلقة القاسم بن عبد الرحمن [بكتاب أبيه][2] النعمان بن بشير :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من النعمان بن بشير إلى أم عبد الله بنت أبى هاشم ، سلام عليكِ فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، فإنك كتبت إلى لأ كتب إليك بشأن زيد بن خارجة ، وأنه كان من شأنه أنه أخذه وجع فى حَلقه ، وهو يومئذ من أصحّ أهل المدينة ، فتوفى بين صلاة الأولى وصلاة العصر ، فأضجعناه لظهره وغشّيناه بردين وكساء ، فأتانى آت فى مقامى وأنا أسبِّح بعد العصر فقال : إن زيداً تكلم بعد وفاته ، فانصرفت إليه مسرعاً وقد حضره قوم من الأنصار وهو يقول — أو يقال على لسانه — :

الأوسط أجلد القوم الذى كان لايبالى فى الله عز وجل لومة لائم ، كان لايأمر الناس أن يأكل قويهم ضعيفهم ، عبد الله أمير المؤمنين صَدَقَ صَدَقَ ، كان ذلك فى الكتاب الأول ، قال : ثم قال : عثمان أمير المؤمنين وهو يعافى الناس من ذنوب كثيرة ، خلتْ ليلتان وبقى[3] أربع ، ثم اختلف الناس وأكل بعضهم بعضاً فلا نظام ، وأبيحت الأحماء ثم ارعوى المؤمنون وقالوا : كتاب الله وقدرة الناس ، أقبلوا على أميركم واسمعوا و أطيعوا ، فمن تولى فلا يَعْهَدَنَّ [ذماً][4] ، وكان أمر الله

---

(١) (المرجع السابق) . والخبر نقله ابن كثير عن البيهقى فى (البداية والنهاية) : ٦ / ١٧٣ ، قصة زيد ابن خارجه وكلامه بعد الموت وشهادته بالرسالة لمحمد ﷺ ، وبالخلافة لأبى بكر الصديق ، ثم لعمر ، ثم لعثمان رضى الله تعالى عنهم .

(٢) زيادة للسياق من (المرجع السابق) .

(٣) كذا فى (خ) ، وفى (دلائل البيهقى) : « وهى أربع » .

(٤) زيادة للسياق من (المرجع السابق) .

قدراً مقدوراً ، الله أكبر ، هذه الجنة وهذه النار ، وهؤلاء النبيون والصديقون ، سلام عليكم ياعبد الله ابن رواحه ، هل احتسبت[١] لى خارجة لأبيه ؟ وسعداً للذين قُتِلا يوم أحد ، ﴿ **كلا إنها لظى * نزاعة للشوى * تدعو من أدبر وتولى * وجمع فأوعى** ﴾ .

ثم خفض صوته فسألت الرهط عما سبقنى من كلامه فقالوا : سمعناه يقول : أنصتوا أنصتوا ، فنظر بعضنا إلى بعض فإذا الصوت من تحت الثياب ، فكشفنا عن وجهه فقال : هذا أحمد رسول الله ، سلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته ، ثم قال : أبو بكر الصدِّيق الأمين خليفة رسول الله ، كان ضعيفاً فى جسمه ، قوياً فى أمر الله ، صَدَقَ صَدَقَ ، وكان فى الكتاب الأول[٢] .

وذكر من حديث المعافى بن سليمان قال : حدثنا زهير بن معاوية قال : أخبرنا[٣] إسماعيل بن أبى خالد .. ، فذكره بإسناده ومعناه ، وزاد فى وسط الحديث : وكان ذلك على تمام سنتين خلتا من إمارة عثمان ، وقال فى آخره : فأما قوله : خلت ليلتان وبقى أربع ، فالسنتان : اللتان خلتا من إمارة عثمان ، قال : فلم أزل أحفظ العدة للأربع البواقى وأتوقع ماهو كائن فيهن ، فكان فيهن إنتزاء أهل العراق وخلافهم ، وإرجاف المرجفين وطعنهم على أميرهم الوليد بن عقبة ، والسلام ورحمة الله[٤] .

قال البيهقى : هذا إسناد صحيح ، وروى أيضا عن حبيب بن سالم ، عن النعمان بن بشير ، وذكر فيه بئر أريس ، كما ذكر فى رواية ابن المسيب ، قال :والأمر فيها أن النبى ﷺ اتخذ خاتما وكان فى يده ، ثم كان فى يد أبى بكر رضى الله عنه من بعده ، ثم كان فى يد عمر رضى الله عنه ، ثم كان فى يد عثمان رضى الله عنه حتى وقع فى بئر أريس بعد مامضى من خلافته ست سنين ، فعند ذلك تغيرت

(١) كذا فى (خ) ، وفى (المرجع السابق) :« أحْسَسْت » .
(٢) (المرجع السابق) : ٦ / ٥٦ ــ ٥٧ .
(٣) كذا فى (خ) ، وفى (المرجع السابق) : « أنبانا » .
(٤) (دلائل البيهقى) : ٦ / ٥٧ .

عماله ، وظهرت الفتن كما قيل على لسان زيد بن خارجه[(١)] .

قال البخارى فى كتاب التاريخ : زيد بن خارجه الخزرجى الأنصارى ، شهد بدراً ، توفى فى زمن عثمان ، هو الذى تكلم بعد الموت[(٢)] .

قال البيهقي : وقد روى فى التكلم بعد الموت عن جماعة بأسانيد صحيحة ، فذكر من طريق ابن أبى الدنيا قال : حدثنا خلف بن هشام البزار ، حدثنا خالد الطحان ، عن حصين عن عبد الله بن عبيد الأنصارى ، أن رجلاً من قتلى مسليمة تكلم فقال : محمد رسول الله ، أبو بكر الصديق ، عثمان الأمين الرحيم ، لا أدرى أيْشٍ قال لعمر[(٣)] .

ومن حديث على بن عاصم قال : أخبرنا حصين [بن عبد الرحمن][(٤)] بن عبد الله بن عبيد الأنصارى قال : بينما هم يصورون القتلى يوم صفين أو يوم الجمل ، تكلم رجل من الأنصار من القتلى فقال : محمد رسول الله ، أبو بكر الصديق ، عمر الشهيد ، عثمان الرحيم ، ثم سكت[(٥)] .

قال البيهقي : خالد الطحان أحفظ من على بن عاصم وأوثق . والله أعلم[(٥)] .
قال كاتبه : وقد صنّف أبو بكر بن أبى الدنيا كتابًا فيمن عاش بعد الموت .

* * *

---

(١) (دلائل البيهقى) : ٦ / ٥٧ .
(٢) (المرجع السابق) ، (التاريخ الكبير) :٣ / ٣٨٣ ، ترجمة رقم (١٢٨١) ، ونقله ابن كثير عن البيهقى فى (البداية والنهاية) : ٦ / ١٧٣ .
(٣) (دلائل البيهقى) : ٦ / ٥٨ .
(٤) زيادة للسياق من (دلائل البيهقى) .
(٥) (دلائل البيهقى) : ٦ / ٥٨ ، ونقله ابن كثير عن البيهقى فى (البداية والنهاية) : ٦ / ١٧٥ .
وأما زيد بن خارجه : فهو زيد بن خاجة بن أبى زهير بن مالك بن امرىء القيس بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الأنصارى ، شهد بدراً ، وتوفى فى زمن عثمان ، وهو الذى يقال أنه تكلم بعد الموت ، وأبوه من شهداء أحد ، وكان أبو بكر تزوج أخته ، فولدت له أم كلثوم ، وكذا ذكره فى البدريين وأنه المتكلم بعد الموت : ابن سعد ، وابن أبى حاتم ، والترمذى ، ويعقوب بن سفيان ، والبغوى ، والطبرى ، وأبو نعيم ، وغيرهم . له ترجمة فى : (تهذيب التهذيب) : ٣ / ٣٥٣ ـ ٣٥٤ ، ترجمة رقم (٧٤٧) ، (الإصابة) ٢ / ٢٢٣ ، ترجمة والده خارجة بن زيد رقم (٢١٣٨) ، ٣ ، ٦٠٣ ترجمة رقم (٢٨٩٦) ، ٣ / ٥٣ ، ترجمة أخيه سعد بن خارجة رقم (٣١٤٥) (أسماء الصحابة الرواة) :=

[ثانى وتسعون : شهادة الرضيع والأبكم برسالة المصطفى ﷺ]

وأما شهادة الرضيع والأبكم برسالة المصطفى ﷺ ، فخرج البيهقى من حديث محمد بن يونس الكديمى[1] قال : حدثنا شاصونه بن عبيد أبو محمد اليمانى ، وانصرفنا من عدن بقرية يقال لها الحَرْدَةُ ، قال : حدثنى مُعَرِّضُ بن عبد الله بن مُعَرِّضِ بن معقيب اليمانى ، عن أبيه عن جده قال :

حججت حجة الوداع فدخلت داراً بمكة ، فرأيت فيها رسول الله ﷺ ووجهه مثل دارة القمر ، وسمعت منه عجباً : جاءه رجل بغلام يوم ولد ، فقال له رسول الله ﷺ : ياغلام ! من أنا ؟ قال : رسول الله ، قال : صدقت بارك الله فيك ، قال : ثم إن الغلام لم يتكلم بعد ذلك حتى شبَّ ، قال : قال أبي : فكنا نسميه مبارك اليمامة ، قال شاصونه بن عبيد : وكنت قد أمرّ على معمر فلا أسمع منه[2] .

ومن حديث أبى الحسين محمد بن أحمد بن جميع الغسانى [بثغر صيدا][3] قال : حدثنا العباس بن محبوب بن عثمان بن عبيد أبو الفضل ، حدثنا أبى حدثنا جدى شَاصُونَةُ بن عبيد قال : حدثنى مُعَرِّضُ بن عبد الله بن مُعَيْتِبٍ عن أبيه عن جده قال :

حججت حجة الوداع فدخلت داراً بمكة ، فرأيت فيها رسول لله ﷺ

= ٤٤١ ، ترجمة رقم (٧٦٧) ، (الثقات) : ٣ / ١٤٠ ، (التاريخ الكبير) : ٣ / ٣٨٣ ، ترجمة رقم (١٢٨١) ، (الاستيعاب) : ٢ / ٥٤٧ ، ترجمة رقم (٨٤٤) ، (مسند أحمد) : ١ / ٣٢٧ ، حديث رقم (١٧١٦) ، (جمهرة أنساب العرب) ٣٦٤٠ ، (الكامل فى التاريخ) : ٣ / ١٩٩ ذكر خلافة عثمان ، (تاريخ الإسلام) : ٣ / ٣٤٠ — ٣٤١ .

(١) محمد بن يونس الكديمى أحد المتروكين ، كان يضع الحديث على الثقات وضعاً ، ولعله وضع أكثر من ألف حديث . وسئل عنه الدارقطنى فقال : يتهم بوضع الحديث ، وأورد له فى (الميزان) عدداً من منكراته ، وذكره ابن عراق فى (الوضاعين) عن ابن عدى وابن حبان . (المجروحين) : ٢ / ٣١٢ — ٣١٣ ، (ميزان الاعتدال) : ٤ / ٧٤ .

(٢) (دلائل البيهقى) : ٦ / ٥٩ ، باب شهادة الرضيع والأبكم لنبينا ﷺ بالرسالة إن صحت فيه الرواية .

(٣) زيادة للسياق من المرجع السابق ، وفيه : « أنبأنا العباس » .

وجهه كدارة القمر ، فسمعت منه عجباً : أتاه رجل من أهل اليمامة بغلام يوم ولد وقد لفَّهُ فى خرقة ، فقال له رسول الله ﷺ : ياغلام ! من أنا ؟ فقال : أنت رسول الله ، فقال له : بارك الله فيك ، ثم إن الغلام لم يتكلم بعدها[1] .

قال البيهقى : ورواه أبو الفضل أحمد بن خلف بن محمد المقرىء القزوينى ، عن أبى الفضل العباس بن محبوب بن شاصونه ، قال : ولهذا الحديث أصل من حديث الكوفيين بإسناد مرسل بخلافه فى وقت الكلام ، فذكر من حديث إبراهيم بن عبدالله العَبْسيّ قال : أخبرنا[2] وكيع بن الجراح عن الأعمش عن شمر بن عطية ، عن بعض أشياخه ، أن النبى ﷺ أُتِيَ بصبيٍّ قد شبَّ لم يتكلم قط ، فقال : من أنا ؟ قال : أنت رسول الله[3] ..

ومن حديث يونس بن بكير عن الأعمش ، عن شمر بن عطية ، عن بعض أشياخه قال : جاءت امرأة بابن لها إلى رسول الله ﷺ قد تحرك ، فقالت : يارسول الله ! إن ابنى هذا لم يتكلم منذ وُلد ، فقال رسول الله ﷺ : ادنيه ، فأدنته منه ، فقال : من أنا ؟ فقال : أنت رسول الله[4] .

* * *

(١) (دلائل البيهقى) : ٦ / ٦٠ ، وعنه نقله ابن كثير فى (البداية والنهاية) : ٦ / ١٧٥ ــ ١٧٦ باب فى كلام الأموات وعجائبهم ، وقال : هذا الحديث مما تكلم الناس فى محمد بن يونس الكديمى بسببه ، وأنكروه عليه ، واستغربوا شيخه هذا ، وليس هذا مما ينكر عقلاً ولا شرعاً ، فقد ثبت فى الصحيح فى قصة جريج العابد أنه استنطق ابن تلك البغى ، فقال له : يا أبا يونس ، ابن من أنت ؟ قال : ابن الراعى ، فعلم بنو إسرائيل براءة عرض جريج مما كان نسب إليه ... على أنه قد روى هذا الحديث من غير طريق الكديمى ، إلا أنه بإسناد غريب أيضاً .

(٢) كذا فى (خ) ، وفى (دلائل البيهقى) : « أنبأنا » .

(٣) (المرجع السابق) : ٦ / ٦٠ ــ ٦١ .

(٤) (دلائل البيهقى) : ٦ / ٦١ ، (البداية والنهاية) : ٦ / ١٧٦ نقلا عن المرجع السابق . والحديث مرسل ، وشمر بن عطية الأسدى الكاهلى ، الكوفى : وثقه النسائى وابن حبان ، ونقل ابن خلفون توثيقه عن ابن نمير ، وابن معين ، والعجلى . (تهذيب التهذيب) : ٤ / ٣١٩ ، ترجمة رقم (٦٢٥) .

[ثالث وتسعون : وجود رائحة الطيب حيث سلك]

وأما وجود رائحة الطيب حيث سلك رسول الله ﷺ طريقاً ، وسجود ما يمرّ به من حجر أو شجر له ، ومجّه أطيب من المسك فى الدلو ، فخرج البيهقى من حديث إسحاق بن الفضل الهاشمى قال : أخبرنى المغيرة بن عطية عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله قال : كان فى رسول الله ﷺ خصال : لم يكن فى طريق فيتبعه أحد إلاعرف أنه قد سلكه من طيب عرقه أو ريح عرقه ـــ الشك من إسحاق ـــ ولم يكن مرَّ بحجر ولا شجر إلا سجد له[1] .

ومن حديث أبى أسامة عن مسعر ، عن عبد الجبار بن وائل الحضرمى عن أبيه قال : رأيت النبى ﷺ يمضمض فى دلو مجَّ فيه مسكاً أو أطيب من المسك ، قال : أبو أسامة : يقول فى ذلك الماء استنثر خارجاً منه [2] . وقد تقدم شىء من ذلك .

(١) (دلائل البيهقى) : ٦ / ٦٩ ، باب ماجاء فى وجود رائحة الطيب من كل طريق سلكه نبينا ﷺ ، وسجود الحجر والشجر الذى يمر عليه ومجّه مسكاً أو أطيب من المسك فى الدلو الذى كان يشرب منه ﷺ .

(٢) (المرجع السابق) : ٦ / ٦٩ ، وقال أبو نعيم بسنده : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس قال : كنا نعرف رسول الله ﷺ إذا أقبل بطيب ريحه . (دلائل أبى نعيم) : ٢ / ٤٤٣ ، حديث رقم (٣٦٢) ، ومن حديث إسحاق بن الفضل الهاشمىّ ، حدثنا المغيرة بن عطية ، عن أبى الزبير ، عن جابر قال : كان فى رسول الله ﷺ خصال ، لم يكن فى طريق فسلكه أحد إلاعرف أنه سلكه من طيب عرفه ، أوريح عرقه ،

وبالسند السابق ذكره الدارمى فى (السنن) : ١ / ٣٢ ، باب فى حُسْن النبى ﷺ ، وابن سعد فى (الطبقات) : ١ / ٣٩٨ ـــ ٣٩٩ ، باب حُبِّبَ إلى رسول الله ﷺ من النساء والطيب ، والسيوطى فى (الخصائص الكبرى) : ١ / ١٦٦ .

[رابع وتسعون : ابتلاع الأرض ما يخرج منه إذا ذهب لحاجته ﷺ]

وأما ابتلاع الأرض ما يخرج منه إذا ذهب لحاجته ، فخرج الدارقطنى من حديث عبدة بن سليمان ، عن هشام بن عروة عن أبيه ، عن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت يارسول الله ، إنى أراك تدخل الخلاء ثم يجىء الذى يدخل بعدك فلا يرى لما يخرج منك أثراً ، فقال : ياعائشة ! أما علمت أن الله أمر الأرض أن تبتلع ماخرج من الأنبياء ؟[1] .

وخرجه أبو نعيم[1] من حديث إسماعيل بن إبان ، حدثناعنبسة بن عبد الرحمن ابن محمد بن زاذان ، عن أم سعد عن عائشة قالت : قلت : يارسول الله ! تأتى الخلاء فلانرى شيئاً من الأذى ؟ قال : ياعائشة ! أما علمت أن الأرض تبتلع مايخرج من الأنبياء فلا يرى منه شىء ؟

وقال ابن السائب عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنه قال : لم يُحْدث رسول الله ﷺ فى موضع قط إلا ابتلعته الأرض .

وخرج البيهقى من حديث الحسين بن علوان قال : حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : كان النبى ﷺ إذا دخل الغائط دخلت فى إثره فلا أرى شيئاً إلا أنى كنت أشم رائحة الطيب ، فذكرت ذلك له فقال : يا عائشة ! أما علمت أن أجسادنا نبتت على أرواح أهل الجنة ، وما خرج منها من شىء ابتلعته

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى (دلائل النبوة) : ٢ / ٤٤٣ — ٤٤٤ ، حديث رقم (٣٦٤) تحت عنوان : بوله وغائطه ﷺ ، وقال السيوطى فى (الخصائص الكبرى) ١ / ١٧٦ : لهذا الحديث عدة طرق ، هذه التى أخرجها أبو نعيم ، وأخرى أخرجها البيهقى من طريق حسين بن علوان ، وأخرى أخرجها الحاكم فى (المستدرك) ، وطريق رابع أخرجه الدارقطنى فى (الأفراد) ، قال : حدثنا محمد بن سليمان الباهلى ، حدثنا محمد بن حسان الأموى ، حدثنا عبدة بن سليمان ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه عن عائشة ، فذكر نحوه ، ثم قال ابن دحية فى (الخصائص) بعد إيراده : هذا سند ثابت ؛ محمد بن حسان بغدادى ثقة صالح ، وعبدة من رجال الشيخين .

الأرض ؟[1] .

قال البيهقى : فهذا من موضوعات الحسين بن علوان ، لا ينبغى ذكره ، ففى الأحاديث الصحيحة والمشهورة فى معجزاته كفاية عن كذب ابن علوان[2] .

قال كاتبه : هو الحسين بن علوان أبو على الكوفى الكلبى ، قال ابن معين :كذاب ، وقال النَّسائى متروك الحديث ، وقال ابن عدى : وللحسين هذا أحاديث كثيرة ، وعامتها موضوعه ، وهو فى عدد من يضع الحديث[3] .

وخرج أبو نعيم من حديث شهاب بن معمر العوفى ، حدثنا عبد الكريم الخزار ، حدثنا أبو عبد الله المدينى ، عن ليلى ــ حاجبة عائشة وخادمتها ومولاتها ــ قالت : قلت : يارسول الله ! إنك تدخل الخلاء ، فإذا خرجتَ دخلت إثرك فما أرى شيئاً إلا أنى أجد رائحة المسك ، قال : إنا معشر الأنبياء بنيت أجسادنا على أرواح الجنة ، فما خرج منا شيءٌ إلا ابتلعته الأرض[4] .

وذكر ابن سبع فى (كتاب الشفا) عن بعض الصحابة أنه قال : صحبته ﷺ فى سفر ، فلما أراد قضاء حاجته عاينته وقد وجد مكاناً فقضى حاجته ، فدخلت فى الموضع الذى خرج منه فلم أرله أثر غائط ولا بول ، ورأيت فى ذلك

---

(١) (دلائل البيهقى) : ٦ / ٧٠ .

(٢) (المرجع السابق) .

(٣) هو الحسين بن علوان . من أهل الكوفة ، كان يضع الحديث على هشام بن عروة وغيره من الثقات وضعاً ، لا تحل كتابة حديثه إلا على جهة التعجب ، كذبه أحمد بن حنبل ــ رحمه الله ــ روى عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة ، أن النبى ﷺ قال : أكثر الحيض عشرة وأقله ثلاثة .

وروى عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة ، عن النبى ﷺ قال : أربع لا يشبعن من أربع : أرض من مطر ، وعين من نظر ، وأنثى من ذكر ، وطالب علم من علم .

وروى غير ذلك من الأحاديث التى أوردها الحافظ محمد بن حبان بن أحمد أبى حاتم فى كتاب (المجروحين) ، ثم قال : وليس لهذه الأحاديث كلها أصول ، لأنها كلها موضوعه إلا حديث السخاء، فإنه يُعرف من حديث الأعرج عن أبى هريرة . (المجروحين) : ١ / ٢٤٤ ــ ٢٤٦ ، وقال الذهبى : قال يحى : كذاب ، وقال علىّ : ضعيف جداً ، وقال أبو حاتم ، والنسائى والدارقطنى : متروك الحديث . (ميزان الإعتدال) : ١ / ٥٤٢ ــ ٥٤٣ ، ترجمة رقم (٢٠٢٧)

الموضع ثلاثة أحجار ، فأخذتهن فى كفى فتعلقت رائحتهن رائحة طيب عطره[1] .

* * *

(١) راجع التعليق رقم (١) ، من أحاديث هذا الباب .

وذكر ابن الجوزى فى (العلل المتناهية) : ١ / ١٨٧ — ١٨٨ ، باب ابتلاع الأرض لحدثه ﷺ حديث عائشة رضى الله عنها من طريقين ثم قال : هذا لايصح .

[خامس وتسعون : رؤيته ﷺ من خلفه كما يرى من أمامه]

وأما أنه يرى من خلفه ﷺ كما يرى من أمامه ، فخرج البخارى ومسلم من حديث عبد الوارث قال : حدثنا عبد العزيز — وهو ابن صهيب — عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : أتموا الصفوف فإنى أراكم خلف ظهرى . وقال البخارى : أقيموا الصفوف . ذكره فى باب تسوية الصفوف عند الإقامة وبعدها[1] .

وخرج البخارى من حديث زهير ، عن حميد عن أنس ، عن النبى ﷺ قال : أقيموا صفوفكم ، فإنى أراكم من وراء ظهرى ، وكان أحدنا يلزق منكبه بمنكب صاحبه وقدمه بقدمه . ترجم عليه باب إلزاق المنكب بالمنكب والقدم بالقدم فى الصف[2] قال : النعمان بن بشير رأيت الرجل منا يلزق كعبه بكعب صاحبه[3] .

وخرج فى باب إقبال الإمام على الناس عند تسوية الصفوف من حديث زائدة ابن قدامة ، حدثنا حميد الطويل ، حدثنا أنس بن مالك قال : أقيمت الصلاة

---

(١) (فتح البارى) : ٢ / ٢٦٣ ، كتاب الأذان ، باب (٧١) تسوية الصفوف عند الإقامة وبعدها ، حديث رقم (٧١٨) ، قوله ﷺ « فإنى أراكم » ، فيه إشارة إلى سبب الأمر بذلك ، أى إنما أمرت بذلك لأنى تحققتُ منكم خلافه . قال الزين بن المنير : لا حاجة إلى تأويلها لأنه فى معنى تعطيل لفظ الشارع من غير ضرورة . وقال القرطبى : بل حملها على ظاهرها أولى ، لأن فيه زياده فى كرامة النبى ﷺ .

(٢) (فتح البارى) : ٢ / ٢٦٨ ، كتاب الأفان ، باب (٧٦) إلزاق المنكب بالمنكب والقدم بالقدم فى الصف ، حديث رقم (٧٢٥) .

(٣) قوله : « وقال النعمان بن بشير » هذا طرف من حديث أخرجه أبو داود ، وصححه ابن خزيمة من رواية أبى القاسم الجدلى ، واسمه حسين بن الحارث ، قال : سمعت النعمان بن بشير يقول : أقبل رسول الله ﷺ على الناس بوجهه فقال : أقيموا صفوفكم ثلاثًا ، والله لتقيمن صفوفكم ، أو ليخالفن الله بين قلوبكم ، قال : فلقد رأيت الرجل منا يلزق منكبه بمنكب صاحبه ، وكعبه بكعبه .

واستدل بحديث النعمان هذا ، على أن المراد بالكعب فى آية الوضوء . العظم الناتىء فى جانبى الرِّجل — وهو عند ملتقى الساق والقدم — وهو الذى يمكن أن يلزق بالذى جنبه ، خلافاً لمن ذهب إلى أن المراد بالكعب مؤخر القدم ، وهو قول شاذ ينسب إلى بعض الحنفية ، ولم يثبته محققوهم ، وأثبته بعضهم فى مسأله الحج لا الوضوء ، وأنكر الأصمعى قول من زعم أن الكعب فى ظهر القدم — (فتح البارى) : ٢ / ٢٦٩ .

فأقبل علينا رسول الله ﷺ بوجهه فقال : أقيموا صفوفكم وتراصّوا فإنى أراكم من وراء ظهرى(١) .

ومن حديث إسماعيل عن حميد عن أنس قال : أقبل علينا رسول الله ﷺ بوجهه حين قام إلى الصلاة يريد أن يكبر ، فقال مثله سواء(٢) .

وخرج مسلم من حديث أبى أمامة عن الوليد ــ يعنى ابن كثير ــ قال : حدثنى سعيد بن أبى سعيد المقبرى ، عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : صلى[رسول الله] ﷺ يوماً ثم انصرف فقال : يافلان ! ألا تحسن صلاتك ؟ ألا ينظرالمصلى إذا صلى كيف يصلى ؟ فإنما يصلى لنفسه ، إنى والله لأبصر من ورائى كما أبصر من بين يدى(٣) .

وخرج البخارى(٤) ومسلم(٥)من حديث مالك بن أنس عن أبى الزناد عن الأعرج ، عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : هل ترون قبلتى هاهنا ؟

---

(١) (فتح البارى) : ٢ / ٢٦٤ ، كتاب الأذان ، باب (٧٢) إقبال الإمام على الناس عند تسوية الصفوف ، حديث رقم (٧١٩) .

(٢) وفى هذا الحديث : جواز الكلام بين الإمامة والدخول فى الصلاة ، وفيه : مراعاة الإمام لرعيته والشفقة عليهم وتحذيرهم من المخالفة .

و(مسلم بشرح النووى) : ٤ / ٣٩٩ ، كتاب الصلاة ، باب (٢٨) تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها ، و الازدحام على الصف الأول والمسابقة إليها ، وتقديم أولى الفضل وتقريبهم من الإمام ، حديث رقم (١٢٥) .

(٣) (مسلم بشرح النووى) : ٤ / ٣٩٢ ، كتاب الصلاة ، باب (٢٤) الأمر بتحسين الصلاةِ وإتمامها والخشوع فيها ، حديث رقم (١٠٨) ، قال العلماء : معناه أن الله تعالى خلق له ﷺ إدراكاً فى قفاه يبصر به من ورائه ، وقد انخرقت العادة له ﷺ ، بأكثر من هذا ، وليس يمنع من هذا عقل ولا شرع ، بل ورد الشرع بظاهره ، فوجب القول به .

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى وجمهور العلماء : هذه الرؤية رؤية بالعين حقيقة ، وقوله ﷺ : إنى لأراكم من بعدى ، أى من ورائى كما فى الروايات الباقية . قال القاضى عياض : وحمله بعضهم على بعد الوفاة ، وهو بعيد عن سياق الحديث .

(٤) (فتح البارى) : ٢ / ٢٨٦ ، كتاب الأذان ، باب (٨٨) الخشوع فى الصلاة ، حديث رقم (٧٤١) .

(٥) (مسلم بشرح النووى) : ٤ / ٣٩٢ ، كتاب الصلاة ، باب (٢٤) الأمر بتحسين الصلاة ، حديث رقم (١٠٩) .

فوالله ما يخفي عليّ ركوعكم ولا خشوعكم ــ ولم يذكر السجود ــ .

وأخرجا معاً من حديث شعبة قال : سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك ، عن النبى ﷺ قال : أقيموا الركوع والسجود ، فوالله إنى أراكم من بعدى ــ وربما قال : من بعد ظهرى ــ إذا ركعتم أو سجدتم . ذكره البخارى فى باب الخشوع فى الصلاة[1] .

وخرج مسلم بعد حديث شعبة ، من حديث معاذ ــ يعنى ابن هشام ــ ومن حديث ابن أبى عدى عن سعيد ، كلاهما عن قتادة عن أنس ، أن النبى ﷺ قال : أتموا الركوع والسجود ، فوالله إنى لأراكم من بعد ظهرى إذا ماركعتم وإذا ما سجدتم . وفى حديث سعيد : إذا ركعتم أو سجدتم[2] .

وخرج البخارى من حديث همام ، حدثنا قتادة ، حدثنا أنس بن مالك أنه سمع النبى ﷺ يقول : أتموا الركوع والسجود ، فوالذى نفسي بيده إنى لأراكم من بعد ظهرى إذا ماركعتم وإذا ما سجدتم . ذكره فى كتاب الأيْمان [والنذور] فى آخر باب كيف كانت يمين النبى ﷺ[3] .

وخرج فى باب عظة الإمام الناس فى إتمام الصلاة ، من حديث فليح بن سليمان ، عن هلال بن على عن أنس بن مالك قال : صلى لنا النبى ﷺ صلاة ثم رقى المنبر فقال : فى الصلاة وفى الركوع ، إنى أراكم من ورائى كما أراكم .

وقال سيف بن عمرو ، عن عمرو بن محمد عن الشعبى ، عن مسروق قال : سألت عائشة عن [إطباق عبد الله بن مسعود] بيديه بين ركبتيه إذا ركع ، فقال : إن النبى ﷺ كان يرى من خلفه كما يرى من بين يديه ، زيادة من الله عزّ وجل ، زادها إياه فى حجته ، فرأى أناساً يصنعون كما يصنع الرهبان فحولهم من ذلك إلى

---

(١) (فتح البارى) : ٢ / ٢٨٦ ــ ٢٨٧ ، كتاب الأذان ، باب (٨٨) الخشوع فى الصلاة ، كتاب الصلاة ، باب (٢٤) الأمر بتحسين الصلاة وإتمام الخشوع فيها ، حديث رقم (١١٠) .

(٢) (المرجع السابق) : حديث رقم (١١١)) .

(٣) (فتح البارى) : ١١ / ٦٤٤ ، كتاب الأيمان والنذور ، باب (١٠) كيف كانت يمين النبى ﷺ ؟ حديث رقم (٦٦٤٤) .

ما عليه الناس اليوم من إطباق الركب بالأكُفّ ، وتفريج الأصابع .

قال الشافعي — رحمة الله عليه — : فى رواية حرمله قوله : إنى لأراكم من وراء ظهرى ، كرامة من الله أبانه بها من خلفه . وقال الأثرم : قلت لأبى عبد الله — يعنى أحمد بن حنبل رحمه الله — : قول النبى ﷺ إنى لأراكم من وراء ظهرى فقال : كان يرى من خلفه كما يرى من بين يديه ، قلت له : إن إنساناً قال لى : هو فى ذلك مثل غيره ، وإنما كان يراهم كما ينظر الإمام من عن يمينه ، فأنكر ذلك إنكاراً شديداً .

وقال أبو عمر يوسف بن عبد البر هذا كما قال ﷺ ، ولا سبيل إلى كيفية ذلك ، وهو علم من أعلام نبوته ﷺ

وخرج من طريق قاسم بن أصبغ عن سفيان عن داود وحميد وابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، [فى] قوله عزَّ وجل : ﴿ **وتقلبك فى الساجدين** ﴾[1] قال : كان النبى ﷺ يرى من خلفه فى الصلاة كما يرى من بين يديه .

وخرج البيهقى من حديث فضيل عن عبد الملك بن أبى سليمان ، عن قيس عن مجاهد ، فى قوله تعالى : ﴿ **الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين** ﴾[1]، قال : كان رسول الله ﷺ يرى من خلفه من الصفوف كما يرى من بين يديه[2]

وقال الحبر أبو زكريا النووى — رحمه الله — : قال العلماء : معناه أن الله تعالى خلق له ﷺ إدراكاً فى قفاه يبصر به من ورائه ، وقد انخرقت العادة له ﷺ بأكثر من هذا ، وليس يمنع من هذا عقل ولا شرع ، بل ورد الشرع بظاهره فوجب القول به[3] .

---

(١) سورة الشعراء الآية : ٢١٩ .

(٢) (دلائل البيهقى) : ٦ / ٧٤ . وقال مجاهد : المراد تقلب بصره في من يصلى خلفه . (البحر المحيط) : ٨ / ١٩٨ ، وقال مجاهد أيضا : كان رسول الله ﷺ يرى من خلفه كما يرى من أمامه . ويشهد لذلك ما صح فى الحديث : « سوّوا صفوفكم فإنى أراكم من وراء ظهرى » (تفسير ابن كثير) : ٣ / ٣٦٥ .

(٣) (شرح الإمام النووى على صحيح مسلم) : ٤ / ٣٩٢ — ٣٩٣ ، كتاب الصلاة ، باب (٢٤) الأمر بتحسين الصلاة وإتمامها والخشوع فيها ، شرح الحديث رقم (١٠٨) ، (١٠٩) ، (١١٠) ، (١١١) .

قال القاضي — يعنى أبا الفضل عياض [بن موسى اليحصبى] قال أحمد بن حنبل وجمهور العلماء : هذه الرؤية بالعين حقيقة[١] ، فخرج الحافظ أبو أحمد بن عدى من حديث زهير بن عباد قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن المغيرة ، عن المعلى بن علاء ، عن هشام بن عروة عن عبد الله عن عائشة رضى الله عنها. قالت :كان رسول الله ﷺ يرى فى الظلمة كما يرى فى الضوء[٢] . وأورده البيهقى من طريق ابن عدى ثم قال : وهذا إسناد فيه ضعف[٣] .

قال كاتبه : محمد بن المغيرة أبو الحسن ، قال ابن عدى : وسائر أحاديثه مما لايتابع عليه ، ومع ضعفه يكتب حديثه .

قال البيهقى : وروى فى ذلك من وجه آخر ليس بالقوى ، فذكر من حديث مغيرة بن مسلم عن عطاء ، عن ابن عباس رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يرى بالليل فى الظلمة كما يرى فى النهار فى الضوء[٤] .

وخرج الحافظ أبو بكر بن ثابت البغدادى ، من حديث زهير بن عباد الروائى ، عن عبد الله بن المغيرة ، عن هشام بن عروة عن أبيه ، عن عائشة رضى الله

---

(١) انظر التعليق السابق والمرجع السابق .

(٢) (كنز العمال) : ٧ / ١٦٠ ، حديث رقم (١٨٥١٩) ، وعزاه إلى البيهقى فى (دلائل النبوة) عن ابن عباس ، وابن عدى عن عائشة .

(٣) (دلائل البيهقى) : ٦ / ٧٤ — ٧٥ .

(٤) (المرجع السابق) : ٦ / ٧٥ ، قال ابن عدى فى (الكامل) : ٤ / ٢١٧ — ٢١٨ ، فى ترجمة عبد الله بن محمد بن المغيرة رقم (٢٨ / ١٠٢٥) : وهذا الحديث عن هشام بن عروة ، يرويه ابن المغيرة ، وعنه زهير بن عباد ، وقال عنه ابن حجر فى (لسان الميزان) : ٣ / ٤١٠ : هو عمّ علان بن المغيرة . وقال أبو حاتم : ليس بقوى ، وقال ابن يونس : منكر الحديث ، وقال ابن عدى : عامة مايرويه لا يتابع عليه ، ثم أورد فى أحاديثه : « كان رسول الله ﷺ يرى فى الظلمة كما يرى فى الضوء » . ترجمة عبد الله بن محمد بن المغيرة الكوفى رقم (٣٩١ / ٤٧٤٢) من المرجع السابق .

وأورده ابن الجوزى فى (العلل المتناهية) : ١ / ١٧٣ — ١٧٤ ، باب أنه ﷺ يبصر فى الظلمة ، حديث رقم (٢٦٦) ثم قال : هذا حديث لا يصح ، قال العقيلى : عبد الله بن محمد بن المغيرة يحدث بما لا أصل له ، وعباس بن الوليد كان المدينى يتكلم فيه . ثم قال محقق (العلل المتناهية) : وثقه الدارقطنى ، وابن قانع ، وذكره ابن حبان فى الثقات ، وقال أبو حاتم : يكتب حديثه ، وقال ابن معين : صدوق كما فى (التهذيب) ، وتليين ابن المدينى مبهم فلا يعتبر به .

عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يرى فى الظلمة كما يرى فى الضوء . رواه عن زهير عن حسين بن صالح بن أبى الدواهى ، وعنه محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمى وقال : لم أكتب عنه غير هذا الحديث . مات سنة إحدى ومائتين . ا هـ

وقال الزبير بن بكار : حدثنى محمد بن الحسن عن القسم بن عبد الله ، عن حسين بن عبد الله عن أبيه عن جده ، أن النبى ﷺ خطب أم سلمة فقال : كيف يارسول الله ورجالى بمكة ؟ قال : يزوجك ابنك ويشهد لك رجال من أصحاب رسول [الله] ، ثم دخل عليها رسول الله ﷺ فى الظلمة ، فوطىء على ابنتها زينب فصاحت ، فقال رسول الله ﷺ : ماهذا ؟ قالوا : زينب ، ثم دخل عليها فى ليلة أخرى فى ظلمة فقال : انظروا ، زُنى بكم بهذه ، لا أضاء عليها ؟؟ قال السهيلى : وفى هذا الحديث توهين لرواية من روى أنه كان يرى بالليل كما يرى بالنهار .

* * *

[سادس وتسعون : إضاءة طرف سوط الطفيل بن عمرو الدوسى]

وأما إضاءة طرف سوط الطفيل بن عمرو الدوسي ، فخرج ابن الكلبى فى نسب دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحرث بن كعب بن عبد الله ابن مالك بن نضر بن الأزد : وطفيل بن ذى النون واسمه عمرو بن طريف بن العاص ابن ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس .

وفد إلى النبى ﷺ فقال : إن دوساً قد غلب عليها الزنا ، فادع الله عليهم ، فقال النبى ﷺ : اللهم اهد دوساً ، فقال : يارسول الله ، ابعثنى إليهم ، ففعل ، فقال : اجعل لى آية يهدون بها ، فقال : اللهم نور له ، فسطع نور بين عينيه ، فقال : يارب! أخاف أن يقولوا مُثْله ، فتحول إلى طرف سوطه ، فكان يضىء فى الليلة الظلماء ، فقال : يارسول الله ! اجعلنا يمنتك واجعل شعارنا مبرور ، ففعل ، فشعار الأزد اليوم كلها مبرور ، ثم قُتل يوم اليمامة ، وقتل ابنه عمرو بن الطفيل يوم اليرموك .[1]

وقد خرج أبو عمر بن عبد البر هذا الحديث فى ترجمة الطفيل من طريق هشام ابن الكلبى[2] كما أوردته ، على ما نقلُته فى كتاب (الجامع) ، ثم قال أبو عمر : للطفيل بن عمرو الدوسي فى معنى ماذكر ابن الكلبى خبر عجيب ، ذكره الأموى فى مغازيه عن الكلبى عن أبى صالح ، عن ابن عباس عن الطفيل بن عمرو .

وذكره ابن إسحاق عن عثمان بن الحويرث ، عن صالح بن كيسان ، عن

---

(١) لم أجد هذه السياقة فى (جمهرة النسب) للكلبى . برواية السكرى عن ابن حبيب ، (جمهرة أنساب العرب) لابن حزم : ٣٨٢ ؛ باب : وهؤلاء بنو سليم بن فهم بن غنم بن دَوْس ، (التعريف بالأنساب) : ١٧٦ .

(٢) لعله برواية أخرى غير رواية السّكّرى عن ابن حبيب .

ابن عمرو ، قال :كنت رجلاً شاعراً سيداً فى قومى ، قال : فقدمت مكة فمشيت إلى رجالات قريش فقالوا : ياطفيل ، إنك امرءٌ شاعر مطاع فى قومك ، وإنا قد خشينا أن يراك هذا الرجل فيصيبك ببعض حديثه ، فإنما حديثه كالسحر ، فاحذره أن يدخل عليك وعلى قومك كمادخل علينا وعلى قومنا ، فإنه يفرق بين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجه ، وبين المرء وابنه ، فوالله مازالوا يحدثون فى شأنه وينهونى أن أسمع منه شيئاً حتى قلت : والله لا أدخل المسجد إلا وأنا سادٌّ أذنى ، قال : فعمدت إلى أذنىّ فحشوتهما كرسفاً[1] ثم غدوت إلى المسجد ، فإذا برسول الله ﷺ قائماً فى المسجد .

قال : فقمتُ منه قريباً ، وأبى الله أن لايسمعنى ، فقال :فقلت فى نفسى : والله إن هذا لمعجزة ، والله إنى امرؤ [ثبتت][2] علىّ الأمور ، وما يخفى حسنها ولا قبيحها ، والله لأسمعن منه ، فإن كان أمره رَشَداً أخذت منه ، وإن كان غير ذلك اجتنبتُه .

قال : فقلت بالكُرْسفةِ[3] فنزعتها من أذنى فألقيتها ثم استمعت له ، فلم أسمع كلاماً قط أحسن من كلام يتكلم به ، قال : فقلت فى نفسى : — ياسبحان الله ! ماسمعت كاليوم لفظاً أحسن منه ولا أجمل ، قال : ثم انتظرت رسول الله ﷺ حتى انصرف ، فاتبعته فدخلت معه بيته فقلت له : يامحمد ! إن قومك جاءونى فقالوا لى : كذا وكذا — فأخبرتُه بالذى قالوا — وقد أبى الله إلا أن يُسمعنى منك ما تقول ،وقد وقع فى نفسى أنه حق ، فأعرضْ علىَّ دينك وما تقول . وماتأمر به ، وما تنهى عنه .

قال : فعرض علىّ الإسلام فأسلمت ثم قلت : [يارسول الله][3] ، إنى راجع إلى دوس وأنا فيهم مطاع . وأنا داعهم إلى الإسلام ، لعل الله أن يهديهم ، فادع الله أن يجعل لى آية تكون لى عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه ، فقال : اللهم اجعل

---

(١) الكرسف : القطن ونحوه .
(٢) كذا فى (خ) ، فى (الاستيعاب) : « والله إنى امرؤ ثبت ما يخفى علىّ من الأمور حسنها ولا قبيحها » .
(٣) زيادة للسياق من (الاستيعاب) .

له آية تعينه على ما ينوى من الخير . قال : فخرجت حتى أشرفت [على ثنية أهلى][1] ، التى تهبط بى على حاضرة دوس ،

قال : وأبى هناك شيخ كبير وامرأتى وولدى ، قال : فلما علوت الثنية ، وضع الله بين [عينى][1] نوراً [كالشهاب][2] يتراءاه[3] الحاضر فى ظلمة الليل و أنا منهبط [من الثنية][1] ، فقلت : اللهم فى غير وجهى ، فإنى أخشى أن يظنوا أنها مُثلة لفراق دينهم ، فتحول فوقع فى رأس سوطى ، فلقد رأيتنى أسير على بعيرى إليهم ، وإنه على رأس سوطى كأنه قنديل معلق فيه حتى قدمت عليهم ، قال : فأتانى أبى فقلت : إليك عنى فَلَسْتَ منك ولست منى .

قال : وما ذاك أىْ بنىّ ؟ قلت أسلمت واتبعت دين محمد ، قال : أى بنى ، فإن دينى دينك ، قال : فحَسُن إسلامه ، ثم أَتَتْني صاحبتى فقلت : إليك عنى ، فلست منك ولست منى ، قالت : وماذاك ؟ بأبى أنت وأمى ، فقلت : أسلمت واتبعت دين محمد ، فلست تحلين لى ولا أحل لك ، قالت : فدينى دينك ، قال : فقلت اعهدى إلى هذه المياه فاغتسلى منها وتطهرى وتَعَالَى ، ففعلتْ ثم جاءت فأسلمت وحسن إسلامها ، ثم دعوت دوساً إلى الإسلام ، فأبتْ علىّ وتعاصت.

قال : ثم قدمت على رسول الله ﷺ مكة ، فقلت : يارسول الله ، غلب على دوس الزنا والربا ، فادع الله عليهم فقال : اللهم اهد دوساً .

قال : ثم رجعت إليهم ، وهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة فأقَمتُ [بين ظهرانيهم][1] أدعوهم إلى الإسلام حتى استجاب لى منهم من استجاب ، وسبقتنى بدر ، وأحد ، والخندق ، مع رسول الله ﷺ ، ثم قدمت على رسول الله ﷺ بثمانين أو تسعين أهل بيت من دوس إلى المدينة ، فكنت مع رسول الله ﷺ حتى فتح [الله][1] مكه ، فقلت : يارسول الله ! ابعثنى إلى [ذى الكفين][1] صنم

---

(١) زيادة للسياق من (الاستيعاب) .

(٢) زيادة فى (خ) .

(٣) سياق العبارة مضطرب فى هذا الموضع وصوبناه من (المرجع السابق) .

عمرو بن حممة حتى أحرقه ، قال : أجل ، فاخرج إليه فَحَرِّقْهُ ، قال : فخرجت حتى قدمت عليه فجلعتُ أوقد عليه النار ـــ واسمه ذو الكفين ـــ قال : وأنا أقول :[1] .

ياذا الكفين لستُ من [عبادكا]   ميلادنا أكبر من [ميلادكا][2]
إنى حَشَوْتُ النار فى [فؤادكا][2]

ثم [قدمت على] رسول الله فأقَمتُ معه حتى قبض .

قال : فلما بعث أبو بكر رضى الله عنه بَعْثَهُ إلى مسيلمة الكذاب ، خرجت مع المسلمين ومعى ابنى عمرو بن الطفيل ، حتى إذا كنا ببعض الطريق رأيت رؤيا ، فقلت لأصحابنا : إنى قد رأيت رؤيا ، عبِّروها ، قالوا : وما رأيت ؟ قلت : رأيت رأسي حُلِقَ ، وأنه خرج من فمى طائر ، وأن امرأة لقيتنى وأدخلتنى فى فرجها ، وكأن ابنى يطلبنى طلباً حثيثاً فحيل بينى وبينه ، قالوا : خيراً أما والله فقد أولتها :

أما حلق رأسى [فَقَطْعُهُ][3] وأما الطائر فروحى ، وأما المرأة التى أدخلتنى فى فرجها فالأرض تحفر لى وأدفن فيها ، فقد رجوتُ أن أقتل شهيداً [وأما طلب ابنى إياى فلا أراه إلا سيغدو فى طلب الشهادة ، ولا أراه يلحق بى فى سفرنا هذا ، فقتل الطفيل شهيداً يوم اليمامة ، وجُرح ابنه ، ثم قتل باليرموك بعد ذلك فى زمن عمر بن الخطاب شهيداً][4] .

---

(١) فى (خ) : « أقول ، وهو يشتعل بالنار » وما أثبتناه رواية ابن عبد البرّ فى (الاستيعاب) .
(٢) نصوبيات من (الاستيعاب) .
(٣) فى (خ) : « فقتلى » ، وما أثبتناه من (الاستيعاب) .
(٤) مابين الحاصرتين سياقه مضطرب فى (خ) ، واستدركناه من (المرجع السابق) ، (الاستيعاب) : ترجمة الطفيل بن عمروالدوسى رقم (٤٢٥٨) ، وقال فى نسبه : الطفيل بن عمرو بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس الدوسي . وقيل :هو ابن عبد عمرو بن عبد الله بن مالك بن عمرو بن فهم لقبه : ذو النور
(طبقات ابن سعد) : ٤ / ٢٣٧ ـــ ٢٤٠ ، باب الطفيل بن عمرو ، وفيه « أنا حششت النار
(سيرة ابن هشام) : ٢ / ٢٢٦ ـــ ٢٢٩ ، باب إسلام الطفيل بن عمروالدوسى، من رواية ابن إسحاق ،
(دلائل البيقى) : ٥ / ٣٥٩ ـــ ٣٦٣ ، باب قصة دَوْس والطفيل بن عمرو رضى الله عنه وماظهر بين عينيه من النور ، ثم رأس سوطه ، وما كان فى رؤياه وفى دعاء النبى ﷺ من براهين الشريعة ،
(فتح البارى) : ٨ / ١٢٧ ، باب (٧٦) قصة دوس والطفيل بن عمرو الدوسيّ ، حديث رقم (٦٣٩٢)

وقد روى هذا الحديث من طريق أبى نعيم[1] ، إلا أن هذه السياقة أتمّ وأكثر فائدة ، والله أعلم .

* * *

(١) (دلائل أبى نعيم) : ١ / ٢٣٨ ، الفصل الخامس عشر : ذكر أخذ القرآن ورؤية النبى ﷺ بالقلوب ، حتى دخل كثير من العقلاء فى الإسلام فى أول ملاقاة ، حديث رقم (١٩١) .

[سابع وتسعون : إضاءة عصا أسيد بن حضير[1] وعباد بن بشر[2]]

وأما إضاءة عصا أسيد بن حضير وعباد بن بشر لما خرجا من عند النبي ﷺ

---

(١) هو أُسيْد بن حُضيْر بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جُشم ابن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأشهلي .

اختُلف في كنيته ، فقيل فيها خمسة أقوال : أبو عيسى ، وأبو يحيى ، وأبو عتيك ، وأبو الحضير ، وأبو الحُصين . قال ابن عبد البر : وأخشى أن يكون تصحيفاً ، والأشهر أبو يحيى ، وهو قول ابن إسحاق وغيره .

أسلم قبل سعد بن معاذ على يدي مصعب بن عمير ، وكان ممن شهد العقبة الثانية ، وهو من النقباء ليلة العقبة ، وكان بين العقبة الأولى والثانية سنة ، ولم يشهد بدراً . كذلك قال ابن إسحاق .

وغيره يقول : إنه شهد بدراً ، وشهد أحداً ، وما بعدهما من المشاهد ، وجرح يوم أحد سبع جراحات ، وثبت مع رسول الله ﷺ حين انكشف الناس .

وكان أُسَيْد بن حُضَيْر أحد العقلاء الكَمَلة من أهل الرأي ، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة ، وكان أسيد بن حضير من أحسن الناس صوتاً بالقرآن ، وحديثه في استماع الملائكة قراءته حين نفرت فرسه حديث صحيح ، جاء عن طرق صحاح من نقل أهل الحجاز والعراق .

وذكر البخاري عن عبد العزيز الأوَيْس ، عن إبراهيم بن سعد ، عن ابن إسحاق ، عن يحيى بن عباد ، عن أبيه عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : ثلاثة من الأنصار لم يعتد أحدٌ عليهم فضلاً ، كلهم من بني عبد الأشهل : سعد بن معاذ ، وأسيد بن حضير ، وعباد بن بشر .

توفي أسيد بن حضير في شعبان سنة عشرين ، وقيل : سنة إحدى وعشرين ، وحمله عمر بن الخطاب بين العمودين من عبد الأشهل ، حتى وضعه بالبقيع ، وصلى عليه . وأوصى إلى عمر بن الخطاب ، فنظر عمر في وصيته فوجد عليه أربعة آلاف دينار ، فباع نخله أربع سنين بأربعة آلاف ، وقضى دينه . وقيل : إنه حمل نعشه بنفسه بين الأربعة أعمدة وصلى عليه .. له ترجمة في : (الاستيعاب) : ١ / ٩٢ ، باب أسيد ، ترجمة رقم (٥٤) ، (الإصابة) : ١ / ٨٣ ، ذكر من اسمه أُسيد بالضم ، ترجمة رقم (١٨٥) ، (طبقات ابن سعد) : ٣ / ١٣٥ ، (تاريخ الإسلام) : ٢ / ٣٣ ، (تهذيب التهذيب) : ١ / ٣٤٧ ، (خلاص تذهيب الكمال) : ٣٨ ، (كنز العمال) : ١٣ / ٢٧٧ - ٢٨٠ ، (شذرات الذهب) : ١ / ٣١ ، (سير أعلام النبلاء) : ١ / ٣٤٠ - ٣٤٣ ، ترجمة رقم (٧٤) .

(٢) هو عباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل الأنصاري الأشهلي ، يكنى أبا بشر ، ويكنى أبا الربيع .

قال أبو عمر : لا يختلفون أنه أسلم بالمدينة على يد مصعب بن عمير ، وذلك قبل إسلام سعد ابن معاذ ، وأسيد بن حُضير ، وشهد بدراً ، وأحداً ، والمشاهد كلها ، وكان فيمن قتل كعب بن الأشرف اليهوديّ ، وكان من فضلاء الصحابة . =

في ليلة مظلمة حتى مشيا في ضوئهما كرامة للمصطفى ﷺ ، فخرج البخاري في كتاب الصلاة[١] ، وفي كتاب المناقب[٢] من حديث معاذ[٣] قال : حدثني أبي عن قتادة ، حدثنا أنس رضي الله عنه أن رجلين من أصحاب النبي ﷺ خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة ، ومعهما مثل المصباحين يضيئان بين أيديهما ، فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد ، حتى أتى أهله .

وخرج أيضاً في مناقب أسيد بن حضير من حديث حبان قال : حدثنا همام قال : أخبرنا قتادة عن أنس ، أن رجلين خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة ، فإذا نور بين أيديهما حتى تفرقا فتفرق النور معهما[٤] .

وقال معمر : عن ثابت عن أنس ، أن أسيد بن حضير ورجلاً من الأنصار ، وقال حماد : أخبرنا ثابت عن أنس ، كان أسيد بن حضير وعباد بن بشر عند النبي ﷺ[٤] .

* * *

= روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن عصاه كانت تضيء له إذا كان يخرج من عند رسول الله ﷺ إلى بيته ليلاً ، وعرض له ذلك مرة مع أسيد بن حُضير ، فلما افترقا أضاءت لكل واحد منهما عصاه .

عن عائشة قالت : ثلاثة من الأنصار لم يكن أحد يعتدّ عليهم فضلاً ، كلهم من بني عبد الأشهل : سعد بن معاذ ، وأسيد بن حُضير ، وعباد بن بشر . هكذا ذكر البخاري .

قال ابن إسحاق : شهد بدراً مع رسول الله ﷺ عباد بن بشر ، وقُتل يوم اليمامة شهيداً ، وكان له يومئذ بلاء وعناء ، فاستشهد يومئذ وهو ابن خمس وأربعين سنة . له ترجمة في : (الاستيعاب) : ٢ / ٨٠١ - ٨٠٤ ، باب العين بعدها الباء ، ذكر من اسمه عبَّاد بفتح أوله والتشديد ، ترجمة رقم (٤٤٥٨) ، (تاريخ الإسلام) : ١ / ٣٧٠ ، (طبقات ابن سعد) : ٣ / ١٦ ، (التاريخ الصغير) : ٣٦ ، (الجرح والتعديل) : ٦ / ٧٧ .

(١) (فتح الباري) ١ / ٧٣٤ ، كتاب الصلاة ، باب (٧٩) [فضل المشي إلى المسجد في الليلة المظلمة] ، حديث رقم (٤٦٥) .

(٢) (فتح الباري) : ٦ / ٧٨٤ ، كتاب المناقب ، باب (٢٨) (بدون ترجمة) ، حديث رقم (٣٦٣٩) .

(٣) هو معاذ بن هشام .

(٤) (فتح الباري) : ٧ / ١٥٧ - ١٥٨ ، كتاب مناقب الأنصار ، باب (١٣) منقبة أسيد بن حُضَيْر ، وعباد بن بشر رضي الله عنهما ، حديث رقم (٣٨٠٥) ، قال الحافظ ابن حجر في (الفتح) : وفي الصحابة عباد بن بشر بن قيظي ، وعباد بن بشر بن نهيك ، وعباد بن بشر بن وقش ، وصاحب هذه القصة هو هذا الثالث ، ووهم من زعم خلاف ذلك . (فتح الباري) : ٧ / ١٥٨ ، (دلائل =

[ثامن وتسعون : إضاءة العصا للنبي ﷺ ومن معه]

وأما إضاءة العصا للنبي ﷺ ومن معه ، فخرج أبو نعيم من حديث شبابة عن [نضر بن طريف] ، عن ثابت عن أنس ، أن رسول الله ﷺ وعمر رضي الله عنه سهرا عند أبي بكر رضي الله عنه يتحدثان عنده حتى ذهب ثلث الليل ثم خرجا ، وخرج أبو بكر معهما في ليلة مظلمة ومع أحدهما عصا ، فجعلت تضيء لهما وعليها نور حتى بلغوا المنزل[1] .

* * *

= أبي نعيم) : ٢ / ٥٦١ ، باب ذكر إضاءة العصا وغيرها ، حديث رقم (٥٠٣) ، (مسند أحمد) : ٣ / ٥٩٨ ، حديث رقم (١١٩٩٦) ، (دلائل البيهقي) : ٦ / ٧٧ ، باب ما جاء في إضاءة عصا الرجلين من أصحاب النبي ﷺ حتى خرجا من عنده في في ليلة مظلمة ، حتى مشيا في ضوئها كرامة لنبي الله ﷺ ، وما روى في إضاءة عصا أبي عبس ، ثم ما جاء في إضاءة أصابع حمزة بن عمرو الأسلمي حتى جمعوا ظهورهم .

(١) لم أجده عند أبي نعيم أو غيره ، وأحاديث الباب الصحيحة تشهد لصحته ، والله تعالى أعلم .

[تاسع وتسعون : إضاءة عصا أبي عبس الأنصاري]

وأما إضاءة عصا أبي عبس الأنصاري ، فخرج أبو نعيم والبيهقي والحاكم ، كلهم من حديث زيد بن الحباب قال : حدثني عبد المجيد بن أبي عبس [بن جبر][1] الأنصاري قال : أخبرني ميمون بن زيد بن أبي عبس قال : أخبرني أبي أن أبا عبس كان يصلي مع النبي ﷺ الصلوات ثم يرجع إلى بني حارثة ، فخرج في ليلة [مظلمة مطرية][1] فنورت له عصاه حتى دخل دار بني حارثة[2] .

قال كاتبه : أبو عبس هذا هو ابن جبر اسمه عبد الرحمن بن جبر ، ويقال : ابن جابر بن عمرو بن زيد بن جشم بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج ابن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الحارثي ، شهد بدراً وهو ابن ثمان وأربعين سنة ، وشهد المشاهد كلها ، وهو معدود من كبار الصحابة من الأنصار ، مات سنة أربع وثلاثين وهو ابن سبعين سنة بالمدنية ، وصلى عليه عثمان رضي الله عنه ، روى عنه غيابة بن رافع بن خديج ، وكان أبو عبس يكتب بالعربية قبل الإسلام ، وكان فيمن قتل كعب بن الأشرف[3] .

(١) زيادة للنسب من (دلائل أبي نعيم) .

(٢) (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٥٦٢ ، باب ذكر إضاءة العصا وغيرها ، حديث رقم (٥٠٤) ، (دلائل البيهقي) : ٦ / ٧٨ ، وقال فيه : « فنور له في عصاه » ، (المستدرك) : ٣ / ٣٩٤ ، باب ذكر مناقب عبد الله أبي عبس بن جبر الأنصاري الخزرجي ، رضي الله تعالى عنه ، حديث رقم (٥٤٩٥ / ١٠٩٣) ، وقال الذهبي في (التلخيص) : مرسل .

(٣) له ترجمة في : (الاستيعاب) : ٢ / ٨٢٧ ، ترجمة رقم (١٣٩٦) ، (الإصابة) : ٤ / ٢٩٥ ، ترجمة رقم (٥٠٩٩) ، ٧ / ٣١٠ ، ترجمة رقم (١٠٣٦٤) .

[تمام المائة : إضاءة العرجون الذي أعطاه الرسول ﷺ لقتادة]

وأما إضاءة العرجون الذي أعطاه رسول الله ﷺ لقتادة بن النعمان الأنصاري ، فخرج أبو نعيم من حديث فليح بن سليمان ، عن سعيد بن الحارث عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : كانت ليلة مطيرة ، فلما خرج رسول الله ﷺ لصلاة العشاء برقت برقة ، فرأى رسول الله ﷺ قتادة ابن النعمان ، فقال : يا قتادة ، إذا صليت فاثبت حتى آمرك ، فلما انصرف [من صلاته][1] أعطاه العرجون فقال : خذ هذا يضيء لك أمامك عشراً وخلفك عشراً .[2] [فأضاء له][1] .

وخرجه الإمام أحمد من حديث يونس وسُريج قالا : حدثنا فليح عن سعيد [ابن الحارث][3] عن أبي سلمة قال : كان أبو هريرة يحدثنا عن رسول الله ﷺ أنه قال : إن في الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم وهو في صلاة يسأل الله خيراً إلا أتاه إياه ، قال : وقللها أبو هريرة بيده .

قال : فلما توفي أبو هريرة قلت : والله لو جئت أبا سعيد فسألته عن هذه الساعة أن يكون عنده منها علم ، فأتيته فأجده[4] ، [يُقوِّم عراجين][5] فقلت : يا أبا سعيد ! ما هذه العراجين التي أراك تُقوِّم ؟ قال : هذه عراجين جعل الله لنا فيها بركة ، كان رسول الله ﷺ يحبها ويتخصَّر بها ، فكنا نقومها ونأتيه بها ، فرأى بصاقاً في قبلة المسجد وفي يده عرجون من تلك العراجين ، فحكه وقال : إذا كان أحدكم في صلاته فلا يبصقن أمامه فإن ربه أمامه ، وليبصق عن يساره أو تحت قدمه ، قال : ثم قال سُريج : فإن لم يجد مبصقاً ففي ثوبه أو نعله ، [قال :][6] ثم هاجت

---

(١) زيادة للسياق من (أبي نعيم) .
(٢) (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٥٦٢ ، حديث رقم (٥٠٥) .
(٣) زيادة في النسب من (المسند) .
(٤) في (خ) : « فوجدته » وما أثبتناه من (المسند) .
(٥) زيادة للسياق من (المسند) . (٦) زيادة للسياق من (المسند) .

السماء من تلك الليلة ، فلما خرج النبي ﷺ لصلاة العشاء الآخرة برقت برقة ، فرأى قتادة بن النعمان فقال : ما السُّرى يا قتادة[1] ؟؟ قال : علمت يا رسول الله ﷺ أن شاهد الصلاة قليل ، فأحببت أن أشهدها ، قال : فإذا صليت يا رسول الله فاثبت حتى أمرَّ بك ، فلما انصرف أعطاني العرجون ، قال : خذ هذا فسيضيء لك أمامك عشراً وخلفك عشراً ، فإذا دخلت البيت وتراءيت[2] سواداً في زاوية البيت فاضربه قبل أن تتكلم[3] فإنه شيطان[4] ، قال : ففعل ، فنحن نحب هذه العراجين لذلك .

قلت : يا أبا سعيد ، إن أبا هريرة حدثنا عن الساعة التي في الجمعة ، فهل عندك منها علم ؟ فقال : سألت النبي ﷺ عنها فقال : إني كنتُ أعلمها ثم أنسيتها كما أنسيت ليلة القدر . ا.هـ ، وحديث أبي هريرة في الساعة التي في الجمعة وقع في الصحيح ، وحديث أبي سعيد في البصاق وقع فيه أيضاً[5] .

* * *

(١) في (خ) : « يا أبا قتادة » وما أثبتناه من (المسند) .
(٢) في (خ) : « ورأيت » وما أثبتناه من (المسند) .
(٣) كذا في (خ) ، وفي (المسند) : « يتكلم » .
(٤) في (خ) : « الشيطان » وصوبناه من (المسند) .
(٥) (مسند أحمد) : ٣ / ٤٧٤ ، حديث رقم (١١٢٣٠) ، وزاد في آخره : قال : ثم خرجت من عنده فدخلت على عبد الله بن سلام .

[الاول بعد المائة : البرقة التي أضاءت للحسنين رضي الله عنهما]

وأما البرقة التي أضاءت للحسنين حتى مشيا لأمهما كرامة لجدهما ﷺ، فخرج أبو نعيم من حديث موسى بن عثمان عن الأعمش[١] ، عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان الحسن عند النبي ﷺ في ليلة ظلماء ، وكان يحبه حباً شديداً ، فقال : أذهب إلى أمي ، فقلت : أذهب معه يا رسول الله ؟ قال : لا ، فجاءت برقة من السماء فمشى في ضوئها حتى بلغ أمه[٢] .

وخرج أبو نعيم من حديث كامل بن العلاء ، عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : بينما نحن نصلي مع رسول الله ﷺ العشاء ، فكان يصلي فإذا سجد وثب الحسن والحسين [رضي الله عنهما][٣] على ظهره ، فإذا أراد أن يرفع أخذهما فوضعهما وضعاً رفيقاً ، فإذا عاد عادا حتى قضى صلاته فانصرف ووضعهما على فخذيه ، قال أبو هريرة : فقمت إليه فقلت : يا رسول الله ! أذهب بهما إلى أمهما ؟ قال : لا ، فبرقت برقة فقال : إلحقا بأمكهما [فما زالا يمشيان في][٤] ضوئها حتى دخلا[٥] . وخرجه الحاكم من حديث كامل بن العلاء وقال : هذا حديث حسن صحيح الإسناد .

* * *

---

(١) سنده في أبي نعيم : حدثنا عبد الرحمن بن صالح ، حدثنا موسى بن عثمان عن الأعمش عن أبي هريرة .

(٢) (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٥٦٢ - ٥٦٣ ، حديث رقم (٥٠٦) ، وفيه : « أذهب معه يا رسول الله ؟ قال : فجاءت برقة .. » . قال السيوطي في (الخصائص الكبرى) : ٢ / ٣٢٤ : انفرد به أبو نعيم .

(٣) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي) .

(٤) ما بين الحاصرتين سياقة مضطرب ، وصوبناه من (دلائل البيهقي) .

(٥) (دلائل البيهقي) : ٦ / ٧٦ ، باب ما جاء في البرقة التي برقت لابني ابنة رسول الله ﷺ حين خرجا من عنده حتى مشيا في ضوئها كرامة للنبي ﷺ . (مسند أحمد) : ٣ / ٣١٥ ، حديث رقم (١٠٢٨١) باختلاف يسير ، حديث رقم (١٠٢٨٢) وفيه : « حتى دخلا على أمهما » .

[الثانى بعد المائة : إضاءة أصابع حمزة بن عمرو الأسلمي]

وأما إضاءة أصابع حمزة بن عمرو الأسلمي ، وهو بطريق مكة حتى جمع ما سقط من متاع رحل رسول الله ﷺ وما تفرق من إبل أصحابه في الليلة التي مكر المنافقون برسول الله ﷺ ، فخرج البيهقي من حديث سفيان بن حمزة عن كثير ابن زيد ، عن محمد بن حمزة الأسلمي ، عن أبيه قال : كنا مع النبي ﷺ في سفر فتفرقنا في ليلة ظلماء دَحْمسة[1] ، فأضاءت أصابعي حتى جمعوا عليها ظهرهم وما هلك منهم ، وإن أصابعي[2] لتنير[3] .

وفي رواية قال : نفرت دوابنا في سفر ونحن مع رسول الله ﷺ في ليلة ظلماء دحمسة ، فأضاءت أصبعي حتى جمعوا عليها ظهورهم ، وإن أصبعي لتنير[3] وخرجه أبو نعيم أيضاً[4] .

وقال الواقدي في مغازيه - وقد ذكر غزوة تبوك وعود النبي ﷺ قافلاً منها - : قالوا : لما كان رسول الله ﷺ ببعض الطريق مكر به أناس من المنافقين ، وأتمروا أن يطرحوه في عقبة في الطريق ، فلما بلغ رسول الله ﷺ تلك العقبة أرادوا أن يسلكوها معه ، فأُخبر رسولُ الله ﷺ خبرهم ، فقال للناس : اسلكوا بطن الوادي فإنه أسهل وأوسع ، فسلك الناس بطن الوادي ، وسلك رسول الله ﷺ العقبة ، وأمر عمار بن ياسر أن يأخذ بزمام الناقة يقودها ، وأمر حذيفة بن اليمان أن يسوق من خلفه .

فبينا رسول الله ﷺ يسري بالعقبة ، إذ سمع حِسَّ القوم قد غَشُّوه ، فغضب وأمر حذيفة أن يُرُدَّهم ، فرجع حذيفة إليهم - وقد رأوا غضب رسول الله ﷺ - فجعل يضرب وجوه رواحلهم بمحجن في يده ، وظن القوم أن رسول الله ﷺ قد أُطْلع على مكرهم ، فانحطوا من العقبة مسرعين حتى خالطوا الناس ، وأقبل حذيفة حتى أتى رسول الله ﷺ فساق به .

---

(١) دحمسة : شديدة الظلام . (٢) في (خ) : « أصابعهم » .

(٣) (دلائل البيهقي) : ٦ / ٧٩ .

(٤) (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٥٦٣ ، حديث رقم (٥٠٧) ، وأخرجه البخاري في التاريخ .

فلما خرج رسول الله ﷺ من العقبة نزل الناس فقال رسول الله ﷺ : يا حذيفة ، هل عرفت أحداً من الركب الذين رددتَهم ؟ قال : يا رسول الله ، عرفت راحلة فلان وفلان ، وكان القوم مُتَلثمين [فلم][1] أبصرهم من أجل ظلمة الليل ، وكانوا قد أنفروا بالنبي ﷺ فسقط بعض متاع رحله ، فكان حمزة بن عمرو الأسلمي رضي الله عنه يقول : فَنُوِّرَ لي في أصابعي الخمس فأضاءت ، حتى كنا نجمع ما سقط : السوط والحبل وأشباهما ، حتى ما بقى من المتاع شيء إلا جمعناه ، وكان لحق بالنبي ﷺ في العقبة[2] . والله أعلم .

* * *

(١) زيادة للسياق من (مغازي الواقدي) .
(٢) (مغازي الواقدي) : ٣ / ١٠٤٢ - ١٠٤٣ .

[الثالث بعد المائة :رؤية أنس بن مالك النور بأيدي قوم في الدعاء]

فخرج أبو نعيم من حديث محمد بن عثمان بن أبي شيبة قال : حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا عمران بن زيد التغلبي ، عن خطاب بن عمير[(١)] ، عن الحسن[(٢)] ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : خرجت مع رسول الله ﷺ من البيت إلى المسجد ، وقوم في المسجد رافعي أيديهم يدعون الله عزَّ وجل[(٣)] ، فقال رسول الله ﷺ : يا أنس ! هل ترى ما بأيدي القوم[(٤)] ؟ قلت : ما ترى بأيديهم نوراً[(٥)] ؟ قلت : ادع الله أن يُرينه ، قال : فدعا الله فرأيته ، فقال : يا أنس[(٦)] [استعجل بنا حتَّى نشرك القوم ، فأسرعت مع نبي الله ﷺ فرفعنا أيدينا][(٧)] .

وخرجه البيهقي من طريق البخاري ، قال : حدثنا يوسف بن راشد ، حدثنا أحمد ابن عبد الله ، حدثنا عمران بن زيد بسنده ومتنه ، ثم قال البخاري : لا يتابع عليه[(٧)] .

---

(١) هو خطاب بن عمير الثوري . وقيل : ابن عمر .

(٢) هو الحسن بن الحسن الثوري .

(٣) في (الضعفاء الكبير) : « فإذا قوم جلوس في المسجد رافعي أيديهم يدعون الله » .

(٤) في (خ) : « هل ترى ما أرى بأيدي القوم » ، وما أثبتناه من (المرجع السابق) .

(٥) في (المرجع السابق) : « قلت ما أرى ؟ قال : بأيديهم نور .

(٦) ما بين الحاصرتين في (المرجع السابق) : « فقال أسرع حتى تنشر يدك مع القوم ، قال : فأسرعنا فنشرنا أيدينا مع القوم » ، وما أثبتناه من (خ) ، ولعلها رواية أبي نعيم .

(٧) هذا الحديث ذكره أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي في (الضعفاء الكبير) : ٢ / ٢٤ – ٢٥ ، في ترجمة خطاب بن عُمَيْر الثوريّ رقم (٤٤٤) ، عن الحسن ولا يتابع على حديثه ، ولا يعرف إلا بهذا الحديث ، وذكره البخاري في (التاريخ الكبير) : ٣ / ٢٠٢ ، ترجمة خطاب بن عمير رقم (٦٩٢) وقال : ولا يتابع عليه ، (لسان الميزان) ٢ / ٤٨٩ ، ترجمة خطاب بن عمير رقم (١٠٩ / ٣١٦٣) ، وقال : ذكره ابن الجارود في (الضعفاء) ، وابن حبان في (الثقات) : ٦ / ٢٧٢ .

[الرابع بعد المائة:

تسليم الملائكة على عمران بن حصين تكرمة للرسول ﷺ]

وأما تسليم الملائكة على عمران بن حصين تكرمة للرسول ﷺ ، فخرج الإمام أحمد من حديث وهب بن جرير قال : حدثنا أبي قال : سمعت حميد بن هلال يحدث عن مطرف ، عن عبد الله قال : قال لي عمران بن حصين : أنه كان يُسلِّم عليّ ، فلما اكتويت انقطع التسليم ، [فقلت له : أمن قبل رأسك كان يأتيك التسليم] أو من قبل رجلك ؟ قال : بل من قبل رأسي ، فقلت : لا أرى أن تموت حتى يعود ذلك ، فلما كان بعد قال [لي] : أشعرت أن التسليم عاد لي ؟ ثم لم يلبث يسيراً حتى مات رضي الله عنه[1] .

قال أبو نعيم : وقد رواه شعبة عن قتادة ، وحميد بن هلال عن مطرف نحوه ، وروى غندر ويحيى بن سعيد عنه .

ومن حديث مسدد قال : سمعت يحيى بن سعيد القطان يقول : ما قدم علينا البصرة رجل من أصحاب النبي ﷺ أفضل فضلاً من عمران بن حصين ، أتت

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الحج ، باب (٢٣) جواز التمتع ، حديث رقم (١٦٧) ، (١٦٨) ، وقال في الحديث الأول : « وقد كان يُسَلَّم عَلَيَّ حتى اكتويتُ فَتُرِكْتُ ، ثم تركتُ الكَيَّ فعاد » وقال في الحديث الثاني مخاطباً مطرف : « فإن عشتُ فاكتم عني ، وإن متُّ فحدث بها إن شئت ، إنه قد سُلِّم عليّ » .

قال الإمام النووي : قوله « وقد كان يسلم عليّ حتى اكتويتُ فتركتُ ، ثم تركتُ الكيّ فعاد » ، فقوله : يُسلَّم عليّ ، بفتح اللام المشددة ، وقوله : فتُركت ، هو بضم التاء ، أي انقطع السلام عليّ ، ثم تركت - بفتح التاء - أي تركتُ الكي فعاد السلام عليّ .

ومعنى الحديث : أن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه ، كانت به بواسير ، فكان يصبر على المهمات ، وكانت الملائكة تسلم عليه ، فاكتوى ، فانقطع سلامهم عليه ثم ترك الكي فعاد سلامهم عليه .

أما قوله : فإن عشت فاكتم عني ، فأراد به الإخبار بالسلام عليه ، لأنه كره أن يشاع عنه ذلك في حياته ، لما فيه من التعرض للفتنة ، بخلاف ما بعد الموت . (مسلم بشرح النووي) : ٨ / ٤٥٦ - ٤٥٧ .

وفي (خ) : « إني لا أرى » ، وما أثبتناه من (الطبقات) ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه .

عليه ثلاثون سنة تسلم عليه الملائكة من حوانيت بيته . قال أبو نعيم : عني يحيى ابن سعيد المستوطنين من الصحابة لا المجتازين[1] .

* * *

(١) وعمران بن حصين هو : عمران بن الحصين بن عبيد بن خلف بن عبد نُهم بن خريبة بن جهمة بن غاضرة بن حبشية بن كعب بن عمرو ، ويكنّى عمران أبا نُجيد . أسلم قديماً هو أوبوه وأخته ، وغزا مع رسول الله ﷺ غزوات . ولم يزل في بلاد قومه ، وينزل إلى المدينة كثيراً إلى أن قُبض النبي ﷺ ومُصِّرت البصرة فتحول إليها فنزلها إلى أن مات بها سنة ثنتين وخمسين في خلافة معاوية .

وحديث تسليم الملائكة عليه مشهور في كتب الطبقات والتراجم ، له ترجمة في : (طبقات ابن سعد) : ٧ / ٩ - ١٢ في تسمية من نزل البصرة من أصحاب رسول الله ﷺ ، (الاستيعاب) ٣ / ١٢٠٨ ، ترجمة رقم (١٩٦٩) ، (الإصابة) : ٤ / ٧٠٥ ، ترجمة رقم (٦٠١٤) .

[الخامس بعد المائة : نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن]

وأما نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن في زمن المصطفى ﷺ ، فخرج البخاري ومسلم من حديث أبي خيثمة زهير عن أبي إسحق ، عن البراء قال : كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط بشطنين ، فغشته سحابة فجعلت تدور وتدنو ، وجعل فرسه ينفر منها ، فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر له ذلك ، فقال : تلك السكينة تنزلت للقرآن . قال البخاري : وإلى جانبه فرس مربوط بشطنين ، وقال : فجعلت تدنو وتدنو ، وقال : نزلت بالقرآن . ترجم عليه باب فضل [سورة] الكهف(1) .

---

(1) (فتح الباري) : ٩ / ٦٩ - ٧٠ ، كتاب فضائل القرآن ، باب (١١) فضل [سورة] الكهف ، حديث رقم (٥٠١١) ، (مسلم بشرح النووي) : ٦ / ٣٢٩ ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب (٣٦) نزول السكينة لقراءة القرآن ، حديث رقم (٢٤٠) .

قوله : « وعنده فرس مربوط بشطنين » ، هو بفتح الشين المعجمة ، والطاء ، وهما تثنية شطن [وجمعه أشطان] ، وهو الحبل الطويل المضطرب .

قال مُحققه : [قال عنترة] :

[لما رأيت القوم أقبل جمعهم ... يتذامرون كررتُ غير مذمَّم]

[يدعون عنتر والرماح كأنها ... أشطان بئر في لبان الأدهَم]

قوله : « وجعل فرسه تنفر » ، وفي الرواية الثانية : « فجعلت ينفر » ، وفي الثالثة « وجعل فرسه ينفر » ، غير أنهما قالا : « ينقز ، أما الأوليان : فبالفاء والراء بلا خلاف ، وأما الثالثة : فبالفاء المضمومة وبالزاي ، وحكاه القاضي عياض عن بضعهم وغلَّطه ، ومعنى « ينقز » بالقاف والزاي : يثب .

قوله : « فَتغشَّتْهُ سحابةٌ فجعلت تدور وتدنو ، فقال النبي ﷺ : تلك السكينة نزلت للقرآن » ، وفي الرواية الأخيرة : « تلك الملائكة كانت تستمع لك ولو قرأت لأصبحتْ يراها الناس ماتستتر منهم » .

قد قيل في معنى السكينة هنا أشياء ، المختار منها : أنها شيء من مخلوقات الله تعالى ، فيه طمأنينة ورحمة ، ومعه الملائكة . والله أعلم .

وفي هذا الحديث : جواز رؤية آحاد الأمة الملائكة ، وفيه فضيلة القراءة ، وأنها سبب نزول الرحمة ، وحضور الملائكة ، وفيه فضيلة استماع القرآن .

قوله : « اقرأ يا فلان » ، وفي الرواية الأخرى : « اقرأ » ثلاث مرات ، معناه : كان ينبغي أن تستمر على القرآن ، وتغتنم ما حصل لك من نزول السكينة والملائكة ، وتستكثر من القراءة التي هي سبب بقائها .

قوله : « وفي الرواية السابقة : « أي وثبت» ، وقال هنا : « جالت » ، فأنَّث الفرس ، وفي الرواية السابقة : « وعنده فرس مربوط » ، فذكَّرَهُ ، وهما صحيحان ، والفرس يقع على الذكر والأنثى . (مسلم بشرح النووي) : ٦ / ٣٢٩ - ٣٣١ : باختصار .

وأخرجاه أيضاً من حديث شعبة ، عن أبي إسحق ، عن البراء ، ذكره البخاري في باب علامات النبوة في الإسلام ، ولفظهما : قال : سمعت البراء يقول : قرأ رجل سورة الكهف وفي الدار دابة ، فجعلت تنفر ، فإذا ضبابة أو سحابة قد غشيته .

قال : فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال : اقرأ فلان ، فإنها السكينة تنزلت عند القرآن ، أو تنزلت للقرآن ، وقال البخاري : فسلم فإذا ضبابة أو سحابة ، وقال في آخره : فإنها السكينة نزلت أو تنزلت للقرآن[1] .

وخرج البخاري من حديث الليث قال : حدثني يزيد بن الهاد عن محمد بن إبراهيم ، عن أُسيد بن حضير قال : بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوط عنده ، إذ جالت الفرس ، فسكتَ فسكنتْ ، فقرأ فجالت [الفرس][2] ، فسكت وسكت [الفرس][2] ، ثم قرأ فجالت الفرس ، فانصرف ، وكان ابنه يحيى قريباً منها فأشفق أن تصيبه ، فلما اجترَّهُ رفع رأسه[3] إلى السماء حتى يراها .

فلما أصبح حدَّث النبي ﷺ فقال له : اقرأ يا ابن حضير ، اقرأ يا ابن حضير ، قال : فأشفقت [يا رسول الله][3]أن تطأ يحيى - وكان منها قريباً - فرفعت رأسي فانصرفت إليه ، فرفعت رأسي إلى السماء ، فإذا مثل الظلمة[4] فيها أمثال المصابيح ، فخرجت حتى لا أراها ، قال : وتدري ما ذاك ؟ [قال : لا][2] ، قال : تلك الملائكة دنت لصوتك ، ولو قرأت لأصبحتْ ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم[5] .

قال ابن الهاد : وحدثني هذا الحديث عبد الله بن خبَّاب ، عن أبي سعيد الخدري ، عن أسيد بن حُضير هكذا[5] . [ذكره غير متصل الإسناد] ، وترجم

---

(١) (فتح الباري) : ٦ / ٧٧١ ، كتاب المناقب ، باب (٢٥) علامات النبوة في الإسلام ، حديث رقم (٣٦١٤) ، (مسلم بشرح النووي) : ٦ / ٣٢٩ ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب (٣٦) نزول السكينة لقراءة القرآن ، والرواية المذكورة في (خ) ، هي رواية مسلم .

(٢) زيادة يقتضيها السياق من (البخاري) .

(٣) في (خ) : « طرفة » ، وما أثبتناه من (البخاري) .

(٤) في (خ) : « الظلة » ، وما أثبتناه من (البخاري) .

(٥) (فتح الباري) : ٩ / ٧٧ ، كتاب فضائل القرآن ، باب (١٥) نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن ، حديث رقم (٥٠١٨) . قال الحافظ ابن حجر في (الفتح) : ودل سياق الحديث على=

عليه باب نزول السكينة والملائكة عند القراءة[1] .

وخرج مسلم من حديث يعقوب بن إبراهيم قال : حدثنا أبي حدثنا يزيد بن الهاد ، أن عبد الله بن خبَّاب حدثه أن أبا سعيد الخدري حدثه أن أسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرأ في مربده ، إذ جالت فرسه ، فقرأ ، ثم جالت أخرى [ثم جالت أيضاً][2] ، قال أسيد : فخشيت أن تطأ يحيى ، فقمت إليها فإذا مثل الظلة فوق رأسي فيها أمثال السُّرج عرجت في الجوّ حتى ما أراها .

قال : فغدوت على رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ! بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ في مربدي إذ جالت فرسي ، فقال رسول الله ﷺ : اقرأ ابن حُضير ، قال : فقرأتُ ثم جالت أيضاً ، فقال رسول الله ﷺ : اقرأ ابن حضير ، قال : فانصرفت - وكان يحيى قريباً منها خشيتُ أن تطأه - فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السُّرج ، عَرَجَتْ في الجوّ حتى ما أراها ، فقال رسول الله ﷺ : تلك الملائكة

= محافظة أسيد على خشوعه في صلاته ، لأنه كان يمكنه أول ما جالت الفرس أن يرفع رأسه ، وكان كان بَلَغَهُ حديث النبي ﷺ عن رفع المصلى رأسه إلى السماء ، فلم يرفعه حتى اشتد به الخطب ، ويحتمل أن يكون رفع رأسه بعد انقضاء صلاته ، فلهذا تمادي به الحال ثلاث مرات (المرجع السابق) .

ولما قال النووي : في هذا الحديث جواز رؤية آحاد الأمة للملائكة ، كذا أطلق ، وهو صحيح ، لكن الذي يظهر التقييد بالصالح مثلاً ، والحسن الصوت ، قال : وفيه فضيلة القراءة ، وأنها سبب نزول الرحمة ، وحضور الملائكة ، فقال الحافظ في (الفتح) : الحكم المذكور أعم من الدليل ، فالذي في الرواية إنما نشأ عن قراءة خاصة ، من سورة خاصة ، بصفة خاصة ، ويحتمل من الخصوصية ما لم يُذكر ، وإلا لو كان على الإطلاق لحصل ذلك لكل قارىء .

وقد أشار في آخر الحديث بقوله : « ما يتوارى منهم » ، إلى أن الملائكة لاستغراقهم في الاستماع كانوا يستمرون على عدم الاختفاء الذي هو من شأنهم ، وفيه منقَبَةٌ لأسيد بن حُضير ، وفضل قراءة سورة البقرة في صلاة الليل ، وفضل الخشوع في الصلاة ، وأن التشاغل بشيء من أمور الدنيا ولو كان من المباح قد يفوّت الخير الكثير ، فكيف لو كان بغير الأمر المباح ؟ .

(١) أما عن قول المقريزي رحمه الله : [ذكره غير مُتصل الإسناد] ، فقد قال الحافظ في الفتح : « عن محمد بن إبراهيم » ، هو التيمي ، وهو من صغار التابعين ، ولم يدرك أسيد بن حضير ، فروايته عنه منقطعة ، لكن الاعتماد في وصل الحديث المذكور على الإسناد الثاني .

قال الإسماعيلي : محمد بن إبراهيم عن أسيد بن حضير مرسل ، وعبد الله بن خباب عن أبي سعيد متصل ، ثم ساقه عن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه ، عن يزيد بن الهاد بالإسنادين جميعاً وقال : هذه الطريق على شرط البخاري . (فتح الباري) : ٩ / ٧٧ - ٧٨ .

(٢) زيادة يقتضيها السياق من (صحيح مسلم) .

كانت تسمع لك ، ولو قرأت لأصبحتْ يراها الناس ما تستتر منهم[1] .

وخرجه أبو نعيم من حديث يحيى بن بكير قال : حدثني الليث بن سعد عن يزيد بن عبد الله ، عن أسامة عن عبد الله بن خَبَّاب ، عن أبي سعيد الخدري ، عن أسيد بن حضير أنه كان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن ، قال : وقرأت ليلة سورة البقرة .. فذكره[2] .

وخرجه من حديث يحيى بن أيوب عن ابن الهاد ... ، الحديث وزاد : اقرأ يا أسيد فقد أوتيت من مزامير آل داود[3] .

وخرجه من حديث عبد الرزاق ، أخبرنا معمر عن يحيى عن أبي سلمة قال : بينا أسيد بن حضير الأنصاري يصلي بالليل ، قال : إذ غشيتني مثل السحابة فيها أمثال المصابيح ، والمرأة نائمة إلى جانبي ، والفرس مربوط في الدار ، فخشيت أن ينفر الفرس فتفزع المرأة فتلقى ولدها ، فانصرفت من صلاتي ، فذكرت ذلك للنبي ﷺ حين أصبحت ، فقال : اقرأ يا أسيد ، فإن ذلك ملك استمع القرآن . وفي رواية تسمَّع القرآن .

وخرجه أيضاً من حديث عبيد الله بن عمر ، عن زيد بن أسلم ، عن أسيد ابن حضير قال : كنت أصلي في ليلة قمرة وقد أوثقت فرسي ، فجالت جولة ففزعت ، ثم جالت أخرى فرفعتُ رأسي ، وإذا ظلة قد غشيتني ، وإذا هي قد حالت بيني وبين القمر ، ففزعت ، فدخلت البيت .

فلما أصبحت ذكرت ذلك للنبي ﷺ ، فقال : تلك الملائكة جاءت تسمع قراءتك من آخر الليل [سورة] البقرة ، وكان أسيد بن حُضير حسن الصوت . وذكره أيضاً من عدة طرق بزيادات ونقص ، والمعنى متقارب .

* * *

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٦ / ٣٣٠ - ٣٣١ ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب (٣٦) نزول السكينة لقراءة القرآن ، حديث رقم (٢٤٢) . وقد سبق شرحه .

(٢) (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٥٦٠ - ٥٦١ ، قصة فرس أسيد بن حضير ، حديث رقم (٥٠٢) .

(٣) سند هذه الفقرة في (دلائل أبي نعيم) : « وفي حديث سليمان بن أحمد » ولم يذكر باقي السند . ذكرها عقب الحديث السابق (٥٠٢) .

[السادس بعد المائة : انقلاب بضعة لحم فِهراً[1]]

وأما انقلاب بضعة لحم فهراً ، فخرج الحافظ أبو نعيم من حديث قتيبة بن سعيد قال : حدثنا الربيع بن بدر ، عن الجريرى عن بعض أشياخه قال : أُهدي لأم سلمة رضي الله عنها بِضعةٌ من لحم مشوية ، فقالت : ارفعيها [حتى] يأتينا اليوم رسول الله ﷺ ، فوافق مسكين بابنا ، فقال : بورك فيه و لم تطعمه ، فجاء ﷺ فقالت : خبيئة رسول الله ﷺ ، فجاءت بها فإذا هي فهر ، فقلت : إنا لله ! والله إنها لبضعة أهدت لنا أم فلان ، فقال النبي ﷺ فلعلك وافقك سائلٌ ؟ فقالت : أجل ، قال : فإنما وُعظتم بذا ، قال : فما زال حجراً في ناحيتة بيتها تدق به حتى ماتت رضي الله عنها[2] .

قال أبو نعيم : رواه عاصم بن علي ، وخارجة بن مصعب ، عن الجريري - مولى لعثمان - عن أم سلمة . والله أعلم(*) .

* * *

---

(١) الفهر : الحجر .

(٢) (دلائل أبي نعيم) : ٢ / ٥٦٠ ، باب انقلاب اللحم إلى حجر ، حديث رقم (٥٠١) باختلاف في اللفظ ، وهذا الحديث انفرد به أبو نعيم ولم أجده عند غيره ، وهو منقطع السند ، والربيع بن بدر متروك كما قال النسائي ، وقال غيره : ضعيف .

(*) هنا ينتهي الجزء الثالث من تقسيم أجزاء النسخة (خ) .

فصل في ذكر أبناء رسول الله ﷺ

إعلم أنه كان لرسول الله ﷺ ثلاثة بنين : القاسم ، وعبد الله ، وإبراهيم ، وفي رواية مدارها على داود بن المحبِّر – صاحب كتاب (العقل) – أن عائشة رضي الله عنها جاءت بسقط فسماه النبي ﷺ : عبد الله ، وكناها به ، وفيه نظر .

فالقاسم أمه خديجة بنت خويلد ، وهو أكبر ولده ، وبه يُكَنَّى ، وقد مشى وهو ابن سنتين ، وعبد الله أيضاً أمّه خديجة ، ويقال له الطيب والطاهر ، وُلد بعد النبوُّة ، ومات صغيراً بمكة ، فقال العاص بن وائل : محمد أبتر لا يعيش له ذكر ، فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ **إن شانئك هو الأبتر** ﴾[1] .

ورووى جعفر بن محمد الصادق عن أبيه قال : توفي القاسم ابن النبي ﷺ بمكة فمر رسول الله ﷺ وهو آت من جنازته على العاص بن وائل وابنه عمرو ابن العاص ، فقال عمرو حين رأى رسول الله ﷺ : إني لأشنؤه ، فقال العاص : لا جرم لقد أصبح [أبتراً] ، وأنزل الله تعالى : ﴿ **إن شانئك هو الأبتر** ﴾[1] .

---

(١) الكوثر : ٣ ، ﴿ **شانئك** ﴾ أي مبغضك يا محمد ، ومبغض ما جئت به من الهدى والحق ، والبرهان الساطع ، والنور المبين ، ﴿ **هو الأبتر** ﴾ الأقل الأذل ، المنقطع ذكره .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وقتادة : نزلت في العاص بن وائل ، إذا ذُكر رسول الله ﷺ يقول : دعوه ، فإنه رجل أبتر ، لا عقب له ، فإذا هلك انقطع ذكره ، فأنزل الله تعالى هذه السورة .

وقال شمر بن عطية : نزلت في عقبة بن أبي معيط ، وقال ابن عباس وعكرمة : نزلت في كعب ابن الأشرف ، وجماعة من كفار قريش .

وقال البزار : حدثنا زيادة بن يحيى الحساني ، حدثنا ابن أبي عدي ، عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال : قدم كعب بن الأشرف مكة ، فقالت له قريش : أنت سيدهم ، ألا ترى إلى هذا الصنبر المنبتر من قومه ؟ يزعم أنه خير منا ، ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة ، وأهل السقاية ، فقال : أنتم خير منه .

قال : فنزلت : ﴿ **إن شانئك هو الأبتر** ﴾ ، وهكذا رواه البزار ، وهو إسناد صحيح ، وعن عطاء قال : نزلت في أبي لهب ، وذلك حين مات ابن لرسول الله ﷺ ، فذهب أبو لهب إلى المشركين ، فقال : بُتر محمد الليلة ، فأنزل الله في ذلك : ﴿ **إن شانئك هو الأبتر** ﴾ .

وعن ابن عباس : نزلت في أبي جهل ، وعنه ﴿ **إن شانئك هو الأبتر** ﴾ ، يعني عدوك ، وهذا يعم جميع من اتصف بذلك ممن ذُكر وغيرهم . وقال عكرمة : الأبتر هو الفرد . =

ويقال : إن عبد الله غير الطيب وغير الطاهر ، وروى معمر عن ابن هشام أنه قال : زعم بعض العلماء أنها ولدت – يعني خديجة – ولداً يسمى الطاهر ، وقال ابن إسحق : ولدت له خديجة : زينب ورُقية ، وأم كلثوم وفاطمة ، والقاسم – وبه كان يكنى – والطاهر والطيب ، فأما القاسم والطاهر والطيب فهلكوا في الجاهلية ، وأما بناته فكلهن أدركن الإسلام وأسلمن وهاجرن معه ، وقد قيل : بل عبد الله هو الطيب وهو الطاهر .

قال قتادة : ولدت له خديجة غلامين وأربع بنات ، القاسم – وبه كان يكنى – وعاش حتى مشى ، وعبد الله مات صغيراً ، ومن النساء : فاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم .

وقال الزبير بن بكار : ولد لرسول الله ﷺ القاسم – وهو أكبر ولده – ثم زينب ، ثم عبد الله ، وكان يقال له الطيب ويقال الطاهر ، وُلد بعد النبوة ، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة ، ثم رقية ، هكذا الأول ثم الأول ، ثم مات القاسم بمكة ، وهو أول ميت ، ولد بعد الوحي ، وزينب وأم كلثوم ورقية وفاطمة ، أمهم كلهم خديجة ، فهذا قول مصعب والزبير .

وأكثر أهل النسب [على] أن عبد الله هو الطيب والطاهر بثلاثة أسماء ، وقال الكلبي[1] : زينب ثم القاسم ثم أم كلثوم ثم فاطمة ثم رقية ثم عبد الله ، وكان يقال له : الطيب والطاهر ، قال : وهذا هو الصحيح ، وغيره تخليط .

= وقال السديّ : كانوا إذا مات ذكور الرجل قالوا : بُتر ، فلما مات أبناء رسول الله ﷺ قالوا : بُتر ، فأنزل الله : ﴿ **إن شانئك هو الأبتر** ﴾ ، وهذا يرجع إلى ما قلناه من أن الأبتر الذي مات انقطع ذكره ، فتوهموا لجهلهم أنه إذا مات بنوه انقطع ذكره .

وحاشا وكلا ، بل قد أبقى الله ذكره على رءوس الأشهاد ، وأوجب شرعه على رقاب العباد ، مستمراً على دوام الآباد ، إلى يوم المحشر والمعاد ، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم التناد ، (تفسير ابن كثير) : ٤ / ٥٩٨ ، (تنوير المقباس) : ٥٢٠ ، (البحر المحيط) : ١٠ / ٥٥٧ ، (فتح الباري) : ٨ / ٩٤٨ – ٩٤٩ ، كتاب التفسير : باب (١٠٨) سورة ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ ، (الكشاف) : ٤ / ٢٣٧ – ٢٣٨ .

(١) (جمهرة النسب للكلبي) : ٣٠ .

وقال ابن حزم[1] : وروينا من طريق هشام بن عروة عن أبيه ، أنه كان له عليه السلام [ولد] اسمه عبد العزى قبل النبوة ، قال : وهذا بعيد ، والخبر مرسل . ولا حجة في مرسل .

وإبراهيم أمه مارية القبطية ، ولد في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة بالعالية بالموضع الذي يقال له : مشربة أم إبراهيم ، وكانت قابلتها سلمى مولاة النبي ﷺ ، امرأة أبي رافع ، فبشَّر أبو رافع [به][2] النبي ﷺ ، فوهب له عبداً ، فلما كان يوم سابعه عقَّ عنه بكبشين ، وحلق رأسه ، حلقه أبو هند البياضي من الأنصار ، قال الزبير بن بكار : وسماه يومئذ ، وتصدق بوزن شعره ورِقاً على المساكين ، وأخذوا شعره فجعلوه في الأرض مدفوناً[3] .

---

(١) (جمهرة أنساب العرب لابن حزم) : ١٦ .

(٢) زيادة للسياق من (المواهب) .

(٣) (المواهب اللدنية) : ٦٨/٢ ، وقال ابن الجوزي في ذكر أولاد رسول الله ﷺ الذكور من أولاده : القاسم، أمه خديجة ، وبه كان يكنى ﷺ ، وهو أول من مات من أولاده ، وعاش سنتين . وعبد الله : وهو « الطاهر والطيب » ، ولد له في الإسلام – يعني بعد الرسالة – وقال الهيثم بن عدي : حدثني هشام بن عروة عن أبيه قال : ولدت له خديجة عبد العزى ، وعبد مناف ، والقاسم ، قلت لهشام : فأين الطيب والطاهر ؟ قال: هذا ما وضحتم أنتم يا أهل العراق ، فأما أشياخنا فقالوا : عبد العزى وعبد مناف . قال المصنف : الهيثم كذاب لا يلتفت إلى قوله ، قال لنا شيخنا ابن ناصر : لم يُسمِّ رسول الله ﷺ عبد مناف ولا عبد العزى قط ، وقال عروة : ولدت خديجة للنبي ﷺ القاسم ، والطاهر ، وعبد الله ، والمُطيَّب .

وعن سعيد بن عبد العزيز قال : كان للنبي ﷺ أربعة غِلمَة : إبراهيم ، والقاسم ، والطاهر ، والمطهَّر .

قال أبو بكر البرقي : إن الطاهر هو الطيب ، وهو عبد الله ، وفرَّق قوم بينهما ، ويقال : إن الطيب والمُطيَّب وُلدا في بطن ، والطاهر والمطهَّر ولدا في بطن . (تلقيح فهوم أهل الأثر) : ٣٠ ، ذكر أولاد رسول الله ﷺ ، (الوافي بالوفيات) : ١ / ٨١ ، أولاده ﷺ .

قال محققه : ومما يدحض قول من قال : أن النبي ﷺ ولدت له خديجة فيمن ولدت من الذكور من تسمى بعبد العزى ، ما قاله بحيرا الراهب لرسول الله ﷺ : يا غلام ، أسألك بحق اللات والعزى إلا أخبرتني عما أسألك عنه ، فقال رسول الله ﷺ : وأي حق لهما عندي ؟ لا تسألني بحق اللات والعزى ، فوالله ما أبغضت شيئاً قط بغضهما ، وما تأملتهما بالنظر إليهما كراهة لهما ، ولكن اسألني بالله ، أخبرك عما تسألني عنه إن كان عندي علم ، قال بحيرا : فبالله أسألك ، وجعل يسأله عن أشياء من أحواله فيخبره . (دلائل أبي نعيم) : ١ / ١٦٨ ، ذكر خروج رسول الله ﷺ إلى الشام في المرة الأولى ، وما اشتمل عليه ذلك من الدلائل المتقدمة لنبوته ﷺ وهو ابن عشر سنين ، حديث رقم (١٠٨) .

وقد صحَّ من حديث ثابت [البُناني][1] عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : ولد لي الليلة غلامٌ فسميته باسم [أبي][1] إبراهيم ، وتنافست نساء الأنصار في إبراهيم من ترضعه منهن ، وأحبوا أن يفرغوا ماريَّة للنبي ﷺ لما يعلمون من ميله إليها ، فجاءت أم بردة كبشة بنت المنذر بن زيد بن أسيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار ، امرأة البراء بن أوس بن خالد بن الجعد بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار[2] [الأنصاري][3] فكلمتْ رسول الله ﷺ أن ترضعه ، فأعطاها إياه ، فكانت ترضعه بلبن ابنها ، فكان إبراهيم في بني مازن بن النجار ، إلا أن أمه تُؤتي به ثم يُعاد إلى منزل ظئرة أم بردة ، وكان رسول الله ﷺ يأتي أم بردة فيقيل عندها ، ويخرج إليه إبراهيم فيحمله ويقبله .

وكان لرسول الله ﷺ قطعة من غنم ضأن ترعى بالقف ، ولقائح بذي الجدر تروح على مارية ، وكان يُؤتى بلبنها كل ليلة فتشرب منه وتسقي ابنها إبراهيم ، فكان جسمها وجسم ابنها حسناً ، فأتى رسول الله ﷺ يوماً بإبراهيم وهو عند عائشة رضي الله عنها ، فقال : انظري إلى شبهه بي ! فقالت : ما أرى شبهاً ، قال : ألا ترين إلى بياضه ولحمه ؟ فقالت : من قصرت عليه اللقاح ، وسُقي ألبان الضأن ، سَمُن وابيضّ .

وكانت عائشة رضي الله عنها تقول : ما غرت على امرأة غيرتي على مارية ، وذلك لأنها كانت جميلة جعدة الشعر ، وكان رسول الله ﷺ معجباً بها ، ورزق منها الولد وحُرِمناه ، وأعطى رسول الله ﷺ أم بردة قطعة من نخل[4] .

---

(١) زيادة للنسب من (صحيح مسلم) .

(٢) زيادة للنسب من (الإصابة) .

(٣) قال ابن شاهين : عن محمد بن إبراهيم ، عن محمد بن زيد عن رجاله ، أنه شهد أُحداً وما بعدها ، قال : وهو زوج مرضعة إبراهيم ابن النبي ﷺ ، واسمها خَوْلَة بنت المنذر بن زيد (الإصابة) : ١ / ٢٧٧ ، ترجمة رقم (٦١٦) .

(٤) حديث ثابت البناني عن أنس ، ذكره المصنف وأضاف إليه سياقات بزيادة ألفاظ وعبارات أخرجته عن النص الذي ذكره الإمام مسلم في (الصحيح) ونَصه : حدثنا هداب بن خالد وشيبان بن فروخ ، كلاهما عن سليمان – واللفظ لشيبان – حدثنا سليمان بن المغيرة ، حدثنا ثابت البناني ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : ولد لي الليلة غلام ، فسميته باسم أبي إبراهيم ، ثم دفعه إلى أم سيف امرأة قين يقال له : أبو سيف ، فانطلق يأتيه واتبعته ، فانتهينا إلى أبي سيف وهو ينفخ بكيره ، =

وروى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أنه قال : لما ولد إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ، قال رسول الله ﷺ : أعتق أمَّ إبراهيم ولدُها[1] ، وقال : استوصوا بالقبط خيراً فإن لهم ذمة ورحماً[2] وكانت هاجر أم إسماعيل عليه السلام منهم ،

= قد امتلأ البيت دخاناً ، فأسرعت المشي بين يدي رسول الله ﷺ ، فقلت : يا أبا سيف ! أمسك ، جاء رسول الله ﷺ ، فأمسك ، فدعا النبي ﷺ بالصبي فضمَّه إليه ، وقال ما شاء الله أن يقول ، فقال أنس : لقد رأيته وهو يكيد بنفسه بين يدي رسول الله ﷺ ، فدمعت عينا رسول الله ﷺ ، فقال : تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون .

والحديث الذي يليه : حدثنا زهير بن حرب ، ومحمد بن عبد الله بن نمير - واللفظ لزهير - قالا : حدثنا إسماعيل - وهو ابن علية - عن أيوب عن عمرو بن سعيد ، عن أنس بن مالك قال : ما رأيتُ أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ ، قال : كان إبراهيم مسترضعاً له في عوالي المدينة ، فكان ينطلق ونحن معه ، فيدخل البيت وإنه ليدخن ، وكان ظئره قيناً ، فيأخذه فيقبله ، ثم يرجع ، قال عمرو : فلما تُوفي إبراهيم قال رسول الله ﷺ : إن إبراهيم ابني ، وإنه مات في الثدي ، وإن له لظئرين تكملان رضاعه في الجنة .

والقين بفتح القاف : الحداد . وفي الحديث الأول : جواز تسمية المولود يوم ولادته ، وجواز التسمية بأسماء الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ، وفيه استتباع العالم الكبير بعض أصحابه إذا ذهب إلى منزل قوم ونحوه ، وفيه الأدب مع الكبار ، وفيه جواز البكاء على المريض والحزن ، وأن ذلك لا يخالف الرضا بالقدر ، بل هي رحمة جعلها الله في قلوب عباده ، وإنما المذموم الندب والنياحة ، والويل والثبور ، ونحو ذلك من القول الباطل ، ولهذا قال : « ولا نقول إلا ما يرضي ربنا » .

وفي الحديث الثاني بيان كريم خُلقه ﷺ ، ورحمته للعيال والضعفاء ، وفيه جواز الاسترضاع ، وفيه فضيلة رحمة العيال والأطفال وتقبيلهم . مختصراً من (مسلم بشرح النووي) : ١٥ / ٨١ - ٨٣ ، كتاب الفضائل ، باب (١٥) رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك ، حديث رقم (٦٢) و (٦٣) .

وسيأتي لذلك مزيد بيان إن شاء الله تعالى في تراجم أزواج النبي ﷺ .

(١) أخرجه ابن ماجة في (السنن) : ٢ / ٨٤١ ، كتاب العتق ، (٢) باب أمهات الأولاد ، حديث رقم (٢٥١٥) : حدثنا علي بن محمد ، ومحمد بن إسماعيل ، قالا : حدثنا وكيع ، حدثنا شريك ، عن حسين ابن عبيد الله عن عبيد الله بن عباس ، عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : إيما رجل ولدتْ أمتُهُ منهُ فهي مُعتقه عن دُبُر منه . ثم قال في الحديث الذي يليه (٢٥١٦) : .... عن الحسين ابن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : ذُكرتْ أم إبراهيم عند رسول الله ﷺ فقال : أعتقها ولدها . ثم قال تعليقاً على الحديثين : في إسناده الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، تركه المديني وغيره ، وضعَّفه أبو حاتم وغيره ، وقال البخاري : إنه كان يُتَّهم بالزندقة . (المرجع السابق) .

(٢) (كنز العمال) : ١٢ / ٣٤٠١٩ ، وقال : في آخره : (ابن سعد عن كعب بن مالك) ، ورقم (٣٤٠٢٠) : إذا فُتحت مصر فاستوصوا بالقبط خيراً فإنهم لهم ذمة ورحماً ، (البغوي ، طب ، ك - عن كعب بن مالك . ورقم (٣٤٠٢١) : إذا ملكتم القبط فأحسنوا إليهم ، فإن لهم ذمة وإن لهم رحماً . (ابن سعد عن الزهري مرسلاً) ، ورقم (٣٤٠٢٢) : إن الله سيفتح عليكم بعدي مصر فاستوصوا بقبطها خيراً فإن لكم منهم صهراً وذمة . (كر - عن عمر) ، ورقم (٣٤٠٢٣) : الله الله في قبط مصر ، فإنكم ستظهرون عليهم ويكونون لكم عدة وأعواناً في سبيل الله (طب - عن أم سلمة) .

وقال : لو عاش إبراهيم لوضعت الجزية عن كل قبطي[1] ، ولما ولد إبراهيم أتى رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام فقال له : يا أبا إبراهيم .

وتوفي إبراهيم في بني مازن عند أم بردة ، وهو ابن ثمانية عشر شهراً في ذي الحجة سنة ثمان ، وقيل : بل ولد في ذي الحجة سنة ثمان وتوفي في سنة عشر ، وقيل : توفي وهو ابن ستة عشر شهراً وثمانية أيام[2] ، وقيل : توفي وهو ابن سنة وعشرة أشهر وستة أيام ، وقيل : مات وهو له إحدى وسبعون ليلة ، والأول أثبت ، وذلك سنة عشر ، فقال رسول الله ﷺ : إن له لمرضعة تتم رضاعه في الجنة[3] .

وغسلته أم بردة ، وقيل غسله الفضل بن العباس - ورسول الله ﷺ والعباس رضي الله عنه جالسان على سرير - ثم حُمل على سرير صغير ، وصلي عليه رسول الله ﷺ بالبقيع[4] ، فقيل له : يا رسول الله - أين ندفنه ؟ قال عند فرطنا عثمان ابن مظعون[5] ، وكان عثمان أول من دفن بالبقيع .

وروى ابن إسحق عن عمر ، عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ دفن ابنه إبراهيم ولم يصل عليه[6] والأول أصح ، وقيل : معنى لم يصل عليه ، يعني في جماعة ، أو أمر أصحابه فصلوا عليه ولم يحضرهم[7] ، لأنه شُغل عن الصلاة عليه بأمر كسوف الشمس وصلاته وخطبته .

وثبت أن رسول الله ﷺ بكى على ابنه إبراهيم دون رفع الصوت وقال : تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول ما يُسخط الرب ، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون[8] ،

---

(١) (كنز العمال) : ١١ / ٤٧٠ ، ذكر إبراهيم ابن النبي ﷺ ، حديث رقم (٣٢٢٠٦) ، (ابن سعد عن الزهري مرسلاً) ، (كنز العمال) : ١١ / ٤٧٢ ، حديث رقم (٣٢٢١٩) ، (ابن عساكر عن البراء) .
(٢) (المعارف) : ١٤٣ ، (الاستيعاب) : ١ / ٥٦ .
(٣) (فتح الباري) : ١٠ / ٧٠٦ ، كتاب الأدب (١٠٩) باب من تسمى بأسماء الأنبياء ، حديث رقم (٦١٩٥) .
(٤) (كنز العمال) : ١١ / ٤٧٢ ، حديث رقم (٣٢٢١٨) ، (عن أنس و ابن سعد ، والروياني عن البراء) .
(٥) (الاستيعاب) : ١ / ٥٦ . (٦) (المرجع السابق) : ١ / ٥٨ .
(٧) (المرجع السابق) : ١ / ٥٩ ، قال ابن عبد البر في (المرجع السابق) : فلا يكون مخالفاً لما عليه العلماء في ذلك ، وهو أوْلى ما حمل عليه حديثها في ذلك . والله تعالى أعلم .
(٨) (المرجع السابق) : ١ / ٥٧ .

وجلس رسول الله ﷺ والعباس على شفير قبر إبراهيم ، ونزل فيه الفضل بن عباس ، و أسامة بن زيد ، وذلك يوم ثلاثاء في آخر شهر ربيع الأول ، وقيل : يوم الثلاثاء لعشر خلون من شهر ربيع الأول سنة عشر ، ورأى رسول الله ﷺ فُرجة في اللبِن فأمر أن تُسد ، وقال : إنها لا تضر ولا تنفع ، ولكنه يقرُّ بعين الحي ، وإن العبد إذا عمل عملاً أحب الله أن يتقنه(١) .

ويروي أن النبي ﷺ خرج يمشي أمام سرير إبراهيم ثم جلس على قبره ، فلما دلى في قبره ووضع دمعت عيناه ، فبكى الصحابة حتى ارتفعت أصواتهم ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله ! أتبكي وأنت تنهى عن البكاء ؟ فقال : تدمع العين ، وتوجَّع القلب ، ولا نقول ما يسخط الرب ، ثم دفن ، فقال رسول الله ﷺ : ما أحد يأتينا بماء نطهر به قبر إبراهيم ؟ فأتى بماء فأمر به فرش به على قبر إبراهيم ، وكان أول من رش عليه وختم عليه بيده ، وقال عند رأسه : السلام عليك .

وفي رواية : أنه وضع يده اليمنى على قبره من عند رأسه وقال : ختمت عليك بالله من الشيطان الرجيم ، وفي رواية : طبعت عليك بالله ، وأمر بحجر فوضع عند رأسه(١) .

ووافق موت إبراهيم عليه السلام كسوف الشمس على ثنتي عشرة ساعة من النهار ، فقال قوم : إن الشمس انكسفت لموته ، [فـ] خطبهم ﷺ فقال : إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته(٢) .

ويروى أن رسول الله ﷺ قال حين حضر قبض إبراهيم وهو مستقبل الجبل : يا جبل ! لو بك ما فيّ لهدَّك ، ولكنا نقول كما أُمرنا : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله رب العالمين .

وخرج ابن عساكر من حديث محمد بن الحسن الأسدي ، حدثنا أبو شيبة عن أنس بن مالك قال : لما مات إبراهيم ابن النبي ، قال لهم النبي ﷺ : لا تدرجوه في أكفانه حتى أنظر إليه ، فجاء فأكب عليه وبكى حتى اضطرب لحياه وجنباه .

---

(١) (الاستيعاب) : ١ / ٥٩ بزيادة ألفاظ ونقصان ، لكن المعنى واحد .
(٢) (المرجع السابق) : ١ / ٥٨ ، (مسند أحمد) : ٢ / ٢٦٧ ، حديث رقم (٥٩٦٠) .

ويقال : إن السّر في موت ولد رسول الله ﷺ في حياته ، أنه لو عاش [لكان نبياً ، ولم يكن ليبقى لأن نبيكم آخر الأنبياء][1] .

وقد أشار حسان بن ثابت إلى هذا في قوله لما مات إبراهيم :

مضى ابنك محمودُ العواقبِ لم يُشَنْ   بعيبٍ ولم يأْثَمْ بقـولٍ أو فعـلِ
رأى أنه لو عاش ساواك في العلا   فآثر أن تبقى فريداً بلا مثلِ[2]

وقد جاء في حديثٍ أن إبراهيم لو عاش لكان نبياً ، وليس بقوي . وفي صحيح البخاري عن السدي قال : سألت أنس بن مالك كم كان بلغ إبراهيم ابن النبي ﷺ ؟ قال : قد كان بلا مهلة ، ولو بقي لكان نبياً ، ولكن لم يكن ليبقى لأن نبيكم آخر الأنبياء .

وقد روى عيسى بن يونس عن أبي خالد قال : قلت : لا تراني أوفى ، أرأيت إبراهيم ابن النبي ﷺ ، قال : مات وهو صغير ، ولو قرأت يكون بعد محمد نبي لعاش ، ولكنه لا نبي بعد محمد ﷺ[3] .

* * *

(١) ما بين الحاصرتين سياقة مضطرب في (خ) ، وقد استدركناه من كتب السيرة والتراجم .
(٢) لم أجدهما في (ديوان حسان بن ثابت) .
(٣) قوله : « لو عاش إبراهيم لكان نبياً » ، ورد عن ثلاثة من الصحابة ، لكن قال النووي في (التهذيب) ، في ترجمة إبراهيم : وأما ما روى عن بعض المتقدمين : « لو عاش إبراهيم لكان نبياً » ، فباطل ، وجسارة على الكلام على المغيبات ، ومجازفة ، وهجوم على عظيم .
ونحوه قول ابن عبد البر في (التمهيد) : لا أدري ما هذا ! فقد وَلَدَ نوح عليه السلام غير نَبِيّ ، ولو لم يلد النبي إلا نبياً ، لكان كل أحد نبياً ، لأنهم من ولد نوح .
لكن قال الحافظ ابن حجر : ولا يلزم من الحديث المذكور ما ذكره لما يخفى ، وكان ابن عبد البر سلف النووي . وقال أيضاً : إنه عجيب مع وروده عن ثلاثة من الصحابة ، وكأنه لم يظهر له وجه تأويله ، فقال في إنكاره ما قال .
وجوابه : أن القضية الشرطية لا تستلزم الوقوع ، ولا يُظن بالصحابي الهجوم على مثل هذا الظن .
واعترَضَ الجواب المذكور القاري بأنه بعيد جداً .
وقال ابن حجر المكي في (الفتاوى الحديثية) : قال السيوطي : صحَّ عن أنس أنه سأل النبي ﷺ =

[فصل في ذكر بنات رسول الله ﷺ]

إعلم أن إجماع من يُعتد به انعقد على أنه كان لرسول الله ﷺ أربع بنات كلهن من خديجة ، وهنَّ زينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة عليهن السلام .

= عن ابنه إبراهيم ، قال : لا أدري رحمة الله على إبراهيم لو عاش لكان صدّيقاً نبياً . ورواه ابن منده والبيهقي عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ ، ورواه ابن عساكر عن جابر عن النبي ﷺ .

وأخرج ابن عساكر أيضاً بسنده وقال : فيه من ليس بالقوي عن عليّ بن أبي طالب : لما توفي إبراهيم أرسل النبي ﷺ إلى أمه مارية ، فجاءته ، وغسَّلته ، وكفّنته ، وخرج به ، وخرج الناس معه ، فدفنه ، وأدخل يده في قبره فقال : أما والله إنه لنبي ابن نبي ، وبكى المسلمون حوله حتى ارتفع الصوت ، ثم قال : تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول ما يغضب الرب ، وإنا عليك يا إبراهيم لمحزونون .

وروى أبو داود أنه مات وعمره ثمانية عشر شهراً ، فلم يُصلّ عليه رسول الله ﷺ . صححه ابن خزيمة . قال الزركشي : اعتلَّ من سلم ترك الصلاة عليه بعلل : منها أنه استغنى بفضيلة أبيه عن الصلاة ، كما استغنى الشهيد بفضل الشهادة . ومنها أنه لا يصلي نبي على نبي ، وقد جاء لو عاش لكان نبياً .

ولا بُعد في إثبات النبوة له مع صغره ، لأنه كعيسى القائل يوم وُلد : ﴿ **إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً** ﴾ ، وكيحيى الذي قال تعالى فيه : ﴿ **وآتيناه الحكم صبياً** ﴾ ، قال المفسرون : نُبِّىء وعمره ثلاث سنين ، واحتمال نزول جبريل بوحي لعيسى وليحيى يجري في إبراهيم ، ويرشحه أنه ﷺ صام يوم عاشوراء وعمره ثمانية أشهر ، ثم قال بعد أن نقل عن السبكي كلاماً : وبه يُعلم تحقيق نبوة سيدنا إبراهيم في حال صغره ، انتهى فاعرفه .

وقال في (المقاصد الحسنة) : الطرق الثلاثة :

أحدها : ما أخرجه ابن ماجة وغيره عن ابن عباس أنه قال : لما مات إبراهيم ابن نبي الله ﷺ صلى عليه وقال : إن له مرضعاً في الجنة ، ولو عاش لكان صديقاً ، ولو عاش لاعتقت أخواله من القبط ، وما استرق قبطي . وفي سنده إبراهيم بن عثمان الواسطي ضعيف ، ومن طريقه أخرجه ابن منده في (المعرفة) ، وقال : غريب .

ثانيها : ما رواه إسماعيل السدّيّ عن أنس قال : كان إبراهيم قد ملأ المهد ، ولو بقى لكان نبياً ، ولكن لم يكن ليبقى فإن نبيكم آخر الأنبياء .

ثالثها : رواه البخارى عن إسماعيل بن أبي خالد قال : قلت لعبد الله بن أبي أوفى أنه قال : رأيت إبراهيم ابن النبي ﷺ مات صغيراً ، ولو قُضي أن يكون بعد محمد نبي عاش إبراهيم ولكن لا نبي بعده .

وأخرجه أحمد عن ابن أبي أوفى أنه كان يقول : لو كان بعد النبي ﷺ نبي ما مات ابنه . قال : وعزاه شيخنا للبخاري من حديث البراء فيه .

وروى أحمد والترمذي وغيرهما ، عن عقبة بن عامر رفعه : لو كان بعدي نبي لكان عمر . وورد عن جماعة آخرين . =

فزينب بنت رسول الله ﷺ كانت أكبر بناته ، ولدت سنة ثلاثين من مولده ، ولا خلاف أنها أسن بناته ، إلا ما لا يصح ولا يُلتفت إليه ، وإنما الخلاف بين القاسم وزينب أيهما ولد أولاً ، فقالت طائفة من أهل العلم بالنسب : أول وَلَدٍ وُلد لرسول الله ﷺ القاسم ثم زينب ، وقال ابن الكلبي : زينب ثم القاسم .

* * *

= وقال القارى ويشير إلى قوله تعالى : : ﴿ **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين** ﴾ : فإنه يومىء إلى أنه لا يعيش له ولد يصل إلى مبلغ الرجال ، فإن ولده من صلبه يقتضي أن يكون لُبَّ قلبه ، كما يقال : الولد سرّ أبيه ، ولو عاش وبلغ أربعين سنة وصار نبياً ، لزم أن يكون نبياً خاتم النبيين . ثم يقرب من هذا الحديث ما رواه أحمد والحاكم عن عقبة مرفوعاً : لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب .

قلت : ومع هذا لو عاش إبراهيم وصار نبياً لكان من أتباعه ، وكذا لو صار عمر نبياً لكان من أتباعه ، كعيسى والخضر وإلياس ، فلا يناقض قوله تعالى : ﴿ **وخاتم النبيين** ﴾ ، إذ المعنى أنه لا يأتي نبي بعده ينسخ ملته ، ولم يكن من ملته ، وبقوله ﷺ : لو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعي .

وقال النجم : وأورده السيوطي في (الجامع الصغير) بلفظ : لو عاش إبراهيم لكان صديقاً نبياً ، وقال : أخرجه البارودي عن أنس ، وابن عساكر عن جابر ، وعن ابن عباس ، وعن ابن أبي أوفى . (كشف الخفا ومزيل الإلتباس) : ٢ / ١٥٦ ، حديث رقم (٢١٠١) ، (الفوائد المجموعة) : ٣٩٨ ، ذكر إبراهيم رضي الله عنه ، حديث رقم (١٣٥) ، (ضعيف سنن ابن ماجة للألباني) وقال : هذه الروايات وإن كانت موقوفة فلها حكم الرفع ، إذ هي من الأمور الغيبية التي لا مجال للرأي فيها ، فإذا عرفت هذا يتبين لك ضلال القاديانية في احتجاجهم بهذه الجملة « لو عاش إبراهيم لكان نبياً » ، على دعواهم الباطلة في استمرار النبوة بعده ﷺ ، لأنها لا تصح هكذا عنه ﷺ ، وإن ذهبوا إلى تقويتها بالآثار التي ذكرنا ، كما صنعنا نحن ، فهي تلقمهم حجراً ، وتعكس دليلهم عليهم ، إذ أنها تصرح أن وفاة إبراهيم عليه السلام صغيراً كان بسبب أنه لا نبي بعده ﷺ ، ولربما جادلوا في ذلك - كما هو دأبهم - وحاولوا أن يوهنوا من الاستدلال بهذه الآثار ، وأن يرفعوا عنها حكم الرفع ، ولكن لم ولن يستطيعوا الانفكاك مما ألزمناهم به من ضعف دليلهم هذا ولو من الوجه الأول ، وهو أنه لم يصح عنه ﷺ مرفوعاً صراحة (المرجع السابق) : ١١٥ - ١١٦ ، (٢٧) باب ما جاء في الصلاة على ابن رسول الله ﷺ وذكر وفاته ، حديث رقم (٣٣٢) ، وحديث رقم (٣٣٣) ، (الأسرار المرفوعة) : ٢٩٠ ، حديث رقم (٣٧٩) ، (المقاصد الحسنة) : ٥٤٧ - ٥٤٨ ، حديث رقم (٨٩٣) .

[زينب بنت رسول الله ﷺ](1)

وكانت زينب عليها السلام عند أبي العاص بن [الربيع] بن عبد العزى بن عبد شمس ، وأمه هالة ابنة خويلد ، فهو ابن أخت خديجة لأبيها وأمها ، وابن خالة زينب ، وكان رسول الله ﷺ محباً في زينب ، أسلمت وهاجرت حين أتى زوجها أبو العاص أن يسلم ، وقد ولدت منه علياً وأمامة ، وتوفيت سنة ثمان من الهجرة ، وغسلتها سودة بنت زمعة ، وأم سلمة رضي الله عنهما .

وسبب موتها أنها خرجت من مكة مهاجرة ، عهد إليها هبار بن الأسود بن عبد المطلب بن عبد العزى بن قُصّي ، ومعه نافع بن عبد قيس - وقيل نافع بن لقيط ، وقيل : هو خالد بن عبد قيس ، ونافع بن قيس أصحّ ، وهو نافع بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن ظرب بن الحرث بن فهد - فدفعها أحدهما على صخرة فأسقطت وأهراقت الدماء ، فلم يزل بها مرضها ذلك حتى ماتت . وكان زوجها محباً لها ومن شعره فيها - وقد خرج إلى الشام تاجراً - :

ذكرت زينب لما جاورت أَرَمَا   فقلت سُقيا لشخص يسكن الحَرمَا
بنت الأمين جزاها الله صالحةً   وكل بَعْل سينبى بالذي علما(2)

* * *

(1) لها ترجمة في : (طبقات ابن سعد) : ٨ / ٣٠ - ٣٦ ، (تاريخ خليفة) : ٩٢ ، (التاريخ الصغير) : ١ / ٧ ، (المعارف) : ٧٢ ، ١٢٧ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، (المستدرك) : ٤ / ٤٥ - ٥٠ ، ذكر بنات رسول الله ﷺ بعد فاطمة رضي الله عنهن ، ذكر زينب بنت خديجة رضي الله عنهما وهي أكبر بنات رسول الله ﷺ ، (الإصابة) : ٧ / ٦٦٥ - ٦٦٦ ، ترجمة (١١٢١٧) ، وفي هذه التراجم ذكر فدائها أبي العاص بن الربيع بقلادة كانت أدخلتها بها خديجة على أبي العاص حين بنى بها ، فلما رآها رسول الله ﷺ رقّ لها رقّة شديدة ، قال : إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذي لها . فقد أخرجه ابن سعد من طريق الواقدي ، وأخرجه الحاكم من طريق ابن إسحاق وصححه ، ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا : فإن ابن إسحاق قد صرح بالتحديث .

(2) هذان البيتان في (المستدرك) هكذا :

ذكرت زينب لما أورثت أرمي   فقلت سُقيا لشخص يسكن الحَرمَا
بنت الأمين جزاها الله صالحةً   وكل بَعْل سيثنى بالذي علما

[رقــية بنت رسول الله ﷺ]

ورقية اختُلف فيها ، فقيل : كانت أصغر بنات رسول الله ﷺ ، وقيل : بل وُلدت بعد زينب ، ولرسول الله ﷺ ثلاثة وثلاثون سنة ، وكانت عند عتبة بن أبي لهب [ففارقها قبل الدخول](1) لما أُنزلت سورة ﴿ **تبت يدا أبي لهب وتب** ﴾ بأمر أبويه ، فتزوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه بمكة ، وهاجرت معه إلى أرض الحبشة ، وولدت له عبد الله ، وبه كان يكنى ، وقدمت معه المدينة ، وجاءت تعتب على عثمان فقال ﷺ : ما أحب المرأة تكثر شكاية بعلها ، انصرفي إلى بيتك ، ومرضت بالحصباء ، فتخلف عثمان عن بدر لمرضها ، فتوفيت يوم وقعة بدر ، ودفنت يوم جاء [زيد بن حارثة] بشيراً بالفتح .

وقال قتادة : تزوج عثمان رقية بنت رسول الله ﷺ فتوفيت عنده و لم تلد منه ، وهذا وَهَم من قتادة لم يقله غيره ، وكأنه أراد أم كلثوم ، فإن عثمان تزوجها بعد رقية فتوفيت عنده ولم تلد منه ، هذا قول جمهور أهل النسب .

[وفي رواية] عن سعيد بن المسيب قال : أيم عثمان من رقية بنت رسول الله ﷺ ، وأيمت حفصة من زوجها ، فمر عمر وعثمان رضي الله عنهما فقال : هل لك في حفصة ؟ — وكان عثمان قد سمع رسول الله ﷺ يذكرها — فلم يجبه ، فذكر ذلك عمر للنبي ﷺ فقال : هل لك في خير من ذلك ؟ أتزوج أنا حفصة ، وأزوج عثمان خيراً منها ، أم كلثوم .

وقد روى حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال : لما ماتت رقية بنت رسول الله ﷺ [قال] : لا يدخل القبر رجل قارف [أهله الليلة](2) ، فلم يدخل عثمان ، وهذا من أوهام حماد ، لأن رسول الله ﷺ لم يشهد دفن رقية ، ولا كان

---

(١) ما بين الحاصرتين مطموس في (خ) ، وأثبتناه من (سير أعلام النبلاء) .
(٢) زيادة للسياق من (المستدرك) .

ذلك القول منه فيها ، وإنما كان ذلك القول منه في أم كلثوم[1] .

وفي البخاري من حديث هلال بن علي ، عن أنس قال : شهدنا بنت النبي عليه السلام ، ورسول الله ﷺ جالس على القبر ، فرأيت عينيه [تَدْمعان][2] ، [قال][2] : فقال : هل فيكم[3]أحد لم يقارف الليلة ؟ فقال أبو طلحة : أنا ، فقال : انزل في قبرها[4] . وهذا هو الصحيح في حديث أنس لا قول من ذكر فيه رقية .

---

(١) لكن أخرج الحاكم في (المستدرك) : ٤ / ٥١ – ٥٢ حديثين في ذكر رقية بنت رسول الله ﷺ ،
الحديث الأول: حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس رضي الله عنه قال : لما ماتت رقية بنت رسول الله ﷺ قال النبي ﷺ : لا يدخل القبر رجل قارف أهله الليلة ، فلم يدخل عثمان القبر ، قال الحاكم : هذا جديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، حديث رقم (٦٨٥١ / ٢٣٥٠) وسكت عنه الذهبي في (التلخيص) .
الحديث الثاني : عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : شهدت دفن بنت رسول الله ﷺ وهو جالس على القبر ، ورأيت عينيه تدمعان فقال : هل منكم رجل لم يقارف الليلة أهله ؟ فقال أبو طلحة : أنا يا رسول الله ، قال : فانزل في قبرها . قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، حديث رقم (٦٨٥٣ / ٢٤٥١) ، قال الذهبي في (التلخيص) : على شرط البخاري ومسلم .

(٢) زيادة للسياق من (البخاري) .

(٣) وفيه : « هل منكم رجل » في الرواية الثانية ، وفيها : « بلال بن علي » .

(٤) (فتح الباري) : ٣ / ١٩٤ ، كتاب الجنائز ، باب (٣٢) قول النبي ﷺ يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه إذا كان النوح من سُنّته لقول الله تعالى : ﴿ **قوا أنفسكم وأهليكم ناراً** ﴾ وقال النبي ﷺ : كلكم راع ومسؤول عن رعيته ، فإذا لم يكن من سنته فهو كما قالت عائشة رضي الله عنها : ﴿ **ولا تزر وازرة وزر أخرى** ﴾ ، وهو كقوله تعالى : ﴿ **وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء** ﴾ ، وما يرخص من البكاء من غير نواح ، وقال النبي ﷺ : لا تُقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفلٌ من دمها ، وذلك أنه أول من سَنَّ القتل ، حديث رقم (١٢٨٥) .
قوله : « شهدنا بنتاً للنبي ﷺ » ، هي أم كلثوم زوج عثمان ، رواه الواقدي عن فليح بن سليمان بهذا الإسناد ، وأخرجه ابن سعد في (الطبقات) في ترجمة أم كلثوم ، وكذا الدولابيّ في (الذرية الطاهرة) ، وكذلك رواه الطبري والطحاوي من هذا الوجه ، وورواه حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس ، فسماها رقية . أخرجه البخاري في (التاريخ الأوسط) ، والحاكم في (المستدرك) ، قال البخاري : ما أدري ما هذا ؟ فإن رقية ماتت والنبي ﷺ ببدر لم يشهدها قال الحافظ ابن حجر : وَهَمَ حماد في تسميتها فقط ، ويؤيد الأول ما رواه ابن سعد أيضاً في ترجمة أم كلثوم من طريق عمرة بنت عبد الرحمن قالت : نزل في حفرتها أبو طلحة .
قوله ﷺ : « لم يقارف » بقاف وفاء ، زاد ابن المبارك عن فليح : « أراه يعني الذنب » ، وقيل : معناه لم يجامع تلك الليلة ، وبه جزم ابن حزم وقال : معاذ الله أن يتبجح أبو طلحة عند رسول الله ﷺ بأنه لم يذنب تلك الليلة . =

وقال مروان بن محمد الأسدي ، عن غزال بن خالد بن يزيد بن عثمان بن عطاء ، عن أبيه عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما عُزِّي رسول الله ﷺ على رقية امرأة عثمان قال : الحمد لله دفن البنات من المكرمات[1] ولا خلاف بين أهل السير أن عثمان إنما تخلف عن بدر على امرأته رقية بأمر رسول الله ﷺ ، وضرب له سهمه وأجره . وذكر عمر بن شيبة أن النبي ﷺ بعث زيد بن حارثة إلى زينب بنته ليقدم بها عليه المدينة ، فخرج بها حتى إذا كانت بُسْنح أدركها هبار بن الأسود في نفر من قريش ، فنخس بها حتى صرعت ، فانفكت رجلها ، فبلغ عدي بن الربيع - حموها - أخا زوجها أبي العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ، فعرض له فرماه بسهم ، فخرج السهم في سوأته وأثواه . وقال :

عجبت لهبار وأوباش قومه ... يريدون إخفاري ببنت محمدِ
ولست أبالي ما بقيت صحيحها ... إذا استجمعت يوماً[2] يدي بالمهندِ
إذا أنا لم أمنع ظلامة كنتي ... فلا عشت إلا كالخليع المطرَّدِ
ألم تر هباراً غداة تبايعت ... به النفس في رأي من الرأي مُفنَّدِ
مصارعي عن زينب حين رامها ... على ذي سبب مدمج الحلق أجرد
نصبت له مني بقطع مقدمٍ ... على أصفر جبان أسمر محضدِ
فسالت ثمودٌ في دم ... على الخد أحياناً وصفح المقلدِ

قال : ولما نخس هبار بزينب جاء سفيان بن حرب ، فأسند ظهره إلى الكعبة ثم قال : أبنت محمد ؟ .

= وفي هذا الحديث جواز البكاء كما ترجم له ، وإدخال الرجال المرأة قبرها لكونهم أقوى على ذلك من النساء . وحكى عن ابن حبيب أن السرّ في إيثار أبي طلحة على عثمان ، أن عثمان قد جامع بعض جواريه في تلك الليلة ، فتلطف ﷺ في منعه من النزول في قبر زوجته بغير تصريح .

وفيه جواز الجلوس على شفير القبر عند الدفن ، واستدل به على جواز البكاء بعد الموت ، وفيه فضيلة لعثمان لإيثاره الصدق وإن كان عليه فيه غضاضة .

وأخرجه البخاري أيضاً في كتاب الجنائز ، باب (٧١) من يدخل قبر المرأة ، حديث رقم (١٣٤٢) .

(١) (الاستيعاب) : ٤ / ١٨٤٣ ، عن عكرمة عن ابن عباس في ترجمة رقية بنت رسول الله ﷺ رقم (٣٣٤٣) .

(٢) في ابن هشام :

* ولست أبالي ما حييتُ عديدهم ... وما استجمعت قبضا يدي بالمهنَّدِ *

وفيه : « كنانة بن الربيع » (سيرة ابن هشام) : ٣ / ٢٠٧ - ٢٠٨ باب شعر هند وكنانة في هجرة زينب .

[أي][1] السلم أعيار[2] جَفَاءً وغلظة   وفي الحرب أمثال النساء الحوائض

ثم مضى ، فأتت هند بنت عتبة بعده – ولا تعلم بموقفه – فأسندت ظهرها إلى الكعبة ثم قالت : أبنت محمد ؟ .

[أي] السلم أعيار جَفَاءً وغلظة   وفي الحرب أمثال النساء العوارك[3]

وخرج ابن حبان في صحيحه من حديث يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي إسحق الدوسيّ ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : إذا لقيتم هبار بن الأسود ونافع ابن عبد قيس فحرقوهما بالنار ، ثم إن النبي ﷺ قال بعد ذلك : لا يعذب بها إلا الله ، ولكن إن لقيتموهما فاقتلوهما[4] .

---

(١) زيادة للسياق من (سيرة ابن هشام) .

(٢) الأعيار : الحمير .

(٣) يقال : عركت المرأة ، ودرست ، وضحكت ، وطمثت : حاضت ، قال العوفى عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ **وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب** ﴾ [هود : ٧١] : ﴿ **فضحكت** ﴾ أي حاضت .

(٤) (الإحسان) : ١٢ / ٤٢٥ – ٤٢٦ كتاب الحظر والإباحة ، (١) فصل في التعذيب ، ذكر الزجر عن أن يعذب أحد من المسلمين بعذاب الله جلَّ وعلا ، حديث رقم (٥٦١١) ، (غوامض الأسماء المبهمة) : ١ / ١١٩ ، (٢١) هبار بن الأسود ونافع بن عبد عمرو ، (ابن هشام) : ٣ / ٢٠٨ فصل : الرسول يستبيح دم هبَّار الذي روَّع ابنته زينب ، (سنن الترمذي) : ٤ / ١١٧ ، كتاب السير ، باب (٢٠) بدون ترجمة ، صفحة رقم (١٥٧١) وقال أبو عيسى : حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح ، والعمل على هذا عند أهل العلم ، وقد ذكر محمد بن إسحاق بين سليمان بن يسار وبين أبي هريرة رجلاً في هذا الحديث ، وروى غير واحد مثل رواية الليث ، وحديث الليث بن سعد أشبه وأصح ، (فتح الباري) : ٦ / ١٨٤ ، كتاب الجهاد والسير ، باب (١٤٩) لا يعذب بعذاب الله ، حديث رقم (٣٠١٦) ، قال الحافظ ابن حجر : وعاش هبار هذا إلى خلافة معاوية – وهو بفتح الهاء وتشديد الموحدة – ولم أقف لرفيقه على ذكر في الصحابة ، فلعله مات قبل أن يُسلم ، وفي الحديث جواز الحكم بالشيء اجتهاداً ثم الرجوع عنه ، واستحباب ذكر الدليل عند الحكم لرفع الالتباس ، والاستتابة في الحدود ونحوها ، وأن طول الزمان لا يرفع العقوبة عمن يستحقها ، وفيه كراهة قتل مثل البرغوث بالنار ، وفيه نسخ السنة بالسنة وهو اتفاق .

وفيه مشروعية توديع المسافر لأكابر بلده ، وتوديع أصحابه أيضاً ، وفيه جواز نسخ الحكم قبل العمل به أو قبل التمكن من العمل به ، وهو الاتفاق إلا عن بعض المعتزلة فيما حكاه أبو بكر بن العربي . (المرجع السابق) .

وأخرجه الإمام أحمد في (المسند) : ٢ / ٥٩٢ ، حديث رقم (٨٠٠٧) ، ٣ / ٧ ، حديث رقم (٨٢٥٦) ، ٢٠٧ ، حديث رقم (٩٥٣٤) ، (سنن الدارمي) : ٢ / ٢٢٢ ، باب في النهي عن التعذيب بعذاب الله .

وقال الزبير بن بكار : وهبار بن الأسود هو الذي نخس بزينب بنت رسول الله ﷺ في شقها ، من كفار قريش ، وكانت حاملاً فأسقطت ، فذكروا أن رسول الله ﷺ بعث سرية وقال : إن لقيتم هباراً فاجعلوه بين حزمتي حطب ثم أحرقوه بالنار ، ثم قال : لا ينبغي لأحد أن يعذب بالنار إلا الله ، إن وجدتموه فاقتلوه .

ثم قدم هبار بعد ذلك مسلماً مهاجراً ، فاكتنفه ناس من المسلمين يسبونه ، فقيل لرسول الله ﷺ : هل لك في هبار يُسَبُّ ولا يَسُبّ ؟ وكان هبار في الجاهلية مسباقاً ، فأتاه رسول الله ﷺ فقال : يا هبار سُبّ من يَسُبّك ، فأقبل هبار عليهم فتفرقوا عنه ، قال : وقُتل زمعة بن الأسود وأخوه عقيل بن الأسود يوم بدر كافرين ، وكان هبار بن الأسود مع زمعة ذلك اليوم وابنه الحارث بن زمعة معه أيضاً ، فجعل زمعة يقول : جار إذا فزعني هبار[1] .

قال الزبير [بن بكار] : وكنانة بن عدي بن ربيعة بن عبد العزى ، بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، الذي خرج بزينب بنت رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة ، وكانت بدر في رمضان سنة ثنتين من الهجرة كما تقدم ، وكان في شأنه علم من أعلام النبوة .

قال إبراهيم بن سعد ، عن محمد بن إسحق عن بعض أهل العلم : إن فتية من الحبشة كانوا قد رأوا رقية وهي هناك مع زوجها عثمان بن عفان ، ورأيت فيما يقال : من أحسن البشر كانوا يختلفون إليها ينظرون إليها ، ويدرقلون[2] إذا رأوها بخباء منها ، حتى آذاها ذلك في أمرها وهم يبقون أن يؤذوا أحداً منهم لقربه ولما رأوا

---

(١) ونحوه في (مغازي الواقدي) : ٢ / ٨٥٨ – ٨٥٩ ، (البداية والنهاية) : ٣ / ٤٠٠ – ٤٠١ ، فصل في قدوم زينب بنت الرسول (ص) من مكة إلى المدينة ، (دلائل البيهقي) : ٣ / ١٥٤ ، ١٥٧ ، باب ما جاء في زينب بنت رسول الله ﷺ امرأة أبي العاص بن الربيع بن عبد العزى ابن عبد شمس ، وهجرتها من مكة إلى أبيها بعد بدر .

(٢) دَرْقل القوم دَرْقلةً .. إذا مرُّوا مرّاً سريعاً ، ودرقل : رقص ، قال محمد بن إسحاق : قدم فتية من الحبشة على رسول الله ﷺ يُدَرْقِلون ، أي يرقصون .. والدَّرْقَلَة : الرقص ، والدَّرَقْلَة : لعبة للعجم معربة ، مختصراً من (لسان العرب) : ١١ / ٢٤٤ .

من حسن جواره ، فلما سار النجاشي إلى عدوه ذلك ساروا معه ، فقتلهم الله في المعركة لم يفلت منهم رجل واحد[1] .

* * *

(١) (المستدرك) : ٤ / ٥١ ، كتاب معرفة الصحابة ، ذكر رقية بنت رسول الله ﷺ ، حديث رقم (٦٨٥٠ / ٢٤٤٨) ، وقال في هامشه : سكت عنه الذهبي في (التلخيص) .

[أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ]

وأم كلثوم – ويقال : اسمها آمنة – ولدت قبل فاطمة عليها السلام ، وتزوجها معتب بن أبي لهب ، فلم يبن بها حتى بُعث رسول الله ﷺ ، فلما بُعث فارقها بأمر أبويه ، ثم تزوجها عثمان رضي الله عنه بعد موت أختها رقية في ربيع الأول ، وبنى عليها في [جمادى الآخرة] من السنة الثالثة ، وتوفيت عنده في شعبان سنة تسع ، فغسلتها أسماء بنت عميس ، وصفية بنت عبد المطلب ، وشهدت أم عطية غسلها ، وقيل : بل أم عطية هي التي غسَّلتها وغسَّلت أختها زينب عليهم السلام ، وقيل : بل شهدت أم عطية غُسْل زينب ، وحكت قول رسول الله ﷺ : أغسلها ثلاثاً أو خمساً أو أكثر من ذلك ... الحديث . وصلى عليها رسول الله ﷺ ونزل في حفرتها عليّ بن أبي طالب والفضل بن عباس وأسامة بن زيد رضي الله عنهم .

وقد روى أن أبا طلحة الأنصاري استأذن رسول الله ﷺ أن ينزل معهم في قبرها فأذن له[1] ، وبكى عثمان رضي الله عنه فقال له رسول الله ﷺ : ما يبكيك ؟ قال : انقطاع صهرتي منك يا رسول الله ، فقال : كلا ، إنه لا يقطع الصهر الموت ، إنما يقطعه الطَّلاق ، ولو كانت عندنا ثالثة لزوجناك ، ولم تلد أم كلثوم لعثمان[2] .

(١) (الاستيعاب) : ٤ / ١٩٥٢ ، ترجمة رقم (٤٢٠١) ، (الإصابة) : ٨ / ٢٨٨ ، ترجمة رقم (١٢٢٢٢) .

(٢) ونحوه ما أخرجه الحاكم من حديث عقيل بن خالد ، عن ابن شهاب الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ لقى عثمان بن عفان وهو مغموم ، فقال : ما شأنك يا عثمان ؟ قال بأبي أنت يا رسول الله وأمي ، هل دخل على أحد من الناس ما دخل عليَّ ؟ توفيت بنت رسول الله ﷺ رحمها الله ، وانقطع الصهر فيما بيني وبينك إلى آخر الأبد ، فقال رسول الله ﷺ : أتقول ذلك يا عثمان وهذا جبريل عليه السلام يأمرني عن أمر الله عزَّ وجلَّ أن أزوجك أختها أم كلثوم على مثل صداقها وعلى مثل عدتها ؟ فزوجه رسول الله ﷺ إياها . (المستدرك) : ٤ / ٥٤ ، كتاب معرفة الصحابة ، حديث رقم (٦٨٦٠ / ٢٤٥٨) .

[فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ]

وفاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين ، وقيل لها : الزهراء ، كما قيل لزهرة بنت عمرو بن حنتر بن رؤيبة بن هلال أم خويلد بن أسد الزهراء ، وزهرة هذه هي جدة خديجة أم فاطمة عليها وعلى أمها السلام ، وسميت البتول أيضاً لأنها منقطعة القرين ، والبتل القطع ، وتكنى أم أبيها ، وذكر المطور عن ابن عباس أنها سميت [فاطمة لأن] الله تعالى فطم مُحبّيها عن النار .

وكانت فاطمة وأم كلثوم أصغر بنات النبي ﷺ وفاطمة أصغرهما ، وُلدت سنة [إحدى وأربعين من] مولد النبي ﷺ ، وقيل : وُلدت وقريش تبني الكعبة ورسول الله ﷺ ابن خمس وثلاثين ، وقيل : ولدت قبل النبوة بخمس سنين ، والأول أشبه بالصواب[1] ، وخطبها أبو بكر رضي الله عنه فقال له النبي ﷺ : أنا أنتظر بها القضاء ، ثم خطبها عمر رضي الله عنه فقال له مثل ذلك ، فقيل لعلي رضي الله عنه لو خطبت فاطمة ، فقال : منعها أبو بكر وعمر ، ولا أريد أن يمنعنيها ، فحمل على خطبتها فخطبها إلى رسول الله ﷺ في السنة الثانية من الهجرة في رمضان وبنى بها ، وقيل : تزوجها في صفر ، وقيل : في رجب[2] وفي (الطبقات) لابن سعد : أنه تزوجها بعد مقدم رسول الله ﷺ المدينة بخمسة أشهر وبنى بها مرجعه من بدر . وهي يوم بنى بها عليّ بنت ثمان عشرة سنة ، فباع بعيراً له ومتاعاً ، فبلغ ثمن ذلك أربعمائة وثمانين درهماً ، ويقال : أربعمائة درهم ، فأمره أن يجعل ثلثها في الطيب وثلثها في المتاع ففعل[3] .

---

(١) (الإصابة) : ٨ / ٥٣ ، ترجمة رقم (١١٥٨٣) .

(٢) قال ابن عبد البر : قال السراج : سمعت عبد الله بن محمد بن سليمان بن جعفر الهاشمي يقول : ولدت فاطمة رضي الله عنها سنة إحدى وأربعين من مولد النبي ﷺ ، وأنكح رسول الله ﷺ فاطمة عليَّ ابن أبي طالب بعد وقعة أحد .

وقيل : أنه تزوجها بعد أن ابتنى رسول الله ﷺ بعائشة بأربعة أشهر ونصف ، وبنى بها بعد تزويجه إياها بتسعة أشهر ونصف ، وكان سنها يوم تزويجها : خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصفاً ، وكانت سنّ علي إحدى وعشرين سنة ، وخمسة أشهر . (الاستيعاب) : ٤ / ١٨٩٣ ترجمة رقم (٤٠٥٧) .

(٣) (طبقات ابن سعد) : ٨ / ١١ .

وقيل : أصدقها عليّ درعاً من حديد وجرد برد - والجرد : الثوب الخلق - وقيل : تزوجها على إهاب شاة وسحق خبزه ، وكان علي رضي الله عنه يقول : ما كان لنا إلا إهاب كبش ننام على ناحية منه ، وتعجن فاطمة على ناحية ، وإني لقد تزوجت فاطمة بنت رسول الله ﷺ [وما لي فراش] غير جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف عليه ناضحنا بالنهار وما لي خادم غيرها .

وعن عكرمة ، استحل على فاطمة ببدن من حديد ، وعن علي رضي الله عنه قال : أردت أن أخطب إلى رسول الله ﷺ ابنته ، فقلت : والله ما لي شيء ، ثم ذكرت صلته وعائدته فخطبتها إليه فقال : هل عندك من شيء ؟ قلت : لا ، قال : فأين درعك [الحطمية][(١)] التي أعطيتك يوم كذا [وكذا][(١)] ؟ فقلت : هي عندي ، قال : [فأعطها][(١)] إياه[(٢)] ، وكان نكاحها بعد وقعة أحد ، وقيل : إنه تزوجها بعد أن بنى النبي ﷺ بعائشة رضي الله عنها بأربعة أشهر ونصف ، وبنى بها بعد تزويجه إياها بتسعة أشهر ونصف وكان سنها يوم تزوجها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصفاً ، وسنّ عليّ يومئذ إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر .

وجهَّزها رسول الله ﷺ بخميل وقربة ووسادة من أدم محشوة بإذخر ، فقال عليٌّ لأمه فاطمة بنت أسد : اكفي بنت رسول الله الخدمة خارجاً : سقاية الماء والحاج ، وتكفيك العمل في البيت : العجن والطحن[(٣)] .

خرج الحاكم من حديث زائدة ، عن عطاء بن السائب ، عن أبيه ، عن عليّ رضي الله عنه قال : جهز رسول الله ﷺ فاطمة عليها السلام في خميل وقربة ووسادة من أدم حشوها ليف . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه[(٤)] .

ويقال : أن سعداً عمل وليمة [فاطمة بكبش] ، وأُصْع من ذرة أربعة أو خمسة ، وولدت لعلي الحسن والحسين وأم كلثوم وزينب ، ولم يتزوج عليها حتى ماتت .

---

(١) زيادة للسياق من (الإصابة) ، والحطمية التي تحطم السيوف أي تكسرها ، وقيل : هي منسوبة إلى بطن من عبد القيس يقال لهم حطمة بن محارب كانوا يعملون الدروع (النهاية) .

(٢) (الإصابة) : ٨ / ٥٤ - ٥٥ ، ثم قال : وله شاهد عند أبي داود من حديث ابن عباس .

(٣) (الاستيعاب) : ٤ / ١٨٩٣ - ١٨٩٤ ، ترجمة رقم (٤٠٥٧) .

(٤) (المستدرك) : ٢ / ٢٠٢ ، كتاب النكاح ، حديث رقم ٢٧٥٥ / ٨٤ ، وقال الذهبي في (التلخيص) : صحيح ، (الإصابة) : ٨ / ٥٨ .

واختلف في وفاتها ، فقيل : بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر ، وقيل بثلاثة أشهر ، وقيل بثمانية أشهر ، وقيل : بسبعين يوماً ، وقيل : بخمس وسبعين ليلة ، وقيل : بستة أشهر إلا ليلتين ، وذلك يوم الثلاثاء [لليلات] خلت من رمضان سنة إحدى عشرة(1) .

ولما حضرتها الوفاة أمرت علياً فوضع لها غُسلاً فاغتسلت وتطهرت ، ثم دعت بثياب أكفانها ، فأُتيتْ بثياب غلاظ خشنة فلبستها ومسَّت من الحنوط ، ثم أمرت علياً ألا يكشف عنها إذا قبضت ، وأن تدفن كما هي في ثيابها ففعل .

وغسلتها أسماء بنت [عميس] وعليّ معاً ، وصلى عليها عليّ ، وقيل : بل صلى عليها العباس رضي الله عنه ، وكبَّر أربعاً ، ونزل هو وعلى في قبرها ، ودفنت ليلاً في دارها التي أدخلها عمر بن عبد العزيز في المسجد ، ولم يعلم بها كثير من الناس(2) .

---

(1) (الاستيعاب) : ٤ / ١٨٩٤ .

(2) (الإصابة) : ٨ / ٥٧ - ٥٨ .

وقال ابن الجوزي : هذا حديث لا يصح ، في إسناده ابن إسحاق ، وقد كذبه مالك ، وهشام ابن عروة ، وفيه عليّ بن عاصم ، قال يزيد بن هارون : مازلنا نعرفه بالكذب ، وكان أحمد يسيء الرأي فيه ، وقال يحيى : ليس بشيء ، وقال النسائي متروك الحديث .

قال ابن الجوزي : وكيف يكون صحيحاً ؟ والغُسل إنما شُرع بحدث الموت فكيف يقع قبله ؟ ولو قدرنا خفى هذا عن فاطمة ... فكان يخفى على عليّ ، ثم إن أحمد والشافعي يحتجان في جواز غُسل الرجل زوجته أن علياً غسَّل فاطمة عليها السلام . (العلل المتناهية) : ١ / ٢٦١ - ٢٦٢ ، حديث في أنها غسَّلت نفسها وماتت .

وقال أيضا : وهذا حديث لا يصح . أما محمد بن إسحاق فمجروح ، شهد بأنه كذاب مالك ، وسليمان التيمي ، ووهب بن خالد ، وهشام بن عروة ، ويحيى بن سعيد . وقال ابن المديني : يحدث عن المجهولين بأحاديث باطلة ، وأما عاصم فقال يحيى بن معين : ليس بشيء ، وأما نوح بن يزيد والحكم فكلاهما مُتشيِّع . وأما ابن عقيل فحديثه مرسل ، ثم هو ضعيف جداً ، قال ابن حبان : كان رديء الحفظ يحدث عن التوهم فيجيء بالخبر على غير سنته ، فلما كثر ذلك في أخباره وجب مجانبتها ... هذا لا يصح إضافته إلى عليّ وفاطمة رضي الله عنهما ، بل يتنزهون عن مثل هذا . مختصراً من (الموضوعات لابن الجوزي) : ٣ / ٢٧٧ ، باب ما روى أن فاطمة عليها السلام غسلت بغسلها بعد الموت ولم تغسل قبل الموت .

وقد ذكر عمر بن شيبة عدة أقوال في قبرها ، ولم يتحصل منها معرفة موضعه[1] ، وكان لها يوم توفيت تسع وعشرون سنة ، ويقال إحدى وثلاثون سنة وأشْهُر ، و[كانت] أشبه الناس كلاماً وحديثاً برسول الله ﷺ ، وكانت إذا دخلت عليه قام لها فقبلها ورحب بها كما كانت هي تصنع به[2] ، وفضائل فاطمة عليها السلام كثيرة .

* * *

---

(١) لكن قال الحافظ ابن حجر : وقال الواقدي : قلت لعبد الرحمن بن أبي الموالي : إن الناس يقولون : إن قبر فاطمة بالبقيع ، فقال : ما دُفنت إلا في زاوية في دار عقيل ، وبين قبرها وبين الطريق سبعة أذرع . (الإصابة) : ٨ / ٦٠ .

(٢) عن ميسرة بن حبيب ، عن المنهال بن عمرو ، عن عائشة بنت طلحة ، عن عائشة أم المؤمنين قالت : ما رأيتُ أحداً كان أشبه كلاماً وحديثاً برسول الله ﷺ من فاطمة ، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها فقبلها ، ورَّحب بها ، وكذلك كانت هي تصنع به . قال الذهبي : ميسرة صدوق . وأخرجه أبو داود في (السنن) ، في كتاب الأدب ، باب ما جاء في القيام ، حديث رقم (٥٢١٧) ، والترمذي في (الجامع الصحيح) ، في كتاب المناقب ، باب مناقب فاطمة بنت محمد ﷺ ، حديث رقم (٣٨٧١) ، والحاكم في (المستدرك) : ٣ / ١٦٧ ، كتاب معرفة الصحابة ، ذكر مناقب فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، حديث رقم (٤٧٣٢ / ٣٣٠) وقال في آخره : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وقال الذهبي في (التلخيص) : بل صحيح .

[فصل في ذكر أبناء بنات رسول الله ﷺ]

إعلم أن أبناء بنات رسول الله ﷺ أربعة : واحد من زينب ، وواحد من رقية ، واثنان من فاطمة ، عليهن السلام جميعاً .

فأما ابن زينب بنت رسول الله ﷺ ، فإنه علي بن أبي العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ، كان مسترضعاً في بني غاضره ، فافتصله رسول الله ﷺ وأبوه يومئذ مشرك ، وقال ﷺ : من شاركني في شيء فأنا أحق به منه ، وأردفه رسول الله ﷺ يوم الفتح على راحلته ، وقد توفي وقد ناهز الاحتلام[1] .

وأما الذي من رقية ، فعبد الله بن عثمان بن عفان ، به كان يكنى عثمان رضي الله عنه ، بعد ما كان يكنى في الجاهلية أبا عمرو ، وتوفي وقد ناهز الاحتلام وهو ابن ست سنين ، ودخل رسول الله ﷺ قبره ، وذلك سنة أربع من الهجرة[2] ، ويقال : نقره ديك فمرض من ذلك ومات ، ويروى أن رسول الله ﷺ وضعه في حجره ودمعت عينه وقال : إنما يرحم الله من عباده الرحماء ، وصلى عليه ، ونزل عثمان في حفرته[3] .

---

(١) وقال ابن عساكر : ذهب بعض أهل العلم بالنسب أنه قُتل يوم اليرموك ، (الإصابة) : ٤ / ٥٧١ ، ترجمة رقم (٥٦٩٤) ، (الاستيعاب) : ٣ / ١١٣٤ ، ترجمة رقم (١٨٥٧) ، وذكر الحديث كاملاً فقال : من شاركني في شيء فأنا أحق به منه ، وأيما كافر شارك مسلماً في شيء فالمسلم أحق به منه .

(٢) وقال أبو سعيد النيسابوري في كتاب (شرف المصطفى) : ذكروا أن عبد الله بن عثمان مات قبل أمه بسنة ، قال الحافظ ابن حجر في (الإصابة) : فعلى هذا يكون مات في السنة الأولى من الهجرة إلى المدينة ، وقال مصعب الزبيري : لما هاجر عثمان ومعه رقية إلى أرض الحبشة ، ولدتْ له هناك غلاماً سماه عبد الله وكني به ، وكان قبل ذلك يكنى أبا عمرو . (الإصابة) : ٥ / ٢٠ ، ترجمة رقم (٦١٨٩ز) ، وأخرج أبو نعيم من طريق حجاج بن أبي منيع ، عن جده ، عن الزهري نحوه . (المرجع السابق) .

(٣) (مسند أحمد) : ٦ / ٢٦٥ ، حديث رقم (٢١٢٦٩) ، (السنن الكبرى للبيهقي) : ٤ / ٦٥ ، كتاب الجنائز ، باب الرغبة في أن يتعزى بما أمر الله تعالى به من الصبر والاسترجاع ، وقال في آخره تعليقاً : رواه البخاري في (الصحيح) عن عبدان ، وأخرجه مسلم من أوجه عن عاصم ، (سنن ابن ماجة) : ١ / ٥٠٦ ، كتاب الجنائز ، باب (٥٣) ما جاء في البكاء على الميت ، حديث رقم (١٥٨٨) ، (كنز العمال) : ٣ / ١٦٢ ، باب الرحمة بالضعفاء والأطفال والشيوخ والأرامل والمساكين وغيرهم ، حديث رقم (٥٩٦٧) ، وعزاه إلى الطبراني عن جرير .

وأما ابنا فاطمة فحسن وحسين عليهما السلام وعلى أمهما وأبيهما ، [فـ] الحسن بن علي بن أبي طالب أبو محمد ، سيد شباب أهل الجنة ، ولدته فاطمة عليها السلام في النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة على الصحيح(١) ، وعقَّ عنه رسول الله ﷺ بكبش ، وأذَّن ﷺ في أذنه .

خرج الحاكم من حديث عبد الله بن أبي رافع ، قال : رأيت رسول الله ﷺ أذَّن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة(٢) ، رواه أبو داود (٣) والترمذي وقال : حديث صحيح(٤) .

---

(١) قال الحافظ ابن حجر : وُلد في نصف شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة ، قاله ابن سعد ، وابن البرقي ، وغير واحد . وقيل : في شعبان منها ، وقيل : ولد سنة أربع ، وقيل سنة خمس ، والأول أثبت . (الإصابة) : ٢ / ٦٨ ، ترجمة رقم (١٧٢١) .

وقال ابن عبد البر : ولد في النصف الأول من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة . وهذا أصح ما قيل في ذلك إن شاء الله تعالى ، وعقَّ عنه رسول الله ﷺ يوم سابعه بكبش ، وحلق رأسه ، وأمر أن يتصدق بزنة شعره فضة (الاستيعاب) : ١ / ٣٨٣ - ٣٨٤ ، باب الأفراد في الحاء ، ترجمة رقم (٥٥٥) .

(٢) (المستدرك) : ٣ / ١٩٧ ، كتاب معرفة الصحابة ، باب ومن مناقب الحسن والحسين ابني بنت رسول الله ﷺ ، حديث رقم (٤٨٢٧ / ٤٢٥) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، لكن قال الذهبي في (التلخيص) : عاصم بن عبد الله ضُعِّف ، ورقم (٤٨٢٨ / ٤٢٦) وهو قول النبي ﷺ : زني شعر الحسين وتصدقي بوزنه فضة ، وأعطي القابلة رجل العقيقة . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، لكن قال الذهبي في (التلخيص) : لا . يعني ليس بصحيح كما قال الحاكم .

قال محققه : هذا الحديثان الذان رواهما أبو عبد الله الحاكم في (المستدرك) كانا في شأن الحسين رضي الله تعالى عنه ، ولعل هذا حدث لكل منهما إن صحت الرواية في ذلك ، والله تعالى أعلم .

(٣) (صحيح سنن أبي داود) : ٣ / ٩٦١ ، باب (١١٦) في الصبي يولد فيؤذن في أذنه .

(٤) (سنن الترمذي) : ٤ / ٨٢ ، كتاب الأضاحي ، باب (١٧) الأذان في أذن المولود ، حديث رقم (١٥١٤) ، قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، (جامع الأصول) : ١ / ٣٨٣ - ٣٨٤ ، حديث رقم (١٧٦) ، وقال في آخره : زاد رزين في كتابه : قرأ في أذنه سورة الإخلاص وحنكه بتمرة . ولم أجد هذه الزيادة في الأصول ، (شعب الإيمان) : ٦ / ٣٨٩ ، الباب الستون من شعب الإيمان وهو باب في حقوق الأولاد والأهلين ، حديث رقم (٨٦١٧) ، كلاهما عن عبد الله بن أبي رافع .

قال الحافظ البيهقي : فكل من وُلد له من المسلمين ذكر أو أنثى فعليه أن يحمد الله جلَّ ثناؤه على أن أخرج من صلبه نسمة مثله ، تدعى له ، وتنسب إليه ، فيعبد الله لعبادته ، ويكثر به في الأرض أهل طاعته ، ثم يؤمر به حدثان مولده بعدة أشياء :

أولها : أن يؤذن في أذنيه حين يولد ؛ وذلك بأن يؤذن في أذنه اليُمنى ويقيم في أذنه اليسرى .

الثانية : أن يحنكه بتمر ، فإن لم يجد فبحلو يشبهه ، وينبغي أن يتولى ذلك منه من برجى خيره وبركته .

والثالثة : أن يعق عنه .

وروى أيوب عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ عقَّ عن الحسن والحسين كبشاً ، ذكره أبو داود ، وذكر جرير بن حازم عن قتادة عن أنس ، أن رسول الله ﷺ عقَّ عن الحسن والحسين كبشين[1] .

وذكر يحيى بن سعيد عن عمرة عن عائشة قال : عقَّ رسول الله ﷺ عن الحسن والحسين يوم السابع ، وحلق رأسه ، وأمر أن يُتصَدَّق بزنته فضة ، فوزن شعر أحد الحسنين فوجده ثلثي درهم ، وكان قد سماه علي رضي الله عنه حرباً ، فسماه رسول الله ﷺ حسناً[2] .

قال ابن الأعرابي ، عن المفضل الضبي ، أن الله حجب اسم الحسن والحسين حتى سمي بهما النبي ﷺ ابنيه الحسن والحسين ، قال ابن الأعرابي : فقلت له : فالذين باليمن ؟ قال : [ ][3] حَسْن وحَسِين ، ولا يعرف قبلهما إلا اسم [ ][3] بلاد بني عندها قبل بسطام بن قيس الشيباني ، قال ابن غنم :

والرابعة : أن يحلق عقيقته وهو شعر رأسه الذي ولد به .

والخامسة : أن يسميه . (المرجع السابق) .

وقال الإمام ابن القيم : وسرّ التأذين - والله أعلم - أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلماته المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته، والشهادة التي أول ما يدخل بها في الإسلام ، فكان ذلك كالتلقين له شعار الإسلام عند دخوله إلى الدنيا ، كما يلقنه كلمة التوحيد عند خروجه منها .

وغير مستنكر وصول أثر التأذين إلى قلبه وتأثره وإن لم يشعر ، مع ما في ذلك من فائدة أخرى وهي هروب الشيطان من كلمات الأذان ، وهو كان يرصده حتى يولد فيقارنه للمحنة التي قدرها الله وشاءها ، فيسمع شيطانه ما يصفعه ويغيظه أول أوقات تعلقه به .

وفي معنى آخر ، وهو أن تكون دعوته إلى الله وإلى دينه الإسلام ، وإلى عبادته سابقة على دعوة الشيطان ، كما كانت فطرة الله التي فطر الناس عليها سابقة على تغيير الشيطان لها ونقله عنها ، ولغير ذلك من الحكم . (تحفة المودود بأحكام المولود) : ص ١٦ وما بعدها .

(١) (سنن أبي داود) : ٣ / ٢٦١ ، كتاب الأضاحي ، باب (٢١) في العقيقة ، حديث رقم (٢٨٤١) ، وأخرجه النسائي في العقيقة ، باب كم يعق عن الجارية ، حديث رقم (٤٢٢٥) بلفظ : عق رسول الله ﷺ عن الحسن والحسين رضي الله عنهما بكبشين كبشين . قاله الخطابي في (معالم السنن) : ٣ / ٢٦٢ .

(٢) (سنن النسائي) : ٧ / ١٨٦ ، كتاب العقيقة ، باب (٤) كم يعق عن الجارية ؟ حديث رقم (٤٢٣٠) مختصراً بسند آخر ، ونحوه في (المستدرك) : ٣ / ١٨٣ ، حديث رقم (٤٧٨٣ / ٣٨١) ، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الذهبي في (التلخيص) : صحيح ، (الاستيعاب) : ١ / ٣٨٤ ، ترجمة رقم (٥٥٥) ، (مسند أحمد) : ٧ / ٥٣٩ ، حديث رقم (٢٦٦٥٥) .

(٢) ما بين الحاصرتين مطموس في (خ) : ولم أجد له توجيهاً ، ولم أجد لهذا الأثر مرجعاً .

* غداة أضر بالحَسْن السبيل *

قال كاتبه : حَسْن : بفتح الحاء المهملة وسكون السين ، وحَسِين : بفتح الحاء وكسر السين ، هما ابنا عمر بن الغوث بن طيء .

وفي (طبقات ابن سعد) ، عن عمران بن سليمان قال : الحسن والحسين [اسمان] من أسماء أهل الجنة لم يكونا في الجاهلية ، ولما قُتل أبوه عليّ سنة أربعين ، بايعه أكثر من أربعين ألفاً كلهم قد بايع علياً قبل موته على الموت ليشتَدّ بهم إلى حرب معاوية ، وكانوا أطوع للحسن وأحب فيه منهم في أبيه ، فبلغ الحسن مسير معاوية إليه في أهل الشام ، فتجهز هو وذلك الجيش وسار عن الكوفة إلى لقائه ، وجعل قيس بن سعد ابن عبادة الأنصاري على مقدمته في اثنى عشر ألفاً[1] .

فلما نزل المدائن نادى منادٍ في العسكر ، ألا إن قيس بن سعد قتل فانفروا ، فثاروا ونهبوا سرادق الحسن حتى نازعوه بساطاً تحته ، فازداد لهم بُغضاً ومنهم ذعراً ، وكتب إلى معاوية أنه يُصير الأمر إليه على أن يشترط ألا يطلب أحداً من أهل الحجاز والمدينة والعراق بشيء كان في أيام أبيه ، وكاد معاوية يطير فرحاً ، وبعث إليه برق أبيض وقال : اكتب ما شئت فيه وأنا ألتزمه ، فاصطلحا على ذلك ، واشترط عليه الحسن أن يكون له الأمر بعده وأن يعطيه ما في بيت مال الكوفة - وهو خمسة آلاف ألف -

---

(١) وقيل : بل كان الحسن قد جعل على مقدمته عبد الله بن عباس ، (الكامل لابن الأثير) : ٣ / ٤٠٤ ، ذكر تسليم الحسن بن علي الخلافة إلى معاوية ضمن حوادث سنة إحدى وأربعين .

وقيس بن سعد بن عبادة بن دُليم بن حارثة بن أبي حزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة أبو الفضل ، وقيل : أبو عبد الله ، وقيل : أبو عبد الملك الأنصاري الخزرجي الساعدي .

أمه فكيهة بنت عبيد بن دُليم بن حارثة الخزرجية ، توفي سنة (٥٩) ، وقيل : سنة (٦٠) ، كان من فضلاء الصحابة ، وأحد دهاة العرب وكرمائهم ، وكان من ذوي الرأي الصائب والمكيدة في الحرب ، مع النجدة والشجاعة ، وكان شريف قومه غير مدافع ، ومن بيت سادتهم . له ترجمة في : (أسماء الصحابة الرواة) : ١٣٣ - ١٣٤ ، ترجمة رقم (١٣٩) ، (الإصابة) : ٥ / ٤٧٣ ، ترجمة رقم (٧١٨٢) ، (الثقات) : ٣ / ٣٣٩ ، (تهذيب التهذيب) : ٨ / ٣٥٣ ، ترجمة رقم (٧٠٢) ، (الاستيعاب) : ٣ / ١٢٨٩ ، ترجمة رقم (٢١٣٤) ، (تلقيح فهوم أهل الأثر) : ٣٦٨ ، (طبقات ابن سعد) : ٦ / ٥٢ ، (سير أعلام النبلاء) : ٣ / ١٠٢ ، ترجمة رقم (٢١) ، (تهذيب الأسماء واللغات) : ١ / ٦١ ، (تاريخ بغداد) : ١ / ١٧٧ ، ترجمة رقم (١٧) ، (البداية والنهاية) : ٨ / ١٠٧ ، (التاريخ الكبير) : ٧ / ١٤١ ، ١٥٤ ، (صفة الصفوة) : ١ / ٣٦٣ ، ترجمة رقم (١٠٦) ، (طبقات ابن سعد) : ٦ / ٥٢ - ٥٣ .

وخراج دارابْجِرْد[١] من فارس ، وألا يشتم عليٌّ وهو يسمع ، فالتزم شُروطه كلها[٢] ، وحقق الله بذلك قول رسول الله ﷺ في الحسن : إن ابني هذا سيد ، وعسى الله أن يبقيه حتى يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين[٣] ، ثم قام الحسن في أهل العراق فقال : يا أهل العراق ! إنه سخَّى بنفسي عنكم ثلاث : قتلكم أبي ، وطعنكم إياي ، وانتهابكم متاعي[٤] .

وتسلم معاوية الأمر لخمس بقين من ربيع الأول ، وقيل من ربيع الآخر ، وقيل من جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين ، وكانت خلافة الحسن خمسة أشهر ونصف ، وقيل : ستة أشهر ، ودخل معاوية الكوفة فقال له عمرو بن العاص : لتأمر الحسن أن يقوم فيخطب الناس ليُظهر لهم عيه ، فخطب معاوية الناس ، ثم أمر الحسن أن يخطبهم ، فقام فحمد الله بديهة ثم قال :

---

(١) دارابجرد : بعد الألف الثانية باء موحدة ثم جيم ثم راء ودال مهملة : ولاية بفارس ، ينسب إليها كثير من العلماء ، منهم : أبو علي الحسن بن يوسف الدارابجردي الخطيب ، ودارابجرد : قرية من كورة إصطخر ، وبها معدن الزئبق ، ودارابجرد أيضاً موضع بنيسابور ، يُنسب إليه أبو الحسن علي بن الحسين ابن موسى بن ميسرة الدارابجردي ، ويقال دارابجرد . (معجم البلدان) : ٢ / ٤٧٨ ، موضع رقم (٤٥٤٩) ، وقال في هامشه : دارابجرد : كورة بفارس نفيسة ، عمَّرها داراب بن فارس ، قال الإصطخري : بها كهف المومياء ، وقال أيضاً : بناحية دارابجرد جبال من الملح الأبيض ، والأصفر ، والأحمر والأسود ، ينحت منها الموائد والصحون ، والغضائر وغيرها من الظروف ، وتهدى إلى سائر البلاد ، وبها معدن الزئبق . (هامش المرجع السابق) ، نقلاً عن (آثار البلاد) : ١٨٨ .

(٢) قال ابن الأثير وكأن الذي طلب الحسنُ من معاوية أن يعطيه ما في بيت مال الكوفة ، ومبلغه خمسة آلاف ألف ، وخراج دارابجرد من فارس ، وألا يشتم علياً ، فلم يُجبه إلى الكفّ عن شتم عليّ ، فطلب أن لا يُشتم وهو يسمع ، فأجابه إلى ذلك ، ثم لم يفِ له به أيضاً ، وأما خراج دارابجرد ، فإن أهل البصرة منعوه منه وقالوا : هو فيئنا لا نعطيه أحداً ، وكان منعهم بأمر معاوية . (الكامل في التاريخ) : ٣ / ٤٠٥ ، ذكر تسليم الحسن بن علي الخلافة إلى معاوية .

(٣) (مسند أحمد) : ٦ / ٣٧ ، حديث رقم (١٩٩٩٤) ، ٦ / ٢٧ ، حديث رقم (١٩٩٣٥) ، ٦ / ١٨ ، حديث رقم (١٩٧٨) ، (المطالب العالية) : ٤ / ٧٣ ، حديث رقم (٤٠٠٠) ، قال الحافظ : هو في صحيح البخاري من وجه آخر عن الحسن عن أبي بكرة .. وأخرجه البزار برجال الصحيح من حديث جابر رضي الله عنه . ر : (مجمع الزوائد) : ٩ / ١٧٨ .

(٤) (تاريخ الطبري) : ٥ / ١٥٩ ، ذكر بيعة الحسن بن عليّ ، (الكامل في التاريخ) : ٣ / ٤٠٥ .

أيها الناس ، إن الله هداكم بأولنا ، وحقن دماءكم بآخرنا ، وإن لهذا الأمر مدة ، وإن الدنيا دول ، وإن الله عز وجل قال لنبيه : ﴿ **وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين** ﴾[1] ، وأشار إلى معاوية ، فقال له معاوية : اجلس وحقدها علي عمرو وقال : هذا من رأيك[2] .

ولحق الحسن بالمدينة وأهل بيته ، وحثهم فجعل الناس يبكون عند سيرهم ، وقيل للحسن : ما حملك على ما فعلت ؟ فقال : كرهت الدنيا ورأيت أهل الكوفة قوماً لا يثق بهم أحد [أبداً][3] إلا غلب ، ليس أحد منهم يوافق آخر في رأي ولا هوى ، مختلفين لا نيه لهم في خير ولا شر ، لقد لقى أبي منهم أموراً [عظاماً][3] ، فليت شعري ، لمن يصلحون [بعدي][3] وهي أسرع البلاد خراباً .

وعرض له رجل في مسيره عن الكوفة فقال له : يا مسود وجوه المؤمنين ، فقال : لا تعد لي ، فإن رسول الله ﷺ أُرى بنو أمية ينزون على منبره رجلاً رجلاً ، فساءه ذلك ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾[4] ، وهو نهر في الجنة ، و ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة القدر [وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر] خير من ألف شهر** ﴾[5] تملكها بعدك بنو أمية[6] ، ولم يف معاوية للحسن بشيء ما شُرط .

[وقالت][7] طائفة للحسن[8] : يا عار المؤمنين ، فقال : العار خير من النار[9] ، وقال له أبو عامر سفيان بن ليلى : السلام عليك يا مذل المؤمنين ! فقال له : لا تقل يا أبا عامر ، فإني لم أذل المؤمنين ، ولكني كرهت أن أقتلهم في طلب الملك[10] .

---

(١) الأنبياء : ١١١ . (٢) (الكامل) : ٣ / ٤٠٧ .
(٣) زيادة للسياق من المرجع السابق .
(٤) الكوثر : ١ . (٥) القدر : ١ - ٣ .
(٦) (الكامل) : ٣ / ٤٠٧ .
(٧) زيادة للسياق .
(٨) هم أصحاب الحسن .
(٩) (الإصابة) : ٢ / ٧٢ ، ترجمة رقم (١٧٢١) ، (الاستيعاب) : ١ / ٣٨٦ ، ترجمة رقم : (٥٥٥) .
(١٠) (الاستيعاب) : ١ / ٣٨٧ .

ومات الحسن بالمدينة في ربيع الأول سنة خمس ، وقيل : في سنة تسع وأربعين ، وقيل سنة إحدى وخمسين[1] ، ودفن بالبقيع ، واتهمت زوجته جعدة بنت الأحنف ابن قيس الكندي أنها سمته بتدسيس معاوية[2] ، حتى بايع لابنه يزيد ، وكان سنه يوم مات ستا وأربعين سنة ، وقيل : سبعاً وأربعين سنة .

وكان أشبههم برسول الله ﷺ وأحبهم إليه ، وكان رحيماً ورعاً فاضلاً ، دعى ورعه وفضله إلى ترك ملك الدنيا رغبة فيما عند الله ، ورأى ذلك خيراً من إراقة الدماء في طلبها ، وإن كان عند نفسه أحق بها من معاوية[3] ، وقال : والله ما أحببت منذ علمت ما ينفعني ويضرني أنا إلى أمر أمة محمد ، على أن يهراق في ذلك محجمة[4] دم .

وحفظ الحسن عن رسول الله ﷺ أحاديث ورواها عنه[5] ، ولم يتكلم بفحش قط ، وحج خمس عشرة حجة ماشياً ، وخرج من ماله مرتين ، وقاسم الله ماله ثلاث مرات ، حتى إن كان ليعطي نعلاً ويمسك نعلاً ، ويعطي خُفًّا ويمسك خُفًّا ، وفضائله كثيرة ، وكان له من الولد : الحسن بن الحسن ، وفيه العدد والبيت[6] ، وزيد ، وله عقب كثير[7] ، وعمرو ، والحسين ، والقاسم ، وأبو بكر ، وطلحة[8] ، وعبد الرحمن ، وعبد الله ، ومحمد ، وجعفر ، وحمزة ، لا

---

(١) قال ابن عبد البر : كانت سنه يوم مات ستاً وأربعين سنة ، وقيل : سبعاً وأربعين . (المرجع السابق) : ٣٨٩ .

(٢) في هوامش (الاستيعاب) : نسبة السم إلى معاوية غير صحيحة ، لما ينقل في (تاريخ ابن خلدون) : إن ما ينقل من أن معاوية دَسَّ السم مع زوجته جعدة بنت الأحنف فهو من أحاديث الشيعة ، وحاشا لمعاوية ذلك .

(٣) (الاستيعاب) : ١ / ٣٨٧ .

(٤) المحجمة : قدر ما يسيل من الدم أثناء الحجامة .

(٥) ذكره ابن حزم في (أسماء الصحابة الرواة) : ١٤٣ - ١٤٤ ، ترجمة رقم (١٥٦) في أصحاب الثلاثة عشر حديثاً رضي الله تعالى عنهم ، (تلقيح فُهوم أهل الأثر) : ٣٦٩ ، قال أبو عمر رضي الله عنه : حفظ الحسن بن علي عن رسول الله ﷺ أحاديث ورواها عنه ، منها : حديث الدعاء في القنوت ، ومنها : إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة . (الاستيعاب) : ٣٩١ .

(٦) أمه خَولة بنت منظور بن زَبَّان الفزارية .

(٧) أمه أم بشر بنت أبي مسعود الأنصاري البدريّ .

(٨) أمه أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله .

عقب لواحد من هؤلاء[1] .

* * *

(١) إلا أن عمراً كان له ولد فقيه محدِّث مشهور ، واسمه محمد بن عمرو ، انقرض عقبه ، فأما عبد الله والقاسم وأبو بكر ، فإنهم قُتِلوا مع عمهم الحسين ، رضي الله تعالى عنهم أجمعين ، (جمهرة أنساب العرب) : ٣٨ - ٣٩ .

[الحسين بن علي رضي الله عنهما]

والحسين بن علي أبو عبد الله سيد شباب أهل الجنة ، ولد لخمس خلون من شعبان سنة أربع ، وقيل : علقت به فاطمة عليها السلام بعد مولد الحسن رضي الله عنه بخمسين ليلة[1] ، وقيل : لم يكن بينهما إلا طُهر واحد[2] ، وقيل : ولد بعد الحسن بسنة وعشرة أشهر لخمس سنين وستة أشهر من التاريخ ، وعقَّ عنه رسول الله ﷺ كما عق عن أخيه[3] ، وسماه حسينا ، وكان علي سماه حرباً كما سمى أخاه ، ويروى أن رسول الله ﷺ قال وهو يرقص الحسين : خبقه خبقة ترون عين بقَّه ، خبقة بخاء معجمة ، ويروى بحاء مهملة ، وقال ابن دريد : هو بالخاء والحاء ، إذا صغر إلى نفسه ، وقال ابن قتيبة : شبهه في صغره بعين بقة[4] .

فلما مات معاوية بن أبي سفيان وقام بالخلافة بعده ابنه يزيد بن معاوية وكان معاوية قد أراد الحسين على بيعة يزيد فأبى ذلك ، وأخذ الوليد بن عتبة بن أبي سفيان عامل معاوية على المدينة الحسين بالبيعة ليزيد بعد موت معاوية ، فسار عنها إلى مكة هو وعبد الله بن الزبير في جماعة .

فبلغ ذلك أهل الكوفة ، فكتبوا إلى الحسين يستدعونه نحواً من مائة وخمسين كتاباً ، فبعث إليهم بكتابه مع مسلمة بن عقيل بن أبي طالب فدخلوا الكوفة واجتمع إليه الشيعة ، فبلغ ذلك يزيد بن معاوية ، فولى عبد الله بن زياد بن أبيه الكوفة ، وجمع له معها البصرة ، وأمره بطلب مسلمة بن عقيل وقتْله أونفيه .

وكان الحسين قد كتب إلى أهل البصرة يدعوهم ، فضرب عبيد الله بن زياد عنق رسوله ، ثم ركب من البصرة ودخل الكوفة وقد بايع مسلم بن عقيل ثمانية

---

(١) وهذا قول الواقدي . (٢) وهذه رواية جعفر بن محمد عن أبيه .

(٣) وهذا قول قتادة . (الاستيعاب) : ١ / ٣٩٢ - ٣٩٤ ، ترجمة رقم (٥٥٦) ، (الإصابة) : ٢ / ٧٦ ، ترجمة رقم (١٧٢٦) .

(٤) (لسان العرب) : ١٠ / ٢٤ - ٢٥ ، وفيه : ورقَّصتْ امرأة طفلها فقالت : حُزُقَّةٌ حُزُقَّهْ ، تَرَقَّ عيْنَ بَقَّهْ ، قيل : بقَّه اسم حصن ، أرادت اصعد عين بقه أي اعلُها ، وقيل : إنما شبَّهت طفلها بالبقة لصغر جُثّته .

عشر ألفاً ، فركب بهم وحاصر عبيد الله فلم يثبتوا وتفرقوا عنه حتىَ فرَّ ، فأخذ بعد خطوب وحروب وقتل .

وكان قد كتب إلى الحسين بمن بايعه ، فخرج من مكة يريد الكوفة يوم الرّوية ، فأتاه الخبر بقتل مسلم ، فعلم أن أهل الكوفة قد خذلوه ، فقام فيمن معه وأعلمهم ذلك فتفرقوا عنه ، وبقي معه أهله ، وسار فلقيه الحرُّ بن يزيد التيمي في ألف فارس ، قد بعث به عبيد الله بن زياد ، فواقفوه حتى يأخذوه ويأتوا به الكوفة على حكم عبيد الله بن زياد ، فامتنع من ذلك ، وأراد أن يرجع من حيث أتى فمنعوه ثم ساروا به حتى أنزلوه على غير ماء بموضع من أرض الكوفة يقال له كربلاء - قرب الطف - في يوم الخميس ثاني محرم سنة إحدى وستين .

فقدم من الغد عمر بن سعد بن أبي وقاص في أربعة آلاف ، وحال بين الحسين وبين الماء ثلاثة أيام ، وأصحابه يقاتلون مع الحسين ليصدونهم عن الماء ، ثم قدم شموس ذو الجوش على عمر بن سعد بمناجزة الحسين ، فنهض شموس في عشية الخميس لتسع مضين من المحرم ، وركب عمر بن سعد ليأخذوا الحسين ويأتوا به عبيد الله ابن زياد ، فامتنع ، وأصبحوا يوم السبت - وقيل : يوم عاشوراء[1] ومع الحسين اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً .

فقاتلوا حتى قُتل عليه السلام ، وقد اشتد به العطش ، وحزت رأسه ، وانتهب متاعه ، فوجد به ثلاثة وثلاثون طعنة ، وأربع وثلاثون ضربة[2] ، ثم طرحت جثته ووطئها الفرسان بخيولها حتى رضوا ظهره وصدره ، وقيل معه اثنان وسبعون رجلاً ، منهم سبعة عشر من ولد فاطمة عليها السلام ، وَقُتِلَ ثلاثة وعشرون .

وحملت رأسه إلى عبيد الله بن زياد ، وكان قتله إحدى مصائب الإسلام ، وكان فاضلاً ديناً كثير الصوم والصلاة والحج ، حج خمساً وعشرين حجة ماشياً[3] ،

---

(١) قال ابن حجر : قال الزبير بن بكار : قُتل الحسين يوم عاشوراء سنة إحدى وستين ، وكذا قال الجمهور ، وشذَّ من قال غير ذلك . (الإصابة) : ٢ / ٨١ ترجمة الحسين بن علي رقم (١٧٢٦) .

(٢) (الكامل في التاريخ) : ٤ / ٧٨ - ٧٩ .

(٣) قاله مصعب الزبيري ، (الاستيعاب) : ١ / ٣٩٧ ، ترجمة رقم (٥٥٦) .

وقُتل وسنه سبع وخمسون سنة ، وقيل ثمان وخمسون سنة ، وقيل : أربع وخمسون سنة وستة أشهر[1] ، وله من الولد علي الأكبر ، وقتل بالطف[2] ولا عقب له .

وعلي الأصغر وجعفر لا عقب له ، وعبد الله قتل صغيراً بالطف[2] ولا عقب له ، فجميع من ينسب إلى الحسين عليه السلام إنما هم من ولد علي بن الحسين ، ولا عقب له من أحد سواه[3] ، وكان [للحسنين] من أمهما فاطمة أخ يقال له : محسِّن ، مات وهو صغير[4] .

* * *

---

(١) قال قتادة : قُتل الحسين وهو ابن أربع وخمسين سنة وستة أشهر ، وذكر المازني ، عن الشافعي ، عن سفيان بن عيينة ، قال : قال لي جعفر بن محمد : توفي عليّ بن أبي طالب ، وهو ابن ثمان وخمسين سنة ، وقُتل الحسين بن علي وهو ابن ثمان وخمسين سنة ، وتوفي عليّ بن الحسين وهو ابن ثمان وخمسين سنة ، وتوفي محمد بن علي بن الحسين وهو ابن ثمان وخمسين سنة . (الاستيعاب) : ١ / ٣٩٧٤ ، ترجمة رقم (٥٥٦) .

(٢) الطَّفُّ : بالفتح والفاء مشدَّدة ، وهو في اللغة ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق . والطَّفُّ : أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية ، فيها كان مقتل الحسين بن عليّ رضي الله عنه ، وهي أرض بادية قريبة من الريف ، فيها عدة عيون ماء جارية ، وهناك الموضع المعروف بكربلاء ، الذي قُتل فيه الحسين بن علي رضي الله عنه ، وبالطفّ كان قصر أنس بن مالك رضي الله عنه ، وفيه مات رحمه الله سنة (٩٣ هـ) ، وهو ابن مائة عام وثلاثة أعوام . (معجم البلدان) : ٤ / ٤٠ - ٤١ ، موضع رقم (٧٩٣٩) ، (معجم ما استعجم) : ٣ / ٨٩١ .

(٣) قال أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي : ولد الحسينُ بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما بنين ، قُتل بعضهم معه ، ومات سائرهم في حياته ، ولم يعقب له ولدٌ غير عليّ بن الحسين وحده . (جمهرة أنساب العرب) : ٥٢ .

(٤) قال صاحب (المرجع السابق) : ٣٨ ، ذكر ولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه من فاطمة بنت رسول الله ﷺ : أعقب هؤلاء كلهم حاشا المحسِّن ، فلا عقب له ، مات صغيراً جداً إثر ولادته .

[فصل في ذكر بنات بنات النبي ﷺ]

إعلم أن بنات بنات رسول الله ﷺ ثلاث : واحدة من زينب ، واثنتان من فاطمة ، فأما التي من زينب فإنها أُمامة بنت أبي العاص لقيط بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف ، ولدت على عهد رسول الله ﷺ ، وكان يحبها ويحملها على عاتقه وهو في الصلاة ، ويضعها إذا سجد(١) .

روى ابن جريج عن ابن أبي عتاب ، عن عمرو بن سليم ، كانت تلك الصلاة صلاة الصبح ، وروى ابن إسحق عن المقبري عن عمرو بن سليم فقال فيه : في إحدى صلاتي العشي – الظهر أو العصر – وأهدى لرسول الله ﷺ قلادة من جزع متمغة بالذهب ونساؤه مجتمعات في بيتٍ كلهن ، وأمامة هذه جارية تلعب في جانب البيت بالتراب ، فقال لنسائه : كيف ترون هذه ؟ فأخذن القلادة فنظرن إليها وقلن : يا رسول الله ! ما رأينا أحسن من هذه قط ولا أعجب ، فقال : ارددنها إليّ ، فلما أخذها قال : والله لأضعنها في رقبة أحب أهل البيت إليّ ، قالت عائشة : فأظلمت الأرض بيني وبينه خشية أن يضعها في رقبة غيري منهن ، ولا أراهن إلا وقد أصابهن ما أصابني ، [ووجِمْنَ] جميعاً سكوناً ، فأقبل بها حتى وضعها في رقبة أُمامة بنت أبي العاص ، فسرى عني(٢) .

وأوصى أبو العاص بابنته أُمامة إلى الزبير بن العوام وبتركته ، فزوجها الزبير

---

(١) قال الزبير في كتاب (النسب) : كانت زينب تحت أبي العاص ، فولدت له أمامة وعلياً ، وثبت ذكرها في الصحيحين من حديث أبي قتادة أن النبي ﷺ كان يحمل أمامة بنت زينب على عاتقه فإذا سجد وضعها ، وإذا قام حملها . أخرجاه من رواية مالك ، عن عامر بن عبد الله بن الزبير . (الإصابة) : ٩ / ٥٠٢ ، ترجمة رقم (١٠٨٢٢) .

وأخرجه ابن سعد من رواية الليث ، عن سعيد المقبري ، عن عمرو بن سليم أنه سمع أبا قتادة يقول : بينا نحن على باب رسول الله ﷺ إذ خرج يحمل أمامة بنت أبي العاص بن الربيع ، وأمها زينب بنت رسول الله ﷺ وهي صبية ، فصلى وهي على عاتقه ، إذا قام ، حتى قضى صلاته يفعل ذلك بها . (طبقات ابن سعد) : ٨ / ١٦٨ .

(٢) (الإصابة) : ٧ / ٥٠٢ ، ترجمة رقم (١٠٨٢٢) ، (الاستيعاب) : ٤ / ١٧٨٩ ، ترجمة رقم (٣٢٣٦) .

على بن أبي طالب بعد فاطمة رضي الله عنهم ، وأوصته بذلك فاطمة ، فولدت له محمداً الأوسط .

وقال الزبير بن بكار : لم تلد له ، وقتل علي وأُمامة عنده ، فقالت أم الهيثم النخعية[١] :

أشاب ذؤابتى وأَذلَّ ركنى ... أمامة يوم فارقت القرينا
تطيف به[٢] لحاجتها إليه[٢] ... فلما استيأست رفعت رنينا

وكان علي رضي الله عنه قال لها : تزوجي ، فإن أردت التزويج فلا تَخرجي من رأي المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب ، فحملها عمها عبد الرحمن ابن محرز بن حارثة بن ربيعة من الكوفة إلى المدينة ، فكتب معاوية إلى مروان بن الحكم يأمره أن يخطبها عليه ، ففعل فجاءت إلى المغيرة بن نوفل تستأمره ، فقال : أنا خير لك منه ، فاجعلي أمرك إليّ ، وأشهد عليها برضاها بكل ما صنع .

فلما استوثق دعا رجلاً وقال : تزوجتها وأصدقتها أربعمائة دينار ، فكتب مروان بذلك إلى معاوية ، وكتب إليه : هي أملك بنفسها فدعها وما اختارت ، وأسرها للمغيرة في نفسه ، ثم بعثه إلى الصفراء[٣] فمات بها .

وقد ولدت له أمامة يحيى بن المغيرة ، وبه كان يكنى ، وماتت أُمامة ، وقال الزبير : ولم تلد له ، فليس لزينب عقب[٤] ، وأما اللتان من فاطمة رضي الله عنها

---

(١) من المرجعين السابقين .

(٢) في (خ) : « بها » ، « إليها » ، وصوبناهما من المرجعين السابقين .

(٣) الصُّفراء : بلفظ تأنيث الأصفر من الألوان ، وادي الصفراء : من ناحية المدينة ، وهو وادٍ كثير النخل والزرع والخير في طريق الحاج ، وسلكه رسول الله ﷺ غير مرة ، وبينه وبين بدر مرحلة . ومن حديث أبي سلمة : عن عائشة ، قالت : خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة بدر الأخيرة ، حتى إذا كنا بالأثيل عند الصفراء بين ظهراني الأراك ، قال لي : تعالي حتى أسابقك . (معجم البلدان) : ٣ / ٤٦٨ ، موضع رقم (٧٥٦٧) ، (معجم ما استعجم) : ٣ / ٨٣٦) .

(٤) (الإصابة) : ٧ / ٥٠٣ ، ترجمة رقم (١٠٨٢٢) .
وقال عمر بن شبة : حدثنا علي بن محمد النَّوْفلي ، عن أبيه ، أنه حدثه عن أهله أن علياً لما حضرته الوفاة قال لأمامة بنت العاص : إني لا آمن أن يخطبك هذا الطاغية بعد موتي – يعني معاوية – فإن كان لك في الرجال حاجة فقد رضيت لك المغيرة بن نوفل عشيراً ، فلما انقضت عدتها كتب معاوية إلى مروان يأمره أن يخطبها عليه ، وبذل لها مائة ألف دينار ، فأرسلت إلى المغيرة : إن هذا قد أرسل يخطبني

فأم كلثوم وزينب .

* * *

= فإن كان لك بنا حاجة فأقبل ، فخطبها إلى الحسن فزوجها منه .

قال الحافظ ابن حجر : النّوْفلي ضعيف جداً مع انقطاع الإسناد ، والراوى مجهول فيه ، لكن قال أبو عمر : روى هيثم – أو هشيم – عن داود بن أبي هند عن الشعبي ، قال : كانت أمامة عند عليّ .. فذكر معنى ما تقدم سواء ، كذا قال . وأخرجه ابن سعد عن الواقدي بمعناه .

وقال ابن سعد : أخبرنا ابن أبي فُديك ، عن ابن أبي ذئيب ، أن أمامة بنت أبي العاص قالت للمغيرة ابن نوفل : إن معاوية خطبني ، فقال لها : أتتزوجين ابن آكلة الأكباد ؟! فلو جعلت ذلك إليّ ، قالت نعم ، قال : قد تزوجتك . قال ابن أبي ذئيب : فجاز نكاحه . وقال الدارقطني في كتاب (الإخوة) : تزوجها بعد عليّ المغيرة بن نوفل ، وقيل : بل تزوجها بعده أبو الهياج بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب . (الإصابة : ٧ / ٥٠٣ – ٥٠٤ ، ترجمة رقم (١٠٨٢٢) .

[أم كلثوم بنت علي]

فأم كلثوم : ابنة علي بن أبي طالب ، ولدت قبل وفاة رسول الله ﷺ ، وخطبها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عليّ ، فقال : إنها صغيرة ، فقال له : زوجنيها يا أبا الحسن ، فإني أرصد من كرامتها ما لا يرصده أحد ، فقال له علي رضي الله عنه : أنا أبعثها إليك ، فإن رضيتها فقد زوجتكها ، فبعثها إليه بردٍّ وقال لها : قولي له : هذا الرَّدُّ الذي قلت لك ، فقالت : ذلك لعمر ، فقال : قولي له : رضيت ، رضي الله عنك ، ووضع يده على ساقها وكشفها ، فقالت : أتفعل هذا ؟ لولا أنك أمير المؤمنين لكسرت أنفك - وفي رواية : [للطمتُ][1] عينيك .

ثم خرجت حتى جاءت أباها فأخبرته الخبر وقالت : تبعثني إلى شيخ سوء ؟ فقال : يا بنية فإنه زوجك ، فجاء عمر رضي الله عنه إلى مجلس المهاجرين في الروضة ، وكان يجلس فيها المهاجرون الأولون ، فجلس إليهم فقال : رفئوني[2] ! فقالوا : بماذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : تزوجت أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب .

سمعت الرفاء بالمد : الالتئام والاتفاق ، ويقال للمتزوج : بالرفاء والبنين ، وقد رفأتُ المملك ترفية وترفياء إذا قلت له ذلك[3] .

---

(١) ما بين الحاصرتين مطموس في (خ) ، واستدركناه من (الإصابة) : ٨ / ٢٩٣ ، ترجمة رقم (١٢٢٣٣) .

(٢) في (خ) : « زفوني » ، وما أثبتناه من (المرجع السابق) : ٢٩٤ .

(٣) قال الإمام مجد الدين أبو السادات المبارك بن محمد الجزري بن الأثير : نُهى أن يقال للمتزوج : بالرِّفاء والبنين ، والرِّفاء : الالتئام ، والاتفاق ، والبركة ، والنماء ، وهو من قوله : رَفأْتُ الثوب رَفْأً ، ورفوته رفواً ، وإنما نُهي عنه كراهيةً لأنه كان من عادتهم ، ولهذا سُنَّ فيه غيره ، ومنه الحديث : كان إذا رفَّأ الإنسانِ قال : بارك الله لك وعليك ، وجمع بينكما على خير . ويُهمز الفعل ولا يُهمز ، ومنه حديث أم زرع : كنتُ لك كأبي زرع لأم زرع في الألفة والرِّفاء ، ومنه الحديث : قال ﷺ لقريش : جئتكم بالذبح ، فأخذتهم كلمته ، حتى إنّ أشدَّهم فيه وضاءة ليرفِّئوه بأحسن ما يجد من القول أي يسكنه ويرفق به ويدعو له . (النهاية) : ٢ / ٢٤٠ - ٢٤١ .

سمعت رسول الله ﷺ يقول : كل نسب وسبب وصهر ينقطع يوم القيامة إلاسببي ونسبي وصهري ، فكان لي به النسب والسبب فأردت أن أجمع إليه الصهر فرفَّئوه .

وأمهرها عمر رضي الله عنها أربعين ألف درهم ، فولدت له زيداً ورقية ، تزوج رقية بنت عمر إبراهيم بن نعيم النجار فماتت عنده ولم تترك ولداً ، وقُتل زيد بن عمر خطأ ، قتله خالد بن أسلم مولى عمرو ، ولم يترك ولداً ، فلا بقية لعمر رضي الله عنه في أم كلثوم بنت علي رضي الله عنها .

وقد روى أن زيد بن عمر ، وأمه أم كلثوم مرضا جميعاً ونقلا ونزل بهما ، وأن رجالاً مشوا بينهما لينظروا أيهما يقبض أولاً فيورِّث منه الآخر ، وأنهما قبضا في ساعة واحدة ، فلم يُدر أيهما قبض قبل صاحبه ، فكانت في زيد وأمه سُنَّتان ، ماتا في ساعة واحدة ، لم يعرف أيهما مات قبل الآخر ، فلم يورث واحد منهما من صاحبه ، ووضعا معاً في موضع الجنائز ، وأخرت أمه وقدم زيد مما يلي الإمام[1] ، فجرت السنَّة في الرجل والمرأة بذلك بعد .

وصلى عليهما عبد الله بن عمر[2] ، ولما قتل عمر رضي الله عنه عن أم كلثوم ، تزوجها محمد بن جعفر بن أبي طالب فمات عنها ، فتزوجها عون بن جعفر ابن أبي طالب فماتت عنده[3] ، رحمها الله .

* * *

(١) (الإصابة) : ٨ / ٢٩٥ ، ترجمة رقم (١٢٢٣٣) .
وأما قتل زيد خطأ ، فإنه كان قد أصيب في حرب كانت بين بني عدي ليلاً ، كان قد خرج ليصلح بينهم فضربَه رجل منهم في الظلمة فشجَّه وصرعه ، فعاش أياماً ثم مات هو وأمه في وقت واحد .
وأما السُّنَّتان اللتان كانتا فيهما فيما ذكروا : لم يورَّث واحد منهما من صاحبه ، لأنه لم يُعرف أولهما موتاً ، وقُدِّم زيدٌ قبل أمه مما يلي الإمام (الاستيعاب) : ٤ / ١٩٥٦ ، ترجمة رقم (٤٢٠٤) .

(٢) وأخرج عطاء الخرساني بسند صحيح أن ابن عمر صلى على أم كلثوم وابنها زيد ، فجعله مما يليه ، وكبرَّ أربعاً ، وساق بسند آخر أن سعيد بن العاص هو الذي صلى عليهما . (الإصابة) : ٨ / ٢٩٥ ، ترجمة رقم (١٢٢٣٣) .

(٣) لكن ذكر أبو بشر الدولابي في (الذرية الطاهرة) : أنها تزوجت عوف بن جعفر بن أبي طالب ، وذكرها الدارقطني في كتاب (الأخوة) : أن عوفاً مات عنها فتزوجها أخوه محمد ، ثم مات عنها فتزوجها أخوه عبد الله بن جعفر ، فماتت عنده. (المرجع السابق) :٢٩٤ ، وذكر ابن سعد نحوه ، وزاد في آخره : فكانت تقول : إني لأستحي من أسماء بنت عميس ، مات ولداها عندي ، فأتخوف على الثالث ، قال : فهلكت عنده ، ولم تلد لأحد منهم . (طبقات ابن سعد) : ٨ / ٣٣٩ ، (جمهرة أنساب العرب) : ٣٨ .

[زينب بنت عليّ]

وزينب بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنه[1] زوجها أبوها علي رضي الله عنه بعبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، فولدت له علياً ، وفيه البقية من ولده وأم كلثوم وتزوجت ولها عقب ، ورقية ماتت قبل أن تبلغ الحلم ، والله أعلم .

(١) هي زينب بنت علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمية ، سبطة رسول الله ﷺ ، أمها فاطمة الزهراء .
قال ابن الأثير : إنها وُلدت في حياة النبي ﷺ ، وكانت عاقلة ، لبيبة ، جزلة ، زوجها أبوها ابن أخيه عبد الله بن جعفر فولدت له أولاداً ، وكانت مع أخيها لما قُتل ، فحملت إلى دمشق ، وحضرت عند يزيد بن معاوية ، وكلامها ليزيد بن معاوية حين طلب الشامي أختها مشهور ، يدل على عقل وقوة جنان .
(الإصابة) : ٧ / ٦٨٤ ، ترجمة رقم (١١٢٦١) ، نقلاً عن (أسد الغابة) : ٥ / ٤٦٩ .

فصل فى ذكر آل رسول الله ﷺ

قال ابن سيده : وآل الرجل أهله ، فإما أن تكون الألف منقلبة عن واو ، وإما أن تكون بدلاً من الهاء ، وتصغيره أويل وأهيل ، وقد يكون ذلك لما لا يعقل .

وأهل الرجل عشيرته وذَوُو قرباه ، والجمع أهلون وأهلات[1] ، قال : وأهل بيت النبى ﷺ - ويقال لهم آل البيت - قيل : نساء النبى ﷺ .

وقيل: الرجال الذين هم آله ، وآل الرجل أهله ، وآل الله وآل رسوله أولياؤه ، أصلها أهل ، ثم أبدلت الهاء بهمزة ، فصارت فى التقدير آل ، فلما توالت الهمزتان أبدلوا الثانية ألفاً .

قال : فلما كانوا بالآل الأشرف الأخص دون الشائع الأعم ، حتى لايقال إلا فى نحو قولهم : آل الله ، واللهم [صل][2] على محمد وعلى آل محمد ، ﴿ **وقال رَجلٌ مؤمن من آل فرعون** ﴾[3] ، قال ولا يقال : آل الخياط ، كما يقال أهل الخياط ولا آل الإسكاف[4] .

وقال صاحب الصحاح : وآل الرجل أهله وعياله ، وآله أيضاً : أتباعه ، وقيل : آل الرجل مشتق من اليؤل إذا رجع ، فآل الرجل هم الذين يرجعون إليه ويضافون له ، ويليهم أى يسوسهم ، فيكون مآلهم إليه ومنه الإيالة وهى السياسة ، فآل الرجل هم الذين يسوسهم .

ويقال [آل] الرجل له نفسه ، وآله لمن يتبعه[5] ، ويقال : أهل الرجل

---

(١) قال ابن نظور : والجمع أهلون ، وآهالٌ ، وأهْلات ، وأهَلات . (لسان العرب) : ١١ / ٢٨ .
(٢) زيادة للسياق .
(٣) سورة غافر : الآية ٢٨ .
(٤) (لسان العرب) : ١١ / ٣١ ، (ترتيب القاموس) : ١ / ١٩٨ ، وقال فى هامشه : وخُصَّ أيضاً بالإضافة إلى أعلام الناطقين دون النكرات والأمكنة والأزمنة ، فيقال : آل فلان ، ولا يقال : آل رجل . ولاالنكرات ولا آل زمان كذا ، ويقال : أهل بلد كذا ، وموضع كذا .
(٥) قال جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى : آل الرعيَّةَ يؤولها إيالة حسنة ، وهو حسنُ الإيالة=

لأهله وأقاربه ، فمن الأول : قول النبى ﷺ - لما جاءه أبو أوفى بصدقة - : اللهم [صل][1] على آل أبى أوفى[2] ، وقوله تعالى :﴿ **سلام على آل ياسين** ﴾[3] ، وقوله ﷺ : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم[4] ، فآل إبراهيم هو إبراهيم ، لأن الصلاة المطلوبة للنبى ﷺ هى الصلاة على إبراهيم نفسه ، وآله تبع له فيها .

وقيل لايكون الآل إلا الأتباع والأقارب ، وزعموا أن الأدلة المذكورة المراد بها الأقارب ، وأن قوله : كما صليت على آل إبراهيم : آل إبراهيم الأنبياء ، والمطلوب من الله تعالى أن يصلى على النبى ﷺ ، كما صلى على جميع الأنبياء والمرسلين من ذرية إبراهيم ، لا إبراهيم وحده ، كما هو مصرح به فى بعض الألفاظ من قوله : على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وكذا فى ﴿ **إلياسين** ﴾ ، فإنه قُرِىء : ﴿ **آل ياسين** ﴾[5]، والمراد أتباعه .

والصواب من هذا كله : أن الآل إذا انفرد ، دخل فيها المضاف ، كقوله تعالى : ﴿ **أدخلوا آل فرعون أشد العذاب** ﴾[6] ، ولا ريب فى دخوله فى آله هنا ، وقوله ﴿ **ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين** ﴾[7] ، ونظائره ، وقول النبى ﷺ : اللهم

= وأتالها ، وهو مؤتالٌ لقومه مقتال عليهم ، أى سائسٌ محتكم . (أساس البلاغة) : ٢٥ .

(١) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) (فتح البارى) : ١١ / ٢٠٢ ــ ٢٠٤ ، كتاب الدعوات ، باب (٢٣) هل ، يُصَلَّى على غير النبى ﷺ ، وقوله تعالى : ﴿ **وصلِّ عليهم إن صلاتك سكنٌ لهم** ﴾ ، حديث رقم (٦٣٥٩) . قال الحافظ ابن حجر : ووقع مثله عن قيس بن سعد بن عبادة : أن النبى ﷺ رفع يديه وهو يقول : اللهم اجعل صلواتك و رحمتك على آل سعد بن عبادة . أخرجه أبو داود والنسائى وسنده جيد ، وفى حديث جابر : أن امرأته قالت للنبى ﷺ :صلّ علىَّ وعلى زوجى ففعل ، أخرجه أحمد مطولاً ومختصراً ، وصححه ابن حبان ، وهذا القول جاء عن الحسن ومجاهد ، ونصَّ عليه أحمد فى رواية أبى داود ، وبه قال إسحاق ، وأبو ثور ، وداود ، والطبرى ، واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ **هو الذى يصلى عليكم وملائكته** ﴾ .

(٣) سورة الصافات : الآية ١٣٠ .

(٤) (فتح البارى) : ١١ / ١٨٢ ــ ١٨٣ ، كتاب الدعوات ، باب (٣٢) الصلاة على النبى ﷺ ، حديث رقم (٦٣٥٧) .

(٥) كذا فى قراءة ورش عن الإمام نافع (رواية ورش) : ١٥٣ .

(٦) سورة غافر : الآية ٤٦ .

(٧) سورة الأعراف : الآية ١٣٠ .

[صل][1] على آل أبى أَوْفَى ، ولا ريب فى دخول أبى أَوْفَى نفسُه فى ذلك ، وقوله : اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على آل إبراهيم – هنا أكثر روايات البخارى – وإبراهيم هنا داخل فى آله .

وأما إذا ذكر الرجل ثم ذكر آله ، لم يدخل فيهم ، ففرق بين اللفظين المجرد والمقرون ، فإذا قلت : أعط هذا الزيد وآل زيد ، لم يكن زيد هنا داخلاً فى آله ، وإذا قلت : اعطه لآل زيد تناول زيداً وآله ، فعُلم أن اللفظ واحد تختلف دلالته بالتجريد والاقتران ، كالفقير والمسكين : هما صنفان ، إذا قُرن بينهما ، وصنف واحد إذا أُفرد كل منهما ، ولهذا كانا فى الزكاة صنفين[2] ، وفى الكفارة صنفاً واحداً ، وكالإيمان والإسلام ، والبر والتقوى ، والفحشاء والمنكر ، والفسوق والعصيان ، ونظائر ذلك فى القرآن كثيرة .

وقد اختلف فى آل النبى ﷺ على أربعة أقوال ، أحدها : أنهم الذين تحرم عليهم الصدقة ، وفيهم ثلاثة أقوال : أحدها ، أنهم بنو هاشم وبنو المطلب ، وهذا مذهب الشافعى وأحمد فى رواية عنه ، والثانى : أنهم بنو هاشم خاصة ، وهذا مذهب أبى حنيفة ، وأحد أقوال أحمد ، واختيار ابن القاسم من أصحاب مالك ، والثالث : أنهم بنو هاشم ومن فوقهم إلى غالب ، فيدخل فيهم بنو المطلب ، وبنو أميه ، وبنو نوفل ومن فوقهم من بطون قريش ، وهذا اختيار أشهب من أصحاب مالك ، على ما حكاه صاحب (الجواهر) عنه .

---

(١) يقول الدكتور يوسف القرضاوى فى (فقه الزكاه) : والذى ينفع ذكره هنا : أن الفقير عند الحنفية هو من يملك شيئا دون النصاب الشرعى فى الزكاه ، أو يملك ما قيمته نصاب أو أكثر من الأثاث ، والأمتعة ، والثياب ، والكتب ، ونحوها ، مما هو محتاج إليه لاستعماله والانتفاع به ، والمسكين عندهم من لايملك شيئا . وهذا هو المشهور .

والفقير عند الأئمة الثلاثة : من ليس له مال ولا كسب حلال لائق به ، يقع موقعاً من كفايته ، من مطعم ، وملبس ، ومسكن ، وسائر مالا بد منه ، لنفسه ولمن تلزمه نفقته ، من غير إسراف ولا تقتير ، كمن يحتاج إلى عشرة دراهم كل يوم ، ولا يجد إلا أربعة ، أو ثلاثة ، أو اثنين .

والمسكين عندهم من قدر على مال أو كسب حلال لائق ، يقع موقعاً من كفايته وكفاية من يعوله ، ولكن لا تتم به الكفاية ، كمن يحتاج إلى عشرة فيجد سبعة أو ثمانية . (فقه الزكاة للقرضاوى) : ٢ / ٥٤٦ – ٥٤٨ .

وحكاه اللخمى في (التبصرة) عن أصبغ لا عن أشهب ، وهذا القول في الأول ، أعنى أنهم الذين تحرم عليهم الصدقة ، هو منصوص عن الشافعى وأحمد ، والأكثرين ، وهو اختيار جمهور أصحابهما ، والدليل عليه ما خرجه البخارى من حديث إبراهيم ابن طهمان ، عن محمد بن زياد ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كان النبى ﷺ يؤتى بالتمر عند صرام النخل ، فيجىء هذا بتمره وهذا من تمره ، حتى يصير عنده كوماً من تمر فجعل الحسن والحسين يلعبان بذلك التمر ، فأخذ أحدهما تمرة فجعلها فى فيه ، فنظر إليه رسول الله ﷺ فأخرجها من فيه وقال : أما علمت أن آل محمد لا يأكلون الصدقة ؟

ترجم عليه باب أخذ صدقة التمر عند صرام النخل ، وهل يترك الصبى فيمسّ تمر الصدقة[1] ؟

وخرجه مسلم من حديث وكيع عن شعبة ، عن محمد - وهو ابن زياد - سمع أبا هريرة يقول : أخذ الحسن بن على رضى الله عنه تمرة من تمر الصدقة فجعلها فى فيه ، فقال رسول الله ﷺ : كخ كخ ! ارم بها ، أما علمت أنّا لا تحل لنا الصدقة ؟[2] ؟

وخرج مسلم من حديث إبراهيم بن علية قال : حدثنا أبو حيَّان قال : حدثنى يزيد بن حيَّان قال : انطلقت أنا وحصين بن سبرة ، وعمر بن مسلم إلى زيد

---

(1) (فتح البارى) : ٣ /٤٤٧ ، كتاب الزكاة ، باب (٥٧) ، حديث رقم (١٤٨٥) . والصرام - بكسر المهملة : الجداد والقطاف وزناً ومعنًى .

(2) (مسلم بشرح النووى) ، ٧ / ١٨١ ، كتاب الزكاة ، باب (٥٠) تحريم الزكاة على رسول الله ﷺ وعلى آله ، هم بنو هاشم وبنو المطلب دون غيرهم ، حديث رقم (١٦١) واللذان بعده . قال القاضى فى قوله ﷺ : « كخ كخ ارم بها أما علمت أنا لا نأكل الصدقة » وفى رواية : « لاتحل لنا الصدقة » : يقال : كخ كخ بفتح الكاف وكسرها ، و تسكين الخاء ، ويجوز كسرها مع التنوين ، وهى كلمة يزجر بها الصبيان عن المستقذرات ، فيقال له : كخ ، أى اتركه وارم به . قال الداودى : هى عجمية معربة بمعنى بئس ، وقد أشار إلى هذا البخارى بقوله فى ترجمة باب من تكلم بالفارسية والرطانة . وفى الحديث أن الصبيان يوقون ما يوقاه الكبار ، وتمنع من تعاطيه ، وهذا واجب على الولى . (مسلم بشرح النووى) : ٧ / ١٨١ .

قوله ﷺ : « أما علمت أنا لا نأكل الصدقة » هذه اللفظة تقال فى الشىء الواضح التحريم ونحوه ، وإن لم يكن المخاطب عالماً به ، وتقديره : عجبٌ ! كيف خفى عليك هذا مع ظهور تحريم الزكاة على النبى ﷺ وعلى آله ، وهم بنو هاشم وبنو المطلب ؟ .

ابن أرقم رضي الله عنه ، فلما جلسنا إليه قال له حصين : لقد لقيت يا زيد خيرًا كثيرًا ، رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه ، وغزوت معه ، وصليت خلفه ، لقد لقيت[1] يا زيد خيرًا كثيرًا ، حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله ﷺ ، قال : يا ابن أخي ، والله لقد كبرت سني ، وقدم عهدي ، ونسيتُ بعض الذي كنتُ أعي من رسول الله ﷺ فما حدثتكم فاقبلوا ، وما[2] لا فلا تكلفونيه[3] .

ثم قال : قام فينا رسول الله ﷺ يوماً[4] خطيباً بماء يدعى خُمّاً[5] بين مكة والمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ووعظ وذكر ثم قال : أما بعد ، ألا أيها الناس ، فإنما أنا بشرٌ ، يوشك أن يأتى رسول ربى[6] فأُجيب ، وأنا تارك فيكم ثقلين : أولهما كتاب الله تعالى ، فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به ، فحث على كتاب الله ورغّب فيه ، ثم قال : وأهل بيتى ، أُذكّركم الله فى أهل بيتى ، أذكركم الله [فى أهل بيتى ، أذكركم الله فى أهل بيتى][7] - ثلاثا[8] - ثم قال له حصين : ومن أهل بيته

هذا مذهب الشافعي وموافقيه ، أن آله ﷺ هم بنو هاشم وبنو المطلب ، وبه قال بعض المالكية . وقال أبو حنيفة ومالك : هم بنو هاشم خاصة . قال القاضى : وقال بعض العلماء : هم قريش كلها ، وقال أصبغ المالكى : هم بنو قصى .

دليل الشافعي أن رسول الله ﷺ قال : إن بنى هاشم وبنى المطلب شيء واحد ، وقسم بينهم سهم ذوى القربى ، وأما صدقة التطوع فللشافعى فيها ثلاثة أقوال : أحدها : أنها تحرم على رسول الله ﷺ وتحل لآله ، والثانى تحرم عليه وعليهم ، والثالث : تحل له ولهم .

وأما موالى بنى هاشم وبنى المطلب فهل تحرم عليهم الزكاة ؟ فيه وجهان لأصحابنا ، أصحهما : تحرم ، للحديث الذى ذكره مسلم بعد هذا ، حديث أبى رافع . والثانى : تحل .

وبالتحريم قال أبو حنيفة ، وسائر الكوفيين ، وبعض المالكية .

وبالإباحة قال مالك ، وادعى ابن بطال المالكي أن الخلاف إنما هو فى موالى بنى هاشم ، وأما موالى غيرهم فتباح لهم بالإجماع وليس كما قال بل الأصح عند أصحابنا تحريمها على موالى بنى هاشم ، وبنى المطلب ، ولا فرق بينهما ، والله تعالى أعلم . (المرجع السابق) .

(١) فى (خ) : « رأيت » وصوبناه من (صحيح مسلم) .

(٢) فى (خ) : « وما ألا » وصوبناه من (صحيح مسلم) .

(٣) فى (خ) : « تكلفنيه » وصوبناه من (صحيح مسلم) .

(٤) كذا فى (خ) ، وفى (صحيح مسلم) : « ثم قال قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً » .

(٥) خُمّ : اسم لغيضة على ثلاثة أميال من الجحفة ، عندها غدير مشهور يضاف إلى الغيضة ، فيقال : غدير خُمّ .

(٦) يعنى ملك الموت . قال تعالى : ﴿ الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس ﴾ الحج : ٧٥ .

(٧) زيادة يقتضيها السياق من (صحيح مسلم) .

(٨) كذا فى (خ) ، وفى (صحيح مسلم) : « فقال » .

يازيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال : نساؤه من أهل بيته . أهل بيته من حُرِم الصدقة بعده ، قال : ومن هم ؟ قال : هم آل على ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل عباس ، قال : كل هؤلاء حُرِم الصدقة[1] ؟قال نعم[2] .

وخرجه من حديث جرير عن أبى حيان به ، وزاد فيه : كتاب الله فيه الهدى والنور ، من استمسك به وأخذ به كان على الهدى ، ومن أخطأ ضل[3] .

وخرجه من حديث حسان بن إبراهيم عن سعيد بن مسروق ، وعن يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم قال : دخلنا عليه فقلنا له : لقد رأيت خيراً ، لقد صاحبت رسول الله ﷺ وصليت خلفه ، وساق الحديث بنحو حديث أبى حيان ، غير أنه قال : ألا وإنى تارك فيكم ثقلين أحدهما كتاب الله عز وجل ، وهو حبل الله ، من اتبعه كان على الهدى ، ومن تركه كان على ضلالة ، وفيه :فقلنا : من أهل بيته نساؤه ؟ قال : لا وأيم الله ، إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ، ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها ، أهل بيته أصله وعصبته الذين حُرموا الصدقة بعده[4] .

وخرجه الترمذى من حديث محمد بن فضل . حدثنا الأعمش عن عطية بن سعد ، والأعمش عن حبيب بن أبى ثابت ، عن زيد بن أرقم قالا : قال رسول الله ﷺ : إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى ، أحدهما أعظم من الآخر ، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتى أهل بيتى ، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض ، فانظروا كيف تخلفونى فيهما . قال : هذا حديث [حسن] غريب[5] .

---

(١) كذا فى (خ) ، وفى (صحيح مسلم) : « قال كل هؤلاء كل هؤلاء حرم الصدقة بعده » .
(٢) (مسلم بشرح النووى) : ١٥ /١٨٨ ــ كتاب فضائل الصحابة ، باب (٤) من فضائل على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، حديث رقم (٣٦) قوله ﷺ : « وأنا تارك فيكم ثقلين فذكر كتاب الله وأهل بيته » ، قال العلماء :سُمّيا ثقلين لعظمهما وكبير شأنها ، وقيل : لثقل العمل بهما (المرجع السابق) .
(٣) (المرجع السابق) : ١٨٩ .
(٤) (المرجع السابق) : ١٩٠ ، حديث رقم (٣٧) .
(٥) (سنن الترمذى) : ٥ / ٦٢٢ ، كتاب المناقب ، باب (٣٢) مناقب أهل بيت النبى ﷺ ، حديث رقم (٣٧٨٨) وقال فى آخره : هذا حديث حسن غريب .

وخرجه الحاكم من حديث جرير بن عبد الحميد ، عن الحسن بن عبد الله النخعي ، عن مسلم بن صبيح ، عن زيد بن أرقم قال : قال رسول الله ﷺ : إنى تارك فيكم الثقلين ، كتاب الله وأهل بيتى ، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض . قال : هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه[1] .

وقد روى : إنى تارك فيكم الثقلين ، كتاب الله وعترتى ، كتاب الله حبلاً ممدوداً من السماء إلى الأرض ، وعترتى أهل بيتى ، قال أبو البقاء : أما كتاب الله وعترتى الأولين فبدلان من الثقلين .

وأما كتاباً الثانى فهو بدل من كتاب الأول ، وجوَّد ذلك وحسَّنه ما اتصل به من زيادة المعنى ، وهو قوله : حبلاً ممدوداً ، وكذلك عترتى أهل بيتى ، ونصب حبلاً ممدوداً على أنه حال أو مفعول ثانى لتارك ، ولو روى كتاب الله حبلاً ممدوداً جاز على أنه مستأنف .

وقد ثبت أن النبى ﷺ قال : إن الصدقة لاتحل لآل محمد[2] ، وخرج البخارى ومسلم من حديث الزهرى عن عروة ، عن عائشة رضى الله عنها أن فاطمة والعباس رضى الله عنهما أتيا أبا بكر رضى الله عنه يلتمسان ميراثهما من رسول الله ﷺ وهما حينئذ يطلبان أرضيهما من فدك وسهمهما من خيبر ، فقال لهما أبو بكر رضى الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا نورَّث ، ماتركناه صدقه ، إنما يأكل آل محمد من [هذا المال] .
قال أبو بكر رضى الله عنه والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله ﷺ [يصنعه] فيه إلاصنعته ، قال : فهجرته فاطمة رضى الله عنها فلم تكلمه حتى ماتت . اللفظ للبخارى ، خرجه فى الفرائض[3] وخرجه فى المغازى [4]فى حديث بنى النضر

---

(١) (المستدرك) : ٣ / ١٦٠ – ١٦١ ، كتاب معرفة الصحابة ، حديث رقم (٤٧١١ / ٣٠٩) ، وقال الذهبى فى (التلخيص) : على شرط البخارى ومسلم .

(٢) فى (صحيح مسلم) : « الصدقة لا تنبغى لآل محمد » بعض حديث طويل سيأتى الكلام عنه بعد قليل إن شاء الله تعالى .

(٣) (فتح البارى) : ١٢ / ٤ ، كتاب الفرائض ، باب (٣) قول النبى ﷺ : لانورَّث ماتركناه صدقة ، حديث رقم (٦٧٢٥) ، حديث رقم (٦٧٢٦) ، ومابين الحاصرتين زيادة للسياق منه .

(٤) (فتح البارى) : ٧ / ٦٢٧ – ٦٢٨ ، كتاب المغازى ، باب (٣٩) غزوة خيبر ، حديث رقم (٤٢٤٠ ، ٤٢٤١) .

وقال فى آخره : إنما يأكل آل محمد من هذا المال ، والله لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلىّ أن أصل من قرابتى ، وذكره فى كتاب الفىء ، أطول من هذا وأشبع من حديث عقيل وصالح بن كيسان و معمر ، وهى كلها مما اتفقا عليه ، وقوله : إنما يأكل آل محمد من هذا المال ، يعنى مال الله ، ليس لهم أن يزيدوا على المأكل ، قال النبى ﷺ لهم خواصّ : **منها** حرمان الصدقة ، **ومنها** أنهم لا يرثونه ، **ومنها** استحقاقهم خمس الخمس ، **ومنها** اختصاصهم بالصلاة عليه .

وقد ثبت أن تحريم الصدقة ، واستحقاق خمس الخمس ، وعدم تورثيهم ، يختص ببعض أقاربه ﷺ ، فكذلك الصلاة على آله خاصة ببعضهم غير عامة لهم .

وخرج مسلم من حديث مالك عن الزهرى ، أن عبد الله بن عبد الله بن نوفل ابن الحارث بن عبد المطلب ، حدثه أن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث حدثه قال : اجتمع ربيعة بن الحارث والعباس بن عبدالمطلب فقالا : والله لو بعثنا هذين الغلامين — قال لى وللفضل بن عباس — إلى رسول الله ﷺ فكلماه فأمَّرهما على هذه الصدقات فأديا مايؤدى الناس وأصابا ماتصيبه الناس .

قال : فبينما هما فى ذلك جاء على بن أبى طالب رضى الله عنه فوقف عليهما ، فذكرا له ذلك ، فقال علىّ : لا تفعلا [فوالله][1] ماهو بفاعل ، فانتحاه ربيعة بن الحارث فقال : والله ماتصنع هذا إلا نفاسة منك علينا ، فو الله لقد نلت صهر رسول الله ﷺ ، فما نفسناه عليك ، قال علىّ : أرسلوهما ، فانطلقا واضطجع علىّ ، قال : فلما صلى رسول الله ﷺ الظهر سبقناه إلى الحجرة ، فقمنا عندها حتى جاء فأخذ بآذاننا ثم قال : أخرجا ما تصرران ، ثم دخل ودخلنا عليه وهو يومئذ عند زينب بنت جحش .

قال : فتواكلنا الكلام ثم تكلم أحدنا فقال : يارسول الله ، أنت أبُّر الناس وأوصلُ الناس ، وقد بلغنا النكاح فجئنا لتؤمِّرنا على بعض هذه الصدقات ، فنؤدى إليك كما يؤدى الناس ونصيب كماُ يصيبون .

---

(١) زيادة للسياق من (صحيح مسلم) .

قال : فسكت طويلاً حتى أردنا أن نكلمه ، قال : وجعلت زينب رضى الله عنها تلمع علينا من وراء الحجاب أن لا تكلماه .

قال : ثم قال : إن الصدقة لاتنبغى لآل محمد ، إنما هى أوساخ الناس ، أُدعوا لى محمية ــ وكان على الخمس ــ ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب .

قال : فجاءاه فقال لمحمية : أنكح هذا الغلام ابنتك للفضل بن العباس ، فأنكحه ، وقال لنوفل بن الحارث : أنكح هذا الغلام ابنتك لى ، فأنكحنى ، وقال لمحمية : أصدق عنهما من الخمس كذا وكذا . قال الزهرى : ولم يسمه لى ،[1]

وخرجه أيضا من حديث يونس [بن يزيد][2] عن ابن شهاب ، عن عبد الله

---

(١) (مسلم بشرح النووى) : ٧ / ١٨٣ ــ ١٨٥ ، كتاب الزكاه ، باب (٥١) ترك استعمال آل النبى ﷺ على الصدقة ، حديث رقم (١٦٧) .

قوله : « فانتحاه ربيعة بن الحارث » هو بالحاء ، ومعناه : عرض له وقصده .

قوله : « ماتفعل هذا إلانفاسة منك علينا » معناه حسداً منك لنا ، قوله « أخرجا ما تصرران » ، هكذا هو فى معظم الأصول ببلادنا ، وهو الذى ذكره الهروى ، والمازرى ، وغيرهما من أهل الضبط ، تصرران بضم التاء وفتح الصاد وكسر الراء وبعدها راء أخرى ، ومعناه : تجمعانه فى صدوركما من الكلام ، وكل شيء جمعته فقد صررته .

ووقع فى بعض النسخ : تسرران بالسين من السر ، وذكر القاضى عياض فيه أربع روايات فلتراجع فى (مسلم بشرح النووى) : ٧ / ١٨٤ .

قوله : « قد بلغنا النكاح » أى الحلُم ، كقوله تعالى : ﴿ **وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح** ﴾ [النساء ٦] .

قوله : « تلمع إلينا » بضم التاء وإسكان اللام وكسر الميم ، ويجوز فتح التاء والميم ، يقال : ألمع ولمع إذا أشار بثوبه أو بيده .

قوله ﷺ : « **إن الصدقة لا تنبغى لآل محمد** » دليل على أنها محرمة سواء كانت بسبب العمل ، أو بسبب الفقر والمسكنة وغيرهما من الأسباب الثمانية [المذكورة فى الآية ٦٠ من سورة التوبة] ، وهذا هو الصحيح عند أصحابنا .

وجوَّز بعض أصحابنا لبنى هاشم وبنى المطلب العمل عليها بسهم العامل لأنه إجارة ، وهذا ضعيف أو باطل ، وهذا الحديث صحيح فى رده .

قوله ﷺ : « **إنما هى أوساخ الناس** » تنبيه على العلة فى تحريمها على بنى هاشم وبنى المطلب ، وأنها لكرامتهم وتنزيههم عن الأوساخ ، ومعنى أوساخ الناس أنها تطهير لأموالهم ونفوسهم ، كما قال تعالى : ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** ﴾ ، فهى كغسالة الأوساخ . (مسلم بشرح النووى) : ٧ / ١٨٥ .

(٢) زيادة للنسب من (صحيح مسلم) .

ابن الحارث بن نوفل الهاشمى ، أن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، أخبره أن أباه ربيعة بن الحارث [بن عبد المطلب][1] وعباس بن عبد المطلب قالا لعبد المطلب بن ربيعة وللفضل بن عباس : ائتيا رسول الله ﷺ ..... وساق الحديث بنحو حديث مالك وقال فيه : فألقى علىّ رضى الله عنه رداءه ثم اضطجع وقال : أنا أبو حسن القرم ، والله لا أريم مكانى حتى يرجع إليكما إبناكما بحور ما بعثتما به إلى رسول الله ﷺ ، وقال فى الحديث :ثم قال لنا : إن هذه الصدقات إنما هى أوساخ الناس ، وإنها لاتحل لمحمد ولا لآل محمد .

وقال أيضا ثم قال رسول الله ﷺ : ادعوا إلىّ محمية بن جزء — وهو رجل من بنى أسد كان رسول الله ﷺ استعمله على الأخماس . قال كاتبه : هكذا وقع ، وهو رجل من بنى أسد ، وإنما هو من بنى زبيلة .

وخرج مسلم وأبو داود من حديث حيوة ، أخبرنى أبو صخر عن يزيد بن قُسيط عن عروة بن الزبير ، عن عائشة رضى الله عنها ، أن رسول الله ﷺ أمر بكبش أقرن يطأ فى سواد ، ويبرك فى سواد ، وينظر فى سواد ، فأتى به لِيُضحِّى به فقال : ياعائشة هلمى المدية ، ثم قال : اشحذيها بحجر [— وقال أبو داود : أشحثيها بحجر —][2] ففعلت ، ثم أخذها وأخذ الكبش فأضجعه ، ثم ذبحه ثم قال : باسم الله ، اللهم تقبل من محمد ، وآل محمد ، ومن أمة محمد ، ثم ضحى به[3] .

فانظر كيف غاير بين آله وأمته ، فإن حقيقة العطف المغايرة ، وأمته ﷺ

---

(١) زيادة للنسب من (صحيح مسلم) .
(٢) كذا فى (خ) ، وفى (صحيح مسلم) و(سنن أبى داود) : « اشحذيها » .
(٣) (مسلم بشرح النووى) : ١٣ / ١٣٠ ، كتاب الأضاحى ، باب (٣) استحباب الضحية ، وذبحها مباشرة بلا توكيل والتسمية والتكبير ، حديث رقم (١٩) : ٧ / ٣٤٩ — ٣٥٠ كتاب الضحايا ، باب (٤) مايستحب من الضحايا ، حديث رقم (٢٧٨٩) ، وفى الحديث استحباب التضحية بالأقرن ، وإحسان الذبح ، وإحداد الشفرة ، وإضجاع الغنم فى الذبح ، قال النووى : واتفق العلماء على أن إضجاعها يكون على جانبها الأيسر ،لأنه أسهل على الذابح فى أخذ السكين باليمين ، وإمساك رأسها باليسار ا.هـ والحديث فيه دليل على حواز الأضحية الواحدة عن جميع أهل البيت قال المنذرى : أخرجه مسلم . (عون المعبود) : ٧ / ٣٥٠ .

أعمّ من آله ، وتفسير الآل بكلام النبى ﷺ أولى من تفسيره بكلام غيره ، وهذا القول من أن آل الرسول ﷺ هم الذين تحرم عليهم الصدقه ، هو أصح الأقوال الأربعة .

وأرجح ما فى هذا القول من الأقوال الثلاثة مذهب الشافعى رحمة الله ، لما خرج البخارى من حديث الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب ، عن جبير بن مطعم قال : مشيت أنا وعثمان بن عفان رضى الله عنه إلى رسول الله ﷺ ، فقلنا : يارسول الله ! أعطيت بنى المطلب وتركتنا ، ونحن وهم منك بمنزلة واحدة ، فقال رسول الله ﷺ : إنما بنو المطلب وبنو هاشم شيء واحد[1] .

وقال الليث : حدثنى يونس ، وزاد قال جبير : ولم يقسم النبى ﷺ لبنى عبد شمس ولا لبنى نوفل [شيئا][2] . قال ابن إسحق : وعبد شمس وهاشم والمطلب إخوة لأم ــ وهى عاتكة بنت مرة ــ وكان نوفل أخوهم لأبيهم ، ذكره البخارى فى كتاب فرض الخمس ، وفى مناقب قريش فى غزوة خيبر .

فصح أنه لايجوز أن يفرق بين حكم هاشم وبنى المطلب فى شيء أصلا ، لأنهم شيء واحد بنصّ كلام رسول الله ﷺ ، فصح أنهم آل محمد ، وإذ هم آل محمد فالصدقة عليهم حرام ، وخرج بنو عبد شمس وبنو نوفل ابنى عبد مناف وسائر قريش عن هذين البطنين وبالله التوفيق .

واعترض الجنفيون بأن قوله ﷺ : إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد ، إنما أراد أنهم لم يفترقوا فى الجاهلية لأنهم دخلوا مع بنى هاشم الشعب ، إذ [كان][3] بنو عبد شمس حينئذ حزباً لرسول الله ﷺ ، [وأهل رسول الله ﷺ هم بنو هاشم][4] فقط الذين هم بنو العباس ، وبنو طالب ، وبنو الحارث ، وبنو أبى طالب ، وبنو أبى لهب . فإنه لاخلاف أن عقب هاشم انحصر فى عبد المطلب

---

(١) أخرجه مسلم (عون المعبود) : ٧ / ٣٥٠ (٣) ، (٤) أخرجه البخارى فى المغازى ، باب (٢٣٩) غزوة خيبر حديث رقم (٤٢٢٩) .

(٣) زيادة للسياق .

(٤) مابين الحاصرتين سياقه مضطرب فى (خ) وعالجناه على حسب ما يقتضبه السياق .

فصار بنوه آل محمد بيقين .

واعترض الشيعة العلَوية على الحنفية وغيرهم بأنه ليس أهل البيت إلامن ذكرهم الله تعالى بقوله : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾[1] ، وقد فسرهم رسول الله ﷺ حين سُئل : من أهل بيتك ؟ فقال : على وفاطمة ، والحسن والحسين .

خرج الترمذى من طريق يحى بن عبيد ، عن عطاء بن أبى رباح ، عن عمربن أبى سلمة [ربيب البنى ﷺ] ، وزينب بنت النبى ﷺ قال : نزلت هذه الآية على النبى ﷺ : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾[1] فى بيت أم سلمة رضى الله عنها فدعا النبى ﷺ فاطمة وحسناً وحسيناً رضى الله عنهم فجلَّلهم بكساء ، وعلى رضى الله عنه خلف ظهره [فجلله بكساء] ثم قال :اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، قالت أم سلمة : وأنا معهم يارسول الله ؟ قال : أنت على مكانك وأنت إلى خير[2] .

قال : وهذا حديث غريب من هذا الوجه . ذكره فى مناقب آل بيت النبى ﷺ . وذكره أيضاً بهذا الإسناد فى كتاب التفسير وقال : هذا حديث غريب من حديث عطاء عن عمر بن أبى سلمة[3] .

وخرج مسلم من حديث زكريا بن أبى زائدة ، عن مصعب بن أبى شيبة ، عن صفية بنت شيبة قالت : قالت عائشة رضى الله عنها : خرج النبى ﷺ

---

(١) الأحزاب : ٣٣ .

(٢) (تحفة الأحوذى) : ١٠ / ١٩٦ ، أبواب المناقب : باب (١١٠) مناقب أهل بيت النبى ﷺ ، حديث رقم (٤٠٣٩) .

(٣) (تحفة الأحوذى) : ٩ / ٤٨ ، أبواب تفسير القرآن ، سورة الأحزاب ، حديث رقم (٣٤٢٢) . قوله تعالى : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس** ﴾ قيل : هو الشك ، وقيل العذاب ، وقيل الإثم . قال الأزهرى : الرجس اسم لكل مستقذر من عمل ، قاله النووى . قوله « فجللهم بكساء » أى غطاهم به من التجليل .وقوله : « فجلله بكساء » أى كساء آخر ، قوله : « قالت أم سلمه وأنا معهم يانبى الله » بتقدير حرف الاستفهام ، قوله : « أنت إلى مكانك وانت إلى خير »يحتمل أن يكون معناه أنت خير وعلى مكانك من كونك من أهل بيتى ولا حاجة لك فى الدخول تحت الكساء ، كأنه منعها عن ذلك لمكان علىّ ، وأن يكون المعنى أنت على خير وإن تكونى من أهل بيتى ، كذا فى (اللمعات) . (المرجع السابق) .

[غداة][1] وعليه مرط مرحَّل من شعر أسود ، فجاء الحسن بن على فأدخله ، ثم جاء الحسين فدخل معه ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ، ثم جاء علىّ فأدخله ثم قال : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾[2] .

وخرج أبو بكر بن أبى شيبة من حديث محمد بن مصعب قال : حدثنا الأوزاعى عن شداد أبى عمار قال : دخلت على واثلة بن الأسقع وعنده قوم فذكروا علياً رضى الله عنه فشتموه ، فشتمته معهم ، فقال : ألا أخبرك بما رأيت من رسول الله ﷺ ؟ قلت : بلى ، قال : أتيت على فاطمة أسألها عن علىّ رضى الله عنه عنهما فقالت : توجه إلى رسول الله ﷺ ، فجلست فجاء رسول الله ﷺ ومعه على وحسن وحسين ، أخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل ، فدخل علينا وفاطمة ، فأجلسهما بين يديه ، وأجلس حسناً وحسيناً كل واحد منهما على فخذه ، ثم لف عليهم ثوباً أو قال : كساء ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾ ثم قال : هؤلاء أهل بيتى ، وأهل بيتى أحق .

وأخرجه الحاكم من حديث بشر بن بكر ، حدثنا الأوزاعى ، حدثنى أبو عمار ، حدثني واثلة بن الأسقع قال : أتيت علياً فلم أجده ، فقالت لى فاطمة : انطلق إلى رسول الله ﷺ يدعوه ، فجاء مع رسول الله ﷺ فدخلا ودخلت معهما ، فدعا رسول الله ﷺ الحسن والحسين فأقعد كل واحد منهما على فخذيه ، وأدنى فاطمة من حجره وزوجها ، ثم لفَّ عليهم ثوباً وقال : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾ ، ثم قال : هؤلاء أهل بيتى ، اللهم [أهل

---

(١) زيادة للسياق من (صحيح مسلم) .

(٢) (مسلم بشرح النووى) : ١٥ / ٢٠٣ ــ ٢٠٤ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب (٩) فضائل أهل بيت النبى ﷺ ، حديث رقم (٦١) .

قوله : « وعليه مرط مرحَّل » هو بالحاء المهلة ، وقال القاضى : أنه وقع لبعض رواة كتاب مسلم بالحاء ، ولبعضهم بالجيم .

والمرحَّل بالحاء : هو الموشَّي المنقوش ، عليه صور رحال الإبل ، وبالجيم : عليه صور المراجل وهى القدور ، وأما المرط فبكسر الميم ، وهو كساء جمعه مروط . (المرجع السابق) .

بيتى][1] .

قال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم[2]قال البخارى فى تاريخه : محمد ابن مصعب القرقسانى أبو عبد الله [لم] يسمع الأوزاعى ، وكان يحى بن معين يسىء الرأى فيه[3] .

وأخرج الحاكم من طريق عبد الرحمن [بن عبد الله][4] بن دينار ، عن شريك ابن أبى نمر ، عن عطاء بن يسار ، عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : فى بيتى نزلت ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت** ﴾ ، قالت : فأرسل رسول الله ﷺ إلى علىّ وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم فقال : هؤلا أهل بيتى .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط البخارى[5] .

وخرج أيضاً من طريق الحسن بن عرفه قال : حدثنى على بن ثابت الجزرى ، حدثنا بكير بن مسمار — مولى عامر بن سعد — قال : سمعت عامر بن سعد يقول : قال سعد : نزل على رسول الله ﷺ الوحى ، فأدخل علياً وفاطمة وابنيهما تحت ثوبه ثم قال : [اللهم][6] هؤلاء أهلى وأهل بيتى[7] .

وخرج من طريق أبى بكر بن أبى شيبة [الحزامى][1] قال : حدثنا محمد

---

(١) (المستدرك) : ٣ / ١٥٩ ، كتاب معرفة الصحابة ، باب مناقب أهل رسول الله ﷺ ، حديث رقم (٤٧٠٦ / ٣٠٤) .

(٢) الذى قال : على شرط مسلم هو الحافظ الذهبى فى (التلخيص) ، لكن أبو عبد الله الحاكم قال فى (المستدرك) : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(٣) (التاريخ الكبير) : ١ / ٢٣٩ ، ترجمة محمد بن مُصعب القرقسانى رقم (٧٥٦) . وفيه : سمع الأوزاعى ، وكان يحى بن معين سيء الرأى فيه ، قال محققه : وهذا خلاف لما فى (خ) ، من أنه لم يسمع الأوزاعى .

(٤) زيادة فى النسب من (المستدرك) .

(٥) (المستدرك) : ٣ / ١٥٨ ، كتاب معرفة الصحابة ، حديث رقم (٤٧٠٥ / ٣٠٣) ، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص) : على شرط البخارى .

(٦) زيادة للسياق من (المستدرك) .

(٧) (المستدرك) : ٣ / ١٥٩ ، كتاب معرفة الصحابة ، حديث رقم (٤٧٠٨ / ٣٠٦) ، وقال عنه الحافظ الذهبى فى (التلخيص) : على ، وبكير تُكلم فيهما .

ابن إسماعيل بن أبى فديك ، حدثنى عبد الرحمن بن أبى بكر المليكى عن إسماعيل ابن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، عن أبيه قال : لما نظر رسول الله ﷺ إلى الرحمة هابطة قال : ادعوا لى ادعوا لى ، فقالت صفية : من يارسول الله ؟ قال : أهل بيتى : علياً وفاطمة والحسن والحسين ، فجىء بهم فألقى عليهم النبى ﷺ كساءه ، ثم رفع يديه ثم قال : اللهم [هؤلاء][1] آلى فصَلِّ على محمد وعلى آل محمد ، وأنزل الله عزَّ وجل ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾ قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقد صحت الرواية على شرط الشيخين أنه علمهم الصلاة على أهل بيته كما علمهم الصلاة على آله [2]

وذكر من طريق البخارى حديث كعب بن عجرة ثم قال : وإنما خرجته ليعلم المستفيد أن أهل البيت والآل جميعاً هم[3] . وخرج الحاكم من طريق موسى بن هارون ، حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا حاتم بن إسماعيل ، عن بكير بن مسمار ، عن عامر بن سعد عن أبيه قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ **ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم** ﴾[4] ، دعا رسول الله ﷺ [علياً][1] وفاطمة ، وحسناً وحسيناً فقال : اللهم [هؤلاء][1] أهلى . قال الحاكم : هذا

---

(١) زيادة للسياق من (المستدرك) .

(٢) (المستدرك) ، ٣ / ١٥٩ — ١٦٠ ، كتاب معرفة الصحابة ، حديث رقم (٤٧٠٩ / ٣٠٧) ، وقال عنه الحافظ الذهبى فى (التلخيص) : المليكى ذاهب الحديثءقال الحاكم : وصحت الرواية أنه عليه السلام علمهم الصلاة على أهل بيته كما علمهم الصلاة على آله .

(٣) وحديث كعب بن عجره : حدثنى عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبى ليلى : أنه سمع عبد الرحمن ابن أبى ليلى يقول : لقينى كعب بن عجرة فقال : ألا أهدى لك هدية سمعتها من النبى ﷺ ؟ قلت : بلى ، قال : فأهدها إلىّ ، قال : سألنا رسول الله ﷺ فقلنا : يارسول الله ، كيف الصلاة عليكم أهل البيت ؟ قال : قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

قال الحاكم : وقد روى هذا الحديث بإسناده وألفاظه حرفاً بعد حرف ، الإمام محمد بن إسماعيل البخارى ، عن موسى بن إسماعيل فى الجامع الصحيح ، وإنما خرجته ليعلم المستفيد من أهل العلم أن أهل البيت والآل جميعاً هم . وأبو فروة هو عروة بن الحارث الهمدانى من أوثق التابعين بالكوفة . (المستدرك) : ٣ / ١٦٠ ، كتاب معرفة الصحابة ، حديث رقم (٤٧١٠ / ٣٠٨) .

(٤) آل عمران : ٦١ .

حديث صحيح على شرط الشيخين[1] . وخرجه ثانياً ثم قال : اتفق الشيخان على صحة هذا الإسناد واحتجّا به ولم يخرجاه وإنما خرجا بهذا الإسناد قصة أبي تراب .

وخرج من طريق عفان بن مسلم ، حدثنا حماد بن سلمة قال : أخبرنى حميد وعلى بن زيد ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يمرّ بباب فاطمة رضى الله عنها ستة أشهر إذا خرج لصلاة الفجر يقول : الصلاة ياأهل البيت ، **﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾** .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم . [ولم يخرجاه][2] .

واعتُرض على الشيعة بأن قيل : لا نُسلم أن أهل البيت فى الآية من ذكرتم ، بل هم نساء النبى ﷺ بدليل سياقها ، وانتظام ما استدللتم به معه ، فإن الله تعالى قال : **﴿ يانساء النبى لستن كأحد من النساء ، إن اتقيتن [فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض] ﴾**[3] ، ثم استطردها إلى أن قال : **﴿ وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾**[4] **﴿ واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾**[5] الآية ، فخطاب نساء النبى مكتنفاً لذكر أهل البيت قبله وبعده منتظماً له ، فاقتضى أنهن المراد به ، وحينئذ .لا يكون لكم فى الآية متعلق أصلا ، ويسقط الاستدلال بها بالكلية ، وما أكدتم به قولكم من السنة فأخبار آحاد لاتقولون بها مع أن دلالتها ضعيفة .

فأجاب الشيعة بأن قالوا : الدليل على أن أهل البيت فى الآية من ذكرنا ، النص والإجماع . أما النص فما ثبت عن النبى ﷺ أنه بقى بعد نزول الآية ستة أشهر

---

(١) (المستدرك) : ٣ / ١٦٣ ، كتاب معرفة الصحابة ، حديث رقم (٤٧١٩ / ٣١٧) ، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص) : على شرط البخارى ومسلم .

(٢) (المستدرك) : ٣ / ١٧٢ : كتاب معرفة الصحابة ، حديث رقم (٤٧٤٨ / ٣٤٦) ، وما بين الحاصرتين زيادة منه ، وهذا الحديث سكت عنه الحافظ الذهبى فى (التلخيص) .

(٣) سورة الأحزاب الآية : ٣٢ .

(٤) سورة الأحزاب الآية : ٣٣ .

(٥) سورة الأحزاب الآية : ٣٤ :

يمر وقت صلاة الفجر على بيت فاطمة عليها السلام فينادى : الصلاة يا أهل البيت : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾ : رواه الترمذى وغيره وهو تفسير منه ﷺ لأهل البيت بفاطمة ومن فى بيتها ، وهو نَصّ ، وأَنَصّ منه حديث أم سلمة أنه ﷺ أرسل خلف فاطمة وعلىّ وولديهما ، فجاءوا فأدخلهم تحت الكساء ، ثم جعل يقول : اللهم إليك لا أبالى النار أنا وأهل بيتى ، اللهم هؤلاء أهل بيتى وخاصتى ، وفى رواية : حامتى ، اللهم أذهب عنهم الرجس [وطهرهم] تطهيراً ، قالت أم سلمة : فقلت : يارسول الله ، ألست من أهل بيتك ؟ قال : أنت إلى خير ، أنت منهم .

وأما الإجماع : فلأن الأمة اتفقت على أن لفظ أهل البيت إذا أطلق إنما ينصرف إلى من ذكرناه دون النساء ، ولو لم يكن إلاشُهرته فيهم كفى ، وإذا ثبت بما ذكرناه من النص والإجماع أن أهل البيت علىّ وزوجته وولداه ، فما استدللتم به من سياق الآية ونظمه على خلافه لا يعارضه ، لأنه مجمل يحتمل الأمرين ، وقصارها أنه ظاهر فيما ادعيتم لا يعارضه النص والإجماع ، ثم إن الكلام العربى يدخله الاستطراد [والاعتراض ، والتخلل] الجملة الأجنبية بين الكلام المنتظم المتناسب كقوله تعالى : ﴿ **إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون * وإنى مرسلة إليهم بهدية** ﴾[1] ، فقوله : ﴿ **وكذلك يفعلون** ﴾ جملة معترضة من جهة الله تعالى بين كلام بلقيس ، وقوله تعالى : ﴿ **فلا أقسم بمواقع النجوم * وإنه لقسم لو تعلمون عظيم * إنه لقرآن كريم** ﴾[2] ، أى لا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقرآن ، وما بينهما اعتراض ، وهو كثير فى القرآن وغيره من الكلام العربى ، فلم لا يجوز أن يكون قوله تعالى : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت** ﴾ جملة معترضة متخللة لخطاب نساء النبى ﷺ على هذا النهج ، وحينئذ يضعف اعتراضكم .

وأما ما ذكرناه من اختيار الآحاد ، فإنما أكدنا به دليل الكتاب ، ثم هى لازمة لكم ، فنحن أوردناها إلزاماً لا استدلالاً .

---

(١) النمل : ٣٤ ــ ٣٥ .

(٢) الوقعة : ٧٥ - ٧٧ .

القول الثانى : أن آل النبى ﷺ هم ذريته وأزواجه خاصة ، قال ابن عبد البر ـــ وقد ذكر حديث مالك عن عبد الله بن أبى بكر ، عن عمرو بن سليم ، قال ـــ : أرى أبو حميد قد كره استدلال قوم بهذا الحديث ، على أن آل محمد هم أزواجه وذريته خاصة ، لقوله فى حديث مالك ، عن نعيم المجمِّر وفى غير ما حديث : اللهم [صل] على محمد وعلى آل محمد .

وفى هذا الحديث : اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته فقالوا : هذا يفسّر هذا الحديث ، ويبين أن آل محمد هم أزواجه وذريته .

قالوا : فجائز أن يقول الرجل لكل من كان من أزواج محمد وذريته : صلى الله عليك إذا واجهه ، وصلى الله عليه إذا غاب عنه ، ولا يجوز ذلك فى غيرهم .

قالوا : والآل والأهل سواء ، وأهل الرجل وآله سواء ، وهم الأزواج والذرية ، بدليل هذا [الحديث . وقد] احتج أصحاب هذا القول بما فى الصحيحين من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً[1]

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق ، باب (١٧) كيف كان عيش النبى ﷺ وأصحابه ، وتخليهم عن الدنيا ، حديث رقم (٦٤٦٠) . وقوله ﷺ : « اللهم ارزق آل محمد قوتاً » ، قال الحافظ فى (الفتح) :هكذا وقع هنا ، وفى رواية الأعمش عن عمارة عند مسلم ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه : « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً » وهو المعتمد ، فإن اللفظ الأول صالح لأن يكون دعاء بطلب القوت فى ذلك اليوم ، وأن يكون طلب لهم القوت ، بخلاف اللفظ الثانى فانه يعينّ الاحتمال الثانى وهو الدالّ على الكفاف .

وعلى ذلك شرحه ابن بطال فقال : فيه دليل على فضل الكفاف ، وأخذ البلغة من الدنيا ، والزهد فيما فوق ذلك ، رغبة فى توفر نعيم الآخرة ، وإيثار لما يبقى على مايفنى ، فينبغى أن تقتدى به أمته فى ذلك .

وقال القرطبى : معنى الحديث أنه طلب الكفاف ، فإن القوت مايقوت البدن ، ويكف عن الحاجة ، وفى هذه الحالة سلامة من آفات الغنى والفقر جميعاً ، والله تعالى أعلم . (فتح البارى) : ١١ / ٣٥٥ .

وأخرجه مسلم فى كتاب الزهد والرقائق ، حديث رقم (١٩) ، قال الإمام النووى فى قوله ﷺ : « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً » : قيل : كفايتهم من غير إسراف ، وهو بمعنى قوله فى الرواية الأخرى كفافاً ، وقيل : هو سد الرمق . (مسلم بشرح النووى) : ١٨ / ٣١٩ .

وأخرجه الترمذى فى أبواب الزهد ، باب (٢٥) ماجاء فى معيشة النبى ﷺ وأهله ، حديث رقم (٢٤٦٦) ، وقال القرطبى : أى اكفهم من القوت بما لايرهقهم إلى ذل المسأله ، ولا يكون فيه فضول يبعث على الترفه والتبسط فى الدنيا . (تحفة الأحوذى) : ٧ / ٢٢ .

وأخرجه ابن ماجه فى (السنن) فى كتاب الزهد ، باب (٩) القناعة ، حديث رقم =

ومعلوم أن هذه الدعوة المستجابة ، ولم [يقل :] كل بنى هاشم ولا بنى المطلب ، لأنه كان فيهم الأغنياء وأصحاب الجدة ، وأما ذريته ﷺ وأزواجه وكان رزقهم قوتاً ، وما حصل من الأموال لأزواجه من بعده كن يتصدقن به ، ويجعلن رزقهن قوتاً ، فقد جاء عائشة مال عظيم فقسمته كله فى الحال وهى جالسة ، فقالت لها الجارية لو تركت لنا منه درهما نشترى به لحماً ؟ فقالت : لو ذكّرتينى فعلت

ومما فى الصحيحين عن عائشة قالت : ما شبع آل محمد من خبز بُرّ مأدوم ثلاثة أيام حتى قبض[1] . ثانيه : قالوا : ومعلوم أن العباس وأولاده وبنى المطلب لم يدخلوا فى لفظ عائشة ولا مرادها ، قالوا : إنما دخلت الأزواج فى الآل وخصوصاً أزواج النبى ﷺ تشبيها بالنسب ، لأن اتصاله بهن ﷺ غير مرتفع ، فإنهن محرمات على غيره من بعده ، وهن زوجاته فى الآخرة .

= (٤١٣٩) وقال العلامة محمد فؤاد عبد الباق فى تعليقه على هذا الحديث : « قوتاً » أى على قدر الحاجة الضروريه .

(١) (فتح البارى) : ٩ / ٦٤٦ ، كتاب الأطعمة ، باب (١) قول الله تعالى : ﴿ **كلوا من طيبات ما رزقناكم** ﴾ الآية ، وقوله : ﴿ **أنفقوا من طيبات ما كسبتم** ﴾ ، وقوله : ﴿ **كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إنى بما تعملون عليم** ﴾ ، حديث رقم (٥٣٧٤) عن أبى هريرة ، باب (٢٣) ماكان النبى ﷺ وأصحابه يأكلون ، حديث رقم (٥٤١٦) ، ١١ / ٣٤٠ ، كتاب الرقاق ، باب (١٧) كيف كان عيش النبى ﷺ وأصحابه وتخليهم عن الدنيا ، حديث رقم (٦٤٥٤) عن عائشة ، (مسلم بشرح النووى) : ١٨ / ٣١٥ - ٣١٦ ، كتاب الزهد والرقائق ، حديث رقم (٢٠) : ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة من طعام بُرّ ثلاث ليالٍ تباعاً حتى قبض ، وحديث رقم (٢٢) : ما شبع آل محمد ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله ﷺ ، وحديث رقم (٢٣) : ما شبع آل محمد ﷺ من خبز برّ فوق ثلاث ، وحديث رقم (٢٤) : ما شبع آل محمد ﷺ من خبز البر ثلاثا حتى مضى لسبيله ، وحديث رقم (٢٥) : ما شبع آل محمد ﷺ يومين من خبز إلا وأحدهما تمر ، كلهم عن عائشة رضى الله تعالى عنها ، (سنن النسائى) : ٧ / ٢٧١ ، كتاب الضحايا ، باب (٣٧) الادخار من الأضاحى ، حديث رقم (٤٤٤٤) ولفظه : ما شبع آل محمد ﷺ من خبز مأدوم ثلاثة أيام حتى لحق بالله عزّ وجلّ ، (سنن ابن ماجه) : ٢ / ١١١٠ ، كتاب لأطعمة باب (٤٨) خبز البر ، حديث رقم (٣٣٤٤) ولفظه : ماشبع آل محمد ﷺ منذ قدموا المدينة ثلاث ليال تباعاً من خبز برّ حتى توفى ﷺ ، باب (٤٩) خبز الشعير ، حديث رقم (٣٣٤٦) ولفظه : ماشبع آل محمد ﷺ من خبز الشعير حتى قُبض ، كلاهما عن عائشة رضى الله تعالى عنها .

وأخرجه الإمام أحمد فى (المسند) : ٥ / ٦١٢ ، حديث رقم (١٩٤٦٧) ، ٧ / ١٤٢ ، حديث رقم (٢٤١٤٤) ، ٧ / ١٨٤ ، حديث رقم (٢٤٤٤١) . ٧ / ٢٨٦ ، حديث رقم (٢٥٠١٣) ، ٧ / ٢٩٩ ، حديث رقم (٢٥٢٢٣) ، ٧ / ٣٩٤ ، حديث قم (٢٥٨٣٥) ، ٧ / ٦٤ ، حديث رقم (٢٣٦٣١) ، ٧ / ٢٢٣ ، حديث رقم (٢٤٦٩٨) ، ٥ / ٦١٢ ، حديث رقم (١٩٤٦٧) .

فالنسب الذى لهن بالنبى ﷺ قائم مقام النسب ، وقد نصّ النبى ﷺ على الصلاة عليهن ، وقد قال تعالى : ﴿ **يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين** ﴾[1] إلى قوله :﴿ **يا نساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول** ﴾[2] إلى قوله : ﴿ **وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً * واذكرن ما يُتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة** ﴾[3] فدخلن فى أهل البيت ، لأن هذا الخطاب كله فى سياق ذكرهن ، فلا يجوز إخراجهن من شيء منه .

وزعم بعضهم أن الأهل يختص بالزوجات ، ويدخل فيه الأولاد ، لقوله تعالى : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت** ﴾ ثم قال بعد [ذلك] : ﴿ **واذكرن ما يتلى فى بيوتكن** ﴾ ، وهذا بخلاف الأول ، فإن الأولاد يدخل فيه .

واعترض بأن تنصيصه ﷺ على الأزواج والذرية لا يدل على الاختصاص ، بل هو حجة على عدم الاختصاص بهم ، لما خرج أبو داود من حديث نعيم المجمر ، عن أبى هريرة رضى الله عنه فى الصلاة على النبى ﷺ اللهم صل على محمد النبى وأزواجه أمهات المؤمنين ، وذريته وأهل بيته كما صليت على إبراهيم [إنك حميد مجيد][5] فجمع بين الأزواج والذرية والأهل ، وإنما نص عليهم بتعيينهم ليبين أنهم حقيقيون بالدخول فى الآل ، وأنهم ليسوا بخارجين منه ، بل هم أحق من دخل

---

(١) الأحزاب : ٣٠ .

(٢) الأحزاب : ٣٢ .

(٣) الأحزاب : ٣٣ ، ٣٤ .

(٤) (عون المعبود) : ٣ / ١٩٠ — ١٩١ ، كتاب الصلاة ، باب (١٨١) الصلاة على النبى ﷺ بعد التشهد ، حديث رقم (٩٧٨) ، وما بين الحاصرتين زيادة يقتضيها السياق منه ، وأول الحديث : من سَرَّهُ أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل : اللهم صل على محمد .....

قوله : « بالمكيال » بكسر الميم ، وهو ما يكال به . وفيه دليل على أن هذه الصلاة أعظم أجراً من غيرها وأوفر ثواباً .

قوله : « أهل البيت » ، الأشهر فيه النصب على الاختصاص ، ويجوز إبداله من ضمير علينا .

قوله : « فليقل : اللهم صل على محمد » ، قال الإسنوى : قد اشتهر زيادة [سيدنا] قبل محمد عند أكثر المصلين ، وفى كون ذلك أفضل نظر ، وقد روى عن ابن عبد السلام أنه جعله من باب سلوك الأدب ، وهو مبنى على أن سلوك طريق الأدب أحب من الامتثال ، ويؤيده حديث أبى بكر حين =

فيه ، وهذا كنظائره من عطف الخاص على العام تنبيها على شرفه وتخصيصاً له بالذكر من بين النوع ، لأنه أحق أنواع النوع بالدخول فيه ، وهنا للناس طريقان ، أحدهما : أن ذكر الخاص قبل العام أو بعده قرينة تدل على أن المراد بالعام ما عداه ، والطريق الأخرى : أن الخاص ذكر مرتين مرة بخصوصه ومرة بشمول الاسم العام له ، تنبيها على مزيد شرفه ، وهذا لقوله تعالى : ﴿ **وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم** ﴾[١] وقوله : ﴿ **من كان عدوًا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين** ﴾[٢] .

القول الثالث : أن آله ﷺ أتباعه إلى يوم القيامة ، حكاه ابن عبد البر عن بعض أهل العلم ، وأقدم من روى عنهُ هذا القول جابر بن عبد الله رضى الله عنه ، ذكره البيهقى عنه ، ورواه عن سفيان الثورى ، واختاره بعض أصحاب النبى ﷺ ، حكاه عنه أبو الطيب الطبرى فى تعليقه ، ورجحه الشيخ أبو زكريا النووى فى شرح مسلم ، واختاره الأزهرى ، والحجة لهذا القول أن آل المعظم المتبوع هم أتباعه على دينه ، وأمره قريبهم وبعيدهم ، وأن اشتقاق هذه اللفظة تدل عليه ، فإنه من آل يؤول إذا رجع ، ومرجع الأتباع إلى متبوعهم ، لأنه إمامهم [ومولاهم] ، ولهذا

= أمره ﷺ أن يثبت مكانه فلم يمتثل وقال : ما كان لابن أبى قحافة أن يتقدم بين يدى رسول الله ﷺ ، وكذلك امتناع علىّ رضى الله عنه محو اسم النبى ﷺ من الصحيفة فى صلح الحديبية بعد أن أمره بذلك وقال : لا أمحو اسمك أبداً . وكلا الحديثين فى الصحيح ، فتقريره ﷺ لهما على الامتناع من امتثال الأمر تأدباً مشعر بأولويته .

والحديث استدل به القائلون بأن الزوجات من الآل ، والقائلون إن الذرية من الآل ، وهو أدلّ دليلاً على ذلك لذكر الآل فيه مجملاً ومبيناً .

والحديث سكت عنه أبو داود والمنذرى ، وهو من طريق أبى جعفر محمد بن على بن الحسين بن على ، عن المجمِّر عن أبى هريرة عنه .

وقد اختلف فيه على أبى جعفر ، وأخرجه النسائىّ من طريق عمرو بن عاصم ، عن حبان بن يسار الكلابى ، عن عبد الرحمن بن طلحة الخزاعى ، عن أبى جعفر ، عن محمد بن الحنفية ، عن أبيه عن علىّ عن النبى ﷺ بلفظ حديث أبى هريرة . وقد اختلف فيه على أبى جعفر ، وعلى حبان بن يسار . مختصراً من (المرجع السابق) : ١٩١ .

(١) الأحزاب : ٧ .

(٢) البقرة : ٩٨ .

كان قوله تعالى : ﴿ إلا آل لوط نجيناهم بسحر ﴾[1] المراد به أتباعه المؤمنون به من أقاربه وغيرهم ، وقوله تعالى : ﴿ أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾[2] المراد به أتباعه وشيعته .

وقد خرج البيهقى [3] من حديث واثلة بن الأسقع ، أن النبى ﷺ دعا حسناً وحسيناً ، فأجلس كل واحد منهما على فخذه ، وأدنى فاطمة فى حجره وزوجها ، ثم لف عليهم ثوبه ثم قال : اللهم هؤلاء أهلي ، قال واثلة : فقلت : يارسول الله ! وأنا من أهلك ؟ قال : وأنت من أهلى [قال : فإنها لمن أرجى ما أرجو][4] ، قالوا : ومعلوم أن واثلة بن الأسقع من بنى ليث بن بكر بن عبد مناف ، وإنما هو من أتباع النبى[5] ﷺ .

---

(١) القمر : ٣٤ .

(٢) غافر : ٤٦ .

(٣) أخرجه البيهقى فى (السنن الكبرى) : ٧ / ٦٣ ، باب إليه ينسب أولاد بناته ﷺ ، ولم يذكر قول واثلة . وأخرجه مسلم فى كتاب فضائل الصحابه ، باب (٤) من فضائل علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، حديث رقم (٣٢) ، ولم يذكر قول واثلة .
وأخرجه الذهبى مع قول واثلة فى (سير أعلام النبلاء) ٣ / ٣٨٥ فى ترجمة واثلة بن الأسقع وقال : هذا حديث حسن غريب ، ثم قال فى هامشه : وأخرجه الطبرى فى (التفسير) : ٢٢ / ٧ من طريق عبد الكريم بن أبى عمير ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا أبو عمرو الأوزاعى ، حدثنى شداد أبو عمار . قال : سمعت واثلة بن الاسقع ......
وعبد الكريم بن أبى عمير ، قال المصنف فى (الميزان) : فيه جهالة وباقى رجاله ثقات .

(٤) زيادة يقتضيها السياق من (سير أعلام النبلاء) .

(٥) هو واثلة بن الأسقع بن كعب بن عامر . وقيل : واثلة بن الأسقع بن عبد العزى بن عبد ياليل بن ناشب الليثى ، من أصحاب الصفة . أسلم سنة تسع ، وشهد غزوة تبوك ، وكان من فقراء المسلمين . وفى كنيته أقوال : أبو الخطاب ، وأبو الأسقع ، وقيل : أبو قرصافة ، وقيل : أبو شداد ، له سته وخمسون حديثاً .
روى عنه أبو إدريس الخولانى وشداد أبو عمار . وبُسْرٌ بن عبيد الله ، وعبد الواحد النصرى ، ومكحول ، ويونس بن ميسرة .... وخلق آخرهم مولاه معروف الخياط الباق إلى سنه ثمانين ومائة . وله رواية أيضاً عن أبى مرثد الغنوى ، وأبى هريرة . وله مسجد مشهور بدمشق . وسكن قرية البلاط ، وهى على ثلاثة فراسخ من دمشق .
قال هشام بن عمار : حدثنا معروف الخياط قال : رأيت واثلة بن الأسقع يملى عليهم الأحاديث .
واختلف فى تاريخ وفاته وعمره .
روى إسماعيل بن عيَّاش ، عن سعيد بن خالد : توفى واثلة في سنة ثلاث وثمانين ، وهو =

واعترض على هذا القول بأن رسول الله ﷺ قد رفع الشبهة وأزالها بقوله : إن الصدقة لا تحل لآل محمد ، وبقوله : إنما يأكل آل محمد من هذا المال ، وبقوله : اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً ، وهذا لا يجوز أن يراد به عموم الأمه قطعاً ، فأولى ما حمل عليه الآل فى الصلاة الآل المذكورون فى سائر ألفاظه ، ولايجوز العدول عن ذلك .

وأيضاً فإن الصلاة عليه ﷺ حق له ولآله دون سائر الأمة ، ولهذا تجب عليه وعلى آله عند الشافعى وغيره كما تقدم ذكره ، وإن كان عندهم فى الآل اختلاف ، ومن لم يوجب الصلاة عليه فإنه بلا شك يستحبها عليه وعلى آله ، ويكرهها ولا يستحبها لسائر المؤمنين ، ولا يجوزها لغير النبى ﷺ وآله ، فمن قال : إن آله فى الصلاة هم كل الأمة فقد أبعد غاية البعد ، بدليل أن النبى ﷺ شرع فى التشهد السلام والصلاة ، فشرع فى الصلاة تسليم المصلى على رسول ﷺ أولاً ، وبعده سلام المصلى على نفسه ثانياً ، وعلى سائر عباد الله الصالحين ثالثا ، وقال ﷺ : إذا قلتم ذلك فقد سلمتم على كل عبد لله صالح فى الأرض والسماء[1] .

= ابن مئة وخمس سنين .

وقال أبو مِسْهَر وعِدَّة : مات سنة خمس وثمانون وله خمس وتسعون سنة . وهو آخر من مات من الصحابة بدمشق . له ترجمة فى : (طبقات ابن سعد) : ٧ / ٤٠٧ ، (طبقات خليفة) : ت ١٨١ ، ٧٧٨ ، ١٣٤٩ ، (التاريخ الصغير) : ١ / ١٨٤ . (الجرح والتعديل) : ٩ / ٤٧ . (حلية الأولياء) : ٢ / ٢١ ترجمة رقم (١٢٠) ، (تهذيب الأسماء واللغات) : ١ / ١٤٢ ، (تهذيب التهذيب) : ١١ / ٨٩ ، ترجمة رقم (١٧٤) ، (أسماء الصحابة الرواه) : ٧٨ . ترجمة رقم (٥٩) ، (شذرات الذهب) : ١ / ٩٥ ، أحداث سنة خمس وثمانين ، (خلاص تذهيب الكمال) : ٣٥٠ ، (المستدرك) ، ٣ / ٦٥٨ — ٦٥٩ ، (الإصابة) : ٦ / ٥٩١ ، ترجمة رقم (٩٠٩٣) ، (الاستيعاب) : ٤ / ١٥٦٣ ترجمة رقم (٢٧٣٨) ، (سير أعلام النبلاء) : ٣ / ٣٨٣ — ٣٨٧ ، ترجمة رقم (٥٧) .

(١) أخرجه أبو نعيم من حديث سليمان بن أحمد ، وأحمد بن محمد الحارث قالا : حدثنا عبدان بن أحمد ، حدثنا إسماعيل بن زكريا ، حدثنا فضل بن عياض ، عن سليمان الأعمش ، عن أبى وائل ، عن عبد الله قال : كنا إذا جلسنا فى الصلاة قلنا : السلام على الله قبل عباده ؛ السلام على جبريل ، السلام على ميكائيل ، فعلمنا رسول الله ﷺ التشهد ، فقال : إن الله هو السلام ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . قال أبو وائل فى حديث عبد الله عن النبى ﷺ : إذا قلتها أصابت كل عبد صالح فى السماء والأرض ، وقال أبو إسحاق فى حديث عبد الله : إذا قلتها أصابت كل ملك مقرب ، أو نبى مرسل ، أو عبد صالح :أشهد أن إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . =

وأما الصلاة فلم يشرعها إلا عليه وعلى آله فقط ، فدل على أن آله هم أهله وأقاربه ، وهذا بينٌ يؤيده أن الله تعالى أمر عباده المؤمنين بالصلاة على نبيه ﷺ بعد ذكر حقوقه ، وما خصه تعالى به دون أمته : من حل نكاحه لمن تهب نفسها له ، ومن تحريم نكاح أزواجه على الأمة بعده ، ومن سائر ما ذكر من حقوقه وتعظيمه وتوقيره وتبجيله ، ثم قال : ﴿ **وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيماً** ﴾[(١)] ، ثم ذكر رفع الجناح عن أزواجه فى تكليمهم إياهن وأبناؤهن ، ومن ذكر دخولهن عليهن ، ثم عقب ذلك بما حق من حقوقه الأكيدة على الأمة وهو أمرهم بصلاتهم عليه وسلامهم ، مستفتحا ذلك الأمر بإخباره تعالى [بأنه] وملائكته يصلون عليه ، فسأل الصحابة رسول الله ﷺ : بأى [صيغة] يؤدون هذا الحق؟ فقال : قولوا : اللهم [صل] على محمد وعلى آل محمد[(٢)] ، فالصلاة على آله هى من تمام الصلاة عليه وتوابعها ،

= قال أبو نعيم : هذا حديث صحيح متفق عليه من حديث الأعمش ، عن أبي وائل . رواه عنه إلياس ، وحديث فضيل لا نعلمه رواه عنه الإسماعيلي ، وكان فضيل يتورع أن يقول : الأعمش ، فكان إذا حدَّث عنه قال : سليمان بن مهران ، وإنما أصحابه وصفوه بالأعمش ليكون أشهر . (حلية الأولياء) : ٨ / ١١٥ ، ترجمة الفضيل بن عياض رقم (٣٩٧) .

(١) الأحزاب : ٥٣ .

(٢) (عون المعبود) : ٣ / ١٨٥ ، كتاب الصلاة ، باب (١٨١) ، الصلاة على النبى ﷺ بعد التشهد ، حديث رقم (٩٧٢) : حدثنا حفص بن عمر ، أخبرنا شعبة عن الحكم ، عن ابن أبى ليلى ، عن كعب ابن عُجْرَةَ قال : قلنا أو قالوا : يارسول الله أمرتنا أن نصلى عليك وأن نسلم عليك ، فأما السلام فقد عرفناه ، فكيف نصلى عليك ؟ قال قولوا : اللهم صلّ على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم ، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد .

وحديث رقم (٩٧٣) : حدثنا مُسَدَّدٌ ، أخبرنا يزيد بن زريع ، أخبرنا شعبة بهذا الحديث قال : صلّ على محد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم .

وحديث رقم (٩٧٤) : حدثنا محمد بن العلاء ، أخبرنا ابن بشر عن مسعر ، عن الحكم بإسناده هذا قال : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

قال العلامة أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادى : الصلاة الدعاء ، والرحمة ، والاستغفار ، وحُسن الثناء من الله تعالى على رسوله ﷺ ، وهو من العباد طلبُ إفاضة الرحمة الشاملة لخير الدنيا والآخرة من الله تعالى على رسوله ﷺ . وقد أمر الله تعالى المؤمنين به . وقد أجمعوا على أنه للوجوب ، فهى واجبة فى الجملة ، فقيل : يجب كلما جرى ذكره ، وقيل : الواجب الذى يُسقط المأثم هو الإتيان =

= بها مرة ، كالشهادة بنبوته ﷺ ، وما عدا ذلك فهو مندوب . كذا فى (اللمعات) .

وقال فى (المرقاة) : اعلم أن العلماء اختلفوا فى أن الأمر فى قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾ هل هو للندب أو للوجوب ؟ ثم هل الصلاة عليه فرض عين أو فرض كفاية ؟ ثم هل تتكرر كلما سمع ذكره أم لا ؟ ثم إذا تكرر هل تتداخل فى المجلس أم لا ؟

فذهب الشافعى إلى أن الصلاة فى القعدة الأخيرة فرض ، والجمهور على أنها سنة ، والمعتمد عندنا الوجوب والتداخل . والكلام فى هذه المسألة طويل ، وقد أجاد وأحسن وأطال الشيخ العلامة الخفاجى فى (نسيم الرياض) شرح (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) للقاضى عياض ، والإمام شمس الدين ابن القيم فى (جلاء الأفهام) . وهو يدل على تأخير مشروعية الصلاة عن التشهد .

« فكيف نصلى عليك » : فيه أنه يندب لمن أشكل عليه كيفية ما فهم جملته أن يسأل عنه من له به علم .

« قولوا : اللهم إلخ » : استدل بذلك على وجوب الصلاة عليه ﷺ بعد التشهد ، وإلى ذلك ذهب عمر ، وابنه عبد الله ، وابن مسعود ، وجابر بن زيد ، والشعبى ، ومحمد بن كعب القرظى ، وأبو جعفر الباقر ، والشافعى ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق ، وابن المواز ، واختاره القاضى أبو بكر بن العربى .

وذهب الجمهور إلى عدم الوجوب ، فهم : مالك ، وأبو حنيفة ، وأصحابه ، والثورى ، والأوزاعى ، وآخرون . قال الطبرى والطحاوى : إنه أجمع المتقدمون والمتأخرون على عدم الوجوب .

قال الشوكانى : دعوى الإجماع من الدعاوى الباطلة ، لما عرفت من نسبة القول بالوجوب إلى جماعة من الصحابة ، والتابعين ، والفقهاء ، ولكنه لا يتم الاستدلال على وجوب الصلاة بعد التشهد ، بما فى حديث الباب من الأمر بها ، وبما فى سائر أحاديث الباب ، لأن غايتها الأمر بمطلق الصلاة عليه ﷺ ، وهو يقتضى الوجوب فى الجملة ، فيحصل الامتثال بإيقاع فرد منها خارج الصلاة فليس فيها زيادة على ما فى قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾ .

ولكنه يمكن الاستدلال لوجوب الصلاة فى الصلاة ، بما أخرجه ابن حبان ، والحاكم ، والبيهقى . وصححوه ، وابن خزيمة فى صحيحه ، والدارقطنى ، من حديث أبى مسعود ، بزيادة « كيف نصلى عليك إذا نحن صلينا عليك فى صلاتنا » وفى رواية : « كيف نصلى عليك فى صلاتنا » وغاية هذه الزيادة أن يتعين بها محل الصلاة عليه ﷺ ، وهو مطلق الصلاة وليس فيها ما يعين محل النزاع . وهو إيقاعها بعد التشهد الأخير .

ويمكن الاعتذار عن القول بالوجوب ، بأن الأوامر المذكورة فى الأحاديث تعليم كيفية ، وهى لا تفيد الوجوب ، فإنه لا يشك من له ذوق أن من قال لغيره : إذا أعطيتك درهما فكيف أعطيك إياه ؟ أسرًا أم جهرًا ؟ فقال له : أعطينيه سرًا ، كان ذلك أمرًا بالكيفية التى هى السرية ، لا أمراً بالإعطاء ، وتبادر هذا لغة ، وشرعاً ، وعرفاً ، لا يدفع ، وقد تكرر فى السنة وكثُر ، فمنه : إذا قام أحدكم الليل فليفتتح الصلاة بركعتين خفيفتين . الحديث .

وفى (المرقاة) ، قيل : الآل من حرمت عليه الزكاة كبنى هاشم ، وبنى المطلب ، وقيل : كل تقى آله ﷺ ، وقيل : المراد بالآل : جميع أمة الإجابة ، وقيل المراد بالآل الأزواج ومن حرمت عليه =

= الصدقة ويدخل فيهم الذرية ، وبذلك يجمع بين الأحاديث .

قال ابن حجر المكى : هم مؤمنو بنى هاشم والمطلب عند الشافعى وجمهور العلماء ، وقيل أولاد فاطمة ونسلهم ، وقيل : أزواجه وذريته ، لانهم ذكروا جملة فى رواية . وردّ بأنه ثبت الجمع بين الثلاثة فى حديث واحد ، وقيل : كل مسلم ، ومال إليه مالك ، واختاره الزهرى وآخرون ، وهو قول سفيان الثورى وغيره ، ورجحه النووى فى (شرح مسلم) .

وقال الإمام الشوكانى فى (نيل الأوطار) : واستشكل جماعة من العلماء التشبيه للصلاة عليه ﷺ بالصلاة على إبراهيم — كما وقع فى هذه الرواية — أو على آل إبراهيم كما فى بعض الرواية ، مع أن المشبه دون المشبه به فى الغالب ، وهو ﷺ أفضل من إبراهيم وآله وأجيب عن ذلك بأجوبة :

منها : أن المشبّه مجموع الصلاة على محمد وآله بمجموع الصلاة على إبراهيم وآله ، وفى آل إبراهيم معظم الأنبياء فالمشبه به أقوى من هذه الحيثية .

ومنها : أن التشبيه وقع لأصل الصلاة بأصل الصلاة ، لا للقدر بالقدر .

ومنها : أن التشبيه وقع فى الصلاة على الآل لا على النبى ﷺ ، وهو خلاف الظاهر .

ومنها : أنه كان ذلك منه ﷺ . قبل أن يُعْلمه أنه أفضل من إبراهيم .

ومنها : أن مراده ﷺ أن يُتم النعمة عليه كما أتمها على إبراهيم وآله .

ومنها : مراده ﷺ أن يبقى له لسان صدق فى الآخرين كإبراهيم .

ومنها : أنه سأله أن يتخذه الله خليلاً كإبراهيم .

« وبارك عل محمد » : البركة هى الثبوت والدوام ، من قولهم : برك البعير إذا ثبت ودام ، أى أدم شرفه ، وكرامته ، وتعظيمه .

« إنك حميد مجيد » ، أى محمود الأفعال ، مستحق لجميع المحامد ، لما فى الصيغة من المبالغة ، وهو تعليل لطلب الصلاة منه . والمجيد : المتصف بالمجد ، وهو كال الشرف والكرم ، والصفات المحمودة .

قال المنذرى : وأخرجه البخارى ، ومسلم ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه (عون المعبود) : ٣ / ١٨٥ - ١٨٨ مختصراً .

وأخرجه أيضاً ابن حبان فى صحيحه ، (الإحسان) : ٥ / ٢٨٦ كتب الصلاة ، باب (١٠) باب صفة الصلاة ، ذكر وصف الصلاة على المصطفى ﷺ ، حديث رقم (١٩٥٧) ، وقال فى هامشه : إسناده قوى ، وذكر البيان بأن القوم إنما سألوا النبى ﷺ عن وصف الصلاة التى أمرهم الله جلّ وعلا أن يصلوا بها على رسول ﷺ : ٢٨٦ ، حديث رقم (١٩٥٨) ، وقال فى هامشه : إسناده صحيح على شرط الشيخين ، ما خلا محمد بن عبد الله الأنصارى ، فإنه من رجال مسلم .

وهو فى (الموطأ) : ١ / ١٦٥ - ١٦٦ فى الصلاة ، باب ما جاء فى الصلاة على النبى ﷺ ، (مسند الإمام الشافعى) : ٤٢ ، باب ومن كتاب استقبال القبلة فى الصلاة ، (مسند الإمام أحمد) : ٥ / ٩٧ ، بقية حديث أبى مسعود الأنصارى ، حديث رقم (١٦٦٢٤) ، ٦ / ٣٦٨ ، حديث رقم (٢١٨٤٧) ، مسلم (٤٠٥) فى الصلاة ؛ باب الصلاة على النبى ﷺ بعد التشهد ، والبيهقى فى (السنن) ٢ / ١٤٦ وابن ماجه فى (السنن) : ١ / ٢٩٢ ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب (٢٥) الصلاة على النبى ﷺ حديث رقم (٩٠٣) ، (٩٠٤) بسياقات مختلفة .

لأن ذلك [مما يرفع الله به قدره][1] ، ويزيده الله به شرفاً وعلواً ﷺ ، ولا ريب أن الأتباع يطلق عليهم لفظ الآل فى بعض المواضع بقرينة ، ولا يلزم من ذلك أنه حيث وقع لفظ الآل يراد الأتباع بما تقدم من النصوص ، والله أعلم .

القول الرابع : أن آله ﷺ هم الأتقياء من أمته ، حكاه القاضى حسين والراغب وجماعة ، واحتج لهذا القول بما خرجه الطبرانى من طريق نعيم بن حماد ، حدثنا نوح بن أبى مريم ، عن يحى بن سعيد الأنصارى ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : سُئل رسول الله ﷺ : من آل محمد ؟ فقال : كل تقى[2] وتلا رسول الله ﷺ :﴿ **إن أولياؤه إلا المتقون**﴾[3] ، قال الطبرانى : لم يروه عن يحيى إلا نوح ، تفرد به نعيم . وقد رواه البيهقى من حديث أحمد بن عبد الله بن يونس ، حدثنا نافع أبو هرمز عن أنس فذكره ، ونوح هذا ونافع بن هرمز لا يحتج بهما أحد من أهل العلم ، قال ابن معين : نوح بن أبى مريم ليس بشىء ولا يكتب حديثه ، وقال البخارى : منكر الحديث ، وقال السعدى : سقط حديثه ، وقال ابن عدى: وعامة حديثه لايتابع ، ونافع أبو هرمز السلمى بصرى ، قال ابن معين : ليس بشىء ، ومرة قال : يروى عن أنس ، ليس بثقة . كذاب ، وقال أحمد : ضعيف الحديث ، وقال النسائى : ليس بثقة ، وقال ابن عدى : وعامة ما يرويه غير محفوظ ، والضعف على رواياته بَيِّن .

واحتجوا بأن الله تعالى قال لنوح عليه السلام عن ابنه :﴿ **إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح** ﴾[4] ، فأخرجه بشركه أن يكون من أهله ، فَعُلم أن آل

---

(١) زيادة للسياق ، ومكانها مطموس فى (خ) .

(٢) (كنز العمال) : ٣ / ٨٩ ، حديث رقم (٥٦٢٤) عن أنس رضى الله عنه ، وقد سبق ذكر الآل مشروحاً فليراجع .

(٣) الأنفال : ٣٤ .

(٤) هود : ٤٦ ، وقال سفيان الثورى : عن أبى عامر الهمدانى ، عن الضحاك ، عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ **ونادى نوح ابنه** ﴾ قال : هو ابنه ، ما بغت امرأة نبى قط . (تفسير سفيان الثورى) : ١٣٠ ، مسألة رقم (٣٥٤ : ٥ : ١٥) . =

= قال الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشيّ الدمشقى : هذا سؤال استعلام وكشف من نوح عليه السلام عن حال ولده الذى غرق ﴿ **قال رب إن ابنى من أهلى** ﴾ أى وقد وعدتنى بنجاة أهلى ووعدك الحق الذى لا يخلف ، فكيف غرق وأنت أحكم الحاكمين ؟ ﴿ **قال يا نوح إنه ليس من أهلك** ﴾ أى الذين وعدت إنجاءهم ، لأنى إنما وعدتك بنجاة من آمن من أهلك ، ولهذا قال : ﴿ **وأهلك إلا من سبق عليه القول** ﴾ فكان هذا الولد ممن سبق عليه القول بالغرق لكفره ، ومخالفته أباه نبى الله نوح عليه السلام .

وقد نصَّ غير واحد من الأئمة على تخطئة من ذهب فى تفسير هذا إلى أنه ليس بابنه . وإنما كان ابن زنية ، ويحكى القول بأنه ليس بابنه وإنما كان ابن امرأته ، عن مجاهد ، والحسن ، وعبيد بن عمير ، وأبي جعفر الباقر ، وابن جريج ، واحتج بعضهم بقوله : ﴿ **إنه عمل غير صالح** ﴾ ، وبقوله : ﴿ **فخانتاهما** ﴾ ، فممن قاله ، الحسن البصرى ، احتجَّ بهاتين الآيتين ، وبعضهم يقول : ابن امرأته ، وهذا يحتمل أن يكون أراد ما أراد الحسن ، أو أراد أنه نسب إليه مجازاً لكونه كان ربيباً عنده ، والله تعالى أعلم .

وقال ابن عباس وغير واحد من السلف : ما زنت امرأة نبى قط ، قال : وقوله : ﴿ **إنه ليس من أهلك** ﴾ أى الذين وعدتك نجاتهم ، وقول ابن عباس فى هذا هو الحق الذى لا محيد عنه ، فإن الله سبحانه أغير من أن يمكن امرأة نبى من الفاحشة ، ولهذا غضب الله على الذين رموا أم المؤمنين عائشة بنت الصديق زوج النبى ﷺ ، وأنكر على المؤمنين الذين تكلموا بهذا وأشاعوه ، ولهذا قال تعالى : ﴿ **إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل إمرىء منهم ما اكتسب من الإثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم * لولا إذ سمعتموه ظنَّ المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين * لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون * ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم * إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم** ﴾ .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر عن قتادة وغيره ، عن عكرمة عن ابن عباس قال : هو ابنه ، غير أنه خالفه فى العمل والنية . قال عكرمة فى بعض الحروف : إنه عمل عملاً غير صالح ، والخيانة تكون على غير باب ، وقد ورد فى الحديث أن رسول الله ﷺ قرأ بذلك ، فقال الإمام أحمد : حدثنا حماد ابن سلمه ، عن ثابت ، عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقرأ ﴿ **إنه عمل غير صالح** ﴾ وسمعته يقول : ﴿ **يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً** ﴾ ، ولا يبالى ﴿ **إنه هو الغفور الرحيم** ﴾ .

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا وكيع ، حدثنا هارون النحوى ، عن ثابت البنانى ، عن شهر ابن حوشب ، عن أم سلمة ، أن رسول الله ﷺ قرأها : ﴿ **إنه عمل غير صالح** ﴾ أعاده أحمد أيضاً فى مسنده ، أم سلمة هى أم المؤمنين ، والظاهر – والله أعلم – أنها أسماء بنت يزيد ، فإنها تكنى بذلك أيضاً .

وقال عبد الرزاق أيضاً : أنبأنا الثورى عن ابن عيينة ، عن يونس بن أبى عائشة ، عن سليمان ابن قبة ، قال : سمعت ابن عباس سئل وهو إلى جنب الكعبة عن قول الله تعالى : ﴿ **فخانتاهما** ﴾ قال : أما إنه لم يكن بالزنا ، ولكن كانت هذه تخبر الناس أنه مجنون ، وكانت هذه تدل على الأضياف ، =

الرسول هم أتباعه ، وأجاب الشافعي – رحمه الله – عن هذا بأن المراد إنه ليس من أهلك الذين أمرناك بحملهم ووعدناك نجاتهم ، لأن الله تعالى قال له قبل ذلك : ﴿ **احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول** ﴾ ، فليس ابنه من أهله الذين ضمن له نجاتهم ، ويزيد صحة هذا الجواب أن سياق الآية يدل على أن المؤمنين قسم غير أهله الذين هم أهله ، لأنه تعالى قال : ﴿ **قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا**

= ثم قرأ ﴿ **إنه عمل غير صالح** ﴾ .

قال ابن عيينة : وأخبرني عمار الذهبي أنه سأل سعيد بن جبير عن ذلك فقال : كان ابن نوح ، إن الله لا يكذب ، قال تعالى : ﴿ **ونادى نوح ابنه** ﴾. قال : وقال بعض العلماء : ما فجرت امرأة بني قط ، وكذا روى عن مجاهد أيضاً ، وعكرمة ، والضحاك ، وميمون بن مهران ، وثابت بن الحجاج ، وهو اختيار أبي جعفر بن جرير ، وهو الصواب الذي لا شك فيه . (تفسير ابن كثير) : ٢ / ٤٦٣ ــ ٤٦٤ .

وقال الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور : ومعنى قوله تعالى : ﴿ **إنه ليس من أهلك** ﴾ : نفي أن يكون من أهل دينه واعتقاده ، فليس ذلك إبطالاً لقول نوح عليه السلام : ﴿ **إن ابني من أهلي** ﴾ ، ولكنه إعلام بأن قرابة الدين بالنسبة لأهل الإيمان هي القرابة ، وهذا المعنى شائع في الاستعمال قال النابغة يخاطب عيينة بن حصن :

إذا حاولت في أسد فجوراً فإني لستُ منك ولستَ مني

وقال تعالى : ﴿ **ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون** ﴾ [سورة التوبة الآية : ٥٦] ، وتأكيد الخبر لتحقيقه لغرابته .

وجملة ﴿ **إنه عمل غير صالح** ﴾ تعليل لمضمون جملة ﴿ **إنه ليس من أهلك** ﴾ فـ ﴿ **إن** ﴾ فيه لمجرد الاهتمام .

و﴿ **عَمَلٌ** ﴾ في قراءة الجمهور – بفتح الميم وتنوين اللام – مصدر أخبر به للمبالغة ، وبرفع ﴿ **غيرُ** ﴾ على أنه صفة ﴿ **عمل** ﴾ .

وقرأه الكسائيُّ ، ويعقوب ﴿ **عَمِلَ** ﴾ – بكسر الميم – بصيغة الماضي وبنصب ﴿ **غيرَ** ﴾ على المفعولية لفعل ﴿ **عمل** ﴾ ، معنى العمل غير الصالح : الكفر ، وأطلق على الكفر ﴿ **عمل** ﴾ لأنه عمل القلب ، ولأنه يظهر أثره في عمل صاحبه – كامتناع ابن نوح من الركوب الدال على تكذيبه بوعيد الطوفان .

وتفرع على ذلك نهيه أن يسأل ما ليس له به علم نهي عتاب ، لأنه لما قيل له : ﴿ **إنه ليس من أهلك** ﴾ بسبب تعليله بأنه ﴿ **عمل غير صالح** ﴾ ، سقط ما مهِّد به لإجابة سؤاله ، فكان حقيقاً بأن لا يسأله وأن يتدبر ما أراد أن يسأله من الله (تفسير التحرير والتنوير) : ١٢ / ٨٥ ــ ٨٦ .

وقال العلامة أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي : قوله تعالى : ﴿ **إنه عمل غير صالح** ﴾ ، تعليل لانتفاء كونه من أهله ، وفيه إيذان بأن قرابة الدين غامرة لقرابة النسب ، وأن نسيبك في دينك ومعتقدك من الأباعد في المنصب ، وإن كان حبشياً وكنت قرشياً لصيقك وخصيصك ، ومن لم يكن على دينك وإن كان أمسَّ أقاربك رحماً ، فهو بعيد منك (الكشاف) : ٢ / ٢١٩ .

قليل ﴾[1] ، فمن آمن معطوف على المفعول بالحمل وهم أهل ، والاثنان من كل زوجين ، واحتجوا بحديث واثلة المتقدم ، وتخصيص واثلة بذلك أقرب من تعميم الأمة به ، وكأنه ﷺ جعل واثلة فى حكم الأهل تشبيهاً بمن يستحق هذا الاسم .

والصواب : أن الأتقياء من أمته ﷺ هم أولياؤه ، فمن كان منهم من أقاربه فهو من أوليائه لا من آله ، فقد يكون الرجل من آله وأوليائه كأهل بيته والمؤمنين به من أقاربه ولا يكون لا من آله ولا من أوليائه كمن لم يؤمن به ، وقد يكون من أوليائه وإن لم يكن من آله ، كخلفائه فى أمته ، الداعين إلى سنته ، الذابين عنه ، الناصرين لدينه ، وإن لم يكن من أقاربه .

وقد ثبت أن النبى ﷺ قال : إن آل – أبى فلان – ليسوا لى بأولياء ، إنَّ أوليائى المتقون كانوا ومن كانوا[2] ، فالمتقون هم أولياء رسول الله ﷺ ، وأولياؤه

---

(١) هود : ٤٠ .

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب الأدب ، باب (١٤) تُبَلُّ الرحم ببلالها ، حديث رقم (٥٩٩٠) ولفظه : حدثنى عمرو بن عباس ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن قيس ابن أبى حازم ، أن عمرو بن العاص قال : سمعتُ النبى ﷺ جهاراً غير سِرّ – يقول : إن آل أبى – قال عمرو فى كتاب محمد بن جعفر : بياض – ليسوا بأوليائى ، إنما وَلِيِّ الله وصالح المؤمنين . زاد عنبسة ابن عبد الواحد عن بيان ، عن قيس ، عن عمرو بن العاص قال : سمعتُ النبى ﷺ يقول : ولكنْ لهم رَحِمٌ أَبُلُّها ببلالها ، يعنى أصلها بصلتها .

قوله : « سمعت النبى ﷺ جهاراً » ، يحتمل أن يَتَعَلّق بالمفعول ، أى كان المسموع فى حالة الجهر ، ويحتمل أن يتعلق بالفاعل ، أى أقول ذلك جهاراً . وقوله : غير سِرّ تأكيد لذلك لدفع توهم أنه جهر به مرة ، وأخفاه أخرى ، والمراد أنه لم يقل ذلك خفية ، بل جهر به وأشاعه .

قوله : « إن آل أبى » ، كذا للأكثر ، بحذف ما يضاف إلى أداة الكنية ، وأثبته المستملى فى روايته لكن كنى عنه فقال : « آل أبى فلان » ، وكذا هو فى روايتى مسلم والإسماعيلي ، وذكر القرطبى أنه وقع فى أصل مسلم موضع « فلان » بياض ، ثم كتب بعض الناس فيه « فلان » على سبيل الإصلاح ، وفلان كناية عن اسم علم ، ولهذا وقع لبعض رواته « إن آل أبى يعنى فلان » ، ولبعضهم « إن آل أبى فلان » بالجزم .

قوله : « بياض » : قال عبد الحق فى كتاب (الجمع بين الصحيحين) : إن الصواب فى ضبط هذه الكلمة بالرفع ، أى وقع فى كتاب محمد بن جعفر موضع أبيض يعنى بغير كتابة ، وفهم منه بعضهم أنه الاسم المكنى عنه فى الرواية ، فقرأه بالجر على أنه فى كتاب محمد بن جعفر إن آل أبى ، بياض . وهو فهم سيء ممن فهمه ، لأنه لا يُعرف فى العرب قبيلة يقال لها آل أبى بياض ، فضلاً عن قريش . =

= وسياق الحديث مشعر بأنهم من قبيلة النبى ﷺ وهى قريش ، بل فيه إشعار بأنهم أخصّ من ذلك ، لقوله : « إن لهم رحماً » ، وأبعد من حمله على بنى بياضه ، وهم بطن من الأنصار ، لما فيه من التغير أو الرَّحِم على رأى ، ولا يناسب السياق أيضاً ، وقال ابن التين : حذفت التسمية لئلا يتؤذى بذلك المسلمون من أبنائهم .

وقال النووى : هذه الكناية من بعض الرواة ، خشى أن يصرح بالاسم ، فيترتب عليه مفسدة ، إما فى حق نفسه ، وإما فى حق غيره ، وإما معاً . وقال القاضى عياض : إن المكنى عنه هنا هو الحكم بن أبى العاص . وقال ابن دقيق العيد : كذا وقع مبهما فى السياق ، وحمله بعضهم على بنى أمية ، ولا يستقيم مع قوله : آل أبى ، فلو كان بنى لأمكن ، ولا يصح تقدير آل أبى العاص ، لأنهم أخصّ من بنى أمية ، والعام لا يفسّر بالخاص . قلت : لعل مراد القائل أنه أطلق العام وأراد الخاصّ ، وقد وقع فى رواية وهب بن حفص التى أشرت إليها « إن آل بنى » لكن وهب لا يعتمد عليه . وجزم الدمياطى فى حواشيه بأنها آل أبى العاص ابن أمية ، ثم قال ابن دقيق العيد : إنه رأى في كلام ابن العربى فى هذا شيئاً يراجع منه .

قلت : قال أبو بكر بن العربى فى (سراج المريدين) : كان فى أصل حديث عمرو بن العاص « إن آل أبى طالب » ، فغير « آل أبى فلان » ، كذا جزم به ، وتعقبه بعض الناس وبالغ فى التشنيع ، ونسبه إلى التحامل على آل أبى طالب .

قوله : « ليسوا بأوليائى » كذا للأكثر – وفى نسخة من رواية أبى ذَرّ « بأولياء » فنقل ابن التبين عن الداودى أن المراد بهذا النفى من لم يسلم منهم ، فهو من إطلاق الكل وإرادة البعض ، والمنفى على هذا المجموع لا الجميع .

وقال الخطابى : الولاية المنفية ولاية القرب والاختصاص لا ولاية الدين ، ورجح ابن التين الأول ، وهو الراجح ، فإن من جملة آل أبى طالب : علياً ، وجعفراً ، أو هما أخصّ الناس بالنبى ﷺ لما لهما من السابقة والقدم فى الإسلام ، ونصر الدين . وقد استشكل بعض الناس صحة هذا الحديث – لما نسب إلى بعض راويه من النصب ، وهو الانحراف عن علىّ رضى الله عنه وآل بيته .

قلت : أما قيس بن أبى حازم ، فقال يعقوب بن شيبة : تكلم أصحابنا فى قيس ، فمنهم من رفع قدره وعظمه ، وجعل الحديث عنه من أصحّ الأسانيد ، حتى قال ابن معين : هو أوثق من الزهرى .

ومنهم من حمل عليه وقال : له أحاديث مناكير ، وأجاب من أطراه بأنها غرائب ، وإفراده لا يقدح فيه .

ومنهم من حمل عليه فى مذهبه وقال : كان يحمل على علىّ ، ولذلك تجنب الرواية عنه كثير من قدماء الكوفيين . وأجاب من أُطراه بأنه كان يقدم عثمان على علىّ .

قلت : والمعتمد عليه أنه ثقةٌ ، ثبتٌ ، مقبول الرواية ، وهو من كبار التابعين ، سمع من أبى بكر الصديق فمن دونه ، وقد روى عنه حديث الباب إسماعيل بن أبى خالد ، وبيان بن بشر ، وهما كوفيان ، ولم يُنسباً إلى النصب .

لكن الراوى عن بيان ، وهو عنبسة بن عبد الواحد ، أموى قد نسب إلى شيء من النصب ، وأما عمرو بن العاص وإن كان بينه وبين على ما كان فحاشاه أن يتهم ، وللحديث محل صحيح لا يستلتزم نقصاً فى مؤمني أبى طالب ، وهو أن المراد بالنفى المجموع كما تقدم ، ويحتمل أن يكون المراد بآل =

....

= أبى طالب أبو طالب نفسه ، وهو إطلاق سائغ كقوله فى أبى موسى : « إنه أوتى مزماراً من مزامير آل داود ، وقوله ﷺ : « آل أبى أوفى » ، وخصه بالذكر مبالغة فى الانتفاء ممن لم يسلم ، لكونه عمّه ، وشقيق أبيه ، وكان القيم بأمره ، ونصره ، وحمايته ، ومع ذلك فلما لم يتابع على دينه انتفى من موالاته .

قوله ﷺ : « إنما ولى الله وصالح المومنين » ، كذا للأكثر بالإفراد وإرادة الجملة ، وهو اسم جنس – ووقع فى رواية البرقانى : « وصالحو المؤمنين بصيغة الجمع وقد أجاز بعض المفسرين أن الآية التى فى التحريم كانت فى الأصل : ﴿ **فإن الله هو مولاه وجبريل [وصالحو] المومنين** ﴾ لكن حذفت الواو من الخط على وفق النطق ، وهو مثل قوله تعالى : ﴿ **سندع الزبانية** ﴾ وقوله تعالى : ﴿ **يوم يدع الداع** ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ **ويمح الله الباطل** ﴾ .

وقال النووى : معنى الحديث أن وليى من كان صالحاً وإن بعُد منى نسبه ، وليس وليى من كان غير صالح وإن قرب منى نسبه . وقال القرطبى : فائدة الحديث انقطاع الولاية فى الدين بين المسلم والكافر ، ولو كان قريباً حميماً .

وقال ابن بطال : أوجب فى هذا الحديث الولاية بالدين ، ونفاها عن أهل رحمه إن لم يكونوا من أهل دينه ، فدلَّ ذلك على أن النسب يحتاج إلى الولاية التى يقع بها الموارثة بين المتناسبين ، وأن الأقارب إذا لم يكونوا على دين واحد ، لم يكن بينهم توارث ولا ولاية .

قال : ويستفاد من هذا أن الرحم المأمور بصلتها ، والمتوعد على قطعها ، هى التى شرع لها ذلك فأما من أمر بقطعه من أجل الدين فيستثنى من ذلك ولا يلحق بالوعيد من قطعه ، لأنه قطع من أمر الله بقطعه لكن لو وصلوا بما يباح من أمر الدنيا لكان فضلاً ، كما دعا ﷺ لقريش بعد أن كانوا كذبوه فدعا لهم . قلت : ويتعقب كلامه فى موضعين :

أحدهما : يشاركه فيه كلام غيره ، وهو قصره النفى على من ليس على الدين ، وظاهر الحديث أن من كان غير صالح فى أعمال الدين دخل فى النفى أيضاً لتقييده الولاية بقوله : ﴿ **وصالح المؤمنين** ﴾ .

والثانى : أن صلة الرحم الكافر ، ينبغى تقيدها بما إذا أيس منه رجوعاً عن الكفر ، أو رجى أن يخرج من صلبه مسلم كما فى الصورة التى استدل بها ، وهى دعاء النبى ﷺ لقريش بالخصب ، وعلل بنحو ذلك ، فيحتاج من يترخص فى صلة رحمه الكافر أن يقصد إلى شىء من ذلك وأما من كان على الدين ولكنه مقصّر فى الأعمال مثلاً فلا يشارك الكافر فى ذلك .

وقد وقع فى (شرح المشكاة) : المعنى أنى لا أوالى أحداً بالقرابة ، وإنما أحب الله تعالى لما له من الحق الواجب على العباد ، وأحب صالح المؤمنين لوجه الله تعالى ، وأوالى من أوالى بالإيمان والصلاح – سواء كان من ذوى رحم أو لا ، ولكنى أرعى لذوى الرحم حقهم لصلة الرحم .

وقد اختلف أهل التأويل فى المراد بقوله تعالى : ﴿ **وصالح المؤمنين** ﴾ على أقوال : أحدها : الأنبياء ، أخرجه الطبرى – وابن أبى حاتم عن قتادة ، وذكره ابن أبى حاتم عن سفيان الثورى ، وأخرجه النقاش عن العلاء بن زياد .

الثانى : الصحابه ، أخرجه ابن أبى حاتم عن السدى ، ونحوه فى تفسير الكلبى ، قال : هم أبو بكر ، وعمر وعثمان وعلى ، وأشباههم ممن ليس بمنافق .

الثالث : خيار المؤمنين ، أخرجه ابن أبى حاتم عن الضحاك .

الرابع : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، أخرجه ابن أبى حاتم عن الحسن البصرىّ . =

= الخامس : أبو بكر ، وعمر ، أخرجه الطبرى وابن مردويه ، عن ابن مسعود مرفوعاً ، وسنده ضعيف . وأخرجه الطبرى وابن أبى حاتم عن الضحاك أيضاً ، وكذا هو فى تفسير عبد الغنى بن سعيد الثقفى أحد الضعفاء بسنده عن ابن عباس موقوفاً ، وأخرجه ابن مردويه من وجه آخر ضعيف عنه كذلك . قال ابن أبى حاتم : وروى عن عكرمة ، وسعيد بن جبير ، وعبد الله بن بريدة ، ومقاتل ابن حبان كذلك .

السادس : أبو بكر خاصة ، ذكره القرطبى عن المسيب بن شريك .

السابع : عمر خاصة ، أخرجه ابن أبى حاتم بسند صحيح عن سعيد بن جبير ، وأخرجه الطبرى بسند ضعيف عن مجاهد ، وأخرجه ابن مردويه بسندٍ واهٍ جداً عن ابن عباس .

الثامن : علىّ ، أخرجه ابن أبى حاتم بسند منقطع عن علىّ نفسه مرفوعاً ، وأخرجه الطبرى بسند ضعيف عن مجاهد ، قال : هو علىّ .

وأخرجه ابن مردويه بسندين ضعيفين من حديث أسماء بنت عميس مرفوعاً قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : صالح المؤمنين على بن أبى طالب . ومن طريق أبى مالك عن ابن عباس مثله موقوفاً ، وفى سنده راوٍ ضعيف .

وذكره النقاش عن ابن عباس ، ومحمد بن على الباقر ، وابن جعفر بن محمد الصادق ، قلت : فإن ثبت هذا ، ففيه دفع توهُّم من توهَّم أن فى الحديث المرفوع نقصاً من قدر علىّ رضى الله عنه ، ويكون المنفىّ أبا طالب ومن مات من آله كافراً ، والمثبت من كان منهم مؤمناً ، وخصّ علىّ بالذكر لكونه رأسهم ، وأشير بلفظ الحديث إلى لفظ الآية المذكورة ، ونصّ فيها على علىّ تنويها بقدره ، ودفعاً لظَن من يتوهم عليه فى الحديث المذكور غضاضة ، ولو تفطن من كنى عن أبى طالب لذلك لاستغنى عما صنع .

قوله : « وزاد عنبسة بن عبد الواحد » ، أى ابن أمية بن عبد الله بن سعيد بن العاص بن أبى أحيحة بمهملتين مصغراً ، وهو سعيد بن العاص بن أمية ، وهو موثوق عندهم ، وما له فى البخارى سوى هذا الموضوع المعلق ، وقد وصله البخارى فى كتاب البر والصلة فقال : حدثنا محمد بن عبد الواحد بن عنبسة ، حدثنا جدى ... فذكره ، وأخرجه الإسماعيلي من رواية نهد بن سليمان عن محمد بن عبد الواحد المذكور ، وساقه بلفظ : سمعت عمرو بن العاص بقول : سمعت رسول الله ﷺ ينادى جهراً غير سرّ : إن بنى فلان ليسوا بأوليائى ، وإنما ولي الله والذين آمنوا ، ولكن لهم رحم ... الحديث وقد قدمت رواية الفضل ، وإنما الفضل ابن الموفق عن عنبسة من عند أبى نعيم ، وأنها أخص من هذا .

قوله ﷺ : « ولكن لها رحم أبلها ببلالها ، يعنى أَصِلُها بصلتها » ، كذا لهم ، لكن سقط التفسير من رواية النسفى ، ووقع عند أبى ذر بعده « أبلها ببلالها » وبعده فى الأصل : كذا وقع ، وببلالها أَجْوَدُ وأصحّ .

قال الخطابى وغيره : بللتُ الرحم بلاً وبللاً وبلالاً ، أى نديتها بالصلة ، وقد أطلقوا على الإعطاء الندى ، وقالوا فى البخيل : ما تندى كفه بخير ، فشبهت قطيعة الرحم بالحرارة ، ووصلها بالماء الذى يطفىء ببرده الحرارة ، ومنه الحديث : بلوا أرحامكم ولو بالسلام .

وقال الطيبى وغيره : شبه الرحم بالأرض التى إذا وقع عليها الماء وسقاها حتى إذا سقيها أزهرت =

أحب إليه ، قال تعالى : ﴿ **وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير** ﴾[1] ، وسُئل ﷺ : أى الناس أحب إليك ؟ قال : عائشة ، قيل : من الرجال ؟ قال : أبوها . متفق عليه[2] وذلك أن المتقين هم أولياء الله تعالى ، كما قال عزَّ من قائل : ﴿ **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون** ﴾[3] ، فأولياء الله تعالى أولياء رسوله ﷺ .

* * *

تم بحمد الله تعالى الجزء الخامس
ويليه الجزء السادس وأوله : « فصل فى ذكر ذرية رسول الله ﷺ » .

= ورؤيت فيها النضارة ، فأثمرت المحبة والصفاء ، وإذا تركت بغير سقى يبست وبطلت منفعتها ، فلا تثمر إلا البغضاء والجفاء ، ومنه قولهم سنة جماد لا مطر فيها ، وناقة جماد أي لا لبن فيها .

وجوّز الخطابى أن يكون معنى قوله : أبلها ببلالها ، فى الآخرة ، أى أُشفع لها يوم القيامة ، وتعقبه الداودى بأن سياق الحديث يؤذن بأن المراد ما يصلهم به فى الدنيا ، ويؤيده ما أخرجه مسلم من طريق موسى بن طلحة عن أبى هريرة قال : لما نزلت ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ دعا رسول الله ﷺ قريشاً فاجتمعوا ، فعمَّ وخصَّ – إلى أن قال –: يا فاطمة أنقذى نفسك من النار ، فإنى لا أملك لكم من الله شيئاً ، غير أن لكم رحماً سأبلها ببلالها ، وأصله عند البخارى بدون هذه الزيادة .

وقال الطيبى : فى قوله : « ببلالها » مبالغه بديعة ، وهى مثل قوله تعالى : ﴿ **إذا زلزلت الأرض زلزالها** ﴾ أى زلزالها الشديد الذى لا شيء فوقه ، فالمعنى : أبلها بما اشتهر وشاع ، بحيث لا أترك منه شيئاً . (فتح البارى) : ١٠ / ٥١٣ — ٥١٨ مختصراً .

وأخرجه مسلم فى كتاب الإيمان ، باب (٩٣) موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم والبراء منهم ، حديث رقم (٢١٥) .

(١) التحريم : ٤ .

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب فضائل الصحابة ، باب (٥) قول النبى ﷺ : لو كنتُ متخذاً خليلاً ، حديث رقم (٣٦٦٢) ، ولفظه : حدثنا معلى بن أسد ، حدثنا عبد العزيز بن المختار ، قال خالد الحذَّاء : حدثنا عن أبى عثمان قال : حدثنى عمرو بن العاص رضى الله عنه أن النبى ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل ، فأتيتهُ فقلت : أى الناس أحبُّ إليك ؟ قال : عائشة . فقلتُ : من الرجال ؟ قال : أبوها ، قلت ثم من ؟ قال : ثم عمر بن الخطاب ، فعدَّ رجالاً . وأخرجه فى كتاب المغازى ، باب (٦٤) غزوة ذات السلاسل ، وهى غزوة لخم وجذام ، وزاد فى آخره : فسكتُّ مخافة أن يجعلنى فى آخرهم .

(٣) يونس : ٦٢ – ٦٣ .

إمتاع الأسماع

بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع

تأليف

تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي
المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

تحقيق وتعليق

محمد عبد الحميد النميسي

الجزء السادس

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH
Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

ISBN 2-7451-2208-8

http://www.al-ilmiyah.com.lb/
e-mail : sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

فصل فى ذكر ذرية رسول الله ﷺ

اعلم أن اشتقاق لفظ الذرية [على] ثلاثة أقوال؛ **أحدها**: أنها مشتقة من ذرأ، قال الكسائى: وذرية الرجل: النشؤ الذين خرجوا منه، وهو من ذروت وذريت، وليس بمهموز، قال أبو عبيدة: أصله مهموز ولكن العرب تركت الهمز فيه وفى آخر وغيره، وهو فى مذهب أبى عبيدة من ذرأ الله الخلق، كما قال تعالى: ﴿**ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس**﴾(١) أى أنشأهم وخلقهم، قال تعالى: ﴿**يذرؤكم فيه**﴾(٢) أى يخلقكم، فكان ذرية الرجل من خلق الله منه ومن نسله، ومن أنشأ من صلبه، وقال ابن فارس فى (مقاييسه): قولهم ذرأنا الأرض بذرناها [ذرءاً] ذرئ على فعيل، ومن هذا الباب: ذرأ الله الخلق يذرؤهم ذرءًا، خلقهم، وفي التنزيل: ﴿**يذرؤكم فيه**﴾(٣)، وقال ثعلب: معناه يكثركم فيه، أى فى الخلق والذرية، وكان ينبغى أن تكون مهموزة فكثرت فأسقط الهمز.

ثانيها: أنها من الذر الذى هو النمل الصغار، وهذا قول ضعيف.

ثالثها: أنها من ذرأ يذرأ إذا فرق، والقول الأول أصحها، لأن الاشتقاق والمعنى يشهدان له، قال تعالى: ﴿**جعل لكم من أنفسكم أزواجًا ومن الأنعام أزواجًا يذرؤكم فيه**﴾(٣)، وفى الحديث: أعوذ بكلمات الله التامات

---

(١) الأعراف: ١٧٩.

لكن قال ابن الجوزى فى حديث «من آل محمد؟ قال: كل مؤمن تقى»: هذا الحديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، ونافع يغلب على حديثه الوهم، قال يحى بن معين: لا يكتب حديثه، وضعَّفه هو وأحمد بن حنبل، وقال يحى مرةً: كذاب، وقال الدارقطنى: متروك، وقال البيهقى: لا يحل الاحتجاج بمثله، نافع السلمى أبو هرمز بصرى، كذبه يحى بن معين، وَضَعَّفه أحمد بن حنبل وغيرهما من الحفاظ. (العلل المتناهية): ١ /٢٦٦-٢٦٧، حديث فى تفسير آل محمد رقم (٤٢٩).

(٢)، (٣) الشورى: ١١.

[اللاتى] لا يجاوزهن برّ ولا فاجر من شر ما خلق وذرأ وبرأ(١)، [قال

(١) أخرجه الإمام أحمد فى (المسند): ٤ / ٤٣١-٤٣٢، من حديث عبد الرحمن بن خنيش التميمى رضى الله تعالى عنه، حديث رقم (١٥٠٣٤): حدثنا عبد الله، حدثنى أبى، حدثنا سيار بن حاتم أبو سلمة العنزى قال: حدثناجعفر - يعنى ابن سليمان - قال: حدثنا أبو التياح قال: قلت لعبد الرحمن بن خنيش التميمى وكان كبيراً: أدركت رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قال: قلت: كيف صنع رسول الله ﷺ ليلة كادته الشياطين؟ فقال: إن الشياطين تحدرت تلك الليلة على رسول الله ﷺ من الأودية والشعاب، وفيهم شيطان بيده شعلة نار، يريد أن يحرق بها وجه رسول الله ﷺ، فهبط إليه جبريل عليه السلام فقال: يا محمد قل، قال: ما أقول؟ قال: قل: أعوذ بكلمات الله التامة من شرّ ما خلق، وذرأ، وبرأ، ومن شرّ ما ينزل من السماء، ومن شرّ ما يعرج فيها، ومن شرّ فتن الليل والنهار، ومن شرّ كل طارق إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمن، قال: فطفئت نارهم، وهزمهم الله تبارك وتعالى.

وأخرجه الإمام أحمد أيضاً من حديث عبد الرحمن بن خنيش التميمى، حديث رقم (١٥٠٣٥) لكن باختلاف يسير.

وأخرجه البيهقى فى (شعب الإيمان): ٤ / ١٧٥، باب (٣٣) فى تعديد نعم الله عزّ وجلّ وشكرها، فصل فى النوم وآدابه، حديث رقم (٤٧١٠): أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن على الصنعانى، أنبأنا إسحاق بن إبراهيم، أنبأنا عبد الرزاق عن معمر، عن قتادة، عن أبى رافع، أن خالد بن الوليد جاء إلى النبى ﷺ، فشكا إليه وحشة يجدها، فقال له: ألا أعلمك ما علمنى الروح الأمين، جبريل عليه السلام، قال: إن عفريتًا من الجن يكيدك، فإذا أويت إلى فراشك فقل: أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن برّ ولا فاجر من شرّ ما ينزل من السماء، وما يعرج فيها، ومن شرّ ما ذرأ فى الأرض، ومن شرّ ما يخرج منها، ومن شرّ طوارق الليل والنهار، ومن شرّ كل طارق يطرق إلا بخير يا رحمن.

قوله ﷺ: «أعوذ بكلمات الله التامات وأسمائه كلها من شرّ ما ذرأ وبرأ، ومن شرّ كل ذى شرّ، ومن شرّ كل دابة ربى آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم»، قال الحافظ العراقى: رواه أبو الشيخ فى كتاب (الثواب)، من حديث عبد الرحمن بن عوف: «من قال حين يُصبح: أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن برّ ولا فاجر من شرّ ما خلق، وبرأ، وذرأ، اعتصم من الثقلين»، وفيه: «وإن قالهن حين يمسى كن له كذلك حتى يصبح»، وفيه ابن لهيعة.

والكلمات، قال الهروى وغيره: القرآن، وقال أبو داود فى (سننه)، باب فى القرآن، وذكر فيه حديث تعويذ النبى ﷺ الحسن والحسين بكلمات الله التامة. والتامّات، قيل: هى النافعات، الكافيات، الشافيات من كل ما يتعوذ منه.

وأخرج ابن أبى الدنيا فى (الدعاء) من طريق إبراهيم بن أبى بكر قال: سمعت كعبًا يقول: لولا كلمات أقولهن حين أصبح وأمسى، لجعلتنى اليهود من الحمر الناهقة، والكلاب النابحة، والذئاب العادية: «أعوذ بوجه الله الجليل، وبكلماته التامة، الذى لا يخفر جاره، الذى يمسك السموات =

تعالى:] ﴿ **ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس** ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ **وما ذرأ لكم فى الأرض مختلفًا ألوانه** ﴾[2]، فالذرية منه بمعنى مفعولة، أى مذرورة، ثم أبدلوها همزها ياءاً فقالوا: ذرية.

ولا خلاف أن الذرية تقال على الأولاد الصغار والكبار، قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: الذريات عندنا إذا كانت بالألف: الأعقاب والنسل، فأما الذين فى حجورهم خاصة فإنهم الذرية، انتهى.

وقد قال تعالى: ﴿ **وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إنى جاعلك للناس إمامًا قال ومن ذريتى** ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ **إن الله اصطفى آدم ونوحًا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض** ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ **ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم** ﴾[5] وقال تعالى: ﴿ **وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى إسرائيل ألا تتخذوا من دونى وكيلاً ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدًا شكورًا** ﴾[6].

وهل يقال الذرية على الآباء؟ فيه قولان ليس هذا موضع بسط القول فيهما، فإذا ثبت هذا فالذرية الأولاد وأولادهم، وهل يدخل فيها أولاد البنات؟ فيه قولان، **أحدهما**: يدخلون، وهو مذهب الشافعى وأحد قولى

= والأرض ومن فيهن أن تقع على الأرض إلا بإذنه، من شرّ ما خلق، وذرأ، وبرأ». (إتحاف السادة المتقين): ٥ / ٣٨٤-٣٨٥، كتاب الأذكار والدعوات، الباب الخامس، مختصراً.

(١) الأعراف: ١٧٩.
(٢) النحل: ١٣.
(٣) البقرة: ١٢٤.
(٤) آل عمران: ٣٤.
(٥) الأنعام: ٨٧.
(٦) الإسراء: ٣.

قال الفيروزآبادى: وذرأ الشىء: كثّره، قيل: ومنه الذرية مثلثة الذال، وهو اسم لنسل الثقلين، وقيل: أصلها الصغار أى الأولاد، وإن كان يقع على الصغار والكبار معًا فى التعارف، ويستعمل للواحد والجمع وأصله للجمع، (بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز): ٣ / ٧.

أحمد، ودليله إجماع المسلمين على دخول أولاد فاطمة رضى الله عنها فى ذرية النبى ﷺ، المطلوب لهم من الله تعالى الصلاة عليهم، لأن أحداً من بناته لم يعقب عقبًا باقيًا غيرها، فمن انتسب إليه ﷺ من أولاد بيته فإنما هو من جهة فاطمة رضى الله عنها خاصة.

وقد قال ﷺ فى الحسن ابن بنته، إن [ابنى] هذا سيد(١)، فسماه ابنه، ولما نزلت آية المباهلة [وهى قوله تعالى:](٢) ﴿فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم﴾(٣)

---

(١) (المطالب العالية): ٤/ ٧٣، حديث رقم (٤٠٠٠)، وهو فى (صحيح البخارى) من وجه آخر عن الحسن، عن أبى بكرة، وأخرجه البزار برجال الصحيح من حديث جابر، (المستدرك): ٣/ ١٩١-١٩٢، كتاب معرفة الصحابة، باب: ومن فضائل الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه، وذكر مولده، ومقتله، حديث رقم (٤٨٠٩/ ٤٠٧)، (٤٨١٠/ ٤٠٨)، وقال الذهبى فى (التلخيص): اخرجهما البخارى، وأبو داود، والترمذى، والنسائى، لكن البخارى من طريق أبى موسى إسرائيل، عن الحسن، (مسند أحمد): ٦/ ١٧، حديث رقم (١٩٨٧٩)، ٦/ ٢٧، حديث رقم (١٩٩٣٥)، ٦/ ٣٠، حديث رقم (١٩٩٦٠)، ثلاثتهم من حديث أبى بكرة نفيع بن الحارث ابن كلدة.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) آل عمران: ٦١.

قال أبو بكر بن مردويه : حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا أحمد بن داود المكى، حدثنا بشر بن مهران، حدثنا محمد بن دينار، عن داود بن أبى هند، عن الشعبى، عن جابر، قال: قدم على النبى ﷺ العاقب والطيب، فدعاهما إلى الملاعنة، فواعداه أن يلاعناه الغداة، فغدا رسول الله ﷺ بيد علىّ، وفاطمة، والحسن، والحسين، ثم أرسل إليهما، فأبيا أن يجيبا، واقرًا له بالخراج، قال: فقال رسول الله ﷺ: والذى بعثنى بالحق لو قالا: لا، لأمطر عليهم الوادى نارًا.

قال جابر: وفيهم نزلت: ﴿ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم﴾ وقال جابر: ﴿أنفسنا وأنفسكم﴾ رسول الله ﷺ وعلى بن أبى طالب، ﴿وأبناءنا﴾ الحسن والحسين، ﴿ونساءنا﴾ فاطمة. وهكذا رواه الحاكم فى (المستدرك): [٣/ ١٦٣، كتاب معرفة الصحابة، ذكر مقتل أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه بأصحّ الأسانيد على سبيل الاختصار، حديث رقم (٤٧١٩/ ٣١٧)، وقال الذهبى فى (التلخيص): على شرط البخارى ومسلم].

وقد روى عن ابن عباس والبراء نحو ذلك، ثم قال الله تعالى: ﴿إن هذا لهو القصص الحق﴾ أى =

الآية، دعا رسول الله ﷺ فاطمة وحسنًا وحسينًا للمباهلة.

وخرج الحاكم من طريق أحمد الإمام ابن عفان، حدثنا وهيب حدثنا عبد الله بن عثمان بن خيثم، عن سعيد بن أبى راشد، عن يعلى بن منية الثقفى قال: جاء الحسن والحسين يستبقان إلى رسول الله ﷺ فضمهما إليه ثم قال: إن الولد مبخلة مجبنة محزنة[1]. قال صحيح على شرط مسلم.

= هذا الذى قصصناه عليك يا محمد فى شأن عيسى هو الحق الذى لا معدل عنه ولا محيد ﴿وما من من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم * فإن تولوا﴾ أى عن هذا إلى غيره ﴿فإن الله عليم بالمفسدين﴾ أى من عدل عن الحق رلى الباطل فهو المفسد، والله عليم به، وسيجزيه على ذلك شر الجزاء، وهو القادر الذى لا يفوته شيء، سبحانه، وبحمده، ونعوذ به من حلول نقمته. (تفسير ابن كثير): ١/٣٧٨-٣٧٩ مختصراً، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق.

وقد أخرجه الحافظ البيهقى مطولاً فى (دلائل النبوة): ٥/٣٨٢-٣٩٣، باب وفد نجران وشهادة الأساقفة لنبينا ﷺ بأنه النبى الذى كانوا ينتظرونه، وامتناع من امتنع منهم من الملاعنة، وما ظهر فى ذلك من آثار النبوة.

وانظر أيضا فى وفد نجران ما ذكره كل من ابن هشام فى (السيرة)، ابن سعد فى (الطبقات)، البلاذرى فى (فتوح البلدان)، وابن كثير فى (البداية والنهاية)، النويرى فى (نهاية الأرب)، الزرقانى فى (شرح المواهب اللدنية).

(١) (المستدرك) ٣/١٧٩، كتاب معرفة الصحابة، باب: ومن مناقب الحسن والحسين ابنى بنت رسول الله ﷺ، حديث رقم (٤٧٧١/٣٦٩) وسكت عنه الذهبى فى (التلخيص)، وقال محقق (المستدرك)؛ قال فى (الفيض): أخرجه الحاكم فى الفضائل عن الأسود بن خلف بن يغوث القرشى، وقال الحاكم على شرط مسلم، وقال الحافظ العراقى: إسناده صحيح، (كنز العمال): ١٦/٢٨٨-٢٨٩، الباب الثانى فى الترهيب عن النكاح، حديث رقم (٤٤٥١٢): أما إن الأولاد مبخلة مجبنة محزنة. الطبرانى عن الأشعث بن قيس. وحديث رقم (٤٤٥١٣): لا تقل ذلك، فإن فيهم قرة أعين وأجراً إذا قبضوا، ولئن قلت ذلك فإن فيهم لمجبنة ومحزنة ومبخلة. الطبرانى عن أشعث ابن قيس أيضًا وزاد فيه: قال: قلت يا رسول الله! ولد لى مولود ولوددت أن يكون لى مكانه شبع اليوم! قال- فذكره، وحديث رقم (٤٤٥١٤): أما إن قلت ذلك إنهم لمجبنة محزنة، ثمرات القلوب وقرات الأعين. هناد وعن خيثمة مرسلا، وحديث رقم (٤٤٥١٥): إن قلت ذلك إنهم لمجبنة محزنة، وإنهم لثمرة القلوب وقرة الأعين. الحاكم عن الأشعث بن قيس، حديث رقم (٤٤٥١٦): الولد محزنة مجبنة مجهلة مبخلة، وإن آخر وطأة وطئها الله بوج [موضع بناحية الطائف] وعزاه إلى الطبرانى عن خولة بنت حكيم، حديث رقم (٤٤٥١٧) إن الولد مبخلة مجبنة محزنة. ابن عساكر والبيهقى، عن يعلى بن أبى أمية.

وفى حديث شريك عن عبد الملك بن عمير قال: دخل يحى بن يعمر على الحجاج، ومن حديث صالح بن موسى، حدثنا عاصم بن بهدلة قال: اجتمعوا عند الحجاج فذكر الحسين بن على، فقال الحجاج: لم يكن من ذرية رسول الله ﷺ، وعنده يحى بن يعمر فقال له: كذبت أيها الأمير، فقال: لتأتينى على ما قلت بينة ومصداق من كتاب الله تعالى أو لأقْتُلَنَّك، فقال: ﴿ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى﴾(١) إلى قوله تعالى: ﴿وزكريا ويحى وعيسى﴾(١) فأقرَّ الله تعالى أن عيسى من ذرية إبراهيم بأمه، والحسن بن على من ذرية محمد ﷺ بأمه، قال: صدقت، فما حملك على تكذيبى فى مجلسى؟ قال: ما أخذ الله على الأنبياء ليُبَيِّنُنَّه للناس ولا يكتمونه، قال الله تعالى: ﴿فنبذوه وراء [ظهورهم] واشتروا به ثمنًا قليلاً﴾(٢)، قال: فنفاه إلى خراسان(٣).

---

(١) الأنعام: ٨٤ - ٨٥ ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلاً هدينا ونوحًا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين * وزكريا ويحى وعيسى وإلياس كل من الصالحين﴾.

(٢) آل عمران: ١٨٧.

(٣) أورد الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير هذا الخبر هكذا: قال ابن أبى حاتم: حدثنا سهل بن يحى العسكرى، حدثنا عبد الرحمن بن صالح، حدثنا على بن عباس، عن عبد الله بن عطاء المكى، عن أبى حرب بن أبى الأسود قال: أرسل الحجاج إلى يحى بن يعمر فقال: بلغنى أنك تزعم أن الحسن والحسين من ذرية النبى ﷺ تجده فى كتاب الله، وقد قرأته من أوله إلى آخره فلم أجده؟ قال: أليس تقرأ سورة الأنعام ﴿ومن ذريته داود وسليمان﴾ حتى بلغ ﴿ويحيى وعيسى﴾ قال: بلى، قال: أليس عيسى من ذرية إبراهيم وليس له أب؟ قال: صدقت. فلهذا إذا أوصى الرجل لذريته أو وقف علي ذريته أو وهبهم دخل أولاد البنات فيهم، فأما إذا أعطى الرجل بنيه أو وقف عليهم، فإنه يختص بذلك بنوه لصلبه، وبنو بنيه، واحتجوا بقول الشاعر العربى:

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا ... بنوهن أبناء الرجال الأجانب

وقال آخرون: ويدخل بنو البنات فيهم أيضًا، لما ثبت فى صحيح البخارى، أن رسول الله ﷺ قال للحسن بن على: إن ابنى هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين. فسماه ابناً، فدل علي دخوله فى الأبناء. =

وخرج من طريق عبيد الله بن موسى، أخبرنا إسرائيل عن أبى إسحاق، عن هانىء بن هانئ، عن عليّ رضى الله عنه قال: لما ولدت فاطمة الحسن رضى الله عنهما، جاء رسول الله ﷺ فقال: أرونى ابنى، ما سميتموه؟ قال: قلت: سميته حربًا، قال: بل هو حسن، فلما ولدت الحسين رضى الله عنه جاء رسول الله ﷺ، فقال: أرونى ابنى، ما سميتموه؟ قلت: سميته حربًا، قال: بل هو حسين، ثم لما ولدت الثالث جاء رسول الله ﷺ، [فقال]: أرونى ابنى، ما سميتموه؟ قلت: سميته حربًا، قال: بل هو محسن، قال: إنما أسميتهم باسم ولد هارون عليه السلام: شبر، وشبير، ومشبر(١).

ومن طريق محمد بن إسماعيل بن أبى فديك، حدثنا محمد بن موسى المخزومى، حدثنا عون بن محمد عن أبيه، عن أم جعفر أمه، عن جدتها أسماء، عن فاطمة رضى الله عنها، أن رسول الله ﷺ أتاها يومًا فقال: أين ابناى؟ فقالت ذهب بهما عليّ، فتوجه رسول الله ﷺ فوجدهما يلعبان فى مشربة وبين أيديهما فضل من تمر، فقال: يا عليّ! ألا تقلب ابنيّ قبل

= وقال آخرون: هذا تجوّز، وقوله: ﴿ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم﴾، ذكر أصولهم، وفروعهم، وذوى طبقتهم، وأن الهداية بالاجتباء شملهم كلهم، ولهذا قال: ﴿واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم﴾، ثم قال تعالى: ﴿وذلك هدي الله يهدى به من يشاء من عباده﴾، أى إنما حصل لهم ذلك بتوفيق الله وهدايته إياهم. (تفسير ابن كثير): ٢ / ١٦٠.

وأما رواية (خ)، فأخرجها الحاكم في (المستدرك) بسياقة قريبة منه: ٣ / ١٨٠، كتاب معرفة الصحابة، باب: ومن مناقب الحسن والحسين ابنى بنت رسول الله ﷺ، حديث رقم (٤٧٧٢ / ٣٧٠)، وقد سكت عنه الذهبى فى (التلخيص).

(١) (المستدرك): ٣ / ١٨٠، كتاب معرفة الصحابة، باب: ومن مناقب الحسن والحسين ابنى بنت رسول الله ﷺ، حديث رقم (٤٧٧٣ / ٣٧١)، وقال الذهبى فى (التلخيص): صحيح. ونحوه حديث رقم (٤٧٨٣ / ٣٨١) لكن باختلاف يسير، وقال عنه الذهبى فى (التلخيص): مرّ من حديث إسرائيل. وهو الحديث السابق.

الحر؟.. وذكر باقى الحديث.

قال: محمد بن موسى هذا هو ابن مشمول مدينى ثقة، وعون هذا هو ابن محمد بن عبيد الله بن أبى رافع، هو وأبوه ثقتان، وأم جعفر هى ابنة القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق، وجدّتها أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهم، وكلهم أشراف ثقات(١).

وخرج أيضا من طريق وهب بن جرير بن حازم، حدثنا أبى، حدثنا محمد بن عبد الله بن أبى يعقوب، عن عبد الله بن شداد بن الهاد، عن أبيه قال: خرج [علينا] رسول الله ﷺ [فى إحدى صلاتى العشى الظهر أو العصر] وهو حامل [أحد] ابنيه الحسن أو الحسين، فتقدم رسول الله ﷺ إلى الصلاة فوضعه عند قدمه اليمنى، فسجد رسول الله سجدة أطالها، قال أبى: فرفعت رأسى من بين الناس، فإذا رسول الله ﷺ ساجد، وإذا الغلام راكب على ظهره، فعدت فسجدت، فلما انصرف رسول الله ﷺ قال الناس: يا رسول الله! لقد سجدت فى صلاتك هذه سجدة ما كنت تسجدها، أَفَشىءٌ أمرت به أو كان يوحى إليك؟ قال: كل ذلك لم يكن، ولكن ابنى ارتحلنى فكرهتُ أن أعجله حتى يقضى حاجته. قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين(٢).

ومن طريق ابن نعيم الفضل بن دكين، حدثنا الأعمش، عن إبراهيم عن أبى ظبيان

---

(١) (المرجع السابق): حديث رقم (٤٧٧٤ / ٣٧٢)، وقال الذهبى فى (التلخيص): بل محمد ضعّفوه.

(٢) (المرجع السابق): حديث رقم (٤٧٧٥ / ٣٧٣)، وقال الذهبى فى (التلخيص): على شرط البخارى ومسلم، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه.

عن سلمان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: الحسن والحسين ابناى، من أحبهما أحبنى، ومن أحبنى أحبه [الله]، ومن أحبه الله أدخله الجنة، ومن أبغضهما أبغضنى، ومن أبغضنى أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله النار، قال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين(١).

ومن طريق عثمان بن سعيد الدارمى، حدثنا أبو اليمان، حدثنا إسماعيل بن عياش، حدثنا عطاء بن عجلان، عن عكرمة، عن ابن عبَّاس عن أم الفضل قالت: دخل علىّ رسول الله ﷺ وأنا أرضع الحسين بن على بلبن ابن كان يقال له قُثم، قلت: فتناوله رسول الله ﷺ فناولته إياه، [فبال] عليه، قالت: فأوهيت بيدى إليه [فقال] رسول الله ﷺ لا تزرمى ابنى، قالت فرشَّه بالماء(٢).

وقد ذكر الله تعالى عسى بن مريم عليه السلام فيمن ذكر من ذرية إبراهيم عليه السلام، فقال تعالى: ﴿ **وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على**

(١) (المرجع السابق): حيث رقم (٤٧٧٦ / ٣٧٤)، وقال الذهبى فى (التلخيص): هذا حديث منكر، وإنما رواه بقى بن مخلد بإسناد آخر واهٍ عن زاذان عن سلمان.

(٢) (المستدرك): ٣ / ١٨٧-١٩٨، حديث رقم (٤٨٢٩ / ٤٢٧)، وزاد فى آخره: قال ابن عباس: بول الغلام الذى لم يأكل يُرش، وبول الجارية يغسل. قال الحاكم: هذا حديث قد روى بأسانيد ولم يخرجاه، فأما إسماعيل بن عياش وعطاء بن عجلان، فإنهما لم يخرجاه، وقد حذفه الذهبى من (التلخيص)، وما بين الحاضرين زيادة للسياق من (المستدرك).

قال فى (اللسان): زَرِمَ دمعه وبوله وكلامه، وازرأمَّ: انقطع، ما انقطع فقد زَرِم. قال الأصمعى: الإزرام القطع، أى لا تقطعوا عليه بوله، ومنه حديث الأعرابى الذى بال فى المسجد، قال: لا تزرموه. (لسان العرب): ١٢ / ٢٦٣.

وقال الإمام النووى: الواجب فى إزالة النجاسة الغُسل، إلا فى بول صبى لم يطعم، ولم يشرب سوى اللبن، فيكفى فيه الرش، ولابد فيه من إصابة الماء جميع موضع البول، ثم لإيراده ثلاث درجات:

الأولى: النضح المجرد **الثانية**: النضح مع الغلبة والمكاثرة **الثالثة**: ان ينضم إلى ذلك السيلان، فلا حاجة فى الرش إلى الثالثة قطعاً، ويكفى الأولى على وجه، ويحتاج إلى الثانية على الأصح، ولا يلحق ببول الصبى بول الصبية، بل يتعين غسله على الصحيح. (روضة الطالبين): ١ / ٤١.

قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم* ووهبنا له إسحاق ويعقوب كل هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين* وزكريا ويحى وعيسى وإلياس كل من الصالحين ﴾ (١).

وفى ذكر عيسى هنا دليل على أن البنت داخلة فى الذرية، وذلك أنه تعالى شك عيسى وسائر الأنبياء المذكورين معه فى كونهم من ذرية إبراهيم، مع أن عيسى إنما ينتمى إليه من جهة أمه، فدلّ على ما قلناه. والله أعلم.

والقول الثانى: أنهم لا يدخلون، وهو مذهب أبى حنيفة وأحد قولى أحمد، وحجتهم أن ولد البنات إنما ينسبون إلى آبائهم حقيقة، فإن الهذْلى والتيمى والعدوىّ إذا أولد هاشمية لم يكن ولده هاشمياً، لأن الولد فى النسب يتبع أباه، بخلاف الرِّقّ والحرية والدين فإنه يتبع أمه، وقد قيل:

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا　　　بنوهن أبناء الرجال الأباعد

ولو وصى أو وقف على قبيلة لم يدخل فيها أولاد بناتها من غيرها، وأما دخول أولاد فاطمة رضى الله عنها فى ذرية النبى ﷺ فلشرف هذا الأصل العظيم، والوالد الكريم، الذى لا يدانيه أحد من العالمين، سرى ونفد إلى أولاد البنات لقوته وجلالته وعظم قدره.

وأما دخول عيسى فى ذرية إبراهيم عليه السلام، فإن المسيح لا أب له حتى يرجع إليه، فقامت أمه مقام أبيه، فنسبه الله تعالى إليها، وهكذا كل من انقطع نسبه من جهة أبيه – إما بلعان أو غيره – قامت أمه فى النسب مقام أبيه، وكذا فى العصبة والولاء، كما هو مذكور فى موضعه من كتب الفقه، والله أعلم.

---

(١) الأنعام: ٨٣ – ٨٥.

فصل فى ذكر عترة رسول الله ﷺ

عترة الرجل أسرته وفصيلته، من قول الله تعالى: ﴿وفصيلته التى تؤويه﴾(١).

وقيل: عترته – رهطه الأدنون، والعترة: أصل شجرة تبقى بعد القطع، فتنبت من أصولها وعروقها، وقيل: العترة: صخرة عظيمة يتخذ الضب عندها حجراً يأوى إليها ليهتدى، وذلك لقلة هدايته، فكأن عترة الرجل هم أسرته وقومه الذين يأوى إليهم ويعتمد عليهم، ومنه قوله ﷺ: إنى تاركم فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتى، ويروى: كتاب الله وأهل بيتى، وبادلوا فى العترة هنا أهل بيته، قالوا: لأنهم أسرته وفصيلته التى تؤويه، ورهطه الأدنون(٢).

---

(١) المعارج: ١٣.

(٢) قال فى (اللسان): عترة الرجل: أقرباؤه من ولد وغيره، وقيل: هم قومه دنياً، وقيل: هم رهطة وعشيرته الأدنون، من مضى منهم ومن غبر، ومنه قول أبى بكر رضى الله عنه: نحن عترة رسول الله ﷺ، التى خرج منها، وبيضته التى تفقأت عنه، وإنما جيبت العرب عنا كما جيبت الرحى عن قطبها، قال ابن الأثير: لأنهم من قريش، والعامة تظن أنها ولد الرجل خاصة، وأن عترة رسول الله ﷺ ولد فاطمة رضى الله عنها قول ابن سيده، وقال الأزهرى رحمه الله: وفى حديث زيد بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: إنى تارك فيكم الثقلين خلفى: كتاب الله وعترتى، فإنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض. قال: وقال محمد بن إسحاق: وهذا حديث صحيح، ورفعه نحوه زيد بن أرقم، وأبو سعيد الخدرى، وفى بعضها: إنى تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتى أهل بيتى، فجعل العترة أهل البيت. وقال أبو عبيد وغيره: عترة الرجل وأسرته، وفصيلته رهطة الأدنون. وقال ابن الأثير: عترة الرجل أخص اقاربه. وقال ابن الأعرابى: العترة ولد الرجل، وذريته، وعقبه من صلبه، قال: فعترة النبى ﷺ ولد فاطمة البتول عليها السلام.

وروى عن أبى سعيد قال: العترة ساق الشجرة، قال: وعترة النبى ﷺ عبد المطلب وولده، وقيل: عترته أهل بيته الأقربون، وهم أولاده، وعلى، وقيل: عترته الأقربون والأبعدون منهم، وقيل: عترة الرجل اقرباؤه من ولد عمه دنياً، ومنه حديث أبي بكر رضى الله عنه قال للنبى ﷺ حين شاور اصحابه فى أسارى بدر: عترتك وقومك؛ أراد بعترته العباس ومن كان فيهم من بنى هاشم، وبقومه قريشاً.

والمشهور المعروف أن عترته أهل بيته، وهم الذين حرمت عليهم الزكاة والصدقة المفروضة، وهم ذوو القربى الذين لهم خمس الخمس المذكور فى سورة الأنفال. (لسان العرب): ٤/٥٣٨.

خرج الترمذى من حديث زيد بن الحسن – هو الأنماطى – عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ فى حجته يوم عرفه وهو على ناقته [القصواء] يخطب، فسمعته يقول: يا أيها الناس إنى قد تركت فيكم ما إن أخذتم [به] لن تضلوا، كتاب الله وعترتى أهل بيتى. قال: وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، قال: وزيد بن الحسن قد روى عنه سعيد بن سليمان وغير واحد من أهل العلم(١).

وخطّأ ابن قتيبة من يقتصر بالعترة على الذرية فقط، ومن يجعل عترة رسول الله ﷺ ولد فاطمة خاصة، ثم قال: وعترة الرجل ذريته وعشيرته الأدنون من مضى منهم ومن غبر، ويدلك على ذلك قول أبى

---

(١) (سلسلة الأحاديث الصحيحة للألبانى): ٤ / ٣٥٥–٣٦١، حديث رقم (١٧٦١): يا أيها الناس إنى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا؛ كتاب الله، وعترتى أهل بيتى.

أخرجه الترمذى: ٢ / ٣٠٨، والطبرانى (٢٦٨٠) عن زيد بن الحسن الأنماطى، عن جعفر، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله قال: رأيت رسول الله ﷺ فى حجته يوم عرفة، وهو على ناقته القصواء يخطب، فسمعته يقول: ... فذكره، وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه، وزيد بن الحسن قد روى عنه سعيد بن سليمان وغير واحد من أهل العلم.

قلت: قال أبو حاتم: منكر الحديث، وذكره ابن حبان فى (الثقات) وقال الحافظ: ضعيف. قلت: لكن الحديث صحيح، فإن له شاهدا من حديث زيد بن أرقم قال: قام رسول الله ﷺ يوماً خطيباً بماء يدعى خُماً بين مكة والمدينة، فحمد الله، وأثنى عليه، ووعظ وذكر. ثم قال:

أما بعد، ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر، يوشك أن يأتى رسول ربى فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور، من استمسك به وأخذ به كان على الهدى، ومن أخطأ ضل، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله، ورغّب فيه ثم قال: وأهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى.

أخرجه مسلم: ٧ / ١٢٢ – ١٢٣، والطحاوى فى (مشكل الآثار): ٤ / ٣٦٨، و(مسند أحمد): ٤ / ٣٦٦–٣٦٧، وابن أبى عاصم فى (السنة): ١٥٥٠، ١٥٥١، والطبرانى: (٥٠٢٦)، من طريق زيد بن حبان التميمى عنه.

ثم أخرج أحمد: ٤ / ٣٧١، والطبرانى (٥٠٤٠)، والطحاوى من طريق على بن ربيعة قال: لقيت زيد بن أرقم وهو داخل على المختار أو خارج من عنده، فقلت له: أسمعت رسول الله ﷺ=

= يقول: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي؟ قال: نعم. وإسناده صحيح، ورجاله رجال الصحيح.

وله طرق أخرى عند الطبراني: ٤٩٦٩-٤٩٧١ و ٤٩٨٠ - ٤٩٨٢ و٥٠٤٠، وبعضها عند الحاكم في (المستدرك): ١٠٩/٣، ١٤٨، ٥٣٣، وصحح هو والذهبي بعضها. وشاهد آخر من حديث عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً:

إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني تركتُ فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدي، الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر؛ كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ألا وإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض.

ثم قال الألباني: واعلم أيها القارئ الكريم، أن من المعروف أن الحديث مما يحتج به الشيعة، ويلهجون بذلك كثيراً، حتى يتوهم بعض أهل السنة أنهم مصيبون في ذلك، وهم جميعاً واهمون في ذلك، وبيانه ومن وجهين:

الأول: أن المراد من الحديث في قوله ﷺ: «عترتي» أكثر مما يريده الشيعة، ولا يرده أهل السنة، بل هم مستمسكون به، ألا وأن العترة فيه هم أهل بيته ﷺ، وقد جاء ذلك موضحاً في بعض طرقه، كحديث الترجمة: «وعترتي أهل بيتي»، وأهل بيته في الأصل هم نساؤه ﷺ، وفيهم الصديقة عائشة، رضي الله عنهن جميعاً، كما هو صريح في قوله تعالى: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ بدليل الآية التي قبلها والتي بعدها: ﴿ يا نساء النبي لَسْتُنَّ كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرضٌ وقلن قولاً معروفاً * وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً* واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً﴾.

وتخصيص الشيعة ﴿ أهل البيت ﴾ في الآية بعليّ وفاطمة والحسن والحسين رضي الله تعالى عنهم دون نسائه ﷺ، من تحريفهم لآيات الله تعالى، انتصاراً لأهوائهم، كما هو مشروح في موضعه، وحديث الكساء وما في معناه، غاية ما فيه توسيع دلالة الآية، ودخول علي وأهله فيها.

والوجه الآخر: أن المقصود من ﴿ أهل البيت ﴾ إنما هم العلماء الصالحون منهم، والمتمسكون بالكتاب والسنة، قال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله تعالى: «العترة» هم أهل بيته ﷺ الذين هم على دينه وعلى التمسك بأمره. وذكر نحوه الشيخ علي القاري في الموضع المشار إليه آنفًا ثم استَظْهَرَ أن الوجه في تخصيص أهل البيت بالذكر ما أفاده بقوله:

إن أهل البيت غالباً يكونون أعرف بصاحب البيت وأحواله، فالمراد بهم أهل العلم منهم المطلعون على سيرته، الواقفون على طريقته، العارفون بحكمه وحكمته، وبهذا يصلح أن يكون مقابلاً لكتاب الله سبحانه كما قال: ﴿ ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ =

بكر رضى الله عنه: نحن عترة رسول الله التى خرج منها وبيضته التى تفتات عنه، وإنما جيبت العرب منا كما جيبت الرحا عن قطبها، وما كان أبو بكر ليدغى بحضرة القوم جميعاً إلا يعرفونه. والله سبحانه وتعالى أعلم.

* * *

= وسماهما «ثقلين»، لان الأخذ بهما «يعنى الكتاب والسنة»، والعمل بهما ثقيل، ويقال لكل خطير نفيس «ثقل»، فسماهما «ثقلين» إعظاماً لقدرهما وتفخيماً لشأنهما» (سلسلة الأحاديث الصحيحة): ٤/ ٣٥٥ - ٣٦٠ مختصراً، (مشكل الآثار): ٤/ ٣٦٨، (النهاية): ١/ ٢١٦.

فصل فى ذكر سُلالة النبى ﷺ

قال ابن سيده: والسلالة والسليل: الولد، والأنثى سليلة، وقال غيره: السلالة: الصفوة من كل شيء، قال ابن فارس فى (المقاييس): السليل: الولد، كأنه سُلَّ من أمه سلاً، قالت امرأة فى ابنها:

سل من قلبى ومن كبدى   قمرٌ أَيْنَ دونه قمرُ

وقيل للحسن والحسين رضى الله عنهما: سلالة رسول الله ﷺ، أى هما الصفوة من ولده، وقيل: السليل: المنتوج، كأنه النقاح الخالص الصافى(١). والله أعلم.

---

(١) وسلالة الشيء: ما استل منه، والنطفة سلالة الإنسان، قال حسّان بن ثابت:

لجاءت به عَضْبُ الأديم غضنفراً   سلالة فرج كان غير حصين

وفى التنزيل العزيز ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴾ [المؤمنون:] قال الفراء السلالة الذى سُلَّ من كل تربة. وقال أبو الهيثم: السلالة ما سُلّ من صلب الرجل وترائب المرأة، كما يُسَلُّ الشيء سلاً، والسليل: الولد، سُمّى سليلاً لأنه خُلق من السلالة، والسليل: الولد حين يخرج من بطن أمه، وروى عن عكرمة أنه قال فى السلاله: إنه الماء يُسلُّ من الظهر سلاً. وقال الأخفش: السلالة: الولد، والنطفة السلالة؛ وقد جعل الشماخ السلالة الماء فى قوله:

طَوَتْ أحشاءً مُرْتَجةٍ لوَقْت   على مشْجٍ سُلالته مهينُ

قال: والدليل على أنه الماء قوله تعالى: ﴿ وبدأ خلق الإنسان من طين ﴾ يعنى آدم، ﴿ ثم جعل نسله من سلالة ﴾ ثم ترجم عنه فقال: ﴿ من ماء مهين ﴾ فقوله عزّ وجلّ: ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة ﴾ أراد بالإنسان ولد آدم، جعل الإنسان اسماً للجنس، وقوله ﴿ من طين ﴾، أراد أن تلك السلالة تولدت من طين خُلق منه آدم فى الأصل.

وإلى هذا ذهب الفراء، وقال الزجّاج: ﴿ من سلالة من طين ﴾، سلالة: فُعالة والسليل: الولد، والأنثى سليلة، وقال أبو عمرو: السليلة: بنت الرجل من صُلبه. (لسان العرب): ١١ / ٣٣٩.

وقال الفيروز آبادى: سلَّ السيف من غمْده، واسْله فانسلَّ منه نزعه فانتزع، وسلَّ الشعرة من العجين، فانسلت انسلالاً، وانسلَّ من المضيق والزحام، واستلَّ وتَسلَّل، وسلَّ الشيء من البيت على سبيل السرقة، وسُلَّ الولد من الأب، ومنه قيل للولد سليل، قال تعالى: ﴿ يتسللون منكم لواذا ﴾ [النور: ٦٣]، ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴾ [المؤمنون: ١٢]، أى من الصفو الذى يُسَلُّ من الأرض، وقيل: السلالة كناية عن النطفة، تُصوّرُ فيه صَفْو ما يحصل منه (بصائر ذوى التمييز): ٣ / ٢٥١، بصيرة رقم (٣٨).

فصل فى ذكر سبط رسول الله ﷺ

الأسباط : ولد يعقوب – وهو إسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام – وكانوا اثنى عشر رجلاً، وفى الحديث المرفوع : الحسن والحسين سبطانى من هذه الأمة، والقبائل فى العرب كالأسباط فى بنى إسرائيل، فكان الأسباط قبائل الأنبياء، فلذلك سمى الحسن والحسين: السبطان، لأن أولادهما قبيلتا رسول الله ﷺ من أجل أنهما ولد فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ .

قال ابن سيده : والسبط ولد الابن والابنة، ومنه الحسن والحسين سبطا رسول الله ﷺ ، والسبط من اليهود كالقبيلة من العرب، وهم الذين يرجعون إلى أب واحد سمى سبطاً ليفرق بين ولد إسماعيل وولد إسحق عليهما السلام، وجمعه أسباط(١) .

خرج أبو بكر بن أبى شيبة وأحمد بن حنبل من حديث عفان قال : حدثنا وهيب، حدثنا عبد الله بن عثمان بن خيثم، عن سعيد بن أبى راشد، عن يعلى العامرى، أنه خرج مع رسول الله ﷺ إلى طعام دُعوا له، فإذا حسين مع غلام يلعب فى طريق، فاستقبل رسول الله ﷺ أمام القوم، [وحسين مع الغلمان يلعب فأراد رسول الله ﷺ أن يأخذه(٢)] . فطفق الصبى يَفِرُّها هنا مرة، وها هنا مرة، فجعل رسول الله ﷺ يضاحكه حتى

---

(١) قال فى (المرجع السابق) : السِّبْط – بالكسر – : ولد الولد، كأنه امتداد الفروع، والجمع أسباط، والقبيلة من اليهود، والجمع الأسباط أيضاً، وقوله تعالى: ﴿ وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطاً ﴾ بدل لا تميز ، لأن تمييز العدد المركب مفرداً لا جمعاً (المرجع السابق) : ٣/١٧٩، بصيرة رقم (٥) .

(٢) زيادة للسياق من (المستدرك) .

أخذه رسول الله ﷺ فوضع إحدى يديه تحت قفاه والأخرى تحت ذقنه فوضع فاه على فيه يقبله وقال: حسين منى وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط[١].

* * *

(١) (المستدرك): ٣/١٩٤-١٩٥، كتاب معرفة الصحابة، أول فضائل أبى عبد الله الحسين بن علىّ الشهيد رضى الله عنهما، ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، حديث رقم (٤٨٢٠/٤١٨) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبى فى (التلخيص): صحيح.

نُبـــدة

اعلم أن أهل رسول الله ﷺ وأحبته في الجملة قسمان: قسم اخترم فأجراه الله تعالى فيهم، كعمه حمزة بن عبد المطلب، وابن عمه جعفر بن أبي طالب، وإبراهيم ابنه ومن أصيب به من خديجة أم المؤمنين، وسائر أصحابه رضى الله عنهم.

وقسم أَقَرَّ الله بهم عينه ﷺ، كعائشة أم المؤمنين، وزينب أم المؤمنين، وأم سلمة، وجويرية، وسائر أمهات المؤمنين رضى الله عنهنّ، وكفاطمة الزهراء والحسن والحسين، وعلى بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، والفضل، وعبد الله والقثم ابنا العباس، وأبى سفيان بن الحرث، وسائر أصحابه رضى الله عنهم، ومنهم له الأحبه. وكل من القسمين يجب محبته وموالاته، وقبول رواياته، وتعظيم حقه، والترضى عنه، لأنه قد رضى الله عنهم، [ووعدهم بالحسنى].

خرج الحاكم من حديث محمد بن فضيل عن الأعمش، عن أبي سبرة النخعي، عن محمد بن كب [القرظى]، عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه قال: كنا نلقى النفر من قريش وهم يتحدثون فيقطعون حديثهم، فذكرنا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: ما بال أقوام يتحدثون فإذا رأوا الرجل من أهلى قطعوا حديثهم، والله لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبهم لله ولقرابتى (١).

---

(١) (المرجع السابق): ٤/ ٨٥، كتاب معرفة الصحابة، ذكر فضائل القبائل قريش، حديث رقم (٦٩٦٠/ ٢٥٥٨)، وقال الحاكم: هذا حديث يعرف من حديث يزيد بن أبى زياد، عن عبد الله بن الحارث، عن العباس، فإذا حصل هذا الشاهد من حديث أبى فضيل عن الأعمش، حكمنا له بالصحة. وقد سكت عنه الذهبى فى (التلخيص).

وخرجه من حديث محمد بن إسحق الصنعانى، حدثنا يعلى بن عبيد عن إسماعيل بن أبى خالد، عن يزيد بن أبى زياد، عن عبد الله بن الحارث، عن العباس قال: قلت لرسول الله: إذا لقى قريش بعضها بعضاً لقوا بالبشارة، وإذا لقيناهم لقونا بوجوه لا نعرفها، قال: فغضبت غضباً شديداً، ثم قال: والذى بعثنى [بالحق] لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله(١).

* * *

(١) (المرجع السابق): حديث رقم (٦٩٦١/٢٥٥٩)، وقد سكت عنه الذهبى فى (التلخيص).

فصل [فى العقب والعاقب]

قال ابن سيده: والعَقِبُ والعَقْبُ والعاقبة: ولد الرجل وولد ولده الباقون بعده، وقول العرب: لا عقب له، أى لم يبق له ولد ذكر. وقوله تعالى: ﴿وجعلها كلمة باقية فى عقبه﴾ [(١)]، أراد عقب إبراهيم عليه السلام، يعنى لا يزال من ولده من يوحد الله تعالى، والجمع: أعقاب، وأعقب الرجل إذا ترك عقباً، يقال: كان له ثلاثة أولاد فأعقب منهم رجلان؛ أى تركا عقباً ودَرَج واحدٌ. قال: وعقب مكان أبيه يعقب عقباً وعقب إذا خلّف، وكذلك عقبه يعقبه عقباً، الأول لازم والثانى متعدّ، وكل ما خلف شيئاً فقد عقبه، وعقبه وعقّبوا من خلفنا وعقبونا: أتوا[(٢)].

---

(١) الزخرف: ٢٨.

(٢) قال فى (البصائر): عاقبة كلّ شىء: آخره، وقولهم: ليس لفلان عاقبة، اى ولد. والعاقبة أيضاً: مصدر عَقَب فلان مكان ابيه عاقبة، اى خَلَفَه، وهم اسم جاء بمعنى المصدر، كقوله تعالى: ﴿ ليس لوقعتها كاذبة ﴾ [الواقعة: ٢].

وعَقِبُ الرجل وعَقْبه: ولده وولد ولده، وقوله تعالى: ﴿ وجعلها كلمة باقية فى عقبه ﴾ [الزخرف: ٢٨] أى جعل كلمة التوحيد باقية فى ولده.

والعُقْب والعُقُب - بضمة وبضمتين -: العاقبة، قال الله تعالى: ﴿ خير ثواباً وخير عُقُباً ﴾ [الكهف: ٤٤] وتقول أيضا: جئت فى عقب شهر رمضان، وفى عقبانه: إذا جئت بعد ما يمضى كله.

ويعقوب اسم النبى، لا ينصرف للعجمة والتعريف، واسمه: إسرائيل، وقيل له يعقوب، لأنه ولد مع عِيصُو فى بطن واحد، وُلد عيصو قبله، ويعقوب متعلق بعقبه، خرجا معاً، فعيصو ابو الروم. قاله الليث.

والعقبى: جزاء الأمر، وقوله تعالى: ﴿ ولا يخاف عقباها ﴾ [الشمس: ١٥]، اى لا يخاف ان يعقِّب على عقوبته من يدفعها، اى يغيرّها. وقيل: لم يَخَف القاتل عاقبتها، والقاتل هو عاقرها ﴿أشقاها﴾ قُدار بن سالف. واعقبه بطاعته اى جازاه.

وقوله تعالى: ﴿ فأعقبهم نفاقا ﴾ اى أضلهم بسوء فعلهم عقوبة لهم.

والمعقبات فى قوله تعالى: ﴿له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله﴾ =

وقال أبو عمر بن عبد البر: وليس ولد البنات من العقب ولا من الولد، إذ ليسوا من العصبات. قال ابن سيده: والعَصَبَة الذين يرثون الرجل عن كلاله(١). من غير والد ولا ولد، فأما فى الفرائض فكل من لم تكن له فريضة مسماة فهو عصبة، إن يبقى شىء بعد الفرض أخذ.

= [الرعد:١١]: ملائكة الليل والنهار لأنهم يتعاقبون، وإنما أُنِّث لكثرة ذلك منهم، نحو نسَّابة. وعلاَّمة. وقيل: ملك مُعَقِّب، وملائكة مُعقِّبة، ثم معقبات جمع الجمع.

وقوله تعالى: ﴿ وَلّى مدبراً ولم يُعَقِّب ﴾ [النمل:١٠]، أى لم يعطف، وقيل: لم يرجع، وقيل: لم يمكث ولم ينتظر، وحقيقته لم يُعَقِّب إقباله إدباراً والتفاتاً.

وعاقبتُ الرجل فى الراحلة: إذا ركبتَ أنتَ مرة وهو مرة.

وقوله تعالى: ﴿ وإن فاتكم شىء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم ﴾ [الممتحنه:١] أى أصبتموهم فى القتال حتى غنمتكم.

وقوله تعالى: ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ﴾ [النحل:١٢٦] سمَّى الأول عقوبة، وما العقوبة إلا الثانية لازدواج الكلام فى الفعل بمعنى واحد، ومثله قوله تعالى: ﴿ ذلك ومن عاقب بمثلما عوقب به ﴾ [الحج:٦٠]، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ [الشورى:٤٠]، والمجازاة عليها حسنة، إلا أنها سميت سيئة لأنها وقعت إساءة بالمفعول به، لأنه فعِل ما يسوءه، والعقوبة، والمعاقبة، والعقاب، يُخَص بالعذاب، قال تعالى: ﴿ فحق عقاب ﴾ [ص:١٤]. والعَقِب، مؤخر الرجل. ورجع على عقبه: انثنى راجعاً. قال تعالى: ﴿ فكنتم على أعقابكم تنكصون ﴾ [المؤمنون:٦٦] (بصائر ذوى التمييز): ٤ / ٨١-٨٢ بصيرة رقم (٣٢).

(١) قال فى (المرجع السابق): والكلالة: الرجل لا والد له ولاولد وقيل: ما لم يكن من النسب لحاً [أى لاصق بالنسب] بنسبك، كابن العم وشبهه. وقيل: هى الإخوة لأم، وقيل: هى من العصبة مَن ورث معه الإخوة لأمٍّ. وقيل: هم بنو العم الأباعد.

وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما: هى اسم لما عدا الوالد، وروى أن النبى ﷺ سُئل عن الكلالة فقال: «من مات وليس له ولد ولا والد» فجعله اسم الميت، وهو صحيح أيضاً، فإن الكلالة مصدر يجمع الوارث والموروث جميعاً، وقيل: اسم لكلّ وارث. (بصائر ذوى التمييز): ٤ / ٣٧٣-٣٧٤ بصيرة رقم (٢٣).

فصل فى ذكر أزواج رسول الله ﷺ

اعلم أن رســول الله ﷺ خطب ثلاثين امــرأة، منهن واحــدة وهبت نفسها، وإحدى عشرة امرأة دخل بهن، وسبع عقد عليهن ولم يدخل بهن، ومات من نسائه فى حياته اثنتان، وتوفى عن تسع، ولم يتزوج بكراً غير واحدة.

[أم المؤمنين خديجة بنت خويلد](*)

(*) هى خديجة أم المؤمنين، وسيدة نساء العالمين فى زمانها، أم القاسم ابنة خويلد بن أسد بن عبد العزى ابن قصى بن كلاب، القرشية الأسدية، أم أولاد رسول الله ﷺ، وأول من آمن به وصدقه قبل كل أحد، وثبتت جاشه، ومضت به إلى ابن عمها ورقة ابن نوفل، كما جاء فى حديث عائشة فى البخارى: بدء الوحى، وفيه أن خديجة، قالت له ﷺ: كلا والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق. وفيه أنها انطلقت إلى ابن عمها ورقة ابن نوفل وقالت له: اسمع من ابن أخيك، وأخبره رسول الله ﷺ بما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذى نزّل الله على موسى، ياليتنى فيها جذع، ليتنى أكون حيّاً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: أو مُخرجىَّ هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى، وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزراً.

ومناقبها جمّة، وهى ممن كَمُل من النساء، كانت عاقلةً، جَليلةً، ديِّنةً، مصونةً، كريمةً، من أهل الجنة، وكان النبى ﷺ يثنى عليها، ويفضلها على سائر أمهات المؤمنين، ويبالغ فى تعظيمها، بحيث إن عائشة كانت تقول: ما غِرتُ من امرأة ما غِرتُ من خديجة، من كثرة ذكر النبى ﷺ لها.

ومن كرامتها عليه ﷺ أنه لم يتزوج امرأة قبلها، وجاءه منها عدة أولاد، ولم يتزوج عليها قط، ولا تسرّى إلى أن قضت نحبها، فوجد لفقدها، فإنها كانت نعم القرين، وكانت تنفق عليه من مالها، ويتجر هو ﷺ لها، وقد أمره الله أن يبشرها ببيت فى الجنة من قصب، لا صَخَبَ فيه ولا نصب. والقصب فى هذا الحديث: لؤلؤ مجوف واسع كالقصر المنيف، وقد جاء تفسيره فى (كبير الطبرانى) من حديث أبى هريرة ولفظه: « بيت من لؤلؤة مجوفة »، والصَّخَب: « اختلاط الأصوات »، =

= والنصب: التعب.

قال الزبير بن بكار: كانت خديجة تدعى في الجاهلية الطاهرة، وأمها هي فاطمة بنت زائدة العامرية. كانت خديجة أولاً تحت أبي هالة زرارة التميمي، ثم خلف عليها بعده عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ثم بعده النبي ﷺ، فبنى بها وله خمس وعشرون سنة، وكانت أسنَّ منه بخمس عشرة سنة.

وقال مروان بن معاوية، عن وائل بن داود، عن عبد الله البهي قال: قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة لم يكد يسأم من ثناء عليها، واستغفار لها، فذكرها يوماً فحملتني الغيرة فقلت: لقد عوضك الله من كبيرة السن! قال: فرأيته غضب غضباً. أَسْقَطتُ في خلدي، وقلت في نفسي: اللهم إن أذهبتَ غضب رسولك عني لم أعد أذكرها بسوء، فلما رأى النبي ﷺ ما لقيتُ، قال: والله لقد آمنت بي إذ كذبني الناس، وآوتني إذ رفضني الناس، ورزقت منها الولد وحرمتموه مني قالت: فغدا وراح عليّ بها شهراً. [الخلد، بالتحريك: البال والقلب والنفس].

هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة، مما كنت أسمع من ذكر رسول الله ﷺ لها، وما تزوجني إلا بعد موتها بثلاث سنين.

محمد بن فضيل عن عمارة، عن أبي زُرعة، سمع أبا هريرة يقول: أتى جبريل النبي ﷺ فقال: هذه خديجة أتتك معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب. متفق على صحته.

عبد الله بن جعفر: سمعت عليا: سمعت رسول الله ﷺ يقول: خير نسائها خديجة بنت خويلد، وخير نسائها مريم بنت عمران.

أخرجه البخاري في فضائل أصحاب النبي: باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها، ومسلم في فضائل الصحابة باب فضائل خديجة أم المؤمنين، والترمذي في المناقب.

وقوله ﷺ: «خير نسائها»، قال القرطبي: الضمير عائد على غير مذكور، لكنه يفسره الحال والمشاهدة، يعني به الدنيا، والمعنى أن كل واحدة منهما خير نساء الأرض في عصرها.

قال ابن إسحاق: تتابعت على رسول الله ﷺ المصائب بهلاك أبي طالب وخديجة، وكانت خديجة وزيرة صدق، وهي أقرب إلى قُصيّ من النبي ﷺ برجل، وكانت متموّلة فعرضت على النبي ﷺ أن يخرج في مالها إلى الشام، فخرج مع مولاها ميسرة، فلما قدم باعت خديجة ما جاء به، فأضعف، فرغبت فيه، فعرضت نفسها عليه، فتزوجها، وأصدقها عشرين بكْرةً. =

= قال الشيخ عزّ الدين بن الأثير: خديجة أول خلق الله أسلم بإجماع المسلمين. وقال الزهرى، وقتادة، وموسى بن عقبة، وابن إسحاق. والواقدى، وسعيد بن يحيى: أول من آمن بالله ورسوله خديجة، وأبو بكر، وعليّ، رضى الله تعالى عنهم.

قال ابن إسحاق: حدثنى إسماعيل بن أبى حكيم- أنه بلغه عن خديجة أنها قالت: يا ابن عم، أتستطيع أن تخبرنى بصاحبك إذا جاءك؟ فلما جاءهُ قال: يا خديجة، هذا جبريل، فقالت: اقعد على فخذى ففعل، فقالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت: فتحول إلى الفخذ اليسرى، ففعل، قالت: هل تراه؟ قال: نعم، فألقت خمارها، وحسرت عن صدرها، فقالت: هل تراه؟ قال: لا، قالت: أبشر، فإنه والله ملك وليس بشيطان. [رجاله ثقات، لكنه منقطع].

حماد بن سلمة، عن حُميد، عن عبد الله بن عبيد بن عمير، قال: وَجَد رسول الله ﷺ على خديجة حتى خُشى عليه، حتى تزوج عائشة [رجاله ثقات لكنه مرسل].

معْمر عن قتادة، وأبو جعفر الرازى، عن ثابت، واللفظ لقتادة، عن أنس مرفوعاً: حسبك من نساء العالمين أربع. [إسناده صحيح وأخرجه الترمذى فى المناقب، والحاكم، وأحمد].

الدراوردى، عن إبراهيم بن عقبة، عن كُريب، عن ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: سيدة نساء أهل الجنة بعد مريم، فاطمة، وخديجة، وامرأة فرعون آسية. [رجاله ثقات].

وروى عروة، عن عائشة قالت: توفيت خديجة قبل أن تفرض الصلاة، وقال الواقدى: توفيت فى رمضان، ودفنت بالحجون. وقال قتادة: ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين، وكذا قال عروة.

* لها ترجمة فى: (طبقات ابن سعد): ٨/ ٥٢، ١/ ١٣١-١٣٣، (المستدرك): ٣/ ٢٠٠-٢٠٦، كتاب معرفة الصحابة، باب ومنهم خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى رضى الله تعالى عنها، الأحاديث من رقم (٤٨٣٤/ ٤٣٢) إلى رقم (٤٨٥٦/ ٤٥٤)، (الاستيعاب): ٤/ ١٨١٧-١٨٢٥، ترجمة رقم (٢٣١١)، (المعارف): ٥٩، ٧٠، ١٣٢، ١٤٤، ١٥٠، ٢١٩، ٣١١، (جامع الأصول): ٩/ ١٢٠- ١٢٥، القسم الثانى من الفرع الثانى من الباب الرابع فى فضائل النساء الصحابيات رضى الله تعالى عنهن، الأحاديث من رقم (٦٦٦٦) إلى رقم (٦٦٧٠)، (الإصابة): / ٦٠٠-٦٠٥ ترجمة رقم (١١٠٨٦)، (كنز العمال): ١٣/ ٦٩٠-٦٩٣ باب فضائل أزواج النبى ﷺ مفصلة، أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها، الأحاديث أرقام من (٣٧٧٦٢) إلى (٣٧٧٧٠)، (شذرات الذهب): ١/ ١٤.

فأول نسائه خديجة سُعيد بن بَهْم، وأمها: عاتكة ابنة عبد العزى بن قصى، وأمها: الحُظَيًّا بنت كعب بن سعد بن تيم بن مرة [بن كعب بن لؤى بن غالب](١)، وأمها نائلة ابنة حذافة بن جمح.

وكانت خديجة عند عتيق بن عائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، فولدت له جارية يقال لها: أم محمد هند، تزوجها ابن عمة لها يقال له صيفى بن أبى أمية بن عائذ بن عبد الله، وهلك عتيق عن خديجة، فتزوجها أبو هالة هند بن النباش بن زرارة [بن وقدان بن حبيب بن سلامة ابن غُوَىّ بن جُرْوَةَ](٢) بن أسيد بن عمرو بن تميم بن مُرّ. وطابخة بن إلياس [أمه](٢) خِنْدف [وهى ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة](٢).

وقيل: أبو هالة مالك بن إلياس بن زرارة بن وقدان بن حبيب بن سلامة بن عُدى -بضم العين وقيل بفتحها- ابن أُسد -بضم الهمزة- ابن عمرو بن تميم بن مُرّ بن أسيد، فهو أسيدى بالتخفيف، فإذا نُسب إليه قيل: اسيّدىّ بالتشديد على ما قاله سيبويه.

وذكر الحافظ أبو محمد بن حزم(٣) أن خديجة كانت عند عُتيق فولدت له عبد الله، ثم خلف عليها أبو هالة فولدت له ذكرين هما هند والحرث،

---

(١) زيادة للنسب من (جمهرة النسب).

(٢) ما بين الحاصرتين سياقة مضطرب، وصوبناه من (المرجع السابق).

(٣) قال الكلبى: كان زوج خديجة بنت خويلد قبل النبى ﷺ، فولدت له هند بن هند، وابن ابنه هند ابن هند بن هند، شهد هند بن أبى هالة بدراً، وقالوا: بل أحداً، وقُتل هند بن هند بن أبى هالة مع ابن الزبير، وانقرضوا ولا عقب لهم. (جمهرة النسب) لابن الكلبى): ٢٦٩، وقال فى هامشه: هند بن أبى هالة صحابىّ شهد بدراً وقيل: أحد، قتل مع على فى واقعة الجمل.

وهند بن هند بن أبى هالة قُتل مع مصعب بن الزبير يوم المختار بن أبى عبيد فى الكوفة، واختلف فى اسم أبى هالة، فقيل: النباش بن زرارة بن وقدان بن حبيب بن سلامة بن عدى بن جردة بن أسيد،

وابنة اسمها زينب، وأن هنداً شهد أحداً، والحرث قتله أحد الكفار عند الركن اليماني. قال العسكري: هو أول قتيل قتل في الإسلام، ثم تزوجها رسول الله ﷺ على ثنتي عشرة أوقية، وهي أول امرأة تزوجها(١).

وروى أنه أصدقها عشرين بكرة، زوجه إياها عمرو بن أسد بن عبد العزى، وعمرها أربعون، وقيل ست وأربعون، وقيل ثمان وأربعون، وقيل خمسون، [وقيل] أربعون، وقيل ثلاثون، وقيل ثمان وعشرون سنة، فأقامت معه ﷺ أربعًا وعشرين سنة، منها قبل الوحي خمس عشرة سنة، وكان عمره ﷺ إذ تزوجها إحدى وعشرين، وقيل: كان ابن خمس وعشرين سنة وشهران وعشرة أيام، وهو الأكثر، وقيل ابن ثلاثين.

فولدت له أربع بنات [هن:] زينب، وفاطمة، ورقية، وأم كلثوم، وولدت له القاسم وعبد الله، ولم يتزوج عليها حتى ماتت، وهي أول من آمن بالله ورسوله على الصحيح، وقيل أبو بكر رضي الله عنه، وكانت وزير صدق له، آزرته على أمره، وثبتته وخففت عنه وهوّنت عليه ما كان يلقى من قومه، وتوفيت قبل الهجرة بخمس سنين، وقيل بأربع سنين، وقيل بثلاث سنين، وهو الأصح، ويقال: توفيت لعشر خلون من رمضان، وهي ابنة خمس وستون سنة، فدفنها رسول الله ﷺ بالحجون [ونزل في قبرها ولم يتزوج](٢) في حياتها بسواها لجلالتها وعظم محلها عنده.

وقد اختلف أيهما أفضل، هي أو عائشة؟ فرجح فضل خديجة جماعة من العلماء، وماتت ولرسول الله ﷺ تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر، وتركت من الأولاد هند بن أبي هالة، وبنات رسول الله ﷺ الأربع،

---

(١) (جمهرة أنساب العرب لابن حزم): ١٦، ١٢٠، ١٤٢، ١٧١، ٢١٠.

(٢) زيادة للسياق من كتب السيرة.

وفضائلها كثيرة رضى الله عنها.

قال الواقدى: حدثنى موسى بن شيبة، عن عميرة بنت عبد الله بن كعب عن أم سعد بن الربيع، عن نفيسة بنت منية، قالت: لما رجع رسول الله ﷺ من الشام دخل مكة، وخديجة رضى الله عنها فى عليه لها فرأت ملكين يظلانه، وكانت جلدة حازمة، وهى أوسط قريشٍ نسبًا وأوسطهم مالاً، وكل قومها حريص على نكاحها لو قدروا على ذلك، قد طلبوا وبذلوا لها الأموال، فأرسلتنى دسيسًا إلى محمد ﷺ بعد أن رجع من الشام، فقلت: يا محمد ، ما منعك أن تتزوج؟ قال: ما بيدى ما أتزوج به، قلت: فإن كنت كذلك ودعيت إلى الجمال، والمال، والشرف، والكفاءة، ألا تجيب؟ قال: فمن هى؟ قلت: خديجة، قال: وكيف لى بذلك؟ قلت علىّ فأنا أفعل، فذهبتْ فأخبرتها، فأرسلتْ إليه أن ائت الساعة كذا وكذا، وأرسلت إلى عمها عمرو بن أسد ليزوجها، ودخل رسول الله ﷺ فى عمومته، فتزوجها وهو ابن خمس وعشرين سنة، وخديجة يومئذ بنت أربعين سنة.

وذكر أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا أن أبا طالب خطب يومئذ، فقال: الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل، وضيضئ مَعَدّ، وعنصر مضر، وجعلنا حَضَنَةَ بيته، وسُوَّاس حزبه، وجعل لنا بيتًا محجوجًا وحرمًا آمنًا، وجعلنا الحكام على الناس، ثم إن ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل إلى رجح به، فإن كان فى الكمال قل، فإن المال ظل زائل، وأمر حائل، ومحمد من قد عرفتم قرابته، وقد خطب خديجة بنت خويلد، وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالى، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم، وخطر جليل.

وقال المطرز: ألقى أبو طالب على وليّ خديجة حُلّة فقبلها، وكان قبول الحلّة تمام التزويج، قال أبو طالب: فجاءنا البشار من زوايا الدار وأعلى الجدر، ولا أدرى ديارا ولا ناثراً.

وكانت التى غسّلت خديجة أم أيمن وأم الفضل زوجة العباس، وذلك قبل أن تفرض الصلاة، ولم تكن يومئذ سُنّة الجنازة والصلاة عليها، ودفنت بالحجون بمكة، ونزل رسول الله ﷺ حفرتها، واشترى معاوية منزل خديجة فجعله مسجداً.

* * *

[أم المؤمنين سودة بنت زمعة](*)

وسودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نضر بن مالك

(*) هى سودة أم المؤمنين -بنت زمعة بن قيس القرشية العامرية، وهى أول من تزوج بها النبى ﷺ بعد خديجة، وانفردت به ﷺ نحواً من ثلاث سنين أو أكثر، حتى دخل بعائشة رضى الله عنها. وكانت سيدة جليلة، نبيلة، ضخمة، وكانت اولا عند السكران بن عمرو، أخى سهيل بن عمرو العامرى.

وهى التى وهبت يومها لعائشة رضى الله عنها، رعاية لقلب رسول الله ﷺ، وكانت قد فركت [قلَّ ميلها للرجال]، وقد اخرج البخارى فى النكاح، باب: المرأة تهب يومها من زوجها لضرتها، من حديث عائشة رضى الله عنها أن سودة بنت زمعة وهبت يومها لعائشة، وكان النبى ﷺ يقسم لعائشة بيومها ويوم سودة، وأخرجه أيضا فى الهبة، وزاد فى آخره: تبتغى بذلك رضى رسول الله ﷺ.

وأخرجه مسلم عن عائشة رضى الله عنها وفيه... فلما كبرت جعلت يومها من رسول الله ﷺ لعائشة، قالت: يا رسول الله قد جعلتُ يومى منك لعائشة.

وأخرجه ابو داود من طريق احمد بن يونس، حدثنا عبد الرحمن بن ابى الزناد - عن هشام بن عر وة عن أبيه، قال: قالت عائشة: يا ابن أختى كان رسول الله ﷺ لا يفضل بعضنا على بعض فى القسم من مكثه عندنا، وكان قلَّ يومٌ إلا وهو يطوف علينا جميعًا، فيدنو من كل امراة من غير مسيس، حتى يبلغ إلى التى هو يومها، فيبيت عندها، ولقد قالتْ سودة بنت زمعة حين أسنّتْ، وفرقت ان يفارقها رسول الله ﷺ: يا رسول الله، يومى لعائشة، فقبل ذلك رسول الله ﷺ منها، قالت: تقول فى ذلك أنزل الله تعالى، وفى اشباهها، آراه قال: ﴿ **وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضًا** ﴾ [النساء: ١٢٨].

لها احاديث، وخرَّج لها البخارى، حدَّث عنها: ابن عباس، ويحى بن عبد الله الأنصارى. توفيت فى آخر خلافة عمر رضى الله عنه بالمدينة فى شوال سنة أربع وخمسين. وقال الواقدى: وهذا الثبت عندنا.

وروى عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبى هلال: أن سودة رضى الله عنها توفيت زمن عمر رضى الله عنه.

قال ابن سعد: أسلمت سودة وزوجها، فهاجرا إلى الحبشة. وعن بكير بن الأشجِّ: أن السكران قدم من الحبشة بسودة، فتوفى عنها فخطبها النبى ﷺ. فقالت: امرى إليك. قال: مُرى رجلاً من قومك يزوجك، فأمرت حاطب بن عمرو العامرى، فزوجها، وهو مهاجرىّ بدرىّ. هشام الدستوائى =

. . . .

= حدثنا القاسم بن أبى بَزَّة: أن النبى ﷺ بعث إلى سودة بطلاقها، فجلست على طريقه فقالت: أَنشُدُك بالذى أُنزل عليك كتابه، لم طلقتنى؟ ألمْوَجْدَةٍ؟ قال: لا، قالت: فانشدك الله لما راجعتنى؛ فلا حاجة لى فى الرجال، ولكن أحب أن أبعث فى نسائك فراجعها. قالت: فإنى قد جعلتُ يومى لعائشة. [أخرجه ابن سعد، وسنده صحيح، لكنه مرسل، والصحيح أنه لم يطلقها كما تقدم].

الأعمش، عن إبراهيم، قالت سودة: يا رسول الله، صليتُ خلفك البارحة، فركعت بى، حتى أمسكتُ بأنفى مخافة أن يقطر الدم، فضحك ﷺ. وكانت تضحكه الأحيان بالشئ.

صالح مولى التوأمة، عن أبى هريرة، قال رسول الله ﷺ فى حجة الوداع: هذه ثم ظهور الحُصْر. [ظهور الحصر: منصوب على تقدير: ثم الزمن، والحصْر: جمع حصير، وهو ما يفرش فى البيوت، والمراد أن يلزمن بيوتهن، ولا يخرجن منها. والحديث أخرجه ابن سعد وأحمد، وسنده قوى، وأبو داود فى أول الحج من طريق عبد العزيز بن محمد، عن زيد بن أسلم، عن واقد بن أبى واقد الليثى، عن أبيه أن النبى ﷺ قال لنسائه فى حجته: هذه ثم ظهورَ الحصر. وسنده حسن فى الشواهد].

وقالت عائشة رضى الله عنها: استَأْذَنَتْ سودة ليلة المزدلفة، أن تدفع قبل حَطْمة الناس -وكانت امرأةً ثبطة- أى ثقيلة، فأذن لها. [وتمامه: فدفعتْ قبل حطمة الناس، وأقمنا حتى أصبحنا نحن، ثم دفعنا بدفعه ﷺ، فلأن أكون استأذنت رسول الله ﷺ كما استأذنته سودة، أحب إلى من مفروح به، والحطمة بفتح الحاء وسكون الطاء: الزحمة، أى قبل أن يزدحموا، ويحطم بعضهم بعضا. أخرجه ابن سعد، والبخارى، ومسلم، وأحمد، والنسائى].

حماد بن يزيد عن هشام، عن ابن سيرين: أن عمر بعث إلى سودة بغرارة دراهم، فقالت: ما هذه؟ قالوا: دراهم، قالت: فى الغرارة مثل التمر! يا جارية، بلِّغينى القُنْع ففرَّقتها.

يروى لسودة خمسة أحاديث: منها فى الصحيحين: حديث واحد عند البخارى.

الواقدى: حدثنا موسى بن محمد بن عبد الرحمن، عن ريطة، عن عَمرةَ عن عائشة رضى الله عنها قالت: لما قدم النبى ﷺ المدينة بعث زيداً، وبعث معه أبا رافع مولاه، وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم، فخرجنا جميعًا، وخرج زيد وأبو رافع بفاطمة، وبأم كلثوم، وبسودة بنت زمعة، وبأم أيمن، وأُسامة ابنه.

(*) لها ترجمة فى: (طبقات ابن سعد): ٨/ ٥٢ - ٥٨، (طبقات خليفة). ٣٣٥، (المعارف): ١٣٣، ٢٨٤، ٤٤٢، (الاستيعاب): ٤/ ١٨٦٧ ترجمة رقم (٣٣٩٤)، (جامع الأصول): ٩/ ١٤٥، (تهذيب التهذيب): ١٢/ ٤٤٥ ترجمة رقم (٢٨١٩)، (الإصابة): / ، ترجمة رقم ( )، (خلاصة تذهيب الكمال): ٣/ ٤٨٤، ترجمة رقم (٨٧)، (سير أعلام النبلاء): ٢/ ٢٦٥ - ٢٦٩ ترجمة رقم (٤٠)، (شذرات الذهب): ١/ ٣٤ و٦٠.

ابن حسل بن عدى بن النجار تزوجها السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وُد -هو أخو سهيل بن عمرو- وهاجرت معه إلى الحبشة ومات، فتزوجها رسول الله ﷺ بعد موت خديجة رضى الله عنها، ولى تزويجها أباه أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس -ويقال أبوها- وهو يومئذ شيخ، وأصدقها أربعمائة درهم، وتزوج بعائشة رضى الله عنها، وقيل: تزوج بعائشة قبلها، وكان تزويجه بسودة [وبناؤه] بها فى شهر رمضان سنة عشر من النبوة.

وكانت سودة قد رأت فى النوم كأن رسول الله ﷺ وطئ على عنقها، فأخبرت السكران بذلك، فقال: لئن صدقت رؤياك لأموتن وليتزوجك رسول الله ﷺ، فقالت: حجراً وستراً! ثم رأت ليلة أخرى كأن قمراً انقضّ عليها من السماء، فتزوجها رسول الله ﷺ، وذلك أن خولة بنت حكيم بن الأوقص السلمية -امرأة عثمان بن مظعون- قالت: يا رسول الله! إنى آراك قد دخلتك خلة لفقد خديجة فقال: أجل، أمّ العيال وربة البيت، قال: ألا أخطب عليك؟ قال: بلى، إنكن معشر النساء أرفق بذلك، فخطبت عليه سودة بنت زمعة، وخطبت عليه عائشة بنت أبى بكر - وعائشة يومئذ ابنة ست سنين حتى بنى بها حين قدم المدينة-.

وكانت امرأة ثقيلة ثبطة، وكان فى أذنها ثقل، وأسنّت عند رسول الله ﷺ فهمّ بطلاقها، ويقال طلقها فى سنة ثمان من الهجرة تطليقة، فجمعت ثيابها وجلست له على الطريق التى كان يسلكها إذا خرج إلى الصلاة، فلما دنا منها بكت وقالت: يا رسول الله! أهل أعتددت علىّ فى الإسلام بشئ؟ فقال: اللهم لا، فقالت: أسألك بالله لما راجعتنى، فراجعها، وجعلت يومها لعائشة رضى الله عنها، وقالت: والله ما غايتى إلا أن أرى وجهك وأُحشر مع أزواجك، وإنى لا أريد ما تريد النساء.

فأمسكها حتى توفى عنها مع سائر من توفى عنهن من أزواجه، وفيها نزلت: ﴿ **وإن امرأة خافت من بعلها نشوزًا أو إعراضًا فلا جناح عليهما أن [يصلحا] بينهما صلحًا**[1] ﴾، وتوفيت سنة ثلاث وعشرين، وصلى عليها عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وقيل: إنها توفيت فى خلافه عثمان رضى الله عنه، ولها نحو من ثمانين سنة، وكانت قد لزمت بيتها فلم تحج حتى توفيت، وهى أول امرأة وطئها رسول الله ﷺ بالمدينة.

* * *

---

(١) النساء: ١٢٨.

[أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر](*)

وعائشة بنت أبى بكر عبد الله بن أبى قحافة عثمان بن عامر بن عمرو

(*) هى عائشة أم المؤمنين، بنت الإمام الصدِّيق الأكبر، خليفة رسول الله ﷺ، أبى بكر، عبد الله بن أبى قحافة، عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى، القرشية التيمية، المكية، النبوية، زوجة النبى ﷺ، أفقه نساء الأمة على الإطلاق، وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر ابن عبد شمس، بن عتاب بن أذينة الكنانية.

هاجر بعاشة أبواها، ،وتزوجها نبى الله ﷺ قبل مهاجره، بعد وفاة الصدِّيقة خديجة بنت خويلد رضى الله عنها، وذلك قبل الهجرة ببضعه عشر شهراً، وقيل بعامين، ودخل بها فى شوال سنة اثنين، منصرفة ﷺ من غزوة بدر، وهى ابنة تسع.

روت عنه ﷺ علماً كثيراً طيباً مباركاً فيه، وعن أبيها، وعن عمر وفاطمة، وسعد، وحمزة بن عمر الأسلمى، وجدامة بنت وهب، رضى الله تعالي عن الجميع. وروى عنها خلق كثير.

بلغ مسند عائشة (٢٢١٠) الفين ومئتين وعشرة أحاديث، اتفق لها البخارى ومسلم على مئة وأربع وسبعين حديثاً، وانفرد البخارى بأربعة وخمسين، وانفرد مسلم بتسعة وستين.

وعائشة رضى الله عنها ممن وُلد فى الإسلام، وهى أصغر من فاطمة بثمانى سنين، وكانت تقول: لم أعقل أبوىَّ إلا وهما يدينان بالدين. وذكرت أنها لحقت بمكة سائس الفيل شيخاً أعمى يستعطى.

وكانت امرأة بيضاء جميلة، ومن ثمَّ يقال لها: الحميراء، ولم يتزوج النبى ﷺ بكراً غيرها، ولا أحبَّ امرأةً حُبَّها، ولا أعلم فى أمة محمد ﷺ، بل ولا فى النساء مطلقاً امرأةَ أعلم منها. وذهب بعض العلماء إلى أنها أفضل من أبيها، وهذا مردود، وقد جعل الله لكل شىء قدراً، بل تشهد أنها زوجة نبينا ﷺ فى الدنيا والآخرة، فهو فوق ذلك مفخر، وإن كان للصديقة خديجة شأوٌ لا يُلحق. قال الحافظ الذهبى: وأنا واقف فى أيتهما أفضل، نعم جزم بأفضلية خديجة عليها لأمور ليس هذا موضعها.

هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: أريتُك فى المنام ثلاث ليال؛ جاء بك الملك فى سَرَقة من حرير فيقول: هذه امرأتُكَ، فاكشف عن وجهك فإذا أنت فيه، فأقول: إن يك هذا من عند الله يُمضه. [والسَّرَقَة بفتح السين والراء والقاف: هى القطعة]. أخرجه أحمد، والبخارى فى مناقب الأنصار، باب تزويج النبى ﷺ عائشة رضى الله عنها، وفى النكاح، باب النظر إلى المرأة قبل التزويج، وفى التعبير، باب كشف المرأة فى المنام، وباب ثياب الحرير فى المنام، ومسلم فى فضائل الصحابة، باب فضل عائشة من طرق عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة.

وأخرج الترمذى من حديث عبد الله بن عمرو بن علقمة المكى، عن ابن أبى حُسين، عن ابن =

. . . .

= مُليكة، عن عائشة: ان جبريل جاء بصورتها فى خرقة حرير خضراء إلى النبى ﷺ فقال: هذه زوجتك فى الدنيا والآخرة. حسَّنه الترمذى وقال: لا نعرفه إلا من حديث عبد الله، ورواه عبد الرحمن بن مهدى عنه مرسلاً. [أخرجة الترمذى فى المناقب: باب فضل عائشة رضي الله عنها، ورجاله ثقات. وابن أبي حسين: هو عمر بن سعيد بن حسين النوفلى].

بشر بن الوليد القاضي: حدثنا عمر بن عبد الرحمن، عن سليمان الشيبانى عن على بن زيد بن جدعان، عن جدته، عن عائشة أنها قالت: لقد أُعطيتُ تسعًا ما أعطيتها امرأة بعد مريم بنت عمران: لقد نزل جبريل بصورتى فى راحته حتى أمر رسول الله ﷺ ان يتزوجنى، ولقد تزوجنى بكراً، وما تزوج بكرًا، ولقد قُبض وراسه ﷺ فى حجرى، ولقد قبرته فى بيتى، ولقد حَفَّت الملائكة بيتى، وإن كان الوحى لينزل عليه وإنى لمعه فى لحافه، وإنى لابنة خليفته وصديقه، ولقد نزل عذرى من السماء، ولقد خُلقتُ طيبة عند طيب، ولقد وعدتُ مغفرة وزرقاً كريماً. [رواه ابو بكر الآجُرى عن احمد بن يحيى الحلوانى، عنه، وإسناده جيد، إلا ان على بن زيد بن جدعان ضعيف].

وكان تزويجه بها إثر وفاة خديجة، فتزوج بها وبسودة فى وقت واحد، ثم دخل بسودة، فتفرد بها ثلاثة اعوام حتى بنى بعائشة رضى الله عنها فى شوال بعد وقعة بدر، فما تزوج بكراً سواها، واحبها حباً شديداً كان يتظاهر به، بحيث إن عمرو بن العاص- وهو ممن أسلم سنة ثمان من الهجرة - سأل النبى ﷺ: اى الناس احب إليك يا رسول الله؟ قال: عائشة، قال فمن الرجال؟ قال أبوها. [أخرجه البخارى فى فضائل أصحاب النبى، باب قول النبى ﷺ: لو كنتُ متخذاً خليلاً، وفى المغازى، باب غزوة السلاسل، وسلم فى فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر رضى الله عنه.

وهذا خبر ثابت على رغم أنوف الروافض، وما كانَ إلا طيباً، وقد قال: لو كنت متخذاً خليلاً من هذه الأمة لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن اخوّة الإسلام افضل. فأحب ﷺ أفْضَلَ رجل من أمته، وافضل امرأة من أمته، فمن أبغض حبيبى رسول الله ﷺ فهوى حريّ ان يكون بغيضاً إلى الله ورسوله. وحبه عليه السلام لعائشة كان أمراً مستفيضاً، الا تراهم كيف كانوا يتحرون بهداياهم يومها تقرباً إلى مرضاته؟

قال حماد بن زيد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، قالت: فاجتمعن صواحبى إلى أم سلمة، فقلن لها: إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، وإنا نريد الخير كما تريده عائشة، فقولى لرسول الله ﷺ يامر الناس ان يُهدوا له اينما كان. فذكرت أم سلمة له ذلك، فسكت، فلم يردّ عليها فعات الثانية، فلم يردّ عليها، فلما كانت الثالثة قال: يا أم سلمة، لا تؤذينى فى عائشة، فإنه والله ما نزل عليّ الوحى وأنا فى لحاف امرأة غيرها.. [متفق على صحته، فقد أخرجه البخارى فى فضائل الصحابة، باب فضل عائشة، وفى الهبة، باب من أهدى إلى أصحابه، وتحرى بعض نسائه دون بعض، من طريق حماد بن زيد، عن هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة، وأخرجه مسلم مختصراً فى فضائل الصحابة، من طريق عبدة، عن هشام، عن =

. . . .

= أبيه عن عائشة، وأخرجه مطولاً من طريق يعقوب بن إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن صالح، عن ابن شهاب، عن محمد بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، عن عائشة، وفيه أن التى أرسلتها فاطمة، وليست أم سلمة].

وهذا الجواب منه ﷺ دالٌ على أن فضل عائشة على سائر أمهات المؤمنين بأمر إلهى وراء حبه لها، وأن ذلك الأمر من أسباب حبه لها ﷺ.

إسماعيل بن جعفر: أخبرنا عبد الله بن عبد الرحمن، سمع أنَسًا يقول: قال رسول الله ﷺ: فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام. [متفق عليه من طرق عن أبى طواله، فقد أخرجه البخارى فى فضائل أصحاب النبى ﷺ، باب فضل عائشة رضى الله عنها، وفى الأطعمة، باب الثريد، وباب ذكر الطعام، ومسلم فى فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رضى الله عنها، وأبو طوالة: هو عبد الله بن عبد الرحمن الأنصارى، راويه عن أنس رضى الله عنه.

شعبة، عن عمرو بن مُرَّة، عن مُرَّة، عن أبى مرسى، عن النبى ﷺ قال: كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريمُ بنتُ عمران، وآسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام. [أخرجه البخارى ومسلم فى فضائل الصحابة، باب فضل خديجة رضى الله عنها].

شعيب، عن الزهرى: حدثنى أبو سلمة، أن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: يا عائشُ، هذا جبريل وهو يقرأ عليك السلام، قالت: وعليه السلام ورحمة الله، ترى ما لا نرى يا رسول الله.

زكريا بن أبى زائدة، عن عامر، عن أبى سلمة، أن عائشة رضى الله عنها حدثته أن النبى ﷺ قال لها: إن جبريل يقرئك السلام، قالت: وعليه السلام ورحمة الله. [أخرجهما البخارى فى فضل عائشة، وفى بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، وفى الأدب، باب من دعا صاحبه فنقص من اسمه حرفاً، وفى الاستئذان، باب تسليم الرجال على النساء والنساء عل الرجال، وباب إذا قال: فلان يقرئك السلام، ومسلم فى فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رضى الله عنها، وأبو داود، والترمذى، وأخرج النسائى من طريق معمر، عن الزهرى، عن عروة، عن عائشة نحو الأول، فى عشرة النساء، باب حب الرجل بعض نسائه أكثر من بعض روى هشام، عن أبيه، عن عائشة رضى الله عنها قالت: تزوجنى رسول الله ﷺ مُتَوفَّى خديجة، وأنا بنت ستٍّ، وأُدخلتُ عليه وأنا ابنة تسع، جاءنى نسوه وأنا ألعب على أرجوحة وأنا مُجَمَّمَة، فهيأننى، وصنعنى، ثم أتين بى إليه ﷺ. [أخرجه أبو داود فى الأدب، باب الأرجوحة، وإسناده صحيح. والمجممة: ذات جمة، ويقال للشعر إذا سقط عن المنكبين، جُمَّة، وإذا كان الشعر إلى شحمة الأذنين: وفرة.

قال عروة: فمكثت عنده تسع سنين، وأخرج البخارى من قول عروة: أن خديجة رضى الله عنها توفيت قبل الهجرة بثلاث سنين، فلبث ﷺ سنتين أو قريباً من ذلك، ونكح عائشة وهى بنت ست سنين. [أخرجه البخارى فى مناقب الأنصار، باب تزويج النبى ﷺ عائشة، وقدومها المدينة وبنائه =

= بها، وتمامه: ثم بنى بها وهى بنت تسع سنين. وفى خبر عروة إشكال أجاب عنه الحافظ ابن حجر فى (فتح البارى)].

هشام عن أبيه، عن عائشة، أنها قالت: كنت ألعب بالبنات يعنى اللُّعب- فيجيء صواحبى فينقمعن من رسول الله ﷺ، فيخرج رسول الله ﷺ فيدخلن على، وكان يُسَرِّبهن إلىَّ فيلعبن معى. وفى لفظ: فكن جوار يأتين يلعبن معى بها، فإذا رأين رسول الله ﷺ تقمَّعْنَ، فكان يسربهن إلىَّ. [أخرجه البخارى فى الأدب، باب الانبساط إلى الناس، ومسلم فى فضائل الصحابة، باب فضل عائشة، واستدل بهذا الحديث على جواز اتخاذ صور البنات، واللعب من أجل لعب البنات بهن، وخصَّ ذلك من عموم النهى عن اتخاذ الصور، وبه جزم القاضى عياض، ونقله عنه الجمهور، وأنهم أجازوا بيع اللعب للبنات.

وعن عائشة قالت: دخل علىَّ رسول الله ﷺ وأنا ألعب بالبنات [أى اللعب]، فقال: ما هذا يا عائشة؟ قلتُ: خيل سليمان ولها أجنحة، فضحك. [أخرجه بهذا اللفظ ابن سعد فى (الطبقات) من طريق الواقدى، وأخرجه أبو داود فى (السنن) فى الأدب، باب اللعب بالبنات، بأطول من هذا، والنسائى فى (عشرة النساء)، عن عائشة قالت: قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أو خيبر، وفى سهواتها ستر، فهبت ريح، فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة، فقال ﷺ: ما هذا يا عائشة؟ قالت: بناتى، ورأى بينهن فرساً لها جناحان من رقاع فقال: ما هذا الذى أرى وسطهن؟ قالت: فرس، قال: وما هذا الذى عليه؟ قالت: جناحان. قال: فرس له جناحان! قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة؟ فضحك حتى بدت نواجذه. وإسناده صحيح].

الزهرى، عن عروة، عن عائشة، قالت: لقد رأيت رسول الله ﷺ يقوم على باب حجرتى، والحبشة يلعبون بالحراب فى المسجد، وإنه ليسترنى بردائه لكى أنظر إلى لعبهم، ثم يقف من أجلى حتى أكون أنا التى أنصرف، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السنَّ الحريصة على اللهو.

وفى لفظ معْمر، عن الزهرى: فمازلت أنظر حتى كنت أنا أنصرف، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السنّ، التى تسمع اللهو.

ولفظ الأوزاعى عن الزهرى فى هذا الحديث قالت: قدم وفد الحبشة على رسول الله ﷺ، فقاموا يلعبون فى المسجد، فرأيت رسول الله ﷺ يسترنى بردائه، وأنا أنظر إليهم حتى أكون أنا التى أسأم. [أخرجه البخارى فى المساجد، باب أصحاب الحراب فى المسجد، وفى العيدين، باب الحراب والدرق يوم العيد، وفى النكاح، باب نظر المرأة إلى الحبش ونحوهم من غير ريبة، ومسلم، وأحمد والنسائى فى العيدين، باب اللعب فى المسجد يوم العيد، ونظر النساء لذلك، والحميدى فى (مسنده)، والطحاوى فى (مشكل الآثار)، وأخرج النسائى فى (عشرة النساء) من حديث يونس بن عبد الأعلى، بسنده عن عائشة زوج النبى ﷺ قالت: دخل الحبشُ المسجد يلعبون، قال لى: يا حميراء، أتحبين أن تنظرى إليهم؟ فقلتُ: نعم، فقام بالباب وجئته، فوضعت ذقنى على عاتقه، فأسندت وجهى إلى خده، قالت: ومن قولهم يومئذ: أبا القاسم طيباً، فقال رسول الله ﷺ: حسبك قلت: =

. . . .

= يا رسول الله لا تعجل، فقام لى ثم قال: حسبك، فقلت: لا تعجل يا رسول الله، قالت: ومابى حب النظر إليهم، ولكنى أحببتُ أن يبلغ النساء مقامه لى، ومكانى منه. إسناده صحيح كما قال الحافظ فى (الفتح).

يحيى بن يمان، عن الثورى، عن إسماعيل بن أمية، عن عبد الله بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: تزوجنى رسول الله ﷺ فى شوال، وأعرس بى فى شوال، فأى نسائه كان أحظى عنده منى. [وكانت العرب تستحب لنسائها أن يُدخَلْن على أزواجهن فى شوال، أخرجه مسلم فى النكاح، باب استحباب التزوج والتزويج فى شوال، واستحباب الدخول فيه، والدارمىّ فى النكاح، باب بناء الرجل بأهله فى شوال، وأحمد فى (المسند)، وابن سعد فى (الطبقات)، وابن ماجة فى النكاح، باب متى يستحب البناء بالنساء، والنسائى فى النكاح، باب التزويج فى شوال، من طرق عن سفيان بن عيينة، وفيه عندهم: وكانت عائشة رضى الله عنها تستحب أن تدخل نساءها فى شوال.

وقالت عائشة رضى الله عنها ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة من كثرة ما كان رسول الله ﷺ يذكرها. [أخرجه البخارى فى فضائل أصحاب النبى ﷺ باب تزويج النبى ﷺ خديجة وفضلها، ومسلم فى فضائل الصحابة، باب فضل خديجة رضى الله عنها.

قال الحافظ الذهبى فى (سير الأعلام): وهذا من أعجب شيء! أن تغار رضى الله عنها من أمرأة عجوز توفيت قبل تزوج النبى ﷺ بعائشة بمديدة، ثم يحميها الله تعالى من الغيرة من عدة نسوة يشاركنها فى النبى ﷺ، فهذا من ألطاف الله بها وبالنبى ﷺ، لئلا يتكدر عيشهما، ولعله إنما خفّف أمر الغيرة عليها حبُّ النبى ﷺ لها، وميله إليها. فرضى الله تعالى عنها وأرضاها.

معمر عن الزهرى، عن عروة، عن عائشة: دخلت امرأة سوداء على النبى ﷺ. فأقبل عليها، قالت: فقلت يا رسول الله! أقبلت على هذه السوداء هذا الإقبال؟ فقال ﷺ: إنها كانت تدخل على خديجة، وإن حُسن العهد من الإيمان [رجاله ثقات، وأخرج الحاكم نحوه فى (المستدرك) من طريق صالح بن رستم، عن ابن أبى مليكة، عن عائشة قالت: جاءت عجوز إلى النبى ﷺ وهو عندى، فقال لها رسول الله ﷺ: من أنت؟ قالت: أنا جثامة المزينية، فقال: بل أنت حسّانة المزينية، كيف أنتم كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟ قالت: بخير، بأبى أنت وأمى يا رسول الله. فلما خرجت قلتُ: يا رسول الله! تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ قال: إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حُسن العهد من الإيمان. صححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبى فى (التلخيص).

وأخرج البخارى فى النكاح، باب غيرة النساء ووجدهن، ومسلم فى فضائل الصحابة، باب فضل عائشة.. لأبى أسامة، عن هشام بلفظ: إنى لأعلم إذا كنت عنى راضية وإذا كنت علىّ غضبى، قالت: وكيف يا رسول الله؟ قال: إذا كنت عنى راضية، قلت: لا وربِّ محمد، وإذا كنت علىّ غضبى، قلت: لا وربِّ إبراهيم، قلتُ أجل والله، ما أهجر إلا اسمك. =

. . . .

= هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضى الله عنها، قالت: سابقنى النبى ﷺ، فسبقته ما شاء، حتى إذا رهقنى اللحم، سابقنى، فسبقنى، فقال: يا عائشة، هذه بتلك. [إسناده صحيح، وهو فى المسند، وأخرجه الحميدى فى (مسنده)، وأبو داود فى الجهاد: باب السبق على الرجل، وابن ماجة والنسائى فى عشرة النساء].

قال الإمام أحمد فى (المسند): حدثنا يحيى القطان، عن إسماعيل: حدثنا قيس، قال: لما أقبلت عائشة، فلما بلغت مياه بنى عامر ليلاً، نبحت الكلاب، فقالت: أى ماء هذا؟ قالوا: ماء الحوأب، قالت: ما أظننى إلا أننى راجعة. قال بعض من كان معها: بل تقدمين فيراك المسلمون، فيصلح الله ذات بينهم، قالت إن رسول الله ﷺ قال ذات يوم: كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب. [إسناده صحيح كما قال الذهبى وصححه ابن حبان، والحاكم، وأخرجه أحمد فى (المسند)، وقال الحافظ ابن كثير فى (البداية). وهذا إسناد على شرط الصحيحين ولم يخرجوه، بعد أن ذكره من طريق الإمام أحمد. والحوأب: من مياه العرب على طريق البصرة، قاله أبو الفتح نصر بن عبد الرحمن الإسكندرى، فيما نقله عنه ياقوت الحموى فى (معجم البلدان)، وقال أبو عبيد البكرى فى (معجم ما استعجم): ماء قريب من البصرة على طريق مكة إليها، سُمِّى بالحوأب بنت كلب بن وبرة القضاعية].

قال عطاء بن أبى رباح: كانت عائشة رضى الله عنها أفقه الناس، وأحسن الناس رأياً فى العامة، وقال الزهرى: لو جُمع علم عائشة رضى الله عنها إلى علم جميع النساء، لكان علم عائشة رضى الله عنها أفضل. [ذكره الهيثمى فى (مجمع الزوائد) ونسبة إلى الطبرانى. وقال: رجاله ثقات، وذكره أبو عبد الله الحاكم فى (المستدرك).

عروة بن الزبير: أن معاوية بعث مرة إلى عائشة رضى الله عنها بمائة ألف درهم فوالله ما أمست حتى فرقتها، فقالت لها مولاتها: لو اشتريت لنا منها بدرهم لحماً؟ فقالت: ألا قلت لى. [أخرجه أبو نعيم فى (الحلية) والحاكم فى (المستدرك)].

يحيى بن أبى زائدة – عن حجاج، عن عطاء: أن معاوية بعث إلى عائشة رضى الله عنها بقلادة بمائة ألف، فقسمتْها بين أمهات المؤمنين.

الأعمش، عن تميم بن سلمة، عن عروة، عن عائشة رضى الله عنها: أنها تصدقت بسبعين ألفاً، وإنها لترقع جانب درعها.

أبو معاوية، عن هشام بن عروة، عن ابن المنكدر، عن أم ذرّة، قالت: بعث ابن الزبير إلى عائشة رضى الله عنها بمال فى غرارتين، يكون مائة ألف، فدعت بطبق، فجعلت تقسم فى الناس، فلما أمست، قال: هاتى يا جارية فطورى، فقالت أم ذرّة: يا أم المؤمنين، أما استطعت أن تشترى لنا لحماً بدرهم؟ قالت: لا تعنّفينى، لو أذكرتينى لفعلت. [أخرجه ابن سعد فى (الطبقات)، وأبو نعيم فى =

. . . .

= (الحلية)، ورجاله ثقات].

ابن عُليَّة، عن أيوب، عن ابن مليكة، قال: قالت عائشة رضى الله عنها توفى رسول الله ﷺ فى بيتى، وفى يومى، وليلتى وبين نحرى وسَحْرى، ودخل عبد الرحمن بن أبى بكر، ومعه سواك رطب، فنظر إليه حتى ظننتُ أنه يريده، فأخذته، فمضغته، ونفضتُه ثم دفعتُه إليه، فاستنَّ به كأحسن ما رأيته مُستنّاً قَط، ثم ذهب يرفعه إلىَّ، فسقطت يدُه، فأخذت أدعو له بدعاء كان يدعو به له جبريل، وكان هو يدعو به إذا مرض، فلم يدعُ به فى مرضه ذاك، فرفع بصره إلى السماء، وقال: الرفيق الأعلى، وفاضت نفسه ﷺ، فالحمد لله الذى جمع بين ريقى وريقه فى آخر يوم من الدنيا. [أخرجه أحمد فى (المسند)، وصححه الحاكم فى (المستدرك)، ووافقه الذهبى فى (التلخيص)، والسُّحْر: الرئة، والنحر: أعلى الصدر، واستن: استاك].

العوام بن حَوْشب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿ إن الذين يرمون المحصنات ﴾ [النور:٣]، قال: نزلت فى عائشة رضى الله عنها خاصة، أخرجه الحاكم فى (المستدرك)، وصححه، ووافقه الذهبى فى (التلخيص)، وأورده السيوطى فى (الدر المنثور) وزاد نسبته لابن أبى حاتم وابن مردويه.

وحديث الإفك طويل ومشهور، ولذلك أمسكنا عن ذكره.

إسماعيل بن أبى خالد، عن قيس، قال: قالت عائشة - وكانت تحدث نفسها أن تُدفن فى بيتها- فقالت: إنى أحدثتُ بعد رسول الله حَدَثاً، ادفنونى مع أزواجه. فدفنت بالبقيع رضى الله عنها [ابن سعد فى (الطبقات)، وصححه الحاكم فى (المستدرك)، ووافقه الذهبى فى (التلخيص).

قال الذهبى: تعنى بالحدث مسيرها يوم الجمل، فإنها ندمت ندامة كُلِّية، وتابت من ذلك، على أنها ما فعلت ذلك إلا متأوله، قاصدة للخير، كما اجتهد طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وجماعة من الكبار، رضى الله عن الجميع (سير الأعلام).

وقد قيل إنها مدفونة بغربى جامع دمشق، وهذا غلط فاحش، لم تقدم رضى الله عنها إلى دمشق أصلاً، وإنما هى مدفونة بالبقيع، ومدة عمرها: ثلاث وستون سنة وأشهر.

ومن عالى حديثها: قال الحافظ الذهبى: قرأتُ على ابن عساكر، عن أبى رَوح: أخبرنا تميم، حدثنا أبو سعد، أخبرنا ابن حمدان، أخبرنا أبو يعلى، حدثنا أبو معمر إسماعيل بن إبراهيم، عن علىّ بن هاشم، عم هشام بن عروة، عن بكر بن وائل، عن الزهرى، عن عروة، عن عائشة قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ امرأة قطّ، ولا ضرب خادماً له قط، ولا ضرب بيده شيئاً إلا أن يجاهد فى سبيل الله، وما نيل منه شئٌ فانتقمه من صاحبه، إلا أن تنتهك محارم الله، فينتقم. [إسناده صحيح، وأخرجه مسلم فى الفضائل، باب مباعدته ﷺ للآثام، وأحمد فى (المسند) من طرق، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضى الله عنها ، وأخرج مالك والبخارى فى صفة النبى، ومسلم من طريق الزهرى، عن عروة بن الزبير، عن عائشة زوج النبى ﷺ، أنها قالت: ما خُيرّ رسول الله ﷺ =

ابن كعب بن سعيد بن تيم بن مرة بن كعب، الصديقة بنت [الصديق] حبيبة رسُول الله المبرأة من السماء، أم المؤمنين، أم عبد الله رضي عنها، أمها أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أرنبة بن سبيع بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة، والخلاف في أبيها إلى كنانة كثير جداً، وأجمعوا أنها من بني غنم بن مالك بن كنانة، من المهاجرات ذات الفضائل.

ولدت في السنة الرابعة من النبوة في أولها، تزوجها رسول الله ﷺ بمكة بعد سودة بشهر، على اثنى عشرة أوقية ونش، وقيل: أربعمائة درهم، وقيل: قبل الهجرة بسنتين، وقيل بثلاث وهي بنت ست سنين، وقيل: بنت تسع سنين، وقيل تزوجها في شوال سنة عشر من النبوة، قبل الهجرة بثلاث سنين، وأعرس بها بالمدينة في شوال على رأس ثمانية عشر شهراً من مهاجره.

وقال الواقدي: بنى بها في الأولى، وصححه الدمياطي، وتوفى عنها وهي بنت ثماني عشرة سنة، كان مكثها معه تسع سنين وخمسة أشهر، ولم ينكح بكرًا غيرها، ولم يأته الوحي في لحاف واحدة من نسائه سواها، ولم يحب أحداً من النساء مثلها، وقد كانت لها مآثر وخصائص ذكرت في

= بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثماً، كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله عزّ وجلّ].

(*) لها ترجمة في: (مسند أحمد): ٧/٤٦ وما بعدها، (طبقات ابن سعد): ٨/٥٨-٨١، (طبقات خليفة): ٣٣٣، (تاريخ خليفة) ٢٢٥، (المعارف): ١٣٤ ، ١٧٦ ، ٢٠٨ ، ٥٥٠ ، (المستدرك): ٤/١٥-١٧، (حلية الأولياء): ٢/٤٣، (الاستيعاب): ٤/١٨٨١، ترجمة رقم (٤٠٢٩)، (جامع الأصول: ٩/١٣٢، (تهذيب التهذيب): ١٢/٤٦١، ترجمة رقم (٢٨٤٠)، (الإصابة): ٨/١٦، ترجمة رقم (١١٤٥٧)، (خلاصة تذهيب الكمال): ٣/ ٣٨٧، ترجمة رقم (١٠٦)، (كنز العمال): ١٣/٦٩٣، (سير أعلام النبلاء): ٢/١٣٥، ترجمة رقم (١٩)، (شذرات الذهب): ١/٩ ، ٦١-٦٣، (المواهب اللدنيّة): ٢/٨١-٨٣، (صفة الصفوة): ٢/٩-٢٧.

القرآن والنسب، وكانت لها ليلتان، ولكل امرأة سواها ليلة، لأن سودة وهبتها ليلتها.

وخرجت بعد قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه إلى الكوفة تدعو الناس لأخذ ثأره من قتلته، وكانت وقعة الجمل، ثم عادت إلى المدينة وبها توفيت ليلة الثلاثاء لسبع عشر خلون من رمضان سنة ثمان وخمسين، وقيل: سبع وخمسين، ودفنت ليلاً بعد الوتر بالبقيع، وصلى عليها أبو هريرة، ونزل في قبرها خمسة: عبد الله [وعروة والقاسم بن محمد وعبد الله بن محمد بن أبى بكر، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر].

وكان عمرها يوم ماتت ستا وستين سنة، وكانت أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأياً فى العامة: تعرف من الطب والشعر شيئاً كثيراً، ولا نعلم امرأة فى هذه الأمة بلغت من العلم مبلغها.

وروى عنها ألفا حديث ومائتا حديث وعشرة أحاديث مرفوعة، اتفقا منها على مائة وأربعة وسبعين حديثاً، انفرد منها البخارى بأربعة وخمسين، ومسلم بستة وستين وفضائلها وأخبارها كثيرة جداً.

* * *

غُـــزيَّة (*)

وغُـزّية بنت دودان بن عوف بن عـمـرو بن عـامـر بن عامر بن رواحة بن منقـذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤى، وهى أم شريك التى وهبت نفسها للنبى ﷺ، وقيل: هى غزية بنت عوف بن جابر بن صبابه بن حجير بن عبد بن معيص، كانت عند أبى القلر مسلم بن الحارث الأزدى، . فولدت له شريكاً فكنيت به، قيل: [بنى بها] رسول الله ﷺ بمكة، وقيل: لم يدخل بها، وأنها هى أم شريك الأنصارية لأنه كره غيرة نساء الأنصار، وقيل: هى التى وهبت نفسها فلم يتزوجها ولم يردها، وقيل: رأى بُغزية كبرة فطلقها،

(*) هى الواهبة نفسها له ﷺ، واختُلف من هى، فقيل: أم شريك القرشية ا لعامرية، واسمها غزية - بضم الغين المعجمة وفتح الزاى، وتشديد المثناة التحتية - بنت جابر بن عوف، من بنى عامر بن لؤى، وقيل: بنت دودان بن عوف، وطلقها النبى ﷺ، واختلف فى دخوله بها.

وقيل: هى أم شريك غزيّة الأنصارية من بنى النجار، وفى (صفة الصفوة): هى أم شريك غزية بنت جابر الدوسية، قال: والأكثرون على أنها هى التى وهبت نفسها له ﷺ، فلم يقبلها، فلم تتزوج حتى ماتت، وذكر ابن قتيبة فى (المعارف) عن أبى اليقظان: أن الواهبة نفسها خولة بنت حكيم السلمى، ويجوز أن يكونا وهبتا أنفسهما من غير تضاد.

وقال عروة بن الزبير: كانت خولة بنت حكيم، من اللاتى وهبن أنفسهن للنبى ﷺ، فقالت عائشة رضى الله عنها: أما تستحى المرأة أن تهب نفسها للرجل؟ فلما نزلت: ﴿ترجى من تشاء منهن وتؤدى إليك من تشاء﴾ [الأحزاب: ٥١]، قالت عائشة رضى الله عنها: يا رسول الله! ما أرى ربك إلا يسارع لك فى هواك. [رواه الشيخان]. وهذه خولة هى زوجة عثمان بن مظعون، ولعل ذلك وقع منها قبل عثمان.

عن قتادة: أن النبى ﷺ قال: إنى أحب أن أتزوج فى الأنصار، ثم إنى أكره غيرتهن، قال: فلم يدخل بها [ذكره الحاكم فى المستدرك]. لها ترجمة فى: (طبقات ابن سعد): ٨/١٥٤-١٥٧، (طبقات خليفة): ٣٣٥، (الجرح والتعديل): ٩/٤٦٤، (المستدرك): ٤/٣٧، (الاستيعاب): ٤/١٩٤٢-١٩٤٣، ترجمة رقم (٤١٦٩)، (الإصابة): ٨/٢٣٦-٢٣٧، ترجمة رقم (١٢٠٩٧)، (خلاصة تذهيب الكمال): ٤٩٨، (سير أعلام النبلاء): ٢/٢٥٥-٢٥٦، ترجمة رقم (٣٣)، (صفة الصفوة): ٢/٣٧-٣٨، ترجمة رقم (١٣٤)، (المواهب اللدنية): ٢/٩٤.

فأوثقها أهلها. وحملوها من مكة إلى البدو، وكانت تدخل على النساء بمكة فتدعوهن إلى الإسلام، وكانت على ذلك بعد طلاقها تدعو إلى الإسلام.

ويقال: أم شريك العامرية، ويقال: الأنصارية، ويقال: الدوسية، ويقال بل اسمها عزيلة، روت عن النبى ﷺ، وروى عنها جابر بن عبد الله، وسعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وشهر بن حوشب، ولها أحاديث فى البخارى ومسلم، والترمذى والنسائى. وقال ابن عبد البر: وقد ذكرها بعضهم فى أزواج النبى ﷺ، ولا يصح من ذلك شىء لكثرة الاضطراب فيه.

* * *

[أم المؤمنين حفصة بنت عمر]*

وحفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العُزَّى بن رباح بن عبد الله بن قرظ بن رزاح بن عدى بن كعب، أمها وأم عبد الله بن عمر زينب بنت مظعون بن حبيب بن حذافة بن جُمح، فمن فضلها: أن [أباها عمر]. وعمها زيد، وأخوالها عثمان وحذافة وعبد الله بنى مظعون، وابن خالها السائب بن عثمان، شهدوا جميعاً بدراً، وولدت قبل المبعث بخمس سنين وقريش تبنى البيت، ثم تزوج بها خنيس بن حذافة بن قيس بن عدى السهمى.

فلما تأيمت ذكرها عمر لأبى بكر رضى الله عنهما فلم يرجع عليه أبو بكر، كلمة فغضب، ثم عرضها على عثمان رضى الله عنه - وقد ماتت رقية عليها السلام - فقال: ما أريد أن أتزوج اليوم، فانطلق إلى رسول الله ﷺ وشكا إليه ذلك، فقال: يتزوج حفصة من هو خير من عثمان، ويتزوج عثمان من هو خير من حفصة، فتزوجها رسول الله ﷺ فى شعبان قبل أُحد بشهرين من سنة ثلاث، وقيل: فى سنة اثنتين، زوجة أبوها وأصدقها ﷺ أربعمائة درهم.

قال الدار قطنى فى (العلل): هذا صحيح من حديث الزهرى عن سالم عن أبيه، عن عمر رضى الله عنه، تأيمت حفصة من خنيس بن حذافة

(*) هى حفصة أم المؤمنين، السِّتر الرَّفيع، بنت أمير المؤمنين، أبى حفص عمر بن الخطاب رضى الله عنه، تزوجها النبى ﷺ بعد انقضاء عدَّتها من خُنيس بن حذافة السهمى، سنة ثلاث من الهجرة.

وخُنيس كان من السابقين الأولين إلى الإسلام، هاجر إلى أرض الحبشة، وعاد إلى المدينة، وشهد بدراً وأحداً، وأصابه بأحد جراحات، فمات رضى الله عنه.

قالت عائشة رضى الله عنها: هى التى كانت تساميني من أزواج النبى ﷺ، وروى أن مولدها كان قبل المبعث بخمس سنين، فعلى هذا يكون دخول النبى ﷺ بها ولها نحو من عشرين سنة. =

= روت عنه عدة أحاديث.

وكانت لما تأيمت، عرضها أبوها على أبى بكر، فلم يُجبْه بشيء، وعرضها على عثمان فقال: بدا لى ألا أتزوج اليوم، فوجد عليهما وانكسر، وشكا حاله إلى النبى ﷺ، فقال: يتزوج حفصة من هو خير من عثمان، ويتزوج عثمان من هى خير من حفصة، ثم خطبها، فزوجه عمر - وزوج رسول الله ﷺ عثمان بابنته رقية بعد وفاة أختها - [أخرجه ابن سعد فى (الطبقات)]، والبخارى فى النكاح، باب عرض الإنسان ابنته أو اخته على أهل الخير).

ولما أن زوجها عمر، لقيه أبو بكر فاعتذر، وقال: لا تجدْ عليٌ، فإن رسول الله ﷺ، كان قد ذكر حفصة، فلم أكن لأفشى سرَّه، ولو تركها لتزوجتها. [أخرجه البخارى، وهو قطعة من الحديث السابق].

وروى أن رسول الله ﷺ، طلَّق حفصة تطليقة، ثم راجعها بأمر جبريل عليه السلام له بذلك، وقال: إنها صوَّامة قوَّامة، وهى زوجتك فى الجنة. [حديث صحيح أخرجه أبو داود، وابن ماجة، من حديث عمر: أن رسول الله ﷺ طلق حفصة ثم راجعها. وأخرجه النسائى من حديث ابن عمر، واسناده صحيح].

وحفصة، وعائشة، هما اللتان تظاهرتا على النبى ﷺ، فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿ **إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير* عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكاراً** ﴾ [التحريم: ٤-٥] أخرجه البخارى فى التفسير، باب ﴿ **تبتغى مرضاة أزواجك** ﴾، ومسلم فى الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرَّم امرأته.

موسى بن على بن رباح، عن أبيه، عن عُقبة، قال: طلق رسول الله ﷺ حفصة، فبلغ ذلك عمر رضى الله عنه، فحثا على رأسه التراب، وقال: ما يعبأ الله بعمر وابنته. فنزل جبريل من الغد، وقال للنبى ﷺ: إن الله يأمرك أن تراجع حفصة رحمة لعمر - رضى الله عنهما- [أخرجه الطبرانى فى (الكبير)].

توفيت حفصة سنة إحدى وأربعين، وقيل: توفيت سنة خمس وأربعين بالمدينة، وصلى عليها والى المدينة مروان. [قاله الواقدى، عن معمر، عن الزهرى، عن سالم. ذكره ابن مسعود فى (الطبقات)].

ومسندها فى كتاب (بقى بن مخلد) ستون حديثاً، اتفق لها الشيخان على أربعة أحاديث، وانفرد مسلم بستة أحاديث، [فما اتفقا عليه هو فى البخارى فى الأذان، باب الأذان بعد الفجر، ومسلم فى صلاة المسافرين، باب استحباب ركعتى سنة الفجر، والبخارى فى الحج، باب ما يقتل المحرم من الدواب، ومسلم فى الحج، باب ما يندب للمحرم وغيره قتله من الدواب فى الحل والحرم والبخارى فى الحج -باب التمتع والقران والإفراد بالحج، وفسخ الحج لمن لم يكن معه هدى، ومسلم فى الحج، باب أن القارن لا يتحلل إلا فى وقت تحلل الحج المفرد، وما انفرد به مسلم: هو عنده فى صلاة =

السهمى، رواه عنه جماعة من الثقات الحفاظ، واتفقوا على إسناده، منهم: شعيب بن أبى حمزة، وصالح بن كيسان، ويونس، وعقيل، ومحمد بن أخى الزهراء، وسفيان بن حسين، والوليد بن محمد الموقرى، وعبيد الله بن أبى زياد الرصافى، وغيرهم، واتفقوا على لفظ واحد فى قول أبى بكر لعمر رضى الله عنهما: لم يمنعنى أن أرجع إليك شيئاً إلا أنى قد كنت علمت أن رسول الله ﷺ ذكر حفصة.

ورواه معمر بن راشد عن الزهرى بهذا الإسناد فجَّوده وأسنده وقال فيه: لم يمنعنى أنى أرجع إليك شيئاً إلا أنى كنت سمعت رسول ﷺ يذكرها، ولم أكن لأفشى سرّ رسول الله، وهو حديث صحيح عن الزهرى، أخرجه البخارى فى الصحيح من حديث معمر، ومن حديث صالح بن كيسان وشعيب عن الزهرى، إلا أن معمراً قال فيما حكى عنه هشام بن يوسف: قال فيه خنيس بن حذافة أو حذيفة، والصحيح أنه خنيس بن حذافة بن

= المسافرين، وفى الصيام، وفى الطلاق، وفى الفتن].

ويروى عن عمر رضى الله عنه: أن حفصة وُلدت إذ قريش تبنى البيت، وقيل: بنى بها رسول الله ﷺ فى شعبان سنة ثلاث.

قال الواقدى: حدثنى علىّ بن مسلم، عن أبيه، رأيت مروان فيمن حمل سرير حفصة، وحملها أبو هريرة من دار المغيرة إلى قبرها. [أخرجه ابن سعد فى (الطبقات)، والحاكم فى (المستدرك)].

حماد بن سلمة: أخبرنا أبو عمران الجونى، عن قيس بن زيد، أن النبى ﷺ، طلّق حفصة، فدخل عليها خالاها: قُدامة، وعثمان، فبكت، وقالت: والله ما طلقنى عن شَبْع. وجاء النبى ﷺ، فقال: قال لى جبريل: راجع حفصة، فإنها صوّامة، قوّامة، وإنها زوجتك فى الجنة. [أخرجه ابن سعد فى (الطبقات)، والحاكم فى (المستدرك)، والطبرانى كما فى (مجمع الزوائد). وقيس بن زيد تابعى صغير مجهول، وباقى رجاله ثقات]. لها ترجمة فى: (طبقات ابن سعد): ٨/ ٨١-٨٦، (طبقات خليفة): ٣٣٤، (تاريخ خليفة): ٦٦ (المعارف): ١٣٥-١٥٨-١٨٤-٥٥٠، (المستدرك): ٤/ ١٧-١٨، الاستيعاب): ٤/ ١٨١١، ترجمة رقم (٣٢٩٧)، (تهذيب التهذيب): ١٢/ ٤٣٩، ترجمة رقم (٢٧٦٣)، (الإصابة): ٧/ ٥٨١، ترجمة رقم (١١٠٤٧)، (خلاصة تذهيب الكمال): (كنز العمال): ١٣/ ٦٩٧، (شذرات الذهب): ١/ ١٠ و ١٦، (صفة الصفوة): ٢/ ٢٨، ترجمة رقم (١٢٨)، (المواهب اللدنية): ٢/ ٨٣، (سير أعلام النبلاء): ٢/ ٢٢٢٧.

قيس، أخو عبد الله بن حذافة الذى استعمله النبى ﷺ، وهو الذى كان ينادى فى أيام منى عن أمر رسول الله ﷺ، أنها أيام أكل وشرب، وهو الذى قال: من أبى يا رسول الله؟ قال: أبوك حذافة.

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن الزهرى، عن سالم عن ابن عمر رضى الله عنه قال: تأيمت حفصة من رجل من قريش يقال له خنيس بن حذيفة أو حذافة، [شهد مع] رسول الله ﷺ بدراً، مات بالمدينة، فلقى عثمان رضى الله عنه فقال: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر، قال: أنظر فى ذلك.

فلبثت ليالى ثم لقينى فقال: ما أريد النكاح يومى هذا، فوجدت فى نفسى، ثم لقيت أبا بكر رضى الله عنه فقلت: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر، فلم يرجع إلىّ شيئاً، وكان وجدى عليه أشد من وجدى على عثمان، فلبثت ليالى،فخطبها إلى رسول الله ﷺ فزوجها إياه، فلقينى أبو بكر رضى الله عنه فقال: لعلك وجدت علىَّ حين عرضت علىَّ حفصة فلم أرجع إليك شيئاً؟ قال: قلت: نعم، قال: فإنى كنت سمعت رسول الله ﷺ يذكرها، ولم أكن لأفشى سرَّ رسول الله ﷺ ولو تركها تزوجتها.

ورواه ابن وهب فقال: أخبرنى يونس عن ابن شهاب، أن سالم بن عبد الله كان يحدث أن عمر رضى الله عنه حين تأيمته حفصة...، ثم ذكر نحو حديث معمر. ورواه سويد بن سعيد فقال: حدثنا الوليد بن محمد عن الزهرى، عن سالم، أنه سمع أباه يحدث أن عمر قال: إن حفصة كان طَلَّقها أبو حذافة، قال عمر: فلقيت عثمان...، ثم ذكر الحديث، ولم يذكر ابن عمر.

ورواه صالح عن ابن شهاب، أخبرنى سالم بن عبد الله أنه سمع عبد الله ابن عمر يحدث أن عمر بن الخطاب حين تأيمته حفصة بنت عمر من

خنيس بن حذافة السهمى- وكان من أصحاب رسول الله ﷺ فتوفى بالمدينة - فقال عمر: أتيت عثمان بن عفان...، الحديث.

ورواه يزيد بن هارون، أخبرنا سفيان بن حسين، عن الزهرى، عن سالم، عن ابن عمر قال: لما [تأيمت] حفصة لقى عمر عثمان فعرضها عليه، فقال عثمان: مالى فى النساء من حاجة، فلقيت أبا بكرفعرضتها عليه فسكت، فغضب على أبى بكر، فإذا برسول الله ﷺ قد خطبها فتزوجها، فلقى عمر أبا بكر فقال: إنى عرضت على عثمان ابنتى فردَّ لى، وعرضت عليك فسكت، فأنا كنت عليك أشد غضباً حين سكت عثمان، وقد روى فقال أبو بكر رضى الله عنه [إن رسول الله] ﷺ قد ذكر معنا شيئاً وكان سراً وكرهت أن أفشى السر.

وبعث رسول الله ﷺ إلى جاريته مارية، وقد خرجت حفصة من بيتها فجاءته، فدخلت حفصة وهى معه، فقالت: يا رسول الله! أفى بيتى وعلى فراشى؟ فقال: استكى، فلك الله ألا أقربها أبداً ولا تذكرى هذا لأحد، فأخبرت به عائشة- وكانت لا تكتمها شيئاً، إنما كان أمرهما واحداً- فأنزل الله: ﴿ **يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضاة أزواجك** ﴾(١)، الآيات، فكفر عن يمينه، فقوله تعالى: ﴿ **وإذا أسر النبى إلى بعض أزواجه حديثاً** ﴾(٢)، وقوله: ﴿ **وإن تظاهرا عليه** ﴾(٣)، يعنى عائشة وحفصة رضى الله عنهما، فطلق حفصة تطليقة ثم راجعها(٤).

خرج الحاكم من حديث عمرو بن عون، حدثنا هشيم، وأخبرنا حميد عن أنس قال: لما طلق النبى ﷺ حفصة أُمر أن يراجعها فراجعها، قال

---

(١) التحريم: ١ (٢) التحريم: ٣

(٣) التحريم: ٤

(٤) (تفسير ابن كثير): ٤/٤١٢.

الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه(١).

أيضاً من حديث يحيى بن زكريا بن أبى زائدة، عن صالح بن صالح عن سلمة بن كهيل، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن عمر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ طلق حفصة ثم راجعها، قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه(١).

وله من حديث سليمان بن المغيرة، عم ثابت عن أنس، أن رسول الله ﷺ كانت له أمة، فلم تزل به حفصة حتى جعلها على نفسه حراماً، فأنزل الله: ﴿**يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك**﴾(٢). الآية قال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم(١).

وخرج الطبرانى من حديث ابن وهب، حدثنى عمرو بن صالح الحضرمى، عن موسى بن على بن رباح، عن أبيه، عن عقبة بن عامر، أن النبى ﷺ طلق حفصة، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب، فوضع التراب على رأسه وقال: ما يعبأ الله بابن الخطاب بعد هذا، فنزل جبريل على النبى ﷺ فقال: إن الله يأمرك أن تراجع حفصة(١).

وقيل فى سبب نزول الآيات غير ذلك، وقيل هم بطلاقها ولم يطلقها، وتوفيت فى جمادى سنة إحدى وأربعين، وقيل خمس وأربعين، وقيل سبع وعشرين، وأثبتها سنة خمسة وأربعين، وصلى عليها مروان بن الحكم، ونزل فى قبرها عبد الله بن عمر، وعاصم بن عمر، وحمزة بن عبد الله بن عمر، وعبيد الله بن عبد الله بن عمر، ودفنت بالبقيع، وحمل مروان – وهو أمير المؤمنين يومئذ – سريرها، ثم حمله أبو هريرة(٣).

---

(١) (المستدرك): ٢/٥٣٥، تفسير سورة التحريم، حديث رقم (٣٨٢٤/٩٦١)، وقال الذهبى فى (التلخيص): على شرط مسلم، ٤/١٦-١٧، ذكر أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنهما – حديث رقم (٦٧٥٣/٢٣٥١)، (٦٧٥٤/٢٣٥٢)، وكلاهما سكت عنه الذهبى فى (التلخيص).

(٢) (التحريم: ١.

(٣) (المستدرك): ٤/١٦، كتاب معرفة الصحابة، حديث رقم (٦٧٥٢/٢٣٥٠)، وقال الذهبى فى (التلخيص): هذه رواية الواقدى، وقد استقر الإجماع على وهنه.

[أم المؤمنين زينب بنت خزيمة](*)

وزينب أم المساكين، بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة العامرية، أخت ميمونة بنت الحارث بن حرث، لأنها تزوجها الطفيل بن الحارث بن المطلب بن عبد منافس بن قصى، أخو عبيدة بن الحارث، ثم طلقها، فخلف عليها أخوه فاصيب يوم بدر، ومات بالصفراء، فتزوجها رسول الله ﷺ في شهر رمضان سنة ثلاث، زوجه أبوها قبيصة بن عمر الهلالى، وأصدقها أربعمائة درهم، وقيل كانت تحت عبد الله بن حجش فلما قتل يوم أحد تزوجها رسول الله ﷺ، فاقامت عنده ثمانية أشهر، وقيل شهرين أو ثلاثة، وتوفيت فى آخر شهر ربيع الآخر، فدفنها رسول الله ﷺ بالبقيع بعدما صلى عليها.

* * *

(*) هى زينب بنت خُزيمة بن الحارث بن عبد الله الهلالية، وتدعى: أم المساكين لكثرة معروفها. قُتل زوجها عبد الله بن جحش يوم أُحد، فتزوجها رسول الله ﷺ، ولكن لم تمكث عنده إلا شهرين أو أكثر، وتوفيت رضى الله عنها.

وقيل: كانت أولاً عند الطفيل بن الحارث، وماروتْ شيئاً. وقال النسَّابة علىّ بن عبد العزيز الجرجانى: كانت عند الطفيل، ثم خلف عليها أخوه الشهيد: عبيدة بن الحارث المطلبى.

لها ترجمة فى: (طبقات ابن سعد): ٨/١١٥-١١٦، (المعارف): ٨٧ و١٣٥ و ١٨٥، (المستدرك): ٤/٣٧-٣٨، (الاستيعاب): ٤/١٨٥٣، ترجمة رقم (٣٣٥٩)، (الإصابة): ٧/٦٧٢، ترجمة رقم (١١٢٣٠)، (شذرات الذهب): ١/ ١٠، (المواهب اللدنية): ٢/٨٩، (سير أعلام النبلاء): ٢/٢١٨.

[أم المؤمنين أم سلمة] (*)

وأم سلمة هند - وقيل: رملة، وليس بشيء - بنت أبى أمية، حذيفة ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وهاجرت معه إلى أرض الحبشة، وولدت له سلمة وعمر وزينب ودرة، ثم مات عنها فى جمادى الآخرة سنة أربع، فلما انقضت عدتها تزوجها رسول الله ﷺ، وأعرس بها فى شوال منها، ويقال: إنه خطبها إلى نفسها فجعلت أمرها إليه.

ويقال: إنه قال لها: مُرى ابنك سلمة بن أبى سلمة يزوجك، فزوجها رسول الله ﷺ وهو غلام.

ويقال: إن الذى زوجه إياها عمر بن أبى سلمة، كما رواه [النسائى وأحمد]. وقيل: إن عمر هذا هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه، لأنه كان هو الخاطب لها. والثابت أن سلمة زوَّجه إياها.

قال أبو الحسن المدائنى، عن إبراهيم بن أبى يحيى، عن حسين بن عبد الله ضمرة - مولى النبى ﷺ - عن جده، عن على رضى الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ أم سلمة فقالت: من يزوجنى ورجالى غُيَّب؟ قال: ابنك، ويشهد أصحاب النبى، فزوجها ابنها وهو غلام.

(*) هى السيدة المحجَّبة، الطاهرة، هند بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة ابن مرة، المخزومية، بنت عم خالد بن الوليد، سيف الله؛ وبنت عم أبى جهل بن هشام.

من المهاجرات الأول، كانت قبل النبى ﷺ عند أخيه من الرضاعة: أبى سلمة بن عبد الأسد المخزومى، الرجل الصالح، دخل بها النبى ﷺ فى سنة أربع من الهجرة، وكانت من أجمل النساء وأشرفهن نسباً، وكانت من آخر من مات من أمهات المؤمنين، عمّرت حتى بلغها مقتل الحسين الشهيد، فوجمت لذلك، وغشى عليها، وحزنت عليه كثيراً، لم تلبث بعده إلا يسيراً. وانتقلت إلى رحمة الله.

ولها أولاد صحابيون: عمر، وسلمة، وزينب، ولها جملة أحاديث، روى عنها سعيد بن المسيب، وشقيق بن سلمة، والأسود بن يزيد، والشعبىّ، وأبو صالح السمان، ومجاهد، ونافع بن جبير بن =

= مطعم، ونافع مولاها، ونافع مولى بن عمر، وعطاء بن أبى رباح، وشهر بن حوشب، وابن أبى مُليكة، وخلق كثير.

عاشت نحواً من تسعين سنة، وكانت تعدّ من فقهاء الصحابيات.

وأبوها: هو زاد الراكب، أحد الأجواد، قيل: اسمه حذيفة، وقد وَهَم من سماها: رملة؛ تلك أم حبيبة. [قال فى (اللسان): وأزواد الركب من قريش: أبو أمية بن المغيرة، والأسود بن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى، ومسافر بن أبى عمرو بن أمية عم عقبة. كانوا إذا سافروا فخرج معهم الناس، فلم يتخذوا زاداً معهم ولم يوقدوا، يكفونهم ويغنونهم].

الواقدى: حدثنا عمر بن عثمان، عن عبد الملك بن عبيد، عن سعيد بن يربوع، عم عمر بن أبى سلمة، قال بعث رسول الله ﷺ أبى إلى أبى قطن، فى المحرَّم سنة أربع، فغاب تسعاً وعشرين ليلة، ثم رجع فى صفر، وجُرحه الذى أصابه يوم أحد منتقض، فمات منه، لثمان خلون من جمادى الآخرة، وحلّت أمى فى شوال، وتزوجها رسول الله ﷺ [ذكره ابن سعد فى (الطبقات)]، إلى أن قال: وتوفيت سنة تسع وخمسين فى ذى الحجة.

ابن سعد: أخبرنا أحمد بن إسحاق الحضرمى: حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا عاصم الأحول، عن زياد بن أبى مريم، قالت أم سلمة لأبى سلمة: بلغنى أنه ليس امرأة يموت زوجها، وهو من أهل الجنة، ثم لم تزوج إلا جمع الله بينهما فى الجنة، فتعال أعاهدك ألا تزوج بعدى، ولا أتزوج بعدك، قال: أتطيعينني؟ قالت: نعم، قال: إذا مِتُّ تزوجى، اللهم ارزق أم سلمة بعدى رجلاً خيراً منى، لا يحزنها ولا يؤذيها.

فلما مات قلت: من خير من أبى سلمة؟ فما لبثت، وجاء رسول الله ﷺ فقام على الباب، فذكر الخطبة إلى ابن أخيها، أو ابنها، فقالت: أردّ على رسول الله، أو أتقدم عليه بعيالى. ثم جاء الغد فخطب. [رجاله ثقات، وأخرجه ابن سعد فى (الطبقات)، وفيه: ثم جاء الغد، فذكر الخطبة، فقلت مثل ذلك، ثم قالت لوليها: إن عاد رسول الله ﷺ فزوّج، فعاد رسول الله ﷺ، فتزوجها].

عفان: حدثنا حماد، حدثنا ثابت، حدثنى ابن عمر بن أبى سلمة. عن أبيه: أن أم سلمة لما انقضت عدتها، خطبها أبو بكر، فردّته، ثم عمر، فردته، فبعث إليها رسول الله ﷺ فقالت: مرحباً، أخبر رسول الله أنى غيْرى، وأنى مُصبية، وليس أحد من أوليائى شاهداً. فبعث إليها: أما قولك إنى مصيبة، فإن الله تعالى سوف يكفيك صبيانك، وأما قولك: إنى غيرى، فسادعو الله أن يذهب غيرتك، وأما الأولياء، فليس أحد منهم إلا سيرضى بى. قالت يا عمر، قم فزوج رسول الله، وقال رسول الله ﷺ: أما إنى لا أنقصك مما أعطيت فلانة، رَحْيَيْن، وجرتين، ووسادة من أدم حشوها ليف، قال: وكان رسول الله ﷺ يأتيها، فإذا جاء أخذت زينب فوضعتها فى حجرها لترضعها، وكان رسول الله ﷺ حيياً كريماً، يستحى فيرجع، فعل ذلك مراراً، ففطن عمار بن ياسر لما تصنع، قال: فأقبل ﷺ ذات يوم وجاء عمار - وكان أخاها لأمها - فدخل عليها، فانتشلها من حجرها وقال: دعى هذه =

وعن الأجلح عن الشعبى قال: قال رسول الله ﷺ: أزوج بنت حمزة سلمة بن أبى سلمة مكافأة له، حيث زوجنى أمه. ذكره فى كتاب (من زوّج أمه).

= المقبوحة المشقوحة، التى آذيت بها رسول الله ﷺ، فدخل، فجعل يقلب بصره فى البيت يقول: أين زُنابُ؟ ما فعلت زناب؟ قالت: جاء عمار فذهب بها، قال: فبنى رسول الله ﷺ باهله، ثم قال: إن شئت ان اسبّع لك سبّعت للنساء. [أخرجه ابن سعد فى (الطبقات)، واحمد، والنسائى فى النكاح، باب إنكاح الابن لأمه، وإسناده صحيح كما قال الحافظ ابن حجر فى (الإصابة)، واخرجه الحاكم فى (المستدرك)، ووافقة الذهبى فى (التلخيص)]. قولها: غَبْرى: كثيرة الغبرة، ومصبية: ذات صبيان واولاد صغار.

ابو اسامة، عن الاعمش، عن شقيق، عن ام سلمة، قالت: لما توفى ابو سلمة، اتيتُ النبى ﷺ، فقلت: كيف اقول؟ قال: قولى: اللهم اغفر لنا وله، واعقبنى منه عقبى صالحة، فقلتها، فاعقبنى الله محمداً ﷺ [إسناده صحيح، واخرجه مسلم فى الجنائز، باب ما يقال عند المريض، وابو داود فى الجنائز، باب ما يستحب ان يقال عند الميت من الكلام، والترمذى فى الجنائز، باب ما جاء فى تلقين المريض عند الموت والدعاء له عنده والنسائى فى الجنائز، باب ما جاء فيما يقال عند المريض إذا حضر، من طرق عن الاعمش، عن ابى وائل شقيق بن سلمة، عن ام سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيراً، فإن الملائكة يُؤَمِّنون على ما تقولون، قالت: فلما مات ابو سلمة، اتيت النبى ﷺ فقلت: يا رسول الله ﷺ: إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيراً، فإن الملائكة يُؤَمِّنون على ما تقولون، قالت: فلما مات أبو سلمة، أتيت النبى ﷺ فقلت: يا رسول الله، إن أبا سلمة قد مات، قال: قولى: اللهم اغفر لى وله، واعقبنى منه عقبى حسنة، قالت: فقلتُ، فاعقبنى الله من هو خير لى منه، محمداً ﷺ. وقوله: اعقبنى، اى بدلنى وعوضنى منه، اى فى مقابلته عقبى حسنة، اى بدلاً صالحاً].

إسحاق السلولى: حدثنا عيسى بن عبد الرحمن السلمى، عن أبى إسحاق، عن صلة، عن حذيفة، انه قال لامراته: إن سرّك ان تكونى زوجتى فى الجنة، فلا تزوجى بعدى، فإن المراة فى الجنة لآخر ازواجها فى الدنيا، فلذلك حرم على أزواج النبى ﷺ أن ينكحن بعده، لانهن ازواجه فى الجنة. [رجاله ثقات]. وقد تزوجها النبى ﷺ حين حلت فى شوال سنة أربع، وتوفيت سنة إحدى وستين، رضى الله تعالى عنها، ويبلغ مسندها ثلاث مائة وثمانية وسبعين حديثاً. اتفق البخارى ومسلم لها على ثلاثة عشر، وانفرد البخارى بثلاثة، ومسلم بثلاثة عشر. رضى الله تعالى عن الجميع. لها ترجمة فى: (مسند احمد): ٦/ ٢٨٨، (طبقات ابن سعد): ٨/ ٨٦-٩٦، (طبقات خليفة): ٣٣٤، (المعارف): ١٢٨-١٣٦، (الجرح والتعديل): ٩/ ٤٦٤، (المستدرك): ٤/ ١٩-٢٢، (الاستيعاب): ٤/ ١٩٢٠- ترجمة رقم (٤١١١)، (تهذيب التهذيب): ١٢/ ٤٨٣، ترجمة رقم (٢٩٠٤) (الإصابة): ٨/ ٢٢١، ترجمة رقم (١٢٠٦١)، (وخلاصة تذهيب الكمال): ، (كنز العمال): ١٣/ ٤٩٩، (شذرات الذهب): ١/ ٦٩، (المواهب اللدنية): ٢/ ٨٤، (صفة الصفرة): ٢/ ٢٩ ترجمة رقم (١٢٩)، (سير أعلام النبلاء): ٢/ ٢٠١.

ويقال: كان السفير بين النبى ﷺ وبين أم سلمة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، ويقال: حاطب بن أبى بلتعه، فقالت: إنى مُسنّة، فقال: وأنا أسنّ منك، قالت: فإنى مصبية، قال: هم فى عيال الله ورسوله، قالت: فإنى غيور، قال: أنا أدعو الله أن يُذهب عنك الغيرة، فدعا لها، ثم إنه تزوجها وأصدقها ﷺ فراشاً حشوه ليف، وقدماً، وصحفة، ومجشة، وابتنى لها فى بيت أم المساكين، فوجد فيه جرة فيها شىء من شعير، وإذا رحاء وبرمة، وفيها قَعْبٌ من إهالة، فكان ذلك طعام رسول الله ﷺ وأهله ليلة عرسه، وقال لها فى صبحيتها: إنه ليس بك على أهلك هوان، فإن شئت ثُلّث لك أو خُمّس أو سُبّع، فإنى لم أُسبّع لامرأة من نسائى قط، فقالت: اصنع ما شئت، فإنما أنا امرأة من نسائك.

ويقال: أنه قال لها: لك عندنا قطيفة تلبسينها فى الشتاء وتفرشينها فى الصيف، ووسادة من أدم حشوها ليف، ورحيان تطحنين بهما، وجرتان فى إحداهما ماء وفى الأخرى دقيق، وجفنة تعجنين وتثردين فيها، فقالت: رضيت، فكان ذلك مهرها، ونزلت عند رسول الله ﷺ بمنزلة لطيفة.

وتوفيت فى شوال سنة تسع وخمسين، ودفنت بالبقيع، ونزل فى قبرها ابناها سلمة وعمر، وابن أخيها عبد الله بن عبد الله بن أبى أمية، وقيل: توفيت فى شهر رمضان منها، وقيل: توفيت يوم عاشوراء سنة إحدى وستين، وصلى عليها أبو هريرة، وقيل: سعيد بن زيد، وهى آخر أمهات المؤمنين[موتاً]، وقال عطاء: آخرهن موتاً صفية، وهى أول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة، وقيل: بل ليلى بنت أبى خيثمة، زوج عامر بن ربيعة العنزى، خليفة الخطاب بن نفيل.

[أم المؤمنين زينب بنت جحش](*)

وزينب بنت جحش بن رباب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كثير بن غنم

(*) هي زينب بنت جحش بن رباب، وابنة عمة رسول الله ﷺ، أمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم، وهي أخت حمزة، وأبي أحمد، من المهاجرات الأول، وكانت عند زيد، مولى النبي ﷺ، وهي التي يقول الله فيها: **﴿ وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً ﴾** [الأحزاب: ٣٧]، والذى أخفاه النبى ﷺ: هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته، وكان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس: تزوج امرأة ابنه، وأراد الله تعالى إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبنى بأمر لا أبلغ فى الإبطال منه، وهو تزوج امرأة الذى يُدعى ابناً، ووقوع ذلك من النبى ﷺ ليكون أدعى لقبولهم، وقد أخرج الترمذى من طريق داود بن أبى هند، عن الشعبى، عن عائشة قالت: لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً من الوحى، لكتم هذه الآية.

فزوجها الله تعالى بنص كتابة، بلاولى ولاشاهد، فكانت تفخر بذلك على أمهات المؤمنين، وتقول زوجكن أهاليكن، وزوجنى الله من فوق عرشه. [أخرجه البخارى فى التوحيد، باب **﴿ وكان عرشه على الماء ﴾**، من طريق أنس، قال: جاء زيد بن حارثة يشكو، فجعل النبى ﷺ يقول: اتق الله وأمسك عليك زوجك. قال أنس لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً لكتم هذه. قال: فكانت زينب تفخر على أزواج النبى ﷺ تقول: زوجكم أهاليكن، وزوجنى الله تعالى من فوق سبع سماوات. وفى رواية البخارى: كانت تقول: إن الله أنكحنى فى السماء، أخرجه البخارى من حديث أنس قال: نزلت آية الحجاب فى زينب بنت جحش، وأطعم عليها يومئذ خبزاً ولحماً، وكانت تفخر على نساء النبى ﷺ، وكانت تقول: إن الله أنكحنى فى السماء.

وكانت رضى الله عنها من سادة النساء، ديناً، وورعاً، وجوداً، ومعروفاً، وحديثها فى الكتب الستة، روى عنها ابن أخيها محمد بن عبد الله بن جحش، وأم المؤمنين أم حبيبة، وزينب بنت أبى سلمة، وأرسل عنها القاسم بن محمد.

توفيت فى سنة عشرين، وصلى عليها عمر رضى الله عنه، وعن ابن عمر: لما ماتت بنت جحش أمر عمر رضى الله عنه منادياً: ألا يخرج معها إلا ذو محرم، فقالت بنت عُميس: يا أمير المؤمنين، ألا أريك شيئاً رأيت الحبشة تصنعه بنسائهم؟ فجعلت نعشاً وغشته ثوباً، فقال: ما أحسن هذا وأستره! فأمر منادياً فنادى: أن اخرجوا على أمكم. [إسناده صحيح، وهو فى (طبقات ابن سعد)، لكن سقط من إسناده فيه ابن عمر، واستدركناه من (سير الأعلام).

وهى التى كان النبى ﷺ يقول: أسرعكن لحوقاً بى أطولكن يداً. وإنما عنى طوال يدها بالمعروف. قالت عائشة: فكن يتطاولن أيهن أطول يداً، وكانت زينب تعمل وتصدّق، [والحديث أخرجه مسلم فى فضائل الصحابة، باب من فضائل زينب أم المؤمنين. من طريق عائشة بنت طلحة، عن =

. . . .

= عائشة أم المؤمنين قالت قال رسول الله ﷺ : أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً. قالت: فكن يتطاولن أيتهن أطول يداً قالت :فكانت أطولنا يداً زينب- لأنها كانت تعمل بيدها وتصدّق.].

وروى عن عائشة قالت: كانت زينب، أتقى لله، وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة رضى الله عنها [أخرجه مسلم فى فضائل الصحابة من طريق الزهرى، أخبرنى محمد بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، عن عائشة رضى الله عنها فى خبر مطوّل، وفيه: قالت عائشة رضى الله عنها: فأرسل أزواج النبى ﷺ زينب بنت جحش زوج النبى ﷺ، وهى التى كانت تساميني منهن فى المنزلة عند رسول الله ﷺ، ولم أر امرأة قط خيراً فى الدين من زينب، وأتقى الله، وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشدّ ابتذالاً لنفسها فى العمل الذى تصدّق به، وتقرب به إلى الله تعالى، ما عدا سورة من حِدّة كانت فيها، تُسرع منها الفيئة].

[وأخرجه أحمد من طريق الزهرى، عن عروة، عن عائشة بلفظ: ولم أر امرأة خيراً منها، وأكثر صدقة، وأوصل للرحم، وأبذل لنفسها فى كل شيء يتقرب به إلى الله عز وجل، من زينب، ما عدا سورة من غرب حدٍّ كان فيها، توشك منها الفيئة].

ابن جريج عن عطاء، سمع عبيد بن عمير يقول: سمعت عائشة رضى الله عنها تزعم أن النبى ﷺ كان يمكث عن زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلاً، فتواصيت أنا وحفصة أن أيتنا ما دخل عليها، فلتقل: إنى أجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير؟ فدخل على إحداهما، فقالت له ذلك، قال: بل شربت عسلاً عند زينب، ولن أعود له. فنزل: ﴿ **يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضاة أزواجك والله غفور رحيم** ﴾ إلى قوله: ﴿ **إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما** ﴾ - الآيات من أول سورة التحريم - يعنى حفصة وعائشة، قوله: ﴿ **وإذا أسرَّ النبى إلى بعض أزواجه حديثاً** ﴾ : قوله: بل شربتُ عسلاً. [أخرجه البخارى فى الأيمان والنذور، باب إذا حرَّم طعاماً. وفى الطلاق، باب ﴿ **لم تحرم ما أحل الله لك** ﴾، ومسلم فى الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرَّم امرأته ولم ينو الطلاق، وابن سعد فى (الطبقات)، والبخارى فى التفسير عن عائشة بلفظ: كان رسول الله ﷺ يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش ويمكث عندها، فواطأت أنا وحفصة عن أيتنا يدخل عليها، فلتقل له: أكلت مغافير، إنى أجد منك ريح مغافير، قال: لا، ولكنى كنت أشرب عسلاً عند زينب ابنة جحش، لن أعود له، وقد حلفت ألا تخبرى بذلك أحداً].

[والمغافير: شراب مصنوع من الصمغ له ريح منكرة. وثمة سبب آخر فى نزول الآية: فقد أخرج سعيد بن منصور بإسناد صحيح فيما قاله الحافظ إلى مسروق قال: حلف رسول الله ﷺ لحفصة لا يقرب أمته، وقال: هى علىّ حرام، فنزلت الكفارة ليمينه، وأمر أن لا يحرم ما أحل الله له].

[وأخرج الضياء المقدس فى (المختارة)، من مسند الهيثم بن كليب، ثم من طريق جرير بن حازم، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ لحفصة: لا تخبرى أحداً أن أم إبراهيم علىَّ حرام، قال: فلم يقربها حتى أخبرت عائشة، فأنزل الله تعالى: ﴿ **قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم** ﴾، وأخرج الطبرانى فى عشرة النساء، وابن مردوية من طريق أبى بكر بن عبد الرحمن، عن أبى سلمة، عن أبى هريرة قال: دخل رسول الله ﷺ بمارية ببيت حفصة، فجاءت فوجدتها معه، فقالت: يا رسول الله فى بيتى تفعل هذا معى دون نسائك، فذكر نحوه. وللطبرانى من طريق الضحاك، عن ابن عباس =

ابن دودان بن أسد بن خزيمة، أمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم، عمة رسول الله ﷺ، تزوجها زيد بن حارثة – حِبُّ رسول الله ﷺ – وشكاها

= قال: دخلت حفصة بيتها، فوجدته ﷺ يطأ مارية، فعابتبه، فذكر نحوه. قال الحافظ: وهذه طرق يقوى بعضها بعضاً، فيحتمل أن تكون الآية نزلت فى السببين معاً. وقد روى النسائى من طريق حماد، عن ثابت، عن أنس هذه القصة مختصرة، أن النبى ﷺ كانت له أمة يطؤها، فلم تزل به حفصة وعائشة رضى الله عنها حتى حرمها، فأنزل الله تعالى: ﴿ يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك ﴾].

ويروى عن عمرة عن عائشة، قالت: يرحم الله زينب، لقد نالت فى الدنيا الشرف الذى لا يبلغة شرف، إن الله زوجها، ونطق به القرآن، وإن رسول الله قال لنا: أسرعكن بى لحوقاً أطولكن باعاً. فبشرها بسرعة لحوقها به، وهى زوجته فى الجنة.

قال الحافظ الذهبى: وأختها هى حمنة بنت جحش، التى نالت من عائشة فى قصة الإفك، فطفقت تحامى عن أختها زينب، وأما زينب فعصمها الله تعالي بورعها، وكانت حمنة زوجة عبد الرحمن ابن عوف. ولها هجرة، وقيل: بل كانت تحت مصعب بن عمير، فقتل عنها، فتزوجها طلحة، فولدت له محمداً، وعمر، وكانت زينب بنت جحش رضى الله تعالى عنها صناع اليد، فكانت تدبغ، وتخرز، وتصدّق.

وقيل: إن النبى ﷺ تزوج بزينب فى ذى القعدة سنة خمس، وهى يومئذ بنت خمس وعشرين سنة، وكانت صالحة، صوامة، قوامة بارّة، ويقال لها: أم المساكين.

سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال لزيد: اذكرها علىّ، قال: فانطلقتُ، فقلتُ لها: يا زينب، أبشرى، فإن رسول الله ﷺ أرسل يذكرك، قالت: ما أنا بصانعة شيئًا حتى أؤامر ربى، فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن، وجاء رسول الله ﷺ، فدخل عليها بغير إذن. [أخرجه مسلم فى النكاح، باب زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب، والنسائى فى النكاح، باب صلاة المرأة إذا خُطبت واستخارت ربها].

ولزينب بنت جحش أحد عشر حديثًا، اتفقا لها على حديثين. [البخارى فى الجنائز، باب إحداد المرأة علي غير زوجها، وفى الفتن، باب يأجوج ومأجوج، ومسلم فى الطلاق، باب وجوب الإحداد فى عدة الوفاة، وفي أول الفتن].

وعن عثمان بن عبد الله الجحشىّ، قال: باعوا منزل زينب بنت جحش من الوليد بخمسين ألف درهم، حين هدم المسجد. لها ترجمة فى: (طبقات ابن سعد): ٨/١٠١، ١١٥، (طبقات خليفة): ٣٣٢، (المعارف): ٢١٥، ٤٥٧، ٥٥٥، (المستدرك): ٤/٢٧-٢٩، (الاستيعاب): ٤/١٨٤٩، ترجمة رقم (٣٣٥٥)، (تهذيب التهذيب): ١٢/٤٤٩، ترجمة رقم (٢٨٠٠)، (الإصابة): ٧/٦٦٧ ترجمة رقم (١١٢٢١)، (خلاصة تذهيب الكمال): ٣/ ٣٨٢، ترجمة رقم ٦٨، (كنز العمال): ١٣/٧٠٠، (شذرات الذهب): ١/١٠، ٣١، (صفة الصفوة): ٢/٣٣، ترجمة رقم (١٣١)، (المواهب اللدنية): ٢/٨٧، (سير اعلام النبلاء): ٢/٢١١-٢١٨، ترجمة رقم (٢١).

إلى رسول الله ﷺ، وقال: إنها سيئة الخلق، واستأمره فى طلاقها، فقال له: أمسك عليك زوجك يا زيد، ورآها ﷺ فاعجبته، ثم إن زيداً ضاق ذرعاً بما رأى من سوء خُلقها، فطلقها(1)، فزوجها الله بنبيه حين انقضت عدتها، بغير مهر، ولا تولى أمرها أحد كسائر أزواجه.

وذكر ابن اسحق أن [أخاها أحمد] بن جحش زوَّجَها، وأنه ﷺ أصدقها أربعمائة درهم، وأولم عليها بشاة واحدة، ودعا الناس فى صبيحة عرسها فطعموا، ثم جلسوا يتحدثون ولم يقوموا، فآذوا النبى ﷺ، فأنزل الله تعالى آية الحجاب، وأنزل: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناهُ ﴾(2)، أى بلوغه.. الآية،

---

(1) قال أبو حيان الأندلسي: فجاء زيد فقال: يا رسول الله، إنى أريد أن أفارق صاحبتى، فقال ﷺ: أرابك منها شيء؟ قال: لا والله، ولكنها تعظم عليَّ لشرفها، وتؤذينى بلسانها، فقال: ﴿أمسك عليك زوجك﴾، أى لا تطلقها، وهو أمر ندب، ﴿واتق الله﴾ فى معاشرتها، فطلقها، وتزوجها رسول الله ﷺ بعد انقضاء عدتها، وعلل تزويجه إياها بقوله: ﴿لكى لا يكون على المؤمنين حرج﴾ فى أن يتزوجوا زوجات من كانوا يتبنوه إذا فارقوهن، وأن هؤلاء الزوجات ليست داخلات فيما حُرِّم فى قوله: ﴿وحلائل أبنائكم﴾، [النساء: ٢٣] (البحر المحيط): ٨/ ٤٨١.

وقال على بن الحسين: كان قد أوحى الله إليه أن زيداً سيطلقها، وأنه يتزوجها بتزويج الله إياها، فلما شكا زيد خُلقها، وأنها لا تطيعه، وأعلمه بأنه يريد طلاقها، قال له: ﴿أمسك عليك زوجك واتق الله﴾، على طريق الأدب والوصية، وهو يعلم أنه سيطلقها، وهذا هو الذى أخفى فى نفسه، ولم يرد أنه يأمره بالطلاق، ولما علم من أنه سيطلقها، وخشى رسول الله ﷺ أن يلحقه قول من الناس فى أن يتزوج زينب بعد زيد، وهو مولاه، أمره بطلاقها، فعاتبه الله على هذا القدر فى شيء قد أباحه الله بأن قال: ﴿أمسك﴾، مع علمه أن يطلق، فأعلمه أن الله أحق بالخشية، أى فى كل حال. (المرجع السابق): ٤٨٢.

وهذا المروى عن على بن الحسين، هو الذى عليه أهل التحقيق من المفسرين، كالزهرى، وبكر بن العلاء، والقشيرى، والقاضي أبى بكر بن العربى، وغيرهم. والمراد بقوله: ﴿وتخشى الناس﴾، إنما هو إرجاف المنافقين فى تزويج نساء الأبناء، والنبى ﷺ معصوم في حركاته وسكناته. ولبعض المفسرين كلام فى الآية، يقتضى النقص من منصب النبوة، ضربنا عنه صفحاً (المرجع السابق): ٤٨٢.

وروى أبو عصمة: نوح بن أبى مريم، بإسناد رفعه إلى زينب أنها قالت: ما كنتُ امتنع منه، غير أن الله منعنى منه، وقيل: إنه منذ تزوجها لم يتمكن من الاستمتاع بها. وروى أنه كان يتورم ذلك منه حين يريد أن يقربها. (المرجع السابق): ٤٨٣.

(2) الأحزاب: ٥٣.

وقالت زينب للنبى ﷺ لست كسائر نسائك، إنى أدلّ بثلاث ما من نسائك من يدلّ بهن: جدك وجدى واحد، ونكحتك من السماء، وكان جبريل السفير فى أمرى.

وقالت عائشة: رضى الله عنها: يرحم الله زينب، لقد نالت الشرف الذى لا يبلغه شرف فى الدنيا: أن الله زوجها نبيّه، ونطق بذلك كتابه، وأن رسول الله ﷺ قال ونحن حوله: أسرعكن لحوقًا بى أطولكن يداً - أو قال: باعًا - فبشرها بسرعة لحاقها به، وأنها زوجته فى الجنة، وكانت زينب تقول لأزواج النبى ﷺ: زوجكن أولياؤكن بمهور، وزوجنى الله.

وكان تزويج رسول الله ﷺ إياها فى سنة خمس، وقيل فى سنة ثلاث، ولما بُشّرت بتزويج الله نبيه إياها، ونزول الآية فى ذلك، جعلت على نفسها صوم شهرين شكراً لله، وأعطيت من بَشّرها حليًا [كانت] عليها.

ولا خلاف أنها كانت قبل رسول الله ﷺ تحت زيد بن حارثة، وأنها التى ذكر الله تعالى فى قوله: ﴿ **فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها** ﴾(١)، ولما دخلت عليه قال: ما اسمك؟ قالت: بَرّة، فسماها زينب، ولم يكن أحد من نسائه يشارك عائشة رضي الله عنها فى حسن المنزلة غير زينب بنت جحش، وغضب عليها رسول الله ﷺ لقولها فى صفية بنت حُيّى: حتى تلك اليهودية، وهجرها لذلك ذا الحجة والمحرم وبعض صفر، ثم أتاها بعد وعاد إلى ما كان عليه معها.

وذكر الحاكم أنه رضى عنها فى شهر ربيع الأول الذى قُبض فيه، فلما دخل عليها قالت: ما أدرى ما أجزئك، فوهبت له جارية اسمها نفيسة(٢).

وخرج من حديث عبد العزيز الأريش، حدثنا عبد الرحمن بن أبى

---

(١) الأحزاب: ٥٣.

(٢) سبق تخريجه فى ترجمتها.

الرجال عن أبيه، عن عمرو عن عائشة قالت: أهدى لى لحم، فأمرنى رسول الله أن أُهدى منه لزينب، فأهديت لها فردته، فقال: زيديها، فزدتُها، فردته، فقال: أقسمت عليك إلا زدتيها، فزدتُه، فدخلتنى غيره، فقلت: لقد أهانيك، [فقال]: أنت وهى أهون على الله من أن يهيننى منكن أحد، أقسمت لا أدخل عليكن شهراً.

فغاب عنا تسعًا وعشرين، ثم دخل علينا مساء الثلاثين فقلت: كنت [حلفت] أن لا تدخل شهراً، فقال: شهر هكذا وشهر هكذا، وفرق بين كفيه وأمسك فى الثالث الإبهام. قال: هذا حديث صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه. وفيه البيان أن أقسمت على كذا يمين وقسم.

وتوفيت سنة عشرين، وقيل: إحدى وعشرين، وصلى عليها عمر رضى الله عنه، ودفنت بالبقيع، ونزل فى قبرها محمد بن عمر بن جحش، وعبد الله بن أحمد بن جحش، وأسامة بن زيد، وضرب عمر على قبرها فسطاطًا من شدة الحر، فكانت أول أزواج رسول الله ﷺ وفاة بعده.

* * *

[أم المؤمنين أم حبيبة](*)

وأم حبيبة رملة، وقيل: هند - ورملة أثبت - ابنة أبى سفيان صخر بن

(*) هى السيدة المحجَّبة : رملة بنت أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصى. مسندها خمسة وستونَ حديثًا، واتفق لها البخارى ومسلم على حديثين، وتفرد مسلم بحديثين [البخارى فى النكاح، باب ﴿وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف﴾، وفى الطلاق، باب الكحل للحادة، ومسلم في الرضاع، باب تحريم الربيبة وأخت المراة، وفى الطلاق، باب وجوب الإحداد، وفى صلاة المسافرين، باب فضل السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدهن، وفي الحج، باب استحباب تقديم دفع الضعفة من النساء وغيرهن من مزدلفة إلى مني فى أواخر الليل قبل زحمة الناس].

وهى من بنات عم الرسول ﷺ، ليس فى أزواجه من هى أقرب نسبًا إليه منها، ولا فى نسائه من هى أكثر صداقًا منها، ولا من تزوج بها وهى نائية الدار أبعد منها، عُقد له ﷺ عليها بالحبشة، وأصدقها عنه صاحب الحبشة أربعمائة دينار وجهزها باشياء. روت عنه عدَّة أحاديث، وقبرها بالمدينة.

قال ابن سعد : وَلَد أبو سفيان: حنظلة المقتول يوم بدر، وأم حبيبة، توفى عنها زوجها الذى هاجر بها إلى الحبشة: عبيد الله بن جحش بن رياب الأسدى، مرتداً متنصرًا.

عُقد عليها للنبى ﷺ بالحبشة سنة ست، وكان الولى عثمان بن عفان. [(الاستيعاب) (والمستدرك)] معمر، عن الزهرى، عن عروة، عن أم حبيبة: أنها كانت تحت عبيد الله، وأن رسول الله ﷺ تزوجها بالحبشة، زوجها إياه النجاشىّ، ومهرها أربعة آلاف درهم، وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة، وجهازها كله من عند النجاشىّ. [إسناده صحيح، أخرجه أبو داود فى النكاح، باب الصداق، والنسائى فى النكاح، باب القسط فى الأصدقه، وأحمد فى (المسند)].

وقيل: إن أم حبيبة لما جاء أبوها إلى النبى ﷺ ليؤكد عقد الهدنة، ودخل عليها، فمنعته أن يجلس على فراش رسول الله ﷺ لمكان الشرك. [أخرجه ابن سعد فى (الطبقات) من طريق الواقدى، عن محمد بن عبد الله، عن الزهرى].

وأما ما ورد من طلب أبى سفيان من النبى ﷺ أن يزوجه بأم حبيبة، فما صحَّ، ولكن الحديث فى مسلم، وحمله الشارحون على التماس تجديد العقد. [مسلم فى فضائل الصحابة، باب من فضائل أبى سفيان بن حرب، وقد أعله غير واحد من الأئمة].

وقد كان لأم حبيبة حرمة وجلالة، ولا سيما فى دولة أخيها ولمكانه منها قيل له: خال المؤمنين [كذا قاله الذهبى فى (سير الأعلام). لكن قال القسطلانى فى (المواهب اللدنية): ولا يقال: بناتهن أخوات المؤمنين، ولا آباؤهن وأمهاتهن أجداد وجدات، ولا إخوتهن ولا أخواتهن أخوال وخالات].

قال الواقدى، وأبو عبيد، والفسوى: ماتت أم حبيبة سنة أربع وأربعين.

وقال أيضًا: حدثنا محمد بن عبد الله، عن الزهرى، قال: لما قدم أبو سفيان المدينة، والنبى ﷺ =

حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أمها صُفَيًّا بنت أبى العاص، عمة عثمان بن عفان رضى الله عنه، تزوجها عبيد الله بن جحش، فولدت له جارية سُميت حبيبة، فكنيت بها، وهاجر بها إلى الحبشة، فتنصَّر، وثبتت أم حبيبة على الإسلام، فلما هلك عبيد الله رأت فى منامها أباها يقول لها: يا أم المؤمنين.

وكتب رسول الله ﷺ في سنة سبع – وهو الثابت – كتابين إلى النجاشى يدعوه فى أحدهما إلى الإسلام، ويأمره فى الثانى أن يخطب عليه أم حبيبة، وأن يبعث من قبله من المسلمين مع عمرو بن أمية الضمرى، وهو كان رسوله بالكتابين.

وقال الحافظ أبو نعيم: فأما بعثة عمرو بن أمية الضمرى من قبل رسول الله إلى النجاشى ليزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان وإجابته إلى ذلك، فلا أعلم خلافًا أنه كان بعد مرجعه ﷺ من خيبر، وذلك بعد خمس سنين

= يريد غزو مكة، فكلمه فى ان يزيد فى الهدنة، فلم يقبل عليه، فقام فدخل على ابنته أم حبيبة، فلما ذهب ليجلس على فراش النبى ﷺ طوته دونه، فقال: يا بُنية! ارغبت بهذا الفراش عنى، أم بى عنه؟ قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ، وأنت امرؤ نجس مشرك، فقال يا بنيه، لقد أصابك بعدى شَرٌّ. [أخرجه ابن سعد فى (الطبقات)].

قال عطاء: أخبرنى ابن شوال، ان أم حبيبة أخبرته، أن رسول الله ﷺ أمرها أن تنفر من جمع بليل. [أخرجه مسلم فى الحج، باب استحباب تقديم دفع الضعفة من النساء وغيرهن من مزدلفة إلى منى قبل زحمة الناس، وابن سعد فى (الطبقات)، وجَمْع: علم للمزدلفة، وابن شوال هو سالم مولى أم حبيبة].

قال الواقدى: حدثنى أبو بكر بن أبى سبرة، عن عبد المجيد بن سُهيل، عن عوف بن الحارث: سمعتُ عائشة تقول: دعتنى أم حبيبة عند موتها، فقالت: قد كان يكون بيننا ما يكون بين الضرائر، فغفر الله لى ولك ما كان من ذلك، فقلتُ: غفر الله لك ذلك كله وَحَلَّلَك من ذلك، فقالت: سررتنى سرَّك الله، وارسلت إلى أم سلمة، فقالت لها مثل ذلك: [أخرجه ابن سعد فى (الطبقات)، والحاكم فى (المستدرك)]. لها ترجمة فى: (مسند أحمد): ٧/٥٧٧–٥٨١، (طبقات ابن سعد): ٨/٩٦–١٠٠، (طبقات خليفة): ٣٣٢، (تاريخ خليفة): ٧٩، ٨٦، (المعارف): ١٣٦، ٣٤٤، (الجرح والتعديل): ٩/٤٦١، (المستدرك): ٤/٢١–٢٤، (الاستيعاب): ٤/١٩٢٩، ترجمة رقم (٤١٣٦)، (تهذيب التهذيب): ١٢/٤٤٨، ترجمة رقم (٢٧٩٣)، (الإصابة): ٧/٦٥١–٦٥٤، ترجمة رقم (١١١٨٥)، (خلاصة تذهيب الكمال): (شذرات الذهب): ١/٥٤، (صفة الصفوة): ٢/٣١–٣٣ ترجمة رقم (١٣٠)، (المواهب اللدنية): ٢/٨٥–٨٧، (سير أعلام النبلاء): ٢/٢١٨، ترجمة رقم (٢٣).

وأشهر مضت من هجرته إلى المدينة، وأن النجاشي أصدقها عن رسول الله ﷺ أربعمائة دينار، دفعها من ماله إليها(١).

وفي صحيح ابن حبان عن ابن شهاب عن عروة، عن عائشة قالت: هاجر عبد الله بن جحش بأم حبيبة بنت أبي سفيان - وهي امرأته - إلى أرض الحبشة، فلما قدم أرض الحبشة مرض، فلما حضرته الوفاة أوصى إلى رسول الله، فتزوج رسول الله ﷺ أم حبيبة، وبعث بها النجاشي مع شرحبيل بن حسنة(٢).

فأسلم النجاشي، ووجه إلى أم حبيبة جارية له يقال لها: أبرهة لتُعْلمها بذلك وتبشرها بذلك وتبشرها به، فوهبت لها أم حبيبة [حلة] كانت عليها وكستها.

ثم وكلت خالد بن سعيد بن العاص بن أمية - وهو ابن عمها - بتزويجها، فخطبها عمرو بن أمية إليه، فزوجها رسول الله ﷺ، ومهرها عنه النجاشيّ أربعمائة دينار - وقيل: مائتي دينار، وقيل أربعة آلاف درهم - وبعث بها إليها مع أبرهة، فوهبتها منها خمسين مثقالاً فلم تقبلها، وردت ما كانت أعطتها أولا، وذلك أن النجاشي أمرها برده.

وهيأ النجاشي طعامًا أطعمه من حضره من المسلمين، وأهدى إلى رسول الله ﷺ كسوة جامعة، وأمر نساءه أن يبعثن إلى أم حبيبة فبعثن لها بعود وورس وعنبر وزياد كثير، قدمت به على رسول الله، وكان يراه عندها وعليها فلا ينكره.

---

(١) سبق تخريجه في ترجمتها.

(٢) (سنن النسائي): ٦/٤٢٩، باب (٦٦) القسط في الأصدقة، حديث رقم (٣٣٥٠)، (سنن أبي داود): ٢/٥٨٣، كتاب النكاح، باب (٢٩) الصداق، حديث رقم (٢١٠٧)، (٢١٠٨)، وقال الخطابي في (معالم السنن): وقد روى أصحاب السير أن الذي عقد النكاح عليها خالد بن سعيد بن العاص، وهو ابن عم أبي سفيان - وأبو سفيان إذا ذاك مشرك - وقبل نكاحها عمرو بن أبي أمية الضمري، وكله رسول الله ﷺ، (مسند أحمد): ٧/٥٧٩ حديث رقم (٢٦٨٦٢)، (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان): ١٣/٣٨٥-٣٨٦، كتاب الوصية، باب ذكر إباحة وصية المرء وهو في بلد ناءٍ إلى الموصى إليه في بلد آخر، حديث رقم (٦٠٢٧)، وإسناد صحيح على شرط البخاري.

فلما قدم عمرو بن أمية بأم حبيبة المدينة، ابتنى بها رسول الله ﷺ، والثابت أنها قدمت مع عمرو في إحدى السفينتين أيام خيبر، وقيل: بل بعث رسول الله ﷺ أبا عامر الأشعرى حين بلغه خطبة عمرو أم حبيبة وتزويج خالد إياها، فحملها إليه قبل قدوم أهل السفينتين وهيأ النجاشى طعاماً أطعمه من حضره من المسلمين، وأهدى إلى رسول الله ﷺ كسوة جامعة، وأمر نساءه أن يبعثن إلى أم حبيبة فبعثن لها بعود وروس وعنبر وزياد كثير، قدمت به على رسول الله، وكان يراه عندها وعليها فلا ينكره.

وأن أبا سفيان قال: أنا أبوها أَمْ أبو عامر؟ وقيل: بل بعث إليها شرحبيل بن حسنة فجاءه بها.

قال ابن المبارك: أخبرنا معمر عن الزهرى، عن عروة، أن أم حبيبة بعث بها النجاشى إلى النبى ﷺ مع شرحبيل بن حسنة، ولما بلغ أبو سفيان تزوُّج رسول الله ﷺ أم حبيبة قال: ذلك الفحل لا [يُقْدَعُ] أنفه(١).

وقال ابن عباس رضى الله عنه فى قول الله تعالى: ﴿**عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة**﴾(٢)، نزلت حين تزوج رسول الله ﷺ أم حبيبة بنت أبى سفيان بن [حرب](٣) وقيل قدم عمرو بن أمية بأم

---

(١) القَدْعُ: الكفُّ والمنع، وفلان لا يُقْدَعُ أنفه، أى لا يرتدع، وهذا فحل لا يُقدع أى لا يُضرب أنفه، وذلك إذا كان كريمًا، وفى حديث زواجه ﷺ خديجة رضى الله عنها: قال ورقة ابن نوفل: محمد يخطب خديجة، هو الفحل لا يُقدع أنفه (لسان العرب): ٨/ ٢٦٠.

(٢) الممتحنة: ٧.

(٣) وقد قال مقاتل بن حيان: إن هذه الآية نزلت فى أبى سفيان صخر بن حرب، فإن رسول الله ﷺ تزوج ابنته، فكانت هذه مودة ما بينه وبينه. وفى هذا يقول العلامة محمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلسى الغرناطى: ومن ذكر ان هذه المودة هى تزويج النبى ﷺ أم حبيبة بنت أبى سفيان، وأنها كانت بعد الفتح فقد أخطأ، لأن تزويجها كان وقت هجرة الحبشة، وهذه الآيات سنة ست من الهجرة، ولا يصح ذلك عن ابن عباس إلا ان يسوقه مثالاً، وإن كان متقدمًا لهذه الآية، لانه استمر =

حبيبة مع أصحاب السفينتين فخطبها رسول الله ﷺ إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه، فزوجه إياها، والأول أثبت، وتوفيت رضى الله عنها سنة أربع وأربعين، وقيل سنة اثنتين وأربعين، وصلى عليها مروان.

وقد وقع فى صحيح مسلم من حديث عكرمة بن عمار قال: حدثنا أبو زميل قال: حدثنى ابن عباس رضى الله عنه قال: كان المسلمون لا ينظرون إلى أبى سفيان ولا يقاعدونه، فقال للنبى ﷺ يا نبى الله! ثلاثة أعطينهنَّ، قال: نعم، قال: عندى أحسن العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبى سفيان أزوجكها، قال: نعم، قال: ومعاوية تجعله كاتبًا بين يديك، قال: نعم، قال: وتُؤَمِّرنى حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين، قال: نعم.

قال أبو زميل: ولولا أنه طلب ذلك من النبى ﷺ لما أعطاه ذلك، لأنه لم يكن يُسأل شيئًا إلا قال: نعم(١).

قال أبو عبيد الله محمد بن أبى نصر الحميدى رحمه الله: قال لنا بعض الحفاظ: هذا الحديث وهم فيه بعض الرواة، لأنه لا خلاف بين اثنين من أهل المعرفة بالأخبار، أن النبى ﷺ تزوج أم حبيبة رضى الله عنها قبل الفتح بدهر وهى بأرض الحبشة، وأبوها كافر يومئذ(٢).

= بعد الفتح كسائر ما نشأ من المؤدَّات، قاله ابن عطية. (البحر المحيط): ١٠/١٥٦.

(١) (مسلم بشرح النووى): ١٦/٢٩٦، كتاب (٤٤) فضائل الصحابة باب (٤٠) من فضائل أبى سفيان بن حرب، رضى الله تعالى عنه، حديث رقم (١٦٨).

(٢) قال الإمام محى الدين أبو زكريا بن شرف النووى: واعلم أن هذا الحديث من الأحاديث المشهورة بالإشكال، ووجه الإشكال أن أبا سفيان إنما أسلم يوم فتح مكة سنة ثمان من الهجرة، وهذا مشهور لا خلاف فيه، وكان النبى ﷺ قد تزوج أم حبيبة قبل ذلك بزمان طويل.

قال أبو عبيدة، وخليفة بن خياط، وابن البرقى، والجمهور: تزوجها سنة ست، وقيل: سنة سبع، قال القاضى عياض: واختلفوا أين تزوجها، فقيل: بالمدينة بعد قدومها من الحبشة، وقال الجمهور: بأرض الحبشة. قال: واختلفوا فيمن عقد له عليها هناك؛ فقيل: عثمان، وقيل: خالد بن سعيد بن العا ص بإذنها، وقيل: النجاشىّ لأنه كان أمير الموضع وسلطانه. =

قال كـاتبـه: وقـد استُغرب من مـسلم رحـمـه الله كيف لم ينتبه لهـذا الحديث؟ فإنه لا يخفى عليه أن أبا سفيان إنما أسلم ليلة فتح مكة، وقد كـان بعد تزويج رسول الله ﷺ أم حبيبة بأكثر من سنة بلا خلاف، وقد أشكل هذا الحديث على الناس واختلفوا فيه، ووجه إشكاله أن أم حبيبة تزوجـها رسـول الله ﷺ قبل إسلام أبى سفـيـان كـمـا تقـدم، زوّجـهـا إياه النجاشى، ثم قدمت على رسول الله ﷺ قبل أن يُسْلم أبوها، فكيف يقول بعـد الفـتح: أزوجك أُمّ حـبـيـبـة؟ فـقـالت طائفـة من أهل الحـديـث: هذا الحديث كذب لا أصل له.

قال أبو محمد على بن سعيد بن حزم: كـذبه عكرمة بن عمار وحمل عليه، واستعظم ذلك آخرون وقالوا: أنى يكون فى صحيح مسلم حديث مرفوع؟ وإنما وجه الحديث أنه طلب من النبى ﷺ أن يجدد له العقد على

= وقال القاضى عياض: والذى فى مسلم هنا انه زوَّجها ابو سفيان غريب جداً، وخبرها مع ابى سفيان حين ورد المدينة فى حال كفره مشهور، ولم يزد القاضى على هذا.

وقـال ابن حـزم: هـذا الحـديـث وَهَم من بعض الرواة، لانه لا خـلاف بين الناس ان النبى ﷺ تزوج ام حبيبة قبل الفتح بدهر وهى بأرض الحبشة، وابوها كافر، وفى رواية عن ابن حزم ايضاً انه قال: انه موضوع. قال: والآفة فيه من عكرمة بن عمـار، الراوى عن ابى زميل، وانكر الشيخ ابو عـمـرو بن الصلاح رحمه الله هذا ايضاً على ابن حزم، وبالغ فى الشناعة عليه.

قال: وهذا القول من جسارته فإنه كان هجوماً على تخطئة الائمة الكبار، وإطلاق اللسان فيهم. قال: ولا نعلم احداً من ائمة الحديث نسب عكرمة بن عمار إلى وضع الحديث، وقد وثقه وكيع، ويحى بن معين، وغيرهما، وكان مستجاب الدعوة.

قال: وما توهمه ابن حزم من منافاة هذا الحديث لتقدم زواجها غلط منه وغفلة، لانه يحتمل انه سأله تجديد عقد النكاح تطييباً لقلبه، لانه ربما يرى عليها غضاضة من رياسته ونسبه، ان تزوج بنته بغير رضاه، او انه ظن ان إسلام الاب فى مثل هذا يقتضى تجديد العقد، وقد خفى اوضح من هذا على اكبر مرتبة من ابى سفيان ممن كثر علمه، وطالت صحبته، هذا كلام ابى عمرو رحمه الله، وليس فى الحديث ان النبى ﷺ جدَّد العقد: ولا قال لابى سفيان انه يحتاج إلى تجديده، فلعله ﷺ اراد بقوله: نعم، ان مقصودك يحصل، وإن لم يكن بحقيقة عقد. والله تعالى اعلم. (مسلم بشرح النووى): ١٦/٢٩٦.

ابنته ليتقى له بذلك وجهه بين المسلمين.

واعترض على هذا القول بأن فى الحديث: أن النبى ﷺ وعده وهو الصادق الوعد، ولم ينقل أحد قط أنه ﷺ جدد العقد على أم حبيبة، ومثل هذا لو كان لنُقل، فحيث لم ينقله أحد قط عُلم أنه لم يقع.

ولم يردّ القاضى [عياض] على استشكال الحديث فقال: والذى وقع فى مسلم من هذا غريب جداً عند أهل الخبر، وخبرها مع أبى سفيان عند وروده المدينة بسبب تجديد الصلح ودخوله عليها مشهور.

وقالت طائفة: ليس الحديث بباطل، وإنما سأل أبو سفيان النبى ﷺ، أن يزوجه ابنته الأخرى على أختها أم حبيبة، قالوا: ولا يبعد أن يخفى هذا على أبى سفيان لحداثة عهده بالإسلام، كما خفى على ابنته أم حبيبة حتى سألت رسول الله ﷺ أن يتزوجها، فقال: إنها لا تحل لى، فأراد أبو سفيان أن يتزوج النبى ﷺ ابنته الأخرى، والتبعة على الراوى. وذهب وهمه إلى أنها أم حبيبة وهذه التسمية من غلط بعض الرواة لا من قول أبى سفيان.

قال شيخنا العماد عمر بن كثير - رحمه الله - : والصحيح فى هذا أن أبا سفيان لما رأى صهر النبى ﷺ [رفع من قدره](1) أحب أن يزوجه ابنته الأخرى - وهى عزة - و استعان على ذلك بأختها أم حبيبة، كما أخرجاه فى الصحيحين عن أم حبيبة أنها قالت: يارسول الله! أنكح أختى بنت أبى سفيان، فقال: وتحبين ذلك؟ قلت: نعم.. الحديث(2).

---

(1) زيادة يقتضيها السياق، ومكانها مطموس فى (خ).

(2) أخرجه البخارى فى (الصحيح) قال: حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا الليث عن عقيل، عن ابن شهاب، أن عروة بن الزبير أخبره أن زينب ابنة أبى سلمة أن أم حبيبة قالت: قلت: يا رسول الله، انحكحْ أختى بنت أبى سفيان، قال: وتحبين؟ قلت: نعم، لست لك بمخلية، وأحب من شاركنى فى خير أختى، فقال النبى ﷺ: إن ذلك لا يحل لى. قلت: يارسول الله، فوالله إنا لنتحدث أنك تريد أن تنكح دُرة بنت أبى سلمة، قال: بنت أم سلمة؟ فقلت: نعم، قال: فوالله لو لم تكن فى حجرى ما =

= حلت لي، إنها لابنة أخي من الرضاعة، أرضعتني وأبا سلمة ثويبة - فلا تعْرضنَ عليَّ بناتكن ولا أخواتكن. (فتح الباري): ٩ /١٩٨، كتاب النكاح، باب (٢٧) ﴿**وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف**﴾، حديث رقم (٥١٠٧)، (مسلم بشرح النووي): ٩ / ٢٧٨، كتاب الرضاع، باب (٤) تحريم الربيبة وأخت المرأة، حديث رقم (١٥)، وقال الإمام النووي: هذا الإسناد فيه أربعة تابعيون: أولهم: بكير بن عبد الله بن الأشج، روى عن جماعة من الصحابة، والثاني عبد الله بن مسلم الزهري أخو الزهري المشهور وهو تابعي سمع ابن عمر وآخرين من الصحابة، وهو أكبر من أخي الزهري المشهور، والثالث: محمد بن مسلم الزهري المشهور، وهو أخو عبد الله الراوي عنه كما ذكرنا، والرابع: حميد بن عبد الرحمن بن عوف، وهو الزهري، تابعيان مشهوران.

ففي هذا الإسناد ثلاث لطائف من علم الإسناد: إحداها: كونه جمع أربعة تابعين بعضهم عن بعض، الثانية: أن فيه رواية الكبير عن الصغير، لأن عبد الله أكبر من أخيه محمد كما سبق، الثالثة: أن فيه رواية الأخ عن أخيه.

قوله ﷺ: «لو أنها لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي إنها ابنة أخي من الرضاعة»، معناه أنها حرام عليَّ بسببين: كونها ربيبة، وكونها بنت أخي، فلو فقد أحد السببين حرمت بالآخر، والربيبة بنت الزوجة، مشتقة من الربِّ، وهو الإصلاح، لأنه يقوم بأمورها، ويصلح أحوالها.

ووقع في بعض كتب الفقه أنها مشتقة من التربية، وهذا غلط فاحش، فإن من شرط الاشتقاق الاتفاق في الحروف الأصلية، ولام الكلمة، وهو الحرف الأخير مختلف، فإن آخر ربّ باء موحدة، وفي آخر ربّى ياء مثناه من تحت، والله تعالى أعلم.

قوله ﷺ: «ربيبتي في حجري»، ففيه حجة لداود الظاهري أن الربيبة لا تحرم إلا إذا كانت في حجر زوج أمها، فان لم تكن في حجره فهي حلال له، وهو موافق لظاهر قوله تعالى: ﴿**وربائبكم اللاتي في حجوركم**﴾، ومذهب العلماء كافة سوى داود أنها حرام، سواء كانت في حجره أم لا.

قالوا: والتقييد إذا خرج على سبب لكونه الغالب، لم يكن له مفهوم يعمل به، فلا يقصر الحكم عليه، ونظيره قوله تعالى: ﴿**ولا تقتلوا أولادكم من إملاق**﴾، ومعلوم أنه يحرم قتلهم بغير ذلك أيضًا، لكن خرج التقييد بالإملاق لأنه الغالب، وقوله تعالى: ﴿**ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا**﴾، ونظائره في القرآن كثيرة.

قوله ﷺ: «أرضعتني وأباه ثويبة»، أباها بالباء الموحدة، أي أرضعتني أنا وأبوها أبو سلمة، من ثويبة بثاء مثلثة مضمومة، ثم واو مفتوحة ثم ياء التصغير ثم باء موحدة ثم هاء، وهي مولاة لأبي لهب، ارتضع منها ﷺ قبل حليمة السعدية رضي الله عنها.

قوله ﷺ: «فلا تعرضوا عليَّ بناتكن ولا أخواتكن»، إشارة إلى أخت أم حبيبة، وبنت أم سلمة، واسم أخت أم حبيبة هذه: عَزَّة، بفتح العين المهملة، وهذا محمول على أنها لم تعلم حينئذ تحريم =

وعلى هذا فيصح الحديث الأول، ويكون قد وقع الوهم من بعض الرواة فى قوله: عندى أحسن العرب وأجمله أم حبيبة، وإنما قال: عزة، فشبه على الراوى، أو أنه قال - يعنى الشيخ -: ابنته، فتوهم السامع أنها أم حبيبة، إذ لم يعرف سواها، ولهذا النوع من الغلط شواهد كثيرة، قلما قررت سرد ذلك فى خبر مفرد لهذا الحديث، ولله الحمد، وهذا القول جيد، لكن سرده أن النبى ﷺ قال: نعم، فأجابه إلى ما سأل، ولو كان المسئول أن يزوجه أخت أم حبيبة لقال: إنها لا تحل لى كما قال ذلك لأم حبيبة، ولولا هذا لكان هذا التأويل فى الحديث من أحسن التأويل.

وقال ابن طاهر المقدسى فى (مسألة الانتصار): والشبهة التى حملته - يعنى ابن حزم - على الكلام فى عكرمة بن عمار بغير حجة، هى أن النجاشى زوَّج أم حبيبة من النبى ﷺ وهى بأرض الحبشة، ثم بعث بها إلى المدينة قبل إسلام أبى سفيان.

والجواب عن هذه الشبهة: أن أبا سفين لما أسلم أراد بهذا القول تجديد النكاح، لأنه إذا ذاك كان مشركًا، فلما أسلم ظن أن النكاح [يجدد] بإسلام الولى، وخفى ذلك عليه، وقد خفى على أمير المؤمنين على بن أبى طالب الحكم فى الذى [ ][1] مع قدم إسلامه وصحبته وعلمه وفقهه، حتى أرسل المقداد فسأل رسول الله ﷺ عن ذلك، وخفى على عبدالله بن عمر الحكم فى طلاق الحائض، حتى سأل عمر رسول الله ﷺ، فأمره بالسنة

= الجمع بين الأختين، وكذا لم تعلم من عرض بنت أم سلمة تحريم الربيبة، وكذا لم تعلم من عرض بنت حمزة تحريم بنت الأخ من الرضاعة، أو لم تعلم أن حمزة أخ له من الرضاع، والله تعالى أعلم. (المرجع السابق).

وأخرجه أيضا الحافظ البيهقى فى (السنن الكبرى): ٧/١٦٢، كتاب النكاح، باب ما جاء فى قول الله تعالى: ﴿وأن تجمعوا بين الأختين﴾.

(١) ما بين الحاصرتين مطموس فى (خ).

فى ذلك.

ولهذا نظائر غير خافية بين أهل النقل، [والرجوع] إلى هذا التأويل أولى من التخطى إلى الكلام فى رجل ثقة، وإبطال حديث ورد عن رسول الله ﷺ، متصل الإسناد، معتَمد الرواه. وأما قول أبى زميل: حدثنا ابن الوليد، فهو مقصور عليه، لم ينسبه إلى من فوقه، فتكلم عليه.

قال جامعه: وقد تبع ابن طاهر على هذا الجواب أبو عمر بن الصلاح إلى الشيخ أبى زكريا النووى فى (شرح مسلم)، وهذا تأويل بعيد جداً، لأنه لو كان كذلك لم يقل: عندى أحسن العرب وأجمله، إذ قد رآها رسول الله ﷺ منذ سنة فأكثر، وتوهّم فسخ نكاحها بإسلامه بعيد جداً.

وقالت طائفة لم يتفق أهل النقل على أن النبى ﷺ تزوج أم حبيبة بأرض الحبشة، حكاه أبو محمد المنذرىّ، وهذا من أضعف الأجوبة لوجوه.

أحدها : أن هذا القول لا يعرف به أثر صحيح ولا حسن، ولا حكاه أحد ممن يعتمد على نقله.

الثانى : أن قصة تزوج أم حبيبة وهى بأرض الحبشة قد جرت مجرى التواتر، كتزويجه ﷺ خديجة بمكة، وعائشة بمكة، وبنائه بعائشة بالمدينة، وتزويجه حفصة بالمدينة، وصفية عام خيبر، وميمونة فى عمرة [القضية](١)، ومثل هذه الوقائع شهرتها عند أهل العلم موجبة بقطعهم بها، فلو جاء سند ظاهره الصحة يخالفها، عدّوه غلطا، ولم يلتفتوا إليه ولا يمكنهم مكابرة نفوسهم فى ذلك.

الثالث : أنه من [المعلوم](١) عند أهل العلم بسيرة النبى ﷺ وأحواله، أنه لم يتأخر نكاحه أم حبيبة إلى بعد فتح مكة، ولا يقع ذلك فى وهم

(١) زيادة يقتضيها السياق.

أحد منهم أصلاً.

الرابع: أن أبا سفيان لما قدم المدينة دخل على ابنته أم حبيبة، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه، فقال: يا بنية! ما أدرى أرغبت بى عن هذا الفراش؟ أم رغبت به عنى؟ قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ، قال: والله لقد أصابك يا بنية بعدى شرّ، وهذا الخبر مشهور عند أهل المغازى والسِّيَر، ذكره ابن إسحق وغيره فى قصة قدوم أبى سفيان المدينة لتجديد الصلح.

الخامس: أن أم حبيبة [كانت][(١)] من مهاجرات الحبشة مع زوجها عبد الله بن جحش، ثم تنصر زوجها وهلك بأرض الحبشة، ثم قدمتْ حتى جاءتْ على رسول الله ﷺ بعد ما زوجه النجاشى إياها، فكانت عندك ﷺ ولم تكن عند أبيها، وهذا مما لا يشك فيه أحد من أهل النقل، [ومن المعلوم أن أبا سفيان][(١)] لم يسلم إلا عام الفتح، فكيف يقول: عندى أجمل العرب أزوجك إياها؟ وهل كانت عنده بعد هجرتها وإسلامها قط؟

فإن كان قال ذلك القول قبل إسلامه فهو محال، فإنها لم تكن عنده، ولم يكن له عليها ولاية أصلاً، وإن كان قاله بعد إسلامه فمحال أيضًا، لأن نكاحها لم يتأخر إلى بعد الفتح، فإن قيل: بل بيقين أن يكون نكاحها بعد الفتح لأن الحديث الذى رواه مسلم صحيح، ورجال إسناده ثقات حفاظ، وحديث نكاحها بأرض الحبشة من رواية محمد بن إسحق مرسلاً، والناس مختلفون بمسانيد ابن إسحق، فكيف بمراسيله؟ فكيف بها إذا خالفت المسانيد الثابتة؟ وهذه طريقته فى تصحيح حديث ابن عباس هذا، والجواب من وجوه:

أحدها: أن ما ذكره هذا القائل إنما يمكن عند تساوى النَّقْلين، فيترجح ما

(١) زيادة يقتضيها السياق.

ذكره، وأما مع تحقق بطلان أحد النقلين فلا يلتفت إليه فإن لا يُعلم نزاع بين اثنين من أهل العلم بالسير والمغازى، وأحوال رسول الله فى ذلك قط، ولو قاله قائل لعلموا بطلان قوله ولم يشكوا فيه.

الثاني: أن الاعتماد فى هذا [الحديث][(١)] على رواية ابن إسحق وحده لا متصلة ولا مرسلة، بل النقل المتواتر عند أهل المغازى والسير، أن أم حبيبة هاجرت مع زوجها، وأنه هلك نصرانيا بأرض الحبشة، وأن النجاشى زوجها النبى ﷺ وأمهرها من عنده، وقصتها فى كتب المغازى والسير.

وقد ذكرها أيضًا أئمة العلم، واحتجوا بها على جواز الوكالة فى النكاح، قال الشافعى رحمه الله فى رواية الربيع فى حديث عقبة بن عامر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إذا نكح الوليان فالأول أحق، فيه دلالة على أن الوكالة فى النكاح جائزة، مع توكيل النبى ﷺ عمرو بن أمية الضمرى فزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان.

وقال فى (الأم) أيضًا: ولا يكون الكافر وليًا لمسلمة، ولو كانت بنته، [و][(١)] قد زوج ابن سعيد بن العاص النبى ﷺ أم حبيبة بنت أبى سفيان، وأبو سفيان حى، لأنها كانت مسلمة وابن سعيد مسلم، ولا أعلم مسلما أقرب لها منه، ولم يكن لأبى سفيان [فيها][(٢)] ولاية، لأن الله تعالى قطع الولاية بين المسلمين والمشركين فى المواريث [والعقل][(٣)] وغير ذلك[(٤)].

وابن سعيد هذا هو خالد بن سعيد بن العاص، ذكره ابن إسحق وغيره، وذكر عروة والزهرى أن عثمان بن عفان رضى الله عنه هو الذى ولى

---

(١) زيادة للسياق.

(٢) فى (خ): «عليها».

(٣) فى (خ): «القتل»، والعقل فى الشرع: الدية.

(٤) (الأم): ٥/١٣، من لا يكون له الولاء من ذى القرابة، والتصويبات السابقة منه.

نكاحها، وكلاهما ابن عم أبيها، لأن عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية، وخالد بن سعيد بن أبى العاص بن أمية، وأبو سفيان هو صخر بن حرب بن أمية.

والمقصود أن أئمة الفقه والسير، ذكروا أن نكاحها كان بأرض الحبشة، وهذا يبطل وهم من توهم أنه تأخر إلى بعد الفتح، احترازاً منه بحديث عكرمة بن عمار.

الثالث: أن عكرمة بن عمار - راوى حديث ابن عباس هذا - قد ضعفه كثير من أئمة الحديث. قال على بن المدينى: سألت يحى بن سعيد عن أحاديث عكرمة بن عمار عن يحى بن أبى كثير فضعفها وقال: ليست بصحاح، وقال الإمام أحمد: ضعاف ليست بصحاح، قال عبد الله: قلت له: من عكرمة أو من يحى؟ قال: لا، إلا من عكرمة، وقال البخارى: عكرمة بن عمار يضطرب فى حديث يحى بن أبى كثير، ولم يكن عنده كتاب، ومرة قال: منكر الحديث[1].

(١) قال المفضل الغلابى: حدثنا رجل من أهل اليمامة، وسألته عن عكرمة فقال: هو عكرمة بن عمار بن عقبة بن حبيب بن شهاب بن ذباب بن الحارث بن حمضانة بن الأسعد بن جذيمة بن سعد بن عجل.

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه: عكرمة مضطرب الحديث عن يحى بن أبى كثير، وقال أيضًا عن أبيه: عكرمة مضطرب الحديث عن غير إياس بن سلمة، وكان حديثه عن إياس صالحًا.

وقال أبو زرعة الدمشقى: سمعت أحمد يضعف رواية أيوب بن عتبة، وعكرمة بن عمار عن يحى ابن أبى كثير، وقال: عكرمة أوثق الرجلين.

وقال الفضل بن زياد: سألت أبا عبد الله هل كان باليمامة أحد يقدم على عكرمة اليمامى مثل أيوب ابن عتبة، وملازم بن عمرو. وهؤلاء؟ فقال: عكرمة فوق هؤلاء أو نحو هذا، ثم قال: روى عنه شعبة أحاديث.

وقال معاوية بن صالح. عن يحى بن معين: ثقة. وقال الغلابى عن يحى: ثبت. وقال ابن أبى خيثمة، عن ابن معين: صدوق ليس به بأس. وقال أبو حاتم، عن ابن معين: كان أميًا، وكان حافظًا. وقال عثمان الدارمى: قلت لابن معين: أيوب بن عتبة أحب إليك أو عكرمة بن عمار؟ فقال: =

= عكرمة أحب إليّ، وأيوب ضعيف.

وقال ابن المديني: أحاديث عكرمة عن يحى بن أبى كثير ليست بذاك، مناكير كان يحى بن سعيد يضعفها. وقال فى موضع آخر: كان يحى يضعف رواية أهل اليمامة، مثل عكرمة وضربه.

وقال محمد بن عثمان بن أبى شيبة، عن على بن المدينى: كان عكرمة عند أصحابنا ثقةً ثبتًا. وقال العجلى ثقة، يروى عنه النضر بن محمد ألف حديث. وقال البخارى: مضطرب في حديث يحى بن أبى كثير، ولم يكن عنده كتاب. وقال الآجرى، عن أبى داود: ثقة، وفى حديثه عن يحي بن أبى كثير اضطراب.

وقال النسائى: ليس به بأس، إلا فى حديث يحى بن أبى كثير. وقال أبو حاتم: كان صدوقًا، وربما وَهَم فى حديثه، وربما دلَّس، وفى حديثه عن يحى بن أبى كثير بعض الأغاليط.

وقال الساجى صدوق، وثَّقه أحمد ويحى، إلا أن يحي بن سعيد ضعَّفه فى أحاديثه عن يحي بن أبى كثير، وقدم ملازمًا عليه. وقال عكرمة بن عمار ثقة عندهم، وروى عنه ابن مهدى: ما سمعت فيه إلا خيراً.

وقال فى موضع آخر: هو أثبت من ملازم، وهو شيخ أهل اليمامة. وقال على بن محمد الصنافسى: حدثنا وكيع عن عكرمة بن عمار، وكان ثقة. وقال صالح بن محمد الأسدى: كان يتفرد بأحاديث طول، ولم يشركه فيها أحد.

قال: وقدم البصرة، فاجتمع إليه الناس. فقال: ألا أراني فقيهًا وأنا لا أشعر، وقال صالح بن محمد أيضًا: إن عكرمة بن عمار صدوق، إلا أن فى حديثه شيئًا. روى عنه الناس.

وقال إسحاق بن أحمد بن خلف البخارى: ثقة، روى عنه الثورى، وذكره بالفضل، وكان كثير الغلط، ينفرد عن إياس بأشياء.

وقال ابن خراش: كان صدوقًا، وفي حديثه نكرة. وقال الدارقطنى: ثقة. وقال ابن عدى: مستقيم الحديث إذا روى عنه ثقة. وقال عاصم بن على: كان مستجاب الدعوة.

قال معاوية بن صالح: مات فى إمارة المهدى، وقال ابن معين وغيره: مات سنة (١٥٩). قلت: وكذا ذكر ابن حبان فى الثقات، وقال: فى روايته عن يحى بن أبى كثير اضطراب، كان يحدث عن غير كتابة.

وقال أبو أحمد الحاكم: جل حديثه عن يحى وليس بالقائم. وقال يعقوب بن شيبة: كان ثقة ثبتًا. وقال ابن شاهين فى الثقات: قال أحمد بن صالح: أنا أقول: إنه ثقة، واحتج به وبقوله.

له ترجمة فى: (تهذيب التهذيب): ١٢/ ٢٣٢-٢٣٤، ترجمة رقم (٤٧٥)، (الكامل فى ضعفاء الرجال): ٥/ ٢٧٢-٢٧٧، ترجمة رقم (٤٤٤/ ١٤١٢). (تاريخ بغداد): ١٢/ ٢٥٧-٢٦٢، ترجمة رقم (٦٧٠٥)، (الضعفاء الكبير): ٣/ ٣٧٨-٣٧٩، ترجمة رقم (١٤١٥)، (المغنى فى =

وقال أبو حاتم: عكرمة هذا صدوق، وربما وهم، وربما دلَّس، وإذا كان هذا حال عكرمة، فلعله دلَّس هذا الحديث عن غير حافظ، أو غير ثقة، أو وهم هو فيه، فإنه كان أميًا لا يكتب. ومسلم - رحمه الله - قد رواه عن عباس بن عبد العظيم، عن النضر بن محمد عن عكرمة بن عمار عن أبى زميل، عن ابن عباس هكذا معنعنًا، لكن رواه الطبرانى فقال: حدثنا محمد بن محمد الجدوعى، حدثنا العباس بن عبد العظيم، حدثنا النضر ابن محمد بن عكرمة بن عمار، حدثنا زميل قال: حدثنى ابن عباس.. فذكره.

وقال الحافظ أبو الفرج بن الجوزى: فى هذا الحديث وهم من بعض الرواة لا شك فيه ولا تردد، وقد اتهموا فيه ابن عمار راوى الحديث، قال: وإنما قلنا: إن هذا وهم لأن أهل التاريخ أجمعوا على أن أم حبيبة كانت تحت عبد الله بن جحش، وولدت له، وهاجر بها وهما مسلمان إلى أرض الحبشة، ثم تنصر، وثبتت أم حبيبة على دينها، فبعث إلى النجاشى يخطبها عليه فزوجه إياها، وأصدقها عن رسول الله ﷺ أربعة آلاف درهم، وذلك فى سنة سبع من الهجرة، وجاء أبو سفيان فى زمن الهدنة فدخل بيتها، [فطوت عنه فراش] رسول الله ﷺ حتى لا يجلس عليه، ولا خلاف أن أبا سفيان ومعاوية أسلما فى فتح مكة سنة ثمان، ولا يعرف أن رسول الله ﷺ [ ] أبا سفيان.

وقال أبو محمد بن حزم: هذا حديث موضوع لا شك فيه، والإنة فيه من عكرمة بن عمار، ولا يختلف اثنان من أهل المعرفة بالأخبار فى أن النبى ﷺ لم يتزوج أم حبيبة رضى الله عنها إلا قبل الفتح بدهر وهى بأرض

= الضعفاء): ٢/٤٣٨، ترجمة رقم (٤١٦٨)، (الضعفاء والمتروكين): ٢/١٨٥، ترجم رقم (٢٣٣٧)، (سير أعلام النبلاء): ٧/١٣٤-١٣٩، ترجمة رقم (٤٩)، (الجرح والتعديل): ٧/١٠، ترجمة رقم (١٤)، (ثقات ابن حبان): ٥/٢٣٣، (التاريخ الكبير للبخارى): ٧/٥٠، ترجمة رقم (٢٢٦).

الحبشة، ومثل هذا لا يكون خطأً أصلاً، ولا يكون إلا قصداً، نعوذ بالله من البلاء.

[و] قال محمد بن طاهر المقدسي [في كتاب] (الانتصار لإمامي الأمصار): هذا كلامه بعينه ورمته، وهو كلام رجل مجازف، هتك فيه حرمة كتاب مسلم، و[صار] إلى الغفلة عما اطلع هو عليه، وصرح أن عكرمة بن عمار وضعه، وهذا ارتكاب بطرق لم تسلكها أئمة النقل [أو علماء] الحديث، فإنا لا نعلم أحداً منهم نسب عكرمة إلى الوضع البتة، وهم أهل مائة الذين عاصروه وعرفوا أمره، وحملوا عنه واحتجوا بأحاديثه، وأخرجوها في الدواوين الصحيحة.

واعتمد عليه مسلم في غير حديث من كتابه الصحيح، [وروى] عنه الأئمة، مثل عبد الرحمن بن مهدى، وعبد الله بن المبارك، وأبو عامر العقدى، وزيد بن الحباب، ففي مسلم - وهو [من] الأئمة المقتدى بهم في تزكية الرواة الذين عاهدوهم وأخذوا عنهم - ثم ذكر بسنده : قال وكيع عن عكرمة - وكان ثقة - وعن يحى بن معين: عكرمة بن عمار صدوق وليس به بأس، وفي روايته كان أميناً وكان حافظاً، وعن الدار قطني أنه قال: عكرمة بن عمار يماني ثقة، ثم قال: فكان الرجوع إلى قول الأئمة الحفاظ في تعديله أولى من قوله وحده في تجريحه.

فإن قيل: لم ينفرد عكرمة بهذا الحديث بل توبع عليه، فقال الطبراني: حدثنا على بن سعيد الرازى، حدثنا عمر بن خليف بن إسحق بن مرسال الحنفي قال: حدثني عمي إسماعيل بن مرسال عن أبي زميل الحنفي قال: حدثني ابن عباس قال: كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يفاتحونه، فقال: يارسول الله، ثلاث أعطينهن..، الحديث. فهذا إسماعيل ابن مرسال قد رواه عن أبي زميل، كما رواه عكرمة بن عمار، يبرىء

عكرمة من عهدة التفرد به.

قيل: هذه المتابعة لا تفيد قوة، فإن هؤلاء مجاهيل لا يعرفون بنقل العلم، ولا هم ممن يحتج به، فضلا [عن] أن تقدم روايتهم على النقد المستفيض المعلوم خاصة عند أهل العلم وعامتهم، فهذه المتابعة إن لم تُزِدْهُ وَهْنًا لم تُزِدْهُ قوة.

وقالت طائفة، منهم البيهقي والمنذرى - رحمهما الله - : يحتمل أن تكون مسألة أبى سفيان النبىَّ ﷺ أن يزوجه أم حبيبة وقعت فى بعض خرجاته إلى المدينة وهو كافر، حين كان سمع نفى زوج أم حبيبة بأرض الحبشة، والمسألة الثانية والثالثة وقعتا بعد إسلامه، فجمعهما الراوى.

وعورض هذا بأن أبا سفيان إنما قدم آمنا بعد الهجرة فى زمن [الهدنة](١) قبيل الفتح، وكانت أم حبيبة إذ ذاك من نساء النبى ﷺ، ولم يقدم أبو سفيان قبل ذلك إلا مع الأحزاب عام الخندق، ولولا الهدنة والصلح الذى كان بينهم وبين النبى ﷺ لم يقدم المدينة، فمتى [قد تزوج](١) النبى ﷺ أم حبيبة، وهذا وَهَم بيِّن، ومع ذلك فإنه لا يصح أن يكون تزويجه إياها فى حال كفره، إذ لا ولاية له عليها، ولا تأخَّر تزوجه إياها بعد إسلامه لما تقدم.

فعلى التقريرين لا يصحّ قوله: أزوجك أم حبيبة، هذا، وظاهر الحديث يدل على أن المسائل الثلاثة وقعت منه فى وقت واحد، فإنه قال: ثلاث أعطينهن..، الحديث.

ومعلوم أن سؤاله [تزويجها](١) واتخاذ معاوية كاتبًا، إنما يُتصور بعد إسلامه، فكيف يقال: سأل بعض ذلك حال كفره، وبعضه وهو مسلم، وسياق الحديث يرده.

---

(١) زيادة للسياق.

وقالت طائفة : بل يمكن حمل الحديث على محمل صحيح يخرج به عن كونه موضوعًا، إذ القول بأنه فى صحيح مسلم حديث موضوع مما يسهل.

قال: ووجهه أن تكون معنى [أزوّجك][(١)] بها: أرضى بزواجك بها، فإنه كان على زمن منى وبدون اختيارى، وإن كان نكاحك صحيحًا، لكن هذا أجمل وأحسن وأكمل، لما فيه من تأليف القلوب. قال: وتكون إجابة النبى ﷺ بنعم له، كانت تأنيسًا له، ثم أخبره بعد بصحة العقد، وأنه لا يشترط رضاك، ولا ولاية لك عليها، لاختلاف دينكما حالة العقد. قال: وهذا مما لا يمكن دفع احتماله.

ورُدَّ هذا بأن ما ذكرتم لا يفهم من لفظ الحديث، فإن قوله: عندى أجمل العرب أزوجكها، لا يفهم منه أحد أن زوجتك التى هى فى عصمة نكاحك أرضى زواجك بها، ولا يطابق هذا المعنى أن يقول له النبى ﷺ: نعم، فإنه إنما سأل من النبى ﷺ أمرًا تكون الإجابة إليه من جهته ﷺ، وأما رضاه بزواجه بها فأمر قائم بقلبه هو، فكيف يُطلب من النبى ﷺ؟

ولو قيل: طلب منه أن يقره على نكاحه إياها - وسمى إقراره نكاحًا - لكان مع فساده أقرب إلى اللفظ، وكل هذه تأويلات لا يخفى شدة بُعدها، وأنها مستنكرة [و][(١)] فى غاية المنافرة للفظ ولمقصود الكلام.

وقالت طائفة: كان أبو سفيان يخرج إلى المدينة كثيرًا، [فجاءها وهو كافر][(١)] وبعد إسلامه حين كان النبى ﷺ آلى من نسائه شهرًا واعتزلهن، فتوهم أن ذلك الإيلاء طلاق، كما توهمه عمر رضى الله عنه، فظن وقوع الفُرقة به، فقال هذا القول للنبى ﷺ، متعطفًا ومتعرضًا لعله يراجعها، فأجابه النبى ﷺ على تقدير إن امتد الإيلاء أوقع طلاق، فلم يقع شيء من

(١) زيادة للسياق.

ذلك.

ورُدَّ هذا بأن قوله: عندى أجمل العرب وأحسنه أزوجك إياها، لا يفهم منه ما ذكر من شأن الإيلاء ووقوع الفُرقة به، ولا يصح أن يجاب بنعم، ولا كان أبو سفيان حاضراً وقت الإيلاء، فإن النبى ﷺ اعتزل فى مشربة [و](١) حلف أن لا يدخل على نسائه شهراً، وجاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاستأذن فى الدخول عليه مراراً، فأذن له فى الثالثة، فقال: طلقت نساءك؟ قال: لا، قال عمر: الله أكبر، واشتهر عند الناس أنه لم يطلق نساءه، وأين كان أبو سفيان حينئذ؟

وقال المحب الطبرى: يحتمل أن يكون أبو سفيان قال ذلك كله قبل إسلامه بمدة تتقدم على تاريخ النكاح، كالمشترط ذلك فى إسلامه، ويكون التقدير: ثلاث إن أسلمت تعطيهن: أم حبيبة أزوجكها، ومعاوية يُسلم فيكون كاتباً بين يديك، وتؤمرنى بعد إسلامى فأقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين، [حيث قد كان الناس](١) لا ينظرون إلى أبى سفيان ولا يقاعدونه، فقال: يا نبى الله! ثلاث أعطينهنّ...، لا يليق أن يصدر منه وهو بمكة قبل الهجرة أو بعد الهجرة وهو يجمع الأحزاب لحرب رسول الله ﷺ أو وقت قدومه المدينة، وأم حبيبة عند النبى ﷺ لا عنده، فما هذا إلا تكلف وتعسف، فكيف يقول - وهو كافر -: حتى أقاتل المشركين كما كنت أقاتل المسلمين؟ وكيف ينكر جفوة المسلمين له وهو جاهد مجد فى قتالهم وحربهم وإطفاء نور الله؟

وهذه قصة إسلام أبى سفيان معروفة، لا اشتراط فيها ولا تعرض لشىء من هذا، ومن أنصف علم أن هذه التأويلات كلها بعيدة، وأن الصواب فى الحديث أنه غير محفوظ، بل وقع فيه تخبيط، والله أعلم.

---

(١) زيادة للسياق.

أم المؤمنين جويرية بنت الحارث(*)

جويرية، واسمها برة بنت الحارث بن أبى ضرار بن حبيب بن الحارث بن

(*) هى جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار المصطلقية، سُبيت يوم غزوة المريسيع فى السنة الخامسة، وكان اسمها برَّة [أخرجه مسلم فى صحيحه من طريق سفيان، عن محمد بن عبد الرحمن مولى آل طلحة، عن كريب، عن ابن عباس قال: كانت جويرية اسمها برة، فحول رسول الله ﷺ اسمها إلى جويرية، وقد أخرجه أيضاً ابن سعد فى (الطبقات)، والإمام أحمد فى (المسند).

وكانت من أجمل النساء، وكان أبوها سيداً مطاعًا، حدَّث عنها ابن عباس وعبيد بن السباق، وكريب، ومجاهد، وأبو أيوب يحى بن مالك الأزدى، وآخرون.

أخرج ابن هشام فى (السيرة) عن ابن إسحاق، ومن طريقه الإمام أحمد فى (المسند)، حدثنى محمد ابن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، عن عائشة قالت: لما قسَّم رسول الله ﷺ سبايا بنى المصطلق، وقعت جويرية بنت الحارث فى السهم لثابت بن قيس بن الشماس - أو لابن عم له - فكاتبته على نفسها، وكانت امرأة حلوة مُلاَّحة، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه فى كتابتها، قالت عائشة: فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتى فكرهتها، وعرفت أنه ﷺ سيرى فيها ما رأيت.

فدخلت عليه فقالت: يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار سيد قومه، وقد أصابنى من البلاء ما لم يخف عليك، فوقعت فى السهم لثابت بن قيس بن الشماس - أو لابن عم له - فكاتبته على نفسى - فجئتك استعينك على كتابتى. قال: فهل لك خير من ذلك؟ قالت: وما هو يا رسول الله، قال: قد فعلت.

قالت: وخرج الخبر إلى الناس، أن رسول الله ﷺ قد تزوج جويرية ابنة الحارث بن أبى ضرار، فقال الناس: أصهار رسول الله ﷺ، وأرسلوا ما بأيديهم، قالت: فلقد أعتق لتزويجه إياها مئة أهل بيت من بنى المصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها. [إسناده صحيح، فقد صرح ابن إسحق بالتحديث].

قال ابن سعد وغيره: بنو المصطلق من خزاعة، وكان زوجها قبل أن يُسلم ابن عمها مسافع بن صفوان ابن أبى الشُّفَر. [ذكره ابن سعد فى (الطبقات)، والحاكم فى (المستدرك)، وابن حجر فى (الإصابة)]، وقدم أبوها على النبى ﷺ فاسلم] عن جويرية قالت: تزوجنى رسول الله ﷺ وأنا بنت عشرين، وقال ابن سعد فى (الطبقات): توفيت أم المؤمنين جويرية فى سنة خمسين، وقال خليفة فى (طبقاته): توفيت سنة ست وخمسين، رضي الله تعالي عنها، جاء لها سبعة أحاديث: منها عند البخارى حديث، وعند مسلم حديثان. =

عائذ بن مالك بن جذيمة، وهو المصطلق بن سعيد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو مزيقاء بن عامر بن حارثة بن امرؤ القيس بن ثعلبة بن مازن ابن الأزد.

كانت أولاً في الجاهلية عند مسافع بن صفوان بن ذى الشفر الخزاعى،

= أيوب، عن أبى قلابة، قال: أتى والدجويرية فقال: إن بنتى لا يُسبى مثلها، فأنا أكرم من ذلك، فقال النبى ﷺ: أرأيت إن خيّرناها؟ فأتاها أبوها فقال: إن هذا الرجل قد خيّرك، فلا تفضحينا، فقالت: فإنى قد اخترته، قال: قد والله فضحتنا. [إسناده صحيح لكنه مرسل، أخرجه ابن سعد فى (الطبقات)].

زكريا عن الشعبى، قال: أعتق رسول الله ﷺ جويرية واستنكحها، وجعل صداقها عتق كل مملوك من بنى المصطلق. [إسناده صحيح، لكنه مرسل، زخرجه عبد الرزاق فى (المصنف)، وابن سعد فى (الطبقات)، وذكره الهيثمى فى (المجمع)، وقال: رواه الطبرانىُّ مرسلاً، ورجاله رجال الصحيح].

همام، وغيره، عن قتادة، عن أبى أيوب الهَجَرى، عن جويرية بنت الحارث، أن النبى ﷺ دخل عليها يوم جمعة وهى صائمة، فقال لها: أصُمت أمس؟ قالت: لا، قال: أتريدين أن تصومى غداً؟ قالت: لا، قال: فأفطرى. [أخرجه البخارى فى الصوم، باب صوم يوم الجمعة، وأبو داود فى الصوم، وأحمد، وابن سعد، وإسناده صحيح].

شُعبة وجماعة، عن محمد بن عبد الرحمن مولى آل طلحة، سمعت كريباً، عن ابن عباس، عن جويرية قالت: أتى علىَّ رسول الله ﷺ غدوة وأنا أُسَبِّح، ثم انطلق لحاجته، ثم رجع قريباً من نصف النهار، فقال: أما زلت قاعدة؟ قلت: نعم، قال: ألا أعلمك كلمات لو عُدِلْن بهن عدلتْهن، أو وُزن بهنّ وزنتْهنَّ - يعنى جميع ما سبَّحت -: سبحان الله عدد خلقه، ثلاث مرات، سبحان الله زنة عرشه، ثلاث مرات، سبحان الله رضا نفسه، ثلاث مرات، سبحان الله مداد كلماته، ثلاث مرات.
[إسناده صحيح - أخرجه مسلم فى الذكر والدعاء، باب التسبيح أول النهار وعند النوم، وابن سعد وأحمد]. لها ترجمة فى: (مسند أحمد): ٧/٤٥٧، (طبقات ابن سعد): ٨/١١٦-١٢٠، (طبقات خليفة): (٣٤٢)، (تاريخ خليفة): (٢٢٤)، (المعارف): ١٣٨، ١٣٩، (المستدرك): ٤/٢٧-٣٠، (الاستيعاب): ٤/١٨٠٤ ترجمة رقم (٣٢٨٢)، (تاريخ الإسلام): ٢/٥٩٣، (تهذيب التهذيب): ١٢/٤٣٦، ترجمة رقم (٢٧٥٤)، (الإصابة): ٧/٥٦٥، ترجمة رقم (١١٠٠٢)، (خلاصة تذهيب الكمال): (٤٨٩)، (كنز العمال): ١٣/٧٠٦، (شذرات الذهب): ١/٦١، (أسماء الصحابة الرواة): (١٩٥)، ترجمة رقم (٢٥١). (صفة الصفوة): ٢/٣٥، ترجمة رقم (١٣٢)، (المواهب اللدنية): ٢/٩٠-٩١، (سير أعلام النبلاء): ٢/٢٦١-٢٦٥، ترجمة رقم (٣٩)، (أعلام النساء): ١/٢٢٧.

فقتل يوم المريسيع كافراً، فصارت جويرية فى سهم ثابت بن قيس بن شماس الأنصارى، وابن عم له، فكاتباها على تسع أواقى ذهب. وكانت جارية حلوة، لا يكاد يراها أحد إلا ذهبت بنفسه، فبينا النبى ﷺ على الماء، إذ دخلت عليه تسأله فى كتابتها، فقالت: يا رسول الله، إنى امرأة مسلمة، أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وأنا جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار، بنت سيد قومه، أصابنا من الأمر ما قد علمت، ووقعت فى سهم ثابت بن قيس ابن شماس وابن عم له، فخلصنى من ابن عمه بنخلات بالمدينة، وكاتبنى على ما لا طاقة لى به ولا يدان، وما أكرهنى على ذلك إلا أنى رجوتك - صلى الله عليك - فأعنى فى مكاتبتى، فقال: أو خير لك من ذلك؟ قالت: فما هو يا رسول الله؟ قال: أؤَدِّى عنك كتابتك واتزوجك، قالت: نعم يا رسول الله قد فعلت، فأرسل إلى ثابت فطلبها منه، فقال: هى لك يا رسول الله، بأبى وأمى، فأدى رسول الله ﷺ ما كان عليها من كتابتها وأعتقها وتزوجها، وخرج الخبر إلى الناس، ورجال بنى المصطلق قد اقتسموا وملكوا ووطئ نساؤهم، فقال المسلمون: أصهار النبى ﷺ! فأعتقوا ما بأيديهم من ذلك السبى، وهم مائة أهل بيت، فكانت جويرية أعظم امرأة بركة على قومها.

وقالت جويرية: رأيت قبل قدوم النبى ﷺ بثلاث ليال كأنَّ القمر يسير من يثرب حتى وقع فى حجرى، فكرهت أن أخبرها أحداً من الناس، حتى قدم رسول الله ﷺ.

ويقال: إن رسول الله ﷺ جعل صداقها عتق كل أسبية من بنى المصطلق، ويقال: جعل صداقها عتق أربعين من قومها، وقيل: افتدى جويرية أبوها من ثابت بن قيس، ثم خطبها رسول الله ﷺ إلى أبيها، فأنكحها رسول الله ﷺ، وكان اسمها برة، فسماها جويرية، وكان يكره أن يقال: خرج من بيت برة.

وأثبت الأقوال: أن النبى ﷺ قضى عنها كتابتها وأعتقها وتزوجها، وضرب عليها الحجاب، وقسم لها كما يقسم لنسائه، وفرض لها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ستة آلاف[1]،ويقال: فرض لها اثنى عشر ألفاً. وتوفيت فى شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين، وصلى عليها مروان.

(١) بعد قوله: «ستة آلاف»، عبارة مقحمة لا تتناسب مع السياق فلم نضبتها حيث لم نجد لها توجيهاً.

أم المؤمنين صفية بنت حُيَي(*)

وصفية بنت حيي بن أخطب بن سعية بن ثعلبة بن عبيد بن كعب بن

(*) هي صفية بنت حيي بن أخطب بن سعيه، من سبط اللاوى بن نبى الله إسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم، عليهم السلام، ثم من ذرية رسول الله هارون عليه السلام. تزوجها قبل إسلامها: سلام ابن أبى الحقيق، ثم خلف عليها كنانة بن أبى الحقيق، وكانا من شعراء اليهود، فقتل كنانة يوم خيبر عنها، وسبيتْ، وصارت فى سهم دحية الكلبى، فقيل للنبى ﷺ عنها، وانها لا ينبغى ان تكون إلا لك، فاخذها من دحية، وعوضه عنها سبعة أرؤُس. أخرجه أحمد فى (المسند)، ومسلم فى النكاح: باب فضيلة إعتاقه أمة ثم يتزوجها، وأبو داود فى الخراج والإمارة، باب ما جاء فى سهم الصفى، وابن سعد فى (الطبقات)، كلهم من حديث حماد بن سلمة، عن ثابت البنانى، عن أنس بن مالك.

وأخرجه مسلم من طريق عبد العزيز بن صهيب، عن أنس قال: جمع السبى - يعني بخيبر - فجاءه دحية الكلبى فقال: يا رسول الله! أعطنى جارية من السبى فقال ﷺ: اذهب فخذ جارية، فأخذ صفية بنت حيى فجاء رجل إلى نبى الله ﷺ فقال: يا نبى الله! أعطيت دحية صفية بنت حيى سيد قريظة والنضير؟ ما تصلح إلا لك، قال ﷺ: ادعوه بها، قال فجاء بها، فلما نظر اليها النبى ﷺ قال: خذ جارية من السبى غيرها، قال: واعتقها ﷺ وتزوجها. وأخرجه البخارى فى المغازى، باب غزوة خيبر عن طريق حماد بن زيد عن ثابت عن أنس، وفيه: وكان فى السبى صفية، فصارت إلى دحية الكلبى، ثم صارت إلى النبى ﷺ.

ثم إن النبى ﷺ لما طهرت، تزوجها وجعل عِتْقَها صداقها. [أخرجه البخارى من حديث أنس فى المغازى، باب غزوة خيبر، وفى النكاح، باب من جعل عتق الأمة صداقها، وفى النكاح، باب الوليمة ولو بشاة، ومسلم فى النكاح، باب فضيلة إعتاقه أمة ثم يتزوجها، وأخرجه أيضا: أبو داود، والترمذى، والنسائى، وعبد الرزاق].

حدث عنها على بن الحسين، وإسحاق بن عبد الله بن الحارث، وكنانه مولاها، وآخرون وكانت رضى الله عنها شريفة عاقلة، ذات حسب، وجمال، ودين.

قال أبو عمر بن عبد البّر فى (الاستيعاب): روينا ان جارية لصفية أتت عمر بن الخطاب، فقالت: إن صفية تحبّ السبت، وتصل اليهود، فبعث عمر يسالها، فقالت: أما السبت، فلم أحبه منذ أبدلنى الله به الجمعة، وأما اليهود، فإن لى فيهم رحما، فانا أصلها، ثم قالت الجارية: ما حملك على ما صنعت؟ فقالت: الشيطان، قالت: فاذهبى فانت حرة.

وأخرج الترمذى فى (الجامع)، من طريق هاشم بن سيعد الكوفى، حدثنا كنانة: حدثتنا صفية بنت حيي، قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ، وقد بلغنى عن عائشة وحفصة كلام، فذكرت له ذلك،=

الخزرج بن أبى حبيب بن النضير بن النحام بن ينحوم الإسرائيلى، من سبط هارون بن عمران عليه السلام، أمها مرة بنت سموأل، كانت عند سلام بن

= فقال: الا قلت: وكيف تكونان خيراً منى وزوجى محمد، وأبى هارون، وعمى موسى؟ وكان بلغها أنهما قالتا: نحن أكرم على رسول الله ﷺ منها، نحن أزواجه، وبنات عمه. [أخرجه الترمذى فى المناقب، والحاكم، وإسناده ضعيف، لضعف هاشم بن سعيد الكوفى، وباقى رجاله ثقات، لكن يشهد له حديث أنس عند أحمد، والترمذى من طريق عبد الرزاق، عن معمر عن ثابت، عن أنس قال: بلغ صفية أن حفصة قالت، بنت يهودى، فبكت، فدخل عليها النبى ﷺ وهى تبكى، فقال: ما يبكيك؟ فقالت: قالت لى حفصة: إنى بنت يهودى، فقال النبى ﷺ :إنك لابنة نبى، وان عمك لنبى، وانك لتحت نبى، ففيم تفخر عليك؟ ثم قال: اتقى الله يا حفصة. وإسناده صحيح].

قال ثابت البنانى: حدثتنى سمية - أو شميسة - عن صفية بنت حيى: أن النبى ﷺ حج بنسائه، فبرك بصفية جملها، فبكت، وجاء رسول الله ﷺ لما أخبروه فجعل يمسح دموعها بيده، وهى تبكى، وهو ينهاها، فنزل رسول الله ﷺ بالناس، فلما كان عند الرواح، قال لزينب بنت جحش: أفقرى أختك جملاً - وكانت من أكثرهن ظهراً - فقالت: أنا أفقر يهوديتك! فغضب فلم يكلمها، حتى رجع إلى المدينة، ومحرم وصفر، فلم يأتها، ولم يقسم لها، ويئست منه.

فلما كان ربيع الأول دخل عليها، فلما رأته قالت: يا رسول الله، ما أصنع؟ قال: وكانت لها جارية تخبؤها من رسول الله ﷺ، فقالت: هى لك - قال: فمشى النبى ﷺ إلى سريرها، وكان قد رفع، فوضعه بيده، ورضى عن أهله ﷺ [أخرجه أحمد فى (المسند)، وابن سعد فى (الطبقات)، وقوله: أفقرى أختك، أى أعيرها إياه للركوب، ومنه حديث جابر، أنه اشترى منه بعيراً، وأفقره ظهره إلى المدينة، مأخوذ من ركوب فقار الظهر، وهو خرزاته، والواحدة فقارة].

وكانت صفية رضى الله عنها ذات حلم ووقار، قيل: توفيت سنة ست وثلاثين، وقيل: توفيت سنة خمسين، [والثانى هو الصحيح، لأن على بن الحسين قد سمع منها حديث زيارتها رسول الله ﷺ فى اعتكافه فى المسجد، وهو مما اتفق على إخراجه البخارى ومسلم، وعلى بن الحسين إنما ولد بعد سنة أربعين أو نحوها، ذكره الحافظ ابن حجر فى (فتح البارى)]. وقبرها بالبقيع. لها ترجمة فى: (مسند أحمد): ٧/٤٧٣-٤٧٥، (طبقات ابن سعد): ٨/ ١٢٠ - ١٢٩، (تاريخ خليفة): ٨٢، ٨٣، ٨٦، (المعارف): ١٣٨، ٢١٥، (سير أعلام النبلاء): ٢/ ٢٣١ - ٢٣٨، ترجمة رقم (٢٦)، (المستدرك): ٤/ ، (الاستيعاب): ٤/ ١٨٧١، ترجمة رقم ( )، (جامع الأصول): ٩/ ١٤٣، (تهذيب التهذيب): ١٢/٤٢٩، ترجمة رقم ( )، (الاصابة): / ، ترجمة رقم ( )، (خلاصة تذهيب الكمال): ٤٩٢، (كنز العمال): ١٣/٦٣٧، ٧٠٤، (المواهب اللدنية): ٢ / ، (صفة الصفوة): ٢ / ، ترجمة رقم ( )، (شذرات الذهب): ١/١٢ ورد لها من الحديث عشرة أحاديث، منها واحد متفق عليه [أخرجه البخارى فى الاعتكاف.

مشكم، ثم خلف عليها كنانة بن أبى الحقيق اليهودى، فقتل يوم خيبر، وكانت صَفِىّ رسول الله ﷺ من مغانم خيبر، ويقال: بل وقعت فى سهمه يومئذ هى وأختها، فتزوجها ووهب أختها لدحية بن خليفة، ويقال بل اشتراها بسبعة أرؤس.

وقيل: لما جمع سبى خيبر جاء دحية فقال: يا رسول الله! أعطنى جارية من السبى، فقال: اذهب فخذ جارية، فأخذ صفية، فقيل: يا رسول الله! إنها سيدة قريظة والنضير ما تصلح إلا لك، فقال لدحية: خذ جارية غيرها من السبى.

والثابت أنها صارت فى سهمه، فأعتقها وجعل عتقها صداقها، وحجبها وأولم عليها بتمر وسويق وقسم لها، فكانت إحدى أمهات المؤمنين، وكانت حليمة عاقلة فاضلة، توفيت فى رمضان سنة خمس.

وقال محمد بن عائذ. - فى (كتاب المغازى) - : حدثنا الوليد عن ابن لهيعة، عن أبى الأسود عن عروة قال: وقد كان قال قبل وفاته: مروا جويرية ابنة الحارث بالحجاب وصفية بنت حيى، وردوا وفود العرب وجهزوهم.

وخرج الطبرانى من حديث إسماعيل بن عياش، عن الحجاح بن أرضاة، عن الزهرى، عن أنس، أن النبى ﷺ استبرأ صفية بحيضة.

أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث(*)

وميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهزم بن رؤيبة بن عبد الله بن

(*) هي ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهُزم بن رؤيبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة ، الهلالية ، زوج النبى ﷺ ، وأخت أم الفضل زوجة العباس ، وخالة خالد بن الوليد ، وخالة ابن عباس .

تزوجها أولاً مسعود بن عمرو الثقفى قبيل الإسلام ، ففارقها ، وتزوجها أبو رهم بن عبد العزى ، فمات ، فتزوج بها النبى ﷺ فى وقت فراغه من عمرة القضاء ، سنة سبع فى ذى القعدة ، وبنى بها بسرف ، وكانت من سادات النساء .

روت عدة أحاديث : سبعة فى (الصحيحين)، وانفرد لها البخارى بحديث ، ومسلم بخمسة ، وجميع ما روت ثلاثة عشر حديثًا .

حدَّث عنها ابن عباس ، وابن أختها الآخر : عبد الله بن شداد بن الهاد ، وعبيد ابن السَّباق ، وابن أختها الثالث : عبد الرحمن بن الصائب الهلالى ، وابن أختها الرابع : يزيد بن الأصم ، وكريب مولى بن عباس ، ومولاهما : سليمان بن يسار ، وأخوه عطاء بن يسار وآخرون .

قال ابن سعد فى (الطبقات) : أخبرنا محمد بن عمر ، حدثنى إبراهيم بن محمد بن موسى ، عن الفضيل بن أبى عبد الله ، عن على بن عبد الله بن عباس ، قال : لما أراد رسول الله ﷺ الخروج إلى مكة عام القضية [أى عام عمرة القضية أو القضاء ، وذلك فى سنة سبع من الهجرة ، وقد دخل مكة، ثم خرج بعد إكمال عمرته] بعث أوس بن خولىّ ، وأبا رافع إلى العباس ، فزوجه بميمونة ، فاضَلاً بعيريهما ، فأقاما أيامًا ببطن رابغ ، حتى أدركهما رسول الله ﷺ بُقدَيد ، وقد ضمَّا بعيريهما، فسارا معه حتى قدم مكة ، فأرسل إلى العباس ، فذكر له ذلك ، وجعلت ميمونة أمرها إلى [العباس] ، فخطبها إلى النبى ﷺ فزوجها إياه .

قال عبد الكريم الجزرى ، عن ميمون بن مهران : دخلتُ على صفية بنت شيبة عجوزٍ كبيرة ، فسألتُها : أتزوج النبى ﷺ ميمونة وهو مُحْرِم ؟ قالت : لا ، والله لقد تزوجها وإنهما لحلالان [أخرجه ابن سعد فى (الطبقات) من طريق عبد الله بن جعفر الرقى ، ورجاله ثقات] .

أيوب ، عن يزيد بن الأصم ، قال : خطبها ﷺ وهو حلال ، وبنى بها وهو حلال [أخرجه مسلم فى النكاح ، باب تحريم نكاح المحرم ، وكراهة خطبته ، وابن ماجة عن يزيد بن الأصم ، حدثتنى ميمونة بنت الحارث أن رسول الله ﷺ تزوجها وهو حلال ، قال : وكانت خالتى وخالة ابن عباس] .

جرير بن حازم ، عن أبى فزارة، عن يزيد بن الأصم ، قال : دَفَنَّا ميمونة بسرف ، فى الظلة التى =

هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قبيس بن غيلان بن مُضَر ، أمها هند بنت عوف بن زهير بن الحارث بن حماطة ، من حمير ، وقيل : من كنانة ، وهى أخت أم الفضل لبابة الكبرى ، امرأة العباس ، ولبابة الصغرى امرأة الوليد بن المغيرة المخزومى أم خالد بن الوليد ،وأخت عصماء امرأة أُبىّ بن خلف ، وعزة امرأة زياد بن عبد الله الهلالى ، وأخت أسماء بنت عميس ، وسلمى بنت عميس ، وسلامة بنت عميس ، وزينب بنت خزيمة .

وكانت عند أبى سبرة بن أبى رهم ، وقيل : بل كانت عند أبى رُهم عبد العزى بن قيس بن عبد ود بن نضر بن مالك بن حسل بن عامر بن

= بنى بها فيها رسول الله ﷺ ، وقد كانتْ حَلَقَتْ فى الحج ، نزلتُ فى قبرها أنا وابن عباس . [أخرجه ابن سعد فى (الطبقات) والحاكم فى (المستدرك) ، وصححه الذهبى ، واقره فى (التلخيص)] .

وعن عطاء : توفيت ميمونة بسَرف ، فخرجتُ مع ابن عباس إليها ، فقال : إذا رفعتم نعشها فلا تزلزلوها ، ولا تزعزعوها . وقيل :توفيت بمكة ، فحملت على الأعناق بأمر ابن عباس إلى سرف ، وقال : أرفقوا بها ، فإنها أمكم . [أخرجه ابن سعد فى (الطبقات) ، والحاكم فى (المستدرك) . وصححه الذهبى فى (التلخيص)] . وقال خليفة فى (طبقاته) : توفيت سنة إحدى وخمسين.

لها ترجمة فى : (مسند أحمد) : ٧/ ٤٦٣- ٤٧٣، (طبقات ابن سعد) : ٨/١٣٢-١٤٠ ، (طبقات خليفة) ، ٣٣٨ ، (تاريخ خليفة) : ٨٦ ، ٢١٨ ، (المعارف) : ١٣٧-٣٤٤ ، (المستدرك) : ٤/٣٣ ، (الاستيعاب) : ٤/١٩١٤ ، (تهذيب التهذيب) : ١٢/٤٨٠ ، ترجمة رقم (٢٨٩٨) ، (الإصابة) : ٨/١٢٦، ترجمة رقم (١١٧٧٩) ، (خلاصة تذهيب الكمال) : ٤٩٦ ، (كنز العمال) : ١٣/٧٠٨ ، (شذرات الذهب) : ١/١٢ ، ٥٨ ، (المواهب اللدنية) : ٢/٨٩-٩٠ ، (أسماء الصحابة الرواة) : ٦٨ ، ترجمة رقم (٤٤) ، (سير أعلام النبلاء) : ٢/٢٣٨-٢٤٥ ، ترجمة رقم (٢٧) .

وقال أبو عبد الله الحاكم : ومما يتعجب من قضاء الله تعالى وقدره : أن رسول الله ﷺ بنى بميمونة بنت الحارث بسرف ، وردها إلى المدينة عند منصرفه من عمرة القضاء ، وبقيت عنده إلى أن خرج رسول الله ﷺ لفتح مكة ، وقد أخرجها معه إلى أن فتح الطائف ، وانصرف راجعًا إلى المدينة ، فماتت ميمونة بسرف فى الموضع الذى بنى بها رسول الله ﷺ عند تزويجها . (المستدرك) : ٤/٣٣ ، كتاب معرفة الصحابة باب ذكر أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضى الله عنها ، حديث رقم (٦٧٩٦/٢٣٩٤) ، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص) : على شرط مسلم ، ثم قال : وعن ابن شهاب قال : وقدر الله أن يكون موتها بسرف ، وقبرت بها .

لؤى، وقيل : عند حويطب بن عبد العزى، وقيل: عند أبى رهم بن عبد العزى ، وقيل : عند فروة بن عبد العزى بن أسد بن غنم بن دودان ، وهو خطأ .

وقيل : هى التى وهبت نفسها للنبى ﷺ ، وفيها نزلت : ﴿ **وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى** ﴾(١) الآية ، والثابت أن النبى ﷺ [أرسل](٢) أبارافع مولاه ، ورجلا من الأنصار يقال له: أوس بن خولى إلى مكة فخطباها عليه ، فلما قدم مكة فى عمرة القضاء تزوج بها ، زوَّجه إياهاالعباس على عشر أواقى ونَشّ ، وقيل : أربعمائة درهم ، ويقال : تزوجها على ما تركت زينب بنت خزيمة ، وخرج من مكة ، وخلَّف أبا رافع ليحملها ، فوافاه بها بسرف ، فبنى بها .

وقيل : بل بعث إليها بجعفر بن أبى طالب فخطبها ، فجعلت أمرها إلى العباس فزوَّجها رسول الله ﷺ بمكة ، وقيل : بل لقى العباس رسول الله ﷺ بالجحفة حين اعتمر عمرة القضية فقال له : يارسول الله ، إن ميمونة بنت الحارث تأيمت ، هل لك أن تتزوجها ؟ فتزوجها وهو مُحرم ، كما خرجاه فى الصحيحين من حديث ابن عباس ، وقيل : بل كان حلالاً ، كما رواه مسلم عن ميمونة ، والترمذى عن أبى رافع وكان اسمها برة ، فسماها رسول الله ﷺ ميمونة ، وبنى بها بسرف بعد ما خرج من مكة ، وتوفيت بسرف فى الموضع الذى ابتنى بها فيه رسول الله ، وذلك سنة إحدى وخمسين ، وقيل : سنة ست وستين، وقيل : سنة ثلاث وستين ، وصلى عليها عبد الله بن عباس ، ودخل قبرها هو ويزيد بن الأصم ، وعبد الله بن شداد بن الهادى ، وهم بنو أخواتها ، وعبيد الله الخولانى وكان يتيمًا فى حجرها ، وهى آخر من تزوج النبى ﷺ ، وقيل : ماتت بمكة فحُملت إلى سَرِف(٣) فدفنت هناك .

---

(١) الأحزاب : ٥٠ .

(٢) زيادة للسياق .

(٣) موضع على ستة أميال من مكة (معجم البلدان) : ٣/٣٢٩ ، موضع رقم (٦٣٧٨)

فصـــل
[جامع لأزواج النبى ﷺ]

فهؤلاء اثنتى عشرة امرأة ، واحدة وهبت نفسها ، وماتت اثنتان فى حياته ﷺ ، وتوفى عن تسع هن : سودة ، وعائشة ، وحفصة ، وأم سلمة، وزينب بنت جحش ، وأم حبيبة ، وجويرية ، وصفية ، وميمونة ، رضى الله عنهن .

وقد جاء فى رواية فى الصحيح أنه مات عن إحدى عشرة ، والأول أصح، وقال قتادة بن دعامة : أنه ﷺ تزوج خمس عشرة امرأة ، فدخل بثلاث عشرة ، وجمع بين إحدى عشرة ، ومات عن تسع(١) .

وفى رواية :تزوج رسول الله ﷺ خمس عشرة امرأة ، ست منهن من قريش وواحدة من حلفاء قريش ، وسبعة من نساء العرب ، وواحدة من بنى إسرائيل ، ولم يتزوج فى الجاهلية غير واحدة(٢) .

وعن الزهرى وعبد الله بن محمد بن عقيل قالا :تزوج رسول الله ﷺ ثنتى عشرة امرأة عربيَّة محصنات ، وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : وقد ثبت عندنا أن رسول الله ﷺ تزوج ثمانى عشرة امرأة ، سبع [منهن من] قريش ، وواحدة من حلفاء قريش ، وتسع من سائر قبائل العرب ، وواحدة من بنى إسرائيل .

فأول من تزوج خديجة ، ثم سودة بمكة ، ثم عائشة قبل الهجرة بسنتين، ثم تزوج بالمدينة بعد بدر أم سلمة ، ثم حفصة ، فهؤلاء الخمسة من قريش ، ثم تزوج فى سنة ثلاث زينب بنت جحش ، ثم فى سنة

---

(١)،(٢) (دلائل البيهقى) : ٧/٢٨٨-٢٨٩، (سير أعلام النبلاء) : ٢/٢٥٤ .

خمس جويرية ، ثم تزوج فى سنة ست أم حبيبة بنت أبى سفيان ، ثم فى سنة سبع صفية بنت حيى ، ثم تزوج ميمونة ، ثم فاطمة بنت شُريح ، ثم زينب بنت خزيمة ، ثم هند بنت يزيد ، ثم أسماء بنت النعمان ، ثم أُخت الأشعث بن قيس ، ثم أسماء السّلمية[١] .

وقال الماوردى : تزوج ثلاثًا وعشرين ، ستٌّ مُتْنَ قبله ، وتسع مات قبلهن ، وثمان فارقهن ، فاللاتى مُتن قبله : خديجة ،[وزينب أم المساكين] ، وسناء بنت الصلت ، وشراف ، وخولة بنت الهذيل ، وخولة بنت حكيم السلمية ماتت قبل أن يدخل بها ، وقيل : هى التى وهبت نفسها .

وروى الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسى بنحو قول قتادة عن أنس فى كتابه (المختار) : وأرجأ من نسائه :سودة ، وصفية ، وجويرية ، وأم حبيبة ، وميمونة ، والإرجاء أن يُرجئ من يشاء منهن متى شاء ، ويتركها إذا شاء ، وكان ذلك من أمر الله تعالى ورضاه .

وأوى من نسائه : عائشة ، وحفصة ، وزينب ، وأم سلمة . والإيواء : أن يقسم لهن ويسوى بينهن . وعن الشعبى فى قول الله تعالى : ﴿ **ومن ابتغيت ممن عزلت** ﴾ ، قال : هُنّ نساء وهبن أنفسهن للنبى ﷺ لم يدخل بهن ، ولم يتزوجهن أحد بعده[٢] .

---

(١) (دلائل البيهقى) : ٧ / ٢٨٨–٢٨٩ ، (سير اعلام النبلاء) : ٢ / ٢٥٤ .

(٢) قال الإمام محمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلسى الغرناطى : روى ان ازواجه ﷺ لما تغايرن وابتغين زيادة النفقة فهجرهن شهراً ، نزل التغيير : ﴿ **يا أيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحًا جميلاً * وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعدّ للمحسنات منكن أجراً عظيمًا** ﴾ [الأحزاب : ٢٨–٢٩] ، أشفقن ان يطلقهن ، فقلن: يارسول الله ، افرض لنا من نفسك ومالك ما شئت ، والظاهر أن الضمير فى ﴿ **منهن** ﴾ عائد على ازواجه ﷺ . والإرجاء : الإيواء .

قال ابن عباس والحسن : فى طلاق ممن تشاء ممن حصل فى عصمتك ، وإمساك من تشاء . وقالت =

وخرج الإمام أحمد من حديث عمار ، عن ثابت عن أنس ، أن النبى ﷺ أرسل أم سليم تنظر إلى جارية فقال : شُمِّى عوارضها وانظرى إلى عرقوبها(١) ، وأما النساء اللاتى لم يدخل بهن فهن : الكلبية ، تزوجها

= فرقة : فى تزوج من تشاء من الواهبات ، وتأخير من تشاء . وقال مجاهد ، وقتادة ، والضحاك : وتقرر من شئت فى القسمة لها ، وتؤخر عنك من شئت ، وتقلل لمن شئت ، وتكثر لمن شئت ، لا حرج عليك فى ذلك ، فإذا علمن أن هذا حكم الله وقضاؤه ، زالت الإحنة والغيرة عنهن ، ورضين وقرت أعينهن ، وهذا مناسب لما روى فى سبب هذه الآية المتقدم ذكره .

﴿ ومن ابتغيت ممن عزلت ﴾ : أى ومن طلبتها من المعزولات ومن المفردات ، ﴿ فلا جناح عليك ﴾ فى ردها أو إيوائها إليك . ويجوز أن يكون ذلك توكيداً لما قبله ، أى ومن ابتغيت ممن عزلت ومن عزلت سواء ، لا جناح عليك . كما تقول : من لقيك ممن لم يلقك ، جميعهم لك شاكر ، تريد من لقيك ومن لم يلقك ، وفى هذا الوجه حذف المعطوف ، وغرابة فى الدلالة على هذا المعنى بهذا التركيب ، والراجح القول الأول .

وقال الحسن : المعنى : من مات من نسائك اللواتى عندك أو خلّيت سبيلها ، فلا جناح عليك أن تستبدل عوضاً من اللاتى أحللت لك ، فلا تزداد على عدة نسائك اللاتى عندك .

وقال الزمخشرى : بمعنى تترك مضاجع من تشاء منهن وتضاجع من تشاء ، أو تطلق من تشاء ، وتمسك من تشاء ، أو لا تقسم لأيتهن شئت ، وتقسم لمن شئت ، أو تترك من تشاء من أمتك وتتزوج من شئت .

وعن الحسن : كان النبى ﷺ إذا خطب امرأة لم يكن لأحد أن يخطبها حتى يدعها ، وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض ، لأنه إما أن يطلق ، وإما أن يمسك ، فإذا أمسك ضاجع ، أو ترك وقسم ، أو لم يقسم ، وإذا طلق وعزل ، فإما أن يخلى المعزولة لا يتبعها أو يتبعها .

وروى أنه ﷺ أرجأ منهن : سودة ، وجويرية ، وصفية ، وميمونة ، وأم حبيبة ، وكان يقسم لهن ما شاء كما شاء ، وكانت ممن أوى إليه : عائشة ، وحفصة ، وأم سلمة ، وزينب ، أرجأ خمساً وأوى أربعًا .

وروى أنه ﷺ كان يسوى بينهن مع ما أطلق له وخُيِّر فيه إلا سودة ، فإنها وهبت ليلتها لعائشة وقالت : لا تطلقنى حتى أُحشر فى زمرة نسائك .

ذلك التفويض إلى مشيئتك أدنى إلى قرة عيونهن ، وانتفاء حزنهن ووجود رضاهن ، إذا علمت أن ذلك التفويض من عند الله ، فحالة كل منهن كحالة الأخرى فى ذلك . (البحر المحيط) : ٨/٤٩٤-٤٩٦ .

(١) (مسند أحمد) : ١/١١٠ ، حديث رقم (١٣٠١٢) .

رسول الله ﷺ فلما دنا [منها] قالت : أعوذ بالله منك ، فقال : « عُذت بعظيم ، إلحقى بأهلك »(١) . وقيل : دخل بها ، ولكنه لَمَّا خير نساءه اختارت قومها ففارقها ، فكانت بعد ذلك تلقط البعر ، وتدخل على أمهات المؤمنين فيتصدقن عليها وتقول : أن الشقية . وماتت عند أهلها سنة ستين ، وكان تزوج رسول الله ﷺ بها فى سنة ثمان مُنْصَرَفه من الجعرانة ، وقيل : إنها ابنة الضحاك بن سفيان الكلابى واسمها فاطمة ، وقيل إن الضحاك الكلابى عرض ابنته على رسول الله ﷺ وقال من صفتها كذا وكفاك من صحة بدنها أنها لم تمرض قط ولم تصدع ، فقال : لاحاجة لنا فيها ، هذه تأتينا بخطاياها(٢) .

وقال الكلبى : التى قال أبوها أنها لم تصدع قط وعرضها على النبى ﷺ فقال : لا حاجة لنا بها : سُلميّة ، وأما الكلبية فاختارت قومها ، فذهلت وذهب عقلها، فكانت تقول : أنا الشقية ، خُدِعْت(٣) .

---

(١) (دلائل البيهقى) : ٧/٢٨٧ ، (سيراعلام النبلاء) : ٢/٢٥٧-٢٥٩ .

(٢) (دلائل البيهقى) : ٧/٢٨٨ .

(٣) وأخرج البخارى فى كتاب الطلاق ، باب (٣) من طلّق ، وهل يواجه الرجل امرأته بالطلاق ؟ حديث رقم (٥٢٥٤) : حدثنا الحميدى ، حدثنا الوليد ، حدثنا الأوزاعىّ قال : سألتُ الزهرى : أى أزواج النبى ﷺ استعاذت منه ؟ قال : أخبرنى عروة ، عن عائشة رضى الله عنها ، أن ابنة الجون لما أُدخلت على رسول الله ﷺ ودنا منها قالت : أعوذ بالله منك ، فقال لها : لقد عُذتِ بعظيم ، الحقى بأهلك . قال أبو عبد الله : رواه حجاج بن أبى منيع عن جده ، عن الزهرى أن عروة أخبره أن عائشة قالت ....

وحديث رقم (٥٢٥٥) : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا عبد الرحمن بن غسيل ، عن حمزة بن أبى أسيد، عن أبى أسيد رضى الله عنه قال : خرجنا مع النبى ﷺ حتى انطلقنا إلى حائط يقال له الشوط ، حتى انتهينا إلى حائطين جلسنا بينهما ، فقال النبى ﷺ : اجلسوا ها هنا ، ودخل ، وقد أُتى بالجونية ، فانزلت فى بيت فى نخل فى بيت أميمة بنت النعمان بن شراحبيل ، ومعها دايتها حاضنة لها ، فلما دخل عليها النبى ﷺ قال : هبى نفسك لى ، قالت : وهل تهب الملكة نفسها للسوقة ؟ قال : فاهوى بيده يضع يده عليها لتسكن، فقالت : أعوذ بالله منك . فقال : قد عُذت بمعاذ ، ثم خرج علينا فقال : يا أبا أسيد ، اكسها رازقيين ، وألحقها بأهلها . =

. . . .

= وحديث رقم (٥٢٥٦، ٥٢٥٧) : وقال الحسين بن الوليد النيسابورى عن عبد الرحمن ، عن عباس بن سهل، عن أبيه وأبى أسيد قالا : تزوج النبى ﷺ أميمة بنت شراحبيل ، فلما أدخلت عليه بسط يده إليها، فكأنها كرهت ذلك ، فأمر أبا أسيد أن يجهزها ويكسوهاثوبين رازقين .

وأخرج فى كتاب الأشربة ، باب (٣٠) الشرب من قدح النبى ﷺ وآنيته ، حديث رقم (٥٦٣٧) : حدثنا سعيد بن أبى مريم ، حدثنا أبو غسان قال : حدثنى أبو حازم عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : ذكر للنبى ﷺ امرأة من العرب ، فأمر أبا أسيد الساعدى أن يرسل إليها ، فأرسل إليها ، فقدمتْ فنزلت فى أجم بنى ساعدة ، فخرج النبى ﷺ حتى جاءها فدخل عليها ، فإذا امرأة منكسة رأسها ، فلما كلمها النبى ﷺ قالت : أعوذ بالله منك ! فقال : قد أعذتك منى ، فقالوا لها : أتدرين من هذا ؟ قالت : لا ، قالوا : هذا رسول الله ﷺ جاء ليخطبك ، قالت : كنتُ أنا أشقى من ذلك . فأقبل النبى ﷺ يومئذ . حتى جلس فى سقيفة بنى ساعدة هو وأصحابه ....

قال الحافظ فى (الفتح) : ووقع فى كتاب (الصحابة) لأبى نعيم ، من طريق عبيد بن القاسم عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، أن عمرة بنت الجون تعوذت من رسول الله ﷺ حين أدخلت عليه ، قال : لقد عذت بمعاذ ... الحديث ، وعبيد متروك . والصحيح أن اسمها أميمة بنت النعمان بن شراحبيل ، كما فى حديث أبى أسيد ، وقال مرة : أميمة بنت شراحبيل ، فنسبت لجدها ، وقيل : اسمها أسماء كما سأبينه فى حديث أبى أسيد مع شرحه مستوفى .

وروى ابن سعد عن الواقدى ، عن ابن أخى الزهرى ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة قالت : تزوج النبى ﷺ الكلابية .. فذكر مثل حديث الباب . وقوله : الكلابية غلط ، وإنما هى الكندية ، فكأنما الكلمة تصحفت . نعم ، للكلابية قصة أخرى ، ذكرها ابن سعد أيضًا بهذا السند إلى الزهرى وقال : اسمها فاطمة بنت الضحاك بن سفيان ، فاستعاذت منه فطلقها ، فكانت تلقط البعر وتقول : أنا الشقية ، قال : وتوفيت سنة ستين .

ومن طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، أن الكندية لما وقع التخيير اختارت قومها ، ففارقها ، فكانت تقول : أنا الشقية . ومن طريق سعيد بن أبى هند أنها استعاذت منه فأعاذها ، ومن طريق الكلبى اسمها العالية بنت ظبيان بن عمرو .

وحكى ابن سعد أيضًا أن اسمها عمرة بنت يزيد بن عبيد ، وقيل : بنت يزيد بن الجون . وأشار ابن سعد إلى أنها واحدة اختلف فى اسمها ، والصحيح أن التى استعاذت منه هى الجونية ، وروى ابن سعد من طريق سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى قال : لم تستعذ منه امرأة غيرها .

قلت : وهو الذى يغلب عليه الظن ، لأن ذلك إنما وقع للمستعيذة بالخديعة المذكورة ، فيبعد أن تخدع أخرى بمثل ما خدعت به، بعد شيوع الخبر بذلك .

قال ابن عبد البر: أجمعوا على أن النبى ﷺ تزوج الجونية ، واختلفوا فى سبب فراقه ، فقال قتادة: لما دخل عليها دعاها فقالت : تعال أنت . فطلقها ، وقيل: كان بها وضح كالعامرية . قال: =

وقال الواقدى : تزوج رسول الله ﷺ امرأة من بنى عامر ، فكان إذا خرج اطلعت إلى أهل المسجد ، فأخبرته أزواجه بذلك ، فقال إنكن تبغين عليها، فقلن : نحن تركنها وهى تطلع ، فلما رآها فارقها .

[أم شريك]

وأم شريك الأنصارية ، قال ابن إسحق : حدثنا أبوالأشعث ، حدثنا زهير بن العلاء ، حدثنا سعيد بن أبى عروة ، عن قتادة قال : وتزوج رسول الله ﷺ أم شريك الأنصارية من بنى النجار ، قال : إنى أحب أن أتزوج فى الأنصار ، ثم قال : إنى أكره غيرتهن فلم يدخل بها . ذكره الحاكم(١) .

[العالية]

والعالية بنت ظبيان بن عمرو بن عوف بن عبد بن أبى بكر بن كلاب ، تزوج بها رسول الله ﷺ ، فمكثت عنده ماشاء الله ثم طلقها ، فقيل : بسبب التطلع ، فتزوجها ابن عم لها ودخل بها ، وذلك قبل أن يحرم نكاحهن على الناس ، وولدت له(٢) .

وذكر الحاكم أنها التى بكشحها بياض ، وأنها غير أسماء بنت النعمان ابن يزيد بن عبيد بن رواس بن كلاب ، تزوج بها رسول الله ﷺ فبلغه أن

= وزعم بعضهم أنها قالت : أعوذ بالله منك ، فقال : قد عذت بمعاذ وقد أعاذك الله منى ، فطلقها .

قال : وهذا باطل ، إنما قال له هذا امرأة من بنى العنبر ، وكانت جميلة ، فخاف نساؤه أن تغلبهن عليه ، فقلن لها : إنه يعجبه أن يقال له : نعوذ بالله منك ، ففعلت ، فطلقها . كذا قال ، وما أدرى لم حكم ببطلان ذلك مع كثرة الروايات الواردة فيه ، وثبوته فى حديث عائشة رضى الله تعالى عنها فى (صحيح البخارى) . (فتح البارى) : ٩/٤٤٦-٤٤٧ .

وأخرجه الإمام أحمد فى (المسند) : ٤/٥٥٦ ، حديث رقم (١٥٦٣١) ، وزاد فى آخره : قال : وقال غير أبى أحمد : امرأة من بنى الجون يقال لها أمينة .

(١) (المستدرك) : ٤/٣٧ ، كتاب معرفة الصحابة ، ذكر أم شريك الأنصارية من بنى النجار ، حديث رقم (٦٨١٠/٢٤٠٨) ، (سير أعلام النبلاء) : ٢/٢٥٥-٢٥٦ .

(٢) (سير أعلام النبلاء) : ٢/٢٥٤ ، (المستدرك) : ٤/٣٦-٣٧ حديث رقم (٦٨٠٧/٢٤٠٥) .

بها بياضًا ، أو رأى بكشحها بياضًا(١) ، فطلقها ، قال ابن الكلبى : وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : تزوج رسول الله ﷺ هند بنت يزيد [ ] القرطاء، من ولد أبى بكر بن كلاب، وبعث إليها أبا أيوب الأنصارى فلما اهتداها رأى بها بياضًا فطلقها .

[الكلابية]

وقال الحاكم : والكلابية قد اختلف فى اسمها ، فقال بعضهم : هى فاطمة بنت الضحاك بن سفيان الكلابى ، وقال بعضهم : هى عمرة بنت يزيد بن عبيد بن رواس بن كلاب بن عامر ، وقال بعضهم : هى عالية بنت كيسان بن عمرو بن عوف بن كعب بن عبيد بن كلاب ، وقال بعضهم : هى سبَا بنت سفيان بن عوف بن كعب بن عبيد بن أبى بكر بن كلاب(٢) .

وقال بعضهم : لم يكن إلا كلابية واحدة ، وإنما اختلف فى اسمها ، وقال بعضهم : بل كن جمعًا [ولكن](٣) لكل واحدة منهن قصة غير قصة صاحبتها . وذكر [سعيد](٤) أن [أسماء بنت النعمان](٣) لما أُدخلت عليه لم تكن باليسيرة لما أدخلت ، فانتظر بها اليسر ، ومات إبراهيم ابن رسول الله على بقية ذلك ، فقالت : لو كان نبيًا ما مات أحب الناس إليه

---

(١) وزاد الحاكم : فقال لها النبى ﷺ : البسى ثيابك والحقى بأهلك ، وأمر لها بالصداق ، وفيه زيد بن كعب بن عجرة قال عنه الحافظ الذهبى فى (التلخيص) : قال ابن معين : زيد ليس بثقة .

(٢) قال الحاكم : هذه ليست بالكلابية إنما هى أسماء بنت النعمان ، (الاستيعاب) ٤ / ١٨٨١ ، ترجمة رقم (٤٠٢٨) الغفارية، (المستدرك) : ٤ /٣٧ ، كتاب معرفة الصحابة ، باب ذكر العالية حديث رقم (٦٨٠٧/٢٤٠٥) .

(٣) زيادة للسياق من (المستدرك) .

(٤) هو ابن أبى عروبة عن قتادة . (المرجع السابق) ، حديث رقم (٦٨٠٩/٢٤٠٧) ، وسكت عنه الذهبى فى التلخيص . وفيه زهير بن العلاء ، روى عن أبى حاتم الرازى أنه قال : أحاديثه موضوعة كما فى (الميزان) .

وأعز عليه ، فطلقها وأوجب لها المهر ، وحرمت على الأزواج(١) .

[أسماء بنت عمرو]

وأسماء بنت عمرو بن النعمان بن الحارث بن شراحبيل ، كذا قال هشام ابن محمد الكلبى فى كتاب (الجامع) ، وعند ابن عبد البر أنها أسماء بنت النعمان بن الأسود بن الحارث بن شراحبيل بن النعمان [بن كنده] ، ولم يصححه ، بل ذكره بصيغة التمريض ، وهى من كنده ، ثم من معاوية وهو الجون بن آكل المرار ، تزوج بها رسول الله ﷺ ، وكانت من أجمل النساء ، ومهرها اثنتى عشرة أوقية ونشاً، فقال لها بعض نسائه : أنت بنت ملك ، وإن استعذت بالله منه حظيت عنده .

فلما دخلت عليه دنا منها فقالت : أعوذ بالله منك ، فقال : عُذت بمعاذ عُذت ، وقال : ارجعى إلى أهلك ، فقيل : يارسول الله ، إنها خُدعت وهى حدثة ، فلم يراجعها ، فتزوجها المهاجر بن أمية المخزومى ، ثم قيس بن هبيرة المرادى ، فأراد عمر رضى الله عنه معاقبتهما فقيل له : إن رسول الله ﷺ لم يدخل بها ، ولم يضرب عليها الحجاب ، ولم تُسمَّ فى أمهات المؤمنين ، فأمسك(٢) .

[قتيلة بنت قيس]

قال الكلبى : وقال الشوقى بن القطامى : دعاها رسول الله ﷺ فقالت : بل ائتنى أنت ، فطلقها ، وذكره الحاكم عن قتادة ، وقال الكلبى : لما فعل رسول الله ﷺ بهذه الكندية ما فعل ، كان الأشعث بن قيس الكندى حاضراً ، فقال : يارسول الله ، الا أزوجك قتيلة بنت قيس أختى ؟ قال :

---

(١) (تاريخ الإسلام) : ٢ / ٥٩٣ ، فصل عدة أزواجه ﷺ .

(٢) (المستدرك) : ٤ / ٤٠ ، كتاب معرفة الصحابة ، حديث رقم (٦٨١٦ / ٢٤١٤) ، قال الحافظ الذهبى فى (التلخيص) : سنده واهٍ ، ويروى عن زهير بن معاوية أنها ماتت كمداً .

نعم ، فتوفى رسول الله ﷺ قبل أن يخرج من اليمن ، فتزوجها عكرمة بن أبى جهل[١] .

وذكر الحاكم عن أبى عبيدة معمر بن المثنى أنه عليه السلام تزوجها حين قدم عليه وفد كنده ، وتوفى ولم يقدم عليه . وزعم بعضهم أنه تزوجها قبل وفاته بشهر ، وزعم آخرون أنه تزوجها فى مرضه ، وزعم آخرون أنه أوصى أن تخير فاختارت النكاح ، فتزوجها عكرمة بن أبى جهل ، وزعم بعضهم أنها ارتدت[٢] .

[الجونيَّة]

وقال الواقدى : قدم النعمان الكندى وكان منزله بنجد فأسلم ، وقال : يارسول الله ! ألا أزوجك أجمل أيم فى العرب ؟ فتزوجها على اثنتى عشرة أوقية ونَشّ - وذلك خمسمائة درهم - ووجه أبا أسيد الساعدى فقدم بها، وأنزلها فى أطم بنى ساعدة ، وكانت جميلة فائقة الجمال .

فاندسّت إليها امرأة من نساء النبى ﷺ فقالت: إنت كنت تريدين الحظوة عنده فاستعيذى منه ، فإن ذلك يعجبه ، فلما جاءها أقعى ،ثم أهوى إليها ليقبلها - وكذلك كان يصنع - فقالت : أعوذ بالله منك ،

---

(١) قال أبو عمرو بن عبد البر : الاختلاف فى الكندية كثيراً جداً ، منهم من يقول : هى أسماء بنت النعمان ، ومنهم من يقول : هى أميمة بنت النعمان ، ومنهم من يقول : أمامة بنت النعمان ، واختلافهم فى سبب فراقها على ما رأيت ، والاضطراب فيها وفى صواحبها اللواتى لم يُجتمع عليهن من أزواجه ﷺ اضطراب عظيم على ما ذكرنا كثيراً منه فى صدر هذا الكتاب ، والحمد لله . (الاستيعاب) : ٤ /١٧٨٧ تعليقًا على ترجمة أسماء بنت النعمان بن الجون بن شراحبيل رقم (٣٢٣٢) ، (عيون الأثر) : ٢ /٣١١ .

(٢) (المستدرك) : ٤ /٤٠ ، كتاب معرفة الصحابة ، ذكر قتيلة بنت قيس أخت الأشعث بن قيس ، حديث رقم (٦٨١٧ /٢٤١٥) ، قال عنه الذهبى فى التلخيص : قتيلة أخت الأشعث بن قيس ، قال أبو عبيدة : تزوجها نبى الله ﷺ ، ثم ذكر الحديث ، (المواهب اللدنية) : ٢ /٩٧ ، فصل : الثامنة ، قُتيلة .

فانحرف عنها وقال : عذت بمعاذ ، وخرج فأمر بردها .

فردها أبو أسيد إلى قومها فقالوا : إنك لغير مباركة ، جعلتينا فى العرب شهرة ، فأقامت فى بيتها لا يطمع فى بيتها طامع ، ولا يراها إلا ذو محرم حتى توفيت فى خلافة عثمان عند أهلها بنجد ، قال :وكان تزويجه هذه الجونية فى ربيع الأول سنة تسع ، ويقال : إن عائشة وحفصة رضى الله عنهما توليا مشطها وإصلاح أمرها، فأمراها أن تستعيذ منه إذا دنا منها(١).

وعن الزهرى : لم يتزوج رسول الله ﷺ كندية إلا أخت الجون ، ثم فارقها ، وعن عروة بن الزبير : أنه ما تزوج أخت الأشعث قط ، ولا تزوج كندية إلا أخت بنى الجون . وقال محمد بن حبيب : الجونية امرأة من كندة ، وليست بأسماء ابنة النعمان ، كان أبو أسيد قدم بها عليه ، [فتولت] عائشة وحفصة مشطها وإصلاح أمرها ، فقالت إحداهما لها : إن رسول الله يعجبة من المرأة إذا دخلت عليه أن تقول : أعوذ بالله منك ، فلما دخل عليها وأرخى الستر ، ثم مد يده ، قالت : أعوذ بالله منك ، فوضع كمه على وجهه وقال :عذت بمعاذ ثلاث مرات ، ثم خرج فأمر أبا أسيد أن يلحقها بأهلها ، ويمتعها برازقتين ثياب كتان ، فذكروا أنها ماتت كمداً(٢) .

[مليكة بنت كعب]

ومليكة بنت كعب الليثى من كنانة ، تزوجها فى رمضان سنة ثمان ، فقالت لها عائشة رضى اﷲ عنها : أما تستحين أن تنكحى قاتل

(١) فقالت حفصة لعائشة : اخضبيها أنت وأنا أمشطها ، ففعلتا ، ثم قالت لها إحداهما : إن النبى ﷺ يعجبه من المرأة إذا دخلت عليه أن تقول : أعوذ بالله منك ، فلما دخلت عليه وأغلق الباب وأرخى الستر مد يده إليها فقالت : أعوذ بالله منك ، فقال رسول الله ﷺ بكمه على وجهه فاستتر به وقال : «عذت بمعاذ» ثلاث مرات . (المستدرك) : ٤ / ٤٠ ، حديث رقم (٦٨١٦ / ٢٤١٥) .

(٢) المرجع السابق .

أبيك[(١)]؟ فقالت : كيف أصنع ؟ قالت : استعيذى بالله منه ، فاستعاذت فطلقها ، وقُتل أبوها[(١)] يوم فتح مكة ، وقيل : هذه الكندية هى عُمرة ، وقيل : دخل بمليكة الكنانية فماتت عنده ، وأنكر الزهرى وغيره أن يكون رسول الله ﷺ تزوج كنانية قط[(٢)] .

[أم هانئ]

وذكر ابن الكلبى : وخطب رسول الله ﷺ أم هانئ بنت أبى طالب فقالت : ولقد كنت أحبك فى الجاهلية ، فكيف فى الإسلام ؟ ولكنى امرأة ذات أولاد صغار وأنا أخاف أن يؤذوك ، فأمسك عنها وقال :خير نساء ركبن المطايا نساء قريش : أحناهن على ولد فى صغر ، وأرعاهن على زوج فى ذات يد[(٣)] .

---

(١) قتله خالد بن الوليد بالخندق (طبقات ابن سعد) : ٨/١٤٨ .

(٢) قال ابن سعد : قال محمد بن عمر : مما يضعف هذا الحديث ذِكْرُ عائشة انها قالت لها : الا تستحيين ... إلخ ، وعائشة لم تكن مع رسول الله ﷺ فى ذلك السفر . (طبقات ابن سعد) : ٨/١٤٨ ، (تاريخ الإسلام) : ٢/٥٩٦ .

قال القسطلانى : الخامسة [من الزوجات] : مليكة بنت كعب الليثية ، قال بعضهم : هى التى استعاذت من النبى ﷺ ، وقيل :دخل بها ، وماتت عنده ، والاول اصح ، ومنهم من ينكر تزويجه بها اصلاً . (المواهب اللدنية) : ٢/٩٦ ، فى رواية الواقدى : فطلقها ، فجاء قومها فقالوا : يارسول الله ! إنها صغيرة ، ولا راى لها ، وإنها خدعت فارتجعها ، فابى عليهم ، فاستأذنوه ان يزوجوها ، فاذن لهم . (تاريخ الإسلام) : ٢/٥٩٦ .

(٣) هى أم هانئ فاختة بنت أبى طالب ، اخت علىّ ، خطبها ﷺ فقالت : إنى امراة مُصْبية ، واعتذرت إليه ، فعذرها . (المواهب اللدنية) : ٢/٩٩ . وقال الحافظ الذهبى : وقد خطب ﷺ أم هانئ بنت أبى طالب : وضباعة بنت عامر ، وصفية بنت بشامة ، ولم يُقْضَ له ﷺ ان يتزوج بهن ، والله تعالى اعلم . (تاريخ الإسلام) : ٢/٥٩٩ .

وهذا الحديث رواه البخارى فى النكاح ، باب إلى من ينكح وأى النساء خير ، وفى النفقات ، باب حفظ المرأة زوجها فى ذات يده والنفقة ، ورواه مسلم فى فضائل الصحابة، باب من فضائل نساء قريش، ولفظه عن ابى هريرة ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : نساء قريش خير نساء ركبن الإبل ، أحناه على طفل فى صغره ، وارعاه على زوج فى ذات يده . ويقول ابو هريرة على إثر ذلك : ولم تركب مريم بنت عمران بعيراً قط ، ولو علمتُ انها ركبتْ بعيراً ما فضَّلتُ عليها احداً .

= وفى رواية : أن النبى ﷺ خطب أم هانى بنت أبى طالب ، فقالت : يارسول الله ! إنى قد كبرتُ ولى عيال ، فقال رسول الله ﷺ : خير نساء ركبن الإبل، وفى رواية : خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش .. (جامع الأصول) : ٩ / ٢١٠-٢١١ .

قول أبى هريرة : ولم تركب مريم بنت عمران بعيراً قط ، فكأنه أراد إخراج مريم من هذا التفضيل ، لأنها لم تركب بعيراً قط ، فلا يكون فيه تفضيل نساء قريش عليها ، ولا يشك لمريم فضلاً ، وأنها أفضل من جميع نساء قريش ، إن ثبت أنها نبية ، أو من أكثرهن إن لم تكن نبية .

ويحتمل أن لايحتاج فى إخراج مريم من هذا التفضيل إلى الاستنباط من قوله : ركبن الإبل ، لأن تفضيل الجملة لايستلزم ثبوت كل فرد منها ،لأن قوله : ركبن الإبل ، إشارة إلى العرب لأنهم الذين يكثر منهم ركوب الإبل، وقد عرف أن العرب خير من غيرهم مطلقًا فى الجملة فيستفاد منه تفضيلهن مطلقًا على نساء غيرهن مطلقًا .

ويمكن أن يقال أيضًا : إن الظاهر أن الحديث سيق فى معرض الترغيب فى نكاح القرشيات ، فليس فيه التعرض لمريم ولا لغيرها ممن انقضى زمنهن .

قوله : صالح نساء قريش ، كذا للأكثر بالإفراد ، وفى رواية غير الكشميهنى : صلح ، بضم أوله وتشديد اللام بصيغة الجمع ، فالمحكوم له بالخيرية الصالحات من نساء قريش ، لا على العموم ، والمراد بالصلاح هنا صلاح الدين ، وحسن المخالطة مع الزوج ونحو ذلك .

قوله : أحناه ، بسكون المهملة بعدها نون : أكثره شفقة ، والحانية على ولدها هى التى تقوم عليهم فى حال يُتْمهم ، فلا تتزوج ، فإن تزوجت فليست بحانية . قاله الهروى . وجاء الضمير مذكرًا ، وكان القياس أحناهن ، وكأنه ذكر باعتبار اللفظ والجنس أو الشخص أو الإنسان . وجاء نحو ذلك فى حديث أنس : كان النبى ﷺ أحسن الناس وجهًا وأحسنه خلقًا ، بالإفراد فى الثانى . وحديث ابن عباس فى قول أبى سفيان : عندى أحسن العرب وأجمله أم حبيبة ، بالإفراد فى الثانى أيضًا . قال أبو حاتم السجستانى : لا يكادون يتكلمون به إلا مفرداً .

قوله : على ولده ، فى رواية الكشميهنى : على ولد ، بلا ضمير وهو أوجه ، ووقع فى رواية لمسلم : على يتيم ، وفى أخرى : على طفل ، والتقييد باليتيم والصغر يحتمل أن يكون معتبراً من ذكر بعض أفراد العموم ، لأن صفة الحنو على الولد ثابتة لها لكن ذكرت الحالتان لكونهما أظهر فى ذلك .

قوله : وأرعاه على زوج ، أى أحفظ وأصون لما لها بالأمانة فيه والصيانه له ، وترك التبذير فى الإنفاق .

قوله : فى ذات يده ، أى فى ماله المضاف إليه ، ومنه قولهم : فلان قليل ذات اليد أى قليل المال ، وفى الحديث الحث على نكاح الأشراف خصوصًا القرشيات ، ومقتضاه أنه كلما كان نسبها أعلى تأكد الاستحباب . =

وخرج الحاكم من حديث عبيد الله بن موسى ، حدثنا إسرائيل عن السدى ، عن أبى صالح عن أم هانى قالت : خطبنى النبى عليه السلام فاعتذرت إليه فعذرنى ، وأنزل الله : ﴿ **يا أيها النبى إنا أحللنا لك أزواجك** ﴾[1] إلى قوله : ﴿ **اللاتى هاجرن معك** ﴾[1] قالت : فلم أكن [زوجًا له][2] ولم أهاجر معه ، وكنت من الطلقاء . [قال :[2]] هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه[3] .

[صفية بنت بَشامة]

وصفية بنت بشامة الغيرى ، أخت الأعور بن بشامة ، أُخذت سبيَّة فعرض عليها أن يتزوجها أو ترد إلى أهلها فاختارت أن ترد فردت[4] .

= ويؤخذ منه اعتبار الكفاءة فى النسب ، وأن غير القرشيات ليس كفأ له ، وفضل الحنو والشفقة وحسن التربية والقيام على الأولاد وحفظ مال الزوج وحسن التدبير فيه .

ويؤخذ منه مشروعية إنفاق الزوج على زوجته . (فتح البارى) : ٩ / ١٥٥-١٥٦ كتاب النكاح ، باب (١٢) إلى من ينكح ، وأى النساء خير ، وما يستحبّ أن يتخيَّر لنطفه من غير إيجاب ، حديث رقم (٥٠٨٢) ، (جامع الأصول) : ٩ / ٣٠٩ ، الباب السادس من كتاب الفضائل والمناقب، الفصل الأول فى فضل قريش حديث رقم (٦٧٩٠) .

(١) الأحزاب : ٥٠ .

(٢) زيادة للسياق .

(٣) لم أجده فى المستدرك ، لكن قال القسطلانى : الخامسة [من المخطوبات] : أم هانئ فاختة بنت أبى طالب أخت علىّ ، خطبها ﷺ فقالت : إنى امرأة مُصْبِيَة ، واعتذرت إليه فعذرها . (المواهب اللدنية) : ٢ / ٩٩ .

(٤) قال القسطلانى : الثالثة [من المخطوبات] : صفية بنت بشامة - بفتح الموحدة وتخفيف الشين المعجمة - كان أصابها فى سبى ، فخيرها بين نفسه الكريمة وبين زوجها ، فاختارت زوجها . (المواهب اللدنية) : ٢ / ٩٩ ، وقال الحافظ فى (الإصابة) : صفية بنت بشَامة ، أخت الأعور ، من بنى العنبر بن تميم ، ذكرها ابن حبيب فى [(المحبر)] ممن خطبهن النبى ﷺ ولم يدخل بهن ، قال الحافظ : وأسند ابن سعد عن ابن عباس بسند فيه الكلبى ، أن النبى ﷺ خطبها ، وكان أصابها سباء ، فخيرها النبى ﷺ فقال : إن شئت أنا وإن شئ زوجك ، فقالت زوجى ، فأرسلها ، فلعنها بنوتميم . (الإصابة) : ٧ / ٧٣٧-٧٣٨، ترجمة رقم (١١٣٩٧) .

[ليلى بنت الخطيم]

وليلى بنت الخطيم بن عدى بن عمرو بن سواد بن ظفر بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس بن حارثة ، أتته وهو غافل عنها [فضربت](١) على منكبه فقال من هذا أُكْلة [الأسد](٢) ، فقالت : ابنة الخطيم، وبنت مطعم الطير ، ومسارى الريح ، وقد جئتك أعرض عليك نفسى ، فقال : قد قبلتك .

فأتت نساءها فقلن : بئس ما صنعت ، أنت امرأة غيور ، ورسول الله كثير الضرائر ، ونخاف أن تغارى ، فيدعو عليك فتهلكى فاستقيليه ، فأتت فاستقالته فأقالها ، فدخلت بعض حيطان المدينة [تغتسل ، إذ وثب عليها ذئب فأكل بعضها ، فأُدركت فماتت](٣) .

---

(١) فى (خ) : « فخطات » ، وما أثبتناه من (الإصابة) .

(٢) فى (خ) : « الأسود » ، وما أثبتناه من (الإصابة) .

(٣) ما بين الحاصرتين سياقة مضطرب فى (خ) ، ، وما أثبتناه من (الإصابة) .

وقال الحافظ فى (الإصابة) : ليلى بنت الخطيم بن عدى بن عمرو بن سواد بن ظفَر الأنصارية الأوسية، ثم الظفرية . استدركها أبو على الجيانى على (الاستيعاب) ، وقال : ذكرها ابن أبى خيثمة وقال : اقْبَلتْ على النبى ﷺ فقالت : أنا ليلى بنت الخطيم ، جئتك أعرض نفسى عليك ، فتزوجْنى ، قال قد فعلت ؛ ورجعتْ إلى قومها ، فقالوا : بئس ما صنعت ، انت امراة غيرى ، وهو صاحب نساء ، ارجعى فاستقيليه ، فرجعتْ فقالت : أقِلْنِي ، فقال : قد فعلَتُ .

قال الحافظ : ذكر ذلك ابن سعد عن ابن عباس بسندٍ فيه الكلبى ، فذكروا اتم منه ؛ وأوله : اقبلت ليلى بنت الخطيم إلى النبى ﷺ ، وهومُوَلٍّ ظهره الشمس ، فضربت على منكبه ، فقال : من هذا أُكلة الأسد ، وكان كثيراً ما يقولها .

وفى آخره :فقال :قد اقلتك ؛ قال : وتزوجها مسعود بن أوس بن سواد بن ظفر فولدت له ، فبينا هى فى حائط من حيطان المدينة تغتسل ، إذ وثب عليها ذئب فاكل بعضها فادركت ، فماتت .

ثم أسند عن الواقدى ، عن محمد بن صالح بن دينار ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : كانت ليلى بنت الخطيم وهبت نفسها للنبى ﷺ فَقَبِلها ، وكانت تركب بعولتها ركوباً منكراً ، وكانت سيئة الخلق ... فذكر نحو القصة دون ما فى آخرها ؛ وقال فى روايته : فقالت : إنك نبى =

[خولة بنت الهذيل]

[و](١) خولة بنت الهذيل بن هبيرة ، خطبها فهلكت قبل دخولها عليه(٢) .

[شراف بنت قطام]

وشراف بنت قطام أخت دحية الكلبى ، هلكت قبل دخولها عليه(٣) .

= الله، وقد أحلّ الله لك النساء ، وأنا امرأة طويلة اللسان ، لا صبر لى على الضرائر ، واستقالته ﷺ .

ومن طريق ابن أبى عون ، أن ليلى وهبت نفسها للنبى ﷺ ، ووهبن نساء أنفسهن ، فلم يسمع أن النبى ﷺ قبل منهن أحداً ، قال : وأمها مشرفة الدار بنت هيشة بن الحارث .

وأخرج ابن سعد عن الواقدى ؛ حسبته عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : أول من بايع النبى ﷺ أم سعد بن معاذ ، وهى كبشة بنت أبى رافع بن عبيد ، ومن بنى ظفر ليلى بنت الخطيم ، ومن بنى عمروبن عوف ليلى ومريم وسُهيمة بنات أبى سفيان الليثى ، يقال له : أبو البنات .

وذكر ابن سعد أيضًا : أن مسعود بن أوس تزوجها فى الجاهلية ، فولدت له عمرة وعميرة ، وكان يقال لها : أكْلَة الأسد ، وكانت أول امرأة بايعت النبى ﷺ ومعها ابنتاها ، وابنتان لابنتها ، ووهبت نفسها له ، ثم استقاله بنو ظفر ، فأقالها . (الإصابة) : ٨/١٠٣-١٠٤ ، ترجمة رقم (١١٧١٠) ، (طبقات ابن سعد) : ٨/٢٤٦ وما بعدها .

(١) للزيادة للسياق .

(٢) هى خولة بنت الهذيل بن قبيصة بن هبيرة بن الحارث بن حبيب بن حُرفة – بضم المهملة وسكون الراء بعدها فاء – ابن ثعلبة بن بكر بن حُبَيْب بن عمرو بن غنم بن تغلب التغلبية . قال الحافظ فى (الإصابة) : وقد ذكرها المفضل بن غسان الغلابى فى تاريخه ، عن على بن صالح ، عن على بن مجاهد ، قال : وتزوج النبى ﷺ خولة بنت الهذيل ، وأمها خِرْنَق بنت خليفة ، أخت دحيه الكلبى ، فحُملت إليه من الشام ،، فماتت فى الطريق ، فنكح خالتها شراف أخت دحية بن خليفة الكلبى ، فحملت إليه ، فماتت فى الطريق أيضًا .

وذكر ابن سعد عن هشام بن الكلبى ، عن شرقى بن قطامى ، حدثه أن رسول الله ﷺ تزوج خولة بنت الهذيل ، وأمها بنت خليفة بن فروة ، أخت دحيه الكلبى ، وكانت خالتها شراف بنت خليفة هى التى ربتها فماتت بالطريق قبل أن تصل . (طبقات ابن سعد) : ٨/١١٥ ، (الإصابة) : ٧/٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ترجمة رقم (١١٠٩٣) ، ٧/٦٢٦-٦٢٧ ، ترجمة رقم (١١١٣٠) ، (الاستيعاب : ٤/١٨٣٤ ، ترجمة رقم (٣٣٢٩) .

(٣) أخرج الطبرانى ، وأبو نعيم عنه ، من طريق جابر الجعفى ، عن ابن أبى مليكة ، قال خطب رسول =

[ضباعة بنت عامر]

وضباعة بنت عامر بن قرط بن سلمة بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، مات عنها هشام بن المغيرة ، وكانت جميلة ، فخطبها رسول الله ﷺ ، ثم بلغه عنها كبرةً وتَغَيُّراً فأمسك عنها ، وضباعة هذه هى التى طافت حول الكعبة عُريانة ، ولم تجد ثوب حرميّ تستعيرة ولا تكتريه، فقالت :

اليوم يبدو بعضُه أو كُلُّهْ فما بدا منه فلا أُحِلُّهْ[1]

= الله ﷺ امرأة من بنى كلب ، فبعث عائشة تنظر إليها ، فذهبت ، ثم رجعت ، فقالت : ما رأيت طائلاً ، فقال لها رسول الله ﷺ : لقد رأيت خالاً عندها اقشعرَّتْ كل شعرةٍ منك ؟ فقالت : ما دونك سرّ .

أورده أبو موسى فى (الذيل) ، فى ترجمة شراف ، وقال : قيل إن رسول الله ﷺ تزوجها ولم يدخل بها، وبذلك جزم ابن عبد البر .

قال الحافظ : وقد ورد التصريح بذكرها عن ابن سعد ، عن هشام الكلبى ، عن شَرْقى بن القطامى، قال : لما هلكت خولةبنت الهذيل تزوج رسول الله ﷺ شراف بنت خليفة أخت دحية ، ولم يدخل بها، ثم أخرج أثر عائشة المذكور ، عن محمد بن عمر ، عن الثورى ، عن جابر الجعفى ، به . (الإصابة) : ٧/٧٢٦ ، ترجمة رقم (١١٣٧٠) ، (الاستيعاب) : ٤/١٨٦٨ ، ترجمة رقم (٣٣٩٧) .

(١) ذكرها أبو نعيم ، وأخرج من طريق عبد الله بن الأجلح ، عن الكلبى ، أخبرنى عبد الرحمن العامرى، عن أشياخ من قومه ، قالوا : أتانا رسول الله ﷺ ونحن بعكاظ ، فدعانا إلى نصرته ومنعته ، فأجبناه إذ جاء بيجرة بن فراس القُشيرى ، فغمز شاكلة ناقة رسول الله ﷺ ، فقمصت به ، فألقته ، وعندنا يومئذ ضباعة بنت عامر بن قُرْط ، وكانت من النسوة اللاتى أسلمن مع رسول الله ﷺ بمكة ، جاءت زائرة بنى عمها ، فقالت : يا آل عامر ، ولا عامر لى ، يُصنع هذا برسول الله ﷺ بين أظهركم ولا يمنعه أحد منكم ؟! فقام ثلاثة من بنى عمها إلى بيجرة ، فأخذ كل رجل منه رجلاً فجلد به الأرض، ثم جلس على صدره، ثم علا وجهه لطمًا ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم بارك على هؤلاء ، فأسلموا، وقتلوا شهداء .

وهذا مع انقطاعه ضعيف ، وقد وجدت لضباعة هذه خبراً آخر ، ذكره هشام بن الكلبى فى الأنساب، عن أبيه ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس قال : كانت ضباعة القشيرية تحت هَوْدة بن على الحنفى ، فمات فورثته من ماله ، فخطبها ابن عم لها ، وخطبها عبد الله بن جُدعان ، فرغب أبوها =

[الكلبية]

وذكر الواقدى أن رسول الله ﷺ خطب امرأة من كلب ، فبعث عائشة رضى الله عنها لتنظر إليها ، فذهبت ثم رجعت ، فقال لها : ما رأيتِ ؟

= فى المال ، فزوجها من ابن جُدعان ، ولما حملت إليه تبعها ابن عمها فقال : ياضباعة ، الرجال النُخر أحب إليك أم الرجال الذين يطعنون السُور ؟ قالت : لا ، بل الرجال الذين يطعنون السور .

فقدمت على عبد الله بن جُدعان ، فأقامت عنده ، ورغب فيها هشام بن المغيرة ، وكان من رجال قريش ، فقال لضباعة : أرضيت لجمالك وهيئتك بهذا الشيخ اللئيم ؟ سليه الطلاق حتى أتزوجك ،فسألت ابن جُدعان الطلاق ، فقال : بلغنى أن هشامًا قد رغب فيك ، ولستُ مطلقًا حتى تحلفى لى أنك إن تزوجتِ أن تنحرى مائة ناقة سوداء الحَدق بين إساف ونائلة ، وأن تغزلى خيطًا يمد بين أخشبى مكة ، وأن تطوفى بالبيت عُريانة .

فقالت : دعنى أنظر فى أمرى ، فتركها ، فأتاها هشام فأخبرته فقال : أما نحر مائة ناقة فهو أهون علىّ من ناقة أنحرها عنك ، وأما الغزْل ، فأنا آمر نساء بنى المغيرة يغزلن لك ، وأما طوافك بالبيت عريانة ، فأنا أسأل قريشًا أن يخلو لك البيت ساعة ؛ فسليه الطلاق ، فسألته فطلقها وحلفت له .

فتزوجها هشام ، فولدت له سلمة ، فكان من خيار المسلمين ، ووفى لها هشام بما قال .

قال ابن عباس : فأخبرنى المطلب بن أبى وداعة السهمى - وكان لدة رسول الله ﷺ - قال : لما أخلتْ قريش لضباعة البيت ، خَرَجتُ أنا ومحمد ونحن غلامان ، فاستصغرونا فلم نمنع ، فنظرنا إليها لما جاءت ، فجعلت تخلع ثوبًا ثوبًا وهى تقول :

اليوم يبدو بعضه أو كله   فما بدا منه فلا أُحلّه

حتى نزعت ثيابها ، ثم نشرت شعرها فغطى بطنها وظهرها ، حتى صار فى خلخال ، فما استبان من جسدها شئ ،وأقبلت تطوف ، وهى تقول هذا الشعر .

فلما مات هشام بن المغيرة ، وأسلمت هى وهاجرت ، خطبها النبى ﷺ إلى ابنها سلمة ، فقال : يارسول الله ، ما عنك مدفع ، فاستأمرها ؟ قال : نعم ، فأتاها ، فقالت : إنا لله ، أفى رسول الله تستأمرنى ؟ أنا أسعى لأن أُحشر فى أزواجه ، ارجع إليه فقل له : نعم قبل أن يبْدو له ، فرجع سلمة فقال له ، فسكت النبى ﷺ ولم يقل شيئًا ، وكان قد قيل له بعد أن ولّى سلمة : إن ضباعة ليست كما عهدت ، قد كثرت غضون وجهها وسقطت أسنانها من فمها .

وذكر ابن سعد بعض هذا فى ترجمتها عن هشام الكلبى ، وعنه بهذا السند كانت ضباعة من أجمل نساء العرب ، وأعظمهن وخلقة ، وكانت إذا جلست أخذت من الأرض شيئًا كثيرًا ، وكانت تغطى جسدها بشعرها ، (طبقات ابن سعد) : ٨/ ١٠٩ ، (الإصابة) : ٨/ ٦ ، ترجمة رقم (١١٤٢٦) ، (الاستيعاب) : ٤/ ١٨٧٤-١٨٧٥ ، ترجمة رقم (٤٠١٨) ، (المواهب اللدنية) : ٢/ ٩٩ ، السادسة [من المخطوبات] ، ضباعة .

قالت : لم أر طائلاً ، فقال : لقد رأيتِ خالاً بِخَدِّها اقشعرت له كل شعرة منك ؟ فقالت : يارسول الله ! ما دونك ستر . وعن مجاهد : كان رسول الله ﷺ إذا خطب فرُدّ لم يعد ، فخطب امرأة فقالت : أستأمر أبى ، فاستأمرته فأذن لها ، ثم أتت رسول الله ﷺ فقال لها : قد التحفنا لحافًا غيرك[١] .

[أُمامة بنت الحارث]

وخطب أمامة بنت الحارث بن عوف بن أبى حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ، وكان أبوها أعرابيًا جافيًا سيد قومه فقال : إن بها بياضًا – وكانت العرب تكنى بذلك عن البرص – فقال ﷺ : ليكن كذلك ، فبرصت من وقتها ، فتزوجها يزيد بن حمزة بن عوف بن أبى حارثة ، فولدت له الشاعر شبيب بن يزيد المعروف بابن البرصاء[٢] .

[جمرة بنت الحارث]

وخطب جمرة بنت الحارث بن عوف ، فقال أبوها : إن بها برصًا ، وهو كاذب –فبرصت ، وهى أم شبيب بن البرصاء الشاعر ، قال أبو عبيدة معمر ابن المثنى : وذكر المدائنى أن أم شبيب بن البرصاء اسمها القرصافة بنت الحارث بن عوف بن أبى حارثة[٣] .

---

(١) (المواهب اللدنية) ٢/ ٩٩ ، الرابعة [من المخطوبات] ولم يذكر اسمها ، قيل إنه ﷺ خطبها ، فقالت : أستأمر أبى، فلقيت اباها فاذن لها، فعادت إلى النبى ﷺ فقال لها : قد التحفنا لحافًا غيرك .

(٢) (الاستيعاب) : ٤/ ١٧٨٨ ، ترجمة رقم (٣٢٣٥) ، (الإصابة) : ٧/ ٤٩٩ ، ترجمة رقم (١٠٨١٥) ، وقيل : اسمها قِرْصافة : (المعارف) : ١٤٠ .

(٣) إسمها قرصافة كما فى (الإصابة) : ٧/ ٤٩٩ ، ترجمة رقم (١٠٨١٥) ، (الإصابة) : ٧/ ٥٥٤ ، ترجمة رقم (١٠٩٧٥) [حمزة بنت الحارث] ، (المواهب اللدنية) ٢/ ٩٩ ، (الإصابة) : ٧/ ٥٣٠، ترجمة رقم (١٠٤١٩)

وقال الكلبي : كانت أم شبيب أدماء فسميت برصاء على القلب ولم يكن بها برص .

[درة بنت أبي سلمة]

وعرضت عليه ﷺ درة بنت أبي سلمة فقال : لو لم تكن أمها عندي لما حلت لي ، قد أرضعتني وأباها ثويبةُ(١) ... الحديث .

[أُمامة بنت حمزة]

وعرضت عليه أمامة بنت حمزة رضي الله عنه فقال : أما علمتم أن أخي حمزة من الرضاعة ، وأنه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب(٢) ؟

---

(١) هي درة بنت أبي سلمة بن عبد الأسد القرشية المخزومية ، ربيبة النبي ﷺ بنت امرأته أم سلمة ، زوج النبي ﷺ ، وهي معروفة عند أهل العلم بالسير والخبر والحديث ، في بنات أم سلمة ربائب رسول الله ﷺ .

حدثنا أحمد بن قاسم بن عبدالرحمن، وعبد الوارث بن سفيان ، قالا : حدثنا قاسم بن أصبغ ، حدثنا الحارث بن أبي أسامة ، حدثنا أبو النضر ، حدثنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب ، عن عراك ابن مالك، أن زينب بنت أبي سلمة ، أخبرته أن أم حبيبة قالت : يارسول الله ، إنا تحدثنا إنك ناكح درة بنت أبي سلمة ، فقال رسول الله ﷺ : أعلى أم سلمة ؟ لو أني لم أنكح أم سلمة لم تحل لي ، إن أباها أخي من الرضاعة ، وفي (الإصابة) : إنها لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي ، لأنها ابنة أخي من الرضاعة . (الإصابة) : ٧ / ٦٣٤ ، ترجمة رقم (١١١٤٧) ، (الاستيعاب) : ٤ / ١٨٣٥ ، ترجمة رقم (٣٣٣٣) .

(٢) هي أمامة بنت حمزة بن عبد المطلب بن هاشم ، وأمها سلمى بنت عميس بن معد بن تيم ، أخت أسماء بنت عميس ، عاشت بعد رسول الله ﷺ وقد روت عنه . (المستدرك) : ٤ / ٧٤ كتاب معرفة الصحابة ، ذكر امامة بنت حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنهما ، حديث رقم (٦٩٢٤ / ٢٥٢٢) ، (أعلام النساء) : ١ / ٧٦ ، (فتح الباري) : ٥ / ٣١٧ ، كتاب الشهادات ، باب (٧) الشهادة على الأنساب ، والرضاع المستفيض ، والموت القديم ، وقال النبي ﷺ : « أرضعتني وأبا سلمة ثويبة » والتثبت فيه ، حديث رقم (٢٦٤٥) ، ٩ / ١٧٣ ، كتاب النكاح ، باب (٢١) ﴿ وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم ﴾ ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب ، حديث رقم (٥١٠٠) ، (مسلم بشرح النووي) : ١٠ / ٢٧٧ ، كتاب الرضاع ، باب (٣) تحريم ابنة الأخ من الرضاعة ، حديث رقم (١٢) ، (سنن النسائي) : ٦ / ٤٠٨ ، كتاب النكاح ، باب (٥٠) تحريم =

[أم حبيب]

وعرضت عليه بنت العباس رضى الله عنه ، فقال : العباس أخى من الرضاع ، ويروى أنه قال إن كبرت أم حبيب وأنا حَىٌّ تزوجتها ، وفى رواية: أنه رأى أم حبيب وهى فوق الفطيم فقال : لئن بلغت بُنَية العباس هذه وأنا حَىٌّ لأتزوجنها(١) .

قال ابن عباس : فى هذا تأكيد لقول عائشة رضى الله عنها أنه أحل للنبى ﷺ كثيراً من النساء ، وأنه لم يُحبس على تسع .

[سناء بنت أسماء بنت الصلت]

وعرضت عليه أسماء - وقيل : سناء - بنت الصلت بن حبيب بن حارثة بن هلال بن حزام بن سماك بن عوف السلمية ، وحملت إليه فماتت قبل وصولها إليه(٢) .

= بنت الأخ من الرضاعة ، حديث رقم (٣٣٠٥) ، (مسند احمد) : ١/٥٥٧ ، مسند عبد الله بن عباس ، حديث رقم (٣١٣٤) ، (طبقات ابن سعد) : ٣/١٢ .

(١) هى أم حبيبة ، ويقال : أم حبيب أيضًا - كذلك يقول أكثر أهل النسب - بنت العباس بن عبد المطلب ، مذكورة فى حديث أم الفضل ، أن رسول الله ﷺ قال : لو بلغت أم حبيبة بنت العباس وأنا حىّ لتزوجتها .

وتزوجها الأسود بن سفيان بن عبد الأسود بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وأم حبيب بنت العباس أم الفضل بنت الحارث ، فهى أخت عبد الله، والفضل ، وعبيد الله ، وعبد الرحمن ، وقُثم ، ومعبد بنى العباس .

قال ابن الأثير : ذكرها ابن إسحاق فى رواية يونس بن بكير عنه ، عن الحسين بن عبد الله بن عبيد الله ابن العباس ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : نظر رسول الله ﷺ إلى أم حبيب بنت العباس تدب بين يديه ، فقال : لئن بلغت هذه وأنا حَىٌّ لتزوجتها فقُبض ﷺ قبل أن تبلغ ، فتزوجها الأسود ، فولدت له لبابة ، سمتها باسم أمها ، قال الحافظ فى (الإصابة) : وهذا يقتضى أن يكون لها رؤية ، فتكون من أهل القسم الثانى ، لكن ذكرها ابن سعد فى الصحابيات ، وذكر أنها ولدت للأسود ابنة أخرى اسمها زرقاء ، قال : وولدها يسكنون مكة (الاستيعاب) : ٤/١٩٢٨ ، ترجمة رقم (٤١٣٤) ، (الإصابة) : ٨/١٨٦-١٨٧ ، ترجمة رقم (١١٩٥٦) ، (طبقات ابن سعد) : ٤/٦ .

(٢) هى أسماء بنت الصلت السلمية : اختلف فيها وفى اسمها ، فقال أحمد بن صالح المصرى : =

وقيل له : يارسول الله ، ألا تتزوج من نساء الأنصار ؟ فقال : إن فيهن غيرة شديدة وأنا صاحب ضرائر ، وأكره أن أسوء قومهن فيهن .

= أسماء بنت الصلت السلمية من ازواج النبى ﷺ . وروى عن قتادة نحوه . وقال ابن إسحاق : سناء بنت أسماء بن الصلت السلمية و تزوجها رسول الله ﷺ ثم طلقها .

وقال على بن عبد العزيز بن على الحسن الجرجانى النسّابة : هى وسناء بنت الصلت بن حبيب بن جارية بن هلال بن حرام بن سماك بن عوف بن امرئ القيس بن بهثه بن سليم السلمية تزوجها رسول الله ﷺ فماتت قبل أن تصل إليه . وقال أبو عمر : قول من قال : سناء بنت الصلت أولى بالصواب إن شاء الله تعالى .

وقال الحافظ فى (الإصابة) : سنا ، بفتح أوله وتخفيف النون ، بنت أسماء بن الصلت السلمية . ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى أنها ممن تزوجها رسول الله ﷺ فماتت قبل أن يدخل بها . وروى ذلك عن حفص بن النضر ، وعبد القادر بن السرى السلميين ،وقال : هى عمة عبد الله بن خازم - بمعجمتين - بن أسماء بن الصلت أمير خراسان .

قال الحافظ : ذكر ابن أبى خيثمة ، عن أبى عبيدة بن عبد القاهر : سماها سنا كالذى ههنا ، وأن غيره سماها وسنا - بزيادة واو فى أولها - .

وقال ابن إسحاق : سنا بنت أسماء ، وقال غيره : وسنا ، حكى ذلك أبو عمر ، قال :ولايثبت من ذلك شئ من حيث الإسناد ، إلا أن قول ابن إسحاق أرجح .

وقال ابن سعد : سنا ، ويقال : سبا - بالموحدة والنون - ونسبها ابن حبيب إلى جدها ، فساق نسبها إلى بنى سليم ، وذكر أن أسماء أخوها لا أبوها ، وذكر أنها ماتت قبل أن يدخل النبى ﷺ بها .

وحكى الرشاطى عن بعضهم أن سبب موتها أنه لما بلغها بأن النبى ﷺ تزوجها سرت بذلك حتى ماتت من الفرح (الإصابة) : ٧ /٧١٣-٧١٤ ، ترجمة رقم (١١٣٣٨) ، (الاستيعاب) : ٤ /١٧٨٣-١٧٨٤ ، ترجمة رقم (٣٣٢٨) ، (طبقات ابن سعد) : ٨ /١٤٩ ، (المواهب اللدنية) : ٢ /٩٧ ، التاسعة [ممن لم يدخل بهن] : سنا بنت أسماء بن الصلت السلمية ، تزوجها ﷺ وماتت قبل أن يدخل بها ، وعند ابن إسحاق : طلقها قبل أن يدخل بها ، (المستدرك) : ٤ /٣٧ ، كتاب معرفة الصحابة ، ذكر سناء بنت أسماء بن الصلت السلمية ، حديث رقم (٦٨١١ /٢٤٠٩) : اخبرنا أبو النضر الفقيه ، حدثنا على بن عبدالعزيز ، حدثنا أبو عبيدة قال : وزعم حفص بن النضر السلمى وعبد القاهر بن السرى السلمى ، أن النبى ﷺ تزوج سناء بنت أسماء بن الصلت السلمية ، فماتت قبل أن يدخل بها . قال الحافظ الذهبى فى (التلخيص) : وزعم حفص بن النضر السلمى ، وعبد القاهر بن السرى أن النبى ﷺ تزوج سنا بنت أسماء بن الصلت السلمية ، فماتت قبل أن يدخل بها .

وذكر الحاكم عن قتادة : أنه ـ عليه السلام ـ تزوج أم شريك الأنصارية من بنى النجار ، وقال : إنى أحب أن أتزوج فى الأنصار ، ثم قال : إنى أكره غيرتهن ،فلم يدخل بها(١) .

وقال الزهرى : كان صداق رسول الله ﷺ الذى زوج به بناته وتزوج به : عشر أواقى ونشاً ، قال عبد الرزاق : وذلك خمس مائة درهم(٢) .

وذكر الواقدى أن رسول الله ﷺ كان إذا خطب المرأة قال للذى يخطبها عليه : اذكر لها جفنة سعد بن عبادة الذى كان يبعث بها ، يعنى أنها مرة

(١) (المرجع السابق) ، حديث رقم (٦٨١٠/٢٤٠٨) ، وسكت عنه الحافظ الذهبى فى (التلخيص) .

(٢) قال أبو عبد الله الحاكم : فحدثنى ابو بكر بن بالويه ، حدثنا إبراهيم بن إسحاق الحربى ، حدثنا مصعب بن عبد الله الزبيرى ، حدثنا عبد العزيز بن محمد ، عن يزيد بن عبد الله بن الهاد ، عن محمد بن إبراهيم ، عن ابى سلمة بن عبد الرحمن ، أنه سال عائشة زوج النبى ﷺ : كم أصدق رسول الله ﷺ أزواجه ؟ قالت : كان صداقه لأزواجه اثنتى عشر أوقية ونصفًا ، فذلك خمسمائة درهم ، فهذا صداق رسول الله ﷺ لأزواجه .

قال : هذا حديث صحيح الإسناد ، وعليه العمل ، وإنما أصدق النجاشى أم حبيبة أربعمائة دينار، استعمالاً لأخلاق الملوك فى المبالغة فى الصنائع ، لاستعانة النبى ﷺ به فى ذلك. (المستدرك) : ٤/٢٣-٢٤ كتاب معرفة الصحابة ، ذكر أم حبيبة بنت ابى سفيان رضى الله تعالى عنها ، حديث رقم (٦٧٧٢/٢٣٧٠) ، وقال الحافظ الذهبى فى(التلخيص) : صحيح .

وقال (القسطلانى) : واختُلف فى أم شريك : هل دخل بها ؟ مع الاتفاق على الفرقة . والمستقيلة التى جهل حالها ، فالمفارقات بالاتفاق سبع ، واثنتان على خلاف الميتات فى حياته بالاتفاق أربع ، ومات ﷺ عن عشر ، واحدة لم يدخل بها . (المواهب اللدنية) : ٢/٩٨، وقد نظم بعضهم زوجات النبى ﷺ الذى مات عنهن :

توفى رسول الله عن تسع نسوة ... إليهن تعزى المكرمات وتُنسبُ
فعائشة وميمونة وصفية ... جويرية مع سودة ثم زينبُ
كذا رملة مع هند أيضًا وحفصة ... ثلاث وست نظمهن مهذبُ

ولبعضهم أيضًا :

توفى رسول الله عن تسع نسوة ... وهى ابنة الصديق رملة حفصة
جويرية هند وزينب سودة ... وميمونة والمصطفاة صفية =

بلحم ومرة بسمن ومرة بلبن(١) .

وقال الواقدى : بلغنا أن رسول الله ﷺ طاف على نسائه فى غُسل واحد(٢) ، [ويروى] أنه طاف عليهن يغتسل من كل امرأة ....

= (المعارف) :١٣٩ «هامش» .

قال القسطلانى : ومات عنده ﷺ منهن اثنتان : خديجة ، وزينب أم المساكين ، ومات ﷺ عن تسع ، ذكر أسماهن الحافظ أبو الحسن بن الفضل المقدسى نظمًا فقال :

توفى رسول الله عن تسع نسوة ... إليهن تعزى المكرمات وتُنسبُ
فعائشة وميمونة وصفية ... وحفصة تتلوهن هندٌ وزينبُ
جويرية مع رملة ثم سودة ... ثلاث وست ذكرهن مهذبُ

وهند : هى أم سلمة ، ورملة : هى أم حبيبة، (المواهب اللدنية) ٢ / ٧٥-٧٦ .

(١) (طبقات ابن سعد) : ١ /٤٠٩ .

(٢) قال الإمام النووى : وأما طوافه على نسائه بغسل واحد ، فيحتمل أنه ﷺ كان يتوضأ بينهما ، أو يكون المراد بيان جواز ترك الوضوء ، وقد جاء فى (سنن أبى داود) أنه ﷺ طاف على نسائه ذات ليلة ، يغتسل عند هذه وعند هذه ، فقيل :يارسول الله ؛ الا تجعله غسلاً واحداً ؟ فقال : هذا ازكى، واطيب ، واطهر ، قال أبو داود : والحديث الأول أصح ، قلت : وعلى تقدير صحته ، يكون هذا فى وقت وذاك فى وقت ، والله تعالى أعلم .

واختلف العلماء فى حكمة هذا الوضوء ، فقال أصحابنا : لأنه يخفف الحدث ، فإنه يرفع الحدث عن أعضاء الوضوء . وقال أبو عبد الله المازرى رضى الله عنه : اختلف فى تعليله ، فقيل : ليبيت على إحدى الطهارتين ، خشية أن يموت فى منامه . وقيل : بل لعله ينشط إلى الغسل إذا نال الماء اعضاءه .

قال المازرى ويجرى هذا الخلاف فى وضوءالحائض قبل أن تنام ، فمن علل المبيت على طهارة استحبه لها . هذا كلام المازرى .

وأما أصحابنا : فإنهم متفقون على أنه لايستحب الوضوء للحائض والنفساء ، لأن الوضوء لايؤثر فى حدثهما ، فإن كانت الحائض قد انقطعت حيضتها ، صارت كالجنب والله تعالى أعلم .

وأما طواف النبى ﷺ على نسائه بغسل واحد ، فهو محمول على أنه كان برضاهن ، أو برضى صاحبة النوبة ، إن كانت نوبة واحدة ، وهذا التأويل يحتاج إليه من يقول : كان للقسم واجبًا على رسول الله ﷺ فى الدوام ، كما يجب علينا ، وأما من لايوجبه فلا يحتاج إلى تأويل ، فإنه له أن يفعل مايشاء . وهذا الخلاف فى وجوب القسم ، هو وجهان لأصحابنا ، والله تعالى أعلم .

غُسلاً(١) ، وأنه قال : أعطيت فى الجماع قوة أربعين رجلاً(٢) .

= وفى هذه الأحاديث المذكورة فى الباب : ان غسل الجنابة ليس على الفور ، وإنما يتضيق على الإنسان عند القيام إلى الصلاة ، وهذا بإجماع المسلمين .

وقد اختلف أصحابنا فى الموجب لغسل الجنابة : هل هو حصول الجنابة بالتقاء الختانين أو إنزال المنى؟ أم هو القيام إلى الصلاة ؟ أم هو حصول الجنابة مع القيام إلى الصلاة ؟ - فيه ثلاثة أوجه لأصحابنا ، ومن قال : يجب بالجنابة قال : هو وجوب موسع .

وكذا اختلفوا فى موجب الوضوء : هل هو الحدث أم القيام إلى الصلاة ؟ أم المجموع ؟

وكذا اختلفوا فى الموجب لغسل الحيض ، هل هو خروج الدم أم انقطاعه ؟ والله تعالى أعلم . (مسلم بشرح النووى) : ٣/٢٢٢ ، كتاب الحيض ، باب (٦) جواز نوم الجنب ، واستحباب الوضوء له ، وغسل الفرج إذا أراد أن يأكل، أو يشرب ، أو ينام ، أو يجامع ، حديث رقم (٣٠٩) ، (عون المعبود) : ١/٢٥٣ ، كتاب الطهارة ، باب (٨٥) فى الجنب يعود ، حديث رقم (٢١٥) ، عن أنس رضى الله تعالى عنه .

(١) (عون المعبود): ١/٢٥٤ ، كتاب الطهارة ، باب (٨٦) الوضوء لمن أراد أن يعود ، حديث رقم (٢١٦) : حدثنا موسى بن إسماعيل قال : حدثنا حماد عن عبد الرحمن بن أبى رافع ، أن النبى ﷺ طاف على نسائه ، يغتسل عند هذه ، وعند هذه . قال : فقلت له : يارسول الله ، ألا تجعله غُسلاً واحداً ؟ قال : هذا أزكى ، وأطيب ، وأطهر . قال أبو داود : حديث أنس أصح من هذا .

والحديث يدل على استحباب الغسل قبل المعاودة ، ولا خلاف فيه .قال النسائى : ليس بينه وبين حديث أنس اختلاف ، بل كان يفعل هذا مرة وذلك أخرى .

وقال النووى فى (شرح مسلم) : هو محمول على أنه فعل الأمرين فى وقتين مختلفين ، والذى قالاه هو حسن جداً ، ولا تعارض بينهما ، فمرّة تركه رسول الله ﷺ بيانًا للجواز ، وتخفيفًا على الأمة ، ومرة فعله لكونه أزكى وأطهر .

و «حديث أنس» المتقدم «أصح من هذا» أى من حديث أبى رافع ، لأن حديث أنس مروى من طرق متعددة ، ورواته ثقات أثبات ، ورواة حديث أبى رافع ليسوا بهذه المثابة ، وقول المؤلف هذا ليس بطعن فى حديث أبى رافع ، لانه لم ينف الصحة عنه ، وأورد حديث أبى رافع فى هذا الباب لأن الغسل يشمل الوضوء أيضًا . قال المنذرى : وأخرجه النسائى وابن ماجه. (عون المعبود) : ١/٢٥٤.

(٢) قال ابن القيم : وكان قد أعطى قوة ثلاثين فى الجماع وغيره ، وأباح الله له من ذلك ما لم يبحه لأحد من أمته ﷺ (زاد المعاد) : ١/١٥١ ، فصل فى هديه فى النكاح ، ومعاشرته ﷺ أهله .

وقال أنس رضى الله عنه : كان يدور على نسائه فى الساعة الواحدة من الليل ، وهنّ إحدى عشرة ، قلت لأنس : أوكان يطيقه ؟ قال : كنا نتحدث أنه ﷺ أعطى قوة ثلاثين . رواه البخارى من طريق قتادة . وقال سعيد عن قتادة : إن أنسًا حدثهم : تسع نسوة . (فتح البارى) : ١/٤٩٧ ، كتاب =

. . . .

= الغسل ، باب (١٢) إذا جامع ثم عاد . ومن دار على نسائه فى غُسل واحد ، حديث رقم (٢٦٨)، باب (٢٤) الجنب يخرج ويمشى فى السوق وغيره ، حديث رقم (٢٨٤) ، ٩ / ١٤٠ ، كتاب النكاح ، باب (٤) كثرة النساء ، حديث رقم (٥٠٦٨) ، ٩ / ٣٩٤ ، كتاب النكاح ، باب (١٠٣) من طاف على نسائه فى غسل واحد ، حديث رقم (٥٢١٥) .

وذكر القاضى عياض أن الحكمة فى طوافه عليهن فى الليلة الواحدة كان لتحصينهن ، وكأنه أراد به عدم تشوفهن للأزواج ، إذ الإحصان له معانٍ ، منها : الإسلام ، والحرية ، والعفة ، والذى يظهر أن ذلك إنما كان لإرادة العدل بينهن فى ذلك ، وإن لم يكن واجبًا ، وفى التعليل الذى ذكره نظر ، لأنهن حرم عليهن التزويج بعده ، وعاش بعضهن بعده خمسين سنة فما دونها ، وزادت آخرهن موتًا على ذلك . (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) : ١ / ٥١ وما بعدها ، فصل : والضرب الثانى ما يتفق التمدح بكثرته ،والفخر بوفوره كالنكاح والجاه ، (فتح البارى) : شرح الحديث رقم (٥٢١٥) مختصراً .

قال الحافظ فى (الفتح) : وفى هذا الحديث من الفوائد : ما أعطى النبى ﷺ من القوة على الجماع ، وهو دليل على كمال البنية ، وصحةالذكورية ، والحكمة فى كثرة أزواجه ﷺ أن الأحكام التى ليست ظاهرة يطلعن عليها ، فينقلنها ، وقد جاء عن عائشة من ذلك الكثير الطيب ، ومن ثم فضلها بعضهم على الباقيات .

نقل الحافظ فى (الفتح) كلام ابن حبان هذا فى الجمع بين الروايتين بأن حمل ذلك على حالتين ، ثم تعقبه بقوله : لكنه وهم فى قوله : إن الأولى كانت فى أول قدومه المدينة ، حيث كان تحته ﷺ تسع نسوة ، والحالة الثانية فى آخرالأمر ، حيث اجتمع عنده إحدى عشر امرأة .

وموضع الوهم منه أنه ﷺ لما قدم المدينة لم يكن تحته امرأة سوى سودة ، ثم دخل على عائشة بالمدينة ، ثم تزوج أم سلمة ، وحفصة ، وزينب بنت خزيمة فى السنة الثالثة والرابعة ، ثم تزوج زينب بنت جحش فى الخامسة ، ثم جويرية فى السادسة ، ثم صفية ، وأم حبيبة ، وميمونة فى السابعة ، وهؤلاء جميع من دخل بهن من الزوجات بعد الهجرة على المشهور .

واختلف فى ريحانة – وكانت من سبى بنى قريظة – فجزم ابن إسحاق بأنه عرض عليها أن يتزوجها ، ويضرب عليها الحجاب ، فاختارت البقاء فى ملكه ، والأكثر على أنها ماتت قبله فى سنة عشر ، وكذا ماتت زينب بنت خزيمة بعد دخولها عليه بقليل . قال ابن عبد البر : مكثت عنده شهرين أو ثلاثة .

فعلى هذا لم يجتمع عنده من الزوجات أكثر من تسع ، مع أن سودة كانت وهبت يومها لعائشة، فرجحت رواية سعيد ، لكن تحمل رواية هشام على أنه ضم مارية وريحانة إليهن ، وأطلق عليهن لفظ « نسائه » تغليبًا . =

وقد اختلف فى الحجاب ، فذكر أبو الحسن المدائنى فى كتاب (النساء اللاتى لم يكن مستترات) : حدثنا ابن مجاهد عن ابن إسحاق قال : كُنَّ نساءالجاهلية لا يستترن ، فقالت هند بنت عتبة لرسول الله ﷺ : بأبى أنت وأمى ، ما أكرم هذا الدين لولا خصلاً فيه ، قال : ما هى ؟ قالت : منهن هذا القناع ، فلا نعرف ذعراً من [فزع] ، قال : لابد من التستر .

وكان فى الإسلام يقصد الرجل امرأته فيدخل عليها الداخل فلا تقف المرأة ويُقعد الرجل امرأته للرجل (أهـ) .

وعن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنه قال :أكل عمر رضى الله عنه مع النبى ﷺ ، فأصابت يده بعض نسائه فأمر بالحجاب .

قال الواقدى: ونزل الحجاب فى ذى القعدة سنة خمس، وقوم يقولون نزل بمكة فى حجة الوداع(١) .

= قال أبو حاتم رضى الله تعالى عنه : فى خبر هشام الدستوائى عن قتادة : «وله يومئذ تسع نسوة». أما خبر هشام ، فإن أنسًا حكى ذلك الفعل منه ﷺ فى أول قدومه المدينة ، حيث كانت تحته إحدى عشرة امرأة ؛ وخبر سعيد عن قتادة إنما حكاه انس فى آخر قدومه المدينة ﷺ ، حيث كانت تحته تسع نسوة ، لأن هذا الفعل كان منه ﷺ مرارًا كثيرة ، لامرة واحدة ، (الإحسان) : ٤ / ١٠-١١ ، كتاب الطهارة ، باب (٧) أحكام الجنب ، حديث رقم (١٢٠٩) ، (المواهب اللدنية) : ٢/ ٤٧٩ ، باب قوته ﷺ فى النكاح ،ثم قال القسطلانى : ونبينا محمد ﷺ لما خُيِّر بين ان يكون نبيًا ملكًا ابى ذلك ، واختار ان يكون نبيًا عبدًا ، فاعطى من الخصوصية ذلك القدر لكونه ﷺ اختار الفقر والعبودية ، فاعطى الزائد لخرق العادة فى النوع الذى اختار ، وهو الفقر والعبودية ، فكان ﷺ يربط على بطنه الاحجار من شدة الجوع والمجاهدة ، وهو على حاله فى الجماع ، لم ينقصه شيئًا ، والناس أبدًا إذا أخذهم الجوع والمجاهدة لايستطيعون ذلك ، فهو أبلغ فى المعجزة . قاله فى (بهجة النفوس) . والله تعالى أعلم . (المرجع السابق) : ٤٨٥ .

(١) قوله تعالى : ﴿وإذا سألتموهن متاعاً فسئلوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكن وقلوبهن﴾ عطف على جملة ﴿لا تدخلوا بيوت النبى﴾ فهى زيادة بيان للنهى عن دخول البيوت النبوية، وتحديد لمقدار الضرورة التى أدّت إلى دخولها او الوقوف بأبوابها، وهذه الآية شارعة حكم حجاب أمهات المؤمنين، وقد قيل: إنها نزلت فى ذى القعدة سنة خمس. (تفسير التحرير والتنوير): ٤ / ٩٠.

وللإمام أحمد من حديث سفيان عن عمر عن عطاء عن عائشة قالت: ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل له النساء(١)، وفى رواية عن عطاء عن عائشة رضى الله عنها، ما قبض رسول الله ﷺ حتى أحل الله له أن يتزوج من النساء من شاء إلا ذات زوج، لقوله تعالى: **﴿ترجى من تشاء منهن وتؤوى إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك﴾**(٢).

وخرج الإمام أحمد من حديث عاصم عن معاذة عن عائشة، أن النبى ﷺ كان يستأذن إذا كان يوم المرأة منا، بعد أن نزلت هذه الآية **﴿ترجى من تشاء منهن وتؤى إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك﴾** قالت: فقلت لها: ما كنت تقولين له؟ قالت: كنت أقول له: إن كان ذلك إلىّ فإنى لا أريد يا رسول الله أن أؤثر عليك أحداً(٣).

وعن أبى أمامة بن سهل بن حنيف فى قوله تعالى: **﴿لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج﴾**، قال: حُبس رسول الله ﷺ عن نسائه فلم يتزوج بعدهن(٤).

وعن أبى زرين قال: هَمّ رسول الله ﷺ أن يُطَلّق نساءه، فلما رأين ذلك

---

(١) (مسند أحمد): ٧/٦٣، حديث رقم (٢٣٦١٧).

(٢) الأحزاب: ٥١.

(٣) (مسند أحمد) ٧/ ١١٢ - ١١٣، حديث رقم (٢٣٩٥٥).

(٤) حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن الحسن فى قوله تعالى: **﴿لا يحل لك النساء﴾** من بعد هؤلاء اللاتى عندك. قال الحسن: لما خَيَّرَهن، فاخترن الله وسروله، قصر عليهن، فقال: **﴿لا يحل لك النساء من بعد﴾**، يقول: من بعد هؤلاء اللاتى عندك. (تفسير عبد الرزاق): ٢/٩٩، مسألة رقم (٢٣٦٥)، وقال: حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن الكلبى، قال: **﴿لا يحل لك النساء من بعد﴾** يقول: ما قصَّ الله عليك من بنات العم، وبنات الخال، وبنات وبنات...، (المرجع السابق): مسألة رقم (٢٣٦٧). واخرج الترمذى وحسنه عن ابن عباس، قال: نهى رسول الله ﷺ عن أصناف النساء إلا ما كان من المؤمنات المهاجرات، قال: **﴿لا يحل لك النساء من بعد ولا تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك﴾** [الأحزاب: ٥٢].

جَعَلتَهُ فى حل من أنفسهن يؤثر من يشاء، فأنزل الله ﴿ **وتؤوى إليك من تشاء** ﴾، يقول: تعزل من تشاء فكان ممن عزل: سودة، وأم حبيبة، وصفية، وجويرية، وميمونة، وجعل يأتى عائشة وحفصة، وزينب، وأم سلمة. وقوله تعالى: ﴿ **ترجى من تشاء** ﴾، يقول: من تشاء فى غير طلاق، ثم قال تعالى: ﴿ **لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج** ﴾، يقول: من المسلمات(١).

وكان يستتر فى الجماع، فجاء من طرق عن عائشة، ما نظرت إلى فرج رسول الله ﷺ قط، وفى رواية: ما رأيت عورة رسول الله ﷺ قط، وعنها أنها قالت: ما أتى رسول الله ﷺ أحداً من نسائه إلا مقنعا يرخى الثوب على رأسه، وما رأيته من رسول الله ولا رآه منّى »(٢).

وخرج الخطيب أبو بكر الحافظ، من طريق منصور بن عمار قال: حدثنى معروف أبو الخطاب قال: سمعت واثلة بن الأسقع يقول: سمعت أم سلمة تقول: كان رسول الله ﷺ إذا أتى امرأة من نسائه غمض عينيه وقنع رأسه [زاد الخلال]، وقال للتى تكون تحته: عليك بالسكينة والوقار(٣).

وأدَّب أزواجه بالهجر، قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا

---

(١) حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن منصور، عن أبى رزين، فى قوله تعالى: ﴿ **ترجى من تشاء منهن** ﴾، قال: المرجئات: ميمونة، وسودة، وصفية، وجويرية، وأم حبيبة، وكانت عائشة وحفصة، وأم سلمة، وزينب، سواء فى قسم النبى ﷺ وكان النبى ﷺ يساوى بينهن فى القسم. (تفسير عبد الرزاق): ٢/٩٩، مسألة رقم (٢٣٦١).

(٢) (مسند أحمد): ٧/٩٣، حديث رقم (٢٣٨٢٣): حدثنا عبد الله حدثنى أبى، حدثنا وكيع، حدثنا سفيان عن منصور، عن موسى بن عبد الله بن يزيد الخطمى، عن مولى لعائشة، عن عائشة قالت: ما انظرت إلى فرج النبى ﷺ قط – أو ما رأيت فرج النبى ﷺ قط –، ٧/٢٩٢، حديث رقم (٢٥٠٤٠).

(٣) (تاريخ بغداد): ٥/١٦٢، ترجمة أحمد بن محمويه بن أبى سلمة المدائنى رقم (٢٦٠٧)، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه.

جعفر بن سليمان، عن ثابت قال: حدَّثتني شميسة - أو سمية - [قال عبد الرزاق: هو فى كتابى سمينة](١) عن صفية بنت حُيّ، أن النبى ﷺ حج بنسائه، حتى إذا كان فى بعض الطريق، نزل رجل فساق بهن فأسرع، فقال النبى ﷺ: كذاك سوقك بالقوارير - يعنى النساء-.

فبينما هم يسيرون، برك بصفية بنت حُيي جملها - وكانت من أحسنهن ظهراً - فبكت، وجاء رسول الله ﷺ حين أُخبر بذلك فجعل يمسح دموعها بيده، وجعلت تزداد بكاءً وهو ينهاها، فلما أكثرت زبرها وانتهرها، وأمر الناس بالنزول، ولم يكن يريد أن ينزل، قالت: فنزلوا، وكان يومى، فلما نزلوا ضُرب خباء رسول الله ودخل فيه، قالت: فلم أدر علام أهجم من رسول الله، وخشيت أن يكون فى نفسه شيء [منى](١) .

فانطلقت إلى عائشة فقلت لها: تعلمين أنى لم أكن لأبيع يومى من رسول الله بشيء أبداً، وإنى قد وهبت يومى لك على أن ترضى رسول الله [عنى؟](١) قالت: نعم، فأخذت عائشة خماراً لها قد ثردته بزعفران فرشته بالماء ليذكى ريحه، ثم لبست ثيابها، ثم انطلقت إلى رسول الله ﷺ فرفعت طرف الخباء فقال لها: ما لك يا عائشة! إن هذا ليس بيومك، قالت: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

فقال(٢) مع أهله، فلما كان عند الرواح قال لزينب بنت جحش: [يا زينب](١) أفقرى صفية جملاً - وكانت من أكثرهن ظهراً - فقالت: أنا أفقر يهوديتك؟ فغضب النبى ﷺ حين سمع ذلك منها، فهجرها فلم يكلمها حتى قدم مكة وأيام منى فى سفره حتى رجع إلى المدينة والمحرم وصفر، فلم يأتها ولم يقسم لها ويئست منه.

---

(١) زيادة للسياق من (المسند).

(٢) من القيلولة وهى نوم الظهيرة.

فلما كان شهر ربيع الأول دخل عليها فرأت ظله فقالت: إن هذا لظل رجل، وما يدخل عليّ النبى! فمن هذا؟ فدخل النبى ﷺ فلما رأته قالت: يا رسول الله! ما أدرى ما أصنع حين دخلت عليّ.

قالت: وكانت لها جارية، وكانت تخبؤها من النبى ﷺ، فقالت: فلانة لك، فمشى النبى ﷺ إلى سرير زينب -وكان قد رُفع- فوضعه بيده ثم أصاب أهله ورضى عنهم(١).

وقد ثبت فى الصحيحين وغيرهما، أن النبى ﷺ آلى من نسائه شهراً(٢) واعتزلهن لشئ صدر منهن، فقيل: لأنهن سألنه من النفقة ما

(١) (مسند أحمد) ٧/ ٤٧٤ - ٤٧٥، حديث رقم (٢٦٣٢٥)، وحديث رقم (٢٦٣٢٦): حدثنا عبد الله، حدثنى أبى، حدثنا عفان، حدثنا حماد -يعنى ابن سلمة- قال: حدثنا ثابت عن سمية، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ كان فى سفر فاعتل بعير لصفية.. فذكره نحوه.

(٢) الإيلاء فى اللغة: الحلف. وفى الشرع: الحلف على ترك وطء الزوجة. وإن ترك الوطء بغير يمين لم يكن مؤليا، فإذا كان تركه لعذر من مرض، أو غيبة، ونحوه، لم تُضرب له مدة، وإن تركه مضراً بزوجته، ففى رواية له أربعة أشهر؛ فإن وطئها، وإلا دعى بعدها إلى الوطء، فإن امتنع منه أمر بالطلاق، كما يفعل فى الإيلاء سواء، وفى رواية أخرى: لا تضرب له مدة.

والألفاظ التى يكون بها مؤليا، ثلاثة أقسام.

الأول: ما هو صريح فى الحكم والباطن -أى فى القضاء والديانة- جميعا، وهو ثلاثة ألفاظ، قوله: والله لا آتيك، ولا أدخل، ولا أغيّب، أو أولج ذكرى فى فرجك، ولا أفتضك -إذا كانت الزوجة بكرا- فهذه صريحة ولا يُديَّن فيها.

الثانى: صريح فى الحكم، ويديّن فيما بينه وبين الله تعالى، وهى عشرة ألفاظ: لا وطئتك، ولا جامعتك، ولا أصبتك، ولا باشرتك، ولا مسستك، ولا قربتك، ولا أتيتك، ولا باضعتك، ولا باعلتك، ولا اغتسلت منك. فهذه صريحة فى الحكم، وأشهرها الجماع والوطء، فلو قال: أردت بالوطء الوطء بالقدم، وبالجماع اجتماع الأجسام، وبالإصابة الإصابة باليد، دُيِّن فيما بينه وبين الله تعالى ولم يقبل الحكم.

الثالث: ما لا يكون إيلاء إلا بالنية، وهو ما عدا هذه الألفاظ مما يحتمل الجماع وغيره، كقوله: والله لا قربت فراشك، لا نمت عندك، فهذه الألفاظ إن أراد بها الجماع واعترف بذلك، كان مؤليا، وإلا فلا.

وهذا النوع الثالث منه ما يفتقر إلى نية الجماع والمدة، حتى تعتبر إيلاءً، وذلك مثل: =

= لاسوءنك، لاغيظنك، لتطولن غيبتي عنك، فلا يكون مؤلياً، حتى ينوى بها ترك الجماع مدة تزيد على أربعة أشهر، ومنه ما يكون مؤلياً بنية فقط، وهو سائر الفاظ الكناية.

وإن قال: والله ليطولن تركى لجماعك، أو لوطئك، أو لإصابتك، فهذا صريح فى ترك الجماع، وتعتبر نية المدة دون نية الوطء.

وإن قال لإحدى زوجتيه: والله لا وطئتك، ثم قال للاخرى: اشركتك معها، لم يصر مؤليا من الثانية على قول، وعلى آخر يكون مؤليا. وكذلك لو آلى رجل من زوجته، فقال آخر لامرأته: أنت مثل فلانة لم يكن مؤليا، وإن قال: إن وطئتك فانت طالق، ثم قال لزوجته الأخرى: اشركتك معها، ونوى، فقد صار طلاق الثانية معلقا على وطئها - اى وطء الثانية- أيضا.

ويصح الإيلاء بكل لغة من العجمية وغيرها ممن يُحسن العربية وممن لا يحسنها، فإن آلى بالعجمية من لا يحسنها وهو لا يدرى معناها لم يكن مؤليا، وإن نوى موجبها عند أهلها، وكذلك الحكم إذا آلى بالعربية من لا يحسنها، فإن اختلف الزوجان فى معرفته بذلك، فالقول قول الزوج، إذا كان متكلما بغير لسانه.

فأما إن آلى العربى بالعربية، ثم قال: جرى على لسانى من غير قصد، أو قال ذلك العجمى فى إيلائه بالعجمية لم يقبل فى الحكم.

ويصح الإيلاء بأن يحلف بالله تعالى، أو بصفة عن صفاته. ولا خلاف بين أهل العلم فى أن الحلف بذلك إيلاء، فأما إن حلف على ترك الوطء بغير ذلك مثل: أن يحلف بطلاق، أو عتاق، أو صدقة المال، أو الحج، أو الظهار، فلا يكون مؤليا، فى الرواية المشورة، وفى الاخرى: هو مؤل، وعلى الرواية الأخيرة لا يكون مؤليا، إلا أن يحلف بما يلزمه بالحنث فيه حق، كقوله: إن وطئتك فعبدى حر، أو فلله عليّ صوم سنة، أو فانت طالق، أو فانت عليّ حرام، ونحوه، فهذا يكون إيلاء.

ويكون مؤليا بنذر فعل المباحات والمعاصى ايضا، فإن نذر المعصية موجب للكفارة فى ظاهر المذهب، وإذا استثنى فى يمينه -قال: إن شاء الله- لم يكن مؤليا بلا خلاف إذا كانت اليمين بالله تعالى، أو كانت يمينا مكفرة - منعقدة - فأما تعليق الطلاق والعتاق، فمن جعل الاستثناء فيهما غير مؤثر، فوجوده كعدمه، ويكون مؤليا بهما، سواء استثنى أم لم يستثن.

ولا يشترط فى الإيلاء الغضب. ولا قصد الإضرار، ويصح الإيلاء من كل زوج مكلف قادر على الوطء. أما العاجز عن الوطء، فإن كان لعارض مرجوّ زواله، كالمرض، والحبس، صح إيلاؤه. وإن كان غير موجوّ الزوال كالجَبّ- قطع الذكر- والشلل لم يصح إيلاؤه، وهو الأولى.

وأما الخصىّ الذى سلت بيضتاه، أو رضتا، فيمكن منه الوطء، وينزل ماء رقيقاً، فيصح إيلاؤه، وكذلك المجبوب الذى بقى من ذكره ما يمكن الجماع به، ويصح إيلاء الذمى ويلزمه ما يلزم المسلم إذا تقاضى إلينا.

ويصح الإيلاء من كل زوجة، مسلمة كانت أو ذمية، حرة كانت أو امة، ويصح الإيلاء من المجنونة، والصغيرة، إلا أنه لا يطالب بالفيئة فى الصغر والجنون، فأما الرتقاء، والقرناء، فلا يصح =

. . . .

= الإيـلاء منهما، ويحتمل أن يصح وتضرب له المدة، ويفئ فئ المعذور.

وإن آلى من زوجته المطلقة رجعيا صح إيلاؤه، وروى انه لا يصح، وإذا آلى منها احتسب بالمدة من حين آلى، وإن كانت فى العدة. وقيل: لا يحتسب عليه المدة إلا حين يراجعها.

وأما توجيه الإيلاء لأكثر من زوجة، فإن قال لأربع نسوة: والله لا أقربكن فهو مؤل منهن كلهن فى الحال. فإن وطئ واحدة منهن حنث، وانحلت يمينه، وزال الإيلاء من البواقى. وإن طلق بعضهن أو ماتت لم ينحل الإيلاء فى الباقيات.

وقيل لا يكون مؤليا منهن فى الحال، فإن وطئ ثلاثا صار مؤليا من الرابعة فقط، وإن مات بعضهن أو طلقها انحلت يمينه وزال الإيلاء، فإن راجع المطلقة أو تزوجها بعد بينونتها عاد حكم يمينه، وقيل: إن وطئ واحدة حنث، ولم ينحل الإيلاء فى الباقيات.

ومدة الإيلاء أربعة أشهر فى حق الأحرار، والعبيد المسلمين، وأهل الذمة سواء، ولا فرق بين الحرة والأمة، والمسلمة والذمية، والصغيرة والكبيرة، وروى أن مدة إيلاء العبيد شهران. (المغنى): ١١ / ١٠٧ - ١١٦ مختصرا من المعجم.

قال تعالى: ﴿ **للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم** ﴾ [البقرة: ٢٢٦]. ذكر الفقهاء وغيرهم فى مناسبة تأجيل المؤلى بأربعة أشهر، الأثر الذى رواه الإمام مالك بن أنس رحمه الله فى الموطأ، عن عبد الله بن دينار قال: خرج عمر بن الخطاب من الليل فسمع امرأة تقول:

تطاول هذا الليل واسودّ جانبه ... وأرّقنى أن لا ضجيع ألاعبه

فوالله لولا الله أنى أراقبه ... لحرك من هذا السرير جوانبه

فسأل عمر ابنته حفصة رضى الله عنها: كم أكثر ما تصبر المرأة عن زوجها؟ فقالت: ستة أشهر، أو أربعة أشهر، فقال عمر: لا أحبس أحدا من الجيوش أكثر من ذلك.

وقال محمد بن إسحاق عن السائب بن جبير مولى ابن عباس، وكان قد أدرك أصحاب النبى ﷺ قال: مازلت أسمع حديث عمر أنه خرج ذات ليلة يطوف بالمدينة، وكان يفعل ذلك كثيرا، إذ مرَّ بامرأة من نساء العرب مُغلقة بابها تقول:

تطاول هذا الليل وازورَّ جانبه ... وأرقَنى أن لا ضجيع ألاعبه

ألاعبه طورا وطورا كأنما ... بدا قمرا فى ظلمة الليل حاجبه

يُسَرُّ به من كان يلهو بقربه ... لطيف الحشا لا يحتويه أقاربه

فوالله لولا الله لا شئ غيره ... لنقضٌ من هذا السرير جوانبه

ولكننى أخشى رقيبا موكلا ... بأنفاسنا لا يفتر الدهر كاتبه

ليس عنده، وقيل: بسبب مارية أم إبراهيم عليه السلام(١)، وقيل: لرد زينب نصيبها من الهدية.

وكان ينفق على نسائه كل سنة [ثمانين] وسقا من شعير، وثمانين وسقا من تمر، وقيل: لم يصح أن هذا العدد لكل واحدة منهن فى العام(١)، فالله

= مخافة ربى والحياء يصدنى وإكرام بعلى أن تُنال مراكبه

وقد روى هذا من طرق، وهو من المشهورات (تفسير ابن كثير): ١ / ٢٧٦.

(١) (تفسير ابن كثير): ٤ / ٤١٥، تفسير سورة التحريم، (فتح البارى): ٩ / ٥٣١، كتاب الطلاق، باب (٢١) قول الله تعالى: **﴿للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر﴾** إلى قوله: **﴿سميع عليم﴾**، حديث رقم (٥٢٨٩)، (مسلم بشرح النووى): ١٠ / ٣٣٧، باب (٥) فى الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن، وقوله تعالى: ﴿وإن تظاهرا عليه﴾، حديث رقم (٣٠) إلى رقم (٣٥).

(٢) قال تقى الدين المقريزى: اللهم صلِّ عليه من نبى كان يأكل الطيبات من الطعام، وينكح المبرآت من العيوب والآثام، ويستخدم الموالى من الأرقاء والأحرار، ويصرفهم فى مهنته مهماته الجليلات الأقدار، ويركب البغلة الراتعة ويلبس الحبرة والقباء، ويمشى منتعلاً وحافيا من مسجده إلى نحو قباء، ويدخر لأهله مما أتاه الله عليه أقوات سنة كاملة، ويجعلها تحت أيديهم محرزة حاصلة، ويؤثر بقوته وثوبه أهل الحاجة والمساكين، ثقة منه بخير الرازقين (إمتاع الأسماع): ١ / ٣ مقدمة المؤلف، لكن قال القسطلانى تحت [إشكال وجواب]:

وقد استشكل كونه ﷺ وأصحابه كانوا يطوون الأيام جوعا، مع ما يثبت أنه ﷺ كان يرفع لأهله قوت سنة، وأنه ﷺ قسم بين أربعة أنفس من أصحابه الف بعير مما أفاء الله عليه، وأنه ساق فى عمرته مائة بدنة فنحرها وأطعمها المساكين، وأنه أمر لأعرابى بقطيع من الغنم، وغير ذلك، مع من كان معه من أصحاب الأموال، كأبى بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، وغيرهم، مع بذلهم أنفسهم وأموالهم بين يديه، وقد أمر بالصدقة، فجاء أبو بكر بجميع ماله، وعمر بنصفه، وحث على تجهيز جيش العسرة، فجهزهم عثمان بألف بعير، إلى غير ذلك.

وأجاب عنه الطبرى -كما حكاه فى (فتح البارى) - أن ذلك كان منهم فى حالة دون حالة، لا لعوز وضيق، بل تارة للإيثار، وتارة لكراهة الشبع وكثرة الأكل.

وتعقب بأن ما نفاه مطلقا فيه نظر، لما تقدم من الأحاديث.

وأخرج ابن حبان فى صحيحه عن عائشة: من حدثكم انا كنا نشبع من التمر فقد كذبكم، فلما افتتحت قريظة أصبنا شيئا من التمر والودك، إلى غير ذلك.

قال الحافظ ابن حجر: والحق أن الكثير منهم كانوا فى حال ضيق قبل الهجرة، حيث كانوا بمكة، ثم =

أعلم. فقد كان لكل واحدة منهن الإماء والعبيد [الموالى]، فى حياته ﷺ.

* * *

= لما هاجروا إلى المدينة كان أكثرهم كذلك، فواساهم الأنصار بالمنازل والمنائح، فلما فتحت لهم النضير وما بعدها ردوا عليهم منائحهم.

وقد قال ﷺ: لقد أخفت فى الله وما يخاف أحد، ولقد أوذيت فى الله وما يؤذى أحد، ولقد أتت علىّ ثلاثون من يوم وليلة وما لى ولبلال طعام يأكله أحد إلا شىء يواريه إبط بلال. رواه الترمذى وصححه.

نعم، كان ﷺ يختار ذلك مع إمكان حصول التوسع والتبسط فى الدنيا له كما أخرج الترمذى من حديث أبى أمامة، أن رسول الله ﷺ قال: عرض علىّ ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا، قلت: لا يا رب، ولكن أشبع يوما وأجوع يوما؛ فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت شكرتك وحمدتك، وحكمة هذا التفصيل الاستلذاذ بالخطاب، وإلا فالله تعالى عالم بالأشياء جمله وتفصيلا، (المواهب اللدينة): ٢/ ٣٨٨ - ٣٨٩.

[فصل فى] ذكر قوة رسول الله ﷺ على الجماع

قال ابن قتيبة فى (غريبه) فى حديث النبى ﷺ أنه قال له رجل: يا رسول الله هل أُنزل عليك طعام من السماء؟ قال: نعم، أنزل علىّ طعام بمسخنة. يرويه أرطاة ابن المنذر، عن ضمرة بن حبيب، عن سلمة بن نفيل السكونى، قال: المسخنة: قدر كأنها ثور.

وفى حديث آخر: أتانى جبريل بقدر يقال له الكفيت، فأكلت منها أكلة، فأعطيت قوة أربعين رجلا فى الجماع. قال: وأحسب الكفيت والكفت شيئا واحدا، وهى قدر لطيفة(١).

وقال ابن سعد فى (طبقاته): أخبرنا عبيد الله بن موسى، عن أسامة بن زيد، عن صفوان بن سُليم قال: قال رسول الله ﷺ: أتانى جبريل عليه السلام بقدر فأكلت منها، فأعطيت قوة أربعين رجلا فى الجماع(٢).

أخبرنا مالك بن إسماعيل أبو غسان، حدثنا إسرائيل عن ليث عن مجاهد قال: أعطى رسول الله ﷺ بضع أربعين رجلا، وأعطى كل رجل من أهل الجنة بضع ثمانين(٣).

أخبرنا محمد بن عبد الله الأسدى وقبيصة بن عقبة قالا: حدثنا سفيان عن معمر عن ابن طاووس قال: أُعطى النبى ﷺ قوة أربعين رجلا فى الجماع.

---

(١) (كنز العمال): ١١/٤٠٦، حديث رقم (٣١٨٩٦)، عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة، (٣١٨٩٧)، عن صفوان بن سليم مرسلاً.

(٢) (طبقات ابن سعد): ١ / ٣٧٤، ذكر ما اعطى رسول الله ﷺ من القوة على الجماع.

(٣) المرجع السابق.

وخرج البخارى من حديث معاذ بن هشام، حدثنى أبى عن قتادة قال: حدثنا أنس بن مالك رضى الله عنه قال: كان النبى ﷺ يدور على نسائه فى الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن أحد عشرة، قلت لأنس: أو كان يطيقه؟ قال: كنا نتحدث أنه أعطى قوة ثلاثين. قال أبو عبيد الله: وقال سعيد عن قتادة: أن أنسا حدثهم: تسع نسوة. ذكره فى باب: إذا جامع ثم عاود، ومن دار على نسائه فى غسل واحد(١).

وقال الحافظ أبو نعيم: أخبرنا أبو القاسم سليمان بن أحمد -يعنى الطبرانى- حدثنا محمد بن هارون ومحمد بن بكار، حدثنا العباس بن الوليد الخلال، حدثنا مروان بن محمد الظاهرى، حدثنا سعيد بن بشير، عن قتادة، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ فُضِّلت على الناس بأربع: بالسماحة والشجاعة، وكثرة الجماع، وشدة البطش(٢)، وقال مقاتل بن

---

(١) (فتح البارى) ١/ ٤٩٧، كتاب الغسل، باب (١٢) إذا جامع ثم عاد، ومن دار على نسائه فى غسل واحد، حديث رقم (٢٦٨) باب (٢٤) الجنب يخرج ويمشى فى السوق وغيره، حديث رقم (٢٨٤)، ٩/ ١٤٠، كتاب النكاح، باب (٤) كثرة النساء، حديث رقم (٥٠٦٨)، ٩/ ٣٩٤، كتاب النكاح، باب (١٠٣) من طاف على نسائه فى غسل واحد، حديث رقم (٥٢١٥).

(٢) (دلائل أبى نعيم): ١/ ٦٧، الفصل الرابع، ذكر الفضيلة الرابعة بإقسام الله تعالى بحياته، وتفرده بالسيادة لولد آدم فى القيامة، وما فُضل به هو وأمته على سائر الأنبياء وجميع الأمم ﷺ، حديث رقم (٣٠) قال: حدثنى أبو سعيد أحمد بن أبتاه قال: حدثنا الحسن بن إدريس، حدثنا قتيبة بن سعيد، وحدثنا أحمد بن إسحاق قال: حدثنا محمد بن أحمد بن سليمان قال: حدثنا خالد بن يوسف قالا: حدثنا أبو عوانة عن عمر بن أبى سلمة، عن أبيه عن أبى هريرة قال: عن رسول الله ﷺ أنه قال: فضلتُ على النبيين بستّ، أوتيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وبينما أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض، وأُرسلتُ إلى الناس كافة، وأحلت لى الغنائم، وخُتم بى النبيون.

هذا الحديث أخرجه مسلم فى (الصحيح) فى كتاب المساجد، من طريق العلاء، عن أبيه، عن أبى هريرة، وذكر الأمور الستة التى ذكرت فى هذا الحديث، وأخرجه البخارى فى (الصحيح)، فى كتاب التيمم من حديث جابر: أعطيت خمسا.. فذكر الحديث، والإمام أحمد فى (المسند): ٣/ ١٣٤، دون ذكر كثرة الجماع.

وذكر ابن الجوزى فى (العلل المتناهية)، من حديث قتادة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله=

حبان: أُعطى النبى ﷺ بُضع سبعين شابا فحسدته اليهود، فنزل: (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله)(١).

= ﷺ: فضلت على الناس بأربع: بالسخاء، والشجاعة، وكثرة الجماع، وشدة البطش. قال ابن الجوزى: هذا لا يصح عن رسول الله ﷺ. (العلل المتناهية): ٢/ ١٧٥، باب تفضيله ﷺ بالكرم والقوة.

وذكره الخطيب البغدادى فى ترجمة الحسين بن على النخعى، (تاريخ بغداد): ٨/ ٦٩ – ٧٠، ترجمة رقم (٤١٤٤).

وقال الحافظ الذهبى: الحسين بن على النخعى، شيخ كتب عنه الإسماعيلى، عمر وتغير، ولا يعتمد عليه، وأتى بخبر باطل، قال: حدثنا العباس بن الوليد الخلال، حدثنا مروان بن محمد، حدثنا سعيد، حدثنا قتادة، عن أنس مرفوعا: فضلت بأربع: بالسخاء، والشجاعة، وكثرة الجماع، وشدة البطش. رواه عنه الإسماعيلى. (ميزان الاعتدال): ١/ ٥٤٣، ترجمة الحسين بن على النخعى رقم (٢٠٣٠).

وذكره أيضا الحافظ ابن حجر فى (المطالب العالية): طاووس: أُعطى النبى ﷺ قوة اربعين رجلا فى الجماع، مجاهد قال: أُعطى رسول الله ﷺ قوة بضع وأربعين رجلا، كل رجل من اهل الجنة. هما للحارث، وكلاهما مرسل منقطع. (المطالب العالية): ٤/ ٢٧ – ٢٨، باب قوته ﷺ على الجماع حديث رقم (٣٨٦٩)، (٣٨٧٠).

(١) قال أبو حيان الأندلسى فى تفسير قوله تعالى: ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم اله من فضله﴾: وقال ابن عباس والسدى أيضا: والفضل ما أبيح له من النساء.

وسبب نزول هذه الآية عندهم، أن اليهود قالت لكفار العرب: انظروا إلى هذا الذى يقول إنه بعث بالتواضع، وأنه لا يملأ بطنه طعاما، ليس همه إلا فى النساء، ونحو هذا، فنزلت.

والمعنى: لم تخصونه بالحسد، ولا تحسدون آل إبراهيم –يعنى– سليمان وداود فى أنهما أعطيا النبوة والكتاب، وأعطيا مع ذلك ملكا عظيما فى أمر النساء، وهو ما روى أنه كان لسليمان سبعمائة امرأة، وثلاثمائة سرية، ولداود مائة امرأة. فالملك فى هذه الآية: إباحة النساء، كأنه المقصود أولا بالذكر. (البحر المحيط): ٣/ ٦٧٨.

وقال أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى: وعن ابن عباس، الملك فى آل إبراهيم ملك يوسف وداود وسليمان، وقيل: استكثروا نساءه، فقيل لهم: كيف استكثرتم له التسع، وقد كان لداود مائة، وسليمان ثلاثمائة مهيرة وسبعمائة سرية؟ (الكشاف): ١/ ٢٧٤.

فصل [في ذكر سراري رسول الله ﷺ]

وكان لرسول الله ﷺ سريتان(١): مارية، وريحانة.

[مارية](*)

فأما مارية بنت شمعون القبطية، فبعث بها المقوقس صاحب

(١) لكن ذكر أبو الفرج ابن الجوزي، أن سراري رسول الله ﷺ: مارية القبطية، بعث بها إليه المقوقس، وريحانة بنت زيد، ويقال: إنه تزوجها،

وقال الزهري: استسرها ثم أعتقها فلحقت بأهلها.

وقال أبو عبيدة كان له اربع: مارية، وريحانة، وأخرى جميلة أصابها في السبي، وجارية وهبتها له زينب بنت جحش. (صفة الصفوة): ١/ ٢٧٦، ذكر سراري رسول الله ﷺ.

وقال القسطلاني: وأما سراريه ﷺ فقيل: إنهن أربعة:

(*) مارية القبطية بنت شمعون - بفتح الشين المعجمة - أهداها له المقوقس القبطي، صاحب مصر والإسكندرية، وأهدى معها اختها سيرين - بكسر السين المهملة، وسكون المثناة التحتية، وكسر الراء، وبالنون آخرها - وخصيا يقال له: مابور، وألف مثقال ذهبا - وعشرين ثوبا لينا من قباطي مصر، وبغلة شهباء - وهي دلدل - وحمارا أشهب - وهو عفير ويقال يعفور - وعسلا من عسل بنها، فاعجب النبي ﷺ بالعسل ودعا في عسل بنها بالبركة. قال ابن الأثير: وبنها - بكسر الباء وسكون النون - قرية من قرى مصر، بارك النبي ﷺ في عسلها، والناس اليوم يفتحون الباء. ووهب سيرين لحسان بن ثابت، وهي أم عبد الرحمن بن حسان، ومارية أم إبراهيم ابن النبي ﷺ. وماتت مارية في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ست عشرة ودفنت بالبقيع.

* وريحانة بنت شمعون من بني قريظة، وقيل: من بني النضير، والأول أظهر، وماتت قبل وفاته ﷺ، مرجعه من حجة الوداع سنة عشر، ودفنت بالبقيع، وكان ﷺ وطئها بملك اليمين، وقيل: اعتقها وتزوجها.

* وأخرى وهبتها له زينب بنت جحش.

* الرابعة أصابها في بعض السبي. (المواهب اللدنية): ٢/ ١٠٠ - ١٠١، (زاد المعاد): ١/ ١١٤.

(*) سبق طرف من ترجمتها ضمن ترجمة ولدها إبراهيم ابن النبي ﷺ في فصل ذكر أولاد النبي ﷺ، لها ترجمة وافية في: (الإصابة): ٨/ ١١١ - ١١٢، ترجمة رقم (١١٧٣٧)، (الاستيعاب): ٤/ ١٩١٢ - ١٩١٣، ترجمة رقم (٤٠٩١)، (تاريخ الإسلام): ٢/ ٥٩٧، (طبقات ابن سعد): ٨/ ٢١٦، (أعلام النساء): ٥/ ١٠ - ١١، (المواهب اللدنية): ٢/ ١٠٠ - ١٠١، (أسماء الصحابة الرواة): ٣٤٩ ترجمة رقم (٥٥٣)، (تلقيح فهوم أهل الأثر): ٣٥٩، (حلية الأولياء): ٢/ ٧٠، ترجمة رقم (١٥٠)، (شذرات الذهب): ١/ ٢٩، (مغازي الواقدي) ١/ ٣٧٨. =

الإسكندرية مدينة بأرض مصر - فى سنة سبع مع حاطب بن أبى بلتعه لما أتاه بكتاب رسول الله ﷺ يدعوه إلى الإسلام، وبعث معها بأختها سيرين.

وفى رواية: أنه بعث ثلاث جوار: أم إبراهيم، وواحدة وهبها رسول الله ﷺ لأبى جهم بن حذيفة العدوى، وواحدة وهبها لحسان بن ثابت، وألف مثقال من الذهب، وعشرين ثوباً، وبغلةً، وحماراً، وخصياً، كل ذلك هدية، فلما خرج [حاطب] بمارية عرض عليها الإسلام فأسلمت وأختها، وأقام الخصىُّ على دينه حتى أسلم بالمدينة، فأعجب رسول الله ﷺ بمارية - وكانت بيضاء جميلة جعدة الشعر، وكانت أمها رومية - فأنزلها فى المال الذى يعرف بمشربة أم إبراهيم(١)، وصار يختلف إليها هناك، وضرب عليها الحجاب، واتخذها لفراشه فحملت بإبراهيم، وولد فى ذى الحجة سنة ثمان، فقبلتها سلمى مولاة رسول الله ﷺ، وحضنته أم بردة كبشة بنت المنذر بن زيد بن لبيد، وقال ﷺ - لما ولد إبراهيم-: أعتق أمَّ إبراهيم ولدُها(٢). ومات إبراهيم وهو يرضع، فلما توفى رسول الله ﷺ كان أبو بكر رضى الله عنه ينفق على مارية حتى توفاه الله، ثم كان عمر رضى الله عنه ينفق عليها حتى ماتت فى رمضان لسنتين من خلافته، وقيل: ماتت فى المحرم سنة ست عشرة.

---

(١) مغازى الواقدى): ١/ ٣٧٨.

(٢) سنده ضعيف، وقد سبق أن أشرنا إليه فى الكلام على أبنائه ﷺ.

[ريحانة](*)

وريحانة بنت شمعون بن زيد – ويقال: زيد بن خنافة – من بنى

(*) هى ريحانة بنت شمعون بن زيد، وقيل زيد بن عمرو بن قنافة –بالقاف– أو خنافة– بالخاء المعجمة، من بنى النضير. وقال ابن إسحاق: من بنى عمر بن قريظة.

وقال ابن سعد: ريحانة بنت زيد بن عمر خنافة بن شمعون بن زيد من بنى النضير، وكانت متزوجة رجلا من بنى قريظة يقال له: الحكم، ثم روى ذلك عن الواقدى.

قال ابن إسحاق فى (الكبرى): كان رسول الله ﷺ سباها فأبت إلا اليهودية، فوجد رسول الله ﷺ فى نفسه، فبينما هو مع أصحابه، إذ سمع وقع نعلين خلفه، فقال: هذا ثعلبة بن سعية يبشرنى بإسلام ريحانة، فبشره وعرض عليها أن يعقتها ويتزوجها ويضرب عليها الحجاب، فقالت: يا رسول الله، بل تتركنى فى ملكك، فهو أخَفّ علىّ وعليك، فتركها. وماتت قبل وفاة رسول الله ﷺ بسنة عشر. وقيل: لما رجع من حجة الوداع.

وأخرج ابن سعد عن الواقدى بسند له عن عمر بن الحكم؛ قال: كانت ريحانة عند زوج لها يحبها، وكانت ذات جمال، فلما سُبيت بنو قريظة، عُرض السبى على رسول الله ﷺ، فعزلها، ثم أرسلها إلى بيت أم المنذر بنت قيس، حتى قتل الأسرى وفرق السبى، فدخل إليها فاختبأت منه حياء.

قالت: فدعانى فأجلسنى بين يديه، وخَيَّرتى فاخترت الله ورسوله، فأعتقنى وتزوج بى، فلم تزل عنده حتى ماتت، وكان يستكثر منها ويعطيها ما تسأله، وماتت مرجعه من الحج، ودفنها بالبقيع.

وقال ابن سعد: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثنى صالح بن جعفر، عن محمد بن كعب قال: كانت ريحانة مما أفاء الله على رسوله ﷺ، وكانت جميلة وسيمة، فلما قتل زوجها وقعت فى السَّبى، فخيرها رسول الله ﷺ، فاختارت الإسلام، فأعتقها وتزوجها، وضرب عليها الحجاب، فغارت عليه غيرة شديدة فطلقها، فشق عليها، وأكثرت البكاء، فراجعها، فكانت عنده حتى ماتت قبل وفاته ﷺ.

وأخرج من طريق الزهرى أنه لما طلقها كانت فى أهلها، فقالت: لا يرانى أحد بعده. قال الواقدى: وهذا وهم؛ فإنها توفيت عنده ﷺ.

وذكر محمد بن الحسن فى (أخبار المدينة)، عن الدراوردى، عن سليمان بن بلال، عن يحيى بن سعيد، أن رسول الله ﷺ صلى فى منزل من دار قيس بن فهد، وكانت ريحانة القرظية زوج النبى ﷺ تسكنه.

وقال أبو موسى: ذكرها ابن منده فى ترجمة مارية، ولم يفردها بترجمة. .وقيل: اسمها ربيحة – بالتصغير.

قال: الحافظ فى (الإصابة): بل أفردها، فإنه قال ما هذا نصه بعد ذكر الأزواج الحرائر: وسبى =

قريظة، ويقال: من بنى النضير، والأكثر أنها من بنى قريظة، ويقال: اسمها ربيجة، كانت متزوجة فى بنى قريظة بابن عم لها يقال له: الحكم أو عبد الحكم، فلما غزا رسول الله ﷺ قريظة وغنم أموالهم، أخذ ريحانة صفيا -وكانت جميلة- فعرض عليها أن تُسلم، فأبت إلا اليهودية، فعزلها ووجد فى نفسه.

فأرسل إلى ابن سعية، فذكر له ذلك فقال: فداك أبى وأمى، هى تسلم، وخرج حتى جاءها، فجعل يقول لها: لا تتبعى قومك، فقد رأيت ما حل [على آل] حيى بن أخطب، وأسلمى يصطفيك رسول الله لنفسه.

فبينا رسول الله ﷺ فى أصحابه، إذ سمع وقع نعل فقال: إن هاتين لنعلا بن سعية يبشرنى بإسلام ريحانة، فجاءه فقال: يا رسول الله، قد أسلمت ريحانة، فسُرّ بذلك، وأرسل بها إلى بيت سلمى بنت قيس أم المنذر فكانت عندها حتى حاضت حيضة، ثم طهرت من حيضتها.

فجاءها فى منزل أم المنذر، فقال لها: إن أحببت أن أعتقك وأتزوجك فعلت، وإن أحببت أن تكونى فى ملكى وأطؤك بالملك فعلت، فقال:

= جويرية فى غزوة المريسيع،، وهى ابنة الحارث بن أبى ضرار، وسبى صفية بنت حُيَى بن أخطب من بنى النضير، وكانت مما أفاء الله عليه، فقسم لهما، واستسرى جاريته القبطية فولدت له إبراهيم، واستسرى ريحانة من بنى قريظة، ثم أعتقها فلحقت باهلها، واحتجبت، وهى عند أهلها. وهذه فائدة جليلة، اغفلها ابن الاثير.

وأخرج ابن سعد عن الواقدى من عدة طرق، أنه ﷺ تزوجها، وضرب عليها الحجاب، ثم قال: وهذا الأثر عند أهل العلم. وسمعت من يروى أنه كان يطؤها بملك اليمين.

وأورد ابن سعد من طريق أيوب بن بشر المعافرى، أنها خُيِّرت، فقالت: يا رسول الله، أكون فى ملكك، فهو أخفّ علىّ وعليك، فكانت فى ملكه يطؤها إلى ان ماتت، لها ترجمة فى: (الإصابة): ٧/ ٦٥٨ - ٦٦٠، ترجمة رقم (١١١٩٧)، (الاستيعاب): ٤/ ١٨٤٧، ترجمة رقم (٣٣٥٠)، (طبقات ابن سعد): ٨/ ٩٢، (أعلام النساء): ١/ ٤٧٤، (عيون الأثر): ٢/ ٣٠٩، (صفة الصفوة): ١/ ٧٨، (المواهب اللدنية): ٢/ ١٠٠ - ١٠١.

يارسول الله، إنى أخفُّ عليك، وعلىّ أن أكون فى ملكك، فكانت فى ملكه يطؤها حتى ماتت، وكان قد جعلها فى محل له يدعى الصدقة، وكان ربما قال عندها وعندها وعك، فأتى منزل ميمونة، ثم تحول إلى بيت عائشة رضى الله عنها.

وعن الزهرى: كانت ريحانة بنت شمعون قُرْيظية، وكانت من ملك رسول الله ﷺ، فأعتقها وتزوجها، وجعل [صداقها عتقها]، ثم إنه طلقها، فكانت فى أهلها تقول: لا يرانى أحد بعد رسول الله ﷺ.

وعن محمد بن كعب القرظى: كانت ريحانة من قريظة صفى النبى ﷺ يومئذ، فأعتقها وتزوجها، فغارت عليه غيرة شديدة، فطلقها تطليقة ثم راجعها، فكانت عنده حتى ماتت قبل أن يتوفاه الله.

وكانت ريحانة تقول: تزوجنى رسول الله ﷺ ومهرنى مثل مهر نسائه، وكان يقسم لى، وضرب علىّ الحجاب، وكان تزويجه إياى فى المحرم سنة ست من الهجرة.

وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى: كان للنبى ﷺ سريتان: [مارية](١) القبطية، وريحانة بنت شمعون، وصحح الواقدى أن رسول الله ﷺ أعتقها وتزوج بها، والذى ذهب إليه أبو عمر بن عبد البر: أن ريحانة ماتت قبل وفاة النبى ﷺ فى سنة عشر، مرجعه من حجة الوداع.

وعن ابن سيرين: أن رجلا لقى ريحانة بالموسم فقال: إن الله لم يرضك للمؤمنين أُمّاً، قالت وأنت فلم يرضك الله لى ابنا.

* * *

---

(١) زيادة للسياق.

فصل فى ذكر أسلاف رسول الله ﷺ

السِّلفان والسِّلْفان : متزوجان الأُختين، والجمع أسلاف، وقال ابن الأعرابى : ليس فى النساء سلفة ، إنما السلفان فى الرجال . وقال كراع : السلفان : المرأتان تحت الأخوين(١) وكان لرسول الله ﷺ من الأَسلاف سبعة وأربعون رجلاً، سته من قبل خديجة، وثلاثة من قبل عائشة، وأربعة من قبل حفصة، وسبعة من قبل أم سلمة، وأحد عشر من قبل أم حبيبة، واثنان من سودة، وعشرة من قبل ميمونة، وثلاثة من قبل زينب بنت جحش، وواحد من قبل مارية .

[أسلافه ﷺ من قبل خديجة]

فأما أسلافه ﷺ من قبل خديجة فإنهم : الربيع بن عبد العُزَّى بن عبد شمس ابن عبد مناف (٣) أمة وأم أخيه ربيعة (٤) : أم المطاع ابنة أسد ابن

---

(٢) وقال في (التهذيب) : السلفان رجلان تزوجا باختين، كل واحد منهما سلف صاحبه، والمرأة سلفة لصاحبتها إذا تزوج أخوان بامراتين. وقال الجوهرى: وسلف الرجل زوج أخت امرأته، وكذلك سلفه، مثل كَذِبٍ وكِذْبٍ. قال عثمان بن عفان :

معاتبة السلفين تحسن مرة ... فإن أدمنا إكثارها أفسدا الحبا

(لسان العرب) : ٩ / ١٦٠ - ١٦١ .

(٣) ، (٤) الربيع ، وربيعة ابنا عبد العزي؛ فولد الربيع أبو العاصي، واسمه القاسم، صهر رسول الله ﷺ، زوَّجه النبي ﷺ ابنته الكبري زينب، وأسلم وحسن إسلامه، وحَمَدَ رسول الله ﷺ مصاهرته، ماتت زينب رضى الله عنها عنده، وولدت له على بن أبى العاصى، مات مراهقاً. وأُمامة بنت أبي العاصى، تزوجها علي بن أبى طالب بعد فاطمة - رضي الله عنهم جميعاً - وتوفي أبو العاصي فى ذى الحجة سنة(١٢) فى خلافة أبي بكر، ولاعقب لأبى العاصى ولا لأبيه الربيع .

وتزوج أبو العاصي بن الربيع بعد موت زينب بنت رسول الله ﷺ فاختة بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، وفاختة بنت أبى أُحَيْحَة سعيد بن أبى العاصي، فولدت له بنت أبي أُحَيْحَة ابنة اسمها مريم، تزوجها محمد بن عبد الرحمن بن عوف، فولدت له القاسم، وللقاسم هذا عقب باقٍ . (جمهرة أنساب العرب) : ٧٧ - ٧٨ .

عبد العزى بن قصى، وهما الذان غضبا لأم حبيبة بنت عبد شمس لما خرجت إلى الطائف، وقد أكثرت من رحل من بنى عقيل، فلقيها بعض بنى بكر وقتلوا العقيلى، فرجعت إلى مكة، وجاءت حرب بن أمية بن عبد شمس وطلبت منه أن يأخذلها بثأر العقيلى فقال : لا سبيل إلى ما قبل بنى بكر، فأتت الربيع والربيعة ابنى عبد العزى بن عبد شمس، فشكت إليهما مالقيته وما قال لها حرب، وتحفزت بالعقيلى فقاما معها وغضبا لها حتى أخذا لها الدية، فبعث بها إلى أهل العقيلى، فمدحهما الخليع شاعر بنى عقيل، وتزوج الربيع هذا بهالة بنت خويلد أخت خديجة لأبيها وأمها، فاطمة ابنة زائدة بن جندب بن هدم بن رواحة بن حجر بن عبد معيص بن عامر بن لؤى، فولدت له أبا العاصى بن الربيع زوج زينب بنت ر سول الله ﷺ وابن خالتها،ومات الربيع عن هالة ، فخلف عليها أخوة ربيعة بن عبدالعزى، وقد انقرض ولد الربيع بن عبد العزى بن هاله، ولربيعة عقب، ومات وبيعة عن هاله فخلف عليها قطن بن وهب بن عمرو بن حبيب بن سعد بن عائذ بن مالك المصطلقىّ من خزاعة، فولدت له عبد العزى بن قطن الذى شبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقمر بنى لحى [(1)]

وعلاج بن أبى سلمة بن عبد العزى بن غيرة بن عوف بن ثقيف بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان، كانت تحته خالدة بنت خويلد أخت خديجة. [(2)]

وعبد بن بجاد [بن عبد الله] [(3)] بن عمير بن الحارث بن حارثة بن سعد

---

(١) (سيرة ابن هشام) : ٣ / ٢٠٤-٢٠٨ ، خروج زينب بنت رسول الله ﷺ إلي المدينة، وما أصابها عند خروجها، (جمهرة أنساب العرب) : ١٧١

(٢) (جمهرة أنساب العرب) : ٢٦٨

(٣) زيادة للنسب من (الإصابة) .

ابن تيم بن مرة بن كعب، كانت تحته رقيقة (١) بنت خويلد أخت خديجة لأبيها، فولدت له أميمة بنت بجاد، وهى التى يقال لها بنت رقيقة (٢) وهى من المبايعات، حدث عنها محمد بن المنكدر (٣)

[سلفاه ﷺ من قبل سودة]

وأما سلفاه ﷺ من قبل سودة رضى الله عنهما، فهما : حويطب ابن عبد العُزَّى بن أبى قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسْل بن عامر بن لؤى بن غالب القرشيّ العامرى،أبو محمد، وقيل: أبو الأصبغ، أمه وأم أخيه رهم بن عبد العُزَّى: زينب بنت علقمة بن غزوان بن يربوع بن الحرث بن منقذ بن عمرو بن معيص، أسلم يوم الفتح، وهو من المؤلفة [قلوبهم](٤)، وأعطى يوم حنين مائة بعير، [وهو] (٤)أحد النفر الذين أمرهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه بتجديد [أنصاب] (٤) الحرم، ومات

---

(١) في (خ) : « رفيقه » وصوبناه من (الإصابة) .

(٢) رقيقة بالتصغير

(٣) (الإصابة) : ٧ / ٥٠٨، ترجمة أميمة بنت بجاد رقم (١٠٨٤٠)

(٧) زيادة للسياق، وأنصاب الحرم : حدوده، وحد الحرم من طريق الغرب التنعيم، ثلاثة أميال، ومن طريق العراق: تسعة أميال، ومن طريق اليمن سبعة أميال، ومن طريق الطائف : عشرون ميلاً .

وقد روى حويطب بن عبد العزى ، عن عبد الله بن السعدى، عن عمر رضى الله عنه حديث العُمالة، ورواه عنه السائب بن يزيد الصحابى، وقد أخرجه البخارى فى (الصحيح)، فى الأحكام، باب رزق الحاكم والعاملين عليها من طريق أبي اليمان، عن شعيب عن الزهري، أخبرني السائب بن يزيد ابن أخت نمر، أن حويطب بن عبد العزي، أخبره أن عبد الله بن السعدي أخبره انه قدم علي عمر في خلافته، فقال له عمر: الم أحدث انك تلي من أعمال الناس اعمالاً، فإذا أعطيت العمالة كرهتها؟ فقلت : بلى : فقال عمر : ما تريد إلي ذلك؟ فقلت : ان لي أفراساً وأعبداً، وأنا بخير، واريد ان تكون عُمالتى صدقة علي المسلمين .

قال عمر: لا تفعل، فإني كنت أردت الذي أردت و كان رسول الله ﷺ يعطيني العطاء ، فأقول: أعطه أفقر إليه منى، حتى أعطانى مرة مالا، فقلت: أعطه أفقر إليه منى، فقال النبي=

بالمدينة سنة أبع وخمسين، وهو ابن مائة وعشرين سنة أدرك منها فى الجاهلية ستين سنة ، وكانت تحته أم كلثوم ابنة زمعة أخت سودة لأبيها وأمها، فولدت له عبد الرحمن بن حويطب .

وعبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى، القرشي الزهرى [أبو محمد]، كان اسمه فى الجاهلية : عبد عمرو، وقيل: عبد الكعبة، فسماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن [أمه]: الشفاء بنت عوف بن عبد الحارث بن زهرة، ولد بعد الفيل بعشر سنين، وأسلم قبل دخول النبى ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع، وشهد بدراً وما بعدها، وهو أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة، وأحد السته أصحاب الشورى، وكان له حظ فى التجارة، وكسب مالاً كثيراً، خلف بعير، وثلاثة آلاف شاة، ومائة فرس، وصولحت امرأته عن ربع الثمن بثلاثة وثمانين ألفاً، ومات بالمدينة سنة إحدى وثلاثين، وقيل: ثنتين وثلاثين، عن خمس وأربعين سنة، وقيل عن اثنتين وسبعين سنة،

= ﷺ خذه فتموله وتصدق به، فما جاءك من هذا المال وانت غير مشرف ولا سائل، فخذ، وإلا فلا تتبعه نفسك .

وقال الحافظ الذهبى ولانعلم حويطبًا يروي سواه، ثم قال: ومن لطائف هذا الإسناد ان الزهري رواه عن أربعة من الصحابة فى نسق : السائب، وحويطب، وابن السعدى، وعمر .

له ترجمة فى: (طبقات ابن سعد): ٥ / ٤٥٤، (طبقات خليفة) : ٢٧ ، (تاريخ خليفة): ٢٢٣، (التاريخ الكبير) : ٣ / ١٢٧ . (المعارف) : ٣١١، ١١٢ ، ٣٤٢، (الجرح والتعديل) : ٣ / ٣١٤، (المستدرك) : ٣ / ٥٦١-٥٦٣، حديث رقم (٦٠٨٢ / ١٦٨٠) إلي (٦٠٨٤ / ١٦٨٢) ، (الاستيعاب): ١ / ٣٩٩-٤٠٠، ترجمة رقم (٥٥٧)، (تهذيب التهذيب) : ٣/ ٥٨ - ٥٩، ترجمة رقم (١٢٥)، (الإصابة) : ٢ / ١٤٣، ترجمة رقم (١٨٨٤)، (خلاصة تذهيب الكمال): ١/ ٢٧٢، ترجمة رقم (١٧٢٨)، (سير أعلام النبلاء) : ٢/ ٥٤٠-٥٤١ ترجمة رقم (١١١) .

وتزوج أم حبيبة بنت جحش أخت زينب [1] بنت جحش [2].

وذكر مالك في الموطأ : عن هشام بن عروة، عن أبيه عن زينب بنت أبي سلمة أنها رأت زينب ابنة جحش التي كانت تحت عب الرحمن بن عوف، وكانت تستحاض، فكانت تغتسل وتصلى [3]

---

(١) في (خ) «أخت سودة بنت زمعة».

(٢) له ترجمة في : (كنز العمال) : ٣ / ٢٢٠ - ٢٣٠، (تاريخ الخميس) : ٢ / ٢٥٧، (خلاصة تذهيب الكمال) : ٢/١٤٧ ، ترجمة رقم (٤٢٠٩) ، (الإصابة) : ٤ / ٣٤٦ - ٣٥٠، ترجمة رقم (٥١٨٣)، (تهذيب التهذيب) : ٦ / ٢٢١ - ٢٢٢، ترجمة رقم (٤٩٣)، (تهذيب الأسماء واللغات) : ١ / ٣٠٠ - ٣٠٢، (جامع الأصول) : ٩ /١٩ - ٢٠ (صفة الصفوة) : ١ /١٨٣ - ١٨٦، (الاستيعاب) : ٢ /٨٤٤ - ٨٥٠، ترجمة رقم (١٤٤٧)، (حلية الأولياء) : ١ /٩٨ - ١٠٠، ترجمة رقم (٩)، (المستدرك) : ٣ /٣٤٥ - ٣٥٢، (الجرح والتعديل) : ٥ /٢٤٧، (المعارف) : ٢٣٥- ٢٤٠، (التاريخ الصغير) : ١ /٥٠، ٥١، ٦٠، ٦١، (التاريخ الكبير) : ٥ /٢٤٠، (تاريخ خليفة) : ١٦٦، (طبقات خليفة) : ١٥، (طبقات ابن سعد) : ٣ /١٢٤-١٣٦ (مسند أحمد) : ١ /٣١٢-٣٢٠، (شذرات الذهب) : ١ /٣٨، (سير أعلام النبلاء) : ١ /٦٨-٢٩، ترجمة رقم (٤).

وقد أفرد ابن سعد في (الطبقات) فصلاً في ذكر أزواج عبد الرحمن بن عوف وولده، وذكر خمس عشرة زوجة ليس من بينهن ما يفيد أنه رضي الله عنه كان من أسلاف رسول الله ﷺ، على خلاف ما ذكره التقي المقريزي وهن: أم كلثوم بنت عقبة بن ربيعة، وبنت شيبة بن ربيعة بن عبد شمس، وأم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس، وسهلة بنت عاصم بن عدى، وبحرية بنت هانئ بن قبيصة بن هانيء بن مسعود، وسهلة بنت سهيل ابن عمرو، وأم حكيم بنت قارض بن خالد، وابنة أبي الحيس بن رافع بن امرئ القيس، وتماضر بنت الأصبغ بن عمرو، وأسماء بنت سلامة بن مُخَربة بن جندل، وأم حريث من سبي بهراء، ومجد بنت يزيد بن سلامة، وغزال بنت كسرى أم ولد من سبي سعد بن أبي وقاص يوم المدائن، وزينب بنت الصباح بن ثعلبة بن عوف من سبي بهراء أيضًا، وبادية بنت غيلان بن سلمة بن معتّب الثقفي. (طبقات ابن سعد) : ٣ /١٢٧-١٢٨، ذكر أزواج عبد الرحمن بن عوف وأولاده.

(٣) (موطأ مالك) : ٥١-٥٢، باب المستحاضة، حديث رقم (١٣٤)، وقال العلامة محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني : قال عياض : اختلف أصحاب الموطأ في هذا، فأكثرهم يقولون : زينب، =

قال ابن عبد البر : هكذا رواه [ ] عن مالك فى الموطأ وهو وهم، لانه

= منهم يقول : ابنة جحش، وهذا هو الصواب، ويبين الوهم فيه قوله : «التى كانت تحت عبد الرحمن ابن عوف»، وزينب هى أم المؤمنين لم يتزوجها عبد الرحمن قط، وإنما تزوجها زيد بن حارثة، ثم تزوجها النبى ﷺ، والتى كانت تحت عن الرحمن هى أم حبيبة.

وقال ابن عبد البر : قيل : إن بنات جحش الثلاثة زينب، وأم حبيبة، وحمنة زوج طلحة بن عبيد الله كن يستحضن كلهن، وقيل : لم يستحض منهن إلا أم حبيبة.

وذكر القاضى يونس بن مغيث فى كتابة (الموعب فى شرح الموطأ) مثل هذا، وذكر أن كل واحدة منهن اسمها زينب، ولقب إحدهن حمنة، وإذا كان كذلك فقد سلم مالك من الخطأ فى تسمية أم حبيبة زينب،

وقد ذكر البخارى من حديث عائشة : أن امرأة من أزواجه ﷺ كانت تستحاض، وفى رواية : أن بعض أمهات المؤمنين، وفى أخرى : أن النبى ﷺ اعتكف مع بعض نسائه وهى مستحاضة.

وفى (فتح البارى) : قيل : حديث الموطأ هذا وهم، وقيل : صواب، وإن اسمها زينب، وكنيتها أم حبيبة بإثبات الهاء على المشهور فى الروايات الصحيحة للواقدى، وتبعه إبراهيم الحربى : الصحيح أم حبيب بلا هاء، واسمها حبيبة، وإن رجحه الدارقطنى، قال : وأما أختها أم المؤمنين، فلم يكن اسمها الأصلى زينب، وإنما كان اسمها برّة، فغيره النبى ﷺ.

وفى أسباب النزول للواحدى : إنما كان اسمها زينب بعد أن تزوجها النبى ﷺ، فلعله سماها باسم أختها ثم غلبت عليها الكنية، فأين اللبس؟ قال : - أعنى الحافظ - ولم ينفرد الموطأ بتسمية أم حبيبة زينب، بل وافقه يحى بن كثير، أخرجه أبو داود الطيالسى فى مسنده. وبه يُردّ قول صاحب (المطالع) : لا يلتفت لقول من قال : إن بنات جحش اسم كل منهن زينب، لأن أهل المعرفة بالأنساب لا يثبتونه، وإنما حمل عليه من قاله أن لا ينسب إلى مالك وهم، كذا قال، وقد علم أنه لم ينفرد به. (شرح الزرقانى على الموطأ) : ١ / ١٨١، كتاب الطهارة، باب (٣٧) فى المستحاضة، شرح الحديث رقم (١٣٤) .

فى (الاستيعاب) : أم حبيبة، ويقال : أم حبيب ابنة جحش ابن رئاب الأسدىّ أخت زينب بنت جحش، وأخت حمنة بنت جحش، وأكثرهم يسقطون الهاء، فيقولون : أم حبيب كانت تحت عبد الرحمن بن عوف، وكانت تستحاض.

وأهل السير يقولون : إن المستحاضة حمنة، والصحيح عند أهل الحديث أنهما كانتا تستحاضان جميعًا. وقد قيل : إن زينب بنت جحش استحيضت، ولا يصح. وفى الموطأ وهمٌ، أن زينب بنت جحش استحيضت، وأنها كانت تحت عبد الرحمن بن عوف، وهذا غلط، إنما كانت تحت زيد بن حارثة، ولم تكن تحت عبد الرحمن بن عوف، والغلط لا يسلم منه أحد، وزعم بعض الناس أن أم حبيب هذه اسمها حبيبة. (الاستيعاب) : ٤ /١٩٢٨-١٩٢٩، ترجمة رقم (٤١٣٥).

لم تكن قط زينب بنت جحش تحت عبد الرحمن بن عوف، وإنما كانت تحت زيد بن حارثة، ثم كانت تحت رسول الله ﷺ، وإنما كانت تحت عبد الرحمن ابن عوف أمّ حبيبة بنت جحش، وكُنَّ ثلاث أخوات كما ذكرنا، وأم حبيبة تحت عبد الرحمن بن عوف، وحمنة بنت جحش تحت طلحة بن عبد الله، وقد قيل : إن بنات جحش ما استحض، وقيل : لم يستحض منهن إلا أم حيبة وحمنة، والله أعلم.

* * *

أسلافه ﷺ من قبل عائشة

وأما أسلافه ﷺ من قبل عائشة رضى الله عنها إنهم: الزبير بن العوام، كانت تحته أسماء ذات النطاقين، وابنة أبى بكر الصديق، من قبيلة تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن نضر بن نزار بن معدّ بن عدنان](١)، وهى أخت عائشة رضى الله عنها لأبيها، فولدت له عبد الله [وعروة والمنذر وعاصمًا وخديجة الكبرى](٢)، وأم الحسن وعائشة بنى الزبير، وقد تقدم من التعريف به ما أغنى عن إعادته(٣).

وطلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعيد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى [بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، القرشىّ، التيمى، المكى](٤) أبو محمد، وأمه الحضرمية، اسمها الصعبة بنت عبد الله بن عماد بن مالك بن ربيعة بن أكبر بن مالك بن عويف بن مالك بن الخزرج بن إياد بن الصدف بن حضرموت بن كندة، يعرف أبوها عبد الله بالحضرمى، ويقال لها: بنت الحضرمى، يكنى طلحة أبو محمد، ويعرف بطلحة الفياض.

---

(١) ما بين الحاصرتين سياقه مضطرب فى (خ)، وما أثبتناه من (معجم قبائل العرب): ١/١٣٨.

(٢) ما بين الحاصرتين مطموس فى (خ)، واستدركناه من (طبقات ابن سعد).

(٣) له ترجمة فى: (طبقات ابن سعد): ٣/١٠٠-١١٣، (طبقات خليفة): ١٣، ١٨٩، ٢٩١، (تاريخ خليفة): ٦٨، (التاريخ الكبير): ٣/٤٠٩، (التاريخ الصغير): ١/٧٥، (المعارف): ٢١٩-٢٢٧، (الجرح والتعديل): ٣/٥٧٨، (حلية الأولياء): ١/٨٩، (جامع الأصول): ٩/٥-١٠، (تهذيب الأسماء واللغات): ١/١٩٤-١٩٦، (تاريخ الخميس): ١/١٧٢، (كنز العمال): ١٣/٢٠٤-٢١٢، (شذرات الذهب): ١/٤٢-٤٤، (سير أعلام النبلاء): ١/٤١-٦٧.

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة للنسب من كتب التراجم.

وهو أحد المهاجرين الأولين، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين كعب بن مالك، ولم يشهد [بدراً]، فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه، فلما قدم قال: يارسول الله! وأجرى؟ قال: وأجرك، وشهد أحداً [وما بعدها] وكان له بلاء حسن مع رسول الله ﷺ، وقاه يومئذ بنفسه، واتقى عنه النبل بيده حتى شلت [إصبعه]، وضرب في رأسه، وحمل رسول الله ﷺ على رأسه، ظَهَرهُ حتى استقل على الصخرة، وقال له رسول الله ﷺ: اليوم أوجب طلحة(١)، ثم شهد المشاهد كلها، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد أصحاب الشورى الستة، ثم شهد وقعة الجمل محاربًا لعلى رضى الله عنهما، فذكَّره أشياء فرجع عن قتال علىّ، واعتزل فى بعض الصفوف، فرماه مروان بن الحكم بسهم، فلم يزل ينزف دمه حتى مات فى جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين عن ستين - وقيل: بضع وستين - سنة، كانت تحته أم كلثوم بنت أبى بكر الصديق(٢). أخت عائشة من حبيبة بنت خارجة بن رُهم الأنصارى، فهى أخت عائشة لأبيها، فولدت لطلحة زكريا [ويوسف](٣) وعائشة، وكانت تحته أيضًا حمنة بنت جحش بعد موت

---

(١) أوجب طلحة: عمل عملاً أوجب له الجنة.

(٢) هى أم كلثوم بنت أبى بكر الصديق التيمية، تابعية، مات أبوها وهى حمل، فوُضعت بعد وفاة أبيها، وقصتها بذلك صحيحة فى الموطأ وغيره، أرسلت حديثها، فذكرها بسببه ابن السكن وابن منده فى الصحابة.

واخرج من طريق إبراهيم بن طهمان، عن يحى بن سعيد، عن حميد بن نافع وعن أم كلثوم بنت أبى بكر، أن النبى ﷺ نهى عن ضرب النساء.... ثم قال: رواه الليث عن يحى نحوه، ورواه الثورى عن يحى بن حميد، فقال: عن زينب بنت أبى سلمة.

قال الحافظ: ولأم كلثوم بنت أبى بكر رواية أخرى عن عائشة فى (صحيح مسلم)، روى عنها جابر ابن عبد الله الأنصارى، وامها حبيبة بنت خارجة، وضعتها بعد موت أبى بكر، وروى عنها أيضا جبر - أو جابر - بن حبيب، وطلحة بن يحى، والمغيرة بن الحكيم، وغيرهم. (الإصابة): ٨/٢٩٦، ترجمة رقم (١٢٢٣٥).

(٣) زيادة للسياق من (طبقات ابن سعد).

مصعب بن عمير عنها، وهى أخت أم المؤمنين زينب بنت جحش، فولدت حمنة لطلحة محمد السجَّاد، وهو الذى قتل يوم الجمل، وعمران [بن طلحة](١).

وخرج الحاكم من حديث أبى صالح الحرانى: حدثنا سليمان(٢) بن أيوب بن سليمان بن عيسى بن محمد بن طلحة، عن أبيه(٣) عن جده قال: كان طلحة سلف النبى ﷺ فى أربع: كانت عند النبى ﷺ عائشة بنت أبى بكر، وكانت أختها أم كلثوم بنت أبى بكر عند طلحة، فولدت له زكريا ويوسف وعائشة، وكانت عند النبى ﷺ زينب بنت جحش، وكانت حمنة بنت جحش تحت طلحة [بن عبيد الله](٤)، فولدت له محمداً، وقتل يوم الجمل [مع أبيه](٥)، وكانت أم حبيبة بنت أبى سفيان تحت النبى ﷺ وكانت أختها رفاعة(٦) بنت أبى سفيان تحت طلحة وكانت أم سلمة بنت أبى أمية تحت رسول الله ﷺ، وكانت أختها قريبة بنت أبى أمية تحت طلحة، فولدت له مريم بنت طلحة(٧).

---

(١) زيادة للنسب من (طبقات ابن سعد).

(٢) فى (خ): «سلمان».

(٣) فى خ: «عن أمه».

وقال عنه الحافظ فى (الإصابة):

* أحد العشرة [المبشرين بالجنة].
* أحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام.
* أحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبى بكر.
* أحد الستة أصحاب الشورى.

(٤) زيادة للنسب من (المستدرك).

(٥) زيادة للسياق من (المستدرك).

(٦) كذا فى (خ)، وفى المستدرك: «الرفاعة».

(٧) (المستدرك: ٣/٤١٩-٤٢٠، كتاب معرفة الصحابة، ذكر مناقب طلحة بن عبيد الله التيمى رضى =

وعبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو ابن مخزوم [ ][1] القرشي المخزومي، وقال له: الأَحْوَل، أحد وجوه قريش[2]، أمه ليلى بنت عطارد بن حاجب بن زرارة[3]، خلف على أم

= الله عنه، حديث رقم (٥٥٩٦/١١٩٤)، وقد سكت عنه الحافظ الذهبي في (التلخيص). وطلحة ابن عبيد رضي الله عنه له ترجمة في: (الجرح والتعديل): ٤/٤٧١، (المعارف): ٢٢٨-٢٣٤، (التاريخ الصغير): ١/٧٥، (تاريخ خليفة): ١٨١، (طبقات خليفة): ١٨، ١٨٩، (طبقات ابن سعد): ٣/٢١٤-٢٥٥، (سيرة ابن هشام): ٢/٩١، (مسند أحمد): ١/٢٦٠-٢٦٥، مسند أبي محمد طلحة بن عبيد الله، (المستدرك): ٣/٤١٩- ٤٢٥، (حلية الأولياء): ١/٨٧، (جامع الأصول): ٩/٣ - ٥، (اللباب): ٢/٨٨، (تهذيب الأسماء واللغات): ١/٢٥١، (خلاصة تذهيب الكمال): / ، ترجمة رقم ( )، (كنز العمال): ٣/١٩٨-٤٠٤، (شذرات الذهب): ١/٤٢-٤٣، (سير أعلام النبلاء): ١/٢٣-٤٠، (صفة الصفوة): ١/١٧٦-١٧٩، (الإصابة): ٣/٥٢٩ - ٥٣٣، ترجمة رقم (٤٢٧٠)، (الاستيعاب): ٧٦٤-٧٧٠، ترجمة رقم (١٢٨٠)، تلقيح فهوم أهل الأثر: ٣٦٦، (أسماء الصحابة الرواة): ٥٩، ترجمة رقم (٨٣).

(١) ما بين الحاصرتين. مطموس في (خ).

(٢) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، أمه ليلى بنت عُطارد بن حاجب بن زرارة بن عُدُس بن زيد بن عبد الله بن زارم من بني تميم.

فولد عبد الرحمن بن عبد الله عمراً وامّه وامّ بشير بنت أبي مسعود، وهو عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أُسيرة بن عسيرة بن عطية بن جدارة بن عوف بن الحارث من الخزرج.

وأخوه لأمه زيد بن حسن بن علي بن أبي طالب. وعثمان بن عبد الرحمن. وإبراهيم وموسى وأم حُميد وأم عثمان. وامهم أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق، وامها أم حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير من بلحارث بن الخزرج.

وأبا بكر ومحمداً، وامهما فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة، وامها أسماء بنت أبي جهل ابن هشام، وعبد الله وأم جميل لأم ولد.

وكان عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة أحد الرءوس يوم الحرة، ونجا فلم يقتل يومئذ. حتى مات بعد ذلك. له ترجمة في: (طبقات ابن سعد): ٥/١٧٢، (المعارف): ١٧٥، (وفيات الأعيان): ٣/٧٠، ترجمة رقم (٣٣٩)، ٣/٤٣٦-٤٣٩، ترجمة رقم (٤٩٠)، (تهذيب التهذيب): ٥/١٨٤، ترجمة والده عبد الله بن أبي ربيعة رقم (٣٦٢)، (طبقات ابن سعد): ٥/١٦٠-١٦٥، ترجمة طلحة بن عبد الله، وموسى، وعيسى، ويحي، ويعقوب أبناء طلحة بن عبد الله.

(٣) (الإصابة): ٨/١٠٥، ترجمة رقم (١١٧٢٠).

كلثوم بنت أبى بكر بعد طلحة بن عبد الله، فولدت له: عثمان، وموسى، وإبراهيم، [وزكرياء]، وله من غير أم كلثوم: محمد، وأبو بكر، أمهما فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وفيه يقول معاوية بن أبى سفيان: غلبنا عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى ربيعة على أيامى قريش، وقال عبد الملك بن مروان: ثلاثة أعطوا الله عهداً ألا يعطوا طاعة أبداً؛ فأما واحد فعاجلته منيته، وهو عبد الله بن صفوان الجمحى، وأما الآخر: فوفى حتى مات، وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى ربيعة، وأما [الثالث] فحام وهو عبد الرحمن بن عثمان السهمى، وتوفى عبد الرحمن بن أبى ربيعة.

* * *

[أسلافه ﷺ من قبل حفصة]

وأما أسلافه من قبل حفصة رضى الله عنها فإنهم: عبد الرحمن بن زيد ابن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح ابن عدى بن كعب [بن لؤى بن غالب بن فهر](١) القرشى العدوى، أمه لبابة بنت أبى لبابة بن عبد المنذر الأنصارى، وعمه عمر بن الخطاب رضى الله عنه، ولد وهو ألطف مَن وُلد، فأخذه جده أبو أمه أبو لبابة فى ليفة، فجاء به النبى ﷺ فقال: ما هذا معك يا أبا لُبابة؟ قال: ابن ابنى يارسول الله، ما رأيت مولوداً قط أصغر خلقه منه، فحمله رسول الله ﷺ ومسح على رأسه، ودعا فيه بالبركة، فما [رؤى عبد](١) الرحمن بن زيد مع قوم فى صف إلا فرعهم طولاً، وكان من أطول الرجال وأتمهم، وكان شبيها بأبيه زيد بن الخطاب، وزوّجه عمه عمر بن الخطاب ابنته فاطمة من أم كلثوم، بنت على بن أبى طالب من فاطمة عليها السلام، فولدت له عبد الله وابنة، وولد له من غير فاطمة بنت عمر عدة أولاد، وولى عبد الرحمن بن زيد مكة (٢) .

---

(١) زيادة للنسب من (الإصابة).

(٢) له ترجمة في : (الإصابة) : ٥ / ٣٦-٣٧ ، ترجمة رقم (٦٢١٦)، (الاستيعاب): ٢ / ٥٥٠، ترجمة والده زيد بن الخطاب رقم (٨٤٦)، (تهذيب التهذيب) : ٦ / ١٦٢-١٦٣، ترجمة رقم (٣٦٢)، وسمي محمداً حتي غيره عمر، لانه مر به ورجل يسبه بقول : فعل الله بك يامحمد، فقال عمر (رضي الله عنه) لا اري محمداً يسب بك، والله لا تدعي محمداً ما دمت حياً فَسَمَّاهُ عبد الرحمن. (المعارف) : ١٨٠

وإبراهيم بن نعيم النحام بن عبد الله بن أسيد بن عبد عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب القرشيّ العدوى، أمه زينب بنت حنظلة بن قسامة بن قيس بن عبيد بن طريف بن مالك بن جدعان بن ذهل بن رويان، من طيء [1] تزوجها نعيم لما طلقها زيد بن حارثة، فولدت له إبراهيم، وتزوج إبراهيم رقية بنت عمر بن الخطاب [رضى الله عنه] من أم كلثوم بنت على بن أبى طالب، فهى أخت حفصة لأمها [2]

وعبد الله بن عبد الله بن سراقة بن المعتمر بن أنس بن أذاة بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب[3]، شهد أبوه وعمه [عمر][4] بدراً، وأمه أميمة بنت الحارث بن عمرو بن المؤمل، تزوج زينب بنت عمر بن الخطاب [رضى الله عنه] من فكيهة أم ولد[5].

وذكر البلاذرى أن أم زينب هذه هى أم عاصم بن عمر، وهى جميلة بنت عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح، فهى أخت حفصة لأبيها[6]، وولدت زينب لعبد الله : عثمان بن عبد الله بن عبد الله، روى عنه الحديث، وهو الذى أصلح بين بنى جعفر بن كلاب والضباب، وقد وقعت بينهم حرب قُتل فيها بينهم سبعة وثلاثون قتيلاً، فأرسل إليهم عثمان هذا، ومازال بهم حتى اصطلحوا، وله فى ذلك قصة .

(١) (جمهرة أنساب العرب): ٣٩٩ .

(٢) له ترجمة مختصرة في : (طبقات ابن سعد) : ٤ / ٢٧٢، (المعارف) : ١٨٥

(٣) (سيرة ابن هشام) : ٣ / ٢٣٨، (البداية والنهاية) : ٣ / ٢١٢، ٣٩٠، (الإصابة): ٥ / ١٨، ترجمة رقم (٦١٨٥ ز) .

(٤) زيادة للسياق .

(٥) (الإصابة): ٧ / ٦٤٨، ترجمة رقم (١١٢٦٢) ،زاد الحافظ : وهي أخت عبد الرحمن بن عمر الأصغر والد المختار .

(٦) كان اسمها : عاصية، فسماها رسول الله صلي الله عليه وسلم : جميلة، (الإصابة): ٧ / ٥٥٨، ترجمة رقم (١٠٩٨٣).

وعبد الرحمن بن معمر بن بن عبد الله بن أبى ابن سلول، كانت عنده زينب ابنة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، أخت حفصة، خلف عليها بعد عبد الله بن عبد الله بن سراقة فى قول البلاذرى . (١)

وقال الزبير بن بكار: وأما زينب ابنة عمر فكانت عند عبد الرحمن بن معمر بن عبد الله بن أبى ابن سلول، ثم خلف عليها عبد الله بن سراقة بن المعتمر بن أنس، أذاة بن رياح بن عبد الله بن قرط بن عدى بن كعب، فولدت له عثماناً، وحميدا وعشيمة بنى عبد الله بن عبد الله . (٢)

حدثنا الزبير قال: حدثنى عثمان بن عبد الرحمن، عن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر السراقى قال : مات جدى وعمى ابنا سراقة، فأوصيا إلى عمر ابن الخطاب رضى الله عنه بابن عبد الله بن سراقة، فجعله عمر عند بنته زينب بنت عمر، فلما بلغ الحلم قال له [عمر : ياحبيبى](٣)، من تحب أن أزوجك من بناتي ؟ قال : أمي زينب - وكان. يدعوها أمه - فقال عمر: يابنى إنها ليست أمك ولكنها ابنة عمك، وقد زوجتك إياها، فولدت له ابنه (٤) عثمان بن سراقة، فهى أم كل سراقى على وجه الأرض (٥).

* * *

---

(١) (الإصابة) : ٥ / ١٨، ترجمة رقم (٦١٨٥ ز) .

(٢) (المراجع السابق).

(٣) مابين الحاصرتين في (خ) فقط وليست في (الإصابة) .

(٤) زيادة للسياق من (الإصابة) .

(٥) ثم قال : فيؤخذ من هذا أنه ولد في حياة النبي صلي الله عليه وسلم ، لكونه بلغ، وتزوج، وولد له في حياة عمر وكل ذلك بعد الوفاة النبوية بثلاث عشر سنة. (الإصابة) : ٥ / ١٨ .

[سلفه ﷺ من قبل زينب أم المساكين]

وأما سلفه ﷺ من قبل زينب أم المساكين، فإنه العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه، لأن روحية أم العباس، ولبابة بنت الحارث أخت زينب أم المساكين لأمها هند بنت عوف بن زهير، وقد تقدم التعريف بالعباس .

[أسلافه ﷺ من قبل أم سلمة]

وأما أسلافه ﷺ من قبل أم سلمة رضى الله عنها فهو زمعة بن الأسود ابن المطلب بن أسد بن عبد العُزَّى بن قصى، كان أبوه أبو زمعة بن الأسود أحد المستهزئين الذين قال الله لافهيم :﴿ إنا كفيناك المستهزئين﴾[1]؛ رمى جبريل عليه السلام فى وجهه بورقة فعمى، وكان من كبراء قريش وأشرافها، وكان زمعة أبو حكيمة من أشرف قريش أيضاً، وهو أحد المطعمين أيام خرج المشركون إلى بدر وهو أحد أزواد الركب، وأمه أروى بنت خذيفة بن مسعر بن سعيد بن سهم، وكان أحد خطباء قريش فى الجاهلية، وتزوج ثويبة الكبرى بنت أبى أمية أخت أم سلمة [رضى الله عنها] لأبيها من عاتكة بنت عبد المطلب ، فولدت له عبد الله، ووهباً، ويزيداً، وقتل زمعة يوم بدر كافراً .

---

(١) الحجر : ٩٥، قال عروة وابن جبير : هم خمسة : الوليد بن المغيرة، والعاصي بن وائل، والأسود بن المطلب، وأبو زمعة ، والأسود بن يغوث، ومن بني خزاعة الحرث بن الطلاطلة .

قال أبو بكر الهذلي : قلت للزهري : إنَّ ابن جبير وعكرمة اختلفا في رجل من المستهزئين، فقال ابن جبير: هو الحرث بن عيطلة، وقال عكرمة : هو الحرث بن قيس، فقال الزهري : صدقا؛ إنه عيطلة وأبوه قيس.

وذكر الشعبي في المستهزئين هبار بن الزسود، وذلك وهم، لان هباراً أسلم يوم الفتح، ورحل إلي المدينة .

وعن ابن عباس : أن المستهزئين كانوا ثمانيه، وفي رواية : مكان الحرث ابن قيس عدي ابن قيس .

وقال الشعبي وابن أبي بزة : كانوا سبعة : فذكر الوليد، والحرث بن عدي، والاسودين، والأثرم، =

وعمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله، قرط بن رزاح بن عدى بن كعب القرشيّ العدوى، أمير المؤمنين أبو حفص، أمه حنتمة بنت هاشم، وقيل هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وأم حنتمة الشفاء بنت عبد قيس بن عدى بن سعد بن سهم، وأمها بنت أسد بن عبد العزى بن قصى، وأمها برة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب [بن لؤى بن غالب] (١) ، وكانت برة بنت عوف جدة آمنة بنت وهب أم أمها، فعمر بن الخطاب أحد أخوال رسول الله من قبل أمهاته، ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة، وقيل ولد قبل الفجار الأعظم بأربع سنين، وكان من أشراف قريش، إليه كانت السفارة فى الجاهلية ـ وهى إذا وقعت الحرب بعثوه سفيراً ـ وإن نافرهم مُفاخر أو فاخرهم وفاخر، بعثوه منافراً ومفاخراً، ورضوا به . وأسلم بعد أربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة فأعز الله بإسلامه المسلمين، وأظهر به الدين، وهاجر إلى المدينة، وشهد المشاهد كلها، وتوفى رسول الله ﷺ وهو عنه راض، وولى الخلافة يوم مات أبو بكر الصديق رضى الله عنه باستخلافه له فى [يوم الثلاثاء لسبع بقين من جمادى الآخرة(٢)] سنة ثلاث عشرة، فسار أحسن سيرة،

= وبعكك ابنى الحرث بن السباق . وكذا قال مقاتل، إلا انه قال مكان الحرث بن عدي : الحرث بن قيس السهمى .

وذكر المفسرون والمؤرخون : ان جبريل عليه السلام، قال لرسول الله ﷺ : امرت ان اكفيكم، فاومأ إلي ساق الوليد، فمرٌ بنبال فتلعق بثوبه، فمنعه الكبر أن يطامن لنزعه، فاصاب عرقاً في عقبه. قال قتادة ومقسم : وهو الأكحل، فقطع، فمات .

وأومأ إلي أخمص العاصي فدخلت فيه شوكة . وقيل : ضربته حية، فانتفخت رجله حتي صار كالرحي، ومات .

وأومأ إلي عيني الأسود بن المطلب، فعمي، وهلك . وأشار إلي انف الحرث بن قيس فامتخط قيحاً فمات . وقيل : أصابته سموم فاسود حتى صار كانه حبشي، فاتى اهله فلم يعرفوه، وزغلقوا الباب في وجهه، فصار يطوف في شعاب مكة حتي مات .

وفي بعض ما أصاب هؤلاء اختلاف والله تعالي أعلم (البحر المحيط) : ٦ /٤٨٩، (تفسير ابن كثير) : ٢ /٥٧٩ ـ ٥٨٠ .

(١) زيادة للنسب من (المعارف) .

(٢) زيادة للسياق من (صفة الصفوة) .

وأنزل نفسه من مال الله بمنزله رجل من الناس على سوابقهم، وكان لا يخاف فى الله لومة لائم، وهو الذى زين شهر رمضان بصلاة التراويح، وأرخ التاريخ من الهجرة، وهو أول من سمى بأمير المؤمنين، وهو أول من اتخذ الدِّرَّة .

وقتله أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، لثلاث بقين - وقيل، بل قتل يوم الأربعاء لأربع بقين - من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين، وكانت خلافته عشر سنبن ونصف، وكان عمره ثلاثا وستين سنة، وقيل: أقل من ذلك، وكانت تحته قُريبة الصغرى، أخت أم سلمة، ففرَّق بينهما الإسلام، ورجعتْ إلى الكفار ثم أسلمت ، وفضائل عمر كثيرة جداً (١).

ومعاوية بن أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس أبو عبد الرحمن، القرشىّ، الأموى، أمه هند بنت عتبة بن زمعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى، أسلم يوم الفتح، وعد من المؤلفة [قلوبهم]، وهو أحد من كتب لرسول الله ﷺ، وولاه عمر رضى الله عنه على الشام بعد موت أخيه يزيد بن أبى سفيان فى سنة تسع عشرة ورزقه ألف دينار فى كل شهر، وأقام أربع سنين، ومات عمر فأقره عثمان رضى الله عنه عليها اثنى عشرة إلى أن مات، فحارب علىٌّ رضى الله عنه أربع سنين، وبايعه أهل الشام خاصة بالخلافة سنة ثمان أو تسع وثلاثين، و اجتمع الناس عليه بعد بيعة الحسن بن على له فى سنة إحدى وأربعين، فأ قام أميراً عشرين سنة، وخليفة عشرين سنة، وتوفى

(١) له ترجمة في : (صفة الصفوة) : ١ / ١٣٩-١٥٣ ، ترجمة رقم (٣)، (الإصابة) : ٤ / ٥٨٨ - ٥٩١، ترجمة رقم (٥٧٤٠) (الاستيعاب) : ٣ / ١١٤٤ - ١١٥٩، ترجمة رقم (١٨٧٨)، (الجرح والتعديل) : ٦ / ١٠٥، (تهذيب التهذيب) : ٦ / ١٣٨، (حلية الأولياء) : ١ / ٣٨- ٥٥، ترجمة رقم (٢)، (الطبقات الكبري) : ٣ / ٢٦٥ - ٣٧٦، (تلقيح الفهوم): ٣٦٣ - ٣٦٤، (أسماء الصحابة الرواة) : ٤٤، ترجمة رقم (١١) (المصباح المضيء) : ١ / ٤٣ - ٥٦ .

للنصف من رجب سنة ستين بدمشق عن ثمان وسبعين سنة، وقيل: [سبعاً وسبعين] وأخباره كثيرة، وكانت تحته قريبة الصغرى بنت أبى أمية أخت أم سلمة، تزوجها بعدما فرق الإسلام بينها وبين عمر رضى الله عنه، وبعد ما أسلمت قال له أبوه أبو سفيان بن حرب: أتتزوج ظعينة أمير المؤمنين ؟ فطلقها .[1]

وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أبو محمد، أمه وأم أخته عائشة رضى الله عنها : أم رومان بنت الحارث بن غنم الكنانية، شهد بدراً وهو كافر، ثم أسلم فى هدنة الحديبية، وكان اسمه : عبد الكعبة ـ ويقال : عبد العزى ـ فسماه رسول الله: عبد الرحمن، وكان من أشجع قريش وأرماهم بسهم، وحضر اليمامة مع خالد بن الوليد، وقتل سبعة من كبارهم، وكان أش من ولد أبيه، وكان صالحاً وفيه دعابة، وشهد الجمل مع عائشة، وتوفى سنة ثلاث ـ وقيل خمس ـ وخمسين ، وكان تحته قرينة الصغرى ابنة أبى أمية، أخت أم سلمة لأبيها من عاتكة بنت عتبة بن ربيعة، خلف عليها بعد معاوية فولدت له عبيد الله بن عبد الرحمن، وأم حكيم .[2]

---

(١) له ترجمة في : (المصباح المضيء): ١ / ١٦٧ ـ ١٧٦، ترجمة رقم (٤٠)، (طبقات ابن سعد) : ٣ / ٣٢، ٧ / ٤٠٦ ، (التاريخ الكبير) : ٧ / ٣٢٦، (المعارف) : ٣٤٤، (الجرح والتعديل): ٨ / ٣٧٧، (جمهرة أنساب العرب) : ١١٢ ـ ١١٣، (الاستيعاب): ٣ / ١٤١٦ ترجمة رقم٢٤٣٥ (تاريخ بغداد) : ١ / ٢٠٧. ترجمة رقم (٤٨)، (جامع الأصول) : ٩/ ١٠٧ ، (تهذيب الأسماء واللغات): ١ / ١٠٢، (مرآة الجنان) : ١ / ١٣١، (تهذيب التهذيب): ١٠ / ١٨٧، ترجمة رقم (٣٨٧)، (الإصابة): ٦ / ١٥١ ترجمة رقم (٨٠٧٤)، (المصالب العالية) : ٤ / ١٠٨، (تاريخ الخلفاء) : ١٩٤ (خلاصة تذهيب الكمال): ٣٢٦، (شذرات الذهب): ١ / ٦٥، دسير أعلام (أسماء الصحابة الرواة) : ٥٥، ترجمة رقم (٢٦).

(٢) له ترجمة في: (مسند أحمد) : ١ / ١٩٧، (طبقات خليفة) : ١٨، ١٨٩، (تاريخ خليفة): ٢١٩، (التاريخ الكبير): ٥ / ٢٤٢، (المعارف) : ١٧٣، ١٧٤، ٢٣٣، ٥٩٢، (المستدرك) : ٣/ ٥٤٧٣ (الاستيعاب): ٢ / ٢٨٢٤، ترجمة رقم (١٣٩٤)، (تهذيب التهذيب):٦ / ١٣٣ ـ ترجمة رقم (٣٠٠)، (الإصابة) : ٤ / ٣٢٥، ترجمة رقم (٥١٥٥) . (خلاصة تذهيب الكمال): ٢٢٢٤ (شذرات الذهب): ١ / ٥٩، (أسماء الصحابة الرواة): ١٧٥ ترجمة رقم (٢١٥)، (تلقيح الفهوم) : ٣٧٠، (سير الاعلام): ٢ / ٤٧١ ـ ٤٧٣، ترجمة رقم (٩٢).

ومنبه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم، أمه وأم أخيه نبيه أروى ابنة عميلة بن السباق بن عبد الدار، وكان لهما شرف، ومدحها الأعش بن نباش بن زرارة التميمي ثم الأسدى. وكانا ممن يؤذى رسول الله ﷺ ويطعن عليه [١]،وكانا يلقيانه فيقولان: أما وجد الله من يبعثه غيرك ؟ أن هاهنا من هو أَسَنُّ منك وأيسر، فإن كنت صادقاً فَأْتنا بمَلَك يشهد لك ويكون معك!! وإذا ذكر لهما قالوا : معلم مجنون، يعلمه أهل الكتاب ما يأتى به، وكان رسول الله يدعو عليهما، فأما منبه فقتله عليٌّ رضى الله عنه يوم بدر [٢]، وقيل: قتله عليّ أبو اليسر الأنصارى. ويقال : أبو أسيد الساعدى، وقُتل نبيه أيضاً ببدر، قتله عليّ، وكانا من المطعمين يوم بدر[٣]، ولمنبه ابنٌ من بنت العاصى بن وائل بن هشام السهمى اسمه العاصى بن منبه، قتل أيضاً يوم بدر، وهو صاحب ذى الفقار، وقيل: كان سيف أبيه منبه، وقيل : [كان] سيف عمه نبيه [٤]، وكان تحت منبه هذا أبى أمية أخت أم سلمة، وولدت له رجلين .

وعبد الله بن سعد بن جابر عمير بن بَشير بن بُشير بن عويمر بن الحارث ابن كبير بن السيل بن حدقة بن سفيان، وهو مظة بن سِلهم بن الحكم بن سعد العشيرة، كانت تحته آمنة ابنة عفان أخت أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه لأبيه وأمه، فولدت له محمد بن عبد الله بن سعد[٥]، وكان ولده بالمدينة والبصرة وكان تحته أيضاً ابنة لأبى بن مالك بن عمرو بن عقيل بن عامربن جندلة بن جذيمة بن كعب بن أسلم بن

(١) (سيرة ابن هشام): ٢ / ١٠٠، عداوة قومه صلي الله عليه وسلم ومساندة أبي طالب له، ٣/٦، قريش تتشاور في أمره صلي الله عليه وسلم ، ٣ / ١٦٤، التعرف علي أخبار قريش،

(٢) (المرجع السابق): ٣ / ١٩٦. بلوغ مصاب قريش في رجالها إلي مكة .

(٣) (المرجع السابق) : ٣ / ٢١٨، المطعمون من قريش

(٤) (المرجع السابق) : ٣ / ٢٦٩، من قتل ببدر من المشركين .

(٥) (جمهرة أنساب العرب) ٤٠٩

وأس مناة بن النمر بن قاسط النمرى، المعروف بصهيب الرومى أبو يحى، [أمه] سلمى بنت قعيد بن مهيض بن خزاعى بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، كان أبوه سنان عاملاً لكسرى على الأُبُلّة، من قبل النعمان بن المنذر، وكانت منازلهم بأرض الموصل، ويقال: كانوا فى قرية على شاطىء الفرات مما يلى الجزيرة، فأغارت الروم على ناصيتهم فسبت صهيباً وهو غلام صغير فنشأ بالروم فصار [ألكناً]، فابتاعه رجل من كلب فقدم به مكة، فاشتراه أبو زهير عبد الله بن جدعان ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب، ثم أعتقه فأقام عنده إلى أن هلك قبل المبعث ببضع عشرة سنة، ولم يزل مع آل جدعان إلى أن جاء الله بالإسلام، ويقال: لم يشتره أحد من الذين سبوه، ولكنه لما ترعرع وعقل هرب من الروم فسقط إلى مكة وحالف ابن جدعان، [فأقام] معه إلى أن هلك، وإن صهيب كان أحمر شديد الحمرة فسمى رومياً بذلك، ولأنه سقط إلى الروم، ويقال سبته العرب فوقع إلى مكة ولم يدخل الروم قط، وإنما سمى رومياً لحمرته، وأسلم هو وعمار فى يوم واحد بعد ما أسلم بضعة و عشرون رجلاً، وكان من المستضعفين الذين يعذبون فى الله، وهاجر وترك ماله لأهل مكة، وشهد بدراً وما بعدها، وتوفى أمية أخت أم سلمة، ويقال بل هى ابنة أبى ربيعة بن المغيرة بن بالمدينة فى شوال سنة ثمان وثلاثين، عن سبعين سنة، وكانت عنده [ ] بنت أبى أمية، أخت أم سلمة، ويقال: بل هى ابنة أبى ربيعة بن المغيرة عم أبى سلمة وفضائل صهيب كثيرة (١)

---

(١) له ترجمة في: (طبقات ابن سعد): ٣ / ٢٢٦ - ٢٣٠، (طبقات خليفة): ١٩ ، ٦٢، (التاريخ الكبير): ٤ / ٣١٥، (الجرح والتعديل): ٤ / ٤٤٤، (المستدرك): ٣ / ٤٤٩ - ٤٥٤، (الاستيعاب): ٢ / ٧٢٦، ترجمة رقم (١٢٢٦)، (تهذب التهذيب): ٤ / ٣٨٥، ترجمة رقم، (الإصابة) : ٣ / ٤٤٩ - ٤٥٢ ترجمة رقم (٤١٠٨) ، (خلاصة تذهيب الكمال): ١ /٤٧٢، ترجمة رقم (٣١١٦) (شذرات الذهب): ١ / ٤٧، (سير الأعلام): ٢ / ١٧ - ٢٦، ترجمة رقم (٤)، (مسند احمد): ٥ /٤٣٥

[أسلافه ﷺ من قبل زينب بنت جحش]

وأما أسلافه من قبل زينب بنت جحش: مصعب بن عمير، كانت عنده حمنة بنت جحش أخت زينب بنت جحش، لم تلدله، وذكر ابن عبد البر أن زينب بنت جحش كانت تحت عبد الرحمن بن عوف كما تقدم .

ومصعب الخير بن عمر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى القرش العبدرى، أبو عبد الله المرثوىّ، أمه خناس بنت مالك بن المضرب بن وهب بن عمرو بن حُجير بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤى، وكان فى مكة شاباً وجمالاً، وكان أبواه يحبانه، وكانت أمه تكسوه أحسن ما يكون من الشياب، وكان أعطر أهل مكة، وأسلم فى دار الأرقم، وكتم إسلامه خوفاً من أبيه وقومه، وصار تختلف إلى رسول الله ﷺ، فَبَصُر به عثمان بن طلحة يصلى فأخبر به قومه وأمه، فأخذوه وحبسوه حتى خرج منها مها جراً إلى أرض الحبشة، وبعثه رسول الله ﷺ إلى الأنصار يقرئهم القرآن بالمدينة قبل الهجرة، فأسلم على يديه خلق كثير، ولذلك قيل له: المقرىء والقارىء، وشهد بدراً، وقتل يوم أحد شهيداً، قتله ابن قميئة، وهو ابن أربعين سنة، وهو من جلة الصحابة، وكانت عنده حمنة بنت جحش، أخت زينب بنت جحش لأبيها وأمها، تزوجها بعد عبد الرحمن بن عوف، فولدت له زينب، تزوجها عبد الله بن عبد الله ابن أبى أمية، ولا عقب لمصعب إلا منها، وخلف على حمنة بعد مصعب (١) .

---

(١) له ترجمة في (كنز العمال) : ١٣ / ٤٨٢، (الإصابة) : ٦ / ١٢٣ - ١٢٤ ، ترجمة رقم (٨٠٠٨)، (طبقات ابن سعد) : ٣ / ١١٦ - ١٢٢، (الاستيعاب) : ٤ / ١٤٧٣ - ١٤٧٥، ترجمة رقم (٢٥٥٣)، (حلية الأولياء) : ١ / ١٠٦ - ١٠٨ ، ترجمة رقم (١٢)، (الجرح والتعديل) : ٨ / ٣٠٣، (التاريخ الصغير) : ١ / ٢١، ٢٥، (تاريخ خليفة) : ٦٩، (سير الأعلام) : ١ / ١٤٥ - ١٤٨، ترجمة رقم (٧)، (المعارف) : ٢٦٤ - ٢٦٥، (تهذيب الأسماء واللغات) : ٢ / ٩٦ - ٩٧، ترجمة رقم (١٣٩)، (صفة الصفوة) : ١ / ٢٠٥ - ٢٠٦ ، ترجمة رقم (١٧) .

طلحة بن عبيد الله، فولدت له محمد السجاد وعمران، وقد تقدم التعريف بعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله، [1] وكانت ممن تكلم فى عائشة رضى الله عنها فُحُدَّتْ، قاله البلاذرى [2].

---

(٢) تقدم التعريف بهما، والإحالة مصادر ترجمتهما .

(٣) قال أبو حيان الأندلسي في قوله تعالى: ﴿ إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم ﴾ : والعصبة : عبد الله بن أبي رأس النفاق، وزيد بن رفاعة، وحسان بن ثابت،ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش، ومن ساعدهم ممن لم يرد ذكر اسمه.. ثم قال : والمشهور أنه حد حسان، ومسطح، وحمنة، قيل: وعبد الله بن أبي، وقد ذكره بعض شعراء ذلك العصر في شعر، وقيل: لم يُحَدّ مسطح، وقيل : لم يحد عبد الله، وقيل: لم يحد أحد في هذه القصة، وهذا مخالف للنص ﴿ فاجلدوهم ثمانين جلدة ﴾، وقابل ذلك بقول: إنما يقال الحد بإقرار أو بينة، ولم يتقيد بإقامته بالإخبار، كما لم يتقيد بقتل المنافقين، وقد أخبر تعالي بكفرهم. (البحر المحيط) : ٨ / ٢٠ - ٢١ .

[أسلافه ﷺ من قبل أم حبيبة]

وأما أسلافه من قبل أم حبيبة بنت أبى سفيان رضى الله عنها فهم:

الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أسلم وهو رجل عند إسلام أبيه نوفل بن الحارث، وولى مكة، ومات فى آخر خلافة عثمان رضى الله عنه بالبصرة،(١) وكانت عنده هند بنت أبى سفيان - أخت أم حبيبة لأبيها - فولدت له عبد الله ابن الحارث الذى يقال له ببة، (٢) ومحمد بن الحارث الأكبر، وربيعة، وعبد الرحمن، وزملة، وأم الزبير، وظريبة وامرأة أخرى .

ومحمد بن أبى حذيفة العبشمى -[وقيل هشيم، وقيل : هاشم](٣) ابن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف أبو القاسم القرشىّ

(١) له ترجمة في : (الإصابة) : ١ / ٦٠٣-٦٠٥ ، ترجمة رقم (١٥٠٢)، (تاريخ الإسلام) : ٣ / ٣٣٨ ، ٤٦٣، (الاستيعاب) : ١ / ٢٩١، ترجمة رقم (٤٠٩) (الجرح والتعديل) : ٥ / ٦٧، (طبقات ابن سعد) : ٤ / ٥٦-٥٧، (سير الأعلام) : ١ / ١٩٩، ترجمة رقم (٢٨) .

(٢) قال الزبير بن بكار: هو ابن أخت معاوية بن أبي سفيان، واسمها هند، هي كانت تنقِّزه وتقول .

يابِبة يابَبَّهْ لأنكحن ببَّهْ
جاريةً خدبَّهْ تسودُ أهل الكعبهْ

في الاستيعاب : «تجبّ» بدل «تسود»، وفسَّرها بأنها تغلب نساء قريش بجمالها، وأما رواية (تاريخ بغداد) :

لأنكحن ببة جارية خدبة
مكرمة محبة تجب أهل الكعبة

(الاستيعاب) : ٣ / ٨٨٥-٨٨٦ ترجمة رقم (١٥٠٠)، (تاريخ بغداد) : ١ / ٢١١-٢١٢، ترجمة رقم (٥٠)، (سير الأعلام) : ١ / ٢٠٠، ترجمة رقم (٢٩) .

(٣) مابين الحاضرتين في (خ) فقط .

العبشمى، أمة سهلة بنت سهيل بن عمرو العامرى، ولد بأرض الحبشة وأبوه مهاجر بها، وولاه على رضى الله عنه، مصر، وكان من أشدهم انحرافاً عن عثمان رضى الله عنه، وأكثرهم تأليباً عليه، وقتل فى ذى الحجة سنة ست وثلاثين، وكانت تحته زميلة بنت أبى سفيان أخت أم حبيبة (١)

وسعيد بن عثمان بن عفان، أمه وأم أخيه سعيد، وأخته أم عثمان، فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، ولاه معاوية خراسان، وفتح سمرقد، وكانت [عامة] المدينة عبيدهم ونساؤهم يقولون :

والله لا ينالها يزيد حتى ينال هامة الحديد

إن الأمير بعده سعيد

بعنون : لاينال الخلافة يزيدبن معاوية، لأن الأمير بعد معاوية سعيد بن عثمان، فقدم سعيد على معاوية فقال : يا ابن أخى؟ ماشىء يقوله أهل المدينة؟ فقال : ما يقولون؟

قال : قولهم، وذكره، قال : ماشىء من ذلك يامعاوية، والله إن أبى لخير من أبى يزيد، ولأُمى خير من أم يزيد، ولأنا لخير من يزيد، ولقد استعملناك فما عزلناك، ووصلناك فما قطعناك، ثم صار فى يديك ما قد ترى، [وبنا

---

(١) له ترجمة في: الإصابة) : ٦ / ١٠ - ١٣، ترجمة رقم (٧٧٧٢)، (سير الاعلام) : ٣ / ٤٧٩ - ٤٨١، ترجمة رقم (١٠٣)، (الكامل في التاريخ) : ٣ / ٢٦٥، ذكر قتل محمد بن أبي حذيفة (الوافى بالوفيات) :٣ / ٣٢٨ - ٣٢٩، ترجمة رقم (٧٧٦)، (تاريخ الطبري) : ٥ / ١٠٥، احداث سنة (٣٨) ثم ذكر رواية الواقدي في وفاة محمد بن أبي حذيفة سنة (٣٦)، (الإصابة) :٣ /١٣٦٩ - ١٣٧٠، ترجمة ٢٣٢٦

(٢) مابين الحاصرتين مطموس في (خ) وما أثبتناه من (وفيات الأعيان) .

نلت ما نلت] (٢) فقال معاوية: يابنى !

أما قولك : إن أبى خير من أبى يزيد فقد صدقت ، عثمان خير من معاوية، أما قولك : أمى خير من أم يزيد فقد صدقت؛ امرأة من قريش خير من امرأة من كلب ،وبحسب أمرأة أن تكون [فى بيت قومها وأن يرضاها بعلها وينجب ولدها]، وأما قولك: أنى خير من يزيد فوالله مايسرنى أن حبلاً بينى وبين العراق تم نظم لى [به، ثم قال له]: ألحق بعمك زياد بن أبى سفيان، فإنى قد أمرته أن يوليك خراسان، وكتب إلى زياد [أن وليه](١) خراسان وابعث على الخراج رجلاً جلداً حازماً، فقد عليه فولاه وتوجه سعيد بن عثمان إلى خراسان على أمرها، وبعث زياد بن أسلم ابن زرعة الكلابى معه على الخراج، وقدم المدينة فقتله غلمان جاء بهم من [ ] ، وكانت تحته رملة بنت أبى سفيان أخت أم حبيبة، خلف عليها بعد محمد بن أبى حذيفة، فلم تلد له(٢) .

والسائب بن أبى حُبيش [أهيب] (٣) بن المطلب بن أسد بن عبد العزى ابن قصى،[القرشى الأمدى](٤)، كانت عنده [ ] بنت أبى

---

(١) مابين الحاصرين مطموس في (خ) ولعل ما أثبتناه يناسب السياق .

(٢) أخباره مبثوثة في : (تاريخ الطبرى):٤ / ٥٥٤٢٠/٣٠٤-٣٠٦، (صفة الصفرة): ١ / ١٥٤، ترجمة رقم (٤) ، (الكامل في التاريخ): ٣ / ١٨٦، (وفيات الأعيان):٥ / ٣٥٣، ٣٤٨/٦

(٣) ما بين الحاصرتين فى (خ) فقط.

(٢) زيادة للنسب من (الإصابة) ، له ترجمة فى: (الإصابة) : ٣/١٨-١٩، ترجمة رقم (٣٠٦١) ، (التاريخ الكبير) : ٤/١٥٣، ترجمة رقم (٢٢٩٧)، (طبقات ابن سعد) : ٨/٢٣٩، (الثقات): ٤/٣٢٦، (تهذيب التهذيب) : ٣/٣٨٧، ترجمة رقم (٨٣١)، (الاستيعاب) : ٢/٥٧٠، ترجمة رقم (٨٨٦).

سفيان، أخت أم حبيبة، فلم تلد له.

وعبد الرحمن بن الحارث بن أمية الأصغر بن عبد شمس بن عبد مناف[١]، أمه من ثقيف، وخلف على [ ] بنت أبى سفيان فلم تلد له.

وصفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر القرشى الجمحى، أبو وهب - وقيل: أبو أمية- أمه صفية بنت معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح، وقُتل أبوه يوم بدر كافراً، وقتل رسول الله ﷺ أخاه أبى بن خلف بأحد كافراً، وهرب صفوان يوم الفتح ثم رجع وشهد حنيناً وهو مشرك، ثم أسلم ومات بمكة سنة اثنتين وأربعين، وكان أحد أشراف قريش فى الجاهلية، وإليه كانت فيهم الأيسار - وهى الأزلام - وكان أحد المطعمين، وكان يقال له: سداد البطحاء، وهو أحد المؤلفة قلوبهم، وممن حسن إسلامه منهم، وكان من أفصح قريش لساناً، وكانت تحته أميمة بنت أبى سفيان أخت أم حبيبة لأبيها وأمها، فولدت له عبد الرحمن بن صفوان[٢].

وحويطب بن عبد العزى بن أبى قيس القرشى العامرى، كانت تحته أميمة قبل صفوان، فولدت له عبد الرحمن بن صفوان، أبا سفيان بن

---

(١) (الإصابة): ٤/٢٩٥، ترجمة رقم (٥١٠٢ز).

(٢) له ترجمة فى: (طبقات بن سعد): ٥/٤٤٩، (طبقات خليفة): ٢٤، ٢٧٨، (تاريخ خليفة): ١١١، ٢٠٥، (التاريخ الكبير): ٤/٢٣٠٤، (المعارف): ٣٤٢، (الجرح والتعديل): ٤/٤٢١، (المستدرك): ٣/٤٨٤، (الاستيعاب): ٢/٧١٨ - ترجمة رقم (١٢١٤)، (تهذيب التهذيب) ٤/٣٧٢، ترجمة رقم (٤٧٣)، (الإصابة): ٣/٤٣٢، ترجمة رقم (٤٠٧٧)، (خلاصة تذهيب الكمال): ١/ ٤٦٩، ترجمة رقم (٣٠٦٩) (شذرات الذهب): ١/٥٢، (سير اعلام النبلاء): ٢/٥٦٢-٥٦٧، ترجمة رقم (١١٩)، (تلقيح الفهوم): ٣٦٩، (الثقات): ٣/١٩١، (اسماء الصحابة الرواة): ١٤٦، ترجمة رقم (١٦٠).

حويطب(١).

وعياض بن غنم بن زهير بن أبى شداد بن أبى ربيعة بن هلال بن مالك، ابن ضبة بن الأرث بن فهر القرشى الفهرى، أسلم قبل الحديبية وشهدها، وافتتح عامة بلاد الجزيرة والرقة، وهو أول من جاز الدرب إلى الروم، وكان شريفاً فى قومه، مات بالشام سنة عشرين، وهو ابن ستين سنة، كانت عنده أم الحكم بنت أبى سفيان، أخت أم حبيبة لأبيها، من هند بنت عتبة، أم معاوية بن أبى سفيان، ففرق الإسلام بينهما(٢).

وعبد الله بن عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن الحارث بن مالك بن حُطيط بن جُشَم بن قسيّ - وهو ثقيف - وكان عثمان بن عبد الله هو صاحب لواء المشركين يوم حنين، وتزوج عبد الله بن عثمان بأم الحكم ابنة أبى سفيان أخت أمّ حبيبة لأبيها، من هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، خلف عليها بعد عياض، فولدت له عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان، وهو الذى يقال له : ابن أم الحكم، ولى الكوفة(٣)، وقتل عبد الله بن عثمان يوم الطائف، فمر به على رضى الله عنه فقال : لعنك الله، فإنك كنت تبغض قريشاً.

وسعيد بن الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب بن علاج بن أبى سلمة

---

(١) سبق التعريف بمصادر ترجمته عند الكلام على سلفيه ﷺ من قبل سودة.

(٢) له ترجمة فى : (التاريخ الكبير) : ٧/١٨-١٩، (سير الأعلام) : ٢/٣٥٤-٣٥٥، ترجمة رقم (٦٩)، (طبقات خليفة) : ٢٨، ٣٠٠، (تاريخ خليفة) : ١٤٧ (المستدرك) : ٣/٣٢٨، (الاستيعاب) : ٣/١٢٣٤، ترجمة رقم (٢٠١٤)، (الإصابة) : ٤/٧٥٧، ترجمة رقم (٦١٤٤)، (شذرات الذهب) : ١/٣١، (التاريخ الصغير) : ١/٤٨، (أسماء الصحابة الرواة) : ٤٩٣، ترجمة رقم (٧٨٥) (تلقيح الفهوم) : ٣٨٣، (طبقات ابن سعد) : ٧/٣٩٨.

(٣) (جمهرة انساب العرب) : ٢٦٦.

ابن عبد العزى بن غيره بن عوف بن ثقيف(١) [بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن غيلان]، كان الأخنس بن شريق من سادات مكة، وتزوج سعيد [بصخرة] بنت أبى سفيان أخت أم حبيبة، فولدت له أبا بكر بن سعيد وغيره.

وعروة بن مسعود معتّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف ابن ثقيف الثقفى أبو مسعود - وقيل: أبو يعفور(٢) - شهد صلح الحديبية، وأسلم بعد الطائف، ورجع إلى قومه ليدعوهم إلى الإسلام، فقتل بسهم، وكانت تحته ميمونة بنت أبى سفيان أخت أم حبيبة، فولدت له داود بن عروة.

والمغيرة بن شعبة بن أبى عامر بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قسى- وهو ثقيف - الثقفى، أبو عبد الله - وقيل: أبو عيسى - أسلم عام الخندق، وأول مشاهدة الحديبية، وولى البصرة والكوفة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه، وتوفى سنة خمسين،

---

(١) (الإصابة): ١/ ٣٨ ترجمة أبيه الأخنس بن شريق، رقم (٦١)، وما بين الحاصرين زيادة للنسب من (خ).

(٢) قال محمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلسى الغرناطى: والضمير فى: و ﴿قالوا﴾، لقريش، كانوا قد استبعدوا أن يرسل الله من البشر رسولاً، فاستفاض عندهم أمر إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الرسل صلى الله عليهم. فلما لم يكن لهم فى ذلك مدفع، ناقضوا فيما يخص محمداً ﷺ فقالوا: لم كان محمداً ولم يكن القرآن ينزل على رجل من القريتين عظيم؟ أشاروا إلى من عظم قدره بالسن والقدم والجاه وكثرة المال. وقرىء:على رجْل، بسكون الجيم. من القريتين أى من إحدى القريتين. وقيل: من رجل القريتين، وهما مكة والطائف.

قال ابن عباس: والذى من مكة: الوليدين بن المغيرة المخزومى، ومن الطائف: حبيب بن عمرو بن عمير الثقى. وقال مجاهد: عتبه بن ربيعة، وكنانة بن عبد ياليل. وقال قتادة: الوليد بن المغيره، عروة ابن مسعود الثقفى. =

وقيل: إحدى وخمسين وهو على الكوفة لمعاوية، وكان أعور داهية، أحصن ألف امرأة، وخلف على ميمونة بنت أبى سفيان بعد عروة بن مسعود[1].

وعبد الله بن معاوية العبدى، خلف على أميمة بنت أبى سفيان بعد صفوان بن أمية.

* * *

= وقال أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر: أخبرنى أحمد بن القاسم، حدثنا قاسم بن أصبغ، حدثنا الحارث بن أبى أسامة، قال: حدثنا يونس بن محمد المؤدب، قال: حدثنا ليث بن سعد، عن أبى الزبير، عن جابر، عن رسول الله ﷺ، قال: عُرض علىَّ الأنبياء عليهم السلام، فإذا موسى ضرب من الرجال كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى ابن مريم فإذا أقرب من رأيت به شبهاً عروة بن مسعود، ورأيت إبراهيم عليه السلام، فإذا أقرب من رأيت به شبهاً صاحبكم، يعنى نفسى - ﷺ -، ورأيت جبريل عليه السلام، فإذا أقرب من رأيت به شبها دحية لكلبى. له ترجمة فى: (البحر المحيط): ٩/٣٦٩، (الاستيعاب): ٣/١٠٦٦ - ١٠٦٧، ترجمة رقم (١٨٠٤)، (الإصابة): ٤/٤٩٢ - ٤٩٤، ترجمة رقم (٥٥٣٠)، (طبقات ابن سعد): ٥/٥٠٣-٥٠٤.

(١) له ترجمة فى: (طبقات ابن سعد): ٤/٢٨٤، ٦/٢٠، (طبقات خليفة): ٣٦١، ٨٨٤، ١٤١٩، (التاريخ الكبير). ٣١٦، (المعارف) ٢٩٤، (الجرح والتعديل): ٨/٢٢٤، (تاريخ الطبرى): ٥/٢٣٤، ((جمهرة أنساب العرب): ٢٦٧، (الاستيعاب): ٤/١٤٤٥، ترجمة رقم (٢٤٨٣)، (تاريخ بغداد): ١/١٩١، ترجمة رقم (٣٠)، (سير أعلام النبلاء): ٣/٢١-٣٢، ترجمة رقم (٧)، (الكامل فى التاريخ): ٣/٤٦١، (تهذيب الأسماء واللغات): ٢/١٠٩، (مرآة الجنان): ١/١٢٤، (البداية والنهاية): ٨/٥٣، (الإصابة): ٦/١٩٧-٢٠٠، ترجمة رقم (٨١٨٥)، (تهذيب التهذيب): ١٠/٢٣٤، ترجمة رقم (٤٧٣)، (خلاصة تذهيب الكمال): ٣/٥٠، ترجمة رقم (٧١٥٥)، (شذرات الذهب): ١/٥٦، (أسماء الصحابة الرواة): ٥٨، ترجمة رقم (٣١)، (الثقات): ٣/٣٧٢، (تلقيح الفهوم): ٣٦٥.

[أسلافه ﷺ من قبل ميمونة]

وأما أسلافه ﷺ من قبل ميمونة [رضى الله تعالى عنها]، فإنهم:

حمزة بن عبد المطلب، كانت تحته سلمى بنت عميس، أخت ميمونة لأبيها(١) من هند بنت [عوف الحميرية]، فولدت له أمة الله، وقد تقدم التعريف بحمزة رضى الله عنه(٢).

وشداد بن الهاد، واسمه أسامة بن عمرو بن عبد الله بن جابر بن بشر بن عتوارة بن عامر بن مالك بن ليث بن بكر [بن عبد مناة بن كنانة

---

(١) وهى أخت أسماء بنت عميس الخثعمية. (طبقات ابن سعد): ٣/٨.

(٢) هو حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب.. الإمام، البطل، الضرغام، أسد الله أبو عمارة، وأبو يعلى، القرشىّ، الهاشمىّ، المكىّ، ثم المدنىّ، البدرىّ الشهيد، عم رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة، قال ابن إسحاق: لما أسلم حمزة علمت قريش أن رسول الله ﷺ قد امتنع، وأن حمزة سيمنعه فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه، وقد بارز حمزةُ يوم بدر عتبة بن ربيعة فقتله، ورجع رسول الله ﷺ يوم أحد، فسمع نساء بنى عبد الأشهل يبكين على هلكاهن، فقال: لكن حمزة لا بواكى له، فجئن نساء الأنصار فبكين على حمزة عنده.

وعن أنس قال: لما كان يوم أُحد وقف رسول الله ﷺ على حمزة وقد جُدعَ ومثل به، فقال: لولا أن تجد صفية فى نفسها لتركته حتى يحشره الله من بطون السباع والطير. ولم يصلِّ على أحد من الشهداء، وقال: أنا شهيد عليكم. وكان يجمع الثلاثة فى قبر والاثنين، فيسأل: أيهما أكثر قرآناً فيقدمه فى اللحد، وكفّن الرجلين والثلاثة فى ثوب.

ووجدوا حمزة (رضى الله عنه) قد بُقر بطنه، واحتمل وحْشىّ كبده إلى هند بنت عتبة فى نذر نذرته حين قَتَل حمزةُ أباها يوم بدر، فدفن فى نمرة كانت عليه، إذا رفعت إلى رأسه بدت قدماه، فغطوا قدميه بشىء من الشجر رضى الله تعالى عنه. له ترجمة فى: (طبقات ابن سعد): ٣/٨-١٩، (تاريخ خليفة): ٦٨، (الجرح والتعديل): ٣/٢١٢، (الاستيعاب): ١/٣٦٩-٣٧٥، ترجمة رقم (٥٤١)، تهذيب الأسماء واللغات): ١/١٦٨-١٦٩، (الإصابة): ٢/١٢١-١٢٤، ترجمة رقم (١٨٢٨)، (صفة الصفوة): ١/١٩٥-١٩٨، ترجمة رقم (١٢)، (المستدرك): ٣/٢١١-٢٢٠، (سير الأعلام): ١٧١-١٨٤، ترجمة رقم (١٥)، (شذرات الذهب): ١/١٠.

الليثى][(١)] وشداد لقب له، والهاد لقب لأبيه، حليف بنى هاشم، وتزوج سلمى بنت عميس، خلف عليها بعد حمزة فولدت له: عبد الله وعبد الرحمن، وسكن المدينة وتحول إلى الكوفة[(٢)].

والعباس بن عبد المطلب رضى الله عنه [(٣)]، كانت عنده لبابة بنت

---

(١) زيادة للنسب من (الإصابة)

(٢) وإنما قيل لأبيه : الهاد، لأنه كان يوقد النار ليلاً للسارين، روى عنه ابنه عبد الله، وله رؤية، وإبراهيم ابن محمد بن طلحة. وعبد الرحمن بن أبى عمارة.

وكانت تحته سلمى بنت عيسى أخت أسماء بنت عميس، فكان من أسلاف النبى ﷺ، لأن سلمى أخت ميمونة لأمها، ومن أسلاف أبى بكر رضى الله عنه، وله فى (المشارق) حديث واحد، قال الدرى عن ابن معين ليس له مسند غيره، قال البخارى : له صحبة، وذكره ابن سعد فيمن شهد الخندق، له ترجمة فى (تهذيب التهذيب) : ٤ / ٢٨٠، ترجمة رقم (٥٥٦)، (الإصابة) : ٣ / ٣٢٤، ترجمة رقم : (٣٨٦١ز)، (حلية الأولياء) : ١ / ٦٠، (الثقات) : ٣ / ١٨٦، (الاستيعاب) : ٢ / ٦٩٥-٦٩٦، ترجمة رقم (١١٦١)، (تاريخ الصحابة) : ١٣١، ترجمة رقم (٦٣٧)، (المعارف) : ٢٨٢، (طبقات ابن سعد) : ٦ / ٢٦، ٨ / ٢٨٦.

(٣) هو العباسى بن عبد المطلب رضى الله عنه، عم رسول الله ﷺ، قيل : إنه أسلم قبل الهجرة، وكتم إسلامه، وخرج مع قومه إلى بدر، فأُسر يومئذ، فادعى أنه مسلم، فالله أعلم، وليس هو فى عداد الطلقاء، فإنه كان قد قدم على النبى ﷺ قبل الفتح؛ ألا تراه أجار أبا سفيان بن حرب؟

له عدة أحاديث، منها خمسة وثلاثون فى مسند بقى، وفى البخارى ومسلم حديث، وفى البخارى حديث، وفى مسلم ثلاثة أحاديث. وقد الشام مع عمر رضى الله عنه، وكان رضى الله عنه شريفاً مهيباً عاقلاً جميلاً، أبيض بضاً، له ضفيرتان، معتدل القامة، وُلد قبل عام الفيل بثلاث سنين، وكان أطول الرجال، وأحسنهم صورة، وأبهاهم، وأجهرهم صوتاً، مع الحلم الوافر، والسؤدد.

قيل للعباس : أنت أكبر أو النبى ﷺ ؟ قال : هو أكبر منى وأنا وُلِدْتُ قبله. وكان يمنع الجار، ويبذل المال، ويعطى فى النوائب. وثبت أن العباس كان يوم حنين وقت الهزيمة، آخذاً بلجام بغلة النبى ﷺ، وثبت معه حتى نزل النصر. وثبت من حديث أنس : أن عمر رضى الله عنه استشفى فقال : اللهم إنا كنا إذ قحطنا على عهد نبيك ﷺ توسلنا به، وإنا نستسقى إليك بعمّ نبيك العباس.

قال الضحاك بن عثمان الحزامى : كان يكون للعباس الحاجة إلى غلمانه وهم بالغابة، فيقف على سلع – جبل بمكة – وذلك فى آخر الليل فيناديهم – فيسمعهم، والغابة نحو من تسعة أميال.

قال الحافظ الذهبى : كان تامَّ الشكل، جهورى الصوت جداً، وهو الذى أمره النبى ﷺ أن يهتف يوم حُنَيْن : يا أصحاب الشجرة. كانت وفاته رضى الله عنه فى سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة، وله =

الحارث بن حزن، وهى أم الفضل وعبد الله وعبيد الله وقثم وعبد الرحمن ومعبد وأم حبيب، وهى أخت أم حبيبة ميمونة.

وجعفر بن أبى طالب رضى الله عنه(1)، كانت عنده أسماء بنت

= ستّ وثمانون سنة، ولم يبلغ احد هذه السنّ من اولاده، ولا اولادهم، ولا ذريته الخلفاء. له ترجمة فى: (أسماء الصحابة الرواة): ٩٧، ترجمة رقم (٨٥)، (تلقيح فهوم أهل الأثر): ٣٦٦، (طبقات ابن سعد): ٤ /٥ – ٣٣، (مسند احمد): ١ /٣٣٩–٣٤٥، (تاريخ خليفة): ١٦٨، (التاريخ الكبير): ٧ /٢، ترجمة رقم (١)، (المعارف): ١١٨، ١٣٧، ١٥٦، ٥٨٩، ٥٩٢، (الجرح والتعديل): ٦ /٢١٠، ترجمة رقم (١١٥١)، (المستدرك) ٣ /٣٦٢–٣٧٧، (الاستعاب): ٢ /٨١٠ –٨٣٠، ترجمة رقم (١٣٧٨)، (صفة الصفوة): ١ /٢٦٢–٢٦٤، (تهذيب التهذيب): ٥ /١٠٧–١٠٨، ترجمة رقم (٢١٤)، (خلاصة تذهيب الكمال): ٢ /٣٥، ترجمة رقم (٣٣٥٥) (كنز العمال): ١٣ /٥٠٢–٥٠٣، حديث رقم (٣٧٢٩٤)، (شذرات الذهب): ١ /٣٨–٣٩، (اسير اعلام النبلاء): ٣ /٧٨–١٠٣، ترجمة رقم (١١).

(1) هو جعفر بن أبى طالب بن عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصىّ الهاشمىّ، ابن عم رسول الله ﷺ، اخو علىّ بن ابى طالب، وهو أسنُّ من علىّ رضى الله عنه بعشر سنين.

هاجر الهجرتين، وهاجر من الحبشة إلى المدينة، فوافى المسلمين وهم على خيبر إثر أخذها، فاقام بالمدينة أشهراً، ثم أمّره رسول الله ﷺ على جيش غزوة مؤتة بناحية الكرك، فاستشهد، وقد سُرَّ رسول الله ﷺ كثيراً بقدومه، وحزن لوفاته.

روى شيئاً يسيراً، روى عنه ابن مسعود، وعمرو بن العاص، وأم سلمة، وابنه عبد الله، عن نافع ان ابن عمر قال: جمعتُ جعفراً على صدرى يوم مؤتة، فوجدت فى مقّدم جسده بضعاً واربعين، ما بين ضربة وطعنة.

وعن أسماء قالت: دخل علىّ رسول الله ﷺ فدعا بنى جعفر، فرأيته شمهم وذرفت عيناه، فقلتُ: يا رسول الله: ابلغك عن جعفر شىء؟ قال: نعم، قتل اليوم، فقمنا نبكى، ورجع فقال: اصنعوا لآل جعفر طعاماً، فقد شغلوا عن انفسهم، مات سنة تسع وثلاثين، عن بضع وثلاثين سنة رضى الله عنه.

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: رأيت جعفر بن ابى طالب ملكاً فى الجنة، مضرجة قوادمه بالدماء يطير فى الجنة، له ترجمة فى: (مسند أحمد): ١ /٣٣٢–٣٣٤، ٦ /٣٩٣–٣٩٥، (طبقات بن سعد): ٤ /٣٤–٤١، (طبقات خليفة): ٤، (تاريخ خليفة): ٨٦، ٨٧، (التاريخ الكبير) ٢ /١٨٥، ترجمة رقم (٢١٣٩)، (التاريخ الصغير): ١ /٢٢، (الجرح والتعديل): ٢ /٤٨٢، ترجمة رقم (١٩٦٠)، (حلية الأولياء): ١ /١١٤، ترجمة رقم (١٧)، (الاستيعاب): ١ /٢٤٢، ترجمة رقم (٣٢٧)، (تهذيب الأسماء واللغات): ١ /١٤٨، ترجمة رقم (١٠٥)، =

عميس، أخت ميمونة لأمها، فولدت له عبيد الله وعوفاً ومحمداً، وقد تقدم التعريف بعباس وجعفر.

وأبو بكر الصديق رضى الله عنه، واسمه: عبد الله بن أبى قحافة، عثمان ابن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، كان اسمه فى الجاهلية عبد الكعبة، فسماه رسول الله ﷺ عبد الله، كان فى الجاهلية وجيهاً، رئيساً من رؤساء قريش، وإليه كانت الأشناق - وهى الديات -، كان إذا حمل شيئاً قالت فيه قريش صدقوه وأمضوا حمالته وحمالة من قام معه، وإن احتملها غيره خذلوه ولم يصدقوه، وصحب رسول الله ﷺ قديماً، وهو أول من أسلم بعد خديجة، وكان يقال له: عتيق، لجماله وعتاقة وجهه، أو لأنه لم يكن فى [صفاته] (١). شيء يعاب به، أو لأنه كان له أخوان يقال لأحدهما: عَتيق، والآخر عُتيق، فمات عَتيق قبله فسمى باسمه، أو لأن رسول الله ﷺ قال: من سَرَّهُ أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى هذا، وسمى صديقاً لمبادرته إلى تصديق رسول الله ﷺ فى كل ما جاء به، ولتصديقه له فى خبر الإسراء، وأسلم وله أربعون ألفاً أنفقها على رسول الله ﷺ وفى سبيل الله، وأعتق سبعة كانوا يعذبون فى الله، ولم يغب عن رسول الله ﷺ فى موطن من مواطنه، واستخلفه على الصلاة بالناس فى مرض موته،فبايعه المسلمون بعد وفاته فى سقيفة بنى ساعدة، ثم بويع بيعة العامة يوم الثلاثاء غد ذلك اليوم، وارتدت العرب، فقام بقتال أهل الردة حتى استقر الإسلام وثبت، ومكث فى الخلافة سنتين وثلاثة أشهر إلا خمس ليال، وقيل: سنتين وثلاثة أشهر وسبع ليالى، وقيل تُوُفِّى على رأس

= (تهذيب التهذيب): ٢/٢/٨٣، ترجمة رقم (١٤٦)، (خلاصة تذهيب الكمال): ١/١٦٨، ترجمة رقم (١٠٤١)، (تاريخ الصحابة): ٥٧، ترجمة رقم (١٧٨)، (صفة الصفوة): ١/٢٦٤، ترجمة رقم (٥٦)، (شذرات الذهب): ١/٤٨.

(١) ما بين الحاصرتين مطموس فى (خ)، ولعل ما أثبتناه يناسب السياق.

ستين وثلاثة أشهر واثنى عشر يوماً، وقيل: وعشرة أيام، وقيل: وعشرين يوماً. وتوفي يوم الجمعة لسبع بقين من جمادى الآخرة، فغسَّلته زوجته أسماء بنت عميس، وصلى عليه عمر بن الخطاب، ونزل في قبره: عمر، وعثمان، وطلحة، وعبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهم، ودفن ليلاً إلى جانب قبر رسول الله ﷺ وعمره ثلاث وستون سنة، وفضائله كثيرة جداً، رضي الله عنه، وكانت تحته أسماء بنت عميس، خلف عليها بعد جعفر بن أبي طالب، وهي أخحت ميمونة، فولدت له محمد بن أبي بكر المقتول بمصر(١).

وعلى بن أبي طالب رضي الله عنه خلف بعد أبي بكر رضي الله عنه على أسماء بنت عميس، فولدت له يحى وعوناً، وقد تقدم التعريف [به رضي الله عنه](٢).

---

(١) له ترجمة في: (الثقات): ٢/٣٣٨، (طبقات ابن سعد): ٣/١٦٩، (الإصابة): ٤/١٦٩-١٧٥، ترجمة رقم (٤٨٢)، (حلية الأولياء): ١/٢٨، (صفة الصفوة): ١/١٢٣-١٣٩، ترجمة رقم (٢)، (وفيات الأعيان): ٣/٦٤-٧١، ترجمة رقم (٣٣٩)، (تاريخ الإسلام): ٣/١٠٥ - ١١٢، (تاريخ خليفة): ١٢٣، (طبقات خليفة): ٨، (تاريخ الطبري): ٣/١٧١، ٣/٤١٩، ٣/٤٣٥، (المعارف): ٤٨، ١٦٧ (الكامل في التاريخ): ٢/٤٤٩، (مسند أحمد): ٧/١٥٤، (المستدرك): ٣/٦٤-٨٦، (تاريخ الصحابة): ٢٣، (فتح الباري): ٧/٩-٤٩، (تهذيب التهذيب): ٥/٢٧٦-٢٧٧، ترجمة رقم (٥٣٧)، (شذرات الذهب): ١/٢٤، (مسلم بشرح النووي): ١٥/١٥٧ -١٦٧، (شذرات الذهب): ١/٢٤.

(٢) (فتح الباري): ٧/٨٧-٩٤، (مسلم بشرح النووي): ١٥/١٨٣-١٩١، (سنن ابن ماجة): المقدمة: ٤٢-٤٥، (طبقات ابن سعد): ٣/١٩-٤٠، (الاستيعاب): ٣/١٠٨٩-١١٣٣، ترجمة رقم (١٨٥٥)، (المستدرك): ٣/١١٦-١٥٨، (نهج البلاغة): المقدمة: ٣٥-٥٥، (شرح ابن أبي الحديد على النهج): ١/١١-٣٠، (حلية الأولياء): ١/٦١-٨٧، ترجمة رقم (٤)، (صفة الصفوة): ١/١٦٢-١٧٥، ترجمة رقم (٥)، (مسند أحمد): ١/١٢٢ وما بعدها، (مغازي الواقدي): ٢/٦٥٥، (الإصابة): ٤/٥٦٤-٥٧٠، ترجمة رقم (٥٦٩٢)، (تاريخ الإسلام): ٣/٦٢١-٦٥٢، (تهذيب الأسماء واللغات): ١/٣٤٤-٣٤٩، (المعارف): ٢٠٣-٢١٨، (تهذيب التهذيب): ٧/٢٩٤-٢٩٨، ترجمة رقم (٥٦٦)، (تاريخ بغداد): ١/١٣٣-١٣٨، =

والطفيل بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصى القرشىّ المطلبى، أمه وأم اخوته عبيدة بن الحارث، والحصين بن الحارث: سخيلة بنت خزاعى ابن الحويرث بن الحارث بن حبيب بن مالك بن الحارث بن حطيط بن جُشم ابن ثقيف، وتزوج زينب بنت خزيمة أخت ميمونة لأمها هند، وشهد بدراً، ومات بعدها، ومات عن سبعين سنة، سنة اثنتين وثلاثين (١).

وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد المناف بن قُصى أبو الحارث وقيل: أبو معاوية، كان أسنّ من رسول الله ﷺ بعشر سنين، وأسلم قبل الدخول إلى دار الأرقم، وهاجر هو وأخواه الطفيل والحصين إلى المدينة، ومعهم مسطح بن أُثاثة بن عباد بن عبد المطلب، وكان لعبيدة قدراً ومنزلة عند رسول الله ﷺ، وعقد له لواءً على ستين راكباً فى سنة [ثنتين]، وشهد بدراً فأغنى يومئذٍ غناءاً عظيماً، وقطع عتبة- وقيل: شيبة بن ربيعة - رجله فارتَثَّ منها، ومات بالصفراء وله ثلاث وستون سنة، وخلف على زينب أم المساكين أخت ميمونة فقتل عنها(٢).

= ترجمة رقم (١)، (شذرات الذهب): ١/٤٩-٥١.

(١) هو الطفيل بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصىّ، وأمه سُخيلة بنت خزاعى الثقفية، وهى أم عبيدة بن الحارث، وكان للطفيل من الولد عامر بن الطفيل. وآخى رسول الله ﷺ بين الطفيل بن الحارث والمنذر بن محمد بن عقبة بن أُحيحة بن الجُلاح، هذا فى رواية محمد بن عمر. وأما فى رواية ابن إسحاق فإنه آخى بين الطفيل بن الحارث وسفيان بن نسر بن عمرو بن الحارث بن كعب بن زيد بن الحارث الانصارىّ.

قال محمد بن عمر: وشهد الطفيل بدرًا، وأُحدًا، والمشاهد كلها، مع رسول الله ﷺ، وتوفى سنة اثنتين وثلاثين، وهو ابن سبعين سنة، له ترجمة فى: (طبقات ابن سعد): ٣/ ٥١، (الإصابة): ٣/ ٥١٩، ترجمة رقم (٤٢٥١)، (الاستيعاب): ٢/ ٧٥٦ - ٧٥٧، ترجمة رقم (١٢٧١).

(٢) له ترجمة فى: (طبقات ابن سعد): ٣/٥٠-٥٢، (تاريخ خليفة): ٥٩، ٦١، ٦٢، (الاستيعاب): ٣/١٠٢٠-١٠٢١، ترجمة رقم (١٧٤٨)، (تهذيب الأسماء واللغات): ١/٣١٧-٣١٨، (الإصابة): ٤/٤٢٤-٤٢٥، ترجمة رقم (٥٣٧٩)، (مغازى الواقدى): ٢، ١٠، ١١، ٢٤، ٦٨، ٦٩، ١٠٠، ١٤٥، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٣، (سير أعلام النبلاء): ١/٢٥٦، ترجمة رقم (٤٥)، شذرات الذهب (١/٩).

والوليد بن المغيرة بن عبد الله بن شمس [بن] قيس بن عمرو بن مخزوم، وهو الوجيد، أبو عبد شمس، أمه وأم أخيه عبد شمس صخرة بنت الحارث ابن عبد الله بن عبد شمس، من قيس؛ وهو أبو خالد بن الوليد، كانت تحته لبابة الصغرى، وهى العصماء بنت الحارث بن حرب الهلالية أخت ميمونة، فولدت له خالد بن الوليد،سيف الله، وهو ابن خالة عبد الله بن عباس، ويقال: إن لبابة الصغرى غير العصماء، وأن العصماء كانت عند أُبّى بن خلف، فولدت له أبا أُبى وإخوة له، والأول قول الكلبى(١).

وعبد الله بن كعب بن عبد الله بن كعب بن منبه بن الأوس بن خثعم الخثعمى، كانت عنده سلامة بنت عميس، أخت ميمونة لأمها، فولدت له آمنة، تزوجها عبد الله بن جعفر(٢).

وزياد بن عبد الله بن مالك بن بجير الهلالى(٣)، كانت عنده عزة بنت الحارث بن حزن أخت ميمونة.

---

(١) (جمهرة النسب): ٣٨ - ٣٩، ٨٥، (جمهرة انساب العرب): ١٤٤، ١٤٧، ١٤٨، وكان الوليد ابن المغيرة من المستهزئين وفى بعض المصادر: حزن بدل حرب.

(٢) لم اجد له ترجمة فيما بين يدىّ من كتب التراجم.

(٣) هو زياد بن عبد الله بن مالك بن بجير بن الهُزَم بن رؤيبة بن عبد الله بن هلال بن عامر، وَفَد على النبى ﷺ فلما دخل المدينة توجه إلى منزل ميمونة بنت الحارث، زوج النبى ﷺ وكانت خالة زياد. واسم أمه غُرَّة - أو عزَّة - بنت الحارث، وهو يومئذ شابّ، فدخل النبى ﷺ وهو عندها، فلما اتى رسول الله ﷺ، غضب فرجع، فقالت : يارسول الله! هذا ابن أختى، فدخل إليها ثم خرج حتى اتى المسجد ومعه زياد فصلى الظهر، ثم ادنى زياداً، فدعا له ثم وضع يده على راسه، ثم حدرها على طرف انفه، فكانت بنو هلال تقول: مازلنا نتعرف البركة فى وجه زياد. وقال الشاعر لعلى بن زياد:

يا ابن الذى مسح النبى برأسه ... ودعا له بالخير عند المسجد
اعنى زياداً لا اريد سواءَهُ ... من غائرٍ أومتهم او مُنْجِدِ
مازال ذاك النور فى عرنينه ... حتى تبوأ بيته فى المُلحَدِ

له ترجمة فى: (طبقات ابن سعد): ١/ ٣٠٩-٣١٠، (الإصابة): ٢/ ٥٨٤-٥٨٥، ترجمة رقم (٢٨٥٨ز).

والأصم البكائى، كانت عنده برزة[1] أخت ميمونة بنت الحارث، فولدت له يزيد بن الأصم، ومات يزيد بن الأصم سنة ثلاث ومائة، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة، وكان ينزل الرقة[2]، ويقال: إن الأصم خلف على عزة بعد زياد بن عبد الله.

[سلفه ﷺ من قبل مارية]

وأما سلفه ﷺ من قبل مارية فإنه: حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى بن عمرو بن مالك النجار الأنصارى، أبو الوليد، وقيل: أبو عبد الرحمن، وقيل: أبو الحسام، شاعر رسول الله ﷺ[3]، أمه الفُريعة بنت خالد بن خنيس بن لوذان بن عبد وُدّ بن زيد بن

---

(١) فى (خ): «عزة»، وما أثبتناه من (ابن سعد).

(٢) يزيد الأصم من جلّة التابعين بالرَّقّة، ولأبيه صحبة، وهو عمرو، ويقال: عبد عمرو، ويقال: عُدَس ابن معاوية، الإمام، الحافظ، أبو عوف العامرىّ، البكّائى.

حدَّث عن خالته ميمونة أم المؤمنين، وابن خالته ابن عباس، وعلىّ بن أبى طالب، وسعد بن أبى وقاص، وأبى هريرة، وعائشة، ومعاوية، وعوف بن مالك، وغيرهم، ولم تصح روايته عن على، وقد أدركه وكان بالكوفة فى خلافته.

حدث عنه ابن أخيه عبد الله بن عبد الله بن الأصم، وابن شهاب، وعبد الملك ابن عطاء، وآخرون. وكان كثير الحديث، قاله ابن سعد، ووثَّقَهُ العجلى، وأبو زرعة، والنسائى وغيرهم، مات سنة إحدى ومئة، وقيل غير ذلك. له ترجمة فى: (الإصابة): ٦/ ٦٩٣- ٦٩٤، ترجمة رقم (٩٣٨٨)، (طبقات ابن سعد): ٧/ ٤٧٩، (طبقات خليفة): ترجمة رقم (٣٠٦٧)، (تاريخ البخارى): ٨/ ٣١٨، (الجرح والتعديل): ٤/ ٢٥٢، (حلية الأولياء): ٤/ ٩٧، ترجمة رقم (٢٥٢)، (تهذيب الأسماء واللغات): ٢/ ١٦١، (تهذيب التهذيب): ١١/ ٢٧٣-٢٧٤، ترجمة رقم (٥٠١).

(٣) نسب الرواة حسان إلى أبيه فقالوا: هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى بن عمرو بن مالك بن النجار - وهو تيم الله - بن ثعلبة ابن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو مزيقاء بن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يعرب بن قحطان.

ونسبوه إلى أمه فقالوا: أم حسان الفريعة بنت خنيس بن لوزان بن عبد ود بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج.

ولد حسان فى منتصف العقد السابع من القرن السادس الميلادى، وعاش مائة وعشرين سنة، =

= نصفها في الجاهلية، ونصفها في الإسلام، فهو من المخضرمين، وتوفي سنة أربعين من الهجرة على أرجح الآراء.

كانت أسرة حسان ذات شأن عظيم في الجاهلية والإسلام، فوالده ثابت بن المنذر قد حكمته الأوس والخزرج في حرب يوم سُمير، ونزلوا على حكمه، وأخوه أوس بن ثابت ممن شهد العقبة مع السبعين مع الأنصار، كما آخى رسول الله ﷺ بينه وبين عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين، وقد سقط أوس يوم أحد شهيداً، كما استشهد أخ آخر له، وهو أُبيّ بن ثابت يوم بئر معونة.

وأنجب حسان عدة أبناء، بينهم الشاعر عبد الرحمن بن حسان، أمه سيرين القبطية، أخت مارية أم إبراهيم بن رسول الله ﷺ، كان رسول الله ﷺ وهبها لحسان بن ثابت، فولدت له عبد الرحمن بن حسان، فهو ابن خالة إبراهيم ابن رسول الله ﷺ.

وكان عبد الرحمن شاعراً، وقد روى عن أبيه وغيره، فولد عبد الرحمن: الوليد، وإسماعيل، وأم فراس، أُمّهم أم شَيبة بنت السائب بن يزيد بن عبد الله، وسعيد بن عبد الرحمن. وكان شاعراً، وقد روى عنه، أمه أم ولد، وحسان بن عبد الرحمن والفُريعة، ويكنى عبد الرحمن بن حسان أبا سعيد، وكان شاعراً، قليل الحديث، وقد ضمه بعض العلماء إلى الثقات.

وقد أشار العلماء إلى صفة لصقت بحسان، وهي صفة الجبن، وقد أثبتت المصادر أن أكحل حسان كان قد قطع، فلم يكن يضرب بيده، وتلك علة إحجامه عن الاشتراك في غزوات رسول الله ﷺ هذا إلى جانب كبر سنه، وضعف روح المغامرة عنده، مما جعله حذراً متمهلاً، في الوقت الذي نجد فيه شباب المسلمين وشيوخهم، مدفوعين بقوة الدين، وبروح الرسول ﷺ نحو الجهاد الذي كان المظهر الحقيقي للمسلم المؤمن في هذه الفترة.

وقد عاش حسان في جاهليته في الفترة التي ازدهر فيها نوعان من الشعر التقليدي القديم، في الشعر القَبلي، وفن المديح، وقد برع الحسان في كلا الفنين؛ برع في أولهما، لأنه كان من الشعراء القبليين، الذين كانوا لسان حال قبائلهم، يمجدون انتصاراتها، ويفخرون بأمجادها، كما برع في آخرهما، لأنه كان من الشعراء الجوالين، الذين نزلوا الإمارتين الشماليتين: إمارة الغساسنة، وإمارة المناذرة، يمدحون ملوكها، وينالون عطاياهم وجوائزهم، لذلك نجد شعر حسان الجاهلي في مناقضاته القَبليّة، وفي مدائحه التكسبية، من خير ما وصلنا من هذا العصر. له ترجمة في: (ديوان حسان بن ثابت): ٩-١٠، (الشعر والشعراء): ١٨٨-١٩٠، (طبقات ابن سعد): ٥/٢٦٦، (سير أعلام النبلاء): ٢/٥١٢-٥٢٣، ترجمة رقم (١٠٦)، (تاريخ الإسلام): ٢/٤٤٠، (مسند أحمد): ٦/٢٩٢، (المستدرك): ٣/٥٥٣-٥٥٧، (الإصابة): ٢/٦٢-٦٤، ترجمة رقم (١٧٠٦)، (الاستيعاب): ١/٣٤١-٣٥٠، ترجمة رقم (٥٠٧)، (طبقات خليفة): ٨٨، (تاريخ خليفة): ٢٠٢، (التاريخ الكبير): ٣/٢٩، (المعارف): ٢، ١٢٨، ١٤٣، ١٩٧، ١٣٢، (الجرح والتعديل): ٣/٣٣٢، (تهذيب التهذيب): ٢/٢١٦-٢١٧، ترجمة رقم (٤٥٠)، (خلاصة تذهيب الكمال): ١/٢٠٩، ترجمة رقم (١٣٠١)، (شذرات الذهب): ١/٤١، ٦٠.

هو وكعب ابن مالك، وعبد الله بن رواحة، فكان رسول الله ﷺ يقول: [اهجُهم] - يعنى المشركين - وروح القدس معك، وقال له: اللهم أيده بروح القُدس، وكان شاعر الأنصار فى الجاهلية، وشاعر النبى ﷺ فى النبوة، وشاعر اليمن كلها فى الإسلام، وأجمعت العرب علي أنَّ أشعَر أهل المدر يثرب، ثم عبد القيس، ثم ثقيف، وعلى أن أشْعَرَ أهل المدر حسان، وكان ممن خاض فى الإفك على عائشة رضى الله عنها، وقيل لم يخض ولم يجلد، وكان من أجبن الناس، لم يشهد مع النبى ﷺ شيئًا من المشاهد لجبنه، وأنكر قوم حسان ذلك وقالوا: لكن أقعده عن الحرب قطع أكحله، وأنشدوا قوله:

أضر بجسمى مرور الدهور ... وخان قراع يدى الأكحلُ

وقد كنت أشهد [وقع] الحروب ... ويحمرّ فى كفى المنصلُ

وقال إسماعيل بن إسحاق: الدليل على أن حسان لم يكن جبانًا: أنه هاجى جماعة فلم يعيره أحد بالجبن، وأعطاه رسول الله ﷺ سيرين أخت مارية، فولدت له عبد الرحمن بن حسان، وتوفى قبل الأربعين، وقيل: سنة خمسين، وقيل: أيام قتل على رضى الله عنه وهو ابن مائة وعشرين سنة، وكان يخضب شاربه وعنقفته بالحناء ولا يخضب سائر لحيته، فقال له ابنه عبد الرحمن: لم تفعل هذا؟ قال: لأكون كأنى أسد ولغ فى دم. قال ابن قتيبة: انقرض ولد حسان ولم يبق منهم أحد.

* * *

فصــل في ذكر أحماء رسول الله ﷺ

حمو الرجل: أبو امرأته، وحمو المرأة وحماها: أبو زوجها، ويقال: حمو الرجل: أبو امرأته أو أخوها أو عمها، وحمو المرأة: أبو زوجها، وكذلك من [كان من] قِبَله ويقال: هذا حموها(١)، ورأيت حماها(٢)، ومررت بحميها(٣)، والأنثى حماة، وقيل: الأحماء من قبل المرأة خاصة، والأختان من قبل الزوج، والصهر يجمع ذلك كله(٤).

---

(١) حموها: خبر مرفوع بالواو لأنه من الأسماء الستة.

(٢) حماها: مفعول به منصوب بالألف لأنه من الأسماء الستة.

(٣) بحميها: مجرور بالباء وعلامة جره الياء لأنه الأسماء الستة والأسماء الستة هي: «ذو» بمعنى صاحب، وما أضيف لغير الياء من «أب»، «أخ»، «حم»، «هن»، و«فم» بغير ميم؛ فإنها تُعرب بالواو، والألف، والياء، فترفع فالواو: نيابة عن الضمة، وتنصب بالألف نيابة عن الفتحة، وتخفض بالياء نيابة عن الكسرة.

قال تعالى: ﴿وإن ربك لذو مغفرة﴾ [الرعد: ٦]، وقال تعالى: ﴿أن كان ذا مال وبنين﴾ [القلم: ١٤]، وقال تعالى: ﴿إلى ظل ذى ثلاث شعب﴾ [المرسلات: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿وأبونا شيخ كبير﴾ [القصص: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿إن أبانا لفى ضلال مبين﴾ [يوسف: ٨]، وقال تعالى: ﴿ارجعوا إلى أبيكم﴾ [يوسف: ٨١]، (شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب): ٤١- ٤٢، مختصراً.

(٤) (ترتيب القاموس): ١/٧١٨-٧١٩، (لسان العرب): ١٤/١٩٦- ١٩٧.

[حمو رسول الله ﷺ من قبل خديجة]

خويلد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قصى، أبو عدى، ويقال له: آبى الخسف، [أمة زهرة ويقال لها: زهراء] ابنة عمرو بن حنثرة بن ذُؤَيبة(١) بن هلال، وفى ولد أسد العدد، ولما قدم تُبَّع الأخير مكة، وأراد احتمال الركن إلى اليمن [فقام خويلد فى ذلك](٢) واشتدت مرارته له، فانصرف وتركه، فقال خويلد:

---

(١) وفى جمهرة النسب: ذؤيبة بن قرفة بن عمرو بن عوف بن مازن بن كاهل بن أسد بن خزيمة، وهى التى ذكرها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثًا﴾ [النحل: ٩٢]، وإياها عنى فضالة بن شريك فى قوله:

فمالى حين أقطع ذات عرقٍ ... إلى ابن الكاهلية من معادِ

وذلك أن فَضالة بن شَريك أتى عبد الله بن الزبير يرجو نواله، غير أن هذا الأخير لم يَصِلْهُ، فانصرف، فقال:

أقول لغُلْمتى أدنوا ركابى ... أفارق بطن مكة فى سوادِ

فمالى حين أقطع ذات عرقٍ ... إلى ابن الكاهلية من معادِ

أرى الحاجات عند أبى خُبَيْبٍ ... نكدن ولا أميّة بالبلادِ

فلما بلغ ابن الزبير الشعر، فمرَّ به قوله: «إلى ابن الكاهلية» قال: لو علم لى جدة لأم من عمته لسبنى بها.

وكانت أم خويلد بن أسد بن عبد العزى جدة العوام بن خويلد: زهرة بنت عمر بن حنثرة، من بنى كاهل بن أسد بن خزيمة.

(٢) زيادة لتصويب السياق من (البداية والنهاية): ٢ / ٣٦٢، حيث قال: وكان خويلد مات قبل الفجار، وهو الذى نازع تبعًا حين أراد أخذ الحجر الأسود إلى اليمن. فقام فى ذلك خويلد، وقام معه جماعة من قريش، ثم رأى تبعٌ فى منامه ما روَّعه، فنزع عن ذلك، وترك الحجر الأسود مكانه. (البداية والنهاية)، وفى (خ): «تبع الآخر».

وتُبَّع الأخير هو الذى سار إلى المشرق من التبابعة، ويعنى بقوله: تبع الأخير، أنه آخر من سار إلى المشرق وملك البلاد. فإن ابن إسحاق وغيره يقولون: إن الذى ملك البلاد المشرقية لما توفى، ملك بعده عدة تبابعة، ثم اختل أمرهم زمانًا طويلاً، حتى طمعت الحبشة فيهم وخرجت إلى اليمن. (الكامل فى التاريخ): ١ / ٤٢٣.

ألا يا عـاذلاً لا تعـذلينـى ومهلا بالأذى لا تهلكينـى
دعينى إن أخذ الخسف منى [ ][1] الله حتى يقتلونى

وكان لا يسافر إلا بفرس ومعه نفر من قومه، فأقبل فى سفره حتى ورد كُلَيَّة[2] وجد عليها حاضراً عظيماً من بنى بكر، فأراد خويلد وأصحابه أن يسقوا من حوض كلية، فأتاهم نفر من بنى بكر فمنعوهم الماء إلا بثمن، فقال خويلد لأصحابه: يا قوم! متى تسومكم بنو بكر سوم العزيز الذليل، قالوا: فمرنا بأمرك، [قال]: آمركم أن تحملوا عليهم، فحمل عليهم بمن معه، فقتل خويلد [رجلاً] من بنى بكر، وطعن رجلاً فأشواه، وفر منه آخر، وانهزمت بنو بكر، وشرب خويلد وأصحابه من الماء فقال خويلد[3]:

تداعت بنو بكر لتـبلغ عـزنا ألا أم بـكـر يـوم ذلـك أيِّـمُ
أنا الفـارس المشـهـور يوم كليـة وفى طرف الرنقـاء يومك مُظلمُ
قتلت أبا جزءٍ وأحطفت محصناً وأفلتنى ركضاً مع الليل جَهْضَمُ

فلما قدم خويلد، لامته امرأتُه فى ذلك، قال:

ذرينى أم عـمـرو ولا تلومـينى ومـهـلاً عـاذلى لا تعـذلينى
ذرينى إن أخـذ الخـسف منى [ ] الله حـتى يقـتلونى
فـمـا أرجـو لهـا بقـيـة إذا مـا غـضـبت وبل قـائمـة يمينى

---

(١) ما بين الحاصرتين فى (خ) كلمة لم أجد لها توجيها.

(٢) كُلَيَّة - بالضم - ثم الفتح، وتشديد الياء، بالتصغير - قال عرام: واد يأتيك من شمنصر بقرب الجحفة، (معجم البلدان): ٤/٥٤٣، موضع رقم (١٠٣٧٤).

(٣) هذه الأبيات فى (المرجع السابق) هكذا:

أنا الفارس المذكـور يـوم كُلَيَّـةٍ وفى طـرف الرفقاء يومـك مظلـمُ
قَتَلْتُ أبا جزءٍ وأشويتُ مِحْصَنًا وأفلتنى ركضاً مع الليل جَهْضَمُ

ووددت بـأن حـــــربهـمُ تـولـت | ســواى وإن واقــيـــةً تقــينى
ولكن لا أرى عنهـا مـحـيـصًـا | فــإنى زاهق مـــا أزهقـــونى
ونحن أباة الخـسـف يوم كُلَيَّـة | ونحن أباة الخـسف كل مكانِ

فسمى آبى الخسف لإبائه الخسف لإبائه على بنى بكر [فهزمهم] هو وأصحابه وامتناعه، وكان خويلد يوم عكاظ على بنى أسد بن عبد العزى، ويقال: كان أيضا على بنى قصى، ولما حفر عبد المطلب زمزم قال له خويلد: [يا ابن] سلمى! لقد سقيت ماءاً رغداً، ونشلت بادية حبداً، فقال عبد المطلب: أما إنك [ ] فى فضلها، والله لا يساعفنى أحد عليها ببر، ولا يقوم معى [ ] إلا بذلتُ له خيراً لصهر، فقال خويلد: أقول وما قولى عليهم بسبة، البيتين وقد تقدما، فقال عبد المطلب: ما وجدت أحداً ورث العلم إلا قدم غير خويلد بن أسد، وكان يقال لبنى أسد فى الجاهلية: ألسنة قريش، وامرأته أم ابنته خديجة: هى فاطمة ابنة زائدة بن جندب، وهو الأصم بن هرم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤى، وعمرو بن أم مكتوم أخو فاطمة هذه وابن خال خديجة بنت خويلد، لأنه عمرو بن قيس بن زائدة بن جندب، وأم فاطمة بنت عبد مناف: العرقة بنت سعيد بن سهم، وأمها عاتكة بنت عبد العزى بن قصى، وأمها نائلة ابنة حذافة بن جمح.

[حمو رسول الله ﷺ من قبل سودة]

وحمو رسول الله ﷺ من قبل سودة رضى الله عنها: زمعة بن قيس بن عبد شمس ابن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى بن

غالب، أبوه قيس، وأمه [ ][1] بنت وهب بن الأثلب بن عبيد بن عمران ابن مخزوم.

حديث أم رومان خرجه البخارى فى كتاب الأنبياء، فى باب قول الله تعالى: ﴿لقد كان فى يوسف وإخوته آيات للسائلين﴾[2]، من حديث حصين عن شقيق عن مسروق قالت: سألت أم رومان – وهى أم عائشة رضي الله عنهما – عما قيل فيها ما قيل، قالت: بينا أنا مع عائشة جالستان، إذا ولجت علينا امرأة من الأنصار وهى تقول: فعل الله بفُلانٍ وفعلَ، قالت: فقلت: لم؟ إنه نمى ذكر الحديث، فقالت عائشة: أى حديث؟ فأخبرتها، قالت: فسمعه أبو بكر ورسول الله ﷺ؟ قالت: نعم، فخرت مغشيًا عليها، فما أفاقت إلا وعليها حمى بنافض، فجاء النبى ﷺ فقال: ما لهذه؟ قالت: حمى أخذتها من أجل حديث تحدّث به، فقعدت فقالت: والله لئن حلفت لا تصدقوننى، ولأن تعذرت لا تعذروننى، مثلى ومثلكم كمثل يعقوب وبنيه، والله المستعان علي ما تصفون. فانصرف النبى ﷺ فأنزل الله ما أنزل [فأخبرها فقالت: بحمد الله لا بحمد أحد][3]. وقد استشكل قول مسروق، سألت أم رومان مع أنها ماتت فى

(١) ما بين الحاصرتين مطموس بالأصل، ولم أقف عليه.

(٢) سورة يوسف: ٧.

(٣) زيادة للسياق من (فتح البارى): ٦/٥١٦، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (١٩) قول الله تعالى: ﴿لقد كان فى يوسف وإخوته آيات للسائلين﴾، حديث رقم (٣٣٨٨)، ٧/٥٥٣، كتاب المغازى، باب (٣٥) حديث الإفك، حديث رقم (٤١٤٣)، ٨/٤٦٢، كتاب التفسير، سورة (١٢) باب (٣) ﴿قل بل سولت لكم أنفسكم أمرًا فصبر جميل﴾، حديث رقم (٤٦٩١)، ٨/٦١٧، كتاب التفسير، سورة (٢٤) باب (٧) ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمة فى الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم﴾.

حياة النبى ﷺ ومسروق لم [يكن له رواية](١) إلا فى خلافة أبى بكر أو عمر، فقال أبو عمر بن عبد البر: رواية مسروق عن أم رومان مرسلة، ولعله سمع ذلك من عائشة، قلت: كيف يصح ذلك وهو يقول: سألت أم رومان؟ وقال الحافظ أبو الحجاج المزى فى (التهذيب والأطراف): أم رومان والدة عائشة من المهاجرات الأُوَل، روى عنها مسروق مرسلاً لأنها توفيت فى حياة النبى ﷺ، وراج ذلك على البخارى، والحديث فى قصة الإفك، قال: وقد روى عن ابن مسعود عن أم رومان - وهو أشبه بالصواب - قال: وقال الخطيب: صوابه: سُئِلتْ أم رومان، فلعل بعض النقلة كتب سُئلتْ بالألف، فإن من الناس من يجعل الهمزة فى الخط ألفًا وإن كانت مكسورة أو مرفوعة، قال الخطيب: ولم يظهر للبخارى علته، وقد أوضحنا ذلك فى كتاب (المراسيل)، قلت: قال الخطيب: لا نعلمه روى هذا الحديث عن أبى وائل غير حصين، ومسروق لم يدرك أم رومان، وكان يرسل هذا الحديث عنها ويقول: سُئلت أم رومان، فوهم حصين فيه حيث جعل السائل لها مسروقًا، أو يكون بعض النقلة كتب سُئلت بألفٍ، فصارت: سألت فَقُرِئت بفتحتين، قال: علي أن بعض الرواة قد رواه عن حصين على الصواب، يعنى بالعنعنة.

قال: وأخرج البخارى فى هذا الحديث بناء على ظاهر الاتصال، ولم تظهر له علته أ.هـ، وقد تعقب هذا الاعتراض بأن عمدة من ادعى وهم البخارى قول من زعم أن أم رومان ماتت في حياة رسول الله ﷺ، [سنة

---

(١) زيادة يقتضيها السياق، ومكانها مطموس بالأصل.

أربع وقيل سنة خمس وقيل: سنة ست][1] وهو شيء ذكره الواقدى، وذكره الزبير بن بكار بإسناد منقطع فيه ضعف، ولا تُتَعقَّب الأحاديث الصحيحة بمثل ذلك، وقد أشار البخارى فى (تاريخه الأوسط والصغير) إلى ردّ ذلك، فقال بعد أن ذكر أم رومان فى فصل من مات فى خلافة عثمان: روى على ابن زيد عن القاسم، قال: ماتت أم رومان فى زمن النبى ﷺ سنة ست، قال البخارى: وفيه نظر، وحديث مسروق أسنَد، اى أقوى [إسناداً وأبين] اتصالاً. اهـ، وقد جزم إبراهيم الحربى بأن مسروقًا سمع من أم رومان وله خمس عشرة سنة، فعلى هذا يكون سماعه منها فى خلافة عمر رضى الله عنه، لأن مولد مسروق سنة الهجرة، ولهذا قال الحافظ أبو نعيم الأصفهانى: ماتت أم رومان بعد النبى ﷺ، وقد تعقب ذلك كله الخطيب، معتمداً على ما روى الواقدى والزبير، وفى تعقبه نظر، فقد خرج الإمام أحمد من طريق أبى سلمة، عن عائشة رضى الله عنها قالت: لما نزلت آية التخيير[2]، بدأ النبى ﷺ بعائشة فقال: يا عائشة، إنى عارض عليك أمراً، فلا تفتاتى فيه شيء حتى تعرضي عليه أبويك أبى بكر وأم رومان. الحديث، وأصله فى الصحيحين بدون تسمية أم رومان[3] .

وآية التخيير نزلت سنة تسع بالاتفاق، وهذا دال على تأخر موت أم رومان عن الوقت الذى ذكره الواقدى، وهو سنة أربع أو سنة خمس، وعن

---

(١) زيادة للسياق من (فتح البارى).

(٢) هى الآية رقم ٢٨، ٢٩ من سورة الأحزاب، وهى قوله تعالى: ﴿ يأيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكم سراحًا جميلاً * وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الأخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً ﴾.

(٣) (فتح البارى): ٧ / ٥٥٦ مختصراً.

الوقت الذى ذكره الزبير، وهو فى ذى الحجة سنة ست، وأيضا فقد وقع فى صحيح البخارىّ فى باب علامات النبوة من حديث عبد الرحمن بن أبى بكر فى قصة أضياف أبى بكر رضى الله عنه: قال عبد الرحمن: وإنما هو أنا وأمى وامرأتى وخادم(١)، وفيه أيضا فى الأدب: فلما جاء أبو بكر قالت له أمى: احتبست عن أضيافك(٢).. الحديث. وعبد الرحمن بن أبى بكر إنما هاجر فى هدنة الحديبية، وكانت الحديبية فى ذى القعدة سنة ست، وهجرة عبد الرحمن فى سنه سبع فى قول محمد بن سعد، وفى قول الزبير: فيها أو فى التى بعدها، لأنه روى أن عبد الرحمن خرج فى فتية من قريش قبل الفتح إلى النبى ﷺ، فتكون أم رومان تأخرت عن الوقت الذى ذكراه.

وأم سودة: الشموس بنت قيس بن عمرو بن زيد بن لبيد بن خراش من بنى البخار.

حموه ﷺ من قبل عائشة

وحموه من قبل عائشة رضى الله عنها: أبو بكر الصديق رضى الله عنه، وقد تقدم التعريف به. وأم عائشة: أم رومان - يقال: بفتح الراء وضمها - بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة بن سبيع بن دهمان ابن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة بن خزيمة الكنانية، هكذا نسبها

---

(١) (فتح البارى) ٦/ ٧٢٨، كتاب المناقب، باب (٢٥) علامات النبوة فى الإسلام، حديث رقم (٣٥٨١)، وفيه: قال: فهو أنا وأبى وأمى، ولا أدرى هل قال: امرأتى وخادمى.

(٢) (فتح البارى): ١٠/ ٦٥٦، كتاب الأدب، باب (٨٨) قول الضيف لصاحبه: والله لا آكل حتى تأكل، حديث رقم (٦١٤١).

مصعب، وخالفه غيره [والخلاف] بين أبيها إلى كنانة كثير جدا[1]، وأجمعوا أنها من غنم بن مالك بن كنانة[2]، واسم أم رومان: زينب فى قول هشام وغيره، وفى (الأطراف) يحلف أن اسمها دِعْدُ، كانت تحت عبد الله بن الحارث بن سخبره بن جرثومة بن عادية بن مرة الأزدى، وقدم بها مكة، ومات عنها، وقد ولدت له الطفيل بن عبد الله، فخلف عليها أبو بكر رضى الله عنه، فولدت له عبد الرحمن وعائشة، وأسلمت وهاجرت، وتوفيت بالمدينة فى ذى الحجة سن ست، ونزل رسول الله ﷺ فى قبرها واستغفر لها وقال: اللهم لم يَخْفَ عليك ما لقيتْ أمُّ رومان فيك، وفى رسولك[3]. وأنكر الحافظ أبو نعيم موتها فى حياة النبى ﷺ، ولا عمدة له إلا حديث مسروق عنها، ويروى أنه قال: من سرَّة أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أم رومان[4]، وقد خرَّج لها البخارى حديثا واحدا من حديث الإفك رواية مسروق عنها ولم [يبينها]، وتعجب كيف خفى ذلك على البخارى وقد فطن مسلم له[5].

---

(١) فى (جمهرة انساب العرب لابن حزم) : ١٣٧ : أم رومان بنت عامر بن عُمير بن ذُهل بن دهمان بن الحارث بن تيم بن مالك بن كنانة.

(٢) فى (جمهرة النسب للكلبى) : ١٢٩ : أم رومان بنت عمير بن عامر، من كنانة ثم من فراس.

(٣) (الإصابة) : ٨/ ٢٠٧.

(٤) (المرجع السابق).

(٥) قال أبو عمر بن عبد البر فى (الاستيعاب) : رواية مسروق عن أم رومان مرسله، ولعله سمع ذلك من عائشة، وقال الحافظ فى (الإصابة) : ومقتضاه ان يكون سمع منها فى خلافة عمر، لان مولده سنة إحدى من الهجرة، وردَّ ذلك الخطيب فى المراسيل فقال - بعد أن ذكرت الحديث الذى اخرجه فوقع فيه عن مسروق -: حدثتنى أم رومان، فذكر طرفًا من قصة إلا فك : هذا حديث غريب، ولا نعلم احداً رواه غير حصين، ومسروق لم يدرك أم رومان، يعنى أنه قدم من اليمن بعد وفاة النبى ﷺ، فوهم حصين فى قوله: حدثنى، إلا ان يكون بعض النقلة كتب سُئلتْ بالف.

فصارت: سَألتْ، وتحرفت الكلمة، فذكرها بعض الرواة بالمعنى، فعبَّر عنها بلفظ حدثنى، ان بعض الرواة روه عن حصين بالعنعنة. قال الخطيب: واخرج البخارى فى (التاريخ)، ووقع فيه =

حموه ﷺ من قبل حفصة

وحموه من قبل حفصة رضى الله عنها: أمير المؤمنين أبو حفص عمر بن الخطاب رضى الله عنها، وأم حفصة وأخويها عبد الله، وعبد الرحمن الأكبر: زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب ابن حذافة بن جُمح، أخت عثمان بن مظعون، أمها ريطة بنت عبد بن عمرو بن نضلة ابن غبشان من خزاعة، وهى أخت ذى الشمالين بن عبد عمرو. وذكر الزبير بن بكار: وكانت زينب من المهاجرات، وقال ابن عبد البر: وأخشى أن يكون وهماه، لأنه قد قيل: أنها ماتت مسلمة بمكة قبل الهجرة، [حفصة ابنتها من المهاجرات](١).

حموه ﷺ من قبل أم سلمة

وحموه من قبل أم سلمة رضى الله عنها: أبو أمية حذيفة، ويعرف بأبى عبد مناف، وهو زاد الركب بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى ابن غالب، وأم مخزوم بن يقظة: كلبة بنت

= «سالت مسروق: أم رومان»، ولم يُظهر علّته.

قال الحافظ: بل عرف البخارى العلة المذكورة وردَّها كما تقدم، ورجع الرواية التى فيها: إنها ماتت فى حياة النبى ﷺ، لأنها مرسلة، وراويها علىّ بن زيد، وهو ابن جُدعان، ضعيف. وأم رومان لها ترجمة فى: (الإصابة): ٨/ ٢٠٦ - ٢١٠، ترجمة رقم (١٢٠٢٣)، (الاستيعاب): ٤/ ١٩٣٥ - ١٩٣٧، ترجمة رقم (٤١٥٢)، (مغازى الواقدى): ٢/ ٦٩٨، (الثقات): ٣/ ٤٥٩، (تلقيح الفهوم): ٣٨٧، (أعلام النساء): ١/ ٤٠٥، (تهذيب التهذيب): ١٢/ ٤٩٤ - ٤٩٥، ترجمة رقم (٩٢٩٤٥).

(١) (الاستيعاب): ٤/ ١٨٥٧، ترجمة رقم (٣٣٦٥)، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه، لكن قال الحافظ ابن حجر: بل الوهم ممن قال ذلك؛ فقد ثبت عن عمر أنه قال فى حق ولده عبد الله: هاجر أبواه. أخرجه البخارى من طريق نافع، عن ابن عمر، عن عمر، لما فضَّل أسامة على عبد الله بن عمر فى القسم. وقد تعقب ابن فتحون كلام أبى عمر بهذا، وذكرها أبو موسى فى (الذيل) بهذا الخبر. (الإصابة): ٧/ ٦٨٠، ترجمة رقم (١١٢٥٠).

عامر بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك، وأم عمر بن مخزوم وإخوته عامر وحبيب وأسد ولبنى بنت سبار بن نزار بن معيص بن عامر بن لؤى، وأم عبد الله بن عمر بن مخزوم، وأم أخويه عبيد وعبد العزى: مرة بنت قصى ابن كلاب بن مرة، وأم المغيرة بن عبد الله وأم أخويه عثمان وعائد. وخالد، وأبى جندب أسد وقيس: ريطة بنت عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، وفي المغيرة [السؤدد] والشرف والبيت، وأم أبى أمية حذيفة بن المغيرة، وأم إخوته هاشم وهشام، وأبى حذيفة مهشم، وأبى ربيعة ذى الرمحين عُمَر وَخراش وأبى زهير تميم والفاكه وعبد الله، وربطة بنت سعيد بن سعد بن سهم، وأمها عاتكة بنت عبد العزى بن قصى، وأمها الحطياء ريطة، وإنما قيل لأبى أمية زاد الركب، [لأنه] كان إذا خرج إلى سفر لم يتزود معه أحد، وهو زوج عاتكة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ(١).

وأم أم سلمة: عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن علقمة -ويقال له: جِذْل الطعان- ابن فراس بن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة(٢).

[حموه ﷺ من قبل زينب بنت جحش]

وحموه من قبل زينب بنت جحش:

[جحش] بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان ابن أسد بن خزيمة الأسدى، وأم زينب: أميمة بنت عبد المطلب [بن هاشم] عمة رسول الله ﷺ(٣).

---

(١) (جمهرة النسب): ٨٤ - ٨٦.

(٢) (جمهرة أنساب العرب): ١٨٨.

(٣) (جمهرة أنساب العرب): ١٩١، (الاستيعاب): ٤/ ١٨٤٩، ترجمة رقم (٣٣٥٥٥)، وقال الحافظ ابن حجر: أمها أمية. (الإصابة): ٧/ ٧٧٦، ترجمة رقم (١١٢٢١).

[حموه ﷺ من قبل أم حبيبة]

وحموه من قبل أم حبيبة رضى الله عنها: أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الأموى، أبو حنظلة، وأبو معاوية، وأمه وأم أخته الفارعة وفاخته: صفية بنت حزن بن اللجير بن الهزم ابن رؤبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة، وهى عمة أم الفضل بنت الحارث بن حزن، أم بنى العباس بن عبد المطلب، وعمة ميمونة أم المؤمنين.

ولد أبو سفيان قبل الفيل بعشر سنين، وكان تاجراً يجهز التجار بماله وأموال قريش إلى الشام وغيرها، ويخرج أحيانا بنفسه، وكانت إليه راية الرؤساء المعروفة بالعقاب، وكان لا يحبسها إلا رئيس، فإذا حميت الحرب اجتمعت قريش فوضعت تلك الراية بيد الرئيس، وكان معروفا بجودة الرأى فى الجاهلية، وقاد الأحزاب، وقاتل رسول الله ﷺ فى عدة مواطن، ثم أسلم فى الفتح، وشهد حنينا، وهو معدود من المؤلفة [قلوبهم]، ومات سنة اثنتين - وقيل أربع - وثلاثين، وصلى عليه ابنه معاوية، وقيل عثمان، ودفن بالبقيع وله نحو التسعين سنة(١).

---

(١) أبو سفيان، صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَىّ بن كلاب، رأس قريش وقائدهم يوم أحد ويوم الخندق، وله هنات وأمور صعبة، لكن تداركه الله بالإسلام يوم الفتح، فأسلم شبه مكره خائف، ثم بعد أيام صلح إسلامه.

وكان من دهاة العرب، ومن أهل الرأى والشرف فيهم، فشهد حُنينًا. وأعطاه صهره رسول الله ﷺ من الغنائم مئة من الإبل، وأربعين أوقية من الدراهم يتالفه بذلك، ففرغ من عبادة هُبَل، ومال إلى الإسلام.

وشهد قتال الطائف، فقلعت عينه حينئذ، ثم قلعت الأخرى يوم اليرموك، وكان يومئذ قد حَسُن إسلامه، فكان يومئذ يحرض على الجهاد، وكان تحت راية ولده يزيد، فكان يصيح: يا نصر الله اقترب.

يعقوب بن سفيان، وابن سعد بإسناد صحيح، عن سعيد بن المسيب، عن أبيه، قال: فقدت الأصوات يوم اليرموك، إلا صوت رجل يقول: يا نصر الله اقتربْ قال فنظرت، فإذا هو أبو سفيان =

وأم أم حبيبة وحنظلة بن أبى سفيان: صفية بنت أبى العاص بن أمية ابن عبد شمس، عمة عثمان بن عفان بن أبى العاص رضى الله عنه، وأمها آمنة بنت عبد العزى بن حرثان بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب[1].

[حموه ﷺ من قبل جويرية]

وحموه من جهة جويرية: الحارث بن أبى ضرار بن حبيب [بن الحارث][2] بن عائذ بن مالك بن جذيمة -وهو المصطلق بن سعد بن كعب ابن عمرو- وهو خزاعة - بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة ابن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد، رأس على بني المصطلق، وكانوا ينزلون بناحية الفُرع وهم حُلفاء فى بنى مدلج، فجمع لحرب رسول الله ﷺ فخرج إليه وأوقع به على ماءٍ يقال له: المريسيع[3]، كما تقدم

= تحت راية ابنه يزيد، وكان يقف على كتائب الخيل يُذكِّر ويقول: الله الله، إنكم أنصار الإسلام ودارة -أو ذادة- العرب، وهؤلاء أنصار الشرك ودارة الروم، اللهم هذا يوم من أيامك، اللهم أنزل نصرك.

وكان أسنّ من رسول الله ﷺ بعشر سنين، وعاش بعده عشرين سنة، وكان حمو النبى ﷺ، وما مات حتى رأى ولديه: يزيد، ثم معاوية، أميرين على دمشق، وكان يحب الرياسة والذكر، وكان له منزله كبيرة فى خلافة ابن عمه عثمان.

توفى بالمدينة سنة إحدى وثلاثين، وقيل: سنة اثنتين، وقيل: سنة ثلاث أو أربع وثلاثين، وله نحو التسعين. له ترجمة فى: (سير أعلام النبلاء): ٢/ ١٠٥، ترجمة رقم (١٣)، (الاستيعاب): ٢/ ٧١٤، ترجمة رقم (١٢٠٦)، (الإصابة): ٣/ ٤١٢، ٤١٥، ترجمة رقم (٤٠٥٠)، (طبقات خليفة): ١٠، (تاريخ خليفة): ١٦٦، (التاريخ الكبير): ٤/ ٣١٠، (المعارف): ٧٣، ٧٤، ١٢٥، ٣٤٤، ٣٤٥، ٥٥٣، ٥٧٥، ٥٨٦، ٥٨٨، (الجرح والتعديل): ٤/ ٤٢٦، (تهذيب التهذيب): ٤/ ٣٦١ - ٣٦٢، ترجمة رقم (٧١٨)، (خلاصة تذهيب الكمال): ١/ ٤٦٦، ترجمة رقم (٦٧٠)، (الثقات): ٣/١٩٣، (تاريخ الصحابة): ١٣٦، ترجمة رقم (٦٦٨)، (كنز العمال): ٣/ ٦١٢، (شذرات الذهب): ١/ ٣٠ و٣٧.

(١) (جمهرة أنساب العرب): ١١١.

(٢) زيادة للنسب من (الإصابة).

(٣) (مغازى الواقدى): ١/ ٤٠٤ وما بعدها، ذكر غزوة المريسيع.

ذكره، وتزوج بابنته جويرية[1]. وأمها: [أم خارجة عمرة بنت سعد بن عبد الله بن قداد بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث بن أنمار، التي يقال فيها: «أسرع من نكاح أم خارجة»][2].

[حموه ﷺ من قبل صفية]

حموه ﷺ من قبل صفية: حيي بن أخطب بن سعية بن ثعلبة بن عبيد ابن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب بن النضير بن النحام بن نحوم، من سبط لاوى من ولد هارون عليه السلام، قدم رسول الله ﷺ وحيي عين من أعيان بني النضير، ولم يزل يحاد الله ورسوله، وهو الذى أشار بطرح الحجارة على النبى ﷺ لما [سار] إلى بنى النضير ليستعينهم فى دية العامريين الذين قتلهما عمرو بن أمية، حتى كان ذلك سببا لإجلاء بنى النضير من المدينة، وخروجهم إلى خيبر، ثم خرج فى عدة من اليهود إلى مكة يدعو قريشاً إلى حرب النبى ﷺ، وحالفهم على عداوته، حتى كانت وقعة الخندق، ثم سار رسول الله ﷺ إلى بنى قريظة و [سبى] منهم مقاتلتهم وفيهم حيى، فلما أُتى به مجموعة يداه إلى عنقه، قال له رسول الله ﷺ: ألم يمكن الله منك يا عدوَّ الله؟ قال: بلى، والله ما لمت نفسى فى عداوتك، ولقد التمست العزَّ فى مظانه، وأبى الله إلا أن يمكنك منى، ولقد قلقلت كل مُقلقل، ولكن من يَخْذُل الله يُخذل، ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس، لا بأس بأمر الله قدر، وكتاب الله ملحمة كتبت على

---

(١) ذكر ابن إسحاق فى (المغازى)، أنه جاء إلى المدينة ومعه فداء ابنته بعد أن أُسرت، وتزوجها رسول الله ﷺ، قال: فلما كان بالعقيق، نظر إلى الإبل فرغب فى بعيرين منها، فغيبهما فى شعب، ثم جاء فقال: يا محمد، هذا فداء ابنتى، فقال ﷺ: أين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق؟ فقال الحارث: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، والله ما أطلع على ذلك إلا الله. (الإصابة): ١/ ٥٧٩، ترجمة رقم (١٤٢٩)، (سيرة ابن هشام): ٦/ ٥٩ – ٦٠، ٤/ ٢٥٩.

(٢) (جمهرة أنساب العرب): ٣٨٩.

بنى إسرائيل، ثم أمر به فضُربت عنقه، وأم صفية برة بنت السموءل بن [حَيًّا بن عادياء بن رفاعة بن الحارث بن ثعلبة بن كعب بن عمرو مُزَيْقَاء][1].

[حموه ﷺ من قبل ميمونة]

وحموه من قبل ميمونة.. الحارث بن حزن بن بجير بن الهُزَم بن رؤيبة ابن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة [بن معاوية بن بكر بن هوازن ابن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة بن قيس بن عيلان بن مُضر[2]]، وأمها هند بنت عوف بن زهير بن الحارث بن حماطة بن جرير، من حمير، وقيل: من كنانة، وهى العجوز التى قيل فيها: أكرم الناس أصهاراً.

* * *

(١) ما بين الحاصرتين مطموس فى الأصل، ولعل ما أثبتناه يناسب السياق، من (جمهرة أنساب العرب): ٣٧٢، (جمهرة النسب): ٦١٩، وكان يهوديًا، وهو الذى يُضرب به المثل فى الوفاء، وهو صاحب تيماء.

(٢) ما بين الحاصرتين مطموس فى الأصل، واستدركناه من (جمهرة أنساب العرب): ٢٧٣.

فصل فى ذكر أصهار رسول الله ﷺ

إعلم أن الصهر: القرابة، والصهر: حرمة الختونة، وصهر القوم: ختنهم، والجمع: أصهار، وصُهُر، أو قيل: أهل بيت المرأة أصهار، وأهل بيت الرجل أختان. وقال ابن الأعرابى: الصهر: زوج بنت الرجل وزوج أخته، والختن: أبو أمرأة الرجل وأخو أمرأته. وقيل: ختن الرجل: المتزوج بابنته أو بأخته، والجمع أختان، والأنثى ختنة، وخاتنه: تزوج إليه، والاسم: الختونة.

ومن العرب من يجعلهم كلهم أصهاراً، وقد صاهرهم، وصاهر فيهم، وأصهر بهم وإليهم: صار فيهم صهراً.

وقال الضحاك فى قول الله عزَّ وجل: ﴿وهو الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسباً[1] وصهراً﴾[2]: النسب سبع: قوله: ﴿حرمت عليكم

---

(١) النَّسَب: نسب القرابات، وهو واحد الأنساب. ابن سيده: النِّسْبَةُ، والنُّسْبَةُ، والنَّسَبُ: القرابة، وقيل: هو فى الآباء خاصة، وقيل: النِّسْبَةُ، والنَّسَبة: مصدر الانتساب، والنُّسبة: الاسم.

التهذيب: النسَّبُ يكون بالآباء، ويكون إلى البلاد، ويكون إلى الصناعة.

أبو زيد: يقال للرجل إذا سُئل عن نسبه: انتسب لنا، أى انتسب لنا حتى نعرفك. وناسبه: شركه فى نسبه، والنَّسيب المناسب، والجمع نسباء وانسباء، وفلان يناسب فلانًا فهو نسيبه أى قريبه، ورجل نسيب منسوب: ذو حسب ونسب، ويقال: فلان نسيبى، وهم أنسبائى، والنَّسَّاب: العالم بالنسب، وفى حديث أبى بكر رضى الله تعالى عنه: وكان رجلا نسَّابة؛ النسابة البليغ العالم بالأنساب، وإنما أدخلوا الهاء للمبالغة والمدح، ولم تلحق لتأنيث الموصوف بما هو فيه، وإنما لحقت لإعلام السامع أن هذا الموصوف بما هى فيه قد بلغ الغاية والنهاية، مثل عَلاَّمة. مختصراً من (اللسان): ١/ ٧٥٥- ٧٥٦.

(٢) الصهر: القرابة، والصهر: حرمة الختونة، وختن الرجل صهره، والمتزوج فيهم أصهار الختن، والأصهار: أهل بيت المرأة، ولا يقال لأهل بيت الرجل إلا أختان، وأهل بيت المرأة: أصهار.

ومن العرب من يجعل الصهر من الأحماء والأَخْتان جميعا، تقول: صاهرت القوم إذا تزوجت =

أمهاتكم وبناتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت ﴾.

والصهر خمس: قوله: **﴿ وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم ﴾**(١).

وجعل ابن عطية هذا القول وهمًا، وقال الفراء والزجاج: النسب الذى لا يحل نكاحه، والصهر: الذى يحل نكاحه، وهو قول على بن أبى طالب رضى الله عنه، وقال الأصمعى:

الصهر: قرابة النكاح، فقرابة الزوجة [هم] الأختان، وقرابة الزوج هم

= فيهم، وأصهرتُ بهم إذا اتصلت بهم، وتحرَّمت بجوار أو نسب أو تزوّج.

ابن الأعرابى: الصهر: زوج بنت الرجل. وزوج أخته. والخَتَن أبو امرأة الرجل، وأخو امرأته، ومن العرب من يجعلهم أصهاراً كلهم وصهراً، والفعل: المصاهرة، وقد صاهرهم وصاهر فيهم، وأصهر بهم وإليهم: صار فيهم صهراً.

قال ابن سيده: وربما كَنَوْا بالصهر عن القبر، لأنهم كانوا يئدون البنات فيدفنونهم، فيقولون: زوجناهن من القبر، ثم استعمل هذا اللفظ فى الإسلام فقيل: نعم الصهر القبر، وقيل: إنما هذا على المثل، أى الذى يقوم مقام الصهر، قال: وهو الصحيح.

وقال الفراء فى قوله تعالى: **﴿ حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دَخلتم بهن فإن لم تكونوا دَخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم ﴾**.

قال ابن عباس: حرَّم الله من النسب سبعًا ومن الصهر سبعًا: **﴿ حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت ﴾** من النسب، ومن الصهر **﴿ وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن ﴾** و **﴿ وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين ﴾**.

قال أبو منصور: حرَّم الله تعالى سبعًا نسبًا وسبعًا سببًا، فجعل السبب القرابة الحادثة بسبب المصاهرة والرضاع، وهذا هو الصحيح لا ارتياب فيه. (اللسان): ٤ / ٤٧١ - ٤٧٢، مختصراً.

(١) النساء: ٢٣.

الأحماء، والأصهار يقع عامًا(١).

وقال محمد بن الحسن: أختان الرجل: أزواج بناته وأخواته وعماته وخالاته، وكل ذات محرم منه، وأصهاره: كل ذى رحم محرم من زوجته، واختار النحاس قول الأصمعى فى أن الأصهار من كان من قبل الرجل والزوجة جميعًا، وقول محمد بن الحسن فى الأختان.

وحكى الزهراوى أن النسب من جهة البنين، والصهر من جهة البنات، والمعوَّل على ما قد اختاره النحاس(٢).

وخرج الحاكم من حديث محمد بن عثمان بن أبى شيبة، حدثنى أبى، حدثنا أبو مارية عن أبان بن تغلب عن المنهال بن عمرو، عن زر بن حبيش عن عبد الله فى قوله تعالى ﴿**بنين وحفدة**﴾، قال: الحفدة: الأختان. قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين(٣).

وخرج الحافظ ابن عساكر من حديث يونس بن أبى إسحاق، عن أبى إسحاق عن الحارث عن على رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا يدخل النار من تزوج إلىّ أو تزوجت إليه، ومن حديث إسماعيل بن عياش، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: شرط من ربى ألا أصاهر إلى أحد ولا يصاهر إلىّ أحد إلا كانوا رفقائى فى الجنة، فاحفظونى فى أصهارى [وأصحابى]، فمن حفظنى فيهم كان عليه من الله حافظ، ومن لم يحفظنى فيهم تخلى الله منه، ومن تخلى الله منه هلك.

---

(١) راجع التعليقين (١)، (٢) من الصفحة السابقة.

(٢) النحل: ٧٢.

(٣) (المستدرك): ٢/ ٣٨٧، تفسير سورة النحل، حديث رقم ٣٣٥٦/ ٤٩٣، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): على شرط البخارى ومسلم.

[أصهاره ﷺ من قبل خديجة]

فأصهار رسول الله ﷺ من قبل خديجة: أعمامها وعماتها، وإخوانها وإخواتكم. أما أعمامها فخمسة عشر، هم: الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصى، كان أكبر إخوته، وأمه وأم إخوته المطلب وعبد الله وعثمان وأختهم لأمهم: أم حبيب بنت أسد، أم آمنة بنت وهب، وأم إخواته لأبيه أسد: النافضة، وأم سفيان وأم المطاع وعاتكة وبهصة -وهى برة- ابنة عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب، والحارث بن أسد. يقول مطرود بن كعب الخزاعى:

شددت القوى وأقمت الديار ... غصنًا شبابك لم يلبس
لعمرى لقد أعلم [ ][1] ... بالحارث الهالك [ ][1]
نصاف السجية طلق اليدين ... وزين العشيرة فى المجلس
وذى الفضل وفى الدانيات ... وذى النسب الواضح الأملس

ونوفل بن أسد، أمه وأم إخوته حبيب وصيفى رقية، قبة الديباج [وهى][2] خالدة بنت هاشم بن عبد مناف بن قصى - وقُتل نوفل وحبيب يوم الفجار - وصيفى لم يعقب، وطالب بن أسد، أمه وأم أخويه طليب وخالد: الصعبة بنت خالد بن صعل بن مالك بن أمية بن ضبيعة بن زيد ابن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف، وقُتل: طالب وطُليب يوم الفجار.

والحويرث بن أسد، أمه ريطة بنت الحويرث الثقفية، وعمرو بن أسد، أمه وأم أخويه هاشم ومهشم: بهية بنت سعيد بن سهم، وعمرو، وهو الذى زوَّج رسول الله ﷺ خديجة بنت خويلد [ولم يكن لأسد يومئذ

---

(١) ما بين الحاصرتين مطموس فى (خ).

(٢) زيادة للسياق من (جمهرة النسب): ٦٩.

لصلبه ولد غيره](١).

وأما عماتها فثمان، هن: أم حبيب بن أسد، وكانت تحت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار، فولدت له [عبد الله - وهو أبو طلحة، وهو كان على بنى عبد الدار يوم الفجار - وبَرَّةَ بنت عبد العزى، وهى أمّ أمّ رسول الله ﷺ](٢).

وأم المطاع ابنة أسد، وكانت تحت عبد العزى بن عبد شمس، فولدت له ربيعة والربيع، فولد الربيع بن عبد العزى أبا العاص بن الربيع، زوج زينب بنت رسول الله ﷺ.

والنافضة ابنة أسد، كانت تحت عدى بن نوفل بن عبد مناف بن قصى، فولدت له المبارك -واسمه عبد الله- والصالح -واسمه عبيد الله- والباذل، والفارعة.

ورقيقة بنت أسد، كانت تحت الحارث بن عبيد بن عمرو بن مخزوم، فولدت له كريمة، ورقية، وأرنب، ونعم.

وبرة بنت أسد، كانت تحت عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، فولدت له.

وأم سفيان بنت أسد كانت تحت عبد مناف بن كعب بن سعد بن تيْم ابن مرة، فولدت له خالد بن عبد مناف.

* * *

---

(١) زيادة للسياق من (جمهرة النسب): ٧٤.

(٢) ما بين الحاصرتين فى (خ): «شرحبيل وإباء وأرطاة وعثمان وبرة»، وما أثبتناه من (جمهرة انساب العرب): ١٢٧.

[إخوة خديجة]

وأما إخوة خديجة، فإنهم: [ ][1] بن خويلد بن أسد، أمه وأم إخوانه مُنية بنت الحارث بن جابر بن وهب بن نشيب بن بدر بن مالك بن عوف بن حارث بن مازن بن منصور، وأمها هند بنت وهيب بن نشيب بن زيد بن مالك بن عوف بن الحارث بن مازن بن منصور، وهند هذه عمة عتبة بن غزوان بن وهيب، وأخوها لأمها عدى بن نوفل بن عبد مناف، وأم هند بنت وهيب عائشة بنت العوام بن نضلة بن خلادة بن ثعلبة بن ثور بن هرمة بن لاطم بن عثمان بن مزينة بن إد.

والعوام بن خويلد بن أسد -وقتل يوم الفجار الآخر- وكان الحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس نديمه، وهو أبو الزبير بن العوام[2] .

ونوفل بن خويلد، أمه ريطة بنت عبد العزى بن عامر بن ربيعة بن حزن ابن عامر بن مازن بن عدى بن عمرو، من خزاعة، وكان من المطعمين يوم بدر، ويقال له: ابن العدوية من عدىّ بن خزاعة، وهو الذى عناه رسول الله ﷺ بقوله يوم بدر: اللهم اكفنا ابن العدوية، فقُتل كافراً يومئذ، قتله الزبير ابن العوام، وهو ابن أخيه، وقد صاح به نوفل: أُقتلنى قبل أن يقتلنى أهل يثرب، وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه -وهو على المنبر-: قاتل الله ابن العدوية، ما كان أشد صوته يوم بدر، كأنى أسمع صوته وهو يقول: يامعشر قريش! اليوم يوم العلى والذكر[3] .

---

(١) ما بين الحاصرتين مطموس فى (خ)، ولد خويلد بن أسد بن عبد العزى فى (جمهرة النسب)، هم: العوام، وحزام، ونوفل، وخديجة، (جمهرة النسب): ٦٩ - ٧٠، وولد خويلد بن أسد بن عبد العزى فى (جمهرة أنساب العرب)، هم: خديجة، وهالة، ورقيقة، والعوام، وحزام، ونوفل. (جمهرة أنساب العرب): ١٢٠.

(٢) سبق أن أشرنا إلى مصادر ترجمته.

(٣) ذكره ابن هشام فى (السيرة)، قال: قال ابن إسحاق: ونوفل بن خويلد بن أسد، وهو ابن العدوية، عدى بن خزاعة، وهو الذى قرن أبو بكر الصديق، وطلحة بن عبيد الله حين أسلما فى حَبْل، فكانا يسميان القرينين لذلك، وكان من شياطين قريش، قَتَلهُ علىّ بن أبى طالب. (سيرة ابن هشام): ٣/٢٦٥ - ٢٦٦.

وعمرو بن خويلد، ولا بقية له.

وحزام بن خويلد، قُتل يوم الفجار الآخر وهو والد حكيم حزام وأخويه.

ورُقَيْقَة بنت خويلد، كانت تحت بجاد بن عمير بن الحارث ابن حارثة ابن سعد بن تيم بن مرة[1]، فولدت له أميمة بنت رُقَيْقَة[2]، وهى من

---

(١) التيمىّ، من رهط الصديق، ولولده محمد بن بجاد ذكر، ومن ذريته يوسف بن يعقوب بن موسى بن عبد الرحمن بن الحصين بن محمد بجاد، كان يسكن عسفان، وله أشعار. ذكره الزبير، وكان فى عصره. (الإصابة): ١/ ٢٦٧، ترجمة رقم (٥٨٦ ز ٠).

(٢) أميمة بنت رُقيقة -بقافين مُصَغَّرة- هى بنت بجاد، أمها رُقَيقَة بنت خويلد بن أسد، أخت خديجة رضى الله تعالى عنها رَوَتْ عن النبى ﷺ؛ روى عنها محمد بن المنكدر، وبنتها حُكيمة -بالتصغير- بنت رُقيقة. قال ابو عمر: كانت من المبايعات. وقال: هى خالة فاطمة الزهراء. أورده ابن الأثير بأنها بنت خالتها، فإن خويلداً والد خديجة، هو والد رقيقة لا أميمة.

قال الحافظ ابن حجر: هذا يصح على قول من قال: إنها رقيقة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى. وقال مصعب الزبيرى: إنها رقيقة بنت أسد بن عبد العزى، ومن ثم قال المستغفرى: هى عمة خديجة بنت خويلد، رضى الله تعالى عنها.

وحديثها فى الترمذى وغيره، من طريق ابن عيينة، عن محمد بن المنكدر، أنه سمع أميمة بنت رقيقة تقول: بايعت النبى ﷺ فى نسوة. فقال لنا: فيما استطعتن وأطقتن، قلنا: الله ورسوله أرحم منا بأنفسنا.

وأخرجه مالك مطولاً، عن ابن المنكدر، وصححه ابن حبان من طريقه، ولفظه: أتيتُ رسول الله ﷺ فى نسوة نبايعنه، فقلنا: نبايعك يا رسول الله على ألا نُشرك بالله شيئًا، ولا نسرق، ولا نزنى، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصينك فى معروف، فقال رسول الله ﷺ: فيما استطعتن وأطقتن، فقلنا: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا، هلم نبايعك يا رسول الله، فقال: إنى لا أصافح النساء، إنما قولى لمائة امرأة كقولى لامرأة واحدة. وأخرجه الدار قطنى من وجه آخر عن ابن المنكدر.

وقال ابن سعد: اغتربت أميمة بزوجها حبيب بن كعب بن عُتَيْر الثقفى، فولدت له. قال أبو أحمد العسال: لا أعلم روى عنها إلا ابن المنكدر.

قال مصعب الزبيرى: هى عمة محمد بن المنكدر، كأنه عنى أنها من رهطة. قال: ونقلها معاوية إلى الشام، وبنى لها داراً، وكذا قال الزبير بن بكار، وزاد: كان لها بدمشق دار وموالى، ثم أسند من طريق ثابت بن عبد الله بن الزبير أن ابنة رقيقة دَخَلَتْ على معاوية فى مرضه الذى مات فيه. لها ترجمة فى: (الإصابة): ٧/ ٥٠٨، ٥١٠ - ١١، ترجمة رقم (١٠٨٤٠)، (١٠٨٤٩)، (طبقات ابن سعد): ٨/ ١٨٦، ٢٤١، (الثقات): ٣/ ٢٥، (أعلام النساء): ١/ ٩٢، (الاستيعاب): ٤/ ١٧٩١، ترجمة رقم (٣٢٤١)، (تهذيب التهذيب): ١٢/ ٤٢٩-٤٣٠، ترجمة رقم (٢٧٣٠)، (المستدرك): ٤/ ٨٠ - ٨١، (أسماء الصحابة الرواة): ٨٠، ترجمة رقم (٢٢٣).

المبايعات، حدّث عنها محمد بن المنكدر.

وهالة بنت خويلد(1)، وهى أم أبى العاص بن الربيع بن عبد العزى، زوج زينب عليها السلام، وأمها وأم أُختها هند ابنة خويلد: فاطمة ابنة زائدة أم خديجة عليها السلام.

---

(1) هى هالة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى القرشية الأسدية، أخت خديجة، زوج النبى ﷺ، ووالدة أبى العاص بن الربيع.

قال ابن منده: روت عنها عائشة حرفًا فى حديث -كذا اختصر- وكأنه أشار إلى ما أخرجه البخارى فى الصحيح، من طريق علىّ بن مسهر، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: أستأذنَتْ هالة بنت خويلد أخت خديجة رضى الله تعالى عنها، على رسول الله ﷺ فعرف استئذان خديجة، فارتاع لذلك وقال: اللهم هالة، فغرت؛ فقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش... الحديث، وأخرجه أبو نعيم من هذا الوجه، وأصل الحديث فى الصحيحين من غير ذكر هالة.
(الإصابة): ٨/ ١٤٦، ترجمة رقم (١١٨٢٨)، وعنه (أعلام النساء): ٥/ ٢٠٢.

[أصهاره ﷺ من قبل سودة]

وأصهاره من قبل سودة خمسة:

وقدان بن قيس بن عبد شمس بن عبد وُدّ، عم سودة، وأمه بنت وبر بن الأضبط بن كلاب، وله من الولد: عبد، وعمرو السعدى، وهو أبو عبد الله ابن السعدى الصحابى(١).

---

(١) قال أبو محمد على بن احمد بن سعيد بن حزم الأندلسى: وولد وقدان بن عبد شمس بن عبد وُدّ: عمرو، وهو السعدىّ، له صحبة، فولدُ عمرو هذا: عبد الله، له صحبه، وروينا من طريقه حديثا فيه اربعة من الصحابة -رضى الله تعالى عنهم- فى نسق واحد، ولم يقع مثل هذا الاتفاق فى خبر غيره، وهو كما حَدَّثَناه احمد بن محمد بن عبد الله الطَّلَمَنْكى. قال: اخبرنا القاضى ابو بكر محمد بن احمد بن يحيى بن محمد، قال: حدثنا القاضى محمد ابن أيوب الرَّقّىُّ الصَّموت: اخبرنا احمد بن عمرو بن عبد الخالق البزّار: اخبرنا إبراهيم بن سعد الجَوْهرىُّ: اخبرنا سفيان بن عيينة، عن الزُّهرى، عن السائب بن يزيد، عن حويطب بن عبد العُزّى، عن ابن السَّعْدىّ -عبد الله بن وقدان- عن عمر ابن الخطاب.

قال: قال رسول الله ﷺ: «ما اتاك من هذا المال من غير مسألة، ولا إشراف نفس فاقْبَلْهُ»، والسائب صاحب، وحويطب صاحب، وابن السعدى صاحب، وعمر صاحب، رضى الله تعالى عنهم. (جمهرة انساب العرب): ١٦٧.

وقال الحافظ فى (الإصابة): عبد الله بن السعدى، واسم السعدى وَقْدان، وقيل: قدامة، وقيل: عمرو بن وقدان، وقيل له: السعدى، لأنه كان استرضع فى بنى سعد بن بكر؛ وذلك هو ابن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤى القرشىّ العامرى أبو محمد.

قال البخارى: قال: وَفَدْتُ على النبىّ ﷺ. وأخرج حديثه هو وأبو حاتم، وابن حبان، من طريق عبد الله بن مُحَيْريز، عن عبد الله بن السعدى، قال: وفدتُ مع قومى على رسول الله ﷺ وأنا من أحدثهم سنًا، فخلفونى فى رحالهم وقضوا حوائجهم، فجئتُ لرسول الله ﷺ فقلت: حاجتى، قال: وما حاجتك؟ فذكر حديث: لا تنقطع الهجرة ماقوتل العدوّ.

وأخرجه النسائى بنحوه من طريق أبى إدريس الخولانى، عن عبد الله بن وقدان السعدى. وفى رواية له: عن عبد الله بن السعدى، قال أبو زرعة الدمشقى: هذا الحديث عن عبد الله بن =

وعبد بن زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد وُدّ أخو سودة لأبيها من عاتكة بنت الأحنف بن علقمة بن عبد الحارث بن سعد بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤى، كان شريفًا من سادات الصحابة، وأخوه لأمه عمرو بن نوفل بن عبد مناف(١).

وعبد الرحمن بن زمعة، أخو سودة، وهو الذى خاصم فيه أخوه عبد بن زمعة عام الفتح سعد بن أبى وقاص، فقال سعد ابن أخى عتبة بن أبى وقاص عهد إلىّ فيه، وقال لى: إذا قدمت مكة فاقبض ابن وليدة زمعة فإنه ابنى، وقال عبد بن زمعة: بل هو أخى، ولد على فراش أبى، فقضى به رسول الله ﷺ لعبد بن زمعة وقال: «الولد للفراش، وللعاهر الحجر»، وأم عبد الرحمن أمه يمانية لزمعة، وله عقب(٢).

= السعدى، حديث مُتْقَن صحيح، رواه الأثبات عنه.

ونزل عبد الله بن السعدى الاردن. وقال البغوى: سكن المدينة -يعنى أولاً- وروى عن عمر بن الخطاب حديث العمالة، وهو فى الصحيح. وفى رواية لمسلم: ابن الساعدى.

روى عنه حويطب بن عبد العزى وآخرون. وقال ابن حبان: مات فى خلافة عمر.

قال ابن عساكر: لا أراه محفوظًا. وقد قال الواقدى: إنه مات سنة سبع وخمسين. (الإصابة): ٤/ ١١٣ - ١١٤، ترجمة رقم (٤٧٢١).

(١) ترجمته فى (الاستيعاب): ٢/ ٨٢٠، ترجمة رقم (١٣٨٢)، (جمهرة أنساب العرب): ١١٥.

(٢) عبد الرحمن بن زَمَعة القرشى العامرى، هو ابن وليدة زمعة الذى قضى فيه رسول الله ﷺ بأن الولد للفراش، وللعاهر الحجر، قال البخارى: حدثنا أبو الوليد، حدثنا الليث عن ابن شهاب، عن عروة: عن عائشة رضى الله عنها قالت: اختصم سعد وابن زمعة، فقال النبى ﷺ هولك يا عبد الله بن زمعة، الولد للفراش، واحتجبى منه يا سودة. زاد لنا قتيبة عن الليث: وللعاهر الحجر.

وفى رواية عن عائشة رضى الله عنها قالت: اختصم سعد بن أبى وقّاص، وعبد الله بن زمعة رضى الله عنه فى غلام، فقال سعدٌ: يا رسول الله؛ هذا ابن أخى عتبة بن أبى وقاص عهد إلىّ أنه ابنه، وانظر إلى شبهه، وقال عبد الله بن زمعة: هذا أخى يا رسول الله، وُلد على فراش أبى من وليدته، فنظر رسول الله ﷺ إلى شبهه، فرأى شبهًا بَيِّنًا بعتبة، فقال: هولك يا عبد الله، الولد للفراش، وللعاهر الحجر [رواه الشيخان، وأبو داود، والترمذى، والنسائى].

قوله «الولد للفراش»، أى لمالكه، وهو الزوج والمولى، لأنهما يفترشانها، وفى للبخارى: «الولد لصاحب الفراش»، وقال فى [نيل الأوطار للشوكانى]: اختلف فى معنى الفراش، فذهب الأكثر إلى=

= أنه اسم للمرأة، وقيل: إنه اسم للزوج، وروى ذلك عن أبى حنيفة، وأنشد ابن الأعرابى مستدلاً على هذا المعنى قول جرير:

* باتت تعانقه وبات فراشها*

وفى القاموس: إن الفراش زوجة الرجل وفى اللسان: الفراش الزوج والفراش المرأة، والمرأة تسمى فراش لأن الرجل يفترشها.

قوله: «وللعاهر الحجر»، العاهر: الزانى، يقال: عهر، أى زنا، عهر إليها يَعْهَرُ عَهْرًا وعهورًا وعَهارة وعُهُورة، وعاهرها عهاراً: أتاها ليلا للفجور، ثم غلب على الزنا مطلقا.

وفى الحديث: «أيّما رجل عاهر بُحرَّة، أو أمة»، أى زنى.

وفى التهذيب: قال أبو زيد :يقال للمرأة الفاجرة عاهرة ومعاهرة ومسافحة، والعهر والعاهر: هو الزانى.

وقال أبو عبيد: معنى قوله: «وللعاهر الحجر» أى لاحقَّ له فى النسب، ولاحظَّ له فى الولد، وإنما هو لصاحب الفراش، أى لصاحب أم الولد، وهو زوجها أو مولاها.

والعرب تقول: له الحجر وبفيه التراب، يريدون ليس له إلا الخيبة. وقيل: المراد الحجر، أنه يرجم بالحجارة إذا زنى، ولكنه لا يُرجم بالحجارة كل زان، بل للمحصن فقط.

وفى ترجمة البخارى أنه يرجّح قول من أوَّل الحَجَر هنا بانه الحجر الذى يرجم به الزانى، أى ليس للعاهر إلا الرجم بالحجارة إن كان محصنًا، وظاهر الحديث أن الولد يُلحق بالأب بعد ثبوت الفراش، وهو لا يثبت إلا بعد إمكان الوطء فى النكاح الصحيح أو الفاسد، وإلى ذلك ذهب الجمهور.

وكان لزمعة جارية حملت سفاحًا من عتبة بن أبى وقَّاص، فلما دنت وفاته، أوصى أخاه سعداً بأن ولد هذه الجارية ابنه من الزنى، كعادتهم فى الجاهلية، فلما طلبه عمه سعد، عارضه عبد الله بن زمعة وقال: هو أخى، وُلد على فراش أبى من جاريته، فاختصما إلى رسول الله ﷺ فحكم به لعبد الله بقوله: «هولك يا عبد الله»، ووضع ﷺ قاعدة شرعية، يُعمل بها إلى يوم الدين: «الولد للفراش وللعاهر الحجر». «الولد للفراش»، أى لصاحبه، وهو هنا سيدها، «وللعاهر» أى الزانى، الحجر...

وجاء رجل فقال: يا رسول الله، إنَّ فلانًا ابنى، عاهرتُ بأمه فى الجاهلية، فقال ﷺ: «لا دعوة فى الإسلام، ذهب أمر الجاهلية، الولد للفراش، وللعاهر الحجر». أى لا دعوة فى الإسلام، أى بلحوق ولد الزنى بالزانى، ذهب أمر الجاهلية، وبطلتْ عوائدهم، وظهر عليها الإسلام، فالولد للفراش، أى لأمه إن كانت حرة، كما فى اللعان، بخلاف الرقيقة، فالولد لسيدها، فهو وأمه فى الرِّقِّ سواء. (الإصابة): ٢/ ٨٣٣، ترجمة رقم (١٤١٣)، (جمهرة أنساب العرب):١٦٧، (موسوعة فتاوى النبى ﷺ): ٢/ ٢٥ - ٢٧، كتاب الزنا، والحدود، والديات، باب فُتياه ﷺ فى أن: «الولد للفراش وللعاهر الحجر».

ومالك بن زمعة أخو سودة، قديم الإسلام ومن مهاجرة الحبشة(١).

ومشتق بن عبد وقدان بن عبد شمس أخو سودة لأمها(٢).

---

(١) مالك بن زمعة بن قيس بن عبد شمس العامرى. أخو سودة أم المؤمنين، كان من مهاجرة الحبشة الثانية، ومعه عميرة - أو عمرة - بنت السعدى بن وقدان، وأقام حتى قدم مع جعفر بن أبى طالب، ذكره أبو عمر هكذا، ولم يزد الزبير بن بكار على قوله: ومالك بن زمعة، هاجر إلى أرض الحبشة، وذكره ابن فتحون فى (أوهام الاستيعاب) فقال: ذكر ابن إسحاق، وموسى بن عقبة، أنه مالك بن ربيعة، وكذا قاله المصنف فى كتابه (الدرر).

قال الحافظ فى (الإصابة) سلفه فى الاستيعاب أعلم الناس بنسب قريش. وهو الزبير بن بكار؛ فإنه ذكر فى نسب بنى عامر بن لؤىّ ما نَصُّه: وسودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد وُدّ، كانت عند السكران بن عمرو، فهلك عنها مهاجراً بأرض الحبشة، فتزوجها رسول الله ﷺ، إلى أن قال: ومالك بن زمعة هاجر إلى أرض الحبشة . وقال بعده: وولد وقدان بن عبد شمس عبداً.... إلى آخره، فهذا يرجح أنه ابن زمعة، (الإصابة): ٥/ ٧٢٦ - ٧٢٧، ترجمة رقم (٧٦٤٠)، (الاستيعاب): ٣/ ١٣٥٢، ترجمة رقم (٢٢٦٨).

(٢) كذا فى (خ)، ولم أجد له ترجمة فيما بين يدىّ من كتب النسب أو التراجم.

[أصهاره ﷺ من قبل عائشة]

وأصهاره ﷺ من قبل عائشة رضى الله عنها إخوتها وهم: عبدالله بن أبى بكر(١)

---

(١) هو عبد الله بن أبى بكر الصديق، ولما كان اسم أبى بكر: عبد الله، فابنه عبد الله بن عبد الله بن عثمان، وهو شقيق أسماء بنت أبى بكر، ذكره ابن حبان فى الصحابة، وقال: مات قبل أبيه.

وثبت ذِكْره فى قصة الهجرة عن عائشة رضى الله عنها قالت: وكان عبد الله بن أبى بكر يأتيهما بأخبار قريش، وهو غلام شابٌّ فطن، فكان يبيت عندهما، ويخرج من السحر فيصبح مع قريش.

وذكر الطبرى فى (تاريخه) أن عبد الله بن أُرَيقط الدؤلى الذى كان دليل النبى ﷺ لما رجع بعد أن وصل النبى ﷺ إلى المدينة، أخبر عبد الله بن أبى بكر الصديق بوصول أبيه إلى المدينة، فخرج عبد الله بعيال أبى بكر، وصحبهم طلحة بن عبيد الله حتى قدموا المدينة.

وقال أبو عمر: لم أسمع له بمشهد إلا فى الفتح، وحنين، والطائف؛ فإن أصحاب المغازى ذكروا أنه رُمى بسهم فجُرح، ثم اندمل، ثم انتقضى، فمات فى خلافة أبيه فى شوال سنة إحدى عشرة.

وروى الحاكم بسند له عن القاسم بن محمد، أن أبا بكر، قال لعائشة: أتخافون أن تكونوا دفنتم عبد الله بن أبى بكر وهو حى، فاسترجعتك فقال: أستعيذ بالله.

ثم قدم وفد ثقيف فسألهم أبو بكر: هل فيكم من يعرف هذا السهم؟ فقال سعيد بن عبيد: أنا بَرَيْتُه، ورِشْتُه، وأنا رميت به، فقال: الحمد لله، أكرم الله عبد الله بيدك، ولم يهنْك بيده.

قال: ومات بعد رسول الله ﷺ بأربعين ليلة، وفيه الهيثم بن عدى، وهو واهٍ.

قالوا: لما مات نزل حفرته عمر، وطلحة، وعبد الرحمن بن أبى بكر، وكان رضى الله عنه يُعدّ من شهداء الطائف.

قال المرزبانى فى (معجم الشعراء): أصابه حجر فى حصار الطائف، فمات شهيداً، وكان قد تزوج عاتكة، وكان بها معجبًا، فشغلته عن أموره، فقال له أبوه: طلّقها، فطلّقها، ثم ندم، فقال:

أعاتكُ لا أنساك ما ذرّ شارقُ ... وما لاحَ نجمٌ فى السماء مُحَلّقُ

لها خُلُقٌ جزلٌ ورأىٌ ومَنْصِبُ ... وخَلْقٌ سوىّ فى الحياة ومصدقُ

ولم أرَ مثلى طلّق اليوم مِثْلها ... ولا مثلها فى غير شئ تُطَلّقُ =

أمه وأم أخته أسماء: قُتيلة(١) بنت عبد العُزّى بن عبد

= وله فيها غير هذا، فرقٌ له ابو بكر فامره بمراجعتها، فراجعها، ومات وهي عنده.

روى البخارى فى (تاريخه) من طريق يحيى بن سعيد الأنصارى، أن عبد الله بن أبى بكر رضى الله عنه، كان قد تزوج عاتكة بنت زيد بن عمرو، أخت سعيد بن زيد بن عمرو، وأنه قال لها عند موته: لك حائطى ولا تزوَّجى بعدى، قال: فأجابته إلى ذلك، فلما انقضت عدتها خطبها عمر، فذكر القصة فى تزويجه. ورواه غيره، فذكر معاتبة علىٍّ لها على ذلك.

وقال ابن إسحاق فى (المغازى): حدثنى هشام، عن أبيه، عن عائشة، قالت: كُفِّن رسول الله ﷺ فى بردىَّ حبرة، حتى مَسًّا جلده، ثم نزعهما، فامسكهما عبد الله ليُكفَّن فيهما، ثم قال: وما كنت لأمسك شيئًا منع الله رسوله منه، فتصدَّق بهما.

ورواه البخارى من وجه آخر، عن عروة وأخرجه الحاكم فى (المستدرك)، وهو عند أحمد فى مسند عائشة رضى الله عنها، ضمن حديث من طريق حماد بن سلمة، عن هشام، ورواه أبو ضمرة عن هشام، فقال عبد الرحمن: قال البغوى: والصحيح عبد الله.

قال الحافظ فى (الإصابة): ووجدت له حديثًا مسنداً، أخرجه البغوى، وفى إسناده من لا يُعرف؛ قال هشام: فقال عبد الرحمن: قال البغوى :لا أعرف عبد الله أسند غيره، وفى إسناده ضعف وإرسال.

ثم قال: وأخرجه مع ذلك الحاكم. قال الدار قطنى: وأما عبد الله بن أبى بكر. فأسند عنه حديث فى إسناده نظر، تفرَّد به عثمان بن الهيثم المؤذن، عن رجال ضعفاء. قال: وقد أوردته فى كتاب (الخصال المكفرة)، وجمعتُ طرقه مستوعبًا، والحمد لله. له ترجمة فى: (الإصابة): ٤/ ٢٧ – ٢٩، ترجمة رقم (٤٥٧١)، (الثقات): ٣/ ٢١٠، (الاستيعاب): ٣/ ٨٧٤ – ٨٧٥، ترجمة رقم (١٤٨٤)، (الجرح والتعديل): ٥/ ٩٢، (التاريخ الكبير): ٣/ ٢، ٥/ ٢، (التاريخ الصغير): ١/ ٣٠٠، (البداية والنهاية): ٦/ ٣٨٩، (الطبقات الكبرى) :١/ ٢٢٩، (الوافى بالوفيات): ١٧/ ٨٥، (تاريخ الإسلام): ٣/ ٤٩، (صفة الصفوة): ١/ ١٢٤، ترجمة أبيه رقم (٢)، (أسماء الصحابة الرواة)): ٤٤٦، ترجمة رقم (٧٧٧).

(١) هى قُتَيْلَة بنت عبد العُزَّى بن سعد بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤى، القرشية العامرية، والدة أسماء بنت أبى بكر وشقيقها عبد الله. كذا نسبها الزبير وغيره.

وقال أبو موسى فى (الذيل): قتيلة بنت سعد بن عامر بن لؤى، كذا اختصر النسب، وحذف منه جماعة، ثم قال: أوردها المستغفرى فى الصحابيات، وقال: تأخر إسلامها، وسماها الحاكم أبو أحمد فى (الكُنى).

وحديثها عن هشام بن عروة عن أبيه، عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله تعالى عنهما، قالت:=

[شمس](١) بن نضر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى، أسلم قديما، ولم يُسمع له بمشهد إلا شهوده الفتح، وحنينًا، والطائف، ورمى يومئذ بسهم من أبى محجن الثقفى، ومات فى شوال سنة إحدى عشرة، وانقرض عقبه.

وأسماء ابنة أبى بكر، أسلمت قديمًا بعد سبعة عشر إنسانًا، وتزوج بها الزبير بن العوام فولدت له عبد الله بن الزبير، وتوفيت بمكة فى جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين، وقد ذهب بصرها، ويقال لها ذات النطاقين، لأنها صنعت للنبى ﷺ سُفرة حين أراد الهجرة إلى المدينة، فعسر عليها ما تشدها به، فشقت خمارها وشدت السفرة بنصفها وانتطقت النصف

= « قدمت على أمى وهى مشركة فى عهد رسول الله ﷺ فاستفتيتُ رسول الله ﷺ، قلت: إن أمى قَدِمَتْ وهى راغبة، أَفَأَصِلُ أمى، قال: نعم، صِلى أمك ».

وأخرجه ابن سعد، وأبو داود الطيالسى، والحاكم، من حديث عبد الله بن الزبير، قال: « قدمت قتيلة -بالقاف والمثناة مصغرة- بنت عبد العُزَّى بن سعد، من بنى مالك بن حسل -بكسر الحاء وسكون السين المهملتين- على ابنتها أسماء بنت أبى بكر فى الهدنة، وكان أبو بكر طلقها فى الجاهلية، بهدايا: زبيب وسمن وقرظ، فأبت أسماء أن تقبل هديتها أو تدخلها بيتها، وأرسلت إلى عائشة: سلى رسول الله ﷺ فقال: لتدخلها ».

وعرف منه تسمية أم أسماء، وأنها أمها حقيقة، وأن من قال: إنها أمها من الرضاعة فقد وهم. (الإصابة): ٨/ ٧٨ - ٧٩، ترجمة رقم (١١٦٣٨)، (فتح البارى): ٥/ ٢٩٠ - ٢٩٢، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب (٩) الهدية للمشركين، وقول الله تعالى: **﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾** [الممتحنة: ٨]، حديث رقم (٢٦٢٠)، وأخرجه البخارى أيضا فى الجهاد، باب إثم من عاهد ثم غدر، وفى الأدب، باب صلة الوالد المشرك، وأخرجه مسلم فى الزكاة، باب فضل الصدقة على الأقربين ولو كانوا مشركين، وأبو داود فى الزكاة، باب الصدقة على أهل الذمة، (جامع الأصول): ١/ ٤٠٥ - ٤٠٦، حديث رقم (٢٠١).

(١) زيادة للنسب من (جمهرة النسب): ٥٧.

الثانى، فسماها رسول الله ﷺ : ذات النطاقين(١).

وعبد الرحمن بن أبى بكر شقيق عائشة رضى الله عنها، تقدم ذكره(٢).

---

(١) هى أسماء بنت أبى بكر، عبد الله بن أبى قحافة عثمان، أم عبد الله، القرشية، التيمية، المكية، ثم المدنية، والدة الخليفة عبد الله بن الزبير، وأخت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وآخر المهاجرات وفاة، روت عدة أحاديث، وعُمِّرت دهرًا، وتُعرف بذات النطاقين. وأُمها قتيلة بنت عبد العُزى العامرية، حدَّث عنها ابناها: عبد الله وعروة، وحفيدها عبد الله بن عروة، وابن عباس، وعدة.

وكانت أسنّ من عائشة رضى الله عنها ببضع عشرة سنة، هاجرت حاملاً بعبد الله، وقيل: لم يسقط لها سنّ، وشهدت اليرموك مع زوجها الزبير. وهى، وأبوها، وجدها، وابنها ابن الزبير، أربعتهم صحابيون.

عن أسماء قالت: صنعتُ سفرةَ النبى ﷺ فى بيت أبى حين أراد أن يُهاجر؛ فلم أجد لسفرته ولا لسقائه ما أربطهما، فقلتُ لأبى: ما أجد إلا نطاقى، قال: شقيه باثنين، فاربطى بهما، قال: فلذلك سميت ذات النطاقين.

وكانت خاتمة المهاجرين والمهاجرات، مسندها ثمانية وخمسون حديثًا. اتفق لها البخارى ومسلم على ثلاثة عشر حديثًا، وانفرد البخارى بخمسة أحاديث، ومسلم بأربعة.

قال ابن سعد: ماتت بعد ابنها عبد الله بليالٍ، ولها مائة سنة. وكان قتله لسبع عشرة خلت من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين. لها ترجمة فى: (طبقات ابن سعد): ٨/٢٤٩-٢٥٥، (طبقات خليفة): ٣٣٣، (تاريخ خليفة): ٢٦٩، (المعارف): ١٧٢، ١٧٣، ٢٠٠، ٢٢١، (مسند أحمد): ٦/٣٤٤، (المستدرك): ٤/٦٤-٦٥، (الاستيعاب): ٤/١٧٨١-١٧٨٣، ترجمة رقم (٣٢٢٦)، (جامع الأصول): ٩/١٤٥، (تهذيب التهذيب): ١٢/٤٢٦، ترجمة رقم (٢٧٢٠)، (الإصابة): ٧/٤٨٦-٤٨٨، ترجمة رقم (١٠٧٩٨)، (خلاصة تذهيب الكمال): ٣/٣٧٤، (كنز العمال): ١٣/٦٣٧، (الإعلام بوفيات الأعلام): ٤٦، (حلية الأولياء): ٢/٥٥-٥٧، ترجمة رقم (١٣٨)، (أعلام النساء): ١/٤٧-٥٣، (العقد الفريد): ٣/٢٣١، ٥/٧٢، ٢٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، (سير أعلام النبلاء): ٢/٢٨٧-٢٩٦، ترجمة رقم (٥٢)، (أسماء الصحابة الرواة): ٧٧-٧٨، ترجمة رقم (٥٨)، (الثقات): ٣/٢٣، (تلقيح فهوم أهل الأثر): ٣٦٥، (شذرات الذهب) ١/٤٤ و٨٠، (مرآة الجنان): ١/١٥١.

(٢) سبق أن أشرنا إلى مصادر ترجمته.

ومحمد بن أبى بكر(٢)، أمه أسماء بنت عُميس(٣)، أخت ميمونة أم

---

(٢) ولدته أسماء بنت عميس فى حجة الوداع وقت الإحرام، وكان قد ولاَّه عثمان إمْرة مصر، كما هو مُبيَّنٌ فى سيرة عثمان، ثم سار لحصار عثمان، وفعل أمرًا كبيرًا فكان أحد من توثَّب على عثمان حتى قُتِل، ثم انضم إلى علىّ فكان من أمرائه، فسيَّرهُ على إمرة مصر سنة سبع وثلاثين فى رمضانها، فالتقى هو وعسكر معاوية، فانهزم جمع محمد، واختفى هو فى بيت مصريةٍ، فدلَّت عليه، فقال: احفظونى فى أبى بكر، فقال معاوية بن حُدَيج: قتلت ثمانين من قومى فى دم الشهيد عثمان وأتركك، وأنت صاحبه؟!

فقتله، ودسَّه فى بطن حمار ميِّتٍ، وأحرقه. وقال عمرو بن دينار: أُتى بمحمد أسيرًا إلى عمرو بن العاص، فقتله، يعنى بعثمان.

وقال الحافظ الذهبى: أرسل عنه ابنه القاسم بن محمد الفقيه. له ترجمة فى: (التاريخ الكبير): ١/ ١٢٤، (الجرح والتعديل): ٧/ ٣٠١، (تاريخ الطبرى): ٥/ ٩٤، (جمهرة أنساب العرب): ١٣٨، (الكامل فى التاريخ): ٣/ ٣٥٢، (تهذيب الأسماء واللغات): ١/ ٨٥، (الإصابة): ٦/ ٢٤٥، ترجمة رقم (٣٨٠٠)، (الاستيعاب): ٣/ ١٣٦٦، ترجمة رقم (٢٣٢٠)، (تهذيب التهذيب): ٩/ ٧٠، ترجمة رقم (١٠١)، (خلاصة تذهيب الكمال): ٢/ ٣٨٥، ترجمة رقم (٦٠٨٩)، (سير أعلام النبلاء): ٣/ ٤٨١-٤٨٢، ترجمة رقم (١٠٤)، (شذرات الذهب): ١/ ٤٨، (الإعلام بوفيات الأعلام): ٣٣.

(٣) هى أسماء بنت عميس بن مَعد - بوزن سَعد أوله ميم - ابن الحارث الخثعمية، أم عبد الله، من المهاجرات الأول، أسلمت قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم بن أبى الأرقم، وكانت داره على الصفا، وهى الدار التى فيها دعا رسول الله ﷺ الناس إلى الإسلام، فأسلم فيها قوم كثير.

هاجر بها زوجها جعفر الطيَّار إلى الحبشة، فولدت له هناك: عبد الله، ومحمدًا وعونًا - فلما هاجرت معه إلى المدينة سنة سبع، واستشهد يوم مؤتة، تزوج بها أبو بكر الصديق، فولدت له: محمدًا، وقت الإحرام، فحجت حجة الوداع، ثم توفى الصديق، فغسَّلته. وتزوج بها علىُّ بن أبى طالب.

وقَدِمتْ أسماء بنت عميس من الحبشة فقال لها عمر رضى الله عنه: يا حبشيَّةُ، سبقناكم بالهجرة، فقالت: لعمرى لقد صدقت: كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم، ويعلم جاهلكم، وكنا البُعداء الطرداء. أما والله لأذكرن ذلك لرسول الله ﷺ. فأتته، فقال: «للناس هجرة واحدةٌ، ولكم هجرتان».

قالت أسماء بنت عميس: يا رسول الله، إن هؤلاء يزعمون أنَّا لسنا من المهاجرين! قال: «كذب من يقول ذلك، لكم الهجرة مرتين: هاجرتم إلى النجاشىِّ، وهاجرتم إلىَّ».

قال الشعبى: أول من أشار بنعش المرأة - يعنى المكبة - أسماء، رأت النصارى يصنعونه =

= بالحبشة. وعن عبد الله بن شداد، عن أسماء بنت عميس قالت: لما أصيب جعفر قال: «تسلبى ثلاثا، ثم اصنعى ما شئت». قال فى (النهاية): أى البسى ثوب الحداد، وهو السِّلاب، والجمع سُلُب، وتسلبت المرأة: إذا لبسته.

وأخرج ابن سعد فى (الطبقات) بإسناد صحيح عن سعيد بن المسيب قال: نُفِسَتْ بذى الحليفة، فهمَّ أبو بكر بردِّها، فسأل النبى ﷺ، فقال: «مرها فلتغتسل، ثم تُهلّ بالحج».

وأوصى أبو بكر أن تغسله أسماء، قال قتادة، فغسَّلته بنت عميس امرأته، فسألت من حضر من المهاجرين، وقالت: إنى صائمة، وهذا يوم شديد البرد، فهل علىّ من غُسل؟ فقالوا: لا.

وروى أبو إسحاق عن مصعب بن سعد: أن عمر رضى الله عنه فرض الأعطية، ففرض لأسماء بنت عميس ألف درهم. قال الواقدى: ثم تزوجت عليًّا فولدت له: يحيى، وعَوْنًا.

زكريا بن أبى زائدة: سمعتُ عامرًا يقول: تزوج علىٌّ أسماء بنت عميس فتفاخر ابناها: محمد ابن أبى بكر، ومحمد بن جعفر، فقال كل منهما: أنا أكرم منك، وأبى خير من أبيك. فقال لهما علىٌّ: اقضى بينهما، قالت: ما رأيت شابًا من العرب خيرًا من جعفر، ولا رأيت كهلاً خيرًا من أبى بكر. فقال علىّ: ما تركت لنا شيئًا، ولو قلت غير الذى قلت لمقتُّك، قالت: إن ثلاثة أنت أخسّهم خيار. أخرجه ابن سعد فى (الطبقات)، ورجاله ثقات.

وأخرج ابن سعد فى (الطبقات) بإسناد صحيح، عن علىّ رضي الله عنه قال: كذبتكم من النساء الحارقة، فما ثبتت من امرأةٌ إلا أسماء بنت عميس. و«كذب» ها هنا: إغراء، أى: عليكم بالحارقة، وهى كلمة نادرة جاءت على غير قياس.

والحارقة: المرأة التى تغلبها شهوتُها، الضيقة الملاقى - وهو مأزم الفَرْج ومضايقه - كأنها تَضُمُّ الفَعْل - بفَتح الفاء وسكون العين أى الفَرْج - ضمَّ العاضّ الذى يحْرُقُ أسنانه، ويقال لها: العضوض والمصوص.

وعن علىّ عليه السلام: إنه سُئل عن امرأته، فقال: وجدتُها حارقة، طارقة، فائقة، أراد بالطارقة: التى طرقت بخير، والفائقة: فاقت فى الجمال. وقيل: الحارقة: النكاح على الجنب، أُخذت من حارقة الورك، وهى عَصَبة فيها، والمعنى: عليكم من مباشرة النساء بهذا النوع. وعنه عليه السلام: كذبتكم الحارقة، ما قام لى بها إلا أسماء بنت عُمَيس. ذكره الزمخشرى فى (الفائق).

وقال ابن منظور: والحارقة، والحاروق من النساء: الضيقة الفرج، وامرأة حارقة: ضيقة الملاقى - وقيل: هى التى تغلبها الشهوة حتى تَحْرُقَ أنيابها بعضها على بعض، أى تحكها، يقول: عليكم بها، ومنه الحديث: وجدتها حارقة، طارقة، فائقة. (اللسان). وقال فى هامشه: قوله: «يقول عليكم بها»، كذا بالأصل هنا، وأوردهُ ابن الأثير فى تفسير حديث الإمام على: خير النساء الحارقة، وفي رواية كَذَبَتْكم الحارقة.
=

المؤمنين ولد عام حجة الوداع، وكان من شيعة على رضى الله عنه، فإنه تزوج بأمه أسماء وولاه مصر وقتل بها سنة ثمان وثلاثين.

وأم كلثوم بنت أبى بكر رضى الله عنه(١)، أمها حبيبة بنت

= قال الحافظ الذهبى: لأسماء حديث فى سنن الأربعة، حدَّث عنها: ابنها عبد الله بن جعفر، وابن اختها عبد الله بن شداد، وسعيد بن المسيِّب، وعروة، والشعبى، والقاسم بن محمد، وآخرون. عاشت بعد علىّ، وكان عمر بن الخطاب يسأل أسماء بنت عميس عن تفسير المنام، ونقل عنها أشياء من ذلك، روت عن النبى ﷺ ستين حديثًا، لها ترجمة فى (نهاية ابن الأثير): ١/١٧٣-٢٧٣، (لسان ابن منظور): ١٠/٤٥، (فائق الزمخشرى): ١/٢٧٥-٢٧٦، (موطأ مالك): ١/١٤٨-١٤٩، (ثقات ابن حبان): ٣/٢٤، (حلية الأولياء): ٢/٧٤، (أعلام النساء): ١/٥٧-٥٨، (أسماء الصحابة): ٧٦، ترجمة رقم (٥٦)، (تلقيح الفهوم): ٣٦٥، (تاريخ الإسلام): ٣/٤٨، ١١٩، ١٢٠، ٢٠٣، ٣٥٥، ٣٥٦، ٦٠٠، (مسند أحمد): ٦/٤٥٢، (الإصابة): ٧/٤٨٩-٤٩١، ترجمة رقم (١٠٨٠٣)، (طبقات ابن سعد): ٨/٢٨٠-٢٨٥، (المعارف): ١٧١، ١٧٣، ٢١٠، ٢٨٢، ٥٥٥، (تهذيب التهذيب): ١٢/٤٢٧-٤٢٨، ترجمة رقم (٢٧٢٥)، (خلاصة تذهيب الكمال): ٣/٣٧٤، ترجمة رقم (٥)، (سير الأعلام): ٢/٢٨٢-٢٨٧، (شذرات الذهب): ١/١٥، ٤٨.

(١) هى أم كلثوم بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنه، من فواضل نساء عصرها، خطبها عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وذلك أن رجلاً من قريش قال لعمر بن الخطاب: الا تتزوج أم كلثوم بنت أبى بكر، فتحفظه بعد وفاته، وتخلفه في أهله، فقال عمر رضى الله عنه: بلى، إنى لأحب ذاك، فاذهب إلى عائشة، فاذكر لها ذلك، وعُدْ إلىَّ بجوابها. فمضى الرسول إلى عائشة، فأخبرها بما قال عمر. فأجابته إلى ذلك، وقالت له: حُبًّا وكرامة.

ودخل عليها بعقب ذلك المغيرة بن شعبة، فرآها مهمومة، فقال لها: مالك يا أم المؤمنين؟ فأخبرته برسالة عمر، وقالت: إن هذه جارية حدثة، وأردتُ لها عيشًا الين من عمر، فقال لها: علىَّ أن اكفيك.

وخرج من عندها، فدخل على عمر رضى الله عنه فقال: بالرفاء والبنين، وقد بلغنى ما أتيته من صلة أبى بكر فى أهله، وخطبتك أم كلثوم. قال عمر رضى الله عنه: قد كان ذاك. قال: إلا إنك يا أمير المؤمنين رجل شديد الخلق على أهلك، وهذه صبية حديثة السنّ، فلا تزال تنكر عليها الشىء فتضربها، فتصيح، فَيَغُمّك ذلك، وتتالم له عائشة، ويذكرون أبا بكر، فيبكون عليه، فتجدد لهم المصيبة، مع قرب عهدها في كل يوم.

فقال له: متى كنت عند عائشة واصدقنى؟ فقال: آنفًا، فقال عمر: أشهد أنهم كرهونى، قد ضمنت لهم أن تصرفنى عما طلبت، وقد أعفيتهم. فعاد إلى عائشة، فأخبرها الخبر، وأمسك عمر عن معاودة خطبتها. =

خارجه(١) بن زيد بن أبى زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة ابن كعب بن الخزرج، وتزوج بها طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه، فولدت له زكريا وعائشة، ثم خلف عليها بعده عبد الرحمن بن عبد الله ابن أبى ربيعة، فولدت له عثمان وإبراهيم وموسى، وجّد أم كلثوم لأبيها هو خارجة بن زيد، أحد الصحابة، استشهد يوم أحد.

وخالها زيد بن خارجة الذى تكلم بعد موته(٢)، وأم كلثوم هذه هى

= وروت عن أختها عائشة أم المؤمنين، وروى عنها ابنها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى ربيعة، وجابر بن عبد الله الأنصارى، وطلحة بن يحى بن طلحة، والمغيرة بن حكيم الصنعانى، وجبير ابن حبيب، ولوط بن يحى، وعبد الله بن عبيد بن عمير، وروى لها مسلم والترمذى، لها ترجمة فى: (أعلام النساء): ٤/٢٥٠-٢٥١، (الإصابة): ٨/٢٩٦، ترجمة رقم (١٢٢٣٥)، (العقد الفريد): ٧/٩٦-٩٧، (تهذيب التهذيب): ١٢/٥٠٣، ترجمة رقم (٢٩٧٧)، (خلاصة تذهيب الكمال): ٣/٢٠٤، ترجمة رقم (٥٧)، (تاريخ الإسلام): ٣/١٢٠، ٥٢٦، (المعارف): ١٧٥.

(١) هى حبيبة بنت خارجة بن زيد - أو بنت زيد بن خارجة - الخزرجية، زوج أبى بكر الصديق، ووالدة أم كلثوم ابنته، التى مات أبو بكر وهى حامل بها، فقال ذو بطن بن خارجة: ما أظنها إلا أنثى، فكان كذلك.

وفى قصة الوفاة النبوية، من رواية عروة، عن عائشة: استأذن أبو بكر لما رأى من النبى ﷺ أن يأتى بيت خارجة، فأذن له.

وقال ابن سعد: حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبى زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الأغر، أمها هزيلة بنت عتبة بن عمرو بن خديج بن عامر بن جشم، أسلمت، وبايعت؛ قال: وخلف على حبيبة بعد أبى بكر إساف بن عتبة بن عمرو (الإصابة): ٧/٥٧٥، ترجمة رقم (١١٠٢٣)، (الاستيعاب): ٤/١٨٠٧، ترجمة رقم (٣٢٨٧).

(٢) هو زيد بن خارجة بن زيد بن أبى زهير بن مالك، من بنى الحارث بن الخزرج، روى عن النبى ﷺ فى الصلاة عليه ﷺ، وهو الذى تكلم بعد الموت لا يختلفون فى ذلك.

وذلك أنه غُشى عليه قبل موته، وأسرى بروحه، فسُجِّى عليه بثوبه، ثم راجعته نفسُه، فتكلم بكلام حُفِظ عنه فى أبى بكر، وعمر، وعثمان، رضى لله تعالى عنهم، ثم مات فى حينه. روى حديثه هذا: ثقات الشاميين عن النّعمان بن بشير، ورواه ثقات الكوفيين عن يزيد بن النعمان بن بشير، عن أبيه، ورواه يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب.

وقد أخرجه الحافظ ابن حجر فى (الإصابة)، في ترجمة زيد بن خارجة، وأخرجه الحافظ البيهقى =

التى قال أبو بكر لعائشة رضى الله عنها حين حضرته الوفاة: إنما هما أخواك وأختاك، قالت عائشة رضى الله عنها: هذه أسماء قد عرفتها، فمن الأخرى؟ قال: ذو بطين بنت خارجة، قد ألقى فى خلدى أنها جارية، فكان كما قال، وُلدت بعد موته، رضى الله عنها.

وطفيل بن عبد الله بن الحارث بن سخْبرة بن جرثومة [الخير](١) بن عادية بن مرة بن الأوس بن النمر بن عثمان الأزدى(٢)، أخو عائشة رضى

= فى (دلائل النبوة)، باب ما جاء فى شهادة الميت لرسول الله ﷺ بالرسالة، والقائمين بعده بالخلافة، والرواية فى ذلك صحيحة ثابتة، وفى ذلك دلالة ظاهرة من دلالات النبوة، قال الحافظ البيهقى: أخبرنا أبو صالح بن أبى طاهر العنبرى، أنبأنا جدى يحيى بن منصور القاضى، حدثنا أبو على محمد بن عَمْرٍ وكِشْمِرْدُ، أنبأنا القعنبى، حدثنا سليمان بن بلال، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، أن زيد بن خارجة الأنصارى، ثم من نبى الحارث بن الخزرج، توفى زمن عثمان بن عفان، فسُجِّى في ثوبه، ثم أنهم سمعوا جلجلة فى صدره، ثم تكلم، ثم قال: أحمد أحمد فى الكتاب الأول، صدق صدق أبو بكر الصديق، الضعيف فى نفسه، القوى فى أمر الله فى الكتاب الأول، صدق صدق عمر ابن الخطاب، القوى الأمين فى الكتاب الأول، صدق صدق عثمان بن عفان، علي منهاجهم مضت أربع، وبقيت اثنتان، أتت الفتن، وأكل الشديد الضعيف، وقامت الساعة، وسيأتيكم من جيشكم خبر بئر أريس، وما بئر أريس؟ (دلائل البيهقى): ٦/٥٥، (الاستيعاب): ٢/٥٤٧، ترجمة رقم (٨٤٤)، (الإصابة): ٢/٦٠٣، ترجمة رقم (٢٨٩٦)، ٣/٥٣، ترجمة رقم (٣١٤٥)، (البداية والنهاية): ٦/١٧٣-١٧٤، (الثقات): ٣/١٤٠، (الوافى): ١٥/٤٢، (تهذيب التهذيب): ٣/٣٥٣، ترجمة رقم (٧٤٧)، ٤٤١، (أسماء الصحابة الرواة) ترجمة رقم (٧٦٧)، (تلقيح الفهوم): ٣٨٠.

(١) زيادة للنسب من (الاستيعاب) و(الإصابة).

(٢) الطفيل بن سَخْبَرة؛ هو الطفيل بن عبد الله بن الحارث بن سَخْبَرَة القرشىّ. قال ابن أبى خيثمة: لا أدرى من أى قريش هو؟ قال: وهو أخو عائشة لأُمّها. قال أبو عمر رحمه الله: ليس من قريش، وإنما هو من الأزد.

قال الواقدى: كانت أم رومان تحت عبد الله بن الحارث بن سخبرة بن جرثومة بن عادية بن مرة بن الأوس بن النمر بن عثمان الأزدى، وكان قدم بها مكة فحالف أبا بكر قبل الإسلام، وتوفى عن أم رومان، وقد ولدت له الطفيل، ثم خلف عليها أبو بكر، فولدت له عبد الرحمن وعائشة، فهما أخوا الطفيل هذا لأمه.

قال أبو عمر رضى الله عنه: روى عن الطفيل هذا ربعى بن حراش، من حديثه عنه ما رواه سفيان، =

الله عنها لأمها أم رومان، معدود من الصحابة، يروى عنه ربعى بن خراش.

* * *

= وشعبة، وزائدة، وجماعة عن عبد الملك بن عمير عن ربعى بن حراش، عن الطفيل - وكان أخا عائشة لأمها - أن رجلاً رأى فى المنام - وفى حديث زائدة عن الطفيل أنه رأى فى المنام - أن قائلاً يقول له من اليهود: نعم القوم أنتم، لولا قولكم: ما شاء الله وشاء محمد، ثم رأى ليلة أخرى رجلاً من النصارى، فقال له مثل ذلك.

فأخبر بذلك النبى ﷺ، فقام خطيباً، فقال: لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد، وقولوا ما شاء الله وحده، وزاد بعضهم فيه: ثم ما شاء محمد. له ترجمة فى: (الإصابة): ٣/ ٥٢٠-٥٢١، ترجمة رقم (٤٢٥٤)، (٤٢٥٧)، الاستيعاب: ٢/ ٧٥٦-٧٥٧، ترجمة رقم (١٢٧٢)، (تهذيب التهذيب): ٥/ ١٣-١٤، ترجمة رقم (٢٥)، (٢٦)، (تعجيل المنفعة): ١٩٧-١٩٩، ترجمة رقم (٤٨٨)، (تلقيح الفهوم): ٣٨١، (الثقات): ٣/ ٢٠٣، (أسماء الصحابة الرواة): ٤٧٢، ترجمة رقم (٨٣٣).

[أصهاره ﷺ من قبل حفصة]

زيد بن الخطاب بن نُفيل القرشيّ العدويّ، أبو عبد الرحمن، عم حفصة أخو أبيها عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأبيه من أسماء بنت وهب بن حبيب بن الحارث بن عبس بن قُعين، من بنى أسد بن خزيمة، أحد المهاجرين الأولين، أسلم قبل أخيه عمر، وشهد بدراً وما بعدها(١)، واستشهد باليمامة(٢) سنة اثنتى عشرة، فاشتد حزن عمر رضى الله عنه عليه.

وصفية بنت الخطاب عمة حفصة، أخت أبيها لأبيه وأمه(٣)، تزوجت بسفيان بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، قال ابن عبد البر: [مذكور فى المؤلفة قلوبهم](٤) [وفى صحبته](٥) نظر(٦).

وفاطمة بنت الخطاب عمة حفصة، أخت أبيها شقيقته، كانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وأسلمت قبل زوجها، أو قيل معه، قبل

---

(١) سبق أن أشرنا إلى مصادر ترجمته.

(٢) قتله أبو مريم الحنفى، وكان من أصحاب مسيلمة، ثم تاب وأسلم وحسن إسلامه، وولى قضاء البصرة بعد عمران بن الحصين، فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، (طبقات ابن سعد): ٧ / ٩١، (الاستيعاب): ٢ / ٥٥٠-٥٥٣، ترجمة رقم (٨٤٦).

(٣) ذكرها الدارقطني فى كتاب (الإخوة)، وقال: تزوجها سفيان بن عبد الأسد، فولدت له الأسود. قال الحافظ فى (الإصابة): وقد تقدم فى قدامة بن مظعون أنه تزوجها، واستدركها أبو على الغسانى، وقال: ذكرها أبو عمر فى قدامة، ولم يفردها. (الإصابة): ٧ / ٧٤٢، ترجمة رقم (١١٤٠٢).

(٤) زيادة للسياق من (الاستيعاب).

(٥) زيادة يقتضيها السياق.

(٦) الاستيعاب): ٢ / ٠٣٦، ترجمة رقم (١٠٠٢).

إسلام أخيها عمر رضى الله عنه، ولها فى إسلامه قصة حسنة(١).

---

(١) لما كانت فاطمة بنت الخطاب بن نُفيل القرشية من فواضل نساء عصرها، كانت ذا إيمان قوى بالله وبالإسلام، وأسلمت قديمًا، فكانت من المبايعات الأوَل، وكانت تخفى إسلامها من أخيها عمر، وكان خَبَّاب بن الأرَتّ يختلف إلى فاطمة يقرئها القرآن.

فخرج عمر بن الخطاب ذات يوم متقلداً بسيفه، يريد أن يقتل محمداً ﷺ، فلقيه رجل من بنى زهرة فقال: أين تعمد يا عمر؟ قال: أريد أن أقتل محمداً، قال: وكيف نامن من بنى هاشم وبنى زهرة وقد قتلت محمداً؟ قال: ما أراك إلا قد صبوت. قال: أفلا أدلك على العجب؟ إن ختنك سعيد ابن زيد، وأختك فاطمة قد صبوا، وتركا دينك.

فمشى عمر فأتاهما، وعندهما خَبَّاب بن الأرتّ فلما سمع خباب بحسّ عمر توارى فى البيت، فدخل عمر، فقال: ما هذه الهينمة التى سمعت؟ وكانت فاطمة قد أخذت صحيفة من القرآن فجعلتها تحت فخذها، فقالا له: ما سمعتَ شيئًا، قال: بلى، والله لقد أُخبرت أنكما تابعتما محمداً فى دينه، وبطش بختنه سعيد.

فقامت إليه فاطمة لتكفه عن زوجها، فضربها فشجّها، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه: نعم، قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله، فاصنع ما بدا لك. فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع، فارعوى وقال لأخته: أعطينى هذه الصحيفة التى سمعتكم تقرؤون آنفًا، أنظر ما هذا الذى جاء به محمد، فقالت له أخته: أنا نخشاك عليها.

قال: لا تخافى، وحلف لها بآلهته ليردنها إذا قرأها إليها. فلما قال ذلك طمعت فى إسلامه، فقالت له: يا أخى، إنك نجسٌ على شركك، وإنه لا يمسها إلا الطاهر، فقام عمر فاغتسل، فأعطته الصحيفة وفيها: ﴿طه﴾، فقرأها، فلما قرأ منها صدراً قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه!.

فلما سمع خباب ذلك. خرج إليه فقال له: يا عمر، والله إنى لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه، فإنى سمعته أمس وهو يقول: اللهم أيد الإسلام بأبى الحكم بن هشام، أو بعمر بن الخطاب، فالله الله يا عمر. فقال له عمر عند ذلك: فدُلّنى يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم، فقال له خباب: هو فى بيت عند الصفا، معه فيه نفر من أصحابه.

فأخذ عمر سيفه فتوشحه، ثم عمد إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، فضرب عليهم الباب، فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فنظر من خلل الباب، فرآه متوشحًا السيف، فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فزع فقال: يا رسول الله، هذا عمر بن الخطاب متوشحًا السيف. فقال حمزة بن عبد المطلب: فأذن له، فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له، وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه.

فقال رسول الله ﷺ: ائذن له، فأذن له الرجل، ونهض إليه رسول الله ﷺ، حتى لقيه بالحجرة، فأخذ بحجزته أو بمجمع ردائه، ثم جبذه جبذة شديدة وقال: ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة.

وعبد الله بن عمر، أبو عبد الرحمن، أخو حفصة وعبد الرحمن الأكبر شقيقهما، أسلم صغيراً قبل أن يبلغ الحلم، وهاجر به أخوه، وأول مشاهده الخندق، وقيل: أحد. توفى بمكة سنة ثلاث وسبعين، وهو من سادات الصحابة، كثير الورع والاحتياط والاتباع للسنة والجماعة، رضى الله عنه(١).

وعبد الرحمن الأكبر بن عمر(٢)، أبو عبد الله، ولد على عهد رسول الله

= فقال عمر: يا رسول الله، جئتك لأؤمن بالله وبرسوله، وما جاء من عند الله، فكبَّر رسول الله ﷺ تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ ان عمر قد أسلم، فتفرق أصحاب رسول الله ﷺ من مكانهم، وقد عزّوا فى أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة، وعرفوا انهما سيمنعان رسول الله ﷺ، وينتصفون بهما من عدوهم. (اعلام النساء): ٤/٥٠-٥٢، (سيرة ابن هشام): ٢/٩٢، ١٨٧-١٨٨، (طبقات ابن سعد): ٨/٩٥، (الإصابة): ٨/٦٢-٦٣، ترجمة رقم (١١٥٩٠)، (الاستيعاب): ٤/١٨٩٢، ترجمة رقم (٤٠٥٦)، (المستدرك): ٤/٦٥-٦٦.

(١) سبق ان أشرنا إلى مصادر ترجمته.

(٢) عبد الرحمن الأكبر بن عمر بن الخطاب، شقيق عبد الله، وحفصة، ذكره ابن السكن فى الصحابة، واورد له من طريق حبيب بن الشهيد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: أرسلنى عمر إلي ابنه عبد الرحمن ادعوه، فلما جاء قال له عمر: يا ابا عيسى، قال: يا أمير المؤمنين اكتنى بها المغيرة على عهد رسول الله ﷺ. سنده صحيح.

وقال أبو عمر: كان لعمر ثلاثة، كلهم عبد الرحمن، هذا اكبرهم، لا تُحفظ له رواية، كذا قال. والثانى يكنى أبا شَحْمة، وهو الذى ضربه أبوه الحدَّ فى المُجَبَّر لما شرب بمصر، والثالث والد المجبَّر، بالجيم والموحدة المثقلة.

وقال ابن منده: كناه النبى ﷺ أبا عيسى؛ فاراد عمر أن يغيرها، فقال: والله إن رسول الله ﷺ كنّانى بها. وتعقبه أبو نعيم بان الذي قال لعمر ذلك إنما هو المغيرة بن شعبة، وأما عبد الرحمن فقال لأبيه: قد اكتنى بها المغيرة، فقال المغيرة: كنانى بها رسول الله ﷺ.

قال الحافظ فى (الإصابة): اخرج القصة ابن أبى عاصم، كما أخرجها ابن السكن، وأن عبد الرحمن قال لأبيه: إن النبى ﷺ كنى بها المغيرة. ويؤخذ كون عبد الرحمن كان مميزاً فى زمن النبى ﷺ من تقدم وفاة والدته زينب، ومن كون أخيه الأوسط أبى شحمة ولد فى عهد النبى ﷺ. (الإصابة): ٤/٣٣٩-٣٤٠، ترجمة رقم (٥١٧٥)، (الاستيعاب): ٢/٨٤٢-٨٤٣، ترجمة رقم (١٤٤٣)، (صفة الصفوة): ١/١٤٢.

ﷺ، [أخو عبد الله بن عمر، وحفصة بنت عمر لأبيهما وأمهما زينب بنت مظعون](١).

وزيد بن عمر(٢)، أمه وأم أخته رُقية، أم كلثوم بنت على بن أبى طالب، رضى الله عنه.

وزيد الأصغر بن عمر(٣)، أمه وأم عبيد الله، أم كلثوم بنت جرول بن مالك بن المسيب من خزاعة، وأخوهما لأبيهما عبد الله الأكبر بن أبى جهم ابن حذيف.

وعبيد الله بن عمر(٤)، ولد على عهد رسول الله ﷺ، وكان من أنجاد

---

(١) زيادة للنسب من (الاستيعاب).

(٢) قال ابن قُتيبة: وأما زيد بن عمر بن الخطاب، فرمى بحجر فى حرب كانت بين بنى عويج، وبين بنى رزاح، فمات، ولا عقب له، ويقال: إنه مات هو وأمه: أم كلثوم فى ساعة واحدة، فلم يورث أحدهما صاحبه، وصلى عليهما عبد الله بن عمر، فقدّم زيداً وأخر أم كلثوم، فجرت السنة بتقديم الرجال. (المعارف): ١٨٨.

(٣) هو زيد بن عمر بن الخطاب القرشىّ العدوىّ، شقيق عبد الله بن عمر المُصَغَّر، أمهما أم كلثوم بنت جَرْوَل، كانت تحت عمر، ففرّق بينهما الإسلام، لما نزلت: ﴿ولا تمسكوا بعصم الكوافر﴾ [الممتحنة: ١٠]، فتزوجها أبو الجهم بن حذيفة، وكان زوجها قبله عمر. ذكر ذلك الزبير وغيره، فهو يدل على أن زيداً ولد فى عهد النبى ﷺ، (الإصابة): ٢/ ٦٢٨، ترجمة رقم (٢٩٦١ز).

قال محمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الغرناطى: واللاتى ارتددن من نساء المهاجرين ولحقن بالكفار: أم الحكم بنت أبى سفيان، زوج عياض بن شداد الفهرى؛ وأخت أم سلمة فاطمة بنت أبى أمية، زوج عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه، وعبدة بنت عبد العزى، زوج هشام بن العاصى، وأم كلثوم بنت جرول، زوج عمر أيضاً.

وذكر أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى أنهن ستّ، فذكر: أم الحكم، وفاطمة بنت أبى أمية زوج عمر بن الخطاب، وعبدة، وذكر أن زوجها عمرو بن ودّ، وكلثوم، وبروع بنت عقبة، كانت تحت شماس بن عفان، وهند بنت أبى جهل كانت تحت هشام بن العاصى، أعطى أزواجهن رسول الله ﷺ مهورهن من الغنيمة. (البحر المحيط): ١٠/ ١٥٩، (الكشاف): ٤/ ٩٠.

(٤) هو عبيد الله بن عمر بن الخطاب القرشىّ العدوىّ، أمه أم كلثوم بنت جرول الخزاعية، وهو أخو حارثة بن وهب، الصحابى المشهور لأمه، وُلد فى عهد النبى ﷺ أنه غزا فى خلافة أبيه، قال مالك =

. . . .

= فى (الموطأ) : عن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال : خرج عبد الله وعبيد الله ابنا عمر فى جيش إلى العراق، فلما قفلا مرًّا على أبى موسى الأشعرىّ – وهو أمير البصرة – فَرحَّب بهما وسهَّل، وقال : لو أقدر لكما على أمر أنفعكما به لفعلت، ثم قال : بلى، ها هنا مال من مال الله، أريد أن أبعث به إلى أمير المؤمنين، وأسلفكما، فتبتاعان به من متاع العراق، ثم تبيعانه بالمدينة، فتؤديان رأس المال إلى أمير المؤمنين،، ويكون لكما الربح، ففعلا، وكتب إلى عمر بن الخطاب أن يأخذ منهما المال، فلما قدما على عمر قال : أكلّ الجيش أسلفكما؟ فقالا : لا، فقال عمر : أدِّيا المال وربحه.

فأما عبد الله فسكت، وأما عُبيد الله فقال : ما ينبغى لك يا أمير المؤمنين، لو هلك المال أو نقص لضمناه، فقال : أدِّيا المال، فسكت عبد الله، وراجعه عبيد الله، فقال رجل من جلساء عمر : يا أمير المؤمنين، لو جعلته قراضًا [أى مضاربة]، فقال عمر : قد جعلته قِراضًا، فأخذ رأس المال، ونصف ربحه، وأخذا نصف ربحه. سنده صحيح.

وهذا يدل على أنه كان فى زمن أبيه رجلا، فيكون وُلد فى العهد النبوى، وقد ثبت أن عمر فارق أمَّهُ لما نزلت : ﴿ ولا تمسكوا بعصم الكوافر ﴾، وكان نزولها فى الحديبية فى أواخر سنه سبع.

وفى البخارى قصة فى باب نقيع التمر ما لم يسكر، من كتاب الأشربة : وقال عمر : إنى وجدت من عبيد الله ريح شراب، فإنى سائل عنه، فإن كان يُسكر جلدته، وهذا وصله مالك عن الزهرى، عن السائب بن يزيد، أن عمر خرج عليهم، فقال . . . فذكره، لكن لم يقل عبيد الله، وقال فلان.

وأخرجه سعيد بن منصور، عن ابن عينية، عن الزهرى، فسماه، وزاد : قال ابن عينية : فأخبرنى معمر عن الزهرى، عن السائب، قال : فرأيتُ عمر يجلدهم.

قال أبو عمر : كان عبيد الله من شجعان قريش وفرسانهم، ولما قتل أبو لؤلؤة عمر، عمد عبيد الله ابنه هذا إلى الهرمزان وجماعة من الفرس فقتلهم.

وسبب ذلك : ما أخرجه ابن سعد من طريق يعلى بن حكيم، عن نافع، قال : رأى عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق السكين التى قُتِل بها عمر، فقال : رأيت هذه أمس مع الهرمزان، وجفينة، فقلت : ما تصنعان بهذه السكين؟ فقالا : نقطع بها اللحم، فإنا لا نمسّ اللحم، فقال له عبيد الله بن عمر : أنت رأيتها معهما؟ قال : نعم، فأخذ سيفه ثم أتاهما فقتلهما واحداً بعد واحد؛ فأرسل إليه عثمان، فقال : ما حملك على قتل هذين الرجلين؟ فذكر القصة.

قتل بصفين مع معاوية بلا خلاف، واختلف فى قاتله، وكان قتله فى ربيع الأول سنة ست وثلاثين. (الإصابة) : ٥ / ٥٢ – ٥٥، ترجمة رقم (٦٢٤٤)، (الاستيعاب) : ٣ / ١٠١٠ – ١٠١٢، ترجمة رقم (١٧١٨)، (طبقات ابن سعد) : ٣ / ٣٠٩، ٣١٣، ٣٥٠، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٥ / ١٨٨، ٦ / ٣٩٥ ٤٠٢، (صفة الصفوة) : ١ / ١٤٢، (المعارف) : ١٨٧.

قريش وفتيانهم، قتل بصفين مع معاوية، وله أخبار، وهو الذى قتل الهرمزان وجُفينة(١) لما مات عمر رضى الله عنه.

وعاصم بن عمر أبو عمر(٢)، أمه جميلة بنت ثابت بن أبى الأقلح قيس

---

(١) أخرج الذُهلى فى (الزهريات)، من طريق معمر، عن الزهرى، عن سعيد بن المسيب، أن عبد الرحمن ابن أبى بكر قال -حين قُتل عمر-: إنى انتهيتُ إلى الهرمزان وجفينة وأبى لؤلؤة، فنفروا منى، فسقط من بينهم خنجر له رأسان، نصابه فى وسطه، فانظروا بماذا قُتل، فنظروا، فإذا الخنجر على النعت الذى نعت عبد الرحمن.

فخرج عبيد ليلا مشتملا على السيف، حتى أتى الهرمزان، فقال: اصحبنى ننظر إلى فرس -وكان الهرمزان بصيراً بالخيل- فخرج يمشى بين يديه، فعلاه عبيد الله بالسيف، فلما وجد حرَّ السيف قال: لا إله إلا الله، ثم أتى جفينة -وكان نصرانيًا- فقتله، ثم أتى بنت أبى لؤلؤة -جارية صغيرة- فقتلها، وقال: لا أدع أعجميًا إلا قتلته، فأراد علىٌّ قتله بمن قتل، فهرب إلى معاوية، وشهد معه صفين، فقتل. (المعارف): ١٨٧، (الإصابة): ٥/ ٥٤.

(٢) قال ابن البرقى: ولد فى حياة النبى ﷺ، ولم يَرْوِ عنه شيئًا، وقال أبو أحمد العسكرى: وُلِدَ فى السادسة. وقال أبو عمر: مات النبى ﷺ، وله سنتان.

وذكر الزبير بن بكار أن عمر زوّجه فى حياته، وأنفق عليه شهراً، وقال حسبك! وذكر قصة. قال الزبير: كان من أحسن الناس خُلقًا، وكان عبد الله بن عمر يقول: أنا وأخى عاصم لا نغتاب الناس. وقالوا: كان طوالاً جسيمًا، حتى إن ذراعه تزيد نحو شبر، وكان يقول الشعر، وهو جدّ عمر بن عبد العزيز لأمه، وكان عمر طلق أمه فتزوجها يزيد بن جارية، فولدت له عبد الرحمن، فهو أخو عاصم لأمه.

وركب عمر إلى قباء فوجده يلعب مع الصبيان، فحمله بين يديه، فركبت جدته لأمه، الشموس بنت أبى عامر إلى أبى بكر فنازعته، فقال له أبو بكر: خلّ بينها وبينه، ففعل.

وذكره مالك فى (الموطأ)، وذكر البخارى فى (التاريخ) من طريق عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر، أنه كان له يومئذ. ثمان سنين. وعند أبى عمر: أنه كان حينئذ ابن أربع.

وقال السرى بن يحى، عن ابن سيرين، عن رجل حدَّثه، قال: ما رأيت أحداً من الناس إلا ولابد أن يتكلم ببعض ما لا يريد، إلا عاصم بن عمر.

قال ابن حبان: مات بالربذة، وأرَّخه الواقدى ومن تبعه سنة سبعين، وقال مُطَيَّن: سنة ثلاث وسبعين. (الإصابة): ٥/ ٣ - ٤، ترجمة رقم (٦١٥٨)، (طبقات ابن سعد): ٤/ ٣٧٢، ٥/ ٥٠، ٨٤، ٨/ ٨٦، (الاستيعاب): ٢/ ٧٨٢، ترجمة رقم (١٣١١)، (المعارف): ١٨٧، (صفة الصفوة): ١/ ١٤٢.

ابن عِصْمَة بن مالك الأنصارى، ولد قبل وفاة رسول الله ﷺ بسنتين، ومات سنة سبعين، وكان فاضلاً خيِّرًا، شاعرًا مُجيداً، وله عدة أخبار.

وعبد الرحمن الأوسط بن عمر أبو شحمة، أمه لُهيَّة أم ولد ضربه عمرو ابن العاص رضى الله عنه فى الخمر بمصر، وحمله إلى المدينة، فضربه أبوه ضرب تأديب، ثم مرض ومات بعد شهر، وقيل: مات تحت سياط عُمر، وذلك غلط(١).

وعبد الرحمن الأصغر بن عمر، أبو المُجَبَّر، أمه فكيهة أم ولد، مات عمر وهو صغير؛ فلقبته عمته حفصة: المجبر، وقالت: لعل الله يجبره(٢).

وعياض بن عمر، أمه عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل(٣).

---

(١) (الاستيعاب): ٢/ ٨٤٢، ترجمة رقم (١٤٤٣).

(٢) قال ابن عبد البر: إنما سمى المجبّر لانه وقع وهو غلام فتكسّر، فأُتى به إلى عمته حفصة أم المؤمنين، فقيل لها: انظرى إلى ابن أخيك المكسَّر، فقالت: ليس والله بالمكسّر، ولكنه والله المجبرّ. هكذا ذكره العدوىّ وطائفة.

وقال الزبير: هلك عبد الرحمن الاصغر، وترك ابنًا صغيرًا او حملا، فسمته حفصة بنت عمر: عبد الرحمن، ولقبته المجبَّر، لعلَّ الله يجبره. (الاستيعاب): ٢/ ٨٤٣، ترجمة رقم (١٤٤٣).

(٣) هى عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل العدوية، أُخت سعيد بن زيد، أحد العشرة، وأمها أم كريز بنت عبد الله بن عمار بن مالك الحضرمية.

أخرج أبو نعيم من حديث عائشة، ان عاتكة كانت زوج عبد الله بن أبى بكر الصديق، وقال أبو عمر: كانت من المهاجرات، تزوجها عبد الله بن أبى بكر الصديق، وكانت حسناء جميلة، فاولع بها، وشغلته، عن مغازية، فامره ابوه بطلاقها، فقال:

يقولون طلقها وخيِّم مكانها مقيمًا تمنِّى النَّفْسَ احـلام نائـم
وإن فراقى أهل بيت جمعتهم علـى كثـرة منى لإحدى العظائم

ثم عزم عليه أبوه حتى طلقها، فتبعتها نفسه، فسمعه أبوه يومًا يقول:

ولم ارَ مثلى طلَّق اليوم مثلها ولا مثلها من غير جُـرم تُطلَّـقُ

فـرقَّ له ابوه، واذن له فارتجعـهـا. ثـم لما كـان حـصـار الطائف اصابه سـهـم، فكان فـيـه هلاكـه، فـمـات بالمدينة، فرثته بابيات منها: =

وعبد الله الأصغر بن عمر(١)، أمه سُعَيْدة بنت رافع بن عبيد بن عمرو

= فآليتُ لا تنفكُّ عيني حزينة عليك ولا ينفك جِلدى أغبرا

ثم تزوجها زيد بن الخطاب، فاستشهد باليمامة، ثم تَزوجها عمر بن الخطاب فى سنة اثنتى عشرة من الهجرة، فأولم عليها، ودعا أصحاب رسول الله ﷺ وفيهم علىّ بن أبى طالب، فقال له: ياأمير المؤمنين، دعنى أكلم عاتكة، قال: نعم، فأخذ علىّ بجانب الخدر ثم قال: ياعدية نفسها، اين قولك:

فآليتُ لا تنفكُّ عينى حزينة عليك ولا ينفك جِلدى أغبرا

فبكت، فقال عمر: ما دعاك إلى هذا يا أبا الحسن؟ كل النساء يفعلن هذا، ثم قُتل عنها عمر، فقالت تبكيه:

عين جودى بعبرةٍ ونحيب لا تملّى على الإمام النجيب

فجعتنى المنون بالفارس المُعْـ ـلمِ يوم الهياج والتثويب

قل لأهل الضراء والبؤس موتوا قد سقتْه المنون كاس شعوب

ومما رثت به عمر رضى الله عنه قولها:

مُنع الرقاد فعاد عينى عائد مما تضمّن قلبى المعمود

قد كان يسهرنى حذارك مرة فاليوم حُقّ لعينى التسهيد

أبكى أمير المؤمنين ودونه للزائرين صفائح وصعيد

ثم تزوجها الزبير بن العوام، ثم خطبها علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه انقضاء عدتها من الزبير، فأرسلت إليه: إنى لأضنّ بك يا ابْنَ عم رسول الله ﷺ عن القتل، ثم تزوجها الحسين بن علىّ، فتوفى عنها، وهو آخر من ذكر من أزواجها. فكانت أول من رفع خدّه من التراب ولعن قاتله والراضى به يوم قُتل، وقالت ترثية:

وحسينا فلا نسيت حسينا اقصدته أسنة الأعداء

غادروه بكر بلاء صريعًا جادت المزن فى ذرى كر بلاء

ثم تأيمتْ بعده، فكان عبد الله بن عمر يقول: من أراد الشهادة فليتزوج بعاتكة، ويقال: إن مروان خطبها بعد الحسين، فامتنعت عليه وقالت: ما كنت لاتخذ حمًا بعد رسول الله ﷺ، وتوفيت نحو سنة (٤٠) هـ (الاستيعاب): ٤/ ١٨٧٦ - ١٨٨٠، ترجمة رقم (٤٠٢٤)، (الإصابة): ٨/ ١١، ترجمة رقم (١١٤٤٨)، (طبقات ابن سعد): ٨/ ١٩٣. (أعلام النساء): ٣/ ٢٠١ - ٢٠٦، (عيون الأخبار): ٤/ ١١٤ - ١١٥، (المستطرف فى كل فن مستظرف): ٥١٧، (صفة الصفوة): ١/ ١٤٢.

(١) لم أجد له ولا لأمه ترجمة فيما بين يدىّ من مراجع.

ابن عبيد بن أمية بن زيد، من بنى عمرو بن عوف .

ورقية بنت عمر أخت حفصة رضى الله عنها، أمها أم كلثوم بنت على رضى الله عنها، تزوجها إبراهيم بن نعميم النحام][١] بن عبد الله بن أسيد ابن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب، فولدت له جارية وماتت.

وزينب بنت عمر[٢]، شقيقة المجبر.

وفاطمة بنت عمر[٣]، أمها أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة، تزوجها عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، فولدت له عبد الرحمن بن زيد .

* * *

---

(١) زيادة للنسب من (طبقات ابن سعد) . وكان إبراهيم بن نُعيم أحد الرؤوس يوم الحرة، وقُتل يومئذ فى ذى الحجة سنة ثلاث وستين، فمرٌ عليه مروان بن الحكم، وهو مع مُسْرِف بن عقبة ويده على فرجه فقال: والله لئن حفظته فى الممات لكما حفظته فى الحياة، فقال له مسرف: والله ما أرى هؤلاء إلا أهل الجنة، لا يسمع هذا منك أهل الشام فيكركرهم عن الطاعة، فقال لهم مروان: إنهم بدَّلوا وغيَّروا. (طبقات ابن سعد) : ٥/ ١٧٠ - ١٧١.

(٢) زينب بنت عمر بن الخطاب القرشية، قال الزبير بن بكار فى كتاب (النسب) : أمها فكيهة، أم ولد، وهى أخت عبد الرحمن بن عمر الأصغر، والد المختار. (صفة الصفوة) : ١/ ١٤٢، (الإصابة) : ٦٨٤، ترجمة رقم (١١٢٦٢).

(٣) قال ابن الجوزى: وفاطمة: أمها أم حكيم بنت الحارث. (صفة الصفوة) : ١/ ١٤٢، وقال ابن قتيبة: وفاطمةَ وزيداً: أمهما أم كلثوم بنت على بن أبى طالب، من فاطمة بنت رسول الله ﷺ . (المعارف ١٨٥).

[أصهاره ﷺ من قبل أم سلمة]

هشام بن المغيره بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، أبو عثمان القرشي المخزومي، عم أم سلمة، كان في الجاهلية سيداً مطاعًا، يقال له: فارس البطحاء، وكان يوم الفجار على بني مخزوم، وأرخت قريش بموته، وأمه وأم إخوته هاشم وأبي حذيفة مُهْشم وأبي ربيعة عمرو، وأبي أمية حذيفة وحواش وأبي زهير تميم والفاكة وعبد الله: رِيطة بنت سُعيد بن سعد بن سهم، وله من الولد عثمان أبو جميل، والحارث والعاصي، وخالد وسعيد وسلمة.

وهشام بن المغيرة، وبه كان يكنى عثمان أبو المغيرة، وهو ابن حنتمة أم عمر بن الخطاب، ولا عقب له.

وأبو حذيفة بن المغيرة، واسمه مُهْشم، وله من الولد: أبو أمية وهشام(١).

---

(١) قال أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسيّ: وولدُ المغيرةِ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وفيه بيت بني مخزوم، وعددهم: هشام، والوليد، وأبو حذيفة – واسمهُ مهَشَم– وأبو اميه– واسمه حذيفة– وهاشم، والفاكه، ونوفل، وأبو ربيعة– واسمه عمر– وعبد الله، وأبو زهير– واسمه تميم– وعبد شمس، وحفص.

فأما هاشم فإنه ولد حنتمة أم عمر بن الخطاب، ولا عقب لهاشم، ولا للفاكه، ولا لعبد الله. وكان للفاكه ابن اسمه ابو قيس، قُتل يوم بدر كافراً. وكان لعبد الله بن المغيرة ابنان: عثمان، أسر يوم بدر كافراً، ونوفل، قُتل يوم الخندق كافراً. (جمهرة انساب العرب): ١٤٤ – ١٤٥.

لكن قال ابن هشام: وأما عثمان بن عبد الله، فلحق بمكة، فمات بها كافراً. (سيرة ابن هشام): ٣/ ١٥٠.

وقال ابن قتيبة: وكان هشام بن المغيرة سيداً في قومه، وفيه يقول الشاعر:

واصبح بطن مكة مقشعراً ... كأن الأرض ليس بها هشامُ

وأبو أميــة، وهو زاد الركب(١)، وكـان يعـرف بأبى عـبـد مناف واسـمـه حذيفة بن المغيرة، وإنما قيل له: زاد الركب(١)، لأنه كان إذا سافر لم يتزود معه أحد، وهو زوج عاتكة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ بين أربع عواتك(٢):

[الأولى] : عـاتكة بنت عـبـد المطلب(٣)، وهى أم زهيـر وعـبـد الله

---

(١) فى (جمهرة النسب) للكلبى: ومن بنى المطلب بن أسد بن عبد العزى: الأسود كان من المستهزئين، وابنه زمعة بن الأسود، قُتل يوم بدر كافراً، وكان يدعى: «زاد الركب». (جمهرة النسب): ٧٢.

(٢) سميت المرأة عاتكة لصفائها وحمرتها، وفى الحديث: قال ﷺ يوم حنين: أنا ابن العواتك من سُلَيْم؛ العواتك جمع عاتكة، وأصل العاتكة: المتضمّخة بالطيب. ونخلة عاتكة: لا تَأبر، أى لا تقبل الإبار، وهى الصدود تحمل الشيص.

والعواتك من سليم: ثلاث يعنى جداته ﷺ، وهنَّ عـاتكة بنت هلال بن فـالج بن ذكوان أم عـبـد مناف بن قصى جدّ هاشم.

وعاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان أم هشام بن عبد مناف.

وعـاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان، أم وهب بن عبد مناف بن زهرة، جدّ رسول الله ﷺ، أبى أمه آمنة بنت وهب.

فالأولى من العواتك عمة الثانية، والثانية عمة الثالثة، وبنو سليم تفخر بهذه الولادة.

والعـواتك اللاتى ولدنه ﷺ: اثنتـا عـشـرة: اثنتـان من قـريش، وثلاث من سليم هن اللواتى اسميناهن، واثنتان من عَدْوان، وكنانيـة، وأسدية، وهُذَلية، وقضاعية، وأزدية. (لسان العرب): / ٤٦٤، (النهاية): ٣/ ١٧٩ - ١٨٠.

(٣) هى عاتكة بنت عبد المطلب بن هاشم، كانت عند أبى أمية بن المغيرة المخزومى فولدت له عبد الله، وزهيراً، وقريبة. قال ابن عبد البر: اختلف فى إسلامها؛ والأكثرون يأبون ذلك. قال الحافظ الذهبى: أسلمت، وهاجرت، وهى صاحبة تلك الرؤيا فى مهلك أهل بدر، وتلك الرؤيا ثبطت أخاها أبا لهب عن شهود بدر.

واستـدلّ على إسلامـهـا بشـعـر لهـا تمدح النبى ﷺ، وتصـفـه بالنبـوة، وقـال الدارقطنى فى كـتـاب (الإخـوة): لهـا شعـر تذكـر فيه تصديقهـا. وقال ابن منده بعد ذكرهـا فى الصحابـة: روت عنهـا =

[وقريبة](١).

[الثانية] : عاتكة بنت جذل الطعان، وهى أم أم سلمة والمهاجر.

[الثالثة] : عاتكة بنت عتبة بن ربيعة، وهى أم قوسة الكبرى وقوسة الصغرى، هذا قول محمد بن سلام، وقال الزبير بن بكَّار : قد غلط ابن سلام؛ قوسة الصغرى جدتها، وأمها عاتكة بنت عبد المطلب.

[الرابعة] : عاتكة بنت قيس بن سويد بن ربيعة بن أبير بن نهشل بن

= أم كلثوم بنت عقبة. وقال ابن سعد : أسلمت عاتكة بنت عبد المطلب وهاجرت إلى المدينة.

قال الحافظ الذهبى : ولم نسمع لها بذكر فى غير الرؤيا. وقال ابن هشام فى (السيرة)، فى غزوة بدر الكبرى : وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب - قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال - رؤيا افزعتها، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له : يا أخى، والله لقد رأيت الليلة رؤيا افظعتنى، وتخوفتُ أن يدخل على قومك منها شرّ ومصيبة، فاكتم عنى ما أحدثك به؛ فقال لها : وما رأيت؟ قالت : رأيت راكبًا أقبل على بعير له، حتى وقف بالأبطح، ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفروا، يالغُدُر لمصارعكم فى ثلاث، فارى الناس اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والنّاس يتبعونه، فبينما هم حوله مثل به [قام به] بعيره على ظهر الكعبة، صرخ بمثلها : ألا انفروا يالغُدر لمصارعكم فى ثلاث، ثم مثل به بعيره على رأس أبى قبيس [اسم جبل]، فصرخ بمثلها، ثم أخذ صخرةً فأرسلها. فأقبلتْ تهوى، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت [تفتتت]، فما بقى بيت من بيوت مكة، ولا دار إلا دخلتها منه فلقة.

قال العباس : والله إن هذه لرؤيا، وأنت فاكتميها، ولا تذكريها لأحد، ثم خرج العباس، فلقى الوليد بن عتبة بن ربيعة - وكان صديقًا له - فذكرها له، واستكتمه إياها، فذكرها الوليد لأبيه عتبة، ففشا الحديث بمكة، حتى تحدثت به قريش فى أنديتها. (سيرة ابن هشام) : ٣/ ٥٣-٥٤، (طبقات ابن سعد) : ٨/ ٤٣-٤٥، (طبقات خليفة) : ٣٣١، (المعارف) : ١١٨، ١١٩، ١٢٨ (الاستيعاب) : ٤ / ١٧٨٠، ترجمة رقم (٣٢٢٥)، (الإصابة) : ٨/ ١٣-١٤، ترجمة رقم (١١٤٥١)، (سير الأعلام) : ٢ / ٢٧٢، ترجمة رقم (٤٣)، (أعلام النساء) : ٣/ ٢٠٧-٢٠٨.

(١) زيادة للسياق من (الاستيعاب).

ذارم، وهى أم أبى الحكم ومسعود ابنى أبى أمية، وربيعة وهشام الأكبر، وقد تقدم فى الأحماء.

[الخامسة]: وصفية أمهم عاتكة بنت ربيعة بن عمرو بن عمير الثقفى، فهذه عاتكة خامسة(١).

---

(١) كذا بالأصل، لكن قال أبو عمرفى (الاستيعاب): كان لعبد المطلب ستّ بنات، عمات رسول الله ﷺ، وهنّ:

[١] أم حكيم بنت عبد المطلب، يقال لها: البيضاء، ويقال: إنها توأمة عبد الله بن عبد المطلب، وقد اختلف في ذلك، ولم يختلف فى أنها شقيقة عبد الله، وأبى طالب، والزبير بنى عبد المطلب.

وكانت أم حكيم هذه عند كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف، فولدت له عامراً وبنات له، وهى القائلة: إنى لحَصَان فما أكلم، وصَنَاع فما أعلم.

[٢] وعاتكة بنت عبد المطلب. كانت عند أبى أميةبن المغيرة المخزوميّ، فولدت له عبد الله، وزهيراً، وقريبة.

[٣] وبرّة بنت عبد المطلب، كانت عند أبى رهم بن عبد العزى العامرىّ، ثم خلف عليها بعده عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وقد قيل: إن عبد الأسد كان عليها قبل أبى رُهم.

[٤] وأميمة بنت عبد المطلب، كانت عند جحش بن رئاب أخى بنى غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة، وهى أم عبد الله، وعبيد الله، وأبى أحمد، وزينب، وأم حبيبة، وحمنة بنت جحش بن رئاب.

[٥] وأروى بنت عبد المطلب، كانت تحت عمير بن وهب [بن أبى كبير] بن عبد بن قصىّ، فولدت له طليباً، ثم خلف عليهاكَلَدَة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى، فولدت له أروى.

[٦] صفية بنت عبد المطلب بن هاشم [بن عبد مناف]، عمة رسول الله ﷺ وأمها هالة بنت وهيب ابن عبد مناف بن زهرة، وهى شقيقة حمزة، والمقوم، وحجل بنى عبد المطلب.

كانت صفية فى الجاهلية تحت الحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس، ثم هلك عنها، وتزوجها العوام بن خويلد بن أسد، فولدت له الزبير، والسائب، وعبد الكعبة، وعاشت زمانًا طويلاً. وتوفيت فى خلافة عمر بن الخطاب سنة عشرين، ولها ثلاث وسبعون سنة، ودفنت بالبقيع بفناء دار المغيرة [ابن شعبة] وقد قيل: إن العوام كان عليها قَبْلُ، وليس بشئ.(الاستيعاب): ٤ / ١٧٨٠، ترجمة أورى بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، عمة رسول الله ﷺرقم (٣٢٢٥)، ٤ /١٨٧٣، ترجمة صفية عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف عمة رسول الله ﷺ رقم (٤٠٠٨).

وأبو ربيعة، وهو ذو الرمحين، واسمه عمرو بن المغيرة، وله من الولد: عبد الله وعياش ابنى أبى ربيعة، وقيل لحى أبى ربيعة: أن اسمه حذيفة، وقيل اسمه كبيشه، والأول أصح.

وخراش بن المغيرة، وأبو زهير تميم، والفاكه بن المغيرة له من الولد أبو قيس، وعبد الله بن المغيرة له من الولد عثمان، ونوفل، والوليد بن المغيرة أبو عبد شمس، أمه وأم أخيه عبد شمس صخرة بنت الحارث بن عبد الله بن عبد شمس من قيس، وله من الولد: خالد بن الوليد سيف الله(١)،

(١) هو خالد بن الوليدبن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن كعب، سيف الله تعالى، وفارس الإسلام، وليث المشاهد، السيد الإمام، الأمير الكبير، قائد المجاهدين، أبو سليمان، القرشيّ المخزوميّ المكيّ، وابن أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث.

هاجر مسلمًا فى صفر سنة ثمان، ثم سار غازيًا، فشهد غزوة مؤتة، واستشهد أمراء رسول الله ﷺ الثلاثة: مولاه زيد، وابن عمه جعفر ذو الجناحين، وابن رواحة، وبقى الجيش بلا أمير، فتأمّر عليهم فى الحال خالد،وأخذ الراية، وحمل على العدو، فكان النصر، وسماه النبى ﷺ سيف الله، فقال: إن خالداً سيفٌ سَلَّهُ الله على المشركين.

وشهد الفتح وحنينًا، وتأمّر فى أيام النبى ﷺ، واحتبس أدرعه ولأمته فى سبيل الله، وحارب أهل الردة، ومسيلمة، وغزا العراق، واستظهر، ثم اخترق البرية السماوية، بحيث إنه قطع المفازة من حدّ العراق إلى أول الشام فى خمس ليال فى عسكر معه، وشهد حروب الشام، ولم يبق فى جسده قِيدُ شبرٍ إلا وعليه طابع الشهداء، ومناقبه غزيرة، أمّره الصديق على سائر أمراء الأجناد، وحاصر دمشق، فافتتحها هو وأبو عبيدة.

توفى بحمص سنة إحدى وعشرين – ومشهده على باب حمص عليه جلالة، له أحاديث قليلة، وقال هشام بن عروة عن أبيه، قال: لما استخلف عمر، كتب إلى أبى عبيدة :إنى قد استعملتك وعزلتُ خالداً.

وقال خليفة: ولّى عمر اباعبيدة على الشام، فاستعمل يزيدعلى فلسطين، وشرحبيل بن حسنة على الأردن، وخالد بن الوليد على دمشق، وحبيب بن مسلمة على حمص.

وقال دُحَيْم:مات بالمدينة. قال الحافظ الذهبى: الصحيح موته بحمص، وله مشهد يُزار، وله فى (الصحيحين) حديثان، وفى (مسند بقى) واحد وسبعون. له ترجمة فى: (طبقات ابن سعد): ٤/ ؟، (مسندأحمد): ٤/٨٨، (طبقات خليفة): ١٩– ٢٠– ٢٩٩، (تاريخ خليفة): ٨٦، ٨٨، ٢٩٢، ١٥٠، (التاريخ الصغير): ١/٢٣، ٤٠، (المعارف): ٢٦٧، (الجرح والتعديل): ٣/٣٥٦،

وعمارة(١).

= (تهذيب الأسماء واللغات): ١/٧٢-١٧٤، (تهذيب التهذيب): ٣/١٠٧، ترجمة رقم ٢٢٨ (كنز العمال): ١٣/٣٦٦-٣٧٥، (خلاصة تذهيب الكمال): ١/٢٨٥، ترجمة رقم (١٨٠٩)، (الإصابة): ٢/٢٥١، ترجمة رقم (٢٢٠٣)، (الاستيعاب): ٢/٤٢٧، ترجمة رقم (٦٠٣)، (سير أعلام النبلاء): ١/٣٦٦-٣٨٤، ترجمة رقم (٧٨)، (أسماء الصحابة الرواة): ١٢٧، ترجمة رقم (١٣٠)، (تلقيح الفهوم): ٣٦٨، (صفة الصفوة): ١/٣٣٠، ترجمة رقم (٨١)، (شذرات الذهب): ١/٢٣٢، (الثقات): ٣/١٠١، (التاريخ الكبير): ٣/١٣٦، (لسان الميزان): ٢/٣٨٩.

(١) قال ابن إسحاق: ثم إن قريشًا حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله ﷺ وإسلامه وإجماعه لفراقهم فى ذلك وعداوته، مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له - فيما بلغنى -: يا أبا طالب، هذا عمارة بن الوليد أنْهَدُ [أشدّ] فتى فى قريش وأجمله فخذه، فلك عقله ونصره، واتخذْه ولداً فهو لك، وأسلِمْ إلينا ابن أخيك هذا، الذى قد خالف دينك ودين آبائك، وفرق جماعة قومك وسفّه أحلامهم، فنقتله، فإنما هو رجل برجل، فقال: والله لبئس ما تسومونني! أتعطونني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابنى تقتلونه؟ هذا والله ما لا يكون أبداً (سيرة ابن هشام): ٢/١٠١-١٠٢، قريش تعرض عمارة بن الوليد على أبى طالب، (البداية والنهاية): ٣/٦٣.

وروى الحافظ أبونعيم عن ابن إسحاق عن أبى بردة عن أبيه قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن ننطلق مع جعفر بن أبى طالب إلى أرض الحبشة، فبلغ ذلك قريشًا، فبعثوا عمرو بن العاص، وعمارة بن الوليد، وجمعوا للنجاشىّ هدية، فقدما على النجاشىّ، فأتياه بالهدية فقبلها، ثم قال عمرو بن العاص: إن ناسًا من أرضنا رغبوا عن ديننا، وهم بأرضك، فبعث إلينا، فقال لنا جعفر: لا يتكلم منكم أحد، أنا خطيبكم اليوم، فانتهيت إلى النجاشىّ وهو جالس فى مجلسه، وعمرو بن العاص عن يمينه، وعمارة عن يساره، والقسيسون والرهبان سِمَاطَيْن [صفّين]، قد قال لهم عمرو وعمارة: إنهم لايسجدون، فلما انتهينا بَدَرَنا مَنْ عنده من القسيسين والرهبان: اسجدوا للملك، فقال لهم جعفر: لا نسجد إلا لله عزّ وجلّ، قال له النجاشىّ: وما ذاك؟ قال: إن الله عزّ وجلّ بعث فينا رسولاً،الرسول الذى بشر به عيسى عليه السلام، فأمرنا أن نعبد الله، ولا نشرك به شيئًا، ونؤتى الزكاة، وأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر.

فأعجب النجاشىّ ذلك، وذكر نحواً من القصة الأولى، وقال فيه النجاشىّ: وأنا أشهد أنه رسول الله، وأنه الذى بشر به عيسى، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيتُه حتى أُقَبِّلَ نعله. امكثوا ما شئتم، وأمر لنا بالطعام والكسوة، وقال: ردوا على هذين هديتهما، وكان عمرو بن العاص رجلاً قصيراً، وكان عمارة رجلاً جميلاً، وكانا أقبلا فى البحر إلى النجاشىّ، فشربوا [يعنى خمراً]، ومع عمرو امرأته، فلما شربوا قال عمارة لعمرو: مُرْ امرأتك فلتقبلنى، فقال له عمرو: ألا تستحى! فأخذ عمارة عمرواً فرمى به فى البحر، فجعل عمرو يُناشده حتى أدخله السفينة، فحقد عليه عمرو ذلك، فقال عمرو =

وأبو قيس(١)، وهشام(٢) وعبد شمس(٣) والوليد(٤).

وعبد شمس(٥) بن المغيرة له من الولد الوليد بن عبد شمس، وحفص بن المغيرة، أمه من بنى الأحمر بن الحارث بن مناة من كنانة، وكان شريفًا، وله من الولد أبو عمرو(٦).

ولحفص يقول الشاعر:

نادى المضاف المستضيف وقل له:

لنا دار حفص بن المغيرة فانزلِ

= النجاشىّ: إنك إذا خرجتَ خلفك عُمارة فى أهلك، فدعا النجاشىّ عمارة فنفخ فى إحليله [سِحْرًا] فطار مع الوحش.

قال أبو نعيم: وكل هذه الروايات عمن لا يدفع عن صدق وفهم، فهذا يدل على أن قريشًا بعثت عمرو بن العاص دفعتين: مرة مع عُمارة بن الوليد، ومرة مع عبد الله بن أبى ربيعة. (دلائل أبى نعيم): ١/٢٥٢، حديث رقم(١٩٦)، وعنه ابن كثيرفى (البداثة والنهاية): ٣/٨٩-٩٤، (دلائل البيهقى): ٢/٢٨٥، باب الهجرة الأولى إلى الحبشة، ثم الثانية، وما ظهر فيها من الآيات، وتصديق النجاشىّ ومن تبعه من القسيسين والرهبان رسول الله، (جمهرة النسب): ٨٨.

(١) أبو قيس بن الوليد بن المغيرة، قُتل يوم بدرٍ كافرًا(المرجع السابق).

(٢) هشام بن الوليد بن المغيرة، هو الذى قتل أبا أُزَيْهَر الدوسىّ بذى المجاز.

(٣) وبه كان الوليد يُكنَى(المرجع السابق).

(٤) الوليد بن الوليد، كان من خيار المسلمين (المرجع السابق).

(٥) قال الكلبى: ومن ولد عبد شمس بن المغيرة: الأزرق، وهو عبد الله بن عبد الرحمن بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة ولى اليمن لابن الزبير، [وقيل: ولى الجَنَد ومخاليفها]، وكان من أجود العرب، وكان أبو دَهْبل يمدحه بقوله:

عقم النساء فما يلدن شبيهه ... إن النساء بمثله عُقْمُ

متقدمٌ بنعمٍ مخالفُ قول لا ... سِيَّانِ منه الوفر والعُدْمُ

(المرجع السابق).

(٦) قال الكلبى: ومنْ وَلَدِ حفص بن المغيرة: عبد الله بن أبى عمرو بن حفص بن المغيرة، وهو أول خلق الله خَلَع يزيد بن معاوية. (جمهرة النسب): ٨٩، (جمهرة أنساب العرب): ١٤٩.

فــــإن بـــلاد الله إلا محـلَّـــــة

جدُوب، وإن تنزل على الجدْب تُهْزَلِ

وعثمان بن المغيرة، أمه بنت شيطان، واسمه عبد الله بن عبد الحارث بن مالك بن عبد مناة بن كنانة.

* * *

[أولاد عمّ أمّ سلمة]

وأما أولاد عم أم سلمة فهم:

عثمان بن هشام بن المغيرة، وبه كان يكنى أبوه، وأمه بنت عثمان بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ولا عقب له(١).

وخالد بن هشام بن المغيرة، أسره يوم بدر سواد بن غزيه(٢).

والحارث بن هشام بن المغيرة، أبو عبد الرحمن، أمه وأم أخيه أبى جهل: أم الجلاس أسماء بنت مخربة بن جندل بن أبير بن نهشل بن دارم(٣)، وأخوتهما لأمهما: عياش وعبد الله وأم حجير بنو أبى ربيعة بن المغيرة، وشهد بدرًا كافرًا، وفرّ فعيرّة حسان بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه

---

(١) لم أجد له ترجمة فيما بين يدى من مراجع.

(٢) (مغازى الواقدى): ١ / ١٤٠، ذكر من أسر من المشركين [فى بدر]، (سيرة ابن هشام): ٣ / ٢٧٣، ذكر أسرى قريش يوم بدر، من بنى مخزوم بن يقظة بن مرة.

(٣) هى أسماء بنت سلمة – ويقال: سلامة بن مخربة ويقال: مخرمة – بن جندل بن أبير بن نهشل بن دارم الدارمية التميمية، كانت من المهاجرات، هاجرت مع زوجها عياش بن أبى ربيعة إلى أرض الحبشة، وولدت له بها عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة، ثم هاجرت إلى المدينة، وتكنى أم الجُلاس. روت عن النبى ﷺ، وروى عنها ابنهاعبد الله بن عياش بن أبى ربيعة.

وأما أم عياش بن أبى ربيعة فهى أم أبى جهل والحارث ابنى هشام بن المغيرة، وهى أيضًا أم عبد الله ابن أبى ربيعة أخى عياش بن أبى ربيعة، وأمها أسماء بنت مخرمة بن جندل، وهى عمة أسماء بنت سلمة ، زوجة عياش بن أبى ربيعة، وامرأته أسماء بنت سلامة بن مخرمة التميمية.

قال الحافظ فى (الإصابة): وخلط ابن منده ترجمتها بترجمة عمتها أسماء بنت مخربة. (الإصابة): ٧ / ٤٨٤–٤٨٥، ترجمة رقم (١٠٧٩٥)، (الاستيعاب): ٤ / ١٧٨٣، ترجمة رقم (٣٢٢٧).

بفراره فى شعر(١)، فاعتذر عن ذلك بشعر قاله(٢)، ثم غزا أُحداً مع المشركين أيضاً، وأسلم يوم الفتح وحسن إسلامه، وكان من فضلاء الصحابة وخيارهم، وكان من المؤلفة، مات بالشام فى طاعون عمواس، وقيل: قتل يوم اليرموك فى رجب سنة خمس عشرة وله عقب(٣).

(١) قال حسَّان:

إن كنت كاذبة الذى حدثتنى ... فنجوت مَنْجَى الحارث بن هشام
ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ... ونجا برأس طِمِرَّةٍ ولِجام

(٢) قال الحارث بن هشام:

الله يعلم ما تركتُ قتالهم ... حتى رموا فرسى بأشقر مُزْبِدِ
ووجدت ريح الموت من تلقائهم ... فى مأزق والخيل لم تتبدَّدِ
فعلمت أنى إن أقاتل واحداً ... أُقْتَلْ ولا يبكى عدوى مشهدى
ففررتُ عنهم والأحبة فيهمُ ... طمعًا لهم بعقاب يوم مُفسد

وقد وردت هذه الأبيات باختلاف يسير فى اللفظ، وبزيادة ونقصان فى العدد، وقد ذكرها كل من: الحافظ فى (الإصابة)، وأبو عمر فى (الاستيعاب) فى ترجمة الحارث بن هشام كما ذكرها مطولة ابن هشام فى (السيرة)، وحسان بن ثابت فى (الديوان).

(٣) له ترجمة فى: (طبقات ابن سعد): ٥/٤٤٤، (طبقات خليفة): ت٢٨١٩، (المعارف): ٢٨١، (الجرح والتعديل): ٢/١/٩٢، (المستدرك): ٣/٢٧٧، (الاستيعاب): ١/٣٠١-٣٠٤، ترجمة رقم (٤٤٠)، (الإصابة): ١/٦٠٥-٦٠٨، ترجمة رقم (١٥٠٦)، (سير أعلام النبلاء): ٤/٤١٩-٤٢١، ترجمة رقم (١٦٧)، (تهذيب التهذيب): ٢/١٤٠-١٤١، ترجمة رقم (٢٨١)، (شذرات الذهب): ١/٣٠، (البداية والنهاية): ٣/٢٩، (خلاصة تذهيب الكمال): ١/١٨٧، ترجمة رقم (١١٦٩)، (أسماء الصحابة الرواة): ٣٣٧، ترجمة رقم (٥٣٠)، (تلقيح الفهوم): ٣٧٦، (ديوان حسان بن ثابت): ٣٣١، قصيدة رقم (٢٢٧)، (سيرة ابن هشام): ٣/٢٨٦ - ٢٨٧، (سنن ابن ماجه): ١/٦٤١، حديث رقم (١٩٩١)، (تاريخ الإسلام): ٣/١٨٣.

وَعَمَواس أو عِمْواس: كورة من فلسطين، بالقرب من بيت المقدس، وقيل: هى ضيعة على ستة أميال من الرملة على طريق بيت المقدس، وفيها كان ابتداء الطاعون فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه، ثم فشا فى أرض الشام، فمات فيه خلق كثير من الصحابة وغيرهم، [منهم الحارث بن هشام].

وقيل: مات فيه خمسة وعشرون ألفًا من المسلمين. (معجم البلدان)، (تاريخ الإسلام): ٣/٤٢٠ [هامش].

وأبو جهل، عمرو بن هشام(١) بن المغيرة، كان يكنى بأبى الحكم، فكناه رسول الله ﷺ بأبى جهل، أنشد المبرد لحسان بن ثابت(٢):

أيا من كنّوه أبا حكم ... والله كناه أبا جهلِ
أبت رياسته لأسرته ... يوم الفزوع وذلة الأهلِ

وروى أنه قال: لكل أمة فرعون، وفرعون هذه الأمة أبو جهل(٣)، وأخباره فى محادّته لله ولرسوله كثيرة، منها: أنه كان فى نفر من قريش فيهم عقبة بن أبى معيط(٤)، وكان عقبة أسفه قريش، ورسول الله ﷺ يصلى فأطال السجود، فقال أبو جهل: أيكم يأتى جزوراً لبنى فلان قد نحرت بأسفل مكة، فيجئ بفرثها فيلقيه على محمد، فانطلق عقبة بن أبى معيط، فأتى بفرثها فألقاه على ما بين كتفى رسول الله ﷺ وهو ساجد، فجاءت فاطمة عليها السلام، فأماطت ذلك عنه، ثم استقبلتهم تشتمهم، فلم يرجعوا إليها شيئًا، ودعا رسول الله ﷺ حين رفع رأسه فقال: اللهم عليك بقريش، عليك بعقبة بن أبى معيط، وبأبى جهل، وبشيبة، وعتبة، وأمية بن خلف، ثم قال لأبى جهل: والله لتنتهين أو لينزلن الله عليك قارعة.

---

(١) فى (خ): «عمرو بن الحارث بن هشام»، وصوبناه من (جمهرة أنساب العرب)، وفيه: فولد هشام ابن المغيرة: أبو جهل، اسمه: عمرو، وكنيته: أبو الحكم، وأبو جهل: لقب. (جمهرة أنساب العرب): ١٤٥.

(٢) لم أجدهما فى النسخة المحققة من (الديوان).

(٣) (تذكرة الموضوعات للفتنى): ١٠٠.

(٤) فى (خ): (أبى معيط إبان).

وخرج رسول الله ﷺ، فلقيه أبو البحترى العاص بن هاشم بن أسد بن عبد العُزَّى بن قصىّ(١)، وكان أقل الناس أذى له، فأنكر وجهه، فسأله عن خبره، فأخبره به، وكان معه سوط، فأتى أبا جهل فعلاه به، فتشاور بنو مخزوم وبنو أسد بن عبد العزى، فقال أبو جهل: ويلكم، إنما يريد محمد أن يلقى بينكم العداوة(٢).

وقال رسول الله ﷺ لعقبة: يا ابن إبان، ما أنت بمقصر عما ترى، فقال: لا، حتى تدع ما أنت عليه، فقال والله لتنتهين أو لتحلنّ بك قارعة.

وقال أبو جهل: والله لئن رأيتُ محمداً يصلى لأطأن رقبته، فبلغه أنه يصلى، فأقبل مسرعًا فقال: ألم أنهك يا محمد عن الصلاة، فانتهره رسول الله ﷺ، فقال: أتنتهرنى وتهددنى وأنا أعز أهل البطحاء؟ فسمعه العباس ابن عبد المطلب فغضب وقال: كذبت، فنزلت: ﴿**أرأيت الذى ينهى * عبداً إذا صلى**﴾(٣)، يعنى أبا جهل، ﴿**أرأيت إن كان علي الهدى**﴾(٤)، يعنى رسول الله ﷺ(٥).

وقال أبو جهل: يا محمد، ابعث لنا رجلين أو ثلاثة من آبائنا ممن قد مات، فلست بأهون على الله من عيسى فيما تزعم، فقد كان عيسى يفعل

---

(١) اسمه العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى، قاله ابن إسحاق وهو قول الكلبى، وقال ابن هشام: اسمه العاص بن هاشم، وهو قول الزبير بن أبى بكر وقول مصعب. (سيرة ابن هشام): ٢/ ٩٩.

(٢) ذكره الحافظ أبو نعيم فى (دلائل النبوة): ١/ ٢٦٦-٢٦٧، حديث رقم (٢٠٠) لكن بسياقه أخرى أطول من ذلك.

(٣) العلق: ٩، ١٠.

(٤) العلق: ١١.

(٥) (تفسير ابن كثير): ٤/ ٥٦٥-٥٦٦، (دلائل البيهقى): ٢/ ١٨٩-١٩٢، (عيون الأثر): ١/ ١٠٨.

ذلك، فقال: لم يُقدَّر في الله على ذلك، قال: فسخِّرْ لنا الريح لتحملنا إلى الشام في يوم وتردّنا في يوم، فإن طول السفر يجهدنا، فلست بأهون على الله من سليمان بن داود، فقد كان يأمر الريح فتغدو به مسيرة شهر، وتروح به مسيرة شهر، فقال: لا أستطيع ذلك، فقال أبو جهل: فإن كنت غير فاعل شيئًا ما سألناك، فلا تذكر آلهتنا بسوء، فقال عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم: فأرنا كرامتك على ربك، فليكن لك بيت من زخرف، وجنة من نخيل وعنب تجرى تحتها الأنهار، وفجّر لنا ينبوعًا مكان زمزم، فقد شق علينا أو عليها، وإلا فأسقط السماء علينا كسفًا، فقال: ليس هذا بيدى، هو بيد الذى خلقنى، قال: فارْق إلى السماء وأتنا بكتاب نقرأه ونحن ننظر إليك، فنزلت فيه الآيات من سورة الإسراء(١).

ولما نزلت: ﴿ **إن شجرتَ الزقوم* طعام الأثيم * كالمهل يغلى فى البطون* كغلى الحميم** ﴾(٢) قال أبو جهل: إنما أنا أدعو لكم يا معشر قريش

---

(١) (تفسير ابن كثير): ٣/٦٦-٨٦، الآيات ٢٩-٩٤ من سورة الإسراء.

(٢) الدخان: ٤٣-٤٦، ولما ذكر الله تعالي فريقًا مرحومين على وجه الإجمال، قابله هنا بفريق معذبون، وهم المشركون، ووصف بعض أصناف عذابهم، وهو مأكلهم وإهانتهم، وتحريقهم، فكان مقتضى الظاهر أن يبتدأ الكلام بالإخبار عنهم بأنهم يأكلون شجرة الزقوم، كما قال فى سورة الواقعة: ﴿ **ثم إنكم أيها الضالون المكذبون * لآكلون من شجر من زقوم** ﴾ [الواقعة: ٥١-٥٢]، فعُدل عن ذلك إلى الإخبار عن شجرة الزقوم بانها طعام الأثيم، اهتمامًا بالإعلام بحال هذه الشجرة، وقد جُعلت شجرة الزقوم شيئًا معلومًا للسامعين، فأخبر عنها بطريق تعريف الإضافة، لانها سبق ذكرها في سورة الواقعة، التى نزلت قبل سورة الدخان، فإن الواقعة عُدَّت السادسة والأربعين فى عداد نزول السور، وسورة الدخان ثالثة وستين. ومعنى كون الشجرة طعامًا أن ثمرها طعام، كما قال تعالى: ﴿ **طلعها كأنه رؤوس الشياطين * فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون** ﴾ [الصافات: ٦٥-٦٦].

وكتبت كلمة ﴿ **شجرت** ﴾ فى المصاحف بتاء مفتوحة، مراعاة لحالة الوصل، وكان الشائع فى رسم أواخر الكلم أن تراعى فيه حالة الوقف، فهذا مما جاء علي خلاف الأصل.

و﴿ **الأثيم** ﴾: الكثير الآثام، كما دلت عليه فعيل، والمراد به: المشركون المذكورون فى قوله تعالى: ﴿ **إن هؤلاء ليقولون * إن هى إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين** ﴾ [الدخان: ٤٣-٥٣]، فهذا من الإظهار فى مقام الإضمار، لقصد الإيماء إلى أن المهم بالشرك مع سبب معاملتهم هذه. (تفسير=

[لنتزقم](1) فدعا بزبد وتمر فقال: تزقموا من هذا، فإنا لا نعلم زقوما غير هذا، فبين الله تعالي أمرهم فقال: **﴿إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم * طلعها كأنه رؤوس الشياطين﴾**(2)، فقالت قريش: شجرة تنبتُ فى النار؟ فكانت فتنة لهم، وجعل المستهزءون يضحكون(3).

وفى رواية: ولما نزلت **﴿ثم إنكم أيها الضالون المكذبون * لآكلون من شجر من زقوم﴾**(4)، قال أبو جهل: ائتونا بزبد وتمر ثم قال: تزقموا فإن هذا الزقوم، فنزلت: **﴿إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم﴾**.

= التحرير والتنوير): ٢٥/ ٣١٤.

وشجرة الزقوم ذكرت هنا ذكر ما هو معهود من قبلُ لورودها مُعَرَّفة بالإضافة، ولوقوعها فى مقام التفاوت بين حالى خير وشرّ، فيناسب أن تكون الحوالة على مثلين معروفين، فأما أن يكون اسماً جعله القرآن لشجرة فى جهنم، ويكون سبق ذكرها فى: **﴿ثم إنكم أيها الضالون المكذبون * لآكلون من شجر من زقوم﴾** [الواقعة: ٥١-٥٢]، وكان نزولها قبل نزول سورة الصافات.

ويبين هذا ما رواه الكلبى: أنه لما نزلت هذه الآية [أى آية سورة الواقعة]، قال ابن الزبعرى: أكثر الله في بيوتهم الزقوم، فإن أهل اليمن يسمون التمر والزبد بالزقوم، فقال أبو جهل لجاريته: زقمينا، فأتته بزبد وتمر فقال: تزقموا.

وعن ابن سيده: بلغنا أنه لما نزلت: **﴿إن شجرة الزقوم * طعام الأثيم﴾** [الدخان: ٤٣-٤٤]، لم يعرفها قريش، فقال أبو جهل: يا جارية هاتى لنا تمراً وزبداً نزدقمه، فجعلوا يأكلون ويقولون: أفبهذا يخوفنا محمد فى الآخرة؟

والمناسب أن يكون قولهم هذا عندما سمعوا آية سورة الواقعة، لا آية سورة الدخان، وقد جاءت فيها نكرة.

وأما أن يكون اسماً لشجر معروف هو مذموم، قيل: هو شجر من أخبث الشجر يكون بتهامة والبلاد المجدبة المجاورة للصحراء، كريهة الرائحة، صغيرة الورق، مسمومة، ذات لبن إذا أصاب جلد الإنسان تورم، ومات منه فى الغالب. قاله قطرب وأبو حنيفة.

(١) ما بين الحاصرتين مطموس فى (خ)، ولعل ما أثبتناه يناسب السياق.

(٢) الصافات: ٦٤-٦٥.

(٣) (تفسير التحرير والتنوير): ٢٣/ ١٢٢.

(٤) الواقعة: ٥١-٥٢.

وفى رواية : لما نزلت آية الزقوم، لم تعرفه قريش، فقال أبو جهل: هذا شجر لا ينبت بأرضنا، فمن منكم يعرفه؟ فقال رجل قدم من أفريقية: الزقوم بلغة أفريقية: الزبد والتمر، فقال أبو جهل: يا جارية، هاتى تمراً وزبداً نزقمه، فجعلوا يأكلون ويتزقمون ويقولون: أبهذا يخوفنا محمد فى الآخرة، فبين الله فى آية أخرى الزقوم بقوله: ﴿**إنها شجرة تنبت فى أصل الجحيم**﴾.

ونزل قوله تعالى: ﴿**وأما من بخل واستغنى * وكذب بالحسنى**﴾[١] فى أبى جهل[٢]. وقال أبو بكر بن أبى شيبة: حدثنا عبد الله بن نمير عن حجاج عن منذر عن ابن الحنفية فى قوله تعالى: ﴿**وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم**﴾[٣] قال: كان أبو جهل وصناديد قريش يأتون الناس إذا جاءوا إلى النبى ﷺ يسلمون فيقولون: إنه يحرم الخمر ويحرم ما كانت تصنع العرب فارجعوا فنحن نحمل أوزاركم، فنزلت هذه الاية: ﴿**وليحملن أثقالهم**﴾[٤].

---

(١) الليل: ٨ -٩.

(٢) (البحر المحيط): ١٠ / ٤٩٤، وقال الزمخشرى: الآية واردة فى الموازنة بين حالتى عظيم من المشركين [وهو أبو جهل]، وعظيم من المؤمنين [وهو أبو بكر]، فاريد ان يبالغ فى صفتيهما المتناقضتين، فقيل: ﴿**الأشقى**﴾، وجعل مختصا بالصلى، كأن النار لم تخلق إلا له. وقال: ﴿**الأتقى**﴾، وجعل مختصاً بالنجاة، وقيل: هما أبو جهل أو أمية بن خلف، وأبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه. (المرجع السابق)، (الكشاف) ٤ /٢١٨.

(٣) العنكبوت : ١٣.

(٤) قوله تعالى: ﴿**وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شىء إنهم لكاذبون**﴾ [العنكبوت: ١٢]، أى إن كان اتباع سبيلنا خطيئة تؤاخذون بها عند البعث والنشور كما تقولون، فلنحمل ذلك عنكم، فنؤاخذ بها دونكم.

قال مقاتل: يعنى قولهم: نحن الكفلاء بكل تبعة تصيبكم من الله، واللام فى ﴿**لنحمل**﴾ لام الأمر، كأنهم أمروا أنفسهم بذلك، وقال الزمخشرى: الأمر بمعنى الخبر، وقرئ بكسر اللام، وهو لغة الحجاز، ثم ردَّ عليهم بقوله: ﴿**وما هم بحاملين من خطاياهم من شىء**﴾، ﴿**من**﴾ الأولى بيانية، =

وقدم رجل من هذيل يقال له عمرو بغنم له، فباعها، ورآه النبى ﷺ، فأخبره بالحق ودعاه إليه، فقال له أبو جهل - وكان خفيفًا حديد الوجه، ونظر به حوله فقال: أنظر إلى ما دعاك إليه هذا الرجل، فإياك أن تركن إلى قوله فيه، أو تسمع منه شيئًا، فإنه قد سفّه أحلامنا، وزعم أن من مات منا كافرًا يدخل النار بعد الموت وما أعجب ما يأتى به، قال: أفما تخرجونه من أرضكم؟ قال: لئن خرج من بين أظهرنا فيسمع كلامه وحلاوة لسانه قوم أحداث ليتبعنه، ثم لا نأمن أن يكر علينا بهم، قال: فأين أسرته عنه؟ قال: إنما امتنع بأسرته، ثم أسلم هذا الهذيلى يوم الفتح.

وقدم رجل من أراش بإبلٍ له مكة، فباعها من أبى جهل[١]، فمطله بأثمانها، فوقف الرجل على نادٍ[٢] [من][٣] قريش فقال: يا معشر قريش! إنى رجل غريب ابن سبيل، وإن أبا الحكم ابتاع مني ظهرًا فمطلنى بثمنه وجلسنى به حتى شقّ عليّ، فمن رجل يقوم معى فيأخذ لي حقى منه، وكان رسول الله ﷺ جالسًا فى عرض المسجد، فقالوا وهم يهزءون: أترى الرجل الجالس؟ انطلق إليه يأخذ لك بحقك، فأتى رسول الله ﷺ، فقال: يا

= و﴿من﴾ الثانية مزيدة للاستغراق، أى وما هم بحاملين شيئًا من خطيئاتهم التى التزموا بها، وضمنوا لهم حملها، ثم وصفهم الله تعالى بالكذب فى هذا التحمل، فقال: ﴿إنهم لكاذبون﴾ فيما ضمنوا به من حمل خطاياهم.

قال المهدوى: هذا التكذيب لهم من الله عزّ وجل حُمل على المعنى، لأن المعنى: إن اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم، فلما كان الأمر يرجع فى المعنى إلى الخبر، أوقع عليه التكذيب، كما يوقع على الخبر.

قوله تعالى: ﴿وليحملن أثقالهم﴾ أى أوزارهم التى عملوها، والتعبير عنها بالأثقال للإيذان بأنها ذنوب عظيمة، ﴿وأثقالاً مع أثقالهم﴾ أى أوزارًا مع أوزارهم، وهى أوزار من أضلوهم وأخرجوهم عن الهدى إلى الضلالة، ومثله قوله ﷺ: من سنّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها، كما فى حديث أبى هريرة، الثابت فى (صحيح مسلم) وغيره. (فتح البيان): ٧/١٩٤.

(١) كذا فى (خ)، وفى (دلائل أبى نعيم): «فابتاعها منه أبو جهل بن هشام».

(٢) فى (خ): «نادى».

محمد، إني رجل غريب، واقتصّ عليه قصته، فقام معه، حتى ضرب باب أبي جهل؛ فقال: من هذا قال: محمد بن عبد الله، فاخرج إليّ، ففتح الباب وخرج، فقال له النبي ﷺ: أخرج إلى هذا الرجل من حقه، قال: نعم، فقال: لست أبرح، أو تعطيه حقه، فدخل البيت وأخرج إليه بحقه وأعطاه إياه، فانطلق نبي الله ﷺ، وانصرف الرجل بحقه إلي مجلس قريش فقال: جزى الله محمداً خيراً، فقد أخذ لي حقي بأيسر الأمور، ثم انصرف وجاء أبو جهل فقالوا له: ماذا صنعت؟ فوالله ما بعثنا الرجل إلى محمد إلا هازئين، فقال: دعوني، فوالله ما هو إلا ضرب بابي، حتى ذهب فؤادي، فخرجت إليه، وإن علي رأس لفحلاً ما رأيت مثل هامته وأنيابه قط، فاتحًا فاه، فوالله لو أتيتُ لأكلني، فأعطيت الرجل حقه، فقال القوم: ما هو إلا بعض سحره[١].

وقال أبو بكر ابن أبي شيبة، حدثنا أبو أسامة عن سليمان بن المغيرة، عن ثابت قال: قال أصحاب أبي جهل لأبي جهل وهو يسير إلى رسول الله ﷺ يوم بدر: أرأيت مسيرك إلى محمد؟ أتعلم أنه نبي؟ قال: نعم، ولكن متى كنا تبعًا لعبد مناف.

وجاء أبو جهل في عدة من المشركين يريدون رسول الله ﷺ بسوء، فخرج إليهم وهو يقرأ ﴿يس﴾[٢]، وجعل التراب على رءوسهم،

(١) ذكره الحافظ ابو نعيم في (دلائل النبوة) مطولاً بسياقة أخرى، ١/٢١٠-٢١٢، حديث رقم (١٦١) وقال في آخره: وفي رواية، فقالوا لأبي جهل: فرقت من محمد كل هذا؟ قال: والذي نفسي بيده لقد رأيتُ معه رجالاً معهم حراب تلالا. قال أبو قزعة في حديثه: حرابًا تلمع، ولو لم أعطه لخفتُ ان يبعج بها بطني. وأخرجه ايضا ابن إسحاق في (السيرة)، والبيهقي في (الدلائل)، من طريق ابن إسحاق، والسيوطي في (الخطائص الكبرى)، وسنده مقطوع، وفيه عبد الملك بن ابي سفيان الثقفي، وهو مجهول كما في (تعجيل المنفعة)، (سيرة ابن هشام): ٢/٢٣٣-٢٣٥، (عيون الأثر): ١/١١٢.

(٢) أول سورة يس .

ويتعجبون وهم لا يرونه، فلما انصرف أقبلوا ينفضون التراب عن رءوسهم، ويتعجبون ويقولون: سحرٌ مِن سِحْرِ محمد.

وكان رسول الله ﷺ جالسًا في المسجد، ومعه أبو بكر وعمر وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم، إذ أقبل رجل من [بني زبيد](١) وهو يقول: يامعشر قريش، كيف تدخل عليكم [المادة أو يجلب إليكم جلب أو يحل تاجر بساحتكم](٢)، وأنتم تظلمون من دخل عليكم [في حرمكم](٣) وجعل يقف على الحلق حتى أتى إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه فقال له: من ظلمك؟ قال: أبو الحكم، طلب مني ثلاثة أجمال [كانت من خيرة](٤) إبلي فلم أبعه إياها بالوكس، فليس يبتاعها مني أحد اتباعًا لمرضاته، فقد أكسَدَ سلعتي وظلمني، فقال ﷺ: وأين أجملك؟ قال: هي هذه بالحزورة، فابتاعها رسول الله ﷺ، فباع منها جملين بالثمن الذي التمسه، ثم باع البعير الثالث، وأعطى ثمنه أرامل بني عبد المطلب، وأبوجهل جالس في ناحية من السوق لا يتكلم، ثم أقبل إليه رسول الله ﷺ فقال: يا عمرو! إياك أن تعود لمثل ما صنعت بهذا الأعرابي فترى مني ما تكره، فقال: لا أعود يا محمد.

فلما انصرف رسول الله ﷺ أقبل إليه أمية بن خلف ومن حضره من المشركين فقالوا: لقد ذللت في يديّ محمد كأنك تريد اتباعه، فقال: والله لا أتبعه أبدًا، إنما كان انكساري عنه لما رأيت من سحره، لقد رأيت عن يمينه وشماله رجالاً معهم رماح يشرعونها إليّ، لو خالفته لكانت إياها،

---

(١) زيادة للسياق من (عيون الأثر): ١/ ١١٣.

(٢) زيادة للسياق من (عيون الأثر): ١/ ١١٣.

(٣) زيادة للسياق من (عيون الأثر): ١/ ١١٣.

(٤) زيادة للسياق من المرجع السابق.

فقالوا هذا سحر منه(١).

وخرج أبو جهل إلى بدر مع المشركين، وقال يومئذ: اللهم أقطعنا للرحم، وآتانا بما لا نعرفه فأحْنه الغداة، فأنزل الله تعالى: ﴿ **إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح** ﴾(٢)، واستفتاحه هو قوله هذا فقتله الله بيد معاذ بن عمرو بن الجموح، وبعض بنى خفراء، ضرباه، ووقف عليه عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، ثم جاء إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، قد قتلت أبا جهل، فقال: الله الذى لا إله غيره، لأنت قتلته؟ قال: نعم، فاستحفه الفرح ثم قال: انطلق فأرينه، فانطلق حتى قام به على رأسه، فقال: الحمد لله الذى أخزاك، هذا فرعون هذه الأمة، جروه إلى القليب، فجروه، ونفل عبد الله بن مسعود سيفه(٣).

ونُقل أن أبا جهل كان مستوهبًا، واحتجوا بقول عتبة له: «سيعلم مُصفّر استه»، ورُدّ هذا بأن هذه الكلمة قالها قيس بن زهير في حذيفة بن بدر يوم الهباء، ولم يقل أحد إن حذيفة كان مستوهبًا.

وقال ابن دريد عن الأبنة: هو ممن لم يعرف فى الجاهلية إلا فى نفر منهم أبو جهل، ولهذا قيل له: مصفر استه، وقابوس بن المنذر عم النعمان، ويلقب حبيب العروسى، وطفيل بن مالك، وأنشد المبرد في بنى مخزوم:

شقيت بكم وكنت لكم جليسًا
فلست جليس قعقاع بن شورِ
ومن جهل أبى جهل أخوكم
غزا بدراً بمجمرة ونور

---

(١) (عيون الأثر): ١/١١٢-١١٣ باختلاف يسير، وزيادة ونقصان.

(٢) الأنفال: ١٩، (سيرة ابن هشام): ٣/٢٢٢، والاستفتاح: الإنصاف فى الدعاء؛ ٣/٢٦٦-٢٦٧، (عيون الأثر): ١/٢٥٧.

(٣) (عيون الأثر): ١/٢٦٠-٢٦٢، (سيرة ابن هشام): ٣/١٨٢-١٨٥.

وقيل نسبةً إلى فراقه التوضيع، وكقول عتبة بن ربيعة فيه: «سيعلم مصفّر استه»، وفيه قيل:

الناس كنــوه أبا حكــم | والله كنـــاه أبــا جهـــلِ
أبقت رئاسته لأسـرتـه | يوم الفزوع ورقة الأصـلِ

وكان له يوم قتل سبعون سنة - لعنه الله - وله من الولد: عكرمة بن أبى جهل، أسلم، وأبو علقمة زرارة، وحاجب، واسمه تميم، وعلقمة، وأربع بنات، وانقرض عقبه.

والعاص بن هشام بن المغيرة، قتله عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوم بدر كافرًا(١)، وهشام بن العاص(٢) وسعيد بن العاص أسلم(٣).

---

(١) (سيرة ابن هشام): ٣/٢٦٧.

(٢) هو هشام بن العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشيّ المخزوميّ، هو الذى جاء إلى النبى ﷺ يوم الفتح وكشف عن ظهره، ووضع يده على خاتم النبوة، فأخذ رسول الله يده فأزالها، ثم ضرب فى صدره ثلاثا وقال: اللهم أذهب عنه الغل والحسد - ثلاث. وكان الأوقص، وهو محمد بن عبد الرحمن بن هشام بن يحى بن هشام بن العاص يقول: نحن أقل أصحابنا حسداً.

ومن طريق ابن شهاب، قال عمر لسعيد بن العاص الأموى: ما قتلت أباك؟ إنما قتلت خالى العاص ابن هشام. (الاستيعاب): ٤/١٥٤٠، ترجمة رقم (٢٦٨٤)، (الإصابة): ٦/٢٥٤٢، ترجمة رقم (٨٩٧٣).

(٣) هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية القرشيّ الأمويّ، أبو عثمان، أمه أم كلثوم بنت [عمرو] بن عبد الله بن أبى قيس بن عمرو العامرية، ولم يكن للعاص ولد غير سعيد المذكور. قال ابن أبى حاتم، عن أبيه: له صحبه. قال الحافظ فى (الإصابة): كان له يوم مات النبى ﷺ تسع سنين، وقتل أبوه يوم بدر، قتله عليّ، ويقال: إن عمر قال لسعيد بن العاص: لم أقتل أباك، وإنما قتلتُ خالى العاص بن هشام. فقال: ولو قتلته لكنت على الحق وكان على الباطل؛ فأعجبه قوله.

وكان من فصحاء قريش؛ ولهذا ندبه عثمان فيمن ندب لكتابة القرآن، قال ابن أبى داود في (المصاحف): حدثنا العباس بن الوليد، حدثنا أبى، حدثنا سعيد بن عبد العزيز، أن عربية القرآن أقيمت على لسان سعيد بن العاص؛ لأنه كان أشبههم لهجة برسول الله ﷺ.

وولي الكوفة، وغزا طبرستان ففتحها، وغزا جرجان، وكان فى عسكره حذيفة وغيره من كبار الصحابة، وولى المدينة لمعاوية. =

وسلمة بن هشام بن المغيرة أسلم قديمًا، وحُبس وعذب فى الله، وهاجر إلى الحبشة، وقدم المدينة بعد الخندق، وقُتل يوم مرج الصُّفَّر سنة أربع عشرة، وقيل: قتل بأجنادين سنة ثلاث عشرة، وكان من خيار الصحابة(١).

= وله حديث في الترمذى من رواية أيوب بن موسى بن عمرو بن سعيد بن العاص عن أبيه عن جده، إن كان الضمير يعود على موسى.

وروى الزبير، من طريق عبد العزيز بن أبان، عن خالد بن سعيد عن أبيه، عن ابن عمر، قال: جاءت امرأة إلى النبى ﷺ ببردة، فقالت: إنى نذرتُ أن أعطى هذه البردة لأكرم العرب، فقال: أعطيها لهذا الغلام، وهو واقف، يعنى سعيداً هذا. قال الزبير: والثياب السعدية تنسب إليه.

وذكر ابن سعد فى ترجمته قصة ولايته على الكوفة بعد الوليد بن عقبة لعثمان، وشكوى أهل الكوفة منه، وعزله مطولاً. وكان معاوية عاتبه على تخلفه عنه فى حروبه، فاعتذر، ثم ولاه المدينة، فكان يعاقب بينه وبين مروان فى ولايتها.

وروى ابن أبى خيثمة، من طريق يحيى بن سعيد، قال: قدم محمد بن عقيل بن أبى طالب على أبيه، فقال له: من أشرف الناس؟ قال: أنا وابن أمى، وحسبك بسعيد بن العاص.

وقال معاوية: كريمة قريش سعيد بن العاص؛ وكان مشهوراً بالكرم والبرّ، حتى كان إذا سأله سائل وليس عنه ما يعطيه كتب له بما يريد أن يعطيه مسطوراً، فلما مات كان عليه ثمانون ألف دينا، فوفاها عنه ولده عمرو الأشدق.

وحجّ سعيد بالناس فى سنة تسع وأربعين، أو سنة اثنتين وخمسين، ولبث بعدها. وروى عن صالح ابن كيسان، قال: كان سعيد بن العاص حليمًا وقوراً، وكان إذا أحب شيئًا أو أبغضه لم يذكر ذلك، ويقول: إن القلوب تتغير، فلا ينبغى للمرء أن يكون مادحًا اليوم، عائبًا غداً.

ومن محاسن كلامه: لا تمازح الشريف فيحقد عليك، ولا تمازح الدنئ فتهون عليه. ذكره فى (المجالسة) من طريق أبى عبيدة، وأخرجه ابن أبى الدنيا من وجه آخر عن ابن المبارك.

ومن كلامه: موطنان لا أعتذر من العيِّ فيهما: إذا خاطبتُ جاهلاً، أو طلبتُ حاجة لنفسى، ذكره فى (المجالسة)، من طريق الأصمعى. وقال مصعب الزبيرى: كان يقال له: عُكة العسل. وقال الزبير ابن بكار: مات سعيد فى قصره بالعقيق سنة ثلاث وخمسين. له ترجمة فى: (الإصابة): ٣/١٠٧-١٠٩، ترجمة رقم (٣٢٧٠)، (الاستيعاب): ٢/٦٢١- ٦٢٤، ترجمة رقم (٩٨٧)، (طبقات ابن سعد): ٥/١٩-٢١، (أسماء الصحابة الرواة): ٣٧٢، ترجمة رقم (٦٠٨)، (تلقيح الفهوم): ٣٨١، (سير أعلام النبلاء): ٣/٤٤٤-٤٤٩، ترجمة رقم (٨٧)، (الوافى بالوفيات): ١٥/٢٢٧، (جمهرة أنساب العرب): ٨٠، (الجرح والتعديل): ٤/٤٨، (تهذيب الأسماء واللغات): ١/٢١٨، (شذرات الذهب): ١/٦٥.

(١) هو سلمة بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومىّ، أخو أبى جهل والحارث، =

وحنتمة ابنة هاشم بن المغيرة(١) ابنة عم أم سلمة، كانت تحت الخطاب ابن نفيل، فولدت له عمر بن الخطاب، وصفية بنت الخطاب، وأميمة بنت الخطاب.

وأبو أمية بن أبى حذيفة بن المغيرة [أمه عبلة بنت عبيد بن جاذل](٢) يوم بدر(٣)، وقتل يوم أحد كافرًا(٤).

وهشام بن أبى حذيفة بن المغيرة، أمه وأم أبى أمية: حذيفة بنت أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وهما ابنا عم أم سلمة، وأسلم هشام وهاجر إلي الحبشة، وقال الواقدى فى اسمه هشام :هاشم، وقال هشام وَهَمٌ ممن قاله(١).

وعبد الله بن أبى ربيعة بن المغيرة، أمه وأم أخيه عياش أسماء بنت

= يكنى أبا هشام. كان من السابقين، وثبت ذكره فى الصحيح من حديث أبى هريرة، أن النبى ﷺ دعا له لما رفع رأسه من الركوع أن ينجيه من الكفار، وكانوا قد حبسوه عن الهجرة، وآذوه؛ فروى عبد الرزاق من طريق عبد الملك بن أبى بكر بن الحارث بن هشام، قال: فَرَّ عياش بن أبى ربيعة، وسلمة بن هشام. والوليد بن الوليد من المشركين، فعلم النبى ﷺ بمخرجهم، فدعا لهم لما رفع رأسه من الركوع.

وروى ابن إسحاق من حديث أم سلمة أنها قالت لامرأة سلمة بن هشام: مالى لا أرى سلمة يصلى مع النبى ﷺ؟ قالت: كلما خرج صاح به الناس: يا فُرَّار، وكان ذلك عقب غزوة مؤته.

ورواه الواقدى من وجه آخر، وزاد: فقال النبى: بل هو الكرَّار، وروى ابن سعد أن سلمة لما هرب من قريش، قالت أمه ضُباعة:

لا هم رب الكعبة المحرمه ... اظهر على كل عدو سلمه
له يدان فى الأمور المبهمه ... كف بها يُعطى وكف منعمه

وقال: فلما مات النبى ﷺ خرج إلى الشام، فاستشهد بمرج الصُفَّر فى المحرم سنة أربع عشرة؛ وذكر عروة وموسى بن عقبة أنه استشهد بأجنادين، وبه جزم أبو زُرعة الدمشقى، وصوَّبه أحمد، له ترجمة فى: (الإصابة): ٣/١٥٥–١٥٦، ترجمة رقم (٣٤٠٥)، (طبقات ابن سعد): ٤/٩٦، (الاستيعاب): ٢/٦٤٣–٦٤٤، ترجمة رقم (١٠٣٢).

(١) الإصابة: ٤/٥٨٨، ترجمة عمر بن الخطاب رقم (٥٧٤٠)، (الاستيعاب): ٣/١١٤٤، ترجمة عمر ابن الخطاب رقم (١٨٧٨).

(٢) ما بين الحاصرتين مطموس فى (خ)، وما أثبتناه من (جمهرة النسب): ٣٧، ولعله يناسب السياق والنسب.

(٣) (سيرة ابن هشام): ٣/٢٧٣، ذكر أسرى قريش يوم بدر.

(٤) (سيرة ابن هشام): ٤/٨٥، ذكر من قتل من المشركين يوم أحد.

(٥) (الإصابة): ٦/٥٣٨، ترجمة رقم (٨٩٦٨)، (الاستيعاب): ٤/١٥٣٨، ترجمة رقم (٢٦٨٠).

مُخَرِّبَة بن جندل بن أُبَير بن نهشل بن دارم، وهى أم الحارث وأبى جهل ابنى هشام بن المغيرة، وكان هشام طلقها، فتزوجها أخوه أبو ربيعة، فندم هشام على فراقه إياها، وكان اسم عبد الله بحيرا، وكان من أشراف قريش فى الجاهلية، أسلم يوم الفتح، وكان من أحسن قريش وجهًا فسماه رسول الله ﷺ عبد الله، وكنيته أبو عبد الرحمن، وهو الذى بعثته قريش مع عمرو ابن العاص إلى النجاش لأخذ جعفر بن أبى طالب ومن معه، وولاه رسول الله ﷺ [الجنَد] ومخالفيها، وقيل: ولاه عمر على الجَنَد، [وكان عاملا على البصرة لابن الزبير](١).

[ومات سنة خمس وثلاثين، وكان قد جاء من اليمن لينصر عثمان لما حُصر](١)، وله من الولد: عمر بن أبى ربيعة الشاعر، والحارث بن عبد الله الذى يقال له: القباع(٢).

وعياش بن أبى ربيعة بن المغيرة أبو عبد الله، وقيل: أبو عبد الرحمن، أسلم قديمًا، وهاجر إلى الحبشة مع امرأته أم الجلاس أسماء ابنة سلمة، ويقال: سلامة بن مخربة بن جندل بن أبير بن نهشل بن دارم التيمية، وهى ابنة أخى أسماء بنت مخربة أم أبى جهل. والحارث بن هشام، وأم عبد الله وعياش ابنى أبى ربيعة، وولدت له بالحبشة ابنه عبد الله بن عياش، ثم هاجر إلى المدينة حين هاجر عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فقدم عليه أخوه لأمه أبو جهل بن هشام، والحارث بن هشام، فذكر له أن أمه حلفت لا يدخل رأسها دهن ولا تستظل حتى تراه.

فرجع معهما، فأوثقاه وباطا، وحبساه بمكة، فكان رسول الله ﷺ يدعو له فيقول فى قنوته: اللهم أنج الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش

(١) ما بين الحاصرتين مطموس فى (خ)، واستدركناه من (الكامل فى التاريخ).

(٢) ترجمته وأخباره فى (الكامل فى التاريخ): ٢/ ١٤٨، ٣/ ٧٠، ٧٧، ١٨٦، ٢٠٠، ٤/ ٢٦٠، (تاريخ الطبرى): ٤/ ٢١٤، ٢٤١، (سيرة ابن هشام): ٢/ ١٧٦، ١٧٧، ٢/ ١٧٨، ١٩٨٠، ١٨٦، ٤/ ٥، (عيون الأثر): ٢/ ١٦٧، (طبقات ابن سعد): ٢/ ٤٠.

ابن أبى ربيعة. وقتل يوم اليرموك، وقيل: مات بمكة، وله من الولد عبد الله ابن عياش، وأبو قيس بن الفاكة ابن المغيرة عم أم سلمة، أمه [ ][1] ابنة عثمان بن [عبيد الله][2] بن عمر[3].

ونوفل بن عبد الله بن المغيرة، شهد الخندق مع قومه، وعبر الخندق مع عمرو بن عبد فى نفر من قريش، وقام سائر المشركين من وراء الخندق، ودعا عمرو بن عبد إلى البراز، فانتدب له على بن أبى طالب رضى الله عنه، وقتله، ففر أصحابه الذين فى الخندق هاربين، إلا نوفل هذا فإنه كَبَابِه فرسه فى الخندق، فرمى بالحجارة حتى قتل][4]، ويقال: بل حمل الزبير بن العوام رضى الله عنه عليه بالسيف، شقه باثنتين، وقطع بدوح سرجه ويقال: خلص إلى كاهل الفرس، فقيل له: يا أبا عبد الله! ما رأينا سيفًا مثل سيفك، فقال: والله ما هو بالسيف، ولكنها الساعد.

وخالد بن الوليد بن المغيرة أبو سليمان، وقيل: أبو الوليد القرشى المخزومىّ سيف الله، أمه لبابة الصغرى، وقيل: لبابة الكبرى بنت الحارث بن

---

(١) بياض بالأصل.

(٢) فى (خ): «عبد الله»، وصوبناه من (المعارف).

(٣) قال أبو عمر: روى عياش بن أبى ربيعة عن النبى ﷺ أنه قال: لا تزال هذه الأمة بخير ما عظموا هذه الحرمة حق تعظيمها -يعنى الكعبة والحرم- فإذا ضيعوها هلكوا. روى عنه عبد الرحمن بن سابط، ويقولون: إنه لم يسمع منه، وإنه أرسل حديثه عنه، وروى عنه نافع مرسلا أيضا، وروى عنه ابنه عبد الله بن عياش سماعا منه. له ترجمة فى: (الاستيعاب): ٣/ ١٢٣٠ - ١٢٣١، ترجمة رقم (٢٠٠٩)، (سيرة ابن هشام): ٢/ ٩١، ١٦٣، ١٦٩، ٢١٢، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٤، ٣٢٥، ٤/ ٢٩٠، (المعارف): ١٨٧، ٢٢٩، ٢٣٠، (طبقات ابن سعد): ١/ ٢٠٠، ٤/ ١٢٩.

(٤) قال ابن إسحاق -وقد ذكر يوم الخندق-: ومن بنى مخزوم بن يَقَظَة: نوفل بن عبد الله بن المغيرة، سألوا رسول الله ﷺ أن يبيعهم جسده، وكان قد اقتحم الخندق، فتورط فيه فقُتل، فغلب المسلمون على جسده، فقال رسول الله ﷺ: لا حاجة لنا فى جسده ولا بثمنه، فخلى بينهم وبينه. قال ابن هشام: - أعطوا رسول الله ﷺ بجسده عشرة آلاف درهم فيما بلغنى عن الزهرى. (سيرة ابن هشام): ٤/ ٢١٥.

حزن الهلالية، أخت ميمونة. أم المؤمنين، وهو أحد أشراف قريش فى الجاهلية، وإليه كانت القبة والأعنة.

فأما القبة، فإنهم كانوا يضربونها، ثم يجمعون إليها ما يجهزون به الجيش، وأما الأعنة، فإنه كان يكون على الخيل فى الحرب، وأسلم بين الحديبية وخيبر، وقيل: أسلم سنة خمس بعد بنى قريظة، وقيل أسلم سنة ثمان هو وعمرو بن العاص، وعثمان بن طلحة، ولم يترك منذ أسلم تولية رسول الله ﷺ أعنة الخيل، فيكون فى مقدمتها فى محاربة العرب.

وشهد الحديبية والفتح، وما بعده، وكان على خيله يوم الحديبية، وكان على مقدمته يوم حنين فى بنى سليم، وبعثه فى سنة تسع إلى أكيدر دومة الجندل، فأخذه وقدم به، وبعثه فى سنة عشر إلى الحارث بن كعب، وأمَّره أبو بكر رضى الله عنه على الجيوش فى الرِّدَّة، ففتح الله عليه اليمامة وغيرها، وقُتل على يديه أكثر أهل الرّدة، ثم افتتح دمشق، ومات بحمص، وقيل: بالمدينة، سنة إحدى وعشرين، وقيل: سنة اثنتين وعشرين، وأخبارهُ كثيرة، وفضائلهُ شهيرة(١).

وعمارة بن الوليد بن المغيرة، أبو قائد، كان من فتيان قريش جمالا وشعرا، وهو الذى جاء به مشركو قريش إلى أبى طالب ليأخذه بدل رسول الله ﷺ ويدفعه إليهم ليقتلوه، وهو الذى بعثت به قريش مع عمرو بن العاص إلى النجاش فى أخذ من هاجر إلى الحبشة من المسلمين، فيعرض لجارية عمرو، فكاده عند النجاش حتى سُحِر، وذهب مع الوحش حتى خرج إليه عبد الله بن أبى ربيعة بن المغيرة، فأخذه فمات فى يده، وله

(١) سبق ان أشرنا إلى مصادر ترجمته.

أخبار وشعر جيد، وله من الولد: قائد، والوليد، وأبو عبيدة(١).

وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة، قتله على رضى الله عنه يوم بدر كافراً(٢).

وفاطمة بنت الوليد بن المغيرة، ابنة عم أم سلمة، وكانت تحت ابن عمها الحارث بن هشام بن المغيرة، فولدت له عبد الرحمن وأم حكيم، وأم فاطمة هذه حَنْتَمَة بنت شيطان بن عمرو بن كعب بن وائلة الأحمر بن الحارث بن عبد مناه.

---

(١) سبق أن أشرنا إلى مصادر ترجمته.

(٢) قال ابن هشام -وقد ذكر قتلى بدر من المشركين- : ومن بنى مَخْزوم: أبو قيس الفاكة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر مخزوم، وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. (سيرة ابن هشام): ٣/ ١٩٠، ثم قال فى ص ٢٨٧: أن أبا قيس بن الفاكة قتله علىّ رضى الله عنه، وأن أبا قيس بن الوليد قتله حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه.

(٣) هى فاطمة بنت الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم القرشية المخزومية، أخت خالد بن الوليد، قال ابن سعد: أمها حنتمة -بمهملة مفتوحة ونون ساكنة، ثم مثناة من فوق مفتوحة- بنت عبد الله بن عمرو بن كعب الكنانية.

أسلمت يوم الفتح، وبايعت، وهى زوج الحارث بن هشام، وهى والدة عبد الرحمن، وأم حكيم ابنى الحارث. قال أبو عمر: ويقال: إن عمر تزوجها بعد الحارث، وفيه نظر.

قال الحافظ فى (الإصابة): وترجم لها ابن مندة: فاطمة بنت الوليد القرشية، وأورد لها حديث الإزار، وقد أخرجه العقيلى من طريق عبد السلام بن حرب، عن إسحاق بن عبد الله بن أبى فروة، عن إبراهيم بن العباس بن الحارث، عن أبى بكر بن الحارث، عن فاطمة بنت الوليد أم أبى بكر، أنها كانت بالشام تلبس الجباب من ثياب الخز، ثم تأتزر، فقيل لها: ما يغنيك عن هذا الإزار؛ فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يأمر بالإزار.

قال ابن الأثير: قوله: أم أبى بكر، يعنى ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فهى أم أبيه، وهى جدة أبى بكر، وهو كما قال، فقد قال ابن عساكر: فاطمة بنت الوليد بن المغيرة أخت خالد لها صحبة، وخرجت مع زوجها الحارث إلى الشام، واستشارها خالد أخوها فى بعض أمره، وذلك لما جاءه عزله من عمر بن الخطاب فقالت: والله لا يحبك عمر أبدا، وما يريد إلا أن تكذب نفسك ثم ينزعك، فقبَّل خالد رأسها وقال: صدقت والله، فتم على أمره، وأبى أن يكذب نفسه. =

وعبد شمس بن الوليد بن المغيرة، أمه [ ] بنت هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم(١).

وهشام بن الوليد بن المغيرة، وهو الذى قتل أبا أزيهر بن أُنيس بن الخليق الأزدى الدوسيّ بذى المجاز(٢)، وكان لأبى أزيهر ابنتان: إحداهما تحت أبى سفيان بن حرب، والأخرى تزوج بها الوليد بن المغيرة، ولم يَدخُل بها حتى مات، فطالب هشام أبا أزيهر بالصداق فلم يعطه، فقتله، وكانت فيه عجلة، فأراد المطيبون الحرب فمنعهم أبو سفيان وقال: لا تشاغلوا بالحرب بينكم عن محمد وأصحابه، ولهذا الخبر قصة(٣).

= روت عن النبى ﷺ حديثا واحدا، رواه عنها ابنها ابو بكر بن عبد الرحمن، فذكر حديث الإزار. (الإصابة): ٨/ ٧٠، ترجمة رقم (١١٦١٠)، (الاستيعاب): ٤/ ١٩٠٢، ترجمة رقم (٤٠٦٤)، طبقات ابن سعد): ٨/ ١٩٠، (أعلام النساء): ٤/ ١٤٩.

(١) (جمهرة النسب): ٨٩.

(٢) (جمهرة النسب): ٨٨.

(٣) وهذه القصة فيما ذكره ابن إسحاق قال: فلما حضرتْ الوليد الوفاة دعا بنيه وكانوا ثلاثة: هشام بن الوليد، والوليد بن الوليد، وخالد بن الوليد، فقال لهم: اى بنى، أوصيكم بثلاث، فلا تضيعوا فيهن: دمى فى خزاعة فلا تطلنُّه [لا تهدرنُّه]، والله إنى لاعلم انهم منه برآء، ولكنى اخشى ان تُسبّوا بعد اليوم، ورباى فى ثقيف، فلا تدعوه حتى تاخذوه، وعقرى عند ابى ازيهر [دية الفرج المغصوب] فلا يفوتنكم به.

وكان أبو أزيهر قد زوجه بنتًا، ثم امسكها عنه، فلم يدخلها عليه حتى مات. فلما هلك الوليد ابن المغيرة وثب بنو مخزوم على خزاعة يطلبون منهم عقل الوليد، وقالوا: إنما قتله سهم صاحبكم - وكان لبنى كعب حلف من بنى عبد المطلب بن هاشم- فابت عليهم خزاعة ذلك، حتى تقاولوا أشعاراً، وغلظ بينهم الأمر- وكان الذى أصاب الوليد سهمه رجلاً من بنى كعب بن عمرو من خزاعة - فقال عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم فى ذلك شعراً.

ثم إن الناس ترادّوا وعرفوا إنما يخشى القوم السبة، فاعطتهم خزاعة بعض العقل وانصرفوا عن بعض. ثم لم ينته الجون بن أبى الجون حتى افتخر بقتل الوليد، وذكر انهم أصابوه، وكان ذلك باطلا. فلحق بالوليد وبولده وقومه من ذلك ما حذر.

ثم عدا هشام بن الوليد على أبى أزيهر، وهو بسوق المجاز-وكانت عند أبى سفيان بن حرب عاتكة =

. . . .

= بنت أبى أزيهر، وكان أبو أزيهر رجلا شريفًا فى قومه - فقتله بعقر الوليد الذى كان عنده، لوصية أبيه إياه، وذلك بعد أن هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ومضى بدر، وأصيب به من أصيب من أشراف قريش من المشركين.

فخرج يزيد بن أبى سفيان، فجمع بنى عبد مناف، وأبو سفيان بذى المجاز، فقال الناس: أخفر أبو سفيان فى صهره، فهو ثائر به. فلما سمع أبو سفيان بالذى صنع ابنه يزيد - وكان أبو سفيان رجلا حليمًا منكرًا يحب قومه حبًا شديدًا - انحط سريعًا إلى مكة، وخشى أن يكون بين قريش حدث فى أبى أزيهر، فأتى ابنه، وهو فى الحديد، فى قومه من بنى عبد مناف والمطيبين، فأخذ الرمح من يده، ثم ضرب به على رأسه ضربةً هدَّه منها، ثم قال له: قبَحَك الله! أتريد أن تضرب قريشًا بعضهم ببعض فى رجل من دَوْس؟ سنؤتيهم العقل إن قبلوه، وأُطفىء لك الأمر.

فانبعث حسان بن ثابت يحرض فى دم أبى أزيهر، ويعيِّر أبا سفيان خُفْرته وبجنبه، فقال فى ذلك شعرًا، فلما بلغ أبا سفيان قول حسان قال: يريد حسان أن يضرب بعضنا ببعض فى رجل من دوس، بئس والله ما ظن.

ولما أسلم أهل الطائف كلَّم رسول الله ﷺ خالدُ بن الوليد فى ربا الوليد الذى كان فى ثقيف، لما كان أبوه أوصاه به.

قال ابن إسحاق: فذكر لى بعض أهل العلم أن هؤلاء الآيات من تحريم ما بقى من الربا بأيدى الناس، نزلن فى ذلك من طلب خالد الربا: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين ﴾ [البقرة: ٢٧٨] إلى آخر القصة فيها.

ولم يكن فى أبى أزيهر ثأر نعلمه، حتى حجز الإسلام؛ إلا أن ضرار بن الخطاب بن مرداس الفهرى، خرج فى نفر من قريش إلى أرض دوس، فنزلوا على امرأة يقال لها أم غيلان مولاة لدوس، وكانت تمشط النساء وتجهز العرائس، فأرادت دوس قتلهم بأبى أزيهر، فقامت دونهم أم غيلان ونسوة معها حتى منعتهم، فقال ضرار بن الخطاب فى ذلك شعرا.

قال ابن هشام: حدثنى أبو عبيدة: أن التى قامت دون ضرار أمّ جميل، ويقال: أم غيلان، قال: ويجوز أن تكون أم غيلان قامت مع أم جميل فيمن قام دونه.

فلما قام عمر بن الخطاب أتته أم جميل، وهى ترى أنه أخوه، فلما انتسبت له عرف القصة فقال: إنى لست بأخيه إلا فى الإسلام، وهو غازٍ وقد عرفت منّتك عليه، فأعطاها على أنها ابنة سبيل.

قال الراوى: قال ابن هشام: وكان ضرار لحق عمر بن الخطاب يوم أُحد، فجعل يضربه بعرض الرمح ويقول: انج يا ابن الخطاب لا أقتلك؛ فكان عمر يعرفها له بعد إسلامه. (سيرة ابن هشام): ٢ / ٢٥٨ - ٢٦٣.

وقد ذكر ابن هشام ما قاله كل من عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم =

والوليد بن الوليد بن المغيره، أمه وأم هشام أميمة بنت حرملة بن خليل ابن شوبر بن صعب بن قيس، أسرهُ يوم بدر كافراً عبد الله بن جحش، وقيل أسره سليط بن قيس المازنى، فقدم فى فدائه أخواه خالد وهشام، فتمنع عبد الله بن جحش حتى افْتكَّاه بأربعة آلاف درهم، وقيل افتكاه بشكة أبيه الوليد، وكانت درعًا وسيفًا وبيضة، فأقيمت بمائة دينار، فلما افتدى أسلم، فحبسوه بمكة، فكان النبى ﷺ يدعو له فيمن دعا من مستضعفى المؤمنين بمكة، ثم أفلت من أسارهم، وشهد عمرة القضية، وكتب يدعو أخاه خالد بن الوليد إلى الإسلام(١).

وقيل إنه أفلت من الحبس بمكة، وخرج على رجليه، فمات على ميل من المدينة، ورثته ابنة عمه أم سلمة بشعر(٢)، وله ابن كان اسمه الوليد بن الوليد بن الوليد، فسماه رسول الله ﷺ عبد الله(٣).

والوليد بن عبد شمس بن المغيرة ابن عم أم سلمة، أمه قيلة بنت جحش ابن ربيعة بن أهيب بن الضبابْ بن حجير بن عبد معيص بن عامر بن لؤى، أسلم يوم الفتح، وقتل باليمامة شهيداً مع ابن عمه خالد بن الوليد، وله من

= وما قاله الجون بن أبى الجون الخزاعى، وما قاله حسان بن ثابت، وما قاله ضرار بن الخطاب، فى قصة أبى أزيهر من الشعر، الذى قد بلغ سبعة وعشرين بيتًا، أمسكنا عن ذكرها خشية الإطالة، فلتراجع فى (المرجع السابق).

(١) (مغازى الواقدى): ١/ ١٤٠- ٤١، (سيرة ابن هشام): ٣/ ٢٧٣.

(٢) قالت أم سلمة بنت أبى أمية:

يا عين فابكى للوليد ... بن الوليد بن المغيرهْ
كان الوليد بن الوليد ... أبو الوليد فتى العشيرهْ

فقال رسول الله ﷺ: لا تقولى هكذا يا أم سلمة، ولكن قولى: ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾ [ق: ١٩]، والخبر بتمامة فى (طبقات ابن سعد): ٤/ ١٣١ - ١٣٤.

(٣) قال ابن سعد: فدخل المدينة فمات بها، وله عقب، منهم: ايوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن الوليد، فقال رسول الله ﷺ: ما اتخذتم الوليد إلا حنانًا، فسماه عبد الله. (المرجع السابق).

الولد عبد الرحمن(١).

وأبو عمرو بن حفص بن المغيرة، أمه درة بنت خزاعى بن الحارث بن الحويرث الثقفى، وهو زوج فاطمة بنت قيس. أخت الضحاك بن قيس، قيل اسمه عبد الحميد، وقيل أحمد، وقيل اسمه كنيته، أسلم وخرج مع على رضى الله عنه إلى اليمن، فبعث من هناك بطلاق امرأته فاطمة ابنة قيس، وهو الذى كلم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما عزل خالد بن الوليد، وقال له: لقد نزعت غلامًا -أو قال عاملا- استعمله رسول الله، وغمدت سيفًا سلّه الله، ووضعت لواءا نصبه رسول الله، ولقد قطعت الرحم، وحسدت ابن العم(٢).

---

(١) (الكامل فى التاريخ): ٢/ ٣٦٧، ذكره ابن الأثير فيمن قُتل باليمامة، (الإصابة): ٦/ ٦١٤، ترجمة رقم (٩١٥٢).

(٢) هو أبو عمرو بن حفص بن المغيرة، ويقال: أبو عمرو بن حفص بن عمرو بن حفص بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشىّ المخزومى، قيل: اسمه عبد الحميد، وقيل: اسمه أحمد، وقيل: بل اسمه كنيته، بعثه رسول الله ﷺ مع على بن أبى طالب، حين بعث عليًا أميرًا إلى اليمن، فطلق امرأته هناك فاطمة بنت قيس الفهرية، وبعث إليها بطلاقها، ثم مات هناك. [فى هوامش (الاستيعاب)]: هذا لا يصح، لأنه قد ذكر بعد ذلك أنه كلم عمر فى أمر خالد.

روى الزهرى عن عبيدالله بن عبدالله، عن فاطمة بنت قيس الفهرية، أنها كانت تحت أبى عمرو بن حفص، فلما أمّر رسول الله ﷺ عليًا على اليمن خرج معه، وأرسل إليها بتطليقة هى بقية طلاقها.

قال أبو عمر: قد اختلف فى صفة طلاقه إياها على ما ذكرناه فى كتاب (التمهيد). وأبو عمرو هذا، هو الذى كلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وواجهه فى عزل خالد بن الوليد.

ذكر النسائى، قال: أخبرنا إبراهيم بن يعقوب الجوزجانى، قال: حدثنا وهب بن زمعة، قال: حدثنا عبد الله بن المبارك عن سعيد بن زيد، قال: سمعتُ الحارث بن يزيد يحدث عن على بن رباح، عن ناشرة بن سميّ البزنى قال: سمعتُ عمر بن الخطاب يقول يوم الجابية فى حديث ذكره: وأعتذر إليكم من خالد بن الوليد، فإنى أمرته أن يحبس هذا المال على ضَعَفَة المهاجرين، فأعطاه ذا البأس وذا اليسار وذا الشرف، فنزعته، وأثبت أبا عبيدة بن الجراح، فقال أبو عمرو بن حفص بن المغيرة: والله =

= لقد نزعت غلامًا -أو قال: عاملا- استعمله رسول الله ﷺ، وغمدتَ سيفًا سلَّه الله، ووضعتَ لواءً نصبه رسول الله ﷺ، ولقد قطعت الرحم، وحَسَدْتَ ابن العم. فقال عمر: أما إنك قريب القرابة، حديث السنّ.

قال إبراهيم بن يعقوب: سألت أبا هشام المخزومى -وكان علامة بأسمائهم- عن اسم أبى عمرو هذا، فقال: اسمه أحمد.

وذكر البخارى هذا الخبر فى التاريخ عن عبدان، عن ابن المبارك بإسناده نحوه، وأخرجه فيمن لا يعرف اسمه من الكنى المجردة عن الأسماء. (الإصابة): ٧/ ٢٨٧، ترجمة رقم (١٠٢٨٥)، (الاستيعاب) ٤٠/ ١٧١٩ - ١٧٢٠، ترجمة رقم (٣١٠٤)، (التاريخ الكبير): ٨/ ٥٤، ترجمة رقم (٤٦٩).

إخوة أم سلمة

وأما أخوة أم سلمة رضى الله تعالى عنها:

عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة، وهشام وزهير ابنا أبى أمية بن المغيرة، وقد تقدم ذكرهما.

والمهاجر بن أبى أمية بن المغيرة أخو أم سلمة شقيقها، كان اسمه الوليد، فسماه رسول الله ﷺ «المهاجر» لما هاجر إلى المدينة، ثم بعثه إلى الحارث ابن عبد كلال ملك اليمن، واستعمله أيضا على صدقات كندة، والصدف، ثم ولاه أبو بكر الصديق رضى الله عنه اليمن، ففتح حصن النُّجَيْر بحضرموت(١).

---

(١) هو المهاجر بن أبى أمية بن عبد الله بن عمر مخزوم القرشىّ المخزومى، أخو أم أسلمة - زوج النبى ﷺ -شقيقها.

قال الزبير: شهد بدراً مع المشركين، وقُتل أخواه يومئذ: هشام، ومسعود؛ وكان اسمه الوليد، فغيره النبى ﷺ، وولاه لما بعث العمال على صدقات صنعاء، فخرج عليه الاسود العنسى، ثم ولاه أبو بكر، وهو الذى افتتح حصن النُجَيْر الذى تحصنت به كنده فى الردة، وهو زياد بن لبيد [أو لبيدة]. وقال المرزبانى فى (معجم الشعراء): قاتل أهل الردة، وقال فى ذلك أشعارا.

وذكر سيف فى (الفتوح): أن المهاجر كان تخلف عن غزوة تبوك، فرجع النبى ﷺ، وهو عاتب عليه، فلم تزل أم سلمة تعتذر عنه حتى عذرة، وولاه..

وأخرج الطبرانى من طريق محمد بن حُجْر -بضم المهملة وسكون الجيم- ابن عبد الجبار بن وائل ابن حُجْر الحضرمى، عن عمه سعيد بن عبد الجبار عن أبيه، عن أمه أم يحيى، عن وائل بن حُجْر؛ قال: وفدن على رسول الله ﷺ، فرحب بى وأدنى مجلسى؛ فلما أردت الرجوع كَتَب ثلاث كُتُب: كتاب خاص بى فضلنى فيه على قومى: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى المهاجر ابن أمية: إن وائلا يستسعى ويترفل على الأقيال حيث كانوا من حضرموت. (المصباح المضى): ١/ ٢٥٦ - ٢٥٧، ترجمة رقم (٤٢)، (مجموعة الوثائق السياسية): ٣٩ - ١٤٠، رسالة رقم (١٣٢)، (الإصابة): ٦/ ٣٢٨ - ٣٢٩، ترجمة رقم (٨٣٥٩)، (الاستيعاب): ٤/ ١٤٥٢ - ١٤٥٣، ترجمة رقم (٢٥٠٢)، (معجم البلدان): موضع رقم (٣٣٨٨)، (٥٩٩٠)، (١١٩٤٣).

وأبو عبيدة بن أبى أمية بن المغيرة(١).

وهشام بن أبى أمية بن المغيرة، قتل يوم أحد كافرًا(٢).

ومسعود بن أبى أمية بن المغيرة قتل يوم بدر كافرًا(٣).

وربيعة بن أبى أمية بن المغيرة.(٤)

وعبد الله ابن أبى أمية بن المغيرة(٥)، أخو أم سلمة، تقدم ذكره فى

---

(١) لم أجد له ترجمة.

(٢) قال ابن إسحاق، وقد ذكر من قُتل من المشركين يوم أُحد: ومن بنى مخزوم بن يقظة، هشام بن أبى أمية بن المغيرة، قتله قزمان.

(٣) قال ابن إسحاق، وقد ذكر من قتل من المشركين يوم بدر: ومسعود بن أبى أمية بن المغيرة، قتله على ابن أبى طالب.

(٤) لم أجد له ترجمة.

(٥) قال ابن إسحاق، وقد ذكر إسلام أبى سفيان بن الحارث، وعبد الله بن أبى أمية: وقد كان أبو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب، وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة، قد لقيا رسول الله ﷺ بنيق العقاب فيما بين مكة والمدينة، فالتمسا الدخول عليه، فكلمته أم سلمة فيهما، فقالت: يا رسول الله، ابن عمك، وابن عمتك، وصهرك، قال: لا حاجة لى بهما؛ أما ابن عمى فهتك عرضى، وأما ابن عمتى وصهرى، فهو الذى قال لى بمكة ما قال، [يعنى حين قال له: والله لا آمنت بك حتى تتخذ سلما إلى السماء فتعرج فيه وأنا أنظر، ثم تأتى بصك وأربعة من الملائكة يشهدون أن الله قد أرسلك].

قال: فما خرج الخبر إليهما بذلك، ومع أبى سفيان بنى له، [لم يذكر ابن إسحاق اسم ابنه ذلك، ولعله أن يكون جعفرًا، فقد كان إذ ذاك غلامًا مدركًا، وشهد مع أبيه حنينًا، ومات فى خلافة معاوية].

فقال: والله ليأذن لى، أولا لآخذن بيدى بنى هذا، ثم لنذهبن فى الأرض حتى نموت عطشا وجوعا، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رقَّ لهما، ثم أذن لهما، فدخلا عليه فأسلما.

وأنشد أبو سفيان بن الحارث قوله فى إسلامه، واعتذر إليه مما كان مضى منه، فقال فى ذلك تسعة أبيات ذكرها ابن هشام فى (السيرة)، وحيث يقول فى البيت الثالث منها.

هدانى هادٍ غير نفسى ونالنى مع الله من طردتُ كلَّ مطرَّدِ.

قال ابن إسحاق: وزعموا أنه حين أنشد رسول الله ﷺ قوله: «ونالنى مع الله من طردت كل مطرد» ضرب رسول الله ﷺ فى صدره وقال: أنت طردتنى كل مطرد. (سيرة ابن هشام): ٥/ ٥٦ - ٥٨.

أبناء العمات.

وقريبة الكبرى ابنة أبى أمية بن المغيرة كانت تحت زمعة بن الأسود[1]، وقريبة الصغرى أخت أم سلمة، كانت تحت عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق، فولدت له عبيد الله، وأم حكيم وأمها عاتكة بنت عتبة بن ربيعة، وكان عمار بن ياسر أخاً لأم سلمة بن القضاعة[2].

---

(١) قال ابن سعد فى (الطبقات): ٤/ ١٢١: هى أم يزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قُصَىّ.

(٢) قريبة بفتح أوله -وقيل بالتصغير- بنت أبى أمية بن المغيرة المخزومية أخت أم سلمة. قالت أم سلمة: لما وضعتُ زينب جاءنى رسول الله ﷺ فخطبنى، فذكرتْ قصة تزويجها ودخوله عليها، واشتغالها برضاع زينب، حتى جاء يومًا فلم يرها، فقال: أين زينب؟ فقالت: قريبة، ووافقها عبد الله: أخذها عمار بن ياسر، فقال النبى ﷺ: أنا آتيكم الليلة، فدخل على أم سلمة.

وقال البلاذرى: تزوجها معاوية بن أبى سفيان لما أسلم، وقال ابن سعد: هى قريبة الصغرى، أمها عاتكة بنت عتبة بن ربيعة، قال: وتزوجها عبد الرحمن بن أبى بكر، فولدت له عبد الله، وأم حكيم، وحفصة، ثم ساق بسند صحيح إلى ابن أبى مُليكة، قال: تزوج عبد الرحمن قريبة أخت أم سلمة، وكان فى خلقه شدة، فقالت له يوما: أما والله لقد حذرتك، قال: فأمرك بيدك. قالت: لا أختار على ابن الصديق أحدا، فأقام عليها.

قال الحافظ فى (الإصابة): وكانت موصوفة بالجمال، فقد وقع عند عمر بن شبة فى كتاب (مكة)، عن يعقوب بن القاسم الطلحى، عن يحيى بن عبد الله بن أبى الحارث الزمعى، قال: لما فتحت مكة، قال النبى ﷺ لسعد بن عبادة لما قال: ما رأينا من نساء قريش ما كان يذكر من جمالهن: هل رأيت بنات أبى أمية بن المغيرة؟ هل رأيت قريبة؟.

قال ابن إسحاق، وقد ذكر قوله تعالى ﴿ولا تمسكوا بعصم الكوافر﴾: كان ممن طلق عمر بن الخطاب، طلق امرأته قريبة بنت أبى أمية بن المغيرة، فتزوجها بعده معاوية بن أبى سفيان، وهما على شركهما بمكة. (سيرة ابن هشام): ٤/ ٢٩٦، (الإصابة): ٨/ ٨١ - ٨٢، ترجمة رقم (١١٦٤٥)، (طبقات ابن سعد): ٨/ ١٩١.

أصهاره ﷺ من قبل زينب بنت جحش

عبد الله بن جحش أحد البدريين(١)، وأبو أحمد عبد بن جحش.

---

١) هو عبدالله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صَبِرة بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسدى، أمه أميمة بنت عبدالمطلب، وهو حليفٌ لبنى عبد شمس، وقيل حليف لحرب بن أمية.

أسلم – فيما ذكر الواقدى– قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم، وكان هو وأخوه أبو أحمد عبد ابن جحش من المهاجرين الأولين، ممن هاجر الهجرتين، وأخوهما عبد الله بن جحش تنصر بأرض الحبشة، ومات بها نصرانيا، وبانت منه امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان، فتزوجها النبى ﷺ، وأختهم زينب بنت جحش، زوج النبى ﷺ، وأم حبيبة وحمنة.

وكان عبد الله ممن هاجر إلي أرض الحبشة مع أخويه: أبى أحمد وعبيد الله بن جحش، ثم هاجر إلى المدينة، وشهد بدرا، واستشهد يوم أحد، يُعرف بالمجدَّع فى الله؛ لأنه مُثِّل به يوم أحد وقطع أنفه.

عن زياد بن علاقة، عن سعد بن أبى وقاص، أن رسول الله ﷺ خطبهم وقال: لأبعثن عليكم رجلا ليس بخيركم، ولكنه أصبركم للجوع والعطش، فبعث عبد الله بن جحش. وروى عاصم الأحول، عن الشعبى أنه قال: أول لواء عقده رسول الله ﷺ فلعبد الله بن جحش حليف لبنى أمية.

وقال ابن إسحاق: بل لواء عبيدة بن الحارث، وقال المدائنى: بل لواء حمزة، وعبد الله بن جحش هذا هو أول من سنَّ الخمس من الغنيمة للنبى ﷺ من قبل أن يفرض الله الخمس، فأنزل الله تعالى بعد ذلك آية الخمس، فكان أول من خَمَّسَ فى الإسلام، ثم أنزل الله تعالى: ﴿واعلموا أنما غنتم من شيء فأن لله خُمُسَهُ﴾ [الأنفال: ٤١].

وروى ابن وهب قال: أخبرنى أبو صخر عن ابن قَسيط، عن إسحاق بن سعد بن أبى وقاص، عن أبيه، أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد: ألا تأتى فندعوا الله، فجلسوا فى ناحية، فدعا سعد وقال: يا رب، إذا لقيتُ العدو غدا فلقنى رجلا شديدا بأسه، شديدا حرده، أقاتله فيك، ويقاتلنى، ثم ارزقنى عليه الظفر حتى اقتله وآخذ سلبه، فأمَّن عبد الله بن جحش، ثم قال:

اللهم أرزقنى غدا رجلا شديدا بأسه، شديدا حرده، أقاتله فيك ويقاتلنى فيقتلنى، ثم يأخذنى فيجدع أنفى وأذنى، فإذا لقيتك قلتَ: يا عبد الله، فيم جُدِع أنفك وأذنك؟ فأقول: فيك وفى رسولك، فتقول: صدقت. قال سعد: كانت دعوة عبد الله بن جحش خيرا من دعوتى، لقد رأيته آخر النهار، وإن أذنه وأنفه معلقان جميعا فى خيط.

وذكر الزبير فى (للموفقيات): أن عبد الله بن جحش انقطع سيفه يوم أُحد، فأعطاه رسول الله ﷺ عرجون نَخْلة، فصار فى يده سيفا، يقال: إن قائمته منه، وكان يسمى العرجون، ولم يزل يتناول =

وقيل: ثمامة بن جحش الشاعر، أحد المهاجرين، وعبيد الله بن جحش الّذى تنصر بالحبشة، وكانت قريش قد اجتمعت عند صنم لهم فقال ورقة وعبيد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث وزيد بن عمرو: لقد أخطأ قومنا دين إبراهيم، ما حجر نطيف به [لا يسمع ولا يُبصر] ولا يضر ولا ينفع [يا قوم التمسوا لأنفسكم، فإنكم والله ما أنتم على شيء] فتفرقوا فى البلاد يلتمسون الحنيفية [دين إبراهيم]، فأما ورقة ابن نوفل فاستحكم فى النصرانية، واتبع الكتب من أهلها، وأقام عبيد الله على الالتباس حتى أسلم وهاجر إلى الحبشة فتنصر بها، ومات نصرانيا، وقدم عثمان بن الحويرث على قيصر فتنصر، ووقف زيد بن عمرو فلم يدخل فى يهودية ولا نصرانية.

وأم حبيبة بنت جحش، وحمنة بنت جحش. وقد تقدم ذكرهم فى أبناء العمات.

* * *

= حى بيع من بغا التركى بمائتى دينار، ويقولون: إنه قتله يوم أحد أبو الحكم بن الأخنس بن شريق الثقفى، وهو يوم قُتل ابن نيّف وأربعين سنة. قال الواقدى: دفن هو وحمزة فى قبر واحد، وولى رسول الله ﷺ تركته، فاشترى لابنه مالا بخيبر، له ترجمة فى: (الاستيعاب): ٣/ ٨٧٧ - ٨٨٠، ترجمة رقم (١٤٨٤)، (الإصابة): ٤/ ٣٥ - ٣٧، ترجمة رقم (٤٥٨٦)، (طبقات ابن سعد): ٢/ ١٠، ١١، ٤/ ١٠٢، ١٣١، ١٣٧، ٣/ ١٠، ١٣، ٣٩٠، ٤٦٢، ٨/ ٤٦، ٢٤١، ٢٤٥، (مغازى الواقدى): ٢، ١٣، ١٦، ١٧، ١٩، ١٤٠، ١٥٤، ٢٥٣، ٢٧٤، ٢٩١، ٣٠٠، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، (سيرة ابن هشام): ٢/ ٥٠، ٥١، ٥٢، ١٦٦، ٥/ ٩، ١٤، ٦/ ٥٩.

أصهاره ﷺ من قبل أم حبيبة

الحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، أمه وأم أخته: الفارعة بنت حرب من بني تميم، وكان نديما للعوام بن خويلد ابن أسد بن عبد العزى، وتزوج صفية عمة رسول الله ﷺ، فولدت صُفَيًّا(١).

ومحمد بن عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر الأسدى أبو محمد، هاجر مع أبيه وعمه أبى أحمد إلى المدينة، وقُتل أبوه بأحد، فأوصى به إلى رسول الله ﷺ، وكان(٢) محمد [بن عبد الله بن جحش](٣) فى حجر رسول الله ﷺ عند زينب بنت جحش، أم المؤمنين رضى الله عنها، ذكره الحافظ أبو نعيم، وانفرد النسائى بحديثه(٤).

وعمر بن حرب بن أمية، أمه وأم أخيه عمرو، وأخته أم جميل حمالة الحطب: فاختة بنت عامر بن معتب الثقفى، وله من الولد أمية بن عمرو، وسلمى بنت عمر، ولدت لحنظلة بن أبى سفيان صخر بن حرب ولداً اسمه ربيعة بن حنظلة، وأخوهما لأمهما الفارعة بنت عدى بن نوفل بن عبد مناف، هو عَبَّاس بن علقمة بن عبد الله بن أبى قيس بن عبد ود بن نصر ابن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى ولا عقب لعمر(٥). وعمرو بن حرب ابن أمية(٦).

---

(١) قال ابن قتيبة: وكانت صفية بنت عبد المطلب عند الحارث بن حرب بن أمية، ثم خلف عليها العوام بن خويلد، وهى أم الزبير بن العوام. (المعارف): ١٢٨.

(٢) فى (خ): «وكانت».

(٣) زيادة للسياق والنسب.

(٤) له ترجمة فى: (الاستيعاب): ٣/ ١٣٧٣ - ١٣٧٤، ترجمة رقم (٢٣٣٥)، (سيرة ابن هشام): ٢/ ٣١٩.

(٥)، (٦) لم أجد له ترجمة.

والفارعة بنت حرب بن أمية[1]، أمها وأم أخيها أبى سفيان صخر بن حرب، وأم أختها فاختته صفية بنت حزن بن البجير بن الهزم بن دويبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة، وهى عمة أم الفضل امرأة العباس ابن عبد المطلب أم بنيه، وعمة ميمونة أم المؤمنين رضى الله عنها، وكانت الفارعة هذه -وهى الكبرى- تحت الأسود بن عبد المطلب بن أسد، فولدت له فاختة بنت الأسود[2].

وفاختة بنت حرب بن أمية[3] -وهى الكبرى- كانت عند شيبة بن ربيعة، فولدت له عبد الرحمن بن شيبة، والفارعة الصغرى بنت حرب بن أمية، وفاختة الصغرى بنت حرب بن أمية، أمها أم قتال بن عبد الحارث بن زهرة، وكانت عند قيس بن عبد الله بن يعمر الشداخ، فولدت له الجثامة ابن قيس[4]، ثم خلف عليها غزوان بن جابر بن شبيب المازنى، فولدت له فاختة بنت غَزْوَان[5].

وأم جميل بنت حرب بن أمية -وهى التى سماها الله تعالى فى كتابه

---

(١) لم أجد له ترجمة.

(٢) هى فاختة بنت الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى القرشية الأسديّة، كانت تحت صفوان بن أمية بن خلف الجمحيّ، خلف عليها بعد أبيه، ففرق الإسلام بينهما. أخرجه المستغفرى من طريق محمد بن ثور، عن ابن جريج،

قال: فرّق الإسلام بين أربع وبين أبناء بعولتهن، فذكرها. (الإصابة): ٨/ ٤٦ ترجمة رقم (١١٥٦٥).

(٣) لم أجد لهم ترجمة.

(٤) جَثّامة -بفتح أوله وتثقيل المثلثة -ابن قيس- ذكره ابن منده، وروى من طريق حبيب بن عبيد الرَّحَبىّ، عن أبى بشر، عن جثامة بن قيس -وكان من أصحاب النبى ﷺ- مرفوعا: من صام يوما فى سبيل الله باعده الله عن النار مائة عام، وفى الإسناد من لا يعرف. (الإصابة): ١/ ٤٦٤، ترجمة رقم (١٠٩٩).

(٥) هى فاختة بنت غَزْوان -بفتح المعجمة وسكون الزاى- ابن جابر بن وهب المازنى، كانت من المهاجرات. (الإصابة): ٨/ ٤٧، ترجمة رقم (١١٥٧١).

العزيز: ﴿ حمالة الحطب ﴾، امرأة أبي لهب بن عبد المطلب، لأنها كانت تحمل أغصان العضاه والشوك، فتطرحها في طريق رسول الله ﷺ، أو لأنها حمالة النميمة، تحطب على ظهرها.

ولم نزلت سورة ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب * ما أغنى عنه ماله وما كسب * سيصلى ناراً ذات لهب * وامرأته حمالة الحطب * في جيدها حبل من مسد ﴾[١]، قالت أم جميل: هجاني محمد، والله لأهجونَّه:

محمداً قَلَيْنَا ودينَهُ أبينا

وأخذت فهراً لتضربه، فأغشى الله عينيها عنه، وردها بغيظها، وهي أم عتبة، وعتيبة، بني أبي لهب[٢].

---

(١) سورة المسد كلها، سُمّيت هذه السورة في أكثر المصاحف: «سورة تبَّت»، وكذلك عَنْونَها الترمذي في (جامعة)، وفي أكثر كتب التفسير، تسمية لها بأول كلمة فيها. وسُميت في بعض المصاحف وبعض التفاسير «سورة المسد»، واقتصر في (الاتقان) على هذين. وسماها بعض المفسرين: «سورة أبي لهب»، على تقدير: سورة ذكر أبي لهب، وعنونها أبو حيان في تفسيره: «سورة اللهب»، ولم أره لغيره. وعنونها ابن العربي في (أحكام القرآن): «سورة ما كان من أبي لهب»، وهو عنوان وليس باسم. وهي مكية بالاتفاق، وعُدَّت السادسة من السور نزولا، نزلت بعد سورة الفاتحة، وقبل سورة التكوير. وعدد آياتها خمس.

روى أن نزولها كان في السنة الرابعة من البعثة، وسبب نزولها على ما في الصحيحين، عن ابن عباس، قال: صعد رسول الله ﷺ ذات يوم على الصفا، فنادى: «يا صباحاه»، [كلمة ينادى بها للإنذار من عدوّ يَصَّبح القوم]، فاجتمعت إليه قريش، فقال: إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، أرأيتم لو أني أخبرتكم أن العدو ممسيكم أو مصبحكم أكنتم تصدقوني؟ قالوا: ما جرَّبنا عليك كذبًا، فقال أبو لهب: تبًا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟! فنزلت: ﴿ تبت يدا أبي لهب وتبّ ﴾.

(٢) وأبو لهب: هو عبد العزى بن عبد المطلب، وهو عمّ النبي ﷺ، وكنيته أبو عتبة تكنية باسم ابنه، وأما كنيته بأبي لهب في الآية، فقيل: كان يكنّى بذلك في الجاهلية [لحسنه وإشراق وجهه]، وأنه اشتهر بتلك الكنية، كما اقتضاه حديث طارق المحاربي، ومثله حديث من ربيعة بن عباد الديلي في (مسند أحمد).

فسماه القرآن بكنيته دون اسمه، لأن في اسمه عبادة العزّى، وذلك لا يقرّه القرآن، أو لأنه كان بكنيته أشهر منه باسمه العَلَم، أو لأن في كنيته ما يتأتى به التوجيه بكونه صائرًا إلى النار، وذلك كناية عن كونه جهنميًا، لأن اللهب: ألسنة النار إذا اشتعلت وزال عنها الدخان. والأبُ يطلق =

= على ملازم ما اضيف إليه، كما كنى إبراهيم عليه السلام: أبا الضيفان، وكنّى النبى ﷺ عبد الرحمن بن بن صخر الدوسىّ: أبا هريرة، لأنه حمل هرة فى كم قميصه، وكنى شهرُ رمضان: أبا البركات، وكنى الذئب: أبا جعدة [والجعدة سخلة المعز، لأنه يلازم طلبها لافتراسها]، فكانت كنية أبى لهب صالحة، موافقة لحاله من استحقاقه لهب جهنم، فصار هذا التوجيه كناية عن كونه جهنميًا، لينتقل من جعل أبى لهب بمعنى ملازم اللهب إلى لازم تلك الملازمة فى العرف، وهو أنه من اهل جهنم، وهو لزوم ادعائى، مبنى على التفاؤل بالأسماء ونحوها.

كما اشار التفتزانى فى مبحث العَلَمِيّة من شرح (المفتاح)، وانشد قول الشاعر:

قصدتُ أبا المحاسن كى أراه　　لشوق كان يجذبنى إليه

فلما ان رايتُ رايتُ فرخًا　　ولم أر من بنيه ابنا لديه

قوله تعالى: ﴿ما أغنى عنه ماله وما كسب﴾: استئناف ابتدائى للانتقال من إنشاء الشتم والتوبيخ إلى الإعلام بانه آيس من النجاة من هذا التبات، ولا يغنيه ماله ولا كسبه، اى لا يغنى عنه ذلك فى دفع شيء عنه فى الآخرة، والتعبير بالماضى فى قوله: ﴿ما أغنى﴾ لتحقيق وقوع عدم الإغناء.

والمال: الممتلكات المتمولة، وغلب عند العرب إطلاقه على الإبل، ومن كلام عمر رضى الله عنه: «لولا المال الذى احمل عليه فى سبيل الله»... فى اتقاء دعوة المظلوم من (الموطا). وأهل المدينة، وخيبر، والبحرين، يغلب عندهم على النخيل.

وروى عن ابن مسعود ان ابا لهب قال: «إن كان ما يقول ابن اخى حقًا، فانا افتدى نفسى يوم القيامة بمالى وولدى»، فانزل الله تعالى: ﴿ما أغنى عنه ماله وما كسب﴾، وقال ابن عباس: ﴿ما كسب﴾، هو ولده، الولد من كسب ابيه.

قوله تعالى: ﴿سيصلى نارًا ذات لهب﴾، بيان لجملة ما اغنى عنه ماله وما كسب، اى لا يغنى عنه شيء من عذاب جهنم. ونزل هذا القرآن فى حياة أبى لهب، وقد مات بعد ذلك كافرًا، فكانت هذه الآية إعلامًا بانه لا يُسلم، وكانت من دلائل النبوة.

ووصف النار بـ ﴿ذات لهب﴾، لزيادة تقرير المناسبة بين اسمه وبين كفره، إذ هو أبو لهب، والنار ذات لهب. وبين لفظى ﴿لهب﴾ الأول و ﴿لهب﴾ الثانى، الجناس التام.

قوله تعالى: ﴿وامرأته حمالة الحطب﴾، اعقب ذم أبى لهب ووعيده بمثل ذلك لامرأته، لأنها كانت تشاركه فى أذى النبى ﷺ وتعين عليه.

وامرأته: اى زوجته، قال تعالى فى قصة إبراهيم: ﴿وامرأته قائمة﴾. وفى قصة لوط: ﴿إلا امرأته كانت من الغابرين﴾، وفى قصة نسوة يوسف: ﴿امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه﴾. =

. . . .

= وامرأة أبى لهب، هى أم جميل، واسمها أروى بنت حرب بن أمية، وهى أخت أبى سفيان بن حرب، وقيل: اسمها العوراء، فقيل: هو وصف، وأنها كانت عوراء، وقيل: اسمها. وذكر بعضهم: أن اسمها العوّاء بهمزة بعد الواو.

وكانت أم جميل هذه تحمل حطب العضاه والشوك، فتضعه فى الليل فى طريق النبى ﷺ الذى يسلك منه ليعقر قدميه. فلما خصل لأبى لهب وعيد مُقْتبس من كنيته، جُعل لامرأته وعيد مقتبس لفظه من فعلها، وهو حمل الحطب فى الدنيا، فأنذرت بأنها تحمل الحطب فى جهنم ليوقد به على زوجها، وذلك خزى لها ولزوجها، إذ جعل شدة عذابه على يد أحب الناس إليه، وجعلها سببًا لعذاب أعزّ الناس عليها.

وقوله تعالى: ﴿حمالة الحطب﴾، قرأه الجمهور برفع ﴿حمالة﴾ على أنه صفة لامرأته، فيحتمل أنها صفتها فى جهنم، ويحتمل أنها صفتها التى كانت تعمل فى الدنيا بجلب حطب العضاه لتضعه فى طريق النبى ﷺ، على طريقة التوجيه والإيماء إلى تعليل تعذيبها بذلك.

وقوله تعالى: ﴿فى جيدها حبل من مسد﴾، صفة ثانية، أو حال ثانية، وذلك إخبار بما تعامل به فى الآخرة، أى يجعل لها حبل فى عنقها تحمل فيه الحطب فى جهنم، لإسعار النار على زوجها جزاء مماثلا لعملها فى الدنيا، الذى أغضب الله تعالى عليها.

والجيد: العنُق، وغلب فى الاستعمال على عنق المرأة، وعلى محل القلادة منه، فقلَّ أن يذكر العنق فى وصف النساء فى الشعر العربى إلا إذا كان عنقًا موصوفًا بالحسن.

قال السهيلى فى (الروض): والمعروف أن يذكر العنق إذا ذكر الحَلى أو الحُسن، فإنما حَسُن هنا ذكر الجيد فى حكم البلاغة، لأنها امرأة، والنساء تحلى أجيادهن، وأم جميل لا حُلىّ لها فى الآخرة إلا الحبْل المجعول فى عنقها، فلما أقيم لها ذلك مقام الحلى ذكر الجيد معه.

والحبل: ما يربط به الأشياء التى يُراد اتصال بعضها ببعض، وتقيد به الدابة، والمسجون كيلا يبرح من المكان، وهو ضفير من الليف.

والمسدّ: ليف من ليف اليمن شديد، والحبال التى تُفْتل منه تكون قوية وصلبة. وقدم الخبر من قوله: ﴿فى جيدها﴾ للاهتمام بوصف تلك الحالة الفظيعة، التى عُوّضت فيها بحبل فى جيدها، عن العقد الذى كانت تُحلى به جيدها فى الدنيا فتربط به، إذ قد كانت هى وزوجها من أهل الثراء وسادة أهل البطحاء. وقد ماتت أم جميل على الشرك. (تفسير التحرير والتنوير): ٣٠/ ٥٩٩ - ٦٠٧ باختصار.

إخوة أم حبيبة

وأما إخوة أم حبيبة، فإنهم سبعة رجال وسبع نسائهم: حنظلة بن أبى سفيان، وبه كان يكنى أبوه، وأمه وأم أخته أم حبيبة رضى الله عنها وأم أميمة: صُفيَا ابنة أبى العاصى بن أمية بن عبد شمس، وشهد بدراً مع قومه كافراً(١)، فقتله على رضى الله عنه(٢)، فلما قتل أبو سفيان بن حرب حنظلة بن أبى عامر غسيل الملائكة يوم أحد قال: حنظلة بحنظلة، ولم يعقب حنظلة بن أبى سفيان(٣).

ومعاوية بن أبى سفيان، وقد تقدم ذكره فى الأسلاف.

وعتبة بن أبى سفيان أبو الوليد، أدرك حياة رسول الله ﷺ، وولاه عمر

---

(١) قال ابن إسحاق: حدثنى عبد الله بن أبى بكر قال: فقيل لأبى سفيان: أفد عمراً ابنك، قال: أيُجْمَعُ علىَّ دمى ومالى؟ قتلوا حنظلة وافدى عمراً! دعوة فى أيديهم يمسكوه ما بدا لهم، (سيرة ابن هشام): ٣/ ٢٠١.

(٢) قال ابن هشام: وقُتل من المشركين يوم بدر من قريش، ثم من بنى عبد شمس بن عبد مناف: حنظلة ابن أبى سفيان بن حرب بن أمية بن شمس، قتله زيد بن حارثة، مولى رسول الله ﷺ، فيما قال ابن هشام، ويقال: اشترك فيه حمزة، وعلى، وزيد. (سيرة ابن هشام): ٣/ ٢٦٣.

(٣) قال ابن هشام: والتقى حنظلة بن أبى عامر الغسيل. وأبو سفيان، فلما استعلاه حَنظلة بن أبى عامر، رآه شداد بن الأسود، وهو ابن شعوب، قد علا أبا سفيان، فضربه شداد فقتله، فقال رسول الله ﷺ إن صاحبكم -يعنى حنظلة- تغسله الملائكة [وفى غير السيرة: قول النبى ﷺ رأيت الملائكة تغسله فى صحاف الفضة بماء المزن بين السماء والأرض] فسألوا أهله: ما شأنه؟

فسُئلتْ صاحبته [يعنى امرأته: وهى جميلة بنت أُبَىّ بن سلول أخت عبد الله بن أبى، وكان ابتنى بها تلك الليلة، فكانت عروساً عنده، فرات فى النوم تلك الليلة كان باباً فى السماء فُتح له فدخله، ثم اغلق دونه، فعلمت أنه ميّت من غده، فدعت رجالا من قومها حين أصبحت، فاشهدتهم على الدخول بها، خشية ان يكون فى ذلك نزاع. ذكره الواقدى]، فقالت: خرج وهو جُنُب سمع الهاتفة. (سيرة ابن هشام): ٣/ ٢٢ - ٢٣، (تاريخ الطبرى): ٢/ ٤٦٦، ٥٢١.

ابن الخطاب رضى الله عنه الطائف وصدقاتها، ثم ولاه أخوه معاوية بن أبى سفيان مصر بعد وفاة عمرو بن العاص، فمات بها بعد سنة وشهر في ذى الحجة سنة أربع وأربعين، ولم يكن فى بنى أمية أخطب منه، وله أخبار عديدة(١).

ويزيد بن أبى سفيان، أمه زينب بنت نوفل بن خلف بن قواله بن حذيفة بن طريف بن علقمة، جذل الطعان بن فراس بن غنم بن كنانة، أسلم يوم الفتح، وشهد حنينا، وأعطاه رسول الله ﷺ مائة بعير، وأربعين أوقيَّة، وبعثه أبو بكر رضى الله عنه فى سنة اثنتى عشرة إلى فلسطين فيمن بُعث، فشهد أجنادين، ثم ولاه عمر رضى الله عنه على فلسطين، ثم ولى الشام، ومات فى طاعون عمواس(٢).

ومحمد بن أبى سفيان، أمه وأم أخيه عنبسة بن أبى سفيان: عاتكة بنت

---

(١) خطب أهل مصر يومًا -وهو والٍ عليها- فقال: يا أهل مصر، خَفَّ على ألسنتكم مدح الحق ولا تأتونه، وذم الباطل وأنتم تفعلونه، كالحمار يحمل أسفاراً يثقل حملها، ولا ينفعه علمها، وإنى لا أداوى داءكم إلا بالسيف، ولا أبلغ السيف ما كفانى السوط، ولا أبلغ السوط ما صلحتم بالدرة، وأبطىء عن الأولى إن لم تسرعوا إلى الآخرة، فالزموا ما ألزمكم الله لنا تستوجبوا ما فرض الله لكم علينا، وهذا يوم ليس فيه عقاب ولا بعده عتاب، (الاستيعاب): ٣/ ١٠٢٦، ترجمة رقم (١٧٦٢)، (الإصابة): ٥/ ٦٠، ترجمة رقم (٦٢٤٨).

(٢) هو يزيد بن أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، كان أفضل بنى أبى سفيان، كان يقال له: يزيد الخير، أسلم يوم فتح مكة، وشهد حنيناً، وأعطاه رسول الله ﷺ من غنائم حنين مائة بعير وأربعين أوقية، وَزَنَها له بلال، واستعمله أبو بكر الصديق، وأوصاه، وخرج يشيعه راجلا.

قال ابن إسحاق: لما قفل أبو بكر من الحج -يعنى سنة اثنتى عشرة- بعث عمرو بن العاص، ويزيد ابن أبى سفيان، وأبا عبيدة بن الجراح، وشرحبيل بن حَسَنة إلى فلسطين، وأمرهم أن يسلكوا على البلقاء، وكتب إلى خالد بن الوليد فسار إلى الشام، فأغار على غسان بمرج راهط، ثم سار فنزل على قناة بُصرى، وقدم عليه يزيد بن أبى سفيان، وأبو عبيدة بن الجراح، وشرحبيل بن حسنة، فصالحت بُصرى، فكانت أول مدائن الشام فتحت.

ثم ساروا قبل فلسطين، فالتقوا بالروم بأجنادين، بين الرملة وبيت جبرين، والأمراء كلٌّ على حدة، ومن الناس من يزعم أن عمرو بن العاص كان عليهم جميعًا، فهزم الله المشركين، وكان الفتح =

أبى أزيهر بن أُنيس بن الخَيْسق بن كعب بن الحارث بن عبد الله بن الحارث ابن الغطريف. من الأزد، عند ابن الكلبى فى (الجمهرة): أبو أزيهر بن أُنيس بن الخيسق بن مالك بن سعد بن كعب بن الحارث، وهو الغطريف الأصغر بن عبد الله بن عامر.

وهو الغطْريف الأكبر بن يشكر بن مبشر بن صعب بن دهمان بن نصر ابن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد.

وأبو أزيهر هذا قتله هشام بن المغيرة، وكان جاراً لأبى سفيان بن حرب وحليفًا له فلم يطلب بدمه، وعيَّره ابن حسان بن ثابت الأنصارى بإذن من رسول الله ﷺ.

وزوّج أبو أزيهر ابنته عاتكة أبا سفيان، فولدت له محمداً وعنبسة،

= باحنادين، فى جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة.

فلما استُخلف عمر ولّى أبا عبيدة، وفتح الله عليه الشامات، وولى يزيد بن أبى سفيان على فلسطين وناحيتها، ثم لمامات أبو عبيدة استخلف معاذ بن جبل، ومات معاذ، فاستخلف أخاه معاوية، وكان موت هؤلاء كلهم فى طاعون عمواس سنة ثمان عشرة.

الوليد بن مسلم قال: مات يزيد بن أبى سفيان سنة تسع عشرة بعد أن افتتح قيسارية. قال ابن العماد الحنبلى -وقد ذكر أحداث سنة ثمانى عشرة-: وفيها وقيل: فى التى بعدها مات يزيد بن أبى سفيان ابن حرب، أفضل إخوته. له ترجمة فى (تاريخ الطبرى): ٣/ ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٩٠، ٣٩٢، ٣٩٤ - ٣٩٧، ٤٠٣، ٤٠٦، ٤٠٨، ٤١٧، ٤٢٧، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٩٨، ٦٠٤، ٤/ ٥٧، ٦٠، ٦٢، ٦٧، ٦٧، ٢٨٩، ١٠/ ٥٨، (سيرة ابن هشام): ٢/ ٢٦٠، (الاستيعاب): ٤/ ١٥٧٥، ترجمة رقم (٢٧٧٢)، (الإصابة): ٦/ ٦٥٨ - ٦٥٩، ترجمة رقم (٩٢٧١)، (شذرات الذهب): ١/ ٣٠.

ولأبى أزيهر من الولد: أبو حناءة وجبله [وأنجب](١) أبو حناءة سمية(٢)، تزوجها مجاشع بن مسعود السلمى، وقتل عنها يوم الجمل مع عائشة رضى الله عنها، فخلف عليها عبد الله بن عياش رضى الله عنهما، وشميلة(٣) هى [التى](٤) أسندت نصر بن حجاج(٥) إلى صدرها فبرأ، فضرب لها مثلا

---

(١) زيادة للسياق.

(٢) فى (خ): «شميلة» وصوبناه من (الإصابة)، حيث قال الحافظ: أبو حناءة -بفتح أوله والنون والمد وهمزة قبل الهاء- ابن أزيهر الدوسىّ. له إدراك، وكان قتل أبى أزيهر بعد وقعة بدر، فى حياة النبى ﷺ، ولأبى ضاءة هذا بنت تسمى سمية، تزوجها مجاشع بن مسعود، وهى صاحبة القصة مع نصر ابن حجاج. (الإصابة): ٧/ ٨٩، ترجمة رقم (٩٨٠١).

(٣) كذا فى (خ). وفى (الإصابة): «سمية».

(٤) زيادة للسياق.

(٥) هو نصر بن حجاج بن علاط السلمىّ، من أولاد الصحابة، وكان فى زمانه رجلا، فدلّ ذلك على انه وُلد فى عهد النبى ﷺ، وقد أخرج ابن سعد والخرائطى بسند صحيح، عن عبد الله بن يزيد، قال: بينما عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعسُّ ذات ليلة فى خلافته، فإذا امرأة تقول:

هل من سبيل إلى خمرٍ لأشربها ... أو من سبيل إلى نصر بن حجاج

فلما أصبح سأل عنه، فأرسل إليه؛ فإذا هو من أحسن الناس شَعرًا، وأصبحهم وجهًا، فأمره عمر أن يُطمَّ شعره،، ففعل؛ فخرجت جبهته فازداد حُسْنًا، فأمره أن يَعْتَمَّ فازداد حُسْنًا، فقال عمر: لا والذى نفسى بيده لا تجامعنى ببلد، فأمر له بما يُصلحه، وَصَيَّرُهُ إلى البصرة.

زاد الخرائطى بسندٍ ليِّن من طريق محمد بن سيرين، أنه لما دخل البصرة كان يدخل على مجاشع ابن مسعود لكونه من قومه، ولمجاشع امرأة جميلة يقال لها: الخضراء، فكان يتحدث مع مجاشع، فكتب نصر فى الأرض: إنى أحبك حبًا لو كان فوقك لأظلك، أو كان تحتك لأقلك، وكانت المرأة تقرأ، ومجاشع لا يقرأ، فرأت المرأة الكتابة، فقالت: وأنا، فعلم مجاشع أن هذا الكلام جواب، فدعا بإناء فكبه على الكتابة، ودعا كاتبًا فقرأه، فعلم نصر بذلك فاستحيا، وانقطع فى منزله، فضنى حتى صار كالفرخ، فبلغ ذلك مجاشعًا، فعلم سبب ذلك، فقال لامرأته: اذهبى فأسنديه إلى صدرك، وأطعميه الطعام، فعزم عليها، ففعلت، فتحامل نصر قليلا، وخرج من البصرة.

وذكر الهيثم بن عدى أن مجاشعًا كان خليفة أبى موسى، وأن أبا موسى لما علم بقصته أمره أن يخرج إلى فارس، فخرج إليها وعليها عثمان بن أبى العاص، فجرت له قصة مع دَهْقانة [تاجرة]، =

قول الأعش:

لو أسندت مَيْتا إلى صدرها | عاش ولـم يُنقـل إلى قابـر

وعنبسة بن أبى سفيان(١)، ولّاه أخوه معاوية بن أبى سفيان الطائف، ثم عزله بأخيه عُتبه، فعاتبه عنبسة، فقال له معاوية: إن عتبة بن هند، فقال عنبسة:

= فقال له: اخرج عنا، فقال: والله لئن فعلتم هذا بى لألحقن بأرض الشرك، فكتب بذلك إلى عمر، فكتب [إليهم] احلقوا شعره، وشمروا قميصه، والزموه المسجد، (الإصابة) ٦/ ٤٨٥، ترجمة رقم (٨٨٤٥)، (طبقات ابن سعد): ٣/ ٢٨٥، ٤/ ٢٧١.

(١) عنبسة بن أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشىُّ الأموى، أخو معاوية. ذكره ابن منده، وقال: أدرك النبى ﷺ، ولا تصح له صحبه ولا رؤية.

قال الحافظ فى (الإصابة): إذا أدرك الزمن النبوى حصلت له الرؤية لا محالة، ولو من أحد الجانبين، ولا سيما مع كونه مع أصهار النبى ﷺ؛ أخته أم حبيبة أم المؤمنين، وقد اجتمع الجميع بمكة فى حجة الوداع.

ولعنبسة رواية عن بعض الصحابة فى صحيح مسلم، وفى السنن، روى عن أخته أم حبيب. وشداد بن أوس. روى عنه أبو أمامة الباهلى، ويعلى بن عبيد [يعلى بن أمية]، وهما أكبر منه سناً، وقد زاد: عمرو بن أوس الثقفى، والقاسم أبو عبد الرحمن، ومكحول، وعطاء، وحسان بن عطية، وغيرهم، قال أبو نعيم: اتفق متقدمو أئمتنا على أنه من التابعين.

وذكر خليفة [بن خياط] أن معاوية أمَّره على مكة، فكان إذا توجه إلى الطائف استخلف طارق ابن المرقع.

وروى النسائى من طريق عطاء، عن يعلى بن أمية، قال: قَدِمْتُ الطائف فدخلت على عنبسة بن أبى سفيان وهو فى الموت، فقال: حدثتنى أم حبيبة.. فذكر حديث: «من صلى فى يوم اثنى عشرة ركعة دخل الجنة».

ورويناه فى (الكنجروديات) من طريق عمرو بن أوس قال: دخلتُ على عنبسة وهو فى الموت، فحدثنى عن أخته أم حبيبة عن النبى ﷺ قال: «من صلى فى النهار [أو من النهار] اثنى عشرة ركعة دخل الجنة»، قال: فما تركتهن منذ سمعته من أم حبيبة. (الإصابة): ٥/ ٦٩- ٧٠، ترجمة رقم (٦٢٧٨ز)، (تهذيب التهذيب): ٨/ ١٤٢، ترجمة رقم (٢٨٧)، (خلاصة تذهيب الكمال): ٢/ ٣٠٧، ترجمة رقم (٥٤٧٧)، (طبقات ابن سعد) ٦/ ٣٤٩، (الكامل فى التاريخ): ٣/ ٤١٩، ٤٢٤، ٤٥٦، ١٠/ ٥٠٠.

كنا بخير[1] صالح[2] ذات بيننا
جميعا[3]، فأمست فرَّقَتْ بيننا هنْدُ
فإن تَكُ هند لم تلدنى فإننى
لبيضاء يَنميها غطارفةٌ نُجْدُ
أبوها أبو الأضياف فى كل شتوةٍ
ومأوى ضعاف قد أضَرَّ بها الجهدُ[4]
لها جفنات ما تزال مقيمة
لمن ساقهُ غوراً تهامة أو نجدُ[5]

فقال له معاوية: لا تسمعه منى بعدها[6]

وعمرو بن أبى سفيان، أمه وأم أختيه صخرة وهند: صفية بنت أبى عمرو بن أبى أمية بن عبد شمس، وأسر يوم بدر، فقيل لأبى سفيان: ألا تفتدى عمراً؟ فقال: قتل حنظلة وأفتدى عمراً فأصاب بمالى وولدى[7]؟ لا أفعل، ولكن انتظر حتى أصيب منهم رجلا فأفديه به، فأصاب سعد بن النعمان بن أكال، وقد جاء معتمراً، فلما قضى عمرته صدر ومعه المنذر بن

(١) فى (خ): «يصحو».

(٢) فى (تاريخ الطبرى): «صالحًا».

(٣) فى (تاريخ الطبرى): «قديمًا».

(٤) فى (تاريخ الطبرى): «ومأوى ضعاف لا تنوءُ من الجهد».

(٥) هذا البيت فى (المرجع السابق):

جُفَيْناته ما إن تزال مقيمة لمن خاف من غورى تهامة أو نجد

(٦) (تاريخ الطبرى): ٥/ ١٧١، ١٨٠، ٢٣٠، ٣٣٣، ٦/ ٢٤١.

(٧) فى (ابن هشام): «أيُجمعُ علىَّ دمى ومالى؟ قتلوا حنظلة وأفدى عمراً، [دعوه فى أيديهم يمسكوه ما بدا لهم]. (سيرة ابن هشام): ٣/ ٢٠١.

عمرو، فطلبهما أبو سفيان حتى أدرك سعدا فأسره[1]، وفاته ابن المنذر فقال ضرار بن الخطاب فى ذلك:

تداركتُ سعداً عَنْوَةً فأسَرْتُهُ
وكان شفاءاً لو تداركتُ منذراً

فقال أبو سفيان:

أرهط ابن أكّال أجيبوا دعاءَهُ
تعاقدتم لا تسلموا السيد الكهلا.
فإن بنى عمرو بن عوف أذلة[2]
لئن لم يفكوا عن أسيرهم الكَبْلا

ففادوه سعداً بابنه عمرو[3]، وليس لعمر عقب.

وأميمة بنت أبى سفيان[4]، كانت تحت حويطب بن عبد العزى بن أبى

---

(١) (المرجع السابق).

(٢) فى (ابن هشام): «فإن بنى عمرو لئام أذلة».

(٣) فأجابه حسان بن ثابت فقال:

لو كان سعدٌ يوم مكة مطلقًا
لأكثر فيكم قبل أن يُؤْسر القَتْلا
بعضبٍ حسام أو بصفراءَ نبعةٍ
تحنّ إذا ما أنبضت تحفز النَّبلا

(سيرة ابن هشام): ٣/ ٢٠١ - ٢٠٢.

(٤) قال الحافظ فى (الإصابة) فى ترجمة عاتكة بنت الوليد بن المغيرة المخزومية:

عن ابن جريج قال: جاء الإسلام وعند أبى بن حرب ست نسوة، وعند صفوان بن أمية ست: أم وهب بنت أبى أمية بن قيس من العياطلة. وفاضة بنت الأسود بن المطلب، وأميمة بنت أبى سفيان ابن حرب، وعاتكة بنت المغيرة، وبرزة بنت مسعود بن عمرو، وبنت ملاعب الأسنة عامر بن مالك، فطلّق أم وهب وكانت قد أسنّت، وفرّق الإسلام بينه وبين فاختة بنت الأسود، وكان أبوه تزوجها فخلف هو عليها، ثم طلق عاتكة فى خلافة عمر بن الخطاب. (الإصابة): ٧/ ٥١٢، ترجمة رقم (١٠٨٠٢)، ٨/ ١٥، ترجمة رقم (١١٤٥٤).

قيس من بنى عامر بن لؤى(١)، فولدت له أبا سفيان بن حويطب، وأسلم مع أبيه يوم الفتح(٢)، وتزوجها صفوان بن خلف الجُمحى، فولدت له عبد الرحمن بن صفوان(٣)، وهو مذكور فى الصحابة هو وأبوه.

وجويرية بنت أبى سفيان(٤) أسلمت بعد الفتح، ثم شهدت اليرموك، وقد تزوجها السائب بن أبى حبيب بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصى، ثم خلف عليها عبد الرحمن بن الحارث بن أمية الأصغر.

وأم الحكم بنت أبى سفيان(٥)، أمها وأم عتبة وجويرية. ومعاوية: هند بنت عتبة، وتزوجها عبد الله بن عثمان بن ربيعة الثقفى، فولدت له عبد الرحمن بن عبد الله الذى يقال له: ابن أم الحكم.

وصخرة بنت أبى سفيان(٦)، كانت تحت سعيد بن الأخنس بن شريق

---

(١) هو حويطب بن عبد العزى بن أبى قيس بن عبد وّد بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى القرشى العامرى، أبو محمد، أو أبو الأصبغ.

أسلم عام الفتح وشهد حنينًا، وكان من المؤلفة قلوبهم، وجدّد أنصاب الحرم فى عهد عمر رضى الله عنه. قال البخارى: عاش مائة وعشرين سنة، وقال الواقدى: مات فى خلافة معاوية سنة أربع وخمسين، له ترجمة فى (الإصابة): ٢/ ١٤٣، ترجمة رقم (١٨٨٤)، (طبقات ابن سعد): ٥/ ٣٢٥، (الاستيعاب): ١/ ٤٠٧، ترجمة رقم (٥٧٣).

(٢) (الإصابة): ٧/ ١٨٢، ترجمة رقم (١٠٠٢٩)، (الاستيعاب): ٤/ ١٦٧٧، ترجمة رقم (٣٠٠٤).

(٣) (الإصابة): ٥/ ٤٠، ترجمة رقم (٦٢٢٥)، (الاستيعاب): ٢/ ٨٣٦، ترجمة رقم (١٤٢٧).

(٤) قال الحافظ: جويرية بنت أبى سفيان بن حرب شقيقة معاوية ذكرها ابن سعد فى (الطبقات) وقال: تزوجها السائب بن أبى حبيب الأسدى. (الإصابة): ٧/ ٥٦٨، ترجمة رقم (١١٠٠٧)، (طبقات ابن سعد): ٨/ ١٧٤.

(٥) قال ابن عمر: أسلمت يوم الفتح، وكانت ممن نزل فيه: ﴿ولا تمسكوا بعصم الكوافر﴾ [الممتحنة: ١٠]، ففارقها عياض بن غنم، وتزوجها عبد الله بن عثمان الثقفى. (الإصابة): ٨/ ١٩٢، ترجمة رقم (١١٩٧٣)، (الاستيعاب): ٤/ ١٩٣٢، ترجمة رقم (٤١٤١).

(٦) لم أجد لها ترجمة.

الثَّقفى، فهى أم بنيه.

وهند بنت أبى سفيان(١)، [زوج الحارث بن نوفل](٢) ولدت بنيه عبد الله بن الحارث بن نوفل، وإخوته محمداً وربيعة، وعبد الرحمن بن الحارث.

وميمونة بنت أبى سفيان(٣)، أمها لبانة بنت أبى العاصى بن أمية، وتزوجها أبو برة بن عروة بن مسعود، فولدت له ليلى ابنة أبى مرة، فتزوجها أبو عبد الله الحسين بن على عليهما السلام، فولدت له على بن الحسين الأكبر.

ورملة بنت أبى سفيان، تزوجها سعيد بن عثمان بن عفان رضى الله عنه(٤)، فولدت له محمداً، وأم رملة هذه من بنى الحارث بن عبد مناة، وأخوها لأمها سليمان بن أزهر بن عبد عوف الزهرى.

---

(١) هى هند بنت أبى سفيان بن حرب بن أمية الأموية، أخت معاوية، كانت زوج الحارث بن نوفل بن عبد المطلب، فولدت له ابنه محمداً، ذكر ذلك ابن سعد، وزاد: وعبد الله، وربيعة، وعبد الرحمن، ورملة، وأم الزبير؛ قال: وأمها صفية بنت أبى عمرو بن أمية. (الإصابة): ٨/ ١٥٣، ترجمة رقم (١١٨٥٠)، (طبقات ابن سعد): ٨/ ١٧٤.

(٢) زيادة للسياق من (الإصابة).

(٣) (تاريخ الطبرى): ٥/ ٤٦٨.

(٤) هو سعيد بن عثمان بن عفان بن أبى العاصى بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وأمه فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وأمها أسماء بنت أبى جهل بن هشام بن المغيرة، وأمها أروى بنت أبى العاصى بن أمية بن عبد شمس، وأمها رقية بنت الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم، وأمها رقية بنت أسد بن عبد العزى بن قصى، وأمها خالدة بنت هاشم بن عبد مناف بن قصى، فولد سعيد بن عثمان محمداً، وأمه رملة بنت أبى سفيان بن حرب بن أمية وكان قليل الحديث. (طبقات ابن سعد): ٥/ ١٥٣.

صهره ﷺ من قبل جويرية

أخوها عمرو بن الحارث بن أبى ضرار المصطفى الخزاعى، مذكور فى الصحابة(١).

أصهاره ﷺ من قبل ميمونة

رجل واحد، وأربع عشر امرأة، منهن خمس أخوات ميمونة لأبيها وأمها، وتسع أخواتها لأمها، فالأشقاء:

لبابة الكبرى بنت الحارث بن حَزْن الهلالية(٢)، أم الفضل، زوجة

---

(١) هو عمرو بن الحارث بن أبى ضرار بن عائذ بن مالك بن جذيمة [أو خزيمة] وهو المصطلق بن سعد بن كعب بن عمرو الخزاعى المصطلقى، أخو جويرية زوج النبى ﷺ.

روى أبو إسحاق السبيعى عن عمرو بن الحارث أخى جويرية، قال: والله ما ترك رسول الله ﷺ، عند موته ديناراً، ولا درهما، ولا عبداً، ولا أمةً، ولا شيئًا، إلا بغلته البيضاء وسلاحه، وارضًا تركها صدقة. (الإصابة): ٤ / ٦١٨، ترجمة رقم (٥٨٠٤)، (الاستيعاب): ٣/ ١١٧١، ١١٧٢، ترجمة رقم (١٩٠٥).

(٢) هى لُبابة بنت الحارث بن حَزْن بن بجير بن الهُزَم بن رُوَيبة بن عبد الله بن حلال بن عامر بن صعصعة الهلالية، أم الفضل، زوج العباس بن عبد المطلب، ووالدة أولاده: الفضل، وعبد الله، وغيرهما، وهى لبابة الكبرى، مشهورة بكُنيتها، ومعروفة باسمها، وأمها خولة بنت عوف القرشية.

قال ابن سعد: أم الفضل أول امرأة آمنت بعد خديجة، وروت عن النبى ﷺ، روى عنها ابناها: عبد الله، وتمام، وعمير بن الحارث مولاها، وكريب مولى ابنها، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الحارث ابن نوفل وآخرون.

وأخرج الزبير بن بكار وغيره من طريق إبراهيم بن عقبة، عن كريب، عن ابن عباس، عن النبى ﷺ: الأخوات الأربع مؤمنات: أم الفضل، وميمونة، وأسماء، وسلمى.

فأما ميمونة فهى أم المؤمنين، وهى شقيقة أم الفضل، وأما أسماء وسلمى فأختاهما من أبيهما، وهما بنتا عميس الخثعمية. =

العباس، أم عبد المطلب، عم رسول الله ﷺ، وأم أكثر بنيه، يقال إنها أول امرأة أسلمت بعد خديجة رضى الله عنها، وكان رسول الله ﷺ يزورها ويقيل عندها، وروت عنه أحاديث خرَّج [حديثها] الجماعة، وكانت من المنجبات؛ ولدت للعباس ستة رجال لم تلد امرأة مثلهم، وهم: الفضل، وعبد الله، وعبيد الله، ومعبد، وقثم، وعبد الرحمن بنو العباس، وولدت له أيضًا أم حبيب(١)، وتوفيت، وفيها يقول عبد الله بن يزيد الهلالى:

ما ولدتْ نجيبة من فحلِ ... بجبل نعلمه وسهلِ
كَستّةٍ من بطن أم الفضل ... أكرم بها من كهلة وكهل
عم النبى المصطفى ذى الفضلِ ... وخاتم الرسل وخير الرسل

ولبابة الصغرى بنت الحارث(٢) بن حزن أم خالد بن الوليد، قال ابن عبد

= وأخرج ابن سعد بسند جيد، عن سماك بن حرب، أن أم الفضل قالت: يا رسول الله، رأيت أن عضواً من أعضائك فى بيتى، قال: تلد فاطمة غلامًا وترضعينه بلبن قُثَم، فولدت حسينا، فأخذته، فبينا هو يقبّله إذ بال عليه فقرصته فبكى، قال ﷺ: آذيتينى فى ابنى، ثم دعا بماء فحدره حدرا [أو فحدرته عليه حدرا]. ومن طريق قابوس بن المخارق نحوه، وفيه: فارضعته حتى تحرك، فجاءت به النبى ﷺ، فأجلسه فى حجرة، فبال فضربتُهُ بين كتفيه، فقال ﷺ: أوجعت ابنى رحمك الله..... الحديث.

وكان يقال لوالدة أم الفضل: العجوز الحرشية أكرم الناس أصهاراً: ميمونة زوج النبى ﷺ، والعباس تزوج أختها شقيقتها لبابة، وحمزة تزوج أختها سلمى، وجعفر بن أبى طالب تزوج شقيقتها أسماء، ثم تزوجها بعده أبو بكر الصديق، ثم تزوجها بعده علىٌّ، قال أبو عمر: كانت من المنجبات، وكان النبى ﷺ يزورها. قال ابن حبان: ماتت فى خلافة عثمان قبل زوجها العباس. (الإصابة): ٨/ ٩٧، ترجمة رقم (١١٦٩٥)، ٨/ ٢٦٧، ترجمة رقم (١٢٠٠٠)، (طبقات ابن سعد): ٨/ ٢٠٢، (الاستيعاب): ٤/ ١٩٠٧، ترجمة رقم (٤٠٨٠).

(١) كذا فى (خ)، وفى (الاستيعاب): «أم حبيبة».

(٢) هى لبابة الصغرى بنت الحارث بن حَزْن بن بجير بن الهزم الهلالية، أخت لبابة الكبرى التى قبلها، تلقب بالعصماء، وأمها فاختة بنت عامر الثقفية، وهى والدة خالد بن الوليد.

قال أبو عمر: فى إسلامها وصحبتها نظر، وأقره ابن الأثير، وهو عجيب، وكأنه استبعده من جهة =

البر: فى إسلامها وصحبتها نظر.

وعصماء بنت الحارث بن حزن[١]، وعزة بنت الحارث[٢]، وهزيلة بنت

= تقدم وفاة زوجها الوليد، أن تكون ماتت معه أو بعده بقليل، وليس ذلك بلازم، فقد ثبت أنها عاشت بعد وفاة خالد، ولها فى ذلك قصة.

فذكر أبو حذيفة فى (المبتدأ والفتوح)، عن محمد بن إسحاق، قال: لما مات خالد بن الوليد، خرج عمر رضى الله عنه فى جنازته، فإذا أمه تندبه وتقول

أنت خير من ألف ألف من القوم ... إذا ما كنت فى وجوه الرجالِ
أشجاع فأنت أشجع من ليـ ... ـث صهر ابن جهم أبى الأشبالِ
أجواد فأنت أجود من سيـ ... ـل أتـى يستقـل بين الجبـالِ

فقال عمر رضى الله عنه: من هذه؟ فقيل: أمه، فقال: أمه، والإله -ثلاثا- وهل قامت النساء عن مثل خالد.

وهذا وإن كان رواية أبى حذيفة، وهو ضعيف، لكن قد ذكر ابن سعد -وهو ثقة- عن كثير بن هشام، عن جعفر بن برقان، عن يزيد بن الأصم؛ قال: لما توفى خالد بن الوليد بكت عليه أمه، فقال عمر: ياأم خالد، أخالدًا أو أجره ترزئين! عزمتُ عليك إلا تثبت، حتى تسود يداك من الخضاب. وهذا مسند صحيح، وعلق البخارى قول عمر فى النقع واللقلقة فى البكاء على خالد، لكن لم يُسمّ أمه.

ومجموع ذلك يفيد أنها عاشت بعد النبى ﷺ أفيظن بها أنها استمرت على الكفر من بعد الفتح إلى أن مات النبى (ﷺ)؟ هذا بعيد عادة، بل يبطله ما تقدم أنه لم يبق بالحرمين ولا الطائف أحد فى حجة الوداع إلا أسلم وشهدها. (طبقات ابن سعد): ٨/ ٣٤٦، (الإصابة): ٨/ ٩٧، ترجمة رقم (١١٦٩٦)، (الاستيعاب): ٤/ ٩٠٩، ترجمة رقم (٤٠٨١)، (الإصابة): ٨/ ٢٦، ترجمة رقم (١١٤٧٧).

(١) قال الكلبى: ولبابة الصغرى بنت الحارث بن حزن، وهى العصماء، أم خالد بن الوليد بن المغيرة المخزوميّ. (جمهرة النسب): ٣٦٨.

(٢) هى عزة بنت الحارث الهلالية، أخت ميمونة، ذكرها أبو عمر مختصرًا، وقال: لم أرَ مَنْ ذكرها فى الصحابة، وأظنها لم تدرك الإسلام.

قال الحافظ: بل ذكرها ابن سعد فى الغرائب من النساء الصحابيات مع أخواتها لأمها، وزعم أنها أخت ميمونة أم المؤمنين، وأنها تزوجت عبد الله بن مالك بن الهُزْم، فولدت له زيادًا، وعبد الرحمن، وبرزة، فولدت برزة الأصم والد يزيد، وقيل: هى والدة يزيد بن الأصم.

قال: وقيل: إن برزة أخت عزة لأمها، قال: ويقال: إن عزة كانت عند رجل من بنى كلاب، فولدت فيهم. (الإصابة): ٨/ ٢٤، ترجمة رقم (١١٤٧١)، (طبقات ابن سعد): ٨/ ٢٥، (الاستيعاب): ٤/ ١٨٨٦، ترجمة رقم (٤٠٣٢).

الحارث[1] وأسماء بنت عميس بن مَعْد[2] بن الحارث بن تيم بن كعب بن مالك بن قَحافة بن عامر بن معاوية بن زيد بن مالك بن نسر بن وهب الله ابن شهران بن عفر بن ربيعة، حلف بن أفتل، وهو جماعة خثم بن أنمار.

وقيل: أسماء بنت عميس بن مالك[3] بن النعمان بن كعب بن مالك ابن قحافة بن عامر بن زيد بن نسر بن وهب الله الخنثعمية، أخت ميمونة رضى الله عنها لأمها هند بنت عوف بن زهير بن الحارث بن كنانة، كانت من المهاجرات إلى أرض الحبشة مع زوجها جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه، فولدت له هناك محمداً وعبد الله وعوفًا، ثم هاجرت إلى المدينة، فلما قتل جعفر تزوجها أبو بكر الصديق رضى الله عنه، فولدت له محمد ابن أبى بكر، ثم مات عنها، فتزوجها على بن أبى طالب رضى الله عنه،

---

(١) هى هزيلة بنت الحارث بن حزن الهلالية، اخت ميمونة أم المؤمنين، قيل: هى أم حفيد الآتية فى الكنى [من (الإصابة)]، قاله أبو عمر، قال: وكانت نكحت فى الأعراب، وهى التى اهدت الضّباب إلى النبى ﷺ، وروى حديثها سليمان بن يسار وغيره عن ميمونة.

قال الحافظ: قد أخرجه مالك فى (الموطأ)، عن عبد الرحمن بن أبى صعصعة، عن سليمان بن يسار، قال: دخل النبى ﷺ بيت ميمونة بنت الحارث، فإذا بِضِباب، ومعه عبد الله بن عباس، وخالد بن الوليد، فقال: من أين لكم هذا؟ قالت: اهدته إلىَّ أختى هزيلة بنت الحارث، فقال لعبد الله وخالد: كُلا، فقال: الا تأكل؟! قال: إنى يحضرنى من الله حاضر.

وأصل الحديث فى الصحيحين، من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قالت: أهدت خالتى أم حُفَيد بنت الحارث إلى النبى ﷺ سمنًا وأقطًا وضبابًا، فدعا بهن رسول الله ﷺ، فأكلن على مائدته...... الحديث.

واخرجه ابو داود وغيره من رواية عمر بن حرملة، عن ابن عباس، فوقع فى (مسند ابن ابى عمر العدنى) من هذا الوجه بلفظ «أم عتيق»، بعين مهملة بدل الحاء المهملة، وقاف فى آخره بدل الدال، والمعروف «أم حفيد».

(الإصابة): ٨/ ١٤٧، ترجمة رقم (١١٨٣٣)، ٨/ ١٩١، ترجمة رقم (١١٩٧١)، (الاستيعاب): ٤/ ١٩٢٠، ترجمة رقم (٤١٠٩)، ٤/ ١٩٣١، ترجمة رقم (٤١٤٠).

(٢)، (٣) (الإصابة): ٧/ ٤٨٩، ترجمة رقم (١٠٨٠٣)، (الاستيعاب): ٤/ ١٧٨٤، ترجمة رقم (٣٢٣٠).

فولدت له يحى بن على، وقيل: ولدت أيضا عوفًا.

وقيل: كانت تحت حمزة رضى الله عنه، فولدت له أمة الله، وقيل: أمامة، ثم خلف عليها بعد شداد جعفر بن الهادى، فولدت له عبد الله وعبد الرحمن.

وقيل إن التى كانت تحت حمزة وشداد، سلمى بنت عميس أختها، وقيل: كانت أسماء قبل جعفر بن أبى طالب عند ربيعة بن رباح بن أبى ربيعة بن نهيل بن هلال بن عامر، فولدت له مالكا وعبد الله وأبا هريرة بنى ربيعة، قاله ابن الكلبى(١) وتوفيت أسماء.

وسلمى بنت عميس الخثعمية(٢)، لها صُحبة، كانت تحت حمزة رضى الله عنه، فولدت له أمة الله، ثم خلف عليها بعد شداد بن الهادى، فولدت له عبد الله وعبد الرحمن، وقيل غير ذلك كما تقدم.

(١) (جمهرة النسب): ٣١.

(٢) هى إحدى الأخوات اللاتى قال فيهن النبى ﷺ: الأخوات مؤمنات؛ قاله ابن عبد البر، وقال: كانت تحت حمزة، فولدت له أمة الله بنت حمزة، ثم خلف عليها بعد قتل حمزة شداد بن الهاد الليثى، فولدت له عبد الله وعبد الرحمن، قال: وقد قيل: إن التى كانت تحت حمزة أسماء بنت عميس، فخلف عليها شداد. والأصح الأول.

قال الحافظ: وأخرج ابن مُنده، من طريق عبد الله بن المبارك، عن جرير ابن حازم، عن محمد بن عبد الله بن أبى يعقوب، وأبى فزارة جميعًا، عن عبد الله بن شداد؛ قال: كانت بنت حمزة أختى من أمى، وكانت أمُّنا سلمى بنت عُميس.

وفى الصحيحين من حديث البراء فى قصة بنت حمزة: لما اختصم فيها علىّ وجعفر وزيد بن حارثة، فقال جعفر: أنا أحق بها وخالتى تحتى.

وقال ابن سعد: زوجها حمزة، وكانت أسلمت قديما مع أختها أسماء، فولدت لحمزة ابنته عمارة، وهى التى اختصم فيها علىّ وجعفر وزيد بن حارثة، ثم بانت سلمى من حمزة، فتزوجها شداد، فولدت له عبد الله، فقضى بها النبى ﷺ لجعفر، وقال: الخالة بمنزلة الأم، وكانت أسماء تحت جعفر؛ فتعين أن أمها سلمى، وقد بالغ ابن الأثير فى الردّ على من زعم من أن أسماء كانت تحت حمزة. (طبقات ابن سعد): ٨/ ٢٠٩، (الاستيعاب): ٤/ ١٨٦١، ترجمة رقم (٣٣٨١)، (الإصابة): ٧/ ٧٠٦، ترجمة رقم (١١٣١٧).

[أصهار رسول الله ﷺ ونساء أعمامه]

ومن أصهار رسول الله ﷺ ونساء أعمامه:

خولة بنت قيس بن قهد [بالقاف](١) بن قيس بن ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار الأنصارية أم محمد(٢).

وقيل: خولة بنت تامر – وقيل: تامر لقب لقيس بن قهد – كانت تحت حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، فولدت له عمارة بن حمزة، وخلف

---

(١) زيادة للسياق والبيان من (الإصابة).

(٢) هي خولة بنت قيس بن قهد – بالقاف – بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار الأنصارية الخزرجية ثم النجارية أم محمد. يقال: هي زوج حمزة بن عبد المطلب، ثم قيل: غيرها.

قال محمود بن لبيد، عن خولة بنت قيس بن قهد، وكانت تحت حمزة بن عبد المطلب: أنها قالت: دخل النبي ﷺ على عمه – يعني حمزة – فصنعت شيئًا فأكلوه، فقال النبي ﷺ: الا أخبركم بكفارات الخطايا؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخُطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، أخرجه ابن منده بعلوّ.

وأخرج أيضًا من طريق قيس بن النعمان بن رفاعة: سمعت معاذ بن رفاعة بن رافع يحدث عن خولة بنت قيس بن قهد؛ قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ فصنعتُ له حريرة [دقيق يطبخ بلبن أو دسم]، فلما قدمتُها إليه وضع يده فيها فوجد حرَّها فقبضها، ثم قال: يا خولة، لا نصْبِرُ على حرّ ولا نَصْبِرُ على برد.

وقال ابن سعد: أمها الفريعة بنت زرارة، أخت أسعد بن زرارة؛ قال: وخلف عليها بعد حمزة بن عبد المطلب حنظلة بن النعمان بن عمرو بن مالك بن عامر بن العجلان.

وأخرج أبو نعيم، من طريق أبي معشر، عن سعيد المقبرى عن عبيد سَنُوطى، قال: دخلتُ على خولة بنت قيس التى كانت عند حمزة فتزوجها النعمان بن عجلان بعد حمزة، فقلت: يا أم محمد، انظرى ما تحدثيننى، فإن الحديث عن النبى ﷺ بغير ثبتٍ شديد، فقالت: بئس ما لى ان أحدثهم عن رسول الله ﷺ بما سمعتُه وأكذبُ عليه، سمعتُه يقول: الدنيا حلوة خَضِرة من يأخذ منها ما يحلّ يبارك له فيه، وربّ متخوّض فى مال الله.... الحديث. [أى رُبّ متصرف فى مال الله بما لا يرضاه الله. وقيل: هو التخليط فى تحصيله من غير وجهه كيف أمكن]. (الإصابة): ٧/٦٢٥، ترجمة رقم (١١١٢٦)، (الاستيعاب): ٤/١٨٣٣، ترجمة رقم (٣٣٢٤)، (النهاية): ٢/٨٨.

عليها بعد حمزة رجل من الأنصار. ويقال لها: خويلة، روى لها البخارى والترمذى.

وسلمى بنت عميس الخثعمية، كانت تحت حمزة أيضًا، فولدت له أمامة(١).

ولبابة الكبرى بنت الحارث، زوجة العباس رضي الله عنه، أم بنيه الفضل، وعبد الله، وعبيد الله، وقُثم، وعبد الرحمن، ومعبد(١).

وحجيلة بنت جُندبُ بن الربيع بن عامر بن كعب بن عمرو بن الحارث ابن عمرو بن سعد مالك بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة ابن إلياس بن مُضَر بن نزار بن معد بن عدنان. زوجة العباس، أم ولده الحارث بن عباس(٢).

وفاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصى، زوجة أبى طالب، أم بنيه: طالب، وعقيل، وجعفر، وعلى، رضي الله عنهم، وهى أول هاشمية ولدت لهاشمى، أسلمت وهاجرت وماتت بالمدينة، فشهدها رسول الله ﷺ، وألبسها قميصه واضطجع معها في قبرها، فقالوا: ما رأيناك صنعت ما صنعت بهذه، فقال: إن لم يكن أحد بعد أبي طالب أبرَّ بى منها، إنما ألبستها قميصى لتكتسى من حلل الجنة، واضطجعت معها ليهون عليها. وقيل: إنها ماتت قبل الهجرة، وليس بشىء(٣).

وعاتكة بنت أبى وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، زوجة

---

(١) سبق أن أشرنا إلى مصادر ترجمتها.

(٢) قال أبو عمر: لكل ولد العباس رؤية والصحبة للفضل، وعبد الله، وامه حجيلة بنت جندب بن الربيع الهلالية، وقيل: أم ولد. ثم قال: وأما الحارث بن العباس بن عبد المطلب فامه من هذيل. (الإصابة): ٢/ ١٥١، ترجمة رقم (١٩٠٤)، (الاستيعاب): ١/ ١٩٥-١٩٦، ترجمة رقم (٢٤٠).

(٣) (الإصابة): ٨/ ٦٠، ترجمة رقم (١١٥٨٤)، (الاستيعاب): ٤/ ١٨٩١، ترجمة رقم (٤٠٥٢).

الزبير بن عبد المطلب، أم بنيه: الطاهر، وحَجل، [وقُرَّة][1]، وعبد الله، كان أبوها من أشراف قريش فى الجاهلية، وأخوها هبيرة بن أبى وهب من فرسان قريش وشعرائهم، وهو زوج أم هانئ بنت أبى طالب، وفد يوم الفتح إلى نجران فمات بها كافراً، وترك أولاداً من أم هانئ[2].

وغزية بنت قيس بن طريف من بنى الحارث بن فهر، زوجة الحارث بن عبد المطلب أم بنيه: أبى سفيان، وربيعة، ونوفل، وعبد شمس، وعبد الله، وأمية[3].

وأم جميل بنت حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف - وهى حمالة الحطب - امرأة أبى لهب بن عبد المطلب، أم بنيه: عتبة، ومعتب، وعتيبة[4].

* * *

---

(١) زيادة للسياق والبيان.

(٢) قال الكلبى: وكان للزبير بن عبد المطلب: الطاهر، وحجل، وقرة، وعبد الله، قُتل يوم أجنادين [موضع بالشام من نواحى فلسطين؛ وأمهم عاتكة بنت أبى وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم. (جمهرة النسب): ٣٤ - ٣٥.

(٣) لم أجد لها ترجمة.

(٤) سبق الكلام عنها فى فصل [أصهاره ﷺ من قبل أم حبيبة].

أصهاره ﷺ أزواج عماته

ومن أصهاره ﷺ أزواج عماته، وهم تسعة:

كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف، زوج البيضاء أم حكيم بنت أبى طالب، أبو بنيها: عامر، وأم طلحة أرنب، وأروى أم عثمان، وأم كريز أم سكن بنت ظالم بن منقذ بن سبيع بن خعثمة بن سعد بن مليح الخزاعى، وكان له من الولد أيضًا فاختته، تزوجها أبو العاص ابن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس، وأمها هند بنت جدعان بن عمرو ابن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، والحارث بن كريز أمه من عبد قيس، يقال له أبو كبشة، وكان عنده مسيلمة الكذاب، وعُبَيْس بن كريز أمه أم عُبَيْس، فتاة لبنى تيم بن مرة، أسلمت فعذبت فى الله، حتي اشتراها أبو بكر الصديق رضى الله عنه، فاعتقها(١).

---

(١) هى أحد من كان يعذبه المشركون ممن سبق إلى الإسلام. قال أبو بشر الدولابى عن الشعبى: أسلمت وهى زوج كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، ولدت له عُبيسًا فكنيت به.

وروى يونس بن بكير في (زيادات المغازى) لابن اسحاق، عن هشام بن عروة، عن أبيه، أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أعتق من ممن كان يُعذب في الله سبعة وهم: بلال، وعامر بن فهيرة، وزنبرة، وجارية ابنا المؤمل، والهندية، وابنتها، وأم عبيس.

وأخرج محمد بن عثمان بن أبى شيبة فى تاريخه، عن منجاب بن الحارث، عن إبراهيم بن يوسف ابن زياد البكائى، عن ابن إسحاق، عن حُميد عن أنس: قال: قالت أم هانىء بنت أبى طالب: أعتق أبو بكر بلالاً، وأعتق معه ستة، منهم أم عبيس.

وأخرجه أبو نعيم، وأبو موسى، من طريقه. وقال الزبير بن بكار: كانت فتاة لنبى تيم بن مرة، فاسلمت أول الإسلام، وكانت ممن استضعفه المشركون يعذبونها فاشتراها أبو بكر فاعتقها، وكنيت بابنها عبيس بن كريز.

قال الحافظ: قال البلاذرى: كانت أمة لنبي زهرة، وكان الأسود بن عبد يغوث يعذبها.(الإصابة): ٨/٢٥٧-٢٥٨، ترجمة رقم (١٢١٥٩)، (الاستيعاب): ٤/١٩٤٦، ترجمة رقم (٤١٨٢).

وأبو أمية حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، أبو أولادها: عبد الله، وزهير، وقريبة الكبرى، إخوة أم المؤمنين أم سلمة لأبيها[١].

وعبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم[٢]، زوج برّة بنت عبد المطلب، أبو ابنها أبى سلمة عبد الله، وأمه نعم بنت عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب، وأبوها أبو سلمة تقدم ذكره، وله من الولد أيضًا: سفيان بن عبد الأسد، والأسود بن عبد الأسد، وقُتل الأسود ببدر كافرًا، قتله حمزة، وكان قد حلف ليكسرن

---

(١) (الإصابة): ٨/٨١، ترجمة رقم (١١٦٤٥).

(٢) قال ابو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الاندلسى: وولد هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم: عبد الأسد، فولد عبد الأسد: ابا سلمة، استخلفه رسول الله ﷺ علي المدينة، واسمه عبد الله، من قُدماء الصحابة المهاجرين الاولين، وهو زوج أم سلمة ام المؤمنين قبل رسول الله ﷺ؛ والأسود بن عبد الأسد، أحد المستهزئين، قتل يوم بدر كافرًا، وسفيان بن عبد الأسد.

فولد أبو سلمة رضي الله عنه سَلَمة، وعمر، وزينب، ودُرَّة: امهم كلهم ام سلمة ام المؤمنين رضي الله عنها. وُلد عمر بأرض الحبشة وله عقب، وولاه عليٌّ رضى الله عنه علي البحرين، وكان له ابن اسمه سلمة بن عمر، ولزينب ايضًا عقب، ولا عقب لدرة، ولا لسلمة، وزوّجه النبى ﷺ بنت حمزة، وكان لسلمة عقب انقرض، منهم: سلمة بن عبد الله بن سلمة بن ابى سلمة بن عبد الأسد، ولى قضاء المدينة لعبد الرحمن بن الضحاك، وولد الأسود بن عبد الأسد: المرأة التي سرقت فقطعها رسول الله ﷺ.

وولدُ سفيان بن عبد الأسد: الأسود، وهبّار، قُتل يوم مؤتة، وعمر، هاجر إلى الحبشة، وعبيد الله، قتل يوم اليرموك، وعبد الله: امهم كلهم صفية بنت الخطاب اخت عمر.

وأبو سلمة، والحارث، وعبد الرحمن، وعبد الرحمن آخر، وعبد الله، ومعاوية، وسفيان: ام هؤلاء ام جميل بنت المغيرة بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس.

ومن ولده: رزق، وعبد الله، ابنا الأسود بن سفيان بن عبد الأسد: امهما ام حبيب بنت العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف.

ومن ولده ايضًا: محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبى سلمة بن سفيان بن عبد الأسد، استقضاه الهادى على مكة، واستقضاه المامون ببغداد. (جمهرة انساب العرب): ١٤٣ - ١٤٤.

حوض النبى ﷺ، فقاتله حتى وصل إليه فأدركه حمزة وهو يكسره فقتله، فاختلط دمه بالماء. وأم سفيان من كندة، وأخوهما لأمهما أنس بن أذاه بن رباح(١).

وأبو رُهْم بن عبد العزى بن أبى قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل، بن عامر بن لؤى، زوج برَّة بعد عبد الأسد، وأبو ابنها أبى سبرة بن أبى رهم، أمه وأم أخيه حويطب بن عبد العزى زينب بنت علقمة بن غزوان بن يربوع بن الحارث بن سعد بن عمرو بن قبيص، وإخوته لأبيه: مخرمة الأكبر، ومخرمة الأصغر، وفاطمة.

وعمير بن وهب بن عبد بن قصى، زوج أروى بنت عبد المطلب(٢)، أبو ابنها طليب، كان أبوه وهب يعرف بأبى كبيرة(٣).

---

(١) قال فى (المرجع السابق): ١٥٠ : وولدُ رباح بن عبد الله بن قرظ: اذاة، وعبد العزى، فولدُ أذاة: قيلة أم أبي قحافة والد أبى بكر الصديق رضى الله عنه، وأنس بن أذاة.

فمن ولد أنس: عمرو وعبد الله ابنا سراقة بن المعتمر بن أنس ابن أذاة، شهد بدرًا مع رسول الله ﷺ.

(٢) قال فى (المرجع السابق): ١٦٩ : وولدُ أبى رُهْم بن عبد العزى: أبو سبرة بن أبى رهم، بدرىّ، وهوأخو سلمة بن عبد الأسد المخزومىّ، أمها برَّة بنت عبد المطلب، عمة رسول الله ﷺ، فولدُ أبى سبرة: محمد، فولد محمد: عبد الله، فولد عبد الله: ابو بكر ومحمد، ولى قضاء المدينة. وأما أبو بكر فخرج مع محمد بن عبد الله بن الحسن بالمدينة، وأتاه بأربعة وعشرين الف دينار من صدقات طيء وأسد.

٣) أروى بنت عبد المطلب بن هاشم الهاشمية، عمة رسول الله ﷺ. قال أبو عمر: كانت أروى تحت عمير بن وهب بن عبد بن قُصى، فولدت له طليبًا، ثم خلف عليها كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصىّ، فولدت له أروى.

وحكى أبو عمر عن محمد بن إسحاق، أنه لم يُسلم من عمات النبى ﷺ إلا صفية، وتعقبه بقصة أروى، وذكرها العقيلى فى الصحابة، وأسند عن الواقدى، عن موسى بن محمد بن إبراهيم ابن الحارث التيمى، عن أبيه قال: لما أسلم طُليب بن عمير، دخل على أمه أروى بنت عبد المطلب، فقال لها: قد أسلمتُ وتبعتُ محمداً، فذكر قصة فيها: وما يمنعك أن تُسلمى فقد أسلم أخوك حمزة؟
=

وكلدة بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى[١]، زوج أروى بنت عبد المطلب بعد عمير بن وهب، وأبو ابنتها فاطمة امرأة أرطاة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى، الذى كان بيده لواء المشركين يوم أحد، وقتله مصعب بن عمير[٢].

وجحش بن رئاب بن يَعْمر بن صَبِيرة بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان ابن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مُضر الأسدى زوج أميمة بنت عبد المطلب، وأبو أولادها عبد الله المجدّع، وعبيد الله وأبى أحمد وزينب أم المؤمنين وأم حبيبة وحمنة[٣].

= فقالت: انظر ما يصنع اخواى، قال: قلت: فإنى اسألك بالله إلا اتيته فسلمت عليه وصدقته. قالت: فإنى اشهد ان لا إله إلا الله، واشهد ان محمداً رسول الله، ثم كانت بعد ذلك تُعضّد النبى ﷺ بلسانها، وتحض ابنها على نصرته والقيام بأمره.

وقال ابن سعد: اسلمت وهاجرت إلى المدينة (الإصابة): ٧/ ٤٨٠-٤٨١، ترجمة رقم (١٠٧٨٥)، (الاستيعاب): ٤/ ١٧١١، ١٧٧٨، ترجمة رقم (٣٢٢٥)، (طبقات ابن سعد): ٨/ ٢٨.

(١) قال ابن حزم: وولدُ عبد مناف بن عبد الدار: هاشم، وكلدة. ثم قال: وولدُ هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار: عمير، وعامر، وعبد شرحبيل، قلت: فعلى ذلك يكون كلدة بن عبد مناف وليس ابن هاشم بن عبد مناف، انظر (جمهرة انساب العرب): ١٢٦.

(٢) قال ابن إسحاق - وقد ذكر من قُتل من المشركين يوم احد -: وأرطاة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، قتله حمزة بن عبد المطلب.

ثم قال - وقد ذكر استشهاد حمزة رضي الله عنه -: وقاتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، حتى قتل ارطاة بن شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، وكان احد النفر الذين يحملون اللواء [يوم احد]. (سيرة ابن هشام): ٤/ ١٦، ٨٤.

(٣) جحش بن رئاب الأسدى، والد أبى أحمد، قال ابن حبان: له صحبة، ذكره الجعابى فيمن روى عن النبى ﷺ من الصحابة، هو وابنه، وروى الدارقطنى بإسناد واه ان النبى ﷺ غيَّر اسم جحش هذا، كان اسمه برَّة فسماه النبى ﷺ جحشًا، والمعروف ان ابنته كان اسمها برَّة فغيَّره النبى ﷺ.

وأبو احمد بن جحش الأسدى، اخو أم المؤمنين زينب، اسمه «عبد» بغير إضافة، وقيل عبد الله، [وزاد فى (الاستيعاب): وقيل اسمه ثمامة، ولا يصح]. =

والحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس، زوج صفية بنت عبد المطلب[1]، وأبو ابنتها صُفيًّا بنت الحارث.

والعوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى، زوج صفية بعد الحارث بن حرب، وأبو ابنها الزبير بن العوام، رضي الله عنه[2].

= حكى عن ابن كثير، وقالوا: إنه وَهم، اتفقوا على أنه كان من السابقين الأولين، وقيل: إنه هاجر إلى الحبشة، ثم قدم مهاجراً إلى المدينة، وانكر البلاذرى هجرته إلى الحبشة، وقال: لم يهاجر إلى الحبشة، قال: وإنما هو أخو عبيد الله الذى تنصَّر بها.

وقال ابن إسحاق: وكان أول من قدم مكة من المهاجرين بعد أبى سلمة عامر بن ربيعة، وعبد الله ابن جحش، احتمل باهله وأخيه عبد الله؛ وكان ابو احمد ضريراً، يطوف بمكة أعلاها وأسفلها بغير قائد، وكانت عنده الفارعة بنت أبى سفيان بن حرب، وشهد بدراً والمشاهد، وكان يدور مكة بغير قائد، وفي ذلك يقول:

حَبَّـذا مكـة من وادى   بها أهلـى وعُـوَّادى
بهـا ترسـخ أوتـادى   بهـا أمشى بلا هادى

وجزم ابن الاثير بانه مات بعد أخته زينب بنت جحش، وفيه نظر، فقد قيل: إنه الذى مات فبلغ أخته موته، فدعت بطيب فمسته. ووقع فى الصحيحين من طريق زينب بنت أم سلمة، قالت: دخلتُ على زينب بنت جحش حين توفى أخوها، فدعت بطيب فمسته، ثم قالت: ما لى بالطيب من حاجة، ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحدَّ على ميت فوق ثلاث إلا على زوج... الحديث.

ويقوى أنَّ المراد بهذا أبو أحمد أن كلا من أخويها عبد الله وعبيد الله مات فى حياة النبى ﷺ، أما عبد الله المكبر فاستشهد باحد، وأما أخوها عبيد الله المصغر فمات نصرانياً بأرض الحبشة، وتزوج النبى ﷺ امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان بعده. (الإصابة): ١/ ٤٦٦، ترجمة رقم (١١٠٩ز)، ٧/ ٦-٧، ترجمة رقم (٩٤٩٢)، (سيرة ابن شهام): ٤/ ٧٨، ٢/ ١٦٦.

(١) هى صفية بنت عبد المطلب بن هاشم القرشية الهاشمية، عمة رسول الله ﷺ، ووالدة الزبير بن العوام - أحد العشرة - وهى شقيقة حمزة، أمها هالة بنت وهب خالة رسول الله ﷺ.

وكان أول من تزوجها الحارث بن حرب بن أمية، ثم هلك، فخلف عليها العوام بن خويلد بن أسد ابن عبد العُزى، فولدت له الزبير والسائب، وأسلمت، وروت، وعاشت إلى خلافة عمر رضى الله عنه. (الاستيعاب): ٤/ ١٨٧٣. ترجمة رقم (٤٠٠٧)، (الإصابة): ٧/ ٧٤٣، ترجمة رقم (١١٤٠٥)، (طبقات ابن سعد): ٨/ ٢٧.

(٢) أنظر التعليق السابق.

أصهاره ﷺ من قبل بناته

أبو العاص مهشم وقيل لقيط، وقيل هاشم، وقيل هشم، وقيل مقسم، وقيل القاسم، وصححه الزبير بن بكار، ويعرف بجرو البطحاء، ويقال له: الأوس بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف [بن قصى](١) القرشى صهر رسول الله ﷺ، زوج ابنته زينب أكبر بناته، وابن خالتها. أمه هالة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى، أخت خديجة بنت خويلد، رضى الله عنها لأبيها وأمها، شهد بدراً مع كفار قريش، فأسره عبد الله بن جبير بن النعمان الأنصارى، وقيل خراش بن الصمة(٢)، وقدم أخوه عمرو بن الربيع لفدائه بمال دفعته إليه زينب عليها السلام، ومنه قلادة كانت لخديجة [من جزع ظفار](٣) أدخلتها بها على أبى العاص حين بنى عليها، فقال رسول الله ﷺ: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردّوا الذى لها فافعلوا، فقالوا: نعم.

وكان أبو العاص مؤاخيا لرسول الله ﷺ، مصافيًا له، وكان رسول الله ﷺ يكثر غشيانه في منزل أمه هالة، وكان أبو العاص قد أبى أن يطلق زينب إذ سعى إليه المشركون من قريش فى ذلك، فشكر له رسول الله ﷺ مصاهرته، وأثنى عليه بذلك خيراً، وهاجرت زينب مسلمة، وتركته على شركة، فأقام حتى كان قبيل الفتح، فخرج بتجارة إلى الشام، ومعه أموال لقريش، فلما قفل لقيه زيد بن حارثة وهو على سرية(٤)، فأسر ممن رافقه

(١) زيادة للسياق من (طبقات ابن سعد) : ٨/٢٥.

(٢) قال ابن هشام: أسره خراش بن الصمة، أحد بنى حرام (سيرة ابن هشام): ٢/٢٠٢.

(٣) ما بين الحاصرتين مطموس فى (خ)، واستدركناه من (مغازى الواقدى): ١/١٣٠.

(٤) كان فى سبعين ومائة راكب، فلقوا العير بناحية العيص، في جمادى الآخرة سنة ست من الهجرة. =

عدة، وأخذ ما معه.

وفرّ أبو العاص حتى [دخل](1) ذليلاً على زينب امرأته فاستجارها(2)، وقدم زيد بما معه، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى صلاة الصبح وكبّر فكبّر الناسُ معه، صرخت زينب: «أيها الناس إني قد أجَرْتُ أبا العاص بن الربيع، فلما سلّم رسول الله ﷺ من صلاته، اقبل على الناس فقال: «[أيها الناس](3) هل سمعتم ما سمعت؟» قالوا: نعم، قال: «أما والذى نفسى بيده، ما علمتُ بشيء [مما كان](4) حتى سمعتُ ما سمعتم، [المؤمنون يد علي من سواهم، يجير عليهم أدناهم، وقد أجرنا من أجارت]»(5)، ثم انصرف، فدخل على زينب فقال: «أى بنية، أكرمى مثواه، ولا يخلص إليك فإنك لا تحلين له» فقالت: «إنه جاء فى طلب ماله» فخرج وبعث فى تلك السرية، فاجتمعوا إليه وكانوا سبعين ومائة، فقال لهم: «إن هذا الرجل بنا بحيث علمتم، وقد أصبتم له مالاً، وهو فئ أفاءه الله عليكم، وأنا أحب أن تحسنوا وتردوا إليه الذى له، وإن أبيتم فأنتم أحق به.

قالوا: يا رسول الله، بل نردّه إليه، فردوا عليه ماله ما فُقد منه شيئًا، فاحتمل إلى مكة، فأدّى إلى كل ذى مال من قريش ماله الذى كان أبضع معه ثم قال: يا معشر قريش، هل بقي لأحد منكم مال لم يأخذه؟ قالوا: جزاك الله خيراً، فقد وجدناك وفيًا كريمًا، قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، والله ما منعنى من الإسلام إلا تخوّف أن تظنوا بى

= (طبقات ابن سعد): 27/8.

(1) زيادة يقتضيها السياق.

(2) فى (خ): «فاستجار بها»، وما أثبتناه من (المرجع السابق).

(3) زيادة للسياق من (المرجع السابق).

(4) زيادة للسياق من (طبقات ابن سعد): 8/27.

(5) ما بين الحاصرتين فى (خ): «إنه يجبر علي المسلمين أدناهم»، وما أثبتناه من (المرجع السابق).

أكل أموالكم، فلما أداها الله إليكم أسلمت.

ثم خرج حتى قدم على رسول الله ﷺ مسلما وحَسُن إسلامه، وردَّ رسول الله ﷺ ابنته بالنكاح الأول، بعد ست سنين[1]، وقيل: ردها عليه بنكاح جديد.

خرَّج الترمذى من حديث أبى معاوية، عن الحجاج بن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه، أن رسول الله ﷺ ردَّ ابنته زينب على أبى العاص بن الربيع بمهر جديد ونكاح جديد، قال أبو عيسى: هذا الحديث فى إسناده مقال، وفى الحديث الآخر مقال[2].

والعمل على هذا الحديث عند أهل العلم: أن المرأة إذا أسلمت قبل زوجها، ثم أسلم زوجها وهى فى العدة، أن زوجها أحق بها ما كانت فى العدة، وهو قول مالك بن أنس، والأوزاعى، والشافعى، وأحمد، وإسحاق[3].

وخرّج أيضا من حديث يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق قال: حدثنى داود بن الحصين عن عكرمة، عن ابن عباس قال: ردَّ النبى ﷺ ابنته زينب على أبى العاص بن الربيع بعد ست سنين بالنكاح الأول، ولم يحدث نكاحًا. قال أبو عيسى: هذا حديث ليس بإسناده بأس، ولكن لا

---

(١) فى المحرم سنة سبع من الهجرة (المرجع السابق).

(٢) أخرجه أبو داود والترمذى؛ رواه أبو داود برقم (٢٢٤٠) فى الطلاق باب إلى متى ترد عليه امرأته إذا أسلم بعدها، والترمذى برقم (١١٤٣) فى النكاح، باب الزوجين يُسلم أحدهما قبل الآخر، وفى سنده الحجاج بن أرطاة، وهو كثير الخطأ والتدليس، وقال الترمذى: هذا حديث فى إسناده مقال. (جامع الأصول): ١١/ ٥١٠.

(٣) قال الحافظ: وأحسن المسالك فى تقرير الحديثين ترجيح حديث ابن عباس كما رجحه الأئمة، وحمله على تطاول العدة فيما بين نزول آية التحريم، وإسلام أبى العباس، ولا مانع من ذلك. (جامع الأصول): ١١/ ٥١٠ «هامش».

نعرف وجه هذا الحديث [ولعله قد جاء هذا من قبل داود بن حصين، من قبل حفظه](١) قال: سمعت عبد بن حميد يقول: سمعت يزيد بن هارون يذكر عن محمد بن إسحاق هذا الحديث(٢).

وحديث الحجاج عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، أن النبي ﷺ ردّ ابنته على أبي العاص بن الربيع بمهر جديد ونكاح جديد. قال يزيد بن هارون: حديث ابن عباس أجود إسنادا، والعمل على حديث عمرو بن شعيب.

---

(١) (تحفة الأحوذي): ٤ / ٢٤٨، أبواب النكاح، باب (٤١) ما جاء في الزوجين المشركين يُسلم أحدهما قبل الآخر، حديث رقم (١١٥١)، قوله: «هذا حديث في إسناده مقال»، في إسناده حجاج ابن أرطاة وهو مدلس، وأيضًا لم يسمع من عمرو بن شعيب كما قال أبو عبيد، وإنما حمله عن العزرميّ وهو ضعيف، وقد ضعَّف هذا الحديث جماعة من أهل العلم، كذا في (النيل). [نيل الأوطار للشوكاني]، والحديث أخرجه أيضا ابن ماجة.

قوله: «والعمل على هذا عند أهل العلم»، أي من حيث أن هذا الحديث يقتضي أن الردّ بعد العدة يحتاج إلى نكاح جديد، فالردّ بلا نكاح لا يكون إلا قبل العدة، قاله أبو الطيب المدني.

(٢) قوله: «وهو قول مالك بن أنس والأوزاعي والشافعي وأحمد وإسحاق»، وقال محمد في (موطإه): إذا أسلمت المرأة وزوجها كافر في دار الإسلام لم يفرق بينهما حتى يعرض على الزوج الإسلام، فإن أسلم فهي امرأته، وإن أبى أن يُسلم فرق بينهما، وكانت فرقتها تطليقة بائنة، وهو قول أبي حنيفة وإبراهيم النخعي.

قوله: «بعد ست سنين بالنكاح الأول ولم يحدث نكاحًا»، وفي رواية لأحمد وأبي داود وابن ماجة: «بعد سنتين»، قال الشوكاني: «وفي رواية بعد ثلاث سنين»، وأشار في (الفتح) إلى الجمع فقال: المراد بالست، ما بين هجرة زينب وإسلامه، وبالسنتين أو الثلاث ما بين نزول قوله تعالى: ﴿ولا هن حل لهم﴾ [١٠: الممتحنة]، وقدومه مسلمًا، فإن بينهما سنتين وأشهرًا.

قوله: «هذا حديث ليس بإسناده بأس»، حديث ابن عباس هذا صححه الحاكم، وقال الخطابي: هو أصح من حديث عمرو بن شعيب، وكذا قال البخاري. قال ابن كثير في (الإرشاد): هو حديث جيد قوي، وهو من رواية ابن إسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس. أ. هـ. إلا أن حديث داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس نَسخَه، وقد ضعَّف أمرهما عليّ بن المديني وغيره من علماء الحديث، وابن إسحاق فيه مقال معروف. كذا في (النَّيْل). قال المباركفوري: قد تقدم في بحث القراءة خلف =

خرج الدار قطني [من][1] حديث أبي معاوية، عن الحجاج بن أرطأة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، أن رسول الله ﷺ، ردّ ابنه [زينب[2]] على أبي العاص بن الربيع بنكاح جديد. وقال بعده: هذا لم يثبت، وحجاج لا يحتج به، والصواب حديث ابن عباس.

وكذلك رواه مالك عن الزهري في قصة صفوان بن أمية، قال أبو عمر ابن عبد البر: وقد حدَّث داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: ردّ رسول الله ﷺ ابنته زينب على أبي العاص بالنكاح الأول لم يحدث شيئًا[3] بعضهم يقول: فيه ثلاث سنين، وبعضهم يقول: ست سنين، وبعضهم يقول: فيه بعد سنتين، وبعضهم لا يقول شيئًا في ذلك[4].

= الإمام، أن الحق أن ابن إسحاق ثقة قابل للاحتجاج.

قوله: «ولكن لا نعرف وجه الحديث...»، قال الحافظ: أشار بذلك إلى أن ردَّها إليه بعد ست سنين، أو بعد سنتين، أو ثلاث، مشكل لاستبعاد أن تبقى في العدة هذه المدة.

قال: ولم يذهب أحد إلى جواز تقرير المسلمة تحت المشرك، إذا تأخر إسلامه عن إسلامها حتى انقضت عدتها. ومن نقل الإجماع في ذلك ابن عبد البر - (تحفة الأحوذي) ٤/ ٢٤٨ - ٢٥٠، أبواب النكاح، باب (٤١) ما جاء في الزوجين المشركين يسلم أحدهما، حديث رقم (١١٥١).

(١) زيادة للسياق.

(٢) زيادة للسياق.

(٣) (سنن الدار قطني): ٣/ ٢٥٣ - ٢٥٤، حديث رقم (٣٥)، (٣٦).

(٤) الحديث أخرجه أبو داود، والترمذي، وابن ماجة، عن محمد بن إسحاق مثله، وفي الترمذي: بعد ست سنين، وفي ابن ماجة: بعد سنتين، والروايتان عند أبي داود. قال الترمذي: لا بأس بإسناده، وسمعت عبد بن حميد يقول: سمعتُ يزيد بن هارون يقول: حديث ابن عباس هذا أجود إسنادًا من حديث عمرو بن شعيب، ولكن لا يعرف وجه حديث ابن عباس، ولعله جاء من داود بن حسين من قبل حفظه. ورواه الحاكم في (المستدرك)، وقال: صحيح على شرط مسلم، وقال عبد الحق، حديث ابن عباس فيه محمد بن إسحاق، ولا أعلم رواه معه إلا من هو دونه، ثم نقل عن ابن عبد البر منسوخ عند الجميع (سنن الدار قطني): ٣/ ٢٥٤، تعليق على الحديث رقم (٣٥)، (٣٦)، (سنن بن ماجه): ١/ ٦٤٧، كتاب النكاح، باب (٦٠) الزوجين يُسلم أحدهما قبل الآخر، حديث رقم (٢٠٠٩)، (٢٠١٠)، (المستدرك): ٤/ ٥٠، كتاب معرفة الصحافة، ذكر بنات رسول الله ﷺ بعد فاطمة رضي الله عنها، حديث رقم (٦٨٤٦/ ٢٤٤٤).

وهذا الخبر إن صح، فهو متروك منسوخ عند الجميع، لأنهم لا يجيزون رجوعها إليه بعد خروجها من عدتها، وإسلام زينب كان قبل أن ينزل كثير من الفرائض.

وروى عن قتاده أن ذلك كان قبل أن تنزل سورة ﴿ براءة ﴾[١] تقطع العهود بينهم وبين المشركين، وقال الزهرى: كان هذا قبل أن تنزل الفرائض.

وروى عنه سفيان بن حسين، أن أبا العاص بن الربيع أسر يوم بدر، فأُتى به رسول الله ﷺ، فردّ عليه امرأته، وفي هذا أنه ردّها عليه وهو كافر، فمن هنا قال ابن شهاب: إن ذلك كان قبل أن تنزل الفرائض.

وقال آخرون: قصة أبى العاص هذه منسوخة بقوله تعالى: ﴿ **فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار** ﴾[٢] إلى قوله [تعالى]: ﴿ **ولا تمسكوا بعصم الكوافر** ﴾[٣]، فربما يدل على أن قصة أبى العاص منسوخة بقوله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن** ﴾[٤] إلى قوله [تعالى]: ﴿ **ولا تمسكوا بعصم الكوافر** ﴾[٥]، إجماع العلماء أن أبا العاص بن الربيع كان كافراً، وأن المسلمة لا تحل أن تكون زوجة لكافر، قال الله تعالى: ﴿ **ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا** ﴾[٦].

---

(١) أول سورة التوبة.

(٢) الممتحنة: ١٠.

(٣) الممتحنة: ١٠.

(٤) الممتحنة: ١٠.

(٥) الممتحنة: ١٠.

(٦) النساء: ١٤١.

وقال رسول الله ﷺ للمُلاعن: لا سبيل لك عليها[1]، وروى سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال: لا يعلو مسلمة مشرك، فإن الإسلام يَظهر ولا يُظهر عليه.

وفى قوله تعالى: ﴿لا هن حلّ لهم ولا هم يحلون لهن﴾[2] ما يُغنى ويكفى. قال أبو عمر: ولم يختلف أهل السِّيَر أن الآية المذكورة نزلت حين صالح رسول الله ﷺ قريشًا على أن يرد عليهم من يجىء بغير إذن وليه، فلما هاجرن أبى الله أن تُرددن إلى المشركين إذا امتحنّ محنة الإسلام، وعرف أنهن جئن رغبة فى الإسلام.

قال: ولم يختلف العلماء أن الكافرة إذا أسلمت ثم انقضت عدتها أنه لا سبيل لزوجها عليها إذا كان لم يسلم، إلا شيئًا روى عن إبراهيم النخعى، شَذّ فيه عن جماعة العلماء، ولم يتابعه أحد من الفقهاء، إلا بعض أهل الظاهر فإنه قال: وقد قال أكثر أصحابنا: لا ينفسخ النكاح بتقديم إسلام الزوجة، إلا بمضى مدة يتفق الجميع على فسخه لصحة وقوعه فى حلة، واحتج بحديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ ردّ زينب على أبى العاص بالنكاح الأول بعد مضى سنين لهجرتها، وأظنه مال فيه إلى قصة أبى العاص، وقصة أبى العاص لا تخلو من أن يكون أبو العاص كافرًا، إذ ردّه رسول الله ﷺ إلى ابنته زينب على النكاح الأول، أو مسلمًا.

فإن كان كافرًا، فهذا ما لا شك فيه، إن كان قبل نزول الفرائض وأحكام

---

(١) أخرجه البخارى فى الطلاق، باب قول الإمام للمتلاعنين إن أحدكما كاذب، فهل منكما من تائب، الحديث رقم (٥٣١٢)، وباب المتعة للتى لم يفرض لها، الحديث رقم (٥٣٥٠)، وأخرجه مسلم فى اللعان، حديث رقم (٥)، وأخرجه أبو داود فى الطلاق، باب فى اللعان، حديث رقم (٢٢٥٧)، والنسائى فى الطلاق، باب اجتماع المتلاعنين، حديث رقم (٣٤٧٦).

(٢) الممتحنة: ١٠.

الإسلام فى النكاح، إذ فى القرآن والسنة والإجماع تحريم خروج المسلمات على الكفار، فلا وجه ها هنا للإكثار.

وإن كان مسلما، فلا يخلو من أن تكون [زينب] حاملاً فتمادى حملها فلم تضعه حتى أسلم زوجها، فرده رسول الله ﷺ إليها فى عدتها، وهذا لم ينقل فى خبر.

أو تكون قد خرجت من العدة، فيكون أيضًا ذلك منسوخًا بالإجماع، لأنهم قد أجمعوا أنه لا سبيل إليها بعد العدة، لأنَّا ذكرنا فى شذود النخعى وبعض أهل الظاهر وكيف كان ذلك.

فخبر ابن عباس فى ردّ أبى العاص إلى زينب خبر متروك، ولا يجوز العمل به عند الجميع، فاستُغنى عن القول فيه.

وقد يحتمل قوله: «على النكاح الأول»، يريد على مثل النكاح الأول من الصداق، على أنه قد روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، أن النبى ﷺ رد زينب على أبى العاص بنكاح جديد، وكذلك يقول الشعبى على علمه بالمغازى، أن رسول الله ﷺ لم يرد أبا العاص إلى ابنته زينب إلا بنكاح جديد، وهذا يعضده الأصول.

قال كاتبه [رحمه الله](١): لم أَدْرِ ما هذا الذى عناه أبو عمر من أهل الظاهر، وليس هو ابن حزم [الظاهرى]، فإن مذهبه أنَّ تقدمً إسلام المرأة على إسلام الرجل يفسخ نكاحها منه، ولا سبيل له عليها إلا بنكاح جديد وبرضاها، والله أعلم.

وتوفى أبو العاص فى ذى الحجة سنة اثنتى عشرة، وترك من زينب عليًا وأمامة، أوصى بهما إلى الزبير بن العوام بن خويلد بن عبد العزى رضى الله

---

(١) زيادة للسياق.

عنه، وهو ابن عمه. وترك أيضًا مريم، وأمها فاختته بنت سعيد بن أبى أُحَيْحَة بن العاص، تزوج بها محمد بن عبد الرحمن بن عوف، فولدت له القاسم. وقد انقرض عقب أبى العاص، وكان أحد رجالات قريش، أمانة وحالاً(١).

وعقبة بن أبى لهب، زوج رقية ابنة رسول الله ﷺ، وابن عم أبيها، أمرته أمه أم جميل بنت حرب بفراقها، وقالت له: طلقها حتى تشغله عياله عما يدعو إليه، فطلقها، فخلف عليها عثمان بن عفان -وهو ابن عمة أبيها- فولدت له عبد الرحمن بن عثمان(٢).

---

(١) له ترجمة فى: (تاريخ خليفة): ١١٩، (الاستيعاب) ٤/ ١٧٠١ - ١٧٠٤، ترجمة رقم (٣٠٦١)، (تهذيب الأسماء واللغات): ٢/ ٢٤٨ - ٢٤٩ (الإصابة): ٧/ ٢٤٨ - ٢٥١، ترجمة رقم (١٠١٧٥)، (سير أعلام النبلاء): ١/ ٣٣٠ - ٣٣٤، ترجمة رقم (٦٩)، (فتح البارى): ٧/ ١٠٦، كتاب فضائل أصحاب النبى ﷺ، باب (١٦) ذكر أصهار النبى ﷺ. منهم العاص بن الربيع حديث رقم (٣٧٢٩).

(٢) عُتْبَةُ بن أبى لهب، واسم أبى لهب: عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى، وأمه أم جميل بنت حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصى.

وكان لعتبة من الولد: أبو على وأبو الهيثم، وأبو غليظ، وأمهم: عتبه بنت عوف بن عبد مناف ابن الحارث بن منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤى، وعمرو، ويزيد، وأبو خِداش، وعباس، وميمونة، وأمهم: أم العباس بنت شراحبيل بن أوس بن حبيب بن الوجيه، من حمير، ثم من ذى الكلاح -سبيّة فى الجاهلية، وعبيد الله، ومحمد، وشيبة، درجوا، وأم عبد الله وأمهم: أم عكرمة بنت خليفة بن قيس، من الجَدَرة، من الأزد، وهم حلفاء فى بنى الدِّيل بن بكر،

وعامر بن عتبة، وأمه: هالة الأحمرية، من بنى الأحمر بن الحارث بن عبد مناة بن كنانة، وأبو واثلة بن عتبة، وأمه من خولان.

وعبيد بن عتبة لأم ولد، وإسحاق بن عتبة لأم ولد سوداء، وأم عبد الله بنت عتبة، وأمها: خولة أم ولد.

قال: أخبرنا علىُّ بن عيسى بن عبد الله النوفلىّ، عن حمزة بن عتبة بن إبراهيم اللهبى، قال: حدثنا إبراهيم بن عامر بن أبى سفيان بن معتب، وغيره من مشيختنا الهاشميين، عن ابن عباس، عن أبيه العباس بن عبد المطلب، قال: لما قدم رسول الله ﷺ مكة فى الفتح، قال لى: يا عباس، أين ابنا أخيك عتبة ومعتب لا أراهما؟ =

ومعتِّب(١) بن أبى لهب، زوج أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ وابن عم أبيها، أمرته أمه أم جميل [بنت حرب] بطلاقها فطلقها، وخلف عليها عثمان بن عفان رضى الله عنه بعد موت أختها رقية فلم تلد له شيئًا(٢).

وعلى بن أبى طالب رضى الله عنه(٣)، زوج فاطمة بنت رسول الله ﷺ وابن عم أبيها، وأبو ابنها الحسن والحسين، وأبو ابنتيها زينب وأم كلثوم، فتزوج أمامة بنت زينب من أبى العاص علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه،

= قال قلتُ: يا رسول الله تَنَحَّيا فيمن تنحىّ من مشركى قريش، فقال لى: اذهب إليهما واثتنى بهما.

قال العباس: فركبتُ إليهما بُعرنة فاتيتهما فقلت: إن رسول الله ﷺ يدعوكما، فركبا معى سريعين، حتى قدما على رسول الله ﷺ، فدعاهما إلى الإسلام، فاسلما وبايعا. ثم قام رسول الله ﷺ فاخذ بايديهما، وانطلق بهما يمشى بينهما، حتى اتى بهما الملتزم، وهو ما بين باب الكعبة والحجر الأسود، فدعا ساعة، ثم انصرف، والسرور يُرى فى وجهه.

قال العباس: فقلت له: سَرَّك الله يا رسول الله، فإنى أرى فى وجهك السرور، فقال النبى ﷺ: نعم، فإنى استوهبتُ ابنى عمى هذين ربى، فوهبهما لى.

قال حمزة بن عتبة: فخرجا معه فى فَوْرة ذلك إلى حُنين، فشهدا غزوة حنين، وثبتا مع رسول الله ﷺ يومئذ فيمن ثبت من أهل بيته واصحابه، واصيب عين معتب يومئذ، ولم يُقِمْ احد من بنى هاشم من الرجال بمكة بعد ان فُتحت غير عتبة، ومعتب، ابنى أبى لهب.

(١) فى (خ): «وعتيبة»، وما اثبتناه من سائر المراجع.

(٢) هو معتب بن أبى لهب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصىّ، وامه ام جميل بنت حرب ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى.

وكان لمعتب من الولد: عبد الله، ومحمد، وأبو سفيان، وموسى، وعبيد الله وسعيد، وخالدة، وأمهم: عاتكة بنت أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وأمها أم عمرو بنت المقوّم بن عبد المطلب بن هاشم، وأبو مسلم، ومسلم وعباس، بنو معتب لأمهات أولاد شتى، وعبد الرحمن بن معتب، وأمه من حِمْير، وقد كتبنا قصة معتب بن أبى لهب فى إسلامه مع قصة أخيه عتبة بن أبى لهب. لهما ترجمة فى: (طبقات ابن سعد): ٤/ ٥٩ - ٦١، (الإصابة): ٤/ ٤٤٠ - ٤٤١، ترجمة رقم (٥٤١٧)، ٦/ ١٧٥ - ١٧٦، وترجمة رقم (٨١٢٦)، (الاستيعاب): ٣/ ١٠٣٠، ترجمة رقم (١٧٨٦٦)، ٣/ ١٤٣٠، ترجمة رقم (٢٤٥٩).

(٣) سبق أن أشرنا إلى مصادر ترجمته.

فولدت له محمد الأوسط، ثم خلف عليها بعده المغيرة بن نوفل بن الحارث ابن عبد المطلب، فولدت له يحيى[وبه يكنى] (١) وتزوج بأم كلثوم ابنة فاطمة عليها السلام من على بن على طالب رضى الله عنه، عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فولدت له زيداً ورقية، ولم يعقبا، وتزوج زينب ابنة فاطمة عليها السلام من على بن أبى طالب رضى الله عنه.

[و] عبد الله بن جعفر بن أبى طالب القرشى الهاشمى أبو جعفر، ولدته أسماء بنت عميس بأرض الحبشة، وهو أول مولود ولد فى الإسلام بأرض الحبشة، وقدم مع أبيه إلى المدينة، فكان جوّاداً كأبيه، وكان يسمى البحر، ولم يكن في الإسلام أسخى منه، ورأى رسول الله ﷺ وحفظ عنه أخباراً كثيرة جداً، توفى بالمدينة سنة ثمانين عن تسعين سنة، وقيل: مات سنة أربع أو خمس وثمانين(٢)، وصلى عليه إبان بن عثمان أمير المدينة، وكان مع عظم جوده ظريفًا حليمًا عفيفًا، لا يرى بسماع الغناء بأسًا، خرّج أحاديثه الجماعة(٣).

---

(١) زيادة للسياق من (الاستيعاب)، وله ترجمة فى: (الاستيعاب): ٤ / ١٤٤٧ - ١٤٤٨، ترجمة رقم (٢٤٨٤)، (طبقات ابن سعد): ٥ / ٢٢ - ٢٣، (الإصابة): ٦ / ٢٠٠ - ٢٠١، ترجمة رقم (٨١٨٦).

(٢) قال الواقدى ومصعب الزبيرى: مات فى سنة ثمانين، وقال المدائنىّ: توفى سنة أربع أو خمس وثمانين، وقال أبو عبيد: سنة أربع وثمانين، ويقال: سنة تسعين. (سير الأعلام).

(٣) له ترجمة فى: (طبقات خليفة): ترجمة رقم (٨٣٣)، (١٤٨٤)، (التاريخ الكبير): ٥ / ٧، (التاريخ الصغير): ١ / ١٩٧، (الجرح والتعديل): ١ / ١٩٧، (المستدرك): ٣ / ٥٦٦، (جمهرة أنساب العرب): ٦٨، (الاستيعاب): ٣ / ٨٨٠ - ٨٨٢، ترجمة رقم (١٤٨٨)، (تهذيب الأسماء واللغات): ١ / ٢٦٣، (البداية والنهاية): ٢ / ٣٣٣، ٣ / ٣٢، ٥ / ٣١٤، (الإصابة): ٤٠ - ٤٣، ترجمة رقم (٤٥٩٤)، (تهذيب التهذيب): ٥ / ١٤٩، ترجمة رقم (٢٩٤)، (المطالب العالية): ٤ / ١٠٥، باب منقبة عبد الله بن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه، حديث رقم (٤٠٧٧)، (٤٠٧٨)، (٤٠٧٩)، (خلاصة تذهيب الكمال): ٢ / ٤٦، ترجمة رقم (٣٤٢٥)، (شذرات الذهب) ١ / ٨٧، (سير أعلام النبلاء): ٣ / ٤٥٦ - ٤٦٢، (ترجمة رقم (٩٣).

وخَرَّج الإمام أحمد من حديث يحيى عن أبى سلمة عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يزوّج [شيئًا] من بناته جلس إلى خدرها فقال: إن فلانًا يذكر فلانة [يسميها]، ويسمى الرجل الذى يذكرها، فإن هى سكتت زوجها، وإن كرهت نقرت الستر، فإذا [نقرته] لم يزوجها[1].

* * *

(١) (مسند أحمد): ٧/ ١١٥، حديث رقم (٢٣٩٧٣). وما بين علامات الحصر تصويبات منه.

فصل فى ذكر من كان فى حجر رسول الله ﷺ من أولاد نسائه

اعلم أن الربيبة بنت زوج الرجل من غيره، وتجمع على ربائب سميت بذلك لأنه يربيها(١) فى حجرة، فهى مربوبة، فعيله بمعنى مفعولة.

والربيب: ابن امرأة الرجل من غيره، يقال: ربَّ الصبىّ يُربه ربًا وربَّبَه، وتربّه، وتربيه، وارتبّه وربّاه تربية؛ وتربّاه: أحسن القيام عليه، وَوَليه حتى يفارق الطفولة، سواء كان ابنه أو لم يكن. وَرَبيتُه لغة والراب: زوج الأم.

فزينب بنت رسول الله ﷺ من قبل خديجة رضى الله عنها(٢).

[و] هند بن أبى هالة، شماس، وقيل: نبَّاش، وقيل: مالك بن نباش بن زرارة بن وقدان بن حبيب بن سلامة بن غُوَىّ بن جزرة بن أسيد بن عمرو ابن تميم، حليف بنى عبد الدار بن قصى الأسدىّ التميمى، أمه خديجة

---

(١) قال فى (اللسان): والربوب والربيب: ابن امرأة الرجل من غيره، وهو بمعنى مربوب، ويقال للرجل نفسه: رابّ. قال معن بن أوس، يذكر امرأته، وذكر أرضًا لها:

فإن بها جارين لن يغدِرا بها ربيب النبى، وابن خير الخلائف

يعنى عمر بن أبى سلمة، وهو ابن أم سلمة زوج النبى ﷺ، وعاصم بن عمر بن الخطاب، وابوه أبو سلمة، وهو ربيب النبى ﷺ، والأنثى ربيبة.

الأزهرى: ربيبة الرجل بنت امرأته من غيره، وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما: إنما الشرط فى الربائب، يريد بنات الزوجات من غير أزواجهن الذين معهنّ. قال: والربيب أيضا يقال لزوج الأم لها ولد من غيره.

ويقال لامرأة الرجل إذا كان له ولد من غيرها: ربيبة، وذلك معنى رابةٍ ورابٍ. وفى الحديث: الأب كافل؛ وهو زوج أم اليتيم، وهو اسم فاعل من ربَّه يَربُّه اى انه يكفل بامره، وفى حديث مجاهد: كان يكره ان يتزوج الرجل امراة رابِّه، يعنى امراة زوج أمه، لانه كان يربيه. (لسان العرب): ١/ ٤٠٥.

(٢) سبق ذكرها فى ذكر بنات رسول الله ﷺ، ولست أدرى لم أوردها المقريزى فى الربائب.

بنت خويلد، خلف عليها رسول الله ﷺ، وهو أخو زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة الزهراء لأمهنّ، وكان فصيحًا بليغًا وصّافًا، وصف رسول الله ﷺ فأحسن وأتقن، بحيث شرح أبو عبيد القاسم بن سلام وأبو محمد بن قتيبة وَصْفَه، لما فيه من الفصاحة وفوائد اللغة.

وتوفى قتيلاً يوم الجمل مع على رضى الله عنه، فإنه خال ابنيه الحسن والحسين(١)، وقتل ابنه هند بن هند مع مُصعب بن الزبير، وهو ابن خاله،

---

(١) هو هند بن أبى هالة التميمى، ربيب النبى ﷺ، أمه خديجة زوج النبى ﷺ. روى عن النبى ﷺ، روى عنه الحسن بن على رضى الله عنه صفة النبى ﷺ، أخرجه الترمذى، والبغوى، والطبرانى، وغيرهم؛ من طرق عن الحسن بن على.

قال الحافظ فى (الإصابة): ووقع لنا بعلوّ فى مشيخة أبى على بن شاذان، من طريق أهل البيت. وأخرجه البغوى أيضًا، وأخرجه ابن منده من طريق يعقوب التيمى، عن ابن عباس، أنه قال لهند بن أبى هالة: صف لى النبى ﷺ.

قال البغوى، عن عمه، عن أبى عبيد: اسم أبى هالة زوج خديجة قبل النبى ﷺ النباش بن زرارة، وابنه هند بن النباش بن زرارة بن وقدان بن حبيب بن سلامة بن غذى، وفى (الجمهرة): غوى ابن جردة، وفى (الجمهرة): جرو بن أسيد بن عمرو بن تميم، حليف بنى عبد الدار، وقيل: هو زرارة ابن النباش.

قال الزبير: اسمه مالك بن النباش بن زرارة. وقال أبو محمد بن حزم: اسم أبى هالة هند بن زرارة ابن النباش. ووجدت له سلفًا، قال ابن أبى خيثمة: حدثنا أحمد بن المقدام، حدثنا زهير بن العلاء، حدثنا سعيد، قال قتادة؛ قال: أبو هالة هند بن زرارة بن النباش، ورأيتُ فى معجم الشعراء للمرزبانى أن زرارة بن النباش رثى كفار بدر، ولم يذكر له إسلام.

وأخرج ابن السكن، وابن قانع، من طريق سيف بن عمر، عن عبد الله بن محمد، عن هند بن هند بن أبى هالة، عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله، ما حملك على أن نزعت ابنتك عن عتيبة -يعنى ابن أبى لهب- حتى حرشته عليك؟ قال: إن الله أبى لى أن أتزوج، أو أزوج إلا أهل الجنة.

قال الزبير بن بكار: قُتل هند مع علىّ يوم الجمل، وكذا قال الدار قطنى فى كتاب (الإخوة)، وقال أبو عمر فى (الاستيعاب) كان فصيحًا بليغًا، وصف النبى ﷺ فأحسن وأتقن. قال محققه: وقد ذكر المصنف هذا الوصف الكريم للنبى ﷺ فى الجزء الأول، عند ذكر وصف النبى ﷺ. له ترجمة فى: (الاستيعاب): ٤/ ١٥٤٤ - ١٥٤٦، ترجمة رقم (٢٦٩٩)، (الإصابة): ٦/ ٥٥٧ - ٥٥٨، ترجمة رقم (٩٠١٣)، (جمهرة أنساب العرب): ٢١٠.

وقيل: مات بالبصرة فى الطاعون[1].

والحارث بن أبى هالة أول من قُتل فى الله فى الإسلام، صلى عليه النبى ﷺ تحت الركن اليمانى، وقتل قاتله صفوان بن مالك بن صفوان بن غذى ابن الأخرس بن الحارث بن جردة، فكان صفوان أول قاتل قتل فى الله بعد الهجرة[2].

---

(١) هو هند بن هند بن أبى هالة، ولد الذى قبله. وعلى قول قتادة ومن تبعه: يكون هند بن أبى هند ثلاثة فى نسق.

ذكره ابن منده، وأورد من طريق حسان بن عبد الله الواسطى، عن السرىّ بن يحيى، عن مالك بن دينار، حدثنى هند بن خديجة زوج النبى ﷺ، قال: مرَّ النبى ﷺ بالحكم أبى مروان، فجعل يغمز النبى ﷺ ويشير بإصبعه، حتى التفت إليه النبى ﷺ، فقال: اللهم اجعل له وزغًا - يعنى ارتعاشًا؛ قال فرجف مكانه.

وهكذا أخرجه ابن أبى حاتم الرازى، وعبد الله بن أحمد فى (زيادات الزهد) من هذا الوجه؛ ومالك بن دينار لم يدرك هند بن أبى هالة، وإنما أدرك ابنه، فكأنه نسبه لجده.

وقد ذكر ابن أبى حاتم عن أبيه، أن رواية هند بن هند عن النبى ﷺ مرسلة. وجرى أبو عمر فى (الاستيعاب) على ظاهره، فذكر هذا الحديث لهند بن أبى هالة.

وأخرجة الزبير بن بكار، والدولابى، من طريق محمد بن الحجاج، عن رجل من بنى تميم، قال: رأيت هند بن هند بن أبى هالة وعليه حلة خضراء، فمات فى الطاعون، فخرجوا به بين أربعة لشغل الناس بموتاهم، فصاحت امرأة: واهند بن هنداه! وابن ربيب رسول الله ﷺ! قال: فازدحم الناس على جنازته وتركوا موتاهم، (الإصابة): ٦/ ٥٥٨ - ٥٥٩، ترجمة رقم (٩٠١٤)، (جمهرة أنساب العرب): ٢١٠، (الاستيعاب): ٤/ ١٥٤٥، ترجمة رقم (٢٦٩٩).

(٢) الحارث بن أبى هالة، أخو هند بن أبى هالة، ربيب النبى ﷺ، ذكر ابن الكلبى وابن حزم: أنه أول من قُتل فى سبيل الله تحت الركن اليمانى، وقال العسكرى فى (الأوائل): لما أمر الله نبيه ﷺ أن يصدع بما أمره، قام فى المسجد الحرام، فقال: قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، فقاموا إليه، فأتى الصريخ أهله، فأدركه الحارث بن أبى هالة، فضرب فيهم، فعطفوا عليه فقتل، فكان أول من استشهد.

وفى (الفتوح) لسيف عن سهل بن يوسف عن أبيه، قال عثمان بن مظعون: أول وصية أوصانا بها النبى ﷺ لما قتل الحارث بن أبى هالة، ونحن أربعون رجلاً بمكة.. فذكر الحديث. (الإصابة): ١/ ٦٠٥، ترجمة رقم (١٥٠٣)، (جمهرة أنساب العرب): ٢١٠، (جمهرة النسب): ٢٦٩.

وهالة بنت أبى هالة(١)، وأم محمد بنت عتيق بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم(٢)، أمها خديجة بنت خويلد، تزوجها ابن عم لها يقال له: صيفى بن أبى رفاعة بن عائذ بن عبد الله.

وسلمة بن أبى سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشى، ربيب رسول الله ﷺ من قبل أمه أم سلمة، وهو أيضا ابن ابن عمة رسول الله ﷺ، لأن أباه أبا سلمة، أمه برَّة بنت حمزة بن عبد المطلب، وعاش إلى خلافة عبد الملك بن مروان(٣).

وعمرو بن أبى سلمة أبو حفص، ربيب رسول الله ﷺ من قبل أم سلمة لأنها أمه، وهو أيضا ابن ابن عمته برَّة، وابن ابن أخيه من الرضاعة، وولد فى السنة الثانية من الهجرة بأرض الحبشة، وقيل: كان له من العمر يوم قبض رسول الله ﷺ تسع سنين، وشهد [يوم] الجمل مع ابن خال أبيه علىّ

---

(١)، (٢) لم أجد لهما ترجمة فيما بين يدى من مراجع.

(٣) سلمة بن أبى سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب ابن لؤى القرشىّ المخزومى، ربيب النبى ﷺ.

وروى ابن إسحاق فى (المغازى)، من حديث أم سلمة قالت: لما اجمع أبو سلمة على الهجرة، رحل بعيراً لى وحملنى عليه، وحمل ابنى سلمة فى حجرى، ثم خرج يقود بعيره.

وقال ابن إسحاق: حدثنى من لا أتهم عن عبد الله بن شداد، قال: كان الذى زوج أم سلمة من النبى ﷺ سلمة بن أبى سلمة ابنها، فزوجه النبى ﷺ أمامة بنت حمزة، وهما صبيان صغيران، فلم يجتمعا حتى ماتا، فقال النبى ﷺ حل جزيت سلمة! قال البلاذرى: ويقال: إن الذى زوجه إياها ابنها عمر، والأول اثبت.

وزعم الواقدى، وتبعه أبو حاتم وغيره، أن سلمة عاش إلى خلافة عبدالملك بن مروان، وأما ما وقع أولاً أنهما لم يجتمعا حتى ماتا، فالمراد أنها ماتت قبل أن يدخل بها، ومات هو بعد ذلك؛ لكن قال ابن الكلبى: يقال: مات سلمة قبل أن يجتمع بأمامة. (الإصابة): ٣/ ١٤٩ - ١٥٠، ترجمة رقم (٣٣٨٥)، (الاستيعاب): ٣/ ٩٣٩، ترجمة رقم (١٥٨٩)، (الاستيعاب): ٢/ ٦٤١، ترجمة رقم (١٠٢٢).

ابن أبى طالب [رضى الله عنه]، واستعمله على فارس وعلى البحرين، وتوفى بالمدينة سنة ثلاث وثمانين(١).

ودرَّة بنت أبى سلمة، ربيبة رسول الله ﷺ من قبل أمها أم سلمة، وابنة ابن عمته برَّة، وابنة أخته من الرضاعة(٢).

---

(١) عمر بن أبى سلمة بن عبد الأسد، ربيب النبى ﷺ، أمه أم سلمة، أم المؤمنين، ولد بالحبشة فى السنة الثانية، وقيل: قبل ذلك، وقبل الهجرة إلى المدينة. وكان يوم الخندق هو وابن الزبير فى الخندق فى أُطُم حسان بن ثابت.

وروى عن النبى ﷺ أحاديث فى الصحيحين وغيرهما، وعن أبيه. روى عنه ابنه محمد، وسعيد ابن المسيب، وعروة، وأبو أمامة بن سهل، ووهب بن كيسان، وغيرهم.

ومن حديثه ما رواه عمرو بن الحارث، عن عبد ربه بن سعيد، عن عبد الله بن كعب الحميرى، عن عمر بن أبى سلمة، قال: سألتُ النبى ﷺ عن قبلة الصائم، وقال: سل هذه -لأم سلمة- فقلت: غفر الله لك، قال: إنى أخشاكم لله وأتقاكم، أخرجه مسلم.

وفى الصحيحين من رواية وهب بن كيسان، عنه أن النبى ﷺ قال له: ادْنُ يا بنى، فسمِّ الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك.

قال الزبير: وولى البحرين زمن على، وكان قد شهد معه الجمل، ووهم من قال: إنه قُتل فيها. قال أبو عمر فى (الاستيعاب): بل مات بالمدينة سنة ثلاث وثمانين، فى خلافة عبد الملك بن مروان. (الإصابة): ٤/ ٥٩٢ - ٥٩٣، ترجمة رقم (٥٧٤٤)، (الاستيعاب): ٣/ ١١٥٩ - ١١٦٠، ترجمة رقم (١٨٨٢).

(٢) دُرَّة بنت أبى سلمة بن عبد الأسد القرشية المخزومية، ربيبة النبى ﷺ بنت أم المؤمنين أم سلمة زوج النبى ﷺ، وهى معروفة عند أهل العلم بالسير والخبر والحديث فى بنات أم سلمة، ربائب رسول الله ﷺ.

هى التى قالت لها أم حبيبة: إنا قد تحدثنا أنك ناكح دُرَّة بنت أبى سلمة، فقال ﷺ: إنها لو لم تكن ربيبتى فى حجرى ما حلت لى، لأنها ابنة أخى من الرضاعة.

وردت تسميتها فى بعض طرق الحديث المذكور عند البخارى، من طريق الليث، عن يزيد بن أبى حبيب، عن عراك بن مالك، عن زينب بنت أبى سلمة، أن أم حبيبة قالت: يا رسول الله؛ إنا قد تحدثنا أنك ناكح دُرَّة بنت أبى سلمة.... الحديث.

وذكرها الزبير بن بكار فى كتاب (النسب)، فى أولاد أبى سلمة بن عبد الأسد. (الاستيعاب) ٤/ ١٨٣٥، ترجمة رقم (٣٣٣٣).

وزينب بنت أبى سلمة، ربيبة رسول الله ﷺ من قبل أم سلمة، كان اسمها برَّة، فسماها رسول الله ﷺ زينب، ولدتها أمها بأرض الحبشة، وقدمت بها، وحفظت عن رسول الله ﷺ. ودخلت عليه وهو يغتسل فنضح فى وجهها، فلم يزل ماء الشباب فى وجهها حتى كبرت وعجزت، وتزوجها عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصى، فولدت له، وكانت من أفقه نساء زمانها، وقتل ابناها يوم الحرّة فاسترجعت(١).

---

(١) زينب بنت أبى سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن عمر بن مخزوم المخزومية، ربيبة رسول الله ﷺ. أمها أم سلمة بنت أبى أمية، يقال: ولدت بأرض الحبشة، وتزوج النبى ﷺ أمها، وهى ترضعها، وكانت من أفقه نساء أهل زمانها.

وروى ابن المبارك عن جرير بن حازم، قال: سمعت الحسن يقول: لما كان يوم الحرة قتل أهل المدينة، فكان فيمن قُتل ابنا زينب ربيبة رسول الله ﷺ، فَحُمَلا ووضعا بين يدها مقتولين، فقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، والله إن المصيبة علىّ فيهما لكبيرة، وهى علىَّ فى هذا أكبر منها فى هذا؛ أما هذا فجلس فى بيته فكفَّ يده، فدُخل عليه، وقُتل مظلومًا، وأنا أرجو له الجنة. وأما هذا فبسط يده فقاتل حتى قُتل، فلا أدرى على ما هو فى ذلك فالمصيبة به علىّ أعظم منها فى هذا. قال جرير: وهما ابنا عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قُصىّ.

قال ابن سعد فى (الطبقات): كانت أسماء بنت أبى بكر أرضعتها، فكانت أخت أولاد الزبير. وقال بكر بن عبد الله المزنى: أخبرنى أبو رافع - يعنى الصائغ - قال: كنت إذا ذكرت امرأة فقيهة فى المدينة ذكرت زينب بنت أبى سلمة. ذكرها العجلى فى (ثقات التابعين)، كأنه كان يشترط للصحبة البلوغ، وأنها لم تحفظ.

قال الحافظ فى (الإصابة): وروينا فى القطعيات، من طريق عطاف بن خالد، عن أمه، عن زينب بنت أبى سلمة؛ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا دخل يغتسل تقول أمى: ادخلى عليه، فإذا دخلت نضح فى وجهى من الماء، ويقول: ارجعى. قالت: فرأيت زينب وهى عجوز كبيرة، ما نقص من وجهها شيء. وفى رواية ذكرها أبو عمر فى (الاستيعاب): فلم يزل ماء الشباب فى وجهها حتى كبرت وعمرت. وذكرها ابن سعد فى (الطبقات): فيمن لم يرْو عن النبى ﷺ شيئا، وروى عن أزواجه. (الاستيعاب): ٤/ ١٨٥٤ - ١٨٥٦، ترجمة رقم (٣٣٦١)، (الإصابة): ٧/ ٦٨٥ - ٦٧٦، ترجمة رقم (١١٢٣٥)، (طبقات ابن سعد): ٨/ ٢٣٨.

وحبيبة بنت عبيد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كثير بن غانم بن ودان بن أسد بن خزيمة، ربيبة رسول الله ﷺ من قبل أمها أم حبيبة، نُفيلة بنت أبى سفيان، أم المؤمنين رضى الله عنها، وابنة ابن عمته أميمة بنت عبد المطلب(١).

وشريك بن أبى العكر بن سُمَىّ، حليف بنى عامر بن لؤى. قال ابن الكلبى: تزوج أبو العكر أم شريك من بنى عامر، فولدت له شريك، ثم خلف عليها رسول الله ﷺ(٢).

* * *

(١) حبيبة بنت عبيد الله بن جحش بن رئاب، وامها ام حبيبة رملة بنت ابى سفيان، زوج النبى ﷺ، وبها كانت تُكْنى. هاجرت مع ابيها إلى ارض الحبشة، فتنصَّر ابوها هنالك، ومات نصرانيًا، وقدمت مع امها على رسول الله ﷺ المدينة. (الاستيعاب): ٤/ ١٨٠٩، ترجمة رقم (٣٢٩١)، (الإصابة): ٧/ ٥٧٤، ترجمة رقم (١١٠٢١)، ٧/ ٥٧٨، ترجمة رقم (١١٠٣٢).

(٢) شريك بن ابى العكر، واسمه سلمة بن سلمى [أوسُمَىّ] الأزدىّ ثم الدوسىّ، ذكره خليفة بن خياط فى الصحابة، وقال: امه أم شريك التى تزوجها رسول الله ﷺ يعنى ولم يدخل بها، وهى أم شريك بنت أبى العكر بن سمىّ، وذكرها ابن أبى خيثمة من طريق قتادة، قال: وتزوج النبى ﷺ أم شريك الأنصارية النجارية، وقال: إنى أحب أن أتزوج فى الأنصار، ثم قال: إنى أكره غير الأنصار فلم يخدل بها.

قال الحافظ فى (الإصابة): ولها ذكر فى حديث صحيح عند مسلم، من رواية فاطمة بنت قيس فى قصة الجساسة، فى حديث تميم الدارى؛ قال فيه: وأم شريك امراة غنية من الأنصار، عظيمة النفقة فى سبيل الله عزَّ وجلَّ، ينزل عليها الضيفان.

ولها حديث آخر أخرجه ابن ماجة، من طريق شهر بن حوشب، حدثتنى أم شريك الأنصارية، قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن نقرأ على الجنازة بفاتحة الكتاب، ويقال: إنها التى أمرت فاطمة بنت قيس أن تعتد عندها، ثم قيل لها: اعتدى عند ابن أم مكتوم، (الإصابة): ٣/ ٣٤٨، ترجمة رقم (٣٩١١ز)، ٨/ ٢٣٦ - ٢٣٧، ترجمة رقم (١٢٠٩٧).

فصل فى ذكر موالى رسول الله ﷺ

اعلم أن موالى رسول الله ﷺ من الرجال نحو السبعين، ومن الإماء نحو العشرة، وذكر سيف بن عمر عن سهل بن يوسف عن أبيه عن جده قال: أعتق النبى ﷺ فى مرضه أربعين نفساً:

زيد بن حارثة بن شراحبيل بن كعب بن عبد العزى بن امرىء القيس ابن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد وُدْ بن كنانة بكر بن عوف بن عُذرة ابن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن مالك بن حمير ابن سبأ يشجب بن يعرب بن قحطان، أبو أسامة الكلبى، مولى رسول الله ﷺ وحيد أمه سُعْدى بنت ثعلبة بن عبد عامر بن أفلت بن سليلة من بنى معن من طى.

خرجت تزور قومها وزيد معها، فأغارت خيل لبنى القين بن جَسْر بن [شيع] بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان، فى الجاهلية ومرّوا على أبيات بنى معن –رهط أم زيد – فاحتملوا زيداً وهو غلام يفعة، فوافوا به سوق عكاظ، وقيل سوق حُباشة، وزيد يومئذ ابن ثمانية أعوام، فعرضوه للبيع، فاشتراه منهم حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى لعمته خديجة بنت خويلد بأربعمائة درهم، ويقال: بستمائة درهم، وقيل: اشتراه حكيم، ثم وهبه لعمته خديجة، فلما تزوجها رسول الله ﷺ وهبته له فقبضه وتبناه، ويقال: بل اشتراه رسول الله ﷺ من الشام لخديجة حين توجّه مع ميسرة قيّمها، فوهبته له.

وزعم أبو عبيدة أن زيد بن حارثة لم يكن اسمه زيدا، لكن النبي ﷺ سمَّاه باسم جده [ ](١) حتى يتبنَّاه.

وفي مصنف أبي بكر بن أبي شيبة: حدثنا أبو أسامة، حدثنا عبد الملك، حدثنا أبو فزارة قال: أبصر النبي ﷺ زيد بن حارثة غلامًا ذا ذؤابة، قد أوقفه قومه بالبطحاء يبيعونه، فأتى خديجة فقال: رأيتُ غلامًا بالبطحاء، قد أوقفوه ليبيعوه، ولو كان لي ثمنه لأشتريته، قالت: وكم ثمنه؟ قال: سبعمائة درهم، قالت: خذ سبعمائة [درهم](٢) واذهب فاشتره، فاشتراه، فجاء به إليها [وقال](٣): أما إنه لو كان لي لأعتقته، قالت: هُولك، فأعتقه(٤).

وكان أبو زيد لما فقده قال شعرًا يبكيه به:

بكيتُ على زيد ولم أدْر ما فعلْ
أحيٌّ فيُرجى أم أتى دونه الأَجَلْ؟
فوالله ما أدري وإن كنت سائلاً
أغالك سهلُ الأرض أم غالك الجَبَلْ؟
فيا ليت شعري هل لك الدهر رجعة؟
فحسبي من الدنيا رجوعك لي بجل

(١) بياض بالأصل.

(٢) زيادة للسياق.

(٣) زيادة للسياق.

(٤) ونحوه في (المستدرك)، وحذفه الذهبي من (التلخيص) لضعفه.

تُذكرنيه الشمس عند طلوعها
وتعرض ذكراه إذا قارب الطَّفَلْ

وإن هبت الأرواح هيَّجن ذكره
فيا طول ما حُزْنى عليه ويا وجَلْ

سأعمل نصَّ العيس فى الأرض جاهداً
ولا أسأم التطواف أو تَسْأم الإبلْ[1]

حياتى أو تأتى علىَّ منيَّتى
وكل امرىء فانٍ وإن غرَّهُ الأملْ

وأُوصى به عمراً وقيسًا كليهما
وأوصى يزيداً ثم من بعده جبَلْ

يعنى يزيد بن كعب وهو ابن عم زيد وأخوه لأمه، ويعنى بجبل جبلة ابن حارثة أخا زيد، وكان أسنَّ منه، فاتفق أن قومًا من كلب حجوا فرأوا زيد بن حارثة فعرفهم وعرفوه، فقال لهم: أبلغوا أهلى هذه الأبيات، فإنى أعلم أنهم قد جزعوا علىَّ، وهى:

ألكنى[2] إلى قومى وإن كنت نائيًا
فإنى قطين[3] البيت عند المشاعر

---

(١) العيس: الإبل

(٢) كذا فى (خ)، (صفة الصفوة)، وفى (الاستيعاب): «أحن».

(٣) كذا فى (خ)، (صفة الصفوة)، وفى (الاستيعاب): «قعيد».

فكُفوا عن الوجد الذى قد شجاكمُ
ولا تعملوا فى الأرض نصَّ الأباعِر
فإنى بحمد الله فى خير أسرة
كرام مَعَدٌ كابرًا بعد كابِر

فانطلق الكلبيون فأعلموا أباه فقال: ابنى ورب الكعبة! ووصفوا له موضعه وعند من هو، فخرج حارثة وكعب ابنا شراحيل لفدائه، وقدما مكة، فسألا عن النبى، فقيل: فهو فى المسجد، فدخلا عليه فقالا: [يا ابن عبد الله][(١)]، يا ابن عبد المطلب، يا ابن هاشم، يا ابن سيد قومه، أنتم أهل حرم الله وجيرانه تفكون العانى، وتطعمون الأسير، جئناك فى ابننا عندك، فامنن علينا، وأحسن إلينا فى فدائه، [فإنا سنرفع لك فى الفداء] قال: من هو؟ قالوا: زيد بن حارثة، فقال [رسول الله ﷺ] :

فهلا غير ذلك؟ قالوا: وما هو؟ قال: ادعوه فأخيِّره، فإن اختاركم فهو لكم [بغير فداء]، وإن اختارنى فوالله ما أنا بالذى أختار على من اختارنى [أحداً]، قالا: قد زدتنا على النَّصَف، وأحسنت، فدعاه فقال: هل تعرف هؤلاء؟ قال: نعم، قال: من هذا؟ قال: هذا أبى، وهذا عمى، قال: فأنا من قد علمت ورأيت صحبتى لك، فاخترنى واخترهما، [فقال زيد]: ما أنا بالذى اختار عليك أحداً، أنت منى [مكان] الأب والعم، فقالا: ويحك يا زيد! أتختار العبودية على الحرية، وعلى أبيك وعمك وعلى أهل بيتك! قال: نعم، إنى قد رأيت من هذا الرجل شيئًا ما أنا بالذى أختار عليه أحداً أبداً.

---

(١) زيادة للسياق.

فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك أخرجه إلى الحجر فقال: يا من حضر اشهدوا أن زيداً ابني يرثني وأرثه، فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت نفوسهما فانصرفا، ودُعي زيد بن محمد حتى جاء الله بالإسلام، [فأنزل الله جل جلاله: ﴿**ما كان محمداً أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين**(١)﴾، وقال: ﴿**أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله**﴾(٢)، فدُعي يومئذ زيد بن حارثة، ودُعي الأدعياء إلى آبائهم، [فدعي المقداد إلى عمرو، وكان يقال له قبل ذلك المقداد بن الأسود، وكان الأسود بن عبد يغوث الزهري قد تبناه](٣).

قال الزهري: ما علمنا أحداً أسلم قبل زيد بن حارثة، وقد رُوي من وجوه أن أول من أسلم خديجة، وهو الحق، وشهد زيد بدراً، وزوجه رسول الله ﷺ مولاته أم أيمن، فولدت له أسامة بن زيد، وبه كان يكنى، وكان يقال لزيد حِبّ رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ أكبر منه بعشر سنين، ويقال بعشرين سنة، وزوّجه رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش، ثم طلقها زيد فخلف عليها رسول الله ﷺ فتكلم المنافقون وطعنوا في ذلك وقالوا: محمد يحرم نساء الولد وقد تزوج امرأة ابنه، فأنزل الله تعالى: ﴿**ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين**﴾(٤)، ونزلت ﴿**أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله**﴾(٥).

---

(١) الأحزاب: ٤٠.

(٢) الأحزاب: ٥.

(٣) زيادة للسياق من (الاستيعاب).

(٤) الأحزاب: ٤٠.

(٥) الأحزاب: ٥.

وتزوج زيد بأم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط[1]، وأمها أَرْوى بنت كريز بن ربيعة، وأمها أم حكيم [وهى] البيضاء بنت عبد المطلب [بن هاشم] كما هاجرت [إلى المدينة]، فولدت له زيد [بن زيد] ورقية، مات زيد صغيراً، وماتت رقية فى حجر عثمان رضى الله عنها.

وطلق زيد بن حارثة أم كلثوم، فخلف عليها عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه، ثم الزبير بن العوام، ثم عمرو بن العاص. وتزوج زيد أيضًا بدرّة بنت أبى لهب [ثم طلقها]، وبهند بنت العوام.

ولما هاجر زيد نزل على كلثوم بن الهِدْم[2]، ويقال على سعد بن خيثمة، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين حمزة [بن عبد المطلب]، وإليه أوصى حمزة يوم أُحد حين أراد القتال، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين أسيد بن حُضير.

وقالت عائشة رضى الله عنها: ما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة فى جيش قط إلا أمّره عليه، وإن بقى بعده استخلفه على المدينة.

وقال سلمة بن الأكوع: غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات، ومع زيد ابن حارثة تسع غزوات، يؤمره فيها علينا.

استشهد يوم مؤته سنة ثمان وهو أمير وله خمسون سنة، وكان قصيراً آدم شديد الأدمة، فى أنفه فَطَس، وفضائله كثيرة، رضى الله عنه[3].

---

(١) (الإصابة): ٨/ ٢٩١ - ٢٩٢، ترجمة رقم (١٢٢٢٧)، (الاستيعاب): ١٩٥٣ - ١٩٥٦، ترجمة رقم (٤٢٠٣).

(٢) (الإصابة): ٥/ ٦١٧ - ٦١٨، ترجمة رقم (٧٤٤٩).

(٣) له ترجمة فى: (جمهرة انساب العرب): ٤٥٣ - ٥٤، (المستدرك): ٣/ ٢٣٥ - ٢٤١، (سير اعلام النبلاء): ١/ ٢٢٠ - ٢٣٠، ترجمة رقم (٣٦)، (طبقات ابن سعد): ٢/ ٩٠ - ٩١، (طبقات خليفة): ٦، (تاريخ خليفة): ٨٩، (التاريخ الكبير): ٣/ ٣٩٠، (التاريخ الصغير): ١/ ٢٣، (الجرح والتعديل): ٣/ ٥٥٩، (الاستيعاب): ٢/ ٥٤٢ - ٥٤٧، ترجمة رقم (٨٤٣)، =

وأسامة بن زيد بن حارثة الكلبى أبو زيد، وقيل أبو خارجة، وقيل أبو محمد، الحِبّ ابن الحِبّ، أمه أم أيمن بركة، مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته، وكانت سنه يوم توفى رسول الله ﷺ عشرين سنة، وقيل: تسع عشرة، وقيل: ثمان عشرة، وسكن وادى القرى، وفرض له عمر خمسة آلاف، وتوفى سنة ثمان أو تسع وخمسين، وقيل سنة أربع وخمسين.

قال عبد الرازق: أخبرنا معمر عن الزهرى قال: كان أسامة بن زيد يخاطب بالأمير حتى مات. يقولون بعثه رسول الله ﷺ.

وقال عمر بن شيبة فى كتاب (أخبار مكة): حدثنا ابن لهيعة، [قال]: أخبرنى أبو الأسود قال: لما قدم النبى ﷺ مكة عام الفتح، وأسامة بن زيد ردفه، وعليه حلة ذى يزن، عجبت قريش وقالوا: أسامة رديف الملك وعليه حلة ذى يزن، فقال أسامة: ما تعجبون من حلة ذى يزن، فوالله لأناخير منه، ولأبى خير من أبيه(1).

= (تهذيب الأسماء واللغات): 1/ 202 - 203، (تهذيب التهذيب): 3/ 346 - 347، ترجمة رقم (737)، (الإصابة): 2/ 598 - 602، ترجمة رقم (2892)، (خلاصة تذهيب الكمال): 1/ 350، ترجمة رقم (248)، (أسماء الصحابة الرواة): 245 - 246، ترجمة رقم (345)، (الثقات): 3/ 134، (تلقيح فهوم أهل الأثر): 373، (صفة الصفوة): 199 - 201، ترجمة رقم (13).

(1) الزبير بن بكار: حدثنا محمد بن سلام، عن عياض، قال: اهدى حكيم بن حزام للنبى ﷺ -فى الهدنة- حلة ذى يزن، اشتراها بثلاثمائة دينار، فردها وقال: لا أقبل هدية مشرك، فباعها حكيم. فأمر النبى ﷺ من اشتراها له. فلبسها رسول الله ﷺ، فلما رآه حكيم فيها قال:

ما ينظر الحكام بالفصل بعد ما ... بدا سابق ذو غـرَّة وجحـول

فكساها رسول الله ﷺ أسامة بن زيد، فرآها عليه حكيم فقال: بخ بخ يا أسامة! عليك حلة ذى يزن! فقال له رسول الله ﷺ: قل له: وما يمنعنى وأنا خير منه، وأبى خير من أبيه. [الغرة: البياض يكون فى وجه الفرس، والجحول: جمع جحل: وهو البياض يكون فى قوائم الفرس]. (سير أعلام النبلاء)، ثم قال فى هامشه: سنده على انقطاعه تالف، يزيد بن عياض: قال البخارى وغيره: منكر الحديث، وقال: يحيى ليس بثقة، وقال على: ضعيف، ورماه مالك بالكذب، وقال النسائى وغيره: متروك، وقال الدار قطنى: ضعيف.

وقال أبو بكر بن أبى شيبة: حدثنا شريك عن العباس بن دويح، عن البهى، عن عائشة قال: : عثر أسامة بعتبة الباب، فشج فى وجهه، فقال لى رسول الله ﷺ: أميطى عنه الأذى، فقذرته، فجعل يمص الدم ويمجّهُ عن وجهه [وقال:]، لو كان أسامة جارية لكسوته وحليتهٌ حتى أُنفقه(١).

وأبو رافع أسلم، وقيل إبراهيم وقيل: هرمز، [وقيل: ثابت]، وأسلم أشهرها، كان قبطيًا، وكان للعباس بن عبد المطلب، فوهبه لرسول الله ﷺ، فلما بشّره بإظهار العباس إسلامه أعتقه.

وقال ابن وهب: أخبرنى عمرو بن الحارث [عن بكير بن](٢) عبد الله بن الأشج ليحدثه أن الحسن بن على بن أبى رافع أخبره عن أبيه، أنه أقبل بكتاب قريش إلى رسول الله ﷺ، قال: فلما رأيته ألقى فى قلبى الإسلام، فقلت: يا رسول الله! إنى والله لا أرجع إليهم أبداً، فقال ﷺ: إنى لا أخيُس بالعهد، ولا أحبس البُرُد، ولكن ارجع إليهم، فإن كان فى قلبك الذى فى قلبك الآن فارجع، قال: فرجعت إليهم، ثم أقبلت على رسول الله ﷺ

(١) له ترجمة فى (مسند أحمد): ٥/ ١٩٩، (طبقات ابن سعد): ٤/ ٦١ - ٧٢، طبقات خليفة: ٦، ٢٩٧، (تاريخ خليفة): ١٠٠ و٢٢٦، (التاريخ الكبير): ٢/ ٢٠، (المعارف): ٤٤ - ٤٥، ١٤٦، ١٦٦، (الجرح والتعديل): ٢/ ٢٨٣، (المستدرك): ٣/ ٥٩٦، (الاستيعاب): ١/ ٧٥ - ٧٧، ترجمة رقم (٢١)، (تهذيب التهذيب): ١/ ١٨٢ - ١٨٣، ترجمة رقم (٣٩١)، (الإصابة): ١/ ٤٩، ترجمة رقم (٨٩)، (خلاصة تذهيب الكمال): ١/ ٦٦، ترجمة رقم (٣٥١)، (كنز العمال): ١٣/ ٢٧٠، (الوافى): ١/ ٨٧، (عيون الأثر): ٢/ ٣١٣، (تاريخ الخميس): ٢/ ١٧٨، (زاد المعاد): ١/ ١١٤، (طبقات ابن سعد): ١/ ١١٤، (المواهب اللدنية): ٢/ ١٢٣.

(٢) زيادة للسياق من (الإحسان).

[فأسلمت][(١)] خرّجه ابن حبّان[(٢)].

وقال بكير: وأخبرني أن أبا رافع كان قبطيًا، وهو الذي توجَّه مع زيد بن حارثة من المدينة لحمل عيال رسول الله ﷺ لما هاجر، وهو الذي عمل المنبر لرسول الله ﷺ من أثل الغابة، وتزوج سلمى مولاة رسول الله ﷺ التي ورثها من أمه فولدت له عبيد الله بن أبي رافع، كاتب علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ورافعٍ هو الذي بشّر رسول الله ﷺ بولادة إبراهيم عليه السلام، فوهب له غلامًا، وهو الذي توجَّه مع رجل من الأنصار ليخطبا ميمونة بنت الحارث على رسول الله ﷺ.

وقال ابن إسحاق عن حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة مولى ابن عباس قال: قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ: كنت غلامًا للعباس، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت، وأسلم العباس، وأسلمتْ أم الفضل، وأسلمتُ، وكان العباس يهاب قومه ويكره خِلافَهُم، فكان يكتم إسلامه، وكان ذا مال كثير متفرق في قومه، فلما جاء مصاب أهل بدرٍ

---

(١) زيادة للسياق من (الإحسان).

(٢) (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان): ١١ / ٢٣٣، كتاب السير، باب الموادعة والمهادنة، ذكر الإخبار عن نفي جواز حبس الإمام أهل العهد وأصحاب بُرُدهم في دار الإسلام، حديث رقم (٤٨٧٧)، وقال في هامشه: إسناده صحيح... وقوله: «لا أخيس العهد»، قال الخطابي في (معالم السنن): ٢ / ٣١٧: معناه: لا أنقض العهد ولا أُفسده من قولك: خاس الشيء في الوعاء: إذا فسد.

وفيه من الفقه: أن العقد يرعى مع الكافر كما يرعى مع المسلم، وأن الكافر إذا عقد لك عقد أمان، فقد وجب عليك أن تؤمنه، وأن لا تغتاله في دم، ولا مال، ولا منفعة.

وقوله: «لا أحبس البرد»، فقد يشبه أن يكون المعنى في ذلك: أن الرسالة تقتضي جوابا، والجواب لا يصل إلى المرسل إلا على لسان الرسول بعد انصرافه، فصار كأنه عقد له العهد مدة مجيئه ورجوعه، والله تعالى أعلم. مختصرا من (المرجع السابق).

وجدنا فى أنفسنا عزاء وقوة، وكان ضعيفا أعمل الأقداح واجتهد فى حجرة زمزم خشيت أنا أن أخسر أقداحى وعندى أم الفضل جالسة، وقد سررنا بما جاءنا من خبر أهل بدر، إذ قُتل الفاسق أبو لهب، فجلس ووافى أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، فقال أبو لهب: إلىّ يا ابن أخى، ما خبر الناس(١)؟ فقال: ما هو إلا أن لقيناهم حتى منحناهم أكتافنا، ولقينا رجال(٢) على خيل بُلق، فقلت: تلك الملائكة، فلطمنى أبو لهب لطمة شديدة، وثاورته(٣) فضرب بى الأرض، فقالت له أم الفضل: أراك استضعفته إذ غاب سيده، وأخذتْ شيئا فَشَجَّتْهُ(٤)، فقام ذليلاً، فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة(٥) فقتله، ولقد ترك حتى أبين، وعُذل ابناه فى ذلك، فصبا عليه الماء ومات، ودفن بأعلى مكة إلى جدار، وقذفوا عليه الحجارة حتى واروه بها [من خلف الحائط](٦).

وقد شهد أبو رافع أحدا وما بعدها، وله عدة أحاديث، خرَّج له الجماعة، ومات قبل قتل عثمان رضى الله عنه بقليل، وقيل مات فى خلافة

(١) فى (ابن هشام): «يا ابن أخى، أخبرنى كيف كان أمر الناس؟».

(٢) فى (المرجع السابق): «لقينا رجالاً بيضًا على خيل بُلق بين السماء والأرض».

(٣) ثاورته: وثبت إليه.

(٤) فى (المرجع السابق): «فقامت أم الفضل إلى عمود من عُمد الحجرة، فأخذته فضربته فَلَعتْ [شقَّت] فى رأسه شجة منكرة».

(٥) العدسة: قرحة كانت العرب تتشاءم بها، ويرون أنها تُعدى أشدّ العدوى، فلما رمى بها أبو لهب تباعد عنه بنوه، فبقى ثلاثا لا تقرب جنازته، ولا يدفن، فلما خافوا السُّبَّه دفعوه بعود فى حفرته، ثم قذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه.

وقال ابن إسحاق فى رواية يونس: لم يحفروا له، ولكن أُسند إلى الحائط، وقذفت عليه الحجارة من خلف الحائط... وروى: بثرة خطرة تخرج فى الجسم تشبه الطاعون تقتل صاحبها سريعا. (سيرة ابن هشام): ٣/ ١٩٨ [هامش].

(٦) زيادة للسياق من (المرجع السابق).

على رضى الله عنه، وقال محمد بن عبد الملك بن أيمن: حدثنى عبيد الله أن أبا رافع وهو رويفع، كان لسعيد بن العاص أبى أحيحة، فورثه عنه بنوه وهم ثمانية، وقبل عشرة، فأعتقهم كلهم إلا واحدا يقال إنه خالد بن سعيد تمسك بنصيبه منه، وقد قيل إنما أعتق منهم ثلاثة، واستمسك بعض القوم بحقهم منه، فأتى رافع رسول الله ﷺ يستعينه على من لم يعتقه منهم، فكلمهم فيه رسول الله ﷺ، فوهبوه له فأعتقه.

وقيل: إن الذى [تمسك بنصيبه] من أبى رافع هو خالد بن سعيد بن العاص وحده، فقال له رسول الله ﷺ اعتق إن شئت نصيبك، قال: ما أنا بفاعل، قال: فبعه قال: ولا، قال: فهبه لى، قال: ولا، قال: فأنت على حقك منه، فلبث ما شاء الله، ثم أتى خالد رسول الله ﷺ فقال: قد وهبت ذلك بعد قبول الهبة[1].

وكان رافع يقول: أنا مولى رسول الله ﷺ، وقيل: إنه [ما][2] كان لسعيد بن العاص [إلا][2] سهمًا واحداً، فاشترى رسول الله ﷺ ذلك السهم فأعتقه. ويقال أبتاعه رسول الله ﷺ، ويقال: لما ولى عمرو بن سعيد الأسدى المدينة، دعى رافعًا، فلما أتاه قال: مولى من أنت؟ قال: مولى رسول الله ﷺ، فضربه مائة سوط، ثم قال له: مولى من أنت؟ قال: مولى رسول الله ﷺ فضربه مائة سوط أخرى، ثم قال له: مولى من أنت؟ قال: مولى رسول الله ﷺ فضربه مائة سوط ثالثة، فلما رأى أنه لا يرفع عنه

---

(١) فى (الاستيعاب): ثم أتى خالد رسول الله ﷺ فقال: قد وهبتُ نصيبى منه لك يا رسول الله، وإنما حملنى على ما صنعته الغضب الذى كان فى نفسى، فأعتق رسول الله ﷺ نصيبه ذلك بعد قبول الهبة، فكان ابو رافع يقول: انا مولى رسول الله ﷺ.

(٢) زيادة للسياق من المرجع السابق.

الضرب، قال له: مولى من أنت؟ قال مولاك(١).

وقد جعل أبو عمر يوسف بن عبد البر رافعًا هو أبو رافع، وذكر الاختلاف فيه، هل كان للعباس أو لسعيد بن العاص، وما في ملك سعيد من الاختلاف، ثم قال: وهذا اضطراب كبير في ملك سعيد بن العاص وولايته، ولا يثبت من جهة النقل(٢).

[وما رُوى أنه كان للعباس، فوهبه للنبي ﷺ أولى وأصح إن شاء الله تعالى لأنهم قد أجمعوا أنه مولى رسول الله ﷺ ولا يختلفون في ذلك، وعقب أبي رافع أشراف بالمدينة وغيرها عند الناس، وزوجه النبي ﷺ سلمى مولاته، فولدت له عبيد الله بن أبي رافع، وكانت سلمى قابلة إبراهيم بن النبي ﷺ، وشهدت معه خيبر، وكان عبيد الله بن أبي رافع خازنا وكاتبا لعلي رضي الله عنه، وشهد أبو رافع أحداً والخندق وما بعدهما من المشاهد، ولم يشهد بدراً، وإسلامه قبل بدر، إلا أنه كان مقيما بمكة، وكان قبطيًا، ومات في خلافة عثمان رضي الله عنه](٣).

---

(١) قال الحافظ في (الإصابة) فلما ولي عمرو بن سعيد المدينة، أرسل إلى البهي بن أبي رافع، فقال له: من مولاك؟ قال: رسول الله ﷺ، فضربه مائة سوط، ثم قال له: من مولاك؟ فقال مثلها حتى ضربه خمسمائة سوط، فلما خاف أن يموت قال: أنا مولاكم، فلما قتل عبد الملك بن مروان عمرو بن سعيد ابن العاص مدحه البهي بن أبي رافع، وهجا عمرو بن سعيد، فهذا يبين أن صاحب هذه القصة غير أبي رافع والد عبد الله بن أبي رافع؛ إذ ليس في ولده أحد يسمى البهي (الإصابة): ٧/ ١٢٦.

(٢) (الاستيعاب): ١/ ٨٤.

(٣) ما بين الحاصرتين مطموس في (خ)، واستدركناه من (الاستيعاب).

له ترجمة في: (سيرة ابن هشام): ٣/ ١٩٧، ٥/ ٢٠، (الاستيعاب): ١/ ٨٣ - ٨٥، ترجمة رقم (٣٤)، ٤/ ١٦٥٦ - ١٦٥٧، ترجمة رقم (٢٩٤٨)، (الإصابة): ٧/ ١٣٥ - ١٣٦، ترجمة رقم (٩٨٨٠)، (مسند أحمد): ٦/ ٨ و٣٩٠، (طبقات ابن سعد): ٤/ ٧٣ - ٧٥، (المعارف): ١٤٥ - ١٤٦، (الجرح والتعديل): ٢/ ١٤٩، (المستدرك): ٣/ ٦٩٠، ١٠٠ - ١٠١، ترجمة رقم (٤٠٦)، (سير الإعلام): ٢/ ١٦ - ١٧، ترجمة رقم (٣)، (صفة الصفوة): ١/ ٧٧، (المواهب اللدنية): ٢/ ١٢٣ - ١٢٤، (الوافي) ١/ ٨٧، (عيون الأثر): ٢/ ٣١٣، (تاريخ الخميس): ٢/ ١٧٨، (زاد المعاد): ١/ ١١٤، (طبقات ابن سعد): ١/ ٤٩٨.

وأبو أنسه(١)، أبو مشرّح(٢)، من مولّدى السراة فأعتقه(٣)، وكان يحاذى على رسول الله ﷺ إذا جلس، وهو مولى رسول الله ﷺ، وكان [يدعوه] بعضهم بأبى مسروح، وذكر فيمن شهد بدراً(٤)، وسماه بعضهم أبو أنسة، وأنه استشهد يوم بدرٍ، ولم يعرف قاتله(٥).

وقال الواقدى: رأيت أهل العلم يثبتون أنه لم يقتل ببدر، وأنه قد شهد يوم أحد، وبقى بعد ذلك، وتوفىّ فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه(٦).

[و] أبو كبشة، مولى رسول الله ﷺ، قال العسكرى: اسمه قيلاوس، وقال ابن حبان: يقال اسمه سلمة، ويقال: أوس، وهو الصحيح - انتهى.

---

(١) كذا فى (خ)، وفى سائر المراجع: «أنَسة».

(٢) (زاد المعاد).

(٣) (طبقات ابن سعد).

(٤) قال ابن هشام -وقد ذكر عدد إبل المسلمين يوم بدر -: قال ابن إسحاق: وكان حمزة بن عبد المطلب، وزيد بن حارثة، وأبو كبشة، وأنَسة، موليا رسول الله ﷺ يعتقبون بعيراً، ثم قال - وقد ذكر من حضر بدراً من المسلمين -: قال ابن إسحاق: وانسة مولى رسول الله ﷺ، وانسة حبشى.

(٥) ذكره الديار بكرى فى (تاريخ الخميس)، فيمن شهد بدراً، وكذلك ابن هشام فى (السيرة).

(٦) ذكره الواقدى فى (المغازى)، فيمن شهد سرية حمزة بن عبد المطلب، وفيمن شهد بدراً، وقال: حدثنى ابن أبى حبيبة، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قُتلَ أنسة مولى النبى ﷺ ببدر. له ترجمة فى: (مغازى الواقدى): ١/ ٩، ٢٤، ٤٦، ١٣٦، (سيرة ابن هشام): ٣/ ٢٣٣، (تاريخ الخميس): ١/ ٣٩٦، (زاد المعاد): ١/ ١١٦ (عيون الأثر): ٢/ ٣١٤، (طبقات ابن سعد): ١/ ٤٩٧، (صفة الصفوة): ١/ ٧٧.

وفى ص ٧٢٠ من النسخة (خ) ما نصه: أصل، ابن محمد مولى دنان عبد الملك بن الحسن بن محمد بن زريق بن عبيد الله بن أبى رافع مولى رسول الله ﷺ عن أصبغ بن خليل، أنه أخذ نسخة كتاب رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم، كتاب من محمد رسول الله لفتَاه أسلم، إنى أعتَقْتُك لله عتقًا مبتولاً، الله أعتقك، وله المن علىَّ وعليك، وأنت حرٌّ لا سبيل لأحد عليك إلا سبيل الإسلام، وعصمة الإيمان، شهد على ذلك أبو بكر، وشهد عمر، وشهد عثمان، وشهد علىٌّ، وكتب معاوية بن أبى سفيان، هكذا نقل هذا الخبر من خط الحاكم المستنصر بالله، وقال: وجدت على كتاب من كتب ابن عبد الملك بن أيمن فذكر بنصه.

وقيل اسمه سليم، كان من مولدى أرض دوس، وقيل: من مولدى مكة، وقيل: من فارس، ابتاعه رسول الله ﷺ فاعتقه، وشهد بدراً وما بعدها، ونزل لما هاجر على كلثوم بن الهِدْم، ويقال على سعد بن خيثمة(١).

وتوفىّ فى أول يوم من خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، [و] قيل: يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة، وقيل: مات سنة ثلاث عشرة، وذلك يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الأولى(٢).

---

(١) قال ابن هشام - وقد ذكر منزل حمزة وزيد وابى مرثد، وابنه، وانسة وابى كبشة - : قال ابن إسحاق: ونزل حمزة بن عبد المطلب، وزيد بن حارثة، وابو مرثد كنَّاز بن حِصن، قال ابن هشام: ويقال: ابن حصين، وابنه مرثد الغنويان، حليف حمزة بن عبد المطلب، وانسة، وابو كبشة، موليا رسول الله ﷺ، على كلثوم بن هِدْم، اخى بنى عمرو بن عوف بُقباء، ويقال: بل نزلوا على سعد بن خيثمة.

ويقال: بل نزل حمزة بن عبد المطلب على اسعد بن زرارة، اخى بنى النجار. كل ذلك يقال. (سيرة ابن هشام): ٢/ ٣٢٦ - ٣٢٧.

(٢) قال أبو عمر فى (الاستيعاب): ابو كبشة مولى رسول الله ﷺ، شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، ذكره ابن عقبة وابن إسحاق، توفى سنة ثلاث عشرة فى اليوم الذى استخلف فيه عمر بن الخطاب، وقد قيل: إن ابا كبشة هذا توفى سنة ثلاث وعشرين فى العام الذى ولد فيه عروة بن الزبير.

واختلف فى السبب الذى كانت كفار قريش من اجله تقول للنبى ﷺ: ابن ابى كبشة، فقيل: إنه كان له جدّ من قبل امه، وهو ابو قيلة. وقيلة ام وهب بن عبد مناف بن زهرة، وهو من بنى غبشان من خزاعة، يدعى أبا كبشة، كان يعبد الشعرى، ولم يكن احد من العرب يعبد الشعرى غيره، خالف العرب فى ذلك، فلما جاءهم النبى ﷺ بخلاف ما كانت العرب عليه، قالوا: هذا ابن ابى كبشة.

وقد قيل: بل نُسب إلى جدّ ابى امه آمنة بنت وهب الزهرية، كان يدعى: ابا كبشة.

وقيل: إن عمرو بن زيد بن لبيد النجارى من بنى البخار، وهو والد سلمى أم عبد المطلب، كان يُدعى ابا كبشة فنُسب إليه.

وقيل: إن أباه من الرضاعة الحارث بن عبد العزى بن رفاعة السعدى زوج حليمة السعدية، كان يُدعى ابا كبشة، فنسبوه إليه. له ترجمة فى: (الاستيعاب): ٤/ ١٧٣٨، ترجمة رقم (٣١٤٣)، (عيون الأثر): ٢/ ٣١٤، (زاد المعاد): ١/ ١١٤، (المستدرك): ١/ ١٧٨، (سيرة ابن هشام): ٢/ ٣٢٦ - ٣٢٧، (الوافى): ١/ ٨٧، (المواهب اللدينة): ٢/ ١٢٣.

وصالح بن عدى شقران، مولى رسول الله ﷺ كان عبداً حبشيًا لعبد الرحمن بن عوف، فوهبه للنبى ﷺ، وقيل: بل اشتراه منه وأعتقه، وقيل: ورثه من أبيه فأعتقه بعد بدر. وشهد بدراً وهو مملوك فاستعمله على الأسرى، ولم يُسهم له، فأحذاه كل رجل له أسير، فأصاب أكثر مما أصابه رجل من القوم من القسم.

واستعمله رسول الله ﷺ على جميع ما وجد فى رحال أهل المريسيع من رثة المتاع والسلاح والنعم والشاء، وجمع الذرية ناحية، وسأل أهل المريسيع كيف وجدتم شقران؟ فقالوا: أشبع بطوننا، وشدّ وثاقنا، وأوصى به عند موته، وكان فيمن حضر غسله عند موته، ونزل فى قبره ﷺ.

ولأبى شقران يقول عمر رضى الله عنه حين وجهه إلى أبى موسى الأشعرى: وقد وجهت إليك عبد الرحمن بن صالح، الرجل الصالح شقران، فاعرف له مكان ابنه من رسول الله ﷺ وتوفى شقران فى خلافة عمر رضى الله عنه(١).

يسار مولى رسول الله ﷺ، فى غزاة قراره الكدر، لما انصرف وقد ظفر حتى إذا صلى الصبح إذا هو بيسار فرآه يصلى، فأمر القوم أن يقسموا غنائمهم، فقالوا: يا رسول الله؛ إن أقوى لنا أن نسوق النعم جميعًا، فإن فينا من يضعف عن حقله الذى يصير له، فقال ﷺ: اقتسموا، فقالوا: يا رسول الله، إن كان أنابك العبد الذى رأيته يصلى، فنحن نعطيكه فى

---

(١) له ترجمة فى: (الاستيعاب): ٢/ ٧٣٥، ترجمة رقم (١٢٣٣)، (الإصابة): ٣/ ٣٥١ - ٢٥٣، ترجمة رقم (٣٩٢٠)، (سيرة ابن هشام): ٦/ ٨٣ - ٨٤، ٨٧، (عيون الأثر): ٢/ ٣١٤، (زاد المعاد): ١/ ١١٥، (طبقات ابن سعد): ١/ ٤٩٨، (الوافى): ١/ ٨٧، (تاريخ الخميس): ٢/ ١٧٨، (المواهب اللدينة): ٢/ ١٢٣، (مغازى الواقدى): ١٠٥، ١٠٧، ١١٥، ١١٦، ١٥٣، ٤١٠، (صفة الصفوة): ١/ ٧٧.

سهمك، فقال: قد طبتم به نفسًا؟ قالوا: نعم، فقبله وأعتقه، وارتحل وقدم المدينة، فجعله فى لقاحه يرعاها، فأغار عليها قوم من عُرينة، ويقال: من عكل، فأخذوا يسارًا فغرزوا الشوك فى عينيه ولسانه، وقطعوا يديه ورجليه حتى مات، وأدخل المدينة ميتًا، وهربوا بالسرح فأدركوا، وذلك فى سنه ست[1]، وقال الكلبى: أصاب رسول الله ﷺ يسارًا فى غزاة بنى ثعلبة بن سعد فأعتقه[2].

[و] فضالة مولى رسول الله ﷺ، يمانى نزل الشام فولد بها. قاله الواقدى، وقال الهيثم: لم يكن لرسول الله ﷺ مولى يقال له فضالة[3].

[و] سفينة، واسمه مفلح، وقيل: مهران بن فرّوخ، وقيل: نجران، وقيل:

---

(١) وبلغ رسول الله ﷺ الخبر، فبعث فى أثرهم عشرين فارسًا، واستعمل عليهم كرز بن جابر الفهرى، فأدركوهم، فأحاطوا بهم وأسروهم، وربطوهم وأردفوهم على الخيل حتى قدموا بهم المدينة، وكان رسول الله ﷺ بالغابة، فخرجوا بهم نحوه، فلقوه بالزُّغابة بمجتمع السيول، وأمر بهم فقطعت أيديهم، وأرجلهم، وسمل أعينهم، فصلبوا هناك، وأُنزل على رسول الله ﷺ: **﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادًا﴾** [المائدة: ٣٣]، فلم يسمل بعد ذلك عينًا، وكانت اللقاح خمس عشرة لقحة غزارًا، فردّوها إلى المدينة، ففقد رسول الله ﷺ منها لقحة تُدعى الحناء، فسأل عنها، فقيل: نحروها. (طبقات ابن سعد).

(٢) له ترجمة فى: (الاستيعاب): ٤/ ١٥٨١، ترجمة رقم (٢٨٠٣)، (طبقات ابن سعد): ٢/ ٩٣، سرية كرز بن جابر الفهرى إلى العرنيين، ٢/ ١١٩، سرية غالب بن عبد الله الليثى إى الميفعة، (مغازى الواقدى): ٢/ ٥٦٨ - ٥٧١، ٧٢٦ - ٧٢٧، (الإصابة): ٦/ ٦٨١ - ٦٨٢، ترجمة رقم (٩٣٤٧)، (عيون الأثر): ٢/ ٣١٤، (تاريخ الخميس): ٢/ ١٧٨، (المواهب اللدنية): ٢/ ١٢٣، (صفة الصفوة): ١/ ٧٧، (الوافى): ١/ ٨٧.

(٣) قال الحافظ فى (الإصابة): فضالة، مولى رسول الله ﷺ، من أهل اليمن، نقل جعفر المستغفرى أنه نزل الشام، وأن أبا بكر محمد بن محمد بن حزم ذكره فى موالى رسول الله ﷺ، وقال أبو عمر فى (الاستيعاب) نحو ذلك، وذكره محمد بن سعد فى (الطبقات) عن الواقدى، وقال: نزل الشام فولده بها. له ترجمة فى (الإصابة): ٥/ ٣٧٤، ترجمة رقم (٧٠٠٣)، (الاستيعاب): ٣/ ١٢٦٤، ترجمة رقم (٢٠٨٤)، (الوافى): ١/ ٨٧، (عيون الأثر): ٢/ ٣١٤، (صفة الصفوة): ١/ ٧٧، (تاريخ الخميس): ٢/ ١٧٩، (طبقات ابن سعد): ١/ ٤٩٨.

قيس، وقيل: رومان، وقيل: رباح، وقيل: أحمد، وقيل: طهمان، وقيل: سفينة بن مارفنة، ويقال: عمر أبو عبد الرحمن، وقيل: أبو البختري(١).

كان من مولدي الأعراب، وقيل: من أبناء دارين، مولى أم سلمة [رضي الله عنها]، وقيل: مولى رسول الله ﷺ أعتقه عليه السلام، وقيل: أعتقته أم سلمة، واشترطت عليه خدمة النبي ﷺ ما عاش، وقيل: وهبته للنبي عليه السلام فأعتقه(٢).

وخرَّج الحاكم من حديث عبد الوارث بن سعيد، حدثنا سعيد بن جمهان، حدثني سفينة قال: قالت لي أم سلمة [رضي الله عنها]: أعتقك واشترط عليك أن تخدم رسول الله ﷺ ما عشت، قال: قلت: لو أنك لم تشترطي عليّ ما فارقْت رسول الله ﷺ ما عشت، قال: فأعتقتني، واشترطت عليّ أن أخدم رسول الله ﷺ ما عشت(٣).

وقال ابن عبد البر: مهران مولى رسول الله ﷺ هو غير سفينة عند أكثرهم، وقال سعيد بن جُمهان(٤) عن سفينة: كنا مع النبي ﷺ، فقال: أبسط كساءك، فقال للقوم: أطرحوا أمتعتكم فيه، ثم قال: احمل فإنما

---

(١) قال الحافظ في (الإصابة): سفينة، مولى رسول الله ﷺ، قيل: كان اسمه مهران، وقيل: طهمان، وقيل: مروان، وقيل: نجران، وقيل رومان، وقيل: ذكوان، وقيل: كيسان، وقيل: سليمان، وقيل: سنة - بالمهملة والنون، وقيل: بالمعجمة - وقيل: أيمن، وقيل: مرقنة، وقيل: أحمر، وقيل: أحمد، وقيل: رباح، وقيل: مفلح، وقيل: عمير، وقيل: معتب، وقيل: قيس، وقيل: عبس، وقيل: عيسى؛ فهذه واحد وعشرون قولاً، وكان أصله من فارس، فاشترته أم سلمة، ثم أعتقته واشترطت عليه أن يخدم النبي ﷺ. (الإصابة): ٣/ ١٣٢.

(٢) المرجع السابق.

(٣) (المستدرك): ٢/ ٢٣٢، كتاب العتق، حديث رقم (٢٨٤٩/ ٩)، وقال عنه الذهبي في (التلخيص): صحيح، وفيه: «فأعتقتني واشترطت ذلك»، ٣/ ٧٠٢، كتاب معرفة الصحابة، حديث رقم (٦٥٤٩/ ٢١٤٧)، وسكت عنه الذهبي في (التلخيص).

(٤) في (خ): «جُمهان»، وما أثبتناه من (المستدرك).

أنت سفينة، قال: فلو كان وقر بعير، أو بعيرين، أو ثلاثة، أو أربعة، أو خمسة لحملته(١).

وفي رواية: سماني رسول الله ﷺ سفينة، وذلك أني خرجت معه ومع أصحابه يمشون، فثقل عليهم متاعهم، فحملوه عليّ، فقال لي رسول الله ﷺ: احمل فإنما أنت سفينة، فلو حملتُ يومئذ وقر بعير ما ثقل عليّ، وكان يسكن بطن نخلة، مات بعد السبعين(٢).

[و] ثوبان بن بُجْدُد، ويقال: ابن جَحْدَر أبو عبد الله، ويقال: أبو عبد الرحمن، من أهل السُّراة، وهو موضع بين مكة واليمن. وقيل: إنه من حمير، وقيل: إنه حكميّ من حكم بن سعد العشيرة، أصابه سبيًا فاشتراه رسول الله ﷺ فأعتقه، ولم يزل معه حضراً وسفراً، إلى أن توفي رسول الله ﷺ، فخرج إلى الشام ونزل الرملة، ثم انتقل إلى حمْص، وتوفي بها سنة أربع وخمسين، وله أحاديث، خرَّج له مسلم وأصحاب السنن(٣).

[و] أنجشة العبد الأسود، وقيل كان حبشيًا يكنى أبا حارثة، كان يسوق أو يقود بنساء النبي ﷺ عام حجة الوداع، وكان حسن الحُداء، وكانت الإبل تزيد في الحركة بحُدائه، فقال له عليه السلام: رويداً يا أنجشة، رفقًا بالقوارير يعني النساء. عدَّه البلاذري من موالي رسول

---

(١) (الاستيعاب): ٢/ ٦٨٤ - ٦٨٥، ترجمة رقم (١١٣٥).

(٢) سبق تخريج هذا الخبر مع الإشارة إلى ترجمة سفينة مولى رسول الله ﷺ في معجزات النبي ﷺ.

(٣) روى مائة حديث وثمانية وعشرين حديثا، ذكره ابن حزم، وقال البرقي: روى عنه نحو من خمسين حديثًا، له ترجمة في (الاستيعاب): ١/ ٢١٨، ترجمة رقم (٢٨٢)، (الإصابة): ١/ ٤١٣، ترجمة رقم (٩٦٨)، (أسماء الصحابة الرواة): ٦٠، ترجمة رقم (٣٤)، (الثقات): ٣/ ٤٨، (الجرح والتعديل): ٢/ ٤٦٩، (تهذيب التهذيب): ٢/ ٢٨، ترجمة رقم (٥٤)، (المواهب اللدنية): ٢/ ١٢٣، (الوافي): ١/ ٨٧، (عيون الأثر): ٢/ ٣١٤، (صفة الصفوة): ١/ ٧٧، (تاريخ الخميس): ٢/ ١٧٨، (طبقات ابن سعد): ١/ ٤٩٨.

الله ﷺ(١).

[و] أبو لُبابة، واسمه زيد بن المنذر من بنى قريظة، أبتاعه رسول الله ﷺ، وهو مكاتب فأعتقه، وهو الذى روى عن رسول الله ﷺ: «من قال أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه [غُفرت له ذنوبه] ولو كان فرَّ من الزحف»(٢) أخرجه أبو داود(٣).

وابنه يسار بن زيد يروى عن أبيه زيد، وعنه ابنه بلال بن يسار، ذكر ابن حبان [أبا] لبابة هذا فى موالى رسول الله ﷺ. وقال ابن عبد البر: أبو لبابة مولى رسول الله ﷺ مذكور فى مواليه(٤).

وأبو لقيط، ذكره بعضهم فى موالى رسول الله ﷺ قال ابن عبد البر: لا أعرفه(٥).

---

(١) له ترجمة فى: (تاريخ الخميس): ٢/ ١٨٠، (الوافى): ١/ ٨٧، (عيون الأثر): ٢/ ٣١٤، (المواهب اللدنية): ٢/ ١٢٤، (الاستيعاب): ١/ ١٤٠، ترجمة رقم (١٥١)، (الإصابة): ١/ ١١٩ - ١٢٠، ترجمة رقم (٢٦١).

(٢) قال الحافظ فى (الإصابة): المعروف أن الذى روى الحديث المذكور هو زيد بن بَوْلا، وما بين الحاصرتين تصويب للسياق منه.

(٣) (عون المعبود): ٤/ ٢٦٦، تفريع أبواب الوتر، حديث رقم (١٥١٤)، ولفظه: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حفص بن عمر بن مرة الشنى، حدثنى أبى عمر بن مرة قال: سمعت بلال بن يسار ابن زيد مولى النبى ﷺ قال: سمعت أبى يحدثنيه عن جدى، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من قال: أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه. غُفر له وإن كان قد فَرَّ من الزحف».

(٤) ولأبى لبابة ترجمة فى: (الإصابة): ٧/ ٣٥٠، ترجمة رقم (١٠٤٦٦)، (الاستيعاب): ٤/ ١٧٤٠، ترجمة رقم (٣١٤٩)، (تاريخ الخميس): ٢/ ١٨٠، (الوافى): ١/ ٨٧، (عيون الأثر): ٢/ ٣١٤.

(٥) كذا فى (الاستيعاب): ٤/ ١٧٤٢، ترجمة رقم (٣١٥٢)، لكن قال الحافظ فى (الإصابة): أبو لقيط مولى رسول الله ﷺ: كان عبدا حبشيًا أو نوبيًا، بقى إلى زمن عمر رضى الله عنه، وذكره محمد ابن حبيب فى كتاب (المحبر).

وقال جعفر المستغفرى: كان عند الديوان فى خلافة عمر رضى الله عنه، له ترجمة فى: (الإصابة) =

[و] أبو مويهبة، وهو أبو موهبة، من مولدى مزينة، اشتراه رسول الله ﷺ فأعتقه، وشهد المريسيع، وكان يقود بعائشة رضى الله عنها بعيرها، قال ابن عبد البر: لا يوقف له على اسم، حديثه حسن فى استغفار رسول الله ﷺ لأهل البقيع، واختياره لقاء ربه(١).

[و] مِدْعَم، غلام النبى ﷺ، من مولدى حمير، ويكنى أبا سلام، ويقال: إن أبا سلام غيره، وكان مدعم من هدية فروة بن عمرو الجذامىّ، ويقال: من هدية رفاعة بن زيد [بن وهب](٢) الجذامى، أصابه سهم غرب بوادى القرى وهو يحط رحل رسول الله ﷺ.

وقال ابن عبد البر: مدعم العبد الأسود، خبره مشهور بخيبر، ويوم خيبر قتل شهيداً، قيل إنه كان مولى رسول الله ﷺ وأن الذى أهداه له رفاعة بن زيد بن وهب الجذامىّ، أصابه سهم غرب فقتله. حديثه عند مالك وغيره.

وقيل: إن العبد الأسود غير مدعم، كذا قال ابن عبد البر، وكلاهما قُتل بخيبر.

وقال الواقدى فى (مغازية): وكان رجل أسود مع النبى ﷺ يمسك دابته عند القتال، يقال له كركرة، فقتل يومئذ، يعنى يوم خيبر، فقيل: يا رسول الله: استشهد كركرة، فقال ﷺ: إنه الآن ليحرق فى النار على شملة غلّها.

= ٧/ ٣٥٢، ترجمة رقم (١٠٤٧٠)، (صفة الصفوة): ١/ ٧٨، (عيون الأثر): ٢/ ٣١٤، (تاريخ الخميس): ٢/ ١٨٠.

(١) له ترجمة فى (الاستيعاب): ١٧٦٤ - ١٧٦٥، ترجمة رقم (٣١٩٦)، (الإصابة): ٧/ ٣٩٣ - ٣٩٤، ترجمة رقم (١٠٥٨٩)، (الثقات): ٣/ ٤٥٢، (التاريخ الكبير): ٩/ ٧٣، (الجرح والتعديل): ٩/ ٤٤٤، (تعجيل المنفعة): ٥٢٢، (أسماء الصحابة الرواة): ٢٨٦، ترجمة رقم (٤٢٢)، (الوافى): ١/ ٨٧، (تاريخ الخميس): ٢/ ١٨٧، (عيون الأثر): ٢/ ٣١٤، (صفة الصفوة) ١/ ٧٨.

(٢) زيادة للنسب من (الاستيعاب).

وقال فى مسير رسول الله ﷺ إلى وادى القرى: فكان أبو هريرة يحدث قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ من خيبر إلى وادى القرى، وكان رفاعة بن زيد بن وهب الجذامى قد وهب لرسول الله ﷺ عبداً أسوداً يقال له: مدعم، وكان يرحل لرسول الله ﷺ، فلما نزلنا بوادى القرى، انتهينا إلى يهود وقد ضوى إليها ناس من العرب، فبينا مدعم يحط رحل النبى عليه السلام، وقد استقبلنا يهود بالرمى، حيث نزلنا، ولم نكن على تعبئة، وهم يصيحون فى آطامهم. فيقبل سهم غائر فأصاب مدعماً فقتله، فقال الناس: هنيئًا له الجنة، فقال رسول الله ﷺ: كلا والذى نفسى بيده، إن الشملة التى أخذها يوم خيبر من المغانم لم يصبها المقسم تشتعل عليه ناراً، فلما سمع بذلك الناس جاء رجل إلى رسول الله ﷺ بشراك(١) أو شراكين، فقال النبى عليه السلام: شراك [من نار]، أو شراكان من نار.

فقد بين الواقدى أنهما اثنان، أحدهما كركرة، وهو الذى قتل بخيبر، والآخر مدعم، وهو الذى قتل بوادى القرى(٢).

وكركرة غلام النبى ﷺ، وقال ابن عبد البرّ: مدعم العبد الأسود، خبره مشهور بخيبر، ويوم خيبر قتل شهيدا، قيل إنه كان مولى رسول الله ﷺ.

قال البلاذرى: أُهدى إليه فأعتقه، ويقال: مات على عهد رسول الله ﷺ وهو مملوك(٣).

---

(١) الشراك: أحد سيور النعل التى على وجهها.

(٢) له ترجمة فى: (الإصابة): ٦/ ٦٠ - ٦١ ترجمة رقم (٧٨٦١)، ٧٠٩ - ٧١٠ (الاستيعاب): ٤/ ١٤٦٨، ترجمة رقم (٢٥٣٨)، (مغازى الواقدى)، (الكامل فى التاريخ): ٢/ ٢٢٢، ٣١٢، (تاريخ الطبرى): ٣/ ١٥٤، ١٧١، (صفة الصفوة): ١/ ٧٧، (المواهب اللدنية): ٢/ ١٢٣، (عيون الأثر): ٢/ ٣١٧، (تاريخ الخميس): ٢/ ١٧٩، (الوافى): ١/ ٨٧، (طبقات ابن سعد): ١/ ٤٩٨.

(٣) (الإصابة): ٥/ ٥٨٧.

وقال البخارى فى كتاب الجهاد من (الصحيح) : حدثنا على بن عبد الله، حدثنا سفيان عن عمرو قال : كان على ثقل النبى ﷺ رجل يقال له : كركرة فمات، فقال رسول الله ﷺ : هو فى النار، فذهبوا ينظرون إليه، فوجدوا عباءة قد غلها(١).

وقد ذكر البخارى فى كتاب [المغازى](٢)، فى غزوة خيبر من عدة طرق عن أبى هريرة، أن مدعما قتل بوادى القرى(٣)، كما ذكر الواقدى(٤).

وذكره أبو داود أيضًا فى سننه(٥)، ولم يذكر أبو عمر بن عبد البر كركرة فى كتاب (الأصحاب)، وهو أحفظ الناس لصحيح البخارى، وأعرفهم بـ (مغازى الواقدى)، غير أن الإحاطة ممتنعة إلا على الله الذى أحاط بكل شىء علمًا . وذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر كركرة فى الموالى(٦).

[و] أبو ضُمرة، وهو ابن ضُميرة، قال البخارى : اسمه سعد الحميرىّ من آل ذى يزن . وقال أبو حاتم فيه : سعيد الحميرىّ، وقيل : اسمه روح بن

---

(١) (فتح البارى) : ٦ / ٢٣٠ - ٢٣١، كتاب الجهاد والسير باب (١٩٠) القليل من الغلول، حديث رقم (٣٠٧٤)، وفى الحديث تحريم قليل الغلول وكثيره، وقوله ﷺ : « هو فى النار »، أى يعذب على معصيته، أو المراد : هو فى النار إن لم يُعْف عنه .

(٢) فى (خ) : « الإيمان والنذور »، وصوبناه من (فتح البارى) .

(٣) (فتح البارى) : ٧ / ٦٢٠، كتاب المغازى، باب (٣٩) غزوة خيبر، حديث رقم (٤٢٣٤)، ١١ / ٦٢٥ كتاب الأيمان والنذور، باب (٣٣)، هل يدخل فى الأيمان والنذور الأرض والغنم والزرع والأمتعة، حديث رقم (٦٧٠٧) .

(٤) (مغازى الواقدى) : ٦٨١ .

(٥) (عون المعبود) : ٧ / ٢٧٠ - ٢٧١، كتاب الجهاد، باب (١٤٣) فى تعظيم الغلول، حديث رقم (٢٧٠٨)، قال المنذرى : وأخرجه البخارى ومسلم والنسائى .

(٦) له ترجمة فى : (الإصابة) : ٥ / ٥٨٧، ترجمة رقم (٧٤٠٥)، (الوافى) : ١ / ٨٧، (طبقات ابن سعد) : ١ / ٤٩٨، (صفة الصفوة) : ١ / ٧٨، (عيون الأثر) : ٢ / ٣١٤، (تاريخ الخميس) : ٢ / ١٧٩ .

سندرة، وقيل: روح بن شيرزاد، وقيل: سمه إسماعيل بن أبى أويس، والأول أصح.

وهو من العرب، ممن أفاء الله على رسوله فأعتقهم، ثم خيّر أبا ضمرة أن يقيم معه أو يلحق بقومه، فاختار المقام، فكتب رسول الله ﷺ لأهل بيته كتابًا بأن يحفظهم كل منِ لقيهم من المسلمين، فذكروا أن لصوصًا لقوا قومًا منهم، فأخرجوا كتاب رسول الله ﷺ فلم يعرضوا لهم.

ووفد حسين بن [عبد](١) الله بن ضميرة على المهدى بن أبى جعفر المنصور، وجامعه بهذا الكتاب، فأخذه المهدى، وقبّله، ووضعه على عينيه، وأعطى حُسينًا ثلاثمائة دينار، ويقال: خمسمائة دينار(٢).

وقال ابن الكلبى: كان لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه غلام يُكنى أبا ضمرة، وليس هو هذا(٣).

[و] رباح، أبو أيمن، مولى رسول الله ﷺ، وهو أسود، كان يؤْذن على النبى عليه السلام أحيانًا إذا انفرد، وله ذكر فى حديث الإيلاء، قال البلاذرى: ثم صيَّره مكان يسار حين قتل، وكان يقوم بأمر لقاحه عليه السلام(٤).

---

(١) فى (خ): «عبيد»، وما أثبتناه من كتب السيرة.

(٢) له ترجمة فى: (الاستيعاب): ٤/ ١٦٩٥، ترجمة رقم (٣٠٥١)، (الإصابة): ٣/ ٤٩٥، ترجمة رقم (٤٢٠٨ ز)، (الإصابة): ٧/ ٢٢٦، ترجمة رقم (١٠١٥٤)، (صفة الصفوة): ١/ ٧٧، (عيون الأثر): ٢/ ٣١٤، (تاريخ الخميس): ٢/ ١٧٩، (الوافى): ١/ ٨٧، (المعارف): ١٤٨.

(٣) قال ابن هشام -وقد ذكر سرية زيد بن حارثة إلى مدين-: أن رسول الله ﷺ بعث زيد بن حارثة نحو مدين، ومعه ضميرة مولى على بن أبى طالب رضى الله عنه، (سيرة ابن هشام): ٦/ ٤٧ - ٤٨.

(٤) له ترجمة فى: (عيون الأثر): ٢/ ٣١٤، (تاريخ الخميس): ٢/ ١٧٨، (صفة الصفوة): ١/ ٧٧، (المواهب اللدنية): ٢/ ١٢٣، (طبقات ابن سعد): ١/ ٤٩٨، (الإصابة): ٢/ ٤٥٢ - ٤٥٣، ترجمة رقم (٢٥٦٧)، (الوافى): ١/ ٨٧، (الاستيعاب): ٢/ ٤٨٧، ترجمة رقم (٧٤٧).

[و] هشام، مولى النبى ﷺ راوى حديث[1]: إن لى امرأة لا تدفع كفّ لامس[2].

[و] أبو هند، قيل اسمه عبد الله، مولى فروة بن عمرو البياضى، كان حجام النبى ﷺ فقال فيه: إنما أبو هند[3] رجل من الأنصار فأنكحوا وأنكحوا إليه [يا بنى بياضة][4] ففعلوا، ولم يشهد بدراً، وشهد ما بعدها، ولقى النبى عليه السلام بعرق الظبية بحميت مملوءٍ حيسًا[5].

قال البلاذرى: وقال قوم: وهب بنو بياضة لرسول الله ﷺ ولاء أبى هند[6].

وأيمن بن عبيد بن عمرو بن بلال بن أبى الجرباء بن قيس بن مالك بن ثعلبة بن جشم بن مالك بن سالم، وهو الحبلى بن غنم بن عوف بن الخزرج، وهو أيمن بن أم أيمن، مولاة رسول الله ﷺ، وأخو أسامة بن زيد بن حارثة لأمه، عدّه ابن عساكر فى موالى رسول الله ﷺ.

---

(١) عن هشام مولى رسول الله ﷺ، قال: جاء إلى النبى ﷺ، فقال: يا رسول الله، إن امرأتى لا تمنع يد لامس، قال: طلقها، قال إنها تعجبنى قال: فاستمتع بها.

(٢) له ترجمة فى: (الاستيعاب): ٤/ ١٥٤١، ترجمة رقم (٢٦٨٨)، (الإصابة): ٦/ ٥٤٦، ترجمة رقم (٨٩٨٢)، (الوافى): ١/ ٨٧، (صفة الصفوة): ١/ ٧٨، (عيون الأثر): ٢/ ٣١٤.

(٣) كذا فى (خ)، وفى (الاستيعاب): «امرؤ».

(٤) زيادة للسياق من (الاستيعاب).

(٥) قال ابن إسحاق -وقد ذكر غزوة بدر-: ولقى رسول الله ﷺ بذلك الموضع، ابو هند مولى فروة بن عمرو البياضى بحميت مملوء حيسًا. [الحيس السمن يخلط بالتمر والدقيق، ويعجن]. (سيرة ابن هشام): ٣/ ١٩٤.

(٦) له ترجمة فى: (الاستيعاب): ٤/ ١٧٧٢، ترجمة رقم (٣٢٠٩)، (الإصابة): ٧/ ٤٤٨، ترجمة رقم (١٠٦٧٩)، (عيون الأثر): ٢/ ٣١٤، (تاريخ الخميس): ٢/ ١٨٠، (الوافى): ١/ ٨٧.

قال فيه ابن عبد البر: أيمن بن عبيد الحبشي، ونسبه البلاذري كما ذكرنا، وثبت أيمن يوم حُنين فيمن ثبت مع النبى عليه السلام، وذكره ابن إسحاق فى من استشهد يومئذ(١).

وحُنين، كان عبداً للنبى ﷺ يخدمه، وإذا توضَّأ أخرج وضوءه إلى أصحابه، وكانوا إما شربوه وإما مسحوا به، فحبس الوضوء فكان لا يخرج به إليهم، فشكوه إلى النبى ﷺ، فقال [حنين](٢) حبسته عندى فجعلته فى جرّ، فإذا اعطشتُ شربته، فقال رسول الله ﷺ: هل رأيتم غلاماً أحصى ما أحصى هذا؟.

ثم وهبه لعمه العباس رضى الله عنه فأعتقه، وقد قيل: إنه مولى على بن أبى طالب(٣).

[و] ضميرة بن أبى ضميرة، مولى رسول الله ﷺ، له ولأبيه أبى ضمرة صحبة، ويروى أن ضميرة أصابه سبيًا، فمرّ النبى عليه السلام بأمه وهى تبكى فقال: ما يبكيك؟ أضائقة أنت؟ أعارية أنت؟ فقالت: فُرِّق بينى وبين ابنى، فابتاعه منه ببكر وقال: لا تفرق بين الوالدة وولدها، ثم أرسل إلى الذى عنده ضميرة فدعاه، فابتاعه منه ببكر وأعتقه(٤).

---

(١) له ترجمة فى: (سيرة ابن هشام): ٤/ ٣١٩، ٥/ ١١١، ٥/ ١٢٨، (تاريخ الخميس): ٢/ ١٨٠، (صفة الصفوة): ١/ ٧٧، (طبقات ابن سعد): ١/ ٤٩٧، (الاستيعاب): ١/ ١٢٨ - ١٢٩، ترجمة رقم (١٣١)، (الإصابة): ١/ ١٧٠ - ١٧١، ترجمة رقم (٣٩٤)، (عيون الأثر): ٢/ ٣١٣.

(٢) زيادة للسياق والبيان.

(٣) له ترجمة فى: (الوافى): ١/ ٨٧، (الإصابة): ٢/ ١٤٠ - ١٤١، ترجمة رقم (١٨٧٥)، (الاستيعاب): ١/ ٤١٢، ترجمة رقم (٥٨٥)، (عيون الأثر): ٢/ ٣١٤.

(٤) رواه البخارى فى (التاريخ)، والحسين بن سفيان، من طريق ابن أبى ذئب، عن حسين بن عبد الله بن ضميرة، عن أبيه عن جده ضميرة، أن النبى ﷺ مرَّ بأمّ ضميرة وهى تبكى، فقال: ما يبكيك؟ قالت: يا رسول الله، فُرِّق بينى وبين ابنى، فأرسل إلى الذى عنده ضميرة فابتاعه منه ببكر. قال الحافظ فى =

وطهمان، وقيل: مهران، وقيل: ميمون، وقيل باذام، وقيل: كيسان، مولى النبى ﷺ، اختلف فيه على عطاء بن السائب، فقيل: كيسان، وقيل: مهران، وقيل: طهمان، وقيل: ذكوان، كل ذلك فى حديث تحريم الصدقة على آل النبى عليه السلام(١).

= (الإصابة): وللحديث شاهد عند ابن إسحاق بسند منقطع، وقد تابع ابن أبى ذئب أيضًا إسماعيل ابن أبى أويس، وأخرجه محمد بن سعد، وأورده البغوى عنه عن إسماعيل بن أبى أويس، أخبرنى حسين بن عبد الله بن ضميرة بن أبى ضميرة، أن الكتاب الذى كتبه رسول الله ﷺ إلى ضمرة، فذكره كما تقدم.

ومن حديث ضميرة، ما أخرجه البغوى من رواية القعنبى عن حسين بن ضميرة، عن أبيه عن جده، أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ فقال: يا نبى الله، أنكحنى فلانة، قال: ما معك تصدقها إياه؟ قال: ما معى شيء، قال: لمن هذا الخاتم؟ قال: لى، قال: فاعطها إياه: فانكحه. وانكح آخر على سورة البقرة، ولم يكن معه شيء.

أورده البغوى فى ترجمة أبى ضميرة على ظاهر السياق، وإنما هو من رواية ضميرة، وقول القعنبى عن حسين بن ضميرة تجوُّز فيه، فنسبه لجده وهو حسين بن عبد الله بن ضميرة، فالحديث لضميرة، لا لولده.

وزعم عبد الغنى المقدسى فى (العمدة)، أن ضميرة هذا هو اليتيم الذى صلى مع أنس لما صلى النبى ﷺ فى بيتهم، قال: فقمت أنا واليتيم وراءه، والعجوز من ورائنا. له ترجمة فى: (الإصابة): ٣/ ٤٩٥ – ٤٩٦، ترجمة رقم (٤٢٠٨ ز)، (التاريخ الكبير): ٤/ ٣٤١ – ٣٤٢، ترجمة رقم (٣٠٦٠)، (الثقات): ٣/ ١٩٩، (الوافى): ١/ ٨٧.

(١) ذكره ابن حبان فى الصحابة، وروى البغوى والطبرانى من طريق شريك، عن عطاء بن السائب، قال: أوصى أبى بشيء لبنى هاشم، فجئت أبا جعفر، فبعثنى إلى امرأة عجوز – وهى بنت على فقالت: حدثنى مولى لرسول الله ﷺ يقال له طهمان، أوذكوان، قال: قال لى رسول الله ﷺ: لا تحل الصدقة لى ولا لاهل بيتى.

قال البغوى: وروى عن شريك، فقال: مهران، وقيل: ميمون، وقيل: باذام. قال الحافظ فى (الإصابة): قلت: وقيل أيضًا: هرمز، وقيل: كيسان، وهى رواية جرير عن عطاء، وقيل: مهران، وهو أصحها، فإنها رواية سفيان الثورى، عن عطاء بن السائب فى هذا الحديث. له ترجمة فى: (الإصابة): ٢/ ٤٠٦ – ٤٠٧، ترجمة رقم (٢٤٤١)، ٣/ ٥٤٦، ترجمة رقم (٤٣٠١)، (الثقات): ٣/ ١٩٩.

وعبيد، مولى النبى ﷺ روى عنه سليمان التيمى ولم يسمع منه، بينهما رجل، وله حديث هل كان يأمر النبى ﷺ بصلاة غير المكتوبة، قال صلاة بين المغرب والعشاء، وحديث اللتين اغتابتا، فقال لهما النبى ﷺ: قيئا، فقاءتا قيحًا ودمًا ولحمًا عبيطًا(١)، ويقال: فيه عبد بن عبد الغفار.

وقفيز [مولى رسول الله ﷺ](٢).

ومابور، القبطى الخصىّ، ابن عم مارية، أهداه المقوقس لرسول الله ﷺ هو ومارية، وسيرين، فى أشياء غير ذلك، ويقال: اسمه سمهورس، أسلم بعد قدومه بالمدينة، ومات بها سنه ستين، ودفن بالبقيع، وقد شاخ، وهو

---

(١) قال ابن حبان: له صحبه، وذكره ابن السكن فى الصحابة وقال: لم يثبت حديثه. وقال البلاذرى: يقال إنه كان لرسول الله ﷺ مولى يقال له عبيد، روى عنه حديثين، وقال ابن ابى حاتم، عن أبيه: مرسل، وتبع فى ذلك البخارى كعادته.

وقال احمد: حدثنا معتمر بن سليمان، عن أبيه، عن رجل، عن عبيد مولى رسول الله ﷺ أنه سئل: أكان رسول الله ﷺ يأمر بصلاة بعد المكتوبة أو سوى المكتوبة؟ قال: نعم، بين المغرب والعشاء.

واخرج أيضا هو وابن السكن، من طريق يزيد بن هارون، عن سليمان التيمى: سمعت رجلاً يحدث فى مجلس أبى عثمان، عن عبيد مولى النبى ﷺ أن امرأتين صامتا فى عهد النبى ﷺ، فجلستا تغتابان .... الحديث، واللحم العبيط: غير النضيج.

واخرجه ابن أبى خيثمة، وأبو يعلى، من رواية حماد بن سلمة، عن سليمان التيمى، عن عُبيد مولى النبى ﷺ، لم يذكر بينهما أحداً.

قال ابن عبد البر فى (الاستيعاب): لم يسمع سليمان من عبيد بينهما رجل. له ترجمة فى: (الإصابة): ٤/ ٤٢١ - ٤٢٢، ترجمة رقم (٥٣٧٣ ز)، (الثقات): ٣/ ٢٨٤، (الاستيعاب): ٣/ ١٠٢٠، ترجمة رقم (١٧٤٧)، (لسان العرب): ٧/ ٣٤٧.

(٢) ذكره ابن شاهين فى الصحابة، وأخرج هو وأبو عوانة، من طريق زهير بن محمد، عن أبى بكر بن عبيد الله بن أنس، قال: كان للنبى ﷺ غلام اسمه قفيز. واخرجه ابن منده، وقال: تفرد به محمد بن سليمان الحرانى عن زهير.

قال الحافظ فى (الإصابة): وهو ضعيف، وفى شيخه مقال، وهو من زيادات أبى عوانة، عن مسلم، وقد ضبطه عبد الغنى بن سعيد بقاف وفاء آخره زاى بوزن عظيم ترجمته فى (الإصابة): ٥/ ٤٥٣، ترجمة رقم (٧١٣٥)، (عيون الأثر): ٢/ ٣١٤، (تاريخ الخميس): ٢/ ١٧٩.

الذى كان يُتَّهم بمارية، فأمر رسول الله ﷺ أن يضرب عنقه، فوُجد مجبوب الذكر [ليس له ذكر]، فكف عنه، ومن حينئذ عُرف أنه خصيٌّ(١).

ونافع مولى رسول الله ﷺ، له حديث: لا يدخل الجنة شيخ زان ولا مستكبر ولا منان على الله بعمله، روى عنه خالد بن أبى أمية(٢).

وأبو بكرة، نفيع بن مسروح، ويقال: نفيع بن الحارث بن كلده بن عمرو ابن علاج بن أبى سلمة بن عبد العزى بن عبد عوف بن قسى، وهو ثقيف، وأمه سمية جارية الحارث بن كلده، وكان من عبيد الحارث، وهو أخو زياد بن أبيه لأمه سمية، وكان أبو بكرة يقول: أنا مولى رسول الله ﷺ، ويأبى أن ينتسب ويقول: أنا من إخوانكم فى الدين، فإن أبى الناس إلا أن ينسبونى، فأنا نفيع بن مسروح، وأرادوه على الدعوى فأبى، وقال لبنيه عند الموت: أبى مسروح الحبشى.

ويقال: إن سمية كانت من أهل زندورد من كسكر، يقال لها يا سيج، سرقها الكوّاليشكربى، أبو عبد الله بن الكوّا فخرج إلى الطائف فأتى الحارث بن كلدة؛ وكان طبيب العرب، فداواه فبرأ، فوهب له سمية.

ويقال إنها كانت أمة لدهقان الأبُلّه، فقدم الحارث الأبلة، فعالج ذلك

---

(١) (الإصابة): ٥/ ٦٩٩ - ٧٠٢، ترجمة رقم (٧٥٨٧)، (المواهب اللدنية): ٢/ ١٢٤، (صفة الصفوة): ١/ ٧٨.

(٢) أخرجه البخارى ومُطين، والحسن بن سفيان، والبغوى، وابن أبى داود، وابن السكن، وابن شاهين، والطبرانى، وابن منده، من طريق أبى سعيد الأشج، عن عقبة بن خالد، عن الصباح بن يحيى عن خالد بن أبى أمية، فذكر الحديث مثله، لكن فيه تقديم وتأخير قال البغوى: ولا أعلم بهذا الإسناد غير هذا الحديث وأخرجه ابن قانع من وجه آخر، عن الصباح بن يحيى، عن خالد بن أمية.

الدهقان، فوهبها له، فقدم بها الطائف ووقع عليها، فولدت له على فراشه غلامًا سماه نافعًا، ثم وقع عليها فجاءته بنفيع، وهو أبو بكرة، وكان أسودًا، فقال الحارث: والله ما هذا بابنى، ولا كان فى آبائى أسود، فقيل له: إن جاريتك ذات ريبة لا تدفع كف لامس، فنسب أبو بكرة إلى مسروح غلام الحارث بن كلدة، ونفى نافعًا بسبب أبى بكرة.

ثم إن الحارث تزوج صفية بنت عبيد بن أسيد بن علاج الثقفى، ومَهَرها سمية، فزوّجتها صفية عبدًا لها روميا يقال له عبيد فولدت منه زيادًا فأعتقته صفية، فلما غزا رسول الله ﷺ الطائف قال: من خرج إلىّ فهو حُرّ، فوثب نفيع الجدار فخرج إليه هو وآخر فأعتقهما فكانا مواليه.

ويقال: إنه تدلى من سور الطائف ببكر، ونزل إلى النبى عليه السلام، فكناه أبا بكرة، فغلبت عليه كنيتُه، وخشى الحارث بن كلدة أن يفعل نافع مثل ما فعل أبو بكرة، فقال له: أبى أنت وشبيهى فلا تفعل كما فعل العبد الخبيث، فأثبت نسب نافع يومئذٍ.

وروى أن رقيقًا من رقيق ثقيف دعاهم أبو بكرة إلى الإسلام فأسلموا، وبعثوا إلى رسول الله ﷺ يستأمرونه فى قتال ثقيف فى الحصن ويعلمونه أنهم قد أسلموا، فقال رسول الله ﷺ لرسولهم: كم هم؟ فقال: ثمانون، فقال: إنى أخاف عليهم أن يقتلوا، ولكن ليخرجوا إلينا، فيدلى منهم أربعون رجلاً أو أكثر، ونذرت ثقيف بالباقين فحبسوهم، فأعتق رسول الله ﷺ الذين نزلوا إليه.

وقال الواقدى: كانوا تسعة عشر فيهم الأزرق، وكان عبدًا روميًا حدَّادًا، وتدلى أبو بكرة من الحصن على بكرة، فقال له النبى عليه السلام: كيف جئت؟ قال: تدلّيتُ على بكرة، فقال: أنت أبو بكرة.

ويقال: كان يعرف بالطائف بأبى بكرة، لأنه كانت له بكرة يعلفها ويركبها، وكان عتبة بن غزوان[1] قد تزوج أردة بنت الحارث بن كلدة[2]، من صفية بنت عبيد، فلما استعمل عمر بن الخطاب رضى الله عنه عتبة بن غزوان على البصرة، قدم معه نافع وأبو بكرة وزياد البصرة بذلك السبب، فسكن أبو بكرة البصرة، وبها مات سنة إحدى وخمسين، وهو ممن شهد على المغيرة بن شعبة أنه زنى بأم جميل بنت محجن بن الأفقم، فجلده عمر رضى الله عنه، وهو ممن اعتزل الحسن بن على، وهو من فضلاء الصحابة وعُبَّادهم، وله ولأولاده أخبار كثيرة[3].

وواقد، ويقال: أبو واقد، مولى رسول الله ﷺ روى عنه زاذان قوله: من أطاع الله فقد ذكره، وإن قلت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن، ومن عصى

---

(١) هو عُتبة بن غَزْوان بن جابر بن وهب بن نشيب بن وهيب بن وهب بن زيد بن سالم بن عبد عوف ابن الحارث بن مازن بن منصور، بدريّ أُحُديّ، من المهاجرين الأولين، وهو الذى بنى البصرة لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما، وهو أول أمير ملكها. (جمهرة أنساب العرب).

(٢) أردة بنت الحارث بن كلدة الثقفى: زوج عتبة بن غزوان، ذكرها البلاذرى وغيره، وقالوا: إنها كانت مع عتبة بالبصرة، وهو أمير عليها، ومن أجلها قدم أبو بكرة وأخويه من أمه: نافع وزياد (الإصابة).

(٣) له ترجمة فى: (مغازى الواقدى): ٣/ ٩٣١ - ٩٣٢، (الكامل فى التاريخ): ٣/ ٤٤٣، ٤٨٩، (تاريخ الطبرى): ٣/ ٥٩٥، ٤/ ٦٩، ٧٢، ٨٣، ٥/ ١٦٧، ١٦٩، ٢٩٢، (الإصابة): ٦/ ٤٦٧ - ٤٦٨، ترجمة رقم (٨٧٩٩)، ٧/ ٤٦، ترجمة رقم (٩٦٢٦)، (الاستيعاب): ١٦١٤ - ١٦١٥، ترجمة رقم (٢٨٧٧)، (المواهب اللدنية): ٢/ ١٢٤ (تاريخ الخميس): ٢/ ١٨٠، (صفة الصفوة): ١/ ٧٧ - ٧٨ (عيون الأثر): ٢/ ٣١٤.

قال لى رسول الله ﷺ: يا نافع، إنك سيصيبك بعدى خصاصة [الخصاصة: الفقر]، فاذكر شأنك للناس يرحموك، قال: وسمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يدخل الجنة شيخ زان... الحديث، وزاد: ولا مدمن خمر، ولا عاق لوالديه، ولم يذكر قوله: ولا منان على الله بعمله.

(الإصابة): ٦/ ٤١٤، ترجمة رقم (٨٦٧٤)، (عيون الأثر): ٢/ ٣١٤.

الله فلم يذكره، وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن(١).

وهرمز، شهد بدراً مملوكًا(٢).

وأبو الحمراء، مولى رسول الله ﷺ، قيل: اسمه هلال بن الحارث، وقيل هلال بن ظفر السّلمى، أصابه سبيًا، وخدم النبى ﷺ، وكان بحمص، له حديث أنه كان يمر ببيت فاطمة وعلى رضى الله عنهما فيقول: السلام عليكم(٣) أهل البيت الحديث(٤).

وأبو سلمى، ويقال: أبو سلام، وقيل: اسمه حُريث روى عنه أبو سلام الأسود الحبشى، ويعد فى الشاميين، وبعضهم يعده فى الكوفيين، وقد اختلف فى حديثه على أبى سلام الأسود.

---

(١) ذكره الحسن بن سفيان في مسنده، والطبراني في معجمه، وأخرجا من طريق زاذان، عن واقد مولى رسول الله ﷺ: من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قَلّتْ صلاته وصيامه وتلاوته القرآن، ومن عصى الله فلم يذكره وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن. له ترجمة فى: (الاستيعاب): ٤/ ١٥٥١، ترجمة رقم (٢٧١٥)، (الإصابة): ٦/ ٥٩٥ - ٥٩٦، ترجمة رقم (٩١٠٤)، (عيون الأثر): ٢/ ٣١٤، (الوافى): ١/ ٨٧، (المواهب اللدنية): ٢/ ١٢٤، (صفة الصفوة): ١. ٧٨.

(٢) قال الثورى، عن عطاء بن السائب، قال: أتيت أم كلثوم بنت علىّ بشىء من الصدقة فردّتها، وقالت: حدثنى مولى للنبى ﷺ يقال له مهران أن رسول الله ﷺ قال: إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة، ومولى القوم منهم. أخرجه أحمد، والبغوى، وابن شاهين، من طريق الثورى. وقال البخارى، عن أبى نعيم، عن سفيان: يقال له مهران أو ميمون، وقال حماد بن زيد عن عطاء: كيسان، أو هرمز، وفى اسمه اختلاف.

له ترجمة فى: (الإصابة): ٥/ ٦٣٠، ترجمة رقم (٧٤٧٨)، (٧٤٧٩)، ٦/ ٢٣٢، ترجمة رقم (٨٢٦٨)، ٦/ ٥٣٤، ترجمة رقم (٨٩٥٤)، (عيون الأثر): ٢/ ٣١٤.

(٣) فى (خ) «عليك» وما أثبتناه أجو للسياق.

(٤) هلال بن الحمراء، حديثه عند أبى إسحاق السبيعى، عن أبى داود القاصّ، عن أبى الحمراء، قال: أقمت بالمدينة شهرا، وكان رسول الله ﷺ يأتى منزل فاطمة وعلىّ كل غداة فيقول: الصلاة الصلاة ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾. له ترجمة فى: (الاستيعاب): ٤/ ١٥٤٢، ترجمة رقم (٢٦٩١)، (الإصابة): ٦/ ٥٨٤ - ٥٨٥، ترجمة رقم (٩٠٧٩)، ٧/ ٩٤، ترجمة رقم (٩٧٨٣).

وذكر أبو عمر بن عبد البر، أن أبا سلمى راعى النبى عليه السلام، ثم ذكر أبا سلمى آخر غيره، وقال مولى رسول الله ﷺ لا أدرى أهو راعى رسول الله ﷺ المتقدم ذكره، أم غيره(١).

وأبو صفية، مولى رسول الله ﷺ، كان من المهاجرين [و] كان يوضع له نطع، ويجاء بزنبيل فيه حصًا فيسبح به إلى نصف النهار [و] ويقال: اسمه عُبَيْد(٢).

وأبو عُبَيْد، مولى رسول الله ﷺ، ويقال: - خادم رسول الله ﷺ(٣)،

---

(١) أبو سلمى، راعى رسول الله ﷺ، قيل: اسمه حريث، من حديثه عن النبى ﷺ أنه سمعه يقول: بخ بخ [الخمس] كلمات ما أثقلهن فى الميزان: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله. روى عنه أبو سلام الأسود الحبشى.

قال: رأيته فى مسجد الكوفة، يعدّ أبو سلمى هذا فى الشاميين، لأن حديثه هذا شامى، وبعضهم يعده فى الكوفيين، وقد اختلف فى حديثه هذا على أبى سلام الأسود. (الاستيعاب): ٤/ ١٦٨٣، ترجمة رقم (٣٠١٥)، (الإصابة): ٧/ ١٨٥ - ١٨٦، ترجمة رقم (١٠٠٣٩).

(٢) أبو صفية مولى رسول الله ﷺ، قال البخارى: عداده فى المهاجرين، وأخرجه من طريق المعلى بن عبد الرحمن؛ سمعت يونس بن عبيد يقول لأمه: ماذا رأيت أبا صفية يصنع؟ قالت: رأيت أبا صفية -وكان من المهاجرين من أصحاب النبى ﷺ- يسبح بالنوى.

تابعه عبد الواحد بن زيد، عن يونس بن عبيد عن أمه، قالت: رأيت أبا صفية رجلاً من المهاجرين يسبح بالنوى. أخرجه البغوى.

وأخرج من وجه آخر عن أبى بن كعب، عن أبى صفية، مولى رسول الله ﷺ أنه كان يوضع له نطع، ويؤتى بحصى فيسبح به إلى نصف النهار فإذا صلى الأولى ورجع أتى به فيسبح حتى يمسى. (الإصابة): ٧/ ٢٢٢، ترجمة رقم (١٠١٤١)، (الاستيعاب): ٤/ ١٦٩٣، ترجمة رقم (٣٠٤٨).

(٣) أبو عبيد، مولى رسول الله ﷺ، ذكره الحاكم أبو أحمد فيمن لا يُعرف اسمه، وأخرج حديثه الترمذى فى الشمائل، والدارمى من طريق شهر بن حوشب عنه؛ قال: طبخت للنبى ﷺ قدرًا، وكان يعجبه الذراع... الحديث، ورجاله رجال الصحيح، إلا شهر بن حوشب.

قال البغوى: له صحبة، حدثنى عباس، عن يحيى بن معين، قال: أبو عبيد الذى روى عنه شُهر، هو من الصحابة.

قال ابن عبد البر(١): لم أقف على اسمه، له رواية من حديثه، أنه كان يطبخ لرسول الله ﷺ يومًا فقال له: ناولنى الذراع... الحديث خرجه الإمام أحمد(٢).

وأبو عَسِيب، مولى النبى ﷺ، له صحبة، وسمَّاه بعضهم: أحمر، له حديث: الطاعون شهادة، وكان يخضب لحيته ورأسه، ويواصل بين ثلاث فى الصيام، ويصلى الضحى، ويصوم البيض(٣)، وكان فى سريره

---

(١) أبو عبيد مولى رسول الله ﷺ، ويقال: خادم رسول الله ﷺ، لا أقف على اسمه، وله رواية، من حديثه أنه كان يطبخ لرسول الله ﷺ يومًا فقال له: ناولنى الذراع... الحديث.

(٢) (مسند أحمد): ٤/ ٥٣٥ - ٥٣٦، حديث أبى عبيد رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ، حديث رقم (١٥٥٣٧): حدثنا عبد الله، حدثنى أبى، حدثنا عفان، حدثنا أبان العطار، حدثنا قتادة، عن شهر بن حوشب، عن أبى عبيد «أنه طبخ لرسول الله ﷺ قدرًا فيه لحم، فقال رسول الله ناولنى ذراعها، فناولته، فقال: ناولنى ذراعها، فناولته، فقاله: ناولنى ذراعها، فقال: يا نبى الله: كم للشاة من ذراع؟ قال: والذى نفسى بيده لو سكت لأعطتك ذراعًا ما دعوت»، (سنن الدارمى): ١/ ٢٢، باب ما أكرم به النبى ﷺ فى بركة طعامه، (دلائل أبى نعيم): ٢/ ٤٣٦، ذكر الأخبار التى أخرجتها أسلافنا فى جملة دلائله ﷺ؛ قصة أذرع وأكتاف الشاة، حديث رقم (٣٤٦)، (الشمائل المحمدية): ١٤١، حديث رقم (١٧٠)، وقال فى هامشه: وفى سنده ضعف، فرجاله ثقات، غير شُهر بن حوشب فهو ضعيف، وقال عنه الحافظ: «صدوق كثير الإرسال والأوهام، وللحديث شواهد لصحة هذه القصة إن شاء الله تعالى، وأبو عبيد هو مولى رسول الله ﷺ، (الاستيعاب): ٤/ ١٧٠٩، ترجمة رقم (٣٠٧٦)، (الإصابة): ٧/ ٢٦٩، ترجمة رقم (١٠٢٢٤).

(٣) قال فى (الاستيعاب): أبو عسيب مولى رسول الله ﷺ، له صحبة ورواية، أسند عن رسول الله ﷺ حديثين: أحدهما فى الحمى والطاعون.

روى عنه مسلم بن عبيد أبو نصيرة، وقال القاسم بن حمزة: رأيت أبا عَسيب خادم رسول الله ﷺ يخضب لحيته ورأسه. قيل: اسم أبى عسيب: أحمر.

وقال الحافظ فى (الإصابة): أبو عَسيب مولى رسول الله ﷺ، مشهور بكنيته، وقد تقدم ذكر من قال فى أحمر أنه اسمه وذكر من قال إنه سفينة مولى أم سلمة، والراجح أنه غيره.

وأخرج حديثه أحمد، والحارث بن أبى أسامة، والطبرانى، والحاكم أبو أحمد، من طريق يزيد بن هارون، عن مسلم بن عبيد، عنه فى الحمى والطاعون. ووقع عند الحاكم، عن مسلم بن عبيدة، عن أبى بصير بإثبات الهاء فى عبيدة، دون بصير، والأول الصواب.

وأخرج له ابن منده حديثًا آخر من رواية حشرج بن نباتة، عن أبى بصير، وإسناده حسن.

جلجل(١) فإذا حركه جاءت إليه ابنته ميمونة(٢).

وذكـوان، مـولى النبى ﷺ، حـديثـه عند عطاء بن السـائب، عن بعض بنات علىّ، عن طهمان أو ذكوان –على الشك– [مولى رسول الله ﷺ، أنه حدثها قال: قال لى رسول الله ﷺ... الحديث](٣).

---

(١) الجلجل: الجرس ونحوه.

(٢) ميمونة بنت أبى عَسيب، ويقال: عنبسة؛ جزم بالأول أبو نعيم، وبالثانى أبو عمر، فقال: ميمونة بنت أبى عنبسة، مولاة النبى ﷺ، روت عنه فى الدعاء.

وقال ابن منده: ميمونة بنت عنبسة، ويقال: بنت أبى عنبسة، مولاة النبى ﷺ، روى حديثها مشجع ابن مصعب، عن ربيعة بن يزيد، عن منبه، عن ميمونة بنت أبى عنبسة، أن امرأة من حريش أتت النبى ﷺ فقالت: يا عائشة: أغيثينى بدعوة من رسول الله ﷺ تطمننى، فقال: ضعى يدك اليمين على فؤادك فامسحيه، وقولى: اللهم داونى بدوائك، واشفنى بشفائك، وأغثنى بفضلك عمن سواك.

قال ربيعة: فدعوت به فوجدته جيداً، ووصله أبو نعيم من هذا الوجه، وقال: ميمونة بنت أبى عسيب. (الاستيعاب): ٤/ ١٧١٥، ترجمة رقم (٣٠٩٢)، ٤/ ١٩١٩، ترجمة رقم (٤١٠٢)، (الإصابة): ٧/ ٢٧٥، ترجمة رقم (١٠٢٤٧)، ٨/ ١٣٢ – ١٣٣، ترجمة رقم (١١٧٨٥).

(٣) قال: قال لى رسول الله ﷺ: يا ذكوان، أو يا طهمان – شكّ المحدث– إن الصدقة لا تحل لى ولا لأهل بيتى، وإن مولى القوم من أنفسهم.

وروى البغوى، والطبرانى من طريق شريك عن عطاء بن السائب، قال: أوصى أبى بشىء لبنى هاشم، فجئتُ أبا جعفر، فبعثنى إلى امرأة عجوز – وهى بنت على – فقالت: حدثنى مولى لرسول الله ﷺ يقال له: طهمان، أو ذكوان، قال: قال لى رسول الله ﷺ: لا تحل الصدقة لى ولا لأهل بيتى.

قال البغوى: وروى عن شريك، قال: مهران، وقيل: ميمون، وقيل: باذام، ولا أدرى أيهما الصواب.

قال الحافظ فى (الإصابة): وقيل فيه أيضاً: هومز، وقيل: كيسان، وهى رواية جرير عن عطاء، وقيل: مهران، وهو أصحها، فإنها رواية سفيان الثورى عن عطاء بن السائب فى هذا الحديث. (الاستيعاب): ٢/ ٤٦٧، ترجمة رقم (٧١٢)، (الإصابة): ٢/ ٤٠٦ – ٤٠٧، ترجمة رقم (٢٤٤١)، (الثقات): ٣/ ١٢١، وما بين الحاصرتين تصويب من (الاستيعاب).

[و] زيد، مولى رسول الله ﷺ حديثه فى الاستغفار(١)، يرويه عنه ابنه يسار بن زيد، خرّجه أبو داود والترمذى، ويروى عن يسار بن زيد ابنه بلال(٢).

وزيد بن بَوْلا، [مولى رسول الله ﷺ](٣).

وسابق، خادم النبى ﷺ، عدَّه ابن عساكر فى الموالى، وقال ابن عبد البر: روى عنه حديث واحد من حديث الكوفيين، اختلف فيه شعبة ومسعر، والصحيح فيه عنهما ما رواه هيثم وغيره، عن أبى عقيل عن سابق ابن ناجيه، عن أبى سلام خادم النبى ﷺ(٤).

قال: ولا يصح سابق فى الصحابة، قلت: هذا الحديث الذى ذكره أبو عمر بن عبد البرّ، خرّجه أبو داود، وابن ماجة، والنسائى فى (عمل اليوم والليلة): من قال حين يصبح ويمسى ثلاثا: رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًا، كان حقًا على الله أن يُرضيه يوم القيامة. رواه هاشم بن بلال

(١) فى (خ): «الاستسقاء»، وما أثبتناه من (الاستيعاب).

(٢) زيد أبو يسار، مولى النبى ﷺ، سمع النبى ﷺ فى الاستغفار، روى حديثه ابنه يسار بن زيد، وليسار بن زيد ابن يسمى بلالاً، روى عن أبيه يسار، عن جده زيد، أنه سمع النبى ﷺ يقول: من قال استغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه غُفر له.

قال البخارى: حدثنا موسى بن إسماعيل، قال: حدثنا حفص بن عمر الشّنى، حدثنى أبى، عن عمرو بن مرة، سمعتُ بلال بن يسار، (الاستيعاب): ٢/ ٥٥٩ - ٥٦٠، ترجمة رقم (٨٦٣).

(٣) زيد بن بَوْلا مولى رسول الله ﷺ، أبو يسار، له حديث عند أبى داود والترمذى، من رواية ولده بلال ابن يسار بن زيد: حدثنى أبى عن جدى، ذكر أبو موسى أن اسم أبيه بَوْلا -بالموحدة- وقال غيره: اسمه زيد. وقال ابن شاهين: كان نوبيًا، أصابه النبى ﷺ فى غزوة بنى ثعلبه، فاعتقه. (الإصابة): ٢/ ٥٩٢، ترجمة رقم (٢٨٨١ ز)، ٦٢٥، ترجمة رقم (٢٩٤٩).

(٤) له ترجمة فى: (الثقات): ٦/ ٤٣٣، (تهذيب التهذيب): ٣/ ٣٧٢، ترجمة رقم (٧٩٧)، (الاستيعاب): ٢/ ٦٨٢، ترجمة رقم (١١٢٨)، (الإصابة): ٣/ ٢٧٤، ترجمة رقم (٣٧٣٢).

قاضي واسط، عن سابق بن ناجية عن أبي سلام[1].

وسلمان الفارسي، أبو عبد الله، يقال: مولى رسول الله ﷺ، ويعرف بسلمان الخير، أصله من فارس، ثم من رام هرمز[2] من قرية يقال لها:

---

(١) (جامع الأصول): ٤/ ٢٤٣ - ٢٤٤، حديث رقم (٢٢٢٥) ولفظه:

قال: قلت لأنس حدثني حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ، قال: سمعته يقول: «من قال إذا أصبح وإذا أمسى: رضينا بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ رسولاً، كان حقًا على الله ان يُرضيه يوم القيامة. [هذه الرواية أخرجها رزين كما قال المصنف، ورواها بنحوها ابن ماجة رقم (٣٨٧٠) في الدعاء، باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى، من حديث مسعر عن أبي عقيل، عن سابق عن أبي سلام خادم النبي ﷺ، عن النبي ﷺ، بلفظ ما من مسلم أو إنسان أو عبد يقول حين يمسي وحين يصبح: رضيتُ بالله ربا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ نبيًا، إلا كان حقًا على الله ان يرضيه يوم القيامة، وهو حديث حسن].

وفي رواية: انه كان بحمص، فمر به رجل، فقالوا: هذا خادم النبي ﷺ، فقام إليه فقال: حدثني بحديث سمعته من رسول الله ﷺ، لم تتداوله بينك وبينه رجال، فقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:... وذكر الحديث، ولم يذكر يوم القيامة. اخرج الرواية الثانية أبو داود، والأولى رزين. [رواه أبو داود رقم (٥٠٧٢) في الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، وفي سنده سابق بن ناجية، لم يوثقه غير ابن حبان، ولكن يشهد له حديث ثوبان الذي بعده، فهو به حسن، ورواه أيضا النسائي، وابن أبي شيبة في (المصنف): ٦/ ٣٦، حديث رقم (٢٩٢٧٢)، والحاكم في (المستدرك): ١/ ٥١٨، حديث رقم (١٩٠٥/ ١٠٥)، وغيرهم.

قوله: «لم تتداوله»، التداول: الاستعمال والمباشرة، والمراد: لم تأخذه عن أحد، وإنما ترويه أنت عن رسول الله ﷺ.

(٢) رام بالفارسية: المراد والمقصود، وهرمز: احد الأكاسرة، فكأن هذه اللفظة مركبة: معناها: مقصود هرمز، أو مراد هرمز، وقال حمزة: رامهرمز اسم مختصر من رامهرمز أردشير، وهي مدينة مشهورة بنواحي خوزستان، والعامة يسمونها رامز، كسلاً منهم عن تتمة اللفظة بكمالها واختصارها، ورامهرمز من بين مدن خوزستان تجمع النخل والجوز والأترج، وليس ذلك يجتمع بغيرها من مدن خوزستان، [وردت في حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه، يقول: أنا من رام هرمز]. (معجم البلدان): ٣/ ١٩، موضع رقم (٥٣١٥).

جَيّ[1]، وقيل من أصبهان[2]، وكـان إذا قـيل له: ابن من أنت؟ قـال: أنا سلمان ابن الإسلام، من بني آدم.

وله خبر طويل في إسلامه، حاصله أنه كان يطلب دين الله، ويتبع من يرجو ذلك عنده، فدان بالنصرانية وغيرها، وقرأ الكتب، وصبر في ذلك على مشقات نالتْهُ، وتداوله في ذلك بضعة عشر رتًّا[3]، من رتٍ[3] إلى رتٍ[3] حتى أفضى إلى النبي عليه السلام، فاشتراه من قومٍ يهود.

روى ابن عبد البر من طريق علي بن المديني، حدثنا زيد بن الحباب، حدثني حسين بن واقد، حدثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه: أن سلمان أتى رسول الله ﷺ بصدقة فقال: هذه صدقة عليك وعلى أصحابك، فقال رسول الله ﷺ: يا سلمان! إنَّا لا تحل لنا الصدقة، فدفعها، ثم جاءه من الغد بمثلها فقال: هذه هدية لك، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: كلوا.

ثم اشترى رسول الله ﷺ سلمان بكذا وكذا درهمًا من يهود على أن يغرس لهم كذا وكذا من النخل يقوم عليه حتى يدرك، قال: فغرس رسول الله ﷺ النخل كله إلا نخلةً غرسها عمر، فأطعم النخل كله إلا النخلة التي غرس عمر، فقال رسول الله ﷺ: من غرس هذه النخلة؟ قالوا: عمر، قال: فقطعها، وغرسها رسول الله ﷺ فأطعمت من عامها.

---

(١) جَيّ بالفتح ثم التشديد: اسم مدينة ناحية أصبهان القديمة، (المرجع السابق): ٢/ ٢٣٥، موضع رقم (٣٤٢٥).

(٢) أصبهان: مدينة عظيمة مشهورة، من أعلام المدن وأعيانها، ويسرفون في وصف عظمها حتى يتجاوزوا حدّ الاقتصاد إلى غاية الإسراف (المرجع السابق): ١/ ٢٤٤، موضع رقم (٧٢٩).

(٣) الرَّتُ: الرئيس من الرجال في الشرف والعطاء، وجمعه رُتُوتٌ، وهؤلاء رُتوتُ البلد. (لسان العرب): ٢/ ٣٤.

وصحح الحاكم أن أبا بكر [رضى الله عنه] اشترى سلمان فأعتقه، وشهد سلمان الخندق وما بعدها، وعمل لعمر رضى الله عنه على المدائن، وتوفى سنة خمس وثلاثين، وقيل أول سنة ست وثلاثين، وكان يعمل الحوض بيده، ويعيش منه ويتصدق بعطائه، وكان خيّرا، فاضلاً، عالمًا، زاهدًا، متعففًا، ولا يقبل من أحد شيئًا، وفضائله كثيرة، رضى الله عنه[١].

وجبر، [مولى رسول الله ﷺ] قال الواقدى: وحدثنى شيخ من خزاعة، عن جابر بن عبد الله قال: كان لبنى عبد الدار غلام يقال له: جبر، وكان يهوديًا، فسمع رسول الله ﷺ بمكة قبل الهجرة، يقرأ سورة يوسف [عليه السلام]، فعرف الذى ذكر فى ذلك، فاطمأن إلى النبى ﷺ فأسلم، وأخبر أهله بإسلامه، فعذبوه أشد العذاب حتى قال لهم الذى يريدون، فلما فتح رسول الله ﷺ مكة، جاء إلى النبى ﷺ فشكا إليه، فأعطاه ثمنه فاشترى نفسه، فأعتق واستغنى، ونكح امرأة يقال لها شرف[٢].

* * *

---

(١) له ترجمة فى: (الاستيعاب): ٢/ ٦٣٤ – ٦٣٨، ترجمة رقم (١٠١٤)، (الإصابة): ٣/ ١٤١ – ١٤٢، ترجمة رقم (٣٣٥٩)، (سيرة ابن هشام): ١/ ١٩٢، ٢/ ٤١ – ٤٢، ٤٤، ٤٥ – ٤٩، ٣/ ٣٨، ٤/ ١٧٦، ١٨٢، (المستدرك): ٣/ ٦٩١ – ٦٩٩.

(٢) فى (الاستيعاب): «وتزوج امرأة ذات شرف فى بنى عامر» وحكى مقاتل بن حبان فى تفسيره أنه احد من نزل فيه: ﴿**إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان**﴾ [النحل: ١٠٦] وقوله تعالى: ﴿**وجعلنا بعضكم لبعض فتنة**﴾ [الفرقان: ٣٠]. ترجمته فى (الاستيعاب): ٤٥٢ – ٤٥٣، ترجمة رقم (١٠٧ ز).

فصل فى ذكر إماء رسول الله ﷺ

وأما الإماء :

فأم أيمن، بركة، قيل: كانت من الحبشة الذين قدموا لهدم البيت [الحرام]، وقيل: هى بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصين بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان، وتعرف بأم الظّباء.

ورثها رسول الله ﷺ من أبيه، وخمسة أباعر، وقطيع غنم، فأعتقها لما تزوج خديجة [رضى الله عنها]، ويقال: بل كانت مولاة أبيه فورث ولاءها، ويقال: كانت لأمّه فورثها منها فأعتقها، وقيل: كانت لأمه فأعتقها، وكانت تحضن النبى عليه السلام، وتقوم عليه، وتلطف به بعد وفاة أمه.

وقال لها [جده عبد المطلب]: يا بركة، لا تغفلى عن ابنى، فإنى وجدته مع غلمان قريب من السدرة، وأن أهل الكتاب يزعمون أنه نبي هذه الأمه.

وتزوجت فى الجاهلية بمكة عبيد بن عمرو بن بلال بن أبى الجرباء بن قيس بن مالك بن ثعلبة بن جشم بن مالك بن سالم، وهو الحُبْلىّ بن غنم ابن عوف بن الخزرج، فنقلها إلى يثرب، فولدت له أيمن بن عبيد، فكنيت به وغلبت عليها كنيتها.

ومات عنها عبيد فرجعت إلى مكة، فكانت فارغة لم تتزوج بعد، فلما ملك رسول الله ﷺ زيد بن حارثة، وبلغ زوّجها إياه فولدت له أسامة ابن زيد، وهى ممن هاجر الهجرتين، وكان رسول الله ﷺ يقول: أم أيمن أمى بعد أمى، ويقول: هذه بقية أهل بيتى، وكان يزورها، وكان أبو بكر وعمر رضى الله عنهما يزورانها، كما كان عليه السلام يزورها، وشربت

بوله عليه السلام.

توفّيت بعد وفاة رسول الله ﷺ بخمسة أشهر، وقيل: توفيت بعد عمر رضى الله عنه، فى زمن عثمان رضى الله عنه، ولها فضائل مرويّة(١).

وخضرة، ذكرها البلاذرى في الإماء اللاتى أعتقهن رسول الله ﷺ، وذكرها أيضًا ابن منده(٢).

وأميمة، [خادم النبى ﷺ](٣).

ورزينة، خادم النبى ﷺ حديثها فى فضل يوم عاشوراء، وقد قيل: إنها لصفية بنت حُيى، روى حديثها أبو يعلى فى مسنده(٤).

(١) لها ترجمة فى : (اعلام النساء): ١/١٢٧-١٢٨، (الاستيعاب): ٤/ ١٧٩٣ - ١٧٩٥، ترجمة رقم (٣٢٥٢)، (الإصابة): ٨/١٦٩ - ١٧٣، ترجمة رقم (١١٨٩٨)، (جمهرة أنساب العرب): ٣٥٥، (مسند احمد): ٦/ ٤٢١، (طبقات ابن سعد): ٨/ ٢٢٣ - ٢٢٧، (طبقات خليفة): ٣٣١، (المعارف): ١٤٤، ١٤٥، ١٥٠، ١٦٤، ٢٣٩، (الجرح والتعديل): ٩/٤٦١، (المستدرك): ٤/٦٣-٦٤، (تهذيب التهذيب): ١٢/ ٤٨٦، (خلاصة تذهيب الكمال): ٣/٣٩٦، (شذرات الذهب): ١/١٥.

(٢) (الإصابة): ٧/٦٠٩، ترجمة رقم (١١٠٩٥)، (صفة الصفوة): ١/٧٨، وقال الحافظ فى (الإصابة): وذكرها البلاذرى أيضًا، ولها ذكر فى تفسير سورة التحريم من كتاب ابن مردويه.

(٣) قال ابو عمر فى (الاستيعاب): خدمت رسول الله ﷺ، وحديثها عند اهل الشام، وقال الحافظ فى (الإصابة): روى عنها جبير بن نفير الحضرمى، لها ترجمة فى : (الاستيعاب): ٤/١٧٩١، (الإصابة): ٧/٥١٦، ترجمة رقم (١٠٨٦٨)، (صفة الصفوة): ١/٧٨، (أعلام النساء): ١/٩٤، (عيون الأثر): ٢/٣١٤.

(٤) رزينة - بفتح أولها، وقيل: بالتصغير، وقيل: بتقديم الزاى على الراء، مولاة صفية زوج النبى ﷺ، وهى أيضًا خادم رسول الله ﷺ، قال ابو عمر فى (الاستيعاب): حديثها عند البصريين فى يوم عاشوراء، قال الحافظ فى (الإصابة): أخرجه ابن أبى عاصم، وابن منده، من طريق عليلة - بمهملة مصغرة - بنت الكميت، حدثتنى امى امينة، عن امة الله بنت رزينة، قالت: سالت امي رزينة: ما كان رسول الله ﷺ يقول فى صوم عاشوراء؟ قالت: إنه كان ليصومه ويامرنا بصيامه. لفظ ابن منده. لها ترجمة فى : (الاستيعاب): ٤/١٨٣٨، ترجمة رقم (٣٣٣٩)، (الإصابة): ٧/٦٤٤، ترجمة رقم (١١١٧٠)، (اعلام النساء): ١/٤٤٧.

ورضوى، ذكرها الواقدى فى الموالي النبوية(١).

وروضة، [خادم النبى ﷺ](٢).

وربيحة، ذكرها البلاذرى فيمن أعتقهن النبى ﷺ(٣).

وسملى، أم رافع، مولاة صفية بنت عبد المطلب، يقال لها: مولاة رسول الله [ﷺ]، وهى امرأة أبى رافع المذكور فى الموالى، وهى التى قَبلت فاطمة ابنة رسول الله ﷺ [فى ولادتها]، وكانت تَقبَلُ خديجة رضي الله عنها في ولادتها إذا ولدت من النبى ﷺ، وهى [التى] قبلت مارية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، وكانت قابلة فاطمة الزهراء عليها السلام فى الحسن والحسين ومحسن وزينب وأم كلثوم رضي الله عنهم، وهى التى غسَّلتها أيضا مع علىّ ومع أسماء بنت عميس رضى الله عنهم، وشهدت خيبر، حديثها فى مسند أبى يعلى(٤).

---

(١) لها ترجمة فى: (الإصابة): ٧/٦٠٩، ترجمة رقم (١١٠٩٥)، ٦٤٥، ترجمة رقم (١١١٧٢)، (صفة الصفوة): ١/٧٨، (عيون الأثر): ٢/٣١٤، (تاريخ الخميس): ٢/١٨٠، (الوافى): ١/٨٧.

(٢) ذكرها محمد بن هارون الرويانى فى مسنده، من طريق سفيان الثورى، عن رجل، عن كريب، عن ابن عباس، قال: كان للنبى ﷺ جارية اسمها روضة وأورد الحافظ فى (الإصابة) روضة أخرى، ثم قال: ذكرها الطبرى فى (التفسير)، فى تفسير سورة النور، عند قوله تعالى: ﴿**لا تدخلوا بيوتًا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها**﴾ [النور: ٢٧]، فاخرج من طريق هيثم، اخبرنا منصور، عن ابن سيرين، ويونس بن عبيد، عن عمر بن سعيد الثقفى، أن رجلاً استاذن على النبى ﷺ فقال: األج؟ فقال النبى ﷺ لامة له يقال لها روضة: قومي إلى هذا فعلميه، فإنه لا يحسن يستاذن، فقولى له: يقول: السلام عليكم، اادخل؟ فسمعها الرجل فقالها، فقال: ادخل. (الإصابة): ٧/٦٥٧ – ٦٥٨، ترجمة رقم (١١١٩٥)، (١١١٩٦).

(٣) رُبَيْحة، بالتصغير والمهملة، مولاة رسول الله ﷺ، ذكرها ابن سعد فى (الطبقات)، والحافظ ابن حجر فى (الإصابة): ٧/٦٤٠، ترجمة رقم (١١١٦٣)، (عيون الأثر): ٢/٣١٤.

(٤) ذكرها الحافظ فى (الإصابة) ثم قال: وفى الترمذى من طريق فائد مولى ابى رافع، عن على بن =

وسيرين، أخت مارية القبطية، أهداهما جميعا المقوقس من مصر إلى رسول الله ﷺ، فاتخذ مارية لنفسه، وأقامت عنده سيرين، حتي كانت غزاة المريسيع، وقال عبد الله بن أُبَيّ بن سلول ما قال، وذكر جعيل بن سراقة وجهجاه ما قالا، وكانا من فقراء المهاجرين.

قال ابن أُبَيّ: ومثل هذين يكثر على قومى، وقد أنزلنا محمداً فى ذروة كنانة وعزها، والله لقد كان جعيل يرضى أن يسكت فلا يتكلم، فصار اليوم يتكلم.

وقال ابن أُبَيّ فى صفوان بن معطل، ورماه بما رماه به من الإفك، فقال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

أمسى الجلاليب قد راعوا وقد كثُروا(١)

وابن الفريعة أمسى بيضة البلد

= عبيد الله بن أبى رافع، عن جدته، وكانت تخدم النبى ﷺ، قالت: ما كان يكون برسول الله ﷺ، قرحة [ولا نكبة] إلا أمرنى [رسول الله ﷺ] ان أضع عليها الحناء.

(الإصابة): ٧/٧٠٩ - ٧١٠، (سنن الترمذى): ٤/٣٤٣، كتاب الطب، باب (١٣) ما جاء فى التداوى بالحناء، حديث رقم (٢٠٥٤)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، إنما نعرفه من حديث فائد، وروى بعضهم هذا الحديث عن فائد، وقال: عن عبيد الله بن على عن جدته سلمى، وعبيد الله بن على أصحّ، ويقال: سلمى، لها ترجمة فى: (الوافى): ١/٨٧، (المواهب اللدنية): ٢/١٢٤، (تاريخ الخميس): ٢/١٨٠، (صفة الصفوة): ١/٧٨، (عيون الأثر): ٢/٣١٤، (تهذيب التهذيب): ١٢/٤٥٤، ترجمة رقم (٢٨١٥)، (أعلام النساء): ٢/٢٥٤، (الاستيعاب): ٤/١٨٦٢ - ١٨٦٣، ترجمة رقم (٣٣٨٣)، (الإصابة): ٧/٧٠٩ - ٧١٠، ترجمة رقم (١١٣٢٥).

(١) فى (ديوان حسان):

أمسى الخلابيس قد عزّوا وقد كثروا وابن الفريعة أمسى بيضة البلد

الخلابيس: الذين يأتون من ها هنا ومن ها هنا، ولم يعرف لها واحد، وكان المنافقون يسمون المهاجرين بالجلاليب، ويعنى حسان بأنه أمسى بيضة البلد، أنه أصبح كبيضة النعامة حين تتركها بالفلاة ولا تحتضنها. (الديوان): ١٦٠.

فلما قدموا المدينة جاء صفوان بن معطل إلى جعيل بن سراقة فقال: انطلق بنا نضرب حسان، فوالله ما أراد غيرك وغيرى، ولنحن أقرب إلى رسول الله منه، فأبى جعيل أن يذهب وقال: لا أفعل إلا أن يأمرنى رسول الله [ﷺ] ولا تفعل أنت حتى تؤامر رسول الله [ﷺ] فى ذلك.

فأبى صفوان عليه، فخرج مصلتًا السيف حتى ضرب حسان بن ثابت فى نادى قومه، فوثبت الأنصار إليه، فأوثقوه رباطًا، وكان الذى ولى ذلك منه ثابت بن قيس بن شماس، فأسره أسرًا قبيحًا، فمر بهم عمارة بن حزم فقال: ما تصنعون؟ أمرًا من أمر رسول الله ورضاه؟ أم من أمر فعلتموه؟ قالوا: ما علم به رسول الله [ﷺ]، قال: لقد اجترأت، خلّ عنه، ثم جاء به، وأشارت إلى رسول الله ﷺ يسوقهما، فقال حسان: يا رسول الله! شهر عليَّ السيف فى نادي قومى، ثم ضربنى لأن أموت، ولا أرانى إلا ميّتًا من جراحتى، فاقبل رسول الله ﷺ، علي صفوان فقال: ولم ضربتَه وحملت السلاح عليه؟ وغيَّظ عليه، فقال: يا رسول الله! آذانى وهجانى، وسفَّه عليّ، وحسدنى على الإسلام.

ثم أقبل حسان فقال: أسفهت على قوم أسلموا، ثم قال: احبسوا صفوان، فإن مات حسان فاقتلوه به، فخرجوا بصفوان، فبلغ سعد بن عبادة رضي الله عنه ما صنع بصفوان، فخرج إلى قومه من الخزرج حتى أتاهم فقال: عهدتم إلى رجل من قوم رسول الله [ﷺ] تؤذونه، وتهجونه بالشعر وتشتمونه، فغضب لما قيل له، ثم أسرتموه أقبح الأسر، ورسول الله [ﷺ] بين أظهركم؟ قالوا: فإن رسول الله [ﷺ] أمرنا بحبسه وقال: إن مات صاحبكم فاقلتوه، قال: والله إن أحب إلى رسول [ﷺ] للعفو، ولكن رسول الله [ﷺ] قد قضى لكم بالحق، وإن رسول الله [ﷺ] ليحب أن يترك صفوان، والله لا أبرح حتى يطلق.

فقال حسان: ما كان لى من حق فهو لك يا أبا ثابت، وأبى قومه، فغضب قيس ابنه غضبًا شديدًا وقال: عجبًا لكم! ما رأيتُ كاليوم أن حسان قد ترك حقه، وتأبون أنتم، ما ظننتُ أن أحداً من الخزرج يردّ أبا ثابت فى أمر يهواه، فاستحيا القوم وأطلقوه من الوثاق.

فذهب به سعد إلى بيته فكساه حلة، ثم خرج صفوان حتى دخل المسجد ليصلى فيه، فرآه رسول الله ﷺ، فقال: صفوان؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: من كساه؟ قالوا: سعد بن عبادة، قال: كساه الله من ثياب الجنة، ثم كلَّم سعد بن عبادة حسان بن ثابت، فقال: لا أكلمك أبداً إن لم تذهب إلى رسول الله [ﷺ] فتقول كل حق لى قبل صفوان فهو لك يا رسول الله، فأقبل حسان في قومه حتى وقف بين يدى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! كل حق لى قبل صفوان بن معطل فهو لك، قال: قد أحسنت وقبلتُ ذلك، وأعطاه رسول الله ﷺ أرضًا براحًا، وهى بيرحاء وما حولها، وسيرين، وأعطاه سعد بن عبادة حائطًا كان يجُدّ مالاً كثيراً عوضًا له مما عفا عن حقه.

وقد روى أن حسان حبس صفوان، فلما بَرأ حسان أرسل رسول الله ﷺ إليه فقال: يا حسان، أحسن فيما أصابك، فقال: هو لك يا رسول الله، فأعطاه براحًا، وأعطاه سيرين عوضًا، فولدت له عبد الرحمن ابن سيرين.

وقال ابن سعد: أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا فائد مولى عبد الله، عن عبد الله بن على بن أبى رافع، عن جدته سُلمى، قالت: كان خدم رسول الله ﷺ: أنا، وخضرة، ورضوى، وميمونة بنت سعد، أعتقهن رسول الله [ﷺ] كلهن(١).

---

(١) لها ترجمة فى: (مغازى الواقدى): ٢/٤٣٦-٤٣٨، (الإصابة): ٧/٧٢٢ - ٧٢٣، ترجمة =

وميمونة، بنت أبى عنبسة بن سعيد، مولاة النبي ﷺ، روت عن النبى ﷺ في الدعاء، قاله ابن عبد البر(١)، ولها في مسند الإمام أحمد حديث:

= رقم (١١٣٦٠)، (الإصابة): ٧/٧٢٢ - ٧٢٣، ترجمة رقم (١١٣٦٠)، (الاستيعاب): ٤/١٨٦٨، ترجمة رقم (٣٣٩٦)، (أعلام النساء): ٢/٢٧٨، (عيون الأثر): ٢/٣١٤، (سيرة ابن هشام): ٤/٢٧٢.

(١) قال ابن عبد البر فى (الاستيعاب) بعد ذكر ميمونة بنت الحارث الهلالية زوج النبى ﷺ - : ميمونة أخرى مولاة رسول الله ﷺ، حديثها عند أهل الشام فى فضل بيت المقدس، إن أشد عذاب القبر فى الغيبة والبول. روى عنها زياد بن أبى سودة، والقاسم بن عبد الرحمن. (ترجمة رقم (٤١٠٠).

ثم قال: ميمونة بنت سعد، مولاة النبى ﷺ، روى عنها أبو يزيد الضبى، أيوب بن أبى خالد حديثا مرفوعًا فى قبلة الصائم، وعتق ولد الزنا، حديث ليس بالقوى ترجم رقم (٤١٠١).

ثم قال: ميمونة بنت أبى عنبسة [أو أبى عسيب]، مولاة النبى ﷺ، روت عن النبى ﷺ فى الدعاء. ترجمة رقم (٤١٠٢).

قال الحافظ فى (الإصابة): ميمونة بنت سعد، ويقال: سعيد، كانت تخدم النبى ﷺ، وروت عنه، وروى عنها زياد، وعثمان ابنا أبى سودة، وهلال بن أبى هلال، وأبو يزيد الضبى، وآمنة بنت عمر بن عبد العزيز، وأيوب بن خالد بن صفوان، وطارق بن عبد الرحمن، وغيرهم.

روى لها أصحاب السنن الأربعة، مما أخرج لها بعضهم ما رواه معاوية بن صالح، عن زياد بن أبى سودة، عن ميمونة، وليست زوج النبى ﷺ، أنها قالت: يا رسول الله، أفتنا عن بيت المقدس، قال: أرض المحشر والمنشر ائتوه فصلوا فيه.... الحديث.

ثم قال الحافظ: قد صرح زياد بن أبى سودة بأن التى روى عنها ميمونة بنت سعد، فالظاهر أنهما واحدة، وسبق ابن عبد البر إلى التفرقة بينهما، أبو على بن السكن، فقال: ميمونة بنت سعد، مولاة النبى ﷺ، رُويت عنها أحاديث، ثم ساق من طريق عكرمة بن عمار، عن طارق بن القاسم، عن ميمونة مولاة رسول الله ﷺ، أن رسول الله ﷺ، قال: يا ميمونة، تعوذى بالله من عذاب القبر، قالت: وإنه لحق؟ قال: نعم، والغيبة والبول، من طريق أبى يزيد الضبى، عن ميمونة مولاة النبى ﷺ، قالت: سُئل النبى ﷺ، عن ولد الزنا، فقال: لا خير فيه... الحديث.

قال: وهذا أخرجه الزهرى من هذا الوجه، ومن طريق أيوب بن خالد، عن ميمونة بنت سعد، خادم النبى ﷺ، قالت: قال رسول الله ﷺ: مثل الرافلة [المتبخترة] فى الزينة [فى غير أهلها] كمثل الظلمة لا نور فيها، ثم قال: ميمونة مولاة رسول الله ﷺ.

سئل رسول الله ﷺ عن ولد الزنا فقال: لا خير فيه، نعلان أجاهد بهما[١] في سبيل الله أحب إلي من أن أعتق ولد الزنا[٢].

وحديث: يا نبي الله! أفتنا في بيت[٣] المقدس، قال: أرض المنشر والمحشر [إئتوه][٤] فصلوا فيه، فإن صلاة فيه كألف صلاة، [فيما سواه[٤]] قالت: أرأيت من لم يطق أن يتحمل إليه أو يأتيه؟ قال: فيهد إليه زيتاً يسرج فيه، فإن من أهدى له كان كمن صلى فيه[٥].

ولها أيضا حديث: الرافلة في الزينة في غير أهلها، كانت كالظلمة يوم القيامة، لا نور لها[٦].

وأم ضميرة، تقدم لها ذكر في خبر ابنها ضميرة، وأنهما [أعتقهما][٧].

وأم عيَّاش، كانت تخدم النبي ﷺ، وبعث بها مع ابنته رقية لما تزوجها عثمان رضي الله عنهما. قالت: كنت أَمغثُ لعثمان التمر غُدوة فيشربه

---

(١) في (خ): «أهديهما»، وما أثبتناه من (المسند).

(٢) (مسند أحمد): ٦/٤٦٣، حديث ميمونة بنت سعد، الحديث رقم (٢٧٠٧٧).

(٣) في (خ): «أرض المقدس»، وما أثبتناه من (المسند).

(٤) زيادة للسياق من (المسند).

(٥) (مسند أحمد): ٦/٤٦٣، حديث ميمونة بنت سعد، الحديث رقم (٢٧٠٧٩).

(٦) لها ترجمة في: (الإصابة): ٨/١٢٩ – ١٣١، ترجمة رقم (١١٧٨٠)، (١١٧٨١)، (الاستيعاب): ٤/١٩١٨ – ١٩١٩، ترجمة رقم (١٤٠١)، (١٤٠٢)، (١٤٠٣)، (الوافي): ١/٨٧، (تاريخ الخميس): ٢/١٨٠، (صفة الصفوة): ١/٨٧، (عيون الأثر): ٢/٣١٤، (تهذيب التهذيب): ٢١/٤٨١، ترجمة رقم (٢٨٩٩)، (أعلام النساء): ٥/١٤٠–١٤١، (ذيل تاريخ الطبري): ١١/٦٢١، (طبقات ابن سعد): ٨/٢٢٣، (خلاصة تذهيب الكمال): ٣/٣٩٣، ترجمة رقم (١٥٢)، (الثقات): ٣/٤٠٨.

(٧) (الإصابة): ٣/٤٩٥ – ٤٩٦، ترجمة رقم (٤٢٠٨ز)، (الاستيعاب): ٤/١٦٩٥، ترجمة رقم (٣٠٥١).

عشية، وأنبذه عشية فيشربه غدوة [فسألنى ذات يوم، فقال: تخلطين فيه شيئًا؟ قلت: أجل، قال فلا تعودى](١)، قال ابن عبد البر: روى عنها عنبسة بن سعيد، وحديثها منقطع الإسناد(٢).

وريحانة، تقدم ذكرها.

ونفيسة(٣)، وهبتها له زينب بنت جحش [رضى الله عنها] .

ومارية، جدة المثنى بن صالح بن مهران، لها حديث: صافحتُ رسول الله [ﷺ] فلم أر ألين من كفه.

ومارية، أم الرباب، تطأطأت للنبى عليه السلام حتى صعد حائطًا ليلة فرَّ من المشركين. عدَّها ابن عبد البرِّ من خدام النبي ﷺ ، وقال فى هذه: لا أدرى أهى الأولى قبلها أم لا؟(٤).

* * *

(١) ما بين الحاصرتين زيادة للسياق من الإصابة.

(٢) لها ترجمة فى: (الاستيعاب): ٤ /١٩٤٩، ترجمة رقم (٤١٩٢)، (الإصابة): ٨ / ٢٧١، ترجمة رقم (١٢١٩٠).

(٣) نفيسة، جارية زينب بنت جحش، وهبتها للنبى (ﷺ) لما رضى عليها، بعد أن كان غضب عليها وهجرها شهراً، سماها علىّ بن أحمد بن يوسف فى كتاب (أخبار النساء)، وأصل القصة عند أحمد ولم يُسمّها.

(الإصابة): ٨ /١٤٣، ترجمة رقم (١١٨١٩).

(٤) لها ترجمة فى: (المواهب اللدنية): ٢ / ١٢٤، (الوافى): ١ /٨٧، (تاريخ الخميس): ٢ / ١٨٠، (صفة الصفوة): ١ /٧٨، (عيون الأثر): ١ / ٣١٤، (أعلام النساء): ٥ / ١١، (الاستيعاب): ٤ / ١٩١١، ترجمة رقم (٤٠٩٠)، وهى التى قال فيها: لا أدرى أهى الأولي قبلها أم لا، ٤ /١٩١٣، ترجمة رقم (٤٠٩٢)، (الإصابة): ٨ /١١٣-١١٤، ترجمة رقم (١١٧٣٨)، (١١٧٣٩).

فصل فى ذكر خُدَّام رسول الله ﷺ

اعلم أنه كان لرسول الله ﷺ سوى مواليه جماعة يخدمونه، منهم:

أَنَس بن مالك(١)، والأسلع بن شريك الأعرجى(٢)، وأسماء بن حارثة الأسلمى أخو هند(٣)، ....

(١) سبق ان أشرنا إلى مصادر ترجمته.

(٢) قال ابن عبد البر فى (الاستيعاب) : أسلع بن شريك الاعوجى [بالواو] التيمي، خادم رسول الله ﷺ وصاحب راحلته، نزل البصرة، روى عنه زريق المالكى. ترجمة رقم (١٤٨)، ثم قال: اسلع بن الأسقع الاعرابى، له صحبة، روى عن النبى ﷺ فى التيمم: ضربةً للوجه وضربة لليدين إلى المرفقين. لا أعلم له غير هذا الحديث، ولم يرو عنه غير الربيع بن بدر المعروف بعليلة بن بدر عن أخيه فيما علمنا، وفيه وفى الذى قبله نظر. ترجمة رقم (١٤٩).

وقال الحافظ ابن حجر فى (الإصابة) : الأسلع الأعرجى [بالراء]، من بنى الأعرج بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، قال ابن السكن: حديثه فى البصريين، وفيه نظر.

وقال ابن حبان في (الثقات) : الأسلع السعدى رجل من بنى الأعرج بن كعب، يقال: إن له صحبة، ولكن فى إسناد خبره الربيع بن بدر، (الاستيعاب) : ١ / ١٣٩، ترجمة رقم (١٤٨)، (١٤٩)، (الإصابة) : ١ / ٥٨، ترجمة رقم (١٢٢)، (الثقات) : ٣ / ٢٠.

(٣) أسماء بن حارثة الأسلمى، يكنى أبا محمد، ينسبونه: أسماء بن حارثة بن هند بن عبد الله بن غياث بن سعد بن عمرو بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفصى الأسلمى، وهو أخو هند بن حارثة، وكانوا إخوة عدداً، وكان أسماء وهند من أهل الصفة. قال أبو هريرة: ما كنت أرى أسماء وهنداً ابنى حارثة إلا خادمين لرسول الله ﷺ من طول ملازمتهما بابه وخدمتهما إياه ﷺ. ذكره ابن عبد البر.

وفى (الإصابة) : أسماء بن حارثة بن سعيد بن عبد الله بن غياث بن سعد بن عمرو بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفصى الأسلمى.

قال ابن سعد عن الواقدى: مات أسماء سنة ست وستين بالبصرة، وهو بن ثمانين سنة، وكان من أهل الصفة. قال: وقال الواقدى: مات فى خلافة معاوية أيام زياد، وكان موت زياد سنة ثلاث وخمسين.

(الاستيعاب) : ١ / ٨٦ – ٨٧، ترجمة رقم (٣٨)، (الإصابة) : ١ / ٦٤، ترجمة رقم (١٣٧)، =

وبلال[1]، وبكير[2]، ويقال بكر بن شداخ، وذو مخمر[3]، وربيعة بن كعب بن مالك بن يعمر أبو فراس الأسلمى[4]، وسعد مولى أبى بكر رضى الله عنه[5]، وعبد الله بن مسعود[6]، وأبو حذيفة: اسمه أبو حذيفة المهاجر

= (طبقات ابن سعد): ١/٤٩٧، (المستدرك): ٣/٦٠٧ - ٦٠٨.

(١) بلال بن رباح، مؤذن رسول الله ﷺ، أمه حمامه، اشتراه أبو بكر الصديق من المشركين لما كانوا يعذبونه على التوحيد فاعتقه، فلزم النبى ﷺ وأذّن له، وشهد معه جميع المشاهد، وآخى النبى ﷺ بينه وبين أبى عبيدة بن الجراح. قال البخارى: مات بالشام زمن عمر. له ترجمة فى: (المستدرك): ٣/٣١٨-٣٢٣، كتاب معرفة الصحابة، ذكر بلال بن رباح، (الإصابة): ١/٣٢٦ - ٣٢٧، ترجمة رقم (٧٣٦)، (الاستيعاب): ١/١٧٨ - ١٨٢، ترجمة رقم (٢١٢)، (طبقات ابن سعد): ٣/٢٣٢ - ٢٣٩.

(٢) بكر بن الشداخ الليثى، ويقال له بُكير، روى ابن منده من طريق أبى بكر الهُذلى، عن عبد الملك بن يعلى الليثى، أن بكر بن الشداخ الليثى، كان ممن يخدم النبى ﷺ، وهو غلام. له ترجمة فى: (الإصابة): ١/٣٢٤، ترجمة رقم (٧٢٨).

(٣) ذو مِخْبَر ويقال: ذو مِخمر، وكان الأوزاعى يأبى فى اسمه إلا ذو مِخْمر - بالميمين - لا يرى غير ذلك، وهو ابن أخى النجاشىّ، وقد ذكره بعضهم فى موالى النبى ﷺ، له أحاديث عن النبى ﷺ، مخرجها عن أهل الشام، وهو معدود فيهم. له ترجمة فى (الاستيعاب): ٢/٤٧٥، ترجمة رقم (٧٢٣)، (الإصابة): ٢/٤١٧ - ٤١٨، ترجمة رقم (٢٤٧١).

(٤) روى مسلم حديثه من طريق أبى سلمة، عن ربيعة بن كعب قال: كنتُ أبيتُ على باب النبى ﷺ، وأعطيه الوضوء فأسمعه الهوى [الحين الطويل من الزمان وهو مختص بالليل] من الليل يقول: سمع الله لمن حمده، وكان من أهل الصفة، مات بالحرة سنة ثلاث وستين فى ذى الحجة. له ترجمة فى: (الإصابة): ٢/٤٧٤ - ٤٧٥، ترجمة رقم (٢٦٢٥)، (الاستيعاب): ٢/٤٩٤، ترجمة رقم (٧٦٥).

(٥) سعد مولى أبى بكر الصديق، ويقال: سعيد، والأول أشهر وأصح، روى حديثه ابن ماجة، وأشار إليه الترمذى، وهو من رواية الحسن البصرى عنه، أنه كان يخدم النبى ﷺ، فذكر الحديث فى قران التمر، له ترجمة فى: (الإصابة): ٣/٨٩، ترجمة رقم (٣٢٢٢)، (الاستيعاب): ٢/٦١٢، ترجمة رقم (٩٧٠).

(٦) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شَمخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث ابن تميم بن سعد بن هذيل بن مُدركة بن إلياس ابن مُضر بن نزار. الإمام الحبر فقيه الأمة، أبو عبد الرحمن الهذلى المكىّ المهاجرى البدرىّ، حليف بنى زُهرة. كان من السابقين الأولين، ومن النجباء العاملين، شهد بدراً، وهاجر الهجرتين، وكان يوم اليرموك على النفل، ومناقبه غزيرة، =

مولى أم سلمة رضى الله عنها، خدم رسول الله ﷺ سبع سنين، وشهد فتح مصر، واختطّ بها، وسكن طحا - من صعيد مصر - وبها مات سنة ستين، وقيل لم يشهد الفتح، وإنما قدمها مهاجر مولى أم سلمة[١]، وأبو السبع[٢] فى آخرين، يتصرفون في شئونه، ﷺ.

فمنهم من يلازم بابه، ومنهم من يلى طهوره، ومنهم من يمسك دابته، ومنهم يقوم على رأسه، ومنهم من يرعى نعمه وشاءه، إلى غير ذلك كما ستراه إن شاء الله تعالى.

* * *

= روى علمًا كثيرًا، مات ابن مسعود بالمدينة، ودفن بالبقيع سنة اثنتين وثلاثين، وقيل: ثلاث وثلاثين، وعاش ثلاثا وستين سنة، له ترجمة فى: (مسند أحمد): ١/٣٧٤ - ٣٨٤، (طبقات خليفة) ١٦، ١٢٦، (تاريخ خليفة): ١٠١، ١٦٦، (التاريخ الصغير): ٦٠، (المعارف): ٢٤٩، (الجرح والتعديل): ٥/١٤٩، (حلية الأولياء): ١/١٢٤ - ١٣٩، (تاريخ بغداد): ١/١٤٧ - ١٥٠، (تهذيب الأسماء واللغات): ١/٢٨٨ - ٢٩٠، (كنز العمال): ١٣/٤٦٠ - ٤٦٩، (الاستيعاب): ٣/٩٨٧، ترجمة رقم (١٦٥٩)، (الإصابة: ٤/٢٣٣، ترجمة رقم (٤٩٥٧)، (سير الأعلام): ١/٤٦١ - ٥٠٠، ترجمة رقم (٨٧)، (أسماء الصحابة الرواة): ٤٢، ترجمة رقم (٨)، (الثقات): ٣/٢٠٨، (شذرات الذهب): ١/٣٨.

(١) ذكره أبو سعيد بن يونس، وأخرج الحسن بن سفيان، وابن السكن، ومحمد بن الربيع الجيزى، والطبرى، وابن منده، من طريق بكير مولى عمرة: سمعت المهاجر يقول: خدمتُ رسول الله (ﷺ) سنين، فلم يقل لى لشىء سنعتُه لم صنعتَه؟، ولا لشىء تركتُه لم تركتَه؟ (الاصابة): ٦/٢٣٠، ترجمة رقم (٨٢٦٣)، (الاستيعاب): ٤/١٤٥٤، ترجمة رقم (٢٥٠٥).

(٢) أبو السبع بن عبد قيس الأنصارى، شهد بدراً، واسمه ذكوان ويكنى ايضًا بأبى اليسع، ذكره موسى ابن عقبة، وأبو الأسود فى أهل العقبة، وفيمن استشهد بأحد. (الإصابة): ٢/٤٠٥ - ٤٠٦، ترجمة رقم (٢٤٣٨)، (الاستيعاب): ٢/٤٦٦، ترجمة رقم (٧١٠)، (الإصابة): ٧/١٦٩، ترجمة رقم (٩٩٨٨).

فصل في ذكر من كان يلازم باب رسول الله ﷺ

اعلم أنه كان عدة من الصحابة يلازمون باب النبى عليه السلام، منهم:
أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر ابن غنم بن عدى بن النجار الأنصارى النجّارى أبو حمزة، أمه أم سليم نهلة، وقيل: رميلة، وقيل: مليكة بنت ملحان بن مالك بن زيد بن حرام ابن جندب بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار الأنصارية.

كان مقدم النبى عليه السلام المدينة [وهو][(١)] ابن عشر سنين، وقيل: ابن ثمان سنين، وخرج مع رسول الله ﷺ حين توجّه إلى بدر وهو غلام يخدمه، فخدمه عشرين سنة[(٢)].

خرّج البخارى في الأدب المفرد من حديث جرير بن حازم، عن سلمة العلوى قال: سمعتُ أنسًا يقول: كنتُ خادمًا للنبى ﷺ، وكنت أدخلُ بغير استئذان، فجئت يومًا فقال: كما أنت يا بُنى، قد حدث بعدك أمر، لا تدخُلن إلا بإذن.

ومات سنة إحدى وتسعين، وقيل: ثنتين وتسعين، وقيل: ثلاث وتسعين، عن مائة وثلاث سنين، وقيل: مائة وعشر سنين، وقيل: مائة وسبع سنين، وقيل: مائة إلا سنة، وهو أصَحّ.

وهند بن حارثة[(٣)] بن هند بن عبد الله بن غياث بن سعد بن عمرو بن

---

(١) زيادة للسياق والبيان.

(٢) سبق أن أشرنا إلى مصادر ترجمته.

(٤) (الإصابة): ١/٦٤، ترجمة رقم (١٣٧، (٦/٥٥٦، ترجمة رقم (١٠٩٠)، (الاستيعاب): ٤/١٥٤٤، ترجمة رقم (٢٦٩٨).

عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفصى الأسلمى، ويقال: هند بن حارثة بن سعيد بن عبد الله بن غياث بن سعد بن عمرو الأسلمى الحجازى، شهد بيعة الرضوان مع إخوة له سبعة، ومات في خلافة معاوية.

وأخوه:

أسماء بن حار ثة[١]، أبو محمد، كانا من أهل الصُّفَّة، ولزما رسول الله ﷺ، قال أبو هريرة رضي الله عنه: ما كنت أرى أسماء وهند ابنى حارثة إلا خادمين لرسول الله ﷺ، من طول لزومهما بابه، وخدمتهما إياه.

وفى المسند للإمام أحمد، أن رسول الله ﷺ بعثه يأمر قومه بالصيام يوم عاشوراء[٢]. وذكر ابن سعد أنه كان من أهل الصفة[٣]، وقال الواقدى[٤]: كان خدم رسول الله ﷺ الذين لا يريمون بابه: أنس بن مالك، وهند وأسماء ابنى حارثة، وكان أبو هريرة يقول: ما كنت أظنهما إلا مملوكين لرسول الله ﷺ[٥]، وتوفي أسماء بالبصرة سنة ست وستين عن ثمانين سنة.

وربيعة بن كعب بن مالك بن يعمر الأسلمى أبو فراس، من أهل الصّفة،

---

(١) (الإصابة): ١/٦٤، ترجمة رقم (١٣٧)، ٦/٥٥٦، ترجمة رقم (١٠٩٠)، (الاستيعاب): ٤/١٥٤٤، ترجمة رقم (٢٦٩٨).

(٢) (مسند أحمد): ٤/٧٨، حديث رقم (١٦٢٧٥): عن يحيى بن هند بن حارثة عن أبيه - وكان من أصحاب الحديبية - وأخوه الذى بعثه رسول الله (ﷺ) يأمر قومه بصيام يوم عاشوراء، وهو أسماء بن حارثة: «أن رسول الله (ﷺ) بعثه فقال: مُر قومك فليصوموا هذا اليوم، قال: أرأيت إن وجدتهم قد طعموا؟ قال: فليتموا بقية يومهم».

(٣) (طبقات ابن سعد): ١/٤٩٧، ٥٠٤، ٢/٣٧٦، ٤/٣٢٣.

(٤) (مغازى الواقدى): ٦٥٩، ٧٩٩.

(٥) (الإصابة): ١/٦٤.

كان يلازم رسول الله ﷺ في السفر والحضر، وصحبه قديمًا، وسأله مرافقته في الجنة، فقال له: أعنّي على نفسك بكثرة السجود، وأخرج له الستة إلا البخارى. مات سنة ثلاث وستين(١).

فصل فى ذكر الحاجب الذى كان يستأذن على رسول ﷺ

اعلم أنه كان لرسول الله ﷺ غير واحد، يستأذنون لدخول الصحابة رضي الله عنهم عليه، منهم:

أنس بن مالك الأنصارى، رضي الله عنه(٢).

ورباح الأسود، أحد الموالى(٢).

وأنسة أبو مسروح(٢)، وتقدم ذكرهم.

وعُوَيم بن ساعدة(٣)، الذى شهد العقبتين، وبدرًا، وأحُدًا، ومات فى حياة النبى عليه السلام(٤)، وقيل: مات فى خلافة عمر رضى الله عنه، وهو ابن خمس أو ست وستين سنة(٥).

وذكر الواقدى أن عبد الله بن أُبى بن سلول لما جاء بحلفائه يريد أن يكلم رسول الله ﷺ أن يُقرّ [يهود] قينقاع فى ديارهم بعد ما نزلوا على حكمه، وجد [على باب] النبى ﷺ عويم بن ساعدة، فذهب ليدخل، فردّه عويم وقال: لا تدخل حتى يؤذن رسول الله ﷺ بك، فدفعه ابن أُبى،

---

(١) سبق أن أشرنا إلى مصادر ترجمته.

(٢) سبق أن أشرنا إلى مصادر ترجمتهم.

(٣) عُوَيم - بصيغة التصغير، ليس فى آخره راء - هو ابن ساعدة ابن عائش - وقيل عابس - بن قيس بن النعمان بن زيد بن أمية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصارى الأوسى، وقيل فى نسبه غير ذلك.

(٤) هذا قول الواقدى.

(٥) (الاستيعاب): ٣/١٢٤٨.

فغلظ عليه عويم حتى جحش وجه ابن أُبى الجدارُ فسال الدم، فتصايح حلفاؤه من يهود وقالوا: أبا الحباب، لا نقيم [أبدًا][(١)] بدار أصاب وجهك فيها هذا، لا نقدر على أن نُغيّره، فجعل ابن أبى يصيح عليهم، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: ويحكم، فرّوا! فجعلوا يتصايحون: لا نقيم أبداً بدار أصاب وجهك [فيها][(١)] هذا، لا نستطيع له غيرًا[(٢)].

وفى مسند الإمام أحمد، عن نافع بن عبد الحارث[(٣)] بن جبلة بن عمير الخزاعى قال: خرجت مع رسول الله ﷺ حتى دخل حائطًا فقال: أمسك علىّ الباب، فجاء حتى جلس على القف ودلى رجليه فى البئر، فضرب الباب، فقلت: من هذا؟ قال: أبو بكر؟ قلت: يا رسول الله! هذا أبو بكر، قال: ائذن له وبشره بالجنة الحديث[(٤)].

* * *

---

(١) زيادة للسياق.

(٢) (مغازى الواقدى): ١٠٢، ١٥٩، ١٧٨، ٣٠٥، ٤٠٥، ٤٩٨، ٥١٦، ١٠٤٨، ١٠٣٧، (الاستيعاب): ٣/١٢٤٨، ترجمة رقم (٢٠٥٢)، (الإصابة): ٧٤٥ - ٧٤٦، ترجمة رقم (٦١١٦).

(٣) فى (خ): «عبد الوارث»، وما أثبتناه من (المسند).

(٤) (مسند أحمد): ٣/٤٠٨، حديث رقم (١٤٩٤٩)، (١٤٩٥٠) لكن الحديث الأول ذكره مطولاً، والحديث الثانى مختصرًا.

فصل في ذكر صاحب طهور رسول الله ﷺ

الطَّهور بفتح الطاء: اسم الماء، وكل ماء نظيف طهور.

اعلم أنه كان على طهور النبى عليه السلام غير واحد، منهم:

عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فارس بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بفتح الهاء ابن الحارث بن تميم بن سعد بن هُذيل بن مدركة بن إلياس بن مُضر، أبو عبد الرحمن الهذلى، حليف بنى زُهرة، حالف أبوه مسعود بن غافل فى الجاهلية عبد بن الحارث بن زُهرة، وأمه وأم عبد الله هى أم عبد بنت عبد ود بن سواء، من هذيل.

أسلم فى أول الإسلام، وذلك أنه كان يرعى غنمًا لعقبة بن أبى معيط، فمرَّ به رسول الله ﷺ، وأخذ شاة حائلا[١] من تلك الغنم، فدرَّت عليه لبنًا غزيراً، ثم ضمّه رسول الله ﷺ إليه فكان يلج[٢] عليه، ويلبسه نعليه، ويمشى أمامه ومعه، ويستره إذا اغتسل، ويوقظه إذا نام، وقال له: إذنك علىّ أن ترفع الحجاب، وأن تسمع سوادى حتى أنهاك.

وكان يعرف فى الصحابة بصاحب السواد والسواك، شهد بدراً وما بعدها، وهاجر الهجرتين جميعًا، وصلى القبلتين، وشهد له النبى ﷺ بالجنة، وبعثه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافته إلى أهل الكوفة معلّمًا، حتى أقدمه منها عثمان رضى الله عنه إلى المدينة وبها مات سنة ثلاثين عن بضع وستين سنة، وصلى عليه الزبير بن العوام، وفضائله

---

(١) حائل: ليس بها حمل ولا لبن.

(٢) يلج: يدخل.

كثيرة[١].

وأنس بن مالك رضى الله عنه[٢]، قال ابن سعد: أخبرنا الفضل بن دكين، أخبرنا يونس بن أبى إسحاق، أخبرنا المنهال بن عمرو قال: كان أنس صاحب نعل رسول الله ﷺ وأداوته[٣].

ثبت فى صحيح مسلم من حديث عطاء بن أبى ميمونة، عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يتبرز لحاجته، فآتيه بالماء فيغتسل به[٤].

وخرجه البخارى أيضا، ولفظه: كان رسول الله ﷺ إذا تبرز لحاجته، أتيته بماء فيغسل به. ذكره فى باب ما جاء فى غسل البول[٥].

وفى لفظ لمسلم: كان رسول الله ﷺ يدخل الخلاء فأحمل الماء أنا وغلام نحوى أداوة من ماء وعَنَزة[٦]، فيستنجى بالماء[٧].

ولفظ البخارى: كان رسول الله ﷺ يدخل الخلاء، فأحمل أنا وغلامه إداوة من ماء، وعنزة، يستنجى بالماء. ترجم عليه باب حمل العنزة مع الماء

---

(١) سبق أن أشرنا إلى مصادر ترجمته.

(٢) سبق أن أشرنا إلى مصادر ترجمته.

(٣) (طبقات ابن سعد): ١/ ٤٨٢.

(٤) (مسلم بشرح النووى): ٣/ ١٦٦ - ١٦٧، كتاب الطهارة، باب (١٢)، الاستنجاء بالماء من التبرز، حديث رقم (٧١).

(٥) (فتح البارى): ١/ ٤٢٦، كتاب الوضوء، باب (٥٦)، ما جاء فى غسل البول، حديث رقم (٢١٧).

(٦) العنزة بفتح العين والزاى: عصا طويلة كان النبى (ﷺ) ينصبها بين يديه لتكون حائلاً يصلى إليه.

(٧) (مسلم بشرح النووى): ٣/ ١٦٦، حديث رقم (٢٧١).

في الاستنجاء[١].

وذكر في باب الاستنجاء بالماء، من حديث شعبة، عن أبى معاذ – واسمه عطاء بن أبى ميمونة – قال: سمعت أنس بن مالك رضى الله عنه يقول: كان النبى ﷺ إذا خرج لحاجته، أجئ أنا وغلام معنا إداوة من ماء يعنى يستنجى به[٢].

وذكره في باب من حُمِل معه الماء لطهوره[٣]، وذكره أيضًا في كتاب الصلاة، في باب الصلاة إلى العنزة، ولفظه: كان النبى ﷺ إذا خرج لحاجته تبعته أنا وغلام منا معنا عكازة، أو عصا، أو عنزة، ومعنا إداوة، فإذا فرغ من حاجته ناولناه الإداوة[٤].

وعبد الله بن عباس[٥]، رضى الله عنهما، خرَّج البخارى ومسلم من حديث ورقاء، عن عبيد الله بن أبى يزيد، عن ابن عباس أن النبى ﷺ دخل

---

(١) (فتح البارى): ١/٣٣٥، كتاب الوضوء، باب (١٧) حمل العنزة مع الماء في الاستنجاء، حديث رقم (١٥٢).

(٢) (فتح البارى): ١/٣٣٣، كتاب الوضوء، باب (١٥) الاستنجاء بالماء، حديث رقم (١٥٠).

(٣) ولفظه: «كان رسول الله ﷺ إذا خرج لحاجته تبعته وأنا غلام منا معنا إداوة من ماء» حديث رقم (١٥١).

(٤) ولفظه: «كان النبى ﷺ إذا خرج لحاجته تبعته أنا وغلام، ومعنا عكازة، أو عنزة، أو عصا، فإذا فرغ من حاجته ناولناه الإداوة» حديث رقم (٥٠٠).

(٥) هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشى الهاشمى، أبو العباس، ابن عم رسول الله ﷺ، أمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية.

عن ابن عمر أنه كان يُقرِّب ابنَ عباس، ويقول: إنى رأيت رسول الله ﷺ دعاك فمسح رأسك وتفل فى فيك، وقال: اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل. =

الخلاء، فوضعُت له وضوءًا، قال: من وضع هذا؟ فأُخبر، فقال: اللهم فقهه في الدين.

ذكره البخارى فى باب وضع الماء عن الخلاء[1]. ولفظ مسلم: أن النبى ﷺ أتى الخلاء، فوضعت له وضوءًا، فلما خرج قال: من وضع هذا؟ فى رواية زهير [بن حرب] قالوا، وفى رواية أبى بكر [بن أبى النَّضْر]: قلت:

= وعن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أنه سكب للنبى ﷺ وضوءًا عند خالته ميمونة، فلما فرغ قال: من وضع هذا؟ فقالت: ابن عباس، فقال: اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل.

وقال ابن سعد بسنده عن ابن عباس: دعانى رسول الله ﷺ فمسح على ناصيتى وقال: اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب. واتفقوا على أنه مات بالطائف سنة ثمان وستين، واختلفوا فى سنه؛ فقيل: ابن إحدى وسبعين. وقيل: ابن اثنتين، وقيل: ابن أربع، والأول أقوى. (الإصابة): ٤ / ١٤١-١٥٢، ترجمة رقم (٤٧٨٤)، (الاستيعاب): ٣ /٩٣٣-٩٣٩، ترجمة رقم (١٥٨٨)، (المستدرك): ٣ / ٦١٤-٦٢٥، (التاريخ الكبير): ٥ /٣، (التاريخ الصغير): ١ /١٢٦، (الجرح والتعديل): ٥ /١١٦، (حلية الأولياء): ١ /٣١٤، (جمهرة أنساب العرب): ١٩، (تاريخ بغداد): ١ /١٧٣، (جامع الأصول): ٩ /٦٣، (تهذيب الأسماء واللغات): ١ /٢٧٤، (وفيات الأعيان): ٣ /٦٢، (المطالب العالية): ١ /١١٤، (سير أعلام النبلاء): ٣ /٣٣١-٣٥١، ترجمة رقم (٥١)، (الثقات): ٣ /٢٠٨، (أسماء الصحابة الرواة): ٤٠، ترجمة رقم (٥).

(١) (فتح البارى): ١ /٣٢٥، كتاب الوضوء، باب (١٠) وضع الماء عند الخلاء، حديث رقم (١٤٣)، والخلاء: المكان الخالى، واستُعمل فى المكان المعد لقضاء الحاجة مجازًا.

قوله ﷺ: «فاخبر» فإن ميمونة بنت الحارث خالة ابن عباس هى المخبرة بذلك. قال التيمى: فيه استحباب المكافأة بالدعاء، وقال ابن المنير: مناسبة الدعاء لابن عباس بالتفقه على وضعه الماء من جهة أنه تردد بين ثلاثة أمور: إما أن يدخل إليه بالماء إلى الخلاء، أو يضعه على الباب لتناوله من قرب، أو لا يفعل شيئًا، فرأى الثانى أوفق، لأن فى الأول تعرضًا للاطلاع، والثالث يستدعى مشقة فى طلب الماء، والثاني أسهل، ففعله يدل على ذكائه، فناسب أن يدعى له بالتفقه فى الدين ليحصل به النفع، وكذا كان. (المرجع السابق).

ابن عباس، قال: اللهم فقهه[١].

وقيس بن سعد بن عبادة[٢]، خرَّج الحاكم [من حديث] وهب بن جرير، حدَّثنا أبي قال: سمعت منصور بن زاذان، يحدث عن ميمون بن أبي شبيب، عن قيس بن سعد بن عبادة، أن أباه دفعه إلى النبي ﷺ يخدمه، قال: فأتى عليَّ النبي ﷺ، وقد صليت ركعتين، فضربني برجله وقال: ألا أدُلّك على باب من أبواب الجنة؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله. قال الحاكم: هذا حديث صحيح[٣].

---

(١) (مسلم بشرح النووي): ١٦ / ٢٧٠، كتاب فضائل الصحابة، باب (٣٠)، فضائل عبد الله بن عباس رضى الله عنهما، حديث رقم (١٣٨)، وما بين الحاصرتين من (خ) فقط.

(٢) هو قيس بن سعد بن عبادة بن دُلَيْم الأنصارى، مختلف فى كنيته، فقيل: أبو الفضل، وأبو عبد الله، وأبو عبد الملك. وذكر ابن حبان أن كنيته أبو القاسم، وأمه بنت عم أبيه، واسمها فكيهة بنت عبيد ابن دُلَيْم. وقال ابن عيينة. عن عمرو بن دينار: كان قيس ضخمًا، حسنًا، طويلاً، إذا ركب الحمار خطت رجلاه الأرض. وقال الواقدى: كان سخيًا كريمًا داهية.

وفى (مكارم الأخلاق) للطبرانى، من طريق عروة بن الزبير: كان قيس بن سعد بن عبادة يقول: اللهم ارزقنى مالاً، فإنه لا يصلح الفعال إلا بالمال.

وفى (صحيح البخارى)، عن أنس: كان قيس بن سعد من النبى ﷺ بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير. وأخرج البخارى فى (التاريخ) من طريق خريم بن أسد، قال: رأيت قيس بن سعد وقد خدم رسول الله ﷺ عشر سنين.

وقال أبو عمر فى (الاستيعاب): كان أحد الفضلاء الجلة، من دهاة العرب، من أهل الرأى والمكيدة فى الحرب، مع النجدة والسخاء والشجاعة، وكان شريف قومه غير مدافع، وكان أبوه وجده كذلك. قال خليفة وغيره: مات فى آخر خلافة معاوية بالمدينة. (الاستيعاب): ٣ / ١٢٨٩-١٢٩٣، ترجمة رقم (٢١٣٤)، (الإصابة): ٥ / ٤٧٣-٤٧٥، ترجمة رقم (٧١٨٢)، (الثقات): ٣ / ٣٣٩.

(٣) (المستدرك): ٤ / ٢٩٠، كتاب الأدب، حديث رقم (٧٧٨٧ / ١٠٩)، وقال الذهبى فى (التلخيص): على شرط البخارى ومسلم.

والمغيرة بن شعبة[١]، قال الواقدى فى مغازيه: وكان المغيرة بن شعبة يقول: كنا بين الحجر وتبوك، فذهب رسول الله ﷺ لحاجته، وكان إذا ذهب أبعد ، وتبعته بماء بعد الفجر، فأسفر الناس بصلاتهم، وهى صلاة الصبح، حتى خافوا الشمس، فقدَّموا عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم، فحملت مع النبى ﷺ إداوة فيها ماء.

فلما فرغ صببتُ عليه فغسل وجهه، ثم أراد أن يغسل ذراعيه، فضاق كم الجبة - وعليه جُبَّة رومية - فأخرج يديه من تحت الجبة، فغسلهما، ومسح خُفَّيه، وانتهينا إلى عبد الرحمن بن عوف، وقد ركع بالناس ركعة، فسبح الناس بعبد الرحمن بن عوف، حين رأوا رسول الله ﷺ حتى كادوا أن يفتتنوا.

فجعل عبد الرحمن يريد أن ينكص وراءه، فأشار إليه النبى ﷺ أن اثبت، فصلى رسول الله ﷺ خلف عبد الرحمن ركعة، فلما سلّم عبد الرحمن تواثب الناس، وقام رسول الله ﷺ يقضى الركعة الباقية، ثم سَلَّم بعد فراغه منها ثم قال: أحسنتم، إنه لم يتوفَّ نبىٌّ حتى يؤمه رجل صالح من أمته[٢]. وله طرق تَرِد إن شاء الله تعالى فى اللباس، عند ذكر الجبة.

---

(١) هو المغيرة بن شعبة بن أبى عامر بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف ابن قيس، وهو ثقيف الثقفى، يُكنى أبا عبد الله، وقيل: أبا عيسى، وأمه امرأة من بنى نصر بن معاوية.

أسلم عام الخندق، وقدم مهاجرًا، وقيل: إن أول مشاهد الحديبية، توفى سنة خمسين من الهجرة بالكوفة. (الاستيعاب): ٤/١٤٤٥-١٤٤٨، ترجمة رقم (٢٤٨٣)، (الإصابة): ٦/١٩٧-٢٠١، ترجمة رقم (٨١٨٥).

(٢) (مغازى الواقدى): ١٠١١- ١٠١٢.

فصل فى ذكر من كان يغمز رسول الله ﷺ

الغمز: العصر باليد. قال الواقدى: فحدثنى هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: لما كان من قول ابن أُبى ما كان، أسرع رسول الله ﷺ المسير، وأسرعتُ معه، وكان معى أجير لى استأجرته يقوم على فرسى، فاحتبس علىّ، فوقفت له على الطريق أنتظره حتى جاء.

فما جاء ورأى ما بى من الغضب، أشفق أن أقع به، فقال: أيها الرجل! على رِسْلِك، فإنه قد كان فى الناس أمر من بعدك فحدثنى بمقالة ابن أُبى، قال عمر رضى الله عنه، فأقبلتُ حتى جئت رسول الله ﷺ، وهو فى فئ شجرة، عنده غُليْم أسَيْود يغمز ظهره، فقلت يا رسول الله! كأنك تشتكى ظهرك، فقال: تَقَحَّمَتْ بى الناقة الليلة، فقلت: يا رسول الله! ائذن لى أن أضرب عنق ابن أبىّ فى مقالته، فقال: أو كنت فاعلاً؟ [قلت](١) نعم والذى بعثك بالحق، قال: إذًا لأُرعيَتله آنُفٌ بيثرب كثيرة، لو أمرتهم بقتله قتلوه، قال: فقُلت: يا رسول الله! فمرْ محمد بن مسلمة يقتله، فقال: لا يتحدث الناس أن محمداً قتل أصحابه، قال: فقلت: فمُر الناس بالرحيل، قال: نعم، فأَذَّنتُ بالرحيل فى الناس(٢). خرجه الطبرانى فى الأوسط من معاجمه.

---

(١) فى (المغازى): «قال نعم»، وما أثبتناه أجود للسياق.

(٢) (مغازى الواقدى): ٤١٨.

فصل فى ذكر عدة ممن كان يخدم النبى ﷺ

وهم:

أبو ذرّ، خَرَّج الإمام أحمد من حديث شهر بن حوشب عن عبد الرحمن ابن [غنم] عن أبى ذر قال: كنت أخدم النبى ﷺ، ثم آتى المسجد إذا أنا فرغت من عملى فأَضطجع(١)، الحديث فيه بطوله.

والأسلع(٢) بن شريك الأعرجى التميمى خادم النبى ﷺ، وصاحب راحلته، نزل البصرة، وله حديث فى صفة التيمم، وسماه محمد بن سعد: ميمون بن سنباد.

وبكير بن شداخ(٢)، ويقال: بكر، كان يخدم النبى ﷺ وهو غلام، فلما احتلم جاء إلى النبى ﷺ وأعلمه. لم يذكره ابن عبد البرّ، وذكره ابن منده.

---

(١) (مسند أحمد): ٥/١٤٤، حديث أبى ذر الغفارى، الحديث رقم (٢٠٧٨٤) ولفظه: «كنت أخدم النبى ﷺ ثم آتى المسجد إذا أنا فرغتُ من عملى، فأضطجع فيه، فأتانى النبى يومًا وأنا مضطجع، فغمزنى برجله فاستويتُ جالسًا، فقال لى: يا أبا ذر، كيف تصنع إذا أُخرجت منها؟ فقلت: أرجع إلى مسجد النبى ﷺ وإلى بيتى، قال: فكيف تصنع إذا أُخرجت؟ فقلت: إذًا آخذ بسيفى فاضرب به من يخرجنى، فجعل النبى ﷺ يده على منكبى فقال: غفرًا يا أبا ذر ثلاثًا، بل تنقاد معهم حيث قادوك، وتنساق معهم حيث ساقوك، ولو عبدًا أسود، قال أبو ذر: فلما نفيت إلى الربذة، أقيمت الصلاة، فتقدم رجل أسود كان فيها على نعم الصدقة، فلما رآنى أخذ ليرجع ويقدمنى، فقلت: كما أنت، بل أنقاد لأمر رسول الله ﷺ».

(٢) سبق أن أشرنا إلى مصادر ترجمتهم.

وبلال المؤذن[١]، وسيرد ذكره إن شاء الله فى المؤذنين، وكان على نعمائه أيضًا.

وذو مخمر[١]، ويقال: ذو مخبر، وهو ابن أخى النجاشى، كان من الحبشة، يخدم النبى ﷺ، حديثه فى (مسند الإمام أحمد)، فى ذكر نومه عليه السلام عن صلاة الفجر[٢].

وسعد[١]، قال الإمام أحمد حدثنا سليمان بن داود، حدثنا أبو عامر عن الحسن، عن سعد مولى لأبى بكر رضى الله عنه، وكان يخدم النبى ﷺ، وكان يعجبه خدمته، فقال: يا أبا بكر، أعتِقْ سعداً، فقال: يا رسول الله! ما لنا غيره، قال: فقال رسول الله ﷺ: أعتق سعداً، أتتك الرجال[٣]. [قال أبو داود: يعنى السبى]، وعند ابن ماجة طرفًا منه.

ومهاجر[١]، مولى أم سلمة رضى الله عنها، قال: خدمتُ النبى ﷺ عشر سنين، أو خمس سنين، فلم يقل لشئ صنعتُه لم صنعتَه؟ ولا لشئ تركتُه لم تركتَه؟ قال ابن يونس: يكنى أبا حذيفة، صحب النبى ﷺ، وحضر فتح مصر، واختط بها، ثم إنه خرج إلى صعيد مصر فأوطن طما، مات بها سنة ستين، وليس لأهل مصر عنه إلا حديث واحد، رواه عنه بكر مولى عمرة بنت حسين بن يحيى بن عبد الله بن بكير أنه قال: خدمت رسول الله ﷺ سبع سنين.

---

(١) سبق أن أشرنا إلى مصادر ترجمتهم.

(٢) (مسند أحمد): ٤/ ٩٠-٩١، حديث رقم (١٦٣٨٣).

(٣) (مسند أحمد): ١/ ١٩٩، حديث رقم (١٧١٨).

وأبو السمح[1]، مولى رسول الله ﷺ، يقال له: خادم رسول الله، قيل اسمه إياد، يقال أنه لا يدرى أين مات، قال: كنت أخدم النبى ﷺ، كان إذا أراد أن يغتسل قال: ناولنى إداوتى، قال: فأناوله وأستره.

قال: بحسن أو حسين، فبال على صدره، فجئتُ لأغسله، فقال: يغسل من بول الجارية، ويرش من بول الغلام. خرَّج له أبو داود والنَّسائى، وابن ماجة، له حديثان عند محل بن خليفة عنه.

* * *

---

(١) سبق أن أشرنا إلى مصادره ترجمته.

فصل فى ذكر لباس رسول الله ﷺ

إعلم أن لباس كل شئ غشاؤه، ويقال: لبس الثوب لبسًا ولباسًا وألْبَسَهُ إيَّاه، والبِسْ عليك ثوبك، وثوب لبيس، قد لُبس فأخلق، والثوب اللباس، والجمع أثوب وأثواب وثياب.

والكُسوة بكسر الكاف وضمها، من اللباس، وقد كسوته الثوب كسوًا إذا اكتسى لبس الكسوة(١).

وكان لرسول الله ﷺ عدة ثياب، فلبس العمامة، والرداء، والقميص، والجبة، والحلة؛ وغير ذلك.

أما العمامة، فخرج مسلم رحمه الله من حديث وكيع عن مساور الوراق، عن جعفر بن عمرو بن حُرَيْث، عن أبيه [قال: كأنى أنظر إلى رسول الله ﷺ على المنبر](٢) وعليه عمامة سوداء، قد أرخى طرفيها بين كتفيه، ولم يقل [أبو بكر](٣) على المنبر(٤).

وخرجه أبو داود(٥) من طريق مساور، عن جعفر بن عمرو بن حريث عن

---

(١) (لسان العرب): ١/٢٤٦، ٦/٣٠٢.

(٢) تصويب للسياق من (صحيح مسلم).

(٣) زيادة للسياق من (صحيح مسلم).

(٤) (مسلم بشرح النووى): ٩/١٤٢، كتاب الحج، باب (٨٤) جواز دخول مكة بغير إحرام، حديث رقم (٤٥٢)، (٤٥٣) من أحاديث الباب.

(٥) (عون المعبود): ٦/٨٧، كتاب اللباس، باب (٢٣) فى العمائم، حديث رقم (٤٠٧١).

أبيه قال: رأيت النبى ﷺ وعليه عمامة سوداء قد أرخى طرفيها بين كتفيه.

وخرجه ابن حبان أيضًا[١]، ورواه قاسم بن أصبغ من حديث مساور قال: أخبرنى جعفر بن عمرو بن حريث المخزومى عن أبيه قال: رأيت على رسول الله ﷺ عمامة سوداء يوم فتح مكة.

وخرجه الترمذى[٢] من طريق حماد بن سلمة عن أبى الزبير، عن جابر قال: دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح، وعليه عمامة سوداء.

وخرج محمد بن عبد الملك بن أيمن من حديث حماد بن سلمة، عن أبى الزبير، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه، أن النبى ﷺ دخل يوم الفتح مكة، وعليه عمامة سوداء.

ويروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه، أنه رأى النبى ﷺ يعتم بعمامة سوداء.

وقال هيثم عن حجاج بن أرطأة، عن أبى جعفر محمد بن على، أن النبى ﷺ كان يلبس يوم الجمعة بردُه الأحمر، ويعتم ويوم العيدين[٣].

(١) (الإحسان): ٩/٣٧-٤٠ كتاب الحج، باب (٣) فضل مكة، حديث رقم (٣٧٢٢)، ١٢/٢٤٣، كتاب اللباس وآدابه، ذكر إباحة لبس المرء العمائم السود ضدّ قول من كرهه من المتصوفة، حديث رقم (٥٤٢٥).

(٢) (تحفة الأحوذى): ٥/٢٦٦-٢٦٧، أبواب الجهاد، باب (٩) ما جاء فى الألوية، حديث رقم (١٧٣٠).

(٣) قال ابن القيم فى (الزاد)، فى فصل هدية ﷺ فى العيدين: وكان يلبس للخروج إليهما أجمل ثيابه، فكان له حلة يلبسها للعيدين والجمعة، ومرة كان يلبس بردين أخضرين، ومرة بردًا أحمر، =

وخرّج قاسم بن أصبغ من حديث مسدد، أخبرنا حفص بن غياث، عن الحجاج، عن محمد بن علي، عن جابر، أن رسول الله ﷺ كان يعتم، ويلبس برده الأحمر في العيدين والجمعة[1].

وقال يعقوب بن حميد: حدثنا حاتم بن إسماعيل عن محمد بن عبيد الله الفرزى، عن أبى الزبير عن جابر قال: كان النبى ﷺ وعلى رأسه عمامة سوداء يلبسها فى الليل، ويرخيها خلف [ظهره][2] تفرد به حاتم.

وللترمذى[3] من حديث عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر رضى الله عنه قال: كان النبى ﷺ إذا اعتم سدل عمامته بين كتفيه. قال نافع: وكان ابن عمر يسدل عمامته بين كتفيه، قال عبيد الله: ورأيت القاسم وسالمًا يفعلان ذلك. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.

وخرّج من حديث وكيع عن عبد الرحمن بن الغَسيل عن عكرمة، عن ابن عباس رضى الله عنه، أن النبى ﷺ خطب الناس وعليه عصابة دَسْماء[4].

= وليس هو أحمر مصمتًا كما يظنه بعضُ الناس، فإنه لو كان كذلك، لم يكن بُردًا، وإنما فيه خطوط حمر كالبرود اليمنية، فسمى أحمر باعتبار ما فيه من ذلك، وقد صح عنه ﷺ من غير معارض، النهىُ عن لبس المعصفر والأحمر. (زاد المعاد): ١/ ١٤١.

(١) راجع التعليق السابق.

(٢) زيادة للسياق.

(٣) (الشمائل المحمدية): ١٠٦-١٠٧، باب ما جاء فى عمامة النبى ﷺ، وفيه خمسة أحاديث، حديث رقم (١١٨).

(٤) (المرجع السابق): ١٠٧، حديث رقم (١١٩)، وأخرجه البخارى فى (الصحيح): كتاب الجمعة، باب من قال فى الخطبة بعد الثناء: أما بعد (٩٢٧)، وكتاب المناقب، باب علامات النبوة فى الإسلام=

ومن حديث عطاء بن أبى رباح، عن الفضل بن عباس قال: دخلتُ على رسول الله ﷺ فى مرضه الذى تُوفىَّ فيه وعلى رأسه عصابة صفراء، فسلمت، فقال: يا فضل، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: اشدد بهذه العصابة رأسى، قال: ففعلتُ، ثم قعد فوضع كفّه على كتفى، ثم قام فدخل المسجد(١). وفى الحديث قصة.

ويروى عن موسى بن مُطير (٢)- وهو ضعيف - عن أبيه عن أبى هريرة، وعبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قالا: ما خرج رسول الله ﷺ يوم جمعة قط، إلا وهو مُعْتَمّ [وإن كان فى إزار ورداء](٣)، وإن لم يكن عنده عمامة وصل الخرق بعضها [إلى بعض](٣) واعتم بها(٤).

وقال محمد بن سمينة: أخبرنا عثمان بن عفان الغطفانى، أخبرنا الزبير بن خربوذ عن رجل، عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال: عَمّمنَى رسول الله ﷺ وأرسلها من بين يدىّ ومن خلفى.

= (٣٦٢٨) وكتاب مناقب الأنصار، باب قول النبى ﷺ: اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم، (٣٨٠٠)، والحديث من طرق عن ابن الغسيل به، وأخرجه الإمام أحمد فى (المسند): ١/٢٣٣، حديث رقم (٢٠٧٥)، وفى الباب شواهد فى بعضها ضعف شديد، ويكفى ما سبق لصحة الحديث. والله تعالى أعلم، وقوله: «عصابة دسماء» أى سوداء، والدسمة الغُبرة المائلة إلى السواد، أو هى السوداء، أو هى المتلطخة بدسومة شعره ﷺ من الطيب، والعصابة والعمامة بمعنى واحد. (الشمائل المحمدية): ١٠٧.

(١) (المطالب العالية): ٤/٢٥٦-٢٥٧، حديث رقم (٤٣٨٤).

(٢) كذبه يحيى بن معين، وضعفه الدارقطنى، وقال أبو حاتم والنسائى: متروك، وذكره العقيلى فى (الضعفاء)، (لسان الميزان) ٦/١٣٠.

(٣) زيادة للسياق من (الكامل).

(٤) (الكامل فى ضعفاء الرجال): ٦/٣٣٨-٣٣٩، ترجمة موسى بن مطير رقم (١٩٦/١٨١٧).

وقال الواقدى: حدثنى سعيد بن هشام بن قباذين عن عطاء بن أبى رباح، عن ابن عمر قال: دعا رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن عوف فقال: تجهّز فإنى باعثك فى سرية من يومك هذا أم من غد إن شاء الله.

قال ابن عمر: فسمعت ذلك فقلت: لأدخلن فلأصلينّ مع النبى ﷺ الغداة، فلأسمعنّ وصيتهُ لعبد الرحمن بن عوف، قال: فغدوتُ، فصليتُ فإذا أبو بكر وعمر رضى الله عنهما، وناسٌ من المهاجرين فيهم عبد الرحمن، وإذا رسول الله ﷺ قد كان أمره أن يسير من الليل إلى دومة الجندل، فيدعوهم إلى الإسلام.

فقال رسول الله ﷺ لعبد الرحمن بن عوف: ما خلفك عن أصحابك؟ قال ابن عمر وقد مضى أصحابه فى السَّحَر، فهم معسكرون بالجرف، وكانوا سبعمائة رجل، فقال: أحببتُ يا رسول الله أن يكون آخر عهدى بك، وعلىّ ثياب سفرى، وعلى عبد الرحمن بن عوف عمامة قد لفّها على رأسه.

قال ابن عمر: فدعاه النبى ﷺ فأقعده بين يديه فنقض عمامته بيده، ثم عمَّمه بعمامة سوداء، فأرخى بين كتفيه منها، ثم قال: هكذا فاعْتَمّ يا ابن عوف، قال: وعلى ابن عوف والسيف متوشحة، ثم قال رسول الله ﷺ: أُغْدُ على اسم الله، وفى سبيل الله، فقاتل من كفر بالله، لا تُغلّ، ولا تغدر، ولا تقتل وليداً.

قال ابن عمر: ثم بسط يده فقال: يا أيها الناس! اتقوا خمسًا قبل أن يحل بكم:

* ما نقص مكيال قوم إلا أخذهم الله بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يرجعون.

* وما نكث قوم عهدهم إلا سلَّط الله عليهم عَدُوّهم.

* وما منع قوم الزكاة إلا أمسك الله عليهم قطر السماء، ولولا البهائم لم يُسقوا.

* وما ظهرت الفاحشةُ فى قوم إلا سلَّط الله عليهم الطاعون.

* وما حكم قوم بغير آى القرآن إلا ألْبَسُهمُ الله شيعًا وأذاق بعضهم بأس بعض.

قال: فخرج عبد الرحمن حتى لحق أصحابه. وذكر الحديث(١).

ولابن حبان من طريق أبى معشر البراء، أخبرنا خالد الحذاء، حدثنى عبد السلام قال: قلت لابن عمر: كيف كان النبى ﷺ يعتم؟ قال: يدير كور العمامة على رأسه، ويفردها من ورائه، ويرسل لها ذؤابةً بين كتفيه(٢).

(١) (مُختصر تاريخ ابن عساكر): ١/٩١.

(٢) ذكره ابن القيسرانى فى (تذكرة الموضوعات)، (المواهب اللدنية): ٢/٤٣٤، باب لباس الرأس.

[وأما الكمة والقلنسوة والقناع]

فقال خالد بن يزيد الكزبرى، حدثنا عاصم بن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها: أن رسول الله ﷺ كانت له كمَّة بيضاء.

وعن عبد الله بن أبى بكر عن أنس، أن رسول الله ﷺ كان يلبس كُمة بيضاء. والكُمَّة، بضم الكاف وتشديد الميم وفتحها: القَلُنْسُوَةُ، يقال: إنه حسن الكِمَّة بكسر الكاف، أى التكمم، كما تقول: إنه لحسن الجلسة[1].

ولأبى داود[2] والترمذى[3]، من حديث أبى الحسن العسقلانى، عن أبى جعفر بن محمد بن ركانة عن أبيه، أن ركانة صارع النبى ﷺ فصرعه النبى ﷺ، قال ركانة: سمعت النبى ﷺ يقول: إن فرق ما بيننا وبين المشركين: العمائم على القلانس[4].

---

(١) (لسان العرب): ١٢/ ٥٢٧.

(٢) (سنن أبى داود): ٤/ ٣٤٠-٣٤١، كتاب اللباس، باب (٢٤) فى العمائم، حديث رقم (٤٠٧٨).

(٣) (سنن الترمذى): ٤/ ٢١٧، كتاب اللباس، باب (٤٢) العمائم على القلانس، حديث رقم (١٧٨٤).

(٤) أى الفارق بيننا معشر المسلمين وبين المشركين لبس العمائم فوق القلانس، فنحن نَعْتَمُّ على القلانس وهم يكتفون بالعمائم، ذكره الطيبى وغيره من الشراح، وتبعهما ابن الملك، كذا فى (المرقاة). وقال العزيزى: فالمسلمون يلبسون القلنسوة وفوقها العمامة، ولبس القلنسوة وحدها زى المشركين. وكذا نقل الجزرى عن بعض العلماء، وبه صرح القاضى أبو بكر فى شرح الترمذى. وقال =

قال الترمذى: هذا حديث غريب، وإسناده ليس بالقائم، ولا نعرف أبا الحسن العسقلانى، ولا ابن ركانة.

والقلنسوة، والقلساة والقَلَنسوة والقَلْنسية والقلنساة والقلنِسية من ملابس الرأس. وجمع القلنسوة والقليسينة قلاس، وجمع القلنساه قلاس لا غير، لم يُسمع فيها قلْسا(١).

= ابن القيم فى (زاد المعاد): وكان يلبسها - يعنى العمامة ويلبس تحتها القلنسوة، وكان يلبس القلنسوة بغير عمامة، ويلبس العمامة بغير قلنسوة. وفى (الجامع الصغير)، برواية الطبرانى عن ابن عمر قال: كان يلبس قلنسوة بيضاء، قال العزيزى: إسناده حسن، وفيه برواية الرويانى وابن عساكر عن ابن عباس: كان يلبس القلانس تحت العمائم وبغير العمائم، ويلبس العمائم بغير قلانس، وكان يلبس القلانس تحت اليمانية، وهن البيض المضربة، ويلبس القلانس ذوات الآذان فى الحرب، وكان ربما نزع قلنسوته فجعلها سترة بين يديه... قال المباركفورى: لم أقف على إسناد رواية ابن عباس هذه، فلا أدرى هل هى صالحة للاحتجاج أم لا؟ (تحفة الأحوذى): ٥/٣٩٣، أبواب اللباس، باب (٤١)، حديث رقم (١٨٤٤).

وقال الحافظ العراقى فى تخريج أحاديث الإحياء: حديث: كان يلبس القلانس تحت العمائم وبغير عمامة وربما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصلى إليها. أخرجه الطبرانى وأبو الشيخ والبيهقى فى (شعب الإيمان) من حديث ابن عمر: كان رسول الله ﷺ يلبس قلنسوة بيضاء. ولأبى الشيخ من حديث ابن عباس: كان لرسول الله ﷺ ثلاث قلانس: قلنسوة بيضاء مضربة، وقلنسوة برد حبرة، وقلنسوة ذات آذان يلبسها فى السفر، فربما وضعها بين يديه إذا صلى، وإسنادهما ضعيف، ولأبى داود والترمذى من حديث ركانة: فرق ما بيننا وبين المشركين العمائم على القلانس. قال الترمذى: غريب وليس إسناده بالقائم. (المغنى عن الأسفار فى تخريج ما فى الإحياء من الأخبار): ٢/٥٨٤.

قال السخاوى - وقد ذكر أحاديث العمائم ومنها: «فرق ما بيننا وبين المشركين العمائم على القلانس - قال: وبعضه أوهى من بعض. (المقاصد الحسنة): ٤٦٥- ٤٦٦، حديث رقم (٧١٧)، (كشف الخفاء ومزيل الالتباس): ٢/٧٢-٧٣، حديث رقم (١٧٨٣)، (شعب الإيمان): ٥/١٧٢-١٧٧، باب فى الملابس والأوانى، فصل العمائم.

١) (لسان العرب): ٦/١٨١.

وروى البلاذرى عن عباس بن هشام عن أبيه عن جده، عن أبى صالح عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: كانت لرسول الله ﷺ قلنسوة أسماط، يعني جلوداً، وكانت فيها نقبة.

وقال هشام بن عمار: حدثنا الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد ابن جابر، أن رسول الله ﷺ قاتل يوم خيبر على بغلته الشهباء، وعليه ممطر سيجان، وعليه عمامة، وعلى العمامة قلنسوة من الممطر السيجان. قال هشام: والساج: الطيلسان الأسود[1]. وروى أنه عليه السلام ترك

---

(١) الطيلسان: شبه الاردية، يوضع على الرأس والكتفين والظهر، وهو بفتح اللام، واحد الطيالسة، والهاء في الجمع للعجمة، لانه فارسى مُعرب، وهو الساج أيضاً، وقال ابن خالويه فى (شرح الفصيح): يقال للطيلسان الاخضر: الساج، وفى (المجمل) لابن فارس: الطاق الطيلسان. فقال ابن القيم: لم ينقل عنه ﷺ أنه لبسه، ولا احد من أصحابه، بل ثبت فى (صحيح مسلم)، من حديث النواس بن سمعان، عن النبي ﷺ أنه ذكر الدجال فقال: يخرج معه سبعون الفًا من يهود أصبهان عليهم الطيالسة. ورأى أنس جماعة عليهم الطيالسة فقال: ما أشبههم بيهود خيبر.

قال: ومن هاهنا كره جماعة من السلف والخلف، لما روى ابو داود، والحاكم فى (المستدرك)، أنه قال: «من تشبه بقوم فهو منهم»، وفى الترمذى: «ليس منا من تشبه بغيرنا». وأما ما جاء في حديث الهجرة أنه ﷺ جاء إلى أبى بكر رضى الله عنه متقنّعًا بالهاجرة، فإنما فعله ﷺ تلك السّاعة ليختفى بذلك للحاجة، ولم يكن عادته ﷺ التقنع.

وقد ذكر أنس عنه ﷺ أنه كان يكثر القناع. وهذا إنما كان يفعله للحاجة من الحرّ ونحوه. وقال شيخ الإسلام الولي ابن العراقي في (شرح تقريب الأسانيد): التقنّع معروف، وهو تغطية الرأس بطرف العمامة أو بردائه أو نحو ذلك. وقال ابن الحاج فى (المدخل): وأما قناع الرجل فهو أن يغطى رأسه بردائه، ويرد طرفه على أحد كتفيه.

وأما قول ابن القيم: إنه ﷺ إنما فعل ذلك للحاجة، فيرد عليه حديث سهل بن سعد، أنه ﷺ كان يكثر القناع، رواه البيهقي في (الشُّعَب)، والترمذى. وللبيهقى فى (الشعب) أيضًا، وابن سعد فى (الطبقات)، من حديث أنس بلفظ: يُكثر التقنع، فهذا وما أشبهه يرد قول ابن القيم: أنه لم ينقل عنه أنه ﷺ لبسه.

قلانس صُفار الأطبية ثلاثًا.

وخرج أبو محمد بن حبان من حديث العوام بن حوشب، عن إبراهيم التيمى، عن ابن عمر رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يلبس قلنسوة بيضاء(١).

ومن حديث أبى حذيفة، عن عطاء بن أبى رباح، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: رأيت على رسول الله ﷺ قلنسوة بيضاء شامية.

ومن حديث مفضل بن فضالة، عن هشام بن عروة، عن أبية عن عائشة رضى الله عنها، أن النبى ﷺ كان يلبس من القلانس فى السفر ذوات الآذان، وفى الحضر المضَمَّرة، يعنى الشامية(٢).

= وأما قوله: ولا احد من اصحابه، فيرده ما اخرجه الحاكم فى (المستدرك)، بسند على شرط الشيخين، عن مرة بن كعب قال: سمعت رسول الله ﷺ يذكر فتنة فقربها، فمر رجل مقنع فى ثوب، فقال: هذا يومئذ على الهدى، فقمت، فإذا هو عثمان بن عفان رضى الله عنه.

واخرج سعيد بن منصور فى سننه عن أبى العلاء قال: رأيت الحسن بن على يصلى وهو مقنع راسه. وأخرج ابن سعد عن سليمان بن المغيرة قال: رأيت الحسن يلبس الطيالسة، وأخرج عن عمارة ابن زاذان قال: رأيت على الحسن طيلسانًا أندقيًا [نسبة إلى اندق قرية فى سمرقند].

وأما ما ذكره ابن القيم من قصة اليهود، فقال الحافظ ابن حجر: إنما يصلح الاستدلال به فى الوقت الذى تكون الطيالسة من شعارهم، وقد ارتفع ذلك فى هذه الأزمنة، فصار ذلك داخلاً فى عموم المباح، وقد ذكره ابن عبد السلام فى (أمثلة البدعة المباحة)، وقد يصير، من شعار قوم فيكون تركه من الإخلال بالمروءة، وقيل: إنما انكر انسٌ الوان الطيالسة لأنها كانت صفراء، والله تعالى اعلم. (المواهب اللدنية): ٢/٤٤٩-٤٥٠، (طبقات ابن سعد): ١/٤٦٠، (شعب الإيمان): ٥/١٧٢-١٧٧، (المستدرك): ٤/٢١١-٢١٢، حديث رقم (٧٤٠١/٤٨) من كتاب اللباس.

(١) (شعب الإيمان): ٥/١٧٥، باب فى الملابس والأوانى، فصل فى العمائم، حديث رقم (٦٢٥٩)، وقال فى آخره: تفرد به ابن خراش هذا وهو ضعيف.

(٢) (إتحاف السادة المتقين): ٨/٢٥٤-٢٥٥، كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة، وأشار إلى ضعفهم،=

ومن حديث أبى عبد الرحمن محمد بن عبيد الله [ ]، عن عطاء عن ابن عباس رضى الله عنه قال: كان لرسول الله ﷺ ثلاث قلانس: قلنسوة بيضاء مُضَرَّبَة، وقلنسوة لاطية، وقلنسوة ذات آذان يلبسها فى السفر.

ومن حديث عُتبة بن الوليد، عن الأوزاعى، عن خويلد بن عثمان قال: لقيتُ عبد الله بن يسر فقال: رأيت رسول الله ﷺ وله قلنسوة مضربة، وقلنسوة لها آذان، وقلنسوة لاطية.

وللترمذى من حديث وكيع، حدثنا الربيع بن صبيح، عن سويد بن إبان عن أنس: كان رسول الله ﷺ يكثر دَهن رأسه، وتسريح لحيته، ويكثر القناع، كأن ثوبه ثوب زيّات[1].

= ثم قال: أجود إسناد فى القلانس، ما رواه أبو الشيخ عن عائشة: «كان ﷺ يلبس القلانس فى السفر ذوات الآذان، وفى الحضر المضمرة» يعنى الشامية.

(١) (الشمائل المحمدية): ٥١ باب ما جاء فى ترجل رسول الله ﷺ، حديث رقم (٣٣)، ١١٤، باب ما جاء فى تقنع رسول الله ﷺ، حديث رقم (١٢٧)، قوله: «كثر دهن رأسه»: الدَّهن هو استعمال الدُّهن من زيت وغيره فى تجميل الشعر وتحسينه، قوله: «حتى كان ثوبه ثوب زيات»: يحتمل أن يراد بالثوب هنا القناع الذى يوضع على الرأس بعد دهنها، والزيات: بائع الزيت. وهذا الحديث تفرد به الترمذى، وفى إسناده الربيع بن صبيح وفيه ضعف، فهو وإن كان صدوقًا عابداً مجاهداً إلا أنه سيئ الحفظ، وكذلك يزيد بن أبان الرقاشىّ القاصّ الزاهد: ضعيف.

وقد أخرجه ابن سعد فى (الطبقات): وأبو الشيخ فى (أخلاق النبى) ﷺ، والبغوى فى (شرح السنة) كلهم من طريق الربيع بن صبيح به، وزاد السيوطى نسبته فى (الجامع الصغير) للبيهقى، وضعفه الحافظ العراقى فى (المغنى عن الأسفار)، وقال ابن كثير: فيه غرابة ونكارة.

وقد أخرج الذهبى فى (ميزان الاعتدال) نحوه فى ترجمة الحسن بن دينار من طريقه عن قتادة عن أنس، وقال الحافظ الذهبى: هذا خبر منكر جداً، والحسن بن دينار، قال ابن حبان: تركه وكيع وابن المبارك، فأما أحمد ويحيى فكانا يكذبانه، وفى إسناده أيضًا بكر بن السميدع، ولا يعرف، كما قال الذهبى.

وقال البلاذرى: حدثنى أحمد بن هشام بن بهرام، حدثنا أبو صالح شعيب بن حرب، عن الربيع، عن يزيد عن أنس، كان رسول الله ﷺ يقنع رأسه، حتى ننظر إلى حاشية ثوبه كأنها ثوب زيّات. القنعة: غطاء الرأس، والقناع: أوسع منها. وقال بعضهم: كان النبى ﷺ أكثر الناس قناعًا، لأن القنع أهيب من الحاسر[1].

* * *

---

(١) راجع التعليق السابق.

وأمَّا القميص

فخرج أبو داود والترمذى من حديث أبى نميلة يحيى بن رافع، عن عبد المؤمن بن خالد الحنفى المروزى، عن عبد الله بن بريدة عن أمه عن أم سلمة رضى الله عنها قالت: كان أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ القميص(١).

وفى رواية: لم يكن ثوب أحب إلى رسول الله ﷺ من القميص. قال الترمذى: هذا حديث حسن غريب. إنما نعرفه من حديث عبد المؤمن بن خالد تفرد به، وهو مروزى(٢).

وخرَّج الحاكم أبو عبد الله فى (المستدرك)، من حديث الحسن بن صالح بن حيى، عن مسلم الملائى عن مجاهد، عن ابن عباس رضى الله عنه، أن النبى ﷺ لبس قميصاً، وكان فوق الكعبين، وكان كمه إلى الأصابع. قال: هذا حديث صحيح حسن الإسناد ولم يخرجاه(٣). وخرجه ابن حبان

---

(١) (الشمائل المحمدية): ٦٧، باب ما جاء فى لباس رسول الله ﷺ، حديث رقم (٥٥)، (٥٦)، (٥٧)، ثلاثتهم عن أم سلمة رضى الله تعالى عنها، وهو حديث حسن، أخرجه أبو داود فى (السنن)،و كتاب اللباس، باب ما جاء فى القميص، حديث رقم (٤٠٢٥)، (٤٠٢٦)، والترمذى فى (الجامع الصحيح)، كتاب اللباس، باب القميص، حديث رقم (١٧٦٢)، (١٧٦٣)، (١٧٦٤)، وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجة فى (السنن)، كتاب اللباس، باب لبس القميص، حديث رقم (٣٥٧٥)، كلهم من طريق عبد المؤمن بن خالد، عن ابن بريدة به، وأخرجه الحاكم فى (المستدرك): ٤/٢١٣، كتاب اللباس، حديث رقم (٧٤٠٦)، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): صحيح، والإمام أحمد فى (المسند): ٦/٣١٧، حديث رقم (٢٦١٥٥)، والبيهقى فى (السنن الكبرى): ٢/٢٣٩، كتاب الصلاة باب الصلاة فى القميص، كلهم من طريق عبد المؤمن ابن خالد الحنفى به.

(٢) أنظر التعليق السابق.

(٣) (المستدرك): ٤/١٩٥، كتاب اللباس، حديث رقم (٧٤٢٠)، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق =

ولفظه: كان النبي ﷺ يلبس قميصًا فوق الكعبين، مستوى الكمين بأطراف أصابعه(١).

ومن حديث أبي سلمة عبيد الله بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن جده عبد الله بن عمر قال: لبس عمر رضي الله عنه قميصًا جديدًا ثم قال: مُدَّ كمي يا بني، والزق يدك بأطراف أصابعي واقطع ما فضل عنهما، قال: فقطعت من الكمين، فصار فم الكمين بعضه فوق بعض، فقلت: لو سوَّيتَهُ بالمقص، قال: دعه يا بني، هكذا رأيت رسول الله ﷺ يفعل. قال ابن عمر: فما زال القميص على أبي حتى تقطّع، [وما كنا نصلي](٢) رأيت الخيوط تتساقط على قَدَمَيْه. قال: هذا حديث صحيح الإسناد [ولم يخرجاه](٣).

وخرَّج ابن حِبَّان من طريق بقية، حدثنا خالد عن مسلم الأعور، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان لرسول الله ﷺ قميص قطني، قصير الطول، قصير الكمين(٤).

ومن طريق إبراهيم بن أبي يحيى، عن عبد الملك قال: سمعت ابن عمر رضي الله عنه يقول: ما اتخذ لرسول الله ﷺ قميص له زِرْ(٥).

= منه، وقال عنه الحافظ الذهبي في (التلخيص): مسلم الملائي تالف.

(١) راجع التعليق السابق.

(٢) في (خ): «وما نزعة» وما أثبتناه من (المستدرك).

(٣) (المستدرك): ٤ / ١٩٥-١٩٦، كتاب اللباس، حديث رقم (٧٤٢١)، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص): أبو عقيل: ضعفوه.

(٤) راجع التعليق السابق.

(٥) راجع التعليق التالي.

وللترمذى فى الشمائل، من حديث معاوية بن قرة بن أمية قال: أتيتُ رسول الله ﷺ فى رهط من مزينة لنبايعة، وإن قميصه لمطلق، أو قال: زرّ قميصه مُطلق، قال: فأدخلت يدى فى جيب قميصه فمسست الخاتم(١).

وللترمذى من حديث هشام الدّستوائى، عن بديل بن ميسرة، عن شهر ابن حوشب، عن أسماء بنت يزيد قالت: كان كمّ النبى ﷺ إلى الرُّسْغ(٢).

وروى أن رسول الله ﷺ ترك قميصًا صحاريًا، وقميصًا سحوليًا(٣).

* * *

(١) (الشمائل المحمدية): ٦٩، حديث رقم (٥٩)، وأخرجه أبو داود فى (السنن)، كتاب اللباس، باب فى حل الأزرار، حديث رقم (٤٠٨٢)، وأخرجه ابن ماجة فى (السنن)، كتاب اللباس، باب حل الأزرار، حديث رقم (٣٥٧٨)، من طرق عن زهير به، وابن سعد فى (الطبقات): ١/ ٤٦٠، ذكر قناعته ﷺ بثوبه ولباسه القميص، وما كان يقول إذا لبس ثوبًا عليه، والإمام أحمد فى (المسند): ٤/ ١٩، حديث رقم (١٥٨١٠)، ٥/ ٣٥، حديث رقم (١٩٨٥٥)، وأبو الشيخ فى (أخلاق النبى): ١٠٣، ابن حبان فى (الإحسان): ١٢/ ٢٦٦، حديث رقم (٥٤٥٢)، كلهم من حديث زهير عن عروة بن عبد الله به، ويشهد له حديث ابن عمر: «رأيتُ رسول الله ﷺ فعله»، يعنى إطلاق الأزرار، وقد أخرجه أحمد وابن حبان وأبو الشيخ والبيهقى وغيرهم.

(٢) (الشمائل المحمدية): ٦٨-٦٩، حديث رقم (٥٨)، هذا الحديث إسناده ضعيف، فإن شهر بن حوشب سيئ الحفظ، وقال عنه الحافظ: كثير الإرسال والأوهام، ومعاذ بن هشام بن أبى عبد الله الدستوائى صدوق ربما وهم. وشيخ المصنف صدوق وقد توبع، والباقى ثقات، ولكن الحديث حسن إن شاء الله تعالى، فإن له شاهداً من حديث أنس.

(٣) لم اجده إلا فى الجنائز من (البخارى) و(مسلم): «كُفِّن النبى ﷺ فى ثلاثة أثواب سحول» و«كُفِّن فى ثلاثة أثواب يمانية بيض سحولية».

وأما الرِّداء

الرداء من الملاحف تجمع على أردية، وهو الرداة، وقد تردّيت به، وارتديتُ، وإنه لحسن الرّدية، أى الارتداء(١).

خرَّج أبو عيسى فى (الشمائل) من حديث حماد بن سلمة، عن حبيب ابن الشهيد، عن الحسن عن أنس [بن مالك](٢) أن النبى ﷺ خرج وهو ومتكى على أسامة بن زيد، وعليه ثوب قطرى قد توشح به، فصلى بهم(٣).

---

(١) قال ابن منظور: والرِّداء: الذى يُلبس، وتثنيته رداءان، وإن شئت رداوان، لأن كل اسم ممدود فلا تخلو همزته، إما أن تكون أصلية فتتركها فى التثنية على ما هى عليه ولا تقلبها، والرداء من الملاحف، وقد تردى به وارتدى بمعنى، أى لبس الرداء، وإنه لحسنُ الرِّدْية أى الارتداء، والرداء: الغطاء الكبير. (لسان العرب): ١٤/ ٣١٦-٣١٧ مختصراً.

(٢) زيادة للسياق من (الشمائل).

(٣) (الشمائل المحمدية): ٦٩-٧٠، حديث رقم (٦٠) ثم قال فى آخره: قال عبدُ بن حميد [أحد الرواة]: قال محمد بن الفضل: سألنى يحيى بن معين عن هذا الحديث أول ما جلس إلىّ، فقلتُ: حدثنا حماد بن سلمة، فقال: لو كان من كتابك، فقمت لأخرج كتابى، فقبض على ثوبى، ثم قال: أمله علىّ فإنى أخاف أن لا ألقاك، قال: فأمليته عليه، ثم أخرجتُ كتابى فقرات عليه.

وهو حديث صحيح ورجال إسناده ثقات، فالإسناد صحيح، لولا عنعنة الحسن البصرى، ولكنه توبع، فقد جاء فى (الشمائل): ١٢١، حديث رقم (١٣٦): حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن، حدثنا عمرو بن عاصم، حدثنا حماد بن سلمة، عن حُميد، عن أنس رضى الله عنه: «أن النبى ﷺ كان شاكيًا فخرج يتوكأ على أسامة بن زيد وعليه ثوب قِطْرىٌ قد توشح به فصلى بهم»، وحميد مدلس أيضًا وقد عنعنه، لكن عنعنة أنس مقبولة، وقد أخرجه أبو الشيخ من الوجهين فى (أخلاق النبى): ١٥، وابن حبان فى (صحيحه): ٦/ ١٠٤-١٠٥، حديث رقم (٢٣٣٥) من كتاب الصلة، ذكر الإباحة للمرء أن يصلى فى الأبراد القَطْرية، وإسناده صحيح على شرط الصحيح، وأخرجه الإمام=

وَخـرَّجَ الحـاكـم من حـديث حـفص بن غـيـاث، حـدثنا سـعـيـد بن خـالد الأنصارى، عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال: دخل جرير بن عبد الله على رسول الله ﷺ وعنده أصحابه، فَضَنَّ كل رجل بمجلسه، فأخذ رسول الله ﷺ رداءه فألقاه إليه، فتلقاه بِنَحْرِهِ ووجهه، فقبَّله ووضعه على عينيه وقال: أكرمك الله كما أكرمتنى، ثم وضعه على ظهر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: من كـان يؤمن بالله واليـوم الآخـر فـإذا أتى كـريم [قـوم](١) فليكرمه(٢). قـال هـذا حـديث صـحـيح [الإسناد ولم يخـرجـاه بهـذه السياقة].

وخرَّج ابن حبّان من حديث عبد الله بن لهيعة، عن محمد بن عبد الله ابن نوفل، عن عـروة بن الزبيـر قـال: كـان طول رداء رسـول الله ﷺ أربعـة أذرع، وعرضه ذراعين ونصف، وكان له ثوب أخضر يلبسه للوفود إذا قدموا عليه.

= احمد فى (المسند): ٣/٢٥٧، ٢٨١، عن عفان بن مسلم، عن حماد بن سلمة، عن حميد، عن الحسن وعن انس، واخرجه ايضًا الإمام احمد فى (المسند): ٣/٢٦٢، من طريق عبد الله بن محمد.

وبرد قِطْرى: ضرب من البرود فيه حمرة ولها اعلام فيها بعض الخشونة، قال الأزهرى: فى اعراض البحرين قرية يقال لها: قطر، واحسب الثياب القطرية نسبت إليها، فخففوا وكسروا القاف للنسبة، وقالوا: قِطْرىّ والأصل قَطَرى. (المرجع السابق).

(١) زيادة للسياق من (المستدرك).

(٢) (المستدرك): ٤/٣٢٤، كتاب الأدب، حديث رقم (٧٧٩١)، وسكت عنه الحافظ الذهبى فى (التلخيص)، وقال محققه: قال فى (الفيض): قال الذهبى فى (مختصر المدخل): طرقه كلها ضعيفة، وله شاهد مرسل، وحكم ابن الجوزى بوضعه، وتعقبه العراقى ثم تلميذه ابن حجر بأنه ضعيف لا موضوع.

وفي لفظ أن ثوب رسول الله ﷺ، الذى كان يخرج فيه للوفود، رداء وثوب أخضر، طوله أربعة أذرع، وعرضه ذراعان وشبر، وهو عند الخلفاء اليوم قد خَلِق، فَطوَوْه بثوب يلبسونه يوم الفطر ويوم الأضحى(١).

ويروى بإسناد ضعيف عن عائشة رضى الله عنه أنها قالت: كان رداء رسول الله ﷺ أربعة أذرع وشبراً، فى ذراعين وشبر(٢).

وبإسناد ضعيف عن ابن عمر رضى الله عنه أن النبى ﷺ كان يلبس رداءً مربعًا، ويقال: كان اسم ردائه عليه السلام الفتح، وكان له رداء يقال له: الحضرمى، وبه كان يشهد العيدين، طوله أربعة أذرع، وعرضه ذراعان وشبر(٢).

* * *

(١) (أخلاق النبى): ١١٠.

(٢) قال ابن حاتم: سألته عن حديث رواه أبو هارون البكاء القزوينى عن ابن لهيعة عن عقيل عن مكحول، قال: كان رداء النبى ﷺ أربعة أذرع ونصف فى ذراعين ونصف، فسمعت أبى يقول: كذا حدثنا أبو هارون، وحدثنا إبراهيم بن المنذر عن ابن وهب عن ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة، قال: كان رداء النبى ﷺ ...، قلت لأبى فأيهما أصح؟ قال: لا يضبط عندى، جميعًا ضعيفين. (علل الحديث): ١/ ٤٨٢، حديث رقم (١٤٤١).

وأما القباءُ والمفرّج

فخرج البخارى من حديث الليث بن سعد، عن يزيد عن أبى الخير عن عقبة بن عامر الجهنى رضى الله عنه قال: أهدى إلى النبى ﷺ فَرُّوج حرير فلبسه فصلى فيه، ثم انصرف فنزعه نزعًا شديداً كالكاره له، وقال: لا ينبغى هذا للمتقين(١). ترجم عليه فى الصلاة، باب من صلى فى فروج حرير ثم نزعه، وخرّجه مسلم(٢) والنَّسائى(٣) بنحوه. الفرُّوج بفتح الفاء وضم الراء المشددة، وحكى ضم الفاء وتخفيف [الراء] وهو ضعيف، وهو قبالة شق من خلفه، وتسميه أهل زماننا المفرج.

ولمسلم من حديث خالد(٤) بن عبد الله عن عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، عن عبد الله مولى أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها قال: أرسلتنى أسماء إلى عبد الله بن عمر رضى الله عنه فقالت: بلغنى أنك تحرم أشياء ثلاثة: العَلَم فى الثوب، وميثرة الأرجوان، وصوم رجب كله، فقال لى عبد الله: أما ما ذكرت من رجب، فكيف بمن يصوم الأبد، وأما ما ذكرت من العَلم فى الثوب، فإنى سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه

---

(١) (فتح البارى): ١/٦٣٩، كتاب الصلاة، باب (١٦) من صلى فى فروج حرير ثم نزعه، حديث رقم (٣٧٥)، ١٠/٣٣٠، كتاب اللباس، باب (١٢) القباء وفروج حرير وهو القباء، ويقال: هو الذى شق من خلفه، حديث رقم (٥٨٠١).

(٢) (مسلم بشرح النووى): ١٤/٢٩٥-٢٩٦، كتاب اللباس والزينة، باب (٢) تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء، وخاتم الذهب والحرير على الرجال وإباحته للنساء، وإباحة العَلَم ونحوه للرجال، ما لم يزد على أربع أصابع، حديث رقم (٢٠٧٥).

(٣) (سنن النسائى): ٢/٤٠٦، كتاب الصلاة، باب (٩) الصلاة فى الحرير، حديث رقم (٧٦٩).

(٤) فى (خ): «مخلد»، وصوبناه من (صحيح مسلم).

يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنما يلبس الحرير من لا خلاق له، فخفتُ أن يكون العلم منه.

وأما ميثرة الأرجوان، فهذه ميثرة عبد الله، فإذا هي أرجوان، فرجعتُ إلى أسماء فخبرتها فقالت: هذه جُبَّة رسول الله ﷺ، فأخرجت إليّ جُبة طيالسية كسروانية[1]، لها لبنة ديباج، وفرجيها مكفوفان بالديباج، فقالت: هذه كانت عند عائشة رضي الله عنها حتى قُبضتْ، فلما قبضت قبضتها، وكان النبي ﷺ يلبسها، فنحن نغلسها للمرضى يُستشفى بها[2].

وخرجه ابن أيمن من حديث وكيع عن المغيرة بن زياد عن أبي عمر مولى أسماء قال: رأيت ابن عمر اشترى عمامة لها علم، فدعا بالجلمين فقصّه، فدخلتُ على أسماء فذكرت ذلك لها، فقالت: بؤسًا لعبد الله يا جارية، هاتي جُبة رسول الله ﷺ فجاءت بجبة مكفوفة الكمين والجيبين والفرج بالديباج.

وفي لفظ عن ابن عمر عن أسماء أنها أخرجتْ جبة مزرورة بالديباج فقالت: كان رسول الله ﷺ يلبس هذا.

* * *

---

(١) في (خ): «خرقانية»، وما أثبتناه من (المرجع السابق).

(٢) (مسلم بشرح النووي): ١٤ / ٢٨٨-٢٨٩، كتاب اللباس والزينة، باب (٢)، حديث رقم (٢٠٦٩)، والميثرة كما قال الطبري: هي وعاء يوضع على سرج الفرس أو رحل البعير من الأرجوان، وحكى في (المشارق) قولاً أنها سروج من ديباج، وقولاً أنها اغشية للسروج من حرير، وقولاً أنها تشبه المخدة تحشى بقطن او ريش يجعلها الراكب تحته، وهذا يوافق تفسير الطبري، والأقوال الثلاثة يحتمل الا تكون متخالفة، بل الميثرة تطلق على كل منها. (فتح الباري): ١٠ / ٣٧٧.

وأما البُردة

فقد خرّج البخارى من حديث مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة، عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: كنت أمشى مع رسول الله ﷺ وعليه بُرد نجرانىّ غليظ الحاشية، فأدركه أعرابى فجبذه بردائه جبذة شديدة، حتى نظرت إلى صفحة رسول الله ﷺ، قد أثرت بها حاشية البُرد من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد! مُر لى من مال الله الذى عندك، فالتفت إلىَّ رسولُ الله ﷺ ثم ضحك، ثم أمر له بعطاء. ذكره فى كتاب اللباس(١) فى باب البرود والحبرة والشملة، وفى كتاب الأدب(٢) فى باب التبسّم والضحك، وفى الخمس(٣) بألفاظ متقاربة، وخَرَّجه مسلم(٤) من عدة طرق(٥).

---

(١) (فتح البارى): ١٠/٣٣٨، كتاب اللباس باب (١٨) البرود والحبر والشملة، حديث رقم (٥٨٠٩).

(٢) (المرجع السابق): ١٠/٦١٧، كتاب الأدب، باب (٦٨) التبسم والضحك، حديث رقم (٦٠٨٨).

(٣) (المرجع السابق): ٦/٣٠٩، كتاب فرض الخمس، باب (١٩) ما كان النبى ﷺ يعطى المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، حديث رقم (٣١٤٩).

(٤) (مسلم بشرح النووى): ٧/١٥٣، كتاب الزكاة، باب (٤٤)، عطاء من سأل بفحش وغلظة، حديث رقم (١٠٥٧)، قال الإمام النووى: وفيه احتمال الجاهلين، والإعراض عن مقابلتهم، ودفع السيئة بالحسنة، وإعطاء من يتألف قلبه، والعفو عن مرتكب كبيرة لا حد فيها بجهله، وإباحة الضحك عند الأمور التى يتعجب منها فى العادة، وفيه كما خلق الرسول ﷺ وحلمه وصفحه الجميل.

(٥) منها: حدثنا زهير بن حرب، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، حدثنا همام، وحدثنى زهير بن حرب، حدثنا عمر بن يونس، حدثنا عكرمة بن عمار وحدثنى سلمة بن شبيب، حدثنا أبو المغيرة، حدثنا الأوزاعى، كلهم عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة، عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ =

وللبخارى من حديث أبى حازم عن سهل بن سعد قال: جاءت امرأة ببردة - قال سهل: هل تدرون ما البردة؟ قالوا: نعم هى الشملة منسوج فى حاشيتها - قالت: يا رسول الله! إنى نسجتُ هذه بيدى أكسوكها، فأخذها رسول الله ﷺ محتاجًا إليها، فخرج إلينا وإنها لإزاره، فحبسها رجل من القوم فقال: يا رسول الله! اكسنيها، قال: نعم، فجلس ما شاء الله فى المجلس، ثم رجع فطواها، ثم أرسل بها إليه.

فقال له القوم: ما أحسنتَ، سألتها [إياه]، وقد عرفت أنه لا يرد سائلاً، فقال الرجل: والله ما سألتها إلا لتكون كفنى يوم أموت، قال سهل: فكانت كفنه. ذكره فى كتاب الجنائز(١) فى باب من استعد الكفن فى زمان النبى ﷺ. وفى كتاب الأدب(٢) فى باب حسن الخُلق. وفى كتاب اللباس(٣) وفى كتاب البيوع(٤) فى باب النسَّاج.

وخرَّج أبو عبد الله الحاكم من حديث يونس بن أبى إسحاق عن العيزار ابن حريث، عن أم الحصين الأحمسية قالت: رأيت النبى ﷺ وعليه بردة قد التفع بها تحت إبطة، كأنى أنظر إلى عضلة عضدة ترتجّ، فسمعتُه يقول: يا أيها الناس، اتقوا الله وإن أمّر عليكم عبد حبشيٌّ فاسمعوا له وأطيعوا، ما

= بهذا الحديث، وفى حديث عكرمة بن عمار من الزيادة قال: «جبذه إليه رجع نبى الله ﷺ فى نحر الأعرابى، وفى حديث همام: «فجاذبه حتى انشق البرد وحتى بقيت حاشيته فى عنق رسول الله ﷺ». (المرجع السابق): الحديث الذى يلى السابق من أحاديث الباب.

(١) (فتح البارى): ٣/١٨٤، كتاب الجنائز، باب (٣٨)، من استعد الكفن فى زمن النبى ﷺ فلم ينكر عليه، حديث رقم (١٢٧٧).

(٢) (المرجع السابق): ١٠/٥٥٩، كتاب الأدب، باب (٣٩) حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، حديث رقم (٦٠٣٦).

(٣) (المرجع السابق): ١٠/٣٣٨، كتاب اللباس، باب (١٨) البرود والحبرة والشملة، حديث رقم (٥٨٠٩).

(٤) (المرجع السابق): ٤/٣٩٩، كتاب البيوع، باب (٣١) النساج، حديث رقم (٢٠٩٣).

أقام لكم كتاب الله [عز وجل](١) قال الحاكم: حديث صحيح الإسناد(٢) [ولم يخرجاه](١).

ومن حديث الأعمش عن جامع بن شداد، عن كلثوم الخزاعى، عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال: دخلنا على رسول الله ﷺ نعوده وهو مريض، فوجدناه نائمًا، قد غطى وجهه ببرد عدنىّ، فكشف عن وجهه ثم قال: لعن الله اليهود يحرمون شحوم الغنم ويأكلون أثمانها. قال: هذا حديث صحيح الإسناد(٣) [ولم يخرجاه](١).

وللنسائى من حديث همام، أخبرنا قتادة عن مطرف عن عائشة رضى الله عنها، أنها عملت للنبى ﷺ بردة سوداء من صوف، فلبسها، فلما عرق فوجد ريح الصوف طرحها، وكان يحب الريح الطيبة(٤).

وخرَّجه أبو داود أيضًا ولفظه: صنعت للنبى ﷺ بردة سوداء فلبسها، فلما عرق فيها وجد ريح الصوف فقذفها، قال: وأحسبه قال: وكان يعجبه الريح الطيبة(٤).

وخرجه قاسم بن أصبغ وابن أيمن، ولفظهما: أن النبى ﷺ لبس بردة سوداء فقالت عائشة رضى الله عنها: ما أحسنها عليك يا رسول الله!

---

(١) زيادة للسياق من (المستدرك).

(٢) (المستدرك): ٤/٢٠٦، كتاب اللباس، حديث رقم (٧٣٨١)، وقال عنه الحافظ الذهبى فى (التلخيص): صحيح.

(٣) (المرجع السابق): ٤/٢١٥، كتاب اللباس، حديث رقم (٧٤١٤)، وقال عنه الحافظ الذهبى فى (التلخيص): صحيح.

(٤) (عون المعبود): ١١/٨٦، كتاب اللباس باب (٢١) فى السواد، حديث رقم (٤٠٦٨)، وفى بعض نسخه: «صبغت» بدلاً من: «صنعت»، «الطيب» بدلاً من «الطيبة»، قال المنذرى: وأخرجه النسائى مسنداً ومرسلاً، والحديث يدل على مشروعية لبس السواد وأنه لا كراهية فيه.

يشرب بياضُك سوادَها، ويشرب سوادُها بياضَك، فبدا له منها ريح فألقاها(١).

وخرّج الإمام أحمد من حديث يونس بن عُبيد [عن عبيدة](٢) عن عبد ربه الهجيمى، عن جابر بن سليم - أو سليم بن جابر(٣) - قال: أتيتُ النبى ﷺ وهو جالس مع أصحابه فقلت: أيكم النبى؟ فإما أن يكون أَوْمَأَ إلى نفسه، وإما أن يكون أشار إليه القوم، فإذا هو مُحتبٍ(٤)، ببردة قد وقع هُدْبُها على قدميه. وذكر الحديث(٥).

ولأبى داود من حديث أبى معاوية، عن هلال بن عامر عن أبيه قال: رأيت النبى ﷺ [بمنى](٦) يخطب على بغلة(٧)، وعليه بُرد أحمر، وعلىّ [رضى الله عنه](٦) أمامه يعبِّر عنه(٨).

---

(١) قال ابن أسعد بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: جُعل للنبى ﷺ بردة سوداء من صوف فلبسها، فذكرتْ بياض النبى ﷺ وسوادها، فلما عرق فيها وجد منها ريح الصوف، تعنى قذفها، وكان تعجبه الريح الطيبة. (طبقات ابن سعد): ١/٤٥٣، ورواه الحاكم بلفظ: «جبة» وقال: صحيح على شرط الشيخين، (إتحاف السادة المتقين): ٨/٢٥٣، كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة.

(٢) ما بين الحاصرتين فى (خ) فقط، وليست فى (المسند).

(٣) الصحيح كما فى (المسند): «جابر بن سليم الهجيمى».

(٤) فى (خ): «محتبى».

(٥) فقال: فقلت: يا رسول الله أجفو عن اشياء فعلمنى: قال: «اتق الله عزّ وجل ولا تحقرن من المعروف شيئًا ولو ان تفرغ من دلوك فى إناء المستسقى، وإيّاك والمخيلة فإن الله تبارك وتعالى لا يحب المخيلة، وإن امرؤ شتمك وعيرك بامر يعلمه فيك فلا تعيره بامر تعلمه فيه، فيكون لك اجره وعليه إثمه، ولا تشتمن أحداً». (مسند احمد): ٦/٥٥-٥٦، حديث رقم (٢٠٠٩).

(٦) زيادة للسياق من (عون المعبود).

(٧) فى (خ): «على بغلته»: وما اثبتناه من (المرجع السابق).

(٨) (عون المعبود): ١١/٨٤، كتاب اللباس، حديث رقم (٤٠٦٧).

وله من حديث إياد عن أبى رِمْثة قال: انطلقت مع أبى نحو النبى ﷺ، فرأيت عليه بردان أخضران(١).

وخرّجه الترمذى وقال: حديث حسن غريب. وخرجه النسائى(٢).

* * *

(١) (عون المعبود): ١١ /٧٨، كتاب اللباس، حديث رقم (٤٠٥٩)، وفى (خ): «بردين أخضرين» وما أثبتناه من (جامع الأصول): ١٠ /٦٧٥-٦٧٦، حديث رقم (٨٣٢٣)، وقال فى رواية أبى داود والترمذى: «وعليه ثوبان أخضران»، وفى رواية النسائى: «وعليه بردان أخضران».

(٢) قال فى جامع الأصول: رواه أبو داود برقم (٤٠٦٥) فى اللباس، باب فى الخضرة، والترمذى رقم (٢٨١٣)، فى الأدب، باب ما جاء فى الثوب الأخضر، والنسائى ٨ /٢٠٤ فى الزينة، باب لبس الخضر من الثياب، وفى العيدين، باب الزينة للخطبة وللعيدين، وقال الترمذى: هذا حديث حسن غريب، وهو كما قال. (جامع الأصول): ١٠ /٦٧٦ «هامش».

وأمـا الجُبَّـة

فخرج مسلم من حديث عامر الشعبى، عن عروة بن المغيرة عن أبيه قال: كنت مع النبى ﷺ ذات ليلة فى مسير، فقال لى: أمعك ماء؟ قلت نعم، فنزل عن راحلته فمشى[1] حتى توارى فى سواد الليل ثم جاء[2] فأفرغت عليه من الإداوة، فغسل وجهه، وعليه جبة من صوف فلم يستطع[3] أن يُخرج ذراعيه منها، حتى أخرجهما من أسفل الجبة، فغسل ذراعيه، ومسح برأسه، ثم أهويت لأنزع خفيه فقال: دعهما، فإنى أدخلتهما طاهرتين، ومسح عليهما[4].

وخرّجه البخارى وقال: ذات ليلة فى سفر. وقال: حتى توارى عنى. ذكره فى كتاب اللباس، وترجم عليه باب: جبة الصوف فى الغزو[5]، وذكره أيضًا فى كتاب الطهارة مختصرًا، وترجم عليه باب: إذا أدخل

---

(١) فى (خ): «ومشى».

(٢) فى (خ): «وجاء».

(٣) فى (خ): «لا يستطيع».

(٤) (مسلم بشرح النووى): ٣/١٧٣، كتاب الطهارة، باب (٢٢) المسح على الخفين، حديث رقم (٧٩)، قوله ﷺ: (فإنى أدخلتهما طاهرتين): فيه دليل على أن المسح على الخفين لا يجوز إلا إذا لبسهما على طهارة كاملة، بأن يفرغ من الوضوء بكماله ثم يلبسهما، لأن حقيقة إدخالهما طاهرتين أن تكون كل واحدة منهما أُدخلت وهى طاهرة، وقد اختلف العلماء فى هذه المسألة [وبَسْطَ القولِ فى ذلك محله كتب الفقه].

(٥) (فتح البارى): ١٠/ ٣٣٠، كتاب اللباس، باب (١١)، لبس جُبَّة الصوف فى الغزو، حديث رقم (٥٧٩٩).

رجليه وهما طاهرتان[١]. وذكره فى غزو تبوك[٢].

ولمسلم من طريق الأعمش، عن مسلم عن مسروق، عن المغيرة بن شعبة قال: [كنتُ][٣] مع النبى ﷺ فى سفر فقال: يا مُغيرة، خذ الإداوة فأخذتها، ثم خرجت معه، فانطلق [رسول الله ﷺ][٣] حتى توارى عنى، فقضى حاجته، ثم جاء وعليه جبة شامية ضيقة الكمين، فذهب يخرج يده من كمها فضاقت [عليه][٣]، فأخرج يده من أسفلها، فصببت عليه، فتوضأ وضوءه للصلاة، ثم مسح على خفيه، [ثم][٣] صلى[٤].

وذكره البخارى فى أول كتاب الصلاة، وترجم عليه: باب الصلاة فى الجبة الشامية[٥]. وذكره فى كتاب الجهاد فى باب الجبة فى السفر والحرب[٦].

وذكره فى كتاب اللباس، فى باب من لبس جبة ضيقة الكمين [فى السفر][٧]، ولفظه: انطلق النبى ﷺ لحاجته، ثم أقبل فتلقيتُه بماء، فتوضأ وعليه جبة شامية، فمضمض واستنشق وغسل وجهه، فذهب يخرج يديه من كميه فكانا ضيقين، فأخرج يديه من تحت يديه فغسلهما ومسح

---

(١) (فتح البارى): ١/٤٠٩، كتاب الوضوء، باب (٤٩)، حديث رقم (٢٠٦).

(٢) (فتح البارى): ٨/١٥٨، كتاب المغازى، باب (٨٣)، بدون ترجمة، حديث رقم (٤٤٢١).

(٣) زيادات للسياق من (صحيح مسلم).

(٤) (مسلم بشرح النووى): ٣/١٧٢، كتاب الطهارة، باب (٢٢)، المسح على الخفين، حديث رقم (٧٧).

(٥) (فتح البارى): ١٤/٦٢٤، كتاب الصلاة، باب (٧) الصلاة فى الجبة الشامية، حديث رقم (٣٦٣).

(٦) (فتح البارى): ٦/١٢٤-١٢٥، كتاب الجهاد، باب (٩٠) الجبة فى السفر والحرب، حديث رقم (٢٩١٨).

(٧) زيادة للسياق من (صحيح البخارى).

برأسه وعلى خُفّيه(١). لم يذكر في الجهاد قوله: يديه، إنما قال: من تحت.

ولفظ مسلم: خَرَج رسول الله ﷺ ليقضي حاجته، فلما رجع تلقيته بالإداوة، فصببت عليه، فغسل يديه ثم غسل وجهه، ثم ذهب ليغسل ذراعيه، فضاقت الجبة، فأخرجهما من تحت الجبة، فغسلهما، ومسح رأسهُ ومسح على خفيه، ثم صلى بنا(٢).

وخرّجاه من طرق ليس فيها ذكر الجبة، وقد جاء في بعض طرق هذا الحديث، عن عبيد الله بن إياد بن لقيط، عن أبيه، عن قبيصة، عن المغيرة ابن شعبة قال: خرجتُ مع النبي ﷺ في بعض ما كان يسافر، فسرنا حتى إذا كان في وجه الصبح، انطلق حتى توارى عنا ضرب الخلاء، ثم جاء، فدعى بطهور، وعليه جبة شامية ضيقة الكمين، فأدخل يده من تحت الجبة، ثم غسل وجهه ويديه، ومسح على الخفين(٣).

ولابن حبان من حديث جابر الجعفي، عن عامر عن دحية الكلبي، أنه أهدى إلى النبي ﷺ جبة من الشام وخفين، فلبسهما حتى تخرّقا.

وقال وكيع: حدثنا أبو حباب الكلبي عن جامع بن شداد الهلالي عن طارق بن عبد الله المحاربي قال: رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز عليه جُبّة حمراء(٤). ويروى أنه عليه السلام ترك جبة يمنية.

وخرَّج الحاكم أبو عبد الله، من حديث همَّام عن قتادة، عن مطرف عن

---

(١) (فتح الباري): ١٠/٣٢٩، كتاب اللباس، باب (١٠)، من لبس جبة ضيقة الكمين في السفر، حديث رقم (٥٧٩٨).

(٢) (مسلم بشرح النووي): ٣/١٧٢-١٧٣، كتاب الطهارة، باب (٢٢)، المسح على الخفين، حديث رقم (٧٨).

(٣) (اللؤلؤ والمرجان): ١/٦٢-٦٣، حديث رقم (١٥٨)، (١٥٩) لكن بلفظ آخر.

(٤) (مجمع الزوائد): ٦/٢١.

عائشة رضى الله عنها، أنها صنعت لرسول الله ﷺ جبة من صوف سوداء، فلبسها، فلما عرق وجد ريح الصوف، فخلعها، وكان يعجبه الريح الطيب(١). قال هذا حديث صحيح [على شرط الشيخين ولم يخرجاه](٢)، وقد تقدم لكن فيه: أنها عملت بردة.

وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون، قال: أخرجت إلينا أسماء جبَّة مزرَّرة بالديباج فقالت: فى هذه كان يلقى رسول الله العدو(٣).

* * *

(١) (المستدرك): ٤/ ٢٠٩، كتاب اللباس، حديث رقم (٧٣٩٣)، وقال عنه الذهبى فى (التلخيص): على شرط البخارى ومسلم.

(٢) زيادة للسياق من (المرجع السابق).

(٣) (مسند أحمد): ٧/ ٤٧٨، حديث رقم (٢٦٤٠٤).

وأمــا الحُــلَّة

الحلة: إزار ورداء بُردًا أو غيره، ولا يقال لها: حلة حتى تكون من ثوبين، والجمع حُلل وحلال(١).

خرَّج البخارى من حديث شعبة، عن أبى إسحاق سمع البراء بن عازب يقول: كان النبى ﷺ مربوعًا، وقد رأيته فى حلة حمراء، ما رأيت شيئًا أحسن منه.

وفى لفظ له: ما رأيتُ أحدًا أحسن فى حلة حمراء من النبى ﷺ. ذكره فى كتاب اللباس(٢)، وفى كتاب المناقب(٣).

وخرجه مسلم ولفظه: كان النبى ﷺ مربوعًا بعيد ما بين المنكبين، له شعر يبلغ شحمة أذنيه، رأيته فى حلة حمراء، ما رأيتُ شيئًا قط أحسن منه ﷺ(٤).

وفى لفظ له: كان رسول الله ﷺ رجلاً مربوعًا، بعيد ما بين المنكبين، عظيم الجمة إلى شحمة أذنيه، عليه حلة حمراء، ما رأيتُ شيئًا قط أحسن منه(٤).

---

(١) (لسان العرب): ١١/١٧٢-١٧٣.

(٢) (فتح البارى): ١٠/٣٧٥، كتاب اللباس، باب (٣٥)، الثوب الأحمر حديث رقم (٥٨٤٨).

(٣) (فتح البارى): ٦/٧٠٠، كتاب المناقب، باب (٢٣) صفة النبى، حديث رقم (٣٥٥١).

(٤) (مسلم بشرح النووى): ١٥/٩٧، كتاب الفضائل، باب (٢٥)، فى صفة النبى ﷺ وأنه كان أحسن الناس وجها، حديث رقم (٢٢٣٧).

وفى لفظ لمسلم والترمذى: عن البراء، ما رأيت [من ذى](١) لُمة، أحسن فى حلة حمراء، من رسول الله ﷺ، شعره يضرب منكبيه، بعيد ما بين المنكبين، ليس بالطويل ولا بالقصير(٢). وقال الترمذى(٣): هذا حديث حسن صحيح، وله عدة طرق، ألفاظها متقاربة.

وقال حجاج عن أبى جعفر محمد بن على عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ، كان يلبس بُردهُ الأحمر فى الجمعة والعيدين(٤).

وخرّجه ابن حِبّان ولفظه: كان للنبى ﷺ بُردًا أحمر يلبسه فى العيدين(٥).

وقال زمعة بن صالح، عن أبى حازم عن سهل بن سهل رضى الله عنه قال: حيك لرسول الله ﷺ حلة أنمار من صوف أسود، وجعل حاشيتها بيضاء، فخرج فيها إلى أصحابه، فضرب على فخذه فقال: ألا ترون هذه ما أحسنها، فقال أعرابي: بأبى أنت وأمى يا رسول الله، فهبها لى، وكان رسول الله ﷺ لا يُسْأَلُ شيئًا قط فيقول: لا، فقال [ﷺ]: نعم، فدعا

---

(١) زيادة للسياق من (صحيح مسلم)، وفى (خ): «ذا».

(٢) (مسلم بشرح النووى): ١٥/٩٧، كتاب الفضائل، باب (٢٥) فى صفة النبى ﷺ، وأنه كان أحسن الناس وجهًا، حديث رقم (٩٢).

(٣) (الشمائل المحمدية): ٣٠-٣١، باب (١)، جاء فى خَلْق رسول الله ﷺ، حديث رقم (٤)، وأخرجه الترمذى فى (الجامع الصحيح) فى كتاب اللباس، باب ما جاء فى الرخصة فى الثوب الأحمر، حديث رقم (١٧٢٤)، وقال: حسن صحيح، وفى كتاب المناقب، باب ما جاء فى صفة النبى ﷺ، حديث رقم (٣٦٣٥)، والنسائى فى (السنن)، كتاب الزينة، باب اتخاذ الجمة من طرق عن وكيع، عن سفيان بن سعيد الثورى، عن أبى إسحاق السبيعى به.

(٤) (إتحاف السادة المتقين): ٨/٢٥٦، كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة، (السنن الكبرى للبيهقى): ٣/٢٤٧، كتاب الجمعة، باب ما يستحب من الارتداء ببرد، (كنز العمال): ٧/١٢١، حديث رقم (١٨٢٨١)، (المطالب العالية): ١/١٧١، باب الأمر بالتجمل للجمعة.

(٥) (أخلاق النبى): ١١٤.

بمعْوذين فلبسهما، وكسى الأعرابى الحلة، ثم أمر بمثلهما تحاكان له، فمات ﷺ وهما فى الحياكة(١).

وخرّجه ابن حبان ولفظه: قال خيطت لرسول الله ﷺ جبة من صوف أنمار فلبسها، فما أُعجب بثوب ما أعجب به، فجعل يمسه بيده ويقول: أنظروا! ما أحسنها؛ وفى القوم أعرابى فقال: يا رسول الله، هبها لى، فخلعها [ﷺ] فدفعها فى يديه.

وذكر الزبير بن بكار، عن محمد بن سلام، عن يزيد بن عياض قال: أهدى حكيم بن حزام للنبى ﷺ فى الهدنة التى كانت بين النبى ﷺ وبين قريش حلة ابن ذى يزن، اشتراها بثلاثمائة دينار، فردَّها عليه وقال: لا أقبل هدية مشرك، فباعها حكيم، فأمر رسول الله ﷺ من اشتراها له، فلبسها رسول الله ﷺ فلما رآه حكيم قال له:

ما ينظر الحكام بالفضل بعدما بدا سابقٌ ذو غرّة وحجول

فكساها رسول آلله ﷺ أسامة بن زيد بن حارثة، فرآها عليه حكيم فقال: بخٍ بخٍ(٢) يا أسامة، عليك حلة ابن ذى يزن! فقال له رسول الله ﷺ: قل له: وما يمنعنى؟ وأنا خيرٌ منه وأبى خيرٌ من أبيه(٣).

وذكر محمد بن عمر الواقدى عن الضحاك بن عثمان، عن أهله قال: قال حكيم بن حزام: كنت أعالج البزّ فى الجاهلية، فكنتُ رجلاً تاجراً أخرج إلى اليمن وإلى الشام فى الرحلتين(٤)، فكنت أربحُ أرباحًا كثيرة، فأعود على فقراء قومي، ونحن لا نعبد شيئًا، نريد ثراء الأموال والمحبة فى العشيرة، وكنت أحضُر الأسواق، وكانت لنا ثلاثة أسواق: سوق لعكاظ، تقوم صُبح هلال ذى القعدة، فتقوم عشرين يومًا وتحضرها العرب، وبه ابتعت زيد بن حارثة لعمتى خديجة بنت خويلد - وهو يومئذ غلام -

(١) (مجمع الزوائد): ٥/ ١٣٠.
(٢) اسم فعل يفيد الاستحسان.
(٣) (سير أعلام النبلاء): ٣/ ٤٦-٤٧.
(٤) رحلة الشتاء والصيف.

فأخذته بستمائة درهم، فلما تزوج رسول الله ﷺ خديجة، سألها زيداً فوهبتْه له فأعتقه.

وبه ابتعت حلة ابن ذى يزن، فكسوتها رسول الله ﷺ، فما رأيتُ أحداً قط أجمل ولا أحسن من رسول الله ﷺ فى تلك الحلة(١).

وخرجه الإمام أحمد من حديث عبد الله بن المبارك، أخبرنا الليث بن سعد قال: حدثنى عبيد الله بن المغيرة عن عراك بن مالك، أن حكيم بن حزام قال: كان محمد أحبّ رجل فى الناس إلىّ فى الجاهلية، فلما تنبّأ وخرج إلى المدينة، شهد حكيم بن حزام الموْسِم وهو كافر، فوجد حُلّة لذى(٢) يزن تباع، فاشتراها بخمسين ديناراً ليهديها لرسول الله ﷺ، فقدم بها عليه المدينة، فأراد علىّ قبضها هدية فأبى، قال عبيد الله: حَسِبْتَهُ قال(٣): إنا لا نقبل شيئًا من المشركين، ولكن إن شئت أخذناها بالثمن، فأعطيتُه حين أبى علىَّ الهدية(٤)، وقد خرّجه الحاكم(٥) من حديث أبى صالح عن الليث، ثم قال: صحيح الإسناد [ولم يخرجاه](٦).

تم بحمد الله تعالى الجزء السادس
ويليه الجزء السابع وأوله: «وأما الخرقة التى كان يتنشف بها»

---

(١) (سير أعلام النبلاء): ٣/٤٧، مختصراً، (جمهرة نسب قريش): ٣٦٧-٣٦٩، مطولاً.

(٢) فى (خ): «لابن ذى يزن»، وما أثبتناه من (المسند).

(٣) فى (المسند): «حسبت أنه قال».

(٤) (مسند أحمد): ٤/٤٠٤-٤٠٥، حدث رقم (١٤٨٩٩).

(٥) (المستدرك): ٣/٥٥١-٥٥٢، كتاب معرفة الصحابة، حديث رقم (٦٠٥٠)، وقال فى آخره: قال حكيم: «فانطلقت إلى مكة أعجبهم بقول أسامة» وقال عنه الذهبى فى (التلخيص): صحيح.

(٦) ما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (المستدرك).

إمتاع الأسماع

بما للنبيّ صلى الله عليه وسلم من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع

تأليف

تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي
المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

تحقيق وتعليق

محمد عبد الحميد النميسي

الجزء السابع

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٢٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ١١ - ٩٤٢٤ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH
Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

ISBN 2-7451-2208-8

http://www.al-ilmiyah.com.lb/
e-mail : sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

وأمـا الخرقة التى كان يتنشف بها

فخرج ابن مندة من حديث أبى معاذ عن ابن شهاب، عن عروة عن عائشة رضى الله عنها، أن رسول الله ﷺ، كانت له خرقة يتنشف بها بعد الوضوء(١).

وخرجه الدارقطنى فى كتاب (السنن)، من طريق ابن وهب عبد الله قال: حدثنى زيد بن الحباب، عن أبى معاذ، عن ابن شهاب، عن عروة عن عائشة، قال: كان لرسول الله ﷺ خرقة يتنشف بها بعد وضوئه. قال الدارقطنى: أبو معاذ هو سليمان بن أرقم، وهو متروك(٢).

قال مؤلفه [رحمه الله تعالى]: هو أبو معاذ، سليمان بن أرقم البصرى، يروى عن الحسن وابن سيرين، وعطاء بن أبى رباح، وعمر بن عبد العزيز، وابن شهاب، ويحيى بن أبى كثير.

ويروى عنه الزهرى شيخه، والثورى، ويحيى بن حمزة، وزيد بن الحباب، وخلق [كثير].

قال أحمد: ليس بشئ، قال ابن معين: ليس بسوى، قلنا: وقال البخارى: اتركوه، وقال ابن عَدِىّ: عامة ما يرويه لا يُتابع عليه، وقال الترمذى وجماعة: متروك.

خرَّج عنه أبو داود، والترمذى، والنَّسائى، وله عندهم حديث: لا نذر

(١)،(٢) قال العلامة أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادى: والحديث أخرجه الترمذى، وفيه أبو معاذ وهو ضعيف، وقال الترمذى بعد أن روى الحديث: ليس بالقائم، ولا يصح فيه شئ، وأخرجه الحاكم، وأخرج الترمذى من حديث معاذ: رأيت رسول الله ﷺ إذا توضأ مسح وجهه بطرف ثوبه، قال الحافظ: وإسناده ضعيف، وفى الباب عن سليمان أخرجه ابن ماجة، قال ابن أبى حاتم: وروى عن انس ولا يُحتمل أن يكون مسنداً. (التعليق المغنى على الدارقطنى): ١/ ١١٠-١١١.

في معصية، وحديث: الصدقات، وحديث: كان للنبي ﷺ خرقة يتنشف بها. وليس له عندهم غير ذلك.

وذكره ابن بَطَّال في شرح البخاري، من حديث زيد بن الحباب عن ابن شهاب، ثم قال: وبه قال عثمان بن عفان، وعلى بن أبى طالب، وابن عمر، وأنس بن مالك، وابن مسعود، والحسن، والشعبى، وابن سيرين، وعلقمة، والأسود، ومسروق، وهو قول مالك، والثورى وأبى حنيفة، والأوزاعى، وأحمد، وإسحاق.

وكره ذلك: جابر بن عبد الله، وعطاء، وابن أبى ليلى، وابن المسيّب، والنخعى، وأبو العالية، وهو قول الحسن بن حُيَيْ.

وذكره محمد بن سعد من حديث أبى عمرو بن العلاء، عن إياس بن جعفر الحنفى، قال: أُخبرتُ أن رسول الله ﷺ كانت له خرقة يتنشّف بها عند الوضوء(١).

ويقال: إن حكيم بن حزام قدم بتلك الحُلّة فى هدنة الحديبية وهو يريد الشام فى عِير، فأرسل الحلة إلى رسول الله ﷺ، فأبى أن يقبلها وقال: لا أقبل هدية مشرك، قال حكيم: فجزعتُ من ذلك جزعًا شديداً حيث ردَّ هديتى، فبعتها بسوق النبط من سائم سامنى، ودَسَّ إليها رسول الله ﷺ زيد بن حارثة فاشتراها، فرأيت رسول الله ﷺ يلبسها بعد، وذكر بقية الخبر.

---

(١) (طبقات ابن سعد): ١/٣٨٦، لكن قال ابن القيم: ولم يكن رسول الله ﷺ يعتاد تنشيف اعضائه بعد الوضوء، ولا يصح عنه فى ذلك حديث البتة، بل الذى صح عنه خلافه.

واما حديث عائشة: «كان للنبى ﷺ خرقة ينشف بها بعد الوضوء»، وحديث معاذ بن جبل: «رايت رسول الله ﷺ إذا توضأ مسح على وجهه بطرف ثوبه» [أخرجه الترمذى: (٥٣)، (٥٤)] فضعيفان، لا يحتج بمثلهما، فى الأول سليمان بن أرقم متروك، وفى الثانى عبد الرحمن بن زياد بن انعم الأفريقى، ضعيف، قال الترمذى: ولا يصح عن النبى ﷺ فى هذا الباب شئ. (زاد المعاد): ١/١٩٧.

وخرّج أبو داود(١) والحاكم(٢)، عن ابن عباس رضى الله [عنهما]: لقد رأيتُ على رسول الله ﷺ أحسن ما يكون من الحُلل. وفيه قصة(٣).

وخرّج من حديث يونس بن يزيد عن نافع، عن ابن عمر، عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، أنه كان يشترى(٤) لرسول الله ﷺ ولأصحابه الحلة بألف درهم، وبألف ومائتى درهم(٥). قال هذا حديث صحيح [على شرط الشيخين ولم يخرجاه](٦).

وعن عمارة بن زاذان، عن ثابت عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن ملك ذى يزن أهدى للنبى ﷺ حُلّة اشتُرِيَتْ بثلاثة وثلاثين بعيراً وناقة، فلبسها النبى ﷺ مرة. قال هذا حديث صحيح الإسناد(٧) [ولم يخرجاه](٨).

ولابن حيّان(٩) من حديث قتادة، عن على بن زيد، عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث، أن النبى ﷺ اشترى حلة بسبع وعشرين ناقة ولبسها.

---

(١) (عون المعبود): ١١/ ٨٤، كتاب اللباس، باب (٢٠) فى الرخصة فى ذلك [أى فى الحمرة]، حديث رقم (٤٠٦٦) ولفظه: «...... ورأيته فى حلة حمراء لم أر شيئًا قط أحسن منه» ﷺ.

(٢) (المستدرك): ٢/ ١٦٤، حديث رقم (٢٦٥٦)، وقال فى آخره: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وقال عنه الحافظ الذهبى فى (التلخيص): على شرط مسلم.

(٣) ذكرها أبو أحمد الحاكم فى (المرجع السابق): ٢/ ١٦٤ - ١٦٥، قال محققه: وهى قصة طويلة امسكنا عن ذكرها لطولها.

(٤) كذا فى (خ)، وفى (المستدرك): «يستحيك».

(٥) (المستدرك): ٤/ ٢٠٧، حديث رقم (٧٣٨٥)، وقال عنه الحافظ الذهبى فى (التلخيص): على شرط البخارى ومسلم.

(٦) زيادة للسياق من (المستدرك).

(٧) (المستدرك): ٤/ ٢٢٠٨ حديث رقم (٧٣٨٦)، وقال عنه الحافظ الذهبى فى (التلخيص): صحيح.

(٨) زيادة للسياق من (المستدرك).

(٩) هو أبو محمد، عبد الله بن جعفر بن حيّان، المعروف بأبى الشيخ، توفى فى المحرم سنة (٣٦٩هـ).

وأما الحِبَرة

[فخرج] البخارى من حديث همام عن قتادة عن أنس، وخرَّج مسلم عن هشام، أخبرنا قتادة قال: قلنا لأنس بن مالك: أى اللباس كان أحبَّ إلى رسول الله ﷺ أو أعجب إلى رسول الله ﷺ قال: الحِبَرة(١).

ولفظ البخارى: قال: قلت له: أى الثياب كان أحب إلى النبى ﷺ أن يلبسها؟ قال: الحِبَرة(٢).

وخرَّجاه عن هشام عن قتادة عن أنس قال: كان أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ أن يلبسها الحبرة. لم يقل مسلم: أن يلبسها.

وللبخارى من حديث الزهرى، أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، أن عائشة رضى الله عنها أخبرته أن رسول الله ﷺ حين تُوفىَّ سُجِّى ببردٍ حِبَرة. وذكره فى كتاب اللباس(٣).

---

(١) (مسلم بشرح النووى): ١٤/ ٣٠٠، كتاب اللباس، باب (٥)، فضل ثياب الحبرة، حديث رقم (٣٢)، (٣٣) من أحاديث الباب. والحبرة: بكسر الحاء وفتح الباء، وهى ثياب من كتان أو قطن محبرة أى مزينة، والتحبير: التزيين والتحسين، يقال: ثوبٌ حبرة على الوصف، وثوبُ حبرةٍ على الإضافة، وهو أكثر استعمالاً، والحبرة مفرد، والجمع حِبَر وحبرات، كعنبة وعنبات، ويقال: ثوب حبير على الوصف، فيه دليل لاستحباب لباس الحبرة، وجواز لباس المخطط وهو مجمع عليه، والله تعالى أعلم. (المرجع السابق).

(٢) (فتح البارى): ١٠/ ٣٣٩، كتاب اللباس، باب (١٨)، البرود والحبر والشملة، حديث رقم (٥٨١٢)، (٥٨١٣).

(٣) (فتح البارى): ١٠/ ٣٣٩، كتاب اللباس، باب (١٨)، البرود والحبر والشملة، حديث رقم (٥٨١٤).

وخرجه مسلم ولفظه: سجى رسول الله ﷺ حين مات بثوب حبرة[1]. وخرَّجه النسائى أيضًا[2].

وروى سعيد بن السكن، حدثنا ابن أبى داود، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم النهشلى، أخبرنا سعيد بن الصَّلت، أخبرنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جده على بن الحسين، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يلبس فى العيدين بردى حبرة[3].

* * *

(١) (مسلم بشرح النووى): ٧/ ١٣، كتاب الجنائز، باب (١٤)، فى تسجية الميت، حديث رقم (٩٤٢).

(٢) وخرجه أيضا أبو داود فى (السنن)، ٣/ ٤٨٩، كتاب الجنائز، باب (٢٣)، فى الميت يُسجى، حديث رقم (٣١٢٠).

(٣) (الدر المنثور): ٣/ ٧٩.

وأما المِرْط

المرط: كساء من خَزّ أو صوف أو كتان، وقيل: هو الثوب الأخضر وجمعه مروط وأمراط، وقيل: هو كساء يؤتزر به، وقيل: لا يكون المرط إلا ذراعًا ولا يلبسه إلا النساء، ولا يكون إلا أخضر، والأول أصَحّ، وهو بكسر الميم وإسكان الراء، وقيل: المرط: كساء صوف ومربع سداه شعر[1].

خرّج مسلم[2] وأبو داود[3] والترمذى[4]، من حديث مصعب بن شيبة، عن صفية بنت شيبة، عن عائشة رضى الله عنها قالت: خرج النبى ﷺ ذات غداة وعليه مرط مرحّل من شعر أسود. لم يقل أبو داود: ذات غداة، ولم يقل الترمذى فيه: مرحّل، والمرحّل بالحاء المهملة المشدَّدة المفتوحة: الموشى بمثل صور الرحال، والمرجَّل بالجيم: الموشى بمثل صور الرجال، والمرويّ فى هذا الحديث بالحاء المهملة[5].

ولأحمد من حديث سفيان عن طلحة بن يحى، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يصلى وعليه مرط وعليّ بعضه[6].

---

(١) (لسان العرب): ٧/ ٤٠١.

(٢) (مسلم بشرح النووى): ١٥/ ٢٠٣ - ٢٠٤، كتاب فضائل الصحابة، باب (٩) فضائل أهل بيت النبى ﷺ، حديث رقم (٢٤٢٤).

(٣) (سنن أبى داود): ٤/ ٣١٥، كتاب اللباس، باب (٦) فى لبس الصوف والشعر، حديث رقم (٤٠٣٢).

(٤) (سنن الترمذى): ٥/ ١١٠ - ١١١، كتاب الأدب، باب (٤٩) ما جاء فى الثوب الأسود، حديث رقم (٢٨١٣)، وقال فى آخره: هذا حديث حسن غريب صحيح.

(٥) الرحال: جمع رَحْل.

(٦) (مسند أحمد): ٧/ ٢٣٣، حديث رقم (٢٤٧٦٧).

وأما المصبوغ بالزعفران

فخرج الحاكم وغيره من حديث مصعب بن عبد الله الزبيرى، حدثنى أبى عبدُ الله بن مصعب، عن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر، عن أبيه قال: رأيتُ رسول الله ﷺ وعليه ثوبان مصبوغان بالزعفران، رداء وعمامه[١]. قال الحاكم: هذا حديث صحيح.

وروى قاسم بن أصبغ من حديث القعنبى أخبرنا عبد الله بن زيد أسلم عن أبيه أن ابن عمر كان يصبغ ثيابه بالزعفران، فقيل له فى ذلك فقال: كان رسول الله ﷺ يصبغ به، ورأيته أحبَّ الطيب إليه[٢].

وذكر ابن وهب عن عمر بن محمد، عن زيد بن أسلم قال: كان رسول الله ﷺ يصبغ ثيابه كلها بالزعفران حتى العمامة[٣].

وذكر عن هشام بن سعد عن يحى بن عبد الله بن مالك الدار قال: كان رسول الله ﷺ يبعث بقميصه وردائه إلى بعض أزواجه، فيصبغ له بالزعفران.

وقال الواقدى: عن عمر بن محمد عن أبى جعفر محمد بن على قال: ترك رسول الله ﷺ عشرة أثواب: ثوب حبرة، وإزاراً عمانياً، وثوبين

---

(١) (المستدرك): ٤/ ٢١٠، كتاب اللباس، حديث رقم (٧٢٩٥)، وقال فى آخره: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال عنه الذهبى فى (التلخيص): ولا واحد منهما، يعنى ليس على شرط أى أحد منهما.

(٢) (سنن النسائى): ٨/ ٥١٧، كتاب الزينة، باب (١٧)، الخضاب بالصفرة، حديث رقم (٥١٠٠).

(٣) (سنن النسائى): ٨/ ٥٢٩، كتاب الزينة، باب (٣٠) الزعفران، حديث (٥١٣٠).

صحارين، وقميصًا سحوليًا، وجُبَّة يمنة، وملحفة مورَّسة كان يلبسها فى بيوت نسائه، وخميصة، وكساءًا أبيض، وقلانس صفار لاطية ثلاثة.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: حدثنا عباد بن عباد، عن هشام بن حسان، عن بكر بن عبد الله المزنىّ قال: كان لرسول الله ﷺ ملحفة مصبوغة بورس أو بزعفران، فإذا كان يوم إحداهن -يعنى نساءه- ذهب بها إليها، ورشّ عليها الماء لتوجد رائحتها(١).

* * *

(١) أخرجه الخطيب البغدادى بسند آخر ولفظ آخر عن انس رضى الله عنه قال: «كان للنبى ﷺ ملحفة مصبوغة بالورس والزعفران، يدور بها على نسائه، فإذا كانت ليلة هذه رشتها بالماء، وإذا كانت ليلة هذه رشتها بالماء» (تاريخ بغداد): ١٣/ ٣٢٠، ترجمة نوح بن حبيب رقم (٧٢٩٠)، (كنز العمال): ٧/ ٢٠، حديث رقم (١٨٧٢٥)، وقال الزبيدى: سنده ضعيف.

والورس: نبت أصفر يزرع باليمن يصبغ به، أو المراد صنف من الكركم أو يشبهه، وفيه حل لبس المزعفر، والمورس، وفيه اختلاف عند العلماء: (إتحاف السادة المتقين): ٨/ ٢٥١ - ٢٥٢، كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة.

وأما الإزار والكساء

الإزار: ما يلتحف به، وهو يذكر ويؤنث، والجمع آزرة، وأُزر، وهي الإزارة، وأنه يحسن الإزرة - بكسر الهمزة - وأنه يحسن الائتزار، وقد تأزرته وأزرته، والمئزر: الإزار[١].

وخرج البخاري من حديث حُميد بن هلال، عن أبي بردة قال: أخرجت إلينا عائشة رضي الله عنها كساءً وإزاراً غليظًا، فقالت: قُبض روح النبي ﷺ في هذين[٢].

وخرجه مسلم ولفظه: أخرجت إلينا عائشة إزاراً وكساءً ملبداً فقالت: في هذين قُبض رسول الله ﷺ[٣] [قال ابن حاتم في حديثه: إزاراً غليظًا[٤]].

وفي لفظ البخاري[٥] ومسلم[٦] وأبي داود عن أبي بردة قال: دخلتُ

(١) (لسان العرب): ٤ / ١٧، وفيه: الإزار: العفاف، قال أبو عبيد: فلان خيف المئزر، وعفيف الإزار، إذا وصف بالعفة عما يحرم عليه من النساء، ويكنى بالإزار عن النفس وعن المرأة.

(٢) (فتح الباري): ١٠/ ٣٤١، كتاب اللباس، باب (١٥)، الأكسية والخمائص، حديث رقم (٥٨١٨).

(٣) (مسلم بشرح النووي): ١٤/ ٣٠٠ - ٣٠١، كتاب اللباس والزينة، باب (٦)، التواضع في اللباس، والاقتصار على الغليظ منه... حديث رقم (٣٥).

(٤) زيادة للسياق من (صحيح مسلم).

(٥) (فتح الباري): ٦/ ٢٦١، كتاب فرض الخمس، باب (٥) ما ذكر من درع النبي ﷺ وعصاه وسيفه وقدحه وخاتمهُ، حديث رقم (٣١٠٨).

(٦) (مسلم بشرح النووي): ١٤/ ٣٠١، باب (٦)، التواضع في اللباس، والاقتصار عى الغليظ منه... حديث رقم (٣٤).

على عائشة رضى الله عنها، فأخرجت إلينا إزاراً غليظًا مما يصنع باليمن، وكساءاً من التى يسمونها الملبدة، قال: فاقسمتْ بالله أن رسول الله ﷺ قُبض فى هذين الثوبين ذكره البخارى فى كتاب الخمس، فى باب ما ذكر من درع النبى ﷺ وعصاه وسيفه وقدحه وخاتمه(١) [وما استعمل الخلفاء بعده من ذلك، مما لم يُذكر قسمته، ومن شعره ونعله وآنيته مما تبرك به أصحابه وغيرهم بعد وفاته](٢).

وله من حديث محمد بن شهاب الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت: صلى رسول الله ﷺ فى خميصة له، لها أعلام، فنظر إلى أعلامها نظرة، فلما سلم(٣) قال: اذهبوا بخميصتى هذه إلى أبى جهم، فإنها ألهتنى آنفًا عن صلاتى، وائتونى بانبجانية أبى جُهم بن حذيفة بن غانم [من بنى عدى بن كعب]. ذكره البخارى فى كتاب الصلاة، فى باب إذا صلى فى ثوب له أعلام ونظر إلى علمها(٤)، وفى باب الالتفات فى الصلاة(٥). وذكره فى كتاب اللباس، فى باب: الأكسية والخمائص(٦)،

---

(١) (فتح البارى): ٦/ ٢٦١، كتاب فرض الخمس، باب (٥)، ما ذكر من درع النبى ﷺ وعصاه وسيفه وقدحه وخاتمه... حديث رقم (٣١٠٨).

(٢) زيادة للسياق من (صحيح البخارى). (٣) فى (خ): «فلما سلم»، وما اثبتناه من (صحيح البخارى).

(٣) زيادة للسياق من (صحيح البخارى).

(٤) (فتح البارى): ١/ ٦٣٦، كتاب الصلاة، باب (١٤)، إذا صلى فى ثوب له أعلام ونظر إلى علمها، حديث رقم (٣٧٣).

(٥) (فتح البارى): ٢/ ٢٩٧، كتاب الأذان، باب (٩٣)، الالتفات فى الصلاة، حديث رقم (٧٥٢)، ونبج موضع أعجمى تكلمت به العرب، ونسبوا إليه الثياب المنبجانية أو الأنبجانية على خلاف فى ذلك.

(٦) (فتح البارى): ١٠/ ٣٤٠، كتاب اللباس، باب (١٩) الأكسية والخمائص، حديث رقم (٥٨١٧).

وألفاظه متقاربة. وخرجه مسلم أيضًا[١]. والخميصة: كساء أسود مربع له علمان، وقيل: الخمائص ثياب من خزّ تخان، سودٌ وحُمرٌ، ولها أعلام تخان أيضًا، والانبجانية. كساء من الصوف له خمل، وليس له علم، منسوب إلى نباج، وهما نباجان: نباج نبتل، ونباج ابن عامر.

وللبخارى[٢] ومسلم[٣] من حديث عبد الله بن عون، عن محمد بن سيرين، عن أنس قال: لما ولدت أم سليم قالت لى: يا أنس، أنظر هذا الغلام فلا يصيبن شيئًا حتى تغدو به إلى النبى ﷺ يحنكه، فغدوت به، فإذا هو فى حائط وعليه خميصة حُريبية، وهو يسم الظهر الذى قدم عليه فى الفتح.

ذكره البخارى فى باب الخميصة السوداء، وخرَّج أبو عبد الله الحاكم من حديث سعيد بن إياس الجريرى، عن أبى السليل، عن أبى تميمة الهجيمى، عن جابر بن سليم الهجيمى قال: لقيت رسول الله ﷺ فى بعض طرق المدينة، وعليه إزار من قطن منتشر الحاشية، فقلت: عليك السلام يا محمد يا رسول الله، فقال: عليك السلام تحية الميت، سلام عليكم، أى

---

(١) (مسلم بشرح النووى): ١٤/ ٣٠٠ - ٣٠١، كتاب اللباس والزينة، باب (٦) التواضع فى اللباس والاقتصار على الغليظ منه... حديث رقم (٣٤)، (٣٥)، (سنن الترمذى): ٤/ ١٩٦، كتاب اللباس، باب (١٠)، ما جاء فى لبس الصوف، حديث رقم (١٧٣٣)، قال أبو عيسى: وفى الباب عن على وابن مسعود، وحديث عائشة حديث حسن صحيح، (سنن ابن ماجة): ٢/ ١١٧٦، كتاب اللباس، باب (١) لباس رسول الله ﷺ، حديث رقم (٣٥٥٠)، (٣٥٥١)، (مسند أحمد): ٧/ ٥٠، حديث رقم (٢٣٥١٧).

(٢) (فتح البارى): ١٠/ ٧٤٣، كتاب اللباس، باب (٢٢)، الخميصة السوداء، حديث رقم (٥٨٢٤) والحريثية: نسبة إلى حُريث: رجل من قضاعة.

(٣) (مسلم بشرح النووى): ١٤/ ٣٤٤، كتاب اللباس والزينة، باب (٣٠)، جواز وسم الحيوان غير الآدمى فى غير الوجه، وندبه فى نعم الزكاة والجزية، حديث رقم (٢١١٩)، وقال: وعليه خميصة جونية.

هكذا فقل، فسألته عن الإزار، فأقنع ظهره، وأخذ بمعظم ساقه فقال: ها هنا، فإن أبيت فها هنا فوق الكعبين، فإن أبيت، فإن الله لا يحب كل مختال فخور[1]. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد [ولم يخرجاه][2].

وللترمذى[3] من حديث الأشعث بن سليم قال: سمعت عمتى تحدث عن عمها قال: بينما أنا أمشى فإذا إنسان خلفى يقول: ارفع إزارك فإنه أتقى، وأبقى، وأنقى، فإذا هو رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله إنما هى بردة ملحاء، قال: أما لك فيّ أسوة؟ فنظرتُ فإذا إزاره إلى نصف ساقيه وخرجه النسائى[4] [أيضًا].

---

(1) (المستدرك): 4/ 207، كتاب اللباس، حديث رقم (7382)، وقال عنه الذهبى فى (التلخيص): صحيح.

(2) زيادة للسياق من (المستدرك)، (سنن الترمذى): 4/ 217، كتاب اللباس، باب (41) فى مبلغ الإزار، حديث رقم (1783) بسياقة أخرى، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، رواه الثورى وشعبة وأبى إسحاق.

(3) (الشمائل المحمدية): 108 - 109، حديث رقم (121).

(4) (السنن الكبرى): كتاب الزينة، من طرق عن أشعث بن سليم به، ورجال إسناده ثقات، غير عمة الأشعث -وهى رهم بنت الأسود- فإنها لا تعرف، وعمها هو عبيد الله بن خالد المحاربى رضى الله عنه.

والحديث أخرجه أحمد فى (المسند)، وأبو الشيخ فى (أخلاق النبى)، كلهم من طريق الأشعث عن عمته عن عمها، وقال الإمام أحمد: بسنده أن النبى ﷺ تبع رجلاً من ثقيف حتى هرول فى أثره حتى أخذ ثوبه فقال: ارفع إزارك، قال: فكشف الرجل عن ركبتيه فقال: يا رسول الله، إنى أحنف وتصطك ركبتاى، فقال رسول الله ﷺ: كل خلق الله عز وجل حسن، قال: ولم يُر ذلك الرجل إلا وإزاره إلى أنصاف ساقيه حتى مات، (مسند أحمد): 5/ 529، حديث رقم (18978)، 6/ 501، حديث رقم (22576)، (أخلاق النبى): 108، (الإحسان): 15/ 352، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم، حديث رقم (6917).

وأما السَّراويل

فخرج ابن حيَّان من حديث الهيثم بن عدى، حدثنا دلهم بن صالح قال [حدثنا] عبد الله بن يزيد عن أبيه قال: إن النجاشى كتب إلى رسول الله ﷺ: قد زوجتك امرأة [ ]، وهى على دينك، أم حبيبة بنت أبى سفيان، وأهديتُ إليك هدية جامعة، قميصًا وسراويل وعطافًا وخفين ساذجين، فتوضأ النبى[1] ﷺ ومسح عليهما. قال الهيثم: العطاف: الطليسان.

ومن حديث وكيع عن الثورى، عن سماك بن حارث، عن سويد عن قيس قال: جلبتُ أنا ومخرمة العبدى بزًا من هَجَر إلى مكة، فأتانا رسول الله

---

(١) (أخلاق النبى): ١٣٣ من طريق آخر، (طبقات ابن سعد): ١/ ٤٨٢، (مسند أحمد): ٦/ ٤٨٣ - ٤٨٤، حديث رقم (٢٢٤٧٢)، (سنن أبى داود): ١/ ١٠٨، كتاب الطهارة، باب (٥٩) المسح على الخفين، حديث رقم (١٥٥)، (سنن الترمذى): ٥/ ١١٤ - ١١٥، كتاب الأدب، باب (٥٥)، ما جاء فى الخف الأسود، حديث رقم (٢٨٢٠)، (سنن ابن ماجة): ١/ ٨٢، كتاب الطهارة وسننها، باب (٨٤) ما جاء فى المسح على الخفين، حديث رقم (٥٤٩)، ٢/ ١١٩٦، كتاب اللباس، باب (٣) الخفاف السود، حديث رقم (٣٦٢٠). وفيه من الفوائد: قبول هدية أهل الكتاب، وأن أصل الأشياء الطهارة، وجواز المسح على الخف.

ودلهم بن صالح ضعيف، وحجير بن عبد الله الكندى وثقة ابن حبان وجهله ابن عدى والذهبى، ولذا قال عنه الحافظ ابن حجر: مقبول، يعنى عند المتابعة، وإلا فلين الحديث، له ترجمة فى: (الكامل فى ضعفاء الرجال): ٣/ ١٠٨، ترجمة رقم (٢٢/ ٦٤٤)، (ميزان الاعتدال فى نقد الرجال): ٢/ ٢٨، ترجمة رقم (٢٦٨٠)، (الضعفاء الكبير): ٢/ ٤٤، ترجمة رقم (٤٧٢)، (المغنى فى الضعفاء): ١/ ٢٢٣، ترجمة رقم (٢٠٥١)، (الضعفاء والمتروكين): ١/ ٢٧١، ترجمة رقم (١١٨٣).

وللحديث شاهد: عن ابن عباس، ذكره ابن عدى فى (الكامل) وقال: لعل هذا الطرق خير من ذلك الطريق.

ﷺ فاشترى سراويل، وثَمَّ وزان يزن بالأجر، فقال: إذا وزنت فأرجح. وخرجه الحاكم وقال: هذا حديث صحيح الإسناد(١).

وخرجه أبو داود من حديث عبيد الله بن معاذ، أخبرنا أبى أخبرنا سفيان عن سماك بن حرب، حدثنى سويد بن قيس قال: جلبتُ أنا ومخرفة(٢) العبدى بزاً من هجر، فأتينا به مكة، فجاءنا رسول الله ﷺ يمشى، فساومنا بسراويل فبعناه، وثم رجل يزن بالأجر، فقال له رسول الله ﷺ: زن وأرجح(٣).

ومن حديث شُعبة عن سماك بن حرب عن أبى صفوان بن عميرة قال: أتيت رسول الله ﷺ بمكة قبل أن يهاجر. بهذا الحديث، ولم يذكر: «يزن بأجر»(٤).

---

(١) (المستدرك): ٢/ ٣٥ - ٣٦، كتاب البيوع، حديث رقم (٢٢٣٠)، (٢٢٣١)، قال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): تابعه شعبة عن سماك لكن قال: سمعتُ أبا صفيان يقول: بعتُ من النبى ﷺ سراويل فوزن لى فأرجَح. أبو صفوان هو سويد. وهو على شرط مسلم قال فى التقريب: إن ما جزم به من أن كنيته أبو صفوان فيه نظر، والذى يكنى أبا صفوان اسمه مالك.

(٢) ويروى بالميم بدل الفاء، والأول أصح.

(٣) (سنن أبى داود): ٣/ ٦٣١، كتاب البيوع والإجارات، باب (٧) فى الرجحان فى الوزن والوزن بالأجر، حديث رقم (٣٣٣٦)، والبز: الثياب، هجر: اسم بلد معروف بالبحرين وهو مذكر مصروف، وأما هجر التى تُنسب إليها القلال الهجرية، فهى قرية من قرى المدينة.

وفى الحديث دليل على جواز هبة المشاع، وذلك أن مقدار الرجحان هبة منه للبائع، وهو غير متميز من جملة الثمن.

وفيه دليل على جواز أخذ الأجرة على الوزن والكيل، وما فى معناهما أجرة القسام والحاسب، وكان سعيد بن المسيب ينهى عن أجرة القسام، وكرهها أحمد بن حنبل.

(٤) (المرجع السابق): ٦٣٢، كتاب البيوع والإجارات، ذات الباب، حديث رقم (٣٣٣٧).

قال أبو داود: رواه قيس كما قال سفيان، قال: والقول قول سفيان[1]، وجاء في حديثه أن النبي ﷺ اشترى سراويل بأربعة دراهم، قال أبو هريرة: فأردت حملها فمنعني وقال: صاحب الشيء أحق بحمله، قلت يا رسول الله! وإنك لتلبس السراويل؟ قال نعم بالليل والنهار.

* * *

(١) (المرجع السابق) وأخرجهما النسائي في البيوع، حديث رقم (٤٥٩٦)، (٤٥٩٧)، وابن ماجة في التجارات، حديث رقم (٢٢٢٠)، (٢٢٢١) كلاهما في باب الرجحان في الوزن.

وأما لبس الصوف ونحوه

فخرج ابن حيَّان من حديث بقية، حدثنا يوسف بن أبى كثير، عن نوح ابن ذكوان، عن الحسن، عن أنس قال: لبس النبى ﷺ الصوف، واجتنى المخصوف، ولبس خشنًا، وأكل بشعًا -يعنى غليظ الشعير- ما كان يسعه إلا تجرعه(١).

ومن حديث يحى بن يعلى الأسلمى، عن مختار التميمى، عن كرز الحارثى، عن أبى أيوب قال: كان رسول الله ﷺ يلبس الصوف، ويخصف النعل، يرقع القميص، ويركب الحمار، ويقول: من رغب عن سنتى فليس منى(١).

وجاء عن محمد بن جعفر الوركانى، حدثنا سعيد بن ميسرة، عن أنس، لبس رسول الله ﷺ جُبة من صوف ثلاثة أيام، فلما عرق وجد منها ريحًا كرهها، فرمى بها(٢).

ولابن حيَّان من حديث حماد بن زيد، حدثنا حلس بن أيوب قال: دخل الصلت بن راشد على محمد بن سيرين، وعليه جبة صوف، وإزار

(١) (أخلاق النبى): ١٢٢.

(٢) ونحوه باختلاف يسير فى (سنن أبى داود): ٤ / ٣٣٩، كتاب اللباس، باب (٢٢) فى السواد، حديث رقم (٤٠٧٤)، وقال فى آخره: واحسبه قال: وكان تعجبه الريح الطيبة، (مسند أحمد): ٧ / ١٩٠، حديث رقم (٢٤٤٨٢)، ٢٠٨، حديث رقم (٢٤٥٩٣)، ٣١٣، حديث رقم (٢٥٣١٢)، ٣٥٥، حديث رقم (٢٥٥٨٦) من حديث قتادة عن مطرف، عن عائشة رضى الله عنها وسنده صحيح.

صوف، وعمامة صوف، فاشمأز منه محمد [بن سيرين](١) وقال: أظن أن أقوامًا يلبسون الصوف فيقولون: قد لبسه عيسى ابن مريم عليه السلام، وقد حدثنى من لا أتهم، أن رسول الله ﷺ [قد](٢) لبس الكتان، والقطن، [ويمنة](٣)، وسنة نبينا أحق أن تتبع (٤).

وقال هشام بن الكلبى عن أبيه محمد بن السائب، عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله [عنهما] قال: كان لرسول الله ﷺ أثواب صحارية، وسحولية، ويمنة.

وكان عبد الله بن أبى الأسود بصرىّ، يروى عن أنس، يروى عنه عنبسة ابن عبد الرحمن(٥)، وروى هذا الحديث عن عنبسة محمد بن عبد الله ابن عثمان الخزاعى أبو عبد الله، قال فيه أبو حاتم: هو ثقة، وقد روى عنه أبو داود، ورواه عن محمد بن عبد الله بن عبد القدوس، عن عبد الكبير البصرى، إلا أن عنبسة قال فيه ابن معين: هو لا شىء. وقال

---

(١) زيادة للسياق والبيان.

(٢) زيادة للسياق من (زاد المعاد).

(٣) فى (خ) فقط.

(٤) (زاد المعاد): ١ / ١٤٣، ذكره الشيخ أبو إسحاق الأصبهانى بإسناد صحيح عن جابر بن أيوب. ثم قال: ومقصود ابن سيرين بهذا أن أقوامًا يرون أن لبس الصوف دائمًا أفضل من غيره، فيتحرونه ويمنعون أنفسهم من غيره، وكذلك يتحرون زيًا واحداً من الملابس، ويتحرون رسوما وأوضاعًا وهيئات يرون الخروج عنها منكرًا، وليس المنكر إلا التقيد بها، والمحافظة عليها، وترك الخروج عنها.

والصواب أن أفضل الطرق طريق رسول الله ﷺ التى سنها، وأمر بها، ورغب فيها، وداوم عليها، وهى أن هديه فى اللباس: أن يلبس ما تيسر من اللباس، من الصوف تارة، والقطن تارة، والكتان تارة (المرجع السابق).

(٥) هو عنبسة بن عبد الرحمن بن عيينة بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية، وقال بعضهم: عنبسة بن أبى عبد الرحمن الأمويّ.

أبو حاتم: كان يضع الحديث[٦].

* * *

(١) وقال ابن أبي خيثمة عن ابن معين: لا شيء، وقال أبو زرعة: واهي الحديث منكر الحديث، وقال أبو حاتم: متروك الحديث كان يضع الحديث، وقال البخاري: تركوه، وقال أبو داود والنسائي والدارقطني: ضعيف، وقال النسائي أيضًا: متروك، وقال الترمذي: يضعف، وقال الأزدي: كذاب، وقال ابن حبان: هو صاحب أشياء موضوعة لا يحل الاحتجاج به.

قال الحافظ ابن حجر في (تهذيب التهذيب): وقال ابن البرقي عن ابن معين: ضُعِّف، وقال عثمان بن سعيد عن ابن معين: لا أعرفه أيضًا منكر الحديث، وكذا قال ابن عدي، وقال أبو حاتم: كان عند أحمد بن يونس عنه شيء، فلم يحدث عنه على عمد. (تهذيب التهذيب): ٨/ ١٤٣، ترجمة رقم (٢٨٨).

وأما وقت لُبسه ﷺ وما يقوله عند اللُّبس

فخرج ابن حيَّان من حديث عنبسة بن عبد الرحمن القرشي، حدثنا عبد الله بن أبى الأسود قال: سمعتُ أنسا يقول: كان رسول الله ﷺ إذا استجدّ ثوبًا لبسه يوم الجمعة(١).

وخرج أبو عيسى الترمذى عن عبد الله بن المبارك، عن سعيد الجريرى، عن أبى بصرة، عن أبى سعيد قال: كان رسول الله ﷺ إذا استجدّ ثوبًا سمّاه باسمه، عمامة، أو قميصًا، أو رداء، ثم يقول: اللهم لك الحمد كما كسوتنيه، أسألك خيره، وخير ما صُنع له، وأعوذ بك من شرّه، وشر ما صُنع له(٢).

---

(١) (إتحاف السادة المتقين): ٨/ ٢٥٦، (كنز العمال): ٧/ ١١٩، حديث رقم (١٨٢٦٨)، وعزاه إلى الخطيب البغدادى عن أنس رضى الله عنه، (تاريخ بغداد): ٤/ ١٣٦ – ١٣٧ فى ترجمة أحمد بن الخطاب بن الهيثم رقم (١٨١٧)، قال ابن الجوزى: هذا حديث لا يصح، وعنبسة مجروح، قال ابن حبان: والأنصارى يروى عن الثقات ما ليس من حديثهم، لا يجوز الاحتجاج به. (العلل المتناهية): ٢/ ٦٨٢، حديث رقم (١١٣٤) فى لبس الثوب الجديد يوم الجمعة.

(٢) (سنن الترمذى): ٤/ ٢١٠، كتاب اللباس، باب (٢٩) ما يقول إذا لبس ثوبا جديدا، حديث رقم (١٧٦٧)، ثم قال: وفى الباب عن عمر وابن عمر: حدثنا هشام بن يونس الكوفى، حدثنا القاسم بن مالك المزنى عن الجريرى نحوه، وهذا حديث حسن غريب صحيح، (الشمائل المحمدية): ٧٠ – ٧٣، حديث رقم (٦١)، (٦٢)، (كنز العمال): ٧/ ١١٨ – ١١٩، حديث رقم (١٨٢٦٧)، وعزاه إلى الإمام أحمد وأبى داود والحاكم، (إتحاف السادة المتقين): ٨/ ٢٥٦، كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة، (مسند أحمد): ٣/ ٤٤٨، حديث رقم (١١٠٧٧) من مسند أبى سعيد الخدرى، (طبقات ابن سعد): ١/ ٤٦٠، ذكر قناعته ﷺ بثوبه ولباسه القميص وما كان يقول إذا لبس ثوبا عليه، ثم قال بعد أن ذكر حديث الباب حديثا آخر: أخبرنا محمد بن عبد الله الأسدى، أخبرنا سفيان عن ابن أبى ليلة، عن عيسى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى، قال: كان رسول الله ﷺ إذا لبس ثوبا، أو قال: إذا لبس أحدكم ثوبا فليقل: الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى وأتجمل به فى حياتى، (سنن أبى داود): ٤/ ٣٠٩، كتاب اللباس، باب (١) بدون ترجمة، حديث رقم (٤٠٢٠)، ثم قال: قال =

= أبو نضرة: فكان أصحاب النبى ﷺ إذا لبس أحدهم ثوبا جديدا قيل له: تُبْلي ويُخلف الله تعالى، (الإحسان): ١٢ / ٢٣٩، كتاب اللباس وآدابه، ذكر ما يقول المرء عند كسوته ثوبًا استجده، حديث رقم (٥٤٢٠)، (أخلاق النبى): ١٠٢ من طريق حماد ابن أسامة، ١٠٣ من طريق عبد الوهاب بن عطاء الخفاف، ١٠٤ من طريق عبد الله بن المبارك، (الإحسان): ١٢ / ٢٤٠، كتاب اللباس وآدابه، ذكر ما يجب على المرء أن يبتدئ بحمد الله جلّ وعلا عند سؤاله ربه جلّ وعلا ما ذكرناه، حديث رقم (٥٤٢١).

وقد أعله أبو داود بقوله: «عبد الوهاب الثقفى لم يذكر فيه أبا سعيد، وحماد بن سلمة قال عن الجريرى عن أبى العلاء عن النبى ﷺ، وحماد بن سلمة والجريرى سماعهما واحد، وقال الحافظ ابن حجر فى (النكت الظراف): والمقصد أن حماد بن سلمة وعبد الوهاب الثقفى سماعهما قديم قبل اختلاط الجريرى، وقد أرسلا الحديث، أما باقى الرواة، فلم أر هذا الحديث موصولاً من طريق القدماء عن الجريرى، أمثال شعبة، والثورى، والحمادان، وابن عليه، ومعمر، وعبد الوارث، وعبد الوهاب الثقفى، وغيرهم، وكذلك كل من أدرك أيوب، فسماعه من الجريرى جيد.

وقال الحافظ ابن حجر فى (نتائج الأفكار): وكل من ذكرناه سوى حماد والثقفى سمعوا من الجريرى بعد اختلاطه، فعجب من الشيخ (النووى) كيف جزم بأنه حديث صحيح، ويحتمل أن يكون صحيح المتن لمجيئه من طريق آخر حسن أيضا.

وقد صحح بعضهم هذا الإسناد باعتبار أن خالد الواسطى روى له الشيخان فى صحيحهما، لكن قال الحافظ ابن حجر فى (هدى السارى مقدمة فتح البارى) عن رواية خالد الجريرى: ولم يتحرر لى أمره إلى الآن، هل سمع منه قبل الاختلاط أو بعده، لكن حديثه عنه بمتابعة بشر بن المفضل كلاهما عنه.

ثم ذكر فى (نتائج الأفكار) ضمن الرواة فى الحديث المذكور، ثم قال: «وكل من ذكرناه سوى حماد والثقفى سمعوا من الجريرى بعد اختلاطه»، ثم جزم الحافظ ابن حجر بأنه سمع من الجريرى بعد الاختلاط، فقال فى (الفتح): عن سعيد الجريرى: «واتفقوا على أن سماع المتأخرين منه كان بعد اختلاطه، وخالد منهم».

وأخرجه ابن أبى شيبة فى (الكتاب المصنف): ٥ / ١٩٨ - ١٩٩ باب (٥٤)، ما يقول الرجل إذا لبس الثوب الجديد، بسياقات وروايات مختلفة، حديث رقم (٢٥٠٧٩)، (٢٥٠٨٠)، (٢٥٠٨١)، (٢٥٠٨٢)، (٢٥٠٨٣)، (٢٥٠٨٤)، (٢٥٠٨٥)، وأخرجه الحاكم فى (المستدرك): ٤ / ٢١٣، كتاب اللباس، حديث رقم (٧٤٠٨)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): على شرط مسلم، حديث رقم (٧٤٠٩) بسياقة أخرى وسند آخر، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): أبو مرحوم ضعيف، وهو عبد الرحيم بن ميمون.

وخرّج الحاكم من حديث إسحاق بن سعيد، حدثنا أبى، حدثتنى أم خالد بنت خالد قالت: أتى النبى ﷺ بثياب فيها خميصه سوداء صغيرة، فقال: من ترون أكسو هذه، فسكت القوم، فقال: ائتونى بأم خالد، قالت: فأُتى بى، فألبسنيها بيده وقال: إبلى وأخلقى -يقولها مرتين- وجعل ينظر إلى علم فى الخميصة أصفر وأحمر ويقول: يا أم خالد، هذا سنا، والسنا بلسان الحبشة: الحسن[1]. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين [ولم يخرجاه][2].

---

(١) (المستدرك): ٤ / ٢٠٩، كتاب اللباس، حديث رقم (٧٣٩٢)، مختصراً عن (خ)، وقال الذهبى فى (التلخيص): على شرط البخارى ومسلم.

(٢) زيادة للسياق من (المستدرك).

وأخرجه البخارى فى كتاب اللباس، باب (٣٢) ما يُدعى لمن لبس ثوبا جديدا، حديث رقم (٥٨٤٥)، وقال فى آخره: قال إسحاق: حدثتنى امرأة من أهلى أنها رأته على أم خالد.

قوله: «أبلى وأخلقى»، «أبْلى» بفتح الهمزة وسكون الموحدة وكسر اللام، أمر بالإبلاء، وكذا قوله: «أخلقى» بالمعجمة والقاف أمر بالإخلاق، والعرب تطلق ذلك وتريد الدعاء بطول البقاء للمخاطب بذلك، أى أنها تطول حياتها حتى يبلى الثوب ويخلق.

قال الخليل: أبل وأخلق معناه: عِشْ وخرق ثيابك وارقعها، وأخلقت الثوب أخرجت باليه ولفقته. ووقع فى رواية أبى زيد المرزوى عن الفربرى: «وأخلفى» بالفاء، وهى أوجه من التى بالقاف، لأن الأولى تستلزم التأكيد، إذا الإبلاء والإخلاق بمعنى، لكن جاز العطف لتغاير اللفظين، والثانية تفيد معنى زائدا، وهو أنها إذا أبلته أخلفت غيره، وعلى ما قال الخليل لا تكون التى بالقاف للتأكيد، لكن التى بالفاء أيضا أولى.

ويؤيدها ما أخرجه أبو داود [فى السنن): ٤ / ٣١١، كتاب اللباس، باب (٢) فيما يدعى لمن لبس ثوبا جديدا، حديث رقم (٤٠٢٤)] بسند صحيح عن أبى نضرة قال: «كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا لبس أحدهم ثوبا جديدا قيل له: تبلى ويخلف الله» ووقع فى رواية أبى الوليد «أبلى وأخلقى» مرتين.

والسنا بلسان الحبشية: الحسن، وفى رواية خالد بن سعيد: سنه سنه، وهى بالحبشية: حسن.

وذكره البخارى أيضا فى باب (٣٢) ما يدعى لمن لبس ثوبا جديدا من كتاب اللباس، حديث رقم (٥٨٤٥)، وفى كتاب الأدب، باب (١٧) من ترك صبية غيره حتى تلعب به أو قبلها أو =

وخرَّج الخطيب أبو بكر من حديث داود بن بكر، أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصاري، أخبرنا عنبسة عن عبد الله بن أبي الأسود، عن أنس بن مالك قال: كان النبي ﷺ إذا استجد ثوبا لبسه يوم الجمعة[1].

* * *

= مازحها، حديث رقم (٥٩٩٣)، وفي كتاب الجهاد، باب (١٨٨) من تكلم بالفارسية والرطانة، حديث رقم (٣٠٧١)، وفي كتاب مناقب الأنصار، باب (٣٧) هجرة الحبشة، حديث رقم (٣٨٧٤).

(١) (تاريخ بغداد): ٤ / ١٣٦ - ١٣٧، في ترجمة أحمد بن الخطاب بن الهيثم، رقم (١٨١٧)، وقد سبق تخريجه.

وأمّا الخُفّ

فقد خرَّج الترمذى فى كتاب (الشمائل)، من حديث وكيع عن دلْهم بن صالح، عن حجين بن عبد الله، عن أبى بريدة عن أبيه، أن الّنجاشى، أهدى للنبى ﷺ خفين أسودين ساذجين، فلبسهما ثم توضأ ومسح عليهما(١) [وصلى].

وقد ثبت فى (صحيح البخارى ومسلم)، و(سنن أبى داود)، (والترمذى)، أن رسول الله ﷺ مسح على الخفين(٢).

فرواه عبد الله بن عمر عن سعد أبى وقاص، عن النبى ﷺ أنه مسح على الخفين، ورواه جعفر بن عمرو بن أمية الضّمْرى، أن أباه أخبره أنه رأى النبى ﷺ يمسح على الخفين(٢).

ورواه أبو وائل عن حذيفة بن اليمان قال: كنتُ مع النبى ﷺ، فبال على سباطة قوم -يعنى كناسة- ثم تنحى فأتيته بماء فتوضأ، ومسح على خفيه(٢).

ورواه إبراهيم عن همّام بن الحارث قال: رأيت جُريراً بال ثم توضأ، ومسح على خفيه، ثم قام فصلى، فسُئل فقال: رأيت النبى ﷺ صنع مثل هذا. ورواه المغيرة بن شعبة كما تقدم، وبذلك يثبت أنه كان يلبس الخفين، ﷺ(٢).

---

(١) (الشمائل المحمدية): ٨٠ باب (١٠) ما جاء فى خف رسول الله ﷺ، حديث رقم (٧٤)، وما بين الحاصرتين زيادة من (خ)، وهو حديث حسن، سبق تخرجه فى (إمتاع الأسماع): ٦ / ٣٩١ - ٣٩٣.

(٢) راجع الجزء السادس من (إمتاع الأسماع) باب الجبة.

وعن الشعبى قال المغيرة بن شعبة: أهدى [دِحْيَةُ][1] للنبى ﷺ خفين فلبسهما، [وقال إسرائيل عن جابر: وجُبَّةً فلبُسهما حتى تخرقا لا يدرى النبى ﷺ أذكى هما أم[2] لا]. ذكره أبو عيسى فى الشمائل[3].

* * *

(1) زيادة للسياق من (الشمائل).

(2) فى (خ): «أذكاهما» وما أثبتناه من (الشمائل).

(3) (الشمائل المحمدية): 81، حديث رقم (75)، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه، وقال أبو عيسى: وأبو إسحاق هذا هو أبو إسحاق الشيبانى واسمه سليمان.

وأخرجه الترمذى أيضا فى (السنن)، كتاب اللباس، باب ما جاء فى لُبْس الجبةَ والخفين، حديث رقم (1769) وقال: حسن غريب عن قتيبة بهذا الإسناد سواء.

ورجال الإسناد الأول ثقات، غير الحسن بن عياش، وثقة غير واحد، وقال عنه عثمان بن سعيد الدارمي: هو من أهل الصدق والأمانة، والشيبانى هو سليمان بن أبى سليمان، فالحديث صحيح، لكن الجزء الآخر منه ضعيف، فإنه من طريق جابر بن يزيد الجعفى وهو ضعيف.

وأخرج الشطر الأول منه أبو الشيخ فى (أخلاق النبى): 133، من حديث الحسن بن عياش، عن الشيبانى عن عامر به، ثم أخرجه بطوله ص 150، من طريق زهير بن معاوية عن جابر الجعفى، عن عامر، عن دحية الكلبى به.

وأمَّا النَّعْل

فقد ثبت فى (صحيح البخارى) و(سنن أبى داود)، من حديث هشام عن قتادة عن أنس، أن نعل النبى ﷺ كان له قبالان(١).

وفى رواية للبخارى من حديث عيسى بن طهمان، قال : أخرج إلينا أنس بن مالك رضى الله عنه نعلين لهما قابلان، فقال ثابت [البنانى] :(٢) [هذه](٢) نعل النبى ﷺ(٣).

وقال فى كتاب [فرض] الخمس من حديث ابن طهمان، أخرج إلينا أنس نعلين جرداوين لهما قبالان، فحدثنى ثابت البنانى يَعُدُّ أنهما نعلا رسول الله ﷺ(٤). القبال : زمام النَّعل.

---

(١) (فتح البارى) : ١٠ / ٣٨٣، كتاب اللباس، باب (٤١)، قبالان فى نعل، ومن رأى قبالا واحدا واسعا، حديث رقم (٥٨٥٧).

(٢) زيادة للسياق من البخارى.

(٣) (المرجع السابق) : حديث رقم (٥٨٥٨). القبال بكسر القاف وتخفيف الموحدة وآخره لام، هو الزمام وهو السير الذى يعقد فيه الشِّسْع الذى يكون بين إصبعى الرجل.

(٤) (المرجع السابق) : ٦ / ٢٦٠ - ٢٦١، كتاب فرض الخمس، باب (٥) ما ذكر من درع النبى ﷺ وعصاه وسيفه وقدحه وخاتمه وما استعمل الخلفاء بعده من ذلك مما لم يُذكر قسمته ومن شعره ونعله وآنيته مما تبرك من أصحابه وغيرهم بعد وفاته، حديث رقم (٣١٠٧).

وأخرجه أبو داود فى (السنن)، كتاب اللباس، باب فى الانتعال، حديث رقم (٤١٣٤)، والترمذى فى (السنن)، كتاب اللباس، باب ما جاء فى نعل النبى ﷺ حديث رقم (١٧٧٢)، (١٧٧٣)، وقال : حسن صحيح، وأخرجه أيضا فى (الشمائل)، ٨٢، باب (١١) ما جاء فى نعل رسول الله ﷺ، حديث رقم (٧٦)، وأخرجه النسائى فى (السنن)، كتاب الزينة باب صفة نعل رسول الله ﷺ، حديث رقم (٥٣٦٧)، وأخرجه ابن ماجة فى (السنن)، كتاب اللباس، باب صفة =

وللإمام أحمد من حديث مطرف بين الشخير، قال: أخبرني أعرابي لنا قال: رأيت نعل نبيكم ﷺ مخصوفة(١).

ولابن حيَّان من حديث ميمون بن بهزان، عن ابن عباس رضي الله [عنهما] قال: كانت لرسول الله ﷺ نعلان لهما زمامان.

ومن حديث مالك عن سعيد المقبرى، عن عبيد بن جريج، أنه قال لعبد الله بن عمر: رأيتك تلبس النّعَال السبتية، قال: إني رأيت رسول الله ﷺ يلبس النعال السبتية التي ليس فيها شعر، ويتوضأ فيها. قلت: هكذا خَرَّج ابن حيان هذا الحديث مختصرا.

وقد رويناه في الموَّطأ من حديث مالك، عن سعيد بن أبي سعيد المقبرى، عن عبيد بن جريج أنه قال لعبد الله بن عمر: يا أبا عبد الرحمن؛ رأيتك تصنع أربعًا لم أر أحدا من أصحابك يصنعها، قال: ما هُنّ يا ابن جريج؟ قال: رأيتك لا تمس من الأركان إلا اليمانيين، ورأيتك تلبس النعال السِّبتية، ورأيتك تصبغ بالصّفرة، ورأيتك إذا كنت بمكة أهلّ الناس إذا رأوا الهلال ولم تهلل أنت حتى كان يوم التروية.

فقال عبد الله بن عمر: أما الأركان، فإني لم أر رسول الله ﷺ [يمسّ منها إلا الركنين اليمانيين، وأما النعال السِّبتية، فإني رأيت رسول الله ﷺ](٢) يلبس النعال التي ليْس فيها شعر ويتوضأ فيها، فأنا أحب أن ألبسها، وأما الصّفرة، فإني رأيت رسول الله ﷺ يصبغ بها، فأنا أحب أن أصبغ بها، وأما

= النعال، حديث رقم (٣٦١٥)، وابن سعد في (الطبقات): ١/ ٤٧٨، ذكر نعل رسول الله ﷺ، وأبو الشيخ في (أخلاق النبي): ١٣٤.

(١) (مسند أحمد): ٥/ ٦٢٨، حديث الأعرابي عن النبي ﷺ رقم (١٩٥٥٤).

(٢) ما بين الحاصرتين سقط من الناسخ في (خ)، وما أثبتناه من (ج).

الإهلال، فإني لم أر رسول الله ﷺ يُهلّ حتى تنبعث به راحلته(١).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطهارة، باب (٣٠) غسل الرجلين في النعلين ولا يمسح على الخفين، حديث رقم (١٦٦)، وكتاب الحج باب (٢) قول الله تعالى: ﴿ **يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم** ﴾ [الحج: ٢٧]، حديث رقم (١٥١٤)، باب (٢٨) من أهل حين استوت راحلته قائمة، حديث رقم (١٥٥٢)، باب (٩) من لم يستلم إلا الركنين اليمانين، حديث رقم (١٦٠٨)، (١٦٠٩)، كتاب الجهاد والسير، باب (٥٣) الركاب والغرز للدابة، حديث رقم (٢٨٦٥)، كتاب اللباس، باب (٣٧) النعال السبتية وغيرها، حديث رقم (٥٨٥١).

ومسلم في كتاب الحج، باب (٥) الإهلال من حيث تنبعث الراحلة، حديث رقم (١١٨٧).

وأبو داود في (السنن)، كتاب المناسك، باب (٢١) في وقت الإحرام، حديث رقم (١٧٧٢)، كتاب الترجل، باب (١٩) ما جاء في خضاب الصفرة، حديث رقم (٤٢١٠).

والنسائي في (السنن)، كتاب الطهارة، باب (٩٥) الوضوء في النعل، حديث رقم (١١٧)، كتاب الزينة، باب (٦٥)، تصفير اللحية، حديث رقم (٥٢٥٨)، كتاب الحج، باب (٥٦)، العمل في الإهلال، حديث رقم (٢٧٥٧)، (٢٧٥٨)، (٢٧٥٩).

والترمذي في (الشمائل)، باب (١١) ما جاء في نعل رسول الله ﷺ، حديث رقم (٧٩).

وابن ماجة في (السنن)، كتاب اللباس، باب (٣٤) الخضاب بالصفرة، حديث رقم (٣٦٢٦).

ومالك في (الموطأ)، كتاب الحج، باب العمل في الإهلال، حديث رقم (٧٣٨).

وابن سعد في (الطبقات): ١/ ٤٨٢ في ذكر نعل رسول الله ﷺ «النعال السِّبتيّة» بكسر السين المهملة وسكون الموحدة ففوقية، أي التي لا شعر فيها، مشتق من السِّبت وهو الحلق، قاله الأزهري، أو لأنها سبتت بالدباغ أي لانت.

قال أبو عمرو الشيباني: السِّبت كل جلد مدبوغ. وقال أبو زيد: جلود البقر مدبوغة أم لا، أو نوع من الدباغ يقلع الشعر. أو جلد البقر المدبوغ بالقرظ. وقيل بالسُّبت بضم أوله، نبت يدبغ به. قاله صاحب (المنتهى).

وقال الداودي: هي منسوبة إلى موضع يقال له: سوق السبت وقال ابن وهب: كانت سوداء لا شعر فيها، وقيل: هي التي لا شعر عليها أي لون كانت، ومن أي جلد، بأي دباغ دبغت.

وقال عياض في (الإكمال): الأصح عندي أن اشتقاقها وإضافتها إلى السبت الذي هو الجلد المدبوغ أو إلى الدباغة، لأن السين مكسورة، ولو كانت من السبت الذي هو الحلق -كما قال الأزهري وغيره، لكانت النسبة سَبتية بالفتح، ولم يروها أحد في هذا الحديث ولا غيره ولا في الشعر فيما علمت إلا بالكسر، وقال: وكان من عادة العرب لبس النعال بشعرها غير مدبوغة، وكانت المدبوغة تُعمل بالطائف، ويلبسها أهل الرفاهية.

قوله: «ورأيتك تصبغ» بضم الموحدة، وحكى فتحها وكسرها «بالصفرة» ثوبك أو شعرك، =

. . . .

= « ورايتك إذا كنت » مستقرا « بمكة أهل الناس » أى رفعوا أصواتهم بالتلبية للإحرام بحج أو عمرة « إذا رأوا الهلال » أى هلال ذى الحجة « ولم تُهلل » بلامين بفك الإدغام « أنت حتى يكون » أى يوجد، وفى رواية كان أى وجد « يوم » بالرفع فاعل يكون التامة [غير مضارع كان الناقصة]، والنصب خبر على أنها ناقصة « التروية » ثامن ذى الحجة، لأن الناس كانوا يروون فيه من الماء، أى يحملونه من مكة إلى عرفات ليستعملوه شربا وغيره، وقيل غير ذلك « فتهل أنت » وتبين من جوابه أنه كان لا يهل حتى يركب قاصدا إلى منى.

قوله: « فقال عبد الله بن عمر: أما الأركان فإنى لم أر رسول الله ﷺ يَمَسُّ » وفى رواية: « يستلم » منها « إلا » الركنين « اليمانيين » بالتخفيف لأنهما على قواعد إبراهيم، ومسهما واستلامهما مختلف.

فالعراقى مسُّه وهو استلامه بالتقبيل لاختصاصه بالحجر الأسود إن قدر وإلا فبيده أو بعود، ثم رضعه على فيه بلا تقبيل.

واليمانى مسه بيده، ثم يضعها على فيه بلا تقبيل، ولا يمسه بفيه بخلاف الشاميين، فليسا على قواعد إبراهيم، فلم يمسها فالعلة ذلك.

قال القابسى: لو أدخل الحجر فى البيت حتى عاد الشاميان على قواعد إبراهيم استلما.

قال ابن القصار: ولذا لما بنى الزبير الكعبة على قواعده استلم الأركان كلها، والذى قاله الجمهور سلفا وخلفا أن الشاميين لا يستلمان.

قال عياض: واتفق عليه أئمة الأمصار والفقهاء وإنما كان الخلاف فى ذلك فى العصر الأول من بعض الصحابة وبعض التابعين، ثم ذهب.

وقال بعض العلماء: اختصاص الركنين بيّن بالسنة، ومستند التعميم بالقياس. وأجاب الشافعى عن قول من قال: ليس شيء من البيت مهجور بأنا لم ندع استلامهما هجرا للبيت، وكيف يهجره وهو يطوف به؟ ولكنا نتبع السنة فعلاً أو تركا، ولو كان ترك استلامهما هجرا لهما لكان استلام ما بين الأركان هجرا لها، ولا قائل به.

قوله: « وأما النعال السبتية، فإنى رأيت رسول الله ﷺ يلبس النعال التى ليس فيها شعر »، أشار إلى تفسيرها بذلك، وهكذا قال جماهير أهل اللغة والغريب والحديث: أنها التى لا شعر فيها.

قوله: « ويتوضأ فيها »، أى النعال، أى يتوضأ ويلبسها ورجلاه رطبتان، قاله النووى، « فأنا أحب أن ألبسها » اقتداء به « وأما الصفرة فإنى رأيت رسول الله ﷺ يصبغ بها فأنا أحب أن أصبغ بها »، قال المازرى: قيل: المراد صبغ الشعر، وقيل: صبغ الثوب، قال: والأشبه الثانى لأنه أخبر أنه ﷺ صبغ، ولم ينقل عنه ﷺ أنه صبغ شعره. =

. . . .

= قال عياض: وهذا اظهر الوجهين، وقد جاءت آثار عن ابن عمر بين فيها تصفير ابن عمر لحيته، واحتج بأنه ﷺ كان يصفّر لحيته بالورس والزعفران. رواه أبو داود، وذكر أيضا فى حديث آخر احتجاجه بأن النبى ﷺ كان يصبغ بها ثيابه حتى عمامته.

واجيب عن الأول باحتمال انه كان مما يتطيب به، لا انه كان يصبغ بها شعره.

وقال ابن عبد البر: لم يكن ﷺ يصبغ بالصّفرة إلا ثيابه، وأما الخضاب فلم يكن يخضب، وتعقبه فى (المفهم) بأن فى سنن أبى داود عن أبى رمثة قال: انطلقتُ مع أبى نحو النبى ﷺ فإذا هو ذو وفرة وفيها ردع من حنّاء، وعليه بردان أخضران. قال الولىّ العراقىّ: وكأنَّ ابن عبد البر إنما أراد نفى الخضاب فى لحيته ﷺ فقط.

قوله: «وأما الإهلال فإنى لم أر رسول الله ﷺ يهل حتى تنبعث به راحلته»، أى تستوى قائمة إلى طريقه، قال المازرى: ما تقدم جواباته نصّ فى عين ما سُئل عنه، ولما لم يكن عنده نص فى الرابع أجاب بضرب من القياس، ووجه انه لما رآه فى حجه من غير مكة إنما يهل عند الشروع فى الفعل أخَّرَ هو إلى يوم التروية، لانه الذى يبتدأ فيه بأعمال الحج من الخروج إلى منى وغيره.

وقال القرطبى: أبْعَدَ من قال: هذا قياس، بل تمسك بنوع الفعل الذى رآه يفعله، وتعقب بأن ابن عمر ما رآه أحرم من مكة يوم التروية كما رآه استلم الركنين اليمانيين فقط، بل رآه أحرم من ذى الحليفة حين استوت به راحلته، فقاس الإحرام من مكة على الإحرام من الميقات، لانها ميقات الكائن بمكة فأحرم يوم التروية، لانه يوم التوجه إلى منى، والشروع فى العمل قياسًا على إحرامه ﷺ من الميقات حين توجه إلى مكة، فالظاهر قول المازرى.

وقد قال ابن عبد البر: جاء ابن عمر بحُجة قاطعة نزع بها، فاخذ بالعمورم فى إهلاله ﷺ، ولم يخص مكة من غيرها، فكأنه قال: لا يهل الحاج إلا فى وقت يتصل له عمله وقصده إلى البيت ومواضع المناسك والشعائر، لانه ﷺ أهلّ واتصل له عمله، ووافق ابن عمر على هذا جماعة من السلف، وبه قال الشافعى وأصحابه، وهو رواية مالك. والرواية الأخرى: والأفضل أن يحرم من أول ذى الحجة.

قال عياض: وحمل شيوخنا رواية استحباب الإهلال يوم التروية على من كان خارجا من مكة، ورواية استحبابه أول الشهر على من كان فى مكة، وهو قول أكثر الصحابة والعلماء ليحصل له من الشعث ما يساوى من أحرم من الميقات.

قال النووى: والخلاف فى الاستحباب وكل منهما جائز بالإجماع، وكلام القاضى وغيره يدل ذلك.

قال ابن عبد البر: فى الحديث دليل على أن الاختلاف فى الأفعال والأقوال والمذاهب، كان =

وخرَّجهُ البخارى ومسلم وأبو داود، فذكره البخارى فى كتاب الطهارة، فى باب غسل الرجلين فى النعلين، وفى كتاب اللباس فى باب النعال السبتية، وذكره مسلم وأبو داود فى الحج.

والنعال السِّبتية: هى السوداء التى لا شعر لها، والسبت: الجلد المدبوغ بالقرظ، وقيل: هو كل جلد مدبوغ، وقيل: السبت هى جلود البقر خاصة، مدبوغة كانت أو غير مدبوغة، لا يقال لغيرها سبت، وجمعها سبوت.

وقيل: السبت نوع من الدباغ يقلع الشعر، والنعال السبتية كانت من لباس [وجوه](١) الناس وأشراف العرب، وهى معروفة عندهم، قد ذكرها شعراؤهم.

وخرَّج ابن حيَّان من حديث شعبه، عن حميد بن هلال، عن عبد الله بن الصامت، عن أبى ذر رضى الله عنه قال: رأيتُ رسول الله ﷺ يصلى فى نعلين مخصوفتين من جلود البقر..

ومن حديث ثابت بن يزيد عن التيمى قال: أخبرنى من أبصر نعل النبى ﷺ، له قبالان بعقبين.

ومن حديث عطاء بن يسار، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا

= موجودا فى الصحابة، وهو عند العلماء اصح ما يكون من الاختلاف، وإنما اختلفوا بالتأويل المحتمل فيما سمعوه ورأوه، وفيما انفرد بعضهم بعلمه دون بعض، وما اجمع عليه الصحابة واختلط فيه من بعدهم، فليس اختلافهم بشىء.

وفيه ان الحجة عند الاختلاف السنة، وانها حجة على من خالفها، وليس من خالفها حجة عليها؛ الا ترى ان ابن عمر لم يستوحش من مفارقة أصحابه، إذ كان عنده فى ذلك علم من النبى ﷺ، ولم يقل له ابن جريج: الجماعة أعلم به منك، ولعلك وهمت كما يقول اليوم من لا علم به، بل انقاد للحق إذ سمعه، وهكذا يلزم الجميع. (شرح العلاقة الزرقانى على موطأ الإمام مالك) ٢/ ٣٢٩ - ٣٣٢.

(١) ما بين الحاصرتين سقط من الناسخ فى (خ)، وما أثبتناه من (ج).

لبس نعليه بدأ باليمنى، وإذا خلع خلع اليسرى[1].

* * *

(١) (أخلاق النبى): ١٣٦ ونحوه باختلاف فى اللفظ والسياقة فى: (فتح البارى): ١٠/ ٢٨٢ - ٢٨٣، كتاب اللباس، باب (٤٠) ينزع نعله اليسرى، حديث رقم (٥٨٥٦)، (مسلم بشرح النووى): ١٤/ ٣١٩، كتاب اللباس والزينة، باب (١٩) استحباب لبس النعل فى اليمنى أولاً، والخلع من اليسرى أولاً وكراهة المشى فى نعل واحدة، حديث رقم (٢٠٩٧)، (سنن أبى داود): ٤/ ٣٧٧ - ٣٧٨، كتاب اللباس، باب (٤٤) فى الانتعال، حديث رقم (٤١٣٩)، (سنن الترمذى) ٤/ ٢١٥، كتاب اللباس باب (٣٧) ما جاء بأى رجل يبدأ إذا انتعل، حديث رقم (١٧٧٩)، (الشمائل المحمدية): ٨٦، باب ما جاء فى نعل رسول الله ﷺ، حديث رقم (٨٥)، (سنن ابن ماجة): ٢/ ١٩٩٥، كتاب اللباس، باب (٢٨) لبس النعال وخلعها، حديث رقم (٣٦١٦)، (مسند أحمد): ٢/ ٤٦٣، حديث رقم (٧١٣٩)، ٤٨٧، حديث رقم (٩٢٧٣)، ٢٢٩، حديث رقم (٩٦٧٧)، ٢٥١، حديث رقم (٩٨٣٣)، ٢٨٧، حديث رقم (١٠٠٨٠).

أما فقه [الحديث] ففيه ثلاث مسائل:

* أحدها: يستحب البداءة باليمنى فى كل ما كان من باب التكريم والزينة والنظافة، ونحو ذلك كلبس النعل والخف والمداس والسراويل والكُم وحلق الرأس وترجيله، وقص الشارب ونتف الإبط والسواك، والاكتحال وتقلم الأظفار، والوضوء والغسل والتيمم، ودخول المسجد، والخروج من الخلاء، ودفع الصدقة وغيرها من أنواع الدفع الحسنة، وتناول الأشياء الحسنة، ونحو ذلك.

* الثانية: يستحب البداءة باليسار فى كل ما هو ضد السابق فى المسألة الأولى، فمن ذلك خلع النعل والخف والمداس والسراويل والكم، والخروج من المسجد ودخول الخلاء والاستنجاء وتناول أحجار الاستنجاء، ومس الذكر والامتخاط والاستنثار، وتعاطى المستقذرات وأشباهها.

* الثالثة: يكره المشى فى نعل واحدة، أو خُفٍّ واحد، أو مداس واحد إلا لعذر، ودليله هذه الأحاديث [إذا انقطع نعل أحدكم فلا يمشى فى الأخرى حتى يصلحها] التى رواها مسلم [وغيره] قال العلماء: وسببه أن ذلك تشويه ومثله، ومخالف للوقار، ولأن المنتعلة تصير أرفع من الأخرى فيعسر مشيه، وربما كان سببا للعثار.

وهذه الآداب الثلاثة التى فى المسائل الثلاث مجمع على استحبابها، وأنها ليست واجبة (مسلم بشرح النووى): ١٤/ ٣٢٠، باختصار من شرح الحديث رقم (٢٠٩٨).

فصل فى خاتم رسول الله ﷺ(1)

خرّج البخارى من حديث الليث(2) عن نافع،، عن عبد الله بن عمر(3) رضى الله عنه [قال]: إن رسول الله ﷺ اصطنع خاتمًا من ذهب، فكان فصّه فى باطن كفه إذا لبسه، فصنع الناس، ثم إنه جلس على المنبر فنزعه فقال: إنى كنت ألبس هذا الخاتم، وأجعل فصّه من داخل، فرمى به وقال: والله لا ألبسه أبداً، فنبذ الناس خواتيمهم. ذكره فى كتاب الأيمان، وترجم عليه باب من حلف على الشئ وإن لم يُحلّف(4).

وخرجه مسلم وزاد فى حديث عقبة بن خالد، عن عبيدالله عن نافع:

---

(1) إعلم أن الخاتم يجوز فيه كسر التاء وفتحها أفصح وأشهر. لأنه آلة الختم، وهى ما يختم به، وهى بناء آلات لذلك، كالقالب والطابع. وحكى فيه طائفة من المتأخرين لغتين أخرتين وهما خاتام وخيتام.

وقد اختلف أهل العلم فى لبسه فى الجملة، فأباحه كثير من أهل العلم ولم يكرهوه، وهو ظاهر كلام الإمام أحمد، وهو اختيار أكثر أصحابه – قال فى رواية أبى داود وصالح وعلى بن سعيد: ليس به بأس واستدلوا على ذلك بما فى الصحيحين عن ابن عمر، قال: اتخذ رسول الله ﷺ خاتمًا من ورق، فكان فى يده، ثم كان فى يد أبى بكر، ثم كان فى يد عمر، ثم كان فى يد عثمان، حتى وقع منه فى بئر أريس. (أحكام الخواتم وما يتعلق بها): ٣٨–٤٢، (تهذيب الأسماء واللغات): ٣/٨٨، (لسان العرب): ١٢/١٦٣–١٦٤، (بصائر ذوى التمييز): ٢/٥٢٦.

(2) فى (خ)، (ج): «ليث» وما أثبتناه من البخارى.

(3) فى (خ)، (ج): «عبد الله بن عمر» وفى البخارى: «عن ابن عمر».

(4) (فتح البارى): ١١/٦٥٨، كتاب الأيمان والنذور، باب (٦) من حلف على الشئ وإن لم يُحلّف، حديث رقم (٦٦٥١) ولفظه: حدثنا قتيبة، حدثنا الليث عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ اصطنع خاتمًا من ذهب وكان يلبسه، فيجعل فَصّه فى باطن كفه، فصنع الناس خواتيم، ثم إنه جلس على المنبر فنزعه فقال: إنى كنتُ ألبس هذا الخاتم وأجعل فصّه من داخل، فرمى به ثم قال: والله لا ألبسه أبداً، فنبذ الناس خواتيمهم.

وجعله في يده اليمنى[١].

وذكره البخارى من حديث [جويرية][٢] عن نافع، أن عبد الله حدّثه أن النبى ﷺ اصطنع خاتمًا من ذهب، وجعل فصّهُ فى بطن كفه إذا لبسه، فاصطنع الناس خواتيم من ذهب، فرقى المنبر، فحمد الله وأثنى عليه فقال: إنى كنتُ اصطنعته، وإنى لا ألبسه فنبذه، فنبذ الناس. قال [جويرية][٣]: ولا أحسبه إلا قال: فى يده اليمنى. ترجم عليه باب من جعل فصٌ الخاتم فى بطن كفه[٤].

وذكره من حديث عبد الله بن مسلم، عن مالك عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، [رضى الله عنهما قال]: كان رسول الله ﷺ يلبس خاتمًا من ذهب فنبذه، فقال: لا ألبسه أبدًا، فنبذ الناس خواتيمهم[٥]. ذكره فى باب خاتم الفضة[٦].

وذكره فى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، فى باب الاقتداء بأفعال النبى ﷺ من حديث عبد الله بن دينار، عن عبد الله بن عمر قال: اتخذ النبى ﷺ خاتمًا من ذهب، فاتخذ الناس خواتيم من ذهب، فقال النبى

---

(١) (مسلم بشرح النووى): ١٤ / ٣١٠-٣١١، كتاب اللباس والزينة، باب (١١) تحريم الخاتم الذهب على الرجال، ونسخ ما كان من إباحته فى أول الإسلام، حديث عقبة بن خالد الذى يلى الحديث رقم (٢٠٩١) [بدون رقم]. وفيه بيان ما كانت الصحابة رضى الله تعالى عنهم عليه من المبادرة إلى امتثال أمره ونهيه ﷺ، والاقتداء بأفعاله ﷺ.

(٢) فى (ج): «جويرة»، وفى (خ) والبخارى: «جويرية».

(٣) فى (خ)، (ج): «جويرة»، وما أثبتناه من البخارى.

(٤) (فتح البارى): ١٠ / ٣٩٩، كتاب اللباس، باب (٥٣) من جعل فَصٌ الخاتم فى بطن كفه، حديث رقم (٥٨٧٦).

(٥) (فتح البارى): ١٠ / ٣٩١، كتاب اللباس، باب (٤٧) بدون ترجمة ، حديث رقم (٥٨٦٧).

(٦) كذا فى (خ)، (ج) والصواب أنه فى باب (٤٧) بدون ترجمة، لكن باب خاتم الفضة رقم (٤٦).

ﷺ: إنى اتخذت خاتمًا من ذهب، فنبذه وقال: إنى لن ألبسه أبدًا، فنبذ الناس خواتيمهم(١).

وذكر فى باب خواتيم الذهب، من حديث عبيد الله، حدثنى نافع عن عبد الله [رضى الله](٢) عنه أن رسول الله ﷺ اتخذ خاتمًا من ذهب، وجَعل(٣) فَصّه مما يلى كفه، فاتخذه الناس فرمى به، واتخذ خاتمًا من ورِق أو فضه(٤).

وذكر فى باب خاتم الفضة، من حديث عبيد الله عن نافع، عن ابن عمر [رضي الله عنهما](٥)، أن رسول الله ﷺ اتخذ خاتمًا من ذهب [-أو فضة-](٥)، وجعل فصه مما يلى [كفه](٦)، ونقش فيه: محمد رسول الله، فاتخذ الناس مثله، فلما رآهم [رسول الله ﷺ](٧) قد اتخذوها رمى به وقال: لا ألبسه أبدًا، ثم اتخذ خاتمًا من فضة، فاتخذ الناس خواتيم الفضة(٨).

قال ابن عمر: فلبس الخاتم بعد النبى ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، حتى وقع من عثمان فى بئر أريس(٨).

---

(١) (فتح البارى): ١٣/ ٣٤٠، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب (٤) الاقتداء بأفعال النبى ﷺ، حديث رقم (٧٢٩٨).

(٢) زيادة للسياق من البخارى.

(٣) فى (خ)، (ج): «فجعل»، وما أثبتناه من البخارى.

(٤) (فتح البارى): ١٠/ ٣٨٧، كتاب اللباس، باب (٤٥) خواتيم الذهب، حديث رقم (٥٨٦٥).

(٥) زيادة للسياق من البخارى.

(٦) فى (خ)، (ج): «فى باطن كفه» وما أثبتناه من البخارى.

(٧) زيادة من (خ)، (ج) فقط.

(٨) (فتح البارى): ١٠/ ٣٩٠-٣٩١، كتاب اللباس، باب (٤٦) خاتم الفضة، حديث رقم (٥٨٦٦).
وأريس: بفتح الهمزة وكسر الراء وبالسين المهملة وزن عظيم، وهى فى حديقة بالقرب من مسجد قباء، وسيأتى لها مزيد بيان فى ذكر الآبار التى كان يشرب منها رسول الله ﷺ.

وخرجه أبو داود بهذا الإسناد نحوه وقال فيه: فاتخذ الناس خواتم[(١)] الذهب، وبعده قال أبو داود: ولم يختلف الناس على عثمان رضى الله عنه حتى سقط الخاتم من يده[(٢)].

وللبخارى[(٣)] ومسلم[(٤)] من حديث عبد الله عن نافع عن ابن عمر [رضى الله عنهما][(٥)] قال: اتخذ رسول الله ﷺ خاتمًا من وَرِقٍ وكان[(٦)] فى يده، حتى وقع بعد[(٧)] فى بئر أريس، نقشُه: محمد رسول الله.

لفظ ابن نمير فى رواية مسلم: حتى وقع فى بئر أريس، لم يقل: منه. وفى لفظ البخارى: حتى وقع بعد فى بئر أريس، ولم يذكر لفظة: بعد، فى

---

(١) فى (خ)، (ج): «خواتيم»، وما أثبتناه من (سنن أبى داود).

(٢) (سنن أبى داود): ٤/٤٢٥، كتاب الخاتم، باب (١) ما جاء فى اتخاذ الخاتم، حديث رقم (٤٢١٨).

(٣) (فتح البارى): ١٠/٣٩٧، كتاب اللباس، باب (٥٠) نقش الخاتم، حديث رقم (٥٨٧٣).

(٤) (مسلم بشرح النووى): ١٤/٣١١-٣١٢، كتاب اللباس والزينة، باب (١٢) لبس النبى ﷺ خاتمًا من ورق نقشه محمد رسول الله، ولبس الخلفاء من بعده، حديث رقم (٥٤) من أحاديث الباب.

وفيه التبرك بآثار الصالحين ولبس لباسهم، وجواز لبس الخاتم، وأن النبى ﷺ لم يورث، إذ لو ورث لدفع الخاتم إلى ورثته، بل كان الخاتم والقدح والسلاح ونحوها من آثاره الضرورية صدقة للمسلمين، يصرفها ولى الأمر حيث رأى من المصالح، فجعل القدح عند أنس إكرامًا له لخدمته، ومن أراد التبرك به لم يمنعه، وجعل باقى الأثاث عند ناس معروفين، واتخذ الخاتم عنده للحاجة التى اتخذه النبى ﷺ لها، فإنها موجودة فى الخليفة بعده، ثم الخليفة الثانى، ثم الثالث.

وأما قوله: «نقشه محمد رسول الله» ففيه جواز نقش الخاتم، ونقش اسم صاحب الخاتم، وجواز نقش اسم الله تعالى، هذا مذهبنا، ومذهب سعيد بن المسيب، ومالك، والجمهور. وعن ابن سيرين وبعضهم كراهة نقش اسم الله تعالى، وهذا ضعيف. قال العلماء: وله أن ينقش عليه اسم نفسه، أو ينقش عليه كلمة حكمة، وأن ينقش ذلك مع ذكر الله تعالى(المرجع السابق).

(٥) زيادة للسياق من البخارى.

(٦) فى (خ)، (ج): «فكان»، وما أثبتناه من البخارى.

(٧) فى (خ)، (ج): «منه»، وما أثبتناه من البخارى.

المواضع الثلاثة، قبل أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم.

ولمسلم(١) والنسائى(٢) من حديث سفيان بن عيينة، عن أيوب بن موسى، عن نافع عن ابن عمر قال: اتخذ رسول الله ﷺ خاتمًا من ذهب ثم ألقاه، ثم اتخذ خاتمًا من ورق ونقش فيه: محمد رسول الله وقال: لا ينقش أحد على نقش خاتمى هذا، وكان إذا لبسه جعل فصَّه مما يلى بطن كفه، وهو الذى سقط من مُعَيْقيب فى بئر أريس. اللفظ لمسلم، ولم يقل النسائى: وهو الذى سقط من مُعيقيب فى بئر أريس، وقال: لا ينبغى لأحد أن ينقش على نقش خاتمى هذا [ثم جعل فصه فى بطن كفه](٣).

وللبخارى من حديث ثمامة عن أنس، أن أبا بكر رضى الله عنه لما استُخلف بعثه إلى البحرين وكتب له هذا الكتاب، وختمه بخاتم النبى ﷺ، وكان نقش الخاتم ثلاثة أسطر: محمد سطر، ورسول سطر، والله سطر. ذكره فى كتاب الخمس فى باب ما ذكر من درع النبى ﷺ، وعصاه، وسيفه، وقدحه، وخاتمه(٤).

وذكر فى كتاب اللباس، فى باب: هل يجعل نقش الخاتم ثلاثة أسطر؟

---

(١) (مسلم بشرح النووى) : ١٤ / ٣١٢، كتاب اللباس والزينة، باب (١٢) لبس النبى ﷺ خاتمًا من ورق نقشه محمد رسول الله، ولبس الخلفاء من بعده، حديث رقم (٥٥).

(٢) (سنن النسائى) : ٨ / ٥٦٠، كتاب الزينة، باب (٥٣) نزع الخاتم عند دخول الخلاء، حديث رقم (٥٢٣١)، باب (٨٠) موضع الفص حديث رقم (٥٣٠٣).

(٣) زيادة للسياق من (المرجع السابق).

وأخرجه أيضًا الترمذى فى (الشمائل) : ٩٤، حديث رقم (١٠٢)، وأبو داود فى كتاب الخاتم باب (١) ما جاء فى اتخاذ الخاتم، حديث رقم (٤٢١٩)، وابن ماجة فى (السنن) : ٢ / ١٢٠١، كتاب اللباس، باب (٣٩) نقش الخاتم، حديث رقم (٣٦٣٩).

(٤) (فتح البارى) : ٦ / ٢٦٠، كتاب فرض الخمس، باب (٥) ما ذكر من درع النبى ﷺ وعصاه، وسيفه، وقدحه، وخاتمه، وما استعمل الخلفاء، بعده من ذلك مما لم يذكر قسمته، ومن شعره، ونعله، وآنيته، مما تبرك أصحابه وغيرهم بعد وفاته، حديث رقم (٣١٠٦).

ووصل به: قال أبو عبد الله: وزادني أحمد: أخبرنا الأنصارى [قال](١): حدثنى أبى ثمامة عن أنس [رضى الله عنه](١) قال: كان خاتم النبى ﷺ فى يده، وفى يد أبى بكر بعده، وفى يد عمر بعد أبى بكر، [قال](١): فلما كان عثمان جلس على بئر أريس [قال](١): فأخرج [الخاتم](٢) فجعل يعبث به فسقط، قال: فاختلفنا ثلاثة أيام مع عثمان [فننزح](٣) البئر فلم نجده(٤).

---

(١) ما بين الحاصرتين زيادات من (خ)، (ج).

(٢) فى (خ)، (ج): «الحاكم» وصوبناه من البخارى.

(٣) فى (خ)، (ج): «ننزح» وصوبناه من البخارى.

(٤) (فتح البارى): ١٠ / ٤٠٣، كتاب اللباس، باب (٥٥) هل يُجعل نقش الخاتم ثلاثة أسطر، حديث رقم (٥٨٧٩). قال الحافظ فى (الفتح): هذه الزيادة موصولة، وأحمد المذكور جزم المزى فى (الأطراف) أنه أحمد بن حنبل، لكن لم أر هذا الحديث فى (مسند أحمد) من هذا الوجه أصلاً.

[قال محققه: جاء فى مسند عبد الله بن عمر: حدثنا عبد الله، حدثنا أبى، حدثنا وكيع، حدثنا سفيان، ويزيد، قال: أنبأنا سفيان عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر قال: اتخذ رسول الله ﷺ خاتمًا من ذهب، فاتخذ الناس خواتيم من ذهب، فرمى به وقال: لن ألبسه أبدًا، قال يزيد: فنبذ الناس خواتيمهم، (مسند أحمد): ٢ / ١٦٥، حديث رقم (٥٢٢٧)، والحديث رقم (٥٢٢٨): عن ابن عمر، عن النبى ﷺ: كان يجعل فصَّ خاتمه مما يلى بطن كفّه، والحديث رقم (١٣٣٩١): عن أنس قال: كان خاتم النبى ﷺ فضة فصه منه (مسند أحمد): ٤ / ١٦٧].

قوله: «فاختلفنا ثلاثة أيام مع عثمان فننزح البئر فلم نجده» أى فى الذهاب والرجوع والنزول إلى البئر والطلوع منها، ووقع فى رواية ابن سعد: «واظبناه مع عثمان ثلاثة أيام فلم نقدر عليه»، قال بعض العلماء: كان فى خاتمه ﷺ من السرّ شئ مما كان فى خاتم سليمان عليه السلام، لأن سليمان لما فقد خاتمه ذهب مُلكه، وعثمان لما فقد خاتم النبى انتقض عليه الأمر، وخرج عليه الخارجون، وكان ذلك مبدأ الفاتنة التى أفضت إلى قتله، واتصلت إلى آخر الزمان.

قال ابن بطال: يؤخذ من الحديث أن يسير المال إذا ضاع يجب البحث فى طلبه، والاجتهاد فى تفتيشه، وقد فعل ﷺ ذلك لما ضاع عقد عائشة رضى الله عنها وحبس الجيش على طلبه حتى وُجد، كذا قال، وفيه نظر، فأما عقد عائشة فقد ظهر أثر ذلك بالفائدة العظيمة التى نشأت عنه، وهى رخصة التيمم، فكيف يقاس عليه غيره؟

وأما فعل عثمان، فلا ينهض الاحتجاج به أصلاً لما ذكر، لأن الذى يظهر أنه إنما يبالغ فى =

وله من حديث حماد [بن زيد](١) عن عبد العزيز بن صهيب، عن أنس بن مالك [رضى الله عنه](١) أن رسول الله ﷺ اتخد خاتمًا من [فضة](٢)، ونقش فيه: محمد روسل الله، وقال للناس: إنى اتخذتُ خاتمًا من ورق ونقشتُ فيه محمد رسول الله، فلا ينُقشّن أحدٌ على نقشه(٣).

= التفتيش عليه لكونه أثر النبى ﷺ، قد لبسه واستعمله وختم به، ومثل ذلك يساوى فى العادة قدرًا عظيمًا من المال، وإلا لو كان غير خاتم النبى ﷺ لاكتفى بطلبه بدون ذلك، وبالضرورة يُعلم أن قدر المؤنة التى حصلت فى الأيام الثلاثة تزيد على قيمة الخاتم، لكن اقتضت صفة عظيم قدره، فلا يقاس عليه كل ما ضاع من يسير المال.

* وفيه أن من فعل الصالحين العبث بخواتيمهم وما يكون بأيديهم وليس ذلك بعائب لهم، قال الحافظ: وإنما كان كذلك لأن من مثلهم إنما ينشأ عن فكر، وفكرتهم إنما هى فى الخير. قال الكرمانى: معنى قوله: « يعبث به » يحركه، أو يخرجه من إصبعه ثم يدخله فيها، وذلك صورة العبث، وإنما يفعل الشخص ذلك عند تفكره فى الأمور.

* وفيه أن من طلب شيئًا ولم ينجح فيه بعد ثلاثة أيام له أن يتركه، ولا يكون بعد الثلاث مضيعًا، وأن الثلاث حد يقع بها العذر فى تعذر المطلوبات.

* وفيه استعمال آثار الصالحين ولباس ملابسهم على جهة التبرك والتيمن بها، (فتح البارى): ١٠ / ٤٠٤ مختصرًا.

(١) زيادات من (خ)، (ج).

(٢) فى (خ)، (ج): « من ورق »، وما أثبتناه من البخارى.

(٣) (فتح البارى): ١٠ / ٤٠٢، كتاب اللباس، باب (٥٤) قول النبى ﷺ: لا يُنتقش على نقش خاتمه، حديث رقم (٥٨٧٧)، وأخرجه الترمذى فى (السنن): ٤ / ٢٠١، كتاب اللباس، باب (١٦)، ماجاء فى لبس الخاتم فى اليمين، حديث رقم (١٧٤٥)، وقال أبو عيسى: هذا حديث صحيح حسن، ومعنى قوله: لا تنقشوا عليه، نهى أن ينقش أحد على خاتمه « محمد وسول الله »، وأخرج الدارقطنى فى (الأفراد)، من طريق سلمة بن وهرام عن عكرمة عن يعلى بن أمية قال: أنا صنعت للنبى ﷺ خاتمًا لم يشركنى فيه أحد، نقش فيه محمد رسول الله.

فيستفاد منه اسم الذى صاغ خاتم النبى ﷺ ونقشه. وأما نهيه ﷺ عن أن ينقش أحد على نقشه - أى مثل نقشه فقد تقدمت الإشارة إلى الحكمة فيه فى باب خاتم الفضة. (فتح البارى): ١٠ / ٤٠٢.

قال أبو بكر بن أبى شيبة: حدثنا ابن عيينة عن أيوب بن موسى، عن نافع، عن ابن عمر، قال: اتخذ النبى ﷺ خاتمًا من ورق، ثم نقش عليه: محمد رسول الله، ثم قال: لا ينقش أحد على نقش =

....

= خاتمى هذا. (المصنف): ٥ / ١٩٠، كتاب اللباس والزينة، باب (٥٦) نقش الخاتم وما جاء فيه، حديث رقم (٢٥٠٨٩)، ومن حديث ابن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن انس قال: اصطنع رسول الله ﷺ خاتمًا فقال: إنا قد صنعنا خاتمًا ونقشنا فيه نقشًا فلا ينقش عليه احد. حديث رقم (٢٥٠٩٠)، ومن حديث أبى معاوية عن الأعمش عن موسى بن عبد الله بن زيد عن امه عن حذيفة قالت: كان فى خاتمه كركيّانِ متقابلان بينهما مكتوب: الحمد لله. حديث رقم (٢٥٠٩١)، ومن حديث معاذ عن أشعث عن محمد والحسن قالا: كان نقش خاتم النبى ﷺ: محمد رسول الله. حديث رقم (٢٥٠٩٢)، ومن حديث وكيع قال: حدثنا سفيان عن منصور عن إبراهيم قال: كان خاتم النبى ﷺ من فضة فيه: محمد رسول الله. حديث رقم (٢٥١١٠).

قال ابن رجب الحنبلى فى كتاب (أحكام الخواتم وما يتعلق بها): ونذكر ها هنا جملة من نقوش خواتيم الأكابر والأعيان، مما نقله أهل السير والتواريخ، وذكره أبو عبد الله معمر بن الفاخر الأصبهانى، وذكر أن بعض غرائبه من كتاب حمزة بن يوسف [الجرجانى] فى الخواتيم وغير ذلك:

* أما خاتم النبى ﷺ فكان نقشه: محمد رسول الله، هذا هو الصحيح كما تقم وروى أن أول الأسطر كان اسم الله، ثم فى الثانى رسول، ثم فى الثالث محمد، وروى أن نقش خاتم سليمان: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وروى أن الله ﷻ سبحانه أمر موسى ان ينقش على خاتمه: لكل أجل كتاب.

وكان أبو بكر رضى الله عنه يتختم بعد رسول الله ﷺ بخاتمه. وقيل: كان له خاتم نقشه: نعم القادر الله [أخرجه الطحاوى فى (شرح معانى الآثار): ٤ / ٢٦٤، كتاب الكراهية، باب نقش الخواتيم].

وكذلك عمر رضى الله عنه. تختم بخاتم رسول الله ﷺ بعد أبى بكر، وقيل كان له خاتم نقشه: كفى بالموت واعظًا.

وكان عثمان يتختم بخاتم رسول الله ﷺ ست سنين من خلافته حتى سقط منه، فاتخذ خاتمًا من فضة، وفصه منه نقشه: آمنت بالذى خلق فسوّى.

وكان نقش خاتم على رضى الله عنه: الله الملك الحق المبين. وقيل: الملك لله الواحد القهار. وقيل: الله الملكُ وعليٌّ عَبْده.

وخاتم ابنه الحسن: الله أكبر وبه استعنتُ. وقيل: العزة لله. وقيل: لا إله إلا هو الحى القيوم الملك الحق المبين.

وخاتم أخوه الحسين: إن الله بالغ أمره.

وقد ذكر أهل التواريخ والسير ما نقله أبو عبد الله القضاعى وغيره، أن عثمان لما سقط منه خاتم النبى ﷺ اتخذ خاتمًا من فضة فصّه منه ونقش عليه: آمنت بالذى خلق فسوى. وقيل: لتبصرن أو لتندمن. =

= وأن عليًا رضى الله عنه كان نقش خاتمه : الملك لله الواحد القهار .

وروى وكيع بإسناده فى كتاب اللباس، عن خلدة بن دينار عن أبى العالية، قال : قلت له : إيش كان نقش خاتم النبى ﷺ قال : صدق الله، الحق الخلفاء بعده : محمد رسول الله .

وروى ابن عدى من طريق زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن يعلى بن امية، قال : انا صنعت لرسول الله ﷺ خاتمًا لم يشركنى، فيه أحد، ونَقَشْتُه : محمد رسول الله ﷺ . [أخرجه الدارقطنى فى (الأفراد) ونقله عنه الحافظ فى (الفتح)] .

وكان نقش خاتم معاوية : لكل عمل ثواب، وقيل : لا قوة إلا بالله .

وكان نقش خاتم ابنه يزيد : ربنا الله . وابنه معاوية : إنما الدنيا غرور .

وكان نقش خاتم عبد الله بن الزبير : ابو حبيب العائذ بالله . وقيل : رب نجنى من النار .

ونقش خاتم مروان بن الحكم : الله ثقتى ورجائى . وقيل : آمنت بالله العزيز الحكيم . ونقش خاتم ابنه عبد الملك : آمنت بالله مخلصًا . ونقش خاتم ابنه الوليد : يا وليد أنت ميت . ونقش خاتم اخيه سليمان : آمنت بالله مخلصًا . وقيل أومن بالله مخلصًا .

وكان نقش خاتم عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه : عمر بن عبد العزيز يؤمن بالله . وقيل : لكل عمل ثواب . وقيل : لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وقيل : اغز غزوة تجادل عنك يوم القيامة . وقيل : الوفاء عزيز .

وكان نقش خاتم يزيد بن عبد الملك : قنى الحساب . وقيل : السيئات يا عزيز . وقيل : بالله استعنت، وكان لأخيه خاتم نقشه : الحكم للحكم الحكيم .

وكان خاتم الوليد بن يزيد : بالعزيز يثق الوليد . وقيل : يا وليد إنك ميت .

ونقش خاتم يزيد بن الوليد بن عبد الملك : يا يزيد قُم بالحق تُصِبْه ولأخيه إبراهيم بن الوليد : توكلت على الحى . وعلى خاتم مروان بن محمد بن مروان بن الحكم آخر ملوك بنى أمية فى الشام : اذكر الموت يا غافل .

وكان نقش خاتم السفاح عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب : الله ثقة عبد الله وبه يؤمن . ونقش خاتم أخيه المنصور - واسمه عبد الله ايضًا - : الله ثقة عبد الله وبه يؤمن، وقيل : الحمد لله . ونقش خاتم ابنه المهدى : حسبى الله . وقيل : رضيت بالله ربًا وقيل : الله ثقة محمد بن عبد الله . ونقش خاتم ابنه موسى الهادى : الله ربى . وقيل : بالله أثق . وقيل : الله ثقة موسى .

وكان خاتم اخيه الرشيد : هارون كن من الله على حذر . ونقش خاتم ابنه الامين : لكل عمل ثواب . وقيل : حسبى القادر . ونقش خاتم اخيه المامون : سل الله يعطك . ونقش خاتم اخيه المعتصم : الله ثقة =

= محمد بن الرشيد وبه يؤمن. ونقش خاتم اخيه المتوكل: على إلهى اكالى. وقيل: على الله توكلت.
ونقش خاتم ابنه المنتصر: يؤتى الحذر من مأمنه. وقيل: أنا من آل محمد، وقيل: الله وليّ محمد.
وقيل: محمد بالله ينتصر.

وعلى خاتم المستعين احمد بن المعتصم: فى الاعتبار غنى عن الاختبار، وقيل: أحمد بن محمد.

وعلى خاتم المعتز بن المتوكل: الحمد لله رب كل شئ وخالق كل شئ، وقيل: المعتز بالله، وقيل: رضيتُ بالله.

وعلى خاتم المهتدى بن الواثق رحمه الله: من تَعَدَّى الحق ضاق مذهبه.

وعلى خاتم أحمد بن المتوكل: السعيد من وُعظ بغيره، وقيل: اعتمادى على الله.

وعلى خاتم المعتضد احمد بن الموفق بن المتوكل: أحمد استكفى ربه. وقيل: الاضطرار يزيل الاختيار.

وعلى خاتم ابنه المكتفى على: بَالله على بن احمد يثق، وقيل: على يتوكل على ربه. وقيل: المكتفى آمن.

وعلى خاتم أخيه المقتدر جعفر: الحمد لله الذى ليس كمثله شئ وهو خالق كل شئ. وقيل: الله ولى المؤمنين، وقيل: المقتدر بالله.

وعلى خاتم أخيه القاهر: محمد رسول الله.

وعلى خاتم الراضى بن المقتدر وأخيه المتقى: المتقى لله.

وروى الخطيب فى تاريخه أن المعتز. والمتوكل كل منهما كان له خاتمان، نقش أحدهما: محمد رسول الله، والآخر عليه اسمه.

وعلى خاتم المستكفى بن المكتفى: على بن احمد المستكفى بالله.

وعلى خاتم المطيع بن المقتدر: المطيع لله، وعلى خاتم له آخر: لا إله إلا الله محمد رسول الله. وعلى خاتم ابنه الطائع والقادر احمد بن إسحاق بن المقتدر: لا إله إلا الله محمد رسول الله. وقيل: حسبنا الله ونعم الوكيل.

قال ابن النجار فى (تاريخ بغداد): بلغنى أن نقش خاتم الخليفة الظاهر لامر الله محمد بن الناصر: راقب العواقب.

قال ابن رجب: فهذا ما انتهى إلينا الآن من ذكر نقوش خواتم الخلفاء. وأما خواتم غيرهم من الصحابة والتابعين والائمة، فقد روى أن الزبير كان نقش خاتمه: ثقتى بالرحمن. ونقش خاتم أويس القرنى: كن على حذر من الله. =

....

= وعلى خاتم الحسن البصرى: لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وعلى خاتم النخعى: نحن بالله وله. وعلى خاتم الشعبى: الله ولى الخلق، وعلى خاتم طاووس: اعبد الله مخلصاً. وعلى خاتم الزهرى: محمد يسأل العافية. رواه أبو نعيم فى (الحلية). وعلى خاتم هشام بن عروة: رب زدنى علماً. وعلى خاتم مالك بن انس: حسبنا الله ونعم الوكيل. وعلى خاتم الشافعى: بالله ثقة محمد بن إدريس. وعلى خاتم الربيع بن سليمان: الله ثقة الربيع بن سليمان.

وكان خاتم نقش خاتم أبى مسهر: أبرمت فقم، فإذا استثقل أحداً ختم به طينة ثم رماها إليه فيقرأها.

وروى أبو نعيم فى (الحلية) من طريق ابن عائشة [بنت طلحة] عن أبيه قال: بلغ عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أن ابناً له اشترى فصاً بألف درهم، فكتب إليه عمر: عزيمة منى عليك لما بعت الفص الذى اشتريت بألف درهم، وتصدقت بثمنه، واشتريت فصاً بدرهم، ونقشت عليه: رحم الله امرأً عرف قدره.

وعن الأوزاعىّ قال: نقش رجل على خاتم: عمر بن عبد العزيز، فحبسه خمس عشرة ليلة، ثم خلى سبيله.

ونقش بعض العارفين على خاتمه: ولعل طرفك لا يدور وأنت تجمع للدهور.

ونقش بعضهم على خاتمه: وإن امرأً دنياه أكبر همه استمسك منها بحبل غرور.

وكان خاتم أبى عبيدة بن الجراح: الخمس لله. وأخرج الطحاوى فى (شرح معانى الآثار) ٤ / ٢٦٤، قال: حدثنا عبد الوهاب قال: حدثنا شعبة عن قتادة قال: كان نقش خاتم أبى عبيدة بن الجراح: الحمد لله. (كتاب أحكام الخواتم وما يتعلق بها): ١١٠-١٤٤ باختصار.

هذا، ويتعلق بالخاتم مسائل كثيرة، يذكرها الفقهاء متفرقة فى أبواب الفقه، ذكر ما تيسّر منها على ترتيب أبواب الفقه ابن رجب الحنبلى فى (كتاب أحكام الخواتم وما يتعلق بها)، وهى:

١- دخول الخلاء بخاتم عليه ذكر الله.
٢- مس المحدث لخاتم نقش عليه القرآن.
٣- تحريك المتوضئ أو المغتسل للخاتم.
٤- من استنجى وفى يده خاتم.
٥- الصلاة فى الخاتم المحرم.
٦- عدد الآى والركعات فى الصلاة بالخاتم.
٧- نزع الخاتم من يد الميت.
٨- الزكاة فيما يلبس الرجل من خاتم الفضة.
٩- رمى الجمرة بفصٍّ من حجر.
١٠- بيع الخواتيم.
١١- شراء الخاتم بفضه.
١٢- السلم فى الخواتيم.
١٣- استصناع الخواتيم.
١٤- الأرش فى الخواتيم.

وخرجه مسلم [وقال]: إن رسول الله ﷺ اتخذ خاتمًا من فضة ونقش فيه: محمد رسول الله، وقال للناس: إنى اتخذت خاتمًا من فضة(١).

وللبخارى(٢) ومسلم(٣) من حديث محمد بن شهاب، أن أنس بن مالك [رضى الله عنه]، أخبره أنه رأى فى يد رسول الله ﷺ خاتمًا من ورق يومًا واحدًا، ثم إن الناس اضطربوا الخواتم.

وقال البخارى: اصطنعوا الخواتم من ورق فلبسوها، فطرح النبى ﷺ خاتمه، فطرح الناس خواتيمهم.

قلت: هكذا فى رواية ابن شهاب؛ اتخذ خاتمًا من ورق ثم نبذه، فنبذ الناس خواتيمهم. قال ابن عبد البر: وهذا غلط عند أهل العلم، والمعروف أنه إنما نبذ خاتمًا من ذهب لا من ورق(٤).

وحديث ابن شهاب هذا، رواه عنه إبراهيم بن سعد، ويونس بن يزيد،

= ١٥- استئجار الخواتيم. ١٦- وقف الحلىّ.
١٧- من اتلف خاتمًا لغيره. ١٨- الشفعة فى الخواتيم.
١٩- وديعة الخواتيم. ٢٠- اللقطة فى الخواتيم.
٢١- سرقة الخواتيم. ٢٢- الهبة فى الخواتيم.

وبسط القول فى شرح هذه الفصول فى (المرجع السابق).

(١) (مسلم بشرح النووى): ١٤ / ٣١٢، كتاب اللباس والزينة، باب (١٢)، لبس النبى ﷺ خاتمًا من ورِق نقشه: محمد رسول الله، ولبْس الخلفاء له من بعده، حديث رقم (٢٠٩٢).

(٢) (فتح البارى): ١٠ / ٣٩١، كتاب اللباس، باب (٤٧) بدون ترجمة، حديث رقم (٥٨٦٨).

(٣) (مسلم بشرح النووى): ١٤ / ٣١٤، كتاب اللباس والزينة، باب (١٤) فى طرح الخواتم، حديث رقم (٢٠٩٣).

(٤) انظر كتاب اللباس من (صحيح البخارى)، باب (٤٥) خواتيم الذهب، وكتاب اللباس والزينة من (صحيح مسلم)، باب (١١) تحريم خاتم الذهب على الرجال، ونسخ ما كان من إباحته فى أول الإسلام.

وموسى بن عقبة، وعبد الله بن أبى عتيق. والمحفوظ فى هذا الباب عن أنس، غير ما قال ابن شهاب، كما تقدم ذكره من رواية جماعة من أصحابه عنه، وتأوّله بعضهم فقال: طرح الناس خواتيمهم يعنى من الذهب(١).

[وذكر ابن سعد عن مغيرة، عن فرقد عن إبراهيم قال: كان خاتم رسول الله [ﷺ] من حديد ملوى عليه فضة(٢)، وعن محمد بن راشد عن مكحول، أن خاتم رسول الله ﷺ كان من حديد ملوى عليه فضة غير أن فصه بادى](٣).

[أخبرنا الفضل بن دكين، أخبرنا إسحاق عن سعيد، أن خالد بن سعيد، أتى رسول الله ﷺ، وفى يده خاتم له، فقال رسول الله [ﷺ]: ما هذا الخاتم؟ فقال: خاتم اتخذته، فقال: اطرحه إلىّ، فطرحه، فإذا خاتم من حديث ملوى عليه فضة، فقال: ما نقشه؟ فقال: محمد رسول الله، قال: فأخذه رسول الله فلبسَهُ، فهو الذى كان فى يده](٤).

[أخبرنا أحمد بن محمد الأزرقى المكى، أخبرنا عمرو بن يحيى بن سعيد القرشى عن جده قال: دخل عمرو بن سعيد بن العاص – حين قدم من الحبشة – على رسول الله ﷺ فقال: ما هذا الخاتم فى يدك يا عمرو؟ قال: هذه حَلْقة يا رسول الله، [قال: فما نقشها؟ قال: محمد رسول الله](٥)، قال: فأخذه رسول الله [ﷺ] فتختمه، فكان [فى يده](٦) حتى

(١) راجع التعليق السابق.

(٢) (طبقات ابن سعد): ١/ ٤٧٣، ذكر خاتم رسول الله ﷺ الملوى عليه فضة.

(٣) (المرجع السابق): ٤٧٣–٤٧٤، وقال: «غير أن فصه باد».

(٤) (المرجع السابق): ٤٧٤.

(٥) زيادة للسياق من (المرجع السابق).

(٦) فى (خ)، «بيده»، وما أثبتناه من (المرجع السابق).

قُبض، ثم فى يد عمر حتى قُبض، ثم [لبسه][(١)] عثمان، فبينا هو يحفر بئرًا لأهل المدينة، يقال له بئر أريس، [فبينا][(٢)] هو جالس على شفتها يأمر بحفرها، سقط الخاتم فى البئر، وكان عثمان يُكثر إخراج خاتِمَهُ من يده وإدخاله، فالتمسوه فلم يقدروا عليه][(٣)].

[أخبرنا خالد بن خداش، أخبرنا عبد الله بن وهب، عن أسامة بن زيد، أن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، حدثه أن معاذ بن جبل لما قدم من اليمن حين بعثه رسول الله ﷺ إليها، قدم وفى يده خاتم من ورق، نقشه: محمد رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: ما هذا الخاتم؟ قال: يا رسول الله، إنى كنتُ أكتب إلى الناس، فأفْرَقُ أن يُزاد فيها ويُنقصَ منها، فاتخذت خاتمًا أختم به، قال: وما هو؟ قال: محمد رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: آمن كل شئ من معاذ بن جبل حتى خاتمه! ثم أخذه رسول الله ﷺ فتختمه][(٤)].

[وقال الصَّولى: سقط خاتم رسول الله [ﷺ] من يد أنْصارىّ كان دفعه إليه عثمان [رضى الله عنه] ليطبع به الكتب عنه، وكان فصّه منه، فجعل عثمان [رضى الله عنه] فيمن يخرجه مالاً عظيمًا، فلم يقدر عليه، فلما يئس منه عُمل له مثله، ونقش فيه: محمد رسول الله].

---

(١) فى (خ)، «ثم كان فى يد»، وما أثبتناه من (المرجع السابق).

(٢) فى (خ)، «فبينما»، وما أثبتناه من (المرجع السابق).

(٣) (طبقات ابن سعد): ١/٤٧٤.

(٤) (المرجع السابق): ٤٧٦.

وأما فصّ خاتمه ﷺ

فخرّج البخارى من حديث حُميد عن أنس [رضى الله عنه] أن نبى الله ﷺ كان خاتمه من فضة، وكان فصّه منه(١). وخرّجه أبو داود ولفظه: كان خاتم النبى ﷺ من فضه كله، فصّه منه(٢).

ولمسلم من حديث يونس بن يزيد، عن ابن شهاب قال: حدثنى أنس ابن مالك رضى الله عنه قال: كان خاتم رسول الله ﷺ من ورق، وكان فصّه حبشيًا(٣).

وخرّجه أبو داود وليس إسناده بالقوى. قال ابن عبد البر:

---

(١) (فتح البارى): ١٠/٣٩٥، كتاب اللباس، باب (٤٨) فصّ الخاتم، حديث رقم (٥٨٧٠).

(٢) (سنن أبى داود): ٤/٤٢٤، كتاب الخاتم، باب (١) ما جاء فى اتخاذ الخاتم، حديث رقم (٤٢١٧)، وأخرجه الترمذى فى السنن فى كتاب اللباس، باب ما يستحب من فص الخاتم، حديث رقم (١٧٤٠)، وقال: حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وأخرجه أيضًا فى (الشمائل): ٨٩، حديث رقم (٩٠) وأخرجه النسائى فى كتاب الزينة، باب صفة خاتم النبى ﷺ، حديث رقم (٥٢٩٥)، وأخرجه ابن رجب الحنبلى فى (أحكام الخواتم وما يتعلق بها): ٥٨ مطولاً، وأبو الشيخ فى (أخلاق النبى): ١٣٠، والإمام أحمد فى (المسند): ٤/١٦٧، حديث رقم (١٣٣٩١)، وابن سعد فى (الطبقات): ١/٤٧٢.

(٣) (مسلم بشرح النووى): ١٤/٣١٥، كتاب اللباس والزينة، باب (١٥) فى خاتم الورق فصه حبشىّ، حديث رقم (٢٠٩٤).

قوله: «وكان فصه حبشيًا» قال العلماء: يعنى حجرًا حبشيًا، أى فصًا من جزع أو عقيق، فإن معدنهما بالحبشة واليمن، وقيل: لونه حبشىّ أى أسود، وجاء فى صحيح البخارى من رواية حميد عن أنس أيضًا: «فصه منه». قال ابن عبد البر: هذا أصح، وقال غيره: كلاهما صحيح، وكان لرسول الله ﷺ فى وقت: خاتم فصه منه، وفى وقت: خاتم فصه حبشىّ، وفى حديث آخر: فصه من عقيق. (المرجع السابق): ٣١٦.

فإنه من رواية إسماعيل بن أبى أُويس عن يونس، وفى رواية الثقات: فصّه منه[١].

وفى لفظ مسلم من رواية طلحة بن يحى [وهو الزرقانى ثم الزرقى][٢]، عن يونس، [عن ابن شهاب عن أنس بن مالك][٢] أن رسول الله ﷺ لبس خاتم فضة فى يمينه، فيه فصّ حبشى، كان يجعل فصّه مما يلى كفّه[٣]. قال أبو الحسن الدارقطنى: هذا حديث محفوظ عن يونس، حدّث به الليث، وابن وهب، وعثمان بن عمرو، وغيرهم عنه، لم يذكروا: فى يمينه. والليث وابن وهب أحفظ من سليمان ومن طلحة بن يحى، ومع ذلك فالراوى عن سليمان إسماعيل بن أويس، وهو ضعيف لا يحتج بروايته إذا انفرد عن سليمان ولا عن غيره.

وأما طلحة بن فسيح، والليث وابن [وهب] ثقتات متقنان صاحبا كتاب، فلا يُقبل زيادة ابن أبى أويس عن سليمان، إذا انفرد بها، وقد رواه

(١) واخرجه ابو داود فى (السنن): ٤/ ٤٢٤، كتاب الخاتم، باب (١) ما جاء فى اتخاذ الخاتم، حديث رقم (٤٢١٦)، والترمذى فى (السنن): ٤/ ١٩٩، كتاب اللباس، باب (١٤)، ما جاء فى خاتم الفضة، حديث رقم (١٧٣٩)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وأخرجه فى (الشمائل): ٨٨، باب (١٢)، ما جاء فى ذكر خاتم رسول الله ﷺ، حديث رقم (٨٨)، والنسائى فى (السنن): ٨/ ٥٧٨، كتاب الزينة باب (٧٨) صفة خاتم النبى ﷺ ونقشه، حديث رقم (٥٢٩٢)، (٥٢٩٤)، وابن ماجه فى (السنن): ٢/ ١٢٠١، كتاب اللباس، باب (٣٩) نقش الخاتم، حديث رقم (٣٦٤١)، وباب (٤١) من جعل فَصّ خاتمه مما يلى كفه، حديث رقم (٣٦٤٦)، كلهم من طريق يونس بن يزيد عن الزهرى.

واخرجه ابن سعد فى (الطبقات): ١/ ٤٧٢، وأبو الشيخ فى (أخلاق النبى): ١٢٩، وأحمد فى (المسند): ٤/ ٧٢، حديث رقم (١٢٧٧١)، ٤/ ١٠٠، حديث رقم (١٢٩٤٥).

(٢) زيادة للسياق من (صحيح مسلم).

(٣) (مسلم بشرح النووى): ١٤/ ٣١٥، كتاب اللباس والزينة باب (١٥) فى خاتم الورق فصّه حبشىّ، حديث رقم (٦٢).

جماعة عن الزهرى حفاظا، لم يقل منهم أحد : فى يمينه، منهم : عقيل، وشعيب، وابن مسافر، وإبراهيم بن سعد، وموسى بن عقبة، وابن أبى عتيق، وابن أخى الزهراء. انتهى.

وذهب بعضهم إلى أنه كان له عليه السلام فى وقتٍ خاتم فصّه منه، وفى وقت خاتم فصه حبشىّ. وفى حديث آخر: فصّه من عقيق(١).

وصحح قوم حديث ابن أبى أويس فى التختم فى يمينه، بأنه احتج به البخارى ومسلم ومعه جماعة، ووافقه طلحة وسليمان عليها [وكون الأكثرين لم يذكروها لا يمنع صحتها](٢). فلم ينفرد ابن أويس بروايتها، وزيادة الثقة مقبولة.

* * *

(١) (المرجع السابق) : ٣١٦.

(٢) زيادة للسياق من (صحيح مسلم).

وأما سبب اتخاذ الخاتم

فقد خرَّج البخارى ومسلم من حديث شعبه عن قتادة، عن أنس قال: لما أراد النبى ﷺ أن يكتب إلى الروم، قيل له: إنهم لا يقرءون كتابا إلا أن يكون مختومًا، قال: فاتخذ خاتما من فضة، كأنى أنظر إلى بياضه فى يد رسول الله ﷺ ونقش فيه: محمد رسول الله، ولفظ مسلم: نقشه: محمد رسول الله. ذكره البخارى فى كتاب الأحكام، فى باب: الشهادة على الخط[1]، وفى اللباس[2] وفى الجهاد، فى باب: دعوة اليهود والنصارى وعلى ما يقاتلون عليه[3]. ولفظه فى اللباس: إنهم لن يقرءوا كتابك إذا لم يكن مختومًا[4]، وذكره فى كتاب العلم، فى باب: ما يذكر فى المناولة، وكتاب أهل العلم إلى البلدان، ولفظه: كتب النبى ﷺ كتابًا، أو أراد أن يكتب، فقيل له: إنهم لا يقرءون كتابا إلا مختومًا، فاتخذ خاتمًا من فضة،

---

(١) (فتح البارى) ١٣/ ١٧٥، كتاب الأحكام، باب (١٥) الشهادة على الخط المختوم، وما يجوز من ذلك، وما يضيق عليه، وكتاب الحاكم إلى عماله، والقاضى إلى القاضى، حديث رقم (٧١٦٢).

(٢) (المرجع السابق): ١٠/ ٣٩٧، كتاب اللباس، باب (٥٠) نقش الخاتم حديث رقم (٥٨٧٢).

(٣) (المرجع السابق): ٦/ ١٣٤، كتاب الجهاد والسير، باب (١٠١)، دعوة اليهود والنصارى، وعلى ما يقاتلون عليه؟ وما كتب النبى ﷺ إلى كسرى وقيصر، والدعوة قبل القتال، حديث رقم (٢٩٣٨)، وقد ثبت كما قال الحافظ فى (الفتح) [كتاب المغازى]: أن المبعوث به كان عبد الله بن حذافة السهمى. وفى الحديث الدعاء إلى الإسلام بالكلام والكتابة وأن الكتابة تقوم مقام النطق. وفيه إرشاد المسلم إلى الكافر، وأن العادة جرت بين الملوك بترك قتل الرسل، ولهذا مزَّق كسرى الكتاب ولم يتعرض للرسول. (المرجع السابق) تعليقا على الحديث رقم (٢٩٣٩) بشأن كتاب النبى ﷺ إلى كسرى.

(٤) (المرجع السابق): ١٠/ ٣٩٨، كتاب اللباس، باب (٥٢)، اتخاذ الخاتم ليختم به الشىء، أو ليكتب به إلى أهل الكتاب وغيرهم، حديث رقم (٥٨٧٥).

نقشه: محمد رسول الله، كأنى أنظر إلى بياضه فى يده[١].

ولمسلم من حديث هشام عن قتادة، عن أنس، أن النبى ﷺ كان إذا أراد أن يكتب إلى العجم فقيل له: إن العجم لا يقبلون إلا كتابا عليه خاتم، فاصطنع خاتمًا من فضة، قال: كأنى أنظر إلى بياضه فى يده[٢].

ومن حديث خالد بن قيس عن قتادة، عن أنس [رضى الله عنه] أن النبى ﷺ أراد أن يكتب إلى كسرى وقيصر والنجاشى، فقيل: إنهم لا يقبلون كتابا إلا بخاتم، فصاغ [رسول الله ﷺ][٣] خاتمًا حلقة فضة، ونقش فيه: محمد رسول الله[٤].

---

(١) المرجع السابق): ١/ ٢٠٦، كتاب العلم، باب (٧) ما يذكر فى المناولة، وكتاب أهل العلم بالعلم إلى البلدان، حديث رقم (٦٥)، ويعرف من هذا فائدة إيراده هذا الحديث فى هذا الباب لينبه على أن شرط العمل بالمكاتبة أن يكون الكتاب مختومًا ليحصل الأمن من توهم تغييره، لكن قد يستغنى عن ختمه إذا كان الحامل عدلاً مؤتمنًا. (المرجع السابق).

(٢) (مسلم بشرح النووى): ١٤/ ٣١٣ – ٣١٤، كتاب اللباس والزينة، باب (١٣) فى اتخاذ النبى ﷺ خاتما لما أراد أن يكتب إلى العجم، حديث رقم (٥٧).

(٣) زيادة للسياق من (صحيح مسلم).

(٤) (مسلم بشرح النووى): ١٤/ ١٣٤، باب (١٣)، حديث رقم (٥٨).

قوله: «نقشه محمد رسول الله ﷺ»، فيه جواز نقش الخاتم، ونقش اسم صاحب الخاتم، وجواز نقش اسم الله تعالى. هذا مذهبنا، ومذهب سعيد بن المسيب، ومالك، والجمهور.

وعن ابن سيرين وبعضهم: كراهة نقش اسم الله تعالى، وهذا ضعيف قال العلماء: وله أن ينقش عليه اسم نفسه، أو ينقش عليه كلمة حكمة، وأن ينقش ذلك مع ذكر الله تعالى.

قوله: «لا ينقش أحد على نقش خاتمى هذا»، سبب النهى أنه ﷺ إنما اتخذ الخاتم ونقش فيه ليختم به كتبه إلى ملوك العجم وغيرهم، فلو نقش غيره مثله لدخلت المفسدة وحصل الخلل.

قوله: «وكان إذا لبسه جعل فصه مما يلى بطن كفه»، قال العلماء: لم يأمر النبى ﷺ فى ذلك بشيء، فيجوز جعل فصه فى باطن كفه وفى ظاهرها، وقد عمل السلف بالوجهين.

وممن اتخذه فى ظاهرها ابن عباس رضى الله عنه، قالوا: ولكن الباطن أفضل، اقتداء به ﷺ، ولأنه أصون لفصه، وأسلم له، وأبعد من الزهو والإعجاب. (المرجع السابق).

وذكر البخارى فى باب: نقش الخاتم من حديث سعيد عن قتادة، عن أنس [بن مالك رضى الله عنه][1]، أن نبى الله ﷺ، أراد أن يكتب إلى رهط -أو ناس- من الأعاجم فقيل له: إنهم لا يقبلون كتابًا إلا عليه خاتم، فاتخذ النبى ﷺ خاتمًا من فضة، نقشه: محمد رسول الله، فكأنى بوبيص[2] -أو ببصيص- الخاتم فى إصبع النبى ﷺ أو فى كفه[3].

* * *

(1) زيادة للسياق من البخارى.

(2) فى (خ)، (ج): «فكأننى بوميض»، وما أثبتناه من البخارى.

(3) (فتح البارى): 10/ 397، كتاب اللباس، باب (50)، نقشى الخاتم، حديث رقم (5872).

وأما إصبع الخاتم التى يتختم فيها

فإن مسلم بن حجاج رحمه الله، خرَّج من حديث ثابت عن أنس، وأمَّا عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى رحمه الله، خرَّج من حديث عبد العزيز بن صهيب، عن أنس [رضى الله عنه] قال:

اصطنع النبى ﷺ خاتمًا فقال: إنا اتخذنا خاتما، ونقشنا فيه نقشا، فلا ينقش [عليه أحد][1]، قال: فإنى لأرى بريقه فى خنصره. ترجم عليه البخارى فى باب: الخاتم فى الخنصر[2].

وخرَّج أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذى، من حديث حماد بن سلمة قال: رأيت ابن أبى رافع[3] يتختم فى يمينه، فسألته عن ذلك، فقال: رأيت عبد الله بن جعفر يتختم فى يمينه، وقال عبد الله بن جعفر: كان النبى ﷺ يتختم فى يمينه. قال أبو عيسى: قال محمد بن إسماعيل -يعنى البخارى- هذا أصح شيء روى فى هذا الباب[4].

---

(١) فى (خ)، (ج): «أحد عليه»، وما أثبتناه من البخارى.

(٢) (فتح البارى): ١٠/ ٣٩٨، كتاب اللباس، باب (٥١)، الخاتم فى الخنصر، حديث رقم (٥٨٧٤)، (مسلم بشرح النووى): ١٤/ ٣١٦، كتاب اللباس والزينة، باب (١٦) فى لبس الخاتم فى الخنصر من اليد، حديث رقم (٢٠٩٥).

(٣) هو عبيد الله بن أبى رافع مولى رسول الله ﷺ. (سنن الترمذى).

(٤) (سنن الترمذى): ٤/ ٢٠٠ - ٢٠١، كتاب اللباس، باب (١٦) ما جاء فى لبس الخاتم فى اليمين، حديث رقم (١٧٤٤).

وأخرجه الترمذى أيضا فى (الشمائل المحمدية): ٩٢، باب (١٣) ما جاء فى أن النبى ﷺ كان يتختم فى يمينه، حديث رقم (٩٨).

قوله: «رأيت ابن أبى رافع»، هو عبد الرحمن بن أبى رافع، ويقال فلان بن أبى رافع، روى عن =

وخرَّجه النَّسائى عن حماد عن ابن أبى رافع، عن عبد الله بن جعفر، أن النبى ﷺ كان يتختم فى يمينه(١).

والترمذى من حديث جوير، عن محمد بن إسحاق، عن الصلت بن عبد الله بن نوفل قال: رأيتُ ابن عباس يتختم فى يمينه، ولا أخاله إلا قال: رأيت الله ﷺ يتختم فى يمينه قال أبو عيسى: قال محمد بن إسماعيل: حديث محمد بن إسحاق عن الصلت بن عبد الله بن نوفل حديث حسن صحيح(٢).

ولأبى داود من حديث عبد العزيز بن أبى روَّاد عن نافع عن ابن عمر، أن النبى ﷺ كان يتختم فى يمينه ويساره، وكان فصه فى باطن كفه(٣).

= عبد الله بن جعفر، وعن عمه عن أبى رافع وعن عمته سلمى. عن أبى رافع، وعنه حماد بن سلمة، قال إسحاق بن منصور عن ابن معين: صالح، له عند الترمذى فى التختم فى اليمين، وآخر حديث فى دعاء الكرب، كذا فى (تهذيب التهذيب)، (تحفة الأحوذى): ٥/ ٣٤٥، أبواب اللباس، باب (١٦) ما جاء فى لبس الخاتم فى اليمين، شرح الحديث رقم (١٧٩٨).

(١) (سنن النسائى): ٨/ ٥٧٩، كتاب الزينة، باب (٧٩)، موضع الخاتم، حديث رقم (٥٢٩٨)، لكنه من حديث عباد بن العوام، عن سعيد، عن قتادة عن أنس، خلافا لما ذكره المقريزى فى الأصلين: (خ)، (ج)، أنه عن حماد عن ابن أبى رافع عن عبد الله بن جعفر.

(٢) (تحفة الأحوذى): ٥/ ٣٤٤، أبواب اللباس، باب (١٦) ما جاء فى لُبس الخاتم فى اليمين، حديث رقم (١٧٩٦). قوله: «ولا إخاله»، بكسر الهمزة، قال فى (القاموس): خال الشىء يخال خيلاً وخيلة، ويكسران، وخالاً وخيلالاً مُحَرَّكَة، ومخيلة، ومخالة، وخيلولة: ظنه، وتقول فى مستقبله: إخال، بكسر الألف وتفتح فى لغة.

قوله: «قال محمد بن إسماعيل» يعنى الإمام البخارى رحمه الله، وقوله: «حديث محمد بن إسحاق عن الصلت بن عبد الله بن نوفل حديث حسن صحيح»، وفى بعض النسخ: حسن فقط، وليس فيه: صحيح. (تحفة الأحوذى): ٥/ ٣٤٤.

(٣) (سنن أبى داود): ٤/ ١٣١، كتاب الخاتم، باب (٥) ما جاء فى التختم فى اليمين أو اليسار، حديث رقم (٤٢٢٧)، قال أبو داود: قال ابن إسحاق: وأسامة -يعنى ابن زيد- عن نافع بإسناده فى يمينه، (مسلم بشرح النووى): ١٤/ ٣١٦، كتاب اللباس والزينة، باب (١٦) فى لبس الخاتم فى الخنصر من اليد، حديث رقم (٢٠٩٥).

قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر: ووجه الجمع من هذه الروايات، أنه ﷺ لبس خاتم الذهب فى يمينه ثم نبذه، واتخذ خاتم الورق ولبسه فى يساره(١).

وذكر من طريق الشيخ ابن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرىّ، عن أبيه عن جده إلى سعيد، أن رسول الله ﷺ كان يلبس خاتمه فى يساره(١).

وذكر الحافظ أبو الفرج بن الجوزى، من طريق محمد بن عباد قال: حدثنا عبد الله بن ميمون، عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر، أن النبى ﷺ كان يتختم فى يمينه. قال: محمد بن عباد ضعيف، وابن ميمون ليس بشىء، قال البخارى: هو ذاهب الحديث. واليسار أصحّ(٢).

وذكر من طريق خالد بن يحى قال: حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس قال: كأى أنظر إلى وميض خاتم رسول الله ﷺ فى يده اليسرى وهو يخطبنا(٣).

ومن طريق ابن حيَّان، من حديث سليمان بن بلال، عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمر، وعلى، الحسن، والحسين كلهم يتختمون فى اليسار(٤).

---

(١) راجع التعليق السابق.

(٢) (العلل المتناهية): ٢/ ٦٩٤، حديث فى التختم فى اليمين، حديث رقم (١١٨٥).

(٣) (مسلم بشرح النووى): ٥/ ١٤٤، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب (٣٩)، وقت العشاء وتأخيرها، حديث رقم (٦٤٠)، لكن من طريق آخر عن أنس باختلاف فى اللفظ، (كتاب أحكام الخواتم وما يتعلق بها): ١٦٨.

(٤) (أخلاق النبى): ١٢٧، (مسند أحمد): ٤/ ١٧٠، حديث رقم (١٣٤٠٧)، (سنن أبى داود): ٤/ ٤٣١، باب (٥) ما جاء فى التخم فى اليمين أو اليسار، حديث رقم (٤٢٢٧)، (٤٢٢٨)، و(سنن الترمذى): ٤/ ٢٠٠، كتاب اللباس، باب (١٦) ما جاء فى لبس الخاتم فى اليمين، حديث رقم (١٧٤٣).

ولابن عدى من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها، أن النبى ﷺ كان يتختم فى يمينه ثم حوّله فى يساره(١).

وخرّج ابن منده من حديث ابن الجارود قال: أخبرنا إسماعيل بن عبد الله، حدثنا محمد بن عبد الله الخزاعى، حدثنا عنبسة بن عبد الرحمن، عن أبى قتيلة بن مرة الحضرمىّ، عن أنس بن مالك [رضى الله عنه] أن رسول الله ﷺ كان إذا دخل الخلاء حوّل خاتمه فى يمينه، فكان يدعه اليوم واليومين والثلاثة بيساره، فلذلك كان يقال: يتختم بيمينه(٢).

[ولابن حبان من حديث همام بن يحى، عن ابن جريج، عن الزهرى عن أنس بن مالك [رضى الله عنه]، أن رسول الله ﷺ كان إذا دخل الخلاء

---

(١) قال العلاّمة أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادى: اعلم انه قد ثبتت الأحاديث فى التختم فى اليمين واليسار، فاختلف العلماء فى وجه الجمع، فجنحت طائفة إلى استواء الأمرين، وجمعوا بذلك بين مختلف الأحاديث، وإلى ذلك أشار أبو داود بترجمة بابه [ما جاء فى التختم فى اليمين أو اليسار] ثم إيراده الأحاديث مع اختلافها فى ذلك بغير ترجيح.

وجمع بعضهم بانه ﷺ لبس الخاتم أولاً فى يمينه، ثم حوله فى يساره، واستدل بما أخرجه أبو الشيخ، وابن عدى، عن ابن عمر: ان النبى ﷺ تختم فى يمينه، ثم إنه حوله فى يساره.

قال الحافظ: لو صحَّ هذا لكان قاطعا للنزاع، ولكن سنده ضعيف وجمع البيهقى بأن الذى لبسه فى يمينه هو خاتم الذهب، والذى لبسه فى يساره هو خاتم الفضة.

قال النووى: أجمعوا على جواز التختم فى اليمين واليسار، واختلفوا فى أيتهما أفضل. واستحب مالك اليسار وكره اليمين. قال: والصحيح فى مذهبنا أن اليمين أفضل. (عون المعبود): ٦/ ١٩٣.

(٢) وأخرج أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى من رواية عمرو بن خالد الواسطىّ، عن زيد بن على عن أبيه عن جده، عن على بن أبى طالب، أن رسول الله ﷺ كان إذا دخل الخلاء حول خاتمه، فإذا توضأ حوله فى يساره.

قال ابن الجوزى: هذا حديث لا يصح، قال يحى: عمرو كذاب لا يساوى شيئا. وقال ابن راهويه: بضع الحديث. (العلل المتناهية): ١/ ٣٢٨، حديث رقم (٥٣٧)، وذكرهُ المتقى فى (كنز العمال): ٩/ ٥١٥، حديث رقم (٢٧٢٢٢)، وعزاه إلى ابن الجوزى فى (العلل الواهية).

وضع خاتمه](١).

(١) (الإحسان): ٤/ ٢٦٠، كتاب الطهارة، باب (٢١) الاستطابة، ذكر الخبر الدال على نفى إجازة دخول المرء الخلاء بشىء فيه ذكر الله تعالى، حديث رقم (١٤١٣)، وقال فى هامشه: إسناده ضعيف، رجاله رجال الشيخين، إلا أن ابن جريج قد عنعن وهو مدلس. هُدْبة: بضم أوله وسكون الدال بعدها موحدة، ويقال له: هَدَّاب بالتثقيل وفتح أوله ا. هـ.

والحديث أخرجه كل من:.

الحاكم فى (المستدرك): ١/ ٢٩٨ - ٢٩٩، كتاب الطهارة، حديث رقم (٦٧٠)، قال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): تابعه يحى بن المتوكل عن ابن جريج، ولم يتوقف، وزاد: «ونقشه محمد رسول الله» على شرطهما، وحديث رقم (٦٧١) وقال فى آخره: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، إنما خرجا حديث نقش الخاتم فقط.

والبيهقى فى (السنن الكبرى): ١/ ٩٤ - ٩٥، كتاب الطهارة، باب وضع الخاتم عند دخول الخلاء، لفظ حديث حجاج، وفى حديث هدبة بن خالد قال: ولا أعلمه إلا عن الزهرى عن أنس.

قال ابن التركمانى -وقد ذكر عدالة رواة هذا الحديث-: فتبين بذلك أن الحديث ليس له علة، وإن الأمر فيه كما ذكر الترمذى من الحسن والصحة. (الجوهر النقى): ١/ ٩٥ بهامش السنن الكبرى.

وأبو داود فى (السنن): ١/ ٢٥، كتاب الطهارة، باب (٩) فى الرجل يذكر الله تعالى على غير طهر، حديث رقم (١٩).

والترمذى فى (السنن) ٤/ ٢٠١، كتاب اللباس، باب (١٦) فى لبس الخاتم فى اليمين، حديث رقم (١٧٤٦)، وقال هذا حديث حسن غريب.

والترمذى فى (الشمائل): ٩١، باب ما جاء فى ذكر خاتم رسول الله ﷺ، حديث رقم (٩٤).

والنسائى فى (السنن): ٨/ ٥٥٩، كتاب الزينة، باب (٥٣) نزع الخاتم عند دخول الخلاء، حديث رقم (٥٢٢٨).

وابن ماجة فى (السنن): ١/ ١١٠، كتاب الطهارة وسننها، باب (١١)، ذكر الله عز وجل على الخلاء والخاتم فى الخلاء، حديث رقم (٣٠٣).

وقال ابن رجب الحنبلى فى (كتاب أحكام الخواتم وما يتعلق بها): ويتعلق بالخاتم مسائل كثيرة، يذكرها الفقهاء متفرقة فى أبواب الفقة... ، فمن ذلك أن الخاتم إذا كان عليه ذكر الله تعالى فهل يكره استصحابه فى الخلاء لغير عذر أم لا؟.

ذكر طائفة من الأصحاب فى روايتين عن أحمد، إحداهما: يُكره، وهى المشهورة عند الأصحاب المتأخرين، ونصَّ عليها أحمد فى رواية إسحاق بن هانئ فى الدرهم إذا كان فيه اسم الله، أو مكتوبًا =

= عليه ﴿قل هو الله أحد﴾، فيكره ان يدخل اسم الله عزَّ وجلَّ، وهذا يقتضى كراهة كل ما فيه اسم الله من خاتم وغيره، وهو قول طائفة من السلف، كمجاهد والقاسم بن محمد، ومحمد بن عبد الرحمن بن يزيد، والشعبى، وأبى حنيفة.

وروينا عن همام، عن ابن جريج عن الزهرى، عن انس قال: كان رسول الله ﷺ إذا دخل الخلاء وضع خاتمه، اخرجه ابو داود، وابن ماجة، والنسائى، والترمذى، وقال: حديث حسن صحيح، والحاكم، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

وله علة قد ذكرها حذاق الحفاظ، كأبى داود، والنسائى، والدار قطنى، وهى أن همامًا تفرد به عن ابن جريج، هكذا، ولم يتابعه غير يحى بن المتوكل [أبو عقيل المدنى الحذاء، ضعَّفوه، مات سنة ١٦٧هـ]، ويحى بن الضريس [ثقة، مات سنة ٢٠٣هـ]، ورواه بقية الثقات، عبد الله بن الحارث المخزومى [شيخ الشافعى واحمد، روى عنه احمد وابن راهوية، ثقة]، وحجاج [بن منهال البصرى، روى عنه البخارى، كان ثقة ورعًا ذا سُنَّة وفضل، توفى سنة ٢١٧]، وأبو عاصم، وهشام بن سليمان المخزومى [صدوق] وموسى بن طارق [روى عنه احمد، وكان قاضى زبيد] عن ابن جريج عن زياد بن سعد [خراسانى نزل مكة، ثقة، ثَبْتٌ فى الزهرى] عن الزهرى عن انس، انه رأى فى يد النبى ﷺ خاتمًا من ذهب... الحديث.

وهذا هو المحفوظ عن ابن جريج دون الأول. وقد جاء فى رواية هدبة [صدوق، وقال ابن عدى: لا اعرف له حديثا منكرا، توفى سنة ٢٣٥هـ]، عن همام عن ابن جريج، ولا اعلمه إلا عن الزهرى، عن انس، وهذه تُشعر بعدم تَيقُّن.

فإن كانت من همام فقد قوى الظن بوهمه، وإن كانت من هدبة فلا تؤثر، لأن غيره ضبطه عن همام، كما ان بعض الرواة عن همام عن انس، ولم يضر ذلك لاتفاق سائر الرواة عنه على الرفع.

وروى ابن عدى ان همامًا إنما وهم فى إدراج قوله: كان إذا دخل الخلاء وضعه، فإن هذا من قول الزهرى، وأما أول الحديث وهو أن النبى ﷺ اتخذ خاتما ولبسه فهو مرفوع، وقد جاء هذا مبينا فى رواية عمر بن شبة [ثقة، مات ٢٦٢هـ] حدثنا حبان بن هلال [ثقة ثبت من التاسعة، مات سنة ٢١٦هـ] حدثنا همام عن ابن جريج عن الزهرى، ان رسول الله ﷺ حيث لبس خاتمه كان إذا دخل الخلاء وضعه.

ووجه الحجة انه إنما نزعه لأن نقشه كان: محمد رسول الله، كما تقدم، وقد جاء ذلك مفسرا فى رواية البيهقى من حديث يحى بن المتوكل عن ابن جريج عن الزهرى عن انس: ان النبى ﷺ لبس خاتمًا نقشه محمد رسول الله، وكان إذا دخل الخلاء وضعه.

وروى الحافظ ابو بكر الجوزقانى من حديث المنهال بن عمرو [وثقة ابن معين] عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ان النبى ﷺ كان إذا دخل الخلاء نزع خاتمه.

= وقد أورد ابن أبى شيبة [مولاهم الكوفى الحافظ، ولد سنة ١٥٩ هـ ، وكان متقنًا حافظًا، توفى فى المحرم سنة ٢٣٥ هـ] فى كتابه من طريق عكرمة وقال: كان ابن عباس إذا دخل الخلاء ناولنى خاتمه، وعن ابن عباس أنه قال: كان سليمان بن داود عليهما السلام إذا دخل الخلاء نزع خاتمه فأعطاه امرأته.

والرواية الثانية: لا يُكره، وهى اختيار أبى على بن أبى موسى والسامُرى وصاحب المغنى، وبَوب الخلال فى جامعه باب الخاتم فيه ذكر الله عزَّ وجلَّ أو الدرهم يدخل الخلاء وهو معه، ولم يذكر فى الخاتم سوى هذه النصوص لأحمد. وذكر فى الدراهم ما رواه عنه صالح فى الرجل يدخل الخلاء ومعه الدرهم، قال: أرجو أن لا يكون به بأس.

وهذا قول كثير من السلف، ابن الحسن، وابن سيرين، وابن المسيب، وعطاء، وعكرمة، والنخعى، وهو مذهب مالك، وإسحاق، وابن المنذر [شيخ الحرم وصاحب التصانيف الكثيرة، كان غاية فى معرفة الاختلاف والدليل، مجتهدا لا يقلد أحداً، مات بمكة سنة ٣١٨هـ]، لأن الأصل عدم الكراهة، وصيانته تحصل بإطباق يده عليه وهو فى باطن الكف، فلا يبقى مع ذلك محذور، ومتى كان فى يساره أداره إلى يمينه لأجل الاستنجاء.

وقد روى حديث عن على بن أبى طالب، أن النبى ﷺ كان إذا دخل الخلاء حوله فى يمينه، فإذا توضأ حوله فى يساره. وأورده الجوزقانى من جهة عمرو بن خالد [ليس بثقة كذاب]، وقال: هو حديث منكر، وعمرو كذاب.

وروى ابن عدى من حديث محمد بن عبيد الله العرزمى، عن نافع عن ابن عمر قال: كان رسول الله ﷺ يتختم فى خنصره الأيمن، فإذا دخل الخلاء جعل الكتابة مما تلى كفه. والعرزمى متروك. (كتاب أحكام الخواتم وما يتعلق بها): ١٧٠ - ١٧٦.

وفى ختام هذا الفصل نذكر ما قاله الحافظ ابن حجر فى (الفتح) فى أسماء الخاتم شعراً:

خذ نظم عدٍّ لغات الخاتم انتظمت ... ثمانيا ما حواها قبل نظام
خاتام خاتم ختم خاتم وختا ... م خايتام وخيتوم وخيتام
وهمز مفتوح تاء تاسع وإذا ... ساغ القياس أتم العشر خاتام

(فتح البارى): ١٠ / ٣٨٨، كتاب اللباس، باب (٤٥) خواتيم الذهب.

فضل ذكر جِلسة رسول الله ﷺ واحتبائه

[الاحتباء: أن يقعد على أليته وينصب ساقيه، ويحتوى عليهما بثوب أو نحوه، ويقال لهذا الفعل: الحُبو، بضم الحاء وكسرها، والاحتباء عادة للعرب في مجالسهم].

إِعلم أنَّ جلوس رسول الله ﷺ في الجامع إما كان مربعًا، أو مُحتبيًا -وهو كان أكثر جلوسه- أو القرفصاء وشبهها من [جِلْسات] الوقار والتواضع.

وقد خَرَّج أبو داود من حديث يونس بن عبيد، عن عبيدة أبى خداش، عن أبى تميمة الهُجيمى، عن جابر بن سُليم قال: أتيت النبى ﷺ وهو محتبٍ بشملةٍ وقد وقع هُدْبها على قدميه(١).

وخرجه النَّسائى من حديث قرة بن خالد، عن قُرّة بن موسى الهجيمى قال: أتيت النبى ﷺ، وهو محتبٍ ببردة، وإن هدبها لعلى قدميه قلت: يا رسول الله! أوصنى، قال: عليك باتقاء الله، ولا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تكلم أخاك ووجهك إليه منبسط، وإياك وإسبال الإزار فإنها هى المخيلة وإن الله لا يحبها. وذكر له [طرقًا]، وقد تقدم من رواية الإمام أحمد(٢).

---

(١) (سنن أبى داود): ٤/ ٣٣٩، كتاب اللباس، باب (٢٣) فى الهُدْب، حديث رقم (٤٠٧٥). قوله: «محتبٍ» أراد أنه كان جالسًا على هيئة الاحتباء، والشملة بالفتح، ما يشتمل به من الأكسية، أى يلتحف به.

(٢) قال: حدثنا عبد الله، حدثنى أبى، حدثنا عثمان، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا يونس، حدثنا عبيدة الهجيمى، عن أبى تميمة الهجيمى، قال: أتيتُ رسول الله ﷺ وهو محتبٍ بشملة له، وقد وقع هُدْبها على قدميه، فقلتُ: أيكم محمد أو رسول الله ﷺ؟ فأومأ بيده إلى نفسه، فقلت: يا رسول الله، إنى من أهل البادية، وفىَّ جفاؤهم فأوصنى، فقال: لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى =

وللترمذى من حديث ربيح بن عبد الرحمن بن أبى سعيد، عن أبيه عن جده أبى سعيد الخدرىّ [رضى الله عنه] قال: [كان] رسولِ الله ﷺ إذا جلس فى المسجد(١) احتبى بيديه(٢).

ومن حديث قيلة بنت مخرمة(٣)، أنها رأت رسول الله ﷺ فى المسجد،

= اخاك ووجهك منبسط، ولو ان تفرغ من دلوك فى إناء المستسقى، وإن امرؤ شتمك بما يعلم فيك فلا تشتمه بما تعلم فيه، فإنه يكون لك اجره وعليك وزره، وإياك وإسبال الإزار، فإن إسبال الإزار من المخيلة، إن الله عزَّ وجلَّ لا يحب المخيلة، ولا تسبَّنَّ احداً، فما سببتُ بعد احداً، ولا شاة، ولا بعيراً. (مسند احمد): ٦/ ٥٦، حديث رقم (٢٠١١٢).

(١) فى (خ)، (ج): «فى المجلس»، وما اثبتناه من (الشمائل).

(٢) (الشمائل المحمدية): ١١٦، حديث رقم (١٣٠)، و (أخلاق النبى): ٢٤٧، (الكامل لابن عدى): ٣/ ١٧٤، من حديث رُبيح بن عبد الرحمن بن ابى سعيد الخدرى، رقم (٣٢/ ٦٨٢)، وقال فيه: «إذا جلس فى مجلس»، (سنن أبى داود): ٥/ ١٧٥، كتاب الأدب، باب (٢٥) فى جلوس الرجل، حديث رقم (٤٨٤٦)، ونسبه للمنذرى، قال أبو داود: عبد الله بن إبراهيم شيخ منكر الحديث، (سنن البيهقى): ٣/ ٢٣٦، وقال: تفرد به عبد الله بن إبراهيم الغفارى هذا، وهو شيخ منكر الحديث، قاله أبو داود السجستانى وغيره، (سلسلة الأحاديث الصحيحة): ٢/ ٤٩٧ – ٤٩٩، حديث رقم (٨٢٧)، وقد ساق الألبانى لهذا الحديث كثيرا من الشواهد ثم قال: وبالجملة فالحديث صحيح، ولا يضر ان راويه مُتَّهَم، فقد يصدق الكذوب. وأى دليل على صدقه هنا أكبر من هذه الشواهد، وقد أخرجه الإمام أحمد فى (المسند): ٥/ ١٨، حديث رجل من بنى سليط رضى الله عنه رقم (١٦٢٠٨)، قال: حدثنا عبد الله، حدثنى أبى، حدثنا أبو عامر قال: حدثنا عباد –يعنى ابن راشد– عن الحسن من بنى سليط: أنه مرَّ على رسول الله ﷺ، وهو قاعد على باب مسجده محتبٍ، وعليه ثوب له قطر ليس عليه ثوب غيره، وهو يقول: المسلم اخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ثم اشار بيده إلى صدره يقول: التقوى ها هنا، التقوى ها هنا، (فتح البارى): ١١/ ٧٦ – ٧٧، كتاب الاستئذان، باب (٣٤) الاحتباء باليد وهو القرفصاء، حديث رقم (٦٢٧٢)، من حديث محمد بن فليح – عن أبيه، عن نافع، عن ابن عمر رضى الله عنه قال: رايت رسول الله ﷺ بفناء الكعبة محتبيا بيده هكذا......

(٣) هى قيلة بنت مخرمة التميمية، هاجرت إلى النبى ﷺ مع حريث بن حسان، وقيل: الحارث بن حسان، وكان وافد بكر بن وائل إلى رسول الله ﷺ (تهذيب التهذيب): ١٢/ ٤٧٤، ترجمة رقم (٢٨٧٥).

وهو قاعد القرفصاء[(١)]، قال: فلما رأيتُ المتخشع في الجلسة أُرعدت من الفرق[(٢)].

---

(١) القرفصاء: جِلسة المحتبي، وليس هو الذي يحتبي بثوبه، ولكن الذي يحتبي بيديه.

(٢) قال العلامة ابن القيم في (زاد المعاد)، فصل في هديه ﷺ في جلوسه واتكائه: كان يجلس على الأرض، وعلى الحصير، والبساط، وقالت قيلة بنت مخرمة: أتيت رسول الله ﷺ وهو قاعد القرفصاء، قالت: فلما رأيتُ رسول الله ﷺ كالمتخشع في الجلسة، أُرعدت من الفرق، ولما قدم عليه عدي بن حاتم، دعاه إلى منزله، فألقيتْ إليه الجارية وسادة يجلس عليها، فجعلها بينه وبين عدي، وجلس على الأرض، قال عديّ: فعرفت أنه ليس بملك. وكان يستلقي أحيانا وربما وضع إحدى رجليه على الأخرى، وكان يتكيء على الوسادة، وربما اتكأ على يساره، وربما اتكأ على يمينه، وكان إذا احتاج في خروجه، توكأ على بعض أصحابه من الضعف (زاد المعاد): ١/ ١٧٠.

والحديث أخرجه الترمذي في (الشمائل المحمدية): ١١٥، باب (٢١) ما جاء في جلسة رسول الله ﷺ حديث رقم (١٢٨). قوله: «القرفصاء»: هي جِلسَةُ ولها هيئتان:

إحداهما: الاحتباء، وهي أن يجلس على مقعدته ناصبًا رجليه، ويضم فخذيه إلى بطنه، ولكن يحتبي بيديه، أي يجعلهما حول ساقيه، قابضهما ببعضهما.

والأخرى: أن يجلس على رجليه، ويجمع ركبتيه، ويضم بطنه إلى فخذيه واضعا يديه تحت إبطيه، وهذه الأخيرة هي المقصودة هنا، لما فيها من هيئة الخشوع والسكون والخضوع.

قوله: «المتخشع»: التخشع المبالغة في الخشوع.

قوله: «أُرعدت من الفرق»: أُرعدتُ أي أُصِبْتُ. برعدة وهي الاضطراب، والفرق: هو الخوف والفزع مما علاها من المهابة (المرجع السابق).

وللحديث شاهد عند أبي الشيخ في (أخلاق النبي): ٢٤٧، من طريق عبد الله بن منيب عن أبيه عن جده عن أبي أمامة الحارثي قال: كان رسول الله ﷺ إذا جلس جلس القرفصاء. وفي سنده ضعف. عبد الله بن منيب هو ابن عبد الله بن أبي أمامة بن ثعلبة الحارثي وهو صدوق، وأبوه مقبول عند المتابعة، وجده صدوق، وفي إسناده الفروي إسحاق بن محمد، وهو صدوق، لكن كف بصره فساء حفظه. وجملة القول: أن الحديث حسن، والله تعالى أعلم (المرجع السابق).

وأخرجه الترمذي أيضا في (السنن): ٥/ ١١١، كتاب الأدب، باب (٥٠) ما جاء في الثوب الأصفر، حديث رقم (٢٨١٤)، وقال أبو عيسى: حديث قيلة لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن حسان، وأخرجه أبو داود في (السنن) ٥/ ١٧٦، كتاب الأدب، باب (٢٥) في جلوس الرجل، حديث رقم (٤٨٤٧) وقد تقدم طرف من هذا الحديث في كتاب الخراج من (سنن الترمذي)، وهو حديث طويل، وأخرجه البيهقي في (السنن الكبرى): ٣/ ٢٣٥، باب الاحتباء المباح في غير وقت الصلاة.

ومن حديث سفيان عن الزهرى، عن عبادة بن تميم، عن عمه، أنه رأى النبى ﷺ مستلقيًا فى المسجد، واضعًا إحدى رجليه على الأخرى(١).

---

(١) (الشمائل المحمدية): ١١٦، حديث رقم (١٢٩)، (سنن الترمذى): ٥/ ٨٨، كتاب الأدب، باب (١٩)، ما جاء فى وضع إحدى الرجلين على الأخرى مستلقيًا، حديث رقم (٧٦٥)، (فتح البارى): ١/ ٧٤٠ - ٧٤١، كتاب الصلاة، باب (٨٥) الاستلقاء فى المسجد ومد الرجل، حديث رقم (٤٧٥)، وعن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، قال كان عمر وعثمان يفعلان ذلك، (فتح البارى): ١٠/ ٤٨٨، ٤٨٩، كتاب اللباس، باب (١٠٣)، الاستلقاء ووضع الرجل على الأخرى، حديث رقم (٥٩٦٩)، (فتح البارى): ١١/ ٩٥، كتاب الاستئذان، باب (٤٤) الاستلقاء، حديث رقم (٦٢٨٧).

«الاستلقاء» هو الاضطجاع على القفا، سواء كان معه نوم أم لا، وقد تقدمت هذه الترجمة وحديثها فى آخر كتاب اللباس، قبيل كتاب الأدب، وتقدم بيان الحكم فى أبواب المساجد من كتاب الصلاة، وذكرت هناك قول من زعم أن النهى عن ذلك منسوخ، وأن الجمع أولى، وأن محل النهى حيث تبدو العورة، والجواز حيث لا تبدو، وهو جواب الخطابى ومن تبعه، ونقلت قول من ضعّف الحديث الوارد فى ذلك، وزعم أنه لم يخرج فى الصحيح.

وأوردت عليه بأنه غفل عما فى كتاب اللباس من الصحيح، والمراد بذلك صحيح مسلم، وسبق القلم هناك فكتبت صحيح البخارى، وقد أصلحته فى أصلى، ولحديث عبد الله بن زيد فى الباب شاهد من حديث أبى هريرة، صححه ابن حبان (المرجع السابق).

(مسلم بشرح النووى): ١٤/ ٣٢٣، كتاب اللباس والزينة، باب (٢٢) فى إباحة الاستلقاء، ووضع إحدى الرجلين على الأخرى، حديث رقم (٢١٠٠) - قال الإمام النووى: قال العلماء: أحاديث النهى عن الاستلقاء رافعًا إحدى رجليه على الأخرى محمولة على حالة تظهر فيها العورة أو شىء منها، وأما فعله ﷺ فكان على وجه لا يظهر منها شىء، وهذا لا بأس به ولا كراهة فيه على هذه الصفة.

وفى هذا الحديث جواز الاتكاء فى المسجد والاستلقاء فيه. قال القاضى: لعله ﷺ فعل هذا لضرورة أو حاجة من تعب، أو طلب راحة أو نحو ذلك.

قال: وإلا فقد عُلم أن جلوسه ﷺ فى المجامع على خلاف هذا، بل كان يجلس مرتبعًا، أو محتبيًا، وهو كان أكثر جلوسه، أو القرفصاء، أو مقعيًا، وشبهها من جلسات الوقار، والتواضع.

قلت: ويحتمل أنه ﷺ فعله لبيان الجواز، وأنكم إذا أردتم الاستلقاء فليكن هكذا، وأن النهى الذى نهيتكم عن الاستلقاء ليس هو على الإطلاق، بل المراد به من ينكشف شىء من عورته أو يقارب انكشافها، والله تعالى أعلم (مسلم بشرح النووى): ١٤/ ٣٢٢ - ٣٢٣.

فصل فى ذكر خضاب رسول الله ﷺ

خرَّج الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، من حديث سلام بن أبى مطيع، عن عثمان بن عبد الله بن موهب قال: دخلنا على أم سلمة رضى الله عنها، فأخرجت إلينا شعر رسول الله ﷺ مخضوبًا بالحناء والكتم(١).

وخرَّج ابن عدى من حديث غيلان بن جامع، عن إياد بن لقيط، عن أبى رمثة قال: كان رسول الله ﷺ يخضب بالحناء والكتم، وكان شعره يبلغ كتفيه أو منكبيه(٢).

---

(١) (مسند أحمد): ٧/ ٤٢٠ - ٤٢١، حديث رقم (٢٥٩٩٥) ولفظه: دخلنا على أم سلمة فأخرجت إلينا من شعر النبى ﷺ، فإذا هو مخضوب أحمر بالحناء والكتم. وحديث رقم (٢٥٩٩٩) ولفظه: دخلت على أم سلمة، فأخرجت إلينا شعرا من شعر رسول الله ﷺ مخضوبًا بالحناء والكتم. كلاهما عن عثمان بن عبد الله، من حديث أم سلمة زوج النبى ﷺ.

(٢) (الكامل لابن عدى): ٤/ ٩٨، ترجمة الضحاك بن حمرة -بالراء المهملة- الأملوكى الواسطى رقم (٣/ ٩٤٦)، ضعَّفوه، وذكره ابن حبان فى (الثقات): ٦/ ٤٨٤.

قال الحافظ ابن حجر: الضحاك بن حمرة - بالراء المهملة- الأملوكى الواسطى، أرسل عن أنس، وروى عن عمرو بن شعيب والحجاج بن أرطاة وقتادة وغيرهم، وعنه بقية وأبو سفيان سعيد بن يحى الحميرى....

قال ابن معين: ليس بشيء، وقال أبو الجوزجانى: غير محمود فى الحديث، وقال النسائى والدُّولابىّ: ليس بثقة، وذكره ابن حبان فى (الثقات)، وله عنده حديث فى ترجمة أبى سفيان الحميرى.

قال الحافظ ابن حجر: حَسَّن الترمذى حديثه، وقال ابن زنجويه: حدثنا إسحاق، حدثنا بقية عن الضحاك وكان ثقة، وقال البرقانى عن الدارقطنى ليس بالقوى يعتبر به، وقال ابن عدى: أحاديثه غرائب، وقال [فى] بعض النسخ: متروك الحديث. وقال ابن شاهين فى (الثقات): وثقه إسحاق بن راهويه، قلت: وهو كما قال فى مسنده انه ثقة: (تهذيب التهذيب): ٤/ ٣٨٩ - ٣٩٠، ترجمة رقم (٧٨١).

ومن حديث عمر بن قيس المكى، عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها، أن النبى ﷺ كان يخضب بالحناء والكتم، ويقول: غيِّروا فإن اليهود لا تغيِّر(١).

وقد روى عن عبد الرحمن بن مهدى أنه قال: حدثنا سفيان عن إياد بن لقيط، عن أبى رمثة قال: أتيت النبى ﷺ، فرأيته قد لطخ لحيته بالحناء.

وخرَّجه الترمذى فى (الشمائل)، من حديث عبد الملك بن عمير، عن إياد بن لقيط العجلى، عن أبى رمثة التيمى قال: أتيت النبى ﷺ ومعى ابن لى، قال: فأريته، فقلت لما رأيته: هذا نبى الله وعليه ثوبان أخضران، وله شعر قد علاه الشيب وشيبه أحمر(٢).

وفى رواية عن إياد [بن لقيط](٣) قال: أخبرنى أبو رمثة قال: أتيتُ النبى ﷺ(٤) مع ابن لى، فقال ابنك [هذا](٣)؟ فقلت: نعم، أشهد به، قال: لا يجنى عليك ولا تجنى عليه، قال: ورأيت الشيب أحمر.

قال أبو عيسى: هذا أحسن شئ رُوِى فى هذا الباب وأفْسَرُ لأن الروايات الصحيحة أن النبى ﷺ لم يبلغ الشيب(٥).

ولأبى داود من حديث عبد العزيز بن سلمة، عن زيد بن أسلم، أن ابن

---

(١) (الكامل لابن عدى): ٥/ ٨، ترجمة عمر بن قيس المكى رقم (٢١٩/ ١١٨٦)، وهو عمر بن قيس المكى ابو جعفر المعروف بسندل، مولى آل بنى زسد، وقيل: مولى آل منظور بن يسار. ضعّفه جميع نقاد الحديث، له ترجمة وافية فى: (تهذيب التهذيب): ٧/ ٤٣١، ترجمة رقم (٦١٨)، (ميزان الاعتدال): ٣/ ٢١٨، ترجمة رقم (٦١٨٧).

(٢) (الشمائل المحمدية): ٥٨-٥٩، حديث رقم (٤٣).

(٣) زيادة للنسب من (الشمائل).

(٤) فى (المرجع السابق): «رسول الله».

(٥) (الشمائل المحمدية): ٦٠، باب (٦) ما جاء فى خضاب رسول الله ﷺ، حديث رقم (٤٥)، وقال فى آخره: وأبو رمثة اسمه رفاعة بن يثربى التَّيمِىّ.

عمر كان يصبغ لحيته بالصفرة حتى تمتلئ ثيابه من الصفرة، فقيل له: لم تصبغ بالصفر؟ قال: إني رأيت رسول الله ﷺ يصبغ بها، ولم يكن شئ أحب إليه منها، وقد كان يصبغ ثيابه كلَّها حتى عمامته[١].

وخرَّجه النَّسائي ولفظه: رأيت ابن عمر يصفر لحيته بالخلوق، فقيل له: يا أبا عبد الرحمن! إنك تصفّر لحيتك بالخلوق، قال[٢]: إني رأيت رسول الله ﷺ يصفّر بها لحيته، ولم يكن شئ من الصَّبْغ أحب إليه منها، ولقد كان يصبغ بها ثيابه كلها حتى عمامته[٣]. [قال أبو عبد الرحمن: وهذا أولى بالصواب من حديث قتيبة][٤].

وقد خالف الدراوردى عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، فرواه عن زيد ابن أسلم، عن عبيد بن جريج قال: رأيت ابن عمر يصفر لحيته، فقلت له في ذلك، فقال: إني رأيت النبي ﷺ يصفر لحيته، قال النسائي: وهو أولى بالصواب [من] الذي قبله[٥].

ولأبي داود والنسائي، ،من حديث ابن أبي روّاد، عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يلبس النعال السبتية، ويصفر لحيته بالورس والزعفران، وكان ابن عمر يفعل[٦] ذلك. وقد تقدم حديث مالك عن سعيد المقبري، عن عبيد بن جريج،، عن ابن عمر، وفيه: وأما الصفرة،

---

(١) (سنن أبي داود): ٤/٣٣٣-٣٣٤، كتاب اللباس، باب (١٨)، في المصبوغ بالصفرة، حديث رقم (٤٠٦٤)، كتاب الترجل باب (١٨) في الخضاب، حديث رقم (٤٢٠٦) - (٤٢٠٨).

(٢) في (خ): «فقال».

(٣) (سنن النسائي): ٨/٥١٧، كتاب الزينة، باب (١٧)، الخضاب بالصفرة، حديث رقم (٥١٠٠).

(٤) زيادة من (المرجع السابق).

(٥) كذا في النظامية، وفي إحدى نسخها: «من حديث قتيبة».

(٦) (سنن أبي داود): ٤/٤١٧-٤١٨، كتاب الترجل، باب (١٩) ما جاء في الخضاب بالصفرة، حديث رقم (٤٢١٠).

فإنى رأيت رسول الله ﷺ [يصبغ] بها، فأنا أحب أن أصبغ بها(١).

وخرّج الطبرانى من حديث عبد الرحن بن عبد الصمد العمى، عن جعفر بن محمد، وهشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان أكثر شيب النبى ﷺ فى الرأس فى فودى رأسه(٢)، وكان أكثر شيبه فى لحيته حول الذقن، وكان شيبه كأنه خيوط الفضة يتلألأ بين سواد الشعر، وإذا مسَّه بصفرة - وكان كثيراً ما يفعل ذلكك - صار كأنه خيوط الذهب.

ولقاسم بن أصبغ من حديث مروان بن سالم، عن عبد الله بن همام قال: قلت: يا أبا الدرداء، بأى شئ كان رسول الله ﷺ يخضب؟ قال: يا ابن أخى، أو يابنى، ما بلغ منه الشيب ما كان يخضبه، ولكنه قد كان منه هاهنا شعرات بيض، وكان يغسله بالحناء والسِّدر(٣).

ومن حديث شريك عن عثمان بن موهب قال: رأيت شعر النبى ﷺ عند بعض نسائه أحمر(٤).

ومن حديث سلام بن أبى مطيع، عن عثمان بن عبد الله بن موهب قال: دخلتُ على أم سلمة رضى الله عنها فأخرجت إلينا شعر النبى ﷺ مخضوبًا بالحناء والكتم(٥).

ومن حديث شريك عن سُدير الصيرفى عن أبيه قال: كان على رضى الله

---

(١) سبق تخريجه فى الكلام على الخف، ص ٢٥ من هذا الجزء.

(٢) الفَوْد: معظم شعر الرأس مما يلى الأذن، وفودا الرأس: جانباه، والجمع أفواد، والفودان: واحدهما فَوْد، وهو معظم شعر اللمة مما يلى الأذن، والفودان: قرنا الرأس وناصيتاه، ويقال بدا الشيب بفوديه، وفى الحديث: كان أكثر شيبه فى فوْدى رأسه أى ناحيتيه. (لسان العرب): ٣/ ٣٤٠.

(٣) (طبقات ابن سعد): ١/ ٤٣٢.

(٤) (المرجع السابق): ١/ ٤٣٧.

(٥) ا(المرجع السابق): ١/ ٤٣٧.

عنه لا يخضب، فذكرت ذلك لمحمد بن على، قال: قد خضب من هو خير منه، رسول الله ﷺ.

ومن حديث ضمرة عن على بن أبى حملة قال: كان رجاء بن حيوة لا يُغيِّر الشيب فحجّ، فشهد عنده أربعة أن النبى ﷺ غيرً، قال: فغيرً فى بعض المياه.

وذكر البخارى من حديث الليث، عن خالد، عن سعيد بن أبى هلال، عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن [قال](١):، سمعت أنس(٢) بن مالك يصف النبى ﷺ قال: كان ربعة من القوم... وذكر الحديث إلى قوله: وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء. قال ربيعة: فرأيت شعراً من شعره، فإذا هو أحمر، فسألت، فقيل: احمرّ من الطيب(٣).

---

(١) زيادة للسياق من البخارى.

(٢) فى (خ)، (ج): «انسًا يصف».

(٣) (فتح البارى): ٦/٦٩٩-٧٠٠، كتاب المناقب، باب (٢٣) صفة النبى ﷺ، حديث رقم (٣٥٤٧)، (٣٥٤٨)، ١٠/٤٣٦، كتاب اللباس، باب (٦٨) الجعد، حديث رقم (٥٩٠٠).

قوله: «وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء» اى بل دون ذلك، ولابن أبى خيثمة من طريق أبى بكر بن عياش، قلت لربيعة: جالست انسًا؟ قال: نعم، وسمعته يقول: شاب رسول الله ﷺ عشرين شيبة ههنا يعنى النعفقة.

ولإسحاق بن راهوية، وابن حبان، والبيهقى من حديث ابن عمر: كان شيب رسول الله ﷺ نحواً من عشرين شعرة بيضاء فى مقدمة.

وقد اقتضى حديث عبد الله بن بسر ان شيبهُ كان لا يزيد على عشر شعرات لإيراده بصيغة جمع القلة، لكن خصٌ ذلك بعنفقته فيحمل الزائد على ذلك فى صدغيه كما فى حديث البراء.

لكن وقع عند ابن سعد بإسناد صحيح، عن حميد، عن انس فى أثناء حديث قال: ولم يبلغ ما فى لحيته من الشيب عشرين شعرة، وقد روى ابن سعد أيضًا بإسناد صحيح، عن ثابت، عن انس، قال: ما كان فى رأس النبى ﷺ ولحيته إلا سبع عشرة أو ثمانى عشرة.

ولابن أبى خيثمة من حديث حميد عن انس: لم يكن في لحية رسول الله ﷺ عشرون شعرة =

فذهب جماعة من أهل العلم أن رسول الله ﷺ كان يخضب بالحناء، ويصفر شيبهُ، على أنهم مجمعون أنه إنما شاب منه عنفقته وشئ من صدغيه لا غير، وقال آخرون: لم يخضب(١).

وذكروا حديث إسرائيل عن سماك، عن جابر بن سمرة قال: كان رسول الله ﷺ قد شَمط مقدم رأسه ولحيته، فإذا ادّهن وامتشط لم يُتَبيّن شيبه، فإذا اشْعَثَّ كانَ مُتبيِّنًا، وكان كثير شعر الرأس واللحية(٢).

وحديث هشام عن قتادة قال: سألتُ سعيد بن المسيب: أَخَضَب رسول الله ﷺ؟ قال: لم يبلغ ذلك(٣).

= بيضاء. قال حميد: كن سبعة عشرة.

وفى مسند عبد بن حميد، من طريق حماد عن ثابت، عن أنس: ما عددت فى راسه ولحيته إلا اربع عشرة شعرة.

وعند ابن ماجة من وجه آخر عن انس: إلا سبع عشرة أو عشرين شعرة.

وروى الحاكم فى (المستدرك)، من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل، عن انس قال: لو عددت ما اقبل عليّ من شيبه فى راسه ولحيته ما كنتُ ازيدهن على إحدى عشرة شيبة.

قوله: «فرايتُ شعراً من شعره فإذا هو احمر فسالتُ فقيل: «احمرٌ من الطيب»، لم اعرف المسئول المجيب بذلك، إلا انه فى رواية ابن عقيل المذكورة من قبل، ان عمر بن عبد العزيز قال لانس: هل خضب النبى ﷺ؟ فإنى رايت شعراً من شعره قد لون، فقال: إنما هذا الذى لون من الطيب الذى كان يطيب به شعر رسول الله ﷺ فهو الذى غيرّ لونه، فيحتمل ان يكون ربيعة سال انسًا عن ذلك فاجابه.

ووقع فى (رجال مالك) للدراقطنى، وهو فى (غرائب مالك) له، عن أبى هريرة قال: لما مات النبى ﷺ خضب من كان عنده شئ من شعره ليكون ابقى لها.

قال الحافظ ابن حجر: فإن ثبت هذا استقام إنكار انس، ويقبل ما اثبته سواه التأويل. (فتح البارى): ٦ / ٧٠٧-٧٠٨ مختصراً.

(١) (المرجع السابق): ٦ / ٧٠٩، (طبقات ابن سعد): ١ / ٤٣٣.

(٢) (مسلم بشرح النووى): ١٥ / ١٠٥، كتاب الفضائل، باب (٢٩)، شيبه ﷺ، حديث رقم (١٠٩)، (طبقات ابن سعد): ١ / ٤٣٣.

(٣) (طبقات ابن سعد): ١ / ٤٣٣.

وحديث عاصم بن على، أخبرنا محمد بن راشد عن مكحول عن موسى بن أنس عن أبيه قال: لم يبلغ النبى ﷺ من الشيب ما يُخضب(١).

وحديث على بن الجعد، حدثنا زهير بن معاوية، عن حميد الطويل قال: سُئل أنس رضى الله عنه عن الخضاب فقال: خَضَبَ أبو بكر رضى الله عنه بالحناء والكتم، وخَضَبَ عمر بالحناء وحده(٢).

قيل: فرسول الله ﷺ؟ قال: لم يكن فى لحيته عشرون شعرة بيضاء، فأصغى حُميد إلى رجل عن يمينه فقال: كنّ سبع عشرة(٣). [ووضع يده على عنفقته](٤).

وذكر مالك فى الموطّأ عن يحيى بن سعيد قال: أخبرنى محمد بن إبراهيم التيمى، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن، أن عبد الرحمن بن الأسود ابن عبد يغوث قال - وكان جليساً لهم وكان أبيض الرأس واللحية(٥) - [قال:](٦) فغدا عليهم ذات يوم وقد حَمَّرهما، قال: فقال له القوم: هذا أحسن، فقال: إن أمى عائشة زوج النبى ﷺ أرسلتْ إلىّ البارحة جارتها نُخَيْلَةَ، فأقسمتْ علىّ لأَصْبُغَنَّ، وأخبرتنى أن أبا بكر الصديق [رضى الله

---

(١) (مسلم بشرح النووى): ١٥ / ١٠٢، كتب الفضائل، باب (٢٩)، شيبه ﷺ، حديث رقم (١٠١)، بسياقه أطول من ذلك وسند آخر.

(٢) (المرجع السابق): حديث رقم (١٠٣) من حديث حماد، حدثنا ثابت قال: سئل أنس بن مالك عن خضاب النبى ﷺ فقال: لو شئت أن أعد شمطات كُنَّ فى رأسه فعلت، وقال: لم يختضب وقد اختضب أبو بكر بالحناء والكتم واختضب عمر بالحناء.

(٣) (طبقات ابن سعد): ١ / ٤٣١.

(٤) زيادة للسياق من (طبقات ابن سعد).

(٥) كذا فى الأصلين، وفى (الموطأ): « أبيض اللحية والرأس ».

(٦) زيادة من الأصلين.

عنه كان][1] يصبغ[2].

قال مالك رحمه الله: هذا الحديث بيان أن رسول الله ﷺ لم يصبغ، ولو صبغ رسول الله ﷺ، لأرسلتْ بذلك عائشة رضى الله عنها إلى عبد الرحمن بن الأسود[3].

وقالوا: الصَّبغ الذى ذكر فى حديث ابن عمر بالصفرة، هو صبغ الثياب لاصبغ اللحية، كما ذكر مالك عن نافع، أن عبد الله بن عمر كان يلبس الثوب المصبوغ بالمشق[4]، [والثوب][5] المصبوغ بالزعفران[6].

وكما رواه قاسم بن أصبغ، من حديث سليمان بن بلال، عن زيد بن أسلم، عن ابن عمر أنه كان يصبغ ثيابه بالصفرة حتى عمامته[7]. وذكر ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان يصبغ بالصُّفرة[7].

وذكره ابن وهب عن عمر بن محمد عن زيد بن أسلم مرسلاً، ومن حديث القعنبى، أخبرنا عبد الله بن زيد بن أسلم، عن أبيه أن ابن عمر كان

---

(١) زيادة من الأصلين.

(٢) (موطأ مالك): ٦٧٧، كتاب الجامع، ما جاء فى صبغ الشعر، حديث رقم (١٧٢٧)، ثم قال: قال يحيى: سمعت مالكًا يقول فى صبغ الشعر بالسواد: لم أسمع فى ذلك شيئًا معلومًا، وغيرُ ذلك من الصبغ أحبُّ إلىّ. قال: وترك الصبغ كلّه واسع إن شاء الله، ليس على الناس فى ذلك ضيق.

(٣) (موطأ مالك): ٦٧٧، كتاب الجامع، ما جاء فى صبغ الشعر، تعقيبًا على الحديث رقم (١٧٢٧).

(٤) الصباغ الأصفر على الأغلب.

(٥) زيادة للسياق من (الموطأ).

(٦) (موطأ مالك): ٦٥٥، كتاب الجامع، ما جاء فى لُبْس الثياب المصَبَّغَة والذهب، حديث رقم (١٦٤٨)، وتمامه: قال مالك: وأنا أكره أن يلبس الغلمان شيئًا من الذهب، لأنه بلغنى أن رسول الله ﷺ نهى عن تختم الذهب، فأنا أكرهه للرجال، الكبير منهم والصغير. قال مالك فى الملاحف المعصفرة فى البيوت للرجال، وفى الأفنية، قال: لا أعلم من ذلك شيئًا حرامًا، وغير ذلك من اللباس أحب إلىّ.

(٧) سبق تخريجه والتعليق عليه، فليراجع فى بابه من الجزء السادس.

يصبغ ثيابه بالزعفران، فقيل له، فقال: كان رسول الله ﷺ يصبغ به، ورأيته يحبه، أو رأيته أحبَّ الصبغ إليه.

قال ابن عبد البر: وقد روى أنه كان يخضب، وليس بقوى، - والصحيح أنه لم يخضب، ولم يبلغ من الشيب ما يخضب له، وعارض من ذهب إلى أنه ﷺ اختضب بحديث عبد العزيز بن صُهَيْب عن أنس [رضى الله عنه قال]: إن النبى ﷺ نهى أن يتزعفر الرجل أو ما فى معنى ذلك من الأحاديث، وبأنه اختلفت الرواية عن أنس.

فخرج الترمذى من حديث عمرو بن عاصم قال: أخبرنا حماد بن سلمة، حدثنا حميد عن أنس قال: رأيت شعر النبى ﷺ مخضوبًا(١).

---

(١) (الشمائل المحمدية): ٦٢، باب ما جاء فى خضاب رسول الله ﷺ، حديث رقم (٤٨). (٤٩) كلاهما عن أنس بن مالك، والحديث الأول صحيح، والثانى إسناده حسن، وظاهر الحديث يخالف المشهور من حديث أنس، ان النبى ﷺ لم يخضب، والجمع بين هذه الأحاديث بحمل الخضاب هنا على تغير لون الشعر من الطيب ونحوه، لا على الخضاب بالحناء، كما جاء فى (طبقات ابن سعد): ١ / ٤٣٦، من حديث ربيعة بن أبى عبد الرحمن، قال: رأست شعرًا من شعره يعنى النبى ﷺ فإذا هو أحمر، فسألت عنه فقيل لى: احمرٌ من الطيب، ونحو هذا ما رواه الحاكم فى (المستدرك): ٢ / ٦٦٣-٦٦٤، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، حديث رقم (٤٢٠١)، وقال فى (التلخيص): صحيح، من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل، وفيه: وإنما هذا الذى لوَّن من الطيب الذى كان يطيب شعر رسول الله ﷺ.

وهذا الجمع لطرق حديث انس أولى من الحكم على حديث حميد وابن عقيل بالشذوذ، لأن إعمال الحديث أولى من إهماله. وبذلك تتفق الروايات عن أنس.

ولكن يشكل على هذا الجمع ما ثبت عنه ﷺ: أنه كان يخضب، كما فى حديث أم سلمة، وأبى رمثة، وغيرهما، والجواب على هذا: أن المثبت مقدم على النافى، لأن معه زيادة علم، والزيادة من الثقة مقبولة.

ويمكن الجمع بما قاله النووى رحمه الله: والمختار أنه ﷺ خضب فى وقت، دل عليه حديث ابن عمر فى الصحيحين، وتركه فى معظم الأوقات، فأخبر كل بما رأى وهو صادق، والله تعالى أعلم.

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنى يوسف بن كامل، حدثنا مبارك بن فضالة، حدثنا عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبى طالب قال: سألت أنس ابن مالك [رضى الله عنه]: هل كان رسول الله ﷺ يخضب؟ قال: ما أرى، قلت: فإنه كان عندنا من شعره شعرٌ فيه صفرة، قال أنس [رضى الله عنه]: إن رسول الله ﷺ كان يمسّه بصفرة، قالوا: فقول أنس: ما أرى، إخبار عن ظن، وقوله: لم يخضب شهادة على نفى، وقد قطع غيره من الصحابة مثل عبد الله بن عمر، وأبى رمثة البلوى، وعبد الله بن زيد صاحب الأذان، على أنه خضب، والإثبات مقدم على النفى.

وهذا جواب الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - حين قيل له: إن أَنَسًا يقول: [إنه] لم يخضب، قلت: والذى عندى أنه ﷺ لم يبلغ من الشيب ما يقتضى الخضاب كما أجمعوا عليه، ومع ذلك فكان يغير أحيانًا ما شاب من شعره، وأحيانًا يتركه بحاله.

وبهذا أرجو - إن شاء الله - أن يكون الصواب، والله أعلم.

* * *

فصل في ذكر ما كان النبي ﷺ يفعله في شعره

[قال ابن سعد : أخبرنا الفضل بن دُكين، أخبرنا مندل عن ابن جريج قال : كان لرسول الله ﷺ مشط من عاج يتمشط به](١).

[و] خرج ابن حبان من حديث وكيع، عن الربيع بن صبيح عن يزيد الرقاشيّ عن أنس [رضى الله عنه] قال : كان النبي ﷺ يكثر تسريح رأسه ولحيته بالماء(٢).

وللترمذى من حديث أبى العلاء الأودى، عن حميد بن عبد الرحمن، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ ، أن النبي عليه السلام، كان يترجّل غِبًّا(٣).

---

(١) (طبقات ابن سعد) : ١ / ٤٨٤ ، ذكر مشط رسول الله ﷺ ومكحلته ومرآته وقدحه، وفيه « مشط عاج »، ومابين الحاصريتن فى النسخة (خ) وليس فى (ج)، ولعله سقط من الناسخ.

(٢) (أخلاق النبي) : ١٣٧ ، (الإحسان) : ١٢ / ٢٩٥ ، كتاب الزينة والطيب، ذكر الزجر عن الترجل فى كل يوم لمن به الشعر، حديث رقم (٥٤٨٤)، وسيأتى فى تخريجه فى الكلام عن الحديث التالى.

(٣) (الشمائل المحمدية) : ٥٣-٥٤ ، باب ما جاء فى ترجل رسول الله ﷺ حديث رقم ٣٦ ، وهذا الحديث إسناده ضعيف تفرد به المصنف [الترمذى]، ورجاله ثقات، غير يزيد بن أبى خالد، وهو ابن عبد الرحمن الدلانى، فهو صدوق يخطئ كثيراً، وقال الحافظ : وذكره الكرابيسى فى (المدلسين)، وأبو العلاء هو داود بن عبد الله الأودى الزعافرى، وهو ثقة، وحميد بن عبد الرحمن هو الحميرى البصرى وهو ثقة . . وشيخ المصنف [الترمذى] صدوق، وحسّنه العراقى فى (تخريج أحاديث الإحياء)، ولعله يقصد لشواهده.

وقد أخرج الترمذى فى (الشمائل) : ٥٢-٥٣ ، حديث رقم (٣٥)، من حديث يحيى بن سعيد عن هشام بن حسان، عن الحسن البصرى، عن عبد الله بن مغفل قال : نهى رسول الله ﷺ عن الترجل إلا غِبًّا، وهو حديث صحيح، أخرجه الترمذى أيضًا فى (السنن) : ٤ / ٢٠٥ ، كتاب اللباس، باب (٢٢) ما جاء فى النهى عن الترجل إلا غبًا، حديث (١٧٥٦)، ثم قال : حدثنا محمد بن بشار، حدثنا يحيى بن سعيد عن هشام عن الحسن، بهذا الإسناد نحوه. قال أبو عيسى : هذا حديث =

ومن حديث أبى الشعثاء، عن مسروق عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ ليُحبّ التيمّن فى طهوره إذا تطهر، وفى ترجّله إذا ترجل، وفى انتعاله إذا انتعل(١).

= حسن صحيح، قال: وفى الباب عن أنس، وأخرجه أبو داود فى (السنن): ٤ /٣٩٢، كتاب الترجل، باب (١) بدون ترجمة، حديث رقم (٤١٥٩)، ثم قال ضمن الحديث رقم (٤١٦٠): إن رسول الله ﷺ كان ينهانا عن كثرة الإرفاه، قال الخطابى فى (معالم السنن): ٣٩٣: معنى الإرفاه: الاستكثار من الزينة، وأن لا يزال يهيئ نفسه، وأصله من الرفه، وهو أن ترد الإبل الماء كل يوم، فإذا وردت يومًا ولم ترد يومًا فذلك الغِبُّ... ومنه أُخذت الرفاهية، وهى الخفض والدعة، كره رسول الله ﷺ الإفراط فى التنعم والتدلك، والتدهن والترجيل، فى نحو ذلك من أمر الناس، فأمر ﷺ بالقصد فى ذلك، وليس معناه ترك الطهارة والتنظيف، فإن الطهارة والنظافة من الدين، وأخرجه النسائى فى (السنن): ٨/ ٥٠٧، كتاب الزينة، باب (٦) الأخذ من الشعر، حديث رقم (٥٠٦٩) ولفظه: نهانا رسول الله ﷺ أن يمتشط أحدنا كل يوم، وفى باب (٧) الترجل غبًا؛ حديث رقم (٥٠٧٠) عن الحسن عن عبد الله بن مغفل، وحديث رقم (٥٠٧١) عن قتادة عن الحسن، وفى باب (٦٢) الترجّل، حديث رقم (٥٢٥٤)، من حديث ابن علية عن الجُرَيْرى، عن عبد الله بن بريدة، أن رجلا من أصحاب النبى ﷺ يقال له: عبيد قال: إن رسول الله ﷺ كان ينهى عن كثير من الإرفاه، قال: منه الترجل، [وهو من شواهد صحته].

والحديث رجاله ثقات، رجال الشيخين، لكن الحسن البصرى مدلس، وقد عنعنه، وللحديث شواهد يصح بها، فقد أخرجه الإمام أحمد فى (المسند): ٥ /٤٤، حديث رقم (١٦٣٥١)، ٥ /٨٤، حديث رقم (١٦٥٦٤)، وأبو نعيم فى (حلية الأولياء): ٦ /٢٧٦، ترجمة هشام بن حسان رقم (٣٧٥)، وابن حبان فى (الصحيح): ١٢ /٢٩٥، كتاب الزينة، ذكر الزجر عن الترجل فى كل يوم لمن به شعر، حديث رقم (٥٤٨٤)، والعقيلى فى (الضعفاء الكبير): ٤ /١٣٧، فى ترجمة محمد بن موسى الجريرى، عن جويرية، رقم (١٦٩٨)، ثم قال: ولا يتابع عليه، وساق الحديث ثم قال فى آخره: وقد روى هذا من غير هذا الوجه بإسناد أصلح من هذا، والحديث بشواهده صحيح، والله تعالى أعلم.

(١) (الشمائل المحمدية): ٥٢، باب (٤) ما جاء فى ترجل رسول الله ﷺ، حديث رقم (٣٤).، باب (١١) ما جاء فى نعل رسول الله ﷺ، حديث رقم (٨٦)، وأخرجه البخارى فى (الصحيح): كتاب الوضوء، باب التيمن فى الوضوء والغسل، حديث رقم (١٦٨)، وفى كتاب الصلاة، باب دخول المسجد وغيره حديث رقم (٤٢٦)، وفى كتاب الأطعمة، باب التيمن فى الأكل وغيره، حديث رقم (٥٣٨٠)، وفى كتاب اللباس، باب يبدأ بالنعل اليمنى، حديث رقم (٥٨٥٤)، وباب الترجل والتيمن فيه، حديث رقم (٥٩٢٦).

ومن حديث بقية عن عمرو بن خالد، عن قتادة عن أنس [رضى الله عنه] قال: كان رسول الله ﷺ إذا أخذ مضجعه من الليل، وُضع له سواكه، وطهوره، ومشطه، فإذا أهبّه الله من الليل، استاك، وتوضأ، وامتشط(١).

وخرّج البخارى من حديث ابن شهاب، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: [كان النبى ﷺ يجب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر به](٢) [و](٢) كان أهل الكتاب يسدلون أشعارهم،

= وأخرجه مسلم فى (الصحيح): كتاب الطهارة، باب التيمن فى الطهور وغيره، حديث رقم (٢٦٨)، وأخرجه ابو داود فى (السنن): كتاب اللباس، باب فى الانتعال، حديث رقم (٤١٤٠)، وأخرجه الترمذى فى (السنن): كتاب الصلاة، باب ما يستحب من التيمن فى الطهور، حديث رقم (٦٠٨)، وأخرجه النسائى فى (السنن): كتاب الطهارة، باب بأى الرجلين يبدأ الغسل، حديث رقم (١١٢)، وكتاب الغسل والتيمم، باب التيمن فى الطهور، حديث رقم (٤٢١)، وكتاب الزينة، باب التيامن فى الترجل، حديث رقم (٥٢٤٠)، وأخرجه ابن ماجة فى (السنن): كتاب الطهارة وسننها، باب التيمن فى الوضوء، حديث رقم (٤٠١)، وأخرجه الإمام أحمد فى (المسند): ٧/١٣٦، حديث رقم (٢٤١٠٦)، ٧/١٨٨، حديث رقم (٢٤٤٦٩)، ٧/٢١٢، حديث رقم (٢٤٦٢٠)، ٧/٢٦٩، حديث رقم (٢٥٠١٨)، ٧/٢٨٩، حديث رقم (٢٥١٣٦)، ٧/٣٠٠، حديث رقم (٢٥٢٣٥).

(١) لم أجده بهذه السياقة، والثابت من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يوضع له وضوؤه وسواكه، فإذا قام من الليل تخلى ثم استاك.

وفى رواية: أن النبى ﷺ كان لا يرقد من ليل أو نهار فيستيقظ إلا تسوّك قبل أن يتوضأ.

وفى رواية مسلم عن شريح بن هانئ قال: سألت عائشة: باى شئ كان يبدأ رسول الله ﷺ إذا دخل بيته؟ قالت: بالسواك. (جامع الأصول): ٧/١٧٧، سنن الوضوء، حديث رقم (٥١٧٥).

وأخرج ابن سعد فى (الطبقات): أخبرنا عفان بن مسلم أو غيره، عن همام بن يحيى، عن على ابن زيد قال: حدثتنا أم محمد، عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ كان لا يرقد ليلاً ولا نهاراً فيستيقظ إلا تسوك قبل أن يتوضأ.

[و] أخبر سعيد بن منصور، أخبرنا هشيم قال: أخبرنا أبو حُرَّة عن الحسن، عن سعد بن هشام، عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يوضع له السواك من الليل، وكان استأنف السواك فكان إذا قام من الليل استاك، ثم توضأ، ثم صلى ركعتين خفيفتين، ثم صلى ثمانى ركعات ثم أوتر. (طبقات ابن سعد): ١/٤٨٣، ذكر سواك رسول الله ﷺ.

(٢) زيادة للسياق من (البخارى).

وكان المشركون يفرقون رءوسهم، فسدل رسول الله ناصيته، ثم فرق بعد(١).

وخرّجه مسلم(٢) وأبو داود(٣)، وذكره البخارى فى كتاب المناقب، فى باب: صفة النبى ﷺ، [و] فى آخر كتاب الهجرة(٤)، فى باب: اتيان اليهود النبى ﷺ حين قدم المدينة، ولفظه: عن ابن عباس أن النبى ﷺ كان يسدل شعره، وكان المشركون يفرقون رءوسهم، وكان أهل الكتاب يسدلون رءوسهم، وكان النبى ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشئ، ثم فَرَق النبى ﷺ رأسه(٥).

وخرّج النسائى(٦) بنحوه وقال فيه: ثم فرق رسول الله ﷺ بعد ذلك..

---

(١) الحديث سياقه مضطرب فى (الأصلين)، وصوبناه من (فتح البارى): ١٠ / ٤٤٢، كتاب اللباس، باب (٧٠) الفرق، حديث رقم (٥٩١٧).

(٢) (مسلم بشرح النووى): ١٥ / ٩٦-٩٧، كتاب الفضائل، باب (٢٤)، فى سدل النبى ﷺ شعره وفرقه، حديث رقم (٢٣٣٦)، ثم قال: وحدثنى أبو الطاهر، أخبرنا ابن وهب، اخبرنى يونس، عن ابن شهاب بهذا الإسناد نحوه.

(٣) (سنن أبى داود): ٤ / ٤٠٧-٤٠٨، كتاب الترجل، باب (١٠) ما جاء فى الفَرْق، حديث رقم (٤١٨٨)، وحديث رقم (٤١٨٩)، عن عروة عن عائشة رضى الله عنها، قالت: كنتُ إذا اردت أن افرق رأس رسول الله ﷺ صَدَعْتُ الفرق من يافوخه وأُرسلُ ناصيتيه بين عينيه.

(٤) فى بعض النسخ: «كتاب مناقب الانصار».

(٥) (فتح البارى): ٧ / ٢٣٤٩، كتاب مناقب الانصار، باب (٥٢)، إتيان اليهود النبى ﷺ حين قدم المدينة، حديث رقم (٣٩٤٤)، واخرجه البخارى أيضًا فى باب (٢٢) صفة النبى ﷺ من كتاب المناقب، حديث رقم (٣٥٥٨) فى (فتح البارى): ٦ / ٧٠١.

(٦) (سنن النسائى): ٨ / ٥٦٧-٥٦٨، كتاب الزينة باب (٦١) فرق الشعر، حديث رقم (٥٢٥٣)، وأخرجه الترمذى فى (الشمائل المحمدية): ٤٩-٥٠، حديث رقم (٣٠)، واخرجه ابن ماجة فى (السنن): ٢ / ١١٩٩، كتاب اللباس، باب (٣٦)، اتخاذ الجمة والذوائب، حديث رقم (٣٦٣٢)، وابن سعد فى (الطبقات): ١ / ٤٣٠، ذكر شعر رسول الله ﷺ.

وخرّج الإمام أحمد [ولفظه قال:](١) سَدَلَ رسول الله ﷺ ناصيته ما شاء الله أن يسدلها، ثم فرق بعد(٢).

[قال الحافظ أبو نعيم: غريب من حديث مالك وزياد متصلاً، تفرد به أحمد عن حماد، ورواه روح بن عبادة، عن مالك بن أنس، عن زياد عنه من دون أنس، والمشهور الثابت من حديث الزهرى، عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس](٣).

وخرّج الترمذى من حديث الربيع بن صبيح، عن يزيد بن إبان، عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يُكثر دهن رأسه وتسريح لحيته(٤)، [ويكثر القناع

---

(١) زيادة للسياق وتقويم النص لاختلاف الأصلين فى هذه الفقرة.

(٢) (مسند أحمد): ٤ /٨٣، حديث رقم (١٢٨٤٢).

قال الحافظ ابن حجر: واختلفوا فى معنى قوله: «يحب موافقة أهل الكتاب»، فقيل للاستئناف، وقيل: المراد أنه كان مأموراً باتباع شرائعهم فيما لم يوح إليه بشئ، وما علم أنهم لم يبدلوه. واستدل به بعضهم على أن شرع من قبلنا شرع لنا حتى يرد فى شرعنا ما يخالفه. وعكس بعضهم فاستدل به على أنه ليس بشرع لنا، لأنه لو كان كذلك لم يقل: «يحب»، بل كان يتحتم الاتباع.

والحق أن لا دليل فى هذا على المسألة، لأن القائل به يقصره على ما ورد فى شرعنا أنه شرع لهم، لا ما يؤخذ عنهم هم، إذ لا وثوق بنقلهم، والذى جزم به القرطبى أنه كان يوافقهم لمصلحة التأليف محتمل، ويحتمل أيضًا- وهو أقرب - أن الحالة التى تدور بين الأمرين لا ثالث لهما، إذا لم ينزل على النبى ﷺ شرع كان يعمل فيه بموافقة أهل الكتاب لأنهم أصحاب شرع بخلاف عبدة الأوثان فإنهم ليسوا على شريعة، فلما أسلم المشركون، انحصرت المخالفة فى أهل الكتاب فأمر بمخالفتهم.

وقد جمعت المسائل التى وردت الأحاديث فيها بمخالفة أهل الكتاب فزادت على الثلاثين حكمًا، وقد أودعتها كتابى الذى سميته (القول الثبت فى الصوم يوم السبت) [للحافظ ابن حجر].

ويؤخذ من قول ابن عباس فى الحديث: «كان يحب موافقة أهل الكتاب»، وقوله: «ثم فرق» بعد نسخ حكم تلك الموافقة كما قررته ولله الحمد، ويؤخذ منه أنه شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد ناسخ. (فتح البارى): ١٠ /٤٤٣-٤٤٤، كتاب اللباس، شرح حديث الباب.

(٣) ما بين الحاصرتين من (خ) فقط وليس فى (ج)، ولعله سقط من الناسخ.

(٤) (الشمائل المحمدية): ٥١، باب ما جاء فى ترجل رسول الله ﷺ، حديث رقم (٣٣).

حتى كأن ثوبه ثوب زيات][1].

وللإمام أحمد[2] والدارقطني[3] من حديث زكريا بن عدى، أخبرنا عبيد الله بن عمرو عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن عروة عن عائشة، قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يحرم غسل رأسه بخطمى[4]، وأشنان[5]، ودهنه بزيت غير كثير.

---

(١) زيادة للسياق من (الشمائل)، وأخرجه البيهقي في (شعب الإيمان): ٥/٢٢٦، فصل في إكرام الشعر وتدهينه وإصلاحه، حديث رقم (٦٤٦٥)، وابن سعد في (الطبقات): ١/٤٨٤، ذكر مشط رسول الله ﷺ ومكحله ومرآته وقدحه، الشوكاني في (الفوائد المجموعة)، باب الخضاب والطيب وقص الظفر والشارب وتسريح الشعر والختان، حديث رقم (١٤)؛ وأخرجه العراقي في (تخريج أحاديث الإحياء): ٤/٣٥٧، وقال: أخرجه الترمذي من حديث أنس بسند ضعيف، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين): ١١/٦٩٤، كتاب الفقر والزهد، وأبو الشيخ في (أخلاق النبي): ١٧٣، وفي معناه أخرج الذهبي في (ميزان الاعتدال): ١/٤٨٨، في ترجمة الحسن بن دينار – وقيل: الحسن بن واصل رقم (١٨٤٣) ولفظه، عن قتادة عن أنس قال: ما رأيت أحداً أدوم قناعًا من رسول الله ﷺ، حتى كان ملحفته ملحفة زيات. ثم قال في آخره: هذا خبر منكر جداً، وبكر لا يُعرف. – يعني بكر ابن السميدع – أحد رواته، وذكره الشيخ الألباني في (سلسلة الأحاديث الصحيحة): ٢/٣٥١، حديث رقم (٧٢٠)، ثم بين أن إسناده ضعيف، وأخرجه الترمذي أيضًا في (الشمائل): ١١٤، باب (٢٠) ما جاء في تقنع رسول الله ﷺ، حديث رقم (١٢٧)، وهو في درجة الحديث السابق وبنفس تخريجه، والله تعالى أعلم.

(٢) (مسند أحمد): ٧/١١٥، حديث رقم (٢٣٩٦٩)، حديث رقم (٢٥٤٦٠) ولفظه: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يحرم ادهن بأطيب دهن يجده، حتى أني لأرى بصيص الدهن في شعره، ولقد كنت أفتل قلائد الهدى لرسول الله ﷺ ثم يبعث به فما يعتزل منا امرأة.

(٣) (سنن الدارقطني): ٢/٢٢٦، حديث رقم (٤١).

(٤) الخِطْميّ والخَطْميّ: ضرب من النبات يُغسل به. وفي الصحاح: يُغسل به الرأس؛ قال الأزهري: هو بفتح الخاء، ومن قال خِطميّ بكسر الخاء فقد لحن. وفي الحديث أنه ﷺ كان يغسل رأسه بالخَطميّ وهو جنب يجتزئ بذلك ولا يصب عليه الماء أي أنه ﷺ كان يكتفي بالماء الذي يغسل به الخَطْميّ، وينوى به غُسْل الجنابة، ولا يستعمل بعده ماء آخر يخصّ به الغُسل. (لسان العرب): ١٢/١٨٨.

(٥) شنَّ عليه الماء: صبّه مفرقًا. (أساس البلاغة): ٣٤٠.

ولابن حبَّان من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده قال: كان النبي ﷺ، يأخذ من طول لحيته وعرضها(١).

---

(١) (سنن الترمذي): ٥/٨٧، كتاب الأدب، باب (١٧)، ما جاء في الأخذ من اللحية، حديث رقم (٢٧٦٢)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب. وسمعت محمد بن إسماعيل يقول: عمر بن هارون مقارب الحديث لا أعرف له حديثًا ليس إسناده أصلاً. أو قال: ينفرد به إلا هذا الحديث: كان النبي ﷺ يأخذ من لحيته من عرضها وطولها، لا نعرفه إلا من حديث عمر بن هارون، ورأيته حسن الرأى في عمر.

قال أبو عيسى: وسمعت قتيبة يقول: عمر بن هارون كان صاحب حديث، وكان يقول: الإيمان قول وعمل. قال: سمعتُ قتيبة. حدثنا وكيع بن الجراح عن رجل عن ثور بن يزيد أن النبي ﷺ نصب المنجنيق على أهل الطائف. قال قتيبة: قلت لوكيع: من هذا؟ قال: صاحبكم عمر بن هارون. (المرجع السابق): ٨٧-٨٨، (كنز العمال): ٧/١٢٦، الزينة والتجمل، حديث رقم (١٨٣١٨)، وعزاه إلى المرجع السابق.

وقد أخرج البخاري في (الصحيح) في كتاب اللباس، باب (٦٤) تقليم الأظافر، حديث رقم (٥٨٩٢): حدثنا محمد بن منهال، حدثنا يزيد بن زُريع، حدثنا عمر بن محمد بن زيد، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: خالفوا المشركين ووفروا اللحى وأحفوا الشوارب. وكان ابن عمر إذا حج أو اعتمر قبض على لحيته، فما فضل أخذه.

وقد أخرج مالك في (الموطأ)، عن نافع بلفظ: كان ابن عمر إذا حلق رأسه في حج أو عمرة أخذ من لحيته وشاربه. وفي حديث الباب مقدار المأخوذ.

قوله: «فَضَل» بفتح الفاء والضاد المعجمة، ويجوز كسر الضاد كَعَلِمَ، والأشهر الفتح، قاله ابن التين. وقال الكرماني: لعل ابن عمر أراد الجمع بين الحلق والتقصير في النسك، فحلق رأسه كله وقصَّر من لحيته، ليدخل في عموم قوله تعالى: ﴿محلقين رءوسكم ومقصرين﴾ [الفتح:٢٧]، وخص ذلك من عموم قوله: «وفروا اللحى» فحمله على حالة غير حالة النسك.

قال الحافظ: الذي يظهر أن ابن عمر كان لا يخص هذا التخصيص بالنسك، بل كان يحمل الأمر على بالإعفاء على غير الحالة التي تتشوه فيها الصورة بإفراط طول شعر اللحية أو عرضه، فقد قال الطبري: ذهب قوم إلى ظاهر الحديث، فكرهوا تناول شئ من اللحية، من طولها ومن عرضها.

وقال قوم: إذا زاد عن القبضة يؤخذ الزائد، ثم ساق بسنده إلى ابن عمر أنه فعل ذلك، وإلى عمر أنه فعل ذلك برجل، ومن طريق أبي هريرة أنه فعله.

وأخرج أبو داود من حديث جابر بسند حسن قال: كنا نعفي السبال إلا في حج أو عمرة. وقوله: «نُعفّي» بضم أوله وتشديد الفاء. أي نتركه وافرًا، وهذا يؤيد ما نقل عن ابن عمر، فإن السِّبال =

= بكسر المهملة وتخفيف الموحدة، جمع سبلة، وهي ما طال ن شعر اللحية، فاشار جابر إلى أنهم يقصرون منها في النسك. ثم حكى الطبرى اختلافًا فيما يؤخذ من اللحية، هل له حد أم لا؟

فاسند عن جماعة الاقتصار على أخذ الذى يزيد منها على قدر الكف، وعن الحسن البصرى أنه يؤخذ من طولها وعرضها ما لم يفحش، وعن عطاء نحوه، قال: وحمل هؤلاء النهى على منع ما كانت الأعاجم تفعله من قصّها وتخفيفها.

قال: وكره آخرون التعرض لها إلا فى حج أو عمرة، وأسنده عن جماعة، واختار قول عطاء، وقال: إن الرجل لو ترك لحيته لا يتعرض لها حتى أفحش طولها وعرضها لعرَّض نفسه لمن يسخر به، واستدل بحديث عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده، أن النبى ﷺ كان يأخذ من لحيته من عرضها وطولها. وهذا أخرجه الترمذى، ونقل عن البخارى أنه قال فى رواية عمر بن هارون: لا أعلم له حديثًا منكرًا إلا هذا، وقد ضعَّف عمر بن هارون مطلقًا جماعة.

وقال عياض: يكره حلق اللحية، وقصها، وتحذيفها، وأما الأخذ من طولها وعرضها إذا عظمت فحسن، بل تكره الشهرة فى تعظيمها، كما يكره فى تقصيرها، كذا قال.

وتعقبه النووى بأنهت خلاف ظاهر الخبر فى الأمر بتوفيرها؛ قال: والمختار تركها على حالها، وأن لا يتعرض لها بتقصير أو غيره؛ وكان مراده بذلك فى غير النسك، لان الشافعى نصَّ على استحبابه فيه، وذكر النووى عن الغزالى – وهو فى ذلك تابع لأبى طالب المكى فى (القوت) – قال: يكره فى اللحية عشر خصال: خضبها بالسواد لغير الجهاد، وبغير السواد إيهامًا للصلاح لا لقصد الاتباع، وتبييضها استعجالاً للشيخوخة لقصد التعاظم على الأقران، ونتفها إبقاء للمرودة، وكذا تحذيفها ونتف الشيب.

ورجح النووى تحريمه لثبوت الزجر عنه، وتصفيفها طاقة طاقة تصنعًا ومخيلة، وكذا ترجيلها والتعرض لها طولاً وعرضًا على ما فيه من اختلاف، وتركها شعثة إيهامًا للزهد، والنظر إليها إعجابًا.

وزاد النووى: وعقدها، لحديث رويفع رفعه: من عقد لحيته فإن محمداً منه برئ، الحديث أخرجه أبو داود. قال الخطابى: المراد عقدها فى الحرب، وهو من زى الأعاجم، وقيل: المراد معالجة الشعر لينعقد، وذلك من فعل أهل التانيث.

وانكر ابن التين ظاهر ما نقل عن ابن عمر فقال: ليس المراد انه كان يقتصر على قدر القبضة من لحيته، بل كان يمسك عليها فيزيل ما شَذَّ منها، فيمسك من أسفل ذقنه بأصابعه الأربعة ملتصقة، فيأخذ ما سفل عن ذلك ليتساوى طول لحيته.

قال أبو شامة: وقد حدث قوم يحلقون لحاهم، وهو أشد مما نقل عن المجوس أنهم كانوا يقصونها.

وقال النووى: يستثنى من الأمر بإعفاء اللحى ما لو نبت للمرأة لحية فإنه يستحب لها حلقها، وكذا لو نبت لها شارب أو عنفقة. (فتح البارى): ١٠ /٤٢٩–٤٣٠.

الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يجز شاربه(١).

ومن حديث إبراهيم بن قدامة عن أبى قدامة، عن أبى عبد الله بن الأغر، أن رسول الله ﷺ كان يقص شاربه، ويأخذ من أظفاره قبل أن يروح إلى الجمعة(٢).

وقال إبراهيم الحربى: حدثنا عاصم بن علىّ، وعبيد بن إسحاق قالا: حدثنا كامل عن حبيب بن أبى ثابت، عن أم سلمة [رضى الله عنها] قالت: كان رسول الله ﷺ إذا اطلى، ولى عانته(٣).

وخرّجه عبد الباقى بن قانع، من حديث عاصم بن علىّ، حدثنا كامل بن العلاء، حدثنا حبيب بن أبى ثابت عن أم سلمة قالت:

---

(١) (أخلاق النبى): ٢٥٩، وأخرج البخارى فى كتاب اللباس، باب (٦٤) تقليم الأظافر، حديث رقم (٥٨٩٠): حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا إبراهيم بن سعد، حدثنا ابن شهاب عن سعيد بن المسيب، عن أبى هريرة رضى الله عنه، سمعت النبي ﷺ يقول: الفطرة خمس: الختان، والاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظافر، ونتف الآباط.

قوله: «وقص الشارب»، فى رواية الإسماعيلى: «وأخْذ الشارب»، وفى أخرى له: «وقص الشوارب»، قال: «وقال مرة الشارب»، قال الجيانى: وقع فى كلامهم أنه لعظم الشوارب وهو من الواحد الذى فرق، وسمى كل جزء منه باسمه، فقالوا لكل جانب منه شاربًا، ثم جُمع شوارب، وحكى ابن سيده عن بعضهم: من قال الشاربان أخطأ؛ وإنما الشاربان ما طال من ناحية السبلة.

قال: وبعضهم يسمى السبلة كلها شاربًا، ويؤيده أثر عمر الذى أخرجه مالك، أنه «كان إذا غضب فتل شاربه»، والذى يمكن فتلة من شعر الشارب السبال، وقد سماه شاربًا. (فتح البارى): ١٠/٤٢٨.

(٢) (أخلاق النبى): ٢٥٦، (مسند أحمد): ١/٤٩٥، حديث رقم (٢٧٣٣)، ولفظه: حدثنا عبد الله، حدثنى أبى، حدثنا يحيى بن أبى بكير، حدثنا حسن بن صالح، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يقص شاربه، وكان أبوكم إبراهيم من قبله يقص شاربه، راجع التعليق السابق، (طبقات ابن سعد): ١/٤٤٩، ذكر أخذ رسول الله ﷺ من شاربه، (كنز العمال): ٧/١٢٧، حديث رقم (١٨٣٢٢).

(٣) (طبقات ابن سعد): ١/٤٤٢، ذكر من قال: اطلى رسول الله ﷺ بالنورة، من ثلاث طرق أخر، (كنز العمال): ٧/١٢٦، حديث رقم (١٨٣١٥)، عن ابن سعد عن إبراهيم وعن حبيب بن أبى ثابت مرسلاً.

كان النبي ﷺ إذا تنوّر أطلى مغابنه(١) بيده(٢).

وحدثنا عبد الله بن عمر، حدثنا حماد بن زيد، عن أبي هاشم، عن حبيب بن أبي ثابت، عن النبي ﷺ أنه كان ينور ما أقبل منه، وينور أهله سائر جسده(٣).

وحدثنا موسى، حدثنا إبان عن هشام عن أبي معشر، أن النبي ﷺ نوّره بعضُ أهله، ونوَّر هو عورته(٣).

وحدّثنا عن عبيد الله، حدثنا عبد الواحد، حدثنا صالح بن صالح، [قال:] أخبرنا أبو معشر زياد بن كليب، [قال:] إن رجلاً نوَّر رسول الله ﷺ، فلما بلغ مراقَّة(٤)، كفَّ الرجل، ونورَّ رسول الله ﷺ نفسه..

---

(١) المغَابن: مفردها مَغْبن، وهو الإبط، وفي الحديث: كان ﷺ إذا اطلى بدأ بمغابنه، وهي بواطن الأفخاذ عند الحوالب، جمع مغبن، من غبن الثوب إذا ثناه وعطفه، وهي معاطف الجلد أيضاً.

وفي حديث عكرمة من مسَّ مغابنه فليتوضأ، أمره بذلك استظهاراً واحتياطًا، فإن الغالب على من يلمس ذلك الموضع أن تقع يده على ذكره، وقيل: المغابن الأرقاع والآباط، واحدها مغبن. وقال ثعلب: كل ما ثنيت عليه فخذك فهو مغبن (لسان العرب): ١٣/ ٣١٠.

(٢) (طبقات ابن سعد): ١/ ٤٤٢ - ذكر من قال: اطَّلى رسول الله ﷺ بالنورة، (السنن الكبرى للبيهقي): ١/ ١٥٢ عن أم سلمة، ثم ذكره من طرق أُخَر، بسياقات مختلفة، منها: «كان يتنور ويلي عانته بيده»، «كان إذا تنور ولي عانته بيده»، «كان يدخل الحمام ويتنوّر».

قال في (اللسان): النورةُ: من الحجر الذي يحرق ويُسوَّى منه الكِلْسُ ويحلق به شعر العانة. قال أبو العباس: انتور الرجل وانتار من النورة، قال ابن سيده: وقد انتار الرجل وتَنَوَّر تطلّى بالنورة. (لسان العرب): ٥/ ٣٤٤.

(٣) راجع التعليق السابق، والتعليق التالي.

(٤) مراقُّ البطن: أسفله وما حوله، مما استرقَّ منه، ولا واحد لها. (التهذيب): والمراقُّ ما سفل من البطن عند الصِّفاق أسفل من السرة. وفي حديث عائشة رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يغتسل من الجنابة بدأ بيمينه فغسلها، ثم غسل مراقَّه بشماله، ويفيض عليها بيمينه، فإذا أنقاها أهوى بيده إلى الحائط فَدَلَّكها، ثم أفاض عليها الماء؛ أراد بمراقّه ما سفل من بطنه ومذاكيره، والمواضع التي ترق جلودها كنى عن جميعها بالمراق، وهو جمع المرق؛ قال الهروي: واحدها مرقّ، وقال الجوهري: لا واحد لها. وفي الحديث أنه ﷺ اطلى حتى إذا بلغ المراقّ ولي هو ذلك بنفسه (لسان العرب): ١٠/ ١٢٢.

[ولابن قانع من حديث إبراهيم بن المنذر قال: حدثنا معن بن عيسى عمن حدثه عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد عن ابن عباس [رضى الله عنهما] قال: اطّلا رسول الله ﷺ، فستر عورته بثوب، وطلا الرجل سائر جسده، فلما فرغ قال له النبى ﷺ: أخرج عنى، ثم طلى النبى ﷺ عورته بيده](١).

ولابن حيان من حديث على بن الحسن بن شقيق، عن أبى حمزة، عن مسلم الملائى، عن أنس بن مالك رضى الله عنه، أن النبى ﷺ كان لا ينور، فإذا كثر شعره حلقه(٢).

[ويتحمل قول أنس أن عادته ﷺ كانت الحلق، وأن ذلك كان الأكثر من أحواله] ﷺ(١).

---

(١) ما بين الحاصرتين سقط من النسخة (ج). قال الحافظ البيهقى: روى أبو داود فى (المراسيل)، عن أبى كامل الجحدىّ، عن عبد الواحد، عن صالح بن صالح، عن أبى معشر، أن رجلاً نوّر رسول الله ﷺ، فلما بلغ العانة كفَّ الرجل ونوّر رسول الله ﷺ نفسه (السنن الكبرى): ١/ ١٥٢، باب ما جاء فى التنور.

(٢) قال الحافظ البيهقى: أخبرنا أبو نصر بن قتادة، حدثنا أبو على الرفاء، حدثنا أبو العباس أحمد بن عبد الله الطائى ببغداد، حدثنا أبو عمار الحسن بن حارث المروزى، حدثنا على بن الحسن بن شقيق، عن أبى حمزة السكرى، عن مسلم الملائى، عن أنس قال: كان النبى ﷺ لا يتنور، فإذا كثر شعره حلقه. ثم قال الحافظ البيهقى: مسلم الملائى ضعيف فى الحديث، فإن كان حفظه فيحتمل أن يكون قتادة أخذ أيضا عن أنس، والله تعالى أعلم. (المرجع السابق).

وقد روى فى ذلك عن ابن عمر أخبرناه يحى بن إبراهيم بن محمد بن يحى، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا بحر بن نصر، حدثنا ابن وهب، أخبرنى أسامة بن زيد الليثى عن نافع، أن عبد الله بن عمر كان يطلى، فيأمرنى أطليه حتى إذا بلغ سفلته وليها هُوَ.

وبهذا الإسناد قال: حدثنا ابن وهب قال: حدثنى عن الله بن عمر عن نافع، أن ابن عمر كان لا يدخل الحمام، وكان يتنور فى البيت، ويلبس إزاراً، ويأمرنى أطلى ما ظهر منه، ثم يأمرنى أن أؤخر عنه، فيلى فرجه. (المرجع السابق).

فصل فى ذكر مرآة النبى ﷺ ومكحلته

ذكر العقيلى فى كتاب الضعفاء، أن اسم مرآة رسول الله ﷺ: المدله(١)، وقال ابن درستويه مِرْآة ومِرَاة على تخفيف الهمزة، والجمع مَرَايا.

[و] قال الحارث بن مسلم عن الزهرى، عن أنس [رضى الله عنه] قال: كان رسول الله ﷺ إذا نظر وجهه فى المرآة قال: الحمد لله الذى سوّى خَلْقى فعدّله، وكرّم صورة وجهى وحسَّنَها، وجعلنى من المسلمين(٢).

وقال صفوان بن سليم، عن عطاء بن يسار، عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: كان رسول الله ﷺ إذا نظر فى المرآة قال: الحمد لله الذى حسَّن خَلْقى وخُلُقى، وزان منى ما شان من غيرى(٣).

ولابن حيَّان من حديث أبى هلال، عن هشام عن أبيه، عن عائشة رضى

---

(١) (إتحاف السادة المتقين): ٨/ ٢٦١، وقال ابن الجوزى: هذا حديث موضوع، وفيه آفات، منها: عبد الملك وهو العرزمى، وقد تركه شعبة، ومنها: على بن عروة. قال يحى: ليس بشىء، وقال أبو حاتم الرازى: متروك الحديث، وقال ابن حبان: يضع الحديث، ومنها: عمر بن عبد الرحمن، وقد قدحوا فيه. (الموضوعات): ١/ ٢٩٣، باب أسماء مراكبه وسلاحه ﷺ. وقد قدحوا فيه. (الموضوعات): ١/ ٢٩٣، باب أسماء مراكبه وسلاحه ﷺ، وفى (الإتحاف): «على بن عذرة الدمشقى» بدلاً من «على بن عروة».

(٢) (مجمع الزوائد): ١٠/ ١٣٨، ١٣٩، (أخلاق النبى): ١٧٢، (الأذكار للنووى): ٢٧٠، (كنز العمال): ٦/ ٦٩٣ باب النظر فى المرآة، حديث رقم (١٧٤٤٢) وعزاه إلى ابن السنى والديلمى، ٧/ ١٢٤، باب الزينة والتجمل، حديث رقم (١٨٣٠٠)، وعزاه إلى ابن السنى عن أنس.

(٣) (كنز العمال) ٧/ ١٢٤، باب الزينة والتجمل، حديث رقم (١٨٣٠١) وتمامه: وإذا اكتحل جعل فى كل عين اثنتين وواحدة بينهما، وكان إذا لبس نعله بدأ باليمين، وإذا خلع خلع اليسرى، وكان إذا دخل المسجد أدخل رجله اليمنى، وكان يحب التيمن فى كل شىء أخذا وإعطاء. وعزاه إلى أبى يعلى والطبرانى عن ابن عباس.

الله عنهـا قـالـت: كـان رســول الله ﷺ إذا نظر فى المرآة قـال: اللـهـم كـمـا حسنت خَلْقى فحَسّن خُلُقى(١).

ومن حديث إبراهيم بن أبى عبلة قال: سمعت أبا الدرداء قال: سمعتُ عائشة رضى الله عنها: كنتُ أزود رسول الله ﷺفى مغزاه: دُهنا، ومشطًا، ومرآة، ومقصين، ومكحلة وسواكًا(٢).

وقال حسين بن علوان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت: سبع لم يكن رسول الله ﷺ يتركهن فى سفر ولا حضر: القارورة، والمشط، والمرآه، والمكحلة، والسواك، والمقصّ، والمدْرَى. قلت لهشام: المدرى ما باله؟ قال: حدثنى أبى عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان له وفرة إلى شحمة أذنه، وكان [ﷺ] يحركها بالمدرى(٣).

---

(١) (المقاصد الحسنة): ١/ ١٨٩، وقال: رواه الإمام احمد عن ابى مسعود، والمشهور على الألسنة: اللهم حسّن خُلُقى كما حسنت خَلْقى، يقوله الناس عند النظر إلى المرآة، حديث رقم (٥٦٦)، (كنز العمال): ٣/ ١٢، حديث رقم (٥١٩٧)، وعزاه إلى الإمام احمد عن ابن مسعود، (مسند الإمام احمد): ١/ ٦٦٥، حديث رقم (٣٨١٣)، (طبقات ابن سعد): ١/ ٣٧٧، ذكر حسن خُلُقه وعشرته ﷺ، (اخلاق النبى): ١٧١.

(٢) راجع التعليق التالى.

(٣) (شعب الإيمان): ٥/ ٢٣٣، باب فى الملابس والأوانى، فصل فى دفن الشعر والظفر والدم، حديث رقم (٦٤٩٠): اخبرنا ابو محمد بن يوسف الأصبهانى، انبأنا ابو بكر احمد بن سعيد الأخميمى بمكة، حدثنا محمد بن عمرو بن خالد، حدثنا ابى، حدثنا محمد بن سلمة، عن ابن أرقم، عن الزهرى، عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضى الله عنه قالت: كان لا يفارق مسجد رسول الله ﷺ سواكه، ومشطه، وكان ينظر فى المرآة احيانًا ويامر به. قال الشيخ. سليمان بن أرقم ضعيف.

وحديث رقم (٦٤٩١): اخبرنا ابو محمد جناح بن نذير بن جناح بالكوفة، حدثنا ابو القاسم عبد الرحمن بن الحسن الهمدانى، حدثنا ابو إسحاق إبراهيم بن هاشم، حدثنا سليمان بن داود الشاذاكونى، حدثنا أيوب بن واقد، حدثنا هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة رضى الله عنه قالت: خمس لم يفارقهن رسول الله ﷺ فى حضر ولا سفر: المشط، والمكحلة، والمرآة، والسواك، والمدرى. =

. . . .

= وحديث رقم (٦٤٩٢): أخبرنا أبو سعيد المالينى –أو أبو عبد الله المازنى– قال: قال أبو أحمد ابن عدى الحافظ: وهذا الحديث لم يحدث به عن هشام بن عروة إلا ضعيف.

وحديث رقم (٦٤٩٣): أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أنبأنا إسماعيل بن محمد الصفار، حدثنا محمد بن إسحاق الصاغانى، حدثنا يعلى بن عبيد، حدثنا محمد بن عون، عن ابن سيرين قال: كان عمر يكثر النظر فى المرآة، وتكون معه فى الأسفار، قلت: ولم؟ قال: أنظر، فما كان فى وجهى من زين هو فى وجه غيرى شين أحمد الله عليه. ومحمد بن عون هذا غير قوى.

وقال ابن عدى فى (الكامل): حدثنا عبد الله بن محمد بن ناجية، حدثنا محمود بن خداش قال: حدثنا يعقوب بن الوليد الأزدى، حدثنا هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة رضى الله عنها، قالت: سبع لم يفتن رسول الله ﷺ فى سفر ولا حضر، القاروه، والمشط، والمكحلة، والمقراضان، والسواك، والمرآة. (الكامل فى ضعفاء الرجال): ٧/ ١٤٧، ترجمة يعقوب بن الوليد بن أبى هلال الأزدى، رقم (٤/ ٢٠٥٧)، ضعفوه، وقال بعضهم: متروك قال عنه عبد الله بن أحمد عن أبيه: حرقنا حديثه منذ دهر، كان من الكذابين الكبار، وكان يضع الحديث، وقال الدورى عن ابن معين: لم يكن بشىء، وقال فى موضع آخر: ليس بثقة، وقال عمرو بن على: ضعيف الحديث جداً، وقال الجوزجانى: غير ثقة، ولا مأمون، وقال أبو زرعة: غير ثقة.

وقال النسائى: ليس بشىء متروك الحديث، وقال مرة: ليس بثقة ولا يكتب حديثه، وقال الدارقطنى ضعيف، وقال ابن عدىّ: هو بيّن الأمر فى الضعفاء. له ترجمة فى (تهذيب التهذيب): ١١/ ٣٤٩، ترجمة رقم (٦٦٦)، (ميزان الاعتدال): ٤/ ٤٥٥، ترجمة رقم (٩٨٢٩).

وقال ابن عدى فى (الكامل): حدثنا يوسف بن عاصم الرازى حدثنا سليمان الشاذكونى، حدثنا أيوب بن واقد –وكان من أهل الكوفة ونزل البصرة– عن هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة قالت: خمس لم يكن رسول الله ﷺ يدعهن فى سفر ولا حضر: المرآة والمكحلة، والمشط، والمدرى، والسواك، قال الشيخ: هذا الحديث لم يحدث به من هشام بن عروة إلا ضعيف. (الكامل فى ضعفاء الرجال): ١/ ٣٥٦، ترجمة أيوب بن واقد رقم (١٨٥/ ١٨٥)، قال عبد الله بن أحمد، عن أبيه: ضعيف الحديث، وقال الدورى وابن الجنيد عن ابن معين: ليس بثقة، وقال البخارى: حديثه ليس بالمعروف، منكر الحديث، وقال ابن عدى: عامة ما يرويه لا يتابع عليه، وقال الترمذى بعد سياقه حديثه: من نزل على قوم فلا يصومنّ تطوعًا إلا بإذنهم: هذا حديث منكر، لا نعرف أحداً من الثقات رواه عن هشام بن عروة، وليس له عند الترمذى غيره. =

. . . .

= قال الحافظ ابن حجر: وقال الدارقطني متروك الحديث، وقال ابن حبان: يروى المناكير عن المشاهير، حتى يسبق إلى القلب، كأنه كان يتعمدها، لا يجوز الاحتجاج بخبره، ونقل ابن الجوزى عن أبى حاتم والنسائى: ضعيف. (تهذيب التهذيب): ١ / ٣٦٣، ترجمة رقم (٦٧٣).

قال الشوكانى: وكذا حديث: كان لا يفارقه المشط لا فى سفر ولا فى حضر، ضعيف كما قال السخاوى. (الفوائد المجموعة): ١٩٨، باب الخضاب، والطيب، وقص الظافر، والشارب، وتسريح الشعر والختان، حديث رقم (١٥).

قال ابن أبى حاتم: سألت أبى عن حديث رواه يعقوب بن الوليد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت: سبع لمن يَفُتْنَ رسول الله ﷺ فى سفر ولا حضر: القارورة، والمرآة، والمكحلة، والمقراضان، والمدراة، والمشط، والسواك. قال أبى: هذا حديث موضوع، ويعقوب بن الوليد كان يكذب. (علل الحديث): ٢ / ٣٠٤، حديث رقم (٢٤٢٣).

قال ابن الجوزى فى (العلل) ٢ / ٦٨٨، حديث فى استصحاب آلات الزينة رقم (١١٤٥)، من حديث حسين بن علوان، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضى الله عنها، قالت: سبع لم يكن رسول الله ﷺ يتركهن فى سفر ولا حضر... وحديث رقم (١١٤٦)، من حديث أيوب بن واقد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضى الله عنها، قالت: خمس لم يكن رسول الله ﷺ يدعهن فى سفر ولا حضر... وحديث رقم (١١٤٧)، من حديث يعقوب بن الوليد الأزدى قال: حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضى الله عنها، قالت: سبع لم يفتن رسول الله ﷺ فى سفر ولا حضر.......

قال ابن الجوزى: هذا حديث لا يصح، أما الطريق الأول: ففيه حسين بن علوان، قال أحمد ويحى: هو كذاب، وقال ابن عدى وابن حبان: كان يضع الحديث.

وأما الطريق الثانى: ففيه أيوب بن واقد، قال يحى: ليس بثقة، وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج بروايته، وفيه سليمان الشاذكونى، قال يحى: كان كذابًا ويضع الحديث. وقال البخارى: هو عندى أضعف من كل ضعيف.

وأما الطريق الثالث: ففيه يعقوب بن الوليد، قال أحمد: كان من الكذابين الكبار، يضع الحديث. وقال يحى: لم يكن بشىء كذاب، وقال الرازى والنسائى: متروك الحديث. وقال ابن حبان: يضع الحديث على الثقات (العلل المتناهية): ٢ / ٦٨٨ - ٦٨٩، حديث فى استصحاب آلات الزينة، رقم (١١٤٥))، (١١٤٦)، (١١٤٧).

وللترمذى فى (الشمائل)، من حديث عباد بن منصور، عن عكرمة، عن ابن عباس [رضى الله عنه]، أن النبى ﷺ قال: اكتحلوا بالإثمد[1]، فإنه يجلو البصر[2]، ويثبت الشعر، وزعم أن النبى ﷺ كانت له مكحلة يكتحل منها كل ليلة: ثلاثة فى هذه، وثلاثة فى هذه[3].

---

(١) الإثمد: حجر يتخذ منه الكحل، وقيل: ضرب من الكحل.

(٢) يجلو البصر: اى يكشف ويظهر، والمعنى: يقوى وينظف العين.

(٣) (الشمائل المحمدية): ٦٣، باب (٧)، ما جاء فى كحل رسول الله ﷺ، حديث رقم (٥٠)، وأخرجه الترمذى أيضًا فى (السنن): ٤ / ٢٠٦، كتاب اللباس، باب (٢٣) ما جاء فى الاكتحال، حديث رقم (١٧٥٧)، قال ابو عيسى: حديث ابن عباس حديث حسن غريب لا نعرفه على هذا اللفظ إلا من حديث عباد بن منصور. حدثنا على بن حجّر ومحمد بن يحى قالا: حدثنا يزيد بن هارون، عن عباد بن منصور نحوه، وقد روى من غير وجه عن النبى ﷺ أنه قال: عليكم بالإثمد فإنه يجلو البصر وينبت الشعر، وفى كتاب الطب، باب (٩) ما جاء فى السُّعوط وغيره، حديث رقم (٢٠٤٨)، قال ابو عيسى: هذا حديث حسن غريب، وهو حديث عباد بن منصور، والسُّعوط: كل ما يوضع فى الأنف من الدواء.

وأخرجه ابن ماجة فى (السنن): ٢ / ١١٥٦، كتاب الطب، باب (٢٥) الكحل بالإثمد، حديث رقم (٣٤٩٥)، (٣٤٩٦)، وفى باب (٢٦) من اكتحل وترا، حديث رقم (٣٤٩٨)، (٣٤٩٩).

وأخرجه الإمام أحمد فى (المسند): ١ / ٥٨٣، حديث رقم (٣٣٠٨)، وابن سعد فى (الطبقات): ١ / ٤٨٤، ذكر مشط رسول الله ﷺ ومكحلته ومرآته وقدحه، وابو الشيخ فى (أخلاق النبى): ١٧٠، والحاكم فى (المستدرك): ٤ / ٤٥٢، حديث رقم (٨٢٤٨) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): صحيح، حديث رقم (٨٢٤٩) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وعباد لم يتكلم فيه بحجة، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): ولا هو بحجة.

وأخرجه الحافظ أبو نعيم فى (حلية الأولياء): ٣ / ٣٤٣ فى ترجمة عكرمة مولى ابن عباس رقم (٢٤٥)، (كنز العمال): ٧ / ١٢٥، حديث رقم (١٨٣٠٥) وعزاه للترمذى عن ابن عباس.

وأخرجه ابن عدى فى (الكامل): ٢ / ٣٢، فى ترجمة بكر بن بكار القيسى أبو عمر البصرى رقم (٢٩ / ٢٧٢) وقال: وهذا الحديث يرويه عن عباد بكر بن بكار، ويرويه أيضا الحسن بن عطية عن إسرائيل عن عباد بن منصور، ٣ / ٤٣٣ - ٤٣٤، فى ترجمة سيف بن محمد ابن أخت سفيان الثورى رقم (١٨٨ / ٨٥٠)، وقال: قال الشيخ: وبهذا الإسناد حدثناه عبد الله بن محمد بغير حديث، إلا أن هذا الحديث من بين الأحاديث التى حدثناه بها، هذا أنكرها. =

وله من رواية قال: كان النبى ﷺ يكتحل قبل أن ينام بالإثمد [ثلاثا](١) فى كل عين. وقال يزيد بن هارون فى حديثه -يعنى عن عباد- إن النبى [ﷺ] كانت له مكحلة يكتحل [منها](١) عند النوم ثلاثًا فى كل عين(٢).

= وعباد بن منصور الباجى -أو الناجى- أبو سلمة البصرى القاضى، روى عن عكرمة، وعطاء وأبى رجاء العطاردى، والحسن بن أيوب وهشام بن عروة وغيرهم، وروى عنه إسرائيل وحماد بن سلمة، وريحان بن سعيد، وزياد بن الربيع، وابن أخته عرعرة بن البرند، ويحى القطان وابن وهب وروح بن عبادة والنضر بن شميل ويزيد بن هارون وغيرهم.

قال على بن المدينى: قلت ليحى بن سعيد: عباد بن منصور كان قد تغير؟ قال: لا ادرى، إلا انا حين رأيناه نحن كان لا يحفظ، ولم أرَ يحيى يرضاه.

وقال احمد بن محمد بن يحى بن سعيد: قال جدى: عباد ثقة لا ينبغى ان يترك حديثه لرأى أخطأ فيه، يعنى القدر.

وقال الدورى عن ابن معين: ليس بشىء، وكان يرمى بالقدر. وقال أبو زرعة لين، وقال أبو حاتم: كان ضعيف الحديث يكتب حديثه.

وقال على بن المدينى: سمعت يحى بن سعيد، قلت لعباد بن منصور: سمعت حديث ما مررت بملأ من الملائكة، وأن النبى ﷺ كان يكتحل ثلاثا، يعنى عن عكرمة، فقال: حدثهن ابن أبى يحى عن داود عن عكرمة.

وقال عباس الدورى عن يحى بن معين: حديثه ليس بالقوى، ولكنه يكتب، وقال الدارقطنى: ليس بالقوى.

وقال ابن أبى شيبة عن أيوب وعكرمة: وكان ينسب إلى القدر، روى أحاديث مناكير، وقال ابن سعيد: هو ضعيف عندهم، وله أحاديث منكرة.

وقال الجوزجانى: كان يرمى برأيهم، وكان سيء الحفظ، وتغيَّر أخيرا. وقال رسته عن يحى بن سعيد: مات عباد وهو على بطن امرأته، وقال ابن قانع: مات سنة اثنتين وخمسين ومائة.

قال الحافظ ابن حجر: وفيها أرخه أبو موسى العنزى، وزكرياء الساجى وابن حبان وقال: كان قدريًا داعية إلى القدر، وكلما روى عن عكرمة سمعه من إبراهيم بن يحى بن أبى يحى، عن داود بن الحصين عنه، فَدَلَّسَها عن عكرمة، (تهذيب التهذيب): ٥/ ٩٠ - ٩١، ترجمة رقم (١٧٢).

(١) زيادة للسياق من (الشمائل).

(٢) راجع التعليق على الحديث السابق.

فصل فى محبة النبى ﷺ للطِّيب وتطيّبه

خرّج الإمام أحمد من حديث [السلام] أبى المنذر، عن ثابت عن أنس، أن النبى ﷺ قال: حُبب إلى النساء، والطيب، وجعلت قرة عينى فى الصلاة(١).

وخرّجه الحاكم من حديث سيّار بن حاتم، حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس [رضى الله عنه]، إلا أنه قال: وجعل(٢) قرة عينى، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرّجاه(٣).

وخرّجه النسائى ولفظه: قال رسول الله ﷺ: حُبِّب إلىّ من الدنيا(٤) النساء والطيب، وجعل قرة عينى فى الصلاة(٥).

---

(١) (مسند أحمد): ٣/ ٥٨١، حديث رقم (١١١٨٨٤)، (١١٨٨٥)، ٤/ ٥٤ - ٥٥، حديث رقم (١٢٦٤٤)، ٤/ ٢٠١، حديث رقم (١٣٦٢٣).

(٢) كذا فى (خ)، (ج)، وفى المستدرك: «وجعلت».

(٣) (المستدرك): ٢/ ١٧٤، حديث رقم (٢٦٧٦)، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): على شرط مسلم.

(٤) قال العلامة ابن القيم: صحَّ عنه ﷺ من حديث أنس رضى الله عنه ﷺ قال: حُبِّب إلىّ من دنياكم: النساء، والطيب، وجعلت قرة عينى فى الصلاة. هذا لفظ الحديث، ومن رواه: حُبِّب إلىَّ من دنياكم ثلاث، فقد وهم، ولم يقل ﷺ: ثلاث، والصلاة ليست من أمور الدنيا التى تضاف إليها، وكان النساء والطيب أحب شىء إليه ﷺ. (زاد المعاد): ١/ ١٥٠، فصل فى هديه ﷺ فى النكاح ومعاشرته أهله، ٤/ ٢٥٠، فصل وأما الجماع والباه، ٤/ ٣٣٦، حرف الطاء من فصل فى ذكر شىء من الأدوية والأغذية المفردة التى جاءت على لسانه ﷺ.

(٥) (سنن النسائى): ٧/ ٧٢، كتاب عشرة النساء، باب (١) حب النساء، حديث رقم (٣٩٤٩)، (٣٩٥٠).

قال الحافظ السيوطى: قال بعضهم: فى هذا قولان: =

. . . .

= **أحدهما**: أنه زيادة فى الابتلاء والتكليف، حتى يلهو بما حبب إليه من النساء عما كلف من أداء الرسالة، فيكون ذلك أكثر لمشاقه، وأعظم لأجره.

والثانى: لتكون خلواته مع ما يشاهدها من نسائه، فيزول عنه ما يرميه به المشركون من أنه ساحر أو شاعر، فيكون تحبيبهن إليه على وجه اللطف به، وعلى القول الأول على وجه الابتلاء، وعلى القولين فهو له فضيلة.

وقال التسترى فى (شرح الأربعين): مِنْ فى هذا الحديث بمعنى: فى، لأن هذه من الدين لا من الدنيا، وإن كانت فيها، والإضافة فى رواية دنياكم للإيذان بأن لا علاقة له بها.

وفى هذا الحديث إشارة إلى وفائه ﷺ، بأصلى الدين، وهما التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله، وهو كمالا قُوَّتيْه النظرية والعملية، فإن كمال الأولى بمعرفة الله والتعظيم دليل عليها، لأنه لا يتحقق بدونها، والصلاة لكونها مناجاة الله تعالى، على ما قال ﷺ: المصلى يناجى ربه، نتيجة التعظيم على ما يلوح من أركانها ووظائفها.

وكمال الثانية فى الشفقة وحسن المعاملة مع الخَلْق، وأولى الخَلقْ بالشفقة بالنسبة إلى كل واحد من الناس نفسه وبدنه، كما قال ﷺ: إبدأ بنفسك ثم بمن تعول، والطيب أخصّ الذات بالنفس ومباشرة النساء ألذّ الأشياء بالنسبة إلى البدن، مع ما يتضمن من حفظ الصحة وبقاء النسل المستمر لنظام الوجود.

ثم إن معاملة النساء أصعب من معاملة الرجال، لأنهن أرق دينًا وأضعف عقلاً، وأضيق خُلقًا، كما قال ﷺ: ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للبّ الرجل الحازم من إحداكن.

فهو عليه السلام أحسن معاملتهن بحيث عوتب بقوله تعالى: ﴿ **تبتغى مرضاة أزواجك** ﴾، وكان صدور ذلك منه طبعًا لا تكلفًا، كما يفعل الرجل ما يحبه من الأفعال.

فإذا كانت معاملته ﷺ معهن هذا، فما ظنك بمعاملته مع الرجال، الذين هم أكمل عقلاً، وأمثل دينًا، وأحسن خُلقًا.

وقوله: وجعلت قرة عينى فى الصلاة، إشارة إلى أن كمال القوة النظرية أهم عنده وأشرف فى نفس الأمر، وأما تأخيره فللتدرج التعليمى من الأدنى إلى الأعلى، وقدم الطيب على النساء لتقدم حظ النفس على حظ البدن فى الشرف.

وقال الحكيم الترمذى فى (نوادر الأصول): الأنبياء زيدوا فى النكاح لفضل نبوتهم، وذلك أن النور إذا امتلأ من الصدر ففاض فى العروق التذت النفس والعروق فأثار الشهوة وقوَّاها.

وروى عن سعيد بن المسيب أن النبيين عليهم الصلاة والسلام يفضلون بالجماع على الناس.
وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: أعطيت قوة أربعين رجلاً فى البطش والنكاح، وأعطى المؤمن قوَّة =

. . . .

= عشرة، فهو ﷺ بالنبوة، والمؤمن بإيمانه، والكافر له شهوة الطبيعة فقط.

قال: وأما الطيب فإنه يزكى الفؤاد، وأصل الطيب إنما خرج من الجنة، تزوج آدم منها بورقة تستر بها، فتركت عليه.

وروى أحمد والترمذى، من حديث أبى أيوب قال: قال رسول الله ﷺ: أربع من سنن المرسلين: التعطر، والحياء، والنكاح، والسواك.

وقال الشيخ تقى الدين السبكى: السرُّ فى إباحة نكاح أكثر من أربع لرسول الله ﷺ، أن الله تعالى أراد نقل بواطن الشريعة وظواهرها، وما يُستحيا من ذكره وما لا يستحيا منه، وكان رسول الله ﷺ أشدّ الناس حياءً، فجعل الله تعالى له نسوة ينقلن ما يرينه من أفعاله، ويسمعنه من أقواله، التى قد يستحى من الإفصاح بها بحضرة الرجال، ليكتمل نقل الشريعة، وكثر عدد النساء ليكثر الناقلون لهذا النوع، ومنهن عُرف مسائل الغسل والحيض والعدة ونحوها.

قال: ولم يكن ذلك لشهوة منه فى النكاح، ولا كان يحب الوطء للذه البشرية -معاذ الله- وإنما حبب إليه النساء لنقلهن عنه ما يستحى هو من الإمعان فى التلفظ به، فأحبهن لما فيه من الإعانة على نقل الشريعة فى هذه الأبواب.

وأيضًا فقد نقلن ما لم ينقله غيرهن مما رأينه فى منامه وحالة خلوته من الآيات البينات على نبوته، ومن جده واجتهاده فى العبادة، ومن أمور يشهد كل ذى لب أنها لا تكون إلا لنبى، وما كان يشاهدها غيرهن، فحصل بذلك خير عظيم.

وقال الموفق عبد اللطيف البغدادى: لما كانت الصلاة جامعة لفضائل الدنيا والآخرة، خصها بزيادة صفة، وقدم الطيب لإصلاحه النفس، وثنى بالنساء لإماطة أذى النفس بهن، وثلث بالصلاة لأنها تحصل حينئذ. صافية عن الشوائب، خالصة عن الشواغل. (شرح الحافظ السيوطى على سنن النسائى): ٧/ ٧٢ - ٧٣، كتاب عشرة النساء، باب (١) حب النساء، حديث رقم (٣٩٤٩).

وأخرجه ابن عدى فى (الكامل): ٣/ ٣٠٥)، فى ترجمة سلاّم بن أبى الصهباء رقم (٣٦/ ٧٦٨)، ضعَّفه ابن حجر وقال الذهبى: الأولى أنه صدوق.

وأخرجه العقيلى فى (الضعفاء الكبير) ٢/ ٦٠، ترجمة سلام بن سليمان أبو المنذر القارى رقم (٦٦٦)، قال أبو حاتم: صدوق، وقال ابن معين لا باسى به.

قال العلامة نور الدين على بن محمد بن سلطان المشهور بالملاّ على القارىء فى (الأسرار المرفوعة): ١٧٦، حديث رقم (١٩٠): حبب إلىَّ من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء، وجُعلت قرة عينى فى الصلاة، قال الزركشى: رواه النسائى والحاكم من حديث أنس بدون لفظ «ثلاث».

وقال السخاوى: لم أقف على لفظ «ثلاث» إلا فى موضعين من الإحياء وفى تفسير آل عمران =

وخرّجه قاسم بن أصبغ، ومحمد بن أيمن، ولأحمد من حديث إسرائيل، عن أبى إسحاق، عن رجل حدثه عن عائشة [رضى الله عنها] قالت: كان رسول الله ﷺ يعجبه من الدنيا ثلاثة: الطعام، والنساء، والطيب، فأصاب ثنتين ولم يُصب واحدة، أصاب النساء والطيب، ولم

= من الكشاف، وما رايتهما فى شىء من طرق هذا الحديث، بعد مزيد التفتيش. أما صحته من جهة المبنى، فقد قال السيوطى فى (تخريج أحاديث الشفاء): لكن عند أحمد من حديث عائشة: كان يُعجب نبى الله ﷺ من الدنيا ثلاثة أشياء: النساء والطيب والطعام، فاصاب اثنتين، ولم يُصب واحدة، أصاب النساء والطيب ولم يُصيب الطعام. قال: إسناده صحيح. إلا أن فيه رجلاً لم يُسمّ. قلت: فيصير إسناده حسنًا، واما صحته من جهة المعنى، فلوقوع قرة عينه فى الدنيا جعل كأنه منها، ويؤيد ما جاء فى رواية: « الطيب والنساء وقرة عينى فى الصلاة » وهل المقصود بالصلاة: العبادة الموضوعة لسائر الأنام أو الصلاة عليه ﷺ؟ ثم قال محققه: بل يصير إسناده ضعيفًا، كما تقتضى بذلك قواعد علم المصطلح. (الأسرار المرفوعة): ١٧٦، حديث رقم (١٦٠)، (المقاصد الحسنة): ٢٩٢ – ٢٩٣، حديث رقم (٣٨٠).

قال الحافظ ابن حجر: أخرجه النسائى من طريق سيار بن حاتم عن جعفر بن سليمان، ومن طريق سلام بن مسكين، كلاهما عن ثابت عن أنس، ومن طريق سيار. رواه أحمد فى (الزهد)، والحاكم فى (المستدرك)، ومن طريق سلام أخرجه أحمد وابن أبى شيبة، وابن سعد، والبزار، وأبو يعلى، وابن عدى فى (الكامل) وأعله به، والعقيلى فى (الضعفاء) كذلك.

وقال الدارقطنى فى علله: رواه أبو المنذر سلام، وسلام بن أبى الصهباء، وجعفر بن سليمان، فرووه عن ثابت عن انس، وخالفهم حماد بن زيد عن ثابت مرسلاً.. وكذا رواه محمد بن ثابت البصرى، والمرسل اشبه بالصواب.

وقد رواه عبد الله بن أحمد فى (زيادات الزهد) عن غير أبيه من طريق يوسف بن عطية، عن ثابت مرسلاً، ويوسف ضعيف.

وله طريق أخرى معلولة عند الطبرانى فى الأوسط، عن محمد بن عبد الله الحضرمى، عن يحى ابن عثمان الحربى، عن الهقل بن زياد، عن الأوزاعى عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة، عن أنس مثله.

قال الحافظ ابن حجر: ليس فى شىء من طرقه لفظ: « ثلاث » بل أوله عند الجميع: « حبب إلىّ من دُنياكم النساء.... » وزيادة « ثلاث » تفسد المعنى (الكافى الشاف فى تخريج أحاديث الكشاف): ٢٧، حديث رقم (٢٢٩)، (إحياء علوم الدين) ٢/ ٥٠، ٢/ ٦٥، ٣/ ٣٤١، ٤/ ٤٥٤.

يُصبْ الطعام(١).

وفى تحبيب النساء إليه ﷺ أقوال:

أحدها: أنه زيادة فى الابتلاء والتكليف حتى لا يلهو بما حبب إليه من النساء عما كلف به من أداء الرسالة، ولا يعجز عن تحمل أثقال النبوة، فيكون ذلك أكثر لمشاقه، وأعظم لأجره.

الثانى: ليكون مع من يشاهدها من نسائه، فيزول عنه ما يرميه المشركون من أنه ساحر أو شاعر، فيكون تحببهن إليه لطفًا به.

الثالث: الحث لأمته على ما فيه كثرة النسل الذى به المباهاة يوم القيامة.

الرابع: التشرف به فى قبائل العرب [فقد نكح فى سائر شرف قبائل العرب](٢) إلا فى تميم وثعلب.

الخامس: لتكون العشائر من جهة نسائه، فيقوى أعوانه على أعدائه.

وللبخارى من حديث عَزْرَة بن ثابت الأنصارى [قال](٣): حدثنى ثمامة بن عبد الله، عن أنس [رضى الله عنه]، أنه كان لا يردّ الطيب، وزعم أن النبى ﷺ كان لا يردّ الطيب. ذكره فى [كتاب] اللباس، [وترجم عليه] باب: من لم يردّ الطيب(٤).

---

(١) (مسند أحمد): ٧/ ١٠٧، حديث رقم (٢٣٩١٩)، قال العلامة العجلونى: إسناده صحيح، إلا أن فيه رجلاً لم يُسمَّ (كشف الخفا): ١/ ٣٣٩، تعليقًا على الحديث رقم (١٠٨٩)، وراجع التعليق السابق.

(٢) ما بين الحاصرتين فى (خ) وليس فى (ج).

(٣) زيادة للسياق من البخارى.

(٤) (فتح البارى): ١٠/ ٤٥٣، كتاب اللباس، باب (٨٠) من لم يرد الطيب، حديث رقم (٥٩٢٩)، وأخرجه البزار من وجه آخر عن أنس بلفظ: ما عُرض على النبى ﷺ طيب قط فرده، وسنده حسن. وللإسماعيلى من طريق وكيع عن عزرة بسند حديث الباب نحوه، وزاد: وقال: إذا عرض على أحد =

وذكره فى كتاب الهبة [فى باب ما لا يرد من الهدية] ولفظه: حدثنى ثمامة بن عبد الله قال: دخلت عليه فناولنى طيبًا، قال: كان أنس [رضى الله عنه] لا يردّ الطيب، قال: وزعم أنس أن النبى ﷺ كان لا يردّ الطيب(١).

= الطيب فلا يرده. وهذه الزيادة لم يصرح برفعها.

وقد أخرج أبو داود والنسائى، وصححه ابن حبان من رواية الأعرج، عن أبى هريرة رفعه: من عرض عليه طيب فلا يرده، فإنه طيّب الريح خفيف المحمل.

وأخرج مسلم من هذا الوجه، لكن وقع عنده: ريحان بدل طيب. والريحان كل بقلة لها رائحة طيبة. قال المنذرى: ويحتمل أن يراد بالريحان جميع أنواع الطيب، يعنى مشتقًا من الرائحة.

قال الحافظ: مخرج الحديث واحد، والذين رووه بلفظ الطيب أكثر عددًا وأحفظ فروايتهم أولى، وكان من رواه بلفظ ريحان أراد التعميم حتى لا يخص بالطيب المصنوع، لكن اللفظ غير وافٍ بالمقصود.

وللحديث شاهد عن ابن عباس أخرجه الطبرانى بلفظ: من عرض عليه الطيب فليَصب منه، نعم أخرج الترمذى من مرسل أبى عثمان النهدى: إذا أعطى أحدكم الريحان فلا يرده فإنه خرج من الجنة.

قال ابن العربى: إنما كان لا يرد الطيب لمحبته فيه، ولحاجته إليه أكثر من غيره، لأنه ﷺ يناجى من لا نناجى، وأما نهيه ﷺ عن رد الطيب فهو محمول على ما يجوز أخذه لا على ما لا يجوز أخذه، لأنه مرود بأصل الشرع. (فتح البارى): ١٠/ ٤٥٣ - ٤٥٤.

(١) (فتح البارى): ٥/ ٢٦١، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب (٩) ما لا يُردّ من الهدية، حديث رقم (٢٥٨٢)، قوله: «باب ما لا يرد من الهدية»، كأنه أشار إلى ما رواه الترمذى من حديث ابن عمر مرفوعًا: ثلاث لا ترد: الوسائد، والدهن، واللبن، قال الترمذى: يعنى بالدهن: الطيب، وإسناده حسن، إلا أنه ليس على شرط البخارى، فأشار إليه، واكتفى بحديث: أنه ﷺ كان لا يرد الطيب.

قال ابن بطال: إنما كان ﷺ لا يرد الطيب من أجل أنه ملازم لمناجاته الملائكة، ولذلك كان لا يأكل الثوم ونحوه.

قال الحافظ: لو كان هذا هو السبب فى ذلك لكان من خصائصه، وليس كذلك، فإن أنسًا اقتدى به فى ذلك. وقد ورد النهى عن رده مقرونًا ببيان الحكمة فى ذلك، فى حديث صحيح رواه أبو داود والنسائى وأبو عوانة من طريق عبيد الله بن أبى جعفر عن الأعرج، عن أبى هريرة مرفوعًا: من عرض عليه طيب فلا يردّه، فإنه خفيف الحمل طيب الرائحة. =

وله من حديث عروة والقاسم [يخبران][1]، عن عائشة رضى الله عنها، [قالت : طيبت رسول بيدى بذريرة في حجة الوداع للحل والإحرام .]. ذكره فى [كتاب] اللباس، وترجم عليه باب : الذريرة[2]. وخرجه مسلم فى الحج[3]، وأخرجا[4] من حديث شعبة عن الحكم عن إبراهيم عن

= وأخرجه مسلم من هذا الوجه، لكن قال : « ريحان » بدل « طيب »، ورواية الجماعة أثبت، فإن أحمد وسبعة أنفس معه رووه عن عبد الله بن يزيد المقبرى، عن سعيد بن أبى أيوب بلفظ « الطيب »، ووافقه ابن وهب عن سعيد عند ابن حبان، والعدد الكثير أولى بالحفظ من الواحد، وقد قال الترمذى عقب حديث أنس وابن عمر: وفى الباب عن أبى هريرة، فأشار إلى هذا الحديث . قوله : « وزعم »، أى قال، والزعم يطلق على القول كثيراً . (فتح البارى) : ٥ / ٢٦١ - ٢٦٢ .

(١) زيادة للسياق من البخارى.

(٢) (فتح البارى) : ١٠ / ٤٥٤، كتاب اللباس، باب (٨١)، الذُّريرة، حديث رقم (٥٩٣٠). والذُّريرة، بمعجمة وراء بن بوزن عظيمة : هى نوع من الطيب مركب، قال الداودى : تجمع مفرداته ثم تسحق وتنخل، ثم تذّر فى الشعر والطوق، فلذلك سميت ذريرة، كذا قال، وعلى هذا فكل طيب مركب ذريرة، لكن الذريرة نوع من الطيب مخصوص، يعرفه أهل الحجاز وغيرهم، وجزم غير واحد -منهم النووى- بأنه فتات قصب طيب يُجاء به من الهند .

(٣) (مسلم بشرح النووى) : ٨ / ٣٤٩، كتاب الحج، باب (٧) الطيب للمحرم عند الإحرام، حديث رقم (٣٥)، وفيه دلالة على استحباب الطيب عند إرادة الإحرام، وأنه لا بأس باستدامته بعد الإحرام وإنما يحرم ابتداؤه فى الإحرام، وهذا مذهبنا، وبه قال خلائق من الصحابة التابعين، وجماهير المحدثين والفقهاء، ومنهم : سعد بن أبى وقاص، وابن عباس، وابن الزبير، ومعاوية، وعائشة، وأم حبيبة، وأبو حنيفة، والثورى، وأبو يوسف، وأحمد، وداود، وغيرهم.

وقال آخرون بمنعه، منهم الزهرى، ومالك، ومحمد بن الحسن، وحُكى أيضا عن جماعة من الصحابة والتابعين. قال القاضى : وتأوَّل هؤلاء حديث عائشة هذا على أنه ﷺ تطيب ثم اغتسل بعده، فذهب الطيب قبل الإحرام.

ويؤيد هذا قولها فى الرواية الأخرى : طيَّبْتُ رسول الله ﷺ عند إحرامه ثم طاف على نسائه، ثم أصبح محرمًا، فظاهرهُ أنه تطيب لمباشرة نسائه، ثم زال بالغُسل بعده، لا سيما وقد نقل أنه كان يتطهر من كل واحدة قبل الأخرى، ولا يبقى مع ذلك، ويكون قولها : ثم أصبح ينضخ طيبًا أى قبل غُسله.

وقد سبق فى رواية لمسلم [وللبخارى أيضًا] أن ذلك الطيب كان ذريرة، وهى مما يذهبه الغسل. (مسلم بشرح النووى) : ٨ / ٣٤٨ - ٣٤٩ .

(٤) (فتح البارى) : ٣ / ٥٠٥، كتاب الحج، باب (١٨) الطيب عند الإحرام، وما يلبس إذا أراد أن =

الأسود، عن عائشة [رضى الله عنها قالت] : كأنى أنظر إلى وبيص الطيب في مفارق رسول الله ﷺ وهو محرم.

ومن حديث منصور عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة رضى الله عنها قالت : كنت أطيب رسول الله ﷺ قبل أن يحرم ويوم النحر

= يحرم، ويترجل ويَدَّهِن، حديث رقم (١٥٣٧)، (١٥٣٨)، قوله : « كانى أنظر »، ارادت بذلك قوة تحققها لذلك، بحيث أنها لشدة استحضارها له كانها ناظرة إليه.

قوله : « في مفارق »، جمع مفرق، وهو المكان الذى يفترق فيه الشعر فى وسط الرأس، قيل : ذكرته بصيغة الجمع تعميمًا لجوانب الرأس التى يفرق فيها الشعر.

واخرجه مسلم فى كتاب الحج، باب (٧) الطيب للمحرم عند الإحرام، حديث رقم (٤٠) : « لكانى أنظر إلى وبيص الطيب فى مفارق رسول الله ﷺ وهو يهل »، وحديث رقم (٤١) : « كأنى أنظر إلى وبيص الطيب فى مفارق رسول الله ﷺ وهو يلبى، وحديث رقم (٤٢) : « كأنما أنظر إلى وبيص الطيب فى مفارق رسول الله ﷺ وهو محرم، وحديث رقم (٤٣) : إن كنت لأنظر إلى وبيص الطيب فى مفارق رسول الله ﷺ وهو محرم، حديث رقم (٤٥) : « كأنى أنظر إلى وبيص المسك فى مفرق رسول الله ﷺ وهو محرم، قال الإمام النووى : وقولها : « كأنى أنظر إلى وبيص الطيب فى مفارق رسول الله ﷺ وهو محرم »، المراد به أثره لا جرمه، هذا كلام القاضى، ولا يوافق عليه، بل الصواب ما قاله الجمهور : أن الطيب مستحب للإحرام، لقولها : طيبته لحرمه، وهذا ظاهر فى أن الطيب للإحرام لا للنساء، ويعضده قولها : كأنى أنظر إلى وبيص الطيب، والتأويل الذى قاله القاضى غير مقبول لمخالفته الظاهر بلا دليل يحملنا عليه.

وأما قولها : « ولحله قبل أن يطوف »، فالمراد به طواف الإفاضة، ففيه دلالة لاستباحة الطيب بعد رمى جمرة العقبة والحلق، وقبل الطواف، وهذا مذهب الشافعى والحلماء كافة، إلا مالكًا كرهه قبل طواف الإفاضة، وهو محجوج بهذا الحديث.

وقولها : « لحله »، دليل على أنه حصل له تحلل، وفى الحج تحللان يحصلان بثلاثة أشياء : رمى جمرة العقبة، والحلق، وطواف الإفاضة مع سعيه إن لم يكن سعى عقب طواف القدوم، فإذا فعل الثلاثة حصل التحللان، وإذا فعل اثنين منهما حصل التحلل الأول، أىّ اثنين كانا، ويحل بالتحلل الأول جميع المحرمات إلا الاستمتاع بالنساء، فإنه لا يحل إلا بالثانى، وقيل : يباح منهن غير الجماع بالتحلل الأول، وهو قول بعض أصحابنا، وللشافعى قول أنه لا يحل بالأول إلا اللبس، والحلق، وقلم الأظفار، والصواب ما سبق، والله تعالى أعلم. (مسلم بشرح النووى) : ٨/ ٣٤٩ - ٣٥١.

قبل أن يطوف بالبيت(١)، بطيب فيه مسك. وتفرد مسلم بقوله: بطيب فيه مسك(٢).

وللدارقطني من حديث موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر عن عائشة [رضي الله عنها] أنها قالت: كنت أطيب رسول الله ﷺ بالغالية الجيدة عند إحرامة(٣).

ولأحمد من حديث سليمان بن كثير، حدثنا عبد الحميد عن أنس [رضي الله عنه]، أن رسول الله ﷺ كانت تعجبه الغالمية. قال الأصمعي: الغالمية: نور الحناء(٤).

وللنسائي من حديث عبد الله بن عطاء الهاشميّ، عن محمد بن عليّ الهاشمي قال: سألت عائشة رضي الله عنها أكان رسول الله ﷺ يتطيب؟ قالت: نعم، بذكارة الطيب [من](٥) المسك والعنبر(٦).

وخرجه ابن حبَّان، ولفظه: أكان رسول الله ﷺ يتعطّر؟ قالت: نعم كان يتعطّر بذكارة العطر المسك والعنبر(٧).

---

(١) (فتح الباري): ٣/ ٥٠٥، كتاب الحج، باب (١٨) الطيب عند الإحرام، وما يلبس إذا أراد أن يحرم، ويترجل ويدّهن، حديث رقم (١٥٣٥).

(٢) (مسلم بشرح النووي): ٨/ ٣٥٢ - ٣٥٣، كتاب الحج، باب (٧) الطيب للمحرم عند الإحرام، حديث رقم (١١٩١).

(٣) (سنن الدارقطني): ٢/ ٢٣٢، حديث رقم (٦٩).

(٤) (مسند أحمد): ٣/ ٦٢٣، حديث رقم (١٢١٣٧).

(٥) زيادة في الأصلين: (خ)، (ج).

(٦) (سنن النسائي): ٨/ ٥٢٩، كتاب الزينة، باب (٣١) العنبر قال الحافظ السيوطي: «بذكارة الطيب»، قال في النهاية: الذُّكارة بكسر الذال المعجمة وراء، ما يصلح للرجل كالمسك والعنبر والعود والكافور، وهي جمع ذكر، وهو ما لا لون له بنفض، والمؤنث طيب النساء كالخلوق والزعفران، وهذا الحديث انفرد به النسائي.

(٧) راجع التعليق السابق.

ولمسلم[1] والنسائى[2] من [حديث][3] ابن وهب [قال][3]: أخبرنى مخرمة عن أبيه عن نافع قال: كان ابن عمر [رضى الله عنهما[3]] إذا استجمر بالأُلُوَّة غير مطراة، وبكافور يطرحه مع الأُلُوَّة ثم قال: هكذا كان يستجمر رسول الله ﷺ. لفظهما فيه سواء، ذكره مسلم فى آخر كتاب الطب[4]، وذكره النسائى فى كتاب الزينة، وترجم عليه البخور.

ولابن حيَّان من حديث الوليد بن أبى رهم، عن يوسف بن أبى بردة، عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان أحب الطيب إلى رسول الله ﷺ العود[5].

وللترمذى من حديث موسى عن أنس عن أبيه قال: كانت لرسول الله ﷺ سُكة يتطيب منها[6].

---

(١) (مسلم بشرح النووى): ١٥ / ١٣، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب (٥) استعمال المسك، وأنه طيب، وكراهة رد الريحان والطيب، حديث رقم (٢٢٥٤).

(٢) (سنن النسائى): ٨/ ٥٣٤ - ٥٣٥، كتاب الزينة، باب (٣٨) البخور، حديث رقم (٥١٥٠).

قال الإمام النووى: الاستجمار هنا استعمال الطيب والتبخر به، مأخوذ من المجمر، وهو البخور، وأما الألوة، فقال الأصمعى وأبو عبيد وسائر أهل اللغة والغريب: هى العود يتبخر به. قال الأصمعى: أراها فارسية معربة، وهى بضم اللام وفتح الهمزة، وضمها، لغتان مشهورتان. وحكى الأزهرى كسر اللام....

ففى هذا الحديث استحباب الطيب للرجال، كما هو مستحب للنساء، لكن يستحب للرجال من الطيب ما ظهر ريحه وخفى لونه، وأما المرأة فإذا أرادت الخروج إلى المسجد أو غيره كره لها كل طيب له ريح، ويتأكد استحبابه للرجال يوم الجمعة، والعيد عند حضور مجامع المسلمين، ومجالس الذكر والعلم، وعند إرادته معاشرة زوجته، ونحو ذلك، والله تعالى أعلم. (مسلم بشرح النووى): ٨ / ١٣.

(٣) زيادة للسياق.

(٤) كذا فى الأصلين (خ)، (ج)، والصواب ما أثبتناه وهو: كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها.

(٥) (أخلاق النبى): ٩٩، (طبقات ابن سعد): ١/ ٤٠٠.

(٦) (الشمائل المحمدية): ١٧٨، باب (٣٣)، ما جاء فى تعطر رسول الله ﷺ، حديث رقم (٢١٧) =

ولابن حيَّان من حديث سعيد عن قتادة عن أنس [رضى الله عنه قال]: كنا نعرف رسول الله ﷺ إذا أقبل بطيب ريحه(١)

ولمسلم من حديث سماك عن جابر بن سمرة قال: صليتُ مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى، ثم خرج إلى أهله وخرجت معه، فاستقبله ولدان، فجعل يمسح خدَّى أحدهم واحداً واحداً، قال: وأما أنا فمسح خدِّى، قال: فوجدتُ ليده برداً أو ريحاً، كأنما أخرجها من جؤنة عطار(٢).

= (سنن أبى داود): ٤/ ٣٩٤، كتاب الترجل، باب (٢) ما جاء فى استحباب الطيب، حديث رقم (٤١٦٢)، (طبقات ابن سعد): ١/ ٣٩٩، وفيه: «سك يتطيب منه»، (أخلاق النبى): ٩٨ من طريق إبراهيم بن طهمان عن حسين عن موسى بن أنس عن أبيه.

وهذا الحديث صحيح الإسناد، ورجاله ثقات، والسكة بضم السين وتشديد الكاف، نوع من الطيب عزيز، وقيل: الظاهر أنه وعاء فيه طيب مجتمع من أخلاق شتى. (معالم السنن): ٤/ ٣٩٤.

(١) (طبقات ابن سعد): ١/ ٣٩٩، (الكامل لابن عدى): ٥/ ١٢٠، من حديث على بن الحسن بن يعمر قال: حدثنا سفيان الثورى عن حماد، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، قال: كنا نعرف رسول الله ﷺ دخوله مع طلوع الفجر إلى المسجد بريح الطيب. وعلى بن الحسن بن يعمر ضعفه الدارقطنى وغيره، له ترجمة فى: (لسان الميزان): ٤/ ٢٨٢، (المغنى فى الضعفاء): ٢/ ٤٤٤، (ميزان الاعتدال): ٣/ ١١٩.

(٢) (مسلم بشرح النووى): ١٥/ ٩٢، كتاب الفضائل، باب (٢١)، طيب رائحة النبى ﷺ ولين مسه، والتبرك بمسحه، حديث رقم (٢٣٢٩)، قوله: «الصلاة الأولى»، يعنى الظهر، والوِلْدان، الصبيان، واحدهم وليد، وفى مسحه ﷺ الصبيان بيان حُسن خلقه ورحمته للأطفال وملاطفتهم، وفى هذه الأحاديث بيان طيب ريحه ﷺ، وهو مما أكرمه الله تعالى.

قال العلماء: كانت هذه الريح الطيبة صفته ﷺ وإن لم يمس طيبًا، ومع هذا فكان يستعمل الطيب فى كثير من الأوقات، مبالغة فى طيب ريحه، لملاقاة الملائكة، وأخذ الوحى الكريم، ومجالسة المسلمين.

قوله: «كأنما أخرجت من جؤنة عطار»، هى بضم الجيم وهمزة بعدها، ويجوز ترك الهمزة بقلبها واواً كما فى نظائرها، وقد ذكرها كثيرون، أو الأكثرون فى الواو. وقال القاضى: هى مهموزة، وقد يترك همزها. وقال الجوهرى: هى بالواو، وقد تُهمز، وهى السقط الذى فيه متاع العطار، هكذا فسّره الجمهور، وقال صاحب (العين): هى سُلَيلة مستديرة مغشاه (مسلم بشرح النووى): ١٥/ ٩٢ - ٩٣، وأخرجه البيهقى فى (دلائل النبوة): ١/ ٢٥٦، باب طيب رائحة رسول الله ﷺ.

وذكر البخارى فى باب صفة النبى ﷺ من حديث حماد بن زيد، عن ثابت عن أنس [رضى الله عنه] قال: ما مسستُ حريرًا أو ديباجًا ألين من كف النبى ﷺ، ولا شممت ريحًا قط، أو عَرْفًا قط أطيب من ريح أو عَرْف النبى ﷺ(١).

وخرجه مسلم ولفظه: ما شممتُ عنبرًا قط، ولا مسْكًا، ولا شيئًا أطيب من ريح رسول الله ﷺ، ولا مسست شيئًا قط، ديباجًا ولا حريرًا، ألين مسًا

---

(١) (فتح البارى): ٦/ ٧٠٢، كتاب المناقب، باب (٢٣) صفة النبى ﷺ، حديث رقم (٣٥٦١)، قوله: «ما مسست» بمهملتين، الأولى مكسورة، ويجوز فتحها، والثانية ساكنة، وكذا القول فى ميم شممت.

قوله: «ولا ديباجًا»، هو من عطف الخاص على العام، لأن الديباج نوع من الحرير، وهو بكسر المهملة وحكى فتحها، وقال أبو عبيدة: الفتح مولّد ليس بعربى.

قوله: «ألين من كف رسول الله ﷺ»، قيل: هذا يخالف ما وقع فى حديث أنس من كتاب اللباس: أنه ﷺ كان ضخم اليدين، وفى رواية له: والقدمين، وفى رواية له: شثن القدمين والكفين، وفى حديث هند بن أبى هاله، الذى أخرجه الترمذى فى صفة النبى ﷺ، فإن فيه أنه ﷺ: كان شثن الكفين والقدمين، أى غليظهما فى خشونة، وهكذا وصفه علىّ من عدة طرق عنه عند الترمذى، والحاكم، وابن أبى خيثمة وغيرهم، وكذا فى صفة عائشة له عند ابن أبى خيثمة.

والجمع بينهما: أن المراد اللين فى الجلد، والغلظ فى العظام، فتجتمع له نعومة البدن وقوته، أو حيث وصف باللين واللطافة، حيث لا يعمل بهما شيئًا، كان بالنسبة إلى أصل الخلقة.

وحيث وصف بالغلظ والخشونة فهو بالنسبة إلى امتهانهما بالعمل، فإنه يتعاطى كثيرا من أموره بنفسه ﷺ، وفى حديث معاذ عند الطبرانى والبزار: أردفنى النبى ﷺ خلفه فى شعر، فما مسستُ شيئًا قط ألين من جلده ﷺ.

قوله: «أو عرفًا» بفتح المهملة وسكون الراء بعدها فاء، وهو شكٌّ من الراوى، ويدل عليه قوله بعده: أطيب من ريح أو عَرْف. والعرف: الريح الطيب، ووقع عند البيهقى: ولا شممتُ مسكًا ولا عنبرًا ولا عبيرًا. ذكرهما جميعًا. (فتح البارى): ٦/ ٧١٤ – ٧١٥ مختصرًا.

وأخرجه الإمام أحمد بنحوه فى (المسند): ٣/ ٥٤٦، حديث رقم (١١٦٣٧)، ٤/ ٥٧، حديث رقم (١٢٦٦١).

وأخرجه البيهقى فى (دلائل النبوة): ١/ ٢٥٤ – ٢٥٥، باب طيب رائحة رسول الله ﷺ، وبرودة يده ولينها فى يد من مسها، وصفة عرقه ﷺ.

من رسول الله ﷺ(١).

وفى لفظ له: كان رسول الله ﷺ أزهر اللون، كأن عرقه اللؤلؤ، إذا مشى تكفأ، ولا مسست ديباجة ولا حريرة ألين من كف النبى ﷺ، ولا شممتُ مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة رسول الله ﷺ(٢).

ولقاسم بن أصبغ من حديث شعبة عن زياد بن علاقة، عن أسامة بن شريك قال: وضع رسول الله ﷺ عليّ يده، فإذا هى أبرد من الثلج، وأطيب من المسك(٣).

[وقال أبو يعلى: حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع، حدثنى محمد بن عبد الله بن عمر الأنصارى من بنى بياضة، حدثنى أيوب بن عبد الله، عن إبراهيم بن إسماعيل، حدثنا مجمع عن مولى لسلمة بن الأكوع، عن سلمة قال: كان رسول الله ﷺ يأخذ المسك فيمسح به رأسه ولحيته](٤).

* * *

---

(١) (مسلم بشرح النووى): ١٥/ ٩٣، كتاب الفضائل، باب (٢١) طيب رائحة النبى ﷺ، ولين مسه، والتبرك بمسحه، حديث رقم (٢٣٣٠).

(٢) المرجع السابق، حديث رقم (٨٢)، وأخرجه البيهقى فى (دلائل النبوة): ١/ ٢٥٥.

(٣) قال الحافظ البيهقى: أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عبيد الله الحرفى، ببغداد، قال: حدثنا أحمد ابن سليمان الفقيه، قال: حدثنا إسماعيل بن إسحاق، قال: حدثنا عمرو بن مرزوق، قال: حدثنا شعبة، عن يعلى بن عطاء قال: سمعت جابر بن يزيد بن الأسود، عن أبيه قال: أتيتُ رسول الله ﷺ وهو بمنى، فقلتُ له: يا رسول الله، ناولنى يدك، فناولنيها، فإذا هى أبرد من الثلج، وأطيب ريحًا من المسك. (دلائل البيهقى): ١/ ٢٥٦ - ٢٥٧.

(٤) ما بين الحاصرتين سقط من الناسخ فى (ج)، والحديث ذكره المتقى الهندى البرهان فورى فى (كنز العمال): ٧/ ١٢٣، حديث رقم (١٨٢٩٢)، وعزاه لأبى يعلى عن سلمة بن الأكوع.

ذكر اطّلاء رسول الله ﷺ بالنورة إن صح

قال ابن سعد : أخبرنا عارم بن الفضل، وموسى بن داود قالا : أخبرنا حماد بن زيد، أخبرنا أبو هاشم عن حبيب بن أبى ثابت، أن رسول الله ﷺ تنوّر](١).

أخبرنا الفضل بن دكين، وموسى بن داود قالا : حدثنا شريك عن ليث أبى المشرفى، قال الفضل عن إبراهيم، وقال موسى عن أبى معشر، عن إبراهيم قال : كان رسول الله ﷺ إذا طلى بالنورة ولى عانته وفرجه بيده](٢).

[أخبرنا محمد بن عبد الله الأسدى، أخبرنا سفيان، أخبرنا منصور عن حبيب، أن النبى ﷺ كان إذا اطلى ولى عانته بيده](٢).

[أخبرنا قبيصة بن عقبة، حدثنا سفيان عن صالح عن أبى معشر،

---

(١) (طبقات ابن سعد) : ١ / ٤٤٢، ذكر من قال : اطلى رسول الله ﷺ بالنورة، (كنز العمال) : ٧ / ١٢٦، حديث رقم (١٨٣١٤) : كان إذا اطلى بدأ بعورته فطلاها بالنورة وسائر جسده. رواه ابن ماجة عن أم سلمة رضى الله تعالى عنها.

وحديث رقم (١٨٣١٥) : كان إذا اطلى بالنورة ولى عانته وفرجه بيده. رواه ابن سعد عن إبراهيم وعن حبيب بن أبى ثابت مرسلا.

وحديث رقم (١٨٣١٦) : كان يتنور فى كل شهر ويقلم اظافره فى كل خمسة عشر يومًا، رواه ابن عساكر عن ابن عمر.

وحديث رقم (١٨٣١٧) : كان يدخل الحمام ويتنور، رواه ابن عساكر عن واثله، وما بين الحاصرتين سقط من (ج).

(٢) (طبقات ابن سعد) : ١ / ٥٥٢، ذكر من قال : اطلى رسول الله بالنورة، وما بين الحاصرتين سقط من (ج).

وسفيان عن منصور عن حبيب بن أبى ثابت قالا: كان النبى ﷺ إذا اطلى بالنورة ولى عانته بيده](١).

قال مؤلفه: هذه الآثار كلها مُرسلة، وحبيب بن أبى ثابت الأسدى مولاهم، تابعى، مفتى الكوفة خرَّج له الجماعة](٢).

---

(١) (طبقات ابن سعد): ١/ ٥٥٢، ذكر من قال: اطلى رسول الله بالنورة، وما بين الحاصرتين سقط من (ج).

(٢) حبيب بن أبى ثابت قيس بن دينار، ويقال: قيس بن هند، وقيل: إن اسم أبى ثابت هند الأسدى، مولاهم أبو يحى الكوفى.

روى عن ابن عمر، وابن عباس، وأنس بن مالك، وزيد بن أرقم، وأبى الطفيل، وإبراهيم بن سعد ابن أبى وقاص، ونافع بن جبير بن مطعم، ومجاهد، وعطاء، وطاووس، وسعيد بن جبير، وأبى صالح السمان، وزيد بن وهب، وعطاء بن يسار، وميمون بن أبى شبيب، وأبى، وثعلبة بن زيد الحمانى، وخلق.

وأرسل عن أم سلمة، وحكيم بن حزام، وروى عن عروة بن الزبير حديث المستحاضة، وجزم الثورى أنه لم يسمع منه، وإنما هو عروة المزنى آخر، وكذا تبع الثورى أبو داود، والدارقطنى، وجماعة.

وروى عنه الأعمش، وأبو إسحاق الشيبانى، وحصين بن عبد الرحمن، وزيد بن أبى أنيسة والثورى، وشعبة، والمسعودى، وابن جرير، وأبو بكر بن عياش وغيرهم.

قال البخارى عن على بن المدينى: له نحو مائتى حديث، وقال أبو بكر بن عياش: كان هؤلاء الثلاثة أصحاب الفتيا: حبيب بن أبى ثابت، والحكم، وحماد.

وقال العجلى: كوفى تابعى ثقة، وقال ابن معين والنسائى: ثقة، وقال ابن أبى مريم عن ابن معين: ثقة حجة، قيل له: ثبت؟ قال نعم؟ إنما روى حديثين، قال: اظن يحى يريد منكرين: حديث المستحاضة تصلى وإن قطر الدم على الحصير، وحديث القبلة للصائم.

وقال أبو زرعة: لم يسمع من أم سلمة، وقال أبو حاتم: صدوق ثقة، ولم يسمع حديث المستحاضة من عروة.

وقال الترمذى عن البخارى: لم يسمع من عروة بن الزبير شيئًا، قال أبو بكر بن عياش وغيره: مات سنة (١١٩)، وقيل غير ذلك.

قال الحافظ ابن حجر: وقال ابن أبى حاتم فى كتاب المراسيل عن أبيه: أهل الحديث اتفقوا على ذلك، يعنى على عدم سماعه منه. قال: واتفاقهم على شيء يكون حجة.

وقال ابن حبان فى (الثقات): كان مدلسًا، وقال العقيلى: غمزه ابن عون، وقال القطان: له غير =

وقال همام عن قتادة: ما تنور رسول الله ﷺ، ولا أبو بكر، ولا عثمان، ولا على، ولا الخلفاء، ولا الحسن][1]

* * *

= حديث عن عطاء لا يتابع عليه وليست بمحفوظة.

وقال الأزدى: وحبيب ثقة صدوق، وقال الآجرى عن ابن داود ليس لحبيب عن عاصم بن ضمرة شيء يصح.

وقال ابن عدى: هو أشهر وأكثر حديثًا من أن احتاج أذكر من حديثه شيئًا، وقد حدَّث عن الأئمة، وهو ثقة حجة، كما قال ابن معين.

وقال العجلى: كان ثقة ثبتًا فى الحديث، سمع من ابن عمر غير شيء، ومن ابن عباس، وكان فقيه البدن، وكان مفتى الكوفة قبل الحكم وحماد.

وذكره أبو جعفر الطبرى فى (طبقات الفقهاء)، وكان ذا فقه وعلم وقال ابن خزيمة فى صحيحه: كان مدلسًا، وقد سمع من ابن عمر، وقال ابن جعفر النحاس: كان يقول إذا حدثنى رجل عنك بحديث ثم حدثت به عنك كنت صادقا. ونقل العقيلى عن القطان قال: حديثهُ عن عطاء ليس بمحفوظ.

قال العقيلى: وله عن عطاء أحاديث لا يتابع عليها.

له ترجمة فى: (تهذيب التهذيب): ٢/ ١٥٦ – ١٥٧، ترجمة رقم (٣٢٣)، (الكامل فى ضعفاء الرجال): ٢/ ٤٠٦، ترجمة رقم (١٥٧/ ٥٢٦)، (الضعفاء الكبير للعقيلى): ١/ ٢٦٣، ترجمة رقم (٣٢٢)، (الثقات لابن حبان): ٤/ ١٣٧.

(١) (طبقات ابن سعد): ١/ ٥٥٢، ذكر من قال: اطلى رسول الله بالنورة، وما بين الحاصرتين سقط

فصل في ذكر سرير رسول الله ﷺ

خرج الإمام أحمد رحمه الله من حديث الحسن، عن أنس [بن مالك](١) قال: دخلت على رسول الله ﷺ، وهو على سرير مضطجع مرمل بشريط، وتحت رأسه وسادة من آدم حشوها ليف، فدخل عليه نفر من أصحابه، ودخل عليه عمر رضى الله عنه، فانحرف رسول الله ﷺ انحرافه، فلمْ يرَ عمر(٢) بين جنبه وبين الشريط ثوبًا، وقد أثّر الشريط بجنب رسول الله ﷺ، فبكى عمر رضى الله عنه، فقال له رسول الله(٣) ﷺ ما يبكيك [يا عمر؟](١) قال: والله [ما أبكى أن](٤) لا أكون أعلم أنك على الله [عز وجل(١)] من كسرى وقيصر، وهما يعيشان(٥) فيما يعيشان(٥) فيه من الدنيا، وأنت يا رسول الله بالمكان الذى أرى، فقال [النبى](١) ﷺ: أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟ قال [عمر](١) بلى، قال ﷺ: فإنه كذاك(٦).

---

(١) زيادة للسياق من (المسند).

(٢) فى الأصلين: «فرأى عمر»، وما اثبتناه من (المسند).

(٣) فى (المسند): «فقال له النبىَ».

(٤) زيادة من الأصلين.

(٥) فى (المسند): «يعيثان»، وما أثبتناه من الأصلين.

(٦) (مسند أحمد): ٣/ ٦٠١ - ٦٠٢، حديث رقم (١٢٠٠٩)، (دلائل البيهقى): ١/ ٣٣٧، باب ذكر أخبار رويت فى زهده ﷺ فى الدنيا وصبره على القوت الشديد فيها، واختياره الدار الآخرة، وما أعد الله تعالى له فيها على الدنيا، ورواه الإمام مسلم بمعناه فى صحيحه، كتاب الطلاق، باب (٥) فى الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن، وقوله تعالى: ﴿وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير﴾، حديث رقم (١٤٧٩).

ولابن حيَّان من حديث يحى بن حسان، عن محمد بن مهاجر، [قال: كان متاع رسول الله ﷺ عند عمر بن عبد العزيز، في بيت ينظر إليه كل يوم(١)] وكان إذا اجتمعت إليه قريش، أدخلهم ذلك البيت، ثم استقبل ذلك المتاع فيقول: هذا ميراث من أكرمكم الله وأعزّكم به(٢)، قال: وكان سريراً مرمّلا بشريط، ومرفقة من آدم محشوة بليف، وجفنة، وقدحًا، وقطيفة، ورحى، وكنانة فيها أسهم، وكان في القطيفة أثر وسخ رأسه، فأصيب رجل، فطلبوا أن يغسلوا بعض ذلك الوسخ فيسعط به، فذكر ذلك لهم، فسعط فبرأ(٣).

وقال الواقدي: حدثني ابن أبي سيرة، عن محمد بن أبي حرملة، عن عطاء، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت قريش بمكة، وليس شيء أحب إلينا من السرير ننام عليها، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، ونزل منزل أبي أيوب، قال ﷺ: يا أبا أيوب، أما لكم سرير؟ قال: لا والله، فبلغ أسعد بن زراة ذلك، فبعث إلى رسول الله ﷺ بسرير له عمود وقوامه ساج مرسول بحزم -يعني المسد- فكان ينام عليه حتى تحول إلى منزلي، وكان فيه فوهبه لي، فكان ينام عليه حتى توفي، فوُضع عليه وصُلّي عليه وهو فوقه، فطلبه الناس منّا يحملون عليه موتاهم، فحمل عليه أبو بكر، وعمر،

---

(١) ما بين الحاصرتين سياقه مضطرب في (خ)، وصوبناه من (ج).

(٢) إلى هنا ذكره أبو نعيم في (الحلية): ٥/ ٣٢٦ - ٣٢٧، ضمن ترجمة عمر بن عبد العزيز رقم (٣٢٣)، قال: حدثنا محمد علي، حدثنا الحسين بن محمد بن حماد، حدثنا عمرو بن عثمان، حدثنا أبي محمد بن مهاجر قال: كان عند عمر بن عبد العزيز سرير النبي ﷺ، وعصاه، وقدح، وجفنة، ووسادة حشوها ليف، وقطيفة، ورداء، فكان إذا دخل عليه النفر من قريش قال: هذا ميراث من أكرمكم الله به، ونصركم به، وأعزكم به، وفعل وفعل.

(٣) الجزء الأخير من هذا الخبر تلوح عليه أمارات الوضع، لمنافاته لما كان عليه النبي ﷺ من النظافة الظاهرة والباطنة مما سبق شرحه وتخريجه من الأخبار، وإن كان فيه علمًا من أعلام النبوة.

رضى الله عنهما، والناس بعد طلبًا لبركته.

قال الواقدى: أجمع أصحابنا -لا اختلاف بينهم- فى أن سرير النبى ﷺ اشترى ألواحه، عبد الله بن إسحاق الإسحاقى، من موالى معاوية بن أبى سفيان بأربعة آلاف درهم، فلما كان مروان -يعنى على المدينة- منع أن يحمل عليه إلا الرجل الشريف، وفَرَّق فى المدينة سُرراً يحمل عليها الموتى. قال: وكان وسطه بليف منسوج.

* * *

فصل فى ذكر القدح الذى كان يوضع تحت السرير ليبول فيه

خرج البيهقى من حديث ابن جريج [قال] أخبرتنى حكيمة بنت أميمة، عن أميمة أمها، أن النبى ﷺ كان يبول فى قدح من عيدان، ثم يُوضع[1] تحت سريره [فبال، فوضع تحت سريره][2]، فجاء فأراده، فإذا القدح ليس فيه شيء، فقال لامرأة يقال لها: بركة -كانت تخدمه لأم حبيبة جاءت معها من أرض الحبشة-: أين البول الذى كان فى هذا القدح؟ قالت: شربتُه يا رسول الله[3]!!

وقد أخرجه أبو داود[4] والنسائى[5]، من حديث حجاج بن محمد

---

(١) كذا فى (خ)، وفى (ج)، و (سنن البيهقى): «ثم وُضع».

(٢) زيادة للسياق من المرجع السابق.

(٣) (السنن الكبرى للبيهقى): ٧/ ٦٧، باب تركه ﷺ الإنكار على من شرب بوله وحجامته.

(٤) (سنن أبى داود): ١/ ٢٨، كتاب الطهارة، باب (١٣) فى الرجل يبول بالليل فى الإناء ثم يضعه عنده، حديث رقم (٢٤).

(٥) (سنن النسائى بشرح الحافظ السيوطى): ١/ ٣٤ - ٣٥، كتاب الطهارة، باب (٢٨)، البول فى الإناء، حديث رقم (٣٢).

قال الحافظ السيوطى فى قوله: «أخبرتنى حكيمة بنت أميمة عن أمها أميمة بنت رقيقة»: الثلاثة بالتصغير، ورقيقة بقافين. قال الحاكم فى (المستدرك): أميمة صحابية مشهورة، فخرج حديثها فى الوحدان، وقال الحافظ جمال الدين المزنى فى (التهذيب): رقيقة أمها، وهى أميمة بنت عيد، ويقال: بنت عبد الله بن بجاد بن عمير، ورقيقة بنت خويلد أخت خديجة بنت خويلد أم المؤمنين رضى الله عنها.

وقال الحافظ الذهبى: حكيمة لم تَرْوِ إلا عن أمها، ولم يَرْوِ عنها غير ابن جريج، وقال غيره: ذكرها ابن حبان فى (الثقات)، وأخرج حديثها فى صحيحه، قالت: كان للنبى ﷺ قدح من عيدان =

الأعور عن ابن جرير، وليس فيه قصة بركة.

وللحاكم من حديث شبابه، حدثنا أبو مالك النخعى، عن الأسود بن قيس، عن نبيح العنزى عن أم أيمن [رضى الله عنها] قالت: قام النبى ﷺ من الليل إلى فخّارة [من جانب البيت][1] فبال فيها، فقمت من الليل وأنا عطشى، فشربت ما[2] فى الفخارة وأنا لا أشعر، فلما أصبح النبى ﷺ قال: يا أم أيمن، قُومى إلى تلك الفخارة فأهريقى[3] ما فيها، قلت: قد والله

= يبول فيه ويضعه تحت السرير. هذا مختصر، وقد أتمه ابن عبد البر فى (الاستيعاب فقال: فبال ليلة فوضع تحت سريره فجاء، فإذا القدح ليس فيه شيء، فسأل المراة يقال لها بركة كانت تخدم أم حبيبة، جاءت معها من الحبشة فقال: أين البول الذى كان فى القدح؟ فقالت: شربته يا رسول الله؛ قال الحاكم فى (المستدرك): هذه سنة غريبة.

وقال الشيخ ولى الدين فى (شرح أبى داود). والحافظ ابن حجر فى (تخريج أحاديث الرافعى): عيدان بفتح العين المهملة ومثناة تحتية ساكنة، وقال الإمام بدر الدين الزركشى فى (تخريج أحاديث الرافعى): عيدان مختلف فى ضبطه: بالكسر والفتح، واللغتان بإزاء معنيين؛ فالكسر جمع عود، والفتح جمع عيدانه بفتح العين: قال أهل اللغة: هى النخلة الطويلة المتجردة، وهى بالكسر أشهر رواية.

وفى كتاب (تثقيف اللسان): مَنْ كَسَر العين فقد أخطأ، يعنى لأنه أراد جمع عود، وإذا اجتمعت الأعواد لا يتأتى منها قدح يحفظ الماء، بخلاف من فتح العين فإنه يريد قدحاً من خشب هذه صفته، ينقر ليحفظ ما يجعل فيه.

وقال الشيخ ولى الدين: يعارضه ما رواه الطبرانى فى الأوسط بإسناد جيد، من حديث عبد الله بن يزيد مرفوعًا: لا ينقع بول فى طست البيت، فإن الملائكة لا تدخل بيتًا فى بول منتقع. وروى ابن أبى شيبة فى (المصنَّف) عن ابن عمر قال: لا تدخل الملائكة بيتًا فيه بول.

والجواب: لعل المراد بانتقاعه طول مكثه، وما يجعل فى الإناء لا يطول مكثه غالبًا. وقال مغلطاى: يحتمل أن يكون أراد كثرة النجاسة فى البيت بخلاف القدح، فإنه لا يحصل به نجاسة لمكان آخر. (سنن النسائى بشرح الحافظ السيوطى): ١ / ٣٤-٣٥، كتاب الطهارة، باب (٢٨) البول فى الإناء، حديث رقم (٣٢)، (المصنف): ١ / ١٦٠، كتاب الطهارات، باب (٢١٥) فى الرجل يبول فى بيته الذى هو فيه، حديث رقم (١٨٤٥).

(١) زيادة للسياق من (المستدرك).

(٢) كذا فى الأصلين، وفى (المستدرك): «من فى».

(٣) فى الأصلين: «فاهرقى»، وما أثبتناه من (المستدرك).

شربتُ ما فيها، قال: فضحك [رسول الله ﷺ](١) حتى بدت نواجذه، ثم قال: أما إنك لا يتجع(٢) بطنك بعده أبداً(٣).

وخرَّجه أبو نعيم بهذا السند أيضًا(٤) ثم قال: ورواه مسلم بن قتيبة، عن عبد الملك بن حسين، عن أبى مالك النخعى(٥)، عن يعلى بن عطاء، عن الوليد بن عبد الرحن، عن أم أيمن نحوه.

وخرَّج الطبرانىّ من حديث حجَّاج بن محمد عن ابن جريج قال: حدثتنى حكيمة بنت أميمة بنت رُقيقة قالت: كان النبى ﷺ يبول فى قدح عيدان ثم يُدفع تحت سريره، فبال فيه، ثم جاء فإذا القدح ليس فيه شئ، فقال لامرأة يقال لها: بركة - كانت تخدم أم حبيبة [رضى الله عنها] جاءت بها من أرض الحبشة -: أين البول الذى كان فى القدح؟ قالت: فشربته، فقال [ﷺ]: لقد اختطرت من النار بخطار(٦).

وقد اختلف فى بركة هذه، فقال ابن عبد البر(٧): هى أم أيمن، وقال غيره: هى بركة بنت يسار مولاة أبى سفيان بن حرب [رضى الله عنه] امرأة

---

(١) زيادة للسياق من (المستدرك).

(٢) كذا فى الأصلين، وفى المرجع السابق: «يفجع بطنك».

(٣) (المستدرك): ٤ / ٧٠-٧١، كتاب معرفة الصحابة، ذكر أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته، حديث رقم (٦٩١٢)، وسكت عنه الذهبى فى (التخليص).

(٤) (دلائل أبى نعيم): ٢ / ٤٤٤، بوله وغائطه ﷺ، حديث رقم (٣٦٥).

(٥) أبو مالك النخعى الواسطى، قال الدورى عن ابن معين: ليس بشئ، وقال عمرو بن على: ضعيف منكر الحديث، وقال أبو زرعة وأبو حاتم: ضعيف الحديث، وقال أبو داود: ضعيف، وقال النسائى: ليس بثقة ولا يكتب حديثه، وقال الحافظ ابن حجر: وقال الأزدى والنسائى أيضًا: متروك الحديث، وقال الحاكم أبو أحمد: ليس بالقوى عندهم. (تهذيب التهذيب): ١٢ / ٢٤٠، ترجمة رقم (١٠٠٦).

(٦) لم أجده، وهو بمعنى الذى قبله.

(٧) (الاستيعاب): ٤ / ١٩٢٥، ترجمة رقم (٤١٢٣).

قيس بن عبد الله، وأم حبيبة من الرضاعة، [هاجرت إلى الحبشة] ووردت معها. قاله ابن هشام عن ابن إسحاق(١).

[ولابن حبان في (صحيحه)، من حديث حجاج بن محمد عن ابن جريج قال: حدثتني حكيمة بنت أميمة، عن أمها أميمة بنت رقيقة، أن النبي ﷺ كان يبول في قدح من عيدان، ثم يوضع تحت سريره](٢).

---

(١) قال الحافظ ابن حجر: بركة بنت يسار، مولاة أبي سفيان بن حرب، هاجرت إلى الحبشة مع زوجها قيس بن عبد الله الأسدي، ذكر ذلك ابن هشام، عن ابن إسحاق فيمن هاجر إلى الحبشة، وكذلك ابن سعد.

وجوَّز بعض المغاربة أنها بركة الحبشية المذكورة قبل هذه، وليس كما ظنَّ؛ فإن بركة بنت يسار من حلفاء بني عبد الدار، وهي أخت أبي تجراة، وأصلهم من كندة، وليست حبشية، وإن اشتركتا في كونهما في أرض الحبشة مع المهاجرين ثم قال ابن حجر: بركة الحبشية: كانت مع أم حبيبة بنت أبي سفيان تخدمها هناك، ثم قدمت معها، وهي التي شربت بول النبي ﷺ فيما جاء في حديث أميمة بنت رقيقة، وخلطها أبو عمر بأم أيمن،، فأخرج في ترجمتها من طريق ابن جريج: أخبرتني حكيمة بنت أميمة، عن أمها أميمة بنت رقيقة، أن النبي ﷺ كان يبول في قدح من عيدان ويوضع تحت السرير، فجاء ليلة فإذا القدح ليس فيه شئ، فقال لامرأة يقال لها: بركة – كانت تخدم أم حبيبة جاءت معها من أرض الحبشة–: البول الذي كان في هذا القدح ما فعل؟ قالت: شربته يا رسول الله.

وقال عبد الرزاق في مصنفه عن ابن جريج: أخبرت أن النبي ﷺ كان يبول في قدح من عيدان يوضع تحت سريره، فجاء فأراده فإذا القدح ليس فيه شئ، فقال لامرأة كان يقال لها بركة – كانت خادمة لأم حبيبة جاءت معها من أرض الحبشة –: أين البول؟

قال أبو عمر: أظن بركة هذه أم أيمن.

وحمله على ذلك ما ذكر في صدد بركة أم أيمن أنها هاجرت الهجرتين إلى أرض الحبشة والمدينة. وفي كون أم أيمن هاجرت إلى أرض الحبشة نظر؛ فإنها كانت تخدم النبي ﷺ، وزوجها مولاه زيد بن حارثة، وزيد لم يهاجر إلى الحبشة، ولا أحد ممن كان يخدم النبي ﷺ إذ ذاك، فظهر أنَّ هذه الحبشية غير أم أيمن، وإن وافقتها في الاسم. (الإصابة): ٧ / ٥٣١، ترجمة بركة الحبشية، رقم (١٠٩١٦)، (الاستيعاب): ٤ / ١٧٩٣– ١٧٩٥، ترجمة بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصن بن مالك، وهي أم أيمن غلبت عليها كنيتها، رقم (٣٢٥٢)، (سيرة ابن هشام): ٥ / ٩، في ذكر مهاجرة الحبشة، ٢ / ١٦٦، ذكر المهاجرين إلى الحبشة من بني أسد.

(٢) (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان): ٤ / ٢٧٤، كتاب الطهارة، باب (٢١) الاستطابة، حديث رقم (١٤٢٦)، وما بين الحاصرتين سقط من النسخة (ج).

فصل في ذكر آلات بيت رسول الله ﷺ

اعلم أنه قد ورد أنه ﷺ كان له حصير، وفراش، ولحاف، ووسادة، وقطيفة، وقُبَّة من أدم، وكرسى، وفروة يصلى عليها، وخمرة.

[فأما الحصير][1]

فخرج ابن حيَّان من حديث معتمر، عن عبد الله بن عمر، عن سعيد بن أبى سعيد، عن أبى سلمة عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يحتجر حصيراً بالليل يصلى عليها، ويبسطه بالنهار فيجلس عليه للناس[2].

وأصله فى مسلم من حديث الأعمش عن أبى سفيان عن جابر قال: حدثنى أبو سعيد الخدرى [رضى الله عنه]، أنه دخل على النبى ﷺ،

---

(١) هذه العناوين فى (ج) بياض لعدم ظهورها فى التصوير لاختلاف لون المداد، وفى (خ) مكتوبة بخط متميز فى أوائل الفقرات لكن داخل السياق.

(٢) أخلاق النبى: ١٦٤.

وأخرجه البيهقى فى (السنن الكبرى): ٣/ ١١٠، كتاب الصلاة، باب صلاة المأموم فى المسجد، أو على ظهره، أو فى راحلته، بصلاة الإمام فى المسجد وإن بينهما مقصورة، أو أساطين، أو غيرها شبيهاً بها، وتمامه: فجعل الناس يثوبون إلى رسول الله ﷺ فيصلون بصلاته حتى كثروا، فاقبل عليهم فقال: خذوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا، وان أحب الأعمال إلى الله ما دام منها وإن قل، ثم قال: رواه البخارى فى الصحيح، عن محمد بن أبى بكر؛ وأخرجه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب (٣٠) فضيلة العمل الدائم، حديث رقم (٢١٥).

وأخرجه الخطيب البغدادى فى (تاريخ بغداد): ٣/ ٢٤٣ - ٢٤٤ فى ترجمة محمد بن موسى المؤدب، رقم (١٣٢٧).

قال: فرأيته يصلي على حصير يسجد عليه[1]، [قال: ورأيته يصلى فى ثوب واحد متوشحًا به][2].

[وأما الفرش]

وأما الفرش، فخرج البخارى من حديث هشام، أخبرنى أبى عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان فراش رسول الله ﷺ من أدم [و] حشوه ليف[3].

وخرَّجه مسلم ولفظه قالت: إنما كان فراش رسول الله ﷺ الذى ينام عليه أدمًا حشوه ليف. وفى لفظ: إنما كان ضجاع رسول الله ﷺ الذى ينام عليه أدمًا حشوه ليف[4].

ولابن حيَّان من حديث مجالد عن الشعبىّ عن مسروق، عن عائشة رضى الله عنها قالت: دخلتْ علىّ امرأةٌ من الأنصار فرأت فراش رسول الله ﷺ عباءة مَثْنيّة، فانطلقتْ، فبعثتْ إلىّ بفراش حشوهُ صوف، فدخل علىّ رسول الله ﷺ فقال: ما هذا؟ [يا عائشة]؟ قلت: إن فلانة الأنصارية

---

(١) (مسلم بشرح النووى): ٥/ ١٧١، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب (٤٨) جواز الجماعة فى النافلة والصلاة على حصير، وخمرة، وثوب، وغيرها من الطهارات، حديث رقم (٢٧١).

(٢) ما بين الحاصرتين ليس فى (المرجع السابق).

(٣) (فتح البارى): ١١/ ٣٤٠، كتاب الرقاق، باب (١٧) كيف كان عَيْشُ النبى ﷺ وأصحابه، وتخليهم عن الدنيا، حديث رقم (٦٤٥٦) وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه.

(٤) (مسلم بشرح النووى): ١٤/ ٣٠٢، كتاب اللباس والزينة، باب (٦) التواضع فى اللباس، والاقتصار على الغليظ منه، واليسير فى اللباس والفراش وغيرها، وجواز لبس الثوب الشعر ومافيه اعلام، حديث رقم (٣٨) والحديث الذى يليه، (دلائل البيهقى): ١/ ٣٤٤، باب ذكر أخبار رويت فى زهده فى الدنيا وصبره ﷺ على القوت الشديد فيها، واختياره الدار الآخرة، وما أعد الله تعالى له فيها على الدنيا.

دخلتْ [عليّ] فرأتْ فراشك [فذهبتْ]، فبعثت إليّ بهذا، فقال [ﷺ]: ردّيه، قلتُ: فلم أردّه وأعجبنى أن يكون فى بيتى؟ حتى قالك ذلك ثلاث مرات، يقول: رُدّيه يا عائشة، فوالله لو شئتُ لأجرى الله عليّ جبال الذهب والفضة(١)، [قالت: فرددُته](٢).

وله من حديث أبان عن إبراهيم النخعى عن الربيع بن زياد الحارثى، قال: قدمتُ على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى وفد من العراق، فأمر لكل رجل منا بعباءة، فأرسلت إليه حفصة رضى الله عنها فقالت يا أمير المؤمنين! أتاك الباب [أهل] العراق ووجوه الناس فأحسن كرامتهم، فقال: ما أزيدهم على العباءة يا حفصة، أخبرينى بألين فراش فرشْتِ لرسول الله ﷺ قالت: كان لنا كساء من هذه الملبَّدَة أصبناه يوم خيبر، فكنت أفرشه لرسول الله ﷺ كل ليلة فينام عليه، وإنى ربَّعْتُهُ ذات ليلة، فلما أصبح قال: يا حفصة، أعيديه لمرته الأولى، ما كان فراشى البارحة؟ قلتُ: فراشك كل ليلة إلا أنى ربَّعْتُه الليلة، قال: ياحفصة، أعيديه لمرته الأولى فإنه منعتنى وطأته البارحة من الصلاة، فأرسل عمر رضى الله عنه عينيه بالبكاء وقال: والله لا أزيدهم على العباءة.

وللترمذى من حديث عبد الله بن ميمون قال: حدثنا جعفر بن محمد، عن أبيه قال: سألت عائشة رضى الله عنها، ما كان فراش رسول الله ﷺ فى بيتك؟ قالت: من أدم حشوه ليف(٣).

---

(١) (أخلاق النبى): ١٥٦، (دلائل البيهقى): ١ /٣٤٥، (تاريخ بغداد): ١١ /١٠٢، ترجمة عباد بن عباد ابو معاوية المهلبى رقم (٥٧٩٨)، (البداية والنهاية): ٦ /٦٠.

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة عن هذه المراجع، (طبقات ابن سعد): ١ /٤٦٥.

(٣) (سنن الترمذى): ٤ /٢٠٨، كتاب اللباس، باب (٢٧) ما جاء فى فراش النبى ﷺ، حديث رقم (١٧٦١): عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضى الله عنها قالت: إنما كان فراش النبى ﷺ =

وسئلت حفصة رضى الله عنها، ما كان فراش رسول الله ﷺ؟ قالت: مسحًا ثنيتُه ثنيتين فينام عليه، فلما كان ذات ليلة قلت: لو ثنيته بأربع ثينات كان أوطأ له، فثنيناه بأربع ثنيات، فلما أصبح قال: ما فرشتموا لى الليـة؟ قالت: قلنا هو فراشك، إلا أنا ثنيناه بأربع ثنيات، قُلنا: هو أَوْطَأُ لَك، قال: ردوه لحاله الأولى، فإنه منعنى وَطَاءَتُهُ صلاتى الليلة(١).

وذكر أبو عبد الله الحسين بن الحسن الحليمى، أن فراش النبى ﷺ الذى قبض عليه، كان محشواً وبر الإبل، طوله ذراعان أو نحوهما، وعرضه ذراع وشبر أو نحوه.

= الذى ينام عليه أدَم حشوه ليف، وفى (سنن أبى داود): ٤ / ٣٨١ -٣٨٢، كتاب اللباس، باب (٤٥) فى الفُرُش، حديث رقم (٤١٤٧): عن هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة رضى الله عنها، قالت: كانت ضجعة رسول الله ﷺ من أدم حشوها ليف، وأخرج ابن ماجة فى (سننه): ٢ / ١٣٩٠، كتاب الزهد، باب (١١) ضجاع آل محمد ﷺ، حديث رقم (٤١٥١): عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان ضجاع رسول الله ﷺ أدمًا حشوه ليف.

قال ابن الأثير فى (جامع الأصول): ١٠ / ٦٩٤: الضِّجعة بكسر الضاد: من الاضجاع، كالجلسة من الجلوس، وهى الهيئة، وبفتحها المرة الواحدة من النوم، والمراد به ما كان يضطجع عليه، فيكون فى الكلام مضاف محذوف، تقديره: كانت ذات ضِجعة، أو ذات اضطجاعه: فِراش أدم حشوها ليف.

وأخرجه أيضًا الترمذى فى (الشمائل المحمدية): ٢٦٩، باب ما جاء فى فراش رسول الله ﷺ، حديث رقم (٣٢٩)، (طبقات ابن سعد): ١ / ٤٦٤و، ذكر ضجاع رسول الله ﷺ وافتراشه.

(١) صدر هذا الحديث صحيح كما فى التعليق السابق، وباقى الحديث إسناده ضعيف جداً، وقد تفرد به الترمذى دون باقى الستة، وفى سنده عبد الله بن ميمون بن داود القداح، وهو منكر الحديث متروك، وقد أخرجه أبو الشيخ فى (أخلاق النبى): ١٥٧ من حديث حفصة نحوه مطولاً وهو ضعيف، والترمذى فى (الشمائل): ٢٦٩- ٢٧٠، حديث رقم (٣٣٠)، وابن سعد فى (الطبقات): ١ / ٤٦٥، مختصراً، عن أم شبيب عن عائشة رضى الله عنهما، أنها كانت تفرش للنبى عباءة مثنية، فجاء ليلة وقد ربَّعْتُها فنام عليها، فقال يا عائشة!! ما لفراشى ﷺ الليلة ليس كما كان؟ قلت: يا رسول الله ربَّعتُها لك؛ قال: فاعيديه كما كان.

[وأما اللحاف]

فروى ابن حيَّان من حديث يونس بن عمرو، عن العيزار بن حريث، عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يصلى وعليه طرف اللحاف وعليَّ طرفه ثم يصلى(١).

وروى أبو يعلى من حديث جبلة بن عطية، عن إسحاق بن عبد الله، عن ابن عباس رضى الله عنه قال: تضيفتُ ميمونة وهى خالتى، فجاءت بكساء فطرحته وفرشته للنبى ﷺ ثم جاءت بخرقة فطرحتها عند رأس الفراش، فجاء رسول الله ﷺ وقد صلى العشاء الآخرة، فانتهى إلى الفراش، فأخذ خرقة عند رأس الفراش فاستتر بها، وخلع ثوبيه فعلقهما، ثم دخل معها فى لحافها.

ولمسلم من حديث وكيع، حدثنا طلحة بن يحيى قال: سمعت عائشة رضى الله عنها قالت: كان النبى ﷺ يصلى من الليل وأنا إلى جانبه وأنا حائض، وعليّ مرط وعليه بعضه(٢). [إلى جنبه](٣).

[وأما الوسادة]

فخرج مسلم من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان وسادة(٤) رسول الله ﷺ الذى يتكئ عليها(٤)،

---

(١) (أخلاق النبى): ١٥٨.

(٢) (مسلم بشرح النووى): ٤/ ٤٧٧، كتاب الصلاة، باب (٥١) الاعتراض بين يدى المصلى، حديث رقم (٢٧٤).

(٣) زيادة للسياق من (المرجع السابق)، وأخرجه ابن ماجة فى سننه، كتاب الطهارة وسننها، باب (١٣١) فى الصلاة فى ثوب الحائض، حديث رقم (٦٥٢)، (٦٥٣)، والمرط: كساء من صوف أو خز، ويكون إزاراً ورداءً.

(٤) فى الأصلين: «وساد» و«عليها» وما أثبتناه من صحيح مسلم.

من أدم حشوه ليف(١).

ولأبى داود(٢) [وابن حبان](٣) من حديث وكيع عن إسرائيل عن سماك، عن جابر بن سمرة قال: دخلت على النبى ﷺ فى بيته فرأيته متكئًا على وسادة على يساره(٤).

ولابن حبَّان من حديث مبارك بن فضالة، عن الحسن عن أنس [رضى الله عنه] قال: دخلتُ على النبى ﷺ وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف.

وله من حديث يحيى بن سعيد، عن عبيد بن حنين، عن ابن عباس عن

---

(١) (مسلم بشرح النووى): ١٤ / ٣٠٢، كتاب اللباس والزينة باب (٦) التواضع فى اللباس، والاقتصار على الغليظ منه، واليسير فى اللباس والفراش وغيرها، حديث رقم (٣٧).

(٢) (سنن أبي داود): ٤ / ٣٨٠، كتاب اللباس، باب (٤٥) فى الفُرُش، حديث رقم (٤١٤٣)، وقال: زاد ابن الجراح: على يساره.

(٣) ما بين الحاصرتين ليس فى (ج)، وأخرجه ابن حبان فى (الصحيح): ٢ / ٣٥٠، كتاب البر والإحسان، باب (١٣) الصحبة والمجالسة، ذكر إباحة اتكاء المرء على يساره إذا جلس، حديث رقم (٥٨٩)، وإسناده حسن، سماك: هو ابن حرب الذهلى البكرى الكوفى، صدوق إلا فى روايته عن عكرمة خاصة ففيها اضطراب. (هامش الإحسان).

(٤) وأخرجه ابن عدى فى (الكامل): ١ / ٤٢٥، فى ترجمة إسرائيل بن يونس بن أبى إسحاق السبيعى الكوفى رقم (٢٣٧): حدثنا إسحاق بن منصور، عن إسرائيل عن سماك، عن جابر بن سمرة، قال: رأيت النبى ﷺ متكئًا على وسادة على يساره.

قال الشيخ: وهذا الحديث يعرف بإسحاق بن منصور، عن إسرائيل، زاد فى متنه: «على يساره»، حتى وجدناه فى حديث حسين بن حفص عن إسرائيل مثله: حدثنا حسين بن حفص، حدثنا إسرائيل، عن سماك، عن جابر بن سمرة، قال: رأيت النبى ﷺ متكئًا على يساره

قال الشيخ: وحديث وكيع حدثناه محمد بن الحسن القصير، حدثنا عباس بن يزيد بن أبى حبيب، حدثنا وكيع، حدثنا إسرائيل عن سماك، عن جابر بن سمرة: دخلت على النبى ﷺ فى بيته فرأيته متكئًا على وسادة.

عمرو - وهو حديث الإيلاء الطويل - وفى بعض طرقه، وأنه يعنى رسول الله ﷺ لعلى حصير ما بينه وبينه شئ، وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف.

وللترمذى فى (الشمائل)، من حديث إسحاق بن منصور، عن إسرائيل عن سماك بن حرب، عن جابر بن سمرة قال: رأيتُ رسول الله ﷺ متكئًا على وسادة على يساره[1].

ومن حديث وكيع، عن إسرائيل، عن سماك عن جابر بن سمرة قال: رأيت رسول الله ﷺ متكئًا على وسادة. قال أبو عيسى: لم يذكر وكيع فيه: على يساره. وهكذا رواه غير واحد عن إسرائيل نحو رواية وكيع، ولا نعلم أحداً ذكر فيه على يساره إلا ما روى إسحاق بن منصور عن إسرائيل[2].

---

(١) (الشمائل المحمدية): ١١٨، باب (٢٢) ما جاء فى تُكَأة رسول الله ﷺ، حديث رقم (١٣١)، وهو حديث صحيح، واخرجه الترمذى ايضًا فى (السنن): ٥ / ٩١، كتاب الأدب، باب (٢٣) ما جاء فى الاتكاء، حديث رقم (٢٧٧٠)، من حديث إسحاق بن منصور الكوفى، أخبرنا إسرائيل عن سماك ابن حرب، عن جابر بن سمرة، قال: رأيت النبى ﷺ متكئًا على وسادة على يساره. قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب، وروى غير واحد هذا الحديث عن إسرائيل، عن سماك، عن جابر بن سمرة، قال: رأيت النبى ﷺ متكئًا على وسادة، ولم يذكر: على يساره.

وحديث رقم (٢٧٧١): حدثنا يوسف بن عيسى، حدثنا وكيع، عن إسرائيل، عن سماك بن حرب، عن جابر بن سمرة، قال: رأيتُ النبى ﷺ متكئًا على وسادة. [قال أبو عيسى]: هذا حديث صحيح.

واخرجه أيضًا الدارمى فى (السنن): ٢ / ١٧٦، باب الأعتراف بالزنا، من طرق عن إسرائيل به.

واخرجه الإمام أحمد فى (المسند): ٦ / ١١٤، حديث رقم (٢٠٤٦٨)، من حديث جابر بن سمرة، وابن سعد (الطبقات): ١ / ٤٦٥، ذكر ضجاع رسول الله ﷺ وافتراشه.

(٢) (الشمائل المحمدية): ١٢٠، باب (٢٢) ما جاء فى تُكاة رسول الله ﷺ، حديث رقم (١٣٥)، راجع التعليق السابق.

ولابن حيَّان من حديث عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت: رأيت رسول الله ﷺ متكئًا على وسادة فيها صور(١).

وللحاكم من حديث أنس بن مالك قال: دخل سلمان الفارسى على عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو متكئ على وسادة فألقاها له، فقال سلمان رضى الله عنه: [صدق الله ورسوله، فقال عمر: حدثنا يا أبا عبد الله، قال(٢):] دخلتُ على رسول الله ﷺ وهو متكئ على وسادة فألقاها إلى ثم قال: يا سلمان، ما من مسلم يدخل على أخيه المسلم فيلقى له وسادة إكرامًا له، إلا غفر الله له(٣).

والوِساد، والوسادة، بكسر الواو: هى المِرفقة بكسر الميم، ويقال لها اليوم: مِخدّة(٤)، وكان صاحب وسادة رسول الله ﷺ: عبد الله بن مسعود

---

(١) (أخلاق النبى): ٢٤٦.

(٢) زيادة للسياق من (المستدرك).

(٣) (المستدرك): ٣/٦٩٢، كتاب معرفة الصحابة، حديث رقم (٦٥٤٢) وقد حذفه الذهبى من (التلخيص)، ومعلى بن مهدى الموصلى، قال أبو حاتم: يأتى أحيانا بالمناكير. قال الذهبى: هو من العباد الخيرة، صدوق فى نفسه. (الميزان): ٤/١٥١.

(٤) الوساد والوسادة: المِخدَّة، والجمع وَسائد ووسد. ابن سيده وغيره: الوساد: المُتكأ، وقد توسد وَوَسَّدهُ إياه فتوسد إذا جعله تحت رأسه.

وفي الحديث: قال لعدى بن حاتم: إن وسادك إذن العريض؛ كنى بالوساد عن النوم لأنه مظنته، أراد أن نومك إذن كثير، وكنى بذلك عن عرض قفاه وعظم رأسه، وذلك دليل الغباوة؛ ويشهد له الرواية الأخري: لعريض القفا، وقيل: أراد أن من توسد الخيطين المكنى بهما عن الليل والنهار لعريض الوساد.

وفي حديث أبي الدرداء: قال له رجل: إنى أريد أن أطلب العلم وأخشي أن أضيعه، فقال: لأن=

رضى الله عنه، وقد تقدم التعريف به.

[وأما القطيفــة]

فروى ابن حبان من حديث الربيع بن صبيح، عن يزيد عن أنس [رضى الله عنه] قال: حج رسول الله ﷺ على رَحل رث، وقطيفة لا تساوى أربعة دراهم(١).

= تتوسد العلم خير لك من أن تتوسد الجهل.

وفى الحديث: أن شريحًا الحضرمى ذكر عند رسول الله ﷺ، فقال: ذاك رجل لا يتوسد القرآن. قال ابن الأعرابى: لقوله: لا يتوسد القرآن وجهان: أحدهما مدح والآخر ذم، فالذى هو مدح: أنه لا ينام عن القرآن، ولكن يتجهد به، ولا يكون القرآن متوسَّداً معه، بل هو يداوم على قراءته ويحافظ عليها.

وفي الحديث: لا توسَّدوا القرآن واتلوه حق تلاوته، والذى هو ذم: أنه لا يقرأ القرآن، ولا يحفظه، ولا يديم قراءته، وإذا نام لم يكن معه من القرآن شىء.

وفى حديث آخر: من قرأ ثلاث آيات فى ليلة لم يكن متوسَّداً للقرآن. يقال: توسد فلان ذراعه إذا نام عليه وجعله كالوسادة له، قال الليث: وسَّدَ فلانا وسادة، وتوسَّد وسادة إذا وضع رأسه عليها، وجمع الوسادة وسائد، والوِساد: كل ما يوضع تحت الرأس وإن كان من تراب، أو حجارة. (لسان العرب): ٣/ ٤٥٩-٤٦٠، مختصراً.

(١) (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان): ٩/ ٧٠، كتاب الحج، باب (٥) مقدمات الحج، ذكر إباحة الحج للرجل على الرحال وإن كان موسراً بغيرها، حديث رقم (٣٧٥٤)، ولم يذكر القطيفة، وأخرجه ابن ماجة فى (السنن): ٢/ ٩٦٥، كتاب المناسك، باب (٤) الحج على الرحل، حديث رقم (٢٨٩٠) عن الربيع بن صبيح، عن يزيد بن أبان، عن أنس بن مالك، قال: حج النبى ﷺ على رحل رثّ وقطيفة تساوى أربعة دراهم أو لا تساوى، ثم قال: اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة. لكن قال الحافظ فى (الفتح): ٣/ ٤٨٦: لكن إسناده ضعيف.

وأخرجه البيهقى فى (دلائل النبوة): ٥/ ٤٤٤، باب حجة الوداع، وأبو الشيخ فى (أخلاق النبى): ١٦١.

وأخرجه المتقى الهندى فى (كنز العمال): ٥/ ١٨٨، فصل فى وقوف عرفة، حديث رقم (١٢٥٥٩): عن بشر بن قدامة الضبانى قال: أبصرت عيناى حِبِّى رسول الله ﷺ واقفًا بعرفات =

. . . .

= مع الناس، على ناقة له حمراء قصواء، تحته قطيفة بولانية، وهو يقول: اللهم اجعلها حجة غير رياء ولا رياء ولا سمعة، والناس يقولون: هنا رسول الله ﷺ. وعزاه لابن خزيمة، والباوردى، وابن منده، وأبو نعيم.

وأخرجه أبو نعيم فى (الحلية): ٣/ ٥٤، في ترجمة يزيد بن أبان الرقاشي رقم (٢٠٥)، ٦/ ٣٠٨، في ترجمة الربيع بن صبيح رقم (٣٨٢).

وأخرجه العقيلى فى (الضعفاء): ٢/ ٨، فى ترجمة خالد بن عبد الرحمن المخزومى – قال البخارى: ذاهب الحديث.

قال ابن أبى حاتم فى (العلل): ١/ ٢٨٧، باب علل فى أخبار المناسك. حديث رقم (٨٥٦): عن ابن عباس قال: غدا رسول الله ﷺ من منى فلما انبعثت به راحلته وعليها قطيفة قد اشتريت بأربعة دراهم قال: اللهم اجعلها حجة مبرورة لا رياء فيها ولا سمعة. قال أبي هذا حديث باطل، ليس هو من حديث ابن جريج.

وأخرجه البيهقى فى (السنن الكبرى): ٤/ ٣٣٣، كتاب الحج، باب من اختار الركوب، وقال: «تحته قطيفة بولانية».

وأخرجه ابن عدى فى (الكامل فى ضعفاء الرجال): ٣/ ١٣٣، فى ترجمة ربيع بن صبيح أبو حفص السعدى رقم (٢/ ٦٥٢)، وقال مرة: وقطيفة تساوى أو لا تساوى أربعة دراهم، ومرة: وقطيفة لا تساوى أربعة دراهم.

وعن الربيع بن صبيح أخرجه الترمذى فى (الشمائل المحمدية): ٢٧٤ – ٢٧٥، باب (٤٨) ما جاء فى تواضع رسول الله ﷺ، حديث رقم (٣٣٥)، وحديث رقم (٣٤١).

قال ابن المدينى: قلت ليحيى بن سعيد: ما أراك حدثت عن الربيع بن صبيح بشيء؟ قال: لا، ومبارك بن فضالة أحب إلى منه.

وقال حرملة عن الشافعي: كان الربيع بن صبيح غزاء، وإذا مدح الرجل بغير صنعته فقد وهض أى دق عنقه، وقال عفان بن مسلم: أحاديثه كلها مقلوبة.

وقال أبو الوليد: كان لا يدلس، وكان المبارك بن فضالة أكثر تدليسا منه، وقال أبو داود عن أبى الوليد: ماتكلم أحد فيه إلا والربيع فوقه. وقال عبد الله بن أحمد عن أبيه: لا بأسَ به، رجل صالح.

قال عبد الله: سألت يحيى بن معين عن المبارك بن فضالة فقال: ضعيف الحديث مثل الربيع بن صبيح فى الضعف. وقال عثمان الدارمي: سألت ابن معين عنه فقال: ليس به بأسٌ. وقال ابن أبى خيثمة عن ابن معين: ضعيف الحديث.

وقال مسلم بن إبراهيم، عن شعبة: الربيع من سادات المسلمين، وقال يعقوب بن شيبة: رجل صالح صدوق، ثقة ضعيف جداً. =

[وأما القبة]

فذكر البخارى فى الصلاة، من حديث أبى جحيفة [رأيتُ] النبى ﷺ وهو فى قبة حمراء من أدم. الحديث[1].

وذكر فى المغازى من حديث يونس عن ابن شهاب قال: أخبرنى أنس بن مالك [رضى الله عنه] قال: أرسل رسول الله ﷺ إلى الأنصار فجمعهم فى قبة من أدم. الحديث[2]، وذكره فى كتاب اللباس مختصراً، وترجم عليه باب القبة الحمراء من أدم[3].

وخرَّج أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النَّسائى من حديث سماك،

= وقال ابن عدى: له أحاديث صالحة مستقيمة، ولم أر له حديثًا منكرًا جدًا، وارجو انه لا باسَ به ولا برواياته، قال محمد بن المثنى وغيره: مات سنة (١٦٠) بأرض السند. له ترجمة فى (تهذيب التهذيب): ٣ / ٢١٤–٢١٥، ترجمة رقم (٤٧٤)، (الضعفاء الكبير): ٢ / ٥٢، ترجمة رقم (٤٨٣)، (ميزان الاعتدال): ٢ / ٤١، ترجمة رقم (٢٧٤١) وغير ذلك.

(١) (فتح البارى): ١ / ٦٣٩، كتاب الصلاة، باب (١٧) الصلاة في الثوب الأحمر، حديث رقم (٣٧٦): عن أبى جحيفة عن أبيه قال: رأيت رسول الله ﷺ فى قبة حمراء من أدم، ورأيت بلالا أخذ وَضوء رسول الله ﷺ ورأيت الناس يبتدرون ذاك الوضوء، فمن أصاب منه شيئًا تمسح به، ومن لم يُصب منه شيئا أخذ من بلل يد صاحبه، ثم رأيت بلالا أخذ عنزة فركزها، وخرج النبى ﷺ فى حلة حمراء مشمراً صلى إلى العنزة بالناس ركعتين، ورأيت الناس والدواب يمرون بين يدى العنزة.

(٢، ٣) (المرجع السابق): ٦ / ٣٠٨، كتاب فرض الخمس، باب (١٩) ما كان النبى ﷺ يعطى المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، حديث رقم (٣١٤٧)، ٨ / ٦٦، كتاب المغازى، باب (٥٧) غزوة الطائف، حديث رقم (٤٣٣١)، (٤٣٣٣)، ١٠ / ٣٨٤–٣٨٥، كتاب اللباس، باب (٤٢) القبة الحمراء من أدم، حديث رقم (٥٨٥٩)، (٥٨٦٠)، ١٣ / ٥٢٠، كتاب التوحيد، باب (٢٤) قول الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾، حديث رقم (٧٤٤١)، وأخرجه مسلم فى كتاب الصلاة ، باب (٤٧) سترة المصلى، حديث رقم (٢٤٩).

(مسلم بشرح النووى): ٧ / ١٥٧، كتاب الزكاة، باب (٤٦) إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوى، حديث رقم (١٣٢).

و(مسند أحمد): ٣ / ٦٤٥، حديث رقم (١٢٢٨٥)، ٤ / ١٣٣–١٣٤ حديث رقم (١٣١٦٢).

عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو فى قبة حمراء، فى نحو أربعين رجلاً، فقال: إنكم مفتوح لكم [وأنتم][٣] منصورون [مصيبون][٣] فمن أدرك ذلك منكم. فليتق الله، وليأمر بالمعروف ولينه عن المنكر وليصل رحمه[١]. زاد الحاكم: ومثل الذى يعين قومه على غير الحق، كمثل البعير يتردى، فهو يمد بذنبه. قال: هذا حديث صحيح الإسناد[٢] [ولم يخرجاه][٣].

[وأما الكرسى]

فخرج مسلم، والنسائى، وأحمد، وابن حبان من حديث إسحاق بن سويدان، أخبرنا رفاعة قال: أتيت النبى ﷺ وهو على كرسىّ خِلتُ قوائمه حديد، ومن حديث حميد بن هلال عن أبى رفاعة العدوىّ قال: أتيت النبى ﷺ وهو يخطب فقلت: رجل غريب جاء يسأل عن دينه، فأقبل إلىّ وترك خطبته حتى انتهى إلىّ، فأتى بكرسى خِلتُ قوائمه حديداً، فقعد عليه وجعل يعلمنى مما علمه الله، ثم أتى خطبته فأتم آخرها. وفى لفظ: قال حميد أراه رأى خشباً أسود حسبه حديداً. انفرد بإخراجه مسلم[٤].

---

(١) لم أجده فى (المجتبى)، ولعله في (الكبرى).

(٢) (المستدرك): ٤/١٧٥-١٧٦، كتاب البرّ والصلة، حديث رقم (٧٢٧٥)، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): صحيح.

(٣) زيادة للسياق من (المستدرك).

وفى (الاحسان): ٦/١٥٣، كتاب الصلاة، باب (١٦) ما يكره للمصلى وما لا يكره، ذكر البيان بأن صلاة المصطفى ﷺ بمنى كانت السترة قدامه، حيث كان الأتان ترتع قدام المصطفى ﷺ، حديث رقم (٢٣٩٤) من حديث عون بن أبى جحيفة عن أبيه قال: أتيت النبى ﷺ وهو بالأبطح فى قبة له حمراء من أدم...، إسناده صحيح على شرطهما.

(٤) (مسلم بشرح النووى): ٦/٤١٤، كتاب الجمعة، باب (١٥) حديث التعليم فى الخطبة، حديث رقم (٦٠)، هكذا هو فى جميع النسخ «حسبتُ»، ورواه ابن أبى خيثمة فى غير (صحيح =

وذكر ابن قتيبة فقال: أتى بكرسى من خُلب، وقال: الخُلب: الليف[1].

وخرجه البخارى فى الأدب المفرد، ولفظه: عن أبى رفاعة العدوى قال: انتهيتُ إلى النبى ﷺ وهو يخطب، فقلت: يا رسول الله! رجل غريب جاء يسأل عن دينه، لا يدرى ما دينه، فأقبل عليّ وترك خطبته، فأتى بكرسىّ خِلتُ قوائمه حديدا، قال حميد: أراه خشبًا أسود حسبه حديدا، فقعد عليه، فجعل يعلمنى مما علمه الله عز وجل، ثم أتم خطبته آخرها[2].

= مسلم): «خِلتُ» بكسر الخاء وسكون اللام، وهو بمعنى حسبتُ.

قال القاضي: ووقع في نسخة ابن الحذاء: «خشب» بالخاء والشين المعجمتين، وفى كتاب ابن قتيبة: «خُلب» بضم الخاء وآخره باء موحدة، وفسَّره بالليف، وكلاهما تصحيف، والصواب: «حسبت» بمعنى ظننت، كما هو فى نسخ مسلم وغيره من الكتب المعتمدة.

وقوله: «رجل غريب يسأل عن دينه لا يدرى ما دينه» فيه استحباب تلطف السائل في عبارته وسؤاله العالم.

وفيه تواضع النبى ﷺ ورفقه بالمسلمين وشفقته عليهم، وخفض جناحه لهم ﷺ.

وفيه المبادرة إلى جواب المستفتى، وتقديم أهم الأمور فاهمها، ولعله كان سأل عن الإيمان وقواعده المهمة. وقد اتفق العلماء على أن من جاء يسأل عن الإيمان وكيفية الدخول فى الإسلام وجب إجابته وتعليمه على الفور.

وقعوده ﷺ على الكرسى ليسمع الباقون كلامه ويروا شخصه الكريم، ويقال: كرسى بضم الكاف وكسرها، والضم أشهر ويحتمل أن هذه الخطبة التى كان النبى ﷺ فيها خطبة أمر غير الجمعة، ولهذا قطعها بهذا الفصل الطويل.

ويحتمل أنها كانت الجمعة، واستأنفها، ويحتمل أنه لم يحصل فصل طويل ويحتمل أن كلامه لهذا الغريب كان متعلقًا بالخطبة فيكون منها، ولا يضر المشى فى أثنائها. (مسلم بشرح النووي): ٦/٤١٤-٤١٥. (سنن النسائى): ٨/٦١١، كتاب الزينة، باب (١٢٢) الجلوس على الكراسى، حديث رقم (٥٣٩٢).

(١) قال الإمام النووى: وفى كتاب ابن قتيبة طلب بضم الخاء وآخره باء موحدة، وفسّره بالليف، وكلاهما تصحيف، والصواب حسبتُ بمعنى ظننتُ كما هو فى نسخ مسلم وغيره من الكتب المعتمدة. (مسلم بشرح النووى): ٦/٤١٤.

(٢) أخرجه الإمام احمد من حديث أبى رفاعة العدوى مختصراً فى (المسند): ٦/٧٩، حديث رقم (٢٠٢٢٩).

[وروى إبراهيم بن يزيد العدوى البصرى، عن إسحاق بن سويد العدوى، عن أبى رفاعة عبد الله بن الحارث العدوى قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو على كرسى خلتُ أن قوائمه حديد، فسمعته يقول: إنك لن تدع شيئًا لله إلا بدلك الله خيراً منه](١).

[قال الحافظ أبو بكر بن ثابت: كذا قال، واسم أبى رفاعة: تميم بن أسيد، لا عبد الله بن الحارث، حدَّث عنه حميد بن هلال، ولا أعلم روى عنه إسحاق بن سويد شيئًا](١).

قال ابن الجوزى: ولولا ما ذكرناه عن حميد لكان الأليق أن تكون من ليف قوائمه من حرير بالراء، والجريد: السعف.

وذكر المبرد فى الكامل: أنه كان لعمر رضى الله عنه كرسى يجلس عليه، وذكر النسائى أنه كان لعلى رضى الله عنه كرسى يجلس عليه(٢).

[وأما ما كان يصلى عليه]

فخرج البخارى من حديث عبد الله بن شداد بن الهاد، عن ميمونة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يصلى وأنا حذاه وأنا حائض،

---

(١) ما بين الحاصرتين سقط من (ج) وأثبتناه من (خ)، والحديث أخرجه الإمام أحمد فى (المسند): ٦/٤٩٩ بسند آخر ولم يذكر فيه الكرسى، حديث رقم (٢٢٥٦٥).

(٢) (سنن النسائى): ١/٧٣، كتاب الطهارة، باب (٧٦) عدد غسل الوجه، حديث رقم (٩٣): عن علىٍّ رضى الله عنه أنه أُتى بكرسىّ فقعد عليه، ثم دعا بتور فيه ماء فكفأ على يديه ثلاثا...، وباب (٧٧) غسل اليدين، حديث رقم (٩٤): عن عبد خير قال: شهدتُ عليًا دعا بكرسىّ فقعد عليه، ثم دعا بماء فى تور فغسل يديه ثلاثًا...

وأخرجه الإمام أحمد فى (المسند): ١/١٩٦، حديث رقم (٩٩٢) عن عبد خير قال: كنت عند علىٍّ فاتى بكرسى وتور، قال: فغسل كفيه ثلاثًا....، ونحوه باختلاف يسير حديث رقم (١١٨٢)، وكلاهما من مسند على بن أبى طالب.

وربما أصابنى ثوبه إذا سجد، وكان يصلى على الخمرة. ترجم عليه باب: إذا أصاب ثوب المصلى امرأته إذا سجد[1]، وذكره فى باب الصلاة على الخمرة، ولفظه: كان النبى ﷺ يصلى على الخُمرة[2].

وخرّجه مسلم فى موضعين من كتاب الصلاة، وذكر فى أحدهما: وأنا حائض[3]، ولم يذكره فى الآخر، وقال: على خمرة[4]، وخرّجه أبو داود أيضا[5].

ولمسلم من حديث الأعمش، عن أبى سفيان عن جابر قال: حدثنى أبو سعيد الخدرى [رضى الله عنه أنه] دخل على النبى ﷺ، قال: فرأيته

---

(١) (فتح البارى): ١/٦٤٣، كتاب الصلاة، باب (١٩) إذا أصاب ثوب المصلى امرأته إذا سجد، حديث رقم (٣٧٩).

(٢) (فتح البارى): ١/٦٤٧، كتاب الصلاة، باب (٢١) الصلاة على الخُمرة، حديث رقم (٣٨١).
قال ابن بطال: لا خلاف بين فقهاء الأمصار فى جواز الصلاة على الخمرة، إلا ما روى عن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أنه كان يؤتى بتراب فيوضع على الخمرة، فيسجد عليه، ولعله كان يفعله على جهة المبالغة فى التواضع والخشوع، فلا يكون فيه مخالفة للجماعة.

وقد روى ابن أبى شيبة، عن عروة بن الزبير، أنه كان يكره الصلاة على شيء دون الأرض، وكذا روى عن غير عروة، ويحتمل أن يحمل علي كراهة التنزيه، والله تعالى أعلم. (المرجع السابق): ٦٤٣-٦٤٤.

(٣) (مسلم بشرح النووى): ٤/٤٧٧، كتاب الصلاة، باب (٥١) الاعتراض بين يدى المصلى، حديث رقم (٢٧٣).

(٤) (المرجع السابق): حديث رقم (٢٧٤)، وفى هذا دليل على أن وقوف المرأة بجنب المصلى لا يبطل صلاته، وهو مذهبنا ومذهب الجمهور، وأبطلها أبو حنيفة رضي الله عنه.
وفيه أن ثياب الحائض طاهرة، إلا موضعاً تري عليه دماً أو نجاسة أخرى.

وفيه جواز الصلاة بحضرة الحائض، وجواز الصلاة فى ثوب بعضه على المصلى وبعضه على حائض أو غيره، وأما استقبال المصلى وجه غيره فمذهبنا، ومذهب الجمهور كراهته، ونقله القاضى عياض عن عامة العلماء رحمهم الله تعالى. (مسلم بشرح النووى): ٤/٤٧٧.

(٥) (سنن أبى داود): ١/٤٢٩، كتاب الصلاة، باب (٩١) الصلاة علي الخمرة، حديث رقم (٦٥٦).

يصلى على حصير يسجد عليه(١). [قال: ورأيته يصلى فى ثوب واحد متوشحًا به](٢).

وفى رواية له قال: حدثنى أبو سعيد أنه دخل على رسول الله ﷺ فوجده يصلى على حصير يسجد عليه(٣).

والخُمرة بضم الخاء المعجمة وسكون الميم: هى كالحصير الصغير من سعف النخل مُضَفَّر بالسيور ونحوها، بقدر الوجه والكفين، وهى أصغر من أن يصلى عليها، سميت بذلك لأنها تستر الوجه والكفين من برد الأرض وحرّها، فإن كبرت عن ذلك فهى حصير. وفيه دليل على اتخاذ السجادة(٤).

---

(١) (مسلم بشرح النووى): ٤ / ٤٨٠، كتاب الصلاة، باب (٥٢) الصلاة في ثوب واحد وصفة لبسه، حديث رقم (٢٨٤).

(٢) ما بين الحاصرتين تمام الحديث من (المرجع السابق)، وفيه دليل على جواز الصلاة على شيء يحول بينه وبين الأرض من ثوب، وحصير وصوف وغير ذلك، وسواء نبت من الأرض أم لا، وهذا مذهبنا ومذهب الجمهور.

وقال القاضى رحمه الله تعالى: أما ما نبت من الأرض فلا كراهة وأما البُسُط واللبود وغيرها مما ليس من نبات الأرض، فتصح الصلاة فيه بالإجماع، لكن الأرض افضل منه، إلا لحاجة حرٍّ أو برد، أو نحوهما، لان الصلاة سرّها التواضع والخضوع. والله عز وجل أعلم. (مسلم بشرح النووي) ٤ / ٤٨٠-٤٨١.

(٣) راجع التعليق السابق.

(٤) قال فى (اللسان): الخُمْرة : حصير أو سجادة صغيرة تنسج من سعف النخيل وترمل بالخيوط.

وقيل: حصيرة اصغر من المصلى، وقيل: الخمرة الحصيرة الصغير الذي يسجد عليه. وفى الحديث أن النبى ﷺ كان يسجد علي الخمرة، وهو حصير صغير قدر ما يسجد عليه، ينسج من السعف.

قال الزجاج: سميت خُمرة لانها تستر الوجه من الأرض. وفي حديث أم سلمة، قال لها وهى حائض: ناولينى الخمرة، وهى مقدار ما يضع الرجل على وجهه فى سجوده من حصير أو نسيجة خوص من النبات؛ قالك ولا تكون خمرة إلا فى هذا المقدار، وسميت خمرة لانها خيوطها مستورة بسعفها. =

ولمسلم من حديث عائشة رضى الله عنها قالت: قال لى رسول الله ﷺ: ناولينى الخمرة من المسجد، قالت: فقلت: أنا حائض، فقال: «إن حيضتك ليست فى يدك. ذكره من حديث أبى معاوية، عن الأعمش، عن ثابت بن عبيد القاسم بن محمد عن عائشة [رضى الله عنها][(١)].

وذكره من حديث يحيى بن سعيد، عن يزيد بن كيسان، عن أبى حازم، عن أبى هريرة قال: بينما رسول الله ﷺ يومًا فى المسجد فقال: ياعائشة، ناولينى الثوب[(٢)]، فقلتُ: إنى حائض، فقال: إن حيضتك ليست فى يدك، فناولته[(٣)].

= قال ابن الأثير: وقد تكررت فى الحديث، وهكذا فسرت. وقد جاء فى (سنن أبى داود)، عن ابن عباس قال: جاءت فارة فأخذت تجر الفتيلة، فجاءت بها فالقتها بين يدى رسول الله ﷺ على الخمرة التى كان قاعداً عليها، فأحرقت منها مثل موضع درهم.

قال: وهذا صريح فى إطلاق الخمرة علي الكبير من نوعها. (لسان العرب): ٤/٢٥٨.

(١) (مسلم بشرح النووى): ٣/٢١٤، كتاب الحيض، باب (٣) جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله، وطهارة سؤرها، والاتكاء في حجرها، وقراءة القرآن فيه، حديث رقم (١١).

وأخرجه أيضا من حديث أبي غنية عن ثابت بن عبيد، عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت: أمرنى رسول الله ﷺ أن أناوله الخمرة من المسجد فقلت: إنى حائض، فقال: تناوليها فإن الحيضة ليست فى يدك (المرجع السابق): حديث رقم (١٢).

(٢) فى (خ)، (ج): «الخمرة»، وصححناه من (صحيح مسلم).

(٣) (مسلم بشرح النووى): ٣/٢١٤-٢١٥، حديث رقم (١٣).

قال القاضى عياض رضى الله عنه: معناه أن النبى ﷺ قال لها ذلك من المسجد، أى وهو في المسجد لتناوله إياها من خارج المسجد، لأن النبى ﷺ أمرها أن تخرجها له من المسجد، لأنه ﷺ كان في المسجد معتكفًا، وكانت عائشة في حجرتها وهي حائض لقوله ﷺ: «إن حيضتك ليست فى يدك» فإنما خافت من إدخال يدها المسجد، ولو كان أمرها بدخول المسجد لم يكن لتخصيص اليد معنى. والله أعلم.

وأما قوله ﷺ: «إن حيضتك ليست فى يدك»، فهو يفتح الحاء، هذا هو المشهور في الرواية. وهو الصحيح. وقال الإمام أبو سليمان الخطابى: المحدثون يقولونها بفتح الحاء، وهو خطأ، وصوابها =

وخرجه أبو داود[1] والترمذى[2] والنسائى ولفظه[3]: فقالت: إنى لا أصلى[4].

وللنسائى من حديث سفيان، عن منبوذ، عن أمه أن ميمونة قالت: كان رسول الله ﷺ يضع رأسه فى حجر إحدانا فيتلو القرآن وهى حائض، وتقوم إحدانا بالخمرة إلى المسجد فتبسطها وهى حائض. ترجم عليه: بسط الحائض الخمرة فى المسجد[5].

= بالكسر، اى الحالة والهيئة.

وانكر القاضي عياض هذا على الخطابى، وقال: الصواب هنا ما قاله المحدثون من (الفتح)، لان المراد الدم، وهو الحيض بالفتح بلا شك، لقوله ﷺ: ليست فى يدك، معناه ان النجاسة التى يصان المسجد عنها، وهى دم الحيض ليست فى يدك. (المرجع السابق): ٢١٤-٢١٥.

(١) (سنن ابى داود): ١/١٧٩، كتاب الطهارة، باب (١٠٤) في الحائض تناول من المسجد، حديث رقم (٢٦١)، وفي الحديث من الفقه: ان للحائض ان تناول الشيء بيدها من المسجد، وان من حلف لا يدخل داراً او مسجداً فإنه لا يحنث بإدخال يده او بعض جسده فيه، ما لم يدخل بجميع بدنه (معالم السنن للخطابى): ١/١٧٩.

(٢) (سنن الترمذى): ١/٢٤١-٢٤٢، ابواب الطهارة، باب (١٠١) ما جاء فى الحائض تتناول الشيء من المسجد، حديث رقم (١٣٤)، قال: وفى الباب عن ابن عمر، وابي هريرة. قال ابو عيسى: حديث عائشة حديث حسن صحيح، وهو قول عامة أهل العلم، لا نعلم بينهم اختلافًا في ذلك: بأن لا بأس ان تتناول الحائض شيئًا من المسجد.

(٣) عن سفيان، عن منبوذ، عن امه ان ميمونة قالت: كان رسول الله ﷺ يضع راسه فى حجر إحدانا فيتلو القرآن وهى حائض، وتقوم إحدانا بالخمرة إلى المسجد فتبسطها وهى حائض. (سنن النسائى): ١/١٦١، كتاب الطهارة، باب (١٧٤) بسط الحائض الخمرة فى المسجد، حديث رقم (٢٧٢).

(٤) قولها: «لا اصلى» قالته لما قال لها ﷺ: «يا عائشة ناولينى الثوب»، ولم يذكر الخمرة. (المرجع السابق): كتاب الطهارة، باب (١٧٣) استخدام الحائض، حديث رقم (٢٧٠).

(٥) (سنن النسائى): ١/٢١٠-٢١١، كتاب الحيض، باب (١٩) بسط الحائض الخمرة فى المسجد، حديث رقم (٢٨٣).

وخرجه قاسم بن أصبغ من حديث الحميدى، أخبرنا سفيان، حدثنى منبوذ المكى عن أمه قالت: كنا عند ميمونة، فدخل عليها ابن عباس فقالت: أى بنى، مالى أراك أشعث؟ فقال: إن مرجلتى أم عمار حائض، فقالت: أى بنى، وأين الحيضة من اليد، إن كان رسول الله ﷺ ليضع رأسه فى حجر إحدانا وهى حائض، ثم يتلو القرآن، وإن كانت إحدانا لتقوم إليه بخمرتها فتبسطها وهى حائض فيصلى عليها، أى بنى، وأين الحيضة من اليد[1]؟

وخرجه محمد بن أيمن ولفظه: وإن كانت إحدانا لتقوم إليه فتناوله الحصير بيدها وهى حائض. الحديث. وفى لفظ له: قالت: كنت عند ميمونة، فذكر مثل حديث الحميدى عن سفيان وقال: ثم تقوم إحدانا بخمرته فتضعها فى مسجده[1].

وللإمام أحمد من حديث محمد بن ربيعة، أخبرنا يونس بن الحارث الطائفى، عن أبى عون عن أبيه، عن المغيرة بن شعبة قال: كان النبى ﷺ يصلى - [أو يستحب أن يصلى[2]]- على فروة مدبوغة[3]. [وكانت له عليه السلام جفنة يطعم فيها الناس، يحملها أربعة رجال تسمى الغرَّاء][4].

* * *

---

(١) راجع التعليق السابق.

(٢) زيادة للسياق من (المسند).

(٣) (مسند أحمد): ٥/ ٣١١، حديث رقم (١٧٧٦٢) من حديث المغيرة بن شعبة.

(٤) ما بين الحاصرتين ليس فى (المسند)، في (خ)، (ج) فقط.

فصل فى ذكر سلاح رسول الله ﷺ

اعلم أنه كان لرسول الله ﷺ سلاح وآلات حرب، ما بين: سيوف، ودروع، وقِسِيّ، وسهام، ومغفر، وألوية، ورايات، وعَنَزة.

[فأمّا سُيوفه ﷺ]

فتسعة: مأثور(١)، والعضب(٢)، وذو الفقار(٣)، والقلعى، والبتّار(٤)، والحتف(٥)، والرسوب، والمخدم(٦)، والقضيب(٧)، وأشهرها ذو الفقار، ويقال: إن أصله من حديدة وجدت مدفونة عند الكعبة فصنع منها، [وكان طوله سبعة أشبار وعرضه شبرا](٨).

قال الواقدى: فحدثنى عبد الرحمن بن عبد الله بن ذكوان عن أبيه، عن

(١) وهو أول سيف ملكه، ورثه ﷺ من أبيه. (زاد المعاد): ١/ ١٣٠، فصل فى ذكر سلاحه وأثاثه ﷺ.

(٢) أعطاه إياه سعد بن عبادة (الوافى): ١/ ٩١.

(٣) بكسر الفاء، وبفتح الفاء، وكان لا يكاد يفارقه، وكانت قائمة قبيعته، وحلقته، وذؤابته، وبكراته، ونعله من فضة. تنفّله يوم بدر من بنى الحجاج السُّهميين، ورأي فى النوم فى ذبابه ثلمة فأولها هزيمة، وكانت يوم أحد. (زاد المعاد): ١/ ١٣٠، (الوافى): ١/ ٩١.

(٤) فى (خ): «القلعى وهو البتار»، وما أثبتناه من سائر المراجع وهو الصحيح.

(٥) وأصاب من سلاح بنى قينقاع ثلاثة أسياف: سيف قلعىّ بفتح اللام، وسيف يدعى بتارًا، وسيف يدعى الحتف. (الوافى): ١/ ٩١.

(٦) وكان له المخدم والرسوب، أصابهما من الفُلس، وهو صنم لطيء، (الوافى): ١/ ٩١.

(٧) والقضيب، وهو أول سيف تقلد به ﷺ. (الوافى): ١/ ٩١.

(٨) ما بين الحاصرتين سقط من الناسخ فى (ج).

عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس [رضى الله عنهما]، حدثنى محمد بن عبد الله عن الزهرى، عن سعيد بن المسيب قالا: تنفل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار يومئذ - يعنى يوم بدر - وكان لمنبه بن الحجاج، وكان رسول الله ﷺ قد غزا إلى بدر بسيف وهَبَه له سعد بن عبادة يقال له: العضب، ودرعه ذات الفضول(١)، فسمعت ابن أبى سبرة يقول: سمعت صالح بن كيسان يقول: خرج رسول الله ﷺ يوم بدر وما معه سيف، وكان أول سيف تقلده سيف منبه بن الحجاج، غنمه يوم بدر](٢).

ولابن حيَّان من حديث عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه، عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس رضى الله عنهما [قال] إن رسول الله ﷺ سل سيفه ذا الفقار يوم بدر، وهو الذى رأى فيه الرؤيا يوم أحد(٣).

ومن حديث يزيد بن أبى حبيب، عن مرثد بن عبد الله، عن عبد الله بن ذرير، عن [عمر] رضى الله عنه قال: كان اسم سيف رسول الله ﷺ ذا الفقار(٤).

ومن حديث وكيع عن إسرائيل، عن جابر قال: أخرج إلينا علىٌّ بن الحسين سيف رسول الله ﷺ، فإذا قبيعته والحلقتان اللتان فيهما الحمائل فضة، قال: فسللتُه، فإذا هو [سيف](٥) قد نحل، كان سيفًا لمنبه بن

---

(١) (مغازى الواقدى): ١/١٠٣.

(٢) زيادة للسياق من (المرجع السابق).

(٣) (أخلاق النبى): ١٣٩.

(٤) أخرجه الحافظ العراقى فى (المغنى عن حمل الأسفار): ٢/٥٨٥، ضمن حديث طويل للطبرانى، وقال: وفيه على بن غررة الدمشقى، نُسب إلى وضع الحديث، ورواه أبو الشيخ من حديث الحسن مرسلا، وله من حديث على بن أبى طالب: كان اسم سيف رسول الله ﷺ ذا الفقار.

(٥) زيادة للسياق من (طبقات ابن سعد).

الحجاج السهمى، اتخذه[١] رسول الله ﷺ يوم بدر[٢].

وعن الشعبى [قال]: أخرج إلينا على بن الحسين سيف رسول الله ﷺ، فإذا قبيعته من فضة، وإذا حلقته التى تكون فيها الحمائل من فضة، وسلسلته، وإذا هو سيف قد نحل، كان لمنبه بن الحجاج [و] أصابه يوم بدر[٣].

[وذكر الزبير بن بكار، أن رسول الله ﷺ أعطى ذا الفقار علىَّ بن أبى طالب يوم أحد، ويقال إن ذا الفقار كان لنبيه بن الحجاج، وقال الكلبى: كان للعاص بن منبه بن الحجاج][٤].

ويروى عن ابن عباس رضى الله [عنهما]، أن الحجاج بن علاط أهدى لرسول الله ﷺ [سيفه] ذا الفقار، وأن دحية أهدى له بغلته الشهباء.

وقال ابن سيرين: صنعتُ سيفى على سيف سمرة، وقال سمرة: صنعت سيفى على سيف رسول الله ﷺ وكان حتفياً.

وقال محمد بن حمير: أخبرنا أبو الحكم الصيقل، حدثنى مرزوق الصيقل، أن صقل سيف رسول الله ﷺ ذا الفقار كانت قبيعة من فضة وحلق فى قيده، وبكر فى وسطه من فضه.

وفى رواية: كانت له قبيعة من فضة، وبكرة فى وسطه من فضة، وحلقها من فضة. قال ابن عبد البر: فى إسناد حديثه لين.

ولأبى داود من حديث جرير بن حازم قال: أخبرنا قتادة عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: كانت قبيعة سيف رسول الله ﷺ فضة[٥]. ومن

---

(١) فى (المرجع السابق): «أصابه يوم بدر».

(٢) (طبقات ابن سعد): ١/٤٨٦.

(٣) راجع التعليق السابق.

(٤) ما بين الحاصرتين زياد من (خ) وليست فى (ج).

(٥) (سنن أبى داود): ٣/٦٨-٦٩، كتاب الجهاد، باب (٧١) فى السيف يحلى، حديث رقم =

حديث قتادة، عن سعيد بن أبى الحسن قال: كانت قبيعة سيف رسول الله ﷺ فضة[1]، قال قتادة: وما علمت أحداً تابعه [عليه][2].

ومن حديث يحيى بن كثير [أبو عثمان العنبرى][3]، عن عثمان بن سعد[4]، عن أنس [بن مالك][4] قال: كانت [قبيعة سيف رسول الله ﷺ فضة][5]. قال أبو داود: أقواها حديث سعيد بن أبى الحسن، والباقى كلها ضعاف[6].

وخرّجه الترمذى من حديث جرير بن حازم، أخبرنا[7] أبى عن قتادة، عن أنس [رضى الله عنه قال]: كانت قبيعة سيف رسول الله ﷺ من فضة. قال: هذا حديث حسن غريب[8]، [وهكذا روى عن همام عن قتادة عن أنس][9] وقد روى بعضُهم عن قتادة، عن سعيد بن أبى الحسن قال: كانت قبيعة سيف رسول الله ﷺ من فضة[10].

= (٢٥٨٣)، وقبيعة السيف هى التومة التى فوق المقبض، ويستدل به على جواز تحلية اللجام باليسير من الفضة، وسقوط الزكاة عنه علي مذهب من يسقط الزكاة عن الحلى.

وقد قيل: إنه لا يجوز ذلك لأنه من زينة الدابة، وإنما جاز ذلك فى السيف، لأنه من زينة الرجل وآلته، فيقاس عليه المنطقة ونحوها من أداة الفارس دون أداة الفرس. (معالم السنن) ١٠/٦٨.

(١) (المرجع السابق): حديث رقم (٢٥٨٤).

(٢) كذا فى الأصلين (خ)، (ج)، وفى (المرجع السابق): «تابعه علي ذلك».

(٣) زيادة للسياق من (المرجع السابق).

(٤) عثمان هو أبو بكر التميمى البصرى الكاتب - تكلم فيه غير واحد.

(٥) كذا فى الأصلين، وفي (المرجع السابق): «قال: كانت فذكر مثله».

(٦) (المرجع السابق): حديث رقم (٢٥٨٥).

(٧) كذا فى الأصلين، وفى (سنن الترمذى): «حدثنا».

(٨) (سنن الترمذى): ٤/١٧٣-١٧٤، كتاب الجهاد، باب (١٦) ما جاء فى السيوف وحليتها، حديث رقم (١٦٩١).

(٩) زيادة للسياق من (المرجع السابق).

(١٠) (المرجع السابق): ١٧٤.

وخرّج الإمام أحمد من حديث عفّان قال: جاء أبو جزى - واسمه نصر ابن طريف - إلى جرير بن حازم، يشفع لإنسان، فحدثه جرير، فقال جرير: أخبرنا قتادة عن أنس [رضى الله عنه] قال: كانت قبيعة سيف رسول الله ﷺ من فضة، قال أبو جزى: كذب، والله ما حدثناه قتادة الأغر سعيد بن أبى الحسن. قال أحمد: وهو قول أبى جزي، يعني أصاب وأخطأ جرير، قلت: جرير بن حازم ثقة، وأبو جزى متروك الحديث، إلا أنه أصاب فى هذا، وأخطأ جرير بن حازم(١).

قال ابن معين: أبو جزى ليس حديثه بشيء، وقال أبو حفص عمرو بن العلاد الفلاس: أجمع أهل العلم من أهل الحديث أنه لا يروى عن جماعة سمَّاهم، أحدهم أبو جزى نصر بن طريف(١).

وقال ابن أبى حاتم: سألتُ أبي عن أبي جزى نصر بن طريف فقال: ليس بشيء، وهو متروك الحديث(١).

---

(١) نصر بن طريف أبو جُزَىّ الباهلى البصرى، روى عن قتادة؛ وحماد بن أبى سليمان، قال ابن المبارك: كان قدريًا، وقال احمد: لا يكتب حديثه، وقال النسائى وغيره: متروك، وضعَّفه العجلى، وذكره العقيلى فى الضعفاء، وقال الخليلى في (الإرشاد): ضعفوه.

عبد الرحمن بن مهدى: مرض أبو جزى فدخلنا عليه فقال: اسندونى، فَسُنِد وقال: فاقبل علينا فقال: كلّ ما حدثتكم عن فلان وفلان الذى قال ليس عندى عنهما، [يعترف بانه غيَّر فى الأسانيد].

وهب بن زمعة عن عبد الله بن المبارك أنه ترك حديث نصر بن طريف أبو جزى قال احمد بن حنبل: ولا يكتب حديث نصر بن طريف أبو جزى، ويحيى بن معين يقول: ومن المعروفين بالكذب وبوضع الحديث أبو جزى نصر بن طريف.

وقال ابن عدى فى (الكامل) بعد ان ذكر عدة أحاديث من مرويات ابى جزى: ولأبي جزى غير ما ذكرت من الحديث من المناكير وغيره، وربما يحدث باحاديث يشارك فيها الثقات، إلا ان الغالب على رواياته أنه يروى ما ليس محفوظًا، وينفرد عن الثقات بمناكير، وهوبيّن الضعف، وقد اجمعوا على ضعفه. له ترجمة فى (الكامل فى الضعفاء): ٧/ ٣٠-٣٥، ترجمة رقم (١٧/ ١٩٧٠)، (لسان الميزان): ٦/ ١٨٣، ترجمة رقم (٤٤ / ٨٧٧٧)، (المغنى فى الضعفاء): =

وللترمذي من حديث طالب بن حجير، عن هود بن عبد الله بن سعد(١) عن جده قال: دخل رسول الله ﷺ [مكة](٢) يوم الفتح وعلى سيفه ذهب وفضة، قال طالب: فسألته عن الفضة، فقال: كان قبيعة السيف فضة(٣).

[قال أبو عيسى: وفى الباب عن أنس، وهذا حديث حسن غريب، وجُدّ هود اسمه مزيدة العصفرى](٤).

وللنسائى من حديث أنس رضي الله عنه قال: كان نصل [سيف]

= ٢/٦٩٦، ترجمة رقم (٦٦١٣)، (ميزان الاعتدال): ٤/٢٥٤، ترجمة رقم (٩٠٤٧).

(١) فى (سنن الترمذى): «سعد»، وفى (الأصلين): «سعيد».

(٢) زيادة من (الأصلين)، وهى فى رواية الترمذى فى (الشمائل).

(٣) (سنن الترمذى): ٤/١٧٣، كتاب الجهاد، باب (١٦) ما جاء فى السيوف وحليتها، حديث رقم (١٩٦٠).

(٤) زيادة للسياق من (المرجع السابق).

واخرج الترمذى فى (الشمائل): ٩٨، باب (١٤) ما جاء فى صفة سيف رسول الله ﷺ، حديث رقم (١٠٦) من حديث وهب بن جرير، عن أبيه، عن قتادة، عن أنس، قال: كانت قبيعة سيف رسول الله ﷺ من فضة، وهو حديث صحيح. والقبيعة - بفتح القاف -: ما علي رأس مقبض السيف من فضة أو حديد أو غيرهما، أو هي التى تكون على رأس قائم السيف، وقيل: هى ما تحت شاربى السيف.

وهو حديث صحيح ورجال إسناده ثقات كلهم، غير أن جرير بن حازم فى حديثه عن قتادة ضعف، قاله ابن معين وغيره، وأيضا قتادة مدلس وقد عنعن، ولكن يخفف من هذه العنعنة أن فى إحدى الطرق الراوى عنه همام، وهو ثبت فى قتادة، ولكن للحديث طرق عن أنس وشواهد يصح بها.

والحديث اخرجه الدارمى في (السنن): ٢/٢٢١، كتاب السير، باب فى قبيعة سيف رسول الله ﷺ عن أنس قال: كان قبيعة سيف رسول الله ﷺ فضة، قال عبد الله: هشام الدستوائى خالفه، قال قتادة عن سعيد بن أبى الحسن عن النبى ﷺ وزعم الناس أنه هو المحفوظ.

وابن سعد فى (الطبقات): ١/٤٨٧ من حديث قتادة عن أنس، فى ذكر سيوف رسول الله ﷺ، وأبو الشيخ فى (أخلاق النبى): ١٤٠، والطحاوى فى (مشكل الآثار): ٢/١٦٦-١٦٧، =

رسول الله ﷺ فضة، وقبيعة سيفه فضة، وما بين ذلك حلق فضّة(١).

= باب بيان مشكل ما روى عن رسول الله ﷺ فى إباحته تحلية السيف بالفضة، وابن عدى فى (الكامل): ٢/١٢٦، فى ترجمة جرير بن حازم بن زيد الجهضمى رقم (٨/٣٣٣)، والبيهقى فى (السنن الكبرى): ٤/١٤٣. كتاب الزكاة، باب ما ورد فيما يجوز للرجل أن يتحلى به من خاتمة وحلية سيفه، ومصحفه، إذا كان من فضة، ثم قال: وهذا مرسل، وهو المحفوظ، وروى من وجه آخر موصولا عن أنس.

وقد أعله أبو داود، والدارمى، والبيهقى، بأن هشام الدستوائى رواه عن قتادة، عن سعيد بن أبى الحسن البصرى مرسلاً، وهو الحديث رقم (١٠٧) من (الشمائل المحمدية): عن قتادة، عن سعيد ابن أبى الحسن البصرى، قال: كانت قبيعة سيف رسول الله ﷺ من فضة، وهو حديث مرسل.

وأما الحديث رقم (١٠٨) من (الشمائل المحمدية): من حديث طالب بن حجير، عن هود - وهو ابن عبد الله بن سعيد - عن جده قال: دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح، وعلى سيفه ذهب وفضة، وهو حديث ضعيف، وفي إسناده هود بن عبد الله، قال عنه ابن القطان: مجهول. وقال الذهبى فى (الميزان): لا يكاد يعرف، وذكره ابن حبان فى (الثقات)، وقال عنه الحافظ فى (التقريب): مقبول. يعنى عند المتابعة، وإلا فلين الحديث. وشيخ المصنف هو محمد بن إبراهيم بن صدران المؤذن، وهو صدوق، وكذا طالب بن حجير صدوق، وجد هود هو مزيدة - وهو جده لأمه، وهو صحابى قليل الحديث، والحديث أخرجه أبو الشيخ فى (أخلاق النبى): ١٤٠.

وأما الحديث رقم (١٠٩) من (الشمائل المحمدية): من حديث أبى عبيدة الحداد، عن عثمان ابن سعد، عن ابن سيرين، قال: صنعت سيفى على سيف سمرة بن جندب، وزعم سمرة بن جندب أنه صنع سيفه على سيف رسول الله ﷺ. وكان حنفيًا، وهو حديث ضعيف، وفى إسناده عثمان بن سعد الكاتب، وقد تكلم فيه يحى القطان من قبل حفظه، وضعفه غير واحد، ولذا قال عنه الحافظ فى (التقريب) ضعيف، وباقى رجال الإسناد ثقات. أبو عبيدة الحداد هو عبد الواحد بن واصل السدوسى، وهو ثقة تكلم فيه الأزدى بغير حجة.

وللحديث طريق آخر، هو الحديث رقم (١١٠) من (الشمائل المحمدية): من حديث عقبة بن مكرم البصرى، حدثنا محمد بن بكر، عن عثمان بن سعد بهذا الإسناد بنحوه، ويراجع فى تخريجه ما جاء فى الكلام على الحديث رقم (١٠٩).

قوله: «وكان حنفيًا»: أى وكان سيفه حنفيًا، نسبة لبنى حنيفة، وهم قبيلة مسيلمة، لأنهم معروفون بحسن صنعة السيوف، فيحتمل أن صانعه كان منهم، ويحتمل أنه أتى به من عندهم، وهذه الجملة من كلام سمرة فيما يظهر، ويحتمل أنها من كلام ابن سيرين على الإرسال. (حاشية الباجورى على الشمائل المحمدية): ١١١.

(١) (سنن النسائى): ٨/٦١٠، كتاب الزينة، باب (١٢٠) حلية السيف، حديث رقم (٥٣٨٩)، =

وقال جعفر بن محمد الصادق : رأيت سيف رسول الله ﷺ قائمه من فضة، ونصله من فضة، وبين ذلك حلق من فض، هو الآن عند هؤلاء، يعنى آل العباس(١).

وقال الأصمعي : دخلتُ على الرشيد فقال : أُريكم سيف رسول الله ﷺ ذا الفقار؟ قلنا : نعم، فجاء به، فما رأيت سيفًا قطّ أحسن منه، إذا نصب لم تر فيه شيء، وإذا بُطح عُدَّ فيه سبع فِقر، وإذا صفيحة يمانية يحار فيه الطرف من حُسنه.

وفي رواية : أحضر الرشيد ذا الفقار يومًا بين يديهْ، فاستأذنتُه فى تقليبه، فأذن لى فقلبته، واختلفت أنا والحاضرين فى عدة فقاره، هل هى سبع عشرة؟

وذكر قاسم في كتاب (الدلائل) : أن ذلك كان يري في رونقه شبيها بفقار الحيّة، يراه الناظر فإذا التمس لم يوجد [لها أثر].

[و] ذكر الواقدي أن رسول الله ﷺ قدم المدينة فى الهجرة بسيف كان لأبيه مأثور، والعضب، وبذات الفضول سعد بن عبادة رضي الله عنه إلى

= وللنسائى أيضا من حديث عثمان بن حكيم عن أبى أمامة بن سهل، حديث رقم (٥٣٨٨). كانت قبيعة سيف رسول الله ﷺ من فضة، ومن حديث هشام عن قتادة، عن سعيد بن أبى الحسن، حديث رقم (٥٣٩٠) : كانت قبيعة سيف رسول الله ﷺ من فضة.

(٦) راجع التعليق السابق، وذكر ابن أبى حاتم في (علل الحديث) : ١ /٣١٣، حديث رقم (٩٣٨) : سالت أبى عن حديث رواه أبو معاوية الضرير، عن حجاج عن قتادة، عن سعيد بن أبى الحسن عن عبدالله بن عمرو، قال : كانت قبيعة سيف رسول الله ﷺ من فضة، قال أبى : إنما هو سعيد بن أبى الحسن قال : «كان قبيضة سيف رسول الله ﷺ»، مرسل بلا عبد الله بن عمرو.

وفي ص ٤٨٣، حديث رقم (١٤٤٦) : سالت أبا زرعة عن حديث رواه يحيى بن كثير أبو غسان، عن عثمان بن سعد، عن أنس قال : كان سيف رسول الله ﷺ حنفى وحليته فضة. قال أبو زرعة، رواه أبو عبيدة الحداد، عن عثمان بن سعد، عن ابن سيرين، عن سمرة عن النبى ﷺ، قلت : هو الصحيح؟ قال ابو زرعة : أبو عبيدة احفظ، فقلت : الوهم ممن هو؟ قال : من يحيى بن كثير.

رسول الله ﷺ حين سار إلى بدر، فشهد بهما وقعة بدر(١).

وأصاب ﷺ من سلاح بنى قينقاع ثلاثة أسياف: سيفًا قلعيًا، وسيفًا يدعى بتَّار، وسيفًا يدعى الحتف(٢).

وبعث رسول الله ﷺ عليّ بن أبى طالب رضي الله عنه(٣) إلى الفُلْس صنم طئ، فوجده مقلداً سيفين يقال لهما: مجذم ورسوب، وهما سيفان كانا للحارث بن أبي شمر الغسَّانى، يتقلدهما عن يمينه وشماله، فنذر لئن ظفر ببعض أعاديه، ليهديهما إلى الفُلْس، فظفر به فأهداهما إليه، وهما اللذان يقول فيهما علقمة بن عبدة التميمى:

مظاهر سربالى حديد عليهما عقيلاً سيوف مجْذَم وَرَسُوب

وصمصامة عمرو بن معدى كرب، وهبها لخالد بن سعيد، وكانت مشهورة عند العرب(٤).

[وأما دروعه ﷺ]

فسبع: ذات الفضول، وذات الوشاح، وذات الحواشى، والسعدية، وفضة، والبتراء، والخِرْنِق. [ويقال: كانت عنده ﷺ درع داود التى لبسها لما قتل جالوت](٥).

---

(١) سبق تخريج هذا الأثر.

(٢) (مغازى الواقدى) ١/١٧٨ - ١٧٩، غزوة بنى قينقاع، ولم يذكر اسم السيف الثالث.

(٣) كذا فى (خ)، (ج)، وفى (المغازى): «عليه السلام».

(٤) (مغازى الواقدى): ٣/٩٨٨ باختلاف يسير، حيث يقول الواقدى: «ووجد فى بيته ثلاثة أسياف: رسوب، والمخدم، وسيفًا يقال له اليمانى، ثم قال: وعزل النبى ﷺ صفيًا رسوبًا، والمخذم، ثم صار له بعد السيف الآخر.

(٥) ما بين الحاصرتين في (خ) فقط، (زاد المعاد): ١/١٣٠، (طبقات ابن سعد) ١/٤٨٧.

فذات الفضول والسعدية، يقال إنهما كانتا لعكين القينقاعي، وكان من أبطالهم، ويقال: إنه ﷺ أصاب يوم بنى قينقاع من سلاحهم ثلاثة أرماح، وثلاثة قِسِيّ، ودرعين: درع يقال لها السعدية، ودرع تسمى فضة(١).

وقال محمد بن مسْلَمة: رأيت على رسول الله ﷺ [يوم] أُحد درعين، درعه ذات الفضول و[درعه فضة، ورأيت عليه يوم خيبر درعين: ذات الفضول والسعدية(٢).]

وروي أن سعد بن عبادة بعث بذات الفُضُول وبالعضب إلى رسول الله ﷺ لَمّا توجه لبدر، وسميت ذات الفضول لطولها، وهى الدرع التى رهنها رسول الله ﷺ عند أبى شحم اليهودىّ على شعير لعياله.

خرَّج مسلم من حديث عبد الواحد بن زياد، عن الأعمش قال: ذكرنا الرهن فى السَّلَم عند إبراهيم النخعى فقال: أخبرنا(٣) الأسود بن يزيد عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ اشتري طعامًا من يهودى(٤) إلى أجل، ورهنه درعًا له من حديد(٥).

وذكره البخارى فى السَّلَم، ولفظه : أخبرنا(٦) الأعمش قال: تذاكرنا عند إبراهيم الرهن فى السَّلف، فقالك حدثنى الأسود عن عائشة، أن النبى

---

(١) (مغازى الواقدى) ١ /١٧٨، غزوة بنى قينُقاع وذكر الخبر مطولا.

(٢) (المرجع السابق): ١٧٩ بسياقه أتم.

(٣) فى (صحيح مسلم): «حدثنا».

(٤) فى (صحيح مسلم): «من يهودىّ طعامًا».

(٥) (مسلم بشرح النووى): ١١ /٤٣-٤٤، كتاب المساقاة، باب (٢٤) الرهن وجوازه فى الحضر والسفر، حديث رقم (١٢٦)، وقال ابن القيم: ذات الفضول: وهى التى رهنها عند أبى الشحم اليهودى على شعير لعياله، وكانت ثلاثين صاعًا، وكان الدين إلي سنة، وكانت الدرع من حديد (زاد المعاد): ١ /١٣٠.

(٦) كذا فى (خ)، (ج) وفى (البخارى): «حدثنا».

ﷺ اشترى من يهودى طعامًا إلى أجل [معلوم](١) وارتهن منه درعًا من حديد. ترجم عليه باب الرهن فى السَّلَم(٢).

وذكره فى كتاب الرهن وقال: تذاكرنا عند إبراهيم الرهن والقبيل فى السلف، فقال إبراهيم: أخبرنا الأسود مثله، وقال: رهنه درعه. وترجم عليه باب من رهن درعه(٣).

وخرَّجاه من حديث حفص بن عياش، عن الأعمش، عن إبراهيم قال: حدثنى الأسود عن عائشة رضي الله عنها عن النبى ﷺ [مثله]، ولم يذكر: من حديد.

ولفظ البخارى: أخبرنا(٤) الأعمش، قال: ذكرنا عند إبراهيم الرهن فى السلف فقال: لابأس به، ثم حدثنا عن الأسود عن عائشة رضي الله عنها أن النبى ﷺ اشترى طعامًا من يهودى إلى أجل فرهنه درعه. ترجم عليه باب: شراء الطعام إلى أجل(٥).

وخرّجاه من حديث أبى معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة رضي الله عنها قالت: اشتري رسول الله ﷺ من يهودى طعامًا بنسيئة ورهنه درعه(٦). ولفظ مسلم: فأعطاه درعًا له رهنا(٧). ترجم عليه

---

(١) زيادة للسياق من (البخارى).

(٢) (فتح البارى): ٤ /٥٤٥، كتاب السلم، باب (٦) الرهن فى السلم، حديث رقم (٢٢٥٢).

(٣) (فتح البارى): ٥ /١٧٧، كتاب الرهن، باب (٢) من رهن درعة، حديث رقم (٢٥٠٩)، وإبراهيم هو النخعىّ.

(٤) في (البخارى): «حدثنا».

(٥) (فتح البارى): ٤ /٥٠٣، كتاب البيوع، باب (٨٨) شراء الطعام إلى أجل حديث رقم (٢٢٠٠).

(٦) (فتح البارى) ٤ / ٤٠١، كتاب البيوع، باب (٣٣) شراء الإمام الحوائج بنفسه، حديث رقم (٢٠٩٦)، وفائدة الترجمة رفع توهم من يتوهم أن تعاطى ذلك يقدح فى المروءة.

(٧) (مسلم بشرح النووى): ١١ /٤٣، كتاب المساقاة، باب (٢٤) الرهن وجوازه فى الحضر، حديث =

البخارى باب : شراء الحوائج بنفسه.

وخرّجاه من حديث جرير عن الأعمش، عن إبراهيم عن الأسود، عن عائشة رضى الله عنها قالت : اشتري رسول الله ﷺ من يهودى طعامًا ورهنه درعه. ترجم عليه باب : الرهن عند اليهود وغيرهم(١).

وخرّجه مسلم من حديث عيسى بن يونس عن الأعمش بهذا الإسناد مثله، غير أنه قال : درعًا من حديد(٢).

وخرّجه البخارى من حديث سفيان عن الأعمش، عن إبراهيم عن الأسود، عن عائشة، رضي الله عنها، قالت : توفى النبى ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودى بثلاثين [يعنى](٣) صاعًا من شعير(٤).

= رقم (١٢٤)، وفيه جواز معاملة أهل الذمة، والحكم بثبوت أملاكهم على ما في أيديهم، وفيه بيان ما كان عليه النبى ﷺ من التقلل من الدنيا وملازمة الفقر.

وفيه جواز الرهن، وجواز رهن آلة الحرب عند أهل الذمة، وجواز الرهن فى الحضر، وبه قال الشافعى، ومالك، وأبو حنيفة، وأحمد، والعلماء كافة، إلا مجاهداً وداود، فقالا : لا يجوز إلا في السفر، تعلقا بقوله تعالى : ﴿ وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة ﴾.

واحتج الجمهور بهذا الحديث، وهو مقدم على دليل خطاب الآية، وأما اشتراء النبى ﷺ الطعام من اليهودى ورهنه عنده دون الصحابة، فقيل : فعله بيانًا لجواز ذلك، وقيل : لأنه لم يكن هناك طعام فاضل عن حاجة صاحبه إلا عنده، وقيل : لأن الصحابة لا يأخذون رهنه ﷺ، ولا يقبضون منه الثمن، فعدل إلى معاملة اليهودى، لئلا يضيق على أحد من أصحابه.

وقد اجمع المسلمون علي جواز معاملة أهل الذمة، وغيرهم من الكفار، إذا لم يتحقق تحريم ما معه، لكن لا يجوز للمسلم أن يبيع أهل الحرب سلاحًا وآلة حرب، ولا يستعينون به فى إقامة دينهم، ولا بيع مصحف، ولا عبد المسلم لكافر مطلقًا والله تعالى أعلم. (مسلم بشرح النووى) : ١١ / ٤٣-٤٤.

(١) (فتح البارى) : ١ / ١٨١، كتاب الرهن، باب (٥) الرهن عند اليهود وغيرهم، حديث رقم (٢٥١٣).

(٢) (مسلم بشرح النووى) : ١١ / ٤٣، كتاب المساقاة، باب (٢٤) الرهن وجوازه فى الحضر والسفر، حديث رقم (١٢٥).

(٣) زيادة للسياق من (البخارى).

(٤) (فتح البارى) : ٨ / ١٩١، كتاب المغازى، باب (٨٧) بدون ترجمة، حديث رقم (٤٤٦٧).

وقال يعلى : حدثنا الأعمش: «درع من حديد»، وقال مُعَلّى : [حدثنا] عبد الواحد عن الأعمش وقال: رهنه درعًا من حديد. ذكره في باب ما قيل في درع النبي ﷺ والقميص في الحرب[1].

وقال في آخر المغازي، من حديث سفيان عن الأعمش بهذا الإسناد: توفي النبي ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعًا [من شعير][2].

وذكره في باب: الكفيل في السَّلم، من حديث يعلى، أخبرنا الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة رضي الله عنها قالت: اشتري رسول الله ﷺ طعامًا من يهودي بنسيئة، ورهنه درعًا له من حديد[3].

وخرّجه الترمذي من حديث هشام بن حسّان عن عكرمة، عن ابن عباس قال: توفي النبي ﷺ ودرعه مرهونة بعشرين صاعًا من طعام أخذه لأهله[4]. قال [أبو عيسى]: هذا حديث حسن صحيح.

[وخرَّج ابن حِبّان في صحيحه، من حديث آدم، حدثنا شيبان عن قتادة

---

(1) (فتح الباري): 1/123، كتاب الجهاد والسير، باب (89) ما قيل في درع النبي ﷺ والقميص في الحرب، وقال النبي ﷺ: أما خالد فقد احتبس أدراعه في سبيل الله، حديث رقم (2916).

(2) (فتح الباري): 8/191، كتاب المغازي، باب (87) بدون ترجمة، حديث رقم (4467)، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه.

(3) (فتح الباري): 4/545، كتاب السلم، باب (5) الكفيل في السلم، حديث رقم (2251).

ذكر ابن الطلاع في (الأقضية النبوية) أن أبا بكر افتك الدرع بعد النبي ﷺ. لكن روى ابن سعد عن جابر أن أبا بكر قضى عدات النبي ﷺ وأن عليا قضي ديونه.

وروى إسحاق بن راهويه في مسنده عن الشعبي مرسلا: أن أبا بكر افتك الدرع وسلمها لعلى ابن أبي طالب، وأما من أجاب بأنه ﷺ افتكها قبل موته فمعارض بحديث عائشة رضي الله عنها. (فتح الباري): 5/178، شرح الحديث رقم (2509)، واليهودي اسمه: أبو الشحم، (طبقات ابن سعد): 1/488.

(4) (سنن الترمذي): 3/519، كتاب البيوع، باب (7) ما جاء في الرخصة في الشراء إلى أجل، حديث رقم (1214).

عن أنس قال: رهن رسول الله ﷺ درعًا له عند يهودى على طعام بدينار فما وجد ما يفتكها به حتي مات ﷺ](١).

وروى ابن حيَّان من حديث جعفر بن محمد عن أبيه قال: كان فى درع النبي ﷺ حلقتان من فضة، عند موضع التندوة، وفي ظهرها حلقتان من فضة أيضا، وقال لبستها فخطت الأرض(٢).

وفي (دلائل النبوة) للترمذي من حديث جابر الجعفى، عن عامر

---

(١) ما بين الحاصرتين فى (خ) فقط وليس فى (ج). ولابن حبان في هذا الباب ثلاثة أحاديث فى كتاب الرهن من (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان): ١٣ / ٢٦٢-٢٦٥.

* الحديث الأول في ذكر خبر قد شنع به بعض المعطلة على أهل الحديث، حيث حُرموا التوفيق لإدراك معناه، حديث رقم (٥٩٣٦)، عن سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم عن الأسود، عن عائشة رضى الله عنها قالت: توفى رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودى بثلاثين صاعًا من شعير. إسناده صحيح على شرط الشيخين.

* الحديث الثانى فى ذكر ثمن الشعير الذى كان لليهودى على المصطفى ﷺ عند رهنه إياه، حديث رقم (٥٩٣٧)، من حديث سفيان، عن قتادة عن أنس، قال: رهن رسول الله ﷺ درعًا له عند يهودى بدينار، فما وجد ما يفتكها به حتى مات. اسناده صحيح.

* الحديث الثالث فى ذكر البيان بأن الدرع الذى كان عند اليهودى للمصطفى ﷺ كان ذلك لأجل سبب معلوم، فمن أجله لم يسترد درعه منه، حديث رقم (٥٩٣٨)، من حديث الأعمش قال ذكر عند إبراهيم الرهن فى السلم فقال: أخبرنى الأسود عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ اشترى من يهودى طعامًا إلى سنة ورهنه درعًا له من حديد. إسناده صحيح ورجاله ثقات.

رجال الشيخين غير بشير بن معاذ العقدى، فقد روى له أصحاب السنن، وهو ثقة.

وأخرجه البيهقى فى (السنن الكبرى): ٦ / ٣٦ - ٣٧، كتاب الرهن، باب جواز الرهن، من طرق، والبيهقى أيضا فى (دلائل النبوة): ٧ / ٢٧٥، باب ما جاء فى تركة رسول الله ﷺ، قال أنس: ولقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: والذى نفس محمد بيده، ما أصبح عند آل محمد صاعُ بُرٌّ ولا صاع تمر، وإن له يومئذ تسع نسوة، ولقد رهن درعًا له عند يهودى بالمدينة، أخذ منه طعامًا، فما وجد لها ما يفتكها به حتى مات ﷺ.

(٢) (المغنى عن حمل الأسفار): ٢ / ٥٨٦، بيان أخلاقه ﷺ وآدابه فى الناس [مختصراً]، (طبقات ابن سعد): ١ / ٤٨٨، (دلائل النبوة للبيهقى): ٧ / ٢٧٥، باب ما جاء فى تركة رسول الله ﷺ، وفيه: « فلبستها، فجعلت أخطها فى الأرض شيئًا ».

الشعبى قال: أخرَج إلينا على بن الحسين درع رسول الله ﷺ، فإذا هى يمانية رقيقة ذات زرافين، إذا علقت بزرافيها تشمَّرت، وإذا أرسلت مسَّت الأرض. والزرافين: الإبزيم(١).

ويقال: أن السعدية درع داود عليه السلام التى لبسها يوم قتل جالوت، وأن بالتراء سميت بذلك لقصرها.

وذكر الواقدى أن رسول الله ﷺ لما أراد الشخوص إلي أحد، دخل بيته ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فعمَّماه ولبَّساه، وقد صُفَّ الناس له، ما بين حجرته إلي منبره، ينتظرون خروجه، إذ خرج قد لبس لأمته، وقد لبس الدرع فأظهرها، وحزم وسطها بمنطقه من خمائل سيفه من أدم كانت عند آل أبى رافع، واعتم وتقلد السيف، ثم دعا بدابته فركب إلى أحد، ثم عقد الألوية، ودعا بفرسه فركبه، وتقلد القوس وأخذ قناة بيده، فزج الرمح يومئذ من شبه، والمسلمون متلبسون السلاح(٢).

قال: ولبس رسول الله ﷺ من الشيخين(٣) - وهما أطمان ظاهران بالمدينة - درعًا واحدة حتي انتهي إلى أحد، فلبس درعًا أخرى، ومغفراً، وبيضة فوق المغفر(٢).

وقال المدائنى: عن هشام بن سعد عن عيسى بن عبد الله بن مالك قال: خاصم العباس علياً إلي أبى بكر، فقال: العم أولى أو ابن العم؟ قال: العم، قال: ما بال درع النبى ﷺ، وبغلته دُلْدُل، وسيفه عند على؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه: هذا شيء وجدته في يده، فأنا أكره نزعه منه، وتركه العباس رضى الله عنه، [ويقال: كان عنده درع داود عليه السلام الذي

(١) (مصنف ابن أبى شيبة): ٥/ حديث رقم (٢٥١٧٨).

(٢) (مغازى الواقدى): ١/ ٢١٥-٢١٦ بسياقة اتم.

(٣) الشيخان: موضع بين المدينة وجبل أحد على الطريق الشرقية مع الحرة إلى جبل أحد.

لبسه يوم قتل جالوت][1].

[وأما قِسِيُّهُ ﷺ]

فقد خرج ابن حيَّان من حديث الحسن بن عمارة، عن الحكم، عن مقسم عن ابن عباس رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يوم الجمعة في السفر متوكئًا على قوس قائمًا.

وذكر الواقدى أن قوس رسول الله ﷺ كانت تدعى الكتوم، وكانت من نَبع، كُسِرت يوم أحد، فأخذها قتادة بن النعمان[2].

وأخذ ﷺ من سلاح بنى قينقاع ثلاث قِسِيّ: قوسًا اسمها الروحاء، وقوسًا من شوحط تسمى البيضاء، وقوسًا من نبع تسمى الصفراء[3].

ويقال: كانت له ست قِسِيّ: الزوراء، والروحاء، والصفراء، وهى من نبع، والبيضاء، من شوحط، والكتوم، من نبع، وقيل لها ذلك لانخفاض صوتها إذا رمي بها، وهي التى كُسِرتْ يوم أحد، [وقوس يقال لها السداد، من نَبع][4].

---

(١) ما بين الحاصرتين فى (خ) وليس فى (ج).

(٢) (مغازى الواقدى): ١/ ٢٤٢.

(٣) قال الواقدى فى (المغازى): ١/ ١٧٨، وقد ذكر غزوة قينُقاع: واخذ رسول الله ﷺ من سلاحهم ثلاث قسيّ:

١ – قيس تُدعى الكَتوم، كُسرت بأحد.

٢ – وقوس تُدعى الروحاء.

٣ – وقوس تُدعى البيضاء. (طبقات ابن سعد): ١/ ٤٨٩.

(٤) (زاد المعاد): ١/ ١٣١، وما بين الحاصرتين من (ج)، وليست فى (خ). وقال صلاح الدين =

[وأما المغفر]

المغفر: غطاء الرأس من السلاح كالبيضة وشبهها من حديد كان ذلك أو غيره.

فقد ثبت من حديث مالك عن الزهري عن أنس [رضي الله عنه] قال: دخل رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وعلى رأسه المغفر، فلما نزعه جاءه رجل فقال له: ابن خطل متعلق بأستار الكعبة فقال: اقتلوه(١).

وقد روى جماعة منهم بشر بن عمر الزهراني، ومنصور بن سلمة الخزاعي، عن مالك هذا الحديث، وقالوا فيه: مغفر من حديد، وكذلك رواه أبو عبيد القاسم بن سلام، عن أبي بكير عن مالك قال فيه: من حديد، وليس من حديد في الموطأ(٢).

= الصفدي، وقد ذكر سلاحه ﷺ: وأربعة قسيّ:

١ - قويس اسمها الروحاء. ٢ - وقوس شَوحَط. ٣ - وقوس صفراء يدعى الصفراء، (الوافي): ١/ ٩١، [ولم يذكر الرابعة].

(١) (شرح السنة للبغوي): ١٠/ ٣٩٩.

(٢) (موطأ مالك): ٢٩٢، كتاب الحج، جامع الحج، حديث رقم (٩٥٦): عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ دخل مكة عام الفتح وعلى رأسه المغفر، فلما نزعه، جاءه رجل فقال له: يا رسول الله، ابن خطل متعلق بأستار الكعبة، فقال رسول الله ﷺ: اقتلوه. قال مالك ولم يكن رسول الله ﷺ يومئذ مُحرمًا، والله تعالى أعلم.

وأخرجه مسلم في كتاب الحج من (الصحيح) باب (٨٤) جواز دخول مكة بغير إحرام، حديث رقم (٤٥٠)، قوله: «وعلى رأسه المغفر»، وفي رواية: «وعليه عمامة سوداء بغير إحرام»، وفي رواية: «خطب الناس وعليه عمامة سوداء».

قال القاضي: وجه الجمع بينهما أن أول دخوله كان على رأسه المغفر، ثم بعد ذلك كان علي رأسه العمامة بعد إزالة المغفر، بدليل قوله: «خطب الناس وعليه عمامة سوداء»، لأن الخطبة إنما كانت عند باب الكعبة بعدم تمام فتح مكة.

وقوله: «دخل مكة بغير إحرام» هذا دليل لمن يقول بجواز دخول مكة بغير إحرام لمن لم يرد نُسُكا، سواء كان دخوله لحاجة تكرر. كالحطاب، والحشاش، والسقاء، والصياد، وغيرهم. أم لم =

= تتكرر، كالتاجر، والزائر وغيرهما، سواء كان آمناً أو خائفا، وهذا أصح القولين للشافعي.

قوله: «اقتلوه»، قال العلماء: إنما قتله لأنه كان قد ارتد عن الإسلام، وقتل مسلمًا كان يخدمه، وكان يهجو النبي ﷺ ويسبه، وكانت له قينتان تغنيان بهجاء النبي ﷺ والمسلمين.

فإن قيل: ففي الحديث الآخر: «من دخل المسجد فهو آمن»، فكيف قتله وهو متعلق بأستار الكعبة؟ فالجواب: أنه لم يدخل في الأمان، بل استثناه هو وابن أبي سرح والقينتين، وأمر بقتله وإن وجد متعلقا بأستار الكعبة، كما جاء مصرحًا به في أحاديث أخر.

وقيل: لأنه لم يف بالشرط، بل قاتل بعد ذلك، وفي هذا الحديث حجة لمالك والشافعي وموافقيهما في جواز إقامة الحدود والقصاص في حرم مكة.

وقال أبو حنيفة: لا يجوز، وتأوَّلوا هذا الحديث على أنه قتله في الساعة التي أبيحت له، وأجاب أصحابنا بأنها إنما أبيحت ساعة الدخول حتى استولى عليها، وأذعن له أهلها، وإنما قتل ابن أخطل بعد ذلك، والله تعالى أعلم.

واسم ابن أخطل: عبد العزى، وقال محمد بن إسحاق: اسمه عبد الله وقال الكلبي: اسمه غالب بن عبد الله بن عبد مناف بن أسعد بن جابر بن كثير بن تيم بن غالب.

وخطل بخاء معجمة وطاء مهملة مفتوحتين، قال أهل السير: وقيل سعد بن حريث، والله تعالى أعلم. (مسلم بشرح النووي): ١٠/١٤٠-١٤١.

وأخرج البخاري في (الصحيح): ٦/٢٠٣، كتاب الجهاد والسير، باب (١٦٩)، قتل الأسير، وقتل الصبر، حديث رقم (٣٠٤٤)، وفيه أن الأمام يتخير – متبعًا ما هو الأحظ للإسلام والمسلمين – بين قتل الأسير، أو المن عليه بفداء – أو بغير فداء، أو استرقاقه. (فتح الباري).

و(المرجع السابق): ٨/١٨-١٩، كتاب المغازي، باب (٤٩) أين ركز الراية يوم الفتح، حديث رقم (٤٢٨٦).

و(المرجع السابق): ١٠/٣٣٨، كتاب اللباس، باب (١٧) المغفر، حديث رقم (٥٨٠٨)، قال الحافظ ابن حجر: وقد ذكرت في شرح الحديث أن بضعة عشر نفسًا رووه عن الزهري غير مالك.

و(سنن أبي داود): ٣/١٣٤-١٣٥، كتاب الجهاد، باب (١٢٧) قتل الأسير ولا يعرض عليه الإسلام، حديث رقم (٢٦٨٥)، قال أبو داود: ابن خطل اسمه عبد الله، وكان أبو برزة الأسلمي قتله.

وأخرجه أيضا الترمذي في (السنن): كتاب الجهاد، باب في المغفر، حديث رقم (١٣٥٧)، والنسائي في (السنن): كتاب المناسك، باب دخول مكة بغير إحرام، حديث رقم (٢٨٧٠)، وابن ماجة في (السنن): كتاب الجهاد، باب السلاح، حديث رقم (١٨٠٥)، والدارمي في السير، باب كيف دخل رسول الله ﷺ مكة وعلى رأسه المغفر، حديث رقم (٢٤٦٠)، وفي المناسك، باب =

وذكر الواقدى أنه عليه السلام أصاب من سلاح بنى قينقاع مغفراً موشحًا، يقال: إنه من حديد وشح بالشَّبه، ويقال: كان له مغفر يقال له: ذو الشبوع، وهو الذي كان عليه يوم دخل مكة(١).

[وأما الرماح]

فإنه ﷺ أصاب من سلاح بنى قينُقاع ثلاثة أرماح، ويروى أنه كانت له عليه السلام خمسة رماح: ثلاثة أصابها من بني قينقاع(٢)، ورمح يقال له: المثوى، ورمح يقال له: الشنونى، وكان له وَفضَة - وهي الجعبة - ويقال لها: الكافور، ويقال: اسم كنانته الجمع(٣).

= دخول مكة بغير إحرام، حديث رقم (١٩٤٤).

(١) لم أجد هذا الخبر فى غزوة بنى قينقاع من كتاب (المغازى) للواقدى: ١/١٧٨، وقد ذكر القسى، والدروع، والأسياف، والرماح، ولم يذكر المغفر.

وقال ابن القيم فى (زاد المعاد): ١/١٣١، فصل فى ذكر سلاحه وأثاثه ﷺ: وكان له مغفَر من حديد يقال له: الموشح، وشح بشَبَهٍ، ومغفر آخر يقال له: السبوغ، أو ذو السبوغ.

الشَّبه والشبهان، بتحريك الشين والباء: النحاس الأصفر. وتكسر شينه.

(٢) قال الواقدى وقد ذكر غزوة قينقاع: وأخذ رسول الله ﷺ من سلاحهم ثلاث قسيّ، قوس تدعى الكتوم، كسرت بأحد، وقوس تدعى الروحاء، وقوس تدعى البيضاء، وأخذ درعين من سلاحهم، درعا يقال لها الصفدية، وأخري فضة، وثلاث أياف، سيف قلعى، وسيف يقال له بتار، وسيف آخر، وثلاثة أرماح، قال: ووجدوا فى حصونهم سلاحًا كثيراً. وآلة الصياغة، وكانوا صاغة، (مغازى الواقدى): ١/١٧٨-١٧٩.

(٣) وقال الصفدى فى (الوافى): ١/٩١، وقد ذكر سلاح رسول الله ﷺ: وأربعة رماح: المتثنى، وثلاثة من بنى قينقاع.

وقال ابن سعد فى (الطبقات): ١/٤٨٩، ذكر أرماح رسول الله ﷺ وقسيّه: أخبرنا محمد بن عمر، أخبرنا أبو بكر بن عبد الله بن أبى سبرة، عن مروان بن أبى سعيد بن المعلى، قال: أصاب رسول الله ﷺ من سلاح بنى قينقاع ثلاثة أرماح.

[وأما الترس]

فروي عن مكحول أنه كان لرسول الله ﷺ ترس فيه تمثال رأس كبش، فكرِه مكانه، فأصبح وقد أذهبه الله(١).

وقال الأوزاعى: عن ابن شهاب أخبرنى القاسم بن محمد عن عائشة [رضي الله عنها قالت] أتاني رسول الله ﷺ بترس فيه تمثال عقاب، فوضع يده عليه، فأذهبه الله عزّ وجل، ويقال: كان اسم الترس: الفتق، وترس يقال له: الزلوق(٢).

[وأما العنَزَة]

فقد خرّج البخاري من حديث أبي جحيفة قال: رأيت النبى ﷺ بالأبطح(٣)، فجاءه بلال، فأذنه بالصلاة، ثم [خرج] بلال بالعنزة [حتى] ركزها بين يدى رسول الله ﷺ بالأبطح وأقام الصلاة.

ذكره فى باب: الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة(٤)، وفى باب: سُترة الإمام ستره من خلفه(٥)، وهو مما اتفقا عليه.

---

(١) (الوافى): ١/ ٩١، (طبقات ابن سعد): ١/ ٤٨٩.

(٢) (زاد المعاد): ١/ ١٣١.

(٣) الأبطح: موضع معروف خارج مكة.

(٤) (فتح البارى): ٢/ ١٤٤، كتاب الأذان، باب (١٨) الأذان للمسافرين إذا كانوا جماعة والإقامة، وكذلك بعرفة وجمع، وقول المؤذن: «الصلاة فى الرحال» فى الليلة الباردة أو المطيرة، حديث رقم (٦٣٣).

(٥) (فتح البارى): ١/ ٧٥١، كتاب الصلاة، باب (٩٠) سترة الإمام سترة من خلفه، حديث رقم (٤٩٤).

وخرّج البخارى[1] ومسلم[2] وأبو داود[3]، من حديث عبيد الله عن نافع، عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ كان إذا خرج يوم العيد، أمر بالحربة فتوضع بين يديه فيصلى إليها والناس وراءه، وكان يفعل ذلك [فى السَّفر]، فمن ثم اتخذها الأمراء. لفظهم فيه سواء. ذكره البخارى فى باب سترة الإمام سترة من خلفه.

وخرَّج البخارى ومسلم من حديث عبيد الله عن نافع، عن ابن عمر أن النبى ﷺ كان يركز - وفى لفظ يغرز - العنزة ويصلى إليها قال عبيد الله: وهي الحربة. وفى لفظ للبخارى: كان تُركز له الحربة فيصلى إليها. ترجم عليه باب: الصلاة إلى الحربة[4].

وقال الواقدى: فى سنة ثنتين من مقدمه، صلى العيد وحملت له العنزة، وهو يومئذ يصلى إليها فى الفضاء، وكانت العنزة للزبير بن العوام أعطاه إياها النجاشىّ، فوهبها للنبى ﷺ، وكان يخرج بها بين يديه يوم العيد، وهى اليوم بالمدينة عند المؤذنين. حدثنى بذلك إبراهيم بن محمد بن عمار

(١) وأخرجه بنحوه في كتاب العيدين، باب (١٣) الصلاة إلى الحربة يوم العيد، حديث رقم (٩٧٢)، وفى باب (١٤) حمل العنزة أو الحربة بين يدى الإمام يوم العيد، حديث رقم (٩٧٣).

(٢) (مسلم بشرح النووى): ٤/٤٦٤، كتاب الصلاة، باب (٤٧) سترة المصلى، حديث رقم (٢٤٥).

(٣) (سنن أبى داود): ١/٤٤٢-٤٤٣، كتاب الصلاة، تفريع أبواب السترة، باب (١٠٢)، حديث رقم (٦٨٧)، وأخرجه أيضا النسائى فى (السنن): ٢/٣٩٤، كتاب الصلاة، باب (٤) سترة المصلى، حديث رقم (٧٤٦)، (سنن ابن ماجة): ١/٣٠٣، كتاب الصلاة والسنة فيها، باب (٣٦) ما يستر المصلى، حديث رقم (٩٤١).

(٤) (فتح البارى): ١/٧٥١، كتاب الصلاة، باب (٩٢) باب الصلاة إلى الحربة، حديث رقم (٤٩٨)، باب (٩٣) الصلاة إلى العنزة، حديث رقم (٤٩٩)، وفيه: ... فصلى بنا الظهر والعصر، وبين يديه عَنَزة....، وحديث رقم (٥٠٠)، وفيه: ... إذا خرج لحاجته تبعته أنا وغلام ومعنا عكازة، أو عصا، أو عَنزَة.... قال الحافظ ابن حجر: لكن قد قيل: إن الحربة إنما يقال لها عَنَزَة إذا كانت قصيرة، ففى ذلك جهة مغايرة، وأخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب (٤٧) سترة المصلى، حديث رقم (٢٤٦).

ابن سعد(١) القَرظ عن أبيه عن جده(١).

قال الواقدى: سألنا عن العنزة التى كانت لرسول الله ﷺ يصلى إليها فى أسفاره وتحمل بين يديه، فحدثنى أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبى سبرة العامرى، عن عيسى بن معمر، عن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أسماء ابنة أبى بكر رضى الله عنهما أنها قالت: لما هاجر الزبير إلى أرض الحبشة، خرج مع النجاشى يقاتل عدواً له، فأعطاه النجاشى يومئذ عنزة يقاتل بها، فطعن عدة حتي ظهر النجاشى على عدوّه، وقدم الزبير رضي الله عنه بها، فشهد بدراً وهي معه، وشهد بها يوم أحد ويوم خيبر، ثم أخذها رسول الله ﷺ والأمر على ذلك، وكان أبو بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم على ذلك، فهي اليوم تحمل بين يدى الأئمة، وتكون مع الموذنين(٢).

وقال محمد بن سعد عن إسماعيل بن عبد الله بن أبى أُويس، عن عبد الرحمن بن سعد وغيره، أن النجاشىّ بعث إلى النبي ﷺ بثلاث عَنزَات، فمسك واحدة، وأعطى عليا رضى الله عنه واحدة(١).

وذكر أبو زيد عمر بن شيبة، عن سعد القرظ قال: أهدى النجاشىّ للنبى ﷺ حربات، فوهب حربة لعمر بن الخطاب، ووهب حربة لعلى بن أبى طالب رضي الله عنه، وحبس لنفسه واحدة(٢).

قال: فأما حربة على فهلكت، وأما حربة عمر فصارت إلى أهله، وأما الحربة التى أمسك لنفسه فهى يُمشي بها مع الإمام يوم العيد

---

(١) هذه الآثار بتمامها وبسياقه أتم ذكرها عن الواقدى: ابن سعد فى (الطبقات): ٣/٢٣٥-٢٣٦، فى ترجمة بلال بن رباح رضى الله تعالى عنه.

(٢) راجع التعليق السابق.

[والاستسقاء][1].

وذكر عن الليث بن سعد أنه بلغه أن العنزة التى كانت بين يدى النبى ﷺ إذا صلى، كانت لرجل من المشركين، فقتله الزبير بن العوام يوم أحد فأخذها فى سلبه، فأخذها رسول الله ﷺ من الزبير، فكان ينصبها بين يديه إذا صلى.

وذكر الواقدى عن الزبير بن العوام أنه قال: لما كان يوم[2] بدر لقيتُ عبيدة بن سعيد بن العاص على فرس عليه لأمة كاملة، لا يُرى منه إلا عيناه وهو يقول [– وقد كانت له صبية صغيرة يحملها، وكان لها بطين وكانت مُسْقَمَة –][3] أنا أبو ذات الكَرِش، [أنا أبو ذات الكرِش][3]، قال : وفى يدى عنزة فأطعن بها فى عينه ووقع وأطأ برجلى على خدّه، حتي أخرجتُ العنَزَة من حدقته، وأخرجتُ حدقته، وأخذ رسول الله ﷺ العنَزَة، فكانت تُحمل بين يديه، وأبى بكر، وعمر، وعثمان، رضي الله عنهم[4].

ويقال: إن رسول الله ﷺ ابتاع عَنَزَات، فأعطى الزبير منها عنزة، وفرّقها في أصحابه، وكانت هذه العنزة منها تحمل بين يديه، والأول أثبت.

ويقال: كان لرسول الله ﷺ حربة يقال ها القبعة، وحربة كبيرة اسمها البيضاء، وحربة صغيرة دون الرمح يقال لها: العنزة، يدعم عليها ويمشى بها وهى فى يده، وتحمل بين يديه فى العيد حتي تركز أمامه فيتخذها سترة يصلى إليها، قيل: إنه اتخذها من الزبير، وأخذها الزبير من النجاشى،

---

(١) زيادة للسياق من (مغازى الواقدى).

(٢) فى المرجع السابق: « يومئذ ».

(٣) زيادة للسياق من (المرجع السابق).

(٤) (مغازى الواقدى): ١ / ٨٥-٨٦.

وكانت له عَنزَة أخرى(١).

وقال الواقدى: عن ابن أبى سبرة وغيره قالوا: كان بلال يحمل العنزة بين يدى رسول الله ﷺ في الأعياد والمشاهد، فلما قبض الله نبيه ﷺ، سأل بلال أبا بكر رضى الله عنهما، أن يشخص إلي الشام، وكره المقام بالمدينة بعد رسول الله ﷺ فأذن له، فحمل العنزة بين يدى أبى بكر رضى الله عنه [سعد القرظ - وكان مؤذنه - وحملها بين يدى عمر رضى الله عنه] وكان ولده يحملونها بين يدى الولاة بالمدينة(١).

قال البلاذرى: وقد أمر المتوكل على الله أمير المؤمنين بحمل هذه العنزة إليه، فهي اليوم بُسّر مَن رَأى(٢).

وقال الواقدى: عن الثورى، عن إسماعيل بن أبى أمية، عن مكحول أنه قال: كانت الحربة تحمل بين يدى رسول الله ﷺ في أسفاره، لأنه كان يصلى إليها، وهي العنزة.

وحدثنى إبراهيم بن محمد بن عمار بن سعد القرظ، عن أبيه عن جده، أن بلالاً كان يحمل العنزة يوم العيد، ثم حملها سعد، ثم حملها عمّار، ثم حملها محمد بن عمار بين يدى الولاة، ثم أنا هذا أحملها بين أيديهم(١).

---

(١) طبقات ابن سعد): ١/ ٢٣٥-٢٣٦، ترجمة بلال بن رباح، رضي الله تعالى عنه.

(٢) سُرَّ مَنْ رأى: مدينة كانت بين بغداد وتكريت على شرقي دجلة، وقد خربت. وفيها لغات: سامراء، ممدود، وسامرًا، مقصور، وسُرَّ من رأَ، مهموز الآخر، وسُرَّ من را، مقصور الآخر.

وقال أبو سعد: سامَرَّاء بلد على دجلة فوق بغداد بثلاثين فرسخًا يقال لها سُرَّ مَن رأى فخففها الناس وقالوا: سامراء. وبها السرداب المعروف فى جامعها، الذى تزعم الشيعة أن مهديّهم يخرج منه. وقال حمزة: كانت سامراء مدينة عتيقة من مدن الفرس تُحمل إليها الإتاوة التى كانت موظفة للملك الفرس على ملك الروم، ودليل ذلك قائم فى اسم المدينة، لأن «سا» اسم الإتاوة، و«مرة» اسم العدد، والمعنى أنه مكان قبض عددجزية الرّوم. =

ويقال: أن رسول الله ﷺ أخذ يوم أحد من الزبير الحربة التى دفعها إليه النجاشىّ، فقتل بها أبىّ بن خلف(١)، ثم مشى بها بلال من حينئذ بين يديه.

[وأما المنطقة]

فيذكر أنه كان له عليه السلام منطقة من أديم منشور فيها ثلاث حلق من فضة، والأبزيم فضة، وخرج إلى أحد وقد حزم وسطه بمنطقة من حمائل سيف من أديم، كانت عند أبى رافع مولى رسول الله ﷺ(٢).

* * *

= وذكر محمد بن أحمد البشارى نكتة حسنة فيها، قال: لما عمرت سامراء وكملت، واتسق خيرها، واحتفلت سميت: سرور من رأى، ثم اختُصرت فقيل: سُرَّ من رأى، فلما خربت وتشوهت خلقتها واستوحشت سميت: ساء من رأى، ثم اختُصرت فقيل: سامراء، فسبحان من لا يزول ولا يتحول. مختصراً من (معجم البلدان): ٣/ ١٩٥-٢٠٠، موضع رقم (٦٢٠٢)، ٢٤٣، موضع رقم (٦٣٩٢).

(١) (مغازى الواقدى) ١/ ٢٥١، مختصراً.

(٢) (المرجع السابق): ١/ ٢١٤.

[وأما اللواءات والرايات]

[ذكر ابن أبى شيبة فى مصنفه أن أول من عقد الألوية إبراهيم الخليل عليه السلام](١).

وخرج البخارى من حديث الليث، أخبرنى عقيل عن ابن شهاب، أخبرنى ثعلبة بن أبى مالك القرظى، أن قيس بن سعد الأنصاري، وكان صاحب لواء رسول الله ﷺ، لما أراد الحج فَرجَّل(٢) - هكذا ذكر البخارى هذا الحديث مختصراً محذوفًا، وتمامه -: فرجّل أحد شقىّ رأسه، فقام غلام له فَقلَّد هَدَيَهُ، فنظر قيس فإذا هديه قد قُلّد، فأهل بالحج ولم يرجل شقّ رأسه الآخر(٣).

ولأبى داود(٤) والترمذى من حديث عمار الدهنى، عن أبى الزبير عن جابر، يرفعه إلى النبى ﷺ، أنه كان لواؤه يوم دخل مكة أبيض.

---

(١) ما بين الحاصرتين سقط من الناسخ فى (ج)، (مصنف ابن أبى شيبة): ٧ / ٢٧٣، كتاب الأوائل، باب (١) أوّل ما فعل ومن فعله، أثر رقم (٣٦٠٢٥)، وتمامه: بلغه أن قوما أغاروا علي لوط فسبوه، فعقد لواء وسار إليهم بعبيده ومواليه حتي أدركهم فاستنقذه وأهله.

(٢) (فتح البارى): ٦ / ١٥٦، كتاب الجهاد والسير، باب (١٢١)، ما قيل فى لواء النبى ﷺ، حديث رقم (٢٩٧٤).

(٣) وقد أخرج الإسماعيلى هذا الحديث تامًا من طريق الليث، التى أخرجها المصنف منها فقال بعد قوله: فَرجَّل أحد شقى رأسه فقام غلام له فقلَّدهُ هديه، فنظر قيسٌ هديه وقد قُلِّد، فاهل بالحج ولم يرجل شق رأسه الآخر.

وأخرجه من طريق أخرى عن الزهرى بتمامه نحوه، وفى ذلك ومصير من قيس بن سعد إلى ان الذى يريد الإحرام إذا قلد هديه يدخل في حكم المحرم.

وفى أحاديث الباب: استحباب اتخاذ الألوية في الحروب، وأن اللواء يكون مع الأمير، أو من يقيمه لذلك عند الحرب (فتح البارى): ٦ / ١٥٧-١٥٨.

(٤) (سنن أبى داود): ٣ / ٧٢، كتاب الجهاد، باب (٧٦) فى الرايات والألوية، حديث رقم (٢٥٩٢).

ولفظ الترمذى عن جابر رضى الله عنه قال: إن النبى ﷺ دخل مكة ولواؤه أبيض. قال: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث يحيى بن آدم عن شريك. قال: وسألت محمداً عن هذا الحديث فلم يعرفه إلا من حديث يحيى بن آدم عن شريك وقال: حدثنا غير واحد عن شريك، عن عمار عن أبى الزبير، عن جابر [رضى الله عنه]، أن النبى ﷺ دخل مكة وعليه عمامة سوداء. قال محمد: والحديث هو هذا(١).

[وخرّج ابن حبان فى (صحيحه)، من حديث شريك عن عمار الدهنى، عن أبى الزبير عن جابر، أن النبى ﷺ دخل عام الفتح مكة ولواؤه أبيض](٢).

وللترمذى (٣) من حديث يزيد بن حِبَّان قال: سمعت أبا مِجلز لاحِق ابن حُميد، يحدث عن ابن عباس رضى الله عنهما(٤)، قال: كانت راية رسول الله ﷺ سوداء ولواؤه أبيض. قال أبو عيسى: هذا حديث غريب من هذا الوجه من حديث ابن عباس رضى الله عنهما(٥).

---

(١) (سنن الترمذى): ٤/١٦٨، كتاب الجهاد، باب (٩) ما جاء فى الألوية، حديث رقم (١٦٧٩)، قال أبو عيسى: والدُّهنُ بطن من بجيلة، وعمار الدُّهنى هو عمار بن معاوية الدُّهنى، ويُكنى أبا معاوية، وهو كوفىّ، وهو ثقة عند أهل الحديث.

(٢) (الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان): ١١/٤٧، كتاب السير، باب (١٣) الخروج وكيفية الجهاد، ذكر وصف لواء المصطفى عند دخوله مكة يوم الفتح، حديث رقم (٤٧٤٣).

(٣) (سنن الترمذى): ٤/١٦٩-١٧٠، كتاب الجهاد، باب (١٠) ما جاء فى الرايات، حديث رقم (١٦٨١).

(٤) زيادة للسياق.

واخرجه النسائى فى (السنن): ٥/٢٢٠، مناسك الحج، باب (١٠٦) دخول مكة باللواء، حديث رقم (٢٨٦٦).

(٥) زيادة للسياق.

وذكر ابن إسحاق(١) أن لواء رسول الله ﷺ الأكبر في يوم بدر كان أبيض، يحمله مصعب بن عمير [بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار](٢)، ويذكر أنه كان له لواء أغبر.

ولابن حيَّان من حديث أبي مجلز، عن ابن عباس [رضى الله عنهما](٣) قال: كانت راية رسول الله ﷺ سوداء ولواؤه أبيض، مكتوب فيه: لا إله إلا الله محمد رسول الله(٤).

ولأبي داود من حديث يونس بن عبيد [مولى محمد بن القاسم](٥) قال: بعثني محمد بن القاسم إلى البراء بن عازب، أسأله(٦) عن راية رسول الله ﷺ ما كانت؟ فقال: كانت سوداء مربّعة من نمرة(٧).

وخرجه الترمذي بهذا الإسناد مثله وقال: هذا حديث حسن غريب، لا تعرفه إلا من حديث ابن أبي زائدة(٨).

وللبخاري من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن نافع بن جبير قال:

---

(١) (سيرة ابن هشام): ٣/ ١٥٩، اللواء والرايتان، وباقي الحديث مرسل.

(٢) زيادة للنسب من (المرجع السابق).

(٣) زيادة للسياق.

(٤) (أخلاق النبي): ١٤٤-١٤٥.

(٥) زيادة للسياق من (سنن أبي داود).

(٦) في المرجع السابق: «يسأله».

(٧) (سنن أبي داود): ٣/ ٧١-٧٢، كتاب الجهاد، باب (٧٦) في الرايات والألوية، حديث رقم (٢٥٩١)، نَمِرة - بفتح النون وكسر الميم -: بردة من صوف أو غيره مخططة. (معالم السنن).

(٨) (سنن الترمذي): ١٦٩، كتاب الجهاد، باب (١٠) ما جاء في الرايات، حديث رقم (١٦٨٠). قال أبو عيسى: وفي الباب عن عليّ، والحارث بن حسان، وابن عباس.

وأخرجه الإمام أحمد في (المسند): ٥/ ٣٨١، حديث رقم (١٨١٥٣) من حديث البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه.

سمعتُ العبَّاسَ يقول للزبير رضى الله عنهما: ها هنا أمرك رسول الله ﷺ أن تُركز الراية(١)، لم يذكر البخارى من هذا الحديث غير هذا [وقد ذكره](٢) بطوله فى غزوة الفتح.

ولأبى داود من حديث شعبة عن سماك، عن رجل من قومه عن آخر منهم قال: رأيت راية رسول الله ﷺ صفراء(٣).

وذكره ابن حيان، وذكره ابن عبد البر عن بريدة العبدى، أن النبى ﷺ عقد رايات الأنصار وجعلها صفراء(٤).

وذكر ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ دفع الراية يوم خيبر إلى علىّ رضى الله عنه، وكانت بيضاء. وذكر أنه كان أمام رسول الله ﷺ يوم بدر رايتان سوداوان، إحداهما مع على، والأخرى مع بعض الأنصار، ذكر ابن هشام أنه

---

(٩) (فتح البارى) : ٨/٦، كتاب المغازى، باب (٤٩)، أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح، حديث رقم (٤٢٨٠)، ولم يذكر فى سنده نافع بن جبير فى متن الحديث، بل ذكره الحافظ ابن حجر في الشرح والتعليق.

قوله: « عن هشام » هو ابن عروة، « عن أبيه » هكذا أورده مرسلاً، قال الحافظ: ولم أره في شيء من الطرق عن عروة موصولا، ومقصود البخاري منه ما ترجم به، وهو آخر الحديث، فإنه موصول عن عروة، عن نافع بن جبير بن مطعم، عن العباس بن عبد المطلب، والزبير بن العوام.

قوله فى آخر هذا الحديث الطويل: « قال عروة: فأخبرنى نافع بن جبير بن مطعم قال: سمعت العباس يقول للزبير بن العوام: يا أبا عبد الله، ههنا أمرك رسول الله ﷺ أن تركز الراية؟ » قال الحافظ ابن حجر: وهذا السياق يوهم أن نافعًا حضر المقالة المذكورة يوم فتح مكة، وليس كذلك، فإنه لا صحبة له، ولكنه محمول عندى على أنه سمع العباس يقول للزبير ذلك بعد ذلك في حجة اجتمعوا فيها، إما في خلافة عمر، أو في خلافة عثمان. (فتح البارى) : ٨/١١-١٢.

(٢) زيادة للسياق والبيان.

(٣) (سنن أبي داود) : ٣/٧٢، كتاب الجهاد، باب (٧٦) الألوية والريات، حديث رقم (٢٥٩٣)، قال الخطابى في (معالم السنن) : فى إسناده رجل مجهول.

(٤) راجع التعليق السابق.

سعد بن معاذ[١].

وذكر ابن حيَّان من حديث محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبى بكر، عن عمرة عن عائشة رضى الله عنها، كان لواء رسول الله ﷺ أبيض، وكانت رايته سوداء من مرط لعائشة مرحّل[٢].

ومن حديث وكيع، حدثنا سفيان عن أبى الفضل عن الحسن قال: كانت راية رسول الله ﷺ تسمى العقاب[٣]، ويقال: إن العقاب كانت سوداء مربعة من نَمِرة مُخَمَّلَة، وقيل كانت من صوف أسود.

وللبخارى من حديث الحارث بن حسان قال: دخلت المسجد فرأيت رسول الله ﷺ قائمًا على المنبر يخطب متقلداً السيف، وإذا رايات سود [تخفق]، فقلت: ما هذا؟ قالوا: عمرو بن العاص قدم من ذات السلاسل[٤].

---

(١) (سيرة ابن هشام): ٣/١٥٩، اللواء والرايتان، في أحداث غزوة بدر، ٤/٢٩٧، ذكر المسير إلى خيبر، حامل الراية يوم خيبر.

(٢) وأخرجه ابن أبى شيبة فى (المصنف): ٦/٥٣٧، باب (١٧٤) في الرايات السود، حديث رقم (٣٣٥٩٢).

(٣) (المرجع السابق)، حديث رقم (٣٣٥٩٣).

(٤) غزوة ذات السلاسل، كانت في جمادي الآخر سنة ثمان، وهى وراء وادى القرى، وبينها وبين المدينة عشرة أيام، وقد نزلوا على ماء الجذام، يقال له السلسل فيما قال ابن إسحاق، ولذلك سميت: ذات السلاسل.

والحديث أخرجه ابن أبى شيبة فى (المصنف): ٦/٥٣٧، باب (١٧٤) فى الرايات السود، حديث رقم (٣٣٥٩١). ولم يقل: «ذات السلاسل».

والبيهقى فى (السنن الكبرى): ٦/٣٦٢-٣٦٣، باب ما جاء فى عقد الألوية والرايات، من حديث أبى بكر بن عياش، عن عاصم بن أبى النجود، قال: قال الحارث بن حسان البكرى: انتهيت إلى النبى ﷺ وهو علي المنبر، وبلال قائم متقلد السيف، وإذا رايات سود، والناس يقولون: هذا عمرو بن العاص قد قدم.

وذكر ابن حيان وقاسم بن أصبغ من حديث أوس بن عبد الله بن بريدة، عن الحسين بن واقد، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه بريدة بن الحصيب قال: كان رسول الله ﷺ لا يتطيَّر، ولكن يتفاءل، وكانت قريش جعلت مائة من الإبل لمن يأخذ نبى الله فيرده عليهم حين توجه إلى المدينة فأقبل بريدة فى سبعين راكبًا من أهل بيته من بنى سهم، فلقوا نبى الله ﷺ ليلاً، فقال له النبى ﷺ: من أنت؟ قال: أنا بُريدة، فالتفت إلى أبى بكر رضى الله عنه فقال: يا أبا بكر، برد أمرنا وصلح، قال: ثم مِنْ مَنْ؟ قال: من أسلم، قال سلمنا، قال: ثم مِنْ مَنْ؟ قال: من بنى سهم، قال: خرج سهمك، فقال بريدة: من أنت؟ قال: أنا محمد بن عبد الله رسول الله، قال بريدة: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله، فأسلم بريدة، وأسلم الذين معه جميعًا.

فلما أصبح قال للنبى ﷺ: لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء، فحل عمامته ثم شدها فى رمح، ثم مشى بين يديه حتى دخل المدينة، قال بريدة: الحمد لله الذى أسلمت بنو سهم طائعين(١).

= ورواه سلام بن المنذر، عن عاصم، عن أبى وائل، عن الحارث بن حسان. وقال في متنه: فإذا راية سوداء تخفق، فقلت: ما شأن الناس اليوم، قالوا: هذا رسول الله ﷺ يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجهًا. (السنن الكبرى).

وقال الحافظ الذهبى: عن الثورى، عن إبراهيم بن مهاجر، عن إبراهيم النخعى، قال: عقد رسول الله ﷺ لواءً لعمرو على أبى بكر وعمر وسراة أصحابه قال الثورى: أراه قال: في غزوة ذات السلاسل. (سير أعلام النبلاء): ٣/٥٦-٥٧، ترجمة عمرو بن العاص رقم (١٥).

(١) أخرجه ابن عدى فى (الكامل): ١/ ١٤٠، فى ترجمة أوس بن عبد الله بن بريدة حُصيب الأسلمى رقم (٢٢٤/ ٢٢٤) من طريق أوس بن عبد الله بن بريدة عن حسين بن واقد، عن عبد الله بن بريدة عن أبيه.

قال الألبانى فى (السلسلة الصحيحة): وأوس هذا ضعيف جدًا، لكن تفاؤله ﷺ ثابت عنه فى غير ما حديث. =

قال الساجى فى هذا الحديث: قال البخارى: فيه نظر، وذكر غير واحد أن أول راية عقدها رسول الله ﷺ راية عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ابن عبد مناف، حين بعثه إلى بطن رابغ. هذا قول ابن إسحاق(١). وقال قومه: أول لواء عقده عليه السلام لواء حمزة بن عبد المطلب حين بعثه يعترض عيراً لقريش(٢).

وقال الواقدى فى غزاة بدر: وكان لواء رسول الله [ﷺ يومئذ](٣) الأعظم لواء المهاجرين مع مصعب بن عمير، ولواء الخزرج مع الحباب بن المنذر، ولواء الأوس مع سعد بن معاذ(٤).

وذكر فى غزاة أحد أن رسول الله ﷺ دعى بثلاثة أرمح، فعقد ثلاثة

= ورواه عنه أيضا قاسم بن أصبغ، وسكت عليه عبد الحق مصححًا له، قال ابن القطان، وما مثله يصح فإن فيه أوس، منكر الحديث، وروى أبو داود قال ابن القطان: وما مثله يصح فإن فيه أوس، منكر الحديث، وروى أبو داود عنه قوله: «انه يتطير» قال وإسناده صحيح.

قلت: الصواب تصحيح عبد الحق، وليس هو تصحيحًا لذاته حتى يرد ما تعقبه ابن القطان، وإنما هو على التفصيل الذى ذكرته، فتنبه ولا تكن من الغافلين. (سلسلة الأحاديث الصحيحة): ٢/ ٤٠٠، ٤٠١، حديث (٧٦٢)، (الكامل فى ضعفاء الرجال): ١/ ٤١٠.

(١) سرية عبيدة بن الحارث، وهى أول راية عقدها ﷺ، وأول سهم رُمى به فى الإسلام، قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله ﷺ فى مقامه ذاك بالمدينة عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قُصى، فى ستين أو ثمانين راكبًا من المهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحد، فسار حتى بلغ ماءً بالحجاز، بأسفل ثنية المرة، فلقى بها جمعًا عظيمًا من قريش. فلم يكن بينهم قتال، إلا أن سعد بن أبى وقاص قد رمى يومئذ بسهم، فكان أول سهم رُمى به فى الإسلام. (سيرة ابن هشام): ٣/ ١٣٦.

(٢) من قال إن أول راية كانت لحمزة رضى الله عنه: وبعض الناس يقول: كانت راية حمزة أول راية عقدها رسول الله ﷺ لأحد من المسلمين. وذلك أن بَعْثه وبَعْث عبيدة كانا معًا، فشبه ذلك على الناس. (المرجع السابق): ١٤٠، سرية حمزة إلى سيف البحر.

(٣) زيادة للسياق من (مغازى الواقدى).

(٤) ومع قريش ثلاثة ألوية: لواء مع أبى عزيز، ولواء مع النضر بن الحارث، ولواء مع طلحة بن أبى طلحة. (المرجع السابق): ١/ ٥٨، ٢٢٥.

ألوية، فدفع لواء الأوس إلى أسيد بن حضير، ودفع لواء الخزرج إلى حباب ابن المنذر بن الجموح، ويقال: إلى سعد بن عبادة، ودفع لواء المهاجرين إلى إلى على بن أبى طالب، ويقال: إلى مصعب بن عمير(١).

قال: وسأل رسول الله ﷺ من يحمل لواء المشركين؟ فقيل: بنو عبد الدار، فقال: نحن أحق بالوفاء منهم، أين مصعب بن عمير؟ قال: ها أنا ذا، قال: خذ اللواء، فأخذ مصعب بن عمير فتقدم به بين يدى رسول الله ﷺ(٢)، وهو اللواء الأعظم، ودفع لواء الأوس إلى أسيد بن حضير، ولواء الخزرج مع سعد أو حباب(٣).

قال: وحدثنى الزبير بن سعيد(٤)، عن عبد الله بن الفضل قال: أعطى رسول الله ﷺ مصعب بن عمير اللواء، فقتل مصعب، فأخذه ملك فى صورة مصعب، فجعل رسول الله ﷺ يقول لمصعب فى آخر النهار: تقدم يا مصعب فالتفت إليه الملك فقال: لستُ بمصعب، فعرف رسول الله ﷺ أنه ملك أُيّد به(٥) [وسمعتُ أبا معشر يقول مثل ذلك](٦).

ولما قُتل مصعب وسقط اللواء، ابتدره رَجُلان من بنى عبد الدار: سويبط ابن حرملة، وأبو الروم، فأخذه أبو الروم، فلم يزل فى يده حتى دخل به المدينة(٧).

---

(١) المرجع السابق): ١/ ٢١٥.

(٢) المرجع السابق): ١/ ٢٢١.

(٣) راجع التعليق رقم (٥).

(٤) فى (خ)، (ج): «الزبير وسعيد»، وما أثبتناه من (مغازى الواقدى).

(٥) (مغازى الواقدى): ١/ ٢٣٤.

(٦) زيادة للسياق من (المرجع السابق).

(٧) (المرجع السابق): ١/ ٢٣٩.

ولما خرج رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد، دفع لواءه إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه، ويقال: دفعه إلى أبى بكر رضى الله عنه.

ولما خرج إلى بدر الموعد، كان يحمل لواءه الأعظم يومئذ على رضى الله عنه(١).

وفى غزوة المريسيع، دفع رسول الله ﷺ، راية المهاجرين إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه، وراية الأنصار إلى سعد بن عبادة رضى الله عنه، ويقال كان مع عمار بن ياسر راية المهاجرين(٢).

ولما خرج إلى بنى قريظة، دفع عليه السلام لواءه إلى على، [رضى الله عنه] وكان اللواء على حاله، لم يحل [من] مرجعه من الخندق(٣). وحمل اللواء فى غزوة الغابة المقداد بن عمرو(٤)، وحمل راية رسول الله ﷺ العُقاب سعد بن عبادة(٥)، وكان له فى خيبر ثلاث رايات(٦).

قال الواقدى: ولم يكن راية قبل خيبر، إنما كانت الألوية، فكانت راية رسول الله ﷺ السوداء من برد عائشة رضى الله عنها تدعى العقاب، ولواؤه أبيض، ودفع رايته إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه وراية إلى الحباب ابن المنذر، وراية إلى سعد بن عبادة(٧).

---

(١) (المرجع السابق): ١/ ٣٨٨.

(٢) (المرجع السابق): ١/ ٤٠٧.

(٣) (المرجع السابق): ٢/ ٧٩٧.

(٤) (المرجع السابق): ٢/ ٥٤٠/

(٥) (المرجع السبق): ٢/ ٥٤٢.

(٦) قال الواقدى: وكانت راية النبى ﷺ السوداء من بُرد لعائشة تُدعى العُقاب، ولواؤه أبيض، ودفع راية إلى علىّ عليه السلام، وراية إلى الحباب بن المنذر، وراية إلى سعد بن عبادة. (المغازى): ٢/ ٦٤٩.

(٧) راجع التعليق السابق.

ولما انتهى ﷺ من خيبر إلى وادى القرى، وقد ضوى إليها ناس من العرب، استقبل يهود بالرمى المسلمين، حيث نزلوا وهم على غير تعبئة، فعبأ رسول الله ﷺ أصحابه لقتالهم، وصَفَّهُم ودفع لواءه إلى سعد بن عبادة، وراية إلى الحباب بن النذر، وراية إلى سهل بن حنيف، وراية إلى عباد بن بشر(١).

وعقد ﷺ لما جهز لغزاة مؤته لواءً أبيض، ودفعه إلى زيد بن حارثة(٢)، وعقد لعمرو بن العاص لما بعثه لغزوة ذات السلاسل لواءً أبيض، وجعل راية سوداء(٣).

ولما عسكر رسول الله ﷺ ببئر أبى عنبة -وهو يريد فتح مكة - عقد الألوية والرايات، وقيل: لم يعقد الألوية والرايات حتى انتهى إلى قد يد، فكان فى المهاجرين ثلاث رايات: راية مع الزبير سوداء، وراية مع علىّ، وراية مع سعد بن أبى وقاص وكان فى الأوس راية فى بنى عبد الأشهل مع أبى نائلة، وفى بنى ظفر راية مع قتادة بن العنمان، وفى بنى حارثة راية مع أبى بردة بن نيار، وفى بنى معاوية راية مع جبر بن عتيك، وفى بنى خطمة راية مع أبى لُبابة بن المنذر(٤)، وفى بنى واقف راية مع هلال بن أمية(٥)، وفى بنى عمرو بن عوف راية مع أبى لبابة بن عبد المنذر، وفى بنى أمية راية كذا، وفى بنى ساعدة راية مع أبى أُسيد الساعدى، وفى بنى الحارث بن الخزرج راية مع عبد الله بن زيد، وفى بنى سلمة مع قطبة بن عامر بن

---

(١) (المغازى للواقدى): ٢/ ٧١٠.

(٢) (المراجع السابق): ٢/ ٧٥٦.

(٣) سبق الإشارة إلى هذا الخبر وتخريجه.

(٤) فى (خ)، (ج): «مع خزيمة بن ثابت»، وما أثبتناه من الرجع السابق».

(٥) كذا فى الأصلين، وفى (المرجع السابق): «وفى بنى امية راية مع مُبيِّض».

حديدة، وفى بنى مالك بن النجار راية مع عمارة بن حزم، وفى بنى مازن راية مع سليط بن قيس، وفى بنى دينار راية مع كذا(١).

وكانت فى مزينة ثلاثة ألوية: لواء مع النعمان بن مُقَّرِّن، ولواء مع بلال ابن الحارث، ولواء مع عبد الله بن عمرو. وكان فى أسلم لواءان أحدهما مع بريدة بن الحصيب، والآخر مع ناجية بن الأعجم، وفى جهينة أربعة ألوية: لواء مع سويد بن صخر، ولواء مع رافع بن مكيث، ولواء مع زُرْعَة معبد بن خالد، ولواء مع عبد الله بن بدر(٢).

وكان مع بنى كعب بن عمرو ثلاثة ألوية: لواء مع بشر بن سفيان، ولواء مع ابن شُريح، ولواء مع عمرو بن سالم، وكانت راية أشجع مع عوف بن مالك(٣)، [ولهم لواءان: لواء يحمله معقل بن سفيان، ولواء يحمله نعيم ابن مسعود](٤).

ولقيه عليه السلام بقديد أسلم ومعها لواءان وخمس رايات سود، وقيل لم يكن معها لواء ولا راية. فسألوا رسول الله ﷺ أن يعقد لهم راية، فعقد لهما لواءان: أحدهما حمله عباس بن مرداس، والآخر حمله خُفاف بن ندبه، وحمل آخر راية(٥) [الحجاج بن علاط].

وكانت راية غفار مع أبى ذرّ(٦)، وكان فى كنانة بنى ليث، وضمرة، وسعد بن بكر لواء مع أبى واقد الليثى، وكان مع بنى ليث لواء يحمله

---

(١) (المرجع السابق): ٢/ ٨٠٠.

(٢) (مغازى الواقدي): ٢/ ٨٠٠ - ٨٠١.

(٣) (المرجع السابق): ٢/ ٨٠١.

(٤) ما بين الحاصرتين من الأصلين دون (مغازى الواقدى).

(٥) (المرجع السابق): ٢/ ٨١٩، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق والبيان منه.

(٦) ويقال إيماء بن رَحْضَة (المرجع السابق).

الصعب بن جثامة، وكان سعد بن عبادة يحمل راية رسول الله ﷺ أمام كتيبته، ثم أمره عليه السلام أن يدفعها إلى ابنه قيس بن سعد، وقيل بل أخذ عليّ رضى الله عنه الراية من سعد يأمر رسول الله ﷺ حتى دخل بها مكة، فغرزها عن الركن(١).

ويقال: كان لواء رسول الله ﷺ يوم دخل مكة أسود، ولمّا عبًّا رسول الله ﷺ أصحابه بأوطاس وصفًّهم، وضع الألوية والرايات فى أهلها، وكان مع المهاجرين لواء يحمله عليّ، وراية يحملها سعد بن أبى وقّاص، وراية يحملها عمر بن الخطاب رضى الله عنهم، وكان مع الخزرج لواء يحمله الحباب بن المنذر، ويقال: كان لواء الخزرج الأكبر مع سعد بن عبادة، ولواء الأوس أُسيد بن الحضير وفى كل بطن من بطون الأوس والخزرج لواء أو راية، ففى بنى عبد الأشهل راية يحملها أبو نائلة، وفى بنى حارثة راية يحملها أبو بردة بن نيار، وفى بنى ظفر راية يحملها قتادة بن النعمان، وراية يحملها جبر بن عتيك فى بنى معاوية، وراية يحملها هلال بن أمية فى بنى واقف، وراية يحملها أبو لبابة بن عبد المنذر فى بنى عمرو بن عوف، وراية يحملها أبو أسيد الساعدى فى بنى ساعدة، وراية يحملها عمارة بن حزم فى بنى مالك بن النجار، وراية يحملها أبو سليط فى بنى عدى بن النجار، وراية يحملها سليط بن قيس فى بنى مازن(٢) .

وكانت رايات الأوس والخزرج فى الجاهلية خضراء وحمراء، فلما كان الإسلام أقروها على ما كانت عليه، وكانت رايات المهاجرين سوداء والألوية بيضاء، وكان فى أسلم رايتان: إحداهما مع بريدة بن الحصيب، والأخرى

---

(١) (المرجع السابق): ٢/ ٨٢٢.

(٢) (مغازى الواقدى): ٢/ ٨١٨- ٨٢١.

مع جُندب بن الأعجم، وكان فى غفار راية مع أبى ذر، وفى بنى ضمرة والليث، وسعد بن ليث راية مع أبى واقد الحارث بن مالك الليثى، وفى كعب بن عمرو، رايتان: مع بُسر بن سفيان وأبى شريح، وفى مزينة ثلاث رايات: مع بلال بن الحارث، والنعمان بن مقرن، وعبد الله بن عمرو بن عوف(١).

وفى جهينة أربع رايات: مع رافع بن مكيث، وعبد الله بن بدر، وأبى زُرعة معبد بن خالد، وسويد بن صخر، وفى أشجع رايتان: مع نعيم بن مسعود، ومعقل بن سنان، وفى سليم ثلاث رايات: مع العباس بن مرداس، وخفاف بن ندبة، وحجاج بن علاط، وحمل راية الأزد [فى](٢) حصار [أهل](٢) الطائف النعمان المهلبى(٣).

ولما دخل رسول الله ﷺ من ثنية الوداع يريد تبوك، وعقد الألوية والرايات، فدفع لواءه الأعظم إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه، ورايته العظمى إلى الزبير رضى الله عنه، ودفع راية الأوس إلى أُسيد بن الحضير، ولواء الخزرج إلى أبى دجانة، ويقال: إلى الحباب بن المنذر بن الجموح(٤)، وراية بنى مالك بن النجار إلى عمارة بن حزم، ثم أعطاها زيد بن ثابت، وراية بنى عمرو بن عوف إلى أبى زيد، وراية بنى سلمة إلى مُعاذ بن جبل، رضى الله عنهم(٥).

---

(١) (مغازى الواقدى): ٢/ ٨١٨ - ٨٢١.

(٢) زيادة للسياق والبيان.

(٣) (المرجع السابق).

(٤) (المرجع السابق): ٣/ ٩٩٦.

(٥) باقى الخبر ليس فى (المرجع السابق).

ولما بعث رسول الله ﷺ على بن أبى طالب رضى الله عنه فى رمضان سنة عشر(١)، عسكر بقباء حتى تتام أصحابه، وعقد له يومئذ رسول الله ﷺ لواءً، أخذ عمامة فلفَّها مثنية مربعة، فجعلها فى رأس الرمح، ثم دفعها إليه ثم قال: هكذا(٢) اللواء، وعَمّمهُ عمامة ثلاثة أكوار، وجعل ذراعًا بين يديه، وشِبْرًا من ورائه، ثم قال: هكذا العمة(٣).

وآخر لواء عقده رسول الله ﷺ لواء أسامة بن زيد فى يوم الخميس لليلة بقيت من صفر سنة إحدى عشرة، عقده بيده، وقد ابتدأ به مرضه الذى توفَّاهُ الله فيه، وقال له: يا أسامة: أُغْزُ باسم الله، فى سبيل الله، فقاتلوا من كفر بالله، أغزوا ولا تغدروا ولا تقتلوا وليداً ولا امرأة، ولا تمنوا لقاء العدو، فإنكم لا تدرون لعلكم لا تبتلون بهم، ولكن قولوا: اللهم اكفناهم، واكفف بأسهم عنا، فإن لقوكم قد أجْلَبُوا وصيَّحوا، فعليكم بالسكينة والصمت، ولا تنازعوا [فتفشلوا] وتذهب ريحكم، وقولوا: اللهم نحن عبادك وهم عبادك، نواصينا ونواصيهم بيدك، وإنما تغلبهم أنت، واعلموا أن الجنة تحت البارقة(٤).

ثم قال: يا أسامة، شن(٥) الغارة على أهل أبناء، ثم قال امض على اسم الله، فخرج بلوائه معقوداً، فدفعه إلى بريدة بن الحصيب فخرج به إلى بيت أسامة، وعسكر أسامة بالجرف(٦).

---

(١) هى سرية على بن أبى طالب رضى الله عنه إلى اليمن.

(٢) فى (خ): «هاك ذا».

(٣) (مغازى الواقدى): ٣/ ١٠٧٩.

(٤) (مغازى الواقدى): ٣/١١١٧.

(٥) شنَّ الغارة عليهم: فرَّقها عليهم من جميع جهاتهم. (النهاية).

(٦) (مغازى الواقدى): ٣/١١١٨.

فلما توفى رسول الله ﷺ، ودخل المسلمون الذين عسكروا بالجرف إلى المدينة، ودخل بريدة بن الحصيب بلواء أسامة معقوداً، حتي أتى به باب رسول الله ﷺ فغرزه عنده[1].

فلما بويع أبو بكر رضى الله عنه، أمر بريدة أن يذهب باللواء إلى بيت أسامة، وأن لا يحله أبداً حتى يغزوهم أسامة، فخرج بريدة باللواء إلى بيت أسامة، ثم خرج به الشام معقوداً مع أسامة، ثم رجع به إلى بيت أسامة، فما زال معقوداً فى بيت أسامة حتى توفى أسامة رضى الله عنه[1].

* * *

(١) (مغازى الواقدى): ٣/ ١١١٨.

[وأما القضيب والعصا]

[فكان له ﷺ مخصرة تسمى العرجون، وقضيب يسمى الممشوق] فخرج ابن حبان من حديث محمد بن عجلان، عن عياض عن أبى سعيد [رضى الله عنه] قال: كان رسول الله ﷺ يستحب العراجين، فلا يزال فى يده منها شئ، فدخل يومًا المسجد وفى يده العرجون، فرأى نخامة فى القبلة فحكها بالعُرجون(١).

ومن حديث ابن لهيعة، أخبرنا أبو الأسود عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ كان يخطب وفى يده مِخْصَرة(٢).

---

(١) (أخلاق النبى): ١٤٦، وما بين الحاصرتين من (خ)، وليس فى (ج)، وسيأتى شرحه.

(٢) (مجمع الزوائد): ٢/١٨٧، (طبقات ابن سعد): ١/٢٥٠، (سلسلة الأحاديث الضعيفة للألبانى): حديث رقم (٩٦٤)، وقال العلاّمة ابن القيم: ولم يكن يأخذ بيده سيفاً ولا غيره، وإنما كان يعتمد على قوسٍ أو عصا قبل أن يتخذ المنبر، وكان فى الحرب يعتمد على قوس، وفى الجمعة يعتمد على عصا. (زاد المعاد): ١/٤٢٩، فصل فى هديه ﷺ فِى خطبته.

ورواه أبو داود فى (السنن): ١/٦٥٨-٦٥٩، كتاب الصلاة، باب (٢٢٩) الرجل يخطب على القوس، حديث رقم (١٠٩٦) مطولاً، وفيه: «فقام متكئًا على عصا أو قوس...» وسنده حسن، وصححه ابن خزيمة، وله شاهد من حديث يزيد بن البراء، فى (سنن أبى داود): ١/٦٧٩، كتاب الصلاة، باب (٢٤٩) حديث رقم (١١٤٥)، وله شاهد آخر عند أبى الشيخ فى (أخلاق النبى): ١٥٥-١٥٦، والنسائى فى (السنن): ٨/٥٥١-٥٥٢، كتاب الزينة، باب (٤٥) حديث أبى هريرة والاختلاف على قتادة، حديث رقم (٥٢٠٤)، وفيه «...... وفى يد رسول الله ﷺ مخصرة أو جريدة»، وحديث رقم (٥٢٠٥)، وفيه «... فجعل يقرعه بقضيب معه»، (مسند أحمد): ٦/٥٠١، حديث رقم (٢٢٥٧٦)، وفيه: «.... فطعننى رجل بمخصرة .... فنظرت فإذا رسول الله ﷺ»، (مسلم بشرح النووى): ١٨/٢٩٤، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب (٢٤) قصة الجساسة، حديث رقم (١١٩)، وفيه: «... قالت: قال رسول الله ﷺ وطعن بمخصرته فى المنبر: هذه طيبة، هذه طيبة، يعنى المدينة».

ومن حديث معمر بن سليمان قال: سمعت منصور بن المعتمر، عن سعد بن عبيدة، عن عبد الله بن حبيب، عن أبى عبد الرحمن السُّلمّى عن على رضى الله عنه قال: كان النبى ﷺ ببقيع الغرقد ومعه مخصرة، فنكس وجعل ينكتُ بها يده(١).

قال ابن الجوزى: وكان له ﷺ قضيب هو اليوم عند الخلفاء.

ولابن حيَّان من حديث ليث عن عامر الشعبىّ، عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: التوكؤ على العصا من أخلاق الأنبياء(٢) [و] كان لرسول الله ﷺ عصًا يتوكأ عليها، ويأمر بالتوكئ على العصا(٣).

وقال مخول بن إبراهيم، حدثنا إسرائيل عن عاصم، عن محمد بن سيرين، عن أنس، أنه كان عنده عُصَيَّة لرسول الله ، فمات فدفنت معه بين جنبه وبين قميصه.

وخرج عمر بن شيبة من حديث عبد الله بن رجاء قال: أخبرنا المسعودى عن القاسم قال: كان عبد الله بن مسعود [رضى الله عنه] يُلبس النبى ﷺ

---

(١) (فتح البارى): ٢٨٩، كتاب الجنائز، باب (٨٢) موعظة المحدث عند القبر، وقعود أصحابه حوله، حديث رقم (١٣٦٢).

(٢) (الأسرار المرفوعة): ١٦٧، حديث رقم (١٤٧)، قال عنه: كلام صحيح، وليس له أصل صريح، وإنما يستفاد من قوله تعالى: ﴿**وما تلك بيمينك يا موسى**﴾ [طه: ١٧]، ومن فعل نبينا عليه الصلاة والسلام فى بعض الأحيان، (كشف الخفا): ١ / ٣٢١، حديث رقم (١٠٢٥) ثم قال – بعد أن نقل قول القارى فى (الأسرار) –: وروى الديلمى بسنده عن أنس رفعه، حديث: حمل العصا علامة المؤمن وسنة الأنبياء، وروى أيضًا: كانت للأنبياء كلهم مخصرة يختصرون بها تواضعًا لله عزَّ وجلَّ.

وأخرج البزار والطبرانى بسند ضعيف حديث: أن اتخذ العصا فقد اتخذها أبى إبراهيم. وأخرج ابن ماجة عن أبى أمامة: خرج إلينا رسول الله ﷺ متوكأً على عصا.

(٣) (سلسلة الأحاديث الضعيفة): ٩١٦.

نعليه، ثم يأخذ العصا فيمشي أمامه، حتى إذا جلس أعطاه العصا ونزع نعليه، فجعلهما في ذراعيه، ثم استقبله بوجهه، فإذا أراد أن يقوم ألبسه نعليه، ثم أخذ العصا فمشي قدامه، حتى يلج الحجرة أمام رسول الله ﷺ، ويقال: إن اسم قضيبه على السلام الممشوق(١).

* * *

(١) أخرج الطبراني من حديث ابن عباس: «..... وكان له قضيب شوحط يسمى الممشوق»، وفيه علي بن عذرة الدمشقي، نسب إلى وضع الحديث.

قوله: قضيب شوحط، أي غصن مقطوع من شوحط، وهو من أشجار الجبال، تعمل منها القسي والسهام، قيل: هو الذي كان الخلفاء يتداولونه.

قال الزبيدي: ورواه من طريق عثمان بن عبد الرحمن، عن علي بن عذرة، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء وعمرو بن دينار، كلاهما عن ابن عباس. وعلي بن عذرة قال الهيثمي: متروك. ورواه ابن الجوزي في الموضوعات، وقال: عبد الملك وعلي وعثمان متروكون (إتحاف السادة المتقين): ٨/ ٢٦١-٢٦٢.

فصل في ذكر من كان على سلاح رسول الله ﷺ

قال الواقدى فى عمرة القضاء: حدثنى معاذ بن محمد عن عاصم بن عمر قال: حمل رسول الله ﷺ السلاح: البيض، والدروع، والرماح وقاد مائة فرس، فلما انتهى إلى ذى الحليفة، قدَّم الخيل أمامه، [وهى مائة فرس،](١) عليها محمد بن مسلمة، وقدم السلاح واستعمل عليه بشير بن سعد، فقيل: يا رسول الله! حملت السلاح وقد شرطوا علينا أن لا ندخل عليهم إلا بسلاح المسافر السيوف فى القُرب، فقال [رسول الله ﷺ](١): إنا لا نُدخلها(٢) عليهم الحرم، ولكن يكون قريبًا منا، فإن هاجنا هيج من القوم، كان السلاح قريبًا منا، قيل: يا رسول الله! نخاف قريشًا على ذلك؟ فأسكت رسول الله ﷺ وقدَّم البُدن(٣).

قال الواقدى: ونزل رسول الله ﷺ مرَّ الظهران، وقدم السلاح إلى بطن يَأْجَج، حيث ينظر إلى أنصاب الحرم، [و] حدثنى عائذ بن يحى، عن [أبى](١) الحويرث قال: وخلف رسول الله ﷺ مائتى رجل على السلاح، عليهم أوس بن خولى(٤).

قال الواقدى: وقد كان رسول الله ﷺ أمر مائتين من أصحابه ممن طافوا بالبيت أن يذهبوا إلى أصحابهم ببطن يأجج فيقيموا على السلاح، ويأتى الآخرون فيقضوا نسكهم، ففعلوا(٥).

---

(١) زيادة للسياق من (مغازى الواقدى).

(٢) فى (خ): «لا ندخل».

(٣) (مغازى الواقدى): ٢/٧٣٣-٧٣٥.

(٤) (المرجع السابق): ٧٣٤-٧٣٥.

(٥) (المرجع السابق): ٧٤٠.

فصل في ذكر من كان يقوم على رأس النبى ﷺ بالسلاح ومن حمل حربته وصقل سيفه

اعلم أنه كان لرسول الله ﷺ جماعة يقفون على رأسه بالسلاح، منهم المغيرة بن شعبة، والضحاك بن سفيان، والنعمان بن مقرن، وعباد بن بشير رضى الله عنهم.

أما المغيرة بن شعبة، فقد خرَّج البخارى من حديث الزهرى قال: أخبرنى عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة ومروان [رضى الله عنهما] يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه، قالا: خرج رسول الله ﷺ من الحديبية، فذكر الحديث حتى ذكر قدوم عروة [بن مسعود](1) إلى أن قال: وجعل يكلم النبى ﷺ، فلما كلمه أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة قائم رأس النبى ﷺ ومعه السيف، وعليه المغفر، وكلما أهوى عروة بيده إلى لحية رسول الله ﷺ. ضرب يده بنعل السيف وقال: أخِّره يدك عن لحية رسول الله وذكر الحديث بطوله، ذكره فى كتاب الشروط(2) وفى عمرة الحديبية(3).

---

(1) زيادة للسياق من (البخارى).

(2) (فتح البارى): ٥/٤١٢-٤١٧، كتاب الشروط، باب (١٥) الشروط فى الجهاد، والمصالحة مع أهل الحرب، وكتابة الشروط، حديث رقم (٢٧٣١)، (٢٧٣٢)، وأخرجه أبو داود فى (السنن): ٣/١٩٤-٢٠٩، كتاب الجهاد، باب (١٦٨) فى صلح العدو، حديث رقم (٢٧٦٥)، ٥/٤٢، كتاب السنة، باب (٩) فى الخلفاء، حديث رقم (٤٦٥٥).

(3) (فتح البارى): ٧/٥٧٦، كتاب المغازى، باب (٣٦) غزوة الحديبية، وقول الله تعالى: ﴿لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾ [الفتح: ١٨]، حديث رقم (٤١٨٠)، (٤١٨١)، مختصراً، ولم يذكر فيه خبر عروة بن مسعود، والمغيرة بن شعبة.

وخرج ابن حبان في صحيحه من حديث محمد بن إسحاق بن خزيمة، حدثنا أبو عمار، حدثنا وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن المغيرة بن شعبة، أنه كان قائمًا على رأس رسول الله ﷺ بالسيف، وعنده عروة بن مسعود، فجعل يتناول لحية النبي ﷺ ويحدثه، فقال المغيرة لعروة: لتكفّن يدك عن لحيته، أو لا ترجع إليك، فقال عروة: من هذا؟ قال: هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة، فقال عروة: يا غُدَر، ما غسلتَ رأسك من غدرتك بعد(١).

وقال ابن سعد: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني محمد بن سعيد الثقفي، وعبد الله بن عبد الرحمن بن يعلا بن كعب، ومحمد بن يعقوب ابن عُتبة عن أبيه وغيرهم، قالوا: قال المغيرة بن شعبة: كنا قوم من العرب متمسكين بديننا، ونحن سدنة اللات، وأُراني لو رأيت قومي قد أسلموا ما تبعتهم، فأجمع نفر من بني مالك الوفود على المقوقس، وأهدوا له هدايا فأجمعت الخروج معهم، فاستشرت عمي عروة بن مسعود فنهاني وقال: ليس معك من بني أبيك أحد، فأبيتُ إلا الخروج(٢).

فخرجت معهم، وليس معهم من الأحلاف غيري، حتى إذا دخلنا الأسكندرية، فإذا المقوقس في مجلس مطلّ على البحر، فركبت قاربًا حتى حاذيتُ مجلسه، فنظر إليّ فأنكرني، وأمر من سألني من أنا وما أريد، فسألني، فأخبرته بأمرنا، وإنا قدمنا عليه، فأمر أن ننزل، وأجرى علينا ضيافة، ثم دعانا فنظر إلى رأس بني مالك فأدناه إليه، وأجلسه معه ثم

---

(١) (الإحسان بتقريب صحيح ابن حبان): ١١ /٢١٦-٢٢٧، كتاب السير، باب (١٨) الموادعة والمهادنة، ذكر ما يستحب للإمام من استعمال المهادنة بينه وبين أعداء الله، إذا رأى بالمسلمين ضعفًا يعجزون عنهم، حديث رقم (٤٨٧٢)، من حديث المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم، بسياقه أخرى.

(٢) (طبقات ابن سعد): ٤ /٢٨٥.

سأله: أكل القوم من بنى مالك؟ فقال: نعم إلا رجلاً واحداً من الأحلاف، وعرَّفه إياى، فكنت أهون القوم عليه[1].

ووضعوا هداياهم بين يديه فَسُرَّ بها وأمر بقبضها، وأمر لهم بجوائز، وفضّل بعضهم على بعض، وقصَّر بى فأعطانى شيئًا قليلاً لا ذكر له، وخرجنا، فأقبلت بنو مالك يُسَيِّرون هداياهم لأهليهم وهم مستبشرون، ولم يعرض علىّ أحدٌ منهم شيئًا، وخرجوا وحملوا معهم خمراً فكانوا يشربون منها وأشرب معهم، ونفسى تأبى أن تدعنى معهم، وقلت: ينصرفون إلى الطائف بما أصابوا مما حباهم به الملك، ويخبرون قومى بتقصيرهم بى، وازدرائه إياى، فأجمعتُ على قتلهم، قلت: إنى أجد صُداعًا، فوضعوا شرابهم ودعونى فقلت: برأسى صداع، ولكن أجلس فأسقيكم فلم ينكروا شيئًا، فجلست أسقيهم وأشرب القدح بعد القدح، فلما دبَّت الكأس فيهم اشتهوا الشراب، فصرت أصرف لهم وأنزع الكأس حتى ناموا ما يعقلون، فوثبت بهم، فقتلتهم جميعًا وأخذتُ ما معهم[1].

فقدمتُ على النبى ﷺ فوجدته جالسًا فى المسجد مع أصحابه، وعلىّ ثياب السفر، فسلمت سلام الإسلام، فنظر إلىَّ أبو بكر - وكان بى عارفًا - فقال: أنت ابن أخى عروة؟ قلت نعم، قال: ما جاء بك؟ قلت: جئت أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: الحمد لله الذى هداك إلى الإسلام، فقال أبو بكر رضى الله عنه: أمن مصر أقبلتم؟ قلت: نعم، قال: فما فعل المالكيون الذين كانوا معك؟ قلت: كان بينى وبينهم بعض ما يكون بين العرب ونحن على دين الشرك، فقتلتهم وأخذت أسلابهم، وجئت بها إلى رسول الله ﷺ ليخمسها، ويرى فيها رأيه، فإنها غنيمة من المشركين، وأنا مسلم مصدق محمد، فقال رسول الله

(١) (المرجع السابق): ٢٨٥-٢٨٦.

ﷺ : أما إسلامك فقبلتُه، ولا نأخذ من أموالهم شيئًا ولا نخمسها، لأن هذا غدر، والغدر لا خير فيه][1].

[فأخذنى ما قرب وما بعد، فقلت : يا رسول الله! إنما قتلتُهم وأنا على دين قومى، ثم أسلمتُ حين دخلتُ عليك الساعة، فقال : إن الإسلام يجب ما قبله][1].

[قال : وكان قد قتل منهم[2] ثلاثة عشر إنسانًا، فبلغ ذلك ثقيفًا بالطائف، فتداعوا للقتال، ثم اصطلحوا على أن يحمل عمى عروة بن مسعود ثلاثة عشرة دية].

[قال المغيرة : وأقمتُ مع النبى ﷺ حتى اعتمر عمرة الحديبية فى ذى القعدة سنة ست من الهجرة، فكانت أول سفرة وخرجت معهم، وكنت أكون مع أبى بكر رضى الله عنه، وألزم رسول الله ﷺ فيمن يلزمه].

[وبعثت قريش عام الحديبية عُروة بن مسعود، إلى النبى ﷺ فأتاه يكلمه، وجعل يمس لحية رسول الله ﷺ وأنا قائم على رأسه ﷺ مقنع فى الحديد، فقلت لعروة وهو يمس لحية رسول الله ﷺ : أكففت يدك [عن مسّ لحية رسول الله][3] قبل أن لا تصل إليك، فقال عروة : يا محمد! من هذا؟ ما أفظعه وما أغلظه؟! فقال : هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة، فقال عروة : يا عَدُوّ الله! ما غسلتُ سَوْءَتَكَ عنى إلا بالأمْس يا غُدر].

[وخرجه قاسم بن أصبغ، من حديث الأعمش عن مجاهد قال : حدثنى

(١) (المرجع السابق) : ٢٨٦ .

(٢) إلى هنا انقطع الخبر فى (طبقات ابن سعد)، وتمام الخبر فى (خ)، وما بين الحاصرتين فى الفصل كله من (خ) وهو سقط من الناسخ فى (ج).

(٣) زيادة للسياق من (مغازى الواقدى) : ٢ / ٥٩٥ .

مولاى عبد الله بن السائب[1] قال: أتيتُ النبى ﷺ فقال لى: تعرفنى؟ قلت: نعم، كنت شريكك، فنعم الشريك، كنت لا تدارى[2] ولا تُمارى[3]][4].

[وأما الضحاك بن سفيان رضى الله عنه] فقال أبو عمر بن عبد البر: وكان الضحاك بن سفيان الكلابى أحد الأبطال، وكان يقوم على رأس رسول الله ﷺ متوشحًا سيفه، وكان يُعدّ بمائة فارس وحده، وله خبر عجيب مع بنى سليم، ذكره أهل الأخبار[5].

ذكر الزبير بن بكار وقال: حدثتنى ظمياء بنت عبد العزيز بن مَوْأَلَة بن كثيف الكلابى [قال: حدّثنى أبى عن جدى مَوْأَلَة بن كثيفك بن جمل بن

(١) هو عبد الله بن السائب بن أبى السائب، صيفىّ بن عابد بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مُرّة أبو عبد الرحمن، وابو السائب القرشىّ المخزومى المكى.

روى انس بن عياض، عن رجل، عن عبد الله بن السائب، قال: اكتنيتُ بكنية جدى أبى السائب، وكان خليطًا للنبى ﷺ فى الجاهلية، فقال النبى ﷺ: نعم الخليط؛ كان لا يُشارى ولا يمارى، [إسناده ضعيف لجهالة رواية عبد الله بن السائب، والمعروف أن شريك النبى ﷺ هو السائب أبو عبد الله لا جده]. [ويؤيد ذلك ما أخرجه الإمام أحمد بن حنبل فى (المسند): ٤/٤٤٠-٤٤١، حديث رقم (١٥٠٧٦): عن قائد السائب، عن السائب، انه قال للنبى ﷺ: كنت شريكى، فكنت خير شريك، كنت لا تدارى ولا تمارى، وحديث رقم (١٥٠٧٧)، من حديث روح، حدثنا سيف قال: سمعتُ مجاهداً يقول: كان السائب بن السائب العابدى شريك رسول الله ﷺ فى الجاهلية، قال: فجاء النبى ﷺ يوم فتح مكة فقال: بأبى وأمى لا تدارى، ولا تمارى.

(٢) لا تدارى: لا تخالف ولا تمانع.

(٣) لا تمارى: لا تخاصم.

(٤) له ترجمة فى: (طبقات خليفة): ١١٠، (التاريخ الكبير): ٥/٨، (التاريخ الصغير): ١/١٢٦، (طبقات ابن سعد): ٥/٤٤٥، (الجرح والتعديل): ٥/٦٥، (جمهرة أنساب العرب): ١٤٣، (تهذيب التهذيب): ٥/٢٠١، ترجمة رقم (٣٩٤)، (سير أعلام النبلاء): ٣/٣٨٨-٣٩٠، ترجمة رقم (٥٩).

(٥) (الاستيعاب): ٢/٧٤٣، ترجمة رقم (١٢٥٠).

خلد الكلابى، أن الضحاك بن سفيان الكلابى رضى الله عنه][(١)] كان سيّاف رسول الله ﷺ قائمًا على رأسه متوشحًا سيفه، وكانت بنو سليم فى تسعمائة، فقال لهم رسول الله ﷺ: هل لكم فى رجل يعدل مائة يوفيكم ألفًا؟ فوافاهم بالضحاك بن سفيان، وكان رئيسهم، فقال عباس بن مرداس [المعنى المذكور فى الخبر][(١)]:

نذود أخانا عن أخينا ولو ترى
مهزاً لكنا الأقربين نتابع
نتابع بين الأخشبين وإنما
يدُ الله بين الأخشبين تبايع
[عشية ضحاك بن سفيان معتصٍ
بسيف رسول الله والسيف رافع][(١)]

[كان][(٢)] الضحاك بن سفيان بن عوف بن أبى بكر بن كلاب الكلابى، يكنى أبا سعيد، معدود فى أهل المدينة، كان ينزل باديتها، وقيل: كان

---

(١) زيادة للسياق من (المرجع السابق)، وهذه الأبيات فى (الاستيعاب) هكذا:

نذود أخانا عن أخينا ولو نرى
وصالاً لكنا الاقربين نتابع
نبايع بين الاخشبين وإنما
يدُ الله بين الاخشبين تُبَايع
عشية ضحاك بن سفيان مُعْتَصٍ
لسيف رسول الله والموتُ واقع

(٢) فى (خ)، (ج): «قال»، وما أثبتناه أجود للسياق.

نازلاً [بحرة](١) ولاه رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه، وكتب إليه أن يورث امرأة أَشيم الضِّبابى(٢) من دية زوجها، وكان أشيم قتل خطأ، وشهد بذلك الضحاك بن سفيان عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فقضى به وترك رأيه.

وبعث رسول الله ﷺ سرية أمَّر عليهم الضحاك؛ بن سفيان هذا، فذكره عباس بن مرداس فى شعره، كذا ذكره ابن عبد البر أنه كلابى(٣)، وقال البرقى: ليس الضحاك بن سفيان هذا بالكلابى، إنما هو الضحاك بن سفيان بن الحارث بن زائدة بن عبد الله بن حبيب بن مالك بن خفاف بن امرئ القيس بُهْثَةَ السلمى، له صحبة، وكان رأس بنى سليم؛ وصاحب رايتهم(٤).

[وقال الزبير بن بكار فى (نسب قريش): الضحاك بن سفيان بن عوف بن كعب بن أبى بكر بن كلاب الكلبى، الذى شهد عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ كتب إليه أن يورث امرأة أشيم الضِّبابى(٢) من ديته، وكان أشيم قُتل خطأ، فقضى بذلك عمر بن الخطاب، وبعثه النبى ﷺ [فى سرية](٢) استعمله عليهم(٥)، فيها عباس

---

(١) فى بعض النسخ: «بنجد» وما أثبتناه من (الاستيعاب).

(٢) فى الأصلين: «الصابئ» وما أثبتناه من (الاستيعاب).

(٣) (الاستيعاب): ٢/٧٤٢، ترجمة رقم (١٢٥٠)، (الإصابة): ٣/٤٧٨-٤٨٠، ترجمة رقم (٤١٧٣).

(٤) (جمهرة النسب): ٣٩٩، (الإصابة): ٦/٢٣٥، ترجمة مولة، أو موالة بن كُثيف، مولى الضحاك ابن سفيان الكلابى رقم (٨٢٧٩).

(٥) هى سرية الضحاك بن سفيان الكلابى إلى بنى كلاب، راجع خبرها فى: (طبقات ابن سعد): ٢/١٦٢-١٦٣، (عيون الأثر): ٢/٢٠٦-٢٠٧، وكانت فى شهر ربيع الأول سنة تسع.

ابن مرداس، فقال عباس بن مرداس:

يا خاتم الأنبياء إنك مرسل
بالحق كل هدى النبى هداكَا

وُضعت عليك من الإله محبةٌ
وعباده ومحمداً أسماكَا

إن الذين وفوا ما عاهدتهم
جيشٌ بعثت عليهم الضَّحاكَا

أمرته ضرب السنان كأنه
لما تكنفه العدو يراكا

طَوْراً يعانق باليدين وتارة
يفرى الجماجم صارما بتاكا][(١)]

[قال الزبير: حدثتنى ظمياء بنت عبد العزيز بن مولة[(٢)] بن كثيف الضبائية، عن أبيها عن جدها مولة[(٢)] بن كثيف، أن الضحاك بن سفيان الكلبى، كان سيافًا لرسول الله[(٣)] ﷺ، قائمًا على رأسه، متوشحًا

(١) هذه الأبيات فى (الاستيعاب) ثلاثة فقط أولهم:

* إن الذين وفوا بما عاهدتهم *

باختلاف يسير فى الألفاظ، وما أثبتناه من (خ)، و(سيرة ابن هشام).

(٢) فى بعض كتب التراجم: «موألة».

(٣) كذا فى (خ)، وفى (الاستيعاب): «كان سياف رسول الله».

بسيفه(١)، وكانت بنو سليم في تسعمائه، فقال رسول الله ﷺ: هل لكم في رجل يعدل مائة يوفيكم ألفًا، فوفًّاهم بالضحاك بن سفيان، وكان رئيسهم، فلما اقتتلوا قال رسول الله ﷺ لعباس بن مرداس: ما لقومي كذا تريد تقتلهم، وقومك هكذا تريد تدفع عنهم؟ فقال عباس:

نذود أخانا عن أخينا ولو ترى
مهراً لكنا الأقربين نتابع
نبايع بين الأخشبين وإنما
يدُ الله بين الأخشبين تدافع
[عشية ضحاك بن سفيان معتصٍ
بسيف رسول الله والسيف كانع](٢)

[وبشير بن سعد بن ثعلبة بن جُلاس(٣) بن زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجي أبو النعمان، شهد العقبة، وبدراً، وأحداً، وما بعدها].

---

(١) كذا في (خ) «سيفه» وفي (الاستيعاب): «بسيفه».

(٢) هذه الأبيات من شعر عباس بن مرداس في يوم حنين، وهي قصيدة قوامها (١٦) بيتًا (سيرة ابن هشام): ٥/١٢٢-١٢٣، وما بين الحاصرتين من (خ) وليس في (ج).

(٣) جُلاس - بضم الجيم مخففًا - وضبطه الدارقطني بفتح الخاء المعجمة وتثقيل اللام، له ذكر في (صحيح مسلم) وغيره في قصة الهبة لولده، وحديثه في النسائي، وقال الواقدي: بعثه النبي ﷺ في سرية إلى فدك، ثم بعثه في شوال نحو وادي القرى. (الإصابة): ١/٣١١-٣١٢، ترجمة رقم (٦٩٤)، وما بين الحاصرتين سقط في (ج).

[وذكر الزبير بن بكار فى (الأخبار الموفقيات)، عن محمد بن إسحاق، أن بشير بن سعد الأنصارى كان إذا قدمت وفود العرب على رسول الله ﷺ قام على رأس النبى ﷺ بالسيف يحميه منهم، وبشير هذا أول من بايع أبا بكر الصديق رضى الله عنه يوم الثقيفة من الأنصار، وقتل هو مع خالد بن الوليد بعين التمر فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنهم](١).

والنعمان بن مُقَرِّن بن عائذ، ويقال: النعمان بن عمرو بن مقرن، ويقال النعمان بن مقرن بن عائذ بن مِيَجاء بن هجير بن نصر بن حُبْشِيَّة بن كعب ابن عبد ثور بن هدمة بن لاطم بن عثمان - وهو مزينة - بن عمرو بن أدّ ابن طابخة أبو عمرو، ويقال: أبو حكيم المزنى.

هاجر وكان صاحب لواء مزينة يوم الفتح، واستعمله عمر رضى الله عنه، ففتح الله عليه أصبهان، وقُتِل عَلَى نهاوند سنة إحدى وعشرين.

وذكر الطبرانى من حديث عطاء بن أبى رباح قال: قلت لابن عمر: أشهدت بيعة الرضوان مع رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قلت: فما كان عليه؟ قال: قميص من قطن، وجبّة محشوة، ورداء وسيف، ورأيت النعمان بن مقرن المزنى قائمًا على رأسه، قد رفع أغصان الشجرة عن رأسه، والناس يبايعونه(٢).

---

(١) (الاستيعاب): ١/١٧٢-١٧٣، ترجمة رقم (١٩٣)، (الإصابة): ١/٣١١-٣١٢، ترجمة رقم (٦٩٤)، وما بين الحاصرتين سقط فى (ج).

(٢) له ترجمة فى: (الاستيعاب): ٤/١٥٠٥-١٥٠٧، ترجمة رقم (٢٦٢٦)، (الإصابة): ٦/٤٥٣-٤٥٤، ترجمة رقم (٨٧٦٥)، (طبقات خليفة): ٣٨، ١٢٨، ١٧٧، (تاريخ خليفة): ١٤٩، (التاريخ الكبير): ٨/٧٥، (المعارف): ٧٥، ٨٣، ٢٩٩، (الجرح والتعديل): ٨/٤٤٤، (تهذيب التهذيب): ١/٤٠٧، (شذرات الذهب): ١/٣٢.

وعباد بن بشر[(١)] [رضى الله عنه] قائم على رأس رسول الله ﷺ، وهو مقنع فى الحديد، لما جاء عيينة بن حصن فى الخندق، ومعه الحارث بن عوف فى عشرة من قومهما، ليقع الصلح معهما، حتى يرجعا بمن معهما[(٢)].

وقال الواقدى: حدثنى يعقوب بن محمد، عن عبد الرحمن بن عبد الله، عن الحارث بن عبد الله بن كعب قال: سمعت أم عمارة [رضى الله عنها] تقول: إنى لأنظر إلى رسول الله ﷺ يومئذ جالسًا متربعًا – يعنى يوم الحديبية – وإنَّ عباد بن بشر وسلمة بن أسلم بن حريش مقنعان بالحديد قائمان على رأس النبى عليه السلام، إذ رفع سهيل بن عمرو صوته فقالا[(٣)]: إخفض [من][(٤)] صوتك عند رسول الله [ﷺ][(٥)]، وسهيل بارك على ركبتيه رافع صوته، كأنى أنظر إلى علم[(٦)] فى ضفته، وإلى أنيابه، وإن

(١) هو عباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل الأنصارى الأشهلى. قال الواقدى: يُكْنَى أبا بشر، وقال إبراهيم بن المنذر: عبّاد بن بشر يكنى أبا بشر، ويكنى أبا الربيع. شهد بدراً وأحداً، والمشاهد كلها، وكان فيمن قتل كعب بن الأشرف اليهودى، وكان من فضلاء الصحابة.

قال ابن إسحاق: شهد بدراً مع رسول الله ﷺ، وقُتِل يوم اليمامة شهيداً، وكان له يومئذ بلاء وغناء، فاستشهد يومئذ وهو ابن خمس وأربعين سنة. له ترجمة فى: (الاستيعاب): ٢/ ٨٠١– ٨٠٤، ترجمة رقم (١٣٥٤)، (الإصابة): ٣/ ٦١١، ترجمة رقم (٤٤٥٧)، (جمهرة النسب): ٦٣٦، (سير أعلام النبلاء): ١/ ٣٣٧–٣٤٠، ترجمة رقم (٧٣).

(٢) (مغازى الواقدى): ٢/ ٤٧٧.

(٣) فى (المرجع السابق): «قالا».

(٤) زيادة للسياق من (المرجع السابق).

(٥) زيادة للسياق من (المرجع السابق).

(٦) العلم: الشق فى الشفة العليا.

المسلمين لحول رسول الله ﷺ جلوس(١).

وعمر بن الخطاب [رضى الله عنه]، ذكر الدارقطنى فى (العلل)، أن النبى عليه السلام، كان إذا صلى فى الحجر، قام عمر رضى الله عنه على رأسه بالسيف حتى يصلى.

وكان الحارث بن الصمة [بن عتيك](٢) بن عمرو بن عامر - الذى يقال له: مبذول - بن مالك بن النجار أبو سعيد، الذى قتل يوم بئر معونة شهيداً، يحمل حربة رسول الله ﷺ ويسير بها بين يديه(٣).

قال ابن إسحاق: فى يوم أحد لما أسند رسول الله ﷺ فى الشعب، أدركه أُبىّ بن خلف وهو يقول: أين يا محمد! لا نجوتُ إن نجوتَ، فقال القوم: يا رسول الله! أيعطف عليه [رجلٌ](٤) منا؟ فقال: دعوه، فلما دنا تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة، ثم استقبله فطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ - أى تمايل - منها عن فرسه مراراً(٥).

---

(١) (مغازى الواقدى): ٢/٦٠٥-٦٠٦.

(٢) زيادة لسياق من (الاستيعاب).

(٣) هو الحارث بن الصِّمَّة بن عمرو بن عتيك بن عمرو بن عامر، وعامر هذا يقال له مبذول بن مالك بن النجار، يُكْنى أبا سعد.

كان رسول الله ﷺ قد آخى بينه وبين صهيب بن سنان، وكان فيمن خرج مع رسول الله ﷺ إلى بدر، فكُسِر بالروحاء، فردّ رسول الله ﷺ، وضرب له بسهمه وأجره، وشهد معه أحداً فثبت معه يومئذ حين انكشف الناس وبايعه على الموت، ثم شهد بئر معونة، فقتل يومئذ شهيداً. له ترجمة فى (الاستيعاب): ١/٢٩٢، ترجمة رقم (٤١١)، (الإصابة): ١/٥٧٨-٥٧٩، ترجمة رقم (١٤٢٨).

(٤) زيادة للسياق من (سيرة ابن هشام).

(٥) (سيرة ابن هشام): ٤/٣٣، مقتل أُبَىّ بن خلف.

وكان مرزوق الصيقل[1] مولى الأنصار، صقل سيف رسول الله ﷺ، روى عنه أبو الحكم الصيقل [حدثنى مرزوق الصيقل أنه صقل سيف رسول الله ﷺ ذا الفقار][2].

* * *

(١) قال العسكرى وغيره: له صحبه. وقال ابن حبان: يقال إن له صحبة، وقال ابن عبد البرّ: فى إسناد حديثه لين. له ترجمة فى: (الاستيعاب): ٤/١٤٦٩، ترجمة رقم (٢٥٤١)، (الإصابة): ٦/٧٧، ترجمة رقم (٧٩٠٤)، (الثقات): ٣/٣٩٠.

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (الإصابة)، أخرجه البغوى، والطبرانى، من طريق محمد بن حمير، وقال ابن عبد البرّ: فى إسناد حديث لين.

فصل فى ذكر خيل رسول الله ﷺ

[اعلم أنه قد كان لرسول الله ﷺ خيول يرتبطها، منها ما أجمعوا عليه ومنها ما اختلفوا فيه، فأجمعوا على أن كان له ﷺ سبعة أفراس، ويروى [أن] له عشرة أفراس - فى بعضها خلاف - وهى: المرتجز(١)، واللُّحَيْف(٢)، واللِّزاز(٣)، والظَّرب(٤)، والسَّكْب(٥)، وسَبْحَة(٦)،

---

(١) وكان أشهب وهو الذى شهد فيه خزيمة بن ثابت فجعل شهادته شهادة رجلين، وسمى بذلك لحسن صهيله، كأنه ينشد رجزًا، وقيل: هو الطِّرف - بكسر الطاء المهملة - نعت المذكر خاصة، وقيل: هو النجيب، والطرف والنجيب: الكريم من الخيل، وكان الأعرابى الذى اشتراه منه النبى ﷺ من بنى مرة. (زاد المعاد): ١/١٣٣، (طبقات ابن سعد): ١/٤٩٠، (الوافى): ١/٩٠، (عيون الأثر): ٢/٣٢٠-٣٢١.

(٢) أهداه له ربيعة بن أبى البراء، فأثابه عليه فرائض من نَعَم بنى كلاب، واللحيف: فعيل بمعنى فاعل، كأنه يلحف الأرض بذنبه، وقيل فيه: بضم اللام وفتح الحاء على التصغير. (زاد المعاد): ١/١٣٣، (طبقات ابن سعد): ١/٤٩٠، (الوافى): ١/٩٠، (عيون الأثر): ١/٣٢١.

(٣) أهداه له المقوقس، ولزاز: من قولهم: لازته أى لاصقته، كأنه يلتصق بالمطلوب لسرعته، وقيل: لاجتماع خلقه، والملزز: المجتمع الخلق. (المرجع السابق).

(٤) أهداه له فروة بن عمير الجذامى، والظَّرِب: واحد الظِّراب، وهى الروابى الصغار، سمى به لكبره وسمنه، وقيل: لقوته وصلابته. (المرجع السابق).

(٥) كان اسمه قبل أن يشتريه: الضرس، اشتراه بعشرة أواقٍ، أول ما غزا عليه أُحدًا، وكان أغرّ، طلق اليمين، مُحَجَّلاً، كميتًا، وقيل: كان أدهم، روى ذلك عن ابن عباس، شُبّه بفيض الماء وانسكابه، (المرجع السابق).

(٦) أخرج ابن سعد فى (الطبقات) من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال: راهن رسول الله ﷺ على فرس يقال لها: سَبْحة، فجاءت سابقة، فهشّ لذلك وأعجبه، وسبحه، من قولهم: فرسٌ سابح، إذا كان حسن مد اليدين فى الجرى، وسبح الفرس جريه. (المرجع السابق).

والورْد(1). وقاد ﷺ فى حروبه عدة أفراس](2).

---

(1) أهداه له تميم الدارى، فأعطاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فحمل عليه فى سبيل الله، ثم وجده يُباع برخص، فقال له: لا تشتره.

والورد: لون بين الكُميت والأشقر: (المرجع السابق).

قال ابن سيد الناس فى (عيون الأثر): قال شيخنا الحافظ أبو محمد الدمياطى رحمه الله: فهذه سبعة متفق عليها، وهى: السكب، والمرتجز، واللحيف، ولزاز، والظرب، والورد، وسبحة، وكان الذى يمتطى عليه ويركب: السكب. (عيون الأثر): ٢ / ٢٣١.

وقيل: كانت له أفراس أخر غيرها، وهى: الأبلق، وذو العقال، وذو اللمة، والمرتجل، والمراوح، والسرحان، واليعسوب، واليعبوب، والبحر، والادهم، والشحاء، والسجل، وملاوح، والطرف، والنجيب، هذه خمسة عشر مختلف فيها. (المرجع السابق).

وذكر السهيلى فى خيله ﷺ: الضريس، وذكر ابن عساكر فيها: مندوبًا، وذو العُقّال بضم العين، وبعضهم يشدد قافه، وبعضهم يخففها وهو ظلع [أى عرج] فى قوائم الدواب (المرجع السابق).

والمُرواح: من الرمح لسرعته، والسرحان: الذئب، وهذيل تسمى الأسد سرحانًا، واليعسوب: طائر، وهو أيضًا أمير النحل، والسيد: يعسوب قومه، واليعسوب: غُرة تستطيل فى وجه الفرس. واليعبوب: الفرس الجواد. وجدول يعبوب: شديد الجرى. والشحاء: من قولهم: فرس بعيد الشحوة، أى بعيد الخطوة، ومندوب: من ندبه فانتدب، أى دعاه فاستجاب. (المرجع السابق).

والسبعة المتفق عليها، جمعها الإمام أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن جماعة الشافعىّ فى بيت فقال:

والخَيْلُ: سَكْبٌ لُحَيْفٌ سَبْحَةٌ ظَرِبٌ
لِزَازٌ مُرتَجِزٌ وَرْدٌ لَهَا أسْرَارُ

وقد جمع من أسماء خيله ﷺ فى أبيات من قصيدة يمدحه بها الشيخ الإمام الحافظ فتح الدين أبو الفتح محمد بن سيد الناس اليعمرى، [فقال]:

لم يزل فى حربه ذا   وثبات وثبات
كلفًا بالطعن والضر   ب وحُبّ الصافنات
من لزازٍ ولُحيفٍ   ومن السكب المُوات
ومن المرتجز السا   بقِ سبق الذاريات
ومن الورد ومن سبْـ   ـحةِ قيد العاديات

(الوافى بالوفيات): ١ / ٩٠.

(2) ما بين الحاصرتين من (ج) وليس فى (خ).

خرّج النسائيّ من حديث إبراهيم بن طهمان، عن سعيد [بن أبى عروبة][1] عن قتادة، عن أنس رضى الله قال: لم يكن شئ أحب إلى رسول الله ﷺ بعد النساء من الخيل[2].

ورواه أبو هلال الراسى محمد بن سليم عن قتادة، عن معقل بن يسار قال: لم يكن شئ أعجب إلى رسول الله ﷺ من الخيل[3]، ثم قال: عفواً بل النساء، أبو هلال هذا ليس بشئ[4].

ومن حديث إبراهيم بن الفضل، عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: كان أحب الخيل إلى رسول الله ﷺ الأشقر، الأدم، الأقرح، المحجل فى السبق، الأيمن[5].

وقد اختلف فى عدة خيول رسول الله ﷺ التى ارتبطها، فأجمعوا على أنه كان له سبعة أفراس، وروى أنه كان له عشرة أفراس، فى بعضها خلاف،

---

(١) زيادة للنسب من (سنن النسائى).

(٢) (سنن النسائى): ٧/ ٧٤، كتاب عشرة النساء، باب (١) حب النساء، حديث رقم (٣٩٥١)، ٦/ ٥٢٧، كتاب الخيل، باب (٢) حب الخيل، حديث رقم (٣٥٦٦)، انفرد به النسائى، قال الحافظ السندى فى قوله: «من الخيل»: لعل ترك ذكرها فى حديث حبب إلى من دنياكم النساء والطيب..... لعدها من الدين لكونها آلة الجهاد، والله تعالى أعلم. (حاشية السندى على النسائى).

(٣) (مجمع الزوائد): ٤/ ٢٥٨.

(٤) هو محمد بن سليم أبو هلال الراسى البصرى، مولى بنى سلمة بن لؤى قال النسائى: ليس بالقوى، وقال ابن سعد: فيه ضعف، وقال أحمد بن حنبل: يحتمل فى حديثه، إلا أنه يخالف فى قتادة، وهو مضطرب الحديث، وقال الساجى: روى عنه حديث منكر، وقال البراز: احتمل الناس حديثه، وهو غير حافظ، وقال ابن عدى بعد أن ذكر له أحاديث كلها أو عامّتها غير محفوظة، وله غير ما ذكرت، وفى بعض رواياته ما لا يوافقه عليه الثقات، وهو ممن يكتب حديثه. توفى فى خلافة المهدى سنة تسع وستين. (تهذيب التهذيب): ٩/ ١٧٣ - ١٧٤، ترجمة رقم (٣٠٣).

(٥) (أخلاق النبى): ١٤٩.

وهى: المرتجز، واللحيف، واللزاز، والظرب، والسكب، وبهجة، والورد. وقاد ﷺ فى حروبه عدة أفراس(١).

فأما المرتجز، فروى الواقدى عن الحسن بن عمارة بن الحكم بن مقسم، عن ابن عباس رضى الله عنه قال: كان لرسول الله ﷺ فرس يدعى المرتجز(١).

وروى إدريس الأودى عن الحكم عن يحى بن الجزار، أن عليًا رضى الله عنه قال: كان اسم فرس النبى ﷺ المرتجز، وبغلته دُلْدُل، وناقته القصواء، وحماره عفير، ودرعه ذات الفضول، وسيفه ذو الفقار، وإنما قيل له المرتجز لحسن صهيله، وكان أبيض(٢).

وعن محمد بن يحى بن سهل قال: ابْتاع رسول الله ﷺ فرسه المرتجز من أعرابى من بنى مُرَّة، فرأى الأعرابى فيه رغبة، فجحد أن يكون باعه إياه، فشهد له على ابتياعه هذا الفرس خزيمة بن ثابت الأنصارى(٣) رضى الله عنه، ولم يكن شاهداً شراءه، فقال له النبى ﷺ: كيف شهدت ولم تحضر؟ قال: لتصديقى إياك يا رسول الله، وإن قولك كالمعاينة، فقال: أنت

---

(١) راجع تعليقات أول الفصل.

(٢) سبق تخريج وشرح هذه الأشياء كل فى فصله من هذا الجزء، فلتراجع.

(٣) هو خزيمة بن ثابت بن الفاكه - بالفاء وكسر الكاف - ابن ثعلبة بن ساعدة بن عامر بن غَيّان - بالمعجمة والتحتانية، وقيل: بالمهملة والنون - ابن عامر بن خطمة - بفتح المعجمة وسكون المهملة - واسمه عبد الله بن جُشَم - بضم الجيم وفتح المعجمة - ابن مالك بن الأوس الأنصاريّ الأوسيّ، ثم الخطميّ، وأمه: كبشة بنت أوس الساعدية، شهد بدراً وما بعدها، وقتل بصفين، وكان يكسر أصنام بنى خَطْمة، وكانت راية خطمة بيده يوم الفتح. له ترجمة فى: (الإصابة): ٢/ ٢٧٨ - ٢٧٩، ترجمة رقم (٢٢٥٣)، (الاستيعاب): ٢/ ٤٤٨، ترجمة رقم (٦٦٥)؛ (المستدرك): ٣/ ٤٤٨، (طبقات ابن سعد): ٦/ ٥١.

ذو الشهادتين، فسمى ذا الشهادتين(١).

وقد خرَّج أبو داود حديث شهادة خزيمة من طريق الزهرى، عن عمارة ابن خزيمة، أن عمه حدّثه [وهو من أصحاب النبى ﷺ](٢) أن النبى ﷺ ابتاع فرسًا من أعرابىّ، فاستتبعه النبى ﷺ ليقضيه(٣) ثمن فرسه، فأسرع النبى ﷺ المشى وأبطأ الأعرابى، فطفق رجال يعترضون الأعرابى فيساومونه بالفرس ولا يشعرون أن النبى ﷺ ابتاعه، فنادى الأعرابىُّ النبىَّ ﷺ : إن كنت مبتاعًا هذا الفرس وإلا بعتُه، فقام النبى ﷺ حين سمع نداء الأعرابى فقال: أو ليس قد ابتعتُه منك؟ فقال: [لا](٤)، والله ما بعتكه، فقال النبى ﷺ : بلى قد ابتعتُه منك. فطفق الأعرابى يقول: هَلُمَّ شهيداً، فقال خزيمة [بن ثابت]: أنا أشهد أنك قد بايعته، فأقبل النبى ﷺ على خزيمة فقال: بم تشهد؟ فقال بتصديقك يا رسول الله، فجعل النبى ﷺ شهادة خزيمة بشهادة رجلين(٥).

---

(١) راجع التعليق رقم (٥).

(٢) زيادة للسياق ليست فى (سنن أبى داود).

(٣) فى (الأصلين): ليقبضه، وما أثبتناه من (المرجع السابق).

(٤) زيادة للسياق من (المرجع السابق).

(٥) (سنن أبى داود): ٤/ ٣١ - ٣٢، كتاب الأقضية، باب (٢١) إذا علم الحاكم صدق الشاهد الواحد، يجوز له أن يحكم به، حديث رقم (٣٦٠٧)، وأخرجه النسائى فى (السنن): ٨/ ٣٤٧، كتاب البيوع، باب (٨١) التسهيل فى ترك الإشهاد على البيع، حديث رقم (٤٦٦١)، وخرجه البخارى فى (التاريخ الكبير): ١/ ٨٦ - ٨٧، ترجمة محمد بن زرارة بن عبد الله بن خزيمة بن ثابت الأنصارى الخطمى الأوسى المدينى، ذكره مختصراً جداً.

وأخرجه المتقى الهندى فى (كنز العمال): ١٣/ ٣٧٩ - ٣٨٠، فى ترجمة خزيمة بن ثابت رضى الله تعالى عنه، بسياقات مختلفة، بعضها مطول وبعضها مختصراً، حديث رقم (٣٧٠٣٦)، وعزاه إلى مصنف عبد الرزاق، وحديث رقم (٣٧٠٣٧)، وعزاه إلى الدار قطنى فى (الأفراد)، وابن عساكر فى (التاريخ)، وحديث رقم (٣٧٠٣٨)، وعزاه إلى أبى يعلى، وأبى نعيم، وابن عساكر، =

وقد بين الحاكم في (المستدرك) اسم هذا الأعرابي، فخرج من حديث زيد بن الحباب قال: حدثني محمد بن زرارة بن عبد الله بن خزيمة بن ثابت قال: حدثني عمارة بن خزيمة عن أبيه خزيمة بن ثابت رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ ابتاع من سواء بن الحارث المحاربي فرسًا فجحده، فشهد له خزيمة بن ثابت، فقال له رسول الله ﷺ: ما حملك على الشهادة ولم تكن معه؟ قال: صدقت يا رسول الله [ولكن صدَّقتك][1] [بما قلت][1]، وعرفت أنك لا تقول إلا حقًا، فقال: من شهد له خزيمة أو شهد عليه فحسبه[2].

= وعبد الرزاق، حديث رقم (٣٧٠٣٩)، وعزاه في هامشه إلى ابن حجر في (الإصابة)، وقال: رواه الدار قطني من طريق....

قال الخطابي: هذا حديث يضعه كثير من الناس غير موضعه، وقد تذرع به قوم من أهل البدع إلى استحلال الشهادة لمن عرف عنده بالصدق على كل شئ ادعاه، وإنما وجه الحديث ومعناه: أن النبي ﷺ إنما حكم على الأعرابي بعلمه، إذا كان صادقًا بارًا في قوله، وجرت شهادة خزيمة في ذلك مجرى له التوكيد لقوله، والاستظهار بها على خصمه، فصارت في التقدير شهادته له، وتصديقه إياه على قوله، كشهادة رجلين في سائر القضايا. (معالم السنن).

قال المنذري: وهذا الأعرابي: هو سواء بن الحارث، وقيل: سواء بن قيس المحاربي، ذكره غير واحد من الصحابة، وقيل: إنه جحد البيع بأمر بعض المنافقين، وقيل: إن هذا الفرس هو المرتجز المذكور في أفراس رسول الله ﷺ. (هامش أبي داود).

قال الحافظ السندي في شرحه لـ (سنن النسائي): والمشهور انه ﷺ ردَّ الفرس بعد ذلك على الأعرابي، فمات من ليلته عنده، والله تعالى أعلم.

(١) ما بين الحاصرتين مطموس في (خ)، وأثبتناه من (ج).

(٢) (المستدرك): ٢ / ٢١ – ٢٢، حديث رقم (٢١٨٧) من حديث محمد بن شهاب، ولم يصرح فيه باسم الأعرابي، وقال في (التلخيص) صحيح، ورجاله ثقات باتفاق وسمع عمارة من أبيه خزيمة أيضًا.

وحديث رقم (٢١٨٨) من حديث محمد بن زرارة وصححه الذهبي، وقد صرح الحاكم فيه باسم الأعرابي، وهو سواء بن الحارث المحاربي.

ويقال: بل [اسمه] الطِرْف، بكسر الطاء، والطرف: الكريم من الخيل، وقيل: هو النجيب، والنجيب: الكريم أيضًا. وأما اللحيف بالحاء المهملة المفتوحة اللام، وفعيل بمعنى فاعل، كأنه يلحف الأرض بذنبه لطوله، أى يغطيها، وقيل فيه أيضًا: بضم اللام وفتح الحاء مصغَّرا، والأكثر أنه اللخيف بالخاء المعجمة، وقيل فيه: النخيف بالنون وليس بشئ. وهذا الفرس [أهداه لرسول الله] ﷺ فروة بن عمرو من أرض البلقاء، وقيل: أهداه ابن أبى البراء، وكان يركبه ﷺ(١).

خرَّج البخارى من حديث أبى بن عباس بن سهل عن أبيه عن جده قال: كان لرسول الله ﷺ فى حائطنا فرس يقال له: اللخيف(٢)، [بالخاء المعجمة، وبالحاء المهملة مع فتح اللام، فعيل بمعنى فاعل، كأنه يحلف الأرض بذنبه لطوله](٣).

وروى الواقدى وابن منده من حديث عبد المهيمن بن عباس بن سهل عن أبيه عن جده قال: كان لرسول الله ﷺ ثلاثة أفراس يعلفهن عند ابن سعد(٤)، أبى سهل بن سعد، فسمعت النبى ﷺ يسميهن: اللزار، واللحيف، والظَّرب(٥). هذه سياقة ابن منده فهى أتم.

زاد الواقدى: فأما اللزار، فأهداه له المقوقس صاحب الإسكندرية، وأما الظرب، فأهداه له فروة بن عمرو الجذامى من عمان بالشام، وأما اللحيف،

---

(١) راجع تعليقات أول الفصل.

(٢) (فتح البارى): ٦/ ٧٢، كتاب الجهاد والسير، باب (٤٦) اسم الفرس والحمار، حديث رقم (٢٨٥٥).

(٣) راجع تعليقات أول الفصل.

(٤) فى (خ): «ابن سعد ابن سعد».

(٥) راجع تعليقات أول الفصل.

فأهداه له ربيعة بن أبى البراء الكلابى، فأثابه فرائض من نَعَم بنى كلاب.

قال الواقدى: سمى اللحيف لأنه كان يلتحف بُعرفه، ويقال: شبّه بلحيف الجبل وصُغْر، وسمى الظرب لتشوفه وحسن صهيله، وسمى لزاز لأنه كان ملززًا موثقًا، ويقال: الظرب واحد الظراب، وهى الروابى الصغار، سمى به لسمنه، وقيل: لقوته وصلابة حافرة، واللزار قيل له ذلك لاجتماع خلقه، وقيل لشدة دموجه(١).

وقال ابن سعد: كان مع النبى ﷺ فى غزوة المريسيع فرسان: بثلاثة أفراس: اللزار، والظرب، والحاجب، وستين وسقًا من الشوط(٢).

وأما السَّكب، فروى الواقدى عن محمد بن يحى بن سهل بن أبى حثمة عن أبيه قال: أول فرس ملكه رسول الله ﷺ، فرس ابتاعه بالمدينة من رجل من بنى فزارة بعشر أواقى، وكان اسمه عند الأعرابى: الضريس، فسماه رسول الله ﷺ السكب، وكان أول ما غزا عليه أُحداً، [و] ليس مع المسلمين فرس غيره، وفرس لأبى بردة بن نيار يقال له: ملاوح، وكان السكب أغرَّ، محجلاً، طلق اليمين، وقيل: كان كميتًا، أغرّ، محجلاً، مطلق اليمين، وقيل: كان أدهم، وشبه بانسكاب الماء.

وأما سَبْحة، فإنها فرس شقراء، ابتاعها ﷺ من أعرابى من جهينة بعشر من الإبل، وسابق ﷺ عليه بوم خميس فأقبلت فى وجوه الخيل، فسميت سبحة من قولهم: فرس سابح، إذا كان حَسَن مد اليدين فى الجرى، وسبْح الفرسِ: جريه(٢).

وأما الورد، فقال الواقدى: فأهدى تميم الدارى لرسول الله ﷺ فرسًا يقال

(١) راجع تعليقات أول الفصل.

(٢) راجع تعليقات أول الفصل.

له: الورد، فأعطاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فحمل عليه عمر [رضى الله عنه] فى سبيل الله، فوجد يباع برخص [فأخذه].

والورد: بين الكميت الأحمر والأشقر، ويروى أن الورد كانت لحمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه[1].

وكانت له ﷺ فرس يقال له: الملاوح، وهو الضامر الذى لا يسمن، والسريع العطش، والعظيم الألواح[2].

وفرس يقال له: البحر، اشتراه من تجار قدموا من اليمن، فسبق عليه مرات، فجثا ﷺ على ركبتيه، ومسح وجهه وقال: ما أنت إلا بحر، فسُمىّ بحراً، وكان كميتاً، وقيل: هو الأدهم[2].

وخرّج البخارى من حديث شعبة قال: سمعت قتادة عن أنس [قال][3]: كان فزع بالمدينة، فاستعار النبى ﷺ فرسًا [لنا][3] يقال له: مندوب، فقال: ما رأينا من فزع، وإن وجدناه لبحراً. ذكره البخارى فى الجهاد[4]، وفى كتاب الهبة[5]، وفى باب مبادرة الإمام عند الفزع[5].

---

(١) راجع تعليقات أول الفصل.

(٢) راجع تعليقات أول الفصل.

(٣) زيادة للسياق من (البخارى).

(٤) (فتح البارى): ٦/ ٧٣، كتاب الجهاد والسير، باب (٤٦) اسم الفرس والحمارة، حديث رقم (٢٨٥٧).

(٥) (فتح) البارى: ٥/ ٣٠٠، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب (٣٣) من استعار من الناس الفرس، حديث رقم (٢٦٢٧)، ٦/ ١٥١ - ١٥٢، كتاب الجهاد والسير، باب (١١٦) مبادرة الإمام عند الفزع، حديث رقم (٢٩٦٨)، باب (١١٧) السرعة والركض فى الفزع، حديث رقم (٢٩٦٩) وذكره فى كتاب الجهاد والسير، باب (٢٤) الشجاعة فى الحرب والجبن، حديث رقم (٢٨٢٠)، باب (٥٠) الركوب على الدابة الصعبة، والفحولة من الخيل، حديث رقم (٢٨٦٢)، باب (٥٥) الفرس القطوف، حديث رقم (٢٨٦٧)، باب (٨٢) الحمائل وتعليق السيف، حديث رقم =

وذكره مسلم من طرق[1]، وكان مندوب فرس أبى طلحة زيد بن سهل رضى الله عنه.

ويروى أنه كانت لرسول الله ﷺ ثلاثًا وعشرين فرسًا، منها الأبلق، وذو العُقَّال، بضم العين وتشديد القاف، وسمع تخفيفها، ومسروح، وذو اللمة، وكانت فرس عكاشة بن محصن، والمرتجل، والملاوح، ويقال: مراوح، ومنها السرحان [والسرحان][2]، واليعبوب، واليعوب، والشحاء، والبحر وهو كميت، والسجل، والطرف، والنجيب[3].

* * *

= (٢٩٠٨)، باب (١٦٥) إذا فزعوا بالليل، حديث رقم (٣٠٤٠)، وفى كتاب الأدب، باب (٣٩) حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، حديث رقم (٦٠٣٣).

(١) (مسلم بشرح النووى): ١٥ / ٧٣ - ٧٥، باب (١١) شجاعة النبى ﷺ وتقدمه للحرب، حديث رقم (٤٨)، ومن طريق أخرى، حديث رقم (٤٩)، ومن طريق ثالثة، آخر أحاديث الباب.

وأخرجه الترمذى فى (السنن): ٤ / ١٧١ - ١٧٢، كتاب الجهاد، باب (١٤) ما جاء فى الخروج عند الفزع، حديث رقم (١٦٨٥)، وقال أبو عيسى: وفى الباب عن ابن عمرو بن العاص، وهذا حديث حسن صحيح، وحديث رقم (١٦٨٦)، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وحديث رقم (١٦٨٧)، وقال أبو عيسى: هذا حديث صحيح.

وأخرجه ابن ماجة فى (السنن): ٢ / ٩٢٦، كتاب الجهاد، باب (٩) الخروج فى النفير، حديث رقم (٢٧٧٢)، قال حماد: وحدثنى ثابت أو غيره، قال: كان فرسًا لأبى طلحة يُبَطَّأ، فما سُبِقَ بعد ذلك اليوم.

وأخرجه الإمام أحمد فى (المسند): ٣ / ٦١٤، من مسند أنس بن مالك رضى الله عنه، حديث رقم (١٢٠٨٥).

(٢) بياض فى (خ)، وأثبتناه من (ج).

(٣) راجع تعليقات أول الفصل.

[فصـــل فى تضمـــير خيـــل

رسول الله ﷺ والسبق بينها]

التضمير: تقليل علفها، وإدخالها بيتًا كنينًا وتجليلها فيه لتعرق، ويجف عرقها، فيصلب لحمها ويخف، وتقوى على الجرى. يقال: ضَمرتُ الفرس بتشديد الميم وأَضْمَرْتُهُ(١).

وذكـــر ابن [   ](٢) أن رسول الله ﷺ، كان يأمر بإضمار خيله بالحشيش اليابس شيئًا بعد شئ، ويقول: اروروها من الماء، واسقوها غدوة وغشيا، وألزموها الجُلال(٣)، فإنها تُلقى الماء عرقًا، فتصفو ألوانها،

---

(١) قال الإمام العلامة ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقى المصرى: والمضمار: الموضع الذى تُضَمَّرُ فيه الخيل، وتضميرها: ان تُعلف قوتا بعد سمنها، قال ابو منصور: ويكون المضمار وقتًا للأيام التى تضمر فيها الخيل للسباق او للركض إلى العدوّ.

وتضميرها ان تُشدّ عليها سروجُها، وتجلل بالأجلة حتى تعرق تحتها، فيذهب رحلها، ويشتد لحمها، وتحمل عليها غلمان خفاف يجرونها، ولا يَعْنُفون بها، فإذا فُعل ذلك بها أُمِنَ عليها البُهْرُ الشديد عند حُضْرِها ولم يقطعها الشدُّ؛ قال: فذلك التضمير الذى شاهدتُ العرب تفعله، يسمون ذلك مضمارًا وتضميرًا.

وتضمير الفرس ايضًا: ان تعلفه حتى يسمن، ثم تردّه إلى القوت، وذلك فى اربعين يومًا، وهذه المدة تسمى المضمار. (لسان العرب): ٤/ ٤٩١.

(٢) هذه الكلمة غير واضحة فى (الاصلين) ولم اتبين لها توجيهًا.

(٣) جُلّ الدابة: الذى تلبسه لتُصان به، والجمع جلال وأجلال، وجِلال كل شئ غطاؤه، وتجليل الفرس ان تُلبسه الجُلّ.

وفى الحديث انه ﷺ جَلَّل فرسًا له سَبَقَ بُرْدًا عَدَنيًا، اى جعل البُردَ له جُلاً، وفى حديث ابن عمر: انه ﷺ كان يُجلل بُدنَه القباطى (لسان العرب): ١١/ ١١٩.

وتتسع جلودها.

وكان ﷺ يأمر أن يقودوها كل يوم مرتين، ويؤخذ منها من الجرى الشوط والشوطان، ولا تركض حتى تنطوى.

وخرَّج أبو داود من حديث المعتمر، عن عبيد الله عن نافع، عن ابن عمر [رضى الله عنهما] قال: إن نبى الله ﷺ، كان يضمّر الخيل للمسابقة بها(١).

وخرَّج الدار قطنى من حديث سليم بن أخضر ومعتمر، عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر [رضى الله عنهما]، أن رسول الله ﷺ ضمّر الخيل وسابق بينها، وقال مُعتمر: كان يضمّر ويسابق(٢).

وخرَّج البخارى من حديث سفيان، عن عبيد الله عن نافع، عن ابن عمر [رضى الله عنهما](٣) قال: أجرى النبى ﷺ ما ضُمِّر من الخيل من الحفياء إلى ثنية الوداع، وأجرى ما لم يضمّر من الثنية إلى مسجد بنى زريق [قال ابن عمر: وكنتُ فيمن أجرى](٣).

قال ابن زريق – بتقديم الزاى على الراء –: آخر بياضه(٤) ابنا عامر بن زريق بن حارثة بن مالك بن غَضب –بفتح الغين المعجمة– ابن جشم بن الخزرج، أخى الأوس ابنى حارثة، قال ابن عمر: وكنت فيمن أجرى.

---

(١) (سنن أبى داود): ٣/ ٦٥، كتاب الجهاد، باب (٦٧) فى السَّبَق، حديث رقم (٢٥٧٦) ولفظه: «كان يُضَمِّر الخيل يُسابق بها».

(٢) (سنن الدار قطنى): ٤/ ٢٩٩، كتاب السبق بين الخيل، حديث رقم (١).

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (البخارى).

(٤) يعنى بياض فى أصل (فتح البارى)، وقد نبَّه عليه فى هامشه.

قال سفيان: من الحفياء[1] إلى ثنية الوداع[2] خمسة أميال أو ستة، وبين ثنية ومسجد بنى زريق ميل. ترجم عليه باب: السبق بين الخيل[3].

وخرّج فى باب غاية السباق[4] للخيل المضمرة، من حديث أبى إسحاق عن موسى بن عقبة، عن نافع عن ابن عمر [رضى الله عنهما][5] قال: سابق رسول الله ﷺ بين الخيل التى قد أُضمرت[6]، فأرسلها من الحفياء، وكان أمدها ثنية الوداع، فقلت لموسى: فكم[7] [كان][8] بين ذلك؟ قال: ستة أميال أو سبعة أميال، وسابق بين الخيل التى لم تُضَمَّرْ، فأرسلها من ثنية الوداع فكان أمدها مسجد بنى زريق، قلت: فكم بين ذلك؟

---

(١) حَفْياءُ: بالفتح ثم السكون، وياء، وألف ممدودة: موضع قرب المدينة أجرى منه رسول الله ﷺ الخيل فى السباق، قال الحازمى: ورواه غيره بالفتح والقصر. وقال البخارى: قال سفيان: بين الحفيا إلى الثنية خمسة أميال أو ستة، وقال ابن عقبة: ستة أو سبعة، وقد ضبطه بعضهم بالضم والقصر، وهو خطأ، كذا قال عياض. (معجم البلدان): ٢ / ٣١٩، موضع رقم (٣٨٢٥).

(٢) ثنية الوداع: بفتح الواو، وهو اسم من التوديع عند الرحيل: وهى ثنية مشرفة على المدينة يطؤها من يريد مكة، واختلف فى تسميتها بذلك، فقيل: لأنها موضع وداع المسافرين من المدينة إلى مكة، وقيل: لأن النبى ﷺ ودع بها بعض من خَلَّفه بالمدينة فى آخر خرجاته، وقيل: فى بعض سراياه المبعوثة عنه. وقيل: الوداع اسم وادٍ بالمدينة، والصحيح أنه اسم قديم جاهلى، سُمى لتوديع المسافرين. (المرجع السابق): ١٠٠، موضع رقم (٢٨٤٦).

(٣) (فتح البارى): ٦ / ٨٨، كتاب الجهاد والسير، باب (٥٦) السبق بين الخيل، حديث رقم (٢٨٦٨).

(٤) فى (الأصلين): السبق، وما أثبتناه من (البخارى).

(٥) زيادة للسياق من (البخارى).

(٦) فى (الأصلين): «أضمرت»، وما أثبتناه من (البخارى).

(٧) فى (الأصلين): «وكم».

(٨) زيادة للسياق من (البخارى).

قال: ميل أو نحوه، وكان ابن عمر ممن سابق فيها(١). وخرجه فى باب: إضمار(٢) الخيل للسبق، من حديث الليث عن نافع بنحوه(٣).

وفى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، من حديث جويرية عن نافع(٤)، وأخرجه من حديث مالك عن نافع، فذكره البخارى فى كتاب الصلاة(٥)،

---

(١) (فتح البارى): ٦/ ٨٩، كتاب الجهاد والسير، باب (٥٨) غاية السباق للخيل المضمَّرة، حديث رقم (٢٨٧٠)، وفى الحديث مشروعية المسابقة، وأنه ليس من العبث، بل من الرياضة المحمودة الموصلة إلى تحصيل المقاصد فى الغزو والانتفاع بها عند الحاجة، وهى دائرة بين الاستحباب والإباحة بحسب الباعث على ذلك.

قال القرطبى: لا خلاف فى جواز المسابقة على الخيل وغيرها من الدواب، وعلى الأقدام، وكذا الترامى بالسهام، واستعمال الأسلحة، لما فى ذلك من التدريب على الحرب. وفيه جواز إضمار الخيل. ولا يخفى اختصاص استحبابها بالخيل المعدة للغزو. وفيه مشروعية الإعلام بالابتداء والانتهاء عند المسابقة، وفيه نسبة الفعل إلى الآمر به، لأن قوله: «سابق»، أى أمر أو أباح.

وفيه جواز إضافة المسجد إلى قوم مخصوصين، وهى إضافة تمييز لا إضافة مِلْك. وفيه جواز معاملة البهائم عند الحاجة بما يكون تعذيبًا لها فى غير الحاجة، كالإجاعة، والإجراء. وفيه تنزيل الخلق منازلهم، لأنه ﷺ غاير بين منزلة المضمَّر وغير المضمَّر، ولو خلط بينهما لاتعب غير المضمَّر. (فتح البارى): ٦/ ٩٠ - ٩١.

(٢) فى (الأصلين): «مضمار».

(٣) (فتح البارى): ٦/ ٨٨ - ٨٩، كتاب الجهاد والسير، باب (٥٧) إضمار الخيل للسُّبق، حديث رقم (٢٨٦٩).

(٤) (فتح البارى): ١٣/ ٣٧٦، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب (١٦) ما ذكر النبى ﷺ وحضَّ على اتفاق أهل العلم، وما اجتمع عليه الحَرَمان مكة والمدينة وما كان بهما من مشاهد النبى ﷺ والمهاجرين والأنصار، ومصلى النبى ﷺ والمنبر والقبر، حديث رقم (٧٣٣٦).

(٥) (فتح البارى): ١/ ٦٧٨، كتاب الصلاة، باب (٤١) هل يقال مسجد بنى فلان؟ حديث رقم (٤٢٠)، ويستفاد منه جواز إضافة المساجد إلى بانيها أو المصلى فيها، ويلتحق به جواز إضافة أعمال البر إلى أربابها، والمخالف فى ذلك إبراهيم النخعى فيما رواه ابن أبى شيبة عنه أنه كان يكره أن يقول مسجد بنى فلان، ويقول مصلى بنى فلان، لقوله تعالى: ﴿وأن المساجد لله﴾ [الجن: ١٨]. وجوابه أن الإضافة فى مثل هذا إضافة تمييز لا مِلْك. مختصرًا من (فتح البارى): ١/ ٦٧٨.

وذكره مسلم في الإمارة[1] من طرق عديدة، عن نافع عن ابن عمر بمعنى حديث مالك عن نافع[2].

وخرجه الترمذي من حديث سفيان عن عبيد الله عن نافع، وقال: حديث حسن صحيح غريب من حديث الثوري[3].

وخرج أبو داود من حديث أحمد بن حنبل قال: أخبرنا عقبة بن خالد عن عبيد الله عن نافع، عن ابن عمر، أن النبي ﷺ سبق بين الخيل، وفضَّل[4] القُرَّح[5] في الغاية[6]. قال الدار قطني[7]: تفرد بهذه الألفاظ عقبة السكونيّ عن عبيد الله.

وقال ابن عبد البر: لم يقل ذلك في هذا الحديث أحد غير عقبة بن خالد، وقد وجدت له أصلاً فيما رواه أبو سلمة التبوكي قال: أخبرنا

---

(١) في (خ): «في الجهاد»، وصوبناه من (صحيح مسلم).

(٢) (مسلم بشرح النووي): ١٣/ ١٧ - ١٩، كتاب الإمارة، باب (٢٥) المسابقة بين الخيل وتضميرها، حديث رقم (٩٥)، والحديث الذي يليه بدون رقم، من طرق مختلفة، وزاد في حديث أيوب من رواية حماد وابن عُليَّة، قال عبد الله: «فجئت سابقًا فطفَّف بي الفرسُ المسجد»، أي علا، ووثب إلى المسجد، وكان جداره قصيراً، وهذا بعد مجاوزته الغاية، لأن الغاية هي هذا المسجد، وهو مسجد بني زريق، والله تعالى أعلم (مسلم بشرح النووي).

(٣) (سنن الترمذي): ٤/ ١٧٧ - ١٧٨، كتاب الجهاد، باب (٢٢) ما جاء في الرِّهان والسبق، حديث رقم (١٦٩٩)، وزاد فيه ابن عمر: «وكنتُ فيمن أجرى، فوثب بي فرسي جداراً. قال أبو عيسى: وفي الباب عن أبي هريرة، وجابر، وعائشة، وأنس، وهذا حديث صحيح حسن غريب من حديث الثوري.

(٤) في (الأصلين): «وفرَّق» وصوبناه من (سنن أبي داود).

(٥) القُرَّح - بضم القاف وفتح الراء المشددة-: جمع قارح، وهو من الخيل الذي دخل في السنة الخامسة.

(٦) (سنن أبي داود): ٣/ ٦٥، كتاب الجهاد، باب (٦٧) في السبق، حديث رقم (٢٥٧٧).

(٧) (سنن الدار قطني): ٤/ ٢٩٩، كتاب السبق بين الخيل، حديث رقم (١).

عبدالملك بن حرب بن عبد الملك بن مجاشع بن مسعود السلمى قال: حدثنى أبى وعمى عن جدى، أن ناسًا من أهل البصرة ضمّروا خيولهم، فنهاهم الأمير عتبة بن مروان أن يجروها، حتى كتب إلى عمر [رضى الله عنه]، فكتب إليه عمر، أن أرسل القُرَّحَ من رأس مائة غلوة، ولا يركبها إلا أربابها، فجاء مجاشع بن مسعود سابقًا [على الغراء](١).

وخرّج الدار قطنى من حديث يزيد بن هارون وعفان بن مسلم قالا: أخبرنا سعيد بن زيد، أخربنا الزبير بن حُريث، أخبرنا أبو لُبَيْد لمازة بن زبار(٢) قال: أرسلت الخيل زمن الحجاج، والحكم بن أيوب على البصرة، فأتينا الرهان، فلما جاءت الخيل قلنا: لو ملنا إلى أنس بن مالك [رضى الله عنه] فسألناه: أكانوا يراهنون على عهد رسول الله ﷺ، قال: فملنا إليه وهو فى قصره بالزاوية، فقلنا: يا أبا حمزة! أكنتم تراهنون على عهد رسول الله ﷺ؛ أو كان رسول الله ﷺ يراهن؟ قال نعم والله، هو يراهن على فرس له يقال له: سبحة، فجاءت سابقة، فأنهش لذلك وأعجبه(٢). [قال عبد الله: أنهشه يعنى أعجبه](٣).

---

(١) ما بين الحاصرتين من (ج).

وللإمام مالك فى (الموطأ): ٣١١، ما جاء فى الخيل والمسابقة بينها والنفقة فى الغزو، حديث رقم (١٠٠٨)، والدارمى فى (السنن) ٢ / ٢١٢، باب فى السبق، وابن ماجه فى (السنن): ٢ / ٩٦٠، كتاب الجهاد، باب (٤٤) السبق فى الرهان، حديث رقم (٢٨٧٧)، والنسائى فى (السنن): ٦ / ٥٣٥، كتاب الخيل، باب (١٢) غاية السبق للتى لم تضمر، حديث رقم (٣٥٨٥)، باب (١٣) إضمار الخيل للسبق، حديث رقم (٣٥٨٦).

(٢) لمازة بن زبار – بفتح الزاء والموحدة – أبو لبيد البصرى، وحديثه أخرجه أحمد، والدارمى، والبيهقى. (التعليق المغنى على الدار قطنى).

(٣) (سنن الدار قطنى): ٤ / ٣٠١، حديث رقم (١٠)، (سنن الدارمى): ٢ / ٢١٢ – ٢١٣، باب فى السبق، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه.

[و] قال الواقدى: عن إبراهيم بن الفضل، عن أبى العلاء عن مكحول قال: طلعت الخيل وفيها فرس للنبى ﷺ، فبرك على ركبتيه، وأطلع رسول الله ﷺ رأسه من الصف وقال: كأنه بحر.

وفى رواية: أن رسول الله ﷺ سبق بين الخيل.، فجلس على سلع، وطلعت الخيل، فطلعت له فيها ثلاثة أفراس يتلو بعضها بعضًا، يتقدمها لزاز، فلما رآه سُرَّ به، ثم فرسه الظرب، ثم السكب.

وعن أبى عباس بن سهل بن سعد الساعدى، عن أبيه عن جده [رضى الله عنه] قال: سبقْتُ على فرس رسول الله ﷺ الظرب، فكسانى بُردًا يمانيًا.

قال الواقدى: وسبق أبو أسيد الساعدى -وهو مالك بن ربيعة- على فرس النبى ﷺ لزاز، فأعطاه حُلّة يمانية.

وذكر الواقدى أن النبى ﷺ سبق بين الخيل والإبل لما مرَّ بالنقيع، منصرفه من المريسيع، فسبقت القصواء الإبل، وسبق فرسه، وكان معه فرسان: لزاز و[آخر يقال له](١) الظرب، فسبق يومئذ على الظَّرب، وكان الذى سبق عليه يومئذ أبو أسيد الساعدى، والذى سبق على ناقته بلال(٢) [رضى الله عنه].

* * *

(١) زيادة للسياق من (مغازى الواقدى).

(٢) (مغازى الواقدى): ٢/ ٤٢٦.

فصل فى ذكر الخيل التى قادها رسول الله ﷺ فى أسفاره

قال الواقدى فى غزاة بنى قريظة: ولبس رسول الله ﷺ الدرع والمغفر والبيضة، وأخذ قناة بيده، وتقلد الترس، وركب فرسه وصفّ به أصحابه، وتلبسوا السلاح، وركبوا الخيل، وكانت ستة وثلاثين فرسًا، وكان رسول الله ﷺ قد قاد فرسين وركب واحداً يقال له اللحيف، فكانت ثلاثة أفراس معه، وسار إلى بنى قريظة(١).

وذكر أن رسول الله ﷺ قاد فى غزاة خيبر ثلاثة أفراس: لزار، والظرب، والسكب، فلم يسهم من الخيل لنفسه ولمن معه إلا لفرس واحد، هو معروف بينهم الفرس(٢).

وأسهم ﷺ فى النطاة من خيبر ثلاثة أسهم: لفرسه سهمين، وله سهم، وكان مع عاصم بن عدى(٣).

وذكر فى غزاة تبوك أن رسول الله ﷺ قام إلى فرسه الظرب، فعلق عليه شعيره، وجعل يمسح ظهره بردائه، فقيل: يا رسول الله! تمسح ظهره بردائك؟ قال: نعم، وما يدريك لعل جبريل أمرنى بذلك، [مع أنى قد بتّ الليلة وإن الملائكة لتعاتبنى فى حَسِّ(٤) الخيل ومسحها](٥).

(١) (مغازى الواقدى): ٢/٤٩٧-٤٩٨.

(٢) (مغازى الواقدى): ٢/٦٨٨.

(٣) (مغازى الواقدى): ٢/٦٨٩.

(٤) الحَسُّ: نفض التراب عن الدابة.

(٥) (مغازى الواقدى): ٣/١٠٢٠، وما بين الحاصرتين تكمله للسياق منه.

وإن عبيد بن ياسر بن نمير - جد(١) سعد الله - قدم على رسول الله ﷺ بتبوك فأسلم وأهدى له فرسًا عتيقًا يقال له مُراوح، وقال: يا رسول الله، إنه سابق، فأجرى رسول الله ﷺ الخيل بتبوك، فسبق الفرس، فأخذه رسول الله ﷺ منه، فسأله المقداد بن عمرو الفرس، فقال له رسول الله ﷺ: فأين سبحه - يعنى فرس المقداد - التى شهد عليها بدرًا؟ فقال: يا رسول الله عندى، وقد كبرت، وأنا أضن بها للمواطن التى شهدت عليها، وقد خَلّفتها لبُعد هذا السفر وشدّة الحر [عليها]، فأردت أحمل هذا الفرس المعرَّق عليها، فيأتينى [بمُهر](٢)، فقال النبى ﷺ فذاك إذاً، فقبضه المقداد [فخبر](٢) منه صدقًا، ثم حَمَّلَه على سَبْحَةٍ، فنتجت له مهرًا كان سابقًا، يقال له: الذَّيَّال، سبق فى [عهد](٢) عمر وعثمان رضى الله عنهما، فابتاعه منه عثمان بثلاثين ألفًا(٣).

* * *

(١) فى (المغازى): «احد سعد الله» وما أثبتناه من (الأصلين).

(٢) زيادة للسياق من (مغازى الواقدى).

(٣) (مغازى الواقدى): ٣/١٠٣٢-١٠٣٣.

فصل فى ذكر من استعمله رسول الله ﷺ على الخيل

اعلم أن رسول الله ﷺ استعمل على الخيل فى حروبه غير واحد من أصحابه منهم:

محمد بن مسلمة بن سلمة بن خالد بن عدى بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصارى، أبو عبد الرحمن، وقيل: أبو عبد الله، حليف بنى عبد الأشهل، شهد بدراً وما بعدها، ومات بالمدينة فى صفر سنة ثلاث وأربعين، وقيل: سنة ست، وقيل سنة سبع وأربعين، وهو ابن سبع وسبعين سنة، وكان من فضلاء الصحابة، رضى الله عنه وعنهم(١).

استعمله رسول الله ﷺ على ما قاده من الخيل فى عمرة القضية، وهو مائة فرس، وقدم بها [من] ذى الحليفة، فمضى إلى مرّ الظهران بالخيل، فوجد بها نفراً من قريش، فسألوه فقال: هذا رسول الله ﷺ يُصَبِّحُ هذا المنزل غداً إن شاء الله، ورأوا سلاحًا كثيراً مع بشير بن سعد، فخرجوا سراعًا حتى أتوا قريشًا، فأخبروهم بالذى رأوا من الخيل والسلاح، ففزعت قريش

(١) قال ابن يونس: شهد محمد بن مسلمة فتح مصر، وكان فيمن طلع الحصن مع الزبير، وكان رضى الله عنه أسودَ طويلاً عظيمًا، وفى الصحاح من حديث جابر: مقتل كعب بن الأشرف على يد محمد بن مسلمة.

عن حذيفة، قال: ما من أحد إلا وأنا أخاف عليه الفتنة إلا ما كان من محمد بن مسلمة، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تضره الفتنة». له ترجمة فى (سير أعلام النبلاء): ٢/٣٦٩، ترجمة رقم (٧٧).

وقالوا: والله ما أحدثنا حدثًا، وإنا على كتابنا ومدتنا، ففيم يغزونا محمد في أصحابه[1]؟

وخالد بن الوليد المخزومي رضى الله عنه، لم يزل من حين أسلم يولّيه رسول الله ﷺ أعنّة الخيل، يعنى أنه يكون على خيول المسلمين فى الحروب، فيكون فى مقدمتها فى محاربة المشركين[2].

* * *

(١) (مغازى الواقدى): ٢ / ٧٣٣-٧٣٤.

(٢) سبق أن أشرنا إإلى مصادر ترجمته.

فصل فى ذكر سُرج رسول الله ﷺ
ومن كان يسرج له فرسه

خرَّج أبو داود [الطيالسى وأبو داود](١) السختيانى، وابن حيَّان من حديث عبد الرحمن الفهرى قال: كنا مع رسول الله ﷺ فى حنين، فسرنا فى يوم قائظ شديد الحرّ، فنزلنا تحت ظلال الشجر، فلما زالت الشمس، لبستُ لأمتى، وركبتُ فرسى، فأتيتُ رسول الله ﷺ وهو فى فسطاطه فقلت: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله، قد كان الرّواح يا رسول الله؟ قال: أجل، ثم قال: يا بلال، فسار من تحت شجرة كأن ظله طائر فقال: لبيك وسعديك وأنا قدامك، قال: أسرج لى فرسى، فأتاه بدفّتين من ليف، ليس فيهما أشرٌ ولا بطر. فركب فرسه ثم انتهينا. هذا حديث الطيالسى.

ولفظ أبى داود، قال: شهدتُ مع رسول الله ﷺ حنينًا، فسرنا فى يوم قائظ شديد الحر، فنزلنا تحت ظل الشجر، فلما زالت الشمس، لبستُ لأمتى، وركبتُ فرسى، فأتيتُ رسول الله ﷺ وهو فى فسطاطه، فقلتُ: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، قد كان الرواح؟ قال: أجل، ثم قال: يا بلال [قم](٢)، فسار(٣) من تحت شجرة كأن ظله ظل طائر، فقال: لبيك وسعديك وأنا فداؤك، قال: اسرج لى الفرس، فأخرج سرجًا دفَّتاه من ليف ليس فيهما أَشَرٌ ولا بَطَرٌ، فركب وركبنا(١). [قال أبو داود:

---

(١) زيادة للسياق من (ج).

(٢) زيادة للسياق من (سنن أبى داود).

(٣) فى (المرجع السابق): «فثار».

أبو عبد الرحمن الفهرى ليس له إلا هذا الحديث، وهو حديث نبيل جاء به حماد بن سلمة][٢].

ولفظ ابن حيّان قال: شهدتُ مع رسول الله ﷺ يوم حنين فى [يومٍ][٣] صائف شديد الحرّ، فقال: يا بلال، أسرج لى فرسى، فأخرج سرجًا رقيقًا من ليف، ليس فيه أشر ولا بطر. خرجه من حديث حماد بن سلمة عن يعلى عن عطاء، عن عبد الله بن يسار، عن ابن عبد الرحمن الفهرى.

* * *

(١) (سنن أبى داود): ٥/٣٩٩-٤٠٠، كتاب الأدب، باب (١٦٧) فى الرجل ينادى الرجل، فيقول: لبيك.

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (سنن أبى داود).

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

فصل في ذكر ما كان رسول الله ﷺ يقول إذا ركب

خرَّج الإمام أحمد من حديث شريك عن أبي إسحاق، عن علي بن ربيعة، عن علي رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ أتى بدابة ليركبها، فلما وضع رجله في الركاب قال: بسم الله، فلما استوى عليها قال: الحمد لله، ثم قال: ﴿**سبحان الذي سخّر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وإنا إلى ربنا لمنقلبون**﴾[1] ثم حمد الله ثلاثًا، وكبَّر ثلاثًا، ثم قال: سبحانك لا إله إلا أنت، ظلمتُ نفسي فاغفر لي، ثم ضحك فقلتُ: م ضحكت يا رسول الله؟ فقال: يعجب الرب من عبده إذا قال: رب اغفر لي، ويقول: علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب غيري[2]. وخرجه

---

(١) الزخرف: ١٣-١٤.

(٢) (مسند أحمد): ١/١٥٦، حديث رقم (٧٥٥): عن علي بن ربيعة قال: رأيتُ عليًا رضي الله عنه أُتي بدابة ليركبها، فلما وضع رجله في الركاب قال: بسم الله، فلما ستوى عليها قال: الحمد لله، ﴿**سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وإنا إلى ربنا لمنقلبون**﴾، ثم حمد الله ثلاثًا، وكبرَّ ثلاثًا، ثم قال: سبحانك لا إله إلا أنت، قد ظلمتُ نفسي فاغفر لي، ثم ضحك، فقلت: م ضحكت يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيت رسول الله ﷺ فعل مثل ما فعلت، ثم ضحك، فقلت: م ضحكت يا رسول الله؟ قال يعجب الرب من عبده إذا قال: رب اغفر لي، ويقول: علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب غيري.

وحديث رقم (٩٣٢)، (١٠٥٩) بسياقات مختلفة ومن طرق مختلفة، كلها من مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وحديث رقم (٦٢٧٥) و(٦٣٣٨): من حديث عبد الرزاق، أنبانا ابن جريج، أخبرني أبو الزبير، أن عليًا الأزدي أخبره أن ابن عمر علمه أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجًا إلى سفر كبَّر ثلاثًا ثم قال: ﴿**سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وإنا إلى ربنا لمنقلبون**﴾، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هوّن علينا سفرنا هذا واطو عنا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، وسوء المنظر في الأهل والمال. وإذا رجع قالهن وزاد فيهن: آيبون تائبون عابدون =

أبوعيسى الترمذى وقال: هذا حديث حسن صحيح(١).

* * *

= لربنا حامدون. كلاهما من مسند عبد الله بن عمر.

(سنن أبى داود): ٣/ ٧٥، كتاب الجهاد، باب (٧٩) ما يقول الرجل إذا سافر، حديث رقم (٢٥٩٩)، ثم قال: وكان النبى ﷺ وجيوشه إذا علوْا الثنايا كبَّروا وإذا هبطوا سبَّحوا، فوضعت الصلاة على ذلك.

قوله: «وعثاء السفر»: معناه المشقة والشدة، وأصله من الوعث وهو أرض فيها رمل تسوخ فيها الأرجل.

قوله: «كآبة المنقلب»: أن ينقلب من سفره إلى أهله كئيبًا حزينًا غير مقضى الحاجة أو منكوبًا، ذهب ماله، أو أصابته آفة فى سفره، أو أن يرد على أهله فيجدهم مرضى، أو يفقد بعضهم وما أشبه ذلك من المكروه، (معالم السنن).

وأخرجه الإمام مسلم فى كتاب الحج من (الصحيح)، باب (٧٥) ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره، حديث رقم (١٣٤٢)، (١٣٤٣).

ومعنى ﴿مقرنين﴾: مطيقين، أى ما كُنَّا نطيق قهره واستعماله، لولا تسخير الله تعالى إياه لنا. وفى هذا الحديث استحباب هذا الذكر عند ابتداء الأسفار كلها، وقد جاءت فيه أذكار كثيرة جمعتها فى كتاب (الأذكار) [للنووى]. (مسلم بشرح النووى): ٩/ ١١٨، كتاب الحج، باب (٧٥)، ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره.

(١) (سنن الترمذى): ٥/ ٤٦٧، كتاب الدعوات، باب (٤٧) ما يقول إذا ركب الناقة، حديث رقم (٣٤٤٦)، قال: وفى الباب عن ابن عمر رضى الله عنه، وقال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح.

فصل فى ذكر بغلة رسول الله ﷺ

خرَّج البخارى من حديث أبى إسحاق، عن عمرو بن الحارث [خَتَن] رسول الله ﷺ أخي جويرية بنت الحارث قال: ما ترك رسول الله ﷺ عند موته درهمًا، ولا ديناراً، ولا عبداً، ولا أمة، ولا شيئًا إلا بغلته البيضاء، وسلاحه، وأرضًا جعلها صدقة. ذكره فى الوصية(١)، وفى كتاب المغازى(٢) ولفظه: إلا بغلته البيضاء التى كان يركبها، وسلاحه، وأرضًا جعلها لابن السبيل.

وخرَّجه النسائى بنحوه(٣)، وخرّج مسلم(٤) ....

---

(١) (فتح البارى): ٥/٤٤٨، كتاب الوصايا، باب (١) الوصايا، وقول النبى ﷺ: «وصية الرجل مكتوبة عنده»، وقال الله عزّ وجل: ﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقًا على المتقين * فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم * فمن خاف من موص جنفًا أو إثمًا فأصلح بينهم فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم﴾ [البقرة: ١٨٠-١٨٢]، حديث رقم (٢٧٣٩).

(٣) (فتح البارى): ٨/١٨٧-١٨٨، كتاب المغازى، باب (٨٤) مرض النبى ﷺ ووفاته، حديث رقم (٤٤٦١).

(٣) (سنن النسائى): ٦/٥٣٩-٥٤٠)، كتاب الإحباس [مصدر أحسبه، يقال: حبسه أو احبسه، اى وقفه]، باب (١) بدون ترجمة، حديث رقم (٣٥٩٦)، وفيه: «إلا بغلته الشهباء»، وحديث رقم (٣٥٩٧)، وحديث رقم (٣٥٩٨)، وفيه: «إلا بغلته الشهباء».

(٤) (مسلم بشرح النووى): ١٢/٣٥٥-٣٥٩، كتاب الجهاد والسير، باب (٢٨) فى غزوة حنين، حديث رقم (١٧٧٥)، حُنَيْن: وادٍ بين مكة والطائف وراء عرفات، بينه وبين مكة بضعة عشر ميلاً، وهو مصروفٌ كما جاء به القرآن الكريم: ﴿ويوم حُنَيْنٍ﴾ [التوبة: ٢٥].

قوله: «ورسول الله ﷺ على بغلة له بيضاء»، قال العلماء: ركوبه ﷺ البغلة فى موطن الحرب وعند اشتداد البأس، هو النهاية فى الشجاعة والثبات، ولأنه أيضًا يكون مُعتَمَداً يرجع المسلمون إليه، وتطمئن قلوبهم به وبمكانه، وإنما فعل هذا عمداً، وإلا فقد كانت له ﷺ أفراس معروفة، ومما ذكره فى هذا الحديث من شجاعته ﷺ تقدّمه يركض بغلته إلى جمع المشركين وقد فرَّ الناس عنه.

والنَّسائى[١] من حديث أويس عن ابن شهاب قال: حدثنى كثير بن عباس ابن عبد المطلب قال: قال عباس: شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين، فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله ﷺ ولم نفارقه، ورسول الله ﷺ على بلغة له بضاء، أهداها له فروة بن نفاثة الجذامى، فلما التقى المسلمون والكفار، ولّى المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله ﷺ يركض ببغلته قبل الكفار، قال عباس: وأنا أمدٌّ بلجام بغلة رسول الله ﷺ أكُفها إرادة أن لا تُسرع، وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله ﷺ، وذكر الحديث ولفظهما فيه متقارب. وذكر مسلم فى بعض طرقه فقال: فيه فروة بن نعامة الجذامى[٢].

وللبخارى[٣] . . . .

---

(١) أخرجه النسائى فى (الكبرى).

(٢) (مسلم بشرح النووى): ١٢/٣٥٩، كتاب الجهاد والسير، باب (٢٨) في غزوة حنين، حديث رقم (٧٧): وحدثناه إسحاق بن إبراهيم ومحمد بن رافع، وعبد بن حميد، جميعًا عن عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن الزهرى بهذا الإسناد نحوه، غير أنه قال: فروة بن نَعَامة الجذامى، وقال: انهزموا ورب الكعبة، وزاد في الحديث: حتى هزمهم الله تعالي: قال: وكأنى أنظر إلى النبى ﷺ يركض خلفهم على بغلته.

قوله ﷺ: «هذا حين حمى الوطيس» هو بفتح الواو وكسر الطاء المهملة وبالسين المهملة. قال الأكثرون: هو شبه التنور يُسجَر فيه، ويُضرب مثلاً لشدة الحرب التى يُشبه حرُّها حرَّه.

وقد قال آخرون: الوطيس هو التنور نفسه. وقال الأصمعى: هى حجارة مدوَّرة إذا حميت لم يقدر أحد أن يطأ عليها، فيقال: الآن حمى الوطيس.

وقيل: هو الضرب في الحرب، وقيل: هو الحرب الذي يطيس الناس أي يدقهم. قالوا: وهذه اللفظة من فصيح الكلام وبديعه، الذي لم يُسمع من أحد قبل النبى ﷺ.

(٣) (فتح البارى): ٨/٣٤، كتاب المغازى، باب (٥٥) قول الله تعالى: ﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئًا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين * ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودًا لم تروها وعذّب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين * ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم﴾ [التوبة: ٢٥ - ٢٧]، حديث =

ومسلم(١) من حديث أبي إسحاق عن البراء، فذكر حديث حنين وفيه:

= رقم (٤٣١٧)، ٦/ ١٣٠-١٣١، كتاب الجهاد والسير، باب (٩٧) من صف أصحابه عند الهزيمة، ونزل عن دابته فاستنصر، حديث رقم (٢٩٣٠).

قوله: «صف أصحابه عند الهزيمة» أى صف من ثبت معه بعد هزيمة من انهزم، قوله: «واستنصر» أى استنصر الله تعالي بعد أن رمى الكفار بالتراب. (فتح البارى).

(١) (مسلم بشرح النووى): ١٢/ ٣٦٠-٣٦١، كتاب الجهاد والسير، باب (٢٨) في غزوج حنين، حديث رقم (١٧٧٦)، قوله ﷺ:

أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب

قال القاضي عياض: قال المازرى: أنكر بعض الناس كون الرجز شعرًا لوقوعه من النبى ﷺ، مع قوله تعالى: ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغى له﴾ وهذا مذهب الأخفش، واحتج به على فساد مذهب الخليل فى أنه شعر، وأجابوا عن هذا بأن الشعر هو ما قصد إليه، واعتمد الإنسان أن يوقعه موزونًا مقفى، يقصده إلي القافية.

وهكذا الجواب عما في القرآن من الموزون، كقوله تعالى: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾، وقوله تعالى: ﴿نصر من الله وفتح قريب﴾، ولا شك أن هذا لا يسميه أحد من العرب شعرًا، لأنه لم تقصد تقفيته وجَعله شعراً.

قال الإمام النووى: وقد قال الإمام أبو القاسم علىٌّ بن أبى جعفر بن علىّ السعدى الصِّقِلّىّ المعروف بابن القطاع فى كتابه (الشافى فى علم القوافى): قد رأى قوم - منهم الأخفش وهو شيخ هذه الصناعة بعد الخليل - أن مشطور الرجز ومنهوكه ليس بشعر، كقول النبى ﷺ: الله مولانا ولا مولي لكم، وقوله ﷺ: هل أنت إلا أصبع دميدت، وفى سبيل الله ما لقيت، وقوله ﷺ: أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب، وأشباه ذلك.

قال ابن القطاع: وهذا الذي زعمه الأخفش وغيره غلط بيّن، وذلك لأن الشاعر إنما سُمّى شاعراً لوجوه [ذكرها الإمام النووى فى شرحه على صحيح مسلم فلتراجع هنالك].

فإن قيل: كيف قال النبى ﷺ: أنا ابن عبد المطلب فانتسب إلى جده دون أبيه وافتخر بذلك، مع أن الافتخار فى حق أكثر الناس من عمل الجاهلية؟ فالجواب أنه ﷺ كانت شهرته بجده أكثر لأن أباه عبد الله توفي شابًا فى حياة أبيه عبد المطلب، قبل اشتهار عبد الله، وكان عبد المطلب مشهوراً شهرة ظاهرة شائعة، وكان سيد أهل مكة، وكان كثير من الناس يدعون النبى ﷺ ابن عبد المطلب ينسبونه إلى جده لشهرته.

ومنه حديث همام بن ثعلبة فى قوله: أيكم ابن عبد المطلب؟ وقد كان مشتهراً عندهم أن عبدالمطلب بشّر بالنبى ﷺ، وأنه سيظهر، وسيكون شانه عظيمًا، وكان قد أخبره بذلك سيف =

ورسول الله ﷺ على بغلته البيضاء، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يقود به، فنزل فاستنصر وقال:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

ثم صَفَّهم. وقال البخاري: ثم صفَّ أصحابه، وقال فيه: وابن عمه أبو سفيان بن الحارث. ترجم عليه باب: من صفَّ أصحابه عند الهزيمة، ونزل عن دابته واستنصر.

وأخرجاه من حديث شعبة، عن أبى إسحاق، ومن حديث سفيان الثورى عن أبى إسحاق، وخرّجه مسلم من طرق، عن أبي إسحاق، وخرجه تقي بن مخلد من حديث النضر بن شميل قال: أخبرنا عوف بن عبد الرحمن مولي أم برثن، قال: حدثنى رجل كان في المشركين يوم حنين، قال: فلما التقينا نحن وصحابة رسول الله ﷺ لم يقوموا لنا حلب شاة أن كشفناهم، قال: فبينما نحن نسوقهم فى آثارهم فإذا صاحب بغلة بيضاء، وإذا هو رسول الله ﷺ صاحب البغلة البيضاء، قال: فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه، حسان الوجوه، وقالوا: شاهت الوجوه، ارجعوا، قال:

= ابن ذى يزن.

وقيل: إن عبد المطلب رأى رؤيا تدل على ظهور النبي ﷺ، وكان ذلك مشهوراً عندهم، فأراد النبى ﷺ تذكيرهم بذلك، وتنبيههم بانه ﷺ لابد من ظهوره على الأعداء، وأن العاقبة له، لتقوى نفوسهم، وأعلمهم أيضا بانه ثابت، ملازم للحرب، لم يول مع من ولى، وَعَرَّفهم موضعه، ليرجع إليه الراجعون. والله تعالى أعلم.

ومعنى قوله ﷺ: «أنا النبى لا كذب»، اى انا النبي حقًا، فلا افرّ ولا ازول، وفى هذا دليل على جواز قول الإنسان فى الحرب: انا فلان، وأنا ابن فلان، ومثله قول سلمة: انا ابن الأكوع، وقول علىّ رضى الله عنه: أنا الذى سمتنى أمى حيدرة، وأشباه ذلك.

وقد صَرَّحَ بجوازه علماء السلف، وفيه حديث صحيح، قالوا: وإنما يكره ذلك علي وجه الافتخار كفعل الجاهلية، والله تعالي أعلم. (مسلم بشرح النووى): ١٢ / ٣٦١-٣٦٣ مختصراً.

فانهزمنا من قولهم، وركبوا أجسادنا فكانت إياها(١).

قلت: والذى يظهر أنه كان لرسول الله ﷺ ثلاث بغلات: واحدة بعث بها المقوقس، وأخرى من هدية فروة بن عمرو بن الناقدة الجذامى، ثم البنانى، عامل الروم على فلسطين(٢)، وبغلة وهبها لأبى بكر رضى الله عنه، وقيل: كانت له ست بغلات(٣).

قال الواقدى: عن معمر عن الزهرى، كانت بغلة رسول الله ﷺ دلدل من هدية فروة بن عمرو الجذامى، وقال البخارى وقال أبو حميد: أهدى ملك إيلة للنبى ﷺ بغلة بيضاء وكساءاً برداً، وكتب له بنحرهم.

وقال الواقدى: وحدثنى ابن أبي سبرة، عن زامل بن عمرو قال: أهدى فروة إلى النبى ﷺ بغلة يقال لها فضة، وهبها رسول الله ﷺ لأبى بكر الصديق رضي الله عنه(٤).

---

(١) وأخرجه من طرق وسياقات مختلفة: ابن سعد في (الطبقات): ٤ /١٨-١٩، الطبقة الثانية من المهاجرين والأنصار، ترجمة العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه، الإمام مسلم فى (الصحيح): كتاب الجهاد والسير، باب (٢٨) فى غزوة حنين، حديث رقم (١٧٧٥)، ابن حبان في (الصحيح): ١٥ /٥٢٣-٥٢٥، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، رجالهم ونسائهم، ذكر العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، حديث رقم (٧٠٤٩)، والإمام أحمد فى (المسند: ١ /٣٤١، حديث رقم (١٧٧٨)، والحاكم فى (المستدرك): ٣ /٣٧، حديث رقم (٥٤١٨)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الذهبى فى (التلخيص): أخرجه مسلم، والحميدى فى (المسند): ١ /٢١٨-٢١٩، أحاديث العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه، حديث رقم (٤٥٩).

(٢) فى (الإصابة): ٥ /٣٨٧: «على من يليهم من العرب».

(٣) قال ابن القيم: وكان له من البغال دُلْدُل، وكانت شهباء، أهداها له المقوقس، وبغلة أخرى يقال لها: فضة، أهداها له فروة الجذامى، وبغلة شهباء أهداها له صاحب أيلة، وأخرى أهداها له صاحب دومة الجندل، وقد قيل: إن النجاشى أهدى له بغلة فكان يركبها. (زاد المعاد): ١ /١٣٤.

(٤) قال صلاح الدين الصفدى، وقد ذكر دواب رسول الله ﷺ: ومن البغال ثلاثة: وهي الدلدل، التى أهداها له المقوقس، وهى أول بغلة رُكبت فى الإسلام، وعاشت بعده إلى أن زالت أسنانها، وكان =

وقال: عن موسى بن محمد بن إبراهيم التيمى عن أبيه: كانت بغلة النبى ﷺ أول بغلة ركبت فى الإسلام، أهداها المقوقس[1].

وقال الكلبى والهيثم بن عدى: كانت بغلة رسول الله ﷺ التى تسمى دُلْدُل من هدية المقوقس، فبقيت إلى زمن معاوية، ودلدل هذه التي أهداها المقوقس شهد عليها أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه يوم النهروان، وقاتل عليها الخوارج، وكانت بعد رسول الله ﷺ عند علىّ، ثم بعد علىّ عند عبد الله بن جعفر، فكان يجش أو يدق لها الشعير، وقد ذهبت أسنانها[1].

وعن الزهرى قال: دلدل حضر عليها النبى ﷺ القتال يوم حنين، وفى مسند الدارمى من حديث ابن عباس رضى الله عنه، أن الدلدل كانت بيضاء أهداها المقوقس، وهي التى قال لها فى بعض الأماكن: أن أربضي دلدل فربضت، وكان على رضي الله يركبها.

ولابن حيَّان عن الأصبغ بن نباتة قال: لما قتل علىٌّ رضي الله عنه أهلَ النهروان، ركب بغلة النبى ﷺ الشهباء، قلت: كانت تسمى الشهباء وتسمي الدلدل.

وقال ابن إسحاق: حدثنى الزهرى عن عبد الرحمن بن عبد القارى، أن رسول الله ﷺ بعث حاطب بن أبى بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية، فمضى بكتاب رسول الله ﷺ إلى المقوقس، فقبل الكتاب وأكرم حاطبًا، وأحسن نُزُله، وسرحه إلي النبى ﷺ فأهدى له مع حاطب كسوة وبغلة بسرجها، وخادمتين إحديهما أم إبراهيم، وأما الأخرى فوهبها

= يُجشّ لها الشعير ، وفضة، اتُّهبها من ابى بكر، والايليَّة، اهداها له ملك أيلة.

(١) راجع التعليقات السابقة.

رسـول الله ﷺ لجـهـم بن قـيس العـبـدى، فـهى أم زكـريا بن جـهـم، خليـفـة عمرو بن العاص على مصر(١).

[وذكـر ابن سـعـد عن عـبـد القـدوس، عن عكرمـة، عن ابن عـبـاس قـال: أُهدى لرسـول الله ﷺ بغلة شـهـبـاء، وهي أول شـهـبـاء كـانت في الإسلام، فبعثنى إلي زوجتـه أم سلمـة رضي الله عنهـا بصـوف وليف، ثـم فـتلتُ أنا ورسـول الله ﷺ لهـا أسنًا وغـداراً، ثـم دخل البـيت فـأخـرج عـبـاءة مطرّفـة، فثناها ثم [ربَّعَها] على ظهرها، ثم سمى وركب، ثم أردفنى خلفه](٢).

ويروى أن أمير المؤمنين عثمان بن عفـان رضى الله عنه ركبهـا، وركبها كـبـرت وعـمـيت، ودخلت مـسطحـة لبنى [مـدحـج، فرمـاهـا] رجل بسـهـم فقتلها.

وعن علقـمـة بن أبى علقـمـة أنه قـال: بلغنى أن اسم فـرس النبى ﷺ السّكب، وكـان أَغَرَّ مـحـجـلاً طلق اليـمين، واسـم بغلتـه الدلدل، وكـانت شهبـاء، وكانت بينبع حتى ماتت، واسم حـماره اليعفور، وكـان رسنه من ليف، واسم رايته العقاب.

وكـان عقبـة بن عامر بن عبس بن عـمرو بن عدى بن عـمرو بن رفاعة بن مودعـة بن عدي بن غنم بن الربعة بن رشدان بن قيس بن جـهينة الجهنى، أبو عـبس، وأبو حـماد(٣)، رضي الله عنه، صـاحـب بغلة رسـول الله ﷺ، يقود به في الأسفار.

وسكن عـقـبـة مصـر، ووليـهـا بعد عـتبـة بن أبى سـفـيان من قِبَل معاوية سنتين وثلاثة أشـهـر، وصـرفـه بمسلمـة بن مـخلـد لعـشـر بقـين من ربيع

(١) (سيرة ابن هشام): ٥/١٤ - ١٥ «هامش»، بعث رسول الله ﷺ إلى الملوك.

(٢) ما بين الحاصرتين من (خ) فقط، (طبقات ابن سعد): ١/٤٩١.

(٣) وقيل: أبو لُبيد، وأبو عمرو، وأبو أسد.

الأول سنة سبع وأربعين، وتوفي بمصر سنة ثمان وخمسين، ودفن بقرافتها، وقبره معروف.

قال الوليد بن مسلم: حدثنا هشام بن الغاز، عن يزيد بن يزيد بن جابر، عن القاسم، عن عقبة بن عامر - وكان صاحب بغلة رسول الله ﷺ الشهباء، الذي يقودها في الأسفار - قال: قُدْتُ برسول الله ﷺ وهو على راحلته رتوة من الليل، وإن رسول الله ﷺ قال: أنخ، فأنختُ، فنزل عن راحلته، ثم قال: اركب ياعقبة، فقلت: سبحان الله! أعَلَى مركبك يا رسول الله؟ وعلي راحلتك؟ فأمرني فقال: اركب، فقلت أيضا مثل ذلك، ورددت ذلك مراراً حتى خِفْتُ أن أعْصى رسول الله ﷺ، فركبتُ راحلته ورحله، ثم زجر الناقة فقامت، ثم قاد بي رسول الله ﷺ. ولأهل مصر عن عقبة نحو مائة حديث[1] يروونها عنه[2].

* * *

(١) قال ابن حزم في (أسماء الصحابة الرواة): له خمسة وخمسون حديثًا، شهد صفين مع معاوية، وشهد فتوح الشام، وهو كان البريد إلى عمر بفتح دمشق، وكان من أحسن الناس صوتًا بالقرآن، وكان عالمًا بالفرائض والفقه، فصيح اللسان، شاعراً، كاتبًا، وهو أحد من جمع القرآن، له ترجمة في :(الثقات): ٣/ ٢٨٠، (التاريخ الكبير): ٦/ ٣٤٠، (التاريخ الصغير): ٢/ ١٢٣، (الأعلام للزركلي): ٤/ ٢٤٠، (سير الأعلام): ٢/ ٤٦٧، (حلية الأولياء): ٢/ ٨، (الجرح والتعديل): ٦/ ٣١٣، (أسماء الصحابة الرواة): ٧٩، ترجمة رقم (٦٠)، (الإصابة): ٤/ ٥٢٠-٥٢١، ترجمة رقم (٥٦٠٥)، (الاستيعاب): ٣/ ١٠٧٣ - ١٠٧٤، ترجمة رقم (١٨٢٤).

وقد ذكر ابن الجوزي في (الموضوعات)، باب أسماء مراكبه وسلاحه، حديثًا طويلا، وفيه: «وكانت له بغلة تُسمى دُلْدُل» وقال: هذا حديث موضوع، وفيه آفات، منها عبد الملك وهو العزرميّ، وقد تركه شعبة، ومنها علي بن عروة، قال يحيى: ليس بشيء، وقال أبو حاتم الرازي: متروك الحديث، وقال ابن حبان: يضع الحديث، ومنها عمر بن عبد الرحمن، وقد قدحوا فيه. (الموضوعات لابن الجوزي): ١/ ٢٩٣.

فصل فى ذكر حمار رسول الله ﷺ

خرَّج أبو داود من حديث أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون، عن معاذ ابن جبل رضي الله عنه، قال: كنتُ ردف النبى ﷺ على حمار يقال له عُفَيْر(١).

وأخرجه البخارى ومسلم من طرق أتمّ من هذا، وليس فيه ذكر حمار يقال له عفير(٢).

ولابن حيَّان من حديث القَعْنَبى، حدثنا علي بن عباس عن مسلم بن

---

(١) (سنن أبى داود): ٣/٥٥، كتاب الجهاد، باب (٥٣) فى الرجل يسمى دابته، حديث رقم (٢٥٥٩).

عُفَيْر: تصغير أعفر، يحذفون الألف فى تصغيره، كما خذفوه فى تصغير أسود، فقالوا: سُويد، وكما قالوا: عوير من أعور، وكان القياس أن يقال فى تصغير أعفر أُعَيْفر، كما قالوا: أحيمر من أحمر، وأصيفر من أصفر.

وفيه أن الإرداف مباح إذا كانت الدابة تقوى على ذلك، ولا يضر بها الضرر البين، وتسمية الدواب شكل من أشكال العرب، وعادة من عاداتها، وكذلك تسمية السلاح وأداة الحرب، كان سيفه ﷺ يسمى ذا الفقار، ورايته العُقاب، ودرعه ذات الفضول، وبغلته دُلدل، وبعض أفراسه السكب، وبعضها البحر. (معالم السنن).

وعُفير: تصغير أعفر، تصغير الترخيم، وقيل: سمى به تشبيهًا في عدوه بالعفور وهو الظبى، وقيل: الخشف.

(٢) (فتح البارى): ٦/٧٢-٧٣، كتاب الجهاد والسير، باب (٤٦) اسم الفرس والحمار، حديث رقم (٢٨٥٦)، ثم أخرجه البخارى برقم (٥٩٦٧)، (٦٢٦٧)، (٦٥٠٠)، (٧٣٧٣) ولم يذكر فيهم اسم «عُفير»، وذكره فى الحديث الأول رقم (٢٨٥٦)، (مسلم بشرح النووى): ١/٣٤٥، كتاب الإيمان، باب (١٠) الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا، حديث رقم (٤٩)، وصرح فيه باسم «عفير». قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح، رحمه الله: وهو الحمار الذي كان له ﷺ، قيل: أنه مات فى حجة الوداع. (مسلم بشرح النووى).

كيسان الأعور، عن أنس بن مالك قال: رأيت رسول الله ﷺ بخيبر على حمار عليه إكاف[1].

وله من حديث عبد بن حميد، حدثنا جعفر بن عون، أخبرنا مسلم الأعور، عن أنس قال: كان النبي ﷺ، يوم خيبر، ويوم النضير على حمار عليه إكاف مخطوم بحبل من ليف[1].

وللترمذي في (الشمائل)، من حديث مسلم الأعور، عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يعود المريض، ويشهد الجنازة، ويركب الحمار، ويجيب دعوة العبد، وكان يوم بني قريظة على حمار مخطوم[2] بحبل من ليف، عليه إكاف[3] ليف[4].

وقد روى الواقدي وغيره من طرق: أن المقوقس أهدى إلى رسول الله ﷺ فيما أهداه حماراً يقال له عفير، وفي رواية الكلبي والهيثم بن عدي: وأهدي إليه المقوقس أيضا حماراً يقال له يعفور، وقال ابن الكلبي: عُفير من هدية فروة بن عمرو الجذامي صاحب البلقاء.

---

(١) (أخلاق النبي): ٦٢، (المستدرك): ٢/٥٠٦، كتاب التفسير، باب (٥٠) تفسير سورة ﴿ق﴾، حديث رقم (٣٧٣٤)، وقال فيه: «وتحته إكاف من ليف»، قال الذهبي في (التلخيص): صحيح.

(٢) مخطوم: أي له زمام، من حبلٍ من ليف.

(٣) الإكاف هو ما يوضع على الدابة للركوب عليه يُشبه الرَّحْل، فالإكاف للحمار، كالسرج لفرس.

(٤) (الشمائل المحمدية): ٢٧٢-٢٧٣، باب (٤٨)، ما جاء في تواضع رسول الله ﷺ، حديث رقم (٣٣٣)، (ضعيف سنن الترمذي): ١١٥، باب (٣١) تواضع النبي ﷺ، حديث رقم (١٧١)، قال أبو عيسى: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث مسلم عن أنس، ومسلم الأعور يضعف، وهو مسلم بن كيسان الملائي، (ضعيف سنن ابن ماجه): ٣٤٣، باب (١٦)، البراءة من الكبر والتواضع، حديث رقم (٩١٥)، وأخرجه أبو نعيم في (الحلية): ٨/١٣١، والبيهقي في (الدلائل): ١/٣٣٠. ويؤخذ من الحديث أن ركوب الحمار ممن له منصب شريف لا يخل بمروءته. (المواهب اللدنية على الشمائل المحمدية): ٢٥٥.

وقال الواقدى: كان يعفور من هدية فروة بن عمرو الجذامى، وعفير من هدية المقوقس، قال: وحماره يعفور نفق منصرفه في حجة الوداع(١).

قلت: والجمهور على أن عفير بعين مهملة، وقال القاضى عياض: بغين معجمة. قال الشيخ محيى الدين يحيى النواوى: واتفقوا على تغليظه في ذلك(٢).

وأغرب ما في ذكر عفير هذا، ما ذكره أبو محمد بن أبي حاتم من طريق منكر مردود، ولا يشك أهل العلم بهذا الشأن أنه موضوع، فيه أن رسول الله ﷺ أصاب بخيبر أربعة أزواج أخفاف، وعشر أواقى ذهب ، وحماراً أسود، فقال ما اسمك؟ فكلمه الحمار! [وقال: اسمى](٣) يزيد بن شهاب، أخرج الله من نسل جدى ستين حماراً، كلهم لم يركبهم إلا نبى، وقد كنت أتوقعك أن تركبنى، وكنتُ ملك رجل يهودى، وكنت أتعثر به عمداً، وكان يجيع بطني، ويضرب ظهرى، قال: فأنت يعفور، يا يعفور! قال: لبيك، [قال:](٣) اتشتهى الإناث؟ قال: لا، فكان يركبه، فإذا نزل عنه بعثه إلى باب الرجل فيقرعه برأسه، [فإذا خرج إليه صاحب الدار أومأ إليه أن أجب رسول الله ﷺ](٤) فلما قبض رسول الله ﷺ جاء إلى بئر كانت لأبى الهيثم بن التيهان فتردَّى فيها فصارت قبره [جزعًا منه على رسول الله ﷺ](٤).

وقد أنكر ابن حبان هذا الحديث، وقال ابن الجوزى: لعن الله من وضع

---

(١) (طبقات ابن سعد): ١/٤٩١، ٤٩٢ (الوافى): ١/٩٠، (زاد المعاد): ١/١٣٤.

(٢) (مسلم بشرح النووى): ١/٣٤٥.

(٣) زيادة للسياق والبيان.

(٤) زيادة للسياق من (الموضوعات لابن الجوزى).

هذا الحديث على أنه قد أودعه كثير من المُصَنِّفين كتبهم[1]، وقال شيخنا العماد بن كثير: هذا شيء باطل لا أصل له من طريق صحيحة أو ضعيفة.

وقد ذكره أبو إسحاق الاسفراييني، وإمام الحرمين، حتى ذكره القاضي عياض في كتابه (الشفا)[2]. وذكره أبو القاسم السهيلى في (روضه)[3] وقال: الأولي ترك ذكره لأنه موضوع.

سألتُ شيخنا أبا الحجاج - يعنى المزنى - عنه فقال: ليس له أصل وهو ضحكة، وقال الذهبى: يروى بإسناد مجهول عن مجهول، يقال له: أبو منظور، كتبه للفرجة لا للحجة، ويقال: كان ثلاثة حمير، ويقال: اثنان.

---

(١) (الموضوعات لابن الجوزى): ١/٢٩٣-٢٩٤، باب تكليم حماره يعفور له، وقال: هذا حديث موضوع لعن الله واضعه، فإنه لم يقصد إلا القدح فى الإسلام، والاستهزاء به. قال أبو حاتم بن حبان: لا أصل لهذا الحديث، وإسناده ليس بشيء، ولا يجوز الاحتجاج بمحمد بن مزيد.

(٢) (الشفا بتعريف حقوق المصطفى): ١/٢٠٧.

(٣) (الروض الأُنُف): ٢/٩٣.

وبعد ما قاله النقاد فى هذا الحديث، نجد صاحب كتاب (المصباح المضئ): ١/٢٦٢، يقول عفا الله عنه: وهذا علم من أعلام نبوته ﷺ، فليتنى كنتُ شعرة في جلد هذا الحمار، الذى كان في كل وقت يلامس جلده جلد سيد البشر ﷺ ويسمع له، ويطيعه، ويخاطبه، ويفهم عنه، وناهيك بها معجزة من بعض معجزاته ﷺ.

ثم سأل سؤالا فقال: ما الحكمة فى قوله ﷺ: يا يعفور؛ تشتهي الإناث؟ فقال: لا؛ وتردّيه فى البئر يوم قُبض ﷺ، وكان له ﷺ دواب غيره، لم يفعل ذلك واحد منهم، بل الدلدل وهي بغلته البيضاء بقيت إلي خلافة معاوية، وكرَّ بها عليّ رضي الله عنه فى صفين؟

ثم أجاب عن ذلك بقوله: والحكمة فيه - والله أعلم - أن يعفور قال: أخرج الله من نسل جدى ستين حماراً، لم يركبهم إلا نبى، ثم قال: ولم يبق من نسل جدى غيرى، ولا من الأنبياء غيرك، وتردّى فى البئر، ولم يشته الإناث حتى لا يبقى له نسل، فإنه آخرهم، كما أن النبى ﷺ آخر الأنبياء كما قال، لئلا يركبه أحد بعده إذ هو مركوب الأنبياء، وأيضًا جزعًا عليه وتحزنًا، ويحق له أن يجزع ويحزن عليه ﷺ، وهذا ما بلغ إليه علمى من رسله ﷺ. (المصباح المضئ): ١/٢٦١-٢٦٣ مختصراً.

فصل في ذكر ناقة رسول الله ﷺ

خرج البخاري فى آخر كتاب الكفالة، في باب: جوار أبى بكر رضى الله عنه فى عهد النبي ﷺ وعقده(١)، وفى كتاب الهجرة من حديث عقيل، قال ابن شهاب: فأخبرنى عروة بن الزبير، أن عائشة رضي الله عنها قالت: لم أعقل أبوىّ قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمرّ علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفى النهار بُكرة وعشية، فذكر الحديث حتى قال: فبينما نحن يومًا جلوس فى بيت أبى بكر رضى الله عنه في نحر الظهيرة، قال قائل لأبى بكر: هذا رسول الله ﷺ مُتَقَنِّعًا فى ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر رضى الله عنه: فداءاً له أبى وأمى، والله ما جاء به فى هذه الساعة إلا أمر، قالت: فجاء فاستأذن، فأذن له، فقال لأبى بكر: أَخْرِجْ مَن عنْدَك، فقال أبو بكر رضى الله عنه: إنما هم أهلك، بأبى أنت يا رسول الله ﷺ، قال: فإنه قد أذن لى فى الخروج، فقال أبو بكر: الصحابة، بأبى أنت يا رسول الله، فقال: نعم، قال أبو بكر: فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتى هاتين، قال رسول الله ﷺ: بالثمن، قالت عائشة فجهزناها. وذكر حديث الهجرة بطوله(٢).

---

(١) (فتح البارى): ٤/٥٩٩ - ٦٠٠، كتاب الكفالة، باب (٤) جوار أبى بكر فى عهد النبى ﷺ وعقده، حديث رقم (٢٢٩٧).

(٢) هذا الحديث مبثوث فى (صحيح البخارى) بسياقات ومن طرق مختلفة، فى: فضائل أصحاب النبى ﷺ، باب هجرة النبى ﷺ وأصحابه إلي المدينة.

وفي المساجد، باب المسجد يكون فى الطريق من غير ضرر بالناس، وفى البيوع، باب إذا اشترى متاعًا أو دابة فوضعه عند البائع أو مات قبل ان يقبض الثمن، وفى الإجارة، باب استئجار المشركين عند الضرورة، أو إذا لم يوجد أهل الإسلام، وباب إذا استأجر أجيرًا ليعمل له بعد ثلاثة أيام. أو =

وخرّج البخارى من حديث زهير، أخبرنا حميد عن أنس [رضى الله عنه] قال: كان للنبي ﷺ ناقة، ومن حديث أبى خالد الأحمر، عند حميد عن أنس [رضي الله عنه] قال: كانت ناقة [لرسول الله ﷺ تسمى العضباء، وكانت لا تُسبق، فجاء أعرابى على قعود له فسبقها، فاشتد ذلك على المسلمين وقالوا: سُبِقَت العضباء! فقال رسول الله ﷺ: إن حقًا على الله أن لا يرفع شيء من الدنيا إلا وضعه. ذكره فى الرقاق(١).

وذكره في الجهاد من حديث أبى إسحاق عن حميد قال: سمعتُ أنسًا رضي الله عنه قال: كانت ناقة النبي ﷺ يقال لها العضباء. ومن حديث زهير، عن حميد عن أنس رضى الله عنه قال: كانت للنبى ﷺ ناقة تسمى العضباء لا تُسبق. قال حميد: أو لا تكاد تسبق، فجاء أعرابى على قَعُود(٢) فسبقها، فشق [ذلك] على المسلمين حتي عرفه، فقال ﷺ: حق

= بعد شهر، أو بعد سنة جاز، وفى الكفالة، باب جوار أبي بكر فى عهد النبى ﷺ، وعقده، وفي المغازى، باب غزوة الرجيع، ورعل، وذكوان، وبئر معونة، وفى اللباس، باب التصنع.

(١) (فتح البارى): ١١ / ٤١٤، كتاب الرقاق، باب (٣٨) التواضع، حديث رقم (٦٥٠١)، وما بين الحاصرتين من قوله: لرسول الله ... سقط فى (خ) واستدركناه من (ج).

وفى الحديث إشارة إلى الحث على عدم الترفع، والحث علي التواضع، والإعلام بأن أمور الدنيا ناقصة غير كاملة.

قال ابن بطال: فيه هوان الدنيا على الله، والتنبيه على ترك المباهاة، والمفاخرة، وأن كل شيء هان على الله فهو في محل الضعة، فحق على كل ذى عقل أن يزهد فيه، ويقل منافسته فى طلبه.

وقال الطبرى: فى التواضع مصلحة الدين والدنيا، فإن الناس لو استعملوه في الدنيا لزالت بينهم الشحناء، ولاستراحوا من تعب المباهاة والمفاخرة.

قال الحافظ ابن حجر: وفيه أيضا حُسن خُلق النبى ﷺ وتواضعه، لكونه رضي أن أعرابيًا يسابقه.

(٢) القَعُود، بفتح القاف: ما استحق الركوب من الإبل، وقال الخليل: القَعُودة من الإبل ما يُقْعده الراعى لحمل متاعه، والهاء فيه للمبالغة. (فتح البارى).

على الله أن لا يُرفع شيء من الدنيا إلا وضعه. طوّله موسى عن حماد عن ثابت، عن أنس رضى الله عنه(1). [عن النبى ﷺ](2).

وخرجه الدارقطنى من حديث معن بن عيسى، حدثنا مالك عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: كانت ناقة رسول الله ﷺ القصواء لا تدفع في سباق إلا سبقت، قال سعيد بن المسيب: فجاء رجل فسابقها فسبقها، فوجد الناس من ذلك أن سُبقت ناقة رسول الله ﷺ، وبلغ ذلك النبى ﷺ فقال: إن الناس لم يرفعوا شيئًا فى الدنيا إلا وضعه الله عزّ وجلّ(3).

وفى لفظ: كانت العضباء لا تسبق، فجاء أعرابى علي بكر فسابقها فسبقها، فشق ذلك على المسلمين فقالوا: يا رسول الله ﷺ! سُبقت العضباء، قال النبي ﷺ: إنه حق على الله أن لا يرفع شيئًا من الأرض إلا وضعه(4).

ومن حديث عبد الله بن مسلمة، عن مالك عن ابن شهاب، أنه سمع سعيد بن المسيب يقول: إن العضباء ناقة رسول الله ﷺ كانت لا تُسبق كلما دفعت في سباق، فدفعت يومًا فى إبل فسُبقت، فكانت على المسلمين كآبة أن سُبقت، فقال رسول الله ﷺ: إن الناس إذا رفعوا شيئًا، أو

---

(1) (فتح البارى): 6/91، كتاب الجهاد والسير، باب (59) ناقة النبى ﷺ، حديث رقم (2871)، (2872).

(2) زيادة للسياق من (المرجع السابق).

قوله: «باب ناقة النبى ﷺ»، كذا أفرد الناقة في الترجمة، إشارة إلى أن العضباء والقصواء واحدة.

(3) (سنن الدارقطنى): 4/302، كتاب السبق بين الخيل، حديث رقم (12).

(4) (المرجع السابق): حديث رقم (14).

أرادوا رفع شيء وضعه الله(١).

ومن حديث بقية قال: حدثني شعبة قال: حدثني حميد الطويل عن أنس رضي الله عنه قال: سابق رسولَ الله ﷺ أعرابيٌّ فسبقه، فكان أصحاب رسول الله ﷺ وجدوا في أنفسهم من ذلك، فقيل له في ذلك فقال: حق على الله أن لا يرفع شيئًا [نفسه] في الدنيا إلا وضعه(٢).

وخرجه ابن حيَّان من حديث هشام عن عروة قال: أخبرنا أبي قال: لما خرج رسول الله ﷺ إلى بدر خلف عثمان على ابنته وكانت مريضة، وخلف أسامة بن زيد رضي الله عنهم، فبينا هم إذ سمعوا ضجة التكبير، فجاء زيد بن حارثة على ناقة رسول الله ﷺ الجدعاء وهو يقول: قُتل فلان، وأُسر فلان(٣).

وقال الواقدي: قدم زيد بن حارثة رضي الله عنه على ناقة النبي ﷺ القصواء، يبشر أهل المدينة فذكره(٤).

وحدثني إسحاق بن حازم، عن عبد الله بن مقسم، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لقي رسول الله ﷺ أسامة بن زيد - يعني مرجعه من بدر - ورسول الله ﷺ على راحلته القصواء، فأجلسه رسول الله ﷺ بين يديه وسهيل بن عمرو مجنوب ويداه إلى عنقه، فلما نظر أسامة إلى سهيل قال: يا رسول الله! أبو يزيد؟ قال: نعم، هذا الذي كان يُطعم بمكة الخبز(٥).

---

(١) (المرجع السابق): حديث رقم (١٥).

(٢) (المرجع السابق): حديث رقم (١٦).

(٣) (مغازي الواقدي): ١/١١٥.

(٤) (مغازي الواقدي): ١/١٥٥.

(٥) (المرجع السابق): ١/ ١١٨.

قال الواقدى: ولما بلغ رسول الله ﷺ المدينة، أقبلت امرأة أبى ذر رضى الله عنه، على ناقة رسول الله ﷺ، فأخبرته من أخبار الناس ثم قالت: يا رسول الله؛ إنى نذرت إن نجانى الله عليها أن أنحرها، فآكل من كبدها وسنامها، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: بئس ما جزيتيها! أن حملك الله عز وجل عليها ونجاك، ثم تنحرينها، إنه لا نذر فى معصية الله، ولا فيما لا تملكين، إنما هى ناقة من إبلى، فارجعى إلى إبلك على بركة الله(١).

وخرّج مسلم هذا الحديث بمعناه، وفيه قصة من عدة طرق، تدور على أبى قلابة عن أبى المهلب، عن عمران بن حصين رضى الله عنه، وفيها: وأصيبت امرأة من الأنصار، أصيبت العضباء، فذكره(١).

وخرّجه أبو داود من طريق أبى قلابة أيضًا وفيه: أن المرأة المأسورة امرأة أبى ذر(٢).

وخرّجه الدار قطنى من حديث سليمان، حدثنا عبد الرحمن بن الحارث، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال: جاءت امرأة أبى ذرّ على راحلة رسول الله ﷺ القصواء حين أُغير على لقاحه حتى بلغت(٣) عند رسول الله ﷺ فقالت: إنى نذرت إن نجانى الله عليها لآكلن من كبدها وسنامها، فقال رسول الله ﷺ: لبئس ما جزيتها، ليس(٤) هذا

---

(١) (مسلم بشرح النووى): ١١/ ١٠٨ - ١١٠، كتاب النذر، باب (٣) لا وفاء لنذر فى معصية الله، ولا فيما لا يملك العبد، حديث رقم (١٦٤١).

(٢) (سنن أبى داود): ٣/ ٦٠٩ - ٦١٢، كتاب الأيمان والنذور، باب (٢٨) النذر فيما لا يملك، حديث رقم (٣٣١٦).

(٣) كذا فى (الأصلين)، وفى (سنن الدار قطنى): «زناخت».

(٤) فى (الأصلين): «لبغس»، وما أثبتناه من (المرجع السابق).

نذر، إنما النذر ما ابتُغي به وجهُ الله(١).

وخرَّج من حديث موسى بن عقبة عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: دخل رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته القصواء. وقيل إن العضباء لم تأكل بعد وفاة رسول الله ﷺ ولم تشرب حتى ماتت.

قلت: إن علماء الآثار اختلفوا فى ناقة رسول الله ﷺ، هل هى واحدة لها ثلاثة أسماء؟ أو كان له ﷺ ثلاث نياق؟

قال الواقدى: كانت لرسول الله ﷺ ناقته القصواء من نعم بنى قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر، ويقال: من نعم بنى الحريش بس كعب، ابتاعها أبو بكر الصديق رضى الله عنه بأربعمائة درهم، فأخذها النبى ﷺ منه بذلك الثمن، والثبت: أنه وهبها له فقبلها وتاجر عليها، فلم تزل عنده حتى ماتت، ويقال: ماتت فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه، وكانت [تُضَمَّرُ] بالنقيع، ويقال: بنقيع الخيل، وهى تسمى أيضًا: الجدعاء والعضباء.

وحدثنى ابن أبى ذءيب عن يحى بن نفيل، عن سعيد بن المسيب قال: كان اسمها العضباء، وكان فى طرف أذنها جدع(٢).

قال: حدثنى معمر عن قتادة قال: قلت لسعيد بن المسيب: ما العضب

(١) (سنن الدار قطنى): ٤/ ١٦٢ - ١٦٣ النذور، حديث رقم (١٢).

(٢) العضباء: اسم ناقة النبى ﷺ، اسم، لها، علم، وليس من العضب الذى هو الشق فى الأذن، إنما هو اسم لها سُميت به، وقال الجوهرى: هو لقبها، قال ابن الأثير: لم تكن مشقوقة الأذن، والأول أكثر، وقال الزمخشرى: هو منقول من قولهم: ناقة عضباء، وهى القصيرة اليد (لسان العرب): ١/ ٦٠٩.

في الأذن؟ قال: قطع النصف فصاعداً.

قال الواقدى وغيره: القصواء، التى فى أذنها قطع يسير، والعضباء، مثلها، والجدعاء، التى قطع نصفها، فهذا كما ترى، تصريح من الراوى، أنها ناقة واحدة، لها ثلاثة أسماء، وهو أيضا، قول محمد بن إبراهيم التيمى، فقد روى عنه قال: القصواء ابتاعها رسول الله ﷺ بأربعمائة درهم، وهى التى هاجر عليها. قال: وإنما كانت له ﷺ ناقة واحدة موصوفة بالصفات الثلاث، وإليه ذهب الحافظ أبو الفرج ابن الجوزى [حيث قال:][(١)] واعلم أن القصواء هى العضباء وهى الجدعاء.

وقال سعيد بن المسيب: كان فى طرف أذنها جدع، والجدعاء: التى استؤصلت أذنها، والمقصوة: التى قطع بعض أذنها.

أخبرنا شيخنا ابن ناصر عن ثعلب أنه قال: هذه أسماء لناقة رسول الله ﷺ، ولم تكن جدعاء، ولا مقصوة.

قال أبو الزاهرية حدير بن كريب الحمصى: كانت لرسول الله ﷺ ثلاث أنيق: الجدعاء، والقصواء، والعضباء، واختار هذا جماعة وقالوا: العضباء ابتاعها أبو بكر رضى الله تعالى عنه من نعم بنى الحريش، والقصواء التى هاجر عليها إلى المدينة رسول الله ﷺ، وكانت إذ ذاك رباعية، وكانت لا تحمله ﷺ إذا نزل عليه الوحى.

والجدعاء هى التى سُبقت فشق على المسلمين، فقال ﷺ: إن حقًا على الله ألا يرتفع شىء من الدنيا إلا وضعه[(٢)].

---

(١) زيادة للسياق والبيان.

(٢) سبق تخريجه.

وخرّج الدار قطنى من حديث حماد بن زيد، عن أيوب عن أبى قلابة عن أبى المهلب، عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال: كانت العضباء لرجل من بنى عقيل أُسر، فأخذت العضباء معه، فأتى عليه النبى ﷺ، وهو على حمار عليه قطيفة، فقال: يا محمد على ما تأخذونى وتأخذون العضباء وأنا مسلم؟ فقال له رسول الله ﷺ: لو قلتها وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح، ومضى النبى ﷺ، فقال: يا محمد! إنى جائع فأطعمنى، وإنى ظمآن فأسقنى، فقال: هذه حاجتك، ففودى برجلين، وحبس النبى ﷺ العضباء لرحله، وكانت من سوابق الحاج، فأغار المشركون على سرح المدينة، وأسروا امرأة من المسلمين، قال: وكان المشركون يريحون إبلهم بأفنيتهم، فلما كان الليل نوموا، وعهدت المرأة إلى الإبل، فما كانت تأتى على ناقة منها إلا رغت، حتى أتت على العضباء، فأتت على ناقة ذلول فركبتها حتى أتت المدينة، ونذرت إن الله نجاها لتنحرنها، فلما أتت المدينة عرف الناسُ الناقة وقالوا: العضباء ناقة رسول الله ﷺ، قال: وأُتى بها النبى ﷺ وأخبر بنذرها، فقال: بئس ما جزتها، أو جزيتيها، لا نذر فى معصية، ولا فيما لا يملك ابن آدم(١).

وخرّج مسلم من حديث إسماعيل بن إبراهيم، حدثنا أيوب عن أبى قلابة، عن أبى المهلب، عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال: كانت ثقيف حلفًا لبنى عُقيل، فأسرت بالحلف رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ، وأسر أصحاب رسول الله ﷺ رجلاً من بنى عقيل، وأصابوا معه العضباء، فأتى عليه رسول الله ﷺ وهو فى الوثاق فقال: يا محمد! فأتاه فقال: : ما شأنك؟ فقال: بم أخذتنى؟ وبم أخذت سابقه الحاج؟ فقال:

(١) سبق تخريجه.

إعطاء ما لذلك، أخذتك بجريرة أحمائك بثقيف، ثم انصرف عنه، فناداه فقال: يا محمد! يا محمد! -وكان رسول الله ﷺ رفيقًا رحيمًا- فرجع إليه فقال: ما شأنك؟ فقال: إني مسلم، قال: لو قلتها وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح، ثم انصرف، فناداه: يا محمد! يا محمد! فأتاه فقال: ما شأنك؟ قال: إني جائع فأطعمني، وظمآن فأسقني، قال: هذه حاجتك [ففودي الرجل بعد][1] بالرجلين[2].

[وفي رواية][3]: وأُسرت امرأة من الأنصار وأصيبت العضباء، فكانت المرأة في الوثاق، وكان القوم يريحون نعمهم بين يدي بيوتهم، فانفلتت ذات ليلة من الوثاق، فأتت الإبل فجعلت إذا دنت من البعير رغا فتبركه، حتى تنهي إلى العضباء فلم تُرغ -وقال وناقة منوقة- فقعدت على عجزها ثم زجرتها فانطلقت، وندروا بها فطلبوها فأعجزتهم، قال: ونذرت لله إن نجّاها الله عليها لتنحرنَّها، فلما قدمت المدينة رآها الناس فقالوا: العضباء ناقة رسول الله ﷺ، فقالت: إنها نذرت إن نجّاها الله عز وجلّ عليها لتنحرنَّها، فأتوا رسول الله ﷺ فذكروا ذلك له، فقال: سبحان الله! بئس ما جزتها، نذرت لله إن نجّاها الله عليها لتنحرنَّها؟ لا وفاء لنذر في معصية، ولا فيما لا يملك العبد[4].

---

(١) زيادة للسياق من (سنن أبي داود).

(٢) (سنن أبي داود): ٣/ ٦٠٩ - ٦١٢، كتاب الأيمان والنذور، باب (٢٨) في النذر فيما لا يملك، حديث رقم (٣٣١٦)، وهو جزء من حديث طويل ذكره أبو داود بطوله. بنحو حديث مسلم، وأخرجه الترمذي في (السنن): ٤/ ١١٥، كتاب السير، باب (١٨) ما جاء في قتل الأسارى والفداء، حديث رقم (١٥٦٨)، وقال: هذا حديث حسن صحيح... والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم، أن للإمام أن يَمُنَّ على من شاء من الأسارى ويقتل من شاء منهم، ويفدي من شاء.

(٣) زيادة للسياق.

(٤) سبق تخريجه.

وفى رواية على بن مجبر السعدى عن إسماعيل بن إبراهيم: لا وفاء فى معصية الله. [وخرجه] من طريق حماد بن زيد، وعبد الوهاب الثقفى كلاهما عن أيوب بهذا الإسناد نحوه(١).

ومن حديث حماد بن زيد: وكانت العضباء لرجل من بنى عقيل، وكانت من سوابق الحاج. ومن حديثه أيضا: كانت على ناقة ذلول مُمَرَّسَة. ومن حديث عبد الوهاب الثقفى: وهى ناقة مدربة(١).

وخرج أبو داود من حديث حماد بن زيد وإسماعيل بن عُليَّة، عن أيوب بهذا الإسناد وقال فى آخره: قال: فركبتْها، ثم جعلتْ لله عليها إن نجّاها الله لتنحرنّها، فلما قدمتْ المدينة عرفت الناقة ناقة النبى ﷺ فأُخبر النبى ﷺ بذلك، فأرسل إليها، فجئ بها، وأُخبر بنذرها فقال: بئس ما جزتها أو جزيتيها، إن الله أنجاها عليها لتنحرنَّها، لا وفاء لنذر فى معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم. [قال] أبو داود: إن المرأة المأسورة إمرأة أبى ذّر رضى الله عنه(٢).

[وخرج] الترمذى من [حديث] سفيان، عن الربيع بن صبيح، عن يزيد ابن إبان، عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: حجّ رسول الله ﷺ على رحل رَثٍّ، وعليه قطيفة لا تساوى أربعة دراهم فقال: اللهم اجعله حجًا لا رياء فيه ولا سمعة.

(١) (مسلم بشرح النووى): ١١/ ١٠٨، كتاب النذر، باب (٣) لا وفاء لنذر فى معصية الله، ولا فيما لا يملك العبد، آخر أحاديث الباب بدون رقم.

(٢) سبق تخريجه

[فصل فى ذكر من كان يأخذ بزمام راحلة رسول الله ﷺ]

[قال] الواقدى: حدثنى يعقوب بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله ابن أبى صَعْصَعَة، عن الحارث بن عبد الله بن كعب، عن أم عمارة قالت: شهدتُ عُمرة القضية مع رسول الله ﷺ، وكنتُ قد شهدتُ الحديبية، فكأنى أنظر إلى النبى ﷺ حين انتهى إلى البيت وهو على راحلته، وابن رواحة آخذ بزمام راحلته، وقد صُفّ له المسلمون حين دنا من الركن حتى انتهى إليه، فاستلم الركن بمحجنه مضطبعًا(١) بثوبه على راحلته، والمسلمون يطوفون معه، وقد اضطبعوا بثيابهم، وعبد الله بن رواحة يقول:

خَلّوا بني الكفار عن سبيلهْ ... إنى شهدت أنه رسولهْ

حقًا وكل الخير فى سبيلهْ ... نحن [قتلناكم](٢) على تأويلهْ

[كما ضربناكم على تنزيلهْ](٣) ... ضربًا يزيل الهام(٤) عن [مقيلهْ](٥)

ويذهل الخليل عن خليله

فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: يا ابن رواحه! فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) الاضطباع: هو أن يأخذ الإزار أو البُرد فيجعل وسطه تحت إبطه الأيمن، ويلقى طرفيه على كتفه الأيسر. (النهاية).

(٢) فى (خ): «حملناكم».

(٣) هذا الصدر من (المغازى).

(٤) الهام: جمع هامة، وهو الراس.

(٥) المقيل: مستعار من موضع القائلة، ويريد الأعناق.

يا عُمر إنى أسمع، فأسكت عمر رضى الله عنه(١).

وقال فى فتح مكة: فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى الكعبة، فرآها ومعه المسلمون، تقدم على راحلته، فاستلم الركن. بمحجنه [و](٢) كبرّ، فكبَّر المسلمون لتكبيره، فرجّعوا التكبير حتى ارتجّت مكة تكبيرًا، حتى جعل رسول الله ﷺ ليشير إليهم أن اسكتوا، والمشركون فوق الجبال ينظرون، ثم طاف رسول الله ﷺ بالبيت، [على راحلته آخذ](٢) بزمامها [محمد بن مسلمة](٢) وحول البيت ثلاثمائة صنم وستون صنمًا مرصّصة بالرَّصاص، وكان هُبل أعظمها، وهو وجاه الكعبة على بابها، وإساف ونائلة حيث ينحرون ويذبحون الذبائح، فجعل رسول الله ﷺ كلما مرَّ بصنم منهم يشير بقضيب فى يده ويقول: ﴿**جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا**﴾(٣) فيقع الصنم لوجهه(٤).

[قال: حدثنى] ابن أبى سيرة، عن حسين بن عبد الله عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: ما يزيد رسول الله ﷺ [على] أن يشير بالقضيب إلى الصنم فيقع لوجهه، فطاف رسول الله ﷺ سبعًا على راحلته يستلم الركن الأسود بمحجنه فى كل طواف، فلما فرغ من سعيه نزل عن راحلته، وجاء معمر بن عبد الله بن نضلة فأخرج راحلته(٥).

ولما كان رسول الله ﷺ ببعض الطريق مرجعه من تبوك، مكر به أناس من

---

(١) (مغازى الواقدى): ٢/ ٧٣٥ – ٧٣٦.

(٢) زيادة للسياق من (المغازى).

(٣) الإسراء: ٨١.

(٤) (مغازى الواقدى): ٢/ ٨٣١ – ٨٣٢.

(٥) (المرجع السابق): ٢/ ٨٣٢.

المنافقين، وأتمروا أن يطرحوه من عقبة فى الطريق، فلما بلغ عليه السلام تلك العقبة، أرادوا أن يسلكوها معه، فأُخبر خبرهم، فقال للناس: اسلكوا بطن الوادى فإنه أسهل لكم وأوسع، فسلك الناس بطن الوادى، وسلك رسول الله ﷺ العقبة، وأمر عمّار بن ياسر أن يأخذ بزمام الناقة يقودها، وأمر حذيفة بن اليمان [أن] يسوق من خلفه، فبينا رسول الله ﷺ يسير فى العقبة، إذ سمع حسّ القوم قد غَشوه، فغضب ﷺ، وأمر حذيفة أن يردهم، فرجع حذيفة إليهم [وقد رأوا غضب رسول الله ﷺ](١) فجعل يضرب وجوه رواحلهم بمحجن فى يده، وظنّ القوم أن رسول الله ﷺ قد أُطْلع على مكرهم، فانحطوا من العقبة مسرعين حتى خالطوا الناس، وأقبل حذيفة حتى أتى رسول الله ﷺ فساق به، فلما خرج رسول الله ﷺ من العقبة ونزل الناس فقال: يا حذيفة! هل عرفت أحداً من الركب الذين رددتَهم؟ قال: يا رسول الله، عرفت راحلة فلان وفلان، وكان القوم متلثّمين فلم أُبصرهم من أجل ظلمة الليل، وكانوا قد أنفروا بالنبى ﷺ فسقط بعض متاع رحله، فكان حمزة بن عمرو الأسلمى يقول: فنُوِّر لى فى أصابعى الخمس [فأضاءت، حتى كفى لجمع](٢) ما سقط [من] السوط والحبل وأشباههما، حتى ما بقى من المتاع شىء إلا جمعناه، وكان [لحق بالنبى](٣) ﷺ فى العقبة.

وروى أبو داود عن أم الحسين الأحسنية قالت: حججت مع النبى ﷺ حجة الوداع، فرأيت أسامة بن زيد وبلال، وأحدهما آخذ بخطام ناقة النبى

---

(١) زيادة للسياق من (المغازى).

(٢) فى (المغازى): «فأضئن حتى كنا نجمع».

(٣) فى (المغازى): «لحق النبىَّ».

ﷺ، والآخر رافع ثوبه يستره من الحرّ حتى رمى جمرة العقبة(١).

وذكر أبو عمر يوسف بن عبد البر أن الأسلع بن شريك الأعرجي التميمي خادم رسول الله ﷺ كان صاحب راحلته(٢).

* * *

(١) (سنن أبى داود): ٢/ ٤١٦ - ٤١٧، كتاب [مناسك الحج]، باب (٣٥)، فى المحرم يُظلَّل، حديث رقم (١٨٣٤)، وأخرجه الإمام مسلم فى كتاب الحج، باب (٥١) استحباب رمى جمرة العقبة يوم النحر ركبًا، وبيان قوله ﷺ: «لتأخذوا مناسككم»، حديث رقم (٣١١)، (٣١٢) بسياقة أتم من سياقة أبى داود، ومن سياقة النسائى فى (السنن): كتاب المناسك، باب (٢٢٠) الركوب إلى الجمار واستظلال المحرم، حديث رقم (٣٠٦٠).

وفى هذا الحديث من الفقه: جواز تسميتها حجة الوداع. وفيه جواز الرمى ركبًا. وفيه جواز تظليل المحرم على رأسه بثوب وغيره. وعن ابن عمر رضى الله عنه انه ابصر رجلاً على بعيره وهو محرم، قد استظل بينه وبين الشمس فقال: اضح لمن أحرمت له. رواه البيهقى بإسناد صحيح.

وعن جابر عن النبى ﷺ قال: ما من مُحرم يُضْحى للشمس حتى تغرب إلا غربت بذنوبه حتى يعود كما ولدته أمه. رواه البيهقى وضعّفه، واحتج الجمهور بحديث أم الحصين هذا المذكور فى مسلم، ولأنه لا يسمى لبسًا، وأما حديث جابر فضعيف كما ذكرنا، مع أنه ليس فيه نهى، وكذا فعل عمر رضى الله عنه، وقول ابن عمر ليس فيه نهى، ولو كان، فحديث أم الحصين مقدم عليه. (شرح النووى على صحيح مسلم): ١٠/ ٥١ - ٥٢ مختصراً.

ولمزيد بيان فى هذا الموضوع: راجع (معالم السنن للخطّابى) شرح على (سنن أبى داود): ٢/ ٤١٦ - ٤١٧.

(٢) ترجمته فى: (الاستيعاب): ١/ ١٣٩، ترجمة رقم (١٤٨) (الإصابة): ١/ ٥٨ - ٦٠، ترجمة رقم (١٢٢)، (١٢٣)، (عيون الأثر): ٢/ ٣١١ ذكر خدم رسول الله ﷺ، وقال ابن سيد الناس: أسلع بن شريك صاحب راحلته ﷺ.

فصل فى ذكر إبل رسول الله ﷺ

قيل: كانت له ﷺ اثنتا عشر لقحة، وقيل أربع عشرة لقحة. قال الواقدى: حدثنى بكر بن الهيثم عن محمد بن يوسف عن سفيان الثورى عن سلمة بن نبيط، عن أبيه قال: رأيت رسول الله ﷺ فى حجته بعرفة على جمل أحمر.

ولابن حيَّان من حديث حماد بن سلمة عن على بن زيد عن أبى المليح، عن روح بن عائذ، عن أبى العوام عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: كنت رديف النبى ﷺ على جمل أحمر.

قال الواقدى: وكانت لرسول الله ﷺ عشر لقائح؛ أهدى إليه ثلاثًا منهن سعد بن عبادة من نعم بنى عُقيل، فكن يرعين بالحفياء، وكان السبع يرعين بذى الخبر. ويقال: إن سعداً أهدى إحدى الثلاث، وأنه اتباع الاثنين بالمدينة، وكانت التى أهداها سعد تدعى مُهرة، وكانت من نعم بنى عقيل، وكانت الاثنتان تدعيان الرناء والشقراء، فكان الثلاث يحلبن ويسرح إلى النبى ﷺ بألبانهن كل ليلة، وكن غراراً(١).

---

(١) وقال ابن القيم فى (زاد المعاد): ١/ ١٣٤، فصل فى دوابه ﷺ: ومن الإبل القصواء، قيل: هى التى هاجر عليها، والعضباء، والجدعاء، ولم يكن بهما عَضَبٌ ولا جَدَعٌ، وإنما سميتا بذلك، وقيل: كان بأذنها عضب، فسميت به، وهل العضباء والجدعاء واحدة أو اثنتان؟ فيه خلاف.

والعضباء هى التى كانت لا تُسبق، ثم جاء أعرابىٌ على قعود فسبقها، فشق ذلك على المسلمين، فقال رسول الله ﷺ: إن حقًا على الله الا يرفع من الدنيا شيئًا إلا وضعه. [سبق تخرج هذا الحديث وشرحه وبيان ما فيه من الفوائد].

وغنم ﷺ يوم بدر جملاً مهريًا لأبى جهل فى أنفه بُرَةٌ من فضة، فأهداه يوم الحديبية ليغيظ به المشركين. أخرجه أحمد فى (المسند): ١/ ٤٣١، حديث رقم (٢٣٥٨)، وأبو داود فى =

وقال محمد بن سعد عن الواقدى: عن هارون بن محمد بن سالم مولى حويطب بن عبد العُزّى، عن أبيه نبهان مولى أم سلمة، عن أم سلمة رضى الله عنها قالت: كان عيشنا -أو أكثر عيشنا- مع رسول الله ﷺ اللبن، كانت لرسول الله ﷺ لقاح بالغابة، وكان قد فرّقها على نسائه، فكانت لى لِقحة يقال لها: العريس، فكنا نشرب منها فيما شئنا من اللبن، وكانت لعائشة رضى الله عنها لِقحة تدعى السَّمراء [غزيرة](١).

وللواقدى عن معاوية بن عبد الله بن عبيد الله بن أبى رافع عن أبيه قال: كان يراح على أهل رسول الله ﷺ كل ليلة بقربتين عظيمتين من اللبن، وكانت فى لقاحه عدة غُزْرٌ: الحناء، والسمراء، والسعدية، والبَغَوم، واليسيرة. وقال بعض المدنيين: وهب البغوم لسودة(٢).

وللواقدى عن موسى بن عبيدة، عن ثابت عن أم سلمة قالت: أهدى الضحاك الكلابىّ للنبى ﷺ لقحة تدعى بُرْدَة، لم أرَ من الإبل شيئًا كان أحسن منها ولا أغزر، وكانت تحلب ما تحلب لقحتان، فربما خلبت لأضياف رسول الله ﷺ غبوقًا وصبوحًا، [وكانت] صفىّ رسول الله ﷺ من غنيمة [سرية] علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه بفدك، فى شعبان سنة

= (السنن): ٢/ ٣٦٠ - ٣٦١ -كتاب المناسك، باب (١٣) فى الهدى، حديث رقم (١٧٤٩)، وابن ماجه فى (السنن): ٢/ ١٠٢٧، كتاب المناسك، باب (٧٤) حجة رسول الله ﷺ، حديث رقم (٣٠٧٦).

وفيه من الفقه: أن الذكران فى الهدى جائزة، وفيه دليل على جواز استعمال اليسير من الفضة فى لجم المراكب من الخيل وغيرها، والبُرَّة: حلقة تجعل فى أنف البعير.

قوله: ليغيظ بذلك المشركين»، معناه أن هذا الجمل كان معروفا لأبى جهل، فحازه النبى ﷺ فى سلبه، فكان يغيظهم أن يروه فى يده، وصاحبه قتيل سليب. (معالم السنن).

(١) (طبقات ابن سعد) ١/ ٤٩٤، ذكر لقاح رسول الله ﷺ.

(٢) (الوافى): ١/ ١٠، ذكر دوَابِّه ﷺ، (عيون الأثر): ٢/ ٣٢٢.

ست، لقوح تدعى الحفدة [السريعة](١) فقدم بها على رسول الله ﷺ.

وعن ابن أبى سبرة، عن سلم بن يسار، عن وجيهة مولاة أم سلمة قالت: كان لرسول الله ﷺ أعنز سبع، فكان الراعى يبلغ بهن مرة الجماء، ومرة أُحداً، وتروح علينا، وكانت لقاحه بذى الجَدْر، فتأتينا ألبانها بالليل، ونكون بالغابة فتأتينا ألبانها بالليل، وكان أكثر عيشنا اللبن من الإبل والغنم.

قال: وحدثنى موسى بن محمد بن إبراهيم عن أبيه، حدثنى يحى بن عبد الله بن أبى قتادة، وعلى بن يزيد وغيرهم، فكل قد حدثنى بطائفة قالوا: كانت لقاح رسول الله ﷺ عشرين لقحة، وكان من شيء منها ما أصاب فى ذات الرقاع، ومنها ما قدم به محمد بن مسلمة من نجد، وكانت ترعى البيضاء(٢) ودون البيضاء(٢)، فأجدب ما هنالك فقربوها إلى الغابة تصيب من أثلها وطرقاتها، وتغدو فى السحر، فكان الراعى يؤوب بلبنها كل ليلة عند المغرب، وكان أبو ذرّ رضى الله عنه قد استأذن رسول الله ﷺ إلى لقاحه فقال: إنى أخاف عليك من هذه الضاحية أن تغير عليك، ونحن لا نأمن عيينة بن حصن ودونه هى فى طرف من أطرافهم، فألحّ عليه، فقال لرسول الله ﷺ ائذن لى، فلما ألحّ عليه قال: لكأنى بك قد قتل أباك، وأخذت إبلك امرأتك، وجئت تتوكأ على عصاك، فكان أبو ذر يقول: عجبًا لى إن رسول الله ﷺ يقول: لكأنى بك، وأنا ألحّ عليه، فكان والله على ما قال.

وكان المقداد بن عمر يقول: لما كانت ليلة السرح جعلت فرسى سبحة لا تقر ضربًا بيديها وصهيلاً، فيقول أبو معبد: والله إن لها شأنا، فننظر

---

(١) زيادة للسياق من (المرجع السابق)، واللقوح: الناقة غزيرة اللبن.

(٢) البيضاء: اسم موضع تلقاء حمى الربذة. (معجم ما استعجم): ١٨٤.

آريًّها(١) فإذا [هو مملوء](٢) علفًا، فنقول عطشى، فيعرض الماء عليها فلا [تريده](٢) فلما طلع الفجر أسرجها ولبس سلاحه وخرج، حتى صلى مع النبى ﷺ الصبح فلم ير شيئًا، ودخل النبى ﷺ ورجع المقداد إلى بيته وفرسه لا يقر، فوضع سرجه وسلاحه، واضطجع، ووضع إحدى رجليه على الأخرى، فأتاه آت فقال: إن الخيل قد صبح بها، فكان أبو ذر يقول: إنا لفى منزلنا، ولقاح رسول الله ﷺ قد رَوّحت وعطنت، وحلبت عتمتها(٣) ونمنا، فلما كان فى الليل أحدق بنا عينية فى أربعين فارسًا، فصاحوا بنا وهم قيام على رءوسنا، فأشرف لهم ابنى فقتلوه، وكانت معه امرأته وثلاثة نفر فنجوا، وتنحيت عنهم وشغلهم عنى إطلاق عُقل اللقاح، ثم صاحوا فى أدبارهم، فكان آخر العهد بها، وجئت إلى النبى ﷺ فأخبرته وهو يتبسَّم(٤)، [وذكر خروج المسلمين فى السلاح، فاستنقذوا عشر لقائح، وأفلت القوم بما بقى وهى عشر، قال: وكان فيها جمل أبى جهل، فكان مما يخلصه المسلمون](٥).

قال: حدثنى قائد مولى عبد الله، عن عبد الله بن على عن جدته سلمى قالت: نظرت إلى لقوح(٦) على باب رسول الله ﷺ، يقال لها: السَّمْراء؛ فعرفتها، فدخلتُ على رسول الله ﷺ فقلتُ: هذه لقحتك السمراء على

---

(١) فى (الأصلين): «أمرها»، وفى (المغازى) «آريَّها» وهو ما أثبتناه، وهو حبل تُشَدُّ به الدابة فى محبسها.

(٢) تكملة للسياق من (المغازى).

(٣) العتمة: ظلمة الليل، وكانت الأعراب يسمون الحلاب باسم الوقت. (النهاية).

(٤) إلى هنا من (مغازى الواقدى): ٥٣٨ - ٥٣٩ بالنَّص.

(٥) ما بين الحاصرتين اختصره المقريزى رحمه الله من سياق غزوة الغابة.

(٦) لقوح: ناقة غزيرة اللبن. (النهاية).

بابك، فخرج [رسول الله ﷺ][1] مستبشراً وإذا رأسها بيد ابن أخى عُيينة، فلما نظر [رسول الله ﷺ][1] عرفها ثم قال: أيم بك فقال: يا رسول الله أهديت لك هذه اللقحة، فتبسَّم [النبى ﷺ][1] ثم قبضها منه، ثم أقام يومًا أو يومين، ثم أمر بثلاثة أواق من فضة، فجعل يتسخط، فقلت: يا رسول الله! أتُثيبه على ناقة من إبلك؟ قال [رسول الله ﷺ][1] نعم، وهو ساخط علىّ، ثم صلى رسول الله ﷺ الظهر، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن الرجل ليهدى لى الناقة من إبلى أعرفها كما أعرف بعض أهلى، ثم أثيبه عليها، فيظل يتسخَّط علىّ، ولقد هممت أن لا أقبل هدية إلا من قرشىّ أو أنصارى. وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول: أو ثقفى أو دوسىّ[2].

وكان على لقاح رسول الله ﷺ مولاه يسار يرعاها، فلما استاق العرينيون[3] لقاح رسول الله ﷺ فى شوال سنة ست من ذى الجدر[4]، وأخذوا يسارا فقطعوا يده ورجله، وغرزوا الشوك فى لسانه وعينيه حتى مات، وانطلقوا بالسرح، فبعث رسول الله ﷺ فى طلبهم، فأخذهم بأجمعهم، ثم صير مكان يسار مولاه أبا أيمن الأسود، فكان يقوم بأمر لقاحه[5].

قال الواقدى: حدثنى ابن أبى سبرة عن مروان بن أبى سعيد بن المُعلَّى قال: لما ظفر المسلمون باللقاح خَلَّفوا عليها سلمة بن الأكوع [و][6] معه

(١) زيادة للسياق من (المغازى).

(٢) (مغازى الواقدى): ٢/ ٥٤٨ – ٥٤٩.

(٣) نسبة إلى عرينة.

(٤) الجَدْر: ناحية قباء على ستة أميال من المدينة (طبقات ابن سعد): ٢/ ٩٣.

(٥) (مغازى الواقدى): ٢/ ٥٦٨ – ٥٧١، (طبقات ابن سعد): ٢/ ٩٣.

(٦) زيادة للسياق (المغازى).

أبورُهم الغفارى، وكانت اللقاح خمسة عشرة لقحة غزاراً، فلما أقبل رسول الله ﷺ إلى المدينة من الزغابة وجلس فى المسجد، إذا اللقاح على باب المسجد [تحان](١)، فخرج فنظر إليها، فَتَفَقَّدَ منها لقحه يقال لها الحِناء، فقال: أى سلمة! أين الحناء؟ قال: نحرها القوم ولم ينحروا غيرها، ثم قال رسول الله ﷺ: أنظر مكانًا ترعاها فيه، قال: ما كان أكثر(٢) من حيث كانت بذى الجَدْر، قال: فردّها إلى ذى الجَدْر فكانت هناك. وكان لبنها يُراحُ به إلى رسول الله ﷺ كل ليلة وَطْب(٣) من اللبن(٤).

* * *

(١) فى (المغازى): «ما كان أمثل».

(٢) الوطْب: الوعاء الكبير.

(٣) (مغازى الواقدى): ٢/ ٥٧٠ - ٥٧١.

(٤) (طبقات ابن سعد): ٢/ ٩٣.

فصل فى ذكر البُدن التى ساقها رسول الله ﷺ إلى الكعبة البيت الحرام

اعلم أن رسول الله ﷺ ساق الهدى مراراً، فأوّل ما حُفظ أنه ساق البدن فى عمرة الحديبية، وذلك أنه لما استنفر أصحابه إلى العمرة، وتهيئوا للخروج، قدم عليه بُسر بن سفيان الكعبى فى ليال من شوال سنة ست زائراً له، فقال له ﷺ يا بُسر! لا تبرح حتى تخرُج معنا، فإنا إن شاء الله معتمرون فأقام، وأمره ﷺ أن يبتاع له بُدنًا، فكان بُسر يبتاعها ويبعث بها إلى ذى الجدر حتى حضر خروجه، فأمر بها فجلبت إلى المدينة، ثم أمر بها ناجية بن جُندب الأسلمى أن يقدمها إلى ذى الحليفة، واستعمل ﷺ على هديه ناجية بن جُندب هذا.

وخرج ﷺ من المدينة لهلال ذى القعدة، فصلى الظهر بذى الحليفة، ثم دعى بالبدن فجللت، ثم أشعر بنفسه منها عدة، وهى موجهات إلى القبلة فى الشق الأيمن، ثم أمر ناجية بن جندب بإشعار ما بقى، وقلدت نعلاً نعلاً وهى سبعون بدنة، منها جمل أبى جهل، وقدم ناجية مع الهدى، وكان معه فتيان من أسلم، فقال ناجية: عطب لى بعير من الهدى حين نظرت إلى الأبواء، فجئت رسول الله ﷺ بالأبواء فأخبرته فقال: انحرها، واصبغ قلائدها فى دمها، ولا تأكل أنت ولا أحد من أهل رفقتك منها شيئًا، وخلّ بين الناس وبينها(١).

فلما صدّ المشركون رسول الله ﷺ عن البيت، نحر هدية بذى الحليفة،

---

(١) (مغازى الواقدى): ٢/ ٥٧٢ - ٥٧٣.

وكان جمل أبى جهل قد غنمه عليه السلام يوم بدر، وكان المسلمون يغدون عليه، وكان قد ضرب فى لقاح رسول الله ﷺ التى استاق عيينة بن [حصن]، ولقاحه التى كانت بذى الجدر التى كان ساقها العرينيون [فيها جمل أبى جهل الذى غنمه يوم بدر](١) وكان نجيباً مهرياً، قلّده رسول الله ﷺ فى هديه وأشعره، فلما كانوا بذى الحليفة كان يرعى مع الهدى فشرد قبل القضية، فلم يقف حتى انتهى إلى دار أبى جهل وعرفوه، وخرج فى إثره عمرو بن غنم السلمى، فأبى أن يعطيه سفهاء من سفهاء مكة، فقال سهيل بن عمرو: ادفعوه إليه، فأعطوا به مائة ناقة، فقال رسول الله ﷺ: لولا أنا سميناه فى الهدى فعلنا، فنحر الجمل عن سبعة، أحدهم أبو بكر وعمر رضى الله عنهما.

وساق ناجية بن جندب الأسلمى على هديه يسير به أمامه يطلب الرعى فى الشجر، ومعه أربعة فتيان من أسلم،، ومعهمأبورهم وأبو هريرة يسوقان الهدى، وقلد ﷺ هديه بيده، فلما طاف بالبيت وبين الصفا والمروة، وقد وقف الهدى عند المروة، قال ﷺ: هذا المنحر وكل فجاج مكة منحر، فنحر عند المروة(٢).

ولما خرج أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى سنة تسع ليقيم بالناس الحج، وبعث معه رسول الله ﷺ بعشرين بدنة قلدها النعال وأشعرها بيده فى الجانب الأيمن، واستعمل عليها ناجية بن جندب، وساق ﷺ فى حجة الوداع ستين بدنة وأشعرها فى الجانب الأيمن وقلدها النعال وهو بذى الحليفة، ويقال أنه ساق مائة بدنة، أشعر بعضها بيده، وأمر بأن يُشعر ما

---

(١) زيادة يقتضيها السياق من (مغازى الواقدى)، و (طبقات ابن سعد).

(٢) (مغازى الواقدى): ٢/ ٥٧٣ – ٥٧٤، (طبقات ابن سعد): ٢/ ٩٥ – ٩٦.

فضل من البدن ناجية بن جندب، واستعمله على الهدى، فساقه إلى المنحر حتى نحر ﷺ بيده ثلاثث وستين بدنة، ثم أعطى رجلاً فنحر ما بقى، وكان خالد بن الوليد رضى الله عنه يقدم إلى رسول الله ﷺ بدنه وهى تعتب فى العُقْل.

* * *

فصل فى ذكر صاحب بُدْن رسول الله ﷺ

اعلم أنه قد تقدم من طريق الواقدى أن صاحب البُدن هو ناجية [بن جُندب] ، وقد ورد أن ذئيبًا الخزاعى توجه أيضًا بالبدن، فأما ناجية فهو ناجية بن جندب بن عمير بن يعمر بن دارم بن وائلة بن سهم بن مازن بن سلامان بن أسلم بن أفصى الأسلمى، كان اسمه ذكوان، فسمّاه رسول الله ﷺ ناجية حين نجا من قريش، مات فى خلافة معاوية رضى الله عنه(١).

ووقع فى موطأ مالك رحمه الله تعالى، من حديث هشام بن عروة، عن أبيه قال: إن صاحب هدى رسول الله ﷺ قال: يا رسول الله! كيف أصنع بما عطب من الهدى؟ فقال رسول الله ﷺ : كل بدنة عطبت من الهدى فانحرها، ثم ألق قلائدها فى دمها، ثم خلّ بين الناس وبينها يأكلونها. كذا وقع هذا الحديث فى الموطأ مرسلاً(٢)، وأسنده جماعة من الحفاظ(٣) رووه

(١) له ترجمة فى: (الإصابة): ٦/ ٣٩٩ - ٤٠١، ترجمة رقم (٨٦٤٨)، (الاستيعاب): ٤/ ١٥٢٢ - ١٥٢٣، ترجمة رقم (٢٦٥٠).

(٢) (موطأ مالك): ٢٦٢، كتاب الحج، العمل فى الهدى إذا عطب أو ضل، حديث رقم (٨٥٨).

(٣) (سنن أبى داود): ٢/ ٣٦٨، كتاب مناسك الحج، باب (١٩) فى الهدى إذا عطب قبل أن يبلغ، حديث رقم (١٧٦٢)، وفيه: « ثم اصبغ نعله فى دمه، ثم خلّ بينه وبين الناس ». قال الخطابى: إنما أمره بأن يصبغ نعله فى دمه ليعلم المارّ به أنه هدى فيتجنبه إذا لم يكن محتاجًا، ولم يكن مضطرًا إلى أكله.

وفى قوله: « خلّ بينه وبين الناس » دلالة على أنه لا يحرم على أحد أن يأكل منه إذا احتاج إليه، وإنما حظر على سائقه أن يأكل دونهم. وقال مالك بن أنس: فإن أكل شيئًا كان عليه البدل. (معالم السنن).

وأخرجه الترمذى فى (السنن): ٣/ ٢٥٣، كتاب الحج، باب (٧١)، ما جاء إذا عطب الهدى ما يصنع به، حدث رقم (٩١٠)، [ثم قال]: وفى الباب عن ذؤيب أبى قبيصة الخزاعى. =

عن هشام بن عروة عن ناجية الأسلمى صاحب بُدن رسول الله ﷺ، منهم سفيان بن سعيد الثورى، وسفيان بن عيينة، ووهيب بن خالد، خرّجه النسائى وغيره.

وروى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما هذا الحديث وزاد فيه: لا تأكل منها أنت ولا أحد من رفقتك. وهو حديث اختلف فيه عنه، وطائفة روت عنه ما يدل على أن ناجية بن جندب الأسلمى حدثه، وطائفة روت عنه أن دوسًا الخزاعىَّ حدّثه، وذؤيب هذا ربما بعث رسول الله ﷺ أيضًا معه هدْيًا، فسأله ابن عباس رضى الله عنهما كما سأل ناجية، وهو ذؤيب بن حلحلة،

= قال أبو عيسى: حديث ناجية حديث حسن صحيح، والعمل على هذا عند أهل العلم. قالوا فى هدى التطوع إذا عطب: لا يأكل هو ولا أحد من أهل رفقته، ويخلى بينه وبين الناس يأكلونه، وقد أجزأ عنه، وهو قول الشافعى، وأحمد، وإسحاق، وقالوا: إن أكل منه شيئًا غرم بقدر ما أكل منه.

وقال بعض أهل العلم: إذا أكل من هدى التطوع شيئًا، فقد ضمن الذى أكل.

وأخرجه مسلم فى كتاب الحج من (الصحيح)، باب (٦٦) ما يفعل بالهدى إذا عطب بالطريق، حديث رقم (١٣٢٥).

وفيه فوائد، منها: أنه إذا عطب الهدى وجب ذبحه وتخليته للمساكين، ويحرم الأكل منها عليه، وعلى رفقته الذين معه فى الركب، سواء كان الرفيق مُخالطًا له أو فى جملة الناس من غير مخالطة، والسبب فى نهيهم قطع الذريعة لئلا يتوصل بعض الناس إلى نحره أو تعييبه قبل أوانه.

واختلف العلماء فى الأكل من الهدى إذا عطب فنحره؛ فقال الشافعى: إن كان هدى تطوع له أن يفعل فيه ما شاء من بيع وذبح وأكل وإطعام وغير ذلك، وله تركه ولا شىء عليه فى ذلك لأنه ملكه.

وإن كان هديًا منذورًا لزمه ذبحه، فإن تركه حتى هلك لزمه ضمانه، كما لو فرَّط فى حفظ الوديعة حتى تلفت. فإذا ذبحه غمس نعله التى قلده إياها فى دمه، وضرب بها صفحه سنامه، وتركه موضعه، ليعلم من مرّ به أنه هدى فيأكله.

ولا يجوز للمُهدى ولا لسائق هذا الهدى وقائده الأكل منه، ولا يجوز للأغنياء الأكل منه مطلقًا، لأن الهدى مستحق للمساكين، فلا يجوز لغيرهم، ويجوز للفقراء من غير أهل هذه الرفقة. وفى المراد بالرفقة وجهان، بسط القول فيهما فى (مسلم بشرح النووى): ٩/ ٨٥.

وأخرجه ابن ماجة فى (السنن): ٢/ ١٠٣٦، كتاب المناسك، باب (١٠١) فى الهدى إذا عطب، حديث رقم (٣١٠٥).

ويقال: ذؤيب بن حبيب بن حلحلة بن عمرو بن كليب بن أصرم بن عبد الله بن قُمير بن حبيشة بن سلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر الخزاعى الكعبىّ، صاحب إبل رسول الله ﷺ، كان يبعث معه الهدى ويأمره إن عطب منه شيء قبل محله أن ينحره، ويخلّ بين الناس وبينه(١).

روى سعيد عن قتادة، عن سنان بن سلمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: إن ذؤيبا أبا قبيصة حدّثه أن رسول الله ﷺ كان يبعث معه بالبدن ثم يقول: إن عطب منها شيء قبل محله فخشيت عليه موتًا فانحرها، ثم اغمس نعلها فى دمها، ثم اضرب به صفحتها، ولا تطعمها أنت ولا أحد من أهل رفقتك(٢).

وقد وقع فى هذا الحديث من رواية إسماعيل بن عُليَّه، حدثنا أبو السياج عن موسى بن سلمة، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ بعث بثمان عشرة بدنه مع رجل، فأمره فيها بأمره، فانطلق ثم رجع إليه فقال: أرأيت إن عطب منى شيء؟ قال: فانحرها ثم اصبغ نعلها فى دمها، ثم اجعلها على صفحتها، ولا تأكل منها أنت ولا أحد من أهل رفقتك.

ورواه حماد بن زيد، حدثنا أبو الساج عن موسى بن سلمة قال: خرجت أنا وسنان بن سلمة، ومعنا بدنتان، فأرجفتا علينا بالطريق، فلما قدمنا مكة، أتينا ابن عباس رضى الله عنهما، فسألناه فقال: [ ](٣)

---

(١) له ترجمة فى: (الاستيعاب): ٢/ ٤٦٤ - ٤٦٥، ترجمة رقم (٧٠٨)، (الإصابة): ٢/ ٤٢٢، ترجمة رقم (٢٤٩١).

(٢) (المرجع السابق)، ترجمة رقم (٢٤٩١).

(٣) بقدر هذا البياض كلمتان لم أجد لهما توجيهًا.

بعث رسول الله ﷺ بلالاً الأسلمي، وبعث معه بثماني عشرة بدنة، فقال: يا رسول الله! أرأيت إن أرجف عليّ منها شيء بالطريق؟

قال: تنحرها وتصبغ نعلها، أو قال: تغمس نعلها في دمها، فتضرب بها على صفحتها، ولا تأكل منها أنت ولا أحد من أهل رفقتك.

وروى شعبة وسعد بن عروبة عن قتادة عن سنان بن سلمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن ذؤيب الخزاعي حدثه أن رسول الله ﷺ كان يبعث معه بالبدن ثم يقول: إذا عطب شيء منها فخشيت عليه موتًا فانحره، ثم اغمس نعله في دمه، ثم اضرب صفحته، ولا تطعم منها ولا أحد من أهل رفقتك.

قال أبو عمر بن عبد البر: قوله: ولا أحد من أهل رفقتك، لا توجد إلا في حديث ابن عباس هذا بهذا الإسناد عن موسى بن سلمة، وليس ذلك في حديث هشام بن عروبة عن أبيه عن ناجية، وهو عندنا أصح من حديث ابن عباس عن ذؤيب، وعليه العمل عند الفقهاء، ومن جملة النظر أهل رفقته وغيرهم في ذلك سواء، ويدخل في قوله عليه السلام: وَخَلِّ بين الناس وبينه يأكلونه، أهل رفقته وغيرهم.

وشهد ذؤيب فتح مكة، وكان يسكن قديداً، وعاش إلى زمن معاوية وجعل أبو حاتم الرازي ذُؤيب بن حبيب غير ذؤيب بن حلحلة، فقال: ذؤيب بن حبيب الخزاعي أحد بني مالك بن أقعى صاحب هدى رسول الله ﷺ روى عن ابن عباس، ثم قال: ذؤيب بن حلحلة بن عمرو الخزاعي أحد بني عمير، شهد الفتح، وهو والد قبيصة بن ذؤيب، روى عنه ابن عباس.

قال ابن عبد البر: ومن جعل ذؤيبًا هذا رجلين فقد أخطأ ولم يُصب، والصواب ما ذكرنا، يعني مما تقدم في خبره ونسبته، وبالله توفيقنا(١).

---

(١) (الاستيعاب): ٢/ ٤٦٤ - ٤٦٥، ترجمة رقم (٧١٨).

فصل فى ذكر غنم رسول الله ﷺ

اعلم أنه كان لرسول الله ﷺ من الغنم مائة؛ وكان له ﷺ منائح سبع، وقيل: عشر(١).

خرَّج الحاكم من حديث لقيط بن صبرة، عن النبى ﷺ أنه قال: لنا غنم مائة، وسيأتى بطوله إن شاء الله تعالى. وخرَّجه البخارى فى الأدب المفرد، من حديث إسماعيل عن عاصم بن لقيط عن صبره عن أبيه.

قال ابن سعد عن الواقدى عن إبراهيم بن سويد الأسلمى، عن عباد بن منصور، عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كانت للنبى ﷺ سبعة اعنز [منائح](٢) ترعاهن أم أيمن(٣).

وقال الواقدى عن عبد الملك بن سليمان بن أبى المغيرة، عن محمد بن عبدالله بن الحصين قال: كانت منائح رسول الله ﷺ ترعى بأحد، وتروح فى كل ليلة إلى البيت الذى يبيت فيه [رسول الله ﷺ](٤).

قالوا: وكانت منائح رسول الله ﷺ: عُجوة، وزمزم، وسقيا، وبركة، وورسة، وإطراف، وإطلال(٥).

---

(١) كان له من الغنم مائة، وكان له منائح سبع من غنم.

(٢) زيادة للسياق من (عيون الأثر).

(٣) (عيون الأثر): ٢/ ٣٢٣، ذكر خيله ﷺ وما له من الدوابّ والنَّعَم، (زاد المعاد): ١/ ١٣٥، (طبقات ابن سعد): ١/ ٤٩٥.

(٤) (طبقات ابن سعد): ١/ ٤٩٥ - ٤٩٦، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه.

(٥) (طبقات ابن سعد): ١/ ٤٩٥، ذكر منائح رسول الله ﷺ من الغنم، (الوافى): ١/ ٩١.

وعن وجيهه[١]، كان لرسول الله ﷺ أعنز سبع، وكان الراعي يبلغ بهن مرة الجماء، ومرة أُحداً ويروح [بهنّ][٢] علينا[٣].

وقد روى أنه كان له ﷺ شاه يختص بشرب لبنها تدعى غيثة، [وقيل[٤]: غوثة][٥]. وكان له ﷺ ديك أبيض[٦]، ولم ينقل أنه ﷺ اقتنى من النُّغر[٧] شيئًا.

وقيل: كانت له شاة تسمي غوثة، وقيل غيثة، وعنز تُسمى اليمن[٨]، وشاة تسمى قمرة[٩].

* * *

(١) وجيهة: مولاة أم سلمة.

(٢) زيادة للسياق من (الطبقات).

(٣) (طبقات ابن سعد): ١/ ٤٩٦.

(٤) زيادة للسياق من (عيون الأثر): ٢/ ٢٣٣.

(٥) (عيون الأثر): ٢/ ٢٣٣، (الوافى): ١/ ٩١.

(٦) (الوافى): ١/ ٩١.

(٧) النغر: طائر كاليمام ونحوه وقد سبق شرحه فى الكلام على حديث: «أبا عمير ما فعل النُّغَيْر».

(٨) (عيون الأثر): ١/ ٣٢٣.

(٩) فى (عيون الأثر)، (الطبقات): «شاه تسمى قمر»، وهى التى فقدها يومًا فقال: ما فعلت قَمَرُ؟ فقالوا: ماتت يا رسول الله، قال: فما فعلتم بإهابها؟ قالوا: ميتة، قال: دباغها طهورها. (طبقات ابن سعد): ١/ ٤٩٦.

فصل فى ذكر حمى رسول الله ﷺ

خرَّج البخارى من حديث ابن شهاب، عن عبيد الله بن عبد الله بن عقبة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: إن الصعب بن جثامة قال: إن رسول الله ﷺ قال: لا حمى إلا لله ولرسوله(١).

قال البخارى: بلغنا أن النبى ﷺ حمى البقيعْ، وأن عمر رضى الله عنه حمى السرف والربذة. ذكره فى كتاب الشرب(٢).

وخرجه أبو داود بمثله(٣)، وفى لفظ آخر له: أن النبى ﷺ حمى البقيع،

---

(١) (فتح البارى): ٥/ ٥٦، كتاب المساقاه، باب (١١) لا حمى إلا لله ولرسوله ﷺ، حديث رقم (٢٣٧٠)، (فتح البارى): ٦/ ١٨٠، كتاب الجهاد والسير، باب (١٤٦) أهل الدار يُبيتون، فيصابُ الولدانُ الذرارى، حديث رقم (٣٠١٢).

(٢) راجع التعليق السابق.

(٣) (سنن أبى داود): ٣/ ٤٦٠ - ٤٦١، كتاب الخراج والإمارة، باب (٣٩) فى الأرض يحميها الإمام أو الرجل، حديث رقم (٣٠٨٣).

قال الخطابى: قوله: «لا حمى إلا لله ولرسوله»، يريد: لا حمى إلا على معنى ما أباحه رسول الله ﷺ، وعلى الوجه الذى حماه، وفيه إبطال ما كان أهل الجاهلية يفعلونه من ذلك، وكان الرجل العزيز منهم إذا انتجع بلداً مخصباً، أوفى بكلب على جبل، أو على نَشْر [مكان مرتفع] من الأرض، ثم استعْوى الكلب ووقف له يسمع مُنتهى صوته بالعواء، فحيث انتهى صوته حماه من كل ناحية لنفسه، ومنع الناس منه.

فأما ما حماه رسول الله ﷺ لمهازيل إبل الصدقة ولضعفى الخيل كالنقيع [وهو مكان معروف مستنقع للمياه ينبت فيه الكلأ]، وقد يقال إنه مكان ليس بحد واسع يضيق بمثله على المسلمين المرعى فهو مُباح، وللأئمة ان يفعلوا ذلك على النظر، ما لم يضيق منه على العامة المرعى، وهذا الكلام الذى سُقْتُه معنى كلام الشافعى فى بعض كتبه. (معالم السنن).

وأخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام فى (الأموال): ٢٧١، باب حمى الأرض ذات الكلأ والماء، حديث رقم (٧٢٨). =

وقال: لا حمى إلا لله عزّ وجلّ(١)، وخرجه النسائى ولفظه: لا حمى إلا لله ولرسوله(٢).

وقال الواقدى: حدثنى ابن أبى سبرة عن شعيب بن شداد قال: لما مرّ رسول الله ﷺ بالبقيع منصرفه من المريسيع، ورأى سعة وكلأً، وغُدُرًا كثيرة(٣) تَتَنَاخَسُ(٤)، وَخُبِّرَ بمراءته(٥) وبراءته(٦) فسأل عن الماء، فقيل يا رسول الله! إذا صِفْنا(٧) قلّت المياه وذهبت الغُدُر، فأمر رسول الله ﷺ حاطب بن أبى بلتعة أن يحفر بئرًا، وأمر بالنقيع أن يُحمى واستعمل عليه بلال بن الحارث المزنى، فقال بلال: يا رسول الله، وكم أحمى منه؟ قال: أقم رجلاً صيتًا إذا طلع الفجر على هذا الجبل، يعنى مقملاً، فحيث انتهى صوته فاحمه لخيل المسلمين وإبلهم التى يغزون عليها، قال بلال: يا رسول الله! أفرأيت ما كان من سوائم المسلمين؟ فقال: لا تدخلها، قلت: يا رسول الله! أرأيت المرأة والرجل الضعيف يكون له الماشية اليسيرة، وهو يضعف عن التحول؟ قال: دَعْهُ يرعى(٨).

= قال أبو عبيد: وتأويل الحمى المنهى عنه فيما نرى –والله أعلم–: أن تحمى الأشياء التى جعل رسول الله ﷺ الناس فيها شركاء، وهى الماء، والكلأ، والنار.

(١) (سنن أبى داود): ٣/ ٤٦١ – ٤٦٢، كتاب الخراج والإمارة، باب (٣٩) فى الأرض يحميها الإمام أو الرجل، حديث رقم (٣٠٨٤).

(٢) قال المنذرى: وأخرجه النسائى فى (الكبرى)، ولم يذكر النقيع.

(٣) الغُدُر: جمع غدير، وهو القطعة من الماء يغادرها السيل.

(٤) تتناخس: أى يصب بعضها ببعض.

(٥) مرأت الأرض مراءة أى حسن هواؤها، وكلأ مرىء: غير وخيم.

(٦) براءة: مصدر من برىء بمعنى خلا، أى لا صاحب له.

(٧) صفنا: جاء علينا الصيف بحرارته الشديدة.

(٨) (مغازى الواقدى): ٢/ ٤٢٥.

فلما كان زمان أبى بكر رضى الله عنه، حماه على ما كان رسول الله ﷺ حماه، ثم كان عمر رضى الله عنه، فكثرت به الخيل، وكان عثمان رضى الله عنه فحماه أيضًا(١).

حدثنا عمر بن شيبة، حدثنا معن، حدثنا عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال: إن النبى ﷺ حمى النقيع للخيل، وحمى الربذة للصدقة.

حدثنا هارون بن معروف، حدثنا ضمرة بن ربيعة عن رجاء بن جميل قال: إن رسول الله حمى وادى النَّقيع للخيل المضمرة.

وخرج الحاكم من حديث عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عباس ابن أبى ربيعة، عن الزهرى، عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس عن الصعب بن جثَّامة أن رسول الله ﷺ حمى النقيع وقال: لا حمى إلا لله ولرسوله. قال: وهو صحيح الإسناد(٢).

وبلال بن الحارث بن عُصْم بن سعيد بن قرة [بن خلاوة بن ثعلبة بن ثور](٣) أبو عبد الرحمن المزنى وَفَدَ سنة خمس فى وفد مزينة، وكان أحد من حمل ألوية مزينة يوم الفتح، وهو فى الطبقة الثالثة من المهاجرين، [وله](٤) سماع من النبى ﷺ ورواية عنه، روى عنه الحارث بن بلال، وعلقمة بن وقاص، وغيرهما. [وروى] له أبو داود والترمذى والنسائى

---

(١) (مغازى الواقدى): ٢/ ٤٢٥ - ٤٢٦.

(٢) (المستدرك): ٢/ ٧٠، كتاب البيوع، حديث رقم (٢٣٥٨)، ثم قال: قد اتفقا على حديث يونس عن الزهرى بإسناده: لا حمى إلا لله ولرسوله، ولم يخرجاه هكذا وهو صحيح الإسناد، وقال الذهبى فى (التلخيص): على شرط البخارى ومسلم، وأخرجا منه آخره.

(٣) زيادة للنسب من (الإصابة).

(٤) زيادة للسياق.

وابن ماجة، توفى سنة ستين عن ثمانين سنة(١).

[والنقيع] بالنون، على عشرين فرسخًا من المدينة، عرض ميل فى طول بريد، وفيه شجر، وهو أخصب واد هناك، وهو غورٌ فى صدر وادى العقيق، [قال] الخطابى(٢): من قاله بالباء فقد صحف، [وقال] البكرى: هو بالباء مثل بقيع الغرقد، [وذكر] فى كتاب الأصيلى بالفاء بدلاً من القاف بعد النون، وهو تصحيف، [ومعنى] حِمىَ النقيع: جعله محظوراً لا يقرب مرعاه(٣).

* * *

---

(١) له ترجمة فى: (الإصابة): ١/ ٣٢٦، ترجمة رقم (٧٣٤)، (الاستيعاب): ١/ ١٨٣، ترجمة رقم (٢١٥)، (الثقات): ٣/ ٢٨، (الجرح والتعديل): ٢/ ٣٩٥، (تهذيب التهذيب): ١/ ٤٤٠، ترجمة رقم (٩٢٩)، (الوافى بالوفيات): ١٠/ ٢٧٧، (الأعلام): ١/ ٣٨١ (شذرات الذهب): ١/ ٦٥، (المصباح المضئ): ١/ ١٣٢، (أسماء الصحابة الرواة): ١٧٦، ترجمة رقم (٢١٦).

(٢) هو حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب، من ولد زيد بن الخطّاب، والخطّابى بفتح الخاء وتشديد الطاء نسبة إلى جده الخطاب المذكور، يكنى أبو سليمان البُستىّ بضم الباء وسكون السين، نسبة إلى بُست، وهى مدينة من بلاد كابل.

كان محدثًا فقيهًا، وأديبًا شاعراً لغويًا، روى عنه أبو عبد الله بن البيع المعروف بالحاكم النيسابورى وغيره، قال عنه الحافظ السمعانى: كان حجة صدوقًا.

من مؤلفاته: (غريب الحديث)، وهو غاية فى الحُسن والبلاغة، وله (أعلام السنن) شرح البخارى، و (معالم السنن) شرح سنن أبى داود، وكتاب (إصلاح غلط المحدثين) وغير ذلك.

ولد في رجب سنة ٣١٩ هـ في بلده بُسْت، وتوفي فيها سنة ٣٨٨ هـ، رحمه الله. مقدمة (سنن أبى داود): ١/ ١١.

(٣) (معجم البلدان): ٥/ ٣٤٨ - ٣٤٩، موضع رقم (١٢١٢١).

فصل فى ذكر ديك رسول الله ﷺ

[حدثنا](١) عبد المنعم بن بشير أخبرنا ابن وهب قال: أخبرنا عبد الله ابن سعيد قال: أخبرنا أبى: قال أبو الدرداء: إن رسول الله ﷺ قال: مازلت بالأشواق إلى الديك الأبيض، مذ رأيت ديك الله تعالى تحت عرشه ليلة أسرى بى، ديكا أبيض، زغبه أخضر كالزبرجد، وعرفه ياقوتة حمراء، وعيناه من ياقوتتين حمراوين، ورجلاه من ذهب أحمر فى تخوم الأرض السفلى، وتحت العرش عنقه أحسن شىء رأيتُه، ومنقاره من ذهب يتلألأ نوراً، فإذا كان فى الثلث [الأول] نشر جناحيه وخفق بهما وقال: سبحان ذى الملك والملكوت، يقول ذلك ثلاث مرات من أول الليل، فإذا خفق خفقت الديوك فى الأرض، وصرخت كصراخة، فإذا كان فى الثلث الأوسط، فعل مثل ذلك وقال: سبحان من لا ينام ولا يسأم، يقول ذلك ثلاثًا، فتجيبه الديوك فى الأرض، فإذا كان فى الثلث الأخير، فعل ذلك وقال: سبحان من هو قائم قيوم، سبحان من نامت العيون وعين سيدى لا تنام، سبحان الدائم القيوم، سبحان من خلق الصباح بإذنه، لا إله إلا هو سبحانه. قال: فاتخذ رسول الله ﷺ ديكًا أبيض وقال: الديك الأبيض صديقى، وصديق صديقى، وعدوّ عدوّى، والله تعالى يحرس دار صاحبه، وعشراً عن يمينها، وعشراً عن يسارها، وعشراً [بين يديها](٢)، وعشراً من خلفها، وكان ﷺ يبيته معه فى البيت(٣).

---

(١) زيادة للسياق.

(٢) زيادة للسياق.

(٣) (الموضوعات): ٢ / ٦ – ٧، باب ما ذكر أن فى السماء ديكًا، قال ابن الجوزى –وقد ذكر باب فضل الديك، باب فى الديك الأبيض، باب فضل الديك الأبيض الأفرق–: هذه أحاديث كلها موضوعة.

فصل فى ذكر طعام رسول الله ﷺ

[اعلم] أن رسول الله ﷺ أكل على مائدة وعلى الأرض، وكانت له قصعة كبيرة، وأكل خبز الشعير، وأتدم بالخل، وأكل القثاء والدُّباء، والسمن والأقط والحيس، والزيد واللحم والقديد، والشواء ولحم الدجاج، ولحم الحبارى، وأكل الخبيص والهريسة، وعاف أكل الضَّب واجتنب ما تؤذى رائحته، وأكل الجمار والتمر، والقُنَّب والرطب والبطيخ، وكان يحب الحلواء والعسل، وجمع بين إدامين، ولم يأكل متكئًا ولا صدقة.

[فأما المائدة]

فقد خرج البخارى من حديث الحسن بن مهران قال: سمعت فرقداً صاحب النبى ﷺ يقول: رأيت رسول الله ﷺ، وأكلت على مائدته.

ومن حديث قتادة عن أنس رضى الله عنه قال: ما علمت النبى ﷺ أكل على سُكُرُّجةٍ قَطُّ، ولا خُبز له مُرقّق قط، ولا أكل على خوان، قيل لقتادة: فعلى مَ كانوا يأكلون؟ قال: على السُّفر. ذكره فى الأطعمة(١).

وخرَّج ابن حيَّان من حديث سليم الأعور، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يجلس على الأرض ويأكل على الأرض(٢).

---

(١) (فتح البارى): ٩/ ٦٦٢، كتاب الأطعمة، باب (٨) الخبز المرقق والأكل على الخوان والسُّفرة، حديث رقم (٥٣٨٦)، باب (٢٣) ما كان النبى ﷺ وأصحابه يأكلون. حديث رقم (٥٤١٥)، ١١/ ٣٢٩، كتاب الرقاق باب (١٦) فضل الفقر، حديث رقم (٦٤٥٠).

(٢) (أخلاق النبى): ٦٤، ١٩٧، (كنز العمال): حديث رقم (١٨٤٨٢).

[وأما القصعة والجفنة]

فخرج ابن حيَّان من حديث عثمان بن سعيد بن كثير الحمصى، حدثنا محمد بن عبد الرحمن الحمصى قال: سمعت عبد الله بن بشير المازنى يقول: كانت للنبى ﷺ قصعة يقال لها: الغَرّاء، يحملها أربعة رجال(١).

ومن حديث يحى بن سعيد القطان، عن محمد بن عبد الرحمن عن عبد الله بن أنس رضى الله عنه قال: كان لرسول الله ﷺ جفنة لها أربع حلق(٢).

[قال مؤلفه] عفى الله عنه: سيأتى ذكر القصعة الغراء فى ذكر المعجزات، عند ذكر إخباره ﷺ بما يفتح الله عليه لأمته، إن شاء الله تعالى.

[وأما أنه ﷺ لم يشبع من طعام]

فخرج البخارى فى كتاب الأطعمة من حديث محمد بن فضيل عن أبيه عن أبى حازم رضى الله عنه قال: ما شبع آل محمد من طعام ثلاثة أيام حتى قُبض(٣).

وخرج مسلم من حديث يزيد بن كيسان عن أبى حازم، عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال: والذى نفسى بيده [وقال ابن عباد: والذى نفس أبى هريرة بيده]، ما أشبع رسول الله ﷺ أهله ثلاثة أيام تباعًا من خبز

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) (كنز العمال): حديث رقم (١٨٥٩٤).

(٣) (فتح البارى): ٩/ ٦٤٦، كتاب الأطعمة، باب (١) قوله الله تعالى: ﴿كلوا من من طيبات ما رزقناكم﴾، وقوله: ﴿أنفقوا من طيبات ما كسبتم﴾.

وقوله: ﴿كلوا من الطيبات واعملوا صالحًا إنى بما تعملون عليم﴾، حديث رقم (٥٣٧٤). والذى يظهر ان سبب عدم شبعهم غالبًا كان بسبب قلة الشيء عندهم، على انهم كانوا قد يجدون. ولكن يؤثرون على انفسهم (فتح البارى).

حنطة حتى فارق الدنيا(١).

وخرّج فى (الشمائل) من حديث قتادة، عن أنس رضى الله عنه قال: إن النبى ﷺ لم يجتمع عنده غداء ولا عشاء من خبز ولحم إلا على ضَفَفٍ قال عبد الله بن عبد الرحمن: قال بعضهم: هو كثرة الأيدى(٢).

[وقال مالك بن دينار: سألت رجلاً من أهل البادية ما الضَّفَفَ؟ قال: تناوله مع الناس](٣).

[وخرَّج البخارى](٤) من حديث ابن أبى ذُؤيب عن سعيد المقبرى، عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه مرَّ بقوم بين أيديهم شاة مصلية، فدعوه. فأبى أن يأكل وقال: خرج علينا رسول الله ﷺ من الدنيا، ولم يأكل من خبز الشعير. ذكره فى [كتاب](٤) الأطعمة، فى باب: ما كان النبى ﷺ وأصحابه يأكلون(٥).

[وخرَّج الترمذى](٤) من حديث هلال بن خَبَّاب، عن عكرمة، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يبيت الليالى المتتابعات طاويًا، وأهله لا يجدون عشاءًا، وكان أكثر خبزهم الشعير. قال: هذا

---

(١) (مسلم بشرح النووى): ١٨ / ٣١٨، كتاب الزهد والرقاق، حديث رقم (٢٩٧٦)، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه.

(٢) (الشمائل المحمدية): ٣١٨ - ٣١٩، حديث رقم (٣٧٧).

(٣) العبارة التى بين الحاصرتين ذكرها عقب الحديث رقم (٧٣) من (الشمائل المحمدية): ٧٩، من حديث جعفر بن سليمان الضُّبَعىّ، عن مالك بن دينار قال: ما شبع رسول الله ﷺ من خبز قط ولا لحم إلا على ضَفَفٍ.

(٤) زيادة للسياق والبيان.

(٥) (فتح البارى): ٩ / ٦٨٦، كتاب الأطعمة، باب (٢٣) ما كان النبى ﷺ وأصحابه يأكلون، حديث رقم (٥٤١٤)، قوله: «فدعوه فأبى أن يأكل»، ليس هذا من ترك إجابة الدعوة، لأنه فى الوليمة، لا فى كل الطعام وكان أبا هريرة رضى الله عنه استحضر حينئذ ما كان النبى ﷺ فيه من شدة العيش. فزهد فى أكل الشاه، ولذلك قال: «خرج ولم يشبع من خبز الشعير» (فتح البارى).

حديث حسن صحيح(١).

[وخرَّج](٢) البخارى من حديث هشام الدستوائى، عن قتادة عن أنس رضى الله عنه، أنه مشى إلى النبى بخبز شعير وإهالة سنخة، ولقد رهن النبى ﷺ درعًا له بالمدينة عند يهودىّ، وأخذ منه شعيراً لأهله، ولقد سمعته يقول ما أمسى عند آل محمد صاعُ بُرٍ، ولا صاعُ حبٍ، وإن عنده لتسع نسوة. ذكره البخارى فى كتاب البيوع، فى باب شراء النبى ﷺ بالنسيئة(٣). [وخرّجه] الترمذى وقال: هذا حديث حسن صحيح(٤).

[وخرَّج البخارى](٢) من حديث همام بن يحى، حدثنا قتادة قال: كُنَّا نَأْتى أنس بن مالك رضى الله عنه وخبازه قائم فقال: كلوا، فما أعلم النبى ﷺ رآى رغيفًا مرَّققًا حتى لحق بالله، ولا رأى شاةً سميطًا بعينه قط، ذكره فى الرقاق فى باب: كيف كان عيش النبى ﷺ وأصحابه، وتخليهم من الدنيا(٥).

---

(١) (سنن الترمذى): ٤/ ٥٠١، كتاب الزهد، باب (٣٨) ما جاء فى معيشة النبى ﷺ وأهله، حديث رقم (٢٣٦٠).

(٢) زيادة للسياق والبيان.

(٣) (فتح البارى): ٤/ ٣٧٩، كتاب البيوع، باب (١٤) شراء النبى ﷺ بالنسيئة، حديث رقم (٢٠٦٩)، ٥/ ١٧٥، كتاب الرهن، باب (١) فى الرهن فى الحضر، وقوله الله عز وجل: ﴿ **وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبًا فرهان مقبوضة** ﴾ [البقرة: ٢٨٣]، حديث رقم (٢٥٠٨). والإهالة: ما أذيب من الشحم والإلية، وسنخة: أى متغيرة الريح. (فتح البارى).

(٤) (سنن الترمذى): ٣/ ٥١٩ - ٥٢٠، كتاب البيوع، باب (٧) ما جاء فى الرخصة فى الشراء إلى أجل، حديث رقم (١٢١٥)، وأخرجه النسائى فى (السنن): ٧/ ٣٣٢ - ٣٣٣، كتاب البيوع، باب (٥٩) الرهن فى الحضر، حديث رقم (٦٤٢٤).

وأخرجه ابن ماجه فى(السنن): ٢/ ٨١٥، كتاب الرهون، باب (١) حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة، حديث رقم (٢٤٣٦)، (٢٤٣٧)، (٢٤٣٩).

(٥) (فتح البارى): ١١/ ٣٤٠، كتاب الرقاق، باب (١٧) كيف كان عيش النبى ﷺ وأصحابه وتخليهم عن الدنيا، حديث رقم (٦٤٥٧).

[وخرَّجه](١) بهذا الإسناد في كتاب الأطعمة، في باب شاة مسموطة(٢)، [وذكره](٣) في الأطعمة أيضا في باب الخبز المرقق، والأكل على الخوان والسفرة، ولفظه: ما أكل رسول الله ﷺ خبزاً مرققًا ولا شاة مسموطة حتى لقي الله(٤).

[وخرج البخاري] والنسائي من حديث عبد الوارث، حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: لم يأكل النبي ﷺ على خوان حتى مات، وما أكل خبزاً مرقَّقًا حتى مات. ذكره البخاري في باب فضل الفقر(٥)، وذكره النسائيّ في كتاب الوليمة(٦).

[وخرَّجه] من حديث أبي حازم قال: سألت سهل بن سعد فقلت: هل أكل رسول الله ﷺ النَّقيَّ؟ قال: ما رأى رسول الله ﷺ النَقِيَّ من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله، [قال:] فقلت: هل كانت لكم في عهد رسول الله ﷺ مَناخل؟ قال: ما رأى رسول الله ﷺ مُنخلاً من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله، قال: كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول؟ قال: كنا نطحنه وننفخه، فيطير ما طار، وما بقي ثَرّيناه فأكلناه. ذكره في الأطعمة وكرره(٧).

---

(١) زيادة للسياق والبيان.

(٢) (فتح الباري): ٩ / ٦٦٢، كتاب الأطعمة، باب (٨) الخبز المرقّق والأكل على الخوان والسفرة، حديث رقم (٥٣٨٥).

(٣) زيادة للسياق والبيان.

(٤) (المرجع السابق): باب (٢٦) شاة مسموطة والكتف والجنب، حديث رقم (٥٤٢١).

(٥) (فتح الباري): ١١ / ٣٢٩، كتاب الرقاق، باب (١٦)، فضل الفقر، حديث رقم (٦٤٥٠).

(٦) لعله في (الكبرى).

(٧) (فتح الباري): ٩ / ٦٨٥، كتاب الأطعمة، باب (٢٣) ما كان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون، حديث رقم (٥٤١٣).

[وخرَّجه] من حديث جرير، عن منصور، عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة رضى الله عنها قالت: ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام بر ثلاث ليالٍ تباعًا حتي قُبض. ذكره فى الأطعمة(١) وفى الرقاق(٢).

[وخَّرجه] مسلم من حديث الأعمش، عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة رضى الله عنها. قالت: ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعًا من خبز حتى مضى لسبيله(٣).

ومن حديث أبي إسحاق قال: سمعت عبد الرحمن بن يزيد يحدث عن الأسود عن عائشة رضى الله عنها قالت: ما شبع آل محمد من خبز شعير يومين متتابعين حتى قُبض(٤).

وللبخارى(٥) ومسلم(٦) من حديث سفيان عن عبد الرحمن بن عابس عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت: ما شبع آل محمد ﷺ من خبز مأدوم ثلاثة أيام حتى لحق الله تعالى [وقال ابن كثير: أخبرنا سفيان، حدثنا عبد الرحمن بن عابس بهذا](٧).

---

(١) (فتح البارى): ٩/٦٨٦، كتاب الأطعمة، باب (٢٣) ما كان النبى ﷺ وأصحابه يأكلون، حديث رقم (٥٤١٦).

(٢) (فتح البارى): ١١/٣٤٠، كتاب الرقاق، باب (١٧) كيف كان عيش النبى ﷺ وأصحابه، وتخليهم عن الدنيا، حديث رقم (٦٤٥٤).

(٣) (مسلم بشرح النووى): ١٨/٣١٥، كتاب الزهد والرقاق، حديث رقم (٢١).

(٤) (المرجع السابق)، حديث رقم (٢٢).

(٥) فتح البارى): ٩/٦٨٩، كتاب الأطعمة، باب (٢٧) ما كان السلف يدخرون فى بيوتهم وأسفارهم من الطعام واللحم وغيره، حديث رقم (٥٤٢٣)، وفى باب (٣٦) المرق. حديث رقم (٥٤٣٨)، وفى كتاب الأيمان والنذور، باب (٢٢) وإذا حلف أن لا يأتدم فأكل تمرًا بخبز، وما يكون فيه الأدم، حديث رقم (٦٦٨٧).

(٦) أخرجه مسلم فى الزهد، وقال فيه: «من خبز وزيت».

(٧) زيادة للسياق من البخارى.

ولمسلم، قالت: ما شبع آل محمد ﷺ من خبز مرقوق ثلاث. وله من حديث هشام بن عروة عن أبيه قال: قالت عائشة رضى الله عنها: ما شبع آل محمد من خبز البرّ ثلاثًا حتى مضي لسبيله[1].

وللبخارى من حديث مسعود بن كدام، عن هلال عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت: ما أكل آل محمد أكلتين في يوم إلا إحداهما تمر[2]. وخرّجه مسلم ولفظه: ما شبع آل محمد يومين من خبز بر إلا وأحدهما تمر[3].

* * *

---

(١) (مسلم بشرح النووى): ١٨ / ٣١٥، كتاب الزهد والرقاق، حديث رقم (٢٤).

(٢) (فتح البارى): ١١ / ٣٤٠، كتاب الرقاق، باب (١٧) كيف كان عيش النبى ﷺ وأصحابه وتخليهم عن الدنيا، حديث رقم (٦٤٥٥).

(٣) (مسلم بشرح النووى): ١٨ / ٣١٦، كتاب الزهد والرقاق، حديث رقم (٢٩٧١).

وأما ائتدامُهُ ﷺ بالخَلّ

فخرج ابن حيَّان من حديث ياسين بن معاذ، عن عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان أحبّ الصباغ إلي رسول الله ﷺ الخلّ(١).

وللترمذى من حديث أبي بكر بن عَيَّاش، عن أبى حمزة الثمالى، عن الشعبى، عن أم هانئ بنت أبى طالب رضى الله عنها قالت: دخل عليَّ النبيُّ ﷺ فقال: [هل عندكم] شيء؟ فقلت :لا، إلاَّ [كِسَرٌ يابسة] وخلّ، فقال: [قربيه]، فما أفقر بيت من أدم فيه خلّ. [قال أبو عيسى] هذا حديث حسن غريب من حديث أم هانئ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وأبو حمزة الثمالى اسمه ثابت بن أبى صفية، وأم هانئ ماتت بعد عليّ رضى الله عنه بزمان(٢).

ولمسلم من حديث أبى عوانة عن أبى [بشر] عن أبي سفيان عن جابر ابن عبد الله رضى الله عنهما قال: أن النبى ﷺ سأل أهله الأدم فقالوا: ما عندنا إلا خلّ، فدعا به، فجعل يأكل به [ويقول]: نعم الأدم الخل، نعم الأدم الخل(٣).

---

(١) (أخلاق النبى): ٢١٢، وإسناده ضعيف، قاله العراقى. قال الزبيدى: ورواه كذلك أبو نعيم فى الطب، والمراد به ما يصبغ الخبر. فيكون إدامًا له، وقد ورد: نعم الإدام الخل. (إتحاف السادة المتقين): ٨ / ٢٤٠، (كنز العمال). حديث رقم (١٨١٦٦).

(٢) (سنن الترمذى): ٤ / ٢٤٦، كتاب الأطعمة، باب (٣٥) ما جاء في الخل، حديث رقم (١٨٤١)، وما بين الحاصرتين تصويبات منه.

ثم قال أبو عيسى بعد قوله: وأم هانئ ماتت بعد عليّ بن أبى طالب بزمان: وسألت محمداً عن هذا الحديث، قال: لا أعرف للشعبيّ سماعًا من أم هانئ، فقلت أبو حمزة كيف هو عندك؟ فقال أحمد ابن حنبل: تكلم فيه، وهو عندي مُقاربُ الحديث.

(٣) (مسلم بشرح النووي): ١٤ / ٢٥٠، كتاب الأشربة، باب (٣٠) فضيلة الخل والتادم به، حديث =

ومن حديث إسماعيل بن علية، عن المثنى بن سعيد قال: حدثني طلحة ابن نافع أنه سمع جابر بن عبدالله رضى الله عنهما يقول: [أخذ] رسول الله ﷺ بيدى ذات يوم إلي منزله فأخرج إليه فلق من خبز فقال: هل من أدم؟ قالوا: إلا شيء من خل، قال: فإن الخلّ نعم الأدم. قال جابر: فمازلت أحب الخل منذ سمعتها من [نبى]، الله ﷺ، وقال طلحة: ما زلت أحبّ الخل منذ سمعتها من جابر [رضى الله عنه][1].

ومن حديث يزيد بن هارون قال: أخبرنا حجاج بن أبى زينب قال: حدثنى أبو سفيان طلحة بن نافع قال: سمعت جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: كنت جالسًا فى دارى، فمر بى رسول الله ﷺ، فأشار إليّ

= رقم (٢٠٥٢).

وفي الحديث فضيلة الخل، وانه سمى ادمًا، وانه ادم فاضلٌ جيدٌ. قال أهل اللغة: الإدام بكسر الهمزة: ما يؤتدم به، يقال: أدم الخبز يأدمه بكسر الدال، وجمع الإدام أُدُم بضم الهمزة والدال ككتاب وكُتُب.

وفيه استحباب الحديث على الأكل تانيسًا للآكلين. وأما معنى الحديث، فقال الخطّابى والقاضى عياض: معناه مدح الاقتصار في المأكل، ومنع النفس عن ملاذّ الأطعمة، تقديره ائتدموا بالخل وما في معناه مما تخف مؤنته ولا يعزّ وجوده، ولا تتأنقوا في الشهوات، فإنها مفسدة للدين، مسقمة للبدن. هذا كلام الخطّابى ومن تابعه، والصواب الذى ينبغى أن يجزم به أنه مدح للخل نفسه، وأما الاقتصار فى المطعم وترك الشهوات فمعلوم من قواعد أُخَر، والله تعالي اعلم. (مسلم بشرح النووى)، وأخرجه أبو داود في (السنن): ٤ / ١٦٩-١٧٠، باب (٤٠) في الخل، حديث رقم (٣٨٢٠)، (٣٨٢١) كلاهما عن جابر.

(١) (مسلم بشرح النووى): ١٤ / ٢٥٠، كتاب الأشربة، باب (٣٠) فضيلة الخل والتأدم به، حديث رقم (١٦٧).

وأما قول جابر: فما زلت أحب الخل منذ سمعتها من نبى الله ﷺ، فهو كقول أنس رضى الله عنه ما زلت أحب الدباء، وهذا مما يؤيد ما قلناه في معنى الحديث انه مدح للخل نفسه، وقد ذكرنا مرات أن تأويل الراوى إذ لم يخالف الظاهر يتعين المصير إليه، والعمل به عند جماهير العلماء من الفقهاء والأصوليين، وهذا كذلك، بل تأويل الراوى هنا هو ظاهر اللفظ، فيتعين اعتماده. والله تعالى أعلم (شرح النووى على صحيح مسلم).

فقمت إليه، فأخذ بيدى فانطلقنا، حتي أتى بعض حجر نسائه، فدخل ثم أذن لى، فدخلت الحجاب عليها، فقال: هل من غداء؟ فقالوا: نعم، فأتى بثلاثة أقرص، فوضعن على شيء، فأخذ رسول الله ﷺ قرصًا فوضعه بين يديه، وأخذ قرصًا آخر فوضعه بين يدىّ، ثم أخذ الثالث فكسره باثنين، فجعل نصفه بين يديه، ونصفه بين يدى، ثم قال: هل من أدم؟ فقالوا: لا، إلا شيء من خلّ، قال: هاتوه، فنعم الأدم هو(١).

* * *

(١) (مسلم بشرح النووى): ١٤ / ٢٥١-٢٥٢، كتاب الأشربة، باب (٣) فضيلة الخل والتأدم به، حديث رقم (١٦٩).

وأما أكله القِثَّاء

فخرج البخاري من حديث إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: رأيت النبي ﷺ يأكل الرطب بالقثاء[١]. وخرجه مسلم بهذا السند ولفظه: رأيت رسول الله ﷺ يأكل القثاء بالرطب[٢]. وخرجه أبو داود [بمثله] سواء[٣].

وللترمذي من حديث محمد بن إسحاق، عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، عن الربيع بنت معوِّذ قالت: بعثني معاذ بن عفراء بقناع من رطب وعليه أجرى من قثاء زغب، وكان النبي ﷺ يحب القثاء، فأتيته بها، وعنده حلية قد قدمت عليه من البحرين، فملأ يده منها فأعطانيه[٤].

---

(١) (فتح الباري): ٦/٧٠٤، كتاب الأطعمة، باب (٣٩) القثاء بالرطب، حديث رقم (٥٤٤٠)، باب (٤٥) القثاء، حديث رقم (٥٤٤٧)، باب (٤٧) جمع اللونين أو الطعامين بمرةٍ، حديث رقم (٥٤٤٩).

(٢) (مسلم بشرح النووي): ١٣/٢٣٨-٢٣٩. كتاب الأشربة، باب (٢٣) أكل القثاء بالرطب، حديث رقم (٢٤٣)، وفيه جواز أكلهما معًا، وأكل الطعامين معًا، والتوسع في الأطعمة، ولا خلاف بين العلماء في جواز هذا، وما نقل عن بعض السلف من خلاف ذلك فمحمول علي كراهة اعتياد التوسع والترفه والإكثار منه لغير مصلحة دينية، والله تعالى أعلم. (شرح النووي).

(٣) (سنن أبي داود): ٤/١٧٦، كتاب الأطعمة، باب (٤٥) في الجمع بين لونين في الأكل، حديث رقم (٣٨٣٥).

(٤) (الشمائل المحمدية): ١٦٧ - ١٦٨، ما جاء في فاكهة رسول الله ﷺ، حديث رقم (٢٠٣)، وهو حديث ضعيف تفرد به الترمذي، وحديث رقم (٢٠٤) وجاء في (سنن الترمذي): ٤/ ٢٤٧، كتاب الأطعمة، باب (٣٧) ما جاء في أكل القثاء بالرطب، حديث رقم (١٨٤٤): حدثنا إبراهيم ابن سعد عن أبيه، عن عبد الله بن جعفر قال: كان النبي ﷺ يأكل القثاء بالرطب. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث إبراهيم بن سعد. =

ولابن حيَّان من حديث يحى بن هشام، حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان النبى ﷺ يأكل البطيخ بالرطب، والقثاء بالبلح[1].

* * *

= والقناع: الطبق يؤكل فيه. و «أجرى من قثاء»: أجر جمع جِرْو، وهو الصغير من القثاء ومن كل شيء من الفاكهة و «زغب»: الزغب من القثاء: التى يعلوها الوبر، وهو الشعيرات الصغيرة التى يعلوها مثل زغب الوبر، والزغب هو الشعيرات الصغيرة التى تعلو النسيج، فإذا كبرت القثاء تساقط زغبها وأصبحت ملساء. و «حلية» أى ذهباً.

(١) (أخلاق النبى): ٢١٥ - ٢١٦.

وأما أكله الدُّبَّاء

فخرج البخارى(١) من حديث ابن عون قال: كنت غلامًا أمشى مع رسول الله ﷺ، فدخل عليّ غلام له خياط، فأتاه بقصعة فيها طعام، وعليه دُبَّاء، فجعل رسول الله ﷺ يتتبع الدباء، فلما رأيت ذلك جعلت أجمعه بين يديه، فأقبل الغلام على عمله. قال أنس رضى الله عنه: لا أرى إلا حُبّ الدباء بعد ما رأيت رسول الله ﷺ صنع ما صنع. ترجم عليه باب: من أضاف رجلاً إلى طعام وأقبل [هو] على عمله. وخرّجه فى باب [المرق].

[وفى باب القديد]

وخرّجه مسلم من حديث أبى أسامة، عن سليمان بن المغيرة، عن ثابت عن أنس رضى الله عنه قال: دعى رسول الله رجلٌ فانطلقت معه، فجىء بمرقة فيها دُبَّاء، فجعل رسول الله ﷺ يأكل من ذلك الدُّبَّاء ويعجبه [قال]، فلما رأيتُ ذلك جعلت ألقيه إليه ولا أطعمه، فقال أنس رضى الله عنه: فمازلت بعد يعجبنى الدباء(٢).

---

(١) (فتح البارى): ٩/ ٦٥٥، كتاب الأطعمة، باب (٤) من تتبع حوالى القصعة مع صاحبه إذا لم يعرف منه كراهية، حديث رقم (٥٣٧٩)، باب (٣٥) من أضاف رجلاً إلى طعام وأقبل هو على عمله، حديث رقم (٥٤٣٥)، وهو الحديث المذكور فى الباب، باب (٣٦) المرق، حديث رقم (٥٤٣٦)، باب (٣٧) القديد، حديث رقم (٣٧) باب (٣٨) من ناول أو قدم إلى صاحبه على المائدة شيئًا، حديث رقم (٥٤٣٩)، وقال فى آخره «وقال ثمامة عن أنس: فجعلت أجمع الدبَّاء بين يديه».

الدُّبَّاء –بضم الدال المهملة وتشديد الموحدة– هو القرع، وقيل: خاص بالمستدير منه، وهو اليقطين أيضًا، واحده دباة ودبة.

(٢) (مسلم بشرح النووى): ١٣/ ٢٣٥، كتاب الأشربة، باب (٢١) جواز أكل المرق، واستحباب أكل اليقطين، وإيثار أهل المائدة بعضهم بعضًا، وإن كانوا ضيفانًا، وإذا لم يكره ذلك صاحب الطعام، حديث رقم (١٤٤)، (١٤٥)، كلاهما عن أنس لكن بسياقتين مختلفتين.

ومن حديث عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن ثابت البناني وعاصم الأحول عن أنس رضى الله عنه قال: إن رجلاً خياطًا دعى رسول الله ﷺ، فذكره، وزاد ثابت: فسمعت أنسًا يقول: فما صنع لى طعام بعد أقدر على أن يُصنع فيه دباء إلا صُنع(١).

وخرّجه مالك فى الموطأ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة قال: أنه سمع أنس بن مالك رضى الله عنه يقول: إن خياطًا دعى رسول الله ﷺ لطعام صنعه، قال أنس رضى الله عنه: فذهبت مع رسول الله ﷺ إلى ذلك الطعام، فقرَّب إليه خبزًا من شعير ومرقًا فيه دباء، قال أنس رضى الله عنه: فرأيت النبى ﷺ يتبع الدباء من حول القصعة، فلم أزل أحب الدباء بعد ذلك اليوم(٢).

قال ابن عبد البر: هكذا هذا الحديث فى الموطأ عند جميع رواته فيما علمت بهذا الإسناد، وزاد بعضهم فيه ذكر القديد.

وقال أبو بكر بن أبى شيبة: حدثنا وكيع عن إسماعيل بن أبى خالد، عن حكيم بن جابر عن أبيه قال: دخلتُ على النبى ﷺ فى بيته، وعنده هذه الدُباء، فقلتُ: أى شىء هذا؟ قال: هذا القرع نكثر به طعامنا.

---

(١) (المرجع السابق)، آخر أحاديث الباب بدون رقم، وفى هذه الأحاديث من الفوائد: إجابة الدعوة، وإباحة كسب الخياط، وإباحة المرق، وفضيلة أكل الدبّاء، وأنه يستحب أن يحب الدبُّاء، وكذلك كل شىء كان رسول الله ﷺ يحبه، وأنه يحرص على تحصيل ذلك، وأنه يستحب لأهل المائدة إيثار بعضهم بعضًا إذا لم يكرهه صاحب الطعام.

وأما تتبع الدباء من حوالى الصحفة، فيحتمل وجهين: أحدهما من حوالى جانبه وناحيته من الصحفة، لا من حوالى جميع جوانبها، وإنما نهى عن ذلك لئلا يتقذره جليسه، ورسول الله * لا يتقذره أحد، بل يتبركون بآثاره ﷺ، فقد كانوا يتبركون ببصاقه ﷺ ونخامته، ويدلكون بذلك وجوههم، وشرب بعضهم بوله، وبعضهم دمه، وغير ذلك مما هو معروف من عظيم اعتنائهم بآثاره ﷺ. (شرح النووى على صحيح مسلم).

(٢) (موطأ مالك): ٣٧٢، كتاب النكاح، حديث رقم (١١٥٠).

وخرجه النسائى ولفظه: فرأيت عنده دباء مقطع، فقلت: ما هذا؟ قال: نكثر به طعامنا(١).

[وخرج الترمذى] من حديث الليث عن معاوية بن صالح عن أبى طالوت قال: دخلت على أنس بن مالك رضى الله عنه، وهو يأكل القرع وهو يقول: يا لك شجرة! ما أحبك [إلا] لحب رسول الله ﷺ إياك. وفى الباب عن حكيم بن جابر عن أبيه قال: حديث غريب من هذا الوجه(٢).

[قال] ابن عبد البر: ومن صريح الإيمان حب ما كان رسول الله ﷺ يحبه، واتباع ما كان يفعله، ألا ترى إلى قول أنس رضى الله عنه: فلم أزل أحب الدباء بعد ذلك اليوم؟.

* * *

(١) وخرجه أبو داود فى (السنن): ٤ / ١٤٦ - ١٤٧، كتاب الأطعمة، باب (٢٢) فى أكل الدباء، حديث رقم (٣٧٨٢).

(٢) (سنن الترمذى): ٤ / ٢٥٠، ٢٥١، كتاب الأطعمة، باب (٤٢) ما جاء فى أكل الدباء، حديث رقم (١٨٤٩)، حديث رقم (١٨٥٠)، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وقد رُوى هذا الحديث من غير وجه عن أنس، وروى أنه رأى الدباء بين يدى رسول الله ﷺ، فقال له: ما هذا؟ قال: هذا الدباء نكثر به طعامنا، وفى بعض النسخ: «ما أحبك إلىّ».

وأمـا الضَّـبُّ

فخرَّج البخارى من حديث شعبه، حدثنا جعفر بن إياس قال: سمعت سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: أهدت أم حُفَيد خالة ابن عباس إلى النبى ﷺ أَقطًا، وسمنًا [وأَضُبًا]، فأكل النبى ﷺ من الأَقِط والسمن، وترك الأَضُبَّ تَقَذُرًا. قال ابن عباس رضى الله عنهما: فأُكل على مائدة رسول الله ﷺ، ولو كان حرامًا ما أُكل على مائدة رسول الله ﷺ(١).

وخرجه أبو داود بهذا الإسناد وقال: إن خالته أهدت إلى رسول الله ﷺ(٢).

ذكره البخارى فى كتاب الهبة(٣). [وخرجه] مسلم من حديث شعبة عن أبى أَشتر، عن سعيد بن جبير قال: سمعت ابن عباس رضى الله عنهما يقول: أهدت خالتى أم حفيد إلى رسول الله ﷺ.. الحديث بنحوه(٤).

[وخرجه] البخارى أيضًا فى كتاب الأطعمة(٥) وفى كتاب الاعتصام، من

---

(١) (فتح البارى): ٥/ ٢٥٤، كتاب الهبة، وفضلها والتحريض عليها باب (٧) قبول الهدية، حديث رقم (٢٥٧٥).

(٢) (سنن أبى داود): ٤/ ١٥٣، كتاب الأطعمة، باب (٢٨) فى أكل الضب، حديث رقم (٣٧٩٣)، حديث رقم (٣٧٩٤)، وحديث رقم (٣٧٩٥).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) (مسلم بشرح النووى): ١٣/ ١٠٣ - ١٠٩، كتاب الصيد والذبائح، باب (٧) إباحة الضب، حديث رقم (١٩٤٥)، حديث رقم (١٩٤٧).

(٥) (فتح البارى): ٩/ ٦٧٩، كتاب الأطعمة، باب (١٤) الشواء، حديث رقم (٥٤٠٠)، باب (١٦) الأقط، حديث رقم (٥٤٠٢).

حديث أبى عوان عن أبى بِشْر(١).

* * *

(١) (فتح البارى): ١٣/ ٤٠٧، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب (٢٤) الأحكام التى تُعرف بالدلائل، وكيف معنى الدلالة، وتفسيرها، وقد أخبر النبى ﷺ أمر الخيل وغيرها، ثم سُئل عن الحُمر فدلهم على قوله تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾ وسئل النبى ﷺ عن الضَّبِّ فقال: لا آكله ولا أحرمه، وأكل على مائدة النبى ﷺ الضَّب. فاستدل ابن عباس بأنه ليس بحرام، حديث رقم (٧٣٥٨).

وأخرجه النسائى فى (السنن): ٧/ ٢٢٤ - ٢٢٧، كتاب الصيد، باب (٢٦) الضب، من حديث رقم (٤٣٢٥) إلى حديث رقم (٤٣٣٣).

وأخرجه ابن ماجة فى (السنن): ٢/ ١٠٧٨ - ١٠٨٠، كتاب الصيد، باب (١٦) الضب، من حديث رقم (٣٢٣٨)، إلى حديث رقم (٣٢٤٢).

وأخرجه الإمام مالك فى (الموطأ): ٦٨٧ - ٦٨٨، ما جاء فى أكل الضب، من حديث رقم (١٧٦١)، إلى حديث رقم (١٧٦٣).

وأخرجه ابن أبى شيبة فى (المصنف): ٥/ ١٢٢ - ١٢٤، باب (٩)، ما قالوا فى أكل الضب، من حديث رقم (٢٤٣٣١) إلى حديث رقم (٢٤٣٥٣).

قال الخطّابى: وقد اختلف الناس فى أكل الضب، فرخّص فيه جماعة من أهل العلم، وروى ذلك عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه، وإليه ذهب مالك بن أنس، والأوزاعى، والشافعى، وكرهه قوم روى ذلك عن على رضى الله عنه، وبه قال أبو حنيفة وأصحابه، وقد روى فى النهى عن لحم الضب حديث ليس إسناده بذلك، ذكره أبو داود فى هذا الباب. (معالم السنن).

وأما أكله الحيس

فقد خرّج أبو داود من حديث عمرو بن سعيد، عن رجل من أهل البصرة، عن عكرمة، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان أحب الطعام إلى رسول الله ﷺ الثريد من الخبز الثريد من الحيْس[1]. [قال أبو داود: وهو ضعيف][2].

وخرجه ابن حيَّان ولفظه: كان أحب الطعام إلى رسول الله ﷺ الثريد من التمر ومن الحيس[3].

وخرج النسائى من حديث ابن الأحوص، عن طلحة بن يحى [بن طلحة] عن مجاهد، عن عائشة رضى الله عنها قالت: دخل علىّ رسول الله ﷺ [يومًا] فقال: هل عندكم شيء؟ فقلت: لا، قال ﷺ: فإنى صائم، ثم مرّ بى بعد ذلك وقد أُهدى لنا حَيْسٌ، فخبأت له منه، وكان يحب الحيس، قُلتُ: يا رسول الله! إنى أُهدى لنا حيس فخبأت لك منه، قال: أُدنيه، أما إنى قد أصبحتُ وأنا صائم، وأكل منه ثم قال: أما مثل صوم المتطوع مثل الرجل يُخرج من ماله الصدقة، فإن شاء أمضاها، وإن

(١) (سنن أبى داود): ٤ / ١٤٧، كتاب الأطعمة، باب (٢٣) حديث رقم (٣٧٨٣).

(٢) زيادة للسياق من (المرجع السابق).

(٣) (أخلاق النبى): ١٩٣، ٢٠١، ٢١١، (اتحاف السادة المتقين): ٨/ ٢٣٩، وأخرجه الحاكم فى (المستدرك): ٤ / ١٢٩، كتاب الأطعمة، حديث رقم (٧١١٧) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبى فى (التلخيص): صحيح.

شاء حبسها(١).

* * *

---

(١) (سنن النسائى): ٤/ ٥٠٦ - ٥٠٨، كتاب الصيام، باب (٦٧) النية فى الصيام والاختلاف على طلحة بن يحى بن طلحة في خبر عائشة حديث رقم (٢٣٢١)، حديث رقم (٢٣٢٢)، حديث رقم (٢٣٢٣)، وحديث رقم (٢٣٢٤)، وحديث رقم (٢٣٢٥)، وحديث رقم (٢٣٢٧)، وحديث رقم (٢٣٢٩) بسياقات مختلفة عن عائشة رضى الله عنها.

و (مسلم بشرح النووى): ٧/ ٢٨٢ - ٢٨٣، كتاب الصيام، باب (٣٢) جواز النافلة بنية من النهار قبل الزوال، وجواز فطر الصائم نفلاً من غير عذر، حديث رقم (١٦٩)، حديث رقم (١٩٠).

و (سنن الترمذى): ٤/ ١١١، كتاب الصوم، باب (٣٥) صيام المتطوع بغير نية، حديث رقم (٧٣٤)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن.

و (سنن أبى داود): ٢/ ٨٢٤ - ٨٢٥، كتاب الصوم، باب (٧٢) الرخصة فى [النية فى الصيام]، حديث رقم (٢٤٥٥).

وأما أكله الثَّفَل

فقد خرّج الحاكم من حديث عباد بن العوام، عن حميد، عن أنس رضى الله عنه قال: إن النبى ﷺ كان يعجبه الثفل، قال: فسمعت أبا محمد يقول: سمعت أبا بكر محمد بن إسحاق يقول: الثُّفَل هو الثريد(١).

ومن حديث المبارك بن سعيد، عن عمر بن سعيد، عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان أحب الطعام إلى رسول الله ﷺ الثريد. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. فإن عمر بن سعيد هذا، هو أخو سفيان والمبارك ابنا سعيد(٢).

وخرَّج ابن حيَّان من حديث المبارك هذا، عن عمر، عن عكرمة قال: صنع سعيد بن جبير طعامًا ثم أرسل إلى ابن عباس: ائتنى أنت ومن أحببت من مواليك، فجاء وجئنا معه، فقال له: ائتنا، فإنه كان أحب الطعام إلى رسول الله ﷺ الثريد من الخبز(٣).

وللترمذى من حديث العلاء بن الفضل بن عبد الملك بن [أبى] سيبويه أبى الهذيل، حدثنا عُبيد الله بن عكراش عن أبيه عكراش [بن ذؤيب] قال: بعثنى بنو مرة بن عُبيد بصدقات أموالهم إلى رسول الله ﷺ، فقدمت [عليه] المدينة، فوجدته جالسًا بين المهاجرين والأنصار، ثم أخذ بيدى،

---

(١) (المستدرك): ٤/ ١٢٩، كتاب الأطعمة، حديث رقم (٧١١٦).

(٢) (المستدرك): ٤/ ١٢٩، كتاب الأطعمة، حديث رقم (٧١١٧)، وقال الذهبى فى (التلخيص): صحيح.

(٣) (أخلاق النبى): ١٩٣، ٢٠١، ٢١١، (سنن أبى داود): ٤/ ١٤٧، كتاب الأطعمة، باب (٢٣) فى أكل الثريد، حديث رقم (٣٧٨٣) قال أبو داود: وهو ضعيف.

فانطلق بى إلى بيت أم سلمة، فقال: هل من طعام؟ فأتتنا بجفنة كثيرة الثريد والوَذْر(١)، وأقبلنا نأكل منها، فخبطت بيدى من نواحيها، وأكل رسول الله ﷺ من بين يديه، فقبض [بيده اليسرى على يدى اليمنى] ثم قال: يا عكراش! كُلْ مِنْ موضع واحد، فإنه طعام واحد، ثم أتينا بطبق فيه ألوان من الرطب أو من التمر -شك عبيد الله- قال: فجعلت آكل من بين يدى، وجالت يد رسول الله ﷺ فى الطبق وقال: [يا عكراش] كل من حيث شئت، فإنه غير لون واحد، ثم أُتينا بماء، فغسل رسول الله ﷺ يديه، ومسح ببلل كفيه وجهه وذراعيه ورأسه وقال: يا عِكْراشُ، هذا الوضوء مما غيَّرت النار.

قال أبو عيسى: [هذا] حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث العلاء بن الفضل، وقد تفرّد العلاء بهذا الحديث، ولا يعرف لعكراش عن النبى ﷺ غير هذا الحديث(٢).

[ومن حديث] زيد بن ثابت رضى الله عنه، لم يدخل منزل النبى ﷺ هدية، أول هدية دخلت بها عليه، قصعة مثرودة خبزاً وسمناً ولبناً، فأضعها بين يديه فقلت: يا رسول الله! أرسلت بهذه القصعة أمى، فقال: بارك الله فيك، ودعا أصحابه فأكلوا، فلم أرم البيت حتى جاءت قصعة سعد بن عبادة، على رأس غلام مغطاه، فوضعت على باب أبى أيوب، وأكشفُ غطاءها لأنظر إليها، فرأيتُ عراق لحم، فدخل بها على رسول الله

---

(١) الوذر: قطع اللحم التى لا عظم فيها، والواحدة: وذرة.

(٢) (سنن الترمذى): ٤/ ٢٤٩ - ٢٥٠، كتاب الأطعمة، باب (٤١) ما جاء فى التسمية فى الطعام، حديث رقم (١٨٤٨)، وأخرجه ابن ماجة فى (السنن): ٢/ ١٠٨٩، ١٠٩٠ كتاب الأطعمة، باب (١١) الأكل مما يليك، حديث رقم (٣٢٧٤).

ﷺ فقال زيد : فلقد كُنّا بنى البخار ما من ليلة إلا على باب رسول الله ﷺ منا الثلاثة والأربعة، يختلفون الطعام يتناوبون بينهم، حتى تحرك رسول الله ﷺ من بيت أبى أيوب، وكان مقامه فيه سبعة أشهر، وما كانت تخطئه جفنة سعد بن عبادة، وجفنة أسعد بن زرارة كل ليلة(١).

* * *

(١) (طبقات ابن سعد): ١/ ٢٣٧.

وأمـا أكلـه اللحـم

فقد اتفقا على حديث الزهرى عن جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه أنه رأى رسول الله ﷺ يحتز من كتف شاة فى يده، فدعى إلى الصلاة، فألقاها والسكين التى كان يحتز بها، ثم قام فصلى ولم يتوضأ(١). وفى لفظ: أنه رأى رسـول الله ﷺ يحـتـز من كـتف شـاة يأكل منهـا، ثم صلى ولـم يتوضأ(٢). وفى لفظ آخر: إنى رأيت رسول الله ﷺ يأكل ذراعًا يحتز منها، فدعى إلى الصلاة، فقام فطرح السكين وصلى ولم يتوضأ(٣).

[وخرّج مسلم] من حديث بكير بن اللشيح عن كريب، عن ميمونة رضى الله عنها قـالت: إن النبى ﷺ أكل عندها كـتـفًا، ثـم صلى ولـم يتوضأ(٤).

---

(١) (فتح البارى): ٩/ ٦٨٣، كتاب الأطعمة، باب (٢٠) قطع اللحم بالسكين، حديث رقم (٥٤٠٨)، باب (٥٨) إذا حضر العشاء فلا يعجل عن عشائه، حديث رقم (٥٤٦٢).

(٢) (فتح البارى): ١/ ٤١١، كتاب الوضوء، باب (٥٠) من لم يتوضأ من لحم الشاة والسويق، حديث رقم (٢٠٨).

(٣) (فتح البارى): ٩/ ٦٨٨ - ٦٨٩، باب (٢٦) شاة مسموطة والكتف والجنب، حديث رقم (٥٤٢٢).

وأخرجه البخارى فى كتاب الأذان، باب (٤٣) إذا دُعى الإمام إلى الصلاة وبيده ما يأكل، حديث رقم (٦٧٥)، وفى كتاب الجهاد والسير، باب (٩٢)، ما يذكر فى السكين، حديث رقم (٢٩٢٣)، وفى كتاب الأطعمة، باب (١٨) النهش وانتشال اللحم، حديث رقم (٥٤٠٤)، (٥٤٠٥) بسياقات مختلفة.

وأخرج مسلم ما اتفق مع البخارى فيه من أحاديث الباب فى: (صحيح مسلم): كتاب الحيض، باب (٢٤) نسخ الوضوء مما مسته االنار، حديث رقم (٩١)، (٩٢)، (٩٣).

(٤) (مسلم بشرح النووى): ٤/ ٢٨٥، كتاب الحيض، باب (٢٤) نسخ الوضوء مما مسته النار، حديث رقم (٣٥٦).

[وله] من حديث سعيد بن أبى هلال، عن عبد الله بن عبيد الله بن أبى رافع، عن أبى عطفان، عن أبى رافع قال: أشهد لقد كنت أشوى لرسول الله ﷺ بطن الشاة، ثم صلى ولم يتوضأ(١).

[ولأبى داود] من حديث [مسعر] عن أبى [صخرة] جامع بن شداد، عن المغيرة بن عبد الله، عن المغيرة بن شعبه رضى الله عنه قال: ضفت(٢) النبى ﷺ ذات ليلة، فأمر بجنب فُشوى، وأخذ الشفرة فجعل يَحزّ [لى] بها منه، فجاء بلال فآذنه بالصلاة [قال]: فألقى الشفرة وقال: ماله! تربت يداه(٣)، وقام يصلى(٤).

---

(١) (المرجع السابق)، حديث رقم (٣٥٧).

(٢) أى كنت ضيفًا عليه ﷺ.

(٣) قوله: «تربت يداه»: كلمة يقولها العرب عند اللوم والتأنيب، ومعناه الدعاء عليه بالفقر والعدم، وهم يطلقونها فى كلامهم، وهم لا يريدون وقوع الأمر، ولما كثر ذلك فى كلامهم ودام استعمالهم له فى خطابهم صار عندهم بمعنى اللغو، كقولهم: لا والله، وبلى والله، وذلك من لغو اليمين الذى لا اعتبار به ولا كفارة فيه، ويقال: ترب الرجل إذا افتقر، وأترب إذا استغنى، ومثل هذا قوله ﷺ: فعليك بذات الدين تربت يداك. (معالم السنن).

وفى الخبر دليل على أن الأمر بالوضوء مما غيرت النار استحباب لا أمر ايجاب، وفيه جواز قطع اللحم بالسكين، وقد جاء النهى عنه فى بعض الأحاديث، ورويت الكراهة فيه والأمر النهى، ويشبه أن يكون المعنى فى ذلك كراهية زى العجم واستعمال عاداتهم فى الأكل، [ولا سيما أنهم يقطعون باليد اليمنى ويأكلون باليد اليسرى، وذلك منهى عنه فى شرع ديننا وسنة نبينا ﷺ].

(٤) (سنن أبى داود): ١ / ١٣١ - ١٣٢، كتاب الطهارة، باب (٧٥) ترك الوضوء مما مست النار، حديث رقم (١٨٨)، وزاد فى آخره: وكان شاربى وفى فقصه لى على سواك، أو قال: أقصه لك على سواك.

وأخرجه الترمذى فى (السنن): ٤ / ٢٤٤، كتاب الأطعمة، باب (٣٤)، ما جاء فى أى اللحم كان أحبَّ إلى رسول الله ﷺ، حديث رقم (١٨٣٧)، قال: وفى الباب عن ابن مسعود، وعائشة، وعبد الله بن جعفر، وأبى عبيدة. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وأبو حيان اسمه يحى ابن سعيد بن حيان، وأبو زرعة بن عمرو بن جرير اسمه هَرِمٌ.

وأخرجه النسائى فى (السنن): ١ / ١١٦، كتاب الطهارة، باب (١٢٣) ترك الوضوء مما =

[وخرج الحاكم] من حديث ابن علية، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن عبد الرحمن بن معاوية، عن عثمان بن أبى سليمان، عن صفوان بن أمية قال: كنتُ آكل مع النبى ﷺ، وآخذ اللحم من العظم [بيدى] فقال: [يا صفوان، قلت: لبيك] قال : أُدْن العظم من فيك فإنه أهنأ وأمرأ. [خرّجه] الحاكم وقال: حديث صحيح(١).

[ومن] حديث زهير عن ابن إسحاق عن سعد بن عياض، عن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه قال: كان أحب العُراق إلى رسول الله ﷺ عُراق الشاة. [قال: صحيح] الإسناد، وقال: كان النبى ﷺ يعجبه الذراع(٢).

[وخرّج] من حديث سفيان، حدثنا مسعر قال: سمعت رجلاً من تيم يقول: سمعت عبد الله بن جعفر رضى الله عنه يقول: كنا عند رسول الله ﷺ، فأتى بلحم، فجعل القوم يلقمون اللحم، فقال ﷺ: أطيب اللحم لحم الظهر(٣).

[ومن] حديث خالد بن عبد الله عن أبى حيان، عن أبى زرعة، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: إن النبى ﷺ أتى بلحم، فرفعت إليه الذراع،

= غيرت النار، حديث رقم (١٨٢)، (١٨٣) وانفرد به النسائى.

وأخرجه ابن ماجة فى (السنن): ١ / ١٦٤ – ١٦٥، كتاب الطهارة وسننها، باب (١٦) الرخصة فى [ترك الوضوء مما مسّته النار، حديث رقم (٤٨٨)، (٤٩١)، (٤٩٣).

(١) (سنن الترمذى): ٤ / ٢٤٤، كتاب الأطعمة، باب (٣٤) ما جاء فى أى اللحم كان أحب إلى رسول الله ﷺ، حديث رقم (١٨٣٧)، (١٨٣٨)، (سنن أبى داود): ٤ / ١٤٦، كتاب الأطعمة، باب (٢١) فى أكل اللحم، حديث رقم ((٣٧٨).

(٢) (المستدرك): ٤ / ١٢٤، حديث رقم (٧٠٩٧) بسياقة أخرى، وحديث رقم (٧٠٩٩) بسياقة وطريق أخرى.

(٣) (سنن الترمذى): ٤ / ٢٤٤، كتاب الأطعمة، باب (٣٤) ما جاء فى أى اللحم كان أحب إلى رسول الله ﷺ، حديث رقم (١٨٣٧).

وكانت تعجبه [فَنَهَس منها](١).

[وللترمذى] من حديث إبان بن يزيد، عن قتادة عن شُهر بن حوشب عن أبى عبيد قال: طبخت للنبى ﷺ قدرًا، وكان يعجبه الذراع، فناولته الذراع ثم قال: ناولنى الذراع، فناولته، ثم قال: ناولنى الذراع، فقلت: يا رسول الله! وكم للشاة من ذراع؟ فقال: والذى نفسى بيده لو سكت لناولتنى الذراع ما دعوت(٢).

---

(١) زيادة للسياق من (سنن الترمذى)، (الشمائل المحمدية) : ١٤٠، حديث رقم (١٦٨)، وهو حديث صحيح أخرجه البخارى ومسلم وغيرهم من حديث أبى زرعة عن أبى هريرة.

(٢) (الشمائل المحمدية) : ١٤١، حديث رقم (١٧٠)، وهو حديث صحيح لغيره، وتفرد به الترمذى، وفى سنده ضعف، فرجاله ثقات غير شهر بن حوشب، فهو ضعيف، وقال عنه الحافظ: صدوق كثير الإرسال والأوهام، وللحديث شواهد لصحة هذه القصة:

فقد أخرجه كل من: الإمام أحمد فى (المسند) : ٢/ ١٤٤، حديث رقم ((٥٠٧) وفيه: « فقال: وأبيك لو سكت مازلت أناول منها ذراعًا ما دعوت به »، فقال سالم: أما هذه فلا سمعتُ عبد الله بن عمر يقول، قال رسول الله ﷺ : إن الله تبارك وتعالى نهاكم أن تحلفوا بآبائكم، ٣/ ٣٢٢ - ٣٢٣، حديث رقم (١٠٣٢٨)، ٤/ ٥٣٥ - ٥٣٦، حديث رقم (١٥٥٣٧).

وأبو نعيم فى (دلائل النبوة) : ٢/ ٤٣٦، الفصل الثالث والعشرون، ذكر الأخبار التى أخرجتها أسلافنا فى جملة دلائله ﷺ : قصة أذرع وأكتاف الشاة، حديث رقم (٣٤٦).

وتفرد أبو نعيم بالحديث رَقم (٣٤٧) من حديث محمد بن سيرين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: أن النبى ﷺ لم يكن يعجبه من الشاة إلا الكتف، وذبح ذات يوم شاة فقال: يا غلام ائتنى بالكتف فأتاه بها، ثم قال له أيضا، فأتاه بها، ثم قال له أيضا، فأتاه بها، ثم قال: يا رسول الله! ذبحتُ شاة واحدة، وقد أتيتك بثلاثة أكتاف، فقال له رسول الله ﷺ : لو سكتَّ لجئت بها ما دعوتُ.

قال الشيخ: ووجه الدلالة من هذا الإخبار إعلامه ﷺ فضيلتهُ بأن الله تعالى يعطيه إذا سأل ما لم تجر العادة به، تفضيلاً له وتخصيصًا، ليكون ذلك آية له فى نفسه، ورفعة له فى مرتبته، وإبانة له فى الكرامة عن الخليقة، أن لو التمس أذرعًا لكان الله تعالى يجيبه إلى مسألته.

وأخرجه أبو محمد عبد الله الدارمى فى (السنن) : ١/ ٢٢. وبهذه الطرق نجد أن قصة الذراع صحيحة، والحمد لله تعالى.

[ ] من حديث طالوت بن عباد، حدثنا سعيد بن راشد حدثنا محمد بن سيرين، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ لم يكن يعجبه فى الشاة إلا الكتف[1].

[وخرّج] الحاكم من حديث عبدان قال: [أنبأنا][2] الفضل بن موسى قال: إن النبى ﷺ وأبا بكر وعمر رضى الله عنهما، أتوا بيت أبى أيوب، فلما أكلوا وشبعوا، قال النبى ﷺ: خبز، ولحم، وتمر [وبُسر][3] ورطب إذا أصبتم مثل هذا، فضربتم بأيديكم فكلوا باسم الله، وبركة الله[4]. قال: هذا حديث صحيح الإسناد [ولم يخرجاه][3].

ومن حديث مسدّد، حدثنا يحى بن سليم المكى، حدثنا إسماعيل بن كثير، عن عاصم بن لقيط بن صبرة، عن أبيه قال: كنت وافد بنى المنتفق إلى رسول الله ﷺ، فقدمنا على رسول الله ﷺ فلم نصادفه فى منزله، وصادفنا عائشة [أم المؤمنين] فأمرت لنا بحريرة، فصنعت لنا، وأتتنا بقناع- والقناع الطبق فيه تمر- ثم جاء رسول الله ﷺ فقال: هل أصبتم شيئًا أو آمر لكم بشىء؟ فقلنا: نعم يا رسول الله، فبينما نحن مع رسول الله ﷺ جلوس، قال: فدفع الراعى غنمه إلى المراح، ومعه سخلة [تنفر][3]، فقال رسول الله ﷺ: ما ولدت يا فلان؟ قال[3]: [بهمة] قال ﷺ: فاذبح لنا مكانها شاة [ثم أقبل علينا][3] فقال: لا تحسبن أنَّا من أجلكم ذبحناها، لنا غنم مائة ولا نريد أن تزيد، فإذا [ولد الراعى بهمة ذبحنا مكانها] شاة، [قال][1] قلت: يا رسول الله، إن لى امرأة [فذكر من طول

(١) راجع التعليق السابق وما بين الحاصرتين مطموس بالأصلين بقدر كلمتين.

(٢) فى (ج): «أخبرنا»، وما أثبتناه من (المستدرك).

(٣) زيادة للسياق من (المرجع السابق).

(٤) (المستدرك): ٤/ ١٢٠، كتاب الأطعمة، حديث رقم (٧٠٨٤)، وقال الذهبى فى (التلخيص): صحيح.

لسانها وبذائها، فقال: طلقها، فقلت:][1] إن لى منها ولداً، قال: فمرها يقول عظْها، فإن يك فيها خير فستفعل، ولا تضرب ظعينتك كضرب أَمَتِكَ، قال: قلت: يا رسول الله أخبرنى عن الوضوء، قال: أسبغ الوضوء، وخَلل الأصابع، وبالغ فى الاستنشاق إلا أن تكون صائمًا. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد[2]. [ولم يخرجاه].

ومن حديث عفان بن مسلم، حدثنا أبو عوانة عن الأسود بن قيس عن نبيح العنزى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: لما قُتل أبى.. فذكر الحديث بطوله، وقال فيه: قلت لامرأتى: إن رسول الله ﷺ يجيئنا اليوم نصف النهار، فلا تُؤذى رسول الله ﷺ ولا تكلميه، قال: فدخل وفرشت له فراشًا ووسادة، فوضع رأسه ونام، فقلت لمولى لى: اذبح هذا العناق، وهى داجن سمينة، والوحا والعجل، افرغ قبل أن يستيقظ رسول الله ﷺ، وأنا معك، فلم نزل فيها حتى فرغنا منها وهو نائم، فقلت له: إن رسول الله إذا استيقظ يدعو بالطهور، وإنى أخاف إذا فرغ أن يقوم فلا يفرغن من وضوئه حتى نضع العناق بين يديه، فلما قام [قال:][3] يا جابر ائتنى بطهور، فلم يفرغ من وضوئه[4] حتى وضعتُ العناق بين يديه، فنظر إلىّ وقال: كأنك قد علمت حبنا اللحم[5]، أُدع لى أبا بكر، ثم دعا حوارييه الذين معه، فدخلوا، فضرب رسول الله ﷺ بيده وقال: بسم الله، كلوا، فأكلوا حتى شبعوا، وفضل منها لحم كثير. وذكر باقى الحديث. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد[1]، [ولم يخرجاه][2].

---

(١) زيادة للسياق من (المرجع السابق).

(٢) (المستدرك): ٤ / ١٢٣، كتاب الأطعمة، حديث رقم (٧٠٩٤)، وقال الذهبى فى (التلخيص): صحيح، وما بين الحاصرتين زيادة من (المستدرك).

(٣) زيادة للسياق من (المستدرك).

(٤) كذا فى (ج)، وفى (المستدرك): «من طهوره».

(٥) فى (المستدرك): «كانك عملت حيسًا بلحم»، وما أثبتناه من (ج)، وهو أجود للسياق.

[وله] من حديث حبيب بن الشهيد، عن عمرو بن دينار، عن جابر رضى الله عنه قال: أمرنى أبى بحريرة فصنعت، ثم أمرنى فحملتها إلى رسول الله ﷺ، فإذا هو فى منزله، فقال: ما هذا يا جابر؟ ألحم هذا؟ قلت: لا يا رسول الله، ولكنها حريرة أمر بها أبى فصنعت، ثم أمرنى فحملتها إليك، ثم رجعت إلى أبى فقال: هل رأيت رسول الله ﷺ؟ قلت: نعم، قال: فما قال لك؟ قلت: قال لى: ألحم هذا يا جابر؟ قال أبى: عسى أن يكون رسول الله ﷺ اشتهى اللحم، فقام إلى داجن له فذبحها وشواها، ثم أمرنى بحملها إليه، فقال رسول الله ﷺ: جزى الله الأنصار عنَّا خيرًا، ولا سيما عبد الله بن عمرو بن حرام، وسعد بن عبادة. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد(٣). [ولم يخرجاه](٢).

وله من حديث على بن عاصم، حدثنا عبيد الله بن أبى بكر بن أنس قال: سمعتُ أنسًا رضى الله يقول: أنفجتُ أرنبًا بالبقيع، فاشتددنا فى إثرها، فكنتُ فيمن اشتدّ، فسبقتهم إليها فأخذتها، فأتيتُ بها أبا طلحة، فأمر بها فذبحت ثم شويت، فأخذ عجزها فأرسل به معى إلى النبى ﷺ فقال: ما هذا؟ قلت: عجز أرنب، بعث بها أبو طلحة إليك، فقبله منى. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، [ولم يخرجاه](٤).

---

(١) (المستدرك): ٤/ ١٢٣ - ١٢٤، كتاب الأطعمة، حديث رقم (٧٠٩٦)، قال الذهبى فى (التلخيص): صحيح.

(٢) زيادة للسياق من (المرجع السابق).

(٣) (المستدرك): ٤/ ١٢٤ - ١٢٥، كتاب الأطعمة، حديث رقم (٧٠٩٩)، قال الذهبى فى (التلخيص): صحيح.

(٤) (المستدرك): ٤/ ١٢٥، كتاب الأطعمة، حديث رقم (٧١٠٠)، وقال الذهبى فى (التلخيص): صحيح.

وأما أكله القُلْقَاس

فقال الدولابى(١): أهدى أهل أيلة إلى النبى ﷺ القلقاس فأكله وأعجبه وقال: ما هذا؟ فقالوا: شحمة الأرض، فقال ﷺ، إن شحمة الأرض لطيبة.

وأما أكله القَديد

فخرَّج البخارى من حديث مالك، عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة، أنه سمع أنسًا رضى الله عنه يقول: إن خياطًا دعى رسول الله ﷺ لطعام صنعه له، فذهبتُ مع رسول الله ﷺ إلى ذلك الطعام، فقرب إلى رسول الله ﷺ خبزًا من شعير ومرقًا فيه دُباء وقديد.. الحديث، وترجم عليه باب: من ناول أو قدم إلى صاحبه على المائدة شيئًا، [وذكره] فى باب من يتبع حوالى القصعة مع صاحبه، [وذكره] فى البيوع فى باب: الخياط، [وذكره] فى الأطعمة فى باب: القديد، [وخرجه] مسلم وأبو داود بنحوه أو قريبًا منه(١).

---

(١) هو أبو بشر، محمد بن أحمد بن حماد أبو سعيد الدُّوْلابى، نسبة إلى الدُّولاب - [وهى قرية من أعمال الرى، وبالأهواز قرية يقال لها: الدولاب] - مولى الأنصار، ويعرف بالوراق، أحد الأئمة من حفاظ الحديث، وله تصانيف حسنة فى التاريخ وغير ذلك وروى عنه جماعة كثيرة منهم الطبرانى، وأبو حاتم بن حبان البستى، توفى وهو قاصد الحج بين مكة والمدينة فى ذى القعدة سنة (٣١٠)، له ترجمة فى (البداية والنهاية): ١١/ ١٦٥، (سير الأعلام): ١٤/ ٣٠٩، (الوافى بالوفيات): ٢/ ٣٦، (ميزان الاعتدال): ٤/ ٤٥٩، (وفيات الأعيان): ٤/ ٣٥٢ - ٣٥٣، (شذرات الذهب) ٢/ ٢٦٠.

[وخرّج] ابن حيّان من حديث الحسن بن واقد قال: أخبرنا أبو الزبير عن جابر رضى الله عنه قال: أكلنا القديد مع رسول الله ﷺ. [وقد] أورد مالك رضى الله تعالى عنه هذا الحديث كما تقدم أولاً(١).

[قال] ابن عبد البر: هكذا الحديث فى الموطأ عند جميع رواته [و] زاد العقبى وابن بكير فى حديث مالك هذا الحديث عن إسحاق عن أنس رضى الله عنه، ذكر القديد فقالا: بطعام فيه دباء وقديد [و] تابعهما على ذلك قوم، منهم أبو نعيم.

وأمّا أكله المَنّ

فخرج الإمام أحمد من حديث يزيد بن هارون فقال: أخبرنا سفيان -يعنى ابن حسين- عن على بن زيد، عن أنس رضى الله عنه قال: أهدى الأكيدر لرسول الله ﷺ جَرَّةً مِنْ مَنّ، فلما انصرف رسول الله ﷺ من الصلاة، مرّ على القوم، فجعل يعطى كل رجل منهم قطعة، وأعطى جابراً رضى الله عنه قطعة، ثم إنه رجع إليه فأعطاه قطعة أخرى، فقال: إنك قد أعطيتنى مرة، فقال ﷺ هذه لبنات عبد الله(٢).

(١) سبق تخريجه.

(٢) (مسند أحمد): ٣/ ٥٧١، حديث رقم (١١٨١٥).

وأما أكله الجُبْنَة

فخرج الإمام أحمد من حديث شريك عن جابر، عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: أُتى النبى ﷺ بجبنةٍ فى غزاة، فقال ﷺ: أين صُنعت هذه؟ قالوا: بفارس، ونحن نرى أنه يجعلُ فيها مَيْته، فقال ﷺ: اطعنوا فيها بالسكين، واذكروا اسم الله تعالى وكلوا(١) - [ذكره شريك مرة أخرى فزاد فيه -: يضربونها بالعصى](٢).

ومن حديث وكيع، حدثنا إسرائيل عن جابر عنْ عكرمة، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: إن النبى ﷺ أُتى بجبنة فجعل أصحابه يضربونها بالعصىّ، قال رسول الله ﷺ: ضعوا السكين، واذكروا اسم الله تعالى وكلوا(٣).

[قال] الواقدى: وأُتى رسول الله ﷺ بجبنة بتبوك، فقالوا: يا رسول الله! إن هذا طعام تصنعه فارس، وإنا نخشى أن يكون فيه ميته، فقال رسول الله ﷺ: ضعوا فيه السكين واذكروا اسم الله تعالى(٤).

[وخرج] أبو داود من حديث إبراهيم بن عيينة، عن عمرو بن منصور، عن الشعبى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: أُتى النبي ﷺ بجبنة في تبوك فدعى بسكين، فسمّى وقطع(٥).

[قال:] الخطّابى: إن ما جاء به أبو داود من أجل أن الجبن كان يعمله قوم

---

(١) مسند أحمد): ١/٤٩٨، حديث رقم (٢٧٥٠).

(٢) زيادة للسياق من (المرجع السابق).

(٣) (مسند أحمد): ١/٣٨٧، حديث رقم (٢٠٨١).

(٤) (مغازى الواقدى): ٣/١٠١٩.

(٥) (سنن أبى داود): ٤/١٦٩، كتاب الأطعمة، باب (٣٩) أكل الجبن، حديث رقم (٣٨١٩).

من الكفـار لا تحل ذكـاتهـم، وكـانوا يعـقـدونهـا بالأنافح[1]، وكـــان من المسلمين من يشاركهم فى صنعة الجبن، فأباحه النبى ﷺ على ظاهر الحال، ولم يمتنع من أكله، من أجل مشاركة الكفار المسلمين فيه[2].

[قال مؤلفه] عفى الله عنه: فى دعوى أبى سليمان[3] رحمه الله، أن من المسلمين من كان يشارك المشركين في عمل الجبن، يتوقف على النقل، ولم يكن إذ ذاك بفارس ولا بالشام أحد من المسلمين، فتأمله.

[وقد] خرج هذا الحديث أبو حاتم البستى، [وقال] أبو حاتم الرازى: الشعبى لم يسمع من ابن عمر رضى الله عنهما. [وقال] غير واحد: إنه سمع عليه [ ] إبراهيم بن عيينة، أخو سفيان بن عيينة[4].

وأما أكله الشواء

فقد تقدم حديث أبى رافع: أشهد كنتُ أشوى لرسول الله ﷺ بطن الشاة[5]. [و] حديث المغيرة: ضفت النبى ﷺ فأمر بجنب فشوى[6].

---

(١) الأنافح: جمع إنفحة، وهى جزء فى معدة الحيوان ذي الكرش، وهى شىء يستخرج، ويعصر في صوفة مبتلة في اللبن، فيغلظ كالجبن، وينفحة: لغة فيها- (لسان العرب): ٢/ ٦٢٤ مختصراً.

(٢) (معالم السنن): ٤/ ١٦٩، [على هامش سنن أبى داود].

(٣) هو الخطَّابى، صاحب (معالم السنن). شرح (سنن أبي داود).

(٤) (علل الحديث لابن أبى حاتم): ٢/ ٦، علل أخبار الأطعمة، حديث رقم (١٤٨٨).

(٥) سبق تخريجه.

(٦) (الشمائل المحمدية): ١٣٩، حديث رقم (١٦٧) وهو حديث صحيح الإسناد، وللترمذى فى (السنن): ٤/ ٢٤٠، كتاب الأطعمة ، باب (٢٧) ما جاء فى أكل الشواء حديث رقم (١٨٢٩) من حديث أم المؤمنين أم سلمة رضي الله تعالي عنها.

[و] حديث أنس رضي الله عنه: أنفجت(١) أرنبًا، وفيه: فذبحت ثم شويت(٢).

[وخرّج] الترمذى من حديث ابن لهيعة عن سليمان بن زياد، عن عبدالله بن الحارث قال: أكلنا مع رسول الله ﷺ شواءً فى المسجد(٣).

وأما أكله الدَّجَاج

فخرج البخارى من حديث سفيان، عن أيوب عن أبى قلابة عن زهدم الجرمى، عن أبى موسى [الأشعرى] رضى الله عنه قال: رأيت النبى ﷺ يأكل دجاجًا، لم يذكر غير هذا. ذكره بطوله فى باب: لاتحلفوا بآبائكم، في كتاب: الخمس(٤). [و] ذكره مسلم من

---

(١) أنفجتُ : أثرتُ.

(٢) أخرجه البخارى في الهبة، والذبائح، ومسلم فى الصيد، والترمذى في الأطعمة، والنسائى فى الصيد.

ووقع في (الهداية) للحنفية: أن النبى ﷺ أكل من الأرنب حين أهدى إليه مشويًا، وأمر أصحابه بالأكل منه. (فتح البارى): ٩ / ٨٢٦، كتاب الذبائح والصيد، باب (٣٢) الأرنب، تعليقًا على الحديث رقم (٥٥٣٥).

(٣) (الشمائل المحمدية): ١٣٨-١٣٩، حديث رقم (١٦٦)، وهو ضعيف الإسناد، فى إسناده عبدالله بن لهيعة وهو ضعيف، وباقى رجاله ثقات، وأخرجه ابن ماجة في (السنن): ٢ / ١١٠٠، كتاب الأطعمة، باب (٢٩) الشواء، حديث رقم (٣٣١١)، قال فى (الزوائد): في إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف.

وخرج أبو داود في (السنن): ٤ / ١٥٢، كتاب الأطعمة، باب (٢٧) فى أكل الأرنب، (حديث رقم (٣٧٩١) عن أنس قال: كنت غلامًا حَزَوَّرًا [مراهقًا حاذقًا] فصدتُ أرنبا فشويتها، فبعث معى أبو طلحة بعجُزها إلى النبى ﷺ، فَاَتَيتُه بها فقبلها.

(٤) هذا الحديث أخرجه البخارى في كتاب فرض الخمس، باب (١٥) ومن الدليل على أن الخمس لنوائب المسلمين ما سأل هوازن النبى ﷺ برضاعه فيهم....، حديث رقم (٣١٣٣)، وفيه: «فاتى =

طرق(٢).

[وخرجه] الدارمي بهذا السند، ولفظه: قال: كنا عند أبي موسى رضى الله عنه، فقدم طعامه لحم دجاج، وفي القوم رجل من بني تيم الله أحمر فلم يَدْنُ، فقال له أبو موسي رضى الله عنه: أُدْن، فإني رأيت رسول الله ﷺ يأكل منه(٣). [وفى] رواية عن أبي موسى رضى الله عنه: أنه ذكر الدجاج فقال: رأيت النبى ﷺ يأكله(٤).

= ذِكرُ دجاجة وعنده رجل من بنى تيم الله أحمر كأنه من الموالى، فدعاه للطعام»، وفي كتاب المغازى، باب (٧٥) قدوم الأشعريين وأهل اليمن، حديث رقم (٤٣٨٥)، وفيه: «وإنا لجلوسٌ عنده وهو يتغدَّى دجاجًا»، وفي كتاب الذبائح والصيد، باب (٢٦) لحم الدجاج، حديث رقم (٥٥١٧)، وفيه: «رأيت النبى ﷺ يأكل دجاجًا»، وحديث رقم (٥٥١٨)، وفيه: «فأتى ﷺ بطعام فيه لحم دجاج»، وفى كتاب الأيمان والنذور، باب (٤) لا تحلفوا بآبائكم، حديث رقم (٦٦٤٦)، وفيه: «فقُرِّب إليه ﷺ طعام فيه لحم دجاج»، وفى باب (٢١) الكفارة قبل الحنث وبعده، حديث رقم (٦٧٢١)، وفيه: «وقُدِّم من طعامه لحم دجاج»، وفى كتاب التوحيد، باب (٥٦) قول الله تعالى: ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾، ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾...، حديث رقم (٧٥٥٥)، وفيه: «فقُرِّب إليه الطعام فيه لحم دجاج».

وأخرجه مسلم من طرق: عن القاسم بن عاصم، عن زهدم الجرمى، وعن أبى قلابة والقاسم التميمى عن زهدم الجرمى، وعن مطر الوراق عن زهدم الجرمى، (مسلم بشرح النووى): ١١ / ١٢١-١٢٣، كتاب الأيمان، باب (٣) ندب من حلف يمينًا فرأى غيرها خيرًا منها وأن يأتى الذى هو خيراً ويكفر عن يمينه، حديث رقم (٩) وما بعده [بدون أرقام]. وزَهْدَم الجرمى: هو بزاى مفتوحة ثم هاء ساكنة، ثم دال مهملة مفتوحة. وفى الحديث إباحة لحم الدجاج وملاذ الأطعمة، ويقع اسم الدَّجاج علي الذكور والإناث، وهو بكسر الدال وفتحها. (مسلم بشرح النووى).

(٣) (سنن الدارمى): ٢ / ١٠٢، باب فى أكل الدجاج.

(٤) (المرجع السابق) : ٢ / ١٠٣.

وأخرجه الترمذى في (السنن): ٤ / ٢٣٩، كتاب الأطعمة، باب (٢٥) ما جاء فى أكل الدجاج، حديث رقم (١٨٢٦)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن، وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن زُهدم، ولا نعرفه إلا من حديث زهدم، وأبو العوَّام هو عمران القطان وحديث رقم (١٨٢٧)، قال أبو عيسى: وهذا حديث حسن صحيح، وقد روى أبو داود السختيانى هذا الحديث حسن صحيح، وقد روى السختيانى هذا الحديث أيضاً عن القاسم التميمى وعن أبي قلابة عن زهدم. =

وأما أكله لحم الحُبَارى

فخرج أبو داود والترمذى، من حديث بُرَيَّة بن عمر بن سفينة عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال: أكلت مع النبى ﷺ الحبارى[1]. [ويروى] عن بُرَيَّة هذا إبراهيم بن عبد الرحمن بن مهدلى، فعبد الرحمن هذا يروى عن بويه بن عمر، وجعفر بن سليمان [و] عبد السلام بن حرب [و] سفيان بن عيينة [و] أبو بكر بن عياش رحمهم الله. [ويروى] عنه الفضل ابن سهل الأعرج [و] أبو أمية محمد بن إبراهيم الطرسوسى، [و] يعقوب [و] عنه الفسوى [و] جماعة. [قال] ابن عدى: روى عن الثقات أحاديث مناكير، ولم أرَله حديثًا منكرًا يحكم من أجله على ضعفه[2]. [و] بُرَيَّة [قال] البخارى: إسناده مجهول[3].

[وخرج] النسائى فى فضائل علىّ رضى الله عنه، من كتابه

= وأخرجه الإمام أحمد فى (المسند): ٥/٥٣٦، حديث رقم (١٩٠٢٥)، ٥/٥٤٠، حديث رقم (١٩٠٦٠)، ٥/٥٥٥، حديث رقم (١٩١٤٢).

(١) (سنن أبى داود): ٤/١٥٥، كتاب الأطعمة، باب (٢٩) فى أكل لحم الحبارى، حديث رقم (٣٧٩٧)، (سنن الترمذى): ٤/٢٣٩، كتاب الأطعمة، باب (٢٦) ما جاء في أكل الحبارى، حديث رقم (١٨٢٨).

والحُبَارى – بضم الحاء بعدها باء موحدة مفتوحة – طائر كبير العنُق، رمادى اللون، لحمه بين الدجاج والبط، وهو من أشدِّ الطير طيرانًا.

(٢) وأخرجه ابن عدى فى (الكامل): ٢/٦٤، فى ترجمة برية بن عمر بن سفينة أبو عبد الله مدنى، اسمه إبراهيم، وبرية لقب غلب عليه. له ترجمة فى: (الكامل لابن عدى): ٢/٦٤ ترجمة رقم (٢٩٦/٥٣)، (الثقات): ٦/١١٩، (تهذيب التهذيب): ١/٣٧٩ – ٣٨٠، ترجمة رقم (٧٩٩).

(٣) (تاريخ البخارى): ٢/١٤٩، ترجمة رقم (٢٠١١).

(المجتبى)[١]، حدثنا زكريا بن حيى، حدثنا الحسن بن حماد قال: أخبرنا مهر بن عبد الملك، عن موسى بن عمر، عن السّدىّ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: إن النبى ﷺ كان عنده طائر فقال: اللهم ائتنى بأحب خلقك إليك يأكل معى من هذا الطير، فجاء أبو بكر رضي الله عنه فردّه، وجاء عمر رضى الله عنه فردّه، ثم جاء عليٌّ رضي الله عنه فأذن له. [وكان هذا] الطائر حبارى، أهدى إلى النبى[٢].

وأما أكله الخبيص

فخرج الحاكم من حديث الوليد بن مسلم، عن محمد بن حمزة بن عبدالله بن سلام، عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: إن النبى ﷺ كان في بعض أصحابه، إذ أقبل عثمان بن عفان رضى الله عنه يقود بعيراً عليه غرارتان، فقال له النبى ﷺ: ما معك؟ قال: دقيق وعسل وسمن، فقال له: أنخ، فأناخ، فدعا النبى النبى ﷺ ببرمة عظيمة، فجعل فيها من ذلك الدقيق والسمن والعسل، ثم أنضجه، فأكل النبى ﷺ وأكلوا، ثم قال لهم: كلوا، فإن هذا يُشبه خبيص أهل فارس. [قال] الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد[٣].

[وقال]: محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام هذا، يروى عنه معمر بن راشد، والوليد بن مسلم، وعبد الله بن سالم الحمصى.

[قال] أبو حاتم: لا بأس به، له حديث واحد، يعنى حديث الخبيص

---

(١) هو (سنن النسائى) [الصغرى].

(٢) لم أجده.

(٣) (المستدرك): ٤/ ١٢٢ - ١٢٣، حديث رقم (٧٠٩٣)، قال الذهبى فى (التلخيص): صحيح.

هذا، [و] خرّج له ابن ماجه، [و] وقد روى هذا الحديث عن محمد بن حمزة، الوليد بن مسلم، عنه محمد بن عبد العزيز بن الرملى وفلان، أخرجا له فى الصحيحين.

وأما أكله الهريس

قال الواقدى: ولما نزل رسول الله ﷺ وادى القرى، أهدى له بنو عريض اليهودى هريسًا، فأكلها رسول الله ﷺ](*).

وأطعمهم أربعين وسقًا، فهى جارية عليهم، تقول امرأة من يهود: لهذا الذى صنع بهم محمد، خير مما ورثوه من آبائهم، لأن هذا لا يزال جاريًا عليهم إلى يوم القيامة(١).

وقال البلاذرىّ: وقيل لأم أيوب: أى الطعام كان أحب إلى رسول الله ﷺ؟ فقالت: ما رأيته أمر بطعام يصنع له بعينه، ولا رأيته ذمّ طعامًا قط، ولكن أبا أيوب أخبرنى أنه تعشّى معه ليلة فى قصعة أرسل بها سعد بن عبادة، فيها طفشيل. فرآه ينهكها نهكًا لم يره ينهكه غيره، فكنا نعملها له، وكنا نعمل له الهريس فنراه يعجبه، وكان يحضره عشاءه الخمسة إلى الستة إلى العشرة، يعنى مدة مقامه في منزل أبى أيوب(٢).

قال: وروى أن أسعد بن زرارة كان يتخذ لرسول الله ﷺ الهريس ليلة

(*) إلى هنا سقط من النسخة (خ)، وأستدركناه من النسخة (ج).

(١) (مغازى الواقدى): ٣/ ١٠٠٦.

وأخرج أبو داود فى (السنن): ١/ ٦٠، كتاب الطهارة، باب (٣٨) سؤر الهرة، وفيه: عن أم صالح بن دينار - «أن مولاتها أرسلتها بهريسة إلى عائشة رضى الله عنها فوجدتها تصلى، فأشارت إليها أن ضعيها».

(٢) سبق تخريج هذا الخبر.

وليلة لا، فإذا كانت الليلة التي يتوقعها فيها قال: هل جاءت قصعة أسعد؟ فقال: نعم، فيقول: هلمّوا، فيعلم أنها تعجبه(١).

وأما أكله الزنجبيل

فخرج الحاكم من حديث شعبة قال: أخبرنى علي بن زيد قال: سمعتُ أبا المتوكل يحدث عن أبى سعيد الخدرىّ قال: أهدى ملك الهند إلى رسول الله ﷺ جرَّة فيها زنجبيل، فأطعم أصحابه قطعة قطعة، وأطعمنى منها قطعة. قال الحاكم [رحمه الله تعالى]: لم أخرِّج [من أول هذا الكتاب إلى هنا لعلى بن زيد بن جُدُعان [القرشىّ] حرفًا واحداً ولم أحفظ فى أكل رسول الله ﷺ [الزنجبيل سواه] فخرجته(٢).

* * *

(١) سبق تخريج هذا الخبر.

(٢) (المستدرك): ٤ / ١٥٠، كتاب الأطعمة، حديث رقم (٧١٩٠) وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه، قال الذهبى فى (التلخيص): هذا مما ضعَّفوا به عَمْراً، تركه أحمد. [وعمرو هذا هو عمرو بن حكام آخر رواة هذا الحديث قبل شعبة].

وأما تقزّزه أكل الضبّ وغيره

فخرج البخارى من حديث عبد العزيز بن مسلم، أخبرنا عبد الله بن دينار [قال]: سمعت ابن عمر يقول: قال النبى ﷺ: الضبّ لست آكله ولا أحرّمه[1].

وخرجه مسلم من حديث إسماعيل بن جعفر، عن عبد الله بن دينار، أنه سمع ابن عمر يقول: سُئل رسول الله ﷺ عن الضبّ فقال: لست بآكله ولا محرمه[2].

وأخرجه الترمذى[3] والنسائى[4] من حديث مالك، عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن النبى ﷺ سُئل عن أكل الضب فقال: لا آكله ولا أحرمه. وقال النسائى: سئل وهو على المنبر عن الضب. وقال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح[5].

---

(١) (فتح البارى): ٩/ ٨٢٧، كتاب الذبائح والصيد، باب (٣٣) الضب، حديث رقم (٥٥٣٦).

(٢) (مسلم بشرح النووى): ١٣/ ١٠٣ - ١٠٤، كتاب الصيد والذبائح، باب (٧) إباحة الضب، حديث رقم (١٩٤٣).

(٣) (سنن الترمذى: ٤/ ٢٢١ - ٢٢٢، كتاب الأطعمة، باب (٣) ما جاء فى أكل الضب، حديث رقم (١٧٩٠)، ثم قال: وفى الباب عن عمر، وأبى سعيد، وابن عباس، وثابت بن وديعة، وجابر، وعبد الرحمن بن حَسَنَة.

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وقد اختلف أهل العلم فى أكل الضب، فرخّص فيه بعض أهل من أصحاب النبى ﷺ وغيرهم، وكرهه بعضهم، ويروى عن ابن عباس أنه قال: أُكل الضَّبُّ على مائدة النبى ﷺ وإنما تركه ﷺ تَقَذُّرًا.

(٤) (سنن النسائى): ٧/ ٢٢٤، كتاب الصيد، باب (٢٦) الضب، حديث رقم (٤٣٢٥)، وفيه: «لا آكله ولا أحرمه»، وحديث رقم (٤٣٢٦)، وفيه «لستُ بآكله ولا محرمه».

(٥) راجع التعليق السابق.

وخرجه مسلم من حديث الليث، عن نافع عن ابن عمر قال: سأل رجل رسول الله ﷺ عن أكل الضب فقال: لا آكله ولا أحرّمه(١).

ومن حديث عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال: سأل رجل رسول الله ﷺ وهو على المنبر عن أكل الضب فقال: لا آكله ولا أحرمه(٢).

وذكره من عدة طرق عن نافع عن ابن عمر بمعنى حديث الليث عن نافع، غير أن في حديث أيوب عن نافع: أُتى رسول الله ﷺ بضبّ فلم يأكله ولم يحرمه.

وفي حديث أسامة(٣) [عن نافع قال: قام رجل في المسجد، ورسول الله ﷺ على المنبر](٤).

[وخرّج ابن حبان في (صحيحة) من حديث أبي خيثمة، حدثنا وكيع، حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب، عن عبد الرحمن بن حسنة قال: غزونا مع رسول الله ﷺ، فنزلنا أرضًا كثيرة الضباب ونحن مرملون، فأصبناها فكانت القدور تغلي بها، فقال النبي ﷺ: ما هذا؟ فقلنا: ضبابًا أصبناها، فقال: إن أمة من بني إسرائيل مُسخت، وأنا أخشى أن تكون

---

(١) (مسلم بشرح النووي): ١٣/ ١٠٤، كتاب الصيد والذبائح، باب (٧) إباحة الضب، حديث رقم (٤٠).

(٢) (المرجع السابق)، حديث رقم (٤١).

(٣) (المرجع السابق).

(٤) ما بين الحاصرتين سقط من النسخة (خ).

وأخرجه ابن حبان في (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان): ١٢/ ٧١ – ٧٢، كتاب الأطعمة، باب (٢) ما يجوز أكله وما لا يجوز، ذكر الإباحة للمرء أكل الضّباب إذا لم يَتَقَذّرْها، حديث رقم (٥٢٦٤)، وفيه: «كلوا فإنه حلال، ولكنه ليس من طعامي، وحديث رقم (٥٢٦٥)، وفيه: «لست بآكله ولا محرمه».

هذه، فأمرنا فكفأناها، وإنَّا لجِيَاع](١).

وخرَّج قاسم بن أصبغ من حديث الحسين بن واقد، عن أيوب، عن ابن عمر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ذات يوم: ليت عندنا خبزة بيضاء، من بُرّه سمراء، مليئة بسمن فنأكلها، فقام رجل فعملها، ثم جاء بها، فقال له النبى ﷺ: فيم كان سمنك؟ قال: فى عكة ضب، فعافه النبى ﷺ ولم يأكلها(٢).

وقال حدثنا مضر بن محمد، سمعت يحى بن معين يقول: أيوب الذى روى عنه حسين بن واقد عن نافع، عن ابن عمر «ليت لنا خبزة بيضاء»، ليس هو أيوب السجستانى.

ولمسلم من حديث شعبة، عن توبة العنبرى، سمع الشعبى، سمع ابن عمر، أن النبى ﷺ كان معه ناس من أصحابه فيهم سعد، وأتوا بلحم ضب، فنادت امرأة من نساء النبى ﷺ أنه لحم ضب، فقال رسول الله ﷺ: كلوا فإنه حلال، ولكنه ليس من طعامى(٣).

---

(١) (الإحسان بتقريب صحيح ابن حبان): ١٢/ ٧٣، كتاب الأطعمة، باب (٢) ما يجوز أكله وما لا يجوز، ذكر الإباحة للمرء أكل الضِّباب إذا لم يتقذرها، حديث رقم (٥٢٦٦)، ثم قال أبو حاتم: الأمر بإكفاء القدور التى فيها الضباب أمر قُصد به الزجر عن أكل الضباب، والعلة المضمرة هى أن النبى ﷺ كان يعافها لا أن أكلها محرم وما بين الحاصرتين سقط فى (خ).

وأخرجه ابن أبى شيبة فى (المصنف): ٥/ ١٢٢، كتاب الأطعمة، باب (٩)، ما قالوا فى أكل الضب، حديث رقم (٢٤٣٣١)، وأخرجه أبو جعفر الطحاوى فى (مشكل الآثار): ٤/ ٢٧٨، والإمام أحمد فى (المسند): ١/ ٦٤٤، حديث رقم (٣٦٩٢)، ١/ ٦٨٢، حديث رقم (٣٩١٥)، حيث قال فى كلا الحديثين: قال.. وذكر عنده القردة والخنازير، قال مسعر: آراه قال: والخنازير إنه مما مُسخ، فقال النبى ﷺ إن الله لم يمسخ شيئًا فيدعْ له نسلاً أو عاقبة، وقد كانت القردة أو الخنازير قبل ذلك.

(٢) (شرح معانى الآثار): ٤/ ١٦٩.

(٣) (مسلم بشرح النووى): ١٣/ ١٠٥، كتاب الصيد والذبائح، باب (٧) إباحة الضب، حديث رقم (١٩٤٤).

وللبخارى[١] ومسلم[٢] من حديث شعبة، عن توبة العنبرى قال: قال لى الشعبى: أرأيت حديث الحسن عن النبى ﷺ، وقاعدت ابن عمر قريبًا من سنتين، أو سنة ونصف، فلم أسمعه روى عن النبى ﷺ غير هذا، قال: كان ناس من أصحاب النبى ﷺ فيهم سعد، فذهبوا يأكلون من لحم، فنادتهم امرأة من [بعض] من أزواج النبى ﷺ أنه لحم ضبّ، فأمسكوا، فقال رسول الله ﷺ: كلوا أو اطعموا، فإنه حلال، أو قال: لا بأس به -شك فيه- ولكنه ليس من طعامى. اللفظ للبخارى، ذكره فى باب خبر الواحد، وانتهى منه مسلم إلى قوله: فيهم سعد، ثم قال بمثل حديث عبيد الله بن معاذ قال: أخبرنا أبى [قال]: حدثنا شعبة عن توبة.

وللبخارى[٣] ومسلم[٤] وأبى داود[٥]، من حديث مالك عن ابن شهاب، عن أبى أمامة بن سهل، عن عبد الله بن عباس، عن خالد بن الوليد رضى الله عنهما، أنه دخل مع رسول الله ﷺ بيت مأمونة، فأُتى بضب محنوذ، فأهوى إليه بيده، فقال بعض النسوة: أخبروا رسول الله ﷺ بما يريد أن يأكل، قالوا: هو ضب يا رسول الله، فرفع يده، فقلت: أحرام هو يا

---

(١) (فتح البارى): ١٣/ ٣٠٢، كتاب اخبار الآحاد، باب (٦) خبر المراة الواحدة، حديث رقم (٧٢٦٧)، قوله ﷺ: «فإنه حلال، ولكنه ليس من طعامى» أى ليس من المالوف له، فلذلك ترك اكله لا لكونه حرامًا.

(٢) (مسلم بشرح النووى): ١٣/ ١٠٥، كتاب الصيد والذبائح، باب (٧) إباحة الضب، حديث رقم (١٩٤٤).

(٣) (فتح البارى): ٩/ ٨٢٧، كتاب الذبائح والصيد، باب (٣٣) الضب، حديث رقم (٥٥٣٧).

(٤) (مسلم بشرح النووى): ١٣/ ١٠٥ - ١٠٦، كتاب الصيد والذبائح، باب (٧) إباحة الضب، حديث رقم (١٩٤٥).

(٥) (سنن أبى داود): ٤/ ١٥٣ - ١٥٤، كتاب الأطعمة، باب (٢٨) فى أكل الضب، حديث رقم (٣٧٩٤).

والمحنوذ: المشوى، ويقال: هو ما شُوِى بالرضف، وهى الحجارة المحماة، ومن هذا قوله تعالى: ﴿فجاء بعجل حنيذ﴾ [هود: ٦٩].

رسول الله؟ قال: لا، ولكنه لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه، قال خالد: فاحتززته فأكلته، ورسول الله ﷺ ينظر.

وقال أبو داود عن مالك بهذا الإسناد نحوه، إلا أنه قال: «فقال بعض النسوة اللاتى فى بيت ميمونة»، وقال مسلم عن مالك عن ابن شهاب عن أبى أمامة بن سهل بن حنيف، عن عبد الله بن عباس قال: دَخَلْتُ أنا وخالد بن الوليد مع رسول الله ﷺ بيت ميمونة، فأُتى بضبٍّ محنوذ فأهوى إليه رسول الله ﷺ، فقال بعض النسوة اللاتى فى بيت ميمونة: أخبِروا رسول الله ﷺ بما يريد أن يأكل، فرفع رسول الله ﷺ يده، فقلت: أحرام هو يا رسول الله ﷺ؟ قال: لا، ولكنه لم يكن بأرض قومى فأجدنى أعافه. قال خالد: فاحتززتُه فأكلُته، ورسول الله ينظر.

وذكره البخارى(١) فى كتاب الأطعمة في باب الشواء، من حديث مَعْمَر عن الزهرى، عن أبى أمامة بن سهل، عن ابن عباس عن خالد بن الوليد قال: أُتى النبى ﷺ بضب مشوىّ، فأهوى إليه ليأكل، فقيل [له]: إنه ضبٌّ، فأمسك يده، قال خالد: أحرام هو؟ قال: لا، ولكنه لا يكون بأرض قومى فأجدنى أعافه، فأكل خالد، ورسول الله ﷺ ينظر.

وأخرجاه أيضًا من حديث يونس عن الزهرى، عن أبي أمامة بن سهل، فذكره البخارى فى كتاب الأطعمة، وذكره مسلم فى كتاب الصيد والذبائح، ولفظه: أن عبد الله بن عباس أخبره أن خالد بن الوليد – الذي يقال له: سيف الله – أخبره أنه دخل مع رسول الله ﷺ عند ميمونة زوج

---

(١) (فتح البارى): ٩/ ١٧٧، كتاب الأطعمة، باب (١٤) الشواء وقول الله تعالى: ﴿فجاء بعجل حنيذ﴾، أى مشوى، حديث رقم (٥٤٠٠)، قوله تعالى: ﴿فجاء بعجل حنيذ﴾، كذا في الأصل، وهو سبق قلم، والتلاوة: ﴿فما لبث أن جاء بعجل حنيذ﴾، أى محنوذ وهو المشوى، مثل قتيل فى مقتول، ونضيج فى منضوج.

النبى ﷺ - وهى خالته، وخالة ابن عباس - فوجد عندها ضبًا محنوذًا قدمت به أختها صفية بنت الحارث من نجد، فقدَّمَت الضب لرسول الله ﷺ، وكان قلَّ ما يقدم [يده] لطعام حتى يحدَّث به ويسمَّى له، فأهوى رسول الله ﷺ يده إلى الضب، فقالت امرأة من النسوة الحضور: أخبْرن رسول الله ﷺ بما قدّمتنّ له، [قلن]: هو الضّب يا رسول الله، فرفع [رسول الله ﷺ] يده، فقال خالد: أحرامٌ الضبّ يارسول الله؟ قال: لا، ولكنه لم [يكن] بأرض قومي فأجدني أعافه، قال خالد: فاحتززته فأكلته، ورسول الله ﷺ ينظر إليَّ فلم ينهني(١).

وقال البخاري: «ورسول الله ينظر إليّ» ولم يقل: «فلم ينهني»، وترجم عليه باب: كان النبي ﷺ لا يأكل حتى يُسمَّى له فيعلم ما هو(٢).

وذكره مسلم من حديث صالح بن كيسان، عن ابن شهاب، عن أبى أمامة بن سهل، عن ابن عباس، أنه أخبره أن خالد بن الوليد أخبره أنه دخل مع رسول الله ﷺ على ميمونة بنت الحارث - وهى خالته - فقدم إلى رسول الله ﷺ بضب جاءت به أم حفيد بنت الحارث من نجد، وكانت تحت رجُل من بنى جعفر، وكان رسول الله ﷺ لا يأكل شيئًا حتى يعلم ما هو. ثم ذكر بمثل حديث يونس، وزاد في آخر الحديث: وحدثنيه ابن الأصم عن ميمونة، وكان في حجرها(٣).

وذكره أيضًا من حديث معمر عن الزهرى، عن أبي أمامة بن سهل، عن

---

(١) (مسلم بشرح النووى): ١٣/١٠٦، كتاب الصيد والذبائح، باب (٧) إباحة الضب، حديث رقم (١٩٤٦).

(٢) (فتح البارى): ٩/٦٦٧، كتاب الأطعمة، باب (١٠) ما كان النبى ﷺ لا يأكل حتى يُسمى له فيعلم ما هو، حديث رقم (٥٣٩١).

(٣) (مسلم بشرح النووى): ١٣/١٠٦ - ١٠٧، كتاب الصيد والذبائح، باب (٧) إباحة الضب، حديث رقم (٤٥).

ابن عباس قال: أتى النبى ﷺ ونحن فى بيت ميمونة بضبين مشويين، بمثل حديثهم، ولم يذكر يزيد بن الأصم عن ميمونة(١).

وذكره من حديث الليث بن سعد قال: حدثنى خالد بن يزيد، حدثنى سعيد بن أبى هلال، عن ابن المنكدر، أن أبا أمامة أخبره عن ابن عباس قال: أتى رسول الله ﷺ [وهو في بيت ميمونة] وعنده خالد بن الوليد بلحم ضب، فذكره بمعنى حديث الزهرى(٢).

وذكره من حديث على بن مسهر، عن الشيبانى، عن زيد بن الأصم قال: دعانا عروس بالمدينة، فقرب إلينا ثلاثة عشر ضبًا، فآكلٌ، وتارك، فلقيت ابن عباس من الغد، فأخبرته، فأكثر القوم حوله، حتى قال بعضهم: قال رسول الله ﷺ: لا آكله، ولا أنهي عنه، ولا أحرمه، فقال ابن عباس: بئس ما قلتم، ما بعث الله نبيًا إلا محلّلاً ومحرمًا، إن رسول الله ﷺ بينما هو عند ميمونة، وعنده الفضل بن عباس، وخالد بن الوليد، وامرأة أخرى، إذ قُرّب إليهم خوان عليه لحم، فلما أَراد النبى ﷺ أن يأكل، قالت له ميمونة: إنه لحم ضب، فكفّ يده وقال: هذا لحم لم آكله قط، وقال لهم: كلوا، فأكل منه الفضل، وخالد بن الوليد، والمرأة. قالت ميمونة: لا آكل من شىء إلا شيئًا يأكل منه رسول الله(٣).

وذكر من حديث عبد الرزاق، عن ابن جريج قال: أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: أتى رسول الله ﷺ بضب، فأبي أن يأكل

---

(١) (المرجع السابق): حديث رقم (١٩٤٥).

(٢) (المرجع السابق): الحديث الذى يلى الحديث السابق [بدون رقم]، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه.

(٣) (مسلم بشرح النووى): ١٣/ ١٠٨، كتاب الصيد والذبائح، باب (٧) إباحة الضب، حديث رقم (١٩٤٨).

منه، وقال: لا أدرى لعله من القرون التى مسخت(١).

ومن حديث أنس أبي عدىّ، عن داود، عن أبي نضرة، عن أبى سعيد قال: قال رجل: يا رسول الله ! إنا بأرض مُضبَّة، فما تأمرنا أو [فما] تفتينا؟ قال: ذكر لى أن أُمة من بنى إسرائيل مُسخت، فلم يأمر، ولم ينه(٢).

قال أبو سعيد: فلما كان بعد ذلك، قال عمر رضى الله عنه: إن الله عزّ وجلّ لينفع به غير واحد، وإنه لطعام عامة هذه الرعاء، ولو كان عندى لطعمتُه، إنما عافه رسول الله ﷺ(٢).

وروى عن سعيد بن جبير أنه قال: كان النبى ﷺ من ألطف الناس، وكان لا يشرب من شراك الإدواة، ولا يأكل من لحم الجُلالات. وروى أن رسول الله ﷺ كان لا يأكل قاذورة، ولا يأكل الدجاج حتى يُعلف. والقاذورة هنا: الذي يتقذّر، فكأنه كان يجتنب ما يرعى النجاسة حتى يُعلف الطّاهر. ويقال: القاذورة: ويراد به الفعل القبيح، ومنه قوله عليه السلام: من أتى من هذه القاذورات شيئًا [فليستتر](٣).

* * *

(١) (المرجع السابق): حديث رقم (١٩٤٩).

(٢) (المرجع السابق): حديث رقم (١٩٥١).

(٣) (تلخيص الحبير فى تخريج أحاديث الرافعى الكبير لابن حجر): ٤ /٥٧، من حديق زيد بن أسلم رضي الله عنه.

وأما اجتنابه ما تؤذى رائحته

فخرج مسلم من حديث شعبة، عن سماك بن حرب، عن جابر بن سمرة، عن أبى أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أُتى بطعام أكل منه، وبعث بفضلة إليّ، وأنه بعث إليّ يومًا بفضلة لم يأكل منها لأن فيها ثومًا، فسألته: أحرام هو؟ قال: لا، ولكنى أكرهه من أجل ريحه، قال: فإني أكره ما كرهت(١). وخرجه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح(٢).

ولأبى داود(٣) وأحمد(٤)، من حديث بقية عن بجير، عن خالد عن أبي زياد خيار بن سلمة، أنه سأل عائشة رضى الله عنها عن البصل فقالت: إن آخر طعام أكله رسول الله ﷺ طعام فيه بصل.

---

(١) (مسلم بشرح النووى): ١٤/٢٥٢، كتاب الأشربة، باب (٣١) إباحة أكل الثوم، وأنه ينبغى لمن أراد خطاب الكبار تركه، وكذا ما في معناه، حديث رقم (٢٠٥٣).

وفي هذا الحديث تصريح بإباحة الثوم، وهو مجمع عليه، لكن يُكره لمن أراد حضور المسجد، أو حضور جمع في غير المسجد، أو مخاطبة الكبار، ويلحق بالثوم كل ما له رائحة كريهة، وأن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، وكان ﷺ يترك الثوم دائمًا، لأنه يتوقع مجئ الملائكة والوحي كل ساعة.

قوله: «كان النبي ﷺ إذا أُتى بطعام أكل منه وبعث بفضله»، قال العلماء: في هذا يستحب للآكل والشارب أن يفضل مما يأكل ويشرب فضلة ليواسى بها من بعده، ولا سيما إن كان ممن يُتبرك بفضلته، وكذا إذا كان فى الطعام قلة، ولهم إليه حاجة، ويتأكد هذا في حق الضيف، لا سيما إن كانت عادة أهل الطعام أن يُخرجوا كل ما عندهم، ويتنظر عيالهم الفضلة، كما يفعله كثير من الناس، ونقلوا أن السلف كانوا يستحبون إفضال هذه الفضلة المذكورة، وهذا الحديث أصل ذلك كله. (مسلم بشرح النووى).

(٢) (سنن الترمذى): ٤/٢٣٠، كتاب الأطعمة، باب (١٣) ما جاء في كراهية أكل الثوم والبصل، حديث رقم (١٨٠٧).

(٣) (سنن أبى داود): ٤/١٧٣، كتاب الأطعمة، باب (٤١) في أكل الثوم، حديث رقم (٣٨٢٩).

(٤) (مسند أحمد): ٧/١٣٠، حديث رقم (٢٤٠٦٤).

ولمسلم من حديث ابن علية، عن الجرير عن أبي نضرة، عن أبى سعيد الخدرى قال: لم يغد أن فتحت خيبر، فوقعنا أصحاب رسول الله ﷺ في تلك البقلة الثوم، والناس جياعٌ، فأكلنا منها أكل شديداً، ثم رُحْنَا إلي المسجد، فوجد رسول الله ﷺ الريح، فقال: من أكل من هذه الشجرة الخبيثة شيئًا فلا [يغشانا] في المسجد، فقال الناس: حُرِّمت، حُرِّمت، فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال: يا أيها الناس، إنه ليس بى تحريم ما أَحَلَّ الله، ولكنها شجرة أكره ريحها(١).

وخرّج البخارى(٢) ومسلم(٣) من حديث ابن وهب، عن يونس عن ابن شهاب، زعم عطاء أن جابر بن عبد الله، زعم أن النبى ﷺ قال: من أكل ثومًا أو بصلاً فليعتزلنا، أو فليعتزل مسجدنا، وليقعد فى بيته، وأن النبى ﷺ أُتى بقدر فيه خضرات من بقول، فوجد لها ريحًا، فسأل، فأخبرنا بما فيه من البقول، فقال: قربوها إلي بعض أصحابه كان معه، فلما [رآه] كره أكلها، قال: كل، فإنى أناجى من لا تُناجى. اللفظ للبخارى. وخرَّجه أبو داود(٤).

---

(١) (مسلم بشرح النووى): ٥/٥٤، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب (١٧) نهى من أكل ثومًا أو بصلا أو كراثًا او نحوها، حديث رقم (٧٦).

(٢) (فتح البارى): ٢/٤٣١، كتاب الأذان، باب (١٦٠) ما جاء فى الثوم والبصل والكرات، حديث رقم (٨٥٥).

(٣) (مسلم بشرح النووى): ٥/٥٣، كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب (١٧) نهى من أكل ثومًا أو بصلاً أو كراثًا او نحوها، حديث رقم (٧٣).

(٤) (سنن أبى داود): ٤/١٧٠ - ١٧١، كتاب الأطعمة، باب (٤١) في أكل الثوم، حديث رقم (٣٨٢٢). وفيه: «وإنه أُتي ببدر» بدلا من : «أوتى بقدر» عند الشيخين.

قال الخطَّابى: قوله: «أتى ببدر» يريد الطبق، وسمى الطبق بدراً لاستدارته، ومنه سمى القمر قبل كماله بدراً، وذلك لاستدارته وحُسن اتساقه.

وقوله: «فليعتزل مسجدنا» إنما أمره باعتزال المسجد عقوبة له، وليس هذا من باب الأعذار التى تبيح للمرأ التخلف عن الجماعة كالمطر، والريح العاصف ونحوهما من الأمور. (معالم السنن).

وأخرجه الترمذى فى (السنن): ٤/٢٢٩ كتاب الأطعمة، باب (١٣) ما جاء في كراهية أكل الثوم والبصل، حديث رقم (١٨٠٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وأما أكله الجُمَّار

فخرج البخاري من حديث عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبى حدثنا الأعمش قال حدثنى مجاهد عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال: بينا نحن عند النبى ﷺ جلوس؟ إذ أتى بجمار نخلة، فقال النبي ﷺ إن من الشجر لما بركته كبركة المسلم، فظننتُ زنه يعني النخلة فأردت أن أقول هى النخلة يا رسول الله، فالتفت فإذا أنا عاشر عشرة أنا أحدثهم فسكتُّ، فقال النبي ﷺ هي النخلة(١).

وأما حُبُّهُ الحلواء والعسل

فخرّج البخاري من حديث هشام، عن عروة عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبى ﷺ يحب الحلواء والعسل. وهو مما اتفقا على إخراجه ذكره البخارى هكذا فى الأشربة(٢)، وفي الأطعمة(٣). وخرّجه

---

(١) (فتح البارى): ٩/ ٧١٠، كتاب الأطعمة، باب (٤٢) أكل الجُمَّار، حديث رقم (٥٤٤٤)، (فتح البارى): ٤/ ٥٠٩-٥١٠، كتاب البيوع، باب (٩٤) بيع الجمار وأكله، حديث رقم (٢٢٠٩)، والجُمَّار بضم الجيم وتشديد الميم: هو قلب النخلة، وهو معروف.

(٢) (فتح البارى): ١٠/ ٩٦، كتاب الأشربة، باب (١٥) شراب الحلواء والعسل، حديث رقم (٥٦١٤)، وفيه: كان النبى ﷺ يعجبه الحلواء والعسل، والحلواء بالمد في رواية المستملى، ولغيره بالقصر، وهما لغتان ، قال الخطَّابى : هى ما يعقد من العسل ونحوه، وقال ابن التين عن الداودى: هي النقيع الحلو، وعليه تبويب البخارى: «شراء الحلواء»، كذا قال، وإنما هو نوع منها، والذي قاله الخطَّابى هو مقتضي العُرف. (فتح البارى).

وقال ابن بطال: الحلوى كل شيء حلو، وهو كما قال، لكن استقر العُرف على تسمية ما لا يُشرب من أنواع الحلو حلوى، ولانواع ما يُشرب مشروب ونقيع او نحو ذلك، ولا يلزم مما قال اختصاص الحلوى بالمشروب. (فتح البارى).

(٣) (فتح البارى): ٩/ ٦٩٥، كتاب الأطعمة، باب (٣٢) الحلوى والعسل، حديث رقم (٥٤٣١)، وفيه: كان رسول الله ﷺ يحب الحلوى والعسل. =

الإمام أحمد(١)، وفيه قصّة(٢).

وأما أكلهُ التمر

فخرج البخارى ومسلم من حديث مسعر بن كدام، عن هلال، عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت: ما أكل آل محمد [ﷺ] أكلتين فى يوم واحد إلاو إحداهما تمر(٣).

= «الحلوى» كذا لأبى ذر مقصور، ولغيره ممدود، وهما لغتان، قال ابن ولاد: هى عند الأصمعى بالقصر - تكتب بالياء - وعند الفراء بالمد - تكتب بالألف - وقيل: تمد وتقصر، وقال الليث: الأكثر على المد، وهو كل حلو يؤكل، وقال الخطّابى: اسم الحلوى لا يقع إلا على ما دخلته الصنعة. وفى المخصص لابن سيده: هى ما عولج من الطعام بحلاوة، وقد تُطلق على الفاكهة.

قال ابن بطال: الحلوى والعسل من جملة الطيبات المذكورة فى قوله تعالى: ﴿كلو من الطيبات﴾ وفيه تقوية لقول من قال: المراد به المستلذ من المباحات. ودخل فى معنى هذا الحديث كل ما يشابه الحلوى والعسل من أنواع المآكل اللذيذة.

وقال الخطّابىّ وتبعه ابن التين: لم يكن حبه ﷺ لها على معنى كثرة التشهى لها، وشدة نزاع النفس إليها وإنما كان ينال منها إذا أُحضرت إليه نيلاً صالحًا، فيعلم بذلك أنها تعجبه.

ويؤخذ منه جواز اتخاذ الأطعمة من أنواع شتى، وكان بعض أهل الورع يكره ذلك ولا يرخص أن يأكل من الحلاوة إلا ما كان حلوه بطبعه كالتمر والعسل، وهذا الحديث يرد عليه.

وإنما تورع عن ذلك من السلف من آثر تأخير تناول الطيبات إلى الآخرة، مع القدرة على ذلك فى الدنيا، تواضعًا لا شُحًا.

ووقع فى كتاب (فقه اللغة للثعالبى): أن حلوى النبى ﷺ التى كان يحبها هى المجيع بالجيم بوزن عظيم، وهو تمر يُعجن بلبن. (فتح البارى).

(١) (مسند أحمد): ٧/٨٨، حديث رقم (٢٣٧٩٥).

(٢) وهى قصة المغافير، ذكرها المفسرون عند تفسيرهم لقول الله تعالى: ﴿يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضاة أزواجك﴾. وحتى قوله تعالى: ﴿عسى ربه إن طلقكن أن يُبْدِلَهُ أزواجًا خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارًا﴾ [التحريم: ١ - ٥].

(٣) سبق تخريجه. وأخرجه الدارمى فى (السنن): ٢/١٠٧، باب فى الحلواء والعسل.

ولهما من حديث وهيب، حدثنا منصور بن أمية، عن عائشة [رضى الله عنها]: توفى النبى ﷺ حين شبعنا من الأسودين: التمر والماء، وفى لفظ للبخارى: توفى النبى ﷺ وقد شبعنا من الأسودين: التمر والماء. ولهما من حديث يزيد بن رومان، عن عروة عن عائشة [رضى الله عنها]، أنها تقول: والله يا ابن أختى، ثلاثة أهله فى شهرين، وما [أوقد] فى أبيات رسول الله ﷺ نار، قلت: يا خالة! فما كان [يعيشكم؟] قالت: الأسودين، التمر والماء، إلا أنه كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار، وكانت لهم منايح، وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقينا. وقال البخارى: كانت لهم منايح، وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من ألبانهم فيسقينا(١).

ولهما فى لفظ آخر قالت: إن كنا آل محمد لنمكث شهراً ما نستوقد بنار، إن هو إلا التمر والماء، ولفظ مسلم: إن كنا لنمكث، ولم يذكر آل محمد. وزاد أبو كريب فى حديثه، عن ابن نمير عن هشام بن عروة بهذا الإسناد، إلا أن يأتينا اللحيم. وفى لفظ للبخارى قالت: كان يأتى علينا الشهر ما نوقد ناراً، إنما هو التمر والماء، إلا أن نُؤتى باللحيم(٢).

ولأبى داود من حديث محمد بن أبى يحيى، عن يزيد الأعور، عن يوسف بن عبد الله بن سلام قال: رأيت النبى ﷺ آخذ كسرة من خبز شعير، فوضع عليها تمرة وقال: هذه إدام هذه. وفى لفظ: رأيت النبى ﷺ وضع تمرة على كسرة فقال: هذه إدام هذه(٣).

وله من حديث الوليد بن مزيد قال: سمعت ابن جابر قال: حدثنا سليم

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه وهو فى (صحيح مسلم): كتاب الزهد والرقاق، حديث رقم (٢٦) والذى يليه.

(٣) (سنن أبى داود): ٤ /١٧٣، كتاب الأطعمة، باب (٤٢) فى التمر، حديث رقم (٣٨٣٠)، ونسبه المنذرى للترمذى أيضاً.

ابن عامر، عن ابنى بُسر السُّلميّين قالا: دخل علينا رسول الله ﷺ، فقدَّمْنا إليه تمرًا وزبدًا، وكان يحب التمر والزبد[١].

ولمسلم من حديث حفص بن غياث، عن مصعب بن سليم قال: حدثنا أنس بن مالك رضى الله عنه قال: رأيت النبى ﷺ مُقعيًا يأكل تمرًا[٢].

وخرّجه الدارمى عن مصعب قال: سمعت أنس بن مالك يقول: أهدى إلى النبى ﷺ التمر، فأخذ يهديه. وقال: رأيت رسول الله ﷺ يأكل تمرًا مقعيًا من الجوع. قال: يهديه، يعنى يهدى هاهنا، وهاهنا[٣].

ولمسلم من حديث ابن عيينة، عن مصعب بن سليم، عن أنس قال: أُتى رسول الله ﷺ بتمر، فجعل يقسمه وهو [محتفز]، يأكل منها أكلاً ذريعًا. وفى رواية زهير: أكلاً حثيثًا[٤].

ولأبى داود من حديث همام، عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة، عن أنس قال: أتى رسول الله ﷺ بتمر عتيق، فجعل يفتشه يُخرج منه السوس[٥]. وفى لفظ: أن النبى ﷺ كان يؤتى بالتمر فيه الدود.

---

(١) (المرجع السابق): حديث رقم (٣٨٣٧)، وأخرجه ابن ماجة فى (السنن): ٢ / ١١٠٦ – ١١٠٧، كتاب الأطعمة، باب (٤٣) التمر بالزبد، حديث رقم (٣٣٣٤).

(٢) (مسلم بشرح النووى): ١٣ / ٢٣٩، كتاب الأشربة، باب (٢٤)، استحباب تواضع الآكل وصفة قعوده، حديث رقم (١٤٨)، قوله ﷺ: «مقعيًا»، أى جالسًا على إليتيه ناصبًا ساقيه.

(٣) (سنن الدارمى): ٢ / ١٠٤، باب فى التمر.

(٤) (مسلم بشرح النووى): ١٣ / ٢٣٩ – ٢٤٠، كتاب الأشربة، باب (٢٤) استحباب تواضع الآكل، وصفة قعوده، حديث رقم (١٤٩)، قوله: «أكلاً ذريعًا وحثيثًا هما بمعنى أى مستعجلاً ﷺ لاستيفازه لشغل آخر، فأسرع فى الأكل، وكان استعجاله ليقضى حاجته منه، ويرد الجوعة، ثم يذهب فى ذلك الشغل.

وقوله: «فجعل النبى ﷺ يقسمه» أى يفرقه على من يراه أهلاً لذلك، وهذا التمر كان لرسول الله ﷺ، وتبرع بتفريقه ﷺ فلهذا كان يأكل منه، والله تعالى أعلم (مسلم بشرح النووى).

(٥) (سنن أبى داود): ٤ / ١٧٤، كتاب الأطعمة، باب (٤٣) فى التفتيش فى التمر المسوّس عند الأكل، حديث رقم (٣٨٣٢).

فذكر معناه(١).

وللحاكم من حديث طلحة بن زيد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ يسمى التمر واللبن الأطيبان(٢). قال: هذا حديث صحيح [الإسناد ولم يخرجاه](٣).

ولابن حيَّان من حديث ياسين الزيات عن عطاء، عن ابن عباس قال: كان أحب التمر إلى رسول الله ﷺ العجوة(٤).

ومن حديث عبيد بن القاسم، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يأكل الطعام مما يليه، حتى إذا جاء التمر جالت يده(٥).

ومن حديث شعبة، عن يزيد بن [جهيم] قال: سمعتُ عبد الله بن بُسير يقول: دخل علينا رسول الله ﷺ، فأتاه أبى بتمر وسويق، فجعل يأكل التمر ويلقى النوى على ظهر أصبعيه ثم يلقيه، يعنى السبابة والوسطى.

---

(١) (المرجع السابق): حديث رقم (٣٨٣٣)، وهو حديث مرسل، وأخرج ابن ماجة فى (السنن): ٢ / ١١٠٦، كتاب الأطعمة، باب (٤٢) تفتيش التمر، حديث رقم (٣٣٣٣).

وأخرجه البيهقى فى (السنن الكبرى): ٧ / ٢٨٣، كتاب الصداق، باب الأكل متكئًا.

وأخرجه الترمذى فى (الشمائل): ١٢٤ – ١٢٥، حديث رقم (١٤٣)، وأخرجه الإمام أحمد فى (المسند): ٤ / ٦١، حديث رقم (١٢٦٨٨).

(٢) (المستدرك): ٤ / ١١٩، كتاب الأطعمة، حديث رقم (٧٠٨١)، قال الذهبى فى (التلخيص): طلحة بن زيد ضعيف.

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (المستدرك).

(٤) (أخلاق النبى): ٢٠٤، (كنز العمال): حديث رقم (١٨٢١٧)، (إتحاف السادة المتقين): ٨ / ٢٤٠، وسنده ضعيف.

(٥) (الكامل فى الضعفاء): ٥ / ٣٤٩، ترجمة عبيد بن القاسم الأسدى، رقم (٥٣٩ / ١٥٠٧)، وفيه: «جالت يده فى الإناء» وعبيد بن القاسم الأسدى الكوفى، يقال: أنه ابن أخت سفيان الثورى، ضعفوه، وقالوا: متروك وكذاب؛ ترجمته فى (تهذيب التهذيب): ٧ / ٦٧.

وأمَّا أكله العنب

فروى أبو الجارود عن حبيب بن يسار، عن ابن عباس رضى الله [عنهما] قال: رأيت النبى ﷺ يأكل العنب خرطًا(١).

وأمَّا أكله الرُّطب والبطيخ

فخرَّج أبو داود من حديث أبى أسامة قال: حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يأكل البطيخ بالرطب ويقول: نَكْسِرُ حر هذا ببرد هذا، وبرد هذا بحر هذا(٢).

وخرَّج الدارمى من حديث الحسن بن عرفة، أخبرنا يعقوب بن الوليد،

---

(١) يُقال: خرط العنقود خرطًا إذا وضعه فى فمه، ووأخذ حبُّهُ، وخرج عرجونه عاريًا. وفى رواية ذكرها ابن الأثير: خَرْصًا، بالصاد بدل الطاء، أى من غير عدد.

قال العراقى: رواه ابن عدى فى (الكامل) من حديث العباس، والعقيلى فى (الضعفاء) من حديث ابن عباس هكذا مختصرًا، وكلاهما ضعيف.

وكذا رواه الطبرانى فى (الكبير)، هو والعقيلى فى (الضعفاء) من طريق داود بن عبد الجبار، عن ابن الجارود، عن حبيب بن يسار، عن ابن عباس رفعه: « كان يأكل العنب خرطًا ».

قال العقيلى: داود ليس بثقة، ولا يتابع عليه، وأخرجه البيهقى فى (الشعب) من طريقتين ثم قال: ليس فيه إسناد قوى، وأورده ابن الجوزى فى (الموضوعات) ولم يُصب، بل هو ضعيف. (إتحاف السادة المتقين): ٨ / ٢٣٨، (شعب الإيمان): ٥ / ١٠٦، باب فى المطاعم والمشارب، حديث رقم (٥٩٦٧)، (الموضوعات) ٢ / ٢٨٨، باب كيف يؤكل العنب.

(٢) (سنن أبى داود): ٤ / ١٧٣، كتاب الأطعمة، باب (٤٥) فى الجمع بين لونين فى الأكل، حديث رقم (٣٨٣٦).

فيه إثبات الطب والعلاج، ومقابلة الشئ الضار بالشئ المضاد له فى طبعه على مذهب الطب والعلاج، وفيه إباحة التوسع من الأطعمة، والنيل من الملاذ المباحة، (معالم السنن).

عن أبى حازم، عن سهل بن سعدان، أن النبى ﷺ [كان] يأكل البطيخ بالرطب(١).

ومن حديث وهيب عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، أن نبى الله [ﷺ] كان يعجبه [الجمع] بين البطيخ والرطب(١).

وخرَّج الحاكم من حديث مطر الوراق، عن قتادة، عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يأخذ الرطب بيمينه، والبطيخ بيساره، فيأكل الرطب والبطيخ، وكان أحب الفاكهة إليه. قال: هذا تفرد به يوسف بن عطية عن مطر، ولم يحتجّا به، وإنما يعرف هذا المتن بغير هذا اللفظ، من حديث عائشة رضى الله عنها(٢). وخرجه ابن حيان أيضًا من طريق مطر(٣).

وخرَّج الترمذى فى (الشمائل) من حديث جرير، عن حميد، عن أنس قال: رأيت رسول الله ﷺ يجمع بين الخِرْبز والرطب(٤).

---

(١) (سنن الدارمى): ٢ / ١٠٣، باب من لم ير بأسًا أن يجمع بين الشيئين، وفيه: « القثاء بالرطب »، لكن أخرجه الترمذى فى (السنن): ٤ / ٢٤٦ – ٢٤٧، كتاب الأطعمة، باب (٣٦) ما جاء فى أكل البطيخ بالرطب، حديث رقم (١٨٤٣)، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، رواه بعضهم عن هشام بن عروة عن أبيه، عن النبى ﷺ مرسلٌ، ولم يذكر فيه عائشة رضى الله عنها وقد روى يزيد ابن رومان عن عروة عن عائشة هذا الحديث.

(٢) (المستدرك): ٤ / ١٣٤، كتاب الأطعمة، حديث رقم (٧١٣٧)، قال الذهبى فى (التلخيص): تفرد به يوسف [وهو واهٍ].

وأخرجه الحميدى فى (المسند): ١ / ١٢٤، حديث رقم (٢٥٥).

(٣) (أخلاق النبى): ٢١٥ – ٢١٦.

(٤) (الشمائل المحمدية): ١٦٥، حديث رقم (٢٠٠)، والخِربز: بكسر الخاء هو البطيخ، وقيل: هو معرب عن الفارسية، والمراد النوع الأصفر [الشَّمام كما يسميه أهل مصر، وأجوده ما كان من الإسماعيلية إحدى محافظات مصر] فإن فيه برودة يُعدّلها الرطب.

والحديث أخرجه كل من: الإمام أحمد فى (المسند): ٣ / ٦٠٦، حديث رقم (١٢٠٤١)، وأبو الشيخ فى (أخلاق النبى): ٢١٥، ٢١٧، من طريقى عبد الله بن أبى بكر العنقى، ومسلم بن إبراهيم.

وبالجملة فهو حديث صحيح الإسناد، ورجال إسناده ثقات.

وخرج الخطيب من طريق حسان بن سياة، حدثني ثابت البناني عن أنس قال: قالت عائشة: قال لي رسول الله ﷺ: إذا جاء الرطب فهنئيني(١).

وخرّج ابن حيّان من حديث إسرائيل الأعور، عن أنس قال: كنتُ إذا قدمتُ إلى رسول الله ﷺ رطبًا، أكل الرطب وترك المذنب. ومن حديث القراري، عن محمد بن المنكدر، عن جابر قال: كان النبي ﷺ يحب أن يفطر على رطبات في زمان الرطب، وعلى التمر إذا لم يكن رطب، ويجعلهن وترًا، ثلاثًا، أو خمسًا، أو سبعًا(٢).

---

(١) (تاريخ بغداد): ٥/١٠٧، في ترجمة أحمد بن محمد الضبعي الأحول، برقم (٢٥١٣).

(٢) وفي ختام هذه الفقرة نذكر ما أورده ابن القيم عن البطيخ والرطب، قال.. بعد أن ذكر حديث أبي داود والترمذي، عن النبي ﷺ أنه كان يأكل البطيخ بالرطب، يقول: نكسر حرّ هذا ببرد هذا، وبرد هذا بحرّ هذا -: وفي البطيخ عدة أحاديث لا يصح منها شئ غير هذا الحديث الواحد، والمراد به الأخضر، وهو بارد رطب، وفيه جلاء، وهو أسرع انحدارًا عن المعدة من القثاء والخيار، وهو سريع الاستحالة إلى أي خلط كان صادفه في المعدة، وإذا كان آكله محرورًا انتفع به جدًا، وإن كان مبرودًا دفع ضرره بيسير من الزنجبيل ونحوه، وينبغي أكله قبل الطعام ويتبع به، وإلا غثّى وقيًا.

ثم ذكر حديث أنس قال: كان رسول الله ﷺ يفطر على رطبات قبل أن يصلي، فإن لم تكن رطبات فتمرات، فإن لم تكن تمرات حسا حسوات من ماء [رواه أبو داود برقم (٢٣٥٦)، والترمذي برقم (٦٩٦)، وأحمد برقم (١٢٢٦٥).

ثم قال: طبع الرطب طبع المياه، حار رطب يقوى المعدة الباردة ويوافقها، ويزيد في الباه، ويخصب البدن، ويوافق أصحاب الأفرجة الباردة، ويغذو غذاء كثيرًا، وهو من أعظم الفاكهة موافقة لأهل المدينة وغيرها من البلاد التي هو فاكهتهم فيها، وأنفعها للبدن، وإن كان لم يعتده يسرع التعفن في جسده، ويتولد عنه دم ليس بمحمود، ويحدث في إكثاره من صُداع وسوداء، ويؤذي أسنانه.

وفي فطر النبي ﷺ من الصوم عليه، أو على التمر أو على الماء، تدبير لطيف جدًا، فإن الصوم يُخلي المعدة من الغذاء، فلا تجد الكبد فيها ما تجذبه وترسله إلى القوى والأعضاء، والحلو أسرع شئ وصولاً إلى الكبد، وأحبه إليها، ولا سيما إذا كان رطبًا، فيشتد قبولها له، فتنتفع به هي والقوى، فإن لم يكن فالتمر لحلاوته وتغذيته، فإن لم يكن فحسوات الماء تطفي لهيب المعدة، وحرارة الصوم، فتنتبه المعدة بعده للطعام، وتأخذه بشهوة (زاد المعاد): ٤/٢٨٦ - ٢٨٧، ٤/٣١٢ - ٣١٣.

وأمَّا أكله الزَّيْت

فخرج مسلم من حديث ابن قسيط، عن عروة، عن عائشة رضى الله عنها قالت : لقد مات رسول الله ﷺ، وما شبع من خبز وزيت فى يوم واحد مرتين(١).

وأمَّا أكله السمك

فخرج البخارى من حديث ابن جريج، أخبرنى عمرو أنه سمع جابراً يقول: غزونا جيش الخبط، وأُمِّر أبو عبيدة بن الجراح، فجُعنا جوعًا شديدًا، فألقى البحر حوتًا ميتًا لم نر مثله، يقال له العنبر، فأكلنا منه نصف شهر، فأخذ أبو عبيدة عظمًا من عظامه فمر الراكب تحته. [زاد فى] المغازى: أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابرًا يقول: فقال أبو عبيدة: كلوا فلما قدمنا المدينة، ذكرنا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: كلوا رزقًا أخرجه الله، أطعمونا إن كان معكم، فأتاه بعضُهم بعْضَه فأكله(٢). [وفى رواية ابن السكن: « فأتاه بعضهم بعضو منه فأكله »](٣).

---

(١) (مسلم بشرح النووى) : ١٨ /٣١٧، كتاب الزهد والرقائق حديث رقم (٢٩٧٤).

(٢) (فتح البارى) : ٨ /٩٧ – ٩٨، كتاب المغازى، باب (٦٦) غزوة سيف البحر، وهم يتلقون عيراً لقريش، وأميرهم أبو عبيدة، حديث رقم (٤٣٦٠)، حديث رقم (٤٣٦١)، وحديث رقم (٤٣٦٢)، وهو الحديث المذكور فى الباب.

(٣) زيادة للسياق من (فتح البارى)، قال عياض: وهو الوجه. وفى الحديث من الفوائد: مشروعية المواساة بين الجيش عند وقوع المجاعة، وأن الاجتماع على الطعام يستدعى البركة فيه.

قال أهل اللغة: العنبر سمكة بحرية كبيرة، يتخذ من جلدها الترسة، ويقال: إن العنبر المشموم رجيع هذه الدابة. وقال ابن سيناء: بل المشموم يخرج من البحر، وإنما يؤخذ من أجواف السمك الذى يبتلعه.

ونقل الماوردى عن الشافعى قال: سمعتُ من يقول: رأيت العنبر نابتًا فى البحر ملتويًا مثل عنق =

ولفظ مسلم: فهل معكم من لحمه شئ فتطعمونا؟ قال: فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ منه فأكله(1). ذكره البخارى فى الصيد والذبائح، وفى كتاب المغازى وفيه قصة(2). وكرّراه من طرق.

= الشاة، وفى البحر دابة تأكلة، وهو سُمّ لها، فيقتلها، فيقذفها، فيخرج العنبر من بطنها.

وقال الأزهرى: العنبر سمكة تكون بالبحر الأعظم، يبلغ طولها خمسين ذراعًا، يقال لها: بالة، وليست بعربية.

وأخرجه البخارى أيضًا فى: كتاب الذبائح والصيد، باب (12) قول الله تعالى: ﴿وأحل لكم صيد البحر وطعامه﴾، وقال عمر: صيده: ما اصطيد، وطعامه: مارمي به، وقال أبو بكر رضى الله عنه: الطافي في حلال، وقال ابن عباس رضى الله عنه: طعامه ميتته، إلا ما قذرت منها، حديث رقم (٥٤٩٣)، وحديث رقم (٥٤٩٤).

(1) (مسلم بشرح النووى): ١٣/ ٩٠، كتاب الصيد والذبائح، باب (٤)، إباحة ميتات البحر، حديث رقم (١٩٣٥).

وأخرج أبو داود فى (السنن): ٤/ ١٦٥ – ١٦٦، كتاب الأطعمة، باب (٣٦) فى أكل الطافى من السمك، حديث رقم (٣٨١٥): «ما ألقى البحر أو جزر عنه فكلوه، وما مات فيه وطفا فلا تأكلوه».

جزر عنه: أى تقلص عنه ماء البحر وقت الجزر عنه، وقد ثبت عن غير واحد من الصحابة أنه أباح الطافى من السمك، ثبت ذلك عن أبى بكر الصديق، وأبى أيوب الأنصارى رضى الله عنهما. وإليه ذهب عطاء بن أبى رباح، ومكحول، وإبراهيم النخعى، وبه قال مالك، والشافعى، وأبو ثور، وروى عن جابر وابن عباس رضى الله عنه أنهما كرها الطافى من السمك، وإليه ذهب جابر بن زيد وطاووس، وبه قال أبو حنيفة وأصحابه، (معالم السنن).

وأخرجه ابن ماجه فى (السنن): ٢/ ١٠٨١، كتاب اصيد، باب (١٨) الطافى من صيد البحر، حديث رقم (٣٢٤٦)، وحديث رقم (٣٢٤٧).

وأخرجه الواقدى مختصرًا جدًا فى (المغازى)، فى سرية الخَبَط، أميرها أبو عبيدة رضى الله عنه: ٧/ ٧٧٦ – ٧٧٧.

(2) تراجع هذه القصة فى كتاب المغازى من (فتح البارى)، شرح الحديث رقم (٤٣٦٠)، والحديث رقم (٤٣٦١)، وقد أمسكنا عن ذكرها خشية الإطالة.

قال ابن القيم: أصناف السمك كثيرة، وأجوده مالذّ طعمه، وطاب ريحه، وتوسط مقداره، وكان رقيق القشر، ولم يكن صلب اللحم ولا يابسه، وكان فى ماء عذب جارٍ على الحصباء، ويتغذى بالنبات لا الأقذار. =

وأمَّا أكله البيض

فذكر الواقدى أن عُلبة بن زيد الحارثى، جاء فى غزوة ذات الرقاع[١] بثلاث بيضات فقال: يا رسول الله! وجدت هذه البيضات فى مفحص نعام، فقال رسول الله ﷺ: دونك ياجابر، فاعمل هذه البيضات، فوثبتُ فعملتهن، ثم جئت بالبيض فى قصعة، وجعلتُ أطلبُ خبزاً ولا أجده، قال: فجعل رسول الله ﷺ وأصحابه يأكلون من ذلك البيض بغير خبز، قال جابر: فرأيتُ رسول الله ﷺ أمسك يده، وأنا أظن أنه قد انتهى إلى حاجته، والبيض فى القصعة كما هو، ثم قام رسول الله ﷺ، وأكل منه عامة أصحابنا، ثم رُحنا مبردين[٢].

= وأصلح أماكنه ما كان فى نهر جيد الماء، وكان يأوى إلى الأماكن الصخرية، ثم الرملية، والمياه الجارية العذبة التى لا قذر فيها، ولا حمأة، الكثيرة الاضطراب والتموج، المكشوفة للشمس والرياح.

والسمك البحرىّ فاضل، محمود، لطيف، والطرى منه بارد رطب، عسر الهضم، يولد بلغماً كثيراً، إلا البحرى وما جرى مجراه، فإنه يولد خلطاً محموداً، وهو يخصب البدن، ويزيد فى المنى، ويصلح الأفرجة الحارة.

وأما المالح، فأجوده ما كان قريب العهد بالتملح، وهو حار يابس، وكلما تقادم عهده ازداد حَرُّه ويابسه. (زاد المعاد): ٤ / ٣٢٥ - ٣٢٦.

(١) قال الواقدى: فإنما سميت ذات الرقاع، لأنه جبل فيه بُقع حمر وسود وبيض، وزاد السهيلى: سميت ذات الرقاع لأنهم رقعوا راياتهم، ويقال: ذات الرقاع شجرة بذلك الموضع، وكانت ليلة السبت لعشر خلون من المحرم على رأس سبعة وأربعين شهراً، وقدم رسول الله ﷺ صرار [اسم بئر] يوم الأحد لخمس بقين من المحرم، وغاب خمس عشرة ليلة.

(٢) (مغازى الواقدى): ١ / ٣٩٩، غزوة ذات الرقاع.

فصل فى هَدْى رسول الله ﷺ فى الأكل

اعلم أن رسول الله ﷺ كان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، وإذا أُتى بالباكورة من التمر دعا الله بالبركة، ويأكل بثلاثة أصابع، ولا يمسح يده حتى يلعقها، ويأكل مما يليه، ولا يأكل متكئًا، ولا يذم طعامًا، ويسمى الله إذا أكل، ويحمده إذا فرغ.

وأمَّا قبوله الهدية وامتناعه من أكل الصدقة

فخرج البخارى فى آخر كتاب الجهاد، من حديث شعبة، عن محمد بن زياد، عن أبى هريرة رضى الله عنه، أن الحسن بن على رضى الله عنهما، أخذ تمرة من تمر الصدقة، فجعلها فى فيه، فقال له النبى ﷺ [بالفارسية] كِخْ كِخْ، أما تعرف أنا لا نأكل الصدقة(١). وذكره فى كتاب الزكاة ولفظه: أما [شعرت] أنا لا نأكل الصدقة(٢)؟

وخرّجه مسلم فى آخر كتاب الزكاة بهذا السند ولفظه: إرم بها، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة(٣)؟ وفى لفظ آخر له: إنا لا تحل لنا الصدقة(٤).

وللبخارى من حديث إبراهيم بن طهمان، عن محمد بن زياد عن أبى

---

(١) (فتح البارى): ٦ / ٢٢٦، كتاب الجهاد والسير، باب (١٨٨) من تكلم بالفارسية والرطانة، وقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾ [الروم: ٢٢]. وقال: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾ [إبراهيم: ٤]، حديث رقم (٣٠٧٢)، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه.

(٢) (المرجع السابق): كتاب الزكاة، باب (٦٠) ما يُذكر فى صدقه النبى ﷺ، حديث رقم (١٤٩١).

(٣) (مسلم بشرح النووى): ٧ / ١٨١، كتاب الزكاة، حديث رقم (١٦١).

(٤) (المرجع السابق): الحديث الذى يلى الحديث السابق بدون رقم.

هريرة قال: كان النبى ﷺ يؤتى بالتمر عند صرام النخل، فيجئ هذا بتمره، وهذا [من] تمره، حتى يصير عنده كومًا من تمر، فجعل الحسن والحسين [رضى الله عنهما] يلعبان بذلك التمر، فأخذ أحدهما تمرة، فجعلها فى فيه، فنظر إليه رسول الله ﷺ فأخرجها من فيه وقال: أما علمت أن آل محمد لا يأكلون الصدقة(١)؟.

وأخرجاه أيضًا من حديث معمر، عن همّام بن منبه، عن أبى هريرة(٢).

وخرّج البخارى فى كتاب اللقطة، فى باب: إذا وجد تمرة فى الطريق، من حديث معمر، عن همام، عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ قال: إنى لأنقلب إلى أهلى، فأجد التمرة ساقطة على فراشى، فأرفعها لآكلها، ثم أخشى أن تكون صدقة فألقيها(٣).

وخرَّجه مسلم فى الزكاة ولفظه: عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة، عن رسول الله ﷺ، فذكر أحاديث منها، وقال رسول الله ﷺ: إنى لأنقلب إلى أهلى، فأجد التمرة ساقطة على فراشى أو فى بيتى، فأرفعها لآكلها، ثم أخشى أن تكون صدقة فألقيها(٤). ومن حديث ابن وهب قال: أخبرنى عمرو أن أبا يونس مولى أبى هريرة

---

(١) (فتح البارى): ٣ / ٤٤٧، كتاب الزكاة، باب (٥٧) أخذ صدقة التمر عند صرام النخل، وهل يُترك الصبى فيمسّ من تمر الصدقة؟ حديث رقم (١٤٨٥)، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه.

(٢) (مسلم بشرح النووى): ٧ / ١٨٢، كتاب الزكاة، باب (٥٠) تحريم الزكاة على رسول الله ﷺ وعلى آله، وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب دون غيرهم، حديث رقم (١٦٣)، وأخرجه البخارى فى كتاب اللقطة، باب (٦) إذا وجد تمرة فى الطريق، حديث رقم (٣٤٣٢).

(٣) (فتح البارى): ٥ / ١٠٨، كتاب اللقطة، باب (٦) إذا وجد تمرة فى الطريق، حديث رقم (٣٤٣٢).

(٤) (مسلم بشرح النووى): ٧ / ١٨٢، كتاب الزكاة، باب (٥٠) تحريم الزكاة على رسول الله ﷺ وعلى آله وهم بنو هاشم وبنو المطلب دون غيرهم، حديث رقم (١٦٣).

حدثه، عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال مثله، ولم يقل: أو فى بيتى(١).

وخرَّج البخارى فى كتاب اللقطة، من حديث سفيان، عن منصور، عن طلحة، عن أنس قال: مرّ النبى ﷺ بتمرة فى الطريق فقال: لولا أنى أخاف أن تكون من الصدقة لأكلتها(٢).

وذكره فى البيوع، ولفظه: مرّ النبى ﷺ بتمرة مسقوطة فقال: لولا أن يكون صدقة لأكلتها(٣). وقال همام: عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: أجد تمرة ساقطة على فراشى.. هكذا، ذكر هذا متصلاً بحديث أنس، وترجم عليه باب: ما يتنزه عن الشبهات(٣).

وخرجه مسلم من طرق، بعضها أن النبى ﷺ وجد تمرة فقال: لولا أن تكون من الصدقة لأكلتها(٤). وبعضها قال: حدثنا أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ مرّ بتمرة بالطريق فقال: لولا أن تكون من الصدقة لأكلتها(٤). وبعضها أن النبى ﷺ وجد تمرة فقال: لولا أن تكون صدقة لأكلتها(٤).

[ولأبى داود] من حدث حماد عن قتادة، عن أنس رضى الله عنه قال: إن النبى ﷺ كان يمر بالتمرة [العائرة]، فما يمنعه من أخذها إلا مخافة أن

---

(١) (المرجع السابق): حديث رقم (١٦٢).

(٢) (فتح البارى): ٥/١٠٨، كتاب اللقطة، باب (٦) إذا وجد تمرة فى الطريق، حديث رقم (٢٤٣١).

(٣) (فتح البارى): ٤/٣٦٨، كتاب البيوع، باب (٤) ما يُتنزه من الشبهات، حديث رقم (٢٠٥٥).

(٤) (مسلم بشرح النووى): ٧/١٨٢، كتاب الزكاة، باب (٥٠) تحريم الزكاة على رسول الله ﷺ وعلى آله وهم بنو هاشم وبنو المطلب دون غيرهم، حديث رقم (١٦٤)، وحديث رقم (١٦٥)، وحديث رقم (١٦٦).

تكون من الصدقة[1]. ومن حديث خالد بن قيس، عن قتادة، عن أنس [بن مالك، رضى الله عنه، قالا]: إن النبى ﷺ وجد تمرة فقال: لولا أنى أخاف أن تكون [صدقة] لأكلتها[2].

ولأبى داود[3] والترمذى[4]، من حديث شعبة عن الحكم، عن ابن أبى رافع، أن النبى ﷺ بعث رجلاً من بنى مخزوم على الصدقة فقال لأبى رافع: اصحبنى كيما تصيب منها. فقال: حتى آتى رسول الله ﷺ فأسأله، فانطلق إلى النبى ﷺ فسأله، فقال: إن الصدقة لا تحل لنا، وإن موالى القوم من أنفسهم وقال أبو داود: فقال: مولى القوم من أنفسهم، وإنا لا تحل لنا الصدقة قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح. وأبو رافع: مولى النبى ﷺ اسمه أسلم، وابن أبى رافع: هو عبيد الله بن أبى رافع، كاتب على بن أبى طالب رضى الله عنه.

وخرّجه النسائى من حديث يحيى، عن شعبة ولفظه: إن الصدقة لا تحل

---

(١) (سنن أبى داود): ٢/٢٩٩، كتاب الزكاة، باب (٢٩) الصدقة على بنى هاشم، حديث رقم (١٦٥١)، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه.

«العائرة»: هى الساقطة على وجه الأرض، لا يعرف من صاحبها، ومن هذا قيل عَار الفرس إذا انفلت على صاحبه فذهب على وجهه ولا يدفع. وهذا أصل فى الورع، وفى أن كل ما لا يستبينه الإنسان من شئ طلقًا لنفسه فإنه يجتنبه ويتركه.

وفيه دليل على أن التمرة ونحوها من الطعام إذا وجدها الإنسان ملقاة فى طريق ونحوها أن له أخذها وأكلها إن شاء، وإنها ليست من جملة اللقطة التى حكمها الاستيناء بها والتعريف لها. (معالم السنن).

(٢) (المرجع السابق): حديث رقم (١٦٥٢)، وما بين الحاصرتين فى (خ)، (ج): «من الصدقة»، وصوبناه من (المرجع السابق).

(٣) (سنن أبى داود): ١٢/٢٩٨، كتاب الزكاة، باب (٢٩). الصدقة على بنى هاشم، حديث رقم (١٦٥٠)، واللفظ للترمذى.

(٤) (سنن الترمذى): ٣/٤٦، كتاب الزكاة، باب (٢٥)، ما جاء فى كراهية الصدقة للنبى ﷺ وأهل بيته ومواليه، حديث رقم (٦٥٧).

لنا، وإن مولى القوم منهم(١). وذكره [البخارى] فى كتاب قبول الهدية من حديث إبراهيم بن طهمان، عن محمد بن زياد، عن أبى هريرة قال: كان رسول الله ﷺ إذا أتى بطعام سأل عنه: أهدية أم صدقة؟ فإن قيل: صدقة، قال لأصحابه: كلوا، ولم يأكل، فإن قيل: هدية: ضرب بيده فأكل معهم(٢).

وخرّجه مسلم فى كتاب الزكاة ولفظه: أن النبى ﷺ كان إذا أُتى بطعام سأل عنه، فإن قيل: هدية أكل منها، وإن قيل: صدقة لم يأكل منها(٣).

وخرّجه النسائى من حديث عبد الواحد [بن] واصل، أخبرنا بهز بن حكيم عن أبيه، عن جده قال: كان النبى ﷺ إذا أُتى بشئ سأل عنه، أهديه أم صدقة؟ فإن قيل: صدقة لم يأكل، وإن قيل هديه بسط يده(٤).

وخرّج البخارى من حديث شعبة، عن قتادة، عن أنس، أن النبى ﷺ أُتى بلحم تُصُدِّق به على بريرة فقال: هو عليها صدقة ولنا هدية. ذكره فى كتاب الزكاة(٥)، وفى كتاب الهبة(٦). وخرّجه أبو داود

---

(١) (سنن النسائى): ٥/١١٢، كتاب الزكاة، باب (٩٧) مولى القوم منهم، حديث رقم (٢٦١١).

(٢) (فتح البارى): ٥/٢٥٤، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب (٧) قبول الهدية، حديث رقم (٢٥٧٦).

(٣) (مسلم بشرح النووى): ٧/١٩٠، كتاب الزكاة، باب (٥٣) قبول النبى ﷺ الهدية ورده الصدقة، حديث رقم (١٧٥).

(٤) (سنن النسائى): ٥/١١٢، كتاب الزكاة، باب (٩٨) الصدقة لا تحل للنبى ﷺ، حديث رقم (٢٦١٢)، ولفظه: «كان النبى ﷺ إذا أتى بشئ سأل عنه: أهديه أم صدقة؟ فإن قيل: صدقة لم يأكل، وإن قيل هديه بسط يده» وهو من حديث بُهز بن حكيم عن أبيه عن جده، وبسط يده يعنى أكل.

(٥) (فتح البارى): ٣/٤٥٤، كتاب الصدقة، باب (٦٢) إذا تحولت الصدقة، حديث رقم (١٤٩٥).

(٦) (المرجع السابق): ٥/٢٥٤، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب (٧) قبول الهدية، حديث رقم (٢٥٧٧).

بمثله[1]. وخرّجه مسلم[2] ولفظه: قال: أهدت بريرة إلى رسول الله ﷺ لحمًا تُصُدِّقَ به عليها، فقال: هو لها صدقة، ولنا هدية. وخرّجاه وفيه قصة.

ولمسلم[3] من حديث الليث، عن ابن شهاب، أن عُبيد بن السباق قال: إن جويرية زوج النبى ﷺ أخبرته أن رسول الله ﷺ دخل عليها فقال: هل من طعام؟ قالت: لا والله يا رسول الله! ما عندنا طعام إلا عظم من شاة أعْطيتُه مولاتى من الصدقة، فقال: قَرِّبيه، فقد بلغت محلَّها.

وللبخارى ومسلم من حديث خالد، عن حفصة بنت سيرين، عن أم عطية الأنصارية قالت: دخل النبى ﷺ على عائشة فقال: هل عندكم شئ؟ فقالت: لا، إلا شئ بعثتْ به إلينا نُسَيْبَة، من الشاة التى بُعث بها من الصدقة، فقال: إنها قد بلغت محلها. ذكره البخارى فى باب: إذا تحولت الصدقة فى كتاب الهبة، وفى كتاب الزكاة[4]، وألفاظ طرق مسلم متقاربة.

وخرَّج الإمام أحمد من حديث عيسى بن يونس قال: أخبرنا هشام ابن عروة عن أبيه، عن عائشة [رضى الله عنها] قالت: كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها[1].

---

(١) (سنن أبى داود): ٢ / ٣٠١، كتاب الزكاة، باب (٣٠) الفقير يُهدى للغنى من الصدقة، حديث رقم (١٦٥٥). وبريرة: مولاة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها.

(٢) (مسلم بشرح النووى): ٧ / ١٨٨، كتاب الزكاة، باب (٥٢) إباحة الهدية للنبى ﷺ، ولبنى هاشم، وبنى المطلب، وإن كان المهدى ملكها بطريق الصدقة، إذا قبضها المتصدَّق عليه زال عنها صفة الصدقة، وحلت لكل أحد ممن كانت الصدقة محرمة عليه، حديث رقم (١٠٧٤).

(٣) (المرجع السابق): حديث رقم (١٠٧٣).

(٤) سبق تخريجه.

[وقال ابن سعد: أخبرنا شبابة بن سواد، ومالك بن إسماعيل وعبد الله بن صالح قال: حدثنا إسرائيل عن ثوير، عن أبيه، قال مالك وعبد الله بن صالح، عن علي رضي الله عنه قال: أهدى كسرى إلى رسول الله ﷺ، فقبل منه، وأهدت له الملوك فقبل منهم][2].

* * *

(١) (مسند أحمد): ٧ / ١٣١، حديث رقم (٢٤٠٧٠).

(٢) (طبقات ابن سعد): ١ / ٣٨٩، ذكر قبول رسول الله ﷺ الهدية وتركه الصدقة، وما بين الحاصرتين من (خ) وليس في (ج).

وأمَّا مَا يقوله عند الباكورة

فخرج الدارمى من حديث نعيم بن حماد، عن عبد العزيز بن محمد عن سهيل، عن أبيه، عن أبى هريرة، قال: كان رسول الله ﷺ إذا أُتى بالباكورة بأول الثمرة قال: اللهم بارك لنا فى مدينتنا، وفى ثمرتنا، وفى مدّنا، وفى صاعنا، واجعل بركة مع بركة، ثم يعطيه أصغر من يحضر من الولدان(١).

ولأبى داود من حديث جرير بن حازم، عن يونس الإيلى، عن ابن شهاب، أن رسول الله ﷺ كان إذا أُتى [بالباكور] قال بعضهم: بالباكورة، قبَّلَها ووضعها على عينيه(٢).

وفى لفظ: كان إذا أُتى بالباكورة من الفاكهة، وضعها على عينيه ثم أكل منها وقال: اللهم كما أطعمتنا أولها، فأطعمنا آخرها، وبارك لنا فيها.

ومن حديث عبد العزيز بن محمد، عن العلاء، عن أبيه، عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ كان إذا أُتى بالباكورة قبَّلها ووضعها على عينيه،

---

(١) (سنن الدارمى): ٢/١٠٦ - ١٠٧، باب فى الباكورة.

(٢) هذا الحديث أخرجه مسلم فى كتاب الحج، باب (٨٥) فضل المدينة ودعاء النبى ﷺ فيها بالبركة، وبيان تحريمها وتحريم صيدها وشجرها، وبيان حدود حرمها، حديث رقم (١٣٧٣): عن سهيل بن أبى صالح، عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال: كان الناس إذا رأوا أول الثمر جاءوا به إلى النبى ﷺ، فإذا أخذه رسول الله ﷺ قال: اللهم بارك لنا فى ثمرنا، وبارك لنا فى مدينتنا، وبارك لنا فى مُدِّنا، اللهم إن إبراهيم عبدك، وخليلك ونبيك، وإنى عبدك ونبيك، وأنه دعاك لمكة، وإنى أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه، قال: ثم يدعو أصغر وليد فيعطيه ذلك الثمر.

وأعطاها أصغر من يحضر من الولدان(١).

وخرَّجه ابن حَبَّان من حديث الدّراوَرْدى، عن سهيل، عن أبيه، عن أبى هريرة، أن النبى ﷺ كان إذا أُتى بالباكورة من التمر قال: اللهم بارك لنا فى مدينتنا، ومُدِّنا، وصاعنا، واجعل مع البركة بركة، ثم يعطيه أصغر من حضره من الولدان(٢).

وخرّج الترمذى فى (الشمائل)، من حديث مالك، عن سهيل بن أبى صالح، عن أبيه، عن أبى هريرة قال: كان الناس إذا رأَوْا أول الثمر جاءوا به إلى رسول الله ﷺ، فإذا أخذه قال: اللهم بارك لنا فى ثمارنا، وبارك لنا فى مدينتنا، وبارك لنا فى صاعنا، وفى مُدِّنا، اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك، وإنى عبدك ونبيك، وإنه دعاك لمكة، وإنى أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك به لمكة، ومثله معه، قال: ثم يدعو أصغر وليد يراه، فيعطيه ذلك الثمر(٣).

---

(١) وأخرجه من طرق وبسياقات مختلفة كل من: النسائى فى (عمل اليوم والليلة): ١٠٨، باب ما يقول إذا دعى بأول الثمر فأخذه، والترمذى فى (السنن): ٥ / ٤٧٢، كتاب الدعوات، باب (٥٤) ما يقول إذا رأى الباكورة من الثمر، حديث رقم (٣٤٥٤)، والخطيب البغدادى فى (تاريخ بغداد): ٣ / ٣٨٩، ترجمة محمد بن يعقوب التميمى رقم (١٥٠٣)، ٩ / ١٨٥ - ١٨٦، ترجمة سفيان بن محمد المصيصى رقم (٤٧٦٦)، ١٤ / ٢١٧، ترجمة يحيى بن محمد حيكان النيسابورى رقم (٧٥٠٨).

(٢) (أخلاق النبى): ٢٣٥، وأخرجه أيضًا ابن ماجة فى (السنن): ٢ / ١١٠٥، كتاب الأطعمة، باب (٣٩) إذا أتى بأول الثمرة حديث رقم (٣٣٢٩).

(٣) (الشمائل المحمدية): ١٦٦ - ١٦٧، باب (٣٠) ماجاء فى فاكهة رسول الله ﷺ، حديث رقم (٢٠٢)، قوله: «ثم يدعو أصغر وليد يراه فيعطيه ذلك الثمر» فيه بيان ما كان عليه ﷺ من مكارم الأخلاق وكمال الشفقة والرحمة»، وملاطفة الكبار والصغار، وخص بهذا الصغير لكونه أرغب فيه وأكثر تطلعًا إليه وحرصًا عليه.

وأمَّا أكله بثلاث أصابع ولعقها

فخرّج مسلم من حديث أبى معاوية، عن هشام بن عروة عن عبد الرحمن ابن سعد، عن ابن كعب بن مالك، عن أبيه، قال: كان رسول الله ﷺ يأكل بثلاث أصابع ويلعق يده قبل أن يمسحها[١].

ومن حديث زهير بن حرب، عن ابن مهدى، عن سفيان، عن سعد بن إبراهيم، عن ابن كعب بن مالك، عن أبيه قال: رأيت رسول الله ﷺ يلعق أصابعه الثلاث من الطعام. ولم يذكر محمد بن أبى حاتم عن ابن مهدى الثلاث[٢].

ومن حديث ابن نمير أخبرنا هشام، عن عبد الرحمن بن سعد، أن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، وعبد الله بن كعب [بن مالك أو عبد الله بن كعب][٣]، أخبره عن أبيه كعب، أنه حدَّثهم أن رسول الله ﷺ كان يأكل بثلاث أصابع، فإذا فرغ لعقها[٤].

[و] رواه أبو بكر الشافعى من حديث عمرو بن عثمان قال: حدثنا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبى داود، حدثنا ابن أبى جريج، عن هشام بن عروة، عن محمد بن كعب بن عجرة، عن أبيه كعب [رضى الله عنه] قال:

---

(١) (مسلم بشرح النووى): ١٣ / ٢١٦، كتب الأشربة، باب (١٨) استحباب لعق الأصابع والقصعة، وأكل اللقمة الساقطة بعد مسح ما يصيبها من أذى، وكراهة مسح اليد قل لعقها، حديث بدون رقم بين رقمى (١٣١)، (١٣٢).

(٢) (المرجع السابق): حديث رقم (١٣١)، ثم قال فى آخره: وقال ابن أبى شيبة فى روايته: عن عبد الرحمن بن كعب عن أبيه.

(٣) زيادة للسياق من (صحيح مسلم).

(٤) (المرجع السابق): حديث رقم ١٣٢.

رأيت النبى ﷺ يأكل بأصابعه الثلاث؛ الإبهام، والتى تليها، والوسطى، ثم رأيته يلعق الوسطى، والتى تليها، ثم الإبهام.

وللإمام أحمد من حديث أبى معاوية، أخبرنا هشام بن عروة، عن عبد الرحمن بن سعد، عن [أبىّ بن](١) كعب بن مالك، عن أبيه [رضى الله عنه] قال: كان رسول الله ﷺ يأكل بثلاث أصابع، ولا يمسح يده حتى يلعقها(٢).

وخرّجه الترمذى، عن عبد الرحمن بن مهدى، عن سفيان، عن سعد عن ابن كعب عن أبيه، أن النبى ﷺ كان يلعق أصابعه ثلاثًا(٣).

---

(١) زيادة للسياق.

(٢) (مسند أحمد): ٧/٥٢٢، حديث رقم (٢٦٦٢٦)، ونحوه باختلاف يسير من طريق أخرى، حديث رقم (٢٦٦٢٧).

(٣) (الشمائل المحمدية): ١٢٣، حديث رقم (١٣٨)، وقال أبو عيسى: وروى غير محمد بن بشّار هذا الحديث، قال: كان يلعق أصابعه الثلاث، وقد أشار الترمذى إلى شذوذ لفظه «ثلاثًا» والمحفوظ «الثلاث»، وفارق بين اللفظين.

وأخرجه الترمذى فى (الشمائل) أيضًا، حديث رقم (١٣٩) عن أنس قال: كان النبى ﷺ إذا أكل طعامًا لعق أصابعه الثلاث.

وحديث رقم (١٤٢) عن ابن كعب بن مالك عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ يأكل بأصابعه الثلاث ويلعقهن.

وأخرجه الترمذى فى (السنن): ٤/٢٢٨، كتاب الأطعمة، باب (١١) ما جاء فى اللقمة تسقط، حديث رقم (١٨٠٣).

وأبو داود فى (السنن): ٤/١٨٣-١٨٤، كتاب الأطعمة باب (٥٠) فى اللقمة تسقط، حديث رقم (٣٨٤٥)، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان إذا أكل طعامًا لعق أصابعه الثلاث وقال: «إذا سقطت لقمة أحدكم فليُمط عنها الأذى وليأكلها، ولا يدعها للشيطان» وأمرنا أن نسلت الصحفة، وقال: «إن أحدكم لا يدرى فى أى طعامه يبارك له».

قال الشيخ: سلت الصحفة تتبّع ما يبقى فيها من الطعام ومسحها بالأصبع ونحوه. وقد بين النبى ﷺ العلة فى لعق الأصابع وسلت الصحفة، وهو قوله ﷺ: «فإنه لا يدرى فى أى طعامه يبارك له فيه».

يقول: لعل البركة فيما لعق بالأصابع والصحفة من لطخ ذلك الطعام، وقد أفسدت عقولهم =

ولمسلم من حديث بُهز قال: أخبرنا حمّاد بن سلمة، أخبرنا ثابت، عن أنس [رضى الله عنه] أن رسول الله ﷺ كان إذا أكل طعامًا لعق أصابعه الثلاث[1].

* * *

= الترفة، وغيّر طباعهم الشبع والتخمة، وزعموا أن لعق بالأصابع مستقبح أو مستقذر، كأنهم لم يعلموا أن الذى علق بالأصابع أو الصحفة جزء من أجزاء الطعام الذى أكلوه وازدردوه، فإذا لم يكن سائر أجزائه المأكولة مستقذرة لم يكن هذا الجزء اليسير منه الباقى فى الصحفة واللاصق بالأصابع مستقذراً كذلك.

وإذا ثبت هذا فليس بعده شئ أكثر من مسه أصابعه بباطن شفتيه، وها ما لا يعلم عاقل به باسًا، إذا كان الماس والممسوس جميعًا طاهرين نظيفين، وقد يتمضمض الإنسان فيُدخل إصبعه فى فيه، فيدلك أسنانه وباطن فمه، فلم ير أحدٌ ممن يعقل أنه قذارة أو سوء أدب، فكذلك لا فرق بينهما فى منظر حسّ ولا مخبر عقل. (معالم السنن).

واخرج أبو داود أيضًا فى كتاب الأطعمة من (السنن)، باب (٥٢) فى المنديل، حديث رقم (٣٨٤٧)، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أكل أحدكم فلا يمسحن يده بالمنديل حتى يَلْعَقها أو يُلعِقها»، وهذا الحديث أخرجه البخارى فى الأطعمة، باب لعق الأصابع، ومسلم فى الأشربة، باب استحباب لعق الأصابع، وابن ماجه فى الأطعمة، باب لعق الأصابع، وليس فى حديثهم ذكر المنديل.

ولأبى داود أيضًا فى كاب الأطعمة من (السنن) فى ذات الباب، حديث رقم (٣٨٤٨) عن ابن كعب بن مالك، عن أبيه أن النبى ﷺ كان يأكل بثلاث أصابع، ولا يمسح يده حتى يلعقها.

(١) (مسلم بشرح النووى): ١٣/ ٢١٩، كتاب الأشربة، باب (١٨) استحباب لعق الأصابع والقصعة، وأكل اللقمة الساقطة بعد مسح ما يصيبها من أذى، وكراهة مسح اليد قبل لعقها، حديث رقم (١٣٦)، وتمامه: «وقال إذا سقطت لقمة أحدكم فليمط عنها الأذى وليأكلها، ولايدعها للشيطان، وأمرنا أن نسلت القصعة، قال: فإنكم لا تدرون فى أى طعامكم البركة».

وأمَّا أكله مما يليه

فخرّج ابن حيان من حديث أبى رجاء، عن عبد الحكم، قال: رآنى عبد الله بن جعفر، وأنا غلام، وأنا آكل من ها هنا، وها هنا، فقال: إن رسول الله ﷺ كان إذا أكل لم تعدُ يده ما بين يديه(١).

وأمَّا أنه لا يأكل متكئًا

فخرّج البخارى من حديث مسعر، عن على بن الأقمر، سمعت أبا جحيفة يقول: قال النبى ﷺ: لا آكل متكئًا(٢). وخرّجه أبو داود بهذا الإسناد مثله سواء(٣).

وللبخارى من حديث جرير عن منصور، عن على بن الأقمر، عن أبى جحيفة قال: [كنتُ عند النبى ﷺ] فقال لرجل عنده: لا آكل وأنا متكئ(٤).

وللنسائى من حديث شريك، عن على بن الأقمر، عن أبى جحيفة قال:

---

(١) (فتح البارى): ٩/٦٥٤، كتاب الأطعمة، باب (٣) الأكل مما يليه، حديث رقم (٣٥٧٧)، (٥٣٧٨) من طرق وبسياقات مختلفة. (أخلاق النبى): ١٩٢، (كنز العمال)، حديث رقم (١٨١٧٥).

(٢) (فتح البارى): ٩/٦٧٥، كتاب الأطعمة، باب (١٣) الأكل متكئًا، حديث رقم (٥٣٩٨).

(٣) (سنن أبى داود): ٤/١٤٠-١٤١، كتاب الأطعمة، باب (١٧) ما جاء فى الأكل متكئًا، حديث رقم (٣٧٦٩). قال الخطابى: فالمتكئ هو الذى أوكى مقعدته وشدَّها بالقعود على الوطاء الذى تحته، والمعنى: أنى إذا أكلْت لم أقعد متمكنًا على الأوطئة والوسائد، فعل من يريد أن يستكثر من الأطعمة ويتوسع فى الألوان، ولكنى آكل علقة، وآخذ من الطعام بُلغه، فيكون قعودى مستوفزًا له. (معالم السنن).

(٤) (فتح البارى): ٩/٦٧٥، كتاب الأطعمة، باب (١٣) الأكل متكئًا، حديث رقم (٥٣٩٩).

قال رسول الله ﷺ: أما أنا فلا آكل متكئًا. وله من حديث الزهري، عن محمد بن عبد الله بن عباس قال: كان ابن عباس يحدث أن الله أرسل إلى نبيه ملكًا من الملائكة، ومعه جبريل، فقال له الملك: إن الله يخيرك بين أن تكون عبدًا نبيًا، وبين أن تكون ملكًا، فالتفت رسول الله ﷺ إلى جبريل كالمستشير، فأشار جبريل بيده أن تواضع، فقال رسول الله ﷺ: لا، بل أكون عبدًا نبيًا، فما أكل بعد تلك الكلمة طعامًا متكئًا(١).

وخرّجه عبد الرزاق بنحوه، وقال: عن معمر، عن يحيى بن أبي كثير، أن النبي ﷺ قال: آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد، فإنما أنا عبد.

وقال حماد: عن ثابت البناني، عن شعيب بن عبد الله بن عمرو، عن أبيه قال: ما رؤي رسول الله ﷺ يأكل متكئًا، ولا يطأ عَقِبَه رِجْلان(٢).

---

(١) (المرجع السابق) في شرح الحديث السابق.

وأخرج الترمذي في (الشمائل): ١١٩ باب رقم (٢٢)، ما جاء في تُكأة رسول الله ﷺ، حديث رقم (١٣٣). عن أبي جحيفة قال: قال رسول الله ﷺ: أما أنا فلا آكل متكئًا، وأخرجه في (السنن) ٤: ٢٤٠-٢٤١، كتاب الأطعمة، باب (٢٨) ما جاء في كراهية الأكل مُتكئًا، حديث رقم (١٨٣٠)، قال: وفي الباب عن عليّ وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن عباس.

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، لا نعرفه إلا من حديث عليّ بن الأقمر، وروى زكرياء ابن أبي زائدة وسفيان الثوري وابن سعيد، وغير واحد، عن عليّ بن الأقمر هذا الحديث، وروى شعبة عن سفيان الثوري هذا الحديث عن عليّ بن الأقمر.

وأخرجه ابن ماجة في (السنن): ٢/١٠٨٦، كتاب الأطعمة، باب (٦) الأكل متكئًا، حديث رقم (٣٢٦٢).

وأخرجه الحميدي في (المسند): ٢/٣٨٦، حديث رقم (٨٣٢) و٣٩٥، حديث رقم (٨٩٢) والدارمي في (السنن): ٢/١٠٦، باب في الأكل متكئًا.

وأخرجه البيهقي في (السنن الكبرى): ٧/٤٩، باب ما روى عنه في قوله ﷺ: أما أن فلا آكل متكئًا، وللبيهقي في (شعب الإيمان): ٥/١٠٦، باب في المطاعم والمشارب، الأكل متكئًا، حديث رقم (٥٩٦٩)، (مسند أحمد): ٥/٣٩٨، حديث رقم (١٨٢٧٩)، ٤٠٠، حديث رقم (١٨٢٩١).

(٢) (شعب الإيمان): ٥/١٠٧، حديث رقم (٥٩٧٢).

وأمَّا أنه لم يذم طعامًا

فخرّج البخارى(١) وأبو داود(٢) من حديث الأعمش، عن أبى حازم، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: ماعاب النبى ﷺ طعامًا قط؛ إذا اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه. ذكره فى كتاب الأطعمة، وذكره البخارى أيضًا فى المناقب بهذا الإسناد، غير أنه قال: وإلا تركه.

وخرّجه مسلم أيضًا ولفظه: قال: ما عاب رسول الله ﷺ طعامًا قط، كان إذا اشتهى شيئًا أكله، وإن كرهه تركه(٣). وفى رواية قال: ما رأيت رسول الله ﷺ عاب طعامًا قط، كان إذا اشتهاه أكله، وإن لم يشتهه سكت(٤).

---

(١) (فتح البارى): ٩/٨٣، كتاب الأطعمة، باب (٢١) ما عاب النبى ﷺ طعامًا، حديث رقم (٥٤٠٩) قوله: «ما عاب النبى ﷺ طعامًا» أى مباحًا، أما الحرام فكان يعيبه ويذمه وينهى عنه، وذهب بعضهم إلى أن العيب إن كان من جهة الخلقة كره، وإن كان من جهة الصنعة لم يكره، قال: لأن صنعة الله لا تُعاب، وصنعة الآدميين تُعاب.

قال الحافظ ابن حجر: والذى يظهر التعميم، فإن فيه كسر قلب الصانع. قال النووى: من آداب الطعام المتأكدة أن لا يُعاب، كقوله: مالح، حامض، قليل الملح، غليظ، رقيق، غير ناضج، ونحو ذلك.

قوله: «وإن كرهه تركه»، يعنى مثل ما وقع له فى الضب، ووقع فى رواية أبى يحيى: «وإن لم يشتهه سكت»، أى عن عيبه، قال ابن بطال: هذا من حُسن الأدب، لأن المرء قد لا يشتهى الشئ ويشتهيه غيره، وكل مأذون فى أكله من قبل الشرع ليس فيه عيب.

(المرجع السابق): ٦/٧٠٢، كتاب المناقب، باب (٢٣) صفة النبى ﷺ، حديث رقم (٣٥٦٣).

(٢) (سنن أبى داود): ٤/١٣٧، كتاب الأطعمة، باب (١٤) باب فى كراهية ذم الطعام، حديث رقم (٣٧٦٣).

(٣) (مسلم بشرح النووى): ١٣/٢٦٩، كتاب الأشربة، باب (٣٥) لا يعيب الطعام، حديث رقم (١٧٨).

(٤) (المرجع السابق): حديث رقم (١٨٨).

وللترمذى(١) من حديث عمر بن عبد الله مولى غُفرة قال: حدثنى إبراهيم بن محمد، من ولد على بن أبى طالب، عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ لا يذم ذواقًا ولا يمدحه.

* * *

(١) الحديث الذى فى (سنن الترمذى): ٤ / ٣٣١، كتاب البر والصلة، باب (٨٤) ما جاء فى ترك العيب للنعمة، حديث رقم (٢٠٣١)، عن الأعمش، عن أبى حازم عن أبى هريرة قال: «ما عاب رسول الله ﷺ طعامًا قط، كان إذا اشتهاه أكله وإلا تركه». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. وأبو حازم هو الأشجعىّ الكوفىّ، واسمه سلمان مولى عَزَّة الأشجعية.

وأخرجه ابن ماجة فى (السنن): ٢ / ١٠٨٥، كتاب الأطعمة، باب (٤) النهى أن يُعاب الطعام، حديث رقم (٣٢٥٩).

وأمَّا التسمية إذا أكل وحمْد الله بعد فراغه من الأكل

فخرّج البخارى والنسائى من حديث سفيان، عن ثور، عن خالد بن معدان، عن أبى أمامة رضى الله عنه، أن النبى ﷺ كان إذا رفع مائدته قال: الحمد لله كثيراً طيبًا مباركًا فيه، غير مكفِىّ ولا موَّدع، ولا مستغنىً عنه ربنا(١).

وقال البخارى: كان إذا فرغ من طعامه، ومرة إذا رفع مائدته قال: الحمد لله الذى كفانا وأروانا، غيَّر مكفئ، ولا مكفور. وقال مرة: لك الحمد ربنا غير مكفىّ، ولا موَّدع، ولا مستغنى عنه ربنا(٢). وخرجه أبو داود وقال: إذا رُفعت المائدة(٣)، وخرّجه النسائى(٤).

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا عبد الله بن عامر الأسلمى، عن أبى عبيد حاجب سليمان، عن نعيم بن سلامة، عن رجل من بنى سُليم، وكانت له صحبة، أن النبى ﷺ كان إذا فرغ من طعامه قال: اللهم لك الحمد، أطعمت، وأسقيت، وأشبعت، وأوريت، فلك الحمد غير مكفور،

---

(١) (فتح البارى): ٩/٧٢٣، كتاب الأطعمة، باب (٥٤)، ما يقول إذا فرغ من طعامه، حديث رقم (٥٤٥٨).

(٢) (المرجع السابق): حديث رقم (٥٤٥٩).

(٣) (سنن أبى داود): ٤/١٨٦-١٨٧، كتاب الأطعمة، باب (٥٣)، ما يقول الرجل إذا طعم، حديث رقم (٣٨٤٩). قوله: «غير مكفىّ ولا مودَّع ولا مستغنىً عنه ربنا» معناه: إن الله سبحانه هو المطعم والكافى، وهو غير مطعم ولا مكفىّ، كما قال سبحانه: ﴿**وهو يُطعِم ولا يُطعَم**﴾ [الأنعام: ١٤].

وقوله: «مودع»، أى غير متروك الطلب إليه، والرغبة فيما عنده، ومنه قوله سبحانه: ﴿**ما ودعك ربك وما قلى**﴾ [الضحى: ٣]، أى ما تركك ولا أهانك.

(٤) أخرجه النسائى فى (السنن الكبرى): كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا شبع من الطعام. حديث رقم (٢٨٣)، (٢٨٤). [هامش (الشمائل)]: ١٦٠.

ولا مودع، ولا مودع، ولا مستغنى عنك[1].

ولأبى داود والنسائى من حديث سفيان، عن أبى هاشم إسماعيل بن كثير، عن إسماعيل بن رباح، عن رباح بن عبيدة، عن أبى سعيد الخدرىّ، أن رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من طعامه قال: الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين[2].

---

(١) (مسند أحمد): ٦/٣٣٥، حديث رقم (٢١٦٦٤)، ٦/٣٤١، حديث رقم (٢١٦٩٦)، ٦/٣٥٠، حديث رقم (٢١٧٥٣)، ٦/٣٥٨، حديث رقم (٢١٧٩٨)، كلهم من حديث أبى أمامة الباهلى رضى الله تعالى عنه.

وإخرجه الترمذى (فى السنن): ٥/٤٧٣، كتاب الدعوات، باب (٥٦) ما يقول إذا فرغ الطعام، حديث رقم (٣٤٥٦)، قوله: «غير مودَّع...» يُنصب على أنه حال من الحمد، ومودَّع اسم مفعول من التوديع: أى غير متروك، أو حال من الطعام، يعنى لا يكون آخر طعامنًا من الله، وغير مستغنى عنه، أى هو محتاج إليه، و«ربَّنا» رُوِيَ بالرفع والنصب والجر:

* فالرفع: على تقدير هو ربُّنا، وأنت ربُّنا اسمع حمدنا ودعانا، أو على أنه مبتدأ خبره غير بالرفع وتقدم عليه.
* والنصب: على أنه منادى حذف منه ياء النداء، أو على المدح أو الاختصاص.
* والجر: على أنه بدل من الله، أو على أنه بدل من الضمير فى عنه.

وأخرجه البيهقى فى (السنن الكبرى): ٧/٢٨٦، كتاب الصداق، باب ما يقول إذا فرغ من الطعام.

وأخرجه ابن ماجة فى (السنن): ٢/١٠٩٢-١٠٩٣، كتاب الأطعمة، باب (١٦) ما يقال إذا فرغ من الطعام، حديث رقم (٣٢٨٤).

وأخرجه الترمذى فى (الشمائل): ١٥٩-١٦٠، باب (٢٨) ما جاء فى قول رسول الله ﷺ قبل الطعام وبعد ما يفرغ منه، حديث رقم (١٩٣).

(٢) (سنن أبى داود): ٤/١٨٧، كتاب الأطعمة، باب (٥٣) ما يقول الرجل إذا طعم، حديث رقم (٣٨٥٠).

وأخرجه الترمذى فى (السنن): ٥/٤٧٤، كتاب الدعوات، باب (٥٦) ما يقول إذا فرغ من الطعام، حديث رقم (٣٤٥٧).

وأخرجه الترمذى أيضًا فى (الشمائل): ١٥٩، باب ما جاء فى قول رسول الله ﷺ قبل الطعام وبعد ما يفرغ منه، حديث رقم (١٩٢) وهو حديث إسناده ضعيف، فإن إسماعيل بن رباح مجهول لا يُعرف، وباقى رجال الإسناد ثقات، أبو هاشم هو الرمانى يحيى بن دينار، وقد اضطرب الرواة فى إسناد هذا الحديث مما يُشعر بضعفه، فهو لا يصح مرفوعا ولا موقوفًا وإن كان قد حسنه الحافظ.

وخرَّجه أبو بكر بن أبى شيبة، أخبرنا أبو خالد الأحمر، عن حجاج، عن رباح، عن عبيدة، عن مولى لأبى سعيد، عن أبى سعيد قال: كان رسول الله ﷺ إذا أكل طعامًا قال مثله. وإسناد هذا الحديث مضطرب كما ترى(١).

ولأبى داود والنسائى من حديث ابن وهب قال: أخبرنى سعيد بن أبى أيوب، عن أبى عقيل القرشىّ، عن أبى عبد الرحمن الجبلى، عن أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أكل أو شرب قال: الحمد لله الذى أطعم، وسقى، وسوّغه، وجعل له مخرجًا(٢).

وللنّسائى من حديث ابن وهب قال: أخبرنى سعد عن عكرمة ابن عمرو، عن أبى هبيرة، عن عبد الرحمن بن جبير، عن من خدم النبى ﷺ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا قُرب إليه طعامًا قال: بسم الله، فإذا فرغ من طعامه قال: اللهم أطعمت، وسقيت، وأرويت، وهديت، وأحييت، فلك الحمد على ما أعطيت(٣).

ومن حديث زهير، عن سهيل، عن أبيه، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: [دَعَى] رجل من الأنصار من أهل قُباء - يعنى النبى ﷺ - فانطلقنا

---

(١) (مصنف ابن أبى شيبة): ٥/١٣٨، باب (٢٦) فى التسمية على الطعام، حديث رقم (٢٤٤٩٤)، ورقم (٢٤٤٩٧) من حديث عبد الله بن إدريس، عن حصين، عن إسماعيل بن أبى سعيد، بمثله، وحديث رقم (٢٤٤٩٨)، من حديث محمد بن فضيل عن حصين، عن حصين، عن إسماعيل بن أبى سعيد بمثله.

(٢) (سنن أبى داود): ٤/١٧٧-١٧٨، كتاب الأطعمة، باب (٥٣) ما يقول الرجل إذا طعم، حديث رقم (٣٨٥١)، ونسبه المنذرى للنسائى، قوله: «سوَّغه»، جعله سائغًا، سهل المدخل فى الحلق.

معه، فلما طعم وغسل يده أو يديه قال: الحمد لله الذى يُطْعِم ولا يُطْعَم، منَّ علينا فهدانا، وأطعمنا وسقانا، وكل بلاء حسن أبلانا، الحمد لله غير مودع ولا مكافأ ولا منكور ولا مستغنى عنه، الحمد لله الذى أطعم من الطعام، وسقى من الشراب، وكسى من العرى، وهدى من الضلالة، وبصَّر من العمى، وفضَّل على كثير من خلقه تفضيلاً، الحمد لله رب العالمين(١).

* * *

(١) لم أجدهما فى (السنن)، ولعلهما فى (الكبرى).

وأمَّا ما يقوله إذا أكل عند أحد

فخرّج أبو داود من حديث معمر، عن ثابت، عن أنس [رضى الله عنه]، أن النبى ﷺ جاء إلى سعد بن عبادة، فجاء بخبز وزيت، فأكل، ثم قال النبى ﷺ : أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وصلّت عليكم الملائكة[1].

وخرّج النسائى وقاسم بن أصبغ من حديث وكيع، عن هشام عن يحيى ابن أبى كثير، عن أنس رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أفطر عند أهل بيت قال: أفطر عندكم الصائمون.

وخرّج مسلم من حديث شعبة، عن يزيد بن خمير، عن عبد الله بن بُسر، قال: نزل رسول الله ﷺ على أبى [قال :][2] فقربنا إليه طعامًا ووطبة فأكل منها، ثم أتى بتمر، وكان يأكله ويلقى النوى بين إصبعيه، ويجمع السبابة والوسطى، [قال شعبة :][2] هو ظنّى وهو فيه إن شاء الله تعالى، إلقاء النوى بين [الإصبعين][2] ثم أُتى بشراب فشربه، ثم ناوله الذى عن يمينه، [قال :][2] فقال أبى وأخذ بلجام دابته: أُدْعُ الله عزّ وجلّ لنا، فقال: اللهم بارك لهم فيما رزقتهم، واغفر لهم، وارحمهم[3].

---

(١) (سنن أبى داود) : ٤ / ١٨٩ ، كتاب الأطعمة، باب (٥٥) ما جاء فى الدعاء لرب الطعام إذا أكل عنده، حديث رقم (٣٨٥٤).

(٢) زيادات للسياق من (صحيح مسلم).

(٣) (مسلم بشرح النووى) : ١٣ / ٢٣٧-٢٣٨ ، كتاب الأشربة، باب (٢٢) استحباب وضع النوى خارج التمر، واستحباب دعاء الضيف لأهل الطعام وطلب الدعاء من الضيف الصالح وإجابته لذلك، حديث رقم (١٤٦).

والوطئة بالهمزة أو بالباء عند أهل اللغة طعام يُتَّخَذُ من التمر كالحيس. وفى الحديث من الفوائد أن الشراب ونحوه يُدار على اليمين، وفيه استحباب طلب الدعاء من الفاضل، ودعاء الضيف =

ذكره الترمذى بهذا الإسناد فى كتاب الدعاء، ولم يقل فيه: ووطئه، وقال: حديث حسن صحيح[1]. وذكره أبو داود وقال فى الإسناد: عن عبد الله بن بُسر من بنى سليم، وقال فى الحديث: فقدم إليه طعاماً، فذكر حَيْساً أتاه به[2].

وذكره ابن أبى شيبه عن شعبة بهذا الإسناد وقال: جاء النبى ﷺ فنزل على أبى، فأتاه بطعام سويق وحيس، فأكل، وأتاه بشراب، فشرب، وناوله من عن يمينه، وكان إذا أكل التمر ألقى النوى هكذا، وأشار بأصبعيه على ظهرهما، فلما ركب النبى ﷺ قام أبى فأخذ بلجامه فقال: يا رسول الله، ادْعُ لنا.. الحديث مثله[3].

وخرَّج عبد الرزاق من حديث [معمر]، عن ثابت البنانى، عن أنس أو غيره، أن رسول الله ﷺ استأذن على سعد بن عبادة فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فقال سعد: وعليك السلام ورحمة الله، ولم يُسمع النبى ﷺ حتى سلَّم ثلاثًا ولم يسمعه، فرجع، وأتبعه سعد فقال: يا رسول الله ﷺ، بأبى أنت وأمى، ما سلمتُ تسليمة إلا هى بأذنى، ولقد ردَدْتُ عليك ولم أُسمعْك، أحببتُ أن أستكثر من سلامك ومن البركة، ثم أدخله البيت، فقرب له زبيبًا، فأكل منه نبى الله، فلما فرغ قال: أكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة، وأفطر عندكم الصائمون.

= بتوسعة الرزق والمغفرة والرحمة، وقد جمع ﷺ فى هذا الدعاء خيرات الدنيا والآخرة، والله تعالى أعلم. (مسلم بشرح النووى).

(١) (سنن الترمذى): ٥ / ٥٣٠، كتاب الدعوات، باب (١١٨) فى دعاء الضيف، حديث رقم (٣٥٧٦).

(٢) (سنن أبى داود): ٤ / ١١٥، كتاب الأشربة، باب (٢) فى النفخ فى الشراب والتنفس فيه، حديث رقم (٣٧٢٩).

(٣) (مصنف ابن أبى شيبة): ٦ / ١١٢، باب (١٦٥) دعاء النبى ﷺ للرجل الذى نزل به، حديث رقم (٢٩٨٦٨).

وأمَّا أكله باليمين

فخرّج الحاكم من حديث يحيى بن زكريا بن أبى زائدة قال: أخبرنا أبو أيوب، عبد الله بن على الأفريقى، عن عاصم بن بهدلة، عن المسيب بن رافع، عن حارثة بن وهب الخزاعى[1] قال: حدثتنى حفصة، أن رسول الله ﷺ كان يجعل يمينه لطعامه وشرابه وثيابه، ويجعل يساره لما سوى ذلك. قال: هذا حديث صحيح الإسناد [ولم يخرجاه][2].

وخرّج الإمام أحمد من حديث حماد بن سلمة، حدثنا عاصم بن بهدلة، عن سواء الخزاعى، عن حفصة قال: كان رسول الله ﷺ إذا آوى إلى فراشه اضطجع على يده اليمنى، وكانت يمينه لأكله وشرابه ووضوئه وثيابه، وأخذه وعطائه، وكان يجعل [شماله] لما سوى ذلك[3].

وأمَّا أنه كان لا يأكل من الهدية حتى يأمر صاحبَها أن يأكل منها

فخرّج البزار من حديث سعيد بن محمد يمنى الجرمى، [قال:] حدثنا يحيى بن واضح - هو أبو نميلة - أخبرنا محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبى بكر، عن محمد بن عبد الرحمن مولى آل طلحة، عن ابن الحويكة،

(١) فى (المستدرك): «جارية بنت وهب الخزاعى».

(٢) (المستدرك): ٤ / ١٢٢، كتاب الأطعمة، حديث رقم (٧٠١٩)، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه، قال الحافظ الذهبي فى (التلخيص): فى سنده مجهول.

(٣) (مسند أحمد): ٧ / ٤٠٨، حديث رقم (٢٥٩٢٢)، ٧ / ٤٠٩، حديث رقم (٢٥٩٢٥)، وزاد فى الحديث الأول: «وكان يصوم الاثنين والخميس» وزاد فى الحديث الثانى: «وكان يصوم ثلاثة أيام من كل شهر: الاثنين والخميس والاثنين من الجمعة الأخرى. وكلا الحديثين من حيث أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عن الجميع.

عن عمار بن ياسر [رضى الله عنه] قال: كان رسول الله ﷺ لا يأكل من هدية حتى يأمر صاحبها أن يأكل منها، للشاة التى أُهديت بخيبر[١].

قال البزار: هذا الحديث لا نعلمه يروى عن عمار إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد، وخرّجه الطبرانى فى الكبير من حديث سعيد أيضًا به مثله، وصرّح فى روايته بتحديث عبد الله بن أبى بكر لمحمد بن إسحاق، وسعيد ابن محمد الجرمى، من رجال الصحيحين، وأبو نميلة يحيى بن واضح مُخَرَّجٌ له فى الصحيح، وابن إسحاق قد صرَّح بالتحديث، ومحمد بن عبد الرحمن أخرج له مسلم، ويزيد بن الحوتكيَّة[٢] من رجال النسائى، وهو قوى، لكن حمد بن عبد الرحمن لم أرَ له رواية عنه سوى هذه، وما أظنه أدركه، فيُنظر.

[وقال البكرى: وروى محمد بن عبد الرحمن، وحكيم بن جبير، أنهما سمعا رجلاً من بنى تميم يقال له ابن الحوتكيَّة يقول: قدمنا على عمر بن الخطاب فقال لنفرٍ عنده: أيكم حضر رسول الله [ﷺ] ونحن بالقاحة[٣] إذ أهدى الأعرابى إليه الأرنب، فقال قائل: أنا أحدثكم، كنت معه بالقاحة[٣] فأهدى أعرابى أرنبًا، وكان لا يأكل هدية بعد الشاة المسمومة حتى يأكل صاحبها منها، فقال للأعرابى: كُلْ][٤].

---

(١) (كنز العمال): ٧ / ١٠٦، حديث رقم (١٨١٨٧)، وعزاه إلى الطبرانى عن عمار بن ياسر.

(٢) هو يزيد بن الحوتكية التميمى الكوفى، روى عن عمر وعمار وأبى ذر وأبى الدرداء وأُبىّ بن كعب. وعنه موسى بن طلحة بن عبيد الله، قال يعقوب بن شيبة: وكان ابن الحوتكية أحد أخوال موسى بن طلحة بن عبيد الله، وأكثر ما يأتى غير مسمى.

قال أبو حاتم الرازى: لا أعلم أحداً سماه غير حجاج بن أرطاه عن عثمان بن موهب، عن موسى ابن طلحة، وذكره ابن حبان فى الثقات، له ترجمة فى: (تهذيب التهذيب): ١١ / ٢٨١، ترجمة رقم (٥١٩).

(٣) القاحة مدينة على ثلاث مراحل من المدينة قبل السقيا بنحو ميل. (معجم البلدان): ٤ / ٣٢٩، موضع رقم (٩٣٤٨).

(٤) ما بين الحاصرتين سقط في (ج).

فصل فى ذكر شرب رسول الله ﷺ ومشروباته

اعلم أن رسول الله ﷺ كان يُستعذب له الماء، ويُبَرَّدُ له، وشرب اللبن، وكان يُنبذ له فيشربه، وشرب السويق، وكان يشربه مَصًّا، ولا يتنفس فى الإناء، وشرب قائمًا وقاعداً، وشرب آخر أصحابه، وكان يؤثر من على يمينه بسؤره.

وأما طلب الماء العذب

فخرّج البخارى ومسلم من حديث يحيى بن يحيى قال: قرأتُ على مالك، عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة، أنه سمع أنس بن مالك [رضى الله عنه] يقول: كان أبو طلحة أكثر أنصارىّ المدينة مالاً، وكان أحب أمواله إليه بَيْرُحَاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس رضى الله عنه: فيها نزلت هذه الآية: ﴿**لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبون**﴾، قام أبو طلحة رضى الله عنه، إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! إن الله عزّ وجل يقول: ﴿**لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبون**﴾[1] وإن أحب أموالى بيرحاء، وإنها صدقة أرجو برَّها، وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث شئت، فقال رسول الله ﷺ: بخ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، قد سمعتُ ما قلت، وإنى أرى أن تجعلها فى الأقربين، قال أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه. ذكره البخارى فى كتاب الوكالة، وترجم عليه باب: إذا قال الرجل لوكيله: ضعه حيث أراك الله، وقال الوكيل: قد سمعتُ ما قلت. وقال بعقبه: تابعه إسماعيل عن مالك، وقال روح عن مالك: مال

(١) آل عمران: ٩٢.

رابح. وذكره في كتاب الزكاة، وفي كتاب التفسير، وفي الأشربة، وفي الوقوف[1]. وذكره مسلم في كتاب الزكاة[2]، وخرّجه أبو داود[3] والنسائي[4]، وألفاظهم فيه مختلفة.

ولأبي داود من حديث قتيبة بن سعيد [قال:] حدثنا الدراوردي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ كان يُستعذب له الماء من بيوت السقيا، قال قتيبة: هي عين بينها وبين المدينة يومان[5].

وخرّجه الحاكم بهذا السند، ولفظه: أن رسول الله ﷺ كان يُستسقى له

---

(١) ذكره البخاري في كتاب الزكاة، باب (٤٤) الزكاة على الأقارب. وقال النبي ﷺ: له أجران: أجرُ القرابة والصدقة، حديث رقم (١٤٦١).

وأخرجه في كتاب الوصايا، باب (١٠) إذا وقف أو أوصى لأقاربه وَمَنْ الأقارب؟ حديث رقم (٢٧٥٢)، وفي باب (١٧) من تصدق إلى وكيله، ثم ردَّ الوكيل إليه، حديث رقم (٢٧٥٨)، وفي باب (٢٦) إذا وقف أرضًا ولم يبين الحدود فهو جائز، وكذلك الصدقة، حديث رقم (٢٧٦٩).

وفي كتاب الوكالة، باب (١٥) إذا قال الرجل لوكيله: ضعه حيث أراك الله، وقال الوكيل: قد سمعت ما قلت، حديث رقم (٢٣١٨).

وفي كتاب التفسير، باب (٥) ﴿**لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبون**﴾، حديث رقم (٤٥٥٤)، (٤٥٥٥).

وفي كتاب الأشربة، باب (١٣) استعذاب الماء، حديث رقم (٥٦١١).

(٢) (مسلم بشرح النووي): ٧/ ٨٨ - ٨٩، كتاب الزكاة باب (١٤) فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدان ولو كانوا مشركين، حديث رقم (٤٢).

(٣) (سنن أبي داود): ٢/ ٣١٨ - ٣١٩، كتاب الزكاة، باب (٤٥) في صلة الرحم، حديث رقم (١٦٨٩).

(٤) (سنن النسائي): ٦/ ٥٤٢، كتاب الإحباس، باب (٢) كيف يكتب الحبس، حديث رقم (٣٦٠٤)، وأخرجه النسائي أيضًا في (التفسير): سورة آل عمران. قوله: ﴿**لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبون**﴾، الحديث (٨٧).

(٥) (سنن أبي داود): ٤/ ١١٩، كتاب الأشربة، باب (٢٢) في إيكاء الآنية، حديث رقم (٣٧٣٥).

الماء العذب من بيوت السّقيا. وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم[١].

وخرّجه أحمد ولفظه: كان يُستسقى له الماء العذب من بيوت السقيا[٢]. وخرّجه ابن حبَّان كذلك[٣].

* * *

(١) (المستدرك): ٤ / ١٥٤، كتاب الأشربة، حديث رقم (٧٢٠٤)، وقد سكت عنه الذهبى فى (التلخيص). قال محقق (المستدرك): عبد العزيز بن محمد الدراوردى صدوق من علماء المدينة، غيره أقوى منه.

قال أحمد بن حنبل: إذا حدَّث من حفظه يهم، ليس هو بشئ، وإذا حدَّث من كتابه فنعم.

وقال أحمد أيضًا: إذا حدَّث من حفظه جاء ببواطيل، وأما ابن المدينى فقال: ثقة ثبت، وقال أبو حاتم: لا يحتج به. وقال يحيى بن معين: هو أثبت من فليح. وقال أبو زرعة: سئ الحفظ، وقال ابن معين بن عيسى: يصلح الدراوردى أن يكون أمير المؤمنين. (ميزان الاعتدال): ٢ / ٦٣٣.

(٢) (مسند أحمد): ٧ / ١٤٥، حديث رقم (٢٤١٧٢).

(٣) (أخلاق النبى): ٢٢٧ – ٢٢٨.

وأمَّا [الآبار] التى كان يستعذب له منها الماء

فقال الواقدى: حدثنى معاوية بن عبد الله بن عبيد الله بن أبى رافع، عن جدته سلمى قالت: كان أبو أيوب حين نزل عنده رسول الله ﷺ يستعذب له الماء من بئر مالك بن أبى أنس، فلما صار إلى منزله كان أنس وهند(١) وحارثة ابنا أسماء الأسلميان، يحملون قدور الماء إلى بيوت نسائه من بيوت السقيا، ثم كان رباح – وهو عبد أسود له – يسقى من بئر غرس مرة، ومن بيوت السقيا بأمره(٢).

قال: وحدثنى سليمان بن عاصم قال: قال الهيثم بن نصر الأسلمى: خدمتُ رسول الله ﷺ ولزمت بابه فى قوم محاويج، فكنتُ آتية بالماء من بئر أبى الهيثم بن التيهان جاسم، وكان ماؤها طيبًا، ولقد دخل يومًا صائفًا، ومعه أبو بكر رضى الله عنه على أبى الهيثم فقال له: هل من ماء بارد؟ فأتاه بشجب فيه ماءٌ كأنه الثلج، فصب منه على لبن عنزٍ له، وسقاه، ثم قال له: إن لنا عريشًا باردًا فقِلْ فيه يا رسول الله عندنا، ونضحه بالماء، فدخله وأبو بكر، وأتى أبو الهيثم بألوان من الرطب: عجوة [و] ابن طاب، وأمهات جراذين، ثم جاءهم بعد ذلك بجفنة مملوءة ثريداً عليها العُراق(٣)، فأكل رسول الله ﷺ، وأبو بكر رضى الله عنه، وأكلنا، ثم قال: عجبًا للناس! يقولون توفى رسول الله ﷺ، ولم يشبع من خبز الشعير، فلما حضرت الصلاة، صلى بنا رسول الله ﷺ فى بيت أبى الهيثم، وزوجة أبى الهيثم خلفنا، ثم سلّم وعاد إلى العريش، فصلى فيه ركعتين بعد الظهر

---

(١) فى (الأصلين) : « حيدر »، وصوبناه من (طبقات ابن سعد) .

(٢) فى (الأصلين) : « مرة »، وصوبناه من (طبقات ابن سعد) .

(٣) العراق : عظم عليه لحم يسير.

ورأيته ينصب اليمنى من رجليه، ويفترش اليسرى.

قال الواقدى: وكان رسول الله ﷺ يشرب من بئر لبنى أمية من الأنصار، تسمى العبيرة، فسماها اليسيرة، وفى رواية: كانت تسمى العسيرة فسماها اليسيرة، والأول أثبت، وكان يشرب من بئر رومة بالعقيق، وبصق فيها فعذبت، [قال:] وهى بئر قديمة، قد كانت انطمت، فأتى قوم من مزينة، فحالفوا الأنصار، وقاموا عليها بأبدانهم فأصلحوها، وكانت رومة امرأة منهم، أو أمة لهم تستقى منها للناس، فنسبت إليها(١).

وقال بعض الرواة: إن الشعبة التى هى طرفها تُدعى رومة، والشعبة واد صغير يجرى فيه الماء، ومرّ رسول الله ﷺ بهذه البئر، فرأى عليها رجلاً من مزينة، يسقى عليها بأجر، فقال ﷺ: نعم صدقة المؤمن هذه، فاشتراهاعثمان بن عفان رضى الله عنه بأربع مائة دينار، فتصدق بها، فلمّا علّق عليها العَلَق - والعَلَق: البكرة وآلة السقى - مرّ بها رسول الله ﷺ [فسأل عنها]، فأخير خبرها، فقال: اللهم أوجب لعثمان الجنة، وشرب منها، فقال: هذا هو النقاح(٢) [أما إن هذا الوادى ستكثر مياهه ويُعْذِبون وبئر المَزنىّ أعذبها](٣).

وقال محمد بن سعد، عن الواقدى، عن أبى بكر بن عبد الله بن أبى سبرة، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: بئر غرس من عيون الجنة(٤).

وذكر الواقدى عن سفيان الثورى، عن ابن جريج، عن أبى جعفر قال:

---

(١) (طبقات ابن سعد): ١/٥٠٤.

(٢) (طبقات ابن سعد): ١/٥٠٦، ذكر البئار التى شرب منها رسول الله ﷺ.

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (المرجع السابق).

(٤) (المرجع الاسبق):١/٥٠٥.

كان يستعذب لرسول الله ﷺ الماء من بئر غرس، ومنها غُسّل. وفى رواية وغسّل من بئر لسعد بن خيثمة يقال لها بئر الغرس، وكان يشرب منها.

قال الواقدى احتفر بئر غرس: مالك بن النحاط وهو جد سعد بن خيثمة ابن الحارث بن مالك بن النحاط، وكان له عبد أسود يتولاها، ويقوم عليها، ويكثر السقى منها، وكان يدعى: سلامًا، ويلقب: غرسًا، فيغضب، فنسبت إليه فقيل: بئر غرس، وبئر الغرس. ويقال: إن مالكًا احتفرها، وجعل منها مجرى إلى غرس كان غَرَسه، فكانت تدعى: بئر الغرس، ثم حذفت الألف واللام، فقيل: غرس، ويقال: بئر غُرس بضم الغين، وهو خطأ.

قال الواقدى: عن أُبىّ بن عباس بن سهل بن سعد الساعدى، عن أبيه، عن أبى أُسيد، وأبى حميد، وأبى سهل بن سعد، سمعهم يقولون: أتى رسول الله ﷺ بئر بضاعة، فتوضأ فى الدلو، وردَّها فى البئر، ومج فى الدلو مرة أخرى، وبصق فيها، وشرب من مائها، وكان إذا مرض المريض، قال: اغسلوه من ماء بضاعة، فيُغسل، فكأنما نشط من عقال(١). قال الواقدى: تكون بئر بضاعة سبعًا فى سبع، وعيونها كثيرة، وهى لا تنزح.

وقال هشام بن عمار: حدثنا حاتم بن إسماعيل، عن محمد بن أبى يحيى الأسلمى، عن أمه قالت: دخلنا على سهل بن سعد الساعدى فى بيته، فقال: لو سقيتكم، من بئر بضاعة لكرهتم ذلك، وقد والله سقيتُ منها رسول الله ﷺ بيدى هذه(٢).

قال الواقدى: بضاعة، امرأة قديمة من اليهود، أو قبل اليهود، [كانت] احتفرتها، ثم إنها انطمت [فنزحها] بنو ساعدة وأصلحوها.

---

(١) (المرجع السابق): ١/٥٠٥.

(٢) (طبقات ابن سعد): ١/٥٠٥.

وأمّا تبريد الماء

فخرج مسلم من حديث جابر الطويل: فأتينا المعسكر، فقال رسول الله ﷺ: يا جابر، ناد بوضوء، فقلت: ألا وضوء؟ ألا وضوء؟ قال: فقلت: يا رسول الله! ما وجدتُ في الركب من قطرة، وكان رجل من الأنصار يبرد لرسول الله ﷺ الماء في أشجاب له على حمارة من جريد، فقال لي: انطلق إلى فلان الأنصارى، فانظر هل في أشجابه من شئ؟ قال: فانطلقتُ إليه، فنظرتُ فيها، فلم أجد فيها إلا قطرة في عزلاء شجبٍ منها، ولو أني أفرغته لشربه يابسه، [فأتيتُ رسول الله ﷺ فقلت: يا رسولَ الله إني لم أجد فيها إلا قطرة في عزلاء شجب منها، لو أني أفرغه لشربه يابسه]، قال: اذهب فأتني [به]، فأخذه بيده، ثم جعل يتكلم بشئ لم أدر ما هو، [ويغمزه] بده، ثم أعطانيه فقال: يا جابر، ناد بجفنة، فقلتُ: يا جفنة الركب! فأتيته بها، فوضعها بين يديه فقال ﷺ بيده في الجفنة هكذا، فبسطها، وفرّق بين أصابعه، ثم وضعها في قعر الجفنة وقال: خذ يا جابر، فصُبّ عليّ، وقال: باسم الله. فصببتُ عليه وقلتُ: [باسم] الله، فرأيتُ الماء يتفور من بين أصابع رسول الله ﷺ، ثم فارت الجفنة، ودارت حتى امتلأت. وذكر الحديث(١)، وقد تقدم بطرقه في المعجزات.

وخرّج البخارى من حديث فليح بن سليمان، عن سعيد بن الحارث، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه، أن النبى ﷺ دخل على رجل من

---

(١) (مسلم بشرح النووى): ١٨ / ٣٥٢ - ٣٥٤، كتاب الزهد والرقائق، باب (١٨) حديث جابر الطويل، حديث رقم (٣٠١٣) وقد سبق شرحه في فصل معجزات النبى ﷺ في تكثير الماء، فليراجع.

الأنصار ومعه صاحب له، فسلم النبى وصاحبه، فردّ الرجل، فقال: يا سول الله! بأبى أنت وأمى، وهى ساعة حارة، وهو يحول فى حائط له - يعنى الماء - إن كان عندك ماء بات فى شنة، وإلا كرعنا [والرجل يحول الماء فى حائط]، فقال الرجل: يا رسول الله، عندى ماء بات، فانطلق إلى العريش، فسكب فى قدح ماء، ثم حلب عليه من داجن له، فشرب النبى ﷺ، ثم أعاده فشرب الرجل الذى جاء معه. ترجم عليه باب: الكرع فى الحوض[1]، وذكره فى باب: شوب اللبن بالماء بهذا الإسناد[2].

وذكره أبو داود، ولفظه قال: دخل النبى ﷺ ورجل من أصحابه على رجل من الأنصار وهو يحوّل الماء فى حائطه، فقال رسول الله ﷺ: إن كان عندك ماء بات هذه الليلة فى شنٍّ، وإلا كَرَعْنَا، فقال: بل عندى ماء بات فى شن[3].

وللترمذى[4] والنسائى[5] وأحمد[6]، من حديث سفيان، عن معمر،

---

(١) (فتح البارى): ١٠ / ١٠٨، كتاب الأشربة، باب (٢٠) الكرع فى الحوض، حديث رقم (٥٦٢١).

(٢) (المرجع السابق): باب (١٤) شرب اللبن بالماء، حديث رقم (٥٦١٣)، قوله: « شرب اللبن بالماء ». أى ممزوجًا، وإنما قيده بالشرب للاحتراز عن الخلط عند البيع. ووقع فى رواية الكشميهنى بالواو بدل الراء، [وهى التى أثبتها المقريزى رحمه الله].

(٣) (سنن أبى داود): ٤ / ١١٢ - ١١٣، كتاب الأشربة، باب (١٨) فى الكرع، حديث رقم (٣٧٢٤)، وأخرجه ابن ماجة فى الأشربة، باب الشرب بالأكف والكرع، حديث رقم (٣٤٣٢).

(٤) (سنن الترمذى): ٤ / ٢٧٢، كتاب الأشربة، باب (٢١) ما جاء أى الشراب كان أحب إلى رسول الله ﷺ حديث رقم (١٨٩٥)، من حديث سفيان بن عيينة عن معمر عن الزّهْرىّ عن عروة عن عائشة.
وحديث رقم (١٨٩٦) من حديث عبد الله بن المبارك، عن معمر ويونس عن الزهرى، وأخرجه أيضًا فى (الشمائل): حديث رقم (١٠٥).

(٥) أخرجه النسائى فى (السنن الكبرى)، كتاب الوليمة.

(٦) (مسند أحمد): ٧ / ٥٨، حديث رقم (٢٣٥٨٠)، ٧ / ٦٢، حديث رقم (٢٣٦٠٩)، وله شاهد من حديث ابن عباس ذكره الإمام أحمد فى (المسند): ١ / ٥٥، حديث رقم (٣١١٩) ولفظه: أن النبى ﷺ سئل أى الشراب أطيب؟ قال: الحلو البارد، وفيه راوٍ لم يُسمّ.

عن الزهرى، عن عـروة، عن عـائشـة رضى الله عنهـا قـالت : كـان أحب الشراب إلى رسول الله ﷺ الحلو البرد. قال أبو عيسى: هكذا روى سفيان ابن عيينة هذا الحديث عن معمر، عن الزهرى، عن عروة، عن عائشة. وروى عبد الله بن المبارك، وعبد الرزاق، وَغير واحد، عن معمر، عن الزهرى، عن النبى ﷺ يذكروا فيه: عن عروة، عن عائشة [رضى الله عنها].

وهكذا روى يونس وغير واحد عن الزهرى، عن النبى ﷺ مرسل. قال أبو عيسى: إنما أسنده ابن عيينة من بين الناس، وذكر حديث عبد الله بن المبارك، أخبرنا معمر ويونس، عن الزهرى، أن رسول الله ﷺ سُئل أى الشراب أطيب؟ قال: الحلو البارد.

قال أبو عيسى: وهكذا روى عبد الرّزّاق، عن معمر، عن الزهرى، عن النبى ﷺ مرسل، قال أبو عيسى: وهذا أصح من حديث ابن عيينة.

وذكره الحاكم [حديث] ابن عيينة وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه[1]. وشاهده حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة [رضى الله عنها] قالت: كان أحب الشراب إلى رسول الله ﷺ الحلو البارد[2].

---

(١) (المستدرك): ٤ / ١٥٣، كتاب الأشربة، حديث رقم (٧٢٠٠)، وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، فإنه ليس عند اليمانيين عن معمر، وقال الذهبى فى (التلخيص): على شرط البخارى ومسلم. لم يروه معمر باليمن.

(٢) (المرجع السابق): حديث رقم (٧٢٠١)، وقال الذهبي فى (التلخيص): عبد الله بن محمد بن يحيى هالك.

وأخرجه الحميدى فى (المسند): ١ / ١٢٥، حديث رقم (٢٥٧)، وأخرجه ابن عدى فى (الكامل): ٤ / ١٨٤، فى ترجمة عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة بن الزبير بن العوام، رقم (٣٣ / ١٠٠٠) مدينى، ضعفه أبو حاتم والعقيلى وغيرهم، (لسان الميزان): ٣ / ٣٣١.

وأخرجه ابن أبي شيبة فى (المصنف): ٥ / ١٠٧-١٠٨، كتاب الأشربة، باب (٤٠) ما يستحب من الأشربة، حديث رقم (٢٤١٨٧)، (٢٤١٨٩).

وأمَّا قدحه الذى يشرب فيه

فخرج البخارى فى كتاب الإعتصام، من حديث أبى أسامة، عن بريد، عن أبى بردة قال قدمت المدينة فلقينى عبد الله ابن سلام فقال لى: انطلق إلى المنزل فسأسقيك فى قدح [شرب فيه] النبى ﷺ، وتصلى فى مسجد صلى [فيه] النبى ﷺ، فانطلقت معه، فأسقانى سويقًا، وأطعمنى تمرًا، وصليتُ فى مسجده(١).

وذكره فى كتاب الأشربة، من حديث أبى عوانة، عن عاصم الأحول قال: رأيت قدح النبى ﷺ عند أنس بن مالك [رضى الله عنه]، وكان قد انصدع فسلسلة بفضة، قال: وهو قدح جيد عريض من نُضار. قال: قال أنس [رضى الله عنه]: لقد سقيتُ رسول الله ﷺ فى هذا القدح، أكثر من كذا وكذا(٢).

قال: وقال ابن سيرين: أنه كان فيه حلقة من حديد، فأراد أنس أن يجعل مكانها حلقة من ذهب أو فضة، فقال له أبو طلحة: لا تغيرن شيئًا صنعه رسول الله ﷺ، فتركه(٢).

وذكر فى كتاب الخمس، حديث عاصم، عن ابن سيرين، عن أنس رضى الله عنه، أن قدح رسول الله ﷺ انكسر، فاتخذ مكان الشعب سلسلة من فضة، قال عاصم: رأيت القدح

---

(١) (فتح البارى): ١٣ / ١٢١، كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة، باب (١٦)، حديث رقم (٧٣٤٢).

(٢) (فتح البارى): ١٠ / ١٢١، كتاب الأشربة، باب (٣٠) الشرب من قدح النبى ﷺ وآنيته، حديث رقم (٥٦٣٨).

وشـربتُ فيه(١).

وخرَّج البخارى(٢) ومسلم(٣) من حديث أبى حازم، عن سهل بن سعد قال: ذُكر لرسول الله ﷺ امرأة من العرب، فأمر أبا أسيد: [الساعدى] أن يُرسل إليها، فأرسل إليها، فقدمت، فنزلت فى أُجُم بنى ساعدة، فخرج رسول الله ﷺ حتى جاءها، فدخل عليها، فإذا هى امرأة منكسة رأسها، فلما كلمها [النبى ﷺ] قالت: أعوذ بالله منك! قال: قد أعذتك منى، فقالوا لها: أتدرين من هذا؟ قالت: لا، فقالوا: هذا رسول الله ﷺ، جاءك ليخطبك، فقالت: أنا كنتُ أشقى من ذلك، قال سهل: فأقبل رسول الله ﷺ يومئذ حتى جلس فى سقيفة بنى ساعدة هو وأصحابه، ثم قال: اسقنا أَسَهْل، فأخرجتُ لهم القدح فأسقيتهم فيه. قال أبو حازم: فأخرج لنا سهلٌ ذلك القدح فشربنا فيه، ثم استوهبه بعد ذلك عمر بن عبد العزيز، فوهبه له.

ولمسلم من حديث حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس رضى الله عنه قال: لقد سقيتُ رسول الله ﷺ بقدحى هذا الشراب كله: العسل، والنبيذ، واللبن، والماء(٤).

وروى ابن إسحاق، عن الزهرى، عن عبيد الله، عن ابن عباس رضى الله

---

(١) (فتح البارى): ٦/٢١٦، كتاب فرض الخمس، باب (٥) ما ذكر من درع النبى ﷺ وعصاه وسيفه وقدحه وخاتمه، وما استعمل الخلفاء بعده من ذلك مما لم يُذكر قسمته، ومن شَعره ونعله وآنيته، مما تبرك أصحابه وغيرهم بعد وفاته، حديث رقم (٣١٠٩).

(٢) (المرجع السابق): ١٠/١٢١، كتاب الأشربة، باب (٣٠) الشرب من قدح النبى ﷺ وآنيته، حديث رقم (٥٦٣٧).

(٣) (مسلم بشرح النووى): ١٣/١٨٨، كتاب الأشربة، باب (٩) إباحة النبيذ الذى لم يشتدّ ولم يصر مسكرًا، حديث رقم (٨٨). ثم قال: وفى رواية أبى بكر بن إسحاق: «قال اسقنا يا سهل».

(٤) (مسلم بشرح النووى): ١٣/١٩٠، كتاب الأشربة، باب (١٠) جواز شرب اللبن، حديث رقم (٨٩)، وفيه: «والماء واللبن».

عنهما قال: إن صاحب اسكندرية بعث إلى رسول الله ﷺ بقدح قوارير، [وكان ﷺ] يشرب [فيه].

وخرّج الحاكم من حديث ابن أبى مليكة، عن عائشة [رضى الله عنها]، أنها قالت: كنا نضع لرسول الله ﷺ من الليل ثلاث أوانى مخمَّرة؛ إناءٌ لطهوره، وإناء لسواكه، وإناء لشرابه. وقال: حديث صحيح[1]. [الإسناد ولم يخرجاه][2].

* * *

(١) (المستدرك): ٤ / ١٥٧، كتب الأشربة، حديث رقم (٧٢١٥)، وقال الذهبى فى (التلخيص): صحيح،

(٢) زيادة للسياق من (المستدرك).

وأمَّا شربه اللبن

فخرج البخارى ومسلم من حديث شعبة، عن أبى إسحاق قال: سمعت البراء [قال] قدم النبى ﷺ من مكة، وأبو بكر رضى الله عنه معه، فقال أبو بكر: مررنا براعٍ وقد عطش رسول الله ﷺ - قال أبو بكر رضى الله عنه: فحلبْتُ كُثبة من لبن فى قدح، فشرب حتى رضيتُ، وأتانا سراقةُ ابن جعشم على فرس، فدعا عليه، فطلب إليه سراقة [أن لا] يدعو عليه وأن يرجع، ففعل النبى ﷺ[1]. اللفظ للبخارى.

ولفظ مسلم: عن البراء قال: قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه: لما خرجنا مع النبى ﷺ من مكة إلى المدينة، مررنا براع، وقد عطش رسول الله ﷺ، فحلبت له كُثبه من لبن، فأتيته به، فشرب حتى رضيت[2]. وأخرجاه فى كتاب الهجرة أتم من هذا وأطول.

وللبخارى من حديث سفيان، عن سالم أبى النَّضْر، عن عمير مولى أم الفضل، عن أم الفضل، أنهم شكّوا فى صوم النبى ﷺ يوم عرفة، فبعثت إليه بقدح من لبن فشربه. ذكره فى الأشربة، وترجم عليه باب: الشرب فى الأقداح[3]، وله طرق فى كتاب الصيام، وهو مما اتفقا على إخراجه.

---

(١) (فتح البارى): ١٠ / ٨٦، كتاب الأشربة، باب (١٢) شرب اللبن، وقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ **يخرج من بين فرث ودم لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين** ﴾، حديث رقم (٥٦٠٧)، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه.

(٢) (مسلم بشرح النووى): ١٣ / ١٩٠، كتاب الأشربة، باب (١٠) جواز شرب اللبن، حديث رقم (٩٠).

(٣) (فتح البارى): ١٠ / ٨٦، كتاب الأشربة، باب (١٢) شرب اللبن، حديث رقم (٥٦٠٣) ولفظه كما فى البخارى: «شك الناس فى صيام رسول الله ﷺ يوم عرفة، فأرسلتُ إليه بإناء فيه لبن فشرب» فكان سفيان ربما قال: «شك الناس فى صيام رسول الله ﷺ يوم عرفة، فأرسلت إليه أم الفضل» فإذا وُقف عليه قال: هو عن أم الفضل، باب (٢٩) الشرب فى الأقداح، حديث رقم (٥٦٣٦).

وقال البخارى فى باب شرب اللبن: وقال إبراهيم بن طهمان، عن شعبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: رُفِعَتْ إلىّ السِّدْرةُ، فإذا أربعة أنهار: نهران ظاهران، ونهران باطنان، فأما الظاهران، فالنيل والفرات، وأما الباطنان، فنهران فى الجنة، فأُتيتُ بثلاثة أقداح: قدح فيه لبن، وقدح فيه عسل، وقدح فيه خمر، فأخذت الذى فيه اللبن، فشربت، فقيل لى: أصبت الفطرة أنت وأُمتُك[1]. وذكره مسلم فى كتاب الإيمان، فى حديث الإسراء[2]، وكرره البخارى فى مواضع.

ولابن حَيَّان من حديث ياسين الزيات، عن عطاء، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان أحب الشراب إلى رسول الله ﷺ اللبن[3].

* * *

(١) (فتح البارى): ١٠/ ٨٧، كتاب الأشربة، باب (١٢) شرب اللبن، حديث رقم (٦٥١٠).

(٢) (مسلم بشرح النووى): ٢/ ٥٨١ - ٥٨٣، كتاب الإيمان، باب (٧٤) الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، حديث رقم (٢٦٤).

(٣) (كنز العمال): ٧/ ١١١، حديث رقم (١٨٢٢٣)، وعزاه إلى أبى نعيم فى الطب عن ابن عباس.

وأمّا شربه النبيذ

فخــرج مسلم من حديث أبى عوانة، عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله رضى الله [عنهما] قال: إن النبى ﷺ كان ينبذ له فى تور من حجارة[١].

ومن حديث زهير قال: أخبرنا أبو الزبير عن جابر قال: كان يُنتبذ لرسول الله ﷺ فى سقاءٍ، فإذا لم يجدوا سقاءًا [نُبذَ][٢] له فى تَوْرٍ من حجارة، فقال بعض القوم: وأنا أسمع لأبى الزبير من برام، قال من برام[٣].

ومن حديث شعبة، عن يحيى بن عبيد، أبى عمر البهرانى قال: سمعت ابن عباس رضى الله عنهما يقول: كان رسول الله ﷺ ينتبذ [له] أول الليل، فيشربه إذا أصبح يومه ذلك، والليلة التى تجئ [والليلة الأخرى] والغد، والغد إلى العصر، فإن بقى شئ سقاه الخادم، أو أمر به فصُبّ[٤].

وفى رواية له من حديث شعبة، عن يحيى البهرانى قال: ذكروا النبيذ عند ابن عباس فقال: كان رسول الله ﷺ ينتبذ له فى سقاء. قال شعبة: من ليلة الاثنين، فيشربه يوم الاثنين، والثلاثاء إلى العصر، فإن فضل منه شئ، سقاه الخادم أو صبّه[٥].

---

(١) (مسلم بشرح النووى): ١٣/١٧٨، كتاب الأشربة، باب (٦) النهى عن الإنتباذ فى المزفت والدباء والحنتم والنقير، وبيان أنه منسوخ وانه اليوم حلال، ما لم يصر مسكرًا، حديث رقم (١٩٩٩).

(٢) فى (خ): «نبذوا».

(٣) (المرجع السابق): حديث رقم (٦٢).

(٤) (المرجع السابق): حديث رقم (٦٢).

(٥) (المرجع السابق): ١٨٤ - ١٨٥، كتاب الأشربة، باب (٩) إباحة النبيذ الذى لم يشتد ولم يصر مسكرًا، حديث رقم (٧٩)، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه.

وفى أخرى، عن الأعمش، عن أبى عمر، عن ابن عباس [رضى الله عنهما] قال: كان رسول الله ﷺ ينقع له الزبيب، فيشربه اليوم، والغد، وبعد الغد، إلى مساء الليلة الثالثة، ثم يأمر به فيسقى، أو يهراق(١).

وخرّج أيضًا من حديث الأعمش، عن يحيى [بن] أبى عمر، عن ابن عباس [رضى الله عنهما] قال: كان رسول الله ﷺ ينبذ له الزبيب فى السقاء، فيشربه يومه، والغد، وبعد الغد، فإذا كان مساء الثالث، شربه، وسقاه، فإن فضل شئ أهراقه(٢).

ومن حديث عبيد الله، عن زيد، عن يحيى أبى عمر النخعى قال: سأل قوم ابن عباس عن بيع الخمرة، وشرائها، والتجارة فيها، فقال: أمسلمين أنتم؟ قالوا: نعم، قال: فإنه لا يصلح بيعها، ولا شراؤها، ولا التجارة فيها، قال: فسألوه: عن النبيذ فقال: خرج رسول الله ﷺ فى سفر، ثم رجع، وقد نبذ ناسٌ من أصحابه فى حناتم، ونقير، ودُبّاء، فأمر به فأهريق، ثم أمر بسقاء، فجعل فيه زبيب وماء، فجعل من الليل، فأصبح فشرب منه يومه ذلك، وليلته المستقبله، ومن الغد حتى أمسى، فشرب وسقى، فلما أصبح أمر بما بقى فأهريق(٣).

ومن حديث ثمامة بن حزن القشيرى، قال: لقيتُ عائشة رضى الله عنها، فسألتها عن النبيذ، فدعت جارية حبشية فقالت: سل هذه، إنها كانت تنبذ لرسول الله ﷺ، فقالت الحبشية: كنتُ أنبذ له فى سقاء من الليل: وأوكيه، وأُعلّقه، فإذا أصبح شرب منه(٤).

---

(١) (المرجع السابق): حديث رقم (٨١).

(٢) (المرجع السابق): حديث رقم (٨٢).

(٣) (المرجع السابق): حديث رقم (٨٣).

(٤) (المرجع السابق): حديث رقم (٨٤).

وخرّج مسلم(١) وأبو داود(٢) والترمذى(٣) من حديث يونس بن عبيد، عن الحسن، عن أمه، عن عائشة رضى الله عنها قالت: كنا نَنْبِذُ لرسول الله ﷺ فى سقاء، فنوكئ أعلاه، وله عزلاء، ننبذه غُدوة، فيشربه عشاء، وننبذه عشاء فيشربه غدوة. اللفظ لمسلم. ولفظهما عن عائشة [رضى الله عنهما] قالت: كان يُنْبَذ.

ولأبى داود من حديث مقاتل ابن حيان، قال: حدثتنى عمتى عمرة، عن عائشة رضى الله عنهما، أنها كانت تنبذ لرسول الله ﷺ غُدوة، فإذا كان من العشىّ فتعشى، شرب على عشائه، فإن فضل شئ صببتُه أو أفرغتُه، ثم يُنبذل له بالليل، فإذا أصبح تغدى فشرب على غدائه، قالت: نغسل السقاء غدوة وعشية، فقال لها أبى: مرتين فى اليوم؟ قال: نعم(٤).

وللنسائى من حديث العوام، عن عبد الملك بن نافع قال: قال ابن عمر رضى الله عنه: رأيتُ رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ بقدح فيه نبيذ وهو عند الركن، ودفع إليه القدح، فرفعه إلي فيه، فوجده شديداً فرده علي صاحبه، فقال رجل من القوم: يا رسول الله! أحرام هو؟ فقال: عليّ بالرجل، فأُتى به، فأخذ منه القدح، ثم دعا بماء فصبه فيه، ثم رفعه إلى فيه فقطّب، ثم

---

(١) (المرجع السابق): حديث رقم (٨٥).

(٢) (سنن أبى داود): ٤ / ١٠٤، كتاب الأشربة، باب (١٠) فى صفة النبيد، حديث رقم (٣٧١١). والعزلاء: فم المزادة، وقد يكون ذلك للسقاء من أسفله، ويجمع على العزالى. (معالم السنن).

(٣) (سنن الترمذى): ٤ / ٢٦١ - ٢٦٢، كتاب الأشربة، باب (٧)، ما جاء فى الانتباذ فى السقاء، حديث رقم (١٨٧١)، قال: وفى الباب عن جابر وأبى سعيد وابن عباس. قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث يونس بن عبيد إلا من هذا الحديث من غير هذا الوجه عن عائشة أيضًا.

(٤) (سنن أبى داود): ٤ / ١٠٤، كتاب الأشربة، باب (١٠) فى صفة النبيذ، حديث رقم (٣٧١٢).

دعا بماء أيضًا، فصبه فيه، ثم قال: إذا اغتلمت عليكم هذه الأوعية فاكسروا متونها بالماء(١).

قال أبو عبد الرحمن النسائي: عبد الملك بن نافع ليس بالمشهور، ولا يُحْتَجّ بحديثه، والمشهور عن ابن عمر [رضى الله عنهما] خلاف حكايته، وقال الدارقطنى: وهو مجهول ضعيف، والصحيح عن ابن عمر: أن النبى ﷺ قال: ما أسكر كثيرة، فقليله حرام(٢).

وخرَّج الدارقطنى من حديث الكلبى، عن أبى صالح، عن المطلب بن أبى وداعه السهمى قال: طاف رسول الله ﷺ بالبيت في يوم قائظ شديد الحر، [فاستسقى] رهطًا من قريش فقال: هل عند أحد منكم شراب فيرسل إليّ؟ فأرسل رجل منهم إلى منزله، فجاءت جارية معها إناء فيه نبيذ [زبيب]، فلما رآها النبى ﷺ قال: ألا خمَّرته، ولو بعود تعرضيه عليه، فلما أدناه منه، وجد له رائحة شديدة، فقطب، وردَّ الإناء، فقال الرجل: يا رسول الله! إن يكن حرامًا لم تشربه، [فاستعاد] الإناء، وصنع مثل ذلك، وقال الرجل مثل ذلك، فدعا بدلو من ماء زمزم، فصبه على الإناء وقال: إذا اشتدّ عليكم شرابكم فاصنعوا [به] هكذا. قال الدارقطنى: الكلبيّ متروك، وأبو صالح ضعيف، واسمه باذان، مولى أم هانئ(٣).

---

(١) (سنن النسائى): ٨/٧٢٨، كتاب الأشربة، باب (٤٨) ذكر الأخبار التى اعتل بها من أباح شراب السُّكَر، حديث رقم (٥٧١٠)، قوله: «فوجده شديداً» لعل المراد به - إن صحّ الحديث - أنه وجده قريبًا من الإسكار، وأنه ظهر فيه مبادئ السكر، بحيث إنه لو ترك على حاله لأسكر من قريب.

قوله: «فقطَّب» بتشديد الطاء أو تخفيفه، اى جمع ما بين عينيه كما يفعله العبوس، اى عبس وجهه، وجَمع جلدته لما وجد مكروهًا.

قوله: «إذا اغتلمت» اى اشتدت واضطربت عند الغليان، والمراد إذا قَارَبتْ الاشتداد، والله تعالى اعلم. (حاشية السندى).

(٢) (المرجع السابق): حديث رقم (٥٧١٤)، ولفظه: «المسكر قليله وكثيره حرام»، تفرد به النسائى.

(٣) (سنن الدارقطنى): ٤/٢٦١ - ٢٦٢، حديث رقم (٨١).

وذكره أيضًا من حديث يحيى بن يمان، عن سفيان، عن منصور، عن خالد بن سعد، عن أبى مسعود الأنصارى[1]. ومن حديث زيد بن الحباب، عن سفيان الثورى، عن منصور[2]، ثم قال: لا يصح هذا عن زيد ابن الحباب، ولم يرو على [غير] التسع، وهو ضعيف، وهذا حديث معروف بيحيى بن يمان، ويقال: إنه انقلب عليه الإسناد، واختلط عليه تحديث الكلبى عن أبى صالح.

وقال الواقدى: حدثنى سفيان بن سعيد عن الكلبى، عن أبى صالح، عن المطلب بن أبى وداعة قال: طاف رسول الله ﷺ بالبيت فى يوم صائف وعطش، فاستسقى، فقال رجل: يا رسول الله! عندنا شراب من هذا الزبيب، أفلا نسقيك منه؟ قال: بلى، قال: فبعث الرجل إلى بيته، فأتى بقدح [عظيم]، فأدناه النبى ﷺ من فيه ليشربه، فوجد له ريحًا [شديدة] فكرهه، فردّه، [قال:] ودعا رسول الله ﷺ بماء، ثم دعا به، قال: وأتى بماء من زمزم فصبّ عليه، حتى رأيتُ الماء يفيض من جوانبه، وشرب منه [حاجته]، ثم ناوله الذى عن يمينه، وقال: من أرابه من شرابه ريب، فليكسره بالماء.

قلت: وقد خرّج مسلم[3] وأبو داود[4] هذا الحديث مختصرًا، من حديث الأعمش، عن أبى صالح، عن جابر [رضى الله عنه] قال: كنا مع النبى ﷺ، فاستسقى، فقال رجل: يا رسول الله! ألا نسقيك نبيذًا؟قال: بلى، قال: فخرج الرّجل يسعى، وقال أبو داود: يشتد، فجاء بقدح فيه نبيذ، فقال رسول الله ﷺ: ألا خَمَّرْتَه؟ ولو تعرض عليه [عودًا]. وقال الخطابى[5]: غير الأصمعى يقول: تعرضه، بكسر الراء.

---

(١) (المرجع السابق): حديث رقم (٨٤).

(٢) (المرجع السابق): حديث رقم (٨٦).

(٣) (مسلم بشرح النووى): ١٣/ ١٩٣، كتاب الأشربة، باب (١١) فى شرب النبيذ وتخمير الإناء، حديث رقم (٩٤).

(٤) (سنن أبى داود): ٤/ ١١٨، كتاب الأشربة، باب (٢٢) فى إيكاء الآنية، حديث رقم (٣٧٣٤).

(٥) (معالم السنن) على هامش (سنن أبى داود).

وأمَّا أنه لا يتنفس فى الإناء

فخرج البخارى[1] ومسلم[2] من حديث وكيع، عن عروة بن ثابت الأنصارى، عن ثمامة بن عببد الله بن أنس، عن أنس [رضى الله عنه قال:] إن رسول الله ﷺ كان يتنفس فى الإناء ثلاثًا. ولفظ البخارى: حدثنى ثمامة بن عبد الله قال: كان أنس [رضى الله عنه] يتنفس فى الإناء ثلاثًا، وزعم أن رسول الله ﷺ كان يتنفس ثلاثًا.

ولمسلم من حديث عبد الوارث بن سعيد، عن أبى عصام، عن أنس رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يتنفس فى الشراب ثلاثًا، ويقول: إنه أروى، وأبرأ، وأمرأ. قال أنس [رضى الله عنه] فأنا أتنفس فى الشراب ثلاثًا[3].

وخرّجه أبو داود من حديث هشام، عن أبى عصام، عن أنس [رضى الله عنه] قال: إن النبى ﷺ كان إذا شرب تنفس ثلاثًا، ويقول: هو أهنأ، وأمرأ، وأبرأ[4].

وللترمذى من حديث رُشدين بن كُريب، عن أبيه، عن ابن عباس رضى الله [عنهما]، أن النبى ﷺ كان إذا شرب تنفس

---

(١) (فتح البارى): ١٠/١١٤، كتاب الأشربة، باب (٢٦) الشرب بنفسين أو ثلاثة، حديث رقم (٥٦٣١).

(٢) (مسلم بشرح النووى): ١٣/٢١٠، كتاب الأشربة، باب (١٦) كراهة التنفس فى نفس الإناء واستحباب التنفس خارج الإناء، حديث رقم (١٢٢).

(٣) (المرجع السابق): حديث رقم (١٢٣).

(٤) (سنن أبى داود): ٤/١١٤، كتاب الأشربة، باب (١٩) فى الساقى متى يشرب، حديث رقم (٣٧٢٧).

مرتين[١]، ولفظه فى (الشمائل): كان إذا [شرب تنفس] مرتين[٢]. قال أبو عيسى: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن كريب. قال: وسألت عبد الله بن عبد الرحمن عن رشدين بن كريب، قلت: هو أقوى أو محمد بن كريب؟ فقال: ما أَقْرَ بهما ورشدين بن كريب أرجحهما عندى. قال: وسألت محمد بن إسماعيل عن هذا فقال: محمد ابن كريب أرجح من رشدين بن كريب[٣].

قال أبو عيسى: والقول عندى ما قال [أبو] محمد [عبد الله:] رشدين ابن كريب أرجح وأكبر، وقد أدرك ابن عباس ورآه، وهما أخوان، وعندهما مناكير[٣].

قلت: قال ابن معين: ليس بشئ ليس بثقة، ومرة قال: ضعيف الحديث. وقال السعدى: لا يقرأ حديثه. وقال النسائى: ضعيف. وقال البخارى: منكر الحديث وفيه نظر. قاله ابن عدىّ [و] قال: [أحاديثه] مقاربة، لم أر فيها حديثًا منكرًا جدًا، وهو على ضعفه محمد يكتب حديثه.

وروى أبو بكر الشافعى من حديث يحيى بن سعيد، عن سعيد بن

---

(١) (سنن الترمذى): ٤ / ٢٦٨، كتاب الأشربة، باب (١٤) ما ذكر من الشرب بنفسين، حديث رقم (١٨٨٦).

(٢) (الشمائل المحمدية): ١٧٤، باب (٢٣) ما جاء فى صفة شرب رسول الله ﷺ، حديث رقم (٢١٢)، وما بين الحاصرتين فى (خ)، (ج): «إذا تنفس شرب» وهو ضعيف الإسناد، وفى إسناده رشدين بن كريب بن أبى مسلم الهاشمى مولاهم، وهو ضعيف وباقى رجال الإسناد ثقات.

وأخرجه ابن ماجة فى (السنن): ٢ / ١١٣١، كتاب الأشربة، باب (١٨) الشرب بثلاثة أنفاس، حديث رقم (٣٤١٧).

وأخرجه الإمام أحمد فى (المسند): ١ / ٤٦٨ – ٤٦٩، حديث رقم (٢٥٦٦)، ١ / ٤٧٠، حديث رقم (٢٥٧٣) كلاهما من مسند عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما.

(٣) (سنن الترمذى): ٤ / ٢٦٨، كتاب الأشربة، تعقيب أبى عيسى الترمذى على الحديث رقم (١٨٨٦)، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه.

المسيّب، عن ربيعة بن أكثم قال: كان رسول الله ﷺ يستاك عرضًا، ويشرب مصًا، ويقول: هو هو أهنأ وأمرأ.

وخرّجه أبو جعفر العقيلى فى كتاب (الصحابة)، من حدث اليمان بن عدى الحمصى قال: حدثنى ثابت بن كثير الضبى، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب عن بُهز، ومن حديث على بن ربيعة القرشىّ، عن يحيى بن سعيد بن المسيب [عن] ربيعة بن أكثم.

قال ابن عبد البر: هذان الحديثان: حديث بهز، وحديث ربيعة بن أكثم، ليس لإسناديهما عن سعيد أصل، وليسا بصحيحين من جهة الإسناد عندهم.

وخرّج ابن حيَّان من حديث محمد بن جعفر الوركانى،حدثنا سعيد بن ميسرة، حدثنا أنس بن مالك [رضى الله عنه] أنه رأى رسول الله ﷺ [يشرب جرعة، ثم قطع، ثم سمى، [ثم] جرع، ثم قطع، ثم جرع، ثم قطع، ثم سمى ثلاثًا حتى فرغ، فلما فرغ حمد الله عليه].

وروى أبو بكر الشافعى، من حديث عيسى بن يونس، عن المحلى بن غزوان، عن شقيق، عن ابن مسعود [رضى الله عنه] قال: كان رسول الله ﷺ إذا شرب تنفس على الإناء ثلاثة، يحمد الله على كل نفس، ويشكره عند آخرهن.

* * *

وأمَّا إيثاره من على يمينه

فخرج البخارى من حديث شعيب، عن الزهرى قال: حدثنى أنس بن مالك رضى الله عنه، أنها حُلبت لرسول الله ﷺ شاة داجن، وهو فى دار أنس بن مالك، وشيب لبنها بماء فى البئر التى فى دار أنس بن مالك، فأعطى رسول الله ﷺ القدح فشرب منه، حتى إذا نزع القدح من فيه، وعلى يساره أبو بكر رضى الله عنه، وعن يمينه أعرابى، فقال عمر رضى الله عنه - وخاف أن يعطيه لأعرابى -: أعط أبا بكر يا رسول الله عندك، فأعطاه الأعرابى الذى عن يمينه، ثم قال: الأيمن، فالأيمن. ذكره فى كتاب الشرب، فى باب: من رأى صدقة الماء، وهبته، ووصيته جائزة، وفى باب: شرب الماء باللبن(١).

وخرّجه مسلم من حديث سفيان بن عيينة، عن الزهرى، عن أنس [رضى الله عنه] قال: قدم النبى ﷺ المدينة وأنا ابن عشر، ومات وأنا ابن عشرين، وكنّ أمّهاتى يحثثننى على خدمته، فدخل علينا دارنا، فحلبنا له من شاة داجن، وشيب له من بئر فى الدار، فشرب رسول الله ﷺ، فقال له عمر وأبو بكر رضى الله عنهما عن شماله: يا رسول الله، اعط أبا بكر، فأعطاه أعرابيًا عن يمينه وقال رسول الله ﷺ: الأيمن فالأيمن(٢).

---

(١) (فتح البارى): ١٠ / ٩٢ - ٩٣، كتاب الأشربة، باب (١٤) شرب اللبن بالماء، حديث رقم (٥٦١٢).

(٢) (مسلم بشرح النووى): ١٣ / ٢١٢، كتاب الأشربة، باب (١٧) استحباب إدارة الماء واللبن ونحوهما عن يمين المبتدئ، حديث رقم (١٢٤).

وخرّج البخارى[1] ومسلم[2] وأبو داود[3]، من حديث مالك عن ابن شهاب، عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ، أُتى بلبن قد شيب بماء، وعن يمينه أعرابىّ، وعن يساره أبو بكر رضى الله عنه، فشرب، ثم أعطى الأعرابى وقال الأيمن فالأيمن ترجم عليه البخارى باب: الأيمن فالأيمن فى الشرب. وذكره فى أول كتاب الهبه، من حديث إسماعيل بن جعفر، وسليمان بن بلال، عن أبى طوالة عبد الله بن عبد الرحمن بن حزم، عن أنس [رضى الله عنه] بمعنى ما تقدم، وفى آخره ألا فيمّنوا، الأيمنون، الأيمنون، قال أنس: فهى سُنّة، فهى سُنّة، فهى سُنّة[4]، وهو مما اتفقا عليه من حديث سليمان بن بلال، عن أبى طوالة.

[قال الحافظ أبو نعيم: وهو صحيح متفق عليه، رواه عن الزهرى صالح ابن كيسان، وعبيد الله بن عمر، وابن جريج، ومعمر، والأوزعى، ويزيد بن أبى حبيب، والزبيدى، وشعيب، وعقيل، ويونس، وقرة، وإسحاق بن راشد، والنعمان بن راشد، وأبو أويس، ويوسف بن الماجشون، وعبيد الله ابن أبى زياد، وسفيان بن حسين، وزكريا بن إسحاق، وصالح بن الأخضر، وزمعة بن صالح، [ ]، وعبد الرحمن بن إسحاق][5].

قال ابن عبد البر: ولم تختلف الرواة عن مالك فى إسناده [هذا]

---

(١) (فتح البارى): ١٠ / ١٠٥، كتاب الأشربة، باب (١٨) الأيمن فالأيمن فى الشرب، حديث رقم (٥٦١٩).

(٢) (مسلم بشرح النووى): ١٣ / ٢١١، كتاب الأشربة، باب (١٧) استحباب إدارة الماء واللبن ونحوهما عن يمين المبتدئ، حديث رقم (١٢٤).

(٣) (سنن أبى داود): ٤ / ١١٣ – ١١٤، كتاب الأشربة، باب (١٩) فى الساقى متى يشرب، حديث رقم (٣٧٢٦).

(٤) (فتح البارى): ٥ / ٢٥٢، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب (٤) من استسقى، حديث رقم (٢٥٧١).

(٥) ما بين الحاصرتين سقط فى (ج).

الحديث ولا فى ألفاظه فيما علمت، وقد رواه ابن عيينة عن ابن شهاب فأحسن سياقته، وذكرفيه ألفاظًا لم يذكرها مالك، فذكر حديث سفيان الذى خرجه مسلم، ثم قال: وقد روى هذاالحديث محمد بن الوليد البشرى، عن عبد الرحمن بن مهدى، عن مالك، عن الزهرى، عن أنس، مثل رواية ابن عيينة عن الزهرى سواء، وزاد فيه: وقال الأيمن فالأيمن، فمضت سُنّة.

قال الدارقطنى: ولم يرو أحد هذا الحديث بهذه الألفاظ، إلا البسرى عن ابن مهدى، عنه، وإن كان حفظ فقد أغرب بألفاظ عدد ليست فى الموطأ، منها قوله: قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنا ابن عشر سنين، ومات وأنا ابن عشرين، وكن أمهاتى يحتثثننى على خدمته، فدخل النبى [عليه السلام] دارنا، فحلبنا له من شاة لنا داجن، فكل هذه الألفاظ ليست فى الموطأ، وقوله أيضًا: وعمر ناحية، فقال: أعط أبا بكر، ليست فى الموطأ، وقوله: فمضت سنة، ليست فى الموطأ، ولا فى حديث ابن عيينة أيضًا، وسائر الألفاظ كلها محفوظة عن ابن عيينة، عن الزهرى، عن أنس [رضى الله عنه].

وقد بلغنى عن بعض من تكلف الكلام فى هذا الشأن أنه قال: الأعرابىّ فى هذا الحديث: هو خالد بن الوليد! وهذا منه إغفال شديد، وإقدام على القول بالظن، الذى هو أكذب الحديث، أو تقليد لمن سلك سبيله فى ذلك، ووهم بَيِّن، وغلط واضح من وجهين:

أحدهما: أن الأعرابى كان عن يمين رسول الله ﷺ فى حديث أنس هذا، وخالد بن الوليد كان فى قصة ابن عباس عن يسار رسول الله ﷺ، وابن عباس عن يمينه.

والآخر: أنه اشتبه عليه حديث سهل بن سعد فى الأشياخ مع

الغلام، مع حديث أنس في أبي بكر والأعرابي وإنما دخلت الشبهة في ذلك - والله أعلم - لأن في حديث سهل: وعن يمينه غلام، وعن يساره الأشياخ، والأشياخ أحدهم خالد بن الوليد. وقصة ابن عباس وخالد، غير قصة أبي بكر والأعرابي، وحديث أنس غير حديث سهل بن سعد، فقف على ذلك، ولا تلتفت إلى ما سواه. انتهى.

وحديث سهل الذي أشار إليه الدارقطني، خرّجه البخاري ومسلم من حديث مالك، عن أبي حازم سلمة بن دينار، عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، [قال:] إن رسول الله ﷺ أُتي بشراب فشرب منه، وعن يمينه غلام، وعن يساره أشياخ، فقال للغلام: أتأذن لي أن أعطي [هؤلاء]؟ فقال الغلام: لا، والله لا أؤثر نصيبي منك أحداً، فَتلَّهُ رسول الله ﷺ في يده. اللفظ لمسلم(١).

وذكره البخاري في كتاب الهبة، في باب: الهبة المقبوضة وغير المقبوضة(٢)، وذكره مسلم من حديث عبد العزيز بن أبي حازم، ويعقوب ابن عبد الرحمن القاري، كلاهما عن أبي حازم بمثله، ولم يقولا: فَتَلَّهُ، ولكن في رواية يعقوب قال: فأعطاه إيّاه(٣).

وذكره البخاري في الأشربة، وفي المظالم من حديث مالك عن أبي حازم ترجم عليه في الأشربة، باب: هل يستأذن الرجل من عن يمينه في

---

(١) (مسلم بشرح النووي): ١٣ / ٢١٤، كتاب الأشربة، باب (١٧) استحباب إدارة الماء واللبن ونحوهما عن يمين المبتدئ، حديث رقم (١٢٧).

(٢) (فتح الباري): ٥ / ٢٨٢، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب (٢٣) الهبة المقبوضة وغير المقبوضة، والمقسومة وغير المقسومة، حديث رقم (٢٦٠٥).

(٣) (مسلم بشرح النووي): ١٣ / ٢١٤ - ٢١٥، كتاب الأشربة، باب (١٧) استحباب إدارة الماء واللبن ونحوهما عن يمين المبتدئ، حديث رقم (١٢٨).

الشرب(١)، وترجم عليه في المظالم باب: إذا أذن له أو أجلَّه ولم يبين كم هو(٢). وذكره في الهبة في باب: هبة الواحد للجماعة، وقال فيه: وقال للغلام: إن أذنت لى أعطيت هؤلاء، فقال: ما كنتُ أوثر بنصيبى منك يا رسول الله أحداً فتلَّهُ في يده(٣).

وذكره في أول كتاب الشرب في باب: من رأى صدقة الماء وهبته ووصيته جائزة، مقسومًا كان أو غير مقسوم، من حديث أبى غسَّان، حدثنى أبو حازم عن سهل بن سعد قال: أُتى النبى ﷺ بقدح فشرب منه، وعن يمينه غلام أصغر القوم، والأشياخ عن يساره، فقال: يا غلام! أتأذن أن أعطى الأشياخ؟ قال: ما كنتُ لأوثر بفضلى منك أحداً يا رسول الله، فأعطاه إياه(٣).

وذكره في باب: من رأى أن صاحب الحوض والقربة أحق بمائه، من حديث عبد العزيز عن أبى حازم، عن سهل عن سعد.. الحديث بمثل حديث أبى غسان، غير أنه قال: وهو أحدث القوم، وقال: أتأذن لى، وقال لا أؤثر بنصيبى(٣).

قال ابن عبد البر: وقد ذكر حديث مالك عن أبى حازم المتقدم ذكره، روى ابن أبى حازم هذا الحديث، عن أبيه فقال فيه: وعن يساره أبو بكر رضى الله عنه، ثم ساق معنى حديث مالك سواء، وذِكْرُ أبى بكر في هذا الحديث عندهم خطأ، وإنما هو محفوظ في حديث ابن شهاب.

---

(١) (فتح البارى): ١٠/١٠٦، كتاب الأشربة، باب (١٩) هل يستأذن الرجل من عن يمينه في الشرب ليعطى الأكبر؟ حديث رقم (٥٦٢٠).

(٢) (فتح البارى): ٥/١٢٩ - ١٣٠، كتاب المظالم، باب (١٢) إذا أذن له أو أحله ولم يبين كم هو، حديث رقم (٢٤٥١).

(٣) (المرجع السابق): كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب (٢٢) هبه الواحد للجماعة، حديث رقم (٢٦٠٢) باختلاف يسير في اللفظ.

وذكر من طريق أبى عيسى الترمذى، حديث على بن زيد، عن عمرو ابن أبى حرملة، عن ابن عباس رضى الله [عنهما] قال: دخلتُ أنا وخالد ابن الوليد رضى الله عنه مع رسول الله ﷺ على ميمونة، فجاءتنا بإناء من لبن، فشرب رسول الله [ﷺ] وأنا عن يمينه، وخالد عن شماله، فقال لى: الشربة لك، وإن شئت أمرت بها خالداً: فقلتُ: ما كنتُ لأؤثر بسؤرك أحداً، ثم قال رسول الله ﷺ: من أطعمه الله طعامًا فليقُل: اللهم بارك لنا فيه، وزدنا منه، وقال ﷺ: ليس بشئ يجزئ مكان الطعام والشراب غير اللبن(١).

قال ابن عبد البرّ: والشراب المذكور فى هذا الحديث - يعنى حديث مالك عن أبى حازم - كان لبنًا.

وذكر من طريق قاسم بن أصبغ، حديث إسماعيل بن جعفر قال: أخبرنى أبو حازم، عن سهل بن سعد قال: أُتى رسول الله ﷺ بقدح من لبن، وغلام عن يمينه، والأشياخ أمامه وعن يساره، فشرب رسول الله ﷺ ثم قال للغلام: يا غلام! أتأذن لى أن أسقى الأشياخ؟ قال: ما أُحب أن أؤثر بفضل شربتك على نفسى أحداً من الناس، فناوله رسول الله ﷺ وترك الأشياخ. قال: والغلام المذكور فى هذا الحديث هو ابن عباس، والأشياخ: خالد بن الوليد، أو منهم خالد بن الوليد.

وذكر من حديث إسماعيل بن زكريا الخلقانى أبو زياد، عن سفيان، عن على بن زيد، عن يوسف بن مهران عن ابن عباس [رضى الله عنهما] قال:

---

(١) (سنن الترمذى): ٥/٤٧٢ - ٤٧٣، كتاب الدعوات، باب (٥٥) ما يقول إذا أكل طعامًا، حديث رقم (٣٤٥٥)، وقال: هذا حديث حسن، وروى بعضهم هذا الحديث عن على بن زيد فقال: عن عُمر بن حرملة. وقال بعضهم: عمرو بن حرملة، ولا يصح.

وأخرجه الترمذى أيضًا فى (الشمائل): ١٧٠، باب (٣١) ما جاء فى صفة شراب رسول الله ﷺ، حديث رقم (٢٠٦)، وهو حديث حسن، وقد سبق تخريجه.

أُتى النبىُّ ﷺ بقعب من لبن، فشرب منه، وابن عباس عن يمينه، وخالد بن الوليد عن يساره، فقال: يا ابن عباس! إن الشربة لك، فإن شئت أن تؤثر بها خالداً، فقلتُ: ما أؤثر بسؤرك علىّ أحداً.

وقد روى الحميدىّ الحديث عن سفيان، فخالف فى إسناده الخلقانى، والحميدىّ أثبت منه.

وذكر حديث الترمذى، أخبرنا الحميدى، أخبرنا سفيان، أخبرنا على بن زيد بن جدعان، عن عمر بن حرملة، عن ابن عباس [رضى الله عنه] قال: دخلتُ مع رسول الله على خالتى ميمونة، ومعنا خالد بن الوليد، فقالت له ميمونة: ألا نقدم إليك يا رسول الله شيئًا أهدته لنا أم حفيد؟ قال: بلى، فأتته بضباب مشوية، فلما رآها رسول الله ﷺ، تفل ثلاث مرات، ولم يأكل منها، وأمرنا أن نأكل، ثم أُتى رسول الله ﷺ. بإناء فيه لبن، فشرب، وأنا عن يمينه، وخالد عن يساره، فقال لى رسول الله ﷺ: الشربة لك يا غلام، وإن شئت آثرت بها خالداً، فقلت: ما كنتُ لأؤثر بسؤر رسول الله ﷺ أحداً، ثم قال: من أطعمه الله طعامًا فليقل: اللهم بارك لنا فيه [وأبدلنا ما هو خير منه، ومن سقاه الله لبنًا فليقل: اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه]، فإنى لا أعلم شيئًا يُجزئ من الطعام والشراب غيره[1]. قال: ورواه شعبة، عن عمرو بن حرمل، عن ابن عباس [رضى الله عنه] مثله.

وقال أبو داود الطيالسي: كذا قال لى شعبه وغيره، يقول عمر بن حرملة، وقال الترمذى: اختلف الناس فى رواية هذا الحديث، عن على بن زيد بن جدعان، وروى بعضهم عن على بن زيد، عن عمر بن أبى حرملة، وروى بعضهم [عن] شعبة، عن على بن زيد، عن عمرو بن حرملة،

(١) (سنن الترمذى): ١/ ٢٢٥ - ٢٢٦، حديث رقم (٤٨٢)، وأخرجه أبو داود فى (السنن): ٤/ ١١٦، كتاب الأشربة، باب (٢١) ما يقول إذا شرب اللبن، حديث رقم (٣٧٣٠).

والصحيح : عمر بن أبي حرملة.

وأما شربه آخر أصحابه

فخرج ابن حَيَّان من حديث يزيد الرقاشيّ، عن أنس [رضى الله عنه] قال : كان رسول الله ﷺ يسقى أصحابه، قالوا : يا رسول الله! لو شربت، فقال ﷺ : ساقى القوم آخرهم شرباً(١).

وقد خرّج أبو بكر بن أبى شيبة(٢)، وأبو داود(٣) هذا الحديث من طريق شعبة، عن أبى المختار الأسدى، عن ابن أبى أوفى، أن النبى ﷺ قال : ساقى القوم آخرهم شُرباً.

وخرّجه الترمذى(٤) والنسائى(٥)، من حديث حماد بن زيد، عن ثابت

---

(١) (الأمثال فى الحديث النبوى لأبى الشيخ) : ٣٢٠، حديث رقم (١٨٢) من حديث عبد الله بن رباح عن أبى قتادة، و (أخلاق النبى) : ص ٢٤٢.

(٢) (مصنف ابن أبى شيبة) : ٥/ ١١٠، كتاب الأشربة، باب (٤٦) ساقى القوم، حديث رقم (٢٤٢١٦)، وأخرجه أيضًا من حديث سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن عبد الله بن رباح عن أبى قتادة، حديث رقم (٢٤٢١٧) ولفظه : « ساقى القوم آخرهم شربًا ».

(٣) (سنن أبى داود) : ٤/ ١١٣، كتاب الأشربة، باب (١٩) فى الساقى متى يشراب، حديث رقم (٣٧٢٥).

(٤) (سنن الترمذى) : ٤/ ٢٧١، كتاب الأشربة، باب (٢٠) ما جاء أن ساقى القوم آخرهم شربًا، حديث رقم (١٨٩٤)، قال :وفى الباب عن ابن أبى أوفى، قال : أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح.

(٥) أخرجه النسائى فى (الكبرى) : الوليمة، باب متى يشرب ساقى القوم؟.

وأخرجه ابن ماجة فى (السنن) : ٢/ ١١٣٥، كتاب الأشربة، باب (٢٦) ساقى القوم آخرهم شربًا، حديث رقم (٣٤٣٤).

وأخرجه ابن حيَّان فى (المثال فى الحديث النبوى) : ٢٢٠، حديث رقم (١٨١)، عن عبد الله ابن رباح، عن أبى قتادة : « ساقى القوم آخرهم » ورقم (١٨٣) مثله، (١٨٤)، (١٨٥)، (١٨٦)، (١٨٧) بأسانيد مختلفة. =

البنانى، عن عبد الله بن رباح، عن أبى قتادة [رضى الله عنه]، أن النبى ﷺ قال: ساقى القوم آخرهم يعنى شُربًا. ولم يقل النسائى: يعنى شُربًا. وقال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح، ولم أر تلك الزيادة إلا فى ما خرّجه ابن حبان.

وأما شربه ﷺ قائمًا وقاعدًا

فخرج البخارى من حديث مسعر [عن] عبد الملك، بن ميسرة، عن النزَّال، قال: أتى عليٌّ رضى الله عنه باب الرَّحبَة، فشرب قائمًا، فقال: إن ناسًا يكره أحدهم أن يشرب. وهو قائم، وإنى رأيتُ رسول الله ﷺ فعل كما رأيتمونى فعلت(١).

ومن حديث شعبه، [حدثنا عبد الملك بن ميسرة، سمعتُ النَّزال بن سبرة، يحدث عن على بن أبى طالب [رضى الله عنه] أنه صلى الظهر، ثم قعد فى حوائج الناس فى رحبة الكوفة، حتى حضرتْ صلاة العصر، ثم أُتى بماء، فشرب[فضلة وهو قائم،وغسل وجهه ويديه، وذكر رأسه ورجليه، ثم

= وأخرجه ابن حبّان فى (صحيح): ١٢/ ١٥٤ – ١٥٥، كتاب الأشربة، باب (١) آداب الشرب، ذكر الأمر للقوم إذا اجتمعوا على ماء وأراد أحدهم أن يسقيهم أن يبدأ حتى يكون هو آخرهم شربًا، حديث رقم (٥٣٣٨) من حديث عبد الله بن رباح عن أبى قتادة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ساقى القوم آخرهم».

وأخرجه الإمام مسلم فى (الصحيح): ٥/ ١٩٣، كتاب المساجد ومواضع الصلاة فيها، باب (٥٥) قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها، حديث رقم (٦٨١)، وفيه: قال ﷺ: «إن ساقى القوم آخرهم شربًا»، قال الإمام النووى: فيه هذا الأدب من آداب شاربى الماء واللبن ونحوهما وفى معناه ما يفرق على الجماعة من المأكول، كلحم وفاكهة وشموم وغير ذلك، والله تعالى أعلم (مسلم بشرح النووى).

(١) (فتح البارى): ١٠/ ٩٩ – ١٠٠، كتاب الأشربة، باب (١٦) الشرب قائمًا، حديث رقم (٥٦١٥).

قام، فشرب فضلة وهو قائم] ثم قال: إن ناسًا يكرهون الشرب قائمًا، وإن النبي ﷺ صنع مثل ما صنعت[1]. ذكرهما في الأشربة، في باب الشرب قائمًا.

وذكر في الحج في باب: ما جاء في زمزم، حديث عاصم عن الشعبي، أن ابن عباس [رضى الله عنهما] حدثه قال: سقيت رسول الله ﷺ من زمزم، فشرب وهو قائم، فحلف عكرمة، ما كان ﷺ يومئذ إلا على بعير[2]. وذكره مسلم في الأطعمة، ولم يقل: قال عاصم.. إلى آخره[3].

وذكره البخاري في الأشربة، ولفظه عن ابن عباس [رضى الله عنهما] قال: شرب النبي ﷺ قائمًا من زمزم[4]، ولفظ مسلم: أن النبي ﷺ شرب من زمزم من دلوٍ منها وهو قائم[5]. وفي لفظ: أن رسول الله ﷺ شرب من زمزم وهو قائم[6]. وفي آخر: سمع ابن عباس [رضى الله عنهما] [يقول]: سقيتُ رسول الله ﷺ من زمزم، فشرب قائمًا، واستسقى ﷺ وهو عند البيت[7].

ولأبي بكر بن أبي شيبة، من حديث محمد بن فُضيل، عن عطاء بن [المسيب]، عن ميسرة قال: رأيت عليًا رضى الله عنه يشرب قائمًا، فقلت

---

(١) (المرجع السابق): حديث رقم (٥٦١٦).

(٢) (فتح الباري): ٣/ ٦٢٩، كتاب الحج، باب (٧٦) ما جاء في زمزم، حديث رقم (١٦٣٧).

(٣) (مسلم بشرح النووي): ١٣/ ٢٠٨، كتاب الأشربه، باب (١٥) في الشرب من زمزم قائمًا، حديث رقم (١١٧).

(٤) (فتح الباري): ١٠/ ١٠٠، كتاب الأشربة، باب (١٦) الشرب قائمًا، حديث رقم (٥٦١٧).

(٥) (مسلم بشرح النووي): ١٣/ ٢٠٨ - ٢٠٩، كتاب الأشربة، باب (١٥) في الشرب قائمًا، حديث رقم (١١٨).

(٦) (المرجع السابق): حديث رقم (١١٩).

(٧) (المرجع السابق): حديث رقم (١٢٠)

له: تشرب قائمًا! فقال: لئن شربتُ قائمًا، لقد رأيت رسول الله ﷺ شرب قائمًا، ولئن شربتُ قاعدًا، فلقد رأيتُ رسول الله ﷺ يشرب قاعدًا(١).

وللترمذى من حديث حسين المعلم، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: رأيتُ رسول الله ﷺ يشرب قائما وقاعدًا. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن [صحيح](٢).

ولابن حَيَّان من حديث مكحول، أن مسروقًا حدثهم عن عائشة رضى الله عنها، أن النبى ﷺ شرب قاعدًا، وقائمًا، وصلى حافيًا، ومنتعلاً، وانصرف عن يمينه، وعن شماله(٣).

---

(١) (مصنف ابن أبى شيبة): ٥/ ٩٩ - ١٠٠، كتاب الأشربة، باب (٢٥) من رخَّص في الشرب قائمًا، حديث رقم (٢٤٠٩٩).

(٢) (سنن الترمذى): ٤/ ٢٦٦ - ٢٦٧، كتاب الأشربة، باب (١٢) ما جاء في الرخصة في الشرب قائمًا، حديث رقم (١٨٨٣)، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه.

(٣) (أخلاق النبى): ٢٢٥، والحديث أخرجه كل من: الإمام أحمد فى (المسند): ٢/ ٣٦، حديث رقم (٦٥٩٠)، ٢/ ٣٧٢ - ٣٧٣، حديث رقم (٦٦٢٢)، ٢/ ٣٧٤، حديث رقم (٦٦٤١)، ٢/ ٣٩٢، حديث رقم (٦٧٤٤)، ٢/ ٤١٩، حديث رقم (٦٨٨٩)، ٢/ ٤٣٤، حديث رقم (٦٩٨٢)، وكلها شواهد يصح بها هذا الحديث، والبيهقى فى (السنن الكبرى)، ٢/ ٤٣١، من طريق آخر عن عائشة رضى الله عنها.

وذكر الشيخ الألبانى فى (السلسلة الصحيحة): ١/ ٢٨٨، حديث رقم (١٧٧)، ثم قال: وظاهر النهى في هذه الأحاديث يفيد تحريم الشرب قائمًا بلا عذر، وقد جاءت أحاديث كثيرة أن النبى ﷺ شرب قائمًا، فاختلف العلماء فى التوفيق بينها، والجمهور على أن النهى للتنزيه، والأمر بالاستقاء للاستحباب.

وخالفهم ابن حزم، فذهب إلى التحريم، ولعل هذا هو الأقرب للصواب، فإن القول بالتنزيه لا يساعد عليه لفظ «زجر»، ولا الأمر بالاستقاء، لأنه -أعنى الاستقاء- فيه مشقة شديدة على الإنسان، وما أعلم أن فى الشريعة مثل هذا التكليف كجزاء لمن تساهل بأمر مستحب، وكذلك قوله: «قد شرب معك الشيطان» فيه تنفير شديد عن الشرب قائمًا، وما إخال ذلك يقال فى ترك مستحب.

وأحاديث الشرب: قائمًا يمكن أن تحمل على العذر كضيق المكان، أو كون القربة معلقة، وفى بعض الأحاديث الإشارة إلى ذلك، والله تعالى أعلم. (المرجع السابق): ٢٨٩.

وللترمذى فى (الشمائل)، من حديث سفيان، عن يزيد بن يزيد بن جابر، عن عبد الرحمن بن أبى عمرة، عن جدته كبشة، قالت: دخل علىّ رسول الله ﷺ فشرب من [فىّ] قربة معلقة قائمًا، فقمتُ إلى فيها فقطعتُه(١).

ومن حديث ابن جريج، عن عبد الكريم، عن البراء بن زيد بن بنت أنس ابن مالك أن النبى ﷺ دخل وقربة معلقة، فشرب من فم القربة، وهو قائم، فقامت أم سليم إلى رأس القربة فقطعتْها(٢).

---

(١) (الشمائل المحمدية): ١٧٥، باب (٣٢) ما جاء فى صفة شرب رسول الله ﷺ، حديث رقم (٢١٣)، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (سنن الترمذى): ٤ / ٢٧٠، كتاب الأشربة، باب (١٨) ماجاء فى الرخصة فى الشرب قائما، حديث رقم (١٨٩٢)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب، ويزيد بن يزيد بن جابر هو أخو عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، وهو أقدم منه موتًا.

وأخرجه ابن ماجة فى (السنن): ٢/ ١١٣٢، كتاب الأشربة، باب (٢١) الشرب قائمًا، حديث رقم (٣٤٢٣)، وفيه: «فقطعت فم القربة، تبتغى بركة موضع فى رسول الله ﷺ».

وأخرجه الإمام أحمد فى (المسند): ٧/ ٥٨٧، حديث رقم (٢٦٩٠٢)، وقال وقرئ عليه هذا الحديث -يعنى سفيان- سمعت يزيد عن عبد الرحمن بن أبى عمرة عن جدتى وهى كبيشة [بيت ثابت أخت حسان]. (التهذيب).

والحميدى فى (المسند): ١/ ١٧٢، حديث رقم (٣٥٤)، وأخرجه ابن حبان فى (صحيحه): ١٢/ ١٣٨ - ١٣٩، كتاب الأشربة، باب (١) آداب الشرب، ذكر إباحة شرب الماء إذا كان قائمًا، حديث رقم (٥٣١٨).

قال الإمام النووى فى (شرح مسلم): ١٣/ ٢٠٥ - ٢٠٦، كتاب الأشربة، باب (١٣) آداب الطعام والشراب وأحكامهما فى شرح الحديث رقم (١١٠) بعد أن ذكر حديث كبيشة، قال: وقطعها لفم القربة فعلته لوجهين: أحدهما: أن تصون موضعًا أصابه فم رسول الله ﷺ عن أن يبتذل ويمسّه كل أحد.

والثانى: أن تحفظه للتبرك به والاستشفاء، والله تعالى أعلم. فهذا الحديث يدل على أن النهى ليس للتحريم، والله تعالى أعلم.

(٢) (الشمائل المحمدية): ١٧٦ - ١٧٧، حديث رقم (٢١٥) وهو حديث صحيح لغيره، تفرد به الترمذى، وله ما يشهد لصحته من طرق آخر.

فصل فى طب رسول الله ﷺ(*)

(*) قال العلامة ابن القيم: المرض نوعان: مرض القلوب، ومرض الأبدان، وهما مذكوران فى القرآن.

ومرض القلوب نوعان: مرض شبهة وشك، ومرض شهوة وغَىّ، وكلاهما فى القرآن.

قال تعالى فى مرض الشبهة: ﴿ فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ﴾ [البقرة: ١٠]، وقال تعالى: ﴿ وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا ﴾ [المدثر: ٣١].

وقال تعالى فى حق من دُعى إلى تحكيم القرآن والسنة، فأبى وأعرض: ﴿ وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون * وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين * أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون ﴾ [النور: ٤٨ - ٥٠]، فهذا مرض الشبهات والشكوك.

وأما مرض الشهوات فقال تعالى: ﴿ يا نساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي فى قلبه مرض ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، فهذا مرض شهوة الزنى، والله تعالى أعلم.

وأما مرض الأبدان، فقال تعالى: ﴿ ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ﴾ [النور: ٦١]، وذكر مرض البدن فى الحج والصوم والوضوء لسرٍّ بديع يبين لك عظمة القرآن، والاستغناء به لمن فهمه وعقله عن سواه، وذلك أن قواعد طب الأبدان ثلاثة: حفظًا للصحة، والحِمية عن المؤذى، واستفراغ المواد الفاسدة. فذكر سبحانه هذه الأصول الثلاثة فى هذه المواضع الثلاثة:

فقال فى آية الصوم: ﴿ فمن كان منكم مريضًا أو على سفر فعدة من أيام أخر ﴾ [البقرة: ١٨٤]، فأباح الفطر للمريض لعذر المرض، وللمسافر طلبًا لحفظ صحته وقوته، لئلا يذهبها الصوم فى السفر، لاجتماع شدة الحركة، وما يوجبه من التحليل، وعدم الغذاء الذى يخلف ما تحلل، فتخور القوة، وتضعف، فأباح للمسافر الفطر، حفظًا لصحته وقوته عما يضعفها.

وقال فى آية الحج: ﴿ فمن كان منكم مريضًا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك ﴾ [البقرة: ١٩٦]، فأباح للمريض، ومن به اذى من راسه، من قَمْلٍ، أو حِكَّةٍ، أو غيرهما، أن يحلق رأسه فى الإحرام، استفراغًا لمادة الأبخرة الرديئة التى أوجبت له الأذى فى رأسه باحتقانها تحت الشعر، فإذا حلق رأسه، تفتحت المسام، فخرجت تلك الأبخرة منها.

فهذا الاستفراغ يقاس عليه كل استفراغ يؤذى احتباسه، والأشياء التى يؤذى انحباسها ومدافعتها عشرة: الدم إذا هاج، والمنى إذا تبيَّغ، والبول، والغائط، والريح، والقيء، والعطاس، والنوم، والجوع، والعطش. وكل واحد من هذه العشرة يوجب حبسه داء من الأدواء بحبسه.

وقد نبه سبحانه باستفراغ أدناها، وهو البخار المحتقن فى الرأس، على استفراغ ما هو أصعب منه =

اعلم أن رسول الله ﷺ مرض، وسُحر، واحتجم، وتداوى،وسُمّ ورقا.

= كما هى طريقة القرآن فى التنبيه بالأدنى على الأعلى.

وأما الحمية: فقال تعالى فى آية الوضوء: ﴿**وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيبًا**﴾ [النساء: ٤٣]، فأباح للمريض العدول عن الماء إلى التراب حمية له أن يصيب جسده ما يؤذيه، وهذا تنبيه على الحمية عن كل مؤذٍ له من داخل أو خارج، فقد أرشد -سبحانه- عباده إلى أصول الطب ومجامع قواعده، ونحن نذكر هدى رسول الله ﷺ، ونبين أن هديهُ فيه أكمل هَدْى.

فأما طِبُّ الأبدان فإنه نوعان:

نوع قد فطر الله عليه الحيوان ناطقه وبهيمه، فهذا لا يُحتاج فيه إلى معالجة طبيب، كطب الجوع، والعطش، والبردوالتعب بأضدادها وما يزيلها.

والثانى: ما يحتاج إلى فكر وتأمل، كدفع الأمراض المتشابهة الحادثة فى المزاج، بحيث يخرج بها عن الاعتدال، إما إلى حرارة، أو برودة، أو يبوسة، أو رطوبة، أو ما يتركب من اثنين منها.

فالطبيب هو الذى يفرق بين ما يضر بالإنسان جمعه، أو يجمع فيه ما يضره تفرقه، أو ينقص منه ما يضره زيادته، أو يزيد فيه ما يضره نقصه، فيجلب الصحة المفقودة، أو يحفظها بالشكل والشبه، ويدفع العلة الموجودة بالضد والنقيض، ويخرجها، أو يدفعها بما يمنع من حصولها بالحمية.

فكان من هديه ﷺ فعل التداوى فى نفسه، والأمر به لمن أصابه مرض من أهله وأصحابه، ولكن لم يكن من هديه ﷺ ولا هدى أصحابه استعمال هذه الأدوية المركبة، التى تسمى: أقرباذين، بل كان غالب أدويتهم بالمفردات، وربما أضافوا إلى المفرد ما يُعاونه، أو يكسر سورته، وهذا غالب طب الأمم على اختلاف أجناسها من العرب والترك، وأهل البوادى قاطبة، وإنما عُنى بالمركبات الروم واليونان، وأكثر طب الهند بالمفردات.

وقد اتفق الأطباء على أنه متى أمكن التداوى بالغذاء لا يُعدل عنه إلى الدواء، ومتى أمكن بالبسيط لا يعدل عنه بالمركب. قالوا وكل داء قُدر على دفعه بالأغذية والحمية، لم يحاول دفعه بالأدوية.

وفى قوله ﷺ: «لكل داء دواء» تقوية لنفس المريض والطبيب، وحث على طلب ذلك الدواء والتفتيش عليه، فإن المريض إذا استشعرت نفسه أن لدائه دواء يزيله، تعلق قلبه بروح الرجاء، وبردت عنده حرارة اليأس، وانفتح له باب الرجاء.

وكذلك الطبيب إذا علم أن لهذا الداء دواء أمكنه طلبه والتفتيش عليه، وأمراض الأبدان على وزن أمراض القلوب، وما جعل الله للقلب مرضًا إلا جعل له شفاء بضده، فإن علمه صاحب الداء واستعمله، وصادف داء قلبه، أبرأه بإذن الله تعالى. (زاد المعاد): ٤ / ٥ - ١٧، مختصرًا.

أمـا طِبّـه ﷺ

فخرج النسائى والدولابى من حديث محمد بن يوسف، عن سفيان، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب، عن عبد الله بن مسعود، رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ما أنزل الله داءً إلا أنزل له دواء. وقال الدولابى: شفاء، فعليكم بألبان البقر، فإنها ترم من كل الشجر. وقال النسائى: خالفه عبد الرحمن وذكر حديث عبد الرحمن، عن سفيان، عن يزيد، عن قيس بن مسلم، عن طارق قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله لم يضع داءً إلا وضع له شفاء، وعليكم بألبان البقر، فأمر بها وقال: إنها دواء من كل داء. فهذه ثلاثة أحاديث: أولها: مُسند، والثانى: مرسل، والثالث: موقوف على ابن مسعود[1]. وخرّجه ابن حبان، عن سفيان به[2].

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادى فى (تاريخ بغداد): ٣/ ٤٣٧ - ٤٣٨، من حديث الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه، وابن أبى شيبة فى (المصنف): ٥/ ٣٠، كتاب الطب، باب (١) من رخص فى الدواء والطب، حديث رقم (٢٣٤٠٤)، وفيه: «إن الله تبارك وتعالى لم ينزل داءً إلا أنزل معه شفاءً»، وحديث رقم (٢٣٤٠٥)، وفيه: «إن الله حيث خلق الداء خلق الدواء فتداووا»، وحديث رقم (٢٣٤٠٦)، وفيه: «ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاءً»، وحديث رقم (٢٣٤٠٧)، وفيه: «تداووا عباد الله فإ الله لم يضع داءً إلا وضع معه شفاءً إلا الهرم».

وأخرجه ابن ماجة فى (السنن): ٢/ ١١٣٨، كتاب الطب، باب (١) ما أنزل الله داءً إلا أنزل شفاءً، حديث رقم (٣٤٣٨)، (٣٤٣٩).

(٢) (الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان): ١٣/ ٤٢٧، كتاب الطب، ذكر الأمر بالتداوى، إذ الله جلَّ وعلا لم يخلق داءً إلا خلق له دواءً خلا شيئين، حديث رقم (٦٠٦١) من حديث، حدثنا زياد ابن علاقة، سمع أسامة بن شريك يقول: شهدْت النبى ﷺ والأعراب يسألونه: يا رسول الله، هل علينا جناح فى كذا -مرتين- فقال: «عباد الله، وضع الله الحرج إلا امرؤ اقترض من عرض أخيه شيئًا، فذلك الذى حرج»، قالوا: يا رسول الله، فهل علينا جُناح أن نتداوى؟ فقال: «تداوَوْا عباد الله، فإ الله لم يضع داءً إلا وضع له دواءً». قالوا: يا رسول الله، فما خير ما أُعطى العبد؟ قال: خُلُقٌ حسن» قال =

= سفيان [بن عيينة]: ما على وجه الأرض اليوم إسنادٌ أجود من هذا.

وفي باب ذكر الإخبار عن إنزال الله لكل داءٍ دواءٌ يُتداوى به، حديث رقم (٦٠٦٢)، وهو حديث ابن مسعود رضى الله تعالى عنه.

وفي باب ذكر الإخبار بأن العلة التي خلقها الله جل وعلا إذا عولجتْ بدواء غير دوائها لم تبرأ حتى تُعالج به، حديث رقم (٦٠٦٣)، عن جابر عن رسول الله ﷺ قال: «إن لكل داءٍ دواءً، فإذا أُصيب دواء الداء برأ بإذن الله».

وفي باب ذكر وصف الشيئين اللذين لا دواء لهما، حديث رقم (٦٠٦٤)، عن أسامة بن شريك، قال: قال رسول الله ﷺ: تداوَوْا، فإن الله لم يُنزل داءً إلا وقد انزل له شفاءً، إلا السام والهَرَم، وهو حديث إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين، غير أن أسامة بن شريك لم يخرج له الشيخان، وحديثه عند أصحاب السنن.

وفي باب ذكر خبر أوهم غير المتَبحِّر في صناعة العلم أن ألبان البقر نافعةٌ لكل من به علة من العلل، حديث رقم (٦٠٧٥) من حديث عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنزل الله داءً إلا أنزل له دواءً، فعليكم بألبان البقر، فإنها تَرُمّ من كل الشجر» إسناده صحيح، ورجاله ثقات.

وحديث رقم (٢٣٤٠٨)، وفيه: «إن الله لم ينزل داءً - أو لم يخلق داءً - إلا وقد أنزل - أو خلق - له دواءً، علمه من علمه، وجهله من جهله إلا السَّام» قالوا: يا رسول الله! وما السام؟ قال: «الموت»، وحديث رقم ((٢٣٤١))؛ وفيه: «أنّ رجلاً من أسلم أصابه جرح، فاحتقن الدم، وأنّ رسول الله ﷺ دعا له رجلين من بني أنمار فقال: «أيكما أطبُّ؟» فقال رجل: يا رسول الله؛ أفي الطب خير؟ فقال ﷺ: «إن الذي أنزل الداء أنزل الدواء»، وحديث رقم (٢٣٤١١)، عن أبي قلابة قال: ﴿وقيل من راق﴾ [القيامة: ٢٧] قال: من طبيب، وحديث رقم (٢٣٤١٢) عن أبي قلابة، عن كعب قال: إن الله يقول: أنا الذي أصح وأداوي».

وخرج أبو عبد الله الحاكم في (المستدرك): ٤ / ٤٤١، كتاب (٤٨) الطب، حديث رقم (٨٢٠٥): «إن الله عزَّ وجلَّ لم ينزل داءً إلا وأنزل له شفاء علمه من علمه، وجهله من جهله» ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص): صحيح.

وحديث رقم (٨٢٠٦). وفيه: «نعم تداووا عباد الله، فإن الله تعالى لم يضع داء إلا وضع له دواء غير داء واحد»، قالوا: يا رسول الله وما هو؟ قال: «الهرم» قالوا: يا رسول الله ما خير ما أُعطي الإنسان؟ قال: «خلق حسن»، ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد، فقد رواه عشرة من أئمة المسلمين وثقاتهم عن زياد بن علاقة، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص): صحيح، رواه عشرة من أئمة المسلمين عن زياد.

وحديث رقم (٨٢٢٤): «عليكم بألبان البقر فإنها ترم من كل شجر وهو شفاء من كل داء»، =

وأما حِمْيَــة المريض

خرّج أبو داود من حديث فُلَيح بن سليمان، عن أيوب بن عبد الرحمن ابن صعصعة [الأنصارى]، عن يعقوب بن أبى يعقوب، عن أم المنذر بنت

= ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): صحيح.

وأخرجه العلاء الهندى فى (كنز العمال): ١٠/ ٤ - ٨، كتاب الطب والرقى والطاعون، من طرق وبسياقات مختلفة، الأحاديث أرقام (٢٨٠٧٧) إلى (٢٨٠٩٩).

وأخرجه الإمام أحمد فى (المسند) ١/ ٦٢٣، حديث رقم (٣٥٦٨) من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه، ٢/ ٣٦، حديث رقم (٤٣٢٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه.

وأخرجه الترمذى فى (السنن): ٤/ ٣٣٥، كتاب الطب، باب (٢) مَا جاء فى الدواء والحث عليه، حديث رقم (٢٠٣٨) من حديث أبى عوانة، عن زياد بن علاقة، عن أسامة بن شريك، قال أبو عيسى: وفى الباب عن ابن مسعود وأبى هريرة، وأبى خزامة عن أبيه وابن عباس، وهذا حديث حسن صحيح.

وأخرجه أبو داود فى (السنن): ٤/ ١٩٢، كتاب الطب، باب (١) فى الرجل يتداوى، حديث رقم (٣٨٥٥). قال الشيخ: فى الحديث إثبات الطب والعلاج، وأن التداوى مباح غير مكروه، كما ذهب إليه بعض الناس.

وفيه أنه جعل الهرم داءً، وإنما هو ضعف الكبر، وليس من الأدواء التى هى أسقام عارضة للأبدان من قبل اختلاف الطبائع، وتغير الأمزجة، وإنما شبهه بالداء لأنه جالب للتلف، كالأدواء التى قد يتعقبها الموت والهلاك، وهذا كقول النمر بن تولب:

دعوت ربى السلامة جاهداً
ليصحنى فإذا السلامة داءُ

يريد: أن العمر لما طال به أداه إلى الهرم فصار بمنزلة المريض الذى قد أدنفه الداء وأضعف قواه، وكقول حميد بن نور الهذلى:

أرى بصرى قد رابنى بعد صحة
وحسبك داءً أن تصِحَّ وتَسْلَمَا

وحدثنى إبراهيم بن عبد الرحمن العنبرى، حدثنا ابن أبى قَمَّاش، حدثنا ابن عائشة -عن حماد ابن سلمة، عن حميد، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «لو لم يكن لابن آدم إلا السلامة والصحة لكان كفى بهما داءً قاضياً» (معالم السنن).

قيس الأنصارية، قالت: دخل [علىّ] رسول الله ﷺ ومعه علىّ رضى الله عنه، وعلىٌّ [ناقهٌ ولنا دوالٍ] معلقة، فقام رسول الله ﷺ يأكل منها، وقام علىٌّ ليأكل، فطفق رسول الله ﷺ يقول لعلىّ: مهْ إنك ناقهٌ، حتى كفّ علىٌّ رضى الله عنه، قالت: وصنعْتُ شعيراً، وسلقًا، فجئتُ به، فقال رسول الله ﷺ: [يا] علىُّ، أصِبْ من هذا فهو أنفع لك(١).

إطعام المريض ما يشتهيه

خرّج قاسم بن أصبغ، من حديث أبى مكين، نوح بن ربيعة البصرى، عن عكرمة، عن ابن عباس رضى الله عنهما، أن رسول الله ﷺ عاد رجلاً

(١) (سنن أبى داود): ٤ / ١٩٣، كتاب الطب، باب (٢) فى الحمية، حديث رقم (٣٨٥٦)، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه، والدوالى: جمع دالية وهي الفرق من البُسر، يعلق حتى إذا أرطب أُكل، مه: اسم فعل أمر بمعنى أكفف، ناقهٌ: أى قريب عهد بالمرض لم يستكمل صحته.

وأخرجه الترمذى فى (السنن): ٤/ ٣٣٥، كتاب الطب، باب (١) ما جاء فى الحمية، حديث رقم (٢٠٣٧)، وقال فيه: «فإنه أوفق لك». وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث فُليح، ويروى عن فليح عن أيوب بن عبد الرحمن. ثم قال: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا أبو عامر وأبو داود قال: حدثنا فليح بن سليمان عن أيوب بن عبد الرحمن، عن يعقوب عن أم المنذر الأنصارية فى حديثه قالت: دخل علينا رسول الله ﷺ فذكر نحو حديث يونس بن محمد، إلا أنه قال: «أنفع لك»، وقال محمد بن بشار: وحدثنيه أيوب بن عبد الرحمن، هذا حديث جيد غريب.

وأخرجه ابن ماجة فى (السنن): ٢/ ١١٣٩، كتاب الطب، باب (٣) الحمية، حديث رقم (٣٤٤٢).

وأخرجه الإمام أحمد فى (المسند): ٧/ ٥٠٦، حديث رقم (٢٤٥١١)، من حديث أم المنذر بنت قيس الأنصارية رضى الله عنها.

واعلم أن فى منع النبى ﷺ لعلىٌّ من الأكل من الدوالى وهو ناقهٌ أحسن التدبير، فإن الدوالى أقناء من الرطب تلعق فى البيت للأكل بمنزلة عناقيد العنب، والفاكهة تضر بالناقه من المرض لسرعة استحالتها، وضعف الطبيعة عن دفعها، فإنها لم تتمكن بعد من قوتها، وهى مشغولة بدفع آثار العلة، وإزالتها من البدن (زاد المعاد): ٤/ ١٠٥.

من الأنصار، قال: ما تشتهى؟ قال: أشتهى خُبْزَ بُرٌّ، فقال النبى ﷺ: من عنده خبز بُرّ: فانطلق رجل، فجاء بكسرة خُبز بُرّ، فأطعمها النبى ﷺ إيّاه وقال: النبى ﷺ: إذا اشتهى مريض أحدكم شيئًا فليطعمه[1].

* * *

(١) (سنن ابن ماجة): ١/ ٤٦٣، كتاب الجنائز باب (١) ما جاء فى عيادة المريض، حديث رقم (١٤٣٩)، ٢/ ١١٣٩، كتاب الطب، باب (٢) المريض يشتهى الشىء، حديث رقم (٣٤٤٠)، وحديث رقم (٣٤٤١)، وفيه «أشتهى كعكًا، والكعك خبز يعمل مستديراً من الدقيق والحليب والسكر، أو غير ذلك، والواحدة كعكة. والكلمة فارسية معربة، وفى الأول صفوان بن هبيرة، وهو لين الحديث، وفى الثانى يزيد الرقاشىّ وهو ضعيف.

العين حق ودواء المصاب

خرّج البخارى ومسلم(١)، من حديث مسلم بن إبراهيم، قال: أخبرنا وهيب عن ابن طاووس، عن أبيه، عن ابن عباس [رضى الله عنهما]، عن النبى ﷺ قال: العين حق، ولو كان شىء سابق القدر، سبقته العين، وإذا استُغْسلتم فاغسلوا(٢).

---

(١) فى (الأصلين): «مسلم والنسائى» والصواب ما أثبتناه.

وفى هذا الحديث سرٌ طبىٌ لطيف، فإن المريض إذا تناول ما يشتهيه عن جوع صادق طبيعى، وكان فيه ضرر ما، كان أنفع وأقل ضرراً مما لا يشتهيه، وإن كان نافعًا فى نفسه، فإن صدق شهوته، ومحبة الطبيعة يدفع ضرره، وبغض الطبيعة وكراهتها للنافع، قد يجلب لها منه ضرراً.

وبالجملة: فاللذيذ المشتهيتقبل الطبيعة عليه بعناية، فتهضمه على أحمد الوجوه، سيما عند انبعاث النفس إليه بصدق الشهوة، وصحة القوة، والله تعالى أعلم. (زاد المعاد): ٤/ ١٠٦.

(٢) (فتح البارى): ١٠/ ٢٤٩، كتاب الطب، باب (٣٦) العين حق، حديث رقم (٥٧٤٠) ولفظه: «عن النبى ﷺ قال: العين حق. ونهى عن الوشم»، وأخرجه أيضًا بسنده ولفظه فى كتاب اللباس، باب (٨٦) الواشمة، حديث رقم (٥٩٤٤).

قوله: «العين حق»، أى الإصابة بالعين شىء ثابت موجود، أو هو من جملة ما تحقق كونه. قال المازرى: أخذ الجمهور بظاهر الحديث، وأنكره طوائف المبتدعة لغير معنى، لأن كل شىء ليس محالاً فى نفسه، ولا يؤدى إلى قلب حقيقة، ولا إفساد دليل، فهو من متجاوزات العقول، فإذا أخبر الشرع بوقوعه لم يكن لإنكاره معنى، وهل من فرق بين إنكارهم هذا وإنكارهم ما يخبر به من أمور الآخرة؟ (فتح البارى).

قوله: «العين حق ونهى عن الوشم»، لم تظهر المناسبة بين هاتين الجملتين، فكأنهما حديثان مستقلان، ولهذا حذف مسلم وأبو داود الجملة الثانية من روايتهما، مع أنهما أخرجاه من رواية عبد الرزاق، الذى أخرجه البخارى من جهته، ويحتمل أن يقال: المناسبة بينهما اشتراكهما فى أن كلا منهما يحدث فى العضو لونًا غير لونه الأصلى.

والوَشْم بفتح الواو وسكون المعجمة: أن يغرز إبرة أو نحوها فى موضع من البدن حتى يسيل الدم، ثم يُحشى ذلك الموضع بالكحل أو نحوه فيخضر (فتح البارى). =

. . . .

= قال الحافظ فى (الفتح) : وقد ظهرت لى مناسبة بين هاتين الجملتين لم أر من سبق إليها، وهى أن من جملة الباعث على الوشم تغير صفة الموشوم لئلا تصيبه العين، فنهى عن الوشم مع إثبات العين، وأن التحيل بالوشم وغيره مما لا يستند إلى تعليم الشارع لا يفيد شيئًا، وأن الذى قدره الله سيقع.

وأخرجه مسلم من حديث ابن عباس رفعه : « العين حق، ولو كان شىء سابق القدر لسبقته العين، وإذا استغسلتم فاغسلوا » [سيأتى شرحه].

فأما الزيادة الأولى، ففيها تأكيد وتنبيه على سرعة نفوذها وتأثيره فى الذات، وفيها إشارة إلى الرد على من زعم من المتصوفة أن قوله : « العين حق » يريد به القدر أى العين التى تجرى منها الأحكام، فإن عين الشىء حقيقته، والمعنى أن الذى يصيب من الضرر بالعادة عند نظر الناظر، إنما هو بقدر الله السابق، لا بشىء يحدثه الناظر فى المنظور.

ووجه الرد : أن الحديث ظاهر فى المغايرة بين القدر وبين العين، وإن كنا نعتقد أن العين من جملة المقدور، لكن ظاهره إثبات العين التى تصيب، إما بما جعل الله تعالى فيها من ذلك وأودعه فيها، وإما بإجراء العادة بحدوث الضرر عند تحديد النظر، وإنما جرى الحديث مجرى المبالغة فى إثبات العين، لا أنه يمكن أن يرد القدر شىء، إذ القدر عبارة عن سابق علم الله، وهو لارادّ لأمره، أشار إلى ذلك القرطبى. وحاصله لو فُرض أن شيئًا له قوة بحيث يسبق القدر لكان العينُ، لكنها لا تسبق، فكيف غيرها. (فتح البارى).

وأخرجه الإمام مسلم فى (صحيحه بشرح النووى) : ١٤ / ٤٢٢ - ٤٢٤، كتاب السلام، باب (١٦) الطب والمرض والرقى، حديث رقم (٢١٨٧) ولفظه : « العين حق »، وحديث رقم (٢١٨٨) بزيادة : « ولو كان شىء سابق القدر سبقته العين، وإذا استغسلتم فاغسلوا ».

قال الحافظ فى (الفتح) : وأما الزيادة الثانية، وهى أمر العاين بالاغتسال عند طلب المعيون منه ذلك، ففيها إشارة إلى أن الاغتسال لذلك كان معلومًا بينهم، وأمرهم أن لا يمتنعوا منه إذا أريد منهم، وظاهر الأمر الوجوب، وحكى المازرى فيه خلافًا وصحح الوجوب وقال متي خشى الهلاك، وكان اغتسال العائن مما جرت العادة الشفاء به فإنه يتعين.

وقد وقع فى حديث سهل من حنيف عند أحمد والنسائى وصححه ابن حبان من طريق الزهرى عن أبى أمامة بن سهل بن حُنَيْف « أن أباه حدثه أن النبى ﷺ خرج وساروا معه نحو ماء، حتى إذا كانوا بشعب الخرار من الجحفة، اغتسل سهل ابن حُنيف -وكان أبيض حسن الجسم والجلد- فنظر إليه عامر بن ربيعة فقال : ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة، فلبط -أى صُرع وزنًا ومعنى- سهل. فأتى رسول الله ﷺ فقال : هل تتهمون به من أحد؟ قالوا : عامر بن ربيعة، فدعا عامرًا فتغيَّظ عليه، فقال : علام يقتل أحدكم أخاه؟ هلا إذا رأيت ما يعجبك برَّكت؟ ثم قال : اغتسل له، فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه، وأطراف رجليه، وداخلة إزاره فى قدح، ثم يصب ذلك الماء عليه رجلٌ من خلفه =

ولأبى داود من حديث جرير، عن الأعمش، عن إبراهيم عن الأسود، عن عائشة رضى الله عنها [قالت]: كان يؤمر العائن فيتوضأ، ثم يغتسل منه المعين(١).

وللنسائى من حديث عمار بن زريق، عن عبد الله بن عيسى، عن أمية

= على رأسه وظهره، ثم يكفأ القدح؛ ففعل به ذلك، فراح سهل مع الناس ليس به بأس» لفظ أحمد من رواية أبى أويس عن الزهرى. (فتح البارى)، ومنه تنبيهات:

الأول: اقتصر النووى فى (الأذكار) على قوله: الاغتسال أن يُقال للعائن: اغسل داخلة إزاك مما يلى الجلد، فإذا فعل صَبَّهُ على المنظور إليه، وهذا يوهم الانتصار على ذلك، وهو عجيب، ولا سيما وقد نقل فى (شرح مسلم) كلام عياض بطوله.

الثانى: قال المازرى: هذا المعنى مما لا يمكن تعليله ومعرفة وجهه من جهة العقل، فلا يرد لكونه لا يعقل معناه، وقال ابن العربى: إن توقف فيه متشرع قلنا له: قل الله ورسوله أعلم -وقد عضدته التجربة، وصدقته المعاينة، أو متفلسف، فالرد عليه أظهر، لأن عنده الأدوية تفعل بقواها، وقد تفعل بمعنى لا يدرك، ويسمون ما هذا سبيله الخواص.

الثالث: هذا الغسل ينفع بعد استحكام النظرة، فأما عند الإصابة وقبل الاستحكام، فقد أرشد الشارع إلى ما يدفعه بقوله فى قصة سهل بن حنيف المذكورة كما مضى: «ألا بركت عليه»، وفى رواية ابن ماجة: «فليدع بالبركة»، ومثله عند ابن السنى من حديث عامر بن ربيعة.

وأخرج البزار وابن السنى من حديث أنس رفعه: «من رأى شيئًا. وأعجبه فقال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، لم يضره».

وفى الحديث من الفوائد أيضًا: أن العائن إذا عرف يُقضى عليه بالاغتسال، وأن الاغتسال من النشرة النافعة، وأن العين تكون مع الإعجاب، ولو بغير حسد، ولو من الرجل المحب، ومن الرجل الصالح.

وأن الذى يعجبه الشيء ينبغى أن يبادر إلى الدعاء للذى يعجبه بالبركة، ويكون ذلك رقية منه، وأن الماء المستعمل طاهر، وفيه جواز الاغتسال بالفضاء، وأن الإصابة بالعين قد تقتل.

وقد اختلف فى جريان القصاص بذلك، فقال القرطبى: لو أتلف العائن شيئًا ضمنه، ولو قتل فعليه القصاص أو الدية إذا تكرر ذلك منه بحيث يصير عادة، وهو فى ذلك كالساحر عند من لا يقتله كفرًا، وقال النووى فى (الروضة): لا دية فيه ولا كفارة.

(١) (سنن أبى داود): ٤/ ٢١٠، كتاب الطب، باب (١٥) ما جاء فى العين، حديث رقم (٣٨٨٠)، والعائن: الذى أصاب غيره بالعين، يراد به الحاسد، والمعين: -المصاب بعين غيره- أى المسحود.

ابن خالد، -كذا قال- عن عبد الله بن عامر بن ربيعة، عن أبيه قال: خرجتُ أنا وسهل بن حُنيف نلتمس الخمر، فأصبنا غديرًا خمرًا، وكان أحدنا يستحى أن يتجرد وأحد يراه، فاستتر حتى رأى أن قد فعل، نزع جُبَّة صوف عليه، فنظرتُ إليه، فأعجبنى خَلْقُه، فأصبته بعين، فأخذته قَفْقَفَة، فدعوته فلم يجبنى، فأتيتُ النبى ﷺ، فأخبرتُه، فقال: قوموا بنا، فرفع عن ساقيه حتى خاض إليه الماء، فكأنى أنظر إلى وضح ساقى النبى ﷺ، فضرب صدره وقال: بسم الله، اللهم أذهب حرّها، وبردها، ووصبها، قُم بإذن الله، فقام، فقال رسول الله ﷺ: إذا رأى أحدُكم من نفسه، أو ماله، أو أخيه شيئًا يعجبه، فليدع بالبركة، فإن العين حق(١).

ولمالك، عن ابن شهاب، عن أبى أمامة بن سهل بن حنيف، أنه قال: رأى عامر بن ربيعة سهل بن حنيف يغتسل، فقال: ما رأيت كاليوم ولا جِلْدَ مخبَّأةٍ، فَلُبِط سَهْلٌ، فَأُتى رسول الله ﷺ، فقيل: يا رسول الله هل لك فى سهل بن حنيف؟ والله ما يرفع رأسه، فقال: هل تتهمون له أحدًا؟ قالوا: نتهم عامر بن ربيعة، قال: فدعا رسول الله ﷺ عامرًا، فتغيظ عليه وقال: علام يقتُل أحدكم أخاه؟ ألا [برّكت]؟ اغتسل له، فغسّل عامر وجهه، ومرفقيه، وركبتيه، وأطراف رجليه، وداخلة إزاره فى قدح، ثم صُبّ عليه، فراح سهل مع الناس ليس به بأس(٢).

---

(١) راجع تعليق رقم (٣).

(٢) (شرح الزرقانى على الموطأ): ٤ / ٤٠٦، كتاب الجامع، باب (٦٥٠) الوضوء من العين، حديث رقم (١٨١٠) عن مالك عن محمد بن أبى أمامة، وحديث رقم (١٨١١) عن مالك عن ابن شهاب عن أبى أمامة.

قوله: «جلد مخباة» بضم الميم وخاء معجمة وموحدة والهمز: وهى المخدرة المكنونة، التى لا تراها العيون، ولا تبرز للشمس فتغيرها، يعنى أن جلد سهل كجلد المخبأة إعجابًا بحسنه. (الزرقانى).

وفى (النهاية): المخباة، الجارية التى فى خدرها لم تتزوج بعد، لأن صيانتها أبلغ ممن قد تزوجت.

لم يذكر يحى فى هذا الحديث غسل اليدين، وقال القعنبىّ، وابن بكير، وجماعة الرواة عن مالك: فغسل وجهه، ويديه، ومرفقيه. قال أبو عمر بن عبد البر: ليس فى حديث مالك هذا فى غسل العائن عن النبى [عليه السلام] أكثر من قوله: اغتسل له، وفيه كيفية الغسل من فعل عامر بن ربيعة(١).

ورواه معمر عن الزهرى، عن أبى أمامة بن سهل بن حنيف قال: رأى عامر بن ربيعة سهل بن حنيف وهو يغتسل، فتعجب منه، فقال: تا الله إنى رأيتُ كاليوم ولا جلدة مخبأة فى خدرها، أو قال: جلد فتاة فى خدرها، قال: فلبخ به حتى ما يرفع رأسه، قال: فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: هل أحداً [تتهمون]؟ قالوا: لا يا رسول الله، إن عامر بن ربيعة قال له: كذا، وكذا، فدعا عامراً فقال: سبحان الله! علام يقتُل أحدكم أخاه؟ إذا رأى منه شيئًا يعجبه، فليدع له بالبركة، قال: ثم أمره، فغسل وجهه، وظهر عينيه، ومرفقيه، وغسل صدره، وداخل إزاره، وركبتيه، وأطراف قدميه ظاهرهما فى الإناء، ثم أمره فصبه على رأسه، وكفأ الإناء من خلفه،

---

(١) قال الزهرى: وهذا من العلم. يغتسل العائن فى قدح من ماء، يدخل يده فيه، فيمضمض ويمجه فى القدح، ويغسل وجهه فيه، ثم يصب بيده اليسرى على كتفه اليمنى، ثم باليمنى على كتفه اليسرى، ثم يدخل يده اليسرى فيصب بها على مرفق يده اليمنى، ثم بيده اليمنى على مرفق يده اليسرى، ثم يغسل قدمه اليمنى، ثم يدخل اليمنى فيغسل قدمه اليسرى، ثم يدخل يده اليمنى فيغسل الركبتين، ثم يأخذ داخلة إزاره فيصب على رأسه صبة واحدة، ويضع القدح حتى يفرغ.

هكذا رواه ابن أبى ذئب عن الزهرى، عن ابن أبى شيبة، وهو أحسن ما فُسّر به، لأن الزهرى راوى الحديث.

وزاد ابن حبيب فى قول الزهرى: هذا يصب من خلفه صبة واحدة يجرى على جسده، ولا يوضع القدح فى الأرض، ويغسل أطرافه المذكورة كلها، وداخلة الإزار فى القدح. قاله فى (التمهيد).

زاد فى (الإكمال): الزهرى أخبر أنه أدرك العلماء يصفونه، واستحسنه علماؤنا، ومضى به العمل. (الزرقانى).

قال: وأمره فحسا منه حسوات، قال: فقام فراح مع الركب، فقال جعفر بن برقان للزهرى: ما كان نعدّ هذا حقًا، فقال بل هى السنة. قال أبو عمر: وأحسن شيء فى تفسير الاغتسال للمعين [حقًا] ما وصفه الزهرى، وهو راوى الحديث(١).

وذكر عن طريق قاسم بن أصبغ، حديث ابن أبى ذؤيب، عن الزهرى، عن أبى أمامة بن سهل، عن أبيه، أن عامرًا مرّ به وهو يغتسل، فقال: ما رأيت كاليوم ولا جلدة مخبّأة، قال: فَلُبِط به، حتى ما يعقل لشدة الوجع، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ، فتغيظ عليه، فدعاه النبى [عليه السلام] فقال: قتلته؟ علام يقتل أحدكم أخاه؟ ألا برّكت؟ فأمر النبى [عليه السلام] بذلك، فقال: اغسلوه، فاغتسل، فخرج مع الركب.

قال: وقال الزهرى: إن هذا من العلم، يغتسل له الذى عانه، [يؤتى] بقدح من ماء، فيُدخل يده فى القدح، فيمضمض، ويمجه فى القدح، ويغسل وجهه فى القدح، ثم يصب بيده اليسرى على كفه اليمنى، ثم بكفه اليمنى على كفه اليسرى، ثم يُدخل يده اليسرى، فيصب بها على مرفق يده اليمنى، ثم بيده اليمنى على مرفق يده اليسرى، ثم يغسل قدمه اليمنى، ثم يدخل [يده] اليمنى، فيغسل قدمه اليسرى، ثم يدخل يده اليمنى فيغسل الركبتين، ثم يأخذ داخلة إزاره، فيصب على رأسه صبه واحدة تجرى على جسده، ولا يوضع القدح حتى يفرغ(٢).

---

(١) راجع التعليق السابق.

(٢) سبق ذكر ذلك فى التعليقات السابقة.

وحديث الاغتسال للمعين ذكره ابن ماجة فى (السنن): ٢/ ١١٦٠، كتاب الطب، باب (٣٢) العين، حديث رقم (٣٥٠٩)، وأخرجه ابن أبى شيبة فى (المصنف): ٥/ ٤٩، كتاب الطب، باب (٢٧) من رخص فى الرقية من العين، حديث رقم (٣٣٥٨٥)، وفيه صفة الوضوء عن الزهرى =

. . . .

= وحديث رقم (٣٣٥٨٦)، عن عائشة رضى الله عنها أنها كانت تأمر العائن أن يتوضأ فيغسل الذى أصابته العين، وحديث رقم (٣٣٥٨٧) عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: « العين حق، وإذا استُغسل أحدكم فليغتسل ».

والبيهقى فى (السنن الكبرى): ٩ / ٣٥٢، كتاب الضحايا، باب الاغتسال للمعين.

قال العلامة ابن القيم فى (زاد المعاد): والعين عينان: عين إنسية، وعين جنية، فقد صح عن أم سلمة أن النبى ﷺ رأى فى بيتها جارية فى وجهها سعفة، فقال ﷺ: « استرقوا لها فإن بها النظرة [أخرجه البخارى فى الطب، باب رقية العين، ومسلم فى السلام باب رقية العين، والسفعة -بفتح السين ويجوز ضمها- سواد فى الوجه، ومنه سفعة الفرس: سواد ناصيته، وعن الأصمعى: حمرة يعلوها سواد، وقيل: صفرة، وقيل: سواد مع لون آخر، وقال: ابن قتيبة: لون يخالف لون الوجه، وكلها متقاربة].

وعن أبى سعيد، أن النبى ﷺ كان يتعوذ من الجان، ومن عين الإنسان [أخرجه الترمذى، والنسائى، وابن ماجة، وحسنه الترمذى، وتمامه: فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سوى ذلك].

فأبطلت طائفة ممن قلَّ نصيبهم من السمع والعقل أمر العين، وقالوا: إنما ذلك أوهام لا حقيقة لها، وهؤلاء من أجهل الناس بالسمع والعقل، ومن أغلظهم حجابًا، وأكثفهم طباعًا، وأبدعهم معرفة عن الأرواح والنفوس، وصفاتها، وأفعالها، وتأثيراتها.

وعقلاء الأمم على اختلاف مللهم ونحلهم لا تدفع أمر العين ولا تنكره، وإن اختلفوا فى سببه وجهة تأثير العين.

فقالت طائفة: إن العائن إذا تكيفت نفسه بالكيفية الرديئة، انبعث من عينه قوة سُمِّيَّة تتصل بالمعين فيتضرر. قالوا: ولا يستنكر هذا كما لا يستنكر انبعاث قوة سمية من الأفعى تتصل بالإنسان، فيهلك، وهذا أمر قد اشتهر عن نوع من الأفاعى أنها إذا وقع بصرها على الإنسان هلك، فكذلك العائن.

وقالت فرقة أخرى: لا يستبعد أن ينبعث من عين بعض الناس جواهر لطيفة غير مرئية، فتتصل بالمعين، وتتخلل مسام جسمه فيحصل له الضرر.

وقالت فرقة أخرى: قد أجرى الله العادة بخلق ما يشاء من الضرر عند مقابلة عين العائن لمن يعينه، من غير أن يكون منه قوة ولا سبب ولا تأثير أصلاً، وهذا مذهب منكرى الأسباب والقوى والتأثيرات فى العالم، وهؤلاء قد سددوا على أنفسهم باب العلل والتأثيرات والأسباب، وخالفوا العقلاء أجمعين.

. . . .

= ولا ريب أن الله سبحانه خلق في الأجسام والأزواح قوى وطبائع مختلفة، وجعل في كثير منها خواص وكيفيات مؤثرة، ولا يمكن لعاقل إنكار تأثير الأرواح في الأجسام، فإنه أمر مشاهد ومحسوس.

فأنت ترى الوجه كيف يحمر حمرة شديدة إذا نظر إليه من يحتشمه ويستحي منه، ويصفر صُفرة شديدة عند نظر من يخافه إليه، وقد شاهد الناس من يسقم من النظر وتضعف قواه، وهذا كله بواسطة تأثير الأرواح لشدة ارتباطها بالعين يُنسب الفعل إليها، وليست هي الفاعلة، وإنما التأثير للروح.

والأرواح مختلفة في طبائعها، وقواها، وكيفياتها، وخواصها؛ فروح الحاسد مؤذية للمحسود أذى بينًا، ولهذا أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يستعيذ من شره، وتأثير الحاسد في أذى المحسود أمر لا ينكره إلا من هو خارج عن حقيقة الإنسانية، وهو أصل الإصابة بالعين: فإن النفس الخبيثة الحاسدة تتكيف بكيفية خبيثة، تقابل المحسود، فتؤثر فيه بتلك الخاصية.

وأشبه الأشياء بهذا الأفعي، فإن السم كامنٌ فيها بالقوة، فإذا قابلت عدوها انبعثت منها قوة غضبية، وتكيفت بكيفية خبيثة مؤذية، فمنها ما تشتد كيفيتها وتقوى حتى تؤثر في إسقاط الجنين، ومنها ما تؤثر في طمس البصر، كما قال النبي ﷺ في الأبتر وذي الطفيتين من الحيات: «إنهما يلتمسان البصر ويسقطان الحبل» [أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب قول الله تعالى: ﴿**وبث فيها من كل دابة**﴾، ومسلم في السلام، باب قتل الحيات وغيرها، من حديث ابن عمر، والطُّفيتان: هما الخَطَّان الأبيضان على ظهر الحية، والأبتر: قصير الذنب، وقوله: يلتمسان البصر، قال الخطابي: فيه تأويلان، أحدهما: معناه يخطفان البصر ويطمسانه بمجرد نظرهما إليه، بخاصية جعلها الله تعالى في بصريهما إذا وقع على بصر الإنسان، والثاني: أنهما يقصدان البصر باللسع والنهش، والأول أصح وأشهر].

ومنها ما تؤثر في الإنسان كيفيتها بمجرد الرؤية من غير اتصال به، لشدة خبث تلك النفس، وكيفيتها الخبيثة المؤثرة، والتأثير غير موقوف على الاتصالات الجسمية، كما يظنه من قلَّ علمه ومعرفته بالطبيعة والشريعة.

بل التأثير يكون تارة بالاتصال، وتارة بالمقابلة، وتارة بالرؤية، وتارة بتوجه الروح نحو من يؤثر فيه، وتارة بالأدعية والرقى والتعوذات، وتارة بالوهم والتخيل.

ونفس العائن لا يتوقف تأثيرها على الرؤية، بل قد يكون أعمى فيوصف له الشيء، فتؤثر نفسه فيه، وإن لم يره، وكثير من العائنين يؤثر في المعين بالوصف من غير رؤية.

وقد قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿**وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر**﴾ [القلم: ٥١]، وقال: ﴿**قل أعوذ برب الفلق * من شر ما خلق * ومن شر غاسق إذا وقب * ومن شر** =

وزاد ابن حبيب فى قول الزهري: هذا يصب من خلفه صبة واحدة، تجرى على جسده، ولا يوضع القدح فى الأرض، ويغسل أطرافه المذكورة كلها، وداخلة إزاره فى القدح. انتهى كلام ابن عبد البر(١).

* * *

= النفاثات فى العقد * ومن شر حاسد إذا حسد ﴾ [سورة الفلق].

فكل عائن حاسد، وليس كل حاسد عائنًا، فلما كان الحاسد أعم من العائن، كانت الإستعاذة منه استعاذة من العائن، وهى سهام تخرج من نفس الحاسد والعائن نحو المحسود والمعين تصيبه تارة وتخطئه تارة، فإن صادفته مكشوفًا لا وقاية عليه، أثرت فيه، ولابد وإن صادفته حذرًا شاكى السلاح لا منفذ فيه للسهام، لم تؤثر فيه، وربما رُدَّت السهام على صاحبها، وهذا بمثابة الرمى الحسى سواء.

فهذا من النفوس والأرواح، وذاك من الأجسام والأشباح، وأصله من إعجاب العائن بالشىء، ثم تتبعه كيفية نفسه الخبيثة، ثم تستعين على تنفيذ سُمِّها بنظرة إلى المعين، وقد يعين الرجل نفسه، وقد يعين بغير إرادته، بل بطبعه، وهذا أردأ ما يكون من النوع الإنسانى.

وقد قال أصحابنا وغيرهم من الفقهاء: إن مَنْ عُرِفَ بذلك، حبسه الإمام، وأجرى له ما ينفق عليه إلى الموت، وهذا هو الصواب قطعًا. (زاد المعاد): ٤ / ١٦٤ – ١٦٨.

(١) المرجع السابق.

التَّـداوى بالعجـوة

خرّج البخارى من حديث هاشم بن هاشم، أخبرنا عامر بن سعد عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: من اصطبح كل يوم بتمرات[1] عجوه، لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل[2]. وقال غيره[3]: سبع تمرات[4].

وخرجه مسلم ولفظه من تصبح بسبع تمرات.. مثله سواء. وفى لفظ: من أكل سبع تمرات مما بين لابتيها حين يُصبح، لم يضره سمّ حتى يُمسى[5].

---

(١) فى (الأصلين): «بثمرات» وصوبناه من البخارى.

(٢) فى (الأصلين): «الليلة» وصوبناه من البخارى.

(٣) وهى رواية إسحاق بن منصور، حديث رقم (٥٧٦٩).

(٤) (فتح البارى): ١٠/ ٢٩٢، كتاب الطب، باب (٥٢) الدواء بالعجوة للسحر، حديث رقم (٥٧٦٨)، (٥٧٦٩)، والعجوة ضرب من أجود تمر المدينة وألينه، يضرب إلى السواد، وهو مما غرسه النبى ﷺ بيده بالمدينة.

قال الخطابى: كون العجوة تنفع من السم والسحر إنما هى ببركة دعوة النبى ﷺ لتمر المدينة لا لخاصية فى التمر. (فتح البارى).

(٥) (مسلم بشرح النووى): ١٣/ ٢٤٦، كتاب الأشربة، باب (٢٧) فضل تمر المدينة، حديث رقم (١٥٤)، (١٥٥)، والعجوة نوع جيد من التمر، وفى هذه الأحاديث فضيلة تمر المدينة وعجوتها، وفضيلة التصبح بسبع تمرات منه، وتخصيص عجوة المدينة دون غيرها، وعدد السبع من الأمور التى علمها الشارع، ولا نعلم نحن حكمتها، فيجب الإيمان بها، واعتقاد فضلها، والحكمة فيها، وهذا كأعداد الصلوات، ونُصُب الزكاة، وغيرها، فهذا هو الصواب فى هذا الحديث.

وأخرجه الترمذى فى (السنن): ٤/ ٣٥٠، كتاب الطب، باب (٢٢) ما جاء فى الكمأة والعجوة، حديث رقم (٢٠٦٦)، قال أبو عيسى: وفى الباب عن سعيد بن زيد، وأبى سعيد، وجابر، وهذا حديث حسن غريب، وهو من حديث محمد بن عمرو، ولا نعرفه إلا من حديث سعيد بن عامر عن محمد بن عمرو. [والكمأة: تكون فى وجه الأرض كما يكون الجدرى فى سطح الجسم، =

التداوى بالعسل

خرّج البخارى[١] ومسلم[٢] من حديث محمد [بن جعفر، حدثنا شعبة، عن قتادة، عن أبى المتوكل] عن أبى سعيد رضى الله عنه قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: إن أخى قد استطلق بطنه، فقال رسول الله ﷺ: اسقه عسلاً، [ثم جاءه فقال] إنى سقيته عسلاً فلم يزدْهُ إلا استطلاقًا، فقال له ثلاث مرات، ثم جاء الرابعة فقال: اسقه عسلاً، فقال لقد سقيته فلم

= ولذلك قالت العرب: إنها جدرى الأرض].

وأخرجه ابن ماجة فى (السنن): ٢ / ١١٤٢، كتاب الطب، باب (٨) الكمأة والعجوة، حديث رقم (٣٤٥٣)، وفى الباب أحاديث من طرق وبسياقات مختلفة.

وأخرجه الإمام أحمد فى (المسند): ٣ / ٤٤٦، حديث رقم (١١٠٦١).

قال العلامة ابن القيم: وقد قيل: إن هذا فى عجوة المدينة، وهى أحد أصناف التمر بها، ومن أنفع تمر الحجاز على الإطلاق، وهو صِنف كريم ملذذ، متين للجسم والقوة، من ألين التمر وأطيبه وألذّه، وهو مقوٍ للكبد، ملين للطبع، يزيد فى الباه، ولا سيما مع حبّ الصنوبر، ويبرىء من خشونة الحلق، ومن لم يعتده كأهل البلاد الباردة، فإنه يورث لهم السُّدود، ويؤذى الأسنان، ويهيج الصداع، ودفع ضرره باللوز والخشخاش.

وهو من أكثر الثمار تغذية للبدن، بما فيه من الجوهر الحار الرطب، وأكله على الريق يقتل الدود، فإنه مع حرارته فيه قوة ترياقية، فإذا أديم استعماله على الريق خفّف مادة الدود، وأضعفه، وقلله، أو قتله، وهو فاكهة وغذاء، ودواء وشراب وحلوى. (زاد المعاد): ٤ / ٢٩١ - ٢٩٢، ٣٤١.

وقال شاعر النيل حافظ إبراهيم فى قصيدة عنوانها: النخيل بين المنتزة وأبى قير [من أحياء مدينة الإسكندرية بمصر]:

طعام الفقير وحلوى الغنىّ ... وزاد المسافر والمغترب

(١) (فتح البارى): ١٠ / ٢٠٧، كتاب الطب، باب (٢٤) دواء المبطون، حديث رقم (٥٧١٦)، وذكر فى باب (٤) الدواء بالعسل، وقول الله تعالى: ﴿ **فيه شفاء للناس** ﴾، حديث رقم (٥٦٨٤).

(٢) (مسلم بشرح النووى): ١٤ / ٤٥٣، كتاب السلام، باب (٣١) التداوى بسقى العسل، حديث رقم (٩١).

يزده إلا استطلاقًا، فقال رسول الله ﷺ: صدق الله [عزَّ وجلَّ]. وكذب بطن أخيك، فسقاه، فبرأ. اللفظ لمسلم، ولم يذكر فيه البخارى قوله: فقال له ثلاث مرات.. إلى قوله: استطلاقًا، ولا ذكر قوله: فسقاه فبرأ. وقال بعده: تابعه النّضر عن شُعبة. ترجم عليه باب: دواء المبطون.

وأخرجاه أيضًا من حديث سعيد بن أبى عروبة عن قتادة، عن أبى المتوكل الناجى، عن أبى سعيد الخُدْرىّ [رضى الله عنه]، أن رجلاً أتى النبى ﷺ فقال: إن أخى غرِبَ بطنه، فقال: اسقه عسلاً بمعنى حديث شعبة، هذا لفظ مسلم(١).

ولفظ البخارى: أن رجلاً أتى النبى ﷺ فقال: أخى يشتكى بطنه، فقال: اسقه عسلاً، ثم أتاه الثانية فقال: اسقه عسلاً، ثم أتاه الثالثة فقال: اسقه عسلاً، ثم أتاه فقال: فعلت، فقال: صدق الله، وكذب بطن أخيك، اسقه عسلاً، فسقاه، فبرأ. ذكره وحديث جابر فى باب: الدواء بالعسل(٢).

وخرّج الحاكم من حديث سفيان عن أبى إسحاق، عن أبى الأحوص، عن عبد الله [رضى الله عنه] قال: قال رسول الله ﷺ: عليكم بالشفائين: العسل والقرآن. قال: هذا إسناد صحيح(٣).

---

(١) (المرجع السابق) الحديث الذى يلى الحديث السابق [بدون رقم].

(٢) (فتح البارى): ١٠ / ١٧٢، كتاب الطب، باب (٤) الدواء بالعسل، وقول الله تعالى: ﴿**فيه شفاء للناس**﴾، حديث رقم (٥٦٨٤).

(٣) (المستدرك): ٤ / ٢٢٢، كتاب الطب، حديث رقم (٧٤٣٥)، وقال: هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقد أوقفه وكيع ابن الجراح، عن سفيان، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): على شرط البخارى ومسلم.

تم بحمد الله تعالى الجزء السابع

ويليه الجزء الثامن وأوله : «ليس فيما حُرِّمَ شفاء»

= وأخرجه أبو بكر بن أبى شيبة فى (المصنف) : ٥ / ٥٨، كتاب الطب، باب (٤٣) ما قالوا فى العسل، حديث رقم (٢٣٦٧٦) وهو حديث أبى سعيد الخدرىّ، وحديث رقم (٢٣٦٧٧) من حديث يعقوب بن المغيرة عن علىّ قال : «إذا اشتكى أحدكم شيئًا فليسأل امرأته ثلاثة دراهم من صداقها، فليشتر بها عسلاً فيشربه بماء السماء، فيجمع بين الهنىء والمرىء، والماء المبارك، والشفاء» [فالهنىء المرىء ما طابت به نفس زوجته من صداقها، إشارة إلى قوله تعالى : ﴿فإن طبن لكم عن شيء منه نفسًا فكلوه هنيئًا مريئًا﴾ [النساء : ٤]، والماء المبارك هو المطر، والشفاء هو العسل].

وحديث رقم (٢٣٦٧٨)، عن الربيع بن خيثم قال : ما للنفساء عندى إلا التمر، ولا للمريض إلا العسل.

قال العلامة ابن القيم -وقد ذكر منافع السكر- : وبعض الناس يفضله على العسل لقلة حرارته ولينه، وهذا تحامل منه على العسل، فإن منافع العسل أضعاف منافع السكر، وقد جعله الله تعالى شفاءً ودواءً، وإدامًا وحلاوة، وأين نفع السكر من منافع العسل : من تقوية المعدة، وتليين الطبع، وإحداد البصر، وجلاء ظلمته، ودفع الخوانيق بالغرغرة به، وإبرائه من الفالج واللقوة، ومن جميع العلل الباردة التى تحدث فى جميع البدن من الرطوبات، فيجذبها من قعر البدن، ومن جميع البدن، وحفظ صحته وتسمينه وتسخينه، والزيادة فى الباه، والتحليل والجلاء، وفتح أفواه العروق، وتنقية المعى، وإحدار الدود، ومنع التخم وغيره من العفن، والأدم النافع، وموافقة من غلب عليه البلغم والمشايخ، وأهل الأمزجة الباردة.

وبالجملة : فلا شىء أنفع منه للبدن، وفى العلاج، وعجز الأدوية، وحفظ قواها، تقوية المعدة إلى أضعاف هذه المنافع (زاد المعاد) : ٤ / ٣٥٦.

إمتاع الأسماع

بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع

تأليف

تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي

المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

تحقيق وتعليق

محمد عبد الحميد النميسي

الجزء الثامن

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH
Beirut - Lebanon
Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

ISBN 2-7451-2208-8

http://www.al-ilmiyah.com.lb/
e-mail : sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

ليس فيما حُرِّمَ شِفَاءُ

خرّج مسلم من حديث شعبة، عن سماك بن حرب عن علقمة بن وائل، عن أبيه وائل الحضرمى، أن طارق بن سويد الجعفى، سأل رسول الله ﷺ عن الخمر فنهاه، أو كره أن يصنعها، فقال: إنما أصنعها للدواء، فقال: إنه ليس بدواء، ولكنه داء[١]. [أخرجه الترمذى من هذه الطريق وقال: إنها ليست بدواء، ولكنها داء]. وقال: هذا حديث حسن صحيح[٢].

وخرّجه أبو داود، ولفظه: عن علقمة بن وائل، عن أبيه قال: ذكر طارق ابن سويد، أو سويد بن طارق، سأل النبى ﷺ عن الخمر، فنهاه، ثم سأله فنهاه، فقال له: يا نبى الله! إنها دواء، فقال: لا، ولكنها داء[٣].

وله من حديث إسماعيل بن عياش، عن ثعلبة بن مسلم، عن أبى عمران الأنصارى، عن أم الدرداء [عن أبى الدرداء] رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داءٍ دواء، فتداوَوْا، ولا

(١) (مسلم بشرح النووى): ١٣/ ١٦٢ - ١٦٣، كتاب الأشربة، باب (٣) تحريم التداوى بالخمر وبيان أنها ليست بدواء، حديث رقم (١٩٨٤)، قال الإمام النووى: هذا دليل على تحريم اتخاذ الخمر، وفيه التصريح بأنها ليست بدواء فيحرم التداوى بها لأنها ليست بدواء -فكأنه يتناولها بلا سبب، وهذا هو الصحيح عند أصحابنا، أنه يحرم التداوى بها، وكذا يحرم شربها للعطش، وأما إذا غُصَّ بلقمة، ولم يجد ما يسيغها به إلا خمرًا، فليزمه الإساغة بها، لأن حصول الشفاء بها حينئذ مقطوع به، بخلاف التداوى -والله تعالى أعلم، (شرح النووى).

(٢) (سنن الترمذى): ٤ / ٣٣٩، كتاب الطب، باب (٨) ما جاء فى كراهية التداوى بالمسكر، حديث رقم (٢٠٤٦)، وما بين الحاصرتين مستدرك من هامش الأصل (ج).

(٣) (سنن أبى داود): ٤ / ٣٠٤ - ٣٠٦، كتاب الطب، باب (١١) فى الأدوية المكروهة، حديث رقم (٣٨٧٣).

تداوَوْا بحرام(١).

السُّعوط(٢)

خرّج البخارى ومسلم من حديث عبد الله بن طاووس، عن أبيه، عن ابن عباس رضى الله [عنهما] قال: إن النبى ﷺ احتجم، وأعطى الحجام أجره، واستعط. لفظهما فيه سواء(٣).

وللبخارى من حديث [ابن عيينة قال: سمعتُ النبى ﷺ يقول:

---

(١) (المرجع السابق): حديث رقم (٣٨٧٤)، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه.

وأخرجه ابن ماجة فى (السنن): ٢/ ١١٥٧، كتاب الطب، باب (٢٧) النهى أن يتداوى بالخمر، حديث رقم (٣٥٠٠)، عن طارق بن سويد من غير شك، ولم يذكر أباه.

وأخرجه ابن أبى شيبة فى (المصنف): ٥/ ٣٧، كتاب الطب، باب (١٢) فى الخمر يتداوى به والسُّكر، حديث رقم (٢٣٤٨١)، وفيه: «إنها داء وليست بدواء».

وحديث رقم (٢٣٤٨٢)، وفيه: «إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم».

وحديث رقم (٢٣٤٨٨) من حديث الزهرى عن عائشة، وفيه «من تداوى بالخمر فلا شفاه الله».

(٢) السُّعُوط، والنُّشوق والنشوع فى الأنف، سعطه الدواء يَسْعُطُهُ ويسْعُطهُ سَعْطًا، والضم أعلى، والصاد فى كل ذلك لغة عن اللحيانى. (لسان العرب): ٧/ ٣١٤.

(٣) (فتح البارى): ١٠/ ١٨٢، كتاب الطب، باب (٩) السعوط، حديث رقم (٥٦٩١). قوله: «استَعَط» أى استعمل السعوط، وهو أن يستلقى على ظهره، ويجعل بين كتفيه ما يرفعهما لينحدر رأسه، ويقطر فى أنفه ماء أو دهن فيه دواء مفرد أو مركب، ليتمكن بذلك من الوصول إلى دماغه لاستخراج ما فيه من الداء بالعطاس. (فتح البارى)، وأخرجه مسلم فى السلام، حديث رقم (٧٦).

وأخرجه كل من أبى داود فى (السنن): ٤/ ٢٠٠، كتاب الطب - باب (٨) فى السعوط، حديث رقم (٣٨٦٧) مختصراً.

والترمذى فى (السنن): ٤/ ٤٣٠، كتاب الطب، باب (٩) ما جاء فى السعوط، حديث رقم (٢٠٤٧)، (٢٠٤٨) بسياقة أتم.

عليكم بهذا العود الهندى، فإن فيه سبعة أشفية: يُستَعط به العُذْرة، ويُلدُّ به من ذات الجنْب(١)، ودخلتُ على النبى ﷺ بابن لى لم يأكل الطعام، فبال عليه، فدعا بماء، فَرَشَّ عليه(٢).

وفى لفظ لهما: عن أم قيس قالت: دخلتُ بابن لى على النبى ﷺ، وقد أعلقت عنه من العذرة، فقال: [علام](٣) تَدْغَرْن أولادكن بهذا العلاق؟ عليكنّ بهذا العود الهندى، فإن فيه سبعة أَشْفية، منها: ذات الجنب يُسْعَطُ من العذرة، ويلدّ من ذات الجنب. فسمعت الزهرى يقول: بين لنا اثنين، ولم يبين لنا خمسة، [قال على بن المدينى](٤): قلن لسفيان: فإن مَعْمراً يقول: أعلقْتُ عليه.. قال: لم يُحفظ، إنما قال: أعلقت عنه، حفظته من فى الزهرى(٤).

ووصف سفيان: الغلام يحنك بالأصبع، وأدخل سفيان فى حنكه، يعنى دفع حنكه بأصبعه، ولم يقل: أعلقوا عليه شيئًا. ذكره البخارى فى باب اللدود، ولم يذكر فيه دخولها عليه بالابن الذى لم يأكل الطعام. وقد ذكره

---

(١) (فتح البارى): ١٠ / ١٨٣، كتاب الطب، باب (١٠) السعوط بالقُسْط الهندى والبحرى، حديث رقم (٥٦٩٢).

(٢) (المرجع السابق): حديث رقم (٥٦٩٣).

(٣) زيادة للسياق من البخارى.

(٤) زيادة للسياق من (الأصلين).

(فتح البارى): ١٠ / ٢٠٤ – ٢٠٥، كتاب الطب، باب (٢١) اللدود، حديث رقم (٥٧١٣)، وتمامه: «ووصف سفيان الغلام يحنك بالإصبع، وأدخل سفيان من حنكه إنما رفع حنكه بإصبعه، ولم يقُلْ أعلقوا عنه شيئًا.

وأخرجه الإمام مسلم فى كتاب السلام، باب (٢٨) التداوى بالعود الهندى، وهو الكست، حديث رقم (٨٧).

واللُّدود: هو الدواء الذى يصب فى أحد جانبى فم المريض.

في الذى قبله، والطريق واحدة، وكرره البخارى في مواضع(١).

وأخرجه مسلم من طرق، في بعضها: عليكن بهذا العود الهندى، يعنى الكست، يُريد: القُسط(٢). ولأبى بكر بن أبى شيبة، من حديث الأعمش، عن أبى سفيان، عن جابر رضى الله عنه، قال: دخل النبى ﷺ على أم سلمة، وعندها صبى [ينذر] منخراه دمًا، فقال: ما هذا؟ قالوا: به العذرة، فقال: علام تَدْغُرْنَ أولادكن؟ إنما يكفى إحداكن أن تأخذ قسطًا هنديًا فتحه بماء سبع مرات، ثم توجره إياه، قال: ففعلوه، فبرأ(٣).

ذات الجَنْب(٤)

خرّج الترمذى من حديث معاذ بن هشام، قال: حدثنى أبى، عن قتاده، عن أبى عبد الله، عن زيد بن أرقم رضى الله عنه، أن النبى ﷺ كان ينعتُ الزيت والوَرْسَ من ذات الجَنْب [قال قتادة: يُلدُّه ويَلُدُّه من الجانب الذى

(١) راجع التعليق السابق.

(٢) (مسلم بشرح النووى): ١٤/ ٤٥١، كتاب السلام، باب (٢٨) التداوى بالعود الهندى، وهو الكست، حديث رقم (٢٢١٤) مختصراً، والحديث السابق سياقته اتم.

قال الإمام النووى: فمعنى تدغرن أولادكن أنها تغمز حلق الولد بإصبعها، فترفع ذلك الموضع وتكبسه.

وأما العلاق فيفتح العين، وهو مصدر اعلقت عنه، ومعناه ازلت عنه العلوق، وهى الآفة والداهية، والإعلاق هو معالجة عذرة الصبى، وهى وجع حلقه.

(٣) (المصنف): ٥/ ٣٢، كتاب الطب، باب (٤) ما رُخص فيه من الأدوية، حديث رقم (٢٣٤٢٧).

(٤) ذات الجنب اسم يقع على الشوصة، وعلى السل، وعلى كل مرض يضجعه على جنبه، ويختلف الدواء فيها، وتفصيله آخره هذا الباب.

يشتكيه][(١)] . قال أبو عيسى : هذا حديث [حسن][(١)] صحيح، وأبو عبد الله اسمه ميمون، هو شيخ بصرى[(٢)].

ومن حديث شعبة، عن خالد الحذاء، أخبرنا ميمون أبو عبد الله قال : سمعت زيد بن أرقم قال : أمرنا سول الله ﷺ أن نتداوى من ذات الجنب بالقسط البحرى والزيت[(٣)]، قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب

---

(١) زيادة للسياق من (سنن الترمذى) .

(٢) (سنن الترمذى) : ٤ / ٣٥٥، كتاب الطب، باب (٢٨) ما جاء فى دواء ذات الجنب، حديث رقم (٢٠٧٨) .

(٣) (المرجع السابق) : حديث رقم (٢٠٧٩)، وأخرجه النسائى فى (الكبرى)، فى الطب، وابن ماجة فى (السنن) : ٢ /١١٤٨، كتاب الطب، باب (١٧) دواء ذات الجنب، حديث رقم (٣٤٦٧)، وحديث رقم (٣٤٦٨) .

وأخرجه الحاكم فى (المستدرك) : ٤ / ٢٢٤-٢٢٥، كتاب الطب، حديث رقم (٧٤٤٣) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال عنه الذهبى فى (التلخيص) : صحيح، وحديث رقم (٧٤٤٤)، وقد سكت عنه الذهبى فى (التلخيص)، وحديث رقم (٧٤٤٥)، وقال عنه الذهبى فى (التلخيص) : أسنده معمر عن الزهرى، قلت : وميمون أبو عبد الله البصرى ضعيف

قال العلامة ابن القيم : وذات الجنب عند الأطباء نوعان : حقيقى وغير حقيقى . فالحقيقى : ورم حار يعرض فى نواحى الجنب فى الغشاء المستبطن للاضلاع .

وغير الحقيقى : المٌ يُشبهه يعرض فى نواحى الجنب عن رياح غليظة مؤذية، تحتقن بين الصِّفاقات، فَتُحدِثُ وجعًا قريبًا من وجع ذات الجنب الحقيقى، إلا ان الوجع فى هذا القسم ممدود، وفى الحقيقى ناخس .

قال صاحب (القانون) : قد يعرض فى ا لجنب، والصِّفاقات، والعضل التى فى الصدر، والاضلاع، ونواحيها أورام مؤذية جداً موجعة، تسمى شوصة وبرسامًا، وذات الجنب .

وقد تكون أيضًا أوجاعًا فى هذه الاعضاء ليست من ورم، ولكن من رياح غليظة، فيظن أنها من هذه العلة، ولا تكون منها .

قال : واعلم ان كلَّ وجع فى الجنب قد يسمى ذات الجنب اشتقاقًا من مكان الالم، لان معنى ذات الجنب : صاحبة الجنب، والغرض به هاهنا وجع الجنب، فإذا عرض فى الجنب الم عن أى سبب كان نُسب إليه، وعليه حُمِلَ كلام بقراط فى قوله : إن أصحاب ذات الجنب ينتفعون بالحمام . =

صحيحٌ، [لا نعرفه إلا من حديث ميمون عن زيد بن أرقم. وقد روى زيد ابن أرقم عن ميمون غير واحد من هذا الحديث](١) وذات الجنب: السل.

* * *

= قيل: المراد به كل من به وجع جنب، أو وجع رئة من سوء مزاج، أو من أخلاط غليظة، أو لذاعة من غير ورم ولا حُمى.

ويلزم ذات الجنب الحقيقي خمسة أعراض: وهى الحمى والسعال، والوجع الناخس، وضيق النفس، والنبض المنشارى، [وهذا الوصف ينطبق على الوجع الصدرى، نتيجة التهابات الرئة، ويعالج الآن بالأدوية المضادة للميكروبات، مثل أقراص السلفا، وحقن البنسلين. قاله الدكتور الأزهرى].

والعلاج الموجود في الحديث ليس هو لهذا القسم، لكن للقسم الثانى الكائن عن الريح الغليظة، فإن القسط البحرى- وهو العود الهندى على ما جاء مفسراً فى أحاديث أُخَر - صنف من القسط إذا دُقَّ ناعمًا، وخُلط بالزيت المسخن، ودلك به مكان الريح المذكور أو لعق، كان دواءً موافقًا لذلك، نافعًا له، محُللاً لمادته مُذهبًا لها، مُقويًا للأعضاء الباطنة، مفتحًا للسُّدد، والعود المذكور فى منافعه كذلك.

قال المسبّحى عيسى بن يحيى الجرجانى أبو سهل [طبيب حكيم، توفى سنة (٣٩٠) هـ وله من العمر (٤٠) سنة]: العود حار يابس، قابض يحبس البطن، ويقوى الأعضاء الباطنة، ويطرد الريح، ويفتح السُّدد، نافع من ذات الجنب، ويُذهب فضل الرطوبة، والعود المذكور جيد للدماغ.

قال: ويجوز أن ينفع القُسْط من ذات الجنب الحقيقية أيضًا إذا كان حدوثها عن مادة بلغمية، لا سيما فى وقت انحطاط العلة، والله تعالى أعلم. (زاد المعاد): ٤ / ٨١- ٨٣، فصل فى هديه ﷺ فى علاج ذات الجنب مختصراً.

(١) زيادة للسياق من (سنن الترمذى).

الكُحْل

خرّج أبو داود من حديث زهير قال: أخبرنا عبد الله بن عثمان بن خيثم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضى الله [عنهما] قال: قال رسول الله ﷺ: البسوا من ثيابكم البياض، فإنها خير ثيابكم، وكفنوا فيها موتاكم، وإن خير أكحالكم الأثمد، يجلو البصر، وينبت الشعر(١).

وخرَّجه قاسم بن أصبغ، وابن أيمن من حديث أبى عوانة، عن عبد الرحمن بن عثمان بن خيثم، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس [رضى الله عنهما] قال: قال رسول الله ﷺ: خير أكحالكم الأثمد، فإنه يجلى البصر، وينبت الشعر.

وللترمذى من حديث عباد بن منصور، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: إن خير ما تداويتم به اللدود، والسّعوط، والحجامة، والمشى، وخير ما اكتحلتم به الأثمد، فإنه [يجلو] البصر، وينبت الشعر، وكان لرسول الله ﷺ مكحلة يكتحل بها عند النوم، ثلاثًا فى كل عين. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، وهو حديث عباد

---

(١) (سنن أبى داود): ٤/٢٠٩-٢١٠، كتاب الطب، باب (١٤) فى الأمر بالكحل، حديث رقم (٣٨٧٨)، وأخرجه ابن ماجة فى (السنن): ٢/١١٥٦، كتاب الطب، باب (٢٥) الكل بالإثمد، حديث رقم (٣٤٩٥)، والإثمد هو الكحل الأسود، ويقال: إنه معرَّب، قال ابن البيطار فى (المنهاج): هو الكحل الاصفهانى، ويؤيده قول بعضهم: ومعادنه بالشرق، وفى (القاموس): حجر للكحل.

واخرجه ابن أبى شيبة فى (المصنف): ٥/٣٦، كتاب الطب، باب (١٠) فى الإثمد، من أمر به عند النوم، حديث رقم (٢٣٤٧٥): «عليكم بالإثمد عند النوم، فإنه يُشدّ البصر، وينبت الشعر».

وحديث رقم (٢٣٤٧٦): «خير أكحالكم الإثمد، يجلو البصر وينبت الشعر».

ابن منصور(١).

وخرَّجه ابن أيمن بهذا السند، ولفظه: عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: نعم الكحل الأثمد، [يجلو] البصر، وينبت الشعر. قال: [وكانت] لرسول الله ﷺ مكحلة، فإذا أراد أن ينام، كحل في كل عين ثلاثًا(٢).

قلت: وقد ذكر عباد بن منصور هذا، الحافظ أبو أحمد، عبدُ الله بن عديّ في كتابه (الكامل)، فيما لخصتُه منه، فقال: عباد بن منصور الناجي، أبو سلمة، بصرى، قاضى البصرة، قال ابن المدينى: قلت ليحيى ابن معين: فعبّاد بن منصور، كان تغيّر؟ قال: لا أدرى، إلاّ أنّا حين رأيناه كان لا يحفظ، ولم أر يحيى يرضاه. وقال معاذ بن معاذ: كان قدريًا(٣). وقال عباد بن معين: عباد بن منصور، وعباد بن كثير(٤)، وعباد بن راشد(١)، ليس حديثهم بشئ، ولكنه يكتب. ومرة قال: عباد بن منصور

---

(٢) (سنن الترمذى): ٤/ ٢٠٦، كتاب اللباس، باب (٢٣) فى الاكتحال حديث رقم (١٧٥٧) بسياقة أخرى مختصرة.

وأخرجه الترمذى فى (الشمائل): ٦٤، باب (٧) ما جاء فى كحل رسول الله ﷺ عن جابر بن عبد الله، حديث رقم (٥٢): «عليكم بالإثمد عند النوم..»، وعن ابن عباس، حديث رقم (٥٣): «إن خير أكحالكم الإثمد..»، وكلاهما حديث صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبى شيبة فى (المصنف): ٥/ ٢٣٧ كتاب الطب، باب (١١) كم يكتحل فى كل عين، حديث رقم (٢٣٤٧٧) عن أنس: «أنه كان يكتحل ثلاثة فى كل عين»، وحديث رقم (٢٣٤٨٠)، عن ابن عباس قال: «كان للنبى ﷺ مكحلة يكتحل منها ثلاثًا فى كل عين».

(٣) (الكامل لابن عدىّ): ٤/ ٣٣٨-٣٤٠، ترجمة رقم (٢٠٠ / ١١٦٧)، لينه بعضهم، وضعَّفه بعضهم، وقال بعضهم: لا بأس به.

(٤) (المرجع السابق): ترجمة رقم (١٩٨/ ١١٦٥) عباد بن كثير الثقفى البصرى، ضعفه ابن معين، وقال: كان صالحًا، وقال النسائى: متروك، وكذا قال غيرهما من شيوخ النقاد، وترجمة رقم (١٩٩/ ١١٦٦) عباد بن كثير قيس الرملى، وثقة ابن معين، وابن أبى شيبة، وقال البخارى: فيه نظر، وضعفه أبو زرعة، وقال النسائى: ليس بثقة.

(٥) (المرجع السابق): ترجمة رقم (٢٠١/ ١١٦٨)، عباد بن راشد التميمى، مولاهم البصرى، البزاز، ضعفوه، وقال الجوزجانى عن أحمد: شيخ صدوق ثقة.

ضعيف الحديث، وقال النسائى: ضعيف. قال ابن عدىّ: وهو فى جملة من يكتب حديثه. انتهى.

[عبّاد هذا، ولى قضاء البصرة، أيام خرج إبراهيم بن عبد الله بن حسن ابن حسن][(١)]، وقد حدث عن القاسم بن محمد، وعكرمة، وأبى رجاء العطاردى، وعطاء، وأيوب، وجماعة، ويحيى القطّان، وأبو داود، وروح بن عبادة، وخلق، وقال يحيى القطان: ثقة، لا ينبغى أن يترك حديثه لرأى أخطأ فيه - يعنى القدر - وقال أبو داود: ولى قضاء البصرة خمس مرات، وليس بذاك، وقالوا: تغيرّ، مات سنة اثنتين ومائة.

* * *

(١) زيادة للسياق من (المرجع السابق).

الحبـة السـوداء

خرّج البخاري[١] ومسلم[٢]، من حـديث الليث، عن عـقـيل، عن ابن شهاب قال: أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن، وسعيد بن المسيب، أن أبا هريرة رضى الله عنه أخبرهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: [إن] فى الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام، قال ابن شهاب: والسام: الموت، والحبة السوداء: الشُّونيز. لم يقل مسلم: قال ابن شهاب.

وخرَّجه النسائى ولفظه: عليكم بهذه الحبة السوداء، فإن فيها شفاء من كل داء إلا السام، والسام: الموت[٣].

وخرَّج البخارى من حديث إسرائيل، عن منصور، عن خالد بن سعيد قال: خرجنا ومعنا غالب بن أبجر، فمرض فى الطريق، فقدمنا المدينة وهو مريض، فعاده ابن أبى عتيق، فقال لنا: عليكم بهذه الحبيبة [السوداء][٤]، فخذو منها خمساً أو سبعاً، فاسحقوها، ثم قطروها في أنفه بقطرات زيت فى هذا الجانب وفى هذا الجانب، فإن عائشة رضى الله عنها حدثتنى أنها سمعت النبى ﷺ يقول: إن هذه الحبة السوداء، شفاء من كل داء، إلا من السام، قلتُ: وما السام؟ قال: الموت[٥].

(١) (فتح البارى): ١٠/ ١٧٦، كتاب الطب، باب (٧) الحبة السوداء، حديث رقم (٥٦٨٨).

(٢) (مسلم بشرح النووى): ١٤/ ٤٥٢، كتاب السلام، باب (٢٩) التداوى بالحبة السوداء، حديث رقم (٢٢٥١).

(٣) لم أجده فى (المجتبى)، ولعله فى (الكبرى).

(٤) فى (الأصلين): «السويداء» على التصغير.

(٥) (فتح البارى): ١٠/ ١٧٦، كتاب الطب، باب (٧) الحبة السوداء، حديث رقم (٥٦٨٧).

قال العلامة ابن القيم: والشونيز حار يابس فى الثالثة، مُذهب للنفخ، مخرج لحب القرع، نافع من البرص، وحمى الربْع [هى التى تنوب كل رابع يوم]، والبلغمية، مفتح للسدد، ومحلل للرياح، =

....

= مجفف لبلة المعدة ورطوبتها.

وإن دُقّ وعُجن بالعسل، وشُرب بالماء الحار اذاب الحصاة التى تكون فى الكليتين والمثانة، ويدرّ البول، والحيض ، واللبن، إذا أديم. شربه أياماً.

وإذا سُخّن بالخل، وطلى على البطن، قتل حب القرع، فإن عُجن بماء الحنظل الرطب، أو المطبوخ، كان فعله فى إخراج الدود أقوى، ويجلو ويقطع، ويحلل، ويشفى من الزكام البارد إذا دُقّ وصُيّرَ فى خرقه، واشْتُمّ دائماً، أذهبه.

ودُهنه نافع لداء الحية، ومن الثآليل والخيلان [وهى الشامات والبثور السوداء ينبت حولها الشعر غالباً، ويغلب على شامة الخد، وقد ورد فى صفة المسيح عليه السلام أنه كان كثير خيلان الوجه].

وإذا شرب منه مثقالٌ بماء نفع من البَهَر وضيقِ النَّفَسِ، والضّماد به ينفع من الصداع البارد، وإذا نُقع منه سبع حبات عدداً فى لبن امرأة، وسُعِطَ به صاحب اليرقان، نفعه نفعاً بليغاً.

وإذا طُبِخَ بخلٍ، وتمضمض به، نفع من وجع الأسنان عن برد، وإذا استعط به مسحوقاً، قلع البثور والجرب المتقرح، وحلل الأورام البلغمية المزمنة، والأورام الصلبة، وينفع من الّلقوة إذا تُسعِّطَ بدهنه.

وإذا شُرب منه مقدار نصف مثقال إلى مثقال، نفع من لسع الرُّتيلاء [أنواع من الهوام، كالذباب والعنكبوت، والجمع روتيلاوات]، وإن سُحق ناعماً وخُلط بدُهن الحبة الخضراء، وقطر منه فى الأذن ثلاث قطرات نفع من البرد العارض فيها والريح والسُّدد.

وإن قُلى، ثم دُقّ ناعماً، ثم نُقع فى زيت، وقطر فى الأنف ثلاث قطرات أو أربع، نفع من الزكام العارض معه عطاس كثير.

وإذا احرق وخُلِط بشمع مذاب بدُهْن السوسن، أودُهْن الحناء، وطُلى به القروح الخارجة من الساقين بعد غسلها بالخل، نفعها وأزال القروح.

وإذا سُحق بخل، وطُلِى به البرص والبهق الأسود، والحَزَازَ الغليظ، نفعها وأبرأها. [الحزاز – بفتح الحاء –: داء يظهر فى الجسد فينقشر ويتسع، وهو أيضاً القشرة التى تتساقط من الرأس كالنخالة].

وإذا سُحِق ناعماً، واستَفَّ منه كل يوم درهمين بماء بارد، مَنْ عضَه كَلْبٌ كلِبٌ قبل ان يفرغ من الماء، نفعه نفعاً بليغاً، وأمن على نفسه من الهلاك.

وإذا استُعِط بدهنه، نفع من الفالج والكُزاز، وقطع موادهما، وإذا دخّن به، طرد الهوام، [الكُزَاز: داء من شدة البرد، أو الرعدة منها].

وإذا أُذيب الانزروت بماء، ولُطِخَ على داخل الحلقة، ثم ذر عليها الشونيز، كان من الذروات الجيدة العجيبة النفع من البواسير. (زاد المعاد): ٤ / ٢٩٨ – ٣٠٠.

السـنا

خرّج الترمذى من حديث عبد الحميد بن جعفر قال: حدثنى عتبة بن عبد الله، عن أسماء بنت عميس [رضى الله عنها قالت:] إن رسول الله ﷺ سألها: بم تستمشين؟ قالت: بالشبّرم، قال: حارٌّ، حارٌّ، وقال: ثم استمشيتُ بالسنا، فقال النبى ﷺ: لو أن شيئًا كان فيه شفاءٌ من الموت لكان فى السنا. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.

وخرَّج الحاكم من حديث ابن جريج، عن سعيد بن عقبة الزرقى، عن رعة بن عبد الله بن زياد، أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، حدّثه عن أسماء بنت عميس، أن رسول الله ﷺ دخل عليها ذات يوم عندها شبرم تدقه، فقال: ما تصنعين بهذا؟ قالت: نسقيه فلانًا؟ قالت: يشربه فلان، فقال: لو أن شيئًا يدفع الموت، أو ينفع الموت، نفع السنا. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. وله شاهد من حديث البصريين، عن أسماء بنت عميس [رضى الله عنها]، فذكر حديث عبد الحميد بن جعفر.

وللنَّسائىّ من حديث محمد بن عمارة، عن عبد الله بن عبد الله بن أبى طلحة، عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ثلاث فيهن شفاء من كل داء إلا السام: [السنا] والسنوت، قال محمد: ونسيت الثالثة، قالوا: يا رسول الله! هذا السَّنَا قد عرفناه، فما السنوت؟ قال: لو شاء الله لعرفكوه. والسنوت(١): الرُّب، وقيل: العسل، وقيل: الكمون

---

(١) قال العلاَّمة ابن القيم: وفيه سبعة أقوال، أحدهما: أنه العسل، الثانى: أنه رُبُّ عُكَّةِ السمن يخرج =

يمانيه، وقيل: هو نبت شبيه بالكمون، وقيل: الرَّازيانج، وقيل: الشُّبَت(١)، وقوله:

هم السمّن بالسّنوت لا السَّمن فيهمُ
وهم يسقون جارهم أن يُقَرَّدا

فسّره يعقوب بأنه الكمون، وفسّره ابن الأعرابى بأنه نبت شبيه بالكمون، والسّنوت: لغة فيه. ذكر ذلك ابن سيده(٢).

* * *

= خططًا سوداء على السمن، الثالث: أنه حبٌّ يشبه الكمون، وليس بكمون، الرابع: الكمون الكرمانى، الخامس انه الشُّبَتُ، السادس: أنه التَّمْر، السابع: أنه الرَّازيانج. (زاد المعاد): ٤ / ٣٢٠.

(١) الشُّبتُ: نبات من فصيلة الخيميات يشبه الشمر، وهو من التوابل.

(٢) راجع التعليق السابق والذى قبله.

التَّلْبينَة(1) والحِسَاء

خرّج البخارى ومسلم، من حديث عقيل بن خالد، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة رضى الله عنها، أنها كانت إذا مات الميت من أهلها، فاجتمع لذلك النساء، ثم تفرقن إلا أهلها وخاصتها، أمرت ببرمة من تلبينة فطبخت، ثم صُنع ثريد، فَصُبَّتِ التلبينة عليها، ثم قالت: كلن منها، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: التلبينة مجمّة لفؤاد المريض، تذهب ببعض الحُزن. ذكره البخارى فى كتاب الأطعمة(2)، وفى الطب(3)، ولفظه: كانت تأمر بالتلبين للمريض وللمحزون على الهالك، وكانت تقول إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن التلبينة تجمُّ فؤاد المريض وتذهب ببعض الحزن.

---

(1) التَّلْبينة – بفتح المثناه، وسكون اللام، وكسر الموحدة، بعدها تحتانية ساكنة ثم نون–: طعام يتخذ من دقيق أو نخالة وربما جُعل فيها عسل، سميت بذلك لشبهها باللبن فى البياض والرقة، والنافع منه ما كان رقيقًا نضيجًا لا غليظًا نيئًا. (فتح البارى).

(2) (فتح البارى): ٩/ ٣٨٧، كتاب الأطعمة، باب (٢٤) التلبينة، حديث رقم (٥٤١٧).

قوله: «مجمة» بفتح الجيم والميم الثقيلة أى مكان الاستراحة، ورويت بضم الميم، أى مريحة. (المرجع السابق).

(3) (فتح البارى): ١٠/ ١٧٩ – ١٨٠، كتاب الطب، باب (٨) التلبينة للمريض، حديث رقم (٥٦٨٩)، وحديث رقم (٥٦٩٠)، من حديث على بن مسهر، عن هشام عن أبيه، عن عائشة رضى الله عنها أنها كانت تأمرنا بالتلبينة وتقول: هو البغيض النافع.

والبغيض: بوزن عظيم، من البُغض، أى يبغضه المريض مع كونه ينفعه كسائر الأدوية.

قال الموفق البغدادى: إن شئت معرفة منافع التلبينة، فاعرف منافع ماء الشعير، ولاسيما إذا كان نخالة، فإنه يجلو، وينفذ بسرعة، ويغذى غذاءً لطيفًا، وإذا شُرب حارًا كان أجلى وأقوى نفوذًا، وانمى للحرارة الغريزية.

=

وخرَّج الترمذى من حديث محمد بن السائب بن بركة، عن أمه، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أخَذَ أهلَهُ الوعَكُ، أمر بالحساء فصُنع، ثم أسرهم فحسوْا منه، وكان يقول: إنه ليرتق(١) فؤاد المريض، ويسرو(٢) عن فؤاد السقيم، كما تسرو إحداكن الوسخ بالماء عن وجهها(٣). هذا لفظ الترمذى.

وقال النسائى: وفؤاد المريض، وقال: كما يسرو أحدكم الوسخ بالماء عن وجهه(٤). قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح. وقد رواه ابن المبارك عن يونس، عن الزهرى، عن عروة، عن عائشة [رضى الله عنها]، عن النبى ﷺ(٥).

= قال: والمراد بالفؤاد فى الحديث رأس المعدة، فإن فؤاد الحزين يضعف باستيلاء اليبس على أعضائه وعلى معدته خاصة لتقليل الغذاء، والحساء يرطبها ويغذيها ويقويها، ويفعل مثل ذلك بفؤاء المريض.

لكن المريض كثيراً ما يجتمع فى معدته خلط مرارى، أو بلغمى، أو صديدى، وهذا الحساء يجلو ذلك عن المعدة.

قال: وسماه البغيض النافع، لأن المريض يعافه، وهو نافع له، قال: ولا شئ أنفع من الحساء لمن يغلب عليه فى غذائه الشعير، وأما من يغلب على غذائه الحنطة، فالأولى به فى مرضه حساء الشعير. (فتح البارى).

(١) يرتق: يشد ويرخى، والمراد هنا الشد، لأن الحزن يرخى القلب.

(٢) يسرو: بمعنى يكشف ويجلو.

(٣) (سنن الترمذى): ٤/٣٣٦، كتاب الطب، باب (٣) ما جاء ما يُطْعَم المريض، حديث رقم (٢٠٣٩).

(٤) (النسائى فى الكبرى): الطب، باب الدواء بالتلبينة.

(٥) ثم قال: حدثنا بذلك الحسين بن محمد، حدثنا به أبو إسحاق الطالقانى عن ابن المبارك.

وأخرجه ابن ماجة فى (السنن): ٢/ ١١٤٠، كتاب الطب، باب (٥) التلبينة، حديث رقم (٣٤٤٥)، وفيه: «إنه ليَرتُو فؤاد الحزين، ويَسْرُ عن فؤاد السقيم»، وحديث رقم (٣٤٤٦) من حديث عائشة رضى الله عنها قالت: قال النبى ﷺ: «عليكم بالبغيض النافع التلبينة» يعنى الحساء، قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا اشتكى أحد من أهله لم تزل البرمة على النار، حتى ينتهى أحد طرفيه، يعنى: يبرأ أو يموت.

= وأخرجه ابن أبى شيبه فى (المصنف) ٥ /٣٨، كتاب الطب، باب (١٣) فى التلبينة، حديث رقم (٢٣٤٩١).

وأخرجه الحاكم فى (المستدرك) : ٤ /٢٢٧، كتاب الطب، حديث رقم (٧٤٥٤)، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخليص) : هكذا رواه المعافى بن سليمان عنه، ورواه زيد بن الحباب، عن فليح، عن أم مبشر بدل أم المنذر، قال : صحيح.

وحديث رقم (٧٤٥٥)، وقال فى (التلخيص) : أيمن هو ابن نايله، صحيح.

وأخرجه الإمام مسلم فى كتاب السلام، باب (٣٠) التلبينة مجمة لفؤاد المريض، حديث رقم (٢٢١٦).

قال العلامة ابن القيم : التلبين : هو الحساء الرقيق الذى هو فى قوام اللبن – ومن اشتق اسمه، قال الهروى : سميت تلبينة لشبهها باللبن، لبياضها ورقتها، وهذا الغذاء هو النافع للعليل، وهو الرقيق النضيح ،لا الغليظ النيئ.

وإذا شئت أن تعرف فضل التلبينة، فاعرف فضل ماء الشعير، بل هى ماءُ الشعير لهم، فإنها حِساء متخذ من دقيق الشعير بنخالته، والفرق بينها وبين ماء الشعير أنه يطبخ صحاحًا، والتلبينة تُطبخ منه مطحونًا، وهى أنفع منه لخروج خاصية الشعير بالطحن.

وقد تقدم أن للعادات تأثيرًا فى الانتفاع بالأدوية والأغذية، وكانت عادة القوم أن يتخذوا ماء الشعير منه مطحونًا لا صحاحًا، وهو أكثر تغذية، وأقوى فعلاً، وأعظم جلاءً، وإنما اتخذه أطباء المدن منه صحاحًا ليكون أرق والطف، فلا يثقل على طبيعة المريض، وهذا بحسب طبائع أهل المدن ورخاوتها، وثقل ماء الشعير المطحون عليها.

والمقصود : أن ماء الشعير مطبوخًا صحاحًا ينفذ سريعًا، ويجلو جلاء ظاهرًا، ويغذى غذاءً لطيفًا، وإذا شُرب حارًا كان جلاؤه أقوى، ونفوذه أسرع، وإنماؤه للحرارة الغريزية أكثر، وتلميسه لسطوح المعدة أوفق.

وقوله ﷺ : « فيها مجُمة لفؤاد المريض »، يروى بوجهين : بفتح الميم والجيم، وبضم الميم وكسر الجيم، والأول أشهر، ومعناه : أنها مريحة له، أى تريحه وتسكنه من الإجمام وهو الراحة.

وقوله : « تذهب ببعض الحزن » ،هذا – والله تعالى أعلم – لأن الغم والحزن يبرّدان المزاج، ويضعفان الحرارة الغريزية، لميل الروح الحامل لها إلى جهة القلب الذى هو منشؤها، وهذا الحساء يقوى الحرارة الغريزية بزيادته فى مادتها، فتزيل أكثر ما عرض له من الغم والحزن.

وقد يقال – وهو أقرب – : إنها تذهب ببعض الحزن بخاصية فيها من جنس خواص الأغذية المفرِحة، فإن من الأغذية ما يفرح بالخاصية، والله تعالى أعلم.. (زاد المعاد) : ٤ / ١٢٠ – ١٢١.

إغتسال المريض

خرّج البخارى من حديث معمر ويونس، قال الزهرى: أخبرنى عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود، أن عائشة رضى الله عنها قالت: لما ثقل النبى ﷺ واشتد وجعه، استأذن أزواجه فى أن يُمرّض فى بيتى، فأَذِنَّ له، فخرج بين رجلين تخط رجلاه فى الأرض، بين عباس وآخر، قال عبيد الله: فأخبرتُ ابن عباس بما قالت عائشة [رضى الله عنها] فقال: هل تدرى من الرجل الآخر الذى لم تُسمّ عائشة؟ قلت: لا، قال: هو على بن أبى طالب [رضى الله عنه]، قالت عائشة [رضى الله عنها]: فقال النبى ﷺ بعد ما دخل بيتها واشتدّ وجعه: هَريقوا علىّ من سبع قرب لم تُحلل أوكيتهنّ، لعلى أعْهد إلى الناس، قالت: فأجلسناه فى مخضب لحفصة، طفقنا نصُبّ عليه من تلك القرب، حتى جعل يُشير إلينا أن قد فعلتُنّ، قالت: وخرج إلي الناس، فصلى بهم وخطبهم.

ذكره البخارى فى الطب(١)، وفى آخر كتاب المغازى(٢)، وقال فى آخره: حتى طفق يشير إلينا بيده أن قد فعلتن.. الحديث بمثله. وذكره فى كتاب الطهارة(٣) وانتهى إلى قوله: ثم خرج إلى الناس وقال: حتى طفق يشير إلينا

(١) (المرجع السابق): ٨/١٧٨، كتاب المغازى، باب (٨٤) مرض النبى ﷺ ووفاته، حديث رقم (٤٤٤٢).

(٢) (المرجع السابق): ١/ ٤٠٠، كتاب الوضوء، باب (٤٥) الغُسل والوُضوء فى المخضب والقدح والحجارة، حديث رقم (١٩٨).

قوله: «لما ثقل ﷺ» أى فى وجعه. وفى رواية معمر عن الزهرى أن ذلك كان فى بيت ميمونة رضى الله عنها.

واختلفوا فى الرجلين فقيل: «على والعباس»، وقيل: «أسامة والفضل»، وقيل: «الفضل =

أن قد فعلتن، وخرّجه مسلم(١)، وانتهى منه إلى قوله: هو عليٌّ.

= وثوبان »، وقيل « بريرة ونُوبة »، وجمعوا بين هذه الروايات على تقدير ثبوتها بأن خروجه تعدد، فيتعدد من اتكأ عليه، وهو أولى من قول من قال: تناوبوا فى صلاة واحدة.

قوله: « من سبع قرب »، قيل: الحكمة من هذا العدد أن له خاصيته فى دفع ضرر السم والسحر، وتمسَّك به بعض من أنكر نجاسة سُؤر الكلب، وزعم أن الأمر بالغسل منه سبعًا، إنما هو لدفع السمية التى فى ريقة.

وقد ثبت حديث « من تصبح بسبع تمرات من عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر »، وللنسائى فى قراءة الفاتحة على المصاب سبع مرات، وسنده صحيح، وفى صحيح مسلم: القول لمن به وجع: « أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر سبع مرات »، وفى النسائى: « من قال عند مريض لم يحضر أجله: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك سبع مرات » (فتح البارى) مختصراً.

(١) (مسلم بشرح النووى): ٤ / ٣٧٩، كتاب الصلاة، باب (٢١) استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما من يصلى بالناس، وأن من صلى خلف إمام جالس لعجزه عن القيام لزمه القيام إذا قدر عليه، ونسخ القعود خلف القاعد فى حق من قدر على القيام، وحديث رقم (٩٠)، وقال فى آخره: قال عبيد الله: فدخلت على عبد الله بن عباس فقلت له: ألا أعرض عليك ما حدثتنى عائشة عن مرض رسول الله ﷺ؟ قال: هات، فعرضت حديثها عليه، فما أنكر منه شيئًا، غير أنه قال: أسَمَّتْ لك الرجل الذى كان مع العباس؟ قلت: لا، قال: هو على. وتكرر ذلك فى آخر الحديث رقم (٩١)، (٩٢)، باختلاف يسير فى اللفظ.

وأخرجه البيهقى فى (دلائل النبوة): ٧/ ١٧٣ - ١٧٤، باب ما جاء فى استئذانه ﷺ أزواجه فى أن يُمَرَّض فى بيت عائشة رضى الله عنها، ثم ما جاء فى اغتساله وخروجه إلى الناس، وصلاته بهم، وخطبته إياهم ونعيه نفسه إليهم، وإشارته إلى أمَنِّ الناس عليه فى صُحبته، وفى ص ١٨٩ - ١٩١، باب ما جاء فى آخر صلاة صلاها رسول الله ﷺ بالناس، من أولها إلى آخرها.

وتفسير موقف السيدة عائشة رضى الله عنها وتشددها فى عدم ذكر الرجل الآخر، وهو الإمام على ابن أبى طالب كرم الله وجهه، يكمن فيما نقله الدكتور عبد المعطى قلعجى محقق (دلائل النبوة للبيهقى)، حيث نقل من كتاب (عائشة والسياسة) للأستاذ سعيد الأفغانى [ص ٧٦ - ٨٢] مختصراً:

« لنرجع ثلاثين سنة قبل أن بويع لعلى بالخلافة، فسنجد ثمة نقطة التحول التى فرضت على عائشة اتجاهها الذى اتجهته مع على رضى الله عنه ولم تستطع الإفلات منه، ولا من عاطفتها العنيفة التى لم تخفف تتابع الأيام والسنين من حدتها، فلنمعن فى هذه الأمور التاليات:

١ - لم تجتمع أزواج النبى ﷺ على شئ اجتماعهن على الغيرة الشديدة من السيدة عائشة رضى الله عنها، لما خصها به النبى ﷺ من محبة، إذ حلَّتْ من قلبه المنزلة التى لا تُسامى، والغيرة بين =

وخرَّجه النسائى من طريق معمر، عن الزهرى، عن عروة، عن عائشة [رضى الله عنها]، أن النبى ﷺ قال فى وجعه الذى قُبض فيه : صُبّوا علىّ سبع قرب لم تحلل أوكيتهن لَعَلِّى أعهد إلى الناس، فأجلسناه فى مخضب لحفصة، فمازلنا نصب عليه، حتى طفق يشير إلينا أن قد فعلتُنّ. وخرّجه من طريق سويد بن نصر قال : أنبأنا عبد الله بن المبارك، عن معمر ويونس، ... كما تقدم أولاً(١).

= الضرائر أمر فطرى مألوف، قلَّ أن تتنزه عنه امرأة، وكان علىّ وزوجه السيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ، يحاولان حمله ﷺ على التخفيف من حبه لعائشة، ويسفران لبقية أزواجه بما يرضيهن، ويغضب عائشة، واظن أن مثل هذه السفارة مما لا تغفره أنثى البتة.

٢ - موقف على من عائشة فى حادث الإفك.

٣ - إشارات عارضة استخرجتُها من مواطنها، لأنها عظيمة الدلالة على رأى عائشة رضى الله عنها فى علىٍّ رضى الله عنه، وعاطفتها نحوه.

الأولى: فقد رواها عطاء بن يسار، قال : جاء رجل فوقع فى علىّ وعمار رضى الله عنهما عند عائشة فقالت : أما علىّ فلستُ قائلة لك فيه شيئًا، وأما عمار رضى الله عنه فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا يخير بين أمرين إلا اختار أرشدهما. [أخرجه الإمام أحمد فى (المسند) : ٧/ ١٦٣، حديث رقم (٢٤٢٩٩)].

الثانية: نَبَّه إليها داهية بنى هاشم : عبد الله بن عباس رضى الله عنه، روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : « لما اشتد بالرسول وجعه دعا نساءه فاستأذنهن أن يُمرَّض فى بيتى. فأذَنَّ له، فخرج رسول الله ﷺ بين رجلين من أهله، أحدهما الفضل بن العباس، ورجل آخر تخط قدماه الأرض، عاصبًا رأسه حتى دخل بيتى ».

قال راوى الحديث : فحدَّثْتُ بهذا الحديث عبد الله بن عباس فقال : هل تدرى من الرجل الآخر؟ قلت : لا، قال : على بن أبى طالب؛ ولكنها لا تقدر على أن تذكره بخير وهى تستطيع.

حتى بعد انقضاء حرب الجمل، وانتهاء الأمر بينهما على خير وتبادل ثناء، لم يزل ما بنفسها نحوه، فقد ذكروا أنه لما انتهى إلى عائشة قتل علىّ، قالت متمثلة :

فألقت عصاها واستقر بها النوى

كما قَرَّ عينًا بالإياب المسافرُ

(١) (سنن النسائى) : ٤/ ٤٣٥ - ٤٣٦، كتاب الإمامة، باب (٤٠) الائتمام بالإمام يصلى قاعداً، حديث رقم (٨٣٣) بسياقة أخرى، ولعلّ السياقة التى أوردها المقريزى من (الكبرى).

وللبخارى من حديث مالك، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبى ﷺ قال: الحمى من فيح جهنم، فأطفئوها بالماء. ذكره فى كتاب الطب[١]، وخرّجه مسلم[٢]، وخرّجا من طريق يحيى بن سعيد، عن عبيد الله قال: أخبرنى نافع، عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال: الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء[٣]. وفى لفظ لمسلم: إن شدة الحمى من فيح جهنم،فأبردوها بالماء[٤].

ولهما من حديث عبد الرحمن بن مهدى، عن سفيان، عن أبيه، عن [عبد الله بن رفاعة قال:] أخبرنى رافع بن خديج قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: الحمى من فيح جهنم، فأبردوها عنكم بالماء[٥]. ذكره البخارى فى كتاب بدء الخلق[٦]، وخرّجه النسائى أيضًا[٧].

وللترمذى من حديث روح بن عبادة قال: أخبرنا مرزوق أبو عبد الله الشامى، أخبرنا سعيد - رجل من أهل الشام - أخبرنا ثوبان، عن النبى ﷺ قال: إذا أصاب أحدكم الحمى، فإن الحمى قطعة من النار، فليطفئها

(١) (فتح البارى): ١٠/ ٢١٤، كتاب الطب، باب (٢٨) الحمى من فيح جهنم، حديث رقم (٥٧٢٣).

(٢) (مسلم بشرح النووى): ١٤/ ٤٤٧، كتاب السلام، باب (٢٦) لكل داء دواء واستحباب التداوى، حديث رقم (٧٩) عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما، حديث رقم (٨٠) عن زيد عن أبيه عن ابن عمر رضى الله عنهما.

(٣) (المرجع السابق): حديث رقم (٧٨).

(٤) (المرجع السابق): الحديث الذى يلى الحديث السابق (بدون رقم)، وأخرجه البخارى فى كتاب الطب، باب (٢٨) الحمى من فيح جهنم، حديث رقم (٥٧٢٥).

(٥) (مسلم بشرح النووى): ١٤/ ٤٤٩، كتاب السلام، باب (٢٦) لكل داء دواء واستحباب التداوى، حديث رقم (٨٤) وفيه: «من فور جهنم».

(٦) (فتح البارى): ٦/ ٤٠٦ - ٤٠٧، كتاب بدء الخلق، باب (١٠) صفة النار وأنها مخلوقة، حديث رقم (٣٢٦٢)، (٣٢٦٣)، (٣٢٦٤)، من طرق وبسياقات مختلفة.

(٧) فى الطب من (الكبرى).

عنه بالماء، فليستنقع نهراً جاراً، ليستقبل جَرْيَهُ الماء، فيقول: بسم الله، اللهم اشف عبْدك، وصدّقْ رسولك، بعد صلاة الصبح، قبل طلوع الشمس، فليغتمس فه ثلاث غمسات، ثلاثة أيام، فإن لم يبرأ فى ثلاث فخمس، فإن لم يبرأ فى خمس فسبع، فإن لم يبرأ فى سبع فتسع، فإنها لا تكاد تجاوز تسعًا بإذن الله. قال أبو عيسى هذا حديث غريب(١).

وللحاكم من حديث حماد بن سلمة، عن حميد، عن أنس [رضى الله عنه] أن النبى ﷺ قال: إذا حُمَّ أحدكم فليشن الماء البارد ثلاث ليال [من السحر] قال: هذا حديث صحيح(٢).

* * *

(١) (سنن الترمذى): ٤/ ٣٥٧ - ٣٥٨، كتاب الطب، باب (٣٣) بدون ترجمة، حديث رقم (٢٠٨٤).

(٢) (المستدرك): ٤/ ٢٢٣، كتاب الطب، حديث رقم (٧٤٣٨)، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق، منه، وقال فى آخره: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، وإنما اتفقا على الأسانيد فى أن الحمى من فيح جهنم فأطفئوها بالماء. وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): على شرط مسلم.

إجتناب المجذوم(١)

خرّج البخارى من حديث عَفَّان قال: [حدثنى سَلِيم بن حَيَّان]، حدثنى سعيد بن ميناء [قال:] سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: لا عدوى، ولا طِيَرَةَ، ولا هامَةَ، ولا صَفَر، وفِرَّ من المجذوم كما تفِرُّ من الأسد(٢).

---

(١) الجُذام – بضم الجيم وتخفيف المعجمة –: هو علة رديئة، تحدث من انتشار المرة السوداء فى البدن كله، فتفسد مزاج الأعضاء، وربما أفسد فى آخره إيصالها حتى يتآكل. قال ابن سيده: سمى بذلك لتَجَذُّم الأصابع وتقطعها.

(٢) (فتح البارى): ١٠ / ١٩٥، كتاب الطب، باب (١٩) الجُذام، حديث رقم (٥٧٠٧)، و«عفان» هو ابن مسلم الصفَّار، وهو من شيوخ البخارى، لكن أكثر ما يخرّج عنه بواسطة، وهو من المعلقات التى لم يصلها فى موضع آخر، وقد جزم أبو نعيم أنه أخرجه عنه بلا رواية، وعلى طريقة ابن الصلاح يكون موصولاً، وقد وصله أبو نعيم من طريق أبى داود الطيالسى، وأبى قتيبة مسلم بن قتيبة، كلاهما عن سليم بن حيان، شيخ عفان فيه.

وأخرجه أيضاً من طريق عمرو بن مرزوق، عن سليم، لكن موقوفًا، ولم يستخرجه الإسماعيلى، وقد وصله ابن خُزَيْمة أيضاً.

قوله: «وفر من المجذوم كما تفر من الأسد»، لم أقف عليه من حديث أبى هريرة إلا من هذا الوجه، ومن وجه آخر عند أبى نعيم فى الطب، لكنه معلول. وأخرج ابن خزيمة فى (كتاب التوكل) له شاهدٌ من حديث عائشة، ولفظه: «لا عدوى، وإذا رأيت المجذوم ففر منه كما تفر من الأسد».

وأخرج مسلم من حديث عمرو بن الشريد الثقفى عن أبيه، قال: «كان فى وفد ثقيف رجل مجذوم، فأرسل إليه رسول الله ﷺ: إنا قد بايعناك فارجع»، حديث رقم (٢٢٣١).

قال عياض: اختلفت الآثار فى المجذوم، فجاء ما تقدم عن جابر «أن النبى ﷺ أكل مع مجذوم وقال: ثقة بالله وتوكلاً عليه».

قال: فذهب عمر رضى الله عنه وجماعة من السلف إلى الأكل معه، ورأوا أن الأمر باجتنابه منسوخ. وممن قال بذلك: عيسى بن دينار من المالكية، قال: والصحيح الذى عليه الأكثر، ويتعين المصير إليه أن لا نسخ، بل يجب الجمع بين الحديثين، وحمل الأمر باجتنابه والفرار منه على الاستحباب والاحتياط، والأكل معه على بيان الجواز.
=

....

= هكذا اقتصر القاضي ومن تبعه على حكاية هذين القولين، وحكى غيره قولاً ثالثًا وهو الترجيح، وقد سلكه فريقان:

أحدهما: سَلَكَ ترجيح الأخبار الدالة على نفى العدوى وتزييف الأخبار الدالة على عكس ذلك، مثل حديث الباب، فأعلوه بالشذوذ وبأن عائشة أنكرت ذلك، فأخرج الطبرى عنها «أن امرأة سألتها عنه فقالت: ما قال ذلك، ولكنه قال: لا عدوى، وقال: فمن أعدى الأول؟ قالت: وكان لى مولى به هذا الداء، فكان يأكل فى صحافى، ويشرب فى أقداحى، وينام على فراشى»، وبأن أبا هريرة تردد فى هذا الحكم كما سيأتى بيانه، فيؤخذ الحكم من رواية غيره، وبأن الأخبار الواردة من رواية غيره فى نفى العدوى كثيرة شهيرة، بخلاف الأخبار المرخصة فى ذلك، ومثل حديث «لا تديموا النظر إلى المجذومين»، وقد أخرجه ابن ماجة وسنده ضعيف، ومثل حديث عبد الله بن أبي أوفى رفعه: «كلم المجذوم وبينك وبينه قيد رمحين»، أخرجه أبو نعيم فى الطب، وسنده واهٍ، ومثل ما أخرجه الطبرى من طريق معمر عن الزهرى: «أن عمر رضى الله عنه قال لمعيقيب: اجلس منى قيد رمح»، ومن طريق خارجة بن زيد، كان عمر رضى الله عنه يقول نحوه، وهما أثران منقطعان، وأما حديث الشريد الذى أخرجه مسلم فليس صريحًا فى أن ذلك بسبب الجذام، والجواب عن ذلك: أن طريق الترجيح لا يُصار إليها إلا مع تعذر الجمع، وهو ممكن، فهو أولى.

الفريق الثاني: سلكوا فى الترجيح عكس ذلك المسلك، فردوا حديث لا عدوى بأن أبا هريرة رجع عنه، إما لشكه فيه، وإما لثبوت عكسه عنده، قالوا: والأخبار الدالة على الاجتناب أكثر مخارج، وأكثر طُرقًا، فالمصير إليها أولى. قالوا: وأما حديث جابر: «أن النبى ﷺ أخذ بيد مجذوم فوضعها فى القصعة وقال: كل ثقة بالله وتوكلاً عليه» ففيه نظر، وقد أخرجه الترمذى، وبيَّن الاختلاف فيه على راويه، ورجح وقفه على عمر رضى الله عنه، وعلى تقدير ثبوته فليس فيه أنه ﷺ أكل معه، وإنما فيه أنه وضع يده فى القصعة، والجواب أن طريق الجمع أولى كما تقدم، وأيضًا فحديث لا عدوى ثبت من غير طريق أبى هريرة فصح عن عائشة، وابن عمر، وسعد بن أبى وقاص، وجابر، وغيرهم، فلامعنى لكونه معلولاً، والله أعلم.

وفى طريق الجمع مسالك أُخَر:

أحدها: نَفْى العدوى جملة وحمل الأمر بالفرار من المجذوم على رعاية خاطر المجذوم، لأنه إذا رأى الصحيح البدن، السليم من الآفة، تعظم مصيبته، وتزداد حسرته، ونحوه حديث: «لا تديموا النظر إلى المجذومين»، فإنه محمول على هذا المعنى.

ثانيها: حمل الخطاب بالنفى والإثبات على حالتين مختلفتين، فحيث جاء «لا عدوى» كان المخاطب بذلك من قَوِىَ يقينُه وصَحَّ توكله، بحيث يستطيع أن يدفع عن نفسه اعتقاد العدوى، كما يستطيع أن يدفع التَّطَيّر الذى يقع فى نفس كل أحد، لكن القوى اليقين لا يتأثر به، وعلى هذا يُحمل حديث جابر فى أكل المجذوم من القصعة.

....

= ثالثها: قال القاضى أبو بكر الباقلانى: إثبات العدوى فى الجذام ونحوه مخصوص من عموم نفى العدوى، قال: فيكون معنى قوله: «لا عدوى» أى إلا من الجذام والبرص والجرب مثلاً، قال: فكأنه قال: لا يعدى شئٌ شيئًا إلا ما تقدم تبيينى له أن فيه العدوى، وقد حكى ذلك ابن بطال.

رابعها: أن الأمر بالفرار من المجذوم ليس من باب العدوى فى شئ، بل هو لأمر طبيعى، وهو انتقال الداء من جسد لجسد، بواسطة الملامسة، والمخالطة وشم الرائحة، ولذلك يقع فى كثير من الأمراض فى العادة انتقال الداء من المريض إلى الصحيح بكثرة المخالطة، وهذه طريقة ابن قتيبة فقال: المجذوم تشتد رائحته حتى يُسقم من أطال مجالسته، ومحادثته، ومضاجعته، وكذا يقع كثيراً بالمرأة من الرجل وعكسه، وينزع الولد إليه، ولهذا يأمر الأطباء بترك مخالطة المجذوم، لا على طريق العدوى، بل على طريق التأثر بالرائحة، لأنها تسقم من واظب اشتمامها، قال: ومن ذلك قوله ﷺ: «لا يورد ممرض على مصح»، لأن الجرب الرطب قد يكون بالبعير، فإذا خالط الإبل أو حككها وأوى إلى مباركها، وصل إليها بالماء الذى يسيل منه، وكذا بالنظر نحو ما به. قال: وأما قوله: «لا عدوى» فله معنى آخر، وهو أن يقع المرض بمكان كالطاعون فيفر منه مخافة أن يصيبه، لأن فيه نوعًا من الفرار من قدر الله.

خامسها: أن المراد بنفى العدوى أن شيئًا لا يعدى بطبعه، نفيًا لما كانت الجاهلية تعتقده أن الأمراض تعدى بطبعها، من غير إضافة إلى الله تعالى، فأبطل النبى ﷺ اعتقادهم ذلك، وأكل مع المجذوم ليبين لهم أن الله هو الذى يمرض ويشفى، ونهاهم عن الدنو منه ليبين لهم أن هذا من الأسباب التى أجرى الله تعالى العادة بأنها تفضى إلى مسبباتها، ففى نهيه إثبات الأسباب، وفى فعله إشارة إلى أنها لا تستقل، بل الله هو الذى إن شاء سلبها قواها، فلا تؤثر شيئًا، وإن شاء أبقاها فأثرت.

قال البيهقى - بعد أن أورد قول الشافعى رضى الله عنه ما نصه - : الجذام والبرص يزعم أهل العلم بالطب والتجارب أنه يعدى الزوج كثيراً، وهو داء مانع للجماع، لا تكاد نفس أحد تطيب بمجامعة من هو به، ولا نفس امرأة أن يجامعها من هو به، وأما الولد فبين أنه إذا كان من ولده أجذم أو أبرص، أنه قلما يسلم، وإن سلم أدرك نسله.

سادسها: العمل بنفى العدوى أصلاً ورأسًا، وحمل الأمر بالمجانبة على حسم المادة وسد الذريعة، لئلا يحدث للمخالط بشئ من ذلك، فيظن أنه بسبب المخالطة، فيثبت العدوى التى نفاها الشارع، وإلى هذا القول ذهب أبو عبيد وتبعه جماعة، فقال أبو عبيد: ليس فى قوله: «لا يورد ممرض على مصح» إثبات العدوى، بل لأن الصحاح لو مرضت بتقدير الله تعالى ربما وقع فى نفس صاحبها أن ذلك من العدوى، فيفتتن ويتشكك فى ذلك، فأمر باجتنابه. قال: وكان بعض الناس يذهب إلى أن الأمر بالاجتناب إنما هو للمخافة على الصحيح من ذوات العاهة، قال: وهذا شر ما حمل عليه الحديث، لأن فيه إثبات العدوى التى نفاها الشرع، ولكن وجه الحديث عندى ما ذكرته.

قال الشيخ أبو محمد بن أبى جمرة: الأمر بالفرار من الأسد ليس للوجوب، بل للشفقة، لأنه ﷺ كان ينهى أمته عن كل ما فيه ضرر بأى وجه كان، ويدلهم على كل ما فيه خير. =

ولعبد الرزاق من حديث معمر، عن أيوب وخالد، عن أبى قلابة، أن النبى ﷺ قال: فرّوا من المجذوم فراركم من الأسد. وفى رواية له: فروا من الأجذم كما تفرون من الأسد.

ولمسلم من حديث يعلى بن عطاء، عن عمرو بن الشريد، عن أبيه قال: كان فى وفد ثقيف رجل مجذوم، فأرسل إليه النبى ﷺ، أنّا قد بايعناك، فارجع(١). وخرّجه النسائى.

ولأبى بكر بن أبى شيبة من حديث وكيع، عن عبد الله بن سعيد، عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، عن أمه فاطمة بنت الحسين، عن ابن عباس رضى الله [عنهما]، قال: قال رسول الله ﷺ: لا تُدنوا النظر إلى المجذومين(٢).

وخرّجه أبو بشر الدولابى، من حديث عبد الرحمن بن أبى الزناد، عن محمد بن عبد الله، عن أمه فاطمة، عن ابن عباس [رضى الله عنهما] قال: نهانا رسول الله ﷺ أن نديم النظرم إلى المجذومين، قال: لا تديموا إليهم

= قال: ويمكن الجمع بين فعله وقوله بأن القول هو المشروع من أجل ضعف المخاطبين، وفعله حقيقة الإيمان، فمن فعل الأول أصاب السنة وهى أثر الحكمة، ومن فعل الثانى كان أقوى يقيناً، لأن الأشياء كلها لا تأثير لها إلا بمقتضى إرادة الله تعالى وتقديره، كما قال تعالى: ﴿وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله﴾، فمن كان قوى اليقين فله أن يتابعه ﷺ فى فعله ولا يضره شئ، ومن وجد فى نفسه ضعفاً فليتبع أمره فى الفرار، لئلا يدخل بفعله فى إلقاء نفسه إلى التهلكه.

واستدل بالأمر بالفرار من المجذوم لإثبات الخيار للزوجين فى فسخ النكاح، إذا وجده أحدهما بالآخر، وهو قول جمهور العلماء، واختُلف فى أَمَة الأجذم: هل يجوز لها أن تمنع نفسها من استمتاعه إذا أرادها؟ واختلف العلماء فى المجذومين إذا كثروا، هل يُمنعون من المساجد والجامع؟ وهل يُتخذ لهم مكان منفرد عن الأصحاء؟ ولم يختلفوا فى النادر أنه لا يُمنع، ولا فى شهود الجمعة (فتح البارى): ١٠ / ١٩٦ - ٢٠٠ مختصراً.

(١) راجع التعليق السابق والتالى والذى بعده.

(٢) راجع التعليق السابق والتالى والذى بعده.

النظر(١).

ولأبى داود من حديث يونس بن محمد، عن مفضل بن فضالة، عن حبيب بن الشهيد، عن محمد بن المنكدر، عن جابر [رضى الله عنه]، أن رسول الله ﷺ أخذ بيد مجذوم، فوضعها معه فى القصعة وقال: كل ثقة بالله [عزَّ وجلَّ] وتوكلاً عليه(٢).

وأخرجه الترمذى بهذا السند، ولفظه: أخذ بيد مجذوم فأدخله معه فى القصعة [ثم] قال: كل بسم الله، ثقة بالله وتوكلاً عليه(٣). قال أبو عيسى: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث يونس بن محمد، عن المفضل ابن فضالة.

---

(١) راجع التعليق السابق والتالى والذى بعده.

(٢) (سنن أبى داود): ٤/ ٢٣٩، كتاب الطب، باب (٢٤) فى الطيرة، حديث رقم (٣٩٢٥).

(٣) (سنن الترمذى): ٤ / ٢٣٤، كتاب الأطعمة، باب (١٩) ما جاء فى الأكل مع المجذوم، حديث رقم (٨١٧).

وأخرجه ابن ماجه فى (السنن): ٢/ ١١٧٢، كتاب الطب، باب (٤٤) الجذام، حديث رقم (٣٥٤٢)، وحديث رقم (٣٥٤٣): أن النبى ﷺ قال: «لا تديموا النظر إلى المجذومين»، وحديث رقم (٣٥٤٤): كان فى وفد ثقيف رجل مجذوم فأرسل إليه النبى ﷺ: «ارجع فقد بايعناك».

قال الحافظ ابن حجر فى خاتمة كتاب الطب: اشتمل كتاب الطب من الأحاديث المرفوعة على مائة حديث وثمانية عشر حديثًا، المعلق منها ثمانية عشر طريقًا، والبقية موصولة، المكرر منها فيه وفيما مضى خمسة وثمانون طريقًا، والخالص ثلاثة وثلاثون، وافقه مسلم على تخريجها، سوى حديث أبى هريرة فى نزول الداء والشفاء، وحديث ابن عباس: الشفاء فى ثلاث، وحديث عائشة فى الحبة السوداء، وحديث أبى هريرة «فر من المجذوم»، وحديث أنس «رخص لأهل بيت فى الرقية»، وحديث أنس «اشف وأنت الشافى»، وفيه من الآثار عن الصحابة فمن بعدهم ستة عشر أثرًا، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب. (فتح البارى): ١٠/ ٣٠٩ آخر كتاب الطب.

والمفضَّل بن فضالة هذا : شيخ بصرىّ(١)، ،المفضَّل بن فضالة : شيخ آخر مصرى(٢) أوثق من هذا وأشهر. وقد روى شعبة هذا الحديث عن حبيب ابن الشهيد عن ابن بريدة، أن ابن عمر أخذ بيد مجذوم، وحديث شعبة أثبت عندى وأصحّ. ذكره فى الأطعمة(٣).

---

(١) هو المفضَّل بن فضالة بن أبى أمية القرشىّ، أبو مالك البصرى، أخو مبارك بن فضالة مولى آل الخطاب. قال الدورى عن ابن معين: ليس بذاك، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه، وقال الآجرى عن أبى داود : بلغنى عن علىٍّ أنه قال: فى حديثه نكارة، وقال الترمذى: شيخ بصرى، والمصرى أوثق منه وأشهر. وقال النسائى ليس بالقوى، وذكره ابن حبان فى (الثقات) : له فى السنن حديثه عن حبيب عن ابن المندر، عن جابر: أخذ رسول الله ﷺ بيد مجذوم فوضعه معه فى القصعة... الحديث. وزعم بعضهم أنه أخو الفرج بن فضالة وليس بشىء. قال الحافظ ابن حجر: هذا قول ابن حبان. قال ابن عدى: لم أر له أنكر من هذا، يعنى حديث جابر. (تهذيب التهذيب) : ١٠ / ٢٤٤، ترجمة رقم (٤٩٢) مختصراً.

(٢) هو المفضَّل بن فضالة بن عبيد بن ثمامة بن مزيد بن نوف الرعينى ثم القتْبانى أبو معاوية المصرى قاضيها، قال إسحاق بن منصور عن ابن معين: ثقة، وقال الدورى عن ابن معين: رجل صدوق، وقال أبو زرعة: لابأس به، وقال أبو حاتم وابن خراش: صدوق فى الحديث، وقال ابن يونس: ولى القضاء بمصر مرتين، وكان من أهل الفضل والدين، ثقة فى الحديث، من أهل الورع.

ذكره أحمد بن شعيب. يومًا وأنا حاضر فأحسن الثناء عليه ووثقه، وقال: سمعتُ قتيبة بن سعيد يذكر عنه فضلا، وقال الآجرى عن أبى داود: كان مجاب الدعوة.

وُلد سنة سبع ومائة ، وقال البخارى: مات فى شوال سنة إحدى وثمانين. قال الحافظ ابن حجر: وذكره ابن حبان فى (الثقات)، وذكره ابن سعد فى الطبقة الخامسة من أهل مصر، وقال: كان منكر الحديث. قال عيسى بن حماد: كان مجاب الدعوة، طويل القيام مع ضعف بدنه. (المرجع السابق): ترجمة رقم (٤٩٣)مختصراً.

وذكر أيضا: المفضَّل بن فضالة بن المفضل بن فضالة حفيد الذى قبله، روى عن أبيه عن جده، ذكره ابن حبان فى (الثقات)، وابن يونس فى تاريخه وقال: مات سنة اثنيت وخمسين ومائتين (المرجع السابق): ترجمة رقم (٤٩٤).

وذكر أيضا: المفضَّل بن فضالة النّسوى أبو الحسن، روى عن إبراهيم بن الهيثم البلدى، وعنه أبو أحمد بن عدى. هو والذى قبله متاخران، لا يشتبهان بمن قبلهم. (المرجع السابق): ترجمة رقم (٤٩٥).

(٣) (سنن الترمذى) : ٤ / ٢٣٤، عقب الحديث رقم (١٨١٧).

وذكر الحاكم حديث يونس عن الفضل كما تقدم، ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه[1].

* * *

(١) (المستدرك): ٤/١٥٢، كتاب الأطعمة، حديث رقم (٧١٩٦) وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص): صحيح.

وأما عرق النَّسا[1]

فخرج الحاكم من حديث الوليد بن مسلم، حدثنا هشام بن حسان، [قال]: حدثني أنس بن سيرين [قال:] حدثني أنس بن مالك [رضي الله عنه] قال: قال رسول الله ﷺ: شفاء عرق النَّسا: إلية شاة عربية تُذاب، ثم تُجَزّأ ثلاثة أجزاء، فتُشرب ثي ثلاثة أيام. قال: هذا حديث صحيح [على شرط الشيخين ولم يخرجاه] وقد رواه المعتمر بن سليمان، عن هشام بن حسان، بزيادة في المتن[2].

فذكره ولفظه: أن النبي ﷺ وصف من عرق النسا إلية شاة عربيّ، ليست بصغيرة، ولا كبيرة، تُذاب، ثم تُقْسَم على ثلاثة أجزاء، فيشرب كل يوم جزء على ريق النفس. قال أنس: وقد وصفتُ ذلك لثلاثمائة، كلهم يعافيه الله تعالى[3].

وقد رواه حبيب بن الشهيد، عن أنس بن سيرين، فذكره[4]، ثم قال:

---

(١) عرق النَّسا: وجع يبتدئ من مَفْصِل الورك، وينزل من خلف على الفخذ، وربما على الكعب، وكلما طالت مدته، زاد نزوله، وتُهزل معه الرجل والفخذ. (زاد المعاد): ٤ / ٧١-٧٢، فصل في هديه ﷺ في علاج عرق النَّسا.

(٢) (المستدرك): ٤ / ٢٢٩، كتاب الطب، حديث رقم (٧٤٥٩)، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص): على شرط البخاري ومسلم.

(٣) (المرجع السابق): حديث رقم (٧٤٦٠).

(٤) (المرجع السابق): حديث رقم (٧٤٦١).

وأخرجه ابن ماجة في (السنن): ٢ / ١١٤٧، كتاب الطب، باب (١٤) دواء عرق النِّساء، حديث رقم (٣٤٦٣)، وقال في الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات، والإليه: ما ركب العجز وتدلى من شحم ولحم.

وأخرجه الحاكم أيضا في (المستدرك): ٤ / ٤٥٢، كتاب الطب، حديث رقم (٨٢٤٧)، =

= من حديث هشام بن حسان، عن أنس بن سيرين، عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى ﷺ وصف لهم فى عرق النسا أن يأخذوا إليه كبش ليس بعظيم ولا صغير فيذاف، ثم يجزأ على ثلاثة أجزاء، فيشرب كل يوم جزءًا، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): على شرط البخارى ومسلم.

قال العلامة ابن القيم: وهذا الحديث فيه معنى لغوىّ، ومعنى طبىّ، فأما المعنى اللغوىّ: فدليل على جواز تسمية هذا المرض بعرق النَّسا خلافًا لمن منع هذه التسمية، وقال: النَّسا هو العرق نفسه فيكون من باب إضافة الشىء إلى نفسه، وهو ممتنع.

وجواب هذا القائل من وجهين، أحدهما: أن العرق أعم من النَّسا، فهو من باب إضافة العام إلى الخاص، نحو: كل الدراهم أو بعضها.

الثانى: أن النسا: هو المرض الحالّ بالعرق، والإضافة فيه من باب إضافة الشىء إلى محله وموضعه. قيل: وَسُمِّىَ بذلك لأن ألمه يُنسى ما سواه من وهذا العرق ممتد من مفصل الورك، وينتهى إلى آخر القدم وراء الكعب من الجانب الوحشى، فيما بين عظم الساق والوتر.

وأما المعنى الطبى: فقد تقدم أن كلام رسول الله ﷺ نوعان:

أحدهما: عام بحسب الأزمان، والأماكن، والأشخاص، والأحوال.

والثانى: خاص بحسب هذه الأمور أو بعضها، وهذا من هذا القسم، فإن هذا خطاب للعرب، وأهل الحجاز، ومن جاورهم، ولا سيما أعراب البوادى، فإن هذا العلاج من أنفع العلاج لهم، فإن هذا المرض يحدث من يُبس، وقد يحدث من مادة غليظة لزجة، فعلاجها بالإسهال، والألية فيها الخاصيتان: الإنضاج، والتليين، ففيها الإنضاج والإخراج.

وهذا المرض يحتاج علاجه إلى هذين الأمرين، وفى تعيين الشاة الأعرابية لقلة فضولها، وصغر مقدارها، ولطف جوهرها، وخاصية مرعاها، لأنها ترعى أعشاب البرِّ الحارة، كالشيح، والقَيْصوم، ونحوهما، وهذه النباتات إذا تغذى بها الحيوان صار فى لحمه من طبعها بعد أن يلطفها تغذية بها، ويكسبها مزاجًا ألطف منها، ولا سيما الألية.

وظهور فعل هذه النباتات فى اللبن أقوى منه فى اللحم، ولكن الخاصية التى فى الألية من الإنضاج والتليين لا توجد فى اللبن، وهذا كما تقدم أن أدوية غالب الأمم والبوادى هى الأدوية المفردة، وعليه أطباء الهند.

وأما الروم واليونان فيعتنون بالمركَّبة، وهم متفقون كلهم على أن من مهارة الطبيب أن يداوى بالغذاء، فإن عجز فبالمفرد، فإن عجز، فبما كان أقلَّ تركيبًا.

وقد تقدم أنَّ غالب عادات العرب وأهل البوادى الأمراض البسيطة، فالأدوية البسيطة تناسبها، =

هذه الأسانيد كلها صحيحة، وقد أعضله حماد بن سلمة عن أنس بن سيرين فقال: عن أخيه معبد، عن رجل من الأنصار، عن أبيه، والقول عندنا [فيه] قول المعتمر بن سليمان، والوليد بن مسلم.

* * *

= وهذا لبساطة أغذيتهم فى الغالب. وأما الأمراض المركبة فغالبًا ما تحدث عن تركيب الأغذية وتنوعها واختلافها، فاختيرت لها الأدوية المركبة، والله تعالى أعلم. (زاد المعاد): ٤ / ٧٢-٧٣، فصل فى هديه ﷺ فى علاج عرق النُّسا.

وقد أثبت محقق (زاد المعاد) تعريف الدكتور عادل الأزهرى لعرق النُّسا، حيث قال: هو مرض يصيب النساء والرجال على السواء وآلامه مفرطة، تبتدئ غالبًا فى أسفل العمود الفقرى، ويمتد الألم إلى إحدى الأليتين، ثم إلى الجزء الخلفى من الفخذ، وأحيانا حتى الكعب،

وينتج غالبًا من انفصال غضروفى بأسفل العمود الفقرى، أو التهاب روماتزمى بالعصب الإنسى، وعلاجه الأساسى الراحة التامة على الظهر، لمدة خمسة عشر يومًا على الأقل مع إعطاء مهدئات للألم مثل الأسبرين.... والحجامات الجافة، والكىّ أحيانًا، يساعدان على علاجه. (زاد المعاد): ٤ / ٧٣ هامش.

وأما كثرة أمراضه ﷺ

فخرج الحاكم من حديث إسرائيل، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: قلت لعائشة رضى الله عنها: قد أخذتِ السُّنن عن رسول الله [ﷺ]، والشعر والعربية عن العرب، فعن من أخذتَ الطب؟ قالت: إن رسول الله ﷺ كان رجلا مسقامًا، وكان أطباء العرب يأتونه فأتعلم منهم. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد لم يخرج(١).

وخرّجه ابن حَيَّان ولفظه: أن رسول الله ﷺ كان [سقيمًا] فى آخر عمره فكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه، فتنعت له الأنعات، فكنتُ أعالجها، فمن ثَّم(٢).

وخرّجه الإمام أحمد من حديث أبى معاوية قال: أخبرنا هشام بن عروة قال: كان عروة يقول لعائشة رضى الله عنها: يا أمتاه! لا أعجب من فقهك، أقول: زوجة رسول الله، وابنة أبى بكر، ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام الناس، أقول: ابنة أبى بكر، وكان أعلم الناس، أو من أعلم الناس، ولكن أعجب من علمك بالطب، كيف هو؟ ومن أين هو؟ أو ما هو؟ قال: فضربتْ على منكبه [و] قالت: أى عُريّة، إن رسول الله ﷺ كان يسقم عند آخر عمره، أو فى آخر عمره، وكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه، فتنعت له الأنعات، وكنتُ أعالجُها لَهُ فمن ثمّ(٢).

---

(١) المستدرك): ٤/٢١٨ - ٢١٩، كتاب الطب، حديث رقم (٧٤٢٦)، قال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): صحيح على شرط البخارى ومسلم.

(٢) (مسند أحمد): ٧/٩٩، حديث رقم (٢٣٨٥٩).

الحنَّاء(١)

قال الإمام أحمد : حدثنا حماد بن خالد، حدثنا قائد مولى عبيد الله ابن على بن أبى رافع، عن مولاه، عن [عمته] سلمى(٢)، قالت: كنتُ أخدم النبى ﷺ ، فما كانت تصيبه قرحة، ولا نكته، إلا وأضع

(١) الحناء: بارد فى الأولى، يابسٌ فى الثانية، وقوة شجر الحناء وأغصانها مركبة من قوة محللة، اكتسبتها من جوهر فيها مائى، حار باعتدال، ومن قوة قابضة اكتسبتها من جوهر فيها أرضى بارد.

ومن منافعه أنه محلِّل نافع من حرق النار، وفيه قوة موافقة للعصب إذا ضُمِّد به، وينفع إذا مُضغ من قُروح الفم والسُّلاق - [بُثَر تخرج على أصل اللسان، وتقشر فى أصول الأسنان] - العارض فيه، ويُبْرئ القُلاع - [بثرات تكون فى جلدة الفم أو اللسان] - الحادث فى أفواه الصبيان، والضماد به ينفع من الأورام الحرة الملتهبة، ويفعل فى الجراحات فعل دم الأخوين [مادة تُجلب من الهند بهذا الاسم]، وإذا خُلط نوره مع الشمع المصفى، ودُهْن الورد، ينفع من أوجاع الجنب.

ومن خواصه: أنه إذا بدأ الجدرىّ يخرج بصبى، فخضبت أسافل رجليه بحناء، فإنه يُؤمن على عينيه أن يخرج فيها شىء منه، وهذا صحيح مجرَّب لا شك فيه.

وإذا جعل نَوْرُه بين طىّ ثياب الصوف طيبها، ومنع السوس عنها، وإذا نُقع ورقه فى ماء عذب يغمره، ثم عُصر وشُرب من صفوه أربعين يومًا كل يوم عشرين درهمًا مع عشرة دراهم سكر، ويُغَذَّى عليه بلحم الضأن الصغير، فإنه ينفع من ابتداء الجذام بخاصية فيه عجيبة.

وحكى أن رجلا تشقَّقَت أظافر أصابع يده، وأنه بذل لمن يُبرئه مالاً، فلم يجد، فوصفتْ له امرأة أن يشرب عشرة أيام حناء، فلم يُقْدِم عليه، ثم نقعه بماء وشربه، فبرأ ورجعت أظافيره إلى حُسنها.

والحناء إذا ألزمت به الأظفار معجونًا حَسَّنها ونفعها، وإذا عُجن بالسمن وَضُمِّد به بقايا الأورام الحارة التى ترشح ماءً أصفر، نفعها، ونفع من الجرب المتقرِّح المزمن منفعة بليغة، وهو ينبت الشعر ويقويه، ويحسنه، ويقوى الرأس، وينفع من النَّفَّاطات، والبثور العارضة فى الساقين والرجلين، وسائر البدن، (زاد المعاد) : ٤/ ٨٩ - ٩٠.

(٢) سلمى: خادم رسول الله ﷺ ، وهى مولاة صفية بنت عبد المطلب، وهى امرأة أبى رافع مولى رسول الله ﷺ وأم بنيه، وهى التى قَبَلَتْ إبراهيم بن رسول الله ﷺ، وكانت قابلة بنى =

عليها الحناء(١).

= فاطمة، وهى التى غسَّلت فاطمة مع زوجها ومع أسماء بنت عميس ، وشهدت سملى هذه ؛ خيبر مع رسول الله ﷺ .

(١) (مسند أحمد) : ٧/٦١٦، حديث رقم (٢٧٠٧٠)، ولفظه : «ما سمعت أحداً قط يشكو إلى رسول الله ﷺ وجعًا فى رأسه إلا قال: احتجم، ولا وجعًا فى رجليه إلا قال: اخضبها بالحناء، وحديث رقم (٢٧٠٧١) ، ولفظه: «ما اشتكى أحد إلى رسول الله ﷺ وجعا فى رأسه إلا قال: احتجم، ولا اشتكى إليه أحد وجعًا فى رجليه إلا قال: اخضب رجليك».

وأخرجه أبو داود فى (السنن) : ٤/١٩٤ - ١٩٥، كتاب الطب، باب (٣) فى الحجامة، حديث رقم (٣٨٥٨).

وأخرجه الترمذى فى (السنن) : ٤/٣٤٣، كتاب الطب، باب (١٣) ما جاء فى التداوى بالحناء، حديث رقم (٢٠٥٤)، ولفظه: «ما كان يكون برسول الله ﷺ قُرحةٌ، ولا نَكْبَةٌ إلا أمرنى رسول الله ﷺ أن أضع عليها الحناء» [والقرحة بضم القاف وفتحها].

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، إنما نعرفه من حديث فائد، وروى بعضهم هذا الحديث عن فائد، وقال: عن عبيد الله بن على عن جدته سلمى، وعبيد الله بن على أصحّ، ويقال: سُلمى.

حدثنا محمد بن العلاء، حدثنا زيد بن حُباب عن فائد مولى عبيد الله بن على، عن مولاه عبيد الله بن على، عن جدته، عن النبى ﷺ نحوه بمعناه.

وأخرجه ابن ماجة فى (السنن) : ٢/١١٥٨، كتاب الطب، باب (٢٩) الحناء، حديث رقم (٣٥٠٢)، ولفظه: كان لا يصيب النبى ﷺ قَرْحَةٌ ولا شَوْكَةٌ إلا وَضَع عليه الحناء».

هذا الحديث لم يحكم عليه الترمذى بشى من الصحة أو الحسن، أو الضعف، والظاهر أنه حديث حسن، والله تعالى أعلم. (تحفة الأحوذى) : ٦/١٧٨ ، ١٧٩ .

قوله فى رواية أبى داود: «اخضبهما» زاد البخارى فى (تاريخه) «بالحناء» قاله فى (فتح الودود) . وقال القارى: والحديث بإطلاقه يشمل الرجال والنساء، لكن ينبغى للرجل أن يكتفى باختضاب كفوف الرِّجْل، ويجتنب صبغ الأظافر، احترازاً من التشبه بالنساء ما أمكن.

قال المنذرى : والحديث أخرجه الترمذى وابن ماجة مختصراً فى الحناء، وقال الترمذى: حديث غريب إنما نعرفه من حديث فائد . هذا آخر كلامه .

وفائد هذا مولى عبيد الله بن على بن أبى رافع، وقد وثقه ابن معين، وقال الإمام أحمد، وأبو حاتم الرازى: لا بأس به، وفى إسناده عبيد الله بن على بن أبى رافع، مولى رسول الله ﷺ، قال ابن معين: لا بأس به، وقال أبو يحيى الرازى: لا يحتج بحديثه، هذا آخر كلامه. =

= وقد أخرجه الترمذى من حديث على بن عبيد الله عن جدته، وقال: وعبيد الله بن على أصحّ، وقال غيره: على بن عبيد الله بن أبى رافع لا يعرف بحال، ولم يذكره أحد من الأئمة فى كتاب، وذكر بعده حديث عبيد الله بن على بن أبى رافع هذا الذى ذكرناه وقال: فانظر فى اختلاف إسناده بغير لفظه، هل يجوز لمن يدعى السنة أو يُنسب إلى العلم أن يحتجّ بهذا الحديث على هذا الحال، ويتخذه سنة وحجة فى خضاب اليد والرجل؟ (عون المعبود): ١٠/٢٤٢.

الذريرة(١)

خرّج الحاكم من حديث ابن جريج قال: أخبرنى عمرو بن يحيى بن عمارة بن أبى حسن، حدثتنى مريم بنت إياس بن البكير(٢)، صاحب النبى ﷺ، عن بعض أزواج النبى ﷺ، وأظنها زينب، أن النبى ﷺ دخل عليها فقال: عندك ذريرة؟ فقالت: نعم، فدعا بها، ووضعها على بثرة(٣) بين أصبعين من أصابع رجله وقال: اللهم مُطفئ [الكبير]، ومكبر الصغير، اطفها عنى، فطفيت(٤). قال: هذا حديث صحيح [الإسناد ولم يخرجاه](٥) [وخرّجه الإمام أحمد، من حديث ابن جريج به مثله](٦).

---

(١) الذريرة: فتات من قصب الطيب الذى يُجاء به من بلد الهند، يشبه قصب النُّشَّاب، وفى حديث عائشة رضى الله عنها: طيبتُ رسول الله ﷺ لإحرامه بذريرة؛ قال: هو نوع من الطيب مجموع من أخلاط. (لسان العرب): ٤/٣٠٣ - ٣٠٤.

وقال العلامة ابن القيم: الذريرة دواء هندى يتخذ من قصب الذريرة، وهى حارة يابسة، تنفع من أورام المعدة، والكبد، والاستسقاء، وتقوى القلب لطيبها. (زاد المعاد): ٤/١١٣.

(٢) اختلف فى صحبتها، وأبوها وأعمامها من كبار الصحابة، ولأخيها محمد رؤية.

(٣) البثرة: خُرَّاج صغير يكون عن مادة حارة تدفعها الطبيعة، فتسترق مكانًا من الجسد تخرج منه، فهى محتاجة إلى ما ينضجها ويخرجها، والذريرة أحد ما يفعل بها ذلك، فإن فيها إنضاجًا، وإخراجًا، مع طيب رائحتها، مع أن فيها تبريداً للنارية التى فى تلك المادة، وكذلك قال صاحب (القانون): إنه لا أَفْضَل لحرق النار من الذريرة بدُهن الورد والخل. (زاد المعاد): ٤/١١٣ - ١١٤.

(٤) (المستدرك): ٤/٢٣٠، كتاب الطب، حديث رقم (٧٤٦٣)، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): صحيح.

(٥) زيادة للسياق من (المستدرك).

(٦) (مسند أحمد): ٦/٥١٠، حديث رقم (٢٢٦٣١).

وهذا الحديث حديث صحيح، أخرجه ابن السنى (٦٤٠) ص٢٣٧، ووقع له فى سنده وهم، =

= وقال الحافظ فى (أمالى الأذكار) ، فيما نقله عنه ابن علان : حديث صحيح أخرجه النسائى فى (اليوم والليلة)، وهو حديث صحيح الإسناد كما قال أبو عبد الله الحاكم، فإن رواته من رواة (الصحيحين)، إلا مريم بنت إياس بن البكير.

وفى لفظه اختلاف يسير؛ ففى (المستدرك) : « اللهم مُطفِئ الكبير ومكبر الصغير اطفها عنى »، وفى (مسند أحمد) : بمثله، وفى (زاد المعاد) : « اللهم مُصَغّر الكبير ومُكبِّر الصغير صَغِّرْ مابى »، وفى (الأصلين) : « مطفئ الكبير » والله تعالى أعلم بالصواب .

وَمَّا أنَّهُ [ﷺ] سُحِر

فخرج البخارى من حديث عيسى بن يونس، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضى الله عنها قالت: سَحر رسولَ الله ﷺ رجلٌ من بنى زريق يقال له: لُبيد بن الأعصم، قالت: حتى كان رسول الله ﷺ يخيّل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله، حتى إذا كان ذات يوم - أو ذات ليلة - وهو عندى، دعا، ودعا، ثم قال: يا عائشة! أشعرت أن الله [عزَّ وجلَّ] أفتانى فيما استَفْتَيتُه فيه؛ أتانى رجلان، فقعد أحدهما عند رأسى، والآخر عند رجلى، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب، قال: من طبّه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: فى أى شيء؟ قال: فى مشط ومُشاطة، وجُف طلعة ذكر، قال: وأين هو؟ قال: فى بئر ذَرْوان، فأتاها رسول الله ﷺ فى ناس من أصحابه، فجاء فقال: يا عائشة! والله لكأن ماءَها نُقاعة الحناء، ولكأن نخلها رءوس الشياطين فقلتُ يا رسول الله! أفلا استخرجته؟ قال: لا، أما أنا فقد عافانى الله، وكرهت أن أثير على الناس شراً، فأمرتُ بها فدفنت.

قال البخارى: تابعه أبو أسامة، وأبو ضمرة، وابن أبى الزناد، عن هشام. وقال الليث وابن عيينة، عن هشام: فى مشط ومشاقة. يقال: مشاطة: ما يخرج من الشعر إذا مُشّط، والمشاقة: من مشاقة الكتان. ترجم عليه البخارى باب: السحر، وذكره فى بدء الخلق، فى باب: صفة إبليس وجنوده[1]. وفى كتاب الدعاء[2]، وفى كتاب

(١) (فتح البارى): ٦/ ٤١٢، كتاب بدء الخلق، باب (١١) صفة إبليس وجنوده، حديث رقم (٣٢٦٨).

(٢) (المرجع السابق): ١١/ ٢٣٠، كتاب الدعوات، باب (٥٧) تكرير الدعاء، حديث رقم (٦٣٩١).

الأدب[١]، بزيادة ألفاظ ونقص الفاظ. وخرّجه مسلم من طرق، وخرّجه

---

(١) (المرجع السابق): ١٠ / ٥٨٧، كتاب الأدب، باب (٥٦) قول الله تعالى: **﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون﴾** وقوله: **﴿ثم بُغى عليه لينصرنه الله﴾** وترك إثارة الشر على مسلم أو كافر، حديث رقم (٦٠٦٣).

قال القاضى عياض: فإن قُلْتَ: فقد جاءت الأخبار الصحيحة أنه ﷺ سُحِر كما حدثنا الشيخ أبو محمد العتَّابى بقراءتى عليه، قال: أخبرنا حاتم بن محمد، أخبرنا أبو الحسن على بن خلف، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا البخارى [بسنده] عن عائشة رضى الله عنها قالت: «سُحر رسول الله ﷺ حتى إنه ليخيل إليه أنه فعل الشىء وما فعله». وفى رواية أخرى: «حتى كان يخيل إليه أنه كان يأتى النساء ولا يأتيهن».

وإذا كان هذا من التباس الأمر على المسحور، فكيف حال النبى ﷺ فى ذلك، وكيف جاز عليه، وهو معصوم؟

فاعلم -وفقنا الله وإياك- أن هذا الحديث صحيح متفق عليه، وقد طعنتْ فيه الملحدة، وتذرعتْ به لسُخْف عقولها، وتلبيسها على أمثالها فى التشكيك فى الشرع.

وقد نزه الله تعالى الشرع والنبى عما يُدخل فى أمره لبْسا، وإنما السحر مرض من الأمراض، وعارض من العلل، يجوز عليه كأنواع الأمراض، مما لا يُنكر ولا يقدح فى نبوته.

وأما ما ورد أنه ﷺ، كان يخيل إليه أنه فعل الشىء ولا يفعله، فليس فى هذا ما يدخل عليه داخلةً فى شىء من تبليغه، أو شريعته، أو يقدح فى صدقه، لقيام الدليل والإجماع على عصمته من هذا، وإنما هذا فيما يجوز طروؤه عليه فى دنياه التى لم يُبعث بسببها، ولا فُضِّل من أجلها، وهو فيها عُرضة للآفات كسائر البشر، فغير بعيد أن يخيل إليه من أمورها ما لا حقيقة له، ثم ينجلى عنه كما كان. (الشفا): ٢/ ١٦٠ - ١٦١.

والمشط: معروف، والمشاطة: هى الشعر الذى يسقط من الرأس أو اللحية عند تسريحه، والجُفّ: وعاء طلع النخل، وهو الغشاء الذى يكون عليه، ويطلق على الذكر والأنثى، ولذا قيده فى الحديث بقوله: «طلعة ذكر».

قال العلامة ابن القيم: ومن أنفع علاجات السحر الأدوية الإلهية، بل هى أدويته النافعة بالذات، فإنه من تأثيرات الأرواح الخبيثة السفلية، ودفع تأثيرها يكون بما يعارضها ويقاومها من الأذكار، والآيات، والدعوات التى تُبطل فعلها وتأثيرها، وكلما كانت أقوى وأشدّ، كانت أبلغ فى النُّشرة [ضرب من الرقية والعلاج، يعالج به من كان يظن أن به مسًا من الجن، سميت نُشْرة، لأنه يُنشَّر بها عنه ما ضاره من الداء].

وذلك بمنزلة التقاء جيشين، مع كل واحد منهما عدته وسلاحه، فأيهما غلب الآخر قهره، وكان الحكم له، فالقلب إذا كان ممتلئًا من الله مغموراً بذكره، وله من التوجهات، والدعوات، والأذكار، =

النسائى أيضًا(١).

وفى جامع معمر بن راشد عن الزهرى، قال: سُحر رسول الله ﷺ، [سنة](٢)، يخيلّ إليه أنه يفعل الفعل وهو [ﷺ] لا يفعله. [وقال ابن سعد: السّحر، سينُه مثلثة، والفتحُ أفصح](٣)(ﷺ).

[وقال ابن سعد: أخبرنا محمد بن عمر، حدثنى أبو مروان، عن إسحاق

= والتعوذات، وردٌ لا يُخلّ به، يطابق فيه قلبه لسانه، كان هذا من أعظم الأسباب التى تمنع إصابة السحر له، ومن أعظم العلاجات له بعد ما يصيبه.

وعند السحرة: أن سحرهم إنما يتم تأثيره فى القلوب الضعيفة المنفعلة، والنفوس الشهوانية التى هى معلقة بالسفليات، ولهذا فإن غالب ما يؤثر فى النساء، والصبيان، والجهال، وأهل البوادى، ومن ضعف حظه من الدين، والتوكل، والتوحيد، ومن لا نصيب له من الأوراد الإلهية، والدعوات والتعوذات النبوية، وبالجملة: فسلطان تأثيره فى القلوب الضعيفة المنفعلة، التى يكون ميلها إلى السفليات. قالوا: والمسحور هو الذى يُعين على نفسه، فإنا نجد قلبه متعلقًا كثير الالتفات إليه، فيتسلط على قلبه بما فيه من الميل والالتفات.

والأرواح الخبيثة إنما تتسلط على أرواح تلقاها مستعدة لتسلطها عليها، بميلها إلى ما يناسب تلك الأرواح الخبيثة، وبفراغها من القوة الإلهية، وعدم أخذها للعدة التى تحاربها بها، فتجدها فارغة لا عدة معها، وفيها ميل إلى ما يناسبها، فتتسلط عليها، ويتمكن تأثيرها فيها بالسحر وغيره. والله تعالى أعلم. (زاد المعاد): ٤/ ١٢٦ - ١٢٧.

قوله ﷺ: «فكرهتُ أن أثير على الناس شرًا»، معناه أنه ﷺ ترك استخراج السحر خشية أن يثور على الناس منه شرّ، فسلك مسلك العدل فى أن لا يحصل لمن لم يتعاط السحر من أثر الضرر الناشىء عن السحر شرّ وسلك مسلك الإحسان فى ترك عقوبة الجانى (فتح البارى): ١٠/ ٥٨٨.

وأخرجه البخارى فى (الطب) باب (٤٧) السحر، حديث رقم (٥٧٦٣) وفى باب (٤٩) هل يستخرج السحر، حديث رقم (٥٧٦٥)، وأخرجه مختصراً فى كتاب الجزية والموادعة باب (١٤) هل يعفى عن الذمّىّ إذا سحر، حديث رقم (٣١٧٥).

(١) وأخرجه ابن أبى شيبة فى (المصنف): ٥/ ٤٠، كتاب الطب، حديث رقم (٢٣٥٠٨) مختصراً، وحديث رقم (٢٣٥٠٩) كما ذكره المقريزى من رواية البخارى.

(٢) زيادة للسياق.

(٣) ما بين الحاصرتين سقط من النسخة (ج).

ابن عبد الله، عن عمر بن الحكم قال: لما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية في ذى الحجة ودخل الحرم، جاءت رؤساء يهود الذين بقوا بالمدينة، ممن يُظهر الإسلام، وهو منافق، إلى لبيد بن الأعصم اليهودى، وكان حليفًا في بني زريق، وكان ساحراً، قد علمت ذلك يهود، أنه أعلمهم بالسحر وبالسموم، فقالوا له: يا أبا الأعصم، أنت أسحرُ منّا، وقد سحَرْنا محمداً فَسَحَره منا الرجال والنساء، فلم نصنع شيئًا، وأنت ترى أثره فينا، وخلافه ديننا، ومن قتَل منا وأجْلى، ونحن نجعل لك [على ذلك] جعلا على أن تسحره لنا سحراً ينكوه، فجعلوا له ثلاثة دنانير، على أن يسحر رسول الله ﷺ](١).

[فعمد إلى مشط، وما يمشط [من الرأس] من الشعر، فعقد فيه عُقداً، أو تفل فيه تَفْلاً، وجعله في جب طلعة ذكر، ثم انتهى به حتى جعله تحت أرعوفة البئر، فوجد رسول الله ﷺ أمراً أنكره، حتى يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله، وأنكر بصره حتى دله الله عليه، فدعا جبير بن إياس الزُّرَقى، وقد شهد بدراً، فدله على موضع في بئر ذَرْوان، تحت أرعوفة البئر، فخرج جبير حتى استخرجه ثم أرسل إلى لبيد بن الأعصم، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ فقد دلني الله على سحرك، وأخبرني ما صنعت، قال: حُبُّ الدنانير يا أبا القاسم](١).

[قال إسحاق بن عبد الله: فأخبرت عبد الرحمن بن كعب بن مالك بهذا الحديث فقال: إنما سحره بناتُ أعصم -أخوات لبيد- وكُنَّ أسحر من لبيد وأخبث، وكان لبيد هو الذى ذهب به، فأدخله تحت أرعوفة البئر، فلما عقدوا تلك العقد، أنكر رسول الله ﷺ تلك الساعة بصره، ودسّ بنات

---

(١) (طبقات ابن سعد): ٢/ ١٩٧ - ١٩٩، ذكر من قال: إن اليهود سحرت رسول الله ﷺ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه.

أعصم إحداهن، فدخلت على عائشة رضى الله عنها، فخبرتها عائشة، أو سمعت عائشة تذكر ما أنكر رسول الله ﷺ من بصره، ثم خرجت إلى أخواتها، وإلى لبيد، فأخبرتهم، فقالت إحداهن: إن يكن نبيًا فسيخبر، وإن يكن غير ذلك، فسوف يُدَلِّهُهُ هذا السحر حتى يُذهب عقله، فيكون بما نال من قومنا وأهل ديننا، فدله الله عليه](١).

قال الحارث بن قيس: يا رسول الله! ألا نهوّر البئر؟ فأعرض عنه [رسول الله ﷺ] فهوَّرها الحارث بن قيس وأصحابه، وكان يستعذب منها. قال: وحفروا بئرًا أُخرى، فأعانهم رسول الله ﷺ فى حفرها، حين هوّروا الأخرى التى سُحر فيها، حتى أنبطوا ماءها، ثم تهوّرت بعد. ويقال: إن الذى استخرج السحر بأمر رسول الله ﷺ قيس بن محصن](١).

---

(١) (طبقات ابن سعد) : ٢ / ١٩٧ - ١٩٩، ذكر من قال إن اليهود سحرت رسول الله ﷺ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه، وهذه الفقرات سقطت من النسخة (ج).

وأمـا أنـه ﷺ سُـمَّ

فخرّج البخارى فى الطب[1]، وفى الجزية والموادعة[2]، من حديث الليث قال: حدثنى سعيد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: لما فُتحت خيبر، أُهديت لرسول الله ﷺ شاةٌ فيها سُمّ، فقال رسول الله ﷺ: اجمعوا لى من كان ها هنا من اليهود، فجُمعوا له، فقال لهم رسول الله ﷺ: إنى سائلكم عن شىء، فهل أنتم صادقىّ عنه؟ فقالوا: نعم يا أبا القاسم، فقال لهم [رسول الله ﷺ]: من أبوكم؟ قالوا: أبونا فلان [فقال كذبتم، أبوكم فلان] فقالوا: صدقت وبررت، فقال: هل أنتم صادقىّ عن شىء إن سألتكم عنه؟ فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته فى أبينا، فقال لهم رسول الله ﷺ: من أهل النار؟

قالوا: نكون فيها يسيراً، ثم تخلفوننا فيها، فقال لهم: اخسؤوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبدًا، ثم قال لهم: هل أنتم صادقىّ عن شىء إن سألتكم عنه؟ فقالوا: نعم يا أبا القاسم، قال: هل جعلتم فى هذه الشاة سُمّاً؟ قالوا: نعم، قال: ما حملكم على ذلك؟ قالوا: إن كنت كاذبًا، نستريح منك، وإن كنت نبيًا، لم يضرك.

وللبخارى من حديث شعبة، عن هشام بن زيد، عن أنس بن مالك [رضى الله عنه قال:] إن يهودية أتت النبى ﷺ، بشاة مسمومة، فأكل

---

(١) (فتح البارى): ١٠/ ٣٠٠، كتاب الطب، باب (٥٥) ما يذكر فى سمِّ النبى ﷺ، حديث رقم (٥٧٧٧).

(٢) (المرجع السابق): ٦/ ٣٣٤، كتاب الجزية والموادعة، باب (٧)، إذا غدر المشركون بالمسلمين هل يُعفى عنهم؟ حديث رقم (٣١٦٩).

منها، فجيء بها، [فقيل:] ألا نقتلها؟ قال: لا، [قال:] فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ. ذكره البخاري في كتاب الهبة، في باب: قبول الهدية من المشركين(١).

ولمسلم بهذا السند: أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة فأكل [منها]، فجيء بها إلى رسول الله ﷺ، فسألها عن ذلك فقالت: أردت لأقتلك! قال: ما كان الله ليسلطك على ذاك، أو قال: عليَّ، قالوا: ألا نقتلها؟ قال: لا،قال: فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ(٢).

وقال البخاري في آخر المغازي، في أول باب مرض النبيّ ﷺ ووفاته:

---

(١) (فتح الباري): ٥/ ٢٨٧، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب (٢٨) قبول الهدية من المشركين، حديث رقم (٢٦١٧).

(٢) (مسلم بشرح النووي): ١٤/ ٤٢٩، كتاب السلام، باب (١٨) السم، حديث رقم (٢١٩٠)، «اللهوات»: جمع لهات -بفتح اللام- وهي اللحمة الحمراء المعلقة في أصل الحنك، وقيل: اللحمات اللواتي في سقف أقصى الفم.

وقوله: «مازلت أعرفها» أي العلامة، كأنه بقي للسم علامة وأثر من سواد أو غيره.

وقوله ﷺ: «ما كان الله ليسلطك على ذاك. أو قال: عليَّ»، فيه بيان عصمته ﷺ من الناس كلهم، كما قال تعالى: ﴿والله يعصمك من الناس﴾ وهي معجزة لرسول الله ﷺ، في سلامته من السم المهلك لغيره، وفي إعلام الله تعالى له بأنها مسمومة، وكلام عضو منها له، فقد جاء في غير مسلم أنه ﷺ قال: إن الذراع تخبرني أنها مسمومة، وهي المرأة اليهودية الفاعلة للسم اسمها زينب بنت الحارث، أخت مرحب اليهودي، وهي امرأة سلام بن مشكم.

وقصة الشاة المسمومة رواها كل من:

ابن سعد في (الطبقات): ٢/ ٢٠٠ - ٢٠٣، ذكر ما سُمَّ به رسول الله ﷺ.

والحافظ البيهقي في (دلائل النبوة): ٧/ ١٧٢، باب ما جاء في إشارته إلى عائشة رضي الله عنها في ابتداء مرضه بما يشبه النعي، ثم إخباره إياها بحضور أجله وما في حديثها من أنه ﷺ توفي شهيداً.

وأبو داود في (السنن): ٤/ ٦٤٧، كتاب الديات، باب (٦) فيمن سقى رجلاً سمًا أو أطعمه فمات، أيقاد منه؟ حديث رقم (٤٥٠٨)، (٤٥٠٩)، (٤٥١٠)،(٤٥١١)، (٤٥١٢) (٤٥١٣)، (٤٥١٤)، من طرق مختلفة، وبسياقات مختلفة، بعضها مختصراً وبعضها مطولاً.

وقال يونس عن الزهرىّ: قال عروة: قالت عائشة [رضى الله عنها]: كان النبى ﷺ يقول فى مرضه الذى مات فيه: يا عائشة! ما [أزال] أجد ألم الطعام الذى أكلتُ بخيبر، فهذا أوان وجدتُ انقطاع أبهرى من ذلك السم(١).

(١) (فتح البارى): ٨/ ١٦٥، كتاب المغازى، باب (٨٤) مرض النبى ﷺ ووفاته، حديث رقم (٤٤٢٨). قوله: «ما أزال أجد ألم الطعام» أى أحسّ الألم فى جوفى بسبب الطعام. وقال الداودى: المراد أنه نقص من لذه ذوقه. وقوله: «أوانَ» بالفتح على الظرفية.

قال أهل اللغة: الأبهر عرق مستبطن متصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه، وقال الخطّابى: يقال إن القلب متصل به (فتح البارى).

قال القاضى عياض: واختلف [أهل] الآثار والعلماء: هل قتلها النبى ﷺ أم لا؟ فوقع فى صحيح مسلم أنهم «قالوا: ألا نقتلها؟ قال: لا» ومثله عن أبى هريرة، وجابر، وعن جابر من رواية أبى سلمة أنه ﷺ قتلها، وفى رواية ابن عباس أنه ﷺ دفعها إلى أولياء بشر بن البراء بن معرور، وكان أكل منها فمات بها فقتلوها، وقال ابن سحنون: أجمع أهل الحديث أن رسول الله ﷺ قتلها.

قال القاضى: ووجه الجمع بين هذه الروايات والأقاويل، أنه لم يقتلها أولاً حين أطلع على اسمها، وقيل له: فقال: لا.

فلما مات بشر بن البراء من ذلك [السم] سلمها لأوليائه فقتلوها قصاصًا، فيصحّ قوله: لم يقتلها أى فى الحال، ويصحّ قولهم: قتلها، أى بعد ذلك، والله تعالى أعلم (مسلم بشرح النووى): ١٤/ ٤٢٩ - ٤٣٠.

وأمـا أنــه ﷺ رَقَـى

فخرَّج مسلم من حديث ابن وهب قال: أخبرني يونس عن ابن شهاب [قال]: أخبرني نافع بن جبيربن مطعم، عن عثمان بن أبي العاص الثقفي، أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعًا يجده في جسده مُنذ أسلم، فقال له رسول الله ﷺ: ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل: باسم الله ثلاثا، وقل سبع مرات: أعوذ بالله وقدرته، من شر ما أجد وأحاذر(١).

وخرَّجه الترمذي من حديث مالك، عن يزيد بن [خُصيفة]، عن عمر ابن عبد الله بن كعب السلمي، أن نافع بن جبير بن مطعم، أخبره عن عثمان بن أبي العاص أنه قال: أتاني رسول الله ﷺ وبي وجع قد كاد يُهلكني، فقال رسول الله ﷺ: امسح بيمينك سبع مرات وقل: أعوذ بعزة الله وقدرته من شَرّ ما أجد، قال: ففعلت، فأذهب الله ما كان بي، فلم أزل آمر به أهلي وغيرهم. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح(٢).

وخرَّجه أبو داود بهذا الإسناد، أنه أتى رسول الله ﷺ، قال عثمان: وبي وجع قد كان يهلكني.. الحديث(٣).

وخرَّجه الحاكم من حديث المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن

---

(١) (مسلم بشرح النووي) ١٤/ ٤٣٩ - ٤٤٠، كتاب السلام، باب (٢٤) استحباب وضع يده على موضع الألم مع الدعاء، حديث رقم (٦٧).

(٢) (سنن الترمذي): ٤/ ٣٥٥ - ٣٥٦، كتاب الطب، باب (٢٩) بدون ترجمة، حديث رقم (٢٠٨٠).

(٣) (سنن أبي داود): ٤/ ٢١٧ - ٢١٨، كتاب الطب، باب (١٩) كيف الرقى؟ حديث رقم (٣٨٩١).

ابن عباس [رضى الله عنهما] قال: كان النبى [عليه السلام] إذا عاد المريض، جلس عند رأسه ثم قال سبع مرات: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك، فإن كان فى أجله تأخير عوفى من وجعه ذلك. قال: هذا حديث صحيح(١)، وذكر له عدة طرق.

وخرَّجه البخارى أيضًا فى الأدب المفرد به مثله.

ولأبى داود من حديث الليث، عن زياد بن محمد، عن محمد بن كعب القرظى، عن فضالة بن عبيد، عن أبى الدرداء قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: من اشتكى منكم شيئًا أو [اشتكاه] أخ له فليقُل: ربَّنا الذى فى السماء، تقدَّس اسمك، أمرك فى السماء والأرض، [كما رحمتك فى السماء، فاجعل رحمتك فى الأرض]، اغفر لنا حوبنا وخطايانا، أنت ربّ الطيبين، أنزل رحمة من رحمتك، وشفاءً من شفائك، على هذا الوجع، فيبرأ(٢).

---

(١) (المستدرك): ٤ / ٤٦١ - ٤٦٢، كتاب الرقى والتمائم، حديث رقم (٨٢٨٢)، ولفظه: «من عاد مريضًا لم يحضر أجله، فقال عنده سبع مرات: أسأل الله العظيم، رب العرش العظيم أن يشفيك ويعافيك، إلا عافاه الله من ذلك المرض» قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، بعد أن اتفقا على حديث المنهال بن عمرو بإسناده، كان يعوذ الحسن والحسين.

وأخرج ابن ماجة فى (السنن): ٢ / ١١٦٣، كتاب الطب، باب (٣٦) ما عَوَّذ به النبى ﷺ وما عُوِّذ به، حديث رقم (٣٥٢٢)، ولفظه: «قدمتُ على النبى ﷺ وبى وجع كاد يُبطلنى، فقال لى النبى ﷺ: اجعل يدك اليمنى عليه وقل: بسم الله، أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر سبع مرات» فقلت ذلك، فشفانى الله.

(٢) (سنن أبى داود): ٤ / ٢١٨، كتاب الطب، باب (١٩) كيف الرقى، حديث رقم (٣٨٩٢)، الحوب: الإثم، ومنه قوله تعالى: ﴿إنه كان حوبًا كبيرًا﴾ [النساء: ٣] (معالم السنن).

وأخرجه الإمام أحمد فى (المسند): ٧ / ٣٤ -٣٥، حديث رقم (٢٣٤٣٧) من مسند فضالة بن عبيد الأنصارى، ولفظه، قال: «علمنى النبى ﷺ رقية أن أرقى بها من بدا لى، قال لى: قل ربنا الله الذى فى السموات، تقدس اسمك، أمرك فى السماء والأرض، اللهم كما أمرك فى السماء فاجعل =

وللبخارى ومسلم وأبى داود، من حديث سفيان، حدثنى عبد ربه بن سعيد بن عمرة، عن عائشة رضى الله عنها [قالت] إن النبى ﷺ كان يقول للمريض: بسم الله تربة أرضنا، وريقه بعضنا، يُشفى سقيمنا. اللفظ للبخارى وفى لفظ له: قالت: كان النبى ﷺ يقول فى الرقية: تُربة أرضنا، وريقة بعضنا، يُشفى سقيمُنا، بإذن ربنا. ذكرهما فى باب: رقية النبى ﷺ(١).

ولفظ مسلم: أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى الإنسان الشىء منه، أو كان به قُرحة أو جُرح، قال النبى ﷺ بأصبعه هكذا، ووضع سفيان سبَّابتهُ بالأرض ثم رفعها، بسم الله تربة أرضنا، بريقة بعضنا، يُشفى به سقيمنا، بإذن ربنا(٢). وفى لفظ: ليُشفى(٣). ولفظ أبى داود: قالت كان النبى ﷺ يقول للإنسان إذا اشتكى: يقول بريقه، ثم قال: به فى التراب تربة أرضنا، بريقة بعضنا، ليُشفى سقيمُنا، بإذن ربنا(٤).

= رحمتك علينا فى الأرض، اللهم رب الطيبين اغفر لنا حوبنا وذنوبنا وخطايانا، ونزل رحمة من رحمتك، وشفاء من شفائك على ما بفلان من شكوى، فيبرأ، قال: وقل ذلك ثلاثًا ثم تعوذ بالمعوذتين ثلاث مرات».

(١) (فتح البارى): ١٠/ ٢٥٣، كتاب الطب، باب (٣٨) رقية النبى ﷺ، حديث رقم (٥٧٤٥)، (٥٧٤٦).

(٢)، (٣) (مسلم بشرح النووى): ١٤/ ٤٣٤، كتاب السلام، باب (٢١)، استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة، حديث رقم (٥٤).

(٤) (سنن أبى داود): ٤/ ٢١٩ - ٢٢٠، كتاب الطب، باب (كيف الرقى)، حديث رقم (٣٨٩٥)، وأخرجه ابن ماجة فى (السنن): ٢/ ١١٦٣، كتاب الطب، باب (٣٦) ما عوذ به النبى ﷺ وما عوذ به، حديث رقم (٣٥٢١)، ولفظه: عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ كان مما يقول للمريض ببزاقه إصبعه: «بسم الله، تربة أرضنا، بريقه بعضنا، ليُشفى سقيمنا بإذن ربنا».

أى كان يأخذ من ريقه على إصبعه شيئًا ثم يضعها على التراب فيعلق به منه شىء، فيمسح بها على الموضع الجريح، «تربة أرضنا» أى هذه تربة أرضنا «بريقة بعضنا» يدل على أنه كان يتفل عند الرقية.
=

وللبخاري من حديث سفيان، حدثنى سليمان، عن مسلم، عن مسروق، عن عائشة رضى الله عنها، أن النبى ﷺ كان يُعوِّذُ بعض أهله، يمسح بيده ويقول: اللهم ربَّ الناس، اذهب الباس، واشفه أنت الشافى، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقمًا. ذكره فى باب رُقية النبى ﷺ(١).

وخرَّجه الإمام أحمد بهذا السند، ولفظه: أن رسول الله ﷺ كان يعود بعض أهله، يمسحه بيمينه فيقول: أذهب الباس ربّ الناس، واشف إنك أنت الشافى، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءًا لا يغادر سقمًا.

وخرَّجه مسلم عن الأعمش، عن أبى الضحى، عن مسروق، عن عائشة [رضى الله عنها] قالت: كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى [منا](٢) إنسان مسحه بيمينه، ثم قال: أذهب الباس رب الناس، واشف أنت الشافى، لا شفاء إلا شفاؤك شفاءًا لا يغادر سقمًا، فلما مرض رسول الله ﷺ [وثقل](٣) أخذتُ بيده لأصنع به نحو ما كان يصنع، فانتزع يده من يدى، ثم قال: اللهم اغفر لى، واجعلنى مع الرفيق [الأعلى]، [قالت:] فذهبتُ

= قال النووى: معنى الحديث أنه ﷺ أخذ من ريق نفسه على إصبعه السبابة، ثم وضعها على التراب، فعلق به شيء منه، ثم يمسح الموضع العليل أو الجرح، قائلاً الكلام المذكور فى حالة المسح.

«ليُشفى» على بناء المفعول.. متعلق بمحذوف أى قلنا هذا القول، أو صنعنا هذا الصنيع، ليشفى سقيمنا. «بإذن ربنا» متعلق بقوله: «ليشفى».

(١) (فتح البارى): ١٠/ ٢٥٣، كتاب الطب، باب (٣٨) رقية النبى، حديث رقم (٥٧٤٣)، وأخرجه ابن ماجة فى (السنن): ٢/ ١١٦٣، كتاب الطب، باب (٣٦) ما عَوَّذ به النبى ﷺ وما عُوِّذ به، حديث رقم (٣٥٢٠).

(٢) (مسند أحمد): ٧/ ٦٨ – ٦٩، حديث رقم (٢٣٦٦٢)، من حديث السيدة عائشة رضى الله عنها، ثم قالت: «فلما ثقل رسول الله ﷺ فى مرضه الذى مات فيه، أخذت بيده فجعلت أمسحه بها وأقولها، قالت: فنزع يده منى ثم قال: رب اغفر لى وألحقنى بالرفيق الأعلى – قال أبو معاوية –قالت: فكان هذا آخر ما سمعتُ من كلامة– قال ابن جعفر – إن النبى ﷺ كان إذا عاد مريضًا مسحه بيده وقال: اذهب البأس رب الناس».

(٣) زيادة للسياق من (صحيح مسلم).

أنظر، فإذا هو قد قضى، ﷺ(١).

وللبخاري ومسلم من حديث النضر، عن هشام بن عروة [قال:] أخبرني أبي عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن رسول الله ﷺ كان يرقى يقول: امسح الباس ربَّ الناس، بيدك الشفاء، لا كاشف له إلا أنت(٢).

وخرَّجه الإمام أحمد من حديث يحي، عن هشام قال: حدثني أبي عن عائشة، رضي الله عنها، أن النبي ﷺ كان يرقى: امسح الباس رب الناس، بيدك الشفاء، لا يكشف الكرب إلا أنت(٣).

ولمسلم من حديث عباد بن عباد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا مرض أحد من أهله، نفث عليه بالمعوذات، فلما مرض مرضه الذي مات فيه، جعلتُ أنفث عليه، وأمسحه بيد نفسه، لأنها كانت أعظم بركة من يدي(٤).

---

(١) (مسلم بشرح النووي): ١٤/ ٤٣٠، كتاب السلام، باب (١٩) استحباب رقية المريض، حديث رقم (٤٦).

(٢) (فتح الباري): ١٠/ ٢٥٣، كتاب الطب، باب (٣٨) رقية النبي، حديث رقم (٥٧٤٤)، (مسلم بشرح النووي): ١٤/ ٤٣٢، كتاب السلام، باب (١٩) استحباب رقية المريض، حديث رقم (٤٩).

(٣) (مسند أحمد): ٧/ ٧٦، حديث رقم (٢٣٧١٤) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها.

(٤) (مسلم بشرح النووي): ١٤/ ٤٣٢، كتاب السلام، باب (٢٠) رقية المريض بالمعوذات والنفث، حديث رقم (٥٠).

قوله: «نفث عليه بالمعوذات» هي بكسر الواو، والنفث: نفخ لطيف بلا ريق، فيه استحباب النفث في الرقية، وقد أجمعوا على جوازه، واستحبه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

قال القاضي عياض: وأنكر جماعة النفث والتفل في الرقى، وأجازوا فيها النفخ بلا ريق، وهذا المذهب والفرق إنما يجيء على قول ضعيف، قيل: إن النفث معه ريق، قال: وقد اختلف العلماء في النفث والتفل؛ فقيل: هما بمعنى، ولا يكونان إلا بريق. =

وخرَّجه البخارى وأبو داود، من حديث مالك، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة [رضى الله عنها]، أن النبى ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات، وينفث، فلما اشتد وجعه، كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها. ذكره البخارى فى كتاب فضائل القرآن(١)، وذكره فى آخر كتاب المغازى من حديث يونس، عن ابن شهاب(٢).

وفى كتاب الطب بهذا السند، ولفظه: كان النبى ﷺ إذا أوى إلى فراشه نفث فى كفيه بقل هو الله أحد وبالمعوذتين جميعًا، ثم يمسح بهما وجهه، وما بلغتْ يداه من جسده، قالت عائشة رضى الله عنها: فلما اشتكى كان

= قال أبو عبيد: يشترط فى التفل ريق يسير، ولا يكون فى النفث، وقيل: عكسه.

وسئلت عائشة عن نفث النبى ﷺ فى الرقية فقالت: كما ينفث آكل الزبيب لا ريق معه.

قال: ولا اعتبار بما يخرج عليه من بلة، ولا يقصد ذلك، وقد جاء فى حديث الذى رقى بفاتحة الكتاب فجعل يجمع بزاقه ويتفل.

قال القاضى: وفائدة التفل التبرك بتلك الرطوبة والهواء والنفس المباشرة للرقية والذكر الحسن، لكن قال: كما يتبرك بغسالة ما يكتب من الذكر والأسماء الحسنى، وكان مالك ينفث إذا رقى نفسه، وكان يكره الرقية بالحديدة: والملح، والذى يعقد، والذى يكتب خاتم سليمان، والعقد عنده أشد كراهة، لما فيه من مشابهة السحر.

وفى هذا الحديث: استحباب الرقية بالقرآن، والأذكار، وإنما رقى بالمعوذات لأنهن جامعات للاستعاذة من كل المكروهات جملة وتفصيلاً، ففيها الاستفادة من شر ما خلق، فيدخل فيه كل شىء، ومن شر النفاثات فى العقد، ومن السواحر، ومن شر الحاسدين، ومن شر الوسواس الخناس، والله تعالى أعلم. (مسلم بشرح النووى): ١٤/ ٤٣١ - ٤٣٣.

(١) (فتح البارى): ٩/ ٧٦، كتاب فضائل القرآن، باب (١٤) فضل المعوذات، حديث رقم (٥٠١٦).

وأخرج من حديث ابن شهاب، عن عروة، عائشة رضى الله عنها، حديث رقم (٥٠١٧) ولفظه: «أن النبى ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة، جمع كفيه ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما **﴿قل هو الله أحد﴾**، **﴿قل أعوذ برب الفلق﴾** و **﴿قل أعوذ برب الناس﴾**، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات».

(٢) (فتح البارى): ٨/ ١٦٦، كتاب المغازى، باب (٨٤) مرض النبى ﷺ ووفاته، حديث رقم (٤٤٣٩).

يأمرنى أن أفعل ذلك به(١).

وذكره فى باب المرأة ترقى الرّجُل، من حديث معمر عن الزهرى. ولفظه: أن النبى ﷺ كان ينفث على نفسه فى مرضه الذى قُبض فيه بالمعوذات، فلما ثَقُل كنت أنا أنفث عليه بهن، فأمسح بيده لبركتها(٢). وذكره فى باب: الرقى بالقرآن، عن معمر نحوه(٣).

وخرَّج الحاكم، من حديث سفيان، عن عاصم، عن زياد بن ثُويب، عن أبى هريرة [رضى الله عنه] قال: جاء النبى ﷺ يعودنى فقال: ألا أرقيك برقية رقانى بها جبريل؟ فقلتُ: بلى، بأبى وأمى، قال: بسم الله أرقيك، والله يشفيك، من كل داء فيك، من شر النفاثات فى العقد، ومن شر حاسد إذا حسد، فرقى بها ثلاث مرات(٤).

---

(١) (فتح البارى): ١٠/ ٢٥٧، كتاب الطب، باب (٣٩) النفث فى الرقية، حديث رقم (٥٧٤٨)، قال يونس: كنت أرى ابن شهاب يصنع ذلك إذا أتى فراشه.

(٢) (المرجع السابق): حديث رقم (٥٧٥١)، وفى آخره: فسألت ابن شهاب: كيف كان ينفث؟ قال: ينفث على يديه، ثم يمسح بهما وجهه.

(٣) (المرجع السابق): حديث رقم (٥٧٤٣).

وأخرجه أبو داود فى (السنن): ٤/ ٢٢٤، كتاب الطب، باب (١٩) كيف الرقى، حديث رقم (٣٩٠٢).

وأخرجه ابن ماجة فى (السنن): ٢/ ١١٦٦، كتاب الطب، باب (٣٨) النفث فى الرقية، حديث رقم (٣٥٢٩).

قال فى (النهاية): النفث بالفم، وهو شبيه النفخ، وهو أقل من التفل؛ لأن التفل لا يكون إلا ومعه شىء من الريق.

(٤) (المستدرك): ٣/ ٥٩٠، كتاب التفسير، تفسير سورة الفلق، حديث رقم (٣٩٩٠)، وسكت عنه الذهبى فى (التلخيص)، وعزاه السيوطى فى (الجامع الصغير) لابن ماجة، والحاكم عن أبى هريرة وصححه، ولم يعلق عليه المناوى.

وأخرجه ابن ماجة فى (السنن): ٢/ ٣٥٦٤، قال فى (الزوائد): فى إسناده عاصم بن عبيد =

. . . .

= الله بن عاصم بن عمر العمرى، وهو ضعيف.

قال العلامة ابن القيم: وفى تأثير الرقى بالفاتحة وغيرها فى علاج ذوات السموم سرٌّ بديع، فإن ذوات أثَّرت بكيفيات نفوسها الخبيثة... وسلاحها حُماتها اللتى تلدغ بها، وهى لا تُلدغ حتى تغضب، فإذا غضبت، ثار فيها السم، فتقذفه بآلتها، وقد جعل الله سبحانه لكل داءٍ دواءٍ، ولكل شيء ضداً، ونفس الراقى تفعل فى نفس المرقى، فيقع فى نفسيهما فعل وانفعال، كما يقع بين الداء والدواء، فتقوى نفس الراقى وقوته بالرقية على ذلك الداء، فيدفعه بإذن الله.

ومدار تأثير الأدوية والأدواء على الفعل والانفعال، وهو كما يقع بين الداء والدواء الطبيعيين، يقع بين الداء والدواء الروحانيين، والروحانى، والطبيعى، وفى النفث والتفل استعانة بتلك الرطوبة والهواء، والنفس المباشر للرقية، والذكر والدعاء، فإن الرقية تخرج من قلب الراقى وفمه، فإذا صاحبها شيء من أجزاء باطنه من الريق، والهواء والنفس، كانت أتم تأثيراً وأقوى فعلاً ونفوذاً، ويحصل بالازدواج بينهما كيفية مؤثرة، شبيهة بالكيفية الحادثة عند تركيب الأدوية.

وبالجملة: فنفس الراقى تقابل تلك النفوس الخبيثة، وتزيد بكيفية نفسه وتستعين بالرقية وبالنفث على ازالة ذلك الاثر، وكلما كانت كيفية نفس الراقى أقوى، كانت الرقية أَتَمّ، واستعانته بنفثه كاستعانه تلك النفوس الرديئة بلسعها.

وفى النفث سرٌّ آخر، فإنه مما تستعين به الأرواح الطيبة والخبيثة، ولهذا يفعله السحرة كما يفعله أهل الإيمان، قال تعالى: ﴿ **ومن شر النفاثات فى العقد** ﴾، وذلك لأن النفس تتكيف بكيفية الغضب والمحاربة، وترسل أنفاسها سهامًا لها، وتمدها بالنفث والتفل الذى معه شيء من الريق، مصاحب لكيفية مؤثرة.

والسواحر تستعين بالنفث استعانه بينة، وإن لم تتصل بجسم المسحور، بل تنفث على العقدة وتعقدها، وتتكلم بالسحر، فيعمل ذلك فى المسحور بتوسط الأرواح السفلية الخبيثة، فتقابلها الروح الزكية الطيبة، بكيفية الدفع والتكلم بالرقية، وتستعين بالنفث، فأيهما قوى كان الحكم له، ومقابلة الأرواح بعضها لبعض، ومحاربتها وآلتها من جنس مقابلة الأجسام، ومحاربتها وآلتها سواء، بل الأصل فى المحاربة، والتقابل للأرواح والأجسام آلتها وجندها.

ولكن من غلب عليه الحِسُّ لا يشعر بتاثيرات الأرواح وأفعالها وانفعالاتها لاستيلاء سلطان الحِسِّ عليه، وبعده عن عالم الأرواح، وأحكامها، وأفعالها.

والمقصود: أن الروح إذا كانت قوية وتكيفت بمعانى الفاتحة واستعانت بالنفث والتفل، قابلت ذلك الأثر الذى حصل من النفوس الخبيثة، فأزالته، والله تعالى أعلم. (زاد المعاد): ٤ / ١٧٨ - ١٨٠.

وأمـا أنـه ﷺ احتجـم

فخرَّج البخارى(1)، ومسلم(2)، وأبوداود(3)، من حديث سفيان، عن عمرو بن دينار، عن طاووس، وعطاء، عن ابن عباس رضى الله [تعالى عنهما]، أن النبى ﷺ احتجم وهو محرم. ذكره البخارى فى الحج والطب ومسلم فى الحج.

وللبخارى(4) وأبى داود(5)، من حديث أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: احتجم النبى ﷺ وهو صائم. وفى لفظ للبخارى، أن النبى

---

(١) (فتح البارى): ١٠/ ١٨٥، كتاب الطب، باب (١٢) الحجم فى السفر والإحرام، قاله ابن بحينة عن النبى ﷺ، حديث رقم (٥٦٩٥).

(٢) (مسلم بشرح النووى): ٨/ ٣٧٣، كتاب الحج، باب (١١) جواز الحجامة للمحرم، حديث رقم (٨٧)، وحديث رقم (٨٨) ولفظه: «أن النبى ﷺ احتجم بطريق وهو محرم وسط رأسه».

(٣) (سنن أبى داود): ٢/ ٤١٨، كتاب المناسك، باب (٣٦) المحرم يحتجم، حديث رقم (١٨٣٥).

لا تكره الحجامة للمحرم إلا من أجل قطع الشعر، فإن احتجم فى موضع لا شعر عليه فلا بأس به، وإن قطع شعرًا افتدى.

وممن رخص فى الحجامة للمحرم سفيان الثورى، وأصحاب الرأى، وهو قول الشافعى وأحمد، وإسحاق، وقال مالك: لا يحتجم المحرم إلا من ضرورة لابد منها، وكان الحسن يرى فى الحجامة دمًا يريقه (معالم السنن).

وأخرجه البخارى فى كتاب جزاء الصيد، باب (١١) الحجامة للمحرم، حديث رقم (١٨٣٥).

(٤) (فتح البارى): ١٠/ ١٨٤، كتاب الطب، باب (١١) أى ساعة يحتجم، حديث رقم (٥٦٩٤).

(٥) (سنن أبى داود): ٢/ ٧٧٣، كتاب الصوم، باب (٢٩) الرخصة فى الحجامة للصائم، حديث رقم (٢٣٧٢)، قال أبو داود: رواه وهيب بن خالد، عن أيوب بإسناده مثله، وجعفر بن ربيعة، وهشام ابن حسان، عن عكرمة، عن ابن عباس مثله.

ﷺ احتجم وهو محرم، واحتجم وهو صائم. ومثله للنسائى[1].

وفى لفظ البخارى: أن رسول الله ﷺ احتجم وهو محرم فى رأسه، من شقيقة كانت به. ذكره فى الحجامة من الشقيقة والصداع.

وله من حديث سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضى الله [عنهما]، عن النبى ﷺ قال: الشفاء فى ثلاثة: شرطة محجم، أو شربة عسل، أوكية بنار، وأنا أنهى أمتى عن الكى. ذكره فى كتاب الطب، فى باب: الشفاء فى ثلاث[1]. وذكره فى باب: الحجامة من الشقيقة، من

---

(١) (سنن النسائى): ٥/ ٢١٢، كتاب المناسك، باب (٩٢) الحجامة للمحرم، حديث رقم (٢٨٤٥)، (٢٨٤٦)، (٢٨٤٧) من طرق.

(٢) (فتح البارى): ١٠/ ١٨٩، كتاب الطب، باب (١٥) الحجامة من الشقيقة والصداع، حديث رقم (٥٧٠١).

قوله: «باب الحجامة من الشقيقة والصداع» أى بسببهما، والشقيقة -بشين معجمة وقافين -وزن عظيمة: وجع يأخذ فى أحد جانبى الرأس أو فى مقدمه، وذكر أهل الطب أنه من الأمراض المزمنة، وسببه أبخرة مرتفعة، أو أخلاط حارة، أو باردة، ترتفع إلى الدماغ، فإن لم تجد منفذاً لها أحدثت الصداع، فإن مال إلى أحد شقى الرأس أحدث الشقيقة، وإن ملك قمة الرأس أحدث داء البيضة. وذكر الصداع بعده من ذكر العام بعد الخاص.

وأسباب الصداع كثيرة جداً: منها ما تقدم، ومنها ما يكون عن ورم فى المعدة أو فى عروقها، أو ريح غليظة فيها أو لامتلائها، ومنها ما يكون من الحركة العنيفة كالجماع والقىء، والاستفراغ، أو السهر، أو كثرة الكلام.

ومنها ما يحدث عن الأعراض النفسانية كالهم والغم والحزن والجوع والحمى، ومنها ما يحدث عن حادث فى الرأس كضربة تصيبه، أو ورم فى صفاق الدماغ، أو حمل شىء ثقيل يضغط الرأس، أو تسخينه بلبس شىء خارج عن الاعتدال، أو تبريده بملاقاة الهواء أو الماء فى البرد.

وأما الشقيقة بخصوصها فهى شرايين الرأس وحدها، وتختص بالموضع الأضعف من الرأس؛ وعلاجها بشد العصابة.

وقد أخرج الإمام أحمد من حديث بريدة «أنه ﷺ كان ربما أخذته الشقيقة؛ فيمكث اليوم واليومين لا يخرج» وفى الوفاة النبوية حديث ابن عباس «خطبنا رسول الله ﷺ وقد عصب رأسه» (فتح البارى).

حديث عاصم بن عمر، عن جابر بنحوه(1). وخرَّجه مسلم(2) وفيه قصة(3).

وللنسائى من حديث المعتمر، عن حميدعن أنس، رضى الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: أمثل ما تداويتم به الحجامة والقسط البحرى. وفى لفظ: خير ما تداويتم به. وله من حديث معمر عن قتادة، عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ احتجم وهو محرم على ظهر القدم من وثء كان به(4).

وللترمذى من حديث همَّام(5) وجريرُ بن حازم، عن قتادة، عن أنس [رضى الله عنه] قال: كان رسول الله ﷺ يحتجم فى الأخدعين

= (فتح البارى): 10 / 168، كتاب الطب، باب (3) الشفاء فى ثلاث، حديث رقم (568)، حديث رقم (5681)، كلاهما من حديث سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضى الله عنهما باختلاف يسير فى اللفظ.

(1) (فتح البارى): 10 / 189، كتاب الطب، باب (15) الحجامة من الشقيقة والصداع، حديث رقم (5702)، وفيه: «وما أحب أن أكتوى».

(2) (مسلم بشرح النووى): 14 / 442، كتاب السلام، باب (26) لكل داء دواء، واستحباب التداوى، حديث رقم (71).

(3) وهى: عن عاصم بن عمر بن قتادة قال: جاءنا جابر بن عبد الله فى أهلنا، ورجل يشتكى خراجًا به أو جراحًا، فقال ما تشتكى؟ قال خراج بى قد شق علىَّ، فقال: يا غلام، ائتنى بحجام، فقال له: ما تصنع بالحجام يا أبا عبد الله، قال: أريد أن أعلق فيه محجمًا. قال: والله إن الذباب ليصيبنى أو يصيبنى الثوب فيؤذينى ويشقّ علىَّ، فلما رأى تبرمه من ذلك قال: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن كان شيء من أدوينكم .... فذكر الحديث.

(4) (سنن النسائى): 5 / 213، كتاب المناسك، باب (93) حجامة المحرم من علة تكون به، حديث رقم (2848)، باب (94) حجامة المحرم على ظهر القدم، حديث رقم (2849).

«الوثء» بفتح الواو وسكون المثلثة هو وهن فى الرجل دون الخلع والكسر، يقال: وثئت رجله فهى موثوءة، وَوَثَأتُهَا انا، وقد تترك الهمزة (شرح السيوطى على سنن النسائى).

(5) فى (الأصلين): «هشام» وصوبناه من (سنن الترمذى).

والكاهل[١]. وخرّجه [ابن][٢] أيمن وقال: أخبرنا أحمد بن زهير، سئل يحى عن هذا الحديث فقال: ليس بشيء.

ولأبى داود من حديث حماد، عن محمد بن عمرو، وعن أبى سلمة، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: إن كان فى شيء مما تداويتم به خير فالحجامة[٣].

وخرّجه ابن أيمن وقال: إن كان فى شيء مما تداوون. ولأبى داود من حديث سعيد بن عبد الرحمن الجمحى، عن سهيل، عن أبيه، عن أبى هريرة [رضى الله عنه] قال: قال رسول الله ﷺ: من احتجم لسبع عشرة، وتسع عشرة، وإحدى وعشرين، كان شفاءاً من كل داء[٤].

ومن حديث أبى بكرة، بكار بن عبد العزيز قال: أخبرتنى عمتى كبشة بنت أبى [بكرة]، أن أباها كان ينهى أهله عن الحجامة يوم الثلاثاء، ويزعم عن رسول الله ﷺ أن يوم الثلاثاء يوم الدم، وفيه ساعة لا يُرقأ[٥]. [سهل وأمه مجهولان وأبو بكرة بن عبد العزيز ضعيف. وعمته كبشة مجهولة[٦]].

---

(١) (سنن الترمذى): ٤/ ٣٤١ - ٣٤٢، كتاب الطب، باب (٢١) ما جاء فى الحجامة، حديث رقم (٢٠٥١)، وقال فى آخره: وكان يحتجم لسبع عشرة، وتسع عشرة، وإحدى وعشرين. قال أبو عيسى: وفى الباب عن ابن عباس ومعقل بن يسار، وهذا حديث حسن غريب.

(٢) زيادة للسياق.

(٣) (سنن أبى داود): ٤/ ١٩٤، كتاب الطب، باب (٣) فى الحجامة، حديث رقم (٣٨٥٧).

(٤) (المرجع السابق): باب (٥) متى يُستحب الحجامة، حديث رقم (٣٨٦١)، وأخرجه الحاكم فى (المستدرك): ٤/ ٤٥٣، حديث رقم (٨٢٥٤).

(٥) (المرجع السابق): حديث رقم (٣٨٦٢).

(٦) ما بين الحاصرتين من تعليق المقريزى رحمه الله.

وأخرجه ابن ماجة فى (السنن): ٢/ ١١٥٢، كتاب الطب، باب (٢١) موضع الحجامة، =

وخرّج الحاكم من حديث عبد الرحمن بن أبى الموالى، [قال:] حدثنى أيوب بن الحسن بن على بن أبى رافع، عن جدته سلمى، قالت: ما سمعتُ أحداً يشكو إلى رسول الله ﷺ وجعًا فى رأسه، إلا قال: احتجم، ولا وجعًا فى رجليه إلا قال: اخضبهما [بالحناء][2] قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه[1]. وقد احتج البخارى بعبد الرحمن بن أبى الموالى.

وخرّج الحاكم من حديث أبى موسى عيسى بن عبد الله الخياط، عن محمد بن كعب القرظى، عن أبى سعيد الخدرى [رضى الله عنه قال:] إنَّ رسول الله ﷺ قال: المحجمة التى فى وسط الرأس من الجنون، والجذام، والنعاس، والأضراس، وكان يسميها: منقذة[3]. قال: هذا حديث صحيح الإسناد.

ومن حديث زكريا بن يحى الساجى، حدثنا أبو الخطاب زياد بن يحى، حدثنا غزال بن محمد، عن محمد بن جحادة، عن نافع، عن ابن عمر [رضى الله عنهما] قال: [قال] نافع: قال لى ابن عمر: ابغنى حجّامًا لا يكون غلامًا صغيراً، ولاشيخًا كبيراً، فإن الدم قد تبيَّغ بى، وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: الحجامة تزيد فى العقل، وتزيد فى الحفظ، فعلى اسم الله احتجموا يوم [الاثنين] والثلاثاء، وما نزل جذام ولا برص إلا فى ليلة

= حديث رقم (٣٤٨٢)، عن الأصبغ بن نباته، قال فى الزوائد: فى إسناده أصبغ بن نباته الحنظلى، وهو ضعيف.

والأخدعان: عرقان فى صفحتى العنق، والكاهل: ما بين كتفى العنق، وقيل: هو الكتد.

(١) زيادة للسياق.

(٢) (المستدرك): ٤ / ٤٥١ – ٤٥٢، كتاب الطب، حديث رقم (٨٢٤٦).

(٣) (المستدرك): ٤ / ٢٣٤، كتاب الطب، حديث رقم (٧٤٧٨)، قال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): عيسى فى الضعفاء لابن حبان وابن عدى.

الأربعاء»[١].

قال الحاكم: رواة هذا الحديث كلهم ثقات، إلا غزال بن محمد، فإنه مجهول، لا أعرفه بعدالة ولا جرح، وقد صح الحديث عن ابن عمر [رضى الله عنهما] من قوله: من غير مسند ولا متصل[٢]. [فذكره عن ابن عمر ثم قال: وقد أسند هذا الحديث عطَّاف بن خالد المخزومى عن نافع][٣].

* * *

(١) (المستدرك): ٤ / ٢٣٤، كتاب الطب، حديث رقم (٧٤٧٩)، قال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): غزال بن محمد مجهول.

(٢) (المرجع السابق): تعليقًا على الحديث رقم (٧٤٧٩).

(٣) ما بين الحاصرتين تعليق على الحديث رقم (٧٤٨٠)، من (المرجع السابق).

وأما الكَيُّ والسُّعُوطُ

فخرج مسلم من حديث الأعمش عن أبى سفيان، عن جابر قال: بعث رسول الله ﷺ إلى أُبّى بن كعب [رضى الله عنه] ظبيًا، فقطع منه عرقًا [ثم كواه عليه](١). [وخرجه أبو داود بهذا الإسناد إلى قوله:] فقطع منه عرقًا ولم يذكر الكىّ(٢).

وفى لفظ مسلم، من حديث شعبة قال: سمعت سليمان قال: سمعت أبا سفيان قال: سمعت جابر بن عبد الله [رضى الله عنهما] قال: رُمى أبى يوم الأحزاب على أكحله، قال: فكواه رسول الله ﷺ(٣).

ومن حديث أبى خيثمة، عن أبى الزبير، عن جابر [رضى الله عنه] قال: رُمى سعد بن معاذ فى أكحله، [قال:] فحسمه رسول الله ﷺ بيده بمشقص، ثم ورمت، فحسمه الثانية(٤).

وخرّجه ابن أيمن ولفظه: أن النبى ﷺ كوى سعد بن معاذ مرتين(٥).

---

(١) (مسلم بشرح النووى): ١٤/ ٤٤٣، كتاب السلام، باب (٢٦) لكل داء دواء، واستحباب التداوى، حديث رقم (٧٣)، وما بين الحاصرتين زياة للسياق منه.

(٢) (سنن أبى داود): ٤/ ١٩٧، كتاب الطب، باب (٦) فى قطع العرق وموضع الحجم، حديث رقم (٣٨٦٤).

(٣) (مسلم بشرح النووى): ١٤/ ٤٤٤، كتاب السلام، باب (٢٦) لكل داء، واستحباب التداوى، حديث رقم (٧٤).

(٤) (المرجع السابق)، حديث رقم (٧٥).

(٥) أخرجه ابن ماجة فى (السنن): ٢/ ١١٥٦، كتاب الطب، باب (٢٤) من اكتوى، حديث رقم (٣٤٩٤)، ولفظه: «إن رسول الله ﷺ كوى سعد بن معاذ فى أكحله مرتين».

وقد وردت أحاديث فى النهى عن [الكى][(١)].

---

(١) منهـا مـا أخـرجـه أبو داود فى (السنن) : ٤ / ١٩٧ - ٢٠٠، كـتـاب الطب، باب (٧) فى الكىّ، حديث رقم (٣٨٦٥)، عن عمران بن حصين قال : « نهى رسول الله ﷺ عن الكى، فاكتوينا، فما أفلحن وما أنجحن »، قال أبو داود : وكان يسمع تسليم الملائكة، فلما اكتوى انقطع عنه، فلما ترك رجع إليه.

وأخرجه الترمذى فى (السنن) : ٤ / ٣٤١، كتاب الطب، باب (١٠) ما جاء فى كراهية التداوى بالكى، حديث رقم (٢٠٤٩)، وفيه : « فابتلينا فاكتوينا فما أفلحنا ولا أنجحنا » قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح، ثم قال :

حدثنا عبد القدوس بن محمد، حدثنا عمرو بن عاصم، حدثنا همام عن قتادة عن الحسن عن عمران بن حُصين قال : نُهينا عن الكى.

قال أبو عيسى : وفى الباب عن ابن مسعود، وعقبة بن عامر، وابن عباس، وهذا حديث حسن صحيح.

وأخرجه ابن ماجة فى (السنن) : ٢ / ١١٥٤ - ١١٥٥، كتاب الطب، باب (٢٣) الكى، حديث رقم (٣٤٨٩)، « من اكتوى أو استرقى فقد برىء من التوكل »؛ يريد أن كمال التوكل يقتضى ترك الأدوية، ومن أتى بها فقد برىء من تلك المرتبة العظيمة من التوكل.

وحديث رقم (٣٤٩٠)، وهو حديث عمران بن الحصين المذكور فى الباب.

وحديث رقم (٣٤٩١) من حديث ابن عباس، وقال فى آخره : « وأنهى أُمتى عن الكى ».

قال الشيخ : إنما كوى ﷺ سعداً ليرقأ عن جرحه الدم، وخاف عليه أن ينزف فيهلك، والكى مستعمل فى هذا الباب، وهو من العلاج الذى تعرفه الخاصة وأكثر العامة، والعرب تستعمل الكى كثيراً فيما يعرض لها من الأدواء، وتقول فى أمثالها : « آخر الدواء الكى ».

وأما حديث عمران بن حصين فى النهى عن الكى، فقد يحتمل وجوهاً، أحدها : أن يكون من أجل أنهم كانوا يعظمون أمره ويقولون : « آخر الدواء الكىّ »، ويرون أنه يحسم الداء ويُبرئه، وإذا لم يفعل ذلك عطب صاحبه وهلك، فنهاهم عن ذلك إذا كان على ذلك الوجه.

وأباح لهم استعماله على معنى التوكل على الله سبحانه، وطلب الشفاء، والترجى للبُرء بما يُحدث الله عزَّ وجلَّ من صنعه فيه، ويجلبه من الشفاء على أثره، فيكون الكى والدواء سبباً لا علة.

وهذا أمر قد تكثر فى شكوك الناس، وتخطىء فيه ظنونهم وأوهامهم، فما أكثر ما تسمعهم يقولون : لو أقام فلان بأرضه وبلده لم يهلك، ولو شرب الدواء لم يسقم، ونحو ذلك من تجريد إضافة الأمور إلى الأسباب، وتعليق الحوادث بها، دون تسليط القضاء عليها، وتغليب المقادير فيها، فتكون الأسباب أمارات لتلك الكوائن، لا موجبات لها، وقد بين الله جل جلاله ذلك فى كتابه حيث قال : =

[وقال ابن سعد : أخبرنا هاشم بن القاسم، حدثنا إسرائيل عن جابر، عن أبي جعفر قال : كان النبي ﷺ يستعط بالسمسم، ويغسل رأسه بالسدر](١).

وأمَّا الحنَّاء

فخرَّج الإمام أحمد من حديث قائد مولى عبد الله بن علي، عن أبي رافع، عن جدته سلمى [رضي الله عنها] قالت : كنتُ أخدم رسول الله ﷺ، فما كانت تصيبه قُرحةٌ ولا نكته، إلا أمرني بأن أضع عليها الحناء. وتقدم في الحجامة طرف من ذلك(٢).

وأمَّا السَّفَرْجَلُ

فخرج البيهقي من طريق عبد الرحمن بن حماد بن عمران بن موسى [بن طلحة، عن أبيه، عن طلحة بن عبيد الله] قال : دخلت على رسول الله

= ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ﴾ [النساء : ٧٨]، وقوله تعالى حكاية عن الكفار : ﴿ وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حَسْرةً في قلوبهم ﴾ [آل عمران : ١٥٦].

وفيه وجه آخر وهو : أن يكون معنى نهي عمران بن حصين خاصة، عن الكي في علة بعينها، لعلمه أنه لا ينجع، الا تراه يقول : « فما أفلحنا ولا أنجحنا »، وقد كان به الناصور، فلعله إنما نهاه عن استعمال الكي في موضعه من البدن.

والعلاج : إذا كان فيه الخطر العظيم كان محظوراً، والكي في بعض الأعضاء يعظم خطره، وليس كذلك في بعض الأعضاء، فيشبه أن يكون النهي منصرفا إلى النوع المخوف منه. والله تعالى أعلم (معالم السنن) مختصراً.

(١) (طبقات ابن سعد) : ١ / ٤٤٨.

والسعوط : ما يجعل في الأنف مما يُتداوى به، وقد سبق شرحه وتخريج أحاديثه في بابه.

(٢) سبق تعريف الحناء والكلام عنها في الحجامة، وذكرنا ما قاله ابن القيم في (زاد المعاد) : ٤ / ٨٩ - ٩٠، عن فوائدها ومنافعها.

ﷺ وفي يده سفرجلة، فألقاها إليّ وقال: دونكها أبا محمد، فإنها تجمّ الفؤاد(١).

وخرّجه الحاكم من حديث عبد الرحمن بن حماد به مثله أو قريبًا منه [وقال: هذا حديث صحيح الإسناد](٢).

---

(١) وأخرجه ابن ماجة في (السنن): ٢ / ١١١٨، كتاب الأطعمة، باب (٦١) أكل الثمار، حديث رقم (٣٣٦٩)، ورواته قبل طلحة: نقيب بن حاجب، وأبو سعيد، وعبد الملك الزبيري، ثلاثتهم مجاهيل.

(٢) (المستدرك): ٤ / ٤٥٦، كتاب الطب، حديث رقم (٨٢٦٥)، وما بين الحاصرتين ليست في (المستدرك)، وسكت عنه الحافظ الذهبي في (التلخيص)، وفي سنده عبد الرحمن بن حماد بن عمران بن موسى بن طلحة، قال أبو حاتم، منكر الحديث، وقال ابن حبان وغيره: لا يحتج به.

ورواه النسائي من طريق آخر، وقال: أتيتُ النبي ﷺ وهو في جماعة من أصحابه، وبيده سفرجلة يقلبها، فلما جلستُ إليه، دحا بها إليّ ثم قال: «دونكها أبا ذرّ، فإنها تشد القلب، وتطيب النفس، وتذهب بطحاء الصدر» وهو ضعيف أيضًا. قال العلامة ابن القيم: وقد روى في السفرجل أحاديث أُخر، هذا أمثلها ولا تصح.

والسفرجل: بارد يابس، ويختلف في ذلك باختلاف طعمه، وكله بارد قابض، جيد للمعدة، والحُلْوُ منْهُ أقل برودة ويُبسًا، وأميل إلى الاعتدال، والحامض أشدّ قبضًا وَيُبْسًا وبرودة، وكله يسكن العطش والقيء، ويدرُّ البول، ويعقب الطبع، وينفع من قرحة الأمعاء، ونفث الدم، والهيضة، وينفع من الغيثان، ويمنع من تصاعد الأبخرة إذا استُعمل بعد الطعام، وحُراقة أغصانه وورقه المغسول كالتوتياء في فعلها.

وهو قبل الطعام يقبض، وبعده يلين الطبع، ويسرع بانحدار الثفل، والإكثار منه مضر بالعصب، مولد للقُولنج، ويطفىء المرة الصفراء المتولدة في المعدة.

وإن شُوى كان أقل لخشونته، وأخف، وإذا قُوِّر وسطه، ونُزع حبه، وجعل فيه العسلُ، طُيِّن جرمه بالعجين وأودع الرماد الحار، نفع نفعًا حسنًا.

وأجود ما أكل مشويًا أو مطبوخًا بالعسل، وحبُّه ينفع من خشونة الحلق، وقصبة الرئة، وكثير من الأمراض، ودهنه يمنع العرق، ويقوى المعدة، والمربى منه يقوى المعدة والكبد، ويشد القلب، ويطيب النفس.

ومعنى تجم الفؤاد: تُريحه، وقيل: تفتحه وتوسعه من جمام الماء، وهو اتساعه وكثرته والطخاء للقلب مثل الغيم على السماء. قال أبو عبيد: الطخاء ثقل وغشي، تقول: ما في السماء طخاء، أي: سحاب وظلمة (زاد المعاد): ٤ / ٣٢١.

فصل فى ذكر حركات رسول الله ﷺ وسكونه

[يقال أنه ﷺ كان إذا أراد الخروج من منزله امتشط، وسوى جُمَّتَهُ، وأصلح شعره، وقال: إن الله يحب من عبده أن يكون حسن الهيئة](١).

وأما عمله ﷺ فى بيته

فخرج البخارى من حديث إبراهيم عن الأسود، قال: سألتُ عائشة رضى الله عنها: ما كان النبى ﷺ يصنع فى بيته؟ قالت: كان يكون فى مهنة أهله تعنى خدمة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة. ذكره فى

---

(١) روى عن عائشة رضى الله عنها أنَّ رسول الله ﷺ أراد أن يخرج يومًا إلى الصحابة، فكان ينظر فى جب الماء، ويسوى عمامته وشعره، فقالت: أو تفعل ذلك يا رسول الله؟ قال: « نعم إن الله تعالى يحب من العبد أن يتزين لإخوانه إذا خرج إليهم » أخرجه ابن عدى فى (الكامل)، وذكره الإمام الغزالى فى (الإحياء)؛ مرة فى الطهارة، ومرة فى الرياء بالأصحاب والزائرين والمخالطين، ثم قال:

نعم هذا كان من رسول ﷺ عبادة، لأنه كان مأموراً بدعوة الخلق وترغيبهم فى الاتباع، واستمالة قلوبهم، ولو سقط من أعينهم لم يرغبوا فى اتباعه، فكان يجب عليه أن يُظهر لهم محاسن أحواله، لئلا تزدريه أعينهم، فإن أعين عوام الخلق تمتد إلى الظواهر دون السرائر، فكان ذلك قصد رسول الله ﷺ ، ولكنه لو قصد قاصد به أن يحسِّن نفسه فى أعينهم حذراً من ذمهم ولومهم، واستراحا إلى توقيرهم واحترامهم، كان قد قصد امرء مباحا، إذ للإنسان إن يحترز من ألم المذمة، ويطلب راحة الأُنس بالإخوان، ومهما استقلوه واستقذروه. لم يأنس بهم. (إحياء علوم الدين): ٣/٤٦٤ - ٤٦٥ ، وما بين الحاصرتين لم يظهر فى التصوير الضوئى من النسخة (ج)، وقد استدركناه من النسخة (خ).

كتاب الصلاة(١)، وفى كتاب النفقات(٢)، وفى كتاب الأدب(٣)، بألفاظ متقاربة.

ولعبد الرزّاق من حديث الزهرى، وهشام بن عروة، عن أبيه قال: سأل رجلٌ عائشة رضى الله عنها: أكان رسول الله ﷺ يعمل فى بيته؟ قالت كان يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل فى بيته، كما يعمل أحدكم فى بيته(٤).

[وأما ما يقوله إذا دخل بيته ﷺ]

فخرّج الإمام أحمد من حديث مجالد، عن الشعبى، عن مسروق قال:

---

(١) (فتح البارى): ٢ /٢٠٧، كتاب الأذان، باب (٤٤) من كان فى حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج، حديث رقم (٦٧٦).

(٢) (المرجع السابق): ٩ /٦٣٣، كتاب النفقات، باب (٨) خدمة الرجل فى أهله، حديث رقم (٥٣٦٣).

(٣) (المرجع السابق): ١٠ /٥٦٥، كتاب الأدب، باب (٤٠) كيف يكون الرجل فى أهله؟ حديث رقم (٦٠٣٩).

قال ابن بطال: من أخلاق الأنبياء التواضع، والبعد عن التنعيم، وامتهان النفس، ليستن بهم، ولئلا يخلدوا إلى الرفاهية المذمومة، وقد أشير إلى ذمها بقوله تعالى: ﴿**وذرنى والمكذبين أولى النعمة ومهلهم قليلا**﴾. وأخرج ابن حبان فى (الصحيح): ١٢ /٤٤٨ - ٤٨٩، كتاب الحظر والإباحة، باب (٦) التواضع والكبر والعجب، ذكر ما يُستحبّ للمرء أن لا يأنف من العمل المستحقر فى بيته بنفسه وإن كان عظيمًا فى أعين البشر، عن عائشة رضى الله عنها أنها سئلت: ما كان عمل رسول الله ﷺ فى بيته؟ قالت ما كان إلا بشرًا من البشر، كان يَفلى ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه [إسناده قوى على شرط مسلم].

وأخرجه أبو نعيم فى (حلية الأولياء): ٨ /٣٣١، فى ترجمة عبد الله بن وهب رقم (٤٢٨).

وأخرجه أبو الشيخ فى (أخلاق النبى): ٢١ من طريق عقيل بن خالد من طريق الزهرى قال: سُئلت عائشة رضى الله عنها: كيف كان خلق رسول الله ﷺ فى بيته؟ فقالت: كأحدكم، يرفع شيئا ويضعه، وكان أحب العمل إليه الخياطة. وهذا منقطع بين الزهرى وعائشة.

(٤) (الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان): ١٢ /٤٩٠، كتاب الحظر والإباحة، باب(٦) التواضع =

قلت لعائشة [رضى الله عنها] : هل كان رسول الله ﷺ يقول شيئا إذا دخل البيت؟ قالت : كان إذا دخل البيت تمثل : لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديًا ثالثا، ولا يملأ فمه إلا التراب، وما جعلنا المال إلا لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ويتوب الله على من تاب(١).

وله من حديث شريك، عن المقدام بن شريح، عن أبيه، عن عائشة [رضى الله عنها] قالت : كان أول ما يبدأ به رسول الله ﷺ إذا دخل بيته السواك، وآخره إذا خرج من بيته الركعتين قبل الفجر(٢).

وأمَّا مَا يقوله إذا خرج من بيته [ﷺ]

فخرج الترمذى من حديث سفيان، عن منصور، عن الشعبى، عن

= والكبر والعجب، ذكر خبر ثان يصرح بصحة ما ذكرناه، حديث رقم (٥٦٧٦) ولفظه : قلت لعائشة : يا أم المؤمنين، أى شيء كان يصنع رسول الله ﷺ إذا كان عندك؟ قالت : ما يفعل أحدكم فى مهنة أهله؛ يخصف نعله ويخيط ثوبه، ويرقع دلوه . [إسناده صحيح، وهو فى (مصنف عبد الرزاق) برقم (٢٠٤٩٢)].

وفى (الإحسان) : ذكر ما يجب على المرء من مجانبة الترفع بنفسه فى بيته عن خدمته، وإن كان له من يكفيه ذلك، حديث رقم (٥٦٧٧)، عن عائشة أنها سئلت : ما كان النبى ﷺ يعمل فى بيته؟ قالت : كان يخيط ثوبه، ويخصف نعله، ويعمل ما يعمل الرجال فى بيوتهم . [إسناده صحيح على شرط الشيخين].

(١) (مسند أحمد) : ٧ / ٨٢، حديث رقم (٢٣٧٥٥) .

(٢) (المرجع السابق) : حديث رقم (٢٤٢٧٤) .

وأخرج ابن ماجة فى (السنن) ٢ / ١٢٧٩، كتاب الدعاء باب (١٩) ما يدعو به إذا دخل بيته، حديث رقم (٣٨٨٧) ، من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إذا دخل الرجل بيته، فذكر الله عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان : لا مبيت لكم ولا عشاء، وإن دخل ولم يذكر الله عند دخوله، قال الشيطان : أدركتم المبيت، فإذا لم يذكر الله عند طعامه، قال : أدركتم المبيت والعشاء » .

« قال الشيطان » أى لأعوانه .

أم سلمة [رضى الله عنها قالت :] أن النبى ﷺ كان إذا خرج من بيته قال: بسم الله توكلت على الله، اللهم إنا نعوذ بك من أن نَزِلَّ، أو نَضِلَّ، أو نَظْلم، أو نُظلم، أو نَجهل، أو يُجهل علينا. قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح(١) . وخرّجه النسائى مُسنداً

---

(١) (سنن الترمذى) : ٥/٤٥٦، كتاب الدعوات، باب (٣٥) ما يقول إذا خرج من بيته، حديث رقم (٣٤٢٧).

وفى باب (٣٤) ما يقول إذا خرج من بيته، حديث رقم (٣٤٢٦)، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ : من قال - يعنى إذا خرج من بيته -: بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: كفيت ووقيت، وتنحى عنه الشيطان.

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه.

ولأبى داود فى (السنن): ٥/٣٢٧، كتاب الأدب، باب (٢١١) ما يقول إذا خرج من بيته، حديث رقم (٥٠٩٤).

وله من حديث أنس بن مالك، قال: أن النبى ﷺ قال: إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، قال: يقال حينئذ : هُديت وكُفيت ووقيت، فتتنحى له الشياطين، فيقول له شيطان آخر: كيف برجل قد هُدى وكفى ووقى. حديث رقم (٥٠٩٥).

وعن أبى مالك الأشعرى قال: قال رسول الله ﷺ : إذا ولج الرجل بيته فليقل: اللهم إنى أسألك خير المولْج وخير المخرج، بسم وَلَجْنا، وبسم الله خرجنا، وعلى الله ربنا توكلنا، ثم ليسلم على أهله. حديث رقم (٥٠٩٦) .

ولابن ماجة فى (السنن) : ٢/١٢٧٨، كتاب الدعاء، حديث رقم (٣٨٨٤) عن أم سلمة، أن النبى ﷺ كان إذا خرج من منزله قال: اللهم إنى أعوذ بك أضِلّ أو أزِلّ، أو أظلم أو أُظلم، أو أجهل أو يُجهل عَلىّ.

وحديث رقم (٣٨٨٥)، عن أبى هريرة، أن النبى ﷺ كان إذا خرج من بيته، قال: بسم الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، التكلان على الله، قال فى (الزوائد) : فى إسناده عبد الله بن حسين، ضَّعفه أبوزرعة ، والبخارى، وابن حبّان.

وحديث رقم (٣٨٨) عن أبى هريرة، أن النبى ﷺ قال: إذا خرج الرجل من باب بيته أو من باب داره - كان معه ملكان موكلان به، فإذا قال: بسم الله، قالا: هُديت، وإذا قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، قالا: وُقيتَ، وإذا قال: توكلت على الله، قالا كُفيت. قال: فيلقاه قريناه فيقولان: ماذا تريدان من رجل قد هُدِى، وكُفى، وَوُقِى؟ قال فى (الزوائد) : فى إسناده هارون بن هارون بن عبد الله، وهو ضعيف.

ومرسلا، وقال: اللهم إنى أعوذ بك، بلفظ الإفراد فى الجمع[1]،

---

(١) أخرج النسائى فى (السنن): ٨ / ٦٦١ - ٦٦٢، كتاب الاستعاذة، باب (٣٠) الاستعاذة من الضلال، حديث رقم (٥٥٠١)، عن أم سلمة، أن النبى ﷺ كان إذا خرج من بيته قال: بسم الله، رب أعوذ بك من أن أزل أو أضل، أو أظلم أو أُظلَم، أو أجهل أو يُجهَل عَلَىّ.

وأخرج ابن أبى شيبة فى (المصنف): ٦ / ٢٦، كتاب الدعاء، باب (٩) ما يدعو به الرجل إذا خرج من منزله، حديث رقم (٢٩١٩٣)، عن أبى سعيد قال: من قال إذا خرج إلى الصلاة: اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك، وبحق ممشاى هذا، لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا رياء، ولا سمعة، خرجت ابتغاء مرضاتك، واتقاء سخطك، أسألك أن تنقذنى من النار، وأن تغفر لى ذنوبى، إنه لايغفر الذنوب إلا أنت، أقبل الله عليه بوجهه حتى ينصرف، ووكل به سبعون ألف ملك يستغفرون له.

وحديث رقم (٢٩١٩٥). عن كعب الأحبار، قال: إذا خرج من بيته فقال: بسم الله، توكلت على الله، ولا قوة إلا بالله، بلَّغَتْ الشياطين بعضهم بعضا، قالوا: هذا عبد قد هُدى وحُفظ، وكُفى، فلا سبيل لكم عليه، فيتصدعون عنه.

وللحاكم فى (المستدرك): ١ / ٧٠٠، كتاب الدعاء والتكبير فى التهليل والتسبيح والذكر، حديث رقم (١٩٠٧)، عن الشعبى، عن أم سلمة رضى الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان إذا خرج من بيته قال: بسم الله، ربّ أعوذ بك أن أزل، أو أضل، أو أظلم، أو أظلم، أو أجهل أو يُجهل علىّ.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وربما يتوهم متوهم أن الشعبى لم يسمع من أم سلمة، وليس كذلك، فإنه دخل على عائشة وأم سلمة جميعا، ثم أكثر الرواية عنهما جميعا.

قال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): على شرط البخارى ومسلم. وقد دخل الشعبى على عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما.

وله من حديث أبى هريرة رضى الله عنه، حديث رقم (١٩٠٨)، ولفظه: كان رسول الله ﷺ إذا خرج من بيته يقول: بسم الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، التكلان على الله. وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وقال الحافظ الذهبى فى (التخليص): على شرط مسلم. لكنه فيه عبد الله بن حسين، وهو ضعيف.

وفى (الإحسان): ٣ / ١٠٤، كتاب الرقائق، باب (٨) الأذكار، ذكر الشيء الذى يُهدى القائل به ويكفى ويوقى إذا قاله عند الخروج من منزله، حديث رقم (٨٨٢) عن إسحاق بن عبد الله بن =

وخرجه ابن أيمن.

* * *

= أبى طلحة عن أنس بن مالك، أن النبى ﷺ قال: إذا خرج من بيته فقال: بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، فيقال له: حسبُك، قد كُفيت، وهُديت، ووقيت، فيلقى الشيطان شيطانا آخر فيقول له: كيف لك برجل قد كُفِى وهُدى ووُقى». [رجاله ثقات، إلا أن ابن جريج مدلس، وقد عنعن عند الجميع].

وأمَّا مشيه ﷺ

فلمسلم من حديث حسان، [قال:] حدثنا حماد، حدثنا ثابت، عن أنس رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أزهر اللون، كأن عرقه اللؤلؤ، إذا مشى تكفَّأ، وما مسستُ ديباجة ولا حريرة ألين من كفّ رسول الله ﷺ، ولا شممتُ مسكة، ولا عنبرة، أطيب من رائحة رسول الله ﷺ(١).

ولأبى داود من حديث وهب بن بقية، قال: أخبرنا خالد، عن حميد، عن أنس [رضى الله عنه] قال: كان النبى ﷺ إذا مشى كأنه يتوكأ(٢).

وللترمذى من حديث عبد الوهاب الثقفى، عن حميد، عن أنس [رضى الله عنه] قال: كان النبى ﷺ رَبْعَةً، ليس بالطويل ولابالقصير، حسن الجسم، أسمر اللون وكان شعره ليس بجعد ولا سبط، كأنه إذا مشى [يتكفَّأُ](٣) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن

---

(١) سبق تخريجه وشرحه.

(٢) (سنن أبى داود): ٥/١٨٦ – ١٨٧، كتاب الأدب، باب (٣٥) فى هَدى الرَّجل، حديث رقم (٤٨٦٣)، وحديث رقم (٤٨٦٤) عن أبى الطفيل عامر بن واثلة رضى الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ، قلت: كيف رأيته؟ قال: كان أبيض مليحا، إذا مشى كأنما يهوى فى صبوب.

قال الشيخ: «الصَّبوب» إذا فتحت الصاد: كان اسما لما يُصب على الإنسان من ماء ونحوه، ومما جاء على وزنه: الطَّهور والغسول والفَطور لما يفطر به.

ومن رواه (الصُّبوب) – بضم الصاد – على أنه جمع الصَّبَب، وهو ما انحدر من الأرض، فقد خالف القياس، لأن باب فَعَل لا يجمع على فُعول، وإنما يُجمع على أفعال، كسبب وأسباب، وقَتَب وأقتاب. وقد جاء فى أكثر الروايات: «كأنه يمشى فى صبب» وهو المحفوظ (معالم السنن).

وأخرجه مسلم بنحوه فى الفضائل، باب: كان ﷺ أبيض مليح الوجه، حديث رقم (٢٣٤٠). وقال مسلم: مات أبو الطفيل سنة مائة، وكان آخر من مات من أصحاب رسول الله ﷺ، وأخرجه الترمذى بنحوه كما سيأتى.

(٣) فى (الأصلين): «يتوطأ»، وما أثبتناه من (جامع الأصول).

صحيح[1].

ولأبى داود من حديث عبد الأعلى، أخبرنا سعيد، عن أبى الطفيل قال: رأيتُ رسول الله ﷺ، قلتُ: كيف رأيتَه؟ قال: كان [ﷺ] أبيض مليحًا، إذا مشى كأنما يمشى فى صَبُوب[2].

ولابن أبى خيثمة، من حديث عبد الأعلى، عن الجريرى، عن أبى الطفيل، قال: رأيت رسول الله ﷺ، وما على وجه الأرض رجل رآه غيرى، [قال:] فقلت: كيف رأيتَه؟ قال: كان أبيض مليحًا، مقصَّدًا، إذا مشى كأنما يمشى فى صبب. وخرجه مسلم ولم يقل: إذا مشى[3].

---

(١) (جامع الأصول): ١١ / ٢٢٨ - ٢٢٩، الفصل الرابع فى صفاته وأخلاقه ﷺ، حديث رقم (٨٧٨٥)، وأخرج البخارى قريبا منه فى المناقب، باب صفة النبى ﷺ، وفى اللباس، باب الجعد، ومسلم فى الفضائل باب صفة النبى ﷺ، حديث رقم (٢٣٤٧)، والإمام مالك فى (الموطأ): ٦٥٩، باب ما جاء فى صفة النبى ﷺ من كتاب الجامع، حديث رقم (١٦٦٤)، وأخرجه الترمذى فى (السنن): ٤ / ٢٠٤، كتاب اللباس، باب (٢١) ما جاء فى الجمة واتخاذ الشعر، حديث رقم (١٧٥٤)، قال: وفى الباب عن عائشة والبراء، وأبى هريرة، وابن عباس، وأبى سعيد، وجابر، ووائل ابن حُجر، وأم هانئ.

قال أبو عيسى: حديث أنس حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه من حديث حميد.

وأخرجه الترمذى أيضا فى (الشمائل): ٢٨ - ٢٩، باب (١) ما جاء فى خلق رسول الله ﷺ، حديث رقم (٢)، وهو حديث صحيح.

(٢) (سنن أبى داود): ٥ / ١٨٦ - ١٨٧، كتاب الأدب، باب (٣٥) فى هدى الرَّجْل، حديث رقم (٤٨٦٤)، وقد سبق شرح معنى « الصبوب ».

(٣) (مسلم بشرح النووى): ١٥ / ١٠١، كتاب الفضائل، باب (٢٨) كيف كان النبى ﷺ أبيض مليح الوجه، حدث رقم (٩٩).

قوله: « مُقصَّدًا »: هو بفتح الصاد المشددة، وهو الذى ليس بجسيم، ولا نحيف، ولا طويل، ولا قصير، وقال شمر: هو نحو الرَّبعة، والقصد بمعناه، والله تعالى أعلم. (مسلم بشرح النووى).

وأخرجه الترمذى فى (الشمائل): ١٤، باب (١)، ما جاء فى خَلْق رسول الله ﷺ، جديث رقم (٤١).

وللترمذى وبقى بن مخلد، من حديث ابن لهيعة عن أبى يونس، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: ما رأيتُ أحسن من رسول الله ﷺ، كأنما الشمس تجرى فى وجهه، وما رأيتُ أحداً أسرع [من رسول الله ﷺ] فى مشيته، كأنما الأرض تُطوى له، إنا لنجهد أنفسنا، وإنه لغير مكترث. قال الترمذى: هذا حديث غريب(١).

وقد رواه بقى بن مخلد، من حديث حرملة بن يحى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنى عمرو بن الحادث، أن أبا يونس مولى أبى هريرة حدثه عن أبى هريرة، أنه سمعه يقول: ما رأيت.. فذكره. فإسناد بقى هذا أجود من إسناد الترمذى، وإسناد بقى على شرط مسلم.

فقد روى مسلم عن حرملة بن يحى غير ما حديث، ولم يخرج هؤلاء البخارى من حديث ابن لهيعة شيئا. [وقال الحسين بن إسماعيل المحاملى: أخبرنا عبد الله بن جوير بن جبلة، أخبرنا ابن أبى بكير، أخبرنا يحى بن راشد، أخبرنا داود بن أبى هند، عن عكرمةو عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يمشى مشيًا يعرفُ فيه أنه ليس بعاجز ولا كسلان](٢).

ولتقى من حديث النضر بن شميل قال: أخبرنا صالح بن أبى الأخضر، عن ابن شهاب، عن أبى سلمة، عن أبى هريرة [رضى الله عنه] قال: كان رسول الله ﷺ أبيض، كأنما صُنع أو صيغ من فضة، رَجِل الشَّعْر، مغاص البطن، عظيم مشاش المنكبين، يطأ بقدميه جميعًا، إذا أقبل، أقبل جميعًا، وإذا أدبر، أدبر جميعًا.

---

(١) (سنن الترمذى): ٥/٥٦٣، كتاب المناقب، باب (١٢) فى صفة النبى ﷺ، حديث رقم (٣٦٤٨)، وأخرجه الترمذى فى (الشمائل): ١١٢؛ باب (١٩) ما جاء فى مشية رسول الله ﷺ، حديث رقم (١٢٥) وهو حديث ضعيف الإسناد، رجال إسناده ثقات إلا عبد الله بن لهيعة فإنه ضعيف، ويمكن تحسينه من طرق.

(٢) ما بين الحاصرتين من (خ) وليس فى (ج).

قال مؤلفه [رحمه الله] : صالح بن أبى الأخضر اليمامى البصرى، مولى بنى أميةو يروى عن الزهرى، ونافع، وابن المنكدر، وجماعة . وعنه حماد ابن زيد، وابن المبارك، وروح بن عبادة، وعبد الرحمن بن مهدى، ووكيع، ويحى بن بشير العنبرى وجماعة .

قال أبو عثمان بن سعيد بن خالد السجستانى، فى سؤاله لابن معين، قلت : فصالح بن أبى الأخضر؟ قال : ليس بشىء فى الزهرى .

وقال ابن عدى : قال ابن معين : بصرى ضعيف، وقال معاذ بن معاذ : قال لى صالح بن أبى الأخضر : هذا الكتاب قرأه على الزهرى، وقرأته عليه، ولا أفضّل هذا من هذا .

وقال يحيى القطان، أتيته أنا ومعاذ وخالد، فأخرج إلينا حديث الزهرى فقال : منه ما سمعت، ومنه ما لم أسمع، ومنه عرض . وقال البخارى : ليس بشئ عن الزهرى، ومرة قال : ضعيف .

قال ابن عدى : وفى بعض أحاديثه ما ينكر عليه، وهو من الضعفاء الذى يكتب حديثهم(١) . انتهى [كلام المقريزى رحمه الله] .

ولابن أبى شيبة من حديث شريك، عن عبد الملك بن عمير، عن نافع ابن جبير بن مطعم، عن على رضى الله عنه، أنه وصف النبى ﷺ [فقال :] كان عالى الهامة، أبيض، مشربًا حمرة، عظيم اللحية، ضخم الكراديس، شثن الكفين والقدمين، طويل المسربة، كثير شعر الرأس، رَجِلَهُ، يتكفّأ فى مشيته، كأنما ينحدر فى صبب، لا طويل، ولا قصير، لم أر مثله، قبله ولا بعده(٢) ﷺ .

---

(١) صالح بن أبي الأخضر، له ترجمة في : (تهذيب التهذيب) : ٤ / ٣٣٣ - ٣٣٤، ترجمة رقم (٦٥٠) وهو صالح بن أبى الأخضر اليمامي، مولي هشام بن عبد الملك .

(٢) (مصنف ابن أبى شيبة) : ٦ / ٣٣٢، كتاب الفضائل، باب (١) ما أعطي الله تعالي محمداً ﷺ، =

وخرّجه الترمذى من حديث عبد الرحمن بن عبد الله المسعودى، عن عثمان بن مسلم، عن نافع بن جبير، وفيه: إذا مشى تكفأ تكفيًا، كأنما انحط من صبب. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح(١). [من طريقين عن المسعودى به](٢).

وخرّج أبو بكر بن أبى شيبة، حديث علىّ هذا، من حديث عيسى بن يونس، عن عمر مولى عُفْرة، عن إبراهيم بن محمد، قال: كان على [رضى الله عنه] إذا نعت رسول الله ﷺ قال: ... فذكر الحديث، وفيه: إذا مشى تقلّع كأنما يمشى فى صبب، فإذا التفت التفت معًا(٣). وذكره الترمذى من حديث عيسى بن يونس بسنده، ثم قال: هذا حديث ليس إسناده متصل(٤).

وخرَّج الحاكم من حديث ثابت البنانى، عن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن عبد الله بن عمر، رضى الله [عنهما] قال: كان رسول الله ﷺ يكره أن يطأ أحد عقبه، ولكن يمين وشمال(٥). [قال

= حديث رقم (٣١٧٩٨).

(١) (سنن الترمذى): ٥/٥٥٨ – ٥٥٩، كتاب المناقب، باب (٨) ما جاء فى صفة النبى ﷺ، حديث رقم (٣٦٣٧).

(٢) زيادة للسياق من (سنن الترمذى).

وأخرجه أيضا فى (الشمائل): ٣١، باب (١) ما جاء فى خلق رسول الله ﷺ، حديث رقم (٥)، وفى باب (١٩) ما جاء فى مشية رسول الله ﷺ، حديث رقم (٦٢)، وهو حديث صحيح، أخرجه أيضا أبو الشيخ فى (أخلاق النبى) ﷺ، ص ٩٣ – ٩٦ بنحوه.

(٣) (مصنف ابن أبى شيبة): ٦/٣٣٢، كتاب الفضائل، باب (١) ما أعطى الله تعالى محمداً ﷺ، حديث رقم (٣١٧٩٦).

(٤) (الشمائل المحمدية): ١١٢، باب (١٩) ما جاء فى مشية رسول الله ﷺ، حديث رقم (١٢٥).

(٥) (المستدرك): ٤/٣١١، كتاب الأدب، حديث رقم (٧٧٤٤)، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): كذا رواه شيبان عن سليمان.

الحاكم: صحيح على شرط مسلم](١).

وله من حديث إسماعيل بن [أمية]، عن نافع، عن ابن عمر رضى الله [عنهما] قال: دخل رسول اله ﷺ المسجد، وأبو بكر رضى الله عنه عن يمينه، وعمر رضى الله عنه عن شماله، آخذاً بأيديهما فقال: هكذا نُبعث يوم القيامة(٢). [قال الحاكم: هذا حديث صحيح](٣).

وخرّجه الترمذى من حديث سعيد بن مسلمة، عن إسماعيل بن [أمية]، عن نافع، عن ابن عمر [رضى الله عنه] أن رسول الله ﷺ خرج ذات يوم، فدخل المسجد، وأبو بكر وعمر [رضى الله عنهما] أحدهما عن يمينه، والآخر عن شماله، وهو آخذ بأيديهما، وقال: هكذا نبعث يوم القيامة. [قال أبو عيسى: هذا حديث غريب (٤)] سعيد بن مسلمة ليس عندهم بالقوى. وقد روى هذا الحديث [أيضا](٥) من غير هذا الوجه، عن نافع، عن ابن عمر(٦).

وخرّج الحاكم من حديث سعيد بن أبى مريم، حدثنا يحى بن أيوب، حدثنى حميد قال: سمعتُ أنسًا رضى الله عنه يقول: كان رسول الله

---

(١) هذه العبارة ليست فى (المستدرك).

(٢) (المستدرك): ٣ / ٧١ - ٧٢، كتاب معرفة الصحابة، حديث رقم (٤٤٢٨)، ولفظه: دخل رسول الله ﷺ المسجد وإحدى يديه على أبى بكر، والأخرى على عمر، فقال: « هكذا نبعث يوم القيامة ». قال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): سعيد بن مسلمة القرشىّ ضعيف.

(٣) هذه العبارة ليست فى (المستدرك).

(٤) هذه العبارة ليست فى (سنن الترمذى).

(٥) زيادة للسياق من (المرجع السابق).

(٦) (سنن الترمذى): ٥ / ٥٧٢، كتاب المناقب، باب (١٦) فى مناقب أبى بكر وعمر رضى الله عنهما، حديث رقم (٣٦٦٩).

وأخرجه ابن ماجة فى (المقدمة من السنن)، باب فى فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، فضل أبى بكر الصديق رضى الله عنه.

ﷺ إذا مشى كأنه يتوكأ. قال: هذا حديث صحيح[1] [على شرط الشيخين ولم يخرجاه][2].

ومن حديث سفيان عن الأسود بن قيس، عن نبيح، عن جابر رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا خرج من بيته مشينا قُدّامه، وتركنا خلفه للملائكة[3]. وفى رواية: كان رسول الله ﷺ إذا خرج مَشْوا بين يديه، وخَلَّوْا ظهره للملائكة[4] وفى رواية أبى عوانة: عن الأسود بن قيس، عن نبيح، عن جابر [رضى الله عنه]، قال: قال رسول الله ﷺ: امشوا أمامى، واخلوا ظهرى للملائكة. ومن حديث شعبة، عن الأسود، عن نبيح العنزى، عن جابر [رضى الله عنه] قال: قال رسول الله ﷺ لا تمشوا بين يدى ،لا خلفى، فإن هذا مقام الملائكة. ومن حديث شعبة، عن الأسود، عن نبيح العنزى، عن جابر [رضى الله عنه] قال: قال رسول الله ﷺ لا تمشوا بين يدى ولا خلفى، فإن هذا مقام الملائكة. قال: هذا حديث صحيح[5].

وخرّجه الخطيب وقال: هذا حديث غريب، من حديث شعبة عن الأسود ابن قيس، لا أعلم رواه عنه غير خالد بن الحارث، وتفرد به أبو الأشعث عنه[6].

---

(١) (المستدرك): ٤/٣١٣، كتاب الأدب، حديث رقم (٧٧٥٠).

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (المستدرك).

(٣) (المرجع السابق): ٣١٣، حديث رقم (٢٥٧٧).

(٤) (المستدرك): ٢/٤٤٦، كتاب التفسير، تفسير سورة لقمان، حديث رقم (٣٥٤٤)، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، قال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): صحيح.

(٥) (المرجع السابق): ٤/ ٣١٣ حديث رقم (٧٧٥٣) صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): صحيح.

(٦) (تاريخ بغداد): ٥/١٦٣، فى ترجمة أحمد بن المقدام أبو الأشعث البصرى رقم (٢٦٠٩)، وفيه وفى (المستدرك): قال جابر: جئت أسعى إلى رسول الله ﷺ كأنى شرارة.

وخرَّج الحاكم من حديث ابن وهب قال: أخبرني عبد الجبار بن عمر الأيلي، عن محمد بن المنكدر، عن جابر [رضي الله عنه قال] كان رسول الله ﷺ إذا مشى لم يلتفت(١).

وخرَّج الإمام أحمد من حديث مكحول، عن مسروق بن الأجدع، عن عائشة رضي الله عنها قالت: شرب رسول الله ﷺ قائمًا وقاعدًا، ومشى حافيًا وناعلاً، وانصرف عن يمينه وعن شماله(٢).

وذكر ابن ذُبالة من حديث سفيان بن عيينة، عن عبد الله بن دينار، أن النبي ﷺ كان يأتي مسجد قباء كل سبت ماشيا وراكبًا(٢).

* * *

(١) (المستدرك): ٤/٣٢٥، كتاب الأدب، حديث رقم (٧٧٩٤)، قال الحاكم: لا أعلم أحداً رواه عن محمد بن المنكدر غير عبد الجبار، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص): عبد الجبار بن عمر تالف.

(٢) سبق تخريجه.

وأما نَومُه ﷺ(١)

فخرّج الإمام أحمد من حديث همام قال: أخبرنا يحى بن أبى كثير، أن أبا سلمة حدثه، أن عائشة رضى الله عنها حدثته، أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يرقد، توضأ وضوءه للصلاة ثم يرقد(٢).

والذى فى الصحيحين، عن عائشة، أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن ينام وهو جنب، توضأ وضوءه للصلاة قبل أن ينام(٣). وقد تقدم أنه كان يكتحل بالأثمد كل ليلة قبل أن ينام، فى كل عين ثلاثة أميال(٤).

وخرَّج الإمام أحمد من حديث أبى معاوية [قال:] حدثنا هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان ضجاع النبى ﷺ الذى ينام عليه بالليل، من أدم محشو ليفاً(٥).

---

(١) كان ﷺ ينام أول الليل ويقوم آخره، وربما سهر أول الليل فى مصالح المسلمين، وكان تنام عيناه، ولا ينام قلبه. وكان إذا نام لم يوقظوه حتى يكون هو الذى يستيقظ.

وكان إذا عرّس بليل، اضطجع على شقه الأيمن، وإذا عرّس قبيل الصبح نصب ذراعه، ووضع رأسه على كفه. وكان نومه أعدل النوم، وهو أنفع ما يكون من النوم، والأطباء يقول: هو ثلث الليل والنهار، ثمان ساعات. (زاد المعاد): ١/١٥٨ – ١٥٩، فصل فى هديه سيرته ﷺ فى نومه وانتباهه.
والتعريس: نزول المسافر آخر الليل للنوم والاستراحة أو هو النزول.

(٢) (مسند أحمد): ٧/١٢٥، حديث رقم (٢٤٠٣).

(٣) (فتح البارى): ١/٥١٧، كتاب الغسل، باب (٢٧) الجنب يتوضأ ثم ينام، حديث رقم (٢٨٨)، قوله: «وضوءه للصلاة: أى توضأ وضوءاً شرعيا لا لغوياً.

(مسلم بشرح النووى): ٣/٢٢٠، كتاب الحيض، باب (٦)، جواز نوم الجنب، واستحباب الوضوء له، وغسل الفرج إذا أراد ان ياكل، أو يشرب، أو ينام، أو يجامع، حديث رقم (٢١، و ٢٢).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) (مسند أحمد):٧/٧٣، حديث رقم (٢٣٦٨٩)، ٧/٨٤ حديث رقم (٢٣٧٧٢)، ٧/٢٩٦، =

ومن حديث عقيل، عن ابن شهاب،عن عروة، عن عائشة رضى الله عنها قالت: إن النبى ﷺ إذا أتى فراشه فى كل ليلة، جمع كفيه ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما:

﴿قل هو الله أحد﴾ والمعوذتين] ، ثم يسمح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بها على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات.

وأخرجاه فى الصحيحين، فذكره البخارى فى فضائل القرآن(١)، وفى التعوذ والقراءة عند النوم(٢)، وفى الطب(٣).

ولأحمد من حديث حماد بن سلمة، عن سهيل، عن أبى صالح، عن أبيه، عن أبى هريرة رضى الله عنه [قال:] إن رسول الله ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: اللهم رب السموات السبع ورب الأرضين، وربنا ورب كل شىء، فالق الحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر

= حديث رقم (٢٥٢٠١) ٧/٣٠٣، حديث رقم (٢٥٢٤٥).

(١) (فتح البارى): ٩/٧٦، كتاب فضائل القرآن، باب (١٤) فضل المعوذات، حديث رقم (٥٠١٧).

(٢) (فتح البارى): ١١/١٥٠، كتاب الدعوات، باب (١٢) التعوذ والقراءة عند المنام، حديث رقم (٦٣١٩).

(٣) (فتح البارى): ١٠/٢٥٦ - ٢٥٧، كتاب الطب، باب (٣٩) النفث فى الرقية، حديث رقم (٥٧٤٨)، (الشمائل المحمدية) ٢١٨: حديث رقم (٢٥٨).

وقد ورد فى القراءة عند النوم عدة أحاديث صحيحة: منها حديث أبى هريرة فى قراءة آية الكرسى، وحديث ابن مسعود الآيتان من آخر سورة البقر، وحديث فروة بن نوفل عن أبيه: «أن النبى ﷺ قال لنوفل: اقرأ ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ فى كل ليلة، ونم على خاتمتها فإنها براءة من الشرك» أخرجه أصحاب السنن الثلاثة، وابن حبان والحاكم.

وحديث العرباض بن سارية: «كان النبى ﷺ يقرأ بالمسبحات قبل أن يرقد ويقول: فيهن آية خير من ألف آية» أخرجه الثلاثة.

وحديث جابر رفعه: «كان لا ينام حتى يقرأ ﴿آلم تنزيل﴾ أخرجه البخارى فى (الأدب المفرد)، وغير ذلك كثير على ما يلى .

كل ذى شر، أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء،وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين واغننى من الفقر(١).

[و] أخرجه مسلم(٢)، ولفظه: كان رسول الله ﷺ يأمرنا إذا أخذنا مضجعنا [أن نقول:](٣)... فذكره. وخرجه الترمذى(٤) [أيضا](٣).

وخرّج مسلم من حديث حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس [رضى الله عنه]، أن رسول الله ﷺ، كان إذا أوى إلى فراشه قال: الحمد لله الذى أطعمنا، وسقانا، وكفانا، وآوانا، فكم ممن لا كافئ له ولا مؤوى(٥). وخرجه الترمذى وقال: هذا حديث حسن غريب(٦).

وللبخارى من حديث أبى عوانه بن عبد الملك، عن ربعى، عن حذيفة [رضى الله عنه] قال: كان النبى ﷺ إذا أخذ مضجعه من الليل، وضع يده

---

(١) (مسند أحمد): ٣/٣٥٥، حديث رقم (١٠٥٤١).

(٢) (مسلم بشرح النووى): ١٧/٣٩، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، والاستغفار، باب (١٧) ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، حديث رقم (٢٧١٣).

(٣) زيادة للسياق والبيان.

(٤) (سنن الترمذى): ٥/٤٤٠، كتاب الدعوات، باب (١٩) حديث رقم (٣٤٠٠) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وخرجه ابن ماجة فى (السنن): ٢/١٢٧٤ - ١٢٧٥، كتاب الدعاء، باب ما يدعو به إذا أوى إلى فراشه، حديث رقم (٣٨٧٣)، (سنن أبى داود): ٥/٣٠١، كتاب الأدب، باب (١٠٧) ما يقول عند النوم، حديث رقم (٥٠٥١).

(٥) (مسلم بشرح النووى): ١٧/٤١، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، حديث رقم (٢٧١٥).

(٦) (سنن الترمذى): ٥/٤٣٨، كتاب الدعوات، باب (١٦) ما جاء فى الدعاء إذا أوى إلى فراشه، حديث رقم (٣٣٩٦)، وأخرجه أيضا فى (الشمائل المحمدية): ٢٢٠، باب (٤٠) ما جاء فى صفة نوم رسول الله ﷺ، حديث رقم (٢٦٠).

وأخرجه أبو داود فى (السنن): ٥/٣٠٢، كتاب الأدب، باب (١٠٧) ما يقول عند النوم، حديث رقم (٥٠٥٣).

تحت خده، ثم يقول: اللهم باسمك أموت وأحيا، وإذا استيقظ قال: الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا، وإليه النشور. ذكره فى كتاب الدعوات(١)، فى باب ما يقول إذا أصبح.

وله من حديث منصور، عن ربعى بن خراش، عن خرشة بن الحر، عن أبى ذرّ [رضى الله عنه] قال: كان النبى ﷺ إذا أخذ مضجعه من الليل قال: اللهم باسمك أموت وأحيا، وإذا استيقظ قال: الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا، وإليه النشور. ذكره فى كتاب التوحيد(٢).

وخرّجه مسلم من حديث شعبة، عن عبد الله بن أبى السَّفر، عن أبى بكر بن أبى موسى، عن البراء. تفرّد به مسلم من حديث البراء(٣).

وللترمذى من حديث سفيان، عن عبد الملك بن عمير، عن ربعى بن خراش عن حذيفة [رضى الله عنه]، أن النبى ﷺ كان إذا أراد أن ينام، وضع يده تحت رأسه ثم قال: اللهم قنى عذابك يوم تجمع عبادك، أو تبعث

---

(١) (فتح البارى): ١١/١٥٦، كتاب الدعوات، باب (١٦) ما يقول إذا أصبح، حديث رقم (٦٣٢٤)، (٦٣٢٥).

(٢) (فتح البارى): ١٣/ ٤٦٨، كتاب التوحيد، باب (١٣) السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها، حديث رقم (٧٣٩٥).

(٣) (مسلم بشرح النووى): ٧١/٣٨، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب (١٧) باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، حديث رقم (٢٧١١)

وأخرجه الترمذى فى (الشمائل): ٢١٨، باب ما جاء فى صفة رسول الله ﷺ حديث رقم (٢٥٧)، وفى (السنن): ٥/٤٤٨، باب (٢٨)، حديث رقم (٣٤١٧)

وأخرجه أبو داود فى (السنن): ٥/ ٣٠٠، كتاب الأدب، باب (١٠٧) ما يقول عند النوم، حديث رقم (٥٠٤٩).

وأخرجه ابن ماجة فى (السنن): ٢/١٢٧٧، كتاب الدعاء، باب (١٦) ما يدعو به إذا انتبه من الليل، حديث رقم (٣٨٨٠).

وأخرجه أبو الشيخ فى (أخلاق النبى ﷺ): ١٦٧.

عبادك. قال: هذا حديث حسن(١).

وله من حديث أبى إسحاق، عن أبى بردة، عن البراء بن عازب [رضى الله عنه] قال: كان رسول الله ﷺ يتوسد يمينه ثم يقول: رب قنى عذابك يوم تبعث عبادك قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب(٢).

---

(١) (سنن الترمذى): ٥/٤٣٩، كتاب الدعوات، باب (١٨) حديث رقم (٢٣٩٨)، وله من حديث أبى بردة عن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ يتوسد يمينه عند المنام ثم يقول: ربّ قنى عذابك يوم تبعث عبادك»، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وروى الثورى هذا الحديث عن أبى إسحاق عن البراء، لم يذكر بينهما أحداً. وروى شعبة عن أبى إسحاق عن أبى عبيد ورجل آخر عن البراء.

وروى شريك عن أبى إسحاق عن عبد الله بن يزيد عن البراء وعن أبى إسحاق عن أبى عبيدة، عن عبد الله عن النبى ﷺ بمثله.

وأخرجه الترمذى أيضاً فى (الشمائل): ٢١٦، باب (٤٠) ما جاء فى صفة نوم رسول الله ﷺ، حديث رقم (٢٥٥).

وأخرجه ابن أبى شيبة فى (المصنف): ٦/٣٩ - ٤٠، كتاب الدعاء، باب (٢٣) ما قالوا فى الرجل إذا أخذ مضجعه وأوى إلى فراشه، ما يدعو به؟ حديث رقم (٢٩٣٠٠).

وأخرجه ابن حبان فى (الصحيح): ١٢/٣٣٠ - ٣٣١، كتاب الزينة والتطيب باب (١) آداب النوم، ذكر ما يقول المرء إذا أوى إلى مضجعه يريد النوم، حديث رقم (٥٥٢٢) عن البراء.

وحديث رقم (٥٥٢٣) فى ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن هذا الخبر لم يسمعه أبو إسحاق عن البراء، فذكره، وقال فى هامشه: إسناده صحيح على شرط مسلم، وهومكرر ما قبله.

وأخرجه أبو نعيم فى (حلية الأولياء): ٢/٣٤٤، فى ترجمة قتادة بن دعامة رقم (١٩٨)، وقال: تفرد به سعيد بن بشير عن قتادة، ٨/٢١٥، فى ترجمة محمد بن صبيح بن السماك رقم (٣٩٩) وقال: صحيح ثابت من حديث البراء، ولم نكتبه من حديث ابن السماك إلا من هذا الوجه، ٨/٣١٢، فى ترجمة بكر بن عياش رقم (٤٢١).

وأخرجه ابن ماجه فى (السنن): ٢/١٢٧٦، كتاب الدعاء باب (١٥) ما يدعو به إذا أوى إلى فراشه، حديث رقم (٣٨٧٧).

وأخرجه الحميدى فى (المسند): ١/٢١٠ - ٢١١، حديث رقم (٤٤٤) من أحاديث حذيفة ابن اليمان رضى الله عنه.

(٢) (سنن الترمذى): ٥/٤٣٩، كتاب الدعوات، باب (١٨)، حديث رقم (٣٣٩٩)، وقد سبق ذكر تعليق الترمذى عليه فليراجع.

وروى الثورى هذا الحديث، عن أبى إسحاق، عن البراء، لم يذكر بينهما أحداً، وروى شعبة عن أبى إسحاق عن أبى عبيد، ورجل آخر، عن البراء، وروى شريك عن أبى إسحاق، عن عبد الله بن يزيد، عن البراء [رضى الله عنه] عن أبى إسحاق، عن أبى عبيدة وعن عبد الله، عن النبى [ﷺ] بمثله(١).

وللبخارى من حديث العلاء بن المسيب، حدثنى أبى عن البراء بن عازب [رضى الله عنهما قال :] كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه، نام على شقه الأيمن ثم قال : اللهم أسلمت نفسى إليك ، ووجهت وجهى إليك، وفوضتُ أمرى إليك، وألجأت ظهرى إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنتُ بكتابك الذى أنزلت، ونبيك الذى أرسلت. وقال رسول اله ﷺ من قالهن ثم مات تحت ليلته، مات على الفطرة. ذكره فى كتاب الدعوات(٢).

وللترمذى من حديث حماد بن زيد، عن أبى لبابة قال : قالت عائشة رضى الله عنها : كان النبى ﷺ لا ينام حتى يقرأ الزمر وبنى إسرائيل(٣).

---

(١) (المرجع السابق).

(٢) (فتح البارى) : ١١ / ١٣٩ ، كتاب الدعوات، باب (٩) النوم على الشق الأيمن ، حديث رقم (٦٣١٥).

وأخرجه الترمذى فى (السنن) : ٥ / ٤٣٨ ، كتاب الدعوات، باب (١٦) ما جاء فى الدعاء إذا أوى إلى فراشه ، حديث رقم (٣٣٩٥)، وفيه : « فإن مات من ليلته دخل الجنة » وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب من حديث رافع بن خديج رضى الله عنه.

وأخرجه ابن ماجة فى (السنن) : ٢ / ١٢٧٥ - ١٢٧٦ ، كتاب الدعاء، باب (١٥) ما يدعو به إذا أوى إلى فراشه، حديث رقم (٣٨٧٦) وقال فيه : « وإن أصبحت أصبحتَ وقد أصبتَ خيراً كثيراً ».

(٣) (سنن الترمذى) : ٥ / ٤٤٦ ، كتاب الدعوات، باب (٢٢)، حديث رقم (٣٤٠٥)، ثم قال : أخبرنى محمد بن إسماعيل قال : أبو لبابة هذا اسمه مروان مولى عبد الرحمن بن زياد، وسمع من عائشة منه حماد بن زيد رضى الله عنه.

ومن حديث بقية بن الوليد، عن بجير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن عبد الله بن أبى بلال، عن العرباض بن سارية [رضى الله عنه قال:] إن النبى ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ المسبحات، ويقول: [فيها] آية خير من ألف آية. قال الترمذى: هذا حديث حسن غريب(١).

وخرجه النسائى وقال: خالفه معاوية بن صالح، فذكر حديث ابن وهب، قال: سمعتُ معاوية يحدث عن بحير بن سعد، عن خالد بن معدان، قال: كان رسول الله ﷺ لا ينام حتى يقرأ المسبحات، ويقول: فيهن آية كألف آية. قال معاوية: إن بعض أهل العلم، كانوا يجعلون المسبحات ستًا: سورة الحديد، والحشر، والحواريون، وسورة الجمعة، والتغابن، و ﴿ **سبح اسم ربك الأعلى** ﴾(٢).

وخرّج الإمام أحمد من حديث ليث، عن أبى الزبير، عن جابر [رضى الله عنه] قال: كان رسول الله ﷺ لا ينام حتى يقرأ ﴿ **الم تنزيل** ﴾ السجدة، و﴿ **تبارك الذى بيده الملك** ﴾(٣).

---

(١) (المرجع السابق): حديث رقم (٣٤٠٦).

وأخرجه أبو داود فى (السنن): ٥ / ٣٠٤، كتاب الأدب، باب (١٠٧) ما يقول عند النوم، حديث رقم (٥٠٥٧).

وأخرجه الترمذى أيضا فى ثواب القرآن، باب فضل سورة الإسراء والمسبحات، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٢) أخرجه النسائى فى (الكبرى)، عمل اليوم والليلة، باب ثواب من يأوى إلى فراشه فليقرأ سورة من كتاب الله حين يأخذ مضجعه.

قال الخطابى فى (معالم السنن): المراد بالمسبحات: السور التى افتتحت بسبحان، أو سبح، أو يسبح، وهن سبع سور: الإسراء، والحديد، والحشر، والصف، والجمعة، والتغابن، والأعلى.

(٣) (مسند أحمد): ٤ / ٢٩٨، حديث رقم (١٤٢٤٩) وعن ليث عن أبى الزبير عن جابر رضى الله عنه، وأخرجه الترمذى فى (السنن): ٥ / ٤٤٢، كتاب الدعوات. باب (٢٢)، حديث رقم (٣٤٠٤)، وفيه: «كان النبى ﷺ لا ينام حتى يقرأ بتنزيل السجدة وتبارك». =

وخرجه [الإمام أحمد](١) من حديث حسين المعلم، عن أبى بريدة قال: حدثنى ابن عمر [رضى الله عنهما] أن النبى ﷺ كان يقول إذا تبوَّأ مضجعه قال: الحمد لله الذى كفانى، وآوانى، وأطعمنى، وسقانى، والذى منَّ علىّ وأفضل، والذى أعطانى فاجْزل، الحمد لله على كل حال، اللهم رب كل شىء، ومالك كل شىء، وإلَه كل شىء، [ولك كل شىء](٢)، أعوذ بك من النار(٣).

ومن حديث ابن لهيعة قال: حدثنى حُيّى بن عبد الله، عن أبى عبدالرحمن الحبلى، عن عبد الله بن عمرو [رضى الله عنهما قال:] أن رسول الله ﷺ كان إذا اضطجع للنوم يقول: باسمك [رب](٤) وضعتُ جنبى فاغفر لى(٥).

وللترمذى من حديث حماد بن سلمة، عن حميد، عن بكر بن عبد الله المزنى و عن عبد الله بن رباح، عن أبى قتادة أن النبى ﷺ كان إذا عرس بليل، اضطجع على شقه الأيمن، وإذا عرَّس قُبيْلَ الصبح، نصب ذراعه، ووضع رأسه على كفه(٦)، وله فى (الشمائل) من حديث سلمة بن كُهَيل،

= قال أبو عيسى: هكذا روى سفيان وغير واحد هذا الحديث عن ليث عن أبى الزبير عن جابر، عن النبى ﷺ نحوه.

وروى زهير هذا الحديث عن أبى الزبير، قال: قلتُ له: سمعتُه من جابر؟ قال: لم أسمعه من جابر، إنما سمعته من صفوان أو ابن صفوان.

وروى شبابة عن مغيرة بن مسلم عن أبى الزبير عن جابر نحو حديث ليث.

(١) فى (الأصلين): «الترمذى»، والصواب ما أثبتناه.

(٢) زيادة للسياق من (المسند).

(٣) (مسند أحمد): ٢/٢٦٥ – ٢٦٦، حديث رقم (٥٩٤٧).

(٤) زيادة للسياق من (المرجع السابق).

(٥) (مسند أحمد): ٢/٢٦٥، حديث رقم (٦٥٨٣).

(٦) (الشمائل المحمدية): ٢٢٠، باب (٤٠) ما جاء فى صفة نوم رسول الله ﷺ، حديث رقم =

عن كُرَيب، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ نام حتى نفخ، وكان إذا نام نفخ، فأتاه بلال فآذنة بالصلاة، فقام وصلى ولم يتوضأ(١).

وفى الحديث قصة(٢) [وروى أنه ﷺ كان إذا جاء الشتاء دخل البيت ليلة الجمعة، وإذا لبس ثوبًا جديداً، حمد الله تعالى، وصلى ركعتين، وكسا الخلِق](٣).

* * *

= (٢٦١).

وفى (مسلم بشرح النووى) : ٥/١٩٨، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب (٥٥) قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها، حديث رقم (٣١٣).

وأخرجه الإمام أحمد فى (المسند) ٦/٤٠٤، حديث رقم (٢٢٠٤٠)، ٦/٤٢٠، حديث رقم (٢٢١٢٦).

(١) (الشمائل المحمدية) : ٢١٩، باب (٤٠) ما جاء فى صفة نوم رسول الله ﷺ، حديث رقم (٢٥٩).

(٢) هذه القصة مبثوثة فى كتب السيرة، ذكرها الإمام أحمد فى (المسند): ٦/٤٠٤، حديث رقم (٢٢٠٤٠)، وقد أمسكنا عن ذكرها لطولها واشتهارها.

(٣) ما بين الحاصرتين سقط فى النسخة (ج) ولم أجد لهذه العبارة تخريجًا ولا توجيهًا، والخلق: القديم.

وأما مَا يقوله [ﷺ] إذا استيقظ

تقدم حديث حذيفة [رضى الله عنه]، وإذا استيقظ قال : الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا، وإليه النشور[1]. وحديث أبى ذر [رضى الله عنه] بنحوه[1].

وخرج البخارى من حديث مالك، عن مخرمة بن سليمان، عن كريب، [قال :] أن ابن عباس [رضى الله عنهما] أخبره أنه بات ليلة عند ميمونة [رضى الله عنها] وهى خالته، قال : فاضطجعت فى عرض الوسادة، واضطجع رسول الله ﷺ وأهله فى طولها، فنام رسول الله ﷺ حتى إذا انتصف الليل، أو قبله بقليل، أو بعده بقليل، استيقظ رسول الله ﷺ، فجلس يمسح النوم عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران، ثم قام إلى شنٍّ معلقة، فتوضأ منها فأحسن وضوءه، ثم قام [يصلى]، قال ابن عباس [رضى الله عنهما :] فقمت فصنعتُ مثل ما صنع [رسول الله ﷺ]، ثم ذهبتُ فقمت إلى جنبه، فوضع [رسول الله ﷺ] يده اليمنى على رأسى وأخذ بأذنى اليمنى يفتلها، فصلى ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم أوتر، ثم اضطجع حتى أَتاه المؤذن، فقام فصلى ركعتين خفيفتين، ثم خرج، فصلى الصبح. ذكره فى كتاب الطهارة[2]، وفى

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث.

(٢) (فتح البارى) : ١ / ٣٨١، كتاب الوضوء، باب (٣٦) قراءة القرآن بعد الحدث وغيره، حديث رقم (١٨٣).

قوله : « يمسح النوم » أى يمسح بيده عينيه، من باب إطلاق الحال على المحل، أو أثر النوم، من باب إطلاق السبب على المسبب. =

التفسير(١)، وخرّجه مسلم(٢) وأبو داود(٣).

وللإمام أحمد من حديث همام، حدثنا على بن زيد قال: حدثتنى أم محمد، عن عائشة [رضى الله عنها] أن النبى ﷺ كان لا يرقد ليلا ولا نهاراً، فيستيقظ إلا قوّله تَسَوَّكَ(٤).

وأما أنَّ قَلبه [ﷺ] لا ينام

فخرج البخارى ومسلم من طريق مالك، عن سعيد المقبرى، عن أبى سلمة، عن عائشة رضى الله عنها، [قالت:] إن النبى ﷺ قال لها:

= قوله: «ثم قرأ العشر آيات»: أولها ﴿إن فى خلق السموات والأرض﴾ إلى أخر السورة، قال ابن بطال ومن تبعه: فيه دليل على رد من كره قراءة القرآن على غير طهارة، لأنه ﷺ قرأ هذه الآيات بعد قيامه من النوم قبل أن يتوضأ.

وتعقبه ابن المنير وغيره بأن ذلك مفرع على أن النوم فى حقه ينقض، وليس كذلك، لأنه قال: «تنام عيناى ولا ينام قلبى»، وأما كونه توضأ عقب ذلك فلعله جدد الوضوء، أو أحدث بعد ذلك فتوضأ. والشنّ: القربة التى تبدت للبلاء. (فتح البارى).

(١) (المرجع السابق): ٨/٢٩٨، كتاب التفسير، باب (١٧) ﴿إن فى خلق السموات والأرض﴾، حديث رقم (٤٥٦٩).

(٢) (مسلم بشرح النووى): ٦/٣٠٠، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب (٢٦) الدعاء فى صلاة الليل وقيامه، حديث رقم (٧٦٥)، ولفظه: «عن زيد بن خالد الجهنى أنه قال: لأرمُقن صلاة رسول الله ﷺ الليلة، فصلى ركعتين خفيفتين، ثم صلى ركعتين طويلتين، طويلتين، طويلتين، ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما، ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما، ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما، ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما، ثم أوتر، فذلك ثلاث عشرة ركعة».

(٣) (سنن أبى داود): ٢/١٠٠، كتاب الصلاة، باب (٣١٦) فى صلاة الليل، حديث رقم (١٣٦٧)، وأخرجه ابن ماجة فى كتاب الصلاة: باب كم يصلى بالليل، حديث رقم (١٣٦٢).

(٤) (مسند أحمد): ٧/١٧٥، حديث رقم (٢٤٣٧٩).

ياعائشة، إن عينىَّ تنامان ولا ينام قلبى(١).

ولابن الجارود من حديث يحى بن سعيد، عن ابن عجلان قال: سمعتُ أبى يحدث عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ تنام عينى، ولا ينام قلبى. وسيأتى إن شاء الله تعالى طرق من هذا الحديث.

***

(١) (جامع الأصول): ٦/٩٣، حديث رقم (١٤٩٨)، ضمن حديث طويل عن أبى سلمة: «أنه سأل عائشة: كيف كانت صلاة رسول اله ﷺ فى رمضان؟ قالت: ما كان يزيد فى رمضان ولا فى غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلى أربعًا، فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلى أربعًا لا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلى ثلاثًا، قالت عائشة: فقلت: يارسول الله! أتنام قبل أن توتر؟ فقال: يا عائشة، إن عينىّ تنامان وقلبى لا ينام» و٨/٥٤٠-٥٤١، حديث رقم (٦٣٤٦) وفيه: «ما رأينا عبدًا قط أوتى مثل ما أوتى هذا النبى، إن عينيه تنامان، وقلبه يقظان» وحديث رقم (٦٣٤٧)، وفيه: «جاءت ملائكة إلى النبى ﷺ وهو نائم، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: العين نائمة والقلب يقظان».

وأما مناماته عليه السلام(١)

---

(١) سُئل ابن الصلاح عن تفسير قوله تعالى: ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن فى ذلك لايات لقوم يتفكرون** ﴾ [الزمر: ٤٢].

أجاب: الله يقبض الأنفس حين انقضاء أجلها بموت أجسادها، فلا يردها إلى أجسادها، والله يقبضها ايضا عند نومها، فيمسك التى قضى عليها الموت بموت أجسادها، فلا يردها إلى أجساها، ويرسل الآخرى التى لم تقبض بموت أجسادها حتى تعود إلى أجسادها، إلى أن ياتى الأجل المسمى لموتها.

﴿ **إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون** ﴾؛ لدلالات المتفكرين، على عظيم قدرة الله سبحانه، وعلى أمر البعث، فإن الاستيقاظ بعد النوم شبيه ودليل عليه.

وقد نُقل أن فى التوراة: ياابن آدم، كلما تنام تموت، وكلما تستيقظ تُبعث، فهذا واضح، والذى يشكل فى ذلك أن النفس المتوفاة فى المنام أهى الروح المتوفاة عند الموت؟ أم هى غيرها؟ فإن كانت هى الروح فتوفيها فى النوم يكون بمفارقتها الجسد أم لا؟ وقد أعوز الحديث الصحيح، والنص الصريح، والإجماع أيضا لوقوع الخلاف فيه بين العلماء:

فمنهم: من يرى أن للإنسان نفسًا تتوفى عند منامه، غير النفس التى هى الروح، والروح لا تفارق الجسد عند النوم، وتلك النفس المتوفاة فى النوم هى التى يكون بها التمييز والفهم، وأما الروح: فيها تكون الحياة، ولا تُقبض إلا عند الموت، ويروى معنى هذا عن ابن عباس رضى الله عنهما.

ومنهم: من ذهب إلى أن النفس التى تتوفى عند النوم هى الروح نفسها، واختلف هؤلاء فى توفيها:

فمنهم: من يذهب إلى أن معنى وفاة الروح بالنوم قبضها عن التصرفات مع بقائها فى الجسد، وهذا موافق للأول من وجه، ومخالف من وجه.

ومنهم: من ذهب إلى أن الروح تتوفى عند النوم، بقبضها من الجسد ومفارقتها له، وهذا الذى نجيب به، وهو الأشبه بظاهر الكتاب والسنة.

قال المفسرون: إن أرواح الأحياء والأموات تلتقى فى المنام فتتعارف ما شاء الله، فإذا أرادت جميعها الرجوع إلى أجسادها، أمسك الله أرواح الأموات عنده، وحبسها، وأرسل أرواح الأحياء حتى ترجع إلى أجسادها.

فالفرق بين القبضتين والوفاتين أن الروح فى حالة النوم تفارق الجسد على أنها تعود إليه، فلا =

فخرج أبو عبد الله محمد بن عائد بن عبد الرحمن بن عبيد الله القُرشى، فى كتاب (المغازى)، قال: أخبرنى الوليد بن مسلم عن ابن لهيعة، عن أبى الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل، عن عروة بن الزبير، قال: إن الله تبارك وتعالى، بعث محمداً ﷺ، فأراه الله رؤيا فى المنام، فشق عليه ذلك، رأى بينا هو بمكة، أتى سقف بيته، فنُزع خشبة خشبة، حتى إذا فرغ، أدخل فيه سلم من فضة، ثم سوّل منه رجلان، فقال رسول الله ﷺ: فأردت أن أَستغيث، فحبسانى ومنعانى الكلام، وقعد أحدهما إلى كذا، وقعد الآخر إلى جنبى وأنا فرق، فأدخل أحدهما يده فى

= تخرج خروجًا ينقطع به العلاقة بينها وبين الجسد، بل يبقى أثرها الذى هو حياة الجسد باقيا فيه، فأما فى حالة الموت، فالروح تخرج من الجسد مفارقة له بالكلية، فلا تخلف فيه شيئًا من أثرها، فلذلك تذهب الحياة معها عند الموت دون النوم.

ثم إن إدراك كيفية ذلك والوقوف على حقيقة متعذر، فإنه من أمر الروح، وقد استأثر بعلمه الجليل تبارك وتعالى، فقال سبحانه: ﴿**قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً**﴾ [الإسراء: ٨٥].

وأما قوله تعالى: ﴿**قالوا أضغاث أحلام**﴾ فإن الأَضغاث جمع ضغث وهو الحزمة التى تقبض من الحشيش ونحوه، والأحلام: جمع حلم، وهى الرؤيا مطلقًا، وقد تختص بالرؤيا التى تكون من الشيطان، فمعنى الآية أنهم قالوا للملك: إن الذى رأيته أحلام مختلطة ولا يصح تأوليها.

وقد أفرد بعض أهل التعبير اصطلاحًا لأضغاث الأحلام، من شأنها أنها لا تدل على الأمور المستقبلة، وإنما تدل على الأمور الحاضرة أو الماضية، ونجد معها أن يكون الرائى خائفًا من شىء. أو راجيًا لشىء.

وقال علىّ رضى الله عنه: فما رأته نفس النائم وهى فى السماء قبل إرسالها إلى جسدها فهى الرؤيا الصادقة، وما رأته بعد إرسالها وقبل استقرارها فى جسدها تُلْقيها الشياطين، وتخيل إليها الأباطيل، فهى الرؤيا الكاذبة.

وعن النبى ﷺ قال: كما تنامون فكذلك تموتون، وكما توقظون فكذلك تبعثون. وسُئل رسول الله ﷺ: يا رسول الله، أينام أهل الجنة؟ قال: لا، النوم أخو الموت، والجنة لا موت فيها. [قال فى (العلل المتناهية): وقد روى بإسناد أصلح من هذا] حديث رقم (١٥٥٣). (دلائل البيهقى): ٧/ ١١-٣١ هامش مختصراً.

جنبى، فنزع ضلعين من جانبى، كما ينزع غلق الصندوق الشديد، فأدخل يده فى جوفى، وأنا أجد بردها، فأخرج قلبى فوضعه على كفه، وقال لصاحبه: نعم القلب قلبه، قال: قلب رجل صالح، ثم أدخل القلب فى مكانه، وردّ الضلعين كما يرد غلق الصندوق الشديد، ثم ارتقيا، ورفعا السلم، فاستيقظتُ، فإذا سقف البيت كما هو، فقلتُ: حُلم](١).

[وذكره رسول الله ﷺ لزوجته خديجة بنت خويلد رضى الله عنها، فعصمها الله تعالى من التكذيب، وقالت: أبْشر، فوالله لا يفعل الله بك إلا خيراً، أخبرها أنه رأى بطنه طَهُر وغُسل ثم أعيد كما كان، فقالت: هذا والله خيراً فأبشر.](١).

[قال ابن عائذ: وأخبرنى محمد بن شعيب، عن عثمان بن عطاء، أنه أخبره عن أبيه عكرمة، عن ابن عباس رضى الله عنه قال: ثم بعث الله محمداً رسول الله ﷺ على رأس خمس سنين من بنيان الكعبة، فكان أول شىء أراهُ الله تعالى إياه من النبوة، رؤيا فى المنام، فشق عليه ذلك، والحق ثقيل، والإنسان ضعيف، فذكر ذلك رسول الله ﷺ لزوجته خديجة ابنة خويلد رضى الله عنها، فعصمها الله تعالى من التكذيب، فقالت: أبشر، فإن الله لا يصنع بك إلا خيراً، فحدَّثها أنه رأى بطنه طُهّر، وغسل، ثم أعيد كما كان، وقالت: وهذا والله خيراً](٢).

وخرَّج الحافظ أبو موسى، محمد بن أبى بكر بن أبى عيسى المدينى الأصبهانى، من طريق الفرج بن فضالة: حدثنا هلال أبو جبلة، عن سعيد ابن المسيب، عن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ، ذات يوم، ونحن فى صُفّة بالمدينة، فقام علينا فقال: إنى

(١) ما بين الحاصرتين سقط فى (ج) وأثبتناه من (خ).

(٢) ما بين الحاصرتين سقط فى (ج)، وما أثبتناه من (خ).

رأيت البارحة عجبًا، رأيت رجلاً من أمتى أتاه ملك الموت ليقبض روحه، فجاءه برّه بوالديه، فردّ ملك الموت عنه(١).

[ورأيتُ رجلا من أمتى قد بسط عليه عذاب القبر، فجاءه وضوءه، فاستنقذه من ذلك].

ورأيتُ رجلا من أمتى قد احتوشته الشياطين، فجاء ذكر الله عزَّ وجلَّ، فطرد الشياطين عنه(١)](٢).

ورأيتُ رجلا من أمّتى قد احتوشته ملائكة العذاب، فجاءته صلاتُه، فاستنقذته من أيديهم(٣).

ورأيتُ رجلا من أمتى يتلهث - وفى رواية يلهث - عطشًا، كلما دنا من حوض مُنع وطُرد، فجاء صيام شهر رمضان، فسقاه وأرواه(٤).

ورأيتُ رجلا من أمتى، ورأيتُ النبيين جلوسًا حلقًا حلقًا، كلما دنا إلى حلقة طُرد، فجاء غُسله من الجنابة، فأخذ بيده، فأقعده إلى جنبى.

ورأيتُ رجلاً من أمتى من بين يديه ظلمة، ومن خلفه ظلمة، وعن يمينه ظُلمة، وعن شماله ظلمة، ومن فوقه ظلمة، وهو متحيّر [فيه]، فجاء حجّه وعمرته فأخرجاه من الظلمة، وأدخلاه فى النور.

ورأيت رجلا من أمتى يتقى بيده وجهه وهج النار وشررها، فجاءته صدقته فصارت سترة بينه وبين النار، [وظلاً] على رأسه(٥).

---

(١) (مجمع الزوائد): ٧/ ١٧٩.

(٢) ما بين الحاصرتين سقط فى (ج)، وما أثبتناه من (خ).

(٣) اتحاف السادة المتقين): ٨/ ١١٩.

(٤) (المرجع السابق).

(٥) (مجمع الزوائد): ٧/ ١٧٩.

ورأيتُ رجلا من أمتى يكلم المؤمنين فلا يكلمونه، فجاءته صلته لرحمه فقالت: يا معشر المسلمين، إنه كان وصولا لرحمه فكلموه، فكلمه المؤمنون، وصافحوه، وصافحهم.

ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشته الزبانية، فجاء أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، فاستنقذه من أيديهم، وأدخله فى ملائكة الرحمة(١).

ورأيتُ رجلا من أمتى جاثيًا على ركبتيه، وبينه وبين الله تعالى حجاب، فجاءه حُسنُ خُلقه، فأخذ بيده، فأدخله على الله عزَّ وجل(٢).

ورأيت رجلا من أمتى قد ذهبت صحيفته من قبل شماله، فجاءه خوفه من الله عزَّ وجل، فأخذ صحيفته، فوضعها فى يمينه(٣).

ورأيت رجلا من أمتى خفَّ ميزانه، فجاءه أفراطُه فَثَقَّلُوا ميزانه(٤).

ورأيت رجلا من أمتى قائما على شفير جهنم، فجاءه رجاؤه من الله [عزَّ وجل]، فاستنقذه من ذلك ومضى.

ورأيت رجلا من أمتى فى النار، فجاءته دمعته التى بكى من خشية الله [عزَّ وجلّ]، فاستنقذته من ذلك.

ورأيتُ رجلا من أمتى قائمًا على الصراط، يرعد كما [ترعد السعفة فى ريح عاصف، فجاءه حُسن ظنه بالله عزَّ وجلّ، فسكّن رعدته ومضى](٥).

[ورأيتُ رجلا من أمتى يزحف على الصراط، ويحبو أحيانًا، ويتعلق

---

(١) المرجع السابق.

(٢) (اتحاف السادة المتقين): ٧/٣٢٣.

(٣) (مجمع الزوائد): ٧/١٧٩.

(٤) (المرجع السابق).

(٥) (المرجع السابق).

أحيانًا فجاءته صلاته عليّ، فأقامته على قدميه، وأنقذته](١).

[ورأيت رجلا من أمتى انتهى إلى أبواب الجنة، فغلقت الأبواب دونه، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله، ففتحت له الأبواب، وأدخلته الجنة](٢).

[قال أبو موسى : هذا حديث حسن جداً، رواه عن سعيد بن المسيب، عمر بن ذرّ، وعلى بن زيد بن جدعان . قال : والفرج بن فضالة بن النعمان ابن نعيم، أبو فضالة،كان وسطًا فى الرواية، ليس بالقوى ولا المتروك . وأبو جبلة سعيد بن هلال، كأنه مدنى، لا يُعرف بغير هذا، ذكره ابن أبى حاتم عن أبيه هكذا. وذكره الحاكم أبو عبد الله بغير هذا الحديث، وأحاله على مسلم بن الحجاج، ورواه عن الفرج بن فضالة، بشر بن الوليد بن خالد، أبو الوليد الكندى، قاضى بغداد، كان جميل [المذهب]، حسن الطريقة](٢).

[وخرّج مسلم(٣)، وأبو داود(٤)، من طريق حماد بن سلمة، عن ثابت البنانى، عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول اله ﷺ : رأيتُ ذات ليلة فى ما يرى النائم، كأنَّا فى دَار عقبة بن رافع، فأتينا برطب من رطب ابن طاب، فأُوِّلَت الرفعة لنا فى الدنيا، والعاقبة فى الآخرة، وأن ديننا قد طاب](٢).

[وخرّج البخارى فى المناقب، فى باب : علامات النبوة فى الإسلام(٥)،

---

(١) (المرجع السابق).

(٢) ما بين الحاصرتين سقط في (ج) واستدركناه من (خ).

(٣) (مسلم بشرح النووي): ١٥ /٣٦ - ٣٧، كتاب الرؤيا، باب (٤) رؤيا النبي ﷺ، حديث رقم (٢٢٧٠).

(٤) (سنن أبي داود): ٥ /٢٨٦، كتاب الأدب، باب (٩٦) ما جاء في الرؤيا، حديث رقم (٥٠٢٥)، وابن طاب: رجل معروف من أهل المدينة، نسب إليه نوع خاص من التمر. (معالم السنن).

(٥) (فتح الباري): ٦ /٧٧٨، كتاب المناقب، باب (٢٥) علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم (٣٦٢٢).

من حديث حماد بن سلمة، وخرّج مسلم فى الرؤيا(١)، من حديث أبى أسامة، قالا جميعًا: عن بُريد، عن أبى بردة، [عن] جده، عن أبى موسى رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال: رأيتُ فى المنام أنى أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، [فذهب وهلى] أنها اليمامة أو هجر، فإذا هى المدينة يثرب، ورأيتُ فى رؤياى هذه، أنى هززتُ سيفًا فانقطع صدره، فإذا هو ما أصيب به المؤمنون يوم أحد، ثم هززتُه أخرى، فعاد أحسن ما كان، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين، ورأيتُ أيضًا فيها بقرًا، والله خير، فإذا هم النفر من المؤمنين يوم أُحد، وإذا الخير ما جاء الله [به] من الخير بعد، وثواب الصّدق الذى أتانا الله بعد يوم بدر](٢).

[وخرجه البخارى فى كتاب التعبير، فى باب: إذا رأى بقرًا تُنحر(٣)، وفى باب: إذا هزّ سيفًا فى المنام(٤)، من حديث أبى أسامة بهذا الإسناد،

(١) (مسلم بشرح النووى): ١٥/ ٣٧ - ٣٨، كتاب الرؤيا، باب (٤) رؤيا النبى ﷺ، حديث رقم (٢٢٧٢).

(٢) ما بين الحاصرتين سقط فى (ج) واستدركناه من (خ).

(٣) (فتح البارى): ١٢/ ٥٢١، كتاب التعبير، باب (٣٩) إذا رأى بقرًا تنحر، حديث رقم (٧٠٣٥).

(٤) (فتح البارى): ١٢/ ٥٢٨، كتاب التعبير، باب (٤٤) إذا هزَّ سيفًا فى المنام، حديث رقم (٧٠٤١)، قال الحافظ: ولما كان النبى ﷺ يصول بالصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - عبَّر عن السيف بهم، وبهزّه عن أمره لهم بالحرب، وعن القطع فيه بالقتل فيهم، وفى الهزة الأخرى لما عاد إلى حالته من الاستواء عبرَّ به عن اجتماعهم والفتح عليهم.

ولأهل التعبير فى «السيف» تصرف على أوجه: منها، أن من نال سيفًا فإنه ينال سلطانًا؛ إما ولاية، وإما وديعة، وإما زوجة، وإما ولدًا فإن سله من غمده فانثلم سلمت زوجته وأصيب ولده، فإن انكسر الغمد وسلم السيف فبالعكس، وإن سلما أو عطبا فكذلك وقائم السيف يتعلق بالآب والعصبات، ونصله بالآم وذوى الرحم، وإن جرد السيف وأراد قتل شخص فهو لسانه يجرده فى خصومه، وربما عُبر السيف بسلطان جائر.

وقال بعضهم: من رأى أنه أغمد السيف فإنه يتزوج، أو ضرب شخصًا بسيف فإنه يبسط لسانه فيه، ومن رأى أنه يقاتل آخر وسيفه أطول من سيفه فإنه يغلبه، ومن رأى سيفًا عظيمًا فهى فتنة، =

وقال: عن أبى موسى، أُراه عن النبى ﷺ، وقال فيه وفى الذى قبله: فإذا هى اليمامة أو البحر. وقال: فإذا هم المؤمنون يوم أحد. وذكر طرفًا منه فى غزوة بدر(١) بهذا الإسناد وقال: أراه عن رسول الله [ﷺ]. وذكره أيضًا فى غزوة أُحد(٢).](٣).

[وقال عبد الرزاق: عن معمر، عن الزهرى، عن عروة، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ للمسلمين بمكة: قد رأيت دار هجرتكم، أريت سبخة ذات نخل بين لابتين، وهما الحرتان](٣).

وخرّج البيهقى من طريق عبد الله بن وهب قال: أخبرنى ابن أبى الزناد، عن أبيه، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس رضى الله عنه قال: تنفل رسول اله ﷺ سيفه ذا الفقار يوم بدر، قال ابن عباس: هو الذى رأى فيه الرؤيا يوم أحد، وذلك أن رسول اله ﷺ، لما جاءه المشركون يوم أحد، كان رأىُ رسول اله [ﷺ] أن يقيم بالمدينة يقاتلهم فيها، فقال له ناسٌ لم يكونوا شهدوا بدراً: يخرج بنا رسول الله نقاتلهم بأُحد، ورجوا أن يصيبوا من الفضيلة ما أصاب أهل بدر، فما زالوا برسول الله ﷺ حتى لبس أداته، ثم ندموا، وقالوا: يا رسول الله! أقم، فالرأى رأيك، فقال: ما ينبغى لنبى أن يضع أداته بعد أن لبسها، حتى يحكم الله بينه وبين عدوه، قالوا: وكان مما قال لهم رسول الله لله، يومئذ قبل] أن يلبس الأداة: إنى رأيت أنى فى درع حصينة، فأولتها المدينة، وإنى مُردفٌ كبشًا، فأوّلته

= ومن قُلد سيفًا قُلد أمرًا، فإن كان قصيرًا لم يدم أمره، وإن رأى أنه يجر حمائله فإنه يعجز عنه. (فتح الباري).

(١) (فتح البارى): ٧/ ٣٩٠، كتاب المغازى، باب (١٠) بدون ترجمة، حديث رقم (٣٩٨٧).

(٢) (فتح البارى): ٧/ ٤٧٦، كتاب المغازى، باب (٢٧) من قُتل من المسلمين يوم أحد، حديث رقم (٤٠٨١).

(٣) ما بين الحاصرتين سقط فى (ج)، واستدركناه من (خ).

كبش الكتيبة، [وإنى] رأيتُ [أن] سيفى ذا الفقار فُلَّ، [فأولتُه] فَلاً فيكم، ورأيتُ بقرًا تُذبح، فبقرٌ والله خيرٌ، فَبَقَرٌ والله خير(١).

ومن حديث حماد بن سلمة، عن على بن زيد، عن أنس، أن رسول الله ﷺ قال: رأيتُ فيما يرى النائم، كأنى مردف كبشًا، وكأن ظُبَّة سيفى انكسرت، فأولت أنّى أقتل كبش القوم، وأولت كسر ظُبَّة سيفى، قتل رجل من عترتى، فَقُتِل حمزة رضى الله عنه، وقُتِلَ طلحة، بن أبى طلحة ابن عبد العزى بن عثمان، بن عبد الله بن عبد العُزى، بن عثمان بن عبدالدار بن قصى [وكان] صاحب اللواء. وخرّجه الإمام أحمد به نحوه(٢).

وقال الواقدى فى مغازيه – وقد ذكر غزاة أُحد – : وأى رسول الله ﷺ رؤيا ليلة الجمعة، فلما أصبح واجتمع المسلمون وخطب فحدثنى محمد بن صالح، عن عاصم بن عمر عن قتادة، عن محمود بن لبيد قال: ظهر النبى ﷺ على المنبر، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إنى رأيتُ فى منامى رؤيا، رأيتُ كأنى فى درع حصينة، ورأيت كأن سيفى ذا الفقار انقصم من عند ظبته، ورأيت بقرًا تذبح، ورأيتُ كأنى مردف كبشًا، فقال الناس: يا رسول الله! فما أولتها؟ قال [رسول الله ﷺ :] أما الدرع الحصينة، فالمدينة، فامكثوا فيها، وأما انقصام سيفى من عند ظبته، فمصيبة فى نفسى، وأما البقر المذبّح، فقتلى فى أصحابى، وأما مردف كبشًا، فكبش الكتيبة، نقتله إن شاء الله

---

(١) (دلائل البيهقى): ٣ / ٢٠٥، باب ذكر ما أرى رسول الله ﷺ فى منامه من شأن الهجرة وأُحد، وما جاء الله به من الفتح بعد.

(٣) (مسند أحمد): ١ / ٤٤٧، حديث رقم (٢٤٤١).

[تعالى](١).

حدثني محمد بن عبد الله، عن الزهرى، عن عروة، عن المسور بن مخرمة، قال: قال النبى ﷺ: ورأيتُ فى سيفى فلا فكرهته، فهو الذى أصاب وجهه ﷺ(١).

وخرج البخارى فى كتاب (المغازى) فى وفد بنى حنيفة، وخرَّج مسلم أيضاً من حديث عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر، عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة رضى الله عنه، عن رسول الله ﷺ، فذكر أحاديث منها: وقال رسول الله ﷺ: بينا أنا نائم، أوتيتُ خزائن الأرض -وقال البخارى: فأوتيت بخزائن الأرض- فوضع فى يدى سوارين -وقال البخارى: فى كَفِّى سوارين- من ذهب، فكبرا علىّ وأهمانى، فأوحى إلى أن انفخهما، فنفختهما، فذهبا، فأولتهما الكذابين الذين أنا بينهما: صاحب صنعاء، وصاحب اليمامة(٢).

وخرج البخارى فى كتاب التعبير، من حديث عبد الرزاق، أنبأنا معمر، عن همام بن منبه، قال: هذا ما حدثنا به أبو هريرة رضى الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: نحن الآخرون السابقون، وقال رسول الله ﷺ: بينا أنا نائم، إذ أوتيتُ خزائن الأرض، فوضع فى يدى أسواران من ذهب، فكبرا علىّ.. الحديث إلى آخره، وترجم عليه باب: النفخ فى المنام.

---

(١) (مغازى الواقدى): ١/ ٢٠٨ - ٢٠٩، (سيرة ابن هشام): ٤/ ٨ رؤيا رسول الله ﷺ ومشاورته القوم، قال ابن هشام: «وحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال: رأيت بقرًا لى تُذبح؟ قال: فأما البقر فهى ناس من أصحابى يقتلون، وأما الثلم الذى رأيت فى ذباب سيفى، فهو رجل من أهل بيتى يقتل.

(٢) فتح البارى): ٨/ ١١٢، كتاب المغازى، باب (٧١) وفد بنى حنيفة، وحديث ثمامة بن أُثال، حديث رقم (٤٣٧٥).

وخرج البخارى فى كتاب التعبير، من حديث عبد الرزاق، أنبأنا معمر، عن همام بن منبه، قال: هذا ما حدثنا به أبو هريرة رضى الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: نحن الآخرون السابقون، وقال رسول الله ﷺ: بينا أنا نائم، إذ أوتيت خزائن الأرض، فوضع فى يدى أسواران من ذهب، فكبرا علىّ.. الحديث إلى آخره، وترجم عليه باب: النفخ فى المنام(١).

وخرّج فى باب: إذا رأى أنه أخرج الشيء من كورة، فأسكنه [موضعًا] آخر، من حديث موسى بن عقبة، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه قال: إن النبى ﷺ قال: رأيتُ كأن امرأة سوداء ثائرة الرأس، خرجت من المدينة حتى قامت بمهيعة -وهى الجحفة- فأولت أن وباء المدينة نقل إليها(٢)،

---

(١) (المرجع السابق): ١٢/ ٥٢٣، كتاب التعبير، باب (٤٠) النفخ فى المنام، حديث رقم (٧٠٣٧).

قوله: «فكبرا علىّ»، قال القرطبى: وإنما عظم عليه ذلك لكون الذهب من حليه النساء ومما حرم على الرجال.

قوله: «فأولتهما الكذابين»، قال القاضى عياض: لما كان رؤيا السوارين فى اليدين جميعًا من الجهتين، وكان النبى ﷺ حينئذ. بينهما فتأول السوارين عليهما لوضعهما فى غير موضعهما، لأنه ليس من حلية الرجال، وكذلك الكذب يضع الخبر فى غير موضعه، وفى كونهما من ذهب إشعار بذهاب أمرهما.

وقال ابن العربى: السوار من حلى الملوك الكفار، كما قال تعالى: ﴿**فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب**﴾. واليد لها معان: منها القوة، والسلطان، والقهر.

قال: ويحتمل أن يكون ضرب المثل بالسوار كناية عن الاسوار، وهو من أسامى ملوك الفرس، قال: وكثيراً ما يُضرب المثل بحذف بعض الحروف.

وقال القرطبى فى (المفهم): مناسبة هذا التأويل لهذه الرؤيا أن أهل صنعاء وأهل اليمامة كانوا أسلموا، فكانوا كالساعدين للإسلام، فلما ظهر فيهما الكذابان، وبهرجا على أهلها بزخرف أقوالهما، ودعواهما الباطلة، انخدع أكثرهم بذلك، فكان اليدان بمنزلة البلدين والسواران بمنزلة الكذابين، وكونهما من ذهب إشارة إلى ما زخرفاه، والزخرف من أسماء الذهب.

(فتح البارى): مختصراً، وأخرجه مسلم فى كتاب الرؤيا حديث رقم (٢٢٧٤).

(٢) (المرجع السابق): باب (٤١) إذا رأى أنه أخرج الشيء من كوة وأسكنه موضعًا آخر، حديث رقم (٧٠٣٨).

وخرّجه فى باب المرأة السوداء(١)، وفى باب المرأة الثائرة [بهذا] الإسناد نحوه(٢).

وخرَّج الترمذى من حديث عثمان بن عبد الرحمن، عن الزهرى، عن عروة، عن عائشة رضى الله عنها، قالت: سُئل رسول الله ﷺ عن ورقة، فقالت له خديجة رضى الله عنها: إنه كان صدقك، ولكنه مات قبل أن تظهر، فقال رسول الله ﷺ: أُريتُه فى المام وعليه ثياب بياض، ولو كان من أهل النار، لكان عليه لباس غير ذلك، قال: هذا حديث غريب. وعثمان ابن عبد الرحمن ليس عند أهل الحديث بالقوى(٣).

وخرّج مسلم(٤) والترمذى(٥) من طريق وهب بن جرير، [قال:] حدثنا أبى، عن أبى رجاء العطاردى، عن حمزة بن جُندب رضى الله عنه قال: كان النبى ﷺ إذا صلى الصبح أقبل عليهم بوجهه، فقال: هل رأى أحد منكم البارحة رؤيا؟ هذا آخر حديث لمسلم فى كتاب الرؤيا، ولم يذكر منه غير هذا الذى كتبناه، وهو أيضًا آخر حديث فى كتاب الرؤيا عند الترمذى ولفظه فيه: كان النبى ﷺ إذا صلى بنا الصبح، أقبل على الناس بوجهه وقال: هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا؟ ثم قال بعده: هذا حديث حسن(٦).

---

(١) (المرجع السابق): باب (٤٢) المرأة السوداء، حديث رقم (٧٠٣٩).

(٢) (المرجع السابق): باب (٤٣) المرأة الثائرة الرأس، حديث رقم (٧٠٤٠).

(٣) (سنن الترمذى): ٤ / ٤٦٨، كتاب الرؤيا، باب (١٠) ما جاء فى رؤيا النبى ﷺ الميزان والدلو، حديث رقم (٢٢٨٨).

(٤) (مسلم بشرح النووى): ١٥ / ٤٠ كتاب الرؤيا، باب (٤) رؤيا النبى ﷺ، حديث رقم (٢٢٧٥).

(٥) (سنن الترمذى): ٤ / ٤٧١، كتاب الرؤيا، باب (١٠) ما جاء فى رؤيا النبى ﷺ الميزان والدلو، حديث رقم (٢٢٩٤)، وأخرجه البخارى فى الجنائز، باب ما قيل فى أولاد المشركين، وفى التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح.

(٦) راجع التعليق السابق.

قال: ويروى هذا عن عوف وجرير بن حازم، عن أبى رجاء، عن سمرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ فى قصة طويلة. قال: وهكذا روى محمد بن بشار هذا الحديث عن وهب بن جرير مختصراً(١).

وخرجه البخارى فى باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، وهو آخر أبواب كتاب التعبير، من حديث إسماعيل بن إبراهيم، حدثنا عوف، حدثنا أبو رجاء، حدثنا سمرة بن جندب رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ [يعنى مما] يكثر أن يقول لأصحابه: هل رأى أحد منكم رؤيا؟ قال: فقص عليه ما شاء الله [تعالى] أن يقص، وأنه قال لنا ذات غداة: إنه أتانى الليلة آتيان وأنهما ابتعثانى، وإنهما قالا لى: انطلق، وإنى انطلقت معهما، وإنا أتينا على رجل مضطجع، وإذا آخر قائم [عليه] بصخرة، وإذا هو يهوى بالصخرة لرأسه، فيثلغ رأسه، فيتدهده الحجر ها هنا، فيتبع الحجر فيأخذه، فلا يرجع إليه حتى [يصح] رأسه كما كان، ثم يعود عليه، فيفعل به مثل ما فعل به [المرة] الأولى، قال: قلت لهما: سبحان الله! ما هذان؟ فقال: قالا لى: انطلق.

قال: فانطلقنا، فأتينا على رجل مستلق لقفاه، وإذا آخر قائم عليه، وإذا هو يأتى أحد شقى وجهه، فيشرشر شدقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه -قال: وربما قال أبو رجاء: فيشق- قال: ثم يتحول إلى الجانب الآخر، فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول، فما يفرغ من ذلك الجانب، حتى يصبح ذلك الجانب كما كان، ثم يعود عليه، فيفعل مثل ما فعل المرة الأولى، قال: قلت: سبحان الله! ما هذان؟ قال: قالا لى: انطلق، انطلق.

فانطلقنا، فأتينا على مثل التنور، قال: وأحسب أنه كان يقول، فإذا فيه

---

(١) (سنن الترمذى): تعليقا على الحديث رقم (٢٢٩٤).

لغطٌ وأصواتٌ، قال: فاطلعنا فيه، فإذا فيه رجال ونساء [عراة]، فإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا، قال: قلت لهم: ما هؤلاء؟ قال: قالا لى: انطلق انطلق، قال: فانطلقنا، فأتينا على نهر حسبتُ كأن يقول: أحمر مثل الدم، وإذا فى النهر رجل سابح يسبح، وإذا على شط النهر رجل قد جمع [حجارة كثيرة، وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح، ثم يأتى ذلك الذى قد جمع عنده الحجارة] فيفغر له فاه، فيلقمه حجراً، فينطلق يسبح، ثم يرجع إليه، كلما رجع إليه فغر له فاه، فألقمه حجراً، قال: قلت لهما: ما هذان؟ قال: قالا لى: انطلق، انطلق.

قال: فانطلقنا فأتينا على رجل كريه المرآة، كأكره ما أنت راءٍ رجلاً مرآةً، وإذا عنده نار يحشها، ويسعى حولها، قال: قلت لهما: ما هذا؟ قال: قالا لى: انطلق، انطلق، فانطلقنا، فأتينا على روضة معتمة، فيها من كل لون الربيع، وإذا بين ظهرى الروضة رجل طويل، لا أكاد أرى رأسه طولاً فى السماء، وإذا حول الرجل من أكثر ولدانٍ رأيتهم قط، قلتُ لهما: ما هذا؟ ما هؤلاء؟ قال: قالا لى: انطلق، انطلق.

فانطلقنا، فانتهينا إلى روضة عظيمة، لم أر روضة قط أعظم منها ولا أحسن، قال: قالا لى: ارق، فارتقيت فيها، قال: فارتقينا فيها، فانتهينا إلى مدينة مبنية بلبن ذهب، ولبن فضة، فأتينا باب المدينة، فاستفتحنا، ففتح لنا، فدخلناها، فتلقانا فيها رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راءٍ وشطر كأقبح ما أنت راءٍ، قال: قالا لهم: اذهبوا فقعوا فى ذلك النهر، قال: وإذا نهر معترض يجرى، كأن ماءه المحض من البياض، فذهبوا فوقعوا فيه، ثم رجعوا إلينا، فذهب ذلك السوء عنهم، فصاروا فى أحسن صورة، قال: قالا لى: هذه جنة عدن وهذاك منزلك. قال: فسما بصرى صعدا، فإذا

قصر مثل [الربابة] البيضاء، قال : قالا لى : هذاك منزلك قال : قلت لهما : بارك الله فيكما، ذرانى فأدخله، قالا : أما الآن، فلا، وأنت داخله، قال : قلتُ لهما : فإنى قد رأت منذ الليلة عجبًا، فما هذا الذى رأيت؟ [قال :] قالا لى : إنا سنخبرك .

أما الرجل الأول الذى أتيت عله يثلغ رأسه بالحجر، فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه، وينام عن الصلاة المكتوبة .

وأما الرجل الذى أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه [ومنخره إلى قفاه]، وعينه إلى قفاه، فإنه الرجل يغدو من بيته، فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق .

وأما الرجال والنساء العراة، الذين فى مثل بناء التنور، [فهم] الزناة والزوانى .

وأما الرجل الذى أتيت عليه يسبح فى النهر ويلقم الحجارة، فإنه آكل الربا .

وأما الرجل الكريه المرآة الذى عند النار يحشها ويسعى حولها، فإنه [مالك] خازن لجهنم .

وأما الرجل الطويل الذى فى الروضة، فإنه إبراهيم ﷺ، وأما الولدان الذين حوله، فكل مولود مات على الفطرة . قال : فقال بعض المسلمين : يا رسول الله! وأولاد المشركين؟ فقال رسول الله ﷺ : وأولاد المشركين .

وأما القوم الذين كانوا شطر منهم حسنًا، وشطر منهم قبيحًا، فإنهم قوم خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا، تجاوز الله عنهم(١) .

---

(١) (فتح البارى) : ١٢ / ٥٤٢ - ٥٤٤، كتاب التعبير، باب (٤٨) تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، حديث رقم (٧٠٤٧) .

قوله : « باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح » فيه إشارة إلى ضعف ما أخرجه عبد الرزاق عن معمر =

. . . .

= عن سعيد بن عبد الرحمن عن بعض علمائهم، قال: «لا تقصص رؤياك على امرأة، ولا تخبر بها حتى تطلع الشميس».

وفيه إشارة إلى الرد على من قال من أهل التعبير: أن المستحب أن يكون تعبير الرؤيا من بعد طلوع الشمس إلى الرابعة [من الشروق]، ومن العصر إلى قبل المغرب، فإن الحديث دال على استحباب تعبيرها قبل طلوع الشمس، ولا يخالف قولهم بكراهة تعبيرها فى أوقات كراهة الصلاة.

قال المهلب: تعبير الرؤيا عند صلاة الصبح أولى من غيره من الأوقات، لحفظ صاحبها لها، لقرب عهده بها، قبل ما يعرض له نسيانها، ولحضور ذهن العابر، وقلة شغله بالفكرة فيما يتعلق بمعاشه، وليعرف الرائى ما يعرض له بسبب رؤياه، فيستبشر بالخير، ويحذر من الشر، ويتاهب لذلك، فربما كان فى الرؤيا تحذير عن معصية فيكف عنها، وربما كانت إنذاراً لأمر فيكون له مترقباً.

[وقد] كان رسول الله ﷺ يجيد تعبير الرؤيا، وكان له مشارك فى ذلك منهم، لأن الإكثار من هذا القول لا يصدر إلا ممن تدرب فيه، ووثق بإصابته، كقولك: كان زيد من العلماء بالنحو، ومنه قول صاحبى السجن ليوسف عليه السلام: ﴿ **نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين** ﴾ [يوسف: ٣٦]، أى من المجيدين فى عبارة الرؤيا، وعلما ذلك مما رأياه منه، هذا من حيث البيان.

وأما من حيث النحو: فيحتمل أن يكون قوله: «هل رأى أحد منكم رؤيا» مبتدأ، والخبر مقدم عليه على تأويله هذا القول، مما يكثر رسول الله ﷺ أن يقوله.

قوله: «وإنهما ابتعثانى»، معنى ابتعثانى: أرسلانى، يقال: ابتعثه إذا أثاره وأذهبه، وقال ابن هبيرة: معنى ابتعثانى: أيقظانى، ويحتمل أن يكون رأى فى المنام أنهما أيقظاه، فرأى ما رأى فى المنام، ووصفه بعد أن أفاق على منامه كاليقظة، لكن لما رأى مثالاً كشفه التعبير دل على أنه كان مناماً.

قوله: «وإنى انطلقت معهما»، زاد جرير بن حازم فى روايته: «إلى الأرض المقدسة»، وعند أحمد: «إلى أرض فضاء أو مستوية»، وفى حديث على: «فانطلقا بى إلى السماء».

قوله: «وإنا أتينا على رجل مضطجع»، فى رواية جرير: «مستلق على قفاه».

قوله: «وإذا آخر قائم عليه بصخرة»، فى رواية جرير: «بفهر أو صخرة»، وفى حديث على: «فمررت على تلك وأمامه آدمى، وبيد الملك صخرة يضرب بها هامة الآدمى».

قوله: «يهوى» بفتح أوله وكسر الواو، أى يسقط، يقال: هوى -بالفتح- يهوى هويا، سقط إلى أسفل. وضبطه ابن التين بضم أوله من الرباعى، وقال: أهوى من بعد، وهوى -بفتح الواو- نم قرب.

قوله: «بالصخرة لرأسه فيثلغ» - بفتح أوله وسكون المثلثة اللام بعدها غين معجمة - أى يشدخه، وقد وقع فى رواية جرير: «فيشدخ» والشدخ: كسر الشىء الأجوف. =

. . . .

= قوله: «فيتدهده الحجر» – بفتح المهملتين بينهما هاء ساكنة – وفى رواية اللشمهينى : «فيتدأدأ» بهمزتين بدل الهائين، وفى رواية النسفى، وكذا هو فى رواية جرير بن حازم: «فيتدهدأ» بهاء ثم همزة، وكل بمعنى. والمراد: أنه دفعه من علو إلى أسفل، وتدهده إذا انحط، والهمزة تبدل من الهاء كثيراً، وتدأدأ تدحرج، وهو بمعناه.

قوله: «فيتبع الحجر» اى الذى رمى به «فيأخذه».

قوله: «فلايرجع إليه» اى إلى الذى شدخ رأسه.

قوله: «حتى يصح رأسه» ، وفى رواية جرير: «حتى يلتئم»، وعند أحمد: «عاد رأسه كما كان»، وفى حديث على: «فيقع دماغه جانباً وتقع الصخرة جانبياً». قال ابن العربى: جُعلت العقوبة فى رأس هذه النومة عن الصلاة.

قوله: «فانطلقنا فأتينا على رجل مستلق لقفاه، وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد»، وفى كتاب الجنائز ضبطه «كَلُّوبٌ»، ووقع فى حديث على : «فإذا أنا بملك وأمامه آدمى، وبيد الملَك كَلُّوب من حديد فيضعه فى شدقه الأيمن فيشقه».

قوله: «فيشرشر شدقه إلى قفاه» اى يقطعه شقًا، والشدق جانب الفم، وفى رواية جرير: «فيدخله فى شقه فيشقه حتى يبلغ قفاه».

قال ابن العربى: شرشرة شدق الكاذب إنزال العقوبة بمحل المعصية، وعلى هذا تجرى العقوبة فى الآخرة بخلاف الدنيا.

قوله: «وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا» بغير همز للأكثر وحكى الهمز، اى رفعوا أصواتهم مختلطة ، ومنهم من سهَّل الهمزة.

قال فى (النهاية) : الضوضاء أصوات الناس ولغطهم، وكذا الضوضى بلا همز مقصور.

وقال الحميدى: المصدر بغير همز.

قوله: «كريه المرآة» بفتح الميم وسكون الراء وهمزة ممدودة بعدها هاء تأنيث، قال ابن التين: أصله المراية تحركت الياء ، وانفتح ما قبلها فقلبت ألفًا، وزنه مفعلة، اى قبيح المنظر.

قوله: «عنده نارٌ يحشها» قال الجوهرى: حششت النار أحشاها حشًا: أوقدتُها. وقال فى (التهذيب) : حششت الناد بالحطب: ضممتُ ما تفرق من الحطب إلى النار. وقال ابن العربى: حشَّ النار: حرَّكها.

قوله: «فأتينا على روضة معتمة» قال الحافظ : الذى يظهر أنه من العتمة وهو شدة الظلام، فوصفها بشدة الخضرة، كقوله تعالى: ﴿مدهامتان﴾ [الرحمن: ٦٤].

قوله: «فانتهينا إلى المدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة» اللبن بفتح اللام وكسر الموحدة جمع =

. . . .

= لبنة، وأصلها ما يبنى به من طين. قوله: «فلتقانا فيها رجال شطر من خَلقهم»، هذا الإطلاق يحتمل أن يكون المراد أن نصفهم حسن كله ونصفهم قبح كله، ويحتمل أن يكون كل واحد منهم نصفه حسن ونصفه قبيح - والثانى هو المراد، ويريده قوله فى صفتهم: «هؤلاء قوم خلطوا» أى عمل كل منهم صالحًا وخلطه بعمل سيء.

قوله: «فقعوا فى ذلك النهر» بصيغة فعل الأمر بالوقوع، والمراد أنهم ينغمسون فيه ليغسل تلك الصفة بهذا الماء الخاص.

قوله: «كأن ماءه المحض» بفتح الميم وسكون المهملة بعدها ضاد معجمة، هو اللبن الخالص من الماء، حلواً كان أو حامضاً.

قوله: ذهب ذلك السوء عنهم، أى صار القبح كالشطر الحسن، فلذلك قال: وصاروا فى أحسن صورة.

قوله: فيرفضه» بكسر الفاء ويقال بضمها، قال ابن هبيرة: رفض القرآن بعد حفظه جناية عظيمة ، لأنه يوهم أنه رأى فيه ما يوجب رفضه ، فلما رفض أشرف الأشياء وهو القرآن، عوقب فى أشرف أعضائه وهو الرأس.

قوله: «وينام عن الصلاة المكتوبة، هذا أوضح من رواية جرير بن حازم بلفظ: «وعلمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار».

فإن ظاهره أنه يعذب على ترك قراءة القرآن بالليل، بخلاف رواية عوف فإنه على تركه الصلاة المكتوبة، ويحتمل أن يكون التعذيب على مجموع الأمرين؛ ترك القراءة وترك العمل.

قوله: «فهم الزناة» مناسبة العرى لهم لاستحقاقهم أن يفضحوا لأن عادتهم أن يستتروا فى الخلوة، فعوقبوا بالهتك، والحكمة فى إتيان العذاب من تحتهم كون جنايتهم من أعضائهم السفلى.

قوله: «فإنه آكل الربا». قال ابن هبيرة : إنما عوقب آكل الربا بسباحته فى النهر الأحمر وإلقامه الحجارة، لأن أصل الربا يجرى فى الذهب، والذهب أحمر، وأما إلقام الملك الحجر، فإنه إشارة إلى أنه لا يغنى عنه شيئًا، وكذلك الربا، فإن صاحبه يتخيل أن ماله يزداد، والله من ورائه محقه.

قوله: «خازن جهنم» إنما كان كريه الرؤية، لأن فى ذلك زيادة فى عذاب أهل النار.

قوله: «وأما الرجل الطويل الذى فى الروضة فإنه إبراهيم» وإنما اختص إبراهيم ﷺ لأنه أبو المسلمين، قال تعالى: ﴿ملة أبيكم إبراهيم﴾ [الحج:٧٨] ، وقال تعالى: ﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه﴾ [آل عمران : ٦٨]

قوله: «وأما القوم الذين كانوا شطراً منهم حسن وشطراً منهم قبيح»، كذا فى الموضعين بنصب الشطر... ولغير أبى ذر «شطر» فى الموضعين بالرفع، و«حسنًا» و«قبيحًا» بالنصب، ولكل وجه.

. . . .

= وفي حديث أبي أمامة: «ثم انطلقنا، فإذا نحن برجال ونساء أقبح شيء منظراً وأنتنه ريحًا كأنما ريحهم المراحيض، قلتُ: ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء الزواني والزناة، ثم انطلقنا؛ فإذا نحن بموتى أشد شيئًا انتفاخًا وأنتنه ريحًا، قلت: ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء موتى الكفار، ثم انطلقناه فإذا نحن برجال نيام تحت ظلال الشجر، قلت: ما هولاء؟ قال: هؤلاء موتى المسلمين، ثم انطلقناه، فإذا نحن برجال أحسن شيء وجهًا وأطيبه ريحًا، قلتُ: ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء هم الصديقون والشهداء والصالحون».

وفي هذا الحديث من الفوائد : أن الإسراء وقع مراراً، يقظة ومنامًا، على أنحاء شتى، وفيه أن العصاة يعذبون في البرزخ.

وفيه نوع من تلخيص العلم، وهو أن يجمع القضايا جملة، ثم يفسرها على الولاء، ليجتمع قصورها في الذهن، والتحذير من النوم عن الصلاة المكتوبة، وعن رفض القرآن لمن يحفظه، وعن الزنا، وأكل الربا، وتعمد الكذب، وأن الذى له قصر في الجنة لا يقيم فيه وهو في الدنيا بل إذا مات، حتى النبي والشهيد.

وفيه الحث على طلب العلم ، واتباع من يلتمس منه ذلك، وفيه فضل الشهداء، وأن منازلهم في الجنة أرفع المنازل، ولا يلزم من ذلك أن يكونوا أرفع درجة من إبراهيم عليه السلام، لا حتمال أن إقامته هناك بسبب كفالته الولدان، ومنزله هو في المنزلة التي هي أعلى من منازل الشهداء ، كما تقدم في الإسراء، أنه رأى آدم في السماء الدنيا، وإنما كان كذلك لكونه يرى نسم بنيه من أهل الخير ومن أهل الشر، فيضحك ويبكى، مع أن منزلته هو في عليين، فإذا كان يوم القيامة استقر كل منهم في منزلته.

وفيه أن الاهتمام بأمر الرؤيا بالسؤال عنها، وفضل تعبيرها، واستحباب ذلك بعد صلاة الصبح، لأنه الوقت الذي يكون فيه البال مجتمعًا.

وفيه استقبال الإمام أصحابه بعد الصلاة إذا لم يكن بعدها راتبة، وأراد أن يعظهم أو يفتيهم، أو يحكم بينهم.

وفيه أن ترك استقبال القبلة للإقبال عليهم لا يكره، بل يشرع كالخطيب.

قال الكرماني: مناسبة العقوبات المذكورة فيه للجنايات ظاهرة إلا الزنا ففيها خفاء، وبيانه أن العرى فضيحة كالزنا، والزاني من شأنه طلب الخلوة فناسب التنور، ثم خائف حذر حال الفعل كان تحته نار.

وقال أيضًا: الحكمة في الاقتصار على من ذكر من العصاة دون غيرهم أن العقوبة تتعلق بالقول أو الفعل، فالأول: على وجود ما لا ينبغي منه أن يقال. والثاني: إما بدنيّ أو مالي، فذكر لكل منهم مثال ينبه به على من عداه، كما نبه بمن ذكر من أهل الثواب، وأنهم أربع درجات: درجات النبي،=

وخرجه فى آخر كتاب الجنائز، فى باب أولاد المشركين، من حديث جرير ابن حازم، عن أبى رجاء، بتقديم وتأخير، وزيادة بعض ألفاظ(١).

وخرّج فى كتاب الإيمان، فى باب تفاضل أهل الإيمان فى الأعمال، من حديث إبراهيم بن [سعد]، عن صالح، عن ابن شهاب، عن أبى أمامة بن سهل بن حنيف، أنه سمع أبا سعيد الخدرى [رضى الله عنه] يقول: قال رسول الله ﷺ: بينا أنا نائم، رأيت الناس يُعْرضون علىّ، وعليهم قُمُصٌ، منها ما يبلغ الثُّدىَّ، ومنها مادون ذلك، وعرض علىَّ عمر بن الخطاب [رضى الله عنه] وعليه قميص يَجُرُّه، قالوا: [فما] أوَّلت ذلك يا رسول الله؟ قال [ﷺ]: الدين(٢).

وخرّجه فى كتاب التعبير فى باب القميص فى المنام(٣)، من حديث إبراهيم، بسنده.. الحديث، ولم يقل: علىّ، وقال: ومرّ عمر بن الخطاب [رضى الله عنه]، وخرَّجه مسلم به(٤).

= ودرجات الأمة أعلاها الشهداء، وثانيها من بلغ، وثالثها من كان دون البلوغ (فتح البارى) مختصراً.

(١) (فتح البارى): ٣ / ٣٢١ – ٣٢٢، كتاب الجنائز، باب (٩٣) بدون ترجمة، حديث رقم (١٣٨٦).

(٢) (فتح البارى): ١ / ١٠٠، كتاب الإيمان، باب (١٥) تفاضل أهل الإيمان فى الأعمال، حديث رقم (٢٣).

(٣) (فتح البارى): ١٢ / ٤٨٨–٤٨٩، كتاب التعبير، باب (١٧) القميص فى المنام، حديث رقم (٧٠٠٨).

قوله: « منها ما يبلغ الثدىّ » بضم المثلثة وكسر الدال وتشديد الياء، جمع ثدى بفتح ثم سكون، والمعنى: أن القميص قصير جداً بحيث لا يصل من الحلق إلى نحو السرة، بل فوقها.

وقوله: « ومنها ما يبلغ دون ذلك » يحتمل أن يريد دونه من جهة السفل وهو الظاهر، فيكون أطول، ويحتمل أنه دونه من جهة العلو، فيكون أقصر، ويؤيد الأول ما فى رواية الحكيم الترمذى من طريق أخرى، عن ابن المبارك، عن يونس عن الزهرى، فى هذا الحديث: « فمنهم من كان قميصه إلى سرته، ومنهم من كان قيمصه إلى ركبته، ومنهم من كان قميصه إلى « أنصاف ساقيه ».

(٤) (مسلم بشرح النووى): ٥١ / ١٦٨– ١٦٩، كتاب فضائل الصحابة، باب (٢) من فضائل عمر =

وخرّجه البخارى من حديث الليث، عن عُقيل عن ابن شهاب، قال: أخبرنى أبو أمامة بن سهل بن حنيف، عن أبى سعيد الخدرى [رضى الله عنه] قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: بينا أنا نائم، رأيتُ الناس عُرضوا علىّ، وعليهم قمص، فمنها ما يبلغ الثدى، ومنها ما دون ذلك، وعرض على عمر وعليه قميص اجترّه، قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: الدين. ذكره فى كتاب التعبير، وترجم عليه باب: جر القميص فى [المنام][1].

وخرّج فى باب اللبن، من حديث يونس عن الزهرى، قال: أخبرنى حمزة ابن عبد الله، أن ابن عمر رضى الله عنه قال: سمعتُ رسول اله ﷺ يقول: بينا أنا نائم، أتيت بقدح لبن فشربتُ منه، حتى إنى لأرى الرىَّ يخرج فى أظافيرى، ثم أعطيت فضلى [يعنى] عمر رضى الله عنه، [قالوا]: فما أولته يا رسول الله؟ قال [ﷺ]: العلم[2]. و[خرجه] فى

= رضى الله عنه، حديث رقم (٢٣٩٠).

(١) (فتح البارى): ١٢ / ٤٨٩–٤٩٠، كتاب التعبير، باب (١٨) جر القميص فى المنام، حديث رقم (٧٠٠٩).

(٢) (فتح البارى): ١٢ / ٤٨٦، كتاب التعبير، باب (١٥) اللبن، حديث رقم (٧٠٠٦).

قوله: «باب اللبن» أى إذا رؤى فى المنام بماذا يعبر؟ قال المهلب: اللبن يدل على الفطرة، والسنة، والقرآن، والعلم.

قال الحافظ: وقد جاء فى بعض الأحاديث المرفوعة تأويله بالفطرة، كما أخرجه البزار من حديث أبى هريرة رفعه: «اللبن فى المنام فطرة»، وعند الطبرانى من حديث أبى بكرة رفعه: «من رأى أنه شرب لبنًا فهو الفطرة، ومن حديث أبى هريرة: «أنه ﷺ لما أخذ قدح اللبن قال له جبريل: الحمد لله الذى هداك للفطرة».

وذكر الدينورى: أن اللبن المذكور فى هذا يختص بالإبل، وأنه لشاربه مال حلال، وعلم، وحكمة. قال: ولبن البقر خصب السنة ومال حلال، وفطرة أيضًا. ولبن الشاة مال، وسرور، وصحة جسم. وألبان الوحش شك فى الدين، وألبان السباع غير محمودة، إلا أن لبن اللبؤة مال، مع عداوة لذى أمر.

قال ابن العربى: اللبن رزق يخلقه الله طيبًا بين أخباث من دم وفرث، كالعلم، نور يظهره الله =

المناقب[1]، وخرجه فى كتاب التعبير، فى باب إذا أعطى فضله غيره فى النوم[2]، من حديث الليث عن عُقيل، عن ابن شهاب، وخرجه فى كتاب العلم، فى باب فضل العلم[3]، كذلك.

وخرجه مسلم من حديث يونس عن ابن شهاب[4]، ومن حديث الليث عن ابن عقيل، عن ابن شهاب[5].

= فى ظلمة الجهل، فضرب به المثل فى المنام.

قال بعض العارفين: الذى خلص اللبن من بين فرث ودم قادر على أن يخلق المعرفة من بين شك وجهل، ويحفظ العمل عن غفلة وزلل، وهو كما قال؛ لكن اطردت العادة بأن العلم بالتعلم، والذى ذكره قد يقع خارقًا للعادة، فيكون من باب الكرامة.

وفى الحديث مشروعية قص الكبير رؤياه على من دونه، وإلقاء العالم المسائل واختبار أصحابه فى تأويلها، وأن من الأدب أن يرد الطالب علم ذلك إلى معلمه، قال: والذى يظهر أنه لم يُرد منهم أن يعبروها، وإنما أراد أن يسألوه عن تعبيرها، ففهموا مراده، فسألوه، فأفادهم، وكذلك ينبغى أن يسلك هذا الأدب فى جميع الحالات.

وفيه أن علم النبى ﷺ بالله لا يبلغ أحد درجته فيه، لأنه شرب حتى رأى الرى يخرج من أطرافه، وأما إعطاؤه فضله عمر، فيه إشارة إلى ما حصل لعمر من العلم بالله، بحيث كان لا يأخذه فى الله لومة لائم.

وفيه أن من الرؤيا ما يدل على الماضى، والحال، والمستقبل، وهذه أوِّلت على الماضى، فإن رؤياه هذه تمثيل بأمر قد وقع، لأن الذى أعطيه من العلم كان قد حصل له، وكذلك أعطيه عمر، فكانت فائدة هذه الرؤيا تعريف قدر النسبة بين ما أعطيه ﷺ من العلم، وما أعطيه عمر رضى الله عنه.. (فتح البارى) مختصراً.

(١) (فتح البارى): ٧/ ٥٠ كتاب فضائل أصحاب النبى ﷺ، باب (٦) مناقب عمر بن الخطاب أبى حفص القرشى العدوى رضى الله عنه، حديث رقم (٣٦٨١).

(٢) (فتح البارى): ١٢/ ٥١٦، كتاب التعبير، باب (٣٤) إذا أعطى فضله غيره فى النوم، حديث رقم (٧٠٢٧)، وقيل الرِّى اسم من أسماء اللبن.

(٣) (فتح البارى): ١/ ٢٣٨، كتاب العلم، باب (٢٢) فضل العلم، حديث رقم (٨٢).

(٤) (مسلم بشرح النووى): ١٥/ ١٩٦، كتاب فضائل الصحابة، باب (٢) من فضائل عمر رضى الله عنه، حديث رقم (٢٣٩١).

(٥) (المرجع السابق): الحديث الذى يلى الحديث السابق [بدون رقم].

وخرَّج الحاكم من حديث معتمر بن سليمان، حدثنا عبيد الله بن عمر، أنه سمع أبا بكر بن سالم يحدث عن أبيه، عن ابن عمر [رضى الله عنهما]، أن رسول الله ﷺ قال: إنى رأيت فى النوم أنى أعطيت عسًّا مملوءًا لبنًا، فشربتُ منه حتى تملأتُ، حتى رأيتُه فى عرق بين الجلد واللحم، ففضلت فضلة، فأعطيتها عمر بن الخطاب [رضى الله عنه]؟ فقال: أصبتم. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين(١). ولم يخرجاه(٢).

وخرَّجا من حديث يونس عن ابن شهاب، أن [سعيد] بن المسيب أخبره أنه سمع أبا هريرة [رضى الله عنه] يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: بينا أنا نائم، رأيتنى على قليب عليها دلو، فنزعت منها ما شاء الله [تعالى]، ثم أخذها ابن أبى قحافة [رضى الله عنه]، فنزع منها ذنوبًا أو ذنوبين، وفى نزعه ضعف، والله [تعالى] يغفر له ضعفه، ثم استحالت غربًا، فأخذها ابن الخطاب [رضى الله عنه]، فلم أر عبقريًا من الناس ينزع نزع عمر [رضى الله عنه]، [حتى] ضرب الناس بعطن. لفظهما فيه متقارب.

أورده البخارى فى مناقب أبى بكر رضى الله عنه(٣)، وأورده فى كتاب

(١) (المستدرك) ٣/٩٢، كتاب معرفة الصحابة، حديث رقم (٤٤٩٦). قال الحافظ الذهبى فى (التخليص): على شرط البخارى ومسلم.

(٢) زيادة للسياق من (المستدرك).

(٣) (فتح البارى): ٧/٢٦، كتاب فضائل أصحاب النبى ﷺ، باب (٥) قول النبى ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلاً»، حديث رقم (٣٦٦٤).

قوله: «وفى نزعه ضعف» أى أنه على مهل ورفق.

قوله: «والله يغفر له» قال النووى: هذا دعاء من المتكلم، أى أنه لا مفهوم له. وقال غيره: فيه إشارة إلى قرب وفاة أبى بكر، وهو نظير قوله تعالى لنبيه عليه السلام: ﴿فسبح بحمد ربك =

التعبير(١)، من حديث الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب. وخرّجه مسلم عن الليث أيضًا(٢)، وعن إبراهيم بن سعد، عن صالح، بإسناد يونس، نحو

= واستغفره إنه كان توابًا﴾، فإنها إشارة إلى قرب وفاة النبى ﷺ.

قال الحافظ: ويحتمل أن يكون فيه إشارة إلى أن قلة الفتوح فى زمانه لا صنع له فيه، لأن سببه قصر مدته، فمعنى المغفرة له رفع الملامة عنه.

قوله: «فاستحالت فى يده غَربًا» بفتح الغين المعجمة وسكون الراء بعدها موحدة، أى دلوًا عظيمة.

قوله: «فلم أر عبقريًا» بفتح المهملة وسكون الموحدة بعدها قاف مفتوحة وراء مكسورة وتحتانية ثقيلة، والمراد به كل شىء بلغ النهاية، وأصله أرض يسكنها الجن، ضرب بها العرب المثل فى كل شىء عظيم. وقيل: قرية يعمل بها الثياب البالغة فى الحسن، والعطن: هو مناخ الإبل إذا شربت ثم صدرت.

قال البيضاوى: أشار بالبئر إلى الدين الذى هو منبع ماؤها حياة النفوس، وتمام أمر المعاش والمعاد، والنزع منه إخراج الماء، وفيه إشارة إلى إشاعة أمره وإجراء أحكامه، وقوله: «يغفر الله له» إشارة إلى ضعفه – المراد به الرفق – غير قادح فيه، أو المراد بالضعف ما وقع فى أيامه من أمر الردة، واختلاف الكلمة، إلى أن اجتمع ذلك فى آخر أيامه وتكمل فى زمان عمر، وإليه الإشارة بالقوة.

وقد وقع عند الإمام أحمد من حديث سمرة: «أن رجلا قال: يارسول الله، رأيت كأن دلوًا من السماء دليت، فجاءَ أبو بكر فشرب شربًا ضعيفًا، ثم جاء عمر فشرب حتى تضلع».. الحديث، ففى هذا إشارة إلى بيان المراد بالنزع الضعيف والنزع القوى، والله تعالى أعلم. (فتح البارى) مختصراً.

(١) (فتح البارى): ١٢ / ٥١٢–٥١٣، كتاب التعبير، باب (٢٩) نزع الذنوب والذنوبين من البئر بضعف، حديث رقم (٧٠٢١)، وفى هذا الحديث والذى قبله (٧٠٢٠): أنه من رأى أنه يستخرج من بئر ماءً أنه يلى ولاية جليلة، وتكون مدته بحسب ما استخرج قلة وكثرة، وقد تعبر البئر بالمرأة، وما يخرج منها بالأولاد، وهذا الذى اعتمده أهل التعبير، ولم يعرجوا على الذى قبله، فهو الذى ينبغى أن يعوَّل عليه، لكنه بحسب حال الذى نزع الماء. (فتح البارى) مختصراً.

(٢) (مسلم بشرح النووى): ١٥ / ١٧٠، كتاب فضائل الصحابة، باب (٢) من فضائل عمر رضى الله عنه، حديث رقم (٢٣٩٢).

حديثه(١).

وخرّجه البخارى فى كتاب التوحيد، في باب المشيئة والإرادة، من حديث إبراهيم بن سعد، عن الزهرى، عن سعيد بن المسيب، عن أبى هريرة [رضى الله عنه]، وقال فى آخره: حتى ضرب الناس حوله بعطن(٢).

وخرّجه مسلم(٣) من حديث إبراهيم، عن صالح، قال: قال الأعرج

---

(١) (المرجع السابق): الحديث الذى يلى السابق مختصراً بدون رقم.

قال العلماء: هذا المنام مثال واضح لما جرى لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما فى خلافتهما وحسن سيرتهما وظهور آثارهما وانتفاع الناس بهما، وكل ذلك مأخوذ من النبى ﷺ ومن بركته وآثار صحبته، فكان النبى ﷺ هو صاحب الأمر. فقام به أكمل قيام، وقرر قواعد الإسلام، ومهد أموره، وأوضح أصوله وفروعه، ودخل الناس فى دين الله أفواجًا. وأنزل الله تعالى: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم**﴾ ثم توفى ﷺ فخلفه أبو بكر رضى الله عنه سنتين وأشهراً. وهو المراد بقوله: ﷺ ذنوبًا أو ذنوبين، وهذا شك من الراوى، والمراد ذنوبان كما صرح به فى الرواية الأخرى، وحصل فى خلافته قتال أهل الردة، وقطع دابرهم واتساع الإسلام، ثم تُوفى فخلفه عمر رضى الله عنه فاتسع الإسلام فى زمنه، وتقرر لهم من أحكامه ما لم يقع مثله، فعبر بالقليب عن أمر المسلمين، لما فيها من الماء الذى به حياتهم وصلاحهم، وشبه أميرهم بالمستقى لهم، وسقيه هو قيامه بمصالحهم. وتدبير أمورهم، وأما قوله ﷺ فى أبى بكر رضى الله عنه: «وفى نزعه ضعف»، فليس فيه حطّ من فضيلة أبى بكر، ولا إثبات فضيلة لعمر عليه، وإنما هو إخبار عن مدة ولايتهما، وكثرة انتفاع الناس فى ولاية عمر لطولها ولاتساع الإسلام وبلاده، والأموال، وغيرها من الغنائم، والفتوحات، ومصّر الأمصار، ودوّن الدواوين.

وأما قوله: «والله يغفر له»، فليس فيه تنقيص له، ولا إشارة إلى ذنب، وإنما هى كلمة كان المسلمون يدعمون بها كلامهم، ونعمت الدعامة، كانوا يقولون: افعل كذا والله يغفر لك.

قال العلماء وفى كل هذا إعلام بخلافة أبى بكر وعمر، وصحة ولايتهما، وبيان صفتها وانتفاع المسلمين بها. (شرح النووى على صحيح مسلم) مختصراً.

(٢) (فتح البارى): ١٣/ ٥٤٩ كتاب التوحيد، باب (٣١) فى المشيئة والإدارة، حديث رقم (٧٤٧٥).

(٣) (مسلم بشرح النووى): ١٥/ ١٧١، كتاب فضائل الصحابة، باب (٢)، من فضائل عمر رضى الله عنه، حديث [بدون رقم].

وغيره: إن أبا هريرة [رضى الله عنه] قال: إن رسول الله ﷺ، قال: رأيتُ ابن أبى قحافة [رضى الله عنه] ينزع.. بنحو حديث الزهرى.

وخرجه البخارى فى كتاب التعبير، فى باب الاستراحة فى المنام، من حديث عبد الرّزاق، عن معمر، عن همام أنه سمع أبا هريرة [رضى الله عنه] يقول: قال رسول الله ﷺ: بينا أنا نائم، رأيتُ أنى على حوض أسقى الناس، فأتانى أبو بكر [رضى الله عنه]، فأخذ الدلو من يدى ليريحنى، فنزع ذنوبين، وفى نزعه ضعف، والله يغفر له، فأتى ابن الخطاب [رضى الله عنه]، فأخذ منه، فلم يزل ينزع حتى تولى الناس والحوض ينفجر(١).

وخرّجه مسلم من طريق عبد الله بن وهب قال: أخبرنى عمرو بن الحارث، أن أبا [يونس] مولى أبى هريرة [رضى الله عنه]، حدثه عن أبى هريرة [رضى الله عنه]، عن رسول الله ﷺ قال: بينا أنا نائم، أريت أنى أنزع على حوضى أسقى الناس، فجاءنى أبو بكر [رضى الله عنه]، فأخذ الدلو من يدى ليروِّحنى، فنزع دلوين وفى نزعه ضعف، والله يغفر له، فجاء ابن الخطاب [رضى الله عنه] فأخذه منه، فلم أر نزع رجل أقوى منه، حتى تولى الناس، والحوض ملآن يَتَفجَّر(٢).

وذكره البخارى فى مناقب عمر رضى الله عنه، من طريق [عبيد] الله ابن عمر قال: حدثنى [أبو بكر] بن سالم، عن سالم، عن عبد الله بن عمر

---

(١) (فتح البارى): ١٢ / ٥١٣، كتاب التعبير، باب (٣٠) الاستراحة فى المنام – حديث رقم (٧٠٢٢).

قوله: «الاستراحة فى المنام»، قال أهل التعبير: إذا كان المستريح مستلقيًا على قفاه فإنه يقوى أمره، وتكون الدنيا تحت يده، لأن الأرض أقوى ما يستند إليه، بخلاف ما كان مُنبطحًا فإنه لا يدرى ما وراءه.

(٢) (مسلم بشرح النووى): ١٥ / ١٧١، كتاب فضائل الصحابة، باب (٢) من فضائل عمر رضى الله عنه، حديث رقم (١٨).

رضى الله [عنهما]، أن النبى ﷺ قال: أريت فى المنام أنى أنزع بدلو بكرة [على قليب، فجاء أبو بكر فنزع ذنوبًا أو ذنوبين، نزعًا ضعيفًا، والله يغفر له، ثم جاء عمر [رضى الله عنه] فاستحالت غربًا، فلم أر عبقريًا من الناس يفرى فَريَّه، حتى روى الناس وضربوا بعطن](١).

وخرّجاه من حديث موسى بن عقبة، عن سالم، عن أبيه، وخرّجه البخارى من حديث شعيب بن حرب، حدثنا صخر بن جويرية، حدثنا نافع أن ابن عمر [رضى الله عنهما] حدثه، قال: قال رسول اله ﷺ: بينما أنا على بئر أنزع منها إذ جاءنى أبو بكر وعمر [رضى الله عنهما]، فأخذ أبو بكر [رضى الله عنه] الدلو، فنزع ذنوبًا أو ذنوبين، وفى نزعه ضعف، فغفر الله له، ثم أخذها ابن الخطاب [رضى الله عنه] من يد أبى بكر، فاستحالت فى يده غربًا، فلم أر عبقريًا من الناس يفرى فريه، حتى ضرب الناس بعطن. ذكره فى كتاب التعبير فى باب نزع الماء من البئر حتى يروى الناس(٢). وخرجه فى مناقب أبى بكر رضى الله عنه، من حديث وهب بن جرير، أخبرنا صخر عن نافع، أن عبد الله بن عمر [رضى الله عنهما] قال: قال رسول الله ﷺ:.. الحديث، وقال فيه: والله يغفر له، وقال فى آخره: فنزع حتى ضرب الناس بعطن، وقال بعد هذا: وقال وهب: العطن، مبرك الإبل، يقول: حتى رُويت الإبل فأناخت(٣).

---

(١) (فتح البارى): ٧/ ٥٠)، كتاب فضائل أصحاب النبى ﷺ، باب (٦) مناقب عمر بن الخطاب رضى الله عنه، حديث رقم (٣٦٨٢).

(٢) (فتح البارى): ١٢/ ٥٠٩، كتاب التعبير، باب (٢٨) نزع الماء من البئر حتى يروى الناس، رواه أبو هريرة عن النبى ﷺ، حديث رقم (٧٠١٩).

(٣) (فتح البارى): ٧/ ٢٦، كتاب فضائل أصحاب النبى ﷺ، باب (٥) قول النبى ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلا»، حديث رقم (٣٦٧٦).

وخرّج الحافظ ابن الجوزى وغيره، من طريق مطر الوراق وهشام، كلاهما عن ابن سيرين: عن أبى هريرة [رضى الله عنه]، عن النبى ﷺ قال: رأيت كأنى أنزع على غنم سود، وخالطها غنم عفر، إذ جاء أبو بكر [رضى الله عنه]، فنزع ذنوبين وفيهما ضعف، ويغفر الله له، إذ جاء عمر [رضى الله عنه]، فأخذ الدلو، فاستحالت غربًا، فأروى الناس، وصدر الشاء، فلم أر عبقريًا يفرى فريه، فقال رسول الله ﷺ: فأوّلت أن الغنم السوداء العرب، وأن العفر إخوانهم من هذه الأعاجم(١).

وخرَّج البخارى فى كتاب النكاح، فى باب الغيرة، من حديث يونس عن الزهرى، أخبرنى ابن المسيب، عن أبى هريرة [رضى الله عنه] قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ جلوس، فقال رسول الله ﷺ: بينا أنا نائم، رأيتنى فى الجنة(٢). وخرجه مسلم فى المناقب، من حديث يونس، أن ابن شهاب أخبره عن سعيد بن المسيب، عن أبى هريرة [رضى الله عنه]، عن رسول الله ﷺ أنه قال: بينا أنا نائم إذ رأيتنى فى الجنة، فإذا امرأة توضأ إلى جانب قصر، فقلتُ: لمن هذا؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب [رضى الله عنه]، فذكرت غيرة عمر، فوليتُ مدبرًا، قال أبو هريرة [رضى الله عنه]: فبكى عمر رضى الله عنه، ونحن جميعًا فى ذلك المجلس [مع رسول الله ﷺ](٣)، ثم قال عمر [رضى الله عنه] بأبى أنت يارسول الله، أعليك أغار(٤)؟

---

(١) (تاريخ أصفهان لأبى نعيم): ١ /٨.

(٢) (فتح البارى): ٩ / ٤٠٠، كتاب النكاح، باب (١٠٨) الغيرة، حديث رقم (٥٢٢٧).

(٣) زيادة للسياق من (صحيح مسلم).

(٤) (مسلم بشرح النووى): ١٥ /١٧٣، كتاب فضائل الصحابة، باب (٢) من فضائل عمر رضى الله عنه، حديث رقم (٢٣٩٥).

وقال البخارى: فبكى عمر [رضى الله عنه] وهو فى المجلس، وقال: أوعليك يارسول الله أغار؟(١). ورواه مسلم أيضا من حديث صالح، عن ابن شهاب بهذا الإسناد مثله(٢).

وخرجه البخارى من حديث الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب. ذكره فى كتاب بدء الخلق، فى باب صفة [الجنة](٣)، وفى مناقب عمر [رضى الله عنه(٤)، و] فى التعبير، فى باب القصر فى المنام(٥).

وخرجه أيضًا فى التعبير، من حديث معمر، أخبرنا عبيد الله بن عمر، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله [رضى الله عنه] قال: قال رسول الله ﷺ: دخلتُ الجنة، فإذا أنا بقصر من ذهب، فقلت: لمن هذا؟ قالوا: لرجل من قريش، فما منعنى أن أدخله يا ابن الخطاب إلا ما أعلم من

---

(١) (فتح البارى): ٩/ ٤٠٠، كتاب النكاح، باب (١٠٨) الغيرة، حديث رقم (٥٢٢٧).

(٢) (مسلم بشرح النووى): ١٥/ ١٧٤، كتاب فضائل الصحابة باب (٢) من فضائل عمر رضى الله عنه، الحديث الذى يلى الحديث رقم (٢٣٩٥) [بدون رقم].

(٣) (فتح البارى): ٦/ ٣٩١، كتاب بدء الخلق، باب (٨) ما جاء فى صفة الجنة وأنه مخلوقة، حديث رقم (٣٢٤٢).

(٤) (فتح البارى): ٧/ ٥٠، كتاب فضائل أصحاب النبى ﷺ، باب (٦) مناقب عمر رضى الله عنه، حديث رقم (٣٦٨٠).

(٥) (فتح البارى): ١٢/ ٥١٤، كتاب التعبير، باب (٣١) القصر فى المنام، حديث رقم (٧٠٢٣)، وهذه المرأة هى أم سليم، وكانت فى قيد الحياة حينئذ، فرآها النبى ﷺ فى الجنة إلى جانب قصر عمر، فيكون تعبيره بأنها من أهل الجنة، لقول الجمهور من أهل التعبير: أن من رأى أنه دخل الجنة أنه يدخلها، فكيف إذا كان الرائى لذلك أصدق الخلق.

وأما وضوئها فيعبر بنظافتها حسًا ومعنى، وطهارتها جسمًا وحكمًا، وأما كونها إلى جانب قصر عمر، ففيه إشارة إلى أنها تدرك خلافته، وكان كذلك.

قوله: «أعليك أغار» فهو من المقلوب لأن القياس أن يقول: أعليها أغار منك. وفى الحديث جواز ذكر الرجل بما علم من خلقه كغيرة عمه.

غيرتك، قال: وعليك أغار يا رسول الله(١)؟ وخرجه فى النكاح، فى باب الغيرة(٢). وخرجه مسلم من حديث سفيان، عن عمرو، وابن المنكدر [أنهما] سمعا جابرًا [رضى الله عنه]، يخبر عن النبى فذكره(٣).

وخرج الإمام أحمد من حديث سفيان، عن مجالد، عن الشعبى، عن جابر بن عبد الله رضى الله [عنهما]، أن رسول الله ﷺ قال: رأيتُ كأنى أتيتُ بكثلة تمر، فعجمتها فى فمى، فوجدت فيها نواة آذتنى، فلفظتها، ثم أخذت فيها نواة، فلفظتها]، فقال أبو بكر رضى الله عنه: دعنى، فلأعبرها، فقال ﷺ: اعبرها، قال [رضى الله عنه:] هو جيشك الذى بعثت، يسلمون ويغنمون، فيلقون رجلاً، فينشدهم ذمتك، فيدعونه، ثم

---

(١) (المرجع السابق): حديث رقم (٧٠٢٤)، قوله: «القصر فى المنام» قال أهل التعبير: القصر فى المنام عمل صالح لأهل الدين، ولغيرهم حبس وضيق، وقد يفسر دخول القصر بالتزويج.

(٢) (فتح البارى): ٩/ ٣٩٩، كتاب النكاح، باب (١٠٨) الغيرة، حديث رقم (٥٢٢٦).

(٣) (مسلم بشرح النووى): ١٥/ ١٧٢، كتاب فضائل الصحابة، باب (٢) من فضائل عمر رضى الله عنه، حديث رقم (٢٣٩٤).

قوله: «الغيرة بفتح المعجمة وسكون التحتانية بعدها راء. قال عياض وغيره: هى مشتقة من تغير القلب، وهيجان الغضب، بسبب المشاركة فيما به الاختصاص، وأشد ما يكون ذلك بين الزوجين. هذا فى حق الآدمى.

وأما فى حق الله تعالى، فقال الخطابى: أحسن ما يفسر به، ما فسر به، حديث أبى هريرة: «وغيرة الله أن يأتى المؤمن ما حرَّم الله عليه».

قال عياض: ويحتمل أن تكون الغيرة فى حق الله الإشارة إلى تغير حال فاعل ذلك، وقيل: الغيرة فى الأصل الحمية والأنفة، وهو تفسر يلازم التغير فيرجع الغضب، وقد نسب سبحانه وتعالى إلى نفسه فى كتاب العزيز الغضب والرضا.

وقال ابن العربى: التغير محال على الله بالدلالة القطعية، فيجب تاويله بلازمه، كالوعيد أو ايقاع العقوبة بالفاعل، ونحو ذلك.

ثم قال: ومن أشرف وجوه غيرته تعالى، اختصاصه قومًا بعصمته، يعنى فمن ادعى شيئا من ذلك لنفسه عاقبه، قال: وأشد الآدميين غيرة رسول الله ﷺ لأنه كان يغار لله ودينه، ولهذا كان لا ينتقم لنفسه ﷺ.

يلقون رجلاً فينشدهم ذمتك فيدعونه، ثم يلقون رجلاً فينشدهم ذمتك فيدعونه، قال ﷺ : كذاك قال الملك(١).

وخرج الإمام أحمد من حديث عبد الرزاق، وقال: أخبرنا معمر عن قتادة، عن الحسن بن عمران بن حصين، عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: أكثرنا الحديث ذات ليلة، عند رسول الله ﷺ، ثم غدونا [إليه]، فقال: عرضت علىّ الأنبياء [الليلة](٢) بأممها، فجعل النبى يمر ومعه الثلاثة [والنبى ومعه العصابة]، والنبى ومعه النفر، والنبى وليس معه أحد، حتى مرّ [علىّ](٢) موسى عليه الصلاة والسلام، ومعه [كبكبة] من بنى إسرائيل، فأعجبونى، فقلت: من هؤلاء؟ فقيل [لى](٢) هذا أخوك موسى، معه بنو إسرائيل [قال](٢) فقلت: أين أمتى؟ فقيل لى: أنظر عن يمينك، فنظرت، فإذا الظراب قد سد بوجوه الرجال [ثم قيل لى: انظر عن يسارك، فنظرت فإذا الأفق قد سد بوجوه الرجال](٢) فقيل لى: أرضيت؟ فقلت: رضيت يا رب، [قال:](٢) فقيل لى: إن مع هؤلاء سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب، فقال النبى ﷺ: فداكم أبى وأمى، إن استطعتم أن تكونوا من السبعين الألف فافعلوا، فإن قصرتم، فكونوا من أهل الظراب، فإن قصرتم، فكونوا من أهل الأفق، فإنى قد رأيت ثم ناسا يتهاوشون، فقام عكاشة بن محصن رضى الله عنه فقال: أدع الله لى يا رسول الله أن يجعلنى من السبعين فدعا له، فقام رجل آخر فقال: ادع الله يا رسول الله ﷺ أن يجعلنى منهم؟ فقال: قد سبقك بها عكاشة.

[ثم تحدثنا](٢)، فقلنا: من ترون هؤلاء السبعين الألف. قوم ولدوا فى الإسلام، ثم لم يشركوا بالله شيئًا حتى ماتوا، فبلغ ذلك النبى ﷺ، فقال

---

(١) (مسند أحمد): ٤/ ٣٩٧، حديث رقم (١٤٨٦٤)، وفيه: «يسلم ويغنم».

(٢) زيادة للسياق من (مسند أحمد).

ﷺ : هم الذين لا يَكْتَوون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون(١).

وخرّج البخارى ومسلم، من حديث مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة، عن أنس بن مالك رضى الله عنه [قال] : إن رسول الله ﷺ كان يدخل على أم حرام بنت ملحان [رضى الله عنها] فتطعمه، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت [رضى الله عنهما]. [فدخل] عليها رسول الله ﷺ يومًا، فأطعمته، ثم جلست تفلى رأسه، فنام رسول الله ﷺ، ثم استيقظ وهو يضحك، قالت : فقلت : يا رسول الله! ما يضحكك؟ قال : ناس من أمتى عرضوا علىّ غزاة فى سبيل الله، يركبون ثبج هذا البحر، ملوكًا على الأسرة، أو مثل الملوك على الأسرة -يشك أيهما- قال : قالت : فقلت : يا رسول الله، ادع الله [تعالى] أن يجعلنى منهم، فدعا لها، ثم وضع رأسه، فنام، ثم استيقظ وهو يضحك، قالت : فقلت : ما يضحكك يا رسول الله؟ قال : ناس من أمتى عرضوا علىّ غزاة فى سبيل الله [تعالى]، كما قال فى [الأولى]، قالت : فقلت : يا رسول الله، أدع الله أن يجعلنى منهم، قال : أنت من الأولين، فركبت أم حرام بنت ملحان البحر فى زمن معاوية، [بن أبى سفيان] فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت.

خرجه البخارى بهذا السند فى باب الدعاء بالجهاد، والشهادة للرجال والنساء(٢)، وفى كتاب الاستئذان(٣)، وكذلك خرجه أبو

---

(١) (مسند أحمد) : ١/ ٦٦٢ - ٦٦٣، حديث رقم (٣٧٩٦).

(٢) (فتح البارى) : ٦/ ١٢، كتاب الجهاد والسير، باب (٣) الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء، حديث رقم (٢٧٨٨)، (٢٧٨٩).

(٣) (فتح البارى) : ١١/ ٨٣، كتاب الاستئذان، باب (٤١) من زار قومًا فقال عندهم، حديث رقم (٦٢٨٢)، (٦٢٨٣).

قوله : «قال عندهم» أى وقت القيلولة، والفعل الماضى منه ومن القول مشترك، بخلاف المضارع =

داود[1]، وخرجه الترمذى أيضا من حديث مالك، وقال: هذا حديث حسن صحيح[2]، وأخرجوه من حديث يحى بن سعيد الأنصارى، عن محمد بن يحى بن حبان، عن أنس رضى الله عنه[3]، وخرجه البخارى من حديث الليث، عن محمد بن يحى بن حبان، عن أنس، ومن حديث أبى إسحاق [بن] عبد الله بن عبد الرحمن الأنصارى، عن أنس رضى الله عنه[4].

= فقال يقيل: من القائلة، وقال يقول: من القول: وقد تلطف النضير المناوى حيث قال فى لغز.

قال قال النبى قولاً صحيحا   قلتُ قال النبى قولاً صحيحا

قال المهلب: فى هذا الحديث مشروعية القائلة للكبير فى بيوت معارفه لما فى ذلك من ثبوت المودة، وتأكد المحبة.

قوله: «ثبج هذا البحر» الثبج بفتح المثلثة والموحدة ثم جيم: ظهر الشىء وقال الخطّابى: متن البحر وظهره، وقال الأصمعى: ثبج كل شىء وسطه، وقال أبو على فى (أماليه): قيل: ظهره، وقيل: معظمه، وقيل: هوله، وقال أبو زيد فى (نوادره): ضرب ثبج الرجل بالسيف أى وسطه، وقيل: ما بين كتفيه، والراجح أن المراد هنا ظهره، كما وقع فى التصريح به؛ والمراد أنهم يركبون السفن التى تجرى على ظهره. كما وقع فى التصريح به؛ والمراد أنهم يركبون السفن التى تجرى على ظهره. (فتح البارى) مختصراً.

(١) (سنن أبى داود): ٣/ ١٤، كتاب الجهاد، باب (١٠) فضل الغزو فى البحر، حديث رقم (٢٤٩٠)، (٢٤٩١) مختصراً.

(٢) (سنن الترمذى): ٤/ ١٥٢ - ١٥٣، كتاب فضائل الجهاد، باب (١٥) ما جاء فى غزو البحر، حديث رقم (١٦٤٥)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وأم حرام بنت ملحان هى أخت أم سليم، وهى خالة أنس بن مالك رضى الله عنه.

(٣، ٤) (فتح البارى): ٦/ ٢١ - ٢٢، كتاب الجهاد والسير، باب (٨) فضل من يصرع فى سبيل الله فمات فهو منهم، حديث رقم (٢٧٩٩) و (٢٨٠٠).

وفى (مسلم بشرح النووى): ١٣/ ٦١ - ٦٢، كتاب الإمارة، باب (٤٩) فضل الغزو فى البحر، حديث رقم (١٩١٢).

فى هذا الحديث معجزات للنبى ﷺ: منها إخباره ببقاء أمته بعده، وأنه تكون لهم شوكة وقوة =

. . . .

= وعدد، وأنهم يغزون، وأنهم يركبون البحر، وأن أم حرام تعيش إلى ذلك الزمان، وأنها تكون معهم، وقد وجد بحمد الله تعالى كل ذلك.

وفيه فضيلة لتلك الجيوش، وأنهم غزاة في سبيل الله تعالى، واختلف العلماء متى جرت هذه الغزوة التي توفيت فيها أم حرام في البحر، قال أهل السير والأخبار: أن ذلك كان في خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه [كان ذلك في سنة (٢٨ هـ) وكان معاوية في هذه الغزوة ومعه زوجته فَاخِتَة، فأتى قبرص وفتحها، وتوفيت أم حرام بها ودفنت هناك وقبرها فيها يزار] (شرح النووى على صحيح مسلم) مختصراً.

وفي هذا الحديث جواز ركوب البحر للرجال والنساء، وكذا قاله: الجمهور وكره مالك ركوبه للنساء، لأنه لا يمكنهن غالبًا التستر فيه، ولا غض البصر عن المتصرفين فيه، ولا يؤمن انكشاف عوراتهن في تصرفهن، لا سيما فيما صغر من السفيان، مع ضرورتهن إلى قضاء الحاجة بحضرة الرجال، [لكن في هذه الأيام فالسفن مجهزة بكافة حاجات الإنسان المعيشية خلال رحلته في الباخرة مهما طال وقتها، الأمر الذي تنتفي معه هذه الكراهة].

قال القاضي: وروى عن عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه عنهما منع ركوبه، وقيل: إنما منعه العمران للتجارة وطلب الدنيا لا للطاعات.

وقد روى عن ابن عمر، عن النبي ﷺ النهي عن ركوب البحر، إلا لحاج أو معتمر أو غازٍ. وضعف أبو داود هذا الحديث وقال: رواته مجهولون. (شرح النووى على صحيح مسلم) مختصراً.

وهذا الحديث [حديث الباب] أخرجه أيضا كل من:

ابن ماجة في (السنن): ٢ / ٩٢٧، كتاب الجهاد، باب (١٠) فضل غزو البحر، حديث رقم (٢٧٧٦).

والنسائي في (السنن): ٦ / ٣٤٧ - ٣٤٩، كتاب الجهاد باب (٤٠) فضل الجهاد في البحر، حديث رقم (٣١٧١)، (٣١٧٢).

والدار قطني في (السنن): ٢ / ١٢٩، باب فضل غزاة البحر، حديث رقم (٢٤٢٦).

والإمام مالك في (الموطأ): ٣٠٩، كتاب الجهاد، باب الترغيب في الجهاد، حديث رقم (١٠٠٢) بسياقه أتم.

والإمام أحمد في (المسند): ٤ / ١٢٤، حديث رقم (١٣١٠٨)، ٤ / ١٦٥ - ١١٦، حديث رقم (١٣٣٧٩) كلاهما مختصر جداً.

وخرّج الحاكم من حديث عبد الله بن صالح قال: حدثنى الليث عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبى هلال، عن عطاء، أن جابر بن عبد الله الأنصارى، رضى الله [عنهما]، قال: خرج إلينا رسول الله ﷺ يومًا فقال: إلى رأيت فى المنام كأن جبريل عليه السلام عند رأسى، وميكائيل عليه السلام عند رجلى، يقول أحدهما لصاحبه: اضرب له مثلاً، فقال: اسمع سمعت أذنك، واعقل عقل قلبك، مثلك ومثل أمتك، كمثل ملك اتخذ دارًا، ثم بنى فيها بيتًا، ثم جعل فيها مائدة، ثم بعث رسولاً يدعو الناس إلى طعامه، فمنهم من أجاب الرسول، ومنهم من تركه، فالله هو الملك، والدار الإسلام، والبيت الجنة، وأنت يا محمد الرسول، من أجابك دخل [الإسلام ومن دخل الإسلام دخل الجنة، ومن دخل الجنة أكل منها]. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه(١).

وخرّجه البيهقى من حديث عبد الله بن صالح، حدثنى الليث، حدثنى خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبى هلال، قال: سمعت أبا جعفر محمد بن على بن الحسين، وتلا هذه الآية: ﴿**والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم**﴾، فقال: حدثنى جابر بن عبد الله قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يومًا.. فذكر الحديث(٢).

وخرّج البخارى من حديث سليم بن حبان، أخبرنا سعيد بن مينا [قال]: أخبرنا -أو سمعت- جابر بن عبد الله رضى الله عنهما يقول: جاءت ملائكة إلى النبى ﷺ وهو نائم، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن

---

(١) (المستدرك) ٢ / ٣٦٩، كتاب التفسير، تفسير سورة يونس عليه السلام عند قوله تعالى: ﴿**الله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم**﴾، حديث رقم (٣٢٩٩) باختلاف يسير فى اللفظ، وما بين الحاصرتين سياقه مضطرب فى (الأصلين)، وصوبناه من (المستدرك)، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): صحيح.

(٢) هذه الفقرة هى صدر الحديث السابق رقم (٣٢٩٩) من (المستدرك).

العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: مثله كمثل رجل بنى داراً، وجعل فيها مأدبة، وبعث داعيًا، فمن أجاب الداعى، دخل الدار، وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعى، لم يدخل الدار، ولم يأكل من المأدبة، فقالوا: أولوها بفقهها، فقالوا: فالدار، الجنة، والداعى، محمد ﷺ، فمن أطاع محمداً فقط أطاع الله، ومن عصى محمداً فقد عصى الله، ومحمد فرق بين الناس(١).

وخرّج الحاكم(٢) من طريق محمد بن فضيل، عن حصين، بن عبد الرحمن عن ابن أبى ليلى، عن أبى أيوب رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال: إنى رأيت فى المنام غنمًا سودًا، يتبعها غنم عفر، يا أبا بكر، أعبرها، فقال أبو بكر رضى الله عنه: يا رسول الله، هى العرب تتبعك، ثم تتبعها العجم حتى تغمرها، فقال النبى ﷺ: هكذا عبرها الملك سحراً.

وخرّج من حديث عبد الرحمن، عن عبد الله بن دينار، عن زيد بن أسلم، عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: رأيتُ غنما كثيرة سوداء، دخلت فيها غنمًا كثيرة بيض، قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: [العجم يشركونكم فى دينكم وأنسابكم، قالوا: العجم يا رسول الله؟ قال: لو كان الإيمان معلقًا بالثريا لَنَالَهُ رجال من العجم وأسعدهم به الناس](٣). قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط البخارى

---

(١) (فتح البارى): ١٣/ ٣١٠ - ٣١١، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب (٢) الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، وقول الله تعالى: ﴿واجعلنا للمتقين إمامًا﴾ حديث رقم (٧٢٨١).

(٢) (المستدرك): ٤/ ٤٣٧، كتاب تعبير الرؤيا، حديث رقم (٨١٩٣)، وقد سكت عنه الذهبى فى التلخيص.

(٣) (المستدرك): ٤/ ٤٣٧، كتاب تعبير الرؤيا، حديث رقم (٨١٩٤)، وما بين الحاصرتين سياقه مضطرب فى (الأصلين) وصوبناه من (المستدرك)، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): على شرط البخارى.

ولم يخرجاه.

وخرج من حديث يحى بن محمد بن يحى الذهلى، حدثنا مسدد، حدثنا المعتمر بن سليمان، عن عوف، حدثنا أبو رجاء عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول: هل رأى أحد منكم رؤيا؟ قال: فيقص عليه من شاء، وإنه قال ذات غداة: أنه أتاني الليلة آتيان ملكان، فقعد أحدهما عند رأسي، والاخر عند رجلى، فقال الذى عند رجلى للذى عند رأسي: اضرب مثل هذا ومثل أمته، فقال: إن مثله ومثل أمته، كمثل قوم سُفَّر انتهوا إلى رأس مفازة، فلم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المفازة، ولا ما يرجعون به، فبيناهم كذلك، إذ أتاهم رجل مرجل فى حلة حبرة، فقال: أرأيتم إن وردت بكم رياضًا معشبة، وحياضًا رواءًا [أتتبعونى؟ فقالوا: نعم، فانطلق بهم فأوردهم رياضًا معشبة وحياضًا رواء]، فأكلوا، [وشربوا]، وسمنوا، فقال لهم: ألم ألقكم على تلك الحال، فقلت لكم إن وردت بكم رياضًا عشبة، وحياضًا رواءا تتبعونى؟؟ قالوا: بلى، فقال: إن بين أيديكم رياضًا أعشب من هذا، وحياضًا أروى من هذه، فاتبعونى، فقالت طائفة: صدق والله، لنتبعن، وقالت طائفة: قد رضينا بهذا، نقيم عليه[1]. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين [ولم يخرجاه].

وخرّج الحاكم من طريق موسى بن يعقوب الزمعى، قال: أخبرنى هاشم ابن هاشم بن عتبة بن أبى وقاص، عن عبد الله بن وهب بن زمعة، قال: أخبرتنى أم سلمة رضى الله عنها قالت: إن رسول الله ﷺ اضطجع ذات ليلة للنوم، فاستيقظ وهو حائر، ثم اضطجع فرقد، ثم استيقظ وهو حائر،

---

(١) (المستدرك): ٤ / ٤٣٩، كتاب تعبير الرؤيا، حديث رقم (٨٢٠٠) وما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (المستدرك) وقال الحافظ الذهبى فى التلخيص: على شرط البخارى ومسلم.

دون ما رأيتُ به المرة الأولى، ثم اضطجع، فاستيقظ، وفى يده تربة حمراء يقبلها، فقلت: ما هذه التربة يا رسول الله؟ قال: أخبرنى جبريل عليه السلام أن هذا يقتل بأرض العراق، للحسين رضى الله عنه، فقلت لجبريل: أرنى تربة الأرض التى يقتل بها، فهذه تربتها(١). قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

وخرج الترمذى من حديث عبد الرزاق، عن معمر، عن أيوب، عن أبى قلابة، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: أتانى الليلة ربى فى أحسن صورة، قال: أحسبه فى المنام [قال: كذا فى الحديث]، فقال: يا محمد، هل تدرى فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قال: قلت: لا، فوضع يده بين كتفى، حتى وجدت بردها بين ثديى -أو قال: فى نحرى- فعلمت ما فى السموات وما فى الأرض، قال: يا محمد، هل تدرى فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: نعم، قال: فى الكفارات والمفازات: المكث فى المساجد بعد الصلوات، والمشى على الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء فى المكاره، ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه، وقال: يا محمد، إذا صليت فقل: اللهم إنى أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنة، فاقبضنى إليك غير مفتون، قال: والدرجات، إفشاء السلام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام(٢). قال أبو عيسى: وقد ذكروا بين أبى قلابة وبين ابن عباس رضى الله عنها فى هذا الحديث، [وقد رواه قتادة عن أبى

---

(١) (المستدرك): ٤ / ٤٤٠، كتاب تعبير الرؤيا، حديث رقم (٨٢٠٢) وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): مرَّ هذا على شرط البخارى ومسلم.

(٢) (سنن الترمذى): ٥ / ٣٤٢، كتاب تفسير القرآن، باب (٣٩) ومن سورة ﴿ص﴾، وحديث رقم (٣٢٣٣)، وما بين الحاصرتين فى آخره من (الترمذى).

قلابة عن خالد بن اللجلاج عن ابن عباس].

ثم ذكر من طريق هشام الدستوائى، عن قتادة، عن أبى قلابة، عن خالد ابن اللجلاج، عن ابن عباس [رضى الله عنهما] عن النبى ﷺ قال: أتانى ربى فى أحسن صورة فقال: يا محمد، قلت: لبيك ربى وسعديك، قال فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: ربى لا أدرى، فوضع يده بين كتفى، فوجدت بردها بين ثديى، فعلمت ما بين المشرق والمغرب، قال: يا محمد، فقلت: لبيك رب وسعديك، قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: فى الدرجات، والكفارات، وفى نقل الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء فى المكروهات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، ومن يحافظ عليهن عاش بخير، ومات بخير، وكان من ذنوبه كيوم ولدته أمه(١). قال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

وفى الباب: عن معاذ بن جبل رضى الله عنه، وعبد الرحمن بن عائش، عن النبى ﷺ، وقد روى هذا الحديث [عن] معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبى بطوله، وقال: إنى نعست فاستثقلت نومًا، فرأيت ربى فى أحسن صورة، فقال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟(٢).

وخرّج من طريق يحى بن أبى كثير، عن زيد بن سلام، عن أبى سلام، عن عبد الرحمن بن عائش الحضرمى، أنه حدثه عن مالك بن يخامر السكسكى، عن معاذ بن جبل رضى الله عنه، قال: احتبس عنا رسول الله ﷺ ذات غداة عن صلاة الصبح، حتى كدنا نتراءى، أى عين الشمس، فخرج سريعًا، فثوب بالصلاة، فصلى رسول الله ﷺ وتجوز فى الصلاة، فلما

---

(١) (سنن الترمذى) : ٥/ ٣٤٢ - ٣٤٣، كتاب تفسير القرآن، باب (٣٩) ومن سورة ﴿ص﴾، حديث رقم (٣٢٣٤).

(٢) (المرجع السابق) : ٣٤٣ تعليقًا على الحديث السابق رقم (٣٢٣٤).

سلم، دعا بصوته، قال لنا: على مصافكم، كما أنتم، ثم انفتل إلينا، ثم قال: أما [إنى] سأحدثكم ما حبسنى عنكم الغداة، قال: إنى قمتُ من الليل فتوضأت، وصليت ما قدر لى، فنعست فى صلاتى حتى استثقلت، فإذا أنا بربى تبارك وتعالى فى أحسن صورة، فقال: يا محمد، قلت: لبيك رب، قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدرى، قالها ثلاثًا، قال: فرأيته وضع كفه بين كتفىّ، فوجدت برد أنامله بين ثديى، فتجلى لى كل شىء وعرفت، فقال: يا محمد، قلت: لبيك رب، قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: فى الكفارات، قال: ما هن؟ قلت: مشى الأقدام إلى الحسنات، والجلوس فى المساجد [بعد الصلوات، وإسباغ الوضوء حين الكريهات، قال: ثم فيم؟ قلت: إطعام الطعام] ولين الكلام، والصلاة بالليل والناس نيام، قال: سل، قلت: اللهم إنى أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لى وترحمنى، وإذا أردت فتنة فى قوم، فتوفنى غير مفتون، أسألك حبك، وحب من يحبك، وحب عمل يقرب إلى حبك، قال رسول الله ﷺ: إنها حق، فادرسوها، ثم تعلموها.

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، سألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث فقال: هذا حديث حسن صحيح، وقال: هذا أصح من حديث الوليد بن مسلم، عن عبد الرحمن بن [يزيد بن] جابر، قال: حدثنا خالد بن اللجلاج، قال حدثنى عبد الرحمن بن عائش الحضرمى، قال: سمعت رسول الله ﷺ... فذكر الحديث، وهذا غير محفوظ، هكذا ذكر الوليد فى حديثه، عن عبد الرحمن بن عائش قال: سمعتُ رسول الله ﷺ.

وروى بشر بن بكر، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر هذا الحديث بهذا الإسناد، عن عبد الرحمن بن عائش، عن النبى ﷺ، وهذا أصح.

وعبد الرحمن بن عائش لم يسمع من النبى ﷺ(١).

وخرج الإمام أحمد من حديث زهير بن محمد، عن يزيد بن يزيد بن جابر، عن خالد بن اللجلاج، عن عبد الرحمن بن عائش، عن بعض أصحاب النبى ﷺ، [قال:] إن رسول الله ﷺ خرج عليهم ذات غداة وهو طيب النفس، مشرق الوجه، أو مسفر الوجه، فقلنا: يا رسول الله! إنا نراك مسفر الوجه، أو مشرق الوجه، فقال: وما يمنعنى وأتانى ربى عز وجل الليلة فى أحسن صورة، فقال: يا محمد، فقلت: لبيك ربى وسعديك، قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدرى، أى رب، قال ذاك مرتين أو ثلاثًا، قال: فوضع كفه بين كتفى، فوجدت بردها بين كتفى، حتى تجلى لى ما فى السموات والأرض [وليكون من الموقنين] قال: يا محمد، فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قال: قلت: فى الكفارات، قال: وما الكفارات؟ قلت: المشى على الأقدام، والجلوس فى المسجد خلاف الصلوات، وإسباغ الوضوء فى المكاره، فمن فعل ذلك عاش بخير، [ومات بخير]، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه، ومن الدرجات طيب الكلام، وبذل السلام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام، وقال: يا محمد، إذا صليت فقل: اللهم إنى أسألك الطيبات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تتوب علىّ، وإذا أردت فتنة فى الناس، فتوفنى غير مفتون(٢). [قال: والدرجات بذل الطعام،

---

(١) (سنن الترمذى): ٥/ ٣٤٣ - ٣٤٤، كتاب تفسير القرآن، باب (٣٩) ومن سورة ﴿ص﴾، حديث رقم (٣٢٣٥).

والملأ الأعلى: الملائكة المقربون، واختصامهم إما عبارة عن تبادرهم إلى إثبات تلك الأعمال والصعود إلى السماء، وإما عن تقاولهم فى فضلها وشرفها، وقد سماها مخاصمة، لأنه ورد مورد سؤال وجواب، وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة، فلهذا أحسن إطلاق لفظ المخاصمة عليه (زاد المعاد): ١/ ١٣٧.

(٢) (مسند أحمد): ١/ ٦٠٧، حديث رقم (٣٤٧٤)، بزيادة ونقصان.

وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام] (١).

وقال الواقدى فى غزوة الطائف: وكان رسول الله ﷺ قال لأبى بكر رضى الله عنه: إنى رأيت أنى أهديت لى قعبة مملوءة زبداً، فنقرها ديك، [فأهراق] ما فيها، قال أبو بكر [رضى الله عنه]: ما أظن أن تدرك منهم يا رسول الله يومك هذا ما تريد، قال أبو بكر رضى الله عنه: وأنا لا [أرى] ذلك(٢).

وخرّج الإمام أحمد [رحمه الله]، من حديث حماد بن سلمة، حدثنا الأشعث بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال: إن رجلاً قال: قال رسول الله ﷺ: رأيت كأن دلواً دليت من السماء، فجاء أبو بكر رضى الله عنه، فأخذ بعراقيبها، فشرب شرباً ضعيفاً، ثم جاء عمر رضى الله عنه، فأخذ بعراقيبها، فشرب حتى تضلع، ثم جاء عثمان رضى الله عنه، فأخذ بعراقيبها، فشرب، فانتشطت منه، فانتضح عليه منها شيء(٣). [ثم جاء على فأخذ بعراقيبها، فانتشطت وانتضح عليه منها شيء](٤).

وخرّج الإمام أحمد من حديث اسماعيل بن عياش: سمعتُ عمرو بن [العاص] رضى الله عنه يقول: سمعتُ عن عبد الله بن الحرث، قال:

---

(١) زيادة للسياق من (المسند). وأخرجه أيضا فى (المسند): ٦ / ٣٢٢ - ٣٢٣، حديث رقم (٢١٦٠٤) بزيادة ونقصان وتقديم وتأخير.

(٢) (مغازى الواقدى): ٣ / ٩٣٦، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه.

(٣) (مسند أحمد): ٥ / ٦٥٣، حديث رقم (١٩٧٣٠) باختلاف يسير فى اللفظ، وأخرجه أبو داود فى (السنن): ٥ / ٣١ - ٣٢، كتاب السنة، باب (٩) فى الخلفاء، حديث رقم (٤٦٣٧)، وقال فيه: « بعراقيها ».

(٤) زيادة للسياق من (سنن أبى داود).

سمعتُ عمرو بن [العاص] رضى الله عنه يقول: بينا أنا فى منامى أتتنى الملائكة، فحملت عمود الكتاب من تحت وسادتى فعمدت به إلى الشام، ألا فالإيمان حيث تقع الفتن بالشام(١).

ومن حديث زيد بن واقد قال: حدثنى بشر بن [عبد] الله، عن أبى إدريس الخولانى، عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: بينا أنا نائم رأيتُ عمود الكتاب احتمل من تحت رأسى، فظننت أنه مذهوب، فأتبعته بصرى فعهد به إلى الشام.. الحديث(٢).

وخرَّج الحاكم من حديث عبد الرزاق قال: أنبأنا معمر، عن الزهرى، عن عروة، عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: نمتُ فرأيتنى فى الجنة، فسمعت صوت قارىء يقرأ، فقلت: من هذا: قالوا: حارثة بن النعمان، فقال رسول الله ﷺ: كذلك البر، قال: وكان أبر الناس بأمه. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه بهذه السياقة. قال ابن عيينة وغيره: قالوا فيه: دخل رسول الله ﷺ الجنة، ولم يذكروا فيه النوم ولا برَّ أمه(٣).

[وخرّج عثمان بن سعيد الدارمى] من حديث محمد بن حرب، عن الزبيدى، عن الزهرى، عن عمرو بن أبان بن عثمان، عن جابر بن عبد الله رضى الله [عنهما] قال: قال رسول الله ﷺ: أُريت الليلة رجل صالح أن أبا بكر رضى الله عنه نيط برسول الله ﷺ، قلنا: أما الرجل الصالح، فرسول الله ﷺ، وأما ما ذكر ما نوط بعضهم ببعض، فهم ولاة هذا الأمر الذى بعث الله

---

(١) (مسند أحمد): ٥/ ٢٢٢، حديث رقم (١٧٣٢١).

(٢) انظر التعليق السابق.

(٣) (المستدرك): ٤/ ١٦٧، كتاب البر والصلة، حديث رقم (٧٢٤٧)، وقال عنه الحافظ الذهبى فى (التلخيص): على شرط البخارى ومسلم وأخرجاه مختصراً.

[تعالى] به نبيه ﷺ(١). قال الدارمى : فسمعتُ يحى بن معين يقول : محمد بن حرب يسند هذا الحديث، والناس يحدثون به عن الزهرى مرسلاً، وإنما هو عمر بن إبان، ولم يكن لإبان بن عثمان أن يقال له : عمرو(٢).

وخرّج الحاكم من حديث زمعة بن صالح، عن سلمة بن وهرام، عن عكرمة، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : دخلتُ الجنة البارحة، فنظرت فيها، فإذا جعفر رضى الله عنه يطير مع الملائكة، وإذا حمزة رضى الله عنه متكىء على [سرير]. قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد(٣) [ولم يخرجاه].

وخرجه من حديث على بن عبد الله المدينى قال : حدثنى أبى عبد الله ابن جعفر، حدثنا العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [رأيت] جعفر بن أبى طالب [رضى الله

---

(١) أخرجه أبو داود فى (السنن) : ٥ / ٣٠ - ٣١، كتاب السنة، باب (٩) فى الخلفاء، حديث رقم (٤٦٣٦)، (دلائل البيهقى) : ٦ /٣٤٨، (كنز العمال) : (١٤٩٦٣).

(٢) فعلى ما ذكره أبو داود عنهما يكون الحديث منقطعًا، لأن الزهرى لم يسمع من جابر. وقوله : « نيط » معناه : عُلق، والنوط : التعليق،والتنوط : التعلق. (معالم السنن).

وأخرجه الإمام أحمد فى (المسند) : ٤ / ٣٢، حديث رقم (١٤٤٠٧)، (مسند أحمد) : ٥ / ٢٢٢، حديث رقم (١٧٣٢١).

(٣) (المستدرك) : ٣ / ٢١٧، كتاب معرفة الصحابة، حديث رقم (٤٨٩٠)، قال الحافظ الذهبى فى (التلخيص) : سلمة بن وهرام ضعفه أبو داود.

وسنده فى (المستدرك) : حدثنا الهيثم بن خلف الدورى، حدثنا محمد بن المثنى، حدثنى عبيد الله بن عبد المجيد الحنفى، حدثنا ربيعة بن كلثوم، عن سلمة بن وهرام : عن عكرمة، عن ابن عباس به.

وأخرجه أيضا بسياقة أخرى فى مناقب جعفر بن أبى طالب، حديث رقم (٤٩٣٣)، وقد حذفه الحافظ الذهبى من (التلخيص) لضعفه.

عنه] ملكًا يطير مع الملائكة بجناحين. قال: هذا حديث صحيح الإسناد(١) [ولم يخرجاه].

ومن حديث معن بن زائدة [الأسدى الكوفى قائد الأعمش] عن الأعمش، عن أبى صالح، عن ابن عباس [رضى الله عنهما] قال: قال رسول الله ﷺ: رأيتُ كأنى دخلتُ الجنة، فرأيتُ لجعفر [رضى الله عنه] درجة فوق درجة زيد [رضى الله عنه] فقلت: ما كنتُ أظن أن زيدًا يدون أحدًا، فقيل: يا محمد، تدرى بم رفعت درجة جعفر [رضى الله عنه]؟ قال ﷺ: قلت: لا، قيل: لقرابة ما بينك وبينه(٢). قال: هذا حديث صحيح الإسناد [ولم يخرجاه].

ومن حديث عبد الرزاق قال: أنبأنا معمر عن الزهرى، عن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، عن عائشة رضى الله عنها قالت: إن رسول الله ﷺ قال: رأيتُ فى المنام كأن أبا جهل أتانى فبايعنى، فلما أسلم خالد بن الوليد رضى الله عنه، قيل لرسول الله ﷺ: قد صدق الله تعالى رؤياك يا رسول الله، هذا كان إسلام خالد رضى الله عنه، [فقال:] ليكونن غيره حتى أسلم عكرمة بن أبى جهل رضى الله عنه، [وكان] ذلك تصديق رؤياه(٣). قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين [ولم يخرجاه].

[وقال الزبير بن بكار: قال عمى مصعب بن عبد الله: وزعم من يعلم أن قيام رسول الله ﷺ إلى عكرمة بن أبى جهل، وفرحه به، أن رسول الله ﷺ

---

(١) (المرجع السابق): حديث رقم (٤٩٣٥)، قال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): المدينى واهٍ.

(٢) (المرجع السابق): حديث رقم (٤٩٣٨)، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): منكر، وإسناده مظلم.

(٣) (المرجع السابق): ذكر مناقب عكرمة بن أبى جهل، حديث رقم (٥٠٦٠)، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): على شرط البخارى ومسلم.

رأى فى منامه الجنة، ورآى فيها عذقًا مذللاً فأعجبه، فقال: لمن هذا؟ فقيل لأبى جهل، فشق ذلك عليه، وقال: ما لأبى جهل والجنة؟ والله لا يدخلها، فلما رأى عكرمة أباه مسلمًا، ناول ذلك العذق عكرمة بن أبى جهل](١).

وخرج الحاكم من حديث الربيع بن سليمان، حدثنا بشر بن بكر التليسى، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن سليم بن عامر الكلاعى، حدثنى أبو أمامة الباهلى [رضى الله عنه قال:] سمعتُ رسول الله ﷺ [يقول:] بينا أنا نائم إذا أتانى رجلان فأخذا بضبعى، فأتيانى جبلاً وعرًا، فقالا لى: اصعد، فقلتُ: إنى لا أطيقه، فقالا: إنا سنسهله لك، فصعدت حتى كنت فى سواء الجبل، إذا أنا بأصوات شديدة، قلت: ما هذه الأصوات؟ قالوا: هذا عواء أهل النار، ثم انطلق بى، فإذا [أنا] بقوم معلقين بعراقيبهم، مشققة أشداقهم، تسيل أشداقهم دمًا، قلت: من [هؤلاء]؟ قال: [هؤلاء] الذين يفطرون قبل تحلة صومهم(٢).

ثم انطلق بى، فإذا بقوم أشد شىء انتفاخًا، وأنتنه ريحًا [وأسوئه] منظرًا، فقلت: من [هؤلاء]؟ قال: [هؤلاء] الزانون والزوانى، ثم انطلق بى، فإذا أنا بنساء ينهشن ثديهن الحياتُ، فقلت: ما بال [هؤلاء]؟. فقال: [هؤلاء] اللاتى يمنعن أولادهن ألبانهن.

ثم انطلق بى، فإذا بغلمان يلعبون بين نهرين، فقلت: من [هؤلاء]؟ قالوا: [هؤلاء] [ذرارى] المؤمنين، ثم [تشرف بى شرفًا]، فإذا أنا بثلاثة نفر يشربون من خمر لهم، قلت: من [هؤلاء]؟ [قالوا]: [هؤلاء] جعفر بن أبى طالب، وزيد، [و] ابن رواحة [رضى الله عنهم]، ثم [تشرف بى

---

(١) ما بين الحاصرتين سقط فى (ج) واستدركناه من (خ).

(٢) إلى هنا ذكره الحاكم فى (المستدرك): ١/ ٥٩٥، كتاب الصوم، حديث رقم (١٥٦٨)، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): على شرط مسلم.

شرفاً] آخر، فإذا أنا بثلاثة نفر، قلت: من [هؤلاء]؟ قال: [هؤلاء] إبراهيم، وموسى، وعيسى، [عليهم الصلاة والسلام]، وهم ينتظرونك.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وقد احتج البخارى بجميع رواته، غير سليم بن عامر، وقد احتج به مسلم، [وخرّجه ابن حبان فى صحيحه، خلا قوله: قالوا: [هؤلاء] على بن أبى طالب، وزيد، وابن رواحة](١).

---

(١) (الإحسان بتقريب صحيح ابن حبان): ١٦/ ٥٣٦ - ٥٣٧، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، باب (٦) صفة النار وأهلها، حديث رقم (٧٤٩١)، وهو آخر أحاديث الكتاب، وقال فى هامشه: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير بشر بن أبى بكر فمن رجال البخارى، وسليم بن عامر فمن رجال مسلم، وابن جابر: هو عبد الرحمن بن زيد بن جابر، وهو فى (صحيح ابن خزيمة) حديث رقم (١٩٨٦) بأطول منه.

فصل في ذكر صديق رسول الله ﷺ قبل النُّبُوَّة

قال الحافظ أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم: كان عمرو بن عَبَسة [بن منقذ بن خالد بن حذيفة](١) السلمى [كان](١)، صديق رسول الله ﷺ فى الجاهلية(٢). وقال أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر: عمرو بن عَبَسة بن عامر بن خالد السلمى، يكنى أبا نجيح، ويقال أبا شعيب، وينسبونه عمرو بن عَبَسة بن عامر بن خالد بن غاضرة بن عتاب ابن امرئ القيس بن بُهثة بن سُليم، أسلم قديمًا فى أول الإسلام، وذكر حديث إسلامه، و هو يقضى أنه قدم مكة، وأسلم بعد أبى بكر وبلال، رضى الله عنهما، ثم رجع إلى قومه، ومقتضاه أنه لم يكن يعرف النبى ﷺ قبل إسلامه، وأنه فارقه فلم يره بعد ذلك، حتى قدم عليه المدينة، فتعرف له، فعرفه ﷺ(٣).

[وقال ابن الكلبى: عياض بن حماد بن محمد بن سفيان، كان حِرْمِىّ(١) رسول الله ﷺ، وفد على النبى ﷺ قبل أن يُسلم، ومعه نجيبة

---

(١) زيادة للنسب والسياق من (جمهرة أنساب العرب لابن حزم).

(٢) (المرجع السابق): ٢٦٤.

(٣) عمرو بن عبسة، له ترجمة فى (الاستيعاب): ٣/ ١١٩٢ - ١١٩٤، ترجمة رقم (١٩٣٧)، (جمهرة أنساب العرب): ١٨٦، ٢٦٤، (طبقات خليفة): ٤٩، ٣٠٢، (المعارف): ٢٩٠، (الجرح والتعديل): ٦/ ٢٤١، (المستدرك): ٣/ ٧١٤، ذكر عمرو بن عبسة السلمى رضى الله عنه، (جامع الأصول): ٩/ ١١٦، (تهذيب التهذيب): ٨/ ٦١، ترجمة رقم (١٠٧)، (الإصابة): ٤/ ٦٥٨-٦٦١، ترجمة رقم (٥٩٠٧)، (سير أعلام النبلاء): ٢/ ٤٥٦ - ٤٦٠، ترجمة رقم (٨٨)، (أسماء الصحابة الرواة): ٩٦، ترجمة رقم (٨٤)، (تاريخ الصحابة): ١٧٥، ترجمة رقم (٨٩٠).

يُهديها له، فقال: أسلمتَ؟ قال: لا، قالك إن الله نهانى أن أقبل [زَبْدًا](٢) من المشركين، فأسلم، فقبلها منه، فقال: يا رسول الله! الرجل من قومى أسفل منى يشتمنى، أفانتصر منه؟ فقال النبى ﷺ: المستبَّان شيطانان يتكاذبان(٣)، ويتهاتران](٤).

[وقال ابن إسحاق، عن الحسن بن دينار، عن قتادة، عن مطرف بن عبد الله بن الشخير، عن عياض بن حمار المجاشعى، وكان يقال: العياض حرمى النبى ﷺ، كان ينزل على رسول الله ﷺ مك، إذا قدمها فى الجاهلية](٤).

وقال محمد بن حزم: وكان عياض بن حمار بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم، حرمى رسول الله ﷺ فى الجاهلية(٥).

---

(١) الحِرْمِىّ: قال فى (اللسان): الحَرِيمُ: ثوب المُحْرِم، وكانت العرب تطوف عراة وثيابهم مطروحةٌ بين أيديهم فى الطواف.

وفي الحديث: أن عياض بن حِمار المجاشعى كان حِرمِىّ رسول الله ﷺ، فكان إذا حج طاف فى ثيابه؛ كان اشراف العرب يتحمسون على دينهم، اى يتشدَّدون إذا حجَّ احدهم لم ياكل إلا طعام رجل من الحرم، ولم يُطفْ إلا فى ثيابه، فكان لكل رجل من أشرافهم رجلٌ من قريش، فيكون كل واحد منهما حِرْمىٌّ صاحبه، كما يقال: كِرِيّ للمُكرِى والمُكْتَرِى. (لسان العرب): ١٢ / ١٢٠.

(٢) الزبد: الهدية.

(٣) (جمهرة النسب): ٢٠٣ – ٢٠٤.

(٤) قوله: «يتهاتران» زيادة للسياق من (مسند احمد): ٥ / ١٦٦ – ١٦٧، حديث رقم (١٧٠٣٣)، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (خ) وليس فى (ج). وعياض بن حمار له ترجمة فى: (الإصابة): ٤ / ٧٥٢، ترجمة رقم (٦١٣٢)، (تهذيب التهذيب): ٨ / ١٧٩، ترجمة رقم (٣٦٧)، (الاستيعاب): ٣ / ١٢٣٢ – ١٢٣٣، ترجمة رقم (٢٠١١).

(٥) (جمهرة أنساب العرب): ٢٣١.

ومعنى ذلك أن قريشًا كانت [في] الحُمْس، وكانت [بنو] مجاشع من الحلة، وهما دينان من أديان العرب في الجاهلية، فكان الحلى لا يطوف بالبيت إلا عُريان، إلا أنه يُعيره رجل من الحُمس ثيابًا يطوف فيها، وكان عياض يطوف في ثياب رسول الله ﷺ.

وقال ابن عبد البر [رحمه الله] : عياض بن حمار بن أبي حمار بن ناجية ابن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع المجاشعي التميمي، كان من الحلة الذين لا يطوفون إلا في ثياب الحُمس(١).

وقال في (التمهيد) : روينا عن طاووس ومجاهد، وأبي صالح، ومحمد ابن كعب القرظي، ومحمد بن شهاب الزهري، يعني ما نورده بدخول [كلام] بعضهم في بعض، وأكثره على لفظ ابن شهاب قال [جامعه : كانت] العرب تطوف بالبيت عراة، إلا الحمى : قريش وأحلافهم، فمن جاء من [غيرهم]، وضع ثيابه فطاف في ثوبي أحمس يستعيرها منه، فإن لم يجد من يعيره، استأجر من ثيابهم، فإن لم يجد [من يستأجر منه ثوبه من الحمس، ولا من يعيره ذلك]، كان بين أحد أمرين : إما أن يلقى [عليه] ثيابه ويطوف عريانا، وإما أن يطوف في ثيابه، فإذا طاف في ثيابه ألقاها عن نفسه إذا قضى طوافه، وحرمها عليه [فلا] يقربها غيره، فكان ذلك الثوب يسمى اللقى(٢)، وفي ذلك قول بعضهم :

---

(١) (الاستيعاب) : ٣/ ١٢٣٢ - ١٢٣٣ .

(٢) قال ابن الأثير : قيل : أصل اللقى أنهم كانوا إذا طافوا خلعوا ثيابهم وقالوا : لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها، فيلقونها عنهم، ويسمون ذلك الثوب لقىً، فإذا قضوا نسكهم لم يأخذوها، وتركوها بحالها ملقاةً.

وقال أبو الهيثم : اللقى ثوب المحرم يلقيه إذا طاف بالبيت في الجاهلية، وجمعه ألقاء . (لسان العرب) : ١٥/ ٢٥٥ - ٢٥٦ .

كفى حزنا حزنى عليه كأنه لقىً بين أيدى الطائفين حريم(١)

والمرأة فى ذلك والرجل سواء، إلا أن النساء كن يطفن بالليل، والرجال [بالنهار]، فقدمت امرأة لها هيئة وجمال، فطافت عريانة، وقال بعضهم: بل كان عليها من ثيابهم ما ينكشف عنها، فجعلت تقول:

اليوم يبدو بعضه أوكله فما بدا منه فلا أحله

[وكانوا] على ذلك، حتى بعث الله [تعالى] نبيه ﷺ، فأنزل الله [تعالى] عليه: **﴿يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى [ذلك خير]﴾**(٢) [لأنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة]، ونزلت: **﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾**(٣)، وأمر رسول الله ﷺ مناديا فنادى: ألا لا يطوفون بالبيت عريان(٤).

---

(١) هذا البيت فى كافة المراجع هكذا:

كفى حزنًا كرى عليه كانه لقىً بين أيدى الطائفين حريمُ

(٢) الأعراف: ٢٦.

(٣) الأعراف: ٣١.

(٤) كان هذا النداء بمكة سنة تسع (البحر المحيط): ٥/ ٤٠. والحديث فى ذلك رقم (١٣٤٧) من (صحيح مسلم). ويذكر أن المرأة التى القائلة:

اليوم يبدو بعضه أوكله وما بدا منه فلا أحله

هى ضباعة بنت عامر بن صعصعة، ثم من بنى سلمة بن قشير.

وذكر محمد بن حبيب ان رسول الله ﷺ خطبها، فذكرت له ﷺ عنها كبرة، فتركها فقيل إنها ماتت كمدا وحزنا على ذلك.

قال ابن حبيب: إن كان صح هذا، فما أخرها عن ان تكون أما للمؤمنين، وزوجا لرسول رب العالمين إلا قولها: اليوم يبدو بعضه أوكله، تكرمة من الله لنبيه، وعلما منه بغيرته، والله تعالى أغير منه (سيرة ابن هشام): ٢/ ٢٥.

ذكر أنه ﷺ كان يحسن العوم فى الماء

قال ابن سعد: أخبرنا محمد بن واقد الأسلمى، حدثنا محمد بن عبد الله عن الزهرى قال: وحدثنا محمد بن صالح، عن عاصم بن عمر بن قتادة، وحدثنا [عبد الرحمن بن عبد العزيز، عن عبد الله بن أبى بكر بن عمرو بن حزم، قالوا: حدثنا هاشم بن عاصم الأسلمى، عن أبيه، عن ابن عباس، دخل حديث بعضهم فى بعض، قالوا: وكان رسول الله ﷺ مع أمه آمنة بنت وهب، فلما بلغ ست سنين، خرجت به إلى [أخواله] بنى عدى ابن النجار بالمدينة، تزورهم به، ومعه أم أيمن تحضنه، وهم على بعيرين، فنزلت به ى دار النابغة فأقامت به عندهم شهرا، وكان رسول الله ﷺ، يذكر أمورا كانت فى مقامه ذلك، لما نظر إلى أطم بنى عدى بن النجار عرفه، وقال: كنت ألاعب أنيسة جارية من الأنصار على هذا الأطم، وكنت مع غلمان من أخوالى، نُطيّر طائرا كان يقع عليه، ونظر إلى الدار، فقال: ها هنا نزلت بى أمى، وفى هذه الدار قبر أبى عبد الله بن عبد المطلب، وأحسنت العوم فى بئر بنى عدى بن النجار، وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون إليه، فقالت أم أيمن: فسمعتُ أحدهم يقول: هو نبى هذه الأمة، وهذه دار هجرته، فوعيت ذلك كله من كلامه، ثم رجعت به أمه إلى مكة، فلما كانت بالأبواء، توفيت آمنة بنت وهب، فقبرها هناك، فرجعت به أم أيمن على البعيرين اللذين قدموا عليهما [إلى] مكة، وكانت تحضنه مع أمه، ثم أن بعد أن ماتت

[أيضا].. وذكر الحديث(١).

* * *

---

(١) وتمامه: فلما مرّ رسول الله ﷺ فى عمرة الحديبية بالأبواء، قال: إن الله قد أذن لمحمد فى زيارة قبر أمه، فأتاه رسول الله ﷺ فأصلحه وبكى عنده، وبكى المسلمون لبكاء رسول الله ﷺ، فقيل له، فقال: أدركتنى رحمتها فبكيت. (طبقات ابن سعد): ١ / ١١٦ - ١١٧، ذكر وفاة آمنة أم رسول الله ﷺ، وما بين الحاصرتين ليس فى (ج).

ذكر شريك رسول الله ﷺ قبل البعث

[قال أبو بكر بن أبى [شيبة]، حدثنا عفان، حدثنا وهيب، حدثنا عبد الله بن عثمان بن [خيثم]، عن مجاهد، عن السائب، أنه كان يشارك رسول الله ﷺ قبل الإسلام فى التجارة، فلما كان يوم الفتح، أتاه فقال: مرحبا بأخى وشريكى، كان لا يدارى، ولا يمارى، يا سائب! كنت تعمل أعمالاً فى الجاهلية لا تتقبل منك، وهى اليوم تتقبل منك، وكان ذا سلف وصلة][1].

وقال الزبير بن بكار: وحدثنى أبو ضمرة، أنس بن عياض الليثى، قال: حدثنى أبو السائب، عبد الله بن السائب المخزومى، قال: كان جدى أبو السائب شريك رسول الله ﷺ فى الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: نعم الشريك، كان أبو السائب لا يشارى ولا يمارى].

[وخرج أبو نعيم الأصفهانى، من حديث الأعمش، عن مجاهد، قال: حدثنى مولاى عبد الله بن السائب، قال: كنت شريك النبى ﷺ فى الجاهلية، فلما قدمتُ المدينة، قال: تعرفنى؟ قلت: نعم، كنت شريكى، قال: نعم الشريك، لا تدارى، ولا تمارى][2].

[وقال ابن عبد البر: الحديث فى من كان شريك رسول الله ﷺ مضطرب جدا، من يجعل الشركة للسائب بن أبى السائب، ومنهم من

---

(١) (مصنف ابن أبى شيبة): ٧/ ٤١٠، كتاب المغازى، باب (٣٤) فتح مكة، حديث رقم (٣٦٩٣٧)، وما بين الحاصرتين ليس فى (خ).

(٢) (مجمع الزوائد): ٩/ ٤٠٩. وما بين الحاصرتين ليس فى (ج) فى كل المواضع.

يجعلها لأبى السائب أبيه، ومنهم من يجعلها لقيس بن السائب، ومنهم من يجعلها لعبد الله بن السائب، [و] هذا اضطراب لا يثبت به شيء، ولا تقوم به حجة](١).

[وقال الزبير بن بكار، فى كتاب (نسب قريش) ومنه نقلت: وولد عائذ ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم، أبا السائب، واسمه صيفى، وأبا رفاعة، واسمه أمية، وعتيق، وزهير، فولد أبو السائب بن عائذ. السائب، قتل ببدر كافرا، والمسيب وأبا نهيك، واسمه عبد الله، وأبا عطاء، واسمه عبد الله، أُسر ببدر].

[قال: ومن ولد أبى السائب بن عائذ، أو السائب الذى كان يستغرب فى الشعر إذا استحسنه، وكان علماء قريش يذكرون منه عفافا، ثم ذكر حديث أبى السائب، عبد الله بن السائب [قال]: كان جدى أبو السائب شريك رسول الله ﷺ. وذكر ابن إسحاق فيمن قتل ببدر من المشركين: السائب بن أبى السائب بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم(٢).

[قال ابن هشام عفى الله عنه: السائب بن أبى السائب، شريك رسول الله ﷺ، الذى جاء فيه الحديث، عن رسول الله ﷺ: نعم الشريك السائب،

(١) (الاستيعاب): ٣/ ٩١٥، ترجمة رقم (١٥٤٣)، ٣/ ١٢٨٨ - ١٢٨٩، ترجمة قيس بن السائب رقم (٢١٣٣).

(٢) وقال أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى: فمن ولد أبى السائب: عبد الله بن أبى السائب، كان شريكا للنبى ﷺ فى الجاهلية، فاتى النبى ﷺ يوم الفتح فقال: يا رسول الله أتعرفنى؟ قال: ألست شريكى؟ قال: بلى يا رسول الله. فكنت خير شريك، كنت لا تدارى لا تُمارى. [مات عبد الله بن أبى السائب بمكة فى إمارة ابن الزبير، وقال الحافظ فى (الإصابة): والمحفوظ أن هذا لأبيه السائب]. (جمهرة النسب): ٩٠.

[لا يشارى، ولا يمارى]. وكان أسلم فحسن إسلامه فيما بلغنا][(١)].

[وذكر ابن شهاب الزهرى، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس، أن السائب بن أبى السائب بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ممن بايع رسول الله ﷺ من قريش، وأعطاه يوم الجعرانة من غنائم حنين][(٢)].

[وقال أبو محمد بن حزم: والسائب بن أبى السائب بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، اختلف فيه؛ فقيل: لم يقتل يومئذ -يعنى يوم بدر- بل أسلم بعد ذلك][(٣)].

[وقال أبو عمر بن عبد البر: اختلف فى إسلامه، ثم ذكر قول ابن إسحاق، وقول الزبير الذى تقدم ذكره، ثم قال: وقد نقض الزبير ذلك فى موضعين من كتابه، فذكر ما أورده الزبير من حديثه، عن يحى بن محمد ابن عبد الله بن ثوبان، عن جعفر بن عكرمة، عن يحى بن كعب، عن أبيه كعب، مولى سعيد بن العاصى، وهو يطوف بالبيت ومعه جنده، فرجموا

---

(١) (سيرة ابن هشام): ٣/ ٢٦٨، وقال فى هامشه: وذكر فيمن قتل من المشركين: السائب بن أبى السائب، واسم أبى السائب صيفى بن عابد [أو ابن عائذ]، وأنكر ابن هشام أن يكون السائب قتل كافرا، قال: وقد أسلم وحسن إسلامه. وفى هذا الموضوع اضطراب لا يثبت به شىء، ولا تقوم به حجة، والله تعالى أعلم.

ثم ذكره ابن هشام فى باب توزيع غنائم حنين على المبايعين من قريش، قال ابن هشام: ومن بنى مخزوم بن يقظة... والسائب ابن أبى السائب بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. (سيرة ابن هشام): ٥/ ١٧٢.

(٢) راجع التعليق السابق.

(٣) الذى قاله أبو محمد بن حزم: وولد عبد الله بن عائذ: السائب؛ وولد أبو السائب -وهو صيفى بن عائذ- المسيب بن أبى السائب، والسائب بن أبى السائب، وأبا نهيك بن أبى السائب، فولد السائب: عبد الله بن السائب، شريك رسول الله ﷺ، فولد عبد الله أبو السائب: السائب بن أبى السائب، قُتل يوم بدر كافرا. (جمهرة أنساب العرب لابن حزم): ١٤٣.

السائب بن صيفى بن عائذ، فسقط، فوقف عليه معاوية -وهو يومئذ خليفة- فقال: ارفعو الشيخ، فلما قام قال: هيا معاوية!

أجئتنا بأوباش الناس يصرعوننا حول البيت، [أما] والله لقد أردت أن أتزوج أمك، فقال معاوية: ليتك فعلت فجاءت بمثل أبى السائب، يعنى عبد الله بن السائب](١).

[قال ابن عبد البر: وهذا واضح فى إدراكه الإسلام، وفى طول عمره، ثم ذكر حديث الزبير الذى تقدم ذكره، من قوله ﷺ: نعم الشريك كان أبو السائب](١).

[قال ابن عبد البر: وهذا كله من الزبير مناقضة لما ذكر أن السائب بن السائب قتل يوم بدر كافرا، ثم ذكر ابن عبد البر قول ابن هشام الذى تقدم ذكره، ثم قال: وهذا أولى ما عول عليه فى هذا الباب، يعنى أن السائب بن السائب من المؤلفة قلوبهم، وممن حسن إسلامه منهم](١).

وقد خرج حديث السائب -رحمه الله- أبو داود فى سننه(٢)، وابن ماجة (٣) أيضا من حديث سفيان، قال: حدثنى إبراهيم بن المهاجر، عن

(١) ما بين الحاصرتين ليس فى (ج).

(٢) (سنن أبى داود): ٥/ ١٧٠ - ١٧١، كتاب الأدب، باب (٢٠) فى كراهية المراء، حديث رقم (٤٨٣٦).

وقال فى هامشه: السائب هذا قد ذكر بعضهم أنه قتل كافرا يوم بدر، قتله الزبير بن العوام، وذكر بعضهم أنه أسلم وحسن إسلامه، وهذا هو المعول عليه، وقد ذكره غير واحد من الأئمة فى كتب الصحابة، والسائب بن أبى السائب من المؤلفة قلوبهم [من المنذرى باختصار].

قال الشيخ: قوله: «لا تدارى» يعنى لا تخالف ولا تمانع، وأصل الدرء: الدفع، يصفه ﷺ بحسن الخلق والسهولة فى المعاملة.

وقوله: «لا تمارى» يريد المراء والخصومة، (معالم السنن).

(٣) (سنن ابن ماجة): ٢/ ٧٦٨، كتاب التجارات، باب (٦٣) الشركة والمضاربة، حديث رقم =

مجاهد، عن [قائد] السائب عن السائب قال : أتيتُ النبى ﷺ، فجعلوا يثنون عليَّ ويذكروننى، فقال رسول الله ﷺ : أنا أعلمكم -يعنى به- فقلت : صدقت، بأبى [أنت][1] وأمى، كنت شريكى، فنعم الشريك، كنت لا تدارى ولا تمارى. رواه عند أبى داود : يحى عن سفيان، وهذه سياقته، ذكره فى كتاب الأدب. ورواه عند ابن ماجه : عبد الرحمن بن مهدى، ولفظه : عن السائب أنه قال للنبى ﷺ : كنت شريكى فى الجاهلية، فكنت خير شريك، كنت لا تدارينى، ولا تمارينى][2].

* * *

= (٢٢٨٧)، وقال فى هامشه : « لا تدارينى » من درأ بالهمز إذا دفع، وفى النهاية) : أصله يدارئنى مهموز، وجاء فى الحديث غير مهوز ليزاوج يمارينى.

« ولا تمارينى » من المراء وهو الجدال، والمراد أنه كان شريكا موافقا، لا يخالف ولا ينازع.

(١) زيادة للسياق من (سنن أبى داود).

(٢) ما بين الحاصرتين ليس فى (ج).

فصل فى ذكر سفره ﷺ

اعلم أن رسول الله ﷺ كان يحب السفر فى يوم الخميس، وكان يذكر الله تعالى عند سفره، وإذا رجع من سفره، بأذكار معلومة، وكان ﷺ يدعو الله تعالى إذا ودع مسافرا، وإذا نزل منزلاً، وإذا كان وقت السحر، وكان يتنفل على الراحلة، وله سير معروف، وكان ﷺ لا يطرق أهله ليلاً.

أما يوم سفره ﷺ

فخرج البخارى عن يونس، عن الزهرى قال: أخبرنى عبد الرحمن بن كعب بن مالك، أن كعب بن مالك كان يقول: لقل ما كان رسول الله ﷺ يخرج إذا خرج [فى سفر] إلا يوم الخميس(١). هكذا وقع الحديث فى كتاب البخارى، عن يونس، عن الزهرى، عن عبد الرحمن بن كعب، قال: سمعت مالكا يقول.. والحديث منقطع، لأنه لم يسمع عبد الرحمن بن عبد الله، من جده كعب بن مالك شيئا، وإنما سمع من أبيه عبد الله، ومن عمه عبيد الله، عن أبيهما كعب بن مالك، ونسب ذلك لابن المبارك، لا ليونس، لأن الليث بن سعد، وعبد الله بن وهب، روياه عن يونس، عن الزهرى، عن عبد الرحمن، عن أبيه، عن جده كعب بن مالك، ورواه الليث أيضا، عن عقيل، عن الزهرى، بهذا الإسناد أيضا متصلا(٢).

---

(١) (فتح البارى): ٦/ ١٤٠، كتاب الجهاد، باب (١٠٣) من أراد غزوة فورى بغيرها، ومن أحب الخروج يوم الخميس، حديث رقم (٢٩٤٩)، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه.

(٢) قال الحافظ فى (الفتح): والحاصل أن رواية الزهرى للجملة الأولى هى عن عبد الرحمن بن عبد الله =

وخرج النسائى من طريق ابن جريج، قال أخبرنى معمر، عن الزهرى، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب، عن جده، أن رسول الله ﷺ خرج فى غزوة تبوك يوم الخميس، وكان يحب أن يخرج يوم الخميس، وخرج من طريق ابن وهب قال: أخبرنى يونس عن ابن شهاب قال: حدثنى عبد الرحمن بن كعب، عن أبيه، عن جده، قال: ما كان رسول الله ﷺ يخرج فى سفر جهاد وغيره، إلا فى يوم الخميس. هكذا قال فى الأول: عبد الرحمن عن جده، وفى الثانى: عبد الرحمن عن أبيه(١).

وخرج أبو بكر الشافعى، من طريق عثمان بن عمر بن فارس بن لقيط، أبى محمد العبدى قال: حدثنا يونس عن الزهرى، عن عبد الرحمن بن كعب، عن أبيه قال: قل ما رسول الله ﷺ إذا أراد سفرا، أن يخرج إلا يوم الخميس(٢).

وخرج ابن حيان من طريق خالد بن إلياس [ويقال: ابن إياس]، عن

= ابن كعب بن مالك، وروايته للجملة الثانية المتعلقة بيوم الخميس هى عن عمه عبد الرحمن بن كعب ابن مالك، وقد سمع الزهرى منهما جميعا، وحدَّث يونس عنه بالحديثين مفصلاً، وأراد البخارى بذلك دفع الوهم واللبس عمن يظن فيه اختلافا (فتح البارى).

(١) نسبة المنذرى إلى النسائى، ولعله فى (الكبرى)، وأخرجه الخطيب البغدادى فى (تاريخ بغداد): ١٤ / ٢١٩، فى ترجمة يحى بن إسحاق، رقم (٧٥١٠).

(٢) وأخرجه أبو داود فى (السنن): ٣ / ٧٩، كتاب الجهاد، باب (٨٤) حديث رقم (٢٦٠٥)، وقال فى هامشه: وأخرجه النسائى.

وأخرجه أيضا أبو محمد الدارمى فى (السنن): ٢ / ٢١٤، كتاب السير، باب فى الخروج يوم الخميس، بسنده ولفظه.

وأخرجه الإمام أحمد فى (المسند): ٤ / ٤٩١، حديث رقم (١٥٣٥٢) من حديث كعب بن مالك الأنصارى، ولفظه: «أن النبى ﷺ خرج يوم الخميس فى غزوة تبوك» وحديث رقم (١٥٣٥٤) من حديث كعب بن مالك الأنصارى ولفظه: «أقلُّ) ما كان رسول الله ﷺ يخرج إذا أراد سفرا إلا يوم الخميس»، وحديث رقم (٢٦٦٣٧) من حديث كعب بن مالك ولفظه: «أن رسول الله ﷺ إذا أراد أن يسافر لم يسافر إلا يوم الخميس».

محمد بن المنكدر، عن أم سلمة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يحب يوم الخميس، ويستحب أن يسافر فيه[١]. وخالد بن إياس هذا؛ قال أحمد: منكر الحديث، وقال ابن معين: لا يكتب حديثه[٢].

وخرج أيضا من طريق عثمان بن المخارق، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يسافر فى يوم الاثنين والخميس[٣].

* * *

---

(١) (أخلاق النبى): ٢٤٣.

(٢) له ترجمة فى (تهذيب التهذيب): ٣/ ٧٠ - ٧١، ترجمة رقم (١٥٢).

(٣) (أخلاق النبى): ٢٤٤.

وأما ما يقوله ﷺ إذا خرج مسافرا

فخرج النسائى من طريق حماد، عن عاصم قال: قال عبد الله بن سرجس: كان النبى ﷺ إذا سافر يقول: اللهم أنت الصاحب فى السفر، والخليفة فى الأهل، اللهم اصحبنا فى سفرنا، واخلفنا فى أهلنا، اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، والحور بعد الكور، ودعوة المظلوم، وسوء المنظر فى الأهل والمال(١).

---

(١) (سنن النسائى): ٨/ ٦٦٦، كتاب الاستعاذة، باب (٤١)، الاستعاذة من الحور بعد الكور، حديث رقم (٥٥١٣)، ولفظه: «أن رسول الله ﷺ كان إذا سافر قال: اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، والحور بعد الكور، ودعوة المظلوم، وسوء المنظر فى الأهل والمال».

وحديث رقم (٥٥١٤): عن عبد الله بن سرجس: «أن رسول الله ﷺ كان إذا سافر قال: اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، والحور بعد الكور، ودعوة المظلوم، وسوء المنظر فى الأهل والمال والولد».

وفى باب (٤٢) الاستعاذة من دعوة المظلوم، حديث رقم (٥٥١٥) عن عبد الله بن سرجس: كان النبى ﷺ إذا سافر يتعوذ من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، والحور بعد الكور، ودعوة المظلوم، وسوء المنظر».

وفى باب (٤٣) الاستعاذة من كآبة المنقلب، حديث رقم (٥٥١٦)، عن أبى هريرة قال: «كان رسول الله ﷺ إذا سافر فركب راحلته قال بإصبعه، ومد شعبة بإصبعه قال: اللهم أنت الصاحب فى السفر، والخليفة فى الأهل والمال، اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب».

قوله: «من وعثاء السفر» بفتح واو، وسكون عين مهملة، ومثلثة، ومد، أى شدته ومشقته.

قوله: «وكآبة المنقلب» بفتح كاف وهمزة ممدودة أو ساكنة كرأفة ورآفة، فى (القاموس): هى الغم، وسوء الحال، والانكسار من حزن، والمنقلب: مصدر بمعنى الانقلاب، أو اسم مكان.

قال الخطابى: معناه أن ينقلب إلى أهله كئيبا حزينا لعدم قضاء حاجته، أو إصابة آفة له، أو يجدهم مرضى، أو مات منهم بعضهم.

«والحور بعد الكور» الكور لف العمامة، والحور نقضها، والمراد الاستعاذة من النقصان بعد =

وخرجه الترمذى بهذا السند مثله، وقال: هذا حديث حسن صحيح[١]، قال: ويروى: الحور بعد الكور أيضا، قال: ومعنى قوله: الحور بعد الكون أو الكور فكلاهما له وجه: إنما هو الرجوع من الإيمان إلى الكفر، أو من الطاعة إلى المعصية، إنما يعنى الرجوع من شئ إلى شئ من الشر[٢].

وخرجه أبو بكر الشافعى رحمه الله، من حديث عاصم [قال:] حدثنا أبو الأحوص، عن سماك عن عكرمة، عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج إلى سفر قال: اللهم أنت الصاحب فى السفر، والخليفة فى الأهل، اللهم إنى أعوذ بك من الفتنة فى السفر، والكآبة فى المنقلب، اللهم اقبض لنا الأرض، وهون علينا السفر[٣].

وللإمام أحمد من حديث عمران بن ظبيان، عن حكيم بن سعد أبى يحى، عن على رضى الله عن قال: كان النبى ﷺ إذا أراد سفراً قال: اللهم

= الزيادة، أو من الشتات بعد الانتظام، أى من فساد الأمور بعد صلاحها، وقيل: من الرجوع عن الجماعة بعد الكون فيهم.

وروى «بعد الكون» بنون، أى الرجوع من الحالة المستحسنة بعد أن كان عليها، قيل: هو مصدر كان التامة، أى من التغير بعد الثبات.

«ودعوة المظلوم»: استعاذة من الظلم، فإنه يترتب عليه دعوة المظلوم، ودعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب.

«وسوء المنظر»: هو كل منظر يعقب النظر إليه سوء.

(حاشية السندى على سنن النسائى): ٨/ ٦٦٦.

(سنن الترمذى): ٥/ ٤٦٤، كتاب الدعوات، باب (٤٢).

(١) ما يقول إذا خرج مسافرا، حديث رقم (٣٤٣٩).

(٢) (المرجع السابق).

(٣) (كنز العمال): ٦/ ٧٣٥ - ٧٣٦، حديث رقم (١٧٦٢٧) وعزاه لابن أبى شيبة، وزاد فى آخره: فإذا أراد الرجوع من السفر قال: تائبون عابدون لربنا حامدون، وإذا دخل على أهله قال: توباً توباً، لربنا أوباً، لا يغادر علينا حوباً.

بك أصول، وبك أجول، وبك أسير(١).

ولمسلم من حديث إسماعيل بن علية، عن عاصم الأحول، عن عبد الله ابن سرجس قال: كان رسول الله ﷺ إذا سافر يتعوذ بالله من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، والحور بعد الكور، ودعوة المظلوم، وسوء المنظر فى الأهل والمال. انفرد بإخراجه مسلم(٢).

ولمسلم من حديث ابن جريج، قال: أخبرنى أبو الزبير، أن عليا الأزدى أخبره أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، علمهم أن رسول الله ﷺ، كان إذا استوى على بعيره خارجا إلى سفر، كبر ثلاثا ثم قال: ﴿**سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وإنا إلى ربنا لمنقلبون**﴾(٣) اللهم إنا نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا واطوعنا بعده، اللهم أنت الصاحب فى السفر، والخليفة فى الأهل، اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب فى المال والأهل، وإذا رجع قالهن، وزاد فيهن: آيبون تائبون عابدون، لربنا حامدون(٤).

وخرجه الترمذى من حديث حماد بن سلمة، عن أبى الزبير، عن على ابن عبد الله البارقى، عن ابن عمر [رضى الله عنهما قال:] أن النبى ﷺ كان إذا سافر ركب راحلته، كبر ثلاثا ويقول: ﴿**سبحان الذى سخر لنا هذا**

---

(١) (مسند أحمد): ١/ ١٤٥، حديث رقم (٦٩٣).

(٢) (مسلم بشرح النووى): ٩/ ١١٩، كتاب الحج، باب (٧٥)، يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره، حديث رقم (١٣٤٣).

(٣) الزخرف: [١٣ - ١٤].

(٤) (مسلم بشرح النووى): ٩/ ١١٨ - ١١٩، كتاب الحج، باب (٧٥) ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره، حديث رقم (١٣٤٢).

قوله: ﴿**وما كنا له مقرنين**﴾ معنى مقرنين مطيقين، أى ما كنا نطيق قهره واستعماله، لولا تسخير الله تعالى إياه لنا، وفى الحديث استحباب هذا الذكر عند ابتداء الأسفار كلها، وقد جاءت فيه أذكار كثيرة جمعتها فى كتاب (الأذكار) (شرح النووى).

وما كنا له مقرنين * وإنا إلى ربنا لمنقلبون ﴾ ثم يقول: اللهم إنى أسألك فى سفرى هذا من البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا السفر، واطو عنا بُعد الأرض، اللهم أنت الصاحب فى السفر، والخليفة فى الأهل، اللهم اصبحنا فى سفرنا، واخلفنا فى أهلنا. وكان يقول إذا رجع إلى أهله: آيبون [إن شاء الله](١) تائبون عابدون، لربنا حامدون(٢). قال: هذا حديث حسن [غريب من هذا الوجه](١).

وخرجه الإمام أحمد رحمه الله، ولفظه: عن ابن عمر [رضى الله عنهما] أن النبى ﷺ كان إذا ركب راحلته -يعنى إلى السفر- كبر ثلاثا ثم قال: **﴿ سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وإنا إلى ربنا لمنقلبون ﴾** ثم يقول: اللهم إنى أسألك فى سفرى هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا السفر، واطو لنا بعده، اللهم أنت الصاحب فى السفر، والخليفة فى الأهل، اللهم اصحبنا فى سفرنا، واخلفنا فى أهلنا(٣).

وللنسائى من حديث جرير، عن منصور، عن أبى إسحاق، عن على بن ربيعة الأسدى، قال: أتى على رضى الله عنه بدابة، فوضع رجله فى الركاب فقال: بسم الله، فلما استوى عليها قال: **﴿ سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وإنا إلى ربنا لمنقلبون ﴾** ثم كبر ثلاثا، وحمد الله ثلاثا، ثم قال: لا إله إلا أنت، سبحانك إنى ظلمت نفسى فاغفر ذنوبى، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، وقال: إن رسول الله ﷺ قال يوما مثل ما قلت، ثم استضحك، فقلت: مم استضحكت؟ قال: يعجب ربنا من قول عبده: سبحانك إنى ظلمت نفسى، فاغفر لى ذنوبى، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت،

---

(١) زيادة للسياق من (سنن الترمذى).

(٢) (سنن الترمذى): ٥/ ٤٦٨، كتاب الدعوات، باب (٤٧)، يقول إذا ركب الناقة، حديث رقم (٣٤٤٧).

(٣) (مسند أحمد): ٢/ ٣١٢ - ١٣٣، حديث رقم (٦٢٧٥)، وزاد فى آخره: «وكان إذا رجع إلى أهله قال: آيبون تائبون إن شاء الله عابدون لربنا حامدون».

قال: علم عبدى أنه له ربا يغفر له الذنوب(١).

وخرجه الترمذى من حديث قتيبة، حدثنا أبو الأحوص، عن أبى إسحاق، فذكره وقال: حديث حسن صحيح(٢).

وقال محمد بن إسحاق [عفى الله عنه]: وبلغنى أن رسول الله ﷺ لما خرج من مكة مهاجرا إلى الله يريد المدينة قال: الحمد لله الذى خلقنى ولم أكُ شيئا، اللهم أعنى على هول الدنيا، وبوائق الدهر، ومصائب الليالى والأيام، اللهم اصحبنى فى سفرى واخلفنى فى أهلى، وبارك لى فيما رزقتنى، ولك فذللنى، وعلى صالح خلقى فقومنى، وإليك رب فوجهنى، وإلى الناس فلا تكلنى، رب المستضعفين وأنت ربى، أعوذ بوجهك الكريم الذى أشرقت له السموات والأرض، وكشفت به الظلمات، وصلح عليه أمر الأولين والآخرين، أن يحل علىّ غضبك، أو ينزل بى سخطك، أعوذ بك من زوال نعمتك، وفجأة نقمتك، وتحول عافيتك، وجميع سخطك، لك العُتْبى عندى ما استطعت؛ ولا حول ولا قوة إلا بك. كذا ذكره أبو نعيم، عن ابن إسحاق [رحمه الله تعالى](٣).

---

(١) أخرجه النسائى فى (الكبرى)، السير، باب التسمية عند ركوب الدابة والتحميد والدعاء إذا استوى على ظهرها.

(٢) (سنن الترمذى): ٥/ ٤٦٧، كتاب الدعوات، باب (٤٧) ما يقول إذا ركب الناقة، حديث رقم (٣٤٤٦)، وقال الترمذى: وفى الباب عن ابن عمر رضى الله عنهما، وأخرجه أبو داود فى (السنن): ٣/ ٧٧، كتاب الجهاد، باب (٨١) ما يقول الرجل إذا ركب، حديث رقم (٢٦٠٢).

(٣) لم أجده.

وأمَّـا ما يقوله ﷺ إذا علا على شيء

فخرج الإمام أحمد من حديث عمارة، حدثنا زياد النميرى، حدثنى أنس، أن رسول الله ﷺ كان إذا علا نشزا من الأرض قال: اللهم لك الشرف على كل شرف، ولك الحمد على كل حال(١).

وأمَّا الدعاء لمن وَدَّعَهُ ﷺ

فخرج النسائى من حديث حماد بن سلمة، قال: أنبأنا أبو جعفر الخطمى، عن محمد بن كعب القرظىّ، عن عبد الله بن يزيد الخطمىّ قال: كان رسول الله ﷺ إذا شيع جيشا فبلغ عقبة الوداع قال: استودع الله دينكم، وأعمالكم، وخواتيم أعمالكم(٢).

ومن حديث يحى بن إسماعيل عن قزعة، عن ابن عمر رضى الله عنه

---

(١) (مسند أحمد): ٤/ ١٢٢، حديث رقم (١٣٠٩٢).

(٢) عبد الله الخطمى: هو عبد الله بن يزيد الأنصارى الخطمى، له صحبة، سكن الكوفة، وكان اميرا عليها. (معالم السنن).

والحديث اخرجه أبو داود فى (السنن): ٣/ ٧٦ - ٧٧، كتاب الجهاد، باب (٨٠) فى الدعاء عند الوداع، حديث رقم (٢٦٠١)، ولفظه: كان النبى ﷺ إذا أراد أن يستودع الجيش قال: استودع الله دينكم وأمانتكم وخواتيم اعمالكم.

والنسائى فى (الكبرى)، السير، باب ما يقول إذا ودع، وفى عمل اليوم والليلة، باب ذكر الاختلاف على حنظلة بن أبى سفيان فى باب ما يقول عند الوداع.

وابن ماجة فى (السنن): ٢/ ٩٤٣، كتاب الجهاد، باب (٢٤) تشييع الغزاة ووداعهم، حديث رقم (٢٨٢٥).

قال: ودع النبى ﷺ رجلاً فقال: استودع الله دينك، وأمانتك، وخواتيم عملك(١). وفى لفظ عن قزعة قال: كنت عند عبد الله بن عمر، فأردت الانصراف، فقال: كما أنت حتى أودعك كما ودعنى النبى ﷺ، فأخذ بيدى، فصافحنى، ثم قال: استودع الله دينك، وأمانتك، وخواتيم عملك(١).

وخرجه الترمذى [رحمه الله] من حديث سعيد بن خيثم، عن حنظلة، عن سالم، أن ابن عمر [رضى الله عنهما] كان يقول للرجل إذا أراد سفرا: ادن منى أودعك كما كان رسول الله ﷺ يودعنا، فيقول: استودع الله دينك، وأمانتك، وخواتيم عملك. قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح [غريب] من هذا الوجه من حديث سالم(٢).

وله من حديث جعفر بن سليمان، عن ثابت، عن أنس [رضى الله عنه] قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله! إنى أريد سفرا فزودنى، قال: زودك الله التقوى، قال: زدنى، قال: وغفر ذنبك، قال: زدنى بأبى أنت وأمى، قال: ويسر لك الخير حيثما ما كنت. قال: هذا حديث حسن غريب(٣).

وله من حديث أسامة بن زيد، عن سعيد المقبرى، عن أبى هريرة رضى الله عنه [قال:] أن رجلاً قال: يا رسول الله! إنى أريد أن أسافر فأوصنى، قال: عليك بتقوى الله، والتكبير على كل شرف، فلما أن ولى الرجل،

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) (سنن الترمذى): ٥/ ٤٦٦، كتاب الدعوات، باب (٤٤) ما يقول إذا ودع إنسانا، حديث رقم (٣٤٤٣).

(٣) (المرجع السابق): حديث رقم (٣٤٤٤).

وأخرج الإمام أحمد فى (المسند): ٢/ ٦٩ - ٧٠، حديث رقم (٤٥١٠) من حديث عبد الله =

قال: اللهم طو له البعد، وهون عليه السفر، قال: هذا حديث حسن(١).

وخرجه تقي بن مخلد بهذا الإسناد، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: أوصيك بتقوى الله، والتكبير على كل شرف، فلما ولّى قال: اللهم ازو له الأرض، وهون عليه السفر(٢).

ولابن يونس من حديث ابن لهيعة، عن الحسن بن ثوبان، عن موسى بن وردان، عن أبي هريرة [رضي الله عنه] قال: ودعني رسول الله ﷺ فقال: استودعك الله الذي لا تضيع ودائعه(٣).

= ابن عمر عن سالم بن عبد الله بن عمر، قال: «كان أبي عبد الله بن عمر إذا أتى الرجل وهو يريد السفر قال له: ادن حتى أودعك الله كما كان رسول الله ﷺ يودعنا فيقول: أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك».

وحديث رقم (٤٧٦٦) بنحوه، وكذلك حديث رقم (٤٩٣٧)، وحديث رقم (٦١٦٤).

«الأمانة» ها هنا: اهله ومن يخلفه منهم، وما له الذي يودعه ويستحفظه امينه ووكيله، ومن في معناهما، وجرى ذكر الدين مع الودائع لأن السفر موضع خوف وخطر، وقد تصيبه فيه المشقة والتعب فيكون سبب لإهمال بعض الأمور المتعلقة بالدين، فدعا له بالمعونة والتوفيق. (معالم السنن).

(١) (سنن الترمذي): ٥/ ٤٦٦ - ٤٦٧ كتاب الدعوات، باب (٤٦) [بدون ترجمة]، حديث رقم (٣٤٤٥).

(٢) راجع التعليق السابق، والشرف: المكان المرتفع، واخرجه ابن ماجة مختصرا في (السنن): ٢/ ٩٢٦، كتاب الجهاد، باب (٨) فضل الحرس والتكبير في سبيل الله، حديث رقم (٢٧٧١)، وقال في هامشه: «كل شرف»: اي كل أرض مرتفعة، فإن ارتفاع المخلوق يُذكر بارتفاع الخالق.

(٣) (سنن ابن ماجة): ٢/ ٩٤٣، كتاب الجهاد، باب (٢٤) تشييع الغزاة ووداعهم، حديث رقم (٢٨٢٥). قال في (الزوائد): في إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف.

وأمّـا كيف سيره ﷺ

فخرج البخارى من حديث مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه، أنه قال: سُئل أسامة -وأنا جالس- كيف كان رسول الله ﷺ يسير فى حجة الوداع حين دفع؟

قال: كان يسير العنق، فإذا وجد فجوةً نص، قال هشام: والنص، فوق العنق، قال أبو عبد الله: فجوة، متسع، والجمع فجوات وفجاء، وكذلك ركوة وركاء.

ذكره فى كتاب الجهاد[١]، وفى آخر حجة الوداع[٢]. وخرجه مسلم من

(١) (فتح البارى): ٦/ ١٧١، كتاب الجهاد والسير، باب (١٣٦) السرعة فى السير، وقال أبو حميد: قال النبى ﷺ: إنى متعجل إلى المدينة، فمن أراد أن يتعجل معى فليتعجل، حديث رقم (٢٩٩٩).

(٢) (فتح البارى): ٣/ ٦٦٠، كتاب الحج، باب ٩٢ السير إذا دفع من عرفة، حديث رقم (١٦٦٦). وأخرجه أيضًا فى كتاب المغازى، باب (٧٨) حجة الوداع، حديث رقم (٤٤١٣).

وفى (مسلم بشرح النووى): ٩/ ٣٨، كتاب الحج، باب (٤٧) الإفاضة من عرفات إلى المزدلفة واستحباب صلاتى المغرب والعشاء جميعا بالمزدلفة فى هذه الليلة، حديث رقم (٢٨٣)، (٢٨٤).

قوله: «وكان يسير العنق فإذا وجد فجوة نص»، وفى الرواية الأخرى: «قال هشام: والنص فوق العنق» أما العنق فبفتح العين والنون، والنص بفتح النون وتشديد الصاد المهملة، وهما نوعان من إسراع السير، وفى العنق نوع من الرفق، والفجوة بفتح الفاء المكان المتسع، ورواه بعض الرواة فى الموطأ «فرجة» بضم الفاء وفتحها، وهى بمعنى الفجوة، وفيه من الفقه استحباب الرفق فى السير فى حال الزحام، فإذا وجد فرجه استحب الإسراع ليبادر إلى المناسك، وليتسع له الوقت ليمكنه الرفق فى حال الزحمة، والله تعالى أعلم. (مسلم بشرح النووى).

وفى (سنن أبى داود): ٢/ ٤٧٢ - ٤٧٣، كتاب مناسك الحج، باب (٦٤) الدفعة من عرفة، حديث رقم (١٩٢٣). =

حديث الربيع بن حماد، حدثنا هشام عن أبيه، فذكره. ومن حديث حميد بن عبد الرحمن عن هشام.

وخرج الحاكم من حديث الإمام أحمد، حدثنا إسماعيل بن أبى علية، حدثنا الحجاج بن أبى عثمان، عن أبى الزبير، أن جابر بن عبد الله [رضى الله عنهما] حدثهم قال: كان رسول الله ﷺ يتخلف عن المسير، [فيزجى] الضعيف ويردف، ويدعو لهم. [قال:] صحيح على شرط مسلم. [ولم يخرجاه][(١)].

= العنق: السير الوسيع، والنص: أرفع السير، وهو من قولهم: نصصت الحديث إذا رفعته إلى قائله ونسبته إليه، ونصصت العروس إذا رفعتها فوق المنصة، والفجوة: الفرجة بين المكانين.

وفى هذا بيان أن السكينة والتؤدة المأمور بهما إنما هى من أجل الرفق بالناس، لئلا يتصادموا، فإذا لم يكن زحام، وكان فى الموضع سعة سار كيف شاء. (معالم السنن).

وأخرجه الإمام مالك فى (الموطأ): ٢٧٠ كتاب الحج، باب السير فى الدفعة، حديث رقم (٨٨٨).

وأخرجه النسائى فى (السنن): ٥ / ٢٨٥ - ٢٨٦، كتاب المناسك، باب (٢٠٥) كيف السير من عرفة، حديث رقم (٣٠٢٣).

وابن ماجة فى (السنن): ٢ / ١٠٠٤، كتاب المناسك، باب (٥٨) الدفع من عرفة، حديث رقم (٣٠١٧) وفى هامشه: «العنق»: سير سريع معتدل، و «نص»: أى حرك الناقة يستخرج أقصى سيرها.

والدارمى فى السنين: ٢ / ٥٧، كتاب الحج، باب كيف السير فى الإفاضة من عرفة.

وأخرجه الإمام أحمد فى (المسند): ٦ / ٢٦٦ - ٢٦٧ من حديث أسامة بن زيد، حديث رقم (٢١٢٧٦)، ولفظه: «كان سيره ﷺ العنق، فإذا وجد فجوة نص، والنص فوق العنق، وأنا رديفه، وحديث رقم (٢١٣٢٦) بنحوه.

(١) (المستدرك): ٢ / ١٢٦، كتاب الجهاد، حديث رقم (٢٥٤١) وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): على شرط مسلم.

وأمَّــا ما يقوله ﷺ ويعمله إذا نزل منزلاً

فخرج النسائى من حديث بقية [قال :] حدثنا صفوان بن عمرو، حدثنا شريح بن عبيد، عن الزبير بن الوليد، عن عبد الله بن عمر رضى الله [عنهما] قال : كان رسول الله ﷺ إذا سافر فأقبل الليل قال : يا أرض، ربى وربك الله، أعوذ بالله من شرك، وشر ما فيك، وشر ما خُلق فيك، ومن شر ما يدب عليك، وأعوذ بالله من أسدٍ وأسودٍ، ومن الحية والعقرب، ومن ساكن البلد، ومن والدٍ وما ولد(١).

وخرجه الإمام أحمد بهذا السند، ولفظه : عن عبد الله بن عمر [رضى الله عنهما] قال : كان رسول الله ﷺ إذا غزا أو سافر، فأدركه الليل قال : يا أرض، ربى وربك الله، أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك، وشر ما خلق فيك، وشر ما دب عليك، أعوذ بالله من شر كل أسدٍ وأسودٍ، وحيةٍ وعقرب، ومن شر ساكن البلد، [ومن شر](٢) والد وما ولد(٣).

وخرج الحاكم من حديث محمد بن إسحاق، حدثنا محمد بن أبى صفوان الثقفى، حدثنا عبد السلام بن هاشم، حدثنا عثمان بن سعد الكاتب، عن أنس بن مالك [رضى الله عنه] قال : كان رسول الله ﷺ لا ينزل منزلاً إلا ودعه بركعتين. قال الحاكم : هذا حديث صحيح ولم

---

(١) لم أجده فى (المجتبى)، ولعله فى (الكبرى)، والحديث أخرجه أبو داود فى (السنن) : ٣ / ٧٨، كتاب الجهاد باب (٨٢) ما يقول الرجل إذا نزل المنزل، حديث رقم (٢٦٠٣).

وأخرجه الحاكم فى (المستدرك) : ٢ / ١١٠، حديث رقم (٢٤٨٧) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص) : صحيح.

(٢) زيادة للسياق من (المسند).

(٣) (مسند أحمد) : ٢ / ٢٩١، حديث رقم (٦١٢٦) من مسند عبد الله بن عمر رضى الله عنهما، وحديث رقم (١١٨٤٠) من مسند أنس ابن مالك رضى الله عنه.

يخرجاه، وعثمان بن سعد ممن يجمع حديثه [في البصريين](١).

وأمّـا ما يقوله ﷺ في السَّـحر

خرج مسلم(٢) والنسائي(٣) من حديث ابن وهب قال: أخبرني سليمان ابن بلال، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان إذا كان في سفر وأسحر يقول: سمع سامع بحمد الله، وحسن بلائه علينا، ربنا صاحبنا، وأفضل عائذا بالله [من] النار(٤).

---

(١) (المستدرك): ١/ ٤٦٠ - ٤٦١، من كتاب صلاة التطوع، حديث رقم (١١٨٨)، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص): ذكر أبو حفص الفلاس عبد السلام هذا فقال: لا أقطع على أحد بالكذب إلا عليه، وحديث رقم (١٦٣٥) وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص): عثمان ضعيف ما احتج به البخاري، وحديث رقم (٢٤٩٢) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وعثمان بن سعد ممن يجمع حديثه، قال الحافظ الذهبي في (التلخيص): لا، فإن عبد السلام كذبه الفلاس، وعثمان لين.

(٢) (مسلم بشرح النووي): ١٧/ ٤٣، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب (١٨) التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، حديث رقم (٢٧١٦).

قوله: «أسحر» فمعناه قام في السحر، أو انتهى في سيره إلى السحر، وهو آخر الليل.

وقوله: «سمع سامع» فروى بوجهين أحدهما فتح الميم من سمع، وتشديدها، والثاني كسرها مع تخفيفها، واختار القاضي هنا وفي (المشارق)، وصاحب (المطالع) التشديد، وأشار إلى أنه رواية أكثر رواة مسلم، قال: ومعناه بلغ سامع قولي هذا لغيره، وقال مثله تنبيها على الذكر في السحر والدعاء في ذلك، وضبطه الخطابي وآخرون بالكسر والتخفيف، قال الخطابي: معناه شهد شاهد على حمدنا لله تعالى على نعمه وحسن بلائه.

وقوله: «ربنا صاحبنا وأفضل علينا» أي احفظنا واكلأنا، وأفضل علينا بجزيل نعمتك، واصرف عنا كل مكروه.

(٣) لم أجده في (المجتبى)، ولعله في (الكبرى).

(٤) وأخرجه الحاكم في (المستدرك): ١/ ٦١٥، كتاب المناسك، حديث رقم (١٦٣٦)، قال الحافظ الذهبي في (التلخيص): على شرط مسلم.

ذكر ما يقوله ﷺ إذا رأى قرية

خرج النسائى من حديث سليمان بن بلال [قال :] حدثنا أبو بكر، حدثنا سليمان عن أبى سهيل بن مالك، عن أبيه، أنه كان يسمع قراءة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وهو يؤم الناس فى مسير رسول الله ﷺ من دار أبى جُهم(١).

وقال كعب الأحبار : والذى فلق البحر لموسى، لين مهيبا، حدثنى أن محمدا رسول الله ﷺ لم ير قرية يريد دخولها إلا قال حين يراها : اللهم رب السموات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما ذرين، فإنا نسألك خير هذه القرية، وخير أهلها، ونعوذ بك من شرها، وشر أهلها، وشر ما فيها(٢). وحلف كعب بالذى فلق البحر لموسى، لأنها كانت دعوة داود عليه السلام حين يرى القرية. ذكره من طرق.

* * *

(١) لم أجده فى (المجتبى)، ولعله فى (الكبرى).

(٢) إلى هنا ذكره الحاكم فى (المستدرك) : ١ / ٦١٤، كتاب المناسك، حديث رقم (١٦٣٤) من حديث كعب الأخبار، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص) : صحيح.

ذكر تنفله ﷺ على الراحلة

خرج البخارى من حديث موسى بن عقبة، عن نافع قال: كان ابن عمر [رضى الله عنهما] يصلى على راحلته ويوتر عليها، ويخبر أن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك(١).

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه: «أن رسول الله ﷺ كان إذا سافر أراد أن يتطوع استقبل القبلة بناقته، ثم كبر، ثم صلى حيث وجهه ركابه»، حديث رقم (١٢٢٥) فى الصلاة، باب التطوع على الراحلة والوتر، وإسناده حسن.

وحديث عبد الله بن عمر رضى الله عنه أخرجه كل من البخارى، ومسلم، ومالك، وأبو داود، والترمذى، والنسائى: «أن النبى ﷺ كان يسبح على ظهر راحلته حيث كان وجهه ويومىء برأسه، وكان ابن عمر يفعله» أخرجه البخارى ومسلم.

وأخرج الترمذى رواية سعيد بن يسار، وهذا لفظه: قال: «كنت مع ابن عمر فى سفر فتخلفت عنه، فقال: أين كنت؟ فقلت: أوترتُ..» فذكر الحديث، وفيه: «على راحلته».

وأخرج الرواية التى فيها ذكر الآية، وهذا لفظه: «إن النبى ﷺ كان يصلى على راحلته أينما توجهت به، وهو جاء من مكة إلى المدينة، ثم قرأ ابن عمر هذه الآية: ﴿**ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله**﴾ [البقرة: ١١٥]، وقال: فى هذا أنزلت.

(جامع الأصول): ٥ / ٤٧٦ - ٤٧٨، [ما جاء] فى أمكنة الصلاة وما يصلى عليه، وفيه أربعة أنواع، النوع الثالث: في الصلاة على الدابة، حديث (٣٦٧٥)، ومعنى قوله: «يسبح»: التسبيح صلاة النافلة ها هنا، يراجع فى ذلك:

البخارى: فى تقصير الصلاة، باب صلاة التطوع على الدابة وحيثما توجهت به، وباب الإيماء على الدابة، وباب من لم يتطوع فى السفر دبر كل صلاة، وباب من لم يتطوع فى السفر دبر الصلاة، وباب من تطوع فى السفر، وفى الوتر، باب الوتر على الدابة، وباب الوتر فى السفر.

ومسلم فى صلاة المسافرين، باب جواز صلاة النافلة على الدابة فى السفر حيث توجهت.

والموطأ فى قصر الصلاة، باب صلاة النافلة فى السفر بالنهار والليل، وأبو داود فى الصلاة، باب التطوع على الراحلة والوتر. =

وخرجه مسلم من حديث عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر [رضى الله عنهما]، أن رسول الله ﷺ، كان يصلى سبحته حيث توجهت به ناقته. وفى لفظ: كان يصلى على راحلته حيث توجهت به. ذكره من عدة طرق.

وللإمام أحمد من حديث يزيد بن هارون، قال: أخبرنا ربعى بن الجارود [قال]: حدثنى عمرو بن الحجاج، عن الجارود بن أبى سبرة، عن أنس رضى الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يصلى على راحلته، استقبل القبلة، وكبر للصلاة، ثم خلى عن راحلته، فصلى حيث توجهت به(١).

وأمَّا ما يقول إذا رجع من سفره

فَخَرَّجَ البخارى من حديث مالك عن نافع، عن ابن عمر [رضى الله عنهما قال:] إن رسول الله ﷺ كان إذا قفل من غزوة، أو حج، أو عمرة، يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات، ثم يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شئ قدير، آيبون، تائبون، عابدون، [ساجدون] لربنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر

= والترمذى فى الصلاة، باب ما جاء فى الوتر على الراحلة، وفى التفسير، باب ومن سورة البقرة.

والنسائى فى القبلة، باب الحالة التى يجوز فيها استقبال غير القبلة، وفى قيام الليل، باب الوتر على الراحلة.

(١) وأخرج أيضا الإمام أحمد فى (المسند): ٢/ ١٧٥، حديث رقم (٥٣١٢) من مسند عبد الله بن عمر رضى الله عنه، ٤/ ٢٣٨، حديث رقم (١٣٨٦٠) من مسند جابر بن عبد الله، وحديث رقم (١٤١٢٤) من مسند جابر بن عبد الله، وحديث رقم (١٤٦٢٠) من حديث جابر بن عبد الله، بسياقات مختلفة، (سنن الدارمى): ١/ ٣٥٦، باب فى الصلاة فى الراحلة، من حديث جابر.

عبده، وهزم الأحزاب وحده. وخرجه مسلم، فذكره من طرق عديدة[1].

ولأبى بكر الشافعي من حديث أبى الأحوص، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس رضى الله [عنهما] قال: كان رسول الله ﷺ إذا أراد الرجوع من سفر قال: آيبون تائبون، لربنا حامدون، فإذا دخل ﷺ على أهله قال: أوبا أوبا، لربنا توبا، لا [يغادر] علنيا حوبًا[2].

* * *

(١) (فتح البارى): ٣/ ٧٨٩، كتاب العمرة، باب (١٢) ما يقول إذا رجع من الحج أو العمرة أو الغزو؟ حديث رقم (١٧٩٧) وفى كتاب الجهاد والسير، باب (١٣٣) التكبير إذا علا شرفًا، حديث رقم (٢٩٩٥)، وفى كتاب المغازى، باب (٣٠) غزوة الخندق وهى الأحزاب، حديث رقم (٤١١٦)، وفى كتاب الدعوات، باب (٥٢) الدعاء إذا أراد سفراً، حديث رقم (٦٣٨٥).

و (مسلم بشرح النووى): ٩/ ١٢٠ - ١٢١، كتاب الحج، باب (٧٦) ما يقول إذا قفل من سفر الحج وغيره، حديث رقم (١٣٤٤) و (سنن أبى داود): ٣/ ٢١٤، كتاب الجهاد، باب (١٧٠) فى التكبير على كل شرف فى المسير، حديث رقم (٢٧٧٠).

و (سنن الترمذى): ٣/ ٢٨٥، كتاب الحج، باب (١٠٤) ما جاء ما يقول عند القفول من الحج والعمرة، حديث رقم (٩٥٠).

و (موطأ مالك): ٢٩١، كتاب الحج، حديث رقم (٩٥٢).

(٢) (مسند أحمد): ١/ ٤٢٣، حديث رقم (٢٣١١) من مسند عبد الله بن عباس، وهو حديث طويل، وفيه: «توبًا توبًا، لربنا أوبًا».

وأمَّــا مَــا يصنع إذا قدم من سفر

فخرج البخارى(١) من حديث محمد بن شهاب، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب، عن أبيه، وعمه عبيد الله بن كعب بن مالك [رضى الله عنه قال:] أن النبى ﷺ كان إذا قدم من سفر ضحى، دخل المسجد فصلى ركعتين قبل أن يجلس. وذكره مسلم بنحو ذلك(٢).

وخرّجه النسائى بهذا السند، ولفظه: أن رسول الله ﷺ كان لا يقدم من سفر إلا نهارا ضحى، فإذا قدم بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين، ثم جلس(٣).

---

(١) (فتح البارى): ٦ / ٢٣٨، كتاب الجهاد، باب (١٩٨) الصلاة إذا قدم من سفر، حديث رقم (٣٠٨٨).

(٢) (مسلم بشرح النووى): ٥ / ٢٣٥ – ٢٣٦، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب (١٢) استحباب الركعتين فى المسجد لمن قدم من سفر أول قدومه، حديث رقم (٧١٦).

فى هذه الأحاديث استحباب ركعتين للقادم من سفره فى المسجد أول قدومه، وهذه الصلاة مقصودة للقدوم من السفر، لا أنها تحية المسجد، والأحاديث المذكورة صريحة فيما ذكرته. وفيه استحباب القدوم أوائل النهار، وفيه أنه يستحب للرجل الكبير فى المرتبة، ومن يقصده الناس إذا قدم من سفر للسلام عليه أن يقعد أول قدومه قريبا من داره فى موضع بارز سهل على زائريه، إما المسجد، وإما غيره. (شرح النووى).

(٣) (سنن النسائى): ٢ / ٣٨٦، كتاب المساجد، باب (٣٨) الرخصة فى الجلوس فيه والخروج منه بغير صلاة، حديث رقم (٨٣٠)، وهو حديث طويل، وفيه: « ثم جلس للناس ».

وأخرجه الإمام مسلم فى كتاب التوبة، باب (٩) حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، حديث رقم (٢٧٦٩)، وهو حديث طويل، وفيه: « وكان [رسول الله ﷺ] إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه، ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم، وبايعهم، واستغفر لهم، وكل سرائرهم إلى الله ».

=

وخرَّجه ابن حيان من حديث الوليد بن مسلم، عن عبد الرحمن بن تميم، عن الزهرى، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب، عن كعب بن مالك [رضى الله عنه] قال: كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر، بدأ بالمسجد، فصلى فيه ركعتين، ثم يقعد ما قُدر له فى مسائل الناس وسلامهم(١).

وخرَّج البخارى من حديث شعبة، عن محارب بن دثار، عن جابر بن عبد الله رضى الله [عنهما]، أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة، نحر جزورا أو بقرة، زاد معاذ عن شعبة، عن محارب، سمع جابر بن عبد الله: اشترى منى النبى ﷺ بعيرا [بأوقيتين] ودرهم أو درهمين، فلما قدم صراراً، أمر ببقرة فذبحت، فأكلوا منها، فلما قدم المدينة أمرنى أن آتى المسجد فأصلى ركعتين، ووزن ثمن البعير. ذكره فى كتاب الجهاد، وترجم عليه باب: الطعام عند القدوم(٢).

= وأخرجه أبو داود فى (السنن): ٣/ ٣٢٠ - ٣٢١، كتاب الجهاد، باب (١٧٨) فى الصلاة عند القدوم من السفر، حديث رقم (٢٧٨١)، وفى باب (١٧٣) فى إعطاء البشير، حديث رقم (٢٧٧٣).

وأخرجه الإمام أحمد فى (المسند): ٤/ ٤٩٠، حديث رقم (١٥٣٤٥)، (١٥٣٤٦)، (١٥٣٤٧)، (١٥٣٤٨) بسياقات مختلفة، كلهم من حديث كعب بن مالك الأنصارى رضى الله عنه.

وأخرجه ابن عدى فى (الكامل): ٤/ ٢٩٣، فى ترجمة عبد الرحمن بن يزيد بن تميم، شامى دمشقى، رقم (١٥٣/ ١١٢٠)، ولفظه: «كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم يقعد ما قدر له لمسائل الناس ولكلامهم».

قال: وقوله فى هذا المتن: «يقعد لمسائل الناس وكلامهم» لا أعرفه إلا من حديث ابن تميم هذا عن الزهرى.

(١) (أخلاق النبى): ٢٤٤.

(٢) (فتح البارى): ٦/ ٢٣٨، كتاب الجهاد والسير، باب (١٩٩)، الطعام عند القدوم، وكان ابن عمر يفطر لمن يغشاه، حديث رقم (٣٠٨٩). =

وخرَّج مسلم من حديث شعبة عن محارب [أنه] سمع جابر بن عبد الله [رضى الله عنهما] يقول: اشترى منى رسول الله ﷺ بعيرا بأوقيتين ودرهم أو درهمين، قال: فلما قدم صرارًا أمر ببقرة فذبحت، فأكلوا منها، فلما قدم المدينة، أمرنى أن آتى المسجد فأصلى ركعتين، ووزن ثمن البعير فأرجح لى[١]. وفى لفظ له: وقال أمر ببقرة فنحرت، ثم قسم لحمها[٢].

وأما كونه ﷺ لا يطرق أهله ليلا

فخرج البخارى من حديث همام عن إسحاق بن أبى عبد الله بن أبى طلحة، عن أنس رضى الله عنه قال: كان النبي ﷺ لا يطرق أهله ليلا، كان لا يدخل إلا غدوة أو عشية. وخرجه مسلم بهذا السند، ولفظه: كان لا يطرق أهله ليلاً، وكان يأتيهم غدوة أو عشية[٣].

= قال ابن بطال: فيه إطعام الإمام والرئيس أصحابه عند القدوم من السفر، وهو مستحب عند السلف، ويسمى النقيعة بنون وقاف، وزن عظيمة، ونقل عن المهلب أن ابن عمر كان إذا قدم من سفر أطعم من يأتيه، ويفطر معهم، ويترك قضاء رمضان، لأنه كان لا يصوم السفر، فإذا انتهى الطعام ابتدأ قضاء رمضان.

قال: وقد جاء هذا مفصلا فى (كتاب الأحكام) لإسماعيل القاضى وتعقبه ابن بطال بأن الأثر الذى أخرجه إسماعيل ليس فيه ما ادعاه المهلب، يعنى من التقييد برمضان، وإن كان يتناوله بعمومه. مختصرا من (فتح البارى).

(١) (مسلم بشرح النووى): ١١ / ٣٨، كتاب المساقاة، باب (٢١) بيع البعير واستثناء ركوبه، حديث رقم (١١٥).

(٢) (المرجع السابق): حديث رقم (١١٦).

(٣) أخرجه البخارى، ومسلم، وأبو داود، والترمذى من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرقن أهله ليلاً».

قال الحافظ فى (الفتح): التقييد فيه بطول الغيبة، يشير إلى أن علة النهى إنما توجد حينئذ، فالحكم يدور مع علته وجودا وعدما، فلما كان الذى يخرج لحاجة مثلاً نهارا، ويرجع ليلاً، لا يتأتى =

. . . .

= له لا يحذر، مثل الذى يطيل الغيبة، كأن طول الغيبة مظنة الأمن من الهجوم، فيقع للذى يهجم بعد طول الغيبة غالبا ما يكره؛ إما أن يجد أهله على غير أهبة من التنظيف والتزين المطلوب من المرأة، فيكون ذلك سبب النفرة بينهما.

قال: وإما أن يجدها على حالة غير مرضية، والشرع محرض على التستر، وقد أشار إلى ذلك بقوله: «أن يتخونهم ويتطلب عثراتهم»، فعلى هذا من أعلم أهله بوصوله، وأنه يقدم فى وقت كذا مثلا، لا يناوله النهى.

قال الحافظ: وفى الحديث الحث على التواد والتحاب، خصوصا بين الزوجين، لأن الشارع راعى ذلك بين الزوجين، مع اطلاع كل منهما على ما جرت العادة بستره، حتى إن كل واحد منهما لا يخفى عنه من عيوب الآخر شىء فى الغالب، ومع ذلك فقد نهى عن الطروق لئلا يطلع على ما تنفر نفسه عنه.

قال: ويؤخذ منه أن الاستحداد ونحوه مما تتزين به المرأة ليس داخلا فى النهى عن تغيير الخلقة، وفيه التحريض على ترك التعرض لما يوجب سوء الظن بالمسلم. (فتح البارى).

وفى رواية أخرى: «نهى أن يطرق أهله ليلاً» وزاد فى رواية: «لئلا يتخونهم أو يطلب عثراتهم».

وفى رواية: قال له رسول الله ﷺ: «إذا جئت من سفر فلا تدخل على أهلك حتى تستحد المغيبة، وتمتشط الشعثة، وعليك بالكيس» هذه روايات البخارى ومسلم.

وفى رواية أبى داود قال: «كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر، فلما ذهبنا لندخل، قال: أمهلوا حتى لا ندخل ليلا، لكى تمتشط الشعثة، وتستحد المغيبة».

وفى رواية له: أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحسن ما دخل الرجل على أهله إذا قدم من سفر: أول الليل».

وفى أخرى له، قال: كان رسول الله ﷺ يكره أن يأتى الرجل أهله طروقا».

وفى رواية الترمذى: «أن رسول الله ﷺ نهاهم أن يطرقوا النساء ليلا». وفى أخرى له أنه قال: «لا تلجوا على المغيبات، فإن الشيطان يجرى من أحدكم مجرى الدم، قلنا: ومنك؟ قال: ومنى، ولكن الله أعاننى عليه فأسلم».

قال سفيان بن عيينة: معنى «أسلم» أى فأسلم أنا منه فإن الشيطان لا يسلم. قال: و «المغيبات» جمع مغيبة، وهى التى زوجها غائب.

يراجع فى ذلك: البخارى فى النكاح، باب لا يطرق أهله ليلا إذا أطال الغيبة، مخافة أن يخونهم أو يلتمس عثراتهم، وفى الحج باب لا يطرق أهله إذا بلغ المدينة.

ومسلم فى الإمارة، باب كراهة الطروق وهو الدخول ليلا. وأبو داود فى الجهاد، باب فى الطروق =

= والترمذى فى الرضاع والاستئذان، باب ما جاء فى كراهية طروق الرجل أهله ليلا.

وفى رواية ذكرها رزين قال: «كان رسول الله ﷺ إذا قفل من غزاة أو سفر فوصل عشية، لم يدخل حتى يصبح، فإن وصل قبل أن يصبح، لم يدخل إلا وقت الغداة، ويقول، أمهلوا، كى تمتشط التفلة الشعثة، وتستحد المغيبة».

شرح الغريب:

«يطرقوا» الطروق: أن يأتى الرجل المكان الذى يريده ليلا.

«يتخونهم» التخون: طلب الخيانة والتهمة.

«تستحد» الاستحداد: حلق العانة، وهو استفعال من الحديد، كأنه استعمل الحديد، على طريق الكناية أو التورية.

«المغيبة»: التى غاب عنها زوجها.

«الشعثة»: البعيدة العهد بالغسل، وتسريح الشعر، والنظافة.

«الكيْس»: الجماع، والكيس: العقل، فيكون قد جعل طلب الولد من الجماع عقلا.

«التفلة»، امرأة تفلة: إذا كانت غير متطيبة، (جامع الأصول): ٥/ ٢٨ - ٣١.

فصل فى الأماكن التى حلها
رسول الله ﷺ وهى الرحلة النبوية

اعلم أن النبى ﷺ سافرت به أمه إلى المدينة وهو غلام، وسافر إلى الشام مرة مع عمه أبى طالب، وله من العمر نحو اثنتى عشرة سنة، ومرة فى تجارة لخديجة بنت خويلد، فبلغ أرض بُصرى، وأسرى به ﷺ من المسجد الحرام إلي المسجد الأقصى، فاجتمع بالأنبياء عليهم السلام، وصلى بهم فيه، ثم رقا إلى السماء، [و] قد روى أنه نزل فى ليلة الإسراء بطيبة، وطور سيناء [و] بيت لحم، وبقبر إبراهيم الخليل، وأنه ذهب إلى يأجوج ومأجوج، وإلى مدينة جابلقا بالمشرق، وإلى مدينة جابرسا بالمغرب، وخرج ﷺ إلى الطائف، وحضر مجنة، وعكاظ، [وذا المجاز]، ثم هاجر إلى طيبة، واتخذها وطنا، وغزا منها سبعا وعشرين غزاة، وخرج إلى العمرة مرتين، صُدَّ عن البيت فى الأولى، وطاف فى الثانية بالبيت، وسعى [بين] الصفا والمروة، وقدم مكة مرتين بعد هجرته، سوى القدمة التى اعتمر فيها، ففتح مكة فى إحدى قدمتيه، وسار منها إلى الطائف، وحج فى الثانية ﷺ تسليما كثيرا.

وأمَّا سفره ﷺ مع عمه

فخرَّج أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذى، من حديث قراد أبى نوح، واسمه عبد الرحمن بن غزوان قال: أخبرنا يونس بن أبى إسحاق، عن أبى بكر بن أبى موسى، عن أبيه قال: خرج أبو طالب إلى الشام، وخرج معه النبى ﷺ فى أشياخ من قريش، فلما أشرفوا على الراهب هبطو، فحلوا

رحالهم، فخرج إليهم الراهب، وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت، قال: فهم يحلون رحالهم، فجعل يتخللهم حتى جاء فأخذ بيد رسول الله ﷺ فقال: هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، يبعثه الله رحمة للعالمين، فقال له أشياخ من قريش: ما علمك؟ قال: إنكم حين أشرفتم من العقبة، لم يبق حجر، ولا شجر، إلا خرَّ ساجدا، ولا يسجدان إلا لنبيّ، وإنى لأعرفه بخاتم النبوة، أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة، ثم رجع فصنع لهم طعاما، فلما أتاهم به، وكان هو فى رعيه الإبل، قال: أرسلوا إليه، فأقبل وعليه غمامة تظله، فلما دنا إلى القوم، وجدهم قد سبقوه إلى فئ الشجرة، فلما جلس مال فئ الشجرة عليه، فقال: انظروا إلى فئ الشجرة مال عليه، قال: فبينما هو قائم عليهم، وهو يناشدهم [أن لا] يذهبوا به إلى الروم، فإن الروم إن رأوه، عرفوه بالصفة فيقتلونه، فالتفت فإذا بسبعة [من الروم قد أقبلوا]، فاستقبلهم، فقال: ما جاء بكم؟.

قالوا: جئنا [أن] هذا النبى، خارج فى هذا الشهر، فلم يبق طريق إلا بعث إليه بأناس، وإنا قد [أخبرنا خبره] وبعثنا إلى طريقك هذا، فقال: هل خلفكم أحدٌ هو خيرٌ منكم؟ فقالوا: إنما أخبرنا خبره لطريقك هذا، قال: أفرأيتم أمرا أراد الله أن يقضيه، هل يستطيع أحد [من الناس] رده؟ قالوا: لا، قال: فبايعوه وأقاموا معه، قال: أنشدكم الله، أيكم وليه؟ قالوا: أبو طالب، فلم يزل يناشده حتى ردّه أبو طالب، وبعث معه أبو بكر رضى الله عنه بلالاً، وزوده الراهب من الكعك والزيت. قال أبو عيسى: هذا حديث [حسن غريب] لا نعرفه إلا من هذا الوجه(١).

---

(١) (سنن الترمذى): ٥/ ٥٥٠ - ٥٥١، كتاب المناقب، باب (٣) ما جاء فى بدء نبوة النبى ﷺ، حديث رقم (٣٦٢٠).

وأخرجه أبو عبد الله الحاكم فى (المستدرك): ٢/ ٦٧٢ - ٦٧٣، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، حديث رقم (٤٢٢٩) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم =

[قال مؤلفه] عفى الله عنه: فى هذا الحديث وهم، وهو أن أبا بكر رضى الله عنه لم يكن حاضرا، ولا كان فى حال من يملك، ولا ملك بلالاً إلا بعد ذلك بنحو ثلاثين عاما، فإنه ما اشتراه إلا بعد المبعث، وخروج النبى ﷺ مع عمه كان وله من العمر اثنى عشر سنة ونيف.

وقال البيهقى [رحمة الله عليه]: قال أبو العباس محمد بن يعقوب، سمعت العباس بن محمد يقول: ليس فى الدنيا مخلوق يحدث به غير قراد[1]، وسمع هذا أحمد ويحى بن معين من قراد. قال البيهقى[2]: وإنما أراد بإسناده هذا موصولاً، فأما القصة، فهى عند أهل المغازى مشهورة[3].

= يخرجاه، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): أظنه موضوعا فبعضه باطل.

وأخرجه الحافظ البيهقى فى (دلائل النبوة): ٢/ ٢٤ - ٢٦، باب ما جاء فى خروج النبى ﷺ مع أبى طالب حين أراد الخروج إلى الشام تاجرا، ورؤية بحيرى الراهب من صفته وآياته، ما استدل به على أنه هو النبى الموعود فى كتبهم ﷺ.

(١) هو عبد الرحمن بن غزوان الخزاعى، أبو نوح المعروف بقراد، روى عنه: يحى بن معين، وأحمد بن حنبل، وغيرهما، وأخرج له البخارى، والأربعة سوى ابن ماجة.

وثقه: على بن المدينى، وابن نمير، ويعقوب بن شيبة، وابن سعد، وابن حبان، وقال: «كان يخطئ»، وروى له الدار قطنى فى (غرائب مالك)، وقال: «أخطأ فيه قراد»، وقال الخليلى: «قراد قديم، روى عنه الأئمة، ينفرد بحديث عن الليث لا يتابع عليه»، وقال الدار قطنى: «ثقة، وله أفراد»، ترجمته فى (تهذيب التهذيب): ٦/ ٢٢٣ - ٢٢٥، ترجمة رقم (٤٩٨).

(٢) (دلائل البيهقى): ٢/ ٢٦.

(٣) ذكرها الحافظ أبو نعيم فى (دلائل النبوة): ١٧٠ - ١٧٢، باب ذكر خروج رسول الله ﷺ إلى الشام فى المرة الأولى، وما اشتمل عليه ذلك من الدلائل المتقدمة لنبوته ﷺ، وهو ابن عشر سنين، حديث رقم (١٠٩).

وذكرها ابن هشام فى (السيرة): ١/ ٣١٩ - ٣٢٢، قصة بحيرى.

وذكرها ابن سيد الناس فى (عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير): ١/ ٤٠ - ٤٤ ذكر سفره ﷺ مع عمه أبى طالب إلى الشام، وخبره مع بحيرى الراهب، وذكر نبذة من حفظ الله تعالى لرسوله ﷺ قبل النبوة، ثم قال فى آخره: قلتُ: ليس فى إسناد هذا الحديث إلا من خرج له فى =

وقال شيخنا العماد بن كثير: وهو إسناد صحيح، ولكن في متنه غرابة، وفيه ذكر الغمامة، ولم أر لها ذكرًا في حديث ثابت أعلمه سواه(١).

[وفي هذا الحديث أمور ينبغي النظر فيها:](٢).

[**الأول**: على أي شئ تابعوه أو بايعوه؟ وهل البيعة لرسول الله ﷺ؟ أو

= الصحيح»، وعبد الرحمن بن غزوان لقبه قراد، انفرد به البخاري، ويونس بن أبي إسحاق انفرد به مسلم، ومع ذلك ففي متنه نكارة، وهي إرسال أبي بكر مع النبي ﷺ بلالاً، وكيف وأبو بكر حينئذ لم يبلغ العشر سنين، فإن النبي ﷺ أسن من أبي بكر بأزيد من عامين، وكانت للنبي ﷺ تسعة أعوام، على ما قاله أبو جعفر محمد بن جرير الطبري وغيره، أو اثنا عشر على ما قاله آخرون.

وأيضا فإن بلالاً لم ينتقل لأبي بكر إلا بعد ذلك بأكثر من ثلاثين عاما، فإنه كان لبني خلف الجمحيين، وعندما عُذب في الله على الإسلام اشتراه أبو بكر رضي الله عنه رحمةً له، واستنقاذا له من أيديهم، وخبره بذلك مشهور.

وقوله «فبايعوه»: إن كان المراد فبايعوا بحيرا على مسالمة النبي ﷺ فقريب، وإن كان غير ذلك، فلا أدري ما هو؟ (عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير): ١ / ٤٣ - ٤٤.

(١) قال الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية): قلت: فيه من الغرائب أنه من مرسلات الصحابة، فإن أبا موسى الأشعري إنما قدم في سنة خيبر سنه سبع من الهجرة، ولا يلتفت إلى قول ابن إسحاق في جعله له من المهاجرة إلى أرض الحبشة من مكة وعلى تقدير ذلك فهو مرسل.

فإن هذه القصة كانت ولرسول الله ﷺ من العمر فيما ذكره بعضهم ثنتا عشرة سنة. ولعل أبا موسي تلقاه من النبي ﷺ فيكون أبلغ، أو من بعض كبار الصحابة رضي الله عنهم، أو كان هذا مشهورا مذكورا، أخذه من طريق الاستفاضة.

الثاني: أن الغمامة لم تذكر في حديث أصح من هذا.

الثالث: أن قوله: «وبعث معه أبو بكر بلالاً»، إن كان عمره ﷺ إذ ذاك ثنتي عشرة سنة، فقد كان عمر أبي بكر إذا ذاك تسع سنين أو عشرة، وعمر بلال أقل من ذلك، فاين كان أبو بكر إذ ذاك؟ ثم أين كان بلال؟ كلاهما غريب، اللهم إلا أن يقال: إن هذا كان ورسول الله ﷺ كبيرا، إما بان يكون سفره بعد هذا، أو إن كان القول بأن عمره كان إذ ذاك ثنتي عشرة سنة غير محفوظ، فإنما ذكره مقيدا بهذا الواقدي.

وحكى السهيلي عن بعضهم: أنه كان عمره ﷺ إذ ذاك تسع سنين، والله تعالى أعلم. (البداية والنهاية): ٢ / ٣٤٨.

(٢) ما بين الحاصرتين في كل الفقرات زيادة للسياق من النسخة (ج).

للراهب؟ فإن كانت للراهب فلا فائدة إذًا، لأنه قد ناشدهم فتركوه عند المناشدة، وإن كانت لرسول الله ﷺ وهو الظاهر، لأن سياق اللفظ إنما هو راجع إليه ﷺ، كان إذ ذاك في حيّز من لا يُبايع، لأنه كان ابن تسع سنين][(١)].

[الثاني: أبو بكر رضي الله عنه لم يكن معهم في هذه السفرة، ولا كان في سنٍّ من يملك ولا ملك بلالاً، إلا بعد هذا بنحو ثلاثين سنة، ولعل بعضهم وهم في هذا، ويشتبه أن يكون الحمل فيه على عبد الرحمن بن غزوان، الملقب بقراد، وإن كان البخارى قد خرّج حديثه، فإنه موصوف بالخطأ، والتفرد، وقلة العلم، وقد تفرد بهذا الحديث. قال العباس بن محمد الدورى، فيما ذكره ابن عساكر: ليس في الدنيا مخلوق يحدث بهذا غير قراد، أى نوح عن يونس بن أبى إسحاق، عن أبى بكر بن أبى موسى، عن أبيه][(١)].

[وقال أبو الخطاب عمر بن دحية: يمكن أن يكون أبو بكر استأجر بلالاً حينئذ،، أو يكون أمية بن خلف بعثه معه، وذلك فيه أمران:][(١)].

[**أحدهما**: أن أبا بكر رضي الله عنه لم يكن معهم في هذه السفرة، ولا كان في سن من يملك، فإنه كان أصغر من رسول الله ﷺ بنحو ثلاث سنين، وإذا كان رسول الله ﷺ في هذه السفرة ابن تسع سنين، فيكون حينئذ أبو بكر له من العمر نحو ست سنين][(١)].

[**الثاني**: أنَّ بلالاً رضي الله عنه، توفي سنة عشرين، وقيل إحدى وعشرين، وسنه تسع وستون سنة، فيكون سنه في هذه السفرة نحو سنتين][(١)].

[وشئ آخر: وهو أن أبا بكر رضي الله عنه صحب رسول الله ﷺ وهو

(١) ما بين الحاصرتين في كل الفقرات زيادة للسياق من النسخة (ج).

ابن ثمان عشرة، والنبى ﷺ ابن عشرين سنة، فكيف يكون معه فى هذه السفرة وهو لم يصحبه إلا بعدها بنحو إحدى عشرة سنة؟](١).

وقال يونس بن بكير [رحمه الله]: قال محمد بن إسحاق: وكان أبو طالب هو الذى يلى أمر رسول الله ﷺ بعد جده وكان معه، ثم إن أبا طالب خرج فى ركب إلى الشام تاجراً، فلما تهيأ للرحيل، وأجمع السير، صب له(٢) رسول الله ﷺ، فأخذ بزمام ناقته، وقال: يا عم! إلى من تكلنى؟ لا أب لى ولا أم لى، فرق له أبو طالب وقال: والله لأخرجن به معى ولا يفارقنى ولا أفارقه أبدا.. أو كما قال.

فخرج به معه، فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام(٣)، وبها راهب يقال له: بحيرا، فى صومعة له، وكان أعلم أهل النصرانية، ولم يزل فى تلك الصومعة راهب بصير، وكان علمهم عن كتاب فيه فيما يزعمون، يتوارثونه كابرا عن كابر.

فلما نزلوا ببحيرا ذلك العام، وكانوا كثيرا ما يمرون به قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يعرض لهم، حتى إذا كان ذلك العام، نزلوا به قريبا من صومعته، فصنع لهم طعاما كثيرا، وذلك فيما يزعمون عن شئ رآه فى صومعته فى الركب حين أقبلوا، وغمامة بيضاء تظله من بين القوم، ثم أقبلوا حتى نزلوا بظل شجرة قريبا منه، فنظر إلى الغمامة، حتى أظلت

---

(١) ما بين الحاصرتين فى كل الفقرات زيادة للسياق من (ج).

(٢) الصبابة: الشوق؛ وقيل: رقته، وحرارته، وقيل: رقة الهوى. صببت إليه صبابة، فانا صب أى عاشق مشتاق، والأنثى صبة. قال ابن الأعرابى: صب الرجل إذا عشق، يصب صبابة، ورجل صب، ورجلان صبان، ورجال صبون، وامرأتان صبتان، ونساء صبات. مختصرا من (لسان العرب): ١ / ٥١٨.

(٣) بُصرى، بضم أوله، وإسكان ثانيه، وفتح الراء المهملة: مدينة جوران، مشهورة عند العرب قديما وحديثا، وهى التى وصل إليها النبى ﷺ للتجارة. (معجم البلدان): ١ / ٥٢٢ موضع رقم (١٩٤٩)، (معجم ما استعجم): ١ / ٢٥٣، (مراصد الإطلاع): ١ / ٢٠١.

الشجرة، وشمرت أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ، حتى استظل تحتها.

فلما رآى ذلك بحيرا، نزل من صومعته، وقد أمر بذلك الطعام فصنع، ثم أرسل إليهم فقال: إنى قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش، وأنا أحب أن تحضروا كلكم، صغيركم وكبيركم، وحركم وعبدكم، فقال له رجل منهم: يا بحيرا! إن لك اليوم لشأنا، ما كنت تصنع هذا فيما مضى، وقد كنا نمر بك كثيرا، فما شأنك اليوم؟ فقال له بحيرا: صدقت، قد كان ما تقول، ولكنكم ضيف، وقد أحببت أن أكرمكم، وأصنع لكم طعاما تأكلون منه كلكم.

فاجتمعوا إليه، وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم لحداثة سنه فى رحال القوم تحت الشجرة، فلما نظر بحيرا فى القوم، لم ير الصفة التى يعرف ويجد عنده، قال: يا معشر قريش، لا يتخلف أحد منكم عن طعامى هذا، قالوا له: يا بحيرا. ما تخلف عنك أحد ينبغى أن يأتيك إلا غلام، وهو أحد القوم سنا، تخلف فى رحالهم، قال: فلا تفعلوا، ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم.

فقال رجل من قريش مع القوم: [واللات والعزى](١) إن هذا للؤم بنا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن الطعام من بيننا [قال:] ثم قام إليه فاحتضنه، ثم أقبل حتى أجلسه مع القوم، فلما رآه بحيرا، جعل يلحظه لحظا شديدا، وينظر إلى أشياء من جسده، قد كان يجدها عنده فى صفته، حتى إذا فرغ القوم من الطعام وتفرقوا، قام بحيرا [فقال](١) له: يا غلام! أسألك باللات والعزى ألا أخبرتنى عما أسألك عنه، وإنما قال بحيرا ذلك، لأنه سمع قومه يحلفون بهما، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال: لا تسألنى

---

(١) زيادة للسياق من كتب السيرة.

باللات والعزى شيئا، فوالله ما أبغض بعضهما شيئا قط.

فقال له بحيرا: فبالله إلا أخبرتني عما أسألك عنه، [فقال][1]: سلني عما بدا لك، فجعل يسأله عن أشياء، من حاله في نومه، وهيئته، وأموره، فجعل رسول الله ﷺ يخبره، فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته، ثم نظر إلى ظهره فرآى خاتم النبوة بين كتفيه، على موضعه من صفته التي عنده.

[قال][1]: فلما فرغ منه أقبل على عمه أبي طالب فقال له: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني، فقال له بحيرا: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا، قال: فإنه ابن أخي، قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمه حبلى به، قال: صدقت، قال: ارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه اليهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرا، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن، فأسرع به إلى بلاده.

فخرج به عمه أبو طالب سريعا حتى أقدمه مكة، حين فرغ من تجارته بالشام، فزعموا فيما يتحدث الناس، أن زريرا[2]، وتماما[3]، ودريسا -وهم نفر من أهل الكتاب- قد كانوا رأوا من رسول الله ﷺ في ذلك السفر الذي كان فيه مع عمه أبي طالب أشياء، فأرادوه، فردهم عنه بحيرا، وذكرهم الله، وما يجدون في الكتاب من ذكر وصفته، وأنهم إن أجمعوا بما أرادوا، لم يخلصوا إليه، حتى عرفوا ما قاله لهم وصدقوه بما قال فتركوه وانصرفوا [عنه][4]، فقال أبو طالب في ذلك شعرا، يذكر مسيره برسول الله ﷺ،

---

(١) زيادة للسياق من كتب السيرة.

(٢) في (الأصلين): «زبيرا»، وصوبناه من كتب السيرة.

(٣) في (دلائل البيهقي): «ثمام».

(٤) زيادة للسياق من (سيرة ابن هشام).

وما أراد منه أولئك النفر، وما قال لهم فيه بحيرا[1].

وقال الواقدى [رحمه الله تعال]: حدثنا محمد بن أبى حبيبة، عن داود ابن الحصين، قالوا لما خرج أبو طالب إلى الشام، خرج معه رسول الله ﷺ فى المرة الأولى، وهو ابن اثنتى عشرة سنة، فلما نزل الركب بصرى، وبها راهب يقال له: بحيرا فى صومعة له، وكان علماء النصارى يكونون فى تلك الصومعة، يتوارثنوها عن كتاب يدرسونه، فلما نزلوا ببحيرا، وكانوا كثيرا ما يمرون به لا يكلمهم، حتى إذا كان ذلك العام، نزلوا [منزلا] قريبا من صومعته [قد كانوا ينزلونه قبل ذلك كلما مروا به]، فصنع لهم طعاما،

---

(١) قال أبو طالب:

إن ابن آمنة الأمين محمدا ... عندي بمثل منازل الأولاد
لما تعلق بالزمام رحمته ... والعيس قد قلصن بالأزواد
فارفضَّ من عينى دمعٌ ذارفٌ ... مثل الجمان مفرق الأفراد
راعيتُ منه قرابةً موصولةً ... وحفظت فيه وصية الأجداد
وأمرته بالسير بين عمومةٍ ... بيض الوجوه مصالت أنجاد
ساروا لأبعد طيةٍ معلومةٍ ... فلقد تباعد طية المرتاد
حتى إذا ما القوم بُصرى عاينوا ... لاقوا على شرك من المرصاد
حبرا فأخبرهم حديثا صادقا ... عنه ورد معاشر الحساد
قوما يهودا قد رأوا ما قد رأى ... ظل الغمامة ثاغرى الأكباد
ساروا لفتك محمد فنهاهمو ... عنه وأجهد أحسن الإجهاد
فثنى [زبيراء] بحير فانثنى ... فى القوم بعد تجادل وتعاد
ونهى دريسا فانتهى لما نهى ... عن قول حبر ناطق بسداد

(دلائل النبوة للبيهقى): ٢/ ٢٩، باب ما جاء فى خروج النبى ﷺ مع أبى طالب حين أراد الخروج إلى الشام تاجرا، ورؤية بحيرى الراهب من صفته وآياته ما استدل به على أنه هو النبى الموعود فى كتبهم ﷺ، ثم قال الحافظ البيهقى: وذكر ابن إسحاق ثلاث قصائد من شعره فى ذلك.

ثم دعاهم، وإنما حمله على دعائمهم، أنه رآهم حين طلعوا وغمامة تظل رسول الله ﷺ من بين القوم، حتى نزلوا تحت الشجرة، ثم نظر إلى تلك الغمامة أظلت تلك الشجرة، فأخضلت أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ حين استظل تحتها.

فلما رآى بحيرا، نزل من صومعته، وأمر بذلك الطعام، فأتى به وقال: إنى صنعت لكم طعاما يا معشر قريش، وأنا أحب أن تحضروه كلكم، ولا تخلفوا منكم صغيرا ولا كبيرا، حرا ولا عبدا، فإن هذا شئ تكرمونى به، فقال رجل: إن لك لشأنا يا بحيرا، ماكنت تصنع بنا هذا، فما شأنك اليوم؟ قال: إنى أحببت أن أكرمكم، ولكم حق، فاجتمعوا إليه.

وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم لحداثة سنه، ليس فى القوم أصغر منه فى رحالهم تحت الشجرة، فلما نظر بحيرا إلى القوم، ولم ير الصفة التى يعرف ويجدها عنده، جعل ينظر فلا يرى الغمامة على أحد من القوم، ويراها متخلفة على رأس رسول الله ﷺ، قال: يا معشر قريش! لا يتخلفن أحد منكم عن طعامى، قالوا: ما تخلف أحد إلا غلام هو أحدث القوم سنًا فى رحالهم، فقال: ادعوه ليحضر طعامى، فما أقبح أن تحضروا ويتخلف رجل واحد، مع أنى أراه من أنفسكم، فقال القوم: هو والله أوسطنا نسبا، وهو ابن أخى هذا الرجل -يعنون أبا طالب- وهو من ولد عبد المطلب، فقال الحارث بن المطلب: والله إن كان بنا للؤم أن يتخلف ابن عبد المطلب من بيننا، ثم قام إليه فاحتضنه، وأقبل به حتى أجلسه على الطعام، والغمامة تسير على رأسه.

وجعل بحيرا يلحظه لحظًا شديدا، وينظر إلى أشياء فى جسده، قد كان [يجدها] عنده فى صفته، فلما تفرقوا عن طعامهم، قام إليه الراهب فقال:

يا غلام! أسألك باللات والعزى إلا ما أخبرتنى عما أسألك، فقال رسول الله ﷺ : لا تسألنى باللات والعزى، فوالله ما أبغضت شيئا بغضهما، قال: فبالله إلا أخبرتنى عما أسألك، قال: سلنى عما بدا لك، فجعل يسأله عن أشياء من حاله، حتى نومه، ورسول الله ﷺ يخبره، فيوافق ذلك ما عنده، ثم جعل ينظر فى عينيه، ثم كشف عن ظهره، فرآى خاتم النبوة بين كتفيه على الصفة التى عنده، فقبل موضع الخاتم.

وقالت قريش: إن لمحمد عند هذا الراهب لقدرا، وجعل أبو طالب لما يرى من الراهب، يخاف على ابن أخيه، فقال الراهب لأبى طالب: ما هذا الغلام منك؟

قال أبو طالب: ابنى، قال: ما هو بابنك، وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيًا، قال: فابن أخي، قال: فما فعل أبوه؟ قال: هلك وأمه حبلى به، قال: فما فعلت أمه؟ قال: توفيت قريبا، قال: صدقت، ارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه اليهود، فوالله إن رأوه، وعرفوا منه ما أعرف ليبغنه سوءا، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم نجده فى كتابنا، وما درينا عن آبائنا، واعلم أنى قد أديتُ إليك النصيحة.

فلما فرغوا من تجارتهم، خرج به سريعا، وكان رجال من اليهود قد رأوا رسول الله ﷺ وعرفوا صفته، فأرادوا أن يغتالوه، فذهبوا إلى بحيرا، فذاكروه أمره، فنهاهم أشد النهى وقال لهم: أتجدون صفته؟ قالوا: نعم، قال: فما لكم إليه سبيل، فصدقوه وتركوه، ورجع به أبو طالب، فما خرج به سفراً بعد ذلك خوفًا عليه. قال البلاذرى [رحمة الله عليه] فلما بلغ رسول الله ﷺ اثنتى عشرة سنة، عرض لأبى طالب شخوص إلى الشام فى تجارة، وكان رسول الله ﷺ يألفه، فسأله إخراجه معه، فأبى ذلك ضنا عليه،

وصيانة له، فاغتم وبكى، فأخرجه، فرآه راهب من علماء الرهبان يقال له: بحيرا، وكانت قد أظلته غمامة، قال: ابن أخي، قال أما ترى هذه الغمامة كيف تظله وتنتقل معه، والله إنه لنبى كريم، وإنى لأحسبه الذى بشر به عيسى عليه السلام، فإن زمانه قد قرب، وينبغى لك أن تحتفظ به، فرده أبو طالب إلى مكة. وذكر بعض الرواة أن أبا طالب أشخص رسول الله ﷺ إلى الشام وهو ابن تسع، والأول أثبت.

* * *

وأمّـا سـفره ﷺ فى تجـارة خديجة رضى الله تعالى عنها

فخرج البيهقى من حديث محمد بن فضيل قال: حدثنا الربيع بن بدر، عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله رضى الله [عنهما] قال: قال رسول الله ﷺ آجرت نفسى من خديجة سفرتين بقلوص(١).

وقال يونس بن بكير، عن ابن إسحاق قال: وكانت خديجة بنت خويلد [رضى الله عنها] امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال فى مالها، وتضاربهم إياه بشئ تجعل لهم منه، وكانت قريش قوما تجارا، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج فى مالها تاجرا إلى الشام، وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار، مع غلام لها يقال له: ميسرة، فقبله منها رسول الله ﷺ، وخرج فى مالها، ذلك ومعه غلامها ميسرة، حتى قدم الشام.

فنزل رسول الله ﷺ فى ظل شجرة، قريب من صومعة راهب من الرهبان، فأطلع الراهب إلى ميسرة فقال: من هذا الرجل الذى نزل تحت هذه الشجرة؟ فقال له ميسرة: هذا رجل من قريش من أهل الحرم، فقال له

---

(١) (دلائل النبوة للبيهقى): ٢/ ٦٦، وقال فى هامشه: «الخبر فى إسناده الربيع بن بدر ضعفه ابن معين وقال: «ليس بشئ»، وقال النسائى ويعقوب بن سفيان: «متروك»، وقال ابن حبان: «بقلب الأسانيد، ويروى عن الثقات المقلوبات»، وقال الدار قطنى والأزدى: «متروك» (تهذيب التهذيب): ٣/ ٢٠٧ - ٢٠٨، ترجمة رقم (٤٦٢).

الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبى(١)، ثم باع رسول الله ﷺ سلعته التى خرج بها، واشترى ما أراد أن يشترى، ثم أقبل قافلاً إلى مكة، ومعه ميسرة، وكان ميسرة -فيما يزعمون- إذا كانت الهاجرة واشتد الحر، يرى ملكين يظلانه من الشمس، وهو يسير على بعيره، فلما قدم مكة على خديجة بمالها، باعت ما جاء به فأضعفت أو قريبا، وحدثها ميسرة عن قول الراهب، وعما كان يرى من إظلال الملكين إياه.

وكانت خديجة امرأة حازمة، شريفة لبيبة، مع ما أراد الله [تعالى] بها من كرامته، فلما أخبرها ميسرة عما أخبرها به، بعثت إلى رسول الله ﷺ فقالت: فيما يزعمون يا ابن عم؟ إنى قدر رغبت فيك لقرابتك منى، وشرفك فى قومك، ووسيطتك فيهم، وأمانتك عندهم، وحسن خلقك، وصدق حديثك، ثم عرضت عليه نفسها، وكانت خديجة يومئذ أوسط قريش نسبا، وأعظمهم شرفا، وأكثرهم مالاً، وكل قومها قد كان حريصا على ذلك منها، لو يقدر على ذلك(٢).

---

(١) قول الراهب: «ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبى»، قال السهيلى: «يريد ما نزل تحتها هذه الساعة قط إلا نبى، لبعد العهد بالأنبياء قبل ذلك... والشجرة لا تعمر فى العادة هذا العمر الطويل، حتى يُدرى أنه لم ينزل تحتها إلا عيسى ﷺ أو غيره من الأنبياء».

(٢) (دلائل النبوة للبيهقى): ٢/ ٦٦ - ٦٧، (سيرة ابن هشام): ٢/ ٦ - ٨، ثم قال فى هامشه: «قول خديجة رضى الله عنها: لسطتك - أو وسيطتك- فى عشيرتك»، وقوله فى وصفها: «هى أوسط قريش نسبا» فالسطة: من الوسط، مصدر، كالعدة والزنة، والوسط من أوصاف المدح، والتفضيل، ولكن فى مقامين: فى ذكر النسب، وفى ذكر الشهادة.

أما النسب؛ فلان أوسط القبيلة أعرفها، وأولاها بالصميم، وأبعدها عن الأطراف، وأجدر أن لا تضاف إليه الدعوة؛ لأن الآباء والأمهات قد أحاطوا به من كل جانب، فكان الوسط من أجل هذا مدحا فى النسب بهذا السبب.

وأما الشهادة، فنحو قوله سبحانه: ﴿**قال أوسطهم**﴾، وقوله: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس**﴾، فكان هذا مدحا فى الشهادة؛ لأنها غاية العدالة فى الشاهد أن يكون وسطا =

وقال محمد بن سعد: حدثنا محمد بن عمر الواقدى قال: حدثنى موسى بن شيبة، عن عميرة بنت عبيد الله بن كعب بن مالك، عن أم سعد بنت سعد بن الربيع، عن نفيسة بنت منية -أخت يعلى بن منية- قالت: لما بلغ رسول الله ﷺ خمسا وعشرين سنة، قال له أبو طالب: أنا رجل لا مال لى، وقد اشتد الزمان علينا، وهذه عير قومك قد حضر خروجها إلى الشام، وخديجة بنت خويلد تبعث رجالاً من قومك فى عيراتها، فلوجئتها فعرضت نفسك عليها لأسرعت [إليك]، وبلغ خديجة ما كان من [محاورة] عمه له، فأرسلت إليه فى ذلك، وقالت له: أنا أعطيك ضعف ما أُعطى رجلاً من قومك، فقال أبو طالب: هذا رزق قد ساقه الله إليك، فخرج مع غلامها ميسرة، وجعل عمومته يوصون به أهل العير، حتى قدما بُصرى من [أرض] الشام(١).

فنزلا فى ظل شجرة، فقال نسطور الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة [قط](٢) إلا نبىّ، ثم قال لميسرة: أفى عينيه حُمرة؟ قال: نعم، قال: لا تفارقه؟ قال نعم، قال: هو نبى، وهو آخر الأنبياء، ثم باع سلعته، فوقع بينه وبين رجل تلاح(٣)، فقال له: احلف باللات والعزى، فقال له رسول الله ﷺ: ما حلفت بهما قط، وإنى لأمر [عليهما] فأُعرض عنهما، فقال الرجل: القول قولك، ثم قال لميسرة: هذا والله نبى تجده أحبارنا منعوتا فى

= كالميزان، لا يميل مع أحد، بل يصمم على الحق تصميما، لا يجذبه هوى، ولا تميل به رغبة ولا رهبة، من ها هنا، ولا من ها هنا، فكان وصفه بالوسط غاية فى التزكية والتعديل.

وَظَنَّ كثير من الناس أن معنى الأوسط: الأفضل على الإطلاق، وقالوا: معنى الصلاة الوسطى: الفضلى، وليس كذلك، بل هو فى جميع الأوصاف لا مدح ولا ذم كما يقتضى لفظ التوسط.

(١) (طبقات ابن سعد): ١/ ١٢٩، ذكر خروج رسول الله ﷺ إلى الشام فى المرة الثانية.

(٢) زيادة للسياق من (الطبقات).

(٣) التلاحى: الشقاق والمنازعة.

كتبهم، وكان ميسرة إذا كانت الهاجرة، واشتد الحر، يرى ملكين يظلان رسول الله ﷺ من الشمس، فوعى ذلك كله ميسر(١).

وباعوا تجارتهم، وربحوا ضعف ما كانوا يربحون [حتى](٢) دخل مكة في ساعة الظهيرة، وخديجة [رضى الله عنها] فى علية لها، فرأت رسول الله ﷺ وهو على بعيره، وملكان يظلان عليه، فأرته نساءها، فتعجبن لذلك، ودخل عليها رسول الله ﷺ بما ربحوا في وجههم فسُرَّت بذلك، فلما دخل عليها فميسرة أخبرته بما رأت، فقال: قد رأيت هذا منذ خرجنا من الشام، وأخبرها بما قال الراهب نسطور، وبما قال الآخر الذى خالفه [فى البيع](٢).

---

(١) (طبقات ابن سعد) : ١ / ١٣٠ .

(٢) زيادة للسياق من (المرجع السابق) .

وأمَّـا الإسراء برسول الله ﷺ
ثم إلى السماوات العلى ورؤيته آيات ربه الكبرى

فإنه ثابت بكتاب الله العزيز، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبسنة رسول الله ﷺ الثابتة، المستفيضة عنه بالنقل، من حديث عبد الله بن مسعود، وأبى ذر، وحذيفة، وعبد الله بن عباس، وأبى هريرة، وأبى سعيد الخدرى، ومالك بن صعصعة، وأبى بن كعب وأنس بن مالك، وشداد بن أوس، وأبى ليلى الأنصارى، وعبد الرحمن بن قُرظ، وأم هانى بنت أبى طالب، رضى الله عنهم، حتى صار فى الثبوت مصير التواتر.

قال الله جلَّ وعزَّ سبحانه: ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير** ﴾(١).

اعلم ان التسبيح هو التنزيه، والتنزيه والتبعيد مأخوذ من قولهم: سبَح الرجل فى الأرض إذا ذهب فيها، ومنه قيل للفرس إذا كان جيد الركض: سابح، ومنه السبح فى الماء، فقولك: سبحتُ الله، أى نزّهتُه وبرأتُه مما لا يليق بجلاله، وأصل المعنى والاشتقاق، باعدته مما لا يليقُ به، أى جعلته بمعزل منها، متباعداً تباعد المنزلة والرتبة(٢).

---

(١) الإسراء: ١.

(٢) قال ابن الفرج: سمعت أبا الجهم الجعفرى يقول: سبحت فى الأرض وسَبَخْتُ فيها إذا تباعدتُ فيها، ومنه قوله تعالى: ﴿ **وكل فى فلك يسبحون** ﴾ أى يجرون، ولم يقل: تَسْبَحُ، لانه وصفها بفعل من يعقل.

وكذلك قوله: ﴿ **والسابحات سبحا** ﴾ هى النجوم تسبح فى الفلك، أى تذهب فيها بسطا، كما يسبح السابح فى الماء سبحًا، وكذلك السابح فى الماء سبحًا، وكذلك السابح من الخيل يمد يديه فى =

= الجرى سبحًا.

وقال الأزهرى فى قوله عز وجل: ﴿ **والسابحات سبحا فالسابقات سبقًا** ﴾؛ قيل: السابحات السفن، والسابقات الخيل.

والتسبيح: التنزيه، وسبحان الله: معناه: تنزيها لله من الصاحبة والولد. وقيل: تنزيه لله تعالى عن كل ما لا ينبغى له أن يوصف.

تقول: سَبَّحتُ الله تسبيحا له أى نزَّهته تنزيها، وكذلك روى عن النبى ﷺ.

قال الزجَّاج فى قوله تعالى: ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليلا** ﴾ قال: منصوب على المصدر، المعنى: أسبح الله تسبيحا، قال: وسبحان فى اللغة تنزيه الله عزَّ وجلَّ عن السوء.

وسبَّح الرجل: قال سبحان الله، وفى التنزيل: ﴿ **كل قد علم صلاته وتسبيحه** ﴾.

وقال قوم: ﴿ **وإن من شىء إلا يسبح بحمده** ﴾ أى ما من دابة إلا وفيه دليل على أن الله عز وجلَّ خالقه، وأن خالقه مُبَرَّأٌ من الأسواء، ولكنكم أيها الكفار لا تفقهون أثر الصنعة فى هذه المخلوقات.

قال الأزهرى: ومما يدلك. على أن تسبيح هذه المخلوقات تسبيح تَعبدت به، قول الله عَز وجلَّ للجبال: ﴿ **يا جبال أوبى معه والطير** ﴾؛ ومعنى أوبى: سبحى مع داود النهار كله إلى الليل ولا يجوز أن يكون معنى أمر الله عزَّ وجل للجبال بالتأويب إلا تعبداً لها.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ **ألم ترَ أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمسُ والقمرُ والنجومُ والجبالُ والشجرُ والدَّوابُّ وكثير من الناس** ﴾؛ فسجود هذه المخلوقات عبادة منها لخالقها، لا لانفقهها عنها، كما لا نفقه تسبيحها.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ **وإنَّ من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يَشَّقَّق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله** ﴾ وقد علم الله تعالى هبوطها من خشيته، ولم يُعَرِّفنا ذلك، فنحن نؤمن بما أعلمنا، ولا نَدعى بما لا نُكلَّف بأفهامنا من علم فعلها كيفية نحُدُها.

ومن صفات الله عز وجل: السُّبوحُ القُدوسُ، قال أبو إسحاق: السبوح: الذى ينزه عن كل سوء، والقدوس: المبارك، وقيل: الطاهر.

وقال ابن سيده: سبوح قدوس، من صفة الله عز وجل، لأنه تعالى يُسَبَّح ويقدس، ويقال: سَبُّوح قَدسٌ؛ قال الحيانى: المجتمع عليه فيها الضم.

وسُبُحات وجه الله، بضم السين والباء: أنواره، وجلاله، وعظمته، وقال جبريل عليه السلام: إن لله دون العدش سبعين حجابا، لو دنونا من أحدها لأحرقتنا سُبُحات وجه ربنا؛ رواه صاحب (العين).

قال ابن شُميل: سبحات وجهه، نور وجهه. وفى حديث آخر: حجابه النور والنار، لو كشفه =

والإسراء: سير الليل، يقال: سَرى سرى ومسرا، وأسرى اسراءً، وقيل: أسرى، سار فى أول الليل، وسرى، سار فى آخره[1].

= لاحرقت سبُحاتُ وجهه كلَّ شيء أدركه بصره.

وقال ابن عرفة الملق بنغطويه. فى قوله تعالى: ﴿ **فسبح باسم ربك العظيم** ﴾: أى سبّحه باسمائه، ونَزهه عن التسمية بغير ما سمى به نفسه. قال: ومن سمى الله تعالى بغير ما سمى به نفسه فهو مُلْحد فى أسمائه، وكل من دعاه بأسمائه فمسبح له بها، إذ كانت أسماؤه مدائح له وأوصافًا؛قال تعالى: ﴿ **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها** ﴾، وهى صفاته التى وصف بها نفسه، وكل من دعا الله بأسمائه فقد أطاعه ومدحه، ولِحقه ثواب. (لسان العرب): ٢/ ٤٧١-٤٧٤ مختصراً.

(١) ﴿ **أسرى** ﴾: لغة فى سَرى، بمعنى سار فى الليل، فالهمزة هنا ليست للتعدية، لأن التعدية حاصلة بالباء، بل أسرى فعل مفتتح بالهمزة، مرادف سرى، وهو مثل: أبان المرادف بان، ومثل: انهج الثوب بمعنى نهج زى بلى فـ ﴿ **اسرى بعبده** ﴾ بمنزلة ﴿ **ذهب الله بنورهم** ﴾.

وللمبرد والسهيل نكتة فى التفرقة بين التعدية بالهمزة والتعدية بالباء: بأن الثانية ابلغ، لأنها فى اصل الوضع تقتضى مشاركة الفاعل المفعول فى الفعل، فأصل ذهب به انه استصحبه. كما قال تعالى: ﴿ **وسار بأهله** ﴾.

وقالت العرب: أشبعهم شتمًا، وراحوا بالإبل، وفى هذا لطيفة تناسب المقام هنا، إذ قال: ﴿ **اسرى بعبده** ﴾ دون سرى بعبده، وهى التلويح إلى أن الله تعالى كان مع رسوله فى اسرائه، بعنايته وتوفيقه؛ كما قال تعالى: ﴿ **فإنك بأعيننا** ﴾، وقال: ﴿ **إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا** ﴾.

فالمعنى: الذى جعل عبده مُسريًا، أى ساريًا، وهو كقوله تعالى: ﴿ **فاسر بأهلك بقطع من الليل** ﴾.

وإذ قد كان السُّرى خاصا بسير الليل، كان قوله: ﴿ **ليلا** ﴾ إشارة إلى أن السير به إلى المسجد الأقصى كان فى جزء ليلة، وإلا لم يكن ذكره إلا تأكيداً على أن الإفادة - كما يقولون - خير من الإعادة.

وفى ذلك إيماء إلى أنه إسراء خارق للعادة، لقطع المسافة التى بين مبدأ السير ونهايته فى بعض ليلة، وأيضا ليتوسل بذكر الليل إلى تنكيره، المفيد للتعظيم.

فتنكير ﴿ **ليلا** ﴾ للتعظيم بقرينة الاعتناء بذكره، مع علمه من فعل ﴿ **اسرى** ﴾، وبقرينة عدم تعريفه، أى هو ليل عظيم، باعتبار جعله زمنا لذلك السرى العظيم، فقام التنكير هنا مقام ما يدل على التعظيم، الا ترى كيف احتيج إلى الدلالة على التعظيم بصيغة خاصة فى قوله تعالى: ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر** ﴾ إذا وقعت ليلة القدر غير منكرة. (تفسير التحرير والتنوير): ١٥/ ١١- ١٢.

والمراد بعبده: محمد ﷺ، وليلا: [أى] فى جوف الليل، وقيل: فى بعض الليل، لا فى كله، وقيل: أى ذهب بعبده فى سراة الأرض، أى متسعها(١).

والمسجد الحرام، قيل: المراد به نفس الكعبة، وقيل: نفس المسجد الذى فيه الكعبة، وفيه يقع الطواف والصلاة إليها، وقيل: نفس مكة، وقيل: جميع الحرم، وقد أطلق لفظ المسجد الحرام بهذه الاعتبارات الأربعة، على الموضع الذى [اسرى منه بالنبى عليه الصلاة والسلام](٢).

---

(١) و«عبد» المضاف إلى ضمير الجلالة هنا هو محمد ﷺ، كما هو مصطلح القرآن، فإنه لم يقع فيه لفظ العبد مضافًا إلى ضمير الغيبة الراجع إلى الله تعالى، إلا مراداً به النبى ﷺ، ولأن خبر الإسراء به إلى بيت المقدس قد شاع بين المسلمين، وشاع إنكاره بين المشركين، فصار المراد «بعبده» معلومًا.

والإضافة إضافة تشريف لا إضافه تعريف، لأن وصف العبودية لله متحقق لسائر المخلوقات، فلا تفيد إضافته تعريفًا. (المرجع السابق).

(٢) ذكر الماوردى فى (الحاوى) فى كتاب الجزية، أن كل موضوع ذكر الله فيه المسجد الحرام، فالمراد به: الحرم، إلا فى قوله تعالى: ﴿**فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام**﴾ فإنه أراد به الكعبة.

وأما ابن أبى الصيف اليمنى فقال بعد ذكر المواضع الخمسة عشر [التى ذكر الله تعالى فيها اسم ﴿**المسجد الحرام**﴾ فى القرآن الكريم]: منها ما أراد الله به الكعبة، كقوله تعالى: ﴿**فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام**﴾ [البقرة: ١٤٤]، ومنها ما أراد به مكة كقوله تعالى: ﴿**سبحانه الذى أسرى بعبده**﴾ [الإسراء: ١]، وقد روى أنه ﷺ أسرى به من بيت أم هانئ بنت أبى طالب.

ومنها ما أراد به الحرم، كقوله تعالى: ﴿**إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام**﴾ [التوبة: ٢٨]. قال: وقد روى النسائى فى سننه، من حديث ميمونة رضى الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الكعبة.

وروى أيضا من حديث أبى هريرة: إلا الكعبة. وفى رواية ابن ماجة: وصلاته بمكة بمائة ألف. مع ذكر المساجد يظهر أنه أراد مسجد مكة، والمصلى فيه مصل بمكة. [فإنه قال فى الحديث الذى أخرجه جابر، عن رسول الله ﷺ قال: صلاة فى مسجدى أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة فى المسجد الحرام أفضل مائة ألف صلاة فيما سواه]. رواه ابن ماجة.

قال: والإنصاف أن الكل داخل فى الاسم المذكور فى القرآن، إلا أن الإطلاق إنما ينصرف إلى =

فقد ثبت من حديث أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة، عن النبى [عليه الصلاة والسلام]، قال: بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان.. وذكر حديث الإسراء. وفى رواية: بينا أنا فى الحطيم - وربما قال فى الحجر - مضطجعًا، إذ أتانى آتٍ.. الحديث(١)، فإن كان فى الحجر، فقد وقع

= المسجد الذى قُدِّر به الطواف، ولهذا ورد: كنا فى المسجد الحرام، وخرجنا من المسجد الحرام، واعتكفنا فى المسجد الحرام، وبتنا فيه، ولا شك أن مساجد الحرم متعددة، واختص هو من بينها بالمسجد الحرام فى العرف.

وقد ذكر الأزرقى فى (أخبار مكة): عن جده، عن مسلم بن خالد، عن محمد بن الحارث، عن سفيان، عن على الأزدى، قال: سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يقول: إنا لنجد فى كتاب الله عزَّ وجل أن حدَّ المسجد الحرام من الحَزوَرة إلى المسعى.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: أساس المسجد الذى وضعه إبراهيم عليه السلام من الحَزوَرة إلى المسعى إلى مخرج سيل أجياد. [الحزورة: موضع بمكة يلى البيت، وهو بفتح الحاء وسكون الزاى، والمحدثون يقولونه بتشديد الواو، وهو تصحيف، وأجياد: موضع من بطحاء مكة] (معجم ما استعجم للبكرى)، (إعلام الساجد بأحكام المساجد): ٦٠-٦١.

فالمسجد الحرام هو المكان المعدّ للسجود، أى الصلاة، وهو الكعبة والفناء المجعول حرمًا لها، وهو يختلف سعة وضيقًا باختلاف العصور من كثرة الناس فيه للطواف، والاعتكاف، والصلاة.

والحرام: فَعَال بمعنى مفعول، كقولهم: امرأة حصان، أى ممنوعة بعفافها عن الناس. (تفسير التحرير والتنوير): ١٥/١٣.

ومن ذلك ما قاله حسَّان بن ثابت رضى الله عنه معتذرًا عن خوضه مع الذين خاضوا فى حديث الإفك، فقال مخاطبًا لأم المؤمنين، المبرأة، أم عبد الله عائشة رضى الله عنها:

حَصَانٌ رزانٌ ما تُـزَنُّ بريبـة ... وتُصبح غَرثى من لحوم الغوافـلِ

عقيلة حىٍّ من لـؤى بن غالـبٍ ... كرام المساعى مجدُهم غَير زائلِ

(ديوان حسان بن ثابت): ٢٢٨.

(١) (فتح البارى): ٦ / ٣٧١، كتاب بدء الخلق، باب (٦) ذكر الملائكة، حديث رقم (٣٢٠٧)، وهو حديث طويل أمسكنا عن ذكره لطوله واشتهاره. وفى (المرجع السابق): ٧ / ٢٥٥، كتاب مناقب الأنصار، باب (٤٢) المعراج، حديث رقم (٣٨٨٧)، وفيه: «بينما أنا فى الحطيم - وربما قال: فى الحجر - مضطجعا إذ أتانى آت... فذكره، وأخرجه الإمام مسلم فى صحيحه، فى كتاب الإيمان، باب (٧٤) الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات، حديث رقم (٢٦٤)، وأخرجه الترمذى فى (السنن): ٥ / ٢٨١، كتاب تفسير القرآن، باب (١٨) ومن سورة بنى اسرائيل، =

الإسراء من نفس الكعبة، لأن معظم الحجر من البيت(١).

وإن كان من الحطيم، فقد وقع الإسراء من نفس المسجد، فإن الحطيم ما بين الركن والمقام، وما بين زمزم والحجر، على أن رواية «عند» محتملة للأمرين، فإن كان بالحِجر، فإنه عند البيت، لأن الحِجر لما أخرج من البيت، صار كانه ليس منه، ولو لم يثبت أنه كان فى الحجر، لصح لمن كان عند البيت أن يقال عنه أنه أسرى به من البيت، أى من عند البيت(٢).

= حديث رقم (٣١٣٣) عن جابر بن عبد الله مختصراً، ولفظه: «لما كذبتنى قريش قمت فى الحجر فجلا الله لى بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه»، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. وفى الباب عن مالك بن صعصعة، وأبى سعيد، وابن عباس.

وأخرجه النسائى فى (السنن): ١/٢٣٧، كتاب الصلاة، باب(١) فرض الصلاة، حديث رقم (٤٤٧).

وأخرجه الإمام أحمد فى (المسند): ٥/٢٣٦، حديث رقم (١٧٣٧٨) من حديث مالك بن صعصعة عن النبى ﷺ، وحديث رقم (١٧٣٧٩)، وحديث رقم (١٧٣٨٠)، وحديث رقم (١٧٣٨١) كلهم من حديث مالك بن صعصعة بسياقات مختلفة.

(١) قال الإمام النووى: قال أصحابنا: ست أذرع من الحِجر مما يلى البيت محسوبة من البيت بلاخلاف، وفى الزائد خلاف؛ فإن طاف فى الحج وبينه وبين البيت أكثر من ستة أذرع ففيه وجهان لأصحابنا، **أحدهما**: يجوز، لظواهر هذه الأحاديث، وهذا هو الذى رجحه جماعات من أصحابنا الخراسانيين.

والثانى: لا يصح طوافه فى شىء من الحِجْر ولا على جداره، ولا يصح حتى يطوف خارجًا من جميع الحِجر، وهذا هو الصحيح، وهو الذى نصَّ عليه الشافعى، وقطع به جماهير أصحابنا العراقيين، ورجحه جمهور الأصحاب، وبه قال علماء المسلمين، سوى أبى حنيفة فإنه قال: إن طاف فى الحِجْر وبقى فى مكة أعاده، وإن رجع من مكة بلا إعادة أراق دما، وأجزأه طوافه.

واحتج الجمهور بأن النبى ﷺ طاف من وراء الحجر وقال: لتأخذوا [عنى] مناسككم، ثم أطبق المسلمون عليه من زمنه ﷺ إلى الآن، وسواء كان كله من البيت أم بعضه، فالطواف يكون من ورائه، كما فعل النبى ﷺ، والله تعالى أعلم. (مسلم بشرح النووى): ٩/٩٩-١٠٠، كتاب الحج، باب (٦٩) نقض الكعبة وبنائها.

(٢) حطيم مكة هو ما بين الركن والباب، وقيل: هو الحِجر المُخْرَجُ منها، سمى به لأن البيت رُفع وتُرك هو محطومًا، وقيل لأن العرب كانت تطرح فيه ما كانت به من الثياب، فبقى حتى حُطِم بطول الزمان، فيكون فعيلا بمعنى فاعل. =

وثبت أيضا من حديث أنس، عن أبى ذر [رضى الله عنهما]، عن النبى ﷺ قال: فرج سقف بيتى وأنا بمكة، فنزل جبريل... الحديث، وهذا صريح فى أنه كان بمكة خارج المسجد لأن بيته بمكة لم يكن بالمسجد(١).

وروى الواقدى [رحمه الله]، أنه أُسرى برسول الله ﷺ من شعب أبى طالب(٢) إلى بيت المقدس، ليلة سبع عشرة من ربيع الأول، قبل الهجرة بسنة. قال الواقدى: وذلك غير ثبت، كذا رواية أنه أسرى به من بيت أم هانئ، فإنها تدل على أن الإسراء كان من خارج المسجد.

[وقد روى إسرائيل، عن ثور، عن مجاهد، وروى عبد الله بن مسلم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قالا: الحرم كله مسجد. وعن عطاء: الحرم مسجد كله. وعن عطاء، عن ابن عباس: الحرم كله المسجد الحرام. ذكره عمر بن [أبى] شيبة فى كتاب (أخبار مكة)](٣).

والمسجد الأقصى، هو مسجد بيت المقدس، سمى بذلك لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام، وقيل: وصف بالأقصى من العرب، أو من أهل مكة، أو من النبى ﷺ، والأقصى: أفعل من القصى، والقاصى، وهو

= وقال ابن عباس: الحطيم الجدار بمعنى جدار الكعبة. وقال ابن سيده: الحطيم حِجر مكة مما يلى الميزاب، سمى بذلك لانحطام الناس عليه، وإنما سُمى حطيما لأن البيت رُفع وتُرك ذلك محطومًا. (لسان العرب): ١٢ / ١٣٩-١٤٠ مختصراً.

(١) (جامع الأصول): ١١ / ٣٠٥-٣٠٧، فى الإسراء وما يتعلق به، حديث رقم (٨٨٦٨).

(٢) كانت كل عشيرة تتخذ بيوتها متجاورة، ومجموع البيوت يسمى « شِعْبًا » - بكسر الشين - وكانت كل عشيرة تسلك إلى المسجد الحرام من منفذ دورها، ولم يكن للمسجد الحرام جدار يُحفظ به، وكانت المسالك التى بين دور العشائر تسمى أبوابًا، لأنها يُسلك منها إلى المسجد الحرام، مثل باب بنى شيبة، وباب بنى هاشم، وباب بنى مخزوم - وهو باب الصفا - وباب بنى سهم، وباب بنى تيم، وأول من جعل للمسجد الحرام جدار يحفظ به هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه سنة سبع من الهجرة. (تفسير التحرير والتنوير) ١٥ / ١٣ مختصراً.

(٣) ما بين الحاصرتين من (خ) وليس فى (ج).

البعيد[1].

وقد كثرت الأحاديث الواردة فى صفة الإسراء، وتباينت كيفيته، وجاء فى بعضها: أن الإسراء كان بجسده [ﷺ، وفى بعضها: أن الإسراء كان

---

(١) المسجد الأقصى: هو المسجد المعروف ببيت المقدس الكائن. بإيلياء، وهو المسجد الذى بناه سليمان عليه الصلاة والسلام.

والأقصى: أى الأبعد، والمراد بُعده عن مكة، بقرينة جعله نهاية الإسراء من المسجد الحرام، وهو وصف كاشف اقتضاه هنا زيادة التنبيه على معجزة هذا الإسراء، وكونه خارقا للعادة لكونه قطع مسافة طويلة فى بعض ليلة.

وبهذا الوصف الوارد له فى القرآن صار مجموع الوصف والموصوف علمًا بالغلبة على مسجد بيت المقدس، كما كان المسجد الحرام علمًا بالغلبة على مسجد مكة.

وفى هذا الوصف بصيغة التفضيل باعتبار أصل وضعها معجزة خَفِيَّة من معجزات القرآن، إيماءً إلى أنه سيكون بين المسجدين مسجد عظيم، هو مسجد طيبة، الذى هو قَصى عن المسجد الحرام، فيكون مسجد بيت المقدس أقصى منه حينئذ.

فتكون الآية مشيرة إلى جميع المساجد الثلاثة المفضلة فى الإسلام على جميع المساجد الإسلامية، والتى بينها قول النبى ﷺ: «لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام، ومسجد الأقصى، ومسجدى».

والمسجد الأقصى هو ثانى مسجد بناه إبراهيم عليه السلام، كما ورد ذلك عن النبى ﷺ: ففى الصحيحين عن أبى ذر قال: قلت يا رسول الله، أى مسجد وضع فى الأرض أول؟ قال: المسجد الحرام، قلت: ثم أى؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة.

فهذا الخبر قد بين أن المسجد الأقصى من بناء إبراهيم، لأنه حُدِّد بمدة هى من مدة حياة إبراهيم عليه السلام، وقد قُرن ذكره بذكر المسجد الحرام.

وهذا مما أهمل أهل الكتاب ذكره، وهو ما خصَّ الله تعالى نبيه بمعرفته، والتوراة تشهد له، فقد جاء فى سفر التكوين فى الإصحاح الثانى عشر: أن إبراهيم لما دخل أرض كنعان [وهى بلاد فلسطين]، نصب خيمته فى الجبل شرقىّ بيت إيل [بيت إيل مدينة على بعد أحد عشر ميلا من أورشليم إلى الشمال، وهو بلد كان اسمه عند الفلسطينيين «لوزا» فسماه يعقوب: «بيت إيل، كما فى الإصحاح الثامن والعشرين من سفر التكوين] وغربىّ بلاد عاى [مدينة عبرانية تعرف الآن «الطيبة»] وبنى هنالك مذبحًا للرب (تفسير التحرير والتنوير): ١٥/ ١٦، (العهد القديم): ٤٥، سفر التكوين، الإصحاح الثامن والعشرون، عدد (١٩).

بروحه، فكان ذلك منامًا، وفى بعضها: أن الإسراء كان بجسده][1] فى اليقظة إلى بيت المقدس فقط، فكانت رؤية عين، ثم عُرج بروحه إلى السموات، فكانت رؤيا قلب.

وذهب إلى كل من هذه الأحاديث جماعة، ثم من الناس من يقول: كان ذلك كله فى ليلة واحدة، ومنهم من يقول: كان الإسراء فى ليلة، والمعراج فى أخرى، وأن المعراج غير الإسراء[2].

واختلفوا فى تاريخ الإسراء، فقال أبوبكر محمد بن على بن [القاسم] الذُّهُنى فى تاريخه: ثم أسرى بالنبى ﷺ من مكة إلى بيت المقدس، وعرج به إلى السماء، بعد مبعثه بثمانية عشر شهرًا[3].

قال ابن عبد البر [رحمه الله] : لا أعلم أحدًا من أهل السِّير، قال ما حكاه الذهبى، ولم يسند قوله إلى أحد ممن يضاف إليه هذا العلم، ولا رفعه إلى من يحتج به.

وقال أبو إسحاق [الحربى، رحمه الله]: فلما كانت ليلة سبع وعشرين من ربيع الأول، قبل الهجرة بسنة، أسرى برسول الله ﷺ، وفرض عليه خمسون صلاة، ثم نقصت إلى خمس صلوات، فأتاه جبريل [عليه السلام]، فأمّه عند البيت، فصلى الظهر أربعًا، والعصر أربعًا، والمغرب، ثلاثا، والعشاء أربعًا، والفجر ركعتين، كل ذلك نحو بيت المقدس، فلما كان الموسم من هذه السنة، لقيه الأنصار [رضى الله عنهم] فبايعوه ثم انصرفوا.

---

(١) ما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (ج).

(٢) الواقدى من الذين فرقوا بين الإسراء والمعراج، وجعلهما فى تاريخين. (تاريخ الإسلام للذهبى): ٢ / ٢٧٢.

(٣) (طبقات ابن سعد): ١ / ٢١٣-٢١٦، ذكر ليلة أسرى برسول الله ﷺ إلى بيت المقدس.

قال ابن عبد البر: هكذا قال فى الإسراء، قبل الهجرة بسنة، وهو قول موسى بن عقبة واختلف فى ذلك عن ابن شهاب، فذكر [رحمه الله تعالى] من طريق محمد بن فليح، عن موسى بن عقبة، عن ابن شهاب قال: ثم أُسرى به إلى بيت المقدس قبل خروجه إلى المدينة بسنة، وفرض الله [تعالى] عليه الصلاة.

قال ابن شهاب: وزعم ناس أنه كان يسجد نحو بيت المقدس، ويجعل وراء ظهره الكعبة وهو بمكة. ويزعم ناس أنه لم يزل يستقبل الكعبة حتى خرج منها، فلما قدم المدينة، استقبل بيت المقدس، وقد اختلف فى ذلك.

قال ابن عبد البر: هكذا قال موسى بن عقبة، عن ابن شهاب، أن الإسراء كان قبل الهجرة بسنة، وذلك بعد مبعثه بسبع سنين، أو باثنى عشر سنة، على حسب اختلافهم فى مقامه بمكة [بعد] مبعثه ﷺ.

وروى يونس عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة رضى الله عنها، قالت: توفيت خديجة قبل أن تفرض الصلاة، قال ابن شهاب: وذلك بعد مبعث النبى ﷺ بسبعة أعوام، وخالفه الوقاصى عن ابن شهاب فقال: أسرى به بعد مبعثه بخمس سنين، وقال يونس بن بكير: حدثنا عثمان بن عبد الرحمن – هو الوقاصى – عن الزهرى، قال: فرضت الصلاة بمكة، بعد ما أوحى إلى النبى ﷺ بخمس سنين، وفرض الصيام بالمدينة قبل بدر، وفرضت الزكاة والحج بالمدينة، وحُرِّمت الخمرُ بَعد أحد.

وقال ابن إسحاق: أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى – وهو بيت المقدس – وقد فَشَا[١] الإسلام بمكة، وفى القبائل كلها.

قال يونس بن بكير وغيره، عن ابن إسحاق: ثم إن جبريل أتى النبى ﷺ

---

(١) فشا: ذاع وانتشر.

حين افترضت عليه الصلاة - يعنى فى الإسراء - فهمز له بعقبه فى ناحية الوادى، فانفجرت عين ماء مُزن، فتوضأ جبريل عليه السلام، ومحمد ﷺ ينظر، فوضأ وجهه واستنشق، ومضمض، ومسح برأسه وأذنيه، ورجليه إلى الكعبين، ونضح فرجه، ثم قام [فصلى] ركعتين وأربع سجدات، فرجع رسول الله ﷺ، وقد أقرّ الله تعالى عينه، وطابت نفسه، وجاءه ما يحب من أمر الله، فأخذ بيد خديجة رضى الله تعالى عنها، ثم أتى بها العين، فتوضأ كما توضأ جبريل [عليه الصلاة والسلام]، ثم ركع ركعتين وأربع سجدات، هو وخديجة [رضى الله عنها]، ثم كان هو وخديجة يصليان سواء.

قال ابن عبد البر [رحمة الله عليه]: هذا يدلك على أن الإسراء كان قبل الهجرة بأعوام، لأن خديجة [رضى الله عنها]، توفيت قبل الهجرة بخمس سنين، وقيل: بثلاثة [أعوام]، وقيل: بأربع [سنين][1].

وقول ابن إسحاق مخالف لقول ابن شهاب فى الإسراء، على أن ابن شهاب قد اختلف عنه في ذلك، على ما ذكرنا من رواية ابن عقبه، ورواية يونس بن بكير، ورواية الوقاصى، وهى روايات [مختلفات] على ما ترى.

وروى أحمد بن زهير [عفا الله عنه]: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثناحماد عن هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة [رضى الله عنها] قالت: فتزوجنى رسول الله ﷺ بعد مُتَوفَّى خديجة [رضى الله عنها]، وقبل هجرته إلى المدينة بسنتين أو ثلاث.

وقال يونس عن أسباط بن نصر، عن إسماعيل السّدى، قال: فُرض على رسول الله ﷺ [الصلوات] الخمس فى بيت المقدس، ليلة أُسرى به، قبل

---

(١) (التمهيد لابن عبد البر) عند ذكر فرض الصلاة، كما أشار إليه فيه (الاستيعاب): ١ / ٤٠.

مهاجره بستة عشر شهراً.

وقال الواقدى: عن معمر بن راشد، عن عمرو بن عبد الله، عن عكرمة، قال: أسرى بالنبى ﷺ من المسجد، وهو نائم فى الحِجر، بعد هدوء من الليل.

وقال سفيان: عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس رضى الله عنهما، فى قول الله عز وجل: ﴿ **وما جعلنا الرّؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس** ﴾(١)، قال: رؤيا عين.

وقال ابن أبى الزناد: عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضى الله عنها قال: أسرى بروح رسول الله ﷺ، وهو نائم على فراشه.

وقال عبد الرزاق: عن معمر، عن قتادة عن الحسن قال: أسرى بروح رسول الله ﷺ وهو نائم على فراشه.

قال الحافظ أبو نعيم [الأصفهانى]: وحقيقة الإسراء، أوضح وأبين من أن يُستقصى فيه بآحاد الأخبار، ولورود نص القرآن الكريم، يذكر المسرى، وظاهر القرآن يدل [على] أنه أسرى ببدنه يقظاناً، إذ لو كان ذلك مناماً على ما ذكرته الزائفة، لما اعترض فيه المشركون، وطعنوا عليه، ونسبوه فيه إلى الاستحالة،فإنه غير مستنكر فى الرؤيا - رؤيا المنام - قطع تلك المسافة بين المسجدين، الحرام والأقصى، فى حكم ساعة من الليل.

---

(١) الإسراء: ٦٠، يقول ابن عباس: قالت عائشة، ومعاوية، والحسن، وقتادة، ومجاهد، وسعيد بن جُبَير، والضحاك، وابن أبى نجيح، وابن زيد: وكانت الفتنة ارتداد قوم كانوا أسلموا حين أخبرهم النبى ﷺ أنه أسرى به، وقيل: كانت رؤيا نوم، وهذه الآية تقضى بفساده، وذلك أن رؤيا المنام لا فتنة فيها، وما كان أحد لينكرها.

حدثنا عبد الرزاق، قال: أنبأنا ابن عيينة، عن عمرو، عن عكرمة، عن ابن عبّاس فى قوله تعالى: ﴿ **وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس** ﴾، قال: هى رؤيا عين، رآها ليلة أسرى به. (تفسير الطبرى): ١٥ / ٧٦، (تفسير عبد الرزاق): ١ / ٣٢٤، مسألة رقم (١٥٨٢).

وقال القاضى عياض: الحق والذى عليه أكثر الناس، ومعظم السلف، وعامة المتأخرين من الفقهاء، والمحدثين، والمتكلمين: أنه أسرى بجسده ﷺ والآثار تدل عليه لمن طالعها، وبحث عنها، ولا يُعْدَلُ عن ظاهرها إلا بدليل، ولا استحالة فى حملها عليه، فيحتاج إلى تأويل(١).

---

(١) قال القاضى عياض: ثم اختلف السلف والعلماء، هل كان إسراؤه ﷺ بروحه أو جسده؟ على ثلاث مقالات: فذهبت طائفة إلى أنه إسراء بالروح، وأنه رؤيا منام، مع اتفاقهم أن رؤيا الأنبياء حق ووحى، وإلى هذا ذهب معاوية، وحكى عن الحسن، والمشهور عنه خلافه، وإليه أشار محمد بن إسحاق وحجتهم قوله تعالى: ﴿وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن﴾.

وما حكوا عن عائشة رضى الله عنها: «ما فقدت جسد رسول الله ﷺ»، وقوله ﷺ: «بينا أنا نائم»، وقول أنس: «وهو نائم فى المسجد الحرام» وذكر القصة، ثم قال فى آخرها: «فاستيقظتُ وأنا بالمسجد الحرام». وذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنه إسراء بالجسد، وفى اليقظة، وهذا هو الحق، وهو قول ابن عباس، وجابر، وأنس، وحذيفة، وعمر، وأبى هريرة، ومالك بن صعصعة، وأبى حَبَّة البدرى، وابن مسعود، والضحاك، وسعيد بن جبير، وقتادة، وابن المسيب، وابن شهاب، وابن زيد والحسن وإبراهيم، ومسروق، ومجاهد، وعكرمة، وابن جُرَيج.

وهو دليل قول عائشة، وهو قول الطبرى، وابن حنبل، وجماعة عظيمة من المسلمين، وهو قول أكثر المتأخرين من الفقهاء، والمحدثين، والمتكلمين، والمفسرين.

وقالت طائفة: كان الإسراء بالجسد يقظة من المسجد الحرام إلى بيت المقدس، وإلى السماء بالروح، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾، فجعل المسجد الأقصى غاية الإسراء الذى وقع التعجب فيه بعظيم القدرة والتَّمدّح بتشريف النبى محمد ﷺ به، وإظهار الكرامة له بالإسراء إليه، قال هؤلاء: ولو كان الإسراء بجسده إلى زائد على المسجد الأقصى لذكره، فيكون أبلغ فى المدح.

ثم اختلفت هذه الفرقتان، هل صلى فى بيت المقدس أم لا؟ ففى حديث أنس وغيره ما تقدم من صلاته فيه، وأنكر ذلك حذيفة بن اليمان، وقال: مازالا عن ظهر البُراق حتى رجعا.

قال القاضى - وفقه الله - والحق من هذا والصحيح إن شاء الله: أنه إسراء بالجسد والروح فى القصة كلها، وعليه تدل الآية وصحيح الأخبار والاعتبار، ولا يُعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة.

وليس فى الإسراء بجسده وحال يقظته استحالة، إذ لو كان مناما لقال: بروح عبده، ولم يقل: ﴿بعبده﴾، وقوله تعالى: ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾، ولو كان منامًا لما كانت فيه آية =

وقد تعقب العلامة شمس الدين أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل ابن إبراهيم، قول القاضى عياض، رحمه الله، فقال: أما أن هذا مذهب الأكثر فصحيح، وبه نقول، وأما أنه لم يكن إلا ذلك، فهذا موضع نظر، وأما أن الآثار تدل عليه؛ فإن أراد كل الآثار فممنوع، فإن فيها ما صرّح بأنه كان نائمًا، ثم ذكر حديث شريك، وفيه: أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم فى المسجد الحرام.. فذكره، وفى آخره: فاهبط [بسم] الله، فاستيقظ وهو فى المسجد الحرام. وهذا نَصٌّ لا يحتمل التأويل [فى أنه كان نائمًا، وإن أراد بعض الآثار أو معظمها]، فهو صحيح، فقد ظهر وجه قول من زعم أن الإسراء كان منامًا.

واستدل أبو شامة [أيضا] بقوله تعالى: ﴿**وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس**﴾، وزعموا أن المراد بها ليلة الإسراء، [وقالوا: الرؤيا] ما كان فى النوم، والذى فى اليقظة: رؤية، بالهاء، وفتنة الناس بها: أن منهم من ارتاب وتغيّر.

واستدل من ذهب إلى أنه أسرى بجسده يقظة إلى السموات، بحديث حماد عن ثابت، عن أنس رضى الله عنه، ظاهره أن الإسراء إلى بيت

= ولا معجزة، ولما استبعده الكفار، ولا كذبوه، ولا ارتدَّ به ضعفاء من أسلم وافتتنوا به، إذ مِثلُ هذا من المنامات لا يُنكر، بل لم يكن ذلك منهم إلا وقد علموا أن خبره إنما كان عن جسمه وحال يقظته، إلى ما ذكر فى الحديث من ذِكر صلاته بالأنبياء ببيت المقدس فى رواية أنس رضى الله عنه، أو فى السماء على ما روى غيره، وذكر مجئ جبريل له بالبراق، وخبر المعراج، واستفتاح السماء فيقال: ومن معك، فيقول: محمد، ولقائه بالأنبياء فيها، وخبرهم معه وترحيبهم به، وشأنه فى فرض الصلاة، ومراجعته مع موسى فى ذلك.

وفى بعض هذه الأخبار: فأخذ – يعنى جبريل – بيدى فعرج بى إلى السماء... إلى قوله: ثم عَرَج بى حتى ظهرتُ بمستوى أسمع فيه صريف الأقلام، وأنه وصل إلى سدرة المنتهى، وأنه دخل الجنة ورأى فيها ما ذكره. قال ابن عباس رضى الله عنه: هى رؤياعين رآها ﷺ لا رؤيا منام (الشفا): ١/١١٣-١١٥ مختصراً.

المقدس، والمعراج كان فى ليلة واحدة من غير نوم، ويؤيد ذلك: أنه ﷺ لما أخبر به، كذبه المشركون، وارتد جماعة ممّن أسلم! ولو كان منامًا لم يستنكر لمن هو بمكة، أن يرى نفسه ببيت المقدس، وقد يرى الإنسان أعظم من ذلك، فَيُحدِّث به، فلا يُنكر عليه.

وقد اختلف الصحابة [رضى الله عنهم] فى رؤيته عليه الصلاة والسلام ربَّه[1]، [سبحانه و] تعالى، فى ليلة الإسراء، حتى قالت عائشة رضى الله

---

(١) قال القاضى عياض: وأما رؤيته ﷺ لربه جلَّ وعزَّ، فاختلف السلف فيها، فأنكرته عائشة رضى الله عنها: حدثنا أبو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ بقراءتى عليه، قال: حدثنى أبى وأبو عبد الله ابن عتَّاب الفقيه، قالا: حدثنا القاضى يونس بن مُغيث، حدثنا أبو الفضل الصُقلى، حدثنا ثابت ابن قاسم، عن أبيه وجده، قالا: حدثنا عبد الله بن على، حدثنا محمود بن ادم، حدثنا وكيع، عن ابن أبى خالد، عن عامر، عن مسروق، أنه قال لعائشة رضى الله عنها: يا أم المؤمنين، هل رأى محمد ربّه؟ فقالت: لقد قَفَّ شَعْرى مما قُلتَ - ثلاث من حدثك بهن فقد كذب: من حدثك أن محمداً رأى ربَّه فقد كذب، ثم قرأت: ﴿ **لا تدركه الأبصارُ وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير** ﴾، وذكر الحديث.

وقال جماعة بقول عائشة رضى الله عنها، وهو المشهور عن ابن مسعود، ومثله عن أبى هريرة أنه قال: إنما رأى جبريل، واختُلف عنه، وقال بإنكار هذا وامتناع رؤيته فى الدنيا جماعة من المحدِّثين والفقهاء والمتكلمين.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما: أنه رآه بعينه، وروى عطاء عنه أنه رآه بقلبه، وعن أبى العالية عنه: رآه بفؤاده مرتين، وذكر ابن إسحاق أن ابن عمر أرسل إلى ابن عباس رضى الله عنهما يسأله: هل رأى محمد ربه؟ فقال: نعم، والاشهر عنه أنه رأى ربه بعينه، رُوى ذلك عنه من طرق وقال: إن الله تعالى اختص موسى بالكلام، وإبراهيم بالخلة، ومحمداً ﷺ بالرؤية، وحجته قوله تعالى: ﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأى * أفتمارونه على ما يرى * ولقد رآه نزلة أخرى** ﴾ [النجم: ١١-١٣].

قال الماوردى: قيل: إن الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم، فرآه محمد مرتين، وكلمه موسى مرتين.

وحكى أبو الفتح الرازى، وأبو الليث السمر قندى الحكاية عن كعب، وروى عبد الله بن الحارث قال: اجتمع ابن عباس وكعب، فقال ابن عباس، أما نحن بنو هاشم فنقول: إن محمداً قد رأى ربه مرتين، فكبرَّ كعب حتى جاوبته الجبال، وقال: إن الله قَسَم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى، فكلمه موسى، ورآه محمد بقلبه.
=

. . . .

= وروى شريك عن أبى ذر رضى الله عنه فى تفسير الآية، قال: رأى النبىُّ ﷺ ربه.

وحكى السمر قندى عن محمد بن كعب القُرظىّ، وربيع بن أنس أن النبى ﷺ سُئل: هل رأيتَ ربك؟ قال: رأيته بفؤادى ولم أره بعينى.

وروى مالك بن يُخامر، عن مُعاذ، عن النبى ﷺ قال: رأيت ربى، وذكر كلمة، فقال: يا محمد، فيم يختصم الملأ الأعلى؟... الحديث.

وحكى عبد الرزاق أن الحسن كان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه، وحكاه أبو عمر الطَّلَمنكى عن عكرمة.

وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود.

وحكى ابن إسحاق أن مروان سأل أبا هريرة: هل رأى محمد ربه؟ فقال نعم. وحكى النقاش عن أحمد بن حنبل أنه قال: أنا أقول بحديث ابن عباس: بعينه رآه رآه، حتى انقطع نفسه - يعنى نفس أحمد.

وقال أبو عمر: قال أحمد بن حنبل: رآه بقلبه وجبن عن القول برؤيته فى الدنيا بالأبصار.

وقال سعيد بن جُبير: لا أقول رآه، ولا لم يره، وقد اختلف فى تأويل الآية، عن ابن عباس، وعكرمة، والحسن، وابن مسعود، فحكى عن ابن عباس وعكرمة: رآه بقلبه، وعن الحسن وابن مسعود: رأى جبريل، وحكى عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه: أنه قال: رآه.

وعن ابن عطاء فى قوله تعالى: ﴿**ألم نشرح لك صدرك**﴾، قال: شرح صدره للرؤية، وشرح صدر موسى للكلام. وقال أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعرى رضى الله عنه وجماعة من أصحابه، أنه رأى الله تعالى ببصره وعينى رأسه، وقال: كل آية أوتيها نبى من الأنبياء عليهم السلام، فقد أوتى مثلها نبينا ﷺ، وخُصَّ من بينهم بتفضيل الرؤية، ووقف بعض مشايخنا فى هذا وقال: ليس عليه دليل واضح، ولكنه جائز أن يكون.

قال القاضى أبو الفضل -وفقه الله- والحق الذى لا امتراء فيه، أن رؤيته تعالى فى الدنيا جائزة عقلاً، وليس فى العقل ما يُحيلها، والدليل على جوازه فى الدنيا سؤال موسى عليه السلام لها، ومحال أن يجهل نبى ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه، بل لم يسأل إلا جائزا غير مستحيل، ولكنْ وقوعه ومشاهدته من الغيب الذى لا يعلمه إلا من علمه، فقال له الله تعالى: ﴿**لن ترانى**﴾ أى لن تطيق، ولا تحتمل رؤيتى، ثم ضرب له مثلا مما هو أقوى من بنية موسى وأثبت، وهو الجبل، وكل هذا ليس فيه ما يُحيل رؤيته فى الدنيا، بل فيه جوازها على الجملة، وليس فى الشرع دليل قاطع على استحالتها، ولا امتناعها، إذ كل موجود فرؤيته جائزة غير مستحيلة، ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله تعالى: ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾ لاختلاف التأويلات فى الآية.

وليس يقتضى قول من قال: فى الدنيا الاستحالة، وقد استدل بعضهم بهذه الآية نفسها على =

عنها: قَفَّ شعرى، لما سألها مسروق عن ذلك، ولو كان منامًا، لما قَفَّ[1] شعرها من سؤاله، إذ آحاد الناس يرى ذلك منامًا.

وسأل أبو ذرٍ رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ وهذا دليل على أن مسراه جميعه المذكور فى الحديث كان يقظة، ويُرد على من زعم أنه كان منامًا؛ بأن الرؤيا بمعنى الرؤية، وله شاهد.

وقال عكرمة عن ابن عباس: ﴿ وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة

= جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة.

وقد قيل: لا تدركه أبصار الكفار، وقيل: ﴿ لا تُدركه الأبصار ﴾، لا تحيط به، وهو قول ابن عباس. وقد قيل: ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ وإنما يدركه المبصرون.

وكل هذه التأويلات لا تقتضى منع الرؤية ولا استحالتها، وكذلك لا حجة لهم بقوله تعالى: ﴿ ولن ترانى ﴾، وقوله تعالى: ﴿ تُبت إليك ﴾ لما قدمناه، ولأنها ليست على العموم، ولأن من قال: معناها لن ترانى فى الدنيا، إنما هو تأويل.

وأيضا فليس فيه نص الامتناع، وإنما جاءت فى حق موسى، وحيث تتطرق التأويلات، وتتسلط الاحتمالات، فليس للقطع إليه سبيل.

وقوله: ﴿ تُبت إليك ﴾ أى من سؤالى ما لم تقدره لى، وقد قال أبو بكر الهدلى فى قوله: ﴿ لن ترانى ﴾ أى ليس لبشر أن يطيق أن ينظر إلىَّ فى الدنيا، وأنه من نظر إلىَّ مات..

وقد رأيتُ لبعض السلف والمتأخرين ما معناه أن رؤيته تعالى فى الدنيا ممتنعة لضعف تركيب أهل الدنيا وقواهم، وكونها متغيرة عرضا للآفات والفناء، فلم تكن لهم قوة على الرؤية، فإذا كان فى الآخرة وركبوا تركيبا آخر، ورزقوا قوى ثابتة باقية، وأتم أنوار أبصارهم وقلوبهم، قوُوا بها على الرؤية.

وقد رأيت نحو هذا لمالك بن أنس رحمه الله، قال لم يُر فى الدنيا لانه باق، ،لا يُرى الباقى بالفانى، فإذا كان فى الآخرة ورُزقوا أبصاراً باقيو رُؤى الباقى بالباقى.

وهذا كلام مليح، وليس فيه دليل على الاستحالة، إلا من حيث ضعف القدرة، فإذا قوى الله تعالى من شاء من عباده، وأقدره على حمل أعباء الرؤية، لم تمتنع فى حقه.

وقد تقدم ما ذُكر فى قوة بصر موسى ومحمد ﷺ، وتعوذ إدراكهما بقوة إلهية مُنحاها لإدراك ما أدركاه، ورؤية ما رأياه. والله تعالى أعلم. (الشفا) ١ / ١٢١ - ١٢٣ مختصرا.

(١) أى قام من الفزع والقفقفة: الرعدة من حمى أو غضب أو نحوه، وقيل: هى الرعدة مغمومًا. (لسان العرب): ٩ / ٢٨٨.

للناس﴾، قال: هى رؤيا عين أريها النبى ﷺ ليلة أسرى به، ﴿**والشجرة الملعونة فى القرآن﴾**، هى ﴿**شجرة الزقوم﴾**.

وعن ابن عباس، أن هذه الرؤيا: [ما رآه] عليه [الصلاة و] السلام قبل عمرة الحديبية، أنه يدخل مكة، وأخبر بذلك، فخرج معتمراً، وصده المشركون بالحديبية، فكان ذلك فتنة للناس، وامتنعوا من الحلق والنحر، وشك قوم، وتكلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه بما تكلم به، وبأن حديث شريك إنما هو حكاية حكاها عن أنس من تلقاء نفسه، فلا تُعارض الروايات المتصلة من حديث أنس(١).

فقد روى الزهرى عن أنس، عن أبى ذر [رضى الله عنهما]، وروى قتادة عن أنس، عن مالك بن صعصعة، وروى ثابت عن أنس، حديث الإسراء، وهم أئمة حفاظ، ولم يقل أحد منهم فى روايته ما قاله شريك عن أنس، [رضى الله عنه]، وقد عد جماعة من الحفاظ هذا من أوهام شريك التى أعكروها عليه، [ونبه] مسلم على ذلك بقوله: فقدم وأخر، وزاد ونقص(٢)، فأما قوله: قبل أن يوحى إليه، فإنه غلط [منه]، لم يوافق عليه، فإن الإسراء قد اختلف فى تاريخه، فقال الزهرى [فى تاريخه]: أُسرى برسول الله ﷺ بعد مبعثه بثمانية وعشرين شهرا.

وقال إسحاق بن إبراهيم الحربى: أُسرى بالنبى ﷺ ليلة سبع وعشرين من [شهر] ربيع الآخر، قبل الهجرة بسنة، وفرضت الصلاة عليه.

---

(١) قال القاضى عياض: وقوله فتنة للناس يؤيد أنها رؤيا عين، وإسراءٌ بشخص، إذ ليس فى الحُلمُ فتنة، ولا يكذب به أحد، لأن كل أحد يرى مثل ذلك فى منامه من الكون، فى ساعة واحدة، فى أقطار متباينة. على أن المفسرين قد اختلفوا فى هذه الآية، فذهب بعضهم إلى أنها نزلت فى قضية الحديبية، وما وقع فى نفوس الناس من ذلك، وقيل غير هذا. (الشفا): ١/ ١١٦.

(٢) ثم قال: «وليس فى حديث ثابت من هذه الألفاظ إلا ما نورده على نصه». (جامع الأصول): ١١/ ٣٠٠، آخر الحديث رقم (٨٨٦٧).

وقال موسى بن عقبة، عن ابن شهاب: أن الإسراء كان قبل الهجرة بسنة.

وروى يونس بن بكير، عن عثمان بن عبد الرحمن الوحاطى، عن ابن شهاب: أن الصلاة فرضت بمكة، بعد ما أوحى إليه بخمس سنين.

فعلى قول موسى بن عقبة، إذا كان الإسراء قبل الهجرة بسنة، فهو بعد مبعثه بتسع سنين، أو باثنتى عشرة سنة، على اختلافهم فى مقامه بمكة قبل المبعث.

وقول الزهرى أولى من قول الوحاطى، لأن ابن إسحاق قال: أسرى به وقد [فشا] الإسلام بمكة، وفى القبائل كلها.

ورواية الوحاطى من رواية موسى بن عقبة، لأنهم لم يختلفوا أن خديجة رضى الله عنها، صلّت معه بعد فرض الصلاة عليه، وأنها توفيت قبل الهجرة بمدة؛ قيل: بثلاث سنين، وقيل: بخمس، وهذا يدل على أن الإسراء كان قبل الهجرة بأعوام.

وقد أجمع العلماء على أن فرض الصلاة، كان ليلة الإسراء، فكيف يكون هذا قبل أن يوحى إليه؟.

وأما قول شريك(١): وهو نائم، وفى رواية: بينا أنا عند البيت بين النائم

---

(١) هو شريك بن عبد الله بن أبى نمر القرشىّ، وقيل: الليثى أبو عبد الله المدنى، روى عن أنس رضى الله عنه وسعيد بن المسيب، وعبد الرحمن بن أبى عتيق، وعبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى وغيرهم.

وعنه سعيد المقبرى، وهو أكبر منه، والثورى، ومالك، ومحمد بن جعفر بن أبى كثير، وإسماعيل ابن جعفر، وسليمان بن بلال، وعبد العزيز الدراوردى، وغيرهم.

قال ابن معين والنسائى: ليس به بأسٌ، وقال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث.

وقال ابن عدى: إذا روى عنه ثقة، فلا بأس برواياته.

قال ابن عبد البر: مات سنة (٤٤)، وقال النسائى أيضا: ليس بالقوى، وذكره ابن حبان =

واليقظان، فلا حجة فيه على أن الإسراء كان بروحه عليه [الصلاة و] السلام دون بدنه، أو قد يكون ذلك حالة أول وصول الملك إليه، وليس فى الحديث ما يدل على كونه نائمًا فى القصة [كلها]، وقد أنكر أهل العلم [رضى الله عنهم]، رواية شُريك . [والله أعلم] .

قال الحافظ عبد الحق [رحمه الله] فى كتاب (الجمع بين الصحيحين) : هذا الحديث بهذا اللفظ، من رواية شُريك بن [عبد الله بن] أبى تمر[1]، عن أنس رضى الله عنه، [وقد زاد فيه] زيادة مجهولة، وأتى فيه بألفاظ غير معروفة .

وقد روى حديث الإسراء جماعة من الحفاظ المتقدمين، والأئمة المشهورين، كابن شهاب، وثابت البنانى، وقتادة -يعنى عن أنس- فلم يأت أحد منهم بما أتى به شريك، وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث[2]، قال : والأحاديث التى تقدمت قبل هذا، هى المعول عليها . انتهى .

ولئن سلمنا أنه كان نائمًا إذ أتاه الملك، فقد نُبه، وأسرى به، كما جاء فى حديث أبى سعيد الخدرىّ، [رضى الله عنه] عن النبى ﷺ قال : بينا أنا نائم عشاءً فى المسجد الحرام، إذ أتانى آت فأيقظنى، فاستيقظت، فلم أر شيئا، ثم عدت فى النوم فأيقظنى، كذلك أربع مرات، فإذا أنا بكهيئة [الخيال]، فأتبعته حتى خرجت من المسجد، فإذا أنا بدابة يقال لها :

= فى (الثقات) وقال : ربما أخطأ، وقال ابن الجارود : ليس به بأس، وليس بالقوى، وكان يحى بن سعيد لا يحدث عنه . قال الساجى : كان يرى القدر . (تهذيب التهذيب) : ٤ / ٢٩٦ - ٢٩٧، ترجمة رقم (٥٨٨) .

(١) ترجمته فى التعليق السابق .

(٢) راجع ترجمته فى التعليق السابق .

البُراق، فركبتُه.. الحديث.

وزعم من قال: إن الإسراء إلى بيت المقدس، كان يقظة بجسده ﷺ، وأن الإسراء إلى السموات كان منامًا بروحه، [عليه الصلاة والسلام]؛ أن المشركين إنما استبعدوا، وأنكروا، وشنعوا قول النبى ﷺ أنه [عليه الصلاة والسلام] أتى بيت المقدس ورجع من ليلته، ولو كان صعوده ﷺ إلى السموات منضمًا إلى ذلك، لكان الاستبعاد أكبر، والشناعة به أتم، [والله سبحانه وتعالى أعلم]، فحيث لم يذكروا ذلك البته، عُلم أن النبى عليه السلام، إنما ادعى أنه أُسرى بجسده إلى بيت المقدس فحسب، والعروج به إلى السموات كان منامًا.

وحديث شُريك لا ينافى ذلك، لأنه ليس فيه ذكر [الإسراء] إلى بيت المقدس، إنما فيه بيان العروج إلى السماء في نومه، وأيضا فإن الله تعالى تمدح بقوله: ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى** ﴾، فلم يذكر إلا الانتهاء به إلى المسجد الأقصى، ولو كان انتهى به إلى أكثر من ذلك لذكره، فإنه كان أعظم للآية، وأبلغ فى المدح.

وأجيب بأن الله تعالى قال: ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى، عند سدرة المنتهى* عندها جنة المأوى** ﴾، ثم قال ﴿ **ما زاغ البصر وما طغى * لقد رأى من آيات ربه الكبرى** ﴾، فأثبت -سبحانه- أن محمداً ﷺ رأى جبريل فى الصورة التى خُلق عليها بعين بصره، وهكذا كان كل شىء رآه فى تلك الليلة، إنما هو بعين بصره.

وأما اقتصار شناعة أهل الكفر على ذكرهم مسراه إلى بيت المقدس دون السموات، [فلأنهم] أرادوا تكذيبه عليه السلام بما شاهده الناس وعلموه، دون ما غاب عنهم، مما لم يعلموا كُنهه، ولم يذكروا أنه صعد السموات، لأنه عندهم معلوم كذبه فيه، فطلبوا منه نعت بيت المقدس، لأنهم كانوا

يخبروا به، [ومتحققون] أنه عليه السلام لم يره قط، فعدوا قوله: أنه أُسرى به إلى السموات من جنس قوله: أن الملك يأتيه منها فى طرفة عين، وكان ذلك مستقراً عندهم استحالته، ولا يُعلم إلا من جهته، إذ لا دليل عليه من خارج يشاهدونه، إلا قيام صدقه بالمعجزة، وقد عاندوا فيها، بخلاف إخباره أنه أتى بيت المقدس فى ليلته، فإنه أمكنهم استعلام صدقه فى ذلك، فطالبوه بنعته، فجلاه الله له، فطفق يخبرهم عن آياته، وهو ينظر إليه، ولم يكن عليه السلام أتى بيت المقدس قبل الإسراء، فكان معلوماً عندهم من حاله أنه لم يره قط، وإلا لما طالبوه بنعته.

وعلى هذا، جاءت الآية: ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى** ﴾ تشنيعًا عليهم، ونداءاً بما علموا صدقه فيه، فأصروا على تكذيبه، فلهذا اقتصر الله تعالى على ذلك، دون ذكر صعوده إلى السماء.

وزعم من قال: بأن [الإسراء] إلى بيت المقدس وإلى السموات، وقع أكثر من مرة واحدة، تارة فى المنام، وتارة فى اليقظة، بأن هذا فيه جمع بين الأحاديث المختلفة، وعليه، يخرج أيضًا الاختلاف فى المكان الذى وقع منه الإسراء، وهذه اختيار أبى نصر بن أبى القاسم القشيرى، وأبى القاسم السهيلى، وأبى بكر محمد بن العربى، والمهلب بن أبى صُفرة، وإليه مال أبو سعيد عبد الملك بن محمد النيسابورى الواعظ.

قال: وترتيب الأخبار أن يقال: كان لرسول الله ﷺ معاريج؛ منها ما كان حقيقة، ومنها ما كان رؤيا، وعليه عوّل أبو شامة وقال: أنه أُسرى بالنبى ﷺ مرارا قبل البعثة وبعدها.

فأما قبل البعثة، فكان فى النوم على ما شهد له حديث شُريك، وكان ذلك من جملة ما أخبرت عنه عائشة رضى الله عنها، وأجملته من حاله

حين قالت: أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحى، الرؤيا الصادقة فى النوم.. الحديث. وكانت الحكمة فى ذلك، التدرج له، والتسهيل عليه، لضعف القوى البشرية.

وأما بعد تحقق البعثة والوحى إليه، تركه الله ما شاء أن يتركه، ثم أسرى به يقظة، واستدل لذلك، ثم قال: أول ما أُسرى به يقظة كان إلى بيت المقدس، وقد جاءت أحاديث تدل على ذلك، ثم تارة عُرج به إلى السماوات، ولم يأت فيها بيت المقدس، وهو ظاهر حديث أنس [رضى الله عنه]، عن مالك بن صعصعة، فوقع كل منهما مفرداً.

ثم جمع له الأمر، أن فى ليلة أخرى أسرى به إلى بيت المقدس، ورفع منه إلى السماء، وهو ظاهر حديث ثابت عن أنس [رضى الله عنه]، ويجوز أن تكون هذه الحالة وقعت ثانية، لأنه كان عليه السلام قد تأنس به لإسرائه إلى بيت المقدس، فكرر عليه ذلك، وتُمم بصعوده إلى السماء، ثم لما تأنس بصعوده إلى السماء، استغنى عن توسط بيت المقدس، فرفع من مكة إلى السماء، والأحاديث على اختلافها لا تخرج عن هذه الأحوال، فنزل على كل حال ما يليق بها منها، وبعض ذلك ظاهر، وبعضه فيه خفاء.

ويدل على أن الإسراء وقع مراراً، اختلاف رؤية النبى ﷺ لموسى، فإنه أخبر مرة أنه رآه قائما يصلى فى قبره، ومرة أنه صلى ببيت المقدس بجماعة من الأنبياء، وذكر موسى منهم، ومرة قال: إنه رآه فى السماء السادسة، وفى حديث آخر رآه فى السماء السابعة.

وعلى ذلك أيضا، يحمل [الاختلاف] فى وقته، فقيل: فى رمضان، وقيل: فى ربيع الأول، وقيل: فى رجب، والكل صواب إن شاء الله تعالى. ثم إنه ظاهر فى بعض الأحاديث، أنه صعد إلى السماء على ظهر البراق، كما فى حديث مالك بن صعصعة.

وقد ذهب العارف محى الدين أبو عبد الله محمد بن العربى الحاتمى الصوفىّ، إلى أن الإسراء وقع ثلاثين مرة، بحسب اختلاف الأحاديث التى جمعها فى كتاب، فجعل كل حديث إسراء، ولم أقف على كتابه هذا.

وقال البيهقى: وقد أوردوا أحاديث رؤية الأنبياء ليلة الإسراء، وليس بين هذه الأحاديث منافاة، فقد يراه قائما يصلى فى قبره، ثم يساريه إلى بيت المقدس كما أُسرى بالنبى ﷺ، فيراه فيه، ثم يعرج به إلى السماء السادسة، كما عرج بالنبى ﷺ، فيراه فى السماء، وكذلك سائر من رآه من الأنبياء فى الأرض ثم فى السماء، والأنبياء أحياء عند ربهم كالشهداء، [فلا يُنكر] حلولهم فى أوقات بمواضع مختلفات، كما ورد خبر الصادق به.

* * *

فصل جامع فى ذكر
حديث الإسراء والمعراج

[فقد] روى من حديث أنس، فتاره يرويه أنس عن مالك بن صعصعة، عن النبى ﷺ، وتارة يرويه عن أبى [ذرّ] عن النبى ﷺ، وتارة يرويه دون ذكرهما.

فأما رواية حديث الإسراء عن النبى ﷺ

فخرج مسلم من حديث حماد بن سلمة، [قال] حدثنا ثابت البنانى، عن أنس بن مالك رضى الله [تعالى] عنه [قال]: إن رسول الله ﷺ قال: أُتيت بالبراق، وهو دابة أبيض طويل، فوق الحمار، ودون البغل، يضع حافرة عند منتهى طرفه، فركبته حتى أتيت بيت المقدس، [قال:] فربطته بالحلقة التى يربط فيها الأنبياء ثم دخلت المسجد، فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت، فجاءنى جبريل عليه السلام، بإناء من خمر، وإناء من لبن، فاخترتُ اللبن، فقال جبريل عليه السلام: اخترت الفطرة(١).

---

(١) «البراق» بضم الباء الموحدة، قال أهل اللغة: البُراق اسم الدابة التى ركبها رسول الله ﷺ ليلة الإسراء. قال الزبيدى فى (مختصر العين)، وصاحب (التحرير): هى دابة كانت الأنبياء صلوات الله وسلام عليهم يركبونها. وهذا الذى قالاه من اشتراك جميع الأنبياء فيها، يحتاج إلى نقل صحيح.

قال ابن دُريد: اشتقاق البُراق من البرق إن شاء الله تعالى، يعنى لسرعته، وقيل: سمى بذلك لشدة صفائه، وتلألئه، وبريقه، وقيل: لكونه أبيض.

وقال القاضى: يُحتمل أنه سمى بذلك لكونه ذا لونين، يقال: شاةٌ برقاء إذا كان فى خلال صوفها الأبيض طاقات سود. قال: ووصف فى الحديث بأنه أبيض، وقد يكون من نوع الشاة البرقاء، وهى =

قال: ثم عُرج بنا إلى السماء، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك، قال: محمد، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، قال: ففتح لنا، فإذا أنا بآدم عليه السلام، فرحَّب بى، ودعا لى بخير(١).

= معدودة فى البيض، والله تعالى أعلم. (مسلم بشرح النووى): ٢/ ٥٦٩، كتاب الإيمان، باب (٧٤) الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات، حديث رقم (٢٥٩).

قوله ﷺ: «فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التى تربط به الأنبياء صلوات الله عليهم» أما بيت المقدس ففيه لغتان مشهورتان غاية الشهرة: إحداهما: بفتح الميم وإسكان القاف وكسر الدال المخففة، والثانية: بضم الميم وفتح القاف والدال المشددة.

قال الواحدى: أما من شدده فمعناه المطهر، وأما من خففه فقال أبو على الفارسى: لا يخلو إما أن يكون مصدرا، أو مكانا، فإن كان مصدرا كان كقوله تعالى: ﴿إليه مرجعكم﴾ ونحوه من المصادر، وإن كان مكانًا فمعناه بيت المكان الذى جعل فيه الطهارة، أو بيت مكان الطهارة، وتطهيره: إخلاؤه من الأصنام، وإبعاده منها. وقال الزجاج: البيت المقدس المطهر، وبيت المقدس أى المكان الذى يُطهر فيه من الذنوب. (المرجع السابق).

قوله: ﷺ: «فربطته بالحلقة التى يربط فيها الأنبياء» الحلقة بإسكان اللام على اللغة الفصيحة المشهورة. وحكى الجوهرى وغيره فتح اللام أيضا.

قال الجوهرى: حكى يونس عن أبى عمرو بن العلاء حلقة بالفتح، وجمعها حلق وحلقات. وأما على لغة الإسكان فجمعها حلق وحلق بفتح الحاء وكسرها، والمراد حلقة باب مسجد بيت المقدس والله أعلم. وفى ربط البراق الأخذ بالاحتياط فى الأمور وتعاطى الأسباب، وأن ذلك لا يقدح فى التوكل، إذا كان الاعتماد على الله تعالى. (المرجع السابق).

قوله: «اخترت الفطرة» فسروا الفطرة هنا بالإسلام والاستقامة، ومعناه والله تعالى أعلم: اخترت علامة الإسلام، والاستقامة، وجعل اللبن علامة لكونه سهلاً، طيبا، طاهرًا، سائغا للشاربين، سليم العاقبة. أما الخمر فإنها أم الخبائث، وجالبة لأنواع من الشر فى الحال والمآل. والله تعالى أعلم. (المرجع السابق).

(١) قوله ﷺ: «ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل له: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بعث إليه». أما قوله: «عرج» فبفتح العين والراء، أى صعد، وقوله: «جبريل» فيه بيان الأدب فيمن استأذن بدق الباب ونحوه، فقيل له: «من أنت»، فينبغى أن يقول: زيد، مثلاً، إذا كان اسمه زيدا، ولا يقول: أنا، فقد جاء الحديث =

[قال:] ثم عُرج بنا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، [قيل]: وقد بعثُ إليه؟ قال: قد بُعث إليه، قال: ففتح لنا، فإذا أنا بابنى الخالة عيسى ابن مريم، ويحى بن زكريا، عليهما السلام، فرحبا بى، ودعوا لى بخير(١).

ثم عُرج [بنا] إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال محمد، [قيل:] وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، قال: ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف عليه السلام، [إذ] هو قد أُعطى شطر الحسن، قال فرحب بى، ودعا لى بخير.

ثم عُرج بنا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا، قال جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قال: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بإدريس، فرحب ودعا لى بخير، قال الله [تبارك و] تعالى: ﴿ **ورفعناه مكانا عليا** ﴾.

= بالنهى عنه، ولانه لا فائدة فيه.

وأما قول بواب السماء: «وقد بُعث إليه» فمراده: وقد بُعث إليه للإسراء وصعود السماوات، وليس مراده الاستفهام عن أصل البعثة والرسالة، فإن ذلك لا يخفى عليه إلى هذه المدة، فهذا هو الصحيح، والله أعلم بمعناه.

ولم يذكر الخطابى فى شرح البخارى وجماعة من العلماء غيره، وأن كان القاضى قد ذكر خلافًا، أو أشار إلى خلاف فى أنه استفهم عن أصل البعثة، أو عما ذكرته، قال القاضى: وفى هذا أن للسماء أبوابًا حقيقية، وحفظة موكلين بها، وفيه إثبات الاستئذان. والله تعالى أعلم. (المرجع السابق).

(١) قوله ﷺ: «فإذا أنا بآدم فرحَّب بى ودعا لى بخير» ثم قال فى السماء الثانية: «فإذا أنا بابنى الخالة، فرحبا بى ودعوا»، وذكر ﷺ فى باقى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم نحوه، فيه استحباب لقاء أهل الفضل بالبشر والترحيب، والكلام الحسن، والدعاء لهم، وإن كانوا أفضل من الداعى، وفيه جواز مدح الإنسان فى وجهه إذا أمن عليه الإعجاب وغيره من أسباب الفتنة.

وقوله ﷺ: «فإذا أنا بابنى الخالة»، قال الأزهرى: قال ابن السكيت: يقال لهما: ابنا عم، ولا يقال: ابنا خال، ويقال: هما ابنا خالة، ولا يقال ابنا عمة.

ثم عُرج بنا إلى السماء الخامسة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بهارون عليه السلام، فرحب ودعا لى بخير.

ثم عُرج بنا إلى السماء السادسة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بموسى، عليه السلام، فرحب ودعا لى بخير.

ثم عُرج بنا إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك، قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففتح، فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام، مسند ظهره إلى البيت المعمور(١)، وإذا يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه.

ثم ذهب بى إلى السدرة المنتهى(٢)، وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال(٣)، فلما غشيها الله ما غشيها تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى إلىَّ ما أوحى، فعرض علىّ خمسين صلاة فى كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى عليه السلام، فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربك فسله التخفيف، فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإنى قد بلوت بنى إسرائيل وخبرتهم، قال: فرجعت إلى ربى فقلت: [يا رب]، خفف على أمتى،

(١) قوله ﷺ: «فإذا أنا بإبراهيم مسندا ظهره إلى البيت المعمور»، قال القاضى: يُستدل به على جواز الاستناد إلى القبلة وتحويل الظهر إليها.

(٢) هكذا وقع فى كل الأصول «السدرة» بالألف، وفى الروايات بعد هذا «سدرة المنتهى». قال ابن عباس، والمفسرون، وغيرهم: سميت سدرة المنتهى لأن علم الملائكة ينتهى إليها، ولم يجاوزها أحد إلا رسول الله ﷺ.

وحكى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنها سميت بذلك لكونها ينتهى إليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من أمر الله تعالى. (المرجع السابق).

(٣) القلال بكسر القاف: جمع قُلة، والقلة جرَّة عظيمة تسع قربتين أو أكثر.

فحط عنى خمسا، فرجعت إلى موسى، فقلت: حط عنى خمسا، قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك، فارجع إلى ربك فسله التخفيف، قال: فلم أزل أرجع بين ربى[1] تبارك وتعالى، وبين موسى عليه السلام، حتى قال يا محمد، انهن خمس صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر، فتلك خمسون صلاة، ومن هم بحسنة فلم يعملها، كتبت له حسنة، فإن عملها، كتبت له عشرا، ومن هم بسيئة فلم يعملها، لم تكتب له شيئا، فإن عملها، كتبت له سيئة واحدة.

قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى، فأخبرته، فقال: ارجع إلى ربك فسله التخفيف، فقال رسول الله ﷺ: فقلتُ: قد رجعتُ إلى ربى حتى استحييتُ منه.

[وفى بعض الطرق: أنه ﷺ راجع، وخفف عنه فى كل مراجعة، وفى أخرى: أنه خفف عنه أولا الشطر، ثم خفف عنه ثانيا تخفيفا واحدا إلى الخمس، فتكون المراجعة على هذا مرتين، وفى أخرى: أن التخفيف كان عشرا عشرا، إلى المرة الأخيرة، فكان التخفيف فيها خمساً، وبقيت هذه الخمس][2].

[والجمع بينهما أن يقال: لا تعارض، إنما فيه إجمال فى بعضها، وتفصيل فى الأخرى، لأن قوله فخفف عنى الشطر، أهم من كونه خففه مرة واحدة، أو فى مرارٍ متعددة، ولذا ذكر التفصيل والإجمال، وحمل الإجمال على التفصيل ولا تعارض. ولله الحمد][2].

[وأما الحديث الذى رواه حماد عن ثابت، عن أنس رضى الله عنه، وفيه: فحط عنى خمساً، من أفراد مسلم، والذى اتفقا عليه من حديث

(١) معناه رجعتُ إلى الموضع الذى ناجيته منه أولاً، فناجيته فيه ثانيا، (المرجع السابق).

(٢) ما بين الحاصرتين سقط من النسخة (خ) وأثبتناه من (ج).

أنس، أنه حطَّ عنه عشراً عشراً. وزعم ابن الجوزى: أن هذه الرواية التى فيها فحط عنى خمساً، غلط من الراوى.](١).

وخرّج مسلم أيضا من حديث بهز [قال:] حدثنا سليمان بن المغيرة، حدثنا [ثابت عن] أنس بن مالك [رضى الله عنه قال:] قال رسول الله ﷺ: أتيتُ فانطلقوا بى إلى زمزم، فشرح عن صدرى، ثم غُسل بماء زمزم، ثم أنزِلت(٢).

ومن حديث حماد بن سلمة، [قال:] حدثنا ثابت عن أنس [رضى الله عنه قال:] إن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، ثم قال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأَمَه، ثم أعاده فى مكانه، وجاء الغلمانُ إلى أمه - يعنى ظئره - فقالوا: إن

(١) ما بين الحاصرتين سقط من النسخة (خ) وأثبتناه من (ج).

(٢) (مسلم بشرح النووى): ٢ / ٥٧٣، كتاب الإيمان، باب (٧٤) الإسراء برسول الله ﷺ وفرض الصلوات، حديث رقم (٢٦٠).

قوله ﷺ: «فشرح عن صدرى ثم غسل بماء زمزم ثم أُنزلت» معنى «شرح»، شقَّ، كما قال فى الرواية التى بعد هذه.

وقوله ﷺ: «ثم أُنزلت» هو بإسكان اللام وضم التاء، وهكذا ضبطناه، وكذا هو فى جميع الأصول والنسخ، وكذا نقله القاضى عياض رحمه الله تعالى عن جميع الروايات، وفى معناه خفاء، واختلاف.

قال القاضى: قال الوقشى: هذا وهم من الرواة وصوا به «تركت فتصحف». قال القاضى: فسألتُ عنه ابن السراج فقال: أنزلت فى اللغة بمعنى تُركتُ صحيح، وليس فيه تصحيف.

قال القاضى: وظهر لى أنه صحيح بالمعنى المعروف فى أنزلت، فهو ضد رُفعت، لأنه قال: انطلقوا بى إلى زمزم ثم أنزلت، أى ثم صرفتُ إلى موضعى الذى حملتُ منه.

قال: ولم أزل أبحث عنه حتى وقعتُ على الجلاء فيه من رواية الحافظ أبى بكر البرقانى، وأنه طرف حديث، وتمامه «ثم أُنزلت على طست من ذهب مملوءة حكمة وإيماناً» هذا آخر كلام القاضى عياض رحمه الله تعالى (المرجع السابق).

ومقتضى رواية البرقانى أن يضبط أنزلت بفتح اللام وإسكان التاء، وكذلك ضبطناه فى الجمع بين الصحيحين للحميدى، وحكى الحميدى هذه الزيادة المذكورة عن رواية البرقانى وزاد عليها. (المرجع السابق).

محمداً قد قُتل، فاستقبلوه وهو مُنْتَقَعُ اللون. قال أنس رضى الله عنه: وقد كنتُ أرى أثر ذلك المخيط فى صدره [ﷺ](١).

وخرّج أيضا من حديث ابن وهب، قال: أخبرنى سليمان بن بلال قال: [حدثنى] شريك بن عبد الله بن أبى نمر قال: سمعتُ أنس بن مالك [رضى الله عنه]، يحدثنا عن ليلة أسرى برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة، أن جاءه ثلاثة نفر قبل أن [يوحى] إليه، وهو نائم فى المسجد

---

(١) (المرجع السابق): حديث رقم (٢٦١).

قوله: « ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم ثم لأَمَهُ » أما الطَّست: فبفتح الطاء وإسكان السين المهملتين، وهى إناء معروف، وهى مؤنثة، قال: وحكى القاضى عياض كسر الطاء لغة، والمشهور الفتح كما ذكرنا، ويقال فيها: طسّ بتشديد السين وحذف التاء، وطسّة أيضا، وجمعها طساس، وطسوس، وطسات. (المرجع السابق).

وأما « لأمَه » فبفتح اللام وبعدها همزة، على وزن ضَربه، وفيه لغة أخرى: لاءَمَهُ بالمد، على وزن آذَنَه، ومعناه: جمعه، وضمّ بعضه إلى بعضه، وليس فى هذا ما يوهم جواز استعمال إناء الذهب لنا، فإن هذا فعل الملائكة واستعمالهم، وليس بالازم أن يكون حكمهم حكمنا، ولأنه كان أول الأمر، قبل تحريم النبى ﷺ أوانى الذهب والفضة. (المرجع السابق).

قوله: « يعنى ظئره » هى بكسر الظاء المعجمة بعدها همزة ساكنة، وهى المرضعة [من غير الأم الوالدة]، ويقال أيضا لزوج المرضعة ظئر. قوله: « فاستقبلوه وهو منتقع اللون » هو بالقاف المفتوحة أى متغير اللون، قال أهل اللغة: امتقع لونه، فهو ممتقع، وابتقع بالباء فهو مبتقع، فيه ثلاث لغات، والقاف مفتوحة فيهن.

قال الجوهرى وغيره: والميم افصحهنّ، ونقل الجوهرى اللغات الثلاث عن الكسائى، قال: ومعناه تغير من حزن أو فزع.

وقال الهروى فى (الغريبين)، فى تفسير هذا الحديث: يقال: انتقع لونه، وابتقع، وامتقع، واستقع، وانتسف وانتشف – بالسين والشين – والتمع، والتمغ – بالعين والغين – وابتسر، والتهم، (المرجع السابق).

قوله: « كنت أرى أثر المِخيط فى صدره » هو بكسر الميم وإسكان الخاء وفتح الياء، وهى الإبرة. وفى هذا دليل على جواز نظر الرجل إلى صدر الرجل، ولا خلاف فى جوازه، إلا أن ينظر بشهوة فإنه يحرم، إلا الزوج لزوجته ومملوكته إلا ان يكون لحاجة البيع والشراء، والتطبيب والتعليم ونحوهما، والله تعالى أعلم (المرجع السابق) مختصراً.

الحرام.... وساق الحديث بقصته، نحو حديث ثابت البُنانى، [وقدّم] فيه شيئًا وأخر، وزاد ونقص. هكذا قال مسلم(١).

وخرّجه البخارى من حديث سليمان عن شريك بن عبد الله بن أبى نمر قال: سمعتُ أنس بن مالك [رضى الله عنه]، يحدثنا عن ليلة أسرى بالنبى ﷺ من مسجد الكعبة، جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه، وهو نائم فى المسجد الحرام فقال [أولهم]: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم، أو قال آخرهم: خذوا خيرهم، فكانت تلك، فلم يرهم حتى جاءوا ليلة أخرى فى ما يرى قلبُه، والنبى ﷺ نائمة عيناه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء، تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، فتولاه جبريل عليه السلام ثم عُرج به إلى السماء.. هذا الذى ذكره البخارى من هذا الحديث، وذكره فى كتاب المناقب، وترجم عليه باب: كان النبى ﷺ تنام عيناه ولا [ينام قلبه](٢).

وخرّجه فى كتاب التوحيد، فى باب: وكلم الله موسى تكليمًا بهذا السند، ولفظة: سمعتُ ابن مالك يقول: ليلة أسرى برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة، أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه، وهو نائم فى المسجد الحرام، فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: [هو خيرهم]، [فقال] أحدهم: خذوا خيرهم، فكانت تلك الليلة، فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى، [فيما] يرى قلبه، وتنام عينه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء عليهم السلام، تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، فلم يكلموه حتى احتملوه، فوضعوه عند [بئر] زمزم، فتولاه منهم جبريل، فشق جبريل ما بين نحره إلى لبَّته، حتى فرغ من صدره وجوفه، فغسله من ماء زمزم بيده، حتى أنقى جوفه،

---

(١) (مسلم بشرح النووى): ٢/٥٧٥ كتاب الإيمان، باب (٧٤) الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات، حديث رقم (٢٦٢).

(٢) (فتح البارى): ٦/٧١٨-٧١٩، كتاب المناقب، باب (٢٤) كان النبى ﷺ تنام عينه ولا ينام قلبه، حديث رقم (٣٥٧٠).

ثم أتى [بِطَسْت] من ذهب، فيه تَور من ذهب، محشواً إيمانًا وحكمةً فحشا به صدره ولغاديده - يعنى عروق حلقه - ثم أطبَقَهُ.

ثم عرج به إلى السماء الدنيا، فضرب بابا من أبوابها، فناداه أهل السماء: من هذا؟ فقال: جبريل، قالوا: ومن معك؟ قال: [معى محمد] قالوا: وقد بُعث؟ قال: نعم، قالوا: فمرحبًا به وأهلا، فيستبشر به أهل السماء، لا يعلم أهل السماء ما يريد الله به فى الأرض حتى يُعلمهم، فوجد فى السماء الدنيا آدم، فقال له جبريل: هذا أبوك، فَسَلِّم عليه فسلم عليه وردّ عليه آدم وقال: مرحبا وأهلا يا بُنّى، نعم الابن أنت، فإذا هو فى السماء الدنيا بنهرين يطردان، قال: ما هذان النهران يا جبريل؟ قال: هذا النيل والفرات عُنصُرهُما، ثم مضى به فى السماء، فإذا بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد، فضرب يده، فإذا هو مسك أذفر، فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذى خَبَّأ لك ربُّك.

ثم عرج به إلى السماء الثانية، فقالت الملائكة له مثل ما قالت له الأولى: من هذا؟ قال جبريل، قالوا: ومن معك؟ قال: محمد ، قالوا: وقد بُعث إليه؟ قال: نعم، قالوا: مرحبًا به وأهلا.

ثم عرج به إلى السماء الثالثة، وقالوا له مثل ما قالت الأولى والثانية، ثم عرج به إلى السماء الرابعة، فقالوا له مثل ذلك، ثم عرج به إلى السماء الخامسة، فقالوا له مثل ذلك، ثم عرج به إلى السماء السادسة، فقالوا له مثل ذلك، ثم عرج به إلى السماء السابعة، فقالوا له مثل ذلك.

كل سماء فيها أنبياء قد سماهم فوعيت، منهم: إدريس فى الثانية، وهارون فى الرابعة، وآخر فى الخامسة، لم أحفظ اسمه، وإبراهيم فى السادسة، وموسى فى السابعة، بفضل كلامه لله، فقال موسى: ربّ لم أظنَّ أن ترفع علىَّ أحداً، ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله، حتى

جاء سدرة المنتهى، ودنا الجبار رب العزة، فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، فأوحى الله فيما أوحى إليه خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة.

ثم هبط حتى بلغ موسى، فاحتبسه موسى فقال: يا محمد ، ماذا عهد إليك ربك؟ قال: عهد إلى خمسين صلاة كل يوم وليلة، قال: إن أمتك لا تستطيع ذلك، فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم، فالتفت النبى ﷺ إلى جبريل كأنه يستشيره فى ذلك، فأشار [عليه] جبريل أن نعم إن شئت ، فعلا به إلى الجبار تبارك وتعالى فقال وهو مكانه: [يارب] خفف عنا، فإن أمتى لا تستطيع هذا، فوضع عنه عشر صلوات، ثم رجع إلى موسى فاحتبسه، فلم يزل يردده موسى إلى ربه، حتى صارت إلى خمس صلوات، ثم احتبسه موسى عند الخمس فقال: يا محمد، والله لقد راودت بنى إسرائيل قومى على أدنى من هذا، فَضَعُفوا فتركوه، فأمتك أضعف أجسادًا، وقلوبًا، وأبدانًا، وأبصارًا، وأسماعًا، فارجع [فليخفف] عنك ربك، كل ذلك يلتفت النبى ﷺ إلى جبريل ليشير عليه، ولا يكره ذلك جبريل.

فرفعه عند الخامسة، فقال: [يارب]، إن أُمتى ضعفاء أجسادهم، وقلوبهم، وأسماعهم، وأبدانهم، فخفف عنا، فقال الجبار: يا محمد، قال: لبيك وسعديك، [قال]: إنه لا يبدل القول لدىّ، كما فرضتُ عليك فى أم الكتاب، قال: فكل حسنة بعشر أمثالها، فهى خمسون فى أم الكتاب، وهن خمس عليك.

فرجع إلى موسى فقال: كيف فعلت؟ فقال: خفَّفَ عنَّا، أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها، قال موسى: قد والله راودتُ بنى إسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه، ارجع إلى ربك فليخفف عنك أيضا، قال رسول الله

ﷺ : يا موسى! قد والله استحييتُ من ربى مما اختلفتُ إليه، قال: فاهبط باسم الله، قال: واستيقظ وهو فى المسجد الحرام(١).

وقد انتقد الحافظ أبو محمد أحمد بن على بن حزم، رحمه الله [تعالى]، حديث شُريك هذا فقال: وما وجدنا للبخارى ومسلم فى كتابيهما شيئا لا يحتمل مخرجا إلا حديثين، لكل واحد منهما حديث، ثم عليه فى تخريجه الوَهَم، مع اتفاقهما، وحفظهما، وصحة معرفتهما،

---

(١) (فتح البارى): ١٣/٥٨٤-٥٨٥، كتاب التوحيد، باب (٣٧) ما جاء فى قوله الله عز وجل: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾، حديث رقم (٧٥١٧)، قوله: «فاستيقظ وهو فى المسجد الحرام»، قال القرطبى: يحتمل ان يكون استيقاظا من نومة نامها بعد الإسراء، لأن إسراءه لم يكن طول ليلته، وإنما كان فى بعضها، ويحتمل ان يكون المعنى افقت مما كنتُ فيه مما خامر باطنه من مشاهده الملأ الأعلى، لقوله تعالى: ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾، فلم يرجع إلى حال بشريته ﷺ إلا وهو بالمسجد الحرام.

وأما قوله فى أوله: «بينا انا نائم»، فمرادُه فى أول القصة وذلك أنه كان قد ابتدأ نومه فأتاه المَلَك فأيقظه.

وفى قوله فى الرواية الأخرى: «بينا أنا بين النائم واليقظان أتانى الملك» إشارة إلى انه لم يكن استحكم فى نومه.

وهذا كله ينبنى على توحيد القصة. وإلا فمتى حُمِلت على التعدد، بأن كان المعراج مرة فى المنام وأخرى فى اليقظة، فلا يحتاج ذلك.

قال الحافظ ابن حجر: قيل: اختص موسى عليه السلام بهذا دون غيره ممن لقيه النبى ﷺ ليلة الإسراء من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لأنه أول من تلقاه عند الهبوط، ولأن أمته أكثر من أمة غيره، ولأن كتابه اكبر الكتب المنزلة قبل القرآن وتشريعًا واحكامًا، أو لأن أمة موسى كانوا كلفوا من الصلاة ما ثقل عليهم. فخاف على أمة محمد مثل ذلك، وإليه الإشارة بقوله: «فإنى بلوتُ بنى إسرائيل»، قاله القرطبى.

وأما قول من قال: إنه أول من لاقاه بعد الهبوط فليس بصحيح، لأن حديث مالك بن صعصعة أقوى من هذا، وفيه: أنه لقيه فى السماء السادسة.

وإذا جمعنا بينهما بأنه لقيه فى الصعود فى السادسة، وصعد موسى إلى السابعة، فلقيه فيها بعد الهبوط ارتفع الإشكال، وبطل الرد المذكور، والله تعالى أعلم. (فتح البارى).

ثم ذكر هذا الحديث. وقال عقيبة: فهذه ألفاظ معجمة بلا شك، والآفة من شريك من ذلك.

[وأما] قوله: إن ذلك كان قبل أن يوحى إليه، وأنه حينئذ فُرضت عليه الخمسون صلاة، وهذا بلا خلاف بين أحد من أهل العلم، إنما كان قبل الهجرة بسنة، وبعد أن أوحى إليه بنحو اثنتى عشرة سنة.

ثم قوله: إن الجبار دنا فتدلى، حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، وعائشة أم المؤمنين رضى الله عنها، تروى أن الذى دنا فتدلى، جبريل عليه السلام.

قال الحافظ محمد بن طاهر المقدسى، رحمه الله، فى مسألة الانتصار لإمامى الأمصار، رحمهما الله [تعالى]: ورأيتُ لأبى عبد الله الحميدى بخط يده: ذكرت للقاضى الفقيه - أطال الله [تعالى] مدته، وقرن بالسلامة أوبته - حديثين يتبعهما الحفاظ على رواتهما، وأخرجتُ فى الصحيح على ذلك لغرض لعله وقع لمخرجهما، وأردتُ أن أبين لك الحديثين، لتقف عليهما، وتعرضهما على من ربما وجد مخرجا لهما، وذكر الحديثين بلفظ ابن حزم، ثم قال عقبيهما: وقد عرضت هذا الاعتراض الذى رأيته لبعض الحفاظ، على جماعة من المتحققين بعلم الحديث، فكلهم تحيرٌ فى وجه المخرج فى ذلك، وذكر لى أن لأبى سليمان الخطابى فى ذلك كلامًا، ذكره فى كتاب (أعلام الحديث)، الذى [ألفه] فى شرح معانى كتاب (الجامع الصحيح)، وذكر كلام أبى سليمان على حديث شُريك.

قال ابن طاهر: [و] الحميدى سلك طريق أستاذه فى التحريف، [لأنه] نسب البخاريَّ ومسلما، إلى أنهما أخرجا هذين الحديثين لغرض وقع لهما، مع العلم بعلتهما، وهذا ارتكاب كبيرة فى حقهما، فإنهما معروفان

بالإنصاف، غير متعصبين لفرقة، لم يسلكا فى تصنيفهما ما سكله المصنفون قبلهما أو بعدهما، من نصرة مذهب واحد، وإنما نصرا الصحيح وأخرجاه، ولذلك رفع الله عزَّ وجل كتابيهما، وجعلهما حجة بين المسلمين، لما علم من صدق نيتهما فى ذلك، ولو سلكا طريق التعصب، لخرجا عن حيِّز التحكيم، لأن شرط الحكم أن ينصف بين الخمصين، ورأينا الفِرق قاطبة تحتج بما أخرجاه، [ويلتزم] الخصم ذلك من خصمه، فصح بذلك ما قلناه.

قال جامعه ومؤلفه [عفى الله عنه] : فى كلام ابن طاهر هذا تحامل على الحميدى، فإنه لم يرد قط أن البخاريَّ ومسلما، خرجا الحديثين لغرض سيء، لكن أعلم أنهما - ومكانهما من العلم مكانهما - أخرجا ذلك مع ما فيهما [مما] ينتقد، لشيء من الأشياء قصداه، لا أنهما خفى عليهما ما ظهر لغيرهما، والحميدى لا يخفى عليه البتة شيء مما ذكره ابن طاهر، من جميل مقصد البخارى ومسلم فيما أخرجاه فى صحيحيهما ، والله تعالى الموفق.

قال ابن طاهر: إن كلامه فى شُريك، شيء لم يسبقه إليه أحد من أئمة الجرح والتعديل، بل قَبَلوه، ووثقوه، ورووا عنه، وأدخلوا حديثه فى تصانيفهم، واحتجوا به، ثم ذكر عن يحيى بن معين أنه قال عنه: ليس به بأس، وذكر عن ابن [عدى] أنه قال: شُريك رجل مشهور من أهل المدينة، حدَّث عنه مالك وغيره من الثقات، وحديثه إذا روى عن نفسه فإنه لا بأس بروايته، إلا أن يروى عن ضعيف، ثم قال: فحكم ابن عدىّ، أن الآفة إنما تأتينا من الراوى عنه، والراوى عنه هذا الحديث سليمان بن بلال، أحد ثقات أهل المدينة، ومن عدَّله مالك فمن بعده من الأئمة، لا يسمع فيه قول المتأخر بحال، فلما ثبتت عدالته، خرج عما قاله ابن حزم، وأن الآفة ليست

من شأنه، ويقول: إنَّ الوَهم فى قوله: «وذلك قبل أن يوحى إليه» صحيح، وبالوهم لا يسقط حديث المحدِّث الثقة الحافظ، على أن هذا الوهم قديم على من روى عنه هذا الحديث إلى عصر ابن حزم ، ولم يستدركه أحد وقد قال يحيى بن معين: لو تركنا أحداً لكثرة غلطه، لتركنا حديث عيسى ابن يونس، على أن هذا الوهم ليس فيه ارتكاب كبيرة يُترك لأجلها حديثه، وإنما هو وَهَم فى التاريخ، ولو ترك حديث من وهم فى تاريخ، لتُرك جماعة من أئمة المسلمين لاختلافهم فى التواريخ فى [الوفيات] وغيرها، ولعله أراد أن يقول: وذلك بعد أن أوحى إليه بنحو من كذا، فقال: وذلك قبل أن يوحى إليه، جريان اللسان، وهذا الوهم على الحقيقة، إنما يأتى من جهة ثلاثة: إما أنس رضى الله عنه، وإمَّا شريك، وإمَّا سليمان، فلم خصّه من بينهم بهذا الوهم؟ فدلّ جميع ذلك عن أن كلامه فى شريك لا وجه له .وأما احتجاجه بقول عائشة رضى الله عنها، فذكره ابن طاهر من طريق أبى بكر بن أبى شيبة، حدثنا أبو أسامة، عن ذكريا بن أشوع، عن الشعبى، عن مسروق، عن عائشة [رضى الله عنها قالت:] قلتُ [لها]: ﴿ **دنا فتدلى** ﴾، قالت: ذاك جبريل [عليه السلام]، ثم قال: وهذا حديث مخرج فى الصحيحين من حديث أبى أسامة، وحماد بن سلمة، عن زكريا بن أبى زائدة، ويُعد فى أفراد زكريا، عن سعيد بن عمرو بن أشوع.

والحديث موقوف على عائشة [رضى الله عنها] لم يتجاوز به غيرها، فيكون مع اتفاقه والتفرد الذى فى إسناده، قول واحد من الصحابة، [رضى الله عنهم] والكلام عليه من وجهين:

أحدهما: أن قولها يدل على [أن] الموحى جبريل [عليه الصلاة والسلام]، وأجمعت الأمة على [أن] الموحى هو الله عز وجل، لقوله [تبارك] وتعالى: ﴿ **فأوحى إلى عبده ما أوحى** ﴾.

والوجه الثانى: خلاف أنس وعبد الله بن عباس رضى الله عنهما، أما حديث أنس، فقد تقدم من حديث شريك، المخرّج فى الصحيحين، وأما حديث ابن عباس [رضى الله عنهما]، فذكره ابن طاهر من طريق أبى القاسم البغوى، [قال :] حدثنا سعيد [بن] يحيى الأموى، قال : حدثنى أبى، حدثنا محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص، عن أبى سلمة، عن ابن عباس رضى الله [عنهما]، فى قول الله عز وجل : ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى** ﴾ ، قال : فدنا ربه عزَّ وجل [منه]، فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى، قال : قال ابن عباس [رضى الله عنهما] : ورواه النبى ﷺ، ثم قال ابن طاهر : وهذا إسناد متصل، ورجاله ثقات، وهو من أصح الروايات فى التفسير، عن ابن عباس [رضى الله عنهما].

ورواه عكرمة، عن ابن عباس [رضى الله عنهما]، وأخرج من حديثه فى كتاب البخارى، ثم ذكر أيضا من حديث الحسين بن إسماعيل المحاملى، حدثنا على بن مسلم، حدثنا سفيان عن عمر، وعن عكرمة، عن ابن عباس [رضى الله عنهما]، ﴿ **وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس** ﴾، قال : هى رؤيا عين رآها النبى ﷺ ليلة أسرى به، ﴿ **والشجرة الملعونة فى القران** ﴾ قال : شجرة الزقوم.

وأخرجه البخارى فى صحيحه، عن على بن [المدينى]، والحميدى عبد الله بن الزبير، كليهما عن سفيان بن عيينة، هذا فى التفسير، والقدر، والبعث، ثم ذكر أيضا من طريق أبى القاسم البغوى، حدثنا زيد بن أخرم، حدثنا عبد الله بن داود، عن الأعمش، عن عبد الملك بن ميسرة، عن طاووس قال : أدركتُ خمسين أو سبعين من أصحاب رسول الله ﷺ، إذا سُئلوا عن شىء فخالفوا ابن عباس، لم يقوموا حتى يقولوا : هو كما قلت،

أو صدقت.

وقد سئل الإمام أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم الحنظلى عن معنى هذا الحديث - يعنى قول عائشة رضى الله عنها: من حدثك أن محمداً [ﷺ] رأى ربه؟ - فقال: معناه فى الدنيا، والنبى ﷺ حيث عُرج به، صار إلى الآخرة، فلما صحّ الإسناد إلى هذين الصحابيين، كان الرجوع إلى قولهما أولى بلا خلاف بين أئمة المحدثين وهو ظاهر الآية، فلا يترك الظاهر مع قوليهما، ويرجع إلى قول من فَسَّر القرآن على حسب رأيه ومراده، وتأويل من تأوله، على وفق مذهبه واجتهاده [وبذلك صح] ما رسمناه، وأن البخارى ومسلمًا فى تخريجهما هذا الحديث مصيبان، وأن المعترض عليهما دخل عليه الوهم فى نقده عليهما، لأنه وإن كان إماما مُفْتِيًا فى علوم شتى، إلا أن كلامه على هذا الحديث يدل على أنه لم يسلك طريق الحفاظ فى تعليل الحديث.

وذلك أن الحفَّاظ النقَّاد، إنما يعللون الحديث من طريق الإسناد، الذى هو المرقاة إليه، وهذا الرجل علل من حيث اللفظ، ولم يقف على أن لهذا اللفظ متابعات مع صحة النقل إليهما، والدليل على ذلك، أنه لو شرع فى تعليله من طريق الإسناد، لوجد طريقا إلى ذلك، لاختلاف الرواة على أنس فى إيراد هذا الحديث، على أن الجواب عن الاختلاف إن اعترض عليه معترض من أهل الصنعة، هو أن هذا الحديث رواه عن أنس أربعة من ثقات التابعين، فسلك كل رجل منهم فى إيراده غير طريق صاحبه.

[وروى] أبو بكر محمد بن مسلم الزهرى، عن أنس ، عن أبى ذر جندب بن جنادة، وتابع عقيلا - يعنى فى روايته - عن ابن شهاب يونس ابن يزيد الأملى، وعنه مُخَرَّج فى الصحيحين، ورواه أبو خطاب قتادة بن دعامة السدوسى، عن أنس [بن] مالك، عن مالك بن صعصعة الأنصارى.

وهذا الحديث أخرجه البخارى من كتابه فى أربعة مواضع، عن هدبة بن خالد، وتابع قتادة على روايته عن أنس عبادُ بن على. هكذا ذكره البخارى فى بعض الروايات عنه.

وروى أبو محمد ثابت بن أسلم البُنانى، عن أنس [رضى الله عنه]، عن النبى ﷺ متصلاً، ولم يذكر بينهما أحداً، ورواه أبو عبد الله شريك بن عبد الله بن أبى نمر الليثى، عن أنس رضى الله عنه، موقوفًا عليه، ثم صح النقل إلى كل واحد منهم، مع حفظهم واتقانهم، فاحتجنا أن نطلب لهذا الاختلاف وجهًا، إذ ليس فى بعض الأسانيد من يحمل عليه، فيسقط من طريق الترجيح.

فلم يبق إلا أن نقول: هذه قصة جرت بمكة، لم يحضرها أنس [رضى الله عنه]، وإنما [سمعها] من غيره؛ سمعها أولاً من أبى ذر، ومالك بن صعصعة، ثم سمعها من النبى ﷺ، والدليل على ذلك: أنا رأيناه سمع أحاديث من صحابى، ثم رواها عن النبى ﷺ، وذلك فى روايته عن عبادة ابن الصامت، مشهور عند أهل الحديث.

ثم ذكر ابن طاهر من طريق البغوى، حدثنا شيبان بن فروخ، حدثنا سليمان بن المغيرة، حدثنا ثابت عن أنس [رضى الله عنه] قال: حدثنى محمود بن الربيع، عن عتبان بن مالك [قال:] فقدمتُ المدينة، فلقيتُ عتبانًا فقلتُ: حديث بلغنى عنك، قال: أصابنى فى بصرى بعض الشىء، فذكر الحديث بطوله، فأنس رضى الله عنه سمع هذا الحديث من محمود بن الربيع، وهو أصغر منه، ولم يقتصر على قوله، حتى رحل إلى المدينة، فسمعه من عتبان، على أن هذا الحديث الذى رحل لأجله، وسمعه من غيره، لا يقاوم حديث الإسراء فى الجلالة والشهرة، فتحققنا أنه سمعه بعد ذلك من النبى ﷺ، والدليل عليه، رواية جابر بن عبد الله [رضى الله

عنهما]، وغيره لهذا الحديث، ممن لم يحضر القصة .

ثم ذكر حديث ابن وهب : حدثني يونس بن يزيد قال : قال ابن شهاب : قال أبو سلمة بن عبد الرحمن : سمعتُ جابر بن عبد الله رضى الله [عنهما] يقول : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : لما كذبتني قريش، قمتُ في الحجر، فجلى الله عز وجل لى بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته، وأنا أنظر إليه .

ورواه عقيل، ومعمر، وابن أخى الزهرى، عن الزهرى كذلك [ومفاده] أن [جابراً] [رضى الله عنه] لم يحضر هذه القصة، فإن قيل : فما السبب فى هذا التفصيل؟ ولم لَمْ يجمع بينهما وبين روايته، أو يقتصر على بعضها، إما على قول أحدهما أو على ما سمعه هو؟ .

الجواب أنه رضى الله عنه أراد أن يؤدى عن كل واحد ما سمعه منه، ويفصل حديثه من حديثهم، لأن الجمع بين هذه الثلاثة يصعب، لما فيه من تقديم وتأخير، وزيادة ونقصان، أو لعله ذكر حديث مالك عقيب حديث إلى ذر [رضى الله عنه]، أو حديث أبى ذر عقيب حديث مالك، ثم ذكر حديثه بعدهما، فحمل كل واحد من الرواة ما حدثه به من الطرق، واقتصر على إيراده منها، لما قدمنا من صعوبة الجمع بين الطرق .

والدليل على هذا : أن قتادة وثابتًا من كبار أصحابه البصريين، حافظان متقنان جليلان، كانا فى عصر واحد، ومصر واحد، نقل قتادة عنه عن مالك بن صعصعة، ونقل ثابت عن النبى ﷺ، فعُلم بذلك ما قلناه .

ثم ذكر عن أبى محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم قال : سألتُ أبى عن حديث رواه الزهرى عن أنس، عن أبى ذر [رضى الله عنهما] فى المعراج، ورواه قتادة عن أنس، عن مالك بن صعصعة، عن النبى ﷺ، فقيل لأبى : أيهما أشبه؟ قال : أنا لا أعدل بالزهرى أحداً من أهل عصره، ثم قال : إنى

لأرجو أن يكونا جميعاً صحيحين.

قال ابن طاهر: وأما الكلام على إيقاف شُريك للحديث، فإن الشيخ: أبا سليمان الخطابي ـ رحمه الله تعالى ـ أشار إلى تعليل هذا الحديث من وجهين، أحدهما: إيقاف شريك له، والثاني: تفرده بهذه الزيادة، والجواب: أن هذا الحديث من طريق شريك، وإن كان موقوفاً من حيث الحقيقة، مسنداً لأنه قد روي من غير وجه، عن النبي ﷺ، يزيده بياناً طريقُ ثابت المتصل.

وأما الجواب عن زيادته: فلا خلاف بين أهل الصَّنعة، أن الزيادة من الثقة مقبولة، وقد صححنا ثقته مع متابعة ابن عباس رضي الله [عنهما] له على روايته.

واعلم أن إنكارهما لم يصدر عن معرفة صحيحة بعلم الحديث وصناعته، إنما ورد من جهة أخرى، وهي أنهما استبشعا هذه اللفظة وأنكراها، ولم يجدا طريقاً إلى رفعها إلا من هذا الوجه الذي انتقص عليهما، ثم إن القرآن والسنة، غير خاليين من هذا النوع، وأخبار الصفات غير عارية من مثل هذا الفن الذي أنكراه، على أنهما ممن يثبت الصفات ويؤمن بها. انتهى كلام ابن طاهر، وفيه ما يُقبل، وما يُنتقد.

وأما [ما رواه قتادة عن أنس بن مالك عن صعصعة [بن مالك]، رضي الله عنهما، فخرجه البخاري في كتاب [مناقب الأنصار][(١)] من حديث همام [عن قتادة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه] عن مالك بن صعصعة [قال]: أن [نبي الله ﷺ حدثه]

---

(١) في (الأصلين): في كتاب مبعث النبي ﷺ، والصواب ما أثبتناه، وسياق أول هذه الفقرة مضطرب في (الأصلين).

عن ليلة أسري به قال: بينما أنا في الحطيم ـ وربما قال: في الحجر ـ مضطجعاً، إذ أتاني آتٍ، فقد ـ قال: وسمعته يقول: فشق ـ ما بين هذه إلى هذه، فقلتُ للجارود وهو إلى جنبي: ما يعني به؟ قال: من ثُغرة نحره إلى شعرته، وسمعته يقول: من قصِّه إلى شعرته، فاستخرج قلبي، ثم أُتيت [بطسْت] من ذهب مملوءةٍ إيماناً، فغُسل قلبي، ثم حُشي، ثم أُعيد، ثم أُتيتُ بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض، فقال له الجارود: هو البُراق يا أبا حمزة، قال أنس [رضي الله عنه]: نعم يضع خطوه عند أقصى طرفه، فحملتُ عليه، فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أُرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصتُ، فإذا فيها آدم [عليه السلام] فقال: هذا أبوك آدم فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد السلام، ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح.

ثم صعد حتى أتى السماء الثانية، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أُرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت، إذا يحيى وعيسى [عليهما السلام] وهما ابنا خالة، قال: هذا يحيى وعيسى، فسلم عليهما، فسلمتُ، فردّا، ثم قالا: مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح.

ثم صعد بي إلى السماء الثالثة، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل مرحباً به، فنعم المجيء جاء، ففتح لنا، فلما خلصتُ، إذا يوسف، قال: هذا يوسف، فسلم عليه، فسلمتُ عليه، فردّ ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح.

ثم صُعد بي حتى أتى السماء الرابعة، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال محمد، قيل: أوقد أُرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت فإذا إدريس [عليه السلام]، قال: هذا إدريس، فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح.

ثم صُعد بي حتى أتى السماء الخامسة، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أُرسل إليه؟ قال: نعم، قال: مرحباً به، فنعم المجيء جاء، فلما خلصتُ، فإذا هارون [عليه السلام]، قال: هذا هارون فسلم عليه، فسلمتُ عليه، فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح.

ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: من معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قال: مرحباً به، فنعم المجيء جاء، فلما خلصتُ، فإذا موسى، قال: هذا موسى، فسلم عليه [فسلمتُ عليه] فردّ ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، فلما جاوزتُ بكى، قيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلاماً بُعث بعدي، يدخل الجنة من أمته، أكثر مما يدخلها من أمتي.

ثم صعد بي إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: نعم قال: مرحباً به، ونعم المجيء جاء، فلما خلصتُ، فإذا إبراهيم، قال: هذا أبوك فسلم عليه، قال: فسلمتُ عليه، فردّ السلام، ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح.

ثم رفعتُ إلى سدرة المنتهى، فإذا نبقها مثل قلال هجر، وإذا

ورقها مثل آذان الفيلة، قال: هذه سدرة المنتهى، وإذا أربعة أنهار، نهران باطنان، ونهران ظاهران، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: أما الباطنان، فنهران في الجنة، وأما الظاهران، فالنيل والفرات.

ثم رفع لي البيتُ المعمور، [يدخله كل يوم سبعون ألف ملك][(١)]، ثم أتيتُ بإناءٍ من خمرٍ، وإناءٍ من لبنٍ، وإناءٍ من عسلٍ، فأخذت اللبن، فقال: هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك.

ثم فُرضت عليَّ الصلاةُ خمسين صلاة كل يوم، فرجعتُ فمررتُ على موسى، فقال: بما أُمرت؟ قال: أُمرتُ بخمسين صلاةً كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاةً كل يوم، وإني والله قد جربتُ الناس قبلك، وعالجتُ بني إسرائيل أشدّ المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فرجعتُ فوضع عني عشراً، فرجعتُ إلى موسى، فقال مثله، فرجعتُ، فوضع عني عشراً، فرجعتُ إلى موسى، فقال مثله، فرجعتُ فوضع عني عشراً، فرجعتُ إلى موسى فقال مثله، فرجعتُ فأمرت بعشر صلوات كل يوم، فرجعتُ فقال مثله، فرجعتُ فأُمرت بخمس صلوات كل يوم، فرجعتُ إلى موسى فقال: بما أُمرت؟ قلت: أُمرت بخمس صلوات كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كلَّ يوم، وإني قد جربت الناس قبلك، وعالجتُ بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، قال سألت ربي حتى استحييت ولكن أرضى وأسلم. قال: فلما جاوزتُ نادى منادٍ: أمضيتُ فريضتي وخففتُ عن عبادي[(٢)].

---

(١) ما بين الحاصرتين من (الأصلين) وليس في رواية البخاري التي نحن بصددها.

(٢) (فتح الباري): ٧/ ٢٥٥ ـ ٢٥٧، كتاب مناقب الأنصار، باب (٤٢) حديث رقم (٣٨٨٧).

=

= «المعراج» بكسر الميم، وحكى ضمها من عَرَج بفتح الراء يَعْرُج بضمها إذا صعد، وقد اختلف في وقت المعراج، فقيل: كان قبل المبعث، وهو شاذ إلا إن حُمل على أنه وقع حينئذٍ في المنام كما تقدم، وذهب الأكثر إلى أنه كان بعد المبعث، ثم اختلفوا؛ فقيل: قبل الهجرة بسنة، قاله ابن سعد وغيره، وبه جزم النووي، وبالغ ابن حزم فنقل الإجماع فيه، وهو مردود، فإن في ذلك اختلافاً كثيراً يزيد على عشرة أقوال، [ذكرها الحافظ في (الفتح): ٧/ ٢٥٧، وما بعدها].

قوله: «عن مالك بن صعصعة» أي ابن وهب بن عدي بن مالك الأنصاري من بني النجار، ليس له في البخاري ولا في غيره سوى هذا الحديث، ولا يعرف من روى عنه إلا أنس بن مالك، [له ترجمة في (تهذيب التهذيب): ١٠/ ١٦، ترجمة رقم (٢٢) قال الحافظ ابن حجر: نسبه ابن سعد فقال: مالك بن صعصعة بن وهب بن عدي بن مالك بن عدي بن عامر بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار].

قوله «في الحطيم وربما قال في الحجر» هو شك من قتادة، كما بينه أحمد عن عفان عن همام ولفظه: «بينا أنا نائم في الحطيم»، وربما قال قتادة: «في الحجر»، والمراد بالحطيم هنا الحجر، وأبعد من قال: المراد به ما بين الركن والمقام، أو بين زمزم والحجر، وهو وإن كان مختلفاً في الحطيم، هل هو الحجر أم لا؟ لكن المراد هنا بيان البقعة التي وقع فيها ذلك، ومعلوم أنها لم تتعدد، لأن القصة متحدة لاتحاد مخرجها، وقد تقدم في أول بدء الخلق بلفظ: «بينا أنا عند البيت»، وهو أعم.

وفي حديث أم هانىء عند الطبراني: أنه بات في بيتها، قال: «ففقدته من الليل فقال: إن جبريل أتاني». والجمع بين هذه الأقوال أنه نام في بيت أم هاني، وبيتها عند شعب أبي طالب، ففرج سقف بيتها، فنزل منه الملك، فأخرجه من البيت إلى المسجد فكان به مضطجعاً وبه أثر النعاس، ثم أخرجه الملك إلى باب المسجد فأركبه البراق.

قوله ﷺ: «مضطجعاً» زاد في بدء الخلق: «بين النائم واليقظان» وهو محمول على ابتداء الحال، ثم لما خرج به إلى باب المسجد فأركبه استمر في يقظته، وأما ما وقع في رواية شريك الآتية في التوحيد في آخر الحديث: «فلما استيقظت»، فإن قلنا بالتعدد، فلا إشكال، وإلا حُمل على أن المراد باستيقظتُ: أفقتُ؛ أي أنه أفاق مما كان فيه من شغل البال، بمشاهدة الملكوت، ورجع إلى العالم الدنيوي.

قوله: «من ثُغره» بضم المثلثة وسكون المعجمة، وهي الموضع المنخفض الذي بين الترقوتين.

قوله: «إلى شِعرته» بكسر المعجمة، أي شعر العانة، وفي رواية مسلم: «إلى أسفل بطنه»، وفي بدء الخلق: «من النحر إلى مراق بطنه». =

....

= قوله: «من قَصّة» بفتح القاف وتشديد المهملة، أي رأس صدره.
وقد استنكر بعضهم وقوع شق الصدر ليلة الإسراء وقال: إنما كان ذلك وهو صغير في بني سعد، ولا إنكار في ذلك، فقد تواردت الروايات به.
وثبت شق الصدر أيضاً عند البعثة، كما أخرجه أبو نعيم في (دلائل النبوة)، ولكل منهما حكمة، فالأولى عن طفولته ﷺ لاستخراج حظ الشيطان، والثانية عند إرادة العروج إلى السماء، ليتأهب للمناجاة، وجميع ما ورد من شق الصدر واستخراج القلب، وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة، مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة، فلا يستحيل شيء من ذلك. قال القرطبي في (المفهم): لا يلتفت لإنكار الشقّ ليلة الإسراء، لأن رواته ثقات مشاهير، ثم ذكر نحو ما تقدم.
قوله ﷺ: «فغسل قلبي» قال ابن أبي جمرة: وإنما لم يُغسل بماء الجنة، لما اجتمع في ماء زمزم من كون أصل مائها من الجنة، ثم استقر في الأرض، فأريد بذلك بقاء بركة النبي ﷺ في الأرض.
قال ابن أبي جمرة: الحكمة في شق قلب ﷺ ـ مع القدرة على أن يمتلىء إيماناً وحكمة بغير شق ـ الزيادة في قوة اليقين، لأنه أعطي برؤية شق بطنه، وعدم تأثره بذلك ما أمن معه من جميع المخاوف العادية، فلذلك كان أشجع الناس وأعلاهم حالاً ومقالاً، ولذلك وصف بقوله: ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾ واختلف هل كان شق الصدر وغسله مختصاً به ﷺ أو وقع لغيره من الأنبياء؟ فقد وقع عند الطبراني في قصة تابوت بني إسرائيل أنه كان فيه الطست التي يُغسل فيها قلوب الأنبياء، وهذا مُشعر بالمشاركة.
قوله ﷺ: «ثم أُتيت بدابة» قيل: الحكمة في الإسراء به ﷺ راكباً مع القدرة على طي الأرض له، إشارة إلى أن ذلك وقع تأنيساً له بالعادة في مقام خرق العادة، لأن العادة جرت بأن الملك إذا استدعى من يختص به، يبعث إليه بما يركبه.
قوله: «دون البغل وفوق الحمار أبيض» كذا ذكر باعتبار كونه مركوباً، أو بالنظر للفظ البراق، والحكمة لكونه بهذه الصفة الإشارة إلى أن الركوب كان في سلم وأمن لا في حرب وخوف، أو لإظهار المعجزة بوقوع الإسراع الشديد بداية لا توصف بذلك في العادة (فتح الباري).
قوله: «فقال له الجارود: هو البراق يا أبا حمزة؟ قال أنس: نعم» هذا يوضح أن الذي وقع في رواية بدء الخلق بلفظ دون البغل وفوق الحمار، أي هو البراق، وقع بالمعنى، لأن أنساً لم يتلفظ بلفظ البراق في رواية قتادة.
قوله: «يضع خطوه» بفتح المعجمة أوله: المرة الواحدة، وبضمها: الفعلة. =

....

= قوله: «عند أقصى طرفه» بسكون الراء وبالفاء، أي نظره، أي يضع رجله عند منتهى ما يرى بصره.

قوله: «حتى أتى السماء الدنيا» ظاهرة أنه استمر على البراق حتى عرج إلى السماء، وهو مقتضى كلام ابن أبي جمرة المذكور قريباً، وتمسك به أيضاً من زعم أن المعراج كان في ليلة غير ليلة الإسراء إلى بيت المقدس، فأما العروج ففي غير هذه الرواية من الأخبار أنه لم يكن على البراق، بل رقى المعراج، وهو السلم كما وقع مصرحاً به في حديث أبي سعيد عن ابن إسحاق والبيهقي في (الدلائل)، ولفظه: «فإذا أنا بدابة كالبغل مضطرب الأذنين يقال له البراق، وكانت الأنبياء تركبه قبلي فركبته» فذكر الحديث قال: «ثم دخلت أنا وجبريل بيت المقدس، فصليت، ثم أُتيت بالمعراج».

وفي رواية ابن إسحاق: «سمعت رسول الله ﷺ يقول لما فرغت مما كان في بيت المقدس أُتي بالمعراج فلم أر قط شيئاً كان أحسن منه، وهو الذي يحد إليه الميت عينيه إذا حضر، فأصعدني صاحبي فيه حتى انتهى بي إلى باب من أبواب السماء» الحديث.

وفي رواية كعب: «فوضعت له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب، حتى عرج هو وجبريل» وفي رواية لأبي سعيد في (شرف المصطفى) أنه «أُتي بالمعراج من جنة الفردوس، وأنه منضد باللؤلؤ، وعن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة».

وأما المحتج بالتعدد فلا حجة له، لاحتمال أن يكون التقصير في ذلك الإسراء من الراوي. (فتح الباري).

قوله: «أُرسل إليه»؟ أي للعروج، وليس المراد أصل البعث، لأن ذلك كان قد اشتهر في الملكوت الأعلى، وقيل: سألوا تعجباً من نعمة الله عليه بذلك، أو استبشاراً به، وقد علموا أن بشراً لا يترقى هذا الترقي إلا بإذن الله تعالى، وأن جبريل لا يصعد بمن لم يُرسل إليه، وقوله: «من معك»؟ يشعر بأنهم أحسوا معه برفيق، وإلا لكان السؤال بلفظ «أمعك أحد»، وذلك الإحساس إما بمشاهدة لكون السماء شفافة، وإما بأمر معنوي كزيادة أنوار أو نحوها، يُشعر بأمر يُحسن معه السؤال بهذه الصيغة. (فتح الباري).

وفي قول: «محمد» دليل على أن الاسم أولى في التعريف من الكنية، وقيل: الحكمة في سؤال الملائكة: «وقد بعث إليه»؟ أن الله تعالى أراد إطلاع نبيه ﷺ على أنه معروف عند الملأ الأعلى لأنهم قالوا: «أو بعث إليه»؟ فدل على أنهم كانوا يعرفون أن ذلك سيقع له، وإلا لكانوا يقولون: ومن محمد؟ مثلاً (فتح الباري).

قوله: «مرحباً به» أي أصاب رحباً وسعة، وكنى بذلك عن الانشراح، واستنبط منه ابن المنير جواز رد السلام بغير لفظ السلام، وتعقب بأن قول الملك: «مرحباً به» =

....

= ليس رداً للسلام، فإنه كان قبل أن يفتح الباب، والسياق يرشد إليه.

قوله: «فنعم المجيء جاء» قيل: المخصوص بالمدح محذوف، وفيه تقديم وتأخير، والتقدير: «جاء فنعم المجيء مجيؤه».

وقال ابن مالك: في هذا الكلام شاهد على الاستغناء بالصلة عن الموصول، أو الصفة عن الموصوف في باب نِعْمَ، لأنها تحتاج إلى فاعل هو المجيء، وإلى مخصوص بمعناها، وهو مبتدأ مُخْبر عنه بنعم وفاعلها، فهو في هذا الكلام وشبهه موصول أو موصوف بجاء، والتقدير نعم المجيء الذي جاء، أو نعم المجيء مجيءٌ جاءه، وكونه موصولاً أجود، لأنه مُخبر عنه، والمخبر عنه إذا كان معرفة أولى من كونه نكرة، (فتح الباري).

قوله ﷺ: «فلما جاوزت ناداني منادٍ: أمضيتُ فريضتي وخَفَّفْتُ عن عبادي» هذا من أقوى ما استدل به على أن الله سبحانه وتعالى كلم نبيه محمداً ﷺ ليلة الإسراء بغير واسطة.

وفي الحديث من الفوائد غير ما تقدم:

* أن للسماء أبواباً حقيقية وحفظة موكلين بها.

* وفيه إثبات الاستئذان، وأنه ينبغي لمن يستأذن أن يقول: أنا فلان، ولا يقتصر على أنا، لأنه ينافي مطلوب الاستفهام.

* وأن المار يسلم على القاعد، وإن كان المار أفضل من القاعد.

* وفيه استحباب تلقى أهل الفضل بالبشر، والترحيب، والثناء والدعاء، وجواز مدح الإنسان المأمون عليه الافتتان في وجهه.

* وفيه جواز الاستناد إلى القبلة، بالظهر وغيره، مأخوذ من استناد إبراهيم إلى البيت المعمور، وهو كالكعبة في أنه قبلة من كل جهة.

* وفيه جواز نسخ الحكم قبل وقوع الفعل.

* وفيه فضل السير بالليل على السير بالنهار، لما وقع من الإسراء بالليل ولذلك كانت أكثر عبادته بالليل، وكان أكثر سفره ﷺ بالليل، وقال: «عليكم بالدلجة، فإن الأرض تُطوى بالليل».

* وفيه أن التجربة أقوى في تحصيل المطلوب من المعرفة الكثيرة، يستفاد ذلك من قول موسى عليه السلام للنبي ﷺ أنه عالج الناس قبله وجربهم.

* ويستفاد منه تحكيم العادة، والتنبيه بالأعلى على الأدنى، لأن من سلف من الأمم كانوا أقوى أبداناً من هذه الأمة، وقد قال موسى في كلامه: إنه عالجهم على أقل من ذلك فما وافقوه، أشار إلى ذلك ابن أبي جمرة ـ قال:

* ويستفاد منه أن مقام الرضا والتسليم، ومقام التكليم مقام الإدلال والانبساط، ومن ثَمَّ استبدّ موسى عليه السلام بأمر النبي ﷺ بطلب التخفيف، دون إبراهيم عليه =

وخرَّج البخاريّ أيضاً في [كتاب] بدء الخلق، في باب ذكر الملائكة، من حديث همام عن قتادة، ومن حديث سعيد وهشام عن قتادة، حدثنا أنس عن مالك بن صعصعة، قال: قال النبي ﷺ: بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان... الحديث إلى آخره بمعنى هذا، وقال في آخره: إني قد أمضيتُ فريضتي وخففتُ عن عبادي، وأُجزي الحسنة عشراً[1].

وخرَّج مسلم[2] من حديث ابن أبي عدي، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك، لعله قال: عن مالك بن صعصعة ـ رجل من قومه ـ قال: قال نبي الله ﷺ: بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان، إذ سمعتُ قائلاً يقول: أحد الثلاثة بين الرجلين، فأتيت فانطلق بي، فأتيت بطست من ذهب، فيها من ماء زمزم، فشرح صدري إلى كذا وكذا، قال قتادة: فقلت للذي معي: ما

= السلام، مع أن للنبي ﷺ من الاختصاص بإبراهيم أزيد مما له من موسى لمقام الأبوة، ورفعة المنزلة، والاتباع في الملة.

وقال غيره: الحكمة في ذلك ما أشار إليه موسى عليه السلام في نفس الحديث من سبقه إلى معالجة قومه في هذه العبادة بعينها، وأنهم خالفوه وعصوه.

* وفيه أن الجنة والنار قد خلقتا، لقوله في بعض طرقه: «عُرِضت عليَّ الجنة والنار».

* وفيه استحباب الإكثار من سؤال الله تعالى وتكثير الشفاعة عنده، لما وقع منه ﷺ في إجابته مشورة موسى عليه السلام في سؤال التخفيف.

* وفيه فضيلة الاستحياء، وبذل النصيحة لمن يحتاج إليها وإن لم يستشر الناصح في ذلك (فتح الباري).

(١) (فتح الباري): ٦/ ٣٧١ ـ ٣٧٣، كتاب بدء الخلق، باب (٦) ذكر الملائكة، حديث رقم (٣٢٠٧)، وفي آخره: وقال همام عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «في البيت المعمور».

(٢) (مسلم بشرح النووي): ٢/ ٥٨١ ـ ٥٨٣، كتاب الإيمان باب (٧٤) الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات، حديث رقم (٢٦٤).

يعني؟ قال: إلى أسفل بطنه، فاستخرج قلبي، فغسل بماء زمزم، ثم أعيد مكانه، ثم حُشي إيماناً وحكمة.

ثم أتيتُ بدابة أبيض يقال له: البراق، فوق الحمار، ودون البغل، يقع خطوة عند أقصى طرفه، فحملتُ عليه، ثم انطلقنا حتى أتينا سماء الدنيا، فاستفتح جبريل عليه السلام، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: نعم، قال: ففتح لنا، وقال: مرحباً به، ولنعم المجيء جاء، قال: فأتينا على آدم ﷺ.. وساق الحديث بقصته، وذكر أنه لقي في السماء الثانية عيسى ويحيى عليهما السلام، وفي الثالثة يوسف، وفي الرابعة إدريس، وفي الخامسة هارون.

قال: ثم انطلقنا حتى انتهينا إلى السماء السادسة، فأتيتُ على موسى عليه السلام، فسلمتُ عليه، فقال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، فلما جاوزته بكى، فنودي: ما يبكيك؟ قال: رب هذا غلام بعثته بعدي، يدخل من أمته الجنة، أكثر مما يدخل من أمتي، قال: ثم انطلقنا حتى انتهينا إلى السماء السابعة، فأتيتُ على إبراهيم.

وقال في الحديث: وحدث نبي الله ﷺ، أنه رأى أربعة أنهار، يخرج من أصلهما نهران ظاهران، ونهران باطنان، فقلتُ: يا جبريل! ما هذه الأنهار؟ قال: أما النهران الباطنان، فنهران في الجنة، وأما الظاهران، فالنيل والفرات.

ثم رفع لي البيت المعمور، فقلتُ: يا جبريل! ما هذا؟ قال: هذا البيتُ المعمور، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم.

ثم أُتيتُ بإناءين، أحدهما لبن، والآخر خمر[1]، فعرضا عليّ، فاخترتُ اللبن، فقيل: أصبتُ، أصاب الله بك أمتك على الفطرة، ثم فُرضت عليَّ كل يوم[2] خمسون صلاة، ثم ذكر قصتها.. إلى آخر الحديث. هكذا أورد مسلم هذا الحديث كما كتبنا.

وخرَّج بعده من طريق معاذ بن هشام قال: حدثني أبي عن قتادة، حدثنا أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة. أن رسول الله ﷺ قال... فذكر نحوه، وزاد فيه: فأتيتُ بطست من ذهب، ممتلىء حكمة وإيماناً، فشق من النحر إلى مراق البطن، فغسل بماء زمزم، ثم مليء حكمة وإيماناً[3].

وأما حديث أنس عن أبي ذرّ، فخرجه البخاري من حديث الليث[4]، وخرجه مسلم من حديث ابن وهب[5]، كلاهما عن يونس، عن ابن شهاب، عن أنس [بن] مالك [رضي الله عنه قال:] كان أبو ذر [رضي الله عنه] يحدث أن رسول الله ﷺ قال: فُرج سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل ﷺ ففرج صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب، ممتلىء حكمة وإيماناً، فأفرغها في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي، فعرج بي إلى السماء الدنيا.

---

(١) في (صحيح مسلم): «أحدهما خمر، والآخر لبن».

(٢) زيادة للسياق من (المرجع السابق).

(٣) (المرجع السابق): حديث رقم (٢٦٥).

(٤) (فتح الباري): ٦/ ٤٦١ ـ ٤٦٣، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٥) ذكر إدريس عليه السلام، حديث رقم (٣٣٤٢).

(٥) (مسلم بشرح النووي): ٢/ ٥٧٦ ـ ٥٨٠، كتاب الإيمان، باب (٧٤) الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات، حديث رقم (٢٦٣).

فلما جئنا السماء الدنيا، قال جبريل [عليه السلام][(1)] لخازن السماء الدنيا: افتح، قال: من هذا؟ قال: جبريل، قال: هل معك أحد؟ قال: نعم، [معي][(1)] محمد ﷺ قال: فأُرسل إليه؟ قال: نعم، ففتح، [قال:] فلما علونا السماء الدنيا، فإذا رجل قاعد، عن يمينه أسوده، وعن يساره أسوده، فإذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى، فقال: مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح، [قال]: قلتُ: يا جبريل! من هذا؟ قال: هذا آدم، وهذه والأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه، فأهل اليمين أهل الجنة، الأسودة التي عن يساره أهل النار، فإذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى.

قال: ثم عرج بي جبريل حتى أتى السماء الثانية، [فقال] لخازنها: افتح، فقال له خازنها، مثل ما قال خازن السماء الدنيا، ففتح، فقال أنس بن مالك: فذكر أنه وجد في السموات: آدم، وإدريس، وعيسى، وموسى، وإبراهيم، صلوات الله عليهم [أجمعين][(2)] ولم يثبت كيف منازلهم، غير أنه قد وجد آدم في السماء الدنيا، وإبراهيم في السماء السادسة، [قال:][(2)] [فلما مرّ جبريل ورسول الله ﷺ بإدريس قال: مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح، قال ثم مرّ، فقلت: من هذا؟ فقال: هذا إدريس][(2)].

ثم مررت بموسى، فقال: مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح، [قال]: قلت: من هذا؟ قال: هذا موسى، قال: ثم مررت بعيسى فقال: مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح، قلت: من هذا؟ قال: عيسى ابن مريم، قال: ثم مررتُ بإبراهيم [عليه

---

(1) زيادات للسياق من (صحيح مسلم).

(2) زيادات للسياق من (صحيح مسلم).

السلام][1] فقال: مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا إبراهيم.

قال ابن شهاب: وأخبرني ابن حزم أن ابن عباس [رضي الله عنهما]، وأبا حبة الأنصاري، كانا يقولان: قال رسول الله ﷺ: ثم عُرج بي حتى ظهرت [لمستوى][1] أسمع فيه صريف الأقلام.

قال ابن حزم: وأنس بن مالك، قال رسول الله ﷺ: ففرض الله عزَّ وجلّ على أمتي خمسين صلاة، قال: فرجعتُ بذلك حتى مرَّ بموسى، فقال موسى: ماذا فرض ربك على أمتك؟ قلت: فرض عليهم خمسين صلاة، قال لي موسى: فراجع ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك، قال: فراجعتُ ربي عزَّ وجلّ، فوضع شطرها.

قال: فرجعتُ إلى موسى فأخبرته، قال: راجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك، قال: فراجعتُ ربي فقال: هي خمسٌ وهي خمسون، لا يُبدَّل القول لدي، قال: فرجعتُ إلى موسى فقال: راجع ربك، فقلتُ: قد استحييت من ربي[2].

قال: ثم انطلق بي جبريل حتى أتى سدرة المنتهى، فغشيها ألوان لا أدري ما هي، قال: ثم أُدخلت الجنة، فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك.

وقال البخاري: حبائل اللؤلؤ، وقال بعد قوله: فوضع شطرها: فرجعت إلى موسى، قلت: وضع شطرها، فقال:

---

(١) زيادة للسياق من (صحيح مسلم).
(٢) (المرجع السابق).

ارجع إلى ربك، فإن أمتك لا تطيق، فرجعتُ، فوضع عني شطرها. . الحديث ترجم عليه باب: كيف فرضت الصلاة في الإسراء[1].

وذكر مسلم في كتاب الإيمان، في أحاديث الإسراء[2]، وذكره البخاري أيضاً في كتاب الأنبياء، في ذكر إدريس[3]، من حديث يونس عن الزهري، ومن حديث يونس عن ابن شهاب، قال: أنس [رضي الله عنه]: كان أبو ذر. . . بنحو ما تقدم، وقال فيه: فقال موسى: ما الذي فُرض على أمتك؟ قلت: فُرض عليهم خمسون صلاة، قال: فراجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك. فرجعت، فراجعت ربي، فوضع شطرها، فرجعتُ إلى موسى، فقال: راجع ربك، فذكر مثله، فوضع شطرها، فرجعتُ إلى موسى، فأخبرتُه فقال: راجع ربَّك، فإن أمتك لا تطيق ذلك،

---

(١) (فتح الباري): ١/ ٦٠٥، كتاب الصلاة، باب (٨) كيف فرضت الصلوات في الإسراء، حديث رقم (٣٤٩).

قوله «جنابذ اللؤلؤ»، «حبائل»: قال ابن حزم في أجوبته على مواضع من البخاري: فتشتُ على هاتين اللفظتين فلم أجدهما، ولا واحدة منهما، ولا وقفتُ على معناهما.

وذكر غيره أن الجنابذ شبه القباب، واحدها جُنبذة بالضم، وهو ما ارتفع من البناء، فهو فارسيّ مُعرب، وأصله بلسانهم كنبذه بوزنه لكن الموحدة مفتوحة، والكاف ليست خالصة، ويؤيده ما رواه المصنف في التفسير من طريق شيبان عن قتادة، عن أنس قال: «لما عُرج بالنبي ﷺ قال: أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ».

وقال صاحب (المطالع): في الحبائل قيل: هي القلائد والعقود، أو هي من حبال الرمل أي فيها لؤلؤ مثل حبال الرمل، جمع حبل، وهو ما استطال من الرمل، وتعقب بأن الحبائل لا تكون إلا جمع حبالة، أو حبيلة، بوزن عظيمة.

وقال بعض من اعتنى بالبخاري: الحبائل جمع حبالة، وحبالة جمع حبل على غير قياس، والمراد أن فيها عقوداً وقلائد من اللؤلؤ.

(٢) (مسلم بشرح النووي): ٢/ ٥٧٦ ـ ٥٨٠، كتاب الإيمان باب (٧٤) الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات، حديث رقم (٢٦٣).

(٣) (فتح الباري): ٦/ ٤٦١ ـ ٤٦٢، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٥) ذكر إدريس عليه السلام، حديث رقم (٣٣٤٢).

فراجعت ربي . . . . الحديث، وقال في آخره: فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، كما قال مسلم في حديثه[١].

قال ابن عبد البر: ورواه أبو ضمرة أنس بن عياض، عن يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، عن أنس [رضي الله عنه] عن أبي، وليس بشيء، وإنما هو عن أبي ذر والله أعلم.

وخرّج من حديث شعبة عن قتادة، قال: سمعتُ أبا العالية يقول: حدثني ابن عم نبيكم ﷺ - يعني ابن عباس - قال: ذكر رسول الله ﷺ [ليلة] [٢] أسري به، فقال: موسى آدم طُوال، كأنه من رجال شنوءة، وقال: عيسى جعد مربوع، وذكر مالكاً خازن [النار] [٣]، وذكر الدجال[٤].

وذكره البخاري في كتاب الأنبياء، وفي كتاب بدء الخلق، من حديث شعبة عن قتادة، ومن حديث سعيد عن قتادة، عن أبي العالية، قال: حدثنا ابن عم نبيكم - يعني ابن عباس - عن النبي ﷺ قال: رأيتُ ليلة أسري بي، موسى رجلاً آدم طوالاً جعداً، كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى رجلاً مربوعاً مربوع الخلق

---

(١) (فتح الباري): ٦/ ٤٦٢، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٥) ذكر إدريس عليه السلام، حديث رقم (٣٣٤٢).

(٢) في (الأصلين): «حين» وصوبناه من (البخاري).

(٣) في (الأصلين): «جهنم» وصوبناهُ من (البخاري).

(٤) (فتح الباري): ٦/ ٥٣٠، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٣٤) قول الله تعالى: **﴿وهل أتاك حديث موسى﴾**، **﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾**، حديث رقم (٣٣٩٦).

قوله: «كأنه من رجال شنوءة» بفتح المعجمة، وضم النون، وسكون الواو بعدها همزة، ثم هاء تأنيث: حي من اليمن يُنسبون إلى شنوءة، وهو عبد الله بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد، ولقب شنوءة لشنآن كان بينه وبين أهله، والنسبة إليه شنوئي بالهمز بعد الواو وبالهمز بغير واو. (فتح الباري).

قال ابن قتيبة: سمي بذلك من قولك: رجل فيه شنوءة أي تقزز، والتقزز بقاف وزايين: التباعد من الأدناس (فتح الباري).

إلى [الحمرة] والبياض، سبط الشعر، ورأيت مالكاً خازن النار في آيات أراهنّ الله، فلا تكن في مرية من لقائه[1].

وخرَّجه مسلم في كتاب الإِيمان، من حديث شيبان بن عبد الرحمن، عن قتادة، عن أبي العالية قال: حدثنا ابن عم نبيكم ﷺ، ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: يعني مررتُ ليلة أسري بي على موسى بن عمران، رجل آدم، طوال، جعد، كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى ابن مريم، مربوع الخلق، إلى الحمرة والبياض، سبط الرأس، وأرى مالكاً خازن النار، والدجال، في آيات أراهن الله إياه، فلا تكن في مرية من لقائه. قال: كان قتادة يفسرها أن نبي الله ﷺ قد لقي موسى عليه السلام[2].

وللبخاري[3] ومسلم[4]، من حديث معمر عن الزهري قال: أخبرني سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رضي الله عنه، حين أُسري به ـ وقال البخاري: ليلة أسري بي ـ لقيتُ موسى عليه السلام، فإذا رجل ـ حسبته قال: مضطرب ـ رجل الرأس، كأنه من

---

(١) (فتح الباري): ٦/ ٣٨٦، كتاب بدء الخلق، باب (٧) إذا قال أحدكم «آمين» والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى، غُفر له ما تقدم كم ذنبه، حديث رقم (٣٢٣٩)، ثم قال: قال أنس وأبو بكرة عن النبي ﷺ: تحرسُ الملائكة المدينة من الدجال.

(المرجع السابق): ٣٥٠، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٢٤) قول الله تعالى: **﴿وهل أتاك حديث موسى﴾**، و**﴿كلم الله موسى تكليماً﴾**، حديث رقم (٣٣٩٦) مختصراً.

(٢) (مسلم بشرح النووي): ٢/ ٥٨٥، كتاب الإيمان، باب (٧٤) الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات، حديث رقم (٢٦٧).

(٣) (فتح الباري): ٦/ ٥٢٩، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٢٤) قول الله تعالى: **﴿هل أتاك حديث موسى﴾**، **﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾**، حديث رقم (٣٣٩٤).

(٤) (مسلم بشرح النووي): ٢/ ٥٨٩ ـ ٥٩٠، كتاب الإيمان، باب (٧٤) الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات، وفرض الصلوات، حديث رقم (٢٧٢).

رجال شنوءة، قال: ولقيت عيسى، فنعته النبي ﷺ، فقال: ربعة، أحمر، كأنما خرج من ديماس ـ يعني حمّاماً ـ قال: ورأيتُ إبراهيم صلوات الله عليه، وأنا أشبه ولده به، قال: فأتيتُ بإناءين، في أحدهما لبن، وفي الآخر خمرٌ، فقيل لي: خذ أيهما شئت، فأخذت اللبن فشربته، فقيل لي: هديت الفطرة، أو أصبت الفطرة، أما أنك لو أخذت الخمر، غوت أمتك. لفظهما فيه متقارب.

ذكره البخاري في باب: واذكر في الكتاب مريم[1]، وذكر في باب: ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون﴾[2]، حديث معمر عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: ليلة أسري بي، رأيت موسى، وإذا هو رجلُ ضربُ رجل، كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى، فإذا هو رجل ربعة أحمر.. الحديث إلى آخره، وفيه: فقال: أخذتُ الفطرة ـ ولم

---

(١) (فتح الباري): ٦/ ٥٨٩، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٤٨) قول الله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً﴾، حديث رقم (٣٤٣٧) ولفظه: «قال النبي ﷺ ليلة أسري بي: لقيت موسى، قال فنعته فإذا رجل حسبته قال مضطربٌ رجل الرأس كأنه من رجال شنوءة، قال: ولقيت عيسى، فنعته النبي ﷺ فقال: ربعة أحمر، كأنما خرج من ديماس ـ يعني الحمام، ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به، قال: وأتيت بإناءين أحدهما لبن والآخر فيه خمر، فقيل لي: خُذ أيهما شئت، فأخذت اللبن فشربته، فقيل لي: هُديت الفطرة ـ أو أصبت الفطرة، أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك».

(٢) (المرجع السابق): ٦/ ٥٢٩، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٢٣). قول الله تعالى: ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه﴾ إلى قوله تعالى: ﴿مسرفٌ كذاب﴾، وقعت هذه الترجمة بغير حديث.

واختلف في اسم هذا الرجل، فقيل: هو يوشع بن نون، وبه جزم ابن التين، وهو بعيد، لأن يوشع ابن نون كان من ذرية يوسف عليه السلام، ولم يكن من آل فرعون. والصحيح أن المؤمن المذكور كان من آل فرعون، واستدل لذلك الطبري بأنه لو كان من بني إسرائيل لم يصغ فرعون إلى كلامه ولم يستمع منه، اختلف في اسمه على أقوال ذكرها الحافظ ابن حجر في (فتح الباري).

يشك ـ ولم يقل فيه: يعني الحمام، وقال: اشرب أيهما شئت.

وخرّج مسلم[1] من حديث عبد العزيز بن أبي سلمة، عن عبد الله بن الفضل، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة [رضي الله عنه] قال: قال رسول الله ﷺ: لقد رأيتني في الحجر، وقريش تسألني عن مسراي، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس، لم أثبتها، فكربت كربة ما كُربت مثلها قط، قال: فرفعه الله لي أنظر إليه، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به، وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلي، فإذا رجل ضربٌ جَعْدٌ، كأنه من رجال شنوءة، وإذا عيسى [ابن] مريم [عليه السلام] قائماً يصلي، أقرب الناس به شبهاً عروة بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم [عليه السلام] قائم يصلي، أشبه الناس به صاحبكم ـ يعني نفسه ـ فحانت الصلاة فأممتهم، فلما فرغتُ من الصلاة، قال قائل: يا محمد! هذا مالك صاحب النار فسلم عليه، فالتفت إليه، فبدأني بالسلام.

وأخرجاه معاً من حديث الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن [قال:] سمعتُ جابر بن عبد الله [رضي الله عنهما]، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: لما كذبتني قريش، قمتُ في الحجر، فجلى الله لي بيت المقدس، فطفقتُ أخبرهم عن آياته، وأنا أنظر إليه[2]. ذكره البخاري في مبعث النبي ﷺ، وذكره في كتاب التفسير،

---

(١) (مسلم بشرح النووي): ٢/ ٥٩٤، كتاب الإيمان، باب (٧٥) ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال، حديث رقم (٢٧٨).

(٢) (مسلم بشرح النووي): ٢/ ٥٩٣، كتاب الإيمان، باب (٧٥) ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال، حديث رقم (٢٧٦).

وقال بعقبة: زاد يعقوب بن إبراهيم، حدّثنا ابن أخي شهاب عن عمه: لما كذبتني قريش حين أسري بي إلى بيت المقدس.. نحوه[1]. وخرجه الترمذي بمثله[2].

وخرّج مسلم من حديث حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، وسليمان التيمي، عن أنس بن مالك [رضي الله عنه]، [قال:] إن رسول الله ﷺ قال: أتيتُ على موسى ليلة أسري بي، عند الكثيب الأحمر، وهو قائم يصلي في قبره[3].

وله من حديث مالك بن معول، عن الزبير بن عدي، عن طلحة، عن [مرة]، عن عبد الله [رضي الله عنه] قال: لما أسري برسول الله ﷺ، انتهى به إلى سدرة المنتهى، وهي السماء السادسة، إليها ينتهي ما يُعرج به من الأرض، فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها، فقبض منها، قال: ﴿**إذ يغشى السدرة ما يغشى**﴾، قال: فراش من ذهب، فأعطى رسول الله ﷺ ثلاثاً: أعطي الصلوات الخمس، وأعطي خواتم سورة البقرة، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئاً المقحِمات[4].

---

(١) (فتح الباري): ٨/ ٤٩٩، كتاب التفسير، باب (٣) ﴿**أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام**﴾، حديث رقم (٤٧١٠).

(٢) (سنن الترمذي): ٥/ ٢٨١، كتاب تفسير القرآن، باب (١٨) ومن سورة بني إسرائيل، حديث رقم (٣١٣٣) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وفي الباب عن مالك بن صعصعة وابن سعيد وابن عباس.

وأخرجه الإمام أحمد في (المسند): ٤/ ٣٦٠، حديث رقم (١٤٦١٦) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٣) (مسلم بشرح النووي): ١٥/ ١٤١، كتاب الفضائل، باب (٤٢) من فضائل موسى ﷺ، حديث رقم (١٦٤) ولفظه: أتيتُ، وفي رواية هدّاب: مررت على موسى ليلة أُسري بي... الخ.

(٤) (مسلم بشرح النووي): ٣/ ٥، كتاب الإيمان باب (٧٦) في ذكر سدرة المنتهى، حديث رقم (٢٧٩).

وخرجه النَّسَائيّ(١) والترمذي(٢) بنحوه أو قريب منه.

وخرج البيهقي من حديث عمرو بن الحارث، عن عبد الله بن سالم الأشعري، عن الزبيدي محمد بن الوليد بن عامر، [قال:] حدثنا الوليد بن عبد الرحمن، أن جبير بن نفير [قال:] حدثنا شداد بن أوس قال: قلنا: يا رسول الله! كيف أسري بك؟ قال: صليت لأصحابي صلاة العتمة بمكة معتماً، وأتاني جبريل [عليه السلام](٣) بدابة بيضاء، فوق الحمار ودون البغل، فقال: اركب، فاسْتَصْعَبَت عليّ، فدارها بأذنها ثم حملني عليها، فانطلقت تهوي بنا، يقع حافرها حيث أدرك طرفها، حتى بلغنا أرضاً ذات نخل، فأنزلني فقال: صلِّ، فصليتُ، ثم ركبنا، فقال: أتدري أين صليتَ؟ قلت: الله أعلم، قال: صليتَ بيثرب، صليت بطيبة.

فانطلقت تهوي بنا، يقع حافرها حيث أدرك طرفها، ثم

---

(١) (سنن النسائي): ١/ ٢٤٣، كتاب الصلاة، باب (١) فرض الصلاة، وذكر اختلاف الناقلين في إسناد حديث أنس بن مالك رضي الله عنه واختلاف ألفاظهم فيه، حديث رقم (٤٥٠).

(٢) (سنن الترمذي): ٥/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧، كتاب تفسير القرآن، باب (٥٣) ومن سورة النجم، حديث رقم (٣٢٧٦).

قوله: «المقحمات»، هو بضم الميم وإسكان القاف وكسر الحاء ومعناه الذنوب العظام الكبائر التي تهلك أصحابها وتوردهم النار وتقحمهم إياها والتقحم الوقوع في المهالك ومعنى الكلام من مات من هذه الأمة غير مشرك بالله غفر له المقحمات والمراد والله أعلم بغفرانها أنه لا يخلد في النار بخلاف المشركين وليس المراد أنه لا يعذب أصلاً فقد تقررت نصوص الشرع وإجماع أهل السنة على إثبات عذاب بعض العصاة من الموحدين ويحتمل أن يكون المراد بهذا خصوصاً من الأمة أي يغفر لبعض الأمة المقحمات وهذا يظهر على مذهب من يقول أن لفظة من لا تقتضي العموم مطلقاً وعلى مذهب من يقول لا تقتضيه في الأخبار وإن اقتضته في الأمر والنهي ويمكن تصحيحه على المذهب المختار وهو كونها للعموم مطلقاً لأنه قد قام دليل على إرادة الخصوص وهو ما ذكرناه من النصوص والإجماع والله أعلم. (مسلم بشرح النووي).

(٣) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي).

بلغنا أرضاً، فقال: انزل، فنزلت، ثم قال: صل، فصليتُ، ثم ركبنا، فقال: أتدري أين صليت؟ قلت: الله أعلم، قال: صليتَ بمدين، صليتَ عند شجرة موسى. [عليه السلام][1].

ثم انطلقت تهوي بنا، يقع حافرها حيث أدرك طرفها، ثم بلغنا أرضاً، بدت لنا قصور، فقال: انزل، فنزلت، فقال: صلّ، فصليت، ثم ركبنا، فقال: أتدري أين صليت؟ قلت: الله أعلم، قال: صليت ببيت لحم، حيث وُلد عيسى [عليه السلام][1] المسيح ابن مريم.

ثم انطلق بي حتى دخلنا المدينة من بابها اليماني، فأتى قبلة المسجد، فربط فيه دابته، ودخلنا المسجد من باب فيه تميل الشمس والقمر، فصليتُ من المسجد حيث شاء الله.

وأخذني من العطش ما أخذني، فأُتيتُ بإناءين، في أحدهما لبن، وفي الآخر العسل، أرسل إليّ بهما جميعاً، فعدلتُ بينهما، ثم هداني الله عزَّ وجلّ، فأخذتُ اللبن، فشربتُ حتى قرعتُ به جبيني، وبين يدي شيخ متكىء على مِثراةٍ له، فقال: أخذ صاحبك الفطرة، إنه ليهدى.

ثم انطلق بي حتى أتينا الوادي الذي في المدينة، فإذا جهنم تنكشف عن [مثل] الزرابي، قلتُ: يا رسول الله: كيف وجدتها؟ قال: مثل الجمة السخنة.

ثم انصرف بي، فمررنا بعير لقريش بمكان [كذا] وكذا، قد أضلوا بعيراً لهم، فجمعه فلان، فسلمت عليهم، فقال بعضهم: هذا صوت محمد.

---

(١) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي).

ثم أتيتُ أصحابي قبل الصبح بمكة، فأتى أبو بكر رضي الله عنه، فقال: يا رسول الله! أين كنت الليلة؟ فقد التمستك في مكانك، فقال: علمت أني أتيتُ بيت المقدس الليلة؟ فقال: يا رسول الله! إنه مسيرة شهر، فصفه لي، قال: ففتح لي صراط كأني أنظر فيه، لا يسلني عن شيء إلا أنبأته عنه، قال أبو بكر: أشهد أنك رسول الله.

فقال المشركون: انظروا إلى ابن أبي كبشة، يزعم أنه أتى بيت المقدس الليلة، قال: فقال: إن من آية ما أقول لكم: أني مررت بعير لكم بمكان كذا وكذا، قد أضلوا بعيراً لهم، فجمعه فلان، وإن مسيرهم ينزلون بكذا ثم كذا، ويأتوكم يوم كذا وكذا، يقدمهم جمل أدم، عليه مسح أسود، وغرارتان سوداوان.

فلما كان ذلك اليوم، أشرف الناس ينتظرون، حتى كان قرب من نصف النهار، حتى أقبلت العير يقدمهم ذلك الجمل الذي وصفه رسول الله ﷺ. قال البيهقي: هذا إسناد صحيح، وروى ذلك مفرقاً في أحاديث غيره[(١)].

وخرج البخاري[(٢)] ومسلم[(٣)] من حديث يونس عن الزهري، عن سعيد ابن المسيب، عن أبي هريرة [رضي الله عنه] قال: أتى رسول الله ﷺ ليلة أسري به، بإيلياء بقدحين من خمر ولبن،

---

(١) (دلائل البيهقي): ١/ ٣٥٤ ـ ٣٥٧، باب الإسراء برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وما ظهر في ذلك من الآيات.

(٢) (فتح الباري): ١٠/ ٣٧، كتاب الأشربة، باب (١) قول الله تعالى: **﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾**، حديث رقم (٥٥٧٦)، وقال في آخره: تابعهُ معمر وابن الهاد وعثمان بن عمر عن الزهري.

(٣) (مسلم بشرح النووي): ٢/ ٥٨٩ ـ ٥٩٠، كتاب الإيمان، باب (٧٤) الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات، حديث رقم (٢٧٢).

فنظر إليهما، ثم أخذ اللبن، فقال جبريل: الحمد لله الذي هداك للفطرة، ولو أخذت الخمر، غوت أمتُك.

وقال صالح بن كيسان: عن ابن شهاب، قال: سمعت ابن المسيب يقول: إن رسول الله ﷺ حين انتهى إلى بيت المقدس، لقي فيه إبراهيم، وموسى، وعيسى، عليهم السلام، وأنه أتى بقدحين، قدح لبن، وقدح خمر، فنظر إليهما، ثم أخذ قدح اللبن، فقال له جبريل عليه السلام: هديت الفطرة، لو أخذت الخمر لغوت أمتك.

ثم رجع رسول الله ﷺ إلى مكة، فأخبر أنه أسري به، فافتتن ناس كثير كانوا قد صلوا معه، قال ابن شهاب: قال أبو سلمة بن عبد الرحمن: [فتجهزوا]، وكلمه نحوها ناس من قريش، إلى أبي بكر رضي الله عنه فقالوا له: هل لك في صاحبك! يزعم أنه قد جاء بيت المقدس، ثم رجع إلى مكة في ليلة واحدة.

فقال أبو بكر: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: فأشهد لئن قال ذلك لقد صدق، قالوا: فتصدقه بأن يأتي الشام في ليلة واحدة، ثم يرجع إلى مكة قبل أن يصبح! قال: نعم، إني أصدقه بأبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء. قال أبو سلمة: فيها سمي أبو بكر الصديق.

قال أبو سلمة: فسمعت جابر بن عبد الله [رضي الله عنه] يحدث أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: لما كذبتني قريش حين أسري بي إلى بيت المقدس، قمت في الحجر، فجلى الله عزّ وجل لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته، وأنا أنظر إليه.

وخرج البيهقي من حديث عبد الله بن وهب، قال: حدثني

يعقوب بن عبد الرحمن الزهري، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، عن أنس بن مالك [رضي الله عنه] قال: لما جاء جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ بالبراق، فكأنها أمَرَّت ذَنَبها، فقال لها جبريل: مَه يا بُراق، فوالله إنْ رَكِبَك مِثلُهُ.

وسار رسول الله ﷺ، فإذا هو بعجوز على جانب الطريق، فقال: ما هذه يا جبريل؟ قال: سِرْ يا محمد، فسار ما شاء الله أن يسير، فإذا شيء يدعوه متنحياً عن الطريق يقول: هلم يا محمد، فقال [له][1] جبريل: سر يا محمد، فسار ما شاء الله أن يسير، قال: فلقيه خلق من الخلق، فقالوا: السلام عليكم يا أول، السلام عليك يا آخر، السلام عليك يا حاشر، فقال له جبريل: أرْدُد السلام يا محمد، فردّ السلام.

ثم لقيه الثانية، فقال له مثل مقالته الأولى، ثم الثالثة كذلك، حتى انتهى إلى بيت المقدس، فعُرض عليه الماء، والخمر، واللبن، فتناول رسول الله ﷺ اللبن، فقال له جبريل: أصبت الفطرة، لو شربت الماء لغرقتَ وغَرقَت أمتك، ولو شربت الخمر لغويتَ وغويت أمتَك، ثم بعث له آدم، فمن دونه من الأنبياء [عليهم السلام][1] فأمّهم رسول الله ﷺ تلك الليلة.

ثم قال له جبريل [عليه السلام][1]: أما العجوز التي رأيت على جانب الطريق، فلم يبق من الدنيا إلا ما بقي من عمر تلك العجوز، وأما الذي أراد أن تميل إليه، فذلك عدو الله إبليس، أراد أن تميل إليه، وأما الذين سلموا عليك، فإبراهيم، وموسى،

(١) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي).

وعيسى(1). [عليهم السلام](2) وقال النضر بن شميل: أخبرنا عوف [قال:](2)، حدثنا زرارة بن أوفى قال: قال ابن عباس [رضي الله عنهما]: قال رسول الله ﷺ: لما كانت ليلة أسري بي، ثم أصبحت بمكة، فُظِعْتُ بأمري، وعلمت بأن الناس يكذبوني، قال: فقعد معتزلاً حزيناً، فمر به أبو جهل عدو الله، فجاء فجلس، فقال كالمستهزىء: هل كان من شيء؟ فقال [رسول الله ﷺ](2): نعم، فقال: ما هو؟ قال: إني أسري بي الليلة، فقال: إلي أين؟ قال: إلى بيت المقدس، قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: نعم، قال: فلم ير أنه يكذبه مخافة أن يجحده الحديث، إذا دعا قومه، قال: أرأيت إن دعوت إليك قومك، أتحدّثهم بما حدثتني؟ قال: نعم، فقال أبو جهل: يا معشر بني كعب بن لؤي، [هلم!](2)، قال: فَانفَضّت المجالس، فجاءوا حتى جلسوا إليهما، فقال أبو جهل: حدّث قومك بما حدثتني، فقال رسول الله ﷺ: إني أسري بي الليلة، قالوا: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس، قالوا: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: نعم، قال: فمن بين مصفق وواضع يده على رأسه مستعجب للكذب، قال: وفي القوم من قد سافر إلى ذلك البلد، ورأى المسجد، فقال: هل تستطيع أن تنعت لنا المسجد؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: فذهبتُ [أنعت فما زلت](2) حتى التبس عليَّ بعضُ النّعت، قال: فجيء بالمسجد حتى وضع دون دار عقيل أو عقال، قال: فنعتُه وأنا أنظر إليه: وقد كان مع هذا حديث لم يحفظه عوف، قال:

(1) (دلائل البيهقي): ١٢/ ٣٦١ ـ ٣٦٢.
(2) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي).

فقالوا: أما النعتُ فقد والله أصاب(١).

وخرّج أبو داود الطيالسى، من حديث حماد بن سلمة، عن عاصم بن بهدلة، عن زرّ بن حبيش، عن حذيقة [رضى الله عنه قال]: أن النبى ﷺ أتى بالبراق، وهو دابة أبيض، فوق الحمار ودون البغل، فلم يزايلا . ظهره، هو وجبريل [عليه السلام](٢)، حتى انتهيا به إلى بيت المقدس، فصعد به جبريل إلى السماء، فاستفتح جبريل، فأراه الجنة والنار، ثم قال لى: هل صلى فى بيت المقدس؟ قلت نعم، قال: اسمع يا أُصيلع، إنى لأعرف، وجهك، ولا أدرى ما اسمك؟ قال: قلت: أنا زرّ بن حبيش، قال: فأين تجده صلاّها؟ فتأولت الآية: ﴿سبحان الذى أسرى بعبده﴾ إلى آخر الآية، قال: فإنه لو صَلّى لصليتم كما يصلون فى المسجد الحرام، قال: قلت لحذيفه : أربط الدابة بالحلقة التى كانت تربط بها الأنبياء، قال: أكان يخاف أن يذهب منه، وقد آتاه الله بها؟(٣).

قال البيهقى: وبمعناه رواه حماد بن زيد، عن عاصم، إلا أنه لم يحفظ صفة البراق، وكان حذيفة لم يسمع صلاته فى بيت المقدس(٣).

وقد روينا فى الحديث الثابت عن أبى هريرة [رضى الله عنه](٢) وغيره: أنه صلى فيه، وأما الربط، فقد رويناه أيضا فى حديث غيره، والبراق دابة مخلوقة، وربط الدواب عادة معهودة، وإن كان الله عزّ وجلّ القادر على

---

(١) (دلائل البيهقى):٢/ ٣٦٣ - ٣٦٤، وأخرجه الإمام أحمد فى (المسند): ١/ ٥٠٨. حديث رقم (٢٨١٥) من مسند عبد الله بن عباس رضى الله عنهما.

(٢) زيادة للسياق من (دلائل البيهقى).

(٣) (المرجع السابق): ٣٦٤، وقد أخرجه الترمذى فى (السنن): ٥/ ٢٨٧ - ٢٨٨. كتاب تفسير القرآن باب (١٨) ومن سورة بنى إسرائيل ، حديث رقم (٣١٤٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه النسائى فى (الكبرى).

حفظها، والخبر المثْبِت أولى من النَّافى(١).

وقال ابن سعد: أخبرنا محمد بن عمر، عن أبى بكر بن أبى سبرة، وغيرهُ من رجاله، قالوا: كان رسول الله ﷺ سأل ربه أن يريه الجنة والنار، فلما كان ليلة السبت، ليلة سبع عشر خلت من رمضان، قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً، ورسول الله ﷺ نائم فى بيته [ظهراً] أتاه جبريل وميكائيل، فقالا: انطلق إلى ما سألت الله، فانطلقا به إلى ما بين المقام وزمزم، فأتى بالمعراج، فإذا هو أحسن شيء منظراً فعرجا به إلى السموات سماءاً سماءاً، فلقى فيها الأنبياء، وانتهى إلى سدرة المنتهى، وأرى الجنة والنار، قال رسول الله ﷺ ولما انتهيت إلى السماء السابعة، لم أسمع إلا صريف الأقلام، وفرضت علىّ الصلوات الخمس، ونزل جبريل [عليه السلام] فصلى برسول الله ﷺ الصلوات فى مواقيتها](٢).

وخرّج البيهقى من حديث سعيد بن منصور قال: حدثنا الحارث بن عبيد الإيادى، عن أبى عمران الجونى، عن أنس [رضى الله عنه] قال: [قال] رسول الله ﷺ: بينا أنا جالس، إذ جاء جبريل عليه السلام، فوكز بين كتفى، فقُمت يعنى إلى شجرة، فيها مثل وكْرَى الطير، فقعد جبريل فى أحدهما، وقعدتُ فى الآخر، فَسَمت وارتفعت حتى سدَّت الخافقين، وأنا أقلب طرفى، فلو شئتُ أن أمسَّ السماء مَسَسْتُ، فالتفتُّ إلى جبريل، فإذا هو كأنه جلس، فعرفتُ فضل علمه بالله علىَّ، فُتح لى بابٌ من أبواب السماء، ورأيتُ النور الأعظم، وإذا دونى حجاب رفرف الُّدرٌ والياقوت، فأوحى إلىّ ما شاء الله أن يوحى. قال البيهقى، وقال غيره فى

(١) (دلائل البيهقى): ٢/٣٦٥.

(٢) (طبقات ابن سعد): ١/٢١٣، ذكر المعراج وفرض الصلوات.

هذا الحديث: وَلُطَّ دونى الحجاب رفرف الدر والياقوت[١]. هكذا رواه الحارث بن عبيد.

ورواه حماد بن سلمة، عن أبى عمران الجونى، عن محمد بن عمير بن عطارد، أن رسول الله ﷺ كان فى ملأ من أصحابه، فجاءه جبريل، فنكت فى ظهره، فذهب به إلى الشجرة، فيها مثل وكرى الطير، فقعد فى أحدهما، وقعد جبريل فى الآخر فتسامت بنا حتى بلغت الأفق، فلو بسطت يدى إلى السماء لنلتها، فدلى بسبب، وهبط النور، فوقع جبريل مغشيا عليه كأنه جلس، فعرفتُ فضل خشيته، فأوحى إلىّ: نبيًا ملكًا أو نبيًا عبدا، أو إلى الجنة، ما أنت؟ [فأوما][٢] إلىّ جبريل وهو مضطجع: أن تواضع، قال: قلت: لا، بل نبيًا عبدًا[٣].

وخرج من حديث عفان قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، [عن] سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضى الله [عنهما] قال: قال النبى ﷺ: لما أسرى بى، مرَّت بى رائحةٌ طيبة، فقلت: ما هذه الرائحة؟ قالوا: ماشطة ابنة فرعون وأولادها، [كانت تمشطها][٤]، فسقط مشطها من يدها فقالت: بسم الله، فقالت بنت فرعون: أبى؟ قالت: ربى وربك ورب أبيك، قالت: أو لك رب غير أبى؟ قالت: نعم، ربى وربك ورب أبيك، قالت: أو لك رب غير أبى؟ قالت: نعم، ربى وربك ورب أبيك الله، قال: فدعاها، فقال: ألك رب غيرى؟ قالت: نعم، ربى وربك

---

(١) (دلائل البيهقى): ٢/ ٣٦٨، ٣٦٩.

(٢) زيادة للسياق من (دلائل البيهقى).

(٣) (دلائل البيهقى): ٢/ ٣٦٩، مرسل، وله شاهد عند الإمام أحمد فى (المسند): ٢/ ٤٦٠ - ٤٦١، حديث رقم (٧١٢٠) مختصراً من مسند أبى هريرة، دون قصة الشجرة.

(٤) ليست فى (دلائل البيهقى).

الله [عزَّ وجلَّ]، قال: فأمر ببقرة من نحاس(١) فأحميت، ثم أمر بها لتلقى فيها.

قالت: إن لى إليك حاجة، قال: ما هى؟ قالت: تجمع عظامى، وعظام ولدى فى موضع، قال: ذاك لك، لمالك علينا من الحق، قال: فأمر بهم فألقوا واحداً واحداً، حتى بلغ رضيعاً فيهم، فقال: قعى يا أمه، ولا تقاعسى، فإنا على الحق، قال: وتكلم أربعة وهم صغار، هذا وشاهد يوسف، وصاحب جريج، وعيسى [ابن] مريم عليه السلام(٢).

---

(١) قدر كبير من نحاس.

(٢) (دلائل البيهقى): ٢/ ٣٨٩.

وأما الثلاثة الذين تكلموا فى المهد، فخرَّج البخارى من حديث جرير بن حازم، عن محمد بن سيرين، عن أبى هريرة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ، قال: «لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة: عيسى، وكان فى بنى إسرائيل رجل يقال له جُرَيْج كان يصلى، فجاءته أمه فدعته، فقال: أجيبها أو أصلى؟ فقالت: اللهم لا تُمتْهُ حتى تريه وجه المومسات، وكان جريج فى صومعته، فتعرضت له امرأة وكلمته فأبى، فأتت راعيًا فأمكنته من نفسها، فولدت غلامًا، فقالت: من جُريج، فأتوه فكسروا صومعته، وأنزلوه، وسبّوه، فتوضأ وصلى، ثم أتى الغلام فقال: من أبوك يا غُلام؟ قال: الراعى، قالوا: نبنى صومعتك من ذهب؟ قال: لا، إلا من طين. وكانت امرأة تُرضع ابنًا لها من بنى إسرائيل، فمرَّ راكبٌ ذو شارة، فقالت: اللهم اجعل ابنى مثله، فترك ثديها، وأقبل على الراكب، فقال: اللهم لا تجعلنى مثله، ثم أقبل على ثديها يمصّه، قال أبو هريرة: كأنى أنظر إلى النبى ﷺ يمص إصبعه، ثم مرَّ بأمة فقالت: اللهم لا تجعل ابنى مثل هذه، فترك ثديها، فقال: اجعلنى مثلها، فقالت: لم ذاك؟ فقال: الراكب جبار من الجبابرة، وهذه الأمة يقولون: سرقت، زنيت، ولم تفعل»، أخرجه البخارى فى كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٤٨) قول الله تعالى: ﴿**واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها**﴾، حديث رقم (٣٤٣٦).

قوله: «لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة»، قال القرطبى: فى هذا الحصر نظر، إلا أن يُحمل على أنه ﷺ قال ذلك قبل أن يعلم الزيادة على ذلك، وفيه بُعد.

ويُحتمل أن يكون كلام الثلاثة المذكورين مقيداً بالمهد، وكلام غيرهم من الأطفال بغير مهد، لكنه يعكر عليه أن فى رواية ابن قتيبة أن الصبى الذى طرحته أمه فى الأخدود كان ابن سبعة أشهر، وصرَّح بالمهد فى حديث أبى هريرة. =

. . . .

= وفيه تعقيب على النووى فى قوله: إن صاحب الأخدود لم يكن فى المهد، والسبب فى قوله هذا، ما وقع فى حديث ابن عباس عند أحمد، والبزار، وابن حبان، والحاكم: «لم يتكلم فى المهد إلا أربعة»، فلم يذكر الثالث الذى هنا، وذكر شاهد يوسف، والصبى الرضيع الذى قال لأمه -وهى ماشطة بنت فرعون- لما أراد فرعون إلقاء أمه فى النار: «اصبرى يا أمه فإنا على الحق».

وأخرج الحاكم نحوه من حديث أبى هريرة، فيجتمع من هذا خمسة، ووقع ذكر شاهد يوسف أيضًا فى حديث عمران بن حصين، لكنه موقوف، وروى ابن أبى شيبة من مرسل هلال بن يساف مثل حديث ابن عباس، إلا أنه لم يذكر ابن الماشطة.

وفى صحيح مسلم من حديث صهيب فى قصة أصحاب الأخدود «أن امرأة جيء بها لتلقى فى النار أو لتكفر، ومعها صبى يرضع، فتقاعست، فقال لها: يا أمه اصبرى فإنك على الحق».

وزعم الضحاك فى تفسيره أن يحى تكلم فى المهد، أخرجه الثعلبى، فإن ثبت صاروا سبعة.

وذكر البغوى فى تفسيره أن إبراهيم الخليل تكلم فى المهد. وفى (سير الواقدى) أن النبى ﷺ تكلم أوائل ما وُلد، وقد تكلم فى زمن النبى ﷺ مبارك اليمامة، وقصته فى (دلائل النبوة للبيهقى) من حديث معرض -بالضاد المعجمة- والله تعالى أعلى وأعلم (فتح البارى).

* وفى الحديث إيثار إجابة الأم على صلاة التطوع، لأن الاستمرار فيها نافلة، وإجابة الأم وبرها واجب قال النووى وغيره: إنما دعت عليه فأجيبت، لأنه كان يمكنه أن يخفف ويجيبها، لكن لعله خشى أن تدعوه إلى مفارقة صومعته والعوْد إلى الدنيا ومتعلقاتها، كذا قال النووى، وفيه نظر، بسط القول فيه الحافظ فى (الفتح).

* وفى الحديث أيضًا عظم برّ الوالدين وإجابة دعائهما ولو كان الولد معذورًا، لكن يختلف الحال فيه بحسب المقاصد.

* وفيه الرفق بالتابع إذا جرى منه ما يقتضى التأديب، لأن أم جريج مع غضبها منه لم تدع عليه إلا بما دعت به خاصة، ولولا طلبها الرفق به لدعت عليه بوقوع الفاحشة أو القتل.

* وفيه أن صاحب الصدق مع الله لا تضره الفتن.

* وفيه قوة يقين جريج المذكور وصحة رجائه، لأنه استنطق المولود مع كون العادة أنه لا ينطق، ولولا صحة رجائه بنطقه ما استنطقه.

* وفيه أن الأمرين إذا تعارضا بُدىء بأهمهما، وأن الله تعالى يجعل لأوليائهم عند ابتلائهم مخارج، وإنما يتأخر ذلك عن بعضهم فى بعض الأوقات تهذيبًا، وزيادة لهم فى الثواب.

* وفيه إثبات كرامات الأولياء، ووقوع الكرامة لهم باختيارهم وطلبهم.

* وفيه جواز الأخذ بالأشد فى العبادة لمن علم من نفسه قوة على ذلك.

* وفيه أن مرتكب الفاحشة لا تبقى له حُرمة، وأن المفزع فى الأمور المهمة إلى الله يكون بالتوجه=

وخرّجه الحاكم بسنده، ومتنه، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه(١).

وخرج أيضا من حديث عبد الوهاب بن عطاء قال: أخبرنا أبو محمد ابن راشد الحمامي، عن أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري [رضى الله عنه] عن النبي ﷺ أنه قال له أصحابه: يا رسول الله، أخبرنا عن ليلة أسرى بك فيها، قال: قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ **سبحان الذى أسرى(٢) بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا، إنه هو السميع البصير** ﴾، قال: فأخبرهم، قال: بينما أنا قائم عشاء في المسجد الحرام، إذ أتاني آت فأيقظني، فاستيقظت، فلم أر شيئًا، ثم عدتُ في النوم، ثم أيقظني، فاستيقظت، فلم أر شيئًا، [ثم عدت في النوم، ثم أيقظني فاستيقظت فلم أر شيئًا](٢).

فإذا أنا بكهيئة خيال، فأتبعتُه ببصري حتى خرجتُ من المسجد، فإذا أنا بدابة أدنى شبيهه بدوا بكم هذه، بغالكم هذه، مضطرب الأذنين، يقال له: البراق، وكانت الأنبياء [صلوات الله عليهم](٢) تركبه قبلي، يقع حافره مدّ بصره، فركبتُه.

فبينما أنا أسير عليه، إذ دعاني داعٍ عن يميني: يا محمد، أنظرني

= إليه بالصلاة.

* وفيه أن الوضوء لا يختص بهذه الأمة خلافًا لمن زعم ذلك، وإنما الذى يختص بها الغرة والتحجيل في الآخرة (فتح الباري)، (مصنف ابن أبي شيبة): ٦/ ٣٤٢ - ٣٤٣، كتاب الفضائل، باب (٧) ما ذكر فيما فضل به عيسى عليه السلام، حديث رقم (٣١٨٦٤)، (مسند أحمد): ٢/ ٥٩٢ - ٥٩٣، حديث رقم (٨٠١٠) مسند أبي هريرة رضى الله عنه، (المستدرك): ٢/ ٦٥٠، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، حديث رقم (٤١٦١)، (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان): ١٤/ ٤١١ - ٤١٣، كتاب التاريخ، باب (٥) المعجزات، ذكر خبرٍ ثانٍ يصرح بان غير الأنبياء قد يوجد لهم أحوال تؤدى إلى المعجزات، حديث رقم (٦٤٨٩).

(١) راجع التعليق السابق.

(٢) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي).

أسألك، يا محمد، أنظرنى أسألك، فلم أُجبْه، ولم أقم عليه.

فبينما أنا أسير عليه، [إذ دعانى داع عن يسارى: يا محمد! انظرنى أسألك يا محمد انظرنى أسألك فلم أجبه ولم أقم عليه].

وبينما أنا أسير إذا أنا بامرأة حاسرة عن ذراعيها، وعليها من كل زينة خلقها الله، [فقالت]: يا محمد،، أنظرنى أسألك، فلم ألتفت إليها، ولم أقم عليها، حتى أتيت بيت المقدس، فأوثقتُ دابتى بالحلقة التى كانت الأنبياء توثقها به.

فأتانى جبريل عليه السلام بإناءين، أحدهما خمر، والآخر لبن، فشربتُ اللبن وتركتُ الخمر، فقال جبريل: أصبت الفطرة، فقلت: الله أكبر، الله أكبر، فقال جبريل: ما رأيتُ فى وجهك هذا؟ قال: فقلت: بينما أنا أسير، إذ دعانى داعٍ عن يمينى: يا محمد، أنظرنى أسألك، فلم أُجبْه، ولم أقم عليه، قال: ذاك داعى اليهود، أما أنك لو أجبته أو وقفت عليه، [لتهودتْ] أمتك.

قال: وبينما أنا أسير إذ دعانى داعٍ عن يسارى، فقال: يا محمد، أنظرنى أسألك، فلم ألتفت إليه، ولم أقم عليه، قال: ذاك داعى النصارى، أما أنك لو أجبتُه لتنصَّرت أمتك.

فبينما أنا أسير، إذا أنا بامرأة حاسرة عن ذراعيها، عليها من كل زينة خلقها الله، تقول: يا محمد، أنظرنى أسألك، فلم أجبها، ولم أقم عليها، قال: تلك الدنيا، أما إنك لو أجبتها، لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة.

قال: ثم دخلتُ أنا وجبريل بيت المقدس، فصلى كله واحد منا ركعتين، ثم أُتيتُ بالمعراج الذى تعرج عليه أرواح بنى آدم، فلم ير الخلائق أحسن

من المعراج ما رأيتم الميت حين يشق بصره طامحًا إلى السماء فإنما يشق بصره طامحًا إلى السماء عجبه بالمعراج.

قال: فصعدتُ أنا وجبريل، فإذا أنا بملك يقال له: إسماعيل، وهو صاحب سماء الدنيا، وبين يديه سبعون ألف ملك، مع كل ملك جنده مائة ألف ملك. قال: وقال الله عزّ وجلّ: ﴿ **وما يعلم جنود ربك إلا هو** ﴾، فاستفتح جبريل باب السماء، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟.

قال: محمد، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: نعم، فإذا أنا بآدم كهيئة يوم خلقه الله على صورته، تعرض عليه أرواح ذريته المؤمنين، فيقول: روح طيبة ونفس طيبة، اجعلوها فى عليين، ثم تعرض عليه أرواح ذريته الفجار، فيقول: روح خبيثة ونفس خبيثة، اجعلوها فى سجين.

ثم مضت هنية، فإذا بأَخْوِنة -يعنى بالخوان: المائدة التى يؤكل عليها-، عليها لحم مشرح، ليس يقربها أحد، وإذا بأخونة أخرى، عليها لحم قد أروح ونتن، عندها أناس يأكلون منها، قلت: يا جبريل! من هؤلاء؟ قال: هؤلاء من أمتك يتركون الحلال ويأتون الحرام.

ثم مضت هنية، فإذا أنا بأقوام بطونهم أمثال البيوت، كلما نهض أحدهم، خرّ يقول: اللهم لا تُقم الساعة، قال: وهم على سابلة آل فرعون، قال: فتجيء السابلةُ فتطأهم، قال: فسمعتهم يضجون إلى الله سبحانه، قلت: يا جبريل! من هؤلاء؟ قال: هؤلاء من أمتك الذين يأكلوا الربا ﴿ **لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المسّ** ﴾.

قال ثم مضت هنية، فإذا أنا بأقوام مشافرهم كمشافر الإبل، قال: فتفتح على أفواههم، ويلقمون ذلك الجمر، ثم يخرج من أسافلهم فسمعتهم يضجون إلى الله عز وجل، فقلت: يا جبريل! من هؤلاء؟ قال هؤلاء من

أمتك يأكلون أموال اليتامى ظُلْمًا ﴿ **إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً** ﴾.

قال: ثم مضت هنية، فإذا أنا بنساء يعلقن بثديهن، فسمعتهن [يصحن] إلى الله عزَّ وجلّ، قلت: يا جبريل! من هؤلاء النساء؟ قال: هؤلاء الزناة من أمتك.

قال: ثم مضت هنية، فإذا أنا بأقوام تقطع من جنوبهم اللحم فيلقمون، فيقال له: كل ما كنت تأكل من لحم أخيك، قلت: يا جبريل! من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الهمَّازون من أمتك اللمازون.

ثم صعدنا إلى السماء الثانية، فإذا أنا برجل أحسن ما خلق الله، قد فُضِّل عن الناس بالحسن، كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب، قلت: يا جبريل! من هذا؟ قال: هذا أخوك يوسف، ومعه نفر من قومه، فسلمتُ عليه وسلَّم عليّ.

ثم صعدت إلى السماء الثالثة، فإذا أنا بيحى وعيسى، ومعهما نفر من قومهما، فسلمتُ عليهما وسلما عليّ.

ثم صعدتُ إلى السماء الرابعة، فإذا أنا بإدريس، قد رفعه الله مكانًا عليًا، فسلمت عليه وسلم عليَّ.

ثم صعدت إلى السماء الخامسة، فإذا أنا بهارون، ونصف لحيته بيضاء، ونصفها سوداء، تكاد لحيته تصيب سُرَّتَه من طولها، قلت: يا جبريل! من هذا؟ قال: هذا المحبب في قومه، هذا هارون بن عمران، ومعه نفر من قومه، فسلمتُ عليه وسلّم عليّ.

ثم صعدتُ إلى السماء السادسة، فإذا أنا بموسى بن عمران، رجل آدم، كثير الشعر، لو كان عليه قميصان، لنفذ شعره دون القميص، وإذا هو

يقول: يزعم الناسُ أنى أكرم على الله من هذا، بل هذا أكرمُ على الله منى، قال: قلت: يا جبريل! من هذا؟ قال: هذا أخوك موسى بن عمران، قال: ومعه نفر من قومه، فسلمتُ عليه وسلّم عليّ.

ثم صعدت إلى السماء السابعة، فإذا أنا بأبينا إبراهيم خليل الرحمن ساندًا ظهره إلى البيت المعمور، كأحسن الرجال، قلت: يا جبريل! من هذا؟ قال هذا أبوك إبراهيم خليل الرحمن، ومعه نفر من قومه، فسلمت عليه وسلّم عليّ.

وإذا بأمتى شطرين، شطر عليهم ثياب بيض كأنها القراطيس، وشطر عليهم ثياب رُمْد، قال: فدخلتُ البيت المعمور، ودخل معى الذين عليهم الثياب البيض، وحُجب الآخرون الذين عليهم الثياب الرُّمْد، وهم على خير، فصليت أنا ومن معى فى البيت المعمور، ثم خرجتُ أنا ومن معى، قال: والبيت المعمور يصلى فيه كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون فيه إلى يوم القيامة.

قال: ثم رُفعت إلى السدرة المنتهى، فإذا كل ورقة منها تكاد أن تغطى هذه الأمة، وإذا فيها عين تجرى يقال لها: سلسبيل، فينشق منها نهران، أحدهما الكوثر، والآخر يقال له: نهر الرحمة، فاغتسلتُ فيه، فغُفر لى، ما تقدم من ذنبى وما تأخر.

ثم إنى دفعت إلى الجنة، فاستقبلتنى جارية، فقلتُ: لمن أنت يا جارية؟ قالت: لزيد بن حارثة، وإذا أنا بأنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمرة لذة للشاربين، وأنهار من عسل وصفى، وإذا رمانها كأنه الدّلاء عظمًا، وإذا بطير كالبخاتى هذه، فقال عندها ﷺ [وعلى جميع أنبيائه](١): إن الله قد أعدّ لعباده الصالحين ما لا عين رأت،

(١) زيادة للسياق من (دلائل البيهقى).

ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

قال: ثم عُرِضَتْ عليَّ النار، فإذا فيها غضب الله وزجره ونقمته، لو طُرح فيها الحجارة والحديد لأكلتها، ثم أُغلقت دونى.

ثم إنى دُفعتُ إلى السدرة المنتهى، فتغشى لى، وكان بين وبينه قاب قوسين أو أدنى، قال: ونزل على كل ورقة ملك من الملائكة، قال: وقال: فرضت عليّ خمسون صلاة، وقال: لك بكل حسنة عشر، [وإذا] هممت بالحسنة فلم تعملها، كتبت لك حسنة، وإذا عملتها كُتبتْ لك عشراً، وإذا هممتُ بالسيئة فلم تعملها، لم يكتب عليك شيء، فإن عملتها، كتبتْ عليك سيئة واحدة.

ثم دفعتُ إلى موسى فقال: بما أمرك؟ قلت: بخمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك، فإن أمتك لا يطيقون ذلك، ومتى لا تطيقه تكفر، فرجعتُ إلى ربى فقلت [يا رب]، خفف عن أمتى، فإنها أضعف الأمم فوضع عنى عشراً، وجعلها أربعين، فمازلتُ اختلف بين موسى وربى، [كلما] أتيتُ عليه، قال لى مثل مقالته، حتى رجعتُ إليه فقال لى: بما أُمرت؟ قلتُ: أُمرتُ بعشر صلوات، قال: ارجع إلى ربك فسله التخفيف عن أمتك فرجعتُ إلى ربى فقلتُ: أى ربٍّ، خفِّفْ عن أمتى، فإنها أضعف الأمم، فوضع عنى خمساً، وجعلها خمساً، فنادانى ملك عندها: تمت فريضتى، وخففتُ عن عبادى، وأعطيتهم بكل حسنة عشر أمثالها.

ثم رجعتُ إلى موسى فقال: بما أُمرت؟ قلتُ: بخمس صلوات، قال: ارجع إلى ربك فسله التخفيف، فإنه لا يؤوده شيء، فسله التخفيف لأمتك، فقلتُ: رجعتُ إلى ربى حتى [اسْتَحْيَيْتُه](1).

---

(1) زيادة للسياق.

ثم أصبح بمكة يخبرهم بالعجائب؛ إنى رأيتُ البارحة بيت المقدس، وعُرج بى إلى السماء، ورأيتُ كذا، ورأيتُ كذا، فقال أبو جهل بن هشام: ألا تعجبون مما يقول محمد، يزعم أنه أتى البارحة بيت المقدس، ثم أصبح فينا! وأحدنا يضرب مطيته مُصعدةً شهراً، ومنقلبة شهراً، فهذا مسيرة شهرين فى ليلة واحدة، قال: فأخبرهم [بعير] لقريش لما كان فى مصعدى، رأيتها فى مكان كذا وكذا، وأنها نفرت، فلما رجعت رأيتها عند العقبة، وأخبرهم بكل رجل وبعيره كذا وكذا، ومتاعه كذا وكذا، فقال أبو جهل: يخبرنا بأشياء؟ فقال رجل من المشركين: أنا أعلم الناس ببيت المقدس، وكيف بناؤه، وكيف هيئته، وكيف قربه من الجبل، فإن يكن محمد صادقًا فسأخبركم، وإن يكن كاذبًا فسأخبركم، فجاءه ذلك المشرك فقال: يا محمد! أنا أعلم الناس ببيت المقدس، فأخبرنى كيف بناؤه، وكيف هيئته، وكيف قربه من الجبل.

قال: فرُفع لرسول الله ﷺ بيتُ المقدس من مقعده، فنظر إليه كنظر أحدنا إلى بيته، فقال: بناؤه كذا وكذا، وهيئته كذا وكذا، وقربه من الجبل كذا وكذا، فقال الآخر: صدقت، فرجع إلى أصحابه فقال: صدق محمد فيما قال، أو نحو هذا من هذا الكلام(١).

وخرّج البيهقى أيضًا من حديث عيسى بن ماهان، عن الربيع بن أنس، عن أبى العالية، عن أبى هريرة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ أنه قال فى هذه الآية: ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى** ﴾ قال: أُتى بفرسٍ فحمل عليه، قال: كل خطوة مُنتهى أقصى بصره، فسار وسار معه جبريل عليه السلام.

---

(١) (دلائل البيهقى): ٢/ ٣٩٢ وما بعدها.

فأتى على قوم[1] يزرعون فى يوم ويحصدون فى يوم، كلما حصدوا عاد كما كان، فقال: يا جبريل! من هؤلاء؟ قال: هؤلاء المهاجرون فى سبيل الله، يضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف، ﴿ **وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه، وهو خير الرازقين** ﴾.

ثم أتى على قوم ترضخ رءوسهم بالصخر، كلما رضخت عادت كما كانت، لا يُفتّر عنهم من ذلك شيئًا، فقال: يا جبريل! من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين تتثاقل رءوسهم عن الصلاة.

ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع، وعلى أدبارهم رقاع، يسرحون كما تسرح الأنعام عن الضريع، والزقوم، ورضف جهنم، وحجارتها، قال: ما هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم، وما ظلمهم الله، وما الله بظلام للعبيد.

ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم فى قدر نضج طيب، ولحم آخر خبيث، فجعلوا يأكلون من الخبيث ويدعون النضج الطيب، فقال: يا جبريل! من هؤلاء؟ قال: هذا الذى يقوم وعنده امرأة حلالاً طيبًا، فيأتى المرأة الخبيثة، فتبيتُ معه حتى يُصبح.

ثم أتى على خشبة على الطريق، لا يمر بها شىء إلا قصعته، يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ **ولا تقعدوا بكل [صراط] توعدون** ﴾[2].

ثم مرّ على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها، وهو يريد أن يزيد عليها، قال: يا جبريل! ما هذا؟ قال: هذا رجل من أمتك، عليه أمانة لا يستطيع أداءها، وهو يزيد عليها.

ثم أتى على قوم تُقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد، كلما

---

(١) فى (دلائل البيهقى): «فاتى قوم» وما أثبتناه من (الأصلين).

(٢) الأعراف: ٨٦.

قُرضت عادت كما كانت، ولا يُفتَّر عنهم من ذلك شيء، قال: يا جبريل! من هؤلاء؟ قال: هؤلاء خطباء الفتنة.

ثم أتى على حجر صغير، يخرج منه ثور عظيم، فجعل الثور يريد أن يدخل من حيث خرج، ولا يستطيع، قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الرجل يتكلم بالكلمة فيندم عليها، فيريد أن يردَّها ولا يستطيع.

ثم أتى على وادٍ، فوجد فيه ريحًا باردة طيبة، ووجد ريح المسك، وسمع صوتًا، فقال: يا جبريل! ما هذه الريح الباردة الطيبة؟ وريح المسك؟ وما هذا الصوت؟ قال: هذا صوت الجنة، تقول: يا رب ائتنى بأهلى وبما وعدتنى، فقد كَثُر عَرْفى، وحريرى، وسُندسى، وإستبرقى، وعبقرى، ولؤلؤى، ومرجانى، وفضتى، وذهبى، وأباريقى، وفواكهى، وعسلى، وخمرى، ولبنى، فائتنى بما وعدتنى، فقال: لك كل مسلم ومسلمة، ومؤمن ومؤمنة، ومن آمن بى وبرسُلى، وعمل صالحًا، ولم يشرك بى شيئًا، ولم يتخذ من دونى أندادًا، ومن خشينى أمنته، ومن سألنى أعطيتُه، ومن أقرضنى جزيتُه، ومن توكل على كفيته، وأنا الله لا إله إلا أنا، لا أخلف الميعاد، ﴿**قد أفلح المؤمنون* الذين هم فى صلاتهم خاشعون* والذين هم عن اللغو معرضون* والذين هم للزكاة فاعلون* والذين لفروجهم حافظون* إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين* فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون* والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون* والذين هم على صلواتهم يحافظون* أولئك هم الوارثون* الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون* ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين* ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين* ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظامًا كسونا العظام لحمًا ثم أنشأناه خلقًا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين**﴾(١) قالت: قد رضيت.

---

(١) المؤمنون: ١ – ١٤.

ثم أتى على وادٍ، فسمع صوتًا منكرًا، قال: يا جبريل! ما هذا الصوت؟ قال: هذا صوت جهنم، يقول: ائتنى بأهلى وما وعدتنى، فقد كثر سلاسلى، وأغلالى، وسعيرى، وزقومى، وحميمى، وحجارتى، وغسّاقى، وغسلينى، وقد بَعُدَ قعرى، واشتد حرى، فائتنى بما وعدتنى، فقال: لك كل مُشرك ومشركة، وكافر وكافرة، وكل خبيث وخبيثة، وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب، قالت: قد رضيت.

قال: ثم سار حتى أتى بيت المقدس، فنزل، فربط فرسه إلى صخرة، ثم دخل فصلى مع الملائكة، فلما قضيت قالوا: يا جبريل! من هذا معك؟ قال: محمد رسول الله وخاتم النبيين، قالوا: وقد أُرسل إليه؟ قال: نعم، قالوا: حيّاهُ الله من أخ وخليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة، ونعم المجيء جاء.

قال: ثم أتى أرواح الأنبياء، فأثنوا على ربهم، قال فقال إبراهيم عليه السلام: الحمد لله الذى اتخذ إبراهيم خليلاً، وأعطانى ملكا عظيمًا، وجعلنى أمة قانتا [لله](١) يؤتم بى، وأنقذنى من النار، وجعلها علىّ بردًا وسلامًا.

قال: ثم إن موسى أثنى على ربه فقال: الحمد لله الذى كلمنى تكليمًا، واصطفانى برسالته وكلماته، وقربنى إليه نجيًا، وأنزل علىّ التوراة، وجعل هلاك آل فرعون على يدى، ونجى بنى إسرائيل على يدى.

قال: ثم إن داود أثنى على ربه فقال: الحمد لله الذى خوّلنى مُلكًا، وأنزل علىّ الزبور، وألان لى الحديد، وسخرّ لى الطير، والجبال، وآتانى الحكمة وفصل الخطاب.

ثم إن سليمان أثنى على ربه فقال: الحمد لله الذى سخر لى الرياح، والجن، والإنس، وسخر لى الشياطين، يعملون ما شئت من محاريب

---

(١) زيادات للسياق من (دلائل البيهقى).

وتماثيل، وجفانٍ كالجواب، وقدورٍ راسيات. . . وعلمنى منطق الطير، وكل شيء، وأسال لى عين القطر، وأعطانى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى.

ثم إن عيسى أثنى على ربه فقال: الحمد لله الذى علمنى التوراة والإنجيل [و] جعلنى أُبرىء الأكمة والأبرص، وأُحْى الموتى بإذنه، ورفعنى وطهرنى من الذين كفروا، وأعاذنى وأمى من الشيطان الرجيم، فلم يكن للشيطان عليها سبيل.

ثم إن محمداً أثنى على ربه فقال: كلكم قد أثنى على ربه، وإنى مُثنٍ على ربى، فقال: الحمد لله الذى أرسلنى رحمة للعالمين، وكافة للناس بشيراً ونذيراً، وأنزل علىّ الفرقان فيه تبيانًا لكل شيء، وجعل أمتى خير أمة أخرجت للناس، وجعل أمتى أمة وسطًا، وجعل أمتى هم الأولون، وهم الآخرون، وشرح صدرى، ووضع عنى وزرى، ورفع لى ذكرى، وجعلنى فاتحًا وخاتمًا. فقال إبراهيم: بهذا فضلكم محمد ﷺ.

قال: ثم أتى بآنية ثلاثة مغطاه أفواهها، فأتى بإناء منها فيه ماء، فقيل له: اشرب، فشرب منه يسيراً، ثم رفع إليه إناء آخر فيه لبن، فشرب منه حتى روى، ثم رفع إليه إناء آخر فيه خمر، فقال: قد رويت لا أريده، فقيل له: قد أصبت، أما إنها ستحرم على أمتك، ولو شربت منها لم يتبعك من أمتك إلا قليل. قال ثم صُعد به إلى السماء.. فذكر الحديث بنحو ما رويناه بالأسانيد الثابتة إلى أن قال:

ثم صُعد بى إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: محمد، قالوا: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قالوا: حياه الله من أخ وخليفة، فنعم الأخ، ونعم الخليفة، ونعم المجىء جاء.

فدخل فإذا برجل أشمط، جالس على كرسى عند باب الجنة، وعنده قوم بيض الوجوه، وقوم سود الوجوه، وفى ألوانهم شيء، فأتوا نهراً، فاغتسلوا

فيه، فخرجوا منه، وقد خلص من ألوانهم شيء، ثم إنهم أتوا نهراً آخر، فاغتسلوا فيه، فخرجوا [وقد خلص من ألوانهم شيء، ثم دخلوا النهر الثالث، فخرجوا] وقد خلصت [من](١) ألوانهم مثل ألوان أصحابهم، فجلسوا إلى أصحابهم.

فقال: يا جبريل! من هؤلاء بيض الوجوه؟ وهؤلاء الذين في ألوانهم شيء، فدخلوا النهر [فخرجوا](١) وقد خلصت ألوانهم؟ فقال: هذا أبوك إبراهيم، هو أول رجل شمط على وجه الأرض، وهؤلاء بيض الوجوه، قوم لم يلبسوا إيمانهم بظلم، قال، وأما هؤلاء الذين في ألوانهم شيء، خلطوا عملاً صالحًا، وآخر سيئًا، فتابوا فتاب الله عليهم، فأما النهر الأول، فرحمة الله، وأما النهر الثاني، فنعمة الله، وأما النهر الثالث، فسقاهم ربهم شرابًا طهوراً

ثم انتهى إلى السدرة [المنتهى](١)، فقيل لي: هذه السدرة، إليها منتهى كل أحد من أمتك، يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسنٍ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، قال: وهي شجرة يسير الراكب في أصلها عامًا لا يقطعها، وأن الورقة منها مغطية الخلق.

قال: فغشيها نور الخالق، وغشيتها الملائكة، فكلمه ربه عند ذلك، قال له: سل، قال: إنك اتخذت إبراهيم خليلاً، وأعطيته ملكا عظيمًا، وكلمت موسى تكليمًا، وأعطيت داود ملكًا عظيمًا، وألنت له الحديد، وسخرت له الجبال، وأعطيت سليمان ملكًا عظيمًا، وسخرت له [الجبال](٢) والجن والإنس، وسخرت له الشياطين والرياح، وأعطيته ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، وعلمت عيسى التوراة والإنجيل، وجعلته يبرىء

(١، ٢) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي).

الأكمة والأبرص، ويحى الموتى بإذنك، وأعذته وأمه من الشيطان فلم يكن له عليهما سبيل.

فقال له ربه: قد اتخذتك خليلاً، قال: وهو مكتوب فى التوراة خليل الرحمن، وأرسلتك إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً، وشرحتُ لك صدرك، ووضعتُ عنك وزرك، ورفعتُ لك ذكرك، فلا أُذكر إلا ذُكرت معى - يعنى بذلك الأذان - وجعلتُ أمتك خير أمة أخرجت للناس، وجعلتُ أمتك [أمة وسطًا] وجعلت أمتك هم الأولون، وهم الآخرون وجعلتُ من أمتك أقوامًا قلوبهن أنا جيلهم، وجعلت أمتك لا تجوز عليهم خُطبة حتى يشهدوا أنك عبدى ورسولى، وجعلتك أول النبيين خلقًا، وآخرهم مبعثًا، وآتيتك سبعًا من المثانى، لم أعطها نبيًا قبلك، وأعطيتك خواتيم سورة البقرة، من كنز تحت العرش، لم أعطها نبيًا قبلك، وجعلتك فاتحًا وخاتمًا.

قال: وقال النبى ﷺ: فضلنى ربى، أرسلنى رحمة للعالمين، وكافة للناس بشيراً ونذيراً، وألقى فى قلب عدوى الرعب [من][1] مسيرة شهر، وأحلت لى الغنائم، ولم تحل لأحد قبلى، وجُعلت الأرضُ كلها لى مسجداً وطهوراً، وأعطيتُ فواتح الكلام، وخواتمه، وجوامعه، وعرضت علىّ أمتى، فلم يخف علىّ التابع والمتبوع.

ورأيتهم أتوا على قوم ينتعلون الشَّعر، ورأيتهم أتوا على قوم عراض الوجوه، صغار الأعين، كأنما خُزمت أعينهم بالمخيط، فلم يخف علىّ ما هم لاقون من بعدى، وأمرتُ بخمسين صلاة، فرجعتُ إلى موسى.. فذكر الحديث بمعنى ما روينا فى الأسانيد الثابتة، غير أنه قال فى آخره: قال: فقيل له: اصبر على خمس، فإنهم يجزين عنك بخمس، كل خمس بعشر أمثالها، قال: فكان موسى أشدّ عليهم حين مرّ به، وخيرهم حين رجع

---

(١) زيادة للسياق من (دلائل البيهقى).

إليه[1].

قال كاتبه [عفى الله عنه]: هكذا ساق البيهقى هذا الحديث كما أردته، وأن الوضع لائح عليه، ولولا أن الأئمة روته لما ذكرته.

قال البيهقى: وقد روى فى المعراج أحاديث أُخَر: منها حديث أبى حذيفة، إسحاق بن بشر، عن ابن جريج، عن مجاهد، عن ابن عباس [رضى الله عنهما][2]، وجوير عن الضحّاك، عن ابن عباس. وإسحاق بن بشير متروك، لا [يفرح][3] بما ينفرد به[4].

ومنها حديث إسماعيل بن موسى القواريرى عن عمر بن سعد المصرى، من بنى نصر بن قعين، قال: حدثنى عبد العزيز، وليث بن أبى سليم، وسليمان الأعمش، وعطاء بن السائب -بعضهم يزيد فى الحديث على بعض- عن على بن أبى طالب، وعن عبد الله بن عباس، ومحمد بن إسحاق بن يسار، عن من حدثه عن ابن عباس، وعن سليم -أو سلم- العقليى، عن عامر الشعبى، عن عبد الله بن مسعود، وجويبر، عن الضحاك ابن مزاحم، قالوا: كان رسول الله ﷺ فى بيت أم هانىء راقداً، وقد صلى العشاء الآخرة... فذكر حديثًا طويلاً، يذكر فيه عدد الدرج[5] والملائكة، وغير ذلك مما لا يُنكر شىء منها فى قدرة الله [تعالى][6]، إن صحت الرواية، [قال: وذلك حديث [راويه] مجهول، وإسناده منقطع][7].

---

(١) (دلائل البيهقى): ٢/ ٣٩٧ - ٤٠٣.

(٢) زيادة للسياق.

(٣) زيادة للسياق من المرجع السابق.

(٤) (المرجع السابق): ٤٠٤.

(٥) فى (المرجع السابق): «عدد الروح» وما أثبتناه من الأصلين وهو الأصوب، ولعلها درج الجنة.

(٦) زيادة للسياق من (المرجع السابق).

(٧) ما بين الحاصرتين ليس فى (المرجع السابق)، وهو فى الأصلين فقط.

وخرج النسائى من حديث سعيد بن عبد العزيز، قال: حدثنا يزيد بن أبى مالك، حدثنا أنس بن مالك [رضى الله عنه]، أن رسول الله ﷺ قال: أُتيتُ بدابة فوق الحمار ودون البغل، خطوها عند منتهى طرفها، فركبت، ومعى جبريل عليه السلام، فسرت، فقال: انزل فصلّ، ففعلتُ، فقال: أتدرى أين صليت؟ صليت بطيبة، وإليها المهاجر.

ثم قال: انزل فصلّ، فصليت، فقال: أتدرى أين صليت؟ صليت بطور سيناء، حيث كلم الله عز وجل موسى عليه السلام.

ثم قال: انزل فصلّ، فصليت، فقال: أتدرى أين صليت؟ صليت ببيت لحم، حيث ولد عيسى عليه السلام.

ثم دخل بيت المقدس، فجمع لى الأنبياء عليهم السلام فقدمنى جبريل حتى أممتهم.

ثم صعد بى إلى السماء الدنيا، فإذا فيها آدم [عليه السلام] ثم صعد بى إلى السماء الثانية، فإذا فيها ابنا الخالة، عيسى ويحى [عليهما السلام] ثم صعد بى إلى السماء الثالثة، فإذا فيها يوسف [عليه السلام] ثم صعد بى إلى السماء الرابعة، فإذا فيها هارون [عليه السلام] ثم صعد بى إلى السماء الخامسة، فإذا فيها إدريس [عليه السلام] ثم صعد بى إلى السماء السادسة، فإذا فيها موسى [عليه السلام] ثم صعد إلى السماء السابعة، فإذا فيها [إبراهيم]، عليه وعليهم السلام.

ثم صعد بى فوق سبع سموات، فأتينا سدرة المنتهى، فغشيتنى ضبابة، فخررتُ ساجداً، فقيل لى: [إنى] يوم خلقت السموات والأرض، فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة، فقم بها أنت وأمتك.

فـرجـعتُ إلى إبراهيم، فلم يسـألنى عن شيء، ثم أتيتُ على مـوسى، فقال: كم فرض [الله](١) عليك وعلى أمتك؟ قلت: خـمسين صلاة، قال: فإنك لا تستطيع أن تقوم بها أنت ولا أمتك، فارجع إلى ربك [فاسأله] التخفيف، فرجعتُ إلى ربى، فخفف عنى عشرًا، ثم أتيت موسى، فأمرنى بالرجوع، فرجعتُ فخفف عنى عشرًا، ثم رُدّت إلى خمس صلوات، قال: فارجع إلى ربك، [فاسأله] التخفيف، فإنه فرض على بنى إسرائيل صلاتين فما قاموا بهما، فرجعتُ إلى ربى [عز وجل](١) فسألته التخفيف. فقال: إنى يوم خلقت السموات والأرض، فرضتُ عليك وعلى أمتك خمسين صلاة، فخمس بخمسين، فقم بها أنت وأمتك، فعرفت أنها من الله [تبارك وتعالى](١) صِرًّى، فرجعتُ إلى موسى [عليه السلام](١) فقال: ارجع، فعرفتُ أنها من الله صِرًّى(٢): [أى حتم]، فلم أرجع(٣).

وخرج أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى، فى أول تاريخه(٤)، من حديث أبى نعيم عمر بن صبح، عن مقاتل بن حيان، عن عكرمة، عن ابن عباس رضى الله عنهما، عن النبى ﷺ، [فذكر] حديثا طويلاً فيه: أن الله تعالى خلق مدينتين، [إحداهما] بالمشرق، والأخرى بالمغرب، أهل المدينتين جميعًا من ولد آدم، فالمدينة التى بالمشرق، من بقايا عاد، من نسل مؤمنيهم، وأهل التى بالمغرب، من بقايا ثمود، من نسل الذين آمنوا بصالح.

---

(١) زيادة للسياق من (سنن النسائى).

(٢) صِرًّى: بكسر الصاد المهملة وفتح الراء المشددة آخرها ألف مقصورة، أى عزيمة باقية لا تقبل النسخ. (حاشية السندى).

(٣) (سنن النسائى): ١/ ٢٤١ - ٢٤٢، كتاب الصلاة باب (١) فرض الصلاة، حديث رقم (٤٤٩).

(٤) (تاريخ الطبرى): ١/ ٦٩ وما بعدها.

[و] اسم التى بالمشرق بالسريانية: قرقيسيا، وبالعربية جابلق(1)، واسم التى بالمغرب بالسريانية: برجيسيا، وبالعربية: جابرس(2)، ولكل مدينة

---

(1) جابلق بالباء الموحدة المفتوحة وسكون اللام؛ روى أبو روح، عن الضحاك، عن ابن عباس. أن جابلق مدينة بأقصى المغرب، وأهلها من ولد عاد ،أهل جابرس من ولد ثمود، ففى كل واحدة منهما بقايا ولد موسى عليه السلام، كل واحدة من الأمتين.

ولما بايع الحسنُ بن علىّ بن أبى طالب معاوية، قال عمرو بن العاص لمعاوية: قد اجتمع أهل الشام والعراق، فلو أمرت الحسن أن يخطب، فلعه يحصر، فيسقط من أعين الناس، فقال: يا ابن أخى، لو صعدت، وخطبت، وأخبرت الناس بالصلح، قال: فصعد المنبر، وقال بعد حمد الله، والصلاة على رسوله ﷺ: أيها الناس، إنكم لو نظرتم ما بين جابرس وجابلق، ما وجدتم ابن نبى غيرى وغير أخى،وإنى رأيتُ أن أصلح بين أمة محمد ﷺ، وكنتُ أحقهم بذلك، الا إنا بايعنا معاوية، وجعل يقول: ﴿وإن أدرى لعله فتنة ومتاع إلى حين﴾، فجعل معاوية يقول: انزل، انزل. (معجم البلدان): ٢/ ١٠٥ – ١٠٦، موضع رقم (٢٨٦٨).

(2) جابرس: مدينة بأقصى المشرق، يقول اليهود: إن أولاد موسى عليه السلام هربوا، إما فى حرب طالوت، أو فى حرب بختنصر، فسيرهم الله، وأنزلهم بهذا الموضع، فلا يصل إليهم أحد، وإنهم بقايا المسلمين، وإن الأرض طويت لهم، وجعل الليل والنهار عليهم سواء، حتى انتهوا إى جابرس، فهم سكانها، ولا يُحصى عددهم إلا الله، فإذا قصدهم أحد من اليهود قتلوه، وقالوا: لم تصل إلينا حتى أفسدت سنتك، فيستحلون دمه بذلك.

وذكر غير اليهود أنهم بقايا المؤمنين من ثمود، وبجابلق بقايا المؤمنين من ولد عاد (المرجع السابق): ٢/ ١٠٥، موضع رقم (٢٨٦٥).

وذكر القزوينى فى ترجمة جابرس هذه حديثًا عن ابن عباس، –الله أعلم بصحته– عن ابن عباس رضى الله عنهما، أن النبى ﷺ فى ليلة أُسرى به قال لجبريل عليه السلام: إنى أحب أن أرى القوم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ومن قوم موسى أمه يهدون بالحق وبه يعدلون﴾، فقال جبريل عليه السلام: بينك وبينهم مسيرة ست سنين ذهابًا، وست سنين راجعًا، وبينك وبينهم نهر من رَمْلٍ يجرى كجرى السهم، لا يقف إلا يوم السبت، لكن سل ربك، فدعا النبى ﷺ وأمَّنَ جبريل عليه السلام، فأوحى الله تعالى إلى جبريل عليه السلام، أن أجبه ماسأل، فركب البُراق، وخطا خطوات، فإذا هو بين أظهر القوم، فسلم عليهم، فسألوه: من أنت؟ فقال: أنا النبى الأمى! فقالوا: نعم، أنت الذى بشر بك موسى، عليه السلام، وإن أمتك لولا ذنوبها لصافحتها الملائكة.

قال رسول الله ﷺ رأيتُ قبورهم على باب دورهم، فقلتُ لهم: لم ذاك؟ قالوا: لنذكر الموت صباحًا ومساءً، وإن لم نفعل ذلك ما نذكر إلا وقتًا بعد وقت!

=

منها عشرة آلاف باب، ما بين كل باب [منهما] فرسخ، يئوب كل يوم على كل باب من أبواب هاتين المدينتين عشرة آلاف رجل من الحراس، عليهم السلاح، ثم لا تنوبهم الحراسة عد ذلك إلى يوم ينفخ فى الصور، فوالذى نفس محمد بيده، لولا كثرة هؤلاء القوم، وضجيج أصواتهم يُسْمِعُ الناس من جميع أهل الدنيا، هذه وقعة الشمس حين تطلع، وحين تغرب، ومن ورائهم ثلاث أمم: منسك، وتافيل، وتاريس، ومن دونهم يأجوج ومأجوج.

وإن جبريل انطلق بى إليهم ليلة أُسرى بى من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فدعوت يأجوج ومأجوج إلى [عبادة] الله، فأبوا أن يجيبونى، ثم انطلق بى إلى أهل المدينتين، فدعوتهم إلى دين الله وعبادته، فأجابوا وأنابوا، فهم فى الدين من أحسن منهم، فهو مع محسنكم، ومن أساء منهم، فأولئك مع المسيئين منكم.

ثم انطلق بى إلى الأمم الثلاثة، فدعوتهم إلى دين الله وإلى عبادته، فأنكروا ما دعوتهم إليه، وكفروا بالله، وكذبوا رسله، فهم مع يأجوج ومأجوج، وسائر من عصى الله فى النار.. وذكر الحديث بطوله(١).

وعمر بن الصبح بن عمران أبو نعيم التيمى – ويقال: العدوى الخراسانى السمرقندى- يروى عن إبان بن أبى عياش، وقتادة، [والأوزاعى] وطائفة، وعنه مخلد بن يزيد الحرانى، وعيسى غنجار، ومحمد بن حميد الحمصى، وآخرون، وهو [متهم].

قال البخارى: حدثنا على بن جرير قال: سمعت عمر بن الصبح يقول: أنا وضعتُ خُطبة النبى ﷺ، وقال إسحاق بن راهويه: أخرجتْ خراسان

= فقال رسول الله ﷺ: ما لى لا أرى بنيانكم مستويًا؟ قالوا: لئلا يشرف بعضنا على بعض، ثم ذكر الحديث بطوله. (المرجع السابق): ص ١٠٥ هامش، نقلاً عن (آثار البلاد): ٢٧.

(١) (تاريخ الطبرى): ٢ / ٦٩ وما بعدها.

ثلاثة، لم يكن [لهم فى الدنيا] نظير -يعنى فى البدعة والكذب- جهم ابن صفوان، وعمر بن صبح، ومقاتل بن سليمان. وقال [ابن] عدى: منكر الحديث، وعامة ما يرويه غير محفوظ، لا متنًا، ولا إسنادًا. وقال الدارقطى: متروك، له فى ابن ماجة حديث فى الجهاد(١).

وخرَّج أبو نعيم من حديث الواقدى، قال مالك بن أبى الرجال، عن عمر ابن عبد الله، عن محمد بن كعب، أن أبا سفيان قال [لقيصر] فى آخر القصة أيها الملك، ألا أخبرك عنه خبرًا، تعرف أنه قد كذب؟ قال: وما هو؟ قلت: إنه يزعم أنه خرج من أرضنا -أرض الحرم- فى ليلة، فجاء مسجدكم هذا -مسجد إيليا- ورجع إلينا فى تلك الليلة قبل الصباح، قال: وبطريق إيليا عند رأس قيصر، فقال بطريق إيليا، عند رأس قيصر، فقال: بطريق إيليا، قد علمت تلك الليلة، قال: فنظر إليه قيصر، فقال: وما علمك بهذا؟ قال: إنى كنتُ لا أنام ليلة حتى أغلق أبواب المسجد، فلما كنتُ تلك الليلة، أغلقت الأبواب كلها، غير باب واحد، فاستعييت عليه عمالى، ومن يحضرنى كلهم علاجه، فلم نستطع أن نحركه، كأنما نزاول جبلاً، فدعوتُ النجاجرة، فنظروا إليه، فقالوا: هذا باب سقط عليه النجائف والبنيان، فلا نستطيع أن نحركه حتى نصبح، فننظر من أين أتى.

قال: فرجعت، وتركت الناس مفتوحين، فلما أصبحت غدوت عليهما، فإذا الحجر الذى فى زاوية المسجد منقوب، وإذا فيه أثر مربط الدابة، قال: قلت لأصحابى: ما حُبس هذا الباب الليلة إلا على نبى، وقد صلى اللية فى مسجدنا [نبى].

---

(١) له ترجمة فى (تهذيب التهذيب): ٧/ ٤٠٧ - ٤٠٨، ترجمة رقم (٧٢٢)، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه، وحديثه فى (سنن ابن ماجة) فى كتاب الجهاد، باب رقم (٧) فضل الرِّباط فى سبيل الله، حديث رقم (٢٧٦٦).

قال أبو نعيم: حدَّث أبو عبد الله الجرشى، [حدثنا] يونس من أرقم الكندى، [قال] أخبرنا سعيد بن دينار، عن أبى الجارود زياد بن المنذر، عن أبى العلاء، قال: قلت لمحمد بن الحنفية: إنا نتحدث أن [بدء] هذا الأذان إنما كان من رؤيا رآها رجل من الأنصار فى منامه، [قال:] ففزع لذلك فزعًا شديداً وقال: عمدتم إلى أجسم دينكم، فزعمتم أنه كان من رؤيا رآها رجل من الأنصار فى منامه.

قال: قلت: هذا الحديث قد استفاض فى الناس، قال: هذا والله هو الباطل، قال: إن رسول الله ﷺ لما عُرج به إلى السماء، فانتهى إلى مكان من السماء، وقف به، وبعث الله ملكًا، فقام من السماء مقامًا، ما قامه قبل ذلك، قيل له: علمه الأذان، فقال الملك: الله أكبر، الله أكبر، فقال الله: صدق عبدى، أنا الله الأكبر، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، فقال الله: صدق عبدى، أنا أرسلته، وأنا اخترته، وأنا ائتمنته، فقال الملك: حى على الصلاة، فقال الله: صدق عبدى، ودعا إلى فريضتى وحقى، فمن أتاها محتسبًا لها، كانت كفارة لكل ذنب.

فقال الملك: حى على الفلاح، قال الله: صدق عبدى، هى الفلاح، وهى النجاح، فقال الملك: قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة، فقال الله: صدق عبدى، أنا أقمتُ فريضتها، وعدتها، ومواقيتها. ثم قيل لرسول الله ﷺ: تقدم، فتقدم، فأم أهل السماء، فتم له شرفه على سائر الخلق.

وخرَّج الإمام أحمد من حديث حماد، عن على بن زيد، عن أبى الصلت، عن أبى هريرة [رضى الله عنه] قال: قال رسول الله ﷺ: رأيتُ ليلة أسرى بى، لما انتهينا إلى السماء السابعة، فنظرتُ فوق - [قال عفان: فوقى]-[1]، فإذا أنا برعد، وبرق، وصواعق، [قال][1] فأتيتُ على قوم

---

(١) زيادة للسياق من (مسند أحمد).

بطونهم كالبيوت، فيها الحيات تُرى من خارج بطونهم، قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة الرّبا، فلما [نزلت] إلى السماء الدنيا، نظرتُ أسفل منى، فإذا أنا برهج ودخان وأصوات، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذه الشياطين [يوحون] على أعين بنى آدم، أن لا يتفكروا فى ملكوت السموات والأرض، ولولا ذلك لرأوا العجائب](١). وروى ابن ماجة منه، قصته آكل الربا](٢).

وذكر أبو القاسم، الحسن بن محمد بن حبيب المفسر، فى كتاب (التنزيل) فى الآيات السَّفرية، قال: وأنزل بيت المقدس، وقوله تعالى فى الزخرف: ﴿ **واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهةً يُعبدون** ﴾ نزلت عليه ﷺ ليلة أُسرى به، وقد عدَّها غير ابن حبيب فى الشامى، والأول أحسن مما ذكره.

---

(١) (مسند أحمد): ٣/ ٣٣، حديث رقم (٨٤٢٦)، من مسند أبى هريرة، ونحوه بزيادة ونقصان وتقديم وتاخير حديث رقم (٨٥٣٩).

(٢) (سنن ابن ماجة): ٧٦٢، كتاب التجارات، باب (٥٨) التغليظ فى الربا، حديث رقم (٢٢٧٣)، قال فى (مجمع الزوائد): فى إسناده على بن زيد بن جدعان. وهو ضعيف.

(٣) الزخرف: ٤٥.

قال الحافظ ابن كثير فى قوله تعالى: ﴿ **واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يُعبدون** ﴾ أى جميع الرسل دعوا إلى ما دعوت الناس إليه من عبادة الله وحده لا شريك له، ونهوا عن عبادة الأصنام والأنداد، كقوله جلت عظمته: ﴿ **ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾. قال مجاهد فى قراءة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه واسئل الذين أرسلنا إليهم قبلك رسلنا، وهكذا حكاه قتادة والضحاك والسدى وابن مسعود رضى الله عنه، وهذا كانه تفسير لا تلاوة والله أعلم. وقال عبد الرحمن بن زيد أسلم: وأسالهم ليلة الإسراء فإن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جمعوا له، واختار ابن جرير الأول والله أعلم. (تفسير ابن كثير): ٤/ ١٣٩، وما بين الحاصرتين سقط من (ج) وأثبتناه من (خ).

فصل جامع فى معراج النبى ﷺ

قال الله جلّ جلاله: ﴿ **والنجم إذا هوى* ما ضل صاحبكم وما غوى* وما ينطق عن الهوى* إن هو إلا وحي يوحى* علمه شديد القوى* ذو مرة فاستوى* وهو بالأفق الأعلى* ثم دنا فتدلى* فكان قاب قوسين أو أدنى* فأوحى إلى عبده ما أوحى* ما كذب الفؤاد ما رأى* أفتمارونه على ما يرى* ولقد رآه نزلة أخرى* عند سدرة المنتهى* عندها جنة المأوى* إذا يغشى السدرة ما يغشى* ما زاغ البصر وما طغى* لقد رأى من آيات ربه الكبرى** ﴾(١).

قوله: ﴿ **والنجم إذا هوى** ﴾، قسم، ﴿ **هوى** ﴾، سقط، ﴿ **ما ضلّ** ﴾، ما حاد عن الصواب، «صاحبكم»، هو محمد ﷺ، ﴿ **وما غوى** ﴾ ما تعلم بالباطل، ﴿ **وما ينطق عن الهوى** ﴾، أى وما يتقول من هواه وشهوته، ﴿ **إن هو إلا وحي يوحى** ﴾ أى ما القرآن إلا وحى من الله يوحى إليه.

﴿ **علمه شديد القوى** ﴾، أى جبريل، ذو شدة وقوة، ﴿ **ذو مرة** ﴾، أى ذو إحكام للشىء، ﴿ **فاستوى** ﴾، يعنى جبريل، وهو يعنى محمداً ﷺ، أى أيهما استويا بالأفق الأعلى ليلة الإسراء، وقيل: استوى جبريل وهو بالأفق الأعلى، على صورته التى خلقه الله عليها، ﴿ **ثم دنى فتدلى** ﴾، أى تدلى [فدنى]، لأن التدلى سبب الدنوّ، وقيل: تدلى [للدنو]، ودنا [للتدلى]، وقيل: دنا، أى قرب، فتدلى، زاد فى القرب.

والمشار إليه، قيل: هو الله، كما فى الصحيح، من حديث أنس [رضى

(١) النجم (١ – ١٨).

الله تعالى عنه] قال : دنا الجبارُ ربٌّ العزة، فتدلى، حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى . وهو اختيار مقاتل، ورواه أبو سلمة، عن ابن عباس [رضى الله عنهما] .

وقيل: المشار إليه، هو محمد ﷺ، دنا من ربه تعالى، قاله ابن عباس [والقرطبى] وقيل: ثم دنا محمد من ساق العرش، فتدلى، أى جاوز الحجاب والسرادقات، وهو قائم بإذن الله، كالمتعلق بالشيء، لا تثبت قدمه على مكان، وهذا قول الحسين [بن] الفضل، وقيل: تدلى، [أى] هوى للسجود .

وقيل: المشار إليه، هو جبريل عليه السلام، أى دنا جبريل بعد استوائه بالأفق الأعلى من الأرض، حين كان رسول الله ﷺ بحراء، فطلع له جبريل من المشرق، فسدّ الأفق إلى المغرب، فخَّر رسول ﷺ مغشيًا عليه، فنزل جبريل وتدلى [إليه]، حتى قُرب لإلقاء الوحى، فكان قُربه منه قاب قوسين، أى لم يماسه، وهذا قول الحسن وقتادة .

وقيل: دنا جبريل ليلة الإسراء من [النبى] ﷺ، وتدلى أى دنا، فإنّ دنا وتدلى بمعنى واحد، وقيل: دنا جبريل من ربه تعالى، [فكان] منه قاب قوسين أو أدنى . قاله مجاهد، والقاب، قيل : هو القدر، وقيل: ما بين مقبض القوس والسِّيَة، ولكل قوس قابان، وسية القوس: ما انعطف من طرفها، يعنى قدر طول قوسين. قاله قتادة .

وقيل: بحيث الوتر من القوس. قاله مجاهد، وقيل : هو من مقبض القوس إلى طرفيها . قاله عبد الوارث، وقيل: ما بين الوتر إلى كبد القوس . قاله عكرمة، وقيل : كان بينهما، أى بين محمد وجبريل عليهما السلام، قدر ذراعين. قاله عبد الله بن مسعود، وسعيد بن جبير، والسّدى ﴿ أو أدنى ﴾ أى أقرب .

﴿**فأوحى إلى عبده ما أوحى**﴾ أى أوحى الله إلى محمد ﷺ كفاحًا ليلة المعراج، وقيل: أوحى جبريل إلى محمد ما أوحى الله إليه. رواه عطاء عن ابن عباس، وقيل: أوحى الله إلى جبريل ما يوحيه. روى ذلك عن عائشة، والحسن، وقتادة.

﴿**ما كذب الفؤاد ما رأى**﴾ يعنى ما أنكر فؤاده ما رأته عيناه، وقيل: ما أوهمه فؤاده أنه رأى ولم ير، بل صدقه الفؤاد، وهذا إخبار عن رؤية النبى ﷺ ربه تعالى. قاله ابن عباس، وأنس، والحسن، وعكرمة.

قال ابن عباس: رآه تعالى بفؤاده، ولم يره بعينه، وعن أنس، وعكرمة، والحسن، أنه رآه بعينه، وقال السّدى: رآه فى المنام، وعن أبى العالية، أنه رأى جلال الله وعظمته، وعن أبى ذرّ، وأبى سعيد الخدرىّ، ومجاهد، أنه رأى نوراً، وعن ابن مسعود، وعائشة رضى الله عنها، أنه رأى جبريل على صورته التى خلق عليها.

﴿**أفتمارونه على ما يرى**﴾؟ أى أفتجحدونه؟ قاله أبو عبيدة، وعن المبّرد، أفتدفعونه عما يرى؟ وقيل: أفتجادلونه وتدافعونه؟

﴿لقد رآه نزلة أخرى﴾، يعنى رأى محمد ربَّه عزَّ وجل، فى قول ابن عباس وكعب، وقيل: رأى جبريل مرة أخرى، فسماها نزلة على الاستعارة، وذلك أن رسول الله ﷺ رأى جبريل على صورته التى خُلق عليها مرتين: مرة بالأفق، ومرة عند سدرة المنتهى فى السماء. وهذا قول عائشة وغيرها، اختاره الثعلبى.

وقال الواحدى: معنى [قوله:] ﴿**نزلة أخرى**﴾: يعود إلى النبى ﷺ، فقد كانت له عرجات فى تلك الليلة، لاستحطاط عدد الصلوات، فكل عرجة نزلة عند سدرة المنتهى، ففى حديث مالك بن صعصعة -المتقدم

ذكره- أنها فوق السماء السابعة، وقال مقاتل: هى عن يمين العرش، وتقدم فى حديث مسلم، أنها فى السماء السادسة، وبه قال الضحاك.

وعن هلال بن يساف: سأل ابن عباس كعبًا عن سدرة المنتهى وأنا حاضر، فقال كعب: إنها سدرة فى أصل العرش، على رءوس حَمَلة العرش، إليها ينتهى علم الخلائق، وعن مقاتل: هى طوبى التى ذكرها الله فى سورة الرعد [وهى قوله تعالى: ﴿**الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب**﴾].

﴿**عندها جنة المأوى**﴾، أى عند سدرة المنتهى، [قال مجاهد: ﴿**سدرة المنتهى**﴾، قال: أقصى الدنيا، وأدنى الآخرة، وعندها يجتمع الليل والنهار، وقال زهير بن محمد: المنتهى، قد انتهى علم الخلائق دونها][(1)].

﴿**إذ يغشى السدرة ما يغشى**﴾، ففى حديث مسلم قال: غشيها فراش من ذهب، وفى حديث مالك بن صعصعة قال: لما غشيها من أمر الله ما غشيها، تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن يصفها من حسنها، وعن الحسن ومقاتل: تغشاها الملائكة أمثال الغربان، حيث يقعن على الشجر، وعن الضحاك: غشيها نور العزة جل جلاله.

﴿**ما زاغ البصر وما طغى**﴾، أى بصر محمد ﷺ، ما عدل يمينًا ولا شمالاً، ولا زاد ولا جاوز ما أُمر بالنظر إليه، وعن ابن عباس رضى الله [عنهما]: ما مال بصره عن رؤية الآيات خوفًا وجزعًا، بل قوى على النظر فى الآيات.

﴿**لقد رأى من آيات ربه الكبرى**﴾، أى رأى من آيات ربه الآية الكبرى، يعنى أنه رأى رفرفًا أخضر من الجنة قد سدّ الأفق. قاله ابن مسعود، وقيل

---

(1) زيادة للسياق، الرعد: 29.

أنه رأى جبريل عليه السلام، فى صورته التى يكون عليها فى السموات. قاله ابن زيد، وابن عباس، فى رواية أبى صالح ومقاتل بن حيان.

وقيل: رأى سدرة المنتهى. قاله الضحاك، وقيل: رأى ما غشى السدرة من فراش الذهب. قاله عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، وقيل: رأى [المعراج] وما مرّ به فى مَسْراه وعوده. قاله محمد بن جرير الطبرى، وقيل: ما رآه حين نامت عيناه ونظر فؤاده. وهذا قول حكى عن الضحاك، وقيل من التبعيض، أى رأى بعض الآيات، وقيل: هى زائدة، أى رأى آيات ربه الكبرى، وقيل: فيه تقديم وتأخير، أى رأى الكبرى من آيات ربه عزَّ وجلَّ.

[و] خرّج مسلم من حديث سليمان بن فيروز الشيبانى، قال: سألت زرًّ بن حبيش عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿**فكان قاب قوسين أو أدنى**﴾، قال: أخبرنى ابن مسعود أن النبى رأى جبريل عليه السلام، له ستمائة جناح(١).

وخرجه البخارى، ولفظه، قال: سألت زراً عن قوله: ﴿**فكان قاب قوسين أو أدنى* فأوحى إلى عبده ما أوحى**﴾ قال: أخبرنا عبد الله، أنه محمد رأى جبريل له ست مائة جناح. ذكره فى كتاب التفسير(٢)، وفى كتاب بدء الخلق(٣)، وخرجه النسائى أيضا.

ولمسلم عن الشيبانى عن زر، عن عبد الله ﴿**ما كذب الفؤاد ما رأى**﴾،

---

(١) (مسلم بشرح النووى): ٣/ ٦، كتاب الإيمان باب (٧٦) فى ذكر سدرة المنتهى حديث رقم (٢٨٠).

(٢) (فتح البارى): ٨/ ٧٨٤، كتاب التفسير، تفسير سورة النجم، ﴿**فكان قاب قوسين أو أدنى**﴾، حديث رقم (٤٨٥٦)، (٤٨٥٧)، وفى باب ﴿**فأوحى إلى عبده ما أوحى**﴾.

(٣) (فتح البارى): ٦/ ٣٨٥، كتاب بدء الخلق، باب (٧) إذا قال أحدكم: آمين، حديث رقم ٣٢٣٢.

قال: رأى جبريل عليه السلام، له ست مائة جناح[1].

وفى حديث آخر له، عن سليمان الشيبانى، سمع زر بن حبيش، عن عبد الله قال: ﴿ **لقد رأى من آيات ربه الكبرى** ﴾، قال رأى جبريل فى صورته، له ست مائة جناح[2]. وذكره النسائى.

وللبخارى من حديث الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله قال: ﴿ **لقد رأى من آيات ربه الكبرى** ﴾، قال: رأى رفرفًا أخضر قد سدَّ الأفق[3]. ذكره فى التفسير. وفى كتاب بدء الخلق، ولفظه: رأى رفرفًا خُضرًا سدَّ أفق السماء[4].

ولمسلم من حديث عطاء، عن أبى هريرة، ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى** ﴾ قال: رأى جبريل [عليه السلام][5].

وله أيضا عن عطاء، عن ابن عباس رضى الله [عنهما] قال: رآه بقلبه[6]. ولمسلم والنسائى من حديث الأعمش، عن زياد بن الحصين أبى جهمة، عن أبى العالية، عن ابن عباس [رضى الله عنهما]، ﴿ **ما كذب**

---

(١) (مسلم بشرح النووى): ٣/ ٦، كتاب الإيمان، باب (٧٦) فى ذكر سدرة المنتهى، حديث رقم (٢٨١).

(٢) (المرجع السابق): حديث رقم (٢٨٢).

(٣) (فتح البارى): ٨/ ٧٨٦، كتاب التفسير، نفسير سورة (٥٣)، باب ﴿ **لقد رأى من آيات ربه الكبرى** ﴾، حديث رقم (٤٨٥٨).

(٤) (المرجع السابق): ٦/ ٣٨٥، كتاب بدء الخلق، باب (٧) إذا قال أحدكم: آمين، حديث رقم (٣٢٣٣).

(٥) (مسلم بشرح النووى): ٣/ ٧، كتاب الإيمان، باب (٧٧) معنى قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى** ﴾، وهل رأى النبى ﷺ ربه ليلة الإسراء؟ حديث رقم (٢٨٣).

(٦) (المرجع السابق): حديث رقم (٢٨٤).

الفؤاد ما رأى* ولقد رآه نزلة أخرى ﴾، قال رآه بفؤاده مرتين(١).

وللبخارى من حديث ابن عون، قال: أنبأنا القاسم عن عائشة رضى عنها قالت: من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم [الفرية]، ولكن قد رأى جبريل فى صورته وخلقْه ساداً ما بين الأفق(٢). ذكره فى بدء الخلق.

وللبخارى(٣) ومسلم(٤) من حديث زكريا، عن أبى الأشوع، عن عامر، عن مسروق قال: قلت لعائشة رضى الله عنها: فأين قوله: **﴿ ثم دنا فتدلى* فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾**؟ قالت: ذاك جبريل، كان يأتيه فى صورة الرجل وإنما أتاه هذه المرة، فى صورته التى هى صورته، فسدَّ الأفق. ذكره البخارى فى كتاب بدء الخلق.

ولمسلم(٥) [والترمذى](٦)، من حديث إسماعيل بن إبراهيم بن علية، عن داود بن أبى هند، عن الشعبى، عن مسروق قال: كنت متكئا عند عائشة رضى الله عنها، فقالت: [يا أبا] عائشة، ثلاث من تكلم بواحدة منهن، فقد أعظم على الله الفرية، فقلت: ماهن؟ قالت: من زعم أن محمد

---

(١) المرجع السابق): حديث رقم (٢٨٥).

(٢) (فتح البارى): ٦/ ٣٨٥، كتاب بدء الخلق، باب (٧) إذا قال أحدكم: آمين حديث رقم (٣٢٣٤).

(٢) (المرجع السابق): حديث رقم (٣٢٣٥).

(٣) (مسلم بشرح النووى): ٣/ ١٤، كتاب الإيمان، باب (٧٧) معنى قول الله عزَّ وجلَّ: **﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾** وهل رأى النبى ﷺ ربه ليلة الإسراء؟ حديث رقم (٢٩٠).

(٤) (مسلم بشرح النووى): ٣/ ١٠ - ١٢، كتاب الإيمان، باب (٧٧) معنى قول الله عزَّ وجلَّ: **﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾** وهل رأى النبى ﷺ ربه ليلة الإسراء، حديث رقم (٢٨٧).

(٥) (سنن الترمذى): ٥/ ٢٤٥ - ٢٤٦، كتاب التفسير، باب (٧) ومن سورة الأنعام، حديث رقم (٣٠٦٨) وفى آخره، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، ومسروق بن الأجدع يكنى أبا عائشة، وهو مسروق بن عبد الرحمن، وكذا كان اسمه فى الديوان.

(٦) التكوير: ٢٣.

رأى ربه، فقد أعظم على الله الفرية، قال: وكنتُ متكئا فجلست، فقلت: [يا أم] المؤمنين! أنظرينى، ولا تعجلينى، ألم يقل الله عزّ وجلّ: ﴿**ولقد رآه بالأفق المبين**﴾؟ ﴿**ولقد رآه نزلة أخرى**﴾؟ فقالت: إنا أول هذه الأمة، سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: إنما هو جبريل، لم أره على صورته التى خُلق عليها، غير هاتين المرتين، رأيته منهبطًا من السماء سادًا عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض، فقالت: أو لم تسمع أن الله عزّ وجل يقول: ﴿**لا تُدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير**﴾(1)؟ أو لم تسمع أن الله عزَّ وجلّ يقول: ﴿**وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحى بإذنه ما يشاء إنه علىّ حكيم**﴾(2)؟.

قالت: ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئًا من كتاب الله، فقد أعظم على الله الفرية، والله عزَّ وجلّ يقول: ﴿**يا أيها الرسول بلغ ما أُنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته**﴾(3).

قالت: ومن زعم أنه يُخبر بما يكون فى غد، فقد أعظم على الله الفرية، والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿**قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله**﴾(4). اللفظ لمسلم. وقال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح، ذكره فى تفسير سورة الأنعام، وذكره النسائى فى تفسير [سورة] النجم.

وذكر مسلم(5) بعقبه، حديث محمد بن المثنى، قال: حدثنا عبد الوهاب، حدثنا داود بهذا الإسناد نحو حديث ابن علية، وزاد، قالت: ولو

---

(1) الأنعام: ١٠٣.
(2) الشورى: ٥١.
(3) المائدة: ٦٧.
(4) النحل: ٦٥.
(5) (مسلم بشرح النووى): ٣/ ١٣ - ١٤، كتاب (الإيمان)، باب (٧٧) معنى قول الله عز وجلّ: ﴿**ولقد رآه نزلة أخرى**﴾ وهل رأى النبى ﷺ ربه ليلة الإسراء، حديث رقم (٢٨٨).

كان محمد كاتمًا شيئًا مما أنزل عليه، لكتم هذه الآية: ﴿ **وإذا تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه** ﴾(١).

وخرّجه النسائى بهذا الإسناد الأخير فى كتاب التفسير كما قال مسلم، وخرّج أيضًا من حديث ابن عليه، عن الشعبى، عن مسروق، قال: سألتُ عائشة رضى الله عنها، هل رأى محمد ربه؟ فقالت: سبحان الله! لقد قفَّ شعرى لما قلت.. وساق الحديث بقصته، وحديث داود أتم وأطول(٢).

وخرّجه البخارى من حديث وكيع عن إسماعيل بن أبى خالد، عن عامرة عن مسروق، قال: قلت لعائشة رضى الله عنها: [يا أمتاه]! هل رأى محمد ربه؟ فقالت: لقد قف شعرى مما قلت، أين أنت من ثلاث من حدثك بهن فقد كذب، من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت: ﴿ **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير** ﴾، ﴿ **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا أو من وراء حجاب** ﴾.

ومن حدثك أنه يعلم ما فى غد فقد كذب، ثم قرأت: ﴿ **وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا** ﴾، ومن حدثك أنه كتم فقد كذب، ثم قرأت: ﴿ **يا أيها الرسول بلغ ما أُنزل إليك من ربك** ﴾، ولكن رأى جبريل فى صورته مرتين. ذكره فى تفسير سورة النجم(٣). وفى كتاب

---

(١) الأحزاب: ٣٧.

(٢) (المرجع السابق): حديث رقم (٢٨٩).

(٣) (فتح البارى): ٨/ ٧٨٠، كتاب التفسير، تفسير سورة (٥٣) سورة النجم، باب (١) حديث رقم (٤٨٥٥).

قولها: «قف شعرى» أى قام من الفزع لما حصل من هيبة الله واستحالة وقوع ذلك، قال النضر بن شميل: القف بفتح القاف وتشديد الفاء كالقشعريرة، وأصله التقبض والاجتماع، لأن الجلد =

التوحيد[1]، في باب قول الله عزَّ وجلّ: ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أُنزل إليك من ربك ﴾ وفي تفسير سورة المائدة[2]، وفي أول كتاب التوحيد[3]، في باب قول الله: ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً ﴾، لكن باختصار.

وخرج مسلم من حديث وكيع، عن يزيد بن إبراهيم، عن قتادة، عن عبد الله بن شقيق، عن أبي ذر رضي الله عنه، [قال]: سألتُ رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ قال نور أنى آراه[4].

ومن حديث همام عن قتادة، عن عبد الله بن شقيقٍ قال: قلت لأبي ذر: لو رأيت رسول الله ﷺ لسألته، فقال: عن أي شيء كنت تسأله؟ قال: كنتُ أسأله: هل رأيت ربك؟ قال أبو ذر: قد سألتُ فقال: رأيتُ نوراً[5].

وخرجه الإمام أحمد بهذا السند، ولفظه، قُلت لأبي ذر، لو رأيت رسول الله ﷺ لسألته، قال: وما كنت تسأله؟ قال: كنت أسأله هل رأى ربه؟ قال: فإني قد سألته، فقال: رأيته نوراً أنى آراه. وقال: قال عفان: وبلغني عن ابن هشام -يعني معاذ- أنه رواه عن أبيه كما قال همام: قد رأيته[6].

= ينقبض عند الفزع فيقوم الشعر لذلك (فتح الباري).

قولها: «أين أنت من ثلاث»؟ أي كيف يغيب فهمك عن هذه الثلاث، وكان ينبغي لك أن تكون مستحضرها، ومعتقداً كذب من يدعي وقوعها. (فتح الباري).

(1) فتح الباري): ١٣/ ٦١٥، كتاب التوحيد، باب (٤٦) قول الله تعالى: ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ﴾، حديث رقم (٧٥٣١).

(2) (المرجع السابق): ٨/ ٣٤٩، كتاب التفسير، باب (٧) ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ﴾، حديث رقم (٤٦١٢).

(3) (المرجع السابق): ١٣/ ٤٤٧، كتاب التوحيد باب (٤) قول الله تعالى: ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً ﴾، حديث رقم (٧٣٨٠).

(4) (مسلم بشرح النووي): ٣/ ١٥، كتاب الإيمان، باب (٧٨) قوله ﷺ نور أنى أراه، وفي قوله ﷺ: رأيت نوراً، حديث رقم (٢٩١).

(5) (المرجع السابق): حديث رقم (٢٩٢).

(6) (مسند أحمد): ٦/ ٢١٥، حديث رقم (٢٠٩٨٧).

وله أيضًا من حديث الأعمش، عن عمرو [بن] مرة، عن أبى عبيدة، عن أبى موسى قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: إن الله عزَّ وجلَّ لا ينام، ولا ينبغى له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور(١).

وفى رواية أبى بكر بن أبى شيبة، عن أبى معاوية، عن الأعمش: النار لو كشفته لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه(٢).

ومن حديث جرير عن الأعمش بهذا الإسناد، قال: قام فينا رسول الله ﷺ بأربع كلمات، ثم ذكر بمثل حديث أبى معاوية، ولم يذكر: من خلقه، وقال: حجابه النور(٣).

وخرَّج البخارى من حديث سفيان، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس [رضى الله عنهما]، ﴿**وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس**﴾(٤)، قال: هى رؤيا عين، أريها رسول الله ﷺ ليلة أُسرى به، ﴿**والشجرة الملعونة فى القرآن**﴾(٤)، قال: شجرة الزقوم(٥).

---

(١) (مسند أحمد): ٥/ ٥٥٣، حديث رقم (١٩١٣٥).

(٢) (مسلم بشرح النووى): ٣/ ١٦ – ١٧، كتاب الإيمان، باب (٧٩) فى قوله ﷺ: إن الله لا ينام، وفى قوله: حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، حديث رقم (٢٩٣).

(٣) (المرجع السابق): حديث رقم (٢٩٤)، وأخرجه الإمام أحمد فى (المسند): ٥/ ٥٣٦، حديث رقم (١٩٠٣٦).

(٤) الإسراء: ٦٠.

(٥) (فتح البارى): ٨/ ٥٠٨، كتاب التفسير باب (٩) ﴿**وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس**﴾، حديث رقم (٤٧١٦).

قوله: «والشجرة المعلونة فى القرآن قال: شجرة الزقوم» هذا هو الصحيح، ذكره ابن أبى حاتم عن بضعة عشر نفسًا من التابعين، ثم روى من حديث عبد الله بن عمرو أن الشجرة المعلونة: الحكم بن أبى العاص وولده، وإسناده ضعيف. =

وخرَّج الترمذى من حديث يحيى بن كثير العنبرى، قال: حدثنا مسلم ابن جعفر، عن الحكم، عن إبان، عن عكرمة، عن ابن عباس [رضى الله عنهما] قال: رأى محمد ربه، قلت: أليس الله يقول: ﴿ **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار [وهو اللطيف الخبير]** ﴾؟ قال: ويحك! ذاك إذا تجلى بنوره، الذى هو نوره [وقال: أُرِيَهُ مرتين](١). قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب(٢).

وقال يونس بن بكير: حدثنا عبد الله بن لهيعة، قال: حدثنى محمد بن عبد الرحمن، عن عروة عن عائشة، رضى الله عنهما، أن نبى الله ﷺ، كان أول شأنه يرى فى المنام، فكان أول ما رأى، جبريلَ بأجياد، أنه خرج لبعض حاجته، فصرخ به: يا محمد! يا محمد! فنظر يمينًا وشمالاً، فلم يرَ شيئًا، ثم نظر فلم ير شيئًا، فرفع بصره، فإذا هو يراه ثانيًا واضعًا إحدى رجليه على الأخرى، على أفق السماء، فقال: يا محمد! جبريل، يُسكنه، فهرب محمد ﷺ حتى دخل فى الناس، فنظر، فلم يَرَ شيئًا، ثم خرج من الناس، فنظر فرآه، فذلك قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ **والنجم إذا هوى * ما ضل صاحبكم وما غوى * [وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحى يوحى * علمه شديد القوى]** ﴾.

= وأما الزقوم، فقال أبو حنيفة الدينورى فى (كتاب النبات): الزقوم شجرة غبراء تنبت فى السهل، صغيرة الورق مدورته، لا شوك لها، زفرة، ولها نور أبيض تجرسه النمل، ورؤوسها قباح جداً.

وروى عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، قال: قال المشركون: يخبرنا محمد أن فى النار شجرة، والنار تأكل الشجر، فكان ذلك فتنة لهم.

وقال السهيلى: الزقوم فعول من الزقم، وهو اللقم الشديد، وفى لغة تميمية: كل طعام يُتقيأ منه يقال له: زقوم، وقيل: هو كل طعام ثقيل. (فتح البارى).

(١) فى (الأصلين): «وقد رأى ربه مرتين»، وما أثبتناه من (سنن الترمذى).

(٢) (سنن الترمذى): ٥ / ٣٨٦، كتاب تفسير القرآن، باب (٥٣) تفسير سورة النجم، حديث رقم (٣٢٧٩).

وقد اختلف سلف الأمة وخلفها، فى رؤية رسول الله ﷺ ربه تعالى ليلة الإسراء، بعد اتفاق جمهور أهل العلم، على أنه سبحانه وتعالى، يصح أن يُرى، وقالت المعتزلة والفلاسفة: لا يصح أن يُرى، وقالت الأشاعرة: يصح أن يُرى، واحتج من أثبت الرؤية بقوله تعالى: ﴿**وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة**﴾، وبقوله سبحانه: ﴿**كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون**﴾، وبقوله تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿**قال رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى**﴾.

ثم اختلف القائلون بجواز الرؤية، فذهب الأكثرون إلى جوازها فى الدنيا، ومنهم من خصَّها بالآخرة، وهو مذهب عائشة رضى الله عنها، ونقل عثمان بن سعيد الدارمى، إجماع الصحابة رضى الله عنهم على قول عائشة فى عدم وقوع رؤية النبى ﷺ، ربه تعالى ليلة الإسراء.

[وقد] اختلف القائلون بجواز الرؤية، فقالت [الكرامية] والمشبهة - خزاهم الله -: رؤيته كرؤية غيره، بارتسام، واتصال، ومواجهة. وقالت الأشاعرة: معناها أن تحصل لنا حالة فى الانكشاف والظهور، نسبتها إلى ذاته المخصوصة، كنسبة الحالة المسماة بالإبصار، والرؤية إلى هذه المرئيات.

فإذا تقرر ذلك فنقول: قد اختار إمام الأئمة محمد بن خزيمة، أن رسول الله ﷺ رآه سبحانه ببصره، وتبعه فى ذلك جماعة من المتأخرين، وقد قال عبد الله بن عباس رضى الله عنه: أنه رآه بفؤاده، كما مرَّ فى رواية مسلم، وأنكرت عائشة رضى الله عنها رؤية البصر، وإلى هذا مال جماعات من الأئمة قديمًا وحديثًا، اعتماداً على حديث أبى ذرّ واتباعًا لقول عائشة رضى الله عنها، وقالوا: وهذا مشهورٌ عنها، ولم يُعرف لها مخالف من الصحابة، إلاَّ مَا رُوى عن ابن عباس [رضى الله عنهما]، أنه رآه بفؤاده، ونحن نقول به. وما روى من ذلك من إثبات الرؤية بالبصر، فلا يصح شئ

من ذلك، لا مرفوعًا، ولا موقوفًا.

وقال القاضي عياض: اختلف السلف والخلف، هل رأى نبيُّنا ﷺ ربه ليلة [الإسراء]؟ فأنكرته عائشة [رضى الله عنها]، وجاء مثله عن أبى هريرة وجماعة، وهو المشهور عن ابن مسعود، وإليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين.

وروى عن ابن عباس أنه رآه بعينه، ومثله عن أبى ذر، وكعب، والحسن، وكان الحسن يحلف على ذلك، وحكى [مثله] عن ابن مسعود، وأبى هريرة، وأحمد بن حنبل، وحكى أصحاب المقالات عن أبى الحسن الأشعرى، وجماعة من أصحابه، أنه رآه، ووقف بعض مشايخنا فى هذا، وقال: ليس عليه دليل واضح، ولكنه جائز.

ورؤية الله تعالى فى الدنيا جائزة، وسؤال موسى عليه السلام إياها، دليل على جوازها، إذ لا يجهل نبيٌّ ما يجوز أو يمتنع على ربه تعالى، وقد اختلفوا فى رؤية موسى عليه السلام ربه تعالى، وفى مقتضى الآية، ورؤية الجبل، جواب القاضى أبى بكر، ما يقتضى أنهما رأياه.

قال: وكذلك اختلفوا فى قوله: ﴿**ثم [دنا] فتدلى**﴾، والأكثرون على أن هذا الدنو والتدلى، مقسم بين جبريل والنبى ﷺ، أو مختص بأحدهما من الآخر، أو من السدرة المنتهى.

وذكر ابن عباس، والحسن، ومحمد بن كعب، وجعفر بن محمد، وغيرهم، أنه دُنوّ من النبى ﷺ إلى ربه تعالى، أو من الله تعالى، وعلى هذا القول، يكون الدنوّ والتدلى منا ليس على وجهه، بل كما قال جعفر بن محمد الصادق: الدنوّ من الله تعالى، لا حدّ له، ومن العباد بالحدود، فيكون معنى دون النبى ﷺ من ربه سبحانه وتعالى، وقربه منه، ظهور

عظيم منزلتـه [لديه]، وإشراق أنوار مـعرفتـه عليـه، [وإطلاقه] من غـيـبـه، وأسرار ملكوته، على ما لم يطلع سواه عليه.

والدنوّ من الله تعـالى، لَهُـوَ إظهـار ذلك لـه، وعظيـم يده، وفضـله العظيم لديه، ويكون قوله تعالى: ﴿ **قاب قوسين أو أدنى** ﴾، على هذا عـبـارة عن لطف المحل، وإيضاح المعرفة، والإشراف على الحقيقة، من نبينا [ﷺ]، ومن الله تعالى، إجابة الرغبة، وإبانة المنزلة، ونتناول فى ذلك ما يُتناول فى قـوله ﷺ عن ربه تعـالى: من تقـرب منى شـبـراً، تقـربتُ منه ذراعًـا . . . الحديث.

قـال الشـيـخ مـحـيى الـدين أبو زكـريا، يحـيى النووى، رحـمـه الله: وأمـا صاحب التحرير، فإنه اختار إثبات الرؤية، قال: والحجج فى هذه المسألة، وإن كانت كثيرة، لكنا لا نتمسك إلا بالأقوى منها، وهو حديث ابن عباس رضى الله عنه: أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد ﷺ . وعن عكرمة، سئل ابن عبـاس: هل رأى مـحـمـد ﷺ [ربه]؟ قال: نعم.

وقـد روى بإسناد لا بأس به، عن شـعـبـة، عن قـتـادة، عن أنس رضى الله عنه، قال: رأى محـمـد ﷺ ربه. وكـان الحسن يحلف: لقـد رأى مـحـمـد ﷺ ربه. والأصل فى الباب، حديث ابن عباس حبر الأمة، والمرجوع إليه فى المعضلات، وقد راجعه ابن عمر رضى الله [عنهـمـا] فى هذه المسألة [وقد سـأله:] هل رأى مـحـمـد ﷺ ربه؟ فـأخـبـره أنه رآه، ولا يقـدح فى هذا حديث عائشة رضى الله عنها، لأن عائشة [رضى الله عنها]، لم تخبر أنّها سمعت النبى ﷺ يقول: لم أر ربى، وإنما ذكرت ما ذكرت، متأولة لقـول الله تعـالى: ﴿ **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير** ﴾ والصحابى إذا قال قولاً وخالفه غيره، لم يكن قـوله حجة، وإذا صحَّت

الروايات عن ابن عباس فى إثبات الرؤية، وجب المصير إلى إثباتها، فإنها ليست مما يُدرك بالعقل، ويؤخذ بالظن، وإنما تُلقى بالسماع، ولا يستجيزُ أحد أن يظن بابن عباس، أنه تكلم فى هذه المسألة بالظن والاجتهاد.

وقد قال معمر بن راشد حين ذكر اختلاف عائشة وابن عباس: عائشة ليست عندنا بأعلم من ابن عباس، ثم إن ابن عباس أثبت شيئًا نفاه غيره، والمثبِتُ مقدم على النافى.

قال النووى: فالحاصل أن الراجح عند أكثر العلماء، أن رسول الله ﷺ رأى ربه بعينى رأسه ليلة الإسراء، لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم، إثبات هذا لا يأخذونه بالسماع من رسول الله ﷺ، هذا مما لا ينبغى أن يُتَشكَّكَ فيه، ثم إن عائشة رضى الله عنها، لم تنفِ الرؤية بحديث عن رسول الله ﷺ، ولو كان معها فيه حديث لذكرته، وإنما اعتمدت الاستنباط من الآيات، وسنوضح الجواب عنها.

فأما احتجاج عائشة [رضى الله عنها] بقوله تعالى: ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾، فجوابه ظاهر، فإن الإدراك هو الإحاطة، والله تعالى لا يحاط به، وإذا ورد النصّ بنفى الإحاطة، لا يلزم منه نفى الرؤية بغير إحاطة، وأجيب عن الآية بأجوبة أخرى، لا حاجة إليها مع ما ذكرناه، فإنه فى نهاية من الحُسن مع اختصاره.

وأما احتجاجها بقوله تعالى: ﴿**وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا أومن وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحى بإذنه ما يشاء إنه علىّ قدير**﴾، فالجواب عنه من أوجه:

أحدها: أنه لا يلزم من الرؤية وجود الكلام حالة الرؤية، فيجوز وجود الرؤية من غير كلام.

الثانى: أنه عام، مخصوص بما تقدم من الأدلة.

الثالث: ما قاله بعض العلماء: أن المراد بالوحى، الكلام من غير واسطة، وهذا الذى قاله هذا القائل، وإن كان محتملاً، ولكن الجمهور على أن المراد بالوحى هنا، الإلهام والرؤية فى المنام، وكلاهما سُمّى وحيًا.

وأما قوله تعالى: ﴿**أو من وراء حجاب**﴾، فقال الواحدىّ وغيره: معناه غير مجاهر لهم بالكلام، بل يسمعون كلامه سبحانه وتعالى من حيث لا يرونه، وليس المراد أن هناك حجاب يفصل موضعًا عن موضع، ويدل على تحديد المحجوب، فهو بمنزلة ما يسمع من وراء حجاب، حيث لم ير المتكلم، والله أعلم. انتهى.

قال كاتبه - [عفى الله عنه] -: قد تَحصَّل مما تقدم أن فى المسألة ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه رآه ببصره وعينى رأسه، وهو قول أنس بن مالك، وعكرمة، والربيع، وحكاه بعضهم عن عبد الله بن مسعود، وهو المشهور عن عبد الله ابن عبد الله بن عباس، وحكى ابن إسحاق أن مروان سأل أبا هريرة: هل رأى محمد ربه؟ قال: نعم. وحكى النقاش عن الإمام أبى عبد الله أحمد ابن محمد بن حنبل، أنه قال: أنا أقول بحديث ابن عباس بعينه رآه - رآه حتى انقطع نفسه، يعنى نفس أحمد بن حنبل - وإلى هذا ذهب الشيخ أبو الحسن الأشعرى، وجماعة من المتكلمين، أنه رأى الله سبحانه ببصره، وعينى رأسه.

الثانى: أنه رآه بفؤاده وقلبه لا بعينه، وقد روى ذلك عن عبد الله بن عباس، وأبى ذر، وإبراهيم التيمى، وأبى العالية، والربيع بن أنس، وحُكى عن عكرمة، وقاله أحمد بن حنبل، قال: رآه بقلبه، وجَبُن عن القول

برؤيته تعالى فى الدنيا بالأبصار، وعن الإمام مالك بن أنس قال: لم يُرَ فى الدنيا لأنه باق، ولا يُرى الباقى بالفانى، فإذا كان فى الآخرة، رزقوا أبصاراً باقية، رأوا الباقى بالباقى.

قال القاضى عياض: وهذا الكلام حسن مليح، وليس فيه دليل على الاستحالة، إلا من حيث ضعف القوة، فإذا قوَّى الله تعالى من يشاء من عباده، وأقدره على القيام بأعباء الرؤية، لم يمتنع فى حقه.

وقال القاسم أبو عاصم، محمد بن أحمد العبادىّ، فى قول ابن عباس وغيره، رآه بقلبه: وعلى هذا رأى ربه رؤية صحيحة، وهى أن الله تعالى جعل بصره فى فؤاده، وخلق لفؤاده بصراً حتى رأى ربه رؤية صحيحة، كما ترى العين.

وقال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: ومعنى الآية – يعنى قوله: ﴿**ما كذب الفؤاد ما رأى**﴾ – أن الفؤاد رأى شيئًا فصدق فيه ما رأى، أى ما كذب الفؤاد مرئيه، وقرأ أبو عامر: ﴿**ما كذَّب**﴾ بالتشديد، قال المبرد: معناه أنه رأى شيئًا فقبله.

قال الواحدى: وهذا الذى قاله المبرد على أن الرؤية للفؤاد، فإن جعلها للبصر فظاهر، أى ما كذَّب الفؤاد ما رأى البصر، والله أعلم.

الثالث: أنه إنما رأى ليلة الإسراء جبريل، ولم ير رب العزة تعالى، وهو مذهب عائشة، وعبد الله بن مسعود، ويروى عن أبى هريرة، وأبى ذر، رضى الله عنهم.

فظهر مما تقدم، أنه ﷺ رأى جبريل عليه السلام ليلة الإسراء على صورته، وكان قد رآه قبل ذلك فى ابتداء الوحى، منهبطًا من السماء إلى الأرض، على الصورة التى خُلق عليها، وهو المعنىّ بقوله: ﴿**علمه شديد**

القوى * ذو مرة فاستوى * وهو بالأفق الأعلى * ثم [دنا] فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى﴾، فالصحيح من قول المفسرين: أن المتدلى فى هذه الآية، هو جبريل، كما أخرجاه فى الصحيحين عن عائشة، أنها سألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: [ذلك] جبريل، فقد قطع هذا الحديث النزاع و[أزاح] الإشكال، [ولله الحمد].

* * *

فصل فى كلام رسول الله ﷺ

لله عَزَّ وجلَّ ليلة الإسراء

اعلم أن الإله سبحانه وتعالى متكلم، دلّ على ذلك الكتاب و[السنة]، وإجماع الأمة، فالمنكرُ كافرٌ، وكلامه معلوم لكل عاقل ذى قلب سليم، والكيف مجهول، لا يعلمه إلا من سمعه منه، وغيرهم لا برهان لهم به، إن يتبعون إلا الظن.

وقالت الأشاعرة[١]: كلامه معنى واحد، قائم بذاته، مغاير لعلمه وإرادته، وهو طلب فعل، أو طلب ترك، أو الحكم بنفى، أو إثبات.

وقالت المعتزلة[١]: إذا أراد الله شيئًا، أو كرهه، أو حكم به، خلق الأصوات المخصوصة، فى جسم من الأجسام، التى لا يصح أن تتصف بالكلام، لتدل هذه الأصوات على كونه تعالى مريداً لذاك الشئ، أو كارهًا له، أو حاكمًا به، بنفى أو إثبات، وكلامه على هذا، هو خلقه لتلك الأصوات، إلا أن الخلق عندهم نفس المخلوق، فيكون كلامه إذن: هو تلك الأصوات، فلهذا قالوا بأن كلام [الله تعالى] مخلوقٌ، لأن تلك الأصوات مخلوقة، ونفوا أن يقوم بذاته طلب أو حكم.

وقالت الكرامية[١] ومن تبعهم: كلامه لفظ قائم بذاته، وهذا معنى كلام الإمام أحمد رحمه الله، قال الإمام أحمد فى رواية يعقوب والمرزوى: تكلم الله بصوت، وذكر الحديث: إذا تكلم الله بالوحى، سمع صوته أهل السماء، فالأشاعرة والمعتزلة، متفقون على أن اللفظ لا يقوم بذاته تعالى،

---

(١) من الفِرق الإسلامية.

وأنه مخلوق، واختلفوا فى قيام المعنى به، فنفاه المعتزلة كدأبهم فى نفى الصفات، وأثبته الأشاعرة.

واتفق الأشاعرة والكرامية، على أن الكلام يجب أن يقوم بذاته عزَّ وجل، واختلفوا فى ذلك الكلام، فقال الأشاعرة: هو المعنى، وقال الكرامية: هو اللفظ، واتفق الكرامية والمعتزلة على أن كلامه سبحانه يجب أن يكون أصواتًا وحروفًا، واختلفوا بعد ذلك، فقال الكرامية: هو قائم به، وقالت المعتزلة: هو مخلوق فى غيره، ولكل فريق من هذه الفرق الثلاثة احتجاجات، ورد ذكرها فى غير هذا الكتاب، فإذا تقرر ذلك، فاعلم أن السلف والخلف فى أن نبينا محمداً ﷺ، هل كلم ربه سبحانه وتعالى ليلة الإسراء بغير واسطة؟ أم لا؟

فحكى عن الشيخ أبى حسن الأشعرى - رحمه الله - وقوم من المتكلمين، أنه كلَّمه، وعزا بعضهم هذا إلى جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، وإلى عبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس رضى الله [عنهم]، ذكره القاضى عياض.

وأشهر قولى أهل الحديث أنه كلمه ربه تعالى، فسمع خطابه، واستدلوا على ذلك بقوله [فى] حديث الإسراء، فنوديت: أن قد أتممتُ فريضتى وخففتُ عن عبادى، يا محمد، إنه لا يبدّل القول لدى، ،هى خمس، وهى خمسون، قالوا: فمثل هذا لا يقوله إلا رب العالمين، كما فى قوله لموسى: ﴿ **إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى** ﴾(١).

قال علماء السلف وأئمتهم: هذا من أدلّ الدلائل على أن كلام الله غير مخلوق، لأن هذا لا يقوم بذات مخلوقة، وقال جماعة منهم: من زعم أن قوله تعالى: ﴿ **إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى** ﴾، مخلوق، فهو كافر، لأنه

(١) طه: ١٤.

بزعمه يكون ذلك المحل المخلوق، قد دعا موسى عليه السلام إلى عبادته، واستدلوا أيضًا بقوله فى الحديث الذى خرَّجه أبو بكر البزار، من طريق على رضى الله عنه، وقد تقدم ذكره فى ذكر من كان يؤذن لرسول الله ﷺ، وفيه: [إذا] خرج ملك من الحجاب، وأنه أذن، فكان يجاب من وراء الحجاب بقوله: صدق عبدى، أنا أكبر، وبقوله: صدقت، أنا لا إله إلا أنا، وبقوله: أنا أرسلتُ محمداً، وظاهره يقتضى أنه عليه السلام، سمع كلام الله تعالى، ولكن من وراء حجاب، كما قال تعالى: ﴿**وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا أو من وراء حجاب**﴾، أى وهو لا يراه، حجب بصره عن رؤيته.

وقال الأستاذ أبو إسحاق: اتفق أهل [الحق] على أن الله تعالى خلق فى موسى عليه السلام معنى من المعانى، أدرك به كلامه، و[به] كان اختصاصه فى سماعه، وأنه قادر على مثله، فى جميع خلقه، واختلفوا فى نبينا محمد ﷺ [هل سمع فى] ليلة المعراج كلام الله تعالى؟ وهل سمع جبريل [كلامه]؟ على قولين.

* * *

فصل في سفر رسول الله ﷺ إلى الطائف

اعلم أن رسول الله ﷺ سافر - فيما حُفظ من أحواله - إلى الطائف مرتين؛ مرة قبل الهجرة، ومرة بعد الهجرة، فأما التي قبل الهجرة، فإنه خرج بعد موت عمه أبي طالب، وبعد موت زوجته خديجة بنت خويلد، بثلاثة أشهر، ومعه زيد بن حارثة، في شوال سنة عشر من المبعث - في قول الواقدي - ليدعو ثقيفًا إلى نُصرته، فأقام بالطائف عشرة أيام، وقيل: شهراً.

قال ابن إسحاق: ولما هلك أبو طالب، نالتْ قريش من رسول الله ﷺ من الأذى، ما لم تكن تناله منه في حياة عمه أبي طالب، فخرج إلى الطائف يلتمس من ثقيف النُّصْرَةَ والمنعة بهم من قومه، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله [عزَّ وجلَّ] فخرج إليهم وحده.

قال: فحدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي، قال: لما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف، عَهِد إلى نفر من ثقيف، هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم، وهم إخوة ثلاثة: عبد ياليل بن عمرو بن عُمير، ومسعود ابن عمرو بن عُمير، وحبيب بن عمرو بن عُمير بن عوف بن عُقدة [بن] غِيَرة بن عوف بن ثقيف، وعند أحدهم امرأة من قريش، من بني جُمَح، فجلس إليهم [رسول الله ﷺ][1]، فدعاهم إلى الله، وكلمهم بما جاءهم له من نُصرته على الإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه.

فقال أحدهم - وهو يمرط[2] ثياب الكعبة - : إن كان الله أرسلك! وقال

---

(١) زيادة للسياق من (سيرة ابن هشام).

(٢) يمرط: ينزع ويرمي.

الآخر: أما وجد الله أحداً يرسله غيرك؟ وقال الثالث: والله لا أكلمك أبداً، لئن كنت رسولاً من الله كما تقول، لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله، ما ينبغي لي أن أكلمك، فقام رسول الله ﷺ من عندهم، و[قد] يئس من خير ثقيف، وقد قال لهم - فيما ذُكر لي - : إذا فعلتم ما فعلتم، فاكتموا عني[1].

وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ ذلك قومه، فيذئرهم[2] ذلك عليه، فلم يفعلوا، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم، يسبونه، ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس، [وألجأوه][3] إلى حائط[4] لعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وهما فيه، ورجع عنه سفهاء ثقيف من كان يتبعه، فعهد إلى ظل حَبَلةٍ[5] من عنب فجلس فيه، وابنا ربيعة ينظران إليه، ويريان ما لقي من سفهاء أهل الطائف.

وقد لقي رسول الله ﷺ - فيما ذكر لي - المرأة [التي][6] من بني جُمح، فقال لها: ماذا لقينا من أحمائك؟ فلما اطمأن، قال - فيما ذكر لي-: اللهم إليك [أشكو] ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين أنت، رب المستضعفين، وأنت ربيّ، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني[7]؟ أو إلى عدوّ ملكته أمري، إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بوجهك الذي أشرقت له

---

(١) (سيرة ابن هشام): ٢/ ٢٦٧.

(٢) يذئرهم: يثيرهم.

(٣) زيادة للسياق من (المرجع السابق).

(٤) حائط: حديقة أو بستان.

(٥) حبلة: شجرة العنب.

(٦) زيادة للسياق من (المرجع السابق).

(٧) تجهم فلانًا: أي استقبله بوجه قبيح.

الظلمات، وصُلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تُنزل بى غضبك، أو يحل علىّ سخطُك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك.

فلما رآه ابنا ربيعة - عتبة وشيبة - وما لقى، تحركت له رحمهما(١)، فدعَوا غلامًا لهما نصرانيًا، يقال له: عَدَّاس، فقالا له: خُذ قطفًا من هذا العنب، فضعه فى هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل، فقل له يأكل منه، ففعل عدَّاس، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدى رسول الله ﷺ، ثم قال له: كل، فلما وضع رسول الله ﷺ يده فيه قال: باسم الله، ثم أكل، فنظر عَدَّاس فى وجهه ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال رسول الله ﷺ: ومن أهل أى البلاد أنت يا عَدَّاس؟ وما دينك؟ قال: نصرانىّ، وأنا رجل من أهل نِينَوَى، فقال له رسول الله ﷺ: من قرية الرجل الصالح يونس بن متَّى؟ فقال له عَدَّاس: وما يدريكك ما يونس بن متى؟ قال: ذلك أخى كان نبيًا، وأنا نبى، قال: فأكبّ عَدَّاس على رسول الله ﷺ يقبّل رأسه، ويديه، و[قدميه](٢).

قال: يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه: أما غلامك، فقد أفسد عليك، فلما جاءهما عداس قالا له: ويلك يا عداس، ما لك تقبل رأس هذا الرجل، ويديه، وقدميه؟! قال: يا سيدى! ما فى الأرض [شئ](٣) خير من هذا، لقد أخبرنى بأمر ما يعلمه إلا نبى، قال: ويحك ياعداس! لا يصرفنّك عن دينك، فإن دينك خير من دينه.

ثم إن رسول الله ﷺ انصرف من الطائف راجعًا إلى مكة، حين يئس من

---

(١) الرحم: شرعًا، الصلة والقرابة.

(٢) زيادة للسياق من (سيرة ابن هشام)، وقال فى هامشها: فى قصة عداس غلام بنى ربيعة من فقه السنة: قبول هدية المشرك، وأن لا يتورع عن طعامه، وفيه تعجب عداس لمعرفة النبى ﷺ أخبار يونس ابن متى، وهو ﷺ أمىّ، وفى أمّة أمّية ﷺ.

(٣) زيادة للسياق من (المرجع السابق).

خير ثقيف، حتى إذا كان بنخلة[1]، قام من جوف الليل يصلى، فمرّ به النفر من الجن الذين ذكر الله تبارك وتعالى، وهم - فيما ذكر لى - سبعة نفر من جن نصيبين، فاستمعوا له، فلما فرغ من صلاته، ولَّوْا إلى قومهم منذرين، قد آمنوا، وأجابوا إلى ما سمعوا، فقصَّ الله خبرهم عليه [ﷺ][2]، فقال [تعالى][2]: ﴿ **وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولَّوْا إلى قومهم منذرين * قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أُنزل من بعد موسى مصدقًا لما بين يديه ويهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم * يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم** ﴾[3].

وقال [تعالى][2]: ﴿ **قل أوحىّ أنه استمع نفر من الجن** ...... ﴾[4] إلى آخر القصة، من خبرهم فى هذه السورة[5]، وأما خروجه ﷺ إلى الطائف بعد الهجرة، فسيأتى فى فتح مكة إن شاء الله تعالى.

---

(١) نخلة: اسم وادى.

(٢) زيادة للسياق من (المرجع السابق).

(٣) الأحقاف: ٢٩-٣١.

(٤) الجن: أول سورة الجن.

(٥) (سيرة ابن هشام): ٢ : ٢٦٦ - ٢٦٩، سعى رسول الله ﷺ إلى الطائف، وموقف ثقيف منه، وشكواه إلى الله تعالى، وقصته مع عَدَّاس.

فصل فى خروج رسول الله ﷺ

إلى عُكاظ، ومجنّة، وذى المجاز

اعلم أنه كانت للعرب أسواق يجتمعون بها فى تجاراتهم، ويجتمع إليها سائر الناس، فإذا انقضت لا يصل إليها أحد، ولا يرجع منها أحد إلا بخفيه، وكانت أعظم هذه الأسواق [عشرة أسواق]، منها ما يقوم فى أشهر الحُرم، ثم لا يقوم إلى مثل ذلك من قابل، ومنها ما لا يقوم فى أشهر الحُرم ويقوم فى غيرها.

فمن الأسواق العشرة: عكاظ، فى أعلا نجد، قريب من عرفات، وكانت تقوم فى النصف من ذى القعدة، وكانت من أعظم أسواق العرب، وكانت قريش تنزلها، وهوازن، وغطفان، والأحابيش - وهم الحرث [من بنى](١) عبد مناة، وعَضَل، والمصطلق، وطوائف أفناء العرب، فإذا نزلوها فى نصف ذى القعدة، لا يبرحون حتى [يروا](١) هلال ذى الحجة، فإذا رَأَوْهُ انقشعت.

وكان قيامها فيما بين نخلة والطائف، بينها وبين الطائف عشرة أيام، وبها نخل وأموال لثقيف، ولم يكن فيها عشور(٢) ولا خفارة(٣)، وكانت فيها أشياء ليست فى شئ من أسواق العرب، كأن يوافى [بالأسرى](١)

---

(١) زيادة للسياق.

(٢) عَشَرَ القوم يعْشُرهم عُشراً بالضم، وعشوراً، وعشَّرَهم: أخذ عُشر أموالهم، والعشَّار: قابض العُشر. (لسان العرب): ٤ / ٥٧٠.

(٣) الخفير: المجير، فكل واحد منهم مجير لصاحبه، والاسم من ذلك كله الخُفْرة، والخُفارة: الأمان وخفير القوم: مُجيرهم الذى يكونوا فى ضمانه ماداموا فى بلاده. (المرجع السابق): ٢٥٣.

فيفادون بها، وكان بيعهم فى السرار، وإذا وجب البيع [وعند التاجر فيها ألف ممن يريد الشراء، ومن لا يريد أشركه فى الربح](١).

خرَّج البيهقىّ من حديث سفيان بن عيينة ، عن أبى حمزة الثمالى، عن سعيد بن جبير، عن عبد الله بن عباس رضى الله [عنهما] قال : قدم وفد إياد على رسول الله ﷺ ، فسألهم عن قُس بن ساعدة الإيادى فقالوا : هلك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ : لقد شهدتُه فى الموسم بعكاظ، وهو على جمل له أحمر، أو على ناقة حمراء، وهو ينادى فى الناس، فذكره(٢).

وقال جابر بن عبد الله : مكث رسول الله ﷺ عشر سنين يتتبّع الناس فى منازلهم بعكاظ ومجنه، وفى [المواسم](٣)، ويقول : من يؤوينى؟ من ينصرنى؟

ومجنة سوق من أسواق العرب، بين عكاظ وذى المجاز، كانت بأسفل مكة، على بريد منها، وهى سوق لكنانة، وأرضها من أرض كنانة.

وخرَّج الدارقطنى من حديث ابن نمير، عن يزيد بن زياد بن أبى الجعد [قال](٤): حدثنا أبو ضمرة جامع بن شداد، عن طارق بن عبد الله المحاربى، قال : رأيت رسول الله ﷺ مرتين؛ مرة بسوق ذى المجاز، وأنا فى تباعة لى – هكذا قال – أبيعها، فمرّ وعليه حلة حمراء، وهو ينادى

---

(١) ما بين الحاصرتين سقط من (خ)، واستدركناه من (ج).

(٢) (دلائل البيهقى) : ٢ / ١٠٢ ، حديث قُسّ بن ساعدة بن عمرو بن عدىّ بن مالك، من بنى إياد، أحد حكماء العرب، ومن كبار خطبائهم فى الجاهلية، ويقال : إنه أول عربى خطب متوكئًا على سيف، أو عصا، وأول من قال فى كلامه : أما بعد، وكان يفد على قيصر الروم زائرًا فيعظمه، ويكرمه، وهو معدود فى المعمرين، طالت حياته، وأدركه النبى ﷺ قبل النبوة، ورآه فى عكاظ، وسئل عنه بعد ذلك، فقال : يُحشر أمة واحدة، خطب الناس بعكاظ وبشرهم بمبعث النبى ﷺ، وحثهم على اتباعه، وذلك قبل البعثة.

(٣) زيادة للسياق.

(٤) زيادة للسياق من (سنن الدارقطنى).

[بأعلى] صوته : [يا أيها](١) الناس! قولوا : لا إله إلاَّ الله تُفلحوا، ورجل يتبعه بالحجارة، قد أدمى كعبيه وعرقوبيه، وهو يقول : [يا أيها] الناس! لا تطيعوه فإنه كذاب، قلت : من هذا؟ قالوا : هذا غلام [بنى](١) عبد المطلب، قلت : من هذا الذى يتبعه يرميه؟ قالوا : عمه عبد العُزَّى – وهو أبو لهب –.

فلما ظهر الإسلام، وقدم المدينة، أقبلنا فى ركب من الربذة، وجنوب الربذة، حتى نزلنا [قريبًا](١) من المدينة، ومعنا ظعينة لنا، فبينا نحن قعود، إذ أتانا رجل عليه ثوبان أبيضان، فسلَّم، فرددنا عليه، فقال : من أين أقبل القوم؟ قلنا : من [الربذة](٢)، وجنوب الربذة، [قال : ومعنا](٢) جمل أحمر، قال : تبيعونى جملكم؟ قلنا نعم، قال : بكم؟ قلنا : بكذا و[كذا](٢) صاعًا من تمر، قال : فما استوضَعَنا شيئًا، وقال : قد أخَذْتُه.

ثم أخذ برأس الجمل حتى دخل المدينة، فتوارى عنا، فتلاومنا بيننا، وقلنا : أعطيتم جملكم من لا تعرفونه، فقالت الظعينة : لا تلاوموا، فقد رأيت وجه رجل ما كان ليحقركم، ما رأيت وجه رجل أشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه، فلما كان العشاء أتانا رجل فقال : السلام عليكم، أنا رسول رسول الله ﷺ إليكم، وأنه أمركم أن تأكلوا من هذا حتى تشبعوا، وتكتالوا حتى تستوفوا.

قال : فأكلنا حتى شبعنا، واكتلنا حتى استوفينا، فلما كان من الغد دخلنا المدينة، فإذا رسول الله ﷺ قائم على المنبر، يخطب الناس وهو يقول : يد المعطى [العليا](٢)، وابدأ بمن تعول، أمَّك وأباك، وأختك وأخاك، وأدناك أدناك، فقام رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله! هؤلاء بنو ثعلبة بن يربوع الذين قتلوا فلانًا فى الجاهلية، فخُذْ لنا بثأرنا، فرفع يديه

(١ ، ٢) زيادة للسياق من (سنن الدارقطنى).

حتى [رأينا](١) بياض إبطيه، فقال: ألا لا يجنى والد على ولده(٢). [وخرجه الحاكم وابن حبان](٣).

[وذكر ابن سعد عن عبد الله بن عون، عن عمرو بن سعيد، أن أبا طالب قال: كنتُ بذى المجاز مع ابن أخى - يعنى النبى ﷺ - فأدركنى العطش فشكوتُ إليه، فقلت: يا ابن أخى! قد عطشت - وما قلتُ له ذاك وأنا أرى أن عنده شيئًا إلا الجزع - قال: فثنى وركه، ثم نزل فقال: يا عم! أعطشت؟ قال: قلت: نعم، قال: فأهوى بعقبه إلى الأرض، فإذا [بالماء]، قال: اشرب يا عم، قال: فشربت](٤).

[وروى عبد الله بن الأجْلح، عن الكلبى، عن أبى صالح، عن ابن عباس، عن العباس رضى الله عنه قال: قال لى رسول الله ﷺ: يا عباس، لا أرى لى عندك ولا عند بنى أبيك ممنعة، فهل أنت مخرجى إلى السوق غداً، حتى تعرفنى منازل قبائل الناس؟ قلتُ: نعم، قال: فخرجتُ به، فأتيتُ به سوق عكاظ - وكانت مجمع العرب - قال: فقلت هذه كندة ولفها، وهى أفضل من يحج البيت من اليمن، وهذه منازل بكر بن وائل، وهذه منازل بنى عامربن صعصعة، فاختر لنفسك، قال: فبدأ بكندة، فأتاهم، فقال: ممن [القوم]؟ فقالوا: من أهل اليمن، قال: من أى اليمن؟ قالوا: من كندة، قال: من أى كندة؟ قالوا: من بنى عمرو بن معاوية، قال: فهل لكم إلى خير؟ قالوا: وما هو؟ قال: تشهدون أن لا إله إلا الله، وتقيمون الصلاة،

---

(١) زيادة للسياق من (سنن الدارقطنى).

(٢) (سنن الدارقطنى): ٣/ ٤٤-٤٥، كتاب البيوع، حديث رقم (١٨٦).

(٣) (الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان): ٨/ ١٣٠-١٣١، كتاب الزكاة، باب (٩) صدقة التطوع، حديث رقم (٣٣٤١) وأخرجه النسائى فى الزكاة، باب أيتهما اليد العليا؟ عن يوسف بن عيسى، عن الفضل بن موسى بهذا الإسناد، وهو إسناد صحيح.

(٤) (طبقات ابن سعد): ١/ ١٥٢-١٥٣، ذكر علامات النبوة فى رسول الله ﷺ قبل أن يوحى إليه.

وتؤمنون بما جاء به من عند الله].

[قال ابن الأجلح: وحدثني أبي عن أشياخ قومه، أن كندة قالت له: إن ظفرت تجعل لنا الملك من بعدك، قال رسول الله ﷺ: الملك لله يجعله حيث شاء، قالوا: لا حاجة لنا فيما جئتنا به. قال الكلبي في حديثه: فقال جئتنا لتصدنا عن آلهتنا، وتنابذ العرب، ألحق بقومك، فلا حاجة لنا بك].

[فانصرف رسول الله ﷺ من عندهم، فأتى بكر بن وائل فقال: ممن القوم؟ قالوا: من بكر بن وائل، قال: من أي بكر بن وائل؟ قالوا: من بني قيس بن ثعلبة، قال: كيف [الغلبة]؟ قالوا: كثير مثل الثرى، قال: فكيف المنعة؟ قالوا: لا منعة، جاورنا فارس، فنحن لا نمنع منهم، ولا نجير عليهم، قال: فتجعلون لله عليكم إن هو أبقاكم حتى تنزلوا منازلهم، وتستنكحوا نساءهم، وتستعبدوا أبناءهم، أن تسبحوا الله ثلاثًا وثلاثين، وتحمدوه ثلاثًا وثلاثين، وتكبروه ثلاثًا وثلاثين، قالوا: ومن أنت؟ قال: أنا رسول الله ﷺ، ثم انطلق عنهم].

[وكان عمه أبو لهب يتبعه، فيقول للناس: لا تسمعوا منه، ولا تقبلوا قوله، قال: ثم مرَّ أبو لهب فقالوا: هل تعرف هذا الرجل؟ قال: نعم، هذا في الذروة منّا، أيَّ شأنه تسألوني؟ فأخبروه بما دعاهم، وقالوا: زعم أنه رسول الله، قال: لا ترفعوا لقوله رأسًا، فإنه مجنون، يهذى من أم رأسه، قالوا: لقد رأينا ذلك، حيث ذكر من أمر فارس ما ذكر].

[وروى يزيد بن هارون، عن جرير بن عثمان، عن سليم بن عامر، عن عمرو بن عبسة، قال: أتيتُ النبي ﷺ بعكاظ فقلت: من تبعك على هذا الأمر؟ قال: حرٌ وعبد].

[وروى أبو الزبير عن جابر، أن النبي ﷺ مكث سبع سنين، يتبع الحاج

في منازلهم في المواسم، بعكاظ ومجنة، يعرض عليهم الإسلام، وبعكاظ رأى رسول الله ﷺ قُسّ بن ساعدة، وحفظ كلامه].

[وخرج] الحاكم من حديث يونس بن بكير، حدثنا يزيد بن زياد بن أبي الجعد، عن جامع بن شداد، عن طارق [بن] عبد الله المجازى، قال: رأيتُ رسول الله ﷺ مرتين(١)؛ رأيتُه بسوق ذى المجاز - وأنا فى بياعة لى - فمرّ وعليه حلة حمراء، فسمعتُه يقول: يا أيها الناس! قولوا: لا إله إلا الله، تفلحوا، ورجل يتبعه يرميه بالحجارة، قد أدمى كعبيه، وهو يقول: يا أيها الناس، لا تطيعوا هذا فإنه كذاب، فقلت: من هذا؟ فقيل: هذا غلام من بنى عبد المطلب، قلت: من الرجل الذى يرجمه؟ قيل لى: هو عمه عبد العُزَّى أبو لهب.

فلما أظهر الله الإسلام خرجنا من الربذة، ومعنا ظعينة لنا، حتى نزلنا قريبًا من المدينة، فبينا نحن قعود، إذ أتانا رجل عليه ثوبان، فسلم علينا وقال: من أين القوم؟ فقلنا: من الربذة، ومعنا جمل أحمر، فقال: تبيعوننى الجمل؟ فقلنا: نعم، فقال: بكم؟ فقلنا: بكذا وكذا صاعًا من تمر، قال: أخذته وما استقضى، فأخذ بخطام الجمل، فذهب به حتى توارى فى حيطان المدينة، فقال بعضنا لبعض: تعرفون الرجل؟ فلم يكن منا أحد يعرفه، فلام القوم بعضهم بعضًا، فقالوا: أتعطون جملكم من لا تعرفون؟ فقالت الظعينة: لا تلاوموا، فلقد رأيتُ وجه رجل لا يغدرنكم، ما رأيتُ شيئًا أشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه.

فلما كان العشىّ، أتانا رجل فقال: السلام عليكم ورحمة الله، أنتم الذين جئتم من الربذة؟ قلنا: نعم، قال: أنا رسول رسول الله ﷺ إليكم، وهو يأمركم أن تأكلوا من هذا التمر حتى تشبعوا، وتكتالوا حتى

---

(١) فى (المستدرك): «مرّ بسوق ذى المجاز».

تستوفوا، فأكلنا من التمر حتى شبعنا، واكتلنا حتى استوفينا.

ثم أتينا المدينة من الغد، فإذا رسول الله ﷺ قائم يخطب الناس على المنبر، فسمعته يقول: يد المعطى العليا، وابدأ بمن تعول، أمَّك وأباك، وأُختك وأخاك، وأدناك أدناك، وثمَّ رجلٌ من الأنصار فقال: يا رسول الله! هؤلاء [بنو] ثعلبة بن يربوع، الذين قتلوا فلانًا فى الجاهلية، فخُذْ لنا ثأرنا، فرفع رسول الله [ﷺ] يديه حتى رأيتُ بياض إبطيه فقال: لا تجنى أم على ولد، لا تجنى أم على ولد، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد(١).

ولأبى نعيم من حديث محمد بن عثمان بن أبى شيبة قال: [حدثنا] محمد بن [مكاره، حدثنا] ابن أبى الزياد، قال: حدثنى أبى قال: رأيتُ رجلاً يقال له: ربيعة بن عباد، قال: رأيتُ رسول الله ﷺ يمر فى فجاج ذى المجاز وهو يقول: يا أيها الناس! قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا، قال: فما يؤذيه أحدٌ إلا أنهم يتبعونه، قال: فقالوا: هذا ابن عبد الله بن عبد المطلب، إلا رجلٌ أحول، وضئ، ذو غديرتين، يتبعه فى فجاج ذى المجاز وهو يقول: إنه صابئ كاذب، قال: فقلنا: من هذا؟ قالوا: عمه أبو لهب.

قال أبو نعيم: ورواه زيد بن أسلم، وسعيد بن خالد القارط، وحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، فى آخرين، عن ربيعة(٢).

---

(١) (المستدرك): ٢/ ٦٦٨-٦٦٩، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، حديث رقم (٤٢١٩) وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): روى ابن أبى شيبة بعضه، وابن ماجة بعضه.

(٢) أخرجه أبو نعيم فى (دلائل النبوة): ٢٩٢ - ٢٩٣ مطولا، وبسياقه أتم من هذه التى اختصرها المقريزى، وزاد أبو نعيم فى آخرها: قال الشيخ رحمة الله عليه: ومن القبائل التى سماهم الواقدى أنه عليه السلام عرض عليهم نفسه، ودعاهم إلى الإسلام: بنو عامر، وغسَّان، وبنو فزارة، وبنو مرة، وبنو حنيفة، وبنو سُلَيم، وبنو عبس، وبنو نصر من هوازن، وثعلبة بن العكابة، وكِنْدة، وكلب، وبنو الحارث بن كعب، وبنو عُذرة، وقيس بن الخطيم، وأبو الجيش أنس بن رافع [أو ابن رافع].

وأخرجه أيضًا ابن سعد فى (الطبقات): ١/ ٢١٦، ذكر دعاء رسول الله ﷺ قبائل العرب فى المواسم.

فصل فى ذكر هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة

خرَّج البخارى فى آخر كتاب الكفالة، فى باب جوار أبى بكر فى عهد النبى ﷺ، وفى كتاب الهجرة، من حديث الليث عن عقيل، قال [ابن] شهاب: فأخبرنى عروة بن الزبير، أن عائشة [رضى الله عنها]، زوج النبى ﷺ قالت: لم أعقل أبوَىّ إلا وهما يدينان الدين، ولم يمرّ علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفى النهار، بكرة وعشية.

فلما ابتُلى المسلمون، خرج أبو بكر [رضى الله عنه] مهاجراً نحو أرض الحبشة، حتى إذا بلغ بَرْكَ الغماد، لقيه ابن الدَّغنَّة - وهو سيد القارة - [فقال]: أين تريد يا أبا بكر؟ [فقال] أبو بكر: أَخْرَجَنى قومى، فأريد أن أسيح فى الأرض وأعبد ربى، فقال ابن الدَّغِنّة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يُخرج؛ أنت تكسب المعدوم، وتصل الرحم وتحمل الكَلّ، وتُقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق، فأنا لك جار، ارجع واعبد ربك ببلدك، فرجع، وارتحل معه ابن الدَّغنّة [فطاف ابن الدَّغنّة][(1)] عشية فى أشراف قريش؛ فقال لهم: إن أبا بكر لا يَخرج ولا يُخرج، أتُخرجون رجلاً يُكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكَلَّ، ويقرى الضيف، ويعين على نوائب الحق، فلم تُكذبْ [قريش][(1)] بجوار ابن الدَّغِنّة.

وقالوا لابن الدَّغنّة: مُرْ أبا بكر فليعبد ربَّه فى داره، فليصلّ فيها، وليقرأ [ما شاء] ولا يؤذينا بذلك، ولا يستعلن به، فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فقال ذلك ابن الدَّغِنّة لأبى بكر، فلبث أبو بكر [رضى الله عنه]، يعبد ربه فى داره، ولا يستعلن بصلاته، ولا يقرأ فى غير داره.

---

(1) زيادة للسياق من (البخارى).

ثم بدا لأبى بكر، فابتنى مسجداً بفناء داره، وكان يصلى فيه، ويقرأ فيه القرآن، [فيتقذّف] عليه نساء المشركين وأبناؤهم، يعجبون منه وينظرون إليه.

وكان أبو بكر رجلاً بكاءاً، لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدَّغنّة، فقدم عليهم، فقالوا: إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك، على أن يعبد ربه فى داره، فقد جاوز ذلك، فابتنى مسجداً بفناء داره، فأعلن بالصلاة والقراءة فيه، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فانهه، فإن أقام على أن يعبد ربه فى داره فعل، وإن أبى إلا أن يُعلن ذلك، فسله أن يرد ذمتك، فإنا قد كرهنا أن نخفرك، ولسنا مقرين لأبى بكر الاستعلان.

قالت عائشة: فأتى ابنُ الدَّغِنّة أبا بكر [رضى الله عنه] فقال: قد علمت الذى عاقدت لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك، وإما أن تُرجع إلىَّ ذمتى، فإنى لا أحب أن تسمع العرب أنى أُخفرتُ فى رجل عقدت له، فقال أبو بكر: إنى أرد إليك جوارك، وأرضى بجوار الله، والنبى ﷺ يومئذ بمكة.

فقال النبى ﷺ [للمسلمين][1]: إن أُريتُ دار هجرتكم، ذات نخل بين لابتين، وهما الحرَّتان، فهاجر من هاجر قِبَل المدينة، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة، وتجهَّز أبو بكر قِبَل المدينة، فقال له ﷺ: على رسلك، فإنى أرجو أن يؤذن لى، فقال أبو بكر [رضى الله عنه]: وهل ترجو ذلك؟ بأبى أنت! قال: نعم، [فحبس] أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه، وعلف راحلتين [كانتا][1] عنده، ورق السمر – وهو الخبط

---

(١) زيادة للسياق من (البخارى).

- أربعة أشهر[١].

زاد فى كتاب الهجرة: قال ابن شهاب: قال عروة: قالت عائشة رضى الله عنها: فبينما نحن يومًا جلوس فى بيت أبى بكر فى نحو الظهيرة، وقال قائل لأبى بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنعًا، فى ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر [فداءًا] له أبى وأمى، ما جاء به فى هذه الساعة إلا أمر؟! قالت: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن، فأُذن له، فدخل، فقال النبى ﷺ لأبى بكر: أَخْرج مَنْ عِنْدَك، فقال أبو بكر: إنما هُم أهلك، بأبى أنت وأمى يا رسول الله، قال: فإنى قد أُذن لى فى الخروج، فقال أبو بكر: الصحابة، بأبى أنت وأمى يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: نعم، قال أبو بكر، فخذ بأبى أنت يا رسول إحدى راحلتىّ هاتين، قال: رسول الله ﷺ: بالثمن.

قالت عائشة: فجهَّزناهما أحسن الجهاز، وصنعنا لهما سفرة فى جراب، فقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها، فربطت به على فم الجراب، فبذلك سمّيت: ذات النّطاقين. قالت: ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار فى جبل ثور، فمكثا فيه ثلاث ليال، يبيت عندهما عبد الله بن أبى بكر، وهو غلام شاب، ثقف، لقن، فيدلج من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة - كبائت، فلا يسمع أمرًا يُكادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة - مولى أبى بكر - منحة من غنم، فيريح عليهما حين تذهب ساعة من العشاء، فيبيتان فى رسل، وهو لبن منحتهما ورضيفهما، حتى ينعق بهما عامر بن فهيرة بغَلَس، يفعل ذلك كل ليلة من تلك الليالى الثلاث.

واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بنى الديل، وهو من بنى عبد

(١) (فتح البارى): ٤/ ٥٩٩ - ٦٠٠، كتاب الكفالة، باب (٤) جوار أبى بكر رضى الله عنه فى عهد النبى ﷺ وعهده، حديث رقم (٢٢٩٧).

ابن عدىّ، هاديًا خرّيتًا – والخِرّيت: الماهر بالهداية – قد غمس حلفًا فى آل العاصى بن وائل السهمى، وهو على دين كفار قريش، فأمناه، فدفعا إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صُبح ثلاث ليال، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل، فأخذ بهم طريق السواحل(١).

---

(١) (فتح البارى): ٧/ ٢٩١-٢٩٣، كتاب مناقب الأنصار، باب (٤٥) هجرة النبى ﷺ وأصحابه إلى المدينة، حديث رقم (٣٩٠٥).

قوله: «برك الغماد»: موضع باليمن.

قوله: «ابن الدَّغِنّة»: فتح الغين، وقيل: إن ذلك كان لاسترخاء فى لسانه، والصواب الكسر، وثبت بالتخفيف والتشديد من طريق، وهى أمه، وقيل: أم أبيه، وقيل: دابته، ومعنى الدغنه المسترخية، وأصلها الغمامة الكثيرة المطر.

واختلف فى اسمه؛ فعند البلاذرى من طريق الواقدى، عن معمر عن الزهرى أنه الحارث بن يزيد، وحكى السهيلى أن اسمه مالك، وقيل غير ذلك.

قوله: «وهو سيد القَارَة»، بالقاف وتخفيف الراء، وهى قبيلة مشهورة من بنى الهون – بالضم والتخفيف – ابن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مُضر، وكانوا حلفاء بنى زهرة من قريش، وكانوا يُضرب بهم المثل فى قوة الرمى.

قوله: «أخرجنى قومى» ، أى تسببوا فى إخراجى.

قوله: «فاريد أن أسيح»، بالمهملتين، لعلّ أبا بكر طوى عن ابن الدَّغنَّة تعيين جهة مقصدة لكونه كافرًا، وإلا فقد تقدم أنه قصد التوجه إلى أرض الحبشة، ومن المعلوم أنه لا يصل إليها من الطريق التى قصدها، حتى يسير فى الأرض وحده زمانًا، فيصدق أنه سائح، ولكن حقيقة السياحة أن لا يقصد موضعًا بعينه يستقر فيه.

قوله: «وتكسب المعدوم» – أو المعدم فى رواية – وقد تقدم شرح هذه الكلمات فى حديث بدء الوحى، وفى موافقة وصف ابن الدغنة لأبى بكر رضى الله عنه بمثل ما وصفت به خديجةُ النبىَّ ﷺ ما يدل على عظيم فضل أبى بكر، واتصافه بالصفات البالغة فى أنواع الكمال.

قوله: «وأنا جارٌ لك»، أى مُجير أمنع من يؤذيك.

قوله: «فيتقذَّف» بالمثناة والقاف والذال المعجمة الثقيلة، أى يزدحمون عليه حتى يسقط بعضهم على بعض فيكاد ينكسر.

قوله: «بكّاء» بالتشديد أى كثير البكاء.

قوله: «لا يملك عينيه»، أى لا يطيق إمساكها عن البكاء من رقة قلبه، وقوله: «إذا قرأ»، إذا =

= ظرفية، والعامل فيه لا يملك، أو هى شرطية والجزاء مقدر.

قوله: «فافزع ذلك» أى أخاف الكفار لما يعلمونه من رقة قلوب النساء والشباب أن يميلوا إلى دين الإسلام.

قوله: «نُخفرله» بضم أوله وبالخاء المعجمة وكسر الفاء، أى نغدر بك، يقال: خفره إذا حفظه، وأخفره إذا غدر به.

قوله: «مقرين لأبى بكر الاستعلان» أى لا نسكت عن الإنكار عليه للمعنى الذى ذكروه من الخشية على نسائهم وأبناءهم أن يدخلوا فى دينه.

قوله: «وأرضى بجوار الله» أى أمانته وحمايته، وفيه جواز الأخذ بالأشد فى الدين - وقوة يقين أبى بكر رضى الله عنه.

قوله: «ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة»، أى لما سمعوا باستيطان المسلمين المدينة، رجعوا إلى مكة، فهاجر إلى أرض المدينة معظمهم لا جميعهم، لأن جعفراً ومن معه تخلفوا فى الحبشة، وهذا السبب فى مجئ مهاجرة الحبشة غير السبب المذكور فى مجئ من رجع منهم أيضاً فى الهجرة الأولى، لأن ذاك كان بسبب سجود المشركين مع النبى ﷺ والمسلمين فى سورة النجم، فشاع أن المشركين أسلموا وسجدوا، فرجع من رجع من الحبشة، فوجدوهم أشدّ ما كانوا.

قوله: «الخَبْط» بفتح المعجمة والموحدة ما يخبط بالعصا فيسقط من ورق الشجر. قاله ابن فارس.

قوله: «فى نحر الظهيرة»، أى أول الزوال، وهو أشدّ ما يكون فى حرارة النهار، والغالب فى أيام الحر القيلولة فيها، وفى رواية ابن حبان: «فأتاه ذات يوم ظهراً»، وفى حديث أسماء بنت أبى بكر عند الطبرانى: «كان يأتينا بمكة كل يوم مرتين بكرةً وعشية، فلما كان يوم من ذلك جاءنا فى الظهيرة، فقلت: يا أبت هذا رسول الله ﷺ.

قوله: «هذا رسول الله مُتَقَنِّعًا»، أى مغطيًا رأسه، وفى رواية موسى بن عقبة عن ابن شهاب، قالت عائشة: «وليس عند أبى بكر إلا أنا وأسماء».

وفى هذا الحديث جواز لبس الطيلسان، وجزم ابن القيم بأن النبى ﷺ لم يلبسه ولا أحد من أصحابه، وأجاب عن الحديث بأن التقنع يخالف التطليس.

قال: ولم يكن يفعل التقنع عادة بل للحاجة، وتعقب بأن فى حديث أنس: «أن النبى ﷺ كان يكثر التقنع». وفى (طبقات ابن سعد) مرسلاً: «ذكر الطيلسان لرسول الله ﷺ فقال: هذا ثوب لا يؤدى شكره».

قوله: «ثقف» بفتح المثلثة وكسر القاف، ويجوز إسكانها وفتحا وبعدها فاء» الحاذق، تقول: ثقفتُ الشئ إذا أقمت عوجه.

قوله: «لقن» بفتح اللام وكسر القاف بعدها نون، اللَّقِنُ: السريع الفهم. =

قال ابن شهاب : فأخبرنى عبد الرحمن بن مالك المدلجى – وهو ابن أخى سراقة بن مالك بن جعشم – أن أباه أخبره أنه سمع سراقة بن جعشم يقول : جاءتنا رسل كفار قريش، يجعلون فى رسول الله ﷺ وأبى بكرٍ دِيَةَ، كل واحد منهما لمن قَتَلهُ أو أَسَرَهُ، فبينما أنا جالس فى مجلس من مجالس قومى بنى مُدلج، إذ أقبل رجل منهم، حتى قام علينا ونحن جلوس، فقال : يا سُراقة : إنى رأيت قد آنفًا أَسْوِدَةً بالساحل، أراها محمداً وأصحابه، قال سراقة : فعرفتُ أنهم هم، فقلت له : إنهم ليسوا هم، ولكنك رأيتَ فلانًا وفلانًا، انطلقا بأعيننا، ثم لبثتُ فى المجلس ساعة، ثم قمتُ فدخلت، فأمرتُ جاريتى أن تخرج بفرسى، وهى من وراء أكمة فتحبسها علىّ، وأخذتُ رمحى فخرجتُ به من ظهر البيت، فحططتُ بزُجِّه الأرض، وخَفَضْتُ عاليه، حتى أتيتُ فرسى فركبتُها، فرفعتُها تقرب بى حتى دنوتُ منهم، فَعَثَرتْ بى فرسى، فخررتُ عنها، فقمتُ، فأهويتُ يدى إلى

= قوله : « فيدَّلج » بتشديد الدال بعدها جيم، أى يخرج بسحر إلى مكة.

قوله : « فيصبح مع قريش بمكة كبائت » أى مثل البائت، يظنه من لا يعرف حقيقة أمره لشدة رجوعه بغلس.

قوله : « يكتادان به » فى رواية الكشميهنى : « يكادان به » بغير مثناة، أى يطلب لهما فيه المكروه، وهو من الكيد.

قوله : « رضيفهما » بفتح الراء وكسر المعجمة، بوزن رغيف، أى اللبن المرضوف، أى التى وضعت فيه الحجارة المحماة بالشمس أو النار، لينعقد وتزول رخاوته، وهو بالرفع، ويجوز الجر.

قوله : « حتى ينعق بها عامر » ينعق بكسر العين المهملة أى يصيح بغنمه، والنعيق صوت الراعى إذا زجر الغنم.

قوله : « والخريت الماهر بالهداية » قال ابن سعد وقال الأصمعى : إنما سُمّى خريتًا لأنه يهدى خُرت الإبرة أى ثقبها، وقال غيره : قيل له ذلك لأنه يهتدى لأخرات المفازة وهى طرقها الخفية.

قوله : « وقد غمس » بفتح العين المعجمة بعدها مهملة « حلفًا » بكسر المهملة وسكون اللام، أى كان حليفًا، وكانوا إذا تحالفوا غمسوا أيمانهم فى دم، أو خلوق، أو فى شئ يكن فيه تلويث، فيكون ذلك تأكيداً للحلف.

كِنانتى، فاستخرجتُ منها الأزلام، فاستقسمتُ بها: أضرهم أم لا؟ فخرج الذى أكره، فركبتُ فرسى، وعصيتُ الأزلام، تقرِّب بى حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ، وهو لا يلتفت، وأبو بكر [رضى الله عنه] يُكثر الالتِفاتَ، ساخت [يدا] فرسى فى الأرض حتى بلغتا الركبتين، فخررتُ عنها، ثم زجرتها فنهضتْ، فلم تكد تُخرج يديها، فلما استوت قائمة، إذا لأثر يديها عُثان ساطع فى السماء مثل الدخان، فاستقسمتُ بالأزلام، فخرج الذى أكره، فناديتهم بالأمان، فوقفوا، فركبتُ فرسى حتى جئتهم، ووقع فى نفسى ما لقيتُ من الحبس عنهم، أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ، فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضتُ عليهم الزاد والمتاع، فلم يرزآنى، ولم يسألانى إلا أن قال: اخف عنا، فسألته أن يكتب لى كتاب أمنٍ، فأمر عامر بن فُهيّرة [رضى الله عنه]، فكتب فى رقعة من أدم، ثم مضى رسول الله ﷺ.

قال ابن شهاب: فأخبرنى عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ لقى الزبير فى ركب من المسلمين، كانوا تجاراً قافلين من الشام، [فكسا] الزبير رسولَ الله ﷺ وأبا بكر رضى الله عنه ثيابَ بياض.

وسمع المسلمون بالمدينة فخرج رسول الله ﷺ، من مكة [فكانوا] يغدون كل غداة إلى الحرة، فينتظرونه، حتى يردَّهم حرُّ الظهيرة، فانقلبوا يومًا بعد ما أطالوا انتظارهم، فلما أوَوْا إلى بيوتهم، أوفى رجل من يهود على أُطمٍ من آطامهم - قال ابن زُبالة: وهى عز أهل المدينة ومنعتهم التى يتحصنون فيها من عدوهم - قال ابن شهاب: لأمر ينظر إليه، فَبَصُرَ برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين، يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودى أن قال [بأعلى] صوته: يا معاشر العرب، هذا جدكم الذى تنتظرون، فثار المسلمون إلى السلاح، فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرَّة، فعدل بهم ذات

اليمين، حتى نزل بهم فى بنى [عمرو] بن عوف، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول، [وقيل: لثمان خلون منه][1].

وفى الإكليل عن الحاكم، تواترت الأخبار بذلك، وقيل: قدم المدينة يوم الجمعة عشاءً لثنتى عشرة مضت منه، وقيل: لليلتين مضتا منه، وقيل: لثمان عشرة ليلة، وقيل: بضع عشرة ليلة، وعند البيهقى اثنتين، وعندى ليلة، وعند ابن حزم: خرجنا من مكة وقد بقى من صفر ثلاث ليال، وقال البرقى: قدمها ليلاً، وقيل قدم لثلاث عشر ليلة مضت منه، وجزم ابن النجار بقدومه حين [الضحى] يوم الاثنين لثنتى عشرة ليلة من ربيع الأول، ووافقه جازمًا بذلك النووى فى زوائده من كتاب السير من (الروضة)[2].

قال [ابن] شهاب: فقام أبو بكر [رضى الله عنه] للناس، وجلس رسول الله ﷺ صامتًا، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم يَرَ رسول الله ﷺ يُحيٍّ أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ، فأقبل أبو بكر حتى ظَلَّل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك، فلبث رسول الله ﷺ فى بنى [عمر] بن عوف بضع عشرة ليلة، وأَسَّسَ المسجد الذى أُسِّسَ على التقوى، وصلى فيه رسول الله ﷺ ثم ركب راحلته، فسار يمشى معه الناس، حتى بركت عند مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة، وهو يصلى فيه يومئذ رجال من المسلمين، وكان مربداً للتمر، لسهيل وسهل غلامين يتيمين فى حجر سعد بن زرارة، فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته: هذا إن شاء الله المنزل.

ثم دعاء رسول الله ﷺ الغلامين، فساومهما بالمِرْبَد، ليتخذه مسجداً،

---

(١) (فتح البارى): ٧/ ٣٠٢-٣٠٣.

(٢) (روضة الطالبين للنووى): ٧/ ٤٠٧.

فقالا: بل نهبه لك يا رسول الله، فأبى أن يقبل [منهما] هبته، حتى ابتاعه منهما، ثم بناه مسجداً، وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن في بنيانه، ويقول وهو ينقل اللبن:

هذا الحمال لا حمال خيبرْ   هــذا أبــرُّ ربنــا وأطـهَــرْ

ويقول:

اللهم إن الأجر أجرُ الآخــرة   فارحم الأنصارَ [والمهاجرهْ]

فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يُسم لى، قال ابن شهاب: ولم يبلغنا فى الأحاديث أن رسول الله ﷺ تمثل ببت شعرٍ تام غير هذه الأبيات.

وخرّجه أيضًا فى كتاب اللباس، فى باب التقنع، من حديث معمر عن الزهرى، عن عائشة [رضى الله عنها] باختصار(١)، وفرَّقه فى كتاب الجهاد فى باب حمل الزاد فى الغزو(٢)، وهجرة النبى ﷺ وأصحابه إلى المدينة(٣)، وفى كتاب الأطعمة فى باب الخبز المرقق، والأكل على الخوان والسفرة(٤).

وخرَّج البخارى أيضًا فى الهجرة من حديث شعبة قال: سمعتُ أبا إسحاق الهمدانى يقول: سمعت البراء [رضى الله عنه] يقول: أقبل رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، فذكر قطعة مما تقدم(٥). وخرّجه

(١) (فتح البارى): ١٠/ ٢٣٦، كتاب اللباس، باب (١٦) التقنّع، حديث رقم (٥٨٠٧).

(٢) (فتح البارى): ٦/ ١٥٩، كتاب الجهاد والسير، باب (١٢٣) حمل الزاد فى الغزو، وقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾ [البقرة: ١٩٧]، حديث رقم (٢٩٧٩).

(٣) (فتح البارى): ٧/ ٣٠٢ – ٣٠٣، كتاب مناقب الأنصار، باب (٤٥) هجرة النبى ﷺ وأصحابه إلى المدينة، حديث رقم (٣٩٠٦).

(٤) (فتح البارى): ٦/ ٦٦٢، كتاب الأطعمة، باب (٨) الخبز المرقق، والأكل على الخِوان والسُّفرة، حديث رقم (٥٣٣٨٨).

(٥) (فتح البارى): ٧/ ٣٠٤، كتاب مناقب الأنصار، باب (٤٥) هجرة النبى وأصحابه إلى المدينة، حديث رقم (٣٩٠٨).

مسلم كذلك(١).

وخرَّج البخارى ومسلم من حديث أبى إسحاق قال: سمعت البراء بن عازب [رضى الله [عنه]] يقول: جاء أبو بكر رضى الله [عنه] إلى أبى فى منزله، فاشترى منه رحلاً، فقال لعازب: إبعث معى ابنك يحمله معى إلى منزلى، فقال أبى: احمله، فحملته، وخرج أبى معه ينتقد ثمنه، فقال له أبى: يا أبا بكر، حدثنى كيف صنعت ليلة سريت مع رسول الله ﷺ، قال: نعم، أسرينا ليلتنا كلها، حتى قام قائم الظهيرة، وخلا الطريق، فلا يمر فيه أحد، حتى رفعت لنا صخرة طويلة لها ظل، لم تأت الشمس بعد، فأتيت الصخرة، فنزلنا عندها، وسويتُ بيدى مكانًا ينام فيه النبى ﷺ فى ظلها، ثم بسطتُ عليه فروة، ثم قلت: نم يا رسول الله، وأنا أنفض لك ما حولك.

فنام، وخرجتُ أنفض ما حوله، فإذا أنا براعى غنم مقبل بغنمه إلى الصخرة، يريد منها الذى أردنا، فلقيتُه فقلت: لمن أنت يا غلام؟ قال: لرجل من أهل المدينة، قلت له: أفى غنمك لبن؟ قال: نعم، قلتُ: أفتحلب لى؟ قال: نعم، فأخذ شاة، فقلت له: انفض الضرع من الشعر، والتراب، والقذى، قال: فرأيتُ البراء يضرب بيده على الأرض ينفض، فحلب لى فى قعب معه كُثْبة من لبن، قال: ومعى إداوة أرتوى فيها للنبى ﷺ ليشرب منها ويتوضأ، قال: فأتيتُ النبى ﷺ [فشرب منها وتوضأ]، وكرهت أن أوقظه من نومه، فوافقته قد استيقظ، فصببتُ على اللبن من الماء، حتى برد أسفله، فقلتُ يا رسول الله، اشرب من هذا اللبن، قال: فشرب حتى رضيتُ، ثم قال: ألم يأن للرحيل؟ قلت: بلى.

قال: فارتحلنا بعد مازالت الشمس، وأَتْبَعَنَا سُراقة بن مالك، ونحن فى

---

(١) (مسلم بشرح النووى): ١٣/ ١٩٠، كتاب الأشربة، باب (١٠) جواز شرب اللبن، حديث رقم (٢٠٠٩).

جَلْدٍ من الأرض فقلت: يا رسول الله! أُتينا، فقال: لا تحزن إن الله معنا، [فدعا] عليه رسول الله ﷺ، فارتطمت فرسه إلى بطنها - أرى - فقال: إنى قد علمت أنكما قد دعوتما عَلَىَّ، فادْعُوَا لى، [فالله] لكما أن أَرُدَّ عنكما الطلب، فدعا [رسول الله ﷺ] الله، فنجا، فرجع لا يلقى أحداً إلا قال: قد كفيتم هاهنا، فلا يلقى أحداً إلا ردَّه ووفىّ لنا. اللفظ لمسلم، وقال فيه البخارى: فقال لرجل من أهل المدينة أو مكة، وقال فيه: فقال: إنى أراكما قد دعوتما عَلَىَّ. ذكره البخارى فى باب علامات النبوة(١).

ولمسلم من حديث عثمان بن عمر، والنضر بن شميل، كلاهما عن أبى إسحاق، عن البراء، قال: اشترى أبو بكر من أبى(٢) رَحْلاً بثلاثة عشر درهمًا.. وساق الحديث بمعنى ما تقدم(٣). وقال فى حديثه من رواية عثمان بن عمر، [عن إسرائيل]: فلما دنا [دعا] عليه رسول الله ﷺ فساخ

---

(١) (فتح البارى): ٦/ ٧٧١ - ٧٧٢، كتاب المناقب، باب (٢٥) علامات النبوة فى الإسلام، حديث رقم (٣٦١٥).

وأخرجه مسلم فى كتاب الزهد والرقاق، باب (١٩) فى حديث الهجرة، ويقال حديث الرحل، حديث رقم (٣٠٠٩).

(٢) (الرحل): سرج البعير - وهو الكور - وقد يُراد به القتب والحداجة.

(قائم الظهيرة): اشدّ الحر وسط النهار، وقائمها: وقت استواء الشمس فى وسط السماء.

(كُثبة): الكثبة القليل من اللبن.

(أرتوى) فيها الماء، اى احمله للوضوء والشرب.

(الم يان): الم يقرب ويجئ وقت الرواح.

(الجَلْد): الأرض الغليظة الصلبة.

(أتينا): أُتِى الرجل، اى قُصِد وطُلب، والمراد: انهم لحقونا وادركونا.

(فارتطمت): ارتطمت فى الوحل: إذا نشبت فيه ولم تكد تتخلص، وارتطم الرجل فى أمره إذا سُدَّت عليه مذاهبه. (جامع الأصول): ١١/ ٥٩٩، شرح الحديث رقم (٩٣٠٤).

(٣) فى (صحيح مسلم): «معنى حديث زهير عن أبى إسحاق».

فرسه فى الأرض إلى بطنه، ووثب عنه وقال: يا محمد! قد علمتُ أن هذا عملك، فادع الله أن يخلصنى مما أنا فيه، ولك علىّ لأُعمّيَّن على من ورائى، وهذه كنانتى فَخُذْ سهمًا منها، فإنك ستمر على إبلى وغلمانى [بمكان] كذا وكذا، فخُذ منها حاجتك، قال: لا حاجة لى فى إبلك.

فقدمنا المدينة ليلاً، فتنازعوا أيهم ينزل عليه رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: انزل على بنى النجار أخوال عبد المطلب، أكرمهم بذلك، فصعد الرجال والنساء فوق البيوت، وتفرق الغلمان والخدم فى الطريق ينادون: يا محمد، يا رسول الله(١)..... يا محمد يا رسول الله!

وخرّج البخارى فى المناقب، من حديث إسرائيل بمعناه، وذكر نحواً أو

---

(١) (مسلم بشرح النووى): ١٨/ ٣٥٧ - ٣٥٨، كتاب الزهد والرقائق، باب (١٩) فى حديث الهجرة، الحديث الذى يلى الحديث رقم (٣٠٠٩)، بدون رقم.

قال الإمام النووى: وهذا الحديث مما يُسال عنه، فيقال: كيف شربوا اللبن من الغلام وليس هو مالكه؟ وجوابه من أوجه:

أحدها: أنه محمول على عادة العرب أنهم يأذنون للرعاة إذا مرَّ بهم ضيف أو عابر سبيل أن يسقوه اللبن ونحوه.

الثانى: أنه كان لصديق لهم يدلون عليه، وهذا جائز.

الثالث: لعلهم كانوا مضطرين، والجوابان الأولان أجود.

وفى هذا الحديث فوائد، منها: هذه المعجزة الظاهرة لرسول الله ﷺ، وفضيلة ظاهرة لأبى بكر رضى الله عنه من وجوه.

وفيه خدمة التابع للمتبوع، وفيه استصحاب الركوة والإبريق ونحوهما فى السفر للطهارة والشرب.

وفيه فضل التوكل على الله سبحانه وتعالى وحُسن عاقبته، وفيه فضائل للأنصار لفرحهم بقدوم رسول الله ﷺ، وظهور سرورهم به، وفيه فضيلة صلة الأرحام، سواء قَرُبَتْ القرابة والرحم أم بعدت، وأن الرجل الجليل إذا قدم بلداً له فيه أقارب ينزل عندهم يكرمهم بذلك. والله تعالى أعلم. (مسلم بشرح النووى).

قريبًا منه فى باب هجرة النبى ﷺ وأصحابه(١).

وقال الواقدى: حدثنى قدامة بن موسى، عن عائشة بنت قدامه قالت: لما أُمر رسول الله ﷺ أن يتحول عن فراشه، ولا ينام عليه فى الليلة التى ائْتَمَرَتْ قريش فى دار الندوة، على أن يثبتوه فيقتلوه، خرج على القوم حتى انتهى إلى بيت بكر رضى الله عنه، وكان فيه حتى خرجا منه إلى الغار - غار ثور - خرجا من خوخة فى ظهر بيت أبى بكر رضى الله عنه ليلاً.

وكان رسول الله ﷺ يحدث: لقد خرجتُ من الخوخة متنكرًا، وكان أول من لقينى، الخبيث أبو جهل، فعمى الله تعالى بصره عنى وعن أبى بكر [رضى الله عنه] حتى مضيت، ومضى رسول الله ﷺ وأبو بكر [رضى الله عنه]، فقال أبو بكر لعائشة [رضى الله عنهما]: لو رأيتنى ورسول الله ﷺ إذ صعدنا الغار، فأما قدما رسول الله ﷺ، فتقطرتا دمًا، وأما قدماى، فعادتا كأنها صفوان، فقالت عائشة رضى الله عنها: إن رسول الله ﷺ لم يتعود الحفية، ولا الرعية، ولا الشقوة، [قال:] ولو رأيتنا ونحن نصعد فى الغار؛ مرة هو أمامى، ومرة أنا أمامه، حتى سبقتُه إلى الغار فدخلتُه، وكان فيه جُحْر، فألقمتُه عقبى، ودخل رسول الله ﷺ علىّ، قال أبو بكر رضى الله عنه: إن كانت لدغة لدغتنى، أحب إلى من أن تلدغ رسول الله ﷺ.

قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن الحسن بن أبى الحسن بن زبالة، فى (تاريخ المدينة): حدثنى محمد بن عبد الله الأنصارى، عن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله بن حارثة، عن أبيه قال: نزل رسول الله ﷺ على كلثوم ابن الهدم، بغلام [يقال] له: يانجيح، فقال رسول الله ﷺ: أنجحت يا أبا بكر.

(١) (فتح البارى): ٧/ ٣١٧ - ٣١٨، كتاب مناقب الأنصار، باب (٤٥) هجرة النبى ﷺ وأصحابه إلى المدينة، حديث رقم (٣٩١١).

وذكر عن محمد بن كعب القرظيّ وغيره، قالوا: لما بركت ناقة النبى ﷺ بباب أبى أيوب [رضى الله عنه]، جعل رسول الله ﷺ يريد أن ينزل فتخلخل، فيُطيف بها أبو أيوب [رضى الله عنه]، فيجد جُبَار بن صخر - أخا بني سلمة - ينخسها، فقال أبو أيوب: يا جُبار! أعن منزلى تنخسها؟ والله بَعَثَهُ بالحق، لولا الإسلام لضربتك بالسيف. قال: فنزل رسول الله ﷺ فى منزل أبى أيوب، وقرّ قراره، وطابت داره، ونزل معه زيد بن حارثة.

* * *

فصل فى ذكر غزوات رسول الله ﷺ

[اعلم أن رسول الله ﷺ غزا بنفسه سبعا وعشرين غزوة[١]، وكانت سراياه التى بعث فيها، سبعًا وأربعين سرية، وكان ما قاتل فيه من المغازى تسع غزوات][٢].

قال البخارى: وقال محمد بن إسحاق: أول ما غزا رسول الله ﷺ، الأبواء، ثم بواط، ثم العشيرة[٣].

وخرَّج من طريق شُعبة، عن أبى إسحاق [قال:] كنت إلى جنب زيد بن أرقم، فقيل له: كم غزا النبى ﷺ من غزوة؟ قال: تسع عشرة، [قيل:] كم [غزوت] أنت معه؟ قال: سبع عشرة، قلت: فأيهم كانت أول؟ قال: [العشيراء] أو العشير، فذكرت ذلك لقتادة فقال: العشيرة[٣]. وخرجه مسلم بمعناه[٤].

وقال محمد إسحاق: قدم رسول الله ﷺ المدينة يوم الاثنين حين اشتد [الضحى] وكادت الشمس تعتدل لثنتى عشرة مضت من شهر ربيع الأول، ورسول الله ﷺ ابن ثلاث وخمسين سنة، وذلك بعد أن بعثه الله

---

(١) اصطلح الرواة وأصحاب السِّير، أن الغزوة: هى الحرب التى يحضرها رسول الله ﷺ بنفسه. وأما البعث أو السرية: فإنه يرسل فيها طائفة من أصحابه ﷺ.

(٢) ما بين الحاصرتين مطموس فى (ج)، وأثبتناه من (خ)، و (عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير): ١/ ٢٢٣، ذكر الخبر عن عدد مغازى رسول الله ﷺ وبعوثه.

(٣) (فتح البارى): ٧/ ٣٥٤، كتاب المغازى، باب (١) غزوة العُشيرة أو العُسيرة، قال ابن إسحاق: أول ما غزا النبى ﷺ الأبواء، ثم بواط، ثم العُشيرة، حديث رقم (٣٩٤٩).

(٤) (مسلم بشرح النووى): ١٢/ ٤٣٥ - ٤٣٦، كتاب الجهاد والسير، باب (٤٩) عدد غزوات النبى ﷺ، حديث رقم (١٢٥٤).

بثلاث عشرة سنة، فأقام بقية ربيع الأول، وشهر ربيع الآخر، وجمادين، ورجبا، وشعبان، وشهر رمضان، وشوال، وذا القعدة، وذا الحجة [وولى تلك الحجة المشركون][1] .

ثم خرج غازيًا فى صفر، على رأس اثنى عشر شهرًا من مقدمه المدينة[2]، حتى بلغ ودّان، وهى: [غزوة الأبواء].

* * *

(١) زيادة للسياق من (سيرة ابن هشام).

(٢) (المرجع السابق): ٣/ ١٢٥.

غـــزوة الأبـــواء(١)

يريد قريشا وبنى ضمرة، بن بكر بن عبد مُناة بن كنانة، فوادعته فيها بنو ضمرة، وكان الذى وادعه منهم مَخْشِىّ بن عمرو الضمرىّ، وكان سيدهم فى زمانه ذلك.

---

(١) الأبواء بفتح الهمزة وسكون الموحدة وبالمد: قرية من عمل الفرع، بينها وبين الجحفة من جهة المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً. قيل: سميت بذلك لما كان فيها من الوباء، وهى على القلب، وإلا لقيل: الأوباء. (فتح البارى).

وقال ثابت بن أبى ثابت اللغوى: سميت الأبواء لتبوء السيول فيها، وهذا أحسن، وقال غيره: الأبواء فعلاء من الأبواة، أو افعال كانه جمع بوّ، وهو الجلد الذى يُحشى ترامه الناقة فتدر عليه إذا مات ولدها، أو جمع بوى، وهو السواء، إلا أن تسمية الأشياء بالمفرد ليكون مساويًا لما سُمّى به، أوَ لا ترى أنا نحتال لعرفات وأذرعات، مع أن أكثر أسماء البلدان مؤنثة، ففعلاء أشبه به، مع أنك لو جعلته جمعًا لاحتجت إلى تقدير واحدِه أو مفرده.

وسئل كثير الشاعر: لم سميت الأبواء أبواءً؟ فقال: لأنهم تبوأوا بها منزلاً، والأبواء قرية من أعمال الفُرع فى المدينة، بينها وبين الجحفة مما يلى المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً.

وقيل: الأبواء جبل على آرة، ويمين الطريق للمصعد إلى مكة من المدينة، وهناك جبل ينسب إلى هذا الجبل، وقد جاء ذكره فى حديث الصعب بن جثامة وغيره.

قال السكرى: الأبواء جبل شامخ مرتفع، ليس عليه شىء من النبات غير الخزم والبشام، وهو لخزاعة وضمرة.

وبالأبواء قبر أم النبى ﷺ آمنة بنت وهب، وكان السبب فى دفنها هناك، أن عبد الله والد رسول الله ﷺ كان قد خرج إلى المدينة يمتار تمرًا، فمات بالمدينة، فكانت زوجته آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب، تخرج فى كل عام إلى المدينة تزور قبره، فلما أتى على رسول الله ﷺ ست سنين خرجت زائرة لقبره، ومعها عبد المطلب، وأم أيمن حاضنته ﷺ، فلما صارت بالأبواء منصرفة إلى مكة، ماتت بها.

ويقال: إن أبا طالب زار أخواله ﷺ بنى النجار بالمدينة، وحمل معه آمنة أم رسول الله ﷺ، فلما رجع منصرفًا إلى مكة ماتت آمنة بالأبواء. (معجم البلدان): ١ / ١٠٢، موضع رقم (١٥٢).

ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، ولم يلق كيداً، [فأقام بها بقية صفر، وصدراً من شهر ربيع الأول، وهى أول غزو غزاها][1].

وقال الواقدى: وفى هذه الغزاة، وادع بنى ضمرة من كنانة، على أن لا يكثروا عليه، ولا يعينوا عليه أحداً، ثم كتب بينهم كتاباً[2]، ثم رجع، وكانت غيبته خمس عشرة ليلة[3].

* * *

---

(١) زيادة للسياق من (سيرة ابن هشام).

(٢) (مجموعة الوثائق السياسية): ١٥٨، ونصُّ كتاب الموادعة: «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد رسول الله لبنى ضمرة، فإنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم، وأن لهم النصر على من رامهم، أن لا يحاربوا فى دين الله ما بلَّ بحرٌ صوفة، وأن النبى إذا دعاهم لنصر أجابوه، عليهم بذلك ذمة الله ورسوله. (المواهب اللدنية): ١/ ٣٤٠.

(٣) (سيرة ابن هشام): ٣/ ١٢٥، (مغازى الواقدى): ١/ ١٢.

[غـــزوة بُـــواط](١)

قال ابن إسحاق : ثـم غزا رسول الله ﷺ فى شهر ربيع الأول يريد قريشًا حتى بواط من ناحية رضوى، ثـم رجع إلى المدينة، ولـم يلق كيدًا(٢).

وقال الواقدى: ثـم غزا بواط –وبواط حيال ضبَّه من ناحية ذى خُشُب، بين بواط والمدينة ثلاثة بُرُد– يعترض لعير قريش، فيها أمية بن خلف، ومائة رجل من قريش وألفان و [خمسمائة] بعير، [فى ربيع الأول، على رأس ثلاث عشر شهرًا]، [ثم رجع ولم يلق كيدًا](٣).

وقال ابن إسحاق : فلبث بها –يعنى المدينة– [بقية] (٤)شهر ربيع الآخر، وبعض [جمادى الأولى]، ثـم غزا قريشًا، فسلك نقب بنى دينار، ثـم على فيفاء الخبار، فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر، يقال لها : ذات الساق، فصلى عندها، فثم مسجده ﷺ وصُنع له عندها طعام، فأكل منه، وأكل الناس منه، فموضع أثافى البرمة معلوم [هنالك](٤)، واستقى له من ماء به يقال له : المشترب، ثـم ارتحل رسول الله ﷺ ، فترك الخلائق بيسار، [وسلك

---

(١) بالضّم وآخره طاء مهملة : وادٍ من أودية القبيلة؛ عن الزمخشرى عن على العلوى، ورواه الأصيلى، والعُذرى، والمستملى –من شيوخ المغاربة– بواط، بفتح أوله، والأول أشهر، وقالوا : هو جبل من جبال جهينة بناحية رضوى، غزاه النبى ﷺ فى شهر ربيع الأول فى السنة الثانية من الهجرة يريد قريشا، ورجع ولم يلق كيدًا. (معجم البلدان) : ١/ ٥٩٦، موضع رقم (٢٢٠٩).

(٢) (سيرة ابن هشام) : ٣/ ١٤٢، وقال : «فلبث بها بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الأولى».

(٣) (مغازى الواقدى) : ١/ ١٢.

(٤) زيادة للسياق من (سيرة ابن هشام) ٣/ ١٤٣، والضبوعة : اسم موضع، وملل : اسم موضع، يقال : إنما سمى مللاً لأن الماشى إليه من المدينة لا يبلغه إلا بعد جهد وملل. (المرجع السابق) : هامش ص ١٤٣.

شعبة يقال لها: شعبة عبيد الله، ثم صبّ لليسار حتى هبط بليل، فنزل بمجتمعه ومجتمع الضبوعة](١) واستقى من بئر بالضبوعة، ثم سلك الفرش، فرش [ملل](١)، حتى لقي الطريق بصحيرات اليمام، ثم اعتدل [به](١) الطريق حتى نزل العُشيرة [واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد].

* * *

(١) زيادة للسياق من (سيرة ابن هشام) ٣/ ١٤٣.

غـــزوة بــــدر الأولى

ثم غزا فى ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهرا، فى طلب كُرز بن جابر الفهرى، أغار على سرح المدينة، وكان يرعى بالجماء ونواحيها، حتى بلغ بدراً ولم يدركه](١).

وذكر الواقدى أن غارة كرز فى ربيع الأول بعد بواط، أغار كرز بن جابر الفهرى على سرح المدينة، فخرج رسول الله ﷺ فى طلبه، حتى بلغ واديا يقال له: سفوان من ناحية بدر، وفاته كُرز بن جابر، فلم يدركه، وهى غزوة بدر الأولى، ثم رجع إلى المدينة(٢)، [وكان قد استخلف عليها زيد بن حارثة رضى الله عنه].

* * *

(١) ما بين الحاصرتين من (خ) وليس فى (ج).

(٢) (مغازى الواقدى): ١/ ١٢.

غـــزوة ذى العُشـــيرة

[ثم غـزا] العـشـيـرة فى جـمـادى الآخـرة، علـى رأس سـتـة عـشـر شـهـراً، يعترض لعيرات قريش حين أبدأت إلى الشام، وكان قد جاءه الخبر بفصول العير من مكة تريد الشام، قد جمعت قريش أموالها، فهى فى تلك العير؛ فـسلك على نقب من بنى دينار، يريد بيـوت السُّـقـيـا وهى غـزوة ذى العشيرة، [واستخلف على المدينة فى هذه الغزوة، أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومى رضى الله عنه][(١)].

[قـال ابن إسحـاق : ولـم يُقـم رسـول الله ﷺ بالمدينة حين قـدم من غـزوة العشيرة إلا ليالى قلائل لا تبلغ العشر، حتى أغار كرز بن جابر الفهرى على سـرح المدينة، فـخـرج رسـول الله ﷺ فى طلبـه، حـتى بلغ واديًا يقل له : سفوان[(٢)]، من ناحيـة بدر، وفاته كرز بن جابر فلم يدركـه، وهى غزوة بدر الأولى، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى الدينة، فأقام بها بقية جمادى الآخرة، ورجبًا، وشعبان].

[قـال ابن إسحـاق : فـسلك على نقب بنى دينار، ثم على فيـفـاء الخبـار، فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر، يقـال لهـا : ذات الساق، فـصلى عندها، فـثم مـسـجـده ﷺ، وصُنع له عندها طعـام، فـأكل منه، وأكل الناس معـه،

---

(١) (سيرة ابن هشام) : ٣/ ١٤٥ - ١٤٦.

(٢) وسفوان وادٍ من ناحية بدر، قال ابن إسحاق : ولما أغار كرز بن الفهرى.. إلخ. (معجم البلدان) : ٣/ ٢٥٤.

فموضع أثافيٍّ البرمة معلوم هنالك، واستقى له ﷺ من ماء به؛ يقال له: المشترب[1]].

* * *

(١) زيادة للسياق من كتب السيرة.

غــزوة بــدر الكبـرى

ثم خرج إلى غزاة بدر، [وهى البطشة التى أعزّ الله تعالى بها الإسلام، وأهلك رؤوس الكفر][(١)].

قال ابن إسحاق: وبلغ [رسول الله ﷺ] [بدارًا – ماء كان ليخلد بن النضر، ويقال لرجل من جهينة– وبين بدر والمدينة ثمانية بُرُد][(٢)]، وبلغ رسول الله ﷺ أن أبا سفيان بن حرب، مقبل من الشام، فى عيرٍ لقريش عظيمة، فيها أموال لقريش، وتجارة من تجارتهم، وفيها ثلاثون رجلاً من قريش، أو أربعون، منهم: مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة، و [عمرو] بن العاص بن وائل، فلما سمع رسول الله ﷺ بأبى سفيان مقبلاً من الشام، ندب إليهم المسلمين، وقال: هذه عير قريش، فيها أموالهم، فاخرجوا إليها، لعل الله ينفلكموها، فانتدب الناس، فخف بعضهم، وثقل بعضهم، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حربًا.

وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز، يتحسس[(٣)] الأخبار، ويسأل من لقى من الركبان، تخوفًا على أمر الناس، حتى أصاب خبرًا من بعض الركبان، أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك، فحذر عند ذلك، فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفارى، فبعثه إلى مكة، وأمره أن يأتى قريشًا

---

(١) ما بين الحاصرتين سقط فى (خ) وأثبتناه من (ج).

(٢) ما بين الحاصرتين سقط فى (ج) وأثبتناه من (خ).

(٣) التحسس بالحاء: أن تتسمع الأخبار بنفسك، والتجسس بالجيم: هو أن تفحص عنها بغيرك، وفى الحديث: « لا تجسسوا ولا تحسسوا ».

فيستنفرهم إلى أموالهم، ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها فى أصحابه.

فخرج ضمضم سريعًا إلى مكة، فصرخ ببطن الوادى يقول: يا معشر قريش!! اللطيمة اللطيمة، أموالكم مع أبى سفيان، قد عرض لها محمد فى أصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغوث الغوث.

فتجهز الناس سراعًا، فكانوا بين رجلين؛ إما خارج وإما باعث مكانه رجلاً، فلم يتخلف من أشرافها أحدٌ، إلا أن أبا لهب بن عبد المطلب قد تخلف، وبعث مكانه العاصى بن هشام بن المغيرة، وكان قد لاط[1] له بأربعة آلاف درهم، كانت له عليه، أفلس بها، فاستأجره بها، على أن يجزئ [عنه] بعثه، فخرج عنه، وتخلف أبو لهب.

وخرج رسول الله ﷺ من المدينة [يوم الاثنين][2] لثمان ليالى خلون من رمضان، فساروا حتى التقوا مع المشركين ببدر.

وقال الواقدى: ولما [تحين][3] رسول الله ﷺ انصراف العير من الشام، ندب أصحابه للعير، وبعث طلحة بن عبيد الله، وسعيد بن زيد، قبل خروجه من المدينة بعشر ليال، يتحسسان خبر العير، قال: وخرج رسول الله ﷺ بمن معه، حتى انتهى إلى نقب بنى دينار، ثم نزل بالبقيع -وهى بيوت السُّقيا- يوم الأحد لثنتى عشرة [ليلة] خلت من رمضان، فضرب عسكره هناك، وعرض المقاتلة.

[قال:] وقدم عدى بن أبى الزغباء، وبسبس بن عمرو، وراح عشية الأحد من بيوت السقيا، وخرج المسلمون معه، وهم ثلاثمائة وخمسة،

(١) لاط له: أى اربى له، وقال أبو عبيد: وسمى الرِّبا لياطًا لانه ملصق بالبيع، وليس ببيع، وقيل للربا: لياطًا لأنه لاصق بصاحبه، لا يقتضيه، ولا يوضع عنه.

(٢) زيادة للسياق من (سيرة ابن هشام).

(٣) فى (الأصلين): «تحقق» وما أثبتناه من (مغازى الواقدى).

وثمانية تخلفوا ضرب لهم بسهامهم وأجورهم، وكانت الإبل سبعين بعيراً، وكانوا يتعاقبون الإبل، الاثنين، والثلاثة، والأربعة، وكان رسول الله ﷺ وعلى بن أبى طالب رضى الله عنه، [ومرثد]، ويقال: زيد بن حارثة، يتعاقبون بعيراً واحداً، واستعمل على الماء قيس [بن] أبى صعصعة عمرو ابن زيد بن عوف بن مبذول، وأمره حين فصل من بيوت السقيا أن يعد المسلمين، فوقف لهم، فعدَّهم، وأخبر النبى ﷺ.

ومضى رسول الله ﷺ حتى إذا كان [دوين](١) ماء بدر، أتاه الخبر بمسير قريش، فأخبرهم [رسول الله ﷺ(٢)] بمسيرهم، واستشار [رسول الله ﷺ(٢)] الناس، قال: فلما فرغ سعد من المشورة، قال رسول الله ﷺ: سيروا على بركة الله، فإن الله وعدنى إحدى الطائفتين، والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم، قال: ونزل بأدنى بدر، عشاء ليلة الجمعة، ولسبع عشرة ليلة من رمضان، واستشار فى المنزل، فأشار الحباب بن المنذر بنزوله على قليب بدر، فتحول إليه، وبُنى له عريش من جريد، فدخله رسول الله ﷺ، وأبو بكر رضى الله عنه(٣).

وخرَّج البخارى من حديث عكرمة، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ قال وهو فى قبته يوم بدر: اللهم أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تشأ لا تُعبد بعد اليوم، فأخذ أبو بكر رضى الله عنه بيده فقال: حسبك يا رسول الله، ألححت على ربك، فخرج وهو ثبت فى الدرع، فخرج وهو يقول: ﴿ سيُهزم الجمع ويولون الدُّبر ﴾ ذكره فى كتاب التفسير(٤)، وفى غزوة

---

(١) دوين: تصغير دون، أى على مسافة أقل.

(٢) زيادة للسياق من (مغازى الواقدى).

(٣) (مغازى الواقدى): ١/ ١٩ - ٤٩ مختصراً.

(٤) (فتح البارى): ٨/ ٧٩٦، كتاب التفسير، باب (٥) قوله تعالى: ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدُّبر ﴾ =

بدر، فى باب ما قيل فى درع النبى ﷺ(١).

= حديث رقم (٤٨٧٥)، قال الحافظ فى (الفتح): هذا من مرسلات ابن عباس لأنه لم يحضر القصة، وقد روى عبد الرزاق، عن معمر، عن أيوب، عن عكرمة، إن عمر قال: لما نزلت ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ جعلت أقول: أى جمع يهزم؟ فلما كان يوم بدر رأيتُ النبى ﷺ يثب فى الدرع وهو يقول: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾، فكان ابن عباس حمل ذلك عن عمر، وكان عكرمة حمله عن ابن عباس عن عمر، وقد أخرج مسلم من طريق سماك بن الوليد عن ابن عباس: حدثنى عمر ببعضه.

(١) (فتح البارى): ٧/ ٣٦٤، كتاب المغازى، باب (٤) إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم... حديث رقم (٣٩٥٣).

قوله: «اللهم إنى أنشدك» -بفتح الهمزة وسكون النون والمعجمة وضم الدَّال، أى أطلب منك. وعند الطبرانى بإسناد حسن عن ابن مسعود قال: «ما سمعنا مناشداً ينشد ضالة أشدّ منا شدة من محمد لربه يوم بدر: «اللهم إنى أنشدك ما وعدتنى».

قال السهيلى: سبب شدة اجتهاد النبى ﷺ ونصبه فى الدعاء لأنه رأى الملائكة تنصب فى القتال، والأنصار يخوضون فى غمرات الموت، والجهاد تارة يكون بالسلاح وتارة بالدعاء، ومن السنة أن يكون الإمام وراء الجيش، لأنه لا يقاتل معهم فلم يكن ليريح نفسه، فتشاغل بأحد الأمرين وهو الدعاء.

قوله: «اللهم إن شئت لم تُعبد» إنما قال ذلك لأنه ﷺ علم أنه خاتم النبيين، فلو هلك هو ومن معه حينئذ. لم يبعث أحد ممن يدعو إلى الإيمان، واستمر المشركون يعبدون غير الله، فالمعنى: لا تُعبد فى الأرض بهذه الشريعة.

قوله: «فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبُك» قال الخطَّابى: لا يجوز أن يتوهم أحد أن أبا بكر كان أوثق بربه من النبى ﷺ فى تلك الحال، بل الحامل النبى ﷺ على ذلك شفقته على أصحابه، وتقوية قلوبهم، لأنه كان أول مشهد شهده، فبالغ فى التوجه والدعاء والابتهال لتسكن نفوسهم عند ذلك، لأنهم كانوا يعلمون أن وسيلته مستجابة.

فلما قال له أبو بكر ما قال كفَّ عن ذلك وعلم أنه استجيب له، لما وجد أبو بكر فى نفسه من القوة والطمأنينة، فلهذا عقب بقوله: ﴿سيهزم الجمع﴾.

وقال غيره: وكان النبى ﷺ فى تلك الحالة فى مقام الخوف، وهو أكمل حالات الصلاة، وجاز عنده أن لا يقع النصر يومئذ لأن وعده بالنصر لم يكن معينا لتلك الواقعة، وإنما كان مجملاً. (فتح البارى) مختصراً.

وخرج مسلم[١] والترمذى، من حديث ابن المبارك، عن عكرمة بن عمار قال: حدثنى سماك الحنفى قال: قال يونس: سمعتُ ابن عباس رضى الله عنهما يقول: لما كان يوم بدر. وذكر مسلم من طريق عمر بن يونس الحنفى [قال:] حدثنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: لما كان يوم بدر، نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبى الله ﷺ القبلة، ثم مدّ يديه، فجعل يهتف بربه: اللهم أنجز لى ما وعدتنى، اللهم آتنى ما وعدتنى، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد فى الأرض.

فمازال يهتف بربه، ماداً يديه، مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر رضى الله عنه، فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبى الله! كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجزلك ما وعدك، فأنزل الله [تعالى:] ﴿**إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين**﴾، فأمده الله [تعالى] بالملائكة[١].

زاد مسلم: قال أبو زُميل: فحدثنى ابن عباس قال: [بينما] رجل من المسلمين يومئذ يشتد فى إثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أُقدم حيزوم، فنظر إلى المشرك أمامه، فخرَّ مغشيًا، فنظر إليه، فإذا هو قد خُطم أنفه، وشق وجهه بضربة السوط، فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصارى فحدث رسول الله ﷺ، فقال: صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة، فقتلوا يومئذ سبعين، وأسروا سبعين[١].

قال أبو زميل: قال ابن عباس: فلما أسروا الأسارى، قال رسول الله ﷺ

---

(١) (مسلم بشرح النووى): ١٢/ ٣٢٧ - ٣٣٠، كتاب الجهاد والسير، باب (١٨) الإمداد بالملائكة فى غزوة بدر وإتاحة الغنائم، حديث رقم (١٧٦٣).

لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما: ما ترون فى هؤلاء الأسارى؟ فقال أبو بكر رضى الله عنه: يا نبى الله! هم بنو العم والعشيرة، أرى أن نأخذ منهم فدية، فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام، فقال رسول الله ﷺ، ما ترى يا ابن الخطاب: قلتُ: لا والله يا رسول الله، ما أرى الذى رأى أبو بكر، ولكن أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم، فتمكن عليًا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكنى من فلان -نسيب لعمر- فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها، فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلتُ، فلما كان من الغد، جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين يبكيان، قلت: يا رسول الله! أخبرنى من أى شىء تبكى أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاءً بكيتُ، وإن لم أجد بكاءً تباكيتُ لبكائكما، قال رسول الله ﷺ: أبكى الذى عرض علىّ أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عُرض علىّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة -شجرة قريبة من رسول الله ﷺ -فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يُثْخِنَ فى الأرض﴾(١) إلى قوله: ﴿فكلوا مما غنمتم حلالاً طيبًا﴾(١) فأحل الله تعالى الغنيمة لهم(٢).

قال الواقدى: كان انهزام القوم وتوليهم حين زالت الشمس، فأقام رسول الله ﷺ ببدر، وأمر عبد الله بن كعب بقيض الغنائم وحملها، [وأمر رسول الله ﷺ نفرًا من أصحابه أن يعينوه(٣)] فصلى العصر ببدر، ثم راح فمر

---

(١) الأنفال: ٦٧ - ٦٩.

(٢) (مسلم الشرح النووى): ١٢/ ٣٢٧ - ٣٣٠، كتاب الجهاد والسير، باب (١٨) الإمداد بالملائكة فى غزوة بدر، حديث رقم (١٧٦٣).

(٣) زيادة للسياق من (مغازى الواقدى).

بالأثيل(١) قبل غروب الشمس، فنزل به، وبات به، وأقبل بالأسرى، حتى إذا كان بعرق الظبية(٢)، أمر عاصم بن ثابت أن يضرب عنق عقبة بن أبى معيط، فقدمه فضرب عنقه، ولما نزلوا يسيراً بشعب بالصفراء، قسم الغنائم بها بين أصحابه، [وقدم] زيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحة، وتلقاه الناس يهنئونه بالروحاء حتى قدم المدينة(٣) [واستخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر](٤).

* * *

(١) الأثيل: وادٍ طوله ثلاثة أميال، بينه وبين بدر ميلان، فكأنه بات على أربعة أميال من بدر. (المرجع السابق).

(٢) عرق الظبية: موضع بالصفراء، وهناك قتل رسول الله ﷺ عُقبة بن أبى معيط. قال ابن هشام: وغير ابن إسحاق يقول: عرق الظُّبية -بضم أوله- وكان عقبة بن أبى معيط قد تفل فى وجه النبى ﷺ، فقال له ﷺ: لئن أخذتك خارج الحرم لأقتلنك، فلما أسره ببدر وبلغ عرق الظبية، ذكر نذره فقتله صبراً، وقتل حين خرج من مضيق الصفراء النضر بن الحارث. (معجم ما استعجم): ٢/ ٩٠٣.

(٣) (مغازى الواقدى): ١/ ١١٤ - ١١٥.

(٤) زيادة للسياق من كتب السيرة.

غــــزوة بني قَيْنُقَــاع

ثم خرج رسول الله ﷺ إلى غزاة بنى قينقاع من اليهود، فى يوم السبت، النصف من شوال بعد البدر، فحصرهم إلى هلال ذى القعدة وجلالهم.

وقيل: كانت فى صفر سنة ثلاث من الهجرة، وجعلها ابن إسحاق بعد غزاة قرارة الكدر، ولم يتجاوز أرض المدينة.

[قال ابن الأثير: لما عاد رسول الله ﷺ من بدر، أظهرت يهود له الحسد بما فتح عليه، وبغوا ونقضوا العهد، وكان قد وادعهم حين قدم المدينة مهاجراً].

[فلما بلغه حسدهم جمعهم بسوق بنى قينقاع، فقال لهم: احذروا ما نزل بقريش وأسلموا، فإنكم قد عرفتم أنى نبى مرسل. فقالوا: يا محمد! لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة].

[فكانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبينه، فبينما هم على مجاهرتهم، إذ جاءت امرأة مسلمة إلى سوق بنى قينقاع، فجلست عند صائغ لأجل حلىّ لها، فجاء رجل منهم فحل درعها إلى ظهرها، وهى لا تشعر، فلما قامت بدت عورتها، فضحكوا منها، فقام إليه رجل من المسلمين فقتله، ونبذوا العهد إلى رسول الله ﷺ وتحصنوا فى حصونهم، فغزاهم رسول الله ﷺ، وحاصرهم خمس عشرة ليلة، فنزلوا على حكمه، فكتفوا وهو يريد قتلهم، وكانوا حلفاء الخزرج، فقام إليه عبد الله بن أبىّ بن سلول، فكلمه فيهم، فلم يُجبه، فأدخل يده إلى جيب رسول الله ﷺ، فغضب رسول الله ﷺ وقال: ويحك! أرسلنى، فقال: لا أرسلك حتى تُحسن إلى موالىّ،

أربعمائة حاسر، وثلاثمائة دارع، قد منعونى من الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة، وإنى والله لأخشى الدوائر، فقال النبى ﷺ: هم لك، خلوهم، لعنهم الله ولعنه معهم][1].

[وغنم رسول الله ﷺ والمسلمون ما كان لهم، ولم يكن لهم أرضون، إنما كانوا صاغة، وكان الذى أخرجهم عبادة بن الصامت الأنصارى، فبلغ بهم ذباب [اسم موضع]، ثم ساروا إلى أذرعات من أرض الشام، فلم يلبثوا إلا قليلاً حتى هلكوا][1].

[وكان ﷺ قد استخلف على المدينة أبا لُبابة، وكان لواء رسول الله ﷺ مع حمزة، وقسم الغنيمة بين أصحابه وخمسها، وكان أول خمس أخذه رسول الله ﷺ فى قولٍ][1].

[ثم انصرف رسول الله ﷺ، وحضر الأضحى، وخرج إلى المصلَّى، فصلى بالمسلمين، وهى أول صلاة عيد صلاها، وضحى فيه رسول الله ﷺ بشاتين، وقيل بشاة، وكان أول أضحى رآه المسلمون، وضحى معه ذو اليسار، وكانت الغزاة فى شوال بعد بدر، وقيل: كانت فى صفر سنة ثلاث، وجعلها بعضهم بعد غزوة الكدر][1].

(١) (الكامل فى التاريخ): ٢/ ١٣٧ - ١٣٩.

غـزوة السـويـق

ثم خرج إلى غزوة السويق[1]، يوم الأحد الخامس من ذى الحجة، على رأس اثنتين وعشرين شهرا من مهاجره ﷺ، فغاب خمسة أيام فى طلب أبى سفيان بن حرب ومن معه[2]، و[استخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر العمرى][3].

[قال ابن هشام: [لما] فل [المنهزمون] من قريش من بدر نذر أبو سفيان أن لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمدا ﷺ، فخرج فى مائتى راكب من قريش ليبر يمينه، فسلك النجدية حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له: ثيب، من المدينة على بريد أو نحوه، ثم خرج من الليل حتى أتى بنى النضير تحت الليل، فأتى حُيَيَّ بن أخطب فضرب على بابه، فأبى أن يفتح له بابه وخافه، فانصرف عنه إلى سلام بن مكشم - وكان سيد بنى النضير فى زمانه ذلك وصاحب كنزهم -فاستأذن عليه فأذن له. فقراه وسقاه، وبطنه من خبر الناس [أعلمه بسرهم]، ثم خرج فى عقب ليلته حتى أتى أصحابه، فبعث رجالا من قريش إلى المدينة، فأتوا ناحية منها يقال لها: العريض، فحرقوا أصوار نحل بها [أى نخل مجتمع]. ووجدوا بها رجلا من الأنصار وحليفا له فى حرث لهما فقلتولهما، ثم انصرفوا راجعين، ونذر بهم الناس][2].

---

(١) السويق: طعام عبارة عن حنطة، أو شعير محمص مطحون، ممزوج بعسل وسمن.

(٢) (سيرة بن هشام): ٣/ ٣١٠ - ٣١١.

(٣) زيادة للسياق من كتب السيرة.

[فخرج رسول الله ﷺ فى طلبهم، واستعمل على المدينة بشير بن عبد المنذر، وهو أبو لبابة فيما قال ابن هشام، حتى بلغ قرارة الكدر [أرض ملساء] - ثم انصرف راجعا وقد فاته أبو سفيان وأصحابه، وقد رأوا أزوادا من أزواد القوم قد طرحوها فى الحرث يتخففون منها للنجاة، فقال المسلمون حين رجع بهم رسول الله ﷺ : يا رسول الله أتطمع لنا أن تكون غزوة؟ قال: نعم](١).

[قال ابن هشام: وإنما سميت غزوة السويق، فيما حدثنى أبو عبيده، أن أكثر ما طرح القوم من أزوادهم السويق، فهجم المسلمون على سويق كثير، فسميت غزوة السويق](١).

[وفى هذا الحديث أن الغسل من الجنابة كان معمولا به فى الجاهلية، بقية من دين إبراهيم وإسماعيل، كما بقى فيهم الحج، والزواج، ولذلك سموها جنابة، وقالوا: رجل جنب، وقوم جنب، لمجانبتهم فى تلك الحال البيت الحرام، ومواضع قرباتهم، ولذلك عرف معنى هذه الكلمة فى القرآن الكريم، فى قوله تعالى: ﴿**وإن كنتم جنبا فاطهروا**﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿**ولا جنبا إلا عابرى سبيل حتى تغتسلوا**﴾(٣).

---

(١) زيادة للسياق من (سيرة ابن هشام).

(٢) المائدة: ٦.

(٣) النساء: ٤٣.

غــزوة قـرارة الكُـدْر

ثم خرج ﷺ إلى غزاة قرارة الكدر، للنصف من المحرم، على رأس ثلاثة وعشرين شهرا من هجرته في قول الواقدى. وعند ابن إسحاق: أنه خرج فى شوال سنة اثنتين بعد بدر، فى طلب غطفان وسليم، وعاد بعد خمس عشرة ليلة بعنائم(١)، [واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم المعيصى](٢).

[قال الواقدى: خرج رسول الله ﷺ إلى قرارة الكدر إلى بنى سليم وغطفان للنصف من المحرم، على رأس ثلاثة وعشرين شهرا، وغاب خمس عشرة ليلة، وكان الذى هاجه على ذلك أنه بلغه أن بها جمعا من غطفان وسليم، فسار رسول الله ﷺ إليهم، وأخذ عليهم الطريق حتى جاء فرأى آثار النعم ومواردها، ولم يجد فى المجال أحدا، فأرسل فى أعلى الوادى نفرا من أصحابه، واستقبلهم رسول الله ﷺ فى بطن الوادى، فوجد رعاء فيهم غلام يقال له يسار، فسألهم عن الناس، فقال يسار: لا علم لى بهم، إنما أورد لخمس وهذا يوم ربعى، والناس قد ارتيعوا إلى المياه](١).

[فانصرف رسول الله ﷺ وقد ظفر بنعم، فانحدر إلى المدينة حتى إذا صلى الصبح، فإذا هو بيسار، فرآه يصلى، فأمر القوم أن يقسموا غنائمهم، فقال القوم: يا رسول الله! إن أقوى لنا أن نسوق النعم جميعا، فإن فينا من يضعف عن حظه الذى يصير إليه](٣).

---

(١) (مغازى الواقدى): ١/ ١٨٣ - ١٨٤.

(٢) زيادة للسياق من (المرجع السابق).

(٣) زيادة للسياق من كتب السيرة.

[فقال رسول الله ﷺ: اقتسموا، فقالوا: يا رسول الله: إن كان أَنَمَّ بك العبد الذى رأيته يصلى، فنحن نعطيكه فى سهمك، فقال رسول الله ﷺ: قد طبتم نفسا؟ قالوا: نعم، فقبله رسول الله ﷺ وأعتقه، وارتحل الناس، فقدم رسول الله ﷺ المدينة، واقتسموا غنائمهم، فأصاب كل رجل منهم سبعة أبعرة، وكان القوم مائتين](١).

[وعن أبى أروى الدوسى قال: كنت فى السرية، وكنت ممن يسوق النعم، فلما كنا بصرار -على ثلاثة أميال من المدينة- خمس النعم، وكان النعم خمسمائة بعير، فأخرج خمسة، وقسم أربعة أخماس على المسلمين- فأصابهم بعيران](١).

* * *

(١) زيادة للسياق من كتب السيرة.

غـزوة ذى أَمـــر

[وهى غـزوة غطفان]

ثم خرج رسول الله ﷺ إلى غزاة ذى أمر -وهى غزوة غطفان- وكانت يوم الخميس الثامن عشر من ربيع الأول، على رأس خمسة وعشرين شهراً فى قول الواقدى(١)، وعند ابن إسحاق(٢): أنها كانت فى المحرم سنة ثلاث من الهجرة، يريد ثعلبة ومحارب، وعاد من غير أن يلقى كيداً، بعد إحدى عشرة ليلة، [واستخلف على المدينة عثمان بن عفان -رضى الله تعالى عنه](٣).

[سببها أن جمعًا من بنى ثعلبة ومحارب تجمعوا يريدون الإغارة، جمعهم دعثور بن الحارث المحاربى، وكان شجاعًا](٣).

[فندب ﷺ المسلمين، وخرج فى أربعمائة وخمسين فارسًا، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان، فلما سمعوا بمهبطه ﷺ عليهم هربوا فى رؤوس الجبال، فأصابوا رجلاً منهم يقال له: حبان من بنى ثعلبة، فأُدخل على رسول الله ﷺ فدعاه إلى الإسلام فأسلم، وضمه إلى بلال رضى الله تعالى عنه -ليعلمه الشرائع-](٣).

[وأصاب النبى ﷺ مطر، فنزع ثوبيه ونشرهما على شجرة ليجفّا، واضطجع تحتها، وهم ينظرون إليه، فقالوا لدعثور: قد انفرد محمد فعليك

---

(١) (مغازى الواقدى): ١/١٩٣.

(٢) (سيرة ابن هشام): ٣/٣١٢.

(٣) زيادة للسياق من كتب السيرة.

به، فأقبل ومعه سيف حتى قام على رأسه ﷺ فقال: من يمنعك منى؟ فقال ﷺ: الله، فدفع جبريل فى صدره، فوقع السيف من يده، فأخذه النبى ﷺ فقال: من يمنعك منى؟ فقال: لا أحد، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، ثم أتى قومه فدعاهم إلى الإسلام. وأنزل الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هَمَّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكفَّ أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون**﴾[1]، ويقال: كان ذلك فى ذات الرقاع][2].

[وقال ابن إسحاق: فأقام بنجد صفراً كله أو قريباً من ذلك، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً، فلبث بها شهر ربيع الأول كله إلا قليلاً منه][3].

* * *

---

(١) المائدة: ١١.

(٢) (المواهب اللدنية): ١/ ٣٨٨ - ٣٨٩.

(٣) (سيرة ابن هشام): ٣/٣١٢.

غـــزوة بحـــران

ثم خرج ﷺ إلى بحران من ناحية الفرع، فى سادس [جمادى] الأولى على رأس سبعة وعشرين شهرا، ثم عاد بعد عشر ليالى، ولم يلق ﷺ كيدا، [واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم][١].

[وسببها : أنه بلغه ﷺ أن بها جمعًا كبيراً من بنى سليم، فخرج فى ثلاثمائة رجل من أصحابه، فوجدهم قد تفرقوا فى مياههم، فرجع ولم يلق كيداً][٢].

[قال ابن إسحاق : حتى بلغ بحران من ناحية الفُرُع بضمتين، يقال : هى أول قرية مارت إسماعيل وأمه التمر بمكه، وهى من ناحية المدينة، وفيها عينان يقال لهما : الربض والنجف، يسقيان عشرين ألف نخلة، كانت لحمزة بن عبد الله بن الزبير، والفرع بفتحتين موضع بين الكوفة والبصرة، فأقام بها شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى، ثم رجع إلى المدينة، ولم يلق كيدا][٣].

---

(١) زيادة للسياق من كتب السيرة.

(٢) (المواهب اللدنية) : ١/ ٣٨٩.

(٣) (سيرة ابن هشام) : ٣/ ٣١٣.

غـــزوة أحـــد

ثم كانت غزاة أحد، يوم السبت لسبع خلون من شوال، على رأس اثنتين وثلاثين شهرا ظاهر المدينة، [واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم](١).

[قال الواقدى: وقد روى كثير من الصحابة ممن شهد أُحدا قال كل واحد منهم: والله إنى لأنظر إلى هند وصواحبها منهزمات، وكلما أتى خالد من قبل مسيرة النبى ﷺ ليجوز حتى يأتى من قبل السفح فيرده الرماة، حتى فعلوا ذلك مرارا، ولكن المسلمين أتوا من قبل الرماة. إن رسول الله ﷺ أوعز إليهم فقال: قوموا على مصافكم هكذا فاحموا ظهرنا، فإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا، وإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا](٢).

[فلما انهزم المشركون وتبعهم المسلمون، يضعون السلاح فيهم، حيث شاءوا حتى أجهضوهم عن العسكر، ووقعوا ينتهبون العسكر](٢).

[قال بعض الرماة لبعض: لم تقيمون هنا فى غير شئ؟ قد هزم الله العدو، وهؤلاء إخوانكم ينتهبون عسكرهم، فادخلوا عسكر المشركين فاغنموا مع إخوانكم، فقال بعض الرماة لبعض: ألم تعلموا أن رسول الله ﷺ قال لكم: احموا ظهورنا فلا تبرحوا مكانكم، وإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا نغنم فلا تشركونا، احموا ظهورنا؟](٢).

---

(١) زيادة للسياق من كتب السيرة.

(٢) (مغازى الواقدى): ١/ ٢٢٩ وما بعدها مختصراً.

[فقال الآخرون: لم يرد رسول الله هذا، وقد أذل الله المشركين وهزمهم، فادخلوا العسكر فانتهبوا مع إخوانكم يقول رافع بن خديج: فكنا أتينا من قبل أنفسنا ومعصية نبينا، واختلط المسلمون وصاروا يقتلون ويضرب بعضهم بعضا، ما يشعرون به من الدهشة والعجل. ولقد جرح يومئذ أسيد بن حُضَيْر جرحين، ضربه أحدهما أبو بردة وما يدرى، يقول: خذها وأنا الغلام الأنصارى! وكر أبو زغنة فى حومة القتال فضرب أبا بردة ضربتين وما يشعر، إنه يقول: خذها وأنا أبو زغنة! حتى عرفه بعد ذلك، فكان إذا لقيه قال: انظر إلى ما صنعت بى، فيقول له أبو زغنة: أنت ضربت أسيد ابن حضير ولا تشعر، ولكن هذا الجرح فى سبيل الله][(١)].

[فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال ﷺ: هو فى سبيل الله، يا أبا بردة لك أجره، حتى كأنه ضربك أحد من المشركين، ومن قتل فهو شهيد][(١)].

[وكانت عائشة زوج النبى ﷺ خرجت فى نسوة تستروح الخبر -ولم يضرب الحجاب يومئذ- حتى إذا كانت بمنقطع الحرة وهى هابطة من بنى حارثة إلى الوادى، لقيت هند بنت عمرو بن حرام، أخت عبد الله بن عمرو ابن حرام تسوق بعيرا لها، عليه زوجها عمرو بن الجموح، وابنها خلاد بن عمرو، وأخوها عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر، فقالت عائشة -رضى الله عنها- عندك الخبر، فما وراءك؟ فقالت: هند: خيرا؛ أما رسول الله فصالح، وكل مصيبة بعده جلل][(١)].

[واتخذ الله من المؤمنين شهداء، ﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا﴾[(٢)]].

---

(١) (مغازى الواقدى): ١/ ٢٢٩ وما بعدها مختصراً.

(٢) الأحزاب: ٢٥.

غـــزوة حمـراء الأسـد

وخرج يوم الأحد، صبيحة أُحد إلى حمراء الأسد، فى طلب قريش، ثم عـاد بعـد ثلاث، ولم يلق كـيـدا، [واسـتـخلف على المدينة ابن أم مكتوم](١).

[قال الواقدى: وكانت يوم الأحد لثمان خلون من شوال، على رأس اثنين وثلاثين شهرا، ودخل المدينة يوم الجمعة وغاب خمسا](٢).

[وقال جابر بن عبد الله: يا رسول الله، إن مناديا نادى ألا يخرج معنا إلا من حضر القتال بالأمس، وقد كنت حريصًا على الحضور، ولكن أبى خلفنى على أخوات لى وقال: يا بنى، لا ينبغى لى ولك أن ندعهن ولا رجل عندهن، وأخاف عليهن وهن نسيات ضعاف؛ فأذن لى يا رسول الله أن أسير معك، فأذن له رسول الله ﷺ](٢).

[قال جابر: فلم يخرج معه أحد لم يشهد القتال بالأمس غيرى، واستأذنه رجال لم يحضروا القتال فأبى ذلك عليهم](٢).

[وخرج رسول الله ﷺ وهو مجروح، فى وجهه أثر الحلقتين، ومشجوج فى جبهته فى أصول الشعر، ورباعيته قد شطيت، وشفته قد كلمت من باطنها، وهو متوهن منكبه الأيمن بضربة ابن قميئة، وركبتاه محجوشتان](٢).

---

(١) زيادة للسياق من كتب السيرة.

(٢) (مغازى الواقدى) : ١ / ٣٣٤ وما بعدها مختصراً.

[فدخل رسول الله ﷺ المسجد فركع ركعتين، والناس قد حشدوا، ونزل أهل العوالى حيث جاءهم الصريخ، وبعث رسول الله ﷺ ثلاثة نفر من أسلم طليعة فى آثار القوم، فلحقوهم بحمراء الأسد، ولهم زجل، وهم يأتمرون بالرجوع](١).

[ومضى رسول الله ﷺ فى أصحابه حتى عسكروا بحمراء الأسد، قال جابر: وكان عامة زادنا التمر؛ وحمل سعد بن عبادة ثلاثين جملا حتى وافت الحمراء، وساق جزرا فنحروا فى يوم اثنين وفى يوم ثلاثا](١).

[وكان رسول الله ﷺ يأمرهم فى النهار بجمع الحطب، فإذا أمسوا أمرنا أن نوقد النيران، فيوقد كل رجل نارا، فلقد كنا تلك الليالى نوقد خمسمائة نار حتى ترى من المكان البعيد، وذهب ذكر معسكرنا ونيراننا فى كل وجه حتى كان مما كبت الله تعالى عدونا](١).

[ومر بأبى سفيان نفر من عبد القيس يريدون المدينة، فقال: هل أنتم مبلغوا محمدا وأصحابه ما أرسلكم به، على أن أوقر لكم أباعركم زبيبا غدا بعكاظ، إن أنتم جئتمونى؟ قالوا: نعم، قال: حيثما لقيتم محمدا وأصحابه فأخبروهم أنا قد أجمعنا الرجعة إليهم، وأنا فى آثارهم، فانطلق أبو سفيان](١).

[وقدم الركب على النبى ﷺ وأصحابه بالحمراء، فأخبروهم الذى أمرهم أبو سفيان، فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، وفى ذلك أنزل الله عز وجل: ﴿ **الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح** ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿ **الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** ﴾(٣)].

---

(١) (مغازى الواقدى): ١ / ٣٣٤ وما بعدها.

(٢) آل عمران: ١٧٢.

(٣) آل عمران: ١٧٣.

غـــزوة بنى النضيـــر

ثم خرج ﷺ إلى غزوة بنى النضير من اليهود، فى ربيع الأول، على رأس سبعة وعشرين شهرا من الهجرة، فى قول الواقدى. وقال الزهرى: [هى] غزوة كانت على رأس ستة أشهر من وقعة [بدر] قبل أحد. وجعلها ابن إسحاق بعد بئر معونة وأحد، فحصرهم ست ليالى، حتى أنزلهم وجلاهم عن المدينة، ثم عاد بعد خمسة عشر يوما(١)، [واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم](٢).

[قال ابن إسحاق: ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بنى النضير يستعينهم فى دية القتيلين من بنى عامر، فلما أتاهم رسول الله ﷺ قالوا: نعم يا أبا القاسم، نُعينُكَ على ما أحببت مما استعنت بنا عليه](٣).

[ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه -ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد -فمن رجل يعلو على هذا البيت، فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه؟](٣).

[فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب، أحدهم، فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقى عليه صخرة كما قال، ورسول الله ﷺ فى نفر من أصحابه، فيهم: أبو بكر، وعمر وعلى - رضوان الله تعالى عليهم](٣).

---

(١) قال الواقدى: كانت فى ربيع الأول، على رأس سبعة وثلاثين شهراً من مهاجرة النبى ﷺ. (المغازى): ١/ ٣٦٣.

(٢) زيادة للسياق من كتب السيرة.

(٣) (سيرة ابن هشام): ٤/ ١٤٣ - ١٤٦ مختصراً.

[فأتى رسولَ الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعا إلى المدينة، فلما استلبث النبي ﷺ أصحابه، قاموا في طلبه، فلقوا رجلا مقبلا من المدينة، فسألوه عنه؛ فقال: رأيته داخلا المدينة، فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه ﷺ، فأخبرهم الخبر بما كانت اليهود أرادت من الغدر به، وأمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ لحربهم والسير إليهم](١).

[قال ابن إسحاق: فتحصنوا منه في الحصون، فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخيل والتحريق فيها، فنادوه: أن يا محمد! قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه، فما بال قطع النخيل وتحريقها؟](١).

[قال أهل التأويل: وقع في نفوس المسلمين من هذا الكلام شئ، حتى أنزل الله تعالى: ﴿**ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها**﴾، واللينة: ألوان التمر ما عدا العجوة والبرني، ففي هذه الآية: أن النبي ﷺ لم يحرق من نخلهم إلا ما ليس بقوت للناس، وكانوا يقتاتون العجوة، وقال تعالى: ﴿**لينة**﴾، ولم يقل: نخلة على العموم، تنبيها على كراهة قطع ما يقتات ويغذو من شجر العدو، إذا رجي أن يصير إلى المسلمين](١).

[وخلوا الأموال لرسول الله ﷺ، فكانت لرسول الله ﷺ خاصة، يضعها حيث يشاء، فقسمها رسول الله ﷺ على المهاجرين الأولين دون الأنصار، إلا أن سهل بن حنيف وأبا دجانة سماك بن خرشة ذكرا فقراً، فأعطاهما رسول الله ﷺ](١).

[ولم يسلم من بني النضير إلا رجلان: يامين بن عمير، أبو كعب بن عمرو بن جحاش، وأبو سعد بن وهب أسلما على أموالهما فأحرزاها](١).

---

(١) (سيرة ابن هشام): ٤ / ١٤٣ - ١٤٦ مختصراً.

[قال ابن إسحاق: وقد حدثنى بعض آل يامين: أن رسول الله ﷺ قال ليامين: ألم تر ما لقيت من ابن عمك، وما هم به؟ فجعل يامين بن عمير لرجل جُعْلاً على أن يقتل له عمرو بن جحاش، فقتله فيما يزعمون].

[ونزل فى بنى النضير سورة الحشر بأسرها، يذكر فيها ما أصابهم الله به من نقمته، وما سلط عليهم به رسول الله ﷺ، وما عمل به فيهم(١)].

* * *

(١) (سيرة ابن هشام: ٤/ ١٤٣ - ١٤٦ مختصراً

غـــزوة بـدر الموعـد

وخرج ﷺ إلى بدر الموعد لهلال ذى القعدة، على رأس خمسة وأربعين شهرا، فأقام بها ليوافيه أبو سفيان، فلم يأته، وعاد بعد ست عشرة ليلة إلى المدينة، ولم يلق كيدا. [واستعمل على المدينة عبد الله بن أبى ابن سلول الأنصارى](١).

[خرج رسول الله ﷺ لملاقاة أبى سفيان فى شعبان إلى بدر لميعاد أبى سفيان، قال ابن إسحاق: فأقام عليه ثمانى ليال ينتظر أبا سفيان، وخرج أبو سفيان فى أهل مكة حتى نزل مجنة، من ناحية الظهران](٢).

[وبعض الناس يقول: قد بلغ عسفان، ثم بدا له فى الرجوع، فقال: يا معشر قريش، إنه لا يصلحكم إلا عام خصيب ترعون فيه الشجر، وتشربون فيه اللبن، وإن عامكم هذا عام جدب، وإنى راجع، فارجعوا، فرجع الناس. فسماهم أهل مكة جيش السويق، يقولون: إنما خرجتم تشربون السويق](٢).

[وأقام رسول الله ﷺ على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده، فأتاه مخشى بن عمرو الضمرى، وهو الذى كان وادعه على بنى ضمرة فى غزوة ودان، فقال: يا محمد، أجئت للقاء قريش على هذا الماء؟ قال: نعم يا أخا بنى ضمرة، وإن شئت مع ذلك رددنا إليك ما كان بيننا وبينك، ثم جالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك، قال: لا والله يا محمد، مالنا بذلك منك حاجة(٢)].

---

(١) زيادة للسياق من كتب السيرة.

(٢) (سيرة ابن هشام): ٤/ ١٦٥.

غـزوة ذات الرقـاع

ثـم خـرج ﷺ إلى غـزوة ذات الرقاع من نخل، ليلة السبت، لعـشر خلون من المحرم، على رأس سبعة وأربعين شهرا، يريد أنمارا وثعلبة، فبلغ صرار، وعاد يوم الأحد لخمس بقين منه، [فكانت] غيبته خمسة عشرة ليلة، ولم يلق كيدا، [واستخلف على المدينة عثمان بن عفان -رضى الله عنه](١).

[قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد غزوة بنى النضير شهر ربيع الآخر، وبعض جمادى، ثم غرا نجدا يريد بنى محارب وبنى ثعلبة من غطفان، حتى نزل نخلا [موضع بنجد]، وهى غزوة ذات الرقاع](٢).

[قال ابن هشام : وإنما قيل لها غزوة ذات الرقاع، لأنهم رفعوا فيها راياتهم، ويقال : ذات الرقاع شجرة بذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع](٢).

[وذكر غيره : أنها أرض فيها يقع سود، ويقع بيض، كأنها مرقعة برقاع مختلفة، فسميت ذات الرقاع لذلك، وكانوا قد نزلوا فى تلك الغزاة](٢).

[وأصح من هذه الأقوال كلها، ما رواه البخارى فى صحيحه من طريق أبى موسى الأشعرى، قال : « خرجنا مع النبى ﷺ فى غزاة ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقبه، فنقبت أقدامنا، ونقبت قدماى، وسقطت أظفارى، فكنا نلف على أرجلنا الخرق، فسميت غزوة ذات الرقاع، لما كنا نعصب من

---

(١) قال ابن إسحاق : واستعمل على المدينة أبا ذر الغفارى؛ ويقال : عثمان بن عفان، فيما قال ابن هشام، (المرجع السابق).

(٢) (سيرة ابن هشام) : ٤ / ١٥٧ - ١٦٥ .

الخرق على أرجلنا، فحدق أبو موسى بهذا، ثم كره ذلك فقال: ما كنت أصنع بأن أذكره، كأنه كره أن يكون شيئا من عمله أفشاه](١).

[قال ابن إسحاق: فلقى بها جمعا عظيما من غطفان، فتقارب الناس، ولم يكن بينهم حرب، وقد خاف الناس بعضهم بعضا حتى صلى رسول الله ﷺ بالناس صلاة الخوف ثم انصرف بالناس](١).

[قال ابن إسحاق: وحدثنى عمرو بن عبيد، عن الحسن، عن جابر بن عبد الله، أن رجلا من بنى محارب، يقال له: غورث، قال لقومه من غطفان ومحارب: ألا أقتل لكم محمدا؟ قالوا: بلى، وكيف نقلته؟ قال: أفتك به، قال: فأقبل إلى رسول الله ﷺ وهو جالس، وسيف رسول الله ﷺ فى حجره، فقال: يا محمد، انظر إلى سيفك هذا؟ قال: نعم -وكان محلى بفضة، فيما قال ابن هشام- قال: فأخذه فاستله، ثم جعل يهزه، ويهم فيكبته الله تعالى، ثم قال: يا محمد! أتخافنى؟ قال: لا، وما أخاف منك؟ قال: أما تخافنى وفى يدى السيف؟ قال: لا، يمنعنى الله منك، ثم عمد إلى سيف رسول الله ﷺ فرده عليه](١).

[قال: فأنزل الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون**﴾](١).

[قال ابن إسحاق: وحدثنى يزيد بن رومان، أنها إنما أنزلت فى عمرو بن جحاش، أخى بنى النضير، وما هم به، فالله أعلم أى ذلك كان](١).

[ثم حكى ابن إسحاق قصة جمل جابر بن عبد الله -رضى الله عنه- وتخلفه، وأنه سبق بعد ذلك ببركة رسول الله ﷺ، ثم قال ﷺ: يا جابر،

---

(١) (سيرة ابن هشام): ٤/ ١٥٧ - ١٦٥.

هل تزوجت بعد؟ قال: قلت: نعم يا رسول الله، قال ﷺ: أثيبا أم بكرا؟ قال: لا، بل ثيبا؛ قال: أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك! قال: قلت: يا رسول الله، إن أبى أصيب يوم أحد، وترك بنات له سبعا، فنكحت امرأة جامعة تجمع رؤوسهن، وتقوم عليهن؛ قال: أصبت إن شاء الله](١).

[قال: فلما جئنا صرارا [موضع قريب من المدينة] أمر رسول الله ﷺ بجزور فنحرت، وأقمنا عليها ذلك اليوم، فلما أمسى رسول الله ﷺ دخل ودخلنا](١).

[فترك رسول الله ﷺ منزلا، فقال: من رجل يكلؤنا ليلتنا هذه؟ فانتدب رجل من المهاجرين، رجل آخر من الأنصار، فقالا: نحن يا رسول الله، قال: فكونا بفم الشعب، قال: وكان رسول الله ﷺ وأصحابه قد نزلوا إلى شعب من الوادى، وهما: عمار بن ياسر، وعباد بن بشر، فيما قال ابن هشام](١).

[قال ابن إسحاق: فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب، قال الأنصارى للمهاجرى: أى الليل تحب أن أكفيكه: أوله أم آخره؟ قال: بل اكفنى أوله، قال: فاضطجع المهاجرى فنام، وقام الأنصارى يصلى، قال: وأتى الرجل، فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيئة القوم أى الطليعة الذى يحرس القوم من مكان مرتفع](١).

[قال: فرمى بسهم فوضعه فيه، قال: فنزعه ووضعه، فثبت قائما، قال: ثم رماه بسهم آخر، فوضعه فيه، قال: فنزعه ووضعه فيه، وثبت قائما، ثم عادله بالثالث، فوضعه فيه، قال: فنزعه فوضعه، ثم ركع وسجد، ثم أهب صاحبة فقال: اجلس قد أثبت «أى جرحت جراحة بالغة»](١).

---

(١) (سيرة ابن هشام): ٤/ ١٥٧ - ١٦٥.

[قال: فوثب، فلما رآهما الرجل عرف أن قد نذرا به، فهرب، قال: ولما رأى المهاجرى، بالأنصارى من الدماء، قال: سبحان الله! أفلا أهببتنى أول ما رماك؟ قال: كنت فى سورة أقرأها، فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها «أتم قراءتها»، فلما تابع على الرمى ركعت فآذنتك، وايم الله لولا أن أضيع ثغرا أمرنى رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسى قبل أن أقطعها أو أنفذها](١).

[وفى هذا الحديث من الفقه صلاة المجروح، وفيه متعلق لمن يقول: إن غسل النجاسة لا يعد فى شروط صحة الصلاة، وفيه من الفقه أيضا تعظيم حرمة الصلاة، وأن للمصلى أن يتمادى عليها وإن جر إليه ذلك القتل، وتفويت النفس، مع أن التعرض لفوات النفس لا يحل إلا فى حالة المحاربة، ألا ترى إلى قوله: «لولا أن أضيع ثغرا أمرنى رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسى قبل أن أقطعها أو أنفذها» يعنى السورة التى كان يقرأها](١).

[قال ابن إسحاق: ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة من غزوة الرقاع، أقام بها بقية جمادى الأولى، وجمادى الآخرة، ورجبا](١).

---

(١) (سيرة ابن هشام): ٤/١٥٧ - ١٦٥ مختصرا.

غـزوة دومـة الجنـدل

ثم خـرج ﷺ إلى غـزاة دومـة الجندل، فى الخـامس والعـشـرين من ربيع الأول، على رأس تسعة وأربعين شهرا، وعاد فى العشرين من ربيع الآخر، [واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة][1].

[دومة الجندل: بينها وبين المدينة خمس عشر ليلة بسير الإبل، وسميت بدومى بن إسماعيل عليه السلام، لأنها نزلها][2].

[كانت غزوة دومة الجندل –كما قال الواقدى– فى ربيع الأول على رأس تسعة وأربعين شهرا، خرج رسول الله ﷺ لخمس ليال بقين من ربيع الأول، وقدم لعشر بقين من ربيع الآخر][2].

[[لما] أراد رسـول الله ﷺ أن يدنو إلى الشـام، وقـيل له: إنهـا طرف من أفواه الشام، فلو دنوت لها كان ذلك مما يفزع قيصر، وقد ذكر له أن بدومة الجندل جمعا كثيرا، وأنهم يظلمون من مرَّ بهم من الضافطة [جمع ضافط، وهو الذى يجلب الميرة والمتاع إلى المدن، والمكارى الذى يكرى الأحمال، وكانوا يؤمئذ قوما من الأنباط، يحملون إلى المدينة الدقيق والزيت]، وكان بها سوق عظيم وتجار، وضوى إليهم قوم من العرب كثير، وهم يريدون أن يدنوا من المدينة][2].

[فندب رسـول الله ﷺ الناس، فـخـرج فى ألفين من المسلمين، فكان يسير الليل ويكمن النهار، ومعه دليل من بنى عذرة يقال له: مذكور، هاد خِرِّيتٌ [ماهر بالطرق ومسالكها][2].

(١) زيادة للسياق من كتب السيرة.

(٢) (مغازى الواقدى): ١/ ٤٠٢ – ٤٠٤ مختصراً.

[فخرج رسول الله ﷺ مُغذًا للسير، ونكب عن طريقهم، ولما دنا رسول الله ﷺ من دومة الجندل -وكان بينه وبينها يوم أو ليلة سير الراكب المعتق- [السريع]، قال له الدليل: يا رسول الله: إن سوائمهم ترعى، فأقم لى حتى أطلع لك، قال رسول الله ﷺ: نعم](١).

[فخرج العذرى طليعة حتى وجد آثار النعم والنساء وهم مغربون، ثم رجع إلى النبى ﷺ فأخبره، وقد عرف مواضعهم، فسار النبى ﷺ حتى هجم على ماشيتهم ورعائهم، فأصاب رسول الله ﷺ من أصاب، وهرب من هرب فى كل وجه، وجاء الخبر أهل دومة الجندل فتفرقوا](١).

[ونزل رسول الله ﷺ بساحتهم، فلم يجد بها أحدا، فأقام بها أياما وبث السرايا، وفرقها، حتى غابوا عنه يوما ثم رجعوا إليه، ولم يصادفوا منهم أحدا، وترجع السرية بالقطعة من الإبل، إلا أن محمد بن مسلمة أخذ رجلا منهم، فأتى به النبى ﷺ، فسأله عن أصحابه فقال: هربوا أمس حيث سمعوا بأنك قد أخذت نعمهم](١).

[فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام أيامًا فأسلم، فرجع النبى ﷺ إلى المدينة](١).

* * *

(١) (مغازى الواقدى): ١/ ٤٠٢ - ٤٠٤.

غـزوة المـريسيـع

ثـم خـرج ﷺ إلى غزاة المر يسيع، يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان سنة خـمس من الهـجـرة، فأوقع بنى المصطلق من خـزاعـة، وعـاد لهـلال رمضان، فغاب شهرا إلا ليلتين، وعند ابن إسحاق: أنها كانت فى شعبان من السنة السادسة، [واستخلف على المدينة زيد بن حارثة][(١)].

[[المر يسيع]: بضم أوله وفتح ثانيه بعده ياء ساكنه، وسين مكسورة مهملة، بعدها ياء أخرى، وعين مهملة، على لفظ التصغير: قرية من وادى القرى، كان الزبير بن خبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير نازلا فى ضيعته بالمر يسيع، مقيما فى مسجدها، لا يخرج منها إلا إلى وضوء، فكان دهره كالمعتكف][(٢)].

[قال البخارى: المر يسيع: ماء بنجد، فى ديار بنى المصطلق من خزاعة][(٢)].

[قال ابن إسحاق: من ناحية قديد إلى الشام، غزاة رسول الله ﷺ سنة ست، فهى غزوة المر يسيع، وغزوة بنى المصطلق، وغزوة نجد، قال ابن إسحاق: سنة ست، وقال موسى بن عقبة: سنة أربع، قال الزهرى: وفيها كان حديث الإفك][(٢)].

[قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعض جمادى الآخرة ورجبا، ثم غزا بنى المصطلق من خزاعة، فى شعبان سنة ست][(٢)].

---

(١) قال ابن هشام: واستعمل على المدينة أبا ذر الغفارى، ويقال: نميلة بن عبد الله الليثى.

(٢) المرجع السابق (سيرة ابن هشام): ٤/٢٥٢.

[قالوا: [لما] بلغ رسول الله ﷺ أن بني المصطلق يجمعون له، وقائدهم الحارث بن أبي ضرار، أبو جويرية بنت الحارث، زوج رسول الله ﷺ، فلما سمع رسول الله ﷺ بهم خرج إليهم حتى لقيهم على ماء لهم يقال له: المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل، فتزاحف الناس واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق، وقتل من قتل منهم، ونفل رسول الله ﷺ أبناءهم، ونساءهم، وأموالهم][1].

[وقد استشهد رجل من المسلمين يقال له: هشام بن صبابة، أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت، وهو يرى أنه من العدو، فقتله خطأ][1].

[ثم راح رسول الله ﷺ بالناس، وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فويق النقيع يقال له: بقعاء، فلما راح رسول الله ﷺ هبت على الناس ريح شديدة آذتهم، وتخوفوها][1].

[فقال رسول الله ﷺ: لا تخافوها، فإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار، فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت، أحد بني قينقاع، وكان عظيما من عظماء اليهود، وكهفا للمنافقين، مات في ذلك اليوم][1].

[وقدم مقيس بن صبابة من مكة مسلما -فيما يظهر- فقال: يا رسول الله، جئتك مسلما، وجئتك أطلب دية أخي، قتل خطأ، فأمر له رسول الله ﷺ بدية أخيه هشام بن صبابة، فأقام عند رسول الله ﷺ غير كثير، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله، ثم خرج إلى مكة مرتدا][1].

---

(١) (المرجع السابق).

[وكان رسول الله ﷺ قد أصاب منهم سبيا كثيرا، فشا قسمه بين المسلمين، وكان فيمن أصيب من السبايا جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار زوج رسول الله ﷺ][1].

[وقد أقبل رسول الله ﷺ من سفره ذلك، حتى إذا كان قريبا من المدينة، وكانت معه عائشة فى سفره ذلك، قال فيها أهل الإفك ما قالوا][1].

---

(١) (سيرة ابن هشام): ٤ / ٢٥٢ وما بعدها مختصرا، وحديث الإفك معروف أمسكنا عن ذكره لطوله واشتهاده.

[غـزوة الخنـدق]

ثم كانت غزاة الخندق، ظاهر المدينة، فى ذى القعدة سنة خمس، وقيل: كانت فى شوال، وقيل: بل كانت فى سنة أربع، فأقام فيها خمسة عشر يومًا، وقيل: عشرين يومًا، وقيل: نحو شهر، ولم يتجاوز أرض المدينة، [وهى آخر غزاة غزاها أهل الكفر إليه ﷺ]، [واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم][(١)].

[لم يكن حفر الخندق من عادة العرب، ولكنه من مكايد الفرس وحربها، ولذلك أشار به سلمان الفارسى رضى الله عنه][(٢)].

[كان من حديث الخندق: أن نفراً من اليهود حَزَّبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ، خرجوا حتى قدموا على قريش مكة، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله][(٢)].

[فلما سمع بهم رسول الله ﷺ وما أجمعوا له من الأمر، ضرب الخندق على المدينة، فعمل فيه رسول الله ﷺ ترغيبًا للمسلمين فى الأجر، وعمل معه المسلمون فَدَأَبَ فيه ودأبوا، وأبطأ عن رسول الله ﷺ وعن المسلمين فى عملهم ذلك رجال من المنافقين، وظهر أثناء حفر الخندق كثير من المعجزات ودلائل النبوة، سبق ذكرها فى أبواب معجزات النبى ﷺ][(٢)].

ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة، بين الجرف وزَغابة [أسماء مواضع] فى عشرة آلاف من

---

(١) زيادة للسياق من كتب السيرة.

(٢) (سيرة ابن هشام) : ٤ / ١٧٠ - ١٩٢ مختصراً.

أحابيشهم، ومن تبعهم من بنى كنانة، وأهل تهامة، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد،، حتى نزلوا بذَنَب نَقْمَى، إلى جانب أُحد، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع [جبل بالمدينة] فى ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هنالك عسكره، والخندق بينه وبين القوم، وأمر بالذرارى والنساء فَجُعِلُوا فى الآكام، [الحصون].][(1)].

[وعظم عند ذلك البلاء، واشتد الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم، ومن أسفل منهم، حتى ظن المؤمنون كل الظن، ونجم النفاق من بعض المنافقين، حتى قال معتب بن قُشير، أخو بنى عمرو بن عوف: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط][(1)].

[قال ابن هشام: وأخبرنى من أثق به من أهل العلم أن معتب بن قُشير لم يكن من المنافقين، واحتج بأنه كانت من أهل بدر][(1)].

[قال ابن إسحاق: وحتى قال أَوْس بن قيظى أحد بنى حارثة بن الحارث: يا رسول الله، إن بيوتنا عورة من العدو، وذلك عن ملأ من رجال قومه، فأذن لنا أن نخرج فنرجع إلى دارنا، فإنها خارج من المدينة، فأقام رسول الله ﷺ، وأقام عليه المشركون بضعًا وعشرين ليلة، قريبًا من شهر، لم تكن بينهم حرب إلا الرمى بالنبل والحصار][(1)].

[قال ابن إسحاق: وكانت عائشة أم المؤمنين فى حصن بنى حارثة يوم الخندق، وكان من أحرز حصون المدينة. قال: وكانت أم سعد بن معاذ معها فى الحصن، فقالت عائشة وذلك قبل أن يُضرب عليها الحجاب: فمرَّ سعد وعليه درع له مقصلة [قصيرة قد ارتفعت عن حدها]، قد خرجت منها ذراعه كلها، وفى يده حربته يرفل بها ويقول:][(1)].

(1) (سيرة ابن هشام): ٤/ ١٧٠ - ١٩٢ مختصراً.

[لبِّثْ قليلاً يشهد الهيجا جمل
لا بأس بالموت إذا حان الأجل][1]

[فقالت له أمه: أَلحقْ أى بنى، فإنك والله أخَّرْتَ!][1]

[قالت عائشة: فقلتُ لها يا أم سعد، والله لوددت أنَّ درع سعد كانت أسبغ مما هى؟ قال: وخفت عليه حيث أصاب السهم منه، فَرُمِى سعد بن معاذ بسهم، فقطع منه الأكحل [عرق فى وسط الذراع]، رماه كما حدثنى عاصم بن عمرو بن قتادة: حبان بن قيس بن العرقة، أحد بنى عامر بن لؤى، فلما أصابه قال: خذها منى وأنا ابن العرقة، فقال له سعد: عرَّق الله وجهك فى النار، اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئًا فأبقنى لها، فإنه لا قوم أحب إلىَّ أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه. اللهم إن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لى شهادة، ولا تمتنى حتى يُقرَّ عينى من بنى قريظة.][1]

[فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس، وكان من صُنع الله لرسوله ﷺ أن أرسل أبو سفيان بن حرب ورؤوس غطفان إلى بنى قريظة: عكرمة بن أبى جهل فى نفر من قريش وغطفان، فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام، قد هلك الخف والحافر [الإبل والخيل]، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً، ونفرغ ما بيننا وبينه، فأرسلوا إليهم: إن اليوم يوم السبت، وهو يوم لا نفعل فيه شيئًا، وقد كان أحدث بعضنا حدثًا، فأصابه ما لم يخف عليكم، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهنًا من رجالكم يكونون بأيدينا، ثقة لنا نناجز محمداً، فإنا نخشى إن ضرَّتكم الحرب [نالت منكم]، واشتد عليكم القتال أن تنشمروا [ترجعوا] إلى بلادكم، وتتركونا، والرجُل فى بلادنا، ولا طاقة لنا بذلك منه.][1]

(١) (سيرة ابن هشام): ٤/ ١٧٠ – ١٩٢ مختصراً.

[فلما رجعتْ إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة، قالت قريشٌ وغطفان: والله إن الذى حدثكم نعيم بن مسعود لحق، فأرسَلوا إلى بنى قريظة: إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا](١).

[فقالت بنو قريظة حين انتهت الرسل إليهم بهذا: إن الذين ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا فإن رأوا فرصة انتهزوها، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم، خلوا بينكم وبين الرجل فى بلدكم، فأرسلوا إلى قريش وغطفان إنا والله لا نقاتل معكم محمداً حتى تُعطونا رُهُنا، فأبوا عليهم، وخذَّل الله بينهم](١).

[وبعث الله عليهم الريح فى ليالٍ شاتية باردة شديدة البرد، فجعلت تكفأ قدورهم، وتطرح أبنيتهم، ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخف، وأحلفتنا بنو قرطيظة، وبلغنا عنهم الذى نكره ولقينا من شدة الريح ما ترون، ما تطمئن لنا قِدْرٌ، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإنى مُرتحل](١).

[قال ابن إسحاق: ولما أصبح رسول الله ﷺ انصرف عن الخندق راجعًا إلى المدينة، والمسلمين، ووضعوا السلاح(١)].

* * *

---

(١) (سيرة ابن هشام): ٤/ ١٧٠ - ١٩٢ مختصراً.

[غـزوة بنى قُرَيْظَـة]

وخرج [ﷺ] إلى غزاة بنى قريظة من اليهود، يوم الأربعاء لسبع خلون من ذى الحجة، سنة خمس، فحصرهم خمسًا وعشرين ليلة، وقيل: خمسة عشر يومًا، وقيل: شهرًا، حتى نزلوا، فقتل المقاتلة، وسبى النساء والذّرية، [واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم](١).

[قال ابن إسحاق: فلما كانت الظهيرة أتى جبريلُ عليه السلام رسولَ الله ﷺ كما حدثنى الزهرى، معتجرًا [الاعتجار التعمم على الرأس فقط دون جوانب الوجه أو اللحية] بعمامة من إستبرق [ديباج غليظ حسن] على بغلة عليها رحالة [سرج] عليها قطيفة من ديباج، فقال: أوَقد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال: نعم، فقال جبريل: فما وضعت الملائكة السلاح بعد، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم، إن الله عزَّ وجلَّ يأمرك يا محمد بالمسير إلى بنى قريظة، فإنى عامد إليهم فمزلزل بهم](٢).

[فأمر رسول الله ﷺ مؤذنًا، فأذن فى الناس: من كان سامعًا مطيعًا فلا يصلين العصر إلا ببنى قريظة، وقدَّم رسول الله ﷺ عليَّ بن أبى طالب برايته إلى بنى قريظة، وابتدرها الناسُ، فسار عليٌّ بن أبى طالب حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ، فرجع حتى لقى رسول الله ﷺ بالطريق، فقال: يا رسول الله، لا عليك أن تدنوا من هؤلاء الأخابث، قال: لم؟ أظنك سمعت منهم لى أذى؟ قال: نعم يا رسول الله، قال: لو رأونى لم يقولوا من ذلك شيئًا، فلما دنا رسول الله ﷺ من

(١) زيادة للسياق من كتب السيرة.

(٢) (سيرة ابن هشام): ٤/١٩٢ - ٢١٢ مختصرًا.

حصونهم قال: يا إخوان القردة، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته؟ قالوا: يا أبا القاسم. ما كنت جهولاً](١).

[ومرَّ رسول الله ﷺ بنفر من أصحابه قبل أن يصل إلى بنى قريظة، قال: هل مرَّ بكم أحد؟ قالوا: يا رسول الله قد مرَّ بنا دِحْية بن خليفة الكلبى على بغلة بيضاء عليها رحالة، عليها قطيفة دباج، فقال رسول الله ﷺ: ذلك جبريل بُعث إلى بنى قريظة يزلزل بهم حصونهم، ويقذف الرعب فى قلوبهم، وحاصرهم رسول الله ﷺ خمساً وعشرين ليلة، حتى جهدهم الحصار، وقذف الله فى قلوبهم الرعب](١).

[قال ابن هشام: حدثنى بعض من أثق به من أهل العلم: أن على بن أبى طالب صاح وهم محاصرو بنى قريظة: يا كتيبة الإيمان، وتقدم هو والزبير بن العوام، وقال: والله لأذوقن ما ذاق حمزة أو لأفتحن حصنهم، فقالوا: يا محمد، ننزل على حكم سعد بن معاذ، ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله ﷺ بالمدينة فى دار بنت الحارث،- امرأة من بنى النجار - ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة، التى هى سوقها اليوم، فخندق بها خنادق، ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم فى تلك الخنادق، ثم يخرج بهم أرسالاً [طائفة بعد أخرى] وفيهم عدو الله حيىّ بن أخطب، وكعب بن أسد رأس القوم، وهم ستمائة أو سبعمائة، والمكثرلهم يقول: كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة، وأُتى بحيىّ بن أخطب مجموعة يداه إلى عنقه بحبل، فلما نظر إلى رسول الله ﷺ قال: أما والله ما لمتُ نفسى فى عداوتك، ولكنه من يخْذل الله يُخذل، ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس، إنه لا بأس بأمر الله، كتابٌ وقدر، ملحمةٌ كتبها الله على بنى إسرائيل، ثم جلس فضُربت عنقه، قال ابن إسحاق:](١).

---

(١) (سيرة ابن هشام): ٤/ ٩١٢ - ٢١٢ مختصراً.

[ثم إن رسول الله ﷺ قسم أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين، وأخرج منها الخمس، فعلى سنتها وما مضى من رسول الله ﷺ فيها وقعت المقاسم، ومضت السنة في المغازى][1].

[ثم بعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد الأنصارى بسبى من سبايا بني قريظة إلى نجد، فابتاع لهم بها خيلاً وسلاحًا][1].

[قال ابن إسحاق : فلما انقضى شأن بني قريظة، انفجر بسعد بن معاذ جرحه، فمات منه شهيداً[1].]

(١) (سيرة ابن هشام): ٤/ ١٩٢ - ٢١٢ مختصراً.

[غزوة بني لَحيان]

ثم خرج [ﷺ] إلى غزوة بني لحيان من هُذيل، لهلال ربيع الأول سنة ست، فنزل عسفان وعاد بعد أربع عشرة ليلة، وقيل: كانت في [جمادى] بعد بني قريظة، [واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم](١).

[قال ابن هشام: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفراً وشهرى ربيع، وخرج في جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح قريظة، إلى بني لحيان يطلب بأصحاب الرجيع: خُبيب بن عدى وأصحابه، وأظهر أنه يريد الشام، ليصيب من العدو غِرَّة](٢).

[قال ابن إسحاق: فسلك على غراب، - جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام -، ثم على محيص، ثم على البتراء، ثم صَفَّق [عدل] ذات اليسار، فخرج على بِين، ثم على صخيرات اليمام، ثم استقام به الطريق على المحجَّة من طريق مكة، إلى بلد يقال له: ساية، فوجدهم قد حذروا وتمنعوا في رؤوس الجبال، فلما نزلها رسول الله ﷺ وأخطأه من غِرتهم ما أراد، قال: لو أنَّا هبطنا عُسفان لرأى أهل مكة أنَّا قد جئنا مكة، فخرج في مائتي راكب من أصحابه حتى نزل عُسفان، ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغ كُراع الغَميم، ثم كَرَّ وراح رسول الله ﷺ قافلاً](٢).

[فكان جابر بن عبد الله يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول حين وجه راجعًا: آيبون تائبون إن شاء الله لربنا حامدون، أعوذ بالله من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، وسوء المنظر في الأهل والمال](٢).

---

(١) زيادة للسياق من كتب السيرة. (٢) المرجع السابق.

[غـزوة الغابـة]

ثم خـرج [ﷺ] إلى الغـابـة، فى طلب عـيينـة بن حـصن الفـزارى، لما أغـار على لقـاح رسـول الله ﷺ، فى يوم الأربعـاء لثـلاث خلون من ربيع الآخـر سـنة سـت، ورجـع ليلـة الإثنـين، وقـيـل: بـل خـرج إلى غـزاة المريسيع فى شـعبان، بعـد غزوة الغابة هذه، [واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم][1].

[وتعرف بذى قَرَد – بفتح القـاف وبالدال المهـملة – وهو ماء على بريد من المدينة، فى ربيع الأول سنة ست، قبل الحديبية][2].

[وعند البخارى أنها كانت قبل خيبر بثلاثة أيام، وفى مسلم نحوه. قال مغلطاى: وفى ذلك نظراً لإجماع أهل السير على خلافهما. قال القرطبى – شـارح مـسلم – لا يخـتـلف أهـل السـيـر أن غـزوة ذى قـرد كـانت قـبل الحديبية. وقال الحافظ ابن حجر: ما فى الصحيح من التاريخ لغزوة ذى قَرَد أصح مما ذكر أهل السير][2].

[وسـببـهـا أنه كـان لرسـول الله ﷺ عشـرون لَقْـحة – وهى ذوات اللبن، القـريبَـة العـهـد بالولادة – ترعى بالغـابة، وكـان أبو ذرّ فـيـهـا، فـأغـار عليـهـم عيينة بن حصن الفزارى ليلة الأربعاء، فى أربعين فارساً فاستاقوها، وقتلوا ابن أبى ذرّ][2].

[ونودى: يا خيل الله اركبى، وكان أول ما نودى بها، وركب رسول الله ﷺ فى خمسمائة، وقيل: سبعمائة وخلف سعد بن عبادة فى ثلاثمائة

(١) زيادة للسياق من كتب السيرة.

(٢) (المواهب اللدنية): ١ / ٤٧٤ – ٤٧٦.

يحرسون المدينة](١).

[وكان قد عقد للمقداد بن عمرو لواءً في رمحه وقال له: امض حتى تلحقك هذه الخيول، وأنا على أثرك، فأدرك أخريات العدو، وأدرك سلمة ابن الأكوع القوم وهو على رجليه، فجعل يرميهم بالنبل وهو يقول:](١)

[خـــذهــا وأنـــا بـــن الأكـــــوع
واليـــــوم يــــوم الـرُّضـــــع](١)

[يعني هلاك اللئام، من قولهم: لئيم راضع، أى راضع اللؤم في بطن أمه، وقيل: معناه: اليوم يعرف من أرضعته الحرب من صغره وتدرب بها، ويعرف غيره](١).

[وذهب الصريخ إلى بني عمرو بن عوف، فجاءت الأمداد، فلم تزل الخيل تأتي والرجال على أقدامهم وعلى الإبل حتى انتهوا إلى رسول الله ﷺ بذي قرد، فاستنفذوا عشر لقاح، وأفلت القوم بما بقي وهي عشر](١).

[وصلى رسول الله ﷺ بذي قرد صلاة الخوف، وأقام يومًا وليلة ورجع. وقد غاب خمس ليال، وقسم في كل مائة من أصحابه جزوراً ينحرونها](١).

---

(١) (المواهب اللدنية): ١/ ٤٧٤ - ٤٧٦، مختصراً.

[غـزوة خَيْبَر]

ثم خرج [ﷺ] إلى غزوة خيبر فى صفر سنة سبع، وقيل: كانت فى سنة ست، فحاصر اليهود حتى غَنَّمه الله ديارهم، وأموالهم، ومضى منها إلى وادى القرى، فقابل يهود، وأخذها عنوة، وانصرف بعد ما أقام بوادى القرى أربعة أيام، فقدم المدينة، [واستخلف على المدينة سباع بن عُرْفَطَة الغِفارى](١).

[أخرج البخارى من حديث أبى هريرة قال: شهدنا خيبر فقال رسول الله ﷺ لرجل ممن معه يدَّعى الإسلام: هذا من أهل النار، فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال حتى كثرت به الجراحة، فكاد بعض الناس يرتاب، فوجد الرجل ألم الجراحة فأهوى بيده إلى كنانته، فاستخرج منها سهمًا فنحر نفسه، فاشتدَّ رجال من المسلمين فقالوا: يا رسول الله، صدَّق الله حديثك، انتحر فلان فقتل نفسه، فقال: قم يا فلان فأَذِّن لا يدخل الجنة إلا مؤمن، إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر](٢).

[وقاتل النبى ﷺ أهل خيبر، وقاتلوه أشدّ القتال، واستشهد من المسلمين خمسة عشر، وقتل من اليهود ثلاثة وتسعون، وفتحها الله حصنًا حصنًا، وهى: النطاة، وحصن الصعب،، وحصن ناعم، وحصن قلعة الزبير، والشق، وحصن أُبىٍّ، وحصن البرئ، والقموص، والوطيح،

(١) زيادة للسياق من كتب السيرة.

(٢) رواه البخارى برقم (٤٢٠٣).

والسلالم، وهو حصن بنى أبى الحقيق][(١)].

[وأخذ كنز آل بنى الحقيق الذى كان فى مسك [جلد] الحمار، وكانوا غيبوه فى خربة، فدل الله رسوله عليه فاستخرجه][(١)].

* * *

(١) (المواهب اللدنية): ٤ / ٥١٧ – ٥٢٤ مختصراً.

[غـزوة الفتـح]

ثم كـانت غزاة الفـتـح، خـرج إليـهـا رسـول الله ﷺ من المدينة، يوم الأربعاء لعشر خلون من رمضان سنة ثمانٍ من الهجرة، ونزل الحجون يوم الجمعة، لعشر بقين منه، وقيل: لثلاث عشرة مضت منه، وكان يأتى المسجد من الحجون لكل صلاة، وقد فتح الله عليه مكة عنوة، وقيل: صلحًا، وقيل: بعضها عنوة، وبعضها صلحًا، [واستخلف ابن أم مكتوم](١).

[خرج رسول الله ﷺ بكتائب الإسلام وجنود الرحمن لنقض قريش العهد الذى وقع بالحديبية، فإنه كان قد وقع الشرط: أنه من أحب أن يدخل فى عقد رسول الله ﷺ وعهده فعل، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم فعل. فدخلت بنو بكر فى عقد قريش وعهدهم، ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله وعهده](٢).

[ثم خرج عليه السلام فأمر عائشة أن تجهزه ولاتعلم أحداً. قالت: فدخل عليها أبو بكر فقال: يا بنية، ما هذا الجهاز؟ فقال: والله ما أدرى، فقال: والله ما هذا زمان غزو بنى الأصفر، فأين يريد رسول الله؟ قالت: والله لا علم لى](٢).

[وقدم أبو سفيان بن حرب على رسول الله ﷺ المدينة يسأله أن يجدد العهد ويزيد فى المدة، فأبى عليه فانصرف إلى مكة، فتجهز رسول الله ﷺ

(١) زيادة للسياق من كتب السيرة.

(٢) (المواهب اللدنية): ١/ ٥٦٠ - ٥٨٠ مختصراً.

من غير إعلام أحد بذلك. فكتب حاطب كتابًا وأرسله إلى مكة يخبر بذلك، فأطلع الله نبيه على ذلك، فقال عمر رضى الله عنه: دعنى يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق مع تصديق رسول الله ﷺ لحاطب فيما اعتذر به، لما كان من عند عمر من القوة فى الدين، وبغض المنافقين، فظن أن من خالف ما أمر به النبى ﷺ استحق القتل، لكنه لم يجزم بذلك، فلذلك استأذن فى قتله، وأطلق عليه منافقًا لكونه أبطن خلاف ما أظهر»، وعذر حاطب ما ذكره، فإنه صنع ذلك متأولاً أن لا ضرر فيه](١).

[وبعث رسول الله ﷺ إلى من حوله من العرب فجلبهم: أسلم، وغفار، ومزينة، وجهينة، وأشجع، وسليم، فمنهم من وافاه بالمدينة، ومنهم من لحقه بالطريق، فكان المسلمون فى غزوة الفتح ما بين العشرة آلاف والاثنى عشر ألفًا على خلاف بين أهل السير](١).

[وخرج يوم الأربعاء لعشر ليالٍ خلون من رمضان، بعد العصر، سنة ثمان، قال الواقدى: وعند أحمد بإسناد صحيح عن أبى سعيد قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام الفتح لليلتين خلتا من شهر رمضان، ثم سار ﷺ فلما كان بقديد عقد الألوية والرايات، ودفعها إلى القبائل. ثم نزل مرَّ الظهران عشاء، فأمر أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار، ولم يبلغ قريشًا مسيره، وهم مغتمون لما يخافون من غزوهم إياهم، فبعثوا أبا سفيان بن حرب، وحكيم بن حزام، وبديل بن ورقاء حتى أتوا مر الظهران، فلما رأوا العسكر أفزعهم](١).

[فرآهم ناسٌ من حرس رسول الله ﷺ فأدركوهم، فأخذوهم، فأتوا بهم إلى رسول الله ﷺ، فأسلم أبو سفيان، فلما سار قال للعباس: احبس أبا

---

(١) (المواهب اللدنية): ١/ ٥٦٠ – ١٨٠ باختصار.

سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين، فحبسه العباس، فجعلت القبائل تمر مع النبى ﷺ كتيبة كتيبة على أبى سفيان](١).

[قال الخطَّابى: تمنى أبو سفيان أن تكون له يد فيحمى قومه ويدفع عنهم، وقيل هذا يوم الغضب للحريم والأهل، والانتصار لهم لمن قدر عليه، وقيل: هذا يوم يلزمك فيه حفظى وحمايتى من أن ينالنى مكروه](١).

[وقال ابن إسحاق: زعم بعض أهل العلم أن سعداً قال: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، فسمعها رجل من المهاجرين فقال: يا رسول الله! ما آمن أن يكون لسعد فى قريش صولة، فقال لعليّ: أدركه فخذ الراية منه فكن أنت تدخل بها](١).

[وقد روى أن أبا سفيان قال للنبى ﷺ لما حاذاه: أَمَرْتَ بقتل قومك؟ قال: لا، فذكر له ما قال سعد بن عبادة، ثم ناشده الله والرحم، فقال: يا أبا سفيان: اليوم يوم المرحمة، اليوم يعز الله قريشًا، وأرسل إلى سعدٍ فأخذ الراية منه، فدفعها إلى ابنه قيس](١).

[وفى يوم فتح مكة اغتسل رسول الله ﷺ فى بيت أم هانئ ثم صلى الضحى ثمانى ركعات، قالت: لم أره صلى صلاة أخفَّ منها، غير أنه يتم الركوع والسجود](١).

[ولما كان الغد من يوم الفتح، قام ﷺ خطيبًا فى الناس فحمد الله وأثنى عليه، ومجده بما هو أهله، ثم قال: أيها الناس، إن الله حرَّم مكة يوم خلق السماوات والأرض، فهى حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا، أو يعضد بها شجرة، فإن أحد

---

(١) (المواهب اللدنية): ١/ ٥٦٠ - ٥٨٠ باختصار.

ترخص فيها لقتال رسوله ﷺ فقولوا: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أُحلت ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، فليبلغ الشاهد الغائب](1).

[ثم قال: يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل فيكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء](1).

* * *

(1) (المواهب اللدنية): 1/ 560 - 580 باختصار.

[غـزوة حُنَيْن]

ثم سار إلى غزاة حُنين، وقد اجتمع بها هوازن وثقيف، فأوقع بهم، وغنم ما بأيديهم، فى يوم [الثلاثاء]، لعشر خلون من شوال، ثم نزل على الطائف ثمانية عشر يوماً، وقيل: تسعة عشر يوماً، وقيل: خمسة عشر يوماً، وقيل: أربعين يوماً، ثم رحل عن ثقيف، وعاد إلى الجعرانة، وقسَّم غنائم هوازن، وأقام بها ثلاثة عشر يوماً، وخرج ليلة الأربعاء لاثنتى عشرة بقيت من ذى القعدة، ودخل مكة محرماً بعمرة، وخرج منها يوم الخميس، فسلك على سرف إلى مرّ الظهران، وقدم يوم الجمعة، لثلاث بقيت من ذى القعدة، [واستخلف يومئذ ابن أم مكتوم][(١)].

[حُنين – بالتصغير – وادٍ قرب ذى المجاز، وقيل: ماء بينه وبين مكة ثلاث ليال قرب الطائف، وتسمى غزوة هوازن][(٢)].

[لما فرغ النبى ﷺ من فتح مكة وتمهيدها، وأسلم عامة أهلها، مشت أشراف هوازن وثقيف بعضهم إلى بعض، وحشدوا وقصدوا محاربة المسلمين، وكان رئيسهم مالك بن عوف النصرى][(٢)].

[فخرج إليهم رسول الله ﷺ من مكة يوم السبت لست ليالٍ خلون من شوال، فى اثنى عشر ألفًا من المسلمين، عشرة آلاف من أهل المدينة، وألفان ممن أسلم من أهل مكة، وهم الطلقاء، يعنى الذين خلى عنهم يوم فتح مكة وأطلقهم، فلم يسترقهم، واحدهم طليق – فعيل بمعنى مفعول – وهو الأسير إذا أُطلق سبيله][(٢)].

---

(١) زيادة للسياق من كتب السيرة.

(٢) (المواهب اللدنية): ١/ ٥٩٦ – ٦٠٥ مختصراً.

[وخرج معه ﷺ ثمانون من المشركين، منهم صفوان بن أمية، وكان ﷺ استعار منه مائة درع بأداتها، فوصل إلى حنين ليلة الثلاثاء لعشر خلون من شوال، فبعث مالك بن عوف ثلاثة نفر يأتونه بخبر أصحاب رسول الله ﷺ، فرجعوا إليه وقد تفرقت أوصالهم من الرعب، ووجه رسول الله ﷺ عبد الله بن أبى حدرد الأسلمى، فدخل عسكرهم، فطاف به، وجاء بخبرهم][(١)].

[وقال رجلٌ يوم حنين: لن نُغلب اليوم من قلة، فَشَقَّ ذلك على النبى ﷺ، ثم ركب بغلته البيضاء [دلدل]، ولبس درعين والمغفر والبيضة، فاستقبلهم من هوازن ما لم يروا مثله قط من السواد والكثرة، وذلك فى غبش الصبح، وخرجت الكتائب من مضيق الوادى، فحملوا حمله واحدة فانكشفت خيل بنى سليم مولية، وتبعهم أهل مكة والناس][(١)].

[ولم يثبت معه ﷺ يومئذ إلا العباس بن عبد المطلب، وعلى بن أبى طالب، والفضل بن العباس، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وأبو بكر، وعمر، وأسامة بن زيد، فى أناس من أهل بيته وأصحابه ﷺ][(١)].

[قال العباس: وأنا آخذ بلجام بغلته أكفها مخافة أن تصل إلى العدو، لأنه ﷺ كان يتقدم فى نحر العدو، وأبو سفيان بن الحارث آخَذ بركابه، وجعل عليه السلام يقول للعباس: ناد يا معشر الأنصار، يا أصحاب السمرة [يعنى شجرة بيعة الرضوان] التى بايعوه تحتها أن لا يفروا عنه][(١)].

[فجعل ينادى تارة: يا أصحاب السمرة، وتارة: يا أصحاب سورة البقرة - وكان العباس رجلاً صيتًا - فلما سمع المسلمون نداء العباس، أقبلوا كأنهم الإبل إذا حنت على أولادها][(١)].

---

(١) (المواهب اللدنية): ١ / ٥٩٦ - ٦٠٥ مختصراً.

[فأمرهم ﷺ أن يصدُقوا الحملة، فاقتتلوا مع الكفار، فأشرف رسول الله ﷺ فنظر إلى قتالهم فقال: الآن حمي الوطيس، وهو التنور يخبز فيه، يضرب مثلاً لشدة الحرب الذى يشبه حرها حرّه، وهذه من فصيح الكلام الذى لم يُسمع من أحد قبل النبى ﷺ وتناول ﷺ حصيات من الأرض ثم قال: شاهت الوجوه - أى قُبحت - ورمى بها فى أوجه المشركين، فما خلق الله تعالى منهم إنسانًا إلا ملأ عينيه من تلك القبضة][(١)].

[وفى البخارى [٤٣١٦، ٤٣١٧] عن البراء وسأله رجل من قيس: أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين؟ فقال ولكن رسول الله ﷺ لم يفر، كانت هوازن رماة، ولما حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا على الغنائم فاستقبلتنا بالسهام، ولقد رأيت رسول الله ﷺ على بغلته البيضاء، وإن أبا سفيان بن الحارث آخذ بزمامها، وهو يقول: أنا النبى لا كذب، أنا ابن عبد المطلب][(١)].

[وهذا فيه إشارة إلى أن صفة النبوة يستحيل معها الكذب، فكأنه قال: أنا النبى، والنبى لا يكذب، فلست بكاذب فيما أقول حتى أنهزم، بل أنا متيقن أن الذى وعدنى الله به من النصر حق، فلا يجوز علىَّ الفرار][(١)].

[وأمر ﷺ بطلب العدوّ، فانتهى بعضهم إلى الطائف، وبعضهم نحو نخلة، وقوم منهم إلى أوْطاس، واستشهد من المسلمين أربعة، وقُتل من المشركين أكثر من سبعين قتيلاً][(١)].

---

(١) (المواهب اللدنية): ١/ ٥٩٦ - ٦٠٥ مختصرًا.

[غـزوة تبـوك]

ثم خرج ﷺ إلى غزاة تبوك، فى رجب سنة تسع، فأقام بها عشرين ليلة وعاد ولم يلق كيداً، وهى آخر غزوة خرج إليها بنفسه[١] ﷺ، [واستخلف على المدينة محمد بن مسلمة، وقيل: على بن أبى طالب، وقيل: سباع بن عرفطة][٢].

وقـاتل ﷺ مع هذه فى تسع؛ وهى: بدر المعظمـة، وأحـد، والخندق، وقريظة، والمصطلق، وخيبر، والفتح، وحنين، والطائف، وقيل أنه ﷺ قاتل فى وادى القرى والغابة، ولم يكن فى سائرها قتال أصلاً.

[تبوك: مكان معروف، وهى نصف طريق المدينة إلى دمشق وهى غزوة العسرة، وتُعرف بالفاضحة لافتضاح المنافقين فيها][٢].

[كانت يوم الخميس فى رجب سنة تسع من الهجرة بلا خلاف، وكان حرًا شـديداً، وجدبًا كـثيـراً، فلذلك لم يور عنهـا كـعادته ﷺ فى سـائر الغزوات][٢].

[وفى (تفسير عبد الرزاق)، عن معمر عن ابن عقيل قال: خرجوا فى قلة من الظهر وفى حرٍّ شديد، حيث كانوا ينحرون البعير فيشربون ما فى كـرشـه من الماء، فكان ذلك عُسـرة فى الماء، وفى الظهـر، وفى النفـقـة، فسميت غزوة العسرة][٢].

---

(١) المرجع السابق): ٦٢٩.

(٢) (المواهب اللدنية): ١ / ٦٢٥ – ٦٣٨ مختصراً.

[وسببها أنه بلغه ﷺ من الأنباط الذين يقدمون بالزيت من الشام إلى المدينة، أن الروم تجمعت بالشام مع هرقل، فندب ﷺ الناس إلى الخروج، وأعلمهم بالمكان الذى يريد، ليتأهبوا لذلك].

[وروى عن قتادة أنه قال: حمل عثمان فى جيش العسرة على ألف بعير وسبعين فرساً].

[وعن عبد الرحمن بن سمرة قال: جاء عثمان بن عفان بألف دينار فى كمه حين جهز جيش العسرة، فنثرها فى حجره ﷺ، فرأيت رسول الله ﷺ يقلبها فى حجره وهو يقول: ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم].

[ولما تأهب رسول الله ﷺ للخروج، قال قوم من المنافقين لا تنفروا فى الحر، فنزل قوله تعالى: ﴿ **وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون** ﴾](١).

[وأرسل ﷺ إلى مكة وقبائل العرب يتنفرهم، وجاء البكاؤون يستحملونه، فقال ﷺ: لا أجد ما أحملكم عليه،وهم الذين قال الله فيهم ﴿ **وتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً أن لا يجدوا ما ينفقون** ﴾](٢).

وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم فى التخلف، فأذن لهم، وهم اثنان وثمانون رجلا، وقعد آخرون من المنافقين بغير عذر وإظهار علة، جرأة على الله ورسوله، وهو قوله تعالى: ﴿ **وقعد الذين كذبوا على الله ورسوله** ﴾](٣).

وتخلف نفر من المسلمين من غير شك ولا ارتياب؛ منهم: كعب بن

---

(١) [التوبة: ٨١].

(٢) [التوبة: ٩١].

(٣) [التوبة: ٩٠].

مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، وفيهم نزل: ﴿ **وعلى الثلاثة الذين خلفوا** ﴾][(1)].

[ولما رأى أبا ذر الغفارى - وكان ﷺ نزل فى بعض الطريق - فقال: يمشى وحده، ويموت وحده، ويُبعث وحده، فكان كذلك][(1)].

[ولما انتهى ﷺ إلى تبوك أتاه صاحب أيلة فصالحه وأعطاه الجزية، وأتاه أهل جرباء، وأذرح [بلدين بالشام بينهما ثلاثة أميال] فأعطوه الجزية وكتب لهم ﷺ كتابًا][(1)].

[وفى هذه الغزوة كتب ﷺ كتابًا إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، فقارب الإجابة ولم تُجب][(1)].

[وفى (مسند أحمد) أن هرقل كتب من تبوك إلى النبى ﷺ: أنى مسلم، فقال النبى ﷺ: كذب، وهو على نصرانيته][(1)].

[وفى كتاب (الأموال) لأبى عبيد بسند صحيح من مرسل بكر بن عبد الله نحوه، ولفظه: فقال: كذب عدوّ الله، ليس بمسلم][(1)].

[ثم انصرف ﷺ من تبوك، بعد أن أقام بها بضع عشر ليلة وأقبل حتى نزل بذى أوان [بينها وبين المدينة ساعة] جاءه خبر مسجد الضرار من السماء، فدعا مالك بن الدخشم، ومعن بن عدى العجلانى فقال: فخرجا فحرّقاه وهدماه، وذلك بعد أن أنزل الله فيه: ﴿ **والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً** ﴾][(1)].

[ولما دنا من المدينة خرج الناس لتلقيه، وخرج الناس والصبيان والولائد يقلن:][(1)].

---

(١) (المواهب اللدنية): ١/ ٦٢٥ - ٦٣٨ مختصراً.

(٢) التوبة: ١٠٧.

طلع البدر علينا   من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا   ما دعا لله داع

[وقد وهم بعض الرواة وقال : إنما كان هذا عند مقدمه المدينة وهو وَهَم ظاهر، لأن ثنيات الوداع(١) إنما هي من ناحية الشام ، لا يراها القادم من مكة إلى المدينة ، ولا يراها إلا إذا توجه إلى الشام]

[وفي البخاري(٢): «لما رجع ﷺ من غزوة تبوك فدنا من المدينة قال: إن بالمدينة أقواماً ماسرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم. قالوا: يارسول الله ، وهم بالمدينة ؟ قال : وهم بالمدينة ، حبسهم العذر] .

[وهذا يؤيد معنى ماورد: «نية المؤمن خير من عمله»(٣)، والمسابقة إلى الله تعالى وإلى الدرجات العلا بالنيات والهمم، لا بمجرد الأعمال] .

[وجاء من كان تخلف عنه ـ فحلفوا له فعذرهم، واستغفر لهم، وأرجأ أمر كعب وصاحبيه، حتى نزلت توبتهم في قوله تعالى: ﴿ **لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم * وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت**

---

(١) ثنيه الوداع: بفتح الواو؛ وهو اسم من التوديع عند الرحيل: وهى ثنية مشرفة على المدينة يطؤها من يريد مكة، واختلف فى تسميتها بذلك، فقيل: لأنها موضع وداع المسافرين من المدينة إلى مكة، وقيل: لأن النبى ﷺ ودّع بها بعض من خلفه بالمدينة في آخر خرجاته، وقيل: فى بعض سراياه المبعوثة عنه، وقيل: الوداع اسم واد بالمدينة، والصحيح أنه اسم جاهليّ قديم، سمّي لتوديع المسافرين (معجم البلدان): ٢/١٠٠، موضع رقم (٢٨٤٦).

(٢) (فتح الباري): ٨/١٥٩، كتاب المغازي ـ باب (٨٢) بدون ترجمة، حديث رقم (٤٤٢٣).

(٣) قال ابن دحية: لايصح، وقال البيهقي: إسناده ضعيف، ورواه العسكريُّ فى (الأمثال) عن أنس به مرفوعاً وسنده ضعيف، وله طريق ضعيف عن النواس بن سمعان، كما ذكره الزركشيّ.

وإنما كانت نية المؤمن خير من عمله، لأنها بانفرادها تصير عبادة يترتب عليها الثواب، بخلاف أعمال الجوارح، فإنها إنما تكون عبادة إذا صاحبت النية لخبر: «من هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنه كاملة» ولأن مكانها مكان المعرفة، أعني قلب المؤمن. (الموضوعات لابن الجوزي): ٣/٣٧٥ ـ ٣٧٦ حديث رقم (٥٦٨).

وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم ﴾[1].

[وعند البيهقي في (الدلائل): من حديث ابن عباس في قوله تعالى: **﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم﴾**[2]. قال: كانوا عشرة رهط تخلفوا عن النبي ﷺ في غزوة تبوك، فلما رجع أوثق سبعةٌ منهم أنفسهم بسواري المسجد، وكان ممر النبي ﷺ إذا رجع من المسجد عليهم، فلما رآهم قال: من هؤلاء الموثقون أنفسهم بالسواري؟ قالوا: هذا أبو لبابة وأصحاب له، تخلفوا عنك يارسول الله، حتى يطلقهم النبي ﷺ ويعذرهم]

قال: وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى يكون الله تعالى هو الذي يطلقهم: رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين!!

فلما أن بلغهم ذلك قالوا: ونحن لا نطلق أنفسنا حتى يكون الله تعالى هو الذي يطلقنا، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: **﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم﴾**[3] فلما نزلت، أرسل إليهم النبي ﷺ فأطلقهم وعذرهم، فجاءوا بأموالهم، فقالوا: يارسول الله! هذه أموالنا فتصدق بها عنا واستغفر لنا، قال: ما أمرت أن آخذ أموالكم، فأنزل الله تعالى: **﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم﴾** يقول: استغفرلهم **﴿إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم﴾**[4]

وبمعناه رواه عطية بن سعد عن ابن عباس - رضى الله تبارك وتعالى عنهما- [5].

(١) التوبة: ١١٧ - ١١٨.
(٢) التوبة: ١٠٢.
(٣) التوبة : ١٠٢
(٤) التوبة : ١٠٣.
(٥) (دلائل البيهقي) : ٥/٢٧٢، حديث أبي لبابة وأصحابه.

إمتاع الأسماع

بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع

تأليف

تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي
المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

تحقيق وتعليق

محمد عبد الحميد النميسي

الجزء التاسع

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

ISBN 2-7451-2208-8

http://www.al-ilmiyah.com.lb/
e-mail : sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل فى ذكر عمرات رسول الله ﷺ التى اعتمرها بعد هجرته

قال [الزَّجَّاج] : معنى العُمرة فى العمل : الطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة فقط ، والعمرة للإنسان فى جميع السنة ، والحج وقته وقت واحد من السنة ، ومعنى اعتمر فى قصد البيت ، أنه إنما خُصَّ بهذا ، لأنه قصد بعمل فى موضع عامر ، وقال كراع : الاعتمار : العمرة ، سمَّاها بالمصدر. قاله ابن سيده فى (المحكم)(١) .

---

(١) قال فى (اللسان) : والعمرة : طاعة الله عزّ وجل ، والعمرة فى الحج : معروفة ، وقد اعتمر ، وأصله من الزيارة ، والجمع العمر .

وقوله تعالى ﴿ وأتموا الحج والعمرة لله ﴾ ، قال الزّجّاج : معنى العمرة فى العمل : الطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة فقط ، والفرق بين الحج والعمرة أن العمرة تكون للإنسان فى السنة كلها ، والحج فى وقت واحد فى السنة .

قال : ولا يجوز أن يحرم به إلا فى أشهر الحج : شوال ، وذى القعده ، وعشر من ذى الحجة ، وتمام العمرة أن يطوف بالبيت ، ويسعى بين الصفا والمروة ، والحج لا يكون إلا مع الوقوف بعرفة يوم عرفة .

والعمرة مأخوذة من الاعتمار ، وهو الزيارة ومعنى اعتمر قصد البيت ، إنه إنما خص بهذا لأنه قصد بعمل فى موضع عامر ، ولذلك قيل للمحرم بالعمرة : معتمر .

وفى الحديث ذكر العمرة والاعتمار فى غير موضع ، وهو الزيارة والقصد ، وهو فى الشرع : زيارة البيت الحرام بالشروط المخصوصة المعروفة .

وفى حديث الأسود قال : خرجنا عماراً فلما انصرفنا مررنا بأبى ذر فقال : أحلقتم الشعث وقضيتم التفث عماراً ؟ أى معتمرين .

وقال الزمخشرى : ولم يجىء فيما أعلم عمر بمعنى اعتمر ، ولكن عمر الله إذا عبده ، وعمر فلان ركعتين إذا صلاهما ، وهو يعمر ربه أى يصلى ويصوم .

والعمرة : أن يبنى الرجل بامرأته فى أهلها ، فإن نقلها فذلك العرس ؛ قاله ابن الأعرابى .

(لسان العرب) ٤/٦٠٤ - ٦٠٥ مختصراً .

وقد اتفقوا على أن رسول الله ﷺ ، اعتمر ثلاث عُمَر ، صدَّهُ المشركون فى الأولى عن البيت ، فعاد من الحديبية ثم اعتمر من قابل ، وكانت عمرة القضاء ، واعتمر أيضا من الجعرانة ، بعد فتح مكة - شرَّفها الله - [قال] ابن إسحاق : واعتمر عمرة رابعة مع حجته .

خرج الحاكم من حديث داود بن عبد الرحمن قال : سمعتُ عمرو بن دينار يحدّث عن عكرمة [عن] ابن عباس رضى الله تبارك وتعالى عنهما قال : إن رسول الله ﷺ اعتمر أربع عُمرَ : عمرة الحديبية ، وعمرة القضاء من قابل ، والثالثة من الجعرانة ، والرابعة مع حجّته . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد . [ولم يخرجاه][1].

وأما عمرة الحديبية [2] فقال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة رمضان ، وشوّالاً - يعنى سنة ست - وخرج من ذى القعدة معتمراً ،

---

(١) (المستدرك) : ٥٢/٣ ، كتاب المغازى والسرايا ، حديث رقم (٤٣٧٢) ، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص) : صحيح . وما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (المستدرك) .

(٢) الحديبية : بئر سمى المكان بها ، وقيل : شجرة حدباء صغرت فسمى المكان بها . قال المحب الطبرى : الحديبية قرية قريبة من مكة أكثرها فى الحرم .

ووقع فى رواية ابن إسحاق فى (المغازى) عن الزهرى : " خرج ﷺ عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالاً . ووقع عند ابن سعد : أنه ﷺ خرج يوم الاثنين لهلال ذى القعدة . فى بضع عشر مائة ، فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدى وأشعره ، وأحرم منها بعمرة ، وبعث عيناً له من خزاعة ، يدعى ناجية ، يأتيه بخبر قريش ، كذا سماه ناجية ، والمعروف أن ناجية اسم الذى بعث معه الهدى ، كما صرح بذلك ابن إسحاق وغيره . وأما الذى بعثه عيناً لخبر قريش ، فاسمه بسر بن سفيان ، كذا سماه ابن إسحاق ، وهو بضم الموحدة ، وسكون المهملة على الصحيح .

وسار رسول الله ﷺ حتى كان بغدير الأشطاط [اسم موضع] أتاه عينه قال : إن قريشا جمعوا جموعاً وقد جمعوا لك الأحابيش ، وهم مقاتلوك وصادوك ، عن البيت ، ومانعوك ، فقال : أشيروا عليَ أيها الناس ، أترون أن أميل إلى عيالهم ، وذرارى هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت ، فإن يأتونا كان الله عز وجل قد قطع عيناً من المشركين ، إلا وتركناهم محروبين . =

- فقال أبو بكر : يا رسول الله خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتال أحد توجه له ، فمن صدنا عنه قاتلناه ، قال : امضوا على اسم الله ، وكان أبو هريرة يقول : ما رأيت أحداً قط كان أكثر مشاورةً لأصحابه من رسول الله ﷺ .

وبلغ المشركين خروجه ﷺ فأجمعوا رأيهم على صده عن مكة وعسكروا ببلدح [موضع خارج مكة] .

وسار رسول الله ﷺ حتى إذا كان بالثنية فقال : من يخرجنا على طريق غير طريقهم التى هم بها ؟ فقال رجل من أسلم : أنا يا رسول الله ، فسلك بهم طريقا وعراً ، فخرجوا منها بعد أن شق عليهم ، وأفضوا إلى أرض سهلة ، فقال لهم ﷺ : استغفروا الله ففعلوا . فقال : والذى نفسى بيده إنها للحطة التى عرضت على بنى إسرائيل فامتنعوا [إشارةً إلى قوله تعالى **﴿ وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين * فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذى قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون ﴾** البقرة : [٥٨ - ٥٩] .

قال ابن إسحاق عن الزهرى فى حديثه ، فقال : اسلكوا ذات اليمين بين ظهرى الحمض ، فى طريق تخرجه على ثنية المرار مهبط الحديبية . وثنية المرار - بكسر الميم وتخفيف الراء هى طريق فى الجبل تشرف على الحديبية - وزعم الداودى أنها الثنية التى أسفل مكة ، وهو وهَم .

وسمى ابن سعد الذى سلك بهم : حمزة بن عمرو الأسلمى . وفى رواية أبى الأسود عن عروة : فقال من رجل يأخذ بنا عن يمين المحجة نحو سيف البحر ، لعلنا نطوى مسلحة القوم ، وذلك من الليل ، فنزل رجل من دابته ، فذكر القصة .

فلما فرغوا من القضية أمر رسول الله ﷺ بالهدى فساقه المسلمون - يعنى إلى جهة الحرم - حتى قام إليه المشركون من قريش فحبسوه ، فأمر رسول الله ﷺ بالنحر .

فما قام رجل كأنهم توقفوا لاحتمال أن يكون الأمر بذلك للندب ، أو لرجاء نزول الوحى بإبطاء الصلح المذكور ، أو تخصيصه بالإذن بدخولهم مكة ذلك العام لإتمام نسكهم ، وسوغ ذلك لهم لأنه كان فى زمان وقوع النسخ .

ويحتمل أن يكونوا قد ألهتهم صورة الحال ، فاستغرقوا فى الفكر لما لحقهم من الذل عند أنفسهم ، من ظهور قوتهم ، واقتدارهم فى اعتقادهم على بلوغ غرضهم ، وقضاء نسكهم بالقهر والغلبة ، أو أخروا الامتثال لاعتقادهم أن الأمر المطلق لا يقتضى الفور ، ويحتمل مجموع هذه -

= الأمور جميعها ، كما سيأتى فى كـلام أم سلمة رضى الله تبارك وتعالى عنها ، وليس فيـه حجـة لمن أثبت أن الأمر للفور ، ولا لمـن نفاه ، ولا لمن قال : إن الأمر للوجوب لا للندب ، لما يطرق القصة من الاحتمال .

فاشتد ذلك عليه ﷺ ، فدخل على أم سلمة فقال : هلك المسلمون ! أمرتهـم أن يحـلقوا فلم يفـعلوا ، قال : فجلى الله تبارك وتعالى عنهم يومئذ بأم سلمة رضى الله تـبارك وتعالى عنها .

قـالت أم سلمة رضى الله وتبارك وتعالى عنها : يا نبى اللـه ! أتحب ذلك ؟ اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم ، فإنهم قد دخلوا فى أمر عظـيم لما أدخلت على نفسك من المشقة فـى أمـر الصلـح ، ورجوعـهم بغـير فتح ، فأشارت عليه أن يتحلل لينتفى عنهم هذا الاحتمال .

وعرف رسول الله ﷺ صواب ما أشارت به ففعله ، فلما رأى الصحابـة ذلك بـادروا إلـى فعل ما أمرهم به ، إذ لم يبق بعد ذلك غاية تنتظر .

وفيه فضل المشورة ، وأن الفعل إذا انضم إلى القول كان أبلغ مـن القـول المجـرد ، وليـس فيه أن الفعل مطلقا أبلغ من القول ، وفيه جواز مشاورة المرأة الفاضلة ، وفضل أم سلمة رضــى اللـه تبارك وتعالى عنها ووفور عقلها حتى قال إمام الحرمين : لا نعلم امرأة أشارت برأى فأصابت إلا أم سلمة ، كذا قال : وقد استدرك بعضهم عليه بنت شعيب فى أمر موسى عليه السلام .

نـحر ﷺ هديه ، وكان سبعين بدنة ، كان فيها جمل لأبى جهل ، فـى رأسـه بـرة مـن فضـة ليغيظ به المشركين، وكان ﷺ غَنَمَه منه فى غزوة بـدر ، ودعـا حالقـه خـراش بـن أميـة بـن الفضـل الخزاعى ، فحلقه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى نجيح عن مجاهد ، عن ابن عباس : حلق رجال يومئذ وقصر آخرون ، فقال رسول الله ﷺ : يرحم الله المحلقين ، قالوا : والمقصرين ... الحديث ، وفى آخره قـالوا : يا رسول الله! لم ظاهرت للمحلقين دون المقصرين ؟ قال : لأنهم لم يشكَوا .

قال ابن إسحاق : قال الزهرى فى حديثـه : ثم انصـرف رسـول اللـه ﷺ قـافلا ، حتـى إذا كان بين مكة والمدينة ، ونزلـت سـورة الفتـح - فذكـر الحديـث فـى تفسيرها إلـى أن قـال : - قـال الـزهرى : فـما فـتَح فــى الإســلام فتحٌ قبلـه كـان أعظـم مـن فتـح الحديبيـة . (فتـح البـارى) : ٥ / ٤١٢ كتاب الشروط باب (١٥) الشروط فى الجهـاد ، والمصالحـة مـع أهـل الحـرب ، وكتابـه الشروط حديث رقم (٢٧٣١ ، ٢٧٣٢) مع اختصار الشرح . =

- (٣) عمرة القضاء ، تسمى بعمرة القضية ، لأنه ﷺ قاضى فيها قريشاً ، لا لأنها قضاء عن العمرة التى ُصدَّ عنها ، لأنها لم تكن فسدت حتى يجب قضاؤها ، بل كانت عمرة تامة ، ولهذا عدوا عمرات رسول الله ﷺ أربعاً .

وقال آخرون بل كانت قضاءً عن العمرة الأولى ، وعدوا عمرة الحديبية فى العمر لثبوت الأجر فيها . لا لأنها كملت ، وهذا الخلاف مبنى على الاختلاف فى وجوب القضاء على من اعتمر فصد عن البيت ، فقال الجمهور : يجب عليه الهدى ولا قضاء عليه .

وعند أبى حنيفة عكسه ، وعن أحمد رواية : أنه لا يلزمه هدى ولا قضاء ، وأخرى : أنه يلزمه القضاء والهدى .

فحجة الجمهور : قوله تبارك وتعالى : ﴿ **فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى** ﴾ [البقرة : ١٩٦] .

وحجة أبى حنيفة : أن العمرة تلزم بالشروع ، فإذا أحصر جاز له تأخيرها فإذا زال الحصر أتى بها ، ولا يلزم من التحلل بين الإحرامين سقوط القضاء .

وحجة من أوجبها : ما وقع للصحابة ، فإنهم نحروا الهدى حيث صدوا واعتمروا من قابل وساقوا الهدى .

وحجة من لم يوجبها : أن تحللهم بالحصر لم يتوقف على نحر الهدى بل أمر من معه هدى أن ينحر ، ومن ليس معه هدى أن يحلق .

قال الحاكم فى (الإكليل) : تواترت الأخبار أنه ﷺ لما هلَّ ذو القعدة - يعنى سنة سبع - أمر أصحابه أن يعتمروا قضاء لعمرتهم التى صدهم المشركون عنها بالحديبية ، وأن لا يتخلف أحدٌ ممن شهد الحديبية ، فلم يتخلف منهم إلا رجال استشهدوا بخيبر ، ورجال ماتوا .

وخرج معه من المسلمين ألفان ، واستخلف على المدينة أبا ُرهم الغفارى ، وساق ﷺ ستين بدنة ، وحمل السلاح ، وقاد مائة فرس ، فلما انتهى إلى ذى الحليفة قدم الخيل أمامه ، عليها محمد بن مسلمة ، وقدم السلاح ، واستعمل عليه بشير بن سعد رضى الله تبارك وتعالى عنه .

وأحرم ﷺ ولبى ، والمسلمون يلبون معه ، ومضى محمد بن مسلمة فى الخيل إلى مر الظهران ، فوجد بها نفراً من قريش ، فسألوه فقال : هذا رسول الله ﷺ يصبح هذا المنزل غداً إن شاء الله تعالى . فأتوا قريشا فأخبروهم ففزعوا . -

لا يريد حرباً ، واستنفر العرب من حوله من أهل البوادى والأعراب ليخرجوا

= ونزل رسول الله ﷺ بمر الظهران وقدم السلاح إلى بطن يأجج [موضع بمكة] حيث ينظر إلى أنصاب الحرم [أى إلى حدوده] ، وخلف عليه أوس بن خولى الأنصارى فى مائتى رجل ، وخرجت قريش من مكة إلى رؤوس الجبال .

وقدّم رسول الله ﷺ الهدى أمامه ، فحُبس بذى طوى ، وخرج رسول الله ﷺ على راحلته القصواء ، والمسلمون متوشحون السيوف مُحدّقدون برسول الله ﷺ يُلبّون ، فدخل من الثنية التى تطلعه على الحجون ، وابن رواحة آخذ بزمام راحلته ، ولم يزل رسول الله ﷺ يلبى حتى استلم الركن بمحجنه مضطبعاً بثوبه ، وطاف على راحلته والمسلمون يطوفون معه وقد اضطبعوا بثيابهم .

ثم طاف رسول الله ﷺ بين الصفا والمروة على راحلته ، فلما كان الطواف السابع عند فراغه - وقد وقف الهدى عند المروة - قال : هذا المنحر وكل فجاج مكة منحر ، وحلق هناك وكذلك فعل المسلمون .

وأمر رسول الله ﷺ رجالاً منهم أن يذهبوا إلى أصحابهم ببطن يأجج فيقيموا على السلاح ، ويأتى الآخرون فيقضوا نسكهم ففعلوا وأقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاثاً : (المواهب اللدنية) : ١/٥٤٠-٥٤٦ مختصرا .

قال ابن سعد : أخبرنا أحمد بن عبد الله بن يونس ، عن داود بن عبد الرحمن ، عن ابن جريج ، عن مزاحم ، عن عبد العزيز بن عبد الملك ، عن محرش الكعبى ، هكذا قال : اعتمر رسول الله ﷺ ليلاً من الجعرانة ثم رجع كبائت ، قال : فلذلك خفيت عمرته على كثير من الناس ، قال داود : عام الفتح .

ثم قال : أخبرنا موسى بن داود ، أخبرنا ابن لهيعة عن عياض بن عبد الرحمن ، عن محمد بن جعفر ، أن رسول الله ﷺ اعتمر من الجعرانة ، وقال : اعتمر منها سبعون نبياً . (طبقات ابن سعد) : ٢/١٧١ - ١٧٢ ، ذكرعمرة رسول الله ﷺ .

قال ابن سعد : أخبرنا الهيثم بن خارجة ، أخبرنا يحى بن حمزة عن أبى وهب عن مكحول أنه سئل : كيف حج رسول الله ﷺ ومن حج معه من أصحابه ؟ فقال : حج رسول الله ﷺ ومن حج معه من أصحابه معهم النساء والولدان ، قال مكحول : تمتعوا بالعمرة إلى الحج ، فحلوا فأحل لهم ما يحل للحلال من النساء والطيب . (طبقات ابن سعد) : ٢/١٧٦ .

معه ، وهو يخشى من قريش الذى صنعوا ، أن يعرضوا له بحرب ، أو يصدوه عن البيت ، فأبطأ عليه كثير من الأعراب ، وخرج رسول الله ﷺ بمن معه من المهاجرين والأنصار ، ومن لحق به من العرب ، وساق معه الهدى ، وأحرم بالعمرة ، ليأمن الناس من حربه ، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ، ومعظماً له .

وخرَّج البخارى فى كتاب الشروط ، من حديث عبد الرزاق ، قال : أنبأنا مَعْمَرٌ قال : أخبرنى الزهرى قال : أخبرنى عُروة بن الزبير ، عن المِسْوَر ابن مَخْرَمَة ، [ومروان] ، يُصدِّق كل واحد منهما حديث صاحبه ، قالا : خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق ، قال رسول الله ﷺ : إن خالد بن الوليد بالغميم ، فى خيل لقريش طليعة ، فخذوا ذات اليمين ، فوالله ما شعر بهم خالد ، حتى إذا هم بقَتَرةِ - القترة : غبرة الخيل ، ويقال : القتر أيضا - فانطلق يركض نذيراً لقُريش .

وسار رسول الله ﷺ ، حتى إذا كان بالثنية التى يهبط عليهم منها بركت به راحلته ، فقال الناس : حل حل ، فألحت ، فقالوا : خلأت القصواء ، فقال رسول الله ﷺ : ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل ، ثم قال : والذى نفسى بيده ، لا يسألوننى خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها ، ثم زجرها فوثبت ، قال فعدلَ عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتربضه الناس تربضاً ، فلم يلبثه الناس حتى نزحوه ، وشُكى إلى رسول الله ﷺ العطش ، فانتزع سهما من كنانته ، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، فوالله ما زال يجيش لهم بالرى حتى صدروا عنه .

فبينما هم كذلك ، إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعى فى نفر من قومه من خزاعة - وكانوا عيبة نصح رسول الله ﷺ من أهل تهامة - فقال : إنى تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى نزلوا أعداد مياه الحديبية ، ومعهم العوذ المطافيل ، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت . فقال رسول الله ﷺ : إنا لم نجىء لقتال أحد ، ولكنا جئنا معتمرين ، وإن قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت

بهم ، فإن شاؤوا ماددتهم مدة ويخلوا بينى وبين الناس ، فإن أظهر ، فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا ، وإلا فقد جمّوا ، وإنْ هُم أبَوْا فوالذى نفسى بيده لأقتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى ، ولينفذن الله أمره ، فقال بديل : سأبلغهم ما تقول .

قال : فانطلق حتى أتى قريشا قال : إنا جئناكم من عند هذا الرجل ، وسمعناه يقول قولاً ، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا . فقال سفهاؤهم : لا حاجه لنا أن تخبرونا عنه بشئ . وقال ذوو الرأى منهم : هات ما سمعته يقول ، قال : يقول سمعته يقول : كذا وكذا ، فحدثهم بما قال رسول الله ﷺ ، فقام عروة بن مسعود فقال : أى قوم ، ألستم بالوالد ؟ قالوا : بلى . قال : أولست بالولد ؟ قالوا : بلى . قال : فهل تتهموننى ؟ قالوا : لا. قال : ألستم تعلمون أنى استنفرت أهل عكاظ ، فلما بلّحوا علىّ [أى تمنعوا من الإجابة] جئتكم بأهلى وولدى ومن أطاعنى ؟ قالوا : بلى . قال : فإن هذا قد عرض عليكم خطة رشد اقبلوها ودعونى آتيه . قالوا : ائته . فأتاه ، فجعل يكلم رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله نحواً من قوله لبديل . قال عروة عند ذلك : أى محمد ، أرأيت إن استأصلت أمر قومك ، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك ؟ وإن تكن الأخرى ، فإنى والله لا أرى وجوهاً ، وإنى لأرى أشواباً من الناس خليقاً أن يفروا ويدعوك ، فقال له أبو بكر : امصُصْ ببظْر اللات ، أنحن نفر عنه وندعه ؟ فقال : من ذا ؟ قالوا : أبو بكر ، قال : أما والذى نفسى بيده ، لولا يد كانت لك عندى لم أجْزك بها لأجبتك .

قال : وجعل يكلم رسول الله ﷺ ، فكلما تكلم كلمة أخذ بلحيته ، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس رسول الله ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر ، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية رسول الله ﷺ ضرب يده بنصل السيف وقال له : أخر يدك عن لحية رسول الله ﷺ . فرفع عروة رأسه فقال : من هذا ؟ قال : المغيرة بن شعبة ، فقال : أى غدر ، ألست أسعى فى غدرتك ؟ وكان

المغيرة صحب قوماً فى الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم ، فقال رسول الله ﷺ : أما الإسلام فأقبل وأما المال فلست منه فى شئ .

ثم إن عروة أخذ يرمق أصحاب رسول الله ﷺ بعينه . قال : فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدون النظر إليه تعظيما له . فرجع عروة إلى أصحابه فقال : أى قوم ! والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشى ، والله إن رأيت مليكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً ، والله إن يتنخم نخامه إلا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدون النظر إليه تعظيما له وأنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها .

فقال رجل من بنى كنانة دعونى آتيه ، فقالوا : ائته ، فلما أشرف على رسول الله ﷺ وأصحابه ، قال رسول الله ﷺ : هذا فلان ، وهو من قوم يعظمون البُدن ، فابعثوها له ، فبعثت له ، واستقبله الناس يلبون ، فلما رأى ذلك قال : سبحان الله ما ينبغى لهؤلاء أن يُصَدوا عن البيت . فلما رجع إلى أصحابه قال : رأيت البدن قد قلدت وأشعرت ، فما أرى أن يُصَدوا عن البيت . فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال : دعونى آتيه . فقالوا : ائته . فلما أشرف عليهم قال رسول الله ﷺ : هذا مكرز ، وهو رجل فاجر . فجعل يكلم رسول الله ﷺ فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو . قال معمر: فأخبرنى أيوب عن عكرمة أنه لما جاء سهيل بن عمرو قال رسول الله ﷺ : قد سهل لكم من أمركم . قال معمر : قال الزهرى فى حديثه : فجاءه سهيل بن عمرو فقال : هات اكتب بيننا وبينكم كتاباً ، فدعا رسول الله ﷺ الكاتب ، فقال رسول الله ﷺ : اكتب **﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾** فقال سهيل : أما **﴿ الرحمن ﴾** فوالله ما أدرى ما هى ، ولكنْ اكتبْ باسمك اللهم كما كنت تكتب ، فقال المسلمون : والله لا نكتبها إلا **﴿ بسم الله الرحمن**

الرحيم﴾ فقال رسول الله ﷺ : اكتب " باسمك اللهم " . ثم قال : " هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله " ، فقال سهيل : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ، ولكن اكتب " محمد بن عبد الله " قال الزهرى : وذلك لقوله " لا يسألوننى خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها " ، فقال له رسول الله ﷺ : على أن تخلوا بيننا و بين البيت فنطوف به . فقال سهيل : والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطةً ، ولكن ذلك فى العام المقبل ، فكتب فقال سهيل : وعلى أنه لا يأتيك منا رجل - وإن كان على دينك - إلا رددته إلينا . قال المسلمون : سبحان الله ، كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً ؟ فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف فى قيوده ، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين ، فقال سهيل هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده إلى. فقال رسول الله ﷺ : إنا لم نمض الكتاب بعد . قال : فوالله إذاً لم أصالحك على شيء أبداً . قال رسول الله ﷺ : فأجزه لى ، قال : ما أنا بمجيزه لك ، قال : بلى فافعل ، قال : ما أنا بفاعل . قال مكرز : بل قد أجزناه لك . قال أبو جندل : أى معشر المسلمين ، أرد إلى المشركين وقد جئت مسلماً ؟ ألا ترون ما قد لقيت ؟ وكان قد عذب عذاباً شديداً فى الله .

قال : فقال عمر بن الخطاب : فأتيت نبى الله ﷺ فقلت : ألست نبى الله حقاً ؟ قال : بلى . قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى . قلت : فلم نعطى الدنية فى ديننا إذاً ؟ قال : إنى رسول الله ولست أعصيه ، وهو ناصرى . قلت : أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتى البيت فنطوف به ؟ قال : بلى . فأخبرتك أنا نأتيه العام ؟ قال : قلت : لا. قال فإنك آتيه ومطوف به . قال : فأتيت أبا بكر فقلت : يا أبا بكر ، أليس هذا نبى الله حقا ؟ قال : بلى . قال : ألسنا على الحق و عدونا على الباطل ؟ قال : بلى . قال فلم نعطى الدنية فى ديننا إذاً ؟ قال : أيها الرجل إنه لرسول الله ﷺ ، وليس يعصى ربه ، وهو ناصره ، فاستمسك بغرزه فوالله إنه على الحق ، قلت : أليس كان يحدثنا أنا

سنأتى البيت ونطوف به ؟ قال : بلى ، أفأخبرك أنك تأتيه العام ؟ قلت : لا قال : فإنك آتيه ومطوف به . قال الزهرى : قال عمر : فعملت لذلك أعمالاً .

قال : فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه : قوموا فانحروا ثم احلقوا . قال : فوالله ما قام منهم رجل ، حتى قال ذلك ثلاث مرات ، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقى من الناس ، فقالت أم سلمة : يا نبى الله أتحب ذلك ؟ اخرج ، ثم لا تكلم أحداً منهم حتى تنحر بدنك ، وتدعو حالقك فيحلقك . فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك ، نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه . فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غماً .

ثم جاءه نسوة مؤمنات ، فأنزل الله تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن ﴾** حتى بلغ **﴿ بعصم الكوافر ﴾** (١) فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له فى الشرك ، فتزوج إحداهما معاوية بن أبى سفيان والأخرى صفوان بن أمية .

ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ، فجاءه أبو بصير ، رجل من قريش وهو مسلم ، فأرسلوا فى طلبه رجلين فقالوا : العهد الذى جعلت لنا ، فدفعه إلى الرجلين ، فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة ، فنزلوا يأكلون من تمر لهم ، فقال أبو بصير ، لأحد الرجلين : والله إنى لأرى سيفك هذا يا فلان جيداً ، فاستله الآخر فقال : أجل والله إنه لجيد ، فقد جربت به ثم جربت به ثم جربت . فقال أبو بصير : أرنى أنظر إليه فأمكنه منه فضربه حتى برد ، وفرَّ الآخر حتى أتى المدينة ، فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله ﷺ حين رآه : لقد رأى هذا ذعراً ، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ قال : قتل والله صاحبى وإنى لمقتول .

فجاء أبو بصير فقال : يا نبى الله ، قد والله أوفى الله ذمتك قد رددتنى إليهم ، ثم أنجانى الله منهم . قال رسول الله ﷺ : " ويل أمه مسعر حرب لو

---

(١) الممتحنة : ١٠

كان معه أحد ، فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم ، فخرج حتى أتى سيف البحر .

قال : وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل فلحق بأبى بصير ، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير ، حتى اجتمعت منهم عصابة ، فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها .

فقتلوهم وأخذوا أموالهم فأرسلت قريش إلى رسول الله ﷺ تناشده الله والرحم لما أرسل ، فمن أتاه فهو آمن فأرسل رسول الله ﷺ إليهم ، فأنزل الله تعالى : **﴿ وهو الذى كف أيديهم عنكم و أيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم ﴾** حتى بلغ **﴿الحمية حمية الجاهلية﴾**[١] وكانت حميتهم أنهم لا يقروا أنه نبى الله ، ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم ، وحالوا بينهم و بين البيت [٢] .

---

(١) الفتح : ٢٤ -٢٦

(٢) (فتح البارى) : ٤١٢/٥ ، ٤١٦ ، كتاب الشروط ، باب (١٥) الشروط فى الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب و كتابة الشروط ، حديث رقم (٢٧٣١) ، (٢٧٣٢) ، وفى هذا الحديث فوائد تتعلق بالمناسك ، منها: أن ذا الحليفة ميقات أهل المدينة للحاج والمعتمر ، وأن تقليد الهدى وسوقه سنة للحاج و للمعتمر فرضاً كان أو سنة ، وأن ا لإشعار سنة لامثله ، وأن الحلق أفضل من التقصير ، وأنه نسك فى حق المعتمر محصوراً كان أو غير محصور ، وأن المحصر ينحر هديه حيث أحصر ولو لم يصل إلى الحرم ويقاتل من صده عن البيت ، وأن الأولى فى حقه ترك المقاتلة إذا وجد إلى المسالمة طريقاً ، وغير ذلك مما قد تقدم بسط أكثره فى كتاب الحج ، وفيه أشياء تتعلق بالجهاد : منها جواز سبى ذرارى الكفار إذا انفردوا عن المقاتلة ولو كان قبل القتال ، وفيه الاستتار عن طلائع المشركين ومفاجأتهم بالجيش لطلب غرتهم ، وجواز التنكب عن الطريق السهل إلى الطريق الوعر لدفع المفسدة وتحصيل المصلحة ، واستحباب تقديم الطلائع والعيون بين يدى الجيش ، والأخذ بالحزم فى أمر العدو لئلا ينالوا غرة المسلمين ، وجواز الخداع فى الحرب ، والتعريض بذلك من رسول الله ﷺ وإن كان من خصائصه أنه منهى عن خائنة الأعين .

وفى الحديث أيضاً فضل الاستشارة لاستخراج وجه الرأى واستطابة قلوب الأتباع ، وجواز بعض المسامحة فى أمر الدين واحتمال الضيم فيه مالم يكن قادحاً فى أصله إذا تعين ذلك

[قال أبو عبدالله : معرة ، العر: الجرب ، تزيلوا : انمازوا ، وحميت القوم منعتهم حماية ، وأحميت الحمى : جعلته حمى لا يدخل .وأحميت الرجل إذا أغضبته إحماء .]

قال عقيل عن الزهرى : قال عروة : فأخبرتنى عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها أن رسول الله ﷺ كان يمتحنهن وبلغنا أنه لما أنزل الله أن يردوا إلى المشركين ما أنفقوا على من هاجر من أزواجهن ، وحكم على المسلمين أن لا يمسكوا بعصم الكوافر ، أن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه طلق امرأتين ، قريبة بنت أبى أمية ، وابنة جرول الخزاعى ، فتزوج قريبة معاوية ، وتزوج الأخرى أبو جهم .

فلما أبى الكفار أن يقروا بأداء ما أنفق المسلمون على أزواجهم ، أنزل الله : ﴿ **وإن فاتكم شئ من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون** ﴾ [(١)] ، والعقب ما أدى المسلمون إلى من هاجرت امرأته من الكفار ، فأمر أن يعطى من ذهبت له زوج من المسلمين ما أنفق من صداق نساء الكفار اللاتى هاجرن ، وما نعلم أحداً من المهاجرات ارتدت بعد إيمانها .

وبلغنا أن أبا بصير بن أسيد الثقفى قدم على رسول الله ﷺ مؤمناً مهاجراً فى المدة ، فكتب الأخنس بن شريق [إلى] رسول الله ﷺ يسأله أبا

للسلامة فى المال والسلاح والمآل ، سواء كان ذلك فى حال ضعف المسلمين أو قوتهم ، وأن التابع لا يليق به الاعتراض على المتبوع بمجرد ما يظهر فى الحال بل عليه التسليم ، لأن المتبوع أعرف بمآل الأمور غالباً بكثرة التجربة ولاسيما مع من هو مؤيد بالوحى .

وفيه جواز الاعتماد على خبر الكافر إذا قامت القرينة على صدقه ، قال الخطابى مستدلاً بأن الخزاعى الذى بعثه رسول الله ﷺ عيناً له ليأتيه بخبر قريش كان حينئذ كافراً : وإنما اختاره لذلك مع كفره ليكون أمكن له فى الدخول فيهم ، والاختلاط بهم ، والاطلاع على أسرارهم ، قال : ويستفاد من ذلك قبول قول الطبيب الكافر ، قلت: ويحتمل أن يكون الخزاعى المذكور كان قد أسلم حينئذ، فليس ما قاله دليلاً على ما ادعاه ، والله سبحانه أعلم بالصواب .

(١) الممتحنة : ١١

بصير ، فذكر الحديث[1] . ترجم عليه وعلى ما اتصل به : باب الشروط فى الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب ، و كتابة الشروط مع الناس بالقول ، فذكر منه طرفاً فى غزوة الحديبية [2] ، و فرقه فى كتاب الشروط .

وخرجه باختصار من حديث البراء بن عازب [3] ، وخرجه مسلم من حديث أنس[4] ، وحديث البراء مختصراً [5] ، وفرقه البخارى فى مواضع .

---

(٢) (فتح البارى) : ٤١٦/٥، ٤١٧ ، كتاب الشروط ، باب (١٥) ، الشروط فى الجهاد ، والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ، حديث رقم (٢٧٣٣) .

(٣) (فتح البارى) : ٥٥٧/٧ - ٥٥٨ ، وكتاب المغازى ، باب (٣٦) غزوة الحديبية ، وقول الله تعالى: ﴿ **لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة** ﴾ [الفتح : ١٨] ، حديث رقم (٤١٧٨) ، (٤١٧٩) ، (٤١٨٠) ، (٤١٨١) ، (٤١٨٥) .

(٤) ولفظه : حدثنى فضل بن يعقوب ، حدثنا الحسن بن أعين أبو على الحرانى ، حدثنا زهير ، حدثنا أبو إسحاق قال ، أنبأنا البراء بن عازب رضى الله تبارك وتعالى عنهما أنهم كانوا مع رسول الله ﷺ يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة أو أكثر ، فنزلوا على بئر فنزحوها ، فأتوا رسول الله ﷺ ، فأتى البئر ثم قعد على شفيرها ثم قال : ائتونى بدلو من مائها ، فأتى به ، فبصق فدعا، ثم قال : دعوها = = ساعة، فأرووا أنفسهم وركابهم حتى ارتحلوا . (فتح البارى) : ٥٥٩/٧، ٥٦٠، كتاب المغازى ، باب (٣٦) غزوة الحديبية ، وقول الله تعالى : ﴿ **لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة** ﴾ ، حديث رقم (٤١٥١) .

ونحوه حديث رقم (٤١٥٢) من حديث جابر بن عبد الله رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، وذكر معجزة تكثير الماء فى الركوة ، وقال فى آخره : " فقلت لجابر : كم كنتم يومئذ ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة " .

وقد أخرج الإمام أحمد من حديث جابر رضى الله تبارك وتعالى عنه ، من طريق نبيح العنزى عنه ، وفيه : فجاء رجل بإداوة فيها شئ من ماء ليس يفى الوضوء ، ثم انصرف وترك القدح ، قال : فتزاحم الناس على القدح ، فقال : على رسلكم ، فوضع كفه ﷺ فى القدح ثم قال : أسبغوا الوضوء ، قال : فلقد رأيت العيون عيون الماء تخرج من بين أصابعه ﷺ . (فتح البارى) : ٥٦١/٧ .

وأما عمرة القضاء

فقال ابن إسحاق : فلما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة من خيبر ، أقام بها شهرى ربيع ، وجمادين ورجباً ، وشعبان ، و[شهر][1] رمضان ، وشوالا ثم خرج فى ذى القعدة ، فى الشهر الذى صده فيه المشركون معتمرا عمرة القضاء ، مكان عمرته التى صدوه عنها[2] .

قال ابن هشام - ويقال لها : عمرة القصاص[3] ، لأنهم صدوا رسول الله ﷺ فى ذى القعدة ، فى الشهر الحرام من سنة ست ، فاقتص رسول الله

---

(٥) (مسلم بشرح النووى) : ١٢/٣٨٠، ٣٨١، كتاب الجهاد و السير ، باب (٣٤) صلح الحديبية ، حديث رقم (١٧٨٤) .

(٦) (المرجع السابق) : حديث رقم (٩١) ، قال الإمام النووى: وفى هذه الأحاديث جواز مصالحة الكفار إذا كان فيها مصلحة ، وهو مجمع عليه عند الحاجة ، وأن مدتها لاتزيد على عشر سنين إذا لم يكن الإمام مستظهراً عليهم ، وإن كان مستظهراً لم يزد على أربعة أشهر ، وفى قول : يجوز دون سنة ، وقال الإمام مالك : لا حد لذلك ، بل يجوز ذلك قل أم كثر بحسب رأى الإمام ، والله تعالى أعلم .

(١) زيادة للسياق من (سيرة ابن هشام) .

(١) (سيرة ابن هشام) : ٥/١٧، عمرة القضاء فى ذى القعدة سنة سبع .

(٢) وهذا الأسم أولى بها لقوله تعالى : ﴿ الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص ﴾ وهذه الآيه فيها نزلت ، فهذا الاسم أولى بها ، وسميت عمرة القضاء لأن رسول الله ﷺ قاضى قريشاً عليها ، لا لأنه قضى العمرة التى صد عن البيت فيها ، فإنها لم تكن فسدت بصدهم عن البيت ، بل كانت عمرة تامة متقبلة ، إنهم حين حلقوا رءوسهم بالحل احتملها الريح فألقتها فى الحرم ، فهى معدودة فى عمر رسول الله ﷺ وهى أربع : عمرة الحديبية ، وعمرة القضاء ، وعمرة الجعرانة ، والعمرة التى قرنها مع حجه فى حجة الوداع ، فهو أصح القولين أنه كان قارناً فى تلك الحجة وكانت إحدى عمره عليه السلام فى شوال كذلك .

ﷺ ، فدخل مكة فى الشهر الحرام الذى صدوه فيه من سنة سبع -: بلغنا عن ابن عباس رضى الله تبارك وتعالى عنه أنه قال : فأنزل الله فى ذلك : **﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام و الحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين﴾**(١).

روى عروة عن عائشة وأكثر الروايات أنهن كن كلهن فى ذى القعدة إلا التى قرن مع حجه ، كذلك روى الزهري وانفرد معمر عن الزهرى بأنه عليه السلام كان قارناً ، وأن عمراته كن أربعاً بعمرة القران .

وأما حجاته عليه السلام فقد روى الترمذى أنه حج ثلاث حجات ثنتين بمكة ، وواحدة بالمدينة ، وهى حجة الوداع ، ولاينبغى أن يضاف إليه فى الحقيقة إلا حجة الوداع ، وإن كان حج مع الناس ، إذ كان بمكة ، كما روى الترمذى ، فلم يكن ذلك الحج على الناس ، وكماله ، لأنه كان مغلوباً على أمره وكان الحج منقولا عن وقته ، كما تقدم فى أول الكتاب ، فقد ذكر أنهم كانوا ينقلونه على حسب الشهور الشمسية ، ويؤخرونه فى كل سنة أحد عشر يوماً ، وهذا هو الذى منع رسول الله ﷺ أن يحج من المدينة ، حتى كانت مكة دار إسلام ، وقد كان أراد أن يحج مقفله من تبوك ، وذلك بإثر الفتح بيسير ، ثم ذكر أن بقايا المشركين يحجون ، ويطوفون عراة فأخر الحج ، حتى نبذ إلى كل ذى عهد عهده ، وذلك فى السنة التاسعة ، ثم حج فى السنة العاشرة بعد إمحاء رسوم الشرك ، وانحسار سير الجاهلية ، ولذلك قال فى حجة الوداع : " إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض " .

والعمرة واجبة فى قول أكثر العلماء ، وهو قول ابن عمر وابن عباس ، وقال الشعبي : ليست بواجبة ، وذكر عنه أنه كان يقرؤها : ﴿ وأتموا الحج والعمرةُ لله ﴾ بالرفع أى برفع لفظ العمرة على جعل ﴿ والعمرةُ لله ﴾ كلاما مستأنفا ـ لايعطفها على الحج .

وقال عطاء : هى واجبة إلا على أهل مكة ، ويكره مالك أن يعتمر الرجل فى العام مراراً ، وهو قول الحسن وابن سيرين ، وجمهور العلماء على الإباحة فى ذلك ، وهو قول على وابن عباس وعائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها ، قالوا : يعتمر الرجل فى العام ما شاء .

(١) البقرة : ١٩٤ .

قال موسى بن عقبه : فلما بلـــغ رسـول اللـه ﷺ نـاجح ، وضـع الأداة كلهـا : الجحـف ، و الرمـاح ، والمجـان ، والنبـل ، ودخلـوا بســلاح الراكـب : السيوف فيالقرب .

قال ابن إسحاق : فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه ، وتحدثـت قريـش بينهـا : أن محمداً و أصحابه فى عسرة وجهد وشدة ، فحدثنى من لا أتهم ، عـن ابن عباس رضى الله تبارك وتعالى عنـه قـال : صفـوا لـه عنـد دار النـدوة ، لينظـروا إليـه وإلـى أصحابـه ، فلمـا دخـل رسـول اللـه ﷺ المسـجد ، اضطبـع بردائه[1] ، واخرج عضده اليمنى ، ثم قال : رحم اللـه امـرؤاً أراهـم اليـوم مـن نفسه قوة ، ثم استلم الركن ، وخرج يهرول[2] ويهرول أصحابه معه حتى واراه البيت منهم ، واستلم[3] الركن اليمـانى ، ومشـى حتـى اسـتلم الركـن الأسـود ثـم يهرول كذلك ثلاثة أشواط ، ومشى سائرها، فكان ابن عباس يقول : كان النـاس يظنون أنها ليست عليهم ، وذلك أن رسول الله ﷺ إنما صنعها لهذا الحى مـن قريش ، للذى بلغه عنهم ، حتى حج حجة الوداع ، فلزمها فمضت السنة بها .

قال موسى بن عقبة : فلما قـدم رسـول اللـه ﷺ مكـة ، أمـر أصحابـه فقـال : اكشـفوا عـن المنـاكب ، واسـعوا فـى الطـواف لـيرى المشـركون جلدكـم وقوتكم ، وكان رسول الله ﷺ يكايدهم بكـل مـا اسـتطاع ، فانكفـأ أهـل مكـة ، الرجـال والنسـاء ينظـرون إلـى رسـول اللـه ﷺ وأصـحابه ، وهـم يطوفـــون بالبيـت ، وعبد الله بـن رواحـة يرتجـز بيـن يـدى رسـول اللـه ﷺ ، متوشـحا بالسيف ، وهو يقول :

خلوا بنى الكفار عن سبيله ... إنى شهـــدت أنـه رسـوله
حقا وكل الخير فى سبيـله ... نحن قتلناكم على تـأويلـه
كما ضربناكم على تنزيـــله ... ضرباً يزيل الهام عن مقيله

---

(٢) اضطبع : أدخل الرداء تحت إبطه الأيمن وغطى به الأيسر .

(٣) الهرولة ضرب من السير ، فوق المشي ودون الجرى .

(٤) فى (ابن هشام) : "حتى يستلم " .

ويذهل الخليل عن خليله [١]

فقال عمربن الخطاب : يا ابن رواحة ! فقال رسول الله ﷺ : يا عمر، إنى أسمع ! فأسكتَ عمرَ.

قال : وتغيب رجال من أشراف المشركين ، كراهيه ان ينظروا إلى رسول الله ﷺ وأصحابه غيظا ، وحنقا ، ونفاسة ، وحسداً ، خرجوا إلى بوادى مكة .

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله ﷺ ثلاثة ، فأتاه حويطب بن عبد العزى بن أبى قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل ، فى نفر من قريش ، فى اليوم الثالث ، وكانت قريش قد وكلته بإخراج رسول الله ﷺ من مكة ، فقالوا له : إنه قدانقضى أجلك ، فاخرج عنا ، فقال رسول الله ﷺ وما عليكم لو تركتمونى ، فأعرست بين أظهركم ، وصنعنا لكم طعاما فحضرتموه ؟ قالوا : لا حاجه لنا فى طعامك ، فاخرج عنا ، فخرج رسول الله ﷺ ، وخلف أبارافع مولاه على ميمونة ، حتى أتاه بها بسرف[٢]، فبنى بها هنالك ثم انصرف إلى المدينة .

---

(١) هذه الأبيات فى (ابن هشام) هكذا :

خلوا بنى الكفار عن سبيله	خلوا فكل الخير فى رسوله
يارب إنى مؤمن بقيله	أعرف حق الله فى قبوله
نحن قتلناكم على تأويله	كما قاتلناكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله	ويذهل الخليل عن خليله

(١) مكان قرب التنعيم ، وبسرف كانت وفاتها رضى الله تبارك وتعالى عنها ، وذلك سنة ثلاث وستين ، وقيل سنة ست وستين ، صلى عليها ابن عباس ويزيد بن الأصم ، وكلاهما ابن اخت لها ، ويقال فيها نزلت : ﴿ وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى ﴾ [الأحزاب : ٥٠] فى أحد الأقوال ، وذلك أن الخاطب جاءها وهى على بعيرها فقالت البعير وما عليه لرسول الله ﷺ واختلف الناس فى تزويجه إياها ، أكان محرماً ام حلالاً ، وقد أوضحنا ذلك مفصلاً فى الحديث عن أزواج رسول الله ﷺ .

قال ابن هشام[1] : فأنزل الله عزوجل - فيما حدثنى أبو عبيـدة :﴿ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً ﴾[2] .

* * *

---

(٢) (سيرة ابن هشام) : ٥/٢٠-٢١ .

(٣) الفتح : ٢٧ ، والفتح القريب : يعنى خيبر .

وأما عمرة الجعرانة(١)

فخرج البخاري(٢) ومسلم(٣) من حديث همام، حدثنا قتاده ، أن أنساً رضى الله تبارك وتعالى عنه أخبره أن رسول الله ﷺ اعتمر أربع عمر ، كلهن فى ذى القعدة ، إلا التى كانت فى حجته ، عمرة من الحديبية أو [زمن] الحديبية فى ذى القعدة ، وعمرة من العام المقبل فى ذى القعدة ، وعمرة من الجعرانة [حيث قسم] غنائم حنين فى ذى القعدة ، وعمرة مع حجته .

لم يقل البخارى : أو زمن الحديبية . ذكره فى عمرة الحديبية ، وذكره فى آخر كتاب الجهاد ، فى باب من قسم الغنيمة فى غزوه وسفره ، ولفظه : أن أنس بن مالك رضى الله تبارك وتعالى عنه أخبره قال : اعتمر رسول الله ﷺ من الجعرانة ، حيث قسم غنائم حنين . لم يذكر فى هذا الباب غير هذا ، وكرره .

---

(١) الجعرانه : ماء بين مكة والطائف ، وهو إلى مكة أقرب ، نزلها رسول الله ﷺ لما قسم غنائم هوازن مرجعه من غزاة حنين ، وأحرم منها ﷺ ، وله فيها مسجد ، وبها آبارمتقاربة ، وفى الحديث دخل رسول الله ﷺ ، الجعرانة ، فجاء إلى المسجد فركع ماشاء الله تعالى ، ثم أحرم ثم استوى على راحلته " . (معجم البلدان) ٢/١٦٥، (الروض المعطار) : ١٧٦

قال ابن سعد : اعتمر رسول الله ﷺ ليلاً من الجعرانة ، ثم رجع كبائت ، قال : فلذلك خفيت عمرته على كثير من الناس .

ثم قال : إن رسول الله ﷺ اعتمر من الجعرانة ، وقال : اعتمر منها سبعون نبياً . (طبقات ابن سعد) ٢/١٧١-١٧٢ .

(٢) (فتح البارى) : ٧/٥٥٧-٥٥٨، كتاب المغازى ، باب (٣٦) ، غزوة الحديبية ، وقول الله تعالى **﴿ لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ﴾** [الفتح : ١٨] ، حديث رقم (٤١٤٨) ، (فتح البارى) : ٦/٢٢٣، باب ١٨٦، من قسم الغنيمة فى غزوه وسفره ، حديث رقم (٣٠٦٦) .

(٣) (مسلم بشرح النووى) : ٨/٤٨٤-٤٨٥ ، كتاب الحج ، باب (٣٥) بيان عدد عمر رسول الله ﷺ ، وزمانهن ، حديث رقم (١٢٥٣) .

وخرج النسائى من حديث ابن جريج قال : حدثنى مزاحم بن أبى مزاحم ، عن عبد العزيز بن عبدالله ، عن [محرش] الكعبى ، أن رسول الله ﷺ خرج من الجعرانة يعتمر ليلاً ، فدخل مكة ليلا فقضى عمرته ، ثم خرج من تحت ليلته ، فأصبح بالجعرانة كبائت ، فلما زالت الشمس من الغد ، خرج من بطن سرف ، حتى جامع الطريق - طريق المدينة بسرف [1] - فلذلك خفيت عمرته على كثير من الناس .

وقال الواقدى : انتهى رسول الله ﷺ إلى الجعرانة ليلة الخميس ، لخمس ليال خلون إلى المدينة ، خرج من الجعرانة ليلة الأربعاء [لاثنتى] عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة ليلا ، فأحرم من المسجد الأقصى ، الذى بحيز[2] الوادى بالعدوة القصوة ولم يجز الوادى إلا محرماً ، فلم يزل يلبى حتى استلم الركن .

ويقال لما نظر إلى البيت قطع التلبية ، فلما أتى البيت أناخ راحلته على باب بنى شيبة ودخل فطاف ثلاثة أشواط ، يرمل من الحجر إلى الحجر ، ثم خرج فطاف بين الصفا والمروة على راحلته ، حتى إذا انتهى إلى المروة فى الطواف السابع حلق رأسه عند المروة ، ثم انصرف إلى الجعرانة من ليلته ، فكان كبائت بها ، فلما رجع الجعرانة ، خرج يوم الخميس فسلك فى وادى الجعرانة ، وسلك معه الناس ، حتى خرج على سرف ، ثم أخذ الطريق حتى انتهى إلى مر الظهران[3] . قال : وقدم المدينة يوم الجمعه لثلاث بقين من ذى القعدة [4] .

---

(١) (سنن النسائى) : ٥/٢١٩-٢٢٠، كتاب المناسك ، باب (١٠٤) دخول مكة ليلاً ، حديث رقم (٢٨٦٣) ، حديث رقم (٢٨٦٤) .

وأخرجه أيضاً : أبو داود فى مناسك الحج باب المهلة بالعمرة تحيض فيدركها الحج فتنتفض عمرتها وتهل بالحج هل تقضى عمرتها ؟ حديث رقم (١٩٩٦) ، رقم (٩٣٥) .

(٢) فى(المواهب اللدنية) : " تحت الوادى " .

(١) (مغازى الواقدى) : ٣/٩٥٩ مختصراً .

(٢) (المرجع السابق) : ٩٦٠ .

وخرج الإمام أحمد من حديث ابن جريج قال : سمعت عطاء يقول : أخبرنى عروة بن الزبير قال : كنت أنا وابن عمر ، مستندين إلى حجرة عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها ، أنا لنسمعها بست [1] ، قلت : يا أبا عبد الرحمن ، أعتمر رسول الله ﷺ فى رجب ؟ [قال : نعم ، قلت : يا أماه ! أما تسمعين ما يقول أبوعبد الرحمن ؟ قالت : ما يقول ؟ قلت يقول : اعتمر رسول الله ﷺ فى [رجب] [2]، قالت : يغفر الله لأبى عبد الرحمن ، [نسى][3] ، ما اعتمر رسول الله ﷺ فى رجب ، قال : وابن عمر يسمع ، فما قال : لا ، ولا نعم ، سكت [4] .

(٣) فى (مسند أحمد) : "تسنن" .

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة للسياق من(المسند) .

(٥) ما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (المسند) .

(٦) (مسند أحمد) : ٧/٨٢-٨٣ ، حديث رقم (٢٣٧٥٨) .

فصل فى ذكر حَجة رسول الله ﷺ بعد الهجرة

قال سفيان : حَج رسول الله ﷺ قبل أن يهاجر حججا ، وحــج بعد ما هـاجر الـوداع . ذكـره الحـاكم (١) ، [وقيـل : حـج ثـلاث حــجج ، حجتين قبل الهجرة ، وحجة بعد ما هاجر ، معها عمرة] .

وخرج مسلم(٢) من حديث أبى بكر بن أبى شيبة ، قال : حدثنا حاتم بـن إسماعيل المزنى ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، قال : دخلنا على جابر بن عبد الله ر ضى الله تبارك وتعالى عنهما ، فسـأل عـن القـوم حتـى انتهـى إلـى فقلـت : أنا محمد بن على بن حسين ، فـأهوى بيده الـى رأسـي ، فنزع زرى الأعلى ، ثم نزع زرى الأسفل ، ثم وضع كفـه علـى ثديـى ، وأنـا يومئذ غـلام شاب ، فقال : مرحباً بك يا ابن أخى ، سل عما شئت ، فسـألته - وهـو أعمـى وحضر وقت الصلاه - فقام فى [شملة ملتحفاً بها] ، كلما وضعهـا علـى منكبـه رجع طرفاها إليه من صغرها ، ورداؤه إلى جنبه على المشجب ، فصلى بنـا ، فقلت : أخبرنى عن حجة رسول الله ﷺ ، فقال بيده : فعقد تسـعاً ، فقـال : إن رسول الله ﷺ مكث تسع سنين لم يحج ، ثم أذن فى النـاس فـى العاشـرة ، أن

---

(١) (المستدرك) : ٣/٥٦-٥٧ ، كتاب المغازى والسرايا حديث رقم (٤٣٨٢) ، وقد سـكت عنـه الذهبى فى (التلخيص) ، ولفظه : حج رسول الله ﷺ قبل أن يهاجر حجة الوداع ، وكـان جميـع ماجـاء بـه مائة بدنة ، فيه جمل كان فى أنفه برة من فضة ، نحر رسول الله ﷺ بيده الشريفة ثلاثا وستين ونحر على رضى الله تبارك وتعالى عنه غير ، فقيل للثورى من ذكـــره ؟ فقال : جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر وابن أبى ليلى عن مقسم ، عن ابن عباس رضى الله تبارك وتعالى عنهما .

قال الحاكم : وأما الأحاديث المـأثورة المفسرة فـى حجـة الـوداع قـد اتفق الشـيخان على إخراجها بأسانيد صحيحة على شرطهما وأتمها وأصحها حديث جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جابر الذى انفرد بإخراجه مسلم بن الحجاج ، وقد انتهيا بمشيئة الله وعونه إلى ابتداء مرض رسـول الله ﷺ .

(٢) (مسلم بشرح النووى) : ٨/٤٢٠-٤٣٩ ، باب (١٩) حجة رسول الله ﷺ ، حديث رقـم (١٢١٨) ، وهو حديث طويل ذكر المقريزى طرفاً منه .

رسول الله ﷺ حاج ، فقدم المدينه بشر كثير ، كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله ﷺ ، ويعمل مثل عمله ، فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحليفة ، فولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبى بكر ، فأرسلت إلى رسول الله ﷺ كيف أصنع ؟ فقال : اغتسلى واستثفرى بثوب ، وأحرمى .

فصلى رسول الله ﷺ فى المسجد ، ثم ركب القصواء ، حتى إذا استوت بها ناقته على البيداء ، نظرت إلى مدّ بصرى ، بين يديه من راكب ، وماش ويمينه مثل ذلك ، وعن يساره مثل ذلك ، ومن خلفه مثل ذلك ، ورسول الله ﷺ بين أظهرنا ، وعليه ينزل القرآن ، وهو يعرف تأويله ، وما عمل من شئ عملنا به ، وأهل بالتوحيد : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد ، والنعمه لك والملك ، لا شريك لك ، وأهل الناس بهذا الذى يهلون به ، فلم يرد رسول الله ﷺ عليهم شيئاً منه ، ولزم رسول الله ﷺ تلبيته .

قال جابر : لسنا ننوى إلا الحج لسنا نعرف العمرة ، حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن ، فرمل ثلاثا ، ومشى أربعا ، ثم نفذ إلى مقام إبراهيم ، فقرأ : ﴿**واتخذوا من مقام إبراهيم [مصلى]**﴾ ، فجعل المقام بينه وبين البيت ، فكان أبى يقول – ولا أعلمه ذكرها إلا عن رسول الله ﷺ – كان يقرأ : ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ ، و ﴿ **قل يا أيها الكافرون** ﴾ ، ثم رجع إلى الركن فاستلمه ، ثم خرج من الباب إلى الصفا ، فلما دنا من الصفا ، قرأ : ﴿ **إن الصفا و المروة من شعائر الله** ﴾ ، فبدأ بما بدأ الله به ، فبدأ بالصفا ، فرقى عليها حتى رأى البيت ، فاستقبل القبلة ، فوحد الله عزوجل ، وكبره ، وقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شئ قدير ، لا إله إلا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده .

ثم دعا بين ذلك ، قال مثل هذا ثلاث مرات ، ثم نزل إلى المروة ، حتى انصبت قدماه فى بطن الوادى ، حتى إذا صعدنا ، مشى حتى أتى المروة ، ففعل على المروة كما فعل على الصفا ، حتى إذا كان آخر طواف على المروة ، قال : لوأنى استقبلت من أمرى ما استدبرت ، لم أسق الهدى ، ولجعلتها عمرة ، فمن كان منكم ليس معه هدى فليحل ، وليجعلها عمرة ، فقام

سراقة بن مالك بن جشعم [فقال : يا رسول الله][1] ! ألعامنا هذا أم لأبد ؟ فشبك رسول الله ﷺ أصابعه ، واحدة فى الأخرى ، وقال : دخلت العمرة فى الحج مرتين ، لا بل أبداً أبداً .

وقدم على بن أبى طالب رضى الله تبارك وتعالى عنه [2] من اليمن ببدن رسول الله ﷺ ، فوجد فاطمه[3] رضى الله تبارك وتعالى عنها ممن حل ولبست ثياباً صبيغاً ، واكتحلت ، فأنكر ذلك عليها ، فقالت : أبى أمرنى بهذا ، قال : وكان على يقول بالعراق فذهبت إلى رسول الله ﷺ محرشاً على فاطمه رضى الله تبارك وتعالى عنها للذى صنعت ، مستفتياً لرسول الله ﷺ [فيما] [4] ذكرت عنه ، فأخبرته أنى أنكرت ذلك عليها فقال : صدقت ، صدقت ، ماذا قلت حين فرضت الحج ؟ قال : قلت : اللهم إنى أهل بما أهل به رسول الله [5] ﷺ ، قال : فإن معى [الهدى فلا تحل] .

قال : فكان جماعة الهدى الذى قدم به علىّ من اليمن ، والذى أتى به رسول الله ﷺ مائه ، قال : فحل الناس كلهم وقصروا ، إلا رسول الله ﷺ ومن كان معه هدى ، فلما كان يوم التروية ، توجهوا إلى منى ، فركب رسول الله ﷺ فصلى بها الظهر ، و العصر ، والمغرب ، والعشاء ، والفجر ، ثم مكث قليلا ، حتى طلعت الشمس وأمر بقبة من شعر ، فضربت [6] له بنمرة ، فسار رسول الله ﷺ ولا تشك قريش ، إلا أنه واقف عند المشعر الحرام ، كما كانت قريش تصنع فى الجاهلية ، فأجاز رسول الله ﷺ حتى أتى عرفة ، فوجد القبة قد ضربت له بنمرة ، فنزل بها ، حتى اذا زاغت الشمس ، أمر ﷺ بالقصواء فرحلت له ، فأتى بطن الوادى فخطب الناس وقال : ان دماءكم

---

(١) زيادة للسياق من (صحيح مسلم) .

(٢) زيادة للسياق .

(٣) كذا فى (الأصلين) ، وفى (صحيح مسلم) : "رضى الله عنها " .

(٤) زيادة للسياق .

(٥) فى (صحيح مسلم) : " رسولك " .

(٦) فى (صحيح مسلم) : " تضرب له " .

وأموالكم حرام عليكم ، كحرمه يومكم هذا ، فى شهركم هذا فى بلدكم هـذا ، ألا كلّ شئ من أمر الجاهليه تحت قدمـى موضـوع ، ودمـاء الجاهليـة موضوعـة ، وإن أول دم أضع من دمائنا ، دم ابن ربيعة بن الحارث ، كـان مسترضعاً فـى بنى سعد ، فقتلته هذيل ، وربا الجاهلية موضوع ، وأول رباً أضـع ربـا عبـاس ابن عبدالمطلب ، فإنه موضوع كله ، فاتقوا الله فى النسـاء ، فـإنكم أخذتموهـن بأمان الله ، واستحللتم فروجهن بكلام الله ، ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وقد تركت فيكم ما لـن تضلـوا بعـده إن اعتصمتم بـه ، كتاب الله .

وأنتم تسألون عنى فمـا أنتم قـائلون ؟ قـالوا : نشـهد أنـك قد بلغـت ، وأديت ، ونصحت ، فقال بأصبعه السبابه يرفعهـا إلـى السـماء ،وينكتـهـا إلـى الناس ، اللهم اشهد ، اللهم اشـهد ، [اللهـم اشـهد][1] ، ثـم أذن ثـم أقـام فصلـى الظهر ، ثم أقام فصلى العصر ، ولم يصل بينهما شيئا ، ثـم ركـب رسـول اللـه ﷺ حتى أتى الموقـف ، فجعـل بطـن ناقتـه القصـواء إلـى الصـخرات ، وجعـل حبل[2] المشاة بين يديه ، واستقبل القبلة فلم يـزل واقفـاً حتـى غربـت الشـمس ، وذهبت الصفرة قليلاً ، حتى غاب القرص وأردف أسـامة خلفـه ، ودفـع رسـول الله ﷺ وقد شنق للقصواء الزمـام ، حتـى أن رأسـها ليصيـب مـورك رحلـه ، ويقول بيده اليمنى : أيها الناس ! السكينة ، السكينة .

كلما[3] أتى جبلاً من الجبال ، أرخى لها قليلاً حتـى تصعـد ، حتـى أتـى المزدلفة ، فصلى بها المغرب والعشاء ، بأذان واحد وإقامتين ، ولم يسبح بينـهما شيئاً ، ثم اضطجع رسول الله ﷺ حتى طلع الفجر ، فصلى الفجر حتى تبين لـه الصبح ، بأذان وإقامة ، ثم ركب القصواء حتى أتى المشـعر الحـرام ، فاسـتقبل

---

(١) فى (صحيح مسلم) " اللهم أشهد " .

(٢) فى الأصلين :. " خيل " .

(١) فى الأصلين:. " فلما "

القبلة ، فدعاه و كبره ، وهلله ووحده ،فلم يزل واقفاً حتى أسفر جداً ، فدفع قبل أن تطلع الشمس .

وأردف الفضل بن عباس - وكان رجلاً حسن الشعر أبيض وسيماً - فلما دفع رسول الله ﷺ ، مرت ظعن بحجزين ، فطفق الفضل ينظر إليهن ، فوضع رسول الله ﷺ يديه على وجه الفضل ، فحول الفضل وجهه إلى الشق الآخر ينظر ، فحول رسول الله ﷺ يده من الشق الآخر على وجه الفضل ، يصرف وجهه من الشق الآخر ينظر حتى أتى بطن محسر ، فحرك قليلاً ، ثم سلك الطريق الوسطى ، التى تخرج على الجمرة الكبرى ، حتى أتى الجمرة التى عند الشجرة ، فرماها بسبع حصيات ، يكبر مع كل حصاة منها ، مثل حصى الخذف ، رمى من بطن الوادى .

ثم انصرف إلى المنحر ، فنحر ثلاثاً وستين بدنه ، ثم أعطى عليا فنحر ما غير ، وأشركه فى هديه ، ثم أمر من بين بدنه ببضعه ، فجعلت فى قدر فطبخت ، فأكلا من لحمها و شربا من مرقها ، ثم ركب رسول الله ﷺ فأفاض إلى البيت فصلى بمكة الظهر ، فأتى بنى عبد المطلب يسقون على زمزم ، فقال : انزعوا بنى عبد المطلب ، فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم ، فناولوه دلواً فشرب منه [1] .

وكرره مسلم من طرق[2] ، وأخرجه أبو داوود من طريق حاتم بن إسماعيل ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه بنحو حديث مسلم[3] ، وقد روى هذا الحديث عن جعفر بن محمد ، وعبد الملك بن جريج ، وعبيد الله وعبد الله العرنيين وسفيان الثورى ، وعلى بن صالح ، ومالك بن أنس ، ومحمد بن

---

(٢) (مسلم بشرح النووى) : ٨/٤٢٠-٤٣٩ ، باب (١٩) حجة رسول الله ﷺ ، حديث رقم (١٢١٨)

(٣) (المرجع السابق) : حديث رقم (١٤٨) ، من حديث جابر .

(٤) (سنن أبى داود) : ٢/٤٥٥، ٤٥٦، كتاب المناسك ، باب (٥٧) صفة حجة رسول الله ﷺ حديث رقم (١٩٠٥) ، أخرجه النسائى فى الحج ، باب الكراهية فى الثياب المصبغة للمحرم مختصراً رقم (٤٦) ، حديث رقم (٢٧١٣) ، وفى مواضع أُخَر ، وفى مواقيت الصلاة ، باب الجمع بين الظهر والعصر بعرفة ، وأخرجه ابن ماجة في المناسك ، باب حجة رسول الله ﷺ ، حديث رقم (٣٠٧٤) .

إسحق ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وعبدالله بن عمرو بن علقمه المكى ، وحاتم بن إسماعيل ، وسلام القارى ، وجماعة يطول ذكرهم .

وقال الواقدى : إن رسول الله ﷺ ، سار من المدينة لخمس بقين من ذى القعده ، ودخل مكة يوم الثلاثاء ، الرابع من ذى الحجة ، وكان يوم التروية يوم الجمعة ، فركب حين زاغت الشمس إلى [منى] ، ويقال : بل ركب يوم الخميس ، فبات بمنى ليلة الجمعة ، التاسع من ذى الحجه ، ثم أصبح فركب إلى عرفة .[1]

وقد اختلف العلماء فيما كان رسول الله ﷺ فى حجته به محرما ، فقال قوم : كان مفرداً .

روى مالك عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشه رضى الله تبارك وتعالى عنها ، وعن محمد بن عبد الرحمن بن عروة ، عن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها أن رسول الله ﷺ أفرد بالحج .

وروى ابن عيينة وغيره ، عن الزهرى عن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها قالت : خرجنا مع رسول الله ﷺ فقال : من أراد أن يهل بحج فليهل ، من أراد أن يهل بحج وعمرة فليهل ، ومن أراد أن يهل بعمرة فليهل . قالت عائشه : وأهل رسول الله ﷺ بالحج ، وأهل به الناس معه . وذكر الحديث .

وكذلك رواه جماعة عن هشام بن عروة عن أبيه ، عن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها سواء وقالوا فيه : قال رسول الله ﷺ وأما أنا فإنى أهل بالحج .

وروى الدراوردى ، عن جعفر بن محمد عن أبيه ، عن جابر رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : إن رسول الله ﷺ أفرد بالحج .

---

(١) (مغازى الواقدى) : ١١٠١/٣ .

وروى الدراوردى ، عن علقمة بن أبى علقمة ، عن أمه ، عن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها قالت : إن رسول الله ﷺ أفرد بالحج(١) .

وروى أبو مصعب عن مالك ، عن علقمة بإسناد مثله ، ورواه عباد بن عبيد الله بن عمر ، عن نافع عن ابن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنهما قال : أهللنا مع رسول الله ﷺ بالحج مفرداً ، وروى بكر المزنى عن ابن عمررضى الله تبارك وتعالى عنهما مثله . وهذا حجة من قال بإفراد الحج وفضله ، وهو قول مالك ، وأشهر قول الشافعى ، واستحسنه أبو ثور ، وفضله على التمتع والقران ، وهو قول عبد العزيز بن أبى مسلمة ، والأوزاعى وغيره ، وروى ذلك عن أبى بكر، وعمر ، وعثمان ، وعن عائشه و جابر رضى الله تبارك وتعالى عنهم .

وقال قوم : بل كان رسول الله ﷺ متمتعاً ، فروى معمر عن أيوب قال : قال عروة لابن عباس : ألا تتق الله ترخص لى المتعة ، فقال ابن عباس رضى الله تبارك وتعالى عنهما : سل أمك يا عروة ، فقال عروة : أما أبو بكر وعمر رضى الله تبارك وتعالى عنهما فلم [يفعلاه] ، فقال ابن عباس رضى الله عنهما : والله ما أراكم منتهين حتى يعذبكم الله ! أحدثكم عن رسول الله ﷺ ، وتحدثونا عن أبى بكر و عمر رضى الله تبارك وتعالى عنهما .

وروى عن الليث عن عقيل ، عن ابن شهاب عن سالم ، عن ابن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنهما قال : تمتع رسول الله ﷺ فى حجة الوداع بالعمرة إلى الحج ، وأهدى ، وساق الهدى معه من ذى الحليفة ، وبدأ رسول الله ﷺ فأهل بالعمرة ، ثم أهل بالحج ، وتمتع الناس مع رسول الله ﷺ بالعمرة

---

(١) أخرج ابن سعد من حديث عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها قالت : خرجنا مع رسول الله ﷺ على ثلاثة أنواع : منا من قرن بين عمرة وحج ، ومنا من أهل بالحج ، ومنا من أهل بعمرة ، فأما من قرن بين عمرة وحج ، فإنه لايحل حتى يقضى المناسك ، ومن أهل بعمرة فإنه إذا طاف وسعى حل من كل شئ حتى يستقبل الحج .

ثم قال : اخبرنا سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة عن أنس : أن رسول الله ﷺ صرح بهما جميعاً . (طبقات ابن سعد) : ٢/١٧٤ - ١٧٥ .

إلى الحج ، قال عقيل : قال ابن شهاب : و أخبرني عروة ، عن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها بمثل خبر سالم عن أبيه ، في تمتع رسول الله ﷺ بالعمرة إلى الحج .

وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله تبارك وتعالى عنه في المتعة : صنعها رسول الله ﷺ ، وصنعناها معه ، وعن عمران بن حصين رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : تمتعنا على عهد رسول الله ﷺ متعة الحج ، وروى شعبة عن عمرو بن مرة ، عن سعيد بن المسيب ، عن على رضى الله تبارك وتعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ تمتع ، ورواه حاتم بن إسماعيل ، عن عبد الرحمن بن حرملة ، عن سعيد ، وروى مالك وعبيد الله بن عمر عن نافع ، عن ابن عمر ، عن حفصة رضى الله تبارك وتعالى عنها أنها قالت لرسول الله ﷺ : ما بال الناس حلوا بعمرة ولم تحل أنت من عمرتك؟ فقال : إني لبدت رأسي ، وقلدت هديي ، فلا أحل حتى أنحر [1] .

روى ابن إسحاق عن الزهرى ، عن سالم قال : إنى [لجالس] مع ابن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنهما في المسجد ، [إذ] جاءه رجل من أهل الشام ، فسأله عن التمتع بالعمرة إلى الحج ، ، فقال ابن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنهما : حسن جميل ، قال : فإن أباك كان ينهى عنها ، فقال : ويلك ! فإن كان أبى نهى عن ذلك ، وقد فعله رسول الله ﷺ وأمر به ، أفبقول أبى آخذ ، أم بأمر رسول الله ﷺ ، قم عنى .

وقال عبد الملك بن شريك : تمتعت ، فسألت ابن عمر ، وابن عباس ، وابن الزبير ، رضى الله تعالى تبارك وتعالى عنهم فقالوا : هديت لسنة نبيك .
وقال شعبة عن أبى حمزة : تمتعت ، فنهانى عنها أناس ، فسألت ابن عباس رضى الله تبارك وتعالى عنهما فقال : سنة أبى القاسم ﷺ هى التمتع . وروى الثورى عن ليث بن أبى سليم ، عن [طاووس] ، عن ابن عباس رضى الله

---

(١) (سيرة ابن هشام) : ٦/٧ ، لبد رأسه : جعل فى رأسه ﷺ صمغاً حتى لا يتشعث ، (مغازى الواقدى) : ٣/١٠٩٢.

تبارك وتعالى عنهما قال : تمتع رسول الله ﷺ ، وأبو بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه حتى مات ، وأول من نهى عنها معاوية .

قال ابن عبد البر : ليث هذا منكر ضعيف ، والمشهور عن عمر وعثمان رضى الله تبارك وتعالى عنهما أنهما كانا ينهيان عن التمتع .

وذكر معمر عن الزهرى ، عن سالم قال : سئل ابن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنهما عن متعة الحج ، فأمر بها ، فقيل له : إنك لتخالف أباك ، فقال ابن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه : لم يقل الذى تقولون ، إنما قال عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه : أفردوا الحج من العمرة ، فإنه أتم للعمرة ، إن العمرة لا تتم فى شهور الحج إلا بهدى ، وأراد أن يزار البيت فى غير شهر الحج ، فجعلتموها أنتم حراماً ، وعاقبتم الناس عليها ، وقد أحلها الله تعالى ، وعمل بها رسول الله ﷺ ، فإذا أكثروا عليه قال : كتاب الله بينى وبينكم ، كتاب الله أحق أن يتبع ، أم عمر ؟ .

وهذا نحو حجة من قال : التمتع أفضل ، وهو مذهب عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن الزبير ، وعائشه أيضا رضى الله تعالى تبارك وتعالى عنهم ، وبه قال أحمد بن حنبل ، وهو أحد قولى الشافعى ، كان رحمه الله يقول : الإفراد أحب إلى من التمتع ، ثم القران ، وقال فى (البويطى) : التمتع أحب إلىّ من القران .

[وقال] قوم : كان رسول الله ﷺ قارناً ، وجعل القران الأصل ، وهم : أبو حنيفه ، والثورى ، والمزنى ، وإسحق بن راهويه ، وروى عن على رضى الله تبارك وتعالى عنه ، وحجتهم حديث عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو بوادى العقيق : أتانى الليله آت من ربى ، فقال : صل فى هذا الوادى المبارك وقل : عمرة فى حجة . رواه الأوزاعى ، وعلى بن المبارك ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن عكرمة ، عن ابن عباس رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، [أنه] سمع عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه يقول : [إنه] سمع رسول الله ﷺ يقول بذلك .

وحديث الصبى بن معبد ، عن عمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه ، قال الصبى : أهللت بالحج والعمرة ، فلما قدمت على عمر ، رضى الله تبارك وتعالى عنه ، ذكرت ذلك له فقال ، هديت لسنة نبيك ﷺ .

قال ابن عبد البر : وهو حديث كوفى جيد الإسناد ورواه الثقات عن أبى وائل عن الصبى[1] بن معبد ، عن عمر ، ومنهم من يجعله عن أبى وائل ، عن عمر ، فيمن رواه هكذا عن أبى وائل ، عن عمر : الحكم بن عتيبة ، وسلمة بن كهيل ، وعاصم بن أبى النجود ، وسيار [والحكم ، ورواه الأعمش ، منصور ، وعبدة بن أبى لبابة عن أبى وائل ، عن الصبى بن معبد ، عن عمر ، وهو الأجود ، وهم أحفظ] .

وقد روى عن الصبى بن معبد ، وأبو وائل ، حديث أنس [بن مالك] رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لبيك بحج وعمرة معاً ، رواه حميد الطويل ، وحبيب بن الشهيد ، وعن بكر المزنى قال : سمعت أنس بن مالك يقول : سمعت رسول الله ﷺ يلبى بالحج والعمرة جميعاً. قال بكر: فحدثت بذلك عن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه فقال لى : بالحج وحده ، فلقيت أنساً رضى الله تبارك وتعالى عنه فحدثته فقال : ما تعدونا إلا صبياناً ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : لبيك بحج وعمرة معاً [2] .

قال ابن عبد البر : وهذا الحديث يعارض ما روى عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ تمتع ، وفيهما نظر ، ويخرج على مذهب ابن عمر فى التمتع ، أنه لبى بالحج وحده ، وقد روى معمر وغيره ، عن أيوب عن أبى قلابة ، عن أنس رضى الله تبارك وتعالى عنه ، إن رسول الله ﷺ أهل بحجة وعمرة ، وروى عن أنس من وجوه ، وروى قتادة عن مطرف ، عن عمران بن حصين

---

(١) هو الصبى بن معبد التغلبى الكوفى ، روى عن عمر فى الجمع بين الحج والعمرة ، وفيه قصة زيد ابن صوحان ، وسلمان بن ربيعة ، وحكى عن هريم بن عبد الله التغلبى ، وذكره ابن حبان فى (الثقات) ، وهو تابعى ثقة ، رأى عمر ابن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه ، وعامة أصحاب رسول الله ﷺ (تهذيب التهذيب) : ٣٥٩/٤ ، ٣٦٠ مختصرا .

(١) (طبقات ابن سعد) : ١٧٤/٢ .

أنه قال له : إنى أحدثك حديثا ، لعل الله أن ينفعك به : اعلم أن رسول الله ﷺ قد جمع بين حج وعمرة ، ولم ينزل فيها كتاب ، ولم ينه عنها رسول الله ﷺ قال فيها برأيه .

قال ابن عبد البر : وهذا قد تأوله جماعة على التمتع وقالوا : إنما الذى أراد ابن عمر أن يقوله : أن رسول الله ﷺ قد جمع بين حج وعمرة ، أى أنه جمع بينهما فى سفرة واحدة ، وحجة واحدة ، وقد روى عن عمر ما يعضد هذا التأويل .

روى أبو الحسن ، وأبو رجاء ، عن عمران بن حصين قال : نزلت آية المتعة فى كتاب الله تعالى ، وفعلناها مع رسول الله ﷺ ، ولم ينزل قرآن يحرمها ، ولم ينه عنه حتى مات ، قال رجل بعد برأيه ما شاء .

وروى شعبة عن الحكم ، عن على بن حسين ، عن مروان بن الحكم قال : شهدت عثمان ، وعلى بن أبى طالب رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، ما بين مكة والمدينة ، وعثمان ينهى أن يجمع بين الحج والعمرة ، فلما رأى ذلك على رضى الله تبارك وتعالى عنه أتى بهما جميعا ، فقال : لبيك بحجة وعمرة معاً ، فقال له عثمان رضى الله تبارك وتعالى عنه : ترانى أنهى عنهما وأفعله ؟ فقال على رضى الله تبارك وتعالى عنه : لم أكن [أخالف] سنة رسول الله ﷺ .

قال ابن عبد البر : وهذا يحتمل أن يكون ؛ لأن رسول الله ﷺ أباح ذلك فصار سنة . فقال : والإفراد أفضل ، لأن رسول الله ﷺ كان مفرداً ، فلذلك قلنا : أنه أفضل ، لأن آثاره أصح فى إفراده ﷺ .

وقد اختلف أيضا فى وقت خروج رسول الله ﷺ من المدينة ، فقيل : كان خروجه [ﷺ لخمس] بقين من ذى القعدة ، [و] قال بعضهم : كان يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة بالمدينة، وصلى العصر بذى الحليفة .

وذكر الواقدى أنه كان يوم السبت لخمس ليال[1] بقين من ذى القعدة ، ولا يصح على ما جاء فى الصحيح ، أن الوقفة كانت بالجمعة ، فيكون هلال

---

(١) (مغازى الواقدى) : ١٠٨٩/٣ .

ذى الحجة بالخميس ، فلا يكون المتبقى خمساً ، ولا يصح حمله على الأيام ، ويحسب يوم الخروج منها لقوله لخمس ، ولو أراد الأيام لقال : لخمسة .

وذكر الواقدى أيضا : أن يوم التروية وافق يوم الجمعة[1] ، فعلى هذا تكون الوقفة يوم السبت ، ويكون قوله : لخمس بقين ، مستقيماً ، إلا أنه خلاف ما جاء فى الصحيح .

وقال أبو محمد على بنّ حزم : أنه خرج يوم الخميس لستة بقين ، وهو أيضا [خلاف ما] جاء فى الصحيح ، أنه لخمس بقين .

وخرج الترمذى عن عبدالله بن أبى زيادة عن زيد بن حباب ، عن سفيان الثورى ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، أن رسول الله ﷺ حج ثلاث حجج قبل أن يهاجر ، وحجة بعد ما هاجر ، ومعها عمرة ، وساق ثلاثة وثلاثين بدنة ، وجاء على رضى الله تبارك وتعالى عنه ، من اليمن ببقيتها ، فيها جمل لأبى جهل فى أنفه برة من فضة فنحرها ، وأمر رسول الله ﷺ من كل بدنة ببضعة ، فطبخت ، وشرب من مرقها ، وقال : [قال أبو عيسى : هذا حديث غريب من حديث سفيان لا نعرفه إلا من حديث زيد بن حباب] .

ورأيت عبد الله بن عبد الرحمن يروى هذا الحديث ، عن عبد الله بن أبى زياد ، وسألت محمداً عن هذا فلم يعرفه من حديث الثورى ، عن جعفر ، عن أبيه عن جابر رضى الله تبارك وتعالى عنهما عن رسول الله ﷺ ، ورأيته لا يعده محفوظاً . قال : وإنما روى عن الثورى ، عن أبى إسحاق ، عن مجاهد مرسلاً[2] ، حدثنا عبد الله بن أبى زياد ، حدثنا زيد بن حباب ، فذكره سواء .

وخرجه ابن ماجة عن أبى محمد القاسم بن محمد بن عباد بن حبيب بن المهلب بن أبى صفرة ، حدثنا عبد الله بن داود ، حدثنا سفيان الثورى قال :

---

(٢) زيادة للسياق من (سنن الترمذى) .

(١) (سنن الترمذى) : ٣/١٧٨- ١٧٩ ، كتاب الحج ، باب (٦) ماجاء كم حج رسول الله ﷺ ، حديث رقم (٨١٥) .

حج رسول الله ﷺ ثلاث حجج : حج حجتين قبل أن يهاجر ، وحـج حجـة بعـد ماهاجر إلى المدينة ، وقرن فى حجته عمرة ، واجتمع ما جـاء بـه رسـول اللـه ﷺ وما جاء به على رضى الله تبـارك وتعـالى عنـه ، مائـة بدنـة ، فيهـا جمـل لأبى جهل ، على أنفه بـرة مـن فضـة ، فنحـر رسـول اللـه ﷺ ثلاثـه وسـتين ، ونحر على رضى الله تبارك وتعالى عنه ما غير . قيل له : من ذكره ؟ قال : جعفر بن محمد عن أبيه ، عن جـابر ، وابـن أبـى ليلـى ، عن الحكـم ، عـن مقسم ، عن ابن عباس .[1]

* * *

(٢) (سنن ابن ماجة) : ٢/١٠٢٧ ، كتاب المناسك ، باب (٨٤) باب حجة رسول الله ﷺ ، حديث رقم (٣٠٧٦) .

فصل فى ذكر من حَدّث عنه رسول الله ﷺ

اعلم أن رسول الله ﷺ أخبر عن رب العزة جلت قدرته ، بما أوحى إليه من الكتاب والحكمة ، فالكتاب هو القرآن الكريم ، والحكمة سنة رسول الله ﷺ وروى عن رسول الله ﷺ عن ربه عز وجل أحاديث كثيرة ، ورأى جبريل عليه السلام على صورته التى خلق عليها مرتين ، ونزل عليه بالقرآن عن الله تعالى على قلبه الكريم ، ورأى ﷺ ليلة الإسراء خازن الجنة وخازن النار ، وشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التى تليها ، وتلقاه المقربون من الأخرى ، وأتاه ﷺ ملك الجبال يوم قرن الثعالب برسالة من الله فقال : إن شاء أن يطبق عليهم الأخشبين ، فقال : بل استأنى بهم ، ونزل عليه ملك يبشره بالفاتحة ، وبالآيتين من آخر سورة البقرة ، وأتاه ﷺ وهو يجمع الأقباض ، وجبريل عليه السلام عن يمينه ملك ، فبلغه سلام ربه ، وأخبره عن الله بتصويب ما أشار به الحباب بن المنذر، واجتمع ليلة الإسراء بالأنبياء ، ورآهم على مراتبهم ، فرأى إبراهيم ، وإدريس ، وموسى ، وعيسى ، ويحيى ، ويوسف ، وهارون ، وآدم ، وسلموا عليه ، ورحبوا به وحدثه إبراهيم عليه السلام ، بحديث رواه عنه ﷺ ، وحدث ﷺ عن تميم الدارى بقصة الدجال ، وحدث ﷺ عن قس بن ساعدة ، بما سمعه يقول بسوق عكاظ .

فأما ما أخبر به ﷺ عن رب العزة جلت قدرته

فقد قدمت فيما سلف اختلاف أئمة الإسلام فى رؤيته ﷺ لله عز وجل، وفى سماعه كلام الله تعالى وخطابه له ليلة الإسراء فأغنى عن إعادته .

فالكتاب العزيز الذى هو القرآن العظيم ، المعجز المبين ، وحبل الله المتين ، فإنه علم على صدق نبوته ﷺ ، اقترن بدعوته ، ولم يزل أيام حياته ، ودام فى أمته بعد وفاته وهو كما وصفه به من أنزله فقال جل من قائل :

﴿ إنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾[1] ، وقال : **﴿ إنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون تنزيل من رب العالمين ﴾**[2] ، وقال : **﴿ بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ ﴾**[3] ، وقال : **﴿وإن هذا لهو القصص الحق ﴾**[4] وقال : **﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ﴾**[5] ، وقال :**﴿ كلا إنها تذكرة * فمن شاء ذكره * فى صحف مكرمة * مرفوعة مطهرة * بأيدى سفرة * كرام بررة ﴾**[6] ، وقال: **﴿ قل لإن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾**[7] فإن الله جل جلاله أنزل هذا القرآن الكريم ، على وصف مباين لأوصاف كلام البشر ، لأنه منظوم وليس منثور ونظمه ليس كنظم الرسائل ، ولا نظم الخطب ، ولا نظم الأشعار ، ولا هو كسجع الكهان .

وأعلم سبحانه وتعالى أن أحداً لا يستطيع أن يأتى بمثله ، ثم أمره ﷺ أن يتحداهم على الإتيان به إن ادعوا أنهم قادرون عليه ، أو ظنوه ، فقال تبارك وتعالى : **﴿ قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ﴾**[8] ثم أنقصهم تسعاً ، فقال : **﴿ فأتوا بسورة من مثله ﴾**[9] ، وكان امتناع قريش من ذلك ، دلالة على صدقه ، وذلك أن رسول الله ﷺ كان من الموافق له ، والمخالف عليه ، غير مدفوع عن الحصانة والمتانة ، ورصانة العقل ، وقوة الرأى .

---

(١) فصلت : ٤١ ، ٤٢ .

(٢) الواقعة : ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ .

(٣) البروج : ٢١، ٢٢ .

(٤) آل عمران : ٦٢ .

(٥) الأنعام : ١٥٥.

(٦) عبس : ١١ - ١٦.

(٧) الإسراء : ٨٨ .

(٨) هود : ١٣ .

(٩) البقرة : ٢٣ .

ومعلوم أن من كان بهذه المنزلة ، وهو مع ذلك قد انتصب لدعوة الناس إلى دينه ، لم يجز بوجه من الوجوه أن يقول للناس : ائتوا بسورة من مثل ما جئتكم به من القرآن ، و لن تستطيعوا أن تأتوا بذلك ، فإن أتيتم به فأنا كاذب ، وهو يعلم من نفسه أن القرآن لم ينزل عليه ، ولا يأمن أن يكون في قومه من يعارضه ، وأنه إن عارضه أحد بطلت دعوته .

فكان هذا دليل قاطع ، على أنه ﷺ لم يقل للعرب : ائتوا بمثله إن استطعتموه ، ولن تستطيعوه ، إلا وهو واثق متحقق أنهم لا يستطيعونه ، ولا يجوز أن يكون هذا اليقين وقع له إلا من قبل ربه الذى أوحى إليه به ، حتى إنه وثق بخبره ، ويؤيد ذلك أن رسول الله ﷺ قال لهم : **﴿ فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهدائكم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾** .

وطالت النظرة والمهلة لهم فى ذلك ، ووقائعه لهم تتواتر ، ومحاربته لهم لا تزال : فيقتل صناديدهم ، ويسبى ذراريهم ، ونساءهم ، ويأخذ أموالهم بالقوة ، فلم يتعرض أحد لمعارضته ، ولو قدروا عليها ، لافتدوا بها أنفسهم ، وأولادهم ، وأهاليهم ، وأموالهم ، ولكان الأمر فى ذلك قريباً سهلاً عليهم ، إذ هم أهل اللسن ، والفصاحة ، والشعر ، والخطابة .

فلما لم يأتوا بذلك ، ولا ادعوه صح أنهم كانوا عاجزين عنه ، وفى ظهور عجزهم بيان أنه فى العجز مثلهم ، إذ كان بشراً مثلهم ، لسانه لسانهم وعاداته عاداتهم ، وطباعه طباعهم ، وزمانه زمانهم ، وإذ كان كذلك ، وقد جاء بالقرآن ، وجب القطع بأنه من عند الله تعالى ، لا من عنده ﷺ .

فإن أورد ملحد أسجاع مسيلمة ، قيل له : إنما كان الذى جاء به مسيلمة ، لا [يعدو] أن يكون إلا مجالا ، أو سرقه ، أو كأسجاع الكهان ، وأراجيز العرب ، وقد قال رسول الله ﷺ ما هو أحسن لفظاً ، وأقوم معنى ، وأبين فائدة ، من أسجاع مسيلمة ، ومع ذلك فلم تقل له العرب : يا محمد ، أما أنت تتحدانا على الإتيان بمثل [القرآن] ، وتزعم أن الإنس والجن لو اجتمعوا على أن يأتوا بمثله لم يقدروا عليه ، ثم قد جئت بمثله ، فما هو إلا مفترى ، إنه ليس من عند الله ،وذلك قول رسول الله ﷺ :

أنا النبى لا كـــــــذب   أنا ابن عـــبد المطلب

وقوله ﷺ :

تالله لولا الله ما اهتدينا   ولا تصـدقنا ولاصلينا

فأنزلن سكينــــــة علينا   وثبت الأقدام إن لاقينا

وقولهﷺ :

[اللهم] إن العيش عيش الآخره   فارحم الأنصار والمهاجره .

وقولـه ﷺ : تعس عبد الدينـار والدرهم ، وعبد الخميصـة ، إن أعطـى مـنها رضى ، وإن لم يعط سخط ، نفس وانتكس ، وإن شيك فلا انتكش .

فلم يدع أحد من العرب أن شيئا من هذا يشبه القرآن ، ولا أن فيه كسـر لقوله ، وكان عرض رسول الله ﷺ على العرب هذا الكـلام ، الـذى أعجزهم عن الإتيان بمثله ، أعجب فى الآيه ، وأوضح فـى الدلالـه ، مـن إحيـاء عيسـى عليه السلام الموتى ، وإبرائه الأكمه والأبرص ، لأنه ﷺ أتـى أهـل البلاغـة ، وأرباب الفصاحة ، ورؤساء البيان ، والمتقدمين فى اللسن بكلام مفهـوم المعنـى عندهم ، فكان عجزهم عن الإتيان بمثله أعجز من عجز شاهد المسيح ، وعجـز عـن إحيـاء الموتـى لأنهـم لـم يكونـوا يطيقـون إحيـاء الموتـى ، وإبـراء الأكمــه والأبرص ، ولا يتعـاطون علمـه ، بخـلاف قريـش فإنهـا كـانت تتعـاطى الكـلام الفصيح ، والبلاغة والخطابة فدل [على] أن العجز عـن إتيـانهم بمثـل القـرآن ، إنما كان معجزة لرسول الله ﷺ وتؤيد صدق رسالته ، وصحة نبوته .

وهذا برهان واضح وحجة قاطعة لمن وفقه الله ، ومع ذلك ففى القـرآن الكريم وجهان آخران فى الإعجاز:

أحـــدهما : ما تضمنه من الإخبار عن المـغيبات ، كقـوله تعـالى : ﴿ **ليظهره على الدين كله** ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكـم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض**﴾[2] وقوله فى الـروم : ﴿ **وهـم مـن**

---

(١) الفتح : ٢٨ .

(٢) النور : ٥٥ .

بعد غلبهم سيغلبون * فى بضع سنين ﴾[1] ونحوها من الآيات التى وعد الله فيها بالفتوح فى زمن رسول الله ﷺ وبعده ، وكان كما أخبر ، ومعلوم أنه ﷺ لم يكن يعلم النجوم ولا الكهانة ، ولا يجالس أهلها .

والثانى : ما اشتمل عليه من قصص الأولين ، من غير أن يعلم ذلك من أحد من علماء أهل الكتاب ، ومعلوم أنه ﷺ كان أمياً ، لا يقرأ كتاباً ، ولا يخطه ، ولا يجالس أهل الكتاب ، ليأخذ عنهم ، ولما زعم بعض مشركى قريش أن ما يعلمه بشر ، ردَّ الله تعالى عليه قوله ، فقال سبحانه :﴿ **ولسان الذى يلحدون إليه أعجمىّ وهذا لسان عربىٌ مبين** ﴾[2] ، وذلك أنه كان لابن الحضرمى غلامان نصرانيان ، يقرآن كتاباً لهما بالعبرانية ، وبالرومية ، وكان رسول الله ﷺ يأتيهما فيحدثهما ، ويعلمهما ، فقال المشركون: إنما يتعلم محمد منهما ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

وإذا تقرر ذلك ، فاعلم أن أعظم المعجزات ، وأشرفها ، وأوضحها دلالة ، القرآن الكريم ، لأن الخوارق فى الغالب، تقع مغايرة للوحى الذى يتلقاه النبى ، وتأتى المعجزة شاهدة به ، والقرآن بنفسه هو الوحى [المدعى] ، وهو الخارق المعجز فدلالته فى عينه ، ولا نفتقر إلى دليل أجنبى عنه ، كسائر الخوارق مع الوحى، فهو أوضح دلالة ، لاتحاد الدليل والمدلول فيه .

وهذا معنى ما خرجه البخارى ومسلم ، من حديث الليث ، عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى ، عن أبيه ، عن أبى هريرة ، رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : إن رسول الله ﷺ قال : ما من الأنبياء من نبى إلا قد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذى [أوتيته] وحياً أوحى الله إلىّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة[3] .

---

(٣) الروم : ٣ - ٤ .

(٤) النحل : ١٠٣ .

(١) رواه البخارى فى فضائل القرآن ، باب كيف نزول الوحى وأول ما نزل ، وفى الاعتصام ، باب قول رسول الله ﷺ ، : بعثت بجوامع الكلم ، ومسلم فى الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة محمد ﷺ حديث رقم (١٥٢) ، (جامع الأصول) : ٥٣٣/٨، حديث رقم (٦٣٣٣) .

يشير ﷺ ، إلى أن المعجزة متى كانت بهذه المثابة فى الموضوع ، وقوة الدلالة ، وهى كونها نفس الوحى ، كان المصدق لها أكثر لوضوحها ، فكثر المصدق المؤمن ، وهم التابع والأمة . والله تبارك وتعالى أعلم .

ويدلك هذا ، على أن القرآن من بين الكتب [الالهية] ، إنما تلقاه رسول الله ﷺ فتلى كما هو ، بكلماته وتراكيبه ، بخلاف التوراة والإنجيل ، وغيرهما من الكتب الالهية ، فإن الأنبياء عليهم السلام يتلقونها فى حال الوحى ، معانى يعبرون عنها بعد رجوعهم إلى الحاله البشرية ، بكلامهم المعتاد لهم ، ولذلك لم يكن فيها إعجاز ، واختص الإعجاز بالقرآن الكريم .

وكان تلقى الأنبياء لكتبهم ، مثل ما كان رسول الله ﷺ يتلقى المعانى التى يسندها إذا حدث بها إلى الله تعالى ، ويشهد لتلقيه ﷺ القرآن متلواً قوله تعالى : ﴿ **لا تحرك به لسانك لتعجل به * إن علينا جمعه وقرآنه * فإذا قرأناه فاتبع قرآنه** ﴾[1] ، أى محمد لا تحرك بالقرآن لسانك عجلان ، خائفاً أن يفوتك ، ويزول حفظه عن قلبك ، إن علينا أن نجمعه فى نفسك ، حتى تقرأه بلسانك ، فإذا أنزلناه عليك فاستمع قراءته ثم علينا أن نحفظه ، ونبينه بلسانك .

خرج البخارى ومسلم من حديث أبى عوانة ، موسى بن أبى عائشة ، عن سعيد بن الجبير ، عن ابن عباس رضى الله تبارك وتعالى [عنهما] فى قوله عز وجل: ﴿ **لا تحرك به لسانك لتعجل به** ﴾ ، قال : [كان] رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة ، كان يحرك شفتيه ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **لا تحرك به لسانك لتعجل به * إن علينا جمعه وقرآنه** ﴾ ، قال : جمعه فى صدرك ، ثم تقرأه ، فإذا قرأناه فاتبع قراءته ، قال : فاستمع ، وأنصت ، ثم إن علينا أن تقرأه ، قال : فكان رسول الله ﷺ إذا أتاه جبريل استمع ، فإذا انطلق جبريل ، قرأه رسول الله ﷺ كما قرأه . ذكره مسلم[2] فى كتاب الصلاه ،

---

(٢) القيامة : ١٦ - ١٨ .

(١) (فتح البارى) ، : ٦١١/١٣، كتاب التوحيد ، باب رقم ٤٣ [بدون ترجمة] ، حديث رقم (٧٥٢٤) ، وزاد عليه بعد قوله : يحرك به شفتيه فقال ابن عباس : أحركهما لك كما كان رسول الله ﷺ يحركهما ؟ فقال سعيد : أنا أحركهما كما كان ابن عباس يحركهما فحرك شفتيه .

وذكره البخارى فى كتاب التوحيد ، فى باب قول الله عز وجل :﴿ **لا تحرك بـه لسانك** ﴾ ، وذكره فى أول كتابه ، [وذكره فى] التفسير ، فى فضائل القرآن ، ولفظه : كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل بالوحى ، كان يحرك به لسانه وشفتيه ، فيشتد عليه ، وكان يعرف منه ، فأنزل الله [عز وجل] الآية التى فى : ﴿ **لا أقسم بيوم القيامة** ﴾ ، ﴿**لا تحرك به لسانك لتعجل به * إن علينا جمعه وقرآنه** ﴾[1]، قال : علينا أن نجمعه فى صدرك وقراءته ، ﴿ **فإذا قرأناه فاتبع قرآنه** ﴾[2] ، فإذا أنزلناه فاستمع﴿ **ثم إن علينا بيانه**﴾[3] ، علينا أن نبينه بلسانك ، قال : فكان رسول الله ﷺ إذا أتاه جبريل [عليه السلام] يقرئه القرآن ؟ فإذا ذهب قرأه كما وعده الله [عز وجل] . ﴿ **أولى لك فأولى**﴾[4] ، توعد[5] .

فقد تبين أن سبب نزول الآية ، ما كان يقع له ﷺ من بدارة إلى تدارس الآية ، خشية من النسيان ، وحرصاً على حفظ ذلك المتلو المنزل ، فتكفل الله عز وجل له بحفظه ، يقول [تبارك وتعالى] : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾[6]، هذا هو معنى الحفظ الذى اختص به القرآن ، لاقيل غير ذلك ، فإنه بمعزل عن المراد .

وفى القرآن الكريم آيات عديدة ، تشهد بأنه نزل قرآناً ، متلواً ، معجزاً بسورة منه ، وهذا القرآن العظيم ، أعظم معجزات رسول الله ﷺ ، ولم يكن فى معجزاته - مع كثرتها - أعظم منه ومن ائتلاف العرب على دعوته ، كما

---

(١) القيامة : ١٦ ـ ١٧.

(٢) القيامة : ١٨.

(٣) القيامة : ١٩.

(٤) القيامة : ٣٤.

(٥) زيادة للسياق من (البخارى) «(فتح البارى) : ٨/٨٨٢، كتاب التفسير باب رقم ٢ [بدون ترجمة] ، حديث رقم (٤٩٢٩)» .

(٦) الحجر : ٩.

قال [تبارك] وتعالى : ﴿ **لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما [ألفت] بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم** ﴾ [1] .

فاعلم هذا ، وتذكره ، تجده صحيحاً ، وكما قررت لك ، وتأمل ما يشهد لك به ، من ارتفاع رتبته على الأنبياء ، وعلو مقامه ﷺ .

* * *

(١) الأنفال : ٦٣ .

وأما الأحاديث [الإلهية] (١)

---

(١) وتسمى أيضاً [الأحاديث القدسية] ، والحديث القدسي : هو ما رواه رسول الله ﷺ عن ربه تبارك تعالى على غير النسق القرآني ، ونظمه ، وإعجازه ، ولكنه في نظمه وأسلوبه بسائر الحديث النبوى أشبه ، وهو يعد في جملة السنة النبوية لكون راويه هو رسول الله ﷺ وله صيغ متعددة يعرف بها .

صيغة الحديث القدسي : أكثر الصيغ التى يعرف بها الحديث القدسى وأشهرها ما كان صريحاً فى بيان هذه النسبة ، مثل قول رسول الله ﷺ : " وقال الله " أو " يقول الله : " أو " قال ربكم : " أو يقول ربكم " أو " أوحى الله " أو ما أشبه ذلك من الصيغ التى تثبت القول للرب تبارك وتعالى عن طريق إسناد فعل القول أو ما يؤدى معناه إسناداً صريحاً إليه ، وهناك صيغ أخرى يعرف بها الحديث القدسي عن طريق الدلالة ، منها : ماروواه ابن حبان فى صحيحه ، عن أبى هريرة قال : قال رسول ﷺ : يؤتى بالموت يوم القيامة فيوثق على الصراط ، فيقال : ياأهل الجنة ، فينطلقوا خائفين وجلين أن يخرجوا من مكانهم الذى هم فيه ، ثم يقال : يا أهل النار ، فينطلقوا فرحين مستبشرين أن يخرجوا من مكانهم الذى هم فيه ، فيقال : هل تعرفون ذلك ؟ فيقولون : نعم ربنا ، فيقال : هذا الموت فيؤمر به فيذبح على الصراط ، ثم يقال للفريقين كليهما : خلودٌ ولا موت فيه أبداً .

ففى هذا الحديث يقول رسول الله ﷺ : " فيقال " هكذا على من لم يسم فاعله ، فلم يحدد رسول الله ﷺ من الذى نادى أهل الجنة وأهل النار فسألهم جميعاً عن الموت قائلاً لهم : "هل تعرفون ذلك ؟ " فلم نعرف هل هو الحق تبارك وتعالى ؟ أم هو ملك من ملائكته ؟ حتى ورد فى الحديث جواب أهل الجنة وأهل النار لهذا السائل قائلين : " نعم ربنا " فدل جوابهم هذا على أن الذى خاطبهم بالنداء والسؤال هو المولى عزوجل ، فعرفنا حينئذ أن الحديث قدسى بهذه الدلالة .

مكان الحديث القدسى : الحديث القدسى مبثوث فى مدونات السنة ومصنفاتها المختلفة من مسانيد وسنن ، ومعاجم وجوامع وغيرها ، لا يتميز دون سائر أحاديثها فى باب مستقل ، أو موضع محدد .

أهم المؤلفات فى الحديث القدسى :

* كتاب (مشكاة الأنوار فيما روى عن الله سبحانه من الأخبار) للشيخ محى الدين بن عربى .
* كتاب (الإتحافات السنية فى الأحاديث القدسية) للشيخ محمد المدنى .

وهـى التى يرويها رسـول اللـه ﷺ ، عـن اللـه تبـارك وتعـالى ، فهـى كثيرة ، كحديث : [يا عبادى] كلكم جائع إلا مـن أطعمتـه .. الحديث أخرجـه مسلم(١) ، وله أشباه عديدة ، وقد أفـرد العلمـاء فيهـا مصنفـات فجمـع زاهـر بـن طاهر فيها مصنفاً ، وكتب الحـافظ الضيـاء فيهـا كتابـاً ، ولعلـى بـن بليـان فيهـا مجـلد ، يحتوى على نحو مائة حديث ، وقد تقدم رؤية رسول الله ﷺ ، جـبريل عليـه السلام ، على صورته التى خلقها اللـه عليهـا ، وكيـف تلقـى عنـه القـرآن الكريم ، الذى نزل على قلبه المقدس ، وتقدم أيضاً رؤية خـازن الجنـه وخـازن النار ، وتشييع ملائكة السموات ، وتلقيهم له .

= * كتـاب (الأحـاديث القدسية) إعداد لجنـة القرآن والحديث بـالمجلس الأعلـى للشـئون الإسـلامية بالقاهرة.

(١) ونحوه فى (سنن الترمذى) : ٥٥٦/٤، ٥٦٧، كتـاب صفـة القيامـة والرقـائق والـورع ، بـاب (٤٨) بدون ترجمة ، حديث رقم (٢٤٩٥) ولفظه : " حدثنا هناد ، حدثنا أبو الأحوص عن ليث عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم ، عن أبـى ذر قـال : قـال رسـول اللـه ﷺ : يقـول اللـه تعـالى : يا عبادى كلكم ضال إلا من هديته فسلونى الهدى أهدكم ، وكلكم فقير إلا من أغنيت فسلونى أرزقكم ، وكلكم مذنب إلا من عافيت ، فمن علم منكم أنى ذو قـدرة علـى المغفرة فاستغفرنى غفـرت لـه ولا أبالى ، ولو أن ، أولكم وآخركم ، وحيكم وميتكم ، ورطبكم ويابسكم ، اجتمعوا على أشـقى قلـب عبد من عبادى ، ما نقص ذلك من ملكى شيئاً ... (الحديث) . وأخرجـه ابـن ماجـة فـى (السنن) : ١٤٢٢/٢- كتـاب الزهـد ، بـاب (٣٠) ذكـر الذنـوب ، حديـث رقـم (٤٢٥٧) ، (صحيـح الأحـاديث القدسية) :١٧٤، فصل فى النهى عن الظلم ، بـاب (٧) حديث إنـى حرمـت الظلـم علـى نفسـى رقـم (١٦٧) ، والمقصود مـن هـذا المثـل هـو التقريـب إلـى الأفهـام بمـا شـاهدوه ، فـإن البحـر مـن أعظـم المرئيات عياناً .

وأما الحكمة ، وهى سنة رسول الله ﷺ

فقال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي - رحمه الله ورضى عنه - : قد وضع الله [عز وجل] رسوله ﷺ من [دينه] ، وفرضه ، وكتابه ، الموضع الذى أبان جل ثناؤه أنه جعله علماً لدينه بما افترض من طاعته ، وحرم معصيته ، وأبان من فضيلته ، بما قرن من الإيمان برسوله ، مع الإيمان به ، فقال : ﴿ **آمنوا بالله وسوله** ﴾[١] ، وقال :﴿ **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله** ﴾[٢] ، فجعل كمال ابتداء الإيمان الذى ما سواه ، تبع له الإيمان بالله ، ثم برسوله .

قال الشافعي : أخبرنا ابن عيينة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله عز وجل : ﴿ **ورفعنا لك ذكرك** ﴾[٣] قال : لا أذكر إلا ذكرت ، أشهد أن لا اله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله . قال : وفرض الله على الناس اتباع وحيه وسنن رسوله ، فقال فى كتابه : ﴿ **لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم [يتلو] عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين** ﴾ [٤] مع آيٍ سواها ، ذكر فيهن الكتاب والحكمة .

قال الشافعي : فذكر الله الكتاب والقرآن ، وذكر الحكمة ، فسمعت ممن أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول : الحكمة : سنة رسول الله ﷺ ، وقال : ﴿**ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول** ﴾[٥] ، فقال : بعض أهل العلم [أولو] الأمر : هم أمراء سرايا رسول الله ﷺ ، وقال : فإن تنازعتم فى

---

(١) النساء : ١٣٦ .

(٢) النور : ٦٢ .

(٣) الشرح : ٤ .

(٤) آل عمران : ١٦٤ .

(٥) النساء : ٥٩ .

شيء ، يعنى اختلفتم فى شيء ، يعنى- والله أعلم - هم وأمراؤهم الذين أمروا بطاعته ، فردوه لله والرسول ، يعنى - والله أعلم - إلى ما قاله الله والرسول.

ثم ساق الكلام إلى أن قال : فأعلمهم أن طاعة رسول الله ﷺ طاعته ، فقال : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً** ﴾ (١) .

واحتج أيضا فى فرض اتباع أمره بقوله عز وجل : ﴿ **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم** ﴾(٢) وقوله : ﴿[و] **ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾(٣) ، وغيرها من الآيات التى دلت على اتباع أمره ، ولزوم طاعته .

قال : وكان فرضه جل ثناءه على من عاين رسول الله ﷺ بعده إلى يوم القيامه واحداً ، من أن على كل طاعته ، لم يكن أحد غاب عن رؤية رسول الله ﷺ يعلم أمر رسول الله ﷺ إلا بالخبر عنه ، والخبر عنه خبران :

خبر عامة عن عامة : عن رسول الله ﷺ بجمل ما فرض الله سبحانه من العبادات ، يأتوا به بألسنتهم وأفعالهم ، ويؤتوه من أنفسهم وأموالهم ، وهذا ما لا يسع جهله ، وما يكاد أهل العلم والعوام أن يستووا فيه لأن كلاً كلفه ، كعدد الصلاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت ، وتحريم الفواحش ، وأن لله عليهم حقاً فى أموالهم ، وما كان فى معنى هذا .

وخبر خاصه : فى خاص الأحكام ، لم يأت أكثره كما جاء الأول ، لم يكلفه العامة وكلف علم ذلك من فيه الكفاية للقيام به دون العامة ، وهذا مثل ما يكون بينهم فى الصلاة من سهو يجب به سجود السهو أو لا يجب ، وما يفسد الحج ، و[ما] لا يفسده ، وما يجب به الفدية ، وما لا يجب فيما لا يفعل ، وغير

---

(١) النساء : ٥ .

(٢) النور : ٦٣ .

(٣) الحشر : ٧ .

ذلك . وهو الذى على العلماء فيه عندنا ، قبول خبر الصادق على صدقه ، ولا يسعهم رده ، بفرض الله طاعة نبيه .

قال : ولولا ثبوت الحجة بالخبر ، لما قال رسول الله ﷺ فى خطبته بعد تعليم من شهده أمر دينهم : ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب ، فرب مبلغ أوعى من سامع ، فلما ندب رسول الله ﷺ إلى استماع مقالته وأدائها ، أمر أن يؤديها ، والأمر واحد ، دل على أنه لا يأمر أن يؤدى عنه إلا ما تقوم الحجة به على من أدى إليه .

قال : سفيان بن عيينه : أخبرنى سالم أبو النصر ، أنه سمع عبيد الله ابن أبى رافع ، يخبر عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته ، يأتيه الأمر من أمرى ، مما أمرت به أو نهيت عنه ، يقول : لا أدرى ، ما وجدنا فى كتاب الله اتبعنا[1] .

والحجج فى تثبيت خبر الواحد كثيرة ، وفيما احتج به الإمام الشافعى رحمه الله [و] رضى الله تبارك وتعالى عنه على ذلك كفاية .

(١) (سنن أبى داود) : ١٢/٥، كتاب السنة ، باب (٦) فى لزوم السنة ، حديث رقم (٤٦٠٥) ، (سنن الترمذى) : ٣٦/٥- ٣٧، كتاب العلم ، باب (٩) ماجاء فيمن روى حديثاً ، وهو يرى أنه كذب ، حديث رقم (٢٦٦٣) ، وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، وروى بعضهم عن سفيان عن ابن المنكدر عن رسول الله ﷺ مرسلاً ، وسالم ابن لأبى النضير عن عبيد الله بن أبى رافع عن أبيه عن رسول الله ﷺ وكان ابن عيينه إذا روى هذا الحديث على الانفراد بين حديث ابن المنكدر من حديث سالم ابن أبى النضر ، وإذا جمعهما روى هكذا ، وأبو رافع مولى رسول الله ﷺ ، اسمه أسلم .

وأما مجيء الجبال إلى رسول الله ﷺ

فخرج البخارى فى كتاب بدء الخلق ، فى باب ذكر الملائكة ، من حديث ابن وهب قال : أخبرنى يونس عن ابن شهاب قال : حدثنى عروة بن الزبير ، أن عائشه رضى الله تبارك وتعالى عنها ، حدثته أنها قالت : يارسول الله ! هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ فقال : لقد لقيت من قومك ، وكان أشد ما لقيت منهم ، يوم العقبة ، إذ عرضت نفسى على عبد ياليل بن عبد كلال ، فلم يجبنى إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهى ، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسي ، فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى ، فنظرت ، فإذا فيها جبريل ، فنادانى فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال ، لتأمره بما شئت فيهم ، فنادانى ملك الجبال ، وسلم على ، ثم قال : يا محمد ! إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك ، وأنا ملك الجبال وقد بعثنى ربك إليك لتأمرنى بأمرك ، فما شئت[1] ؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ؟ فقال رسول الله ﷺ : بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا[2] ، وذكر طرفا من هذا الحديث فى كتاب التوحيد[3] ، وخرجه مسلم أيضا[4] .

---

(١) ما بين الحاصرتين ليس فى(البخارى) .

(٢) (فتح البارى) : ٦ / ٣٨٤ ، كتاب بدء الخلق ، باب (٧) بدون ترجمة ، حديث رقم (٣٢٣١) .

(٣) (فتح البارى) : ٤٦٠/١٣ ، كتاب التوحيد ، باب (٩) بدون ترجمة ، حديث رقم (٧٣٨٩) .

(٤) (مسلم بشرح النووى) : ٣٩٦/١٢ - ٣٩٧، كتاب الجهاد والسير ، باب (٣٩) مالقى رسول الله ﷺ من أذى المنافقين ، حديث رقم (١١١) .

وأما إنزال الملك يبشره بالفاتحة وبالآيتين من سورة البقرة

فخرج مسلم من حديث عبدالله بن عباس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضى الله تبارك وتعالى [عنها] قال : بينما جبريل عليه السلام قاعداً عند رسول الله ﷺ سمع نقيضاً من فوقه ، فرفع رأسه فقال : هذا باب من السماء فتح اليوم ، ولم يفتح قط إلا اليوم ! فنزل منه ملك ، فقال : هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم ! فسلم وقال : أبشر بنورين أوتيتها ، لم يؤتهما نبى قبلك : فاتحه الكتاب ، وخواتيم سورة البقرة ، [لم] تقرأ بحرف منها الا أعطيته(١).

وأما الملك الذى نزل بتصويب الحباب

ففى مغازى الأموى ، عن أبيه قال : وزعم الكلبى عن أبى صالح ، عن ابن عباس رضى الله تبارك وتعالى عنهما قال : بينما رسول الله ﷺ يجمع الأقباض وجبريل عن يمينه ، إذ أتاه ملك من الملائكة ، قال : يا محمد ، إن الله يقرأ عليك السلام ، قال رسول الله ﷺ : هو السلام ، ومنه السلام ، وإليه السلام ، فقال الملك : إن الله يقول لك : إن الأمر الذى أمرك به الحباب ابن المنذر ، فقال رسول الله ﷺ : يا جبريل ! هل تعرف هذا ؟ قال : ما كل أهل السماء أعرف ، وإنه لصادق ، وما هو بشيطان(٢) .

وإسناد هذا الحديث ليس بذاك ، وقد خالف فيه محمد بن عمر الواقدى فقال : حدثنى ابن أبى حبيبة ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس رضى الله تبارك وتعالى عنهما قال : نزل جبريل على رسول الله ﷺ

---

(١) (مسلم بشرح النووى) : ٣٣٩/٦، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب (٤٣) فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة ، حديث رقم (٨٠٦) .

(٢) قال الحافظ ابن كثير فى (البداية والنهاية) : ٣٢٧/٣ ، قال الأموى : حدثنا أبى قال : وزعم الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس به ، والكلبى وهو مدلس .

فقال : الرأى ما أشار به حباب ، فقال رسول الله ﷺ : ياحباب ! أشرت بالرأى ، فنهض رسول الله ﷺ ففعل كل ذلك[1] .

وأما اجتماعه ﷺ بالأنبياء ورؤيتهم فى ليلة الإسراء

فقد مضى ذكر ذلك مجوداً فراجعه[2] .

وأما حديث رسول الله ﷺ عن إبراهيم عليه السلام

فخرج الترمذى من حديث القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن ابن مسعود رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لقيت إبراهيم عليه السلام ليلة أسرى بى ، فقال : يا محمد ، أقرىء أمتك منى السلام ، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء وأنها قيعان ، وأن غراسها سبحان الله ، والحمد الله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر . قال الترمذى : هذا حديث غريب من هذا الوجهه[3].

وخرج الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد عبدالله ابن عمر ، عن سالم بن عبد الله ، عن أبى أيوب الأنصارى رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : إن رسول الله ﷺ ليلة أسرى به مر على إبراهيم عليه السلام ، فقال من معك يا جبريل ؟ قال : هذا محمد ، قال له إبراهيم : مر أمتك

---

(۱) أخرجه الواقدى فى (المغازى) : ٥٤/١ ، وفى إسناده داود بن الحصين وهو ضعيف ، فضلاً عن أن روايته عن عكرمة منكرة ، كما صرح بذلك الحفاظ كعليّ بن المدينى وابن معين ، انظر (تهذيب التهذيب) : ١٥٧/٣ .

(۲) راجع (إمتاع الأسماع) بتحقيقنا : ١ / فصل فى الإسراء برسول الله ﷺ .

(۳) (سنن الترمذى) : ٤٧٦/٥ ، كتاب الدعوات باب ٥٩ [بدون ترجمة] (٣٤٦٢) وفيه عبد الرحمن ابن إسحاق بن سعد الحارث ، قال فيه أحمد : ليس بشئ ، منكر الحديث ، وقال الدورى عن ابن معين : ضعيف ، ليس بشئ ، وقال البخارى : فيه نظر ، وكذا ضعفه النسائى .

فليكثروا من غراس الجنة ، فإن تربتها طيبة ، وأرضها واسعة ، قال : وما غراس الجنة ؟ قال : لا حول ولا قوة إلا بالله[1] .

وخرج ابن حبان فى صحيحه ، من حديث حيوة بن شريح قال: أخبرنى أبو صخر ، أن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، أخبره عن سالم بن عبد الله بن عمر قال : حدثنى أيوب صاحب رسول الله ﷺ ، أن رسول الله ﷺ ليلة اسرى به ، مر على إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام ، فقال لجبريل عليه السلام ، : من معك يا جبريل ؟ فقال جبريل : هذا محمد ، فقال : مر أمتك أن يكثروا غراس الجنة ، فإن تربتها طيبة وأرضها واسعة ، فقال رسول الله ﷺ لإبراهيم : وما غراس الجنة ؟ قال : لا حول ولا قوة إلا بالله[2] .

[و] إبراهيم خليل الرحمن ، أبو الضيفان] ، وهو الأب الثالث ، أب الآباء ، وعمود العالم ، وإمام الحنفاء ، الذى اتخذه الله تعالى خليلا ، وجعل النبوة والكتاب فى ذريته ، وشيخ الأنبياء ابن [آذر] ، ويقال : [آذر] بن تارح ابن نوحود بن مسروغ بن رعوا بن فالغ بن عيبر ، ويقال : عابر بن شالخ بن أرفخشاذ بن سام بن نوح[3] ، صلوات الله وسلامه عليه ، كان آباؤه فى

---

(١) (كنز العمال) : ٣٩٤٨ .

(٢) (الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان) : ١٠١/٣ ، كتاب الرقاق ، باب (٨) الأذكار ، ذكر البيان بأن المرء كلما كثر تبريه من الحول والقوة إلا ببارئه كثر غراسه فى الجنة ، حديث رقم (٨٢١) ، وفيه عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وثقه ابن حبان ، وأبو صخر وهو حميد بن زياد وهو متكلم فيه من قبل حفظه ، وما بين الحاصرتين سقط من (ج) .

(٣) وتمام النسب : ابن نوح بن لامخ بن متوشالح بن حنوح – وهو إدريس – بن يارذ بن ماهللئيل بن قنن بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام ، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين . (المقفى الكبير) : ١٣/١ .

قال العلامة المقريزى رحمه الله : هذه الأسماء كلها ليست بعربية ، وقد خبط فى ضبطها كثير من نقلة الأخبارلبعدهم عن معرفة العبرانية ، والصواب فى ذلك ما وقع فى التوراة ، إذ هذه الأسماء ليست مما يدخله النسخ والتبديل ، وهى هناك كما أوردته لك هنا .

وأزيدك أيضاً بياناً بضبطها بالحروف ، فإنها إنما كتبت فى التوراة بالقلم العبرانىّ ، وقد منّ الله بعد معرفتها بالقلم العبرانىّ أن يسَّر ضبطها بالحروف العربية .

فإبراهيم ، كان اسمه " أبرام " بفتح الهمزة وسكون الباء الموحدة وضم الراء المهملة ، ثم ألف بعدها ميم ، ومعنى ذلك تقريباً : رفيع القدر " فسماه الله تعالى : أبروهام : وصار معناه : أبو جمهور الأحزاب . وعرّبته العرب فقالت : : إبراهيم : بكسر الهمزة وسكون الباء الموحدة وفتح الراء المهملة وكسر الهاء ثم ياء آخر الحروف ساكنة بعدها ميم .

وقالت أيضاً " إبراهام " بفتح الهاء ، وبهما جاء تنزيل العزيز الحكيم فى القرآن المجيد . وسمع أيضاً "إبرهم " . قال عبد المطلب بن عبد مناف بن أساف : نحن آل الله فى بلدته ، لم يزل ذاك على عهد إبرهم .

وتارح ، بفتح التاء المثناة من فوق ثم ألف ساكنة بعدها راء مهملة مفتوحة ثم حاء مهملة.

ونوحور ، بضم النون وسكون الواو وضمّ الحاء المهملة ، وبعدها واو ثم راء مهملة .

وسروغ ، بفتح السين المهملة وضم الراء المهملة ، ثم واو ساكنة بعدها غين معجمة .

ورعو ، بضم الراء والعين المهملتين ثم واو .

وفالغ ، بفاء مفتوحة بعدها ألف ثم لام مفتوحة وغين معجمة . وهذه الفاء ليست فى اللغة . وبعضهم يقول : فالج بالجيم ، وهذه الفاء بين الفاء والباء الموحدة .

وعيبر ، بكسر العين المهملة وسكون الباء اخر الحروف وفتح الباء الموحدة ومن نقلة الأخبار من يقول : " عابر بفتح العين " . وأصله ما ذكرت .

وشالح ، بفتح الشين المعجمة واللام وسكون الحاء المهملة .

وأرفخشاذ ، بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة ، وفتح الفاء وسكون الخاء المعجمة وفتح الشين ، ثم ألف بعدها ذال معجمة . وهذه الفاء أيضاً بين الفاء والباء الموحدة .

وسام ، أصله بشين معجمة ، وعرّب فقيل : بسين مهملة مفتوحة ، ثم ألف بعدها ميم ، وكثيراً ما تكون الشين المعجمة فى العبرانية سيناً مهملة فى اللسان العربى .

ولامخ ، بفتح اللام والميم وبعدها خاء معجمة .

ومثوشالخ ، بفتح الميم وضم المثلثة وسكون الواو وفتح الشين المعجمة بعدها ألف ساكنة ثم لام مفتوحة ثم حاء مهملة كأن بعدها ألفاً .

وحنوخ ، بحاء مهملة مفتوحة ونون مضمومة بعدها واو ساكنة ، ثم خاء معجمة .

السريانيين ، يقال : ابن الكنعانيين ، وولد [عليه السلام] بكوثى ، وقيل : ولد بهرمزجرد ، ثم انتقل إلى كوثى من أرض بابل ، وأمه[عليه الصلاة والسلام] يونا بنت كرنيا بن كوثى ، من بنى أرفخشاذ بن سام ، ويقال : بل اسمها أبيونا وأنها من ولد أفرام بن أرغوا بن فالغ بن عابر بن أرفخشاذ .

وكان أبوه[1] على أصنام الملك نمروذ ، ولسانهم السريانية ، وبينه عليه السلام ، وبين نوح [عليه السلام] عشرة قرون ، وولد ولأبيه من العمر سبعون سنة ، وخرج به أبوه بعد ما تزوج بسارة ، ومعه لوط فسكن حران ، وبها [مات] أبوه .

وكان قد أراه الله تعالى ملكوت السموات والأرض ، وكاد أصنام قومه[2] ، وحاجهم فى إثبات الله تعالى[3] ، فألقوه فى النار ، فصارت بردا

ويرذ ، ويقال يارذ – بياء آخر الحروف مفتوحة إذا أشبعت الفتحة صار كأن بعدها ألفاً ثم راء مهملة مفتوحة بعدها ذال معجمة .

وما هللئيل ، بمبم مفتوحة بعدها ألف ساكنة ، ثم هاء مفتوحة ولام مفتوحة أيضاً ، ثم لام أخرى ساكنة بعدها ألف مهموزة مكسورة كأنما بعدها ياء آخر الحروف ساكنة ، ثم لام ثلثة .

وقنن ، بقاف مكسورة كأن بعدها ياء آخر الحروف ساكنة ، ثم نون مضمومة كأن بعدها واو ساكنة ، ثم نون أخرى .

وأنوش ، بفتح الهمزة وضم النون وسكون الواو ثم شين معجمة .

(المقفى الكبير) : ١/١٣-١٥ ، ترجمة إبراهيم الخليل عليه السلام ، ترجمة رقم (١) .

(١) عن مجاهد قال : آزر صنم ، ليس بأبيه ، وفى التوراة : " إبراهيم بن تارح " . وهذا قول مردود ، فقد قال تعالى : ﴿ **وإذ قال إبراهيم لأبيه آذر أتتخذ أصناماً آلهة إنى أراك وقومك فى ضلال مبين** ﴾ [الأنعام : ٧٤] ، وهذا هو الحق . وقال بعضهم : آزر هو تارح ، وأحدهما اسم ، والأخر لقب ، وليس ببعيد . (المرجع السابق) .

(٢) أخذ إبراهيم قدوماً وأتاها ليلاً وكسرها وعلّق القدوم على عنق صنم الشمس وهو أكبرها –حيث قد كانوا سموها بأسماء الكواكب – فلما رأوها قالوا : ﴿ **من فعل هذا بآلهتنا** ﴾ [الأنبياء : ٥٩] ، قال رجل منهم : سمعت إبراهيم يذكرها ، فأتوا إبراهيم فقالوا : من فعل هذا بآلهتنا يا إبراهيم ؟ قال لهم : سلوا كبيرهم هذا ﴿ **إن كانوا ينطقون** ﴾ [الأنبياء : ٦٣]. (المرجع السابق) .

(٣) عن كعب الأحبار قال : رآى إبراهيم عليه السلام قوماً يأتون نمروذ الجبار فيصيبون منه طعاماً ، فانطلق معهم ، فكان مرّ بالنمروذ رجل قال له : " من ربك ؟ " قال : " أنت ربى " ، وسجد له إعظاماً له ، فأعطاه حاجته ، حتى مرَّ به إبراهيم فقال : من ربك ؟ قال : **﴿ ربى الذى يحى ويميت ﴾** قال : **﴿ أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر ﴾** [البقرة : ٢٥٨] ، وخرج إبراهيم ولم يعطه شيئاً ، فعمد إبراهيم إلى تراب فملأبه وعاءه ودخل به منزله ، وأمر أهله أن لا يحلوه ، ووضع رأسه فنام ، فحلت امرأته الوعاء فإذا هو أجود دقيق رأت . (المرجع السابق) .

وقال محمد بن إسحاق : حدثنى أبو الأحوص بن عبدالله قال : خرج قوم إبراهيم إلى عيد لهم فمروا عليه فقالوا : يا إبراهيم ، ألا تخرج معنا ؟ قال : **﴿إنى سقيم ﴾** [الصافات : ٨٩] . وقد كان قبل ذلك قال : **﴿ وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين ﴾** [الأنبياء : ٥٧] . فسمعه إنسان منهم فلما خرجوا إلى عيدهم انطلق إلى أهله فأخذ طعاماً ثم انطلق إلى آلهتهم فقربه إليهم **﴿ فقال ألا تأكلون * مالكم لا تنطقون * فراغ عليهم ضرباً باليمين ﴾** [الصافات :٩١-٩٣] فكسرها إلا كبيراً لهم ، ثم ربط فى يده الفأس الذى كسر به آلهتهم .

فجاهرهم عند ذلك وقال : **﴿ أتعبدون ما تنحتون ﴾** ؟ [الصافات : ٩٥] ، **﴿ أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم * أف لكم ولما تعبدون من دون الله ﴾** [الأنبياء : ٦٦ -٦٧] . (المرجع السابق) .

عن عكرمة فى قوله تعالى **﴿ قلنا يا نار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم ﴾** [الأنبياء : ٩٦] أن نار الدنيا كلها لم ينتفع بها أحد من أهلها ، فلما أخرج الله تبارك وتعالى إبراهيم عليه السلام من النار زاده الله فى حسنه وجماله سبعين ضعفاً .

وعن على بن أبى طالب رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : كانت البغال تتناسل ، وكانت أسرع الدواب فى نقل الحطب لحرق إبراهيم عليه السلام فدعا عليها ، فقطع الله نسلها . وكانت الضفادع مساكنها القفار فجعلت تطفئ النار عن إبراهيم عليه السلام فدعا لها فأنزلها الله الماء ، وكانت الأوزاغ تنفث عليه النار فلعنها فصارت ملعونة ، فمن قتل منها أجر .(المرجع السابق) .

وعن ابن عباس رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : لما ألقى بإبراهيم عليه السلام فى النار قال : حسبى الله ونعم الوكيل . (المرجع السابق) .

وقال الزبير بن بكار : حدثنى عبدالرحمن بن المغيرة قال : لما رأى الناس أن إبراهيم عليه السلام لا تحرقه النار قالوا : ما هو إلاعرق الندى وما نعرفه ، ألا ترى ما تضره النار ولا تحرقه ؟ فسمى عرق الندى . (المرجع السابق) .

وقال مقاتل : أول من اتخذ المنجنيق نمروذ ، وذلك أن إبليس جاءهم لما لم يستطيعوا أن يدنوا من النار التى أضرمها لرمى إبراهيم عليه السلام فيها ، فقال : أنا أدلكم ، فاتخذ لهم المنجنيق ، صنعه له رجل من الأكراد يقال له : هبون . وكان أول من صنع المنجنيق ، فخسف الله به الأرض ، وجئ بإبراهيم عليه السلام فخلعوا ثيابه وشدوا رباطه ، فوضع فى المنجنيق ، فبكت السموات ، والأرض ، والجبال ، والشمس ، والقمر ، والعرش ، والكرسى ، والسحاب ، والريح ، والملائكة ، كل يقول : يا رب عبدك إبراهيم بالنار يحرق ، فائذن لنا فى نصرته ، فقالت النار وبكت : يا رب سخرتنى لبنى أدم ، وعبدك يحرق بى عليه السلام .

فأوحى الله إليهم أن عبدى إياى عبد ، وفى جنبى أوذى ، إن دعانى أجبته ، وإن استنصركم فانصروه . فلما رمى استقبله جبريل عليه السلام بين المنجنيق والنار فقال : السلام عليك يا إبراهيم ، أنا جبريل ، ألك حاجة ؟ فقال : أما إليك فلا ، حاجتى إلى الله ربى . (المرجع السابق) .

قال الله تعالى : ﴿ **يا نار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم** ﴾ [الأنبياء : ٦٩] ، فلو لم يخلط بالسلام لآذاه البرد ، ودخل جبريل معه وإسرائيل ، وأنبت الله تعالى حوله روضة خضراء ، وبسط له بساط من درنوك [بُسط] الجنة ، وأتى بقميص من حلل جنة عدن فألبسه ، وأجرى عليه الرزق غدوة وعشياً . (المرجع السابق) .

قال وهب : فلما رأوا الآية الباهرة ، آمن منهم بشر كثير فأتى الجمع إلى نمروذ فقالوا : إن إبراهيم قد استمال الناس ، وقد صبأ إليه خلق كثير ، فجمع نمروذ وزحف ، يريد إبراهيم ومن معه ، فأوحى الله إلى إبراهيم : ارحل بمن معك ، فرفع بامرأته سارة وجميع من آمن به حتى بلغ مدين ، فنزل ، ونمروذ سائر بجموعه خلفه ، فأرسل الله عليهم جنداً من البعوض فأعمى أعين الدواب ، ودخل خياشيم الرجال حتى ماتوا ، وأبقى الله نمروذ ، وقد دخلت خيشومه بعوضة فسكنت دماغه حتى كان أحب الناس إليه من ضرب رأسه ليكف عنه أكل البعوض . ثم هلك بعد ذلك . (المرجع السابق) .

وسلاماً[1] فخرج عليه الصلاة والسلام عند ذلك بزوجته سارة ، ومعه لوط إلى حران ، فأقام بها خمس سنين ثم مضى منها وعمره خمس وسبعون ، فهاجر إلى ربه[2] .

فلما عبر الفرات من حران ، غير الله تعالى لسانه ، وتكلم بالعبرانية ، وسار حتى نزل أرض القدس ، ومعه مواشيه ، وزوجته ، ولوط ، فبنى عند صخرة بيت المقدس مذبحاً ، يقرب فيه قرابينه لله تعالى .

ثم قدم مصر لغلاء نزل [بأرض] القدس ، فكان أمر سارة مع الملك ما كان[3] وأخذ منها هاجر ، ثم خرج [عليه الصلاة والسلام] من مصر ، بعد ما أقام بها ثلاثة أشهر ، فنزل خارج غزة ، وقد كثر ماله ، وابتنى بئر سبع ، وجعلها سبيلاً ، وفرق أموالاً في وجوه البر ، وكان عليه الصلاة والسلام نصيف من كل مزية ، وأمر ابن أخيه لوطاً أن يتحول عنه ، فسار عنه لوط إلى أرض القدس ، ونزل سدوم ، ونزل إبراهيم عليه الصلاة والسلام حبرون ، التي تعرف اليوم ببلد الخليل .

وولد له عليه الصلاة والسلام بعد عشر سنين من سكناه إسماعيل عليه السلام من هاجر ، وعمره ست وثمانون سنة ، [ثم اختتن وله تسع وتسعين سنة][4] وفي الصحيح أنه اختتن وعمره ثمانون سنة، وولد له إسحاق

---

(1) قال العلامة المقريزي : وكان من خبر إبراهيم عليه السلام مع طوطيس بن ماليا فرعون إبراهيم ، أنه عليه الصلاة والسلام قدم إلى مصر بزوجته سارة ، فعندما رآها الحرس الموكلون بأبواب مدينة منف عجبوا من حسنها ، فرفعوا خبرها إلى طوطيس ، فأمر وزيره فأحضر إبراهيم عليه السلام وسأله عنها وبعث بها إلى طوطيس ، فأكرمها وكف عنها طوطيس ، وجفت يده لما مدها إليها حتى دعت الله سبحانه وتعالى فخلصها ، وهابها طوطيس بعد ذلك وبعث بها إلى ابنته حوريا فأكرمتها وأعادتها إلى إبراهيم عليه السلام ، ووهبتها هاجر أم إسماعيل . (المقفى الكبير) : ٣٦/٤ .

(2) هكذا ورد في التوراة وهو خلاف لما في الصحيح .

(3) (فتح الباري) : ١٠٤/١١ ، كتاب الاستئذان ، باب (٥١) ، الختان بعد الكبر ونتف الإبط ، حديث رقم (٦٢٩٨) .

(1) قال تعالى : ﴿ **إنه كان صديقاً نبياً** ﴾ مريم : ٤١

[عليهما السلام] وهو ابن مـــائة سنة من سـارة ، وأنـزل ابنـه إسـماعيل عليـه السلام وأمه هاجر بمكة ، وقد وعده الله [تبارك و] تعالى أن يجعل منـه ومـن إسحاق [عليهما السلام] شعوباً كباراً .

وامتحنـه اللـه [عز وجل] بذبـح ولـده ، فبـادر لطاعـة ربـــه ، وأراد ذبحـه ، ففداه الله [تعالى] بذبح عظيم ، وماتت سارة ، فتزوج بعدها قطورا ، فولدت له عليه السلام سته أولاد ، ثم مات عليه السلام ، وعمـره مائـة وخمس وسبعون سنة ، فدفن حيث قبره الآن من قرية حبرون ، مع زوجته سارة .

ويقال : معنى إبراهيم بالسريانيه ، أب رحيم ، وقد سماه اللـه تعـالى إمامـاً[1] [وحليمـاً[2]، وأواهـاً ،ومنيبـاً وصديقـاً[3]] وأمَّــةً ، وقانتــاً ، وحنيفــاً[4] ، فالأمة: هو القدوة ، المعلم للخير . والقـانت : المطيـع للـه ، المـلازم لطاعتـه . والحنيف : المقبل على الله ، المعرض عما سواه . وقد اتفق أهل الملـة علـى تعظيمه ، وتوليته ، [و] محبته ، وكان خير بنيه ، وسيد ولد آدم ، محمد ﷺ ، يجله ، ويعظمه ، ويبجله ، ويحترمه .

ففى صحيح مسلم من حديث المختار بن فلفل ، عـن أنـس رضـى اللـه تبارك وتعالى عنه ، قال : جـاء رجــل إلـى رسـول اللـه ﷺ فقـال : يـا خـير البريـة ، فقـال ذاك إبراهيم[5] ، وسماه شيخه ، فإنـه لمـا دخـل الكعبـة ، وجـد

---

(١) قال تعالى : ﴿ إنى جاعلك للناس إماماً ﴾ البقرة : ١٢٤ .

(٢) قال تعالى : ﴿ إن إبراهيم لحليم أواه منيب ﴾ هود : ٧٥ .

(٣) قال تعالى : ﴿ إنه كان صديقاً نبياً ﴾ مريم : ٤١ .

(٤) قال تعالى : ﴿ أمةً قانتاً لله حنيفاً ﴾ النحل : ١٢٠ .

(٥) (مسلم بشرح النووى) : ١٥/١٣٠ ، كتاب الفضائل ، باب (٤١) من فضائل إبراهيم الخليل عليـه السلام ، حديث رقم (٢٣٦٩) .

قال العلماء : إنما قال هذا تواضعاً واحتراماً لإبراهيم لخلقه وأبوتـه ، وإلا فنبينـا أفضـل ، كما قال ﷺ : أنا سيد ولد آدم ، ولم يقصد به الافتخار ولا التطاول على من تقدمه ، بل قاله بياناً لمـا أمر ببيانه وتبليغه ، ولهذا قال ﷺ : ولا فخر، لينـفى ماقد يتطرق إلى بعض الأفهام السخيفة .

(المرجع السابق) .

=

المشركين قد صوروا فيها صورة إبراهيم وإسماعيل وهما يستقسمان بالأزلام ، فقال قائلهم : سبحان الله ! لقد علموا أن شيخنا لم يكن يستقسم بالأزلام ، ولم يأمر الله [تبارك وتعالى] رسوله ﷺ أن يتبع ملة أحد من الأنبياء ، غير إبراهيم عليه السلام ، وأمر أمته بذلك .

وأخبر ﷺ ، أن إبراهيم عليه السلام ، أول من [يكسي] يوم القيامة ، وكان أشبه الخلق به رسول الله ﷺ ، وهو عليه [الصلاة] والسلام أول من [أقرى] الضيف ، وأول من اختتن ، وأول من رأى الشيب ، وقد شهد الله [تبارك و] تعالى له ، أنه وفىّ ما أمر به ، يعنى وفىّ جميع ما أمر به من تبليغ الرسالة ، وفىّ جميع شرائع الإسلام ، وجعله [تبارك] تعالى إماماً للخلائق يأتمون به .

وكان كما قيل : قلبه للرحمن ، وولده للقربان ، وبدنه للنيران ، وماله للضيفان ، وبه سنّ الله الهدايا والضحايا ، وهو الذى للأمة مُناظر المشركين ، والمبطلين ، وكسر حجتهم ، وهو أذن فى الناس بالحج ، لما فرغ من بناء الكعبة البيت الحرام ، فكل من حجه واعتمره ، كان لإبراهيم مزيد الثواب ، بعدد الحجاج والمعتمرين إلى يوم القيامة ، وقد ذكرت له سيرة فى (التاريخ الكبير المقفى)[1] ، صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم .

= وأخرجه الترمذى فى كتاب التفسير، باب من سورة لم يكن ، حديث رقم (٣٣٤٩) ، وأبوداود فى كتاب السنة باب فى التخيير بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، حديث رقم (٤٦٧٢). (جامع الأصول) : ٥١٢/٨ ، كتاب الفضائل فى فضل جماعة من الأنبياء ، حديث رقم (٦٣٠٦)، (مسند أحمد) : ١٩/٤ ، حديث رقم (١٢٤١٥) من مسند أنس بن مالك رضى الله تبارك وتعالى عنه .

(١) (المقفى للمقريزى) : ١٣/١ ، ٣٦/٤ .

وأما حديث رسول الله ﷺ عن تميم الداري[1]

(١) هو تميم بن أوس بن خارجة بن سود بن جذيمة بن دراع بن عدى بن الدار بن هانئ بن حبيب بن نمارة بن لخم بن عدى ، ينسب إلى الدار ، وهو بطن من لخم ، يكنى أبا رقية [بابنة له تسمى رقية] لم يولد له غيرها .

كان نصرانياً ، وكان إسلامه فى سنة تسع من الهجرة ، وكان يسكن المدينة ثم انتقل منها إلى الشام بعد قتل عثمان رضى الله تبارك وتعالى عنه .

وروى عنه عبدالله بن وهب ، وسليم بن عامر ، وشرحبيل بن مسلم ، وقبيصة بن ذؤيب ، وعطاء بن يزيد الليثى .

روى الشعبى عن فاطمة بنت قيس أنها سمعت رسول الله ﷺ ، يذكر الدجال فى خطبته ، وقال فيها : حدثنى تميم الدارى ، وذكر خبر الجساسة وقصة الدجال . وهذا أولى مما يخرجه المحدثون فى رواية الكبار عن الصغار .

قال أبو نعيم : كان راهب أهل فلسطين ، وعالم أهل فلسطين ، وهو أول من أسرج السراج فى المسجد . رواه الطبرانى من حديث أبى هريرة ، وأول من قصَّ : وذلك فى عهد عمررضى الله تبارك وتعالى عنه . رواه إسحاق بن راهويه ، وابن أبى شيبة .

كان كثير التهجد ، قام ليلة بآية حتى أصبح ، وهى ﴿ **أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواءً محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون** ﴾[الجاثية:٢١] ، رواه البغوى فى (الجعديات) بإسناد صحيح إلى مسروق .

وروى البغوى فى (الصحابة) قصة مع عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه فيها كرامة واضحة لتميم ، وتعظيم كثير من عمر له ، موجزها ، عن معاوية بن حرمل قال : قدمت على عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، تائب من قبل أن يقدر علىَّ ، فقال : من أنت ؟ قلت : معاوية بن حرمل صهر مسيلمة ، قال : اذهب فانزل على خير أهل المدينة ، قال : فنزلت على تميم الدارى رضى الله تبارك وتعالى عنه فبينا نحن نتحدث إذ خرجت نار بالحرة ، فجاء عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه إلى تميم ، فقال : يا تميم ، فخرج ، فقال : وما أنا ؟ وما تخشى أن يبلغ من أمرى ؟ فصغر نفسه ، ثم قام فحاشها حتى أدخلها الباب الذى خرجت منه ، ثم اقتحم فى أثرها ، ثم خرج فلم تضر . له ترجمة فى : (مسند أحمد):١٠٢/٤،(طبقات ابن سعد) : ٤٠٨/٧ (طبقات خليفة) : ٧٠ ، ٣٠٥ ، (تاريخ خليفة) : ٣٤١ ، (التاريخ الكبير) : ١٥٠/٢ - ١٥١ ، (المعارف ١٠٢ ، ١٦٨(الجرح والتعديل) : ٤٤٠/٢ ، (الإستيعاب) : ٥٨/٢ ، (تهذيب =

فخرج مسلم من حديث الحسين بن ذكوان قال : حدثنا ابن بريده قال : حدثنى عامر بن شرحبيل الشعبى ، شعب همدان ، أنه سأل فاطمه بنت قيس - اخت الضحاك بن قيس ، وكانت من المهاجرات الأول ، - فقال : حدثينى حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ ، لا [تسنديه] إلى أحد غيره ، فقالت : لإن شئت لأفعلن ، فقال [لها] : أجل حدثينى ، فقالت : نكحت ابن المغيرة رضى الله تبارك وتعالى عنه وهو من خيار شباب قريش يومئذ ، فأصيب فى أول الجهاد مع رسول الله ﷺ ، فلما تأيمت خطبنى عبد الرحمن بن عوف رضى الله تبارك وتعالى عنه فى نفر من أصحاب محمد ﷺ ، وخطبنى رسول الله ﷺ على مولاه أسامة بن زيد رضى الله تبارك وتعالى عنه ، وكنت قد حدثت أن رسول الله ﷺ قال : من أحبنى فليحب أسامة ، فلما كلمنى رسول الله ﷺ ، قلت : أمرى بيدك ، فأنكحنى من شئت ، فقال ﷺ : انتقلى إلى أم شريك رضى الله تبارك وتعالى عنها - وأم شريك امرأة غنية من الأنصار ، عظيمة النفقة فى سبيل الله ، ينزل عليها الضيفان - [فقلت : سأفعل ، فقال ﷺ : لا تفعلى ، إن أم شريك رضى الله تبارك وتعالى عنها ينزل عليها الضيفان] فإنى أكره أن يسقط عنك خمارك ، أو ينكشف الثوب عن ساقيك ، فيرى القوم منك ما تكرهين ، ولكن انتقلى إلى ابن عمك ، عبدالله بن عمرو بن أم مكتوم رضى الله تبارك وتعالى عنه ، وهو رجل من بنى فهر قريش ، وهو من البطن الذى هى منه ، فانتقلت إليه ، فلما انقضت عدتى ، سمعت المنادى - منادى رسول الله ﷺ - ينادى : الصلاة جامعة ، فخرجت إلى المسجد ، فصليت مع رسول الله ﷺ ، فكنت فى صف النساء الذى يلى ظهور القوم ، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته ، جلس على المنبر وهو يضحك ، فقال : ليلتزم كل إنسان مصلاه ، ثم قال : أتدرون لمَ جمعتكم ؟ فقالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : إنى والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة ، ولكن جمعتكم لأن تميماً الدارى كان رجلاً نصرانياً ، فجاء وبايع وأسلم ، وحدثنى حديثا وافق الذى أحدثكم عن مسيح الدجال .

= التهذيب) : ٥١١/١ ، (سير أعلام النبلاء) : ٤٤٢/٢ : ٤٤٨ ، (ضوء السارى فى معرفة خبر تميم الدارى للمقريزى) : ٣٨ وما بعدها ، قصة الجساسة والدجال .

حدثنى أنه ركِب فى سفينة بحرية ، مع ثلاثين رجلاً من لخم وجذام ، فلعب بهم الموج شهراً فى البحر ، ثم [أرفأوا] إلى جزيرة فى البحر ، حيث مغرب الشمس ، فجلسوا فى أقرُب السفينة ، فدخلوا الجزيرة ، فلقيتهم دابة أهلب ، كثير الشعر ، لا يدرون ما قبله من دبره ، من كثرة الشعر ، فقالوا : ويلك ما أنت ؟ فقالت : أنا الجساسة ، فقالوا : وما الجساسة ؟ قالت : أيها القوم ، انطلقوا إلىٍ هذا الرجل فى الدير ، فإنه إلى خبركم بالأشواق ، قال : لما سمّت لنا رجلاً ، فرقنا منها أن تكون شيطاناً ، فانطلقنا سراعاً حتى أتينا الدير ، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقاً ، وأشده وثاقاً ، مجموعة يداه إلى عنقه ، ما بين ركبتيه بالحديد إلى كعبيه ، قلنا : ويلك ! ما أنت ؟ قال : قد قدرتم على خبرى ، فأخبرونى ما أنتم ؟ قالوا : نحن أناس من العرب ، ركبنا فى سفينة بحرية فصادفنا البحر حين [اغتلم] ، فلعب بنا الموج شهراً ، ثم أرفأنا الى جزيرتك هذه ، فجلسنا فى أقرُبها ، فدخلنا الجزيرة ، فلقيتنا دابة أهلب ، كثير الشعر ، لا ندرى ما قبله من دبره من كثرة الشعر ، فقلنا : ويلك ! ما أنت ؟ فقال : الجساسة ، فقلنا : وما الجساسة ؟ قالت : اعبروا إلى هذا الرجل فى الدير ، فإنه إلى خبركم بالأشواق ، فأقبلنا إليك سراعاً ، وفزعنا منها ، ولم نأمن أن تكون شيطاناً .

قال : أخبرونى عن نخل بيسان ، قلنا : عن أى شأنها تستخبر ؟ قال : أسألكم عن نخلها ، هل يثمر ؟ فقلنا له : نعم ، قال : أما إنه توشك ألا يثمر ، قال : أخبرونى عن بحيرة طبرية ، قلنا : عن أى شأنها تستخبر ؟ قال : هل فيها ماء ؟ قالوا : هى كثيرة الماء ، قال : أما إن ماءها يوشك أن يذهب .

قال : أخبرونى عن عين زُغَر ؟ قالوا : عن أى شأنها تستخبر؟ قال : هل فى العين ماء ؟ وهل يزرع أهلها بماء العين ؟ قلنا له : نعم ، هى كثيرة الماء ، وأهلها يزرعون من مائها، قال : أخبرونى عن نبى الأميين ما فعل ؟ [قالوا] : أخرج من مكة ، ونزل يثرب ، قال : أقاتله العرب ؟ قلنا : نعم ،قال : كيف صنع بهم ؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه ، قال لهم : قد كان ذلك ؟ قلنا له : نعم ، قال : أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه ، وإنى مخبركم عنى : إنى أنا المسيح [الدجال] ، وإنى أوشك أن يؤذن لى فى الخروج ، فأخرج فأسير فى الأرض ، فلا أدع قريه إلا هبطتها فى أربعين

ليلة ، إلا مكة وطيبة ، فهما محرمتان علىَّ كلتاهما ، كلما أردت أن أدخل واحدة ، أو واحداً منهما ، استقبلنى مَلَك بيده السيف مصلتا يصدنى عنها ، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها .

قالت : قال رسول الله ﷺ - وطعن [أو طنَّ] بمخصرته فى المنبر: هذه طيبة ، هذه طيبة ، هذه طيبة ، يعنى المدينة ، ألا هل كنت أحدثكم ذاك ؟ فقال الناس : نعم ، فإنه أعجبنى حديث تميم ، أنه وافق الذى كنت أحدثكم عنه ، وعن المدينة ، ومكة ، إلا أنه فى بحر الشام ، أو نحو اليمن ، لا بل من قبل المشرق ، ما هو من قبل المشرق وما هو من قبل المغرب ، ما هو ، وأومأ بيده إلى المشرق ، قالت : فحفظت هذا من رسول الله ﷺ وذكر له عدة طرق ، تدور على الشعبى[1] .

---

(١) مسلم : (١٨/٢٩١-٢٩٧) ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب قصة الجساسة ، باب (٢٤) ، (حديث رقم ١١٩، ١٢٠ ، ١٢١، ١٢٢ ، ١٢٣) ، وهذا الحديث معدود فى مناقب تميم الدارى رضى الله تبارك وتعالى عنه ، لأن النبى ﷺ روى هذه القصة وهى من باب رواية الفاضل عن المفضول ، والمتبوع عن تابعه ، وفيها دليل على قبول خبر الواحد .

[والجساسة - بفتح الجيم وتشديد السين المهملة الأولى - سميت بذلك لأنها تتجسس الأخبار للدجال] .

[وعن عبدالله بن عمرو بن العاص ، رضى الله تبارك وتعالى عنهما أنها دابة الأرض المذكورة فى القرآن] ، فى قوله تعالى : ﴿ **وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون** ﴾ النمل : (٨٢) .

[وفاطمة بنت قيس من خالد الأكبر بن وهب بن ثعلبة بن واثلة بن عمرو بن شيبان ابن محارب بن فهر القرشية الفهرية ، إحدى المهاجرات الأول الجميلات العاقلات النبيلات ، كانت عند أبى عمرو بن حفص [بن عمرو] بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم المخزومى القرشى ، واسمه : عبدالحميد ، وقيل : اسمه كنيته . طلقها لما بعثه رسول الله ﷺ مع على بن أبى طالب ، رضى الله تبارك وتعالى عنه ، حين وجهه رسول الله ﷺ أميراً على اليمن ، وبعث إليها تطليقة ، وهى بقية طلاقها ، ثم مات هناك مع على رضى الله تبارك وتعالى عنه ، فتأيمت - أى صارت أيما - وهى [التى] لا زوج لها ، فخطبها معاوية ، وأبو جهم بن حذيفة ، فاستشارت النبى ﷺ فيهما ، فأشار عليها بأسامة بن زيد ، فتزوجته] .

=

= [وذكر البخارى فى (التاريخ) أنه عاش إلى خلافة عمر ، رضى الله تبارك وتعالى عنه] .

[وقولها : " فأصيب " ، وليس معناه أنه قتل فى الجهاد مع النبى ﷺ ، وتأيمت بذلك ؛ بل إنما تأيمت بطلاقه البائن ؛ ويكون معنى فأصيب [بجراحة أو أصيب] فى ماله أو نحو ذلك ، وأرادت عد فضائله ، فابتدأت بكونه خير شباب قريش ، ثم ذكرت الباقى] .

[وقوله : " وأم شريك من الأنصار " أنكر هذا بعضهم وقال : إنما هى قريشة ، وهى من بنى عامر بن لؤى ، واسمها غزية ، وقيل : غزيلة . وذهب آخرون إلى أنهما ثنتان : قريشة وأنصارية ؛ فالقرشية العامرية هى : أم شريك غزية بنت دودان بن عوف بن عمرو بن عامر بن رواحة بن حجر . ويقال : حجير بن عبد معيص بن عامر بن لؤى [وقيل : هى أم شريك بنت عوف بن جابر بن ضباب بن حجير بن عبد بن معيص بن عامر ابن لؤى] وهى التى وهبت نفسها للنبى ﷺ ، على خلاف فى ذلك قد ذكرته فى كتاب (إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأحوال والحفدة والمتاع) ، [عند ذكر أزواج رسول الله ﷺ] ، قال محققه : راجع (إمتاع الأسماع) بتحقيقنا : الجزء السادس .

وأما أم شريك الأنصارية فمن بنى النجار ، ولم يذكرها ابن عبدالبر ، وإنما روى الحاكم فى (المستدرك) عن طريق محمد بن إسحاق : حدثنا أبو الأشعث ، حدثنا زهير بن العلاء ، حدثنا سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة قال : وتزوج رسول الله ﷺ أم شريك الأنصارية من بنى النجار قال : " إنى أحب أن أتزوج فى الأنصار " ، ثم قال : " إنى أكره غيرتهن " فلم يدخل بها .

[وقوله : " انتقلى إلى ابن عمك : عبدالله بن عمرو بن أم مكتوم " وهو رجل من بنى فهر - فهر قريش - وهو من البطن الذى هى منه - ابن أم مكتوم صفة لعبدالله لا لعمرو ؛ فإنه عبدالله ابن أم مكتوم [وهى أمه فينسب تارة إلى أبيه عمرو ، وتارة ينسب إلى أمه أم مكتوم] ، فينبغى أن يكتب فى قولنا : ابن أم مكتوم بألف فى " ابن " وفى قولها هذا إشكال ؛ فإن ابن أم مكتوم من بنى عامر بن لؤى ، وفاطمة بنت قيس من بنى محارب بن فهر ، فكيف يكون ابن عمها ، وأنها من البطن الذى هو منه] ؟ .

[وقد أجيب عن هذا الإشكال بأن المراد بالبطن هاهنا : القبيلة ، لا البطن الذى هو دون القبيلة ، والمراد ابن عمها مجازاً ، لكونه من قبيلتها . وفيه نظر] ! (هدى السارى) .

قال أبو الفوز محمد أمين البغدادى الشهير بالسويدى : اعلم أن العرب كلها ترجع إلى أصلين : عدنان ، وقحطان ، وكان الملك فى الجاهلية لقحطان حتى نقله الإسلام إلى عدنان ، ولكل واحد منهم فروع اتفقت العرب فيما نقل إلينا على أن جعلتها ست طبقات ، وكذلك عدها أهل اللغة .=

الطبقة الاولى : الشعب بفتح الشين ، وهو النسب الأبعد كعدنان مثلاً ، قال الجوهرى : وهو أبو القبائل الذى ينسبون اليه ويجمع على شعوب . قال الماوردى فى الأحكام السلطانية : وسمى شعباً لأن القبائل تتشعب منه ، وذكر الزمخشرى فى كشافه نحوه .

الطبقة الثانية : القبيلة وهى ما انقسم فيه الشعب كربيعة ومضر . قال الماوردى : وسميت قبيلة لتقابل الأنساب فيها ، وتجمع القبيلة على قبائل وربما سميت القبائل جماجم أيضاً كايقتضيه كلام الجوهرى ، حيث قال : جماجم العرب هى القبائل التى تجمع البطون .

الطبقة الثالثة : العمارة بكسر العين وهى ما انقسم فيه أنساب القبيلة كقريش وكنانة وتجمع على عمارات وعمائر .

الطبقة الرابعة : البطن ، وهى ما انقسم فيه أنساب العمارة كبنى عبدمناف وبنى مخزوم ، ويجمع على بطون وأبطن .

الطبقة الخامسة : الفخذ . وهو ما انقسم فيه أنساب البطن كبنى هاشم ، وبنى أمية ، ويجمع على أفخاذ .

الطبقة السادسة : الفصيلة . بالصاد المهملة وهى ما انقسم فيه أنساب الفخذ كبنى العباس وبنى عبدالمطلب هكذا رتبها الماوردى رحمه الله فى الأحكام السلطانية ، وعلى نحو ذلك جرى الزمخشرى فى تفسيره فى الكلام على قوله تعالى : ﴿ **وجعلناكم شعوباً وقبائل** ﴾[الحجرات : ١٣] إلا أنه مثّل الشعب بخزيمة ، وللقبيلة بكنانة ، وللعمارة بقريش ، وللبطن بقصى ، وللفخذ بهاشم ، وللفصيلة بالعباس .

وبالجملة ، فالفخذ يجمع القبائل ، والبطن يجمع الأفخاذ ، والعمارة تجمع البطون ، والقبيلة تجمع العمائر ، والشعب يجمع القبائل ، وإنما يعلو بعضها على بعض بشرطين : قدم المولد ، وكثرة الولد ، وليس دون الفصيلة إلا الرجل وولده .

قال النووى فى (تحرير التنبيه) : وزاد بعضهم العشيرة قبل الفصيلة .

قال الجوهرى : وعشيرة الرجل رهطه الأدنون .

وحكى أبوعبيد ، عن ابن الكلبى ، عن أبيه : تقديم الشعب ، ثم القبيلة ، ثم الفصيلة ، ثم العمارة ، ثم الفخذ ، فأقام الفصيلة مقام العمارة فى ذكرها بعد القبيلة ، والعمارة مقام الفصيلة فى ذكرها قبل الفخذ ، ولم يذكر ما يخالفه (سبائك الذهب فى معرفة قبائل العرب) : ١٣ - ١٤ .

وأما حديث رسول الله ﷺ عن قُسّ بن ساعدة

[يقال : عاش ُقس بن ساعدة ستمائة سنة ، وهو أول من أخبر بالبعث من أهل الجاهلية فى غير علم ، وأول من خطب بعصاً ، وقد ثبت قوم قُساً وهم الأكثر ، ونفاه آخرون ، وقالوا : لم يخلق ُقس وقد ذكره الشعراء] ففى سنده نظر .

وقد خرجه البيهقىّ من حديث أبو عبيد الله سعيد بن عبد الرحمن [بن] حسان القرشىّ المخزومىّ ، وقد وثقه النسائىّ ، قال : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن أبى حمزه الثمالىّ ، عن سعيد بن جبير ، عن عبد الله بن عباس ، رضى الله تبارك وتعالى [عنهما] قال : قدم وفد أياد على رسول الله ﷺ، فسألهم عن ُقس بن ساعدة الأيادى ، فقالوا : هلك يا رسول الله ، فقال : لقد شهدته فى الموسم بعكاظ ، وهو على جمل له أحمر – أو على ناقة حمراء – وهو ينادى فى الناس : اجتمعوا ، واسمعوا ، وعوا ، واتعظوا ، تنتفعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت .

أما بعد ، فإن [فى] السماء لخبراً ، وإن فى الأرض لعبراً ، نجوم تمور ، وبحار تفور ولا تخور ، وسقف مرفوع ، ومهاد موضوع ، ونهار منبوع .

أقسم ُقس قسماً بالله ، لا كذباً [ولا إثما] ليتبعن هذا الأمر سخطاً ، ولئن كان بعضه رضاً ، إن بعضه سخطاً ، وما هذا باللعب ، وإن من وراء هذا للعجب .

أقسم ُقس قسماً بالله ، لا كذباً ولا إثماً ، إن لله ديناً ، هو أرضى له من دين نحن عليه ، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون ؟ أرضوا فأقاموا ؟ أم تركوا فناموا ؟ قال رسول الله ﷺ : ثم أنشد ُقس بن ساعدة أبيات من الشعر لم أحفظها عنه فقام أبو بكر الصديق رضى الله تبارك وتعالى عنه فقال : أنا حضرت ذلك المقام ، وحفظت تلك المقالة ، فقال رسول الله ﷺ : ما هى ؟ فقال أبو بكر : قال ُقس بن ساعدة فى آخر كلامه :

فى الذاهبين الأولـــــين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مـــوارداً للموت ليس لها مصـــادر

ورأيـت قــومى نحــوها تمضى الأكابر والأصــاغر
لا يــرجــع المـاضى ولا يبقى من الـباقيـــن غـابر
أيقــنــت أنــى لا مــحا لة حيث صـار القــوم صائر

ثم أقبل ﷺ على وفـد أياد فقال : هل وجد لقس بـن سـاعدة وصيـة ؟ فقالوا : نعم ، وجدوا له صحيفة تحت رأسه مكتوب فيها :

ياناعى الموت والملحود فى جدث عليهم من بقايا بزهم خــــرقُ
دعهم فإن لهم يوما يصـــــاح بهم فـــهم إذا أنبهوا من نومهم فرقوا
حتى يعودوا لحال غير حــــــالهم خلقا جديداً كما من قبل قد خلقوا
منهم عــراة ،ومنهم[فـى] ثيـابهم منها الجديد ،ومنها المنهج الخلق(١)

وقد روى من طريق معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن أنس بن مالك رضى الله تبارك وتعالى عنه ، ومن حديث مجالد عن الشعبى ، عن ابن عباس رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، ومن حديث على بن سليمان ، عن سليمان ابن على بن عبد الله بن عباس ، عن عبد اللـه بـن عبـاس رضـى اللـه تبـارك وتعالى عنهما ،[ومن حديث الكلبى عن أبى صالح ، عن ابن عباس] ، وروى عن الحسن البصرى منقطعاً ، وروى من حديث سعد بن أبى وقاص ، وأبى هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنهما بزيادات ألفاظ ، ونقصان الفاظ ، وفيها ما هو مختصر ، وفيها ما هو مطول .

قال البيهقى : وإذا روى الحديث من أوجه ، وإن كان بعضها ضعيفـاً ، دل على أن للحديث أصلاً ، والله تبارك وتعالى أعلم(٢) . قال [الحافظ] : إن رسول الله ﷺ روى هذه الخطبة ، وهى فضيلة لأياد .

---

(١) (دلائل البيهقى) : ٢/١٠١ ، باب ذكر حديث ُقس بن ساعدة الأيادى ، هو قس بن ساعدة ابن عمرو بن عدى بن مالك ، من بنى أياد ، أحد حكماء العرب ، وهو من كبار خطبائهم فى الجاهلية ، ويقال : إنه أول عربى خطب متوكئاً على سيف أو عصا ، وأول من قال فى كلامه : أما بعد ، وكان يفد على قيصر الروم زائراً فيطعمه ويكرمه ، وهو معدود فى المعمرين ، طالت حياته ، وأدركه رسول الله ﷺ قبل النبوة ، ورآه فى عكاظ ، وسئل عنه بعد ذلك فقال ﷺ : يحشر أمة وحده

(٢) راجع هذه الأسانيد والألفاظ فى المرجع السابق .

وأما حديثه ﷺ عن أبى كبشة

فذكر الكلبى فى كتاب (الرقائق) : حدثنى أبى عن أبى صالح ، عن ابن عباس - رضى الله تبارك وتعالى عنهما - أن رسول الله ﷺ قال : حدثنى أبو كبشة : أنهم لما أرادوا دفن [بلال] بن حبشية - وكان سيداً معظماً - حفروا له ، فوقعوا له على باب مغلق ، ففتحوه ، فإذا سرير عليه رجل ، وعليه ملك عدة ، وعند رأسه كتاب : أنا أبو سمر ، ذو النون ، مأوى المساكين ، ومستفاد الغارمين ، أخذنى الموت غصباً ، وقد أعيا الجابرة قبلى . قال ﷺ : كان ذو النون هذا ، هو سيف [ذى النون] الحميرى ، وأبو كبشة هذا ، يقال : أنه الحوت ، زوج حليمة السعدية ، ظئر رسول الله ﷺ [١] .

فصل فى ذكر من حدث وروى عن رسول الله ﷺ من أصحابه رضى الله تعالى عنهم بمكة والمدينة وغيرهما من البلدان التى غزا إليها وحلها بعرفة ومنى غير ذلك

اعلم أنه آمن برسول الله ﷺ من الجن والإنس خلائق حدثوا عنه ، ورووا ما وعوه ، وسمعوه ، فسمع منه الجن القرآن وهو يقرأ بأصحابه بعكاظ وجاءوه فسألوه عن أشياء ، ومكث معهم أيضا فى ليلة شهدها عبد الله بن مسعود ، فأسلم منهم طائفه من جن نصيبين .

إسلام الجن ، وإنذارهم قومهم

فقد ثبت بكتاب الله تعالى ، وحديث رسول الله ﷺ ، قال الله تعالى:
﴿ وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين * قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدى إلىالحق وإلى طريق مستقيم * يا قومنا

---

(١) وهذا الحديث ، الآفة فيه ، الكلبى ، وهو متهم ، وضعفه أكثر أهل العلم .

أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم مـن ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم * ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض وليس له من دون الله أولياء أولئك فى ضلال مبين ﴾[1]

اختلف أئمة التفسير فى سبب صرف الجن إلى رسول الله ﷺ ، قيل : وصرفوا إليه بسبب ما حدث من رجمهم بالشهب ، وقيل : صرفوا إليه لينذرهم ، وأمر عليه السلام أن يقرأ عليهم القرآن ، وإليه ذهب قتادة . وقيل: مروا به وهو يقرأ القرآن بنخلة[2] ، لما عاد من الطائف[3] .

واختلف أيضاً فى المكان الذى سمعوا فيه قراءة رسول الله ﷺ ، قيل : بالحجون[4] ، وهو قول ابن مسعود وقتادة ، وقيل ببطن نخل[5] ، وهو قول ابن عباس رضى الله تبارك وتعالى عنهما .

واختلف من أى بلدهم ، فقيل : هم جن نصيبين – قرية باليمن – لا مدينة نصيبين التى بالجزيرة – قاله ابن عباس رضى الله تبارك وتعالى عنهما وقيل : من أهل نينوى[6]، قاله قتادة . وقيل : من جزيره الموصل ، قاله عكرمة ، وقيل : من أهل حيران ، قاله مجاهد ، واختلف فى عدتهم .

فقيل : كانوا سبعة ، قاله ابن مسعود ، وزر بن حبيش ، ومجاهد ، ورواه عكرمة بن عبد الله بن عباس رضى الله تبارك وتعالى عنهما .

وقيل : كانوا تسعة ، رواه أبو صالح عن ابن عباس رضى الله تبارك وتعالى عنهما .

وقيل: كانوا اثنى عشر ، وهو مروى عن عكرمة ، ويرد بقوله تعالى: **﴿ وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن ﴾** والنفر لا يطلق على الكثير ، فإن النفر ما بين الثلاثة إلى العشرة .

---

(١) الأحقاف ٢٩-٣٢

(٢) نخلة : إسم موضع

(٣) الطائف : مسيرة يوم للطالع من مكة ، ونصف يوم للهابط إلى مكة .

(٤) الحجون : جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها .

(٥) بطن نخل : قريبة من المدينة على طريق البصرة .

(٦) نينوى : قرية يونس بن متى عليه السلام بالموصل .

وذكر السهيلى فى (التفسير) أنهم كانوا يهوداً ، لذلك قالوا : ﴿ من بعد موسى ﴾ ولم يقولوا : " من بعد عيسى " ذكره ابن سلام ، وكانوا سبعة ، وقد ذكروا بأسمائهم فى التفاسير والمسندات ، وهم : شاصر ، وآصر ، ومنشى، وماشى ، والأحقب ، وهؤلاء الخمسة ذكرهم ابن دريد ، ووجدت فى خبر ذكره ، أن منهم آخر يقال له: سرق ، وفى خبر آخر : أن منهم عمرو بن [جابر][1]] ﴿ فلما حضروه ﴾ ، أى حضروا استماعه ، قالوا : أنصتوا ، قال

---

(١) مطموس بالأصل ، واستدركناه من كتب السيرة .

قال الحافظ ابن كثير فى (التفسير) : كانوا سبعة نفر : ثلاثة من أهل حران ، وأربعة من أهل نصيبين ، وكانت أسماؤهم : حسى ، وحسبى ، ومنسى ، وساصر ، و ناصر ، والأردوبيان ، والأحتم . وذكر أبو حمزة الثمالى أن هذا الحى من الجن كان يقال لهم بنوا الشيصبان وكانوا أكثر الجن عدداً ، وأشرفهم نسباً ، وهم كانوا عامة جنود أبليس .

وقال سفيان الثورى عن عاصم عن زر عن ابن مسعود رضى الله تبارك وتعالى عنه : كانوا تسعة أحدهم زوبعة أتوه من أصل نخلة وتقدم عنهم أنهم كانوا خمسة عشر .

وفى رواية أنهم كانوا اثنى عشر ألفاً فلعل هذا الإختلاف دليل تكرر وفادتهم عليه ﷺ ، ومما يدل على ذلك ما قاله البخارى فى صحيحه حدثنا يحيى بن سليمان حدثنا ابن وهب حدثنا عمر وهو ابن محمد قال إن سالماً حدثه عن عبد الله بن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنهما قال : ما سمعت عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه يقول لشيىء قط إنى لأظنه هكذا إلا كما يظن ، بينما عمر ابن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه جالس إذا مر به رجل جميل فقال لقد أخطأ ظنى أو أن هذا على دينه فى الجاهلية أو لقد كان كاهنهم ، علىّ بالرجل ، فدعى له فقال له : ذلك فقال : ما رأيت كاليوم أستقبل به رجل مسلم قال : فأنى أعزم عليك إلا ما أخبرتنى قال كنت كاهنكم فى الجاهلية فما أعجب ما جائتك به جنيتك قال بينما أنا يوماً فى السوق جائتنى أعرف فيها الفزع فقالت:

ألم تر الجن وإبلاسها ويأسها من بعد إنكاسها ولحقوها بالقلاص وأحلاسها

قال عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه صدق ، بينما أنا نائم عند آلهتهم إذ جاء رجل بعجل فزبحه فصرخ به صارخ لم أسمع صارخاً قط أشد صوتاً منه يقول يا جليح أمر نجيح رجل فصيح يقول لا إله إلا الله قال : فوثب القوم فقلت : لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا ، ثم نادى يا جليح أمر نجيح برجل فصيح يقول لا إله إلا الله فقمت فما نشبنا إن قيل هذاا نبى . هذا سياق البخارى .

بعضهم لبعض : اسكتوا كى نستمع إلـى قراءتـه ، ﴿ **فلمـا قضـى** ﴾ ، أى فـرغ من التلاوة ، ﴿ **ولوا إلى قومهم منذريـن** ﴾ ، انصرفـوا إليهم محذريـن عـذاب الله إن لم يؤمنوا .

واختلف هل أنذروا قومهم من قبل أنفســهم ؟ أم جعلهم رسـول اللـه ﷺ رسلاً إلى قومهم ؟ ﴿ **قالوا يا قومنا إنا سـمعنا كتابـاً أنـزل مـن بعد موسـى** ﴾ يعنـى القـرآن ، ﴿ **مصدقـاً لمـا بيـن يديـه يهـدى إلـى الحـق وإلـى طريـــق مستقيم** ﴾[1] .

قال عطاء : كان دينهم اليهودية ، ولذلك قالوا : ﴿ **إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى** ﴾ ، ﴿ **يا قومنا أجيبوا داعـى اللـه** ﴾[2] ، يعنـون محمـداً ﷺ ، وهو دليل علىأنه بعث إلى الجن ، كما بعث إلى الإنس ، قال مقاتل : ولم يبعث الله نبياً إلى الجن والإنس قبله .

قال ابـن عبد الـبر : ولا يختلفون أن محمداً ﷺ رسـول إلـى الإنــس والجــن ، نذيراً ، وبشيراً ، هذا مما فضل به على الأنبياء ، أنه بعث إلى الخلق كافة ، الجن والإنس ، وغيره لم يرسل إلا بلسان قومه ، ودليل ذلك ما نطق بـه القرآن الكريم من دعائهم إلـى الإيمـان ، بقولـه فـى مواضـع مـن كتابـه : ﴿ **يا معشر الجن والإنس** ﴾[3] وقال ابن عبـاس رضـى الله تبـارك وتعـالى عنهمـا : فاستجاب لهم من قومهم سبعين رجلاً من الجن، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ ، فوافوه بالبطحاء ، فقرأ عليهم القرآن ، وأمرهم ، ونهاهم .

= وقد رواه البيهقى من حديث ابن وهب بنحوه ثم قال : وظاهر هذه الرواية يوهم أن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه بنفسه سمع الصارخ صرخ من العجل الذى ذبح وكذلك هو صريح فـى رواية ضعيفة عن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه وسائر الروايات تدل على أن هذا الكاهن هو الذى أخبر بذلك عن رؤيته وسماعه والله أعلم ، (تفسير ابن كثير) : ٤/١٨٠ .

(١) الأحقاف : ٣٠ .

(٢) الأحقاف : ٣٠ .

(٣) الرحمن : ٣٣ .

وقال أبو حنيفة [رحمه الله] : ليس لمؤمن الجن ثواب إلا النجاة من النار ، لقوله تعالى : ﴿ ويجركم من عذاب أليم ﴾[1] . وقال الحسن : ثوابهم أن يجاروا من النار ، يقال لهم : كونوا تراباً مثل البهائم . وقال مالك وابن أبى ليلى : إن كان عليهم العقاب فى الإساءة ، وجب أن يكون لهم الثواب فى الإحسان مثل الإنس . وقال جويبر عن الضحاك : الجن يدخلون الجنة ، ويأكلون ، ويشربون .

﴿ ومن لم يجب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض ﴾[2] أى لا يعجز الله فى الأرض ولن يعجزه هرباً ، وليس له من دونه أولياء ، أى أنصار يمنعونه من عذاب الله ﴿ أولئك فى ضلال مبين ﴾ ، أى الذين لا يجيبون الرسل .

وقال تعالى :﴿ قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجباً * يهدى إلي الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً * وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولداً * وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططاً * وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذباً * وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً * وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً * وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً * وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً * وأنا لا ندرى أشر أريد بمن فىالأرض أم أراد بهم ربهم رشداً * وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قدداً * وأنا ظننا أن لن نعجز الله فى الأرض ولن نعجزه هرباً * وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً * وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً * وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً ﴾[3] .

أى قل يا محمد لأمتك : أوحى إلى على لسان جبريل ، أنه استمع إليك نفر من الجن ، ولم يكن ﷺ عالماً به قبل أن يوحى إليه .

---

(١) الأحقاف : ٣١ .

(٢) الأحقاف : ٣٢ .

(٣) الجن : ١-١٥ .

قال ابن عباس وغيره : وظاهر القرآن يدل على أنه يراهم ، [لقوله] ﴿ استمع ﴾ ، ولقوله : ﴿ يستمعون القرآن ﴾ : وقال عكرمة : السورة التى كان يقرؤها رسول الله ﷺ : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم * كلا إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى * إن إلى ربك الرجعى * أرأيت الذى ينهى * عبداً إذا صلى * أرأيت إن كان على الهدى * أو أمر بالتقوى * أرأيت إن كذب وتولى * ألم يعلم بأن الله يرى * كلا لإن لم ينته لنسفعاً بالناصية * ناصية كاذبة خاطئة * فليدع ناديه * سندع الزبانية * كلا لا تطعه واسجد واقترب** ﴾(1) .

وقد خرج البخارى ومسلم ، من حديث [أبى] عوانه ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضى الله تبارك وتعالى عنهما قال : ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا أراهم ، انطلق رسول الله ﷺ فى طائفه من أصحابه ، عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبرالسماء ، وأرسلت عليهم الشهب ، فقالوا : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيئاً حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الذى حال بينكم وبين خبر السماء .

فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا : مالكم ؟ قالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب ، فقالوا : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شىء حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، فانظروا ما هذا الذى حال بينكم وبين خبر السماء ، فانصرف أولئك [النفر] الذين توجهوا إلى نحو تهامة ، إلى رسول الله ﷺ وهو بنخلة عامداً إلى سوق عكاظ ، وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا : هذا والله الذى حال بينكم وبين خبر السماء ، فهنالك رجعوا إلى قومهم قالوا : ﴿ **إنا سمعنا قرآناً عجباً * يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً** ﴾ ، فأنزل الله

(1) العلق : ١-١٩ .

عز وجل على نبيه : ﴿ **قل أوحى إلىّ أنه استمع نفر من الجن** ﴾[1] وإنما أوحى إليه قول الجن [2] .

قال البيهقى : وهذا الذى حكاه عبدالله بن عباس رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، إنما [هو] أول ما سمعت الجن قراءة رسول الله ﷺ وعلمت بحاله ، وفى ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ولم يرهم كما حكاه ، ثم أتاه داعى الجن مرة أخرى ، فذهب معه ، وقرأ عليهم القرآن ، كما حكاه عبد الله بن مسعود ، ورأى آثارهم وآثار نيرانهم ، وعبد الله بن مسعود رضى الله تبارك وتعالى عنه ، حفظ القصتين جميعا فرواهما .

أما القصة الأولى : فذكر البيهقى من طريق أبى بكر بن أبى شيبة ، حديث سفيان عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله قال : [هبطوا] على رسول الله ﷺ وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة ، فلما سمعوا قالوا : أنصتوا ، قالوا : صه ، وكانوا سبعة، أحدهم زوبعة ، فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ **وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين * قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم * يا قومنا أجيبوا**

---

(١) الجن : ١ .

(٢) (فتح البارى) : ٣٢١/٢، كتاب الأذان ، باب (١٠٥) الجهر بقراءة صلاة الفجر ، حديث رقم (٧٧٣) .

وذكره أيضا فى : ٨٦٥/٨ ، كتاب التفسير ، باب (١) سورة ﴿ **قل أوحى إلى** ﴾ ، حديث رقم (٤٩٢١) .

وذكره فى مسلم : ٤١١/٤، ، كتاب الصلاة ، باب (٣٣) فى (السنن) ، حديث رقم (١٤٩) .

وذكره الترمذى : ٣٩٨٠/٥، كتاب تفسير القرآن ، باب (٦٩) ومن سورة الجن ، حديث رقم (٣٣٢٣) ، قال أبو عيسى الترمذى : وبهذا الإسناد عن ابن عباس ، قال قول الجن لقومهم : ﴿ **لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً** ﴾ [الجن : ١٩] قال : لما رأوه يصلى وأصحابه يصلون بصلاته فيسجدون بسجوده ، قال : فعجبوا من طواعية أصحابه له ، قالوا لقومهم : ﴿ **لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً** ﴾ ثم قال : هذا حديث حسن صحيح .

داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم * ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك فى ضلال مبين ﴾[1] .

وخرجه الحاكم وصححه ، وذكر ما خرجه البخارى ومسلم ، من حديث أبى قدامة ، عبيد الله بن سعيد قال : حدثنا أبو أسامة عن مسعر ، عن معن ، قال : سمعت أبى قال : سألت مسروقاً : من آذن رسول الله ﷺ بالجن ليلة استمعوا القرآن ؟ قال : حدثنى أبوك - يعنى عبد الله - أنه آذنت به الشجرة ، ذكره البخارى فى كتاب المبعث ، وذكره مسلم فى كتاب الصلاة ، ولفظه : حدثنى أبوك - يعنى ابن مسعود - أنه آذنته بهم شجرة [2]. قال البيهقى :

وأما القصه الأخرى : فذكر حديث مسلم من طريق عامر الشعبى ، قال : سألت علقمه : هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله ﷺ ليلة الجن ؟

فقال علقمة : أنا سألت ابن مسعود فقلت : هل شهد أحد منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن ؟ قال : لا ، ولكنا كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ، ففقدناه ، فالتمسناه فى الأودية والشعاب ، فقلنا : استطير[3] أو اغتيل[4] ، فبتنا بشر ليلة بات بها قوم ، فلما أصبحنا ، إذ هو جاء من قبل حراء ، [قال] : فقلنا : يا رسول الله ﷺ فقدناك فطلبناك فلم نجدك ، فبتنا بشر ليلة بات بها قوم ، فقال : أتانى داعى الجن ، فذهبت معه ، فقرأت عليهم القرآن ، قال : فانطلق بنا ، فأرانا آثارهم ، وآثار نيرانهم ، وسألوه الزاد فقال : لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع فى أيديكم أوفر ما يكون لحماً ، وكل بعرة علف لدوابكم ، فقال رسول الله ﷺ : فلا تستنجوا بهما ، فإنهما طعام إخوانكم[5] .

---

(١) (دلائل البيهقى) : ٢٢٨/٢، باب ذكر إسلام الجن وما ظهر فى ذلك من آيات المصطفى ﷺ ، والآيات : ٢٩ ـ ٣٢ ، من سورة الأحقاف .

(٢) سبق تخريج أحاديث البخارى ومسلم والترمذى .

(٣) استطير : طارت به الجن .

(٤) أغتيل : قتل سراً .

(٥) (دلائل البيقهى) : ٢ / ٢٢٨ - ٢٢٩ ، واللفظ لمسلم كما قال .

وفى لفظ له قال : قال الشعبى : وسألوه الزاد وكان من جن الجزيرة - إلى آخر الحديث ، من قول الشعبى مفصلا من حديث عبد الله . وقد خرجه الترمذى من طريق الشعبى .

قال البيهقى : والأحاديث الصحاح ، تدل على أن عبد الله بن مسعود لم يكن مع رسول الله ﷺ ليلة الجن ، وإنما كان معه حين انطلق به وبغيره ، يريهم آثار الجن وآثار نيرانهم .

وقد خرج مسلم من حديث أبى معشر ، عن إبراهيم ، عن علقمه ، عن عبد الله قال : لم أكن ليلة الجن مع رسول الله ﷺ ، ووددت أنى كنت معه . ذكره فى كتاب الصلاة (١) .

قال البيهقى : وقد روى من أوجه أخر ، أنه كان معه ليلتئذ ، فذكر من طريق الليث بن سعد قال : حدثنى يونس بن زيد ، عن ابن شهاب قال : أخبرنى أبو عثمان بن سنة الخزاعى - وكان رجلاً من أهل الشام - أنه سمع عبد الله ابن مسعود رضى الله تبارك وتعالى عنه يقول : إن رسول الله ﷺ قال لأصحابه وهو بمكة : من أحب منكم أن يحضر الليلة أمر الجن فليفعل ، فلم يحضر منهم أحد غيرى ، فانطلقنا ، حتى إذا [كنا] بأعلى مكة ، خط لى برجله خطاً ، ثم أمرنى أن أجلس فيه ، ثم انطلق حتى قام ، فافتتح القرآن ، فغشيتة ، أسودة كثيرة ، حالت بينى وبينه ، حتى ما أسمع صوته ، ثم انطلقوا وطفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين ، حتى بقى منهم رهط ، وفرغ رسول الله ﷺ مع الفجر ، فانطلق فبرز ، ثم أتانى فقال : ما فعل الرهط ؟ فقلت : هم أولئك يا رسول الله فأخذ عظماً وروثاً ، فأعطاهم إياه زاداً ، ثم نهى أن يستطيب أحد بعظم أو بروث(٢) .

قال البيهقى : يحتمل قوله فى الحديث الصحيح ، ما صحبه منا أحد ، أراد به فى حال ذهابه لقراءة القرآن عليهم ، إلا أنه ما روى فى هذا الحديث ، من إعلام أصحابه بخروجه إليهم ، يخالف ما روى فى الحديث الصحيح من

---

(١) (مسلم بشرح النووى) : ٤ / ٤١٥ ، كتاب الصلاة ، باب (٣٣) الجهر بالقراءة فى الصبح والقراءة على الجن ، حديث رقم (١٢٥) .

(٢) (دلائل البيقى) : ٢ / ٢٣٠ .

فقدانهم إياه ، حتى قيل : اغتيل ، استطير ، إلا أن يكون المراد بمن فقده غير ، الذى علم بخروجه[1] .

وذكر البيهقى أيضاً : من طريق موسى بن على بن رباح ، عن أبيه ، عن عبد الله بن مسعود قال : استتبعنى رسول الله ﷺ فقال: إن نفراً من الجن خمسة عشر ، بنى إخوه ، وبنى عم ، يأتونني الليلة ، فأقرأ عليهم القرآن ، فانطلقت معه إلى المكان الذى أراد ، فخط خطاً وأجلسنى فيه ، وقال لى : لا تخرج من هذا ، فبت فيه ، حتى أتانى رسول الله ﷺ مع السحر ، فى يده عظم حائل ، وروثة ، وحممة ، فقال لى : إذا ذهبت إلى الخلاء فلا [تستنج] بشئ من هؤلاء ، قال : فلما أصبحت قلت : لأعلمن حيث كان رسول الله ﷺ ، قال : فذهبت فرأيت موضع مبرك ستين بعيراً [1].

وذكر أيضاً من طريق يزيد بن هارون ، قال : حدثنا سليمان التيمى ، عن أبى عثمان النهدى ، أن ابن مسعود أبصر زطاً فى بعض الطريق ، فقال : ما هؤلاء ؟ فقالوا : هؤلاء الزط ، قال : ما رأيت شبههم إلا الجن ليلة الجن ، وكانوا مستنفرين يتبع بعضهم بعضاً[1] .

ومن طريق أبى الجوزاء ، عن عبد الله [بن مسعود] قال : انطلقت مع رسول الله ﷺ ليلة الجن حتى إذا أتى الحجون ، فخط لى خطاً ثم تقدم إليهم فازدحموا عليه ، فقال سيد لهم يقال له : وردان : إنى أنا أرحلهم عنك ، فقال : ﴿ **إنى لن يجيرنى من الله أحدٌ** ﴾[2] .

ومن طريق المسعودى ، عن قتادة ، عن أبى المليح الهذلى ، أنه كتب إلى أبى عبيدة بن عبد الله بن مسعود : أين قرأ رسول الله ﷺ على الجن ؟ فكتب إليه أنه قرأ عليهم بشعب يقال له : الحجون[3] .

وخرج البخارى من حديث يحيى بن سعيد ، قال : أخبرنى جدى عن أبى هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه : أنه كان يحمل مع رسول الله ﷺ

---

(1) (دلائل البيهقى) : ٢ / ٢٢٩ - ٢٣٠ مختصراً .

(2) (دلائل البيهقى) : ٢/٢٣١، ٢٣٢، باب إسلام الجن وما ظهر فى ذلك من آيات المصطفى ﷺ ، والآية رقم : ٢٢ ، من سورة الجن .

(3) (المرجع السابق) : ٢٣٢ - ٢٣٣ .

إداوة لوضوئـه وحاجتـه ، فبينمـا هـو يتبعـه بهـا فقـال : مـن هـذا ؟ فقـال : أنـا أبوهريرة . فقال : ابغنى حجاراً استنفض بها ، ولا تأتنى بعظم ولا بروثة . فأتيته بأحجار أحملها فى طرف ثوبى حتى وضعت إلى جنبه ، ثم أنصرفت ، حتى إذا فرغ مشيت معه فقلت : ما بال العظم والروثة ؟ قال : هما من طعام الجن ، وإنه أتانى وفد جن نصيبين - ونعم الجن - فسألونى الزاد ، فدعوت الله لهم أن لا يمروا بعظم ولا بروثة إلى وجدوا عليها طعماً . [حديث رقم : (٣٨٦٠) ، باب ذكر الجن من كتاب مناقب الأنصار] .

وخرج الترمذى من حديث زهير بن محمد ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله رضى الله تبارك وتعالى عنه ، قال : خرج رسول الله ﷺ [على] أصحابه ، فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها ، فسكتوا ، فقال : قرأتها على الجن ليلة الجن ، وكانوا أحسن مردوداً منكم ، كنت كلما أتيت على قوله تعالى : ﴿ **فبأى آلاء ربكما تكذبان** ﴾ قالوا : لا بشىء من [نعمك] ربنا نكذب ، فلك الحمد ، قال أبو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم ، عن زهير بن محمد .

قال ابن حنبل : كان زهير بن محمد هوالذى وقع بالشام ليس هو الذى يروى عنه بالعراق ، كأنه رجل آخر قلبوا اسمه ، يعنى لما يروون عنه من المناكير . وسمعت محمد بن إسماعيل البخارى يقول : أهل الشام يروون عن زهير بن محمد مناكير ، وأهل العراق يروون عنه أحاديث مقاربة(1) .

قلت : وقد روى هذا الحديث بألفاظ مختلفة ، ففى بعضها لما قرأ رسول الله ﷺ ﴿**الرحمن**﴾ على الناس سكتوا ، فلم يقولوا شيئا ، فقال رسول الله ﷺ : للجن كانوا أحسن جوابا منكم ، لما قرأت عليهم :﴿ **فبأى آلاء ربكما تكذبان**﴾ قالوا : لا بشىء من آلائك ربنا نكذب(2) .

وفى بعضها قرأ رسول الله ﷺ سورة ﴿**الرحمن**﴾ حتى ختمها ، ثم قال: ما لى أراكم سكوتاً ، للجن كانوا أحسن منكم رداً ، لما قرأت عليهم هذه

---

(١) (سنن الترمذي) : ٣٧٢/٥، ٣٧٣ ، كتاب تفسير القرآن ، باب (٥٥) ، حديث رقم (٣٢٩١) .

(٢) (تفسير ابن كثير) : ٢٨٩/٤، مقدمة تفسير سورة الرحمن .

الآية من مرة ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ إلا أن قالوا : لا بشئ من نعمك ربنا نكذب [فلك الحمد] .

[وخرج الحاكم من حديث مسلم[1] بن قتيبة ، قال : حدثنى [عمرو بن سنان ، حدثنى] [2] سلام أبو عيسى ، حدثنا صفوان بن المعطل السلمى قال : خرجنا حجاجا فلما كنا بالعرج ، إذ نحن بحية تضطرب ، فلم تلبث أن ماتت ، فأخرج رجل منا خرقة من عيبة[3] له ، فلفها فيها وغيبها فى الأرض فدفنها ، ثم قدمنا مكة فأتينا إلى المسجد الحرام ، إذ وقف علينا شخص فقال : أيكم صاحب عمرو بن جابر ؟ فقلنا : ما نعرف عمرو بن جابر ، قال : أيكم صاحب الجان ؟ قالوا : هذا ، قال :[جزاك الله خيراً] أما أنه [قد كان آخر التسعه موتا ، الذين أتوا رسول الله ﷺ يستمعون القرآن] .

وأما الصحابة رضوان الله عليهم

قال ابن سيده: صحبه صحبة ، وصاحبه عاشره ، والصاحب المعاشر ، قال : والجمع أصحاب ، وأصاحيب ، وصحبان ، وصحاب ، وصحابة ، وأكثر الناس على الكسر دون الهاء ، وعلى الفتح معها ، قال : فأما الصحبة والصحب ، فاسمان للجمع ، قالوا : وقال فى النساء : هن صواحب يوسف ، وصواحبات يوسف[4] . انتهى . وفى (النهاية) لابن الأثير : الصحابة بالفتح ، جمع صاحب ولم يجمع فاعلة على فعال إلا هنا[5].

---

(١) فى (المستدرك) : " سالم بن قتيبة "

(٢) زيادة للسياق من (المستدرك) .

(٣) فى (المستدرك) : " عيبته له "

(٤) (لسان العرب) : ١ / ٥٢٠ .

(٥) قال الإمام العلامة أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقى المصرى : صحبه يصحبه صحبة بالضم وصحابة ، بالفتح ، وصاحبه : عاشره ، والصحب : جمع الصاحب مثل راكب وركب . والأصحاب : جماعة الصحب ، مثل فرخ وأفراخ ، والصاحب المعاشر ، لا يتعدى تعدى الفعل ، أعنى أنك لا تقول : زيد صاحب عمراً ، لأنهم إنما استعملوه استعمال الأسماء . =

واعلم ان الصاحب اسم شريف ، والصحبه خطة رفيعه ، سمى الله تعالى بها نفسه على لسان نبيه فقال : اللهم أنت الصاحب فى السفر[1] .

وسمى الله سبحانه بها رسوله ، فقال تعالى : ﴿ **ما ضل صاحبكم وما غوى** ﴾[2] يعنى محمداً ﷺ فكان رسول الله ﷺ أفضل الأصحاب ، وخير من صحب ، وأصحابه خير أمة أخرجت للناس : وأصحاب رسول الله ﷺ فى الجمله على قسمين : قسم يقال لهم المهاجرون ، وقسم يقال لهم : الأنصار ، وقسمان : السابقون الأولون ، والتابعون لهم بإحسان .

فالمهاجرون أقسام : الذين أسلموا قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم وفى دار الأرقم ، والذين أسلموا بعد ذلك ، والذين عذبوا فى الله ، والذين هاجروا إلى الحبشة .

ومن جهة أخرى ، الصحابة قسمان : من أسلم قبل الفتح ، ومن أسلم بعد الفتح ، ومن شهد بدراً ، وبيعة الرضوان ، ومن لم يشهدهما ، ثم الذين أسلموا بعد الفتح ، منهم الطلقاء ، ومنهم المؤلفة [قلوبهم] ، ومنهم الوفود .

وقد قال الإمام أبو عبدالله محمد بنِ إدريس الشافعى - رحمه الله - : توفى رسول الله ﷺ والمسلمون ستون ألفاً ، ثلاثون ألف بالمدينة ، وثلاثون ألفاً فى غيرها .

وقال الحافظ أبو زرعة ، عبيدالله بن عبد الكريم الرازى - رحمه الله - : توفى رسول الله ﷺ ، وقد رآه وسمع منه زيادة عن مائة ألف .

وقال الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابورى ، روى عنه ﷺ أربعة آلاف صحابى .

= وقال الجوهرى : الصحابة بالفتح الأصحاب ، وهو فى الأصل مصدر ، وجمع الأصحاب الأصاحيب ، ويقال صاحب وأصحاب ، كما يقال : شاهد وأشهاد ، وناصر وأنصار (لسان العرب) : ٥١٩/١، ٥٢٠ مختصراً .

(١) (النهاية) : ٣ / ١٢ .

(٢) سبق تخريجه فى أذكار السفر .

(٣) النجم : ٢ .

قال كاتبه [عفى الله عنه] : قد أفرد النقلة أسماء الصحابة رضى الله عنهم ، فى مصنفات على حدة ، كأبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى ، فى أول (تاريخه الكبير) ، وأبى بكر أحمد بن أبى خيثمة زهير بن حرب ، والحافظ أبى عبد الله محمد ابن إسحاق بن يسار ، والحافظ أبى نعيم أحمد الأصفهانى ، والحافظ أبى عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر ، والعلامه عزالدين أبى الحسن على بن محمد بن الأثير ، وغيرهم ، وقد أفرد الفقيه الحافقظ أبومحمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم أسماءهم فى جزء ، جمعه من كتاب الإمام بقى بن مخلد ، وذكر ما روى كل واحد منهم من الأحاديث [هو كتاب (أسماء الصحابة الرواة ومروياتهم) ، وقابله مع كتاب (تلقيح فهوم أهل الأثر) لابن الجوزى][(١)] .

[قال ابن سعد[(٢)] : قال محمد بن عمر الأسلمى وغيره : إنما قلّت الراوية عن الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ، لأنهم هلكوا قبل أن يحتاج إليهم ، وإنما كثرت عن عمر بن الخطاب ، وعلى بن أبى طالب رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، لأنهما [أفتيا] وقضيا بين الناس ، وكل أصحاب رسول الله ﷺ كانوا أئمة يقتدى بهم، ويحفظ عنهم ، ويستفتون فيفتون ، وسمعوا أحاديث فأدوها] .

[وكان الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ ، أقل حديثا من غيرهم ، مثل أبى بكر ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير وسعد بن أبى وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبى عبيدة بن الجراح ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وأبى بن كعب ، وسعد بن عبادة ، وعبادة بن الصامت ، وأسيد بن حضير ، ومعاذ بن جبل ، ونظرائهم ، [لم] يأت عنهم من كثرة الحديث مثل ما جاء عن الأحداث من أصحاب رسول الله ﷺ ، مثل جابر بن عبد الله ، وأبى سعيد الخدرى وأبى هريرة ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الله

---

(١) زيادة للبيان .

(٢) (طبقات ابن سعد) : ٣٣٤/٢ وما بعدها ، ذكر من كان يفتى بالمدينة ويقتدى به من أصحاب رسول الله ﷺ ، على عهد رسول الله ﷺ ، وبعد ذلك وإلى من انتهى علمهم ٣٥٠/٢ وما بعدها ، باب أهل العلم والفتوى من أصحاب رسول الله ﷺ وما بين الحاصرتين سقط فى (ج)، واستدركناه من (خ) .

ابن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن عباس ، ورافع بن خديج وأنس بن مالك ، والبراء بن عازب ، ونظرائهم كل [واحد] من هؤلاء ، كان يعد من فقهاء أصحاب رسول الله ﷺ ، وكانوا يلزمون رسول الله ﷺ مع غيرهم من نظرائهم وأحدث منهم ، مثل : عقبة بن عامر الجهنى ، وزيد بن خالد الجهنى ، وعمران بن الحصين ، والنعمان بن بشير ، ومعاوية بن أبى سفيان ، وسهل بن سعيد الساعدى ، وعبد الله بن يزيد الخطمى ، ومسلمة بن مخلد الزرقى ، وربيعة بن كعب الأسدى ، وهند وأسماء ابنى حارثة الأسلميين ، وكانا يخدمان رسول الله ﷺ ويلزمانه][1] .

[فكان أكثر الرواية والعلم فى هؤلاء ونظرائهم ، من أصحاب رسول الله ﷺ ، لأنهم بقوا وطالت أعمارهم ، فاحتاج الناس إليهم ، ورضى كثير من أصحاب رسول الله ﷺ قبله وبعده بعلمهم ، لم يؤثر عنه شىء ، ولم يحتج إليه ، لكثرة أصحاب رسول الله ﷺ] .

[وقد شهد مع رسول الله ﷺ تبوكاً - وهى آخر غزوة غزاها - من المسلمين ثلاثون ألف رجل ، وذلك سوى من قد أسلم وأقام من بلاده وموضعه لم يغزو ، فكانوا عندنا أكثر مما غزا معه تبوكاً ، قال : فمنهم من حفظ عنه ما حدث به عن رسول الله ﷺ ومن أفتى برأيه ، ومنهم من لم يحدث عن رسول الله ﷺ شيئا ، ولعله أكثر له صحبة ومجالسة وسماعاً ، من الذى حدث عنه] .

[ولكنا حملنا الأمر فى ذلكم منهم على التوقى فى الحديث ، أو على أنه لم يحتج إليه لكثرة أصحاب رسول الله ﷺ ، وعلى الاشتغال بالعبادة ، والأسفار فى الجهاد فى سبيل الله حتى مضوا ، ولم يحفظ عنهم عن رسول الله ﷺ شيئاً ، وليس كلهم كان يلزم رسول الله ﷺ ، فمنهم من أقام وقومه ، وشهد معه المشاهد كلها ، وإن منهم من قدم عليه فرآه ، ثم انصرف إلى بلاد قومه ، ومنهم كان يقدم عليه الفينة بعد الفينة من منزله بالحجاز وغير ذلك] .

[وخرج ابن عساكر من طريق ابن لهيعة ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، [عن الزهرى] عن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه قال :

---

(١) انظر التعليق السابق .

احفظونى فى أصحابى ، فمن حفظنى فى أصحابى رافقنى على حوضى ، ومن لم يحفظنى فيهم لم يرد على حوضى ، ولم يرنى إلا من بعيد] .

[وعن سفيان الثورى فى قوله تعالى : ﴿ **قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى** ﴾[1] قال : هم أصحاب محمد ﷺ][2] .

أما المهاجرون

قال ابن سيده : الهجرة ، الخروج من أرض الى أرض . وهاجر ، خرج من أرض إلى أخرى . وهاجر أرضه وقومه ، باعدهم . أما المهاجرون الذين ذهبوا مع رسول الله ﷺ ، مشتق منه . وقد أثنى الله [تعالى] فى القرآن على المهاجرين :

فقال تعالى : ﴿ **إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم** ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ **والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم** ﴾[4] .

وقال تعالى : ﴿ **الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون * يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم * خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم** ﴾[5] .

---

(١) (كنز العمال) : ١١ / ٥٣٩ ، حديث رقم (٣٢٥٢٦) ، وعزاه إلى ابن عساكر وقال وورد عن ابن عمر وسنده حسن .

(٢) (تفسير ابن كثير) : ٣ / ٣٨١.

(٣) البقرة : ٢١٨ .

(٤) الأنفال : ٧٤ .

(٥) التوبة : ٢٠ - ٢٢ .

وقال تعالى : ﴿ **للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون** ﴾[1] .

وذكر سنيد قال : حدثنا حجاج عن شعبة ، عن عمر بن مرثد ، عن أبى البخترى ، عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : لما نزلت : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ [2] قرأها رسول الله ﷺ حتى ختمها ، وقال الناس خير ، وقال: وأنا وأصحابى خير ، وقال : لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ، فقال له مروان بن الحكم : كذبت ، وعنده زيد بن ثابت ، ورافع بن خديج ، وهما قاعدان معه على السرير - فقال أبو سعيد : لو [شاء هذان] لحتثناك ولكن هذا يخاف أن تنزعه عن عرافة قومه ، وهذا يخشى أن تنزعه عن الصدقة ، فرفع مروان عليه ليضربه ، فلما رأيا ذلك قالا : صدق[3]

وخرج قاسم بن أصبغ ، من حديث عبد الوارث قال : حدثنا بهز بن حكيم بن معاوية القشيرى ، عن أبيه عن جده قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ألا إنكم توفون سبعين أمة ، أنتم خيرها وأكرمها على الله [4] .

ولأحمد بن حنبل من حديث سماك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس رضى الله تبارك وتعالى [عنهما] ، فى قوله تعالى : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس** ﴾ قال : [هم الذين هاجروا مع محمد ﷺ إلى المدينة قال أبو نعيم : مع رسول الله ﷺ][5] .

---

(١) الحشر : ٨ .

(٢) النصر : ١ .

(٣) (تفسير ابن كثير) : ٤ / ٦٠١ وعزاه للمسند وقال ابن كثير : تفرد به أحمد ، الذى أنكره مروان على أبى سعيد ليس بمنكر فتقدم من رواية ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال يوم الفتح : لاهجرة ولكن جهاد ونية ولكن إذا استنفرتم فانفروا . أخرجه البخارى ومسلم .

(٤) (مسند أحمد) : ٦٢٣/٥، حديث رقم (١٩٥٢٥) ، عن بهز بن حكيم ، عن أبيه عن جده .

(٥) (مسند أحمد) : ٤٥٠/١ ، حديث رقم (٢٤٥٩) ومابين الحاصرتين زيادة من (المسند) .

ذكر هجرة الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ إلى المدينة

قال ابن عبد البر : وأكثر الرواة عن سماك يقولون : أنهم الذين هاجروا من مكة الى المدينة ، والمعنى واحد ، لأنهم هاجروا بأمره ، وإن لم يكونوا هاجروا معه فى سفر واحد ، وإنما أشار عليهم ابن عباس بالذكر ، لأنهم الذين قاتلوا من خالفهم على الدين حتى وصلوا إليه ، ولذلك قال أبو هريرة ، ومجاهد والحسن ، وعكرمة ، خير الناس الذين يقاتلونهم حتى يدخلوهم فى الدين طوعاً وكرهاً ، وإذا كان ذلك كذلك ، فمعلوم أن المهاجرين الأولين والأنصار فى ذلك سواء .

وذكر محمد بن إسحاق السراج فى (تاريخه) قال : حدثنا أبو كريب ، حدثنا محمد بن عبيد ، ، وأبو أسامة ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن عامر الشعبى قال : المهاجرون الأولون ، هم الذين بايعوا بيعة الرضوان .

قال : وحدثنا سفيان بن وكيع ، حدثنا أبى ، عن أبى هلال عن قتادة قال : قلت لسعيد بن المسيب لم سموا المهاجرين الأولين ؟ قال : من صلى مع رسول الله ﷺ القبلتين جميعاً ، فهو من المهاجرين الأولين[1] .

قال [أبو] عمر : قول الشعبى وسعيد بن المسيب يعطى أن معنى قولهم : المهاجرين الأولين كمعنى قول الله تعالى : ﴿ **والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار** ﴾[2] لأنهم صلوا القبلتين جميعاً، وبايعوا بيعة الرضوان .

وخرج قاسم بن أصبغ ، من حديث أبى حازم : عن أبى هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس** ﴾ قال : خير الناس الذين يجيئون بهم فى السلاسل يدخلون فى الإسلام .

وعن مجاهد أنه قال : كانوا خير الناس على الشرط الذى ذكره الله تعالى : ﴿ **تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾[3] .

وجاء عن عمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه أنه قال : من سره أن يكون من تلك الأمم ، فليؤد شرط الله فيها .

---

(١) (تفسير ابن كثير) : ٢ / ٣٩٨ .

(٢) التوبة : ١٠٠.

(٣) آل عمران : ١٠٩ .

وقال هيثم : حدثنا منصور عن الحسن ، قال فرق بين المهاجرين الأولين وسائر المهاجرين ، فتح مكة .

وأما السابقون الأولون

فقد أثنى الله [تعالى] عليهم بقوله [تعالى] : **﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم ﴾** (١) .

---

(١) التوبة : ١٠٠ ، قال الحافظ الذهبى فى (سير الأعلام) : السابقون الأولون هم : خديجة بنت خويلد ، على بن أبى طالب ، أبوبكر الصديق ، زيد بن حارثة النبوى ، ثم عثمان ، والزبير ، وسعد بن أبى وقاص ، وطلحة بن عبيد الله ، وعبدالرحمن بن عوف ، ثم أبوعبيدة بن الجراح ، وأبو سلمة بن عبدالأسد ، والأرقم بن أبى الأرقم بن أسد بن عبدالله بن عمر ، المخزوميان ، وعثمان بن مظعون الجمحى ، وعبيدة بن الحارث بن المطلب المطلبى ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوى ، وأسماء بنت الصديق ، وخباب بن الأرت الخزاعى ، حليف بنى زهرة ، وعمير بن أبى وقاص ، أخو سعد ، وعبدالله بن مسعود الهذلى ، من حلفاء بنى زهرة ، ومسعود بن ربيعة القارئ من البدريين ، وسليط بن عمرو بن عبد شمس العامرىّ ، وعياش بن أبى ربيعة بن المغيرة المخزومىّ ، وامرأته أسماء بنت سلامة التميمية ، وخنيس بن حذافة السهمىّ ، وعامر بن ربيعة العنزىّ ، حليف آل الخطاب ، وعبدالله بن جحش ابن رئاب الأسدىّ ، حليف بنى أمية ، وجعفر بن أبى طالب الهاشمىّ ، وامرأته أسماء بنت عميس ، وحاطب بن الحارث الجمحىّ ، وامرأته فاطمة بنت المجلل العامرية ، وأخوه خطاب ، وامرأته فكيهة بنت يسار ، وأخوهما معمر ابن الحارث ، والسائب ولد عثمان بن مظعون ، والمطلب بن أزهر بن عبد عوف الزهرىّ ، وامرأته رملة بنت أبى عوف السهمية ، والنحام نعيم بن عبدالله العدوىّ ، وعامر بن فهيرة ، مولى الصديق ، وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية ، وامرأته أميمة بنت خلف الخزاعية ، وحاطب بن عمرو العامرىّ ، وأبوحذيفة بن عتبة بن ربيعة العبشمىّ ، وواقد بن عبدالله بن عبد مناف التميمىّ اليربوعىّ ، حليف بنى عدىّ ، وخالد ، وعامر ، وعاقل ، وإياس ، بنو البكير بن عبد يا ليل الليثىّ ، حلفاء بنى عدىّ ، وعمار بن ياسر بن عامر العنسى بنون ، حليف بنى مخزوم ، وصهيب بن سنان بن مالك النمرىّ ، الرومىّ =

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله : حدثنا هيثم ، [قال] : حدثنا أشعب [قال] : أخبرنا إسرائيل عن ابن سيرين ، فى قوله عز وجل : ﴿ **والسابقون الأولون** ﴾ قال : هم الذين صلوا القبلتين ، وهو قول محمد بن الحنفية ، وسعيد بن المسيب ، وابن سيرين ، وحدثنا هيثم عن إسماعيل ومطرف ، عن الشعبى ، قال : هم الذين بايعوا بيعة الرضوان .

وقال أبو الزبير : عن جابر رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : جاء عبد لحاطب بن أبى بلتعه ، يشتكى سيده ، فقال : [يا] رسول الله ـ ليدخلن حاطب النار ! فقال له : كذبت ، لا يدخلها أحدٌ شهد بدراً والحديبية[1] ، وقال تعالى : ﴿ **لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة** ﴾[2] ، ومن رضى الله تبارك وتعالى عنه لم يسخط عليه أبداً.

وعن جابر بن عبد الله رضى الله تبارك وتعالى عنهما : كنا بالحديبيه أربعة عشر مائة، فبايعنا رسول الله ﷺ ، وعمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه آخذ بيده تحت الشجرة ، وهى سمرة [فبايعناه] ، غير الجد ابن قيس اختبأ تحت بطن [بعيره][3] .

وخرج الحارث بن أبى أسامة ، من حديث الليث بن سعد ، عن أبى الزبير، عن جابر ، عن رسول الله ﷺ قال : لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة .

= المنشأ وولاؤه لعبدالله بن جدعان ، وأبو ذر جندب بن جنادة الغفارىّ ، وأبو نجيح عمرو بن عبسة السلمىّ البجلىّ ، لكنهما رجعا إلى بلادهما .

فهؤلاء الخمسون من السابقين الأولين . وبعدهم اسلم : أسد الله حمزة بن عبد المطلب ، والفاروق عمر بن الخطاب ، عزالدين ، رضى الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين .

(١) المستدرك : ٣/٣٤٠، كتاب معرفة الصحابة ، حديث رقم (٥٣٠٨) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص) : على شرط مسلم .

(٢) الفتح : ١٨ .

(٣) (تفسير التحرير والتنوير) : ٢٦ / ١٧٤ .

وخـرج الإمـام أحمد من حديث سفيان ، عـن عمـرو ، قـال : سـمعت جابر بن عـبد الله رضى الله تبارك وتعـالى عنهمـا يقـول : كنـا يـوم الحديبيـة ألف و[أربعمائة] ، فقال لنا رسول الله ﷺ : أنتم اليوم خير أهل الأرض(١) .

وخرج البخارى من حديث شعبة ، عن الأعمش ، قـال سـمعت ذكـوان يحدث عن أبى سعيد الخدرى ، رضى الله تبارك وتعالى عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : لا تسبوا أصـحـابـى ، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبـاً ، مـا بلغ مد أحدهم ولا نصيفه(٢) . وخرجه أبو داود أيضاً(٣) .

وقـــال مـــحمد بـن كعـب القرظـى ، وعطـاء بـن يسـار ، فـى قولـه [تعالى] : ﴿ **والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار** ﴾ ، **قالا : أهل بدر.**

---

(١) (مسند أحمد) : ٤ / ٣٢٣ ، حديث رقم (١٤٤٠٩) بسياقة أتم .

(٢) (فتح البـارى) : ٥٦٢/٧، كتـاب المغـازى ، بـاب (٣٦) مـن بـاب غـزوة الحديبيـة ، حديـث رقـم (٤١٤٥) ، (مسند أحمد) : ٢٤٥/٤، حديث رقم (١٣٩٠١) ، (دلائل البيهقى) : ٢٣٥/٥

وفى رواية مسلم : لا تسبوا أحداً من أصحابى ، وأخرجه البخارى أيضاً فى فضائل أصحـاب رسـول الله ﷺ ، باب تحريم سب الصحابة رضى الله تبارك وتعالى عنهم .

(٣) أخرجه أبو داود فى (السنن) ، باب النهى عن سب أصحاب رسول الله ﷺ ، حديث رقـم (٤٦٥٨) ، وأخرجه الترمذى فى المناقب ، باب فيمن سب أصحاب رسول الله ﷺ ، حديث رقم (٣٨٦٠) .

والمُد : ربع الصاع ، والنصيف : نصف المد ، والتقديـر ، مـا بلـغ هـذا القـدر اليسـير مـن فضلهم ولا نصفه . (جامع الأصول) : ٨ / ٥٥٣ .

وأما الذين أسلموا إلى أن خرج رسول الله ﷺ من دار الأرقم بن أبى الأرقم بن عبد مناف بن أسد بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم القرشىّ المخزومىّ (١)

فذكر سعيد بن أبى مريم قال : [حدثنى] عطاء بن خالد قال : حدثنى عبد الله بن عثمان بن الأرقم ، عن جده الأرقم رضى الله تبارك وتعالى عنه ، وكان بدرياً ، وكان رسول الله ﷺ فى داره عند الصفا ، حتى تكاملوا أربعين رجلاً مسلمين، وكان آخرهم إسلاماً عمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه ، فلما كانوا أربعين رجلاً خرجوا .

وقال سيف بن سهل بن يوسف عن أبيه قال : قال عثمان بن مظعون(٢) : أول وصية أوصانا رسول الله ﷺ ، مقتل الحارث بن أبى هالة ، ونحن أربعون ليس بمكة أحد على مثل ما نحن عليه ، فقال : أوصيكم بتقوى الله ، فإن تقوى الله خير ما عمل به الناس ، وخير عاقبة ، وبتقوى الله أصيب خيرمنازل الدنيا والآخرة ، والتقوى رأس كل حكم ، وجماع كل أمر ، وباب كل خير، وفى تقوى الله عصمة من كل سوء ، ونجاة من كل شبهة ، لا ترضون إلا بعمل ، ولا تسخطوا إلا [بعلم ، فإن الرضا والسخط يدعوان]

---

(١) قال ابن السكن : أمه تماضر بنت حذيم السهمية ، ويقال : بنت عبد الحارث الخزاعية ، كان من السابقين الأوليين ، قيل : أسلم بعد عشرة ، وقال البخارى : له صحبة ، وذكره ابن إسحاق وموسى ابن عقبة فيمن شهد بدراً .

وكانت داره على الصفا ، وهى الدار التى كان رسول الله ﷺ يجلس فيها قبل الإسلام ، وكان قد حبسها ، لكن أجناده بعد ذلك باعوها لأبى جعفر المنصور . (الإصابة) : ١ / ٤٣ ـ ٤٤ مختصراً .

(٢) هو عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح الجمحى ، قال ابن إسحاق : أسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً وهاجر إلى الحبشة هو وابنه السائب ، الهجرة الأولى فى جماعة ، فلما بلغهم أن قريشاً أسلمت رجعوا .

وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين ، وأول من دفن بالبقيع بعد شهوده بدراً فى السنة الثانية من الهجرة . (الإصابة) : ٤ / ٤٦١ ـ ٤٦٢ ـ ترجمه رقم (٥٤٥٧) مختصراً .

إلى العمل ، وإن العمل [بالعلم] ليس كالعمل بالجهل ، وقولوا آمنا بالله ثم استقيموا ، فإن الله [تعالى] إذا أراد أمراً أصابه ، وإذا كره أمراً [أخره] ، ولا تستعجلوا الأقدار فيصرعكم البلاء ، واصبروا يتوكل الله تعالى بحفظكم ، ويخلفني فيكم .

وقال الزبير بن بكار : ودار الخيزران ، هي دار الأرقم بن عبد مناف [بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشيّ المخزوميّ] .

وقال يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق قال : وكانت خديجة رضى الله تبارك وتعالى عنها ، أول من آمن بالله ورسوله ، وصدق بما جاء به .

قال : ثم إن جبريل عليه السلام ، أتى رسول الله ﷺ حين افترضت عليه الصلاة ، فهمز له بعقبه من ناحية الوادى ، فانفجرت له عين من ماء ، فتوضأ جبريل ، ومحمد ، عليهما السلام ، ثم صلى ركعتين ، وسجد أربع ، سجدات .

ثم رجع رسول الله ﷺ ، وقد أقر الله عينه ، وطابت نفسه ، وجاءه ما يحب من الله ، فأخذ بيد خديجة رضى الله تبارك وتعالى عنها ، حتى أتى بها العين ، فتوضأ كما توضأ جبريل ، ثم ركع ركعتين ، وأربع سجدات ، هو وخديجة رضى الله تبارك وتعالى عنها ، ثم كان هو وخديجة يصليان سراً .

قال : ثم إن على بن أبى طالب رضى الله تبارك وتعالى عنه ، جاء بعد ذلك بيوم فوجدهما [يصليان] فقال : ما هذا ؟ فقال رسول الله ﷺ : دين الله الذى اصطفى لنفسه ، وبعث به رسله ، فأدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، وإلى عبادته ، وكفر باللات والعزى ، فقال على : هذا أمر لم أسمعه قبل اليوم ، فلست بقاض أمراً حتى أحدث به أبا طالب ، وكره رسول الله ﷺ أن يفشى سره قبل أن يستعلن أمره ، قال له : ياعلى ، [إذا] لم تسلم فاكتم ، فمكث على تلك الليله ، ثم إن الله تعالى أودع فى قلبه الإسلام ، فأصبح غادياً إلى رسول الله ﷺ حتى جاءه فقال له : تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،

وتكفر باللات والعزى ، وتبرأ من الأنداد ففعل علىّ ، وأسلم على خوف من أبى طالب وكتم إسلامه[1] .

وأسلم زيد بن حارثه رضى الله تبارك وتعالى عنه [2] فمكثا قريباً من شهر يختلف علىّ إلى رسول الله ﷺ ، وكان مما أنعم الله على علىّ رضى الله تبارك وتعالى عنه ، أنه كان فى حجر رسول الله ﷺ قبل الإسلام .

قال ابن إسحاق : حدثنى يحيى بن أبى الأشعث الكِندى ، حدثنى إسماعيل بن إياس بن عفيف عن أبيه عن جده عفيف ، أنه قال : كنت امرؤا تاجراً ، فقدمت منى أيام الحج ، وكان العباس [بن عبد المطلب رضى الله تبارك وتعالى عنه] امرؤاً تاجراً ، فأتيته أبتاع منه وأبيعه ، فبينما نحن [كذلك] إذ خرج رجل من خباء يصلى ، فقام تجاه الكعبه ، ثم خرجت امرأة فقامت تصلى ، وخرج غلام فقام يصلى معه ، [فقلت : يا عباس] ـ! ما هذا الدين ؟ إن هذا الدين ما ندرى ما هو ؟ فقال : محمد بن عبد الله يزعم أن الله أرسله ، وأن كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه ، وهذه امرأته خديجة بنت خويلد آمنت به وهذا الغلام ابن عمه ، علىّ بن أبى طالب رضى الله تبارك وتعالى عنه آمن به ، قال : عفيف : فليتنى كنت آمنت به يومئذ فكنت أكون معه ثانياً .

وخرج الإمام أحمد فى (المسند) ، من حديث حجاج بن دينار ، عن محمد بن ذكوان ، عن شهر بن حوشب ، عن عمرو بن عبسة ، قال : أتيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله ، من معك على هذا الأمر ؟ قال : حر وعبد الحديث [3] .

---

(١) (سيرة ابن هشام) : ٢ / ٨٣ ـ ٨٥ مختصراً .

(٢) (المرجع السابق) : ٢ / ٨٧ .

(٣) (مسند أحمد) ٥٢١/٥، ٥٢٢، حديث رقم (١٨٩٤٠) ، وفيه : " حر وعبد : أبوبكر وبلال " وحديث رقم (١٨٩٤١) وفيه : أن تكون حر وعبد يعنى أبا بكر وبلالاً رضى الله تبارك وتعالى عنهما .

و[فى] لفظ الحاكم[1] ، من حديث ابن وهب ، أخبرنى معاوية بن صالح ، [قال:] حدثنا أبو يحيى [وضمرة] بن حبيب ، وأبو طلحة ، عن أبى أمامه الباهلى قال : حدثنى عمرو بن عبسة رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : أتيت رسول الله ﷺ ، وهو نازل بعكاظ فقلت : يا رسول الله ! من اتبعك على هذا الأمر ؟ [قال] اتبعنى عليه رجلان : حر وعبد ، أبو بكر وبلال رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، قال : فأسلمت عند ذلك[2] .

قال ابن إسحاق : ثم إن أبا بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه ، لقى رسول الله ﷺ فقال : أحق ما تقول قريش يا محمد ، من تركك آلهتنا ، وتسفيهك عقولنا ، وتكفيرك أباءنا ؟ فقال : بلى ، إنى رسول الله ونبيه ، بعثنى لأبلغ رسالته ، وأدعوك إلى الله بالحق ، فوالله [إنى] للحق أدعوك يا أبا بكر ، إلى الله وحده لا شريك له ، ولا تعبد غيره ، والموالاة على طاعته ، فقرأ عليه القرآن ، فلم يقر ولم ينكر ، فأسلم وكفر بالأصنام ، وخلع الأنداد وآمن بحق الإسلام ، ورجع وهو مؤمن مصدق .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمى ، أن رسول الله ﷺ قال : ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت [فيه] عنده كبوة[3] ، ونظرةً [وتردد] ، إلا ما كان من أبى بكر ، ما عكم عنه حين ذكرته [له] ، وما تردد فيه[4].

---

(١) (المستدرك) : ٤٥٣/١، كتاب صلاة التطوع ، حديث رقم (١١٦٢) ، وفيه : " فقلت يا رسول الله هل من دعوة أقرب من أخرى ، أو ساعة تبقى أو ينبغى ذكرها ؟ قال : " نعم " إن أقرب ما يكون الرب من العبد جوف الليل الآخر فان إستطعت ممن يذكر الله فى هذه الليلة فكن ، وقال فى آخره : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه .

(٢) (المستدرك) : ٧١٤/٣، كتاب معرفة الصحابة ، باب ذكر عمرو بن عبسة السلمى - رضى الله تبارك وتعالى عنه - حديث رقم (٦٥٨٢) ، حيث ذكر له ترجمة وافية ، رضى الله تبارك وتعالى عنه .

(٣) الكبوة : التأخر وعدم الإجابة .

(٤) (سيرة ابن هشام) : ٩١/٢ ، ذكر من أسلم من الصحابة بدعوة أبى بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه . وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه ، عكم : أى تردد .

وقال إسرائيل عن أبى إسحق ، عن أبى ميسرة ، أن رسول الله ﷺ كان إذا برز ، سمع من يناديه : يا محمد ، فإذا سمع الصوت فانطلق هارباً ، فأسر ذلك إلى أبى بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه ، وكان نديماً له فى الجاهلية .

قال يونس بن بكير ، عن إسحاق : كان أول من تبع رسول الله ﷺ خديجة بنت خويلد زوجته ، ثم كان أول ذكر آمن به على بن أبى طالب رضى الله تبارك وتعالى عنه وهو يومئذ ابن عشر سنين ، ثم زيد بن حارثه ، ثم أبو بكر الصديق رضى الله تبارك وتعالى تعالى عنهم ، فلما أسلم أبو بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه ، أظهر إسلامه ، و[دعا] إلى الله ورسوله ، وكان أبو بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه رجلاً مانعاً لقومه ، محبباً سهلاً ، وكان أنسب قريش [لقريش] ، وأعلم قريش بما كان فيها من خير وشر ، وكان رجلاً تاجراً ، ذا خلق ومعروف ، وكان قومه يأتونه ويألفونه ، لغير واحد من الأمر ، لعلمه ، وتجارته ، وحسن مجالسته ، فجعل [يدعو] إلى الإسلام ، ممن يثق به من قومه ، ممن يغشاه ويجلس إليه ، فأسلم على يديه فيما بلغنى : الزبير بن العوام ، وعثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد ، وعبد الرحمن بن عوف .

فانطلقوا حتى أتوا رسول الله ﷺ ، ومعهم أبو بكر ، فعرض عليهم الإسلام ، وقرأ عليهم القرآن ، وأنبأهم بحق الإسلام ، وبما [وعدهم] الله من الكرامة ، فآمنوا ، وأصبحوا مقرين بحق الإسلام ، وكانوا هؤلاء الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام ، [دخلوا] وصدقوا رسول الله [ﷺ]، وآمنوا بما جاء من عند الله تبارك و[تعالى] .

وخرج البخارى من حديث وبرة [بن عبدالرحمن] ، عن همام قال : سمعت عماراً يقول : رأيت رسول الله ﷺ ، وما معه إلا خمسة أعبد ،

وامرأتان ، وأبو بكر[1] .[وذكر ابن أبى شيبة أن عمار بن ياسر أول من بنى مسجداً صلى فيه][2] .

وخرج مسلم من حديث شداد بن عمار ، ويحى بن أبى كثير ، عن أبى أمامة ، عن عمرو بن عبسة ، قال أتيت رسول الله ﷺ في أول ما بعث وهو بمكة ، وهو حينئذ مستخفي ، فقلت : ما أنت ؟ قال : أنا نبى ، قلت : وما رسول الله ؟ قال : رسول الله ، قلت : آلله أرسلك ؟ قال : نعم ، قلت : بم أرسلك ؟ قال بأن تعبد الله ، وتكسر الأوثان ، وتوصل الأرحام ، قال : قلت : نعم ما أرسلك به ، فمن تبعك على هذا ؟ قال : حر وعبد ، - يعنى أبا بكر وبلال رضى الله تبارك وتعالى عنهما - قال : وكان عمرو يقول : لقد رأيتنى أنا وربع أو رابع ، قال : فأسلمت ، قلت ، فأتبعك يا رسول الله ؟ قال : لا ، ولكن ألحق بقومك ، فإذا أخبرت أنى قد خرجت فاتبعنى[3] .

وخرج البخارى من حديث أبى أسامه [قال] : حدثنا هاشم بن هاشم ، عن سعيد بن المسيب قال : سمعت ، سعد بن أبى وقاص رضى الله تبارك وتعالى عنه يقول : ما أسلم أحد إلا فى اليوم الذى أسلمت فيه ، ولكن مكثت سبعة أيام وإنى لثلث الإسلام[4] .

---

(1) (فتح البارى) ٧/٢١، كتاب فضائل صحابة رسول الله ﷺ ، باب (٥) ، فى قول رسول الله ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً حديث رقم (٣٧٥٧) ، (٣٧٥٨) . وأخرجه أيضاً فى كتاب مناقب الأنصار ، باب (٣٠) إسلام أبى بكر الصديق رضى الله تبارك وتعالى عنه ، حديث رقم (٣٨٥٧) .

(2) (مصنف ابن أبى شيبة) : ٧ / ٢٥١ ، حديث رقم (٣٥٧٧٢) ولفظه : كان أول من أفشى القرآن من فى رسول الله ﷺ ابن مسعود ، وأول من بنى مسجداً صلى فيه عمار بن ياسر ، وأول من أذن بلال ، وأول من رمى بسهم فى سبيل الله سعد بن مالك ، وأول من قتل بين المسلمين مهجع ، وأول من عدا به فرسه فى سبيل الله المقداد ، وأول من أدوا الصدقة من قبل أنفسهم بنو عذرة ، وأول حى التقوا مع رسول الله ﷺ جهينة .

(3) (مسلم بشرح النووى) : ٦ / ٣٦٢ ـ ٣٦٦ كتاب صلاة المسافرين ، باب (٥٢) ، إسلام عمرو بن عبسة رضى الله تبارك وتعالى عنه ، حديث رقم (٨٣٢) .

(4) (فتح البارى) : ٧ / ١٠٤ ، كتاب فضائل أصحاب رسول الله ﷺ ، باب رقم (١٥) ، فى مناقب سعد بن أبى وقاص ، حديث رقم (٣٧٢٧) ، وفى كتاب مناقب الأنصار ، باب (٣١) ، إسلام سعد ابن أبى وقاص رضى الله تبارك وتعالى عنه ، حديث رقم (٣٨٥٨) .

وقال يحى بن أبى بكير : حدثنا زائدة عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله بن مسعود رضى الله تبارك وتعالى عنه ، قال: أول من أظهر إسلامه سبعة : رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعمار ، وأمه سمية ، وصهيب ، وبلال ، والمقداد ، رضى الله تبارك وتعالى عنهم (١) .

[وللبخارى] من حديث سفيان ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن قيس : سمعت سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، فى مسجد الكوفة ، يقول : والله لقد رأيتنى وإن عمر لموثقى وأخته على الإسلام ، قبل أن يسلم عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه (٢) .

وخرج أبو داود من حديث عاصم عن زر ، عن عبد الله بن مسعود رضى الله تبارك وتعالى عنه [قال] : كنت غلاماً يافعاً أرعى غنماً لعقبة بن أبى معيط بمكة ، فأتى على رسول الله ﷺ [وأبو بكر] وقد فرا من المشركين ، فقالا : يا غلام ! عندك لبن تسقينا ؟ قلت : إنى مؤتمن ولست بساقيكما ، فقالا : هل عندك من جذعه لم ينز عليها الفحل [بعد] ؟ قلت : نعم ، فأتيتهما بها ، فاعتقلها أبو بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه ،وأخذ رسول الله ﷺ الضرع ، فدعا [بعد] فحفل الضرع ، وأتاه أبو بكر بصخرة منقعرة فحلب فيها ، ثم شرب هو وأبو بكر ، ثم سقانى ، ثم قال للضرع : اقلص ، فقلص فلما كان بعد ، أتيت رسول الله ﷺ فقلت ، علمنى من هذا القول الطيب - يعنى القرآن

---

(١) (مسند أحمد) : ١ / ٦٧٧ ، حديث رقم (٣٨٢٢) من مسند عبدالله بن مسعود ، ولفظه : أول من أظهر إسلامه سبعة : رسول الله ﷺ ، وأبوبكر ، وعمار ، وأمه سمية ، وصهيب وبلال ، والمقداد ، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه أبى طالب ، وأما أبوبكر فمنعه الله بقومه ، وأما سائرهم فأخذهم المشركون ، فألبسوهم أدرع الحديد ، وصهروهم فى الشمس ، فما منهم إنسان إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلا بلال ، فإنه هانت عليه نفسه فى الله ، وهان على قومه ، فأعطوه الولدان ، وأخذوا يطوفون به شعاب مكة وهو يقول : أحد أحد .

(٢) (فتح البارى) : ٧ / ٢٢٣ ، كتاب مناقب الأنصار ، باب (٣٤) إسلام سعيد بن زيد رضى الله تبارك وتعالى عنه ، حديث رقم (٣٨٦٢) ، باب (٣٥) إسلام عمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه ، حديث رقم (٣٨٦٧) وكتاب الإكراه ، باب (١) من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر ، حديث رقم (٦٩٤٢) .

– فقال إنك غلام معلم ، فأخذت من فيه سبعين سورة ، ما ينازعنى فيها أحد(١).

[وفى مصنف [ابن] أبى شيبة ، عن القاسم بن عبد الرحمن قال : كان أول من أفشى القرآن بمكة من فىّ رسول الله ﷺ ، ابن مسعود رضى الله تبارك وتعالى عنه(٢) .

وقال الواقدى : حدثنى جعفر بن محمد بن خالد بن الزبير ، عن محمد ابن عبد الله بن عمرو بن عثمان قال : كان أول إسلام خالد بن سعيد بن العاصى قديماً ، وكان أول إخوته أسلم ، وكان [بدؤ] إسلامه أنه رأى فى النوم أنه وقف به على شفير النار ، كأن أباه يدفعه منها ويرى أن رسول الله ﷺ آخذ بحقويه لا يقع ، ففزع من نومه .

فقال : أحلف بالله أن هذه لرؤيا حق فلقى أبا بكر بن أبى قحافة ، فذكر له ذلك ، فقال أبو بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه : أريد بك خيراً ، هذا رسول الله ﷺ فاتبعه ، فإنك ستتبعه ، وتدخل معه فى الإسلام والإسلام يحجزك أن تدخل فيها ، وأبوك واقع فيها .

فلقى رسول الله ﷺ بأجياد ، فقال : يا محمد ! إلى ما تدعو ؟ فقال : أدعو إلى الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وتخلع ما كنت عليه من عبادة حجر لا يضر ولا ينفع ، ولا يدرى من عبده ، ممن لم يعبده .

قال خالد : فإنى أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنك رسول الله ، فسر رسول الله ﷺ بإسلامه ، وأرسل إلى من بقى من ولده ممن لم يسلم ورافعاً مولاه فوجده فأتوا به أباه أبا أحيحة فأنبه وبكته وضربه بصريمة فى يده حتى كسرها على رأسه ، ثم قال : اتبعت محمداً وأنت ترى خلاف قومه وما جاء به من عيب آلهتم وعيبه من مضى آبائهم .

فقال خالد : قد صدق والله واتبعته فغضب أبوه أبو أحيحة ونال منه وشتمه ، ثم قال : اذهب يالكع حيث شئت والله لأمنعك القوت ، فقال خالد : إن منعتنى فإن الله عز وجل يرزقنى ما أعيش به فأخرجه وقال لبنيه : لا يكلمه

---

(١) (مسند أحمد) : ٢/٥٠، حديث رقم (٤٣٩٨) .

(٢) (مصنف ابن أبى شيبة) : ٧ / ٢٥١ ، كتاب الأوائل ، حديث رقم (٣٥٧٧٢) .

أحد منكم إلا صنعت به ما صنعت به فانصرف خالد إلى رسول الله ﷺ فكان يكرمه ويكون معه [١] .

قال ابن إسحاق : ثم انطلق أبو عبيدة بن الحارث[٢] ، وأبو سلمة بن عبد الأسد – واسمه عبد الله – والأرقم بن أبى الأرقم المخزوميّ ، وأبو عبيدة ابن الجراح ، وعثمان بن مظعون الجمحيّ ، حتى أتوا رسول الله ﷺ فأسلموا[٣].

قال : ثم أسلم أناس من قبائل العرب ، منهم سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، أخو بنى عدى[٤] ، وامرأته فاطمه بنت الخطاب[٥] ، أخت عمر بن الخطاب[٦] ، وأسماء بنت أبى بكر[٧] ، وعائشة بنت أبى بكر [٨] ، وهى صغيرة ، رضى الله تبارك وتعالى عنهم .

---

(١) (المستدرك) : ٣/٢٧٧-٢٧٨، كتاب معرفة الصحابة ، باب ذكر مناقب خالد بن سعيد بن العاص ، حديث رقم (٥٠٨٢) ، وقد حذفه الحافظ الذهبى من (التلخيص) لضعفه ، (الاستيعاب) : ٢ / ٤٢٣ ـ ٤٢٤ ، ترجمة رقم (٥٩٩) وما بين الحاصرتين تصويب منه .

(٢) هو عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى .

(٣) (سيرة ابن هشام) : ٢/٩١، ٩٢ .

(٤) هو سعيد بن عمرو بن نفيل العدوىّ أبو الأعور ، أحد العشرة ، له ترجمة فى (تهذيب التهذيب) : ٤/٣٠ ، ترجمة رقم (٥٣) .

(٥) هى فاطمة بنت الخطاب بنت نفيل القرشية العدوية أخت عمر بن الخطاب ، أسلمت قديماً هى وزوجها سعيد بن المسيب بن عمرو بن نفيل ، لها ترجمة فى (الإصابة) : ٨/٦٢، رقم (١١٥٩٠) .

(٦) هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بتحتانيتين ، ابن عبد الله بن قرط بن رزاح ، بمهملة ومعجمة وآخره مهملة ، ابن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب القرشىّ العدوىّ أبو حفص أمير المؤمنين ، له ترجمة فى (الإصابة) : ٤/٥٨٨ ، رقم (٥٧٤٠) .

(٧) هى أسماء بنت عبد الله بن عثمان التيمية ، والدة عبد الله بن الزبير بن العوام التيمية ، وهى بنت أبى بكر الصديق ، لها ترجمة فى (الإصابة) : ٧/٤٦٨، ترجمة رقم(١٠٧٩٨) .

(٨) سبقت لها ترجمة مفصلة فى أزواج رسول الله ﷺ .

وقدامة بن مظعون[١]، وعبد الله بن مظعون[٢] الجمحيان ، وخباب بن الأرت[٣] حليف بني زهرة ، وعمير بن أبي وقاص[٤] ، وعبدالله بن [مسعود][٥] حليف بني زهره[٦] ، ومسعود بن القارى[٧]، وسليط بن عمرو[٨] ، أخو بني عامر بن لؤى ، وعياش بن أبى ربيعة المخزوميّ [٩] ، وامرأته أسماء بنت سلامة[١٠] ، وحنيش بن حذافه السهميّ [١١]، وعامر بن ربيعة[١٢] ، حليف بني عديّ بن كعب ، وعبد الله بن جحش[١٣] الأسدى ، وأبو أحمد بن جحش[١٤]، وجعفر بن أبى طالب[١٥] ، وأمرأته أسماء بنت عميس[١٦] ، وحاطب ابن الحارث الجمحى[١٧] ، وامرأته أسماء بنت المجلل[١٨] ، الخطاب بن

---

(١) هو قدامة بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح القرشى أخو عثمان بن مظعون يكنى أبا عمرو ، أحد السابقين الأولين ، هاجر الهجرتين وشهد بدراً ، له ترجمة فى (الإصابة) : ٤٢٣/٥، ترجمة رقم (٧٠٩٣) .

(٢) ترجمته فى (الإصابة) : ٢٣٩/٤، وهو شقيق الذى قبله، ترجمة رقم (٤٩٦٧) .

(٣) ترجمته فى (الإصابة) : ٢٥٨/٢، ترجمة رقم (٢٢١٢) .

(٤) لم أجد له ترجمة .

(٥) زيادة للسياق .

(٦) ترجمته فى (الإصابة) : ٢٣٣/٤، ترجمة رقم (٤٩٥٧) .

(٧) ترجمة فى (الإصابة) : ١٠١/٦، ترجمة رقم (٩٧٦٠) وهو مسعود بن عمرو القارى ، بالتشديد بغير همز من القارة .

(٨) ترجمته فى (الإصابة) : ١٦٢/٣، ، ترجمة رقم (٣٤٢٤) .

(٩) ويلقب ذا الرحمين ترجمته فى(الإصابة) : ٧٥٠/٤، ترجمة رقم (١٠٧٩٥) .

(١٠) ترجمتها فى (الإصابة) : ٤٨٤/٧– ٤٨٥ ترجمة رقم (١٠٧٩٥) .

(١١) ترجمته فى (الإصابة) : ٣٤٥/٢، ٢٣٤٦، ترجمة رقم (٢٢٩٦) .

(١٢) ترجمته فى (الإصابة) : ٢٥٧٩/٣، ترجمة رقم (٣٣٨٤) .

(١٣) ترجمته فى (الإصابة) : ٣٥/٤-٣٧، ترجمة رقم (٤٥٨٦) .

(١٤) اسمه بغير إضافة ، وقبل عبد الله ترجمته فى (الإصابة) : ٧٠٦/٧، ترجمة رقم (٩٤٩٢) .

(١٥) ترجمته فى (الإصابة) : ٤٥٨/١، ٤٨٨، ترجمة رقم (١١٦٨) .

(١٦) ترجمتها فى (الإصابة) : ٤٨٩/٧،٤٩١، ترجمة رقم (١٠٨٠٣) .

(١٧) ترجمته فى (الإصابة) : ٦/٢، ترجمه رقم (١٥٤١) .

الحارث[١] ، وامرأته فكيهة بنت يسار[٢] ، ومعمر بن الحارث بن معمر الجحمى[٣] ، والسائب بن عثمان مظعون[٤] ، والمطلب بن أزهر بن عبد عوف الزهرى[٥] ، وامرأته رملة بنت أبى عوف بن صبيرة[٦]، [والنحام] واسمه نعيم ابن عبد الله ، أخو بنى عدىّ بن كعب[٧] ، وعامر بن فهيرة ، مولى أبى بكر[٨] ، وخالد بن سعيد العاصى[٩] ، وامراته أميمة بنت خلف بن اسعد بن عامر بن بياضة [بن سبيع بن حليفة بن سعد بن مليح بن عمرو] من خزاعه[١٠] ، وحاطب بن عبد شمس[١١] أخو بنى عامر بن لؤىّ ، وأبو حذيفة ابن عتبة بن ربيعة[١٢] وواقد بن عبد الله التميمىّ [١٣] ، حليف بن عدىّ بن كعب ، خالد بن البكير ، وإياس بن البكير ، وعمار بن ياسر حليف بنى مخزوم

---

(١٨) لم أجد لها ترجمة .

(١٩) ترجمته فى (الإصابة) : ٢٨٠/٢، ترجمة رقم (٢٣٨٠) .

(١) ترجمتها فى (الإصابة) : ٢٦٧/٨، ترجمة رقم (٦١٦٣١) .

(٢) ترجمته فى (الإصابة) ١٨٦/٦، ترجمة رقم (٨١٥١) .

(٣) ترجمته فى (الإصابة): ٢٢٤/٣، ترجمة رقم (٣٠٧٠) .

(٤) ترجمته فى (الإصابة) : ١٣١/٦، ترجمة رقم (٨٠٣٠) .

(٥) ترجمته فى (الإصابة) : ١٣١/٦، ترجمة رقم (١١١٨٨) .

(٦) ترجمته فى (الإصابة) : ٦٥٥/٧، ترجمة رقم (٨٧٨٢) .

(٧) ترجمته فى (الاستيعاب) : ٧٩٦/٢، ٧٩٧، ترجمة رقم (١٣٣٨) .

(٨) (ترجمته فى (الإصابة): ٢٣٦/٢، ترجمة رقم (٢١٦٩) .

(٩) ترجمتها فى (الإصابة) : ٥٢٧/٧، ترجمة رقم (١٠٩٠٦) ، قال الحافظ (الإصابة) : ذكرها أبو عمر فيمن اسمها أميمة فصحف ، وكذا ذكرها ابن منده ، لكن قال : أميمة بنت خالد فصحف اسم أبيها أيضاً . والصواب أمينة بنون بدل الميم الثانية ، وقيل فيها : همينة بهاء بدل الهمزة ، وقد مضت على الصواب : أميمة بنت خالد الخزاعية ، كذا سمى ابن منده أباها . قال ابن الأثير : وهَمَ فيه ، والصواب خلف كما تقدم . انظر أيضاً (الاستيعاب) : ١٧٩٠/٤-١٧٩١ ، ترجمة رقم (٣٢٤٠).

(١٠) ترجمته فى (الإصابة) : ٢٦/٢-٢٧ ، ترجمة رقم (١٥٤٣) .

(١١) اسمه مهشم وقيل هشيم ترجمته فى (الإصابة) ٨٧/٧، ترجمة رقم (٩٧٤٨) .

(١٢) (ترجمته فى (الإصابة):٥٤٩/٦، ترجمة رقم (٩١٠٣) .

وصهيب بن سنان ، وزاد غيره : وعامر بن البكير ، وغافل بن البكير[١] ، وإياس بن البكير[٢] وعمار بن ياسر[٣] حليف بني مخزوم وصهيب بن سنان[٤]
وزاد غيره : وقال ابن إسحاق[٥] : ثم دخل الناس في الإسلام أرسالاً من الرجال والنساء ، حتى فشى ذكر الإسلام بمكة ، وتحدث به ، فلما أسلم هؤلاء وفشى أمرهم ، أعظمت ذلك قريش ، وغضبت له ، وأظهروا لرسول الله ﷺ البغي والحسد ، وشخص له منهم رجال ، فبدأوه وأصحابه بالعداوة، منهم أبو جهل بن هشام ، وأبو لهب ، وذكر أسماءهم .

قال : حدثني رجل من أسلم - وكان واعية - أن أباجهل بن هشام ، اعترض رسول الله ﷺ عند الصفا ، فآذاه وشتمه ، ونال منه مايكره من العيب لدينه ، فذكر ذلك لحمزة بن عبد المطلب ، فأقبل نحوه ، حتى إذا قام على رأسه ، رفع القوس فضربه به ضربة ، فشجه شجة منكرة ، وقامت رجال من قريش من بني [المخزوم] إلى حمزة لينصروا أبا جهل ، فقال ما نراك ياحمزة إلا قد صبأت ، فقال : وما يمنعني وقد استبان لي منه ، أنا أشهد أنه رسول الله ، وأن الذي يقوله حق ، فوالله [لا أنزع] ، فامنعوني إن كنتم صادقين .

فقال أبو جهل : دعوا أبا عمارة ، فإني والله قد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً فلما أسلم حمزة رضي الله تبارك وتعالى عنه عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عز وامتنع ، فكفوا عن بعض ما كانوا يتناولون به ، وذكر الخبر ثم قال : وكان حمزة ممن أعز الله الدين به[٦] .

وقال : أسامة بن زيد بن أسلم ، عن أبيه عن جده ، قال : قال لنا عمر ابن الخطاب رضي الله تبارك وتعالى عنه : أتحبون أن أعلمكم كيف كان إسلامي ؟ قلنا : نعم ، قال : كنت من أشد الناس على رسول الله ﷺ فبينا أنا في يوم حار

---

(١٣) ترجمته في (الإصابة): ٢٢٧/٢، ترجمة رقم (٢١٥٠) .

(١٤) ترجمته في (الاستيعاب) : ١٢٤/١، ترجمة رقم (١٢٢) .

(١٥) ترجمته في (الاستيعاب): ١١٣٥/٣، ترجمة رقم (١٨٦٣) .

(١٦) ترجمته في (الإصابة) : ٤٤٩/٣، ٤٥٢، ترجمة رقم (٤١٠٨) .

(٣) (سيرة ابن هشام) : ٩٧/٢، وما بعدها ، مبادأة رسول الله ﷺ قومه وما كان منهم .

(٤) (المرجع السابق) : ١٢٨-١٢٩، إسلام حمزة رضي الله تبارك وتعالى عنه .

شديد الحر بالهاجرة ، فى بعض طرق مكة ، إذا لقينى رجل من قريش فقال : أين تريد يا ابن الخطاب ؟ فقلت : أري [كذا وكذا] ، قال عجباً لك يا ابن الخطاب ؟ أنت تزعم أنك كذلك ، وقد أدخل عليك الأمر في بيتك قال : قلت : وما ذاك ؟ قال : أختك قد أسلمت ، قال : فرجعت مغضباً حتى قرعت الباب وكان رسول الله ﷺ إذا أسلم الرجل والرجلان ، ممن لا شئ له ، ضمهما إلى الرجل الذى فى يديه السعة ، لأنه من فضل طعامه ، وقد كان ضم إلى زوج أختى رجلين ، فلما قرعت البيت ، قيل : من هذا ؟ قلت : عمر بن الخطاب ، فبادروا فاختفوا منى ، وقد كانوا يقرأون فى صحيفة بين أيديهم ، تركوها أو دسوها ، فقامت أختى تفتح الباب فقلت : يا عدوة نفسها أصبوت ؟ وضربتها بشئ فى يدى على رأسها ، فسال الدم ، فلما رأت الدم بكت وقالت يا ابن الخطاب ، ما كنت فاعلاً فافعل ، فقد صبوت .

قال : ودخلت حتى جلست على السرير ، فنظرت إلى الصحيفة وسط البيت ، فقلت : ما هذا ؟ فتناولتها ، فإذا فيها : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ فلما مررت باسم من أسماء الله [ذعرت] منه ، فألقيت الصحيفة ، ثم رجعت إلى نفسى فتناولتها ، فإذا فيها : ﴿ **سبح لله ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم * له ملك السموات والأرض يحى ويميت وهو على كل شئ قدير * هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم * هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير * له ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور * يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور** ﴾ فقرأتها حتى بلغت:﴿ **آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير**﴾[1] ، فقلت أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فخرجوا متبادرين وكبروا وقالوا : أبشر يا ابن الخطاب فإن رسول الله ﷺ دعا يوم الاثنين فقال : اللهم أعز دينك

---

(١) الحديد : ١-٧ .

بأحب الرجلين إليك : إما أبو جهل بن هشام وإما عمر بن الخطاب [1] ، وإنا نرجوا أن تكون دعوة رسول الله ﷺ .

فلما عرفوا الصدق منى قالوا : فى بيت بأسفل الصفا ، فخرجت حتى قرعت البيت عليهم ، فقالوا : من هذا ؟ قلت : ابن الخطاب ، قال : وقد علموا من شدتى على رسول الله ﷺ ، وما يعلمون بإسلامى - فما اجترأ أحد بفتح الباب حتى قال : افتح له إن يرد الله به خيراً بهذه ، فقال : خلوا عنه ، ثم أخذ بمجامع قميصى ، ثم جذبنى إليه ، ثم قال : أسلم يا ابنِ الخطاب ، اللهم اهده .

فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وان محمداً عبده ورسوله ، فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بفجاج مكة ، وكانوا مستخفين ، فلم أشأ أن أرى رجلاً يضرب ، فيضرب إلا رأيته ، ولا يصيبنى من ذلك شئ فخرجت حتى جئت خالى - وكان شريفاً - فقرعت عليه الباب ، فقال : من هذا ؟ فقلت : ابن الخطاب ، فخرج إلىّ فقلت : قد علمت أنى صبوت ؟ قال : أو قد فعلت ؟ قلت نعم ، قال : لا تفعل ، فقلت : قد فعلت ، فدخل وأجاف الباب دونى .

فقلت : ما هذا شئ فذهبت إلى رجل من عظماء قريش ، فناديته ، فخرج إلي فقلت : مثل مقالتى لخالى ، وقال مثل ما قال ، ودخل وأجاف الباب دونى .

فقلت فى نفسى ما هذا شئ إن المسلمين يضربون وأنا لا أضرب ، فقال رجل : أتحب ان يعلم بإسلامك ؟ قلت نعم ، قال : فإذا جلس الناس فى الحجر ، فأت فلان - لرجل لا يكتم السر - فقل له فيما بينك وبينه : إنى صبوت فإنه قل ما يكتم السر .

قال : فجئت ، وقد اجتمع الناس فى الحجر ، فقلت فيما بينى وبينه إنى قد صبوت ، قال : أو فعلت ؟ [قلت] نعم ، قال : فنادى بأعلى صوته : إن ابن الخطاب قد صبأ ، فبادروا إلىّ أولئك الناس ، فما زلت أضربهم ويضربوننى ، واجتمع على الناس ، قال خالى : ما هذه الجماعة ؟ قيل : عمر بن الخطاب قد صبأ .

---

(٢) (مسند أحمد) ٢٢٦/٢، حديث رقم (٥٦٦٣) ، (سنن الترمذى) : ٥٧٦/٥ ، كتاب المناقب ، باب (١٨) فى مناقب عمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه ، حديث رقم (٣٦٨١) .

فقام على الحجر ، وأشار بكمه هكذا ، ألا إنى قد أجرت ابن أختى ، فتكشقوا عنى ، فكنت لا أشأ أن أرى رجلاً من المسلمين يضرب ويضرب إلا رأيته ، فقلت : ما هذا بشئ حتى يصيبني ، فأتيت خالى فقلت : جوارك عليك ردّ ، فقل ما شئت ، فما زلت أضرب وأُضرب حتى أعز الله الإسلام .

وقال يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق : كان إسلام عمر بن الخطاب بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة ، قال · حدثنى عبد الرحمن بن الحارث ، عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، عن أمه ليلى قالت : كان عمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه ، من أشد الناس علينا فى إسلامنا .

فلما تهيئنا للخروج من أرض الحبشة ، جاءنى عمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه ، وأنا على بعير نريد أن نتوجه - فقال : أين تريدين يا أم عبد الله ؟ فقلت : آذيتمونا فى ديننا ، فنذهب فى أرض الله ، حيث لا نؤذى فى عبادة الله ، فقال صحبكم الله ، ثم ذهب فجاء زوجى عامر بن ربيعة ، وأخبرته بما رأيت من رقة عمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه ، فقال [ترحبين] يسلم ؟ فقلت نعم ، قال : والله لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب وهذا من شدته على المسلمين ، ثم رزقه الله الإسلام .

قال ابن إسحاق : والمسلمون يومئذ بضع وأربعون رجلاً وإحدى عشر امرأة (١) .

وأما المستضعفون الذين عذبوا فى الله

فإنهم كانوا قوماً لا عشائر لهم ولا منعة ، فكانت قريش تعذبهم فى الرمضاء أنصاف النهار ليرجعوا إلى دينهم ، وفيهم نزلت : ﴿ **ولا تطرد الذين**

(١) ذكر البزار فى إسلام عمر أنه قال : فلما أخذت الصحيفة فإذا فيها : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ فجعلت أفكر : من أى شئ اشتق ؟ ثم قرأت فيها ﴿ **سبح لله ما فى السموات والأرض** ﴾ وجعلت أفكر وأفكر حتى بلغت : ﴿ **آمنوا بالله ورسوله** ﴾ فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله وذلك إن كانت وردت رواية أن ما فى الصحيفة من سورة الحديد . (سيرة ابن هشام) : ١٩٠/٢ .

يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شئ وما من [حسابك] عليهم من شئ فتطردهم فتكون من الظالمين ﴾[1]

وهم : عمار بن ياسر[2] بن عامر بن مالك [بن كنانة بن قيس بن الحصين بن ثعلبة بن عوف بن حارثة بن عامر بن مالك بن عبس بن زيد] أحد بنى عبس ، أخى مر بن مالك بن أدد بن زيد أبو اليقظان رضى الله تبارك وتعالى عنه ، وأبوه ياسر ، وأمه سمية ، [بنت سليم من لخم] ، وأخوه عبد الله ابن ياسر .

قال الواقدى : عن عبد الله بن أبى عبيدة ، عن أبيه قال: قال عمار بن ياسر : لقيت صهيب بن سنان ، على باب الأرقم بن أبى الأرقم ، والنبى ﷺ فيها ، فقلت له : ما تريد ؟ فقال : ما تريد أنت ؟ قلت : أريد [أن] أدخل على محمد فأسمع كلامه ، قال : وأنا أريد ذلك ، قال : فدخلنا ، فعرض علينا الإسلام ، فأسلمنا ، ثم مكثنا يومنا ذاك ، حتى أمسينا ، ثم خرجنا مستخفين ، فكان إسلام عمار وصهيب بعد إسلام بضع وثلاثين رجلاً .

حدثنا عبد الله بن محمد بن أبى شيبة أبو بكر ، حدثنا جرير بن عبد الحميد الضبى ، عن منصور عن مجاهد ، فقال : أول من أظهر الإسلام سبعة رسول الله ﷺ ، وأبو بكر، وبلال ، وخباب ، وصهيب ، وعمار رضى الله تبارك وتعالى عنهم ، وسمية أم عمار .

قال : فأما رسول الله ﷺ فمنعه عمه ، وأما أبو بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه فمنعه قومه ، وأما الآخرون فلبسوا الدروع الحديد ثم صهروهم فى الشمس حتى بلغ الجهد منهم كل مبلغ ، فأعطوهم كل ماسألوا ، فجاء إلى كل رجل منهم قومه بأنطاع الأدم فيها الماء فألقوهم فيه ثم حملوا بجوانبه إلا بلال ، فجعلوا فى عنقه ، ثم أمروا صبيانهم يشتدون به بين أخشبى مكة وجعل يقول : أحد أحد ، وجاء أبو جهل إلى سمية ، فطعنها فى قُبُلها ، فكانت أول شهيدة فى فى الإسلام لأنها أغلظت له فى القول فأغضبته ، وقيل : أو قتيل الحارث بن أبى هالة ابن خديجة .

---

(١) الأنعام : ٥٢ .

(٢) زيادة للنسب .

قال الواقدى : عن عثمان بن محمد ، عن الحارث بن الفضل ، عن محمد بن كعب القرظى قال : أخبرنى من رأى عمار بن ياسر متجرداً فى سراويل ، قال ونظرت إلى ظهره ، فإذا فيه خط ، قلت : ما هذا قال : هذا مما كانت قريش تعذبنى به فى رمضاء مكة .

وحدثنى عثمان بن محمد فى إسناده قال : كان عمار رضى الله تبارك وتعالى عنه يعذب حتى لا يدرى ما يقول ، وكان أبو فكيهة يعذب حتى لا يدرى ما يقول ، وبلال ، وعمار ، وابن فهيرة ، وقوم من المسلمين ، وفيهم نزلت : ﴿ **والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا لنبوأنهم فى الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون * الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون** ﴾.(١)

ويقال نزلت فى أبى سلمة بن عبد الأسد وبلال [أول] من أذن فى الإسلام ، وعثمان بن مظعون وكانا أول من قدم المدينة .

قال : وحدثنا محمد بن حاتم المروزى ، حدثنا هيثم عن حصين ، عن أبى مالك فى قوله تعالى : ﴿ **إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان** ﴾(٢) قال هو عمار .

وحدثنا أبو صالح الفراء الأنطاكى ، حدثنا أبو إسحاق الفرازى ، عن عبد الله بن المبارك ، عن معمر عن عبد الكريم ، عن أبى عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال : لما أخذ المشركون عماراً فعذبوه ، لم يتركوه حتى سب رسول الله ﷺ وذكر آلهتهم بخير ، فلما أتى رسول الله ﷺ قال : ما وراءك ياعمار ؟ [قال] : شر والله ، ما تركنى المشركون حتى نلت منك ، وذكرت آلهتهم بخير ، قال وكيف تجدك ؟ قال : مطمئن بالإيمان ، قال : فإن عادوا فعد ، ونزلت فيه : ﴿ **إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان** ﴾ .

وحدثنى عباس بن هشام عن أبيه عن جده عن أبى صالح عن أم هانئ أن عمار بن ياسر ، وأباه ياسر ، وأخاه عبد الله بن ياسر ، وسمية أم عمار كانوا يعذبون فى الله ، فمر بهم رسول الله ﷺ فقال : أصبروا آل ياسر ،

---

(١) النحل : ٤١-٤٢ .

(٢) النحل : ١٠٦ .

فإن موعدكم الجنة ، فمات ياسر فى العذاب ، وأغلظت سمية لأبى جهل ، فطعنها فى قبُلها فماتت ، وزمن عبد الله فسقط .

وخباب بن الأرت[1] بن جندلة بن سعد بن خزيمة من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم [حليف بنى زهرة ويقال : إنه من البحرين فأنبط ، وأنه أسود ويقال هوخباب بن الأرت بن حدار بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد] ، وقع عليه رساً فصار إلى أم أنمار فأعتقته ، وكان به رنة إذا تكلم فسمى الأرت ، وكان قيناً بمكة ، فأسلم سادس ستة من بنى مظعون ، وأبى سلمة ، وجماعة قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم ، فعذب فى الله ، وجعلوا يلصقون ظهره بالأرض على الرضف ، حتى ذهب ماء متنه .

وقال مجاهد عن الشعبى ، دخل خباب بن الأرت على عمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه ، فأجلسه على متكأةٍ ، وقال : [ما على الأرض] أحد أحق بهذا المجلس منك ، إلا رجل واحد ، فقال : ومن هو يا أمير المؤمنين؟ قال بلال ، قال : ماهو بحق منى ، إن بلالاً كان له من المشركين من يمنعه الله به ، ولم يكن لى أحد ، لقد رأيتنى يوماً وقد أوقدوا لى ناراً ، ثم سلقونى فيها ، ثم وضع رجل رجله على صدرى ، فما اتقيت الأرض إلا بظهرى ، ثم كشف خباب عن ظهره ، فإذا هو قد برص .

وقال هشام بن الكلبى ، عن أبى صالح : كان خباباً قيناً ، وكان قد أسلم ، فكان رسول الله ﷺ يألفه ويأتيه ، فأخبرت بذلك مولاته ، فكانت تأخذ الحديدة قد أحمتها ، فتضعها على رأسه ، فشكى ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال : اللهم انصر خباباً ، فشتت مولاته - وهى أم أنمار - فكانت تعوى مع الكلاب ، فقيل لها : اكتوى ، فكان خباب يأخذ الحديدة وقد أحماها ، فيكوى بها رأسها .

---

(١) هو خباب بن الأرت من بنى سعد بن زيد مناة حليف لبنى زهرة كنيته : أبو يحيى وقد قيل : أبو عبد الله مولى ثابت بن الأرت بن أم أنمار الخزاعية مات بالكوفة منصرف على من صفين سنة سبع وثلاثين وهو ابن خمسين سنة ، وصلى عليه على بن أبى طالب ، وقيل : إنه مات سنة تسع عشرة بالمدينة وصلى عليه عمر بن الخطاب ، والأول أصح .

(تاريخ الصحابة) : ٨٨ ترجمة (٣٦٣) ، (الثقات) : ١٠٦/٣ ، (الإصابة) : ٤١٦/١ .

وذكر الواقدى أن الذى كان يعذب خباباً حين أسلم ، عتبة بن أبى وقاص ، ويقال : الأسود بن عبد يغوث ، قال : وهو الثبت ، [توفى بالكوفة سنة سبع وثلاثيت ، منصرف على من صفين إلى الكوفة ، وهو أول من توفى] من الصحابة .

وصهيب بن سنان بن مالك [(١)] بن عمرو بن نفيل بن عقيل بن عامر بن جندلة بن خزيمة بن كعب بن أسلم بن أوس مناة بن النمر بن قاسط ، [ويقال : إن [أمه أمرأة] من تميم ، يقال لها : سلمى بنت الحارث] ، أسلم مع عمار فى دار الأرقم .

قال : يزيد بن رومان ، عن عروة : كان صهيب من المستضعفين من المؤمنين الذين يهزأون ، فقال صهيب : نحن جلساء نبى الله ، آمنا وكفرتم ، وصدقناه وكذبتموه ، ولا خسيسة مع الإسلام ، ولا عز مع الشرك ، فعذبوه وضربوه ، وجعلوا يقولون : أنتم الذين منّ الله عليهم من بيننا [توفى سنة ثمان وثلاثين] .

وبلال بن رباح [(٢)] [مولى أبى بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه كان أسود مولداً من مواليد بنى جمح] كان أبوه رباح حبشياً [سبياً] وكان ابنه

---

(١) هو صهيب بن سنان بن مالك بن عبد عمرو بن عقيل بن عامر بن جندلة بن خزيمة بن كعب بن سعد بن أسلم بن أوس بن مناة بن النمر بن قاسط بن هنب بن أقصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن عدنان ، كنيته أبو يحيي ، مولى عبد الله بن جدعان التميمى ، وقد قيل حليف ابن جدعان من سبى الموصل أصله من الجزيرة ، أمه سلمى بنت قعيد . مات فى شوال ستة ثمان وثلاثين فى خلافة على بن أبى طالب ، عليه السلام ودفن بالبقيع وكان له يوم مات سبعون سنة . ومن أولاده عمرة وعمارة .(تاريخ الصحابة):١٣٦، ١٣٧ ، ترجمة رقم (٦٧١) ، (الإصابة) : ١٩٥/٢ .

(٢) هو بلال بن رباح مؤذن رسول الله ﷺ ، أعتقه أبو بكر وكان تربه ، وكان له ولاؤه ، كنيته أبو عمرو . ويقال أبو عبد الله . وقد قيل أبو عبد الكريم .

أمه حمامة . قيل لأبى بكر بعد موت النبى ﷺ إن كنت اعتقتنى لله فدعنى أذهب حيث شئت ، وإن كنت أعتقتنى لنفسك فأمسكنى ، قال أبو بكر : اذهب حيث شئت ، فذهب إلى الشام فسكنها مؤثراً الجهاد على الأذان ، إلى أن مات سنة عشرين ، ويقال : إن قبره بدمشق ، وسمعت أهل فلسطين يقولون : إن قبره بعمواس ، وقد قيل : قبره بداريا ، وامرأة بلال هند الخولانية .وكان=

بلال من مولدى السراة ، وكانت أمه حمامة سبية ، تلقب بسكينة ، وأسلم قديماً فى أول ما دعى رسول الله ﷺ ، ويقال : إنه كان الثالث فى الإسلام ، وكان لأمية ابن خلف ، وكان أمية بن خلف يخرجه إلى رمضاء مكة إذا حميت ، فيلقيه على ظهره ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة ، فتوضع على صدره ، ويقول : والله لا تزال هكذا حتى تفارق دين محمد ، فيقول : أحد أحد ، ويضع أمية بن خلف فى عنقه حبلاً ، ويأمر الصبيان فيجرونه ، فمر به أبو بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه ، وهو يعذبه ، فقال له : يا أمية ! أما تتقى الله فى هذا المسكين ؟ فقال : أنت أفسدته ، فأنقذه .

وكان بلالاً ترباً لأبى بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه ، وأحد من دعاه أبو بكر إلى الإسلام ، فقال أبو بكر : عندى غلام أسود أجلد منه وأقوى ، وهو على دينك ، فأعطيك إياه ثمناً لبلال ، قال :قد قبلت ، فأعطاه ذلك الغلام ، وأخذ بلالاً فأعتقه .

وقال معمر عن قتادة : إن عمرو بن العاص قال : مررت ببلال وهو يعذب ، ولو أنه بضعة لحم وضعت لنضجت ، وهو [يقول] : أنا كافر باللات والعزى ، وأمية يغاظ عليه ، فيزيده عذاباً فيقبل عليه ، فيدعث حلقه ، فيغشى عليه ، ثم يفيق .

وذكر الواقدى أن حسان بن ثابت رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : حججت ، أو قال : اعتمرت ، فرأيت بلالاً فى حبل طويل ، يمده الصبيان ، معه عامر بن فهيرة وهو يقول : أحد أحد ، أنا كافر باللات ، والعزى ، وهبل ، وإساف ، ونائلة ، فأضجعه أمية فى الرمضاء . وقتل بلال أمية بن خلف يوم بدر ، فقال أبو بكر :

هنيئا زادك الرحمن عزا ... لقد أدركت ثارك يا بلال

[توفى سنة عشرين ، وقيل غير ذلك ، وكانت وفاته بدمشق] .

= لبلال يوم مات بضع وستون سنة ، (طبقات ابن سعد) : ٢٣٢/٣ ، ٣٨٥/٧ ، (حلية الأولياء) : ١٤٧/١ ، (تاريخ الصحابة) : ٤٢ ، ٤٣ ترجمة (١٠٦) ، (الإصابة) : ١٦٥/١ .

وعامر بن فهيرة ، [يقال : إنـه من عنز بن وائل ، وأنه عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك بن ربيعة بن عامر بن سعد بن عبد الله بن الحارث بن رفيدة بن عنز بن وائل العنزى وقيل فى نسبه غير ذلك [1].

أسلم عامر قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم ، وكان من المستضعفين ، فكان يعذب ليرجع عن دينه ، حتى اشتراه أبو بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه ، وأعتقه ، وكان حسن الإسلام ، وكان يرعى الغنم ، واستشهد ببئر معونة .

قال ابن إسحاق : عن هشام بن عروة عن أبيه ، أن عامر بن الطفيل قال يومئذ : من رجل لما طعنته رفع حتى رأيت السماء دونه ، رواه البكارى عن ابن إسحاق ، وفى رواية يونس بن بكير عنه بهذا الإسناد ، أن عامر بن الطفيل قدم المدينه بعد ذلك ، وقال للنبى ﷺ : من رجل يا محمد لما طعنته رفع إلى السماء ؟ فقال : هو عامر بن فهيرة .

وروى عبد الرزاق وابن المبارك ، أن عامر بن فهيرة التمس فى القتلى يومئذ ففقد ، فيرون الملائكة قد رفعته أو دفنته .

---

(١) وعنز بسكون النون أخو بكر بن وائل حليف بنى عدىّ ، ثم الخطاب والد عمر ، منهم من ينسبه إلى مذحج .

وكان أحد السابقين الأولين ، وهاجر إلى الحبشة ، ومعه أمرأته ليلى بنت أبى خيثمة ، ثم هاجر إلى المدينة أيضاً ، وشهد بدراً وما بعدها ، وله رواية عن النبى ﷺ من طريق أبيه عبد الله ، ومن طريق عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وأبى أسامة بن سهل ، وغيرهم .

وذلك فى الصحيحين وغيرهما ، وكان صاحب عمر لما قدم الجابية ، واستخلفه عثمان على المدينة لما حج .

وقال ابن سعد : كان الخطاب قد تبنى عامراً ، فكان يقال : عامر بن الخطاب حتى نزلت : ﴿ أدعوهم لآبائهم ﴾ ، [الأحزاب : ٥] .

وقال يحي بن سعد الأنصاري ، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة : قام عمر بن ربيعة يصلى من الليل ، وذلك حين نشب الناس فى الطعن على عثمان ، فنام فأتاه آت فقال له : قم فاسأل الله أن يعيذك من الفتنة . فقام فصلى ثم اشتكى فما خرج بعد إلا بجنازته . أخرجه فى الموطأ .

قال مصعب الزبيرى : مات سنة اثنين وثلاثين ، كذا قال أبو عبيدة ، ثم ذكره فى سنة سبع وثلاثين ، وقال : أظن هذا أثبت . وقال الواقدى : كان مؤته بعد قتل عثمان بأيام . وقيل : فى وفاته غير ذلك . (الإصابة) : ٥٧٩/٣ - ٥٨٠ ، ترجمة رقم (٤٣٨٤) .

وأبو فكيهة أفلح ، وقيل : يسار كان عبداً لصفوان بن أمية الجمحى ، فأسلم حين أسلم بلال[1] ، فمر به أبو بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه ، وقد أخذه أمية بن خلف فربط فى رجله حبلا ، وأمر به فجر ، ثم ألقاه فى الرمضاء ، ومر به جُعل ، فقال له أمية : أليس هذا ربك ؟ قال : الله ربى خالقى ، وخالقك ، وخالق هذا الجُعل ، فغلظ عليه وجعل يخنقه ، ومعه أخوه أبى ابن خلف يقول : زده عذاباً ، حتى يأتيه محمد فيخلصه بسحره ، ولم يزل على تلك الحال حتى ظنوا أنه قد مات ، ثم أفاق فمر به أبو بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه ، فاشتراه فأعتقه .

وقال ابن عبد البر : كانوا يعذبونه ، وإنه إنما كان لهم ، فأخرجوه يوماً مقيداً ، نصف النهار إلى الرمضاء ، ووضعوا على صدره صخره حتى [دلع] لسانه ، وقيل : قد مات ، ثم أفاق ، وقتل يوم بدر رضى الله تبارك وتعالى عنه .

وجارية بنى المؤمل بن حبيب بن تميم بن عبد الله بن قرط بن رازح ابن عدىّ ، ويقال لها لبيبة ، أسلمت[2] قبل إسلام عمر بن الخطاب ، رضى الله تبارك وتعالى عنه كان عمر يعذبها حتى تفتر ، فيدعها ثم يقول : أما أنى أعتذر إليك ، ما أدعوك الا مسلمة ، فتقول : كذلك يعذبك الله إن لم تسلم .

وذكر الواقدى : أن حسان بن ثابت قال : قدمت مكة معتمراً ، والنبى ﷺ يدعو الناس ، وأصحابه يؤذون ويعذبون ، فوقعت على عمر وهو مؤتزر ، يخنق جارية بنى عمرو بن المؤمل حتى تسترخى فى يده ، فأقول : قد ماتت ثم

---

(١) أبو فكيهة أفلح أو يسار ، هو أبو فكيهة الجهمى ، مولى صفوان بن أمية ، وقيل مولى ابن عبد الدار أسلم قديماً فربط أمية بن خلف فى رجله حبلاً فجره حتى ألقاه فى الرمضاء وجعل يخنقه ، فجاء أخوه أبىّ بن خلف فقال : زده ، فلم يزل على ذلك حتى ظن أنه مات ، فمر أبوبكر الصديق فاشتراه فأعتقه ، واسمه يسار ، وقد تقدم فى التحتنية ، وقيل اسمه أفلح بن يسار ، وقال عمر بن شبة كان ينسب للأشعريين (الإصابة) : ٢٣٢-٣٢٣ ، ترجمة (١٠٣٩١) .

(٢) هى زنيرة الرومية ، كانت من السابقات فى الإسلام فعذبها المشركون على إسلامها فاحتملت عذابهم بصبر ورباطة جأش ولم تصبأ عن دينها ثم اشتراها أبو بكر الصديق فأعتقها .
(أعلام النساء) : ٣٩/٢ .

يخلى عنها ، ثم يثب على زنيرة ، فيفعل بها مثل ذلك ، [قال : وكان أبو جهل يقول :] لا تعجبون لهؤلاء وإتباعهم محمداً ، فلو كان أمر محمدخيراً وحقاً ، ما سبقونا إليه ، أفتسبقنا زنيرة إلى رشد وهى كما ترون ؟ وكانت زنيرة قد عميت ، فقال لها أبو جهل : إن اللات والعزى ، فعلتا بك ما ترين ، فقالت هى ، ولا تبصره : وما يدرى اللات والعزى من يعبدهما ممن لا يعبدهما ، ولكن هذا أمر من السماء ، وربى قادر على أن يرد على بصرى ، فأصبحت من تلك الليلة ، وقد ردّ الله عليها بصرها ، فقالت قريش : هذا من سحر محمد ، فاشترى أبو بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه جارية بنى المؤمل ، وزنيرة وأعتقهما ، ويقال : أن زنيره لبنى مخزوم ، وكان أبو جهل يعذبها .

وكانت النهدية مولدة لبنى نهد بن زيد فصارت لامرأة من بنى عبد الدار وأسلمت ، فكانت تعذبها وتقول : والله لا أقلعت عنك أو يعتقك بعض صباتك ، فأتاها أبو بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه فأعتقها ، وكان معها طحين ، ويقال : نوى لمولاتها يوم أعتقها ، فردته عليها .

وكانت أم عُبيس[1] بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، أمة لبنى زهرة ، وكان الأسود بن عبد يغوث يعذبها ، فابتاعها أبو بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه فأعتقها .

---

(١) أم عُبيس : هى أحد من كان يعذبه المشركون ممن سبق إلى الإسلام . قال أبو بشر الدولابى عن الشعبى : أسلمت وهى زوج كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، ولدت له عبيساً فكنيت به .

وروى يونس بن بكير فى (زيادات المغازى) لابن إسحاق ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه – أن أبا بكر الصديق رضى الله تبارك وتعالى عنه ، أعتق ممن يعذب فى الله سبعة ، وهم : بلال ، وعامر بن فهيرة ، وزنيرة ، وجارية ابنة المؤمل ، والنهدية ، وابنتها، وأم عبيس .

وأخرج محمد بن عثمان بن أبى شيبة فى تاريخة ، عن منجاب بن الحارث ، عن إبراهيم بن يوسف بن زياد البكائى ، عن ابن إسحاق ، عن حُميد ، عن أنس : قال : قالت أم هانىء بنت أبى طالب : أعتق أبو بكر بلالاً ، وأعتق معه ستة ، منهم أم عبيس .

وأخرجه أبو نعيم ، وأبو موسى ، من طريقه . وقال الزبير بن بكار : كانت فتاة لبنى تيم بن مرة ، فأسلمت أول الإسلام ، وكانت ممن استضعفه المشركون يعذبونها ، فاشتراها أبو بكر فأعتقها ، وكنيت بابنها عبيس بن كريز .

قال الواقدى عن ابن أبى حبيبة ، عن داود بن الحصين ، عن أبى غطفان ، عن ابن عباس رضى الله تبارك وتعالى [عنهما] أنه قال له : هل كان المشركون يبلغون من المسلمين من العذاب ما يعذرون به من ترك دينهم ؟ قال : نعم ، إن كانوا ليضربون أحدهم ، ويجيعونه ويعطشونه ، ويضربونه حتى ما يقدر أن يقعد ، فيعطهم ما سألوه من الفتنه ، ويقولون له : اللات والعزى إلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم ، حتى إن الجعل ليمر ، فيقولون : إنْ هذا الجعل إلا إلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم ، افتداءً منهم بما يبذلون من جهده ، فإذا أفاق رجع إلى التوحيد .

وقال الكلبي : عذب قوم لا عشائر لهم ولا مانع منهم ، فبعضهم ارتد ، وبعضهم أقام على الإسلام ، وبعضهم أعطى ما أريد منهم من غير اعتقاد منه للكفر ، وكان قوم من الأشراف قد أسلموا ، ثم فتنوا ، منهم سلمة بن هشام بن المغيرة ، والوليد بن الوليد بن المغيرة ، وعياش بن أبى ربيعة ، وهشام بن العاص السهمى .

قالوا : وكان رسول الله ﷺ إذا جلس فى المسجد ، جلس إليه المستضعفون من أصحابه : عمار ، وخباب ، وصهيب ، وبلال ، وأبو فكيهة ، وعامر بن فهيرة ، وأشباهم من المسلمين ، فيقول بعض قريش لبعض [ما هو] ولا جلساؤه كما ترون قد من الله عليهم من بيننا ، فأنزل الله [عز وجل] : **﴿أليس الله بأعلم بالشاكرين﴾**[1] ونزل فيهم : **﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ فتطردهم فتكون من الظالمين﴾**[2] ونزل فيهم: **﴿ والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا لنبوأنهم فى الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون * الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون﴾**[3] ونزل

(١) الأنعام : ٥٣ .

(٢) الأنعام : ٥٢ .

(٣) النحل : ٤٢ .

فيهم : ﴿ **ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم** ﴾[1] وكان مجاهد يقول : يعنى الذين تكلموا بما تكلموا به وهم مكرهون .

قال [الواقدى] : عن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه قال : كان أبو جهل يأتى الرجل الشريف إذا أسلم ، فيقول له : أتترك دين أبيك وتقيل رأيه ، وتضع شرفه ؟ وإن كان تاجراً قال له : ستكسد تجارتك ، ويهلك مالك ، وإن كان ضعيفاً أغرى به حتى يعذب ، فأذن رسول الله ﷺ لأصحابه فهاجروا إلى الحبشة .

وأما المهاجرون إلى الحبشة[2]

فإنه خرجت طائفة أولى ، ثم خرجت طائفة بعدها ، فكانت الأولى اثنى عشر رجلاً وأربع نسوة ، وقيل : أحد عشر وامرأتان ، وقيل : كانوا عشر رجال وأربع نسوة ، وأميرهم عثمان بن مظعون ، وأنكر الزهرى ذلك وقال : لم يكن لهم أمير .

قال قتادة : أول من هاجر إلى الله بأهله عثمان بن عفان رضى الله تبارك وتعالى عنه[3] .

---

(١) النحل : ١١٠ .

(٢) قال ابن إسحاق : فلما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء ، وما هو فيه من العافية ، بمكانه من الله ومن عمه أبى طالب ، وأنه لا يقدر أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء ، قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن ملكاً لا يظلم عنده أحدٌ ، وهى أرض صدقٍ ، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم ، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة ، مخافة الفتنة ، وفراراً إلى الله بدينهم ، فكانت أول هجرة كانت فى الإسلام .

أوائل المهاجرين إلى الحبشة : وكان أول من خرج من المسلمين من بنى أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصىّ بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر : عثمان بن عفان ابن أبى العاص بن أمية ، معه امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ . =

قال : سمعت النضر بن أنس يقول : سمعت أبا حمزة - يعني أنساً رضى الله تبارك وتعالى عنه ، يقول : خرج عثمان بن عفان ، ومعه رقية بنت رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشه ، فأبطأ على رسول الله ﷺ خبرهم ، فقدمت أمرأة من قريش فقالت : يا محمد ! قد رأيت ختنك ومعه امرأته ، قال : على أى حال رأيتنهما ؟ قالت : رأيته قد حمل امرأته على حمار من هذه الدبابة وهو يسوقها ، فقال رسول الله ﷺ : صحبهم الله ، إن عثمان أول من هاجر بأهله بعد لوط . وذكر الواقدى أن الهجرة الثانية إلى الحبشة كانت سنة خمس من المبعث .

وخرج أبو داود الطيالسى ، عن خديج بن معاوية ، عن أبى إسحاق أن عن عبد الله بن عتبة ، عن عبد الله بن مسعود رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشى[1] ونحن ثمانون رجلاً ، معنا جعفر بن أبى طالب ، وعثمان بن عفان ، فذكره .

= (٣) راجع التعليق السابق .

(١) اسم لكل ملك يلى الحبشة ، كما أن كسرى اسم لمن ملك الفرس ، وخاقان اسم لملك الترك كائناً من كان ، وبطليموس اسم لمن ملك اليونان . واسم هذا النجاشى أصحمة بن أبحر، وتفسيره :عطية .

وأما من أسلم قبل الفتح

فقد قال تعالى :﴿ لا يستوى منكم من أنفقَ من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير ﴾(١) .

---

(١) الحديد : ١٠ ، قوله تعالى : ﴿ لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ﴾ أى لا يستوى هذا ومن لم يفعل كفعله وذلك أن قبل فتح مكة كان الحال شديداً فلم يكن يؤمن حينئذ إلا الصديقون وأما بعد الفتح فإنه ظهر الإسلام ظهوراً عظيماً ودخل الناس فى دين الله أفواجاً ، ولهذا قال تعالى : ﴿ أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً الله الحسنى ﴾ والجمهور على أن المراد بالفتح ههنا فتح مكة ، وعن الشعبى وغيره أن المراد بالفتح ههنا صلح الحديبية ، وقد يستدل لهذا القول بما قال الإمام أحمد : حدثنا أحمد بن عبد الملك حدثنا زهير حدثنا حميد الطويل عن أنس قال : كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام ، فقال خالد لعبد الرحمن تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها فبلغنا أن ذلك ذكر للنبى ﷺ فقال : " دعوا لى أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أنفقتم مثل أحد أو مثل الجبال ذهباً ما بلغتم أعمالهم " ومعلوم أن إسلام خالد بن الوليد المواجه بهذا الخطاب كان بين صلح الحديبية وفتح مكة وكانت هذه أعمالهم " وكانت هذه المشاجرة بينهما فى بنى جذيمة الذين بعث إليهم رسول الله ﷺ خالد بن الوليد بعد الفتح فجعلوا يقولون صبأنا صبأنا فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فأمر خالد بقتلهم وقتل من أسر منهم فخالفه عبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن عمر وغيرهما فاختصمهم خالد وعبد الرحمن بسبب ذلك .

والذى فى الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال " لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه " وروى بن جرير وابن أبى حاتم من حديث ابن وهب أخبرنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى خرجنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية حتى إذا كنا بعسفان قال رسول الله ﷺ : يوشك أن يأتى قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم فقلنا : من هم يارسول الله أقريش ؟ قال : لا ، ولكن أهل اليمن أرق أفئدة وألين قلوباً ، فقلنا أهم خير منا يا رسول الله ؟ قال : لوكان لأحدهم جبل من ذهب فأنفقه ما أدرك مد أحدكم ولا نصيفه ، إلا أن هذه الآية فضلت ما بيننا وبين =

وخرج البخارى[1]ومسلم[2]، من حديث شعبة عن الأعمش ، سمعت ذكوان يحدث عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تبارك وتعالى عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : لا تسبوا أصحابى فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه . ذكره البخارى فى مناقب أبى بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه .

وذكره مسلم[3] فى آخر المناقب من طريق الأعمش ، عن أبى صالح عن أبى سعيد قال : كان بين خالد بن الوليد ، وبين عبد الرحمن بن عوف

= الناس : ﴿ **لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير** ﴾ .

وهذا الحديث غريب بهذا السياق والذى فى الصحيحين من رواية جماعة عن عطاء ابن يسار عن أبى سعيد وقد ذكر الخوارج : تحقرون صلاتكم مع صلاتهم ، وصيامكم مع صيامهم ، يرمقون من الدين كما يمرق السهم من الرّميّة ، والحديث الذى فى الصحيح : المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير ، وإنما نبه بهذا لئلا يهدر جانب آخر لمدح الأول دون الآخر ، فيتوهم متوهم ذمه ، فلهذا عطف بمدح الآخر والثناء عليه مع تفضيل الأول عليه ، لهذا قال : ﴿ **والله بما تعملون خبير** ﴾ أى فلخبرته فاوت بين ثواب من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، ومن فعل ذلك بعد ذلك ، وما ذاك إلا لعلمه بقصد الأول وإخلاصه التام ، وإنفاقه فى حال الجهد والقلة والضيق . (تفسير ابن كثير) ٤ / ٣٢٨ - ٣٢٩ مختصراً.

(١) رواه البخارى فى فضائل أصحاب النبى ﷺ ، باب قول النبى ﷺ : لو كنت متخذاً خليلاً . ومسلم فى فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة رضى الله تبارك وتعالى عنهم حديث رقم (٢٥٤١) وأبو داود فى السنة ، باب النهى عن سب أصحاب النبى ﷺ ، حديث رقم (٤٦٥٨) والترمذى فى المناقب ، باب فيمن سب أصحاب النبى ﷺ ، حديث رقم (٣٨٦٠) ، والمدّ : ربع الصاع ، والنصيف نصف المد ، والتقدير : ما بلغ هذا القدر اليسير من فضلهم ولا نصفهم . (جامع الأصول) ٨/٥٥٢-٥٥٣ باب فى فضائل الصحابة رضى الله تبارك وتعالى عنهم ومناقبهم ، حديث رقم (٦٣٦١) ، و(٦٣٦٢) .

(٢) راجع التعليق السابق .

(٣) راجع التعليق السابق .

شـــىء ، فسبه خالد ، فقال رسول الله ﷺ : لا تسبوا أحداً من أصحابى فإن أحدكم لو أنفق مثل أجد ذهباً ، ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه .

وخرج مسلم [1] مـن حديث أبـى مـعاوية ، عـن الأعمش ، عـن أبـى صالح ، عن أبى هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : قـال رسـول الله ﷺ : لا تسبوا أصحـابى ، فوالـذى نفسـى بيـده لـو أن أحدكم أنفق مثـل أحـد ذهباً ، ما أدرك مُدّ أحدهم ولا نصيفه .

كذا وقـع فـى كتـاب مسلم فـى هذا الحديث ، عـن أبـى معاويـة عـن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، ولعله وَهَم مـن مسلم ، أو ممـن كتب عنه وإنما الحديث عن أبى سعيد الخدرى ، وهكذا هو فـى مسند ابـن أبـى شيبة ، وفى كتاب الترمذى وغيرهما ، ويدل على الوَهَم فى ذلك قول مسلم بعد ما أورده من رواية وكيع ، ومعاذ ، وشعبه عن الأعمش ، بإسناد جرير وأبـى معاوية ، [و] إنما تدل هذه الإحاله على أمر متفق ، لا مختلف .

وخرجـه أبو داود[2] الـترمذى[3] ، مـن حـديث أبـى مـعاوية ، عـن الأعـمش ، عن أبى صالح ، عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : لا تسبوا أصحابى ، فوالذى نفسى بيده ، لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ، ما أدرك مـد أحدهم ولا نصيفه ، وقـال الـترمذى : هـذا حديـث حسـن صحيـح ، ومعنـى قوله : نصيفه ، يعنى نصف المد .

وقال أبو بكر محمد بن أبى نصر الحميدى فى كتابه ، بعد ذكره حديث الأعمش : رواه أبـو بكـر البرقـانى فـى كتابـه (المخـرج علـى الصحيـح) ، من حديث أبى بكر بن عياش عن الأعمش ، وفيه : لا تسـبوا أصحابى ، دعوا لـى أصحابى ، فإن أحدكم لو أنفق كل يوم مثل أحد ذهباً لم يبلغ مدّ أحدهم ، قال أبو بكر البرقانى : قوله : كل يوم ، حسن مليح .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) سبق تخريجه .

وقال سعيد بن منصور المكى فى كتابه (الزهد) : حدثنى سفيان عن زيد ابن أسلم قال : قال رسول الله ﷺ : يأتى قوم من ها هنا - وأشار بيده نحو اليمين - تحتقرون أعمالكم عند أعمالهم ، قالوا : فنحن خير أم هم ؟ قال : بل أنتم ، لو أنفق أحدهم مثل أحد ذهبا ، ما أدرك مد أحدكم ولا نصيفه ، فضلت هذه الآية بيننا وبين الناس : **﴿ لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا [وكلاً وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير] ﴾** . حديث مرسل .

وقال أبو عمر بن عبد البرّ : فضّل رسول الله ﷺ جماعة من أصحابه بفضائل ، وسمهم بها ، وذكرهم فيها ، ولم يأت عنه أنه فضّل منهم واحدً على صاحبه بعينه من وجه يصح ، ولكنه ذكر من فضائلهم ، ما يستدل به على مواضعهم ومنازلهم من الفضل ، والدين ، [و] العلم .

وكان ﷺ أحلم وأكرم معاشرة ، وأعلم بمحاسن الأخلاق ، من أن يواجه فاضلا منهم ، بأن غيره أفضل منه ، فيجد من ذلك فى نفسه ، بل فضل السابقين منهم ، وأهل الاختصاص به ، على من لم ينل منازلهم ، فقال لهم : لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ، ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه ، وهذا معنى قول الله تعالى: **﴿ لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ﴾** ومحال أن يستوى من قاتله ﷺ ، مع من قاتل عنه .

وقال رسول الله ﷺ ، لبعض من لم يشهد بدراً وقد رآه يمشى بين يدى أبى بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه : تمشى بين يدى من هو خير منك ؟ ! لأنه كان أعلمهما ، ذلك فى الجملة ، لمن شهد بدراً والحديبية ، ولكل طبقة منهم منزلة معروفة ، وحال موصوفة ، رضى الله تبارك وتعالى عنهم .

وأما الذين شهدوا بدراً وبيعة الرضوان[1]
تحت الشجرة بالحديبية

فخرج الإمام أحمد من حديث هشام ، عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة قال : كان عدة أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر ، أو أربعة عشر ، أحد العددين .

ومن حديث سفيان قال : حدثنا أبو إسحاق ، حدثنا البراء بن عازب قال : كنا - يعنى أصحاب رسول الله ﷺ - نتحدث أن عدة أهل بدر ثلاثمائة وبضعة عشر ، كعدد أصحاب طالوت الذين جازوا ، وما جاز معه النهر إلا مؤمن .

---

(١) **سبب البيعة ونصها** : قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أن رسول الله ﷺ ، قال : حين بلغه أن عثمان قد قُتل : لا نبرح حتى نناجز القوم ، فدعا رسول الله ﷺ الناس يقولون : بايعهم رسول الله ﷺ على الموت ، وكان جابر بن عبد الله يقول : إن رسول الله ﷺ لم يبايعنا على الموت ، ولكن بايعنا على أن لا نفر .

فبايع رسول الله ﷺ الناس ، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها ، إلا الجد ابن قيس ، أخو بنى سلمة ، فكان جابر بن عبد الله رضى الله تبارك وتعالى عنه يقول : والله لكأنى أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقته . قد خبأ إليها ، يستتر بها من الناس ثم أتى رسول ﷺ أن الذى ذكر من أمر عثمان باطل .

قال ابن هشام : فذكر وكيع عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن الشعبى : أن أول من بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان : أبو سنان الأسدى .

قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به عمن حدثه بإسناد له ، عن ابن أبى مليكة عن ابن أبى عمر : أن رسول الله ﷺ بايع لعثمان ، فضرب بإحدى يديه على الأخرى .

ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو أخا بنى عامر بن لؤىّ ، إلى رسول الله وقالوا له : ائت محمداً فصالحه ، ولا يكن فى صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله لا تحدث العرب عنا أنه دخلها علينا عنوة أبداً . فأتاه سهيل بن عمرو ، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً ، قال : قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل ، فلما انتهى سهيل بن عمرو إلى رسول الله ﷺ ، تكلم فأطال الكلام ، وتراجعا ، ثم تم بينهم الصلح .

وقال ابن إسحاق[1] : جميع من شهد بدراً من المسلمين ، من المهاجرين والأنصار ، ثلاثمائة رجل ، وأربعة عشر رجلاً : من المهاجرين ثلاثة وثمانون ، ومن الأوس أحد وستون ، ومن الخزرج مائة وسبعون .

وقال ابن جريج : أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : كنا بالحديبية أربعة عشر مائة .... الحديث .

وقال قتادة : قلت لسعيد بن المسيب : كم كانوا الذين شهدوا بيعة الرضوان ، قال : أربع عشر مائة ، قال : رحم الله جابراً ، هو حدثني أنهم كانوا خمس عشرة مائة .

ولأحمد بن حنبل[2] من حديث سفيان ، عن عمرو قال : سمعت جابر ابن عبد الله يقول : كنا يوم الحديبية أنا وأربع عشر مائة ، فقال [لنا] رسول الله ﷺ أنتم اليوم خير أهل الأرض .

وقال معقل بن يسار ، وعبد الله بن أبي أوفى - وكانا ممن شهد البيعه تحت الشجرة - كانوا ألفا [وأربعمائة] .

وخرج البخاري[3] في آخر الجهاد من حديث هيثم ، أنبأنا حصين ، عن سعد بن عبيدة ، عن أبي عبد الرحمن - وكان عثمانياً فقال لابن عطيه - وكان

---

(۱) (سيرة ابن هشام) : ۲/ ۲٦۱ ، عدد من شهد بدراً من المهاجرين والأنصار .

وقال القسطلاني : وكان عدة من خرج معه ﷺ ثلاثمائة وخمسة ، وثمانية لم يحضروها ، وإنما ضرب لهم بسهمهم وأجرهم ، فكانوا كمن حضرها ، وهم : عثمان ابن عفان ، تخلف بسبب مرض زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعيد ابن زيد ، كانا في مهمة استطلاعية تتعلق بالعير ، وأبو لبابة استخلفه ﷺ على المدينة ، وعاصم بن عدى على أهل العالية ، والحارث بن حاطب على بني عمرو ابن عوف ، والحارث بن الصمة وقع أثناء الطريق فرد ، وخوات بن جبير أصابه حجر في ساقه فرد من الصفراء . (المواهب اللدنية) : ۱ / ۳٤۹ .

(۲) (مسند أحمد) : ٤ / ۲٤٤ ، حديث رقم (۱۳۹۰۱) ، (۱٤٤۰۹) ، كلاهما من مسند جابر بن عبد الله ، رضى الله تبارك وتعالى عنه .

علويا - : إنى لا أعلم ما الذى جرأ صاحبك على الدماء ، سمعته يقول : بعثنى رسول الله ﷺ والزبير فقال : ائتوا روضة كذا ، وتجدون بها امرأه أعطاها حاطب كتاباً ، فأتينا الروضة فقلنا : الكتاب ؟ فقالت : لم يعطنى ، قلنا لتخرجنه أو لأجردنك ، فأخرجت من حجزتها ، فأرسل الى حاطب فقال : لا تعجل ، والله ما كفرت ، ولا ازددت للإسلام إلا حباً ، ولم يكن أحد من أصحابك إلا وله بمكة من يدفع الله به عن أهله وماله ، ولم يكن لى أحد ، فأحببت أن أتخذ عندهم يداً . فصدقه رسول الله ﷺ ، فقال عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه : دعنى أضرب عنقه ، فإنه قد نافق ، فقال : وما يدريك لعل الله أطلع على أهل بدر فقال : اعلموا ما شئتم ، فقد غفرت لكم ، فهذا الذى جرّأه .

= (٣) (فتح البارى) : ٦ / ٢٣٤ ، كتاب الجهاد والسير ، باب (١٩٥) إذا اضطر الرجل إلى النظر فى شعور أهل الذمة ، والمؤمنات إذا عصين الله ، وتجريدهن ، حديث رقم (٣٠٨١) .

قوله : " باب إذا اضطر الرجل إلى النظر فى شعور أهل الذمة ، والمؤمنات إذا عصين الله ، وتجريدهن " أورد فيه حديث فى قصة المرأة التى كتب معها حاطب إلى أهل مكة ، ومناسبته للترجمة ظاهرة فى رؤية الشعر ، من قوله فى الرواية الأخرى " فأخرجته من عقاصها " وهي ذوائبها المضفورة ، وفي التجريد من قول علي " لأجردنك " وقد تقدم ف " باب الجاسوس " من وجه آخر عن على ، ويأتى شرحه فى تفسير سورة الممتحنة . وقوله فى الإسناد " عن أبي عبد الرحمن " هو السلمي .

وقوله " وكان عثمانياً " أى يقدم عثمان على عليَ فى الفضل ، وقوله " فقال لابن عطية" هو حبان بكسر المهملة وبالموحدة .

وقوله " وكان علوياً " أي يقدم علياً فى الفضل على عثمان وهو مذهب مشهور لجماعة من أهل السنة بالكوفة . قال ابن الأثير : ليس فى الحديث بيان هل كانت المرأة مسلمة أو ذمية ، لكن لما استوى حكمها فى تحريم النظر لغير حاجة شملهما الدليل . وقال ابن التين : إن كانت مشركة لم توافق الترجمة ، وأجيب بأنها كانت ذات عهد فحكمها حكم أهل الذمة .

وخرجه[1] فى كتاب استتابه المرتدين بأبسط من هذا ، لفظه : فقال أبـو عبد الرحمن لحبان : لقـد علمـت مـا الـذى جـرأ صـاحبك علـى الدمـاء - يعنـي

---

(١) (فتح البارى) : ١٢ / ٣٧٥ ، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم ، باب (٩) ما جاء فـى المتأولين ، حديث رقم (٦٩٣٩) .

وفى هذا الحديث من الفوائد غير ما تقدم أن المؤمن ولو بلغ بالصلاح أن يقطع له بالجنة لا يعصم من الوقوع فى الذنب لأن حاطباً دخل فيمن أوجب الله لهم الجنة ووقع منه ما وقع .

وفيه تعقب علـى مـن تأول أن المراد بقوله : " اعملوا ما شئتم أنهم حفظوا من الوقـوع فـى شئ من الذنوب .

وفيه الرد على من كفر مسلماً بارتكاب الذنب ، وعلى من جزم بتخليده فـى النـار ، وعلـى من قطع بأنه لا بد وأن يعذب .

وفيه من وقع منه الخطأ لا ينبغى له أن يجحده بل يعترف ويعتذر لئـلا يجمـع بيـن ذنبيـن .

وفيه جواز التشديد فى استخلاص الحق والتهديد بما لا يفعله المهـدد تخويفـاً لمـن يستخـرج منـه الحق .

وفيه هتك ستر الجاسوس ، وقد استدل به من يرى قتله من المالكيـة لاستئذان عمر فى قتله ولم يردّه النبى ﷺ عن ذلك إلا لكونه من أهل بدر ، ومنهـم مـن قـيده بـأن يتكـرر ذلـك منـه ، والمعروف عن مالك يجتهد فيه الإمام ، وقد نقل الطحاوى الإجماع على أن الجاسوس المسلم لا يباح دمه وقال الشافعية والأكثر : يعزر ، وإن كان من أهل الهيئات يعفى عنه .

وفيه العفو عن زلة ذوى الهيئة . وأجاب الطبرى عـن قصـة حـاطب واحتجـاج مـن احتـج بأنه إنما صفح عنه لما أطلعه الله عليه من صدقه فى اعتذاره فلا يكون غيره كذلك .

قال القرطبى وهو ظن خطأ لأن أحكام الله فى عباده إنما تجرى على ما ظهر منهـم ، وقـد أخبر الله تعالى نبيه عن المنافقين الذين كانوا بحضرته ولـم يبـح لـه قتلهم مـع ذلـك لإظهـارهم الإسلام ، وكذلك الحكم فى كل من أظهر الإسلام تجرى عليه أحكام الإسلام .

وفيه من أعلام النبوة اطلاع الله نبيه على قصة حاطب مع المرأة كما تقدم بيانـه مـن الروايـات فى ذلك .

وفيه إشارة الكبير على الإمام بما يظـهر له من الرأى العائد نفعه على المسلمين ويتخـير الإمـام فى ذلك . وفيه جواز العفو عن العاصى .

=

علياً - قال : ما هو لا أباً لك ؟ قال : شئ سمعته يقول ، قال : ما هو ؟ قال : بعثنه رسول الله ﷺ والزبير وأبا مرثد - وكلنا فارس - قال : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ - قال أبو سلمة : هكذا قال أبو عوانة خاخ - فإن امرأة معها صحيفة من حاطب بن أبى بلتعة إلى المشركين فأتوني بها . فانطلقنا على أفراسنا حتى أدركناها حيث قال لنا رسول الله ﷺ تسير على بعيرلها ، وكان إلى أهل مكة بمسير رسول الله ﷺ إليهم . فقلنا : أين الكتاب الذى معك ؟ قالت : ما معى كتاب . فأنخنا بها بعيرها ، فابتغينا فى رحلها فما وجدنا شيئاً . فقال صاحباى مانرى معها كتاباً ، قال فقلت : لقد علمنا ما كذب رسول الله ﷺ . ثم حلف على : والذى يحلف به لتخرجن الكتاب أو لأجردنك . فأهوت إلى حجزتها - وهى محتجزة بكساء فأخرجت الصحيفة ، فأتوا بها رسول الله ﷺ فقال عمر : يا رسول الله ، قد خان الله ورسوله والمؤمنين ، دعني فأضرب عنقه . فقال رسول الله ﷺ يا حاطب ما حملك على ما صنعت ؟ قال : يا رسول الله ، وما لي أن لاأكون مؤمناً بالله ورسوله ، ولكنى أردت أن يكون لي عند القوم يد يدفع بها أهلى ومالى ، وليس

= وفيه أن العاصى لا حرمة له وقد أجمعوا على أن الأجنبية يحرم النظر إليها مؤمنة كانت أو كافرة ولولا أنها لعصيانها سقطت حرمتها ما هددها علىّ بتجريدها . قاله ابن بطال .

وفيه جواز غفران جميع الذنوب الجائزة الوقوع عمن شاء الله خلافاً لمن أبى ذلك من أهل البدع ، وقد استشكلت إقامة الحد على مسطح بقذف عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها كما تقدم مع أنه من أهل بدر فلم يسامح بما ارتكبه من الكبيرة وسومح حاطب ، وعلل بكونه من أهل بدر ، والجواب ما تقدم فى " باب فضل من شهد بدراً " أن محل العفو عن البدري فى الأمور التي لا حد فيها .

وفيه جواز غفران ما تأخر من الذنوب ويدل على ذلك الدعاء به فى عدة أخبار .

وفيه تأدب عمر ، وأنه لا ينبغى إقامة الحد والتأديب بحضرة الإمام إلا بعد استئذانه

وفيه منقبه لعمر ولأهل بدر كلهم .

وفيه البكاء عند السرور ويحتمل أن يكون عمر بكى حينئذ لما لحقه من الخشوع والندم على ما قاله فى حق حاطب .

من أصحابك أحد إلا له هنالك من قومه من يدفع الله به عن أهله وماله . قال : صدق ، لا تقولوا له إلا خيراً . قال فعاد عمر فقال : يا رسول الله ، قد خان الله ورسوله والمؤمنين ، دعني فلأضرب عنقه قال : أو ليس من أهل بدر ؟ وما يدريك لعل الله اطلع عليهم فقال : اعملوا ما شئتم فقد أوجبت لكن الجنة ، فاغرورقت عيناه فقال : ورسوله أعلم ، وهو مما اتفقا على إخراجه .

ولمسلم[1] من حديث الليث عن أبي الزبير ، عن جابر ، أن عبدا لحاطب جاء رسول الله ﷺ [يشكو] حاطبا ، فقال : يا رسول الله ! ليدخلن حاطب النار ، فقال رسول الله ﷺ : كذبت ، لا يدخلها ، فإنه شهد بدراً والحديبية .

وخرجه النسائي أيضاً ، ولمسلم[2] من حديث ابن جريج ، أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله رضي الله تبارك وتعالى عنهما يقول :

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ١٦ / ٢٩٠ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب (٣٦) من فضائل أهل بدر ، رضي الله تبارك وتعالى عنهم ، وقصة حاطب بن أبي بلتعة ، حديث رقم (١٦٢). وفيه فضيلة أهل بدر ، والحديبية ، وفضيلة حاطب لكونه منهم .

وفيه أن لفظة الكذب هي الإخبار عن الشئ على خلاف ما هو ، عمداً كان أوسهواً ، كان الإخبار عن ماض ، أو مستقبل ، وخصته المعتزلة بالعمد ، وهذا يرد عليهم ، وسبقت المسألة في كتاب الإيمان ، وقال بعض أهل اللغة : لا يستعمل الكذب إلا في الإخبار عن الماضي ، بخلاف ما هو مستقبل ، وهذا الحديث يرد عليهم ، والله تبارك وتعالى أعلم .(شرح النووي) .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ١٦ / ٢٩٠ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب (٣٧) من فضائل أصحاب الشجرة ، أهل بيعة الرضوان رضي الله تبارك وتعالى عنهم ، حديث رقم (١٦٣) .

قوله ﷺ : لايدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها " ، وقال العلماء : معناه لايدخلها أحد منهم قطعاً ، كما صرح به في الحديث الذي قبله - حديث حاطب - وإنما قال : إن شاء الله للتبرك ، لاللشك ، وأما قول حفصة : بلى ، وانتهار النبي ﷺ لها فقالت : ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ فقال النبي ﷺ : وقد قال تعالى : ﴿ ثم ننجي=

أخبرتنى أم مبشر ، أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول عن حفصة : لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد ، الذين بايعوا تحتها ، قالت : بلى يا رسول الله ! فانتهرها ، فقالت حفصة : **﴿ وإن منكم إلا واردها [كان على ربك حتماً مقضياً﴾**[1] ، فقال النبى ﷺ : قد قال الله عز وجل : **﴿ ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً ﴾**[2] ، وخرجه[3] أبو بكر بن أبى شيبة والترمذى[4] بمعناه .

[وقال أبو بكر بن أبى شيبة[5] : حدثنا وكيع ، حدثنا إسماعيل بن أبى خالد عن الشعبى قال : أول من بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان ، أبو سنان الأسدى] .

= **الذين اتقوا ﴾** ، فيه دليل للمناظرة والاعتراض ، والجواب على وجه الاسترشاد وهو مقصود حفصة ، لا أنها أرادت رد مقالته ﷺ .

والصحيح أن المراد بالورود فى الآيه : المرور على الصراط وهو جسر منصوب على جهنم ، فيقع فيها أهلها وينجو الآخرون . (شرح النووى) .

(١) مريم : ٧١ .

(٢) مريم : ٧٢ .

(٣) (مصنف ابن أبى شيبة) : ٦ / ٤٠٠ - ٤٠١ ، كتاب الفضائل ، باب (٥١) ما جاء فى أهل بدر من الفضل ، حديث رقم (٣٢٣٣٥) ، (٣٢٣٣٦) ، (٣٢٣٣٧) ، (٣٢٣٣٨) .

(٤) (سنن الترمذى) : ٦٥٢/٥ ، كتاب المناقب ، باب (٥٨) فى فضل من بايع تحت الشجرة ، حديث رقم (٣٨٦٠) ، وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٥) (مصنف ابن أبى شيبة) : ٧ / ٢٥٠ ، كتاب الأوائل ، حديث رقم (٣٥٧٥٨) .

وأما رفقاءه النجباء

[فعلى(١) ، وأبناؤه(٢) ، جعفر ، أبو بكر(٣) ، عثمان(٤) ، عمر(٥) ، أبوذر(٦) ، المقداد(٧) ، وسلمان(٨) ، وحذيفة(٩) ، وعبد الله بن مسعود(١٠) ، وعمار بن ياسر ، وبلال رضى الله تبارك وتعالى عنهم .

---

(١) هو : على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، أبو الحسن القرشى ، الهاشمى ابن عم النبى ﷺ ، أمه فاطمة بنت أسد بن هشام ، مولده قبل البعثه بعشر سنين ، على الصحيح.

وفاتة : قتل فى ليلة السابع عشر من شهر رمضان سنة (٤٠) ، رابع الخلفاء الراشدين وزوج فاطمة بنت رسول الله ﷺ ووالد الحسن والحسين ، رضى الله تبارك وتعالى عنهم (أسماء الصحابة الرواة) : ٤٤ ، ترجمة رقم (١٠) ، (الإصابة) : ٢٦٩/٤ ، (تهذيب التهذيب) : ٣٣٤/٧ ، (الأعلام) : ٢٩٥/٤ .

(٢) هما الحسن والحسين وقد سبقت لهما ترجمة وافية فى أبناء بنات رسول الله ﷺ .

(٣) سبقت له ترجمة فى أصهار رسول الله ﷺ .

(٤) سبقت له ترجمة فى أصهار رسول الله ﷺ .

(٥) سبقت له ترجمة فى أصهار رسول الله ﷺ .

(٦) هو أبوذر جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن حرام بن سفار بن مليل بن ضمرة بن بكر ابن عبد مناف بن كنانة بن خزيمة الغفارى هاجر إلى رسول الله ﷺ وهو أول من حيّا رسول الله ﷺ تحية الإسلام . (تاريخ الصحابة) : ٦٠ ، ترجمة رقم (١٩٤) ، (الإصابة) : ٦٢/٤ ، (الثقات) : ٥٥/٣ ، (الطبقات ابن سعد) : ٢١٩/٤ .

(٧) هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة بن مطرود بن سعد بن بهراء ابن لؤى بن ثعلبة بن مالك بن الشريد بن أبى أهون بن فائش بن دريم بن القين بن أهود ابن بهراء ابن الحاف ، مات آخر سنة ثلاثة وثلاثين ، وحمل على رقاب الرجال إلى المدينة ، وصلى عليه عثمان بن عفان وكان له يوم مات نحو سبعين سنة ، وكان فارس رسول الله ﷺ يوم بدر. (الاستيعاب) : ٤ / ١٤٨٠ - ١٤٨٣ ، ترجمة رقم (٢٥٦١) .

=

= (٨) هو سلمان بن الإسلام وسلمان الخير وسلمان الفارسي ، أبو عبد الله ، مولى رسول الله ﷺ توفى سنة (٣٥) ، وكان قد سمع بأن رسول الله ﷺ سيبعث فخرج فى طلب ذلك ، فأسر وبيع بالمدينة فاشتغل بالرق ، حتى كان أول مشاهده الخندق ، وشهد فتوح العراق ، وولى المدائن ، وقال ابن عبد البر : يقال : إنه شهد بدراً ، وكان عالماً زاهداً ، وروى عنه أنس ، وكعب بن عجرة وغيرهم ، (الإصابة) : ٣/١٤١ ، (أسماء الصحابة الرواه) : ٧٤ ترجمة (٥٤) .

(٩) حذيفة بن اليمان ، يكنى أبا عبدالله ، واسم اليمان حسيل بن جابر ، واليمان لقب ، وهو حذيفة بن حِسْل بن جابر بن عمرو بن ربيعة بن جروة بن الحارث بن مازن بن قُطيعة ابن عبس العبسي القطيعى ، من بنى عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان ، حليف لبنى عبد الأشهل من الأنصار .

وأمه امرأة من الأنصار من الأوس من بنى عبد الأشهل ، واسمها الرباب بنت كعب بن عدى بن عبد الأشهل ، وإنما قيل لأبيه : حسيل اليمان ؛ لأنه من ولد اليمان جروة ابن الحارث ابن قطيعة بن عبس ، وكان جروة بن الحارث أيضاً يقال له : اليمان ، لأنه أصاب فى قومه دماً فهرب إلى المدينة ، فخالف بنى عبد الأشهل ، فسماه قومه اليمان ، لأنه حالف اليمانية .

شهد حذيفة وأبوه حسيل وأخوه صفوان أحداً ، وقَتَل أباه يومئذ بعض المسلمين وهو يحسبه من المشركين .

كان حذيفة من كبار اصحاب رسول الله ﷺ ، وهو الذى بعثه رسول الله ﷺ يوم الخندق ينظر إلى قريش ، فجاءه بخبر رحيلهم ، وكان عمر بن الخطب رضى الله تبارك وتعالى عنه يسأله عن المنافقين ، وهو معروف فى الصحابة بصاحب سر رسول الله ﷺ ، وكان عمر ينظر إليه عند موت من مات منهم ، فإن لم يشهد جنازته حذيفة لم يشهدها عمر ، وكان حذيفة يقول : خيرنى رسول الله ﷺ بين الهجرة والنصرة . فاخترت النصرة ، وهو حليف للأنصار لبنى عبد الأشهل . وشهد حذيفة نهاوند فلما ، قتل العنمان بن مقرن أخذ الراية ، وكان فتح همذان والرى والدينور على يد حذيفة ، وكانت فتوحه كلها سنة اثنتين وعشرين .

ومات حذيفة سنة ست وثلاثين بعد قتل عثمان فى أول خلافة على رضى الله تبارك وتعالى عنهم ، وقيل : توفى سنة خمس وثلاثين ، والأول أصح ، وكان موته بعد أن أتى نعى عثمان إلى الكوفة ولم يدرك الجمل .

وقتل صفوان وسعيد ابنا حذيفة بصفين ، وكانا قد بايعا علياً بوصية أبيهما اياهما بذلك . =

وأما أهل الفُتْيا من أصحابه
رضى الله تبارك وتعالى عنهم

[قال ابن سيده : أفتاه فى الأمر ، أبانه له والفتيا ، والفتوى : ما أفتى به الفقيه] .

روى : عكرمة بن خالد ، عن عبد الله بن عمر رضى الله تبارك وتعالى [عنهما] ، أنه سئل عن من كان يفتى زمن رسول الله ﷺ ؟ فقال : أبو بكر وعمر ، رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، لا أعلم غيرهما .

وقال القاسم بن محمد : كان أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، يفتون على عهد رسول الله ﷺ .

وروى موسى بن ميسرة ، عن محمد بن سهيل بن أبى خيثمة ، عن أبيه قال : كان الذين يفتون على عهد رسول الله ﷺ ، ثلاثة من المهاجرين ، عمر ، عثمان ، وعلى ، رضى الله تبارك وتعالى تعالى عنهم ، وثلاثة من الأنصار : أبى بن كعب(1) ، ومعاذ بن جبل(2) ، وزيد بن ثابت(3) ، رضى الله تعالى عنهم ، ذكره ابن [سعد فى (الطبقات)] .

= سئل حذيفة أى الفتن أشد ؟ قال : أن يعرض عليك الخير والشر فلا تدرى أيهما تركت .
وقال حذيفة : لا تقوم الساعة حتى يسود كل قبيلة منافقوها .

(١٠) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن سمع بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن الحارث بن تيم بن سعد بن هذيل أبو عبد الرحمن الهذلى ، حليف بنى زهرة ، توفى سنة (٣٢) ، وقيل: (٣٣) ، قال له رسول الله ﷺ فى أول الإسلام : إنك غلام معلم ، وقال هو : لقد رأيتنى سادس ستة وما على الأرض مسلم غيرنا ، وكان يقول أخذت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة . وهو أول من جهر بالقرآن بمكة ، (أسماء الصحابة الرواة): ٤٢ ، ترجمة (٨) ، (تاريخ الصحابة): ١٤٨ ، ترجمة (٧١٦) .

(١) هو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك النجار أبو المنذر أبو الطفيل ، سيد القراء ، سيد المسلمين، الأنصارى، النجارى، الخزرجى، المعاوى ، مات سنة =

[وذكر أبو محمد بن حزم أن كل من روى عنه ولو مسألة واحدة فأكثر من الصحابة رضى الله تبارك وتعالى عنهم ، لم يبلغوا مائة وأربعين ، منهم سبعة مكثرون ، وثلاثة عشر متوسطون ، وسائرهم مقلون جدا ، لا يجتمع من جميع فتياهم كلهم ، إلا جزء صغير ، لا يبلغ عشرة أوراق ، إلى عمر ، وعلى ، وعبد الله ، ومعاذ ، وأبى الدرداء ، وزيد بن ثابت ، فشاممت هؤلاء الستة ، فوجدت علمهم انتهى إلى علىّ ، وعبد الله] .

[وعن زهير بن معاوية ، أخبرنا جابر ، عن عامر قال : كان هؤلاء الأمة بعد نبيها ﷺ ستة : عمر ، وعبد الله ، وزيد بن ثابت ، فإذا قال عمر قولاً وقال هذان قولاً ، كان قولهما لقوله تبعا - وعلىّ ، وأبى بن كعب ، وأبو

= (٢٢) فى خلافة عمر ، وقيل بقى إلى خلافة عثمان ، كان من أصحاب العقبة الثانية وشهد بدراً والمشاهد ، قال له رسول الله ﷺ " إن الله قد أمرنى أن أقرأ عليك " وكان عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه يسميه سيد المسلمين وهو أول من كتب للنبى ﷺ ، (أسماء الصحابة الرواة) : ٤٥ ، ترجمة (٢٥) .

(٢) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدى بن كعب بن عمرو بن أدى بن على بن أسد بن ساردة ، ابو عبد الرحمن ، الخزرجى ، الأنصارى ، ثم الجشمى ، توفى فى طاعون عامواس سنة (١٨) ، وله (٣٨) سنة ، وقيل غير ذلك وهو صاحبى مشهور بالعلم من صحابة رسول الله ﷺ وروى عنه من الصحابة عمر وابنه عبد الله وأنس بن مالك وغيرهم ، (أسماء الصحابة الرواة) ٥٥ ، ترجمة (٢٧) ، (الإصابة) : ١٣٦/٦ ، (الاستيعاب) : ١٤٠٢/٣ ، (الثقات) : ٣٦٨/٣ .

(٣) هو زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصارى الخزرجى ، أبو سعيد ، استُصغر يوم بدر ، ويقال : أنه شهد أحداً ، وكانت معه راية بنى النجار يوم تبوك ، وكتب الوحى للنبى ﷺ وكان من علماء الصحابة وكان هو الذى قسم غنائم اليرموك ، وهو الذى جمع القرآن فى عهد أبى بكر ، ثبت ذلك فى الصحيح ، عن زيد بن ثابت قال : قال لى رسول الله ﷺ : إنى أكتب إلى قوم فأخاف أن يزيدوا علَىّ أو ينقصوا ، فتعلم السريانية فتعلمتها فى (١٧) يوم ، مات سنة (١٤٢) ، وقيل غير ذلك ، (الإصابة) : ٥٩٤/٢ .

موسى الأشعرى[1] ، فإذا قال علىّ قولاً ، وقال هذان قولاً ، كـان قولهمـا لقولـه تبعاً] .

[وعن مطرف[2] قال : حدثنى عامر عن مسروق ، قال : كان أصحاب الفتوى من أصحاب رسول الله ﷺ : عمر ، وعلى ، وابن مسعود ، وزيد ، وأبَيّ بن كعب ، وأبوموسى الأشعرى .]

[وعن عامر الشعبى[3] قال : قضاة هذه الأمة أربعة : عمر ، وعلى ، وزيد ، وأبو موسى الأشعرى ، ووصاة هذه الأمة أربعة : عمرو بن العاص[4] ، ومعاوية بن أبى سفيان[5] ، والمغيرة بن شعبة [6]، وزياد[7]] .

---

(١) هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حصار بن حرب بن عامر بن غنم بن بكر بن عامر بن عزب ابن وائل بن ناجية بن الجماهر بن الأشعر ، توفى سنة (٤٢أو ٤٤) ولـه (٦٣) ، هو صحابى مشهور كان حسن الصوت بـالقرآن ولـه روايـة ﷺ كثيرة (أسماء الصحابة الرواة) : ٤٦ ، ترجمة (١٣) ، (الإصابة) : ١١٩/٤ ، (الاستيعاب) : ١٧٦٢/٤ .(تجريد أسماء الصحابة) : ٢٠٦/٢ ، (الأنساب) ٢٦٦/١ ، (تهذيب التهذيب) : ٢٥١/١٢.

(٢) (مجمع الزوائد) : ٩ / ٣١٢ .

(٣) (المستدرك) : ٣ / ٥٢٧ ، كتاب معرفة الصحابة ، باب ذكر مناقب أبى موسى عبد الله بن قيس الأشعرى ، رضى الله تبارك وتعالى عنه ، حديث رقم (٥٩٥٩) ، ولفظه : أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد الأحمسى ، أخبرنا الحسين بن عبيد الله ، أخبرنا أبو غسان ، حدثنا عباد ، عن الشيبانى ، سمعت الشعبى يقول : القضاء فى ستة نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ، ثلاثة بالمدينة ، وثلاثة بالكوفة : فبالمدينة : عمر ، وأبَـيّ ، وزيد بن ثـابت ، وبالكوفـة : على ، وعبدالله ، وأبو موسى .

قال الشيبانى : فقلت للشعبى : أبو موسى يضاف إليهم ؟ قال : كان أحد الفقهاء . فحدثنيه أبو عبدالله محمد بن العباس بن أحمد . حذفه الذهبى من (التلخيص) .

وحديث رقم (٥٩٦٠) ولفظه : حدثنا مجالد بن سعيد ، عن الشعبى ، عن مسروق قال : انتهى علم أصحاب النبى ﷺ إلى هؤلاء النفر : عمر بن الخطاب ، وعلى بن أبى طالب ، وعبدالله بن مسعود ، وأبَىّ بن كعب ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبى الدرداء ، وأبى موسى الأشعرى .
=

[وعن زياد بن مينا ، كان ابن عباس[1] ، ابن عمر[2]، أبو سعيد الخدرى[3] ، أبو هريرة [4]، عبدالله بن عمرو بن العاص[5] ، جابر بن

= قال مسروق : القضاة أربعة : عمر ، وعلى ، وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الأشعرى ، رضى الله تبارك وتعالى عنهم . هذا الحديث سكت عنه الذهبى فى التلخيص .

(٤) ذكرناه باستفاضه سابقاً .

(٥) هو معاوية بن أبى سفيان صخر بن أمية بن عبد شمس ، روى عن رسول الله ﷺ وعن أبى بكر وعمر رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، ولاه عمر بن الخطاب الشام فأقره عثمان مدة ولايته ثم ولى الخلافة ، قال ابن أسد : كان أميراً عشرين سنة وخليفة عشرين سنة وقال يحيي ابن يكير عن الليث : توفى فى رجب سنة (٦٠) ، وقيل مات وله (٨٦) سنة على خلاف بين المؤرخين ، (تهذيب التهذيب) : ١٠/ ١٨٦ ، (الإصابة) : ١٥١/٦.

(٦) هو المغيرة بن شعبة بن أبى عامر بن مسعود بن معتب ، أبو عبد الله وقيل : أبو عيسى الثقفى ، توفى بالكوفة سنة (٥٠) ، قال ابن الأثير : أسلم عام الخندق وشهد الحديبية وله فى صلحها كلام مع عروة بن مسعود ، وكان موصوفاً بالدهاء ، (أسماء الصحابة الرواة) : ٥٨ ترجمة (٣١) ، (الإصابة) : ١٣١/٦ ، (الثقات) : ٣٨٢/٣ (الاستيعاب) : ١٤٤٥/٤ (تهذيب التهذيب) : ٢٦٢/١٠ .

(٧) لعله زياد بن حنظلة التيمى ، حليف بنى عدى ، قال أبو عمر: بعثه رسول الله ﷺ إلى الزبرقان ابن بدر ، وقيس بن عاصم ليتعاونا على قتل مسيلمة ، ثم عاش زياد إلى أن شهد مع علىّ مشاهده ، وذكر سيف فى (الفتوح) ، عن أبى الزهراء القشيرى ، عن رجال من بنى قشير قالوا : لما خرج هرقل من الرها كان أول من أنبح كلابها زياد بن حنظلة ، وكان من الصحابة ، (الإصابة) : ٥٨٣/٢ .

(١) سبقت له ترجمة وافيه .

(٢) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل بن غالب العدوى كنيته أبو عبد الرحمن عرض على رسول الله ﷺ يوم أحد وهو ابن (١٤) سنة فلم يجزه رسول الله ﷺ ولم يره بلغ ، وعرض عليه يوم الخندق وهو ابن (١٥) سنة فأجازه رسول الله ﷺ ومات سنة (٧٢) بمكة وهو ابن (٨٧) ، ودفن بفخ وكان ابن عمر يصفر لحيته ، (الإصابة) : ١٨١/٤ ، (الثقات) : ٢٠٩/٣ ، (تهذيب التهذيب) : ٢٧٨/٥ . =

عبدالله[1] ، رافع بن خديج[2] ، وسلمة بن الأكوع[3] ، وأبو واقد الليثى[4] ، وعبد الله بن بحينة [5] ، مع أشباه لهم ، من أصحاب رسول الله ﷺ ، يفتون

=(٣) هو سعد بن مالك بن سنان بن الحارث بن الخزرج الخدرى الأنصارى ، توفى سنة (٧٤) كان من الحفاظ لحديث رسول الله ﷺ المكثرين ، ومن العلماء الفضلاء العقلاء ، روى عن أبى سعيد قال : " عرضت على رسول الله ﷺ يوم الخندق وأنا ابن ثلاث عشرة ، فجعل أبى يأخذ بيدى ويقول يا رسول الله إنه عبل العظام [أى ضخم العظام] ، فردنى . (أسماء الصحابة الرواة) : ٤٢ ، ترجمة (٧) ، (الإصابه) : ٨٤/٧ .

(٤) سبقت له ترجمة .

(٥) هو عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص ابن كعب بن لؤى أبو محمد وقيل أبو عبد الرحمن القرشى توفى سنة (٦٣) تقريباً أسلم قبل أبيه وكان من فضلاء الصحابة عالماً بالقرآن والكتب المتقدمة ، وكان من أشهر حفاظهم . (الإصابة) : ١١١/٤ ، (أسماء الصحابة الرواة) : ٤٢ ، ترجمة (٩) ، (تهذيب التهذيب) : ٣٣٧/٥ (الثقات) : ٢١١/٣ .

(١) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة أبوعبدالله . وقيل : أبو عبدالرحمن الأنصارى السلمى ، أمه نسيبة بنت عقبة بن عدى بن سنان ، شهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صبى ، توفى سنة (٧٤) تقريباً وعمره (٩٣) سنة ، ومن فضائله قال : استغفر لى رسول الله ﷺ ليلة البعير خمساً وعشرين مرة ، يعنى بقوله : ليلة البعير ، أنه باع رسول الله ﷺ بعيراً واشترط ظهره إلى المدينة وكان فى غزوة لهم . (أسماء الصحابة الرواة) :٤١ ، ترجمة (٦) ، (الإصابة) : ٢٢٢/١ ، (تهذيب التهذيب) : ٤٢/٢ .

(٢) هو رافع بن خديج بن عدى بن يزيد بن جشم بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس ،أبو عبدالله ، أبو خديج ، الأنصارى ، الأوسى ، الحارثى ، أمه حليمة بنت مسعود بن سنان ، عرض نفسه يوم بدر على النبى ﷺ ، فرضه لصغره ، ثم أجازه يوم أحد فشهد أحداً وأصيب بها ، ثم الخندق وأكثر المشاهد ، وشهد صفين مع علىّ ، واستوطن بالمدينة ، وكان عريف قومه إلى أن مات بها وصلى عليه ابن عمر . توفى سنة (٧٤) ، وله (٦٨) ، (أسماء الصحابة الرواة) : ٦٧ ، ترجمة (٤٣) ، (الإصابة): ١٨٦/٢. =

بالمدينة ، ويحدثون عن رسول الله ﷺ من لدن توفى عثمان إلى أن توفوا ، والذين صارت إليهم الفتوى منهم : ابن عباس ، وابن عمر ، وأبو سعيد الخدرى ، وأبو هريرة ، وجابر بن عبد الله] .

[وقال أبو محمد [بن] حزم : وقد غزا رسول الله ﷺ هوازن بحنين ، فى اثنى عشر ألفاً ، كلهم يقع عليه اسم الصحبة ، ثم غزا تبوك فى أكثر من ذلك ، ووفد عليه وفود جميع قبائل العرب ، وكلهم صاحب ، وعددهم بلا شك يبلغ أزيد من ثلاثين ألف إنسان ، ووفد عليه أيضاً وفود الجن فأسلموا ، وصح لهم اسم الصحبة ، وأخذوا عنه ﷺ ، القرآن و شرائع الإسلام ، وكل من ذكرنا ممن لقى رسول الله ﷺ وأخذ عنه ، فكل امرىء منهم إنسهم وجنهم ، فبلا شك أنه أفتى أهله وجيرانه وقومه ، هذا أمر يعلم ضرورة] .

= (٣) هو سلمة بن الأكوع ، أول مشاهده الحديبية ، وكان من الشجعان ، ويسبق الفرس عدواً بايع رسول الله ﷺ عند الشجرة على الموت ، روى عنه ابنه إياس وغيره ، مات سنة (٧٤) وله (٨٠) سنة ، وذلك فى آخر خلافة معاوية كما قال ابن سعد ، (الإصابة) : ٣/١٥١ ، (تهذيب التهذيب) : ٤/١٣٣ .

(٤) هو الحارث بن عوف ، وقيل : عوف بن الحارث بن أسيد بن جابر بن عبد مناة بن أشجع ابن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن على بن كنانة ، أبو واقد الليثى الكنانى ، توفى سنة (٦٨) ، وله (٧٥) أو (٨٥) سنة ، وقيل : إنه شهد بدراً وقيل : لم يشهدها ، وكان معه لواء بنى ضمرة وبنى ليث وبنى سعيد بن بكر بن عبد مناة يوم الفتح وقيل : إنه من مسلمة الفتح ، والصحيح أنه شهد الفتح مسلماً ، يعد فى أهل المدينة ، وشهد اليرموك ، وجاور بمكة سنة ، ومات بها ، ودفن فى مقبرة المهاجرين بفخ سنة ثمان وستين . (أسماء الصحابة الرواة) :١١٣ ترجمة (١٠٩) ، (الإصابة) ٧/٤٥٥ .

(٥) هو عبد الله ابن بحينة وهى أمه بحينة بنت الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف ، ويكنى أبا محمد ، وأبوه مالك بن القشب الأزدى ، ممن أزد شنوءة ، كان حليفاً لبنى المطلب بن عبد مناف وكان ابن بحينة ناسكاً فاضلاً صائم الدهر ومات فى عهد معاوية ، (الاستيعاب) : ٣/٨٧١ .

[ثم لم ترو الفتيا فى العبادات والأحكام ، إلاعن مائه ونيف وثلاثين [أو] أربعين منهم فقط ، من رجل وامرأه ، بعد [التدقيق] الشديد ، قال المكثرون فيما روى عنهم من الفتيا : عائشة أم المؤمنين ، عمر بن الخطاب ، ابنه عبدالله ، على بن أبى طالب ، عبد الله بن العباس ، عبدالله بن مسعود زيد بن ثابت رضى الله تبارك وتعالى عنهم ، فهم سبعة فقط ، يمكن أن يجمع من فى كل واحد منهم سفر ضخم] .

[وقد جمع أبو محمد بن موسى بن أمير المؤمنين المأمورية ، فى عبد الله بن العباس رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، فى عشرين كتاباً ، وأبو بكر المذكور ، أحد الأئمه فى العلم والحديث] .

[والمتوسطون منهم فى ماروى عنهم من الفتيا : أم سلمه[1] أم المؤمنين ، أنس بن مالك[2] ، أبو سعيد الخدرى ، أبو هريرة ، عثمان بن عفان ، عبدالله بن عمرو بن العاص ، عبدالله بن الزبير ، وأبو موسى الأشعرى ، وسعد بن أبى وقاص[3] ، وسلمان الفارسى[4] ، وجابر بن

---

(١) سبقت لها ترجمته فى أزواج رسول الله ﷺ .

(٢) سبقت لها ترجمة وافية .

(٣) سعد بن أبى وقاص ، واسم أبى وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤى . الأمير أبو إسحاق القرشىّ الزهرىّ المكىّ . أحد العشرة ، وأحد السابقين الأولين ، وأحد من شهد بدراً والحديبية ، وأحد الستة أهل الشورى .

روى جملة صالحة من الحديث ، وله فى " الصحيحين " خمسة عشر حديثاً ، وانفرد له البخارى بخمسة أحاديث ، ومسلم بثمانية عشر حديثاً .

عن سعيد بن المسيب ، سمعت سعداً يقول : ما أسلم أحد فى اليوم الذى أسلمت ، ولقد مكثت سبع ليالى وإنى لثلث الإسلام .

عن قيس قال : قال سعد بن مالك : ما جمع رسول الله ﷺ أبويه لأحد قبلى ، ولقد رأيته ليقول لى : يا سعد ، ارم ، فداك أبى وأمى ! وإنى لأول المسلمين رمى المشركين بسهم . ولقد رأيتنى مع رسول الله ﷺ سابع سبعة ما لنا طعام إلا ورق السمر ، حتى إن أحدنا ليضع كما تضع الشاة ، ثم أصبحت بنو أسد تعزرنى على الإسلام ، لقد خبت إذن وضل سعيى . =

عبدالله ، ومعاذ بن جبل ، وأبو بكر الصديق ، فهم ثلاثة عشر فقط ، رضى الله تبارك وتعالى عنهم ، يمكن أن يجمع من فى كل امرىء منهم جزء صغير ، ويضاف إليهم أيضاً : طلحة[1] ، الزبير[2] ، عبد الرحمن بن

= قال ابن المسيب : كان جيد الرمى ، سمعته يقول : جمع لى رسول الله ﷺ أبويه يوم أحد.

عن أبى عثمان أن سعداً قال : نزلت هذه الآية فىّ : ﴿ **وإن جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علمٌ فلا تطعهما** ﴾ . [العنكبوت : ٨] .

قال : كنت براً بأمى ، فلما أسلمت ، قالت : يا سعد ! ما هذا الدين الذى قد أحدثت ؟ لتدعن دينك هذا ، أولا آكل ، ولا أشرب حتى أموت ، فتعيّر بى ، فيقال : يا قاتل أمه ، قلت : لا تفعلى يا أمه ، إنى لا أدع دينى هذا لشئ ، فمكثتْ يوماً لا تأكل ولا تشرب وليلة ، وأصبحت وقد جهدت ، فلما رأيت ذلك ، قلت : يا أمه ! تعلمين والله لو كان لك مئة نفس ، فخرجت نفساً نفساً ، ما تركت دينى ، إن شئت فكلى أولا تأكلى ، فلما رأت ذلك ، أكلت .

ومن مناقب سعد أن فتح العراق كان على يديه ، وهو كان مقدم الجيوش يوم وقعة القادسية ، ونصر الله دينه ، ونزل سعد بالمدائن ، ثم كان أمير الناس يوم جلولاء ، فكان النصر على يده ، واستأصل الله الأكاسرة .

قال خليفة بن خياط : وفى سنة خمس عشرة وقعة القادسية ، وعلى المسلمين سعد ، وفى سنة إحدى وعشرين شكا أهل الكوفة سعداً أميرهم إلى عمر ، فعزله .

قال الزهرىّ : لما استخلف عثمان ، عزل عن الكوفة المغيرة ، وأمَّر عليها سعداً . النعمان ابن راشد عن الزهرى ، عن عامر بن سعد قال : كان سعد آخر المهاجرين وفاةً .

قال المدائنىّ ، وأبو عبيدة ، وجماعة : توفى سنة خمس وخمسين .

وقع له فى (مسند بقى بن مخلد) مئتان وسبعون حديثاً ، فمن ذاك فى الصحيح ثمانية وثلاثون حديثاً . (تهذيب سير أعلام النبلاء) : ١٥/١ - ١٦ ، ترجمة رقم (٥) .

(٤) سبقت ترجمته .

(١) هو طلحة بن عبد الله بن عثمان بن عمرو بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى من الستة الأوائل فى الإسلام توفى سنة خمس وخمسين ، هو أحد العشرة المبشرين بالجنة (سير أعلام النبلاء) : ٢٤/١ . =

عوف[1] ، عمران بن الحصين[2] ، أبو بكرة[3] ، عباده بن الصامت[4] ، معاوية ابن أبى سفيان] .

= (٢) هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى القرشي الأسدى ، قتل بعد منصرفه يوم الجمل فى جمادى الأول سنة (٣٦) ، وله (٦٦ أو ٦٧) ، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى ، (أسماء الصحابة الرواة) : ٩٥ ترجمة (٨٢) ، (الإصابة) : ٥/٣ ، (تهذيب التهذيب) : ٣١٨/٣ ، (المصباح المضئ) : ١١٤/١ .

(١) هو عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة القرشيّ الزهريّ توفى سنة (٣١) ، بالمدينة من مشاهير الصحابة وأحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة أهل الشورى الذين أوصى إليهم عمر بعده وأحد الثمانية الذين أسلموا على يدى أبى بكر الصديق وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وصلى خلفه رسول الله ﷺ . (أسماء الصحابة الرواة) : ٧٢ ، ترجمة (٥١) .

(٢) هو عمران بن الحصين بن عبيد بن خلف بن عبد نهم بن حذيفة بن جهمة بن غاضرة بن حبشة ابن كعب الخزاعىّ الكعبىّ ، توفى سنة (٥٢ أو ٥٣) ، روى عن رسول الله ﷺ عدة أحاديث ، وكان إسلامه عام خيبر، وغزا عدة غزوات ، وكان صاحب راية خزاعة يوم الفتح ، وكان مجاب الدعوة ، ولم يشهد الفتنة . (أسماء الصحابة الرواة) : ٥٢ ترجمة (٢١) ، (الإصابة) : ٢٦/٥ ، (تهذيب التهذيب) : ١٢٥/٨ ، (الاستيعاب) : ١٢٠٨/٣ .

(٣) هو نفيع بن الحارث بن كلدة بن عمرو بن عوف بن ثقيف الثقفىّ ، توفى سنة (٥١ أو ٥٢) ، هو ممن نزل يوم الطائف إلى رسول الله ﷺ من حصن الطائف فى بكرة [الفتى من الإبل] وكنى أبا بكرة وأعتقه رسول الله ﷺ وهو معدود من مواليه ، أبو بكرة يقول : أنى من إخوانكم فى الدين ، وأنا مولى رسول الله ﷺ ، وإن أبى الناس إلا أن ينسبونى ، فأنا نفيع بن مسروح . (أسماء الصحابة الرواة) : ٥٩ ترجمة (٣٢) ، (الإصابة) : ٢٢/٧ ، (تهذيب التهذيب) : ٤٦/١٢ .

(٤) عبادة بن الصامت بن قيس بن صرم بن فهر بن قيس بن ثعلبة بن غنم بن سالم بن عوف بن عمر بن عوف بن الخزرج أبو الوليد الأنصارى ، الخزرجي . أمه : قره العين بنت عباده بن نضلة بن العجلان ، توفى سنة ٣٤ بالرملة ، ومن مناقبه : نزل فيه قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء** ﴾ [المائدة : ٥١] لما تبرأ من حلفه مع بنى=

[والباقون منهم رضى الله تبارك وتعالى عنهم مقلون فى الفتيا جداً ، لا يروى عن الواحد منهم إلا المسألة والمسألتان ، والزيادة اليسيرة على ذلك فقط ، يمكن أن يجمع من فتيا جميعهم جزء صغير فقط بعد التقصى والبحث : أبو الدرداء[1] ، أبو اليسر[2] ، أبو سلمة المخزومى[3] ، أبو عبيدة ابن الجراح[4] ، سعيد بن زيد[5] ، الحسن ، الحسين ابنا علىّ ، والنعمان بن

= قينقاع لما خانوا المسلمين فى غزوة الخندق . (أسماء الصحابة الرواة) : ٥١ ، ترجمة(٢٠) ، (الإصابة) : ٢٧/٤ ، (تهذيب التهذيب) : ١١١/٥ ، (الاستيعاب) : ٨٠٧/٢ .

(١) هو عويمر بن عامر بن مالك بن زيد بن قيس بن عامر بن على بن عدىّ بن كعب بن الخزرج ولقبه أبو الدرداء ، توفى قبل مقتل عثمان بسنتين ، تأخر إسلامه قليلاً كان آخر أهل داره إسلاماً ، وحسن إسلامه وكان فقيهاً عاقلاً حكيماً ، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين سلمان الفارسى وقال رسول الله ﷺ: " عويمر حكيم أمتى " ، شهد ما بعد أحد من المشاهد ، (أسماء الصحابة الرواة) : ٥٢ ، ترجمة (٢٢) (الإصابة) : ٥٨/٧ .

(٢) هو كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصارى السلمى ، أمه نسيبة بنت الأزهر من بنى سلمة أيضاً ، توفى بالمدينة سنة (٥٥) ، شهد العقبة وبدراً ، وكان عظيم الغَناء يوم بدر وغيره ، وهو الذى أسر العباس بن عبد المطلب رضى الله تبارك وتعالى عنه ، وهو الذى انتزع راية المشركين يوم بدر وكانت بيد أبى عزيز بن عمير ، ثم شهد المشاهد مع رسول الله ﷺ ثم شهد صفين مع على بن أبى طالب ، رضى الله تبارك وتعالى عنه . (أسماء الصحابة الرواة) : ١٥٣ ترجمة رقم : (١٧٤) ، (الإصابة) : ٢١٨/٧ .

(٣) هو أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب أخو رسول الله ﷺ من الرضاعة ، وزوج أم المؤمنين أم سلمة قبل أن يتزوجها رسول الله ﷺ ، بعد وفاة أبى سلمة ، مات سنة أربع وقيل سنة ثلاث ، (سير أعلام النبلاء) : ١٥٠/١ .

(٤) هو عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبّة بن الحارث بن فِهر بن مالك ابن النضر القرشى الفهرى ، وقيل : اسمه عبدالله بن عامر والأول أصح أبو عبيدة بن الجراح أمين هذه الأمة ، توفى فى طاعون عمواس سنة (١٨) ، وقيل : سنة (٢٥) أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وشهد بدراً وأحداً وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ وهاجرإلى الحبشة =

بشير[1] ، وأبو مسعود[2] ، وأبيّ بن كعب[3] ، وأبو أيوب[4] ، وأبو طلحة[5] ، وأبوذر[6] ، وأم عطية[7] ، وصفية أم المؤمنين[8] ، وحفصة أم المؤمنين[3] ،

= الهجرة الثانية ، (أسماء الصحابة الرواة) : ١٣٩ ترجمة (١٤٨) ، (الإصابة) : ١٢٨/٧، (تهذيب التهذيب) : ١٥٩/١٢ .

(٥) هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبدالعزى بن رباح بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب ابن لؤى بن غالب ، أبو الأعور القرشيّ العدويّ ، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، ومن السابقين الأولين البدريين ، ومن الذين رضى الله تبارك وتعالى عنهم ورضوا عنه .

شهد المشاهد مع رسول الله ﷺ ، وشهد حصار دمشق وفتحها ، فؤلاه عليها أبو عبيدة بن الجراح ، فهو أول من عمل نيابة دمشق من هذه الأمة .

توفى سنة (٥٠) وقيل غير ذلك بالعقيق ، وقيل بالكوفة ، وصلى عليه المغيرة بن شعبة وعاش (٧٣) وكان إسلامه قبل دخول النبى ﷺ دار الأرقم .

روى عنه بعض الصحابة مثل : ابن عمر ، وعمر بن حريث ، وأبو الطفيل ، ومن كبار التابعين : أبو عثمان النهدى ، وابن المسيب ، وقيس بن أبى حازم . وغيرهم .

قال ابن حجر فى (الإصابة) : وذكر عروة وابن إسحاق وغيرهم فى (المغازى) أن رسول الله ﷺ ضرب له بسهمه يوم بدر لأنه كان غائباً بالشام . (أسماء الصحابة الرواة) : ٨٢ ، ترجمة رقم (٦٤) ، (سير أعلام النبلاء) : ١٢٤/١ - ١٤٣ ، ترجمة رقم (٦) .

(١) هو النعمان بن بشير بن سعيد بن ثعلبة بن خلاس بن زيد بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب ، أبو عبدالله الأنصارىّ ، الخزرجى ولد بعد الهجرة بأربعة عشر شهراً ، وكان أول مولود فى الاسلام من الأنصار وهو صحابىّ مشهور ، ولا يصحح بعض أهل الحديث سماعه ، وكان شاعراً كريماً جواداً ، أمه عمرة بنت روحة ، أخت عبدالله بن رواحة ، توفى سنة (٦٥) . (أسماء الصحابة الرواة) : ٦٢ ، ترجمة (٣٦) ، (الثقات) : ٤٠٩/٣ .

(٢) هو عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة (يسيرة) أبو مسعود الأنصارى البدرى ، توفى سنة (٤١أو٤٢) ، وهو المعروف بالبدرىّ لأنه سكن أو نزل ماء بدر وشهد العقبة ولم يشهد بدراً عند أكثر أهل السير وقيل : شهدها ثم أورد له حديثاً فى الأحق بالإمامة . (أسماء الصحابة الرواة) : ٦٣ ترجمة (٣٧) (الإصابة) : ٢٧٦/٧ ، (تهذيب التهذيب) : ١٥٩/١٢ . =

= (٣) هو أبيّ بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار أبو المنذر ، أبو الطفيل ، سيد القراء ، سيد المسلمين ، الأنصارىّ ، النجارىّ ، الخزرجىّ ، المعاوىّ ، من فضائله : كان من أصحاب العقبة الثانية ، وشهد بدراً والمشاهد ، روى عنه من الصحابة عمر وكان يسأله عن النوازل ، ويتحاكم إليه فى المعضلات ، وأبو أيوب ، وعباده بن الصامت ، وسهل بن سعد ، وأبو موسى ، وابن عباس ، وأبو هريرة ، وأنس ، وسليمان بن صرد ، وغيرهم ، أمه صهيلة بنت الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد ، مات سنة (٢٢) ، فى خلفة عمرو ، وقيل : بقى إلى خلافة عثمان . (أسماء الصحابة الرواة) : ٥٤ ، ترجمة رقم (٢٥) . (الثقات) : ٣/٥ .

(٤) هو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار بن الخزرج أبو أيوب الأنصارى ، معروف باسمه وكنيته ، أمه هند بنت سعيد بن عمرو ، من بنى الحارث ابن الخزرج من السابقين ، نزل عليه رسول الله ﷺ حين قدم المدينة ومات فى زمن معاوية سنة (٥٢) ، وقال لهم إذا أنا مت فقدمونى فى بلاد العدو ما استطعتم ثم ادفنونى فمات وكان المسلمون على حصار القسطنطينية فقدموه حتى دفن إلى جانب حائط القسطنطينية ، (تاريخ الصحابة) : ٨٦ ترجمة (٣٥٠) ، (الأصابة) : ٢/٢٣٤ ـ ٢٣٥ ، ترجمة رقم (٢١٦٥) .

(٥) هو زيد بن سهيل بن الأسود بن حرام أبو طلحة الأنصارىّ النجارىّ ، توفى سنة (٣٤) وله (٧٠) سنة ، وهو عقبىّ بدرىّ نقيب آخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبى عبيدة بن الجراح وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكان من الرماة المذكورين وكان له يوم أحد مقام مشهود وكان يقى رسول الله ﷺ بنفسه وكان ﷺ يقول : " صوت أبى طلحة فى الجيش خير من مائة رجل " ، أمه عبادة بنت مالك بن عدى بن زيد مناة بن عدى بن عمرو بن مالك بن النجار ، قَتَل يوم حنين عشرين رجلاً وأخذ أسلابهم .وكان لا يخض . كانت تحته أم سلمة بنت ملحان ، وعقبه منها ، اختلف فى وفاته فقيل : توفى سنة (٣١) ، وقيل : (٣٤) ، وهو بن (٧٠) سنة ، وصلى عليه عثمان بن عفان ، وروى حماد بن سلمة عن ثابت البنانى ، وعلى بن زيد ، عن أنس أن أبا طلحة سرد الصوم بعد رسول الله ﷺ (٤٠) سنة ، وأنه ركب البحر فمات فدفن فى جزيرة . وقال المدائنى : مات أبو طلحة سنة (٥١) ، (أسماء الصحابة الرواة) : ١١٠ ، ترجمة (١٠٤) ، (الإصابة) :٧/٢٣١ ، (الاستيعاب) : ٤/١٦٩٧ ـ ١٦٩٩ .

(٦) سبقت له ترجمة .

-

وأم حبيبة أم المؤمنين[٣] ، وأسامة بن زيد[١] ، وجعفر بن أبى طالب[٢] ، والبراء بن عازب[٣] ، وقرظة بن كعب[٤] ، وأبو عبدالله البصرى[٥] ، ونافع[٦] أخوه لأمه ، والمقداد بن الأسود[٧] ، وأبو السائل بن بعكك[٨] ،

= (٧) هى نسيبة بنت الحارث وقيل بنت كعب الأنصارية ، وأنكره عمر لأن نسيبة بنت كعب أم عمارة ، روت عن رسول الله ﷺ وعن عمر ، وروى عنه أنس وغيره ، وحديثها فى غسل آنية رسول الله ﷺ مشهور فى الصحيح ، وكان جماعة من علماء التابعين يأخذون ذلك الحكم ، (أسماء الصحابة الرواة) : ٩٣ ترجمة (٧٩) ، (الإصابة) : ٢٥٩/٨ .

(٨) سبقت لهن ترجمة فى أزواج رسول الله ﷺ .

(١) هو أسامة بن زيد بن شرحبيل بن امرئ القيس بن عوف بن كنانة بن بكر أمه أم أيمن حاضنة رسول الله ﷺ توفى فى آخر خلافة معاوية ، روى ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : " إن أسامة بن زيد لأحب إليّ أو من أحب الناس إليّ وأنا أرجو أن يكون من صالحيكم فاستوصوا به خيراً " ، (أسماء الصحابة الرواة) : ٦٠ ترجمة (٣٣) ، (الإصابة) : ٢٩/١ ، (تهذيب التهذيب) : ٢٠٨/١٠ .

(٢) هو جعفر بن أبى طالب بن هاشم ابن عم رسول الله ﷺ وأحد السابقين الأولين إلى الإسلام ، وقال له رسول الله ﷺ : أشبهت خلقى وخلقى " ، وقالت عائشة " لما أتت وفاة جعفر عرفنا فى وجه رسول الله ﷺ الحزن ، توفى سنة (٨٩) وله (٤٠) سنة ، (الإصابة) : ٤٨٥/١ .

(٣) هو البراء بن عازب بن الحارث بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصارى توفى سنة (٧٢) ، رده رسول الله ﷺ عن بدر ، استصغره . وأول مشاهده أحد وقيل : الخندق وغزا مع رسول الله(١٤) غزوة وهو الذى افتتح الرى سنة (٢٤) صلحاً أو عنوةً ، نزل الكوفة وابتنى له داراً ، (أسماء الصحابة الرواة) : ٤٦ ترجمة (١٤) ، (الإصابة) : ١٤٧/١ .

(٤) قرظة بن كعب بن ثعلبة بن عمرو بن كعب بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث الأنصارى الخزرجى له صحبة سكن الكوفة كنيته أبو عمرو ، حديثه عند الشعبى ، مات فى خلافة على بن أبى طالب .

(٥) لم أجد له ترجمة فيما بين يدى من مراجع .

(٦) لم أجد له ترجمة فيما بين يدى من مراجع .

والجـارود العبدى[1] ، وليلى بنت قـائف[2] ، وأبـو محذورة[3] ، وأبـو شـريح الكعبى[4] ، وأبو برزة الأسلمى[5] ، وأسماء بنـت أبـى بكـر[6] ، وأم شـريك[7] ،

= (٧) هو المقداد بن عمرو الأسود الكندى بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن عامر بن مطرود شهرته : المقداد بن الأسود الكِندى ، توفى سنة (٣٣) ، فى خلافة عثمان وله (٧٠) سنة ، أسلم قديماً وتزوج ابنة عم النبى ﷺ وهاجر الهجرتين وشهد بدراً والمشاهد بعدها ، وروى عن النبى ﷺ (أسماء الصحابة الرواة) : ٨٩ ، ترجمة (٧٤٩) ، (الثقات) : ٣٧١/٣ ، (الإصابة) : ١٣٣/٦ ، (تهذيب التهذيب) : ٢٨٥/١٠

(٨) هو أبو السنابل بن بعكك بموحدة ثم مهملة ثم كافين بوزن جعفر بن الحارث بن عميلة بفتح أوله ابن السباق بن عبد الدار القرشىّ البدرىّ اسمه صَبَّة ، قال البغوى : سكن الكوفة ، قال البخارى : لاأعلم أنه عاش بعد رسول الله ﷺ . (الإصابة) : ١٩٠/٧ .

(١) الجارود بن عمرو بن المعلّى العبدىّ ، وقيل عنه أسماء كثيرة ، وفد على رسول الله ﷺ سنة (١٠) من وفد عبد القيس فأسلم وكان نصرانياً ففرح رسول الله ﷺ بإسلامه فأكرمه وقرّبه ، روى عنه من الصحابة : عبد الله بن عمرو بن العاص . (أسماء الصحابة الرواة) : ٢٤٧ ترجمة (٣٤٧) ، (الإصابة) : ٢٢٦/١ ، (تهذيب التهذيب) : ٥٣/٢

(٢) هى ليلى بنت قائف الثقفية ، ذكر أنها قالت : كنت ممن شهد غسل أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ فأول ما أعطانى من كفنها الحقو ، ثم الدرع ، ثم الخمار ، ثم الملحفة ، ثم أدرجت فى الإذخر إدراجاً . (أسماء الصحابة الرواة) : ٥٣٩ ترجمة (٩٨٥) ، (الإصابة) : ١٨٢/٨ ، (تهذيب التهذيب) : ٥٣/٢ .

(٣) هو أبو محذورة المؤذن الجمحىّ كان مؤذن الرسول ﷺ وكان رسول الله قد سمعه يحكى الأذان فأعجبه صوته فأمر أن يؤتى به فأسلم يومئذ وأمره بالأذان بمكة منصرفه من حنين ، وقال الكلبى : لم يهاجر أبو محذورة ؛ بل أقام بمكة إلا أن مات بعد موت سمرة بن جندب ، وقال غيره مات سنة (٥٩) ، وقيل سنة (٧٩) ، (أسماء الصحابة الرواة) : ١٦١ ترجمة (١٨٨) ، (الإصابة) : ١٧٢/٧ .

(٤) هو أبوشريح الخزاعىّ الكعبىّ .توفى سنة (٦٨)،أسلم قبل فتح مكة وكان يحمل أحد ألوية بنى كعب بن خزاعةيوم الفتح وكان من عقلاء الرجال وكان يقول إذا رأيتمونىأبلغ من أنكحته أو =

والحولاء[1] بنت تويت ، وأسيد بن الحضير[2]، والضحاك بن قيس[3] ، وحبيب ابن مسلمة[4]، و[حبيب بن أوس][5] ، وحذيفه بن اليمان[6] ، وثمامة بن أثال [7]

= أنكحت إليه إلى السلطان فاعلموا أنى مجنون ، ومن وجد لأبى شريح سمناً أو لبناً أو جداية فهو له حل فليأكله وليشربه ، (أسماء الصحابة الرواة) : (١٢٢) .

(٥) هو أبوبرزة الأسلمي قال الواقدى : زعم ولده أن اسمه عبد الله وهو نضلة بن عبيد الله بن الحارث بن حبال بن أنس بن خزيمة بن مالك نزل البصرة وله بها دار وسار إلى خرسان فنزل مرو وعاد إلى البصرة (أسماء الصحابة الرواة) :١٢١ ترجمة (١٢١) ، (الإصابة): ٢٣٧/٦ ، (تهذيب التهذيب) : ٢٠/٢ .

(٦) هى بنت أبى بكر الصديق أسلمت قديماً بمكة وتزوجها الزبير بن العوام وهاجرت وهى حامل بولده عبد الله وعاشت إلى أن ولى ابنها الخلافة ثم إلى أن قتل وماتت بعده بقليل ، وكانت تلقب بذات النطاقين ، وسماها بذلك رسول الله . (أسماء الصحابة الرواة): ٧٨ ترجمة ٥٨ ، (أعلام النساء) : ٣٦/١

(٧) هى أم شريك الأنصارية : من ربات البر والإحسان والثراء وكان ينزل عليها الضيفان فتنفق عليهم ابتغاء وجه الله تعالى ومرضاته وتزوجها رسول الله وقال : إنى أحب أن اتزوج فى الأنصار ثم قال : إنى أكره غيرتهن فلم يدخل بها ، لها ترجمة فى أزواج رسول الله ﷺ . (أعلام النساء /٢٩٦) .

(١) هى الحولاء بنت تويت بن حبيب بن أسد بن عبد العزى بن قصى القرشية الأسدية ، ذكرها ابن سعد وقال أسلمت وبايعت ، وقالت عائشة : إن الحولاء بنت تويت مرت بها وعندها رسول الله ﷺ فقالت : هذه الحولاء بنت تويت يزعمون أنها لا تنام الليل ، فقال رسول الله ﷺ : خذوا من العمل ما تطيقون ، (الإصابة) : ٥٩٢/٧

(٢) هو أسيد بن الحضير بن سماك بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل الأنصارى الأشهلى توفى سنة (٢٠) ، وقيل : فى إمارة عمر ، شهد العقبة الثانية وكان نقيباً لبنى عبد الأشهل ، وشهد أحداً ، وكان ممن ثبت يومها ، وجرح حينئذ سبع جراحات ، وقال أبوهريرة : إن رسول الله ﷺ قال : " نعم الرجل أسيد بن الحضير". (أسماء الصحابة الرواة) : ١٣٠ ترجمة (١٣٣) ، (سير أعلام النبلاء) : ٢٩٩/١ . =

= (٣) هو الضحاك بن قيس بن خالد بن وهب القرشىّ الفهرىّ ، ولد قبل وفاة رسول الله ﷺ بسبع سنين كان على شرطة معاوية وله فى الحروب معه بلاء عظيم ، وسيَّره معاوية على جيش فعبر جسر منبج وصار إلى الرقة ومضى منها فأغار على سواد العراق وأقام بهيت ثم عاد ثم استعمله معاوية على الكوفة بعد زياد سنة (٥٣) ، ثم عزله سنة (٥٧) ، (أسماء الصحابة الرواة) : ٤٧١ ترجمة (٨٣١) ، (تهذيب التهذيب) : ٤ /٣٩٤ ترجمه (٧٩١) .

(٤) هو حبيب بن مسلمة بن مالك بن وهب بن ثعلبة بن واثلة بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر أبو عبدالرحمن الفهرىّ الحجازىّ ، وقيل أبو سلمة القرشى الفهرى ، ويقال له : حبيب الرمى وحبيب الروم لكثرة جهاده فيهم ، وقال ابن سعد عن الواقدى : كان له يوم توفى النبى ﷺ اثنتا عشر سنة وقال ابن معين : أهل الشام يثبتون صحبته ، وأهل المدينة ينكرونها ، وقال سعيد بن عبدالعزيز كان مجاب الدعوة ، وقال ابن حبيب : هو حبيب بن مسلمة ، هو الذى فتح أرمينية فمات بها سنة (٤٢) ، ولم يبلغ (٥٠) سنة . (أسماء الصحابة الرواة) : ١٨٢ ترجمة (٢٢٧) ، (الإصابة) : ٢٤/٢ ، (الثقات) : ٨١/٣ ، (تهذيب التهذيب) : ١٦٧/٢.

(٥) هو حبيب بن أوس ويقال ابن أبى أوس الثقفى المصرى ، روى عن أبى أيوب وعمرو بن العاص الثقفى ، ذكره ابن يونس ، فيمن شهد فتح مصر فدل على أن له إدراكاً ، ولم يبق من ثقيف فى حجة الوداع أحدٌ إلا وقد أسلم وشهدها ، فيكون هذا صحابياً . (تهذيب التهذيب) : ١٥٥/٢ ، (الثقات) : ١٣٩/٤ ، (الإصابة) : ١٥/٢ .

(٦) سبقت ترجمته .

(٧) هو ثمامة بن أثال بن النعمان بن سلمة بن عتبة بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة الحنفىّ ، أبو أمامة اليمامىّ ، حديثه فى البخارىّ من طريق سعيد المقبرى ، عن أبى هريرة ، قال : بعث النبى ﷺ خيلاً قبل نجد ، فجاءت برجل من بنى حنيفة يقال له : ثمامة ابن أثال ، فربطوه بسارية من سوارى المسجد ، فخرج النبى ﷺ فقال : أطلقوا ثمامة ، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسلْ ثم دخل المسجد ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

وذكر أيضاً ابن إسحاق أن ثمامة ثبت على إسلامه لما ارتد أهل اليمامة ، وارتحل هو ومن أطاعه من قومه ، فلحقوا بالعلاء الحضرمى ، فقاتل معه المرتدين من أهل البحرين ، فلما =

وعمار بن ياسر[١] ، وعمر بن الغادية السلمى[٢] ، وأم الدرداء الكبرى[٣] ، والضحاك بن حذيفة المازنى[٤] ، والحكم بن عمرو الغفارى[٥] ، ووابصة بن معبد الأسدى[٦] ، وعبد الله بن جعفر[٧]، وعوف بن مالك[٨] ، وعبيد الله بن

= ظفروا اشترى ثمامة حلة كانت لكبيرهم ، فرآها عليه ناس من بنى قيس بن ثعلبة . فظنوا أنه هو الذى قتله وسلبه فقتلوه . (الإصابة) : ٤١١/١ .

(١) هو عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين بن الوذيم ... المذحجى أبو اليقظان : العنسى . حليف بنى مخزوم ، قتل مع على بصفين سنة (٣٧) وله (٩٣ سنة) .
وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام ... وأمه سمية وهى أول من استشهد فى سبيل الله عزوجل وأبوه وأمه من السابقين ، وكان إسلام عمار بعد بضعة وثلاثين وهو ممن عذب فى الله ، وقال عمار : لقيت صهيب بن سنان على باب دار الأرقم ورسول الله ﷺ فيها فقلت ما تريد ؟ فقال : ما تريد أنت ؟ قلت اريد أن أدخل على محمد وأسمع منه كلامه . فقال : وأنا اريد ذلك فدخلنا عليه فعرض علينا الإسلام فأسلمنا . وهو من مشاهير الصحابة .
(الإصابة) : ٣٧٣/٤ ، (الاستيعاب) : ١١٣٥/٣ ، (أسماء الصحابة الرواة) : ٧٣ ، ترجمة رقم ٥٢ .

(٢) لم أجد له ترجمة فيما بين يدى من مراجع .

(٣) هى خيرة بنت أبى حدرة الأسلمى هى زوج أبى الدرداء ، توفيت فى خلافة عثمان بالشام قبل وفاة أبى الدرداء بسنتين ، كانت من فضلى النساء وعقلائهن وذوات الرأى فيهن مع العبادة والنسك ، (أسماء الصحابة الرواة) : (٢٢٣) ترجمة (٣٠٢) ، (الإصابة) : ٧٣/٨ .

(٤) لم أجد له ترجمة فيما بين يدى من مراجع .

(٥) هو الحكم بن عمرو بن مجدع بن حزيم بن الحارث بن ثعلبة الغفارى ، توفى فى القيد سنة (٤٥) ، صحب النبى ﷺ حتى توفى ثم سكن البصرة واستعمله زياد بن ابيه على خرسان على غيرقصد منه لولايته إنما أرسل زياد يستدعى الحكم فمضى الرسول غلطاً منه وأحضر الحكم ابن عمرو فلما رآه زياد قال : هذا من أصحاب رسول الله ﷺ فاستعمله عليه ، (أسماء الصحابة الرواة) : ٤٤٥ ترجمة (٧٧٥) .

(٦) لم أجد له ترجمه فيما بين يدى من مراجع .
=

(٧) هو عبد الله بن جعفر بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمى ، أبو محمد ، وأبو جعفر وهى أشهر . وحكى المرزبانى أنه كان يكنى أبا هاشم .

أمه أسماء بنت عميس الخثعمية أخت ميمونة بنت الحارث لأمها ، ولد بأرض الحبشة لما هاجر أبواه إليها ، وهو أول من ولد بها من المسلمين ، وحفظ عن النبى ﷺ .

وقال ابن حبان : كان يقال له : قطب السخاء ، وكان له عند موت النبى ﷺ عشر سنين ، وقال يعقوب بن سفيان : كان أحد أمراء علىّ يوم صفين ، وأخباره فى الكرم كثيرة شهيرة . مات سنة ثمانين عام الجحاف ، وهو سيل كان ببطن جحف الحاج ، وذهب بالإبل ، وعليها الحمولة ، وصلى عليه أبان بن عثمان وهو أمير المدينة حينئذ لعبد الملك بن مروان ، هذا هو المشهور .

وقال الواقدى : مات سنة تسعين ، وكان له يوم مات تسعون سنة ، وكذا رأيته فى (ذيل الذيل) لأبى جعفر الطبرى ، وقال المدائنى : مات عبد الله بن جعفر سنة أربع أو خمس وثمانين وهو ابن ثمانين قلت : وهو غلط أيضاً . وقال خليفة : مات سنة اثنتين . وقيل سنة أربع وثمانين . وقال ابن البرقى ومصعب : فى سنة سبع وثمانين ، فهذا يمكن أن يصح معه قول الواقدى : إنه مات وله تسعون سنة ، فيكون مولده قبل الهجرة بثلاث .

وأخرج ابن أبى الدنيا والخرائطى بسند حسن إلى محمد بن سيرين ، أن دهقاناً من أهل السواد كلم ابن جعفر فى أن يكلم عليا فى حاجةٍ ، فكلمه فيها ، فقضاها ، فبعث إليه الدهقان أربعين ألفا ، فقالوا : أرسل بها الدهقان فردها ، وقال إنا لا نبيع معروفا .

وأخرج الدارقطنى فى الأفراد ، من طريق هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين ، قال : جلب رجل من التجار سكراً إلى المدينة فكسد عليه ، فبلغ عبد الله بن جعفر ، فأمر قهرمانه أن يشتريه وينهبه الناس . (الإصابة) : ٤/٤٠-٤٤، (أسماء الصحابة الرواة) : ١٠٩ ، ترجمة (١٠٣) .

(٨) هو عوف بن مالك بن أبى عوف الأشجعى ، مختلف فى كنيته . قيل : أبو عبد الرحمن . وقيل : أبو محمد . وقيل : غير ذلك .

قال الواقدى أسلم عام خيبر ، ونزل حمص ، وقال غيره : شهد الفتح وكانت معه راية أشجع ، وسكن دمشق . وقال ابن سعد : آخى النبى ﷺ بينه وبين أبى الدرداء . =

سلام[1] ، وعمر بن عبسة[2] ، وعتاب بن أسيد[3] ، وعثمان بن أبي العاص[4] ، وعبد الله بن سرجس[5] ، وعبد الله بن رواحه[6] ، وعقيل بن

= روى أبو عبيد فى كتاب (الأموال) ، من طريق مجالد عن الشعبى ، عن سويد بن غفلة ، قال : لما قدم عمر الشام قام إليه رجل من أهل الكتاب ، فقال : إن رجلاً من المسلين صنع بى ماترى ، وهو مشجوع مضروب . فغضب عمر غضباً شديداً وقال لصهيب : انطلق فانظر من صاحبه فائتنى به ، فانطلق فإذا هو عوف بن مالك .فقال : إن أمير المؤمنين قد غضب عليك غضباً شديداً فأت معاذ بن جبل فكلمه ، فإنى أخاف أن يعجل عليك . فلما قضى عمر الصلاة قال : أجئت بالرجل ؟ قال : نعم ، فقام معاذ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه عوف بن مالك ، فاسمع منه ولاتجعل عليه . فقال له عمر : مالك ولهذا ؟ قال : رأيته يسوق بامرأة مسلمة على حمار فنخس بها لتصرع فلم تصرع ، فدفعها فصرعت فغشيها أو أكب عليها . قال : فلتأتنى المرأة فلتصدق ما قلت ، فأتاها عوف ، فقال له أبوها وزوجها : ما أردت إلى هذا ، فضحتنا فقالت المرأة : والله لأذهبنّ معه . فقالا : فنحن نذهب عنك ، فأتيا عمر فأخبراه بمثل قول عوف ، فأمر عمر باليهودى فصلب ، وقال : ما على هذا صالحناكم . قال سويد : فذلك اليهودى أول مصلوب رأيته فى الإسلام .

قال الواقدى والعسكرى وغيرهما : مات سنة ثلاث وسبعين فى خلافة عبد الملك .(الإصابة): ٤٧٢/٤ـ٤٧٣ . (أسماء الصحابة الرواة) : ٧٠ ترجمة (٤٨) . (الثقات) : ٣١٩/٣ .

(١) هو عبد الله بن سلام بن الحارث ، من ذرية يوسف عليه السلام ، توفى سنة (٤٣) ، كان إسلامه لما قدم رسول الله ﷺ المدينة مهاجراً وروى عنه ابناه يوسف ومحمد ، وأنس بن مالك ، زرارة بن أوفى ، كان اسمه فى الجهالية الحصين فسماه رسول الله حين أسلم عبد الله وله موقفا حميد فى نصح الناس يوم مقتل عثمان رضى الله تبارك وتعالى عنهما . (أسماء الصحابة الرواة) : ١١٠ ، ترجمة (١٠٥) ، (الإصابة) : ١١٨/٤ ـ ١٢٠ .

(٢) هو عمرو بن عبسة بن خالد بن عامر بن غاضرة بن امرئ القيس السلميّ البجليّ القيسيّ أسلم قديماً أول الإسلام كان يقال هو رابع الإسلام ، وكان قدومه المدينة بعد مضى بدر وأحد والخندق ، (أسماء الصحابة الرواة) : ٩٦ ترجمة (٨٤) ، (تهذيب التهذيب) : ٦٩٩/٨ .

(٣) هو عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد الرحمن بن عبد مناف القرشى ولاه رسول الله ﷺ مكة وهو ابن (١٨) سنة حين خرج إلى حنين وتوفى فى يوم توفى أبو بكر الصديق =

أبـى طـالب[١] ، وعـائذ بـن عمـرو[٢] ، وأبـو قتـادة [٣] ، وعبـد اللـه بـن معمـر العدوى[٤] ، وعمير بن سـعد[٥] ، وعبـد اللـه ابـن أبـى بكـر[٦] الصديـق ، وعبـد

= ولم يعلم أحدهما بموت الآخر لأن هذا مات بمكة وذاك مات بالمدينة ، (تاريخ الصحابة الرواة): ٩٦ ترجمة (٨٤) ، (الثقات) : ٢٦٩/٣ .

(٤) هو عثمان بن أبى العاص بن بشر بن عبد دهمان بن عبد الله بن همام بن أبان بن سيار بن مالك بن حطيط ، أبو عبد الله الثقفى ، وفد على رسول الله ﷺ فى وفد ثقيف فأسلم واستعمله رسـول الله ﷺ على الطائف ولم يزل على الطائف حياة رسول الله ﷺ وخلافة أبى بكر ، وسنتين مـن خلافة عمر واستعمله عمر سنة (١٥) ، على البحرين وعمان فسار إلى عمان ووجه أخاه الحكم إلى البحرين وسار هو إلى توج فافتتحها ومصرها وقتل ملكها " شهرك " سنة (٢١) . (أسـماء الصحابة الرواة) : ١٠٤ ترجمة (٩٥) .

(٥) هو عبد الله بن سرجس المزنى ، حليف بنى مخزوم ، له صحبة سكن البصرة ، وقال : رأيت رسول الله ﷺ وأكلت معه خبزاً ولحماً أو قال : ثريداً فقلت له : غفر الله لـك يـا رسول الله قال : ولك ، قال: قلت لعبد الله بن سرجس أستغفر لك رسول الله ﷺ قال : نعم وتلى هـذه الأية ﴿واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ﴾ ، (تاريخ الصحابة الرواة) : ١٣١ ترجمـة (١٣٦) ، (الثقات) : ٢٣٠/٣ ، (تلقيح الفهوم) : ٣٦٨ .

(٦) هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بـن عمـرو بـن امـرئ القيـس الأكـبر بـن مـالك الأنصارى الخزرجى ، استشهد فى مؤته فى جمـادى سنة (٨) ، كـان ممـن شـهد العقبـة وكـان نقيب بنى الحارث بن الخزرج وشهد بدراً ، وأحداً ، والخنـدق ، والحديبيـة ، وعمـرة القضـاء ، والمشاهد كلها ، مع رسول الله ﷺ إلا الفتح وما بعده ، فإنه كان قد قتل قبله وهو أحـد الأمـراء فى غزوة مؤتـه ، (أسماء الصحابة الرواة) : ٤٩٨ ترجمة (٨٨٦) .

(١) هو عقيل بن أبى طالب بن عبد مناف بن عبد المطلب ، أبو يزيد القرشىّ ، الهاشمىّ ، أخو علـىّ ابن أبى طالب وجعفر ، أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم ، كان سريع الجواب المسكت ، وله فيـه أشياء حسنة ، وكان أعلم قريش بالنسب ، وأعلمهم بيأمها ، ولكنه كـان مبغضـاً إليهم لأنـه كـان يعد مساويهم ، تأخر إسلامه عام الفتح ، وقيل : أسلم بعد الحديبية ، وهاجر فى أول سنة ثمان ، وكان أسر يوم بدر ففداه عمه العباس . ووقع ذكره فـى الصحيـح فى مواضع . توفى فى =

= خلافه معاوية ، وقيل : أول خلافة يزيد .(أسماء الصحابة الرواة) : ٢٠٧ ، ترجمة (٢٧٣) . (الثقات) : ٢٥٩/٣ .

(٢) هو عائذ بن عمرو بن هلال بن عبيد بن يزيد أبوهبيرة المزنيّ . كان ممن بيعة الرضوان ، تحت الشجرة وكان من صالحى الصحابة ، سكن البصرة وابتنى بها داراً ، وتوفى فى إمارة عبيد الله ابن زياد أيام يزيد بن معاوية وأوصى عليه أبو برزة الأسلمى لئلا يصلى عليه ابن زياد روى عنه : الحسن . ومعاوية بن قرة . وعاصم الأحول . وغيرهم . وزاد ابن حجر فيمن روى عنه : ابنه حشرج ، وأبو جمرة الضبى ، وغيرهم . وقال ابن حجر فى (الإصابة) : كان ممن بايع تحت الشجرة ثبت ذلك فى البخارى ، وله عند مسلم فى الصحيح حديثان غير هذا .

روى البغوى من طريق أسماء بن عبيد : كان بن عمرو لا يخرج من داره ولاغيره فسئل فقال : لأن أصب طستى فى حجرتى أحب إلىّ من أن أصبّه فى طريق المسليمن . (أسماء الصحابة الرواة) : ١٧٦ ، ترجمة (٢١٧) ، (الإصابة) : ٦٠٩/٣ .

(٣) هو الحارث بن ربعى بن بلدمة بن خناس بن عبيد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد وقيل : اسمه النعمان وقيل : عمرو أبو قتادة الأنصارى . الخزرجى . السلمى . أمه : كبشة بنت مطهر بن حرام بن سواد بن غنم . وفاته : قيل توفى سنة (٥٤) بالمدينة . وقيل بالكوفة فى خلافة على وقيل توفى سنة (٤٠) . اختلف فى شهوده بدراً ، قال ابن سعد : شهد أحداً وما بعدها . وقال أبو أحمد الحاكم : يقال : كان بدرياً وقال إياس بن سلمة ، عن أبيه ، قال : قال رسو الله ﷺ : خير فرساننا أبو قتادة . وقال أبو نضرة ، عن أبى سعيد : أخبرنى من هو خير منى أبو قتادة . (أسماء الصحابة الرواة) : ٥٣ ، ترجمة (٢٣) ، (الإصابة) : ٣٢٧/٧ـ٣٢٩ .

(٤) لم أجد له ترجمة فى بين يدى من مراجع .

(٥) هو عمير بن سعد بن فهد ويقال عمير بن جودان ، روى عنه محمد بن سيرين وابنه أشعث ، ولكن ليست له صحبة وحديثه عن رسول الله ﷺ مرسل عند أكثرهم ومنهم من يصحح صحبته قال الحافظ فى (الإصابة) : عمير بن سعد عامل عمر على حمص . استدركه يحيى بن عبد الوهاب بن منده على جده ، ووهم فيه ، فإن جده ذكره فقال : عمير بن سعد ووهو الصحيح . (الإصابة) ٣٠٨/٥ ، (أسماء الصحابة الرواة) : ٤٠٥ ترجمة (٦٨٧) . (التاريخ الكبير) : ٥٣٦/٦ ، (الجرح والتعديل) ٦٧٥/٦ .

الرحمن بن أبى بكر الصديق[1] ، وعاتكة بنت زيد بن عمر[2] ، وعبد الرحمن ابن عوف الزهرى[3] ، وسعد بن معاذ[4] ، وأبو منيب [5] ، وسعد بن

---

(٦) هو عبد الله بن أبى بكر الصديق رضى الله تبارك وتعالى عنهما بن عمرو بن كعب بن لؤى القرشى التيمى ، توفى سنة (١١) ، أول خلافة أبيه ، كان قديم الإسلام لم يسمع له بمشهد إلا شهوده الفتح ، وحنيناً ، والطائف ، وهو الذى كان يأتى رسول الله ﷺ وأباه بأخبار الناس والطعام فى غار ثور فى الهجرة ، (أسماء الصحابة الرواة) : ٤٤٦ ترجمة (٧٧٧) .

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الله [أبو بكر الصديق] بن عثمان القرشى التيمي ، توفى ودفن بمكة سنة (٥٣) ، صحابى مشهور له أخبار كثيرة فى المغازى والسير .

(٢) هى عاتكة بنت زيد بن نفيل القرشية ، تزوجها أكثر من صحابى ، واستشهد ولها منزلة بين قومها . (أعلام النساء) : ٢٠١/٣ .

(٣) هو عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة أبو محمد . القرشيّ الزهريّ . أمه : الشفاء بنت عوف بن عبد بن الحارث .
من مشاهير الصحابة ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الستة أهل الشورى الذين أوصى إليهم عمر بعده ، وأحد الثمانية الذين أسلموا على يد أبى بكر الصديق رضى الله تبارك وتعالى عنهم ، وشهد بدراً ، وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ . وصلى خلفه رسول الله ﷺ ، ومناقبه كثيرة لا يتسع المقام لذكرها ، توفى سنة (٣١) بالمدينة . (أسماء الصحابة الرواة) : ٧٢، ترجمة (٥١) ، (التاريخ الكبير) : ٢٣٩/٥ ، (التاريخ الصغير) : ٥٠/١ ، (شذرات الذهب) : ٢٥/١ ، ٣٨ ، ٦٢ .

(٤) هو سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن مالك بن أوس الأنصاريّ الأشهليّ ، شهد بدراً ، ورمى بسهم يوم الخندق فعاش بعد ذلك شهراً ، حتى حكم فى بنى قريظة ، ومات ، وقال المنافقون لما خرجت جنازته : ما أخفها فقال النبى ﷺ" : إن الملائكة حملته ، وقيل : أن رسول الله ﷺ قال : اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ ، (الإصابة) : ٨٤/٣ ـ ٨٦ .

(٥) هو أبو منيب الكلبى ذكره البخارى فى الكنى ، وأخرج له من طريق بقية بن الوليد عن مسلمة ابن زياد ، قال : رأيت أربعة نفر من أصحاب النبى ﷺ منهم روح بن يسار وأبو منيب الكلبى ، يلبسون العمائم ويرخون من خلفهم [وثيابهم] إلى الكعبين . وأخرجه ابن منده من طريق بقية ، قال : حدثنى ملسمة بن زياد . (الإصابة) : ٣٩٠/٧ .

عــبادة [١] ، وقيس بـن سـعد[٢] ، وعبـد الرحمـن ابـن سـهل[٣] ، وســمرة بـن جندب[٤] ، وسهل بن سعد الساعدى[٥] ، ومعاويـة بـن مقرن[٦] ، والسويد بـن المقرن[٧] ، ومعاوية بن الأرقم[٨] ، وجرير بن عبدالله

---

(١) هو سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبى خزيمة بن أبى الخزرج بن ساعدة بن كعب السعدىّ الأنصارىّ توفى سنة (١١) ، وقيل غير ذلك بالشام ، قتلته الجن شهد بدراً ، كان صاحب راية الأنصار فى المشاهد كلها ، وكان غيوراً شديد الغيرة وإياه أراد رسول الله ﷺ بقوله : " إن سعد غيوراً وإنى لأغير من سعداً والله أغير منا وغيرة الله أن تأتى محارمه " . (أسماء الصحابة الرواة) : ١١٩ ترجمة (١١٩) . (الثقات) : ١٤٨/٣ ، (التاريخ الكبير) : ٢٥/١ ، (الجرح والتعديل) : ٣٨٢/٤ ، (الإصابة) : ٦٥/٣ .

(٢) هو قيس بن سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبى خزيمة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب الساعدىّ الأنصارىّ ، توفى سنة (٥٩) كان من فضلاء الصحابة وأحد دهاة العرب وكرمائهم ، وكان من ذوى الرأى الصائب والمكيدة فى الحرب مع النجدة والشجاعة وكان شريف قومه غير مدافع ومن بيت سيادتهم ، (أسماء الصحابة الرواة) : ١٣٣ ترجمة ١٣٩ ، (الإصابة): ٤٧٣/٥، (تهذيب التهذيب) : ٣٩٥/٨ .

(٣) هوعبد الرحمن بن سهل الأنصارى ، شهد أحد ، والخندق ، والمشاهد ، وهو الذى نُهش فأمر النبى ﷺ عمارة بن حزم ، فرقاه رقية عند آل عروة بن حزم ، (الإصابة) : ٣١٢/٤ .

(٤) هو سمرة بن جندب بن هلال بن جريج بن مرة بن فزارة أبو سليمان توفى سنة (٥٨) سكن البصرة قدمت به أمه المدينة بعد موت أبيه فتزوجها رجل من الأنصار وكان فى حجره إلى أن صار غلاماً وكان رسول الله ﷺ يعرض غلمان الأنصار كل سنة فمر به غلام فأجازه فى البعث وعرض عليه سمرة بعده فرده ، فقال سمرة : لقد أجزت هذا ورددتنى ولو صارعته لصرعته قال : فدونكه ، فصارعه فصرعه سمرة ، فأجازه من البعث ، قيل : أجازه يوم أحد ، (أسماء الصحابة الرواة) : ٦١ ترجمة (٣٥) .

(٥) هو سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن الخزرج الأنصارى الساعدى ، توفى سنة (٨٨) ، شهد قضاء رسول الله ﷺ فى المتلاعنين وأنه فرق بينهما وكان اسمه حزناً فسماه رسول الله ﷺ سهلاً ، (أسماء الصحابة الرواة) : ٥٠ ترجمة (١٩) ، (الإصابة) : ٢٠٠/٣، (تهذيب التهذيب) : ٢٥٢/٤ .

=

البجلى(١) ، وجابر بن سمرة(٢) ، و[جويرية] أم المؤمنين(٣) ، وحسان بن ثابت(٤) ، وحبيب بن عدىّ(٥) ، وقدامة بن مظعون(٦) ، وعثمان بن مظعون(٧) ،

= (٦) هو معاوية بن سويد بن مُقرن المزنى ، أبو أسيد الكوفى ، وهو مشهور من التابعين وحديثه عن أبيه ، وعن البراء بن عازب فى صحيح مسلم وغيره ، (الإصابة) : ١٥٥/٦ .

(٧) لم أجد له ترجمة فيما بين يدى من مراجع .

(٨) هو معاوية بن الحكم السلمىّ كان يسكن فى بنى سليم وينزل المدينة ، له صحبة ، ويعد من أهل الحجاز سكن المدينة ، وروى عن رسول الله ﷺ حديثاً ، قال الحافظ ابن حجر فى (الإصابة) : ثبت ذكره وحديثه فى صحيح مسلم من طريق عطاء بن يسار عنه قال : صليت خلف رسول الله ﷺ فعطس رجل من القوم فى صلاته فقلت : يرحمك الله . الحديث . ثم ذكر له عدة أحاديث أخرى يمكنك مراجعتها من موضعها بالإصابة . (أسماء الصحابة الرواة) : ١٤٣ ترجمة (١٥٥) ، (الإصابة) : ١٤٨/٦ .

(١) هو جرير بن عبد الله بن جابر بن السليل بن مالك بن خزيمة البجلى وقيل اليمنى ، توفى سنة (٥١) ، أسلم قبل وفاة النبى ﷺ وكان حسن الصورة ، قال عمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه : جرير يوسف هذه الأمة وهو سيد قومه ، وقابل رسول الله ﷺ فأكرمه وقال : " إذا أتاكم كريم قومه فأكريموه " ، وكان له فى الحروب بالعراق القادسية وغيرها أثر عظيم

وقال ابن حجر فى (التهذيب) : روى عن النبى ﷺ وعن عمر ، ومعاوية . وعنه أولاده المنذر وعبيدالله وأيوب وغبراهيم وابن ابنه أبو زرعة بن عمر وأنس وأبو وائل .. وغيرهم ، (أسماء الصحابة الرواة) : ٦٣ ، ترجمة (٣٨) ، (الإصابة): ٤٧٥/١ ، (تهذيب التهذيب) : ٦٣/٢ .

(٢) هو جابر بن سمرة بن جنادة بن جندب بن حجير بن صعصعة العامرىّ السوائىّ ، حليف بنى زهرة ، توفى أيام المختار سنة (٦٦) ، له صحبة ، وروى شريك عن سماك بن جابر بن سمرة ابن جندب قال: جالست رسول الله ﷺ أكثر من مائة مرة ، وفى الصحيح عنه قال : صليت مع النبى ﷺ اكثر من ألفى مرة ، (أسماء الصحابة الرواة) : ٥٧ ترجمة (٢٩) ، (الإصابة) : ١٧٨/١.

(٣) هى جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار بن حبيب بن جذيمة بن المصطلق بن حارثة ، توفيت سنة(٥٠)، سباها رسول الله ﷺ يوم المريسيع وهىغزوة بنى المصطلق ولما تزوجها رسول =

وميمونة أم المؤمنين[1] ، ومالك بن الحويرث[2] ، وأبو أمامة الباهلى[3]، ومحمد ابن مسلمة[4] ، وخباب بن الأرت[5] ، وخالد بن الوليد[6] ، وضمرة بن

= الله ﷺ حجبها وقسم لها ، وكان اسمها برة فسماها رسول الله ﷺ جويرية وروت عن رسول الله ﷺ ، (أسماء الصحابة) : ١٩٥ترجمة (٢٥٩) (الإصابة) : ٥٦٥/٧.

(٤) هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد بن عدىّ الأنصارىّ الخزرجىّ النجارىّ توفى قبل الأربعين وهو صحابى مشهور ، وقد جاء فى الصحيحين عن البراء أن رسول الله ﷺ قال لحسان : " أهجهم أو هاجهم وجبريل معك . (أسماء الصحابة الرواة) : ٤٦٥ ترجمة (٨١٩) ، (الإصابة) : ٢ / ٦٢ .

(٥) لم أجد له ترجمة فيما بين يدى من مراجع .

(٦) هو قدامة بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح القرشىّ الجمحىّ كان أحد السابقين الأولين هاجر الهجرتين ، وشهد بدراً ، له صحبة ، ويكنى أبا عمرو ، أسلم قديماً ، وكانت تحته صفية بنت الخطاب ، أخت عمر بن الخطاب ، مات سنة (٣٦) ، فى خلافة على ، وله (٦٨) سنة ، (الإصابة) : ٤٢٣/٥ .

(٧) هو عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن كعب بن لؤى القرشىّ الجمحىّ ، توفى فى حياة النبى ﷺ وهو أول رجل مات من المهاجرين بالمدينة بعد شهوده بدراً سنة (٢) وهو أول من دفن بالبقيع هو صحابى مشهور أسلم قديماً وهاجر الهجرتين وأوذى فى الله أذى شديداً بعد أن كان فى جوار الوليد بن المغيرة . (أسماء الصحابة الرواة) : ٢٣٣ ترجمة(٢٣٣) (الإصابة) : ٤٦١/٤ .

(١) هى ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية أم المؤمنين رضى الله تبارك وتعالى عنها ، وكان أسمها برة فغيره النبى ﷺ وأسماها ميمونة توفيت بسرف سنة (٥١) تقريباً ، روت عن النبى ﷺ أحاديث كثيرة منها فى الصحيحين والمتفق عليه ، (أسماء الصحابة الرواة) : ٦٨ ترجمة (٤٤) ، (الإصابة) : ١٢٦/٨ ، (أعلام النساء) : ١٣٨/٥ .

(٢) هو مالك بن الحويرث بن أشيم بن زياد الليثى أبو سليمان ، توفى سنة (٦٤) ، هو من أهل البصرة قدم على النبى ﷺ فى شبيبة من قومه فعلمهم الصلاة وأمرهم بتعليم قومهم إذا رجعوا إليهم ، (أسماء الصحابة الرواة) : ٢٠٣ ترجمة (٢٦٧) ، (الإصابة) : ٧١٩/٥ . =

الفيض[1] ، وطارق بن شهاب[2] ، وضهير بـن رافـع[3] ، ورافـع بـن خديـج[4]، وفاطمة بنت رسول الله ﷺ][5] .

= (٣) هو صدى بن عجلان بن الحارث وقيل : عجلان بن وهب أبى أمامة الباهلىّ السهمىّ توفى سنة (٨١) ، سكن مصر ثم انتقل منها ، فسكن حمص من الشام ، ومات بها وكان من المكثرين فى الرواية وأكثر حديثه عند الشاميين ، (أسماء الصحابة الرواة) : ٤٨ ترجمة (١٧) ، (الإصابة) : ١٩/٧ .

(٤) هو محمد بن مسلمة بن سلمة بن خالد بن عدىّ الأنصارىّ الأوسيّ الحارثىّ ، توفى سنة (٤٦) وله (٧٧) سنة ، شهد بدراً وأحد والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ إلا تبوك ومات بالمدينة ولم يستوطن غيرها ، واستخلفه النبى ﷺ فى بعض غزواته واستعمله عمر على صدقات جهينة (أسماء الصحابة الرواة) : ١٣٤ ترجمة (١٤٠) ، (الإصابة) : ٣٣/٦ .

(٥) سبقت ترجمته .

(٦) هو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم القرشىّ المخزومىّ ، توفى سنة (٢١) ، فى خلافة عمر ، وكان إليه الأعنة : وهى أن يكون على مقدم الخيول فى الحرب ، ولا يصح له غزو مع النبى ﷺ قبل فتح مكة وروى عن رسول الله ﷺ ، (أسماء الصحابة الرواة) : ١٢٧ ترجمة (١٣٠) ، (الإصابة) : ٩٨/٠٢ .

(١) ذكره بن قانع فى الصحابة وهو ضمرة بن فياض الجهنى حليف بنى سواد من الأنصار ، (الإصابة) : ٤٩٢/٣ .

(٢) هو طارق بن شهاب بن عبد شمس بن سلمة بن هلال بن عوف بن جسم بن عمرو بن لؤى ابن رحم البجلى الأحمسى ، توفى سنة (٨٢) أو (٨٣) أو (٨٤) ، رأى رسول الله ﷺ وهو رجل لم يسمع منه شيئاً . (أسماء الصحابة الرواه) : ٤١٥ ترجمة رقم (٧٠٩) .

(٣) هو ظهير بن رافع بن عدى بن زيد بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك الأمصارى الأوسى الحارثى ، قيل : شهد العقبة الأولى وشهد بدراً ، وقيل : لم يشهدها وشهد أحد وما بعدها وهو عم رافع بن خديج ووالد أسيد بن ظهير ، (أسماء الصحابة الرواة) : ٣٣٢ ترجمة (٥١٧٣) ، (الإصابة) : ٣٠٤/٣ .

(٤) هو رافع بن خديج بن عدى بن يزيد بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوشى الأنصارى ، توفى سنة (٧٤) ، عرض نفسه يوم بدر على رسول الله ﷺ فرده لصغره ثم =

[فاطمة بنت قيس[1] ، هشام بن الحكيم بن حزام[2] ، أبوحكيم بن حزام[3] ، شرحبيل بن السمط[4] ، أم سليم[5] ، دحية بن خليفة الكلبى[6] ، ثابت

= أجازه يوم أحد فشهد أحداً وأصيب بها ، ثم الخندق وأكثر المشاهد ، وشهد صفين مع على واستوطن المدينة وكان عريف قومه إلى أن مات بها وصلى عليه ابن عمر ، (أسماء الصحابة الرواة) : ٦٧ ترجمة (٤٣) ، (الإصابة) : ٤٣٦/٢ .

(٥) هى الزهراء بنت رسول الله ﷺ وزوج على كرم الله وجه وأم الحسنين (الإصابة): ٥٣/٨.

(١) فاطمة بنت قيس بن خالد القرشية الفهرية . أخت الضحاك بن قيس . تقدم نسبها فى ترجمته ، وكانت أسن منه . قال أبو عمر : كانت من المهاجرات الأول ، وكانت ذات جمال وعقل ، وكانت عند أبى بكر بن حفص المخزومىّ فطلقها فتزوجت بعده بعده أسامة بن زيد .
قلت : وخبرها بذلك فى الصحيح لما طلبت النفقة من وكيل زوجها ، فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : اعتدّى عند أم شريك ، ثم قال : عند ابن أم مكتوم ، فلما خطبت أشار عليها بأسامة ابن زيد ، وهى قصة مشهورة ، وهى التى روت قصة الجساسة بطولها فانفردت بها مطولة . رواها عنها الشعبى لما قدمت الكوفة على أخيها ، وهو أميرها ، وقد وقفت على بعضها من حديث جابر وغيره . وقيل : إنها أكبر من الضحاك بعشر سنين ؛ قاله أبو عمر . قال : وفى بيتها اجتمع أهل الشورى لما قتل عمر . قال ابن سعد : أمها أميمة بنت ربيعة ، من بنى كنانة. (الإصابة) ٦٩/٨ ، (طبقات ابن سعد) : ٢٠٠/٨ .

(٢) هو هشام بن حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصىّ القرشىّ الأسدىّ ، ثبت ذكره فى الصحيح من رواية الزهرى عن عروة عن المسور ، وعبدالرحمن بن عبد القارى ، عن عمر ؛ سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وفيه أنه أحضره لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فاستقرأهما فصوبهما ، وقال : نزل القرآن على سبعة أحرف ..... الحديث بطوله .
قال ابن سعد : كان مهيباً . وقال الزهرى : كان يأمر بالمعروف فى رجال معه . وقال مصعب الزبيرى : كان له فضل . وقال ابن وهب ، عن مالك : لم يكن يتخذ أخلاء ولا له ولد. وقد روى عنه أيضاً جبير بن نفير ، وقتادة السلمى وغيرهما ومات قبل أبيه بمدة طويلة ، قال أبو نعيم : استشهد بأجنادين ، أسلم يوم الفتح (أسماء الصحابة الرواة) : ٢٠٥ ترجمة (٢٧٠)، (الإصابة) : ٥٣٨/٦ ـ ٥٣٩ . =

= (٣) هو حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ، أخو خديجة أم المؤمنين رضى الله تبارك وتعالى عنها وولد حكيم بن حزام . ذكره ابن الاثير فى الصحابة . (الإصابة) : ٢ / ٢١٠ ، ترجمة رقم (٢٠٩٠) .

(٤) هو شرحبيل بن السمط بن الأسود ، أو الأعور ، أو شرحبيل بن جبلة بن عدى بن ربيعة ابن معاوية الكندى ، أبو يزيد .

قال البخارى : له صحبة ، وتبعه أبو أحمد الحاكم . وأما ابن السكن فقال : زعم البخارى أن له صحبة ، ثم قال : يقال : إنه وفد على رسول الله ﷺ ، ثم شهد القادسية ، ثم نزل حمص فقسمها منازل .

وذكره البغوى وابن حبان فى الصحابة ثم أعاده فى التابعين ، زاد البغوى : سكن الشام ؛ وجدته فى كتاب محمد بن إسماعيل ، ولم أر له حديثاً .

وقال ابن سعد : جاهلى إسلامى ، وفد على النبى ﷺ فأسلم ، وشهد القادسية ، وافتتح حمص .

وقال ابن السكن : ليس فى شئ من الروايات ما يدل على صحبته إلا حديثه من رواية يحيى بن حمزة عن نصر بن علقمة ، عن كثير بن مرة ، عن أبى هريرة وابن السمط ؛ قالا : قال رسول الله ﷺ : لا يزال من أمتى عصابة قوامة على الحق .... الحديث . وقال البغوى : ذكر فى الصحابة ، ولم يذكر له حديث أسنده عن النبى ﷺ . وذكر له سيف بسنده أن سعد بن أبى وقاص استعمل شرحبيل بن السمط بن شرحبيل وكان شاباً ، وكان قاتل فى الردة ، وغلب الأشعث على الشرق ، وكان أبوه قدم الشام مع أبى عبيدة ؛ وشهد اليرموك ، وكان شرحبيل من فرسان أهل القادسية .

وله رواية عن عمر ، وكعب بن مرة وعبادة وغيرهم وقال ابن سعد : شهد القادسية وافتتح حمص ، وله ذكر فى البخارى فى صلاة الخوف .

وذكر خليفة أنه كان عاملا على حمص نحواً من عشرين سنة ، وقال أبو عامر الهوزنى : حضرت مع حبيب بن مسلمة جنازة شرحبيل . وقال أبو داود : مات بصفين : وقال يزيد بن عبدربه : مات سنة أربعين . وقال غيره : سنة اثنتين وأربعين وقال صاحب (تاريخ حمص) : سنة ست وثلاثين . =

= قلت : وهو غلط ، فإنه ثبت أنه شهد صفين ، وكانت سنة سبع وثلاثين ، وذكره ابن حبان في الصحابة ، وقال : كان عاملا على حمص ، ومات بها ، (الإصابة) : ٣٢٩/٣ ـ ٣٣١ ، (الاستعياب) : ٦٩٩ ، (طبقات ابن سعد) : ١٥٥/٧ ، (تهذيب التهذيب) : ٢٨٣/٤ .

(٥) هى أم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب الأنصارية ، وهى أم أنس خادم رسول الله ﷺ ، اشتهرت بكنيتها . واختلف فى اسمها ، فقيل سهلة ، وقيل رميلة ، وقيل رميثة ، وقيل مليكة ، وقيل الغميصاء أو الرميصاء تزوجت مالك بن النضر فى الجاهلية ، فولدت أنسا فى الجاهلية ، وأسلمت مع السابقين إلى الإسلام من الأنصار ، فغضب مالك وخرج إلى الشام فمات بها ، فتزوجت بعده أبا طلحة ؛ فروينا فى مسند أحمد بعلو فى (الغيلانيات) ، من طريق حماد بن سلمة ، عن ثابت ، وإسماعيل بن عبدالله بن أبى طلحة ، عن أنس بن مالك ـ أن أبا طلحة ام سليم ـ يعنى قبل أن يسلم ، فقالت : يا أبا طلحة ، ألست تعلم أن إلهك الذى تعبد نبت من الأرض ؟ قال : بلى . قلت : أفلا تستحى تعبد شجرة ! أن اسلمت فإنى لا أريد منك صداقاً غيره .

قال : حتى انظر فى أمرى ، فذهب ثم جاء ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فقالت : يا أنس ، زوج أبا طلحة ، فزوجها وبه : خطب ابو طلحة ام سليم ـ وكانت أم سليم تقول : لا أتزوج حتى يبلغ أنس ويجلس فى المجالس ، فيقول : جزى الله أمى عنى خيراً ، لقد أحسنت ولا بتى . فقال لها أبو طلحة : فقد جلس انس وتكلم ، فتزوجها .

قلت : والجواب عن دخوله بيت أم حرام وأختها أنهما كانتا فى دار واحدة وانت تغزو مع رسول الله ﷺ ، ولها قصص مشهورة ، منها ما أخرجه ابن سعد بسند صحيح أن أم سليم اتخذت خنجراً يوم حنين ، فقال أبو طلحة : يا رسول الله ؛ هذه أم سليم معها خنجر ، فقالت : اتخذته إن دنا منى أحد من المشركين بقرت بطنه .

ومنها قصتها المخرجة فى الصحيح لما مات ولدها ابن أبى طلحة ، فقالت لما دخل : لا يذكر أحد ذلك لأبى طلحة قبلى ، فلما جاءء وسأل عن ولده قالت : هو أسكن ما كان ، فظن أنه عوفى ، وقام فأكل ثم تزينت له وتطييت فنام معها ، وأصاب منها ، فلما أصبح قالت له : احتسب ولدك ، فذكر ذلك للنبى ﷺ فقال : بارك الله لكما فى ليلتكما ، فجاءت بولد وهو عبدالله بن ابى طلحة ، فأنجب وزرق أولاداً ؛ قرأ القرآن منهم عشرة كملا . =

= وفى الصحيح أيضاً عن أنس ـ أن أن سليم لما قدم النبى ﷺ قالت : يا رسول الله ، هذا أنس يخدمك ، وكان حينئذا بن عشر سنين ، فخدم النبى ﷺ منذ قدم المدينة حتى مات ، فاشتهر بخادم النبى ﷺ .

وروت عن النبى ﷺ عدة احاديث ، روى ابنها أنس ، وابن عباس ، وزيد بن ثابت ، وأبو سلمة بن عبدالرحمن ، وآخرون . (أسماء الصحابة الرواة) : ١٤٢ ترجمة (١٥٣) ، (الإصابة) : ٢٣٠/٢٢٧/٨ ترجمة رقم (١٢٠٧٣) .

(٦) هودحية بن خليفة بن فروة بن فصالة بن زيد بن امرىء القيس بن الخزرج ، بفتح المعجمة وسكون الزاى ثم جيم ، ابن عامر بن بكر بن عامر الأكبر ابن عوف الكلبى .

صحابى مشهور ، أول مشاهدة الخندق وقيل أحد ، ولم يشهد بدراً ، وكان يُضرب به المثل فى حسن الصورة ، وكان جبريل عليه السلام ينزل فى صورته ، جاء ذلك من حديث أم سسلمة ، ومن حديث عائشة . وروى النسائى بإسناد صحيح ، عن يحيى بن معمر ، عن ابن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنهما : كان جبرائيل يأتى النبى ﷺ فى صورة دحية الكلبى .

وروى الطبرانى من حديث عقير بن معدان ، عن قتادة ، عن أنس ـ أن النبى ﷺ قال : كان جبرائيل ياتينى على صورة دحية الكلبى ،كان دحية رجلاً جميلاً .

وروى العجلى فى تاريخه عن عوانة بن الحكم ، قال : أجمل الناس من كان جبرائيل ينزل على صورته . قال ابن قتيبة فى غريب الحديث : فأما حدي ثابن عباس : كان دحية إذا قدم المدينة لم تبق معصر غلا خرجت تنظر غليه ، فالمعنى بالمعصر العاتق .

وقد روى الترمذى من حديث المغيرة ان دحية أهدى إلى النبى ﷺ خفين فلبسهما ، وروى أحمد من طريق الشعبى عن دحية ، قال : قلت : يا رسول الله ، ألا أحمل لك حمارا على فرس فينتج لك بغلا فتركبها ؟ قال : إنما يفعل ذلك الذين لا يعلمون .

وقال ابن سعد اخبرنا وكيع ، حدثنا ابن عيينة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : بعث رسول الله ﷺ دحية سرية وحده ، وقد شهد دحية اليرموك ، وكان على كردوس ، وقد نزل دمشق وسكن المرة ، وعاش إلى خلافة معاوية ز(الإصابة) : ٢٨٦/٢٨٤/٢ ترجمة رقم (٢٣٩٢) ، (طبقات ابن سعد) : ١٨٤/٤ .

ابن قيس ابن الشماسى[١] ، ثوبان[٢] مولى رسول الله ﷺ ، سرف بن المغيره ابن شعبه[٣] ، يزيد بن الحصيب الأسلمى[٤] ، رويفع بن ثابت[٥] أبو حميد[٦] ،

---

(١) هو ثابت بن قيس بن زهير بن مالك أبو عبد الرحمن أبو محمد الأنصارى الخزرجى ، قتل شهيداً يوم اليمامة فى خلافة أبى بكر ، كان خطيب الأنصار ، وخطيب الرسول ﷺ ، شهد أحداً وما بعدها . (أسماء الصحابة الرواة) : ٣٧٤ ترجمة (٦١٣) ، (الإصابة) : ٢٠٣/١ .

(٢) صحابى مشهور يقال : أنه من العرب حكمى من حكم بنى سعد بن حمير وقيل من السراة اشتراه ، ثم أعتقه رسول الله ﷺ فخدمه إلى أن مات ، (الإصابة) : ٤١٣/١ .

(٣) لم أجد له ترجمه فيما بين يدى من مراجع .

(٤) لم أجد له ترجمه فيما بين يدى من مراجع .

(٥) هو رويفع بن ثابت بن السكن بن عدى بن حارثة من بنى مالك بن النجار ، نزل مصر ، وولاه معاوية على طرابلس سنة ست وأربعين ، فغزا إفريقية .

وروى عن النبى ﷺ . وعنه بشر بن عبيد الله الحضرمى ، وحنش الصنعانى ، وأبو الخير ، وآخرون .

وقال ابن البرقى : توفى ببرقة وهو أمير عليها ، وقال ابن يونس : مات سنة ست وخمسين ، وهو أمير عليها من قبل مسلمة بن مخلد ، (الإصابة) : ٥٠١/٢ ، ترجمة رقم : (٢٧٠١)، (الاستيعاب) : ٥٠٤/٢ ، ترجمة رقم : (٧٨٨) .

(٦) هو أبو حميد الساعدى الصحابى المشهور ، اسمه عبدالرحمن بن سعد ، ويقال عبدالرحمن بن عمرو بن سعد ، وقيل المنذر بن سعد بن المنذر ، وقيل : اسم جده مالك ، وقيل : هو عمرو ابن سعد بن المنذر بن سعد بن خالد بن ثعلبة بن عمرو ، ويقال : إنه عم سهل بن سعد ، أو عم العباس بن سهل بن سعد .

روى عن النبى ﷺ عدة أحاديث ، وله ذكر معه فى الصحيحين . روى عنه ولد ولده سعيد بن المنذر بن أبى حميد ، وجابر الصحابى ، وعباس بن سهل بن سعد ، وعبدالملك بن سعيد بن سويد ، وعمرو بن سليم ، وعروة ، ومحمد بن عمرو بن عطاء وغيرهم .

قال خليفة وابن سعد وغيرهما : شهد أحداً وما بعده . وقال الواقدى : توفى فى آخر خلافة معاوية أو أول خلافة يزيد بن معاوية ، (الإصابة) : ٩٤/٧ ـ ٩٥ ، ترجمة رقم : (٩٧٨٧) .

وفضاله بـن عبيد[1] ، رجـل يعـرف بـأبى محمـد – روينـا عنـه – وحـرب بـن الوثن[2] ، وزينب بنت أم سلمه[3] ، وعقبه بـن مسـعود[4] ، وبـلال المـؤذن[5] ،

---

(١) هو فضالة بن عبيد بن ناقذ بن قيس بن صهيب بن الأصرم بن جحجبى ابن كلفة بـن عـوف بـن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاريّ الأوسيّ ، أبو محمد قال ابن السكن : أمه عقبة بنت محمد بن عقبة بن الجلاح الأنصارية ، أسلم قديماً ، ولم يشـهد بدراً ، وشـهد أحـداً فما بعدها ، وشهد فتح مصر والشام قبلها ، ثم سكن الشـام ، وولـى الغزو ، وولاه معاويـة قضـاء دمشق بعد أبى الدرداء ؛ قاله خالد بن يزيد بن أبى مالك ، عن أبيه ؛ قال : وكان ذلـك بمشـورة من أبى الدرداء ، روى عن النبى ﷺ ، وعن عمر ، وأبى الدرداء .

روى عنه ثمامة بن شفى ، وحيش بن عبداللـه الصنعانى ، وعُلَـىّ بـن ربـاح ، وأبـو علـى الجنبى ، ومحمد بن كعب القرظى وغيرهم .

قال مكحول ، عن ابن محيريز : كان ممن بايع تحت الشجرة ، وقال ابن حبان : مـات فـى خلافة معاوية ، وكان معاوية ممن حمل سريره ، وكان معاوية استخلفه على دمشق فـى سـفرة سافرها ، وأرخ المدائنى وفاته سنة ثلاث وخمسين ، وكذا قال ابن السكن ؛ وقال : مات بدمشق لأن معاوية كان جعله قاضياً عليها ، وبنى له بهـا داراً ، وقيل مـات بعد ذلـك ، وقـال هـارون الحمال ، وابن أبى حاتم : مات وسط إمرة معاوية ، وقال أبو عمر : قيل مات سنة تسع وستين ، والأول أصح ، وذكر بن الكلبى أن أباه كان شاعراً ، ولـه ذكر فـى حـرب الأوس والخـزرج وكان يسبق الخيل ، ويضرب الحجر بالحجر بالرحلة فيورى النار . (الاستيعاب) : ١٢٦٣ . (تهذيب التهذيب) : ٢٤١/٨ ، (أسماء الصحابة الرواة) : ٨٠ ترجمة (٦٢) .

(٢) لم أجد له ترجمه فيما بين يدى من مراجع .

(٣) هى زينب بنت أبى سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن عمرو بن مخزوم القرشية المخزوميـة ربيبـة رسول الله ﷺ ، أمها أم سلمة بنت أبى أمية . يقال : ولدت بأرض الحبشة ، وتـزوج النبـى ﷺ أمها ، وهى ترضعها .

وفى مسند البزار ما يدل على أن أم سلمة وضعتها بعد قتل أبـى سلمة ؛ فخلـت ، فخطبهـا النبى ﷺ فتزوجها ، وكانت ترضع زينب . وقصتها فى ذلك مطولة ، وكان اسمها برة ، فغيره النبى ﷺ . أسنده ابن أبى خيثمة ، من طريق محمد بن عمرو بن عطاء ، عنها ، وذكر مثله فى زينب بنت جحش ؛ أصله فى مسلم فى حق زينب هذه وفى حق جويرية بنت الحارث . =

ومكرز[١] ، وعرفه بن الحارث[٢] ، وسيار بن روح[٣]، و روح بن سيار ، وسعيد بن المعلى[٤] ، والعباس بن عبد المطلب[٥] ، ولبيد بن أرطأه[٦]، وصهيب بن سنان[٧] ، وأم أيمن[٨] ، وأم يوسف[٩] ، وماعز الغامدى[١٠]] .

= وقد حفظت عن النبى ﷺ وروت عنه ، وعن أزواجه : أمها ، وعائشة وأم حبيبة ، وغيرهن .

روى عنها ابنها أبو عبيدة بن عبدالله بن زمعة ، ومحمد بن عطاء ، وعراك بن مالك ؛ وحميد بن نافع ، وعروة بن الزبير ، وأبو سلمة بن عبدالرحمن ، وزين العابدين على بن الحسين ، وآخرون .

قال ابن سعد : كانت أسماء بنت أبى بكر ارضعتها ، فكانت أخت أولاد الزبير ، وقال بكر ابن عبدالله المزنى : أخبرنى أبو رافع ، يعنى الصائغ ، قال : كنت إذا ذكرت امرأة فقيهة بالمدينة ذكرت زينب بنت أبى سلمة .

وقال سليمان التيمى ، عن أبى رافع : غضبت على امرأتى ، فقالت زينب بنت أبى سلمة وهى يومئذ أفقه امرأة بالمدينة .... فذكر قصة ، وذكرها العجلى فى ثقات التابعين كأنه كان يشترط للصحبة البلوغ ، وأظن أنها لم تحفظ ، وروينا فى (القطعيات) ، من طريق عطاف بن خالد ، عن أمه ، عن زينب بنت أبى سلمة ؛ قالت : كان رسول الله ﷺ إذا دخل يغتسل تقول أمى : ادخلى عليه ، فإذا دخلت نضح فى وجهى من الماء ، ويقول : ارجعى . قالت : فرأيت زينب وهى عجوز كبيرة ما نقص من وجهها شئ . وفى رواية ذكرها أبو عمر : فلم يزل ماء الشباب فى وجهها حتى كبرت وعمرت ، وذكرها ابن سعد فيمن لم يرو عن النبى ﷺ شيئاً وروى عن أزواجه ، (الطبقات) : ٣٣٨/٨ ، (أسماء الصحابة الرواة) : ١٩٤ ترجمة (٢٥٠) ، (الإصابة) : ٦٧٥/٧ - ٦٧٦ ، ترجمة رقم (١١٢٣٥) .

(٤) لم أجد له ترجمه فيما بين يدى من مراجع .

(٥) سبقت له ترجمة .

(١) هو مكرز بن حفص بن الأخيف ، بالخاء المعجمة والياء المثناة ، ابن علقمة بن عبدالحارث بن منقذ بن عمرو بن بغيض بن عامر بن لؤى القرشىّ العامرىّ ، ذكره ابن حبان فى الصحابة ؛ وقال : يقال له صحبة ؛ ولم أراه لغيره ، وله ذكر فى المغازى عند ابن إسحاق والواقدى : أنه هو الذى أقبل لافتداء سهيل بن عمرو يوم بدر . =

= وذكره المرزبانى فى معجم الشعراء ، ووصفه بأنه جاهلى ، ومعناه أنه لم يسلم وإلا فقد ذكر هو أنه أدرك الإسلام ، وقدم المدينة بعد الهجرة لما أسر سهيل بن عمرو يوم بدر فافتداه ، وذكر له الزبير بن بكار قصة افتدائه سهيل بن عمرو ، وأنه قدم المدينة ، فقال : اجعلوا القيد فى رجلى مكان رجليه حتى يبعث إليكم بالفداء ؛ وله ذكر فى صلح الحديبية فى البخارى ، (الإصابة) : ٦/٢٠٦ ـ ٢٠٧ ، ترجمة رقم : (٨١٩٩) .

(٢) لم أجد له ترجمه فيما بين يدى من مراجع .

(٣) لم أجد له ترجمه فيما بين يدى من مراجع .

(٤) هو رافع بن المعلى بن لوذان بن حارثة بن عدى بن زيد بن ، ثعلبة الأنصارىّ الخزرجىّ ذكره موسى بن عقبة وابن إسحاق وغيرهما فيمن استشهد ببدر ، وقتله عكرمة بن أبى جهل . ووهم ابن شهاب فى نسبه ، فقال : إنه من الأوس ، ثم من بنى زريق : وبنو زريق من الخزرج لا من الأوس والمقتول ببدر من الخزرج . (الإصابة) : ٢/٤٤٥ ترجمة رقم (٢٥٤٧) .

(٥) هو العباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف ، القرشىّ الهاشمىّ . عم رسول الله ﷺ ، أبو الفضل . أمه نتيلة بنت جناب بن كلب .

ولد قبل رسول الله ﷺ بسنتين ، وضاع وهو صغير ، فنذرت أمه إن وجدته أن تكسو البيت الحرير، فوجدته فكست البيت الحرير، فهى أول من كساه ذلك ، وكان إليه فى الجاهلية السقاية والعمارة ، وحضر بيعة العقبة مع الأنصار قبل أن يسلم ، وشهد بدراً مع المشركين مكرها ، فأسر فافتدى نفسه ، وافتدى ابن أخيه عقيل بن أبى طالب ، ورجع إلى مكة ، فيقال : إنه أسلم ، وكتم قومه ذلك ، وصار يكتب إلى النبى ﷺ بالأخبار ، ثم هاجر قبل الفتح بقليل ، وشهد الفتح ، وثبت يوم حنين ؛ وقال النبى ﷺ : من أذى العباس فقد آذانى ؛ فإنما عم الرجل صنو أبيه ، أخرجه الترمذى فى قصة .

وقد حدث عن النبى ﷺ بأحاديث ، روى عنه أولاده وعامر بن سعد ، والأحنف بن قيس ، وعبدالله بن الحارث ، وغيرهم .

وقال ابن المسيب ، عن سعد : كنا مع النبى ﷺ ، فأقبل العباس ، فقال : هذا العباس أجود قريش كفاً وأوصلها . أخرجه النسائى . =

= وأخرج البغوى فى ترجمة أبى سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب بسند له إلى الشعبى ، عن أبى هياج ، عن أبى سفيان بن الحارث ، عن أبيه ، قال : كان العباس أعظم الناس عند رسول الله ﷺ ، والصحابة يعترفون للعباس بفضله ويشاورونه ، ويأخذون رأيه ، ومات بالمدينة فى رجب أو رمضان سنة اثنتين وثلاثين ، وكان طويلاً جميلاً أبيض . (الإصابة) : ٦٣١/٣ ـ ٦٣٢ ، ترجمة رقم : ٤٥١٠ (أسماء الصحابة الرواة) : ٩٧ ترجمة (٨٥) ، (الثقات) ٢٨٨/٣ ، (المصباح المضى) : ٥٥/٢ ، (الجرح والتعديل) : ٢١٠/٦ ، (التاريخ الصغير): ١٥/١ ، ٩٩ ، ٧٠ ، (التاريخ الكبير) : ٢/٧ (شذرات الذهب فى أخبار من ذهب) :٣٨/١.

(٦) لم أجد له ترجمه فيما بين يدى من مراجع .

(٧) هو صهيب بن سنان بن مالك . ويقال خالد بن عبد عمرو بن عقيل . ويقال : طفيل بن عامر بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد بن أسلم بن أوس بن زيد مناة بن النمر ابن قاسط النمرى ، أبو يحيى .

وأمه من بنى مالك بن عمرو بن تميم ، وهو الرومى . قيل له ذلك لأن الروم سبوه صغيراً.

قال ابن سعد : وكان أبوه وعمه على الأبلة من جهة كسرى ، وكانت منازلهم على دجلة من جهة الموصل ، فنشأ صهيب بالروم ، فصار ألكن ، ثم اشتراه رجل من كلب فباعه بمكة فاشتراه عبدالله بن جدعان التميمى فأعتقه . ويقال : بل هرب من الروم فقدم مكة ، فحالف ابن جدعان .

وروى ابن سعد أنه أسلم هو وعمار ، ورسول الله ﷺ فى دار الأرقم . ونقل الوزير أبو القاسم المغربى أنه كان اسمه عميرة فسماه الروم صهيباً ؛ وقال : وكانت أخته أميمة تنشده فى المواسم ، وكذلك عماه : لبيد ، وزحر ، ابنا مالك .

وزعم عمارة بن وثيمة أن اسمه عبد الملك . ونقل البغوى أنه كان أحمر شديد الصهوبة تشوبها حمرة ، وكان كثير شعر الرأس يخضب بالحناء ، وكان من المستضعفين ممن يعذب فى الله ، وهاجر إلى المدينة مع على بن أبى طالب فى آخر من هاجر فى تلك السنة فقدما فى نصف ربيع الأول وشهد بدراً والمشاهد بعدها .

وروى ابن عدى من طريق يوسف بن محمد بن يزيد بن صيفى بن صهيب عن آبائه عن صهيب ، قال : صحبت رسول الله ﷺ قبل أن يبعث ، ويقال : إنه لما هاجر تبعه نفر من =

= المشركين ، فسئل ، فقال : يا معشر قريش ، إنى من أرماكم ولا تصلون إلى حتى أرميكم بكل سهم معى ، ثم أضربكم بسيفى ، فإن كنتم تريدون مالى دللتكم عليه ، فرضوا فعاهدهم ودلهم فرجعوا فأخذوا ماله ، فلما جاء إلى النبى ﷺ قال له : ربح البيع ، فأنزل الله عزوجل :﴿ **ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله** ﴾ [البقرة : ٢٠٧] .

ورواه ابن سعد أيضاً من وجه آخر عن أبى عثمان النهدى ، ورواه الكلبى فى تفسيره ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس . وله طريق أخرى .

وروى ابن عدى من حديث أنس ، والطبرانى من حديث أم هانئ ، ومن حديث أبى أمامة عن رسول الله ﷺ : السباق أربعة : أنا سابق العرب ، وصهيب سابق الروم ، وبلال سابق الحبشة ، وسلمان سابق الفرس .

وروى ابن عيينة فى تفسيره ، وابن سعد من طريق منصور عن مجاهد : أول من أظهر إسلامه سبعة ، فذكره فيهم .

وروى ابن سعد من طريق عمر بن الحكم ؛ قال : كان عمار بن ياسر يعذب حتى لا يدرى ما يقول ، وكذا صهيب وأبو فائد ، وعامر بن فهيرة وقوم ، وفيهم نزلت هذه الآية : ﴿ **ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا** ﴾ . [النحل : ١١٠] .

وروى البغوى من طريق زيد بن أسلم ، عن أبيه : خرجت مع عمر حتى دخلت على صهيب بالعالية ، فلما رآه صهيب ، قال : يا ناس ، يا ناس . فقال عمر : ماله يدعو الناس ! قلت : إنما يدعو غلامه يحنس . فقال له : يا صهيب ، ما فيك شئ أعيبه إلا ثلاث خصال : أراك تنتسب عربياً ولسانك أعجمى ، وتكنى باسم نبى ، وتبذر مالك ، قال : أما تبذيرى مالى فما انفقه إلى فى حق ، وأما كنيتى فكنانيها النبى ﷺ ، وأما انتمائى إلى العرب فإن الروم سبتنى صغيراً ، فأخذت لسانهم .

ولما مات عمر أوصى أن يصلى عليه صهيب ، وأن يصلى بالناس إلى أن يجتمع المسلمون على إمام . رواه البخارى فى تاريخه .

وروى الحميدى والطبرانىّ من حديث صهيب من طريق الستة عنه ، قال : لم يشد رسول الله ﷺ مشهداً قط إلا كنت حاضره ، ولم يبايع بيعة قط إلا كنت حاضرها ، ولم يسر سرية قط إلا كنت حاضرها ، ولا غزا غزاة إلا كنت فيها عن يمينه أو شماله، وما خافوا أمامهم قط إلا=

= كنت أمامهم ، ولا ما وراءهم إلا كنت وراءهم ، وما جعلت رسول الله ﷺ بيني وبين العدو قط ، حتى توفي .

ومات صهيب سنة ثمان وثلاثين . وقيل سنة تسع ، وروى عنه أولاده : حبيب ، وحمزة ، وسعد ، وصالح ، وصيفي ، وعباد ، وعثمان ، ومحمد ، وحفيده زياد بن صيفي .

وروى عنه أيضاً جابر الصحابى ، وسعيد بن المسيب ، وعبدالرحمن بن أبى ليلى ، وآخرون .

قال الواقدى : حدثنى أبو حنيفة - رجل من ولد صهيب عن أبيه عن جده قال : مات صهيب فى شوال سنة ثمان وثلاثين وهو ابن سبعين . (أسماء الصحابة الرواة) : ١٠٣ ترجمة (٩٣) ، (الإصابة) : ٣/٤٤٩ - ٤٥٢ ، ترجمة رقم : ٤١٠٨ ، (الثقات) : ٣/١٩٤ ، (حلية الأولياء) : ١/٣٧٢ .

(٨) هي أم أيمن ، مولاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم وحاضنته . قال أبو عمر : اسمها بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصن بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان ، وكنا يقال لها أم الظباء. وقال ابن أبى خيثمة : حدثنا سليمان بن أبى شيخ ؛ قال : أم أيمن اسمها بركة وكانت أم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان رسول الله ﷺ يقول : أم أيمن أمى بعد أمى . وقال أبو نعيم : قيل : كانت لأخت خديجة ، فوهبتها للنبى ﷺ ، وقال ابن سعد : قالوا : كان ورثها عن أمه ، فأعتق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أم أيمن حين تزوج خديجة ، وتزوج عبيد بن زيد ، من بنى الحارث بن الخزرج ، أم أيمن ، فولدت له أيمن فصحب النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فاستشهد يوم خيبر ، وكان زيد بن حارثة لخديجة فوهبته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؛ فأعتقه وزوجه أم أيمن بعد النبوة ، فولدت له أسامة .
ثم أسند عن الواقدىّ ، عن طريق شيخ من بنى سعد بن بكر ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لأم أيمن : يا أمه . وكان إذا نظر إليها يقول هذه بقية أهل بيتى .
وقال ابن سعد : أخبرنا أبو أمامة عن جرير بن حازم : سمعت عثمان بن القاسم يقول : لما هاجرت أم أيمن أمست بالمنصرف ودون الروحاء فعطشت وليس معها ماء وهى صائمة ، فأجهدها العطش ، فدلى عليها من السماء دلو من ماء برشاء أبيض ، فأخذته فشربته حتى رويت ، فكانت تقول : ما أصابنى بعد ذلك عطش ، ولقد تعرضت للعطش بالصوم فى الهواجر ، فما عطشت . =

= وأخرجه ابن السكن ، من طريق هشام بن حسان ، عن عثمان بنحوه ، وقال في روايته : خرجت مهاجرة من مكة إلى المدينة وهى ماشية ليس معها زاد ، وقال فيه : فلما غابت الشمس إذا أنا بإناء معلق عند رأسي ، وقالت فيه : ولقد كنت بعد ذلك أصوم فى اليوم الحار ، ثم أطوف فى الشمس كى أعطش فما عطشت بعد .

أخبرنا عبدالله بن موسى ، أخبرنا فضيل بن مرزوق ، عن سفيان بن عيينة ؛ قال : كانت أم أيمن تلطف النبى صلى الله عليه وآله وسلم وتقدم عليه ؛ فقال : من سره أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن ؛ فتزوجها زيد بن حارثة .

وأخرج البغوى ، وابن السكن ، من طريق سعيد بن عبدالعزيز ، عن مكحول ، عن أم أيمن ـ وكانت حاضنة النبى صلى الله عليه وآله وسلم ـ أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال لبعض أهله : إياك والخمر ..... الحديث . قال ابن السكن : هذا مرسل .

وأخرج البخارى فى تاريخه ، ومسلم ، وابن السكن ، من طريق الزهرى ؛ قال : كان من شأن أم أيمن أنها كانت وصيفة لعبدالله بن عبدالمطلب والد النبى ﷺ ، وكانت من الحبشة ، فلما ولدت آمنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد ما توفى أبوه كانت أم أيمن تحضنه حتى كبر ؛ ثم أنكحها زيد بن حارثة ـ لفظ ابن السكن .

وأخرج أحمد ، والبخارى أيضاً ، وابن سعد ، من طريق سليمان التيمى عن أنس ـ أن الرجل كان يجعل للنبى صلى الله عليه وآله وسلم النخلات حتى فتحت عليه قريظة والنضير ، فجعل يرد بعد ذلك ، فكلمنى أهلى أن أسأله الذى كانوا أعطوه أو بعضه ، وكان أعطاه لأم أيمن ، فسألته فأعطانيه ؛ فجاءت أم أيمن فجعلت تلوح بالثوب وتقول : كلا والله لا يعطيكهن ، وقد أعطانيهن ؛ فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : لك كذا وكذا . وتقول : كلا حتى أعطاها ، حسبته قال : عشرة أمثاله أو قريباً من عشرة أمثاله .

وأخرج ابن السكن ، من طريق عبدالملك بن حصين ، عن نافع بن عطاء ، عن الوليد بن عبدالرحمن ، عن أم أيمن ، قالت : كان للنبى صلى الله عليه وآله وسلم فخارة يبول فيها بالليل ، فكنت إذا أصبحت صببتها ، فنمت ليلة وأنا عطشانة ، فغلطت فشربتها ، فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال : إنك لا تشتكين بطنك بعد هذا .(الإصابة) ٥٣١/٧ ـ ٥٣٢، ترجمة رقم : (١٠٩١٦) ، ٨ /١٦٩ ـ ١٧١ ، ترجمة رقم: ١١٨٩٨ ، (الاستيعاب) : ١٩٢٥/٤ .
=

[وذكر ابن سعد ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، أن أبا بكر الصديق رضى الله تبارك وتعالى عنه ، كان إذا نزل به أمر يريد فيه مشورة أهل الرأى وأهل الفقه ، [دعا] رجلاً من المهاجرين والأنصار ، [و] دعا عمر ، وعثمان وعلياً ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاذ بن جبل ، وأبيّ بن كعب ، وزيد بن ثابت ، رضى الله تبارك وتعالى عنهم ، وكل هؤلاء كان يفتى فى خلافة أبى بكر ، وإنما تصير فتوى الناس إلى هؤلاء ، فمضى أبو بكر ذلك ، ثم ولى عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه ، وكان [يدعو] هؤلاء النفر ، وكانت الفتوى تصير إليهم وهو خليفه ، إلى عثمان ، وأبيّ وزيد] .

= (٩) قال الحافظ ابن حجر : أم يوسف التى شربت بول النبى ﷺ ، تقدم ذكرها فى بركة فى الباء الموحدة من أسماء النساء ، ثم قال : أن كل منهما كانت تكنى أم أيمن ، وتسمى بركة ويتأيد ذلك بأن قصة البول وردت من طريق أخرى مروية لأم أيمن ، [فالله تعالى أعلم أى ذلك كان] . (الإصابة) : ٥٣١/٧ ، ترجمة بركة الحبشة رقم : (١٠٩١٦) ، ٣٢٥/٨ ، ترجمة أم يوسف رقم : (١٢٣٠٣) .

(١٠) هو ماعز بن مالك الأسلمى ، قال ابن حبان : له صحبة ، وهو الذى رجم فى عهد النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، ثبت ذكره فى الصحيحين وغيرهما من حديث أبى هريرة وزيد بن خالد وغيرهما ، وجاء ذكره فى حديث أبى بكر الصديق وأبى ذر ، وجابر بن سمرة ، وبريدة بن الحصيب ، وابن عباس ، ونعيم بن هزال ، وأبى سعيد الخدرى ، ونصر الأسلمى وأبى برزة : سماه بعضهم ، وأبهمه بعضهم ، وفى بعض طرقه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : لقد تاب توبة لو تابها طائفة من أمتى لأجزأت عنهم .

وفى صحيح أبى عوانة وابن حبان وغيرهما من طريق أبى زبير ، عن جابر أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لما رجم ماعز بن مالك قال: لقد رأيته يتخضخض فى أنهار الجنة. ويقال : إن اسمه عريب ، وماعز لقب ، وفى حديث بريدة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : استغفروا لماعز ، (الإصابة) : ٧٠٥/٥ ، ترجمة رقم (٧٥٩٣) ، (الاستيعاب) : ١٣٤٥/٤ .

[وعن عبدالله بن دينار الأسلمى عن أبيه ، قال : كان عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه يستشير فى خلافته إذا حزبه الأمر أهل الشورى [من] الأنصار : معاذ بن جبل ، وأبيّ بن كعب ، وزيد بن ثابت .]

[وعن مسروق قال : شاممت أصحاب رسول الله ﷺ فوجدت علمهم انتهى إلى سته] .

فصل فى ذكر أنصار رسول الله ﷺ

اعلم أن الأنصار رضى الله تبارك وتعالى عنهم قبيل عظيم من الأزد وليست هذه التسميه لأب ، ولأم ، بل لنصرتهم رسول الله ﷺ ، وقد سماهم الله تعالى بذلك فى كتابه العزيز، وأثنى عليهم ، قال تعالى **﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم ﴾**[1] وقال : **﴿ لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم ﴾**[2].

وقال قتادة فى قوله :**﴿ كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم ﴾**[3]، قال : كان ذلك بحمد الله ، جاءه سبعون رجلاً فبايعوه عند العقبه فنصروه ، وآووه حتى أظهر الله دينه . قال : ولم يسم حى من الناس باسم لم يكن لهم إلاهم .

وعن غيلان بن حرب ، قلت لأنس بن مالك : أرأيت اسم الأنصار اسم سماكم به الله ، أم كنتم تسمون به ؟ قال : بل اسم سمانا الله [تعالى] به .

---

(١) التوبة : ١٠٠ .

(٢) التوبة : ١١٧ .

(٣) الصف : ١٤ .

وقال النعمان بن بشير الأنصارى :

يا سعد لا تعد الدعاء فمالنا — نسب نجيب به سوى الأنصار
نسب تخيره الإله لقومنا — أثقل به نسباً على الكفار
إن الذين ثووا ببدر منكمو — يوم القليبة هم وقود النار

والأنصار : جمع نصير ، مثل شريف وأشراف ، وقد جاء النسب إليهم بلفظ الجمع ، خلافا للقياس ، كما جاء فى أمثاله من النوادر . والأنصار كانوا يسمون أولاد قيلة ، والأوس ، والخزرج ، لأنهم ولد الأوس ، والخزرج أبناء حارث بن ثعلبه ، وهو العنقاء بن عمرو ، وهومزيقياء بن عامر ، وهو ماء السماء بن حارثه ، وهوالغطريف ثم امرئ القيس بن ثعلبه بن مازن بن الأزد . هكذا يقول الأنصار .

وكان الكلبى[1] وغيره يقولون : عمرو ، مزيقاء بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرىء القيس بن مازن بن الأزد . والأزد اسمه أُدَدَ بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بنِ سبأ - واسمه عامر - وسمى سبأ لأنه أول من سبا السبى . وكان يدعى أيضاً عبد شمس بن حسنة بن يشجب بن يعرف ، وهو المرعف بن يقطن ، وهو قحطان بن عامر بن شالخ بن أرفخشد بن سام ابن نوح عليه السلام ، على اختلاف فى بعض ذلك .

وأم الأوس والخزرج : قيلة ابنة كاهل بن عذرة بن سعيد بن زيد بن ليت بن سؤدد بنٍ أسلم بن الحاف بن قضاعة . قال هشام بن الكلبى : هكذا [نسبها] أبى والنساب كلهم ، وقالت الأنصار : هى قيلة بنت الأرقم بن عمرو ابن جفنه بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء . والله [تبارك وتعالى] أعلم[2] .

---

(١) عن الكلبى من نسخة محمد بن حبيب ، حدثنا محمد بن حبيب ، قال : أخبرنا هشام بن الكلبى : ولد مالك بن زيد بن كهلان نبتاً ، والخيار ، فولد نبت بن مالك : الغوث ، فولد الغوث أُدَدَ وهو الأزد ، وعمرو ، فمن ولد عمرو : خثعم ، وبجيلة . (جمهرة أنساب العرب) : ٣٣٠ .

(٢) (جمهرة أنساب العرب) : ٣٣٢ .

فصل فى ذكر نزول الاوس والخزرج يثرب

اعلم أن مواطن العرب فى الدهر الأول ، والزمن الغابر ، كانت باليمن ، ومدينة ملكهم مأرب ، فلما قام فى الملك بمأرب عمر بن عامر بن حارثه بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد ، سمى مزيقياء ، لأنه كان له حلة يمانية من ذهب ، منظومة بالجوهر ، تعمل فى حول كامل ، فإذا خرج وقد لبسها يوم عيده وعاد إلى قصره وقف لرجاله ومزقها قطعاً ، كى لا يلبسها أحد بعده[1] .

وأخذ هذه السنة عن ذى القرنين ، الصعب بن ذى مراثد ، وفى أيامه خرب سد مأرب ، ومزّق الله العرب كل ممزق ، كما قال الله تعالى :﴿ **لقد كان لسبأ فى [مسكنهم] آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور * فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشئ من سدر قليل * ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور * وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالى وأياماً آمنين * فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور**﴾[2] .

وكان عمرو بن عامر عنده أثارة من علم بخراب سد مأرب[3] ، [وتمزقهم] فى البلاد ، فعمل حيلة حتى باع عقاره بمأر ، وخرج بأهله وولده

---

(١) كذا فى (الأصل) وفى (الاشتقاق) : ٤٣٥ : كان يمزق عنه كل يوم حلة لئلا يلبسها أحد بعده ، وفى (جمهرة أنساب العرب) : ٦١٦ : كانت تمزق عليه فى كل يوم حلتان ، ويقال : سمى بذلك لتمزق ملكهم .

(٢) سبأ : ١٥ - ١٩ .

(٣) وأما خبر خراب سد مأرب ، وقصة سيل العرم ، فإنه فى ملك حبشان فأخرب الأمكنة المعمورة فى أرض اليمن ، وكان أكثر ما أخرب بلاد كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب ، وعامة بلاد حمير بن سبأ ، وكان ولد حمير وولد كهلان هم سادة اليمن فى ذلك الزمان ، وكان عمرو بن =

فتبعه الأزد كلها ، فساروا حتى نزلوا على عك[1] ، وأقاموا بأرضهم مدة ، فمات عمرو بن عامر ، وقام من بعده ابنه [ثعلبه العنقاء] بن عمرو بن عامر بعهده إليه ، فكانت بين قومه وبين عك[1] حروب ، آلت إلى مسير ثعلبه [بمن] معه ، ونزولهم فى أرض همدان ، وإخراجهم [منها] بعد حروب [كبيرة] ، ثم رحل عنها ، وعادت همدان إليها .

فمضى ثعلبه بقومه إلى نجران ، وبها مدحج ، فنزلوا معهم ثم احتربوا شهرا كاملا ، حتى فرق بينهم سيل العرم ، [وقد] خرب سد مأرب ، فأتى السيل أرض مدحج ، وهم فى محاربة ثعلبة وقومه ، فولوا هاربين ، ونزل ثعلبة بقومه فى أرض السراة ، بعد ما تخلت عنه طوائف ، وأقاموا بعدة مواضع .

= عامر كبيرهم وسيدهم ، وهو جد الأنصار ، فمات عمرو ابن عامر قبل سيل العرم ، وصارت الرياسة إلى أخيه عمران بن عامر الكاهن وكان عاقراً لا يولد له ولد ، كان جواداً عاقلاً ، كان له ولد ولولد أخيه من الحدائق والجنان ما لم يكن لأحد من ولد قحطان ، وكان فيهم امرأة كاهنة تسمى طريفة ، فأقبلت يوماً حتى وقفت على عمران بن عامر ، وهو فى نادى قومه [فقالت له كلاماً ينبئ بخراب سد مأرب] .

(١) عك : بطن اختلف فى نسبه ، فقال بعضهم : بنو عك بن عُدْثان بن عبد الله بن الأزد ، من كهلان ، من القحطانية ، وذهب آخرون إلى أنهم من العدنانية ، وعك أصغر من معد بن عدنان أبو العدنانية . وقال آخرون : إنه عك بن الدّيث بن عدنان بن أدد ، أخو معد بن عدنان كانت مواطنهم فى نواحى زبيد ، وقطنوا مدينة الكدراء وغيرها من مدن اليمن التهامية ، ومن أراضيهم : الأعلاب ، تقع بين كة ، والساحل ، وينسب إلى هذا البطن مخلاف عك ، ومن بلادهم : رمع باليمن .

وكان من تاريخهم : أن أغارت خثعم ومسلية على بنى عك فى راكة ، فهزمتهم عك ، وقد ارتدوا بعد وفاة النبى ﷺ بالأعلاب ، فخرج إليهم بأمر أبى بكر الصديق ، الطاهر بن أبى هالة ، فواقعهم بالأعلاب ، فقتلهم شر قتلة ، وحاربوا سنة ٣٧هـ ، مع معاوية بن أبى سفيان . (معجم قبائل العرب) : ٢ / ٨٠٢ .

وسار حارثة بن ثعلبة بابني الأوس والخزرج إلى يثرب ، فأدركه أبوه ثعلبة قريب مكة ، فلما مروا بمكة وبها جرهم ، قاتلهم جرهم ، فمضوا إلى الجحفة ، وسار ثعلبة إلى الشام فمات ، وقام من بعده ابنه حارثة بن ثعلبة ، فنزل الشام وبها سليخ من قبل الروم ، فنزلوا معهم حتى أتاهم جابى قيصر ملك الروم لأخذ الإتاوه ، فأنف حارثه وقومه من ذلك ، وجرت لهم [مع الروم] خطوب ، آخرها أن سار حارثة وولده الأوس والخزرج و[بنو] أبيه إلى يثرب ، وأقام بنو ضعيف بن عمرو بن عامر وأخوهم بالشام مع سليخ .

وكان بيثرب يومئذ اليهود ، وملكهم شريف بن كعب ، فكتب بينه وبين حارثة بن ثعلبة كتاب عهد ، أقاموا زمانا فى هدوء ، ثم وقع الشر بينهم واقتتلوا فقَتل من اليهود عدداً كبير ، وملكت العرب المدينة بما فيها ، فاجتمع يهود تيماء ، وخبير ، وفدك ، ، والعوالى على حربهم ، فآل أمرهم إلى الصلح .

ونزل الأوس والخزرج بيثرب ، وعمروها بجموعهم ، فمات الملك حارثة ثم ثعلبة العنقاء ، وقام من بعده ابنه العجلاء بن حارثة ، وثارت يهود والأوس والخزرج ، فقتلوا ، وسلبوا ، ونهبوا ، فبعثوا إلى جبلة بن عمرو بن جبلة ، ملك غسان يستصرخه ، فأقبل من الشام لنصرتهم على اليهود ، وحاربهم فقتل ملكهم شريف بن كعب فى جمع كبير منهم ، حتى ذلوا له ، ثم عاد إلى الشام ، فمات فى طريقه .

وقام من بعده ابنه الحارث بن الجبلة ، فسار إليه مالك بن العجلان ليهنئه بالملك ، ففقد ليلاً فى بنى قريظة ، وقد عرش بمنازلهم ، فأوقع بهم العجلان ، وقتل منهم بضعا وثمانون رجلا بحيل دبرها ، وكان قد قام بأمر اليهود بعد ملكهم شريف بن كعب ، ابنه القيطون بن شريف – واسمه جونى ، والقيطون لقب – فجمع يهود الحجاز ، وتيماء ، وفدك ، والعوالى ، وزحف إلى يثرب ، فكان بينه وبين الأوس والخزرج قتال شديد ، قتل فيه كثير من الفريقين فبعث العجلان يستنصر بطيئ وهم بأطراف نجد ، فأتوه ، وهزموا اليهود ، وقتل القيطون فى عدد كبير من قومه .

وأقامت الأوس والخزرج بعد ذلك دهراً طويلا من الزمن بغير منازع حتى كثروا ، وضاقت وبمن معهم من قبائل غسان أرض يثرب ، فسارت قبائل غسان إلى الشام حتى لم يبق [بيثرب] إلا الأوس والخزرج ، وبنوا الحشحاش ابن جدع بن سنان .

فلما رأت ذلك اليهود ، جمعهم ملكهم لحرب العرب ، واستصرخ بعملوق الطسمى ، من أرض اليمامة ، وبدليل بن شريك الجديسى ، وبكامل بن علقمة الراسبى ، فأتوه فى جيوش عظيمة ، وحصروا يثرب وقتلوا عدة من رجال الأوس والخزج ، وسبوا النساء والذرية ، فنزل بهم بلاء كبير من اليهود ، وانقطع منهم الملك والتيجان من حينئذ ، حتى جاء الله بالإسلام .

فصل فى ذكر بطون الأوس و الخزرج

أما الأوس فإنها ترجع إلى أوس بن حارثة ، ولم يكن له ولد إلا مالك ، وكان لأخيه الخزرج خمسه : عمرو ، وعوف ، وجشم ، والحارث ، وكعب ، فقال للأوس قومه : أمرناك بالنزوح فلم تفعل ، فقال : لم يهلك هالك ترك مثل مالك ، وإن كان الخزرج ذا عدد وليس لمالك ولد ، فلعل الذى استخرج العرق من الجريمة ، والنار من الوثيمة ، أن يجعل لمالك نسلا ورجالا ، بكلام فى كلام بليغ .

واعلم أن بطون الأوس والخزرج كثيرة ، وأشهر بطون الأوس : عبد الأشهل بن [جشم] بن الحارث بن الخزرج بن عمرو النبيت بن مالك بن الأوس ، وأمه صخرة ابنة ظفر بن الخزرج بن عمرو النبيت . وحارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس . وظفر بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس . وخطمة ، واسمه عبد الله بن جشم بن مالك بن الأوس . وواقف ، واسمه مالك بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس . والسلم ابن امرىء القيس بن مالك بن الأوس . ووائل بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الأوس .

وأمية بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الأوس . وعمرو ابن عوف بن مالك بن الأوس . وفيهم بطون منها : أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف . وضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف وعبيد [بن] زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف . ويقال لآل حنش : أهل عوف .

وحنش بن عوف ومعاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف وحنش بن عوف بن عمرو بن عوف ، ويقال لأهل حنش : أهل المسجد وحجاج ابن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف . وثعلبة بن عمرو بن عوف ابن مالك بن الأوس .

وبنو السميعة ، وهم بنو لوذان بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس وكان يقال لهم : الصماء ، فسألهم رسول الله ﷺ : من أنتم ؟ فقالوا : نحن بنو

الصماء ، فقال أنتم بنو السميعة ، وهى من بلقين . وحبيب بن عمرو بن عوف ابن مالك بن الأوس .

فهذه بطون الأوس ، وكلها ترجع الى مالك بن الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة ، ويقال لهم : أوس الله ، وهم الجعاذره ، وسموا بذلك لقصر فيهم ، أو لأنهم [كانوا] إذا أجاروا جارا قالوا له : جعذر حيث شئت .

ومن بطون الخزرج : النجار ، واسمه تيم الله [بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج] وقال الكلبى : اسمه العثر بن ثعلبه بن عمرو بن الخزرج وأمه الصدوف ابنة مالك من حمير ، وسمى النجار لأنه ضرب وجه رجل فنجره ، وقيل : بأنه اختتن بقدوم ، وكان يقال له أيضاً العثر .

وفى النجار بطون منها : مالك بن النجار ، وفيهم بطون منها غنم بن مالك بن النجار ، وهو مغالة ، وهم من بنى عمرو بن مالك بن النجار ، ومغالة ، أم عدى بن عمرو وبها يعرفون ، ومبذول واسمه عامر بن مالك بن النجار ، وعدى بن النجار ، ومازن بن النجار ، ودينار بن النجار .

والحارث بن الخزرج ، وفيهم بطون : هى جشم وزيد مناة ابنا الحارث ابن الحارث بن الخزرج ، وهم التوأمان ، الأبخر بن عوف بن الحارث بن الخزرج ، وجدارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج ، وكعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج ، وساعدة بن كعب بن الخزرج بن حارثه .

وفيهم بطون : هى طريف بن الخزرج بن ساعدة وثعلبة بن الخزرج ابن ساعدة ، وعمرو بن الخزرج بن ساعدة ، وسالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج بن حارثة . والقواقلة وهم : قوقل واسمه غانم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ، كانوا من أعز أهل يثرب ، وكانوا يقولون للغريب إذا دخل المدينه : قوقل حيث شئت ، أى انزل حيث شئت ، فأنت آمن ، فسموا : القواقله ، [وليس] أحد يقول هذا غيرهم .

[والحبلى] ، وهو سالم بن غنم بن الخزرج بن حارثة ، وإنما سمى الحبلى لعظم بطنه ، والنسبة إليه الحبَلىّ بفتح الباء ، وهو شاذ النسب ، وكان

القياس : حبلىّ باسكان الباء ، وحبلاوىّ . وسلمة بكسر اللام ، بن سعد بن على ابن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج بن حارثة .

وفى سلمة بطون ، وهم :[بنو] حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة ، وعبيد بن عدى بن غنم [بن] كعب بن سلمة ، وسواد بن غنم بن كعب بن سلمة ، وأدى بن سعد بن على بن أسد ، أخو سلمة ، وهم مع بنى سلمة ، وزريق - بتقديم الزاى على الراء - ابن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب - بعين معجمه مفتوحه - ابن جشم بن الخزرج بن حارثة ، وبياضة بن عامر ، وزريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج بن حارثة ، وحبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج بن حارثه ، فهذه قبائل الأنصار وبطونها من الأوس والخزرج ابنى حارثة .

فصل فى ذكر ما أكرم الله تعالى به الأوس والخزرج من لقاء رسول الله ﷺ ومبادرتهم إلى إجابته ودخولهم فى طاعته ، وتصديقهم برسالته ومسارعتهم إلى مبايعته [وحرصهم] على إيوائه ونصرته ، بعد ما عرض نفسه على قبائل العرب فردوه ولم يقبلوه .

[اعلم أن رسول الله ﷺ ، كان(١)] يقف بالموسم على [القبائل](٢) فيقول : يا بنى فلان ، إنى رسول الله إليكم ، يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وكان يمشى خلفه أبو لهب ويقول : لا تطيعوه .

وأتى رسول الله ﷺ كندة في منازلهم ، فدعاهم إلى الله فأبوا ، وأتى كلبا فى منازلهم ، فلم يقبلوا منه ، وأتى بنى حنيفة فى منازلهم ، فردوا عليه أقبح ردّ ، وأتى عامر بن صعصعة ، وكان لا يدع من العرب من [له(١)] اسم وشرف إلا دعاه ، وعرض عليه ما عنده .

خرج الترمذى من حديث إسرائيل ، حدثنا عثمان [بن(٢)] المغيرة عن سالم بن أبى الجعد ، عن جابر رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه بالموقف فقال : [إلا(٢)] رجل يحملنى إلى قومه ؟ فإن قريشاً قد منعونى أن أبلغ كلام ربى . قال أبوعيسى : هذا حديث [غريب(٣)] صحيح(٤) .

---

(١) زيادة للسياق والبيان .

(٢) زيادة للسياق والبيان من (سنن الترمذى) .

(٣) فى (الأصل) : : " حسن " .

(٤) (سنن الترمذى) : ٥ / ١٦٨ - ١٦٩ ، كتاب فضائل القرآن ، باب (٢٤) ، حديث رقم (٢٩٢٥) .

وخرج أبو داود من حديث إسرائيل ، عن عثمان بن المغيرة ، عن سالم ابن أبى الجعد ، عن جابر بن عبد الله رضى الله تبارك وتعالى عنه ، قال : كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول : هل من رجل يحملنى إلى قومه ، فإن قريشاً قد منعونى أن أبلغ كلام[1] ربى .

زاد ابن إسحاق فى روايته قال : فأتاه رجل من همدان فقال : أنا ، فقال : وهل فى قومك منعة ؟ وسأله : من أين هو ؟ فقال : من همدان ، ثم إن الهمدانى خشى أن يخفره قومه ، فأتى رسول الله ﷺ فقال : آتيهم فأخبرهم ، ثم القاك من عام قابل ؟ قال : نعم ، فانطلق ، وجاء وفد الأنصار فى رجب . وخرجه الحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين[2] . [ولم يخرجاه[3]] .

وقال موسى بن عقبة عن ابن شهاب : وكان رسول الله ﷺ فى تلك السنين يعرض نفسه على قبائل العرب من كل موسم ، ويكلم كل شريف قوم ، لا يسألهم مع ذلك أن لا يؤذوه ويمنعوه ، يقول : لا أكره أحداً منكم على [شئ] ، من رضى منكم بالذى أدعو إليه [قبله] ، ومن كره لم أكرهه ، إنما أريد أن تحرزونى مما يراد بى من القتل ، حتى أبلغ رسالات ربى ، وحتى يقضى الله عز وجل لى و[لمن] صحبنى بما شاء ، فلم يقبله أحد منهم ، ولم يأت أحد من تلك القبائل إلا قال : قوم الرجل أعلم به ، أترون أن رجلا يصلحنا

---

(١) (سنن أبى دادود) : ٥ / ١٠٣ ، كتاب السنة ، باب (٢٢) فى القرآن ، حديث رقم (٤٧٣٤)

(٢) (المستدرك) : ٢ / ٦٦٩ ، كتاب تواريخ الأنبياء والمتقدمين من الأنبياء والمرسلين ، حديث رقم (٤٢٢٠) .

(٣) زيادة للسياق من (المرجع السابق) ، (سيرة ابن هشام) : ٢ / ٢٧٠ - ٢٧٥ ، عرض رسول الله ﷺ نفسه على القبائل ، (مسند أحمد) : ٤ / ٣٨٢ ، حديث رقم (١٤٧٧٠) من مسند جابر بن عبد الله رضى الله تبارك وتعالى عنه ، (سنن ابن ماجة) : ١ / ٧٣ ، المقدمة ، باب (١٣) فيما أنكرته الجهمية ، حديث رقم (٢٠١) . (سنن الدارمى) : ٢ / ٤٤٠ ، باب القرآن كلام الله ، (المجموعة الصحيحة) : ٤ / ٥٩١ ، حديث رقم (١٩٤٧) .

وقد أفسد قومه ولفظوه ؟ فكان ذلك مما ادّخر الله عز وجل للأنصار وأكرمهم به ، [من البركة[1]] .

فلما توفى أبو طالب ارتد البلاء على رسول الله ﷺ أشد ما كان ، فعهد إلى ثقيف بالطائف ، رجاء أن يؤووه ، فوجد ثلاثة نفر ، هم ساده ثقيف يومئذ ، وهم إخوه : عبد ياليل بن عمرو ، وحبيب بن عمرو ، ومسعود بن عمرو ، فعرض عليهم نفسه ، وشكا إليهم البلاء ، وما انتهك منه قومه ، فقال أحدهم : أنا أسرق أستار الكعبه إن كان الله قد بعثك بشيء ! وقال الآخر : أعجز الله أن يرسل غيرك ؟ وقال الآخر : والله لا أكلمك بعد مجلسك هذا أبداً ، والله لئن كنت رسول الله ، لأنت أعظم شرفاً وحقاً من أن أكلمك ، ولئن كنت تكذب على الله ، لأنت أشر من أن أكلمك ، وهزءوا به ، وأفشوا فى قومهم الذى راجعوه به ، وقعدوا له صفين على طريقه ، فلما مر رسول الله ﷺ بين صفيهم ، جعلوا لا يرفع رجليه ولا يضعها ، إلا رضخوها بالحجارة ، حتى دموا رجليه ، فخلص منهم وهما يسيلان الدماء .

فعمد إلى حائط من حوائطهم واستظل فى ظل حبله[2] منه ، [وهو] مكروب موجع ، تسيل رجلاه دماً ، فإذا فى الحائط عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، فلما رآهما كره مكانهما ، لما يعلم من عداوتهما لله ورسوله ، فلما رأياه أرسلا إليه غلاماً [لهما] يدعى عدّاس - هو نصرانيّ من أهل نينوى معه عنب - فلما جاءه عداس ، قال له رسول الله ﷺ : من أى أرض أنت يا عداس ؟ قال : أنا من أهل نينوى ، فقال له رسول الله ﷺ : من مدينة الرجل الصالح يونس بن متى ؟ فقال له عدّاس : وما يدريك من يونس بن متى ؟ قال له رسول الله ﷺ - وكان لا يحقر أحداً أن يبلغه رسالة ربه - : أنا رسول الله ، والله عز وجل أخبرنى خبر يونس [بن] متى ، فلما أخبره بما أوحى الله إليه من شأن يونس بن متى ، خرّ عداس ساجداً لرسول الله ﷺ ، يقبل قدميه وهما يسيلان الدماء ، فلما أبصر عتبة وشيبة ما صنع غلامهما ، سكتا ،

---

(١) (دلائل أبى نعيم) : ١ / ٢٩٥ حديث رقم (٢٢١) .

(٢) الحبلة : شجرة العنب .

فلما أتاهما قالا : ما شأنك ؟ سجدت لمحمد وقبلت قدميه ؟ ولم نرك فعلته بأحد منا ! قال : هذا رجل صالح ، أخبرنى بشىء عرفته ، من شأن رسول بعثه الله إلينا ، يدعى يونس بن متى ، فضحكا به وقالا : لا يفتنك عن نصرانيتك ، فإنه رجل خداع ، فرجع رسول الله ﷺ إلى مكة[1] .

وقال محمد بن سعد : حدثنا محمد بن عمر - يعنى الواقدى - قال : حدثنى عبد الرحمن بن عبد العزيز ، عن أبى الحويرث ، عن محمد بن جبير ابن مطعم قال : خرج رسول الله ﷺ بعد موت أبى طالب إلى الطائف ، ومعه زيد بن حارثة رضى الله تبارك وتعالى عنه ، وذلك فى الثالث من شوال سنة عشر . قال الواقدى : فأقام بالطائف عشرة أيام - قال غيره : شهراً - لا يدع أحداً من أشرافهم إلا جاءه فكلمه فلم يجيبوه ، وخافوا على أحداثهم فقالوا : يا محمد ! اخرج من بلدنا والحق بمحالك من الأرض ، وأغروا به سفهاءهم ، فجعلوا يرجمونه بالحجارة ، حتى إن رجليه لتدميان ، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه ، حتى لقد شج فى رأسه شجاجاً ، فانصرف رسول الله ﷺ إلى مكة وهو محزون .

فلما نزل نخلة ، قام يصلى من الليل ، فصرف إليه نفر من الجن ، سبعة من أهل نصيبين ، فاستمعوا القرآن ، وأقام بنخله أياماً ، فقال له زيد بن حارثة : كيف تدخل عليهم وهم أخرجوك ؟ فأرسل رجلاً من خزاعة إلى مطعم ابن عدى ، أدخل فى جوارك ؟ قال : نعم .

ويروى أنه أن ذهب إلى الأخنس بن شريق فقال : هل أنت مجيرى حتى أبلغ رساله ربى ؟ فقال : إن الحليف لا يجير على الصريح ، فقال الرسول : ائت سهيل بن عمرو ، فقل له : إن محمداً يقول لك : هل أنت مجيرى حتى أبلغ رسالات ربى ؟ فأتاه ، فقال له ذلك ، فقال : إن بنى عامر بن لؤى لا تجير على بنى كعب ، فرجع إلى رسول الله ﷺ . فأخبره فقال : ائت

---

(١) نينوى : بكسر أوله وسكون ثانيه ، وفتح النون والواو ، وهى قرية نبى الله يونس عليه السلام بالموصل .(معجم البلدان) : ٣٩١/٥ .

المطعم ابن عدى فقل له : إن محمداً يقول لك : هل أنت مجيرى حتى أبلغ رسالات ربى ؟ قال : نعم ، فليدخل ، فرجع إليه فأخبره .

وأصبح المطعم بن عدى قد لبس سلاحه هو وبنوه ، وبنو أخيه ، ودخلوا المسجد ، فلما رآه أبو جهل قال : أمجير أم تابع ؟ قال : بل مجير ، قال : أجرنا من أجرت ، فدخل رسول الله ﷺ فانتهى إلى الركن فاستلمه ، وصلى ركعتين ، وانصرف إلى بيته ، ومطعم وأولاده مطيفون به[١] .

وخرج الترمذى من حديث حماد بن سلمة قال : حدثنا ثابت ، عن أنس رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لقد أخفت فى الله ، وما يخاف أحد ، ولقد أوذيت فى الله ، وما يؤذى أحد، ولقد أتت على ثلاثون من بين يوم وليلة ، وما لى [ولبلال] طعام يأكله ذو كبد ، إلا شىء يواريه إبط بلال[٢] ، قال أبو عيسى : هذا حديث [حسن غريب][٣] .

قال بعضهم : ومعناه أن رسول الله ﷺ حين خرج فاراً من مكة ومعه بلال ، إنما كان مع بلال من الطعام ما يحمله تحت إبطه[٤] .

وخرج البخارى[٥] من حديث ابن شهاب قال : أخبرنى عمرو بن الزبير أن عائشة [رضى الله تبارك وتعالى عنها زوجة رسول الله ﷺ]

---

(١) (طبقات ابن سعد) : ١ / ٢١٠ - ٢١٢ ، ذكر خروج رسول الله ﷺ إلى الطائف .

(٢) (سنن الترمذى) : ٤ / ٥٥٦ ، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ، باب (٣٤) ، حديث رقم (٢٤٧٢) .

(٣) زيادة للسياق من (سنن الترمذى) ، وفى (الأصل) : " حديث صحيح " ، وقال : ومعنى هذا الحديث : حين خرج رسول الله ﷺ فاراً من مكة ومعه بلال إنما كان مع بلال من الطعام ما يحمله تحت إبطه .

(٤) (المرجع السابق) : تعقيباً على الحديث رقم (٢٤٧٢) .

(٥) (فتح البارى) : ٦ / ٣٨٤ - ٣٨٥ ، كتاب بدء الخلق ، باب (٧) إذا قال أحدكم : " آمين " والملائكة فى السماء ، فوافقت إحداهما الأخرى غفرله ما تقدم من ذنبه ، حديث رقم (٣٢٣١)، ١٣ ، ٤٦٠ ، كتاب التوحيد باب (٩) **﴿ وكان الله سميعاً بصيراً ﴾** حديث رقم =

حدثته أنها قالت لرسول الله ﷺ : هل أتى عليك يوم أشد عليك من يوم أحد ؟ قال : لقد لقيت من قومك [مالقيت و] كان أشد منه يوم العقبة ، إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل [بن] عبد كلال ، فلم يجبنى إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهى ، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسى ، فإذا أنا بسحابه قد أظلتنى ، فنظرت ، فإذا فيها جبريل عليه السلام ، فنادانى فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، ثم نادانى ملك الجبال ، فسلم علىّ ثم قال: يا محمد إن الله عز وجل قد سمع قومك ، وأنا ملك الجبال ، قد بعثنى إليك ربك لتأمرنى بما شئت ، إن شئت نطبق عليهم الأخشبين ، فقال له رسول الله ﷺ : بل أرجو أن يخرج الله من أشرارهم [أوقال من أصلابهم](١) من يعبد الله لا يشرك به شيئا .

قال يونس بن بكير : عن ابن إسحاق ، قال : حدثنى الزهرى قال : أتى رسول الله ﷺ ناساً من كندة [فى] مياه لهم ، وفيهم سيد لهم يقال له : مليح ، فدعاهم إلى الله عز وجل ، فعرض عليهم نفسه ، فأبوا أن يقبلوا منه نفاسه ، ثم أتى حياً من كلب ، يقال لهم ، بنو عبد الله، فقال لهم: يا بنى عبد الله ! قد أحسن الله اسم أبيكم، فلم يقبلوا ما عرض عليهم .

قال أبو نعيم : وحمله عرض نفسه ﷺ على القبائل على تأكيد الحجة على منى لم يقبله ، ولزوال اللائمة عنه ﷺ فى الإساءة بهم إذا أعلاه الله [لكى] لا ينسب إليه - إذا لم يعدم العذر، ويلزمهم الحجة ـ الغلظة والإساءة بقومه .

وقيل : بل عرض نفسه على القبائل رياضة من الله له، وتنبيهاً على التوكل عليه فى كل أموره ، فيبقى له العلو والتمكين ، من حيث لا يحتسب ،

= (٧٣٨٩) ، وأخرجه مسلم فى كتاب الجهاد ، باب (٣٩) مالقى رسول الله ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ، حديث رقم (١٧٩٥) .

(١) ما بين الحاصرتين ليس فى البخارى .

فقيض له الأنصار مع بعد نسبهم ، فصاروا له وزراءً وأنصاراً ، دون أقاربه وقومه و عشيرته ، الذين هم أولى بنصرته .

أول من لقيه من الأوس سويد بن الصامت

قال يونس بن بكير [عن] ابن إسحاق : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أشياخٍ من قومه قالوا : قدم سويد بن الصامت أخو بني عمرو بن عوف مكة حاجاً أو معتمراً ، و كان سويد [إنما] يسميه قومه فيهم : الكامل ، لسنه ، و جلده ، و شعره [وشرفه ، ونسبه] ، قال : فتصدى له رسول الله ﷺ ، [حين سمع به] ودعاه إلى الله عز وجل ، وإلى الإسلام ، فقال سويد : فلعل الذي معك مثل الذي معي ، فقال له رسول الله ﷺ : وما الذي معك ؟ فقال : مجلة لقمان ، يعني حكمته ، فقال رسول الله ﷺ : اعرضها عليَّ ، فعرضها عليه ، فقال : إن هذا لكلام حسن ، والذي معي أفضل منه ، قرآن أنزله الله عزّوجل عليَّ ، هو هدى و نور ، فتلا عليه ﷺ القرآن ، ودعاه إلى الإسلام ، فلم يبعد منه ، وقال : إن هذا لقول حسن ، ثم انصرف [عنه] .

فقدم المدينة على قومه ، فلم يلبث أن قتلته الخزرج ، وكان الذي قتله المجذر بن [زياد] البلوى ، حليف بني عوف بن الخزرج ، وكان رجال قومه يقولون : إنا لنرى أنه قتل وهو مسلم ، وكان قتله قبل يوم بعاث[1] .

وذكر ابن عبد البر : أن سويد بن الصامت هذا لقي رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز من مكة ، في حجة حجها سويد [على ما كانوا يحجون عليه في [الجاهلية] ، وذلك في أول مبعث رسول الله ﷺ ودعائه إلى الله

---

(١) (سيرة ابن هشام) : ٢ / ٢٧٣ - ٢٧٥ ، عرضه ﷺ نفسه على سويد بن الصامت ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (سيرة ابن هشام) ، ومجلة لقمان : صحيفة ، ويوم بعاث : يوم من أيام العرب في الجاهلية وقعت فيه الحرب بين الأوس والخزرج ، هلك فيها كثير من صناديدهم وأشرافهم ، وبعاث : اسم أرض بها عرفت . هامش (المرجع السابق) ، (أيام العرب في الجاهلية) : ٧٣ وما بعدها .

تعالى ، فدعاه عليه السلام إلى الإسلام ، فلم يرد عليه سويد شيئاً ، و لم يظهر له قبول ما دعاه إليه وقال له : لا أبعد ما جئت به ، ثم انصرف إلى قومه بالمدينة . قال أبو عمر : أنا شاك فى إسلام سويد بن الصامت ، كما شك فيه غيرى[١] .

ثم لقى رسول الله ﷺ بعد لقاء سويد بن الصامت فتية من بنى عبد الأشهل

قال يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى الحصين بن عبد الرحمن بن سعد بن معاذ ، عن محمود بن لبيد ، أخى بنى عبد الأشهل قال : لما قدم أبو الحيسر أنس بن رافع مكة ، ومعه فتية من بنى عبد الأشهل ، فيهم إياس بن معاذ ، [يلتمسون][٢] الحلف من قريش على قومهم من الخزرج ، سمع بهم رسول الله ﷺ ، فأتاهم ، فجلس إليهم ، فقال لهم : هل لكم [فى][٣] خير مما جئتم له ؟ فقالوا [له][٤] : وماذاك ؟ قال : أنا رسول الله ، بعثنى إلى العباد ، أدعوهم إلى أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، و أنزل علىَّ الكتاب ، ثم ذكر لهم الإسلام ،[وتلى] عليهم القرآن ، فقال إياس بن معاذ - وكان غلاماً حدثاً - : [أى][٥] قوم ! هذا والله خير مما جئتم له ، [قال][٦] فأخذ أبو الحيسر أنس بن رافع ، حفنة من البطحاء ، فضرب بها وجه إياس [

---

(١) (الاستعياب) : ٢ / ٦٧٧ - ٦٧٨ ، ترجمة رقم (١١١٦) .

(٢) فى (الأصل) : " يلتمس " .

(٣) فى (الأصل) : " إلى " .

(٤) زيادة للسياق .

(٥) فى (الأصل) : " يا " .

(٦) زيادة للسياق .

ابن معاذ][1] وقال : دعنا منك ، فلعمرى لقد جئنا لغير هذا [قال : فصمت إياس][2] .

وقام رسول الله ﷺ عنهم ، وانصرفوا إلى المدينة ، [وكانت] وقعة بعاث بين الأوس و الخزرج ، ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك . قال محمود ابن لبيد : فأخبرنى من حضره [من] قومه [عند موته] أنهم لم يزالوا يسمعونه يهلل الله تعالى ، ويكبره ، ويحمده ، ويسبحه ، حتى مات ، و كانوا لا يشكون أن قد مات مسلماً ، [فقد] كان استشعر الإسلام فى ذلك المجلس ، حين سمع من رسول الله ﷺ ما سمع[3] .

وخرج البخارى وأحمد من حديث أبى أسامة قال : أخبرنا هشام بن عروة عن أبيه ، عن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها ، قالت : كان يوم بعاث يوماً قدمه الله لرسوله ﷺ ، فقدم رسول الله ﷺ المدينة ، وقد افترق ملأهم ، و قتلت سرواتهم[4] . وزاد أحمد : ورقوا لله ولرسوله فى دخولهم فى الإسلام[5] .

---

(١) زيادة للنسب .

(٢) زيادة للسياق ، وفى (الأصل) : " فسكت " .

(٣) (سيرة ابن هاشم) : ٢ / ٢٧٥ - ٢٧٦ ، إسلام إياس بن معاذ وقصة أبى الحيسر .

(٤) (فتح البارى) : ٧ / ١٣٨ ، كتاب مناقب الأنصار ، باب (١) مناقب الأنصار ، باب (٤٦) مقدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة ، حديث رقم (٣٩٣٠) .

(٥) أخرجه الإمام أحمد فى (المسند) : ٧ / ٩٠ ، حديث رقم (٢٣٧٩٩) ، من مسند السيدة عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها . وسرواتهم : سادتهم وكبرائهم .

وكان من خبر يوم بعاث[1]

[اعلم] أن الأوس والخزرج لما استقروا بيثرب كما تقدم ، وقع بينهم عدة حروب [فى مدة] مائة وعشرين سنة ، آخرها أن قريظة والنضير [حيان] من اليهود ، جددوا مع الأوس العهود على المؤازة والتناصر . وأدخلوا معهم قبائل أخر من اليهود ، وجدّوا فى أمرهم ، فجمعت الخزرج ، واستنفروا حلفاءهم من أشجع ، وجهينة ، فراسل الأوس أيضاً حلفاءهم من مزينة ، وأقام الفريقان مدة أربعين يوماً يتجهزون للحرب ، ثم التقوا ببعاث - وهى من أموال بنى قريظة - وعلى الأوس حضير الكتائب بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس [بن] زيد بن الأشهل بن جشم بن الحارث بن عمرو بن مالك بن الأوس[2] وعلى الخزرج رحيلة بن ثلعبة بن خالد بن عامر بن بياضة بن زريق ابن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج بن حارثة البياضى[3]، وتخلف عبد الله بن أبىّ ابن سلول فيمن تبعه عن الخزرج ، وتخلف بنو حارثة ابن الحارث عن الأوس ، [فاقتتلوا] قتالاً شديداً صبروا فيه جميعاً ،ثم انهزمت الأوس ، فثبت حضير الكتائب ، ونزل عن فرسه ، و ضرب بحربته ظهر قدمه ، وصرخ واعقراه ، وصاح : والله لا أبرح حتى أقتل ، فعطفوا عليه ، وقاتلوا ، فقتل عمرو بن النعمان رئيس الخزرج ، فانهزم الخزرج ،

---

(١) بُعاث : بالضم ، وآخره ثاء مثلثة : موضع فى نواحى المدينة ، كانت به وقائع بين الأوس والخزرج فى الجاهلية - وحكاه صاحب (كتاب العين) بالغين المعجمة ، ولم يسمع فى غيره ، وقال أبو أحمد العسكرى : هو تصحيف .

(٢) ترجمته فى (جمهرة أنساب العرب) : ٣٣٩ ، ٣٤٦ ، (جمهرة النسب) : ٦٣٤ ، ٦٣٥ .

(٣) ترجمته فى (جمهرة أنساب العرب) : ٣٥٧ ، (الإصابة) : ٢ / ٤٨١ ، ترجمة رقم (٢٦٤٧) ، وقال الحافظ : رخيلة بالخاء المعجمة مصغراً ، ابن ثعلبة بن خالد بن ثعلبة ابن عامر بن بياضة الأنصارى الزرقى . ذكره ابن إسحاق ، وموسى بن عقبة فيمن شهد بدراً . قال ابن هشام : قاله ابن إسحاق بالجيم ، والصواب بالخاء ، كذا أطلق ، وقيده الدارقطنى وغيره بالخاء المعجمة .

ووضع الأوس فيهم السلاح ، ثم كفوا عنهم . وأما حضير الكتائب فمات من جراحته ، وأحرق الأوس دور الخزرج ونخيلهم .

وخرج الترمذى من حديث الفضل بن موسى ، عن عيسى بن عبيد ، عن غيلان بن عبدالله ، عن أبى زرعة بن عمرو بن جرير بن عبدالله رضى الله تبارك وتعالى عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : إن الله أوحى إلىَّ أى هؤلاء الثلاثة نزلتَ ، فهى دار هجرتك : المدينة ، أو البحرين ، أو قنسرين[1] قال أبو عيسى : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الفضل بن موسى [2] .

وقال موسى بن عقبة ، عن ابن شهاب قال ، فلما اشتدوا على رسول الله ﷺ والمسلمين ، أمرهم رسول الله ﷺ [بالخروج] إلى المدينة ، فخرجوا

---

(١) قنسرين : بكسر أوله وفتح ثانيه وتشديده - وقد كسره قوم - ثم سين مهملة . وسبب تسميتها بذلك أن ميسرة بن مسروق العبسى مرَّ عليها فلما نظر إليها قال : ما هذه ؟ فسميت له بالرومية ، فقال : والله لكأنها قين نسر ، فسميت قنسرين ، وقيل غير ذلك .

وكان فتح قنسرين على يد أبى عبيدة بن الجراح رضى الله تبارك وتعالى عنه فى سنة (١٧) ، وكانت حمص وقنسرين شيئاً واحداً ، قال أحمد بن يحى : سار أبو عبيدة بن الجراح بعد فراغه من اليرموك إلى حمص ، فاستقر بها ، ثم أتى قنسرين وعلى مقدمته خالد بن الوليد ، فقاتله أهل مدينة قنسرين ، ثم لجأوا إلى حصنهم ، وطلبوا الصلح ، فصالحهم ، وغلب المسلمون على أرضها وقراها .

وكانت قنسرين مدينة بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص ، بقرب العواصم ، وبعضهم يدخل قنسرين فى العواصم ، وكانت عامرة آهلة إلى أن كانت سنة (٣٥١) وغلبت الروم على مدينة حلب فليس بها اليوم إلا خان ينزله القوافل وعشار السلطان ، وفريضة صغيرة .

وكان خراب قنسرين فى سنة (٣٥٥) قبل موت سيف الدولة بأشهر . كان قد خرج إليها ملك الروم ، وعجز سيف الدولة عن لقائه فأمال عنه ، فجاء إلى قنسرين وخربها ، وأحرق مساجدها ، ولم تعمر بعد ذلك ، وحاضرة قنسرين بلدة باقية إلى الآن .

(٢) (سنن الترمذى) : ٥ / ٦٧٨ ، كتاب المناقب ، باب (٦٨) فى فضل المدينة ، حديث رقم (٣٩٢٣) .

أرسالاً أرسالاً [1] فخرج منهم قبل خروج رسول الله ﷺ إلى المدينة : أبو سلمة ابن عبد الأسد ، وامرأته أم سلمة بنت أبى أمية ، وعامر بن ربيعة ، وامرأته أم عبدالله بنت أبى حثمة - ويقال : أول ظعينة قدمت المدينة أم سلمة ، ويقول بعض الناس : أم عبدالله ، والله أعلم - ومصعب بن عمير ، وعثمان بن مظعون ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وعبدالله بن جحش ، وعثمان بن الشريد ، وعمار بن ياسر . فنزل أبو سلمة ، وعبد الله بن جحش فى بنى عمرو بن عوف ، ثم خرج عمر بن الخطاب ، وعباس بن أبى ربيعة فى أصحاب لهم ، فنزلوا فى بنى عمرو بن عوف ، وعدا أبو سفيان بن حرب على دار بنى جحش ، وهى دار إياب بن عثمان عند الروم فيملكها ، إذ بقيت [خراباً] لاأحد بها ، لأنهم هاجروا بنسائهم ، وطلب أبو جهل بن هشام ، والحارث بن هشام ، والعاص بن هشام ، عباس بن أبى ربيعة - وهو أخوهم لأمهم - فقدموا المدينة ، فذكروا له حزن أمه وقالا له : إنها حلفت أنها لا يظلها سقف بيت ، ولا يمس رأسها دهن حتى تراك ،[ولولا] ذاك لم نطلبك ، فنذكرك الله فى أمك - وكان بها رحيماً ، وكان يعلم من حبها إياه ، ورأفتها به - فصدق قولهم ، [ورق] لها ، لما ذكروا [له] منها ، وأبى أن يتبعهما ، حتى عقد له الحارث بن هشام عقداً ، فلما خرجا به أوثقاه ، فلم يزل به ، قال : حتى خرج من خرج قبل فتح مكة ، وكان رسول رسول الله ﷺ يدعو له بالخلاص .

قال : وخرج عبد الرحمن بن عوف ، على سعد بن الربيع ، فى بنى الحارث بن الخزرج ، وخرج عثمان بن عفان ، وطلحه بن عبيد الله ، والزبير ابن العوام ، وطائفة أخرى ، فأما طلحة فخرج إلى الشام ، ثم تتابع أصحاب رسول الله ﷺ [كذلك] إلى المدينة أرسالا .

ومكث من أصحابه بمكة ، حتى بعد مقدمه المدينة ، منهم : سعد بن أبى وقاص - وقيل : بل قدم قبل قدوم رسول الله ﷺ .

---

(١) أرسالاً : على دفعات متفرقة .

وقال يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق قال : حدثني نافع عن عبد الله ابن عمر ، عن أبيه عمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنهما قال : لما اجتمعنا للحرة ، اتعدت أنا وعباس بن أبى ربيعة ، وهشام بن العاص بن وائل ، وقلنا : الميعاد بيننا القاصب[1] من أضاة بنى غفار ، فمن أصبح منكم لم يأتها فقد حبس ، فليمض صاحباه ، فأصبحت أنا وعباس بن أبى ربيعة ، وحبس عنا هشام ، وفتن فافتتن .

وقدمنا المدينة ، و [كنا] نقول : ما الله بقبل من هؤلاء توبة ، قوم عرفوا الله وآمنوا به ، وصدقوا رسوله ، ثم رجعوا عن ذلك ، لبلاء أصابهم من الدنيا ، وكانوا يقولونه لأنفسهم ، فأنزل الله عزوجل فيهم :﴿ **قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله [إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم]** [2]﴾ .

قال عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه : فكتبتها بيدى كتاباً ، ثم بعثت بها إلى هشام بن العاص ، فقال هشام : فلما قدمت على ، خرجت بها إلى ذى طوى ، فجعلت أصعدها ، وأصوب لأفهمها ، فقلت : اللهم فهمنيها ، فعرفت أنها أنزلت فينا ، لما كنا نقول فى أنفسنا ، ويقال فينا . فرجعت ، فجلست على بعيرى ، فلحقت برسول الله ﷺ ، فقتل هشام شهيداً بأجنادين[3] ، فى ولاية أبى بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه .

---

(١) كذا فى الأصل ، ولم أجد لها توجيها .

(٢) الزمر : ٥٣ .

(٣) هو هشام بن العاص السهمى ، الرجل الصالح المجاهد ، ابن أخت أبى جهل ، وهى أم حرملة المخزومية ، وقد مضى قول رسول الله ﷺ : ابنا العاص مؤمنان .

قال ابن سعد : كان هشام قديم الإسلام بمكة ، وهاجر إلى الحبشة ، ثم رد إلى مكة إذ بلغة أن رسول الله ﷺ قد هاجر ليلحق به فحبسه قومه بمكة . ثم قدم بعد الخندق مهاجراً وشهد ما بعدها .

قال ابن عيينة : قالوا العمرو بن العاص : أنت خير أم أخوك هشام ؟ قال : أخبركم عنى وعنه ، عرضنا أنفسنا على الله فكلنا نسال الله الشهادة يوم اليرموك ، فلما أصبحنا حرمتها =

وقال عبد العزيز بن محمد ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر [قال ابن إسحاق : ونزل عمر بن الخطاب حين قدم المدينة ومن لحق به من أهله وقومه ، وأخوه زيد بن الخطاب ، وعمرو ، وعبد الله ابنا سراقة بن المعتمر ، وخنيس بن حذافة السهمى وكان صهره على ابنته حفصة بنت عمر مخلف عليها رسول الله ﷺ بعده وسعيد بن زيد عمرو بن نفيل ، وواقد ابن عبد الله التميمى حليف لهم ، وخولى بن أبى خولى ، ومالك بن أبى خولى ، حليفان لهم][1] .

وقال إسرائيل عن أبى إسحاق عن البراء ، فذكر حديث الهجرة والقبلة ، قال البراء : وكان أول من قدم علينا من المهاجرين ، مصعب بن عمير ، أخو بنى عبد الدار بن قصى ، فقلنا له ما فعل رسول الله ﷺ ؟ فقال : هو مكانه ، وأصحابه على إثرى ، ثم أتى بعده عمر ، و [ابن] أم مكتوم الأعمى ، أخو بنى فهر ، فقلنا له : ما فعل من ورائك رسول الله ﷺ وأصحابه ؟ قال : هم على الإثر ، ثم أتى بعده عمار بن ياسر ، وسعد بن أبى وقاص ، وعبد الله بن مسعود ، وبلال ، ثم أتانا عمر بن الخطاب فى عشرين راكباً ، ثم أتانا بعدهم رسول الله ﷺ ، وأبو بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه معه . أخرجه مسلم .

= ورزقها . قتل يوم اليرموك أو أجنادين شهيداً ، لما رأى بعض النكوص من المسلمين ، فألقى المغفر عن وجهه ، وجعل يتقدم فى نحر العدو ، ويصيح : يا معشر المسلمين ، إلى إلىّ ، أنا هشام بن العاص ، أمن الجنة تفرون ؟ حتى قتل . له ترجمة فى (الإصابه) ٦ / ٥٤٠ - ٥٤١ ، ترجمه رقم (٨٩٧١) ، (المستدرك) : ٣ / ٢٦٧ - ٢٦٨ ، كتاب معرفة الصحابة ، ذكر مناقب هشام بن العاص بن وائل السهمى رضى الله تبارك وتعالى عنه ، (تهذيب الأسماء واللغات) : ١ / ١٣٧ ، (الاستيعاب) : ١٥٣٩/٤ - ١٥٤٠ ، ترجمة رقم (٢٦٨٣) ، (طبقات خليفة) : ترجمة رقم (١٤٨) ، ٢٨٢١) ، (الجرح والتعديل) ٩ / ٦٣ ، (جمهرة أنساب العرب) : ١٦٣ ، (طبقات ابن سعد) : ٤ / ١٩١ - ١٩٤ .

(١) مابين الحاصرتين سياقه مضطرب فى (الأصل) ، واستدركناه من (سيرة ابن هشام) : ٣٢٥/٢ ، منازل المهاجرين بالمدينة .

وذكر محمد بن إسحاق أسماء من هاجر إلى المدينة ، أتم من ذكر موسى بن عقبة ، ثم قال : وكان آخر من قدم المدينة من الناس ممن لم يفتن في دينه أو يحبس ، على بن أبى طالب رضى الله تبارك وتعالى عنه ، وذلك أن رسول الله ﷺ أخره بمكة ، وأمره أن ينام على فراشه ، وأجله ثلاثاً ، وأمره أن يؤدى كل ذى حق حقه ، ففعل ، ثم لحق برسول الله ﷺ .

* * *

فصل فى ذكر خروج رسول الله ﷺ من مكة
إذ مكر به المشركون ، وهجرته إلى المدينة
دار هجرته ونزوله على الأنصار
رضى الله تبارك وتعالى عنهم
وتلاحق المهاجرين به [ﷺ]

قال ابن قتيبة : الهجرة ، من هجرت الرجل هجراناً وهجراً ، إذاقطعته ، وكان الرجل إذا أسلم هجر قومه ، فيفر إلى رسول الله ﷺ ، فسمى مسيره إليه هجرة . وقيل : هاجر ، خرج من أرض ، والمدينة [فعيلة تجمع[1] على مدائن بالهمز] ولذلك همزت فى الجمع ، لأنه لا أصل للياء فى الحركة ، وقيل : هى من دان ، تدين ديناً ، إذا أطاع ، والدين ، الطاعة ، والمدينة ، موضع الطاعة .

وقال أبو عبيد : دننته ، ملكته ، وقال ابن كيسان : مدينة ، فعلة من مدنت ، وتكون مفعله من دان يدين .

وقال موسى بن عقبة ، عن ابن شهاب [عن] الزهرى : ومكث رسول الله ﷺ بعد الحج ، بقية ذى الحجة ، والمحرم ، وصفر ، ثم إن مشركى قريش أجمعوا أن يقتلوه ، أو يخرجوه ، حين ظنوا أنه خارج ، وعلموا أن الله قد جعل له مأوى ومنعة ، ولأصحابه ، وبلغهم إسلام من أسلم ، ورأوا من يخرج إليهم من المهاجرين ، فأجمعوا أن يقتلوا رسول الله ﷺ ، أو يثبتوه ، فقال الله عزوجل : ﴿ **وإذا يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين** ﴾[2].

وبلغه ﷺ من ذلك اليوم الذى آتى فيه أبا بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه ، أنهم مبيتوه إذا أمسى على فراشه ، فخرج وأبو بكر من جوف

---

(١) زيادة للسياق والبيان من (لسان العرب) : ٤٠٢/١٣ .

(٢) الأنفال : ٣٠ .

الليل قبل الغار –غار ثور – وهو الذى ذكر الله عزوجل فى الكتاب ، وعمد على بن أبى طالب رضى الله تبارك وتعالى عنه ، فرقد على فراش رسول الله ﷺ على بن أبى طالب رضى الله تبارك وتعالى عنه وباتت قريش يختلفون ويأتمرون ، أيهم يجثم على صاحب الفراش فيوثقه ، فكان ذلك أمرهم حتى أصبحوا ، فإذا هم بعلى بن أبى طالب ، فسألوه عن رسول الله ﷺ فأخبرهم أنه لا علم له به ، فعلموا عند ذلك أنه قد خرج فاراً منهم ، فركبوا فى كل وجه يطلبونه .

وقال يونس بن بكير ، إن ابن إسحاق قال : فلما أيقنت قريش أن محمداً ﷺ قد بويع ، وأمر من كان بمكة من أصحابه أن يلحقوا بإخوانهم بالمدينة [تآمروا] فيما بينهم فقالوا : الآن فأجمعوا فى أمر محمد ، فوالله لكأنه قد كر عليكم بالرجال ، فأثبتوه ، أو اقتلوه ، أو أخرجوه ، فاجتمعوا له فى دار الندوة ليقتلوه ، فزعم ابن دريد فى (الوشاح) ، أنهم كانوا خمسة عشر رجلا . وذكر ابن دحية فى كتاب (المولد) ، أنهم كانوا مائة رجل .

قال ابن [إسحاق] : فلما دخلوا الدار ، اعترضهم الشيطان فى صورة رجل [جميل] فى بت له ، قال : أدخل ؟ قالوا : من أنت ؟ قال : أنا رجل من أهل نجد ، سمع بالذى اجتمعتم له ، وأراد أن يحضره معكم ، فعسى أن لا يعدمكم رأى ونصح ، فقالوا : أجل ، فادخل ، فلما دخل قال بعضهم لبعض : قد كان من الأمر ما قد علمتم ، [أجمعوا] فى هذا الرجل رأيا واحداً ، وكان ممن اجتمع له فى دار الندوة : شيبة ، وعتبة ابنا ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، والنضر بن الحارث ، فقال قائل منهم : أرى أن تحبسوه ، وتربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء ، زهير بن أبى سلمى ، والنابغة ، وغيرهما ، فقال النجدى : والله ما هذا لكم برأى ، والله لئن فعلتم لخرج رأيه وحديثه حيث حبستموه ، إلى من وراءه من أصحابه ، فأوشك أن ينتزعوه من أيديكم ، ثم يغلبوكم على ما فى أيديكم من أمركم .

فقال قائل منهم : بل نخرجه فننفيه من بلادنا ، فإذا غيب عنا وجهه وحديثه ، فوالله ما نبالى أين وقع من البلاد ، ولئن كان أجمعنا بعد ذلك أمرنا ،

واصلحنا ذات بيننا ، قال [الشيخ] النجدى : لا ، والله ما هذا لكم برأى ، أما رأيتم حلاوة منطقه ، وحسن حديثه ، وغلبته على ما يلقاه ، دون من خالفه ، والله لكأنى به إن فعلتم ذلك ، قد دخل على قبيلة من قبائل العرب ، فأصفقت معه على رأيه ، ثم سار بهم إليكم ، حتى بطأكم بهم ، فلا والله ما هذا لكم برأى .

فقال أبو جهل بن هشام : والله إن لى فيه لرأياً ، ما أراكم وقعتم عليه ، قالوا : وما هو ؟ قال : أرى أن تأخذوا من كل قبيلة من قريش غلاماً ، فتياً ، جلداً ، نسيباً ، وسيطاً ، ثم تعطوهم شفاراً صارمة ، ثم يجتمعوا ، فيضربوه ضربة رجل واحد ، فإذا قتلتموه ، تفرق دمه فى القبائل ، فلم تدر عبد مناف بعد ذلك ما تصنع ، يقعووا على حرب قومهم ، فإنما قصرهم عند ذلك أن يأخذوا العقل ، [فتؤدونه] لهم ، قال الشيخ النجدى : لله در الفتى ، هذا هو الرأى ، وإلا فلا شيئ ، فتفرقوا على ذلك واجتمعوا له ، وأتى رسول الله ﷺ الخبر ، وأمر أن لا ينام على فراشه تلك الليله ، فلم يبت حيث كان يبيت ، وبيت عليًا رضى الله تبارك وتعالى عنه فى مضجعه .

وقال ابن إسحاق ، عن عبدالله بن أبى نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : وحدثنى الكلبى عن باذان ، مولى أم هانئ ، عن عبد الله بن عباس رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، أن نفرًا من قريش ، من أشراف كل قبيله ، اجتمعوا ، فذكر معنى هذه القصة ، إلى أن قال : فأتى جبريل رسول الله ﷺ ، فأمره أن لا يبيت فى مضجعه الذى كان يبيت فيه ، وأخبره بمكر القوم ، فلم يبت فى بيته تلك الليله .

وأذن الله عز وجل عند ذلك بالخروج ، وأنزل عليه بعد قدومه المدينة فى [سورة] الأنفال يذكر نعمته عليه ، وبلاءه عنده : ﷺ **﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير**

الماكرين﴾ [1] ، وأنزل فى قولهم : تربصوا [به] حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء : **﴿أم يقولون شاعر فتربصوا به ريب المنون﴾** [2] .

وقال يونس عن ابن إسحاق : وأقام رسول الله ﷺ ينتظر أمر الله ، حتى اذا اجتمعت قريش فمكرت ، وأرادوا به [ما] أرادوه ، أتاه جبريل عليه السلام ، فأمره أن لا يبيت فى مكانه الذى كان يبيت به ، ودعا رسول الله ﷺ على بن أبى طالب ، فأمره أن يبيت على فراشه ، ويتشح ببرد له أخضر ، ففعل ، ثم خرج رسول الله ﷺ على القوم وهم على بابه ، وخرج [و] معه [حفنة] من تراب ، فجعل ينثرها على رؤوسهم ، وأخذ الله عز وجل بأبصارهم عن نبيه ﷺ [وهو] يقرأ : ﴿ **يس * والقرآن الحكيم * إنك لمن المرسلين * على صراط مستقيم * تنزيل العزيز الرحيم * لتنذر قومًا ما أنذر آباؤهم فهم غافلون * لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون * إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالاً فهى إلى الأذقان فهم مقمحون * وجعلنا من بين أيديهم سدًا ومن خلفهم سدًا فأغشيناهم فهم لا يبصرون**[3]﴾

وذكر الواقدى : أن الذين كانوا ينتظرونه : أبو جهل ، والحكم بن أبى العاصى ، وعقبة بن أبى معيط ، والنضر بن الحارث ، وأمية بن خلف ، وابن القيطلة ، وزمعة بن الأسود ، والمطعم بن عدى ، وأبو لهب ، وأبى بن خلف ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج .

وذكر أن قريشًا بعثت قائفين يقصان آثار رسول الله ﷺ ، أحدهما كرز ابن علقمة بن هلال الخزاعى ، فاتبعاه حتى انتهيا إلى غار ثور ، فرأى كرز عليه نسج العنكبوت ، فقال : هاهنا انقطع الأثر ، فانصرفوا ، وقال بعضهم : ادخلوا الغار ، فقال أمية بن خلف : وما أريكم إلى الغار ، وعليه من نسج العنكبوت ما عليه ، والله إنى لأرى هذا النسج قبل أن يولد محمد ، وبال حتى جرى بوله بين رسول الله ﷺ وأبى بكر .

---

(١) الأنفال : ٣٠ .

(٢) الطور : ٣٠ .

(٣) يس : ١-٩ .

وقال محمد بن عبد الملك بن هشام ، عن زياد بن عبد الله البكائى ، عن ابن إسحاق : واذن الله لنبيه ﷺ عند ذلك فى الهجرة وكان أبو بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه رجلاً ذا مال ، فكان حين استأذن رسول الله ﷺ فى الهجرة قال له : لا تعجل ، لعل الله يجعل لك صاحبًا ، فيطمع [أبو بكر] بأن رسول الله ﷺ إنما يعنى نفسه حين قال ذلك ، [فابتاع] راحلتين ، فحبسهما فى داره يعلفهما إعدادًا لذلك .

فحدثنى من لا أتهم ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة أم المؤمنين رضى الله تبارك وتعالى عنها ، أنها قالت : كان لا يخطئ رسول الله ﷺ أن يأتى بيت أبى بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه ، أحد طرفى النهار ، إما بكرة ، وإما عشية ، حتى إذا كان اليوم الذى أذن الله فيه لرسوله فى الهجرة والخروج من مكة ، من بين ظهرى قومه ، أتانا رسول الله ﷺ بالهاجرة ، فى ساعة كان لا يأتى فيها ، قالت : فلما رآه أبو بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : ما جاء رسول الله [ﷺ] هذه الساعة إلا لأمر حدث ، قالت : فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره ، فجلس رسول الله ﷺ ، وليس عند أبى بكر إلا أنا ، وأختى أسماء ، فقال رسول الله ﷺ : أخرج عنى من عندك ، فقال يا رسول الله : إنما هما ابنتاى ، وما ذاك ؟ فداك أبى وأمى ، قال : إن الله عز وجل أذن لى فى الخروج والهجرة .

قالت : فقال أبو بكر : الصحبة يا رسول الله ، قال : الصحبة ، قالت فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم ، أن أحدًا يبكى من الفرح ، حتى رأيت أبا بكر يبكى يومئذ ، ثم قال : يانبى الله ، إن هاتين راحلتان ، كنت أعددتهما لهذا.

وفى (طبقات ابن سعد) : أن ثمنها ثمان مائة درهم ، اشتراهما من نعم بنى قشير ، فأخذ ﷺ القصواء بثمنها .

قال ابن هشام : فاستأجرا عبد الله بن أريقط ـ رجلاً من بنى الديل من بكر ، وكانت أمه امرأة من بنى سهم بن عمرو ، وكان مشركا ، يدلهما على الطريق ، ودفعا إليه راحلتيهما ، وكانتا عنده يرعاهما لميعادهما .

قال ابن إسحاق : ولم يعلم فيما بلغنى بخروج رسول الله ﷺ أحد حين خرج ، إلا على بن أبى طالب ، وأبو بكر الصديق ، وآل أبى بكر ، أما على رضى الله تبارك وتعالى عنه ، فإن رسول الله ﷺ فيما بلغنى أخبره بخروجه ، وأمره أن يتخلف بمكة ، حتى يؤدى عن رسول الله ﷺ الودائع التى كانت عنده للناس ، وكان رسول الله ﷺ ، وليس بمكة أحدعنده شيىء يخشى عليه إلا وضعه عنده ، لما يعلم من صدقه وأمانته ، فلما أجمع رسول الله ﷺ الخروج ، أتى أبا بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه فخرجا من خوخة لأبى بكر فى ظهر بيته ، ثم إلى غار بثور ـ جبل بأسفل مكة - فدخلاه وأمر أبو بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه ، ابنه عبد الله بن أبى بكر ، أن يسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ، ثم يأتيها إذا أمسي ، بما يكون فى ذلك اليوم من الخبر ، وأمر عامر بن فهيرة مولاه ، أن يرعى غنمة نهاره ، ثم يأتيهما إذا أمسى فى الغار ، وكانت أسماء بنت أبى بكر رضى الله تبارك وتعالى عنهما تأتيهما من الطعام إذا أمست ، بما يصلحهما .

فأقام رسول الله ﷺ فى الغار ثلاثاً ، ومعه أبوبكر رضى الله تبارك وتعالى عنه ، وجعلت قريش فيه حين فقدوه مائة ناقة لمن يرده عليهم ، وكان عبدالله بن أبى بكر يكون فى قريش [نهاره] معهم ، يسمع ما يأتمرون به ، وما يقولون فى شأن رسول الله ﷺ وأبى بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه ، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر ، وكان عامر بن فهيرة مولى أبى بكر ، يرعى فى رعيان أهل مكة، فاذا أمسى أراح عليهما غنم أبى بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه فاحتلبا وذبحا ، فإذا عبد الله بن أبى بكر غدا من عندهما إلى مكة ، اتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم ، حتى يعفى عليه .

حتى إذا مضت الثلاث ، وسكن عنهما الناس ، أتاهما صاحبهما الذى استأجراه ببعيريهما وبعير له ، وأتتهما أسماء بنت أبى أبكر بسفرتهما ، ونسيت أن تجعل لها عصاماً ، فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفر فاذا ليس لها[عصام][1] ،

---

(١) العصام : الحبل يشد على فهم المزادة .

فتحل نطاقها ، فتجعله عصاماً [١] ، ثم علقتها بـه ، وكـان يقـال لأسمـاء : ذات [النطاقين] لذلك .

فلما قرب أبوبكر رضى الله تبارك وتعالى عنـه الراحلتين إلـى رسـول الله ﷺ قدم أفضلهما ، ثم قال : اركب ، فداك أبى وأمى ، فقال رسول الله ﷺ إنى لاأركب بعيراً ليس لى ، قال : فهى لك يا رسول الله ، بـأبى أنـت وأمـى ، قال لا ، ولكن بالثمن الذى ابتعتها به[١] ؟ قال : كذا وكذا ، قـال : قـد أخذتهـا بـه ، قال هى لك يارسول الله ، فركبا وانطلقا ، وأردف أبوبكر عامر بن فهيرة مولاه خلفه ، ليخدمهما فى الطريق ، وحمل أبو بكر رضى الله تبـارك وتعـالى عنه مع نفسه جميع ماله ، وهو نحو ستة آلاف درهم .

قال ابن إسحاق : ولما خرج بهما دليلهما عبدالله بن أريقط ، سلك بهمـا أسفل مكـة ، ثـم مضـى بهمـا علـى السـاحل ، أسـفل مـن عسـفان[٢] . وذكـر المبارك ، حتى قال : ثم قدم بهما قبائل بنى عمرو بن عوف ، لاثنتى عشر ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، يوم الاثنين حين اشتد الضحى ، وكادت الشمس أن تعتدل .

قال ابن هاشم : ويقال بل نزل على سـعد بـن خيثمـة ، ونـزل أبـو بكـر رضى الله تبارك وتعالى عنه على حبيب بن إساف . ويقال : بل كـان منزلـه على خارجة بن زيد .

وأقام على رضى الله تبارك وتعالى عنه بمكة ثلاث ليـال و أيامهـا ، حتى رد عن رسول الله ﷺ الودائع التى كانت عنده للناس ، حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله ﷺ ، فنزل معه على كلثـوم بـن هـدم ، فأقـام رسـول اللـه ﷺ بقباء فى بنى عمرو بن عوف يوم الاثنيـن ، ويـوم الثلاثـاء ، ويـوم الأربعـاء ، ويوم الخميس ، وأسس مسجده ، ثم أخرجه الله بيـن أظهرهـم ، يـوم الجمعـة ،

---

(١) إنما قال ﷺ ذلك ، لتكون هجرته إلى الله بنفسه وماله ، رغبـة منـه ﷺ فى استكمال فضل الهجرة والجهاد على أتم أحوالها ، وهو قول حسن ، عن كثير من أهل العلم .

(٢) سمى عسفان لتعسف السيول فيه .

حتى أسس مسجده - كما تقدم - ونزل بدار أبى أيوب الأنصارى رضى الله تبارك وتعالى عنه ، ثم تحول إلى مساكنه .

قال محمد بن زباله : ونزل رسول الله ﷺ فى سفل بيت أبى أيوب رضى الله تبارك وتعالى عنه ، [فكره] أبو أيوب أن [يكون] منزله فوق رأس رسول الله ، فلم يزل ساهراً حتى أصبح • فقال يا رسول الله ، إنى أخشى أن أكون قد ظلمت نفسى ، أنى فوق رأس رسول الله ، فينزل التراب من وطئ أقدامنا ، وإنه أطيب لنفسى أن أكون تحتك ، فقال رسول الله ﷺ : السفل أرفق بنا وبمن يغشانا ، فلم يزل أبو أيوب يتضرع إليه حتى انتقل رسول الله ﷺ فى العلو ، فابتاع المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ذلك البيت من أبى أفلح ، مولى أبى أيوب بألف دينار ، فتصدق به ، وقد بنى ولم يغير سقفه .

وقال ابن إسحاق : وتلاحق المهاجرون إلى رسول الله ﷺ فلم يبق منهم أحد إلا مفتون أو محبوس ، قال: فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة ، إذ قدمها شهر ربيع الأول ، إلى صفر من السنة الداخلة ، حتى بنى له فيها مسجده ومساكنه ، فاستجمع له إسلام هذا الحى من الأنصار ، فلم يبق دار من دور إلا أسلم أهلها ، إلا من كان من خطمة ، وواقف ، ووائل ، وأمية ، وكذلك أوس الله ، وهم حى من الأوس ، فإنهم أقامو على شركهم .

وكتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار ، وادع فيه يهود ، وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم ، واشترط عليهم ، وشرط لهم ، وقد تقدم ذكره[1] .

قال ابن إسحاق : وآخى رسول الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، ثم ذكرهم .

وقد خرج البخارى حديث الهجرة من طريق يحى بن بكير ، قال : حدثنا الليث عن عقيل ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشه رضى الله تبارك وتعالى عنها ، فذكره فى آخر كتاب الكفالة ، وترجم عليه باب : جوار

---

(١) (سيرة ابن هشام) : ٣/١٧ - ٣١ .

أبى بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه [1] وذكره فى كتاب الهجرة مطولا [2] . وفرقه فى عدة مواضع من طرق أخر [3] . وخرجه مسلم من طرق [4] .

وأخرج الإمام أحمد من حديث عبدالرزاق قال : حدثنا معمر عن ثابت عن أنس رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، لعبت الحبشه بحرابها فرحاً بذلك [5] .

---

(١) (فتح البارى) : ٥٩٩/٤ ، كتاب الكفالة ، باب (٤) جوار أبى بكر فى عهد رسول الله ﷺ وعقده ، حديث رقم (٢٢٩٧)

(٢) (فتح البارى) : ٧ / ٢٩١ ، كتاب مناقب الأنصار ، باب (٤٥) هجرة رسول الله ﷺ وأصحابه إلى المدينة ، حديث رقم (٣٩٠٥).

(٣) (فتح البارى) : ٤٤٢/٤ ، كتاب البيوع ، باب (٥٧) إذا اشترى متاعاً أو دابة ، فوضعه عند البائع أو مات قبل أن يقبض ، حديث رقم (٢١٣٨) ، ٥٧٧/٤ كتاب الإجارة ، باب (٣) استئجار المشركين عند الضرورة ، أو إذا لم يوجد أهل الإسلام وعامل رسول الله ﷺ يهود خيبر ، حديث رقم (٢٢٦٣) ، ٥٥٨/٤ ، كتاب الإجارة باب (٤) إذا استأجر أجيراً ليعمل له بعد ثلاثة أيام ، أو بعد شهر أو بعد سنة جاز وهى على شرطها الذى اشترطاه إذا جاء الأجل ، حديث رقم (٢٢٦٤) ، ٢٩١/٧ ، كتاب مناقب الأنصار ، باب (٤٥) هجرة رسول الله ﷺ وأصحابه إلى المدينة ، حديث رقم (٣٩٠٥) ، ٤٩٤/٧ ، كتاب المغازى ، باب (٢٩) غزوة الرجيع ، ورعل وذكوان ، وبئر معونة ، وحديث عضل والقارة وعاصم بن ثابت وخبيب وأصحابة . قال ابن إسحاق : حدثنا عاصم ابن عمر أنها بعد أحد ، حديث رقم (٤٠٩٣) ، ٣٣٦/١٠ ، كتاب اللباس باب (١٦) التقنع ، حديث رقم (٥٨٠٧) ، ٦١٠/١٠ ، كتاب الأدب باب (٦٤) هل يزور صاحبه كل يوم أو بكرة وعشياً ، حديث رقم (٦٠٧٩) . وأخرجه ايضاً الإمام أحمد فى (المسند) : ٢٨٣/٧ ، حديث رقم (٢٥٠٩٨) ، من حديث السيدة عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها .

(٤) (مسلم بشرح النووى) : ١٩٠/١٣ ـ ١٩١ ، كتاب الأشربة ، باب (١٠) جواز شرب اللبن ، حديث رقم (٩٠) ، (٩١) ، (٩٢) من طرق وسياقات مختلفة مختصراً .

(٥) (مسند أحمد) : ٦٣٨/٣ ، حديث رقم (١٢٢٣٨) ، من مسند أنس بن مالك رضى الله تبارك وتعالى عنه .

وقال عبد الأعلى : عن عوف ، عن ثمامة ، عن أنس ، أن رسول الله ﷺ مر بجوارى من الأنصار وهن يغنين يقلن :

نحن جوار بنى النجار وحبذا محمد من جار

فقال ﷺ : الله يعلم أنى أحبكن[1] .

وقال أبى خليفه ، الفضل بن الحباب : سمعت ابن عائشة يقول : لما قدم رسول الله ﷺ جعل النساء و الصبيان [الولائد] يقلن :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
[أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع[2]]

وخرج الحاكم من حديث حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس قال : شهدت يوم دخل رسول الله ﷺ المدينة ، فلم أر يوماً أحسن أو أضوأ منه . قال الحاكم : صحيح على شرط مسلم[3] . [ولم يخرجاه][4]

ومن حديث إسرائيل ، عن ابن إسحاق ، عن البراء ، عن أبى بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : ومضى رسول الله [ﷺ] حتى قدم المدينة ، وخرج الناس حتى دخلنا فى الطريق ، وصاح النساء ، والخدام ، والغلمان ، جاء محمد ؛ جاء رسول الله ؛ الله أكبر ، جاء رسول الله ؛ فلما أصبح انطلق ، فنزل حيث أمر ٠ قال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين[5]. [ولم يخرجاه][6]

وله ولابن حبان ، من حديث الحسين بن واقد ، عن يزيد النحوى ، أن عكرمة حدثه عن ابن عباس قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، كانو من

---

(١) (تاريخ الخميس) : ١/٣٤١ ـ ٣٤٢

(٢) (المستدرك) : ٣/١٤ ، كتاب (٢٩) الهجرة ، حديث رقم (٤٢٨١) .

(٣) زيادة فى السياق من (المستدرك) .

(٤) (المرجع السابق) : حديث رقم (٤٢٨٢) .

(٥) (المرجع السابق) : حديث رقم (٢٤٨٢) .

(٦) زيادة للسياق من (المستدرك) .

أخبث الناس كيلا ، فأنزل الله تعالى : ﴿**ويل للمطففين * الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون * وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون** ﴾.[1] فأحسنو الكيل بعد ذلك[2] . قال هذا حديث صحيح .

وفى كتاب (شرف المصطفى) : لما بركت الناقة على باب أبى أيوب ، خرج جوار من بنى النجار يضربن بالدفوف و يقلن :

نحن جوار بنى النجار   ياحبذا محمد من جار

فقال [ﷺ] : أتحببننى ؟ قلن : نعم يا رسول الله ، فقال : أنا والله أحبكن ، قالها ﷺ ثلاثا .[3]

(١) المطففين : ١-٣ .

(٢) (الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان) : ٢٨٦/١١ ، كتاب (٢٤) البيوع ، ذكر السبب الذى من أجله أنزل الله جل وعلا : ﴿ **ويل للمطففين** ﴾ ، حديث رقم (٤٩١٩) ، وأخرجه الحاكم فى (المستدرك) : ٣٨/٢ ، كتاب البيوع ، حديث رقم (٢٢٤٠) ، وقال فى آخره : هذا حديث صحيح ولم يخرجاه ، وله شاهد عن أبى هريرة مفسر وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص) : صحيح ، وأخرجه الواحدى فى (أسباب النزول) : ٢٩٨ .

(٣) (تاريخ الخميس) : ٣٤١/١ ـ ٣٤٢ .

فصل فى ذكر مواساة الأنصار المهاجرين بأموالهم لما قدموا عليهم المدينة

قال تعالى : ﴿ **والذين تبوءو الدار والإيمان من قبلهم ، يحبون من هاجر إليهم ولايجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾ (١)

قال أبو عبدالله القرطبى : لاخلاف أن الذين تبوءو الدار هم الأنصار الذين استوطنوا المدينة قبل المهاجرين . قال : والتبوأ ، التمكن والاستقرار ، ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ، لايحسدون المهاجرين على ما خصوا به [من] الفئ وغيره .

وخرج البخارى ومسلم ، من حديث يونس عن ابن شهاب، عن أنس بن مالك رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : لما قدم المهاجرون من مكة [إلى] المدينة ، قدموا وليس بأيديهم شئ ، وكان الأنصار أهل الأرض والعقار ، فقاسمهم الأنصار على أن أعطوهم أنصاف ثمار أموالهم كل عام ، ويكفونهم العمل والمؤنة ، وكانت أم أنس [بن مالك وهى تدعى أم سليم ، وكانت أم عبد الله بن أبى طلحة ، كان أخاً لأنس](٢) لأمه ، كانت أعطت [أم أنس](٢) رسول الله [ﷺ عذاقا لها ، فأعطاها رسول الله ﷺ أم أيمن ، مولاته ، أم أسامة بن زيد ، فلما فرغ رسول الله ﷺ من قتال أهل خيبر وانصرف إلى المدينة ، رد المهاجرون إلى الأنصار منائحهم التى كانوا منحوهم من ثمارهم ، قال : فرد الله ﷺ إلى أمى عذاقها ، وأعطى رسول الله ﷺ أم أيمن مكانهم من حائطه . وفى رواية : من خالصه (٣) زاد مسلم : قال ابن شهاب : وكان من

---

(١) الحشر : ٩ .

(٢) زيادة للسياق من (البخارى) .

(٢) زيادة للسياق من (البخارى) .

(٣) رواه البخارى فى الهبة ، باب فضل المنيحة ، ومسلم فى الجهاد ، باب (٢٤) رد المهاجرين إلى الأنصار منائحهم من الشجر والثمر حين استغنوا عنها بالفتوح ، حديث رقم (١٧٧١) ، والعذاق : =

شأن أم أيمن ـ أم أسامة بن زيد ـ أنها كانت وصيفة لعبد المطلب ، وكانت من الحبشة ، فلما ولدت آمنة رسول الله ﷺ بعد ما توفى أبوه ، كانت أم أيمن تحضنه حتى كبر رسول الله ﷺ فأعتقها ، ثم أنكحها زيد بن حارثة ، ثم توفيت بعد ما توفى رسول الله ﷺ بخمسة أشهر وفى رواية قال : " كان الرجل يجعل للنبى ﷺ النخلات من أرضه حتى افتتح قريظة والنضير ، فجعل بعد ذلك يرد عليهم ، وأن أهلى أمرونى أن آتى رسول الله ﷺ فأسأله ما كان أهله أعطوه أو بعضه ؟ وكان نبى الله قد أعطاه أم أيمن فأتيت رسول الله ﷺ فأعطانيهن ، فجاءت أم أيمن فجعلت الثوب فى عنقى ، وقالت والله لا يعطيكهن وقد أعطانيهن ، فقال رسول الله ﷺ : يا أم أيمن ، اتركية ، ولك كذا ، وتقول : كلا ، والله الذى لا إله إلا هو ، فجعل يقول كذا حتى أعطاها عشرة أمثاله ، أوقريباً من عشرة أمثاله .

= جمع عذق ـ بفتح العين ، وهو النخلة بما عليها من الحمل ، منائحهم : المنائح جمع منحية ، وهو العطية ، والأصل فيه الناقة أو الشاة تعيرها غيرك لينتفع بلبنها ثم يردها . (جامع الأصول) : ١١/٥ـ١٣ ، حديث رقم (٢٩٨٩) .

فصل فى ذكر من بعثه رسول الله ﷺ
يعلم الأنصار وغيرهم القرآن ويفقههم فى الدين

اعلم أن رسول الله ﷺ بعث عدة من أصحابه يعلمون الناس القرآن ، ويفقهونهم فى الدين ، وكان أول من بعثه لذلك مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى ، القرشى ، العبدى ، أبو عبد الله ، أحد الجلة من الصحابة ، الذين أسلموا قديماً ، وهاجر إلى الحبشة ، ثم بعثه رسول الله ﷺ إلى المدينة قبل الهجرة ، بعد العقبة الثانية . يقرئهم القرآن [ويفقهم فى الدين] وكان يدعى : القارئ والمقرئ وهو أول من سمى المقرئ ، ويقال : إنه أول من جمّع - أى صلاة الجمعة - بالمدينة قبل الهجرة ، وشهد بدراً ، واستشهد يوم أحد[1] .

قال الواقدى : حدثنى أحمد بن إبراهيم الدورقى ، وبكر بن الهيثم ، قالا : حدثنا أبو الوليد الطيالسى ، حدثنا شعبة ، عن أبى إسحاق عن البراء بن عازب رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : أول من قدم علينا من أصحاب رسول الله ﷺ من المدينة ، مصعب بن عمير ، وابن أم مكتوم[2] .

---

(١) له ترجمة فى : (تاريخ خليفة) : ٦٩ ، (حلية الأولياء) : ١ / ١٠٦ - ١٠٨ ، (تهذيب الأسماء واللغات) : ٢ / ٩٦ - ٩٧ ، (الإصابة) : ٦ / ١٢٣ - ١٢٤ ، ترجمة رقم (٨٠٨) .

(٢) أخرجه أبو عبد الله الحاكم فى (المستدرك) : ٢ / ٦٨٣ ، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبيا والمرسلين ، من كتاب الهجرة الأولى إلى الحبشة ، حديث رقم (٤٢٥٤) ولفظه : " حدثنا أبو الطيب محد بن محمد الشعيرى ، حدثنا محمد بن عصام ، حدثنا حفص بن عبد الله ، حدثنى إبراهيم ابن طهمان ، عن شعبة بن الحجاج ، عن أبى إسحاق ، عن البراء بن عازب أنه قال : أول من قدم علينا المدينة من المهاجرين مصعب بن عمير ، وابن أم مكتوم ، فكانوا يقرؤوننا ، فقدم رسول الله ﷺ وقد قرأت : ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ وسوراً من المفصّل ، ثم قدم سعد بن مالك ، وعمار ابن ياسر ، ثم قدم عمر بن الخطاب فى عشرين ، ثم قدم رسول الله ﷺ فما فرحنا بشئ فرحنا برسول الله ﷺ ، جعل النساء والصبيان يسعون يقولون : هذا رسول الله ﷺ . =

قال الوقدى : وقد روى أن مصعباً سار من المدينة إلى مكة ، هاجر إليها مع رسول الله ﷺ وأصحابه . وقال نصر بن على : حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبى عن ابن إسحاق قال : ثم انصرفوا ، وبعث معهم رسول الله ﷺ مصعب بن عمير .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمران ، أن رسول الله ﷺ ، إنما بعثه بعدهم ، وإنما كتبوا إليه : أن الإسلام قد فشا فينا ، فابعث إلينا رجلاً من أصحابك ، يقرئنا القرآن ، ويفقهنا فى الإسلام ، ويقيمنا بسننه وشرائعه ، ويؤمنا فى صلاتنا ، فبعث مصعب بن عمير ، وكان منزل مصعب على أبى أمامة أسعد بن زرارة ، وكان مصعب يسمى بالمدينة : المقرئ ، وكان أبو أمامه يذهب به إلى دور الأنصار ، يدعوهم إلى الإسلام ، ويفقه من أسلم منهم .

وقال يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق : يزيد بن أبى حبيب قال : لما انصرف عن رسول الله ﷺ القوم ، وبعث معهم مصعب بن عمير ، فحدثنى عاصم بن عمر ، عن ابن قتادة ، أن مصعب بن عمير ، كان يصلى بهم ،

قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة ، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص) : على شرط البخارى ومسلم .

وأما عبد الله بن أم مكتوم فإنه مختلف فى اسمه ، فأهل المدينة يقولون : عبد الله بن قيس بن زائدة الأصم بن رواحة القرشىّ العامرىّ .

وأما أهل العراق فسموه عمراً وأمه أم مكتوم هى عاتكة بنت عبدالله بن عنكثة بن عامر ابن مخزوم بن يقظة المخزومية . كانت من السابقين المهاجرين ، وكان ضريراً مؤذناً لرسول الله ﷺ مع بلال وسعد القرظ ، وأبى محذورة مؤذن مكة . هاجر بعد وقعة بدر بيسير ، وقد كان رسول الله ﷺ يحترمه ويستخلفه على المدينة ، فيصلى ببقايا الناس .

عن أبى إسحاق ، سمع البراء يقول : أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم ، فجعلا يقرئان الناس القرآن .

قال عروة : كان رسول الله ﷺ مع رجال من قريش فيهم عتبة بن ربيعة فجاء ابن أم مكتوم يسأل عن شئ ، فأعرض عنه ، فأنزلت :﴿ **عبس وتولى * أن جاءه الأعمى** ﴾[عبس :١٢] .

عن أنس : أن عبد الله بن أم مكتوم يوم القادسية ، كانت معه راية سوداء ، عليه درع له .

وذلك أن الأوس كره بعضهم أن يؤمه بعض ، وحدثني عبد الله بن أبى بكر بن حزم ، وعبد الله بن المغيرة بن معيقب قال : بعث رسول الله ﷺ مصعب بن عمير . مع النفر الإثنى عشر ، الذين بايعوه فى العقبة الأول إلى المدينة ، [يفقه] أهلها ، ويقرئهم القرآن . وذكر الخبر ، ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة .

وقال موسى بن عقبة ، عن ابن شهاب ، أن مصعب بن عمير ، كان أول من جمع الجمعة بالمدينة للمسلمين ، قبل أن يقدمها رسول الله ﷺ وذكر غير الواقدى : أن الأنصار صلت قبل الهجرة سنتين إلى بيت المقدس وابن أم مكتوم كان ممن قدم المدينة معه مصعب بن عمير ، قال الواقدى : قدمها بعد بدر بيسير[1] . ومعاذ بن جبل ، بعثه رسول الله ﷺ قاضيا الى الجند باليمن يعلم الناس القرآن . وشرائع الإسلام ويقضى بينهم ، وقد تقدم التعريف به .

وعمرو [بن] [حزم بن] زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد عوف بن غنم ابن مالك بن النجار ، الأنصارىّ ، الخزرجىّ ، النجارىّ ، ومنهم من ينسبه فى مالك بن جشم بن الخزرج ، ومنهم من ينسبه فى ثعلبه بن زيد بن مناة بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك [يكنى] أبا الضحاك ، أول مشاهده الخندق ، واستعمله رسول الله ﷺ على نجران ، وهو ابن سبع عشرة سنة ، ليفقهم فى الدين ، ويعلمهم القرآن ويأخذ صدقاتهم ، وذلك فى سنة عشر ، وكتب له كتابا ، فيه الفرائض ، والسنن والديات ، و مات [بالمدينة] سنة إحدى وخمسين وقيل : غير ذلك[2] .

---

(١) راجع التعليق السابق .

(٢) وقيل سنة (٥١) ، وقيل : سنة (٥٤) ، وقيل : سنه (٥٣) ، والصحيح أنه توفى بالمدينة بعد الخمسين ، فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه ، أخرج له أبو داود ، والنسائى، وابن حبان ، والدارمىّ ، وغير واحد ، روى عنه ابنه محمد ، وجماعة . له ترجمة فى: (الإصابة) : ٤ / ٦٢١ ، ترجمة رقم (٥٨١٤) ، (الاستيعاب) : ٣ / ١١٧٢ - ١١٧٣ ، ترجمة رقم (١٩٠٧) ، (الثقات) : ٣ / ٢٦٧ ، (أسماء الصحابة الرواة) :٢١٧ ، ترجمة رقم (٢٩٢) ، =

عقوبة من سب أصحاب رسول الله ﷺ

[حدثنا][1] محمد بن الحسن بن زبالة ، عن أبيه ، أنبانا عبدالله بن موسى بن جعفر ، عن على بن موسى ، عن أبيه ، عن جده ، عن محمد بن على بن الحسين ، عن أبيه ، عن الحسين بن على ، عن أبيه رضى الله تبارك وتعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : من سب نبياً فاقتلوه ، ومن سب أصحابى فاضربوه[2] .

ومن حديث أبى برزة : كنت يوما عند أبى بكر ، رضى الله تبارك وتعالى عنه ، فغضب على رجل ، حكى القاضى إسماعيل وغيره فى هذا الحديث ، أنه سب أبا بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه ، وفى رواية النسائى

= (تلقيح فهوم أهل الأثر) : ٣٧٢ ، (الجرح والتعديل) : ٦ / ٢٤ ، (التاريخ الكبير) : ٦ / ٣٠٥، (تهذيب التهذيب) : ٨ / ١٨ - ١٩ ، ترجمة رقم (٣١) (الأعلام) : ٥ / ٧٦ .

(١) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) قال العلامة نور الدين على بن محمد بن سلطان المشهور بالملا على القارى : حديث : " سب أصحابى ذنب لا يغفر " ، قال ابن تيمية : هذا كذب على رسول الله ﷺ ، وقد قال الله تعالى : ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ [النساء : ٤٨] .

قال : : وقد يوجه معناه إن صحّ مبناه بأنه ذنب عظيم تعلق به حق الأصحاب ، بل وحق سيد الأحباب ﷺ مع أن الغالب فى الساب ، أن يستحله ويرجو به الثواب ، به يكفر ويستحق به العقاب ، وللصادق أن يخبر عن بعض الذنوب بأنه سبحانه لا يغفره ، حيث عظّم شأنه . وهو لا ينافى قوله تعالى : ﴿ **ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ . وقد كتبت فى المسألة رسالة مستقلة ، ولا يبعد أن يكون المعنى : سب أصحابى ذنب لا يغفر ، أى لا يسامح ، لحديث : " من سب أصحابى فاضربوه ، ومن سبنى فاقتلوه " . (الأسرار المرفوعه) : ٢١٣ - ٢١٤ ، حديث رقم (٢٢٣) .

وقال فى هامشه : ذكره السيوطى فى (الجامع الصغير) بلفظ : " من سب الأنبياء قتل ، ومن سب أصحابى جلد " ، أخرجه الطبرانى فى (الأوسط) و (الصغير) عن العمرى ، شيخ الطبرانى ، قال فى (الميزان) : رماه النسائى بالكذبه وقال فى (اللسان) : ومن مناكيره هذا الخبر ، وساقه ، ثم قال : رواته كلهم ثقات إلا العمرى .

قال : [أغلظ رجل لأبى بكر الصديق فقلت : أقتله] ؟ فانتهرنى ، وقال : ليس هذا لاحد بعد رسول الله ﷺ [1].

---

(١) (سنن النسائى) : ٧ / ٢٥ ، كتاب التحريم ، باب (١٦) الحكم فيمن سب رسول الله ﷺ حديث رقم (٤٠٨٢) ، وسياقه مضطرب فى (الأصل) ، وما بين الحاصرتين تصويب للسياق من (سنن النسائى) .

وأخرج النسائى فى باب (١٧) ذكر الاختلاف على الأعمش فى هذا الحديث : الحديث رقم (٤٠٨٣) ، (٤٠٨٤) ، (٤٠٨٥) بسياقات مختلفة من طرق كلها عن أبى برزة .

وعن أبى برزة أيضاً أخرجه أبو داود فى (السنن) : ٤ / ٥٣٠ - ٥٣١ ، كتاب الحدود ، باب (٢) الحكم فيمن سب رسول الله ﷺ ، حديث رقم (٤٣٦٣) . وقال الخطابى فى (معالم السن) : أخبرنى الحسن بن يحى عن ابن المنذر قال : قال أحمد بن حنبل فى معنى هذا الحديث : أى لم يكن لأبى بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه أن يقتل رجلاً إلا بإحدى الثلاث التى قالها رسول الله ﷺ : " كفر بعد إيمان ، وزنا بعد إحصان ، وقتل نفس بغير نفس " ، وكان لرسول الله ﷺ أن يقتل .

قال : وفيه دليل على أن التعزير ليس بواجب ، وللإمام أم يعزر فيما يستحق به التأديب ، وله أن يعفو فلا يفعل ذلك . (معالم السنن) .

وقال الإمام ابن تيمية فى (الصارم المسلول) : من سبّ رسول الله ﷺ من مسلم أو كافر فإنه يجب قتله ، هذا مذهب عليه عامة أهل العلم . قال ابن المنذر : أجمع عوام أهل العلم على أن حدّ من سبّ رسول الله ﷺ القتل . وممن قاله : مالك ، والليث ، وأحمد ، وإسحاق ، وهو مذهب الشافعى . قال : وحكى عن النعمان : لا يقتل ، يعنى الذى هم عليه من الشرك أعظم ، وقد حكى أبو بكر الفارسى من أصحاب الشافعى إجماع المسلمين على أن حدّ من سب رسول الله ﷺ القتل ، كما أن حدّ من سبّ غيره الجلد .

وإن الإجماع الذى حكاه هذا محمول على إجماع الصدر الأول من الصحابة والتابعين أو أنه أراد به إجماعهم على أن سابّ رسول الله ﷺ يجب قتله إذا كان مسلماً ، وكذلك قيد القاضى عياض ، فقال : أجمعت الأمة على قتل متنقصه من المسلمين وسابّه ، وكذلك حكى عن غير واحد الإجماع على قتله وتكفيره .
=

= وقال الإمام إسحاق بن راهويه - أحد الأئمة الأعلام - أجمع المسلمون على أن من سبّ الله ، أو سب رسوله ﷺ ، أو دفع شيئاً مما أنزل الله عزّ وجل ، أو قتل نبياً من أنبياء الله عزّ وجل : أنه كافر بذلك ، وإن كان مقراً بكل ما أنزل الله .

قال الخطّابي : لا أعلم احداً من المسلمين اختلف في وجوب قتله . وقال محمد بن سحنون : أجمع العلماء على أن شاتم رسول الله ﷺ والمتنقص له كافر ، والوعيد جاء عليه بعذاب الله له ، وحكمه عند الأمة القتل ، ومن شك في كفره و عذابه كفر .

وتحرير القول فيه : أن السابّ إن كان مسلماً فإنه يكفّر ويقتل بغير خلاف ، وهو مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم ، وقد تقدم من حكى الإجماع على ذلك إسحاق بن راهويه وغيره ، وإن كان ذمياً فإنه يقتل أيضاً في مذهب مالك وأهل المدينة ، وسيأتي حكاية ألفاظهم ، وهو مذهب أحمد وفقهاء الحديث . وقد نصّ أحمد على ذلك في مواضع متعددة

قال حنبل : سمعت أبا عبد الله يقول : كل من شتم رسول الله ﷺ أو تنقصه مسلماً كان أو كافراً فعليه القتل ، وأرى أن يقتل ولا يستتاب . قال : وسمعت أبا عبد الله يقول : كل من نقض العهد وأحدث في الإسلام حدثاً مثل هذا رأيت عليه القتل ، وليس على هذا أعطوا العهد والذمة .

وكذلك قال أبو الصفراء : سألت أبا عبد الله عن رجل من أهل الذمة شتم رسول الله ﷺ ، ماذا عليه ؟ قال : إذا قامت البينة عليه يقتل من شتم رسول الله ﷺ ، مسلما كان أو كافراً ، رواهما الخلاّل .

وفي رواية عبد الله وأبي طالب وقد سئل عن شتم رسول الله ﷺ ، قال : يقتل ، قيل له : فيه أحاديث ؟ قال : نعم ، أحاديث منها : حديث الأعمى الذي قتل المراة ، قال : سمعتها تشتم رسول الله ﷺ ، وحديث حصين أن ابن عمر قال : من شتم رسول الله ﷺ قتل .

وكان عمر بن العزيز يقول : يقتل ، وذلك أنه من شتم رسول الله ﷺ فهو مرتد عن الإسلام ، ولا يشتم مسلم رسول الله ﷺ . زاد عبد الله : سألت أبي عمن شتم رسول الله ﷺ ، يستتاب ؟ قال : قد وجب عليه القتل ، ولا يستتاب ؛ لأن خالد بن الوليد قتل رجلاً شتم رسول الله ﷺ ولم يستتبه ، رواهما أبو بكر في (الشافي) .

وفي رواية أبي طالب : سئل أحمد عمن شتم رسول الله ﷺ ، قال : يقتل ، قد نقض العهد وقال جرير : سألت أحمد عن رجل من أهل الذمة شتم رسول الله ﷺ ، قال : يقتل إذا شتم رسول الله ﷺ ، رواهما الخلال ، وقد نصّ على هذا في غير هذه الجوابات ، فأقواله كلها نصّ في وجوب=

وفي صحيح مسلم ، من طريق عبد الله بن نمير ، عن نافع ، عن ابن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : إذا كفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما[1] .

و أخرجه البخارى[2] من حديث على بن المبارك ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : إذا قال الرجل لأخيه : يا كافر ، فقد باء بها أحدهما .

وقال عكرمة بن عمار ، عن يحيى ، بن عبد الله بن يزيد : سمع أبا سلمة ، سمع أبا هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه يحدث عن رسول الله ﷺ ، ذكره البخارى فى كتاب الأدب .

وخرج مسلم[3] من حديث إسماعيل بن جعفر ، عن عبد الله بن دينار ، أنه سمع ابن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، يقول : قال رسول الله ﷺ أيما امرئ قال لأخيه : يا كافر ، فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال ، وإلا رجعت عليه .

وخرجه البخارى[4] من حديث عبد الوارث ، حدثنا حسين [المعلم] ، عن [عبد الله بن بريدة] ، عن يحيى بن يعمر ، أن أبا الأسود [الدؤلى] حدثه ، عن أبى ذر رضى الله تبارك وتعالى عنه ، أنه سمع رسول الله ﷺ

= قتله ، وفى أنه قد نقض العهد ن وليس عنه فى هذا اختلاف . (الصارم المسلول على شاتم الرسول): ٣ - ٥ .

(١) (مسلم بشرح النووى) : ٢ / ٤٠٨ - ٤٠٩ ، كتاب الإيمان ، باب (٢٦) بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم : يا كافر ، حديث رقم (١١١) .

(٢) (فتح البارى) : ١٠/٦٣٠ كتاب الأدب باب (٧٣) من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال ، حديث رقم (٦١٠٣) ، (٦١٠٤) .

(٣) مسلم بشرح النووى) : ٢ / ٤٠٨ كتاب الإيمان باب (٢٦) بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم : يا كافر الحديث، الذى يلى رقم (١١١) [بدون رقم] .

(٤) (فتح البارى) : ٦ / ٦٦٩ كتاب المناقب باب (٥) [بدون ترجمة] ، حديث رقم (٣٥٠٨) .

يقول : ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر ، [ومن ادعى ما ليس له فيهم نسب فليتبوأ مقعده من النار] .

وخرجه البخارى[1] أيضاً من حديث عبدالوارث ، عن الحسين ، عن عبدالله بن بريدة ، قال : حدثنى يحيى بن يعمر ، أن أبا الأسود [الدؤلى] ، حدثه عن أبى ذر ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : لا يرمى رجل رجلاً بالفسوق ، ولا يرميه بالكفر ، إلا ارتدت عليه ، إن لم يكن صاحبه كذلك .

قال الشيخ أبو زكريا النووى : هذا الحديث مما عده بعض العلماء من المشكلات ، من حيث أن ظاهره غير مراد ، و ذلك أن مذهب أهل الحق أنه لا يكفر المسلم بالمعاصى كالقتل ، والزنا ، وكذا قوله لأخيه : كافر من غير اعتقاد بطلان [دين] الإسلام ، فإذا عرف ما ذكرناه [فقيل] فى تأويل الحديث أوجه :

أحدهما: أنه محمول على المستحل لذلك ، وهذا يكفر ، فعلى هذا معنى [باء] بها ، أى بكلمة الكفر ، وكذا ، حار عليه ، وهو بمعنى رجعت عليه ، أى رجع عليه الكفر ، فباء ، وحار ، ورجع بمعنى واحد .

والوجه الثانى: معناه ، رجعت عليه نقيصته لأخيه ، ومعصية تكفيره.

والوجه الثالث: أنه محمول على الخوارج المكفرين للمؤمنين ، وهذا الوجه نقله القاضى عياض ، عن الإمام مالك بن أنس ، وهو ضعيف ، لأن المذهب الصحيح المختار ، الذى قاله الأكثرون ، والمحققون ، أن الخوارج لا يكفرون كسائر أهل البدع .

والوجه الرابع: معناه أن ذلك يؤول به إلى الكفر ، وذلك أن [المعاصى] - كما قالوا - بريد الكفر ، ويخاف على المكثر منها أن يكون عاقبة شؤمها ، المصير إلى [الكفر] ، ويؤيد هذا الوجه ، ماجاء فى رواية أبى عوانة الأسفرايينى ، فى كتابه (المخرج على صحيح مسلم) : فإن كان

---

(١) (فتح البارى) : ١٠ / ٥٦٩ ، كتاب الأدب ، باب (٤٤) ما ينهى عن السباب واللعن ، حديث رقم (٦٠٤٥) .

كما قال ، وإلا فقد باء بالكفر ، وفى رواية : إذا قال لأخيه : يا كافر ، وجب الكفر على أحدهما .

والوجه الخامس: معناه ، فقد رجع عليه تكفيره ، فليس الراجع عليه حقيقة الكفر ، بل التكفير ، لكونه جعل أخاه المؤمن كافراً ، فكأنه كفر نفسه ، إما لأنه كفر من هو مثله ، وإما لأنه كفر من لا يكفره إلا كافر ، يعتقد بطلان دين الأسلام و الله أعلم[١] .

قال الشيخ الإمام أبوالفتح السبكى : كون الخوارج لا يكفرون ، لست موافقاً عليه ، لأن رسول الله ﷺ ، صح عنه فى صحيح مسلم[٢] ، من حديث على رضى الله تبارك وتعالى عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : سيخرج فى آخر الزمان قوم ، أحداث الأسنان ، سفهاء الأحلام ، يقولون من خير قول البرية ، يقرؤون القرآن ، لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين ، كما يمرق السهم من الرمية ، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم ، فإن فى قتلهم أجراً عند الله لمن قتلهم يوم القيامة .

وقد رويت آثاراً تدل على أنهم هم الذين قاتلهم علىّ رضى الله تبارك وتعالى عنه ، وهم الخوارج ، وهم ومن كان مثلهم بهذه المنزلة ، يجوز قتلهم بهذا الحديث ، وإن ادعى الإسلام ، ولا نترك ما عندنا إلا اعتقاده ، ولا يلتفت إليه بنص هذا الحديث ، فإن هذا نص فى القتل ، وأما مجرد سب أبى بكر وعمر رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، وغيرهما من الصحابة ، فلم يجئ قط ما يقتضى قتل قائله ولا كفره ، والحديث الذى يروى : من سب صحابياً فاجلدوه ، إن صح فمعناه صحيح ، لان واجبه التعزير ، وهو يقتضى أنه لا يقتضى كفراً ولا قتلا ، وحديث أبى برزة يدل على أن إغضاب رسول الله ﷺ

---

(١) (مسلم بشرح النووى) : ٢ / ٤٠٩ ، كتاب الإيمان ، باب (٢٦) بيان حال من قال لأخيه المسلم : يا كافر ، شرح الحديث رقم (١١١) .

(٢) (المرجع السابق) : ٨ / ١٧٥ ، كتاب الزكاة ، باب (٤٨) التحريض على قتل الخوارج ، حديث رقم (١٠٦٦) .

يوجب القتل دون غيره من الناس . قال : وفى الصحيحين [1] عن رسول الله ﷺ : ولعن المؤمن كقتله .

قال الشيخ تقى الدين ابن دقيق العيد [سؤال] . لا يمكن أن يزاد فى أحكام الدنيا ، لأن اللعن لا يوجب القصاص [فى الدنيا] ولا فى الآخرة ، لأن الإثم يتفاوت . قال المازرنى : يشبهه فى الإثم ، لأن اللعن قطع الرحمة ، والموت قطع التصرف . وقيل : لعنة ، تقتضى قصد إخراجه من المسلمين ، وقطع منافعه الأخروية عنه ، وقيل : استواؤهما فى التحريم ، فاقتضى كلام ابن دقيق العيد ، أن اللعنة تعريض بالدعاء ، الذى قد يقع فى ساعة إجابة ، إلى البعد من رحمة الله تعالى ، وهو أعظم من القتل الذى هو تفويت الحياة .

قال السبكى الشيخ محى الدين : أخذ بظاهر المنقول من عدم التكفير ، وذلك محمول على ما إذا لم يصدر منهم سبب يكفر ، كما إذا لم يحصل إلا مجرد الخروج [والقتال] ، ونحوه ، أما مع التكفير لمن تحقق إيمانه ، فمن أين ذلك ؟ .

فإن قلت : قد قال الأصوليون فى أصول الدين – ومنهم سيف الدين المزى – جواباً عن قول المكفرين : كيف لا نكفر الشيعة و الخوارج بتكفيرهم أعلام الصحابة ، رضى الله تبارك وتعالى عنهم ؟ وبتكذيب رسول الله ﷺ فى قطعه لهم بالجنة ؟ وأجاب : أن ذلك إنما هو إذا كان المكفر يعلم بتزكية من كفره ، قطعاً على الإطلاق إلى مماته ، وليس كذلك ، وهذا الجواب يمنع ما قلتم ، قلت : هذا الجواب ، إنما ننظر فيه إلى أن المكفر لا يلزمه بذلك تكذيب رسول الله ﷺ ولم ينظر إلى ما قلناه من الحكم عليه بالكفر [بالحديث] الذى ذكرناه ، إن لم يكن فى باطنه تكذيب ، كما قاله إمام الحرمين وغيره فى الحكم بالكفرعلى السجود للصنم والملقى للمصحف فى القاذورات ، وإن لم يكن فى باطنه تكذيب .

---

(١) (فتح البارى) : ٥٧٠/١٠ ، كتاب الأدب ، باب ما ينهى عن السباب و اللعن ، حديث رقم (٦٠٤)، (مسلم بشرح النووى) : ٤٧٨/٢ كتاب الإيمان ، باب (٤٧) غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه وإن من قتل نفسه بشئ عذب به ، حديث رقم (١١٠) .

فإن قلت : يلزم على هذا أن كل من قال لمسلم أنه كافر يحكم بكفره ، قلت : إن كان ذلك المسلم مقطوعا بإيمانه ، كالعشرة المشهود لهم بالجنة ، فنعم ، وكذا عبدالله بن سلام [ونحوه] ، ممن ثبت عن رسول الله ﷺ الشهادة لهم بالجنة ، وكذا كل من بايع تحت الشجرة إلا صاحب الجمل الأحمر ، و كذا أهل بدر ، وأما إذا لم يكن ذلك المسلم مقطوعا بإيمانه ، بل هو من عرض المسلمين ، فلا قول فيه ، ذلك ، وإن كان إيمانه ثابتا من حيث الحكم الظاهر ، لأن رسول الله ﷺ ، أشار إلى اعتبار الباطن بقوله : إن كان كما قال ، وإلا رجعت عليه ، وبقوله : فقد باء بها أحدهما .

بقى قسم آخر ، وهو أن لا يكون من الصحابة رضى الله تبارك تعالى عنهم ، المشهود لهم بالجنة ، و لكن ممن [اجمعت] الأمة على جلالته وإمامته ، كسعيد بن المسيب ، والحسن ، وابن سيرين ، وأقرانهم من التابعين ، ومن بعدهم من علماء المسلمين ، المجمع عليهم ، فهذا عندى أيضاً ملتحق بمن ورد النص فيه ، فيكفّر من كفره .

وحاصله أناً نكفر من يكفر من نحن نقطع بإيمانه ، إما بنص أو إجماع ، فإن قلت : هذا طريق لم يذكره أحد من المتكلمين ، ولا من الفقهاء ، قلت الشريعة كالبحر ، كل وقت يعطى جواهر ، وإذا صح دليل ، لم يضره خفاؤه على كثير من الناس فى مدة طويله ، على أننا قد ذكرنا من كلام مالك - رحمه الله - ما يشهد له ، فإن قلت : الكفرهو جحد الربوبية [أو الوحدانية] ، أو الرسالة ، وهذا رجل موحد - يعنى الرافضى - مؤمن برسول الله ﷺ ، وكثير من صحابته ، فكيف يكفّر .

قلت : التكفير ، حكم شرعى ، سببه جحد الربوبية ، أو الوحدانية ، أو الرسالة ، أوقول ، أو فعل حكم الشارع بأنه كفر وإن لم يكن جحداً ، وهذا منه ، فهذا دليل لم يرد فى هذه المسالة [أحسن] منه ، لسلامته عن اعتراض صحيح قادح فيه ، وينضاف إليه قوله ﷺ [فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى] : من آذى لى ولياً فقد آذنته بالحرب ، ولكن لا يقال بظاهره ، بل هو

كقوله تعالى : ﴿فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ﴾[1]، على أنه يمكن التزامه ، وأن المراد إذا لم يترك [الربا] ، ولا أقر به ، كفر .

ولا شك ان أبا بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه ، ولى الله ، [فإن] مبارزته مبارزة لله تعالى ومحاربته محاربة لله تعالى ، وقوله ﷺ فى الحديث الصحيح : " ولعن المؤمن كقتله " وأبو بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه مؤمن ، وفى الحديث الأول كفاية ، وهو فى (صحيح مسلم)[2] .

الدليل الثانى : استحلاله لذلك ، ومن استحل ما حرمه الله تعالى ، فقد كفر ، ولا شك أن لعنه الصديق ، رضى الله تبارك وتعالى عنه ، وسبه محرم .

قال ابن حزم : واللعن ، أشد من السب ، وقد صح عن رسول الله ﷺ : سباب المسلم فسوق ، فسب أبى بكر رضى الله تبارك وتعالىعنه فسق ، واستحلال الفسق كفر ، فإن قلت : إنما يكون استحلال الحرام كفر ، إذا كان تحريمه معلوما من الدين بالضرورة ، بالنقل المتواتر ، من حسن إسلامه ، وأفعاله أدلة على إيمانه ، وأنه دام على ذلك ، إلى أن قبضه الله تعالى ، هذا مما لا يشك فيه معلوم من الدين بالضرورة ، فيكون مستحله كافراً .

ولا يرد على هذا إلا شئ واحد ، وهو أن يكفر مستحل ما علم تحريمه بالضرورة ، فذلك كفرت الجهميّ والرافضيّ ، لم يكن ذلك العلم الضروريّ بالتحريم ، حاصلاً عنده ، فلم يلزم منه تكذيبه رسول الله ﷺ ولا ينفصل من هذا إلا بأن يقال : إن تواتر ذلك عند عموم الخلق يكفى فلا يعذر الرافضيّ بالشبهة الفاسدة ، التى غطت على قلبه ، حتى لم يعلم ذلك ، وهذا محل نظر وجدل ، وان كان القلب يميل إلى بطلان هذا العذر [وهذا هو الدليل الثالث][3].

---

(١) البقرة : ٢٧٩ .

(٢) (مسلم بشرح النووى) : ٢ / ٤٨٠ ، كتاب الإيمان ، باب (٤٧) غلظ تحريم قتل إنسان نفسه وإن من قتل نفسه بشئ عذب به فى النار الحديث الذى يلى رقم (١٧٦) بدون رقم .

(٣) زيادة للبيان .

[الدليل] **الرابع** : مذهب أبى حنيفة - رحمه الله - أن من أنكر خلافة الصديق ، رضى الله تبارك وتعالى عنه ، فهو كافر ، وكذلك من أنكر خلافة عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه ، ومنهم من لم يحك فى ذلك خلافا ، ومنهم من ذكر فى ذلك خلافاً ، وقال : الصحيح أنه كافر ، [والمسألة] مذكوره فى (الغاية) للسروجي ، وفى (الفتاوى الطهيرية) ، وفى (الأصل) لمحمد بن الحسن ، رحمه الله ، والظاهر أنهم أخذوا ذلك عن إمامهم أبى حنيفة ، وهو أعلم بالروافض ، لأنه كوفى ، والكوفة منبع الروافض ، والروافض طوائف منهم من يجب تكفيره ومنهم من لا يجب تكفيره فإذا قال أبو حنيفة [رحمه الله] بتكفير من ينكر إمامة الصديق فتكفير لاعنه أولى .

والظاهر أن المستند ، أن منكر امامة الصديق رضى الله تبارك وتعالى عنه مخالف للإجماع ، بناه على أن جاحد [الحكم] المجمع عليه كافر ، وهو المشهور عند الأصوليين ، وإمامة الصديق مجمع عليها ، من حين بايعه عمر ابن الخطاب ، رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، ولا يمنع من ذلك تأخر بيعة بعض الصحابة ، فإن الذين تأخرت بيعتهم ، لم يكونوا مخالفين فى صحة إمامته ، ولهذا كانوا يأخذون [عطاءه] ويتحاكمون إليه ، فالبيعة شئ ، والإجماع شئ ، لا يلزم من أحدهما الآخر ، ولا من عدم أحدهما عدم الآخر ، فافهم ذلك ، فإنه قد يغلط فيه . وهذا قد يعترض عليه شئ من شيئين :

أحدهما : قول : بعض الأصوليين : أن جاحد الحكم المجمع عليه ، إنما يكفر إذا كان معلوما من الدين بالضرورة ، وأما المجمع عليه الذى ليس معلوما من الدين بالضرورة ، فلا يكفر بإنكاره ، مثل كون بنت الابن لها السدس مثل البنت ، مجمع عليه ، وليس معلوما بالضرورة ، فلا يكفر منكره ، ويجاب على هذا [بأن] خلافة الصديق ، وبيعة الصحابة رضى الله تبارك وتعالى عنهم له ، ثبتت بالتواتر المنتهى إلى حد الضرورة ، فصارت كالمجمع عليه : المعلوم بالضرورة ، وهذا لا شك فيه ، ولم يكن أحد من الروافض فى أيام الصديق ، ولا فى أيام عمر ، ولا فى أيام عثمان ، رضى الله تبارك وتعالى عنهم ، وإنما حدثوا بعده ، وحدثت مقالتهم بعد حدوثهم .

الشئ الثانى : أن خلافة الصديـق ، رضـى اللـه تبـارك وتعـالى عنـه ، وإن علمت بالضرورة ، فالخلافة من الوقـائع الحادثـة ، ليسـت حكمـا شـرعيا ، والذى يكفر جاحده إذا كان معلوماً بالضرورة ، إنما هو الحكم الشـرعى ، لأنـه من الديـن ، كـالصلاة ، والزكـاة ، والحـج ، لأنـه لا يـلزم مـن جحده ، تكذيـب رسول الله ﷺ وهذا محل يجب التمهل [فيه] و النظر ، نعم ، وجوب الطاعـة وما أشبهه حكم شرعى يتعلق بالخلافة .

قـال : فـإن قلت : قد جـزم – يعنـى القـاضى حسـين – فـى كتـاب (الشهادات) بفسق سابّ الصحابة رضى الله تبارك وتعـالى عنهـم ، ولـم يحـك فيه خلافا ، وكذلك ابن الصباغ فى (الشامل) ، وغيره .

وحكوه عن الشافعى ، رحمه الله ، فيكون ذلـك ترجيحـا لعـدم الكفـر ، قلت : لا ، وهما مسألتان المسألة المذكروة فى (الشهادات) فى السـب المجـرد دون التكفير وهو موجب لفسق ، ولا فرق فـى الحـكم بالفسـق بيـن سـاب أبـى بكر ، [وغيره من] أعلام الصحابة ، رضى الله تبارك وتعالى عنهم .

و المسألة المذكورة فى كلام القاضى حسين ، فى كتـاب (الصـلاة) – فى الابتداء فى ساب الشيخين[1] ، او الحسنين[2] ، رضـى اللـه تبـارك وتعـالى عنـهم ، وهى محل الوجهين فى الكفر ، أو الفسق ، ولا مانع من أن يكون سـب مطلق [الصحابة] رضى الله تبارك وتعالى عنهم موجباً للفسـق ، وسـب بهـذا الصحابى مختلف فى كونه موجبا للفسق أو الكفر .

وأما المسألة الثالثة . وهى تكفير أبى بكر رضـى اللـه تبـارك وتعالـى عنـه ، ونظرائه من الصحابة ، رضى الله تبارك وتعالى عنهم ، فهذه لـم يتكلم فيها أصحابنا فى كتاب (الشهادات) ولا فى كتاب (الصلاة) ، وهى مسالتنا ، والذى أراه ، أنه موجب للكفر قطعا ، عملاً بمقتضى الحديث المذكور .

---

(١) الشيخان : فى السيرة : أبو بكر وعمر رضى الله تبارك وتعالى عنهمـا ، وفـى الحديـث : البخـارى ومسلم ، وفى الشعر الحديث : أحمد شوقى ، وحافظ إبراهيم .

(٢) الحسنان : الحسن والحسين سبطى رسول الله ﷺ .

قال : فتلخص أن سب أبى بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه ، على مذهب أبى حنيفة ، وأحمد [رحمهما الله] ، وأحد الوجهين عند الشافعى ، كفر ، أما مالك ، فالمشهور أنه أوجب به الجلد فيقتضى أنه ليس كفر ولم أر عنه خلاف ذلك إلا ما قدمته فى الخوارج فيخرج عنه أنه كفر فتكون [المسألة] عنده على حالين : إن اقتصر على سبّ من غير تكفير ، يكفروا ، إن كفر فالرافضى قد زاد إلى تكفير فهو كافرعند مالك وأبى حنيفه ، وأحد وجهى الشافعى ، وزنديق عند أحمد ، بتعرضه إلى عثمان رضى الله تبارك وتعالى عنه المتضمن تخطئة المهاجرين و الأنصار ، وكفره كفر ردة ، لأن حكمه قبل ذلك حكم المسلمين والمرتد يستتاب ، فإن تاب ، وإلا قتل وهذا استتيب ، فلم يتب ، يعنى فى رافضى قتل فى زمانه .

قال : فكان قتله على مذهب جمهور العلماء ، أو جمعيهم ، لأن القائل بأن الساب لايكفر ، لم يتحقق منه أنه يطرده فيمن يكفر أعلام الصحابة رضى الله تبارك وتعالى عنهم ، فأحد الوجهين عندنا ، إنما اقتصر على الفسق ، فى مجرد السب دون التكفير ، وكذلك الإمام أحمد ، إنما عن قتل من لم يصدر منه إلى السب والذى صدر من هذا أعظم من السب .

ومن جملة المنقول : قول الطحاوى - أحد أئمة الحنفية - فى (عقيدته)[1] فى الصحابة : وبعضهم كفرٌ ، وهذا يحتمل أن يحمل على مجموع الصحابة رضى الله تبارك وتعالى عنهم ، ويحتمل أن يحمل على كل واحد منهم إذا أبغضه [لا] لأمر خاص به ، لا بل مجرد صحبته رسول الله ﷺ ولا شك أن ذلك كفر ، لأنه لا يبغضه لصحبته رسول الله ﷺ إلا وهو يبغض رسول الله ﷺ وبغض رسول الله ﷺ كفر .

ويحتمل أن يحمل على ما إذا أبغض صحابياً ، لا لأمر من الأمور ، و القول بأن هذا وحده كفر يحتاج إلى دليل ، وأما إذا أبغضه لشحناء بينهما دنيوية ، و نحوها ، فلا يظهر كفره ، والرافضى ومن أشبهه ، بغضهم لأبى بكر، وعمر ، وعثمان رضى الله تبارك وتعالى عنهم ، لاشك أنه ليس لأجل

---

(١) العقيدة الطحاوية .

الصحبة ، لأنهم يحبون علياً ، والحسن ، والحسين ، رضى الله تبارك وتعالى تعالى عنهم ، ويحبون [غيرهم] ولكنه لهوى فى أنفسهم ، واعتقادهم بجهلهم ، ظلمهم لأهل بيت رسول الله ﷺ ، فالظاهر أنهم إذا اقتصروا على السب من غير تكفير ، ولا جحد لمجمع عليه ، لا يكفرون .

واعلم أن من كان كفره للطعن فى الدين ، فإن توبته مقبوله ، لقوله تعالى : ﴿ **وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمه الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون** ﴾[1] دليل لقبول توبتهم ، وهذا الرافضىّ ، لم ينته ، ولم يتب ، والله تبارك وتعالى أعلم .

فصل فى التنبيه على شرف مقام أصحاب رسول الله ﷺ

اعلم أن الصحابة رضى الله تبارك وتعالى عنهم هم الحواريون ، الذين وعوا سنة رسول الله ﷺ ، وأدوها ناصحين محتسبين ، حتى كمل بما نقلوه الدين ، وثبتت لهم حجة الله على المسلمين ، وهم خير القرون ، وخير أمة أخرجت للناس ، ثبتت عدالة جميعهم بثناء الله وثناء رسوله ، ولا أعدل ممن ارتضاه الله لصحبة نبيه و نصرته ، ولا تزكية أفضل من ذلك ، ولا تعديل أكمل منه ، ونحن وإن بلغنا من الفضل ما عسانا نبلغه ، فإن فهم مقامهم على مقدارهم ، مستحيل أن يصل منا أحد إليه ، لبلوغنا الغاية فى الانحطاط عن مرتبتهم .

لكنا إنما نفهم مقامهم على قدرنا ، وذلك أن أكثر ما نبحث عنه من العلوم ، وندأب فيه ، فإنه حاصل عند الصحابة بأصل الخلقة ، لا يحتاجون فيه إلى تكلف طلب ، ولا مشقة درس ، كاللغة ، والنحو ، والصرف ، وعلم المعانى والبيان ، وأصول الفقه ، وأصول الدين ، وكذلك ما فطروا عليه من العقول الرصينة ، ما من الله تعالى به عليهم ، من إفاضة نور النبوة العاصم

---

(١) التوبة : ١٢ .

من الخطأ في الفكر ، يغنيهم عن علم المنطق ، والجدل وسائر العلوم العقلية ، وبما [ألف] سبحانه بين قلوبهم ، حين صاروا بنعمته إخوانا ، على سرر متقابلين ، أغناهم عن الاستعداد للمناظرة ، والمجادلة .

فلم يكونوا يحتاجون في علومهم إلى ما يسمعونه من رسول الله ﷺ بما أوحى إليه ربه من كتابه العزيز ، وسنته التي هي الحكمة ، فإذا سمعوا ذلك فهموه أحسن فهم ، وحملوه على أجمل حمل ، ونزلوه منزلته .

وأما وصاياه ﷺ

فخرج مسلم (١) من حديث سفيان ، عن علقمة بن مرثد ، عن سليمان ابن بريدة ، عن أبيه ، رضى الله تبارك وتعالى عنه قال ، كان رسول الله ﷺ ، إذا أمر أميراً ، على جيش ، أو سرية ، أوصاه في خاصته بتقوى الله ، ومن معه من المسلمين خيراً ، ثم قال : اغزوا بسم الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ، ولا تغدورا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليداً ، وإذا لقيت عدوك من المشركين ، فادعهم إلى ثلاث خصال ، أو خلال - فأيتهن ما أجابوا فاقبل منهم ، وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، فإن أجابوك ، فاقبل منهم ، وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين ، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك ، فلهم ما للمهاجرين ، وعليهم ما على المهاجرين فإن أبوا أن يتحولوا منها ، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين ، يجرى عليهم حكم الله الذى يجرى على المؤمنين ، ولا يكون لهم في القسمة والغنيمة والفئ شئ إلا أن يجاهدوا مع المسلمين ، فإن هم أبو فسلهم الجزية ، فإن هم أجابوك فاقبل منهم ، وكف عنهم [وإن هم] أبوا فاستعن بالله [وقاتلهم] ، وإذا حاصرت

---

(١) (مسلم بشرح النووى) : ١٢ / ٢٨١ - ٢٨٣ ، كتاب الجهاد والسير ، باب (٢) تأمير الأمراء على البعوث ، ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها ، حديث رقم (٣) ، وأخرجه الإمام أحمد في (المسند) : ٦ / ٤٩٢ ، حديث رقم (٢٢٥٢١) ، من حديث بريدة الأسلمى رضى الله تبارك وتعالى عنه .

أهل حصن ، فارادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ، فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه ، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك فإنكم إن تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم ، أهون من أن [تخفروا] ذمة الله وذمة رسوله ، وإذا حاصرت أهل حصن ، [فأرادوك] أن تنزلهم على حكم الله ، فلا تنزلهم على حكم الله ، ولكن أنزلهم على حكمك ، فإنك لا تدرى أتصيب حكم الله [أم لا] .

فصل فى ذكر [أمراء] سرايا رسول الله ﷺ

[السرية [١] ، ما بين خمسة [أنفس] ، إلى ثمانية ، وقيل : هى من الخيل نحو أربعمائة] ، وعدة سرايا رسول الله ﷺ . التى بعثها لجهاد أعداء الله ، ثمان و خمسون سرية ، استعمل عليها سبعة و ثلاثين رجلا وكان يعتذر عن تخلفه عنها ، ويوصى [أمراءه] بتقوى الله ، و يعلمهم [ما] يحتاجون إلى فعله فى غزوهم ، وينكر ما لا يصلح من فعل [الأمراء] .

فأما اعتذاره ﷺ عن التخلف

فخرج البخارى [٢] من حديث الزهرى ، قال : أخبرنى سعيد بن المسيب، أن أبا هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : والذى نفسى بيده ، لولا أن رجالاً من المؤمنين ، لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عنى ، ولا أجد ما أحملهم عليه ، ما تخلفت عن سرية تغدو فى سبيل الله ، والذى نفسى بيده ، لوددت انى أقتل فى سبيل الله ، ثم أحيا ، [ثم أقتل] ثم أحيا ، ثم أقتل ، ترجم عليه باب : تمنى الشهادة .

---

(١) السرية قطعة من الجيش ما بين خمسة أنفس إلى ثلاثمائة أو هى من الخيل نحو أربعمائة وجمعها سرايا - (المعجم الوسيط) : ٤٢٩/١ . قال إبراهيم الحربى : هى الخيل تبلغ أربعمائة ونحوها ، قالوا : سميت سرية لأنها تسرى فى الليل ويخفى ذهابها - وهى فعيلة بمعنى فاعلة - يقال سرى وأسرى إذا ذهب ليلاً (مسلم بشرح النووى) .

(٢) (فتح البارى) : ١٩٠/٦ ، كتاب الجهاد والسير باب (٧) تمنى الشهادة حديث رقم (٢٧٩٧) .

وخرجه مسلم[1] من حديث جرير ، عن عمارة بن القعقاع ، عن أبى زرعه عن أبى هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه ، وكرراه من طرق ، وخرجه النسائى أيضا . [2]

و ذلك كله من غير مجاهدة نفس ، ولا تكلف الهواجر ، [و مقاساة] شدة الظمأ ، ولا قيام ليل طويل ، ولا استغراق الأوقات فى الذكر ، بل بإفاضة نور النبوة عليه ، قد استحال فى أقل من طرفة عين هذه الاستحالة الشريفة وأرتقى إلى أعلى مقام تتقاصر أعمال العاملين من بعده بأسرهم عن بلوغه .

وأنت إن كنت ممن سلك طريق الله ، فإنك تعلم إن إجابة من إجابات الحق [توازى] عمل الثقلين ، هذا فى حق الأتباع الذين سلكوا منهاج الصحابة وأما الصحبة ، فأين الثريا من يد المتناول هيهات أن يحصى الرمل ، أو يحصر القطر ، فالزم الأدب مع الحق ، وقف مع حذاك من العبودية ، [وأد إلى كل] إلى كل ذى حق حقه ، ولا تكونن من المعقدين فتردى أسفل سافلين ، وتعجز عن الوصول إلى منازل العارفين والله يهدى من يشاء بمنه .

وهم مع هذه الفضائل الجمة ، قد برأهم الله تعالى و نزههم عن أن يمارى أحد فيما يسمع من الكتاب والسنة أو يجادل فيه ، ولم يكن بينهم على ذلك بدعة ولا ضلالة ، وإذا صلى أحد منهم مع رسول الله ﷺ الصلوات المفروضة ، أوحج واعتمر ،أو جاهد فى سبيل الله من صد عن سبيله وكفر، أو أدى زكاة ماله ، أو [حض] من يؤديها ، أو شاهد قضاء رسول الله ﷺ فى شئ ، اغناه ذلك عن التكلف و الدوب فى طلب علم الفقه ، و معاناه المشفقه فى حفظه ودراسته .

ولم يكونوا رضى الله تبارك وتعالى عنهم مع هذا محتاجين إلى تجرية ، ولا سلوك ، ولا رياضة ، ولا دخول خلوة ، ولا سياحة ، بل كانوا لمجرد رؤية رسول الله ﷺ أحدهم ، أو دعايته إياه إلى الإسلام ، يحصل له

---

(١) (مسلم بشرح النووى) : ٢٧/١٣ كتاب الإمارة باب فضل الجهاد حديث رقم (١٠٦).

(٢) (سنن النسائى) : ٣٣٩/٦ ، كتاب الجهاد ، باب (٣٠) تمنى القتل فى سبيل الله ، حديث رقم (٣١٥٢) .

أجل مقامات العارفين ، وأعلى منازل المقربين ، و [أعلى] درجات الصديقين ، من غير صيام نهار ، ولا قيام ليل ، ولا مجاهدة نفس ، ولا تهذيب أخلاق ، بل يستحيل في تلك اللحظة [صديقاً] مقرباً ، ووليا لله عارفاً ، وحبراً من أحبار الأمة عالماً قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وواقفه فيما بقى من عمره وحفظه.

واعتبر بحال أمير المؤمنين ، أبى حفص ، عمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه ، كيف كان أشد الناس فى عداوة الله [عز وجل] ورسوله ﷺ ، حتى لقد هم بقتل رسول الله ﷺ ، فما هو إلا أن وقف على دار الأرقم ، و طرق الباب ، فقام إليه رسول الله ﷺ يتلقاه ، وعانقه ، وضرب صدره ثلاث مرات ، وهو يقول : اللهم أخرج ما فى صدره من غل ، وأبدله إيمانا ، فللحال انصبغ عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه ، واستحال بعد الشرك بالله ، وعبادة الأصنام ، والأوثان ، والطواغيت ، وبذل الجهد فى إطفاء نور الله ، ما سلك فجاً ، إلا سلك الشيطان فجاً غيره ، ولو كان بعد رسول الله ﷺ نبى لكان عمر .

فصل فى ذكر من استخلفه رسول الله ﷺ
على المدينة فى غيبته عنها فى
غزو ، أو حج ، أو عمرة

اعلم أن رسول الله ﷺ غزا خمساً وعشرين غزاة ، وخرج للعمرة مرتين ، وحج مرة واحدة بعد الهجرة ، واستخلف على المدينة فى ذلك اثنى عشر رجلاً . وكان عند قدومه المدينة ، قد وادع يهودها ، وكتب بينه وبينهم كتاباً ، واشترط عليهم ألا يمالئوا عليه عدوه ، وأن ينصروه على من دهمه ، وأن لا يقاتل عنهم كما يقاتل عن أهل الذمة .

فلم يحارب رسول الله ﷺ أحداً ولم يهجه ، ولم يبعث سرية ، حتى أنزل الله تعالى : ﴿ **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير * الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله * ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز * الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** ﴾ .

فكان أول لقاء عقده لواء حمزة بن عبد المطلب رضى الله تبارك وتعالى عنه . قال سفيان عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضى الله تبارك وتعالى عنهما قال : أول آيه أنزلت فى القتال ﴿**أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير** ﴾ وقال عبد الله بن المبارك ، عن يونس ، عن يزيد الأيلى ، عن الزهرى ، عن عروه أن أول آيه أنزلت فى الجهاد : ﴿ **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير * الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله * ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع صلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز** ﴾ .

وأول غزوة غزاها رسول الله ﷺ غزاة الأبواء ، وهى غزاة ودان ، فى صفر على أثنى عشر شهراً من هجرته ، يريد عير قريش ، فلم يلق كيداً .

فأما الذين استخلفهم على المدينة فى غيبته عنها فهم : سعد بن عبادة الخزرجي ، خلفه فى غزوة ودان ، خمس عشرة ليلة ، وسعد بن معاذ ، خلفه فى غزوة بواط . وزيد بن حارثة ، [خلفه] فى غزوة سفوان ، وفى غزوة المريسيع . وأبو سلمه بن عبد الأسد . خلفه فى غزاة بنى قينقاع ، وفى غزاة السويق ، وعاصم بن عدى [خلفه] على قباء ، وأهل العالية ، فى غزوة بدر ، وقد رده رسول الله ﷺ من الروحاء ، لشئ بلغه عن أهل مسجد الضرار ، وكان قد استخلفه على قباء والعالية ، فرده لينظر فى ذلك ، وضرب له بسهمه مع أهل بدر .

وابن أم مكتوم ، خلفه فى غزاة قرقرة الكدر ، ثم فى غزاة بنى سليم ، ثم فى غزاة أحد ، ثم فى غزاة حمراء الأسد ، ثم فى غزاة بنى لحيان ، ثم فى غزاة بنى النضير ، ثم فى غزاة الخندق ثم فى غزاة بنى قريظة ، ثم فى غزاة بنى لحيان ، ثم فى غزاة ذى قرد ، ثم فى عمرة الحديبية . وقيل : بل كان على المدينة فى عمرة الحديبية أبورهم ، وكان ابن مكتوم على المدينة فى غزاة تبوك ، وقيل بل كان على المدينة فى غزاة تبوك محمد بن مسلمة ، وقيل : أبورهم ، وقيل : سباع بن عرفطة ، وكان ابن أم مكتوم على المدينة فى حجة الوداع .

وعثمان بن عفان ﷺ وابن رواحة [خلفه] فى غزاة بدر الموعد . وسباع بن عرفطة الكنانى ، [خلفه] فى غزاة دومة الجندل ، وفى غزاة خيبر ، وقيل : بل كان على المدينة فى غزاة خيبر نميلة بن عبد الله الكنانى ، وكان سباع على المدينة فى غزاة وادى القرى . وأبو ذر الغفارى [خلفه] فى عمرة القضية ، وقيل : بل خلف فيها أبورهم الغفارى . وعلى بن أبى طالب رضى الله تبارك وتعالى عنه [خلفه] على أهل رسول الله ﷺ فى غزاة تبوك والله تبارك وتعالى أعلم .

فصل فى ذكر من استعمله رسول الله ﷺ
فى جيوشه عند عودته ﷺ

اعلم أن رسول الله ﷺ أقام فى جهات جيوشه ، وعلى عسكره ، لما كان يخرج إلى الغزو جماعة من أصحابة ، فاستعمل على المشاة لما خرج إلى بدر ، قيس بن أبى صعصعة عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول بن عمر بن غنم بن مازن بن النجار الأنصارىّ ، أحد من شهد بيعة العقبة على المشاة ، وأمره حين فصل من بيوت السقيا ، أن يعد المسلمين ، فوقف لهم [مع] أبى عتبة ، فعدهم ، ثم أخبر رسول الله ﷺ فجعله على الساقة يومئذ وقدم يوم أحد طليعتين ، هما مالك والنعمان ، ابنا خلف بن عوف [بن] دارم بن عمر بن وائلة بن سهم بن مازن بن الحارث بن سلامان بن أسلم بن أفصى بن حارثة ابن عمرو مزيقياء ، ودفنا فى قبر واحد .

قال الكلبى : وجعل فى غزاة أحد على الرماة - وهم خمسون رجلاً - عبد الله بن جبير بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس ، واسمه البرك بن ثعلبة ابن عمرو بن عوف الأنصارى ، أحد من شهد العقبة ، وهو أخو خوات بن جبير ، وتقدم رسول الله ﷺ إلى الرماة فقال : احموا لنا ظهورنا ، فإنا نخاف أن نؤتى من ورائنا ، والزموا مكانكم ، لا تبرحوا منه ، وإن رأيتمونا نهزمهم ، حتى تدخل عسكرهم ، فلا تفارقوا مكانكم وإن رأيتمونا نقتل فلا تعينونا [ولا تدفعوا عنا] ، اللهم إنى أشهدك عليهم ، وأرشقوا خيلهم بالنبل ، فإن الخيل لا تقوم على النبل .

فلما التحمت الحرب ، وكانت الدولة لرسول الله ﷺ على المشركين ، قال بعض الرماة لبعض [لما تقيمون] ههنا فى غير شئ ، قد هزم الله العدو ، وهؤلاء إخوانكم ينتهبون عسكرهم ، فادخلوا عسكر المشركين ، فاغنموا مع [إخوانكم] فقال بعض الرماة لبعض ألم تعلموا أن رسول الله ﷺ قال لكم : احموا ظهورنا ، ولا تبرحوا مكانكم ، وإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا ، وإن غنمنا فلا تشركونا ، احموا ظهورنا ؟

فقال الآخرون : لم يرد رسول اللـه ﷺ هذا ، وقد أذل اللـه المشركين وهزمهم فادخلوا العسكر ، وانتهبوا مع إخوانكم ، فخطبهم عبد اللـه بن [حمير] ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وأمر بطاعته ، وطاعه رسوله ، فعصوا ، وانطلقوا حتى لم يبق معه إلا دون العشرة ، ومضوا إلى عسكر المشركين ينتهبون ، فبين المسلمون قد شغلوا بالنهب ، وضع الرماة [...] دخل المشركون عليهم وهم غارون [آمنون] ، فوضعوا فيهم السيوف ، فقتلوا فيهم قتلا ذريعاً ، وتفرق المسلمون فى كل وجه .

وكر خالد بن الوليد ، وعكرمة بن أبى جهل إلى موضع الرماة ، فحملوا على من بقى منهم ، فرموهم حتى أصيبوا ، ورمى عبد الله بن جبير ، حتى فنيت نبله ، ثم طاعن بالرمح حتى انكسر ، ثم كسر جفن سيفه ، فقاتلهم حتى قتل شهيداً رضى الله تبارك وتعالى عنه .

ولما سار رسول الله ﷺ إلى بنى النضير ، ورجع بعد أن صلى العشاء إلى بيته فى عشرة من أصحابه ، استعمل علىّ بن أبى طالب ، رضى اللـه تبارك وتعالى عنه ، ثم لما رجع من الغداة أمر بنخل بنى النضير ، فقطعت ، وحرقت ، واستعمل على قطعها أبا ليلى ، عبد الرحمن بن كعب بن عمرو الأنصارى المازنى ، أخا عبد الله بن كعب المازنى ، وعبد اللـه بن سلام بن الحارث ، أبا يوسف الإسرائيلى ، حليف الأنصار ، فكان أبو ليلى يقطع العجوة ، وكان عبد الله بن سلام يقطع اللون ، فقيل لهما فى ذلك ، فقال أبو ليلى : كانت العجوة أحرق لهم ، وقال عبد الله بن سلام : قد عرفت أن اللـه سيغنمه أموالهم ، وكانت العجوة خير أموالهم ، [فنزل] فى ذلك رضاءً بما [صنعنا جميعاً] قول الله عز وجل : ﴿ **ما قطعتم من لينة** ﴾ ، ألوان النخل الذى فعل بن سلام ، ﴿ **أو تركتموها قائمة على أصولها** ﴾ ، يعنى العجوة ، [فبإذن الله] ، وقطع أبو ليلى العجوة ، ﴿ **وليخزى الفاسقين** ﴾ يعنى بنى النضير ، [رضا] من اللـه تعالى ، بما صنع الفريقان جميعاً ولما نزل بنو قريظة على حكم رسول الله ﷺ أمر بأسراهم ، فكتفوا رباطاً ، وجعل على كتافهم محمد بن مسلمة الأنصارى رضى الله تبارك وتعالى عنه ، [ونحوا

ناحية] وأخرجوا النساء والذرية من الحصون ، فكانوا ناحية ، واستعمل رسول الله ﷺ سعد بن زيد الأنصاري الأشهلي ، على سبايا بني قريظة ، وبعثه بهم إلى نجد ، فاتباع له بها خيلاً وسلاحاً .

قال ابن إسحاق ، واستعمل سعداً هذا في غزوة الغابة أميراً على الخيل ، وكانوا ثمانية ، وقدم عباد بن بشير أمامه طليعة في خيل قوتها عشرون فرساً ، لما خرج يريد العمرة ، فصده المشركون عن البيت بالحديبية ، ثم قدمه في فوارس طليعة ، لما خرج إلى غزاة خيبر ، فأخذ عيناً لليهود من أشجع ، فقال : من أنت ؟ قال : باغ أبغي أبعرة ضلت لي ، أنا على إثرها ، قال له ألك علم بخيبر ؟ قال : عهدي بها حديث ، فأنتم تسألون عنه ، قال : عن يهود ؟ قال : نعم كان كنانة بن أبي الحقيق ، وهودة بن قيس ساروا في حلفائهم من غطفان ، فاستنفروهم ، وجعلوا لهم تمر خيبر سنة ، فجاءوا معدين بالكراع والسلاح ، يقودهم عينية بن بدر ، ودخلوا معهم في حصونهم ، وفيها عشرة آلاف مقاتل ، وهم أهل حصون لا ترام ، وسلاح وطعام كثير ، لو أحصروا سنيين لكفاهم ، فرفع عباد [بن] بشر السوط ، فضربه ضربات وقال : ما أنت إلا عين لهم ، أصدقني وإلا ضربت عنقك ، فقال الأعرابي : فتؤمني على أن أصدقك ، فقال عباد : نعم ، قال الأعرابي : القوم مرعوبون منك ، خائفون وجلون ، لما قد صنعتم بمن كان [قبلكهم] بيثرب من يهود ، [إن يهود] بعثوا ابن عم لي وجدوه بالمدينة ، قد قدم بسلعه له يبيعها ، فبعثوه إلى كنانه بن أبي الحقيق ، يخبرونه بقتالهم وقال ، خيلكم وسلاحكم فأصدقوهم الضرب ، ينصرفوا عنكم ، فإنه لم يلق [قوماً] يحسنون القتال ، وقريش والعرب قد سروا بمسيره إليكم ، لما يعلمون من كثرة عددكم وسلاحكم ، وجودة حصونكم ، وقد بايعت قريش وغيرهم ، ممن يهوى هوى محمد ، تقول قريش : إن جاءهم يظهر ، ويقول الآخرون : يظهر محمد فإن ظفر محمد فهو ذل الدهر .

قال الأعرابي : وأنا أسمع كل هذا ، فقالت لي كنانة : اذهب معترضاً للطريق فإنهم لا يستنكرون مكانك ، فاحذرهم لنا ، وادن منهم كالسائل لهم

مايقوى به ، ثم ألق [إليهم] كثرة عددنا ، وموادنا ، فهم [لن يدعوا سؤالك] ، وعجل الرجعه إلينا بخبرهم ، فأتى به عباد بن بشر ، إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر ، فقال عمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه : أضرب عنقه ، فقال عباد : جعلت له الأمان ، فقال رسول الله ﷺ أمسكه معك يا عباد فأوثقه رباطاً ، فلما دخل رسول الله ﷺ خيبر ، عرض عليه الإسلام وقال : إنى داعيك ثلاثاً ، فإن لم تسلم وإلا ضرب عنقك ، فأسلم ، وندب رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة ليرتاد له منزلاً ، وذلك أنه ﷺ ، لما نزل على خيبر ، بات وأصبح بمنزله ، فجاء الحباب بن المنذر بن الجموح ، فقال : يا رسول الله :- إنك نزلت منزلك هذا ، فإن كان عن أمر أمرت به ، فلا نتكلم فيه ، وإن كان الرأى تكلمنا ، فقال رسول الله ﷺ : بل هو الرأى : فقال : يارسول الله ، دنوت من الحصون ، ونزلت بين ظهرى النخل ، إن أهل النطاق لى ولهم معرفه ، ليس قوم أبعد مدى ، ولا أعدل ، وهم مرسون علينا ، وهو أسرع لانحطاط نبلهم ، مع أنى لا آمن بياتهم ، يدخلون فى خمر النخل ، فتحول يا رسول الله إلى موضع يرى من البر ، ومن الوباء ، نجعل الحرة بيننا وبينهم ، حتى لا ينالنا نبلهم ، ونأمن من نبالهم ، ومرتفع من البر .

فقال رسول الله ﷺ : أشرت بالرأى ، ثم قال رسول الله ﷺ : نقاتلهم هذا اليوم ، ودعى محمد بن مسلمة فقال : انظر لنا منزلاً بعيداً من حصونهم يرى من البر لا ننال من نبالهم ، فطاف محمد [بن مسلمة] حتى انتهى إلى الرجيع ، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ ليلاً فقال وجدت لك منزلاً ، فقال رسول الله ﷺ : على بركة الله ، وقاتل رسول الله ﷺ يومه ذلك إلى الليل ، فقال الحباب : لو تحولت يارسول الله ، فقال : إذا أمسينا إن شاء الله تحولنا فلما أمسى تحول ، وأمر الناس فتحولوا إلى الرجيع .

واستخلف عثمان بن عفان رضى الله تبارك وتعالى عنه ، على العسكر بخيبر ، وذلك أنه ﷺ لما تحول إلى الرجيع ، خاف على أصحابه البيات ، فضرب عسكره هناك ، وبات فيه ، فأقام سبعة أيام ، يغدو كل يوم بالمسلمين ، ويترك العسكر بالرجيع ، ويستخلف عليه عثمان ، ويقاتل أهل

النطاة يومه إلى الليل ، فإن أمسى رجع إلى الرجيع ، وكل من خرج من المسلمين يحمل على العسكر .

واستعمل عمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه على الحرس ، وذلك أنه كان يناوب بين أصحابه فى حراسة الليل ، مدة مقامه بالرجيع ، فلما كانت الليلة السادسة من السبع استعمل عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه ، فطاف عمر بأصحابه حول العسكر ، وفرقهم ، فأتى برجل من اليهود فى جوف الليل ، فأمر به عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه أن يضرب عنقه ، فقال : اذهب بى إلى نبيكم حتى أكلمه ، فأمسك عنه ، وأتى به إلى باب رسول الله ﷺ [فوجده] يصلى ، فسمع رسول الله ﷺ كلام عمر ، فسلم ، وأدخله عليه ، فدخل اليهودى ، فقال رسول الله ﷺ لليهودى : ما وراءك ؟ ومن أين أنت ؟ فقال تؤمنى يا أبا القاسم وأنا أصدقك ، قال : نعم ، فقال : خرجت من حصن النطاة ، من عند قوم ليس لهم نظام [تركتهم] يتسللون من الحصن فى هذه الليلة ، قال : فأين يذهبون ؟ قال : أذل مما كانوا فيه إلى الشق ، وقد رغبوا منك ، حتى إن أفئدتهم لتخفق ، وهنا حصن فيه السلاح ، والطعام ، والودك ، وفيه آلة حصونهم التى كانوا يقاتل بها بعضهم بعضاً ، قد غيبوا ذلك فى بيت من حصنهم تحت الأرض .

قال رسول الله ﷺ وما هو ؟ قال : منجنيق مفككة ، وسلاح ودروع ، وبيض ، وسيوف ، فإذا دخلت الحصن غداً ، وأنت تدخله ، قال رسول الله ﷺ : إن شاء الله ، قال اليهودى : إن شاء الله ، أوقعك عليه ، فإنه لا يعرفه أحد من اليهود غيرى ، وأخرى ، قال : ماهى ؟ قال : تستخرجه ثم انصب المنجنيق على حصن الشق ، ويدخل الرجال تحت [الدبابتين] فيحفروا الحصن ، فتفتحه من يومك ، وكذلك تفعل بحصون الكتيبة .

فقال [رسول الله ﷺ] : إنى أحسبه قد صدق ، قال اليهودى : يا أبا القاسم : احقن دمى ، قال : أنت آمن ، قال : ولى زوجة فى حصن النزار فهبها لى ، قال : هى لك ، فقال رسول الله ﷺ : ما لليهود حولوا ذراريهم من النطاة ؟ قال : جردوها للمقاتلة ، وتحول الذرارى إلى الشق والكتيبة ، ثم

دعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام ، فقال : أنظرنى أياماً ، فلما أصبح رسول الله ﷺ غزا بالمسلمين إلى النطاة ففتح الله الحصن ، فاستخرج ما كان قال اليهودى فيه ، فأمر ﷺ بالمنجنيق أن يصلح وينصب على الشق وعلى حصن النزار ، فما رموا عليها بحجر ، حتى فتح الله عليهم حصن النزار .

واستعمل [رسول الله ﷺ] على غنائم خيبر ، فروة بن عمرو بن ودقة ابن عبيد بن غانم بن بياضه ، البياضى ، الأنصارى ، أحد من شهد العقبة ، وحصن الشق ، وحصن الكتيبة ، فلم يترك على أحد من أهل الكتيبة إلا ثوباً على ظهره ، من الرجال ، والنساء ، والصبيان ، وجمعوا أثاثاً كبيراً ، وبزاً ، [وقطائف] ، وسلاحاً وغنماً ، وبقراً ، وطعاماً ، وأدماً كثيراً ، فلم يخمس الطعام ، والأدم ، والعلف ، بل أخذ الناس منه [حاجاتهم ، وكل] من احتاج [إلى سلاح] يقاتل به ، أخذوه من فروة بن عمرو ، صاحب المغنم ، حتى فتح الله عليهم فردوا ذلك فى المغنم ، فلما اجتمع ذلك كله ، أمر به رسول الله ﷺ ، فجزئ [خمسة] أجزاء ، منهم سهم الله ، وأمر ببيع أربعه أخماس فيمن يزيد ، فجعل فروة بن عمرو يبيعها فيمن يزيد ، فدعا فيها رسول الله ﷺ فقال : اللهم ألق عليه النفاق ، قال فروة بن عمرو : فلقد رأيت الناس يتداركون علي ، ويتواثبون ، حتى نفق فى يومين ، ولقد كنت أرى أنا لا نتخلص منه حيناً لكثرته.

واستعمل [رسول الله ﷺ] على إحصاء الناس بخيبر ، زيد بن ثابت رضى الله تبارك وتعالى عنه ، فقسم رسول الله ﷺ بينهم الذى غنموه من المتاع الذى بيع ، ثم أحصاهم ألفاً و [أربعمائة] ، والخيل مائتى فرس ، فكانت السهمان على ثمانية عشر سهماً ، للرجال [أربعمائة] ، وللخيل [أربعمائة] .

واستعمل رسول الله ﷺ فى غزاة الفتح ، الزبير بن العوام رضى الله تبارك وتعالى عنه ، على مائتين من المسلمين ، وقدمه أمامه ، وجعل ﷺ من العرج ، أتته الطليعه بعين من هوازن ، فقالوا : يا رسول الله رأيناه حين طلعنا عليه ، وهو على راحله قد تغيب عنها فى هذه ، ثم جاء فأوفى على [سهل] فقعد عليه ، فركضنا إليه ، فأراد أن يهرب منا ، وإذا بعيره قد عقله ،

فأدركناه ، فقلنا : ممن أنت ؟ قال : رجل من غفار ، فقلنا : هم أهل [هذا] البلد ، فأى بنى غفار أنت ؟ فلم يذكر لنا نسباً ، فازددنا به ريبة ، وأسأنا به الظن هنالك ؟ فلم يقل شيئاً ، فلما رأينا ما خلط ، فقلنا : لتصدقنا ، أو لنضربن عنقك قال : فإن صدقتكم ينفعنى ذلك [عندكم] قلنا: نعم فإنى رجل من هوازن ، من بنى النضير ، بعثتنى هوازن عيناً ، وقالوا: ائت المدينة حتى تلقى محمداً ، فتستخبر لنا ما يريد فى أمر حلفائه ، أيبعث إلى قريش بعثاً ، أو يغزوهم بنفسه ، ولا نراه إلا سيغزوهم ، فإن خرج سائراً ، أو بعث بعثاً ، فسر معه ، حتى ينتهى إلى بطن سرف ، فإن كان يريدنا أولاً ، فاسلك فى بطن سرف حتى يخرج إلينا ، وإن كان يريد شيئاً ، [فسيلزم] الطريق .

فقال رسول الله ﷺ : وأين هوازن ؟ قال : تركتهم [شيعاً] ، وقد جمعوا الجموع ، وأجلبوا فى العرب ، وبعثوا إلى ثقيف ، فأجابتهم ، فتركت ثقيفاً على ساق ، قد جمعوا الجموع ، وبعثوا إلى جرش فى عمل الرايات والمنجنيق ، وهم سائرون إلى جمع هوازن ، فيكونون جميعاً .

فقال رسول الله ﷺ : وإلى من جعلوا أمرهم ؟ قال : إلى مالك بن عوف ، قال رسول الله ﷺ : وكل هوازن قد أجاب إلى ما دعى إليه مالك ؟ قال : قد أبطأ من بنى عامر أهل الجد والجلد ، قال : من ؟ قال : كعب وكلاب ، قال ما فعلت هلال ؟ قال : ما أقل من ضوى إليه منهم ، ومررت بقومك أمس بمكة ، وقد قدم عليهم أبو سفيان بن حرب فرأيتهم ساخطين لما جاء به ، وهم خائفون وجلون .

فقال رسول الله ﷺ حسبنا الله ونعم الوكيل ، ما أراه إلا صدقنى ، قال الرجل : فلينفعنى ذلك ، فأمر رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رضى الله تبارك وتعالى عنه أن يحبسه ، وخافوا أن يتقدم ويحذر الناس ، فلما نزل العسكر مر الظهران ، أفلت الرجل ، فطلبه خالد بن الوليد ، فأخذه عند الأراك ، وقال لولا عهد لك لضربت عنقك ، وأخبر رسول الله ﷺ فأمر به يحبس حتى يدخل مكة ، فلما دخل رسول الله ﷺ مكة وفتحها ، أتى به إليه ، فدعاه إلى الإسلام ، فأسلم ، ثم خرج معه ، فقتل [بأوطاس] فلما نزل رسول الله ﷺ

فى غزاة الفتح قديداً ، لقيته سليم فى تسعمائة أو فى ألف فارس ، فجعل معهم خالد بن الوليد فى المقدمة ، حتى نزلوا مر الظهران معه ، فكان أول من قدم رسول الله ﷺ خالداً فى بنى سليم ، وهم ألف ، فيهم لواء يحمله عباس بن مرداس ، ولواء يحمله خفاف بن ندبة ، وراية يحملها آخر ، [فلم يزل] خالد بهم فى المقدمة ، حتى ورد الجعرانة بعد فتح مكة .

وروى أن رسول الله ﷺ جعل يوم الفتح على المجنة اليمنى ، خالد بن الوليد ، وعلى المجنة اليسرى الزبير بن العوام ، رضى الله تبارك وتعالى [عنهما] ، وعلى الساقة ، أبو عبيدة بن الجراح ، رضى الله تبارك وتعالى عنه ذكره مسلم .

واستعمل رسول الله ﷺ أبا عامر ، بن قيس ، وقيل : عبد الرحمن ، وقيل : عبيد ، وقيل عباد بن قيس ، وهو أخو أبى موسى الأشعرى رضى الله تبارك وتعالى عنه ، وذلك أن المشركين لما انهزموا بحنيين ، عسكر منهم طائفة بأوطاس ، فبعث رسول الله ﷺ فى آثارهم أبا عامر الأشعرى ، وعقد له لواءً ، وكان معه فى ذلك البعث سلمة بن الأكوع ، وكان يحدث ويقول : لما انهزمت هوازن عسكروا بأوطاس عسكراً ، فإذاهم ممتنعون ، فبرز رجل منهم فقال : من يبارز ، فبرز له رجل معلم ، فبرز له أبو عامر فقتله ، فلما كان العاشر ، برز له رجل معتم بعمامه صفراء ، فقال أبو عامر : اللهم اشهد ، فقال الرجل : اللهم لا تشهد فضرب أبا عامر فأثبته ، فاحتملناه وبه رمق .

واستخلف أبو موسى الأشعرى ، فأخبر أبو عامر [أبا موسى ، أن قاتله صاحب العمامة الصفراء . وأوصى أبو عامر إلى أبى موسى ، ودفع إليه الراية وقال : ادفع فرسى وسلاحى إلى رسول الله ﷺ فقاتلهم أبو موسى حتى فتح الله عليه ، وقتل قاتل أبى عامر ، وجاء بسلاحه وبذلته إلى رسول الله ﷺ ، وقال : إن أبا عامر أمرنى بذلك ، وقال : قل لرسول الله يستغفر لى ، فقام رسول الله ﷺ فصلى ركعتين ثم قال : اللهم اغفر لأبى عامر ، واجعله من أعلى أمتى إلى الجنه ، وأمر بتركته [فبعثت] إلى أبيه ، فقال أبو موسى : يارسول إنى أعلم أن الله قد غفر لأبى عامر وقتل شهيداً فادع الله لى ، فقال :

اللهم اغفر لأبى موسى ، واجعله فى أعلى أمتى قال الواقدى : فيرون أن ذلك وقع يوم الخميس .

واستعمل رسول الله ﷺ على سبايا حنين ، يزيد بن ورقاء بن عبد العزيز ربيعة الخزاعى ، وأمر بالسبى أن يوجه إلى الجعرانة ، وبالغنائم [فحبست][1] أيضاً فسيقت إلى الجعرانة ، ومضى ﷺ إلى الطائف وندب رسول الله ﷺ الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة ، أبا عمرو ، الأنصارى ، السلمى ، الذى يقال له ذو الرأى لما نزلوا على الطائف أن يرتاد له مكاناً ، وذلك أنه ﷺ نزل من الطائف قريباً من الحصن ، فضرب عسكره هناك ، فساعة حل وأصحابه ، جاء الحباب بن المنذر فقال : يا رسول الله إنا قد دنونا من الحصن ، فإن كان عن أمر سلمنا ، وإن كان الرأى ، فالتأخر عن حصنهم ، فسكت رسول الله ﷺ وكان عمرو بن أمية الضمرى يحدث ويقول : لقد طلع علينا من نبلهم ساعة ، تركنا بنى سليم كأنه رجل جراء ، وترسنا حتى أصيب ناس من المسلمين بجراحة ، فدعى رسول الله ﷺ الحباب فقال : انظر مكاناً مرتفعاً نتأخر عن القوم .

فخرج الحباب حتى انتهى إلى موضع مسجد الطائف ، وجاء رجل من القرية فجاء إلى رسول الله ﷺ فأخبره [فأمر] رسول الله ﷺ أصحابه أن يتحولوا ، قال عمرو بن أمية : إنى لأنظر إلى أبى محجن ، يرمى به من فوق الحصن كأنها الرماح ، فما يسقط لهم سهم .

واستعمل رسول الله ﷺ زيد بن ثابت الأنصارى ، على غنائم أوطاس وأمره بإحصاء الناس والغنائم ثم قسمها على الناس فكانت سهامهم لكل رجل أربع من الإبل ، وأربعون شاة ، فإن كان فارساً أخذ اثنى عشر من الإبل ، أوعشرين ومائة شاة ، وإن كان معه أكثر من فرس واحد ، لم يسهم له ، وكان أبى حذيفة العدوى على مقاسم الغنم .

---

(١) مابين الحاصرتين مطموس فى الأصلين ، ولعل ما أثبتناه متمم للسياق من كتب السيرة .

واستخلف رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق رضى الله تبارك وتعالى عنه على العسكر لما خرج لغزوة تبوك وذلك أن رسول الله ﷺ عسكر بثنية الوداع والناس كثير ، لا يجمعهم كتاب .

واستخلف أبا بكر الصديق رضى الله تبارك وتعالى عنه على العسكر يصلى بالناس ، [حين] اشتغل ﷺ بالمسير ، وكان صفوان بن المعطل بن رمصة بن خزاعى بن محارب بن مرة بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن نهبة ابن سليم السلمى الذكوانى أبو عمر ، على ساقة العسكر ، يلتقط من متاع المسلمين حتى يأتيهم به .

فصل في نصرة رسول الله ﷺ بالرعب

[خرج البخاري من حديث الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسب ، عن أبي هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : إن رسول الله ﷺ قال :بعثت بجوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وبينا أنا نائم رأيتنى أتيت بمفاتيح خزائن الأرض ، فوضعت في يدي] .

قال أبو هريرة : فقد ذهب رسول الله ﷺ وأنتم تنتثلونها .

قال البخاري : بلغني أن جوامع الكلم : أن الله عز وجل يجمع له الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد أو الاثنين ، [أخرجه البخاري ومسلم] .

ذكره في الجهاد وذكره في كتاب التعبير ولفظ منه : "وبينا أنا نائم أُتيت بمفاتيح خزائن الأرض ، ووضعت في يدي" .

وذكره في كتاب الاعتصام من حديث إبراهيم بن سعد ، عن ابن شهاب بسنده وذكره أيضًا من حديث أيوب عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " أُعطيت مفاتيح الكلم ونصرت بالرعب وبينا أنا نائم البارحة إذ أُوتيت بمفاتيح خزائن الأرض حتى وضعت في يدي" وقال أبو هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه فذهب ﷺ وأنتم تنتثلونها . وذكره في كتاب الصلاة من حديث هشام ، عن سيرين ، عن

الحكم ، عن يزيد الفقير ، عن جابر بن عبد الله رضى الله تبارك وتعالى عنه عنهم ، وفيه "ونصرت بالرعب مسيرة شهر" وهو فيما اتفقا على إخراجه .

وخرجه مسلم في كتاب الصلاة من حديث ابن وهب قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب ، وبينا أنا نائم أوتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي ، "قال أبو هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه فذهب رسول الله ﷺ وأنتم تنتثلونها" (١) . ومن حديث الزبيدي ، عن الزهري قال : أنبأنا سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه قال :

---

(١) رواه البخارى فى الجهاد ، باب قول رسول الله ﷺ : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، فى التعبير ، باب رؤيا الليل ، وباب المفاتيح فى اليد ، فى الإعتصام ، باب قول رسول الله ﷺ بعثت بجوامع الكلم .

ومسلم فى المساجد فى فاتحته ، حديث رقم (٥٢٣) ، والترمذى فى السير ، باب ما جاء فى الغنيمة ، حديث رقم (١٥٥٣) ، والنسائى فى الجهاد ، باب وجوب الجهاد .

قوله ﷺ : " نصرت بالرعب " ، الرعب : الفزع والخوف ، وذلك أن أعداء رسول الله ﷺ كان قد أوقع الله فى قلوبهم الرعب ، فإذا كان بينه وبينهم مسيرة شهر هابوه وفزعوا منه ، فلا يقدمون على لقائه .

قوله ﷺ : " جوامع الكلم " أراد به القرآن . جمع الله تعالى بلطفه فى الألفاظ اليسيرة منه معانى كثيرة . كذلك ألفاظه ﷺ كانت قليلة الألفاظ ، كثيرة المعانى .

و" مفاتيح الكلم " ، المفاتيح : كل ما يتوصل به إلى إستخراج المغلقات التى يتعذر الوصول إليها ، فأخبر عليه السلام أنه أولى مفاتيح الكلم ، وهو ما سهل الله تعالى عليه من الوصول إلى غوامض المعانى ، وبدائع الحكم التى أغلقت على غيره وتعذرت .

قوله ﷺ " مفاتيح خزائن الأرض " ، أراد به ما سهل الله تعالى له ولأمته من استخراج الممنعات ، وافتتاح البلاد المتعذرات ، من كان فى يده مفاتيح شيىء سهل الله عليه الوصول إليه .

قوله : " تنتثلونها " الإنتثال : نثر الشيء ، يقال نثلت كنانتى : إذا استخرجت مافيها جميعه ونثرته ، والمراد : أنكم تأخذونها جميعاً .

سمعت رسول الله ﷺ يقول : فذكر من حديث يونس ومن حديث معمر ، عن الزهري ، عن ابن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه قال عن النبي ﷺ بمثله .

ومن حديث ابن وهب عن عمرو بن الحارث ، عن أبي يونس مولى أبي هريرة ، عن أبي هريرة ، عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : "نصرت بالرعب على العدو ، وأعطيت جوامع الكلم ، وبينا أنا نائم أُتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي" .

ومن حديث عبد الرزاق ، أنبأنا معمر ، عن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبوهريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه ، عن رسول الله ﷺ أحاديث منها "قال رسول الله ﷺ نصرت بالرعب وأُتيت جوامع الكلم" . ذكره مسلم والذي قبله في كتاب الصلاة .

وخرجه النسائي أيضاً من حديث معمر ويونس ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه كما قال مسلم في حديث يونس . وأخرجه أيضًا من حديث الزهري ، عن سعيد وأبي سلمة ، عن أبي هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه بمثل ذلك .

فصل في ذكر مشورة رسول الله ﷺ في الحرب وذكر من رجع إلى رأيه

قال الترمذي : ويروى عن أبي هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : ما رأيت أحداً أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ (١) .

وذكر مسلم من حديث حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : إن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان قال : فتكلم أبو بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه فأعرض عنه ، ثم تكلم عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه ، فقام سعد بن عبادة رضى الله تبارك وتعالى عنه : فقال إيانا تريد يا رسول الله ، والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها في البحر لخضناها ، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى [برك الغماد] لفعلنا ، قال : فندب رسول الله ﷺ الناس فانطلقوا وذكر الحديث(٢) .

---

(١) (تحفة الأحوذى) : ٥ / ٣٠٦ ، كتاب أبواب الجهاد ، باب (٣٤) ما جاء فى المشورة ، حديث رقم (١٧٦٧) ولفظه : حدثنا هناد ، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمرو بن مرة ، عن أبى عبيدة عن عبد الله قال : لما كان يوم بدر وجىء بالأسارى قال رسول الله ﷺ : ما تقولون فى هؤلاء ؟ وذكر قصة طويلة . وفى الباب عن عمر وأبى أيوب وأنس وأبى هريرة ، [قال] : هذا حديث حسن ، وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه " ويروى عن أبى هريرة قال : " ما رأيت أحداً أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ قال الحافظ فى (الفتح) بعد ذكر هذا الحديث : رجاله ثقات إلا أنه منقطع .

(٢) (صحيح مسلم) : ٦ / ٣٦٦ ، كتاب الجهاد والسير باب (٣٠) غزوة بدر ، حديث رقم (١٧٧٩) وتمامه: " فانطلقوا حتى نزلوا بدراً وورد عليهم روايا قريش وفيهم غلام أسود لبنى الحجاج فأخذوه فكان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن أبى سفيان وأصحابه فيقول : مالى علم بأبى سفيان ولكن هذا أبو جهل وعتبه وشيبة وأمية بن خلف فإذا قال ذلك ضربوه ، فقال نعم أنا أخبركم ، هذا أبو سفيان ، فإذا تركوه فسألوه ، فقال : مالى بأبى سفيان علم ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأمية بن خلف فى الناس فإذا قال هذا أيضاً ضربوه ورسول الله ﷺ قائم يصلى فلما رأى ذلك انصرف قال =

وذكره أبو داود من طريق حماد عن ثابت ، عن أنس رضي الله تبارك وتعالى عنه بهذا المعنى ، وذكر الثاني في النسائي من حديث محمد بن [المسي] قال : أنبأنا خالد وقال أنبأنا حميد ، عن أنس رضى الله تبارك وتعالى عنه أن رسول الله ﷺ سار إلى بدر فاستشار المسلمون فأشار عليه أبو بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه ، ثم استشارهم فأشار عليه عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه ، ثم استشارهم فقال الأنصاري : يا معشر الأنصار إياكم يريد رسول الله ﷺ قالوا : إذًا لا تقولوا كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا ، والذي بعثك بالحق لو ضربت أكبادنا إلى برك الغماد لاتبعناك [1].

وقد ذكر محمد بن إسحاق عن محمد بن عمر الواقدي وساقه الواقدي أنه قال : ومضى رسول الله ﷺ حتى إذا كان [دوين][2] بدر أتاه الخبر بمسير قريش فأخبرهم رسول الله ﷺ بمسيرهم واستشار الناس فقام أبو بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه فقال فأحسن ، ثم قام عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه فقال فأحسن ، ثم قال يا رسول الله ، إنها والله قريش وعزها ، والله ما ذلّت منذ عزت ، والله ما آمنت منذ كفرت ، والله لا تسلم عزها أبدًا ، ولتقاتلنك ، فاتهب لذلك أهبته وأعد لذلك عُدته . ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله ، امض لأمر الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لنبيّها :﴿ **فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون** ﴾ [3] ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، والذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا معك - وبرك الغماد من وراء مكة بخمس ليال من وراء الساحل مما يلي البحر ، وهو على ثمان ليال من مكة إلى اليمن . فقال له رسول الله

= والذى نفسى بيده لتضربوه إذا صدقكم وتتركوه إذا كذبكم . قال : فقال رسول الله ﷺ : هذا مصرع فلان قال ويضع يده على الأرض ههنا وههنا قال فما ماط أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ .

(١) سبق تخريج الأحاديث والآثار فى شرح غزوات رسول الله ﷺ .

(٢) فى (الأصل) : (دون) ، وما أثبتناه من (مغازى الواقدى) .

(٣) المائدة : ٢٤ .

ﷺ خيراً ، ودعا له بخير ثم قال رسول الله ﷺ : أشيروا عليّ أيها الناس ! وإنما يريد رسول الله ﷺ الأنصار ، وكان يظن أن الأنصار لا تنصره إلا في الدار ، وذلك أنهم شرطوا له أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأولادهم . فقال رسول الله ﷺ : أشيروا عليّ ! فقام سعد بن معاذ فقال : أنا أجيب عن الأنصار ، كأنك يا رسول الله تريدنا ! قال : أجل . قال : إنك عسى أن تكون خرجت عن أمر قد أوى إليك في غيره ، وإنا قد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن كل ما جئت به حق ، وأعطيناك مواثيقنا وعهودنا على السمع والطاعة ، فامض يا نبي الله ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما بقي منا رجل ، وصل من شئت ، واقطع من شئت ، وخذ من أموالنا ما شئت ، وما أخذت من أموالنا أحب إلينا مما تركت . والذي نفسي بيده ، ما سلكت هذا الطريق قط ، وما لي بها من علم ، وما نكره أن يلقانا عدونا غداً ، إنا لصبُر عند الحرب ، صدُق عند اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك [1] .

حدثنا محمد قال : حدثنا الواقدي قال : فحدثني محمد بن صالح ، عن عاصم ابن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد قال : قال سعد : يا رسول الله ، إنا قد خلفنا من قومنا ما نحن بأشد حبًّا لك منهم ، ولا أطوع لك منهم لهم رغبة في الجهاد ونية ، ولو ظنوا يا رسول الله أنك ملاق عدوًا ما تخلفوا ، ولكن إنما ظنوا أنها العير ، نبني لك عريشًا فتكون فيه ونعد لك رواحلك ، ثم نلقى عدوّنا فإن أعزّنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وإن تكن الأخرى جلست على رواحلك فلحقت من وراءنا . فقال له النبي ﷺ : خيراً . وقال : أو يقضي الله خيرًا من ذلك يا سعد ![2]

قالوا : فلما فرغ سعد من المشورة ، قال رسول الله ﷺ : سيروا على بركة الله ، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله ، لكأني أنظر إلى مصارع القوم قال : وأرانا رسول الله ﷺ مصارعهم يومئذ ، هذا مصرع فلان ، وهذا

---

(1) ، (2) ، (3) (مغازى الواقدى) : 1 / 48 - 55 باختلاف يسير .

مصرع فلان ، فما عدا كل رجل مصرعه . قال : فعلم القوم أنهم يُلاقون القتال ، وأن العير تفلت ، ورجوا النصر لقول النبي ﷺ .

قال الواقدي : ولما نزل رسول الله ﷺ أدنى بدر عشاء ليلة الجمعة لسبعة عشر ليلة مضت من رمضان ، قال رسول الله ﷺ لأصحابه : أشيروا عليَ في المنزل . فقال الحُباب بن المنذر : يا رسول الله ، أرأيت هذا المنزل ، أمنزل أنزلكه الله فليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة . قال : فإن هذا ليس بمنزل ! انطلق بنا إلى أدنى ماء القوم ، فإني عالم بها وبقلبها ، بها قليب قد عرفت عذوبة مائه، وماء كثير لا ينزح ، ثم نبني عليها حوضاً ونقذف فيه الآنية ، فنشرب ونقاتل ، ونغور ما سواها من القلب[1].

حدثنا محمد قال : حدثنا الواقدي قال : فحدثني ابن أبي حبيبة ، عن داود ابن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : نزل جبريل على رسول الله ﷺ فقال : الرأي ما أشار به الحباب فقال رسول الله ﷺ : [يا حباب أشرت بالرأي ! فنهض رسول الله ﷺ ففعل كل ذلك][2] ، وأبو بكر وعمر رضى الله تبارك وتعالى عنهما استشارهما ﷺ في أسرى بدر .

[قال الواقدي : ولما حبس الأسرى ببدر - استعمل عليهم شقران وكان المسلمون قداقترعوا عليهم - طمعوا في الحيا فقالوا : لو بعثنا إلى أبي بكر فإنه أوصل قريش لأرحامنا ، ولا نعلم أحدًا آثر عند محمد منه ! فبعثوا إلى أبي بكر ، فأتاهم فقالوا : يا أبا بكر ، إن فينا الآباء والأبناء والإخوان والعمومة وبني العم ، وأبعدنا قريب ، كلّم صاحبك فيمن علينا أن يُفادنا. فقال : نعم إن شاء الله ، لا ألوكم خيراً .

---

(١) (مغازى الواقدى) : ١ / ٥٣

(٢) (مغازى الواقدى) : ١ / ٥٤ .

ثم انصرف إلى رسول الله ﷺ قالوا : وابعثوا إلى عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه . فإنه من علمتم ، فلا نأمن أن يفسد عليكم لعله يكف عنكم فأرسلوا إليه .

فجاءهم فقالوا له مثل ما قالوا لأبى بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : لن ألوكم خيراً ، ثم انصرف إلى النبى ﷺ . فوجد أبا بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه يلينه . يقول : يا رسول الله بأبى أنت وأمى قومك فيهم الآباء والأبناء والعمومة والإخوان ، وبنو العم وأبعدهم منك قريب فامنن عليهم من الله عليك ، أو فادهم يستنفدهم الله بك من النار . فتأخذ منهم ما أخذت قوة المسلمين . فلعل يقبل بقلوبهم عليك . ثم قام فتنحى ناحية ، وسكت رسول الله ﷺ فلم يجبه .

ثم جاء عمر ، فجلس مجلس أبى بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه . فقال : يا رسول الله ، هم أعداء الله كذبوك ، وقاتلوك ، وأخرجوك . اضرب رقابهم .هم رؤوس الكفر ، وأئمة الضلالة . يوطئ الله بهم الإسلام ، ويذل بهم الله أهل الشرك . فسكت رسول الله ﷺ فلم يجبه ، وعاد أبو بكر إلى مجلسه الأول ، وقال : يا رسول الله بأبى أنت وأمى ، قومك فيهم الآباء ، والأبناء ، والعمومة ، والإخوان ، وبنو العم وأبعدهم منك قريب . فامنن عليهم ، أو فادهم فهم عترتك وقومك لاتكن أول من يستأصلهم ، يهديهم الله خيراً من أن تهلكهم فسكت عنه ساعة ، ولم يرد عليه شيئاً ، فقام عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه فجلس مجلسه ، فقال : يا رسول الله : ما تنتظر بهم ؟ اضرب رقابهم يوطئ الله بهم الإسلام ، ويذل أهل الشرك ، هم أعداء الله كذبوك ، وقاتلوك ، وأخرجوك ، يا رسول الله اشف صدور المؤمنين لو قدرو على مثل هذا منا ما أقالونا أبداً ، فجلس فعاد أبو بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه ، وكلمه مثل كلامه الذى كلمه ، فلم يجبه ، ثم قام رسول الله ﷺ فدخل ، فمكث فيها ساعة ، وخرج والناس يخوضون فى شأنهم . يقول بعضهم : القول ما قال أبو بكر ، وآخرون يقولون : القول ما قال عمر .

فلما خرج رسول الله ﷺ قال : ما تقولون فى صاحبيكم هذين دعوهما . فإن لهما مثلاً ، مثل أبى بكر كمثل ميكائيل ينزل برضاء الله ، وعفوه عن عباده ، ومثله فى الأنبياء كمثل إبراهيم كان ألين على قومه من العسل . أوقد له قومه النار فطرحوه فيها . فما زاد على أن قال :﴿ **أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون** ﴾(1) ، وقال : ﴿ **فمن تبعنى فإنه منى ومن عصانى فإنك غفور رحيم** ﴾(2) ، ومثله مثل عيسى ، إذ يقول : ﴿ **إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم** ﴾(3) ومثل عمر فى الملائكة كمثل جبريل ينزل بالسخط من الله والنقمة على [عباد] الله ، ومثله فى الأنبياء كمثل نوح ، كان أشد على قومه من الحجارة . إذ يقول ﴿**رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً**﴾(4). فدعى عليهم دعوة أغرق الله الأرض جميعها ، ومثل موسى إذ يقول : ﴿ **ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم** ﴾(5) ، وإن بكم عيلة ، فلا يفوتكم رجلاً من هؤلاء إلا بفداء أو ضربة عنق ، فقال عبد الله بن مسعود رضى الله تبارك وتعالى عنه يا رسول الله : إلا سهيل بن بيضاء [قال ابن واقد : هذا وهم ، سهيل بن بيضاء من مهاجرة الحبشة فما شهد بدراً ، إنما هو أخ له يقال له [سهل](6) فإنى رأيته يظهر الإسلام بمكة . فسكت رسول الله ﷺ فقال عبد

(1) الأنبياء : ٦٧

(2) إبراهيم : ٣٦

(3) المائدة : ١١٨

(4) نوح : ٢٦

(5) يونس : ٨٨

(6) من بنئ الحارث بن فهر وهو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث وهو من العشرة الأوائل الذين هاجروا إلى الحبشة وكان عليهم عثمان بن مظعون (سيرة ابن هشام) ١٦٥/٢ وذكره ابن هشام أيضاً فيمن ذكر ممن هاجروا من بنى الحارث (المرجع السابق) : ١٧٢/٢ . وذكره ابن إسحاق أيضاً فى العائدين من أرض الحبشة من بنى الحارث (المرجع =

الله : فما مرت على ساعة قط كانت أشد على من تلك الساعة ، فجعلت أنظر إلى السماء أتخوف أن تسقط على الحجارة لتقدمى بين يدى رسول الله ﷺ بالكلام . فرفع رسول الله ﷺ رأسه . فقال إلا سهيل بن بيضاء فما مرت على ساعة أقر لعينى منها . إذ قالها رسول الله ﷺ . ثم قال رسول الله ﷺ : إن الله عز وجل ليشدد على القلب فيه حتى يكون أشد من الحجارة ، وإنه ليلين القلب فيه حتى يكون ألين من الزبد ، وقبل رسول الله ﷺ منهم الفداء ، وقال ﷺ لو نزل من السماء نار يوم بدر مانجا منه إلا عمر كان يقول : اقتل ولاتأخذ الفداء ، وكان سعد بن معاذ يقول : اقتل ولاتأخذ الفداء [1] .

قال الواقدى : وخرج مسلم[2] فى الجهاد والترمذى[3] فى التفسير من حديث عكرمة بن عمار ، حدثنى سماك الحنفى ، قال : سمعت ابن عباس يقول : حدثنى عمر بن الخطاب ، قال : لما كان يوم بدر ، نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف ، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً ، فاستبقل رسول الله ﷺ القبلة ، ثم مد يديه فجعل يهتف بربه : اللهم أنجز لى ماوعدتنى ، اللهم آت ما وعدتنى ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لاتعبد فى الأرض ، فما زال يهتف بربه ، وماداً يديه ، مستقبل القبلة ، حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فأتاه أبو بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه ، فأخذ ردائه فألقاه على منكبيه ، ثم التزمه من ورائه ، وقال : يا نبى الله ! كفاك مناشدتك ربك

= السابق) : ٢/٢١٣ وذكره ابن إسحاق فيمن صحب عبد الله بن جحش فى سريته من بنى الحارث بن فهر . (المرجع السابق) ٣/١٤٧ .

(١) (مغازى الواقدى) : ١/١٠٨ ـ ١١٠ .

(٢) (مسلم بشرح النووى) : ١٢/ ٣٢٦ ، كتاب الجهاد باب (١٨) الإمداد بالملائكة فى غزوة بدر وإباحة الغنائم حديث رقم (١٧٦٣) .

(٣) (سنن الترمذى) : ٥/٢٥١ ـ ٢٥٢ ، كتاب تفسير القرآن باب (٩) سورة الأنفال حديث رقم (٣٠٨١) وقال فى آخر الحديث : حسن صحيح غريب ، لانعرفه من حديث عمر ، إلا من حديث عكرمة بن عمار عن أبى زميل ، وأبو زميل اسمه سماك الحنفى ، وإنما كان هذا يوم بدر .

فإنـه سينجز لـك مـا وعدك ، فـأنزل اللـه عـز وجـل : ﴿ **إذ تسـتغيثون ربكـم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة** ﴾(١)

قال أبو زميل : فحدثني ابن عباس قال : بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد فى أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسـوط فوقه ، وصوت الفارس يقول : أقدم حيزوم ، فنظر إلى المشرك أمامه ، فخر مستلقياً ، فـنظر إليـه ، فإذا هو قد حطم أنفه ، وشق ، كضربة السـوط ، فـاخضرّ ذلك أجمـع ، فجاء الأنصارى فحـدث بذلك رسـول اللـه ﷺ فقـال : صدقـت ، ذلـك مـن مـدد السماء الثالثة ، فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين .

قال أبو زميل : قال ابن عباس : فلما أسروا الأسارى ، قال رسول اللـه ﷺ لأبى بكر وعمر : ما ترون فى هؤلاء الأسارى ؟ فقال أبو بـكر : يـا نبـى الله ، هم بنو العم والعشيرة ، أرى أن تـأخذ منهم فديـة فتكـون لنـا قـوة عـلى الكفار ، فعسى الله أن يهديهم ، للإسلام فقال رسـول اللـه ﷺ : مـاترى يـا ابـن الخطاب ؟ قلت : لا والله يا رسول الله ، ما أرى الذى رأى أبـو بكـر ، ولكنـى أرى أن تمكنـا فتضـرب أعنـاقهم ، فتمكـن عليـاً مـن عقيـل فيضـرب عنقـة ، وتمكننـى مـن فـلان " نسيباً لعمـر " فـأضرب عنقـه ، فـإن هـؤلاء أئمـة الكفـر وصناديدها ، فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ، ولم يهـو مـا قـال عمـر ، فلما كان من الغد ، جئت فإذارسول الله ﷺ وأبو بكر قـاعدين يبكيـان ، قلـت : يا رسول الله ، أخبرنـى من أى شئ تبكى أنـت وصـاحبك ؟ فـإن وجـدت بكـاءاً بكيت ، وإن لم أجد بكاءاً تباكيت لبكائكما ، فقال رسـول اللـه ﷺ : أبكـى للـذى عرض على أصحابك من أخذهم الفداء ، لقد عـرض علـى عذابهـم أدنـى هـذه

---

(١) الأنفال : ٩ .

وأخرجه أيضاً أبـو داود فـى الجهـاد ، بـاب فـى فداء الأسير بالمـال مختصـراً وسياق هـذا الحديث مضطرباً فى (الأصل) وأثبتناه من (صحيح مسلم) .

الشجرة - شجرة قريبة من نبى الله ﷺ - وأنزل الله عز وجل : ﴿ **ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم * لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم * فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً واتقوا الله إن الله غفوررحيم** ﴾ . فأحل الله الغنيمة لهم .

وقال الواقدى[1] : حدثنى محمد بن عبد الله عن الزهرى ، عن عروة ، عن المسور بن مخرمة رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : قال النبى ﷺ : ورأيت فى سيفى فلاّ فكرهته ، فهو الذى أصاب وجهه ﷺ .

وقال النبى ﷺ : أشيروا علىّ ، ورأى رسول الله ﷺ ، ألا يخرج من المدينة لهذه الرؤيا ، فى رسول الله ﷺ يحب أن يوافق على مثل ما رأى ، وعلى ما عبر عليه الرؤيا فقام عبد الله بن أبىّ فقال : يا رسول الله كنا نقاتل فى الجاهلية ونجعل النساء والذرارى فى هذه الصياصى ، ونجعل معهم الحجارة والله لربما مكث الولدان شهراً ينقلون الحجارة إعداداً لعدونا ، ونشبك المدينة بالبنيان فتكون كالحصن من كل ناحية ، وترمى المرأة والصبى من فوق الصياصى والآطام ونقاتل بأسيافنا فى السكك . يا رسول الله ، إن مدينتنا عذراء ما فضت علينا قط ، وما خرجنا إلى عدو قط منها إلا أصاب منا ، وما دخل علينا قط إلا أصبناه . فدعهم يا رسول الله . فإنهم إن أقاموا أقاموا بشر محبس ، وأن رجعوا خائبين مغلوبين ، لم ينال خيراً . يارسول الله ، اطعنى فى هذا الأمر ، وأعلم أنى ورثت هذا الأمر الرأى من أكابر قومى ، وأهل الرأى منهم . فهم كانوا أهل الحرب والتجربة . فكان رأى رسول الله ﷺ مع رأى ابن أبىّ ، وكان ذلك رأى الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار .

---

(١) (مغازى الواقدى) : ٢٠٩ - ٢١١ .

فقال رسول الله ﷺ : امكثوا فى المدينة ، واجعلوا النساء والذرارى فى الآطام فإن دخل علينا قاتلناهم فى الأزقة ، فنحن أعلم بها منهم ، وارموا من فوق الصياصى والآطام ، وكانوا قد شبكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية . فهى كالحصن . فقال فتيان أحداث لم يشهدوا بدراً وطلبوا من رسول الله ﷺ الخروج إلى عدوهم ، ورغبوا فى الشهادة ، وأحبوا لقاء العدو : اخرج بنا إلى عدونا ، وقال رجال من أهل السن ، وأهل النية ، منهم حمزة بن عبد المطلب ، وسعد بن عبادة ، والنعمان بن مالك بن ثعلبة ، فى غيرهم من الأوس والخزرج رضى الله تبارك وتعالى عنهم : إنا نخشى يا رسول الله أن يظن عدونا أنا كرهنا الخروج إليهم جبناً عن لقائهم ، فيكون هذا جرأة منهم علينا ، وقد كنتَ يوم بدر فى ثلاثمائة رجل ، فظفرك الله عليهم ، ونحن اليوم بشر كثير قد كنا نتمنى هذا اليوم وندعوا الله به ، فقد ساقه الله إلينا فى ساحتنا . ورسول الله ﷺ لما يرى من إلحالحهم كاره ، وقد لبسوا السلاح يخطرون بسيوفهم ، يتسامون كأنهم الفحول .

وقال مالك بن سنان أبو أبى سعيد الخدرى رضى الله تبارك وتعالى عنه : يا رسول الله نحن والله بين إحدى الحسنيين ، إما يظفرنا الله بهم ، فهذا الذى نريد ، فيذلهم الله لنا فتكون هذه وقعة مع وقعة بدر ، فلا يبقى منهم الا الشريد ، والأخرى يا رسول الله ، يرزقنا الله الشهادة ، والله يا رسول الله ما أبالى أيهما ، كان أن كلاً لفيه الخير ، فلم يبلغنا أن النبى ﷺ رجع إليه قولا ، وسكت . فقال حمزة بن عبد المطلب رضى الله تبارك وتعالى عنه : والذى أنزل عليك الكتاب لا أطعم اليوم طعاماً حتى أجالدهم بسيفى خارجاً من المدينة . وكان يقال كان حمزة يوم الجمعة صائماً ، ويوم السبت صائماً ، فلاقاهم وهو صائم .

وقال النعمان بن مالك بن ثعلبة أخو بنى سالم : يا رسول الله ، أنا أشهد أن البقر المذبح قتلى من أصحابك وأنى منهم ، فلم تحرمنا الجنة ؟ فو الذى لا إله إلا هو لأدخلنها ، فقال رسول الله ﷺ : بم ؟ قال : إنى أحب الله

ورسوله ولا أفر يوم الزحف . فقال رسول الله ﷺ : صدقت ! فاستشهد يومئذ
وقال إياس بن أوس بن عتيك : يا رسول الله ، نحن بنو عبد الأشهل من البقر المذبح ، نرجوا يا رسول الله أن نذبّح فى القوم ويذبّح فينا ، فنصير إلى الجنة ، ويصيرون إلى النار . مع أنى يا رسول الله لأحب أن ترجع قريش إلى قومها فيقولون : حصرنا محمداً فى صياصى يثرب وآطامها ! فيكون هذا جرأة لقريش ، وقد طئوا سعفنا ، فإذا لم نذب عن عرضنا لم نزرع ، وقد كنا يا رسول الله فى جاهليتنا والعرب يأتوننا فلا يطمعون بهذا منا حتى نخرج إليهم بأسيافنا حتى نذبهم عنا ، فنحن اليوم أحق إذ أيّدنا الله بك ، وعرفنا مصيرنا ، لا نحصر أنفسنا فى بيوتنا .

وقام خيثمة أبو سعد بن خيثمة فقال : يا رسول الله ، إن قريشاً مكثت حولا تجمع الجموع وتستجلب العرب فى بواديها ومن تبعها من أحابيشها ، ثم جاؤنا وقد قادوا الخيل ، وامتطوا الإبل ، حتى نزلوا بساحتنا فيحصروننا فى بيوتنا وصياصينا ، ثم يرجعون وافرين لم يكلموا ، فيجرئهم ذلك علينا حتى يشون الغارات علينا ، ويصيبوا أطرافنا ويضعوا العيون والأرصاد علينا مع ما قد صنعوا بحروثنا ، ويجترئ علينا العرب حولنا حتى يطعموا فينا إذا رأونا لم نخرج إليهم ، فنذبهم عن جوارنا وعسى الله أن يظفرنا بهم فتلك عادة الله عندنا ، أو تكون الأخرى فهى الشهادة . لقد أخطأتنى وقعة بدر وقد كنت عليها حريصاً ، لقد بلغ من حرصى أن ساهمت ابنى فى الخروج فخرج سهمه فرزق الشهادة ، وقد كنت حريصاً على الشهادة . وقد رأيت ابنى البارحة فى النوم فى النوم أحسن صورة ، يسرحى فى ثمار الجنة وأنهارها وهو يقول : ألحقْ بنا ترافقنا فى الجنة ، فقد وجدت ما وعدنى ربى حقاً ، وقد والله يا رسول الله أصبحت مشتاقاً إلى مرافقته فى الجنة وقد كبرت سنى ، ورق عظمى ، وأحببت لقاء ربى ، فادع الله يا رسول الله أن يرزقنى الشهادة ومرافقة سعد فى الجنة . فدعى له رسو الله ﷺ بذلك ، فقتل بأحد شهيداً .

وقال أنس بن قتادة : يا رسول الله ، هى إحدى الحسنيين ، إما الشهادة وإما الغنيمة والظفر فى قتلهم ، فقال رسول الله ﷺ إنى أخاف عليكم الهزيمة .

فلما أبوا إلا الخروج صلى رسو الله ﷺ الجمعة بالناس ، ثم وعظ الناس وأمرهم بالجد والجهاد ، وأخبرهم أن لهم النصر ما صبرو ، ففرح الناس بذلك حيث أعلمهم رسول الله ﷺ بالشخوص إلى عدوهم ، وكره ذلك المخرج بشر كثير من أصحاب رسول الله ﷺ وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم ، ثم صلى رسول الله ﷺ العصر بالناس ، وقد حشد الناس وحضر أهل العوالى ، ورفعوا النساء فى الآطام . فحضرت بنو عمرو بن عوف ولفها ، والنبيت ولفها ، وتلبث السلاح .

فدخل رسول الله ﷺ بيته ، ودخل معه أبو بكر وعمر رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، فعمماه ولبساه ، وصف الناس له ما بين حجرته إلى منبره ، ينتظرون خروجه . فجاءهم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير فقالا : قلتم لرسول الله ﷺ ما قلتم واستكرهمتوه على الخروج ، والأمر ينزل عليه من السماء ، فردوا الأمر ، إليه فما أمركم ، فافعلوه وما رأيتم له فيه هوى أو رأى فأطيعوه .

فبينا القوم على ذلك من الأمر ، وبعض القوم يقول : القول ما قال سعد ، وبعضهم على البصيرة على الشخوص ، وبعضهم للخروج كاره ، أذا خرج رسول الله ﷺ قد لبس لأمته ، وقد لبس الدرع فأظهرها ، وحزم وسطها بمنطقة من حمائل سيف من أدم ، كانت عند آل أبى رافع مولى رسول الله ﷺ بعد ، واعتم ، وتقلد السيف .

فلما خرج رسول الله ﷺ ندموا جميعاً على ما صنعوا ، وقال الذين يلحون على رسول الله ﷺ : ما كان لنا أن نلح على رسول الله ﷺ فى أمر يهوي خلافه . وندّمهم أهل الرأي الذين كانوا يشيرون بالمقام ، فقالوا : يا رسول الله ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما بدا لك ، وما كان لنا أن نستكرهك والأمر إلى الله ثم إليك ، فقال : قد دعوتكم إلى هذا الحديث فأبيتم ، ولا ينبغى لنبى إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه . وكانت الأنبياء قبله إذا لبس النبى لأمته لم يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه . ثم قال

رسول الله ﷺ انظروا ما أمرتكم به فاتّبعوه ، امضوا على اسم الله فلكم النصر ما صبرتم .

وقال الواقدي[1] : حدثنا محمد بن عبد الله عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب قال حُصر رسول الله ﷺ وأصحابه بضع عشرة حتى خلص إلى كل امرئ منهم الكرب ، قال رسول الله ﷺ : اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إنك إن تشأ لا تعبد ! فبيناهم على ذلك من الحال أرسل رسول الله ﷺ إلى عيينة بن حصن والحارث بن عوف - ولم يحضر الخندق الحارث بن عوف ولا قومه ، ويقال حضرها الحارث بن عوف . قال ابن واقد : وهو أثبت القولين عندنا . وإن رسول الله ﷺ أرسل إليه وإلى عيينة : أرأيت إن جعلت لكم ثلث تمر المدينة ترجعان بمن معكم وتخذلان بين الأعراب ؟ قالا : تعطينا نصف تمر المدينة . فأبى رسول الله ﷺ أن يزيدها على الثلث ، فرضيا بذلك وجاءا في عشرةٍ من قومهما حين تقارب الأمر ، فجاءوا وقد أحضر رسول الله ﷺ أصحابه وأحضر الصحيفة والدواة ، وأحضر عثمان بن عفان رضى الله تبارك وتعالى عنه ، فأعطاه الصحيفة وهو يريد أن يكتب الصلح بينهم ، وعباد ابن بشر قائم على رأس رسول الله ﷺ مقنع في الحديد . فأقبل أسيد بن حضير إلى رسول الله ﷺ ولايدري بما كان من الكلام فلما جاء إلى رسول الله ﷺ وجاء وعيينة مادًّا رجليه بين يدي رسول الله ﷺ وعلم ما يريدون ، فقال : ياعين الهجرس[2] اقبض رجليك ! أتمد رجليك بين يدي رسول الله ﷺ ؟ - ومعه الرمح - والله ، لولا رسول الله لأنفذت ﷺ خصيتك بالرمح ! ثم أقبل على رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إن كان أمراً من السماء فامض له ، وإن كان غير ذلك فو الله لا نعطيهم إلا السيف ! متى طمعوا بهذا

---

(١) (مغازى الواقدي) : ٢ / ٤٧٦-٤٨٠ .

(٢) الهجرس بالكسر : ولد الثعلب . (لسان العرب) : ٦/٢٤٦ .

منا ؟ فاسكت رسول الله ﷺ ودعا سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضى الله تبارك وتعالى عنهما فاستشارهما فى ذلك ، وهو متكئ عليهما والقوم جلوس ، فتكلم بكلام يخيفه ، وأخبرهما بما قد أراد من الصلح ، فقالا : إن كان هذا أمراً من السماء فامض له ، وإن كان أمراً لم تؤمر فيه ولك فيه هوى فامض لما كان لك فيه هوى ، فسمعاً وطاعة ، وإن كان إنما هو الرأى فما لهم عندنا إلاّ السيف .

وأخذ سعد بن معاذ الكتاب فقال رسول الله ﷺ : إنى رأيت العرب رمتكم عن قوس واحدة فقلت أرضيهم ولا أقاتلهم فقالا : يا رسول الله ، إن كانوا ليأكلون العلهز[1] فى الجاهلية من الجهد ، وما طمعوا بهذا منا قط أن يأخذوا تمرة الآ بِشرَى أو قِرَى ! فحين أتانا الله تعالى بك وأكرمنا بك ، وهدانا بك نعطى الدنية ! لا نعطيهم أبداً إلا السيف . فقال رسول الله ﷺ : شق الكتاب فتفل سعد فيه ، ثم شقه وقال : بيننا السيف ! فقام عيينة وهو يقول : أما والله للتى تركتم خير لكم من الخطة التى أخذتم ، وما لكم بالقوم طاقه . فقال عباد بن بشر يا عيينة أباالسيف تخوفنا ؟ ستعلم أينا أجزع وإلا فو الله لقد كنت أنت وقومك تأكلون العلهز والرمة من الجهد فتأتون هاهنا ما تطمعون بهذا منا ألا ترى وقرى أو شرى ونحن لا نعبد شيئاً ، فلما هدانا الله وايدنا بمحمد ﷺ سألتمونا هذه الخطة ! أما والله لولا مكان رسول الله ﷺ ما وصلتم إلى قومكم ، فقال النبى ﷺ ارجعوا ، بيننا السيف ! رافعاً صوته .

فرجع عيينة والحارث وهما يقولان : والله ، ما نرى أن ندرك منهم شيئاً ولقد أنهجت للقوم بصائرهم ! والله ، ما حضرت إلا كرهاً لقوم غلبونى ، وما مقامنا بشئ ، مع أن قريشاً إن علمت بما عرضنا على محمد عرفت أنا قد خذلناها ولم ننصرها . قال عيينة : هو والله ذلك ! قال الحارث : أما إنا لم نصب بتعرضنا لنصر قريش على محمد ، والله لئن ظهرت قريش على محمد

---

(١) العلهز : هو شئ يتخذونه فى سنى المجاعة ، يخلطون الدم بأوبار الإبل ثم يشوونه بالنار ويأكلونه . (النهاية) : ٣/١٢٤ .

ليكونن الأمر فيها دون سائر العرب ، مع أني أرى أمر محمد أمراً ظاهراً . والله ، لقد كان أحبار يهود خيبر وأنهم يحدثون أنهم يجدون في كتبهم أنه يبعث نبي من الحرم على صفته .

قال عيينه : أنا والله ما جئنا . ننصر قريشاً ولو استنصرنا قريشاً ما نصرتنا ولا خرجت معنا من حرمها ، ولكني كنت أطمع أن نأخذ تمر المدينة فيكون لنا به ذكر مع ما لنا فيه من منفعة الغنيمة ، مع أنا ننصر حلفاءنا من اليهود فهم جلبونا إلى ما هاهنا . قال الحارث قد والله أبت الأوس والخزرج إلا السيف ، والله لتقاتلن عن هذا السعف ، ما بقى منها رجل مقيم ، وقد أجدب الجناب ، وهلك الحباب وهلك الخف والكراع . قال عيينة لاشئ .

فلما أتيا منزلهما جاءتهما غطفان فقالوا : ما وراءكم ؟ قالوا : لم يتم الأمر ، رأينا قوماً على بصيرة وبذل أنفسهم دون صاحبهم وقد هلكنا وهلكت قريش ، وقريش تنصرف ولا تكلم محمداً ! وإنما يقع حَرّ محمد ببني قريظة ، إذا ولينا جثم عليهم فحصرهم جمعةً حتى يعطوا بأيديهم . قال الحارث : بُعداً وسُحقاً ! محمد أحب إلينا من اليهود .

وقال الواقدي[1] : حدثني خارجة بن عبد الله عن داود بن الحصين ، عن أبي سفيان ، عن محمد بن مسلمة قال وتنحى رسول الله ﷺ فجلس ، ودنت الأوس الى رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله حلفاؤنا دون الخزرج وقد رأيت ما صنعت بني قينقاع بالأمس حلفاء ابن أبي ، وهبت له ثلاثمائة حاسر وأربعمائة دارع . وقد ندم حلفاؤنا على ما كان من نقضهم العهد ، فهبهم لنا . ورسول الله ﷺ ساكت لايتكلم حتى أكثروا عليه والحوا ونطقت الأوس كلها ، فقال رسول الله ﷺ :أما ترضون أن يكون الحكم فيهم إلى رجل منكم ؟ قالوا : بلى . قال : فذلك إلى سعد بن معاذ . وسعد يومئذن في المسجد في خيمة رفيدة بنت سعد بن عتبه ، وكانت تداوى الجرحى ، وتلم الشعث ، وتقوم على الضائع والذى لا أحد له . وكان لها خيمة في المسجد وكان رسول الله

---

(١) (المغازى للواقدى) : ٢ / ٥١٠ .

ﷺ جعل سعد بن معاذ رضى اللـه تبارك وتعالى عنه فيها . فلما جعل ﷺ الحكم إلى سعد بن معاذ خرجت الأوس حتى جاءوه ، فحملوه على حمار ، وعلى الحمار قطيفة وخطامه حبل من ليف ، فخرجوا حوله يقولون : يا أبا عمرو إن رسول الله ﷺ قد ولاك أمر مواليك لتحسن فيهم فأحسن ، فقد رأيت ابن أبيّ وما صنع فى حلفائه . والضحاك بن خليفه[1] يقول : يا أبا عمرو مواليك ، مواليك ! قد منعوك فى المواطن كلها واختاروك على من سواك ورجوا عياذك ، ولهم جمال وعدد .

وقال سلمة بن سلامة بن وقش : يا أبا عمرو ، أحسن فى مواليك وحلفاءك ، إن رسول الله ﷺ يحب البقية ، نصروك يوم البعاث والحدائق والمواطن كلها ، ولا تكن شراً من ابن أُبىّ .

قال إبراهيم بن جعفر ، عن أبيه : وجعل قائلهم يقول يا أبا عمرو ، إنا والله قاتلنا بهم فقتلنا ، وعازّزنا بهم فعززنا ، قالوا : وسعد لا يتكلم ، حتى إذا أكثروا عليه قال سعد : قد آن لسعد ألا تأخذه فى اللهِ لومة لائم . فقال الضحاك ابن خليفة ثم : واقوماه ! ثم رجع الضحاك إلى الأوس فنعى لهم بنى قريظة . وقال معتب[2] بن قشير واسوء صباحاه ! وقال حاطب بن أمية الظفرى : ذهب قومى آخر الدهر .

وأقبل سعد إلى رسول الله ﷺ والناس حوله جلوس فلما طلع سعد قال رسول الله ﷺ : قوموا إلى سيدكم . فكان رجال من بنى عبد الأشهل يقولون

---

(١) هو الضحاك بن خليفة بن ثعلبه بن عدى بن كعب بن عبد الأشهلى ، شهد غزوة بنى النضير ، وله ذكر وليست له رواية . (الأصابة) :٤٧٥/٣ .

(٢) معتب بن قشير بقاف ومعجمة مصغرا ، ابن مليل بن زيد بن العطاف بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن الأوس الأنصارىّ الأوسىّ ، ذكروه فيمن شهد العقبة ، وقيل : إنه كان منافقا ، وإنه الذى قال يوم أحد ﴿ **لو كان لنا من الأمر شئ ما قتلنا هاهنا** ﴾ وقيل : إنه تاب ، وقد ذكره ابن إسحاق فيمن شهد بدرا . (الاصابة) :١٧٥/٦ ، ترجمة رقم (٨١٢٥) ، (طبقات ابن سعد) ٣٤/٣.

فقمنا له على أرجلنا صفين ، يحييه كل رجل منا حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ وقائل يقول : إنما عنى رسول الله ﷺ بقوله : قوموا إلى سيدكم ، يعنى به الأنصار دون قريش . قالت الأوس الذين بقوا عند رسول الله ﷺ لسعد : يا أبا عمرو ، إن رسول الله ﷺ قد ولاك الحكم ، فأحسن فيهم ، واذكر بلاءهم عندك .

فقال سعد بن معاذ : أترضون بحكمى لبنى قريظة ؟ قالوا : نعم ، قد رضينا بحكمك وأنت غائب عنا ، اخيتاراً منا ، ورجاء أن تمن علينا كما فعله غيرك من حلفائه من قينقاع ، وأثرنا عندك أثرنا ، وأحوج ما كنا اليوم إلى مجازاتك ، فقال سعد : لا آلوكم جهدا . فقالوا : ما يعنى بقوله هذا ؟ ثم قال عليكم عهد الله وميثاقه أنّ الحكم فيكم ما حكمتُ ؟ قالوا : نعم .

قال سعد للناحية الأخرى التى فيها رسول الله ﷺ وهو معرض عنها إجلالا لرسول الله ﷺ : وعلى من هاهنا مثل ذلك ؟ فقال رسول الله ﷺ ومن معه : نعم . قال سعد : فإنى أحكم فيهم أن يقتلا من جرت عليه الموسى[1] ، وتسبى النساء والذرية ، وتقسم الأموال ، فقال رسول الله ﷺ : لقد حكمت بحكم الله عز وجل من فوق سبع أرقعه[2] .

وكان سعد بن معاذ فى الليلة التى فى صبحها نزلت قريظة على حكم رسول الله ﷺ ، قد دعا فقال : اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقنى لها ، فإنه لا قوم أحب إلىّ أن أقاتل من قوم كذبوا رسول الله ، وآذوه

(١) وفى ذلك كناية عن الإنبات ، وهو نبات شعر العانة ، فجعله علامة على البلوغ ، وليس ذلك حد إلا فى أهل الشرك عند الأكثرين ، وقال أحمد بن حنبل رحمه الله : الإنبات حد يقام به الحد على من أنبت ، ويحكى مثل ذلك عن مالك رحمه الله ، فأما من جعله مخصوصا بأهل الشرك : فيشبه أن يكون أن أهل الشرك لا يوقف على بلوغهم من جهة السن ، ولايمكن الرجوع إلى قولهم لأنهم متهمون فى ذلك لدفع القتل عنهم ، وأداء الجزية ، وغير ذلك من الأحكام ، بخلاف المسلمين فإنهم يمكن أن تعرف أوقات بلوغهم وولادتهم . (جامع الأصول) : ٢٧٩/٨ .

(٢) الأرقعة السموات ، والواحدة رقيع .

وأخرجوه ، وإن كانت الحرب قد وضعت أوزارها عنا وعنهم فاجعله لى شهادة ، ولا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة ! فاقر الله عينه منهم .

فأمر بالسبى فسيقوا إلى دار أسامة بن زيد ، والنساء والذرية العزار ابنتة الحارث(١) وأمضى رسول الله ﷺ فى بنى قريظة حكم سعد فضرب أعناق الرجال واسترق النشئ والذرية وقسم الأموال و ذكر ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ حاصرهم خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله فى قلوبهم الرعب ونزلوا على حكم رسول الله ﷺ فرد رسول الله ﷺ الحكم فيهم إلى سعد بن معاذ الأوسى الاشهلى فحكم فيهم بأن يقتل الرجال و يقسم الأموال ويسبى الذرارى والنساء(٢).

وقد خرج البخارى ومسلم حكم سعد فى بنى قريظة من حديث شعبة عن سعد بن إبراهيم قال : سمعت أبا أمامة بن سهل بن حنيف قال سمعت أبا سعيد الخدرى رضى الله تبارك وتعالى عنه يقول : نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ فأرسل رسول الله ﷺ إلى سعد ، فأتاه على حمار ، فلما دنا قريباً من المسجد قال رسول الله ﷺ للأنصار : قوموا إلى سيدكم ، ثم قال : إن هؤلاء نزلوا على حكمك ، قال:تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم، فقال النبى ﷺ :

---

(١) رملة بنت الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن زيد الأنصارية النجارية ، ذكرها ابن حبيب فى (المبايعات) ، وذكر ابن إسحاق فى (السيرة النبوية) أن بنى قريدة لم حكم فيهم سعد ابن معاذ حبسوا فى دار رملة بنت الحارث ، إمراة من الأنصار من بن النجار .

قال الحافظ فى (الإصابة) : وتكرر فى السيرة ، وأما الواقدى فيقول : رملة بنت الحدث ، بفتح الدال المهملة بغير ألف قبلها .

وقال ابن سعد فى (الطبقات) : رملة بنت الحارث ، وهو الحارث بن ثعلبة بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار ، تكنى أم ثابت ، وأمها كبشة بنت ثابت بن النعمان ابن حرام ، وزوجها معاذ بن الحارث بن رفاعة . لها ترجمة فى (الإصابة) : ٦٥١/٧ ، ترجمة رقم (١١١٨٣) ، (طبقات ابن سعد) : ٣٢٧/٨ .

(٢) (سيرة بن هشام) : ١٩٥/٤ .

قضيت بحكم الله ، وربما قال : قضيت بحكم الملك ، ولم يذكر محمد بن المثنى من رواية مسلم[1] : وربما قال قضيت بحكم الملك ، وذكر من رواية عبد الرحمن ابن مهدى عن شعبة بهذا الإسناد ، وقال فى حديثه : وقال رسول الله ﷺ : لقد حكمت بحكم الله . وقال مرة : حكمت بحكم الملك . وكرره البخارى فى [الاستئذان] ، وفى كتاب الجهاد ، وفى كتاب المناقب ، وغير ذلك مطولا ، ومختصرا ، وذكره مسلم من عدة طرق [2].

وذكر الواقدى : أن رسول الله ﷺ قام فى المسلمين ، فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : أما بعد ، فكيف ترون يا معشر المسلمين فى هؤلاء الذين استنفروا إليّ من أطاعهم ليصدون عن المسجد الحرام ؟ أترون أن نمضى لوجهنا إلى البيت، فمن صدنا عنهم قتالناه ، أم ترون أن نخلف هؤلاء الذين استنفروا لنا إلى أهليهم فنصيبيهم ؟ فإن اتبعونا اتبعنا منهم عنق يقطعها الله ، وأن قعدوا قعدوا محزونين موتورين ! .

فقام أبو بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه فقال : الله ورسوله اعلم ! نرى يا رسول الله ﷺ أن نمضى لوجهنا فمن صدنا عن البيت قاتلناه . فقال رسول الله ﷺ : فإن خيل قريش فيها خالد بن الوليد بالغميم . فقال أبو هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه : فلم أر أحداً كان أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله ﷺ ، وكانت مشاورته أصحابه فى الحرب فقط . قال : فقام المقداد ابن عمرو فقال : يا رسول الله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى :

---

(١) (شرح مسلم للنووى) : ٣٣٩/١٢ ، كتاب الجهاد باب (٢٢) جواز قتال من نقض العهد حديث رقم(٦٥).

(٢) (فتح البارى) : ٢٠٣/٦ ، كتاب الجهاد ، باب (١٦٨) إذا نزل العدو ، على حكم رجل ، حديث رقم (٣٠٤٣) ، وذكره فى المغازى ، باب مرجع النبى ﷺ من الأحزاب ، وفى فضائل أصحاب النبى ﷺ ، باب مناقب سعد بن معاذ ، وفى الاستئذان ، باب قول النبى ﷺ : قوموا إلى سيدكم ، ومسلم فى الجهاد ، باب جواز قتل من نقض العهد ، حديث رقم (١٧٦٨) ، وأبو داود فى الأدب ، باب ما جاء فى القيام ، حديث رقم (٥٢١٥) ، (٥٢١٦) .

﴿فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون﴾[1] ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون ، والله يا رسول الله لو سرت إلى برك الغماد[2] لسرنا معك ما بقى منا رجل . وتكلم أسيد بن حضير فقال يا رسول الله نرى أن نصمد لما خرجنا له فمن صدّنا قاتلناه ، فقال رسول الله ﷺ إنا لم نخرج لقتال أحد إنما خرجنا عمار .

ولقيه بديل بن ورقاء فى نفر من أصحابه فقال يا محمد لقد اغتررت بقتالٍ قومك جلابيب العرب ، والله ما أرى معك أحد له وجه ، مع أنى أراكم قوماً لا سلاح معكم ، قال أبو بكر الصديق رضى الله تبارك وتعالى عنه : عضضت بظر اللات ! قال بديل : أما والله لولا يد لك عندى لأجبتك ، فوالله ما أتهم أنا ولا قومى ألا أكون أحب أن يظهر محمد ! إنى رأيت قريشاً مقاتلتك عن ذراريها وأموالها ، قد خرجوا إلى بلدح فضربوا الأبنيه ، معهم العوذ المطافيل ، ورادفوا على الطعام ، يطعمون الجزر من جاءهم ، يتقوون بهم على حربكم فرَ رأيك .

قال الواقدى:فلما انصرف رسول الله ﷺ من الحديبية نزل بمر الظهران ثم نزل عسفان ، فأرملوا[3] من الزاد ، فشكى الناس إلى رسول الله ﷺ أنهم قد بلغوا الجهد[4] من الجوع وفى الناس ظهر ، وقالوا : فننحر يا رسول الله ، وندهن من شحومه ، ونتخذ من جلوده حذاءً ، فأذن لهم رسول الله ﷺ فأُخبر بذلك عمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالي عنه ، فجاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله لا تفعل فإن يك فى الناس بقية ظهر يكن أمثل ، ولكن أدعهم بأزوادهم ثم ادع الله فيها .

---

(١) المائدة : ٢٤

(٢) برك الغماد : ووضع وراءة مكة بخمس ليال مما يلى البحر ، وفى كتاب عياض هو موضع أقاصى أرض هَجَر . (معجم البلدان) : ٤٧٥/١ ، موضع رقم (١٧٩٩) .

(٣) أرمل القوم : إذا نفد زادهم .

(٤) كذا فى الأصل ، وفى (مغازى الواقدى) : " قد بُلغوا من الجوع " .

فأمر رسول الله ﷺ بالأنطاع فبسطت ، ثم نادى مناديه : من كان عنده بقية من زاد فلينثره على الأنطاع .

قال أبو شريح[1] الكعبى : فلقد رأيت من يأتى بالتمرة الواحدة ، وأكثرهم لا يأتى بشئ ، ويأتى بالكف من الدقيق ، والكف من السويق ، وذلك كله قليل . فلما اجتمعت أزوادهم وانقطعت موادهم مشى رسول الله ﷺ إليها فدعى فيها بالبركة ، ثم قال : قربوا أوعيتكم ، فجاءوا بأوعيتهم .

قال أبو شريح : فأنا حاضر ، فياتى الرجل فيأخذ ما شاء من الزاد حتى إن الرجل لأخذه مالا [يجد له محملاً [2]] .

قال الواقدى:ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى منزله بعين خيبي[3] جعل مسجدا فصلى إليه من آخر الليل نافلة . فثارت راحلته تجر زمامها . فأدركت توجّه إلى الصخرة لاتريد أن تركب فقال رسول الله ﷺ : تعهوا فإنها مأمورة حتى بركت عند الصخرة ، فتحول رسول الله ﷺ إلى الصخرة ، وأمر برحله فحُط ، وأمر الناس بالتحول إليها ، ثم ابتنى رسول الله ﷺ عليها مسجداً . فهو مسجدهم اليوم .

فلما أصبح جاءه الحباب بن المنذر بن الجموح ، فقال : يا رسول الله صلى الله عليك ، إنك نزلت منزلك هذا ، فإن كان عن أمر أمرت به فلا نتكلم فيه ، وإن كان الرأى [تكلمنا] . فقال رسول الله ﷺ : بل هو الرأى . فقال :

---

(١) هو أبو شريح الخزاعى ثم الكعبى ، خويلد بن عمرو وقيل عمرو بن خويلد وقيل هانئ وقيل كعب بن عمرو وقيل عبدالرحمن والأول اشهر ، بكعب جزم ابن نمير وأبو خيثمه وتردد هارون الجمال فى خويلد وكعب قال الطبرى هو خويلد بن عمرو بن صخر بن عبدالعزى بن معاوية من بنى عدى بن عمرو بن ربيعة أسلم قبل الفتح وكان معه لواء خزاعه يوم الفتح .

(٢) (مغازى الواقدى) : ٢/ ٦١٦ .

(٣) (معجم البلدان) : ٤٦٨/٢ الموضع المذكور فى غزاة النبى ﷺ وهى على ناحية ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام ، تشتمل الولاية على سبعة حصون و مزارع و نخل كثير .

يا رسول الله دنوت من الحصن ونزلت بين ظهرى النخل والنز[1] ، مع أن أهل النطاة لى بهم معرفة ، ليس قوم أبعد مدًى منهم ، ولا أعدل منهم [وهم مرتفعون] ، علينا وهو أسرع لانحطاط نبلهم ، مع أنى لا آمن بيتهم يدخلون فى خمر[2] النخل ، تحول يا رسول الله إلى موضع برئ من النز ومن الوباء ، نجعل الحرة بيننا وبينهم حتى لا ينالنا نبلهم .

ثم قال رسول الله ﷺ : نقاتلهم هذا اليوم ، ودعى رسول الله ﷺ محمد ابن مسلمة فقال : انظر لنا منزلا بعيداً من حصونهم ، بريئاً من الوباء ، نأمن فيه بياتهم ، فطاف محمد حتى انتهى إلى الرجيع[3] ، ثم رجع إلى النبى ﷺ ليلا فقال : وجدت لك منزلاً فقال رسول الله ﷺ : على بركة الله تعالى .

وقاتل رسول الله ﷺ يومه ذلك إلى الليل ، يقاتل أهل النطاة ، يقاتلها من أسفلها ، وحشدت اليهود يومئذ ، فقال الحباب بن المنذر : لو تحولت يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : إذا أمسينا إن شاء الله تحولنا .

وجعلت نبل اليهود تخالط عسكر المسلمين وتجاوزه ، وجعل المسلمون يلتقطون نبلهم ، ثم يردونها عليهم . فلما أمسى رسول الله ﷺ تحول ، وأمر الناس فتحولوا إلى الرجيع ، وكان رسول الله ﷺ يغدو بالمسلمين على راياتهم ، وكان شعارهم : يا منصورأمت ! فقال له الحباب بن المنذر : يا رسول الله ، إن اليهود ترى النخل أحب إليهم من أبكار أولادهم ، فاقطع نخلهم ، فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخل ووقع المسلمون فى قطعها حتى أسرعوا فى القطع ، فجاءه أبو بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه فقال يا : رسول الله ﷺ إن الله عز وجل قد وعدكم خيبر ، وهو منجز ما وعدك ، فلا تقطع النخل . فأمر فنادى منادى رسول الله ﷺ فنهى عن قطع النخل .

---

(١) النزّ : ما يتحلب من الأرض من الماء .

(٢) الخمر بالتحريك : كل ما سترك من شجر أو بناء أو غيره . (النهاية) : ٣٢٠/١ .

(٣) الرجيع : واد قرب خيبر .

قال وحدثني محمد بن يحيى ، عن أبيه ، عن جده ، قال : رأيت نخلاً بخيبر فى النطاة مقطعة ، فكان ذلك مما قطع أصحاب رسول الله ﷺ .

وحدثنى أسامة بن زيد الليثى ، عن جعفر بن محمود بن محمد بن مسلمة قال : قطع المسلمون فى النطاة أربعمائة عذق ، ولم تقطع فى غير النطاة فكان محمد بن مسلمة ينظر إلى صَوْر من كَبيس[1] ، قال : أنا قطعت هذا الصور بيدى حتى سمعت بلالاً ينادى : عزمة من رسول الله ﷺ لا يقطع النخل ، فامسكنا .

قال الواقدى[2] حدثنى يحيى بن عبد العزيز ، عن بشير بن محمد بن عبد الله بن زيد قال : قدم رجل من أشجع يقال له حسيل بن نويرة ، وقد كان دليل النبى ﷺ إلى خيبر ، فقال له رسول الله ﷺ من أين يا حسيل ؟ قال : قدمت من الجناب[3] . فقال رسول الله ﷺ : ما وراءك ؟ قال : تركت جمعاً من غطفان بالجناب ، قد بعث إليهم عيينة يقول لهم : إما تسيروا إلينا وإما نسير اليكم . فأرسلوا إليه أن سر إلينا حتى نزحف إلى محمد جميعاً ، وهم يريدونك أو بعض أطرافك .

قال : فدعى رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، فذكر لهما ذلك ، فقالا جمعيا : ابعث بشير بن سعد ، فدعا رسول الله ﷺ بشيراً فعقد له لواءً ، وبعث معه ثلاثمائة رجل ، وأمرهم أن يسيروا الليل ويكمنوا النهار ، وخرج معهم حسيل بن نويرة دليلاً ، فسار الليل وكمنوا

---

(١) الصور : النخل الصغار أو المجتمع . والكبيس : ضرب من التمر .(القاموس المحيط) .

(٢) (مغازى الواقدى) :٢/٧٢٧ .

(٣) (معجم البلدان) : ١٩١/٢ ، و الجناب موضع بعراض خبير و سلاح ووادى القرى وقيل هو منازل بنى مازن وقال نصر الجناب من ديار بنى فزارة من الدينة و فيد .

النهار حتى أتو أسفل خيبر فنزلوا بسلاح[1] ، ثم خرجوا من سلاح حتى دنوا من القوم فقال لهم الدليل : بينكم وبين القوم ثلثا نهارٌ أو ونصفه ، فإن أحببتم كمنتم وخرجتُ طليعة أتيكم بالخبر وإن أحببتم سرنا جميعاً . فقالوا : بل نقدمك ، فقدموه ، فغاب عنهم ساعة ثم كرّ عليهم فقال : هذا أوائل سرحهم ، فهل لكم أن تغيروا عليهم ؟ فاختلف أصحاب النبى ﷺ فقال بعضهم : إن أغرنا الآن حذرنا الرجال والطعن . وقال أخرونٍ : نغنم ما ظهر لنا ، ثم نطلب القوم ، فشجعوا على النعم ، فأصابوا نعماً كثيراً ملأوا منه أيديهم ، وتفرق الرعاء وخرجوا سراعن ، ثم حذروا الجمع فتفرق الجمع وحذروا ، ولحقوا بعلياء بلادهم ، فخرج بشير بأصحابه حتى أتى محالهم فيجدها وليس بها أحد . فرجع بالنعم حتى إذا كانوا بسلاح راجعين لقوا عيناً لعيينة فقتلوه ثم لقو جمع عيينة وعيينة لا يشعر بهم فناوشوهم ، ثم انكشف جمع عيينة وتبعهم أصحاب النبى ﷺ ، فأصاب منهم رجل أو رجلين فأسروهما أرساً ، فقدموا بهما على النبى ﷺ فأسلما فارسلهما رسول الله ﷺ .

قال الواقدى:ومضى رسول الله ﷺ حتى نزل قريبا من حصن الطائف فضرب عسكره هناك فحين حل وأصحابه جاءه الحباب بن المنذر فقال فأخبره ، فأمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يتحولوا . قال عمرو بن أمية إنى لأنظر إلى أبى محجن يرمى من فوق الحصن ما يسقط له سهم ، وكان عمرو ابن أمية الضمرى يحدث يقول : لقد طلع علينا من نبلهم ساعة نزلنا [شئ الله به عليم كانه رجل من جراد] وترسنا لهم حتى أصيب ناس من المسلمين بجراحة ، ودعى رسول الله ﷺ الحباب فقال : انظر مكانا مرتفعاً مستأخرا عن القوم فخرج الحباب حتى انتهى إلى موضع مسجد الطائف خارجٍ من القرية فجاء إلى النبى ﷺ فاخبره فأمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يتحولوا . قال

---

(١) سَلاح : موضع أسفل من خيبر ، وكان بشير بن سعد الأنصارى لما بعثه النبى ﷺ إلى يُمن وجُبار فى سريه للايقاع بجمع من غطفان لقيهم بسلاح . (معجم البلدان) : ٢٦٣/٣ ، موضع رقم (٦٥١٠) .

عمرو بن أمية إنى لأنظر إلى أبــى محجن يرمــى مـن فـوق الحصـن بعشـرته بمعابل كأنها الـرماح ، ما يسقط له سـهم قـالوا : وارتفـع رسـول اللـه ﷺ عنـد مسجد أهل الطائف اليوم .

قال الواقدى[1] فى غزوة تبوك : وكان هرقل قد بعث رجلاً مــن غسّـان إلى النبى ﷺ فينظر إلى صفته وإلى علاماته ، إلى حمرة فى عينيه ، ثم وإلـى خاتم النبوة بين كتفيى ، وسأل فإذا هو لايقبل الصدقة ، فوعــى أشـياء مـن حـال النبى ﷺ ثم انصرف إلى هرقل فذكر له ذلك لــه ، فدعـى قومـه إلـى التصديـق بـــه ، فأبوا حتى خافهم على ملكه ، وهو فى موضعه لم يتحرك ولــم يزحـف . وكان الذى خبر النبى ﷺ من بعثته أصحابه ودنوه إلى أدنــى الشـام بـاطلاً ولـم يرد ذلك ولم يهم به .

وشاور رسول الله ﷺ أصحابـه فـى التقدم ، فقـال عمـر بـن الخطـاب رضى الله تبارك وتعالى عنه : إن كنت أُمـرت بالمسير فسر ، قال رسول اللـه ﷺ : لو أمرت به ما أستشرتكم فيه ، قال : يا رسول اللـه فـإن لـلروم جموعـاً كثيرةً ، وليس بها أحد مـن أهـل الإسـلام وقـد دنـوتَ منهـم حيـث تـرى ، وقـد أفزعِهم دنوك ، فلو رجعت هذه السنة حتى ترى ، أو يحـدث اللـه لـك فـى ذلـك أمراً.

قال الواقدى[2] : فلما أجمع رسـول اللـه ﷺ المسيرة مـن تبـوك أرمـل الناس إرمالا شديداً فشخص على ذلك الحال حتى جاء الناس إلى رسو اللــه ﷺ يستأذنونه أن ينحروا ركابهم فياكلوها ، فأذن لهم فلقيهم عمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه وهم على نحرها ، فأمرهم أن يمسكوا عن نحرهـا ، ثـم دخل على رسول الله ﷺ فى خيمة له فقـال : أذنـت النـاس فـى نحـر حمولتهم يأكلونها ؟ فقال رسول الله ﷺ : شكوا إلى مـا بلـغ منهـم الجـوع فـأذنت لهـم ،

---

(١) (مغازى الواقدى) : ١٠١٨/٣ .

(٢) (مغازى الواقدى) : ١٠٣٧/٣ - ١٠٣٩ .

بنحر الرفقة البعير والبعيرين ، ويتعاقبون فيما فضل من ظهرهم ، وهم قافلون إلى أهليهم .

فقال : يا رسول الله ، لا تفعل ، فإن يكن للناس فضل من ظهرهم يكن خيراً ، فالظهر اليوم رقاق ، ولكن أدع بفضل أزوادهم ثم اجمعها فادع الله فيها بالبركة كما فعلت فى منصرفنا من الحديبية حيث أرمنا ، فإن الله عز وجل يستجيب لك ، فنادى منادى رسول الله ﷺ من كان عنده فضل من زاد فليأت به ، وأمر بالأنطاع فبسطت ، فجعل الرجل يأتى بالمُد الدقيق والسويق والتمر ، والقبضة من الدقيق والسويق والتمر والكِسَر فيوضع كل صنف من ذلك على حدة ، وكل ذلك قليل ، فكان جميع ما جاءوا به من الدقيق والسويق والتمر ثلاثة أفراق[1] حزراً ، ثم قام رسول الله ﷺ فتوضأ وصلى ركعتين ، ثم دعا الله عز وجل أن يبارك فيه .

فكان أربعة من أصحاب النبى ﷺ يحدثون جميعاً حديثاً واحداً ، حضروا ذلك وعاينوه : أبو هريرة ، وأبو حميد الساعدى ، وأبو زرعة الجهنى معبد بن خالد ، وسهل بن سعد الساعدى ، رضى الله تبارك وتعالى عنهم .

قالوا ثم انصرف رسول الله ﷺ ونادى مناديه: هلموا إلى الطعام خذوا منه حاجتكم ، فأقبل الناس فجعل كل من جاء بوعاء ملأه . فقال بعضهم لقد طرحت يومئذ كسرة من خبز وقبضة من تمر ، ولقد رأيت الأنطاع تفيض ، وجئت بجرابين فملأت إحداهما سويقاً والآخر خبزاً ، وأخذت فى ثوبى دقيقاً ، ما كفانا إلى المدينة ، فجعل الناس يتزودون الزاد حتى نهلوا عن آخرهم حتى كان آخر ذلك أن أخذت الأنطاع ونثر ما عليها .

فجعل رسول الله ﷺ يقول وهو واقف : أشهد أن لا إله إلا الله وأنى عبده ورسوله وأشهد أنه لا يقولها أحدٌ من حقيقة قلبه إلا وقاه الله حر النار .

وكان الذين رجع رسول الله ﷺ إلى رأيهم الحباب بن المنذر بن

---

(١) الأفراق : جمع فرق ، وهو مكيال المدينة يسع ثلاثة آصع ، أو يسع ستة عشر رطلاً ، أو أربعة أرباع . والحرز : التقدير والخرص . (القاموس المحيط) .

الجموح ، وسعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة ، وأبـو بكـر، عمـر ، وسـلمان فإنـه أشار بحفر الخندق ولم تكن العرب تخندق عليها ، وأشار أيضا بعمل المنجنيق.

قال الواقدى[1] عن عبد الحميد عن سـليم بـن يسـار:أن سـلمان الفارسـى أشار بنصب المنجنيق على الطائف فأمر النبى ﷺ أن يعملوا ثم نصبـه . علـى حصن الطائف .

* * *

---

(1) (مغاذى الواقدى) : ٩٢٧/٣ .

فصل فى ذكر ما كان يقوله رسول الله ﷺ إذا غزا

خرج الإمام أحمد[1] من حديث المثنى بن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس رضى الله تبارك وتعالى عنهما قال : كان النبى ﷺ إذا غزا قال : اللهم أنت عضدى وأنت نصيري وبك أقاتل .

وخرجه أبو داود[2] والترمذى [3] بهذا السند ولفظهما : كان رسول الله ﷺ إذا غزا قال : اللهم أنت عضدى وأنت نصيرى ، بك أحول ، وبك أصول ، وبك أقاتل ، وذكر أبو داود وأبو بكر البزار هذا الحديث [وقال] : لا يعلم رواه عن قتادة عن أنس إلا المثنى بن سعيد .

* * *

---

(١) (مسند أحمد) : ٣٠/٤حديث رقم (١٢٤٩٨) ، ولفظه : إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها فليصلها إذا ذكرها ، فإن الله عز وجل يقول : ﴿ **أقم الصلاة لذكري** ﴾ قال وكان النبى ﷺ إذا غزا قال : اللهم ... فذكره .

(٢) (سنن أبى داود) : ٣ / ٩٧ ، كتاب الجهاد باب (٩٩) ما يدعى عند اللقاء حديث رقم (٢٦٢٣) ، قوله : أحول ، معناه أحتال ، قال ابن الأنبارى : الحول معناه فى كلام العرب الحيلة ، يقال : ما للرجل حولة وما له محالة ، قال : ومنه قولك : لاحول ولاقوة إلا بالله . أى لاحيلة فى دفع سوء ، ولاقوة فى درك خير إلا بالله ، وفيه وجه آخر وهو أن يكون معناه المنع والدفع ، من قولك : حال بين الشيئين إذا منع أحدهما عن الآخر ، يقول : لا أمنع ولا أدفع إلا بك . (معالم السنن) .

(٣) (سنن الترمذى) : ٥ / ٥٣٤ ، كتاب الدعوات باب (١٢٢) فى الدعاء إذا غزا حديث رقم (٣٥٨٤) ، وأخرجه النسائى فى (الكبرى) ، و(عمل اليوم والليلة) : ١٨٨، باب الاستنصار عند اللقاء .

فصل فى ذكر أن رسول الله ﷺ
إذا أراد غزوة ورّى بغيرها

خرج البخارى[1] من حديث ابن شهاب قال : أخبرنى عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك رضى الله تبارك وتعالى عنه - وكان قائد كعب من بنيه - قال : سمعت كعب بن مالك حين تخلف عن رسول الله ﷺ يقول لم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورّى بغيرها . حتى كانت غزوة تبوك فغزاها رسول الله ﷺ فى حر شديد ، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً واستقبل غزو عدو كثير ، فجلىّ للمسلمين أمره ليتأهبوا أهبة عدوهم وأخبرهم بوجهه الذى يريد .

وخرجه مسلم[2] من حديث ابن شهاب. وذكراه مطوياً فى كتاب التوبة .

---

(١) (فتح البارى) : ٦ / ١٣٩ - ١٤٠ كتاب الجهاد والسير ، بـاب (١٠٣) من أراد غزوة فورى بغيرها ، ومن أحب الخروج يوم الخميس ، حديث رقم (٢٩٤٧) ، (٢٩٤٨) .

(٢) (مسلم بشرح النووى) : ١٧ / ٩٤ ، كتاب التوبة ، باب (٩) حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه ، حديث رقم (٢٧٦٩) .

فصل فى وقت إغارة رسول الله ﷺ

خرج البخارى[1] من حديث حميد الطويل عن أنس رضى الله تبارك وتعالى عنه ، قال : أن رسول الله ﷺ أتى خيبر ليلاً - وكان إذا أتى قوماً بليل لم يقربهم حتى يصبح - فلما أصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم ، فلما رأوه قالوا : محمد والله ، محمد والخميس . فقال النبى ﷺ : خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين .

ذكره فى كتاب الصلاة فى باب ما يحقن بالأذان من الدماء . وذكره فى كتاب المغازى ، ولفظه:أن رسول الله ﷺ أتى خيبر ليلاً وكان إذا أتى قوماً بليل لم يغزهم حتى يصبح فلما أصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم فلما

---

(١) (فتح البارى) : ٧ / ٥٩٣ - ٥٩٤ كتاب المغازى ، باب (٣٩) غزوة خيبر حديث رقم (٤١٩٧) ، قوله : " أتى خيبر ليلاً " أى قرب منها ، وذكر ابن إسحاق أنه نزل بواد يقال له الرجيع بينهم وبين غطفان لئلا يمدوهم وكانوا حلفاءهم ، قال : فبلغنى أن غطفان تجهزوا وقصدوا خيبر ، فسمعوا حساً خلفهم فظنوا أن المسلمين خلفوهم فى ذراريهم ، فرجعوا فأقاموا وخذلوا أهل خيبر . قوله : " لم يغز بهم حتى يصبح " كذا للكثر من الإغارة ، ولأبى ذر عن المستملى " لم يقربهم " بفتح أوله وسكون القاف وفتح الراء وسكون الموحدة ، فإن سمع أذاناً كف عنهم وإلا أغار ، قال : فخرجنا إلى خيبر فانتهينا إليهم ليلاً فلما أصبح ولم يسمع أذاناً ركب . وحكى الواقدى أن أهل خيبر سمعوا بقصده لهم ، فكانوا يخرجون فى كل يوم متسلحين مستعدين فلا يرون أحداً . حتى إذا كانت اليلة التى قدم فيها المسلمون ناموا فلم تتحرك لهم دابة ولم يصح لهم ديك ، وخرجوا بالمساحى طالبين مزارعهم فوجدوا الملسمين . قوله : " بمساحيهم " بمهملتين جمع مسحاة وهى من آلات الحرث "ومكاتلهم" جمع مكتل وهو القفة الكبيرة التى يحول فيها التراب وغيره . وعند أحمد من حديث أبى طلحة فى نحو هذه القصة "حتى إذا كان عند السحر وذهب ذو الزرع إلى زرعه وذو الضرع إلى ضرعه أغار عليهم .
يؤخذ من هذا الحديث التفاؤل ، لأنه ﷺ لما رأى آلات الهدم أخذ منه أن مدينتهم ستخرب ، ويحتمل أن يكون قال "خربت خيبر" بطريق الوحى . ويؤيده قوله بعد ذلك : "إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين" . (فتح البارى) مختصراً .

رأوه قالوا : محمد والله والجيش فقال النبى ﷺ : خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين ، وذكره فى غزوة خيبر من حديث محمد بن سيرين وثابت البنانى ، وعبد العزيز بن صهيب ، عن أنس رضى الله تبارك وتعالى عنه وخرجه مسلم(١) من طرق متعددة .

وخرج مسلم(٢) وابن أبى خيثمة من حديث يحيى بن سعيد ، عن حماد ابن سلمة قال : أنبانا ثابت ، عن أنس بن مالك رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : كان رسول الله ﷺ يغير إذا طلع الفجر وكان يستمع الأذان فإن سمع أذاناً أمسك وإلا أغار ، فسمع رجلاً يقول الله أكبر الله أكبر ، فقال رسول الله ﷺ : على الفطرة ، ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله ، فقال رسول الله ﷺ : خرجت من النار فنظروا فإذا هو راعي معزى .

---

(١) (مسلم بشرح النووى) : ١٢/ ٤٠٥ ، كتاب الجهاد ، باب (٤٣) غزوة خيبر ، حديث رقم (١٨٦٥) ، قوله :"الله أكبر خربت خيبر" فيه استحباب التكبير عند اللقاء ، قال القاضى : قيل : تفاءل بخرابها بما رآه فى أيديهم من آلات الخراب من الفؤوس والمساحى وغيرها ، وقيل أخذه من اسمها ، والأصح أنه أعلمه الله تعالى بذلك .

قوله ﷺ "إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين" الساحة الفناء وأصلها الفضاء بين المنازل ، ففيه جواز الاستشهاد فى مثل هذا السياق بالقرآن فىى الأمور المحققة ، وقد جاء لهذا نظائر كثيرة كما فى فتح مكة أنه ﷺ جعل يطعن فى الأصنام ويقول : جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ، وقوله : جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً . قال العلماء : يكره من ذلك ما كان على ضرب الأمثال فى المحاورات والمزح ولغو الحديث فيكره فى كل ذلك تعظيم لكتاب الله تعالى . (شرح النووى) مختصراً .

(٢) (مسلم بشرح النووى) : ٤/٣٢٦ ، كتاب الصلاة ، باب (٦) الإمساك عن الإغارة على قوم فى دار الكفر إذا سمع فيهم الأذان ، حديث رقم ٣٨٢ قوله ﷺ : "خرجت من النار" أى بالتوحيد ، واحتج به فى أن الأذان مشروع للمنفرد ، وهذا هو الصحيح المشهور فى مذهبنا ومذهب غيرنا . وفى الحديث دليل على أن الأذان يمنع الإغارة على أهل ذلك الموضع فإنه دليل على أسلمهم ، وفيه أن النطق بالشهادتين يكون إسلاماً وإن لم يكن باستدعاء ذلك منه وهذا هو الصواب .
(شرح النووى) : مختصراً .

وخرجه الترمذى[1] من حديث عفان فذكره وقال : حديث حسن صحيح
وخرجه النسائى[2] من حديث عبد الأعلى عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس رضى الله تبارك وتعالى عنه .

وخرج قاسم بن أصبغ من حديث ابن إسحاق عن حميد ، عن أنس رضى الله تبارك وتعالى عنه ، قال : كان رسول الله ﷺ إذا غزى قوماً لم يغزعليهم حتى يصبح ، فذكره .

فصل فى ذكر الوقت الذى كان يقاتل فيه رسول الله ﷺ

خرج الإمام مسلم[3] من حديث الليث ، عن أبى الزبير ، عن جابر رضى الله تبارك وتعالى عنه أنه قال لم يكن رسول الله ﷺ يغزو فى الشهر الحرام إلا أن يغزى فإذا حضره ذلك أقام حتى تنسلخ .

وخرج من حديث موسى بن عقبة عن أبى النضر ، عن عبد الله بن معقل ، عن أبى أوفى رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : كان النبى ﷺ يحب ان ينهض إلى عدوه عند زوال الشمس ، وخرج أبو داود[4] والنسائى من حديث حماد قال أنبانا أبو عمران الجونى عن علقمة بن عبد الله المزنى ، عن معقل

---

(١) (سنن الترمذى) : ٤/ ١٠٢ كتاب السير ، باب (٣) فى البيات والغارات ، حديث رقم (١٥٥٠) .

(٢) (سنن النسائى) : ١ / ٢٩٣ ، كتاب المواقيت ، باب (٢٦) التغليس فى السفر ، حديث رقم (٥٤٦) ولفظه : رسول الله ﷺ يوم خيبر صلاة الصبح بغلس وهو قريب منهم ، فأغار عليهم وقال : الله أكبر خربت خيبر مرتين ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين .

(٣) (مسند أحمد) : ٤ / ٢٨٧ ، حديث رقم (١٤١٧٣) ، ٣٠٦ ، حديث رقم (١٢٣٠٣) ، وفى الأصل : " خرجه الإمام مسلم " .

(٤) (سنن أبى داود) : ١١٣/٣ ، كتاب الجهاد ، باب (١١١) فى أى وقت يستحب اللقاء ، حديث رقم (٢٦٥٥) ، وأخرجه الترمذى فى السير ، باب الساعة التى يستحب فيها القتال ، حديث رقم (١٦١٢) ، ونسبه المنذر للنسائى .

ابن يسار ، أن النعمان – يعنى ابن مقرن – ، قال : شهدت مع رسول الله ﷺ [كان][1] إذا لم يقاتل من أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس ، [وتهب الرياح وينزل النصر][2] .

وخرجه البخارى[3] من طريق المعتمر بن سليمان قال أنبأنا [سعيد] ابن عبيد الله ، قال النعمان : ربما أشهدك الله مثلها مع النبى ﷺ فلم يندمك ولم يخزك ولكنى شهدت القتال مع رسول الله ﷺ ، كان إذا لم يقاتل فى أول النهار انتظر حتى تهب الأرواح ، وتحضر الصلوات .

فصل فى ذكر دعاء النبى ﷺ على المشركين فى محاربتهم

خرج البخارى[4] من حديث خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : إن رسول الله ﷺ قال وهو فى قبة يوم بدر : أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن

---

(١) زيادة من الأصل .

(٢) زيادة للسياق من (سنن أبى داود) .

(٣) (فتح البارى) ٦/٣١٧ -٣١٨ ، كتاب الجزية والموادعة ، باب (١) الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب ، حديث رقم (٣١٦٠) .

(٤) (فتح البارى) : ٨/٧٩٦ ، كتاب التفسير ، باب (٥) قوله تعالى **﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾** حديث رقم (٤٨٧٥) ، قال الحافظ فى (الفتح) : هذا الحديث من مرسلات ابن عباس لأنه لم يحضر القصة ، وقد روى عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن عكرمة أن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه ، قال : لما نزلت **﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾** جعلت أقول : أى جمع يهزم ؟ فلما كان يوم بدر رأيت النبى ﷺ يثب فى الدرع وهو يقول : **﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾** فكأن ابن عباس حمل ذلك عن عمر ، وكأن عكرمة حمله عن ابن عباس عن عمر ، وقد أخرج مسلم من طريق سماك بن الوليد عن ابن عباس : حدثنى عمر ببعضه .

وأخرجه فى كتاب المغازى ، باب (٤) قول الله تعالى : **﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين * وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم * إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماءً=**

تشأ لا تعبد بعد اليوم . فأخذ أبو بكر بيده ، فقال : حسبك يا رسول الله ، ألححت على ربك - وهو يثب فى الدرع ، فخرج وهو يقول : ﴿ **سيهزم الجمع ويولون الدبر** ﴾ . ذكره فى كتاب التفسير وفى غزوة بدر فى [المغازى] بألفاظ متقاربة .

وخرجه مسلم من طرق مطولاً[1] . وخرجه الترمذى كذلك والنسائى عن أبى إسحاق ، عن أبى عبيدة ، عن عبد الله قال : لما التقينا يوم بدر فإذا رسول الله ﷺ يصلى فما رأيت ناشداً ينشد حقاً له أشد من مناشدة محمد لربه وهو يقول اللهم إنى أنشدك وعدك وعهدك ، اللهم إنى أسألك ما وعدتنى ، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الأرض .

وخرج البخارى من حديث عبيدة ووكيع عن إسماعيل بن أبى خالد سمعت عبد الله بن أبى أوفى يقول : دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال : فى كتاب الجهاد[2] ، من حديث إسماعيل بن أبى خالد أنه سمع عبدالله بن أبى أوفى رضى الله تبارك وتعالى عنه ، يقول : دعى رسول الله ﷺ يوم الأحزاب على المشركين فقال : اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب ، اللهم أهزم الأحزاب اللهم أهزمهم وزلزلهم وفى كتاب الدعاء[3] .

= ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام * إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان * ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب ﴾ [الأنفال ٩- ١٣] ، حديث رقم (٣٩٥٣) .

(١) (مسلم بشرح النووى) ١٢/٢٩١-٢٩٢ ، كتاب الجهاد والسير ، باب (٧) استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو حديث رقم (١٧٤٣) ، مختصراً ، ومطولاً فى باب (١٨) الإمداد بالملائكة فى غزوة بدر وإباحة الغنائم ، حديث رقم (١٧٦٣) .

(٢) (فتح البارى) : ٦ / ١٣١ ، كتاب الجهاد ، باب (٩٨) الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة ، حديث رقم (٢٩٣٣) .

(٣) (فتح البارى) : ١١/٢٣١ ، (كتاب الدعوات) باب (٥٨) ، الدعاء على المشركين ، وقال ابن مسعود قال النبى ﷺ : اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف . وقال : اللهم عليك بأبى جهل . =

وخرجه مسلم(١) من حديث خالد بن عبد الله عن إسماعيل بن أبى خالد عن عبد الله بن أبى أوفى قال : دعا رسول الله ﷺ مثله ومن حديث وكيع بن الجراح عن إسماعيل مثل حديث خالد ، غير أنه قال : هازم الأحزاب . ولم يذكر قوله : اللهم . ومن حديث ابن عيينة عن إسماعيل بهذا الإسناد وزاد ابن أبى عمر فى روايته : [مجرى السحاب] .

وذكره أبو عبد الله البخارى(٢) فى كتاب التوحيد من حديث سعفان بن عبد الله عن إسماعيل بن أبى خالد عن عبد الله بن أبى أوفى رضى الله تبارك وتعالى عنه ، قال دعا رسول الله ﷺ يوم الأحزاب اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب وزلزلهم . وخرجه النسائى .

وخرجه البخارى(٣) فى كتاب الجهاد من حديث عبد الله عن إسماعيل ابن أبى خالد أنه سمع عبد الله بن أبى أوفى يقول : دعى رسول الله ﷺ يوم الأحزاب على المشركين فقال : [اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اللهم اهزمهم] .

وخرج النسائى فى الجهاد من حديث معاذ بن هشام قال حدثنى أبو قتادة ، عن أبى بردة ، عن عبد الله بن قيس أن أباه حدثه أن رسول الله ﷺ كان إذا خاف قوماً قال : [اللهم إنا نجعلك فى نحورهم ونعوذ بك من شرورهم] ، وخرجه فى كتاب (عمل اليوم والليلة) .

= وقال ابن عمر : دعا النبى ﷺ فى الصلاة وقال : اللهم العن فلاناً وفلاناً ، حتى أنزل الله عزوجل : ﴿ ليس لك من الأمر شئ ﴾ ، حديث رقم (٦٣٩٢) .

(١) (مسلم بشرح النووى) : ٢٩١/١٢ ، (كتاب الجهاد والسير) ، باب (٧) استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو ، حديث رقم (٢١) ، (٢٢) ، (٢٣) ، ذكر فى الباب دعاه ﷺ عند لقاء العدو وقد اتفقوا على استحبابه . قوله ﷺ : " اللهم اهزمهم وزلزلهم " أى ازعجهم وحركهم بالشدائد ، قال أهل اللغة : الزلزال والزلزلة الشدائد التى تحرك الناس .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) سبق تخريجه .

وقال الواقدى حدثنى كثير بن زيد ، عن عبدالرحمن بن عبدالله بن كعب ، عن جابر بن عبدالله قال : دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فى مسجد الأحزاب ، يوم الاثنين ، ويوم الثلاثاء ، ويوم الأربعاء ، فاستجيبت له بين الظهر والعصر يوم الأربعاء ، قال : فعرفنا السرور فى وجهه ، قال جابر : فما نزل بى أمر غائظ مهم إلا تحينت تلك الساعة من ذلك اليوم فأدعو الله عز وجل فأعرف الإجابة .

وخرجه البخارى فى الأدب المفرد به بمثله ، وخرجه أحمد[1] أيضاً فى الجهاد ، وقال الواقدى : وكان بن أبى ذئب يحدث عن رجل من بنى سلمة ، عن جابر بن عبد الله ، قال : كان رسول الله ﷺ على الجبل الذى عليه المسجد ، فدعا ورفع يديه مداً ، ثم جاءه مرة آخرى فصلى ودعا .

فصل في ذكر شعار رسول الله ﷺ في حروبه

خرج أبو داود[2] من حديث يزيد بن هارون ، عن الحجاج عن قتادة عن الحسن ، عن سمرة بن جندب رضى الله تبارك وتعالى عنه ، قال : كان شعار المهاجرين : عبدالله ، وشعار الأنصار : عبدالرحمن .

والنسائي[3] من حديث عبد الرحمن بن مهدي ، عن عكرمة بن عمار ، عن إياس بن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه ، قال : كنا مع أبي بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه وهو أول من أمّره علينا رسول الله ﷺ وكان شعارنا : أمت أمت ، وخرجه أبو داود[4] .

---

(١) (مسند أحمد) : ٥/٤٦٩ ـ ٤٧١ ، حديث رقم (١٨٦٢٨) ، (١٨٦٣٥) .

(٢) (سنن أبى داود) : ٣ / ٧٣ ، كتاب الجهاد ، باب (٧٨) فى الرجل ينادى الشعار حديث رقم (٢٥٩٥) .

(٣) لم أجده فى (السنن) ولعله فى (الكبرى) .

(٤) (سنن أبى داود) : ٣ / ٧٣ ـ ٧٤ كتاب الجهاد ، باب (٧٨) فى الرجل ينادى بالشعار ، حديث رقم (٢٥٩٦) ولفظه :" غزونا مع أبى بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه ، زمن النبى =

ولأبي داود[١] والترمذي[٢] من حديث أبي إسحاق ، عن المهلب بن أبي صفرة قال أخبرني من سمع النبي ﷺ يقول : إن بيتم فليكن شعاركم : حم لاينصرون . وخرجه النسائي[٣] وابن الجارود .

وقال الواقدي[٤] : فحدثني ابن أبى حبيبة ، عن داود بن الحصين ، عن عروة ، عن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها ، قالت : جعل النبى ﷺ شعار المهاجرين يوم بدر : يا بنى عبدالرحمن ، وشعار الخزرج : يا بنى عبدالله ، وشعار الأوس : يا بني عبيد الله ، وفى يوم أحد : أمت أمت ؛ وفى بنى النضير : أمت أمت ؛ وفى المريسيع : أمت أمت ؛ وفى الخندق : حم لا ينصرون ؛ وفى قريظة والغابة لم يسم أحداً ؛ وفى حنين : يا منصور أمت ؛ وفى الفتح شعار المهاجرين : بنى عبدالرحمن ؛ ويجعل شعار الخزرج : بنى عبدالله ؛ والأوس : بنى عبدالله ؛ وفى خيبر : بنى عبدالرحمن للمهاجرين ؛ وللخزرج : بنى عبدالله ، وللأوس : بنى عبيدالله ؛ وفى الطائف لم يسم أحداً .

= ﷺ فكان شعارنا : أمت أمت " ، وأخرجه الدارمى فى السير ، باب الشعار ، حديث رقم (٢٤٥٥) ، وأخرجه الإمام أحمد فى (المسند) : ٤/٦٣٧ ، حديث رقم : (١٦٠٦٣) ، من حديث عكرمة بن عمار عن إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال : " كان شعارنا ليلة بيتنا فى هوازن مع أبى بكر الصديق أمّره علينا رسول الله ﷺ : أمت أمت ، وقتلت بيدى ليلتئذ سبعة أهل أبيات " .

(١) المرجع السابق من طريق أخرى وبسياقه مختلفه حديث رقم (٢٥٩٧) .

(٢) (سنن الترمذى) : ٤ / ١٧٠ ، كتاب الجهاد ، باب (١١) ما جاء فى الشعار ، حديث رقم (١٦٨٢) ، ونسبه المنذرى للنسائى ، قال المنذرى : ووقع عند غيرهما " يا منصور أمت ، أمت " . قيل : هو أمر بالموت ، والمراد به التفاؤل بالنصر ، بعد الأمر بالإماتة ، مع حصول الغرض بالشعار ، فإنهم جعلوا هذه الكلمة علامة بينهم يتعارفون بها ، لأجل ظلمة الليل فيعرف بها الرجل وقفاءه . (معالم السنن) .

(٣) لم أجده فى (السنن) ولعله فى (الكبرى) .

(٤) (مغازى الواقدى) : ١ / ٨ ، ٧١ - ٧٢ .

فصل في ذكر المغازي التي قاتل فيها رسول الله ﷺ

قال الواقدي : وكان ما قاتل ﷺ تسعًا : بدر القتال ، يوم أحد ، المريسيع ، الخندق ، قريظة ، خيبر ، الفتح ، وحنين ، والطائف قال : ويقال : قد قاتل في بني النضير ولكن الله جعلها له خاصة ، وقاتل في غزوة تبوك ، ووادي القرى منصرفة من خيبر ،وقتل بعض أصحابه ،وقاتل في الغابة حتى قتل محرز بن فضل ، وقتل من العدو ستة .

قال الواقدي في وقعة أحد : ورمى رسول الله ﷺ يومئذ عن قوسه حتى صارت شظايا ، فأخذها قتادة بن النعمان وكانت عنده . وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته . قال قتادة بن النعمان : فجئت رسول الله ﷺ فقلت : أى رسول الله ، إن تحتى امرأة شابة جميلة أحبها وتحبنى وأنا أخشى أن تقذر مكان عينى . فأخذها رسول الله ﷺ فردها فأبصرت وعادت كما كانت ، فلم تضرب عليه ساعة من ليل ولا نهار ، وكان يقول بعد أن أسن : هى والله أقوى عينىّ ! وكانت أحسنهما .

وباشر رسول الله ﷺ القتال ، فرمى بالنبل حتى فنيت نبله وتكسرت سية قوسه ، وقبل ذلك انقطع وتره ، وبقيت فى يده قطعة تكون شبراً فى سية القوس ؛ وأخذ القوس عكاشة بن محصن يوتره له ، فقال : يا رسول الله ، لا يبلغ الوتر . فقال رسول الله ﷺ : مده ، يبلغ ! قال عكاشة : فوالذى بعثه بالحق ، لمددته حتى بلغ وطويتُ منه ليتين أو ثلاثة على سية القوس . ثم أخذ رسول الله ﷺ قوسه ، فما زال يرمى القوم ، وأبو طلحة أمامهم يستره مترساً عنه ، حتى نظرت إلى قوسه قد تحطمت ، فأخذها قتادة بن النعمان .

قال الواقدي[1] : حدثني محمد بن عبد الله ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، قال : لما كان يوم أحد أقبل أبيّ بن خلف يركض فرسه ، حتى إذا دنا من النبي ﷺ اعترض له ناس من أصحابه ليقتلوه ، فقال رسول الله ﷺ استأخروا عنه ! فقام رسول الله ﷺ وحربته في يده فرما بها بين سابغة البيضة

---

(١) (مغازى الواقدى) : ١ / ٢٥٠ .

والدرع فطعنه هناك ، فوقع أبي عن فرسه وكسر ضلع من أضلاعـه واحتملـوه فمات بالطريق ، ونـزلت فيه ﴿ **وما رميـت إذ رميت ولكن اللـه رمـى** ﴾[1] .

فحدثنى يونس بن محمد الظفرى . عن عاصم بن عمر ، عن عبداللـه ابن كعب بن مالك ، عن أبيه ، قال : كان أبـى بـن خلـف قدم فـى فـداء ابنـه ، وكان أسر يوم بدر ، فقال : يا محمد ، إن عندى فرساً لى أجلهـا فرقـاً مـن ذرة كل يوم ، أقتلك عليها . فقال رسول الله ﷺ : بل ـ أنا أقتلك عليها إن شاء اللـه ويقال قال ذلك بمكة فبلغ رسول الله ﷺ كلمته بالمدينة فقال : أنا أقتلـه عليـا إن شاء الله .

قالوا وكان رسـول اللـه ﷺ فـي القتـال لا يلتفـت وراءه ، وكـان يقـول لأصحابه : إني أن يأتى أبىّ بن خلف من خلفي ، فـإذا رأيتمـوه فـآذنونى بـه ، فإذا بأبىّ يركض على فرسه ، وقد رأى رسـول اللـه ﷺ فعرفـه ، جعـل فجعـل يصيح بأعلى صوته : يا محمد ، لا نجوتُ إن نجوتَ ! فقال القـوم : يـا رسـول الله ، ما كنت صانعًا حين يغشاك ؟ فقد جاءك ، وإن شئت عطف عليـه بعضنـا فأبى رسول الله ﷺ .

ودنا أبيّ فتناول رسول الله ﷺ الحربـة مـن الحـارث بـن الصمـة ، ثـم انتفض بأصحابه كما ينتفض البعير ، فتطايرنا عنه تطاير الشعارير ، ولم يكـن أحد يشبه رسول الله ﷺ إذا جد الجد . ثم أخـذ الحربـة فطعنـه رسـول اللـه ﷺ بالحربة في عنقه وهو على فرسه ، فجعل يخور كما يخور الثـور ، ويقـول لـه أصحابه : أبا عامر ، والله ما بك بأس ، ولو كان هذا الذي بك بعين أحدنـا مـا ضرَّه . فقال واللات والعـزى لـو كـان هـذا الـذي بـي بـأهل ذى المجـاز لمـاتوا أجمعون ! أليس قال : لأقتلنك ؟ فاحتملوه وشغلهم ذلـك عـن طلـب رسـول اللـه

---

(١) الأنفال : ١٧ .

ﷺ ، ولحق رسول الله ﷺ بعُظم أصحابه فى الشّعب . ويقال : تناول الحربة من الزبير بن العوام .

وكان ابن عمر يقول : مات أبىّ بن خلف ببطن رابغ ، فإنى لأسير ببطن رابغ بعد هوى من الليل ، إذ نار تأجج ، فهبتها ، وإذا رجل يخرج منها في سلسلة يجتذبها يصيح : العطش ! وإذا رجل يقول : لا تسقه ، فإن هذا قتيل رسول الله ﷺ ، هذا أبىّ بن خلف . فقلت:ألا سحقاً ! ويقال مات بسرف . ويقال لما تناول الحربة من الزبير حمل أبىّ على رسول الله ﷺ ليضربه ، فاستقبله مصعب بن عمير يحول بنفسه دون رسول الله ﷺ ، فضرب مصعب ابن عمير وجهه ، وأبصر رسول الله ﷺ فُرجة بين سابغة البيضة والدرع فطعنه هناك ، فوقع وهو يخور[١] .

فصل في ذكر ما كان للنبي عليه السلام من الغنيمة

خرج أبو داود[٢] من حديث سفيان عن مطرف ، عن الشعبي ، قال : كان للنبي ﷺ سهم يدعي الصفيّ ، إن شاء عبدًا ، وإن شاء أمةً ، وإن شاء فرساً ، يختاره قبل الخمس .

ومن حديث ابن عون[٣] قال : سألت محمداً عن سهم النبي ﷺ والصفي ، قال : كان يضرب له بسهم من المسلمين وإن لم يشهد ، والصفي يؤخذ له رأس من الخمس قبل كل شئ .

---

(١) (مغازى الواقدى) : ١/٢٥٠ ـ ٢٥٢ ، (طبقات ابن سعد) : ١/ ٦٤ .

(٢) (سنن أبى داود) : ٣ / ٣٩٧ – ٣٩٨ ، كتاب الخراج والإمارة والفئ ، باب (٢١) ما جاء فى سهم الصفىّ ، حديث رقم (٢٩٩١) ، قال المنذرى : هذا حديث مرسل .

ومن حديث سعيد - يعنى ابن بشير - عن قتادة ، قال : كان رسول الله ﷺ إذا غزا كان له سهم صاف يأخذه من حيث شاءه ، فكانت صفية من ذلك السهم ، وكان إذا لم يغز بنفسه ضرب له بسهمه ولم يخير .

ومن حديث سفيان عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان صفيةُ من الصفى[1] .

ولأبي بكر بن أبي شيبة[2] من حديث وكيع قال : أنبأنا قرة بن خالد ، عن أبي العلاء يزيد بن عبد الله بن الشخير قال : كنا جلوساً بهذا المسجد بالبصرة فأتى أعرابيّ معه قطعة أديم أو قطعة جراب فقال : هذا كتاب كتبه لي النبي ﷺ فأخذته فقرأته على القوم فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد رسول الله لبني زهير ، إنكم إن أقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، وأعطيتم الخمس من المغنم ، ثم سهم النبي ﷺ والصفى ، فأنتم آمنون بأمان الله وأمان رسول الله قال : قلنا للأعرابي : من أين سمعت هذا ؟ من رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، سمعته يقول : صوم شهر الصبر يعني رمضان أو ثلاثة أيام من كل شهر يذهبن وحر الصدر ، ثم أخذ الكتاب وانطلق مسرعاً ثم قال ألا أراكم تخافون أن أكذب على رسول الله ﷺ ، والله لا أحدثكم اليوم حديثاً .

وخرجه أبو محمد بن الجارود من حديث وكيع عن قرة بن خالد بنحوه إلى قوله : وأمان رسوله ، وبعد هذا قال : قلنا له : هل سمعت رسول الله ﷺ يقول شيئاً ؟ قال سمعته يقول صوم شهر الصبر ، وصوم ثلاثة أيام من كل شهر ، يذهبن وحر الصدر . قال : ثم أخذ الكتاب وانصاع مسرعاً .

---

(١) (سنن أبى داود) ٣٩٨/٣ ، : كتاب الخراج والإمارة والفئ ، باب (٢١) ما جاء فى سهم الصفى ، حديث رقم (٢٩٩٤) .

(٢) وأخرجه الإمام أحمد فى (المسند) : ٦ / ٧٦ - ٧٧ ، حديث رقم (٢٠٢١٣) ، وحديث رقم (٢٠٢١٦) ، وأخرجه أيضا الإمام الحافظ البيهقى فى (السنن الكبرى) ٦ / ٣٠٣ ، كتاب قسمة الفئ والغنية ، باب سهم الصفي ،(مجموعة الوثائق السياسة فى العهد النبوى والخلافة الرشيدة) : ٢٠٨-٢٠٩ ، وثيقة رقم ٢٣٣ .

وحدثني قدامة بن موسى ، عن أبي بكر محمد بن عمرو بن حزام ، قال : كتب إليّ عمر بن عبد العزيز في خلافته أن افحص لي عن الكتيبة [أكانت عن رسول الله ﷺ من خيبر أم كانت لرسول الله ﷺ خالصة] ، قال أبو بكر رضي الله تبارك وتعالى عنه : فسألت عمرة بنت عبد الرحمن فقالت : إن رسول الله ﷺ لما صالح بني أبي الحقيق جزّأ النطاة ، والشق ، والكتيبة ، خمسة أجزاء ، وكانت الكتيبة جزءً منها ، ثم جعل رسول الله ﷺ خمس بَعَرات ، وأعلم في بَعَرة منها فجعلها لله . ثم قال رسول الله ﷺ : اللهم اجعل سهمك في الكتيبة ، فكان أول من خرج منها الذى فيه مكتوب على الكتيبة ، فكانت الكتيبة خمس النبي ﷺ ، وكانت السهمان أغفالاً ليس علهيا علامات ، فكانت فوضى للمسلمين على ثمانية عشر سهماً ، قال أبو بكر : فكتبت إلى عمر ابن عبد العزيز بذلك .

وحدثني أبو بكر بن أبي سبرة ، عن أبي مالك ، عن حزام بن سعد بن محيصة ، قال : لما خرج سهم النبي ﷺ وكان الشق والنطاة أربعة الأخماس للمسلمين فوضى .

وحدثني عبد الله بن عون ، عن أبي مالك الحميري ، عن سعيد بن المسيب ، وحدثني محمد ، عن الزهري ، قال : الكتيبة خمس رسول الله ﷺ . قال : فكان رسول الله ﷺ يطعم من أطعم فى الكتيبة وينفق على أهله منها .

قال ابن واقد : والثبت عندنا أنها خمس رسول الله ﷺ من خيبر ؛ لأن رسول الله ﷺ لم يطعم من الشق والنطاة أحداً ، وجعلها سهماناً للمسلمين ، وكانت الكتيبة التي أطعم فيها .

وكانت الكتيبة تخرص ثمانية الآف وسق تمر ، وكان لليهود نصفها أربعة آلاف ، كان يزرع فى الكتيبة شعير ، وكان يحصد منها ثلاثة آلاف صاع ، فكان للنبي ﷺ نصفه ؛ ألف وخمسمائة صاع شعير ، وكان يكون فيها نوى فربما اجتمع ألف صاع ، فيكون لرسول الله ﷺ نصفه ، فكل هذا قد أعطى منه رسول الله ﷺ المسلمين من الشعير ، والتمر ، والنوى ثلاث مائة وسق شعير .

أطعم رسول الله ﷺ كل امرأة من نسائه ثمانين وسقاً تمراً وعشرين وسقاً شعيراً . وللعباس بن عبد المطلب مائه وسق ، ولفاطمة وعليّ عليهما السلام من الشعير والتمر ثلاث مائه وسق ، والشعير من ذلك خمس وثمانين وسق ، لفاطمة من ذلك مائتا وسق . ولأسامة بن زيد مائة وخمسون ، منها أربعون شعير ، وخمسون وسقاً نوىً ، ولأم رمثة بنت عمر بنت هاشم بن المطلب خمسة أوساق شعير ، وللمقداد بن عمر خمسة عشر وسقاً شعيراً .

وحدثني موسى بن يعقوب ، عن عمته عن أمها ، قالت : بعن طعمة المقداد بن عمرو من خيبر خمسة عشر وسقاً شعيراً من معاوية بن أبى سفيان بمائة ألف درهم .

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أعطى محمد رسول الله لأبى بكر بن أبى قحافة مائة وسق ، ولعقيل بن أبى طالب مائة وأربعين ، ولبنى جعفر بن أبى طالب خمسين وسقاً ، ولربيعة بن الحارث مائة وسق ، ولأبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب مائة وسق ، وللصلت بن مخرمة بن المطلب ثلاثين وسقاً ، ولأبى نبقة خمسين وسقاً ، ولركانة بن عبد يزيد خمسين وسقاً ، وللقاسم بن مخرمة بن المطلب خمسين وسقاً ، ومسطح بن أثاثة بن عباد وأخته هند ثلاثين وسقاً ، ولصفية بنت عبد المطلب أربعين وسقاً ، ولبحينة بنت الحارث بن عبد المطلب ثلاثين وسقاً ، ولضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب أربعين وسقاً ، وللحصين ، وخديجة ، وهند بنت عبيدة بن الحارث مائة وسق ، ولأم الحكم بنت الزبير بن عبد الله ثلاثين وسقاً ، ولأم هانئ بنت أبى طالب أربعين وسقاً ، ولجمانة بنت أبى طالب ثلاثين وسقاً ، ولأم طالب بنت أبى طالب ثلاثين وسقاً ، ولقيس بن مخرمة بن المطلب خمسين وسقاً ، ولأبى أرقم خمسين وسقاً ، ولعبد الرحمن بن أبي بكر أربعين وسقاً ، ولأبى بصرة أربعين وسقاً ، ولابن أبى حبيش ثلاثين وسقاً ، ولعبد الله بن وهب وابنيه خمسين وسقاً ، لابنيه أربعين وسقاً ، ولنميلة الكلبى من بنى ليث خمسين وسقاً ، ولأم حبيبة بنت جحش ثلاثين وسقاً ، ولملكان بن عبدة ثلاثين وسقاً ، ولمحيصة بن مسعود ثلاثين وسقاً ، وأوصى رسول الله ﷺ للرهاويين بطعمة من خمس

خيبر بجادّ مائة وسق ، وللداريين بجادّ مائـة وسـق ، وهـم عشـرة مـن الدريـين قدموا من الشام إلى رسول الله ﷺ فأوصى لهم بطعمة مائـة وسـق : هـانئ بـن حبيب ، والفاكه ابـن النعمـان ، وجبلـة بـن مـالك ، وأبـو هنـد بـن بـرّ ، وأخـوه الطيب بن برّ ، سماه رسول اللـه ﷺ عبـد اللـه ، وتميـم بـن أوس ، ونعيـم ابـن أوس ، ويزيد بن قيس ، وعزيز بن مالك ، سماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن ، وأخوه مرة بن مالك ، وأوصى للأشعريين بجادّ مائة وسق[1] .

قال الواقدى : حدثني معمر ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد اللـه ابن عتبه قال : لم يوص رسول الله ﷺ إلا بثلاثة أشـياء ، للداريـين بجـادّ مائـة وسق ، وللأشعريين بجادّ مائة وسـق ، وللرهاويـين بجـادّ مائـة وسـق ، وأن ينفذ جيش أسامة بن زيد ، وكان رسول الله ﷺ عقد لـه إلـى مقتـل أبيـه ، وألا يترك بجزيرة العرب دينان .

قالوا : ثم استشار رسول الله ﷺ جـبريل عليـه السـلام فـي قسـم خمـس خيبر ، فأشار عليه أن يقسمه في بني هاشم وبني عبد المطلب وبني عبد يغـوث

وحدثني معمر ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب قال : قـال جبير ابن مطعم : لما قسم رسـول اللـه ﷺ سـهم ذوى القربـى بخيـبر مـن بنـي هاشـم وبني المطلب مشيت أنا وعثمان بن عفان رضى الله تبارك وتعالى عنه حتـى دخلنا على رسول الله ﷺ فقلنا : يا رسول الله ، هؤلاء إخواننا من بنىالمطلـب لا ننكر فضلهم لمكانك الذي وضعك الله به منهم ، أفرأيـت إخواننـا مـن بنـي المطلب ، إنما نحن وهم منك بمنزلة واحدة ، أعطيتهـم وتركتنـا . فقـال رسـول الله ﷺ : إن بني المطلب لم يفارقوني في الجاهلية والإسلام ، ودخلنـا معًـا فـي الشّعب ، إنما بنو هاشم وبنو المطلب شـئ واحـد ! وشـبك رسـول اللـه ﷺ بيـن أصابعه[2] .

---

(١) (مغازى الواقدى) ٢/٦٩٢ - ٦٩٥ .

(٢) (المرجـع السـابق) : ٦٩٥ - ٦٩٦ ، (فتـح البـارى) ٦/٣٠٠ ، كتـاب فـرض الخمـس ، بـاب (١٧) ومن الدليل على أن الخمس للإمام وأنه يعطى بعض قرابته دون بعـض مـا قسـم النبـى ﷺ لبنى المطلب وبنى هاشم من خمس خيبر . قال عمر بن عبد العزيز : لم يعمهم بذلك ولم يخص=

= قريباً دون من أحوج إليه ، وإن كان الذى أعطى لما يشكو إليه من الحاجة ، ولما مستهم فى جنبه من قومهم وحلفائهم ، حديث رقم (٣١٤٠) ولفظه : عن عقيل عن بن شهاب عن ابن المسيب عن جبير بن مطعم قال : مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى رسول الله ﷺ فقلنا : يا رسول الله ، أعطيت بنى عبد المطلب وتركتنا ، ونحن وهم منك بمنزلة واحدة ، قال رسول الله ﷺ : إنما بنى المطلب وبنى هاشم شئ واحد .

قال الليث حدثنى يونس وزاد : قال جبير : ولم يقسم النبى ﷺ لبنى عبد شمس ولا لبنى نوفل . وقال ابن إسحاق : عبد شمس وهاشم والمطلب إخوةٌ . وأمهم عاتكة بنت مرة . وكان نوفل أخاهم لأبيهم . وأخرجه البخارى أيضاً فى كتاب المنقاب ، باب (٢) مناقب قريش ، حديث رقم (٣٥٠٢) ، وأخرجه فى كتاب المغازى ، باب (٣٩) غزوة خيبر حديث رقم (٤٢٢٩) ، وفى حديث حجة للشافعى ومن وافقه أن سهم ذوى القربى لبنى هاشم والمطلب خاصة دون بقية قرابة النبى ﷺ من قريش ، وعن عمر بن عبد العزيز : هم بنو هاشم خاصة ، وبه قال زيد بن أرقم وطائفة من الكوفيين ، وهذا الحديث يدل لإلحاق بنى المطلب بهم ، وقيل هم قريش كلها لكن يعطى الإمام منهم من يراه ، بهذا قال أصبغ ، وهذا الحديث حجة عليه .

وفيه توهين قول من قال إن النبى ﷺ إنما أعطاهم بعلة الحاجة إذ لو أعطاهم بعله الحاجة لم يخص قوما دون قوم ، والحديث ظاهر فى أنه أعطاهم بسبب النصرة وما أصابهم بسبب الإسلام من بقية قومهم الذين لم يسلموا ، والملخص أن الآية نصت على استحقاق قربى النبى ﷺ وهى متحققة فى بنى عبد شمس لأنه شقيق ، وفى بنى نوفل إذا لم تعتبر قرابة الأم .

واختلف الشافعية فى سبب إخراجهم فقيل : العلة القرابة مع النصرة فلذلك دخل بنو هاشم وبنو عبد المطلب ولم يدخل بنو عبد شمس وبنو نوفل لفقدان جزء العلة أو شرطها ؛ وقيل : الاستحقاق بالقرابة ، ووجد ببنى شمس ونوفل مانع لكونهم انحازوا عن بنى هاشم وحاربوهم . والثالث أن القربى عام مخصوص وبينته السنة . قال ابن بطال : وفيه رد لقول الشافعى إن خمس الخمس يقسم بين ذوى القربى لا يفضل غنى على فقير ، وأنه يقسم بينهم للذكر مثل حظ الأنثيين .

قال الحافظ : ولاحجة فيه لما ذكر لا إثباتاً ونفياً ، وأما الأول فليس فى الحديث إلا أنه قسم خمس الخمس بين بنى هاشم والمطلب ولم يتعرض لتفضيل ولاعدمه ، وإذا لم يتعرض فالأصل فى القسمة إذا أطلقت التسوية والتعميم ، فالحديث إذاً حجة للشافعى لا عليه .

خرجه البخاري[1] من حديث عقيل ، عن ابن شهاب ، عن ابن المسيب عن جبير بن مطعم ، ومن حديث يحيى بن بكير عن الليث عن يونس ، عن ابن شهاب ، وخرجه أبو داود[2] من حديث يونس وابن إسحاق عن ابن شهاب ، وخرجه النسائي كذلك ، قال الواقدي :[3] وكان عبد المطلب بن ربيعة ابن الحارث يحدث قال : اجتمع العباس بن عبد المطلب وربيعة بن الحارث فقالا : لو بعثنا هذين الغلامين - لي وللفضل بن عباس - إلى رسول الله ﷺ فكلماه فأمّرهما على هذه الصدقات ، فأديا ما يؤدى الناس ، وأصابا ما يصيبون من المنفعة .

فبعث بى والفضل فخرجنا حتى جئنا رسول الله ﷺ فسبقناه وانصرف إلينا من الظهر وقد وقفنا له عند حجرة زينب ، فأخذ بمناكبها فقال : أخرجا ما تسران فلما دخلا عليه فكلماه فقالا : يا رسول الله جئناك لتؤمّرنا على هذه الصدقات فنودى ما يودى الناس ، ونصيب ما يصبون من المنفعة ، فسكت ورفع رأسه إلى سقف البيت ، ثم أقبل علينا فقال : إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد ، إنما هي أوساخ الناس . ادع لي محمية بن جَزء الزبيدي وأبا سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب . فقال لمحمية : زوج هذا ابنتك - للفضل . وقال لأبي سفيان : زوج هذا ابنتك - لعبد المطلب بن ربيعة بن الحارث . وقال لمحمية : أصدق عنهما مما عندك من الخمُس . فكان ابن عباس يقول : قد دعانا عمر إلى أن ينكح فيه أيامانا ، ويخدمُ منه عائلنا ، ويقضى منه غارمنا ، فأبينا عليه إلا أن يسلمه كله ، وأبى ذلك علينا .

---

(١) (فتح البارى) : ٨ / ٧٠ ، كتاب المغازى ، باب (٥٨) السرية التى قبل نجد ، حديث رقم (٤٣٣٨) .

(٢) (سنن أبى داود) : ٣ / ١٧٩ - ١٨٠ ، كتاب الجهاد ، حديث رقم (٢٧٤٤) . وأخرجه مسلم فى كتاب الجهاد والسير ، باب (١٢) الأنفال ، حديث رقم (١٧٤٩) ، وأخرجه الإمام مالك فى (الموطأ) فى الجهاد .

(٣) (مغازى الواقدى) : ٦٩٦ - ٦٩٧ .

قلت:خرجه مسلم من حديث جويرية ، عن مالك عن الزهـري ، أن عبد الله بن عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب حدثه أن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث أخبره قال اجتمع ربيعة بن الحارث والعباس بن عبد المطلب فقالا والله لو بعثنا هذين الغلامين " قالا لي والفضل بن عباس " إلى رسول الله ﷺ فكلماه فأمّرهما على هذه الصدقات ، فأديا ما يؤدى الناس ، وأصابا مما يصيب الناس ، قال : فبينما هما فى ذلك ، جاء على بن أبى طالب ، فوقف عليهما ، فذكرا له ذلك ، فقال على بن أبى طالب : لا تفعلا ، فوالله ما هو بفاعل ، فانتحاه ربيعة بن الحارث فقال : والله ما تصنع هذا إلا نفاسة منك علينا ، فوالله لقد نلت صهر رسول الله ﷺ فما نفسناه عليك ، قال على : أرسلوهما ، فانطلقا .

واضطجع على ، قال : فلما صلى رسول الله ﷺ الظهر سبقناه إلى الحجرة ، فقمنا عندها حتى جاء فأخذ بآذاننا ، ثم قال : أخرجا ما تصرران ، ثم دخل ودخلنا عليه وهو يومئذ هند زينب بنت جحش ، قال : فتواكلنا الكلام ، ثم تكلم أحدنا فقال : يا رسول الله أنت أبر الناس ، وأوصل الناس ، وقد بلغنا النكاح ، فجئنا لتؤمّرنا على بعض هذه الصدقات ، فنؤدى إليك كما يؤدى الناس ، ونصيب كما يصيبون .

قال : فسكت طويلاً حتى أردنا أن نكلمه ، قال : وجعلت زينب تلمع علينا من وراء الحجاب أن لا تكلماه ، قال : ثم قال : أن الصدقته لا تنبغى لآل محمد ، إنما هى أوساخ الناس ، ادعوا لى محمية - وكان على الخمس - ونوفل ابن الحارث بن عبد المطلب ، قال فجاءاه فقال لمحمية : أنكح هذا الغلام ابنتك - فضل بن العباس - فأنكحه ، وقال لنوفل بن الحارث : أنكح هذا الغلام ابنتك - لى - فأنكحنى ، وقال لمحمية : أصدق عنهما من الخمس كذا وكذا . قال الزهرى ولم يسمه لى(١) .

---

(١) قوله : " إن الصدقة لا تنبغى لآل محمد " دليل على أنها محرمةً ، سواء كانت بسبب العمل ، أو بسبب الفقر والمسكنة وغيرهما من الأسباب الثمانية [وهى المذكورة فى الآية رقم (٦٠) من سورة التوبة ، وهى قوله تعالى : ﴿ **إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها**=

وخرجه أيضاً من حديث يونس بن زيد عن ابن شهاب عن عبد الله بن الحارث بن نوفل أن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث أخبره أن أتاه ربيعة بن الحارث وعباس بن عبد المطلب قالا لعبد المطلب بن ربيعة والفضل بن عباس ائتيا رسول الله ﷺ وساق الحديث بنحو حديث مالك إلا ألفاظ متعددة (١) .

قال الواقدي : حدثني مصعب بن ثابت ، عن يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير أن أبا بكر وعمرو وعليا رضى الله تبارك وتعالى عنهم جعلوا هذين السهمين على اليتامى والمساكين . وقال بعضهم : في السلاح والعدة في سبيل الله ، وكانت تلك الأطعمة تؤخذ بصاع رسول الله ﷺ في حياته ، وفي خلافة أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، ومعاوية رضى الله تبارك وتعالى عنهم ، حتى كان يحيى بن الحكم فزاد في الصاع سدس المُد ، فأعطى الناس بالصاع الذي زاد ، ثم كان أبان بن عثمان فزاد فيه فأعطاهم بذلك ، وكان من مات من المطعمين أو قتل في حياة رسول الله ﷺ وأبي بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه ، فإنه يرثه تلك الطعمة من ورث ماله ، فلما ولي عمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه قبض طعمة كل من مات ولم يورثه ، فقبض طعمة زيد ابن حارثه ، وقبض طعمة جعفر بن أبي طالب ، وكلمه فيه علي بن أبى طالب رضى الله تبارك وتعالى عنه فأبى ، وقبض طعمة صفية بنت عبد المطلب ، فكلمه الزبير في ذلك حتى غالظه فأبى عليه

= **والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ﴾**] ، وهذا هو الصحيح عند أصحابنا ، وجوز بعض أصحابنا لبنى هاشم ولبنى المطلب العمل عليها بسهم العامل ، لأنه إجارة ، وهذا ضعيف أو باطل وهذا الحديث صريح فى رده .

قوله ﷺ : " إنما هى أوساخ الناس " تنبيه على العلة فى تحريمها على بنى هاشم ، وبنى المطلب ، وأنها لكرامتهم تنزيهم عن الأوساخ ، ومعنى أوساخ الناس : أنها تطيهر لأموالهم ونفوسهم ، كما قال تعالى : **﴿ خذ من أموالهم صدقتن تطهرهم وتزكيهم بها ﴾** [التوبة : ١٠٣] ، فهى كغسالة الآوساخ . (شرح النووى) .

(١) (المرجع السابق) : حديث رقم (١٦٨)

بردّه ، فلما ألح عليه قال : أعطيك بعضه . فقال الزبير لا والله ، لا تخلف تمرة واحدة تحبسها عني ! فأبى عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه تسليمه كله إليه . فقال الزبير: لا آخذه إلا جميعاً ! فأبى عمر وأبى أن يردّ على المهاجرين.

وقبض طعمة فاطمة رضى الله تبارك وتعالى عنها فكُلم فيها . فأبى أن يفعل . وكان يجيز لأزواج رسول الله ﷺ ما صنعنا ، فماتت زينب بنت جحش فى خلافته فخلى بين ورثتها وبين تلك الطعمة ، وأجاز ما صنعن فيه من بيع أو هبة ، وورث ذلك كل من ورثهن ولم يفعل بغيرهن . وأبى أن يجيز بيع من باع تلك الطعمة ، وقال : هذا شئ لا يعرف ، إذا مات المطعَم بطل حقه فكيف يجوز بيعه ؟ إلا أزواج رسول الله ﷺ ، فإنه أجاز ما صنعن ، فلما ولي عثمان رضى الله تبارك وتعالى عنه كُلم في تلك الطعمة فرد على أسامة ولم يرد على غيره . فكلمه الزبير في طعمة صفية أُمّه فأبى أن يرده وقال : أنا حاضرك حين تكلم عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه ، وعمر يأبى عليك يقول : " خذ بعضه " ، فأنا أعطيك بعضه الذي عرض عليك عمر ، أنا أعطيك الثلثين وأحتبس الثلث ، فقال الزبير : لا والله ، لا تمرة واحدة حتى تسلمه كله أو تحتبسه .

قال الواقدى : حدثني شعيب بن طلحة بن عبد الله بن عبد بن الرحمن ابن أبى بكر ، عن أبيه ، قال : لما توفي أبو بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه كان ولده وورثته يأخذون طعمته من خيبر مائة وسق في خلافة عمر وعثمان رضى الله تبارك وتعالى عنه ، وورثت امرأته أم رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية [وحبيبة] بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير ، فلم يزل جارياً عليهن حتى كان زمن بن عبد الملك أو بعده فقطع .

قال أبو عبد الله : سألت إبراهيم بن جعفر عمَّن أعطى رسول الله ﷺ خمس خيبر فقال : لا تسأل عنه أحداً أبداً أعلم مني ، كان من أعطى منه طعمة جرت عليه حتى يموت ، ثم يرثه من ورثته يبيعون ، ويطعمون ، ويهبون ؛

كان هذا على عهد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم . قلت : ممن سمعت ذلك ؟ قال من أبي وغيره من قومي .

قال أبو عبد الله : فذكرت لعبد الرحمن بن عبد العزيز هذا الحديث فقال : أخبرني من أثق به أن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه كان يقبض تلك الطعمة إذا مات الميت [فى حياة] أزواج النبي ﷺ وغيرهن ، ثم يقول : توفيت زينب بنت جحش في سنة عشرين في خلافة عمر فقبض طعمتها ، وكلم فأبى أن يعطيها الورثة . وقال : إنما كانت من النبي ﷺ طعمة ما كان المرء حيا ، فإذا مات فلا حق لورثته . قال : فكان الأمر على ذلك في خلافة عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه حتى توفي ، ثم ولى عثمان . وكان النبي ﷺ أطعم زيد بن حارثة رضى الله تبارك وتعالى عنه طعمة من خيبر لم يكن له بها كتاب ، فلما توفي زيد جعلها النبي ﷺ لأسامة بن زيد . قلت : وفأن بعض من يروي يقول كلهم أسامة بن زيد عمر وعثمان في طعمة أبيه فأبى ، قال : ما كان إلا كما أخبرتك . قال أبو عبد الله : هذا الأمر(1) .

[وقال : أبو زيد عمر بن محمد بن يحيى عن الواقدي عن صالح ، عن جعفر ، عن المسور بن رفاعة ، عن ابن كعب قال : أول صدقة في الإسلام وقف رسول الله ﷺ أمواله ، قال : فقلت : لابن كعب يقولون صدقة عمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه أول ، فقال : على رأس اثنين وثلاثين شهرا من مهاجر النبي ﷺ وأوصى إن أصيب قاموا إلى رسول الله ﷺ فقبضها رسول الله فتصدق بها فهذا قبل ما تصدق عمر إنما تصدق عمر يسمع حين رجع رسول الله ﷺ من خيبر سنة سبع من الهجرة والله أعلم(2)] .

---

(1) (مغازى الواقدى) : ٦٩٧ - ٦٩٩ .

(2) ما بين الحاصرتين من (الأصل) فقط .

فصل في ذكر من جعله النبي عليه السلام على مغانم حروبه

اعلم أن رسول الله ﷺ جعل على مغانم حروبه غير واحد من أصحابه فجعل على المغانم يوم بدر في قول ابن إسحاق : عبد الله بن كعب بن عمرو ابن عوف بن ميذول بن عمرو بن غنم بن مازن النجار أبا الحارث . وقيل : أبا يحيى الأنصاري المازني ، وقال أبو عمر بن عبد البر : شهد بدراً وكان على غنائم النبي ﷺ يوم بدر ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ . وكان على خمس النبي ﷺ في غيرها . كانت وفاته بالمدينة سنة ثلاثين ، وصلى عليه عثمان[1] رضى الله تبارك وتعالى عنه .

وذكر الواقدي[2] : أن رسول الله ﷺ استعمل على غنائم بدر عبد الله بن كعب ، هذا أتم . قال : وقد قيل : أن النبي ﷺ استعمل عليها خباب بن الأرت[3] بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، التميمي بالنسب ، الخزاعي بالولاء ، الدهري بالحلف ، أحد المهاجرين الأولين ، جعله النبى ﷺ على أسرى بدر .

ذكر أبو محمد بن حزم بن عبد الله بن عبد يغوث بن عويج بن عمرو أن زيد الأصغر الذي ولاه الرسول ﷺ الغنائم يوم بدر . وقال ابن عبد البر

---

(١) (الاستيعاب) : ٣ / ٩٨١ .

(٢) (مغازى الواقدى) : ١ / ١٠٠ .

(٣) هو خباب بن الأرت ، أصله عربى ولحقه سباء فى الجاهليه فبيع بمكة وهو أحد السابقين وممن عذب فى الله تعالى وكان سادس ستة فى الإسلام ، وكان حداداً يصنع السيوف . وشهد بدراً مع النبى ﷺ والمشاهد كلها .

قال الشعبى : سأل عمر بن الخطاب خباباً رضى الله تبارك وتعالى عنه عما لقى من المشركين فقال : يا أمير المؤمنين انظر إلى ظهرى ، فنظر ، فقال : ما رأيت كاليوم ظهر رجل . قال خباب : لقد أوقدت ناراً وسحبت عليها فما أطفأها إلا ودك ظهرى . روى عنه ابنه عبدالله ومسروق وقيس بن أبى حازم وغيرهم . نزل الكوفه وتوفى بها سنة (٣٧) وهو أول من دفن بظهر الكوفة من الصحابة . (أسماء الصحابة الرواة) : ١٠٠ ، ترجمة رقم (٨٩) .

كان من مهاجرة الحبشة وتأخر إقفاله منها ، وأول مشاهده المريسع واستعمله ، رسول الله ﷺ على الأخماس . وذكر مسلم[1] في كتاب الزكاة أن محمية بن جزء استعمله الرسول ﷺ على الأخماس .

وقال الواقدي[2] في غزاة المريسيع : حدثني أبو بكر بن عبدالله بن أبى سبرة ، عن أبي بكر بن عبدالله بن أبى الجهم ، قال : أمر رسول الله ﷺ

---

(١) (مسلم بشرح النووى) : ١٨٦/٧ ـ ١٨٧ ، كتاب الزكاة باب (٥١) ترك استعمال آل النبى ﷺ على الصدقة ، حديث رقم (١٦٨) ، ولفظه : حدثنا هرون بن معروف حدثنا ابن وهب أخبرنى يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن عبدالله بن الحارث بن نوفل الهاشمى ، أن عبدالمطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب أخبره أن أباه ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب والعباس بن عبدالمطلب قالا لعبدالمطلب بن ربيعة وللفضل بن عباس ائتيا رسول الله ﷺ وساق الحديث بنحو حديث مالك وقال فيه : فألقى عليّ رداءه ثم اضطجع عليه وقال أنا أبو حسن القرم والله لا أريم مكانى حتى يرجع اليكما ابناكما بحور ما بعثتما به إلى رسول الله ﷺ . وقال فى الحديث : ثم قال لنا : إن هذه الصدقات إنما هى أوساخ الناس وإنها لا تحل لمحمد ولآل محمد ، وقال أيضاً : ثم قال رسول الله ﷺ : ادعوا لى محمية بن جَزء وهو رجل من بنى أسد كان رسول الله ﷺ استعمله على الأخماس .

قوله ﷺ " أدعو إلى محمية بن جزء وهو رجل من بنى أسد " : أما محمية فبميم مفتوحة ثم حاء مهملة ساكنة ثم ميم أخرى مكسورة ثم ياء مخففة ، وأما جزء فبجيم مفتوحة ثم زاى ساكنة ثم همزة ، هذا هو الأصح قال القاضى : هكذا تقوله عامة الحفاظ وأهل الاتقان ومعظم الرواة ، وقال عبدالغنى بن سعيد : يقال : جزي بكسر الزاى يعنى وبالياء وكذا وقع فى بعض النسخ فى بلادنا . قال القاضى : وقال أبو عبيد : هو عندنا جزّء مشدد الزاى ، وأما قوله : "وهو رجل من بنى أسد " ، فقال القاضى : كذا وقع والمحفوظ أنه من بنى زبيد لا من بنى أسد . (شرح النووى) .

وقال الواقدى استعمل على الأسرى شقران مولاه ، واستعمل على مقسم الخمس وصهبان المسلمين محمية بن جزء الزبيدى ، فأخرج رسول الله ﷺ : الخمس من جميع المغنم ، فقال يليه محمية بن جزء الزبيد . (مغازى الواقدى) : ٤١٠/١ .

(٢) (مغازى الواقدى) : ١ / ٤٠٩ - ٤١٠ .

بألاسرى فكتفوا وجعلوا ناحية ، واستعمل عليهم بريدة بن الحصيب ، وأمر بما وجد في رحالهم من رثة [المتاع] والسلاح فجمع ، وعمد إلى النعم والشاء فسيق واستعمل عليهم شقران مولاه ، وجمع الذرية ناحيه ، واستعمل على المقسم – مقسم الخمس - وسهمان المسلمين محمية بن جزء الزبيدي ، فأخرج الرسول ﷺ الخمس من جميع المغنم ، فكان يليه محمية بن جزء .

[ولما نزل بنو قينقاع على حكم رسول الله ﷺ وربطوا جعل على كتافهم المنذر بن قدامة السلمي ، وأجلاهم محمد بن مسلمة الأنصاري[1] ، وقبض أموالهم[2]] .

وقال الواقدي[3] أيضاً : وأمر رسول الله ﷺ عبادة بن الصامت[4] أن يجليهم ، فجعلت قينقاع تقول : يا أبا الوليد ، من بين الأوس والخزرج – ونحن مواليك – فعلت هذا بنا ؟ فقال لهم عبادة : لما حاربتم جئت إلى رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله إني أبرأ إليك منهم ومن حلفهم . وكان عبد الله ابن أبيّ ابن سلول ، وعبادة بن الصامت منهم بمنزلة واحدة في الحلف . فقال عبدالله بن أبي : تبرأت من حلف مواليك ؟ ما هذه بيدهم عندك . فذكّره مواطن

---

(١) هو محمد بن مسلمة بن سلمة بن خالد بن عدى بن مجدعة أبو عبدالله وأبو سعيد الأنصارى ، ولد قبل البعثة باثنين وعشرين سنة ، شهد بدراً وأحداً ، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ إلا تبوك ومات بالمدينه سنه (٤٦) أو (٤٧) وله (٧٧) سنة وهو أحد الذين قتلوا كعب بن الأشرف. واستخلفه رسول الله ﷺ على المدينة فى بعض غزواته .. واستعمله عمر على صدقات جهينه . (أسماء الصحابه الرواة) : ١٣٤ ترجمه (١٤٠) .

(٢) ما بين الحاصرتين من (الأصل) فقط .

(٣) (مغازى الواقدى) : ١ / ١٧٩ – ١٨٠ .

(٤) هو عبادة بن الصامت بن قيس بن صرم بن فهر بن ثعلبة بن عمرو بن عوف بن الخزرج الأنصارى ، الخزرجى ، توفى سنه (٣٤) بالرملة ، عاش (٤٥) سنه . من مناقبه : نزل فيه قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين أمنوا لا تتخذو اليهود والنصارى أولياء** ﴾ [المائدة :٥١] . لما تبرأ من حلفه من بنى قينقاع لما خانوا المسلمين فى غزوة الخندق .

(أسماء الصحابه الرواة) : ٥١ ترجمه (٢٠) ،(الإصابه): ٦٢٤/٣ ، (الاستيعاب) :٨٠٧– ٨٠٨ .

قد أبلوا فيها . فقال عبادة : أبا الحباب ، تغيرت القلوب ، ومحا الإسلام العهود ، أما والله إنك لمعتصم بأمر سترى غبه غداً ! فقالت قينقاع : يا محمد ، إن لنا دَيناً فى الناس . قال النبى ﷺ : تعجلوا وضعوا ! وأخذهم عبادة بالرحيل والإجلاء ، وطلبوا التنفس فقال لهم : ولا ساعة من نهار ؛ لكم ثلاث لا أزيدكم عليها ! هذا أمر رسول الله ﷺ ، ولو كنت أنا ما نفستكم . فلما مضت ثلاث خرج فى آثارهم حتى سلكوا الشام ، وهو يقول : الشرف الأبعد ، الأقصى ، فأقصى ، وبلغ خلف ذباب[1] ، ثم رجعوا ولحقوا بأذرعات[2] .

وولى إخراج بني النضير محمد بن مسلمة ، الذي قبض أموالهم والحلقة وكشفهم عنها .

قال الواقدي أيضاً[3] : وكان رسول الله ﷺ قد استعمل على أموال بني النضير - يعني التي جعلها الله تعالى خاصة - أبا رافع مولاه ، وربما جاءه بالباكورة منها .

وقال في بني قريظة : فلما جهدهم الحصار ونزلوا على حكم رسول الله ﷺ أمر بأسراهم فكتفوا رباطًا ، وجعل على كتافهم محمد بن مسلمة ونحوا ناحيةً ، وأخرجوا النساء والذرية من الحصون وكانوا ناحيةً ، واستعمل رسول الله ﷺ عليهم عبد الله بن سلام .

قال الواقدي[4] : فحدثني ابن أبي سبرة ، عن يعقوب بن زيد بن طلحة ، عن أبيه ، قال : لما سبى بنو قريظة النساء والذرية باع رسول الله ﷺ منهم

---

(١) ذباب بكسر أوله وباءين : جبل بالمدينة ، له ذكر فى المغازى والأخبار ، ذكر ابن هشام فى سيرته فى غزوة تبوك : وضرب عبدالله بن أبىّ مع رسول الله ﷺ على حدة عسكره أسفل منها ، نحو ذباب ، فلما سار رسول الله تخلف عنه عبدالله بن أبىّ فى من تخلف من المنافقين وأهل الريب . (معجم البلدان) : ٣/٣ .

(٢) أذرعات : بالفتح ، ثم السكون ، وكسر الراء ، وعين مهملة ، وألف وتاء . كأنه جمع أذرعة ، جمع ذراع جمع قلة : وهو بلد فى أطراف الشام ، يجاور أرض البلقاء وعمان ، ينسب إليه الخمر . (المرجع السابق) : ١٥٨/١ .

(٣) (مغازى الواقدى) : ١ / ٣٧٨ . =

من عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف طائفة وبعث طائفة ، إلى نجد ، وبعث طائفة إلى الشام مع سعد بن عبادة رضى الله تبارك وتعالى عنه ، يبيعهم ويشترى بهم سلاحًا وخيلاً .

ويقال باعهم بيعاً من عثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف ، فاقتسما فسهمه عثمان بمال كثير ، وجعل عثمان على كل من جاء من سبيهم شيئاً موفياً ، فكان يوجد عند العجائز المال ولا يوجد عند الشواب ، فربح عثمان مالاً كثيراً - وسهم عبدالرحمن - وذلك أن عثمان صار فى سهمه العجائز . ويقال : لما قسم جعل الشواب على حدة والعجائز على حدة ، ثم خير عبدالرحمن عثمان ، فأخذ عثمان العجائز .

قال : حدثني عبد الحميد بن جعفر ، عن أبيه ، قال : كان السبي ألفاً من النساء والصبيان ، فأخرج الرسول ﷺ خمسة قبل بيع المغنم ، وجزّأ السبي خمسة أجزاء ؛ فأخذ خمسًا ، فكان يعتق منه ، ويهب منه ، ويخدم منه من أراد . وكذلك صنع بما أصاب من رثتهم ، قسمت قبل أن تباع ، وكذلك النخل ، عُزل خمسه . وكل ذلك يسهم عليه ﷺ خمسة أجزاء ويكتب فى سهم منها " لله " ثم يخرج السهم ، فحيث صار سهمه أخذه ولم يتخير . وصار الخمس إلى محمية بن جزء الزبيدي ، وهو الذي قسم المغنم بين المسلمين .

حدثنى عبدالله بن نافع ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ كان يسهم ولا يتخيير[1] .

حدثنى عبدالحميد بن جعفر ، عن أبيه ، قال : نهى رسول الله ﷺ أن يفرق بين بنى قريظة فى القسم والبيع والنساء والذرية .

وذكر ابن فتحون في (الذيل على كتاب الاستيعاب) : أن صاحب المغانم يوم خيبر هو كعب بن عمرو بن زيد الأنصاري ، وعن ابن وهب أنه كان على المغانم يوم خيبر أبو اليسر كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو بن

= (٤) (مغازى الواقدى) : ٢ / ٥٢٣ - ٥٢٤ .

(١) (مغازى الواقدى) : ٥٢٤/٢ .

سواد بن غنم ابن كعب بن سلمة الأنصاري[١] ، [وقيل كعب بن عمر بن تميم ابن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصارى السلمى][٢] .

وقال الواقدي[٣] : واستعمل رسول الله ﷺ على الغنائم يوم خيبر فروة ابن عمرو البياضي الأنصاري . فكان قد جمع ما غنم المسلمون في حصون النطاة ، وحصون الشق ، وحصون الكتيبة ، لم يترك على أحد من أهل الكتيبة إلا ثوبًا على ظهره من الرجال والنساء والصبيان ، جمعوا أثاثًا كثيراً وسلاحًا كثيرًا ، وغنمًا وبقرًا ، وطعامًا وأدمًا كثيرًا ، فأما الطعام والأدم والعلف فلم يخمس ، يأخذ منه الناس حاجتهم ، وكان من احتاج إلى سلاح يقاتل به أخذه من صاحب المغنم ، حتى فتح الله عليهم فرد ذلك إلى المغنم ، فلما اجتمع ذلك كله أمر به رسول الله ﷺ فجزّى خمسة أجزاء ، وكتب في سهم منها " الله " وسائر السهمان أغفال ، فكان أول ما خرج سهم النبى ﷺ لم يتخير في الأخماس ، ثم أمر رسول الله ﷺ ببيع الأربعة الأخماس فيمن يزيد ، فجعل فروة يبيعها فيمن يزيد ، فدعا فيها النبي ﷺ بالبركة ، وقال : اللهم ألق علينا النفاق ! قال فروة ابن عمرو : فلقد رأيت الناس يتداركون عليَّ ويتواثبون حتى نفق في يومين ، ولقد كنت أرى أنا لا نتخلص منه حينا لكثرته .

وفي مسند الزهري عن سعيد بن المسيب أن النبي ﷺ سبى يوم خيبر ستة آلاف بين امرأة وغلام فجعل النبي ﷺ عليها أبا سفيان بن الحارث رضي الله تبارك وتعالى عنه .

---

(١) هو كعب بن عمرو الأنصارى . شهد بدراً بعد العقبه ، وهو الذى أسر العباس بن عبدالمطلب يوم بدر ، وهو الذى انتزع راية المشركين ، ثم شهد صفين مع على رضى الله تبارك وتعالى عنه ، يعد فى أهل المدينة ، ومات بها وله (٥٥) سنة . (الاستيعاب) : ٤/ ١٧٧٦ .

(٢) ما بين الحاصرتين : زيادة للسياق من (الإصابة) : ٤٦٨/٧ .

(٣) (مغازى الواقدى) : ٢ / ٦٨٠ .

وذكر أبو محمد بن حزم أن النبــي ﷺ استعمل أبـا الجهـم[1] عـامر بـن عبيد بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن عويـج بـن عـدي بـن كعب القرشي العدوي على الغنائم يوم خيبر .

وذكر عزالدين أبو الحسن علي بن محمد الأثير في كتاب (الكـامل فـى التاريخ)[2] أن رسول الله ﷺ يـوم خيبر أمـر بالسـبايا والأمـوال فجمعـت إلـى الجعرانة ، وجعله عليها بديل بن ورقاء [بن عمرو بن ربيعة بـن عبـد العزى ابن ربيعة بن جرى بن عامر بن مازن بن عدى بن عمـرو بـن ربيعـة][3] بـن ربيعة الخزاعي .

وذكر البخاري عند سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي عن أبيه ، عن ابن إسحاق قال : حدثني إبراهيم ابن أبي عبلة ، عن ابن بديل بن ورقاء ، سمع أبيه يقول : إن رسول الله ﷺ أمر بديلاً أن يحبس السبايا والأموال بالجعرانــة حتـى

---

(١) كان من أعلم الناس بأنساب قريش وله صحبة ، وكان يُخاف للسانه ، والجهامة غلظ الوجـه وبـه سمى الأسد جهمناً . ومنه قولهم : تجاهمنى فلان ، إذا لقينى لقاءً بشعاً .(جمهرة النسب للكلبى) : ١٠٨ ، (الاشتقاق) : ١٠٤ ، (الاستيعاب) : ١٦٢٣/٤ ، ترجمة رقم (٢٨٩٩) .

(٢) (الكامل فى التاريخ) : ٢٦٦/٢ ، وكان ذلك فى غزوة هوازن بحنين .

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة للنسب من (الإصابة) ، قال ابـن السكن : لـه صحبـة . سكن مكـة ، وفى (المغازى) عن ابن إسحاق وغيره ـ أن قريشاً لجئوا يوم فتح مكة إلى دار بديل ابن ورقـاء ودار رافع مولاه ، وكان إسلامه قبل الفتح ، وقيل يوم الفتح .

وروى البخارى فى (تاريخه) والبغوى من طريق ابن إسحاق ، قال : حدثنـى إبراهيم بـن أبـى عبلة ، عن ابن بديل بن ورقاء ، عن أبيه أن النبى ﷺ أمره أن يحبس السبايا والأموال بالجعرانـة حتى يقدم عليه ففعل .

وروى أبو نعيم ، من طريق ابن جريج ، عن محمد بن يحيـى بـن حبـان ، عـن أم الحـارث بنـت عياش بن أبى ربيعة ، أنها رأت بديل بن ورقاء يطوف على جمل أورق يمنى يقول : إن رسـول الله ﷺ ينهاكم أن تصوموا هذه الأيام ؛ فإنها أيام أكل وشرب ، (الإصابة) : ٢٧٥/١ ـ ٢٧٦ ، ترجمة رقم : (٦١٤) ، (الاستيعاب) : ١٥٠/١ ، ترجمة رقم : (١٦٧) .

يقدم عليه ففعل . وقال ابن إسحاق كان على المغانم يوم حنين مسعود بن عمرو [الغفارى] رضى الله تبارك وتعالى عنه[1] .

وقال الواقدي : فلما رجع رسول الله ﷺ إلى الجعرانة أقام يتربص أن يقدم عليه وفدُهم ، وبدأ بالأموال فقسمها ، وأعطى المؤلفة قلوبهم أول الناس . وكان النبى ﷺ قد غنم فضة كثيرة ؛ أربعة آلاف أوقية ، فجمعت الغنائم بين يدي النبي ﷺ ، فجاء أبوسفيان بن حرب وبين يديه الفضة ، فقال : يا رسول الله ، أصبحت أكثر قريش مالاً ! فتبسم رسول الله ﷺ ، وقال [أبو سفيان] : أعطنى من هذا المال يا رسول الله ! فقال يا بلال ، زن لأبى سفيان أربعين أوقية وأعطوه مائة من الإبل . قال أبو سفيان : ابنى يزيد أعطه ! قال رسول الله ﷺ : زنوا ليزيد أربعين أوقية ، وأعطوه مائة من الإبل . قال أبو سفيان : ابنى معاوية ، يا رسول الله ! قال : زن له يا بلال أربعين أوقية ، وأعطوه مائة من الإبل . قال أبو سفيان : إنك لكريم ، فداك أبي وأمي ـ! والله لقد حاربتك فنعم المحارب كنت ، ثم سالمتك فنعم المسالم أنت ، جزاك الله خيرًا ! وأعطى فى بنى أسد .

قال الواقدى : وحدثنى معمر ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، قالا : حدثنا حكيم بن حزام قال : سألت رسول الله ﷺ بحنين مائة من الإبل فأعطانيها . ثم سألته مائة فأعطانيها ، ثم سألته مائة فأعطانيها ، ثم قال رسول الله ﷺ : يا حكيم بن حزام ، إن هذا المال خضرة حلوة ، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه ، وكان كالذى يأكل ولا يشبع ، واليد العليا خير من السفلى ، وابدأ بمن تعول ! قال : فكان حكيم يقول : والذى بعثك بالحق ، لا أرزأ[2] أحداً بعدك شيئاً ! فكان عمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه يدعوه إلى عطائه فيأبى يأخذه ، فيقول عمر : أيها الناس ، إنى أشهدكم على حكيم أنى

---

(١) (سيرة ابن هشام) : ١٢٩/٥ ، سبايا حنين وأموالها ، ثم قال : وأمر رسول الله ﷺ بالسبايا والأموال إلى الجعرانة فحبست بها . وما بين الحاصرتين زيادة للنسب من (ابن هشام) .

(٢) لا أرزأ : أى لا آخذ من أحد . (النهاية) : ٧٨/٢ .

أدعوه إلى عطائه فيأبى أن يأخذه . قال : حدثنا ابن أبى الزناد ، قال : أخذ حكيم المائة الأولى ثم ترك .

وفى بنى عبدالدار : النضير ، وهو أخو النضر بن الحارث بن كلدة ، مائة من الإبل . وفى بنى زهرة : أسيد بن حارثة حليف لهم ، مائة من الإبل . وأعطى العلاء بن جارية خمسين بعيراً ، وأعطى مخرمة بن نوفل خمسين بعيراً ، وقد رأيت عبدالله بن جعفر ينكر أن يكون أخذ مخرمة فى ذلك ، وقال : ما سمعت أحداً من أهلى يذكر أنه أعطى شيئاً ، ومن بنى مخزوم : الحارث بن هشام مائة من الإبل ، وأعطى سعيد بن يربوع خمسين من الإبل . وأعطى فى بنى جمح صفوان بن أمية مائة بعير ، ويقال : إنه طاف مع النبى ﷺ والنبى ﷺ يتصفح الغنائم إذ مر بشعب مما أفاء الله عليه ، فيه غنم وإبل ورعاؤها مملوء ، فأعجب صفوان وجعل ينظر إليه ، فقال رسول الله ﷺ : أعجبك يا أبا وهب هذا الشعب ؟ قال : نعم . قال : هو لك وما فيه . فقال صفوان : أشهد ما طابت بهذا نفس أحد قط إلا نبى ، وأشهد أنك رسول الله ! وأعطى قيس بن عدى مائة من الإبل ، وأعطى عثمان بن وهب خمسين من الإبل .

وفى بنى عامر بن لؤى أعطى سهيل بن عمرو مائة من الإبل ، وأعطى حويطب بن عبدالعزى مائة من الإبل ، وأعطى هشام بن عمر خمسين من الإبل ، وأعطى فى العرب الأقرع بن حابس التميمى مائة من الإبل ، وأعطى عيينة بن بدر الفزارىّ مائة من الإبل ، وأعطى مالك بن عوف مائة من الإبل . وأعطى العباس بن مرداس السلمى أربعاً من الإبل ، فعاتب النبىَّ ﷺ فى شعر قاله[1] .

---

(١) وذكر الواقدى شعر العباس بن مرداس السلمى فقال :

كـانـت نـهـاباً تـلافـيْتـُها ... بِكَرّى على القوم فى الأجْرَعِ

وحثّـى الـجنودَ لكى يُدلجوا ... إذا هَـجَـع القـومُ لـم أهْجَعِ

فـأصـبح نَهْبِي ونَهبُ العُبَيـ ... ـدِ بـيـنَ عُـيَـيْـنَـةَ والأقْـرَعِ

إلاَّ أفـائـلَ أعـطـيتـُهـا ... عَـديدَ قـوائـمـهـا الأربـعِ

فرفع أبو بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه أبياته إلى النبى ﷺ ، فقال النبى ﷺ للعباس : أنت الذى تقول : " أصبح نهبى ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة " ؟ فقال أبوبكر رضى الله تبارك وتعالى عنه : بأبى وأمى يا رسول الله ، ليس هكذا ! قال ، قال : كيف ؟ قال : فأنشده أبوبكر كما قال عباس ، فقال النبى ﷺ : سواء ما يضرك بدأت بالأقرع أم عيينة ! فقال أبوبكر رضى الله تبارك وتعالى عنه : بأبى أنت وأمى ، ما أنت بشاعر ولا راوية ، ولا ينبغى لك[1] ، فقال رسول الله ﷺ : اقطعوا لسانه عنى . فأعطوه مائة من الإبل ، ويقال خمسين من الإبل ، ففزع منها أُناس ، وقالوا : أمر بعباس يمثل به . وقد اختلف علينا فيما أعطى رسول الله ﷺ يومئذ الناس .

فحدثنى عبدالله بن جعفر ، عن ابن أبى عون ، عن سعد ، عن إبراهيم ويعقوب بن عتبة ، قالا : كانت العطايا فارعة من الغنائم . قال : حدثنى موسى ابن إبراهيم ، عن أبيه ، قال : كانت من الخمس . فأثبت القولين أنها من الخمس .

= وقد كُنْتُ فى الحَرْبِ ذا تُدْرَإٍ ... فلم أُعْطَ شيئاً ولم أُمْنَعِ

وما كان حِصنٌ ولا حابِسٌ ... يَفُوقان مِرْداسَ فى المَجْمَعِ

وما كُنْتُ دُونَ امرىءٍ مِنهما ... ومَن تَضَعِ اليَوْمَ لا يُرْفَعِ

معانى المفردات :

- **كانت** : يعنى الإبل والماشية .
- النهاب : جمع نهب ، وهو ما ينهب ويغنم .
- **الأجرع** : المكان السهل .
- **العبيد** : فرس عباس بن مرداس .
- **أفائل** : جمع أفيل ، وهى الصغار من الإبل .
- **ذا تدرأ** : أى ذا دفع ، من قولك : درأه إذا دفعه .

(١) يشر بذلك إلى قوله تعالى عن النبى ﷺ : ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغى له إن هو إلا ذكرٌ وقرآنٌ مبينٌ * لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ﴾ [يس : ٦٩-٧٠] .

قال سعد بن أبى وقاص : يـا رسـول اللـه ، أعطيـت عيينـة بـن حصـن والأقرع بن حابس مائة مائة وتركت جعيل بن سراقة الضمـرى ! فقـال رسـول الله ﷺ : أما والذى نفسى بيده ، لجعيل بن سراقة خير من طلاع الأرض كلهـا مثل عيينة والأقرع ، ولكنـى تالفتهمـا ليسلما ، ووكلـت جعيـل بـن سـراقة إلـى إسلامه .

وجلس رسول الله ﷺ يومئذ وفي ثوب بلال فضة يقبضهـا للنـاس علـى ما أراه الله ، فأتـاه ذو الخويصـرة التميمـى فقـال : اعدل يـا سول اللـه ! فقـال رسول الله ﷺ : ويلك ! فمن يعدل إذا لم أعدل ؟ قال عمـر : يـا رسـول اللـه ، ائذن لى أن أضرب عنقه ! قال : دعه ، إن له أصحابـاً ! يحقـر أحدكـم صلاتـه مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، يقرأون لا يجاوز تراقيهـم ، يمرقـون مـن الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ينظر [الرامى] فى قذذه فلا يرى شيئاً ، ثـم ينظر فى نصله فلا يرى شيئاً ، ثم ينظر فى رصافه فلا يـرى شـيئاً ، قـد سـبق الفرث والدم ، يخرجون على فرقة من المسلمين ، رأيتهم إن فيهم رجلاً أسود ، إحدى يديه [مثل ثدى] المـرأة وكبضعـة تـدردر[١] . فكـان أبـو سـعيد يقـول : أشهد لسمعت علياً يحدث هذا الحديث[٢] .

قال عبدالله بن مسعود : سمعت رجلاً من المنافقين يومئذ ورسـول اللـه ﷺ يعطى تلك العطايا ، وهو يقول : إنها العطايا ما يراد بها وجه الله ! قلت :

---

(١) تـدردر : أى ترجـرج ، تجـئ وتذهـب ، والأصـل تتـدردر ، فحذفـت إحـدى التـاين تخفيفـاً (النهاية) ٢/٢٠ .

(٢) (فتح البارى) : ٦/٧٦٦ ، كتاب المناقب ، باب (٢٥) علامات النبوة فـى الإسـلام حديـث رقـم (٣٦١٠) ، وتمامة : قال أبو سعيد : فأشهد أن سمعت هذا الحديث مـن رسـول اللـه ﷺ ، وأشـهد إن على بن أبى طالب قاتلهم وأنا معه ، فأمر بذلك الرجل فـالتمس فـأتى بـه ، حتـى نظـرت إليـه على نعت النبى ﷺ الذى نعته . وأخرجه فى الأدب باب (٩٥) ، وفى استتابة المتردين باب (٧)، (مسلم) فى الزكـاة ، (١٤٨) ـ (١٥٦) ـ (١٥٧) ، و(أبـو داود) : فـى السـنة ، بـاب (٣٨) ، والإمام أحمد فى (المسند) : ٣/٤٥٩ حديث رقم (١١١٤٣) ، ٣/٤٧٣ ، حديـث رقـم (١١٢٢٧) ، كلاهما من مسند أبى سعيد الخدرى .

أما والله لأبلغن رسول الله ﷺ ما قلت . فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته ، فتغير لونه حتى ندمت على ما صنعته ، فوددت أنى لم أخبره ، ثم قال : يرحم الله أخي موسى ! قد أوذى بأكثر من هذا فصبر ! وكان المتكلم بهذا معتب بن قشير العمرى . ثم أمر رسول الله ﷺ زيد بن ثابت بإحصاء الناس والغنائم ، ثم فضها على الناس ، فكانت سهامهم ، لكل رجل أربع من الإبل أو أربعون شاة ، فإن كان فارساً أخذ اثنتى عشرة من الإبل ، أو عشرين ومائة شاة ، وإن كان معه أكثر من فرس واحد لم يسهم له[١] .

فصل في ذكر من كان على ثُقْل رسول الله ﷺ

خرَّج البخاري[٢] من حديث ابن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : كان على ثقل رسول الله ﷺ رجل يقال له كركرة [فمات ، فقال رسول الله ﷺ : هو فى النار ، فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عباءة قد غلها][٣] [يعني يوم خيبر][٤] .

وخرج مسلم[٥] من حديث سفيان بن عيينة ، عن صالح بن كيسان ، عن سليمان بن يسار ، قال : قال أبو رافع : لم يأمرنى رسول الله ﷺ أن أنزل

---

(١) (مغازى الواقدى) : ٣/٩٤٤ ، وما بعدها ، مختصراً .

(٢) (فتح البارى) : ٦/٢٣٠ ، كتاب الجهاد والسير ، باب (١٩٠) ، القليل من الغلول ، حديث رقم (٣٠٧٤) ، وفى الحديث تحريم قليل الغلول وكثيرة ، وقوله : " هو فى النار " أى يعذب على معصية ، أو المراد هو فى النار إن لم يعف الله عنه ، وأخرجه ابن ماجة فى (السنن) : ٢/٩٥٠ ، كتاب الجهاد ، باب (٣٤) الغلول ، حديث رقم (٢٨٤٩) .

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (المرجع السابق) .

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (الأصل) .

(٥) (مسلم بشرح النووى) ٩/٦٧ ، كتاب الحج باب (٥٩) استحباب النزول بالمحصب يوم النفر ، والصلاة به ، حديث رقم (١٣١٣) ، قال الكتانى : ترجمة فى (الإصابة) لعبد الله بن زيد بن عمرو بن مازن الأنصارىّ ، فقال : ذكره ابن مندى وأخرجه من طريق يونس بن بكير ، عن=

بالأبطح حين خرج من منى ، ولكني جئت فضربت فيه قبته ، فجاء فنزل . قال أبو بكر في رواية صالح : قال : سمعت سليمان بن يسار . وفي رواية قتيبة قال : عن أبي رافع رضي الله تبارك وتعالى عنه ، وكان على ثقل النبي ﷺ [في حجة الوداع والله أعلم] .

فصل في ذكر من حدا[1] برسول الله ﷺ في أسفاره

اعلم أنه حدا برسول الله ﷺ في مسيره إلى خيبر : عامر بن الأكوع وهو عامر بن سنان بن عبدالله بن قشير الأسلمي ، المعروف بابن الأكوع ، عم سلمة بن عمرو بن الأكوع ، واسم الأكوع سنان ، ويقال أخوه . أحد من بايع تحت الشجرة[2] .

= ابن إسحاق ، أنه كان على ثقل رسول الله ﷺ ، وتعقبه أبو الفتح بأن الذى كان على الثقل عبد بن كعب بن عمرو بن عوف . وترجم لعبد الله بن كعب الأنصاريّ فذكر أنه كان على ثقل رسول الله ﷺ . (التراتيب الإدارية) ١/٣٥١ - ٣٥٢ ، باب فى ذكر صاحب الثقل متاع المسافر وحشمه .

(١) حدا الإبل ، وحدا بها ، يحدو حدواً وحداءً ، ممدود : زجرها خلفها وساقها . قال الجوهرى : الحدو سوق الإبل والغناء لها . (لسان العرب) : ١٤/١٦٨ .

(٢) ثبت ذكره فى الصحيح من حديث سلمة فى قصة خيبر ، قال : فقاتل أخى عامر قتالاً شديداً فارتد عليه سيفه فقتله ، فقالوا : حبط عمله ؛ فقال النبى ﷺ : كذب من قال ؛ إنه لجاهد ومجاهد قلّ عربىّ نشأ بها مثله .

قال ابن عبدالبر : قرأت على سعيد بن نصر أن قاسم بن أصبغ حدثهم ، حدثنا محمد بن وضاح ، حدثنا أبوبكر بن أبى شيبة . حدثنا هاشم بن القاسم . حدثنا عكرمة بن عمار ، حدثنا إياس بن سلمة بن الأكوع ، قال أخبرنى أبى قال : لما خرج عمى عامر بن سنان إلى خيبر مع رسول الله ﷺ جعل يرتجز بأصحاب رسول الله ﷺ . وفيهم النبى ﷺ ، فجعل يسوق الركاب ، وهو يقول :

بالله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدّقنا ولا صلّينا =

خرج البخاري[1] ومسلم[2] من حديث حاتم بن إسماعيل ، عن يزيد بن أبي عبيد مولى سلمة بن الأكوع ، عن سلمة بن الأكوع رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر فسرنا ليلاً ، وقال البخاري : فسرنا ليلاً . فقال رجل من القوم لعامر : يا ابن الأكوع ، يا عامر ألا تسمعنا من هنيهاتك وكان عامر رجلاً شاعراً فنزل يحدو بالقوم يقول :

اللهم لو٘لا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداء لك ما اقتفينا وثبت الأقدام ان لاقينا
وألقين سكينة علينا إنا إذا صيح بنا أتينا
وبالصياح عولوا علينا

فقال رسول الله ﷺ من هذا السائق ؟ قالوا : عامر بن الأكوع قال يرحمة الله ، قال رجل من القوم : وجببت يا نبى الله ، لولا أمتعتنا به ، قال : فأتينا خيبر فحاصرناهم ، حتى أصابتنا مخمصة شديدة . ثم قال : إن الله عز وجل فتحها عليكم ، قال : فلما أمسى الناس مساء اليوم الذي فتحت عليهم

= إن الذين قد بَغَوْا علينا إذا أرادوا فِتنةً أَبَيْنا
ونحن عن فضلك ما استغنينا فَثَبِّت الأقدامَ إن لاقينا
وأنزلن سكينَةً علينا

فقال رسول الله ﷺ : من هذا ؟ قالوا : عامر يا رسول الله . قال : غفرلك ربك . وقال : وما استغفر لإنسان قط يخصه بالاستغفار إلا استشهد . قال : فلما سمع ذلك عمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه ، قال : يا رسول الله ، لو متعتنا بعامر، فاستشهد يوم خيبر.

(الإصابة) : ٣/٥٨٢ ـ ٥٨٣ ، ترجمة رقم (٤٣٩٦) ، (الاستيعاب) : ٢/٧٨٥ ـ ٧٨٧ ، ترجمة رقم (١٣١٧) .

(١) (فتح البارى) ٧ / ٥٨٩ ، كتاب (المغازى) ، باب (٣٩) غزوة خيبر ، حديث رقم (٤١٩٦) .

(٢) (مسلم بشرح النووى) : ١٢/٤٠٨ – ٤١٢، كتاب الجهاد والسير ، باب ٤٣ غزوة خيبر ، من طرق وبسياقت مختلفة ، بنحو حديث البخارى ، حديث رقم (١٢٣) . =

أوقدوا نيراناً كثيرةً ، فقال رسول الله ﷺ ما هذه النيران ؟ على أي شئ يوقدون ؟ فقالوا : على لحم ، قال : أي لحم ؟ وقال البخاري : على أي لحم قالوا : لحم حمر الإنسية ، فقال رسول الله ﷺ : أهريقوها ، واكسروها ، فقال رجل من القوم أو يهريقوها ويغسلوها ؟ وقال البخاري : فقال رجل يا رسول الله أونهريقها ونغسلها ؟ قال : أو ذاك ، فلما تصاف القوم كان سيف عامر فيه قصر ، فتناول به ساق يهودي ليضربه ، ويرجع ذباب سيفه ، فأصاب عين ركبة عامر فمات منه .

قال : فلما قفلوا ، قال سلمة وهو آخذ بيدي : قال فلما رآني رسول الله ﷺ ساكتاً قال : مالك ؟ قلت له : فداك أبى وأمه ، زعموا أن عامراً حبط عمله ، قال : من قاله ؟ قلت : فلان وفلان ، وأسيد بن حضير الأنصاريّ ، فقال : كذب من قاله . إن له لأجرين ، وجمع بين إصبعيه ، إنه لجاهد مجاهد ، قل عربى مشى بها مثله . وخالف قتيبة محمداً فى الحديث فى حرفين . وفى رواية ابن عباد : وألْق سكينة علينا .

حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا حاتم بن إسماعيل ، عن يزيد بن أبى عبيد ، عن سلمة بن الأكوع ، قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ فسرنا ليلاً ، فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع : ألا تسمعنا من هنيهاتك ؟ وذكر الحديث . ذكره فى الأدب ، في باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه ، وفيه : فلما قفلوا قال سلمة : رآنى رسول الله ﷺ شاحباً ، فقال لي : ما لك ؟ فقلت : فدى لك أبي وأمي ... الحديث[1] .

---

(١) (فتح البارى) : ١٠/٦٥٨-٦٥٩ ، كتاب الأدب باب (٩٠) ما يجوز من الشعر ، والرجز ، والحداء ، وما يكره منه ، وقوله تعالى : ﴿ **والشعراء يتبعهم الغاوون * ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون * وأنهم يقولون ما لا يفعلون * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ماظُلموا وسيعلم الذين ظَلموا أى منقلب ينقلبون** ﴾ [الشعراء : ٢٢٤-٢٢٧] ، قال ابن عباس : فى كل لغو يخوضون ، حديث رقم (٦١٤٨) . قال الحافظ : وأما الرجز فهو بفتح الراء والجيم بعدها زاي ، وهو نوع من الشعر عند الأكثر ، وقيل : ليس بشعر لأنه يقال راجز ، لا شاعر وسمى رجزاً لتقارب أجزائه واضطراب اللسان به ، ويقال : رجز =

وذكره فى غزوة خيبر بهذا الإسناد إلى آخره ، وقال فيه : فسرنا ليلاً ، وفيه : قال : علي أي لحم ؟ وقال : فاغفر ، فداءً لك ما اتقينا[1] .

= البعير إذا تقارب خطوه واضطرب لضعف فيه ، وأما الحداء فهو بضم الحاء وتخفيف الدال المهلمتين يمد ويقصر : سوق الإبل بضرب مخصوص من الغناء ، والحداء فى الغالب إنما يكون بالرجز وقد يكون بغيره من الشعر وبذلك عطفه على الشعر والرجز ، وقد جرت عادة الإبل أنها تسرع السير إذا حُدى بها .

وأخرج ابن سعد بسند صحيح عن طاوس مرسلاً ، وأورده موصولاً عن ابن عباس دخل حديث بعضهم فى بعض : إن أول من حدا الإبل عبد لمضر بن نزار بن معد بن عدنان كان فى إبل لمضر فقصر ، فضربه على يده فأوجعه فقال : يا يداه يا يداه ، وكان حسن الصوت فأسرعت الإبل لما سمعته فى السير ، فكان ذلك مبدأ الحداء .

ونقل ابن عبد البر الاتفاق على إباحة الحداء ، وفى كلام بعض الحنابلة إشعار بنقل خلاف فيه ، ومانعه محجوج بالأحاديث الصحيحة ، ويلتحق بالحداء هنا الحجيج المشتمل على التشوق إلى الحج بذكر الكعبة وغيرها من المشاهد ، ونظيره ما يحرض أهل الجهاد على القتال ، ومنه غناء المرأة لتسكين الولد فى المهد .

وأخرجه البخارى (الأدب المفرد) ايضاً من حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً بلفظ : الشعر بمنزلة الكلام ، فحسنه كسحن الكلام ، وقبيحه كقبيح الكلام . وسنده ضعيف . وأخرجه الطبرانى فى (الأوسط) ، وقال : لايروى عن النبى ﷺ إلا بهذا الإسناد . وقد اشتهر هذا الكلام عن الشافعى . واقتصر ابن بطال على نسبته إليه فقصر .

وعاب القرطبى المفسر على جماعة من الشافعية والاقتصار على نسبة ذلك للشافعى ، وقد شاركهم فى ذلك ابن بطال وهو مالكى ، وأخرج الطبرى من طريق ابن جريج قال : سألت عطاء عن الحداء والشعر والغناء فقال : لا بأس به ما لم يكن فحشاً . (فتح البارى) مختصراً .

(١) (فتح البارى) : ٧/٥٨٨ - ٥٨٩ ، كتاب المغازى ، باب (٣٩) غزوة خيبر ، حديث رقم (٤١٩٥) ، قوله : " إنه لجاهد مجاهد " كذا للأكثر باسم الفاعل فيهما وكسر الهاء والتنوين ، والأول مرفوع على الخبر . والثانى إتباع للتأكيد ، كما قالوا : جاد مجد . وقال ابن التين : الجاهد من يرتكب المشقة ، ومجاهد أى لأعداء الله تعالى . =

وذكره في كتاب الدعاء من حديث مسدد ، حدثنا يحيى عن يزيد بن أبي عبيد مولى سلمة ، حدثنا سلمة بن الأكوع قال : خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر ، قال رجل من القوم : أيا عامر لو أسمعتنا من هنيهاتك ، فنزل يحدو بهم يذكر " تالله لولا الله ما اهتدينا " وذكر شعراً غير هذا ، ولكنى لم أحفظه . قال رسول الله ﷺ : من هذا السائق ؟ قالوا : عامر بن الأكوع . قال : يرحمه الله . فقال رجل من القوم : يا رسول الله ، لولا متعتنا به . فلما صافَّ القوم قاتلوهم ، فأصيب عامر بقائمة سيف نفسه ، فمات . فلما أمسوا أوقدوا ناراً كثيرة . فقال رسول الله ﷺ : ما هذه النار ، على أي شئ توقدون ؟ قالوا : على حمر إنسية . فقال : أهريقوا ما فيها وكسروها . قال رجل : يا رسول الله ، ألا نهريق ما فيها ونغسلها ؟ قال : أو ذاك[1] .

وخرَّج مسلم[2] بعد حديث حاتم بن إسماعيل[3] من حديث ابن وهب قال أخبرني يونس بن شهاب قال : أخبرني عبد الرحمن ونسبه غير ابن وهب ، فقال : ابن عبد الله بن كعب بن مالك أن سلمة بن الأكوع قال : لما كان يوم خيبر قاتل أخي قتالاً شديداً مع رسول الله ﷺ ، فارتد عليه سيفه فقتله ، فقال أصحاب رسول الله ﷺ في ذلك وشكّوا فيه : رجل مات في سلاحه ، وشكوا في بعض أمره ، قال سلمة : فقفل رسول الله ﷺ من خيبر ، فقلت : يا رسول الله ائذن أن أرجز لك ، فأذن له رسول الله ﷺ ، فقال عمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه : أعلم ما تقول ، قال : فقلت :

- قوله : " قلَّ عربى مشى بها مثله " كذا فى هذه الروايه بالميم ، والقصر من المشى ، والضمير للأرض ، أو المدينة ، أو للحرب ، أو للخصلة . (فتح البارى) مختصراً.

(١) (فتح البارى) : ١١/١٦٣ ، كتاب الدعوات باب (١٩) قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وصل عليهم ﴾ ، ومن خص أخاه بدعاء دون نفسه ، وقال أبو موسى : قال النبى ﷺ : اللهم اغفر لعبيد أبى عامر ، اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه ، حديث رقم (٦٣٣١) .

(٢) (مسلم بشرح النووى) : ١٢/٤١١ - ٤١٢ ، كتاب الجهاد والسير ، باب (٤٣) غزوة خيبر ، حديث رقم (١٢٤) .

(٣) حديث حاتم بن إسماعيل هو الحديث رقم (١٢٣) .

والله لولا الله ما اهتدينا　　　ولا تصدقنا ولا صلينا

فقال رسول الله ﷺ صدقت :

وأنزلن سكينة علينـــا　　　وثبت الأقدام إن لاقينا

والمشركون قد بغوا علينا

قال فلما قضيت وجزى قال رسول الله ﷺ : من قال هذا ؟ قلت له : أخي ، فقال رسول الله ﷺ : يرحمه الله ، قال : فقلت : يا رسول الله إن ناساً ليهابون الصلاة عليه ، يقولون : رجل مات بسلاحه ، فقال رسول الله ﷺ : مات جاهداً مجاهداً ، قال ابن شهاب : ثم سألت ابناً لسلمة بن الأكوع فحدثني عن أبيه مثل ذلك ، غير أنه قال حين قلت : إن ناساً يهابون الصلاة عليه ، فقال رسول الله ﷺ : كذبوا ، مات جاهداً مجاهداً ، فله أجره مرتين ، وأشار بأصبعيه .

قال الواقدي[1] : فلما كان رسول الله ﷺ في مسيره إلى خيبر ، قال لعامر ابن سنان انزل يا ابن الأكوع فخذ لنا من هناتك ، فاقتحم عامر عن راحلته ثم ارتجز برسول الله وهو يقول :

واللهم لولا أنت ما اهتدينا　　　ولاتصدقنا ولا صلينا

فألقين سكينة علينا　　　وثبت الأقدام إن لاقينا

إنا إذا صيح بنا أتينا　　　وبالصياح عولوا علينا

قال رسول الله ﷺ : يرحمك الله ، فقال عمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه : وجبت والله يا رسول الله فقال رجل من القوم لولا متعتنا به يا رسول الله ! فاستشهد عامر يوم خيبر .

وخرج النسائي[2] من حديث يونس عن ابن شهاب قال : أخبرني عبدالرحمن وعبدالله ابنا كعب بن مالك ، أن سلمة بن الأكوع قال : لما كان

---

(١) (مغازى الواقدى) : ٦٣٨/٢ - ٦٣٩ .

(٢) (سنن النسائى) ٣٣٨/٦ - ٣٣٩ ، كتاب الجهاد ، باب (٢٩) من قاتل فى سبيل الله فارتد عليه سيفه فقتله .

يوم خيبر قاتل أخي قتال شديداً مع رسول الله ﷺ ، فارتد عليه سيفه فقتله ، فقال أصحاب رسول الله ﷺ وشكوا فيه : رجل مات بسلاحه ، قال سلمة : فقفل رسول الله ﷺ من خيبر ، فقلت : يا رسول الله أتأذن لي أن أرتجز بك ؟ فأذن له رسول الله ﷺ ، فقال عمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه أعلم ما تقول قلت :

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فقال رسول الله ﷺ : صدقت

فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا والمشركون قد بغوا علينا

فلما قضيت رجزي قال رسول الله ﷺ : من قال هذا ؟ قلت : أخي ، قال رسول الله ﷺ : يرحمه الله ، فقلت : يا رسول الله ، والله إن ناساً لا ليهابون الصلاة عليه ، يقولون : رجل مات بسلاحه ، فقال رسول الله ﷺ مات جاهداً مجاهداً . قال ابن شهاب . ثم سألت ابناً لسلمة بن الأكوع فحدثني عن أبيه مثل ذلك ، غير أنه قال حين قلت : إن ناساً ليهابون الصلاة عليه ، فقال رسول الله ﷺ : كذبوا مات جاهداً مجاهداً ، فله أجره مرتين وأشار بأصبعيه .

وذكر الواقدي[1] في مسير رسول الله ﷺ إلى خيبر: أنه قال لعبد الله بن رواحة : ألا تحرك بنا الركب ، فنزل عبد الله عن راحلته فقال :

والله لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
والمشركون قد بغوا علينا

فقال رسول الله ﷺ : اللهم ارحمه ، فقال عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه : وجبت يا رسول الله ، قال الواقدي : قتل يوم مؤته شهيداً .

وخرَّج الترمذي[2] والنسائي[3] من حديث عبد الرزاق قال : أنبأنا جعفر ابن سليمان ، حدثنا ثابت ، عن أنس رضى الله تبارك وتعالى عنه ، أن النبي

---

(١) (مغازى الواقدى) : ٢/٦٣٩ .

ﷺ دخل مكة في عمرة القضاء وعبد الله بن رواحة بين يديه يمشى وهو يقول: -

خلوا بنى الكفار عن سبيله   اليوم نضربكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله   ويذهل الخليل عن خليله

فقال له عمر : يا ابن رواحة بين يدى رسول الله ﷺ وفى حرم الله تقول الشعر ؟ فقال له النبى ﷺ : خل عنه يا عمر ، فلهى أسرع فيهم من نضح النبل . قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه .

وقد روى عبدالرزاق هذا الحديث أيضاً عن معمر عن الزهرى عن أنس نحو هذا ، وروى في غير هذا الحديث أن النبي ﷺ دخل مكة في عمرة القضاء وكعب بن مالك بين يديه ، وهذا أصح عند بعض أهل الحديث لأن عبد الله بن رواحة قتل يوم مؤتة ، وإنما كانت عمرة القضاء بعد ذلك .

قلت : من قال : أن عمرة القضاء كانت بعد مؤته ، لأنه لم يكن بعد مؤته الأصح مكة وكانت عمرة الحديبية وهي التي صدّ المشركون فيها رسول الله ﷺ عن البيت في ذي القعدة سنة ست وفيها صالح المشركين على أن يرجع إلى المدينة ثم يعتمر من قابل ، وكان فتح مكة في رمضان في عمرة القضاء .

= (٢) (سنن الترمذى) : ١٢٧/٥ - ١٢٨ ، كتاب الأدب ، باب (٧٠) ، ما جاء فى إنشاد الشعر ، حديث رقم (٢٨٤٧) .

(٣) (سنن النسائى) : ٢٢٢/٥ ، كتاب المناسك ، باب (١٠٩) إنشاد الشعر فى الحرم والمشى بين يدى الإمام ، حديث رقم (٢٨٧٣) ، وأخرجه النسائى أيضاً فى باب (١٢١) استقبال الحج ، حديث رقم (٢٨٩٣)، وقوله : " فقال له عمر إلخ " كأنه رأى أن الشعر مكروه فلا ينبغى أن يكون بين يديه ﷺ وفى حرمه تعالى ولم يلتفت إلى تقرير النبى ﷺ لاحتمال أن يكون قلبه مشتغلاً بما منعه عن الالتفات إلى الشعر .

قوله : " أسرع فيهم " أى فى التأثير فى قلوبهم من نضح النبل ، بنون وضاد معجمة ، وحاء مهملة ، من الرمى بالسهم ، أى فيجوز للمصلحة والله تعالى أعلم . (حاشية السندى على سنن النسائى) .

وقال موسى بن عقبة في عمرة القضاء : أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يكشفوا عن المناكب وأن يسعوا في الطواف ليرى المشركون جلدكم وقوتكم فكان رسول الله ﷺ [يطوف بالبيت بين أصحابه] أهل مكة والرجال والنساء ينظرون إلى رسول الله ﷺ وأصحابه وهم يطوفون .

وكان يحدو بالإبل غلام حسن الحداء يقال له أنجشة ، فكانت الإبل تزيد في الحركة لحدائه ، فقال رسول الله ﷺ : رويدك يا أنجشة رفقًا بالقوارير ، يعني النساء[١] .

وإن رسول الله ﷺ ظلله فى الحر أبو بكر وأسامة ظلله من الحر أبو بكر الصديق وأسامة بن زيد وبلال المؤذن[٢] .

فخرج البخارى[٣] من حديث ابن شهاب قال : فأخبرني عروة بن الزبير ، فذكر حديث الهجرة وقدوم النبي ﷺ إلى أن قال : فثار المسلمون إلى السلاح ، فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة ، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم فى بنى عمرو بن عوف ، وذلك في يوم الاثنين من شهر ربيع الأول ، فقام أبو بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه للناس وجلس رسول الله ﷺ صامتاً ، فطفق من جاء من الأنصار - ممن لم ير رسول الله ﷺ - يحيى أبا بكر ، حتى

---

(١) كان أنجشة يحدو بالنساء ، وكان البراء بن مالك يحدو بالرجال ، وكان أنجشة حسن الصوت ، وكان إذا حدا أسرعت الإبل ، فقال النبى ﷺ : يا أنجشة رويدك [أى على مهل] بالقوارير [أوانى الزجاج] الواحدة قارورة شبه النساء لضعف قلوبهن بقوارير الزجاج .(التراتيب الإدارية): ١/٣٤٢ - ٣٤٣ ، باب فى الحادى .

(٢) ذكر ابن إسحاق فى خبر هجرة رسول الله ﷺ ووصوله إلى المدينة وخروج الناس إليه سرعاناً: فلما زال الظل عن رسول الله ﷺ قام إليه أبوبكر فأظله بردائه ، وفى صحيح مسلم عن أم الحصين بنت إسحاق الأخمصية أو الأخمسية قالت : حججت مع رسول الله ﷺ حجة الوداع فرأيت أسامة بن زيد وبلالا وأحدهما آخذ بخطام ناقة رسول الله ﷺ والآخر رافع ثوبه يستره من الحر حتى رمى جمرة العقبة .

(٣) (فتح البارى) : ٧ / ٣٠٣ - ٣٠٤ ، كتاب مناقب الأنصار، باب (٤٥) ، هجرة النبى ﷺ وأصحابه إلى المدينة ، حديث رقم (٣٩٠٦) .

أصابت الشمس رسول الله ﷺ ، فأقبل أبو بكر رضي الله تبارك وتعالى عنه حتى ظلل عليه بردائه ، فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك ؛ فلبث رسول الله ﷺ فى بنى عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة ، وأسس المسجد الذى أسس على التقوى ، وصلى فيه رسول الله ﷺ . ثم ركب راحلته ، فسار يمشى معه الناس ، حتى بركت عند مسجد الرسول ﷺ بالمدينة ، وهو يصلى فيه يومئذ رجال من المسلمين ، وكان مريداً للتمر لسهيل وسهل غلامين يتيمين فى حجر سعد بن زرارة ، فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته : هذا إن شاء الله المنزل . ثم عاد رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً ، فقالا : لا ، بل نهبه لك يا رسول الله ، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما ، ثم بناه مسجداً ، وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن فى بنيانه ويقول ـ وهو ينقل اللبن :ـ

هذا الحمال لا حمال خيبر   هذا أبر ربنا وأطهر

ويقول :

اللهم إن الأجر أجر الآخره   فارحم الأنصار والمهاجره

فتمثل بعشر رجل من المسلمين لم يسم لى .

قال ابن شهاب : ولم يبلغنا ـ فى الأحاديث ـ أن رسول الله ﷺ تمثل ببيت شعر تام غير هذه الأبيات .

ذكره في آخر كتاب الكفالة ، في باب جوار أبي بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه فى عهد النبي ﷺ وعقده[1] .

وخرج مسلم[2] من حديث معقل عن زيد بن أبي أنيسه عن يحيى بن حصين عن جدته أم الحصين قال : سمعتها تقول : حججت مع الرسول ﷺ

---

(١) (فتح البارى) : ٥٩٩/٤ ـ ٦٠٠ ، كتاب الكفالة ، باب (٤) جوار أبى بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه فى عهد النبى ﷺ وعقده ، حديث رقم (٢٢٩٧) .

(٢) (صحيح مسلم) : ٥١/٩ – كتاب الحج باب (٥١) استحباب رمى جمرة العقبة يوم النحر راكباً ، وبيان قوله ﷺ : لتأخذوا منا مناسككم ، حديث رقم (٣١١) ، وفيه جواز تسميتها حجة الوداع ، وفيه الرمى راكباً كم سبق وفيه جواز تظليل المحرم على رأسه بثوب وغيره . =

حجة الوداع فرأيته حين رمى جمرة العقبة وانصرف وهو على راحلته ومعه بلال وأسامة أحدهما يقود به راحلته والآخر رافعٍ ثوبه على رأس رسول الله ﷺ من الشمس ، قالت : فقال رسول الله ﷺ قولاً كثيراً ، ثم سمعته يقول : إن أمّر عليكم عبدٌ مجدعٌ ، حسبتها قالت : أسود يقودكم بكتاب الله ، فاسمعوا له وأطيعوا .

وفي لفظ[1] : حججت مع رسول الله ﷺ حجة الوداع ، فرأيت أسامة وبلالاً ، وأحدهما آخذٌ بخطام ناقة النبي ﷺ ، والآخر رافع ثوبه يستره من الحر ، حتى رمى جمرة العقبة .

خرج عمر بن شبة من حديث يزيد بن عبدربه ، حدثنا الوليد أبو مسلم عن عثمان بن أبي العاتكة بنحو حديث علي بن زيد ، عن القاسم بن أبي أمامة عمن رأى النبي ﷺ سائراً إلى منى يوم الترويه وإلى جانبه بلال في يده عود عليه ثوب يظل به رسول الله ﷺ من الشمس .

وخرجه الإمام أحمد[2] من حديث الوليد بن مسلم عن عثمان بن أبى العاتكة ، عن على بن زيد عن القاسم ، عن أبى أمامة عمن رأى النبى ﷺ وإلى جانبه بلال فذكره .

= وقال مالك وأحمد لا يجوز وإن فعل لزمته الفدية وعن أحمد رواية أنه لا فدية وأجمعوا على أنه لو قعد تحت خيمة أو سقف جاز ووافقونا على أنه إذا كان الزمان يسيراً فى المحمل لا فدية وكذا لو استظل بيده .

وعن ابن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه أنه أبصر رجلا على بعيره وهو محرم قد استظل بينه وبين الشمس فقال : اضح لمن أحرمت له .

ورواه البيهقى بإسناد صحيح ، وعن جابر عن النبى ﷺ قال : ما من محرم يضحى للشمس حتى تغرب إلا غربت بذنوبه حتى يعود كما ولدته أمه . رواه البيهقى وضعفه واحتج الجمهور بحديث أم الحصين ، وهذا المذكور فى مسلم ولأنه لا يسمى لبساً وأما حديث جابر فضعيف كما ذكرنا مع أنه ليس فيه نهى وكذا فعل عمر وقول ابن عمر ليس فيه نهى ولو كان فحديث أم الحصين مقدم عليه . والله تبارك وتعالى أعلم .

(١) (المرجع السابق) : حديث رقم (٣١٢) . =

قال الواقدي : وقدّم رسول الله ﷺ زيد بن حارثه ، وعبد الله بن رواحة رضـــي الله تبارك وتعالى عنهما من الأُثيل ، فجاءوا يوم الأحد شد الضحـى ، وفارق عبد الله بن زيد بـالعقيق منصرفـة مـن غزوة بـدر ، فجعـل عبـد اللـه ينادي على راحلته : يا معشر الأنصار ، أبشروا بسلامة رسول الله ﷺ ، وقتْل المشركين وأسْرهم ! قُتل ابنا ربيعة ، وابنا الحجاج ، وأبو جهل ، وقتـل زمعـة ابن الأسود ، وأمية بن خلـف ، وأسـر سـهيل بـن عمـر ذو الأنيـاب فـى أسـرى كثيرة ، ونزل أيات في ذلك ، قال عاصم بن عدي : فقمت إليه فنحوتـه فقلـت : أحقٌ ما تقول يا ابن رواحة ؟ قال : إي واللـه ، وغـداً يقدم رسـول اللـه ﷺ إنٍ شاء الله ومعه الأسرى مقرنين ، ثم اتبع دور الأنصار بالعاليـة ، فبشـرهم داراً داراً ، والصبيان يشتدون معه ويقولون : قتل أبوجهل الفاسق ! حتى انتهوا إلـى بنى أميةَ بن زيـد[1] [وعبـد اللـه بـن رواحـة يرجـز بيـن يـدي رسـول اللـه ﷺ متوشحاً السيف وهو يقول :][2]

[خلوا بني الكفار عـن سبيله	أنـى شـهدت أنـه رسـوله
حقـا وكـل الخـير فـى سـبيله	نحـنٍ قتلنـاكم علـى تأويلـه
كمـا ضربنـاكم علـى تنزيلـه	ضرباً يزيل الهام عن مقيله[2]]

ويذهل الخليل عن خليله

ولأبي داود الطيالسي من حديث حماد بن سلمة عن ثـابت ، عـن أنـس رضي الله رضى الله تبارك وتعـالى عنـه قـال : كـان أنجشـة يحـدو بالنسـاء ،

= (٢) (مسند أحمد) : ٣٥٩/٦ ، حديث رقم (٢١٨٠٢) ، من حديث أبى أمامة الباهلى .

(١) (مغازى الواقدى) ١١٤/١ ، من أحداث غزوة بدر الكبرى .

(٢) ما بين الحاصرتين مكانه فى المغازى ٧٣٦/٢ ، من أحداث غزوة القضية ، وعلـى ذلـك التلفيق واضح فى سياق هذه الفقرة .

وكان البراء بن مالك يحدو بالرجال ، وكان أنجشة حسن الصوت ، وكان إذا حدا أعنقت الإبل[1] ، فقال النبي ﷺ : يا أنجشة رويدك سوقك بالقوارير .

وخرجه البخاري[2] من حديث حماد بن سلمة ، عن ثابت البناني ، عن أنس بن مالك ، وأيوب عن قلابه ، عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ

---

(١) العنق ، من السير : المنبسط ، والعنيق ، كذلك وسير عق وعنيق : معروف ، وقد اعنقت الدابة ، فهى معنق ، ومعناق وعنيق .

وفى حديث معاذ وأبى موسى : أنهما كانا مع النبى ﷺ ، فى سفر ومعه أصحابه فأناخوا ليلة وتوسد كل رجل منهم بذراع راحلته ، قالا : فانتبهنا ولم نر رسول الله ﷺ ، عند راحلته فاتبعناه ؛ فأخبرنا ، عليه السلام ، أنه خُير بين أن يدخل نصف أمته الجنة وبين الشفاعة ، وأنه اختار الشفاعة ، فانطلقنا معانيق إلى الناس نبشرهم ؛ قال شمر : قوله معانيق أى مسرعين ؛ يقال : أعنقت إليه أعنق إعناقاً .

وفى حديث أصحاب الغار : فانفرجت الصخرة فانطلقوا معانقين أى مسرعين ، من عانق مثل أعنق إذا سارع وأسرع ، ويروى : فانطلقوا معانيق ؛ ورجل معنق وقوم معنقون ومعانيق ؛ قال : والعنق ضرب من سير الدابة والإبل ، وهو سير منبسط . مختصراً من (لسان العرب) : ١٠/٢٧٣ ـ ٢٧٤ .

(٢) (فتح البارى) : ١٠/٦٧٥ ، كتاب الأدب ، باب (٩٥) ما جاء فى قول الرجل " ويلك " حديث رقم (٦١٦١) ، وأخرجه والحديثين بعده في كتاب الأدب باب (٩٠) ، ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه حديث رقم (٦١٤٩) ، وقال فى آخره : قال أبو قلابة : فتكلم النبى ﷺ بكلمات لو تكلم بها بعضكم لعبتموها عليه ، وأخرجه فى باب (١١١) ، من دعا صاحبه فنقص من اسمه حرفاً ، حديث رقم (٦٢٠) ، وفيه : فقال النبى ﷺ : " يا أنجش " ، وفى باب (١١٦) ، المعاريض مندوحة عن الكذب ، وقال إسحاق : سمعت أنس : مات ابن لأبى طلحة ، فقال : كيف الغلام ؟ قالت أم سليم : هدأت نفسه ، وأرجو أن يكون قد استراح . وظن أنها صادقة ، حديث رقم (٦٢٠٩) ، وفيه : " أرفق يا أنجشة ـ ويحك ـ بالقوارير " ، وحديث رقم (٦٢١٠) ، وفيه : " قال أبو قلابة : القوارير يعنى النساء " ، وحديث رقم (٦٢١١) ، وفيه : " قال قتادة : يعنى ضعفة النساء " .

= وأخرجه مسلم فى كتاب الفضائل ، بـاب (١٨) ، رحمـة النبى ﷺ للنسـاء ، وأمر السـواق مطاياهن بالرفق بهن ، حديث رقم (٧٠) ، وفيه : " يا أنجشة رويدك سوقاً بالقوارير " وحديث رقم (٧١) ، وفيه : " ويحك يا أنجشة رويداً سوقك بالقوارير " وحديث رقم (٧٢) ، وفيـه : " أى أنجشة رويداً سوقك بالقوارير " ، وحديث رقم (٧٣) ، وفيه : " رويداً يا أنجشة لا تكسر القوارير يعنى ضعفة النساء " .

قوله ﷺ (يا أنجشة رويدك سوقك بالقوارير) وفى رواية ويحـك يـا أنجشـة رويـداً سـوقك بالقوارير ، وفى رواية : يا أنجشة لا تكسـر القواريـر يعنـى ضعفـة النسـاء ، أمـا أنجشـة فهمـزة مفتوحه وإسكان النـون وبـالجيم وبشـين معجمـة ، وأمـا رويـدك فمنصـوب علـي الصفـة بمصـدر محذوف أي سق سوقاً رويداً ، ومعناه الأمر بالرفق بهـن وسـوقك منصـوب بإسـقاط الجـار ، أى أرفق فى سوقك بالقوارير ، قال العلماء : سمى النساء قوارير لضعف عزائمهن تشـبيهاً بقـارورة الزجاج لضعفها ، وإسراع الانكسار إليهـا واختلـف العلمـاء فـى المـراد بتسميتهن قواريـر علـى قولين : ذكرهما القاضى وغيره ، أصحهما عند القـاضى وآخريـن وهـو الـذى جزم بـه الهـروى وصاحب (التحرير) وآخرون : أن معناه أن أنجشة كان حسن الصوت وكان يحدو بهـن وينشـد شيئاً من القريض والرجز ، وما فيه تشبيب ، فلم يأمن أن يفتنهن ويقع فى قلوبهن حداؤه ، فـأمره بالكف عن ذلك ، ومن أمثالهم المشهورة : الغناء رقية الزنا ، قال القاضى : هذا أشـبه بمقصـوده ﷺ وبمقتضى اللفظ ، قال : وهو الذى يدل عليه كلام أبى قلابة المذكور فى هذا الحديث فى مسلم

والقول الثانى : أن المراد به الرفق فى السير ، لأن الإبل إذا سـمعت الحـداء أسـرعت فـى المشى ، واستلذته فـأزعجت الراكـب ، وأتعبتـه ، فنهـاه عـن ذلـك لأن النسـاء يضعفـن عنـد شـدة الحركة ، ويخاف ضررهن ، وسقوطهن .

وأما " ويحك " فهكذا وقع فى مسلم ووقع فى غيره " ويلك " قال القاضى : قال سـيبويه : " ويل " كلمة تقال لمن وقع فى هلكة ، " وويح : تقال لمن أشـرف علـى الوقـوع فـى هلكـة ، وقـال الفراء : " ويل وويح وويس " بمعنى ، وقيل : " ويح " كلمة لمن وقع فى هلكة لا يستحقها ـ يعنى فى عرفنا ـ فيرثى له ، ويترحم عليه ، و " ويل " ضده ، قال القاضى : قال بعض أهل اللغة : لا يراد بهذه الألفاظ حقيقة الدعاء وإنما يراد بها المدح ، والتعجـب . =

في سفر ، وكان معه غلام له أسود يقال له أنجشة يحدو ، فقال له رسول الله ﷺ ويحك يا أنجشة ، رويدك بالقوارير .

وروى عن حماد بن زيد قال أنبأنا أيوب عن أبي قلابة عن أنس رضى الله تبارك وتعالى عنه قال كان عبد أسود يقال له أنجشة فبينما رسول الله ﷺ في سفر وكان أنجشة يحدو ، فقال له رسول الله ﷺ : ويحك يا أنشجة رويدك سوقك بالقوارير وكان يسوق بالنساء وكانت فيهن أم سليم .

قال أبو عمر بن عبد البر[1] : أنجشة العبد الأسود كان يسوق أو يقود بنساء النبى ﷺ ، عام حجة الوداع ، وكان حسن الحداء ، وكانت الإبل تزيد فى الحركة بحدائه ، فقال له رسول الله ﷺ : رويداً يا أنجشة ، رفقاً بالقوارير ، يعنى النساء .

حديثه عند أنس بن مالك ، أخبرنا أحمد بن عبدالله ، حدثنا سلمة بن قاسم ، حدثنا جعفر بن محمد بن الحسن الأصبهانى ، حدثنا يونس بن حبيب ، حدثنا أبوداود الطيالسى ، حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال : كان أنجشة يحدو بالنساء ، وكان البراء بن مالك يحدو بالرجال ، وكان إذا حدا أعنقت الإبل ، فقال النبى ﷺ : يا أنجشة رويدك سوقك بالقوارير .

- وفى هذه الأحاديث جواز الحداء ، وهو بضم الحاء ، ممدود ، وجواز السفر بالنساء ، واستعمال المجاز ، وفيه مساعدة النساء من الرجال ، ومن سماع كلامهم إلا الوعظ ، ونحوه . (شرح النووى) : ١٥/٨٦ ـ ٨٨ .

وأخرجه الإمام أحمد فى (المسند) : ٤/٣٥ ، حديث رقم (١٢٥٣٢) ، ٤/١٠٢ ، حديث رقم (١٢٩٦٤) ، كلاهما من مسند أنس بن مالك رضى الله تبارك وتعالى عنه .

وأخرجه الحافظ البيهقى فى (السنن الكبرى) : ١٠/٢٢٧ ، كتاب الشهادات باب لا بأس باستماع الحداء ونشيد الأعراب كثر أو قل ، وفيه : " رويدك يا أنجشة لا تكسر القوارير " .

(١) (الاستيعاب) : ١/١٤٠ ، ترجمة أنجشة رقم (١٥١) .

وروى حماد بن زيد ، قال حدثنا أيوب عن أبى قلابة عن أنس ، قال : كان عبد أسود يقال له أنجشة ، فبينا رسول الله ﷺ فى سفر ، وكان أنجشة يحدو بهم ، فقال له رسول الله ﷺ : ويحك يا أنجشة ، رويدك بالقوارير ، وكان يسوق بالنساء . قال : وكانت فيهن أم سليم[1] .

(١) هى أم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار ، اختلف فى اسمها ، فقيل : سهلة . وقيل : رميلة . وقيل : رميثة ، وقيل : ملكية ، ويقال : الغمصياء ، أو الرميصاء ، كانت تحت مالك بن النضر ، أبى أنس بن مالك فى الجاهلية ، فولدت له أنس بن مالك ، فلما جاء الله بالإسلام ، أسلمت مع قومها ، وعرضت الإسلام على زوجها ، فغضب عليها ، وخرج إلى الشام ، فهلك هناك ، ثم خلف عليها بعده أبو طلحة الأنصارىّ ، خطبها مشركاً ، فلما علم أنه لا سبيل له إليها إلا بالإسلام أسلم وتزوجها وحسن إسلامه ، فولد له منها غلام كان قد أعجب به فمات صغيراً ، فأسف عليه ، ويقال : إنه أبو عمير صاحب النغير .

ثم ولدت له عبدالله بن أبى طلحة فبورك فيه ، وهو ولد إسحاق بن عبدالله بن أبى طلحة الفقيه وإخوته ، وكانوا عشرة ، كلهم حمل عنه العلم ، وروت أم سليم عن النبى ﷺ أحاديث . وكانت من عقلاء النساء ، روى عنها ابنها أنس بن مالك ، وروى سليمان بن المغيرة عن ثابت ، عن أنس ، قال : أتيت أبا طلحة وهو يضرب أمى . فقلت : تضرب هذه العجوز .... فى حديث ذكره ، وروى عن أم سليم أنها قالت : لقد دعا لى رسول الله ﷺ حتى ما أريد زيادة .

فصل في ذكر وزير رسول الله ﷺ

الوزير(١) الذي يحمل نعل الملك ويعينه ، وقد استوزره ، وهي الوزارة بكسر الواو وفتحها والكسر أعلى ، وأوزره على الأمر : أعانه وقوّاه ، الأصل أوزر ، وقد اختلف في اشتقاق الوزير فقيل من الوزر بفتح الواو والزاي وهي الملجأ لأن الوزير يلجأ إلى رأيه ، وقيل سمى وزيرًا من الوزر بكسر الواو وسكون الزاي وهي النعل لأنه يحمل عن صاحبه نعله ويعينه .

قال ابن قتيبه : وما حمله الإنسان على ظهره ، وآزرني فلان أعانني ووازرني صار لي وزيراً ، وقال ابن جريج : وازر الرجلُ الرجَل موازرة أعانه ، وكذلك آزره . قال : السبكي الوزير مأخوذ من أزر ، وكان الأصل أزير فقيل وزير.

ومن عرف سيرة أبي بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه وعمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه وكيف كانا مع رسول الله ﷺ من الهوى ، والعصبية ، وإعراض عن تقليد الآباء والمشيخة ، تبين له أنهما كانا منه ﷺ بمنزلة الوزيرين .

---

(١) قال الإمام أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقى المصرى : وازره على الأمر : أعانه وقواه ، والأصل آزره . قال بن سيده : ومن هنها ذهب بعضهم إلى أن الواو فى وزير بدل من الهمزة . وفى التنزيل العزيز : ﴿ **واجعل لى وزيراً من أهلى** ﴾ ، [طه : ٢٩] ، قال : الوزير فى اللغه اشتقاقه من الوزر ، وكذلك وزير الخليفة معناه الذى يعتمد على رأيه فى أموره ويلتجئ إليه ، وقيل لوزير السلطان : وزير لأنه يزر عن السلطان أثقال ما أسند اليه من تدبير المملكة أى يحمل ذلك . الجوهرى : الوزير الموازر كالأكيل المواكل لأنه يحمل عنه وزره أى ثقله . وقد استوزر فلان ، فهو يوازره الامر ويتوزر له . وفى حديث السقيفة : نحن الأمراء وأنتم الوزراء ، جمع وزير وهو الذى يوازره فيحمل عنه ما حمله من الأثقال والذى يلتجئ الأمير إلى رأيه وتدبيره ، فهو ملجأ له ومفزع . ووزرت الشئ أزره وزراً أى حملته ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **ولاتزر وازرة وزر أخرى** ﴾ . [الإسراء : ١٥] .

وقد خرج أبو عيسى الترمذي(١) مـن حديـث تليد بـن سـليمان عـن أبـي الجحاف عن عطية عن أبي سعيد الخدري رضى الله تبارك وتعالى عنه قـال : قال رسول الله ﷺ : ما من نبي إلا له وزيران من أهل السماء ، ووزيران مـن أهل الأرض ، فأما وزيراي مـن أهـل السماء فجبريل وميكائيل ، وأما وزيـراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر ، قال أبوعيسى : هـذا حديـث حسـن غريـب . وأبو الجحاف واسمه داود بن أبي عوف . ويروى عن سفيان الثوري حدثنا أبو الجحاف وكان رافضيًا ، وتليد بن سليمان يكنى أبا إدريس وهو شيعيّ .

وخرج الحاكم(٢) من حديث عطاء بن عجـلان ، عـن أبـي نضـرة ، عـن أبي سعيد الخدري رضى الله تبارك وتعالى عنـه ، قـال : قـال رسـول اللـه ﷺ وزيراي من أهل السماء جبريل وميكائيل ، ومن أهل الأرض أبو بكر وعمر ، قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وإنمـا يعـرف هـذا الحديـث

---

(١) (سنن الترمذى) : ٥/٥٧٦ ، كتاب المناقب ، باب (٧) مناقب أبى بكـر ، حديـث رقـم ٣٦٨٠ ، (حلية الأولياء) : ٨/١٦٠ ، ترجمه وهيب بن الورد رقم (٣٦٩) ، (تاريخ بغداد) : ٣/٢٩٨ ، ترجمة محمد بن مجيب الثقفى الكوفى رقم (١٣٨٥) على الحديث رقم (٦٤٦٢) : فى سـنده محمد بن مجيب الثقفى ، وهو كذاب ، ومع ذلك فقد قـال الترمذى : هـذا حديـث حسـن غريـب . وقـال الشيخ الألبـانى : ضعيف كمـا فـى المشكاه : (٦٠٥٦) ، (ضعيـف الجـامع الصغـير) ، (٥٥٢٢٣) ، (ضعيف سنن الترمذى) : (٤٩٢) ، قوله : " فأما وزيراى من أهل السماء فجبرئيل وميكائيل " فيه دلالة ظاهرة على فضله صلوات الله وسلامه عليه على جبرئيل وميكـائيل عليهمـا السلام كما أن فيه إيماء إلى تفضيل جبرئيل . " وأما وزيراى من أهل الأرض فأبو بكر وعمـر " فيه دلالة ظاهرة على فضلهما على غيرهمـا مـن الصحابـة وهـم أفضـل الأمـة وعلـى أن أبـابكر أفضل من عمر لأن الواو وإن كان لمطلق الجمع ولكن ترتيبه فى لفظـه الحكيم لا بدلـه مـن أثـر عظيم . قوله : " وهذا حديث حسن غريب " ، وأخرجه الحـاكم وصححـه وأقـروه ، والحكيـم فـى (نوادره) عن ابن عباس ، وغيره وابـن عسـاكر ، وأبـو يعلـى ، وغيرهمـا عـن أبـى ذر بأسـانيد ضعيفة ، كذا فى (التيسير) ، (تحفة الأحوذى) : ١٠/١١٤ .

(٢) (المستدرك) : ٢ / ٢٩٠ - ٢٩١ ، كتاب التفسير ، حديث رقم (٣٠٤٧) ، قال الحـافظ الذهبـى فى (التخليص) : صحيح .

من حديث سوار بن مصعب عن عطية العوفى عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : إن لي وزيران من أهل السماء ، ووزيران من أهل الأرض ، فأما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل وأما وزيراي من أهل الأرض ، فأبو بكر وعمر رضي الله تبارك وتعالى عنهما قال : ورواه عبيد بن القاسم بن سلام عن أبي معاوية عن عطية بلفظ آخر .

وخرج أيضًا من حديث ربيعة بن عبد الرحمن ، عن سعيد بن المسيب قال : كان أبو بكر الصديق رضى الله تبارك وتعالى عنه من النبي ﷺ مكان الوزير ، فكان يشاوره في جميع أموره ، وكان ثانيه في الإسلام ، وكان ثانيه في الغار ، وكان ثانيه في العريش يوم بدر ، وكان ثانيه في القبر ، ولم يكن رسول الله ﷺ يقدم أحدًا[1] [إلا هو هذا][2] .

أما ما أخرجه البخاري[3] ومسلم[4] من حديث إبراهيم بن سعد قال حدثنا ابن سعد عن أبيه عن سعد بن أبي وقاص رضى الله تبارك وتعالى عنه

---

(١) (المستدرك) : ٣ / ٦٦ ، كتاب معرفه الصحابه ، حديث رقم (٤٤٠٩) .

(٢) مابين الحاصرتين زيادة فى الأصل ، وليست فى (المستدرك) .

(٣) (فتح البارى) : ٤٥٤/٧ ، كتاب المغازى ، باب (١٨) ﴿ **إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون** ﴾ حديث رقم (٤٠٥٤) ، ٣٤٧/١٠ ، كتاب اللباس ، باب (٢٤) الثياب البيض ، حديث رقم (٥٨٢٦) .

(٤) (مسلم بشرح النووى) : ٧٢/١٥ - ٧٣ ، كتاب الفضائل ، باب (١٠) فى قتال جبريل وميكائيل عن النبى ﷺ يوم أحد ، حديث رقم (٣٢٠٦/٤٦) ، وحيث رقم (٤٧) من أحاديث الباب ولفظه : " .. .. حدثنا سعد بن أبى وقاص قال : لقد رأيت يوم أحد عن يمين رسول الله ﷺ وعن يساره رجلين ، عليهما ثياب بيض ، يقاتلان عنه ﷺ أشد القتال ، ما رأيتها قبل ولابعد " .

وفى هذا الحديث بيان كرامة النبى ﷺ على الله تعالى ، وإكرامه إياه بإنزال الملائكة تقاتل معه ، وبيان أن الملائكة تقاتل ، وأن قتالهم لم يختص بيوم بدر ، وهذا هو الصواب ، خلافاً لمن زعم اختصاصه به ، فهذا صريح فى الرد عليه .

وفيه فضلية الثياب البيض ، وأن رؤية الملائكة لا تختص بالأنبياء ، بل يراهم الصحابة والأولياء.

=

قال : لقد رأيت يوم أحد عن يمين رسول الله ﷺ وعن يساره رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد .

ذكره البخاري في [المغازى] وأخرجه في كتاب اللباس . وأخرجه مسلم في المناقب من حديث سعد عن سعيد بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن سعد قال : رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد يعني جبريل وميكائيل [عليهما السلام] . لم يقل البخاري : يعني جبريل وميكائيل .

قال الواقدي : حدثني أبو إسحاق بن أبي عبدالله ، عن عبدالواحد بن أبى عون ، عن صالح بن إبراهيم قال : كان عبد الرحمن بن عوف رضى الله تبارك وتعالى عنه يقول : لقد رأيت يوم بدر رجلين عن يمين النبي ﷺ أحدهما ، وعن يساره أحدهما ، يقاتلان أشد القتال ثم ثلثهما ثالث من خلفه ثم ربعهما رابع أمامه[1] . وحدثني أبو إسحاق بن أبي عبدالله عن عبدالواحد بن أبي عون ، عن زياد مولى سعد ، عن سعد رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : رأيت رجلين يوم بدر [يقاتلان] عن النبي ﷺ أحدهما عن يساره والآخر عن يمينه وإني لأراه ينظر إلى ذا مرة وإلى ذا مرة سرورًا بما ظفره الله تعالى[2] .

= وفيه منقبة لسعد بن أبى وقاص الذى رأى الملائكة . والله تعالى أعلا وأعلم . (مسلم بشرح النووى) .

(١) (مغازى الواقدى) : ١ / ٧٨

(٢) (المرجع السابق) .

فصل فى ذكر صاحب سر رسول الله ﷺ

اعلم أن صاحب سر رسول الله ﷺ هو حذيفة بن اليمان لقب ، وإنما هو عبدالله حذيفة بن حسن ويقال : حسيل بن جابر بن عمرو بن ربيعة بن جروة ويقال لجروة اليمني أيضًا ابن الحارث بن قطيعة العبسى بن بغيض بن ريث بن غطفان العبسي القطيعى . حليف لبني عبد الأشهل المعروف بالصحابة بصاحب سر رسول الله ﷺ ، شهد أحداً ، وكان من كبار الصحابة ، وشهد نهاوند ؛ فأخذ الراية بعد مقتل النعمان بن مقرن ، ففتح الله على يديه همذان والري والدينور في سنة اثنين وعشرين ، ومات سنة ست وثلاثين على الصحيح[1] .

خرج البخاري[2] من حديث إسرائيل عن المغيرة عن إبراهيم عن علقمة قال : قدمت الشام وصليت ركعتين ثم قلت اللهم يسرلى جليساً صالحًا ، فأتيت قومًا فجلست إليهم ، فإذا شيخ قد جاء حتى جلس إلى جنبي . فقلت : من هذا ؟ قالوا أبو الدرداء رضى الله تبارك وتعالى عنه ، فقلت : إني دعوت الله عز وجل أن ييسر لي جليسًا صالحًا فيسرك لي ، قال : ممن أنت ؟ قال : من أهل الكوفة قال : أوليس عندكم ابن أم عبد صاحب النعلين والوساد والمطهرة ؟ أفيكم الذي أجاره الله يعنى من الشيطان على لسان نبيه ؟ أوليس فيكم صاحب سر رسول الله ﷺ الذي لا يعلم أحد غيره ؟ قال : كيف يقرأ عبد الله

---

(١) (الاستيعاب) : ٣٣٤/١ – ٢٣٣٥ ترجمة رقم ٤٩٢ ، (الإصابة) : ٢ /٤٤ ـ ٤٥ ، ترجمة رقم (١٦٤٩) ، (سير أعلام النبلاء) : ٣٦١/٢ – ٣٦٩ ، ترجمة رقم (٧٦) ، (كنز العمال) : ٣٤٣/١٣ ، (تهذيب التهذيب) : ٢ / ١٩٣ ، ترجمة رقم (٤٠٥) ، (حلية الأولياء) : ١ / ٢٧٠ – ٢٨٣ ، (التاريخ الكبير) : ٣ / ٩٥ ، (الجرح والتعديل) : ٣ / ٢٥٦ ، (تاريخ خليفة) : ١٨٢ ، طبقات خليفة) : ٤٨ ، ١٣٠ ، (طبقات ابن سعد) : ٦ / ١٥ ، ٧ / ٣١٧ .

(٢) (فتح البارى) : ٧ / ١١٣ – ١١٤ ، كتاب فضائل أصحاب النبى ﷺ ، باب (٢٠) مناقب عمار وحذيفة رضى الله عنهما ، حديث رقم (٣٧٤٢) .

﴿ والليل إذا يغشى ﴾ فقرأت عليه ﴿ والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى ﴾ فقال : والله لقد أقرأنيها رسول الله ﷺ من فيه إلى فى .

ومن حديث شعبة عن مغيرة عن إبراهيم قال:ذهب علقمة إلى الشام فلما دخل المسجد قال : اللهم يسر لي جليساً صالحاً ، فجلس إلى أبي الدرداء ، فقال أبو الدراء : ممن أنت ؟ قال من أهل الكوفة . قال : أليس فيكم - أو منكم صاحب السر الذى لايعلمه غيره ؟ يعنى حذيفة . قال : قلت بلى . قال أليس فيكم - أو منكم - الذى أجاره الله على لسان نبيه ﷺ ؟ يعنى من الشيطان ، يعنى عماراً ، قلت : بلى . قال : أليس فيكم - أو منكم - صاحب السواك ، والوساد ، أو السرار ؟ قال : بلى . قال : كيف كان عبد الله يقرأ : ﴿ والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى ﴾ ؟ قلت : ﴿ والذكر والأنثى ﴾ ، قال : ما زال بى هؤلاء حتى كادوا يستنزلونى عن شئ سمعته من النبى ﷺ . ذكرهما في مناقبهما[1] وذكر في كتاب فضائل أصحاب النبى ﷺ من حديث شعبة قريباً[2]

---

(١) (فتح البارى) : ٧ / ١١٤ ، كتاب فضائل أصحاب النبى ﷺ ، باب (٢٠) مناقب عمار وحذيفة ، رضى الله عنهما ، حديث رقم (٣٧٤٣) .

قوله : " قال : أو ليس عندكم ابن أم عبد " يعنى عبد الله بن مسعود ، ومراد أبى الدرداء بذلك أنه فهم منهم أنهم قدموا فى طلب العلم ، فبين لهم أن عندهم من العلماء من لا يحتاجون معهم إلى غيرهم ، ويستفاد منه أن المحدث لا يرحل عن بلده حتى يستوعب ما عند مشايخها .

قوله : " صاحب النعلين " أى نعلى رسول الله ﷺ وكان عبد الله بن مسعود يحملها .

قوله : " الذى أجاره الله من الشيطان ، يعنى على لسان نلبيه " زعم ابن التين أن المراد بذلك قول النبى ﷺ : ويح عمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار " وهو محتمل ، ويحتمل أن يكون المراد بذلك حديث عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها مرفوعاً : " ماخير عمار بين أمرين إلا اختار أرشدهما أخرجه الترمذى .

ولأحمد من حديث ابن مسعود مثله ، أخرجهما الحاكم ، فكونه يختار أرشد الأمرين دائماً يقتضى أنه أجير من الشيطان . =

منه . وذكره أيضًا في مناقب عبد الله بن مسعود رضى الله تبارك وتعالى عنه من حديث أبي عوانة عن مغيرة باختلاف ألفاظ [1] .

= قوله : " والوساد " فى رواية شعبة : " صاحب السواك - بالكاف - أو السواد بالدال ، ووقع فى رواية الكشميهنى هنا : " الوساد " ورواية غيره أوجه . والسواد : السرار - براءين - يقال : ساودته سواداً أى ساررته سراراً ، وأصله أدنى السواد ، وهو الشخص من السواد .

قوله : " والمطهرة " فى رواية السرخسى " والمطهر " بغير هاء ، وأغرب الداودى فقال : معناه أنه لم يكن يملك من الجهاز غير هذه الأشياء الثلاثة ، وكذا قال ، وتعقب ابن التين كلامه فأصاب ، وقد روى مسلم عن ابن مسعود أن النبى ﷺ قال له : " إذنك على أن ترفع الحجاب وتمسع سوادى " أى سرارى ، وهى خصوصية لابن مسعود .

قوله : " أو ليس فيكم صاحب سر النبى ﷺ الذى لايعلم أحد غيره " كذا فيه بحذف المفعول ، وفى رواية الكشميهنى " الذى لايعلمه " والمراد بالسر ما أعلمه به النبى ﷺ من أحوال المنافقين .

قوله : : ثم قال كيف يقرأ عبد الله " يعنى ابن مسعود ، وفى هذا بيان واضح أن قراءة ابن مسعود كانت كذلك ، وفى رواية إسرائيل عن مغيرة فى المناقب ﴿ **والليل إذا يغشى والذكر والأنثى** ﴾ بحذف ﴿ **والنهار إذا تجلى** ﴾ كذا فى رواية أبى ذر ، وأثبتها الباقون ، ومن عداهم قرأوا ﴿ **وما خلق الذكر والأنثى** ﴾ وعليها استقر الأمر مع قوة إسناد ذلك إلى أبى الدرداء ومن ذكر معه .

والعجب من نقل الحفاظ من الكوفيين هذه القراءة على علقمه وعن ابن مسعود ، وإليهما تنتهى القراءة بالكوفة ، ثم لم يقرأ بها أحد منهم ، وكذا أهل الشام ، حملوا القراءة عن أبى الدرداء . ولم يقرأ أحد منهم بهذا ، فهذا مما يقوى أن التلاوة بها نسخت . (فتح البارى) : ٧/١١٥ - ١١٦ ، ٨/٩١٧ مختصراً .

(٢) (فتح البارى) : ٧/١١٤ ، كتاب فضائل أصحاب النبى ، باب (٢٠) مناقب عمار وحذيفة رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، حديث رقم (٣٧٤٣) .

(١) (فتح البارى) : ٧/١٢٨ ، كتاب فضائل أصحاب النبى ﷺ ، باب (٢٧) مناقب عبد الله بن مسعود رضى الله تبارك وتعالى عنه حديث رقم (٣٧٦١) .

وخرجه الترمذي من حديث قتادة عن خيثمة بن أبي سبرة قال أتيت المدينة فسألت الله أن ييسر لي جليسًا صالحاً . [فيسر لي أبا هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه فجلست إليه فقلت له : إنى سألت الله إن ييسر لى جليساً صالحاً] فوفقت لى ، فقال لي : ممن أنت ؟ قلت : من أهل الكوفة جئت ألتمس الخير وأطلبه فقال : أليس فيكم سعد بن مالك مجاب الدعوة ، وابن مسعود صاحب طهور رسول الله ﷺ وبغلته ؟ وحذيفة صاحب سر رسول الله ﷺ وعمار الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه ، وسلمان صاحب الكتابين ، قال قتادة : الكتابان الإنجيل والفرقان . قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب [صحيح] وخيثمة هو ابن عبد الرحمن بن أبي سبرة ، إنما نسب إلى جده[1] .

وقال الحاكم في (المستدرك) : اتفق الشيخان على إخراج حديث شعبة عن عدي بن ثابت عن عبد الله بن يزيد عن حذيفة رضى الله تبارك وتعالى عنه أنه قال : أخبرني رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى يوم القيامة فما من شيء إلا وقد سألته عنه إلا أني لم أسأله ما يخرج أهل المدينة من المدينة[2] .

وخرجه الحاكم من حديث إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب قال : قال أبو إدريس [عائذ الله] الخولاني : سمعت حذيفة رضى الله تبارك وتعالى عنه يقول : والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة ، وما ذاك أن يكون حدثني رسول الله ﷺ بها من شئ لم يحدث بها

---

(١) (سنن الترمذى) ٥/٦٣٣ ، كتاب المناقب ، باب (٣٨) مناقب عبد الله بن مسعود رضى الله تبارك وتعالى عنه ، حديث رقم (٣٨١١) ، وقال الحافظ فى (الفتح) : تنبيه : توارد أبو هريرة فى وصف المذكورين مع أبى الدرداء بما وصفهم وزاد عليه ، فروى الترمذى من طريق خيثمة ابن عبد الرحمن ، قال ... وذكر الحديث . (فتح البارى) : ٧/١١٦ ، تعقيباً على الحديث رقم (٣٧٤٣) .

(٢) (المستدرك) ٤ / ٤٧٢ ، كتاب الفتن والملاهم ، آخر الحديث رقم (٨٣١١) ، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص) : على شرط مسلم ، وقال أبو عبد الله الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، فليعلم طالب هذا العلم أن حذيفة بن اليمان صاحب سر رسول الله ﷺ .

غيري ولكن رسول الله ﷺ قال وهو يحدث في مجلس أنا فيه عن الفتن وهو يعد الفتن فهين ثلاث لا تذرن شيئًا منهن كهياج الصيف منها صغار ومنها كبار فذهب أولئك الرهط كلهم غيري . قال : هذا حديث صحيح[1] [على شرط الشيخين ولم يخرجاه] .

وخرجه مسلم عن حرملة بن يحيى عن ابن وهب قال أنبأنا يونس بن يزيد عن ابن شهاب[2] .

وخرج الترمذي من حديث زائدة عن عاصم ، عن زر عن حذيفة رضي الله تبارك وتعالىعنه أنه قال : أخبرني رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى يوم القيامة فما من شئ إلا وسألته عنه إلا أني لم أسأله عن ما يخرج أهل المدينة من المدينة . قال : قال أبو إدريس الخولاني سمعت حذيفة يقول والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة وما ذاك أن يكون حدثني رسول الله ﷺ بشئ لم يحدث به غيري ، ولكن رسول الله ﷺ قال وهو يحدث في مجلس أنا فيه عن الفتن وهو يعد الفتن كذا لا يذرن شيئًا منهن كرياح الصيف ، ومنها صغاراً ومنها كبارًا ، فذهب أولئك الرهط كلهم غيري . قال : هذا حديث صحيح خرجه مسلم عن حرملة بن يحيى عن ابن وهب قال : أنبأنا يونس بن يزيد عن ابن شهاب[3] .

وخرج الترمذي من حديث زائدة عن عاصم عن حذيفة رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : قام فينا رسول الله ﷺ مقام خير أخبر فيه ما يكون

---

(١) (المستدرك) : ٤ / ٥١٨ ، كتاب الفتن والملاهم ، حديث رقم (٨٤٥٤) ، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص) : على شرط البخارى ومسلم .

(٢) (مسلم بشرح النووى) : ١٨ / ٢٣١ ، كتاب الفتن وأشراط الساعة باب (٦) ، إخبار النبى ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة ، حديث رقم (٢٨١٩) .

(٣) سبق تخريجه من طرق .

فيه إلى قيام الساعة ، عقله منا من عقله ، ونسيه من نسيه . قال : حديث صحيح[1] .

سلك رسول الله ﷺ العقبة [وأمر عمار بن ياسر أن يأخذ بزمام الناقة يقودها ، وأمر حذيفة بن اليمان يسوق خلفه] فبينا إذ سمع حس القوم قد غشوه فغضب وأمر حذيفة أن يردهم فرجع حذيفة إليهم فجعل يضرب وجوه رواحلهم [بمحجن فى يده] فانحطوا من العقبة وأقبل حذيفة فلما خرج رسول الله ﷺ من

---

(١) (فتح البارى) : ١١/ ٦٠٤ ، كتاب القدر ، باب (٤) ﴿ **وكان أمر الله قدراً مقدوراً** ﴾ ، حديث رقم (٦٦٠٤) ولفظه : " عن حذيفة رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : لقد خطبنا النبى ﷺ خطبة ما ترك فيها شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره علمه من علمه وجهله من جهله ، إن كنت لأرى الشئ قد نسيته ، فأعرف كما يعرف الرجل إذا غاب عنه فرآه فعرفه " .

قوله : " لقد خطبنا " فى رواية جرير عن الأعمش عند مسلم : " قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً " .

قوله : " إلا ذكره " ، فى رواية جرير : " إلا حدث به " .

قوله : " علمه من علمه وجهله من جهله " فى رواية جرير : " حفظه من حفظه ونسيه من نسيه " وزاد : " قد علمه أصحابى هؤلاء " ، أى علموا وقوع ذلك المقام وما وقع من الكلام (فتح البارى) .

وقد سبق ذكر حديث مسلم من طريق أبى إدريس الخولانى عن حذيفة ، والذى قال فى آخره : " فذهب لأولئك الرهط غيرى " ، وهذا لايناقض الأول ، بل يجمع بأن يحمل على مجلسين ، أو المراد بالأول أعم من المراد بالثانى . (فتح البارى) .

قال الحافظ فى (الفتح) : أخرج هذا الحديث القاضى عياض فى (الشفاء) من طريق أبى داود بسنده إلى قوله : " ثم إذا رآه عرفه " ، ثم قال حذيفة : " ما أدرى أنسى أصحابى أم تناسوه والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائد فتنة إلى أن تنقضى الدنيا بلغ من معه ثلاثمائة إلا قد سماه لنا " . قلت : ولم أر هذه الزيادة فى كتاب أبى داود ، وإنما أخرجه أبو داود بسند آخر مستقل من وجه آخر عن حذيفة رضى الله تبارك وتعالى عنه [فى أول كتاب الفتن والملاحم] باب (١) ذكر الفتن ودلائلها ، حديث رقم (٤٢٤٠)] ولم أجده فى (سنن الترمذى) كما ذكر المقريزى عليه رحمة الله .

العقبة وترك الناس قال : يا حذيفة هل عرفت أحداً من الركب الذين ركبوا قال: يا رسول الله عرفت راحلة فلان وفلان وكان القوم متلثمين فلم أبصرهم من أجل ظلمة الليل[١] .

قال الواقدي حدثني يعقوب بن محمد عن [ربيح] بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه عن جده قال : كان أهل العقبة الذين أرادوا بالنبي ﷺ ما أرادوا ثلاثة عشر رجلاً قد سماهم رسول الله ﷺ لحذيفة وعمار[٢] .

وحدثني معمر بن راشد عن الزهري فقال نزل رسول الله ﷺ عن راحلته فأوحي إليه وراحلته باركة فقامت تجر زمامها حتى أمسكها حذيفة رضي الله تبارك وتعالى عنه فأخذ بزمامها فاقتادها حين رأى رسول الله ﷺ جالساً فأناخها ثم جلس عندها حتى قام النبي ﷺ فأتاه فقال : من هذا ؟ قال : أنا حذيفة فقال النبي ﷺ فإني مسر إليك أمراً فلا تذكرنه : إني - نهيت أن أصلي علي فلان وفلان رهط عدة من المنافقين ولا يعلم رسول الله ﷺ ذكرهم لأحد غير حذيفة . فلما توفي رسول الله ﷺ كان عمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه في خلافته إذا مات الرجل ممن يظن به أنه من أولئك الرهط أخذ بيد حذيفة فقاده إلى الصلاة عليه فإن مشى معه حذيفة صلى عليه عمر ، وإن انتزع يده وأبى أن يمشي انصرف معه .

حدثني ابن أبي سبرة عن سليمان بن أبي سحيم عن نافع بن جبير قال : لم يخبر رسول الله ﷺ أحدًا إلي حذيفة رضى الله تبارك وتعالى عنه . قال الواقدي : وهم اثنا عشر رجلاً ليس فيهم قرشي وهذا الأمر المجتمع عليه عندنا[٣] وأبو ذر رضى الله تبارك وتعالى عنه .][٤] .

---

(١) (مغازى الواقدى) : ٣ / ١٠٤٢ - ١٠٤٣ مختصراً .

(٢) (المرجع السابق) : ٣ / ١٠٤٤

(٣) (مغازى الواقدى) : ٣ / ١٠٤٤ - ١٠٤٥ مختصراً .

(٤) زيادة فى (الأصل) .

خرج الإمام أحمد من حديث خالد بن ذكوان حدثنى أيوب بن بشير عن فلان الغبري [الغزى ولم يقل][1] أنه أقبل مع أبي ذر فلما رجع تقطع الناس عنه فقلت : يا أبا ذر إني سائلك [عن][2] بعض أمر رسول الله ﷺ قال : إن كان سراً من سر رسول الله ﷺ لم أحدثك به قلت ليس بسرٍ ولكن كان إذا لقي الرجل يأخذ بيده يصافحه قال على الخير سقطت لم يلقني قط إلا أخذ بيدي غير مرة واحدة وكانت تلك آخرهن أرسل إلي في مرضه الذي توفى فيه ، فوجدته مضطجعًا فأكببت عليه فرفع يده فالتزمني[2] [رسول الله ﷺ][3] .

وخرجه من حديث حماد بن سلمة قال أخبرني ابن أبى الحسين عن أيوب بن بشير بن كعب العدوي عن رجل من عنز أنه قال لأبي ذر حين سير من الشام فذكر الحديث وقال فيه:هل كان رسول الله ﷺ يصافحكم إذا لقيتموه منه فقال : ما لقيته قط إلا صافحني[4] [فقال أنس بن مالك رضى الله تبارك وتعالى عنه صاحب سر رسول الله ﷺ][5] .

خرج البخاري في كتاب الاستئذان باب حفظ السر من حديث معتمر بن سليمان قال سمعت أبي قال سمعت أنس بن مالك[6] رضى الله تبارك وتعالى عنه .

---

(١) زيادة من (مسند أحمد) .

(٢) (مسند أحمد) : ٦ / ٢٠٤ ، حديث رقم (٢٠٩٣٢) .

(٣) زيادة فى (الأصل) .

(٤) (مسند أحمد) : ٦ / ٢١١ ، حديث رقم (٢٠٩٦٥) .

(٥) زيادة فى (الأصل) .

(٦) (فتح البارى) : ١١ / ٩٧ كتاب الاستئذان ، باب (٤٦) حفظ السر ، حديث رقم (٦٢٨٩) ولفظه : " سمعت أنس بن مالك أسر إلى النبى ﷺ سراً فما أخبرت به أحداً بعده ، ولقد سألتنى أم سليم فما أخبرتها به " .

قال بعض العلماء : كأن هذا السر كان يختص بنساء النبى ﷺ ، وإلا فلو كان من العلم ما وسع أنساً كتمانه وقال ابن بطال : الذى عليه أهل العلم أن السر لايباح به إذا كان على صاحبه=

وخرج مسلم[1] من حديث معتمر قال : وسمعت أبي يحدث عن أنس بن مالك رضى الله تبارك وتعالى عنه قال أسر إلي النبي ﷺ سراً فما أخبرت به أحدًا بعد ولقد سألتني عنه أم سليم رضى الله تبارك وتعالى عنه فما أخبرتها بــه .

وخرج مسلم من حديث معمر قال أنبأنا عمار قال أنبأنا ثابت عن أنس رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : أتى على رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان قال فسلم علينا فبعثني إلى حاجة فأبطأت على أمي فلما جئت قالت : ما حبسك قلت : بعثني رسول الله ﷺ لحاجة قالت : ما حاجته قالت ؟ إنها سر ،

= منه مضرة ، وأكثرهم يقول : إنه إذا مات لا يلزمه كتمانه ما كان يلزم فى حياته إلا أن يكون عليه فيه غضاضة .

قال الحافظ : الذى يظهر انقسام ذلك بعد الموت : إلى ما يباح ، وقد يستحب ذكره ولو كرهه صاحب السر ، كأن يكون فيه تزكية له من كرامة أو منقبة أو نحو ذلك .

وإلى ما يكره مطلقاً وقد يحرم وهو الذى أسار إليه ابن بطال ، وقد يجب كأن يكون فيه ما يجب ذكره كحق عليه كان يعذر بترك القيام به فيرجي بعده إذا ذكر لمن يقوم به عنه أن يفعل ذلك .

ومن الأحاديث الواردة فى حفظ السر ، حديث أنس " أحفظ سرى تكن مؤمناً " أخرجه أبو يعلى والخرائطى ، وفيه على بن زيد ، وهو صدوق كثير الأوهام ، وقد أخرج أصله الترمذى وحسنه ، ولكن لم يسق هذا المتن ، بل ذكر بعض الحديث ثم قال : وفى الحديث طول .

وحديث " إنما يتجالس المتجالسان بالأمانة ، فلا يحل لأحد أن يفشى على صاحبه ما يكره " أخرجه عبد الرزاق من مرسل أبى بكر بن حزم .

وحديث جابر رفعه " إذا حدث الرجل بالحديث ثم التفت فهى أمانة " . أخرجه ابن أبى شيبة ، وأبو داود ، والترمذى ، ولـه شاهد من حديث أنس عند أبى يعلى . (فتح البارى) مختصـراً .

(١) (مسلم بشرح النووى) : ١٦ / ٢٧٤ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب (٣٢) من فضائل أنس ابن مالك رضى الله تبارك وتعالى عنه ، حديث رقم (١٤٦) .

قالت:لا تحدثن بسر رسول الله ﷺ أحدًا قال أنس : [والله لو] حدثت به أحداً لحدثتك يا ثابت[1] .

فصل فى ذكر من كان يكتب الوحى لرسول الله ﷺ

اعلم أن الوحى[2] على قسمين : متلو ، وهو كتاب الله تعالى الذى **﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه[3] ﴾** ، **﴿ نزل به الروح**

---

(١) (المرجع السابق) حديث رقم (١٤٥ - ٢٤٨٢) وسنده : حدثنا أبو بكر بن نافع ، حدثنا بهز حدثنا حماد ، أخبرنا ثابت عن أنس .

(٢) الوحى : ما يقع به الإشارة القائمة مقام العبارة من غير عبارة ، فإن العبارة يجوز منها إلى المعنى المقصود بها ، ولذا سميت عبارة ، بخلاف الإشارة التى هى الوحى فإنها ذات المشار إليه والوحى هو المفهوم الأول ، والإفهام الأول ، ولا تعجب من أن يكون عين الفهم عين الإفهام عين المفهوم منه ، فإن لم تحصل لك هذه النكتة فلست بصاحب وحى ، ألا ترى أن الوحى هو السرعة ، ولا سرعه أسرع مما ذكرنا . فهذا الضرب من الكلام يسمى وحياً ، ولما كان بهذه المثابة وأنه تجل ذاتى ، لهذا ورد فى الحديث الذى رواه ابن حبان فى صحيحه وغيره : أن الله إذا تكلم بالوحى سمع أهل السماء صلصلة كجر السلسة على الصفاة فيصعقون ، فلا يزالون كذلك حتى ياتيهم جبريل ، فإذا جاءهم فزع عن قلوبهم فيقولون يا جبريل ماذا قال ربك فيقول الحق ، فينادون الحق ، وهو العلى الكبير ، وما سالت فالوحى : ما يسرع أثره من كلام الحق فى نفس السامع ، ولا يعرف هذا إلا العارفون بالشئون الإلهية فإنها عين الوحى الإلهى فى العالم وهم لا يشعرون . فافهم .

وقد يكون الوحى إسراع الروح الإلهى بالإيمان بما يقع به الإخبار والمفطور عليه كل شئ مما لا كسب فيه من الوحى أيضاً ، كالمولود يلتقم ثدى أمه ، ذلك من أثر الوحى الإلهى إليه كما قال : **﴿ ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون ﴾** . [الواقعة : ٨٥] ، **﴿ ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون ﴾** [البقرة : ١٥٤] وقال تعالى : **﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ﴾** [النحل : ٦٨] فلو لا أنها فهمت من الله وحيه لما صدر منها ما صدر ، ولهذا لا تصور معه المخالفة إذا كان الكلام وحياً ، فإن سلطانه أقوى من أن يقاوم ، **﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا** =

= خفت عليه فألقيه فى اليم ﴾ [القصص : ٧] ، ولذا فعلت ولم تخالف ، والحالة تؤذن بالهلاك ، ولم تخالف ولا ترددت ، ولا حكمت عليها البشرية بأن هذا من أخطر الأشياء ، فدل على أن الوحى أقوى سلطاناً فى نفس الموحى إليه من طبعه الذى هو عين نفسه ، قال تعالى : ﴿ ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾ ، [ق : ١٦] ، حبل الوريد من ذاته ، فإذا زعمت ياولى بأن الله أوحى إليك فانظر نفسك فى التردد والمخالفة ، فإن وجدت لذلك أثر تدبير أو تفصيل او تفكر فلست بصاحب وحى ، فإن حكم عليك وأعماك وأصمك ، وحال بينك وبين فكرك وتدبيرك ، وأمضى حكمه فيك ، فذلك هو الوحى ، وأنت عند ذلك صاحب وحى ، وعلمت عند ذلك أن رفعتك وعلو مرتبتك أن تلحق بمن يقول إنه دونك من حيوان أو نبات أو جماد ، فإن كل شئ مفطور على العلم بالله إلا مجموع الإنس والجان ، فإنه من حيث تفضيله منطو على العلم بالله كسائر ما سواهما من المخلوقات من مَلَك وحيوان ونبات وجماد ، فما من شئ فيه من : شعر ، وجلد ، ولحم ، وعصب ، ودم ، وروح ، ونفس ، وظفر ، وناب إلا وهو عالم بالله ، حتى ينظر ويفكر ويرجع إلى نفسه فيعلم أن له صانعاً صنعه ، وخالقاً خلقه ، فلو أسمعه الله نطق جلده ، أو يده ، أو لسانه ، أو عينه ، لسمعه ناطقاً بمعرفته بربه ، مسبحا لجلاله ، مقدسا لجماله ﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم ﴾ . [النور : ٢٤] . ﴿ اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم ﴾ ، [يس : ٦٥] ، ﴿ وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ﴾ . فالإنسان من حيث تفصيله عالم بالله ، ومن حيث جملته جاهل بالله حتى يتعلم ، أى يعلم بما فى تفصيله ، فهو العالم الجاهل ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ﴾ . [السجدة : ١٧] .

قال أبو القاسم الأصفهانى : الوحى : الإشارة سريعة ، ولتضمُن السرعة قيل : أمرٌ وحىٌّ ، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز أو التعريض وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب ، وبإشارة ببعض الجوارح وبالكتابه ، وقد حمل على كل ذلك قوله تعالى ﴿ فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا ﴾ [مريم : ١١] . فقد قيل : رمز ، وقيل : أشار ، وقيل : كتب . وحُمل على هذه الوجوه أيضا قوله تعالى : ﴿ يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ﴾ ، [الأنعام : ١١٢] ، وقوله : ﴿ وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ﴾ ، [الأنعام : ١٢١] ، فذلك بالوسواس المشار إليه بقوله : ﴿ من شر الوسواس الخناس ﴾ ، [الناس : ٤] ، وبقوله ﷺ : " إن للشيطان لمة " الحديث . =

- ويقال للكلمة الإلهية التى تلقى [إلى] أنبيائه وأوليائه وحى ، وذلك أضرب حسب مادل عليه قوله تعالى : ﴿ **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحى بإذنه ما يشاء** ﴾ ، [الشورى : ٥١] ، وذلك إما برسول مشاهد تُرى ذاته ويُسمع كلامه كتبليغ جبريل عليه السلام للنبى ﷺ فى صورة معينة ، وإما بسماع كلام من غير معاينة كسماع موسى عليه السلام كلام الله تعالى ، وإما بإلقاء فى الروع كما ذكر ﷺ : " إن روح القدس نفث فى روعى " وإما بإلهام نحو قوله تعالى : ﴿ **وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه** ﴾ ، [القصص : ٧] ، وإما بتسخير نحو قوله تعالى : ﴿ **وأوحى ربك إلى النحل** ﴾ [النحل : ٦٨] ، وإما بمنام كما قاله ﷺ : " لم يبق من النبوة إلا المبشرات " . [أخرجه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجة عن ابن عباس] . فالإلهام والتسخير والمنام دل عليه قوله تعالى : ﴿**إلا وحياً**﴾، [الشورى : ٥١] ، وسماع الكلام من غير معانية دل عليه : ﴿ **من وراء حجاب**﴾ وتبليغ جبريل عليه السلام فى صورة معنية دل عليه:﴿ **أو يرسل رسولاً فيوحى بإذنه ما يشاء**﴾ وقوله تعالى: ﴿ **ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شئ** ﴾ ، [الأنعام:٩٣] ، فذلك ذم لمن يدعى شيئاً من أنواع ما ذكرنا من الوحى، أى نوع ادعاه من غير أن حصل له .

وقوله : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه** ﴾ ، [الأنبياء : ٢٥] ، فهذا الوحى هو عام فى جميع أنواعه ، وذلك أن معرفة وحدانية الله تعالى ، ومعرفة وجوب عبادته ليست مقصورة على الوحى المختص بأولى العزم من الرسل بل ذلك يعرف بالعقل والإلهام ، كما يعرف بالسمع ، فإذاً القصد من الآية تنبيه أنه من المحال أن يكون رسول لا يعرف وحدانية الله تعالى ووجوب عبادته .

وقوله : ﴿ **وإذا أوحيت إلى الحواريين** ﴾ ، [المائدة : ١١١] ، فذلك وحى بوساطة عيسى عليه السلام . وقوله : ﴿ **وأوحينا إليهم فعل الخيرات** ﴾ ، [الأنبياء : ٧٣] فذلك وحى إلى الأمم بوساطة الأنبياء عليهم السلام . ومن الوحى المختص بالنبى ﷺ : ﴿**اتبع ما أوحى إليك من ربك** ﴾ ، [الأنعام : ١٠٦] ، وقوله : ﴿ **وأوحينا إلى موسى وأخيه**﴾ ، [يونس : ٨٧] ، فوحيه إلى موسى بوساطة جبريل ، وإلى هارون بوساطة موسى عليه السلام ز وقوله : ﴿ **إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم** ﴾ ، [الأنفال : ١٢] فذلك وحى إليهم بوساطة اللوح والقلم فيما قبل . -

الأمين[١] ﴾ جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ ، وكان يمله رسول الله ﷺ على كتبة الوحي ، فيكتبون - رضى الله تبارك وتعالى عنهم ، كما يمله رسول الله ﷺ . وكانت كتابتهم لذلك فى العسب ، واللخاف ، والأكتاف والرقاع .

والقسم الآخر من الوحي : سنة رسول الله ﷺ ، ودونت بعد وفاته ﷺ وكان كتاب الوحي : عثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب ، رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، فإن غابا كتب أبى بن كعب ، وزيد بن ثابت ، رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، وكان أبىّ ممن كتب لرسول الله ﷺ ، الوحي قبل زيد بن ثابت ، وكتب معه أيضاً .

وكان زيد ألزم الصحابة لكتابة الوحي ، وكان زيد وأبىّ يكتبان الوحي بين يدى رسول الله ﷺ ، فإن لم يحضر أحدٌ من هؤلاء الأربعة ، كتب من حضر من الكتاب ، وهم : معاوية بن أبى سفيان ، وخالد بن سعيد ، وأبان بن سعيد ، والعلاء بن الحضرمي ، وحنظلة بن الربيع ، وكتب عبدالله بن سعد بن أبى سرح الوحي ، ثم ارتد[٢].

= وقوله : ﴿ وأوحى فى كل سماء أمرها ﴾ ، [فصلت : ١٢] ، فإن كان الوحي إلى أهل السماء فقط فالموحى إليه محذوف ذكره كأنه قال : أوحى إلى الملائكة ، لأن أهل السماء هم الملائكة ويكون كقوله : ﴿ إذ يوحى ربك إلى الملائكة ﴾ ، وإن كان الموحى إليه هى السماوات فذلك تسخير عند من يجعل السماء غير حى ، ونطق عند من يجعله حياً . وقوله : ﴿ بأن ربك أوحى لها ﴾ ، [الزلزلة : ٥] قريب من الأول . وقوله : ﴿ ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه ﴾ ، [طه : ١١٤] فحث له على التثبت فى السماع ، وعلى ترك الاستعجال فى تلقيه وتلقنه . (البصائر) : ٥ / ١٧٧ - ١٨٢ .

(٣) فصلت : ٤٢ .

(١) الشعراء : ١٩٣

(٢) قال ابن حُديدة الأنصارىّ فى (المصباح المضيّ) : ١ / ٢٨ : وقد كتب له عدة من أصحابه ﷺ منهم : الخلفاء الأربعة ، وعبد الله بن الأرقم ، ومعيقيب بن أبى فاطمة ، وخالد ابن سعيد وأخوه أبان ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن أبىّ بن سلول ، وأبىّ بن كعب القارئ ، ومعاوية =

فصل فى ذكر خاتم رسول الله ﷺ الذى كان يختم به

تقدم حديث البخارى عن أنس رضى الله تبارك وتعالى عنه ، قال : لما أراد رسول الله ﷺ أن يكتب إلى الروم ، قيل له : إنهم لن يقرؤا كتاباً إذا لم يكن مختوماً ، فاتخذ خاتماً من فضة ، ونقشه : محمد رسول الله[1] .

وقال ابن بطال : عن المهلب ، كان ﷺ يختم به ، وبه كان يختم الكتب إلى البلدان ، وأخرجه يونس عن الزهرى ، قال : حدثنى أنس أن معاذاً بعث إلى رسول الله ﷺ بخاتم من اليمن من وَرِق فصّهُ حبشيّ ، كتب عليه : محمد رسول الله ، فكان يتختم به ، ويختم أبوبكر ، وعمر ، وعثمان ، رضى الله تبارك وتعالى عنهما ست سنين من إمارته ، فبينما هو على رأس بئر اريس سقط منه ، فبرحت ، فلم يوجد[2] .

وخرج الترمذى فى (الشمائل) من حديث أبى عوانة ، عن أبى بشر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، قال : إن النبى ﷺ اتخذ خاتماً من فضة ، فكان يختم به ولا يلبسه[3] .

= ابن أبى سفيان بعد عام الفتح ، وكتب له أيضاً الزبير بن العوام ، والمغيرة بن شعبة ، وشرحبيل ابن حسنة ، وخالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وجهيم بن الصلت ، وعبد الله بن رواحة ، ومحمد بن مسلمة ، وعبد الله بن سعد ابن أبى سرح ، وحنظلة بن الربيع الأسيدى ، والعلاء بن الحضرمى - ذكر معمر بن شبة فى كتاب الكتاب له ، فجميعهم ثلاثة وعشرون . (المصباح المضيّ) : ١/٢٧ - ٢٨ ، باب ذكر من كتب له ﷺ من الصحابة رضى الله تبارك وتعالى عنهم .

(١) سبق تخريج أحاديث خاتم النبى ﷺ الذى كان يلبسه ويختم به كتبه ورسائله إلى الملوك والرؤساء ، وكان نقشه محمد رسول الله ، فى الجزء السابع من (إمتاع الأسماع) بتحقيقنا : ٧ / ٣٤ وما بعدها فى شأن فص خاتمه ﷺ وسبب اتخاذه ، فليراجع هناك .

(٢) سبق تخريجه وشرحه .

(٣) (الشمائل المحمدية) : ٨٨ ، باب (٢) ما جاء فى ذكر خاتم رسول الله ﷺ ، حديث رقم (٨٩) ، وهو حديث صحيح ، قال أبو عيسى : أبو بشر اسمه جعفر بن أبى وحشية ، وأخرجه=

وذكر البخارى فى (التاريخ) من حديث إياس بن الحارث بن معيقيب عن جده معيقيب ، قال : كان خاتم النبى ﷺ من حديد ملوىّ عليه فضة ، فربما كان فى يده ، وإن معيقيب يلى خاتم النبى ﷺ [١] .

- أيضا النسائى فى (السنن) : كتاب الزينة ، باب نزع الخاتم عند دخول الخلاء ، حديث رقم (٥٢١٨) ، وفى باب طرح الخاتم وترك لبسه ، حديث رقم (٥٢٩٢) ، عن قتيبة بتمامه وإسناده صحيح ، ورجاله رجال الشيخين ، وأبو عوانة هو الوضاح بن عبد الله اليشكرى.

(١) (التاريخ الكبير للبخارى) : ٨ / ٥٢ - ٥٣ ، حديث رقم (٢١٢٣) ، وفيه : " وكان المعيقيب على خاتم النبى ﷺ " .

فصل فى ذكر ما كان يختم به رسول الله ﷺ كتبه

اعلم أن رسول الله ﷺ كان يختم كتبه بطين ، ثم يطبع بالخاتم فى الطين .

قال : ابن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عبد الله بن الزبير رضى الله تبارك وتعالى عنهما . قال : إن رسول الله ﷺ استكتب عبد الله بن الأرقم ، وكان يجيب عنه الملوك ، وبلغ من أمانته عنده أنه كان يأمره أن يكتب إلى بعض الملوك – فيكتب ، ويأمره أن يطينه ويختمه ، وما يقرأه لأمانته عنده .

قال : إذا اردت أن تجعل على الكتاب طين ، فأطن الكتاب ، فتقول : قد طنته ، أطينه طيناً ، وهو كتاب مطين ، فإذا أعدت الطين على الكتاب مرة بعد مرة ، قلت : طينتةّ بالتشديد تطييناً ، فهو مطيّن .

ويقال [للذى] يجعل فيها الطين : مطينة بالكسر ، والجمع مطاين(١) .

وأقتدى برسول الله ﷺ فى ذلك الخلفاء ، فوضع معاوية بن أبى سفيان ديوان الخاتم ، واستعمل عليه عبد الله بن محصن الحميرى ، فهو أول من أحدثه ، وكان طين الختم فى الدولة العباسية يجلب من سيراف ، وهو طين أحمر ، وقيل : لم تزل الكتب منشورة غير معنونة ، حتى كانت قصة المسلمين . وقيل : أول من ختم الكتاب سليمان عليه السلام ، وأول من كتبها بالعربية قُسّ بن ساعدة(٢) .

---

(١) قال فى (اللسان) والطينة : قطعة من الطين يختم بها الصك ونحوه وطنت الكتاب طيناً : جعلت عليه طيناً لأختمه به . وطان : الكتاب طيناً وطينه : ختمه بالطين ، هذا هو المعروف وقال يعقوب : وسمعت من يقول أطن الكتاب أى اختمه وطينته خاتمه الذى يطين به . (لسان العرب) : ١٣ / ٢٧٠ .

(٢) هو قس بن ساعدة الإيادى ، سبق أن أشرنا إلى مصادر ترجمته .

فصل فى ذكر صاحب خاتم رسول الله ﷺ

اعلم أن الذى كان على خاتم رسول الله ﷺ الذى كان يختم به معيقيب ابن أبى فاطمة ، مولى سعيد بن العاص ، وقيل : هو دوسيّ حليف لآل سعيد ابن العاص : أسلم قديماً بمكة ، وهاجر إلى الحبشه الهجرة الثانية ، وقدم المدينة فى السفينتين . وقيل : قبل ذلك ، وكان على خاتم رسول الله ﷺ ، فاستعمله أبوبكر وعمر رضى الله تبارك وتعالى عنه على بيت المال . وكان قد نزل به داء الجذام ، فعولج حتى وقف ، ومات سنة اربعين وقيل : قبل ذلك[1] .

---

(١) هو معيقيب بن أبى فاطمة مولى سعيد بن العاص ، ويزعمون أنه دوسيّ حليف لآل سعيد ابن العاص ، أسلم قديماً بمكة ، وهاجر إلى الحبشة ، وقدم على النبى ﷺ بالمدينة فى السفينتين . وكان على خاتم رسول الله ﷺ ، واستعمله ابو بكر وعمر على بيت المال . ونزل به داء الجذام فعولج منه بأمر عمر بالحنظل فتوقف أمره . وهو قليل الحديث - قاله ابن عبد البر . فقلت : روينا عنه فى الصحيحين حديثاً ليس له فيهما غيره عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن معيقيب عن النبى ﷺ فى الرجل يسوى التراب حيث يسجد قال : إن كنت فاعلا فواحدة . قال ابن عبد البر : عن أبى راشد مولى معيقيب قال : قلت لمعيقيب : مالى لا أسمعك تحدث عن النبى ﷺ كما يحدث غيرك ؟ فقال : أما والله إنى لمن أقدمهم صحبة لرسول الله ﷺ ، ولكن كثرة الصمت خير من كثرة الكلام .

توفى فى آخر خلافة عثمان بن عفان رضى الله تبارك وتعالى عنه . وقيل : بل توفى سنة أربعين فى آخر خلافة على بن أبى طالب رضى الله تبارك وتعالى عنهم .

قال السهيلى : ذكره عمر بن شبة فى كتاب (الكتّاب) له . وقال عبد الكريم الحلبى : معيقيب ابن أبى فاطمة الدوسيّ ، ذكره ابن عساكر وابن الأثير وشيخنا الدمياطى والله سبحانه وتعالى أعلم له ترجمة فى (المصباح المضيّ) : ١/١٨٦ ، ترجمة رقم (٤١) ، (طبقات ابن سعد) : ٤/ ١١٦ ، (طبقات خليفة) : ١٣ و ١٢٣ ، (تاريخ خليفة) : ١٩٩ - ٢٠٢ ، =

فصل فى ذكر أمر رسول الله ﷺ بكتابة الجيش وقسمه العطاء فيهم وعرضهم وعرفائهم

اعلم أن رسول الله ﷺ أمر بكتابه المسلمين فكتبوا فى عصره ، وكان ﷺ يقسم الفئ بينهم ، وإنما كانوا يكتبون فى أوقات دون أوقات . فإذا عين ﷺ طائفة من المسليمن فى بعث أو سرية كتبوا ، وكذلك كان العطاء فى عصره ﷺ فى وقت دون وقت ، من غير تعيين وقت لذلك ، ولا تحديد مقدار لا يزاد عليه[1] .

واقتدى برسول الله ﷺ خلفيته أبو بكر الصديق[2] رضى الله تبارك وتعالى ، فكان يعطى الناس فى خلافته الأعطيات . فلما استخلف أمير

= (المعارف) : ٣١٦ و ٥٨٤ ، (الاستيعاب) : ٤ / ١٤٧٨ - ١٤٧٩ ، ترجمة رقم (٢٥٥٩) ، (سير الأعلام) : ٢/٤٩١ - ٤٩٣ ، ترجمة رقم (١٠٢) ، (التاريخ الكبير) : ٨ / ٥٢ - ٥٣ ترجمة رقم (٢١٢٣) ، (أسماء الصحابة الرواة) : ١٨٦ ، ترجمة رقم (٢٣٥) (الثقات) : ٣/ ٤٠٤ ، (الأعلام) : ٧ / ٢٧٤ ، (الجرح والتعديل) : ٨ / ٤٢٦ ، (تهذيب التهذيب) : ١٠ / ٢٢٧ - ٢٢٨ ، ترجمة رقم (٤٥٨) ، (شذرات الذهب) : ١ / ٤٨ .

(١) خرج أبو داود عن عوف بن مالك ، أن رسول الله ﷺ كان إذا أتاه الفئ قسمه فى يومه ، فأعطى صاحب الأهل حظين ، وأعطى الأعزب حظاً ، فدعينا ، وكنت قبل عمار ، فدعيت ، فأعطانى حظين ، وكان لى أهل ، ثم دعا بعدى عمار بن ياسر فأعطاه حظاً واحداً . (التراتيب الادارية) : ١/ ٢٢٤ - فصل فى ثبوت العطاء فى عهده ﷺ .

(٢) وفى (الموطأ) أن أبا بكر كان إذا أعطى الناس أعطياتهم سأل الرجل : هل عندك من مال وجبت عليك فيه الزكاة ؟ فإن قال : نعم ، أخذ من عطائه زكاة ذلك المال ، وإن قال : لا ، أسلم إليه عطاءه ولم يأخذ منه شيئاً . (المرجع السابق) .

المؤمنين عمر بن الخطاب[1] . وضع الديوان[2] . وفرض الأعطيات . ورتب الناس فى الديوان على منازلهم ، وقدر أعطياتهم ، وذلك أن الناس كثروا

---

(١) قال الإمام أبو يوسف فى كتاب (الخراج) : لم يكن فى حياة رسول الله ﷺ مرتبة معينة للجنود الذين كانوا يتألفون من جميع أرجاء المسلمين ، وإنما كانوا يأخذون مالهم فى أربعة أخماس ما يغنمون ، وفيما يرد من خراج الأرض التى أبقيت فى أيدى أهلها كأرض خيبر ، ولما ولى أبو بكر أعطى الناس وسوى بينهم فى العطاء قائلاً : هذا معاش ، فالأسوة فيه خير من الأثرة . فلما ولى عمر ، رأى فى ذلك غير رأى أبى بكر ، وقسم العطاء مفضلاً الأسبق فالأسبق .

وفى ترجمة عمرو بن الغفواء من (طبقات ابن سعد) عنه قال : دعانى رسول الله ﷺ وقد اراد أن يبعثنى بمال إلى أبى سفيان يقسمه فى قريش بمكة بعد الفتح فقال : التمس صاحباً ، قال : فجاءنى عمرو بن أمية الضمرى ، فقال : بلغنى أنك تريد الخروج ، وأنك تلتمس صاحباً . قلت : أجل ، قال : فأنا صاحب . قال : فجئت رسول الله ﷺ فقلت : وجدت صاحباً . وكان رسول الله ﷺ قال لى : إذا وجدت صاحباً فآذنى . قال : فقال من ؟ قلت : عمرو بن أمية الضمرى ، قال : فقال إذا هبطت بلاد قومه فاحذره ، فإنه قد قال القائل : أخوك البكرىّ ولا تأمنه . (التراتيب الادارية) : ١ / ٢٢٤ - ٢٢٥ ، فصلاً فى ثبوت العطاء فى عهد رسول الله ﷺ ، (الإستيعاب) : ٣ / ١١٩٨ ، ترجمه عمرو بن الغفواء رقم (١٩٤٦) ، (الإصابة) : ٤ / ٦٧٠ ترجمة رقم (٥٩٣٦) .

(٢) الديوان دفتر يكتب فيه أسماء أهل العطاء ، والعساكر ، على القبائل والبطون . وفى (النهاية) : الديوان دفتر يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء .

ذكر أبو هلال العسكرىّ فى (الأوائل) ، والماوردىّ فى (الأحكام السلطانية) أن أول من وضع الديوان فى الإسلام عمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه ، وفى ترجمة عمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه ، فى (تهذيب الأسماء واللغات) للنووى : وكان عمر هو أول من دّون الديوان للمسليمن ورتب الناس على سابقتهم فى العطاء ، وفى الإذن ، والاكرام ، فكان أهل بدر أول الناس دخولا عليه ، وكان على بن أبى طالب اولهم ، وأثبت أسماءهم فى الديوان على قربهم من رسول الله ﷺ ، فبدأ ببنى هاشم ، وبنى المطلب ، ثم الأقرب ، فالأقرب .

وفى (صبح الأعشى) للقلقشندىّ أيضاً ما نصه : هو - أى عمر - أول من رتب بيت =

= المال فيما ذكره العسكريّ ، لكنه ذكر في موضع آخر أن عمر كان على بيت المال من قبل أبي بكر ، فيكون أبو بكر قد سبقه إلى ذلك .

وفي ترجمة أبي بكر من (تاريخ الخلفاء) للسيوطي في فصل أولياته : ومنها أنه أوّل من اتخذ بيت المال ، أخرج ابن سعد عن سهل بن أبي خيثمة وغيره أن أبا بكر كان له بيت مال بالسنح ، ليس يحرسه أحد ، فقيل له : ألا تجعل عليه من يحرسه ؟ قال عليه قفل ، فكان يعطي ما فيه حتى يفرغ ، فلما انتقل إلى المدينة حوّله فجعله في داره ، فقدم عليه مال فكان يقسمه على فقراء الناس فيسوي بين الناس في القسم ، وكان يشتري الإبل ، والخيل ، والسلاح ، فيجعله في سبيل الله ، واشترى قطائف أُتي بها من المدائن ففرقها في أرامل المدينة .

فلما توفي أبو بكر ودُفن ، دعا عمر الأمناء ودخل بهم في بيت أبي بكر ، منهم عبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان ، ففتحوا بيت المال فلم يجدوا فيه شيئاً ، لا ديناراً ، ولا درهماً .

وبهذا الأثر يرد قول أبي هلال العسكري في (الأوائل) : إن أول من اتخذ بيت المال عمر ، وقد رددت عليه في كتابي الذي صنفته في (الأوائل) ، ثم رأيت العسكري تنبه له في موضع آخر من كتابه فقال إن أول من ولي بيت المال أبو عبيدة بن الجراح لأبي بكر ويمكن الجمع بأن أبا بكر أول من اتخذ بيت المال من غير إحصاء ولا تدوين ، وعمر أول من دون مثلا .

وفي (الكامل في التاريخ) لابن الاثير : وفي سنة (١٥) من الهجرة فرض عمر الفروض ودّون الدواوين ، وأعطى العطايا .

وفي (الاحكام السلطانية) للماوردي أقوال في السبب الذي حمل عمر على ذلك ، منها : أن أبا هريرة قدم إليه بمال من البحرين فقال عمر : ماذا جئت به ؟ قال : خمسمائة ألف درهم ، فاستكثره عمر ، وقال أتدري ما تقول ؟ فقال ؟ نعم مائة ألف خمس مرات ، فصعد عمر المنبر، وحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس قد جاءنا مال كثير ، فإن شئتم كلناه لكم كيلاً ، وإن شئتم عددناه لكم عداً ، فقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين قد رأيت الأعاجم يدونون لهم ديواناً ، فدون أنت ديواناً ، فاستشار عمر رضي الله تبارك وتعالى عنه الناس في تدوين الديوان ، فقال عثمان : أرى مالاً كثيراً يسع الناس ، وإن لم يحصوا ، حتى يعلم من أخذ ممن لم يأخذ خشية أن ينتشر الأمر . =

= فقال خالد بن الوليد قد كنت بالشام ، فرأيت ملوكاً لهم دواوين وجندوا أجنّادا فدونْ ديواناً وجند جنوداً ، فأخذ عمر بقوله ، ودعا عقيل بن أبى طالب ، ومخرمة بن نوفل ، وجبير بن مطعم ، وكانوا من شبان قريش ، فقال : اكتبوا الناس على منازلهم .

وفى (وفيات الأسلاف) للشهاب المرجانى : وأول من وضع ديوان العساكر فى الدولة الإسلامية عمر فى محرم سنة عشرين ، أمر عقيل بن أبى طالب ، ومخرمة ، وجبيراً من كتاب قريش ، فكتبوا ديوان الجيش بالابتداء من رسول الله ﷺ ، وما بعده على ترتيب الإنسان الأقرب فالأقرب .

وقد استظهر الخزاعى هنا وفصل ، أن كتابة الناس فى عصر النبى ﷺ وتدوينهم إنما كانت فى أوقات مخصوصة نحو كتبهم ، حين أمر حذيفة بإحصاء الناس ، وكذلك العطاء فى عصره عليه السلام ، لم يكن له وقت معين ، ولا مقدار معين ، فلما كثر الناس فى خلافة عمر ، وبيت الأموال وتأكدت الحاجة إلى ضبطهم ، وضع الديوان بعد مشاورة الصحابة على ترتيب الأنساب الأقرب فالأقرب ، على ما كان يعطيه رسول الله ﷺ لرؤساء قريش وصناديدهم ، مثل أبى سفيان بن حرب وصفوا بن أمية ، والأقرع بن حابس التميمى ، وأمثالهم وذكر أن أبا بكر ، وعمر ، ما أعطيا المؤلفة قلوبهم شيئا ، قال : فإنه روى أنه لما قبض رسول الله ﷺ ، جاءوا إلى أبى بكر واستبدلوا الحظ منه لسهامهم ، فبدل لهم الحظ ، ثم جاءوا إلى عمر ، وأخبره بذلك ، فأخذ الحظ من يدهم ، ومزقة ، وقال : إن رسول الله ﷺ كان يعطيكم ليؤلفكم على الإسلام ، فأما اليوم فقد أعز الله دينه ، فانصرفوا إلى أبى بكر ، فأخبروه بما صنع عمر ، وقالوا : أنت الخليفة أم هو ؟ فقال إن شاء الله هو فأنكر أبو بكر قوله وفعله ، وبلغ الصحابة فلم ينكروا ، وهذا يدل على أن الناس فى زمنه عليه السلام كانوا يأخذون العطاء بالضبط والتقييد ، فيدل ذلك على وقوع التدوين ، وجعل قوائم للمسلمين

وهذا هو الديوان بعينه فتأمل ذلك فى (صبح الأعشى) مانصه : فإن صح ذلك فتكون هذه الدواوين قد وضعت فى زمانه عليه السلام ، وانظر الفصل الاول من باب كتاب الجيش ، وما نقل فيه عن الحافظ فى (الفتح) مما يؤول جميعه ، بخلاف ما للمتاخرين فى هذه الترجمة .

وفى (أحكام القرآن) لابن العربى : وأما ولاية الديوان فهى الكتابة ، وقد كان للنبى ﷺ كتاب ، وللخلفاء بعد ه ، وهى ضبط الجيوش لمعرفة أرزاقهم ، والأموال ، لتحصيل فوائدها لمن يستحقها .
=

وجبيت الموال ، فتأكدت الحاجه إلى ضبطهم ، ولذلك اتفق أهل الأثر ، وعلماء الأخبار والسير ، على أن عمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه أول من وضع الديوان فى الإسلام . وفرض الأعطيات . وقد أوردت من ذلك فى كتاب (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار)[1] . ما يكفى ويشفى ، إن شاء الله تعالى .

= وفى (المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار) للتقى المقريزى : أن معاوية جعل كل قبيلة من قبائل العرب بمصر رجلاً يصبح كل يوم فيدور على المجالس فيقول : هل ولد الليلة فيكم مولود ، وهل نزل بكم نازل ، فيقال : ولد للفلان غلام ، ولفلان جارية ، فيكتب أسماءهم ويقال : نزل بهم رجل من أهل كذا بعياله ، فيسميه ، وعياله فإذا فرغ من القبيلة أتى إلى الديوان ليثبت ذلك .

(١) أحد مؤلفات المقريزى المعروف بالخطط المقريزية ، حيث وقف المقريزى حياته الخصبة على تدوين تاريخ مصر الإسلامية ، وتدوين أمجادها ، ومحنها ، فى مثابرة تثير الدهشة والإعجاب ، يدفعه إلى ذلك حب مضطرم لذلك الوطن الذى نشأ فيه ، وترعرع بين ربوعه ، وشهد خلال حياته طرفاً من محنه وأمجاده ، وسحرته معاهده ومغانيه ، وصروحه وآثاره .

وأشد ما تبدر هذه القاهرة التى تطبع كتابات المقريزى ، فى كتابه (الخطط) ، والخطط فى الواقع هى أجل ثمار هذه العاطفة المضطرمة ، وما أوحت من مثابرة وجلد ، وفى الخطط يبلغ المقريزى ذروة الاستيعاب والافتنان والروعة ، فى وصف الخطط المصرية ، وخطط الفسطاط والقاهرة المعزية ، نشأة كل منهما ، وأحيائها ، وصروحها ، وتطوراتها الجغرافية ، والعمرانية ، ومساجدها ، وقصورها ، ومعاهدها ، وكل ما احتوت من بذخ وبهاء وفن ، ويقرن ذلك فى معظم الأحيان بتاريخ الدول والشخصيات التى قامت فى ظلها هذه الصروح ، أو أوحت بإنشائها ، ثم هو لا يقف عند النواحى التخطيطية والأثرية والفنية ، ولكن يفيض فى النواحى العمرانية والاقتصادية . ولهذه المحتويات يلقى كتاب (الخطط) على تاريخ مصر السياسى ، والأثرى ، والاجتماعى ، والاقتصادى ، فى العصور الوسطى ، أعظم أضواء اجتمعت فى هذا الأثر الخالد .

وقد لبث هذا الأثر الخالد (كتاب الخطط) على كر العصور موضع التقدير والإعجاب ، وما يزال إلى يومنا من أنفس المصادر فى تاريخ مصر الإسلامية .

وخرج البخارى من حديث سفيان عن الأعمش ، عن أبى وائل ، عن حذيفة رضى الله تبارك وتعالى عنهم قال : قال النبى ﷺ : اكتبوا إلىّ من تلفظ بالإسلام من الناس ، فكتبنا له ألفاً وخمسمائة رجل ، فقلنا : نخاف ونحن ألف وخمسمائة ، ولقد رأيتنا ابتلينا حتى إن الرجل ليصلى وحده وهو خائف[1] ؟

---

(1) (فتح البارى) : ٦ / ٢١٨ ، كتاب الجهاد والسير ، باب (١٨١) ، كتابة الإمام الناس ، حديث رقم (٣٠٦٠) .

قوله : (اكتبوا من تلفظ بالإسلام) فى رواية أبى معاوية عن الأعمش عند مسلم "أحصوا " بدل " اكتبوا " ، وهى أعم من اكتبوا ، وقد يفسر أحصوا باكتبوا . قوله : (فقلنا نخاف) هو استفهام تعجب وحذفت منه أداة الاستفهام وهى مقدرة ، وزاد أبو معاوية فى روايته " فقال :" إنكم لا تدرون لعلكم أن تبتلوا ، وكأن ذلك وقع عند ترقب ما يخاف منه ، ولعله كان عند خروجهم إلى أحد أو غيرها . ثم رأيت فى شرح ابن التين الجزم بأن ذلك كان عند حفر الخندق وحكى الداودى احتمال أن ذلك وقع لما كانوا بالحديبية لأنه قد اختلف فى عددهم ، هل كانوا ألفاً وخمسمائة؟ أو ألفاً وأربعمائة ؟ .

وأما قول حذيفة : " فلقد رأيتنا ابتلينا الخ " فيشبه أن يكون أشار بذلك إلى ما وقع فى أواخر خلافة عثمان من ولاية بعض أمراء الكوفة ، كالوليد بن عقبة ، حيث كان يؤخر الصلاة ، أو لا يقيمها على وجهها ، وكان بعض الورعين يصلى وحده سراً ، ثم يصلى معه خشية من وقوع الفتنة ، وقيل : كان ذلك حين أتم عثمان الصلاة فى السفر ، وكان بعضهم يقصر سراً وحده خشية الإنكار عليه ، ووهم من قال إن ذلك كان أيام قتل عثمان لأن حذيفة لم يحضر ذلك ، وفى ذلك علم من أعلام النبوة ، من الإخبار بالشئ قبل وقوعه ، وقد وقع أشد من ذلك بعد حذيفة فى زمن الحجاج وغيره .

قوله : " قال : أبو معاويه ما بين ستمائة إلى سبعمائة " أى أن أبا معاوية خالف الثورى أيضاً عن الأعمش بهذا الإسناد فى العدة ، وطريق أبى معاوية هذه وصلها مسلم وأحمد والنسائى وابن ماجة ، وكأن رواية الثورى رجحت عند البخارى ، فلذلك اعتمدها لكونه أحفظهم مطلقاً ، وزاد عليهم ، وزيادة الثقة الحافظ مقدمة ، وأبو معاوية وإن كان أحفظ أصحاب الأعمش -

- بخصوصه ، ولذلك اقتصر مسلم على روايته ، لكنه لم يجزم بالعدد ، فقدم البخارى رواية الثورى لزيادتها بالنسبة لرواية الأثنين ولجزمها بالنسبة لرواية أبى معاوية .

وأما ما ذكره الإسماعيلى أن يحيى بن سعيد الأموى وأبا بكر بن عياش وافقا أبا حمزة فى قوله : خمسمائة فتعارض الأكثرية والحفظية ، فلا يخفى بعد ذلك الترجيح بالزيادة ، وبهذا يظهر رجحان نظر البخارى على غيره . وسلك الداودى الشارح طريق الجمع فقال : لعلهم كتبوا مرات فى مواطن . وجمع بعضهم بأن المراد بالألف وخمسمائة جميع من أسلم من رجل وامرأة وعبد وصبى ، وبما بين الستمائة إلى السبعمائة الرجال خاصة ، وبالخمسمائة المقاتلة خاصة ، وهو أحسن من الجمع الأول ، وإن كان بعضهم أبطله بقوله فى الرواية الأولى : ألف وخمسمائة رجل لامكان أن يكون الروای أراد بقوله : رجل نفس ، وجمع بعضهم بأن المراد بالخمسمائة المقاتلة من أهل المدينة خاصة ، وبما بين الستمائة إلى السبعمائة هم ومن ليس بمقاتل ، وبالألف وخمسمائة هم ومن حولهم من أهل القرى والبوادى .

وقال الحافظ : ويخدش فى وجوه هذه الاحتمالات كلها اتحاد مخرج الحديث ومداره على الأعمش بسنده ، واختلاف أصحابه عليه فى العدد المذكور والله أعلم .

وفى الحديث مشروعية كتابة دواوين الجيوش ، وقد يتعين ذلك عند الاحتياج الى تمييز من يصلح للمقاتلة بمن لا يصلح ، وفيه وقوع العقوبة على الإعجاب بالكثرة ، وهو نحو قوله تعالى : ﴿ **ويوم حنين إذا أعجبتكم كثرتكم** ﴾ . وقال ابن المنير : موضع الترجمة من الفقة أن لا يتخيل أن كتابة الجيش وإحصاء عدده يكون ذريعة لارتفاع البركة ، بل الكتابة المأمور بها لمصلحة دينية ، والمؤاخذة التى وقعت فى حنين كانت من جهة الإعجاب .

ثم ذكر المصنف حديث ابن عباس " قال رجل : يا رسول الله ، إنى اكتتبت فى غزوة كذا " وهو يرجح الرواية الأولى بلفظ " اكتبوا " لأنها مشعرة بأنه كان من عادتهم كتابة من يتعين للخروج فى المغازى . (فتح البارى) مختصراً .

أنبأنا عبدان عن أبى حمزة عن الأعمش ، فوجدناهم خمسمائه ، وقال أبو معاوية : ما بين ستمائة إلى سبعمائة . ترجم عليه : باب كتابه الإمام الناس[1] .

وخرج مسلم من طريق أبى معاوية عن الأعمش ، عن شقيق ، عن حذيفة قال : كنا مع رسول الله ﷺ فقال : أحصوا كم تلفظ بالإسلام ، قال : فقلنا : أتخاف علينا ونحن ما بين الستمائة إلى السبعمائة ؟ فقال : إنكم لا تدرون لعلكم أن تبتلوا ، قال : فابتلينا حتى جعل الرجل منا لا يصلى إلا سراً .

وقال النسائى : أنبأنا هناد بن السرى ، عن أبى معاوية بهذا الإسناد . وقال : قال رسول الله ﷺ : أحصوا من كان تلفظ بالإسلام ، فقلنا : أيخاف علينا ؟؟ ... الحديث ، كما قال مسلم . ذكره فى الجهاد ، وترجم عليه : باب إحصاء الإمام الناس[2] .

وخرج البخارى[3] ومسلم[4] من حديث سفيان بن عيينة قال : حدثنا عمرو بن دينار عن أبى معبد ، قال : سمعت ابن عباس رضى الله تبارك

---

(١) (مسلم بشرح النووى) : ٢ / ٥٣٧ - ٥٣٨ ، كتاب الإيمان ، باب (٦٧) الاستسرار بالإيمان للخائف ، حديث رقم (١٤٩) .

(٢) لم أجده فى (المجتبى) ، ولعله فى (الكبرى) ، وفى التعليق السابق وشرحه ما يفى إن شاء الله تعالى .

(٣) (فتح البارى) : ٦ / ١٧٦ ، كتاب الجهاد والسير ، باب (١٤٠) من اكتتب فى جيش فخرجت امرأته حاجة أو كان له عذر هل يؤذن له ؟ حديث رقم (٣٠٠٦) ، ٩ / ٤١٣ ، كتاب النكاح ، باب (١١٢) لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم ، حديث رقم (٥٢٣٣) .

ويستفاد منه أن الحج فى حق مثله أفضل من الجهاد لأنه اجتمع له مع حج التطوع فى حقه تحصيل حج الفرض لامرأته وكان اجتماع ذلك له أفضل من مجرد الجهاد الذى يحصل =

= المقصود منه بغيره ، وفيه مشروعيه كتابة الجيش ، ونظر الإمام لرعيته بالمصلحة ، ومعنى الحديث على نحو ما روى لا يخلون رجل بامرأة فإن ثالثهما الشيطان . وهذا الحديث الذى أشار إليه أخرجه أحمد من حديث عامر بن ربيعة .

وقال النووى : اتفق أهل العلم باللغة على أن الأحماء أقارب زوج المرأة كأبيه ، وعمه وأخيه ، وابن أخيه ، وابن عمه ، ونحوهم ، وأن الاختان أقارب زوجة الرجل ، وأن الأصهار تقع على النوعين . وقد اقتصر أبو عبيد وتبعه ابن فارس والداودى على أن الحمو أبو الزوجة ، زاد ابن فارس : وأبو الزوج ، يعنى أن والد الزوج حمو المرأة ، ووالد الزوجة حمو الرجل ، وهذا الذى عليه عرف الناس اليوم .

وقال الأصمعى وتبعه الطبرى والخطّابى ما نقله النووى ، وكذا نقل عن الخليل ، ويؤيده قوله عائشة : " ما كان بينى وبين على إلا ما كان بين المرأة وأحمائها " ، وقد قال النووى : المراد فى الحديث أقارب الزوج غير آبائه وأبنائه ، لأنهم محارم للزوجة يجوز لهم الخلوة بها ولا يوصفون بالموت .

قال : وإنما المراد الأخ ، وابن الأخ ، والعم ، وابن العم ، وابن الأخت ، ونحوهم . مما لايحل لها تزويجه لو لم تكن متزوجة ، وجرت العادة بالتساهل فيه فيخلو الأخ بامرأة أخيه فشبهه بالموت وهو أولى بالمنع من الأجنبى . وقد جزم الترمذى وغيره كما تقدم ، وتبعه المازرى بأن الحمو أبو الزوج ، وأشعر المازرى إلى أنه ذكر للتنبيه على منع غيره بطريق الأولى ، وتبعه ابن الأثير فى (النهاية) ، ورده النووى فقال : هذا كلام فاسد مردود ولا يجوز حمل الحديث عليه . وسيظهر فى كلام الأئمة فى تفسير المراد بقوله : " الحمو الموت " ما تبين منه أن كلام المازرى ليس بفاسد .

وقال الحافظ فى (الفتح) : محرم المرأة من حرم عليه نكاحها على التأبيد إلا أم الموطوءة بشبهة والملاعنة ، فإنهما حرامان على التأبيد ، ولا محرمية هناك ، وكذا أمهات المؤمنين ، وأخرجهن بعضهم بقوله فى (التعريف) : بسبب مباح لا لحرمتها . وخرج بقيد التأبيد أخت المرأة ، وعمتها ، وخالتها ، وبنتها ، إذا عقد على الأم ولم يدخل بها .

(٤) (مسلم بشرح النووى) : ٩ / ١١٧ ، كتاب الحج ، باب (٧٤) سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره ، حديث رقم (٤٢٤) . =

وتعالى عنه يقول : سمعت النبى ﷺ يخطب يقول : لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعهما ذو محرم ، ولا تسافر المرأة إلا مع ذى محرم ، فقام رجل فقال : يا رسول الله ، إن إمرأتى خرجت حاجة ، وإنى أكتتب فى غزوة كذا وكذا ، قال : انطلق فحج مع امرأتك .

= قال الإمام النووى فى (شرح مسلم) ، قوله ﷺ : " لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم " هذا استثناء منقطع لأنه متى كان معها محرم لم تبق خلوة ، فتقدير الحديث لا يقعدن رجل مع إمرأة إلا ومعها محرم . وقوله ﷺ : " ومعها ذو محرم " يحتمل أن يريد محرماً لها ويحتمل أن يريد محرماً لها أو له ، وهذا الاحتمال الثانى هو الجارى على قواعد الفقهاء فإنه لا فرق بين أن يكون معها محرم لها ، كابنها ، وأخيها ، وأمها ، وأختها ، أو يكون محرماً له كأخته ، وبنته ، وعمته ، وخالته ، فيجوز القعود معها فى هذه الأحوال .

ثم إن الحديث مخصوص أيضاً بالزوج ، فإنه لو كان معها زوجها كان كالمحرم ، وأولى بالجواز ، وأما إذا خلا الأجنبى بالأجنبية من غير ثالث معهما فهو حرام باتفاق العلماء ، وكذا لو كان معهما من لا يستحى منه لصغره ، كابن سنتين وثلاث ونحو ذلك ، فإن وجوده كالعدم ، وكذا لو اجتمع رجال بإمرأة أجنبية فهو حرام ، بخلاف ما لو اجتمع رجل بنسوة أجانب ، فإن الصحيح جوازه ، وقد أوضحت المسألة فى (المختار) : أن الخلوة بالأمرد الأجنبى الحسن كالمرأة ، فتحرم الخلوة به حيث حرمت بالمرأة إلا إذا كان فى جمع من الرجال المعصومين .

قال أصحابنا : ولا فرق فى تحريم الخلوة حيث حرمناها بين الخلوة فى صلاة أو غيرها ، ويستثنى من هذا كله مواضع الضرورة بأن يجد امرأة أجنبية منقطعة فى الطريق أو نحو ذلك فيباح له استصحابها بل يلزمه ذلك ، إذا خاف عليها لو تركها ، وهذا لا اختلاف فيه ، ويدل عليه حديث عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها فى قصة الإفك والله تبارك وتعالى أعلم .

اللفظ لمسلم . وقال البخارى : اذهب فاحجج مع امرأتك . ذكره البخارى فى كتاب الجهاد ، وترجم عليه : باب من اكتتب فى جيش ، فخرجت امرأته حاجة أو كان له عذر ، هل يؤذن له[1] ؟

وقال فى النكاح : أنبأنا على بن عبدالله قال : أنبأنا سفيان ، قال : أنبأنا عمرو بهذا الإسناد ، ولم يقل فى هذا : ولا تسافر المرأة إلا مع ذى محرم[2] .

وذكره فى الجهاد فى باب : كتابة الإمام الناس ، من حديث ابن جريح ، عن عمرو بن دينار ، عن أبى معبد ، عن ابى عباس رضى الله تبارك وتعالى عنه ، فقال : يا رسول الله ، إنى كتبت فى غزوة كذا وكذا ، وإمرأتى حاجاة ، قال ﷺ : ارجع فاحجج مع امرأتك[3] .

وأخرجاه من حديث حماد عن عمرو بهذا الإسناد نحوه ، وذكر البخارى فى كتاب الحج فى باب : حج النساء ، من طريق حماد بن زيد ، عن عمرو ، عن أبى معبد مولى ابن عباس ، عن ابن عباس رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، قال : قال النبى ﷺ : لا تسافر المرأة إلا مع ذى محرم ، ولا يدخل عليها رجل إلا ومعها محرم . فقال رجل : يا رسول الله ، إنى أريد أن أخرج فى جيش كذا وكذا ، وإمرأتى تريد الحج ، فقال : أخرج معها[4] .

---

(١) (فتح البارى) : ٦ / ١٧٦ ، كتاب الجهاد ، باب (١٤٠) من اكتتب فى جيش فخرجت امرأته حاجة ، أو كان له عذر هل يؤذن له ؟ حديث رقم (٣٠٠٦) .

(٢) (المرجع السابق) : ٩ / ٤١٣ ، كتاب النكاح ، باب (١١٢) لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم ، والدخول على المغيبة ، حديث رقم (٥٢٣٣) .

(٣) (المرجع السابق) : ٦ / ٢١٩ ، كتاب الجهاد والسير ، باب (١٨١) كتابة الإمام الناس ، حديث رقم (٣٠٦١) .

(٤) (فتح البارى) : ٨٩/٤ ، كتاب جزاء الصيد ، باب (٢٦) حج النساء ، حديث رقم (١٨٦٢) .=

وخرج البخارى من حديث إبراهيم بن طمهان ، عن عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس رضى الله تبارك وتعالى عنه قال ، أُتى النبىُّ ﷺ بمال من

= قوله : " بمال من البحرين " روى ابن أبى شيبة من طريق حميد بن هلال مرسلاً أنه كان مائة ألف ، وأنه أرسل به العلاء بن الحضرمى من خراج البحرين ، قال : وهو أول خراج حُمل إلى النبى ﷺ . وعند المصنف فى المغازى من حديث عمرو بن عوف : " أن النبى ﷺ صالح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمى ، وبعث أبا عبيدة بن الجراح إليهم ، فقدم أبو عبيدة بمال فسمعت الأنصار بقدومه .. " الحديث . فيستفاد منه تعيين الآتى بالمال ، لكن فى (الردة) للواقدى : أن رسول العلاء بن الحضرمى بالمال هو العلاء بن حارثة الثقفى ، فلعله كان رفيق أبى عبيدة ، وأما حديث جابر ، " أن النبى ﷺ قال له : لو قد جاء مال البحرين أعطيتك " وفيه : " فلم يقدم مال البحرين حتى مات النبى ﷺ .. " الحديث ، فهو صحيح كما سيأتى عند المصنف ، وليس معارضاً لما تقدم ، بل المراد أنه لم يقدم فى السنة التى مات فيها النبى ﷺ ، لأنه كان مال خراج أو جزية فكان يقدم من سنة إلى سنة .

قوله : " وفاديت عقيلاً " أى ابن أبى طالب وكان أسر مع عمه العباس فى غزوة بدر .

وقوله " فحثا " بمهملة ثم مثلثة مفتوحة ، والضمير فى ثوبه يعود على العباس .

قوله : " مر بعضهم " بضم الميم وسكون الراء ، وفى رواية " اؤمر " بالهمز ، قوله : " يرفعه " بالجزم لأنه جواب الأمر ، ويجوز الرفع أى فهو يرفعه .

قوله : " على كاهله " أى بين كتفيه ، وقوله : " يتبعه " بضم أوله من الإتباع ، و"عجباً" بالفتح ، وقوله : " وثَم منها درهم " بفتح المثلثة أى هناك .

وفى هذا الحديث بيان كرم النبى ﷺ وعدم التفاته إلى المال قل أو كثر ، وأن الإمام ينبغى له أن يفرق مال المصالح فى مستحقيها ولا يؤخره .

وموضع الحاجة منه هنا جواز وضع ما يشترك المسلمون فيه من صدقة ونحوه فى المسجد ، ومحله ما إذا لم يمنع مما وضع له المسجد من الصلاة وغيرها مما بنى المسجد لأجله ويستفاد منه جواز وضع ما يعم نفعه فى المسجد كالماء لشرب من يعطش ، ويحتمل التفرقة بين ما يوضع للخزن فيمنع الثانى دون الأول ، وبالله التوفيق .

البحرين فقال : انثروه فى المسجد ، وكان أكثر مال أُتى به رسول الله ﷺ ، فخرج رسول الله ﷺ إلى الصلاة فلم يلتفت إليه ، فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليه ، فما كان يرى أحداً إلا أعطاه ، إذ جاءه العباس فقال : يا رسول الله ، أعطنى ، فإنى فاديت نفسى ، وفاديت عقيلاً ، فقال له رسول الله ﷺ : خذ ، فحثا فى ثوبه ، ثم ذهب يقله ، فلم يستطيع ، فقال : يا رسول الله [اؤمر] بعضهم يرفعه إلىّ ، قال : لا ، قال : فارفعه أنت على ، قال : لا ، فنثلا منه ثم ذهب يقله[1] ، فقال : يا رسول الله [اؤمر] بعضهم يرفعه على ، قال : لا ، قال : فارفعه أنت علىّ ، قال : لا ، فنثر منه ، ثم احتمله فألقاه على كاهله ، ثم انطلق ، فما زال رسول الله ﷺ يتبعه بصره حتى خفى علينا ، عجباً من حرصه ، فما قام رسول الله ﷺ وثم منها درهم[2] .

وخرج عبد الله بن على بن الجارود . من حديث محمد بن يحيى ، قال : أنبأنا أبو المغيرة ، قال : أنبأنا صفوان ، قال : أنبأنا عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، عن أبيه ، عن عوف بن مالك ، قال : كان رسول الله ﷺ إذا جاءه سبى فقسمه من يومه ، فأعطى الآهل حظين ، وأعطى العزب حظاً

---

(١) فى (الأصل) : " فلم يقله " ، " فلم يستطع " ، وما أثبتناه من البخارى .

(٢) (فتح البارى) : ١ / ٦٧٨ - ٦٧٩ ، كتاب الصلاة ، باب (٤٢) القسمة وتعليق القنو فى المسجد ، حديث رقم (٤٢١) .

قال أبو عبد الله : القنو : العذق ، الاثنان قنوان ، والجماعة أيضا قنوان ، مثل صنو وصنوان ، وأخرجه أيضا فى كتاب الجهاد والسير ، باب (١٧٢) فداء المشركين ، حديث رقم (٣٠٤٩) مختصراً ، وأخرجه فى كتاب الجزية والموادعة ، باب (٤) ، أقطع النبى ﷺ من البحرين ، وما وعد من مال البحرين والجزية ، ولم يقسم الفئ والجزية ؟ حديث رقم (٣١٦٥) .

واحداً ، قال : فدعيت ، وكنت أُدعى قبل عمار بن ياسر ، فدُعيت فأعطاني حظين ، وكان لي أهل ، ثم دعا بعد عمار ، فأعطاه حظاً واحداً .

ورواه أبو داود السجستاني[1] ، عن ابن المصفى ، قال حدثنا أبو المغيرة ، عن صفوان بن عمرو ، عن عبد الرحمن بن نفير ، عن أبي ، عن عوف بن مالك ، أن رسول الله ﷺ . كان إذا أتاه الفئ ... الحديث .

ولأبي داود من حديث هشام بن سعْد ، عن زيد بن أسلم ، أن عبد الله ابن عمر رضي الله تبارك وتعالى عنهما ، دخل على معاوية فقال : حاجتك يا أبا عبد الرحمن ، فقال : عطاء [المحررين ، فإني رأيت رسول الله ﷺ أول ما جاءه شئ بدأ بالمحررين[2]] .

---

(1) (سنن أبي داود) : ٣ / ٣٥٩ - ٣٦٠ ، كتاب الخراج والإمارة والفئ ، باب (١٤) قسمة الفئ ، حديث رقم (٢٩٥٣) .

(2) (سنن أبي داود) : ٣ / ٣٥٨ ، كتاب الخراج والإمارة والفئ ، باب (١٤) في قسم الفئ ، حديث رقم (٢٩٥١) ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه .

قال الخطابي : يريد بالمحررين المعتقين ، وذلك أنهم قوم لا ديوان لهم ، وإنما يدخلون تبعاً في جملة مواليهم ، وكان الديوان موضوعاً على تقديم بني هاشم ، ثم الذين يلونهم في القرابة والسابقة ، وكان هؤلاء مؤخرين في الذكر ، فأذكر بهم عبد الله بن عمر ، وتشفع في تقديم أعطيتهم ، لما علم من ضعفهم وحاجتهم .

ووجدنا الفئ مقسوماً لكافة المسلمين على ما دلت عليه الأخبار ، إلا من أستثني منهم من أعارب الصدقة ، وقال عمر بن الخطاب : لم يبق أحد من المسلمين إلا له فيه حق إلا بعض من تملكون من أرقائكم ، وإن عشت إن شاء الله ليأتين كل مسلم حقه ، حتى يأتي الراعي بسر وحمير لم يعرق جبينه ، واحتج عمر رضي الله تبارك وتعالى عنه في ذلك بقوله تعالى : **﴿ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾** [الحشر : ١٠] . =

وله من حديث عبدالله بن دينار ، عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت : إن النبى ﷺ أُتى بظبية[1] فيها خرز ، فقسمها للحرة والأمة ، قالت عائشة : كان أبى رضى الله تبارك وتعالى عنه يقسم للحر والعبد[2] .

- وقال أحمد وإسحاق : الفئ للغنى والفقير إلا العبيد ، واحتج أحمد فى ذلك بأن النبى ﷺ أعطى العباس من مال البحرين ، والعباس رضى الله تبارك وتعالى عنه غنى .

والمشهور عن أبى بكر الصديق رضى الله تبارك وتعالى عنه ، أنه سوى بين الناس ، ولم يفضل بالسابقة ، وأعطى الأحرار والعبيد . وعن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه ، أنه فضل بالسابقة ، والقدم ، وأسقط العبيد ، ثم رد على بن أبى طالب رضى الله تبارك وتعالى عنه ، الأمر إلى التسوية بعد ، ومال الشافعى إلى التسوية ، وشبهه بقسم المواريث . (معالم السنن) .

(١) الظبية : الجراب ، أو الخريطة ، أو الكيس .

(٢) (سنن أبى داود) : ٣ / ٣٥٩ ، كتاب الخراج والإمارة والفئ ، باب (١٤) فى قسمة الفئ ، حديث رقم (٢٩٥٢) .

قال الخطابى : وكان الشافعى يقول : ينبغى للإمام أن يحصى جميع من فى البلدان من المقاتلة - وهم من قد احتلم أو استكمل خمس عشرة سنة من الرجال - ويحصى الذرية - وهى من دون المحتلم ، ودون البالغ ، والنساء صغيرتهن ، وكبيرتهن - ويعرف قدر نفقاتهم وما يحتاجون إليه فى مؤناتهم بقدر معايش مثلهم فى بلدانهم ثم يعطى المقاتلة فى كل عام عطاءهم . والعطاء الواجب من الفئ لا يكون إلا لبالغ يطيق مثله الجهاد ، ثم يعطى الذرية والنساء ما يكفيهم لسنتهم فى كسوتهم ونفقتهم .

قال : ولم يختلف أحد لقيناه فى أن ليس للمماليك فى العطاء حق ، ولا للأعراب الذين هم أهل الصدقة ، قال : وإن فضل من المال فضل بعدما وصفت ، وضعه الإمام فى إصلاح الحصون والازدياد فى الكراع ، وكل ما قوى به المسلمون . فإن استغنى المسلمون وكملت كل مصلحة لهم فرق ما يبقى من بينهم كله على قدر ما يستحقون فى ذلك المال . قال : ويعطى من الفئ رزق الحكام ، وولاة الأحداث ، والصلات بأهل الفئ ، وكل من قام بأمر الفئ من وال ، وكاتب ، وجندى - ممن لاغنى لأهل الفئ عنه - رزق مثله .

وللبخارى من حديث مروان بن الحكم ، ومستورد بن مخرمة ... فذكر حديث وفد هوازن إلى أن قال : فقام رسول الله ﷺ فى المسلمين ، فأثنى على الله تعالى بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد ، فإن إخوانكم هؤلاء جاؤونا تائبين ، وإنى [قد] رأيت أن أرد إليهم سبيهم ، فمن أحب منكم أن يطيب بذلك فليفعل ، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفئ الله علينا فليفعل ، فقال الناس : قد طيبنا ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : إنا لا ندرى من أذن منكم فى ذلك ممن لم يأذن ، فأرجعوا حتى يرفعوا إلينا عرفاؤكم أمركم .

فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا[1] .

---

(١) (فتح البارى) : ٤ / ٦٠٩ ، كتاب الوكالة ، باب (٧) إذا وهب شيئاً لوكيل أو شفيع قوم جاز لقول النبى ﷺ لوفد هوازن حين سألوه المغانم ، فقال النبى ﷺ : نصيبى لكم ، حديث رقم (٢٣٠٧) ، (٢٣٠٨) ، وأخرجه فى كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها ، باب (١٠) من رأى الهبة الغائبة جائزة ، حديث رقم (٢٥٨٣) ، (٢٥٨٤) ، وفى باب (٢٤) إذا وهب جماعة لقوم ، حديث رقم (٢٦٠٧) (٢٦٠٨) ، وأخرجه فى كتاب فرض الخمس ، باب (١٥) ومن الدليل على أن الخمس لنوائب المسلمين ما سأل هوازن النبى ﷺ برضاعه فيهم فتحلل من المسلمين ، وما كان النبى ﷺ يعد الناس أن يعطيهم من الفئ والأنفال من الخمس ، وما أعطى الأنصار ، وما أعطى جابر بن عبد الله من تمر خيبر ، حديث رقم (٣١٣١) ، (٣١٣٢) .

وأخرجه فى كتاب المغازى ، باب (٥٥) قول الله تعالى : ﴿ **ويوم حنين إذا أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين** ﴾[التوبة : ٢٥] . حديث رقم (٤٣١٨) ، (٤٣١٩) ، وأخرجه فى كتاب الأحكام ، باب (٢٦) العرفاء للناس ، حديث رقم (٧١٧٦) ، (٧١٧٧) . =

قال الحافظ فى (الفتح) : قال ابن بطال : فى الحديث مشروعية إقامة العرفاء لأن الإمام

= لا يمكنه أن يباشر جميع الأمور بنفسه فيحتاج إلى إقامة من يعاونه لكيفيه ما يقيمه فيه ، قال : والأمر والنهى إذا توجه إلى الجميع يقع التوكل فيه من بعضهم فربما وقع التفريط ، فإذا أقام على كل قوم عريفاً لم يسع كل أحد إلا القيام بما أمره به .

وقال ابن المنير فى (الحاشية) : يستفاد منه جواز الحكم بالإقرار بغير إشهاد ، فإن العرفاء ما أشهدوا على كل فرد شاهدين بالرضا ، وإنما أقر الناس عندهم وهم نواب للإمام فاعتبر ذلك . وفيه أن الحاكم يرفع حكمه إلى حاكم آخر مشافهة فينفذه إذا كان كل منهما فى محل ولايته . قال الحافظ فى (الفتح) : وقع فى (سير الواقدى) : أن أبا رهم الغفارى كان يطوف على القبائل حتى جمع العرفاء ، واجتمع الأمناء على قول واحد .

وفيه أن الخبر الوارد فى ذم العرفاء لا يمنع إقامة العرفاء لانه محمول - إن ثبت - على أن الغالب على العرفاء الاستطالة ، ومجاوزة الحد ، وترك الإنصاف المفضى إلى الوقوع فى المعصية .

والحديث المذكور أخرجه أبو داود من طريق المقدام بن معد يكرب رفعه : " العرافة حق ، ولابد للناس من عريف ، والعرفاء فى النار .

" ولأحمد وصححه ابن خزيمة من طريق عباد بن أبى على عن أبى حازم عن أبى هريرة رفعه : ويل للأمراء ، ويل للعرفاء " قال الطيبى : قوله : " والعرفاء فى النار " ظاهر أقيم مقام الضمير يشعر بأن العرافة على خطر ، ومن باشرها غير أمن من الوقوع فى المحذور المفضى إلى العذاب ، فهو كقوله تعالى : ﴿ **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً** ﴾ فينبغى للعاقل أن يكون على حذر منها لئلا يتورط فيما يؤديه إلى النار .

قال الحافظ : ويؤيد هذا التأويل الحديث الآخر حيث توعد الأمراء بما توعد به العرفاء ، فدل على أن المراد بذلك الإشارة إلى أن كل من يدخل فى ذلك لا يسلم ، وأن الكل على خطر ، والاستثناء مقدر فى الجميع .

وأما قوله : " العرافة حق " فالمراد به أصل نصبهم ، فإن المصلحة تقتضيه لما يحتاج إليه الأمير من المعاونة على ما يتعاطاه بنفسه ، ويكفى فى الاستدال لذلك وجودهم فى العهد النبوى كما دل عليه حديث الباب .

وأخرجه أبو داود فى (السنن) : ٣ / ١٤١ - ١٤٢ ، كتاب الجهاد ، باب (١٣١) فداء الأسير ، حديث رقم (٢٦٩٣) . =

والعرفاء [هم] رؤساء الأخبار وقوادهم ، وقيل : العريف : النقيب ، وهو دون الرئيس .

وقال هيثم بن بشرة : أخبرنى عبدالحميد بن جعفر الأنصارى عن أبيه أن أم سمرة بن جندب مات عنها زوجها ، وترك ابنه سمرة وكانت إمرأة جميلة ، فقدمت المدينة فخطبت ، فجعلت تقول ، لا أتزوج إلا رجلاً يضمن لها نفقة ابنها سمرة حتى يبلغ ، فتزوجها رجل من الأنصار على ذلك ، فكانت معه فى الأنصار ، فكان رسول الله ﷺ يعرض غلمان الأنصار فى كل عام ، فمر به غلام فأجازه فى البعث ، وعرض عليه سمرة من بعده فرده ، فقال سمرة : يا رسول الله ، لقد أجزت غلاماً ورددتنى ، ولو صارعته لصرعته ، قال ﷺ : فصارعه ، فصارعته ، فصرعته ، فأجازنى فى البعث[1] .

= وأخرجه الإمام أحمد فى (المسند) : ٥ / ٤٢٨ ، حديث رقم (١٨٤٣٥) من حديث المسور بن مخرمة .

(١) هو سمرة بن جندب بن هلال الفزارى ، من علماء الصحابة ، نزل البصرة ، له أحاديث صالحة ، حدث عنه ابنه سليمان ، والحسن البصرى ، وابن سيرين ، وجماعة ، وبين العلماء فيما روى الحسن عن سمرة اختلاف فى الاحتجاج بذلك ، وقد ثبت سماع الحسن من سمرة ، ولقيه بلا ريب ، صرح بذلك فى حديثين : حديث رقم (٢٨٣٨) من (سنن أبى داود) ، وحديث رقم (١٥٢٢) من (سنن الترمذى) .

وكان زياد بن أبيه يستخلفه على البصرة إذا سار إلى الكوفة ، ويستخلفه على الكوفة إذا سار إلى البصرة ، وكان شديداً على الخوارج ، قتل منهم جماعة ، وكان الحسن وابن سيرين يثنيان عليه ، رضى الله تبارك وتعالى عنه .

مات سمرة سنة ثمان وخمسين ، وقيل : سنة تسع وخمسين ، له ترجمة فى : (طبقات ابن سعد) : ٦ / ٣٤ ، ٧ / ٤٩ ، (طبقات خليفة) : ترجمة رقم (٤٢٣) ، (١٤٠٤) (التاريخ الكبير) : ٤ / ١٧٦ ، (التاريخ الصغير) : ١ / ١٠٦ - ١٠٧ ، (المعارف) : ٣٠٥ ، (تهذيب الأسماء واللغات) : ١ / ٢٣٥ ، (الوافى بالوفيات) : ١٥ / ٤٥٤ ، =

وخرج الحاكم[1] من حديث هشيم ، قال : أنبأنا عبد الحميد بن جعفر ، عن أبيه ، عن سمرة بن جندب ، قال : أيمت أمى ، وقدمت المدينة ، فخطبها الناس ، فقالت : لا أتزوج إلا برجل يكفل لى هذا اليتيم ، فتزوجها رجل من الأنصار . قال : وكان رسول الله ﷺ يعرض غلمان الأنصار فى كل عام ، فليلحق من أدرك منهم ، فعرضت عاماً ، فألحق غلاماً وردنى ، فقلت : يا رسول الله !! لقد ألحقته ورددتنى ، ولو صارعته لصرعته ، فصارعته ، فصرعته ، فألحقنى . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد .

- (تهذيب التهذيب) : ٤ / ٢٣٦ ، (مرأة الجنان) : ١ / ١٣١ ، (الإصابة) : ٣ / ١٧٨ - ١٧٩ ، ترجمة رقم (٣٤٧٧) ، (شذرات الذهب) : ١ / ٦٥ .

(١) (المستدرك) : ٢ / ٦٩ ، كتاب البيوع ، حديث رقم (٢٣٥٦) ، وقال الحافظ الذهبى فى (التخليص) : صحيح .

فصل فى ذكر ما أقطعه رسول الله ﷺ من الأرضــين ونحـــوه

خرج أبو داود[1] والترمذى[2] من حديث شعبة ، عن سماك ، عن علقمة بن وائل بن حجر . عن أبيه رضى الله تبارك وتعالى عنه ، أن النبى ﷺ أقطعه أرضاً بحضرموت .

زاد الترمذى : وبعث معه معاوية ليقطعها إياه ، وقال : هذا حديث حسن [صحيح][3] .

ولأبى داود[4] من حديث فطر ، قال : حدثنى أبى ، عن عمرو بن حريث ، قال : خط لى رسول الله ﷺ داراً بالمدينة بقوس ، وقال : " أزبدك ، أزبدك "[5] .

وله من حديث مالك ، عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن ، عن غير واحد ، قال : أن رسول الله ﷺ أقطع بلال بن الحارث المزنى ، معادن القبلية ، وهى من ناحية الفرع ، فتلك المعادن لا يؤخذ منها إلا الزكاة إلى اليوم[6] .

---

(١) (سنن أبى داود) : ٣ / ٤٤٣ ، كتاب الخراج والإمارة والفىء ، باب (٣٦) فى إقطاع الأرضين ، حديث رقم (٣٠٥٨) .

(٢) (سنن الترمذى) : ٣ / ٦٦٥ ، كتاب الأحكام ، باب (٣٩) ما جاء فى القطائع ، حديث رقم (١٣٨١) .

(٣) زيادة من (الأصل) .

(٤) (سنن أبى داود) : ٣ / ٤٤٣ ، كتاب الخراج والإمارة والفىء ، باب (٣٦) فى إقطاع الأرضين ، حديث رقم (٣٠٦٠) .

(٥) أزبدك : أعطيك وأمنحك ، وبابه : ضرب .

(٦) (المرجع السابق) : حديث رقم (٣٠٦١) ، وهو حديث مرسل ، وهكذا رواه مالك فى (الموطأ) مرسلاً ، ولفظه : عن غير واحد من علمائهم .

ومن حديث أبى أويس ، قال : حدثنى كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف المزنى ، عن أبيه عن جده ، قال : إن النبى ﷺ أقطع بلال بن الحارث معادن القبلية ، جلسيها[1] وغوريها[2] ، وقال غيره : جلسها وغورها ، حيث يصلح الزرع من قدس ، ولم يعطه حق مسلم ، وكتب له النبى ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى محمد رسول الله بلال بن الحارث المزنى ، أعطاه معادن القبليه ، جلسيها وغوريها ، حيث يصلح الزرع من قدس ، ولم يعطه حق مسلم[3] .

قال : أبو أويس : وحدثنى ثور بن زيد ، مولى بنى الديل بن بكر بن كنانة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس رضى الله تبارك وتعالى عنهما مثله[4] ، [زاد ابن النضر : وكتب أبى بن كعب[5]] .

---

(١) جلسيها : يريد نجديها ، ويقال لنجد : جلس ، وقال الأصمعى : وكل مرتفع جلس .

(٢) غوريها : الغور ما انخفض من الأرض ، يريد أنه ﷺ أقطعها وهادها ورباها .

(٣) (المرجع السابق) : حديث رقم (٣٠٦٢) ، (٣٠٦٣) .

(٤) (المرجع السابق) ، قال الخطابى فى (معالم السنن) : إنما يقطع الناس من بلاد العنوة مالم يحزه ملك مسلم ، فإذا أقطع الإمام رجلاً بياض أرض فإنه يملكها بالعمارة والإحياء ويثبت ملكه عليها فلا تنتزع من يده أبداً . فإذا أقطعه معدناً نظر فإن كان المعدن شيئاً ظاهراً كالنفط والقار ونحوهما ، فإنه مردود لأن هذه منافع حاصلة ، وللناس فيها مرفق وهى لمن سبق إليها ليس لأحد أن يتملكها فيستاثر بها على الناس ، وإن كان المعدن من معادن الذهب والفضة أو النحاس وسائر الجواهر المستكنة فى الأرض المختلطة بالتربة والحجارة التى لا تستخرج إلا بمعاناة ومؤنة فإن العطية ماضية إلا أنه لا يملك رقبتها حتى يحظرها على غيره إذا عطلها وترك العمل فيها ، إنما له أن يعمل فيها ما بدا له أن يعمل ، فإذا ترك العمل خلى بينه وبين الناس ، وهذا كله على معانى الشافعى .

وفى قوله " ولم يعطه حق مسلم " دليل على أنه من ملك أرضاً مرة ثم عطلها أو غاب عنها فإنها لا تملك عليه بإقطاع أو إحياء وهى باقية على ملكه الأول .

(٥) زيادة للسياق من (سنن أبى داود) .

قال : أبو عمر بن عبدالبر ، وقد ذكر حديث مالك الذى بعده : هكذا هو [فى] (الموطأ) عند جميع الرواة مرسلاً ، ولم يختلف فيه عن مالك ، وهذا الحديث رواه عبد العزيز بن محمد الدراوردى ، عن ربيعة ، عن الحارث بن بلال المزنى عن أبيه .

ورواه كثير بن عبد الله ، عن عمرو بن عوف ، عن أبيه عن جده ، فذكره[1] .

ورواه أبو أويس عن كثير ، عن أبيه عن جده ، وعن الثور بن زيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، وهو غريب من حديث ابن عباس ، ليس برواية غير أبى أويس عن ثور .....[2]

وانفرد أبو سبرة المزنى ، عن مطرف ، عن مالك ، عن محمد بن عمرو بن علقمة ، عن أبيه ، عن بلال بن الحارث مثله سواء ، ولم يتابع أبو سبرة على هذا الإسناد ، وإسناد ربيعة فيه صالح حسن[3] .

وخرج أبو داود من حديث ثمامة بن شراجيل ، عن سمى بن قيس ، عن شمير ، قال ابن المتوكل : ابن عبد المدان ، عن أبيض بن حمال ، أنه وفد إلى رسول الله ﷺ فاستقطعه الملح ، قال ابن المتوكل : الذى بمأرب ، فقطعه له ، فلما أن ولى ، قال رجل من المجلس : أتدرى ما قطعت له ؟؟ إنما قطعت له الماء العد[4] . قال : فانتزع منه ، قال : وسأله عن ما يحمى من الأراك ، قال : مالم تنله خفاف الإبل[5] ، وقال ابن المتوكل : أخفاف الإبل فأقر به عليه

---

(١) وهو الحديث رقم (٣٠٦٢) من (سنن أبى داود) .

(٢) وهو الحديث رقم (٣٠٦٣) من (سنن أبى داود) .

(٣) (مجموعة الوثائق السياسية) : ١٦٠ - ١٦١ ، وثيقة رقم (١٦٣) وفى آخرها : " وكتب أبى ابن كعب " ، وثيقة رقم (١٦٤) وفى آخرها : " وكتب معاوية " .

(٤) الماء العد : هو الماء الدائم الذى لا ينقطع .

(٥) (سنن أبى داود) : ٣ / ٤٤٦ - ٤٤٧ ، كتاب الخراج والإمارة والفئ ، باب (٣٦) فى إقطاع الأرضين ، حديث رقم (٣٠٦٤) .

قال : أبو عيسى[1] : حديث أبيض غريب ، والعمل علي هذا عند أهل العلم من أصحاب النبى ﷺ ، وغيرهم فى القطائع يرون جائزاً أن يقطع الإمام ، لمن رأى ذلك .

وخرج البخارى من حديث هشام قال : أخبرنى أبى عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله تعالى عنهما . قالت : كنت أنقل النوى من أرض الزبير التى أقطعه رسول الله ﷺ على رأسى ، وهى منى على ثلثى فرسخ .

وقال أبوضمرة : عن هشام عن أبيه ، إن النبى ﷺ أقطع الزبير رضى الله تبارك وتعالى عنه أرضاً من أموال بنى النضير . ذكره فى كتاب فرض الخمس[2] ، وذكره فى كتاب النكاح فى باب : الغيرة ، أتم من هذا[3] .

وخرجه مسلم أيضاً مطولاً فى كتاب الأدب ، وخرجه النسائى كذلك .

ولأبى داود من حديث أبى بكر بن عياش ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله تبارك وتعالى عنهما أن رسول الله ﷺ أقطع الزبير نخلاً[4] .

= قال الخطابى فى (معالم السنن) . وفيه من الفقه : أن الحاكم إذا تبين الخطأ فى حكمه نقضه وصار إلى ما استبان من الصوا ب فى الحكم الثانى .

وقوله : " ما لم تنله أخفاف الإبل " ذكر أبو داود عن محمد بن الحسن المخزومى أنه قال : معناه أن الإبل تأكل منتهى رؤوسها ويحمى ما فوقه [حديث رقم ٣٠/٦٥] .

وفيه وجه آخر : وهو أنه إنما يحمى من الأراك ما بعد عن حضرة العمارة فلا تبلغه الإبل الرائحة إذا أرسلت فى الرعى .

وفى هذا : دليل على أن الكلأ والرعى لا يمنع من السارحة وليس لأحد أن يستأثر به دون سائر الناس .

(١) (سنن الترمذى) : ٣ / ٦٦٤ - ٦٦٥ ، كتاب الأحكام ، باب (٣٩) ما جاء فى القطائع ، حديث رقم (١٣٨٠) .

(٢) (فتح البارى) : ٦ / ٣٠٩ ، كتاب فرض الخمس ، باب (١٩) ، كان النبى ﷺ يعطى المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه ، حديث رقم (٣١٥١) .

(٣) (فتح البارى) : ٩ / ٣٩٩ ، كتاب النكاح ، باب (١٠٨) الغيرة ، حديث رقم (٥٢٢٤) . =

ومن حديث عبد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : إن النبى ﷺ أقطع الزبير حضر فرسه(1) ، فأجرى فرسه حتى قام(2) ، ثم رمى بسوطه ، فقال : أعطوه من حيث بلغ السوط(3) .

وعبد الله بن عمر(4) هذا ضعفه يحيى بن سعيد ، وعبد الرحمن بن مهدى ، ووثقة ابن معين ، وقال على بن المدينى : عبد الله بن عمر من الطبقة الثامنة فيتابع ، وضعفه . وأخوه عبيد الله من الطبقه الأولى فى نافع ، ولم يخرج لعبد الله بن عمر هذا فى الصحيحين شئ .

وذكر عمر بن شبة من حديث مجزر بن جعفر ، عن صالح بن كيسان قال : ضرب رسول الله ﷺ فى موضع [النبيط](5) فقال : هذا سوقكم ، فأقبل كعب بن الأشرف ، فدخلها ، وقطع أطنابها ، فقال رسول الله ﷺ لاجرم ، لأنقلنها إلى موضع هو أغيظ له من هذا ، فنقلها إلى موضع سوق المدينة . ثم

= (٤) (سنن أبى داود) : ٣ / ٤٥١ ، كتاب الخراج والفئ والإمارة ، حديث رقم (٣٠٦٩) ، قال الخطابى :

النخل مال ظاهر العين ، حاضر النفع كالمعادن الظاهرة ، فيشبه أن يكون إنما أعطاه ذلك من الخمس الذى هو سهمه ، وكان أبو إسحاق المروزى يتأول إقطاع النبى ﷺ المهاجرين الدور على معنى العارية .

(١) حضر فرسه - بضم الحاء وسكون الضاد - أراد قدر ما تعدو عدوة واحدة .

(٢) حتى قام : أى وقف .

(٣) (سنن أبى داود) : ٣ / ٤٥٣ ، كتاب الخراج والإمارة والفئ ، باب (٣٦) فى إقطاع الأرضين ، حديث رقم (٣٠٧٢) .

(٤) هو عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، وفيه مقال .

(٥) تكملة للسياق من (سنن ابن ماجة) ، والنبيط : اسم موضع مكانها مطموس فى (الأصل) ، ولعل ما أثبتناه يوافق السياق .

قال : هذا سوقكم ، لا يحجر ، ولا يضرب عليه الخراج ، فلما قتل كعب بن الأشرف استقطع الزبير النبى ﷺ البقيع فقطعه ، فهو يتبع الزبير[1] .

وذكر من حديث سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن يحيى ابن معدة ، قال : لما قدم المدينة رسول الله ﷺ أقطع الناس الدور ، فجاءه حى من بنى زهرة يقال لهم : بنو عبد زهرة ، فقالوا : يكتب عنا ابن أم عبد ، فقال رسول الله ﷺ : فلم ابتعثنى الله إذاً ؟ إن الله لا يقدس أمة لا يؤخذ لضعيف فيهم حقه[2] .

ذكر ابن عبد البر : أن النبى ﷺ أقطع بلال بن الحارث المزنى العقيق ، وكتب له فيه كتاباً نسخته : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى ، محمد رسول الله بلال بن الحارث المزنى ، أعطاه من العقيق ما صلح فيه معتملاً ، وكتب معاوية[3].

قال : فلم يعتمل بلال من العقيق[4] شيئاً ، فقال له عمر بن الخاطب رضى الله تبارك وتعالى عنه فى ولايته : إن قريت على ما أعطاك رسول الله

---

(١) وأخرج ابن ماجة فى (السنن) : ٢/٧٥١ ، كتاب التجارات ، باب (٤٠) الأسواق ودخولها ، حديث رقم (٢٢٣٣) عن أبى أسيد الساعدى أن رسول الله ﷺ ذهب إلى سوق النبيط فنظر إليه فقال : ليس هذا لكم بسوق ، ثم ذهب إلى سوق فنظر إليه فقال : ليس هذا بسوق ، ثم رجع إلى هذا السوق فطاف فيه ثم قال : هذا سوقكم ، فلا ينتقص ولا يضربن عليه خراج .

قوله : " فلا ينتقص " أى لا يبطلن هذا السوق ، بل يدوم لكم .

قوله : " ولا يضربن عليه خراج " بأن يقال : كل من يبيع ويشترى فيه فعليه كذا .

قال فى (الزوائد) : رواة إسناده ضعاف .

(٢) (السنن الكبرى) : ٦ / ١٤٥ كتاب إحياء الموات ، باب سواء كل موات لا مالك له أين كان .

(٣) سبق تخريجه من (الوثائق السياسية) : ١٦١ ، وثيقه رقم (١٦٤) .

(٤) العقيق : بفتح أوله وكسر ثانيه ، وقافين بينهما ياء مثناة من تحت ، والعرب تقول لكل مسيل ماء شقه السيل فى الأرض فأنهره ، ووسعه : عقيق ، وفى بلاد العرب أربعة أعقه ، والعقيق المقصود فى هذا الأثر هو من بلاد مزينة ، وهو الذى أقطعه رسول الله ﷺ بلال بن الحارث =

ﷺ من معتمل العقيق فاعتمله ، فما اعتملت فهو لك ، كما أعطاكه ، وإن لم تعتمله له قطعته بين الناس ، ولم تحجزه عليهم ، فقال بلال : تأخذ منى ما أعطانى رسول الله ﷺ ؟ فقال له : إن رسول الله ﷺ قد اشترط عليك فيه شرطاً فقطعه عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه بين الناس ، ولم يعمل فيه بلال شيئاً ، فلذلك أخذه منه عمر .

وذكر من حديث حماد بن سلمة ، عن هشام بن عروة . عن أبيه أن عبدالرحمن بن عوف قال : أقطعنى رسول الله ﷺ وعمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه أرضاً كذا وكذا .

وذكر أن رسول الله ﷺ قطع لأبى سفيان بن حرب . داره التى يقال لها : دار معاوية رضى الله تبارك وتعالى عنه .

= المزنى . ثم أقطعه عمر الناس . (معجم البلدان) : ٤ / ١٥٦ - ١٥٧ ، موضع رقم (٨٤٩٦) مختصراً .

فصل فى ذكر أخذ رسول الله ﷺ الجزية والخراج

قال : أبو عمر بن عبد البر : أول من أعطى الجزية من أهل الكتاب أهل نجران ، وكانوا نصارى ، ثم قبل رسول الله ﷺ الجزية من أهل البحرين ، وكانوا مجوساً .

فأما أهل نجران : فخرج البخارى[1] من حديث إسرائيل عن أبى إسحاق عن صلة بن زفر ، عن حذيفة رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : جاء السيد والعاقب[2] صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان [أن][3] يلاعناه .

فقال أحدهما لصاحبه : لا تفعل ، فوالله إن كان نبياً فلاعننا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا . قالا : إنا نعطيك ما سألتنا ، وابعث معنا رجلاً أميناً ، ولا تبعث معنا إلا أميناً ، فقال : لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين ، فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ ، فقال : قم يا أبا عبيدة بن الجراح ، فلما قام قال رسول الله ﷺ : هذا أمين هذه الأمة .

وخرج البخارى[4] ومسلم[5] من حديث شعبة ، قال : سمعت أبا إسحاق يحدث عن صلة بن زفر ، عن حذيفة رضى الله تبارك وتعالى عنه ، قال : جاء أهل نجران إلى النبى ﷺ فقالوا : يا رسول الله ابعث لنا رجلاً أميناً .

---

(١) (فتح البارى) : ٨ / ١١٧ - ١١٨ ، كتاب المغازى ، باب (٧٣) قصة أهل نجران ، حديث رقم (٤٣٨٠) .

(٢) فى (المرجع السابق) : " العاقب والسيد " .

(٣) زيادة للسياق من المرجع السابق .

(٤) (المرجع السابق) حديث رقم (٤٣٨١) .

(٥) (مسلم بشرح النووى) : ١٥ / ٢٠١ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب (٧) فضائل أبى عبيدة ابن الجراح ، حديث رقم (٢٤٢٠) .

فقال : لأبعثن إليكم رجلاً أميناً حق أمين ، قال : فاستشرف [لـه][1] النـاس ، قال : فبعث أبـا عبيدة بـن الجراح[2] . وقـال البخـارى : " حـق أميـن " ، مـرة واحدة .

وخرجه الترمذى من حديث سفيان ، عن أبـى إسـحاق ، عـن صلـة بـن زفر عن حذيفة بن اليمان ، رضى الله تبارك وتعالى عنه ، قال : جـاء العـاقب والسيد إلى النبى ﷺ ، فقالا : ابعث معنا أميناً ، فقال : فإنى سأبعث معكم أمينـاً حق أمين ، فأشرف لها الناس ، فبعث أبا عبيدة بن الجـراح رضـى اللـه تبـارك وتعالى عنه . وقال : وكان أبو إسحاق إذا حدث بهذا الحديث عن صلة ، قال :

---

(١) فى رواية مسلم : " لها " .

(٢) قال الحافظ فى (الفتح) : وفى قصة أهل نجران من الفوائد : أن إقرار الكـافر بـالنبوة لا يدخلـه فى الإسلام حتى يلتزم أحكام الإسلام ، وفيها جواز مجادلـة أهل الكتـاب ، وقد تجب إذا تعينت مصلحته ، وفيها مشروعية مباهلة المخالف إذا أصر بعد ظهور الحجة ، وقد دعا ابن عباس إلـى ذلك ثم الأوزاعى ، ووقع ذلك لجماعة مـن العلمـاء . وممـا عـرف بالتجربـة أن مـن بـاهل وكـان مبطلاً لا تمضى عليه سنة من يوم المباهلـة . ووقـع لـى ذلـك مـع شـخص كـان يتعصـب لبعـض الملاحدة فلم يقم بعدها غير شهرين .

وفيها مصـالحة أهل الذمة على ما يـراه الإمـام مـن أصنـاف المـال ، ويجـرى ذلك مجـرى ضـرب الجزية عليهم ، فإن كلا منهما مال يؤخذ من الكفار على وجه الصغار فى كل عام .

وفيها بعث الإمام الرجل العالم الأمين إلى أهل الهدنة فى مصلحة الإسلام .

وفيها منقبة ظاهرة لأبى عبيدة بن الجراح رضى الله تبارك وتعالى عنه .

وقد ذكر ابن إسحق أن النبى ﷺ بعث علياً إلـى أهـل نجـران ليأتيـه بصدقـاتهم وجزيتهـم ، وهذه القصة غير قصة أبى عبيدة ، لأن أبا عبيدة توجه معهم فقبض مال الصلح ورجـع ، وعلـىّ أرسله النبى ﷺ بعد ذلك يقبض منهم ما استحق عليهم مـن الجزيـة ، ويـأخذ ممـن أسـلم منهـم مـا وجب عليه من الصدقة والله أعلم .

سمعته منذ ستين سنة ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح[1] .
[وقد روى عن ابن عمر وأنس رضى الله تبارك وتعالى عنهما عن النبى ﷺ ، قال : لكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة عبيدة بن الجراح] .

ولأبى داود حديث يونس بن بكير قال : أنبأنا أسباط بن نصر الهمذانى ، عن إسماعيل بن عبدالرحمن القرشى[2] ، عن ابن عباس قال : صالح رسول الله ﷺ أهل نجران على ألفى حلة ، النصف فى صفر ..... البقيه فى رجب ...... يؤدونها إلى المسلمين ، وعارية ثلاثين درعاً ، وثلاثين فرساً ، وثلاثين بعيراً ، وثلاثين من كل صنف من أصناف السلاح يغزون بها ، والمسلمون ضامنون لها حتى يردوها عليهم إن كان باليمن كيد ، أو غدرة[3] على أن لا تهدم لهم بيعة ، ولا يخرج لهم قس ، ولا يفتنوا عن دينهم

---

(١) (سنن الترمذى) : ٦٢٥ - ٦٢٦ ، كتاب المناقب ، باب (٣٣) مناقب معاذ بن جبل ، وزيد ابن ثابت ، وأبى ، وأبىّ عبيدة بن الجراح رضى الله تبارك وتعالى عنه ، حديث رقم (٣٧٩٦) ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه .

(٢) قال المنذرى : هو المعروف بالسدى ، وفى سماع السدى من ابن عباس نظر ، وإنما قيل : أنه رآه ، ورأى ابن عمر ، وسمع من أنس بن مالك رضى الله تبارك وتعالى عنهم .

(٣) قال الخطابى : قلت : هذا وقع فى كتابى ، وفى رواية غيرها : " كيد ذات غدر " وهو أصوب ، على أن لا تهدم لهم بيعة ، ولا يخرج لهم قس ، ولا يفتنون عن دينهم مالم يحدثوا حدثا أو يأكلوا الربا .

قال : فى هذا دليل على أن للإمام أن يزيد وينقص فيما يقع عليه الصلح من دينار أو أكثر على قدر طاقتهم ، ووقوع الرضا منهم به . وفيه دليل على أن العارية مضمونة .

وقوله : " كيد ذات عذر " يريد الحرب ، أخبرنى أبو عمر ، قال : قال ابن الأعرابى : الكيد : الحرب ، ومنه ما جاء فى بعض الحديث أن رسول الله ﷺ خرج فى بعض مغازيه فلم يلق كيداً ، أى حرباً . (معالم السنن) .

مالم يحدثوا حدثاً ، أو يأكلون الربا[1] . [قال إسماعيل : فقد أكلوا الربا][2] ، [قال أبو داود : إذا نقضوا به ما اشترط عليهم فقد أحدثوا] .

وقال يونس بن بكير : عن ابن إسحاق ، وبعث رسول الله ﷺ على بن أبى طالب رضى الله تبارك وتعالى عنه إلى أهل نجران ليجمع صدقاتهم ، ويقدم عليه بجزيتهم .

قال ابن الأثير : وذلك فى سنة عشر ، ففعل ، وعاد فلقى النبى ﷺ بمكة فى حجة الوداع[3] .

---

(١) (سنن أبى داود) : ٣ / ٤٢٩ - ٤٣١ ، كتاب الخراج والإمارة والفئ ، باب (٣٠) فى أخذ الجزية ، حديث رقم (٣٠٤١) .

(٢) زيادة للسياق من (سنن أبى داود) .

(٣) (الكامل فى التاريخ) لابن الأثير : ٢٩٤/٢ ، ثم قال فلما استخلف أبو بكر عاملهم [بذلك] ، فلما استخلف عمر أجلى أهل الكتاب عن الحجاز وأجلى أهل نجران ، فخرج بعضهم إلى الشام وبعضهم إلى نجرانية الكوفة ، واشترى منهم عقارهم وأموالهم . وقيل : إنهم كانوا قد كثروا فبلغوا أربعين ألفاً فتحاسدوا بينهم ، فأتوا عمر بن الخطاب وقالوا : أجلنا ، وكان عمر بن الخطاب قد خافهم على المسلمين فاغتنمها فأجلاهم ، فندموا بعد ذلك ثم استقالوه فأبى ، فبقوا كذلك إلى خلافة عثمان ، فلما ولى علىّ أتوه وقالوا : ننشدك الله خطك بيمينك . فقال : إن عمر كان رشيد الأمر وأنا أكره خلافه ، وكان عثمان قد أسقط عنهم مائتى حلة ، وكان صاحب النجرانية بالكوفة يبعث إلى من بالشام والنواحى من أهل نجران يجبونهم الحلل .

فلما ولى معاوية ويزيد بن معاوية شكوا إليه تفرقهم وموت من مات منهم وإسلام من أسلم منهم ، وكانوا قد قلوا ، وأروه كتاب عثمان ، فوضع عنهم مائتى حلة تكملة أربعمائة حلة . فلما ولى الحجاج العراق وخرج عليه عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث اتهم الدهاقين بموالاته واتهمهم معهم فردهم إلى ألف وثلاثمائة حلة وأخذهم بحلل وشيِ . فلما ولى عمر بن عبد العزيز شكوا غليه فناءهم ونقصهم وإلحاح العرب عليهم بالغارة وظلم الحجاج ، فأمر بهم فأُحصوا ووجدوا على العشر من عدتهم الأولى ، فقال : أرى هذا الصلح جزية وليس على أرضهم شئ وجزية المسلم والميت ساقطة ، فألزمهم مائتى حلة . فلما تولى يوسف بن عمر الثقفى ردهم إلى أمرهم الأول عصبية للحجاج، فلما استخلف السفاح عمدوا إلىطريقه يوم ظهوره من الكوفة فالقوا فيها=

وأما أهل البحرين ، فخرج البخارى من حديث الزهرى قال : حدثنى عروة بن الزبير ، عن المسور بن مخرمة ، أنه أخبره أن عمرو بن عوف الأنصارى ، وهو حليف لبنى عامر بن لؤى ، وكان شهد بدراً ، أخبره أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتى بجزيتها ، وكان رسول الله ﷺ هو صالح أهل البحرين ، وأمر عليهم العلاء بن الحضرمى ، فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين ، فسمعت الأنصار بقدوم أبى عبيدة ، فوافت صلاة الصبح مع النبى ﷺ ، فلما صلى بهم الفجر انصرف ، فتعرضوا له ، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم ، وقال : أظنكم قد سمعتم أن أبا عبيدة قد جاء بشئ ، فقالوا : أجل يا رسول الله ، قال : فأبشروا ، وأملوا ما يسركم ، فوالله لا الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها ، وتهلككم كما أهلكتهم . كرره من طرق عن الزهرى[1] ، وأخرجه مسلم بهذا الإسناد أيضاً[2] .

وخرج البخارى من حديث سفيان ، قال : سمعت عمراً قال : كنت جالساً مع جابر بن زيد وعمرو بن أوس . فحدثها بجالة ، سنة سبعين عام حج مصعب بن الزبير بأهل البصرة ، عند درج زمزم . قال : كنت كاتباً لجزء بن معاوية عم الأحنف ، فأتانا كتاب عمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى

= الريحان ونثروا عليه ، فأعجبه ذلك من فعلهم ، ثم رفعوا إليه أمرهم وتقربوا إليه بأخواله بنى الحارث بن كعب ، فكلمه فيهم عبد الله بن الحارث فردهم إلى مائتى حلة ، فلما ولى الرشيد شكوا إليه العمال فأمر أن يُعفوا من المال وأن يكون مؤداهم بيت المال .

(١) (فتح البارى) : ٦ / ٣١٨ - ٣١٩ ، كتاب الجزية والموادعة ، باب (١) الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب ، حديث رقم (٣١٥٨) .

أخرجه فى باب (٤) ما أقطع النبى ﷺ من البحرين وما وعد من مال البحرين والجزية ، ولمن يقسم الفئ والجزية ؟ حديث رقم (٣١٦٤) ، وأخرجه فى كتاب المغازى ، باب (١٢) بدون ترجمة حديث رقم (٤٠١٥) .

(٢) غير أنه قال : " وتلهيكم كما ألهتهم " حديث رقم (٢٩٦١)، من كتاب الزهد والرقاق ، والحديث الذى يليه بدون رقم .

عنه قبل موته بسنة : فرّقوا بين كل ذى محرم من المجوس ، ولم يكن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه أخذ الجزية من المجوس ، حتى شهد عبد الرحمن بن عوف رضى الله تبارك وتعالى عنه أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر[1] .

وخرجه أبو داود من حديث سفيان عن عمرو بن دينار ، سمع بجالة يحدث عمرو بن أوس ، وأبا الشعثاء[2] قال : كنت كاتباً لجزء بن معاوية عم الأحنف بن قيس ، إذ جاءنا كتاب عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه قبل موته ، بسنة : اقتلوا كل ساحر ، وفرّقوا بين كل ذى محرم من المجوس ، وانهوهم عن الزمزمة ، فقتلنا فى يوم ثلاثة سواحر ، وفرقنا بين كل رجل من المجوس وحريمة فى كتاب الله عز وجل ، وصنع طعاماً كثيراً فدعاهم ، فعرض السيف على فخذه ، فأكلوا ، ولم يزمزموا ، وألقوا وقر بغل أو بغلين من الورق ، ولم يكن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه أخذ الجزية من المجوس ، حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر[3] .

---

(١) (فتح البارى) : ٦ / ٣٢٦ ، كتاب الجزية والموادعة ، باب (١) الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب ، حديث رقم (٣١٥٦) ، (٣١٥٧) .

(٢) أبو الشعثاء : هو جابر بن زيد ، من ثقات التابعين .

(٣) (سنن أبى داود) : ٣ / ٤٣١ - ٤٣٢ ، كتاب الخراج والفئ والإمارة باب (٣١) فى أخذ الجزية من المجوس ، حديث رقم (٣٠٤٣) .

قال الخطابى فى (معالم السنن) : قوله " ألقوا وقر بغل أو بغلين من الورق " يريد أخلة من الورق يأكلون بها ، قلت : ولم يحملهم عمر على هذه الأحكام فيما بينهم وبين أنفسهم إذا خلوا وإنما منعهم من إظهار ذلك للمسلمين ، وأهل الكتاب لا يكشفون عن أمورهم التى يتدينون بها ويستعملونها فيما بينهم إلا أن يترافعوا إلينا فى الأحكام . فإذا فعلوا ذلك فإن على حاكم المسلمين أن يحكم فيهم بحكم الله المنزل ، وإن كان ذلك فى الأنكحة فرق بينهم وبين ذوات المحارم كما يفعل ذلك فى المسلمين .

وخرجه النسائى من حديث سفيان ، عن عمرو ، سمع بجالة : لم يكن عمر أخذ الجزية من المجوس ، حتى شهد عبدالرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر[1] .

ولأبى داود من حديث هشيم ، قال : أنبأنا داود بن أبى هند ، عن قشير ابن عمرو ، عن بجالة بن عبدة ، عن ابن عباس رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، قال : جاء رجل من الأسبذيين[2] من أهل البحرين ، وهم مجوس أهل

= وفى امتناع عمر من أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر دليل على أن رأى الصحابة أنه لا تقبل الجزية من كل مشرك كما ذهب إليه الأوزاعى وإنما تقبل من أهل الكتاب .

وقد اختلف العلماء فى المعنى الذى من أجله أخذت منهم الجزية فذهب الشافعى فى أغلب قوليه إلى أنها قبلت لأنهم من أهل الكتاب وروى ذلك عن على بن أبى طالب .

وقال أكثر أهل العلم : إنهم ليسوا من أهل الكتاب ، وإنما أخذت الجزية من اليهود والنصارى بالكتاب ، ومن المجوس بالسنة .

واتفق عامة أهل العلم على تحريم نسائهم وذبائحهم ، وسمعت ابن أبى هريرة يحكى عن إبراهيم الحربى أنه قال : لم يزل الناس متفقين على تحريم نكاح المجوس حتى جاءنا خلاف من الكرخ ، يعنى أبا ثور .

والحديث أخرجه أيضاً الترمذى فى (السنن) : ٤ / ١٢٤ - ١٢٥ كتاب السير ، باب (٣) ما جاء فى أخذ الجزية من المجوس ، حديث رقم (١٥٨٦) .

(١) أخرجه النسائى فى كتاب السير من (الكبرى) .

(٢) الأسبذيين : بفتح الهمزة وسكون السين بعدها باء مفتوحة ، فذال - : وقيل : منسوبون إلى أسبذ بوزن أحمد ، وهى بلدة بهجر بالبحرين ، أو قرية لأنهم نزلوها ، وقيل : الكلمة فارسية ، ومعناها عبدة الفرس ، وكانوا يعبدون فرساً ، والفَرس فى لغة الفُرس : أسب . وقال أبو عبيد : هو اسم قائد من قواد كسرى على البحرين ، فارسى ، وقد تكلمت به العرب . (معالم السنن) .

هجر[1] إلى رسول الله ﷺ ، فمكث عنده ، ثم خرج فسألته : ما قضى الله ورسوله فيكم ؟ قال : شر ، فقلت : مه ؟ قال : الإسلام أو القتل ، قال : ، وقال عبد الرحمن بن عوف ، قبل منهم الجزية ، قال ابن عباس : فأخذ الناس بقول عبد الرحمن بن عوف ، وتركوا ما سمعت أنا من الأسبذى[2] .

قال قتادة : أكبر مال قدم به على رسول الله ﷺ ، ثمانون ألفاً من جزية مجوس البحرين ، فأمر بها ، فصبت على حصير فما ترك ساكناً ، ولا حرم سائلاً .

ولأبى داود من حديث الأعمش ، عن أبى وائل عن معاذ بن جبل رضى الله تبارك وتعالى عنه ، قال : أن النبى ﷺ لما وجهه إلى اليمن أمره أن يأخذ من كل حالم - [يعنى محتملاً] - ديناراً ، أو عدله من المغافر[3] [ثياب تكون باليمن] .

---

(١) هجر - بفتح الهاء والجيم - : مدينة فى بلاد البحرين ، وهناك قرية صغيرة بجانب المدينة المنورة .

(٢) (سنن أبى داود) : ٣ / ٤٣٣ ، كتاب الخراج والإمارة والفئ ، باب (٣١) فى أخذ الجزية من المجوس ، حديث رقم (٣٠٤٤) .

(٣) (سنن أبى داود) : ٣ / ٤٢٨ ، كتاب الخراج والإمارة والفئ ، باب (٣٠) فى أخذ الجزية ، حديث رقم (٣٠٣٨) ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه . =

= قال الخطابى فى (معالم السنن) : قلت فى قوله : " من كل حالم " ، دليل على أن الجزية فى قوله : من كل الحالم ، دليل على أن الجزية إنما تجب على الذكران منهم دون الإناث ، لأن الحالم عبارة عن الرجل فلا وجوب لها على النساء ولا على المجانين والصبيان .

وفيه بيان أن الدينار مقبول من جماعتهم ، أغنياؤهم وأوساطهم فى ذلك سواء لأن النبى ﷺ بعثه إلى اليمن وأمره بقتالهم ثم أمره بالكف عنهم إذا أعطوا ديناراً ، وجعل بذل الدينار حاقناً لدمائهم فكل من أعطاه فقد حقن دمه ، وإلى هذا ذهب الشافعى ، قال : وإنما هو على كل محتلم من الرجال الأحرار دون العبيد .

وقال أصحاب الرأى وأحمد بن حنبل : يوضع على الموسر منهم ثمانية وأربعون درهماً وأربعة وعشرون واثنا عشر .

=

ولأبى داود من حديث محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر ، عن أنس بن مالك رضى الله تبارك وتعالى عنه ، وعن عثمان بن أبى سليمان أن النبى ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة ، فأخذ ، فأتوه به فحقن له دمه ، وصالحه على الجزية[1] .

ولم يأخذ ﷺ [من] يهود خيبر جزية ، فإنه صالحهم على أن مقرهم فى الأرض ما شاء الله ، ولم تكن الجزية نزلت بعد ، ثم أمره تعالى أن يقاتل أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية ، فلم يدخل فى هذا يهود خيبر ، لأن العقد قد تم بينه ﷺ وبينهم على إقرار ، ثم أن يكونوا عمالاً فى الأرض بالشطر ، فلم يطالبهم بغير ذلك ، وطلب من إخوانهم من أهل الكتاب ، ممن لم يكن بينه وبينهم عهد كنصارى نجران ويهود اليمن ، وقد ظن بعضهم أن عدم أخذ

= وقال أحمد على قدر ما يطيقون ، قيل : له فيزداد فى هذا اليوم وينقص ، قال : نعم على قدر طاقتهم وعلى قدر ما يرى الإمام ، وقد علق الشافعى القول فى إلزام الفقير الجزية .

وأخرجه الترمذى فى الزكاة حديث (٦٢٣) باب زكاة البقر مطولاً ، والنسائى فى الزكاة حديث (٢٤٥٥) سقوط الزكاة عن الإبل إذا كانت رسلا ، وابن ماجة فى الزكاة حديث (١٨٠٣) باب صدقة البقر ، وقال الترمذى : حديث حسن ، وذكر أن بعضهم رواه مرسلاً وأن المرسل أصح ، وسبق عند أبى داود برقم (١٥٧٦) .

(١) (سنن أبى داود) : ٤٢٧ - ٤٢٨ ، كتاب الخراج والإمارة والفئ ، باب (٣٠) فى أخذ الجزية ، حديث رقم (٣٠٣٧) .

قال الخطابى فى (معالم السنن) : أكيدر دومة رجل من العرب يقال هو من غسان ، ففى هذا من أمره دلالة على جواز أخذ الجزية من العرب كجوازه من العجم ، وكان أبو يوسف يذهب إلى أن الجزية لا تؤخذ من عربى ، وقال مالك والأوزاعى والشافعى ، العربى والعجمى فى ذلك سواء .

وكان الشافعى يقول : إنما الجزية على الأديان لا على الأنساب ، ولولا أن نأثم بتمنى الباطل وددنا الذى قال أبو يوسف كما قال وأن لا يجرى على عربى صَغار ، ولكن الله أجل فى أعيننا من أن نحب غير ما قضى به .

الجزية من يهود خيبر يختص بهم ، فلا يؤخذ منهم جزية ، وليس كذلك ، بل الأمر كما بينته لك .

وذكر الواقدى أن رسول الله ﷺ وضع الجزية على أهل أيلة[١] ثلاثمائة دينار كل سنة ، وكانوا ثلاثمائة رجل وعلى أهل أذرح[٢] مائة دينار فى كل رجب[٣] .

(١) أيلة : على ساحل بحر القلزم مما يلى الشام .

(٢) أذرح : قرية بالشام .

(٣) قال الواقدى : وكتب لهم كتاباً : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا أمنة من الله ومحمد النبى ليوحنة بن رؤبة وأهل أيله ، لسفنهم وسائرهم فى البر والبحر ولهم ذمة الله وذمة محمد رسول الله ، ولمن كان معه من أهل الشام . وأهل اليمن ، وأهل البحر ، ومن أحدث حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه ، وإنه طيب لمن أخذه من الناس ، وإنه لا يحل أن يمنعوا ماءاً يريدونه ، ولا طريقاً يريدونه من بر أو بحر .

فصل فى ذكر عمال رسول الله ﷺ على الجزية

اعلم أنه قد تبين مما تقدم أن الذين بعثهم رسول الله ﷺ لأخذ الجزية ثلاثة نفر ، فبعث أبا عبيدة عامر ، وقيل : عبد الله بن عامر ، والصحيح عامر ابن عبد الله بن الجراح بن هلال بن اهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشىّ الفهرىّ . أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة ، وأحد كبراء الصحابة ، وفضلائهم ، وأهل السابقة منهم ، وأمين هذه الأمة إلى أهل نجران أيضاً[1] ، وبعث معاذ بن جبل[2] رضى الله

---

(١) له ترجمة فى : (طبقات ابن سعد) : ٣ / ٤٠٩ ، (طبقات خليفة) : ٢٧ ، ٣٠٠ ، (تاريخ خليفة) : ١٣٨ ، (التاريخ الكبير) : ٦ / ٤٤ - ٤٤٥ ، (التاريخ الصغير) : ١ / ٤٠ ، (المعارف) : ٤٢٧ - ٤٢٨ ، (الجرح والتعديل) : ٦ / ٣٢٥ ، (جامع الأصول) : ٩ / ٢٠ - ٢١ ، (تهذيب الأسماء واللغات) : ٢ / ٢٥٩ ، (تهذيب التهذيب) : ٥ / ٢٦٣ ، (الإصابة) : ٣ / ٥٨٦ ، ترجمة رقم (٥٩٠) ، (تاريخ الخميس) : ٢ / ٢٥٥ ، (كنز العمال) : ١٣ / ٢١٤ - ٢١٩ ، (شذرات الذهب) : ١ / ٢٩ ، (سير الأعلام) : ١ / ٥ - ٢٣ ، ترجمة رقم (١) .

(٢) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدى بن كعب بن عمرو بن أدى بن سعد ابن على بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج .

روى الواقدى عن رجاله أن معاذاً شهد بدراً وله عشرون سنة أو إحدى وعشرون قال ابن سعد : شهد العقبة فى روايتهم جميعاً مع السبعين .

قال أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن شقيق ، عن مسروق ، عن عبد الله ابن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ خذوا القرآن من أربعة : من ابن مسعود ، وأبى ، ومعاذ بن جبل ، وسالم مولى أبى حذيفة ، توفى سنة سبع عشرة أو ثمان عشرة . له ترجمة فى (التاريخ الكبير) : ٧ / ٣٥٩ - ٣٦٠ ، (التاريخ الصغير) : ١ / ٤١ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٣ ، (المعارف) : ٢٥٤ ، (الجرح والتعديل) : ١ / ٢٤٤ - ٢٤٥ ، (حلية الولياء) : ٢٢٨/١-٢٤٤ ، (تهذيب الأسماء واللغات) : ٩٨/٢ - ١٠٠ ، (كنز العمال) : ٥٨٣/١٣ ، =

= (شذرات الذهب) : ١ / ٢٩ (سير أعلام النبلاء) : ١ / ٤٤٣ - ٤٦١ ، ترجمة رقم (٨٦) .

تبارك وتعالى عنه إلى أهل نجران أيضاً ، وبعث على بن أبى طالب رضى الله تبارك وتعالى عنه إلى أهل نجران أيضاً ، وبعث معاذ بن جبل رضى الله تبارك وتعالى عنه إلى أهل اليمن ، لأخذ الجزية ، وغير ذلك ، والله تعالى أعلم بالصواب .

فصل فى ذكر عمال رسول الله ﷺ على الزكاة

اعلم أن رسول الله ﷺ لما صدر من الحج سنة عشر ، أقام بالمدينة حتى رأى هلال المحرم سنه إحدى عشر ، فبعث المصدقين فى العرب[1] ، فبعث عمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه على الصدقات ، وبعث خالد بنِ سعيد بن العاص ، وقد قدم قرة بن أشقر الجذاعى لملوك كندة ، ومباعداً لهم فاستعمله رسول الله ﷺ على صدقات زبيد ومذحج كلها ، وبعثه معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة ، وكان معه فى بلاده حتى توفى رسول الله ﷺ ، وبعث معاذ بن جبل رضى الله تبارك وتعالى عنه إلى اليمن ، وأمره أن يأخذ من كل ثلاثين بقرة تبيعاً أو تبيعةً ، وفى كل أربعين شاة شاة . رواه أبو داود[2] .

---

(١) المصدق بتشديد الدال وكسرها : أى عاملاً يستوفى الزكاة من أربابها وفى (معالم السنن) للخطابى : ان المصدق بتخفيف الصاد : العامل ، وفى (المطالع) : المصدق بتخفيف الصاد : آخذ الصدقة ، قال ثابت : ويقال أيضاً للذى يعطيها من ماله ، فإذا شددت الصاد فهو المتصدق لا غير .(التراتيب الادارية) : ١ / ٣٩٦ - ٣٩٧ ، باب فى العامل على الزكاة .

(٢) (سنن أبى داود) : ٢ / ٢٢٤ - ٢٥٥ ، كتاب الزكاة ، باب (٤) فى زكاة السائمة ، حديث رقم (١٥٦٨) ، وأخرجه ابن ماجة فى الزكاة ، باب صدقة الإبل ، حديث رقم (١٧٩٨) ، والترمذى فى الزكاة ، باب فى زكاة الإبل والغنم ، حديث رقم (٦٢١) وقال : " حديث حسن ، والعمل على هذا الحديث عند عامة الفقهاء ، وقد روى يونس بن يزيد وغير واحد عن الزهرى عن سالم بن عبد الله بن عمروالخطاب بهذا الحديث ولم يرفعوه وإنما رفعه سفيان بن حسين " =

وبعث أبى بن كعب مصدقاً على بلى وعذرة وجميع بنى سعد بن هدم على ما رواه الإمام أحمد ، وبعث عدى بن حاتم على طئ وصدقاتها ، وعلى بنى أسد .

روى مسلم عن عدى بن حاتم ، قال : أتيت عمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه ، فقال : إن أول صدقة بيضت وجه رسول الله

- وسفيان بن حسين أخرج له مسلم واستشهد به البخارى ، إلا أن حديثه عن الزهرى فيه ما قال ، وهو ممن اتفق البخارى ومسلم على الاحتجاج بحديثه ، وقال الترمذى فى (كتاب العلل) : " سألت محمد بن إسماعيل البخارى عن هذا الحديث ، فقال : أرجو أن يكون محفوظاً وسفيان بن الحسين صدوق " . ولفظ الحديث عند أبى داود :

كتب رسول الله ﷺ كتاب الصدقة فلم يخرجه إلى عماله حتى قبض ، فقرنه بسيفه ، فعمل به أبوبكر حتى قبض ، ثم عمل به عمر حتى قبض ، فكان فيه " فى خمس من الإبل شاة " ، وفى عشر شاتان وفى خمس عشرة ثلاث شياه ، وفى عشرين أربع شياه ، وفى خمس وعشرين ابنة مخاض ، إلى خمس وثلاين ، فإن زادت واحدة ففيها ابنة لبون ، إلى خمس وأربعين ، فاذا زادت واحدة ففيها حقة ، إلى ستين ، فإذا زادت واحدة ففيها جذعة ، إلى خمس وسبعين ، فإذا زادت واحدة ففيها ابنتا لبون ، إلى تسعين ، فإذا زادت واحدة ففيها حقتان ، إلى عشرين ومائة ، فإن كانت الإبل أكثر من ذلك ففى كل خمسين حقة وفى كل أربعين ابنة لبون ؛ وفى الغنم فى كل أربعين شاة شاة ، إلى عشرين ومائة ، فإن زادت واحدة فشاتان إلى مائتين ، فإن زادت [واحدة] على المائتين ففيها ثلاث [شياه] ، إلى ثلثمائة ، فإن كانت الغنم أكثر من ذلك ففى كل مائة شاة شاة ، وليس فيها شئ حتى بلغ المائة ، ولا يفرق بين مجتمع ، ولا يجمع بين متفرق ، مخافة الصدقة وما كان من خليطين فإنهما يتراجعان [بينهما] بالسوية ، ولا يؤخذ فى الصدقة هرمة ولا ذات عيب .

قال : قال الزهرى : إذا جاء المصدق قسمت الشاء أثلاثا : ثلثاً شراراً ، وثلثا خياراً ، وثلثاً وسطاً ، فأخذ المصدق من الوسط ، ولم يذكر الزهرى البقر ، ثم قال فى الحديث رقم (١٥٦٩) : حدثنا عثمان بن أبى شيبة ، حدثنا : محمد بن يزيد الواسطى ، أخبرنا سفيان بن حسين ، بإسناده ومعناه ، قال : فإن لم تكن ابنة مخاض ، فابن لبون ، ولم يذكر كلام الزهرى .

ﷺ ووجوه أصحابه صدقة طيء جئت بها إلى رسول الله ﷺ [١]، وبعث الزبير ، قال ابن زيد وقيس بن عاصم على صدقة بني سعد ، فبعث الزبير[٢] ، قال : على ناحية ، وقيس بن عاصم[٣] على ناحية .

---

(١) (مسلم بشرح النووى) : ١٦ / ٣١٠ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب (٤٧) من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينة وتميم ودوس وطيء ، حديث رقم (٢٥٢٣) و(مسند أحمد) : ١ / ٧٤ ، حديث رقم (٣١٨) من مسند عمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه .

(٢) هو الزبير بن العوام بن خلويد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ـ حوارى رسول الله ﷺ وابن عمته صفية بنت عبدالمطلب ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة أهل الشورى ، وأول من سل سيفه فى سبيل الله ، وأبو عبد الله رضى الله تبارك وتعالى عنه ، أسلم وهو حدث ، له ست عشرة سنة .

قتل الزبير فى رجب سنة ست وثلاثين عن أربع وستين أو بضع وخمسين سنة بوادى السباع على سبعة فراسخ من البصرة ، أما أنه قد بعثه النبى ﷺ على الصدقة ، فيعكر على ذلك ما قاله هشام ـ فيما ذكر الحافظ الذهبى فى (سير الأعلام) : ردّ ، وما ولى إمارة قط ، ولا جباية ، ولا خراجاً ، ولا شيئاً ، إلا أن يكون فى غزو مع النبى ﷺ ، أو مع أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، له ترجمة فى (التاريخ الكبير) : ٣ / ٤٠٩ ، (التاريخ الصغير) : ١ / ٧٥ ، (المعارف) : ٢١٩ ـ ٢٧٧ ، (حلية الأولياء) : ١ / ٨٩ ، (جامع الأصول): ٩ / ٥ ـ ١٠ ، (تهذيب الأسماء واللغات) : ١ / ١٩٤ ـ ١٩٦ ، (كنز العمال) : ١٣ / ٢٠٤ ـ ٢١٢ ، (تاريخ الخميس) : ١ / ١٧٢ ، (سير الأعلام) : ١ / ٤١ ـ ٢٦٧ ترجمة رقم (٣) (الإصابة) : ٣ / ٥٥٣ ـ ٥٥٧ ، ترجمة رقم (٢٧٩١).

(٣) هو قيس بن عاصم بن أسيد بن جعونة بن الحارث بن عامر بن نمير بن عامر بن صعصعة النميرىّ ، قال الحافظ ابن حجر فى (الإصابة) : وبعث رسول الله ﷺ الضحاك ساعياً فجاء بإبل جلة ، فقال : أتيتهم فأخذت جلة أموالهم . اردها عليهم ، وخذ صدقاتهم من مواشى أموالهم . (الإصابة) : ٣ / ٤٣٤ ـ ٤٣٥ ، ترجمة قرة بن دعموص النميرى رقم (٧١٠٨) ، ٣ / ٤٨٢-٤٨٣، ترجمة قيس بن عاصم بن أسيد رقم (٧١٩٨) .

وذكر ابن قتيبة أن رسول الله ﷺ استعمل الزبيرقال ابن بدر : على صدقات قومه ، وتوفى رسول الله ﷺ ، فذهب بالصدقة إلى أبى بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه ، وهى سبعمائة بعير .

قال عمر بن شبة : حدثنا موسى بن إسماعيل ، قال : أنبانا يوسف بن الماجشون قال : أخبرنا ابن شهاب أن عبد الرحمن بن عوف رضى الله تبارك وتعالى عنه كان يلى صدقات الإبل والغنم فى عهد رسول الله ﷺ وكان بلال رضى الله تبارك وتعالى عنه يلى صدقات الثمار ، وكان محمية بن جزء يلى الخمس ، وأن رسول الله ﷺ دخل خزانة بلال التى يضع فيها الصدقات ، فوجد فيها صبرة من تمر فقال : ماهذا التمر يا بلال ؟؟ قال : يا رسول الله أخذتها لنوائبك ، قال : أفأمنت أن تصبح ولها فى جهنم بخاراً ، أنفق ، ولا تخش من ذى العرش إقلالاً ، أو إقتاراً[1] .

---

(١) أخرجه البيهقى فى (دلائل النبوة) : ١ / ٣٤٧ ، باب ذكر أخبار رويت فى زهده ﷺ فى الدنيا وصبره على القوت الشديد فيها ، واختياره الدارالاخرة ، وما أعد الله تعالى له فيها على الدنيا .
وأخرجه أيضاً فى (شعب الإيمان) : ٢ / ١١٨ ، باب (١٣) التوكل والتسليم ، حديث رقم (١٣٤٥) عن أبى هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه ، ثم قال : خالفه روح ابن عبادة ، فرواه عن عوف ، عن محمد قال : دخل رسول الله ﷺ على بلال فوجد تمراً ادخره ، فرواه مرسلاً ، وحديث رقم (١٣٤٦) من حديث روح بن عبادة فذكر ثم قال : ورواه مبارك ابن فضالة ، عن يونس ، عن عبيد ، عن محمد بن سيرين ، عن أبى هريرة موصولاً ، وقال فى هامشه : قال الهيثمى فى (مجمع الزوائد) : ٣ / ١٢٦ : رواه الطبرانى فى الكبير ، وفيه مبارك بن فضالة ، وهو ثقة وفيه كلام ، وبقية رجاله رجال الصحيح ، ورواه الطبرانى فى الأوسط بإسناد حسن .

قال فى (كشف الخفاء) : ١ / ٢١٠ ـ ٢١١ ، حديث رقم (٦٣٥) : رواه الطبرانىّ فى الكبير ، والقضاعىّ فى مسنده عن ابن مسعود قال : دخل النبى ﷺ على بلال وعنده صبرة من تمر فقال : ما هذا يا بلال ؟ قال يا رسول الله : ذخرته لك ولضيفانك ، فقال أما تخشى أن يفور لها بخار من جهنم أنفق بلال ـ الحديث ، وذكره النجم عن أبى هريرة أيضاً بلفظ أما تخشى يا بلال أن ترى له بخاراً فى نار جهنم .

فصل فى ذكر الصدقة على عهد رسول الله ﷺ

قال الفقيه أبو الليث محمد بن على بن أحمد بن سعيد بن حزم : رحمه الله فى كتاب (جوامع السيرة) : وكان كاتب رسول الله ﷺ فى الصدقات

= ورواه العسكرى فى (الأمثال) وكذا البزار فى مسنده عن عائشة بلفظ قالت : قال رسول الله ﷺ : أطعمنا يا بلال فقال : يا رسول الله ما عندى إلا صبرة من تمر خبأته لك ، فقال : أما تخشى أن يقذف به فى نار جهنم أنفق ـ الحديث ، وأخرجه البزار أيضاً عن أبى هريرة بلفظ أن رسول الله ﷺ دخل على بلال وعنده صبره من تمر فقال ما هذا قال أدخره فقال أما تخشى أن ترى له بخاراً فى نار جهنم أنفق ـ الحديث ، ورواه البيهقى فى الشعب عن أبى هريرة مرفوعا ، ورواه أيضاً مرسلا عن ابن سيرين ، ورواه أبو يعلى بلفظ أنفق يا بلال ولا تخافن من ذى العرش إقلالا .

قال فى (المقاصد) : وما يحكى على لسان كثيرين فى لفظ الحديث وإنه " بلالاً " ويتكلفون فى توجيهه بكونه نهياً عن المنع وبغير ذلك فشئ لم أقف له على أصل . انتهى ، وأقول مما قيل فيه أن أصله أنفق بلال ، قولك : ومنه إن مصدر بلّ يبلّ مشدد اللام ، وقد وجهه الجلال السيوطى فى (الأشباه والنظائر) النحوية بأنه من الإتباع وان كان منادى مفرداً علما ، وعبادته فيها ومنه اتباع كلمة فى التنوين لكلمة أخرى منونة صحبتها كقوله تعالى ﴿ وجئتك من سبأ بنبأ ﴾ ، ﴿ إنا أعتدنا للكافرين سلاسلاً وأغلالاً ﴾ ، فى قراءة من نَوَّن الجميع ، وحديث أنفق بلالاً ولا تخش من ذى العرش . انتهى ، وقال فى (الهمع) أواخر الكتاب الخامس : روى البزار فى مسنده وغيره : أنفق بلالاً ولا تخش من ذى العرش إقلالاً ، نون المنادى المعرفة ونصبه لمناسبة إقلالا . انتهى ، وأقول ظاهر كلامه فى الكتابين أن الرواية بالنصب ، ومقتضى ما فى المقاصد أنه بالضم فليراجع ، وكلام السيوطى لا يفيد حصر الرواية بالنصب .

الزبير بن العوام رضى الله تبارك وتعالى عنه ، فإن غاب أو اعتذر كتب جهم بن الصلت ، وحذيفة بن اليمان رضى الله عنهما[1] .

فصل فى ذكر الخارص على عهد رسول الله ﷺ

قال ابن سيده : خرص العود يخرصه ، خرصاً حزرة ، وقيل: الخرص المصدر ، والخرص الاسم ، والخراص الحراز ، فكان رسول الله ﷺ يبعث من يخرص الثمار على أربابها لأجل الزكاة الواجبة فى تلك الثمار توسعة عليهم ، ورفقاً بهم ، لأنهم لو منعوا من أجل سهم المساكين من أكلها طيباً ، ومن التصرف فيها بالصلة والصدقة لأضر بهم ذلك ، وكانت عليهم فيه مشقة كبيرة ، ولو تركوا ، والمتصرف بالأكل وغيره لأضرّ ذلك بالمساكين ، ولتلف كثير مما يجب فيه الزكاة ، ولهذا كان توجيه النبى ﷺ الخارص وإرساله إياه .

وقد وقع فى (الموطأ) من رواية مالك ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب أن رسول الله ﷺ قال ليهود خيبر [يوم الفتح] : أقركم [فيها] ، ما أقركم الله [عز وجل][2] ، على أن الثمر بيننا وبينكم ، قال : فكان رسول

---

(١) (التراتيب الادارية) : ٣٩٨/١ ـ ٣٩٩ ، ثم قال : نقل الحافظ فى (تلخيص الحبير) عن القضاعى: كان الزبير وجهم يكتبان أموال الصدقات ، وترجم الحافظ فى (الإصابة) : جهم بن سعد ، فقال : ذكره القضاعى فى كتاب (النبى ﷺ) ، وأنه هو والزبير كانا يكتبان أموال الصدقة ، وكذا ذكره القرطبى فى (المولد النبوى) من تأليفه .

ونقل القلقشندى فى (صبح الأعشى) ، عن (عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف) للقضاعى : أن الزبير بن العوام ، وجهم بن الصلت كانا يكتبان للنبى ﷺ أموال الصدقات ، وأن حذيفة بن اليمان كان يكتب له خرص النخل ، فإن صح ذلك فتكون هذه الدواوين قد وضعت فى زمانه ﷺ (المرجع السابق) .

(٢) زيادة للسياق من (الموطأ) .

الله ﷺ يبعث عبد الله بن رواحة فيخرّص بينه وبينهم ، ثم يقول : إن شئتم فلكم ، وإن شئتم فلى ، فكانوا يأخذونه[1] .

قال أبو عمر بن عبد البر : هكذا روى هذا الحديث بهذا الإسناد ، عن مالك ، عن ابن شهاب ، عن سعيد جماعة رواة الموطأ ، وكذلك رواه أكثر أصحاب الزهرى ، وقد وصله منهم صالح بن أبى الأخضر ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه ، قال : أن رسول الله ﷺ لما فتح خيبر دعى اليهود ، فقال : نعطيكم الثمر على أن يعملوها على النصف ، أقركم ما أقركم الله ، وكان رسول الله ﷺ يبعث عبد الله بن رواحة يخرصها عليهم ، ثم يخبرهم أيأخذون بخرصه أم يتركون .

وقال معمر عن الزهرى : فى هذا الحديث خمس رسول الله ﷺ خيبر ، ولم يكن له ولا لأصحابه عمال ليعملونها ، ويزرعونها ، فدعا يهود خيبر ، وكانوا أخرجوا منها ، فدفع إليهم خيبر أن تعملوها على النصف ، يردونه إلى النبى ﷺ وأصحابه ، وقال لهم : أقركم على ذلك ما أقركم الله ، فكان يبعث إليهم عبدالله بن رواحة فيخرص النخل حين يطيب ، ثم يحضر يهود يأخذونها بذلك الخرص ، أو يدفعونها بذلك الخرص .

قال : وإنما أمر رسول الله ﷺ بذلك الخرص لكى تحصى الزكاة قبل أن يؤكل الثمر ، ويفرق ، وكانوا كذلك ، وذكر تمام الخبر .

وخرج الإمام أحمد من حديث عبد الرزاق ، قال : أنبأنا ابن جريج ، قال : أخبرت عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها أنها قالت وهى تذكر شأن خيبر : كان رسول الله ﷺ يبعث ابن رواحة إلى اليهود ، فيخرص عليهم النخل حين يطيب قبل أن يؤكل منه ، ثم يخبرون يهود أيأخذونه بذلك الخرص أم يدفعونه عليهم بذلك ، وإنما كان أمر رسول الله ﷺ بالخرص لكى يحصى الزكاة قبل أن تؤكل الثمرة ، ويفرق[2] .

---

(١) (موطأ مالك) : ٤٩٤ ، كتاب المساقاه ، باب ما جاء فى المساقاة .

(٢) (مسند أحمد) : ٧ / ٢٣٤ ، حديث رقم (٢٤٧٧٧) من حديث السيدة عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها ، حديث رقم (٢٤٧٧٨) ، وفيه :" حين يطيب التمر، وقال : قبل أن يؤكل الثمار .

وقد اختصره أبو داود[1] ، ولم يذكر الزكاة أيضاً ، ولأحمد من حديث وكيع أبنأنا العمرى ، عن نافع ، عن ابن عمر أن النبى ﷺ ، بعث ابن رواحة إلى خيبر ، يخرص عليهم ، ثم خيرهم أن يأخذوا أو يردوا ، فقالوا : هذا الحق بهذا قامت السموات والأرض[2] .

وذكر ابن إسحاق أن عبد الله بن رواحة ، خرص عاماً واحداً ، ثم أصيب بموته ، وكان جبار بن صخر أخو بنى سلمة ، هو الذى يخرص عليهم بعد عبد الله بن رواحة ، وكان جبار جاء من أهل المدينة وحاسبهم .

وقد روى أن رسول الله ﷺ ، بعث سهل بن خثيمة خارصاً خيبر .

وقال ابن شهاب ، عن عتاب بن أسد أن رسول الله ﷺ بعثه ، وأمره أن يخرص العنب ، كما يخرص النخل ، وأن يأخذ زكاة العنب زبيباً ، كما يأخذ زكاة النخل تمراً ، وذكره أبو داود[3] ، وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن

---

(١) (سنن أبى داود) : ٣ / ٦٩٩ ، كتاب البيوع والإجارات ، باب (٣٦) فى الخرص ، حديث رقم (٣٤١٣) ، (٣٤١٤) ، (٣٤١٥) ، بأسانيد وسياقات مختلفة .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) (سنن أبى داود) : ٢ / ٢٥٧ ، كتاب الزكاة ، باب (١٣) فى خرص العنب ، حديث رقم (١٦٠٣) ، قال الخطابى فى (معالم السنن) : إنما يخرص من الثمر ما يحيط به البصر بارزاً لا يحول دونه حائل ولا يخفى موضعه فى خلال ورق الشجر ، والعنب فى هذا المعنى كثمر النخل .

فأما سائر الثمار فإنها لا تجرى فيها الخرص لأن هذا المعنى فيها معدوم وفائدة الخرص ومعناه أن الفقراء شركاء أرباب الأموال فى الثمر فلو منع أرباب المال من حقوقهم ومن الانتفاع بها إلى أن تبلغ الثمرة غاية جفافها لأضر ذلك بهم ، ولو انبسطت أيديهم فيها لأخل ذلك بحصة الفقراء منها إذ ليس مع كل أحد من التقية ما تقع به الوثيقة فى أداء الأمانة فوضعت الشريعة هذا المعيار ليتوصل به أرباب الأموال إلى الانتفاع ويحفظ على المساكين حقوقهم . وإنما يفعل ذلك عند أول وقت " بدو " صلاحها قبل أن يؤكل ويستهلك ليعلم حصة الصدقة منها فيخرج بعد الجفاف بقدرها تمراً وزبيباً .

=

سابق ، قال : أبنأنا إبراهيم بن طهمان ، عن أبى الزبير ، عن جابر رضى الله تبارك وتعالى عنه أنه قال : أفاء الله خيبر على رسول الله ﷺ ، فأقرهم رسول الله ﷺ [كما كانوا][(١)] ، وجعلها بينه وبينهم ، فبعث عبد الله بن رواحة فخرصها عليهم ، ثم قال : يا معشر اليهود أنتم ابغض [الخلق] إلىّ ، [قتلتم أنبياء الله] وكذبتم على الله ، وليس يحملنى بغضى إياكم على أن أحيف عليكم ، قد خرصت عشرين ألف وسق من تمر ، فإن شئتم فلكم ، وإن

= وفيه دليل على صحة القسمة فى الثمار بين الشركاء بالخرص لأنه اذا صح ان يكون عياراً فى إفراز حصة الفقراء من حصة أرباب الأموال كان كلك عياراً فى إفراز حصص الشركاء .

قلت : ولم يختلف أحد من العلماء فى وجوب الصدقة فى التمر والزبيب ، واختلفوا فى وجوب الصدقة فى الزيتون ، فقال ابن أبى ليلى : لا زكاة فيه لأنه " أدم غير مأكول بنفسه وهو آخر قولى الشافعى وأوجبها أصحاب الرأى وهو قول مالك والأوزاعى والثورى إلا أنهم اختلفوا فى كيفية ما يؤخذ من الواجب فيه فقال أصحاب الرأى : يؤخذ من ثمرته العشر أو نصف العشر .

قال الأوزاعى : يؤخذ العشر منه بعد أن يعصر زيتاً صافياً .

وأما الحبوب فقد اختلف العلماء فيها فقال أصحاب الرأى تجب الصدقة فى الحبوب ما كان مقتاتاً منها أو غير مقتات .

وقال الشافعى : كل ما جمع من الحبوب أن يزرعه الآدميون وييبس ويدخر ويقتات ففيه الصدقة ، فأما ما يتفكه به أو ما يؤتدم به أو يتداوى به فلا شئ فيه .

وأخرجه الترمذى فى الزكاة باب فى الخرص حديث (٦٤٤) ، وقال : [هذا حديث حسن غريب] وابن ماجة فى الزكاة باب خرص النخل والعنب حديث (١٨١٩) قال الترمذى : [وقد روى ابن جريج هذا الحديث عن عروة عن عائشة ، وسألت محمداً ـ يعنى البخارى ـ عن هذا ، فقال : حديث ابن جريج غير محفوظ وحديث سعيد بن المسيب عن عتاب بن أسيد اصح] . قال المنذرى : [وذكر غيره أن هذا الحديث منقطع ، وما ذكره ظاهر جداً ، فإن عتاب بن أسيد توفى فى اليوم الذى توفى فيه أبو بكر الصديق رضى الله عنهما ، ومولد سعيد بن المسيب فى خلافة عمر ، سنة خمسة عشرة ، على المشهور ، وقيل : كان مولده بعد ذلك ، والله أعلم] .

(١) زيادة للسياق من (المسند) .

[أبيتم] فلـى ، فقـالوا : [لـهذا] قـامت السموات والأرض(١) . [قد أخذنـا فاخرجوا عنا] .

وذكر الواقدى أن رسول الله ﷺ ، لما فتح خيبر ، سأله يهود ، فقالوا : يا محمد نحن أرباب النخل ، وأهل المعرفة بها ، فساقاهم على الشطر من التمر ، والزرع ، وكان يزرع تحت النخل ، فقال رسول الله ﷺ : أقركم ما أقركم الله ، فكانوا على عهد رسول الله ﷺ حتى توفى ، وأبى بكر ، وصدراً من خلافة عمر رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، وكان رسول الله ﷺ يبعث عبدالله بن رواحة ، يخرص عليهم النخل ، فإذا خرص قال : إن شئتم فلكم وتضمنون نصف ما خرصت ، وإن شئتم لنا ، ويضمن لكم ما خرصت ، وأنه خرص عليهم أربعين ألف وسق فجمعوا له حلياً من حلى نسائهم . فقالوا : هذا لك وتجاوز فى القسم ، فقال : يا معشر يهود والله إنكم لمن أبغض خلق الله إلى ، وما ذاك يحملنى أن أحيف عليكم ، قالوا : لهذا قامت السموات والأرض ، وكان عبد الله يخرص عليهم ، فلما قتل يوم موته ، بعث رسول الله ﷺ أبا الهيثم بن التيهان ، يخرص عليهم ، ويقال جبار بن صخر ، وكان نصنع بهم مثل ما كان يصنع ابن رواحة ، ويقال : الذى خرص بعد ابن رواحة عليهم فروة بن عمرو(٢) .

---

(١) (مسند أحمد) : ٤ / ٣٤٤ ، حديث رقم (١٤٥٣٦) من مسند جابر بن عبد الله رضى الله تبارك وتعالى عنه .

(٢) (مغازى الواقدى) : ٢ / ٦٩٠ - ٦٩١ .

فصل فى ذكر من ولى السوق فى زمن رسول الله ﷺ
وتعرف هذه الولاية اليوم بالحسبة
ومتوليها يقال له المحتسب[1]

اعلم أن الحسبة أمر بالمعروف ، إذا ظهر تركه ، ونهى عن المنكر ، إذا ظهر فعله ، والأصل أن الاحتساب طلب الأجر ، والاسم الحسبة[2] .

---

(١) قال الإمام العلامة أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور الأفريقيّ المصريّ : الحسبة فى الأمر : أى حسن التدبير والنظر فيه ، وليس هو من احتساب الأجر وفلان محتسب البلد ، ولا تقل : محسبه.(لسان العرب) : ١ / ٣١٧ .

(٢) قال العلامة مصطفى بن عبد الله القسطنطيّ الروميّ الحنفيّ ، الشهير بالملا كاتب الجلبى ، والمعروف بحاجي خليفة ، فى (كشف الظنون) : ١ / ٧٧ ـ ٧٨ : علم الاحتساب : وهو علم باحث عن علم الاحتساب وهو علم باحث عن الأمور الجارية بين أهل البلد من معاملاتهم اللاتى لا يتم التمدن بدونها من حيث إجرائها على قانون العدل بحيث يتم التراضى بين المتعاملين وعن سياسة العباد بنهى عن المنكر وأمر بالمعروف بحيث لا يؤدى إلى مشاجرات وتفاخر بين العباد بحسب ما رآة الخليفة من الزجر والمنع ومبادئه بعضها فقهى ، وبعضها أمور استحسانية ناشئة من رأى الخليفة ، والغرض منه تحصيل الملكة فى تلك الأمور ، وفائدته إجراء أمور المدن فى المجارى على الوجه الأتم ، وهذا العلم من أدق العلوم ولا يدركه إلا من له فهم ثاقب ، وحدس صائب ؛ إذ لأشخاص والأزمان والأحوال ليست على وتيرة واحدة ، فلا بد لكل واحد من الزمان والأحوال سياسة خاصة ، وذلك من أصعب الأمور فلذلك لا يليق بمنصب الاحتساب إلا من له قوة قدسية مجردة عن الهوى ، كعمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه ، ولذلك كان علماً فى هذا الشأن كذا فى (موضوعات) لطف الله ، وعرفه المولى أبو الخير بالنظر فى أمور أهل المدينة بإجراء ما رسم فى الرياسة وما تقرر فى الشرع ليلاً ونهاراً سراً وجهاراً ثم قال وعلم الرياسة [السياسة] المدينة مشتمل على بعض لوازم ها المنصب ولم نر كتاباً صنف فيه خاصة وذكر فى (الأحكام السلطانية) ما يكفى .

وتقول الدكتورة سعاد مصطفى أبو زيد فى (الحسبة فى مصر الإسلامية) : والمصادر التى تتحدث عن الحسبة شرعا تذكرون استثناء تقريبا أنها وظيفة دينية أساسها الأمربالمعروف=

= والنهى عن المنكر ، والمقصود بالمعروف هنا هو كل قول أو فعل أو قصد حسنه الشارع وأمر به ، والمنكر هو : هو كل قول أو فعل أو قصد قبحه الشارع ونهى عنه .

وقد حبب الله إلينا الخير ، وأمرنا أن ندعو إليه ، فكره إلينا المنكر ونهانا عنه ، وأمرنا بمنع غيرنا منه ، ونحن نجد فى نصوص القرآن الكريم وفى الآيات البينات خير أدلة على ذلك ، فقد صدر الأمر بها صراحة فى قوله تعالى : **﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾** كذلك امتدحها فى قوله : **﴿ لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ﴾** وكذلك جعلها من صفات الإيمان وقرنها بإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة وطاعة الله مع تقديمها فى الذكر فى قوله : **﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون هن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾** كما قرنها بكثير من صفات المؤمنين فى قوله : **﴿التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين﴾** وجعل تركها والعمل بخلافها من صفات المنافقين فى قوله : **﴿ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ﴾** ، وذم من تركها وجعل تركها سبباً للعنة فى قوله : **﴿ لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾** .

ثم أضافت الدكتورة سعاد مصطفى أبو زيد فى (المرجع نفسه) ، الملحق رقم (٥) وأثبتت به جدولاً بأسماء أهم المحتسبين فى مصر ، وسنوات توليتهم ، والحكام الذين تولوا فى عهودهم ، مؤيداً بالمراجع المتخصصة فى الموضوع ، وذلك من ص ٢٥٢ ـ ٢٧٢ ، فليراجع هناك .

وأفرد الدكتور أحمد عبد الرازق أحمد ، فى كتابه (البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك ، دراسة عن الرشوة) ، فصلاً خاصاً أسماه : الوظائف الدينية والبذل والبرطلة ، فقال : أما الحسبة ، خامس الوظائف الدينية الرفيعه التى كان لصاحبها مجلس بالحضرة السلطانية ، وبدار العدل الشريف ، فقد فسد أيضاً أمرها نتيجة للبذل عليها طوال عصر سلاطين المماليك ، وفى هذا المعنى يقول أحد كتاب القرن الثامن الهجرى الرابع عشر الميلادى : " وأما أمر =

- الحسبة فاعلموا ـ رحمكم الله ـ أن أمرها قد فسد ، واستحكم فساده ، وكثر الطمع في أموال الناس بسببها ، وقد بقيت سيئة فلا يحل للسلطان أن يوليهاأحداً ، ولا حاجة للناس بها .

والحق أن البذل على هده الوظيفة يعتبر أحد الأسباب الرئيسية ، التي عجلت بتدهورها وانهيارها ، خاصه وأن الأمر لم يعد يقتصر على توليها بالرشوة والبراطيل ، وإنما استقر الحال على توليها حسب مصطلح العصر عن طريق البذل ، مما أدى إلى كثرة الطامعين فيها وإلى المزايدة عليها فيما بينهم ، وبالتالي لم يعد المحتسب بحاجة إلى مجرد تناول رشوة مقنعه أو خفية ، وإنما وصل به الحال إلى فرض مقررات شهرية على الباعة والتجار وأصحاب الحرف والصنائع .

ولهذا لم يكن عجيبا أن تسير الحسبة بخطى سريعة إلى الهاوية ، بسبب تلاعب الجهلة بهذا المنصب الجليل ، ففي سنة ٨٠٩ هـ = ١٤٠٦ م ، والتي يعدها وليها في الشهر الواحد ثلاثة أو أربعة ، " بسبب ذلك أنهم فرضوا على المنصب مالاً مقرراً ، فكان من قام في نفسه أن يليه يزن المبلغ ويخلع عليه ، ثم يقوم آخر ويزن ويصرف الذي قبله .

وفي رمضان سنة ٧٨٩ هـ / ١٣٨٧ م ، استقر نجم الدين محمد الطنبدى ، وكيل بيت المال في حسبة القاهرة ، عوضا عن جمال الدين محمود القيصري بحكم انتقاله إلى قضاء العسكر بعد أن سعى فيها بخمسين ألف درهم ، قيمتها يومئذ أكثر من ألفي دينار ذهب .

ويبدو أن بهاء الدين محمد بن البرجي كان دائب السعي على هذه الوظيفة بدليل أنه عاد إليها في شهر ربيع الول سنة ٧٩٩ هـ / ١٣٩٧ م ، بمال قام به في ذلك ، إذ أنه لم يل قط إلا بمال ، فتشاءم الناس من ولايته.

وفي شعبان من نفس العام استقر زين الدين شعبان الآثاري في حسبة الفسطاط ، عوضاً عن نورالدين على بن عبدالوارث البكري بمال التزم به ، يبدو أنه استدان أغلبه ، لأنه يفهم من المصادر المعاصرة أنه اضطر إلى الفرار من هذا المنصب في شهر ذي القعدة سنة ٨٠٠ هـ = ١٣٩٨ م ، هرباً من مطالبة أرباب الديون بمالهم ، فخلع بها على شمس الدين محمد الشاذلي ، الذي كان عارياً من العلم ، غاية في الجهل ، حتى تولى بالبذل والبراطيل .

وحل القرن التاسع الهجري لتدخل الحسبة أخطر مراحل تدهورها وانهيارها ، بسبب كثرة البذل والسعي عليها ، مما نتج عنه عدم استقرارهذه الوظيفة البالغة الأهمية بالنسبة للحياة الاقتصادية ، ويكفي للتدليل على ذلك ، أنه وليها على مدى هذا القرن مائة وثلاثة وعشرين =

وخرج البخارى من حديث الليث عن يونس عن ابن شهاب قال : أخبرنى سالم بن عبد الله ، أن ابن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، قال : رأيت الناس فى عهد رسول الله ﷺ يبتاعون جزافاً [يعنى الطعام] يضربون أن يبيعون فى مكانهم حتى يؤووه إلى رحالهم(١) .

= محتسباً للقاهرة فقط ، اتهمت المصادر المعاصرة أغلبهم بالسعى عليها بالمال رغم جهلهم وسوء سلوكهم .

ويجمع المعاصرون على أن أضخم مبلغ بذل على هذه الوظيفة خلال القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى ، هو عشرة آلاف دينار ، بذلها شمس الدين بن يعقوب فى المحرم سنة ٨٢٠ هـ ١٣١٧ م ، على هيئة هدايا قدمها للسلطان المؤيد ، ومع ذلك فلم يمكث فيها سوى ستة أشهر ، حيث عزل فى جمادى الآخرة ، بعد أن سعى عليه عماد الدين ابن بدر الدين ابن الرشيد .

قال محققه : ومع ذلك فهناك ثلاثة من الأتقياء العلماء العاملين قد شغلوا وظيفة المحتسب بجدارة ، وعن استحقاق ، وبعضهم شغلها أكثر من مرة ، وهم :

- بدر الدين العينى ، صاحب كتاب (عمدة القارى بشرح صحيح البخارى) ، وصاحب قصر العينى المقام عليه كلية الطب ـ جامعة القاهرة حتى الآن .
- أحمد بن على بن عبد القادر المقريزى ، تقى الدين ، المؤرخ ، صاحب كتاب (إمتاع الأسماع) .
- أحمد بن على بن حجر صاحب كتاب (فتح البارى شرح صحيح البخارى) ، والذى قال عنه السيوطى فى (طبقات الحفاظ) : " حافظ الدنيا على الإطلاق " .

(١) (فتح البارى) : ٤ / ٤٤١ ، كتاب البيوع ، باب (٥٦) من رأى إذا اشترى طعاماً جزافاً أن لا يبيعه حتى يؤويه إلى رحله ، والأدب فى ذلك ، حديث رقم (٢١٣٧) ، قوله : " باب من رأى إذا اشترى طعاماً جزافاً أن لا يبعه حتى يؤويه إلى رحله ، والأدب فى ذلك " أى تعزير من يبيعه قبل أن يؤويه إلى رحله ، ذكر فيه حديث ابن عمر فى ذلك ، وهو ظاهر فيما ترجم له ، وبه قال الجمهور ، لكنهم لم يخصوه بالجزاف ولا قيدوه بالإيواء إلى الرحال ، أما الأول فلما ثبت من النهى عن بيع الطعام قبل قبضه فدخل فيه المكيل ، وورد التنصيص على المكيل من وجه آخر عن ابن عمر مرفوعا أخرجه أبو داود . =

وخرجه مسلم من حديث ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني سالم أن أباه قال : قد رأيت الناس في عهد رسول الله ﷺ ، إذا ابتاعوا الطعام جزافا يضربون أن يبيعوه في مكانهم ، ذلك حتى تؤوى

= وأما الثاني : فلان الإيواء إلى الرحال خرج مخرج الغالب ، وفي بعض طرق مسلم عن ابن عمر : " كنا نبتاع الطعام فيبعث إلينا رسول الله ﷺ من يأمرنا بانتقاله من المكان الذي ابتعناه فيه إلى مكان سواه قبل أن نبيعه ، " وفرق مالك في المشهور عنه بين الجزاف والمكيل : فأجاز بيع الجزاف قبل قبضه وبه قال الأوزاعي وإسحق ، واحتج لهم بأن الجزاف مربي فتكفي فيه التخلية ، والاستيفاء إنما يكون في مكيل أو موزون ، وقد روى أحمد من حديث ابن عمر مرفوعاً " من اشترى طعاماً بكيل أو وزن فلا يبيعه حتى يقبضه " .

ورواه أبو داود والنسائي بلفظ " نهى أن يبيع أحد طعاماً اشتراه بكيل حتى يستوفيه " والدار قطني من حديث جابر " نهى رسول الله ﷺ عن بيع الطعام حتى يجرى فيه الصاعان البائع والمشتري " ونحوه للبزار من حديث أبي هريرة بإسناد حسن ، وفي ذلك دلالة على اشتراط القبض في المكيل بالكيل وفي الموزون بالوزن ، فمن اشترى شيئاً مكايلة او موازنة فقبضه جزافاً فقبضه فاسد ، وكذا لو اشترى مكايلة فقبضه موازنة وبالعكس ، ومن اشترى مكايلة وقبضه ثم باعه لغيره لم يجز تسليمه بالكيل الأول حتى يكيله على من اشتراه ثانياً ، وبذلك كله قال الجمهور ، وقال عطاء : يجوز بيعه بالكيل الأول مطلقاً ، وقيل : إن باعه بنقد جاز بالكيل الأول ، وإن باعه بنسيئة لم يجز بالأول والأحاديث المذكورة ترد عليه ، وفي الحديث مشروعية تأديب من يتعاطى العقود الفاسدة ، وإقامة الإمام على الناس من يراعي أحوالهم في ذلك والله تعالى أعلم .

وفي هذا الحديث جواز بيع الصبرة جزافاً سواء علم البائع قدرها أم لم يعلم ، وقال ابن قدامة : يجوز بيع الصبرة جزافاً لا نعلم فيه خلافاً إذا جهل البائع والمشتري قدرها فإن اشتراها جزافاً ففي بيعها قبل نقلها روايتان عن أحمد ، ونقلها قبضها .

إلى رحالهم[1] ، [قال ابن شهاب : وحدثني عبيد الله بن عمر أن أباه كان يشتري طعاماً جزافاً فيحمله إلى أهله][2] .

وخرجه البخاري أيضاً في كتاب الحدود من حديث معمر ، عن الزهري عن سالم بن عبد الله بن عمر ، عن أبيه ، أنهم كانوا يضربون على عهد رسول الله ﷺ إذا اشتروا طعاماً جزافاً أن يبعوه في مكانهم حتى يؤووه إلى رحالهم . ذكره في باب كم التعزير والأدب[3] .

وخرجه مسلم بهذا السند ، ولفظه : عن ابن عمر رضي الله تبارك وتعالى عنه عنهما ، أنهم كانوا يضربون على عهد رسول الله ﷺ ، إذا اشتروا طعاماً جزافاً ، أن يبعوه في مكانه حتى يحولوه[4] .

وخرجه البخاري أيضاً من حديث الأوزاعي [عن الزهري] عن سالم ، عن أبيه رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : رأيت الذين يشترون الطعام مجازفة يضربون على عهد رسول الله ﷺ ، أن يبيعوه ، حتى يؤووه إلى رحالهم ، ذكره في باب ما يذكر في بيع الطعام والحكرة[5] .

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ١٠ / ٤٢٧ ، كتاب البيوع ، باب (٨) بطلان بيع المبيع قبل القبض ، حديث رقم (٣٨) .

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (صحيح مسلم) .

(٣) (فتح الباري) : ١٢ / ٢١٦ ، كتاب الحدود ، باب (٤٢) كم التعزير والأدب ، حديث رقم (٦٨٥٢) ، قال الحافظ في (الفتح) : التعزير مصدر عزره ، وهو مأخوذ من العزر ، وهو الرد والمنع ، واستعمل في الدفع عن الشخص ، كدفع أعدائه عنه ، ومنعهم إضراره ، ومنه : ﴿ **وآمنتم برسلي وعزرتموهم** ﴾ ، وكدفعه عن إتيان القبيح ، ومنه : عزره القاضي أي لئلا يعود إلى القبيح ، ويكون بالقول وبالفعل ، بحسب ما يليق به ، والمراد بالأدب في الترجمة التأديب ، وعطفه على التعزير لأن التعزير يكون بسبب المعصية ، والتأديب أعم منه . (فتح الباري) .

(٤) (مسلم بشرح النووي) : ٤٢٧/١٠ ، كتاب البيوع ، باب (٨) بطلان بيع المبيع قبل القبض ، حديث رقم (٣٧) .

(٥) (فتح الباري) : ٤ / ٤٣٧ ، كتاب البيوع ، باب (٥٤) ما يذكر في بيع الطعام أو الحكرة ، حديث رقم (٢١٣١) ، قال الحافظ في (الفتح) قوله : " باب ما يذكر في بيع الطعام والحكرة " =

وخرج مسلم من حديث مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، قال : كنا فى زمان رسول الله ﷺ نبتاع الطعام ، فيبعث علينا من يأمرنا بانتقاله من المكان الذى ابتعناه فيه ، إلى مكان سواه قبل أن نبيعه[1] .

= أى بضم المهملة وسكون الكاف : حبس السلع عن البيع ، هذا مقتضى اللغة ، وليس فى أحاديث الباب للحكرة ذكر كما قال الإسماعيلى ، وكأن المصنف استنبط ذلك من الأمر بنقل الطعام إلى الرحال ومنع بيع الطعام قبل استيفائه ، فلو كان الاحتكار حراماً لم يأمر بما يؤول إليه ، وكأنه لو يثبت عنده حديث معمر بن عبد الله مرفوعاً ولا يحتكر إلا خاطئ " أخرجه مسلم ، لكن مجرد إيواء الطعام إلى الرحال لا يستلزم الاحتكار الشرعى ، لأن الاحتكار الشرعى إمساك الطعام عن البيع وانتظار الغلاء مع الاستغناء عنه وحاجة الناس إليه ، وبهذا فسره مالك عن أبى الزناد عن سعيد بن المسيب ، وقال مالك فيمن رفع طعاماً من ضيعته إلى بيته : ليست هذه بحكرة ، وعن أحمد إنما يحرم احتكار الطعام المقتات دون غيره من الأشياء ، ويحتمل أن يكون البخارى أراد بالترجمة بيان تعريف الحكرة التى نهى عنها فى غير هذا الحديث وأن المراد بها قدر زائد على ما يفسره أهل اللغة ، فساق الأحاديث التى فيها تمكين الناس من شراء الطعام ونقله ، ولو كان الاحتكار ممنوعاً لمنعوا من نقله ، أولبين لهم عند نقله المدى الذى ينتهون إليه ، أو لأخذ على أيديهم من شراء الشئ الكثير الذى هو مظنة الاحتكار ، وكل مشعر بإن الاحتكار إنما يمنع فى حالة مخصوصة بشروط مخصوصة ، وقد ورد فى ذم الاحتكار أحاديث : منها حديث معمر المذكور أولاً وحديث عمر مرفوعاً " من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والافلاس " رواه ابن ماجة وإسناده حسن ، وعنه مرفوعاً قال : " الجالب مرزوق والمحتكر ملعون " أخرجه ابن ماجة والحاكم وإسناده ضعيف ، وعن ابن عمر مرفوعاً " من احتكر طعاماً أربعين ليلة فقد برئ من الله وبرئ منه . " أخرجه أحمد والحاكم وفى إسناده مقال .

وعن أبى هريرة مرفوعاً " من احتكر حكرة يريد أن يغالى بها على المسلمين فهو خاطئ . " أخرجه الحاكم .

(1) (مسلم بشرح النووى) : ٤٢٦/١٠ ، كتاب البيوع ، باب (٨) بطلان بيع المبيع قبل القبض ، حديث رقم (٣٣) ، قال الإمام النووى : وفى هذه الأحاديث النهى عن بيع المبيع حتى يقبضه البائع ، واختلف العلماء فى ذلك فقال الشافعى لا يصح بيع المبيع قبل قبضه سواء كان طعاما =

وخرجه أبو داود ، وزاد في آخره : " يعني نشتري به جزافاً[1] ، وخرجه النسائي أيضاً[2] .

وخرج البخاري من حديث موسى بن عقبة ، عن نافع قال : أبنأنا ابن عمر أنهم كانوا يشترون الطعام من الركبان على عهد رسول الله ﷺ ، فبعث عليهم من يمنعهم أن يبيعوه حيث اشتروه ، حتى ينقلوه حيث يباع الطعام[3] .

= أو عقاراً ، أو منقولاً ، أو نقداً ، أو غيره . وقال عثمان البتي : يجوز في كل مبيع . وقال أبو حنيفة : لا يجوز في كل شئ إلا العقار . وقال مالك : لا يجوز في الطعام ويجوز فيما سواه ، ووافقه كثيرون . وقال آخرون: لا يجوز في المكيل والموزن ويجوز فيما سواهما . أما مذهب عثمان البتي فحكاه المازري والقاضي ولم يحكه الأكثرون بل نقلوا الاجماع على بطلان بيع الطعام المبيع قبل قبضه قالوا: وإنما الخلاف فيما سواه فهوشاذ متروك والله تبارك وتعالى أعلم .

(1) (سنن أبي داود) : ٣ / ٧٦٠ ـ ٧٦١ ، كتاب البيوع والإجارات ، باب (٦٧) في بيع الطعام قبل أن يستوفى ، حديث رقم (٣٤٩٣) .

قال الخطابي : القبوض تختلف في الأشياء بحسب اختلافها في أنفسها وحسب اختلاف عادات الناس فيها ، فمنها ما يكون بأن يوضع المبيع في يد صاحبه ومنها ما يكون بالتخلية بينه وبين المشتري ، ومنها ما يكون بالنقل من موضعه ومنها ما يكون بأن يكتال وذلك فيما بيع من المكيل كيلاً ، فأما ما يباع منه جزافاً صبرة مضمومة على الأرض فالقبض فيه : أن ينقل ويحول من مكانه ، فإن ابتاع طعاماً كيلاً ثم أراد أن يبيعه بالكيل الأول لم يجز حتى يكليه على المشتري ثانيا ، وذلك لما روى عن النبي ﷺ " أنه نهى عن بيع الطعام حتى يجرى فيه الصاعان ، صاع البائع وصاع المشتري " .

وممن قال إنه يجوز بيعه بالكيل الأول حتى يكال ثانيا : أبو حنيفة وأصحابه ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق ، وهو مذهب الحسن البصريّ ، ومحمد بن سيرين ، والشعبي ، وقال مالك : إذا باعه نسيئة فهو المكروه ، فأما إذا باعه نقداً فلا بأس أن يبيعه بالكيل الأول ، وروى عن عطاء أنه أجاز بيعه نسيئة كان أو نقداً .

(2) (سنن النسائي) : ٧ / ٢٣١ ، كتاب البيوع ، باب (٥٧) بيع ما يشترى من الطعام جزافاً قبل أن ينقل من مكانه ، حديث رقم (٤٦١٩) .

قال السيوطي في قوله : " من يأمرنا " هذا أصل إقامة المحتسب أهل السوق . =

وذكر أبو عمر بن عبد البر ، أن سعيد بن سعيد بن العاص بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف القرشي ، استعمله رسول الله ﷺ بعد الفتح على سوق مكة ، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى الطائف ، خرج معه ، فاستشهد(١) ، واستعمل عمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه على سوق المدينة السائب بن يزيد بن سعيد بن ثمامة بن الأسود ، مع عبد الله بن عتبة بن مسعود(٢) [وسليمان بن أبى خيثمة](٣) .

= (٣) وأخرج الإمام أحمد قريباً منه فى (المسند) : ٢ / ٢٩٦ ، حديث رقم (٦١٥٦) ، من مسند عبد الله بن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه .

(١) ترجمته فى (الاستيعاب) : ٢ / ٦٢١ ، ترجمه رقم (٩٨٤) ، (الإصابه) : ١٠٥/٣ ترجمه رقم (٣٢٦٥) .

(٢) هو السائب بن يزيد بن سعيد بن ثمامة بن الأسود بن اخت النمر مختلف فى نسبته ؛ فقيل : كنانى ،وقيل : كندى ، وقيل : ايثى ، وقيل : سلمى ، وقيل : هذنلى ، وقيل : أزدى ، وقال ابن شعاب : هو من الأزد ، وعداوه فى بنى كنانة ، وقيل : هو حليف لبنى أمية ، أو لبنى عبد شمس ولد فى سنة الثانية من الهجرة ، فهو يرب ابن الزبير ، والنعمان بن بثير فى قول من قال ذلك ، كان عاملا لعمر على سوق المدينة مع عبدالله بن عتبة مسعود .

وقال السائب : حج بى أبى مع رسول الله ﷺ ، وانا ابن سبع سنين ، هذه روايه محمد بن يوسف ، عنه .

قال ابن عيينة ، عن الزهرى ، عن السائب بن يزيد ، قال : لما قدم النبى ﷺ من غزوة تبوك تلقاه الناس ، فتلقيته مع الناس ، وقال مرة : مع الغلمان ، وفى حجة الوداع ايضاً .

حدثنا محمد بن الحكم ، حدثنا محمد بن معاوية ، حدثنا غسحاق ابن أبى حيان [الأنماطى] ، حدثنا هشام بن عمارة ، حدثنا حاتم بن إسماعيل ، حدثنا الجعيد ابن عبدالرحمن ، قال : سمعت السائب بن يزيد يقول : ذهبت بى خالتى الى رسول الله ﷺ ، فقالت يا رسول الله ﷺ ابن أختى وجع ، فدعا لى ، ومسح براسى ، ثم توضأ ، فشبت من وضوئه ، ثم قمت خلف ظهره ، فنظرت إلى خاتمه بين كتفيه كانه زر الحجلة .

اختلف فى وقت وفاته ، واختلف فى سنه ومولده ، فقيل : توفى سنة ثمانين ، وقيل : سنة ست وثمانين ، وقيل : سنة إحدى وتسعين ، وهو ابن أربع وتسعين وقيل : بل =

وقال ابن أبى خثيمة [كانت الشفاء ممن استعمله عمر على سوق المدينة][1] ، والشفاء هذه هى الشفاء أم سليمان بنت عبدالله بن قرط بن رزاح ابن عدى بن كعب العدوية[2] ، وكانت سمراء بنت نهيك الأسدية ممن أدركت رسول الله ﷺ وعمرت وكانت تمر فى الأسواق تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتضرب الناس على ذلك بسوط معها[3] .

= توفى وهو ابن ست وتسعين ، وقال الواقدى : ولد السائب بن يزيد ابن أخت النمر ـ وهو رجل من كندة من أنفسهم ، له حلف فى قريش ــ فى سنة ثلاث من التاريخ ، له ترجمه فى (الاستيعاب) : ٢ / ٥٧٦ ـ ٥٧٧ ، (الاصابه) : ٣ / ٢٦ ـ ٢٨ ، ترجمه رقم (٣٠٧٩) .

(٣) زيادة للسياق من (افصابه) : ٣ / ٢٧ .

(١) ما بين الحاصرتين سياقه مضطرب فى (الأصل) ، وصوبناه من قواميس التراجم .

(٢) هى الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس بن خلف بن شداد ـ أو صيداد ـ بن عبدالله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب القرشية العدوية ، وقيل : خالد بدل خلف ، وقيل : صداد بدل شداد ، وقيل : ضرار ؛ أمها فاطمة بنت وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران المخزومية .

أسلمت الشفاء قبل الهجرة ، وهى من المهاجرات الأول ، وبايعت النبى ﷺ ، وكانت من عقلاء النساء وفضلائهن ، وكان رسول الله ﷺ يزورها ويقيل عندها فى بيتها ، وكانت قد اتخذت له فراشاً وإزاراً ينام فيه ، فلم يزل ذلك عند ولدها حتى أخذه منه مروان بن الحكم ، وقال لها رسول الله ﷺ : علمى حفصة رقية النحلة كما علمتها الكتابة .

وأقطعها رسول الله ﷺ دارها عند الحكاكين بالمدينة ، فنزلتها مع ابنها سليمان ، وكان عمر يقدمها فى الرأى ويرعاها ، [ويرضاها] ، ويفضلها ، وربما ولاها شيئاً من أمر السوق ، لها ترجمة فى (الإصابة) : ٧ / ٧٢٧ ــ ٧٢٩ ، ترجمة رقم (١١٣٧٣) ، (الاستيعاب) : ٤/ ١٨٦٨ ـ ١٨٧٠ ، ترجمة رقم (٣٣٩٨) .

(٣) (الاستيعاب) : ٤ / ١٨٦٣ ، ترجمة رقم (٣٣٨٦) ، (الإصابة) : ٧ / ٧١٢ ، ترجمة رقم (١١٣٣٢) .

وعن جواز قيام المرأة بوظيفة المحتسب ، فقد نقل الكتانى فى (التراتيب الإدارية) ما ذكره القاضى أبو العباس أحمد بن سعيد فى كتابه (التيسير فى أحكام التسعير) ، أن من شرط المحتسب أن يكون ذكراً ، إذ الداعى للذكورة أسباب لا تحصى ، وأمور لا تستقصى ، ولا يرد

تم بحمد الله تعالى الجزء التاسع
ويليه الجزء العاشر وأوله :
" فصل فى ذكر مَن كان مِن رسول الله ﷺ
بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير "

- ما ذكر ابن هارون أن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه ، ولى الحسبة فى سوق من الأسواق امرأة تسمى أم الشفاء الأنصارية ، لأن الحكم للغالب ، والنادر لا حكم له ، وتلك القضية من الندرة بمكان ، ولعله فى أمر خاص يتعلق بأمور النسوة .(التراتيب الإدارية) :١/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦ .

إمتاع الأسماع

بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع

تأليف

تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي

المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

تحقيق وتعليق

محمد عبد الحميد النميسي

الجزء العاشر

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH
Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

ISBN 2-7451-2208-8

http://www.al-ilmiyah.com.lb/
e-mail : sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل في ذكر من كان من رسول الله ﷺ بمنزله صاحب الشرطه من الأمير [1]

خرج البخارى فى كتاب الأحكام من حديث محمد بن عبد الله الأنصارى ، قال : حدثنى أبى عن ثمامة ، عن أنس بن مالك رضى الله تبارك وتعالى عنه ، قال : إن قيس بن سعد كان يكون بين يدى رسول الله ﷺ بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير ، ذكره فى باب الحاكم يحكم بالقتل على من وجب عليه دون الإمام الذى فوقه[2] .

وخرجه الترمذى[3] فى كتاب المناقب بهذا السند ، ولفظه عن أنس رضى الله تبارك وتعالى عنه ، قال : كان قيس بن سعد ، من النبى ﷺ بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير . قال الأنصارى : يعنى مما يلى من أموره . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث الأنصارى [حدثنا محمد بن يحيى ، حدثنا محمد بن عبدالله الأنصارى نحوه ، ولم يذكر فيه قول الأنصارى][4] .

---

(١) الشُرطة فى السلطان : من العلامة والإعداد ، ورجل شُرْطى وشُرَطى : منسوب إلى الشُرْطة ، والجمع شرط ، سموا بذلك لأنهم أعدوا لذلك وأعلموا أنفسهم بعلامات . وقيل : هم أول كتيبة تشهد الحرب وتتهيأ للموت . (لسان العرب) : ٧ / ٣٣٠ .

(٢) (فتح البارى) : ١٣ / ١٦٧ ، كتاب الأحكام ، باب (١٢) الحاكم يحكم بالقتل على من وجب عليه دون الإمام الذى فوقه ، حديث رقم (٧١٥٥) .

قال الحافظ فى (الفتح) : وفى الحديث تشبيه ما مضى بما حدث بعده ، لأن صاحب الشرطة لم يكن موجوداً فى العهد النبوى عند أحد من العمال ، وإنما حدث فى دولة بنى أمية ، فأراد أنس تقريب حال قيس عند السامعين فشبهه بما يعهدونه .

(٣) (سنن الترمذى) : ٥ / ٦٤٧ ـ ٦٤٨ ، كتاب المناقب ، باب (٥٢) فى مناقب قيس بن سعد بن عبادة رضى الله تبارك وتعالى عنه ، حديث رقم (٣٨٥٠) .

(٤) زيادة للسياق من (سنن الترمذى) .

وخرج الحاكم من حديث محمد بن إسحاق الصغانى ، قال : حدثنا وهب بن جرير ، قال : حدثنا أبى ، قال : سمعت منصور بن زاذان يحدث عن ميمون بن أبى شبيب عن قيس بن سعد بن عبادة [قال] : إن أباه دفعه إلى النبى ﷺ يخدمه ، قال : فأتى على النبى ﷺ ، وقد صليت ركعتين ، فضربنى برجله ، فقال : ألا أدلك على باب من أبواب الجنة ؟ قلت : بلى يا رسول الله ، قال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه(١) .

وكان القصد فى ذكره فى هذا الموضع أن الوالد له مباح يخدم ولده ، ثم للموهوب له الخدمة أن يستخدم منه ، ثم يعرف من فضل قيس بن سعد ، أنه خدم النبى ﷺ حتى صار منه بمنزلة صاحب الشرطة .

وقيس بن سعد بن عبادة بن دليم بن حارثه الأنصارىّ ، الخزرجىّ ، أبو الفضل أحد كرام الصحابة رضى الله تبارك وتعالى عنهم ، وأحد الفضلاء الجلة ، وأحد دهاة العرب ، وأهل الرأى ، والمكيدة فى الحروب ، مع النجدة والسخاء [والشجاعة](٢) .

وكان شريف قومه غير مدافع هو وأبوه وجده [كذلك] ، وصحب رسول الله ﷺ هو ، وأبوه ، وأخوه سعيد بن سعد بن عبادة ، ثم صحب علىَّ ابن أبى طالب رضى الله تبارك وتعالى عنه ، وشهد معه الجمل ، وصفين ، والنهروان هو قومه ، وولاه مصر ، ثم صرفه ، وتوفى بالمدينة سنه ستين أو تسع وخمسين(٣) .

وقد ذكرته ذكراً مبسوطاً فى كتاب (عقد جواهر الأسفاط فيمن ملك مصر الفسطاط)(٤) ، وذكرته أيضاً فى (التاريخ الكبير المقفى)(٥) فانظره .

---

(١) (المستدرك) : ٤ / ٣٢٣ ، حديث رقم (٧٧٨٧) .

(٢) زيادة للسياق من (الإصابة) .

(٣) سبقت له ترجمة مطولة .

(٤) من مؤلفات المقريزى رحمه الله .

(٥) له أخبار فى (المقفى الكبير) للمقريزى : ٢ / ٤٢١ ، ٥ / ٥٣٠ .

فصل فى ذكر من كان يقيم الحدود بين يدى رسول الله ﷺ ومن كان يضرب الرقاب

ذكر القاضى أبو بكر بن العربى[1] ، أن رسول الله ﷺ جعل إقامة الحدود لجماعة منهم : على بن أبى طالب ، ومحمد بن مسلمة الأنصارىّ ، رضى الله تبارك وتعالى عنهم .

وقال الواقدى فى وقعة بدر : وأقبل رسول الله ﷺ بالأسرى حتى إذا كان بعرق الظبية ، وقيل : بالصفراء ، أمر عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح أن يضرب عنق عقبة بن أبى معيط ، وكان أسره عبد الله بن سلمة بن مالك العجلانىّ ، جمح به فرسه فأخذه ، فأخذ عقبة يقول : يا ويلى ! علام أُقتل يا معشر قريش من بين من هاهنا ؟ فقال رسول الله ﷺ : لعداوتك لله ورسوله .

قال : يا محمد منك أفضل ، فاجعلنى كرجل من قومى إن قتلتهم قتلتنى ، وإن مننت عليهم مننت على ، وإن أخذت منهم الفداء كنت كأحدهم ، يا محمد ! من للصبية ؟ .

قال رسول الله ﷺ : النار قدمه يا عاصم ، فاضرب عنقه ! فقدمه عاصم ، فضرب عنقه ، فقال رسول الله ﷺ : بئس الرجل كنت ، والله ما علمت كافراً بالله ، وبرسوله ، وكتابه ، مؤذياً لنبيه منك ، فأحمد الله الذى هو

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بابن العربى المعافرى الإشبيلي المالكى ، يكنى أبا بكر . كان مولده ليلة الخميس لثمان بقين من شعبان سنة ثمان وستين وأربعمائة . حج فى موسم سنة تسع وثمانين ، وسمع بمكة من أبى على الحسين بن على الطبرى وغيره من العلماء والأدباء ، فدرس عندهم الفقه والأصول ، وقيد الحديث ، واتسع فى الرواية ، وأتقن مسائل الخلاف ، والأصول ، والأحكام ، على أئمة هذا الشأن . توفى فى ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ، منصرفه من مراكش ، وحمل ميتاً إلى مدينة فاس ، ودفن بها . (أحكام القرآن) لابن العربى ، المقدمة .

قتلك ، وأقر عينى منك[1] [قيل : إن رسول الله ﷺ أمر به فصلب ، وكان أول مصلوب فى الإسلام][2] .

[قال ابن الكلبى : كان أمية بن عبد شمس خرج إلى الشام فأقام بها عشر سنين ، فوقع على أمة للخم يهودية من أهل صفورية يقال لها : ترنا ، وكان لها زوج من أهل صفورية يهودى ، فولدت له ذكوان فادعاه أمية واستخلفه وكناه أبا عمرو ، ثم قدم به مكة ، فلذلك قال النبى ﷺ لعقبة يوم أمر بقتله : إنما أنت يهودى من أهل صفورية ، ولاه عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه على صدقات بنى تغلب ، وولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبى وقاص وكان أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحى قد من عليه رسول الله ﷺ يوم بدر ، وكان فقيراً ذا عيال وحاجة ، وكان فى الأسارى فقال : إنى فقير ذو عيال وحاجة ، قد عرفتها ، فامنن علىّ ، فمن عليه رسول الله ﷺ] .

[فقال له صفوان بن أمية : يا أبا عزة ! إنك امرؤ شاعر ، فأعنا بلسانك ، فاخرج معنا ؛ فقال : إن محمداً قد منّ علىّ ، فلا أريد أن أظاهر عليه ؛ قال : فأعنا بنفسك ، فلك الله علىّ إن رجعت أن أغنيك ، وإن أصبت أن أجعل بناتك مع بناتى ، يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر ، فخرج أبو عزة فى تهامة ، ويدعو بنى كنانة ويقول :

إيها بنى عبد مناة الرزام[3] أنتم حماة وأبوكم حام
[لا تعدونى نصركم بعد العام لا تسلمونى لا يحل إسلام][4]

ثم سار مع قريش فأسر ، ولم يؤسر غيره من قريش ، فقال : يا محمد إنما خرجت كرهاً ، ولى بنات فامنن علىّ ، فقال رسول الله ﷺ : أين ما

---

(١) (مغازى الواقدى) : ١ / ١١٣ ـ ١١٤ .

(٢) ما بين الحاصريتن ليس فى (المغازى) .

(٣) الرزام : من يثبتون فى مكانهم لا يبرحونه ، يذكرهم أنهم ثابتون فى الحرب .

(٤) ما بين الحاصرتين سياقه مضطرب فى (الأصل) وأثبتناه من (سيرة ابن هشام) : ٤ / ٦

أعطيتنى مـن العـــهد والميثـاق [لا واللـه لا تمسـح عـارضيك تقـول : سـخرت بمحمد مرتين][1]... شهد مرتين .

وفــى روايــة أنــه قـال لـه : إن المؤمـن لا يلـدغ مـن جحـر مرتيـن ، يـا عاصم [بن ثـابت] قدمـه ، فـاضرب عنقـه ، فقدمـه عـاصم ، فضـرب عنقـه ، وحمل رأسه إلى المدينة فى رمح ، فكان أول رأس حمل فـى الإسـلام ، وقيـل : بل رأس كعب بن الأشرف أول رأس حمل فى الإسلام[2] .

وذكر الواقدى أن حضير الكتـائب[3] جـاء بنـى عمـرو بـن عـوف فكلـم سويد بن الصامت بن خالد بن عطية[4] بن حوط بن حبيب بن عمرو بن عـوف ابن مالك ، بن الأوس[5] ، وخوات بن جبير[6] ، وأبا لبابة بن عبد المنذر[7] .

---

(١) ما بين الحاصرتين استدراك من (سنن البيهقى) : ٩ / ٦٥ ، (مغازى الواقدى) : ١ / ٣٠٩

(٢) قاله ابن سعد فى (الطبقات) : ٢ / ٣٣ ، سرية قتل كعب بن الأشرف .

(٣) هو حضير الكتائب بن سماك ، سيد الأوس يوم بعاث ، وقتل يومئذ ، وابنه أسيد بن الحضـير ، بـدريّ ، عقبـيّ ، نقيـب ، لا عقب لـه ، رضـى اللـه تبـارك وتعـالى عنــه . (جمهـرة أنسـاب العرب):٣٣٩ .

(٤) كذا فى (جمهرة أنساب العرب) ، وفى (الإصابة) : ابن عقبة .

(٥) لقى سويد بن الصامت بن الأوس النبى ﷺ بسوق ذى المجاز من مكـة فـى حجـة حجهـا سـويد على ما كانوا يحجون عليه فى الجاهلية ، وذلك فى أول مبعث النبى ﷺ ، ودعــائه إلـى اللــه عزوجل ، فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام ، فلم يرد عليه سويد شيئاً ، ولم يظهر لـه قبـول مـا دعاه إليه ، وقال له : لا أبعد ما جئت به ، ثم انصرف إلى قومه بالمدينة ، فيزعم قومه أنه مات مسلماً وهو شيخ كبير ، قتلته الخزرج فى وقعة كانت بين الأوس والخزرج ، وذلك قبل بعاث .

قال أبو عمر : أنا شاك فى إسلام سويد بن الصامت ، كما شك فيه غيرى ، ممن ألف فـى هذا الشأن قبلى ، والله تبارك وتعالى أعلم . وكان شاعراً ، محسناً ، كثير الحكم فـى شـعره ، وكان قومه يدعونه الكامل لحكمة شعره ، وشرفه فيهم ، له ترجمة فى (الاستيعاب) : ٢/٦٧٧، ترجمة رقم (١١١٦) ، (الإصابة) : ٣ / ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ترجمة رقم (٣٨٢٢) ، (جمهـرة أنساب العرب) : ٣٢٧ ـ ٣٢٨ ، (مغازى الواقدى) : ١ / ٣٠٣ ـ ٣٠٤ . =

= (٦) هو خوات بن جبير الأنصارى ، ومن حديثه : أنه حضر سوق عكاظ ، فانتهى إلى امرأة من هذيل تبيع السمن ، فأخذ نحياً من أنحائها [النحى بكسر النون : الزق الذى يجعل فيه السمن خاصة] ، ففتحه وذاقه ، ودفع فم النحى إليها ، فأخذته بإحدى يديها ، وفتح الآخر وذاقه ودفع فمه إليها ، فأمسكته ، بيدها الأخرى ، ثم غشيها وهى لا تقدر على الدفع عن نفسها ، لحفظها فم النحيين ، فلما قام عنها ، قالت : لا هناك ، فرفع خوات عقيرته ، يقول :

وأم عيـــال واثاقين بكسبهـــا ... خلجت لها جار استها خلجـات
شغلت يديها إذا أردت خلاطها ... بنحيين من سمن ذوى عجرات
وأخرجته ريـــان ينطف رأســه ... من الرامك المخلوط بالمقـرات
فكان لها الويلات من ترك نحيها ... وويل لها من شدة الطعنـــات
فشدت على النحيين كفى شحيحة ... على سمنها والفتك من فعلاتـــى

فضربت العرب بهما المثل فقالت : " أنكح من خوات " ، " وأغلم من خوات " ، " أشغل من ذات النحيين " ، " أشح من ذات النحيين " .

والرامك : ضرب من الطيب تتضايق به المرأة ، كما تتضايق بعجم الزبيب ، ومن ذلك ما قاله عبدالملك بن مروان أمير المؤمنين فى كتابه إلى الحجاج الثقفى يلومه لما تطاول على سيدنا أنس بن مالك : أما بعد ، فإنك عبد من ثقيف طمحت بك الأمور، فعلوت فيها وطغيت ، حتى عدوت قدرك ، وتجاوزت طورك ، يا ابن المستفرمة بعجم الزبيب ، (الوافى) ٩/٤١٢ .

وقال موسى بن عقبة ، عن ابن شهاب : خوات بن جبير هو صاحب النحيين ـ بكسر النون وسكون المهملة تثنية نحى ، وهو ظرف السمن ، فقد ذكر ابن أبى خيثمة القصة من طريق ابن سيرين ، قال : كانت امرأة تبيع سمناً فى الجاهلية ، فدخل رجل فوجدها خالية ، فراودها ، فأبت ، فخرج فتنكر ورجع ، فقال : هل عندك سمن طيب ؟ قالت : نعم ، فحلت زقاً فذاقه ، فقال : أريد أطيب منه ، فأمسكته وحلت آخر ، فقال : أمسكيه فقد انفلت بعيرى ، قالت : اصبر حتى أوثق الأول ، قال : لا ، قالت : وإلا تركته من يدى يهراق ، قال : فإنى أخاف أن لا أجد بعيرى ، فأمسكته بيدها الأخرى، فانقض عليها ، فلما قضى حاجته قالت له : لا هناك.

قال الواقدى : عاش خوات إلى سنة أربعين ، فمات فيها وهو ابن أربع وسبعين سنة بالمدينة ، وكان ربعة من الرجال ، له ترجمة فى (الإصابة) : ٢/٣٤٦ ـ ٣٤٨ ، ترجمة رقم =

ويقال سهل بن حنيف[1] ؛ فقال : تزورونني فأسقكم من الشراب ، وأنحر لكم ، وتقيمون عندي أياماً ، قالوا : نحن نأتيك يوم كذا وكذا ، فلما كان ذلك اليوم جاءوه ، فنحر لهم جزوراً ، وسقاهم الخمر ، وأقاموا عنده ثلاثة أيام ، حتى تغير اللحم .

= (٢٣٠٠) ، (الاستيعاب) : ٢ / ٤٥٥ ـ ٤٥٧ ، ترجمة رقم (٦٨٦) ، (مغازي الواقدي) : ١ / ٣٠٣ ، (جمهرة أمثال العرب) : ١ / ٥٦٤ ، ٢ / ٣٢١ ـ ٣٢٢ .

(٧) هو أبو لبابة بن عبد المنذر الأنصاري ، مختلف في اسمه ؛ قال موسى بن عقبة : اسمه بشير بوزن عظيم ، وقال ابن إسحاق : اسمه رفاعة ، وكذا قال ابن نمير وغيره .

قال ابن إسحاق : زعموا أن النبي ﷺ رد أبا لبابة والحارث بن حاطب بعد أن خرجا معه إلى بدر ، فأمّر أبا لبابة على المدينة ، وضرب لهما بسهميهما وأجرهما مع أصحاب بدر ، وكذلك ذكره موسى بن عقبة في البدريين ، وقالوا : كان أحد النقباء ليلة العقبة .

يقال : مات في خلافة علي ، وقال خليفة بن خياط : مات بعد مقتل عثمان ، ويقال : عاش إلى بعد الخمسين ، له ترجمة في (الإصابة) : ٧/٣٤٩ ـ ٣٥٠ ، ترجمة رقم (١٠٤٦٦) ، (تهذيب التهذيب) : ١٢ / ٢١٤ ، (الاستيعاب) : ٤ / ١٧٤٠ ، ١٧٤٢ ، ترجمة رقم (٣١٤٩) (مغازي الواقدي) : ١ / ٣٠٣ .

(١) هو سهل بن حنيف بن وهب ـ أو واهب ـ بن الحكيم بن ثعلبة ، بن مجدعة بن الحارث بن عمرو ابن خانس ، ويقال : ابن خنساء بن عوف بن مالك بن الأوس .

شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وثبت يوم أحد ، وكان بايعه يومئذ على الموت ، فثبت معه حين انكشف عنه الناس ، وجعل ينضح بالنبل يومئذ عن رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : نبلوا سهلاً فإنه سهل ، ثم صحب علياً رضي الله تبارك وتعالى عنه من حين بويع له ، وإياه استخلف عليّ رضي الله تبارك وتعالى عنه حين خرج من المدينة إلى البصرة ، ثم شهد مع عليّ ، صفين ، وولاه على فارس ، فأخرجه أهل فارس ، فوجه عليّ زياداً ، فأرضوه وصالحوه ، وأدوا الخراج .

مات سهل بن حنيف بالكوفة سنة ثمان وثلاثين ، وصلى عليه عليّ وكبر ستاً ، وروى عنه ابنه وجماعة معه ، له ترجمة في : (الاستيعاب) : ٢ / ٦٦٢ ـ ٦٦٣ ـ ترجمة رقم (١٠٨٤) ، (الإصابة) : ٣ / ١٩٨ ـ ١٩٩ ، ترجمة رقم (٣٥٢٩) ، (طبقات ابن سعد) : ٣ / ٣٩ .

وكان سويد يومئذ شيخاً كبيراً ، فلما مضت الثلاث ، قالوا : ما نرانا إلا راجعين إلى أهلنا ، فقال حضير : ما أحببتم ! إن أحببتم فأقيموا ، وإن أحببتم فانصرفوا . فخرج الفتيان بسويد بحملانه حملاً من الثمل ، فمروا لاصقين بالحرة حتى كانوا قريباً من بنى غصينة ، وهى وجاه بنى سالم إلى مطلع الشمس . فجلس سويد وهو يبول ، وهو ممتلى سكراً ؛ فبصر به إنسان من الخزرج . فخرج حتى أتى المجذر بن زياد فقال : هل لك فى الغنيمة الباردة ؟ قال : ما هى ؟ قال : سويد أعزل لا سلاح معه ، ثمل ، قال : فخرج المجذر ابن زياد بالسيف صلتاً ، فلما رآه الفتيان وليا ، وهما أعزلان لا سلاح معهما - فذكرا العدواة بين الأوس والخزرج - فانصرفا سريعين ، وثبت الشيخ ولا حراك به - فوقف عليه مجذر بن زياد فقال : قد أمكن الله منك ! فقال : ما تريد بى ؟ قال : قتلك . قال : فارفع عن الطعام واخفض عن الدماغ ، وإذا رجعت إلى أمك فقل : إنى قتلت سويد بن الصامت ، وكان قتله هيج وقعة بعاث .

فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أسلم الحارث بن سويد بن الصامت ومجذر بن زياد ، فشهدا بدراً فجعل الحارث يطلب مجذراً ليقتله بأبيه ، فلا يقدر عليه يومئذ ؛ فلما كان يوم أحد وجال المسلمون تلك الجولة ، أتاه الحارث من خلفه فضرب عنقه ، فرجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ، ثم خرج إلى حمراء الأسد ، فلما رجع من حمراء الأسد أتاه جبريل عليه السلام فأخبره أن الحارث ابن سويد قتل مجذراً غيلة ، وأمره بقتله ، فركب رسول الله ﷺ إلى قباء فى اليوم الذى أخبره جبريل ، فى يوم حار ، وكان ذلك يوماً لا يركب فيه رسول الله ﷺ إلى قباء ، إنما كانت الأيام التى يأتى فيها رسول الله ﷺ قباء يوم السبت ويوم الاثنين ، فلما دخل وسمعت الأنصار فجاءت تسلم عليه ، وأنكروا إتيانه فى تلك الساعة وفى ذلك اليوم ، فجلس رسول الله ﷺ يتحدث ويتصفح الناس حتى طلع الحارث بن سويد فى ملحفة مورسة[1] ، فلما رآه رسول الله ﷺ دعا عويم

---

(١) مورسة ، أى مصبوغة بالورس ، وفى (ديوان حسان) : ملحفة حمراء ، فقال له النبى ﷺ : قتلت المجذر ؟ قال : نعم يا رسول الله ، والله ما شككت فى دينى ، ولكنى رأيت قاتل أبى فحملتنى الحمية ، وأنا أصوم أربعة أشهر متتابعات ، وأعتق رقبتين ، وأطعم عشرين ومائة =

ابن ساعدة فقال له : قدم الحارث بن سويد إلى باب المسجد فاضرب عنقه بمجذر بن زياد ، فإنه قتله يوم أحد فأخذه عويم فقال الحارث : دعنى أكلم رسول الله ! فأبى عويم عليه ، فجابذه يريد كلام رسول الله ﷺ ، ونهض رسول الله ﷺ يريد أن يركب ، ودعا بحماره على باب المسجد ، فجعل الحارث يقول : قد والله قتلته يا رسول الله ، والله ما كان قتلى إياه رجوعاً عن الإسلام ولا ارتياباً فيه ، ولكن حمية الشيطان وأمر وكلت فيه إلى نفسى ، وإنى أتوب إلى الله وإلى رسوله مما عملت ، وأخرج ديته ، وأصوم شهرين متتابعين ، وأعتق رقبة ، وأطعم ستين مسكيناً ؛ إنى أتوب إلى الله ورسوله ! وجعل يمسك بركاب رسول الله ﷺ ، وبنو المجذر حضور لا يقول لهم رسول الله ﷺ شيئاً حتى إذا استوعب كلامه قال : قدمْه يا عويم فاضرب عنقه ! وركب رسول الله ﷺ ، وقدمَه عويم على باب المسجد فضرب عنقه .

ويقال : إن خبيب بن يساف ، نظر إليه حين ضرب عنقه فجاء إلى النبى ﷺ فأخبره ، فركب رسول الله ﷺ إليهم يمحص عن هذا الأمر ، فبينا رسول الله ﷺ على حماره ، فنزل عليه جبريل فخبره بذلك فى مسيره ، فأمر رسول الله ﷺ عويماً فضرب عنقه ، وقال حسان بن ثابت [للحارث بن سويد ابن الصامت الأنصارى] :

يا حار فى سِنَةٍ من نوم أولكم ... أم كنت ويحك مغتراً بجبريل
أم كنت يا ابن زياد حين تقتله ... ذى غرة فى فضاء الأرض مجهول
وقلتم لن نرى والله يبصركم ... وفيكم محكم الآيات والقيل
محمد والعزيزُ الله يخبره ... بما تكنّ سريرات الأقاويل[1] .

= مسكين ، وأُخرج ديتين ، فصمت رسول الله ﷺ حتى استفرغ كلامه ، ثم وضع رجله فى الركاب وقال : يا عويم بن ساعدة ، اضرب عنقه ! ومضى ، فضرب عويم عنقه .

فقال حسان للحارث بن سويد بن الصامت الأنصارى : ... وذكر الأبيات .

(١) هذه الأبيات مضطربة السياق والوزن والقافيه فى (الأصل) ، فأثبتناها من (ديوان حسان) : ٣٠١ ، قصيدة رقم (٢٠٠) .

فصل فى ذكر من أقام عليه رسول الله ﷺ حد الزنا

قال ابن سيده : زنا الرجل يزنى زناً وزناءً ، وكذلك المراة أيضاً وزانى مزاناة وزناء بالمد ؛ عن اللحياني ، وكذلك المرأة أيضاً .

والمرأة تزانى مزاناةً وزناءً أى تباغى ، قال اللحيانى : الزنى مقصور ، لغة أهل الحجاز ، قال الله تعالى : ﴿ ولاتقربوا الزنا ﴾ بالقصر ، والنسبة إلى المقصور زنوى ، والزناء ممدود لغة بنى تميم ، وفى (الصحاح): المد لأهل نجد ، والنسبة إلى الممدود : زنائى ، وزناه زنية ، نسبة إلى الزنا ، وقال له : يا زانى .

وفى الحديث : ذكر قسطنطينية الزانية ، يريد الزانى أهلها ، كقوله تعالى : ﴿ وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة ﴾ ، أى كانت ظالمة الأهل .

وقد زانى المرأة مزاناة وزناء ، وقال اللحيانى : قيل لابنة الخس : ما أزناك ؟ قالت : قرب الوساد وطول السواد ، فكأن قوله : ما أزناك ؟ ما حملك على الزنا ؟ قال : ولم يسمع هذا إلا فى حديث ابنة الخس .

وهو ابن زَنية وزِنية ، والفتح أعلى ، أى ابن زنا ، ويقال للولد إذا كان من زنا : هو لزنية ، وقد زناه : من التزنية ، أى قذفه[1] .

كانت عقوبة الزنا فى صدر الإسلام ، عقوبة خفيفة مؤقتة ، لأن الناس كانوا حديثى عهد بحياة الجاهلية ، ومن سنة الله جل وعلا فى تشريع الأحكام أن يسير بالأمة فى طريق التدرج ، ليكون أنجح فى العلاج ، وأحكم فى التطبيق، وأسهل على النفوس لتقبل شريعة الله ، عن رضى واطمئنان .

وقد كانت العقوبة فى صدر الإسلام هى ما قصَّه الله تعالى علينا فى سورة النساء فى قوله جل شأنه : ﴿ **واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن**

---

(١) (لسان العرب) : ١٤ / ٣٥٩ ـ ٣٦٠ ، مختصراً .

الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً * واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما إن الله كان تواباً رحيما ﴾[١].

فكانت عقوبة المرأة : الحبس في البيت ، وعدم الإذن لها بالخروج منه ، وعقوبه الرجل ، التأنيب ، والتوبيخ بالقول والكلام ، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى : **﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ﴾**[٢].

ويظهر أن هذه العقوبة كانت في أول الإسلام من قبيل التعزير لا من قبيل الحد ، بدليل التوقيت الذي أشارت إليه الآية الكريمة في قوله تعالى : **﴿ حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً ﴾** وقد استبدلت بهذه العقوبة عقوبة أشد ، هي الجلد للبكر ، والرجم للزاني المحصن ، وانتهى ذلك الحكم المؤقت إلى تلك العقوبة الرادعة الزاجرة .

خرج مسلم[٣] ، وأبو داود[٤] ، والترمذي[٥] من حديث عبادة بن الصامت رضي الله تبارك وتعالى عنه أنه قال : كان نبي الله ﷺ إذا أنزل عليه

---

(١) النساء : ١٥ ـ ١٦ ، والمراد بالفاحشة جريمة الزنى ، وسميت فاحشة لأنها فعلة قد زادت في القبح على كثير من القبائح المنكرة ، قال تعالى : **﴿ ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً ﴾** [الإسراء : ٣٢] .

(٢) النور : ٢ .

(٣) (مسلم بشرح النووي) : ١١ / ٢٠١ ، كتاب الحدود ، باب (٣) حد الزنى ، حديث رقم (١٦٩٠) ، أما قوله ﷺ : " فقد جعل الله لهن سبيلاً " فإشارة إلى قوله تعالى : **﴿ فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً ﴾** ، فبين النبي ﷺ أن هذا هو ذلك السبيل.

واختلف العلماء في هذه الآية ، فقيل : هي محكمة ، وهذا الحديث مفسر لها ، وقيل : هي منسوخة بالآية التي في أول سورة النور ، وقيل : إن آية النور في البكرين وهذه الآية في الثيبين .
=

= وأجمع العلماء على وجود جلد الزانـي البكـر مائـة ، ورجـم المحصـن وهـو الثيـب ، ولـم يخالف فى هذا أحد من أهل القبلة إلا مـا حكـى القـاضى عيـاض وغيره عن الخـوارج وبعـض المعتزلة كالنَّظَّام وأصحابه ، فإنهم لم يقولوا بالرجم ، واختلفوا فى جلد الثيب مع الرجم ، فقـالت طائفة : يجب ألجمع بينهما فيجلد ثم يرجم ، وبـه قـال على بن أبـى طـالب رضـى اللـه تبـارك وتعـالى عنـه ، والحسن البصـرى ، وإسـحاق بـن راهويـه ، وداود ، وأهـل الظـاهر، وبعـض أصحاب الشافعى . وقال جمهورالعلماء : الواجب الرجم وحده ، وحكى القاضى عن طائفـة مـن أهل الحديث ، أنه يجب الجمع بينهما إذا كان الزانى شيخاً ثيباً ؛ فإن كان شـابا ثيبـاً اقتصر على الرجم ، وهذا مذهب باطل لا أصل له ، وحجة الجمهور أن النبى ﷺ اقتصر علـى رجـم الثيـب فى أحاديث كثيرة ، منها قصة ماعز وقصة المرأة الغامدية ، وفى قوله ﷺ : واغد يا أنيس على امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها ، قالوا : وحديث الجمع بين الجلـد والرجـم منسـوخ ، فإنـه كـان فـى أول الأمر .

وأما قوله ﷺ فى البكر : ونفى سنة ففيه حجة للشافعى ، والجمهور : أنه يجب نفيه سنة ، رجـلا كان أو امـرأة ، وقـال الحسن لا يجـب النفـى ، وقـال مـالك والأوزاعـى : لا نفـى علـى النساء ، وروى مثله عن علىّ رضى الله تبارك وتعالى عنه ، وقالوا : لأنها عـورة ، وفـى نفيها تضييع لها ، وتعريض لها للفتنة ، ولهذا نهيت عن المسافرة إلا مع ذى محرم ، وحجة الشـافعى قوله ﷺ : البكر بالبكر جلد مائة ونفى سنة .

وأما العبد والأمة ففيهما ثلاثة أقوال للشافعى :

أحدهما : يغرب كل واحد منهما لظاهر الحديث ، وبهذا قال سفيان الثورى ، وأبو ثـور، وداود، وابن جرير .

والثانى : يغرب نصف سنة ، لقوله تعالى ﴿ **فإذا أحصن فـإن أتين بفاحشـة فعليهـن نصـف مـا على المحصنات من العذاب** ﴾ وهذا أصح الأقوال عند أصحابنا ، وهذه الآيـة مخصصـة لعمـوم الحديث ، والصحيح عند الأصوليين جواز تخصيـص السنة بالكتـاب ، لأنـه إذاجـاز تخصيـص الكتاب بالكتاب فتخصيص السنة به أولى .

والثالث : لا يغرب المملوك أصلا ، وبه قال الحسن البصـرى ، وحمـاد ، ومـالك ، وأحمـد ، وإسحق ، لقوله ﷺ فى الأَمَة إذا زنت : فليجلدها سيدها، ولـم يذكـروا النـفـى ، لأن نفيـه يضـر سيده ، مع أنه لا جناية من سيده ، وأجاب أصحاب الشافعى عن حد الأَمَة إذا زنت ، أنه ليس =

= فيه تعرض للنفى ، والآية ظاهرة فى وجوب النفى فوجب العمل بها ، وحمل الحديث على موافقتها . والله تبارك وتعالى أعلم .

وأما قوله ﷺ : " البكر بالبكر والثيب بالثيب " فليس هو على سبيل الاشتراط بل حد البكر الجلد والتغريب سواء زنى ببكر أم بثيب ، وحد الثيب الرجم سواء زنى بثيب أم ببكر ، فهو شبيه بالتقييد الذى يخرج على الغالب .

واعلم أن المراد بالبكر من الرجال والنساء من لم يجامع فى نكاح صحيح وهو حر بالغ ، سواء كان جامع بوطء شبهة ، أو نكاح فاسد ، أو غيرهما ، أم لا . والمراد بالثيب ، من جامع فى دهره مرة من نكاح صحيح وهو بالغ ، عاقل ، حُر ، والرجل والمرأة فى هذا سواء . والله تبارك وتعالى أعلم .

وسواء فى كل هذا المسلم ، والكافر ، والرشيد ، والمحجورعليه لسفه . والله تبارك وتعالى أعلم .

(٤) (سنن أبى داود) : ٤ / ٥٦٩ ـ ٥٧١ ، كتاب الحدود ، باب (٢٣) فى الرجم ، حديث رقم (٤٤١٥) .

(٥) (سنن الترمذى) : ٤ / ٣٢ ، كتاب الحدود ، باب (٨) ما جاء فى الرجم على الثيب ، حديث رقم (١٤٣٤) ، قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، والعمل على هذا عند بعض أهل العلم من أصحاب النبى ﷺ ، منهم : على بن أبى طالب ، وأبىّ بن كعب ، وعبدالله بن مسعود ، وغيرهم ، قالوا : الثيب تجلد وترجم ، وإلى هذا ذهب بعض أهل العلم ، وهو قول إسحاق .

وقال بعض أهل العلم من أصحاب النبى ﷺ منهم أبو بكر ، وعمر ، وغيرهما : الثيب إنما عليه الرجم ولا يجلد ، وقد روى عن النبى ﷺ مثل هذا فى غير حديث ، فى قصة ماعز وغيره ، أنه أمر بالرجم ، ولم يأمر أن يجلد قبل أن يرجم ، والعمل على هذا عند بعض أهل العلم ، وهو قول سفيان الثورى ، وابن المبارك ، والشافعى ، وأحمد .

وأخرجه أيضاً ابن ماجة فى (السنن) : ٢ / ٨٥٣ ، كتاب الحدود ، باب (٧) حد الزنا ، حديث رقم (٢٥٥٠) .

الوحى كرب لذلك وتربد[1] وجهه فأنزل الله تبارك وتعالى عليه ذات يوم فلقى كذلك ، فلما سرى عنه قال : خذوا عنى ، خذوا عنى ، قد جعل الله لهن سبيلاً : البكر بالبكر ؛ جلد مائة وتغريب عام ، والثيب بالثيب ؛ جلد مائة والرجم .

خرج البخارى[2] ومسلم[3] أن رجلاً من أسلم جاء إلى النبى ﷺ ، فاعترف بالزنى ، فأعرض عنه النبى ﷺ حتى شهد على نفسه أربع مرات ، فقال النبى ﷺ : أبك جنون ؟ قال : لا ، قال : أحصنت ؟ قال : نعم : فأمر به فرجم فى المصلي ، فلما أذلقته الحجارة ، فرّ ، فأُدرك ، فرجم حتى مات ، فقال له النبى ﷺ خيراً ، وصلى عليه .

وفى لفظ لهما[4] : أنه قال له : أحق ما بلغنى عنك ؟ قال : وما بلغك عنى ؟ قال : بلغنى أنك وقعت بجارية بنى فلان ، فقال : نعم ، قال : فشهد على نفسه أربع شهادات ، ثم دعاه النبى ﷺ فقال : أبك جنون ؟ قال ، لا : قال : أحصنت ؟ قال : نعم ، ثم أمر به فرجم .

وفى لفظ لهما[5] : فلما شهد على نفسه أربع شهادات ، ودعاه النبى ﷺ، فقال : أبك جنون ؟ قال : لا : قال أحصنت : ؟ قال : نعم ، قال : اذهبوا به فارجموه .

---

(١) كرب وتربد : أى أصبح كالمكروب ، وتغيرت ملامح وجهه الشريف ﷺ .

(٢) (فتح البارى) : ١٢ / ١٥٥ ، كتاب الحدود ، باب (٢٥) الرجم بالمصلى ، حديث رقم (٦٨٢٠) ، قال : ولم يقل يونس وابن جريج عن الزهرى : فصلى عليه ، سئل أبو عبد الله هل قوله : "فصلى عليه" يصح أم لا ؟ قال : رواه معمر، قيل له : هل رواه غير معمر ؟ قال : لا .

(٣) (مسلم بشرح النووى) : ١١/ ٢٠٤ - ٢٠٦ ، كتاب الحدود ، باب (٥) من اعترف على نفسه بالزنا ، حديث رقم (١٦) .

(٤) (المرجع السابق) : حديث رقم (١٩) .

(٥) (فتح البارى) : ٩ / ٤٨٦ ، كتاب الطلاق ، باب (١١) الطلاق فى الإغلاق والمكره والسكران والمجنون ، حديث رقم (٥٢٧١) .

وفى لفظ للبخارى[1] : أن النبى ﷺ قال : لعلك قبلت ، أو غمزت ، أو نظرت ، قال : لا يا رسول الله ، قال : ﷺ أنكتها ؟ لا يكنى ، قال : نعم ، فعند ذلك أمر برجمه .

---

(١) (فتح البارى) : ١٢/١٦٢- ١٦٣ ، كتاب الحدود ، باب (٢٨) هل يقول الإمام للمقر : لعلك لمست أو غمزت ؟ حديث رقم (٦٨٢٤) ، (سنن أبى داود) : ٤/٥٩٧ ، كتاب الحدود ، باب (٢٤) رجم ماعز بن مالك ، حديث رقم (٤٤٢٧) ، (٤٤٢٨) .

فتضمنت هذه الأقضية رجم الثيب ، وأنه لا يرجم حتى يقر أربع مرات ، وأنه إذا أقر دون الأربع ، لم يلزم بتكميل نصاب الإقرار ، بل للإمام أن يعرض عنه ، ويعرض له بعدم تكميل الإقرار ، وإن إقرار زائل العقل بجنون ، أو سكر ، ملغى لا عبرة به ، وكذلك طلاقه ، وعتقه ، وأيمانه ، ووصيته ، وجواز إقامة الحد فى المصلى ، وهذا لا يناقض نهيه أن تقام الحدود فى المساجد ، وأن الحر المحصن إذا زنى بجارية ، فحده الرجم ، كما لو زنى بحرة .

وأن الإمام يستحب له أن يعرض للمقر بأن لا يقر ، وأنه يجب استفسار المقر فى محل الإجمال ، لأن اليد ، والفم ، والعين ، لما كان استمتاعها زنى ، استفسر عنه دفعاً لاحتماله ، وأن الإمام لا يصرح له أن يصرح باسم الوطء الخاص به إلاعند الحاجة إليه ، كالسؤال عن الفعل ، وأن الحد لا يجب على جاهل بالتحريم ، لأنه ﷺ سأله عن حكم الزنى ، فقال : أتيت منها حراماً ما يأتى الرجل من أهله حلالاً .

وأن الحد لا يقام على الحامل ، وأنها إذا ولدت الصبى ، أمهلت حتى ترضعه ، وتفطمه ، وأن المرأة يحفر لها دون الرجل ، وأن الإمام لا يجب عليه أن يبدأ بالرجم .

وأنه لا يجوز سب أهل المعاصى إذا تابوا ، وأنه يصلى على من قتل فى حد الزنى ، وأن المقر إذا استقال فى أثناء الحد ، وفر ، ترك ولم يتمم عليه الحد ، فقيل : لأنه رجوع . وقيل : لأنه توبة قبل تكميل الحد ، فلا يقام عليه كما لو تاب قبل الشروع فيه ، هذا اختيار شيخنا ، وأن الرجل إذا أقر أنه زنى بفلانة ، لم يقم عليه حد القذف مع حد الزنى ، وأن ما قبض من المال بالصلح الباطل باطل يجب رده ، وأن الإمام له أن يوكل فى استيفاء الحد .

وأن الثيب لا يجمع عليه بين الجلد والرجم ، لأنه ﷺ لم يجلد ماعزاً ولا الغامدية ، ولم يأمر أنيساً أن يجلد المرأة التى أرسله إليها ، وهذا قول الجمهور ، وحديث عبادة : " خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلاً : الثيب بالثيب جلد مائة والرجم " منسوخ . فإن هذا كان فى أول الأمر=

وفى لفظ لأبى دواد : أنه شهد على نفسه أربع مرات ، كل ذلك يعرض عنه ، فأقبل فى الخامسة ، قال : " أنكتها " ؟ قال نعم . قال : " حتى غاب ذلك منك فى ذلك منها ؟ قال : نعم ، قال : كما يغيب المرود فى المكحلة والرشاء فى البئر ؟ " قال : نعم ، قال : " فهل تدرى ما الزنى ؟ قال : نعم . أتيت منها حراماً ما يأتى الرجل من امرأته حلالاً . قال : " فما تريد بهذا القول ؟ " قال : أريد أن تطهرنى ، قال : فأمر به فرجم ، فسمع النبى ﷺ رجلين من أصحابه يقول أحدهما لصاحبه : انظر إلى هذا الذى ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رُجم رَجم الكلب ، فسكت عنهما ، ثم سار ساعة حتى مر بجيفة حمارشائل برجله ، فقال : " أين فلان وفلان " ؟ فقالا : نحن ذان يا رسول الله ، قال: "انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار " فقالا : يا نبى الله ، من يأكل من هذا ؟ قال :

= قبل نزول حد الزنى ، ثم رجم ماعزاً والغامدية ، ولم يجلدهما ، وهذا كان بعد حديث عبادة بلا شك ، وأما حديث جابر فى (السنن) : أن رجلاً زنى ، فأمر به النبى ﷺ فجلد الحد ، ثم أقر أنه محصن ، فأمر به فرجم . فقد قال جابر فى الحديث نفسه : أنه لم يعلم بإحصانه ، فجلد ، ثم علم بإحصانه ، فرجم . رواه أبو داود .

وفيه : أن الجهل بالعقوبة لا يسقط الحد إذا كان عالماً بالتحريم ، فإن ماعزاً لم يعلم أن عقوبته القتل ، ولم يسقط هذا الجهل الحد عنه .

وفيه : أنه يجوز للحاكم أن يحكم بالإقرار فى مجلسه ، وإن لم يسمعه معه شاهدان ، نص عليه أحمد ، فإن النبى ﷺ لم يقل لأنيس : فإن اعترفت بحضرة شاهدين فأرجمهما وأن الحكم إذا كان حقاً محضاً لله لم يشترط الدعوى به عند الحاكم .

وأن الحد إذا وجب على امراة ، جاز للإمام أن يبعث إليها من يقيمه عليها ، ولا يحضرها ، وترجم النسائى على ذلك : صوناً للنساء عن مجلس الحكم .

وأن الإمام والحاكم والمفتى يجوز له الحلف على أن هذا حكم الله عزّ وجل إذا تحقق ذلك ، وتيقنه بلا ريب ، وأنه يجوز التوكيل فى إقامة الحدود ، وفيه نظر ، فإن هذا استتابة من النبى ﷺ ، وتضمن تغريب المرأة كما يغرب الرجل ، لكن يغرب معها محرماً إن أمكن ، وإلا فلا ، وقال مالك : لا تغريب على النساء ، لأنهن عورة .

" فما نلتما من عرض أخيكما آنفاً أشد من أكل منه ، والذى نفسى بيده إنه الآن لفى أنهار الجنة ينقمس فيها ."[1]

وفيه : أنه لما وجد مس الحجارة صرخ بنا : يا قوم ردونى إلى رسول الله ﷺ فإن قومى قتلونى وغرونى من نفسى ، وأخبرونى أن رسول الله ﷺ غير قاتلى[2] [فلم ننزع عنه حتى قتلناه ، فلما رجعنا إلى رسول الله ﷺ وأخبرنا قال : " فهلا تركتموه وجئتونى به ، ليستثبت رسول الله ﷺ منه ، فأما لترك حَدٍ فلا ، قال : فعرفت وجه الحديث][3] .

* * *

---

(١) (سنن أبى داود) : ٤/٥٨٠-٥٨١ ، كتاب الحدود باب (٢٤) رجم ماعز بن مالك ، حديث رقم (٤٤٢٨) ، ينقمس معناه ينغمس ، قال الخطابى فى (معالم السنن) : وفى أصل المنذرى ينغمس بالغين وكذلك فى النسخة الهندية بالغين ، ونسبه المنذرى للنسائى ، وقال فيه : "أنكحتها" ؟ .

(٢) (سنن أبى داود) : ٤/ ٥٧٦ ، كتاب الحدود ، باب (٢٤) رجم ماعز بن مالك ، حديث رقم (٤٤٢٠) .

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (المرجع السابق) ، وأخرجه الترمذى فى كتاب الحدود ، باب فى درء الحد عن المعترف إذا رجع ، حديث رقم (١٤٢٩) .

[فصل فى ذكر من رجمه رسول الله ﷺ من النساء المسلمات]

فخرج مسلم[1] وأبو داود[2] من حديث بريدة : ... فجاءت الغامدية فقالت : يا رسول الله ، إنى قد زنيت فطهرنى ، وأنه ردها ، فلما كان من الغد ، قالت: يا رسول الله ! لم تردنى ؟ لعلك تردنى كما رددت ماعزاً ، فوالله إنى لحبلى ، قال : " إما لا ، فاذهبى حتى تلدى " ، فلما ولدت ، أتته بالصبى فى خرقة ، قالت : هذا قد ولدته ، قال : " اذهبى فأرضعيه حتى تفطميه ، فلما فطمته أتته بالصبى فى يده كسرة خبز ، فقالت : هذا يا نبى الله قد فطمته ، وقد أكل الطعام ، فدفع الصبى إلى رجل من المسلمين ، ثم أمر بها ، فحفر إلى صدرها، وأمر الناس فرجموها ، فيقبل خالد بن الوليد بحجر ، فرمى رأسها ، فتنضح الدم على وجه خالد ، فسبها ، فسمع رسول الله ﷺ سبه أياها فقال :

---

(١) (مسلم بشرح النووى) : ١١/ ٢١١ - ٢١٤ ، كتاب الحدود ، باب (٥) من اعترف على نفسه بالزنى ، حديث رقم (١٦٩٥) ، وقال المنذرى : وفى إسناده : بشير بن المهاجر الغنوىّ الكوفىّ ، وليس له فى (صحيح مسلم) سوى هذا الحديث ، وقد وثقه يحى بن معين ، وقال الإمام أحمد : منكر الحديث ، يجيء بالعجائب . ولا عيب على مسلم فى إخراج هذا الحديث فإنه أتى به فى الطبقة الثانية ، بعد ما ساق طرق حديث ماعز ، وأتى به آخراً ، ليبين اطلاعه على طرق الحديث ، والله تبارك وتعالى أعلم . (معالم السنن) .

(٢) (سنن أبى داود) : ٥٨٩/٣ ، كتاب الحدود ، باب (٢٥) المرأة التى أمر النبى ﷺ برجمها من جهينة ، حديث رقم (٤٤٤٢) .

وقال بعضهم : يحتمل أن تكونا امرأتين ، إحداهما وجد لولدها كفيل وقبلها ، والأخرى : لم يوجد لولدها كفيل أو لم يقبل ، فوجب إمهالها حتى يستغنى عنها لئلا يهلك بهلاكها . (المرجع السابق) .

قال الإمام النووى : قوله (قال إما فاذهبى حتى تلدى) هو بكسر الهمزة من إما وتشديد الميم وبالامالة ومعناه إذا أبيت أن تسترى على نفسك وتتوبى وترجعى عن قولك فاذهبى حتى تلدى فترجمين بعد ذلك وقد سبق شرح هذه اللفظ مبسوطاً . =

" مهلاً يا خالد ! فوالذى نفسى بيده ، لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ، ثم أمر بها ، فصلى عليها ، ودفنت .

وخرج البخارى[1] ومسلم[2].... أن رجلاً قال له : أنشدك بالله إلا قضيت بيننا بكتاب الله ، فقام خصمه ، وكان أفقه منه فقال : صدق ، اقض بيننا

= قوله (**فتنضح الدم على وجه خالد**) روى بالحاء المهملة وبالمعجمة والأكثرون على المهملة ومعناه ترشش وانصب .

قوله ﷺ (**لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له**) فيه أن المكس من أقبح المعاصى والذنوب الموبقات وذلك لكثرة مطالبات الناس له وظلاماتهم عنده وتكرر ذلك منه إنتهاكه للناس وأخذ أموالهم بغير حقها وصرفها فى غير وجهها وفيه أن توبة الزانى لا تسقط عنه حد الزنا وكذا حكم حد السرقة والشرب هذا أصح القولين فى مذهبنا حد المحاربة بلا خلاف عندنا وعند ابن عباس وغيره لا تسقط .

قوله (**ثم أمر بها فصلى عليه ثم دفنت**) وفى الرواية الثانية أمر بها النبى ﷺ فرجمت ، ثم صلى عليه فقال له عمر : تصلى عليها يا نبى الله وقد زنت ، أما الرواية الثانية فصريحة فى أن النبى ﷺ صلى عليها وأما الرواية الأولى فقال القاضى عياض رضى الله تبارك وتعالى عنه: هى بفتح الصاد واللام عند جماهير رواة صحيح مسلم قال : وعند الطبرى بضم الصاد قال وكذا فى رواية ابن أبى شيبة ، وأبى داود قال : وفى رواية لأبى داود ، ثم أمرهم أن يصلوا عليها قال القاضى : ولم يذكر مسلم صلاته ﷺ على ماعز وقد ذكرها البخارى .

وقد اختلف العلماء فى الصلاة على المرجوم فكرهها مالك وأحمد للامام ولأهل الفضل دون باقى الناس ويصلى عليه غير الامام وأهل الفضل وغيرهم والخلاف بين الشافعى ومالك إنما هو فى الامام وأهل الفضل وأما غيرهم فأتفقا على أنه يصلى وبه قال جماهير العلماء قالوا فيصلى على الفساق والمقتولين فى الحدود والمحاربة وغيرهم وقال الزهرى : لا يصلى أحد على المرجوم وقاتل نفسه وقال قتادة : لا يصلى على ولد الزنا واحتج الجمهور بهذا الحديث وفيه دلالة للشافعى أن الامام وأهل الفضل يصلون على المرجوم كما يصلى عليه غيرهم وأجاب أصحاب مالك عنه بجوابين :

أحدهما: أنهم ضعفوا رواية الصلاة لكون أكثر الرواة لم يذكروها .

والثانى: تأولوها على أنه ﷺ أمر بالصلاة أو دعا فسمى صلاة على مقتضاها فى اللغة.=

بكتاب الله وائذن لى ، فقال : " قل ، قال : إن ابنى كان عسيفاً على هذا ، فزنى بامرأته . فافتديت منه بمائة شاة وخادم ، وإنى سألت أهل العلم ، فأخبرونى أن على ابنى جلد مائة وتغريب عام ، وأن على امرأة هذا الرجم ، فقال : والذى نفسى بيده لأقضين بينكما بكتاب الله : المائة والخادم رَدٌّ عليك ، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام ، واغد يا أنيس على امرأة هذا فاسألها ، فإن اعترفت فارجمها " فاعترفت ، فرجمها .

[فصل فى ذكر من رجمه رسول الله ﷺ من أهل الكتاب]

فخرج البخارى ومسلم : أن اليهود جاؤوا إلى رسول الله ﷺ ، فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا ، فقال رسول الله ﷺ : " ما تجدون فى التوراة فى شأن الرجم " ؟ قال نفضحهم ويجلدون ، فقال عبد الله بن سلام : كذبتم ، إن فيها الرجم ، فأتوا بالتوراة ، فنشروها ، فوضع أحدهم يده على آيه الرجم ، فقرأ

= وهذان الجوابان فاسدان أما الأول فإن هذه الزيادة ثابته فى الصحيح وزيادة الثقة الشرعية إلى ارتكابه وليس هنا شىء من ذلك فوجب حمله على ظاهره والله أعلم .

(١) أخرجه البخارى فى المحاربين : باب الاعتراف بالزنا ، وباب البكران يجلدان وينفيان ، وباب من أمر غير الإمام بإقامة الحد غائباً ، وباب إذا رمى امرأته أو امرأة غيره بالزنى عند الحاكم ، وباب هل يأمر الإمام رجلاً فيضرب الحد غائباً عنه ، وفى الوكالة : باب الوكالة فى الحدود ، وفى الشهادات : باب شهادة القاذف ، والسارق ، والزانى ، وفى الصلح : باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ، وفى الشروط : باب الشروط التى لا تعمل فى الحدود ، وفى الأيمان والنذور : باب كيف كان يمين النبى ﷺ . وفى الأحكام : باب هل يجوز للحاكم أن يبعث رجلاً وحده للنَظر فى الأمور ، وفى خبر الواحد : باب ما جاء فى إجازة خبر الواحد ، وفى الاعتصام : باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ .

(٢) وأخرجه مسلم (١٦٩٧) ، (١٦٩٨) ، ومالك فى (الموطأ): ٢/٨٢٢. والترمذى (١٤٣٣) ، وأبو داود (٤٤٤٥) ، والنسائى : ٨/٢٤٠ - ٢٤١ ، وابن ماجة : (٢٥٤٩) ، والدارمى : ٢/١٧٧ ، كلهم من حديث أبى هريرة وزيد بن خالد الجهنى رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، والعسيف : الأجير .

ما قبلها وما بعدها ، فقال له عبد الله بن سلام : ارفع يدك ، فرفع يده ، فإذا فيها آية الرجم ، فقالوا : صدق يا محمد ، إن فيها الرجم ، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما [(١)] .

---

(١) أخرجه البخارى فى المحاربين : باب أحكام أهل الذمة ، وباب الرجم فى البلاط ، وفى الجنائز . باب الصلاة على الجنائز بالمصلى والمسجد ، وفى الأنبياء : باب قول الله تعالى : ﴿ **يعرفونه كما يعرفون أبناءهم** ﴾ وفى تفسير سورة آل عمران : باب قول الله تعالى : ﴿ **قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين** ﴾ وفى الاعتصام : باب ما ذكر النبى ﷺ وحض على اتفاق أهل العلم ، وفى التوحيد : باب ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله تعالى بالعربية وغيرها . قال الخطابى فى (معالم السنن) : فيه من الفقه : ثبوت أنكحة أهل الكتاب ، إذا ثبتت أنكحتهم ثبت طلاقهم وظهارهم وإيلاؤهم .

وفيه دليل على أن نكاح أهل الكتاب يوجب التحصين ، إذ لا رجم على المحصن . ولو أن مسلماً تزوج يهودية أو نصرانية ودخل بها ثم زنا كان عليه الرجم وهو قول الزهرى ، وإليه ذهب الشافعى .

وقال أبو حنيفة وأصحابه : الكتابية لا تحصن المسلم ، وتأول بعضهم معنى الحديث على أنه إنما رجمهما بحكم التوارة ، ولم يحملهما على أحكام الإسلام وشرائطه .

قلت : وهذا تأويل غير صحيح لأن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ **وأن احكم بينهم بما أنزل الله** ﴾ وإنما جاءه القوم مستفتين طمعاً فى أن يرخص لهم فى ترك الرجم ليعطلوا به حكم التوارة ، فأشار عليهم رسول الله ﷺ بما كتموه من حكم التوارة ، ثم حكم عليهم بحكم الإسلام على شرائطه الواجبة فيه ، وليس يخلو الأمر فيما صنعه رسول الله ﷺ من ذلك عن أن يكون موافقاً لحكم الإسلام أو مخالفاً ، فإن كان مخالفاً فلا يجوز أن يحكم بالمنسوج ويترك الناسخ .

وإن كان موافقاً له فهو شريعته ، والحكم الموافق لشريعته لا يجوز أن يكون مضافاً إلى غيره ، ولا أن يكون فيه تابعاً لمن سواه .

وأخرجه مسلم فى الحدود : باب (٦) رجم اليهود أهل الذمة فى الزنى ، حديث رقم (١٦٩٩)، ومالك فى (الموطأ) : ٨١٩/٢ ، والترمذى (١٤٣٦) ، وأبو داود (٤٤٤٦) ، (٤٤٤٩) ، كلهم من حديث عبد الله بن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه قال الإمام النووى : قوله " إن النبى ﷺ . =

= قوله (أن النبى ﷺ أتى يهودى ويهودية قد زنيا إلى قوله فرجما) فى هذا دليل لوجوب حد الزنا على الكافر وأنه يصح نكاحه لأنه لا يجب الرجم إلا على محصن فلو لم يصح نكاحه لم يثبت إحصانه ولم يرجم ، وفيه أن الكفار مخاطبون بفروع الشرع وهو الصحيح وقيل لا يخاطبون بها وقيل أنهم مخاطبون بالنهى دون الأمر ، وفيه أن الكفار إذا تحاكموا الينا حكم القاضى بينهم بحكم شرعنا وإذا تحاكموا الينا حكم القاضى بينهم بحكم شرعنا وقال مالك لا يصح إحصان الكافر قال وإنما رجمها لأنهما لم يكونا أهل ذمة وهذا تأويل باطل لأنهما كانا من أهل العهد ولأنه رجم المرأة والنساء لا يجوز قتلهن مطلقاً .

قوله ﷺ : (فقال ما تجدون فى التوراة) قال العلماء : هذا السؤال ليس لتقليدهم ولا معرفة الحكم منهم فانما هو لالزامهم بما يعتقدونه فى كتابهم ولعله ﷺ قد أوحى اليه أن الرجم فى التوراة الموجودة فى أيديهم لم يغيروه كما غيروا أشياء أوأنه أخبره بذلك من أسلم منهم ولهذا لم يخف ذلك عليه حين كتموه .

قوله (نسود وجوههما ونحملهما) هكذا هو فى أكثر النسخ نحملهما بالحاء واللام ، وفى بعضها نجملها بالجيم وفى بعضها نحممهما بميمين وكله متقارب فمعنى الأول نحملهما على الحمل ومعنى الثانى نجملهما جميعاً على الجمل ومعنى الثالث نسود وجوههما بالحمم بضم الحاء وفتح الميم وهو الفحم وهذا الثالث ضعيف لأنه قال قبله نسود وجوههما فان قيل كيف رجم اليهوديان بالبينة أم بالاقرار قلنا الظاهر أنه بالاقرار وقد جاء فى سنن أبى داود وغيره أنه شهد عليهما أربعة أنهم رأوا ذكره فى فرجها فان صح هذا فان كان الشهود مسلمين فظاهر وإن كانوا كفاراً فلا إعتبار بشهادتهم ويتعين أنهما أقرا بالزنا .

قال العلامة ابن القيم فى (زاد المعاد) : فتضمنت هذه الحكومة أن الإسلام ليس بشرط فى الإحصان ، وأن الذمى يحصن بالذمية ، وإلى هذا ذهب أحمد والشافعى ، ومن لم يقل بذلك اختلفوا فى وجه هذا الحديث ، فقال مالك فى غير (الموطأ) : لم يكن اليهود بأهل ذمة ، والذى فى (صحيح البخارى) : أنهم أهل ذمة ، ولا شك أن هذا كان بعد العهد الذى وقع بين النبى ﷺ وبينهم ولم يكونوا إذا ذاك حرباً ، كيف وقد تحاكموا إليه ، ورضوا بحكمه ؟ وفى بعض طرق الحديث : أنهم قالوا : اذهبوا بنا إلى هذا النبى ، فإنه بعث بالتخفيف وفى بعض طرقه : أنهم دعوه إلى بيت مدارسهم ، فأتاهم وحكم بينهم ، فهم كانوا أهل عهد وصلح بلا شك . =

فصل فى ذكر من قطع رسول الله ﷺ

خرج البخارى[(١)] ومسلم[(٢)] وأبو داود[(٣)] من حديث ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها ، قالت : إن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التى سرقت فقالوا : من يكلم فيها رسول الله ﷺ ؟ فقالوا : ومن

= قال الزهرى فى حديثه : فبلغنا أن هذه الآية نزلت فيهم ﴿ **إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا** ﴾ كان النبى ﷺ منهم .

(١) (فتح البارى) : ١٢/١٠٣ - ١٠٤ ، كتاب الحدود ، باب (١٢) كراهة الشفاعة فى الحد إذا رفع إلى السلطان حديث رقم (٦٧٨٨) ، وفى هذا الحديث من الفوائد منع الشفاعة فى الحدود . وفيه قبول توبة السارق . ومنقبة لأسامة . وفيه ما يدل على أن فاطمة عليها السلام عند أبيها فى أعظم المنازل . وفيه ترك المحاباه فى إقامة الحد على من وجب عليه ولو كان ولداً أو قريباً أو كبير القدر والتشديد فى ذلك والإنكار على من رخص فيه أوتعرض للشفاعة فيمن وجب عليه

وفيه جواز ضرب المثل بالكبير القدر بالمبالغة فى الزجر عن الفعل ومراتب ذلك مختلفة ، ويؤخذ منه جواز الإخبارعن أمر مقدر يفيد القطع بأمر محقق . وفيه أن من حلف على أمر لا يتحقق أنه يفعله أو لا يفعله لا يحنث كمن قال لمن خاصم أخاه : والله لو كنت حاضراً لهشمت أنفك . وفيه جواز التوجع لمن أقيم عليه الحد بعد إقامته عليه وقد حكى ابن الكلبى فى قصة أم عمرو بن سفيان أن أمرأة أسيد بن حضير آوتها بعد أن قطعت وصنعت لها طعاماً وأن أسيداً ذكر ذلك للنبى ﷺ كالمنكر على أمراته ، فقال ﷺ : رحمتها رحمها الله . وفيه الاعتبار بأحوال ما مضى من الأمم ، ولا سيما من خالف أمر الشرع ، وتمسك به بعض من قال : أن شرع من قبلنا شرع لنا لأن فيه إشارة تحذير من فعل من الشئ الذى جر الهلاك إلى الذين من قبلنا لئلا يهلك كما هلكوا ، وفيه نظر ، وإنما يتم إن لو لم يرد قطع السارق فى شرعنا ، وأما اللفظ العام فلا دلالة فيه على المدعى أصلاً .

(٢) (مسلم بشرح النووى) : ١١/١٩٨ - ١٩٩ ، كتاب الحدود ، باب (٢) قطع السارق الشريف وغيره ، والنهى عن الشفاعة فى الحدود ، حديث رقم (١٦٨٨) .

(٣) (سنن أبى داود) : ٤/٥٣٧-٥٣٨ ، كتاب الحدود ، باب (٤) فى الحد يشفع فيه ، حديث رقم (٤٣٧٣) .

يجترئ عليه إلا أسامة رضى الله تبارك وتعالى عنه ؟ حِب رسول الله ﷺ ، فكلمه أسامة رضى الله تبارك وتعالى عنه ، فقال : رسول الله ﷺ أتشفع فى حد من حدود الله تعالى ؟ ثم قام فاختطب فقال : أيها الناس : إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها .

وفى رواية لمسلم إنما هلك الذين من قبلكم . ولم يقل البخارى وأبو داود والنسائى : أيها الناس .

وخرجه البخارى فى كتاب الحدود بهذا الإسناد ونحوه وقال فيه : ثم قام فخطب فقال : أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم . وقال فى آخره : لقطع محمد يدها .

وخرج مسلم(١) من حديث ابن وهب قال : أخبرنى يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال : أخبرنى عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبى ﷺ عنها : أن قريشاً أهمهم شأن المرأة التى سرقت فى عهد رسول الله ﷺ فى غزوة الفتح ، فقالوا : ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ ، فأُتى بها رسول الله ﷺ فكلمه فيها أسامة بن زيد رضى الله تبارك وتعالى عنه ، فتلوّن وجه رسول الله ﷺ فقال : أتشفع فى حد من حدود الله تعالى ؟ فقال له أسامة رضى الله تبارك وتعالى عنه : استغفر لى يا رسول الله ، فلما كان العشى قام رسول الله ﷺ فاختطب فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد ، فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وإنى والذى نفسى بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ، ثم أمر بتلك المرأة التى سرقت فقطعت يدها .

قال يونس : قال ابن شهاب : قال عروة : قالت عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها : فحسنت توبتها بعد وتزوجت وكانت تأتى بعد ذلك فأرفع حاجتها

---

(١) (مسلم بشرح النووى) : ١١/١٩٩ - ٢٠٠ ، كتاب الحدود باب (٢) قطع السارق الشريف وغيره والنهى عن الشفاعة فى الحدود ، حديث رقم (٩) .

إلى النبى ﷺ . ذكره فى غزوة الفتح من حديث يونس عن الزهرى بنحو حديث مسلم أو قريباً منه .

وخرج مسلم[1] من حديث عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها قالت : كانت امرأة

---

(١) (مسلم بشرح النووى) : ٢٠٠/١١ ، كتاب الحدود ، باب (٢) قطع السارق الشريف وغيره والنهى عن الشفاعة فى الحدود ، حديث رقم (١٠) ، ذكر مسلم رضى الله عنه فى الباب أحاديث النهى عن الشفاعة فى الحدود ، وأن ذلك هو سبب هلاك بنى إسرائيل وقد أجمع العلماء على تحريم الشفاعة فى الحد بعد بلوغه إلى الإمام لهذه الأحاديث ، وعلى أنه يحرم التشفيع فيه ، فأما قبل بلوغه إلى الإمام فقد أجاز الشفاعة فيه أكثر العلماء ، إذا لم يكن المشفوع فيه صاحب شر وأذى للناس ، فإن كان ، لم يشفع فيه ، وأما المعاصى التى لا حد فيها وواجبها التعزير فتجوز الشفاعة والتشفيع فيها ، سواء بلغت الإمام أم لا ، لأنها أهون ، ثم الشفاعة فيها مستحبة إذا لم يكن المشفوع فيع صاحب أذى ونحوه .

قوله " ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله ﷺ " هو بكسر الحاء أى محبوبه ، ومعنى يجترئ : يتجاسر عليه بطريق الإدلال ، وفى هذا منقبة ظاهرة لأسامة رضى الله تبارك وتعالى عنه .

قوله ﷺ : " وأيم الله لو أن فاطمة " فيه دليل لجواز الحلف من غير استحلاف وهو مستحب إذا كان فيه تفخيم لأمر مطلوب كما فى الحديث وقد كثرت نظائره .

قوله : " كانت امرأة مخزومية تستعير المتاع وتجحده ، فأمر النبى ﷺ بقطع يدها فأتى أهلها أسامة فكلموه " قال العلماء : المراد أنها قطعت بسرقة ، وإنما ذكرت العارية تعريفاً لها ووصفاً لها ، لا أنها سبب القطع . وقد ذكر مسلم هذا الحديث فى سائر الطرق المصرحة بأنها سرقت وقطعت بسبب السرقة ، فيتعين حمل هذه الرواية على ذلك جمعاً بين الروايات ، فإنها قضية واحدة ، مع أن جماعة من الأئمة قالوا :هذه الرواية شاذة ، فإنها مخالفة لجماهير الرواة والشاذة لا يعمل بها ، قال العلماء : وإنما لم يذكر السرقة فى هذه الرواية لأن المقصود منها عند الراوى ذكر منع الشفاعة فى الحدود ، لا الإخبار عن السرقة .

قال جماهير العلماء وفقهاء الأمصار : لا قطع على من جحد العارية ، وتأولوا هذا الحديث بنحو ما ذكرته ، وقال أحمد وإسحاق : يجب القطع فى ذلك . (شرح النووى) .

مخزومية تستعير المتاع وتجحده ، فأمر النبى ﷺ ، أن تقطع يدها ، فأتى أهلُها أسامةَ بن زيد رضىالله تبارك وتعالى عنه ، فكلموه فكلم رسول الله ﷺ فيها . ثم ذكر نحو حديث الليث ويونس .

قال المؤلف ، هذه المرأة التى سرقت وقطعت يدها التى كانت تستعير المتاع وتجحده ، وهى فاطمة بنت الأسود بن عبد الأسد بن عبد الله بن عمرو ابن مخزوم ، وهى بنت أخى أبى سلمة بن عبد الأسد الصحابى الجليل كان زوج أم سلمة قبل النبى ﷺ ، قتل أبوها كافراً يوم بدر ، قتله حمزة بن عبد المطلب ، ووهم من زعم أن له صحبة .

وقيل : هى أم عمرو بنت سفيان بن عبد الأسد ، وهى بنت عمر المذكوره ، أخرجه عبد الرزاق عن ابن جريج قال : أخبرنى بشر بن تيم أنها أم عمرو بن سفيان بن عبد الأسد .

وخرج أبو داود[١] من حديث عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن نافع رضى الله تبارك وتعالى عنهما قال : إن امرأةً مخزومية كانت تستعير المتاع وتجحده فأمر النبى ﷺ بها فقطعت يدها ، [وقص نحو حديث الليث ، قال : فقطع النبى ﷺ يدها] .

ومن حديث يونس عن ابن شهاب قال : كان عروة يحدث أن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها ، قالت : استعارت امرأة - تعنى حلياً - على ألسنه أناس يُعرفون ولا تُعرف هى ، حلياً فباعته ، فأخذت ثمنه ، فأتي بها رسول الله ﷺ فأمر بقطع يدها ، وهى التى شفع فيها أسامة بن زيد ، وقال فيها رسول الله ﷺ ما قال[٢] .

---

(١) (سنن أبى داود) : ٤/٥٣٨ - ٥٣٩ ، كتاب الحدود باب (٤) فى الحد يشفع فيه حديث رقم (٤٣٧٤) ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه .

(٢) (المرجع السابق) : حديث رقم (٤٣٩٦) .

وخرج النسائى[١] من حديث عبد الله بن المبارك عن حماد بن سلمة عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة عن أبى المنذر مولى أبى ذر ، عن أبى أمية المخزومىّ قال : أن رسول الله ﷺ أُتى بلص اعترف اعترافاً ولم يوجد معه متاع ، فقال له رسول الله ﷺ : ما أخالك سرقت ؟ قال : بلى ، قال رسول الله ﷺ : اذهبوا به فاقطعوه ثم جيئوا به ، فقطعوه ثم جاؤا به فقال له : قل أستغفر الله وأتوب إليه ، فقال : استغفر الله وأتوب إليه ، قال : اللهم تب عليه. ترجم عليه باب تلقين السارق .

وخرجه أبو داود[٢] من حديث مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله ، قال : جيء بسارق إلى رسول

(١) (سنن النسائى) : ٤٣٨/٨ ، كتاب قطع السارق ، باب (٣) تلقين السارق ، حديث رقم (٤٨٩٢) ، قال الحافظ السندى : قوله : " ما إخالك " بكسر الهمزة هو الشائع المشهور بين الجمهور ، والفتح لغة بعض ، وإن كان القياس لكونه صيغة المتكلم من خاله كخاف بمعنى ظن .

قيل : أراد ﷺ تلقين الرجوع من الاعتراف ، وللإمام ذلك فى السارق إذا اعترف ، ومن لا يقول به لعله ظن بالمعترف غفلة عن معنى السرقة وأحكامها ، أو لأنه استبعد اعترافه بذلك ، لأنه ما وجد معه متاع . (حاشية السندى على سنن النسائى) .

(٢) (سنن أبى داود) : ٤ / ٥٦٥ - ٥٦٧ ، كتاب الحدود باب (٢٠) فى السارق يسرق مراراً حديث رقم (٤٤١٠) ، قال الخطابى : هذا فى بعض إسناده مقال : وقد عارض الحديث الصحيح الذى بإسناده ، وهو أن النبى ﷺ قال : ولا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث : كفر بعد إيمان ، وزنى بعد إحصان ، أو قتل نفس بغير نفس ، والسارق ليس بواحد من الثلاثة فالوقوف عن دمه واجب .

ولا يعلم أحداً من الفقهاء يبيح دم السارق - وإن تكررت منه السرقة مرة بعد أخرى - إلا أنه قد يخرج على مذاهب بعض الفقهاء أن يباح دمه ، وهو أن يكون هذا من المفسدين فى الأرض ، فى أن للإمام أن يجتهد فى تعزير المفسدين ، ويبلغ به ما رأى من العقوبة ، وإن زاد على مقدار الحد وجوازه وإن رأى القتل قتل ويعزى هذا الرأى إلى الإمام مالك بن أنس .

وهذا الحديث - إن كان له أصل - فهو يؤيد هذا الرأى . =

الله ﷺ فقال : اقتلوه ، فقالوا : يا رسول الله ! إنما سرق ، فقال : اقطعوه ، قال : فقطع ، ثم جيء به الثانية فقال : اقتلوه ، فقالوا : يا رسول الله ! إنما سرق فقال : اقطعوه قال : فقطع ، ثم جاء به الثالثة فقال : اقتلوه ، فقالوا يا رسول الله إنما سرق فقال : اقطعوه ثم أتى به الرابعة فقال : اقتلوه ، فقالوا : يا رسول الله إنما سرق ، فقال : اقطعوه ، فأتى به الخامسة فقال : اقتلوه ، قال جابر رضى الله تبارك وتعالى عنه : فانطلقنا به فقتلناه ، ثم اجتررناه فألقيناه فى بئر ورمينا عليه الحجارة .

وخرج أبو داود[1] من حديث عبد الرزاق قال : أنبأنا ابن جريج قال : أخبرنى إسماعيل بن أميه أن نافعاً مولى عبد الله بن عمر حدثة أن عبد الله بن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنهما حدثهم أن النبى ﷺ قطع يد رجل سرق ترساً من صُفَّة النساء ثمنه ثلاثة دراهم .

وخرج من حديث محمد بن إسحق ، عن أيوب بن موسى ، عن عطاء ، عن ابن عباس رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، قال : قطع رسول الله ﷺ يد رجل فى مجن قيمته دينار أو عشرة دراهم[2] .

= وقد يدل على ذلك من نفس الحديث : أنه ﷺ قد أمر بقتله لما جيء به أول مرة ، ثم كذا فى الثانية والثالثة والرابعة ، إلى أن قتل فى الخامسة .

فقد يحتمل أن يكون هذا رجل مشهوراً بالفساد ، ومخبوراً بالشر ، معلوماً من أمره أنه سيعود إلى سوء فعله ، ولا ينتهى عنه حتى ينتهى خبره .

(١) (سنن أبى داود) : ٥٤٨/٤ ، كتاب الحدود ، باب (١١) ما يقطع فيه السارق ، حديث رقم (٤٣٦٨) .

(٢) (المرجع السابق) حديث رقم (٤٣٨٧) ، قال الخطابى : وإلى هذا ذهب أبو حنيفة وأصحابه وجعلوه حداً فيما يقطع فيه اليد ، وهو قول سفيان الثورى ، وقد روى ذلك عن ابن مسعود رضى الله تبارك وتعالى عنه .

قال : وهكذا تنفيذ ، وليس فى موضع التحديد ، لأنه إذا كان السارق مقطوعاً فى ربع دينار فلأن يكون مقطوعاً فى دينار أولى ، وكذلك إذا قطع فى ثلاثة دراهم يبلغ قيمتها ربع دينار ، فهو بأن يقطع فى عشرة دراهم أولى . =

فصل فى ذكره من جلده رسول الله ﷺ

خرج البخارى[1] من حديث يحى بن بكير قال : حدثنى الليث قال حدثنى خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه أن رجلاً على عهد رسول الله ﷺ كان اسمه عبد الله وكان يلقب حماراً وكان يضحك رسول الله ﷺ ، وكان رسول الله ﷺ قد جلده فى الشراب فأتى به يوماً فأمر به فجلد ، فقال رجل من القوم فقال اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به ! فقال النبى ﷺ : لا تلعنوه فو الله ما علمتُ إنه يحب الله ورسوله .

وخرج من حديث بن الهاد عن محمد بن إبراهيم عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : أتى النبى ﷺ بسكران فأمر يضربه ، فمنا من ضربه بيده ، ومنا من ضربه بنعله ، ومنا من ضربه بثوبه ، فلما انصرف قال رجل : ماله أخزاه الله ! فقال رسول الله ﷺ : لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم . ترجم عليهما ما يكره من لعن شارب الخمر وأنه ليس بخارج عن المله[2] .

= وقال ابن أبى ليلى وابن شبرمة : لا تقطع الخمس إلا فى الخمسة دراهم ، وقد روى ذلك عن عمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه خلاف الرواية الأولى .

(١) (فتح البارى) : ١٢/٨٩ ، كتاب الحدود ، باب (٥) ما يكر من لعن شارب الخمر ، وأنه ليس بخارج عن الملة ، حديث رقم (٦٧٨٠) .

(٢) (المرجع السابق) : حديث رقم (٦٧٨١) . قال الحافظ فى (الفتح) : قوله : " باب ما يكره من لعن شارب الخمر ، وأنه ليس بخارج من الملة " يشير إلى طريق الجمع بين ما تضمنه حديث الباب من النهى عن لعنه وما تضمنه حديث الباب الأول " لا يشرب الخمر وهو مؤمن " وأن المراد به نفى كمال الإيمان لا أنه يخرج عن الإيمان جملة ، وعبر بالكراهة هنا إشارة إلى أن النهى للتنزيه فى حق من يستحق اللعن إذا قصد به اللاعن محض السب لا إذا قصد معناه الأصلى وهو الإبعاد عن رحمة الله ،فأما إذا قصده فيحرم ولا سيما فى حق من لايستحق اللعن=

= كهذا الذى يحب الله ورسوله ولا سيما مع إقامة الحد عليه ، بل يندب الدعاء له بالتوبة والمغفرة ، وسبب هذا التفصيل عدل عن قوله فى الترجمة كراهية لعن شارب الخمر إلى قوله : " ما يكره من " فأشار بذلك إلى التفصيل ، وعلى هذا التقرير فلا حجة فيه لمنع الفاسق المعين مطلقاً ، وقيل : إن المنع خاص بما يقع فى حضرة النبى ﷺ لئلا يتوهم الشارب عند عدم الإنكار أنه مستحق لذلك ، فربما أوقع الشيطان فى قلبه ما يتمكن به من فتنه ، وإلى ذلك الإشارة بقوله فى حديث أبى هريرة " لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم " وقيل المنع مطلقاً فى حق من أقيم عليه الحد ، لأن الحد قد كفر عنه الذنب المذكور ، وقيل المنع مطلقاً فى حق ذى الزلة والجواز مطلقاً فى حق المجاهرين .

قال النووى فى (الأذكار) : وأما الدعاء على إنسان بعينه ممن اتصف بشئ من المعاصى فظاهر الحديث أنه لا يحرم وأشار الغزالى إلى تحريمه وقال فى " باب الدعاء على الظلمة " بعد أن أورد أحاديث صحيحة فى الجواز قال الغزالى : وهى معنى اللعن الدعاء على الإنسان بالسوء حتى على الظالم مثل " لا أصح الله جسمه " وكل ذلك مذموم انتهى . والأولى حمل كلام الغزالى على الأول .

أما الأحاديث فتدل على الجواز كما ذكره النووى فى قوله ﷺ للذى قال له كل : بيمينك فقال : لا استطيع فقال " لا استطعت فيه دليل على جواز الدعاء من خالف الحكم الشرعى ، ومال هنا إلى الجواز قبل إقامة الحد والمنع بعد إقامته .

وصنيع البخارى يقتضى لعن المتصف بذلك من غير أن يعين باسمه فيجمع بين المصلحتين ، لأن لعن المعين والدعاء عليه قد يحمله على التمادى أو يقنطه من قبول التوبة ، بخلاف ما إذا صرف ذلك إلى المتصف فإن فيه زجراً وردعاً عن ارتكاب ذلك وباعثاً لفاعله على الإقلاع عنه ، ويقويه النهى عن التثريب على الأمة إذا جلدت على الزنا كما سيأتى قريباً .

واحتج شيخاً الإمام البلقينى على جواز لعن المعين بالحديث الوارد فى المرأة إذا دعاها زوجها إلى فراشه فأبت لعنتها الملائكة حتى تصبح وهو فى الصحيح ، وقد توقف فيه بعض من لقيناه بأن اللاعن لها الملائكة فيتوقف الاستدلال به على جواز التأسى بهم وعلى التسليم فليس فى الخبر تسميتها ، والذى قاله شيخنا أقوى فإن الملك معصوم والتأسى بالمعصوم مشروع البحث فى جواز لعن المعين وهو الموجود . =

= قوله : (إن رجلاً كان على عهد النبى ﷺ كان اسمه عبد الله وكان يلقب حماراً) ذكر الواقدى فيغزوة خيبر من (مغازيه) عن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه قال ووجد حصن الصعب ابن معاذ فذكر ما وجد من الثياب وغيرها إلى أن قال : (وزقاق خمر فأريقت ، وشرب يومئذ من تلك الخمر رجل يقال له عبد الله الحمار) وهو باسم الحيوان المشهور ، وقد وقع فى حديث الباب أن الأول اسمه والثانى لقبه وجوّز ابن عبد البر أنه النعيمان المبهم فى حديث عقبة بن الحارث فقال فى ترجمة النعيمان " كان رجلاً صالحاً وكان له ابن انهمك فى الشراب فجلده النبى ﷺ فعلى هذا يكون كل من النعيمان وولده عبد الله جلد فى الشرب .

وقوى هذا عنده بما أخرجه الزبير بن بكار فى (المفاكهة) من حديث محمد بن عمرو بن حزم قال : كان بالمدينة رجل يصيب الشراب فكان يؤتى به النبى ﷺ فيضربه بنعله ويأمر أصحابه فيضربونه بنعالهم ويحثون عليه التراب ، فلما كثر ذلك منه قال له رجل هل الشارب النعيمان أو ابن النعيمان والراجح النعيمان فهو غير المذكور هنا لأن قصة عبد الله كانت فى خيبر فهى سابقة على قصة النعيمان فإن عقبة بن الحارث من مسلمة الفتح والفتح كان بعد خيبر بنحو من عشرين شهراً .

قوله (وكان يضحك رسول الله ﷺ) أى يقول بحضرته أو يفعل ما يضحك منه ، وقد أخرج أبو يعلى من طريق هشام بن سعد عن زيد بن أسلم بسند الباب " ان رجلاً كان حماراً وكان يهدى لرسول الله ﷺ العكة من السمن والعسل فإذا جاء صاحبه يتقاضاه جاء إلى النبى ﷺ فقال : أعط هذا متاعه ، فما يزيد النبى ﷺ أن يتبسم ويأمر به فيعطى " ووقع فى حديث محمد ابن عمرو بن حزم بعد قوله : " يحب الله ورسوله " قال : " وكان لا يدخل إلى المدينة طرفة إلا اشترى منها ثم جاء فقال : يا رسول الله هذا أهديته لك ، فإذا جاء صاحبه يطلب ثمنه جاء به فقال : أعط هذا الثمن ، فيقول ألم تهده إلى ؟ فيقول : ليس عندى ، فيضحك ويأمر بثمنه " وهذا مما يقوى أن صاحب الترجمة والنعيمان واحد والله أعلم .

قوله : (قد جلده فى الشراب) أى بسبب شربه الشراب المسكر وكان فيه مضمرة أى كان قد جلده ، ووقع فى رواية معمر عن زيد بن أسلم بسنده هذا عند عبد الله الرزاق " أتى برجل قد شرب الخمر فحد ، ثم أتى به فحد ، ثم أتى به فحد ، ثم أتى به فحد أربع مرات " .

قوله : (ما أكثر ما يؤتى به) فى رواية الواقدى " ما يضرب " وفى رواية معمر " ما أكثر ما يشرب وما أكثر ما يجلد " . =

= قوله : (لا تلعنوه) فى رواية الواقدى " لا تفعل يا عمر " وهذا قد يتمسك به من يدعى اتحاد القصتين ، وهو لما بينته من اختلاف الوقتين ، ويمكن الجمع بأن ذلك وقع للنعيمان ولابن النعيمان وأن اسمه عبد الله ولقبه حمار ، والله أعلم .

قوله : (فوالله ما علمت إنه يحب الله ورسوله) كذا للأكثر بكسر الهمزة ، ويجوز على رواية ابن السكن الفتح والكسر ، وقال بعضهم الرواية بفتح الهمزة .

وفى هذا الحديث من الفوائد جواز التلقيب وقد تقدم القول فيه فى كتاب الأدب ، وهو محمول هنا على أنه كان لا يكرهه ، أو أنه ذكر به على سبيل التعريف لكثرة من كان يسمى بعبد الله ، أو أنه لما تكرر منه الإقدام على الفعل المذكور نسب إلى البلادة فأطلق عليه اسم من يتصف بها ليرتدع بذلك . وفيه الرد على من زعم أن مرتكب الكبيرة كافر لثبوت النهى عن لعنه والأمر بالدعاء له . وفيه أن لا تنافى بين ارتكاب النهى وثبوت محبة الله ورسوله فى قلب المرتكب لأنه ﷺ أخبر بأن المذكور يحب الله ورسوله مع وجوب ما صدر منه ، وأن من تكررت منه المعصية لا تنزع منه محبة الله ورسوله ، ويؤخذ منه تأكيد ما تقدم أن نفى الايمان عن شارب الخمر لا يراد به زواله بالكلية بل نفى كماله كما تقدم ، ويحتمل أن يكون استمرار ثبوت محبة الله ورسوله فى قلب العاصى مقيداً بما إذا ندم على وقوع المعصية وأقيم عليه الحد فكفر عنه الذنب المذكور ، بخلاف من لم يقع منه ذلك فإنه يخشى عليه بتكرار الذنب أن يطبع على قلبه شئ حتى يسلب منه ، نسأل الله العفو والعافية . وفيه ما يدل على نسخ الأمر الوارد بقتل شارب الخمر إذا تكرر منه إلى الرابعة أو الخامسة ، فقد ذكر ابن عبد البر أنه أتى به أكثر من خمسين مرة .

وله من طريق أخرى عن أبى هريرة ، أخرجها عبد الرزاق ، وأحمد ، والترمذى تعليقاً ، والنسائى ، كلهم من رواية سهيل بن أبى صالح ، عن أبيه عنه بلفظ " إذا شربوا فاجلدوهم ثلاثاً، فإذا شربوا الرابعة فاقتلوهم " وروى عن عاصم بن بهدلة عن أبى صالح فقال أبو بكر بن عياش عن أبى صالح عن أبى سعيد كذا أخرجه حبان من رواية عثمان بن أبى شيبة عن أبى بكر .

أخرجه الترمذى عن أبى كريب عنه فقال : "عن معاوية " بدل " أبى سعيد " وهو المحفوظ . وكذا أخرجه أبو داود من رواية أبان العطار عنه ، وتابعه الثورى وشيبان بن عبد الرحمن وغيرهما عن عاصم ، ولفظ الثورى عن عاصم "ثم إن شرب الرابعة فاضربوا عنقه" =

وخرج البخارى[١]وأبو داود[٢]من حديث يزيد بن الهاد عن محمد بن إبراهيم عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : أن رسول الله ﷺ أتى برجل قد شرب الخمر فقال : اضربوه قال أبو هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه : فمنا الضارب بيده والضارب بنعله والضارب بثوبه فلما أنصرف قال بعض القوم : أخزاك الله فقال رسول الله ﷺ : لاتقولوا هكذا لا تعينوا الشيطان عليه .

= ووقع فى رواية أبان عند أبى داود " ثم إن شربوا فاجلدوهم " ثلاث مرات بعد الأولى ثم قال : " إن شربوا فاقتلوهم " .

ثم ساقه أبو داود من طريق حميد بن يزيد عن نافع عن ابن عمر قال : " وأحسبه قال فى الخامسة ثم إن شربها فاقتلوه " قال وكذا فى حديث عطيف فى الخامسة ، قال : أبو داود " وفى رواية عمر بن أبى سلمة عن أبيه وسهيل بن أبى صالح عن أبيه كلاهما عن أبى هريرة فى الرابعة " وكذا فى رواية عبد الله بن عمرو بن العاص والشريد .

وفى رواية معاوية : " فإن عاد فى الثالثة أو الرابعة فاقتلوه " وقال الترمذى بعد تخريجه : وفى الباب عن أبى هريرة والشريد وشرحبيل بن أوس وأبى الرمداء وجرير وعبد الله بن عمرو وقلت : وقد ذكرت حديث أبى هريرة ، وأما حديث الشريد وهو ابن أوس الثقفى فأخرجه أحمد والدارمى والطبرانى وصححه الحاكم بلفظ " إذا شرب فاضربوه " وقال فى آخره " ثم إن عاد الرابعة فاقتلوه .

(١) (فتح البارى) : ١٢/ ٧٧ ، كتاب الحدود ، باب (٤) الضرب بالجريد والنعال ، حديث رقم (٦٧٧٧) ، وأخرجه أيضاً فى باب (٥) ما يكره من لعن شارب الخمر ، وأنه ليس بخارج عن الملة، حديث رقم (٦٧٨٠) ، وقد سبق تخريجه وشرحه .

(٢) (سنن أبى داود) : ٤/٦٢٠ ، كتاب الحدود ، باب (٣٦) الحد فى الخمر ، حديث رقم (٤٤٧٧) .

فصل فى ذكر فارس رسو ل الله ﷺ

قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر : أبو قتادة الأنصارى رضى الله تبارك وتعالى عنه ، فارس رسول الله وكان يعرف بذلك . اختلف فى اسمه ، فقيل : الحارث بن ربعى بن بلدمة ، وقيل : النعمان بن عمر بن بلدمة ، وقيل: عمر بن ربعى بن بلدمة ، وقيل بلدمة بن خناس بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة .

اختلف فى شهوده بدراً . فقال بعضهم : كان بدرياً . ولم يذكره ابن عقبه ، ولا ابن إسحاق فى البدريين ، وشهد أحداً وما بعدها من المشاهد كلها .[1]

---

(١) قال الحافظ فى (الاستيعاب) : ١٧٣١/٤ ، ترجمة رقم (٣١٣٠) ، (الإصابة) : المشهور أن اسمه الحارث . وجزم الواقدى ، وابن القداح ، وابن الكلبى ، بأن اسمه النعمان . وقيل اسمه عمرو . وأبوه ربعي هو ابن بلدمة بن خناس ، بضم المعجمة وتخفيف النون ، وآخره مهملة ، ابن غنم بن سلمة بن الأنصارى الخزرجى السلمى . وأمه كبشة بنت مطهر بن حرام بن سواد ابن غننم .

اختلف فى شهوده بدراً ، فلم يذكره موسى بن عقبة ولا ابن إسحاق ، واتفقوا على أنه شهد أحداً وما بعدها ، وكان يقال له فارس رسول الله ﷺ . ثبت ذلك فى صحيح مسلم ، فى حديث ابن الأكوع الطويل الذى فيه قصة ذى قرد وغيرها .

وأخرج الواقدى من طريق يحيى بن عبد الله بن أبى قتادة ، عن أبيه ؛ قال : أدركنى رسول الله ﷺ يوم ذى قرد ، فنظر إلى فقال : اللهم بارك فى شعره وبشره ؛ وقال ــ أفلح وجهه فقلت : ووجهك يا رسول الله . قال : ما هذا الذى بوجهك ؟ قلت : سهم رميت به . قال ادن . فدنوت ، فبصق عليه ، فما ضرب على قط ولا فاح ــ ذكره فى حديث طويل .

وقال سلمة بن الأكوع فى حديثه الطويل الذى أخرجه مسلم : خير فرساننا أبو قتادة ، وخير رجالنا سلمة بن الأكوع .

ووقعت فى هذه القصة بعلو فى (المعرفة) لابن منده ، ووقعت لنا من حديث أبى قتادة نفسه فى آخر (المعجم الصغير) للطبرانى ؛ وكان يقال له فارس رسول الله ﷺ . =

= وروى أيضاً عن معاذ وعمر . روى عنه ابناه : ثـابت ، وعبـد اللـه ، ومـولاه أبـو محمـد نافع الأقرع ، وأنس ، وجار ، وعبد الله بن رباح ، وسـعيد بـن كعـب بـن مـالك ، وعطـاء ابـن يسار ، وآخرون .

قال ابن سعد : شهداً أحداً وما بعدها . وقال أبو أحمد الحـاكم : يقـال كـا ن بدريـاً . وقـال إياس بن سلمة ، عن أبيه ، قال : قال رسـول اللـه ﷺ : خـير فرسـاننا أبـو قتـادة . وقـال أبـو نضرة ، عن أبى سعيد : أخبرنى من هو خير منى أبو قتادة .

ومن لطيف الرواية عن أبى قتادة ما قرى على فاطمة بنت محمد الصالحية ونحن نسـمع ، عن أبى نصير بن الشيرازى أخبرنا عبد الحميد بن عبد الرشيد فـى كتابـه ، أخبرنـا الحـافظ أبـو العلاء العطار ، أخبرنا أبو على الحداد ، أخبرنا أبو نعيم ، أخبرنا الطبرانى ، حدثتنا عبـدة بنـت عبد الرحمن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن أبى قتادة ، حدثنـى أبـى عبـد الرحمـن ، عـن أبيـه مصعب ، عن أبيه ثابت ، عن أبيه عبد الله ، عن أبيـه أبـى قتـادة ــ أنـه حـرس النبـىّ ﷺ ليلـة بـــدر ؛ فقال : اللهم احفظ أبا قتادة كما حفظ نبيك هذه الليلة .

وبه عن أبى قتادة ؛ قال : انحاز المشـركون علـى لقـاح رسـول اللـه ﷺ فـأدركتهم فقتلت مسعدة ؛ فقال رسول الله ﷺ حين رآنى : أفلح الوجه قال الطبرانى : لم يروه عن ابى قتـادة إلا ولده ، ولا سمعناها إلا منه عنده ؛ وكانت امرأة فصيحة عاقلة متدينة .

قلت : الحديث الأول جاء عن أبى قتادة فى قصة طويلة من رواية عبد الله بن رباح ، عن أبى قتادة ؛ قال : كنت مع رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره إذ مال عن راحلتـه ؛ قـال : فدعمتـه فاستيقظ ــ فذكر الحديث ؛ وفيه : حفظك الله كما حفظت نبيه .

أخرجه مسلم مطولاً ، وفيه : ليس التفريط فى النوم . وفـى آخـره : إن سـاقى القـوم آخـر القوم آخرهم شرباً . وقوله فى رواية عبدة ليلة بدر غلط ؛ فإنه لم يشهد بدراً ؛ والحديـث الثـانى قد تقدمت الإشارة إليه .

وكانت وفاة أبى قتادة بالكوفة فى خلافـة علـى . ويقـال إنـه كـبر عليـه سـتا . وقـال : إنـه بـدرى . وقال الحسن بن عثمان : مات سنة أربعين ، وكـان شـهد مـع مشـاهده . وقـال خليفـة : ولاه على مكة ثم ولاها قثم بن العباس . وقال الواقدى : مات بالمدينة سنة أربع وخمسين ، ولـه اثنتان وسبعون سنة . ويقال ابن سبعين . قال : ولا أعلم بين علمائنـا اختلافـاً فـى ذلـك . وروى أهل الكوفة أنه مات بالكوفة وعلى بها سنة ثمان وثلاثين ، وذكره البخارى فى (الأوسط) فيمـن=

فصل ذكر أمناء رسول الله ﷺ

اعلم أنه كان لرسول الله ﷺ عـدة أمنـاء ، فخـرج البخـارى ومسـلم مـن حديث أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أنه سمع حسان بن ثـابت الأنصـارى يستشهد أبا هريرة : أنشدك الله هل سمعت رسول الله ﷺ يقول : يا حسان أجب عن رسول الله ﷺ ، اللهم أيده بروح القدس ؟ قال أبو هريرة : نعم .

ذكره البخارى فى كتاب الصلاة ، فى باب الشعر فـى المسـجد . وذكـره فى كتاب الأدب فى باب هجاء المشركين[1] .

وخرج البخارى ومسلم من حديث شعبة عن عدى بن ثابت قال سمعت : البراء بن عازب رضى الله تبارك وتعالى عنـه ، سـمعت رسـول اللـه ﷺ يقـول لحسان بن ثابت اهجهم أوهاجهم وجبريل معك .

ذكره البخارى فـى كتـاب الأدب ، بـاب هجـاء المشـركين ، وفـى كتـاب المغازى ، فى آخر باب مرجع النبى ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بنى قريظـة ومحاصرته إياهم ، من حديث عدى بن ثابت عن البراء بـن عـازب رضـى اللـه

= مات بين الخمسين والستين ، وساق بإسناد له أن مروان لما كان والياً علـى المدينـة مـن قبـل معاوية أرسل إلى أبى قتادة ليريه مواقف النبى ﷺ وأصحابه ، فانطلق معه فأراه .

ويدل على تأخره أيضاً ما اخرجه عبد الرزاق عن معمـر ، عـن عبـد اللـه بـن محمـد بـن عقيل ـ أن معاوية لما قدم المدينة تلقاه الناس ، فقال لأبى قتادة : تلقانى النـاس كلهـم غيركم يـا معشر الأنصار ، (الإصابة) : ٣٢٧/٧ - ٣٢٩ ، ترجمة رقم (١٠٤٠٥) .

(١) (فتح البارى) : ٧٢٠/١ ، كتاب الصلاة باب (٦٨) الشعر فى المسجد ، حديث رقـم (٤٥٣) ، (فتح البارى) : ٣٧٤/٦ ، كـتاب بدء الخـلق باب (٦) ذكـر الملائكة ، حديث رقـم (٣٢١٢) (فتح البارى) : ٦٦٩/١٠ ، كتاب الأدب باب (٩١) هجاء المشركين حديث رقم (٦١٥٢) .

تبارك وتعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ يوم قريظة لحسان من ثـابت : اهـج المشركين ، فإن جبريل معك[1] .

وخرج مسلم[2] من حديث عمارة بن غزية عـن محمـد بـن إبراهيـم عـن سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة رضى اللـه تبـارك وتعـالى عنهـا ، أن رسـول

---

(١) (فتح البارى) : ٥٢٩/٧ ، كتاب المغازى ، باب (٣١) مرجع النبى ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بنى قريظة ، ومحاصرته إياهم ، حديث رقم (٤١٤٢) ، (فتح البارى) : ٦٦٩/١٠ ، كتاب الأدب باب (٩١) هجاء المشركين ، حديث رقم (٦١٥٣) .

(٢) (مسلم بشرح النووى) : ٢٨٢/١٦ - ٢٨٤ ، كتاب فضائل الصحابة باب (٣٤) فضائل حسـان ابن ثابت رضى الله تبارك وتعالى عنه ، حديث رقم (١٥٧) ، وتمامه : قال حسان :

هجوت محمداً فأجبت عنـــه ... وعند الله فى ذاك الجـــزاء
هجوت محمداً براً حنيفـــاً ... رسول الله شيمته الوفـــاء
فإن أبى ووالـده وعرضـــى ... لعرض محمد منكم وقـــاء
ثكلت بنيتي إن لم تروهـــا ... تثير النقع من كنفى كـــداء
يبارين الأعنة مصعـــدات ... على أكتافها الأسل الظمـــاء
تظل جيادنـــا متمطـــرات ... تلطمهن بالخمـــر النســـاء
فإن أعرضتموا عنا اعتـمرنا ... وكان الفتح وانكشف الغطـاء
وإلا فاصبروا لضراب يـوم ... يعز الله فيه من يشـــاء
وقال الله قد أرسلت عبـــدا ... يقول الحق ليس به خفـــاء
وقال الله قد يسرت جنـــداً ... هم الأنصار عرضتها اللقـاء
يلاقى كل يوم من معـــد ... سباب أو قتال أو هجـــاء
فمن يهجو رسول الله منكم ... ويمدحه وينصره ســـواء
وجبريل رسول الله فينـــا ... وروح القدس ليس له كفـــاء

قولـه " لأفرينهم بلسانى فرى الأديم " أى لأمزقـن أعراضهم تمزيق الجلـد . قولـه ﷺ " هجاهم حسان فشفى واشـتفى " أي شـفى المؤمنين واشتفى هو بمـا نالـه مـن أعراض الكفـار ومزقها ونافخ عن الاسلام والمسلمين قوله " هجوت محمداً براً تقيا " وفى كثير من النسخ حنيفـا بدل تقيا فالبر بفتح الباء الواسع الخير وهو مأخـوذ مـن البـر بكـسر البـاء وهو الاتسـاع فى =

= الاحسان وهو اسم جامع للخير وقيل البر هنا بمعنى المتنزة عن المآثم وأما الحنيف فقيل هو المستقيم والأصح أنه المائل الى الخير وقيل الحنيف التابع إبراهيم ﷺ . قوله : " شيمته الوفاء " أى خلقه . قوله :

" فان أبى ووالدتى وعرضى لعرض محمد منكم وقاء "

هذا مما احتج به ابن قتيبة لمذهبه أن عرض الانسان هو نفسه لا أسلافه لأنه ذكر عرضه وأسلافه بالعطف وقال غيره : عرض الرجل أموره كلها التى يحمد بها ويذم من نفسه وأسلافه وكل ما لحقه نقص يعيبه وأما قوله وقاء فبكسر الواو وبالمد وهو ما وقيت به الشئ . قوله " تثير النقع " أى ترفع الغبار وتهيجه . قوله : " من كنفى كداء " هو بفتح النون أى جانبى كداء بفتح الكاف وبالمد هى ثنية على باب مكة سبق بيانها فى كتاب الحج وعلى هذه الرواية فى هذا البيت أقواء مخالف لباقيها وفى بعض النسخ : غايتها كداء وفى بعضها : موعدها كداء . قوله " يبارين الأعنة " ويروى يسارعن الأعنة ، قال القاضى : الأول هو رواية الأكثرين ومعناه أنها لصرامتها وقوة نفوسها تضاهى أعنتها بقوة جبذها لها وهى منازعتها لها أيضاً قال القاضى وفى رواية ابن الحذاء يبارين الأسنة وهى الرماح قال فان صحت هذه الرواية فمعناها أنهن يضاهين قوامها واعتدالها.

قوله " مصعدات " أى مقبلات إليكم ومتوجهات يقال : أصعد فى الأرض إذا ذهب فيها مبتدئاً ولا يقال للراجع .

قوله : " على أكتافها الأسل الظماء " أما أكتافها فبالتاء المثناه فوق والأسل بفتح الهمزة والسين المهملة وبعدها لام هذه رواية الجمهور ، والأسل الرماح والظماء الرقاق فكأنها لقلة مائها عطاش وقيل المراد بالظماء العطاش لدماء الأعداء وفى بعض الروايات الأسد الظماء بالدال أى الرجال المشبهون للأسد العطاش الى دمائكم .

قوله : " تظل جيادنا متمطرات " أى تظل خيولنا مسرعات يسبق بعضها بعضا . قوله " تلطمهن بالخمر النساء " أى تمسحهن النساء بخمرهن بضم الخاء والميم جمع خمار أى يزلن عندهم الغبار وهذا لعزتها وكرامتها عندهم وحكى القاضى أنه روى بالخمر بفتح الميم جمع خمرة وهو صحيح المعنى لكن الأول هو المعروف وهو الأبلغ فى إكرامها . =

الله ﷺ قال : أهجوا قريشاً فإنه أشدّ عليها من رشق النبل ، فأرسل إلى ابن رواحة فقال : اهجهم فهجاهم ، فلم يرض ، فأرسل إلى كعب بن مالك ، ثم أرسل إلى حسان بن ثابت ، فلما دخل عليه قال حسان : قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه ثم أدلع لسانه فجعل يحركه فقال : والذى بعثك بالحق لأفرينهم بلسانى فرى الأديم ، فقال رسول الله ﷺ : لا تعجل فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها ، وإن لى فيهم نسباً حتى يلخص لك نسبى ، فأتاه حسان ثم رجع فقال : يا رسول الله قد لخص لى نسبك ، والذى بعثك بالحق لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين ، قالت عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها : فسمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان : إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله ، وقالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : هجاهم حسان فشفى واشتفى .

وقد تقدم التعريف بحسان بن ثابت الأنصارى ، وكعب بن مالك ، وأبى ابن كعب ، رضى الله تبارك وتعالى عنهم . وعبد الله بن رواحة بن ثعلبه بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس الأكبر بن مالك بن كعب بن الخزرج الأنصارىّ أبو محمد ، أحد النقباء ، شهد العقبة وبدراً وما بعدها ، واستشهد بمؤتة فى جمادى سنة ثمان ، وهو أحد الأمينين ، وأحد الشعراء ، وفى حسان وكعب بن مالك نزل قوله تعالى : ﴿ **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون** ﴾ (١) .

= قوله : " وقال الله قد يسرت جندا " أى هيأتهم وأرصدرتهم . قوله : " عرضتها اللقاء " هو بضم العين أى مقصودها ومطلوبها . قوله : " ليس له كفاء " أى مماثل ولا مقاوم . والله تبارك وتعالى أعلم .

(١) الشعراء : ٢٢٧ ، وفى (الأصل) : حتى ﴿ وذكروا الله كثيراً ﴾ .

فصل فى ذكر شعراء رسول الله ﷺ

اعلم أن رسول الله ﷺ مدحه بالشعر جماعة من الرجال والنساء ، ذكر من ذكر منهم الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد عبد البر نحو مائة وعشرين[1] ، وجمعهم الحافظ فتح الدين محمد بن محمد الأندلسى المعروف بابن سيد الناس فى قصيدة ميمية ثم شرحها فى مجلد سماه (منح المدح) ، أو (فتح المدح) ، ورتبهم على حروف المعجم ، قارب بهم المائتين وكان لرسول الله ﷺ ثلاثة شعراء يناضلون عنه بشعرهم ويهجون كفار قريش وهم حسان بن ثابت ، وعبد الله بن رواحة ، وكعب بن مالك ، وهم من الأنصار ، رضى الله تبارك وتعالى عنهم .

---

(١) كان شعراء الملسمين : حسان بن ثابت ، وعبد الله بن رواحة ، وكعب بن مالك ، وأما شعراء المشركين : فعمرو بن العاص ، وعبد الله بن الزبعرى ، وأبو سفيان بن الحارث .

قال أبو عمر بن عبد البر : قيل لعلى بن أبى طالب : اهج عنا القوم الذين يهجوننا فقال : إن أذن لى النبى ﷺ ، فعلت ، فقالوا : يا رسول الله ائذن له ، فقال رسول الله ﷺ : إن علياً ليس عنده ما يراد فى ذلك منه ، أو ليس فى ذلك هنالك ، ثم قال ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله ﷺ بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم ؟ قال ابن سيرين : وانتدب لهجو المشركين ثلاثة من الأنصار : حسان ، وكعب ، وعبد الله بن رواحة ، فكان حسان وكعب يعرضان بهم فى الوقائع والأيام والمآثم ويذكران مثالبهم ، وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بعبادة ما لا ينفع . فكان قوله أهون عليهم يومئذ ، وكان قول حسان وكعب أشد القول عليهم ، فلما أسلموا وفقهوا كان أشد القول عليهم قول عبد الله بن رواحة ، وفى ترجمة حسان بن ثابت من (الإصابة) : قال أبو عبيدة : فضل حسان بن ثابت على الشعراء بثلاثة : وكان شاعر الأنصار فى الجاهلية ، وشاعر النبى ﷺ فى أيام النبوة ، وشاعر اليمن كلها فى الإسلام .

فصل فى ذكر من حجم رسول الله ﷺ

قال ابن سيده : الحجم : المصّ . يقال : حجم الصبى ثدى أمه إذا مصه. والحجام : المصاص . قال الأزهرى : يقال للحاجم حَجَّام لامتصاصه فم المحجمة . وقد حَجَم يَحْجُمُ حجماً ، وحاجِمٌ حجوم وفتق أحجم[1] .

وقد ورد [أنه كان لـ][2]رسول الله ﷺ اثنان ، هما : أبو طيبة مولى بنى حارثة ، واسمه نافع ، وقيل : ميسرة ، لم يشهد بدراً [3] .

---

(١) قال ابن الأثير : المِحْجَم بالكسر ، الآلة التى يجمع فيها دم الحجامة عند المصّ ، قال : والمِحْجَم أيضاً مشرط الحجام ، ومنه الحديث : لعقة عسل أو شرطة محجم . وحرفته وفعله الحجامة ، والحجم : فعل ، وهو الحجام . واحتجم : طلب الحجامة، هو محجوم .

وفى حديث الصوم : أفطر الحاجم والمحجوم . قال ابن الأثير : معناه : أنهما تعرضا للإفطار ؛ أما المحجوم فللضعف الذى يلحقه ، وأما الحاجم فلم يأمن أن يصل إلى حلقه شئ من الدم فيبلعه أو من طعمه .

قال : وقيل : هذا على سبيل الدعاء عليهما ، أى بطل أجرهما صارا مفطرين ، كقوله : من صام الدهر فلا صام ولا أفطر .

وقولهم : أفرغ من حَجَّام ساباط ، لأنه كانت تمر به الجيوش فيحجمهم نسيئة من الكساد ، حتى يرجعوا . فضرب به المثل . (لسان العرب) : ١٦٦/١٢ - ١١٧ .

(٢) زيادة يقتضيها السياق .

(٣) هو أبو طيبة الحجام ، مولى الأنصار ؛ من بنى حارثة ، وقيل : من بنى بياضة ، يقال : اسمه دينار . حكاه ابن عبد البر ؛ ولايصح ، فقد ذكر الحاكم أبو أحمد أن دينار الحجام آخر . تابعى، وأخرج ابن منده حديثاً لدينار الحجام عن أبى طيبة ، ويقال : اسمه ميسرة .

ذكر البغوى فى (معجم الصحابة) عن أحمد بن عبيد أبى طيبة ـ أنه سأله عن اسم جده أبى طيبة ؟ فقال : ميسرة ، ويقال اسمه نافع . قال العسكرى : قيل اسمه نافع ، ولا يصح ، ولا يعرف اسمه .

قال الحافظ : كذا قال ، ووقع مسمى كذلك فى مسند محيصة بن مسعود من (مسند أحمد)، ثم من طريق أبى حبيب ، عن أبى عقير الأنصارى ، عن محمد بن سهل بن أبى خيثمة ، عن =

وأبو هند عبد الله ، مولى فروة بن عمرو البياضى ، تخلف عن بدر ، وشهد ما بعدها[1] .

= محيصة ـ أنه له غلام حجام يقال له نافع أبو طيبة ، فسأل النبى ﷺ عن خراجه ، فقال : أعلفه الناضح ... الحديث .

وقد أخرجه أحمد وغيره من حديث الليث ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن أبى عقير الأنصارى، عن محمد بن سهل بن أبى خيثمة ، عن محيِّصَة بن مسعود ـ أنه كان له غلام حجام يقال له نافع أبو طيبة .

وقد ثبت ذكره فى الصحيحين أنه حجم النبى ﷺ من حديث أنس وجابر وغيرهما .

وأخرج ابن أبى خيثمة بسند ضعيف عن جابر ؛ قال : خرج علينا أبو طيبة لثمان عشرة خلون من رمضان ، فقال له : أين كنت ؟ قال : حجمت رسول الله ﷺ .

وأخرج ابن السكن بسند آخر ضعيف من حديث ابن عباس : كنا جلوساً بباب النبى ﷺ ، فخرج علينا أبو طيبة بشئ فى ثوبه ، فقلنا : ما هذا معك يا أبا طيبة ؟ قال : حجمت النبى ﷺ فأعطانى أجرى .

(١) هو أبو هند الحجام ، مولى بنى بياضة .

قال ابن السكن : يقال اسمه عبد الله . وقال ابن منده : يقال اسمه يسار ، ويقال سالم ؛ قال : وقال ابن إسحاق : هو مولى فروة بن عمرو البياضى من الأنصار .

وروى عنه ابن عباس ، وجابر ، وأبو عميرة ، ووقع فى موطأ ابن وهب : حجم رسول الله ﷺ أبو هند يسار . وقال ابن إسحاق فى (المغازى) أيضاً : لما انتهى رسول الله ﷺ رجوعه من بدر إلى عرق الظبية اسقبله أبو هند مولى فروة بن عمرو البياضى بحيس أى بزق مملوء حيســاً ، كان قد تخلف عن بدر ، وشهد المشاهد بعدها .

وأخرج ابن منده ، من طريق شعيب بن أبى حمزة ، عن الزهرى ؛ يقال : كان جابر يحدث أن رسول الله ﷺ احتجم على كاهله من أجل الشاة التى أكلها ، حجمهُ أبو هند مولى بنى بياضة بالقرن .

وأخرج أبو نعيم ، من طريق حماد بن سلمة ، عن محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة : أن أبا هند حجم النبى ﷺ فى اليافوخ من وجع كان به ، وقل : إن كان فى شئ مما تداوون به خير فالحجامة ، كذا قال حماد بن سلمة ، وخالفه الدراوردى ؛ فرواه عن محمد=

خرج البخاري من حديث محمد بن مقاتل ، أخبرنا عبد الله ، أخبرنا حميد الطويل ، عن أنس رضي الله تبارك وتعالى عنه أنه سئل عن أجر الحجام، فقال : احتجم رسول الله ﷺ ، حجمه أبو طيبة ، وأعطاه صاعين من طعام ، وكلهم مواليه فخففوا عنه ، وقال : إن أمثل ما تداويتم به الحجامة والقسط البحرى ، وقال : لا تعذبوا صبيانكم بالغمز من العذرة ، وعليكم بالقسط.

ذكره فى كتاب الطب ، وترجم عليه باب الحجامة من الداء(١) . وأخرجه أيضاً من حديث مالك ، عن حُميد عن أنس بن مالك رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : حجم أبو طيبة رسول الله ﷺ فأمر له بصاع من تمر ، وأمر أهله أن يخففوا من خراجه . ذكره فى كتاب البيوع ، باب ذكر الحجام (٢) .

= ابن عمرو ، عن أبى سلمة ، عن هند ؛ قال : حجمتُ رسول الله ﷺ فى اليافوخ ؛ فقال : إن كان فى شئ من الدواء خير فهو فى هذه الحجامة ، يابنى بياضة ، أنكحوا أبا هند ، وأنكحوا إليه.

أخرجه ابن جريج ، والحاكم أبو أحمد عنه ، وذكر الحاكم فى الإكليل أنه حلق رأس رسول الله فى عمرة الجعرانة .

وأخرج ابن السكن ، والطبرانى ، من طريق الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة ــ أن أبا هند مولى بنى بياضة كان حجّاما يحجم النبى ﷺ ، فقال : من سره أن ينظر إلى من صور الله الإيمان فى قلبه فلينظر إلى أبى هند . وقال : أنكحوه وأنكحوا إليه ، وسنده إلى الزهرى ضعيف.

وأخرجه الحاكم أبو أحمد مختصراً ، وزاد : ونزلت : **﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ﴾** .[الحجرات : ١٣] .

وذكر الواقدى فى كتاب الردة عن زرعة بن عبد الله بن زياد بن لبيد ــ أن أبا بكر الصديق أرسل أبا هند مولى بنى بياضة إلى زياد بن لبيد عامل كندة وحضرموت يخبره باستخلافه بعد النبى ﷺ .

(١) (فتح البارى) : ١٠/١٨٥ ، كتاب الطب ، باب (١٣) الحجامة من الداء ، حديث رقم (٥٦٩٦) .

(٢) (فتح البارى) : ٤/٤٠٧ ، كتاب البيوع ، باب (٣٩) ذكر الحجام ، حديث رقم (٢١٠٢) .

وله من حديث سفيان ، عن حميد الطويل ، عن أنس رضى الله تبارك وتعالى عنه ، قال : حجم أبو طيبة النبى ﷺ فأمر له بصاع أو صاعين من طعام ، وكلم مواليه فخفف من غلته وضريبته . ذكر فى كتاب الإجارة ، ترجم عليه باب ضريبة العبد[1] .

وخرجه مسلم[2] من حديث إسماعيل بن جعفر ، عن حميد ، عن أنس ، وخرج البخارى من حديث شعبة ، عن حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، رضى الله تبارك وتعالى عنه ، قال : دعا النبى ﷺ غلاماً حجاماً فحجمه ، وأمر له بصاع أو صاعين أو مدٍ أو مُدّين ، وكلم فيه ، فخفف من ضريبته ، وقال مسلم : بصاع أو مُدّ ، أو مُدّين . ترجم عليه البخارى فى باب من كلم موالى العبد أن يخففوا عنه من خراجه[3].

وخرج البخارى[4] ومسلم[5] من حديث وهيب ، قال : حدثنا طاووس ، عن أبيه عن ابن عباس رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، أن رسول الله ﷺ احتجم وأعطى الحجام أجره واستعط . ذكره البخارى فى الإجارة ، ومسلم فى البيوع .

ولمسلم[6] من حديث عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن عاصم ، عن الشعبى ، عن ابن عباس قال : حجم النبى ﷺ عبدٌ لبنى بياضة ، فأعطاه النبى

---

(١) (فتح البارى) : ٥٧٧/٤ ، كتاب الإجارة ، باب (١٧) ضريبة العبد وتعاهد ضرائب الإماء حديث رقم (٢٢٧٧) .

(٢) (مسلم بشرح النووى) : ٥٠٢/١٠ ، كتاب المساقاة ، باب (١١) حل أجرة الحجامة ، حديث رقم (٦٤) .

(٣) (فتح البارى) : ٥٧٩/٤ ، كتاب الإجارة ، باب (١٩) من كلم موالى العبد أن يخففوا عنه من خراجه ، حديث رقم (٢٢٨١) .

(٤) (المرجع السابق) : حديث رقم (٢٢٧٨) .

(٥) (مسلم بشرح النووى) : ٥٠٢/١٠ ، كتاب المساقاة ، باب (١١) حل أجرة الحجامه ، حديث رقم (٦٥) .

(٦) (المرجع السابق) : حديث رقم (٦٦) .

ﷺ أجره ، وكلم سيده فخفف عنه من ضريبته ، ولو كان سحتاً لم يعطه النبى ﷺ .

وخرجه البخارى[1] من حديث يزيد بن زريع ، عن خالد ، عن عكرمة، عن ابن عباس رضى الله تبارك وتعالى عنهما قال : احتجم رسول الله ﷺ وأعطى الحجام أجره ، ولو علم كراهية لم يعطه .

وخرجه الخطيب[2] من حديث محمد بن فضل عن الأعمش ، عن نافع ، عن ابن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، قال : إن النبى ﷺ دعا أبا طيبة رضى الله تبارك وتعالى عنه فحجمه ، وسأله عن خراجه فقال : ثلاثة آصع ، فوضع عنه صاعين وأعطاه أجره صاعاً .

وذكر ابن أيمن من حديث ابن جريج ، عن أبى الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله رضى الله تبارك وتعالى عنهما يقول : احتجم رسول الله ﷺ وأعطاه أجره ، وكان خراجه صاعين كل يوم ، فأوصى سيده فوضع عنه صاعاً[3] .

وخرج الحاكم[4] من حديث أسيد بن موسى قال : أنبانا جماد بن سلمة عن أبى هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : إن رسول الله ﷺ قال : يا

---

(١) (فتح البارى) : ٥٧٨/٤ ، كتاب الإجارة ، باب (١٨) خراج الحجام ، حديث رقم (٢٢٧٩) .

(٢) (تاريخ بغداد) : ٩٥/١٣ ، فى ترجمة محمود بن محمد الواسطى رقم (٧٠٧٩) بسياقة أخرى .

(٣) راجع التعليقات السابقة ففيها كفاية .

(٤) (المستدرك) : ١٧٨/٢ ، كتاب النكاح ، حديث رقم (٢٦٩٣) ، قال الحافظ الذهبى فى (التلخيص) : على شرط مسلم .

وأبو هند الحجام قيل : اسمه عبد الله ، ويقال : اسمه يسار ، ذكره ابن وهب فى (موطأه) فى حجامة المحرم ، وقال ابن منده : سالم بن أبى سالم الحجام يقال له : أبو هند . وقيل : اسم أبى هند سنان . روى عنه أبو الجحاف .

قال ابن إسحاق : هو مولى فروة بن عمرو البياضى ، تخلف أبو هند عن بدر ، ثم شهد المشاهد كلها . وكان يحجم رسول الله ﷺ ، وقال فيه النبى ﷺ : إنما أبو هند امرؤ من =

بنى بياضة أنكحوا أبا هند ، وأنكحوا إليه ، قال : وكان حجاماً . قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم .

فصل فى ذكر حلق شعر رسول الله ﷺ

اعلم أن المحفوظ من هدى رسول الله ﷺ أنه لم يحلق رأسه المقدم إلا فى عمرة أوحجة .

وأول عمرة اعتمرها رسول الله ﷺ بعد الهجرة عمرة الحديبية وهى التى صده المشركون فيها عن البيت ، فقاضاهم ، ثم نحر هديه وحلق .

قال الواقدى : وحدثنى يعقوب بن محمد ، عن عبد الرحمن بن عبد الله ابن أبى صعصعة ، عن الحارث بن عبد الله ، عن أم عمارة ، قالت : فأنا أنظر إلى رسول الله ﷺ حين فرغ عن نحر البُدْن ، فدخل قبة له من أدم حمراء ، فيها الحلاق فحلق رأسه ، فأنظر إليه قد أخرج رأسه من قبته وهو يقول : رحم الله المحلقين . قيل : يا رسول الله ، والمقصرين ! قال : رحم الله المحلقين - ثلاثاً - ثم قال والمقصرين[1] .

وحدثنى إبراهيم بن يزيد ، عن أبى الزبير ، عن جابر ، قال وأنا أنظر إليه حين حلق رأسه ، ورمى بشعره على شجره كانت إلى جنبه من سمُره خضراء[1] .

= الأنصار ، فأنكحوه وأنكحوا إليه يا بنى بياضة . (الاستيعاب) : ١٧٧٢/٤ ، ترجمة رقم (٢٣٠٩) .

قال الإمام النووى فى (شرح مسلم) : وفى هذه الأحاديث إباحة التداوى ، وإباحة الأجرة على المعالجة بالتطبب ، وفيها الشفاعة إلى أصحاب الحقوق ، والديون ، فى أن يخففوا منها . وفيها جواز مخارجة العبد برضاه ورضا سيده . (مسلم بشرح النووى) : ٥٠٢/١٠ .

(١) (مغازى الواقدى) : ٦١٥/٢ - ٦١٦ .

قالت أم عمارة : فجعل الناس يأخذون الشعر من فوق الشجرة ، فيتحاصّون فيه ، وجعلتُ أزاحم حتى أخذت طاقات من شعر ، فكانت عندها حتى ماتت تغسل للمريض .

قال : وحلق يومئذ ناس ، وقصّر آخرون . قالت أم سلمة زوج النبى ﷺ : وقصّرتُ يومئذ أطراف شعرى . وكانت أم عمارة تقول : قصرت يومئذ ـ بمقص معى ـ الشعر وما شذّ .

[قال الواقدى] ، حدثنى خراش بن هنيد ، عن أبيه ، قال : كان الذى حلق خراش بن أمية[1] ، يعنى ابن الفضل الكعبى الخزاعى ، وهو الذى بعث به رسول الله ﷺ إلى مكة ، وعقروا جمله ، وشهد الحديبية ومابعدها ، ومات آخر خلافة معاوية رضى الله تبارك وتعالى عنه .

ثم اعتمر رسول الله ﷺ عمرة القضية ، فطاف بالبيت ، وسعى بين الصفا والمروة .

وقال الواقدى : حدثنى حزام بن هشام ـ عن ابيه ، أن خراش بن أمية حلق رأس رسول الله ﷺ عند المروة[1] .

وقال الواقدى : حدثنى حزام بن هشام ، عن أبيه ، أن خراش بن أمية حلق رأس رسول الله ﷺ عند المروة[1] .

وحدثنى عبد الحميد بن جعفر ، عن محمد بن يحى بن حبان ، أن الذى حلقه معمر بن عبد الله العدوى . ويقال فيه : معتمر بن أبى معتمر بن أبى معمر أحد شيوخ بنى عدى ، أسلم قديماً ، وهاجر الهجرة الثانية إلىالحبشة ، وتأخرت هجرته إلى المدينة ، وعاش عمراً طويلاً ، وله أحاديث منها : لا يحتكر إلا خاطئ .

ولما اعتمر رسول الله ﷺ من الجعرانة ، وأحرم ، ودخل مكة ، وطاف بالبيت ماشياً ، ثم سعى بين الصفا والمروة على راحلته ، حتى انتهى إلى المروة من الطواف السابع ، وحلق رأسه عند المروة .

---

(١) (المرجع السابق) : ٧٣٧/٢ .

قال والواقدى : حلقه أبو هند ، عبد بنى بياضة ، ويقال : حلقه خراش ابن أمية[1] .

وأبو هند هذا هو الحجام المذكرو آنفاً .

ولما كانت حجة الوداع حلق رأسه بمنى . قال الواقدى : لما نحر رسول الله ﷺ الهدى ، دعا الحلاق ، وحضر المسلمون يطلبون من شعر رسول الله ﷺ ، فأعطى الحلاق شق رأسه الأيمن ، ثم أعطاه أباطلحة الأنصارى . وكلمه خالد بن الوليد رضى الله تبارك وتعالى عنه فى ناصيته حين حلق ، فدفعها إليه، وكان يجعلها فى مقدم قلنسوته[2] ، [فلا يلقى جمعاً إلا فضَّه ، فقال أبو بكر الصديق رضى الله تبارك وتعالى عنه : كنت أنظر إلى خالد بن الوليد ، وما نلقى منه فى أحد ، وفى الخندق وفى الحديبية ، وفى كل موطن لاقانا ، ثم نظرت إليه يوم النحر يقدم إلى رسول الله ﷺ بدنة ، وهى تعتب فى العقل ، ثم نظرت إليه ورسول الله ﷺ يحلق رأسه ، وهو يقول : يا رسول الله ، ناصيتك! لا تؤثر بها على أحداً فداك أبى وأمى ! فأنظر إليه أخذ ناصية رسول الله ﷺ ، فكان يضعها على عينية وفيه][3] .

[قال : وسألت عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها : من أين هذا الشعر الذى عندكن ؟ قالت : إن رسول الله ﷺ لما حلق رأسه فى حجمته فَرّق شعره فى الناس ، فأصابنا ما أصاب الناس . فلما حلق رسول الله ﷺ رأسه أخذ من شاربه وعارضيه ، وقلم أظفاره ، وأمر بشعره وأظفاره أن يدفنا ، وقصر

---

(١) (المرجع السابق) : ٩٥٩/٢ .

(٢) (المرجع السابق) : ١١٠٨/٣ - ١١٠٩ .

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة يقتضيها السياق من (المرجع السابق) .

وفى ترجمة معمر بن نضلة ، قال يعقوب بن محمد الزهرى : حدثنى محمد بن إبراهيم مولى بنى زهرة ، عن ابن لهيعة ، حدثنا يزيد بن أبى حبيب ، عن عبد الرحمن مولى معمر بن نضلة، قال : قمت على رأس رسول الله ﷺ ومعى موسى لأحلق رأسه ، فقال : يا معمر ، مكنك رسول الله ﷺ من شحمة أذنيه . قلت : ذاك من منن الله علىّ . قال : أجل فحلقت رأسه (الإصابة) : ١٩٠/١٦ ، ترجمة رقم (٨١٦٠) .

قوم من أصحابه وحلق آخرون ، فقال رسول الله ﷺ : رحم الله المحلقين ! ثلاثاً ، كل ذلك يقال : المقصرين يا رسول الله ! فقال : والمقصرين ! فى الرابعة][٢] .

فصل فى ذكر من طبخ لرسول الله ﷺ

اعلم أنه جاء عن جماعة ، أنهم طبخوا لرسول الله ﷺ ، فمنهم أبو عبيدة مولاه[١] ، ويقال : خادمه .

خرج أبو عيسى الترمذى فى (الشمائل)[٢] ، من حديث قتادة ، عن شُهر بن حوشب ، عن أبى عبيدة ، قال : طبخت للنبى ﷺ قدراً ، وقد كان يعجبه الذراع ، فناولته الذراع ، ثم قال ناولنى الذراع ، فناولته ، ثم قال : ناولنى الذراع ، فقلت : يا رسول الله ! وكم للشاة من ذراع ؟ فقال : والذى نفسه بيده لو سكت لناولتنى الذراع ما دعوت .

وسلمى بنت عميس[٣] أخت أسماء بنت عميس رضى الله تبارك وتعالى عنهما . خرج أبو يعلى ، وأبو عيسى فى (الشمائل)[٤] ، من حديث الفضيل بن

---

(١) هو أبو عبيد مولى رسول الله ﷺ ، ذكره الحاكم أبو أحمد فيمن لا يعرف اسمه ، وأخرج حديثه الترمذى فى (الشمائل) ، والدارمى من طريق شهر بن حوشب عنه . قال : : طبختُ للنبى ﷺ قدراً ، وكان يعجبه الذراع ... الحديث ورجاله رجال الصحيح إلا شُهر بن حوشب . قال البغوى: له صحبة ، حدثنى عباس ، عن يحى بن معين ، قال : أبو عبيد الذى روى عنه شهر هو من الصحابه . (الإصابة) : ٧/٢٦٩ ، ترجمة رقم (١٠٢٢٤) .

(٢) (الشمائل المحمدية) : ١٤١ ، باب (٢٦) ما جاء فى إدام رسول الله ﷺ ، حديث رقم (١٧٠) ، وهو حديث صحيح لغيره ، وقد تفرد به الترمذى ، وفى سنده ضعف ، وله شواهد .

(٣) هى سلمى بنت عميس الخثعمية ، أخت أسماء ، وهى إحدى الأخوات التى قال فيهن النبى ﷺ : الأخوات مؤمنات . كانت تحت حمزة ، فولدت له أمة الله بنت حمزة ، ثم خلف عليها بعد قتل حمزة شداد بن الهاد الليثى ، فولدت له عبد الله وعبد الرحمن . =

سليمان قال : أنبأنا عبد الله بن على ، عن جدته سلمى قالت : أن الحسن بن علىّ ، وابن عباس ، وابن جعفر أتوها فقالوا لها : أصنعى لنا طعاماً مما كان يعجب رسول الله ﷺ ويحسن أكله ، فقالت : يابنى إنك لا تشتهيه اليوم، قال : بل اصنعيه لنا وصبّتْ عليه شيئاً من زيت ، ودقت الفُلفُل والتوابل ، فقربته إليهم فقال : هذا مما كان يعجب النبى ﷺ ويحسن أكله . اللفظ لأبى يعلى ، وأبى رافع رضى الله تبارك وتعالى عنه .

وخرج مسلم والنسائى من حديث عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبى هلال ، عن عبد الله بن عبيد الله بن أبى رافع ، عن أبى غطفان ، عن أبىّ رضى الله تبارك وتعالى عنه . قال : أشهد لقد كنت أشوى لرسول الله ﷺ بطن الشاة ، ثم صلى ولم يتوضأ . هذا لفظ مسلم[1] .

= وأخرج ابن منده من طريق عبد الله بن المبارك ، عن جرير بن حازم ، عن محمد بن عبد الله بن أبى يعقوب ، وأبى فزارة ، جميعاً عن عبد الله بن شداد ، قال : كانت بنت حمزة أختى من أمى ، وكانت أمنا سلمى بنت عميس .

وقال ابن سعد : زوجها حمزة ، وكانت أسلمت قديماً مع أختها أسماء فولدت لحمزة ابنته عمارة، وهى التى اختصم فيها على وجعفر وزيد بن حارثة ثم بانت سلمى من حمزة ، فتزوجها شداد ، فولدت له عبد الله ، فقضى بها النبى ﷺ لجعفر ، وقال : الخالة بمنزلة الأم . وكانت أسماء تحت جعفر ؛ فتعين أن أمها سلمى ، وقد بالغ ابن الأثير فى الرد على من زعم أن أسماء كانت تحت حمزة . لها ترجمة فى (الإصابة) : ٧/٧٠٦ - ٧٠٧ ، ترجمة رقم (١١٣١٧) ، (الاستيعاب) : ٤/١٨١٦ ، ترجمة رقم (٣٣٨١) ، (طبقات ابن سعد) : ٨/٢٠٩ .

(٤) (الشمائل المحمدية) : ١٤٨ ، باب (٢٦) ما جاء فى إدام رسول الله ﷺ ، حديث رقم (١٧٩) ، وهو حديث ضعيف تفرد به الترمذى .

(١) (مسلم بشرح النووى) : ٤/٢٨٥ ، كتاب الحيض ، باب (٢٤) نسخ الوضوء مما مسته النار ، حديث رقم (٣٥٧) . قال الإمام النووى : أما غطفان ، بفتح الغين المعجمة ، والطاء المهملة ، فهو ابن طريف المرى المدنى . قال الحاكم أبو أحمد : لا يعرف اسمه . قال : ويقال فى كنيته أيضاً : أبو مالك . =

ولفظ النسائي : عن أبي رافع رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : كنت أشوى لرسول الله ﷺ بطن الشاة ، وقد توضأ للصلاة ، فيأكل منه ثم يخرج إلى الصلاة ولايتوضأ(١) .

وخرج النسائي من حديث أبي هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه ، قال : طبخت لرسول الله ﷺ شاة ، فقال : ناولنى الذراع ، فناولته الذراع ، قال: ناولنى الذراع ، فناولته الذراع ، قال : ناولنى الذراع ، فقلت : يارسول الله ! إنما للشاة ذراعان ، قال : والذى نفسى بيده ، ولو سكت لنا ولتنى الذراع ما دعوت(٢) .

فصل في ذكر مواشط رسول الله ﷺ

قال ابن سيده : مَشَط شعره يمشُطه ويمشِطه مَشْطاً : رَجَّله ، والمُشاطه : ماسقط منه عند المشط . وقد امتشط ، وامتشطت المرأة ، ومشَطتها الماشطة مشطاً . والماشطة التى تحسن المشط وحرفتها المشاطة . والمشاطة الجارية التى تحسن المشاطة(٣) .

= وأما أبو رافع . فهو مولى رسول الله ﷺ ، واسمه أسلم ، وقيل : إبراهيم ، وقيل : هرمز ، وقيل : ثابت .

وقوله : بطن الشاة ، يعنى الكبد وما معه من حشوها ، وفى الكلام حذف تقديره : أشوى بطن الشاة ، فيأكل منه ثم يصلى ولا يتوضأ ، والله تعالى أعلم . (مسلم بشرح النووى) .

(١) (سنن النسائى) : ١/١١٦ ، كتاب الطهارة ، باب (١٢٣) ترك الوضوء مما غيرت النار ، حديث رقم (١٨٣) .

(٢) وأخرجه الدارمى فى (السنن) من حديث قتادة عن شهر بن حوشب ، عن أبى عبيد ، وفيه : والذى نفسى بيده أن لو سكت لأعطيت أذرعاً ما دعوت به . (سنن الدارمى) : ١/٢٢ ، باب ما أكرم به النبى ﷺ فى بركه طعامه .

(٣) (لسان العرب) : ٧/٤٠٢ - ٤٠٣ .

وذكر ابن فتجون أن أم زفر كانت ماشطة خديجة رضى الله تبارك وتعالى عنها وأنها كانت تأتى رسول الله ﷺ فيكرمها ، ويقول : أنها كانت تأتينا أيام خديجة رضى الله تبارك وتعالى عنها[١] .

وأم سليم ، سهلة ، وقيل : زميلة ، وقيل : رميثة ، وقيل : مليكة ، وقيل : الغميصاء ، أو والرميصاء ، بنت ملحان بن خالد ، بن زيد بن حرام ابن جندب الأنصارية ، وهى أم أنس بن مالك رضى الله تبارك وتعالى عنه ، خادم رسول الله ﷺ [٢].

---

(١) هى أم زُفَر : ماشطة خديجة رضى الله تبارك وتعالى عنها . ذكر عبد الغنى بن سعيد فى (المبهات) : أنها المرأة التى قال النبى ﷺ فيها : أنها كانت تغشانا فى زمن خديجة رضى الله تبارك وتعالى عنها . فروى من طريق الزبير بن بكار ، عن سليمان بن عبد الله بن سليم ، أخبرنى شيخ من أهل مكة ، قال : هى زفر ماشطة خديجة رضى الله تبارك وتعالى عنها - يعنى العجوز التى قال النبى ﷺ : إنها كانت تغشانا فى زمن خديجة .

قال الحافظ فى (الإصابة) : ومضى فى جثامة من أسماء النساء من طريق أبى عاصم ، عن أبى عامر الخزاز ، عن ابن مليكة ، عن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها ، ما يقتضى أنه كان اسمها جثامة المزنية ، فغيره النبى ﷺ ، فقال : بل أنت حضانة ، وفى رواية : حسانة ، فكونها مزنية واسمها حضانة ، يقوى أنها غير الحبشية . (الإصابة) : ٨/٢١١-٢١٢ ، ترجمة رقم (١٢٠٢٧) .

(٢) تزوجت مالك بن النضير فى الجاهلية .

هى أم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب الأنصارية .

تقدم نسبها فى ترجمة أخيها حرام بن ملحان ، وهى أم أنس خادم رسول الله ﷺ ، اشتهرت بكنيتها .

واختلف فى اسمها ، فقيل سهلة ، وقيل رميلة ، وقيل رميثة ، وقيل مليكة ، وقيل الغميصاء أو الرميصاء تزوجت مالك بن النضر فى الجاهلية ، فولدت أنساً فى الجاهلية ، وأسلمت مع السابقين إلى الإسلام من الأنصار ، فغضب مالك وخرج إلى الشام فمات بها ، فتزوجت بعده أبا طلحة ؛ فروينا فى (مسند أحمد) بعلو (الغيلانيات) ، من طريق حماد بن سلمة ، عن ثابت ، وإسماعيل بن عبد الله بن أبى طلحة ، عن أنس بن مالك - أن أبا طلحة =

= خطب أم سليم – يعنى قبل أن يسلم ، فقالت : يا أبا طلحة ، ألست تعلم أن إلهك الذى تعبد نبت من الأرض ؟ قال : بلى . قلت : أفلا تستحى تعبد شجرة ! إن أسلمت فإنى لا أريد منك صداقاً غيره .

قال : حتى أنظر فى أمرى ، فذهب ثم جاء ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فقالت : يا أنس ، زوج أبا طلحة ، فزوجها .

ولهذا الحديث طرق متعددة . وقال ابن سعد : أخبرنا خالد بن مخلد ، حدثنى محمد بن موسى ، عن عبد الله بن عبد الله بن أبى طلحة ، عن أنس بن مالك ، قال : خطب أبو طلحة أم سليم ، فقالت : إنى قد آمنت بهذا الرجل ، وشهدت بأنه رسول الله ، فإن تابعتنى تزوجتك . قال: فأنا على ما أنت عليه ، فتزوجت أم سليم ، كان صداقها الإسلام .

وبه : خطب أبو طلحة أم سليم – وكانت أم سليم تقول : لا أتزوج حتى يبلغ أنس ويجلس فى المجالس ، فيقول : جزى الله أمى عنى خيراً ، لقد أحسنت ولايتى . فقال لها أبو طلحة : فقد جلس أنس وتكلم ، فتزوجها .

قلت : والجواب عن دخوله بيت أم حرام وأختها أنهما كانتا فى دار واحدة ، وكانت تغزو مع رسول الله ﷺ ، ولها قصص مشهورة ، منها ما أخرجه ابن سعد بسندٍ صحيح أن أم سليم اتخذت خنجراً يوم حنين ، فقال أبو طلحة : يا رسول الله ؛ هذه أم سليم معها خنجر ، فقالت : اتخذته إن دنا أحد من المشركين بقرت بطنه .

ومنها قصتها المخرجة فى (الصحيح) لما مات ولدها ابن أبى طلحة ، فقالت لما دخل : لا يذكر أحد لأبى طلحة قبلى ، فلما جاء وسأل عن ولده قالت : هو أسكن ما كان ، فظن أنه عوفى، وقام فأكل ثم تزينت له وتطيبت فنام معها ، وأصاب منها فلما أصبح قالت له : احتسب ولدك ، فذكر ذلك للنبى ﷺ فقال : بارك الله لكما فى ليلتكما ، فجاءت بولد وهو عبد الله بن أبى طلحة ، فأنجب ورزق أولاداً ؛ قرأ القرآن منهم عشرة كملا .

وفى الصحيح أيضاً عن أنس – أن أم سليم لما قدم النبى ﷺ قالت : يا رسول الله ، هذا أنس يخدمك ، وكان حينئذ ابن عشر سنين ، فخدم النبى ﷺ منذ قدم المدينة حتى مات ، فاشتهر بخادم النبى ﷺ .

وروت عن النبى ﷺ عدة أحاديث ، وروى عنها ابنها أنس ، وابن عباس ، وزيد بن ثابت ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن ، وآخرون .

ذكر ابن إسحاق[1] ، والواقدى ، وسياقة الواقدى عن أنس رضى الله تبارك وتعالى عنه قال انصرفنا مع رسول الله ﷺ من خيبر ، وهو يريد وادى القرى ، ومعه أم سليم بنت ملحان ، وكان بعض القوم يريد أن يسأل رسول الله ﷺ صفية حتى مَّر بها ، فألقى عليها رداءه ثم عرض عليها الإسلام ، فقال : أن تكونى على دينك لم نكرهك ، فإن اخترت الله ورسوله اتخذتك لنفسى . قالت : بل أختار الله ورسوله ، قال : فأعتقها فتزوجها ، وجعل عتقها مهرها .

فلما كان بالصهباء ، قال لأم سليم : انظرى صاحبتك هذه ، فأمشطيها ، وأراد أن يعّرس بها هناك ، فقامت أم سليم - قال أنس : وليس معنا فساطيط ولا سرادقات - فأخذت كساءين وعباءتين فسترت بهما عليها إلى شجرة فمشطتها وعطرتها ، وأعرس بها رسول الله ﷺ هناك[2] ... وذكر بقية الخبر[3] .

---

(١) (السيرة النبوية) : ٣٠٧/٤ ، قصة صفية رضى الله تبارك وتعالى عنها .

(٢) (مغازى الواقدى) : ٧٠٧/٢ - ٧٠٨ .

(٣) وكان رسول الله ﷺ لما خرج من خيبر وكان رسول الله ﷺ لما خرج من خيبر ، وقرب بعيرها وقد سترها النبى ﷺ بثوبه ، أدنى فخذه لتضع رجلها عليه ، فأبت ووضعت ركبتها على فخذه ، فلما بلغ ثباراً أراد أن يعرس بها هناك ، فأبت عليه حتى وجد فى نفسه ، خرج بلغ الصبهاء فمال إلى دومة هناك فطاوعته ، فقال رسول الله ﷺ : ما حملك على ما صنعت حين أردت أن أنزل بثبار - وثبار على ستة أميال والصهباء على اثنى عشر ميلاً - قالت : يا رسول خفت عليك قرب اليهود ، فلما بعدت أمنت . فزادها عند النبى ﷺ خيراً وعلم أنها قد صدقته ، ودخلت عليه مساء تلك الليلة ، وأولم رسول الله ﷺ يومئذ عليها بالحيس والسويق والتمر ، كان قصاعهم الأنطاع قد بسطت ، فرئى رسول الله ﷺ يأكل معهم على تلك الأنطاع . قالوا : وبات أبو أيوب الأنصارى قريباً من قبته آخذاً بقائم السيف حتى أصبح ، فلما خرج رسول الله بكرة فكبر أبو أيوب فقال : مالك يا أبا أيوب ؟ فقال : يا رسول الله ، دخلت بهذه الجارية وكنت قد قتلت أباها وإخوتها وعمومتها وزوجها وعامة عشيرتها ، فخفت أن تغتالك . فضحك رسول الله ﷺ وقال له معروفاً .

فصل فى ذكر من كانت تعلم نساء رسول الله ﷺ

خرج الحاكم من حديث صالح بن كيسان ، قال : حدثنا إسماعيل بن محمد بن سعد أن أبا بكر بن سليمان بن أبى حثمة القرشىّ ، حدثه أن رجلاً من الأنصار خرجت به نملة ، فدل أن الشفاء بنت عبد الله ترقى من النملة ، فجاءها، فسألها أن ترقيه ، فقالت : والله ما رقيت منذ أسلمت ، فذهب الأنصارى إلى رسول الله ﷺ ، فأخبره بالذى قالت الشفاء ، فدعا رسول الله ﷺ الشفاء فقال : أعرضى علىّ ، فأعرضتها عليه ، فقال : ارقيه وعلميها حفصة كما علمتيها الكتاب . قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، وقد سمعه أبو بكر بن سليمان من جدته[1] .

وقال أبو عمر بن عبد البر : الشفاء أم سليمان بن أبى حثمة ، وهى الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس بن خلف بن صداد - ويقال : ضرار - بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب ، القرشية ، العدوية ، من المبايعات . قال أحمد بن صالح المصرى : اسمها ليلى ، وغلب عليها الشفاء . أمها فاطمة بنت أبى وهب بن عمرو بن عائذ بن عمر بن مخزوم ، أسلمت الشفاء قبل الهجرة ، فهى من المهاجرات الأول ، وبايعت النبى ﷺ ، وكانت من عقلاء النساء وفضلائهن ، وكان رسول الله ﷺ يأتيها ويقيل عندها فى بيتها ، وكانت قد اتخذت له فراشاً وإزاراً ينام فيه ، فلم يزل عند ولدها حتى أخذه منهم مروان ، وقال لها رسول الله ﷺ : علمى حفصة رقية النملة كما علمتيها الكتاب.

---

(١) (المستدرك) : ٦٣/٤ ، كتاب معرفة الصحابة ، ذكر الشفاء بنت عبد الله القرشية رضى الله تبارك وتعالى عنها ، حديث رقم (٦٨٨٨) ، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص) : على شرط البخارى ومسلم .

وأقطعها رسول الله ﷺ داراً عند الحكاكين[1] ، فنزلتها مع ابنها سليمان، وكان عمر يقدمها فى الرأى ، ويرضاها ، ويفضلها ، وربما ولاها شيئاً من أمر السوق[2] رضى الله تبارك وتعالى عنها[3] .

---

(١) موضع بالمدينة .

(٢) راجع (إمتاع الأسماع) بتحقيقنا : ٣٨٧/٩ ، فصل فى ذكر من ولى السوق فى زمن رسول الله ﷺ ، وتعرف هذه الولاية اليوم بالحسبة ، ومتوليها يقال له المحتسب .

(٣) (الاستيعاب) : ١٨٦٨/٤ - ١٨٦٩ ، ترجمة رقم (٣٣٩٨) .

وقال الحافظ فى (الإصابة) : روى عنها حفيداها : أبو بكر ، وعثمان ابنا سليمان بن أبى حثمة ، وروى عنها أيضاً ابنها سليمان ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن ، وحفصة أم المؤمنين، ومولاها أبو إسحاق .

وفى (المسند) ، من طريق المسعودى ، عن عبد الله الملك بن عمير ، عن رجل من آل أبى حثمة ، عن الشفاء بنت عبد الله ، وكانت من المهاجرات ، أن رسول الله ﷺ سئل عن أفضل الأعمال فقال : إيمان بالله ، وجهاد فى سبيله ، وحج مبرور .

وأخرج ابن منده حديث رقية النملة من طريق الثورى ، عن ابن المنكدر ، عن ابى بكر ابن سليمان بن أبى حثمة ، عن حفصة ، أن امرأة من قريش يقال لها الشفاء ، كانت ترقى من النملة ؛ فقال النبى ﷺ : علميها حفصة . وذكر الاختلاف فى وصله وإرساله على الثورى . (الإصابة) : ٨٢٨/٧ ، ترجمة رقم (١١٣٧٣) .

وحديث رقية النملة أخرجه أبو داود فى (السنن) : ٢١٥/٤ ، كتاب الطب ، باب (١٨) ما جاء فى الرقى ، حديث رقم (٣٨٨٧) .

وأخرجه الإمام أحمد فى (المسند) : ٥١٦/٧ ، حديث رقم (٢٦٥٥٥) من حديث الشفاء بنت عبد الله رضى الله تبارك وتعالى عنها . والياء فى " علمتيها " ناشئة عن إشباع كسرة .

قال العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبى بكر بن قيم الجوزية فى (زاد المعاد) : النملة قروح تخرج فى الجنبين ، وهو داء معروف ، وسمى نملة ، لأن صاحبه يحس فى مكانه كأن نملة تدب عليه وتعضه ، وأصنافها ثلاثة ، قال ابن قتيبة وغيره : كان المجوس يزعمون أن ولد الرجل من أخته إذا خُطّ على النملة ، شفى صاحبها ، ومنه قول الشاعر :

=

فصل فى ذكر قابلة أولاد رسول الله ﷺ

قال ابن سيده : قبلت القابلة الولد قبالاً ، أخذته من الوالدة وهى قابلة المرأة وقبولها ، وقبيلها [١] .

ذكر ابن إسحاق ، والواقدى ، والبلاذرى ، وابن عبد البر[٢] وغيرهم : أن سلمى خادم النبى ﷺ ، قبلت إبراهيم ابن النبى ﷺ وكانت قابلة فاطمة رضى

= ولاعيب فينا غير عُرف لمعشر
كرامٍ وأنّا لا نَخُطّ على النّمْلِ

وروى الخلال : أن الشفاء بنت عبد الله كانت ترقى فى الجاهلية من النملة ، فلما هاجرت إلى النبى ﷺ وكانت بايعته بمكة ، قالت : يا رسول الله ! إنى كنت أرقى فى الجاهلية من النملة، وإنى أريد أن أعرضها عليك ، فعرضت عليه فقالت : بسم الله ضلّت حتى تعود من أفواهها ، ولاتضر أحداً ، اللهم اكشف البأس ربَّ الناس قال : ترقى بها على عود سبع مرات ، وتقصد مكاناً نظيفاً ، وتدلكه على حجر بخلّ خمر حاذق ، وتطليه على النملة . (زاد المعاد) : ١٨٤/٤ – ١٨٥ ، فصل فى هديه ﷺ فى رقية النملة .

قال الخطابى فى (معالم السنن) : النملة قروح تخرج فى الجنبين ، ويقال : أنها تخرج أيضاً فى غير الجنب ، ترقى ، فتذهب بإذن الله تعالى . وفى الحديث دليل على أن تعليم الكتابة للنساء غير مكروه .

(١) (لسان العرب) : ٥٤٣/١١-٥٤٤ .

(٢) (الاستيعاب) : ١٨٦٢/٤ – ١٨٦٣ ، ترجمة (٣٣٨٣) ،وقال : وشهدت سلمى هذه خيبرمع رسول الله ﷺ . من حديثها عن النبى ﷺ ما حدثنا عبد الوارث بن سفيان ، حدثنا قاسم بن ، أصبغ حدثنا أحمد بن زهير بن حرب ، حدثنا عبد الله بن محمد الكرمانى ، حدثنا عبدة بن سليمان ، عن حارثة أبن عبيد الله بن أبى رافع ، عن جدته – وكانت خادماً للنبى ﷺ – أن رسول الله ﷺ أوصى بالهجرة ،و قال : إن إمراة عذبتّ فى هرة ربطتها فلم تطعمها ، و لم تتركها تأكل من خشاش الأرض . =

الله تبارك وتعالى عنها ، وهى التى غسلتها مع على بن أبى طالب رضى الله تبارك وتعالى عنه ، و مع أسماء بنت عميس .

فصل فى ذكر مرضعة إبراهيم ابن رسول الله ﷺ

قال البلاذرى : وتنافست [نساء] الأنصار فى إبراهيم [ابن رسول الله ﷺ] ، أيهم تحضنه وترضعه ، حتى جاءت أم بردة[1] ، و هى كبشة بنت المنذر ابن زيد بن لبيد بن خراش ، من بنى النجار ، فدفعه إليها لترضعه .

وزوج أم بردة البراء بن أوس بن خالد ، من بنى مبذول بن عمرو بن غنيم بن مازن بن النجار[2] فكان إبراهيم فى بنى مازن ، إلا أن أمه كانت تأتى به - ثم يعاد إلى منزل ظئره - أم بردة ، و كان رسول الله ﷺ يأتى أم بردة فيقيل عندها ، و تخرج إليه إبراهيم فيحمله .

= قال الحافظ فى (الإصابة) : سلمى ، مولاة صفية . ذكر الواقدى أنها كانت قابلة خديجة رضى الله تبارك وتعالى عنها ، عند ولادة أولادها من النبى ﷺ . (الإصابة) : ٧/ ٧١١ ، ترجمة رقم (١١٣٢٠) .

(١) (الإستيعاب) : ٤/ ١٩٢٦ ، ترجمة رقم (٤١٢٦) .

(٢) هو البراء بن أوس بن خالد بن الجعد بن عوف بن مبذول الأنصارى قال ابن شاهين : عن محمد بن إبراهيم ، عن محمد بن زيد، عن رجاله ، أنه شهد أحداً وما بعدها ، قال : وهو زوج مرضعة إبراهيم ابن النبى ﷺ واسمها خولة بنت المنذر بن زيد .

وقال الواقدى : عن يعقوب بن محمد بن أبى صعصعة ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة ، عن البراء بن أوس بن خالد ، أنه قاد مع النبى ﷺ فرسين ، فضرب له بخمسة أسهم.

وذكره أبو نعيم ؛ وقال أبو عمر : هو والد إبراهيم بن النبى ﷺ من الرضاعة . زوج أم بردة التى أرضعته . (الإصابة) :١/٢٧٧ - ٢٧٨ ، ترجمة رقم (٦١٦) ، (الاستيعاب):١/١٥٣ ، (١٧١) .

قال : وأعطى رسول الله ﷺ أم بردة قطعة من نخل . قال : وتوفى إبراهيم .

فصل فى ذكر من كان يُضحك رسول الله ﷺ

اعلم أن عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد [أوسعيد] بن سهم . أبو حذافة القرشىّ السهمىّ ، أحد المهاجرين الأولين ، كانت فيه دعابة معروفة(١) .

ذكر الزبيربن بكار قال : حدثنى عن الجبار بن سعد ، عن عبد الله بن وهب عن الليث ، عن سعد ، قال : بلغنى أنه حلّ حزام راحلة رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره ، حتى كاد رسول الله ﷺ يقع . قال ابن وهب : قلت لليث : ليضحكه ؟ قال ، كانت فيه دعابة .

---

(١) هو عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم القرشىّ ، السهمىّ ، يكنى أبا حذافة ، كناه الزهرى ، أسلم قديماً ، وكان من المهاجرين الأولين ، هاجر إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية مع أخيه قيس بن حذافة فى قول ابن إسحاق والواقدى ، وخنيس بن حذافة الذى كان زوج حفصة قبل النبى ﷺ . يقال : إنه شهد بدراً ، ولم يذكره ابن إسحاق فى البدريين ، روى محمد ابن عمرو بن علقمة عن عمرو بن الحكم بن ثوبان ، عن أبى سعيد الخدرى ، قال : كان عبد الله ابن حذافة بن قيس السهمى من أصحاب بدر ، وكانت فيه دعابة .

قال أبو عمرو : كان عبد الله بن حذافة رسول الله ﷺ إلى كسرى بكتاب رسول الله ﷺ يدعوه إلى الإسلام ، فمزق كسرى الكتاب ، فقال رسول الله ﷺ اللهم مزق ملكه ، وقال : إذا مات كسرى فلا كسرى بعده . قال الواقدى: فسلط الله على كسرى ابنه شيرويه ، فقتله ليلة الثلاثاء لعشر مضين من جمادى سنة سبع .

وعبد الله بن حذافة هو القائل لرسول الله ﷺ حين قال : سلونى عما شئتم: من أبى ؟ قال: أبوك حذافة بن قيس ، فقالت له أمه : ما سمعت بابن أعق منك ، أمنت أن تكون أمك قارفت ما تقارف نساء أهل الجاهلية فتفضحها على أعين الناس ! فقال : والله لو ألحقنى بعبد أسود للحقت به . وكانت فى عبد الله بن حذافة دعابة معروفة .(الاستيعاب) :٨٨٩/٣ - ٨٩٠ .

قال الزبير : هكذا قال ابن وهب ، عن الليث : حلّ حزام راحلة رسول الله ﷺ ، ولم يكن لابن وهب علم بلسان العرب ، وإنما تقول العرب لحزام الراحلة : غرْطة ، إذا ركب بها على رحل ، فإن ركب بها على جمل فهي بطان، وإن ركب بها على فرس فهي حزام ، وإن ركب بها على رحل أنثى فهو وضين[1] .

قلت - أي المقريزي -: هكذا نقل أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر[2] .

وقد خرج الحاكم في (المستدرك)[3] من حديث يحي بن بكير قال أنبأنا عبد العزيز بن محمد ، عن محمد بن عمرو بن علقمة ، عن عمرو أبن الحكم ابن ثوبان ، عن أبي سعيد الخدري ، رضي الله تبارك وتعالى عنه ، قال : بعث رسول الله ﷺ علقمة بن محرز على بعث ، فلما بلغنا راس مغزانا أذن لطائفة من الجيش ، و أمر عليهم عبد الله بن حذافة بن قيس السهمي ، وكان من أهل بدر ، وكانت فيه دعابة ، فإنه كان يحل رحل ناقة رسول الله ﷺ في بعض أسفاره ليضحكه بذلك وكان الروم قد أسروه في زمن عمر بن الخطاب رضي الله تبارك وتعالى عنه ، فأرادوه على الكفر ، فعصمه الله عزّ وجل حتى أنجاه الله تبارك وتعالى منهم .

---

(١) قال أبو عمر : شاهد ذلك ما روى أن عمر بن الخطاب رضي الله تبارك وتعالى عنه سار في بعض حجاته . فلما أتى وادى مُحَسِّر ، فضرب فيه راحلته حتى قطعته وهو يرتجز :

إليك تعدو قلقاً وضينها ... مخالفاً دين النصارى دينها

معترضاً في بطنها جنينها ... قد ذهب الشحم الذى يزينها

(المرجع السابق) : ٨٩٠ .

قال خليفة بن خياط : وفي سنة تسع عشرة أسرت الروم عبد الله بن حذافة السهمي .

(٢) (المرجع السابق) .

(٣) (المستدرك) : ٣/ ٧٣١ ، كتاب معرفة الصحابة ، ذكر عبد الله بن حذافة السهمي ، حديث رقم (٦٦٣٩) ، وقد سكت عنه الذهبي في (التلخيص) .

وقال الزبير بن بكار فى كتاب (نسب قريش) : وعبد الله بن حذافة كان من أصحاب رسول الله ﷺ ، وهو رسوله بكتابه إلى كسرى ، وهو الذى أمره أيام التشريق أن ينادى فى الناس : إنها أيام أكل وشرب .

قال ابن عبد البر : ومن دعابة عبد الله بن حذافة أن رسول الله ﷺ أمرة على سرية ، فأمرهم أن يجمعوا حطباً ويوقدوا ناراً ، فلما أوقدوها ، أمرهم بالتقحم فيها ، فأبوا ، فقال لهم : ألم يأمركم رسول الله ﷺ بطاعتى ؟ وقال : من أطاع أميرى فقد أطاعنى ؟ فقالوا : ما آمنا بالله وإتبعنا رسول الله إلا لننجوا من النار . فصوّب رسول الله ﷺ فعلهم وقال : لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق. قال الله تعالى:(**ولا تقتلوا أنفسكم**)[1] : وهو حديث صحيح الإسناد مشهور[2] .

قال الواقدى[3] : حدثنى موسى بن محمد ، عن أبيه ، وإسماعيل بن إبراهيم بن عبد الرحمن ، عن أبيه - زاد أحدهما على صاحبة - قالا : بلغ رسول الله ﷺ أن ناساً من الحبشة تراياهم أهل الشعيبة - ساحل بناحيةً مكة - فى مراكب ، فبلغ النبى ﷺ ،فبعث علقمة بن مجزر المدلجى فى ثلاثمائة رجل ، حتى انتهى إلى جزيرة فى البحر ، فخاض إليهم فهربوا منه ، ثم انصرف ، فلما كان ببعض المنازل استأذنه بعض الجيش فى الانصراف حيث لم يلقوا كيداً .

فأذن لهم ، وأمرّ عليهم عبد الله بن حذافة السهمىّ - وكانت فيه دعابة - فنزلنا ببعض الطريق ، وأوقد القوم ناراً يصطلون عليها ويصنعون الطعام ، فقال : عزمت عليكم ألا تواثبتم فى هذه النار ! فقام بعض القوم فتحاجزوا حتى ظن أنهم واثبون فيها ، فقال : اجلسوا ، إنما كنت أضحك معكم ! فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال : من أمركم بمعصية فلا تطيعوه !

---

(١) النساء : ٢٨

(٢) (الاستيعاب) : ٣/٨٩٠ .

(٣) (مغازى الواقدى) : ٣/٩٨٣ - ٩٨٤ ، شأن سرية أميرها علقمة بن مجزر المدلجى فى ربيع الآخر سنة تسع .

وخرج البخارى[1] ومسلم[2] هذا الحديث من حديث الأعمش . عن سعد ابن عبيدة ، عن أبى عبد الرحمن ، عن علىّ قال : بعث رسول الله ﷺ سرية ،

---

(١) (فتح البارى) : ١٣/ ١٥٢ ، كتاب الأحكام ، باب (٤) السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية ، حديث رقم (٧١٤٥) .

قوله " السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية " إنما قيده بالإمام وإن كان فى أحاديث الباب الأمير ، ولم يكن إماماً ، لأن محل الأمر بطاعة أن يكون مؤمراً من قبل الإمام .

قوله : " لو دخلوها ما خرجوا منها " قال الداودى : يريد تلك النار ، لأنهم يموتون بتحريقها ، فلا يموتون منها أحياء .

قال : وليس المراد بالنار نار جهنم ، ولا أنهم مخلدون فيها ، لأنه قد ثبت فى حديث الشفاعة : " يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال حبة من إيمان "

وأخرجه فى كتاب المغازى ، باب (٦٠) سرية عبد الله بن حذافة السهمى وعلقمة بن مجزر المدلجى ، ويقال : إنها سرية الأنصارىّ ، حديث رقم (٤٣٤٠) .

وأخرجه فى كتاب (أخبار الآحاد) ، باب (١) ما جاء فى إجازة خبر الواحد الصدوق فى الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام ، وقوله الله تعالى :﴿ **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون**﴾.[التوبة]:١٠٧.

ويسمى الرجل طائفة لقوله تعالى التوبة : ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا** ﴾ فلو اقتتل رجلان دخلا فى معنى الآية . وقوله تعالى : ﴿ **إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا** ﴾ .

وكيف بعث النبى ﷺ أمراءه واحداً بعد واحد ، فإن سها أحدٌ منهم رُدّ إلى السنة ، حديث رقم (٧٢٥٧) .

وفى الحديث من الفوائد : أن الحكم حال الغضب ينفذ منه ما لا يخالف الشرع ، وأن الغضب يغطى على ذوى العقول ، وفيه أن الإيمان ينجى من النار لقولهم " إنما فررنا إلى النبى ﷺ من النار " الفرار إلى النبى ﷺ فرار إلى الله ، والفرار إلى الله يطلق على الإيمان .

قال الله تعالى : ﴿ **ففروا إلى الله إنى لكم منه نذير مبين** ﴾ وفيه أن الأمر المطلق لا يعم الأحوال ، لأنه ﷺ أمرهم أن يطيعوا الأمير ، فحملوا ذلك على عموم الأحوال ، حتى فى حال الغضب ، فى حال الأمر بالمعصية ، وأستنبط منه الشيخ أبو محمد بن أبى حجرة ، أن الجمع =

وأستعمل عليهم رجلاً من الأنصار وأمرهم أن يسمعوا لـه ويطيعوا ، فأغضبوه في شئ فقال : اجمعوا لى حطباً ، فجمعوا له ، ثم قال : أوقدوا ناراً ، فأوقدوا ثم قال : ألم يأمركم رسول الله ﷺ أن تسمعوا لى وتطيعوا ؟ قالوا : بلى .

قال : فنظر بعضهم إلى بعض ! فقالوا : انما فررنا إلى رسول الله ﷺ من النار، فكانوا كذلك ، وسكن غضبه ، وطفئت النار ، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبى ﷺ ، فقال : لو دخلوها ما خرجوا منها ، إنما الطاعة فى المعروف واللفظ لمسلم .

[قال : وحدثنا أبوبكر بن أبى شيبة ، حدثنا وكيع ، وأبو معاوية بهذا الإسناد نحوه] .

وقال البخارى فى حديثه : فلما هموا بالدخول [فقاموا] ينظر بعضهم إلى بعض ، فقال بعضهم : إنما تبعنا النبى ﷺ فراراً من النار ! أفندخلها ؟ فبينما هم كذلك .... الحديث . وقال فى آخره : ما خرجوا منها أبداً

ذكره فى كتاب الأحكام ، وذكره مسلم فى كتاب الإمارة ، وقال البخارى فى كتاب المغازى ، فى سرية عبد الله بن حذافة السهميّ وعلقمة بن مجزر المدلجي - ويقال لها : سرية الأنصارى - وذكر حديث الأعمش بنحو مما تقدم أو قريباً منه .

= من هذه الأمة لا يجتمعون على خطأ ، لانقسام السرية قسمين : منهم من هان عليه دخول النار فظنه طاعة ، ومنهم من فهم حقيقة الأمر ، وأنه مقصور على ما ليس بمعصية ، فكان إختلافهم سبباً لرحمة الجميع . قال : وفيه أن من كان صادق النية لا يقع إلا فى خير ، ولو قصد الشر فإن الله تعالى يصرفه عنه .

ولهذا قال بعض أهل المعرفة : من صدق مع الله وقاه الله ، ومن توكل على الله كفاه الله. (فتح البارى) .

(٢) (مسلم بشرح النووى) : ٤٧٠/١٢ ، كتاب الإمارة ، باب (٨) وجوب طاعة الأمراء من غير معصية ، وتحريمها فى المعصية حديث رقم (٤٠) ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (صحيح مسلم).

وذكره مسلم[١] وذكره النسائى[٢] أيضاً من حديث شعبة عن زبيد عن سعد بن عبيدة ، عن أبى عبد الرحمن ، عن على رضى الله تبارك وتعالى عنه قال :إن رسول الله ﷺ بعث جيشاً وأمّر عليه رجلاً ، فأوقدوا ناراً ، وقال : إدخلوها ، فأراد ناس أن يدخلوها ، وقال الآخرون : إنما فررنا منها ، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال للذين أرادوا أن يدخلوها : لو دخلوها لم يزالوا فيها إلى يوم القيامة ، وقال للآخرين قولاً حسناً ، وقال لا طاعة فى معصية ، إنما الطاعة فى المعروف . اللفظ لمسلم .

وقال فيه البخارى : وقال للآخرين : لاطاعة فى معصية ، إنما الطاعة فى المعروف . ولم يذكر : قولاً حسناً .وقال النسائى فى آخره : وقال للآخرين خيراً .

---

(١) (مسلم بشرح النووى) : ١٢/ ٤٦٩ - ٤٧٠ ، كتاب الإمارة باب (٨) وجوب طاعة الأمراء من غير معصية ، وتحريمها فى المعصية ، حديث رقم (٤٠) ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (صحيح مسلم) .

(٢) (سنن النسائى) : ٧/ ١٧٩ ، كتاب البيعة ، باب (٣٤) جزاء من أمر بمعصية فأطاع ، حديث رقم (٤٢١٦) .

وأخرجه أيضا أبو داود فى (السنن) :٣ / ٩٣ -٩٤ ، كتاب الجهاد ، باب (٩٦) فى الطاعة ، حديث رقم (٢٦٢٥) .

قال الخطابى هذه القصة وما ذكر فيها من شأن النار والوقوع فيها ، يدل على أن المراد به طاعة الولاة ، وأنها لا تجب إلا فى المعروف ، كالخروج فى البعث إذا أمر به الولاة ، وفى الأمور التى هى طاعات ومعاون للمسلمين ومصالح لهم ، فأما ماكان فيها معصية كقتل النفس المحرمة ، وما أشبهه ، فلا طاعة لهم فى ذلك .

وقد يفسر قوله : " لاطاعة فى معصية الله " تفسيراً آخر ، وهو أن الطاعة لاتسلم صاحبها ولا تخلص إذا كانت مشوبة بالمعصية ، وإنما تصح الطاعات مع اجتناب المعاصى (معالم السنن) .

وأخرجه أيضاً الإمام أحمد فى (المسند) : ١٥١/١ ، حديث رقم (٧٢٦) ، ١/ ٢٠٠ ، حديث رقم (١٠٢١) ، كلاهما من مسند على بن أبى طالب ، رضى الله تبارك وتعالى عنه .

ولعمر بن عمرو بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن غنم بن مالك بن النجار ويقال فيه : نعيمان – قال ابن الكلبى : كان النبي ﷺ إذا نظر إلى نعيمان لم يتمالك نفسه أن يضحك ، فأشترى نعيمان يوماً بعيراً ينحره ولم يعط ثمنه ، فجاء صاحبه يشكوه إلى النبى ﷺ [فقال] اذهبوا بنا نطلبه ، فوجده ، فقال النبى ﷺ : هذا نعمان لصاحب البعير ، فقال نعمان : لاجرم ، لا يغرم البعير عندك ، فغرمه عنه النبى ﷺ .أمه فطيمة الكاهنة .

وقال ابن عبد البر : شهد العقبة الآخرة . وهو من السبعين فيها ، فى قول ابن إسحاق ، وشهد بدراً والمشاهد كلها . رضى الله تبارك وتعالى عنه[1] .

---

(١) هو النعيمان بن عمرو بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار الأنصارى . وفى (مسند محمد بن هارون الرويانى) : حدثنا خالد بن يوسف ، حدثنا أبو عوانة ، عن عمرو بن أبى سلمة ، عن أبيه ، قال : مات عبد الرحمن بن عوف عن أربع نسوة: أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط ، وأخت نعيمان .

قال البخارى ، وأبو حاتم وغيرهما : له صحبة . وذكره موسى بن عقبة ، عن ابن شهاب الزهرى ، وأبو الأسود ، عن عروة وغيرهما فيمن شهدا بدراً وذكر ابن إسحاق أنه شهد العقبة الأخيرة ، وقال ابن سعد : شهد بدراً ، وأحداً ، والخندق والمشاهد كلها .

ذكره الزبير بن بكار فى كتاب (الفكاهة والمزاح) من طريق أبى طوالة ، عن أبى بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم ، عن أبيه ، قال : كان بالمدينة رجل يقال له النعيمان يُصيب من الشراب ؛ فذكر نحوه ، وبه أن رجلاً من أصحاب النبى ﷺ قال للنعيمان : لعنك الله ، فقال له النبى ﷺ : لا تفعل ، فإنه يحب الله ورسوله .

وقد بينت فى (فتح البارى) أن قائل ذلك عمير ، لكنه قاله الله الذى كان يلقب حماراً فهو يقوى قول من زعم أنه ابن النعيمان ، فيكون ذلك وقع للنعيمان وابنه ، ومن يشابه أباه فما ظلم .

قال الزبير : وكان لا يدخل المدينة طرفه إلا اشترى منها ، ثم جاء بها النبى ﷺ ، فيقول: ها أهديته لك ، فإذا جاء صاحبها يطلب نعيمان بثمنها أحضره إلى النبى ﷺ ، وقال : أعط هذا ثمن متاعه ، فيقول : أو لم تهده لى ؟ فيقول : إنه والله لم يكن عندى ثمنه ، ولقد أحببت أن تأكله ، فيضحك ، ويأمر لصاحبه بثمنه . =

- وأخرج الزبير قصة البعير بسياق آخر من طريق ربيعة بن عثمان ؛ قال : دخل أعرابي على النبي ﷺ وآله وسلم ، وأناخ ناقته بفنائه ، فقال بعض الصحابة للنعيمان الأنصاري : لو عقرتها فأكلناها ، فإنا قد قرمنا ، إلى اللحم . ففعل ، فخرج الأعرابي وصاح : واعقراه يا محمد. فخرج النبي ﷺ ؛ فقال : من فعل هذا ؟ فقالوا : النعيمان ، فاتبعه يسأل عنه حتى وجده قد دخل دار ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب ، واستخفى تحت سرب لها فوقه جريد ، فأشار رجل إلى النبي ﷺ وآله وسلم حيث هو ، فقال : ماحملك على ماصنعت ؟ قال : الذين دلوك عليَّ يا رسول الله ؛ هم الذين أمروني . قال : فجعل يمسح التراب عن وجهه ويضحك ثم غرمها للإعرابي .

وقال الزبير أيضاً : حدثني عمي ، عن جدي ؛ قال : كان مخرمة بن نوفل قد بلغ مائة وخمس عشرة سنة ، فقام في المسجد يريد أن يبول فصاح به الناس : المسجد ! المسجد ! فأخذ نعيمان بن عمرو بيده وتنحى به ثم أجلسه في ناحية أخرى ، فقال له : بل هاهنا . قال : فصاح به الناس . فقال ويحكم : فمن أتى به إلى هذا الموضع ؟ قالوا : النعيمان . قال : أما إن لله على إن ظفرت به أن أضربه بعصاي هذه ضربة تبلغ منه ما بلغت . فبلغ ذلك نعيمان ، فمكث ما شاء الله ؛ ثم أتاه يوماً وعثمان قائم يصلي في ناحية المسجد ، فقال لمخرمة : هل لك في نعيمان ؟ قال : عم . قال : فأخذ بيده حتى أوقفه على عثمان ، وكان إذا صلى لا يلتفت ، فقال : دونك هذا نعيمان ، فجمع بيده بعصاه فضرب عثمان فشجه ، فصاحوا به : ضربت أمير المؤمنين .....فذكر بقية القصة .

وقال عبد الرازق : أنبأنا معمر ، عن أيوب ، عن محمد بن سيرين – أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ نزلوا بماء ، وكان النعيمان بن عمرو يقول لأهل الماء : يكون كذا وكذا، فيأتونه باللبن والطعام ، فيرسله إلى أصحابه ، فبلغ أبا بكر خبره ، فقال : أراني آكل من كهانة النعيمان منذ اليوم ، فاستقاء ما في بطنه .

قلت : وقد استقاء أ[و بكر ما أكل من جهة كهانة عبد كان يخدمه ، أخرجها البخاري ، وهي غير هذه القصة ؛ فإن فيها أنه قال : كنت تكهنت لهم في الجاهلية . له ترجمة (الإصابة): ٤٦٣/٦ – ٤٦٦ ، ترجمة رقم (٨٧٩٤) ، (الاستيعاب) : ١٥٠٣/٤ ، ترجمة رقم (٢٦٢١) .

فصل فى ذكر بناء رسول الله ﷺ مسجده وبيوته

اعلم أن لرسول الله ﷺ بالمدينة مسجدين بناهما ، أحدهما مسجد قباء ، والآخر مسجده ، الذى بنى حجر نسائه بجواره ، وهو المعروف المشهور ، الذى تُشد إليه الرحال ، ومثابة الناس ، عربهم وعجمهم ، من أقطار الأرض فى كل عام ، حيث قبره المقدس ﷺ وكانت فى المدينة فيما ذكر البلاذرى تسعه مساجد ، وكانوا يصلون فيها ويجتمعون مع رسول الله ﷺ .

أما مسجد قباء

فقال البلاذرى : وكان من يقدم رسول الله ﷺ إلى المدينه ، بعد أبى سلمة بن عبد الأسد ، ومن نزلوا عليه بقباء[1] ، بنوا مسجداً يصلون فيه ،

---

(١) قباء : بالضم : وأصله أسم بئر هناك ، عرفت القرية بها ، وهى مساكن بنى عمرو بن عوف من الأنصار وألفه واو يمد ويقصر ويصرف ولا يصرف ، وقال عياض : وأنكر البكرى فيه القصر قال أبو حنيفة ، رحمه الله فى إشتقاق قبا : إنه مأخوذ من القبو وهو بالضم والجمع ولم يذكر أهو جمع أو مفرد ، ولايصح أن يكون على قوله جمعاً لأن فعل لا يجمع على فعل يجمع فيما علمت .

وهى قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة بها أثر بنيان كثير وهناك مسجد التقوى عامر قدّامة رصيفُ وفضاء حسن وآبار ومياه عذبة وبها مسجد الضرار يتطوع العوامّ بهدمه ، كذا قال البشارى ، قال أحمد بن يحى بن جابر : كان المتقدمون فى الهجرة من أصحاب رسول الله ﷺ ومن نزلوا عليه من الأنصار بنوا بقباء مسجداً يصلون فيه الصلاة سنةً إلى البيت المقدس ، فلما هاجر رسول الله ﷺ ، وورد قباء صلى بهم فيه ، وأهل قباء يقولون هو المسجد الذى أسس عل التقوى من أول يوم ، وقيل : إنه مسجد رسول الله ﷺ ، وقد وسع مسجد قباء وكبر بعدُ ، وكان عبد الله بن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه ، إذا دخله صلّى إلى الأسطوانه المحلقة، وكان ذلك مصلى رسول الله ﷺ ، وأقام لما هاجر بقباء يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وركب يوم الجمعة يريد المدينة فجمّع فى مسجد بنى سالم بن =

والصلاه يومئذ إلي بيت المقدس ، فجعلوا قبلته إلى ناحيه بيت المقدس ، فلما قدم رسول الله ﷺ صلى بهم فيه .

وقال[الوزير الفقيه أبى عبيد ، عبد الله بن عبد العزيز البكرى الأندلسى[1]] فى (معجم ما استعجم [من أسماء البلاد والمواضع]) : من العرب من يُذكره ويصرفه ، ومنهم من يؤنثه ولا يصرفه .

وذكر ابن زبالة : أنها إنما سميت قباء ببئر كانت تسمى قباء ، يتطيرون منها فسموها قباء .

وقال ابن إسحاق[2] فأقام رسول الله ﷺ بقباء فى بنى عمرو بن عوف يوم الاثنين ، ويوم الثلاثاء ، ويوم الأربعاء ، ويوم الخميس .

وقيل : أقام اثنين وعشرين ليله حكاه يحى. وفى (صحيحه) : أقام فيهم أربعة عشرة ليلة .

قال ابن إسحاق[3] : وأسس مسجده ، ثم أخرجه الله تعالى من بين أظهرهم يوم الجمعه ، وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك ، فيقال : أقام ثلاثاً وعشرين ليلة ، ويقال : بضع عشرة ليلة .

وقال موسى بن عقبة : ومكث رسول الله ﷺ فى بنى عمرو بن عوف ثلاث ليال . ويقول بعض الناس : بل مكث أكثر من ذلك ، وأخذ فيهم مسجداً وأسسه ، وهو الذى ذكر فى القرآن الكريم أنه أسس على التقوى [4] .

وقال أبو القاسم السهيلى : وذكر ابن أبى خيثمة أن رسول الله ﷺ أسسه كان هو أول من وضع حجراً فى قبلته ، ثم جاء أبو بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه بحجر فوضعه ، ثم جاء عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه بحجر

= عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج فكانت أول جمعة جُمّعت فى الإسلام ، وقد جاء فى فضائل مسجد قباء أحاديث كثيرة .

(١) ما بين الحاضرتين زيادة للسياق والبيان ، (معجم ما أستعجم) : ٣/ ١٠٤٥ .

(٢) (سيرة ابن هشام) : ٢٢/٣ .

(٣) (سيرة ابن هشام) : ٢٢/٣ .

(٤) (المرجع السابق) .

فوضعه إلى حجر أبى بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه ، ثم أخذ الناس فى البنيان .

وعن الشموس بنت النعمان[1] قالت : كان رسول الله ﷺ حين بنى مسجد قباء ، أتى بالحجر قد صهره إلى بطنه فيضعه ، فيأتى الرجل يريد أن يقله فلا يستطيع ، حتى يأمره أن يدعه ويأخذ غيره صهره وأصهره إذا ألصقه بالشئ ، ومنه اشتقاق الصهر فى القرابة [2] .

---

(١) هى الشموس بنت النعمان بن عامر بن مجمع الأنصارية ، مدنية ، روى عنها عبيد بن وديعة أن رسول الله ﷺ حين بنى مسجده كان جبرائيل يؤم الكعبة ويقيم له قبلة المسجد ، ذكرها أبو عمر مختصراً . ووصله ابن أبى عاصم ، والحديث المذكور من طريق يعقوب بن محمد [الزهرى ، عن عاصم بن سويد ، عن عتبة ، وأخرجه الزبير بن بكار فى (أخبار المدينة)، عن محمد بن الحسن] المخزومى ، عن عاصم مطولا . وكذلك أخرجه الحسن بن سفيان وابن منده، من طريق سلمة ، عن عاصم بن سويد ، لكن خالف فى شيخ عاصم ، فقال : عن أبيه ، عن الشموس بنت النعمان ؛ قالت : كأنى أنظر إلى رسول الله ﷺ حين قدم وأسس هذا المسجد مسجد قباء ، فرأيته يأخذ الصخرة أو الحجر حتى بصهرة الحجر ، وأنا أنظر إلى بياض التراب على بطنه ، فيأتى الرجل فيقول : يا رسول الله ، أعطنى أكفلة ، فيقول : لا ، خذ حجراً مثله . حتى أسسه ، ويقول : إن جبريل يؤم الكعبة . فكان يقال : إنه أقوم مسجد قبلة وفى رواية محمد ابن الحسن بالسند المذكور إلى عتبة – أن الشموس بنت النعمان أخبرته، وكانت من المبايعات ، فذكره ؛ وفيه : فيأتى الرجل من قريش أو الأنصار . وفيه : فيقولون تراءى له جبريل حتى أم له القبلة ، قال عتبة : فنحن نقول : ليس قبلة أعدل منها وقد استشكل ابن الأثير قوله فى رواية شبابة يؤم الكعبة بعد ذلك ؛ وخطر لى فى جوابه أنه أطلق الكعبة وأراد القبلة أوالكعبة على الحقيقة ، وإذا بين له جهتها كان إذا أسند برها استقبل بيت المقدس ، وتكون النكته فيه أنه سيحول إلى الكعبة ، فلا يحتاج إلى تقويم آخر ، فلما وقع لى سياق محمد بن الحسن رجح الاحتمال الأول . (الإصابة) : ٧٣١/٧ – ٧٣٢ . ترجمة رقم (١١٣٨١) .

(٢) (لسان العرب) : ٤٧٢/٤ .

قال : وهذا المسجد فى الإسلام ، وفى أهله نزلت : ﴿ **فيه رجال يحبون أن يتطهروا** ﴾[١] : فهو على هذا هو المسجد الذى أسس على التقوى ، وإن كان قد روى أبو سعيد الخدرى رضى الله تبارك وتعالى عنه أن رسول الله ﷺ سئل عن المسجد الذى أسس على التقوى فقال : مسجدى هذا . وفى رواية أخرى قال: وفى الآخر خير كثير .

وقد قال لبنى عمرو بن عوف حين نزلت : ﴿ **لمسجد أسس على التقوى** ﴾[٢] : ما الطهور الذى من الله به عليكم ؟ فذكروا له الاستنجاء بالماء بعد الاستجمار بالحجارة ، فقال : هو ذاكم فعليكموه . وليس بين الحديثين تعارض ، كلاهما أسس على التقوى ، غير أنه قوله سبحانه : ﴿ **من أول يوم** ﴾[٣] يقتضى مسجد قباء ، لأن تأسيسه كان من أول يوم من حلول رسول الله ﷺ دار هجرته ، والبلد الذى هو مهاجره . قلت : حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله تبارك وتعالى عنه . الذى أشار إليه أبو القاسم السهيلى خرجه مسلم[٤] من طريق يحى بن سعيد عن حميد الخراط قال : سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن قال : مر بى عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى ، قال : فقلت : كيف سمعت اباك يذكر فى المسجد الذى أسس على التقوى ؟ قال : فأخذ كفاً من حصباء ، فضرب به الأرض ، ثم قال: هو مسجدكم هذا ، لمسجد المدينة قال : فقلت : اشهد أنى سمعت أباك هكذا ذكره .

و ذكره من طريق حاتم بن إسماعيل ، عن حميد ، عن أبى سلمة عن أبى سعيد ، عن النبى ﷺ بمثلة . و لم يذكر عبد الرحمن بن أبى سعيد فى الإسناد[٥] ذكره فى كتاب الحج .

---

(١) التوبة : ١٠٨ .

(٢) التوبة : ١٠٨ .

(٣) التوبة : ١٠٨ .

(٤) مسلم بشرح النووى : ١٧٨/٩ ، كتاب الحج ، باب (٩٦) بيان أن المسجد الذى أسس على التقوى هو مسجد النبى ﷺ بالمدينة ، حديث رقم (٥١٤) .

(٥) (المرجع السابق) . الحديث الذى يلى رقم (٥١٤) ، بدون رقم . =

و خرجه الترمذى[1] من طريق قتيبة بن حاتم بن اسماعيل ، عن أنيس ابن أبى نجيح ، عن أبيه ، عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تبارك وتعالى عنه . قال الترمذى : من بنى حدده ، ورجل من بنى عمرو بن عوف ، فى المسجد الذى أسس على التقوى : فقال الخدرى : هو مسجد رسول الله ﷺ فى ذلك ، فقال : هذا هو ، يعنى مسجده و فى ذلك خيركثير قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

وأخرجه النسائى[2] من حديث قتيبة بن سعيد قال : انبأنا الليث عن عمران بن أبى أنس ، عن ابن أبى سعيد الخدرى رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : تمارى رجلان فى المسجد الذى أسس على التقوى من أول يوم ، فقال رجل: هو مسجد قباء ، وقال الآخر : هو مسجد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : هو مسجدى هذا .

= قوله ﷺ : " وقد سئل عن المسجد الذى أسس على التقوى ، فأخذ كفاً من حصباء ، فضرب به الأرض ، ثم قال : هو مسجدكم ، هذا لمسجد المدينة " هذا نص بأنه المسجد الذى أسس على التقوى المذكور فى القرآن ، ورد لما يقول بعض المفسرين : أنه مسجد قباء . وأما أخذه الحصباء ، وضربه فى الأرض . فالمراد به المبالغة فى الإيضاح ، لبيان أنه مسجد المدينة. والحصباء بالمد : الحصى الصغار . (مسلم بشرح النووى) .

(١) (سنن الترمذى) : ٥/٢٦١ - ٢٦٢ ، كتاب تفسير القرآن ، باب (١٠) من تفسير سورة التوبة. حديث رقم (٣٠٩٩) ، ولفظه : تمارى رجلان فى المسجد الذى أسس على التقوى من أول يوم ، فقال رجل : هو مسجد قباء ، وقال الآخر : هو مسجد رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : هو مسجدى هذا .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب ، من حديث عمران بن أبى أنس ، وقد روى هذا عن أبى سعيد من غير هذا الوجه ، ورواه أنيس بن أبى يحى ، عن أبيه عن أبى سعيد رضى الله تبارك وتعالى عنه .

(٢) أخرجه النسائى فى كتاب التفسير من (السنن الكبرى) .

وخرجه الترمذى[1] من هذا الطريق وقال : حديث حسن صحيح غريب من حديث عمران بن أبى أنس . ذكره فى التفسير .

وقال القاضى عياض : وروى أن النبى ﷺ سئل أى مسجد هو قال : مسجدى هذا . وهو قول ابن المسيب ، وزيد بن ثابت وابن عمر ، ومالك بن أنس ، وغيرهم .

وعن ابن عباس رضى الله تبارك وتعالى عنهما أنه مسجد قباء .

وخرج الدارقطنى[2] من حديث عتبه بن أبى حكيم ، عن طلحة بن نافع رضى الله تبارك وتعالى عنه ، أنه حدثه قال : حدثنى أبو أيوب ، وجابر بن عبدالله ، وأنس بن مالك ، رضى الله تبارك وتعالى عنهم ، عن رسول الله ﷺ فى هذا ، الآية : **﴿ فيه رجال يحبون أن يتطهروا و الله يحب المتطهرين ﴾** فقال : يا معشر الأنصار ، إن الله قد أثنى عليكم خيراً فى الطهور ، فما طهوركم ؟ قالوا : يا رسول الله ، نتوضأ للصلاة ، ونغتسل من الجنابه ، فقال رسول الله ﷺ : فهل مع ذلك غير ؟ قالوا : لا ، غير أن أحدنا إذا خرج من الغائط ، أحب أن يستنجى بالماء ، قال : هو ذاك فعليكموه .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) (سنن الدارقطنى) : ١/٦١ - ٦٢ ، كتاب الطهارة ، باب فى الاستنجاء ، حديث رقم (١) ، قال فى (التعليق المغنى على الدارقطنى) : قوله عتبة بن أبى حكيم ليس بقوى ، أخرج ابن ماجة أيضاً من طريقه ، قال الزيلعى : سنده حسن ، لكن فيه عتبة بن أبى عدى : أرجو أنه لا بأس به ، وضعفه النسائى . وعن ابن معين فيه روايتان ، وأخرجه الحاكم فى (مستدركه) وصححه ، ورواه البيهقى فى (سننه) .

وأخرجه الترمذى من حديث محمد بن العلاء ، أبو كريب ، حدثنا معاوية بن هشام ، حدثنا يونس بن الحارث ، عن إبراهيم بن أبى ميمون عن أبى صلح ، عن أبى هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه ، عن النبى ﷺ قال : نزلت هذه الآية فى أهل قباء **﴿ فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ﴾** قال : كانوا يستنجون بالماء ، فنزلت هذه الآية فيهم .

قال الترمذى : هذا حديث غريب من هذا الوجه . قال : وفى الباب عن أبى أيوب وأنس ابن مالك ، ومحمد بن عبد الله بن سلام ، ومن تفسير سورة التوبة ، حديث رقم (٣١٠٠) .

و ذكر السهيلى : أن عمار بن ياسر هو الذى أشار على رسول الله ﷺ ببناء مسجد قباء ، وهو الذى جمع الحجارة له ، فلما أسسه رسول الله ﷺ [أعتنى] ببنائه عمار .

وكذلك ذكره ابن إسحاق ، فى رواية يونس بن بكير عنه .

وقال الحاكم(١): قدم رسول الله ﷺ أول من قدمها ضحى ، فقال عمار ابن ياسر : ما لرسول الله ﷺ يريد أن نجعل له مكاناً إذا إستيقظ من قائلتنا استظل فيه ، فجمع عمار بن ياسر حجارة فبنى مسجد قباء ، فهو أول ما بنى .

وقال عمر بن شبة عن الواقدى ، عن أفلح بن سعيد عن ابن كعب القرظى قال : قدم رسول الله ﷺ قباء وقد بنى أصحابه مسجداً يصلون فيه الى بيت المقدس ، فلما قدم صلى بهم إليه ، و لم يحدث فى المسجد شيئاً .

وعن مسلم بن حماد ، عن ابن ونيس ، قال : بنى رسول الله ﷺ مسجد قباء ، وقدم القبلة إلى موضعها اليوم . وقال عمار الذهبى : قال لى أبوسلمة بن عبدالرحمن : أن ما بين الصومعة الى القبلة زاده عثمان بن عفان رضى الله تبارك وتعالى عنه .

و قال حماد بن سلمة عن أبى جعفر الخطمى ، أن عبدالله بن رواحة كان يقول وهم يبنون مسجد قباء :

۞ أفلح من يعالج المساجدا ۞

فقال رسول الله ﷺ : المساجدا ، فقال عبدالله :

۞ و يقرأ القرآن قائماً و قاعدا ۞

فقال رسول الله ﷺ : قاعدا ، فقال عبدالله :

۞ و لا يبيت عنه الليل راقدا ۞

فقال رسول الله ﷺ : راقدا .

و قال عمر بن شبة أنبأنا عفان قال : أنبأنا حماد بن زيد ، قال : انبأنا أيوب عن سعيد بن جبير ، أن بنى عمرو بن عوف ابتنوا مسجداً ، وأرسلوا إلى

---

(١) (المستدرك) ٤٣٤/٣ ، كتاب معرفة الصحابة ، حديث رقم (٥٦٥٥) ، وقد حذفه الذهبى من (التلخيص) .

رسول الله ﷺ . فدعوه ليصلى فيهم ، ففعل ، وأتاهم فصلى فيه ، فحسدتهم اخوتهم بنوعوف فقالوا : لنبنى مسجداً ، وندعوا النبى ﷺ فيصلى فيه كما يصلى فى مسجد إخوتنا ، ولعل أبا عامر يصلى فيه . و كان بالشام ، فابتنوا مسجداً ، وأرسلوا إلى النبى ﷺ ليصلى فيه فقام ليأتيهم . فأنزل الله تبارك وتعالى القرآن: **﴿ والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد أنهم لكاذبون * لا تقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطّهرين * أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين * لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم ﴾**(١)

حدثنا موسى بن إسماعيل قال : أنبأنا حماد بن سلمة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : كان موضع مسجد قباء لامرأة يقال لها لبة . كانت تربط حماراً لها فيه ، فابتنى سعد بن خيثمة مسجداً ، فقال أهل مسجد الضرار : نحن نصلى فى مربط حمار لبة ؟ لا ، لعمرو الله ، لكنا نبنى مسجد الضرار نحن نصلى فيه حتى يجىء أبو عامر فيؤمنا فيه ، وكان أبو عامر فر من الله ورسوله و لحق بمكة ، ثم لحق بعد ذلك بالشام ، فتنصر ، فمات بها فأنزل الله: **﴿ والذين اتخذوا مسجداً ضراراً و كفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون ﴾**(٢) .

---

(١) التوبة : ١٠٧ - ١١٠ ، وفى (الأصل) : إلى قوله ﴿ المطهرين ﴾ .

(٢) التوبة : ١٠٧ - ١١٠ .

و فى الصحيحين[1] عن ابن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، قال: كان رسول الله ﷺ يزور قباء راكباً وماشياً .

وفى صحيح مسلم من حديث ابن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنهما قال : كان رسول الله ﷺ يأتي قباء كل سبت ، ولم تزل الصحابه تزوره وتعظمه . ولما بنى عمر بن عبد العزيز المسجد النبوى ، بنى مسجد قباء ووسعه ، فذكر خبر ذلك هنا إن شاء الله تعالى .

قال أبو غسان : طول مسجد قباء وعرضه سواء ، وهو ست وستون ذراعاً ، وطول ذرعه فى السماء تسعة عشر ذراعاً ، وطول رحبته التى فى جوفه خمسون ذراعاً ، وعرضها سبعة أذرع وشبر فى تسعة أذرع ، و فيه ثلاثة أبواب ، وثلاثه وثلاثون اسطوانة ، ومواضع القناديل أربعة عشر قنديلاً.

قال الحمامى : بين مسجد قباء و مسجد النبى ﷺ ميلان ونصف .

[و] ذكر ابن زبالة أن مسجد قباء على سبع أساطين ، وكانت لها درجة فيه يؤذن فيها ، يقال لها النعامة ، حتى زاد فيه الوليد بن عبد الملك بن مروان بعد ذلك .

وإن سعد بن عبيد[2] بن قيس بن النعمان بن عمرو بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف ، كان يصلى فى مسجد قباء فى عهد

---

(١) رواه البخارى فى التطوع ، باب من أتى مسجد قباء كل سبت ، وباب إتيان مسجد قباء ماشياً وراكباً ، وفى الاعتصام ، باب ما ذكر النبى ﷺ وحض على اتفاق أهل العلم ، ومسلم فى الحج، باب فضل مسجد قباء ، وفضل الصلاة فيه ، حديث رقم (١٣٩٩) .

وأخرجه الإمام مالك فى (الموطأ) : ١٦٧/١ ، فى الصلاة فى السفر ، باب العمل فى جامع الصلاة ، والنسائى ٣٧/٢ فى المساجد ، باب فضل مسجد قباء والصلاة فيه .

وأخرجه أبو داود فى المناسك ، باب فى تحريم المدينة ، حديث رقم (٢٠٤٠) .

(٢) هو سعد بن عبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن زيد بن أمنه بن زيد الأنصارى الأوسي .

ذكره موسى بن عقبة وغيره فيمن شهد بدراً . وقال ابن نمير فى (تاريخه) : مات سعد ابن عبيد الفارس بالقادسية شهيداً سنة ست عشرة ، وهو أبو زيد الذى جمع القرآن .

وروى الزبير بن بكار فى (أخبار المدينة)، عن عتبة بن عُويم بن ساعدة أن سعد بن =

رسول الله ﷺ ، وفى زمان أبى بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه ، حتى توفى زمان عمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه ، فأمرعمر رضى الله تبارك وتعالى عنه مجمع بن جاريه[1] أن يصلى بهم بعد أن رده وقال له : كنت إمام مسجد الضرار ، فقال : يا أمير المؤمنين ، كنت غلاماً حدثاً ، وكنت أرى أن أمرهم على أحسن ذلك ، وقدمونى لما معى من القرآن ، وكان قد جمع

= عبيد - وساق نسبة - كان يؤم فى مسجد قباء فى زمن النبى ﷺ وأبى بكر وعمر رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، وتوفى فى زمنه ، فأمر عمر فجمع ابن جارية أن يصلى بهم .

وروى البخارى فى (تاريخه) من طريق قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب ، قال : شهد سعد بن عبيد القادسية ، فقام خطيباً ، فقال : إنا مستشهدون غداً فلا تكفنونا إلا فى ثيابنا التى أصبنا فيها ... الحديث .

وروى ابن جرير ، من طريق قيس بن مسلم ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، قال : قال عمر لسعد بن عبيد - وكان انهزم يوم أصيب أبو عبيد ، وكان يسمى القارىء ، ولم يكن أحد يسمى القارىء غيره - فذكر قصته .

قلت : اختلف فى أبى زيد الذى جمع القرآن فى عهد النبى ﷺ ، فقيل هذا اسمه : وقيل : بل اسمه سعيد . وقيل غير ذلك . (الإصابة) : ٣/ ٦٨ ، ترجمة رقم (٣١٧٨) .

(١) هو مجمع بن جارية بن عامر بن مجمع بن العطاف بن ضبيعة ابن زيد بن مالك بن عمرو بن عوف الأنصارى الأوسى .

له فى ترجمة سعيد بن عبيد بن قيس ذكر ، وأخرج له فى السنن ثلاثة أحاديث صحح الترمذى بعضها .

وقال ابن إسحاق فى (المغازى) : كان مجمع بن جارية بن العطاف حدثاً قد جمع القرآن، وكان أبوه جارية ممن أتخذ مسجد الضرار ، وكان مجمع يصلى بهم فيه : ثم إنه أحرق فلما كان زمن عمرو بن الخطاب كلم فى مجمع أن يؤم قومه ، فقال : لا أو ليس بإمام المنافقين فى مسجد الضرار ؛ فقال : والله الذى لا إله إلا هو ، ما عملت بشىء من أمرهم ، فزعموا أن عمر أذن له أن يصلى بهم ؛ ويقال : إن عمر بعثه إلى أهل الكوفة يعلمهم القرآن فتكلم ابن مسعود فعلمه القرآن. (الإصابة) : ٥/٧٧٦ - ٧٧٧ ترجمة رقم (٧٧٣٩) .

القرآن فى زمن النبى ﷺ إلا سورة أو سورتين ، فأمره رضى الله تبارك وتعالى عنهم فصلى بهم .

وأما مسجد رسول الله ﷺ

فإنه ومايليه من جهة المشرق ، داربنى غنم بن مالك بن النجار ، ويقال: كان جداراً محدداً بلاسقف ، بناه أسعد ، وكان يصلى فيه . وجمع الجمعة بأصحابه . وقيل : إن مصعب بن عمير كان يصلى فيه .

خرج البخارى(١) ومسلم(٢) وأبو داود(٣) ، من حديث عبد الوارث ، عن أبى التياح ، عن أنس بن مالك رضى الله تبارك وتعالى عنه . قال : قدم رسول

---

(١) (فتح البارى) : ٦٨٩/١ - ٦٩٠ كتاب الصلاه ، باب (٤٨) هل تنبش قبور مشركى الجاهليه ويتخذ مكانها ؟ ، حديث رقم (٤٢٨) ، قوله ، باب هل تنبش قبور الجاهليه ، أى دون غيرهما من قبور الأنبياء وأتباعهم لما فى ذلك من الإهانة لهم ، بخلاف المشركين فإنهم لا حرمة لهم .

وأما قوله : " لقول النبى ﷺ الخ " فوجه التعليل أن الوعيد على ذلك يتناول من اتخذ قبورهم مساجد تعظيماء ومغالاة كما صنع أهل الجاهلية وجرهم ذلك إلى عبادتهم ، ويتناول من اتخذ أمكنة قبورهم مساجد بأن تنبش وترمى عظامهم ، فهذا يختص الأنبياء ويلتحق بهم أتباعهم، وأما الكفرة فإنه لا حرج فى نبش قبورهم ، إذ لا حرج فى إهانتهم . ولا يلزم من اتخاذ المساجد فى أمكنتها تعظيم ، فعرف بذلك أن لا تعارض بين فعله ﷺ فى نبش قبور المشركين واتخاذ مسجده مكانها وبين لعنه ﷺ من اتخذ قبور الأنبياء مساجد لما تبين من الفرق ، (المرجع السابق) : ١٠٠/٤ ، كتاب فضائل المدينة ، باب (٩) حرم المدينة رقم (١٨٦٨) ، (المرجع السابق) : ٥٠٠/٥ ، كتاب الوصايا ، باب (٢٧) إذ وقف جماعة أرضاً مشاعاً فهو جائز ، حديث رقم (٢٧٧١) ، قوله ، باب إذا وقف جماعة أرضاً مشاعاً فهو جائز قال ابن المنير : احتز عما إذا وقف الواحد المشاع فإن مالكاً لا يجيزه لئلا يدخل الضرر على الشريك ، وفى هذا نظر، لأن الذى يظهر أن البخارى أراد الرد على من ينكر وقف المشاع مطلقاً ، وقد تقدم قبل أبواب أنه ترجم (إذا تصدق أو وقف بعض ماله فهو جائز) وهو وقف الواحد المشاع ، وقد تقدم البحث فيه هناك . وأوراد المصنف فى الباب حديث أنس فى قصة بناء المسجد ، وقد تقدم=

= بهذا الإسناد مطولا فى أبواب المساجد من أوائل كتاب الصلاة ، والغرض منه هنا ما اقتصر عليه من قولهم لا نطلب ثمنه إلا إلى الله عز وجل فإن ظاهره أنهم تصدقوا بالأرض لله عز وجل ، فقبل النبى ﷺ ذلك ، ففيه دليل لما ترجم له ، وأما ما ذكره الواقدى أن أبا بكر دفع ثمن الأرض لما لكها منهم وقدره عشرة دنانير فإن ثبت ذلك كانت الحجة للترجمة من جهة تقرير النبى ﷺ على ذلك ولم ينكر قولهم ذلك ، فلو كان وقف المشاع لا يجوز لأنكر عليهم وبين لهم الحكم ، واستدل بهذه القصة على أن الحكم المسجد يثبت للبناء إذا وقع بصورة المسجد ولو لم يصرح البانى بذلك ، ومن بعض المالكية إن أذن فيه ثبت له حكم المسجد ، ومن الحنفية إن أذن للجماعة بالصلاة فيه ثبت والمسألة مشهورة ، ولا يثبت عند الجمهور إلا إن صرح البانى بالوقفية أو ذكر صيغة محتملة ونوى معها . وجزم بعض الشافعية بمثل ما نقل عن الحنفية لكن فى الموات خاصة ، والحق أنه ليس فى حديث الباب ما يدل لإثبات ذلك ولانفيه والله أعلم .

قوله " لا نطلب ثمنه إلا إلى الله" أى لا نطلب ثمنه من أحد لكن هو مصروف إلى الله، فالاستثناء على هذا التقدير منقطع ، أو التقدير لا نطلب ثمنه إلا مصروفاً إلى الله ، فهو متصل (المرجع السابق) : ٣٣٧/٧ - ٣٣٨ ، كتاب مناقب الأنصار ، باب (٤٦) مقدم النبى ﷺ وأصحابه المدينة حديث رقم (٣٩٣٢) قوله : (بحائطكم) أى بستانكم وقد تقدم فى الباب قبله أنه كان مربداً ، فعله كان أولا حائطا ثم خرب فصار مربداً ، ويويده قوله : " إنه كان فيه نخل وخرب " وقيل : كان بعضه بستاناً وبعضه مربداً ، وقد تقدم فى الباب الذى قبله تسمية صاحبى المكان المذكور ووقع عند موسى بن عقبة عن الزهرى أنه اشتراه منهما بعشرة دنانير ، وزاد الواقدى أن أبا بكر دفعها لهما عنه ، قوله " خرب " بكسر المعجمة وفتح الراء والموحدة ، وتقدم توجيه آخر فى أوائل الصلاة بفتح أوله وكسر ثانيه ، قال الخطابى : أكثر الرواة بالفتح ثم الكسر، حدثناه الخيام بالكسر ثم الفتح ، ثم حكى احتمالات : منها الخرب بضم أوله وسكون ثانيه قال : هى الخروق المستديرة فى الأرض ، والجرف بكسر الجيم وفتح الراء بعدها فاء ما تجرفه السيول تأكله من الأرض ، والحدب بالمهملة وبالدال المهملة أيضاً المرتفع من الأرض ، قال وهذا لائق بقوله : " فسويت " لأنه إنما يسوى المكان المحدوب ، وكذا الذى جرفته السيول ، وأما الخراب فيبنى ويعمر دون أن يصلح ويسوى . قلت : وما المانع من تسويه الخراب بأنه ما يزال ما بقى منه ويسوى أرضه ، ولاينبغى الا لنفات إلى هذه الإحتمالات مع توجيه الرواية الصحيحة . =

= قوله . فأمر رسول الله ﷺ بقبور المشركين فنبشت ، قال ابن بطال : لم أجد فى نبش قبور المشركين لتتخذ مسجداً نصاً عن أحد من العلماء نعم اختلفوا هل تنبش بطلب المال ؟ فأجازه الجمهور ومنعه الأوزاعى وهذا الحديث حجة للجواز ، لأن المشرك لا حرمة له حياً ولا ميتاً ، وقد تقدم فى المساجد البحث فيما يتعلق بها .

قوله : " وبالنخل فقطع " هو محمول على أنه لم يكن يثمر لكن دعت الحاجة إليه لذلك .

قوله : " فصفوا النخل " أى موضع النخل وقوله : " عضادتيه " بكسر المهملة وتخفيف المعجمة تثنية عضادة ، وهى الخشبة التى على كتف الباب ، ولكل باب عضادتان ، وأعضاء كل شئ ما يشد حوانيه .

قوله : " يرتجزون " أى يقولون رجزاً ، وهو ضرب من الشعر على الصحيح .

وقوله : " فانصر الأنصار والمهاجرة " كذا رواه أبو داود بهذا اللفظ ، وسبق ما فيه فى أبواب المساجد ، واحتج من أجاز بيع المالك بهذه القصة لأن المساومة وقعت مع غيرالغلامين وأجيب باحتمال أنهما كان من بنى النجار فساومهما وأشرك معهما فى المساومة عمها الذى كانا فى حجرة كما تقدم فى الحديث الثانى عشر (فتح البارى) .

(٢) مسلم بشرح النووى : ٥/١٠ ، كتاب المساجد ومواضع الصلاه باب (١) اقتناء مسجد النبى ﷺ، حديث رقم (٥٢٤) ، وفى هذا الحديث جواز الارتجاز وقول الأشعار ، فى حال الأعمال الثقال ونحوها لتثبيت النفوس وتسهيل الأعمال والمشى عليهما (شرح النووى) .

(٣) (سنن أبى داود) : ٣٠٢/١ ، كتاب الصلاة ، باب (١٢) فى بناء المسجد ، حديث رقم (٤٥٣)، وقال الخطابى فى (معالم السنن) : فيه من الفقه أن المقابر إذا نبشت ونقل ترابها ولم يبق هناك نجاسة تخالط أرضها فإن الصلاة فيها جائزة ، وإنما نهى ﷺ عن الصلاة فى المقبرة إذا كان قد خالط ترابها صديد الموتى ودمائهم فإذا نقلت عنها ، زال ذلك الأسم وعاد حكم الأرض إلى الطهارة .

وفيه من العلم أنه أباح نبش قبور الكفار عند الحاجة إليه . وقد روى عنه ﷺ أنه أمر أصحابه بنبش قبر أبى رغال فى طريقه إلى الطائف ، وذكر لهم أنه دفن معه غصن من ذهب فابتدروه فأخرجوه . وفى أمره بنبش قبور المشركين بعد ما جعل أربابها تلك البقعة لرسول الله ﷺ ، دليل على أن الأرض التى يدفن فيها الميت باقية على ملك أوليائه . وكذلك ثيابه التى يكفن فيها ، وان النباش سارق من حرز فى ملك ولو كان موضع القبر وكفن الميت مبقىً على=

الله ﷺ المدينة ، فنزل في علو المدينة في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف ، فأقام فيهم أربع عشر ليلة ، ثم أرسل إلى بني النجار ، فجاءوا متقلدين سيوفهم .

قال أنس رضي الله تبارك وتعالى عنه : وكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ على راحلته ، وأبو بكر رضي الله تبارك وتعالى عنه ردفه . وملأ بني النجار حوله ، حتى ألقى بفناء بني أيوب رضي الله تبارك وتعالى عنه .

وذكر ابن إسحاق في (التهذيب) أن [أبا] أيوب كان يتبع بناء النبي ﷺ ، وتبع هذا اسمه بناء .

حدثنا سعد قال : قال أنس رضي الله تبارك وتعالى عنه : كان رسول الله ﷺ يصلي حيث أدركته الصلاة ، ويصلي في مرابض الغنم ثم أمر ببناء المسجد ، فأرسل إلى بني النجار ، فجاءوا ، فقال : يا بني النجار ، ثامنوني بحائطم هذا ، قالوا : لا والله ، لا نطلب ثمنه إلا إلى الله . وظاهر هذا أنهم لم يأخذوا ثمنه .

وفي (طبقات ابن سعد) ، عن الواقدي : أنه ﷺ اشتراه من ابني عفراء بعشرة دنانير ذهباً ، دفعها أبو بكر رضي الله تبارك وتعالى عنه . ونقل ابن عقبة أن أسعد مات قبل أن يبني المسجد ، فابتاعه النبي ﷺ من وليهما .

وعن أبي معشر : اشتراه أبو أيوب منهما ، فأعطاه رسول الله ﷺ فبناه مسجداً .

قال أنس رضي الله تبارك وتعالى عنه : كان فيه ما أقول لكم : كان فيه نخل ، وقبور المشركين ، خرب ، فأمر رسول الله ﷺ بالنخل فقطع وبقبور المشركين فنبشت ، وبالخرب فسويت [قد صنعوا] النخل قبلة المسجد ، وجعلوا عضادته حجارة ، وجعلوا ينقلون الصخر وهم يرتجزون . ورسول الله ﷺ معهم ويقولون :

= ملك الميت حتى ينقطع ملك الحيّ عنه من جميع الوجوه لم يكن يجوز بنبشها واستباحتها بغير إذن ما لكها .

وفيه دليل على أن من لا حرمه لدمه في حياته فلا حرمة لعظامه بعد مماتة ، وقد قال ﷺ: كسر عظام المسلم ميتاً ككسره حياً فكان دلالته أن عظام الكفار بخلافه (خطابي) .

اللهم لا خير إلا خير الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة

ذكره البخارى فى باب نبش قبور مشركى الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد، وذكره فى كتاب الهجرة بهذا السند ، إلا أنه قال : فانصر الأنصار والمهاجرة . وذكره فى آخر كتاب الحج ، فى باب حرم المدينة ، وفى باب بنيان المسجد[1] .

وقال أبو سعيد الخدرى رضى الله تبارك وتعالى عنه : كان سقف المسجد من جريد النخل ، وأمر عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه ببناء مسجد فقال : اكفوا الناس من المطر ، وإياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس .

وأورد حديث صالح بن كيسان : أنبأنا نافع أن عبد الله أخبره أن المسجد كان على عهد رسول الله ﷺ مبيناً باللبن ، وسقفه الجريد ، وعمده عسب النخل .

قال موسى بن عقبه : والمسجد يومئذ سقفه من جريد النخل ، وخوص لبن على السقف ، كثير الطين ، إذا كان المطرُ يملأ المسجد طيناً ، وإنما هو كهيئة العريش ، فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً وزاد فيه عمر وبناه على بنيانه فى عهد رسول الله ﷺ ، باللبن والجريد ، وأعاد عمده خشباً ، ثم عمره عثمان فزاد فيه زيادة كثيرة ، وبنى جدره بالحجارة المنقوشة والقصة ، وجعل عمده من حجارة منقوشة ، وسقفه بالساج . وأخرجه أبو داود .

وخرج أبو داود[2] أيضاً من حديث عمر بن سليم الباهلى ، عن أبى الوليد ، قال : سألت ابن عمر عن الحصا الذى فى المسجد فقال : مُطرنا ذات ليلة فأصبحت الأرض مبتلة ، فجعل الرجل يجئ بالحصا فى ثوبه فيبسطه تحته، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال : أحسن هذا .

وخرجه قاسم بن أصبغ بهذا السند ، ولفظه : حدثنى أبو الوليد ، قال : قلت لابن عمر : بدؤ هذا الحصا فى المسجد ؟ قال : نعم ، مطرنا من الليل ،

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) (سنن أبى داود) : ١/٣١٥ - ٣١٦ كتاب الصلاة باب (١٥) فى حصى المسجد ، حديث رقم (٤٥٨) .

فخرجت لصلاة الغداة ، وكان الرجل يمر على البطحاء فيجعل فى ثوبه من الحصباء ، فيصلى عليه ، فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك قال : ما أحسن هذا البساط ! وكان ذلك بدؤه .

قلت : عمر بن سليم الباهلى ، البصرى ، يروى عن الحسن ، وأبى غالب صاحب أبى أمامة ، وقتادة ، وغيرهم . ويروى عنه : زيد بن الخطاب ، وكثير بن هشام ، ومسلم بن إبراهيم ، وسهل بن عامر ، وآخرون . خرج له أبو داود ، وابن ماجة ، وقال ابن أبى حاتم : صدوق ، وأبو الوليد هذا مجهول . قال أبو حاتم : هو مولى عبد الله بن رواحة[1] .

ويقال : أن رسول الله ﷺ أمر يخضب المسجد ، فمات قبل ذلك ، فخضبه عمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه ، وزاد فيه ، دار العباس ، رضى الله تبارك وتعالى عنه .

وقال ابن إسحاق[2] : فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة ، قال : حدثنى رجال من قومى ، من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا : سمعنا بمخرج رسول الله ﷺ من مكة ، وتوكفنا[3] قدومه، كنا نخرج إذا صلينا الصبح إلى ظاهر حرَّتنا ، ننتظر رسول الله ﷺ ، فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال ، فإذا لم نجد ظلاً دخلنا ، وذلك فى أيام حارة .

حتى إذا كان اليوم الذى قدم فيه رسول الله ﷺ ، جلسنا كما كنا نجلس، حتى إذا لم يبق ظل دخلنا بيوتنا ، وقدم رسول الله ﷺ حين دخلنا البيوت ، فكان أول من رآه رجل من اليهود ، وقد رأى ما كنا نصنع ، وأنا ننتظر قدوم رسول الله ﷺ علينا ، فصرخ بأعلى صوته : يا بنى قيلة ! هذا جدكم قد جاء ! .

---

(١) له ترجمة فى : (تهذيب التهذيب) : ٤٠٢/٧ ، ترجمة رقم (٧٦٢) ، (الثقات) : ١٧٦/٧ .

(٢) (سيرة ابن هشام) : ١٩/٣ - ٢٠ قدومه ﷺ قباء .

(٣) توكفنا : انتظرنا ، هامش (المرجع السابق) .

قال : فخرجنا إلى رسول الله ﷺ ، وهو فى ظل نخلة ، ومعه أبو بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه فى مثل سنه ، وأكثر [الناس] لم يكن رأى رسول الله ﷺ قبل ذلك ..

وركبه الناس ولا يعرفونه من أبى بكر حتى زال الظل عن رسول الله ﷺ ، فقام أبو بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه فأظله بردائه ، فعرفناه عند ذلك[1] .

قال ابن إسحاق : فنزل رسول الله ﷺ فيما يذكرون على كلثوم بن هدم ، أخى بنى عمرو بن عوف ، ثم أحد بنى عبيد ، ويقال : بل نزل على سعد بن خيثمة .

ويقول من تذكر : انه نزل على كلثوم بن هدم ، وإنما كان رسول الله ﷺ إذا خرج من منزل كلثوم بن هدم ، جلس للناس فى بيت سعد بن خيثمة .

قال ابن إسحاق[2] : فأقام رسول الله ﷺ بقباء فى بنى عمرو بن عوف يوم الاثنين ، ويوم الثلاثاء ، ويوم الأربعاء ، ويوم الخميس . وأسس مسجده ، ثم أخرجه الله تعالى من بين أظهرهم يوم الجمعة ، فأدركت رسول الله ﷺ الجمعة فى بنى سالم بن عوف ، فصلاها ، فكانت أول جمعة بالمدينة صلاها بالمدينة .

فأتاه عتبان بن مالك ، وعباس بن عبادة بن نضلة ، فى رجال من بنى سالم بن عوف ، فقالوا : يا رسول الله ! أقسم عندنا فى العدد والعدة والمنعة ، قال: خلوا سبيلها فإنها مأمورة لنا فيه ، فخلوا سبيلها .

فذكره إلى أن قال : فانطلقت حتى جاءت دار بنى مالك بن النجار ، وبركت على باب مسجده ﷺ ، وهو يومئذ مربد لغلامين يتيمين من بنى النجار، ثم من بنى مالك ، فى حجر معاذ بن عفراء سهل وسهيل ابنى عمرو .

---

(١) (المرجع السابق) : ٢٠/٣ .

(٢) (المرجع السابق) : ٢١/٣ - ٢٢ .

فلما بركت[1] ورسول الله ﷺ عليها لم ينزل وثبت ، فسارتْ غير بعيد ورسول الله ﷺ ، واضع لها زمامها لا يثنيها به ثم التفتت إلى خلفها ، فرجعت إلى مبركها أول مرة فبركت فيه ، ثم تحلحلت وزمت ، وألقت بجرانها فنزل نها رسول الله ﷺ فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رضى الله تبارك وتعالى عنه رحله فوضعه فى بيته ، فنزل عليه رسول الله ﷺ [2].

وسأل عن المربد ، لمن هو ؟ فقال له معاذ ابن عفراء : هو يا رسول الله لسهل وسهيل ابنى عمرو ، وهما يتيمان لى ، وسأرضيهما منه ، فاتخذه مسجداً ، فأمر به رسول الله ﷺ أن يبنى[3] .

ونزل رسول الله ﷺ على أبى أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه ، فعمل فيه رسول الله ﷺ ليرغب المسلمين فى العمل فيه ، فيعمل فيه المهاجرون والأنصار ، ودأبوا فيه . فقال قائل من المسليمن :

لئن قعدنا والنبى يعمل　　　لذاك منا العمل المضلل

وارتجز المسلمون وهم يبنونه ، يقولون :

لا عيش إلا عيش الآخرة　　　اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة

فدخل عمار بن ياسر رضى الله تبارك وتعالى عنه وقد أثقلوه باللبن ، فقال : يار سول الله ﷺ ! قتلونى ، يحملون علىّ مالا يحملون ، قالت أم سلمة رضى الله تبارك وتعالى عنها : فرأيت رسول الله ﷺ ينفض وفرته بيده ، وكان رجلاً جعداً وهو يقول : ويح ابن سمية ! ليسوا بالذين يقتلونك ، إنما تقتلك الفئة الباغية[4] .

وارتجز علىّ بن أبى طالب رضى الله تبارك وتعالى عنه يومئذ :

---

(١) (المرجع السابق) : ٢٣/٣ - ٢٤ .

(٢) (سيرة ابن هشام) : ٢٣/٣ - ، مبرك النافه .

(٣) (المرجع السابق) : ٢٤/٣ ، بناء مسجد المدينة .

(٤) قال ابن هشام : هذا كلام وليس برجز ، وقال ابن إسحاق : فيقول رسول الله ﷺ : لا عيش إلا عيش الآخرة ، اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة ، (المرجع السابق) ٢٥/٣ .

لا يستوى من يعمر المساجدا   يدأب فيها[١] قائماً وقاعدا
ومن برئ عن العباد مكائدا[٢]

فأخذهما عمار وجعل يرتجزهما .

قال ابن إسحاق : وأقام رسول الله ﷺ فى بيت أبى أيوب حتى بنى له مسجده ومساكنه ، ثم انتقل إلى مساكنه من بيت أبى أيوب[٣] .

قال فأقام بالمدينة إذ قدمها شهر ربيع الأول إلى صفر من السنة الداخلة، حتى بنى له فيها مسجده ومساكنه .

وقال موسى بن عقبة : عن ابن شهاب : وكان المسجد مربداً للتمر لغلامين يتيمين من بنى النجار ، فى حجر أسعد بن زرارة لسهل وسهيل ابنى عمرو . وزعموا أنه كان رجال من المسلمين يصلون فى ذلك المربد ، قبل قدوم رسول الله ﷺ ، ويقال: بل اشتراه رسول الله ﷺ منهما ، فابتناه مسجداً ، فطفق هو وأصحابه ينقلون اللبن ويقولون - وهو ينقل اللبن مع أصحابه - :

هذا الحمال لا حمال خيبرْ   هـذا أبـرّ ربـّنا وأطْـهَرْ

ويقول :

اللهم لاخير إلاخير الآخره   فارحم الأنصار والمهاجره

وقال البلاذرى : وكان مربداً ليتيمين فى حجر أسعد بن زرارة[٤] وفيه جدار كان أسعد بناه تجاه بيت المقدس ، وكان يصلى إليه بمن أسلم قبل قدوم مصعب بن عمير ، ثم صلى بهم إليه مصعب .

---

(١) كذا فى (الأصل) ، وفى (ابن هشام) : " فيه " .

(٢) هذه الشطرة من (الأصل) فقط .

(٣) (سيرة ابن هشام) : ٣/٢٦ - ٢٧ .

(٤) هو أسعد بن زرارة بن عُدَس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك من النجار ، أبو أمامة الأنصارى الخزرجى . قديم الإسلام ، شهد العقبتين ، وكان نقيباً على قبيلته ، ولم يكن فى النقباء أصغر سنا منه . ويقال : انه أول من بايع ليلة العقبة .

وقال الواقدى - عن عبد الرحمن بن عبد العزيز ، عن حبيب ، عن عبد الرحمن ، قال : خرج أسعد بن زرارة ، وذكوان بن عبد القيس إلى مكة يتنافران إلى عقبة بن ربيعة ، فسمعا =

ويقال : إن أسعد صلى بهم قبل قدوم مصعب وبعده ، إلى قدوم المهاجرين والأنصار ، لأن مصعب لم يزد على تعليمهم القرآن .

وذكر محمد بن سعد عن الواقدى ، أن النبى ﷺ اشتراه من ابنى عفراء بعشرة دنانير ذهباً ، دفعها أبو بكر الصديق رضى الله تبارك وتعالى عنه .

وروى أبو بكر بن أبى الدنيا ، من حديث الحسين بن حماد ، والصبى ، قال : أنبأنا عبد الرحيم بن سليمان ، عن إسماعيل بن مسلم ، عن الحسن ، قال: لما بنى رسول الله ﷺ المسجد ، وأعانه عليه أصحابه ، وهو معهم يتناول اللبن حتى اغبر صدره ، فقال : ابنوا عريشاً كعريش موسى ، فقلت للحسن : ما عريش موسى ؟ قال : إذا رفع يده بلغ العريش ، يعنى السقف .

وقال ملازم بن عمرو [١] : أنبأنا عبد الله بن زيد ، عن قيس بن طلق ، عن أبيه طلق بن على قال : بنيت مع رسول الله ﷺ مسجد المدينة ، فكان يقول: الثمامى من الطين ، فإنه من أحسنكم له بناء .

= رسول الله ﷺ ، فأتياه ، فعرض عليهما الإسلام ، وتلى عليهما القرآن ، فأسلما ولم يقربا عتبة، ورجعا إلى المدينة ؛ فكانا أول من قدم بالإسلام المدينة .

وأما ابن إسحاق فقال : إن أسعد إنما أسلم فى العقبة الأولى مع النفر والستة فالله أعلم . وقال ابن إسحاق : شهد العقبة الأولى والثانية والثالثة ، وروى أبو داود والحاكم من طريق عبد الرحمن بن مالك ، قال : كنت قائد أبى حين كف بصره ، فإذا خرجت به إلى الجمعة فسمع الأذان استغفر لأسعد بن زرارة الحديث . وفيه : كان أسعد أول من جمع بنا بالمدينة قبل مقدم النبى ﷺ وسم فى حرة بنى بياضة فى نقيع الخضمات . وذكر الواقدى أنه مات على رأس تسعة أشهر من الهجرة ، ورواه الحاكم فى (المستدرك) من طريق الواقدى عن ابن أبى الرجال ، فيه : فجاء بنو النجار فقالوا : يا رسول الله : مات نقيبا فنقب علينا ، فقال : أنا نقيبكم . وقد اتفق أهل المغازى والتواريخ على أنه مات فى حياة النبى ﷺ قبل بدر .

(١) هو ملازم بن عمرو بن عبد الله بن بدر السحيمى أبو عمرو اليمامى يلقب بلزيم .

روى عن عبد الله بن بدر وعبد الله بن النعمان وموسى بن نجده وهوذه بن قيس بن طلق وسراج بن عقبة وعجيبة بن الحميد ومحمد بن جابر وزفر بن أبى كثير الحنفيين . وعنه عمر بن يونس وسليمان بن حرب وعلى بن المدينى ومسدد ومحمد بن عيسى بن الطباع وعارم وأبو =

وقد ذكر أبو عبد الله محمد بن الحسين بن أبى إسحاق بن زبالة ، أن النبى ﷺ بنى مسجده مرتين : بناه حين قدم أقل من مائة فى مائة ، فلما فتح الله تعالى عليه خيبر ، بناه وزاد عليه مثله فى الدور ، وضرب الحجرات ، ما بينه وبين القبلة والمشرق إلى الشام ، ولم يضربها فى غربية .

وقد ذكر غير واحد أن المسجد النبوى بنى باللبن ، وجعل له ثلاثة أبواب : باب فى مؤخره ، وباب يقال له باب الرحمة ، وباب يدخل منه عليه السلام ، وجعل طوله مما يلى القبلة إلى مؤخره مائتى ذراع .

وقال السهيلى : وبنى مسجد رسول الله ﷺ ، وسقف بالجريد ، وجعلت قبلته من اللبن إلى بيت المقدس ، ويقال : بل من حجارة منضودة بعضها على بعض ، وجعلت عمده من جريد النخل ، فتخرب فى خلافة عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه ، فجدده ، فلما كانت [خلافة] عثمان رضى الله تبارك وتعالى عنه بناه بالحجارة المنقوشة بالقصة ، وسقفه بالساج ، وجعل قبلته من الحجارة إلى بيت المقدس ، فلما كانت أيام بنى العباس ، بناه محمد بن أبى جعفر المهدى ، وزاد فيه ، وذلك فى سنة ستين ومائة ، ثم زاد فيه المأمون بن الرشيد فى سنة ثنتين ومائتين ، وأتقن بنيانه .

= بكر بن أبى شيبة وعمرو بن على وهناد بن السرى وأبو الأشعث العجلى وآخرون . قال أبو طالب عن أحمد : من الثقات . وقال صالح بن أحمد عن أبيه حاله مقارب ، وقال عبد الله بن أحمد عن أبيه : كان يحيى بن سعيد يختاره على عكرمة بن عمار ويقول هو أثبت حديثاً منه . قال عبد الله : قال أبى : ملازم ثقة .

وقال عثمان الدارمي عن أبى معين : ثقة وكذا قال أبو زرعة والنسائى وقال أبو حاتم صدوق لا بأس به وقال أبو داود : ليس به بأس وذكره ابن حبان فى (الثقات) وقال عمرو بن على كان فصيحاً . قلت : وقال أبو بكر الضبعى شيخ الحاكم : فيه نظر وقال الدارقطنى : يمامي ثقة يخرج حديثه . (تهذيب التهذيب) : ١٠/٣٤٣ - ٣٤٤ ، ترجمة رقم (٦٨٩) .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم(١)

فصل في ذكر من بنى لرسول الله ﷺ مسجده

خرج الإمام أحمد من طريق ملازم بن عمر ، حدثنا سراج عن عقبة وعبد الله بن بدير ، أن قيس بن طلق حدثهم أن أباه طلق بن على رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : بنيت المسجد مع رسول الله ﷺ ، فكان يقول : قرب اليمامى من الطين ، فإنه أحسنكم له مساً وأشدكم منكباً(٢) .

وخرجه الطبرانى فى (الكبير) من حديث مسددّ ، حدثنا ملازم ، حدثنا عبد الله بن بدر ، عن قيس بن طلق ، عن أبيه ، قال : بنيت مع النبى ﷺ المسجد . وله عنده طرق أخر .

وخرجه الإمام أحمد من حديث أيوب عن قيس ، عن أبيه قال : جئت إلى النبى ﷺ وأصحابه يبنون ، قال : فكان لم يعجبه عملهم ، قال : فأخذت

---

(١) كذا فى الأصل ، فأثبتناها كما هى .

(٢) قال الكتانى فى (التراتيب الإدارية) : ترجم فى (الإصابة) لطلق بن على التميمى ، فقال : حدثنى فى السنن أنه بنى معهم فى المسجد فقال ﷺ قربوا له الطين فإنه اعرف به وكذا ترجمه ابن سعد فى (الطبقات) وهذا سياقه عن طلق قال قدمت على النبى ﷺ وهو يبنى مسجده والمسلمون يعملون فيه وكنت صاحب علاج وخلط طين فأخذت المسحاة أخلط الطين ورسول الله ﷺ ينظر إلى ويقول : إن هذا الحنفى لصاحب طين وحديثه الذى عزاه الخزاعى لابن فتحون خرجه ابن حبان فى صحيحه عن طلق بن على الحنفى قال بنيت المسجد مع رسول الله ﷺ فأخذت المسحاة بمخلطة الطين فكانه أعجبه فقال دعوا الحنفى والطين فانه أضبطكم للطين. وفى البيان والتحصيل لابن رشد عن مالك ان رسول الله ﷺ وقف على قبر فكأنه رأى باللبنة خلطاً فأمر بأن يصلح وقال إن الله يحب إذا عمل العبد عملاً ان يحسنه ويتقنه . (التراتيب الإدراية) ٨٣/٢ ، (الإصابة) : ٥٣٨/٣ ، ترجمة رقم (٤٢٨٧) .

المسحاة فخلطت بها الطين ، قال : فكأنه أعجبه أخذى المسحاة وعملى ، فقال ﷺ : دعوا الحنفى والطين ، فإنه أضبطكم للطين .

وقال البزار : حدثنا أحمد بن داود ، حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا أبو مالك النخعى ، عن سفيان بن أبى حبيبة ، عن أبى أوفى ، قال : لما توفيت امرأته جعل يقول : احملوا وارغبوا فى حملها ، فإنها كانت تحمل ومواليها بالليل حجارة المسجد الذى أسس على التقوى وكنا نحمل بالليل حجرين .

وطلق بن على بن طلق(١) بن عمرو ، ويقال : طلق بن على بن قيس ابن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن عبد العزيز بن سخيم بن مرة بن الدؤل بن حنيفة ، السحمىّ ، الحنفىّ ، اليمامى ، أبو على . ويقال : طلق بن يمامة ، وهو والد قيس بن طلق اليمامى ، وقد ابتنى فى المسجد ، وروى أحاديثاً ، فحدث عنه ابنه قيس ، وبنته خلدة ، وعبد الله بن بدر ، وعدة من أهل اليمامة .

وأما بيوته ﷺ

فإنها كانت تسعة بعضها من جريد مُطين بالطين وعليها جريد وبعضها من حجارة مرصوفة بعضها على بعض مسقفة بالجريد أيضاً .

وخرج البخارى فى (الأدب المفرد) من طريق حداث بن السائب قال : سمعت الحسن يقول : كنت أدخل بيوت أزواج النبى ﷺ فى خلافة عثمان رضى الله تبارك وتعالى عنه فأتناول سقفها بيدى(٢) .

---

(١) هو طلق بن على بن المنذر بن قيس بن عمرو بن عبد الله بن عمرو الحنفى السحيمى أبو على اليمامى .

وفد على النبى ﷺ وعمل معه فى بناء المسجد وروى عنه . وعنه ابنه قيس وابنته خالدة وعبد الله بن بدر وعبد الرحمن بن على بن شيبان . قلت : ذكره ابن السكن وقال : يقال : له طلق بن ثمامة . (تهذيب التهذيب) ٢٩/٥ ترجمة رقم (٥١) .

(٢) قال فى (التراتيب الادارية) : ثم بنى ﷺ مساكنه الى جنب المسجد باللبن وسقفها بجذوع النخل والجريد وكان محيطها مبنياً باللبن وقواطعها الداخلية من الجريد المكسو بالطين والمسموح =

وخرج من طريق عبدالله ، قال : أنبأنا داود بن قيس قال : رأيت الحُضورات من جريد النخل يغشى من خارج نطوح الشعر و أظن عرض البيت من باب حضوره ، قال : رأيت البيت نحواً من ست أذرع أو سبع أذرع وأحجز البيت الداخل عشرة أذرع وأظن سمكة بين الثماني والتسع ، ووقفت عند باب عائشه رضى الله تبارك وتعالى عنها فإذا هو مستقبل المغرب .

ومن طريق إبراهيم بن المنذر ، أنبأنا محمد بن أبى فُديك رأى حجر أزواج النبى ﷺ من جريد مستورةٍ بمسوح الشعر ، فسألته عن بيت عائشه

= الصوفية وجعل لها ابواب منافذ منفذة الهواء داعية الى السهولة فى الدخول والخروج وخفة الحركة مع وفر الزمن والسرعة إلى المقصد وكان منزل السيدةعائشة صفة إلى منزل السيدة فاطمة وكان به فتحة الى القبلة ، يؤيد ذلك قول بن زبالة كان بين بيت حفصة ومنزل عائشة طريق وكانتا تتهاديان الكلام وهما فى منزلهما من قرب ما بينهما وكان بيت حفصة على يمين خوخة آل عمر فى جنوب بيت عائشة إلى الشرق وكان من دونهما منازل بقية الأزواج الطاهرات وكان بمنزل فاطمة شباك يطل على منزل أبيها وكان ﷺ يستطلع امرها منه .

قال السهيلى فى (الروض) : إن بيوت النبى ﷺ كانت تسعة بعضها من جريد مطين بالطين وسقفها جريد وبعضها من حجارة موضوعة بعضها على بعض مسقفة بالجريد ايضا وكان لكل بيت حجرة وهى أكسية من شعر مربوطة بخشب العرعر .

أقول : إذا علمت أنها تسعة وأن كل بيت لابد له من محل لقضاء الحاجة ومحل لمؤنة السنة والطبخ ومحل للقاء الناس ومحل لمبيت النبى ﷺ مع زوجته الطاهرة وإن زدتها محل خزائن السلاح وأدوات النقل ومحل الدواب والخيل والنعم والحمير وغير ذلك من الممتلكات النبوية وممتلكات بيت المال مع دار الضيوف والسجن ومحل المرضى ومحل أهل الصفة وغير ذلك من الضروريات ظهر لك عظيم تلك المبانى وسعة تلك المرافق وهذه الضروريات التى الاتساع فى البناء ضرورى لها يجهلها أكثر الناس اليوم ويظنون أن مساكن النبى ﷺ كانت فى نهاية الضيق والقلة ولعمرى إذا أمكنه ﷺ ذلك فى المبادى فكيف لا يتسع أكثر من ذلك فى آخر امره ولو عاش فى المدينة بعد الهجرة أكثر من عشر سنوات وكان يشتغل فيها بغير الحروب وتوجيه البعوث وإرسال السرايا الى الجهات انظر ماذا كان يصنع (الإصابة) : ٣/٤٠٤ ترجمة رقم (٤٠٣٥) ، (التراتيب الإدارية) .

رضى الله تبارك وتعالى عنها فقال : كان بابه مواجه الشام ، فقلت : مصراع كان أو مصرعين ؟ قال : كان باباً واحداً ، قلت من أى شئ ؟ قال من عرر .

ومن طريق مالك بن إسماعيل حدثنا المطلب بن زياد ، حدثنا أبو بكربن عبد الله الأصبهانى ، محمد بن مالك بن المنتصر بن أنس رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : إن أبواب النبى ﷺ كانت تقرع ، الاطاشى أى لا خلف لها ولما توفى أزواجه رضى الله تبارك وتعالى عنهن ، خلط البيوت والحجر بالمسجد و ذلك فى زمن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، فلما ورد كتابه بذلك فج أهل المدينه بالبكاء كيوم وفاته ﷺ .

وقال محمد بن سعد : حدثنا محمد بن عمر الواقدى . قال : سألت مالك ابن أبى الرجال أين كانت منازل أزواج رسول الله ﷺ ؟ فأخبرنى عن أبيه عن أمه أنها كانت كلها فى الشق الأيسر إذا قمت إلى الصلاة إلى وجه الإمام فى وجهه المنبر .

ولما توفيت زينب بنت خزيمة رضى الله تبارك وتعالى عنها ، أدخلت أم سلمة رضى الله تبارك وتعالى عنها بينها فى بيتها .

قال الواقدى : كانت لحارثة بن النعمان منازل قرب المسجد وحوله ، فكلما أحدث رسول الله ﷺ أهلاً ، تحول له حارثة عن منزله ، حتى صارت منازله كلها لرسول الله ﷺ وأزواجه .

قال ابن سعد(١) : وأوصت سوده ببيتها لعائشة رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، وباع أولياء صفية بنت حيى بيتها من معاوية رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، بمائه ألف وثمانين ألفاً ، وقيل : بمائتى ألف ، وشرط لها سكناه حياتها ، وحمل إليها المال ، فما قامت من محلها ، يعنى قسمته .

وقيل : بل اشتراه ابن الزبير من عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنهما بعث إليها خمسة أحمال تحمل المال ، وشرط لها سكناها حياتها ، ففرقت المال ،

---

(١) (طبقات ابن سعد) : ٨/٦٧ وما بعدها .

فقيل لها : لو خبأت منه درهماً [تشترى به لحماً (١)] ؟ قالت : لو ذكرتمونى لفعلت .

وتركت حفصة بيتها ، فورثه ابن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنهم ، فلم تأخذ له ثمناً . فأدخل فى المسجد .

قال ابن سعد(٢) : فقال عبد الله بن زيد الهذلى : رأيت منازل أزواج رسول الله ﷺ حين هدمها عمر بن عبد العزيز ، وهو أمير المدينة ، فى خلافة الوليد بن عبدالملك ، وزادها فى المسجد ، كانت بيوتاً من لبن و لها حجز من جريد ، عددت تسعة أبيات . بحجزها ، ورأيت بيت أم سلمة رضى الله تبارك وتعالى عنها وحجرتها من لبن ، فقال ابن ابنتها : لما غزا رسول الله ﷺ دومة الجندل ، بنت أم سلمة حجرتها بلبن ، فلما قدم قال : ما هذا البنيان ؟ فقالت : أردت أن أكف أبصار الناس ، فقال : إن شر ما ذهب فيه مال المسلم البنيان .

وقال عطاء الخراسانى(٣) أدركت حُجَر أزواج النبى ﷺ من جريد النخل، على أبوابها المسوح من شعر أسود ، فحضرت كتاب الوليد يقرأ ، يأمر بإدخال

---

(١) ما بين الحاصرتين زيادة للسياق والبيان من (سير أعلام النبلاء) ، وفيه : عن هشام بن عروة، عن ابن المنكدر ، عن أم ذرة قالت : بعث ابن الزبير إلى عائشة بمال فى غرارتين ، يكون مائة ألف ، فدعت بطبق ، فجعلت تقسم فى الناس ، فلما أمست ، قالت : هاتى يا جارية فطورى ، فقالت أم ذرة : يا أم المؤمنين ! أما استطعت أن تشترى لنا لحماً بدرهم ؟ قالت : لا تعنفينى ، لو ذكرتينى لفعلت . (سير أعلام النبلاء) : ١٨٧/٢ ، (طبقات ابن سعد) : ٦٧/٨، (حلية الأولياء) : ٤٧/٢ ، ورجاله ثقات .

(٢) (طبقات ابن سعد) : ٦٧/٨ وما بعدها .

(٣) هو عطاء بن أبى مسلم الخراسانى أبو أيوب ، ويقال : أبو عثمان ، ويقال أبو محمد ، ويقال : أبو صالح البلخى ، نزيل الشام ، مولى المهلب بن أبى صفرة الأزدى .

اسم أبيه عبد الله ويقال ميسرة . روى عن الصحابة مرسلاً كابن عباس ، وعدى بن عدى الكندى ، والمغيرة بن شعبة ، وأبى هريرة ، وأبى الدرداء ، وأنس وكعب بن عجرةَ ، ومعاذ ابن جبل ، وغيرهم ، وعن سعيد بن المسيب ، عبد الله بن بريدة ، ويحيى بن يعمر ، =

حُجَر أزواج رسول الله ﷺ فى مسجد رسول الله ، فما رأيت يوماً أكثر باكياً من ذلك اليوم ، فسمعت سعيد بن المسيب ، يومئذ يقول : والله لوددت أنهم تركوها على حالها ، يبيت ناس من أهل المدينة ، ويقدم القادم من الآفاق فيرى ما اكتفى به رسول الله ﷺ فى حياته ، فيكون ذلك مما يُزهّد الناس فى التكاثر والمفاخرة .

فصل فى ذكر منبر رسول الله ﷺ

اعلم ان المنبر النبوى عمل من طرفاء الغابة فى سنة ثمان من الهجرة ، وقيل فى سنة سبع ، وأن امرأة أنصارية من بنى ساعدة ، أمرت غلامها حسناً ويقال إبراهيم ، فصنعه ، وقيل : بل هى امرأ ة من الأنصار، وقيل : بل صنعه

= وأبى الغوث القرعى ، وعمرو بن شعيب ، ونافع مولى ابن عمر ، وحمران مولى العبلات ، وعطاء بن أبى رباح وخلق .

وعنه عثمان ابنه ، وشعيبة إبراهيم بن طهمان ، وعبد الرحمن بن إسحاق بن أسيد الخراسانى، وداود بن أبى هند ، ومعمر ، وابن جريح ، والأوزاعى ، وعبد الرحمن بن يزيد ، وجابر ، والضحاك بن عبد الرحمن بن أبى حوشب ، وشعيب بن زريق ، وعمر بن المثنى ، والقاسم بن أبى بزة بن عاصم الكلبى ، ومالك بن أنس ، وهشام بن سعد المدنى ، وآخرون .

قال ابن معين : ثقة وقال ابن أبى حاتم عن أبيه : ثقة صدوق . قلت : يحتج به ؟ قال : نعم وقال النسائى ليس به بأس ، وقال الدار قطنى ثقة فى نفسه إلا أنه لم يلق ابن عباس وقال أبو داود : ولم يدرك ابن عباس ولم يره . وقال حجاج بن محمد عن شعيبة ثنا عطاء الخراسانى وكان نسيا وقال عبد الرحمن بن يزيد بن جابر كان يحيى الليل وعن عطاء قال أوثق أعمالى فى نفس نشر العلم قال ابنه عثمان بن عطاء مات سنة خمس وثلاثين ومائه وقال أبو نعيم الحافظ كان مولده سنة (٥٠) . (تهذيب التهذيب) : ١٩٠/٧ ، ترجمة رقم (٣٩٥) .

غلام العباس بن عبد المطلب رضى الله تبارك وتعالى عنه واسمه صُباح[1] ويقال : كلاب[2] .

وفى رواية : فأرسله إلى أثلة فى الغابة ، فقطعها ، ثم عملها درجتين ومجلساً ، ثم جاء بالمنبر فوضعه موضعه .

وقيل كان المنبر من أثلة قريب المسجد ، وقيل : إنما عمله تميم الدارى[3] رضى الله تبارك وتعالى عنه ، وقيل : عمله غلام سعيد بن العاص ، واسمه ناقول[4] وقيل : عمله غلام لرجل من بنى مخزوم ، ويقال : إنما عمله ياقوم بانى الكعبة لقريش[5] .

---

(١) هو صباح ، مولى العباس بن عبد المطلب ، روى عمر بن شبة ، من طريق صالح بن ابى الأخضر ، عن عمر بن عبد العزيز ، أن النبى ﷺ استعمل صباحا مولى العباس بن عبد المطلب ، فأعطاه عمالته .

وقرأت فى المبهمات لابن بشكوال قال : قرأت بخط ابن حبان قال : ذكر عبد الله بن حسين الأندلسى فى كتابه فى الرجال عن عمر بن عبد العزيز أن المنبر عمله صباح مولى العباس (الإصابة) : ٣/٤٠٤ - ٤٠٥ ، ترجمة رقم (٤٠٣٥) .

(٢) هو كلاب ، مولى العباس بن عبد المطلب .

ذكر ابن سعد ، وأخرج بسند فيه الواقدى ، عن أبى هريرة ؛ قال : كان رسول الله ﷺ يوم الجمعة يخطب إلى جذع فى المسجد قائماً ؛ فقال : إن القيام قد شق علىّ ، فقال تميم الدارى ألا أعمل لك منبراً كما رأيت يصنع بالشام ؟ فشاور النبى ﷺ المسلمين فى ذلك ، فرأوا أن يتخذه . فقال العباس بن عبد المطلب : إن لى غلاما يقال له كلاب أعمل الناس ، فقال : مره أن يعمله ، فأرسله إلى أثله بالغابة فقطعها وعمل منها درجتين ومقعداً ، ثم جاء فوضعه فى موضعه اليوم ؛ فقام عليه ، وقال : منبرى على ترعة من ترع الجنة . (الإصابة) ٥/٦١٦ - ٦١٧ ترجمة رقم (٧٤٤٥) .

(٣) سبقت له ترجمة وافيه فى (إمتاع الأسماع) بتحقيقنا : ٩/٣٨ ، فصل فى ذكر من حدث عنه رسول الله ﷺ .

(٤) لم أجد له ترجمة فيما بين يدى من مراجع .

(٥) القباطى : نوع من القماش .

وكان ﷺ يجلس على المنبر ، و يضع رجليه على الدرجة الثانية ، فلما ولى أبو بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه ، قام على الدرجة الثانية ، ووضع رجليه على الدرجة السفلى ، فلما ولى عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه ، قام على الدرجة السفلى ، ووضع رجليه على الأرض إذا قعد ، فلما ولى عثمان رضى الله تبارك وتعالى عنه ، فعل ذلك ستة سنين من خلافته ، ثم علا إلى موضع النبى ﷺ وكسا المنبر قبطيه ، وكان أول من كساه ، فسرقتها امرأة ، فأتي بها ، فقال لها : سرقت ؟ قولى : لا ، فاعترفت ، فقطعها ، وكساه معاوية ابن [أبى] سفيان بعد عثمان رضى الله تبارك وتعالى عنه لما حج ، ثم كساه عبد الله بن الزبير رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، فسرقتها امرأة ، فقطعها كما قطع عثمان رضى الله تبارك وتعالى عنه وكساه الخلفاء من بعده .

وكان طول المنبر ذراعان فى السماء وثلاثة أصابع ، وعرضه ذراع راجح ، وطول صدره ، وهو مسند النبى ﷺ ذراع وطول رمانتى المنبر اللتين كان يمسكهما بيديه الكريمتين إذا جلس شبر وأصبعان ، وعدد درجاته ثلاث بالمقعد ، وفيه خمسة أعواد من جوانبه الثلاثة .

فلما كان فى خلافة معاوية رضى الله تبارك وتعالى عنه ، زاد مروان ابن الحكم وهو على المدينة فى المنبر من أسفلة ست درجات ، ورفعوه عليها ، فصار المنبر تسع درجات بالمجلس ، فصار طوله بعد الزيادة أربعة أذرع ، ومن أسفل عتبته إلى أعلاه تسعة أذرع وشبر .

ثم تعاقب المنبر النبوى على طول الزمان ، فجدده بعض خلائف بنى العباس منبراً ، واتخذ من بقايا أعواد المنبر النبوى أمساطاً للتبرك بها ، فلم يزل المنبر المجدد حتى أحرق ليلة حريق المسجد أول ليلة من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وستمائة ، فبعث المظفر يوسف صاحب اليمن منبراً فى سنة ست وستين ، فخطب عليه مائة واثنتان وثلاثون سنة إلى أن بعث الظاهر برقوق من مصر منبراً فى سنة سبع وتسعين وسبعمائة .

[خرج البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى من حديث قتيبة بن سعيد ، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله القارىء القرشىَ الإسكندرانى ، حدثنا أبو حازم بن دينار ، قال : إن رجالاً أبو سهل رضى الله

تبارك وتعالى عنه ، كانت تسعة ، بعضها من جريد ، مطين بالطين ، وسقفها من جريد ، وبعضها من حجارة مرصوصة بعضها على بعض ، مسققة بالجريد أيضاً[1]] .

وخرج البخارى فى (الأدب المفرد) من [طريق] حديث ابن السائب قال : سمعت الحسن يقول : كنت أدخل بيوت أزواج النبى ﷺ ، فى خلافة عثمان رضى الله تبارك وتعالى عنه فأتناول سقفها بيدى .

وخرج من طريق عبد الله قال : أنبأنا داود بن قيس قال : رأيت الحجرات من جريد النخل ، مغشى من خارج مسوح الشعر ، وأظن عرض البيت من باب الحجرة ، قال : باب البيت نحواً من ست أذرع أو سبع أذرع . وأحرز البيت الداخل عشر أذرع ، وأظن سمكه بين الثمان والتسع ، ووقفت عند باب عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها ، فإذا هو مستقبل المغرب .

ومن طريق إبراهيم بن المنذر ، حدثنا محمد بن أبى فديك عن محمد بن هلال ، أنه رأى حجر أزواج النبى ﷺ من جريد بمسوح الشعر ، فسألته عن بيت عائشة رضى الله تبارك تعالى عنها ، فقال : كان بابه مواجه الشام ، فقلت: مصراعاً كان أو مصراعين ؟ قال : كان باباً واحداً ، فلت : من أى شئ ؟ قال عن عرعر .

ومن طريق مالك بن إسماعيل – وقد امتاروا فى المنبر مم عوده ؟ – فسألوه عن ذلك ، فقال : والله إنى لأعرف مما هو ، ولقد رأيته أول يوم صنع، وأول يوم جلس إليه رسول الله ﷺ ، أرسل رسول الله ﷺ إلى فلانة – امرأة قد سماها سهل رضى الله تبارك وتعالى عنها – مرى غلامك النجار أن يعمل أعواداً أجلس عليهم إذا كلمت الناس ، فأمرته بعملها من طرفاء الغاية ثم جاء بها فأرسلت إلى رسول الله ﷺ فأمرها فوضعت هاهنا ، ثم رأيت رسول الله

---

(١) ما بين الحاصرتين لذا بالأصل ولم أجد له معنى ولا توجيها فيما بين يدى من مراجع ، رغم إشارة المؤلف إلى تخريج كل من البخارى ومسلم وأبى داود والنسائى لهذا الحديث ، و لعله خطأ من الناسخ ، والله تبارك وتعالى أعلم .

ﷺ صلى عليها وكبر عليها ثم نزل القهقرى فسجد فى أصل المنبر ثم عاد فلما فرغ أقبل على الناس فقال أيها الناس إنما صنعت هذا لتأتموا ولتعلموا صلاتى .

ذكره البخارى[1] وأبو داود[2] فى كتاب الجمعة وترجم عليه البخارى باب الخطبة على المنبر ، وترجم عليه أبو داود باب اتخاذ المنبر ، وترجم عليه النسائى باب الصلاة على المنبر[3] .

---

(١) (فتح البارى) : ٥٠٤/٢ ، كتاب الجمعة ، باب (٢٦) الخطبة على المنبر ، وقال أنس رضى الله تبارك وعنه : خطب النبى ﷺ على المنبر .

قوله : " باب الخطبة على المنبر " أى مشروعيتها ، ولم يقيدها بالجمعة ليتناولها ، ويتناول غيرها .

قوله : " وقال أنس : خطب النبى ﷺ على المنبر " هذا طرف من حديث أورده المصنف فى الاعتصام ، وفى الفتن مطولاً ، وفيه قصة عبد الله بن حذافة ، ومن حديثه أيضاً فى الاستسقاء فى قصة الذى قال : " هلك المال " .

قوله : " امتروا " من المماراة ، وهى المجادلة ، وقال الكرمانى : من الامتراء ، وهو الشك ، ويؤيد الأول قوله فى رواية عبد العزيز بن أبى حازم عن أبيه عند مسلم " أن تماروا " فإن معناه تجادلوا ، قال الراغب : الامتراء والمماراة المجادلة ، ومنه **﴿ فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهر ﴾** وقال أيضا : المرية التردد فى الشئ ، ومنه **﴿ فلا تكن فى مرية من لقائه ﴾** .

وقوله : (والله إنى لأعرف مما هو) فيه القسم على الشئ لإرادة تأكيده للسامع ، وفى قوله : " ولقد رأيته أول يوم وضع ، وأول يوم جلس عليه " زيادة على السؤال ، لكن فائدته إعلامهم بقوة معرفته بما سألوه عنه ، وقد تقدم فى باب الصلاة على المنبر أن سهلاً قال : " ما بقى أحد أعلم به منى " .

قوله : (أرسل إلخ) هو شرح الجواب .

قوله : (إلى فلانة امرأة من الأنصار) فى رواية أبى غسان عن أبى حازم " امرأة من المهاجرين " كما سيأتى فى الهبة ، وهو وهم من أبى غسان لإطباق أصحاب أبى حازم على قولهم : " من الأنصار " ، وكذا قال أيمن عن جابر كما سيأتى فى علامات النبوة ، وقد تقدم الكلام على اسمها فى أيمن عن جابر كما سيأتى فى علامات النبوة ، وقد تقدم الكلام على اسمها فى " باب الصلاة على المنبر " فى أوائل الصلاة . =

= وقوله : (مرى غلامك النجار) سماه عباس بن سهل عن أبيه فيما أخرجه قاسم بن أصبغ وأبو سعد فى " شرف المصطفى " جميعاً من طريق يحيى بن بكير عن ابن لهيعه حدثنى عمارة ابن غزية عنه ولفظه " كان رسول الله ﷺ يخطب إلى خشبة . فلما كثر الناس قيل له : لو كنت جعلت منبراً . قال وكان بالمدينة نجار واحد يقال له ميمون فذكر الحديث ، وأخرجه ابن سعد من رواية سعيد بن سعيد الأنصارى عن ابن عباس نحو هذا السياق ولكن لم يسمه ، وفى الطبرانى من طريق أبى عبد الله الغفارى " سمعت سهل بن سعد يقول : كننت جالساً مع خال لى من الأنصار . فقال له النبى ﷺ اخرج إلى الغابة وأتنى من خشبها فاعمل لى منبراً " الحديث. وجاء فى صانع المنبر أقوال أخر :

أحدهما : اسمه إبراهيم أخرجه الطبرانى فى الأوسط من طريق أبى نضرة عن جابر ، وفى إسناده العلاء من مسلمة الرواس وهو متروك .

ثانيها : باقول بموحدة وقاف مضمومة رواه عبد الرزاق بإسناد ضعيف منقطع . ووصله أبو نعيم فى (المعرفة) لكن قال باقوم آخره ميم وإسناده ضعيف أيضاً .

ثالثها : صباح بضم المهملة بعدها موحدة خفيفة وآخره مهملة أيضاً ذكره ابن بشكوال بإسناد شديد الإنقطاع .

رابعها : قبيصة أو قبيصة المخزومى مولاهم ذكره عمر بن شبة فى (الصحابة) بإسناد مرسل .

خامسها : كلاب مولى العباس كما سيأتى .

سادسها : تميم الدارى رواه داود مختصراً والحسن بن سفيان والبيهقى من طريق أبى عاصم عن عبد العزيز بن أبى رواد " عن نافع عن ابن عمر أن تميماً الدارى قال لرسول الله ﷺ لما كثر لحمه : ألا نتخذ لك منبراً يحمل عظماك ؟ قال : بلى فاتخذ له منبراً " الحديث وإسناده جيد ، وسيأتى ذكره فى علامات النبوة فإن البخارى أشار إليه ثم ، روى ابن سعد فى (الطبقات) من حديث أبى هريرة " أن النبى ﷺ كان يخطب وهو مستند إلى جذع فقال :إن القيام قد شق على فقال له تميم الدارى : ألا أعمل لك منبراً كما رأيت يصنع بالشام ؟ فشاور النبى ﷺ المسليمن فى ذلك فرأوا أن يتخذه ، فقال العباس بن عبد المطلب : إن لى غلاما يقال له كلاب أعمل الناس ، فقال : مره أن يعمل " الحديث رجاله ثقات إلا الواقدى . سابعها : ميناء ، ذكره ابن بشكوال عن الزبير بن بكار : " حدثنى إسماعيل " هو ابن أبى أويس عن أبيه ، قال : عمل=

= المنبر غلام لامرأة من الأنصار من بنى سلمة – أو من بنى ساعدة أو امرأة لرجل منهم – يقال له ميناء " .

وهذا يحتمل أن يعود الضمير فيه علـى الأقـرب ، فيكـون مينـاء اسـم زوج المـرأة ، وهـو بخلاف ما حكيناه فى " باب الصلاة على المنبر والسطوح " ، عن ابـن التيـن ، أن المنـبر عملـه غلام سعد بن عبادة ، وجوزنا أن تكون المرأة زوج سعد وليس فـى جميـع هـذه الروايـات التـى سمى فيها البخارى شئ قوى السند إلا حديث ابـن عمـر ، وليـس فيـه لتصريـح بـأن الـذى اتخـذ المنبر تميم الدارى ، وقد تبين من رواية ابن سعد أن تميماً لم يعلمه .

وأشبه الأقوال بالصواب قول من قال : هو ميمون ، لكـون الإسـناد مـن طريـق سـهل بـن سعد أيضاً ، وأما الأقوال الأخرى فلا اعتداد بها لوهائها . ويبعد جداً أن يجمع بينها بأن النجـار كانت له أسماء متعددة . وأما احتمال كون الجميع اشتركوا فى عمله ، فيمنع منه قوله فـى كثـير من الروايات السابقة : ولم يكـن بالمدينـة إلا نجـار واحـد " إلا ان كـان يحمـل علـى أن المـراد بالواحد الماهر فى صناعته ، والبقية أعوانه . والله تعالى أعلم .

ووقع عند الترمذى وابن خزيمة وصححاه من طريق عكرمة بن عمار عن إسحاق بن أبـى طلحة ، عن أنس : " كان النبى ﷺ يقوم يوم الجمعة فيسند ظهره إلى جذع منصوب فى المسـجد يخطب ، فجاء إليه رومى فقال : ألا أصنع لك منبراً ؟ " الحديث . ولم يسمه فيحتمـل أن يكـون المراد بالرومى تميم الدارى لأنه كان كثير السفر إلى أرض الروم .

وقد عرف مما تقدم سبب عمل المنبر ، وجزم ابن سعد بأن ذلك كان فى السـنة السـابعة ، وفيه نظر لذكر العباس وتميم فيه وكان قدوم العباس بعد الفتح فى آخر سنة ثمـان ، وقـدوم تميـم سنة تسع .

وجزم ابن النجار بأن عمله كان فى سنة ثمان ، وفيه نظر أيضاً لما ورد فى حديث الإفـك فى الصحيحين عن عائشة قالت : " فثار الحيان الأوس والخزرج حتى كادوا أن يقتتلـوا ورسـول الله ﷺ على المنبر ، فنزل فخفضهم حتى سكتوا " فإن حمل علـى التجـوز فـى ذكـر المنـبر وإلا فهو أصح مما مضى .

وحكى بعض أهل السير أنه ﷺ كان يخطب على منبر من طين قبل أن يتخذ المنـبر الـذى من خشب ، ويعكر عليه أن فى الأحاديث الصحيحة أنه كان يستند إلـى الجـذع إذا خطـب ، ولـم يزل المنبر على حاله ثلاث درجات حتى زاده مروان فى خلافة معاوية ست درجات من أسفله=

= وكان سبب ذلك ما حكاه الزبير بين بكار فى (أخبار المدينة) بإسناده إلى حميد بن عبد الرحمن ابن عوف قال: " بعث معاوية إلى مروان - وهو عامله على المدينة - أن يحمل إليه المنبر ، فأمر به فقلع ، فأظلمت المدينة ، فخرج مروان فخطب وقال : إنما أمرنى أمير المؤمنين أن أرفعه ، فدعا نجاراً ، وكان ثلاث درجات فزاد فيه الزيادة التى هو عليها اليوم " . ورواه من وجه آخر قال : فكسفت الشمس حتى رأينا النجوم وقال : " فزاد فيه ست درجات وقال : إنما زدت فى حين كثر الناس " قال ابن النجار وغيره : استمر على ذلك إلا ما أصلح منه إلى أن احترق مسجد المدينة سنة أربع وخمسين وستمائة فاحترق ، ثم جدد المظفر صاحب اليمن سنة ست وخمسين منبراً ، ثم أرسل الظاهر بيبرس بعد عشر سنين منبراً فأزيل منبر المظفر ، فلم يزل ذلك إلى هذا العصر فأرسل الملك المؤيد سنة عشرين وثمانمائة منبراً جديداً ، وكان أرسل فى سنة فى سنة ثمانى عشرة منبراً جديداً إلى مكة أيضاً ، شكر الله له صالح عمله آمين .

قوله : (فعملها من طرفاء الغابة) فى رواية سفيان عن أبى حازم " من أثلة الغابة " كما تقدم فى أوائل الصلاة ، ولا مغايرة بينهما فإن الأثل هو الطرفاء وقيل يشبه الطرفاء وهو أعظم منه ، والغابة بالمعجمة وتخفيف الموحدة موضع من عوالى المدينة جهة الشام ، وهى اسم قرية بالبحرين أيضاً ، وأصلها كل شجرة ملتف .

قوله : (فأرسلت) أى المرأة تعلم بأنه فرغ .

قوله : (فأمر بها فوضعت) أنث لإرادة الأعواد والدرجات ، ففى رواية مسلم من طريق عبد العزيز بن أبى حازم " فعمل له هذه الدرجات الثلاث " .

قوله : (ثم رأيت رسول الله ﷺ صلى عليها) أى على الأعواد ، وكانت صلاته على الدرجة العليا من المنبر .

قوله : (وكبر وهو عليها ثم ركع وهو عليها ثم نزل القهقرى) لم يذكر القيام بعد الركوع فى هذه الرواية وكذا لم يذكر القراءة بعد التكبيرة ، وقد تبين ذلك فى رواية سفيان عن أبى حازم ولفظه " كبر فقرأ " وركع ثم رفع رأسه ثم رجع القهقرى " والقهقرى بالقصر المشى إلى خلف .

والحامل عليه المحافظة على استقبال القبلة ، وفى رواية هشام بن سعد عن أبى حازم عند الطبرانى " فخطب الناس عليه ثم أقيمت الصلاة فكبر وهو على المنبر " فأفادت هذه الرواية تقدم الخطبة على الصلاة . =

= قوله : (فى أصل المنبر) أى على الأرض إلى جنب الدرجة السفلى منه .

قوله : (ثم عاد) زاد مسلم من رواية عبد العزيز حتى فرغ من صلاته .

قوله : (ولتعلموا) بكسر اللام وفتح المثناة وتشديد اللام أى لتتعلموا ، وعرف منه أن الحكمة فى صلاته فى أعلى المنبر ليراه من قد يخفى عليه رؤيته إذا صلى على الأرض ويستفاد منه أن من فعل شيئاً يخالف العادة أن يبين حكمته لأصحابه .

وفيه مشروعية الخطبة على المنبر لكل خطيب خليفة كان أو غيره . وفيه جواز قصد تعليم المأمومين أفعال الصلاة بالفعل ، وجواز العمل اليسير فى الصلاة ، وكذا الكثير إن تفرق ، وقد تقدم البحث فيه وكذا فى جواز ارتفاع الإمام فى " باب الصلاة فى السطوح " وفيه استحباب اتخاذ المنبر لكونه أبلغ فى مشاهدة الخطيب والسماع منه ، واستحباب الافتتاح بالصلاة فى كل شيء جديد إما شكراً وإما تبركاً .

وقال ابن بطال : إن كان الخطيب هو الخليفة فسنته أن يخطب على المنبر ، وإن كان غيره يخير بين أن يقوم على المنبر أو على الأرض .

وتعقبه الزين بن المنير بأن هذا خارج عن مقصود الترجمة ولأنه إخبار عن شيء أحدثه بعض الخلفاء ، فإن كان من الخلفاء الراشدين فهو سنة متبعة ، وإن كان من غيرهم فهو بالبدعة أشبه منه بالسنة .

قلت : ولعل هذا هو حكمة هذه الترجمة ، أشار بها إلى أن هذا التفصيل غير مستحب ، ولعل مراد من استحبه أن الأصل أن لا يرتفع الإمام عن المأمومين .

ولا يلزم من مشروعية ذلك للنبى ﷺ ثم لمن ولى الخلافة أن يشرع لمن جاء بعدهم ، وحجة الجمهور وجود الاشتراك فى وعظ السامعين وتعليمهم بعض أمور الدين .والله الموفق .

(فتح البارى) : ٢ / ٥٠٤ - ٥٠٨ ، باب (٢٦) الخطبة على المنبر ، حديث رقم (٩١٧) ، باختلاف يسير فى اللفظ .

(٢) (سنن أبى داود) : ١/٦٥١ - ٦٥٢ ، كتاب الصلاة ، باب (٢٢١) فى اتخاذ المنبر ، حديث رقم (١٠٨٠) .

قال الخطابى فى (معالم السنن) : الغابة : موضع قريب من المدينة من عواليها من ناحية الشام . والطرفاء : شجر من شجر البادية واحدها طرفة بفتح الطاء مثل قصبة وقصباء .

قلت : الغابة الغيضة وجمعها غابات وغاب . ومنه قولهم ليث غاب قال الشاعر : =

وألفاظهم فى هذا الحديث قريبة جداً ، ولم يذكر مسلم له لفظاً ، بل أحاله على حديث عبد العزيز بن أبى حازم ، عن ابنه ، قال : إن نفراً جاءوا إلى سهل ابن سعد رضى الله تبارك وتعالى عنه ، قد تماروا فى المنبر ، من أى عود هو؟ فقال : أما والله إنى لأعرف ماعوده ، ومن عمله . ورأيت رسول الله ﷺ أول يوم جلس عليه .

قال : فقيل له : يا أبا عباس ! فحدثنا . قال : أرسل رسول الله ﷺ إلى امرأة - قال أبو حازم : إنه ليسميها يومئذ - انظرى غلامك النجار يعمل لى أعواداً أكلم الناس عليها ، فعمل هذه الثلاث درجات ، ثم أمر بها رسول الله ﷺ فوضعت بهذا الموضع ، فهى من طرفاء الغابة ، وقد رأيت رسول الله ﷺ قام فكبر ، وكبر الناس ، ورآه وهو على المنبر ، ثم رجع فنزل القهقرى حتى سجد فى أصل المنبر ، ثم عاد حتى فرغ من آخر صلاته ، ثم أقبل على الناس فقال : يا أيها الناس ، إنما صنعت هذا المنبر لتأتموا بى ، ولتصلوا بصلاتى .

وذكره البخارى فى كتاب البيوع[1]، من حديث قتيبة بن سعيد ، حدثنا عبد العزيز بن أبى حازم ، عن أبى حازم بنحو أو قريب مما تقدم .

= وكنا كالحريق أصاب غاباً فتخبو ساعة وتهب ساعاً .

وفيه من الفقه : جواز أن يكون مقام الإمام أرفع من مقام المأموم إذا كان ذلك لأمر يعلمه الناس ليقتدوا به ، وفيه أن العمل اليسير لا يقطع الصلاة وإنما نزل القهقرى لئلا يولى الكعبة قفاه .

فإما إذا قرأ الإمام السجدة وهو يخطب يوم الجمعة فإنه إذا أراد النزول لم يقهقر ونزل مقبلاً على الناس بوجهه حتى يسجد وقد فعله عمر بن الخطاب .

وعند الشافعى أنه إن أحب أن يفعله فعل . فإن لم يفعله أجزأه ، وقال أصحاب الرأى : ينزل ويسجد ، وقال مالك : لا ينزل ولا يسجد ويمضى فى خطبته .

(٣) (النسائى) : ٢/٣٩٠ - ٣٩١ ، كتاب المساجد ، باب (٤٥) الصلاة على المنبر ، حديث رقم (٧٣٨) .

(١) (فتح البارى) : ٤/٤٠٠ ، كتاب البيوع ، باب (٣٢) النجار حديث رقم (٢٠٩٤) .

وذكره بهذا الإسناد فى كتاب الصلاة[1]مختصراً ، فى باب الاستعانة بالنجار والصناع فى أعواد المنبر والمسجد .

وذكره فى كتاب الهبة[2]من حديث أبى غسان قال : حدثنى أبو حازم ، عن سهل رضى الله تبارك وتعالى عنه ، قال : إن النبى ﷺ أرسل إلى امرأة من المهاجرين - وكان لها غلام نجار - قال : مرى عبدك فليعمل لنا أعواد المنبر ، فأمرت عبدها ، فذهب ، فقطع من الطرفاء[3]، فصنع له منبراً ، فلما قضاه ، أرسلت إلى النبى ﷺ أنه قد قضاه ، قال ﷺ :أرسلوا به إلىّ فجاءوا به ،

---

(١) (فتح البارى) ٧١٥/١ ، كتاب الصلاة ، باب (٦٤) الاستعانة بالنجار والصناع فى أعواد المنبر والمسجد ، حديث رقم (٤٤٨) .

(٢) (فتح البارى) : ٢٥٠/٥ ، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها ، باب (٣) من استوهب من أصحابه شيئاً ، وقال أبو سعيد ، وقال النبى ﷺ : " اضربوا لى معكم سهماً " حديث رقم (٢٥٩٦) .

قوله : " باب من استوهب من أصحابه شيئاً " أى سواء كان عيناً أو منفعة جاز ، أى بغير كراهية فى ذلك إذا كان يعلم طيب أنفسهم .

قوله : " وقال أبو سعيد " هو الخدرى .

قوله : " اضربوا لى معكم سهماً " هو طرف من حديث الرقية وقد تقدم بتمامه مشروحاً فى كتاب الإجارة .

قوله : " حدثنا أبو غسان " هو محمد بن مطرف ، وسهل هو ابن سعد ، وتقدم الحديث مشروحاً فى كتاب الجمعة ، وفيه استيهابه من المرأة منفعة غلامها ، وقد سبق ما نقل فى تسمية كل منهما . وأغرب الكرمانى هنا فزعم أن اسم المرأة مينا وهو وَهَم ، وإنما قيل ذلك فى اسم النجار كما تقدم وأن قول أبى غسان فى هذه الرواية إن المرأة من المهاجرين وهم ، ويحتمل أن تكون أنصارية حالفت مهاجرياً وتزوجت به أوالعكس ، وقد ساقه ابن بطال فى هذا الموضع بلفظ " امرأة من الأنصار " والذى فى النسخ التى وقفت عليها من البخارى ما وصفته .

(٣) الطرفاء : نخل لبنى عامر بن حنيفة باليمامة ، وإياها عنت بقولها :

هل زاد طرفاء القصب　　　بالقرب مما احتسب ؟

(معجم البلدان) : ٣٥/٤ موضع رقم (٧٩٠٦) .

فاحتمله النبي ﷺ ، فوضعه حيث ترون . ترجم عليه باب من استوهب من أصحابه شيئاً .

وخرج أبو داود[١] من حديث أبي عاصم ، عن أبي روّاد عن نافع ، عن ابن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : إن النبى ﷺ لما بدّن قال : له تميم الدارى رضى الله تبارك وتعالى عنه ، ألا أتخذ لك منبراً يا رسول الله يجمع أويحمل عظامك ؟ قال ﷺ : بلى ، فاتخذ له ﷺ منبراً مرقاتين .

خرج البخارى[٢] فى كتاب البيوع ، فى باب النجار ، من حديث خلاد قال : حدثنا عبد الواحد بن أيمن ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله تبارك وتعالى عنهما قال : " إن امرأة من الأنصار قالت : يارسول الله! ألا أجعل لك شيئاً تقعد عليه ، فإن لى غلاماً نجاراً ؟ قال ﷺ : إن شئت . فعملت له المنبر . فلما كان يوم الجمعة قعد النبى ﷺ على المنبر الذى صنع فصاحت النخلة التى كان يخطب عندها ،حتى كادت أن تنشق ، فنزل النبى ﷺ ، حتى أخذها فضمها إليه ، فجعلت تئن أنين الصبى الذى يسكت حتى استقرت . قال ﷺ : بكت على ما كانت تسمع من الذكر " .

وذكره فى كتاب علامات النبوة فى الإسلام[٣]وفى كتاب الجمعه[٤]كما ستأتى طرقه إن شاء الله تعالى فى ذكر المعجزات .

---

(١) (سنن أبى داود) : ٦٥٣/١ ، كتاب الصلاة ، باب (٢٢١) فى اتخاذ المنبر ، حديث رقم (١٠٨١) ، قوله " بدّن " قال : ابو عبيد روى للتخفيف ، إنما هو بالتشديد ، أى كبر وأسنّ ، وهو بالتخفيف : البدانة وكثرة اللحم ، ولم يكن النبى ﷺ سميناً .

(٢) (فتح البارى) : ٤ /٤٠٠ ، كتاب البيوع ، باب (٣٢) النجار حديث رقم (٢٠٩٥) .

(٣) (فتح البارى) : ٧٤٦/٦ - ٧٤٧ ، كتاب المناقب ، باب (٢٥) علامات النبوة فى الإسلام ، حديث رقم (٢٥٨٣ - ٢٥٨٤) .

قوله : " كصوت العشار " بكسر المهمله بعدها معجمه خفيفة جمع عشراء ، تقدم شرحه فى الجمعه ، والعشراء الناقة التى انتهت فى حملها إلى عشرة أشهر ، ووقع فى رواية عبد الواحد بن أيمن " فصاحت النخلة صياح الصبى " وفى حديث أبى الزبير عن جابر عن النسائى فى (الكبير) " اضطربت تلك السارية كحنين الناقة الخلوج " انتهى . والخلوج بفتح الخاء =

وقد اختلف في اسم هذا النجار ، فقيل : مينا ، وقيل : ناقول مولى العاص بن أمية ، وقيل : ميمون ، وقيل : صباح غلام العباس بن عبد المطلب رضى الله تبارك وتعالى عنه ، وقيل : بل عمله غلام قبيصة المخزومي ، وقيل: عمله غلام سعد بن عبادة ، وقيل : غلام امرأة من الأنصار .

وكان عمله في سنة سبع بعد عوده من خيبر ، وقيل : عمله سنة ثمان ، وقال ابن زبالة : وكان المنبر من أثلة كانت قريباً من المسجد ، والذى زاد في درجه معاوية بن أبي سفيان .

قال سفيان بن حمزة : قال كثير : فأخبرني الوليد بن رباح ، قال : كسفت الشمس يوم زاد معاوية رضى الله تبارك وتعالى عنه في المنبر ، حتى رؤيت النجوم .

= المعجمة وضم اللام الخفيفة وآخره جيم الناقة التى انتزع منها ولدها ، وفى حديث أنس عن ابن خزيمة " فحنت الخشبة حنين الوالد " وفى روايته الآخرى عن الدارمىّ وابن ماجة " فلما خار الجذع حتى تصدع وانشق " وفى حديثه " فأخذ أبى بن كعب ذلك الجذع لما هدم المسجد فلم يزل عنده حتى بلى وعاد رفاتاً " . وهذا لا يتنافى ما تقدم من أنه دفن ، لاحتمال أن يكون ظهر بعد الهدم عند التنظيف فأخذه أبى بن كعب ، وفى حديث بريده عن الدارمىّ أن النبى ﷺ قال له : " اختر أن أغرسك فى المكان الذى كنت فيه فتكون كما كنت - يعنى قبل أن تصير جذعاً - وإن شئت أن أغرسك فى الجنة فتشرب من أنهارها فيحسن نبتك وتثمر فيأكل منك أولياء الله ، قال النبى ﷺ : اختار أن أغرسه فى الجنة " . قال البيهقى : قصة حنين الجذع من الأمور الظاهرة التى حملها الخلف عن السلف ، ورواية الأخبار الخاصة فيها كالتكلف . وفى الحديث دلاله على أن الجمادات قد يخلق الله لها إدراكاً كالحيوان بل كأشرف الحيوان ، وفيه تأييد لقول من يحمل ﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ﴾ على ظاهره .

وقد نقل ابن أبى حاتم فى (مناقب الشافعى) عن أبيه عن عمرو بن سواد عن الشافعى قال : ما أعطى الله نبياً ما أعطى محمداً ، فقلت : أعطى عيسى إحياء الموتى ، قال : أعطى محمداً حنين الجذع حتى سمع صوته ، فهذا أكبر من ذلك . (فتح البارى) .

(٤) سبق تخريجه .

وذكر الواقدى وغيره : أنه لما كانت سنة خمسين ، أمر معاوية بن أبى سفيان بحمل المنبر إلى الشام ، وقال : لا يترك هو وعصا النبى ﷺ بالمدينة[١] .

وهم قبله[٢]عثمان رضى الله تبارك وتعالى عنه ، فطلب العصا - يعنى العنزة وهى عند سعد القرظ ، فلما حرك المنبر ليخرج من موضعه كسفت الشمس حتى رؤيت النجوم بادية ، فأعظم الناس ذلك ، فترك المنبر على حاله .

وقيل : بل أتاه جابر بن عبد الله ، وأبو هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، فقالا له : يا أمير المؤمنين ! لا يصلح أن تخرج منبر رسول الله ﷺ من موضع وضعه فيه ، ولا تنقل عصاه إلى الشام . فترك المنبر ، وزاد فيه ست درجات ، واعتذر مما صنع[٣] .

وذكر ابن زبالة ، من حديث عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبيه قال : بعث معاوية بن [أبى] سفيان رضى الله تبارك وتعالى عنه ، إلى مروان بن الحكم ، عامله على المدينة ، يأمره أن يحمل إليه منبر النبى ﷺ عن ما وضعه ، فأمر به أن يقلع ، فأظلمت المدينة ، وأصابتهم ريح شديدة ، فخرج مروان ، فخطب فقال : يا أهل المدينة ! إنكم تزعمون أن أمير المؤمنين بعث إلى منبر رسول الله ﷺ ليزيله ! وأمير المؤمنين أعلم بالله من أن يغير منبر رسول الله ﷺ عن ما وضعه عليه ، إنما أمرنى أن أكرمه وأرفعه، ودعا نجاراً - وكان ثلاث درجات - فزاد فيه الزيادة التى هو عليها اليوم ، ووضعه موضعه ، وكان من طرفاء الغابة[٤] .

وعن عبد الله بن زياد ، عن ابن فطن ، قال : قلع مروان بن الحكم منبر النبى ﷺ ، وكان درجتين والمجلس ، وأراد أن يبعث به إلى معاوية ،

---

(١) (الكامل فى التاريخ) : ٣/٤٦٣ - ٤٦٤، ذكر إرادة معاوية نقل المنبر إلى المدينة [فى أحداث سنة خمسين] .

(٢) كذا فى (الأصل) وفى (المرجع السابق) : " قتله " .

(٣) (الكامل فى التاريخ) : ٣/٤٦٣ - ٤٦٤، ذكر إرادة معاوية نقل المنبر إلى المدينة [فى أحداث سنة خمسين] .

(٤) المرجع السابق .

فكسفت الشمس حتى رأينا النجوم ! فزاد فيه ست درجات ، وخطب الناس فقال: إنى إنما رفعته حين كثر الناس ، ولما ولى عبد الملك بن مروان الخلافة ، هَمَّ بنقل المنبر ، فقال له قبيصة بن ذؤيب : أذكرك الله أن تفعل ، إن معاوية حركه فكسفت الشمس ! وقال رسول الله ﷺ : من حلف على منبرى كاذباً فليتبوأ مقعده من النار(١) ، وهو مقطع الحقوق بينهم بالمدينة ، فتركه عبد الملك .

فلما ولى الخلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان ، وحجّ ، هَمَّ بذلك ، فأرسل سعيد بن المسيب إلى عمر بن عبد العزيز رضى الله تبارك وتعالى عنه، فقال : كلم صاحبك لا يتعرض لذلك ، فكلمه ، فتركه .

ثم لما كانت خلافة سليمان بن عبد الملك ، وحجّ ، أخبره عمر بن عبد العزيز رضى الله تبارك وتعالى عنه بما كان من عبد الملك ، ومن الوليد ، فقال: ما كنت أحب أن يذكر عن أمير المؤمنين عبد الملك هذا ، ولا عن الوليد ، ما لنا ولهذا ؟ أخذنا الدنيا فهى فى أيدينا ، ونريد أن نعمد إلى علم من أعلام الإسلام يوفد إليه فنحمله ، هذا مالا يصلح(٢) .

فلما حج أمير المؤمنين محمد المهدى فى سنة ستين ومائة ، قال لمالك ابن أنس : إنى أريد أن أعيد منبر رسول الله ﷺ إلى حاله التى كان عليها ، فقال له مالك : إنه من طرفاء ، وقد سُمِّر إلى هذه العيدان [وثبت] ، فمتى نزعته خفت أن يتهافت وتهلك ، ولا أرى أن تعيده ، فانصرف رأى المهدى عن تغييره(٣) .

---

(١) (موطأ مالك) : ٥١٥ ، ما جاء فى الحنث على منبر النبى ﷺ ، حديث رقم (١٤٠٦) من حديث جابر بن عبد الله الأنصارى .

(٢) (المرجع السابق) .

(٣) قال ابن جرير الطبرى : وقسم المهدى فى هذه السنة بمكة فى أهلها - فيما ذكر - مالا عظيماً، وفى أهل المدينة كذلك ، فذكر أنه نُظر فيما قسم فى تلك السفرة فوُجد ثلاثين ألف ألف درهم ، حُملت معه ، ووصلت إليه من مصر ثلثمائة ألف دينار ، ومن اليمن مائتا ألف دينار ، فقسم ذلك كله وفرق من الثياب مائة ألف ثوب وخمسين ألف ثوب ، ووسع فى مسجد رسول الله ﷺ ، وأمر بنزع المقصورة التى فى مسجد الرسول ﷺ فنزعت ، واراد أن ينقص منبر رسول الله =

فصل في ذكر من كان يؤذن لرسول الله ﷺ

اعلم أن الأذان والتأذين : النداء إلى الصلاة والمئذنة موضع الأذان ، وهى المنارة ، والصومعة .

وقد كان لرسول الله ﷺ أربعة من أصحابه يؤذنون : اثنان منهم بمسجده ، وواحد بمسجد قباء ، وواحد بمكة .

فالمؤذنان بمسجده ﷺ : بلال بن رباح[1] وابن أم مكتوم[2] رضى الله تبارك وتعالى عنهما . والذى يؤذن بقباء سعد القرظ[3] رضى الله تبارك وتعالى عنه ومؤذن مكة أبو محذورة رضى الله تبارك وتعالى عنهم .

= ﷺ فيعيده إلى ما كان عليه ، ويلغى منه ما كان معاوية زاد فيه ، فذكر عن مالك عن أنس أنه شاور فى ذلك ، فقيل له: إن المسامير قد سلكت فى الخشب الذى أحدثه معاوية ، وفى الخشب الأول وهو عتيق ، فلا نأمن إن خرجت المسامير التى فيه وزعزعت أن يتكسّر ، فتركه المهدى. (تاريخ الطبرى) : ١٣٣/٨ .

(١) هو بلال بن رباح الحبشى المؤذن ، وهو بلال بن حمامة ، وهى أمه اشتراه أبو بكر الصديق من المشركين لما كانوا يعذبونه على التوحيد ، فأعتقه ، فلزم النبى ﷺ وأذن له ، وشهد معه جميع المشاهد ، وآخى النبى ﷺ بينه وبين أبى عبيده بن الجراح ، ثم خرج بلال بعد النبى ﷺ مجاهداً إلى أن مات بالشام .

قال أبو نعيم : كان ترب أبى بكر ، وكان خازن رسول الله ﷺ وروى أبو إسحاق الجوزجانى فى تاريخه ، من طريق منصور ، عن مجاهد ، قال : قال عمار : كل قد قال : ما أرادوا - يعنى المشركين - غير بلال .

ومناقبه كثيرة مشهورة ، قال ابن إسحاق : كان لبعض بنى جُمح مولد من مولد بهم ، واسم أمه حمامة . وكان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الظهيرة ، فيطرحه على ظهره فى بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة على صدره ، ثم يقول : لا يزال على ذلك حتى يموت أو يكفر بمحمد ، فيقول وهو فى ذلك : أحد أحد . فمر به أبو بكر فاشتراه منه يعبد له أسود جلد . =

= قال البخارى : مات بالشام زمن عمر . وقال ابن بكير : مات فى طاعون عمواس . وقال عمرو بن على : مات سنة عشرين . وقال بن زَبْر : مات بدارياً ، وفى المعرفه لابن منده أنسه دَينَ يَحلب . (الاصابة) : ١/٣٢٦ - ٣٢٧ ترجمة رقم (٧٣٦) .

(٢) هو عمرو بن أم مكتوم القرشى . ويقال اسمه عبد الله . وعمرو أكثر وهو ابن قيس بن زائدة ابن الأصم .

ومنهم مَن قال عمرو بن زائدة ، لم يذكر قيساً ، ومنهم من قال قيس : بدل زائده .

وقال ابن حبان : من قال ابن زائدة نسبة لجده ، ويقال : كان اسمه الحصين فسماه النبى ﷺ عبد الله ، حكاه ابن حبان .

وقال ابن سعد : أهل المدينة يقولون اسمه عبد الله ، واهل العراق يقولون اسمه عمرو ، قال : واتفقوا على نسبه ، وأنه ابن قيس بن زائدة بن الأصم . وفى هذا الاتفاق نظر فقد تقدم ما يخالفه كما ترى ، وتقدم ما يخالفه أيضاً .

قلت : نسبه كذلك ابن منده ، وتبعه أبو نعيم ، وحكى فى اسمه أيضاً عبد الله بن عمرو .

قال : وقيل عمرو بن قيس بن شُريح بن مالك . وقال الثعلبى فى تفسيره : اسمُه عبد الله ابن شريح بن مالك بن ربيعه بن قيس بن زائدة ، واسم الأصم جندب بن هِدم بن رواحة بن حمير بن معيص بن عامر بن لؤى القرشىّ العامرىّ .

واسم أمه أم مكتوم عاتكه بنت عبد الله بن عنكثة ، بمهملة ونون ساكنه وبعد الكاف مثلثة، ابن عائذ بن مخزوم ، وهو ابن خال خديجة أم المؤمنين ، فإن أم خديجة أخت قيس بن زائدة ، واسمها فاطمة . أسلم قديماً بمكة ، وكان من المهاجرين الأولين ، قدم المدينة قبل أن يهاجر النبى ﷺ . وقيل : بل بعده ، بعد وقعة بدر بيسير ، قاله الواقدى .

والأول أصح ، فقد روى من طريق أبى إسحاق عن البراء ، قال : أول من أتانا مهاجراً مصعب بن عمير ، ثم قدم ابن أم مكتوم ، وكان النبى ﷺ يستخلفه على المدينة فى عامة غزواته يصلى بالناس .

وقال الزبير بن بكار : خرج إلى القادسية ، فشهد القتال ، واستشهد هناك ، وكان معه اللواء حينئذ ، وقيل : بل رجع إلى المدينة بعد القادسية فمات بها ، ذكره البغوى .

وقال الواقدى : بل شهدها ، ورجع إلى المدينة فمات بها ، ولم يسمع له بذكر بعد عمر ابن الخطاب .

=

وقد روى أن حبان بن بُحّ الصدائى[1]، وزياد بن الحارث الصدائى[2]، أذن كل منهما فى السفر .

= روى عن النبى ﷺ وحديثه فى كتب السنن .

روى عنه عبد الله بن شداد بن الهاد ، وعبد الرحمن بن أبى ليلى ، وأبو رزين الأسدى وآخرون .

وقال ابن عبد البر : روى جماعة من أهل العلم بالنسب والسير أن النبى ﷺ استخلف ابن أم مكتوم ثلاث عشرة مرة : فى الأبواء ، وبواط ، وذى العشيرة ، وغزوته فى طلب كُرز بن جابر ، وغزوة السويق ، وغطفان. وفى غزوة أحد ، وحمراء الأسد ، ونجران . وذات الرقاع ، وفى خروجه فى حجة الوداع ، وفى خروجه إلى بدر ، ثم استخلف أبالُبابة لما رده من الطريق ، قال : وأما رواية قتاده عن أنس : إن النبى ﷺ استخلف ابن أم مكتوم فلم [٤٤٨] يبلغه ما بلغ غيره . (الإصابة) : ٤/٦٠٠ - ٦٠٣ ترجمة رقم (٥٧٦٨) .

(٣) هو سعد بن عمار بن سعد القرظ المؤذن مولى " عمار " أنزله المدينة ، فكان يؤذن فى مسجد رسول الله فولده إلى اليوم يؤذنون فى مسجد رسول الله ﷺ .

روى عن أبيه عن جده نسخة وعن أم عمار حاضنة عمار بن ياسر ، وعنه ابنه عبد الرحمن وعبد الكريم ابن أبى المخارق . قلت : قال ابن القطان لا يعرف حاله ولا حال أبيه .

(المعارف) : ٢٥٨ (تهذيب التهذيب) : ٣/٤١٥ ، ترجمة رقم (٨٩١) .

(١) هو حبان ، بكسر أوله على المشهور ، وقيل بفتحها وهو بالموحدة ، وقيل بالتحتانية -ابن بُحّ- بضم الموحدة بعدها مهملة ثقيلة .

روى حديثه البغوى ، وابن أبى شيبة ، والطبرانى ، من طريق ابن لهيعة ، عن بكر بن سوادة ، عن زياد بن نعيم ، عن حبان بن بُحّ صاحب رسول الله ﷺ . قال : أسلم قومى، فأخبرت أن رسول الله ﷺ جهز إليهم جيشاً فأتيته ، فقلت له : إن قومى على الإسلام ... فذكر الحديث فى أنه أذن ، وفى نبع الماء من بين أصابع النبى ﷺ وفيه : لا خير فى الإمارة لرجل مسلم.

وفيه : إن الصدقة صداع فى الرأس وحريق فى البطن . =

فأما بدؤ الأذان

فخرج البخارى[1] ، ومسلم[2] ، والنسائى[3] ، والترمذى[4] ، وقاسم بن أصبغ من حديث ابن جريج ، قال : أخبرنى نافع مولى ابن عمر عن عبد الله

= وأخرج له الطبرانى من هذا الوجه حديثاً آخر . وذكر ابن الأثير أنه شهد فتح مصر ، ولم أر ذلك فى أصوله ، وإنما قال ابن عبد البر : يُعدّ فيمن نزل مصر . (الإصابة) : ٢/١٢-١٣ ترجمة رقم (١٥٥٧) .

(٢) هو زياد بن الحارث الصدائى : بضم المهملة ، وقيل زياد بن حارثة . قال البخارى : أصح . له حديث طويل فى قصة إسلامه ، وفيه من أذن فهو يقيم .

أخرجه أحمد بطولة . وأخرجه أصحاب السنن ، وفى إسناده الأفريقى .

قال ابن السكن : فى إسناده نظر .

قلت : وله طريق أخرى ، من طريق المبارك بن فضالة ، عن عبد الغفار بن ميسرة ، عن الصدائى ، ولم يسمه .

وروى البارودى ، من طريق عبد الله بن سليمان ، عن عمرو بن الحارث ، عن بكر بن سوادة ، عن زياد بن نعيم ، عن زياد الصدائى ، فذكر طرفا من الحديث الطويل . وقال ابن يونس : هو رجل معروف نزل مصر . (الإصابة) : ٢/٥٨٢ ترجمة رقم (٢٨٥٢) .

(١) (فتح البارى) : ٢/٩٩ (كتاب الأذان) باب (١) حديث رقم (٦٠٤) .

(فائدتان) : (الأولى) وردت أحاديث تدل على أن الأذان شرع بمكة قبل الهجرة ، منها للطبرانى من طريق سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال : لما أسرى بالنبى ﷺ أوحى الله إليه الأذان فنزل به فعلمه به فعلمه بلالاً وفى إسناده طلحة بن زيد وهو متروك وللدار قطنى فى (الأطراق) من حديث أنس أن جبريل أمر النبى ﷺ بالأذان حين فرضت الصلاة ، وإسناده ضعيف أيضاً . ولابن مردويه من حديث عائشة مرفوعاً : لما أسرى بى أذن جبريل فظنت الملائكة أنه يصلى بهم فقد منى فصليت ، وفيه من لا يعرف . وللبزار وغيره من حديث على قال : لما أراد الله أن يعلم رسوله الأذان أتاه جبريل بدابة يقال لها البراق فركبها فذكر الحديث وفيه : إذ خرج ملك من وراء الحجاب فقال : الله أكبر ، الله أكبر ، وفى آخره : ثم أخذ الملك بيده فأم بأهل السماء وفى إسناده زياد بن المنذر أبو الجارود وهومتروك أيضاً ويكمن على =

= تقدير الصحة أن يحمل على تعدد الإسراء فيكون ذلك وقع بالمدينة . وأما قول القرطبي : لا يلزم من كونه سمعه ليلة الإسراء أن يكون مشروعاً في حقه ، ففيه نظر لقوله في أوله : لما أراد الله أن يعلم رسوله الأذان ، وكذا قول المحب الطبري يحمل الأذان ليلة الإسراء على معني اللغوي وهو الإعلام ففيه نظر أيضاً . والحق أنه لا يصلح شئ من هذه الأحاديث .

وقد جزم ابن المنذر بأنه ﷺ كان يصلي بغير أذان منذ فرضت الصلاة بمكة إلى أن هاجر إلى المدينة وإلى أن وقع التشاور في ذلك على ما في حديث عبد الله بن عمر ثم حديث عبد الله ابن زيد انتهى . وقد حاول السهيلي الجمع بينهما فتكلف وتعسف ، والأخذ بما صح أولى ، فقال بانياً على صحة الحمكة في مجئ الأذان على لسان الصحابي أن النبي ﷺ سمعه فوق سبع سموات وهو أقوى من الوحي ، فلما تأخر الأمر بالأذان عن فرض الصلاة وأراد إعلامهم بالوقت فرأى الصحابي المنام فقصها فوافقت ما كان النبي ﷺ سمعه فقال : " إنها لرؤيا حق " وعلم حينئذ أن مراد الله بما أراه في السماء أن يكون سنة في الأرض ، وتقوى ذلك بموافقة عمر لأن السكينة تنطلق على لسانه ، والحكمة أيضاً في إعلام الناس به على غير لسانه ﷺ التنوية بقدره والرفع لذكره بسان غيره ليكون أقوى لأمره وأفخم لشأنه . انتهى ملخصا .

والثاني حسن بديع ، يؤخذ منه عدم الاكتفاء برؤيا عبد الله بن زيد حتى أضيف عمر للتقوية التي ذكرها ، لكن قد يقال : فلم لا اقتصر على عمر ؟ فيمكن أن يجاب ليصير في معنى الشهادة ، وقد جاءني رواية ضعيفة سبقت ما ظاهره أن بلالاً أيضاً رأى لكنها مؤولة فإن لفظة " سبقك بها بلال " فيحمل المراد بالسبق على مباشرة التأذين برؤيا عبد الله زيد .

ومما كثر السؤال عنه باشر النبي ﷺ الأذان بنفسه ، وقد وقع عند الهيلي أن النبي ﷺ أذن في سفر وصلى بأصحابه وهم على رواحلهم السماء من فوقهم والبلة من أسفلهم أخرجه الترمذي من طريق تدور على عمر بن الرماح برفعه إلى أبي هريرة وليس هو من حديث أبي هريرة وإنما هو من حديث يعلى بن مرة ، وكذا جزم النووي بأن النبي ﷺ أذن مرة في السفر وعزاه للترمذي وقواه ، ولكن وجدناه في مسند أحمد من الوجه الذي أخرجه الترمذي ولفظه " فأمر بلالا فأذن " فعرف أن في رواية الترمذي اختصاراً وأن معنى قوله : " أذن " أمر بلالاً به كما يقال أعطى الخليفة العالم الفلاني ألفا ، وإنما باشر العطاء غيره ونسب للخليفة لكونه آمراً به .

ومن أغرب ما وقع في بدء الأذان ما رواه أبو الشيخ بسند فيه مجهول عن عبد الله بن الزبير قال : أخذ الأذان من أذان إبراهيم ﴿ **وأذن في الناس بالحج** ﴾ الآية قال : فأذن رسول=

= الله ﷺ وما رواه أبو نعيم فى الحلية بسند فيه مجاهيل أن جبريل [أمر] بالأذان لآدم : أهبط من الجنة .

(الفائدة الثانية) قال الزبير بن المنبر : أعرض البخارى عن التصريح بحكم الأذان لعدم إفصاح الآثار الواردة فيه عن حكم معين ، فأثبت مشروعيته ، وسلم من الاعتراض . وقد اختلف فى ذلك ومنشأ الخلاف أن مبدأ الأذان لما كان عن مشورة أوقعها النبى ﷺ بين أصحابه حتى استقر برؤيا كان ذلك بالمندوبات أشبه ، ثم لما واظب على تقريره ولم ينقل أنه تركه ولا أمر بتركه ولا رخص فى تركه كان ذلك بالواجبات أشبه انتهى . وسيأتى بقية الكلام على ذلك قريباً إن شاء الله تعالى .

قوله : (حدثنا عبد الوارث) هو ابن سعيد ، وخالد هو الحذاء كما ثبت فى رواية كريمة ، والإسناد كله بصريون .

قوله : (ذكروا النار والناقوس فذكروا اليهود والنصارى) كذا ساقه عبد الوارث مختصراً ، ورواية عبد الوهاب الآتية فى الباب الذى بعده أوضح قليلا حيث قال : " لما كثر الناس ذكروا أن يعلموا وقت الصلاة بشئ يعرفونه ، فذكروا أن يوروا ناراً أو يضربوا ناقوساً " وأوضح من ذلك رواية روح بن عطاء عن خالد عند أبى الشيخ ولفظه " فقالوا لو أتخذنا ناقوساً . فقال رسول الله ﷺ ذاك للنصارى . فقالوا : لو اتخذنا بوقاً ، فقال : ذاك لليهود . فقال: لو رفعنا ناراً ، فقال : ذاك للمجوس " فعلى هذا ففى رواية عبد الوارث اختصار كأنه كان فيه : ذكروا النار والناقوس والبوق فذكروا اليهود والنصارى والمجوس ، واللف والنشر فيه معكوس ، فالنار للمجوس والناقوس للنصارى والبوق لليهود . وسيأتى فى حديث ابن عمر التنصيصى على أن البوق لليهود . وقال الكرمانى : يحتمل أن تكون النار والبوق جمعياً لليهود جمعاً بين حديثى أنس وابن عمر انتهى ، ورواية روح تغنى عن هذا الاحتمال .

(٢) (مسلم بشرح النووى) : ٣١٧/٤ - ٣١٩ ، كتاب الصلاه ، باب (١) بدء الأذان ، حديث رقم (٣٧٧) قال الإمام النووى : قال أهل اللغة : الأذان الإعلام قال الله تعالى : ﴿ **وأذن من الله ورسوله** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **فأذن مؤذن** ﴾ ويقال الآذان والتأذين والأذان . وقوله (كان المسلمون يجتمعون فيتحينون الصلاة) قال القاضى عياض رحمه الله تعالى : معنى يتحينون يقدرون حينها ليأتوا إليها فيه والحين الوقت من الزمان . قوله (فقال بعضهم اتخذوا ناقوساً) =

ابن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، أنه قال : كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون ، فيتحينون الصلوات ، وليس ينادى بها أحد ، فتكلموا يوماً فى ذلك ، فقال بعضهم : اتخذوا ناقوساً مثل ناقوس النصارى ، وقال بعضهم : قرناً مثل قرن اليهود ، فقال عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه أولا تبعثون رجلاً ينادى بالصلاة قال رسول الله ﷺ : يا بلال ، قم فناد بالصلاة .

وقال البخارى : ليس ينادى لها . وقال : بل بوقاً مثل قرن اليهود ترجم عليه باب بدء الأذان .

وخرج فى باب الأذان مثنى مثنى(١) ، من حديث خالد الحذاء ، عن أبى قلابة ، عن أنس بن مالك رضى الله تبارك وتعالى عنه ، قال : لما كثر الناس قال : ذكروا أن يعلموا وقت الصلاة بشئ يعرفونه فذكروا أن ينوروا ناراً أو

= قال أهل اللغة هو الذى يضرب به النصارى لأوقات صلواتهم وجمعه نواقيس والنقس ضرب الناقوس .

قوله (كان المسلمون جين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة وليس ينادى بها أحد فتكلموا يوماً فى ذلك فقال بعضهم اتخذوا ناقوساً وقال بعضهم قرناً فقال عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه أولا تبعثون رجلاً ينادى بالصلاة قال رسول الله ﷺ قم يا بلال فناد بالصلاة ، فى هذا الحديث فوائد منها منقبة عظيمة لعمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه .

وذكر ابن جريج أخبرنى نافع مولى ابن عمر عن عبد الله بن عمر أنه قال كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلوات وليس ينادى أحد فتكلموا يوماً فى ذلك فقال بعضهم اتخذوا ناقوساً مثل النصارى وقال بعضهم قرناً مثل قرن اليهود فقال عمر اولا تبعثون رجلا ينادى بالصلاة قال رسول الله ﷺ يا بلال قم فناد بالصلاة . (شرح النووى) .

(٣) (سنن النسائى) : ٢/٣٢٩ ، كتاب الأذان ، باب (١) بدء الأذان ، حديث رقم (٦٢٥) .

(٤) (سنن الترمذى) : ١/٣٦٢ - ٣٦٣ ، أبواب الصلاة ، باب (٢٥) ماجاء فى بدء الأذان ، حديث رقم (١٩٠) ، وقال هذا حديث حسن صحيح ، غريب من حديث ابن عمر .

(١) (فتح البارى) : ٢/١٠٥ ، كتاب الأذان ، باب (٢) - الأذان مثنى مثنى ، حديث رقم (٦٠٦) .

يضربوا ناقوساً ، فأمر بلال رضى الله تبارك وتعالى عنه أن يشفع الأذان ، وأن يوتر الإقامة .

وخرجه مسلم من حديث خالد أيضاً بمثله ، غير أنه قال : فذكروا أن يوروا ناراً[1] .

وفى لفظ : لما كثر الناس ذكروا أن يعلموا بمثل ما تقدم ، غير أنه قال : أن يوروا ناراً[2] .

وفى لفظ البخارى : عن أنس رضى الله تبارك وتعالى عنه قال ذكروا النار والناقوس فذكروا اليهود والناقوس والنصارى فأمر بلال أن يشفع الأذان ويوتر الإقامة ذكره فى باب بدء الأذان[3] وفى باب ما ذكر عن بنى إسرائيل[4] والإسناد واحد .

وقال ابن إسحاق : فلما اطمأن[5] رسول الله ﷺ بالمدينة ، واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين ، واجتمع أمراء الأنصار ، استحكم أمر الإسلام ، فقامت الصلاة ، وفرضت الزكاة ، والصيام ، وقامت الحدود ، وفرض الحلال والحرام وبنو الإسلام بين أظهرهم ، وكان هذا الحى من الأنصار هم الذين تبوءوا الدار والإيمان ، وقد كان رسول الله ﷺ حين قدمها ، إنما يجتمع الناس إليه للصلاة لحين مواقيتها لغير دعوة ، فهم رسول الله ﷺ أن يجعل بوقاً كبوق اليهود الذين يدعون به لصلاتهم ، ثم كرهه ، ثم أمر بالناقوس فنُحت ليضرب للمسلمين الصلاة .

---

(١) (مسلم بشرح النووى) : ٣٢٠/٤ ، كتاب الصلاة ، باب (٢) الأمر بشفع الأذان وإيتار الإقامة، حديث رقم (٣) .

(٢) (المرجع السابق) : حديث رقم (٤) .

(٣) (فتح البارى) : ٩٨/٢ ، كتاب الأذان ، باب (١) بدء الأذان ، قوله عز وجل : ﴿ **وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً ، ذلك بأنهم قوم لا يعقلون** ﴾ [المائدة ٥٨] .

(٤) (فتح البارى) : ٦١٣/٦ ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب (٥٠) ما ذكر عن بنى اسرئيل ، حديث رقم (٣٤٥٠) .

(٥) (سيرة ابن هشام) : ٤٠/٣ ، خير الأذان ، التفكير فى اتخاذ علامة لحلول وقت الصلاة .

فبيناهم على ذلك رأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه أخو بلحارث بن الخزرج النداء ، فأتى رسول الله فقال : يا رسول الله ، إنه طاف هذه الليلة طائف ، مرَّ بى رجل عليه ثوبان أخضران ، يحمل ناقوساً فى يده ، فقلت يا عبد الله أتبيع هذا الناقوس ؟ قال : وما تصنع به ؟

قال : قلت : [ندعو به إلى الصلاة ، قال : أفلا أدلك على خير من ذلك ؟][(١)] قال : قلت : وما هو ؟ قال : تقول : الله أكبر ، الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، حى على الصلاة ، حى على الصلاة ، حى على الفلاح . حى على الفلاح الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله[(٢)] .

فلما أخبرها رسول الله ﷺ ، قال : إنها لرؤيا حق ، إن شاء الله تعالى فقم مع بلال فألقها عليه " فليؤذن بها " فإنه أندى[(٣)] صوتاً منك ، فلما أذن بها بلال ، سمعها عمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه وهو فى بيته ، فخرج إلى رسول الله ﷺ وهو يجر رداءه ، وهو يقول : يا بنى الله ! والذى بعث بالحق ، لقد رأيت مثل الذى رأى ، فقال رسول الله ﷺ فلله الحمد[(٤)] [على ذلك[(٥)]] .

---

(١) ما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (المرجع السابق) .

(٢) (المرجع السابق) .

(٣) أندى : أحسن وأبدع (المرجع السابق) [هامش] ، وقال فى هامشه : فبينما هم فى ذلك - أرى عبد الله بن زيد الرؤيا التى ذكر ابن إسحاق ، فلما أخبر بها رسول الله ﷺ - وأمره أن يلقيها على بلال ، قال : يا رسول الله أنا رأيتها ، وأنا كنت أحبها لنفسى ، فقال : ليؤذن بلال ، ولتقم أنت الصلاة ، ففى هذا من الفقه جواز أن يؤذن الرجل يقيم غيره .

(٤) (المرجع السابق) .

(٥) ما بين الحاصرتين زيادة للسياق فى (المرجع السابق) .

قال ابن إسحاق : حدثنى بهذا الحديث محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن محمد بن عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه عن أبيه(١) .

قال ابن هشام : وذكر ابن جريج ، قال : لى عطاء : سمعت عبيد بن عمير الليثى يقول : أئتمر النبى ﷺ وأصحابه بالناقوس للاجتماع للصلاة ، فبينما عمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه يريد أن يشترى خشبتين للناقوس إذ رأى عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه فى المنام لا تجعلوا الناقوس ، بل أذنوا للصلاة ، فذهب عمر إلى رسول الله ﷺ ليخبره بالذى رأى ، وقد جاء النبى ﷺ الوحى بذلك ، فما راع عمر إلا بلال يؤذن ، فقال رسول الله ﷺ : حين أخبره بذلك : قد سبقك بذلك الوحى(٢) .

وقد خرجه أبو داود(٣) ، وابن الجارود ، والترمذى(٤)، وقال : حديث عبد الله بن زيد حديث حسن صحيح(٥) .

---

(١) (المرجع السابق) ، وبعد هذه الفقرة فى (الأصل) سطران من النسب بسياق مضطرب لا يخدمان المعنى ولا الموضوع فأثرنا حذفهما .

(٢) (المرجع السابق) : ٤٢ ، ثم قال فى هامشه فأما الحكمة فى تخصيص الأذان برؤيا رجل من المسلمين ولم يكن عن وحى فلأن رسول الله ﷺ قد أريه ليلة الإسراء ، وأسمعه مشاهدة فوق سبع سموات وهذا أقوى من الوحى ، فلما تأخر فرض الأذان إلى المدينة ، وأرادوا إعلام الناس بوقت الصلاة تلبث الوحى حتى رأى عبد الله الرؤيا ، فوافقت ما رأى رسول الله ﷺ ، فلذلك قال : إنها لرؤيا حق إن شاء الله ، وعلم حينئذ أن مراد الحق بما رآه فى السماء ، أن يكون سُنة فى الأرض وقوى ذلك عنده موافقه رؤيا عمر للأنصارى ، مع أن السكينة تنطق على لسان عمر واقتضت الحكمة الإلهية أن يكون الأذان على لسان غير النبى ﷺ من المؤمنين ، لما فيه من التنويه من الله لعبده ، والرفع لذكره ، فلأن يكون ذلك على غير لسانه أنوه به وأفخم لشأنه ، وهذا معنى بين فإن الله سبحانه يقول ﴿ **ورفعنا لك ذكرك** ﴾ فمن رفع ذكره أن أشاد به على لسان غيره ، عن (الروض الأنف) .

(٣) (سنن أبى داود) : ١/٣٣٧ - ٣٣٨ ، كتاب الصلاة ، باب (٢٨) كيف الأذان ، حديث رقم (٤٩٩) ، قال أبو داود : هكذا رواية الزهرى عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن زيد ، وقال فيه ابن إسحاق عن الزهرى : الله أكبر ، الله أكبر ، لم يثنيا . =

= قال الإمام الخطابى فى (معالم السنن) : قلت روى هذا الحديث والقصة بأسانيد مختلفة وهذا الإسناد أصحها .

وفيه أنه ثنى الأذان وأفرد الإقامة ، وهو مذهب اكثر علماء الأمصار ، وجرى به العمل فى الحرمين والحجاز وبلاد الشام واليمن وديار مصر ونواحى المغرب إلى أقصى حجر من بلاد الإسلام .

وهو قول الحسن البصرى ومكحول والزهرى ومالك والأوزاعى والشافعى وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهوية وغيرهم .

وكذلك حكاه سعد القرظ وقد كان أذن لرسول الله ﷺ فى حياته بقباء ، ثم أستخلفه بلال بن رباح زمان عمر رضى الله عنه ، فكان يفرد الاقامة ولم يزل ولد أبى محذورة وهم الذين يلون الأذان بمكة يفردون الاقامة ويحكون عن جدهم ، إلا أنه قد روى فى قصة أبى محزورة الذى علمه رسول الله ﷺ منصرفه من حنين أن الأذان تسع عشرة كلمة والإقامة سبع عشرة كلمة ، وقد رواه ابو داود فى هذا الباب ، إلا أنه قد روى من غير هذا الطريق أنه أفرد الإقامة ، غير أن التثنية عنه أشهر ، إلا أن فيه إثبات الترجيع فيشبه أن يكون العمل من أبى محذورة ومن ولده بعده إنما استمر على إفراد الإقامة إما لأن رسول الله ﷺ أمره بذلك بعد الأمر الأول بالتثنية وإما لأنه استمر قد بلغه أنه أمر بلالاً بافراد الاقامة فاتبعه وكان أمر الأذان ينقل من حال إلى حال ويدخله الزيادة والنقصان وليس كل أمور الشرع ينقلها رجل واحد ولا كان وقع بيانها كلها ضربة واحدة .

وقيل لأحمد : وكان يأخذ فى هذا بأذان بلال أليس أذان أبى محذورة بعد أذان بلال ؟ فإنما يؤخذ بالأحدث فالأحدث من أمر رسول الله ﷺ فقال : أليس لما عاد إلى المدينة أقر بلالاً على أذانه .

وكان سفيان الثورى واصحاب الرأى يرون الأذان والإقامة مثنى مثنى على حديث عبد الله بن زيد من الوجه الذى روى فيه تثنية الإقامة .

وقوله: طاف بى رجل: يريد الطيف وهو الخيال الذى يلم بالنائم . يقال منه طاف يطيف ، ومن الطواف يطوف ، ومن الإحاطة بالشيء أطاف يطيف .

وفى قوله : " ألقها على بلال فأنه أندى صوتاً منك " دليل على أن من كان ارفع صوتاً كان أولى بالأذان . لأن الأذان إعلام فكل من كان الإعلام بصوته أوقع كان به أحق وأجدر . =

وخرج أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار من حديث محمد ابن عثمان بن مجالد ، حدثنا أبى عن زياد بن المنذر ، عن محمد بن على بن الحسين ، عن أبيه عن جده ، عن علي بن أبى طالب رضى الله تبارك وتعالى عنه ، قال : لما أراد الله تعالى أن يُعلّم رسول الله الأذان ، أتاه جبريل عليه الصلاة والسلام بداية يقال لها البراق ، فذهب يركبها ، فاستعصت ، فقال لها جبريل : اسكنى ، فوالله ما ركبك عبدٌ أكرم على الله من محمد قال : فركبها حتى انتهى إلى الحجاب الذى يلى الرحمن تبارك وتعالى ، قال : فبينا هو كذلك،

= وقوله : ثم استأخرغير بعيد يدل على أن المستحب أن تكون الإقامة فى غير موقف الأذان. (سنن أبى داود) : ١/٣٣٨ - ٣٣٩ .

وأخرجه أيضاً ابن ماجة فى (السنن) : ١/٢٣٢ -٢٣٣ ، كتاب الأذان والسنة فيه باب (١) بدء الأذان ، حديث رقم (٧٠٦) وزاد فى أخره ، قال أبو عبيد : فأخبرنى أبو بكر الحكمىُّ، أن عبد الله بن زيد الأنصارى قال فى ذلك :

أحمد الله ذا الجلال وذا الإكـ ـرام حمد على الأذان كثيراً

إذا أتانى به البشير من اللـ ـه فأكرم به لدى بشيراً

فى ليال والى بهن ثلاث كلما جاء زادنى توقيراً

(٤) (سنن الترمذى) : ١/٣٥٨ - ٣٦٣ ، باب (٢٥) ما جاء فى بدء الأذان ، حديث رقم (١٨٩) ، وقال فى آخره وفى الباب ابن عمر ، قال أبو عيسى : حديث عبد الله بن زيد حديث صحيح ، وقد روى هذا الحديث إبراهيم بن سعد ين محمد بن إسحاق أتم من هذا الحديث وأطول ، وذكر فيه قصة الأذان مثنى مثنى والإقامة مرة [مرة] . وعبد الله بن زيد هو ابن عبد ربه ، [ويقال ابن عبد رب] . ولا نعرف له عن النبى ﷺ شيئاً يصح إلا هذا الحديث الواحد فى الأذان .

وعبد الله بن زيد بن عاصم المازنى له أحاديث عن النبى ﷺ وهو عم عباد بن تميم .

(٥) قال فى هامش (المرجع السابق) : والظاهر أن هذه الرواية رواية فيها شيء من التصرف من ابن إسحاق ، ليناسب سياق السيرة ، وأن أول الحديث قوله " وقد كان رسول الله ﷺ حين قدمها " .

وقال ابن إسحاق بعد روايته : " حدثنى بهذا الحديث محمد بن إبراهيم بن الحرث عن محمد بن عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه عن أبيه .

إذ خرج ملك من الحجاب ، فقال رسول الله ﷺ يا جبريل من هذا ؟ قال: والذى بعثك بالحق أنى لأقرب الخلق مكاناً ، وإن هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتى هذه .

فقال الملك : الله أكبر ، الله أكبر ، فقيل له من وراء الحجاب : صدق عبدى ، أنا أكبر ، أنا أكبر .

ثم قال الملك : أشهد أن لا إله إلا الله ، فقيل له من وراء الحجاب : صدقت ، أنا لا إله إلا أنا .

فقال الملك : أشهد أن محمداً رسول الله ، فقيل له من وراء الحجاب : صدق عبدى أنا أرسلت محمداً .

قال الملك : حى على الصلاة ، حى على الفلاح ، ثم قال الملك : الله أكبر ، الله أكبر ، فقيل من وراء الحجاب : أنا أكبر ، أنا أكبر ، ثم قال : لا إله إلا الله ، فقيل من وراء الحجاب : صدق عبدى أنا لا إله إلا أنا ثم أخذ الملك بيد رسول الله ﷺ ، فقدمه ، فأم أهل السماء ، فيهم آدم ونوح .

قال أبو جعفر ، محمد بن على ، عليهما السلام ، يومئذ أكمل الله عز وجل لمحمد ﷺ الشرف على أهل السموات والأرض .

وخرج الحاكم[1] من حديث نوح بن دراج ، عن الأجلح ، عن البهى عن سفيان بن الليل ، قال : لما كان من أمر الحسن بن على رضى الله تبارك وتعالى عنهما ومعاوية رضى الله تبارك وتعالى عنه ما كان ، قدمت عليه المدينة ، فذكر الحديث ، قال : فتذاكرنا عنده الآذان فقال [بعضنا إنما] كان بدؤ [الأذان] رؤيا عبد الله بن زيد [بن عاصم] فقال [له] الحسن رضى الله تبارك وتعالى عنه إن شأن الأذان أعظم من ذاك أذن جبريل عليه السلام فى السماء مثنى مثنى وعلمه رسول الله ﷺ مرة مرة ، فعلمه رسول الله ﷺ ، فأذن به الحسن رضى الله تبارك وتعالى عنه حين ولى .

---

(١) (المستدرك) : ١٨٧/٣ ، كتاب معرفة الصحابة ، حديث رقم (٤٧٩٨) ، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص) : قال أبو داود : نوح بن دراج كذاب ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (المستدرك) .

وأما أنه كان له مؤذنان بمسجده ﷺ

فخرج مسلم[1] من حديث عبيد الله عن نافع ، عن ابن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنهما قال : كان لرسول الله ﷺ مؤذنان : بلال ، وابن أم مكتوم الأعمى .

وخرجه من طريق عبيد الله[2]، حدثنا القاسم ، عن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها مثله .

وأخرجه أيضاً بأتم من هذا ، ولم يذكر البخارى أن النبى ﷺ كان له مؤذنان .

ولمسلم[3] من حديث محمد بن جعفر ، حدثنا هشام عن أبيه ، عن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها قالت : كان ابن أم مكتوم رضى الله تبارك وتعالى عنه يؤذن لرسول ﷺ وهو أعمى .

---

(١) (مسلم بشرح النووى) : ٣٢٤/٤ ، كتاب الصلاة ، باب (٤) إستحباب إتخاذ مؤذنين للمسجد الواحد ، حديث رقم (٧) .

(٢) (المرجع السابق) : الحديث الذى بين رقمى (٧ ، ٨) بدون رقم .

(٣) (المرجع السابق) : باب (٥) جواز أذان الأعمى إذا كان معه بصير ، حديث رقم (٨) .

قال الإمام النووى : وفى هذا الحديث استحباب اتخاذ مؤذنين للمسجد الواحد يؤذن أحدهما قبل طلوع الفجر والآخر عند طلوعه كما كان بلال وابن مكتوم يفعلان قال أصحابنا فإذا احتاج إلى أكثر من مؤذنين اتخذ ثلاثة وأربعة فأكثر بحسب الحاجة وقد اتخذ عثمان رضى الله تبارك وتعالى عنه أربعة للحاجة عند كثرة الناس قال أصحابنا ويستحب أن لا يزاد على أربعة الا لحاجة ظاهرة . قال أصحابنا : وإذا ترتب للأذان اثنان فصاعداً فالمستحب أن لا يؤذنوا دفعة واحدة بل إن اتسع الوقت ترتبوا فيه فإن تنازعوا فى الإبتداء به أقرع بينهم وإن ضاق الوقت فإن كان المسجد كبيراً أذنوا متفرقين فى أقطاره وإن كان ضيقاً وقفوا معاً وأذنوا وهذا إذا لم يؤد اختلاف الأصوات إلى تهويش فإن أدى إلى ذلك لم يؤذن إلا واحد فإن تنازعوا أقرع بينهم وأما الإقامة فإن أذنوا على الترتيب فالأول أحق بها إن كان هو المؤذن الراتب أو لم يكن هناك مؤذن راتب فان كان الأول غير المؤذن الراتب فأيهما أولى بالإقامة فيه وجهان لأصحابنا أصحهما =

وأما أن أبا محذورة رضى الله تبارك وتعالى عنه كان يؤذن بمكة

فخرج الترمذى[1] من حديث بسر بن معاذ البصرى ، حدثنا إبراهيم بن عبد العزيز بن عبد الملك بن أبى محذورة ، قال : أخبرنى أبى ، وجدى جميعا

= أن الراتب أولى لأنه منصبه ولو أقام فى هذه الصور غير له ولاية الإقامة أعتد به على المذهب الصحيح المختار الذى عليه جمهور أصحابنا وقال بعض أصحابنا لا يعتد به كما لو خطب بهم واحد وأم بهم غيره فلا يجوز على قول وأما إذا أذنوا معاً فإن اتفقوا على إقامة واحد وإلا فيقرع قال أصحابنا رحمهم الله ولا يقيم فى المسجد الواحد إلا واحد إلا إذا لم تحصل الكفاية بواحد وقال بعض أصحابنا لا بأس أن يقيموا معاً إذا لم يؤد إلى التهويش .

وفى باب جواز أذان الأعمى إذا كان معه بصير فيه حديث عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها " كان ابن أم مكتوم يؤذن لرسول الله ﷺ وهو أعمى " وقد تقدم معظم فقه الحديث فى الباب قبله ومقصود الباب أن أذان الأعمى صحيح وهو جائز بلا كراهة إذا كان معه بصير كما كان بلال وابن أم مكتوم قال أصحابنا ويكره أن يكون الأعمى مؤذناً وحده والله أعلم .

(١) (سنن الترمذى) : ١/١٩١ باب (٢٦) ما جاء فى الترجيع فى الأذان ، حديث رقم (١٩١) رواه الترمذى هنا مختصراً ، اكتفاء بما علم من ألفاظ الأذان بالتواتر العملى ، وهو مروى مفصلاً أيضاً فى كتب السنة .

وممن رواه مفصلاً الشافعى فى (الأم) : ١ : ٧٣ عن مسلم بن خالد عن ابن جريج عن عبد العزيز بن عبد الملك بن أبى محذورة عن عبد الله بن محيريز - وكان يتيماً فى حجر أبى محذورة - عن أبى محذورة ، وقال ابن جريج فى آخره : " فأخبرنى ذلك من أدركت من آل أبى محذورة على نحو مما أخبرنى ابن محيريز " .

ثم قال الشافعى : " وأدركت إبراهيم بن عبد العزيز بن عبد الملك بن أبى محذورة يؤذن كما حكى ابن محيريز . قال الشافعى : وسمعته عن أبيه عن ابن محيريز عن أبى محذورة عن النبى ﷺ : معنى ما حكى ابن جريج . قال الشافعى : وسمعته يقيم - وحكى الشافعى الإقامة مفصلة - وحسبتنى سمعته يحكى الإقامة خبراً كما يحكى الأذان . =

عن أبى محذورة رضي الله تبارك وتعالى عنه ، فإن رسول الله ﷺ أقعده ، وألقى عليه الأذان حرفاً حرفاً ، قال إبراهيم : مثل أذاننا ، قال بُسر : فقلت له : أعِدْ عليّ ، فوصف الأذان بالترجيع .

قال أبو عيسى : حديث أبى محذورة فى الأذان ، حديث صحيح ، وقد روى من غير وجه ، وعليه العمل بمكة ، وهو قول الشافعى .

وخرج قاسم بن أصبغ ، ومحمد بن عبد الملك بن أيمن ، من حديث روح بن عبادة ، عن ابن جريج قال : أخبرنى عثمان بن السائب ، عن أم عبد الملك بن أبى محذورة ، عن أبى محذورة رضى الله تبارك وتعالى عنه ، قال: لما رجع النبى ﷺ من حنين ، خرجت عاشر عشرة من مكة ، فطلبتهم ، فسمعتهم يؤذنون للصلاة ، فقمنا نؤذن نستهزئ . فقال النبى ﷺ : [لا يؤذن] إنسان إلا حسن الصوت ، فأرسل إلينا ، فأذنا رجلاً رجلاً ، فكنت آخرهم ، فقال حين أذنت : تعالى ، فأجلسنى بين يديه ، فمسح على ناحيتى ، وبارك عليّ ثلاث مرات ، ثم قال : اذهب فأذن ، قلت : كيف يا رسول الله ؟ فعلمنى الأذان : كما يؤذنون الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، حى الصلاة ، حى على الصلاة ، حى على الفلاح ، حى على الفلاح – الصلاة خير من النوم ،

= قال الشافعى : والأذان والإقامة كما حكيت عن آل أبى محذورة ، فمن نقص منهما شيئاً أو قدم مؤخراً أعاد ، حتى يأتى بما نقص وكل شيء منه فى موضعه .

والحديث رواه أيضاً الدارقطنى ص٨٦ والبيهقى ١ : ٣٩٣ من طريق الشافعى عن مسلم ابن خالد ، ورواه الطحاوى فى (معانى الآثار) : ١ : ٧٨ والدارقطنى (٨٦) وابن عبد البر فى (الاستيعاب) : ٦٨٠ من طريق روح بن عبادة .

ورواه أحمد فى (المسند) : ٣ : ٤٠٩ عن روح بن عبادة ومحمد بن بكر كلاهما عن ابن جريج . ورواه أيضاً أحمد وأبو داود والنسائى والدارقطنى والطحاوى والبيهقى وابن عبد البر من طريق ابن جريج عن عثمان بن السائب عن أبيه السائب مولى أبى محذورة وعن أم عبد الملك بن أبى محذورة : أنهما سمعاه من أبى محذورة ، فذكر الحديث .

الصلاة خير من النوم ، فى الأذان من الصبح - الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله .

قال : وعلمنى الإقامة مرتين : الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، حى على الصلاة ، حى على الصلاة . حى على الفلاح ، حى على الفلاح ، قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله .

قال ابن جريج : أخبرنى عثمان هذا الخبر كله عن أم عبد الملك بن أبى محذورة ، أنها سمعت ذلك من أبى محذورة .

وخرج قاسم أيضاً من طريق روح عن ابن جريح ، قال : أخبرنى عبد العزيز بن عبد الملك بن عبد الله بن محيريز ، أخبره - وكان يتيماً فى حجر أبا محذورة بن معتمر رضى الله تبارك وتعالى عنه - ، قال له : خرجت فى نفر، فكنا ببعض الطريق ، فأذن مؤذن رسول الله ﷺ بالصلاة عند رسول الله ﷺ فسمعنا صوت المؤذن ونحن مسكتون ، فصرخنا نحكيه ونستهزئ به ، فسمع رسول الله ﷺ الصوت ، فأرسل إلينا ، إلى أن وقفنا بين يديه ، فقال : أيكم الذى سمعت صوته قد ارتفع ؟ فأشار القوم كلهم إلىّ ، وصدقوا ، فأرسلهم كلهم وحبسنى ، ثم قال ـ قم فأذن بالصلاة .

فقمت ، ولا شيء أكره إلىّ من رسول الله ﷺ ، ولا مما يأمرنى به ، فقمت بين يدى رسول الله ﷺ ، فألقى على رسول الله ﷺ التأذين هو نفسه . فقال : قل : الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، حى الصلاة ، حى على الصلاة ، حى على الفلاح ، حى على الفلاح ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله .

ثم دعانى حين قضيت التأذين ، فأعطانى صره فيها شيء من فضة ، ثم وضع يده على ناصية أبى محذورة ، ثم أمالها على وجهة ، ثم من بين يديه ، ثم صلى على كبده ، حتى بلغت يد رسول الله ﷺ سرة أبى محذورة ، ثم قال : بارك الله فيك ، وبارك عليك ، فقلت : يا رسول الله ، مرنى بالتأذين بمكة ، فقال ﷺ : قد أمرتك به .

وذهب كل ما كان لرسول الله ﷺ من كراهته ، وعاد ذلك كله محبة ، لرسول الله ﷺ . فقدمت على عتاب بن أسيد ، عامل رسول الله ﷺ بمكة فأذنت معه بالصلاة على أمر رسول الله ﷺ فأخبرنى بذلك من أهلى ، ممن أدرك أبا محذوره ، على نحو ما أخبرنى عبد الله بن محيريز[1] .

ومن حديث حجاج الأعور عن ابن جريج ، قال : أخبرنى عبد العزيز ابن عبد الملك بن محذوره ، أن عبد الله بن محيريز أخبره أنه كان يتيماً فى حجر أبى محذورة فذكر مثل الحديث الذى رواه روح عن ابن جريج ، عن عبد العزيز ، إلى قوله : فألقى على رسول الله ﷺ التأذين . هو نفسه ، فقال رسول الله ﷺ : قل : الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، حى الصلاة حى على الصلاة ، حى على الفلاح ، حى على الفلاح ، الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله ثم ذكر الحديث إلى آخره[2] .

قال : وأخبرنى ذلك من أدركت من أهلى ، ممن أدرك أبا محذورة ، على نحو مما أخبرنى عبد الله بن محيريز .

قال : وأخبرنى ابن جريج وأخبرنى عثمان بن السائب ، قال : أخبرنى أبى وأم عبد الملك بن أبى محذورة ، عن أبى محذورة ، قال : فلما خرج رسول الله ﷺ إلى حنين ، خرجت عاشر عشرة ، فذكر مثل الحديث الذى حدث به روح بن عبادة . عن ابن جريج ، عن عثمان بن السائب ، إلى قوله : فعلمنى الأذان كما يؤذنون الآن : الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله أشهد ، أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، حى الصلاة ، حى على الصلاة حى على الفلاح ، حى على الفلاح ، الصلاة خير من النوم - فى الأولى من الصبح - الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله .

قال : وعلمنى الإقامة مرتين ، الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ثم ذكر الحديث إلى آخره ، قال : أخبرنى عثمان هذا الخبر كله عن أبيه ،

---

(١) سبق تخريج هذه الأحاديث بما يغنى عن إعادتها .

(٢) سبق تخريج هذه الأحاديث بما يغنى عن إعادتها .

وأم عبد الملك بن أبى محذورة ، عـن أبـى محـذورة رضـى اللـه تبـارك وتعـالى عنه، قلت : عثمان بن النائب ، وأبوه ، وابن عبد الملك ، كلهم غير معروف .
وأخرجه الإمام أحمد من حديث عبد الرزاق عن أبى محذورة فذكره .
وقد خرج مسلم[1]وأبو داود[2]والترمذى[3]والنسائى[4]، وقاسم بن أصبغ ، حديث أبى محذوره ، من حديث مكحول عن عبد اللـه بـن محـيريز ، عـن أبـى

---

(١) (مسلم بشرح النووى) : ٣٢٢/٤ - ٣٢٤ ، كتاب الصلاة ، باب (٣) صفة الأذان ، قال الإمام النووى فى (شرح مسلم) : هكذا وقع هذا الحديث فى صحيح مسلم فى أكثر الأصول فـى أولـه الله أكبر مرتين فقط ووقع هذا الحديث فى صحيح مسلم اللـه أكبر اللـه أكبر ، اللـه أكبر اللـه أكبر ، أربع مرات قال القاضى عياض : رحمه الله ووقع فى بعض طرق الفارسـى فـى صحيح مسلم أربع مرات وكذلك اختلف فى حديث عبد الله بن زيد فـى التثنيـة والـتربيع والمشـهور فيـه التربيع وبالتربيع قال الشافعى ، وأبو حنيفة ، وأحمد ، وجمهـور العلمـاء ، وبالتثنيـة قـال مـالك واحتج بهذا الحديث وبأنه عالم أهل المدينة وهم أعرف بالسنن ، واحتج الجمهور بأن الزيادة من الثقة مقبولة وبالتربيع عمل أهل مكة وهى مجمع المسلمين فى المواسـم وغيرهـا ولـم ينكـر ذلـك أحد من الصحابة وغيرهم . والله أعلم .

وفى هذا الحديث حجة بينة ودلالة واضحة لمذهب مالك والشافعى وأحمد وجمهور العلماء أن الترجيع فى الأذان ثابت مشروع وهو العود إلى الشهادتين مرتين برفع الصـوت بعـد قولهمـا مرتين بخفض الصوت وقال أبو حنيفة والكوفيون : لا يشرع الترجيع عملاً بحديث عبد اللـه بـن زيد فأنه ليس فيه ترجيع وحجة الجمهور هذا الصحيح والزيادة مقدمة مع أن حديث أبى محذورة هذا متأخر عن حديث عبد الله بن زيد فإن حديث أبى محذورة سنة ثمان من الهجـرة بعـد حنيـن وحديث ابن زيد فى أول الأمر وانضم إلى هذا كله أهل مكة وسائر الأمصار وبالله التوفيق .

واختلف أصحابنا فى الترجيع هل هو ركن لا يصح الأذان إلا بـه أم هـو سـنة ليـس ركنـاً حتى لو تركه صح الأذان مع فوات كمال الفضيلة علـى وجهيـن والأصـح عندهـم أنـه سـنة وقـد ذهب جماعة من المحدثين وغيرهم إلى التخيير بين فعل الترجيع وتركـه والصـواب إثباتـه واللـه أعلم .

قوله حى على الصلاة معناه تعالوا إلى الصلاة وأقبلوا عليها قـالوا وفتحـت اليـاء لسكونها وسكون الياء السابقة المدغمة ، ومعنى حى على الفلاح هلم إلى الفوز والنجاة وقيل إلى البقاء =

محذوره رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : إن النبى ﷺ علمه هذا الأذان : الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمدارسول الله ، ثم يعود فيقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، مرتين ، حى على الصلاة ، مرتين ، حى على الفلاح ، مرتين ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله . هذا لفظ مسلم.

ولفظ النسائى ، عن أبى محذورة ، قال : علمنى رسول الله ﷺ الأذان ، فقال : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر، الله أكبر، إلى آخره بنحو ما قال مسلم .

وعن أبى داود[1] أن ابن محيريز حدثه أن أبا محذورة حدثه أن رسول الله ﷺ علمه الأذان تسع عشرة كلمة ، والإقامة سبع عشره كلمه ، الحديث إلى آخره بمثله .

وذكر الترمذى[2] صدر متنه فى كتابه ، لفظه : عن أبى محذوره أن النبى ﷺ علمه الأذان تسع عشرة كلمة ، والإقامة سبع عشرة كلمة ، لم يزد

= أى اقبلوا على سبب البقاء فى الجنة والفلاح بفتح الفاء واللام لغة فى الفلاح حكاهما الجوهرى وغيره ويقال : لحى على كذا الحيعلة قال الإمام أبو منصور الأزهرى : قال الخليل بن أحمد : رحمهما الله تعالى الحاء والعين لا يأتلفان فى كلمة أصلية الحروف لقرب مخرجيهما إلا أن يؤلف فعل من كلمتين مثل حى على فيقال منه حيعل والله أعلم .

(٢) (سنن أبى داود) : ٣٤٠/١ ، كتاب الصلاة ، باب (٢٨) في الأذان ، حديث رقم (٥٠٠) ، وأخرجه ابن ماجة (فى السنن) : ٣٥/١ ، كتاب الأذان والسنة فيها ، باب (٢) الترجيع فى الأذان ، حديث رقم (٧٠٩) .

(٣) (سنن الترمذى) : ٣٦٦/١ ، أبواب الصلاة ، باب (٢٦) ما جاء فى الترجيع فى الأذان ، حديث رقم (١٩١) ، [والترجيع فى الأذان] هو إعادة الشهادتين بصوت عال بعد ذكرهما بصوت منخفض .

(٤) (سنن النسائى) : ٣٣٢/٢ ، كتاب الأذان ، باب (٥) كيف الأذان ، حديث رقم (٦٣١) .

(١) (سنن أبى داود) : ٣٤٢/١ ، كتاب الصلاة ، باب (٢٨) كيف الأذان حديث رقم (٥٠٢) .

(٢) (سنن الترمذى) : ٣٦٧/١، كتاب أبواب الصلاة ، باب (٢٦) ما جاء فى الترجيع فى الأذان ، حديث رقم (١٩٢) .

على هذا ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وأبو محذورة أسمه سمرة بن معمر، قد ذهب بعض أهل العلم إلى هذا في الأذان .

وقد روى عن أبى محذورة ، عن أبيه ، عن جده ، رضى الله تبارك وتعالى عنه ، قال : قلت : يا رسول الله علمنى سُنة الأذان ، قال : فمسح مقدم رأسه : قال : قل : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، ثم ترفع بها صوتك، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، اخفض بها صوتك ، ثم ترفع صوتك بالشهادة ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، حى الصلاة ، حى على الصلاة ، حى على الفلاح ، حى على الفلاح ، فإن كانت صلاة الصبح قلت : الصلاة خير من النوم ، الصلاة خير من النوم ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله .

وعلمنى الإقامة مرتين ، مرتين ، الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، حى الصلاة ، حى على الفلاح ، قد قامت الصلاة ، قد قامت الصلاة الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله ، أسمعت ؟ .

قال : وكان أبو محذورة لايجُز ناصيته ولا يفرقها لأن النبى ﷺ مسح عليها .

وأما أنَّ سعد القرظ رضى الله تبارك وتعالى عنه كان مؤذن قباء

فذكر ابن المبارك عن يونس بن يزيد ، عن الزهرى ، قال : أخبرنى حفص عن عمر بن سعد ، أن جده سعد كان يؤذن على عهد رسول الله ﷺ لأهل قباء ، حتى استعمله عمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه فى خلافته ، فأذن له بالمدينة فى مسجد النبى ﷺ .

وقال البلاذرى : وقد روى أن عثمان بن عفان رضى الله تبارك وتعالى عنه كان يؤذن بين يدى رسول الله ﷺ عند المنبر .

وقال الواقدى بإسناده : كان بلال رضى الله تبارك وتعالى عنه يقف على باب رسول الله ﷺ . فيقول : السلام عليك يا رسول الله ، وربما قال السلام عليك بأبى أنت وأمى أنت يا رسول الله ، حى الصلاة حى على الفلاح ، السلام عليك يا رسول الله .

قال البلاذرى : وقال غيره : كان يقول : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، حى على الصلاة ، حى على الفلاح ، الصلاة يا رسول الله .

وقال ابن زيد : لم يكن فى زمان رسول الله ﷺ أذان إلا الأول ، وأذان حين يقوم للصلاة ، وهى الشىء الآخر ، أحدثه الناس فى زمن عثمان رضى الله تبارك وتعالى عنه ، فلم يذكره أحد من الصحابة ، فمضى به العمل .

وقال محمد بن إسحاق ، عن الزهرى ، عن السائب بن يزيد ، قال : كان يؤذن بين يدى رسول الله ﷺ إذا جلس على المنبر يوم الجمعة ، على باب المسجد ، وأبى بكر وعمر رضى الله تبارك وتعالى عنهما . ذكره أبو داود .

وروى ابن إسحاق(١) أن امرأة قالت : كان بيتى من أطول بيت حول المسجد ، وكان بلال رضى الله تبارك وتعالى عنه يؤذن عليه الفجر كل غداه فيأتى بسحر ، فيجلس على البيت ينتظر عليه الفجر ، فإذا رآه تمطى بسحر ،

---

(١) (سيرة ابن هشام) : ٤٢/٣ ما كان يدعو به بلال قبل الفجر .

فيجلس على البيت ينتظر عليه الفجر ، فإذا رآه تمطى ثم قال : اللهم أحمدك وأستعينك على قريش أن يقيموا دينك . قالت : ثم يؤذن[1].

ويروى أنه كان يؤذن على أسطوان فى قبله المسجد يرقى إليها بأثبات ، وكانت فى منزل عبد الله بن عبيد الله بن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنهم .

وروى نافع عن ابن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، قال كان بلال رضى الله تبارك وتعالى عنه يؤذن على مناره فى دار حفصه بنت عمر رضى الله عنهما ، التى تلى المسجد ، قال : فكان يرقى على أثبات فيها ، وكانت خارجية من المسجد ، لم تكن فيه .

وأما بلال بن رباح رضى الله تبارك وتعالى عنه .

[هو] بلال بن رباح ، أبو عبد الله وقيل : أبو عبد الكريم ، وقيل : أبو عبد الرحمن ، وقيل : عمرو ، مولى أبى بكر الصديق رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، اشتراه بخمس أواق ، ثم أعتقه ، وكان له خازناً ، ولرسول الله ﷺ مؤذناً ، وهو أول من أذن لرسول الله ﷺ ، ولزم التأذين له بالمدينه وفى اسفاره شهد بدراً وما بعدها من المشاهد وامه حمامة كانت من مولدى السراة ، وكان آدم شديد الأدمة ، نحيفاً ، طوالاً ، أجنى ، خفيف العارضين ، وأذن لرسول الله ﷺ حياته ثم أذن لأبى بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه ، فقال عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه : ما منعك أن تؤذن ، قال : أنى أذنت لرسول الله ﷺ حتى قبض وأذنت لأبى بكر حتى قبض لأنه كان ولى نعمتى ، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : يا بلال ليس عمل افضل من الجهاد فى سبيل الله عز وجل ، فخرج مجاهداً ويقال أنه أذن لعمر رضى الله تبارك وتعالى عنه إذ دخل الشام فبكى عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه وغيره من المسلمين . وقال : سعيد بن المسيب وقد ذكر بلالاً ، فانطلق العباس رضى الله تبارك وتعالى عنه فقال لسيدته : هل لك أى تبيعننى عبدك قبل أن يفوتك خيره ؟ قال : وما تصنع به ؟

---

(١) ثم بعد ذلك قالت : والله ما علمته كان يتركها ليلة واحدة . (المرجع السابق) .

إنه خبيث وأنه قال ثم لقيها فقال : مثل مقالته ، فأشتراه العباس فبعث به إلى أبى بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه فأعتقه فكان يؤذن لرسول الله ﷺ فلما مات النبى ﷺ أراد أن يخرج إلى الشام فقال له أبو بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه بل تكون عندى ، فقال أن كنت أعتقتنى لنفسك فأحبسنى وأن كنت أعتقتنى لله عز وجل فذرنى اذهب إلى الله عز وجل ، فقال : أذهب فذهب إلى الشام فكان بها حتى مات .

وقال سفيان : عن إسماعيل عن قيس قال : اشترى أبو بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه بلالاً وهو مدفون بالحجارة ، ومات بدمشق سنة عشرين وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وكان ديوانه مع خثعم(١) .

[وأما] ابن أم مكتوم

اسمه عمرو ، وقيل عبد الله بن قيس بن زائدة بن الأصم ، وهو جندب ابن هرم بن رواحة بن حجر بن عبد بغيض بن عامر بن لؤى القرشى ، أمه أم مكتوم عاتكة بنت عبد الله بن عنكثة بن عامر بن مخزوم ، فهو ابن خال خديجة رضى الله تبارك وتعالى عنها أخى أمها ، واسلم قديماً ، وبعثه رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة مع مصعب بن عمير قبل هجرته ، واستخلفه على المدينه ثلاث عشرة مرة ، وشهد القادسية وما بعدها(٢) .

---

(١) له ترجمة فى : (مسند أحمد) : ١٢/٦ - ١٥ ، (طبقات ابن سعد) : ١٦٥/١/٣ ، ٢٠٨ ، (طبقات خليفة) : ١٩، ٢٩٨ ، (تاريخ خليفة) : ٩٩،١٤٩ ، (التاريخ الكبير) : ١٠٦/٢ ، (التاريخ الصغير) : ٥٣/١ ، (الجرح والتعديل) : ٣٩٥/٢ ، (حلية الأولياء) : ١٤٧/١-١٥١ ، (الاستيعاب) : ٢٦/٢ (تهذيب الأسماء واللغات) :١٣٦/١ - ١٣٧ ، (تهذيب التهذيب) : ٥٠٢/١ . (الإصابة) : ٢٧٣/١ ، (كنز العمال) : ٣٠٥/١٣ - ٣٠٨ ، شذرات الذهب ٣١/١ .

(٢) له ترجمة فى : (طبقات ابن سعد) : ١٥٠/٤ ، (المعارف) : ٢٩٠ (حلية الأولياء) : ٤/٢ (الإستيعاب) : ٤١/٧ ، (تهذيب الأسماء واللغات) : ٢٩٥/٢ - ٢٩٦ ، (الإصابة) : =

[وأما] أبو محذورة [الجمحى]

قيل اسمه أوس بن معير بن لوذان بن ربيعه بن سعد بن جمح . وقبـل : اسمه سمير بن عمير بن لوذان بن وهب ين سعد بن جمح فأمه خزاعية .

حدث عنه ابنه عبد الملك وزوجته ، والأسود بن يزيـد ، وعبـد اللـه بـن محيريز ، وابن أبى مليكة ، وآخرون كان من أندى الناس صوتاً وأطيبه .

قال ابن جريج : أخبرنى عثمان بن السائب ، عن أم عبد الملك بن أبى محذورة، عن أبى محذورة ، قال : لما رجع النبى ﷺ من حنين ، خرجت عاشر عشرة من مكة نطلبهم ، فسمعتهم يؤذنون للصلاة ، فقمنا نؤذن تستهزىء .

فقال النبي ﷺ لقد سمعت فى هؤلاء تأذين إنسان حسن الصوت فأرسل النيا ، فأذنا رجلاً رجلاً ، فكنت آخرهم ، فقال حين أذنت : [تعال] ، فأجلسنى بينٍ يديه ، فمسح على ناصيتى ، وبارك على ثـلاث مرات ، ثم قـال : " اذهـب فأذن عند البيت الحرام " قلت : كيف يا رسول الله ؟ فعلمنى الأولى كما يؤذنـون بها ، وفى الصبح " الصلاة خير من النوم " وعلمنى الإقامة مرتين مرتين . وفيه قيل : -

أما ورب الكعبة المستورة   وما تلا محمد من سوره
والنغمات من أبى محذروه   لا فعلن فعلة منكـــوره

وتوفى بمكة سنه تسع وخمسن وقيل سنة تسع وسبعين[1] ولم يهاجر .

= ٨٣/٧ ترجمة رقم (٥٧٦٤) ، (شذرات الذهب) : ٢٨/١ ، (سير أعلام النبلاء) : ٣٦٠/١ - ٣٦٥ ، ترجمة رقم (٧٧) .

(١) له ترجمة فـى : (طبقات ابن سعد) ٤٥٠/٥ ، (طبقات خليفة) : ترجمة رقم : (١٣٩ - ٢٥١٢)، (المحبر) : ١٦١ ، (المعارف) : ٣٠٦ ، (جمهـرة أنسـاب العـرب) : ١٦٢ ، ١٦٢، (المستدرك) : ٥١٤/٣ ، (الاستيعاب) : ١٢١/١ ترجمـة رقـم (١١٦) ، (تهذيـب الأسماء واللغات) : ٢/١-٢٦٦، (تهذيب التهذيب) ٢٢٢/١٢ ، (الاصابة) : ١٦٠/١ =

[وأما] سعد بن عائذ [سعد القرظ]
رضى الله تبارك وتعالى عنه

وهو سعد بن عائذ مولى عمار بن ياسر ، عرف بسعد القرظ لأنه لزم بيعه ، جعله رسول الله ﷺ مؤذنا بقباء ، ثم أذن لما ترك بلال الأذان بالمسجد النبوى حتى مات فتوارث بنوه الأذان فيه[1] .

[وأما] حبان بن بحّ الصدائى

[فإنه] يعد فى من نزل مصر من الصحابه ، قال ابن يونس : وفد على رسول الله ﷺ وشهد الفتح بمصر ويقال حبان ، وحيان الصواب . وقال الدار قطنى : حيان بن بح الصدائى بكسر الحاء مع وياء معجمة وباحدة ، له بمصر حديث رواه بكر بن سوادة عن زياد بن نعيم ، عن حيان بن بح قال : إن قومى كفروا فأخبرت أن النبى ﷺ جهز إليهم جيشاً ، فأتيته فقلت : إن قومى

= ترجمة رقم (٣٥٨) ، (شذرات الذهب) : ٦٥/١ ، (سير أعلام النبلاء) : ١١٧/٣ - ١١٨ ترجمة رقم (٢٤) .

(١) وروى البغوى ، عن القاسم بن محمد بن عمر بن حفص بن عمر بن سعد القرظ ، عن آبائه أن سعداً اشتكى إلى النبى ﷺ قلة ذات يده ، فأمره بالتجارة فخرج إلى السوق ، فاشترى شيئاً من قرظ فباعه فربح ، فذكر ذلك للنبى ﷺ ، فأمره بلزوم ذلك وروى عن النبى ﷺ ، أذن فى حياته بمسجد قباء .

وروى عنه ابناه عمار وعمر ، نقله أبو بكر من قباء إلى المسجد النبوى ، فأذن فيه بعد بلال ، ـ وتوارث عنه بنوه الأذان .

قال خليفة : أذن سعد لأبى بكر ولعمر بعده . وروى يونس عن الزهرى أن الذى نقله عن قباء عمر . قال أبو أحمد العسكرى : عاش سعد القراظ إلى أيام الحجاج ، له ترجمة فى : (الإصابة) : ٦٥/٣ ، ترجمة رقم (٣١٧٣) ، (المعارف) : ٢٥٨ ، (تهذيب التهذيب) : ٤١٥/٣ ، ترجمة رقم (٨٩١) ، (الاستيعاب) : ٥٩٣/٢ - ٥٩٤ ، ترجمة رقم (٩٤٣) .

على الإسلام فقال : أكذلك ؟ قلت : نعم واتبعته ليلتى حتى الصباح فأذنت بالصلاة لما أصبحت ، وأعطانى ماءً توضأت منه ، فجعل النبى ﷺ أصابعه فى الإناء فانفجر عيوناً .

فقال : من أراد منكم أن يتوضأ فليتوضأ ، فتوضأت وصليت ، فأمرني عليهم ، وأعطانى صدقاتهم ، فقام رجل إلى رسول الله ﷺ ، فقال : إن فلاناً ظلمنى ، فقال رسول الله ﷺ : لاخير فى الإمارة لمسلم .

ثم جاء رجل يسأل صدقة ، فقال له النبى ﷺ : إن الصدقة صداع وحريق فى الرأس أوداء ، فأعطيته صحيفة إمرتى وصدقتى ، فقال : ما شأنك ؟ فقلت : أقبلها ، وقد سمعت ما سمعت ؟ .

رواه سعيد بن أبى مريم ، عن ابن لهيعة ، عن بكر بن سواد ، وزياد ابن الحارث الصدائى : وفد على رسول الله ﷺ . وشهد الفتح بمصر ، وحديثه يشبه حديث حبان بن بح .

قال ابن يونس ، وقال ابن عبد البر : وهو حليف بنى الحارث بن كعب، تابع رسول الله ﷺ ، وأذن بين يديه ، يعد فى مصر وأهل المغرب . وقد خرج له أبو داود ، والترمذى ، وابن ماجة .

وقال ابن وهب : أخبرنى عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، عن زياد بن نعيم ، أنه سمع زياد بن الحارث الصدائى قال : أتيت رسول الله ﷺ فبايعته على الإسلام ، فأخبرت أنه بعث جيشاً إلى قومى ، فقلت : يا رسول الله ! أن رد الجيش ، وأنا لك بإسلامهم وطاعتهم ، فقال : اذهب فردهم ، فقلت : يا رسول الله ، إن راحلتى قد كلت ، ولكن ابعث إليهم رجلاً قال : فبعث إليهم رسول الله ﷺ رجلاً ، وكتبت معه إليهم ، فردهم ، قال الصدائى : فقدم وفدهم بإسلامهم ، فقال لى رسول الله ﷺ : يا أخا صداء ، وإنك مطاع فى قومك ؟ قلت : بل الله هداهم للإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : أفلا أؤمرك عليهم ؟ قلت : بلى ، فكتب لى كتاباً بذلك ، فقلت يا رسول الله بشأن صدقاتهم ، نكتب لي كتاباً آخر بذلك ، وكان ذلك فى بعض أسفاره ، فنزل رسول الله ﷺ منزلاً ، فأتى أهل ذلك المنزل يشكون عاملهم ، يقولون : أخذنا بشئ كان بيننا وبينه فى الجاهلية ، فقال رسول الله ﷺ : أو فعل ؟ قالوا : نعم فالتفت إلى أصحابه وأنا

فيهم فقال : لا خير في الإمارة لرجل مؤمن ، قال الصدائي : فدخل قوله في نفسي ، قال : ثم أتاه آخر ، فقال : يا رسول الله ، أعطني ، فقال رسول الله ﷺ : من سأل الناس عن ظهر غنى فهو صداع في الرأس وداء في البطن ، فقال السائل : فأعنى من الصدقة ، فقال رسول الله ﷺ : إن الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره [في الصدقات] حتى حكم هو فيها ، فجزأها ثمانية أجزاء[1] ، فإن كنت من تلك الأجزاء أعطيتك - أو أعطيناك - حقك الصدائي : فدخل ذلك في نفسي ، لأني سألته من الصدقات وأنا غني ، ثم إن رسول الله ﷺ اعتشى من أول الليل ، فلزمته ، وكنت قوياً ، وكان أصحابه ينقطعون عنه ويستأخرون ، حتى لم يبق معه أحد غيري ، فلما كان أوان صلاة الصبح أمرني فأذنت ، وجعلت أقول : أقيم يا رسول الله ؟ فينظر إلى ناحية المشرق ويقول : لا ، حتى إذا طلع الفجر نزل فتبرز ، ثم انصرف إلي وقد تلاحق أصحابه ، فقال : هل من ماء يا أخا صداء ؟ قلت : لا ، إلا شئ قليل لا يكفيك ، فقال : اجعله في إناء ثم ائتني به ، ففعلت ، نوضع كفه في الإناء ، فرأيت بين كل إصبعين من أصابعه عيناً تفور ، فقال : لولا أني أستحيي من ربي - يا أخا صداء - لسقينا واستقينا ، ناد في الناس : من له حاجة في الماء ، فنادي فيهم ، فأخذ من أراد منهم ، ثم جاء بلال فأراد أن يقيم ، فقال رسول الله ﷺ : إن أخا صداء أذن ، ومن أذن فهو يقيم ، قال الصدائي : فأقمت ، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته أتيته بالكتابين ، فقلت: يا رسول الله ﷺ ، أعفني من هذين ، فقال : وما بدالك ؟ إني سمعتك تقول : لا خير في الإمارة لرجل مؤمن ، وأنا أومن ورسوله ، وسمعتك تقول للسائل : من سأل عن ظهر غنى فهو صداع في الرأس وداء في البطن ، وقد سألتك وأنا غنى ، فقال رسول الله ﷺ : هو ذاك ، إن شئت فاقبل وإن شئت فدع [فقلت : أدع] فقال لي رسول الله ﷺ : فدلني على رجل أؤمره

---

(١) وهي الأجزاء الثمانية التي ذكرها الله تبارك وتعالى في الآيه رقم (٦٠) من سورة التوبه والتي يحدد فيها المصارف الثمانية لأموال الصدقات ، وهي قوله تعالى : **﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ﴾** .

عليهم ، فدللته على رجلٍ من الوفد الذين قدموا عليه ، فأمره علينا ، ثم قلنا : يا رسول الله ، إن لنا بئراً إذا كان الشتاء وسعنا ماؤها فاجتمعنا عليها ، وإذا كان الصيف قل ماؤها فتفرقنا على مياه حولنا ، وقد أسلمنا ، وكل من حولنا عدوّ ، فادع الله لنا فى بئرنا أن يسعنا ماؤها فنجتمع عليها ولا نتفرق ، قال : فدعا بسبع حصيات ، فعركهن فى يده ودعا فيهن ، ثم قال : اذهبوا بهذه الحصيات ، فإذا أتيتم البئر فألقوها واحدة واحدة واذكروا اسم الله ، قال الصدائى : ففعلنا [ما قال لنا] ، فما استطعنا بعد ذلك أن ننظر فى قعرها ، يعنى البئر .

هذا لفظ ابن عبد الحكم ، وقد صححنا بعض أحرف فيه وزدنا بعض أحرف ، من رواية المزى المطبوعة بحاشية التهذيب ، ما زدناه كتبناه بين قوسين هكذ [ ] .

وقوله فى الحديث " اعتشى من أول الليل " : قال فى النهاية : " أى سار وقت العشاء ، كما يقال : استمر وابتكر " .

وقد خرج حديث زياد بن الحرث الترمذى وقاسم بن أصبغ مختصراً ، وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقى[1] أبو خالد الشعبانى العامرى ، مصرى ، يروى الموضوعات عن الثقات ، ويدلس عن محمد بن سعيد المصلوب . كان ابن مهدى ويحى لا يحدثان عن الأفريقى . قال ابن معين : هو ضعيف ، قاله أبو حاتم ، محمد بن حبان .

---

(١) له ترجمة فى : (تهذيب التهذيب) : ٦/١٥٧ - ١٦٠ ، ترجمة رقم (٣٥٨) .

فصل فى ذكر أن رسول الله ﷺ أذن بنفسه .

خرج الترمذى من طريق شبابه بن سوار ، حدثنا عمر بن الرماح [البلخى] عن كثير بن زياد عن عمرو بن عثمان بن يعلى مرة(١) عن أبيه عن جده قال : " أنهم كانوا مع رسول الله ﷺ فى مسير ، فانتهوا إلى مضيق ، وحضرت الصلاة ، فمطروا ، السماء من فوقهم ، والبلة من أسفل منهم ، فأذن رسول الله ﷺ وهو على راحلته فصلى بهم يومى إيماء يجعل السجود أخفض من الركوع(٢) " .

قال أبو عيسى : هذا حديث غريب تفرد به عمر بن الرماح البلخى(٣) لا يعرف إلا من حديثة .

وخرجه الدارقطنى من طريق ابن الرماح أيضاً عن كثير بن زياد بن سهل البصرى عن عمر بن عثمان بن يعلى بن أميه عن أبيه عن جده يعلى بن اميه صاحب رسول الله ﷺ قال : انتهينا مع النبى ﷺ إلى مضيق ، السماء من فوقنا والبلة من أسفلنا وحضرت الصلاة فأمر المؤذن فأذن وأقام أو أقام بغير اذان ثم تقدم النبى ﷺ فصلى بنا على راحلته وصلينا خلفه على رواحلنا وجعل

---

(١) هو يعلى بن مرة الثقفى ، صحابى ، شهد مع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان وخيبر ، وفتح مكة وغزوى الطائف ، وحنيناً ، وله أحاديث مرفوعة ، وأما ابنه عثمان وحفيده عمرو بن عثمان فليس لهما فى الكتب الستة إلا هذا الحديث عند الترمذى ، وعمرو بن عثمان ذكره ابن حبان فى (الثقات) . وأبوه عثمان بن يعلى قال ابن القطان : مجهول .

(٢) (سنن الترمذى) : ٢ / ٢٦٦ ، أبواب الصلاة ، باب (١٨٦) ما جاء فى الصلاة على الدابة فى الطين والمطر ، حديث رقم (٤١١) .

(٣) ثم قال أبو عيسى عقب ذلك : لا يعرف إلا من حديثه ، وقد روى عنه غير واحد من أهل العلم، وكذلك روى عن أنس بن مالك : أنه صلى فى ماء وطين على دابته ، والعمل على هذا عند أهل العلم ، وبه يقول أحمد وإسحاق .

سجوده اخفض من ركوعه[1] قال السهيلى : والمفصل يقضى على المجمل المجتهد .

فصل فى ذكر من كان يقم المسجد على عهد رسول الله ﷺ

قال ابن سيده : قم الشيء ، يقمه قماً كنسه ، حجازيه ، والمقمة : المكنسة ، والقمامة : الكناسة[2] .

خرج البخارى[3] ومسلم[4] من حديث حماد بن زيد ، عن ثابت البنانى ، عن أبى رافع ، عن أبى هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : أن رجلاً أسود أو أمرأة سوداء كان يقم المسجد ، فمات ، فسأل النبى ﷺ عنه فقالوا : مات . قال : أفلا كنتم آذنتمونى به ؟ دلونى على قبره ، أو قال : قبرها ، فصلى

---

(١) (سنن الدار قطنى) : ١ / ٣٨٠ - ٣٨١ ، باب صلاة المريض لا يستطيع القيام ، والفريضة على الراحلة ، حديث رقم (٦) .

قال فى (تخريج الأحاديث الضعاف من سنن الدار قطنى) : ١٣٩ ، حديث رقم (٣٣٥) : إسناده فيه لين ، وابن غزوان ضعيف .

(٢) وقال اللحيانى : قمامة البيت ما كسح منه ، فألقى بعضه على بعض . الليث : القم ما يقم من قمامات القماش ويكنس . قال : قم بيته يقمه قماً إذا كنسه .

وفى حديث فاطمة عليها السلام : أنها لما قمت البيت أغبرت ثيابها ، أى كنسته . (لسان العرب) : ١٢/٤٩٣ .

(٣) (فتح البارى) : ١ / ٧٢٧ ، كتاب الصلاة ، باب (٧٢) كنس المسجد ، والتقاط الخرق والقذى والعيدان ، حديث رقم (٤٥٨) .

وفى الحديث فضل تنظيف المسجد ، والسؤال عن الخادم والصديق الخير ، وندب الصلاة على الميت الحاضر عند قبره ، لمن لم يصلى عليه ، والإعلام بالموت . (فتح البارى) .

(٤) (مسلم بشرح النووى) : ٧/٣٠، كتاب الجنائز ، باب (٢٣) الصلاة على القبر ، حديث رقم (٧١) .

عليه . ذكره البخارى فى كتاب الصلاة ، وترجم عليه باب كنس المسجد ، والتقاط الخرق والقذى والعيدان . وذكره فى كتاب الصلاة على القبر بعد ما يدفن بنحو منه . وفى كتاب الصلاة ، باب الخدم للمسجد .

ولفظ مسلم أن : امرأة سوداء كانت تقم المسجد أو شاباً ، ففقدها رسول الله ﷺ فسأل عنها أوعنه ، فقالوا : مات قال : أفلا كنتم أذنتمونى ؟ قال : فكأنهم صغروا أمرها أو أمره ، فقال : دلونى على قبره ، فدلوه ، فصلى عليها ، ثم قال : إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها ، وإن الله عز وجل ينورها لهم بصلاتى عليهم .

وخرجه قاسم بن أصبغ بهذا الإسناد ، وقال : إن إنساناً أسوداً ، أو إنسانه سوداء كانت تقم أو يقم [المسجد] فمات أوماتت ، ففقدها رسول الله ﷺ فقال : ما فعل ذلك الإنسان ؟ .... الحديث بنحو حديث مسلم . وهذه المرأة يقال اسمها محجنة ، ويقال أم محجن[1] .

---

(١) محجنة ، وقيل أم محجن ، أمرأة سوداء كانت تقم المسجد ، وقع ذكرها فى الصحيح بغير تسمية وسماها يحى بن أبى أنيسة ، وهو متروك ، عن علقمة بن مرثد ، عن رجل من أهل المدينة ، قال : كانت امرأة من أهل المدينة يقال لها محجنة تقم المسجد ، فتفقدها النبى ﷺ فأخبر أنها قد ماتت ، فقال : ألا آذنتمونى بها ؟ فخرج فصلى عليها ، وكبر أربعاً .

قال يحي : وحدثنا الزهرى ، عن أبى أمامة بن سهل ، عن النبى ﷺ نحوه .

ومن طريق عبد الله بن بريدة ، عن أبيه أن النبى ﷺ مر على قبر حديث عهد بدفن ، فقال : متى دفن هذا ؟ فقيل : هذه أم محجن التى كانت مولعه بلقط القذى من المسجد ، فقال : أفلا أذنتمونى ؟ قالوا : كنت نائماً فكرهنا أن نوقظك .. الحديث . (الإصابة) : ١١٦/٨ ترجمة رقم (١١٧٤٢) .

فصل فى ذكر من أسرج فى مسجد رسول الله ﷺ

قال ابن سيده : السراج : المصباح ، والجمع سُرُج ، والمسرجة التى فيها الفتيل ، التى يجعل فيها النار . وأسرج السراج : أوقده(١) .

والذى أسرج المسجد على عهد رسول الله ﷺ سراج ، قال :أبو عمر ابن عبد البر(٢) سراج مولى تميم الدارى قدم على النبى ﷺ فى خمس غلمان

---

(١) قال فى (اللسان) : والسراج : المصباح الزاهر الذى يسرج بالليل ، والجمع سرج ، والمسرجة : التى فيها الفتيل . وقد أسرجت السراج إسراجاً . والمسرجة بالفتح : التى يجعل عليها المسرجة . والشمس سراج النهار ، والمسرجة بالفتح : التى توضع فيها الفتيلة والدهن .

وفى الحديث : عمر سراج أهل الجنة ، قيل : أراد أن الأربعين الين تموا بعمر كلهم من أهل الجنة ، وعمر فيها بينهم كالسراج ، لأنهم أشتدوا بإسلامه وظهروا للناس ، وأظهروا إسلامهم بعد أن كانوا مختفين خائفين ، كما أنه بضوء السراج يهتدى الماشى ، والسراج : الشمس . وفى التنزيل ﴿ **وجعلنا سراجاً وهاجاً** ﴾ وقوله عز وجل : ﴿ **وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً** ﴾ إنما يريد مثل السراج الذى يستضاء به ، أو مثل الشمس فى النور والظهور .

والهدى : سراج المؤمن ، على التشبيه . التهذيب : قوله تعالى : ﴿ **وسراجاً منيراً** ﴾ قال الزجاج : أى وكتاباً بيناً ، المعنى أرسلناك شاهداً ، وذا سراج منير أى وذا كتاب منير تبين ، وإن شئت كان وسراجاً منصوباً على معنى داعياً إلى الله وتالياً كتاباً بيناً ، قال الزهرى : وإن جعلت سراجاً نعتاً للنبى ﷺ وكان حسناً ، ويكون معناه هادياً كأنه سراج يهتدى به فى الظلم وأسرج السراج : أوقده ، وسرج الله وجهه وبهجه أى حسنة . (لسان العرب) : ٢٩٧/٢ - ٢٩٨ .

(٢) (الاستيعاب) : ٦٨٣/٢ ، ترجمة رقم (١١٣١) ، وقال الحافظ فى (الإصابة) : أخبرنى عبد العزيز بن أبى الحسن القرميسينى ، حدثنا محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب ، كذا حدثنا سلامة ابن سعيد الدارى ، حدثنى أبو حامد يزيد بن العباس بن حكيم بن خيار، فذكر النسب مثله إلى سراج ، حدثنى أبى عن أبيه ، عن جده ، عن أبيه ، عن جده - كذا فيه مرتين - عن أبيه على ابن مجاهد ، عن جده مجاهد ، عن أبيه سراج سادن بيت المقدس ، وكان اسمه فتحاً - كذا =

بتميم ، وروى عنه فى تحريم الخمر ، وأنه أسرج فى مسجد رسول الله ﷺ بالقنديل ، والزيت ، وكانوا لا يسرجون قبل ذلك الا بسعف النخل فقال رسول الله ﷺ : من أسرج مسجدنا ؟ فقال تميم : غلامى هذا ، فقال : ما اسمه فقال : فتح ، فقال النبى ﷺ : اسمه سراج ، قال : فسمانى رسول الله ﷺ سراجاً .

فصل فى ذكر تخليق المسجد فى عهد رسول الله ﷺ

الخلاق ضرب من الطيب وقيل : الزعفران وقد تخلق وخلقة وخلقت المرأة جسمها طلته بالخلوق(١) .

خرج قاسم بن أصبغ من حديث معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا عمر بن سليم قال : حدثنى أبو الوليد قال : قلت لابن عمر ما كان يدهن هذا الزعفران فى المسجد ، قال : خرج رسول الله ﷺ فرأى نخامة فى قبلة المسجد فقال غير هذا كان أجزى ، فسمع ذلك ، قال : هذا أحسن من الأول فقال فصنعه الناس .

وخرجه عمر بن شبة بهذا السند ، ولفظه : قلت لابن عمر ماله والزعفران فى المسجد ؟ فقال : ما أقبح هذا من فعل ، فجاء صاحبها فحكها وطلاها بزعفران ، فقال رسول الله ﷺ هذا أحسن من ذلك .

= بخطه يمثناه من فوق ساكنه ثم حاء مهمله – قال : قدمنا على رسول الله ﷺ ونحن خمسة غلمان لتميم الدارى معه وكانت تجارتهم الخمر ، فلما نزل تحريم الخمر على النبى ﷺ أمرنى فشققتها ، فقال النبى ﷺ لتميم : يعنى غلمانك لأعتقهم ، فقال له تميم : قد أعتقتهم يا رسول الله. (الاصابة) : ٣٨/٣ ، ترجمة رقم (٣١٠٥) .

(١) والخلوق والخلاق : ضرب من الطيب ، وقيل الزعفران .

وقد تخلق وخلقته : طليته بالخلوق . وخلقت المرأة جسمها : طلته بالخلوق ، وقد تخلقت المرأة بالخلوق ، والخلوق : طيب معروف يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب ، وتغلب عليه الحمرة والصفرة ، وقد ورد تارة بإباحته وتارة بالنهى عنه ، والنهى أكثر وأثبت ، وإنما نهى لأنه من طيب النساء ، وهن أكثر استعمالاً له منهم ، قال ابن الأثير : والظاهر أن أحاديث النهى ناسخة .

وخرج من حديث شجاع بن الوليد ، فسألت عن محارب بن دثار عن أبى بن كعب قال : أبصر رسول الله ﷺ فى حائط المسجد بزاقاً فحكه على خرقة ، فأخرجه من المسجد وجعل مكانه شيء من طيب أو زعفران ، أو ورس .

من حديث الحكم بن سليم عن أيوب بن سليمان بن يسار ، أن النبى ﷺ رأى نخامة فى جدار المسجد فحكها ، وخلق مكانها[1] .

فصل فى ذكر اعتكاف رسول الله ﷺ

قال ابن سيده : عكف يعتكف وتعكف عكفاً وعكوفاً وأعتكف لزم المكان والعكوف الإقامة فى المسجد[2] .

فخرج البخارى[3] ومسلم[4] وأبو داود[5] من حديث نافع عن ابن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : أن رسول الله ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ، ثم اعتكف أزواجه من بعده .

---

(١) ويؤيد ذلك ما أخرجه البخارى من حديث سفيان عن الزهرى عن عبد الحميد بن عبد الرحمن عن أبى سعيد : أن النبى ﷺ أبصر نخامة فى قبلة المسجد فحكها بحصاة . الحديث ، ذكره فى كتاب الصلاة ، باب (٣٦) حديث رقم (٤١٤) .

(٢) قال فى (اللسان) : عكف على الشئ يعكف ويكعف عكفاً وعكوفاً : أقبل عليه مواظباً لا يعرف لا يصرف عنه وجهه ، وقيل : أقام ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **يعكفون على أصنام لهم** ﴾ أى يقيمون ، ومنه قوله تعالى ﴿ **ظلت عليه عاكفا** ﴾ أى مقيماً . والعكوف : الإقامة فى المسجد قال الله تعالى ﴿ **وانتم عاكفون فى المساجد** ﴾ قال المفسرون وغيرهم من أهل اللغة : عاكفون مقيمون فى المساجد لا يخرجون منها إلا لحاجة الإنسان يصلى فيه ويقرأ القرآن .

ويقال لازم المسجد وأقام العبادة فيه عاكف ومعتكف . والاعتكاف والعكوف الإقامة على الشئ وبالمكان ولزومها ؟ . وروى عن النبى ﷺ أنه كان يعتكف فى المسجد . (لسان العرب) : ٢٥٥/٩ . =

وقال أبو داود : حتى قبضه الله : وخرجه الترمذى[1] من حديث معمر عن الزهرى عن أبى هريرة عن عروة عن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها . قال أبو عيسى حديث أبى هريرة وعائشه رضى الله عنها حديث حسن صحيح .

وخرج البخارى ومسلم من حديث مسروق عن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها ، قالت : كان النبى ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره ، وأحيا ليله ، وأيقظ [أهله] وجد وشد المئزر .

وخرجه أبو بكر بن أبى شيبة[2] من حديث أبى بكر بن عياش عن أبى إسحاق عن هبيرة بن بريم عن على رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر إيقظ أهله ، ورفع المئزر قيل لأبى بكر بن عياش : مارفع المئزر ؟ قال : اعتزال النساء .

=(٣) (فتح البارى) :٣٤١/٤ ، كتاب الاعتكاف ، بابا (١) ، الاعتكاف فى العشر الأواخر ، والاعتكاف فى المساجد كلها ، لقوله تعالى : ﴿ **ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون** ﴾ [البقرة :١٨٧] ، حديث رقم (٢٠٢٦) لكن من حديث الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب عن عروة بن الزهير ، عن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها .

(٤) (مسلم بشرح النووى) : ٣١٧/٨ ، كتاب الاعتكاف ، باب (١) ، الاعتكاف فى العشر الأواخر من رمضان ، حديث رقم (٥) .

(٥) (سنن أبى داود) : ٨٢٩/٢ ، كتاب الصوم ، باب (٧٧) الاعتكاف حديث رقم (٢٤٦٢) .

(١) (سنن الترمذى) : ١٥٧/٣ ، كتاب الصوم ، باب (٧١) ما جاء فى الاعتكاف ، حديث رقم (٧٩٠) ، ثم قال : وفى الباب ، عن أبى بن كعب ، وأبى ليلى ، وأبى سعيد ، وأنس ، وابن عمر . قال أبو عيسى حديث أبو هريرة وعائشة حديث حسن صحيح .

(٢) (مصنف ابن شيبه) : ٣٢٧/٢ ، كتاب الصيام ، باب (٧٥) من كان يجتهد إذا دخل العشر الأواخر من رمضان ، حديث رقم (٩٥٤٤) .

وأخرجه الترمذى[1] ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن هبيرة ، عن على رضى الله تبارك وتعالى عنه ، قال : إن النبى ﷺ كان يوقظ أهله فى العشر الأواخر من رمضان . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

وخرج البخارى[2] ، وأبو داود[3] ، النسائى[4] من حديث أبى حصين ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه ، قال : كان

---

(١) (سنن الترمذى) : ٣/٦١ ، كتاب الصوم ، باب (٧٣) ، بدون ترجمة حديث رقم (٧٩٥) ، وقال : هذا حديث صحيح ، وقال : محققه لم يخرجه من أصحاب الكتب السته سوى الترمذى .

(٢) (فتح البارى) :٤/٣٥٨ ، كتاب الاعتكاف ، باب (١٧) الاعتكاف فى العشر الأوسط من رمضان ، حديث رقم (٢٠٤٤) .

قوله : (باب الاعتكاف فى العشر الأوسط من رمضان) كأنه أشار بذلك إلى أن الاعتكاف لا يختص بالعشر الأخير وإن كان الاعتكاف فيه أفضل .

قوله : (يعتكف فى كل رمضان عشرة أيام) فى رواية يحيى بن آدم عن أبى بكر بن عياش عند النسائى " يعتكف العشر الأواخر من رمضان " قال ابن بطال : مواظبته ﷺ الاعتكاف تدل على أنه من السنن المؤكدة ، وقد روى ابن المنذر عن ابن شهاب أنه كان يقول : عجبا للمسلمين ، تركوا الاعتكاف ، والنبى ﷺ لم يتركه مند دخل المدينة حتى قبضة الله .

وقد تقدم قول مالك إنه لم يعلم أن أحداً من السلف اعتكف إلا أبا بكر بن عبد الرحمن ، وإن تركهم لذلك لما فيه من الشدة .

قوله : (فلما كان العام الذى قبض فيه اعتكف عشرين) قيل : السبب فى ذلك أنه ﷺ علم بانقضاء أجله فأراد أن يستكثر من اعمال الخير ليبين لأمته الاجتهاد فى العمل إذا بلغوا أقصى العمر ليلقوا الله على خير أحوالهم ، وقيل : السبب فيه أن جبريل كان يعارضه بالقرآن فى كل رمضان مرة ، فلما كان العام الذى قبض فيه عارضه به مرتين لفذلك اعتكف قدرما يعتكف مرتين .

ويؤيده أن عند ابن ماجة عن هناد عن أبى بكر بن عياش فى آخر حديث الباب متصلا " به " وكان يعرض عليه القرآن فى كل عام مرة ، فلما كان العام الذى قبض فيه عرضه عليه مرتين " وقال ابن العربى : يحتمل أن يكون سبب ذلك أنه لما ترك الاعتكاف فى العشر الأخير بسبب ما وقع من أزواجه واعتكف بدله عشراً من شوال اعتكف فى العام الذى يليه عشرين =

النبى ﷺ يعتكف فى كل رمضان عشرة أيام ، فلما كان العام الذى قبض فيه اعتكف عشرين يوماً .

ترجم عليه البخارى فى العشر الأوسط من رمضان ، وخرجه فى كتاب (فضائل القرآن) ، ولفظه فيه : كان يعرض على النبى ﷺ كل عام مرة ، فعرض عليه مرتين فى العام الذى قبض ﷺ ، وكان يعتكف فى كل عام عشرة ، واعتكف عشرين فى العام الذى قبض فيه ﷺ .

= ليتحقق قضاء العشر فى رمضان . وأقوى من ذلك أنه إنما اعتكف فى ذلك العام عشرين لأنه كان العام الذى قبله مسافراً ، ويدل لذلك ما أخرجه النسائى واللفظ له وأبو داود وصححه ابن حبان وغيره من حديث أبى بن كعب " أن النبى ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان ، فسافر عاماً فلم يعتكف ، فلما كان العام المقبل اعتكف عشرين " ويحتمل تعدد هذه القصة بتعدد السبب فيكون مرة بسبب ترك الاعتكاف لعذر السفر ومرة بسبب عرض القرآن مرتين .

وأما مطابقة الحديث للترجمة فإن الظاهر باطلاق العشرين أنها متوالية فيتعين لذلك العشر الأوسط أو أنه حمل المطلق فى هذه الرواية على المقيد فى الروايات الأخرى .

(٣) (سنن أبى داود) : ٢/٨٣٠ ، كتاب الصوم ، باب (٧٧) الاعتكاف ، حديث رقم (٢٤٦٣) ، قال : الخطابى : فى (معالم السنن) فيه من الفقه أن النوافل المعتادة تقضى إذا فاتت كما تقضى الفرائض ، ومن هذا قضاء رسول الله ﷺ بعد العصر الركعتين اللتين فاتتاه لقدوم الوفد عليه واشتغاله بهم .

وفيه مستدل لمن أجاز الاعتكاف بغير صوم ينشنه له ، وذلك أن صومه فى شهر رمضان إنما كان للشهر الوقت مستحق له .

وقد اختلف الناس فى هذا ، فقال الحسن البصرى : إن اعتكف من غير صيام اجزأه ، وإليه ذهب الشافعى . وروى عن على وابن مسعود أنهما قالا : إن شاء صام وإن شاء أفطر ، وقال الأوزاعى ومالك : لا اعتكاف إلا بصوم ، وهو منذهب أصحاب الرأى ، وروى ذلك عن ابن عمر وابن عباس وعائشة وهو قول سعيد بن المسب وعروة بن الزبير .

(٤) لم أجده فى (المجتبى) ولعله فى (الكبرى) .

وللنسائى[1] والإمام أحمد[2] من حديث حماد بن سلمه ، عن ثابت ، عن أبى رافع ، عن أبى بن كعب رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : إن النبى ﷺ كان يعتكف العشرة من رمضان فسافر عاماً ولم يعتكف فلما كان قابل اعتكف عشرين ليلة .

وللبخارى[3] من حديث مالك عن يزيد بن عبد الله بن الهاد ، عن محمد ابن إبراهيم بن الحارث التيمى ، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تبارك وتعالى عنه ، قال : إن رسول الله ﷺ كان يعتكف فى العشر الأوسط من رمضان ، فاعتكف عاماً حتى إذا كان ليلة إحدى وعشرين ، وهى الليلة التى يخرج من صبيحتها من اعتكافه ، قال : من اعتكف معى فليعتكف العشر الأواخر ، فتدرست هذه الليلة ثم أنسيتها ، وقد رأيتنى أسجد فى ماء وطين من صبيحتها ، تلتمسه فى العشر الأواخر ، التسموها فى كل وتر ، فمطرت السماء فى تلك الليلة ، وكان المسجد على عريش ، فوكف المسجد ، فبصرت عيناى رسول الله ﷺ على جبهته أثر الماء والطين من صبح واحد وعشرين .

وذكره فى باب الاعتكاف فى العشر الأواخر وذكره فى باب تحرى ليلة القدر فى الوتر فى العشر الأواخر من حديث بن أبى حازم والدراوردى ، عن يزيد ، عن محمد بن إبراهيم ، عن أبى سلمة ، عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تبارك وتعالى عنه : كان رسول الله ﷺ يجاور فى رمضان العشر التى فى وسط الشهر ، فإذا كان حين يمسى من عشرين ليلة تمضى ، ويستقبل إحدى

---

(١) لم أجده فى (المجتبى) ولعله فى (الكبرى) .

(٢) (مسند أحمد) : ٧/٢٤١ ، حديث رقم (٢٤٨٢٧) ، ٧/٢٤٢ ، حديث رقم (٢٤٨٣٠) ، كلاهما من حديث السيدة عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها ، لكن باختلاف فى السند واللفظ .

(٣) (فتح البارى) : ٤/٣٥٥ - ٣٥٦ ، كتاب الاعتكف ، باب (١٣) من خرج من اعتكافه عذد الصبح حديث رقم (٢٠٤٠) ، (المرجع السابق) ، كتاب الاعتكاف ، باب (١) الاعتكاف فى العشر الأواخر ، حديث رقم (٢٠٢٧) .

وعشرين رجع إلى مسكنه ، ورجع من كان يجاور معه ، وأنه أقام في شهر جاور فيه الليلة التي كان يرجع فيها ، فخطب الناس ، فأمرهم بما شاء الله ، ثم قال : كنت أجاور هذه العشر ، ثم قد بدا لي أن أجاور هذه العشر الأواخر ، فمن كان اعتكف معي فليثبت في معتكفه ، وقد أريت هذه الليلة ، ثم أنسيتها ، فابتغوها في العشر الأواخر ، ابتغوها في كل وتر ، وقد رأيتني أسجد في ماء وطين . فاستهلت السماء ليلة إحدى وعشرين ، فبصرت عيني ، فنظرت إليه من الصبح ، ووجهه ممتلئ طيناً وماءً .

وللبخاري[1] من حديث مالك ، عن يحي بن سيعد ، عن عمرة بنت عبد الرحمن ، أن النبي ﷺ أراد أن يعتكف ، فلما انصرف إلى المكان الذي أراد أن يعتكف فيه ، إذا أخبية : خباء عائشة ، وخباء حفصة ، وخباء زينب ! فقال : آلبر تقولون ؟ ثم انصرف ولم يعتكف ولم يعتكف ، حتى اعتكف عشراً من شوال . ترجم عليه باب الأخبية في المسجد .

وذكره في باب من أراد أن يعتكف ثم بدا له أن يخرج[2] ، من حديث الأوزاعي ، قال : حدثني يحي بن سعيد ، قال : حدثني عمرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها قالت : إن رسول الله ﷺ ذكر أن يعتكف العشر الأواخر من رمضان ، فأستأذنته عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها فأذن لها وسألت حفصة عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها أن تستأذن لها ففعات ، فلما رأت ذلك زينب بنت جحش أمرت ببناء فبني لها قالت : وكان رسول الله ﷺ إذا صلى انصرف إلى بنائه ، فأبصر الأبنية فقال : ما هذا ؟ قالوا : بناء عائشة وحفصة وزينب . فقال رسول الله ﷺ آلبر أردن بهذا ؟ ما أنا بمعتكف . فرجع . فلما أفطر اعتكف عشراً من شوال .

---

(١) (فتح الباري) : ٣٤٩/٤ ، كتاب الاعتكاف ، باب (٧) الأخبية في المسجد ، حديث رقم (٢٠٣٤) .

(٢) (المرجع السابق) باب (١٨) من أراد أن يعتكف ثم بداله أن يخرج ، حديث رقم : (٢٠٤٥) .

ذكره فـي بـاب اعتكـاف النسـاء[1] وفـي بـاب الاعتكـاف فـي شـوال[2] ، بالفاظ متغايره .

---

(١) (المرجع السابق) باب (٦) اعتكاف النساء ، حديث رقم (٢٠٣٣) ، وفى الحديث أن المرأة لا تعكتف حتى تسأذن روجها ، وأنها إذا اعتكفت بغير إذنه كان له أن يخرجها ، وإن كان بإذنه فله أن يرجع فيمنعها ، وفيه جواز ضرب الأخبية فى المسجد ، وأن الأفضل للنساء أن لا يعتكفن فى المسجد ، وفيه جواز الخروج من الاعتكاف بعد الدخول فيـه ، وأنـه لا يـلزم بالنيـة ولا بشـروع فيه ، ويستنبط منه سائر التطوعـات لمن قال بالـلزوم ، وفـيه أن أول الـوقت الذى يدخـل فيه المعكتف بعد صلاة الصبح وهو قول الأوزاعـى ، والليـث ، والثـورى ، وقـالت الأئمـة الأربعـة وطائفة : يدخل قبل غروب الشمس ، وأدلوا الحديث على أنه دخـل مـن أول الليـل ، ولكـن إنمـا تخلى بنفسه فى المكان الذى أعده لنفسه بعد صلاة الصبح ، وهذا الجواب يشـكل علـى مـن منـع الخروج من العبادة بعد الدخول فيها وأجاب عن الحديث بأنه ﷺ لم يدخل المعتكف ولا شرع فى الاعتكاف وإنما هم به ثم عرض له المانع المذكور فتركه ، فعلى هذا فاللازم أحد الأمريـن إمـا أن يكون شرع فى الاعتكاف فيدخل على جواز الخروج منه ، وإما أن لا يكون شرع فيدل علـى أن أول وقته بعد صلاة الصبح وفيه أن المسجد شرط للاعتكاف لأن النساء شرع لهن الاحتجـاب فى البيوت فلو لم يكن المسجد شرطاً ما وقع ما ذكر من الإذن والمنع ولاكتفـى لهـن بالاعتكـاف فى مساجد بيوتهن : وقال إبراهيم بن علية : فى قوله (آلبر تـردن) دلالـة علـى أنـه ليـس لهـن الاعتكاف فى المسجد ، إذ مفهومه أنه ليس ببرلهن ، وما قاله ليس بواضح ، وفيـه شـؤم الغيـرة لأنها ناشئة عـن الحسـد المفضـى إلـى تـرك الأفضـل لأجلـه ، وفيـه تـرك الأفضـل إذا كـان فيـه مصلحة، وأن خشى على عمله الرياء فله تركه وقطعه ، وفيه أن الاعتكاف لا يجب بالنية ، وأما قضاؤه ﷺ له فعلى طريق الاستحباب لأنه كـان إذا عمـل عمـلاً أثبتـه ولهـذا لـم ينقـل أن نسـاءه اعتكفن معه فى شوال ، وفيه أن المرأة إذا اعتكفـت فـى المسـجد استحب لهـا أن تجعـل لهـا مـا يسترها ، ويشترط أن تكون إقامتها فى موضع لا يضيق على المصلين وفى الحديث بيانه مرتبـة عاشئة فى كون حفصة لم تستأذن إلا بواسطتها ، ويحتمـل أن يكـون سـبب ذلـك كونـه كـان تلـك الليلة فى بيت عائشة .

(٢) (المرجع السابق) : باب (١٤) الاعتكاف فى شوال ، حديث رقم (٢٠٤١) .

ذكر مسلم[١] من حديث أبى معاوية ، عن يحى بن سعيد ، العمرة ، عن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها ، ومن حديث سفيان وعمرو بن الحارث ، والأوزاعى ، وابن اسحاق ، كلهم عن يحى عن عمرة عن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها ، وفى حديث سفيان بن عيينه وعمر بن الحارث وابن إسحاق ، ذكر عائشة وحفصة وزينب أنهن ضربن الأخبية للاعتكاف .

وخرج البخارى[٢] ومسلم[٣] من حديث أبى اليمان عن شعيب عن الزهرى قال : أخبرنى على بن الحسين رضى الله تبارك وتعالى عنهما : " أن

---

(١) (مسلم بشرح النووى) : ٨/٣١٧ - ٣١٨ ، كتاب الاعتكاف ، باب (٢) متى يدخل من أراد الاعتكاف فى معتكفه ، حديث رقم (٦) ، وفيه دليل على جواز اتخاذ المعتكف لنفسه موضعاً من المسجد ينفرد مدة اعتكافه ، ولم يضيق على الناس ، وإذا اتخذه يكون فى آخر المسجد ورحابه لئلا يضيق على غيره وليكون أخلى له وأكمل فى انفراده (شرح النووى) .

(٢) (فتح البارى) : ٤/٣٤٩ - ٣٥٠ ، كتاب الاعتكاف باب (٨) هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد ؟ ، حديث رقم (٢٠٣٥) .

وفى الحديث من الفوائد جواز اشتغال المعتكف بالأمور المباحة من تشييع زائره والقيام معه والحديث مع غيره ، وإباحة خلوه المعتكف بالزوجة ، وزيارة المرأة للمعتكف ، وبيان شفقته ﷺ على أمته وإرشادهم إلى ما بدفع عنهم الإثم . وفيه التحرز من التعرض لسوء الظن والإحتفاظ من كيد الشيطان والاعتذار ، قال ابن دقيق العيد : وهذا متأكد فى حق العلماء ومن يقتدى به فلا يجوز لهم أن يفعلوا فعلاً يوجب سوء الظن بهم وإن كان لهم فيه مخلص لأن ذلك سبب إلى إبطال الانتفاع بعلمهم ، ومن ثم قال بعض العلماء : ينبغى للحاكم أن يبين للمحكوم عليه وجه الحكم إذا كان خافياً نفياً لتهمة . ومن هذا يظهر خطأ من يتظاهر بمظاهر السوء ويعتذر بأنه يجرب بذلك على نفسه ، وقد عظم البلاء بهذا الصنف والله اعلم . وفيه إضافة بيوت أزواج النبى ﷺ إليهن ، وفيه جواز خروج المرأة ليلاً ، وفيه قول (سبحان الله) عند التعجب ، وقد وقعت فى الحديث لتعظيم الأمر وتهويله وللحياء من ذكره كما فى حديث أم سليم، واستدل به لأبى يوسف ومحمد فى جواز تمادى المعتكف إذا خرج من مكان اعتكافه لحاجته وأقام زمناً يسيراً زائداً عن الحاجة ما لم يستفرق أكثر اليوم ، ولا دلالة فيه لأنه لم يثبت أن =

= منزل صفية كان السير بينه وبين المسجد فاضل زائد ، وقد حد بعضهم السير بنصف يوم وليس فى الخبر ما يدل عليه .

(٣) (مسلم بشرح النووى) : ٤٠٦/١٤ - ٤٠٧ ، كتاب السلام ، باب (٩) أنـه يستحب لمن رؤى خالياً بامرأة ، وكانت زوجة أو محرماً له ، أن يقول : هذه فلانة ، ليدفع ظن السوء به ، حديث رقم (٢٤) . فى هذا الحديث فوائد ، منها : بيان كمال شفقتة ﷺ على أمته ، ومراعاة مصالحهم ، وصيانة قلوبهم ، وجوارحهم ، وكان بالمؤمنين رحيماً ، فخاف ﷺ أن يلقى الشيطان فى قلوبهما فيهلكا فان ظن السوء بالأنبياء كفر بالإجماع والكبائر غير جائزة عليهم ، وفيه أن من ظن شيئاً من نحو هذا بالنبى ﷺ كفر وفيه جواز زيارة المرأة لزوجها المعتكف فى ليل أو نهار وأنه لا يضر اعتكافه لكن يكره الاكثار من مجالستها والاستلذاذ بحديثها لئلا يكون ذريعة الى الوقاع أو إلى القبلة أو نحوها مما يفسد الاعتكاف وفيه استجاب التحرز من التعرض لسوء ظن الناس فى الناس وطلب السلامة والاعتذار بالأعذار الصحيحة وأنه متى فعل ما قد ينكر ظاهره مما هو حق وقد يخفى أن يبين حاله ليدفع ظن السوء وفيه الاستعداد للتحفظ من مكايد الشيطان فإنه يجرى من الانسان مجرى الدم فيتأهب الإنسان إلى الاحترار من وساوسه وشره والله أعلم .

قوله ﷺ (إن الشيطان يجرى من الانسان مجرى الدم) قال القاضى وغيره : قيل هو على ظاهره وأن الله تعالى جعل له وقدرة على الجرى فى باطن الإنسان مجارى دمه وقيل هو على الاستعارة لكثرة اغوائه ووسوسته فكأنه لا يفارق الإنسان كما لا يفارقه دمه وقيل : يلقى وسوسته فى مسام لطيفة من البدن فتصل الوسوسة إلى القلب . والله أعلم .

قوله ﷺ يا فلان هذه زوجتى فلانة هكذا هو جميع النسخ بالتاء قبل الياء وهى لغة صحيحة وإن كان الأشهر حذفها وبالحذف جاءت آيات القرآن والإثبات كثير أيضا . قولها معى يقلبنى هو بفتح الياء أى ليردنى إلى منزلى فيه جواز تمشى المعتكف معها ما لم يخرج من المسجد وليس فى الحديث أنه خرج من المسجد . قوله ﷺ على رسلكما هو بكسر الراء وفتحها لغتان والكسر أفصح وأشهر أى على هيئتكما فى المشى فما هنا شئ تكرهانه قوله : فقال سبحان الله فيه جواز التسبيح للشئ وتعجباً منه كثر فى الأحاديث وجاء به القرآن فى قوله تعالى ﴿ لولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك ﴾ .

فى المسجد فى العشر الأواخر من رمضان ، فتحدثت عنده ساعة ثم قامت تنقلب فقام النبى ﷺ معها يقلبها ، حتى إذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة مر رجلان من الأنصار فسلما على رسول الله ﷺ فقال لهما النبى ﷺ : على رسلكما ، إنما هى صفية بنت حيى . فقال : سبحان الله يا رسول الله ، وكبر عليهما ، فقال النبى ﷺ إن الشيطان يبلغ من ابن آدم مبلغ الدم ، وإنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شيئاً ، اللفظ للبخارى ، ذكره فى باب هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد ؟ وذكره مسلم فى كتاب السلام ، وذكره البخارى أيضاً فى كتاب فرض الخمس[1] ، وفى كتاب الأدب فى باب التكبير والتسبيح عند التعجب[2] وفى باب زيارة المرأة زوجها فى اعتكافه[3] بألفاظ متقاربه .

والبخارى[4] ومسلم[5] من حديث الليث عن ابن شهاب عن عروة ، وعمرة بنت عبد الرحمن أن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها ، قالت : إن

---

(١) (فتح البارى) : ٢٥٨/٦ - ٢٥٩ ، كتاب فرض الخمس ، باب (٤) ما جاء فى بيوت أزواج النبى ﷺ ، ومانسب من البيوت إليهن ، حديث رقم (٣١٠١) .

(٢) (فتح البارى) : ٧٣٠/١٠ ، كتاب الأدب ، باب (١٢١) التكبير والتسبيح عند التعجب ، حديث رقم (٦٢١٩) .

قال ابن بطال : التسبيح والتكبير معناه تعظيم الله وتنزيهه من السوء واستعمال ذلك عند التعجب واستعظام الأمر حسن ، وفيه تمرين للسان على ذكر الله تعالى ، وهذا توجيه جيد ، كأن البخارى رمز إلى الرد على من منع ذلك . وذكر المصنف فيه حديث صفية بنت حيى فى قصة الرجلين اللذين قال لهما رسول الله ﷺ : على رسلكما إنها صفية ، فقالا : سبحان الله . (فتح البارى) .

(٣) (فتح البارى) :٣٥٤/٤ ، كتاب الاعتكاف ، باب (١١) زيارة المرأة زوجها فى اعتكافه ، حديث رقم (٢٠٣٨) .

أخرجه أيضاً فى كتاب بدء الخلق ، باب (١١) صفة إبليس وجنوده ، حديث رقم (٣٢٨١) .

(٤) (فتح البارى) :٣٤٤/٤ ، كتاب الاعتكاف ، باب (٣) لا يدخل البيت إلا لحاجة ، حديث رقم (٢٠٢٩) . =

كنت لأدخل البيت والمريض فيه فما أسأل عنه إلا وأنا مارة وإن كان رسول الله ﷺ ليدخل عليّ رأسه وهو في المسجد فأرجله وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة إلا إذا كان معتكفاً . وفي لفظ مسلم : " إذا كانوا معتكفين " .

وذكره أبو داود[1] من حديث مالك عن ابن شهاب إلى آخره ، وذكره بعده من حديث الليث عن ابن شهاب وعروة عن عمرة ، عن عائشة رضي الله

= قوله : (وكان لا يدخل البيت إلا حاجة) زاد مسلم إلا حاجة الإنسان وفسرها الزهري بالبول والغائط ، وقد اتفقوا على استثنائهما ، واختلفوا في غيرهما من الحاجات كالأكل والشرب، ولو خرج لهما فتوضأ خارج المسجد لم يبطل . ويلتحق بهما القيئ والفصد لمن احتاج إليه ، ووقع عند أبي داود من طريق عبد الرحمن بن إسحق عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : " السنة على المعتكف أن لا يعود مريضاً ولا يشهد جنازة ولا يمس امرأة ولا يباشرها ولا يخرج لحاجة إلا لما لا بد منه " قال أبو داود غير عبد الرحمن لا يقول فيه البتة ، وجزم الدارقطني بأن القدر الذي من حديث عائشة قولها : " لا يخرج إلا لحاجة " وما عداه ممن دونها ، وروينا عن عليّ والنخعيّ والحسن البصري إن شهد المعتكف جنازة أو عاد مريضاً أو خرج للجمعة بطل اعتكافه ، وبه قال الكوفيون وابن المنذر في الجمعة ، وقال الثوري والشافعي وإسحق إن شرط شيئاً من ذلك في ابتداء اعتكافه لم يبطل اعتكافه بفعله وهو رواية عن أحمد .

(٥) (مسلم بشرح النووي) : ٣/٢١٢ - ٢١٣ : كتاب الحيض باب (٣) جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيلة ، وطهارة سؤرها ، والاتكاء في حجرها ، وقراءة القرآن فيه ، حديث رقم (٧) ، وفيه أن المعتكف إذا خرج بعضه من المسجد ، كيده ورجله ورأسه ، لم يبطل اعتكافه ، وإن حلف أن لا يدخل داراً أو لا يخرج منها ، فأدخل أو أخرج بعضه لا يحنث ، والله تبارك وتعالى أعلم .

وفيه جواز استخدام الزوجة في الغسل والطبخ وغيرها برضاها ، وعلى هذا تظاهرت دلائل السنة ، وعمل السلف ، وإجماع الأمة . وأما بغير رضاها فلا يجوز ، لأن الواجب عليها تمكين الزوج من نفسها ، وملازمة بيته فقط ، والله تبارك وتعالى أعلم .

(١) (سنن أبي داود) : ٢/٨٣٢ - ٨٣٣ ، كتاب الصوم ، باب (٧٩) المعتكف يدخل البيت لحاجة ، حديث رقم (٢٤٦٧) . قال الخطابي : فيه بيان أن المعتكف لا يدخل بيته إلا لغائط أو بول ، فإن دخله لغيرهما من طعام وشراب فسد اعتكافه . =

تبارك وتعالى عنها ، نحوه[1] ثم قال : وكذلك رواه يونس عن الزهرى ، ولم يتابع [أحد] مالكاً على عروة ، عن عمر . ورواه معمر وزياد بن سعد [وغيرهما عن الزهرى ، عن عروة عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها] .

وخرج الترمذى[2] عن حديث مالك عن ابن شهاب ،عن عروة وعمرة ، عن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها ، أنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا

= وقد اختلف الناس فى ذلك ، فقال أبو ثور : لا يخرج إلا لحاجة الوضوء الذى لابد منه . وقال إسحاق بن راهويه : لايخرج لغائط أو بول ، غير أنه بين الواجب من الاعتكاف والتطوع وقال فى الواجب : لايعود مريضاً ، ولا يشهد جنازة . وفى التطوع : يشترط ذلك حين يبتدئ وقال الأوزاعى : لايكون فى الاعتكاف شرط . وقال أصحاب الرأى : ليس ينبغى للمعتكف أن يخرج من المسجد لحاجة ما ، خلا الجمعة ، والغائط ، والبول فأما ما سوى ذلك من عيادة مريض ، وشهود جنازة ، فلا يخرج له .

وقال مالك والشافعى : لا يخرج المعكتف فى عيادة مريض ، ولا شهود جنازة ، وهو قول عطاء ومجتهد . وقالت طائفة : للمعتكف أن يشهد الجمعة ، ويعود المريض ، ويشهد الجنازة ، روى ذلك عن علىّ رضى الله تبارك وتعالى عنه ، وهو قول سعيد بن جبير ، والحسن البصرى ، والنخعى . (معالم السنن) .

(١) (المرجع السابق) : حديث رقم (٢٤٦٨) ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه .

(٢) (سنن الترمذى) : ١٦٧/٣ ، كتاب الصوم ، باب (٨٠) المعتكف يخرج لحاجته أم لا ؟ حديث رقم (٨٠٤) ، حديث رقم (٨٠٥) ، ثم قال بعده : ثم اختلف أهل العلم فى عيادة المريض وشهود الجمعة والجنازة للمعتكف . فرأى بعض أهل العلم من أصحاب النبى ﷺ وغيرهم ، أن يعود المريض ويشيع الجنازة وابن المبارك الجمعة إذا اشترط ذلك . وهو قول سفيان الثورى وابن المبارك . وقال بعضهم : ليس أن يفعل شيئاً من هذا . ورأوا للمعتكف . إذا كان فى مصر يجمع فيه ، أن يعتكف إلا فى مسجد الجامع . لأنهم كرهوا الخروج له من معتكفه إلى الجمعة .

ولم يروا له أن يترك الجمعة فقالوا : لا يعتكف إلا فى مسجد الجامع . حتى لا يحتاج أن يخرج من معتكفه لغير قضاء حاجة الإنسان . لأن خروجة لغير حاجة الإنسان ، قطع عندهم للاعتكاف ، وهو قول مالك والشافعى . =

اعتكف أدنى إلى رأسه فأرجله ، وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان . قال أبو عيسى : هذا حديث صحيح ، هكذا رواه غير واحد عن مالك ، عن ابن شهاب ، عن عروة وعمرة عن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها ، والصحيح عن عروة وعمرة عن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها .

وللنسائى[1] من حديث سفيان بن حسن عن الزهرى عن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها ، قالت : كان رسول الله ﷺ معتكفاً ، وكان لا يدخل البيت إلا لحاجةٍ لابد منها وغسلت رأسه وإن بينى وبينه عتبة الباب .

قال أبو عبد الرحمن : سفيان بن حُسين[2] لا بأس به فى غير الزهرى وليس هو فى الزهرى بالقوى ، ونظيره فى الزهرى ، سليمان بن كثير ، وجعفر من برقاء وليس بهما بأس فى غير الزهرى .

وله من حديث الأوزاعي عن حديث الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يأتينى وهو معتكف فى المسجد ويتكأ على عتبة باب حجرتى وأنا فى حجرتى وسائره إلى المسجد .

وذكر القاضى عياض عن ابن المنذر قال : إن أنس بن مالك كان له موضع فى المسجد ، قال : وهو مكان عمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه ، وهو الموضع الذى كان يوضع فيه سرير رسول الله ﷺ إذا اعتكف .

= وقال أحمد : لا يعود المريض ولايتبع الجنازة ، على حديث عائشة . وقال إسحاق : إن اشترط ذلك ، فله أن يتبع الجنازة ويعود المريض .

(١) (سنن النسائى) : ١٦٢/١ ، كتاب الطهارة ، باب (١٧٦) غسل الحائض رأس زوجها ، حديث رقم (٢٧٥) وباب (٢٠) ترجيل الحائض رأس زوجها وهو معتكف فى المسجد ، حديث رقم (٣٨٤) ، وباب (٢١) غسل الحائض رأس زوجها ، حديث رقم (٣٨٥) ، حديث رقم (٢٨٦) ، وأخرجه أيضاً ابن ماجة فى (السنن) : ٢٠٨/١ ، كتاب الطهارة وسننها ، باب (١٢٠) الحائض تتناول الشئ من المسجد ، حديث رقم (٦٣٣) .

(٢) له ترجمة فى (تهذيب التهذيب) ٩٦/٤ .

قال المؤلف : خرج ابن زبالة فى (تاريخ المدينة) : فقال : حدثنى عبد العزيز بن محمد عن عيسى بن موسى بن عبيد الله بن معمر، عن نافع ، عن ابن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، قال : إن النبى ﷺ ، كان إذا اعتكف يطرح فراشه ويوضع له سرير وراء إسطوانة .

وفى (معجم الطبرانى) عن ابن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنهما قال : إن ذلك مما يلى القبلة يستند إليها . كذا ذكره القاضى .

وخرج ابن زبالة من حديث عبد العزيز ، عن حسين بن مصعب ، عن محمد بن أيوب ، قال : إن النبى ﷺ كان له سرير من جريد فيه سعفة يوضع فيما بين الأسطوانة التى وجاه القبر وبين القناديل ، وكان رسول الله ﷺ يضطجع عليه .

فصل فى ذكر أصحاب الصفة فى مسجد رسول الله ﷺ

الصفة : المظلة ، وصفة البنيان طُرته[1] . اعلم أن أهل الصفة كانوا قوماً فقراء لا أهل لهم ولا مال ، تكون إقامتهم بمسجد رسول الله ﷺ ، وهم أضياف الإسلام ، فإذا أتت النبى ﷺ صدقة بعث بها إليهم ، ولم يتناول منها شيئاً، وإذا أتته هديه أرسل إليهم وأصاب منها ، وأشركهم فيها ، وكانوا فى صفة يأوون إليها فى المسجد .

---

(١) قال فى (اللسان) : الصفة من البنيان شبه البهو الواسع الطويل السمك ، وفى الحديث ذكر أهل الصفة ، قال : هم فقراء المهاجرين ومن لم يكن له منهم منزل يسكنه ، فكانوا يأوون إلى موضع مظلل فى مسجد المدينة يسكنونه . وهو موضع مظلل من المسجد كان يأوى إليه المساكين . (لسان العرب) : ١٩٥/٩ .

خرج الحاكم(١) من حديث مالك بن مغول ، عن فضيل بن غزوان عن أبى حازم عن أبى هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : لقد كان أصحاب الصفة سبعين رجلاً مالهم أردية . قال الحاكم هذا حديث على شرط الشيخين .

وخرج الترمذى(٢) من حديث حيوة بن شريح ، أخبرنى أبو هانى الخولانى فى أن على عمرو بن مالك الجينى أخبره عن فضالة بن عبيد أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى بالناس يخر رجال من قامتهم فى الصلاة من الخصاصه ، وهم أصحاب الصفة حتى يقول الأعراب : هؤلاء مجانين أو مجانون ، فإذا صلى رسول الله ﷺ انصرف إليهم فقال : لو تعلمون ما لكم عند الله لأحببتم أن تزدادوا فاقة وحاجة ، قال فضالة : وأنا يومئذ مع رسول الله ﷺ قال أبو عيسى : هذا حديث صحيح .

وخرج بقى بن مخلد من حديث وهب بن بقية قال : أنبأنا خالد ، عن داود ، عن أبى حرب ، عن طلحة بن عبد الله ، قال : كان الرجل منا إذا إذا قدم المدينة فكان له بها عريف نزل على عريفه وإن لم يكن له بها عريف نزل الصفة فقدمت فنزلت الصفة فكان يجرى علينا من رسول الله ﷺ كل يوم مدين تمر بين اثنين ويسكونا الخنف فصلى بنا رسول الله ﷺ بعض صلاة النهار فلما سلم ناداه أهل الصفة يميناً وشمالا يا رسول الله أحرق بطوننا التمر وتخرقت عنا الخنف فمال رسول الله ﷺ إلى منبره فصعده فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر

---

(١) (المستدرك) : ١٨/٣ ، كتاب الهجرة ، حديث رقم (٤٢٩٢) ، وقال الحافظ الذهبى فى (التخليص) : على شرط البخارى ومسلم ، قال الحاكم : تأملت هذه الأخبار الواردة فى أهل الصفة فوجدتهم من أكابر الصحابة رضى الله تبارك وتعالى عنهم ورعاً وتوكلا على الله عز وجل وملازمة لخدمة الله ورسوله ﷺ اختار الله تعالى لهم ما اختاره لنبيه ﷺ من المسكنة والفقر والتضرع لعبادة الله عز وجل وترك الدنيا لأهلها وهم الطائفة المنتمية إليهم الصوفية قرناً بعد قرن فمن جرى على سنتهم وصبرهم على ترك الدنيا والأنس بالفقر وترك التعرض للسؤال فهم كل عصر بأهل الصفه مقتدون وعلى خالقهم متوكلون .

(٢) (سنن الترمذى) : ٥٠٤/٤، كتاب الزهد ، باب (٣٩) ، ماجاء فى معيشة اصحاب النبى ﷺ ، حديث رقم (٢٨٦٨) .

الشدة ما لقى من قومه حتى قال ولقد أتى على وعلى صاحبى بضع عشرة ومالى طعام إلا البرير قال : قلت لأبى حرب وأى شئ البرير قال : طعام رسول الله ﷺ ثمر الأراك فقمنا على إخواننا هؤلاء الأنصار وعظم طعامهم التمر فواسونا فيه والله لو أجد لكم الخبز واللحم لأشبعتكم منه ولكن عسى أن تدركوا زماناً حتى بغدى على أحدكم بجفنة ويراح عليه بأخرى قال : فقالوا : يا رسول الله أنحن اليوم خير أم اليوم ؟ قال : بل أنتم اليوم خير انتم اليوم متحابون وأنتم يومئذ بعضكم يضرب رقاب بعض أراه قال : متباغضون .

[هذا لفظ حديث أبى سهل القطان وحديث يحيى بن يحيى على الاختصار] ثم قال : هذا حديث الإسناد ولم يخرجاه .

وخرج الحاكم(١) من حديث صحيح على بن مسهر ، عن داود بن أبى هندية نحوه أو قريباً منه ، وقال صحيح الإسناد .

وللبخارى(٢) من حديث أبى حازم ، عن أبى هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : رأيت سبعين من أهل الصفه ما منهم رجل عليه رداء إما إزار ، وإما كساء ، قد ربطوا فى أعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساقين ، ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته . وذكره فى باب نوم الرجال فى المسجد .

---

(١) (المستدرك) : ٣/١٦ - ١٧ ، كتاب الهجرة ، حديث رقم (٤٢٩٠) قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الحافظ الذهبى فى التخليص صحيح ، سمعه جماعة من داود، وهو فى (مسند أحمد) : ٣٢/٧ ، حديث رقم (٢٣٤٢٠) .

(٢) (فتح البارى) : ٧٠٥/١ ، كتاب الصلاة ، باب (٥٨) نوم الرجال فى المسجد ، حديث رقم (٤٤٢) . قوله : (لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة) يشعر بأنهم كانوا أكثر من سبعين ، وهؤلاء الذين رآهم أبو هريرة غير السبعين الذين بعثهم النبى ﷺ فى غزوة بئر معونة ، وكانوا من أهل الصفة ايضاً لكنهم استشهدوا قبل إسلام أبى هريرة ، وقد اعتنى بجمع أصحاب الصفه ابن الأعرابى والسلمى والحاكم وابو نعيم ، وعند كل منهم ما ليس عند الآخر ، وفى بعض ما ذكروه اعتراض ومناقشة ، ولكن لا يسع هذا المختصر تفصيل ذلك .

وقال هشام بن عمار : أن صدقة القرشى ، عن زيد بن واقد ، عن بشر ابن عبد الله ، عن واثلة بن الأسقع ، قال : كنت من أصحاب الصفه ومامنا إنسانٌ يجد ثوباً إلا ما قد جعل الغبار والعرق فى جلودنا طرقاً .

وقال سيف ، عن محمد ، عن عطاء ، قال : كان أصحاب الصفة أضياف المسلمين ، وكات صفة المسجد مثواهم ، فمات النبى ﷺ وهى منزلهم ، فإذاهم أحد من المسلمين لهم بخير أتاهم به أو ذهب بعضهم [إليه] .

فصل فى ذكر نوم المرأة فى المسجد
ولبث المريض وغيره بمسجد رسول الله ﷺ
وضرب الخيمة ونحوها فيه على عهده ﷺ

خرج البخارى(١) من حديث أبى أسامة ، عن هشام عن أبيه ، عن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها ، أن وليدة كانت سوداء لحى من العرب فأعتقوها فكانت معهم . قالت : فخرجت صبية لهم عليها وِشاح أحمرُ من سُيور. قالت : فوضعته - أو وقع منها - فمرت به حدياة وهو مُلقى ، فحسبته لحماَ فخطفتهُ. قالت : فالتمسوه فلم يجدوه . قالت فاتهمونى به . قالت فطفقوا يفتشون حتى فتشوا قلبها . قالت : والله إنى لقائمة معهم إذ مرت الحُدياةُ فألقتهُ ، قالت :

---

(١) (فتح البارى) : ٣٧/١ ، كتاب الصلاة ، باب (٥٧) نوم المرأة فى المسجد ، حديث رقم (٤٣٩) قوله : (باب نوم المرأة فى المسجد) أى إقامتها فيه .

قوله : (حدياة) بضم الحاء وفتح الدال المهملتين وتشديد الياء التحتانية تصغير حدأة بالهمز بوزن عتبة ، ويجوز فتح أوله . وهى الطائر المعروف المأذون فى قتله فى الحل والحرم ، والأصل فى تصغيرها حدياة بسكون الياء وفتح الهمزة لكن سهلت الهمزة وأدغمت ثم أشبعت الفتحة فصارت ألفاً ، وتسمى أيضاً الحدى بضم أوله وتشديد الدال مقصور ، ويقال أيضاً الحدو بكسر أوله وفتح الدال الخفيفة وسكون الواو وجمعها حداً كالمفرد بلا هاء ، وربما قالوه بالمد .

قوله : (حتى فتشوا قبلها) كأنه من كلام عائشة ، وإلا فمقتضى السياق أن تقول (قبلى) وكذا هو فى رواية المصنف فى أيام الجاهلية من رواية على بن مسهر عن هشام ، فالظاهر أنه من كلام الوليدة . أوردته بلفظ الغيبة التفاتاً أو تجريداً ، وزاد فيه ثابت أيضاً " قالت : فدعوت الله أن يبرئنى فجاءت الحديا وهم ينظرون ، وفى الحديث إباحة المبيت والمقيل فى المسجد لمن لا مسكن له من المسلمين رجلاً كان أو أمرأة عند أمن الفتنة ، وإباحة استظلاله فيه بالخيمة ونحوها ، وفيه الخروج من البلد الذى يحصل للمرأة فيه المحنة ، ولعله يتحول إلى ماهو خير له كما وقع لهذه . وفيه فضل الهجرة من دار الكفر ، وإجابة دعوة المظلوم ولو كان كافراً لأن فى السياق أن إسلامها كان بعد قدموها بالمدينة . والله أعلم .

فوقع بينهم ، قالت فقلت : هذا الذى به زعمتم ، وأنا منه بريئة وهو ذا هو . قالت : فجاءت إلى رسول الله ﷺ فأسلمت . قالت عائشة :رضى الله تبارك وتعالى عنها : فكان لـه خباء فى المسجد ، أو حِفْشٌ ، قالت : فكانت تأتينى فتحدث عندى . قالت فلا تجلس عندى مجلساً إلا قالت :

ويوم الوشاح من تعاجيب ربنا إلا أنه من بلدة الكفر أنجانى قالت عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها : فقلت لها ما شأنك لا تقعدين معى مقعداً إلا قلت هذا؟ قالت : فحدثتى بهذا الحديث . ذكره فى الصلاة وترجم عليه نوم المرأة فى المسجد ، وذكره فى أيام الجاهليه[1] .

وخرج من حديث عبد الله قال : حدثنى نافع عن عبد الله بن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه أنه كان ينام وهو شاب أعزب لا أهل له ، فى مسجد النبى ﷺ . ترجم عليه باب نوم الرجال فى المسجد[2] . وقال أبو قلابه عن أنس رضى الله تبارك وتعالى عنه : قدم رهط من عقل على النبى ﷺ فكانوا فى الصفة فقراء . وقال عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله تبارك وتعالى عنهما : كانوا أصحاب الصفة فقراء .

---

(١) (فتح البارى) : ١٨٧/٧ ، كتاب مناقب الأنصار ، باب (٢٦) أيام الجاهلية ، حديث رقم (٣٨٣٥) .

(٢) (فتح البارى) : ٧٠٤/١ - ٧٠٥ ، كتاب الصلاة ، باب (٥٨) نوم الرجال فى المسجد ، حديث رقم (٤٤) .

قوله : (باب نوم الرجال فى المسجد) أى جواز ذلك ، وهو قول الجمهور ، وروى عن ابن عباس كراهيته إلا لمن يريد الصلاة ، وعن ابن مسعود مطلقاً ، وعن مالك التفصيل بين من له مسكن فيكره وبين من لا مسكن له فيباح .

قوله : (أعزب) بالمهملة والزاى أى غير متزوج . والمشهور فيه عزب بفتح العين وكسر الزاى ، والأول لغة قليلة مع أن القزاز أنكرها .

وقوله : (لا أهل له) هو تفسير لقوله أعزب ، ويحتمل أن يكون من العام بعد الخاص فيدخل فيه الأقارب ونحوهم . وقوله : (فى مسجد) متعلق بقوله ينام .

وخرج البخاري[١] ومسلم قول ابن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنهما : وكنت غلاماً شاباً عزباً وكنت أنام فى المسجد على عهد رسول الله ﷺ من حديث معمر ، عن الزهرى ، عن سالم ، عن أبيه . وذكره فى كتاب التعبير مطولاً .

وخرجه بقى بن مخلد ولفظه : عن ابن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، قال : كنا فى زمن رسول الله ﷺ ننام فى المسجد ونقيل فيه ونحن شباب .

وفى روايه له قال : كنا ونحن شباب نبيت فى عهد رسول الله ﷺ ونقيل فى المسجد .

وخرج البخاري[٢] من حديث هشام بن عروه ، عن ابيه ، عن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها قالت : أصيب سعدٌ فى يوم الخندق فى الأكحل فضرب النبى ﷺ خيمة فى المسجد ليعوده من قريب ، فلم يرعهم - وفى المسجد خيمة من بنى غفار - إلا الدم يسيل إليهم ، فقالوا : يا أهل الخيمة ما هذا الذى يأتينا من قبلكم ؟ فإذا سعد يغذو جرحه دماً ، فمات فيها . ترجم عليه باب الخيمة فى المسجد للمرضى وغيرهم .

وأخرج مسلم[٣] هذا الحديث من هذه الطريق ، وكرره فى المغازى وذكره ابن إسحاق أن المرأة التى مرض سعد فى خيمتها اسمها رفيدة[٤] ، وهى من أسلم ، ولم يذكرها ابن عبد البر فى الصحابة[٥] .

---

(١) (فتح البارى) : ٥١٨/١٢ ، كتاب التعبير ، باب (٣٦) الأخذ على اليمين فى النوم ، حديث رقم (٧٠٣٠) ، والعزب بفتح المهملة والزاى ثم موحدة : من لا زوجة له ، ويقال له الأعزب بقلة فى الاستعمال .

(٢) (فتح البارى) : ٧٢٢/١ ، كتاب الصلاة ، باب (٧٧) الخيمة فى المسجد للمرضى وغيرهم ، حديث رقم (٤٦٣) .

(٣) (فتح البارى) : ٥٢٣/٧ ، كتاب المغازى ، باب (٣١) مرجع النبى ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بنى قريظة ومحاصرته إياهم ، حديث رقم (٤١٢٢) .
=

وخرج الإمام أحمد(1)من حديث ابن نوير، حدثنا هشام ، عن أبيه ، عن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها قالت : أصيب سعد يوم الخندق ، رواه رجل من قريش يقال له حبان بن العرقة فى الأكل فضرب عليه رسول الله ﷺ خيمة فى المسجد ليعوده من قريب .

وقال ابن حزم وكان رسول الله ﷺ قد جعل سعد بن معاذ رضى الله تبارك وتعالى عنه فى خيمة فى المسجد يسكنها ، وهذه الأسلمية كانت إمرأة صالحة تقوم على المرضى وتداوى الجرحى ليعوده ﷺ من قريب .

= (٤) قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ﷺ قد جعل سعد بن معاذ فى خيمة لامرأة من أسلم ، يقال لها رفيدة ، فى مسجده ، كانت تداوى الجرحى ، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين وكان رسول الله ﷺ قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق : أجعلوه فى خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب . (سيرة ابن هشام) : ١٩٨/٤ - ١٩٩ ، تحكيم سعد فى أمر بنى قريظة .

(٥) هى رفيدة الأنصارية أو الأسلمية .

ذكرها ابن إسحاق فى قصة سعد بن معاذ لما أصابه بالخندق ، فقال رسول الله ﷺ اجعلوه فى خيمة رفيدة التى فى المسجد حتى أعوده من قريب ، وكانت امرأة تداوى الجرحى ، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين .

وقال البخارى فى (الأدب المفرد) : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا ابن الغسيل ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، قال : ولما أصيب أكحل سعد يوم الخندق فقيل : حَوِّلوه عند امرأة يقال لها رفيدة ، وكانت تداوى الجرحى ، وكان رسول الله ﷺ إذا مر به يقول : كيف أمسيت ؟ وإذا أصبح قال : كيف أصبحت ؟ فيخبره . وأورده فى (التاريخ) بقصة وفاة سعد ، وسنده صحيح ، وأورده المستغفرى من طريق البخارى وأبو موسى من طريق المستغفرى . (الإصابة) : ٦٤٦/٧ ، ترجمة رقم (١١١٧٥) .

(١) (مسند أحمد) : ٨٤/٧ ، حديث رقم (٢٣٧٧٣) .

وذكر بن إسحاق أن وفد ثقيف لما قدموا على رسول الله ﷺ فى شهر رمضان مقدمه من تبوك ضرب لهم قبة فى ناحية المسجد[1] .

وذكر ابن زُبالة أن سليمان بن عطاء سئل عن النوم فى المسجد فقال: كيف تسألون عن هذا ، وقد كان أهل الصفة ينامون فى المسجد فى عهد رسول الله ﷺ ويظلون فيه وقال أبو نعيم : عن الفضل بن دكين ، حدثنا حُميد بن عبد الله بن الأصم عن ابنته قالت : قد رأيت فيه قدوم أم سلمة رضى الله تبارك وتعالى عنها فى مسجد رسول الله ﷺ حين قُتل الحُسين بن على رضى الله تبارك وتعالى عنهما وعليها خمار أسود .

فصل فى ذكر اللعب يوم العيد
فى مسجد رسول الله ﷺ وهو ﷺ يراهم

خرج مسلم[2] من حديث جرير عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها قالت : جاء الحبش يزفنون يوم عيد فى المسجد ، فدعانى النبى ﷺ فوضعت رأسى على منكبه فجعلت أنظر إلى لعبهم حتى كنت أنا الذى أنصرف عن النظر إليهم .

---

(١) قال ابن إسحاق : ولما قدموا على رسول الله ﷺ ضرب عليهم قبة فى ناحية مسجده ، كما يزعمون . فكان خالد بن سعيد بن العاص ، هو الذى يمشى بينهم وبين رسول الله ﷺ حتى اكتتبوا كتابهم ، وكان خالد هو الذى كتب كتابهم بيده ، وكان لا يطعمون طعاماً يأتيهم من رسول الله ﷺ حتى يأكل منه خالد ، حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم . (سيرة ابن هشام) : ٥/٢٢٥ ، أمر وفد ثقيف وإسلامها .

(٢) (مسلم بشرح النووى) : ٦/٤٣٦ ، كتاب صلاة العيدين ، باب (٤) الرخصة فى اللعب الذى لا معصية فيه فى أيام العيد ، حديث رقم (٢٠) .

ذكره البخارى[1] من حديث الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عاشة رضى الله تبارك وتعالى عنها ، قالت : أن أبا بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه ، دخل عليها وعندها جاريتان فى أيام مِنى تدففان وتضربان - والنبى ﷺ متغش بثوبه - فانتهرهما أبو بكر فكشف النبى ﷺ عن وجهه فقال : دعهما يا أبا بكر ، فإنها أيام عيد . وتلك الأيام أيام منى . وقالت عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها : رأيت النبى ﷺ يسترنى وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون فى المسجد ، فزجهم عُمر ، فقال النبى ﷺ دعهم . أمناً بنى أرفدة . يعنى من الأمن . ذكره فى آخر العيدين ، وفى المناقب ، وترجم عليه

---

(١) (فتح البارى) : ٦٠٢/٢ ، كتاب العيدين ، باب (٢٥) إذا فاته العيد يصلى ركعتين ، وكذلك النساء ومن كان فى البيوت والقرى ، قول النبى ﷺ : "هذا عيدنا أهل الإسلام " . وأمر أنس بن مالك مولاه ابن أبى عتبه بالزاوية فجمع أهله وبيته وصلى كصلاة أهل المصر وتكبيرهم .

وقال عكرمة : أهل السواد يجتمعون فى العيد يصلون ركعتين كما يصنع الإمام . وقال عطاء إذا فاته العيد صلى ركعتين ، حديث رقم (٩٨٧) و (٩٨٨) ، قال الحافظ فى هذه الترجمة حكمان : مشروعية استدراك صلاة العيد إذا فاتت مع الجماعة سواء كانت بالاضطرار أو بالاختيار ، وكونه تقضى ركعتين كأصلها . على خلاف بين أصحاب المذاهب ذكره الحافظى فى (الفتح) ، فليراجع هناك .

وذكره فى كتاب المناقب باب (١٥) وقول النبى ﷺ : " يا بنى أرفدة " حديث رقم (٣٥٢٩) و (٣٥٣٠) ، والحبش هم الحبشة يقال لهم من ولد حبش بن كوش بن حام بن نوح ، وهم مجاورون لأهل اليمن يقطع بينهم البحر ، وقد غلبوا على اليمن قبل الإسلام وملكوها ، وغزا أبرهة من ملوكهم الكعبه ومعه الفيل ، وقد ذكر ابن إسحاق قصته مطوله ، وأخرجها الحاكم ثم البيهقى من طريق قابوس بن أبى ظبيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس ملخصة ، وإلى هذا القدر أشار المصنف بذكرهم فى مقدمة السيرة النبوية واستدل قوم من الصوفية بحديث الباب على جواز الرقص وسماع آلات الملاهى ، وطعن فيه الجمهور بإختلاف المقصدين ، فإن لعب الحبشة بحرابهم كان للتمرين على الحرب فلا يحتج به للرقص فى اللهو ، والله أعلم . (فتح البارى) : ٦٨٥/٦ - ٦٨٦ ، كتاب المناقب ، باب (١٥) قصة الحبش ، وقول النبى ﷺ " يا بنى أرفدة " حديث رقم (٣٥٢٩) و (٣٥٣٠) .

باب قصة الحبش وقول النبى ﷺ يا بنى أرفدة ، والإسناد واحد ، وذكره فى كتاب النكاح[1]فى باب النظرإلى الحبشة ونحوهم من غير ريبة ، عن الأوزاعى،

---

(١) (فتح البارى) : ٩/٤٢٠ - ٤٢١ ، كتاب النكاح ، باب (١١٥) نظر المرأة إلى الحبش ونحوهم من غير ريبة ، حديث رقم (٥٢٣٦) قوله : (باب نظر المرأة إلى الحبش ونحوهم من غير ريبة) وظاهر الترجمة أن المصنف كان يذهب إلى جواز نظر المرأة إلى الأجنبى بخلاف عكسه ، وهى مسألة شهيرة ، واختلف الترجيح فيها عند الشافعية ، وحديث الباب يساعد من أجاز ، وقد تقدمت فى أبواب العيد جواب النووى عن ذلك بأن عائشة كانت صغيرة دون البلوغ أو كان قبل الحجاب .

وقواه بقوله فى هذه الرواية : " فأقدروا قدر الجارية الحديثة السن " لقد تقدم ما يعكر عليه وأن فى بعض طرقه أن ذلك كان بعد قدوم وفد الحبشة وأن قدومهم كان سنة سبع ولعائشة يومئذ ست عشر سنة ، فكانت بالغة ، وكان ذلك بعد الحجاب ، وحجة من منع حديث أم سلمة الحديث المشهور : " أفعمياوان أنتما " وهو حديث أخرجه اصحاب السنن من رواية الزهرى عن نبهان مولى أم سلمة عنها وإسناده قوى ، وأكثر ما علل به إنفراد الزهرى بالرواية عن نبهان وليست بعله قادحة ، فإن من يعرفة الزهرى ويصفه بأنه مكاتب أم سلمة ولم يجرحه أحد لا ترد روايته، والجمع بين الحديثين احتمال تقدم الواقعه أو أن يكون فى قصة الحديث الذى ذكره نبهان شىء يمنع النساء من رؤيته لكون ابن أم مكتوم كان أعمى فلعله كان منه شيء ينكشف ولا يشعر به ، ويقوى الجواز استمرار العمل على جواز خروج النساء إلى المساجد والأسواق والأسفار منتقبات لئلا يراهن الرجال ، ولم يؤمر الرجال قط بالانتقاب لئلا يراهم النساء ، فدل على تغاير الحكم بين الطائفتين ، وبهذا أحتج الغزالى على الجواز فقال : لسنا نقول أن وجه الرجل في حقها عورة كوجه المرأة فى حقه بل هو كوجه الأمرد فى حق الرجل فيحرم النظر عند خوف الفتنة فقط وإن لم تكن فتنة فلا ، إذا لم تزل الرجال على مر الزمان مكشوفو الوجوه والنساء يخرجن منتقبات ، فلو استووا لأمر الرجال بالتنقب أو منعن من الخروج .

وأخرجه فى كتاب الصلاة ، باب (٦٩) أصحاب الحراب فى المسجد ، وحديث رقم (٤٥٤) و (٤٥٥) قوله (باب أصحاب الحراب فى المسجد) والمراد جواز دخولهم فيه ونصال حرابهم مشهورة ، وأظن المصنف أشار إلى تخصيص الحديث السابق فى النهى عن المرور =

عن الزهرى ، وذكره فى كتاب الصلاة ، فى باب أصحاب الحراب فى المسجد من حديث صالح بن كيسان ، عن ابن شهاب .

وخرجه النسائى[1] من حديث الأوزاعى ، عن الزهرى ، عن سعيد ، عن أبى هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه ، قال : دخل عمر رضى الله

= فى المسجد بالنصل غير مغمود ، والفرق بينهما أن التحفظ فى هذه الصورة وهى صورة اللعب بالحراب سهل ، بخلاف مجرد المرور فإنه قد يقع بغتة فلا يتحفظ منه .

قوله : (لقد رأيت رسول الله ﷺ يوماً فى باب حجرتى والحبشة يلعبون فى المسجد) فيه جواز ذلك فى المسجد ، وحكى ابن التين عن أبى الحسن اللخمى أن اللعب بالحراب فى المسجد منسوخ بالقرآن والسنة : أما القرآن فقوله تعالى : ﴿ **فى بيوت أذن الله أن ترفع** ﴾ وأما السنة فحديث " جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم " . وتعقب بأن الحديث ضعيف ، وليس فيه ولا فى الآية تصريح بما ادعاه ، ولا عرف التاريخ فيثبت النسخ . وحكى بعض المالكية عن مالك أن لعبهم كان خارج المسجد وكانت عائشة فى المسجد ، وهذا لا يثبت عن مالك فإنه خلاف ما صرح به فى طرق هذا الحديث ، وفى بعضها أن عمر أنكر عليهم لعبهم فى المسجد فقال النبى ﷺ : " دعهم " واللعب بالحراب ليس لعباً مجرداً بل فيه تدريب الشجعان على مواقع الحروب والإستعداد للعدو . وقال المهلب : المسجد موضع لأمر جماعة المسلمين ، فما كان من الأعمال يجمع منفعة الدين وأهله جاز فيه . وفى الحديث جواز النظر إلى اللهو المباح ، وفى حسن خلقه ﷺ مع أهله وكرم معاشرته ، وفضل عائشة وعظيم محلها عنده .

قوله : (يسترنى بردائه) يدل على أن ذلك كان بعد نزول الحجاب ، ويدل على جواز نظر المرأة إلى الرجل . وأجاب بعض من منع بأن عائشة كانت إذ ذاك صغيرة ، وفيه نظر لما ذكرنا وادعى بعضهم بحديث " أفعمياوان أنتما " ؟ وهو حديث مختلف فى صحته .

(١) (سنن النسائى) : ٣/٢١٧ ، كتاب العيدين ، باب (٣٥) اللعب فى المسجد يوم العيد ونظر النساء إلى ذلك ، حديث رقم (١٥٩٤) .

قال الإمام النووى : فيه جواز اللعب بالسلاح ونحوه من آلات الحرب فى المسجد ويلتحق به ما فى معناه من الأسباب المعينة على الجهاد وأنواع البر . وفيه جواز نظر النساء إلى لعب الرجال من غير نظر إلى نفس البدن وأما نظر المرأة إلى وجه الرجل الأجنبى فإن كان بشهوة=

تبارك وتعالى عنه والحبشة يلعبون فى المسجد ، فزجهم عمر ، فقال رسول الله ﷺ : دعهم يا عمر ، فإنهم بنو أرفدة . ترجم عليه اللعب فى المسجد يوم العيد .

وخرج مسلم(١) من حديث ابن جريج قال : أخبرنى عطاء قال : أخبرنى عبيد بن عمير قال : أخبرتنى عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها أنها قالت : للاعبين وددت أنى أراهم قالت : فقام رسول الله ﷺ فقمت على الباب أنظر بين أذنيه وعاتقه وهم يلعبون فى المسجد . قال عطاء فرس أو حبش . قال : وقال لى ابن أبى عتيق بل حبش .

ولأحمد(٢) من حديث ابن نمير من حديث هشام عن أبنه ، عن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها قالت : أن الحبشة كانوا يلعبون عند رسول الله ﷺ فى يوم عيد ، قالت : فأطلعت من فوق عاتقه ، فطأطأ لى رسول الله ﷺ منكبيه فجعلت انظروا إليهم من فوق عاتقه حتى شيعت ثم انصرفت .

= فحرام بالاتفاق وإن كان بغير شهوة ولا مخافة فتنة ففى جوازه وجهان لأصحابنا أصحهما تحريمه لقوله تعالى : ﴿ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ﴾ .

ولقوله ﷺ لأم سلمة وأم حبيبة احتجبا عنه أى عن ابن أم مكتوم فقالتا أنه أعمى لا يبصرنا فقال ﷺ أعمياوان أنتما أليس تبصرانه ؟ وهو حديث حسن رواه الترمذى وغيره وقال : هو حديث حسن .

(١) (مسلم بشرح النووى) : ٤٣٧/٦ ، كتاب صلاة العيدين ، باب (٤) الرخصة فى اللعب الذى لا معصية فيه فى أيام العيد ، حديث رقم (٢١) .

قولها (وأنا جارية فاقدروا قدر الجارية العربة حديثة السن) معناه أنها تحب اللهو والتفرج والنظر إلى اللعب حباً بليغاً وتحرص على ادامته ما أمكنها ولا تمل ذلك إلا بعذر من تطويل .

قوله ﷺ (حسبك) هو استفهام بدليل قولها : قلت : نعم تقديره : حسبك أى هل يكفيك هذا القدر ؟ قولها (جاء حبش يزفنون فى يوم عيد فى المسجد) على التوثيب بسلاحهم ولعبهم بحرابهم .

(٢) (مسند أحمد) : ٨٥/٧ ، حديث رقم (٢٣٧٧٥) .

فصل فى ذكر أن رسول الله ﷺ احتجم فى مسجده

خرج الإمام أحمد من حديث إسحاق بن عيسى ، حدثنا ابن لهيعة قال : كتبت إلى موسى بن عقبة يخبرني عن بسر بن سعيد ، عن زيد بن ثابت : أن رسول الله ﷺ احتجم فى المسجد ، قلت لابن لهيعة : فى مسجد بيته ؟ قال : لا، فى مسجد الرسول ﷺ (١) .

فصل فى أكله ﷺ فى المسجد

[فخرج الإمام احمد من حديث] حسن بن موسى ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا سليمان بن زياد ، عن عبدالله بن الحارث بن جزء الزبيدى ، قال : أكلنا مع رسول الله ﷺ شواء فى المسجد ، فأقيمت الصلاة ، فأدخلنا أيدينا فى الحصى، ثم قمنا نصلى ولم نتوضأ(٢) .

فصل فى أنه ﷺ توضأ فى المسجد

قال الإمام أحمد : حدثنا وديع بن خالد ، عن أبى الغالية ، عن رجل من أصحاب النبى ﷺ قال : حفظت لك أن رسول الله ﷺ توضأ فى المسجد(٣) .

---

(١) (مسند أحمد) : ٢٣٦/٦ ، حديث رقم (٢١٠٩٨) .

(٢) (مسند أحمد) : ٢١٠/٥ ، حديث رقم (١٧٢٤٩) .

(٣) (مسند أحمد) : ٥٠١/٦ ، حديث رقم (٢٢٥٧٨) .

وأما تعليق الأقناء[1] فى المسجد

فقال أبو عبد الله محمد بن الحسن بن أبى الحسين بن زبالة : وحدثنى عبدالعزيز بن محمد عن إبراهيم بن محمد عن جعفر بن محمد ، عن أبيه قال : إن ناساً كانوا يقدمون على النبى ﷺ لا شئ لهم ، فقالت الأنصار : يا رسول الله، لو عجلناك قنواً فى كل حائط من هؤلاء ، قال : أجل فافعلوا ، ففعلوا ، فجرى ذلك إلى اليوم ، فهى الأقناء التى تعلق بالمسجد التى عند جداد النخل ، فتعطاها المساكين ، وكان عليها على عهد رسول الله ﷺ معاذ بن جبل رضى الله تبارك وتعالى عنه .

وفى رواية أن محمد بن مسلمة رأى [أضيافاً] عند رسول الله ﷺ فى المسجد ، فقال : ألا تعرف [هذه] الأضياف فى دور الأنصار ، ونجعل لك من كل حائط قنواً ليكون لمن يأتيك من هؤلاء الأقوام . فقال رسول الله ﷺ : بلى ، فجعل الرجل كلما جاء ماله جاء بقنو فجعله فى المسجد بين ساريتين ، فجعل الناس يفعلون ذلك ، وكان معاذ بن جبل رضى الله تبارك وتعالى عنه يقوم عليه، وكان يجعل حبلاً بين الساريتين ، ثم يعلق الأقناء على الحبل ، ويجمع العشرين أو أكثر فيضع عليهم بعضاً من الأقناء فيأكلون حتى يشبعوا ، ثم ينصرفون ، ويأتى غيرهم ، فيفعل لهم مثل ذلك ، فإذا كان الليل فعل لهم مثل ذلك[2] .

---

(١) القنو : العذق بما فيه من الرطب ، وجمعه أقناء ، وقد تكرر فى الحديث . (لسان العرب) : ٢٠٤/١٥ .

(٢) (فتح البارى) : ٦٧٨/١ ، كتاب الصلاة ، باب (٤٢) القسمة وتعليق القنو فى المسجد . قال أبو عبدالله : القنو : العذق ، والاثنان قنوان والجماعة أيضاً قنوان . مثل صنو وصنوان . وأشار الحافظ فى (الفتح) إلى ما رواه النسائى من حديث عوف بن مالك الأشجعى قال : خرج رسول الله وبيده عصاً ، وقد علق رجل قنا حشف ، فجعل يطعن ذلك القنو ويقول : لو شاء رب هذه الصدقة تصدق بأطيب من هذا .
=

فصل فى ربط الأسير بمسجد رسول الله ﷺ

خرج البخارى من حديث الليث ، حدثنى سعيد بن أبى سعيد ، انــه سـمع أبا هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : بعـث النبـى ﷺ خيـلاً قبـل نجـد ، فجاءت برجل من بنى حنيفة يقال له ثمامة بن أثال ، فربطوه بسارية من سوارى المسجد ، فخرج إليه النبى ﷺ فقال : أطلقوا ثمامة ، فانطلق إلى نخل قريب مـن المسجد فاغتسل ، ثم دخـل المسـجد فقـال : أشـهد أن لا إلـه إلا اللـه وأن محمـداً رسول الله . ذكره فى الصلاة فى باب الأسير أو الغريم يربـط فـى المسـجد[1] ، وذكره فى باب دخول المشركين فى المسجد[2] .

وأخرجه مسلم أيضاً ، وله طرق فى كتاب الجهاد ، وفيه قصة[3] . وقال ابن زبالة : حدثنى محمد بن جعفر عن عمر بن هـارون ، عـن عثمـان بـن أبـى سليمان . قال : إن مشركى قريش حين أتـوا رسـول اللـه ﷺ فـى فـداء أسـاراهم

= وفى الباب أيضاً حديث آخر ، أخرجه ثابت فى (الدلائل) بلفظ : إن النبى ﷺ الأمر من كل حائط بقنو يعلق فى المسجد . يعنى للمساكين . وفى رواية له : وكان عليها معاذ بن جبـل ، أى على حفظها أو على قسمتها . (فتح البارى) : ١/٦٨٠ .

(١) (فتح البـارى) : ١/٧٣٠ ـ ٧٣١ ، كتـاب الصـلاة ، بـاب (٧٦) الاغتسـال إذا أسـلم ، وربـط الأسير أيضاً فى المسجد ، وكان شريح يأمر الغريم أن يحبس إلى سارية المسجد ، حديث رقم (٦٤٢) .

(٢) (المرجع السابق) : باب (٨٢) دخـول المشـرك المسـجد ، حديـث رقـم (٤٦٩) . وفـى دخـول المشرك المسجد مذاهب : فعن الحنفية الجـواز مطلقـاً ، وعـن المالكيـة والمزنـى المنـع مطلقـاً ، وعن الشافعية التفصيل بين المسجد الحرام وغيره للآية : ﴿ **إنمـا المشـركون نجـس فـلا يقربـوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا** ﴾ . وقيل : يؤذن للكتابى خاصـة ، وحديـث البـاب يـرد عليـه ، فإن ثمامة ليس من أهل الكتاب .

(٣) (مسلم بشرح النووى) : ١٢/٣٣٠ ـ ٣٣١ ، كتاب الجهاد والسير ، بـاب (١٩) ربـط الأسـير وحبسه ، وجواز المن عليه ، حديث رقم (٥٩) ، (٦٠) من طريقين .

الذين أسروا ببدر وكانوا يلبثون فى المسجد ، فمنهم جبير بن مطعم رضى الله تبارك وتعالى عنه [قال :] كنت أبيت فى المسجد ، فكنت أسمع قراءة النبى ﷺ وكان يومئذ مشركاً مع المشركين .

فصل فى ذكر جلوس رسول الله ﷺ فى مقعد بنى له

خرج النسائى من حديث جرير ، عن أبى فروة ، عن أبى زرعة ، عن أبى هريرة وأبى ذر رضى الله تبارك وتعالى عنهما قالا : كان رسول الله ﷺ يجلس بين ظهرانى أصحابه ، فيجئ الغريب فلا يدرى أيهم هو حتى يسأل ، فطلبنا إلى رسول الله ﷺ أن نجعل له مجلساً يعرفه الغريب إذا أتاه ، فبنينا له دكاناً من طين كان يجلس عليه ، ونجلس بجانبه سماطين(١) .

قال ابن سيده : والدكة بناء يسطح أعلاه ، والدكان من البناء : مشتق من ذلك . وقال الجوهرى : الدكان الذى يقعد عليه(٢) .

فصل فى ذكر مصلى رسول الله ﷺ فى الأعياد

خرج أبو داود من حديث حماد عن حميد عن أنس بن مالك رضى الله تبارك وتعالى عنه ، قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما ، فقال : ما هذان اليومان ؟ قالوا : كنا نلعب فيهما فى الجاهلية ، فقال

---

(١) (سنن النسائى) : ٨/٤٧٥ - ٤٧٦ ، كتاب الإيمان ، باب (٦) صفة الإيمان والإسلام ، حديث رقم (٥٠٠٦) . والسماط بكسر السين : الصف من الناس .

وأخرجه أبو داود فى السنة ، باب (١٧) فى القدر ، حديث رقم (٤٦٩٨) وزاد فيه : وكنا نجلس بجنبتيه ، وذكر نحو هذا الخبر ، فأقبل رجل ، فذكر هيئته ، حتى سلم من طرف السماط ، فقال: السلام عليك يا محمد ، قال : فرد عليه النبى ﷺ .

(٢) (لسان العرب) : ١٠ / ٤٢٥ .

رسول الله ﷺ : إن الله تبارك وتعالى قد أبدلكم خيراً منهما : يوم الأضحى ويوم الفطر(١) .

وخرجه النسائى من حديث إسماعيل قال : حدثنا حميد عن أنس بن مالك قال : كان لأهل الجاهلية يومان فى كل سنة يلعبون فيهما ، فلما قدم النبى ﷺ المدينة قال : كان لكم يومان تلعبون فيهما وقد أبد لكم الله بهما خيراً منهما ، يوم الفطر ويوم الأضحى(٢) .

وقال الواقدى : أول عيد صلاه رسول الله ﷺ بالمصلى سنة اثنتين من مقدمه المدينة من مكة .

وخرج أبو زيد عمر بن شبة من حديث أبى ضمرة الليثى ، عن حمزة ابن عبدالواحد ، عن داود بن بكر ، عن خالد بن عبدالله ، عن أنس بن مالك رضى الله تبارك وتعالى عنه ، قال : إن رسول الله ﷺ خرج إلى المصلى يستسقى ، فبدأ بالخطبة ، ثم صلى وكبر واحدة افتتح بها الصلاه ، فقال : هذا مجمعنا ، ومستمطرنا ، ومدعانا لعيدنا ، ولفطرنا ، وأضحانا ، [فلا ....].

وخرج البخارى(٣) من حديث زيد بن أسلم ، عن عياض بن عبدالله بن أبى سرح ، عن أبى سعيد الخدرى ، قال : كان رسول الله ﷺ يخرج يوم الفطر

---

(١) (سنن أبى داود) : ٦٧٥/١ ، كتاب الصلاه ، باب (٢٤٥) صلاة العيدين ، حديث رقم (١١٣٤).

(٢) (سنن النسائى) : ١٩٩/٣ ، كتاب العيدين ، باب (١) بدون ترجمة ، حديث رقم (١٥٥٥) ، وأخرجه أيضاً البيهقى فى (السنن الكبرى) : ٢٧٧/٣ ، كتاب صلاة العيدين .

(٣) (فتح البارى) : ٥٧٠/٢ ، كتاب العيدين ، باب (٦) الخروج إلى المصلى بغير منبر ، حديث رقم (٩٥٦) .

وفى هذا الحديث من الفوائد بنيان المنبر ، قال الزين بن المنير : وإنما اختاروا أن يكون باللبن لا من الخشب لكونه يترك بالصحراء فى غير حرز فيؤمن عليه النقل ، بخلاف خشب منبر الجامع . وفيه أن الخطبة على الأرض عن قيام فى المصلى أولى من القيام على المنبر ، والفرق بينه وبين المسجد أن المصلى يكون بمكان فيه فضاء فيتمكن من رؤيته كل من حضر ، بخلاف المسجد فإنه يكون فى مكان محصور فقد لا يراه بعضهم ، وفيه الخروج إلى المصلى =

والأضحى إلى المصلى ، فأول شئ يبدأ بـه الصـلاة حدثنـا سـعيد بـن أبـى مريـم قال: حدثنا محمد بن جعفر قال : أخبرنى زيد عـن عيـاض بـن عبداللـه بـن أبـى سرح عن أبى سعيد الخدرى قـال : " وكـان رسـول اللـه ﷺ يخـرج يـوم الفطـر والأضحى إلى المصلى ، فأول شئ يبدأ به الصـلاة ، ثـم ينصـرف فيقـوم مقـابل الناس ، والناس جلوس على صفوفهم - فيعظهـم ، ويوصيهـم ، ويـأمرهم . فـإن كان يريد أن يقطع بعثاً قطعه أو يأمر بشئ أمـر بـه ، ثـم ينصـرف . " قـال أبـو سعيد: فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان - وهو أمير المدينة - فى أضحى أو فطر، فلما أتينا المصلى إذا منبر بناه كثير بن الصلـت ، فـإذا مـروان يريد أن يرتقية قبل أن يصلى ، فجبـذت بثوبـه ، فجبذنـى ، فـارتفع فخطـب قبـل الصلاة ، فقلت له : غيرتم والله ، فقال : أبا سعيد قد ذهـب مـا تعلـم ، فقلـت مـا أعلم والله خير مما لا أعلم . فقال : إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة، فجعلتها قبل الصلاة .

= فى العيد ، وأن صلاتها فى المسجد لا تكون إلا عن ضرورة ، وفيه إنكار العلماء علـى الأمـراء إذا صنعوا ما يخالف السنة ، وفيه حلف العالم على صدق ما يخبر به ، والمباحث فى الأحكام ، وجواز عمل العالم بخلاف الأولى إذا لم يوافقه الحاكم على الأولى لأن أبا سعيد حضـر الخطبـة ولم ينصرف ، فيستدل به على أن البداءة بالصلاة فيه ليس بشرط فى صحتها . والله اعلم .

واستدل بـه علـى استحباب الخـروج إلـى الصحـراء لصـلاة العيـد وأن ذلـك أفضـل مـن صلاتها فى المسجد ، لمواظبة النبى ﷺ على ذلك مع فضل مسجده . وقال الشافعى فى (الأم) : بلغنا أن رسول الله ﷺ كان يخرج فى العيدين إلى المصلى بالمدينة ، وكذا من بعده إلا من عذر مطر ونحوه ، وكذلك عامة أهل البلدان خلا أهل مكة . ثم أشار إلى أن سبب ذلك سـعة المسـجد وضيق أطراف مكة قال : فلو عمر بلد فكان مسجد أهله يسعهم فـى الأعيـاد لـم أر أن يخرجـوا منه، فإن كان لا يسعهم كرهت الصلاة فيه وإلا إعادة ، ومقتضى هذا أن العلة تدور على الضيق والسعة ، لا لذات الخروج إلى الصحراء ، لأن المطلوب حصول عموم الاجتماع ، فـإذا حصـل فى المسجد مع أفضليته كان أولى .

وخرجه مسلم(١) من حديث إسماعيل بن جعفر ، عن داود بن قيس ، عن عياش بن عبد الله بن سعد .

حدثنا يحيى بن أيوب وقتيبة وابن حجر قالوا حدثنا إسماعيل بن جعفر عن داود بن قيس عن عياش بن عبدالله بن سعد عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ كان يخرج يوم الأضحى ويوم الفطر فيبدأ بالصلاة فإذا صلى صلاته وسلم قام فأقبل على الناس وهم جلوس فى مصلاهم فإن كان له حاجة ببعث ذكره للناس أو كانت له جاجة بغير ذلك أمرهم بها وكان يقول تصدقوا تصدقوا تصدقوا وكان أكثر من يتصدق النساء ثم ينصرف فلم يزل كذلك حتى كان مروان بن الحكم فخرجت مخاصراً مروان حتى أتينا المصلى فإذا كثير بن الصلت قد بنى منبراً من طين ولبن فإذا مروان ينازعنى يده كأنه يجرنى نحو المنبر وأنا أجره نحو الصلاة فلما رأيت ذلك منه قلت أين الابتداء بالصلاة فقال لا يا أبا سعيد قد ترك ما تعلم ، قلت : كلا والذى نفسى بيده لا تأتون بخير مما أعلم " ثلاث مرار ثم انصرف " .

وخرج أبو داود(٢) من حديث الأعمش ، عن إسماعيل بن رجاء ، عن أبيه ، عن أبى سعيد ، وعن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب ، عن أبى

---

(١) (مسلم بشرح النووى) : ٤٢٧/٦ ، كتاب صلاة العيدين ، باب (١) بدون ترجمة ، حديث رقم (٨٨٩) .

وهذا دليل لمن قال باستحباب الخروج لصلاة العيد إلى المصلى ، وأنه أفضل من فعلها فى المسجد وعلى هذا عمل الناس فى معظم الأمصار وأما أهل مكة فلا يصلونها إلا فى المسجد من الزمن الأول ولأصحابنا وجهان :

أحدهما : الصحراء أفضل لهذا الحديث .

والثانى : وهو الأصح عند أكثرهم المسجد افضل إلا أن يضيق قالوا وإنما صل أهل مكة فى المسجد لسعته وإنما خرج النبى ﷺ إلى المصلى لضيق المسجد فدل على أن المسجد أفضل اذا اتسع ، وفيه أن الخطبة للعيد بعد الصلاة ، وفيه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأن كان المنكر عليه والياً ، وفيه أن الانكار عليه يكون باليد لمن أمكنه ولا يجزى عن اليد اللسان مع إمكان اليد .

=

سعيد الخدرى ، قال : أخرج مروان المنبر فى يوم عيد ، فبدأ بالخطبة قبل الصلاة ، فقام رجل فقال : يا مروان خالفت السنة ، أخرجت المنبر فى يوم عيد، ولم يكن يخرج فيه ، وبدأت بالخطبة قبل الصلاة ، فقال أبو سعيد الخدرى : من هذا ؟ قالوا : فلان بن فلان ، فقال : أما هذا فقد قضى ما عليه ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : " من رأى منكراً فاستطاع أن يغيره بيده فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان " .

وقد ذكر مسلم نحو هذا من حديث سفيان الثورى وشعبة ، عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب .

وذكر عمر بن شبة من حديث داود بن قيس عن عياض بن عبد الله بن أبى سرح قال : أول من قام بالمصلى على منبر عثمان بن عفان رضى الله تبارك وتعالى عنه على منبر بناه له كثير بن الصلت من طين ، ثم بناه كثير لمعاوية بن أبى سفيان ، فتكلم عليه ، وبدأ بالخطبة قبل الصلاة ، فكلمه فى ذلك أبوسعيد الخدرى رضى الله تبارك وتعالى عنه ، فقال : الصلاة قبل [الخطبة]، فقال : اترك ما كنت يعهد قلبك ، ولتسمع أذن ، فنامت عينى ، وعقل قلبى ، وسمعت أذنى ...... وذكر الحديث .

فصل فى نوم رسول الله ﷺ

فإن قيل : إذا كان نومه ﷺ يساوى نومنا فى انطباق الجفن وعدم السماع، حتى أنه نام عن الصلاه فما أيقظه إلا حر الشمس ، فما الفرق بيننا وبينه فى النوم ؟ أجيب بأن النوم يتضمن أمرين :

أحدهما : راحة البدن ، وهو الذى يشاركنا فيه .

= (٢) (سنن أبى داود) : ١/٦٧٧ ، كتاب الصلاة ، باب (٢٤٨) ، الخطبة يوم العيد ، حديث رقم (١١٤٠) .

والثانى : غفلة القلب ، وقلبه ﷺ متيقظ إذا نام ، سليم مـن الأحـلام فـى شغل ، يتلقى الوحى ، والتفكير فـى المصـالح ، علـى مثـل حـال غـيره إذا كـان منتبهاً ، فما يتعطل قلبه بالنوم عما وضع له ، كما يتعطل قلب غيره .

ألا ترى إلى حاله ﷺ فى نزول الوحى عليـه كيف كـان يغشـى عليـه ؟ وهى حالة لو أصابت غيره لا نتقض وضوؤه ، وهـو ﷺ فـى تلك الحـال حـافظ محفوظ من غلبة الطبع البشرى عليه ، واسترخاء مخـارج الحـدث ، فهـو غـائب عنا بحال ، والله سبحانه ييسر إليه حينئذ ما يشاء .

وأما نومه ﷺ حتى طلعت الشمس

فإنه يحتمل أمرين :

أحدهما : أنه أريد بذلك التشريع لنا ، لنعلم ما حكم الله تعالى فيمن سها، وغفل عن الصلاة ، كما بين الله تعالى لنا حكمه عند عـدم المـاء ، فأعدمـه نبيـه ﷺ حتى أنزل عليه [آية حكم] التيمم[1] .

قال ابن عبد البر : ونومه ﷺ فى ذلك الوقت عن صـلاة الصبح حتـى طلعت الشمس ، أمر خارج عن عادتـه وطباعـه ، وطبـاع الأنبيـاء قبلـه ، وإنمـا كان نومه ذلك ليكون سنة ، وليعلم المؤمنون كيف حكم من نـام عـن الصـلاة أو نسيها ، حتـى يخـرج وقتهـا ، و٭و مـن بـاب قولـه ﷺ : إنـى لأنـس أو لأنسـي أسني .

والذى كانت جبلته وعادته ﷺ أن لا يخامر النوم قلبه ، ولا يخالط نفسه وإنما كانت تنام عينه . وقد ثبت عنـه أنـه ﷺ قـال : إن عينـى تنامـان ولا ينـام

---

(١) وهى قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم ، وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنباً فـاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون ﴾ [المائدة : ٦] .

قلبى . وهذا على العموم ، لأنه قد جاء عنه : إنا معشر الأنبياء تنام اعيننا ولا تنام قلوبنا[1] .

ولا يجوز أن يكون مخصوصاً بذلك ، لأنها خصلة لم بعدها فى الست التى أوتيها ، ولم يؤتها أحد قبله من الأنبياء ، فلما أراد الله تعالى منه ما أراد [. ....] قبض روحه وروح من معهم فى نومهم ذلك ، وصرفها إليهم بعد طلوع الشمس ليتبين لهم مراده ، على لسان رسوله ﷺ .

وعلى هذا التأويل جماعة أهل الفقه والأثر ، وهو واضح ، والمخالف فيه مبتدع .

الثانى : أنه وقع له ذلك لينكشف له علوم تخصه من المعارف ، فعطلته عن القيام بحقوق الظواهر ، لاشتغال باطنه المقدس بأداة التلقى .

فقد عبر بلسان قاله عن حاله من ذكر محبوبه
حتى أذهله عن مطلوبه

فقال : فوالله ما أدرى إذا ما ذكرتها أثنتين صليت العشاء أم ثمانيا ؟

وقد عد القضاعى هذه الخصوصية مما خص به دون الأنبياء ، وخفى عليه ما خرجه البخارى[2] من حديث أنس رضى الله تبارك وتعالى عنه فى قصة الإسراء : وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم . فلم يبق إلا اختصاصه ﷺ بذلك دون أمته وكان فى قوله أن نوم العين بمجرده لا ينقض الوضوء .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) سبق تخريجه .

الرابعة عشرة : انتقاض وضوئه ﷺ بمس النساء

وفيه خلاف على وجهين ؛ الأشهر منهما الانتقاض . قال النووى فى (الروضة)[1] : والمذهب الجزم بانتقاضه .

ومأخذ من ذهب إلى عدم الانتقاض ، حديث عائشة فى (صحيح مسلم) : أنها افتقدت رسول الله ﷺ فى المسجد ، فوقعت يدها عليه وهو ساجد ، وهو يقول : أنى أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وبك منك ، لا أحصى ثناءً عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك .

وحديثها فى السنن ، قالت : إن كان رسول الله ﷺ ليصلى وإنى لمعترضة بين يديه اعتراض الجنازة ، حتى إذا أراد أن [يسجد غمز رجلى ، فقبضتهما] . وظاهرهما يؤيد عدم النقض .

وفى مسند البزار من حديث عبدالكريم الجزرى ، عن عطاء ، عن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها أن رسول الله ﷺ كان يقبل بعض نسائه ثم يخرج إلى الصلاة ولا يتوضأ . ثم قال : وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبى ﷺ إلا من رواية عائشة ، ولا نعلمه يروى عنها إلا من حديث حبيب عن عروة ، ومن حديث عبد الرحيم عن عطاء .

قال عبد الحق : ولا أعلم لهذا الحديث علة توجب تركه ، ولا أعلم فيه أكثر من قول يحى بن معين : حديث عبدالركيم عن عطاء حديث ردئ ، لانه حديث غير محفوظ وانفراد الثقة بالحديث لا يضره ، فإما أن يكون قبل نزول الآية ، أو تكون الملامسة الجماع ، كما قال ابن عباس ، وكان هذا القائل بعدم الانتقاض ، ذهب إلى تخصيص ذلك به ﷺ ، لكن الخصوم لا يقنعون منه بذلك، ويقولون : الأصل فى ذلك عدم التخصيص إلا بدليل .

---

(١) الذى فى الروضة : الناقض الثالث : لمس بشرة امرأة مشتهاه ، فإن لمس شعراً ، أو سناً ، أو ظفراً ، أو عضواً مباناً من امرأة ، أو بشرة صغيرة لم تبلغ حد الشهوة ، لم ينقض وضوؤه على الأصح . (روضة الطالبين) : ١/١٨٥ ـ ١٨٦ .

واحتج الشافعي رحمه الله بحديث لمس عائشة أخمص قدميه ﷺ على أن طهر الملوس لا ينقض ، وهذا منه يؤذن بانتفاء الخصوصية ، وإلا لما حسن الاحتجاج به .

الخامسة عشرة : كان يجوز له ﷺ أن يدخل المسجد جنباً

قال أبو العباس بن العاص : لم يكن يحرم عليه ﷺ المكث في المسجد وهو جنب ، واحتجوا له بما رواه الترمذي من حديث سالم بن أبي حفصة ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله ﷺ لعلي : يا علي ، لا يحل لأحد يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك . قال علي بن المنذر : قلت لضرار بن صرو : ما معنى هذا الحديث ؟ قال : لا يحل لأحد يستطرقه جنباً غيري وغيرك . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وسمع مني محمد ابن إسماعيل هذا الحديث فاستغربه[1] .

قال مؤلفه : في حسن هذا الحديث نظر ، ففي إسناده سالم بن أبي حفصة أبو يونس العجلي الكوفي ، قال النسائي : ليس بثقة ، وقال الفلاس : وكان يحي وعبدالرحمن لا يحدثان عنه ، ومرة قال : مفرط في التشيع ضعيف الحديث . وقال ابن عدي : وإنما عيب عليه الغلو في التشيع ، وقد وثقة ابن معين ، وفيه أيضاً عطية بن سعيد ، أبو الحسن العوفي ، كوفي ، يعد من

---

(١) (سنن الترمذي) : ٥/٥٩٧ ـ ٥٩٨ ، كتاب المناقب ، باب (٢١) مناقب علي بن أبي طالب رضي الله تبارك وتعالى عنه ، حديث رقم (٣٧٢٧) .

قال في (جامع الأصول) : إسناده ضعيف ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، قال النووي : إنما حسنه الترمذي بشواهده ، وقال الحافظ ابن حجر في (أجوبته) وقعت في مصابيح السنة ، ووصفت بالوضع : وورد لحديث أبي سعيد شاهد نحوه من حديث سعد بن أبي وقاص ، أخرجه البزار من رواية خارجة بن سعد عن أبيه . ورواته ثقات ، والله تعالى أعلم . (جامع الأصول) ٨/٦٥٧ ـ ٦٥٨ [هامش] .

شيعتها ، ضعفه يحى وأحمد بن حنبل ، وسفيان الثورى ، وهشام . وقال البيهقى: غير محتج به .

ومع ذلك ففى الحديث إشكال ، لأن الاستطراق يجوز لكل جنب ، قال تعالى : ﴿ **ولا جنباً إلا عابرى سبيل** ﴾ [النساء : ٤٣] اللهم إلا أن يدعى أنه لا يجوز الاستطراق فى المسجد النبوى لأحد من الناس ، سواهما ، ولهذا قال : لا يحل لأحد يجنب فى هذا لمسجد غيرى وغيرك ، فالله تعالى أعلم[(١)] .

وقد خرج هذا الحديث البزار ، من حديث سعد بن أبى وقاص ، وقد خرجه الطبرانى ، فى أكبر معاجمه ، من حديث أم سلمة ، وخرجه أيضاً ابن ماجة ولفظه : دخل رسول الله ﷺ صرحة هذا المسجد فنادى بأعلى صوته : إن هذا المسجد لا يحل لجنب ولا لحائض[(٢)] .

وأخرجه البيهقى ولفظه : [ألا][(٣)] إن مسجدى حرام على كل حائض من النساء [وكل][(٢)] جنب من الرجال ، إلا على محمد وأهل بيته : على ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين . رضى الله تبارك وتعالى عنهم[(٤)] . قال البخارى : محدوج[(٥)] عن جسرة[(٦)] ، فيه نظر .

---

(١) ذكر الزركشى فى (إعلام المساجد) : ثم قال : وقد حسنه الترمذى واستغفر به ، ونقل عن ضرار بن صرد أن معناه : لا يحل لأحد يستطرقه جنباً غيرى وغيرك ، ثم نقل النووى كلام الإمام وقال : فهذا كلام من لم يقف على الحديث .. إلى أن قال : والحديث ينفى دعوى الخصوصية بمشاركة غير النبى ﷺ فى ذلك . (إعلام الساجد باحكام المساجد) : ٣٢٢ .

(٢) (سنن ابن ماجة) : ١/٢١٢ ، كتاب الطهارة وسننها ، باب (١٢٦) ما جاء فى اجتناب الحائط المسجد ، حديث رقم (٦٤٥) . قال فى (الزوائد) : إسناده ضعيف محدوج لن يوثق ، وأبو الخطاب مجهول .

(٣) زيادة يقتضيها السياق من (السنن الكبرى للبيهقى) .

(٤) (السنن الكبرى للبيهقى) : ٧/٦٥ ، كتاب النكاح ، باب دخول المسجد جنباً .

(٥) ذكره أبو نعيم فى (معرفة الصحابة) وقال : إنه مختلف فى صحبته ، (تهذيب التهذيب):١٠/٥٠ ، ترجمة محدوج الذهلى رقم (٨٨) . =

قال مؤلفه : مدار هذا الحديث على محدوج الذهلى عن جسرة بنت دجاجة ، عن أم سلمة .

ثم رواه البيهقى من وجه آخر ، عن إسماعيل بن أمية ، عن جسرة ، عن أم سلمة مرفوعاً ، ولفظه : ألا لا يحل هذا المسجد لجنب ، ولا لحائض إلا لرسول الله ﷺ ، وعلى ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، ألا قد بينت لكم الأسماء أن تضلوا(١) .

ولا يصح شئ من ذلك ، ولهذا قال القفال من أصحابنا ، إن ذلك لم يكن خصائصه ﷺ ، وغلط إمام الحرمين أبو العباس بن القاصّ فى ذلك ، وقال هذا الذى قاله صاحب (التلخيص) هوس ، ولا يدرى من اين قاله ؟ وإلى أى أصل أسنده ؟ فالوجه : القطع بتخطئته .

وقد قوى النووى مقالة ابن القاصّ ، وعد القضاعى(٢) هذه الخصوصية مما خص به النبى ﷺ من بين سائر الأنبياء ، ومن عبر باللبث دون الدخول قال: أبيح له اللبث فى المسجد فى حال جنابته ﷺ .

= (٦) هى جسرة بنت دجاجة العامرية الكوفية ، روت عن أبى ذر ، وعائشة ، وأم سلمة ، وعنها محدوج الذهلى وعمر بن عمير بن محدوج ، قال العجلى : ثقة ، تابعية ذكرها ابن حبان فى (الثقات) .

قال الحافظ : وذكرها أبو نعيم فى (الصحابة) . وقال البخارى : عند جسرة عجائب ، قال أبو الحسن بن القطان : هذا القول لا يكفى لمن يسقط ما روت ، كأنه يعرض بابن حزم ، لأنه زعم أن حديثها باطل . (تهذيب التهذيب) : ٤٣٥/١٢ ، ترجمة رقم (٢٧٤٩) .

(١) (السنن الكبرى للبيهقى) : ٦٥/٧ ، كتاب النكاح ، باب دخول المسجد جنباً .

(٢) هو الفقيه العلامة ، القاضى أبو عبدالله محمد بن سلامة بن جعفر بن على القضاعى ، المصرى، الشافعى ، قاضى مصر ، ومؤلف كتاب (الشهاب) مجرداً ومسنداً .

سمع أبا مسلم محمد بن أحمد الكاتب ، وعدة ، حدث عنه أبو نصر بن ماكولا واخرون من المغاربه والرحالة . قال ابن ماكولا : كان متفننا فى عدة علوم ، لم أر بمصر من يجرى مجراه. =

السادسة عشرة : أنه يجوز له ﷺ أن يلعن شيئاً غير سبب يقتضيه لأن لعنته رحمه ، واستبعد ذلك من عداه .

ذكر ابن القاصّ أنه يجوز له ﷺ ان يلعن شيئاً من غير سبب يقتضيه ، لأن لعنته رحمة ، واستبعد ذلك من عداه ، والتحقيق أن من خصائصه ﷺ أنه إذا سب رجلاً ليس بذلك حقيقاً أن يجعل الله سب رسول الله ﷺ له كفارة .

ودليله : ما فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : اللهم إنى أتخذ عندك عهداً لن تخلفنيه فإنما أنا بشر ، فأى المؤمنين آذيته ، أو شتمته ، أو لعنته ، فاجعلها له صلاة ، وزكاة ، وقربة ، تقربه بها إليك يوم القيامة[1] .

= كان ينوب فى القضاء بمصر وله تصانيف . وقال السلفى : كان من الثقات الأثبات ، شافعى المذهب والاعتقاد ، مرضى الجمة ، مات بمصر سنة أربع وخمسين واربع مائة . (تهذيب سير أعلام النبلاء) : ٢/٣٥٧ ـ ٣٥٨ ، (سير أعلام النبلاء):١٨/٩٢-٩٣، (الأنساب) : ١٠/١٨١ ـ ١٨٢ ، (اللبـاب)) : ٣/٤٣ ، (وفيـات الأعيـان) : ٤/٢١٢ ـ ٢١٣، (مرآة الجنان) : ٣/٧٥ ، (الوافى بالوفيات) : ٣/ ١١٦ ـ ١١٧ ، (كشف الظنون) : ١/١٦٥، (شذرات الذهب) : ٣/٢٩٣ ، (هداية العارفين) : ٢/٧١ ، (الرسالة المستطرفة):٧٦ .

(١) رواه البخارى فى كتاب الدعوات ، باب قول النبى ﷺ : من آذنيه فاجعله زكاة ورحمة ، ومسلم فى البر والصلة ، باب من لعنه النبى ﷺ أو سب أو دعا عليه ، حديث رقم (٢٦٠١)،(٢٦٠٢).

قال الإمام النووى : وفى رواية : أو جلدته فاجعلها له زكاة ورحمة ، وفى رواية : فأى المؤمنين شتمته ، لعنته ، جلدته ، فاجعلها له صلاة ، وزكاة ، وقربة ، تقربه بها إليك يوم القيامة .

وفى رواية : إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر ، وإنى قد اتخذت عندك عهداً لن تخلفنيه .... وفى رواية : إنى اشترطت على ربى فقلت : إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر ، وأغضب كما يغضب البشر ، فأيما أحد دعوت عليه من امتى بدعوة ليس لها بأهل أن تجعلها له طهوراً ، وزكاة ن وقربة . =

ولهذا لما ذكر مسلم رحمه الله فى صحيحه فضل معاوية بن أبى سفيان، أورد أولاً هذا الحديث ثم أتبعه بحديث : لا أشبع الله بطنه . فتحصل منهما مزية لمعاوية رضى الله تبارك وتعالى عنه[1] . وهذا من جملة أمانة مسلم رحمه الله، وقد أوردت كلا الحديثين بطرقهما فى موضعهما من هذا الكتاب[2] .

= هذه الأحاديث مبينة ما كان عليه ﷺ من الشفقة على أمته ، والاعتناء بمصالحهم ، والاحتياط لهم، والرغبة فى كل ما ينفعهم .

وإنما كان يقع هذا منه ﷺ ى النادر والشاذ من الأزمان ، ولم يكن ﷺ فاحشاً ، ولا متفحشاً ، ولا لعاناً ، ولا منتقماً لنفسه ، وقد سبق أنهم قالوا : ادع على دوس ، فقال ﷺ : اللهم اهدد دوساً ، وقال : اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون . والله تعالى أعلم . (شرح النووى) .

(١) (مسلم بشرح النووى) : ١٦/٣٩٢-٣٩٣ ، كتاب البر والصلة والأداب ، باب (٢٥) من لعنه النبى ﷺ أوسبه ، أودعا عليه ، وليس هو أهلاً لذلك ، كان له زكاة وأجراً ورحمة ، حديث رقم (٢٦٠٤) ولفظه : عن ابن عباس قال : كنت ألعب مع الصبيان ، فجاء رسول الله ﷺ ، فتواريت خلف باب ، قال : فجاء فحطأنى حطأة ، وقال : اذهب وادع لى معاوية ، قال : فجئت فقلت : هو يأكل ، قال : ثم قال لى : اذهب فادع لى معاويه ، قال : فجئت فقلت : هو يأكل ، فقال : لا أشبع الله بطنه . قال ابن المثنى : قلت لأمية : ما حطأنى ؟ قال : قفدنى قفدة .

الحطأ : بفتح الحاء ، وإسكان الطاء بعدها همزة ، هو الضرب باليد مبسوطة بين الكتفين .

وإنما فعل هذا بابن عباس ملاطفة وتأنيساً ، وأما دعاؤه على معاوية أن لا يشبع حين تأخر ؛ ففيه الجوابان السابقان : أحدهما : أنه على اللسان بلا قصد ، والثانى : أنه عقوبة له لتأخره .

وقد فهم مسلم رحمه الله من هذا الحديث أن معاوية لم يكن مستحقاً للدعاء عليه فلهذا أدخله فى هذا الباب ، وجعله غيره من مناقب معاوية ، لأنه فى الحقيقة يصير دعاء له .

وفى هذا الحديث جواز ترك الصبيان يلعبون بما ليس بحرام ، وفيه جواز إرسال صبى غيره ممن يدل عليه فى مثل هذا ، ولا يقال : هذا تصرف فى منفعة الصبى ، لأن هذا قدر يسير، ورد الشرع بالمسامحة به للحاجة ، واطرد به العرف ، وعمل المسلمين . والله تعالى أعلم .

(٢) (إمتاع الإسماع) بتحقيقنا : ٢/٢٥٠ .

وقال الرافعي فى قوله ﷺ اللهم إنى اتخذت عندك عهداً ..... الحديث ، وهذا قريب من جعل الحدود كفارات لأهلها . قال العلماء : وذلك فى حق المسلمين ، كما نطق به الخبر ؛ فإنه دعا على الكفار والمنافقين ولم يكن لهم رحمة .

فإن قيل : إن كان المدعو عليه يستحق الدعاء فيكف يجعله رحمة له ؟ وإن كان لا يستحقه فيكيف يدعو على من لا يستحق الدعاء ؟ .

أجيب بأنه يجوز أن يكون مستحقاً للدعاء عليه شرعاً ن غير أن رافته ﷺ وشفاعته تقتضى أن يدعو له لارتكابه ما نهى عنه ، والعاصى أولى وأحق أن يدعو له . وقد يكون الدعاء عليه سبباً لزيادة عصيانه ، ويجوز أن لا يكون مستحقاً للدعاء فى الباطن ، وهو يستحقه ظاهراً ، والرسول ﷺ إنما يحكم بالظاهر.

ويجوز أن يكون المراد به ما صدر منه على صيغة الدعاء ، واللعن ، والسب ، وليس المراد حقيقة ذلك ، كما جرت به عادة العرب فى كلامها ، كقوله: تربت يمينك ، وعقراً وحلقاً . فخشى ﷺ أن يصادف شئ من ذلك إجابة، فسأل الله أن يجعل ذلك رحمة وكفارة .

فإن قيل: قد قال فى الحديث : إنما انا بشر ، أغضب كما يغضب البشر، وذلك يقتضى أن سبه ولعنه للغضب .

أجيب بأن الماوردى قال : يحتمل أنه ﷺ أراد أن دعاءه وسبه وجلده ، كان مما خير فيه بين أمرين : أحدهما : هذا ، والثانى : زجره بأمر آخر ، فحمله الغضب لله على أحد الأمرين المخير فيهما ، وهو السب ، واللعن ، والجلد ، فليس ذلك خارجاً عن حكم الشرع ، وعدَّ القضاعى هذه مما خص به النبى ﷺ دون الأنبياء قبله .

السابعة عشرة : [هل يجوز له ﷺ القتل بعد الأمان ؟]

قال ابن القاضى : يجوز له ﷺ القتل بعد الأمان ، قال الرافعى : وخطؤوه فيه ، وقالوا : من يحرم عليه خائنة الأعين كيف يجوز له من أمنه ؟ وقصة ابن خطل لا حجة فيها ، لقول ابن القاضى : فإنه ﷺ استثنى ممن أمنهم، فإنه لم يكن ممن شمله الأمان ، فاعلمه . ولم يذر النووى فى الروضة هذه الخصوصيات لعدم الدليل عليها .

الثامنة عشرة : كان ﷺ يقبل وهو صائم

قيل : كان ذلك خاصاً به ، وهل يكره لغيره ؟ أو يحرم ؟ أو يباح ؟ أويبطل صوم من فعله ؟ كما قاله ابن قتيبة ، أو نسخت له ، او يفرق بين الشيخ والشاب ، على أقوال للعلماء[1] ، وقد بسطت القول عليه فى موضعه .

---

(١) خرج البخارى فى كتاب الصوم : باب (٢٤) القبلة للصائم ، حديث رقم (١٩٢٨) ، عن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها ، قالت : " إن كان رسول الله ﷺ ليقبل بعض ازواجه وهو صائم، ثم ضحكت " .

فقد أخرجه النسائى من طريق يحيى القطان بلفظ " كان يقبل بعض أزواجه وهو صائم " وزاد الإسماعيلى من طريق عمرو بن على بن يحيى قال هشام : " وقال إنى لم أر القبلة تدعو إلى خير " ، ورواه سعيد بن منصور عن يعقوب بن عبدالرحمن عن هشام بلفظ " كان يقبل بعض أزواجه وهو صائم ثم ضحكت " ، فقال عروة لم أر القبلة تدعو إلى خير ، وكذا ذكره مالك فى (الموطأ) عن هشام عقب الحديث ، لكن لم يقل فيه ثم ضحكت .

وقوله : ثم ضحكت يحتمل ضحكها للتعجب ممن خالف فى هذا ، وقيل تعجيب من نفسها إذ تحدث بمثل هذا مما يستحى من ذكر النساء مثله للرجال ، ولكنها ألجأتها الضرورة فى تبليغ العلم إلى ذكر ذلك ، وقد يكون الضحك خجلاً لإخبارها عن نفسها بذلك ، أو تنبيها على أنها صاحبة القصة ليكون أبلغ فى الثقة بها ، أو سروراً بمكانها من النبى ﷺ وبمنزلتها منه ومحبته لها .

=

....

= وقد روى ابن أبى شيبة عن شريك عن هشام فى هذا الحديث " فضحكت ، فظننا أنها هى " وروى النسائى من طريق طلحة بن عبد الله التيمى عن عائشة قالت : " أهوى إلى النبى ﷺ ليقبلنى فقلت إنى صائمة ، فقال : وأنا صائم ، فقبلنى " .

وهذا يؤيد ما قدمناه أن النظر فى ذلك لمن لا يتأثر بالمباشرة والتقبيل ، ولا للتفرقة بين الشاب والشيخ ، لأن عائشة كانت شابة ، نعم لما كان الشاب مظنة لهيجان الشهوة فوق من فوق.

وقال المازرى : ينبغى أن يعتبر حال المقبل فإن أثارت منه القبلة الإنزال حرمت عليه لأن الإنزال يمنع منه الصائم فكذلك ما أدى إليه ، وإن كان عنها المذى فمن رأى القضاء منه قال يحرم فى حقه ، ومن رأى أن لا قضاء قال بكره ، وإن لم تؤد القبلة إلى شئ فلا معنى للمنع منها إلا على القول بسد الذريعة . قال : ومن بديع ما روى فى ذلك قوله ﷺ للسائل عنها : " أرأيت لو تمضمضت " فأشار إلى فقه بديع ، وذلك أن المضمضة لا تنقض الصوم وهى أول الشرب ومفتاحه ، كما أن القبلة من دواعى الجماع ومفتاحه ، والشرب يفسد الصوم كما يفسد الجماع ، وكما ثبت عندهم أن أوائل الشرب لا يفسد الصيام فكذلك أوائل الجماع .

والحديث الذى أشار إليه اخرجه أبو داود والنسائى من حديث ابن عمر ، قال النسائى منكر ، وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم وقد سبق الكلام على حديث أم سلمة فى كتاب الحيض، والغرض منه هنا قولها " وكان يقبلها وهو صائم " وقد ذكرنا شاهده من رواية عمر بن أبى سلمة فى الباب الذى قبله . وقال النووى : القبلة فى الصوم ليست محرمة على من لم تحرك شهوته لكن الأولى له تركها ، وأما من حركت شهوته فهى حرام فى حقه على الأصح وقيل : مكروهة، وروى ابن وهب عن مالك إباحتها فى النفل دون الفرض ، قال النووى : ولا خلاف أنها لا تبطل الصوم إلا أن انزل بها .

وقد روى أبو داود وحده من طريق مصدق بن يحيى عن عائشة أن النبى ﷺ كان يقبلها ويمص لسانها وإسناده ضعيف ، ولو صح فهو محمول على من لم يبتلع ريقه الذى خالط ريقها والله أعلم .

التاسعة عشرة : الصلاة على الغائب

قال ابن عبدالبر : وأكثر أهل العلم يقولون : إن هذا خصوص النبى ﷺ وقد أجاز بعضهم الصلاة على الغائب إذا بلغه الخبر بقرب موته[1] ، ودلائل الخصوص فى هذه المسألة واضحة ، لا يجوز أن يشرك النبى ﷺ فيها غيره ، لأنه - والله تعالى أعلم - أحضر روح النجاشى بين [يديه] حيث شاهدها ، وصلى عليها أو رفعت له جنازته ، كما كشف له عن بيت المقدس ، حين سألته قريش عن صفته .

وقد روى أن جبريل عليه السلام : أتاه بروح جعفر أو جنازته ، وقال : قم فصل عليه ، ومثل هذا كله يدل على أنه مخصوص به ، ولا يشاركه فيه غيره .

---

(١) (فتح البارى) : ٣/٢٦٣ - ٢٦٤ ، كتاب الجنائز ، باب (٦٦) الصلاة على القبر بعد ما يدفن ، حديث رقم (١٣٣٦) ، (١٣٣٧) : وفيهما : " فأتى قبره فصلى عليه " وزاد ابن حبان فى رواية حماد بن سلمة ، عن ثابت : " ثم قال : إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها ، وإن الله ينورها عليهم بصلاتى " ، وأشار إلى أن بعض المخالفين احتج بهذه الزيادة على أن ذلك من خصائصه . ثم ساق من طريق خارجة بن زيد بن ثابت نحو هذه القصة وفيها " ثم أتى فصففنا خلفه وكبر عليه اربعاً " قال ابن حبان : فى ترك انكاره ﷺ على من صلى معه على القبر بيان جواز ذلك لغيره ، أنه ليس من خصائصه .

وتعقب بأن الذى يقع بالتبعية لا ينهض دليلاً للاصالة ، واستدل بخبر الباب على رد التفصيل بين من صلى عليه فلا يصلى عليه بأن القصة وردت فيمن صلى عليه .

وأجيب بأن الخصوصية تنسحب على ذلك ، واختلف من قال بشرع الصلاة لمن لم يصل فقيل : يؤخر دفنه ليصلى عليها من كان لم يصل ، وقيل : يبادر بدفنها ويصلى الذى فاتته على القبر ، وكذا اختلف فى أمد ذلك : فعند بعضهم إلى شهر ، وقيل : مالم يبل الجسد ، وقيل : يختص بمن كان من أهل الصلاة عليه حين موته وهو الراجح عند الشافعية ، وقيل : يجوز أبداً.

وعلى هذا أكثر العلماء فى الصلاة على الغائب ، وأبو عمر بن عبدالبر منازع فى ادعائه الخصوصية فى هذه المسألة ، كما [بينت] صحته فى موضعه .

العشرون : اختصاصه ﷺ بالتأمين

خرج ابن خزيمة فى صحيحه ، من حديث محمد بن معمر القيس ، قال: حدثنا محمد بن معمر ، حدثنا حرمى ابن عمارة ن عن مولى لآل المهلب ، سمعت أنساً رضى الله تبارك وتعالى عنه يقول : كنا عند النبى ﷺ جلوساً ، فقال : إن الله أعطانى خصالاً ثلاثة ، فقال رجل من جلسائه : وما هذه الخصال يا رسول الله ؟ قال : أعطانى الصلاة فى الصفوف ، وأعطانى التحية ، وإنها لتحية أهل الجنة ، وأعطانى التأمين ، ولم يعطه أحداً من النبيين إلا أن يكون الله تعالى أعطى هارون موسى بدعوة هارون[1] .

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ : زربى بن عبدالله الأزدى مولاهم ، أبو يحى مولى آل المهلب ، ويقال : مولى هشام بن حسان [وهو إمام مسجده] ، روى عن أنس ، ومحمد بن سيرين ، وعنه عبيد بن واقد ، وحرمى بن عمارة ، [وعبدالصمد بن عبدالوارث ، وأبو عبدالوارث ، وموسى بن إسماعيل،ومسلم بن إبراهيم وغيرهم] .

قال البخارى : فيه نظر ، وقال الترمذى : له احاديث مناكير عن أنس وغيره ، وقال ابن عدى : أحاديثه وبعض متونها منكرة ، وقال ابن حبان : منكر الحديث على قلته ، ويروى عن أنس مالا أصل له ، فلا يحتج به ، وذكره

(١) (كنز العمال) : ٤١٤/١١ ، حديث رقم (٣١٩٤٤) ، (٣١٩٤٥) ، وفيه : " إلا أنه أعطى موسى أن يدعو ويؤمن هارون " وعزاه الحديث الأول إلى ابن خريمة عن أنس ، والثانى إلى ابن عدى والبيهقى فى (شعب الإيمان) عن أنس .

العقيلى فى (الضعفاء) وأورد له هذا الحديث ، [وأخرج له ابن خريمة في صحيحه حديثا ، لكن قال : إن ثبت الخبر][1] .

---

(١) (تهذيب التهذيب) : ٣/٣٨٠ ، ترجمة رقم (٦٠٤) ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه .
فى (الكامل) : ٣/٢٣٩ - ٢٤٠ - فى ترجمة زربى بن عبد الله رقم (٧٣٠/٤٥) .

القسم الثانى : التحقيقات المتعلقة بالنكاح

وفيه مسائل :

الأولى : أبيح لرسول الله ﷺ أن يجمع أكثر من أربع نسوة

وهو ثابت بالإجماع ولأنه لما كان يفضله على العبد يستبيح من النسوة أكثر ما يستبيحه العبد وجب أن يكون النبى ﷺ يستبيح من النساء أكثر ما تستبيحه الأمة وقد قيل له فى قوله تعالى : ﴿ **أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله** ﴾ أن المراد بالناس النبى ﷺ وأنهم حسدوه على نكاح تسع نسوة وقالوا : هلا شغلته النبوة عن النساء فأكذبهم الله تعالى وقال : كان لسليمان الملك العظيم ولم يشغله عن النبوة وكان له الف حرة ومملوكة وكان له تسع وتسعون زوجه وحكاه الإمام أبونصر عبدالرحيم القشيرى فى كتاب (التيسير فى التفسير) واعترض هذا بأنه لو كان الحكمة فى ذلك ما ذكر من التفضيل للزم أن يفضل سليمان على نبينا وليس الأمر كذلك وقد اتفقوا على إباحة تسع نسوة له ﷺ . واختلف أصحابنا فى جواز الزيادة على ذلك ؛ فيه وجهان :

أحدهما : لا يجوز له الزيادة ، لأن الأصل استواؤه ﷺ وأمته فى الأحكام ن لكن ثبت له جواز الزيادة إلى تسع ، فقصر عليه ، وأصحهما ، وبه قطع الماوردى ، والجواز لأنه مأمون الجور ، ولظاهر قوله تعالى ﴿ **إنا أحللنا لك أزواجك** ﴾ [1].

وقد قيل : إنه كان عنده عند التخيير عشر نسوة ، العاشرة بنت الضحاك التى اختارت نفسها ، وذكر الواقدى كما تقدم : أن ريحانة زوجة مدخول بها ، محجوبة .

فعلى هذا قد اجتمع عنده ﷺ عشر زوجات ، وادعى من قال بانحصار الحل فى التسع ، أن قوله تعالى : ﴿ **لا يحل لك النساء من بعد** ﴾[2]ناسخ لحل الزيادة ، فحرم عليه أن يتزوج عليهن ، لكونهن اخترنه ، وحرم عليهن أن يتزوجن بغيره .

---

(١) الأحزاب : ٥٠ .

(٢) الأحزاب :٥٢ .

ودليل الجواز : ما فى البخارى[1] ، عن معاذ بن هشام عن أبيه ، عن قتادة ، عن أنس ، كان رسول الله ﷺ يطوف على نسائه فى الساعة الواحدة من الليل أو النهار ، وهن إحدى عشرة . قلت لأنس : هل كان يطيق ذلك ؟ قال : كنا نتحدث أنه كان أعطى قوة ثلاثين ، وفى رواية : أربعين .

ثم رواه البخارى[2] من حديث سعيد ، عن قتادة : وعنده تسع ، وروى الحافظ ضياء الدين فى (الأحاديث المختارة) من حديث أنس : تزوج ﷺ خمس

---

(١) (فتح البارى) : ٤٩٧/١ ، كتاب الغسل ، باب (١٢) إذا جامع ثم عاد ، ومن دار على نسائه فى غسل واحد ، حديث رقم (٢٦٨) .

(٢) قال الحافظ فى (الفتح) : وقد جمع ابن حبان فى صحيحه بين الروايتين بأن حمل ذلك على حالتين ، لكنه وهم فى قوله : " إن الأولى كانت فى أول قدومه المدينة حيث كان تحته تسع نسوة، والحالة الثانية فى آخر الأمر حيث اجتمع عنده إحدى عشرة امرأة " وموضع الوهم منه أنه ﷺ لما قدم المدينة لم يكن تحته امرأة سوى سودة ، ثم دخل على عائشة بالمدينة ، ثم تزوج ام سلمة ، وحفصة ، وزينب بنت خزيمة فى السنة الثالثة والرابعة ، ثم تزوج زينب بنت جحش فى الخامسة، ثم جويرية فى السادسة ، ثم صفية وأم حبيبة وميمونة فى السابعة ، وهؤلاء جميع من دخل بهن من الزوجات بعد الهجرة على المشهور .

واختلف فى ريحانة وكانت من سبى بنى قريظة فجزم ابن إسحق بأنه عرض عليها أن يتزوجها ويضرب عليها الحجاب فاختارت البقاء فى ملكه ، والأكثر على أنها ماتت قبله فى سنة عشر ، وكذا ماتت زينب بنت خزيمة بعد دخولها عليه بقليل ، قال ابن عبدالبر : مكثت عنده شهرين او ثلاثة .

فعلى هذا لم يجتمع عنده من الزوجات اكثر من تسع ، مع أن سودة كانت وهبت يومها لعائشة ، فرجحت رواية سعيد .

لكن تحمل رواية هشام على أنه ضم مارية وريحانة إليهن وأطلق عليهن لفظ " نسائه تغليباً. وقد سرد الدمياطى فى (السيرة) التى جمعها - من اطلع عليه من ازواجه ممن دخل بها أو عقد عليها فقط أو طلقها قبل الدخول أو خطبها ولم يعقد عليها فبلغت ثلاثين ، وفى (المختارة) من وجه آخر عن أنس " تزوج خمس عشرة : دخل منهم بإحدى عشرة ومات عن=

عشر امرأة ، ودخل منهن بثلاث عشرة ، واجتمع عنده إحدى عشرة ، ومات عن تسع . وقاله قتاده أيضاً ، وذكره ابن الصباغ فى (الشامل) وقال : قال أبو عبيدة: تزوج رسول الله ﷺ ثمانى عشرة امرأة ، واتخذ من الإماء ثلاثاً .

وزعم القضاعى فى كتاب (عيون المعارف) أن إباحة ما فوق الأربع مما خص به نبياً ﷺ دون الأنبياء قبله ، وكأنه خفى عليه ما نقل عن سليمان وداود عليهما السلام فى ذلك من الزيادة .

وقد اختلف أصحابنا أيضاً فى انحصار طلاقه ﷺ فى الثلاث على وجهين كالوجهين فى عدد زوجاته ، لكن صحح البغوى الحصر فيهما كغيره ، وصححه فى (أصل الروضة)(١) ، وذكر الرافعى الطريقة الأولى ، ثم قال : ورأى أصحاب التتمة الانحصار ، ولم يزد على ذلك فى شرحه .

الثانى : القطع بانحصاره فيه ، بخلاف عدد الزوجات ، لأن الماخوذ عليه من أسباب التحريم أغلظ ، أعله الماوردى ، وهو جازم بعدم انحصار النسوة ، ويحال لوجهين فى انحصار طلاقه عليه السلام ، ومنه خرجت هذه الطريقة .

= تسع " وسرد أسماءهن ايضاً أبو الفتح اليعمرى ثم مغلطاى فزدن على العدد الذى ذكره الدمياطى، وأنكر ابن القيم ذلك . والحق ان الكثرة المذكورة محمولة على اختلاف فى بعض الأسماء ، وبمقتضى ذلك تنقص العدة . والله أعلم .

قوله : (أو كان) بفتح الواو هو مقول قتادة والهمزة للاستفهام ومميز ثلاثين محذوف أى ثلاثين رجلاً ، ووقع فى رواية الإسماعيلى من طريق أبى موسى عن معاذ بن هشام " أربعين " بدل ثلاثين ، وهى شاذة من هذا الوجه لكن فى مراسيل طاوس مثل ذلك، وزاد " فى الجماع " وفى (صفة الجنة) لأبى نعيم من طريق مجاهد مثله وزاد " من رجال أهل الجنة " ، ومن حديث عبدالله بن عمرو رفعه " أعطيت قوة أربعين فى البطش والجماع " وعند أحمد والنسائى وصححه الحاكم من حديث زيد بن أرقم رفعه " إن الرجل من أهل الجنة ليعطى قوة مائة فى الأكل والشرب والجماع والشهوة " فعلى هذا يكون حساب قوة نبياً أربعة آلاف .

(١) (روضة الطالبين) : ٣٥٣/٥ ، كتاب النكاح ، باب فى خصائص رسول الله ﷺ ، فى النكاح وغيره .

قال : وعلى الحصر إذا طلق واحدة ثلاثاً ، هل تحل له من غير أن تنكح زوجاً غيره ؟ فيه وجهان :

أحدهما : نعم ، لما خص من تحريم نسائه على غيره .

والثانى : لا تحل له أبداً ، لما عليه من التغليظ فى اسباب التحريم .

والفرق بين عدد الزوجات ، وعدد الطلاق : ان الخلاف فى الزوجات هل يزيد على التسع أولاً ؟ ولم تشاركه الأمة فى شئ من ذلك .

والخلاف فى الطلاق واضح ، ويمكن أن يقال فى مدرك عدم الانحصار فى الثلاث : أن الطلاق فى أول الإسلام كان غير منحصر فى ثلاث ، كما أخرجه مالك والشافعى عنه ، عن هشام ، عن أبيه مرسلاً ، ووصله البيهقى والحاكم ، من طريق يعلى بن شبيب ، عن هشام عن أبيه ، عن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها ، قال : كان الرجل يطلق امرأته ما شاء أن يطلقها ، وأن طلقها مائة أو أكثر [و] إذا أراد أرجعها قبل أن تنقضى عدتها ، حتى قال رجل لامرأته : والله لا أطلقك فتبينى منى ، وأردك إلى ، قالت : وكيف ذاك ؟ قال : أطلقك ، وكلما همت عدتك أن تنقضى ، ارتجعتك ، ثم أطلقك ، وأفعل هكذا ، فشكت المرأة إلى عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها ، فذكرت ذلك عائشة للنبى ﷺ ، فسكت فلم يقل شيئاً ، حتى نزل القرآن : ﴿ **الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان** ﴾ (١) . قال الحاكم : صحيح الإسناد(٢) .

---

(١) البقرة : ٢٢٩ .

(٢) (المستدرك) : ٣٠٧/٢ ، كتاب التفسير ، حديث رقم (٣١٠٦) ، قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يتكلم أحد فى يعقوب بن حميد بحجة ، وناظرنى شيخنا أبو الحافظ ، وذكر أن البخارى روى عنه فى (الصحيح) فقلت : هذا يعقوب بن محمد الزهزى ، وهو ثبت على ما قال .

قال الحافظ الذهبى فى (التلخيص) بعد قول الحاكم : ما تكلم أحد فى ابن كاسب بحجة ، قال : قد ضعفه غير واحد .

وأخرجه البيهقى فى (السنن الكبرى) : ٣٣٣/٧ ، كتاب الخلع والطلاق ، باب ما جاء فى إمضاء الطلاق لثلاث ، وإن كن مجموعات .

فإن كانت العبرة بخصوص السبب ، وهو قصد المضارة ، فالأنبياء عليهم السلام [منزهون عن] ذلك ، فيتجه عدم الانحصار .
وإن نظرنا إلي عموم اللفظ ، فيتجه الانحصار ، والله تبارك وتعالى أعلا وأعلم .

الثانية : فى انعقاد نكاحه ﷺ بلفظ الهبة

فيه وجهان : **أحدهما** : لا ينعقد كغيره ، وأصحهما يصح ، وهو ما قطع به الإمام الغزالى ، لقوله تعالى : **﴿ وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى إن أراد النبى أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين ﴾** [١] وعلى هذا لا يجب المهر بالعقد ولا بالدخول كما هو مقتضى الهبة .
وهل يشترط لفظ النكاح من جهته ﷺ ؟ أو يكفى لفظ الإيهاب ؟ فيه وجهان :
أحدهما : لا يشترط كما فى حق المرأة ، وأصحهما فى (أصل الروضة)[٢] ، والرافعى يشترط ، قال الرافعى : أنه الأرجح عند الشيخ أبى حامد ، لظاهر قوله تعالى : **﴿ أن يستنكحها ﴾** فاعتبر فى جانبه ﷺ النكاح .
وفى (الحاوى) للماوردى : أباحه الله تعالى أن يملك نكاح الحرة بلفظ الهبة من غير بذل يذكر مع العقد ، ولا يجب من بعد ، فيكون مخصوصاً به من بين أمته من وجهين :
احدهما : أن يملك الحرة بلفظ الهبة ، ولا يجوز ذلك لغيره من أمته .
والثانى : ان يسقط عنه المهر ابتداءً مع العقد ، وانتهاءً فيما بعد ، وغيره من أمته يلزمه المهر فيما بعد .... إلى آخر كلامه ، ورجح الرافعى والنووى اشتراط لفظ النكاح من جهة النبى ﷺ ، واستدلا بقوله تعالى :

---

(١) الأحزاب : ٥٠ .

(٢) (روضة الطالبين) : ٣٥٣/٥ ، كتاب النكاح ، باب فى خصائص رسول الله فى النكاح غيره.

﴿ وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى إن أراد النبى أن يستنكحها ﴾ [1] وفيه نظر . لأن الله تعالى لما اشترط إرادة النبى ﷺ نكاحها ، فلو قال : أردت ، كان كافياً ، ولفظ الرافعي : هل يشترط لفظ النكاح من جهته وجهان :

أحدهما : لا يشترط كما لا يشترط من جهة الواهبة .

والثانى : نعم ، لظاهر قوله : **﴿ أن يستنكحها ﴾** ، وهذا أرجح ، عند الشيخ أبى حامد .

ووقع فى (الجواهر) للقمولى : أن فيها وجهين ، أرجحهما عند الشيخ ابى حامد أنه يكفى لفظ الإيهاب ، وهذا مغاير لنقل الرافعى ، والجمع بينهما : أن الشيخ أبى حامد نقل أن الصحيح ما عزاه إليه الرافعى ، ثم بحث ، فرجح ما عزاه إليه القمولى ، ومن تأمل كلامه ظهر له ذلك .

قال الأصحاب : وينعقد نكاحه ﷺ بمعنى الهبة ، حتى لا يجب مهراً ابتداءً أو انتهاءً .

وفى وجه غريب أنه يجب المهر ، والذى خص به انعقاد نكاحه بلفظ الهبة دون معناها .

وقال الماوردى مرة بسقوط المهر ، ومرة قال : اختلف أصحابنا فى من لم يسم لها مهراً فى العقد ، هل يلزمه مهر المثل ؟ على وجهين : وجه المنع ، أن المقصود منه التوصل إلى ثواب الله تعالى .

قال : واختلف العلماء هل كانت عنده ﷺ امرأة موهوبة أم لا ؟ من أجل اختلاف القراء فى فتح **﴿ إن ﴾** وكسرها من قوله تعالى : **﴿ إن وهبت نفسها للنبى ﴾** فعلى الثانى : تكون شرطاً مستقبلاً ، وعلى الأول : تكون خبراً عن ماض .

قال أبو حيان فى (التفسير)[2] : قرأ الجمهور **﴿ وامرأة مؤمنة ﴾** بالنصب **﴿ إن وهبت نفسها ﴾** بكسر الهمزة ، أى أحللناها لك **﴿ إن وهبت ﴾** ، **﴿ إن أراد ﴾** فهما شرطان .

---

(١) الأحزاب : ٥٠ .

(٢) (البحر المحيط) : ٨/٤٩٢ - ٤٩٣ .

والثانى : فى معنى الحال ، كأنه شرط فى الإحلال هبتها نفسها ، وفى الهبة إرادة استنكاح النبى ﷺ ، كأنه قال : أحللناها لك إن وهبت نفسها ، وأنت تريد أن تستنكحها ، لأن إرادته ﷺ هى قبول الهبة ، وبه تتم ، وإذا اجتمع شرطان ، فالثانى شرط فى الأول ، متأخر فى اللفظ ، متقدم فى الوقوع ، مالم تدل قرينة على الترتيب .

وقرأ أبو حيوة : ﴿ **وامرأة مؤمنة** ﴾ بالرفع على الابتداء ، والخبر محذوف ، أى أحللناها لك .

وقرأ أبى والحسن وغيرهما : ﴿ **أن** ﴾ بفتح الهمزة ، وتقديره : لأن وهبت ، وذلك حكم امرأة بعينها ، فهو فعل ماض ، وقراءة الكسر استقبال فى كل امرأة كانت تهب نفسها ، دون واحدة بعينها .

وقرأ زيد بن على : ﴿ **إذ وهبت** ﴾ بالذال . وإذ ظرف ، فهو فى امرأة بعينها أيضاً .

وقرأ الجمهور : ﴿ **خالصة** ﴾ بالنصب . وهو مصدر مؤكد ، يعنى خلوصاً ، ويجئ المصدر فاعل وفاعلة .

وقرئ ﴿ **خالصة لك** ﴾ بالرفع ، وقال : الظاهر أن قوله : ﴿ **خالصة لك** ﴾ من صفة الواهبة ، فقراءة النصب على الحال ، والرفع خبر مبتدأ محذوف، أى هى خالصة لك ، أى هبة النساء أنفسهن مختص بك وأجمعوا على أن ذلك غير جائز لغيره .

وفى (الحاوى) : للماوردى : واختلف فى الواهبة ؛ فقيل : أنها أم شريك بنت جابر بن ضباب قاله عروة : ، وقيل : خولة بنت حكيم . قالت عائشة ، وقيل : غزية ، قاله ابن عباس ، وقيل : زينب بنت خزيمة أم المساكين. قاله الشعبى .

وزاد أبو حيان مع ابن عباس قتادة ، وقال : فى الأولى هو قول على بن الحسين ، والضحاك ، ومقاتل ، وزاد مع الشعبى عروة ، وزاد مع عائشة عروة أيضاً .

فتلخص فى الواهبات من الزوجات ثنتان : هما ميمونة وزينب ومن غير الزوجات : أم شريك . واختلف فى اسم أم شريك ، فقيل : عامرية اسمها

غزية أو غزيلة ، وقيل : غفارية ، وقول الماوردى فى نسبتها يدل على أنها عامرية ، فقال : قيل : إنها أم شريك بنت عوف بن عمرو بن جابر بن صباب .

وقيل : هى بنت وردان بن عوف بن عمرو بن عامر ، وقد قيل أيضاً : هى ليلى بنت الخطيم ، وقيل : فاطمة بنت شريح(١) .

---

(١) فاطمة بنت شريح : هى أم شريك القرشية العامرية ، من بنى عامر بن لؤى ، نسبها ابن الكلبى، فقال : بنت دودان بن عوف بن عمرو بن خالد بن ضباب بن حجير بن معيص بن عامر. وقال غيره : عمرو بن عامر بن رواحة بن حجير . وقال ابن سعد : اسمها غزية بنت جابر بن حكيم ، كان محمد بن عمر يقول : هى من بنى معيص بن عامر بن لؤى . وكان غيره يقول : هى دوسية من الأزد ، ثم أسند عن الواقدى ، عن موسى بن محمد بن إبراهيم التيمى ، عن أبيه ، قال : كانت أم شريك من بنى عامر بن لؤى معيصية وهبت نفسها للنبى فلم يقبلها فلم تتزوج حتى ماتت.

وقال أبو عمر : كانت عند أبى العكربن سمى بن الحارث الأزدى ثم الدوسى ، فولدت له شريكاً ، وقيل : إن اسمها غزيلة ، بالتصغير ، ويقال غزية بتشديد الياء بدل اللام ، وقيل بفتح أولها وقال ابن منده : فاختلف فى اسمها فقيل غزيلة . وقال أبو عمر : من زعم أن رسول الله ﷺ نكحها قال : كان ذلك بمكة . وهو عجيب ، فإن قصة الواهبة نفسها إنما كانت بالمدينة ، وقد جاء من طرق كثيرة أنها كانت وهبت نفسها للنبى ﷺ .

وأخرج ابو نعيم ، من طريق محمد بن مروان السدى ـ أحد المتروكين ، وأبو موسى ، من طريق إبراهيم بن يونس ، عن زياد ، عن بعض أصحابه ، عن ابن الكلبى ، عن أبى صالح، عن ابن عباس ، قال : ووقع فى قلب ام شريك الإسلام وهى بمكة ، وهى إحدى نساء قريش ثم إحدى بنى عامر بن لؤى ، وكانت تحت أبى العكرالدوسى ، فأسلمت ، ثم جعلت تدخل على نساء قريش سراً فتدعوهن وترغبهن فى الإسلام حتى ظهر أمرها لأهل مكة ؛ فأخذوها وقالوا لها : لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا ، ولكنا سنردك إليهم ، قالت : فحملونى على بعير ليس تحتى شئ موطأ ولا غيره ، ثم تركونى ثلاثا لا يطعمونى ولا يسقونى . قالت : فما أتت على ثلاث حتى ما فى الأرض شئ أسمعه ، فنزلوا منزلا ، وكانوا إذا نزلوا وثقونى فى الشمس واستظلوا وحبسوا عنى الطعام والشراب حتى يرتحلوا ، فبينما أنا كذلك إذا أنا بأثر شئ على =

= بد منه ، ثم رفع ، ثم عاد فتناولته ، فإذا هو دلو ماء ، فشربت منه قليلاً ثم نزع مني ، ثم عاد فتناولته فشربت منه قليلاً ، ثم رفع ، ثم عاد أيضاً ، ثم رفع فصنع ذلك مراراً حتى رويت ، ثم أفضت سائره على جسدى وثيابى . فلما استيقظوا فإذا هم بأثر الماء ، ورأوني حسنة الهيئة ، فقالوا لي : انحللت ، فأخذت سقاءنا فشربت منه . فقلت : لا ، والله ما فعلت ذلك ، كان من الأمر كذا وكذا ، فقالوا : لئن كنت صادقة فدينك خير من ديننا ، فنظروا إلى الأسقية فوجدوها كما تركوها ، وأسلموا بعد ذلك .

وأقبلت إلى النبى ﷺ ووهبت نفسها له بغير مهر ، فقبلها ودخل عليها ، فلما رأى عليها كبرة طلقها .

وأخرج أبو موسى أيضاً من وجه آخر عن الكلبى عن أبى صالح ، عن ابن عباس ـ شبيهة بالقصة التى فى الخبر المرسل ، وحاصله أنه اختلف على الكلبى فى سياق القصة ، ويتحصل منها ـ إن كان ذلك محفوظاً ـ أن قصة الدلو وقعت لأم شريك ثلاث مرات ، قال ابن الأثير : استدل أبو نعيم بهذه القصة على أن العامرية هى الدوسية .

قلت : فعلى هذا يلزم منه أن تكون نسبتها إلى بنى عامر ، من طريق المجاز ، مع أنه يحتمل العكس بأن تكون قريشية عامرية ، فتزوجت فى دوس فنسبت إليهم .

وأخرج الحميدى فى مسنده ، من رواية مجالد ، عن الشعبى ، عن فاطمة بنت قيس ـ أن النبى ﷺ قال لها : اعتدى عند أم شريك بنت أبى العكر، وهذا يخالف ما تقدم أنها زوج أبى العكر ، ويمكن الجمع بأن تكون كنية والدها وزوجها اتفقتا أو تصحفت بنت بالموحدة والنون من بيت بالموحدة والتحتانية ، وبيت الرجل يطلق على زوجته ؛ فتتفق الروايتان .

وجاء عن أم شريك ثلاثة أحاديث مسندة ، ولم تنسب فى بعضها ، ونسب فى بعضها مع اختلاف فى الرواية فى النسبة الأولى ، أخرجه مسلم فى الفتن ، والترمذى فى المناقب ، من رواية الزبير ، عن جابر ، عن أم شريك ؛ قالت : قال رسول الله ﷺ : يتفرق الناس من الدجال قالت أم شريك : يا رسول الله ، فأين العرب يومئذ ؟ قال : هم قليل .

وأخرج ابن ماجة من حديث أبى أمامة عن النبى ﷺ فى ذكر الدجال ؛ قال : ترجف المدينة ثلاث رجفات ، فلا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه ، ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص .

قالت ام شريك بنت أبى العكر : يا رسول الله ؛ فأين العرب يومئذ ؟ قال : هم يومئذ قليل، ذكره فى حديث طويل . =

وفى الصحيحين[1] من حديث عائشة رضى اللـه تبارك وتعالى عنها ، كانت خولة [بنت حكيم][2] من اللاتى وهبن أنفسهن لرسول اللـه ﷺ ، فقالت

= وهذا يوافق ما اخرجه الحميدى ، وغيره ، من طريق مجالد ، عن الشعبى ، عن فاطمة بنت قيس ـ أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : لها اعتدى عند أم شريك بنت أبى العكر ، وعلى هذا ـ إن كان محفوظاً ـ فهى الأنصارية المتقدمة ، فكأن نسبتها كذلك مجازية أيضاً .

الثانى : أخرجه الشيخان من رواية سعيد بن المسيب ، عن أم شريك ـ أن النبى ﷺ أمرها بقتل الأوزاغ ، ولم ينسب فى هذه الرواية إلا فى رواية لأبى عوانة عن سماك .

والثالث : أخرجه النسائى ، من رواية هشام بن عروة ، عن أم شريك ـ أنها كانت ممن وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ، ورجاله ثقات ولم ينسبها . وقد أخرجه ابن سعد، عن عبيدالله بن موسى ، عن سنان عن فراس عن الشعبى ؛ قال : المرأة التى عدل عنها رسول الله ﷺ أم شريك الأنصارية . وهذا مرسل . رجاله ثقات . ومن طريق شريك القاضى وشعبة، قال شريك عن جابر الجعفى ، عن الحكم ، عن على بن الحسين ـ أن النبى ﷺ تزوج أم شريك الدوسية ، لفظ شريك . وقال شعبة فى روايته : إن المرأة التى وهبت نفسها للنبى صلى اللـه عليه وآله وسلم أم شريك امرأة من الأزد .

وأخرج ابن سعد من طريق عكرمة ، ومن طريق عبدالواحد بن أبى عون فى هذه الآية : ﴿ **وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى** ﴾ . قال : هى أم شريك ، وفى مسندهما الواقدى ولم ينسبها .

والذى يظهر فى الجمع أن أم شريك واحدة ، اختلف فى نسبتها أنصارية ، أو عامرية من قريش ، أو أزدية من دوس ؛ واجتماع هذه النسب الثلاث ممكن ، كأن يقول قرشية تزوجت فى دوس فنسبت إليهم ، ثم تزوجت فى الأنصار فنسبت إليهم ؛ أو لم تتزوج بل هى نسبت أنصارية بالمعنى الأعم .

لها ترجمة فى (الإصابة) : ٢٣٨/٨ ـ ٢٤١ ، ترجمة رقم (١٢٠٩٩) ، (الاستيعاب) : ١٩٤٣/٤ ، (طبقات ابن سعد) : ١١٠/٨ .

(١) (فتح البارى) : ٢٠٤/٩ ، كتاب النكاح ، باب (٣٠) هل للمرأة أن تهب نفسها لأحد ؟ حديث رقم (٥١١٣) ، رواه أبو سعيد المؤدب ومحمد بن بشر وعبدة عن هشام ، عن أبيه عن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها ، يزيد بعضهم على بعض . =

= وأخرجه البخارى أيضاً فى كتاب التفسير ، باب (٧) ﴿ **ترجى من تشاء منهن وتؤوى إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك** ﴾ ، حديث رقم (٤٧٨٨) ، عن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها قالت : كنت أغار على اللاتى وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ وأقول : أتهب المرأة نفسها ؟ فلما أنزل الله تعالى : ﴿ **ترجى من تشاء منهن وتؤوى إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فى جناح عليك** ﴾ قلت : ما أرى ربك إلا يسارع فى هواك.

قال الحافظ فى (الفتح) وحكى الواحدى عن المفسرين أن هذه الآية نزلت عقب نزول آية التخيير، وذلك ان التخيير لما وقع أشفق بعض الأزواج أن يطلقهن وقوله : ﴿ **وهبن أنفسهن** ﴾ هذا ظاهر فى أن الواهبة أكثر من واحدة .

وعند ابن أبى حاتم من حديث عائشة : التى وهبت نفسها للنبى ﷺ هى خولة بنت حكيم ، ومن طريق الشعبى قال : من الواهبات أم شريك . وأخرجه النسائى من طريق عروة . وعند أبى عبيدة معمر بن المثنى أن من الواهبات فاطمة بنت شريح . وقيل : إن ليلى بنت الحطيم ممن وهبت نفسها له ومنهن زينب بنت خزيمة ، جاء عن الشعبى وليس بثابت ، وخولة بنت حكيم وهو فى هذا الصحيح ، ومن طريق قتادة عن ابن عباس قال : التى وهبت نفسها للنبى ﷺ هى ميمونة بنت الحارث ، وهذا منقطع . وأورده من وجه آخر مرسل وإسناده ضعيف .

قوله : (ما أرى ربك إلا يسارع فى هواك) أى ما أرى الله إلا موجداً لما تريد بلا تأخير ، منزلاً لما تحب وتختار . وقوله : ﴿ **ترجى من تشاء منهن** ﴾ أى تؤخرن بغير قسم ، وهذا قول الجمهور ، وأخرجه الطبرى عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وأبى رزين وغيرهم ، وأخرج الطبرى أيضاً عن الشعبى فى قوله :﴿ **ترجى من تشاء منهن** ﴾ قال : كن نساء وهبن أنفسهن للنبى ﷺ ، فدخل ببعضهن وأرجأ بعضهن لم ينكحهن ، وهذا شاذ ، والمحفوظ أنه لم يدخل بأحد من الواهبات كما تقدم .

وقيل : المراد بقوله : ﴿ **ترجى من تشاء منهن وتؤوى إليك من تشاء** ﴾ أنه كان هم بطلاق بعضهن ، فقلن له : لا تطلقنا واقسم لنا ما شئت ، فكان يقسم لبعضهن قسماً مستوياً ، وهن اللاتى آواهن، ويقسم للباقى ما شاء وهن اللاتى أرجاهن .

فحاصل ما نقل فى تأويل ﴿ ترجى ﴾ أقوال : **أحدها** : تطلق وتمسك ، **ثانيها** : تعتزل من شئت منهن بغير طلاق وتقسم لغيرها ، **ثالثها** : تقبل من شئت من الواهبات وترد من شئت . =

= وحديث الباب يؤيد هذا والذى قبله ، واللفظ محتمل للأقوال الثلاثة . وظاهر ما حكته عائشة من استئذانه أنه لم يرج أحداً منهن ، بمعنى أنه لم يعتزل ، وهو قول الزهرى : " ما أعلم أنه أرجأ أحداً من نسائه " أخرجه ابن أبى حاتم ، وعن قتادة اطلق له أن يقسم كيف شاء فلم يقسم إلا بالسوية . (فتح البارى) : ٨/٦٧٣ - ٦٧٥ .

(باب هل للمرأة أن تهب نفسها لأحد) أى فيحل له نكاحها بذلك ، وهذا يتناول صورتين: **إحداهما** : مجرد الهبة من غير ذكر مهر ، **والثانية** : العقد بلفظ الهبة . فالصورة الأولى ذهب الجمهور إلى بطلان النكاح ، وأجازه الحنفية والأوزاعى ، ولكن قالوا : يجب مهر المثل ، وقال الأوزاعى : إن تزوج بلفظ الهبة وشرط أن لا مهر لم يصح النكاح . وحجة الجمهور قوله تعالى: ﴿ **خالصة لك من دون المؤمنين** ﴾ فعدوا ذلك من خصائصه ﷺ وأنه يتزوج بلفظ الهبة بغير مهر فى الحال ولا فى المآل ، وأجاب المجيزون عن ذلك بأن المراد أن الواهبة تختص به لا مطلق الهبة .

والصورة الثانية ذهب الشافعية وطائفة إلى أن النكاح لا يصح إلا بلفظ النكاح أو التزويج، لأنهما الصريحان اللذان ورد بهما القرآن والحديث ، وذهب الأكثر إلى أنه يصح بالكنايات ، واحتج الطحاوى لهم بالقياس على الطلاق فإنه يجوز بصرائحه وبكناياته مع القصد.

قوله : (حدثنا هشام) هو ابن عروة عن أبيه (قال : كانت خولة) هذا مرسل ، لأن عروة لم يدرك زمن القصة ، لكن السياق يشعر بأنه حمله عن عائشة . وقد ذكر المصنف عقب هذه الطريق رواية من صرح فيه بذكر عائشة تعليقاً .

قوله : (بنت حكيم) أى ابن أمية بن الأوقص السلمية ، وكانت زوج عثمان بن مظعون ، وهى من السابقات إلى الإسلام ، وأمها من بنى أمية .

قوله : (فقالت عائشة : أما تستحى المرأة أن تهب نفسها) وفى رواية محمد بن بشر الموصولة عن عائشة أنها كانت تعير اللائي وهبن أنفسهن .

قوله : فلما نزلت : ﴿ **ترجئ من تشاء** ﴾ فى رواية عبدة بن سليمان : فأنزل الله ترجئ " وهذا أظهر فى أن نزول الآية بهذا السبب ، قال القرطبى : حملت عائشة على هذا التقبيح الغيرة التى طبعت عليها النساء وإلا فقد علمت ان الله أباح لنبيه ذلك وان جميع النساء لو ملكن لرقهن لكان قليلاً .

قوله : (ما ارى ربك إلا يسارع فى هواك) فى رواية محمد بن بشر " إنى لأرى ربك =

عائشة : أما تستحى المرأة تهب نفسها للرجل ؟ فلما نزلت : ﴿ **ترجى من تشاء منهن وتؤوى إليك من تشاء** ﴾ قالت : يا رسول الله ! ما أرى ربك إلا يسارع فى هواك ! وهذا يدل على أن معنى قوله تعالى : ﴿ **ترجى من تشاء منهن** ﴾ أى تؤخر من تشاء من الواهبات ، فلا تقبل هبتها ، ﴿ **وتؤوى إليك من تشاء** ﴾ أى بقبول هبتها . وقد قيل خلاف ذلك .

وعند القاضى أبى عبدالله محمد بن سلامة القضاعى ، أنه ﷺ إنما خص بإباحة الموهوبة له خاصة ، وهو أن يتزوجها بلفظ الهبة ، وإباحة النكاح بغير مهر ، ولا يستقر عليه إلا بالدخول ، وإن هذا مما خص به دون الأنبياء من قبله، ودون أمته ، تشريفاً له ، وتعظيماً لشأنه ﷺ .

الثالثة : إذا رغب ﷺ فى نكاح امرأة

فإن كانت خليه فعليها الإجابة على الصحيح ويحرم على غيره ، وخبطتها وإن كانت ذات زوج وجب على زوجها طلاقها لينكحها على الصحيح لقوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم** ﴾[1] كذلك استدل بها . الماوردى ، واستدل الغزالى فى (الوسيط) ، لوجوب التطليق بقصة زيد ، وهى مشهورة .

خرج البخارى[2] فى كتاب التوحيد ، باب وكان عرشه على الماء ، من حديث حماد بن زيد ، عن ثابت البنانى ، عن أنس بن مالك رضى الله تبارك

= يسارع لك فى هواك " أى فى رضاك ، قال القرطبى : هذا قول أبرزه الدلال والغقيرة ، وهو من نوع قولها : ما أحمدكما ولا أحمد إلا الله ، وإلا فإضافة الهوى إلى النبى ﷺ لا تحمل على ظاهره ، لأنه لا ينطق عن الهوى ولا يفعل بالهوى ، لول قالت : إلى مرضاتك لكان أليق ، ولكن الغيرة يغتفر لأجلها إطلاق مثل ذلك . (فتح البارى) : ٩/٢٠٤ ـ ٢٠٥ .

(٢) زيادة للسياق من (البخارى) .

(١) الأنفال : ٢٤ .

(٢) (فتح البارى) : ١٣/٤٩٧ ، كتاب التوحيد ، باب (٢٢) ، ﴿ **وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم** ﴾ ، حديث رقم (٧٤٢٠) ، قوله : (قال أنس لو كان رسول الله ﷺ كاتماً =

= شيئاً لكتم هذه) ظاهره أنه موصول بالسند المذكور ، لكن أخرجه الترمذى والنسائى وابن خزيمة والإسماعيلى عنه نزلت : ﴿ وتخفى فى نفسك ما الله مبديه ﴾ فى شأن زينب بنت جحش وكان زيد يشكو وهمّ بطلاقها يستأمر النبى ﷺ فقال له " أمسك عليك زوجك واتق الله " وهذا القدر هو المذكور فى آخر الحديث هنا بلفظ " وعن ثابت وتخفى فى نفسك " الخ ، ويستفاد منه أنه موصول بالسند المذكور وليس بمعلق ، وأما قوله " لو كان كاتماً " الخ ، فلم أره فى غير هذا الموضع موصولاً عن أنس ، وذكر ابن التين عن الداودى أنه نسب قوله " لو كان كاتماً لكتم قصة زينب " إلى عائشة ، قال وعن غيرها " لكتم عبس وتولى " ، قلت : قد ذكرت فى تفسير سورة الأحزاب حديث عائشة قالت " لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً من الوحى " الحديث ، وأنه أخرجه مسلم والترمذى ثم وجدته فى مسند الفردوس من وجه آخر عن عائشة من لفظه ﷺ " لو كنت كاتماً شيئاً من الوحى " الحديث ، واقتصر عياض فى الشفاء على نسبتها إلى عائشة والحسن البصرى وأغفل حديث أنس هذا وهو عند البخارى .

قوله : (قال فكانت زينب تفخر على أزواج النبى ﷺ - إلى قولها - وزوجنى الله عزوجل من فوق سبع سماوات) أخرجه الإسماعيلى من طريق حازم بن الفضل عن حماد بهذا السند بلفظ " نزلت فى زينب جحش ﴿ فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها ﴾ " وكانت تفخر على نساء النبى ﷺ وكانت تقول إن الله أنكحنى فى السماء " وزاد الإسماعيلى من طريق الفريابى وأبى قتيبة عن عيسى " أنتن أنكحكن آباؤكن " وهذا الاطلاق محمول على البعض ، وإلا فالمحقق أن التى زوجها أبوها منهن عائشة وحفصة فقط ، وفى سودة وزينب بنت خزيمة وجويرية احتمال ، وأما أم سلمة وام حبيبة وصفية وميمونة فلم يزوج واحدة منهن أبوها ، ووقع عند ابن سعد من وجه آخر عن أنس بلفظ " قالت زينب يا رسول الله إنى لست كأحد من نسائك ، ليست منهم امرأة إلا زوجها أبوها أو أخوها أو أهلها غيرى " وسنده ضعيف ومن وجه آخر موصول عن أم سلمة " قالت زينب ما أنا كأحد من نساء النبى إنهن زوجن بالمهور زوجهن الأولياء ، وأنا زوجنى الله ورسوله ﷺ وأنزل الله فى الكتاب " . وفى مرسل الشعبى " قالت زينب يا رسول الله أنا أعظم نسائك عليك حقاً ، أنا خيرهن منكحاً وأكرمهن سفيراً وأقربهن رحماً فزوجنيك الرحمن من فوق عرشه ، وكان جبريل هو السفير بذلك ، وأنا ابنة عمتك وليس لك من نسائك قريبة غيرى " أخرجه الطبرى وأبو القاسم الطحاوى فى (كتاب الحجة والتبيان) له. =

وتعالى عنه قال : جاء زيد بن حارثة يشكو ، فجعل النبى ﷺ يقول : اتق الله وأمسك عليك زوجك . قال أنس : لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً لكتم هذه ، قال : فكانت زينب تفخر على أزواج النبى ﷺ ، تقول : زوجكن أهاليكن وزوجى الله تعالى من فوق سبع سماوات ، وعن ثابت **﴿ وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس ﴾** نزلت فى شأن زينب وزيد بن حارثة .

= قوله : (من فوق سبع سماوات) فى رواية عيسى بن طهمان عن أنس المذكورة عقب هذا " وكانت تقول إن الله عزوجل أنكحنى فى السماء " وسنده هذه أخر الثلاثيات التى ذكرت فى البخارى ، وتقدم لعيسى بن طهمان حديث آخر تكلم فيه ابن حبان بكلام لم يقبلوه منه ، وقوله فى هذه الرواية " وأطعم عليها يومئذ خبزاً ولحماً " يعنى فى وليمتها ؛ وقد تقدم بيانه واضحاً فى تفسير سورة الأحزاب .

قال الكرمانى قوله : " فى السماء " ظاهره غير مراد ، إذ الله منزه عن الحلول فى المكان، لكن لما كانت جهة العلو أشرف من غيرها أضافها إليه إشارة إلى علو الذات والصفات، وبنحو هذا أجاب غيره عن الألفاظ الدارجة من الفوقية ونحوها ، قال الراغب : " فوق " يستعمل فى المكان والزمان والجسم والعدد والمنزلة والقهر .

فالأول : باعتبار العلو ويقابله تحت نحو **﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم ﴾** .

والثانى : باعتبار الصعود والانحدار ، نحو **﴿ إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ﴾**.

والثالث : فى العدد نحو **﴿ فإن كن نساء فوق اثنتين ﴾** .

والرابع : فى الكبر والصغر ، كقوله **﴿ بعوضة فما فوقها ﴾** .

والخامس : يقع تارة باعتبار الفضيلة الدنيوية ، نحو **﴿ ورفعنا بعضكم فوق بعض درجات ﴾** ، أو الأخروية نحو **﴿ والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة ﴾** .

والسادس : نحو قوله **﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾** ، **﴿ يخافون ربهم من فوقهم ﴾** انتهى ملخصاً .

وخرج الترمذى[1] من حديث داود بن أبى هند ، عن الشعبى ، عن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها قالت : لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً من الوحى لكتم هذه الآية : ﴿ **وإذ تقول للذى أنعم الله عليه** ﴾ [الأحزاب : ٣٧] يعنى : بالإسلام ﴿ **وأنعمت عليه** ﴾ : بالعتق فأعتقته ﴿ **أمسك عليك زوجك ، واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه ، وتخشى الناس ، والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً ، وكان أمر الله مفعولاً** ﴾ فإن رسول الله ﷺ لما تزوجها ،قالوا : تزوج حليلة ابنه ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين** ﴾ [الأحزاب:٤٠] وكان رسول الله ﷺ تبناه وهو صغير ، فلبث حتى صار رجلاً ، يقال له : زيد ابن محمد ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم فى الدين ومواليكم** ﴾ فلان مولى فلان ، وفلان أخو فلان ﴿ **هو أقسط عند الله** ﴾ يعنى: أعدل عند الله .

وعن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها : لو كان النبى ﷺ كاتماً شيئاً لكتم ذه الآيه : ﴿ **وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه** ﴾ . وهذا الحديث لم يرد بطوله[2] .

---

(١) رواه الترمذى فى التفسير ، باب ومن سورة الأحزاب ، حديث رقم (٣٢٠٥) وقال : هذا حديث غريب .

قال ابن الأثير : فى سنده داود بن الزبرقان الرقاشى البصرى نزيل بغداد ، وهو متروك ، وكذبه الأزدى كما قال الحافظ ابن حجر فى " التقريب " وقول عائشة فى أول الحديث : لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً من الوحى لكتم هذه الآية ، هذا القدر ثابت . وقال الحافظ فى(الفتح) : وأظن الزائد بعده مدرجاً فى الخبر ، فإن الرواى له عن داود ـ يعنى بن أبى هند ـ لم يكن بالحافظ ـ يريد به داود بن الزبرقان .

(٢) أخرجه الترمذى برقم (٣٢٠٦) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، ورواه مسلم فى الإيمان ، باب معنى قول الله عزوجل : ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى** ﴾ حديث رقم (١٧٧) .

خرج عبدالرزاق عن معمر ، عن قتادة ، في قوله : ﴿ **وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه** ﴾ ، قال : أنعم الله عليه بالإسلام ، وأنعم النبي ﷺ بالعتق ، ﴿ **أمسك عليك زوجك** ﴾ ، قال قتادة : جاء زيد بن حارثة للنبي ﷺ فقال: إن زينب اشتد عليّ لسانها ، وأنا أريد أن أطلقها ، فقال له النبي ﷺ : اتق الله وأمسك عليك زوجك ، قال : والنبي ﷺ يحب أن يطلقها ، ويخشى قالة الناس : أن أمره بطلاقها . فأنزل الله تعالى : ﴿ **اتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً** ﴾ . قال قتادة : طلقها زيد ﴿ **زوجناكها** ﴾ .

قال معمر : وأخبرني من سمع الحسن يقول : ما نزلت على النبي ﷺ آية أشد منها ، قوله : ﴿ **وتخفي في نفسك ما الله مبديه** ﴾ ، لو كان كاتماً شيئاً من الوحي كتمها .

قال : وكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ فتقول : أما أنتن فزوجكن آباؤكن ، وأما أنا فزوجني رب العرش[1] .

وذكر الحاكم في (مستدركه) ، عن محمد بن عمر الواقدي قال : حدثني عمر بن عثمان الحجي ، عن أبيه قال : قدم النبي ﷺ المدينة ، وكانت زينب بنت جحش ممن هاجر مع رسول الله ﷺ ـ وكانت امرأة جميلة ، فخطبها رسول الله ﷺ على زيد بن حارثة ، فقالت : يا رسول الله لا أرضاه لنفسي ، وأنا أيم قريش ، قال : فإني قد رضيته لك ، فتزوجها زيد بن حارثة .

قال الواقدي : فحدثني عبدالله بن عامر الأسلمي ، عن محمد بن يحي قال : جاء رسول الله ﷺ بيت زيد بن حارثة يطلبه ، وكان زيد إنما يقال له : زيد بن محمد ، فربما فقده رسول الله ﷺ الساعة فيقول : أين زيد . فجاء منزله يطلبه فلم يجده فتقوم إليه زينب فقول له : هنا يا رسول الله . فولى يهمهم بشئ لا يكاد يفهم عنه ، إلا سبحان الله العظيم ، سبحان مصرف القلوب .

---

(١) (المستدرك) : ٤٥٢/٢ ، كتاب التفسير ، حديث رقم (٣٥٦٣) وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : على شرط البخاري ومسلم .

فجاء زيد إلى منزله : فأخبرته امرأتـه أن رسـول اللـه ﷺ أتـى منزلـه ، فقال زيد : ألا قلت له يدخل ؟ قـالت : قـد عرضـت قولـك عليـه وأبـى . قـال : فسمعتيه يقول شيئاً ؟ قـالت سـمعته حيـن ولـى يكلـم بكـلام لا أفهمـه ، وسـمعته يقول : سبحان الله العظيم ، سبحان مصرف القلوب .

قال : فخرج زيد حتى أتى رسول الله فقال : يا رسول الله ، بلغنى أنـك جئت منزلى ، فهلا دخلت ؟ بأبى أنت وأمي يا رسول الله ، لعل زينب أعجبتـك! أفأفارقها ؟ فيقول رسول الله ﷺ : أمسك عليك زوجك ، فما اسـتطاع زيـد إليهـا سبيلاً بعد ذلـك ، ويـأتى رسـول اللـه فيخـبره ، فيقـول : أمسـك عليـك زوجـك ، فيقول : يا رسول الله ! أفأفارقها ؟ فيقول رسول الله ﷺ : احبس عليك زوجك.

ففارقها زيد ، واعتزلها ، وحلت . قالت : فبينما رسـول اللـه ﷺ جـالس يتحدث مع عائشة ، إذ أخذت رسول الله ﷺ غمية ، ثم سرى عنه ، وهو يتبسـم وهو يقول : من يذهب إلى زينب يبشرها أن الله عزوجل زوجنيها مـن السـماء، وتلا : ﴿ **وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه** ﴾ القصة كلها .

قالت عائشة : فأخذت ما قرب وما بعد ، لمـا كـان بلغنـى مـن جمالهـا ، وأخرى هى أعظم الأمور وأشرفها ، ما صنع الله لهـا ، وزوجهـا اللـه عزوجـل من السماء ، وقالت عائشة : هى تفخر علينا بهذا .

قـالت عائشـة : فخرجـت سـلمى خـادم رسـول اللـه ﷺ تشـتد ، فحدثتهـا بذلك ، فأعطتها أوضاحاً لها .

وذكر ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى (تفسيره) ، عن ابن وهب قال : قال ابن زيد : كان النبى ﷺ قد زوج زينب ابنة جحـش ابنـة عمتـه ، زيـد بن حارثة ، فخرج رسول الله ﷺ يوماً يريـده ، وعلـى البـاب سـتر مـن شـعر ، فرفعت الريح الستر ، فانكشف وهى فـى حجرتهـا حاسـرة ، فوقـع إعجابهـا فـى قلبه، فلما وقع ذلك كرهت إلى الآخر .

قال : فجاء فقال : يا رسول الله ! إنى اريد أن أفارق صـاحبتى ، قـال : مالك ؟ أرابك منها شئ ؟ قال : لا والله يا رسول الله . ما رابنى منها شئ ، ولا رأيت إلا خيراً .

فقال له رسول الله ﷺ : أمسك عليك زوجك واتق الله ، فذلك قول الله تعالى ذكره : ﴿ **وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه** ﴾ ، تخفى فى نفسك إن فارقها تزوجتها .

وله من طريق سفيان بن عيينة ، عن على بن زيد بن حدعان ، عن على بن الحسين ، رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، قال : كان الله تعالى أعلم نبيه ﷺ أن زينب ستكون من أزواجه ، فلما جاء زيد يشكوها ، قال ﷺ : اتق الله وأمسك عليك زوجك قال الله تعالى : ﴿ **وتخفى فى نفسك ما الله مبديه** ﴾.

وليس فى قصة زيد هذه ما يدل على وجوب الطلاق على المتزوج ، ومن تأمل ذلك تبين له ما ذكرت ، والله تعالى أعلم .

ولم يذكر هذه الخصوصية ابن القاصّ ، ولا الشيخ أبو حامد ، ولا البيهقى ، ويمكن أن يستدل لوجوب إجابة المرأة ، أنها لو خالفت أمره ﷺ كانت عاصية ، وقطع فى (التنبيه) بتحريم خطبة من رغب ﷺ فى نكاحها .

ويرد عليه ما أخرجه الحاكم[1] وغيره ، من حديث إسرائيل عن السدى، عن أبى صالح ، عن أم هانئ . قالت : خطبنى رسول الله ﷺ فاعتذرت إليه ، فعذرنى ، وأنزل الله تعالى : ﴿ **يا أيها النبى إنا أحللنا لك أزواجك** ﴾ إلى قوله : ﴿ **اللاتى هاجرن معك** ﴾ . قالت : فلم أكن أحل له ، لم أهاجر معه ، كنت من الطلقاء .

وقال الغزالى : ولعل الشرفية - يعنى فى تحرير من رغب فيها على زوجها من جانب الزوج - امتحان إيمانه بتكليفه النزول عن أهله ، فإن النبى ﷺ قال : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من أهله ، وماله ، ووالده ، والناس أجمعين . وقوله ﷺ : لا يكمل إيمان أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه

---

(١) (المستدرك) : ٤٥٦/٢ ، كتاب التفسير ، حديث رقم (٣٥٧٤) ، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص) : صحيح .

مما سواهما . خرجه مسلم[1] يحققه قول الله تعالى : **﴿ النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم ﴾**[2] .

---

(١) (مسلم بشرح النووى) : ٣٧٤/٢ - ٣٧٥ ، كتاب الإيمان ، باب (١٦) وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين ، وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبة ، حديث رقم (٦٩) ، (٧٠) .

قال الإمام النووى : قوله ﷺ : " لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين " وفى الرواية الأخرى من ولده ووالده والناس أجمعين . قال الامام أبو سليمان الخطابى: لم يرد به حب الطبع بل أراد به حب الاختيار لأن حب الانسان نفسه طبع ولا سبيل إلى قلبه . قال فمعناه لا تصدق فى حبى حتى تفنى فى طاعتى نفسك وتؤثر رضاى على هواك وإن كان فيه هلاكك . هذا كلام الخطابى .

وقال ابن بطال والقاضى عياض وغيرهما رحمة الله عليهم : المحبة ثلاثة أقسام : محبة إجلال وإعظام كمحبة الوالد ، ومحبة شفقة ورحمة كمحبة الولد ، ومحبة مشاكلة واستحسان كمحبة سائر الناس فجمع ﷺ أصناف المحبة فى محبته .

قال ابن بطال رحمه الله ، ومعنى الحديث أن من استكمل الايمان على أن حق النبى ﷺ أكد عليه من حق أبيه وابنه والناس أجمعين لأن به ﷺ استنقذنا من النار وهدينا من الضلال .

قال القاضى عياض رحمه الله ومن محبته ﷺ نصرة سنته والذب عن شريعته وتمنى حضور حياته فيبذل ماله ونفسه دونه قال وإذا تبين ما ذكرناه تبين أن حقيقة الإيمان لا تتم الا بذلك ، ولا يصح الإيمان الا بتحقيق إعلاء قدرالنبى ﷺ ومنزلته على كل والد وولد ومحسن ومفضل ، ومن لم يعتقد هذا واعتقد سواه فليس بمؤمن . هذا كلام القاضى رحمه الله . والله أعلم .

وأما إسناد هذا الحديث فقال مسلم رحمه الله (وحدثنا شيبان بن أبى شيبة حدثنا عبدالوارث عن عبدالعزيز ، عن أنس . قال مسلم (وحدثنا محمد بن مثنى وابن بشار قالا حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة قال سمعت قتادة يحدث عن أنس) وهذا أن الاسنادين رواتهما يضربون كلهم وشيبان ابن أبى شيبة هذا هو شيبان بن فروخ الذى روى عنه مسلم فى مواضع كثيرة . والله أعلم بالصواب .

(٢) الأحزاب : ٦ .

قال : ومن جانبه ﷺ ابتلاؤه بالبيئة البشرية ، ومنعه من خائنة العين ، ومن الإضمار الذى يخالف الإظهار ، ولا شئ أدعى إلى غض البصر ، وحفظه من لمحاته الاتفاقية من هذا التكلف .

وقد تعقب هذا الكلام بأن ابتلاءه ﷺ ليس هو من إيجاب الطلاق على الزوج ، إنما هو من وقوع هذه النظرة الإتفاقية . قوله : ومنعه من خائنة الأعين ؛ فقد شرح خائنة العين ، وليس فى اللمحة الواقعة شئ من خائنة الأعين ، قوله : من لمحاته الإتفاقية ، كلام لا دليل عليه من الآية ، فى هذه القصة ، ولا من الأحاديث .

قال الغزالى : وهذا مما يورده الفقهاء في صنف التخفيف ، وعندى أن ذلك فى غاية التشديد ، إذ لو كلف بذلك آحاد الناس ، لما فتحوا أعينهم فى الشوارع والطرقات ، خوفاً من ذلك ، ولذلك قالت عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها : لو كان رسول الله ﷺ يخفى آية ، لأخفى هذه الآية .

واعترض عليه ابو عمرو بن الصلاح فقال : لم يوفق فى مخالفته للأصحاب فى ذلك . قال : واصل ما ذكره أنه لم يكتف فى حقه ﷺ بالنهى والتحريم ، زاجراً عن مسارقة النظر ، وحاملاً له على غض البصر عن نساء غيره ، حتى شدد عليه بتكليف لو كلف به غيره لما فتحوا أعينهم فى الطرقات، وهذا غير لائق بمنزلته الرفيعة . وزعم أن هذا الحكم فى حقه ﷺ فى غاية التشديد ، والله تعالى يقول فى ذلك : ﴿ **ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له** ﴾ (١) .

وأما قول عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها ، فذاك لأمر أجود ، هو إظهار ما دار بينه وبين مولاه ، وعتابه عليه . وأجيب عنه بأن الغزالى رحمه الله تعالى ، لم يقل أن النهى فى حقه ﷺ ليس كافياً فى الانتهاء ، وإنما جعل ذلك كفاً ، وحافظاً عن وقوع النظر الإتفاقى ، الذى لا يتعلق به نهى ، فإذا علم أنه إذا وقع ذلك ، وقعت منه المرأة موقعاً ، وجب على زوجها مفارقتها ، احتاج إلى زيادة التحفظ فى ذلك .

---

(١) الأحزاب : ٣٨ .

والذى كلف أخفى ما فى النفس ، مع إبداء الله تعالى ما به ، فإن كثيراً من المباحات الشرعية يستحى الإنسان من فعلها ، ويمتنع منها . قوله تعالى : ﴿ما كان على النبى من حرج﴾ ، فيه رفع الإثم ، لا نفى الحياء من الشئ .

ويمكن ان يقال : لا تنافى بين ما ذكره الغزالى ، وبين ما ذكره الفقهاء، لأن الفقهاء ذكروه فى التخفيف ، لكون المرأة تحل له بتزويج الله تعالى ، بخلاف غيره ، فإنه يحتاج إلى خطبة ، ومهر ، وغير ذلك .

وأما الذى ذكره هو ، فهو غض البصر ، وحفظه عن لمحاته الاتفاقية ، وقد تقدم أنه لا دليل له عليه ، وإن ادعى أنه يستفاد من قوله تعالى : ﴿ والله أحق أن تخشاه ﴾ منع .

والحق فى المسألة : ما روى عن على بن الحسين رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، أن الله تعالى كان أوحى إلى نبيه ﷺ أن زيداً سيطلق زينب ، و يتزوجها ، فلما استشاره زيد فى طلاقها قال له : ﴿ أمسك عليك زوجك ﴾ فهذا هو الذى أخفاه[1] .

وقال غيره : وخشى قول الناس أن يتزوج زوجة ولده ، ومن تأمل أحاديث القصة تبين له هذا الذى قلته . فإن قيل : ما الجواب عما خرجه البخارى من حديث ابن عيينة ، سمع ابن المنكدر ، سمعت عروة بن الزبير عن عائشة ، وخرجه مسلم ، وأبو داود من حديث سفيان عن ابن المنكدر، عن عروة ، عن عائشة ، وخرجه مسلم من حديث سفيان ، وهو ابن عيينة عن ابن المنكدر ، سمع عروة بن الزبير يقول : حدثتنى عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها ، أن رجلاً استأذن على النبى ﷺ فقال : ائذنوا له ، فلبئس ابن العشيرة - أو بئس رجل العشيرة - فلما دخل عليه ، ألان له القول !! قالت عائشة : فقلت يا

---

(١) قال ابن الأثير : والحاصل أن الذى كان يخفيه النبى ﷺ هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته، والذى كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس : تزوج امرأة ابنه ، وأراد الله تعالى إيطال ما كان عليه أهل الجاهلية عليه من أحكام التبنى ، بأمر لا أبلغ فى الإبطال منه وهو تزوج امرأة الذى يدعى ابناً ، ووقوع ذلك من إمام المسلمين ، ليكون أدعى لقبولهم . (جامع الأصول) : ٣١٠/٢ [هامش] .

رسول الله ! قلت له الذى قلت ، ثم ألنت له القول ؟ قال : يا عائشة ، إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة ، من ودعه أو تركه الناس اتقاء فحشه . اللفظ لمسلم(١) . ذكره فى كتاب البر والصلة .

---

(١) (فتح البارى) : ١٠/٦٤٦ ، كتاب الأدب ، باب (٨٢) المداراة مع الناس ، ويذكر عن أبى الدرداء : " إنا لنكشر فى وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم ، حديث رقم (٦١٣١) ، (مسلم بشرح النووى) : ١٦/٣٨٠ ـ ٣٨١ ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب (٢٢) مداراة من يتقى فحشه، حديث رقم (٧٣) ، (٧٤) ، (سنن أبى داود) : ٥/١٤٤ ـ ١٤٥ ، كتاب الأدب ، باب (٦) فى حسن العشرة ، حديث رقم (٤٧٩١) ، (٤٧٩٢) ، (موطأ مالك) : ٦٥٠ ، ما جاء فى حسن الخلق ، حديث رقم (١٦٣٠) .

قوله : (باب المداراة مع الناس) هو بغير همز ، وأصله الهمز لأنه من المدافعة ، والمراد به الدفع برفق . وأشار المصنف بالترجمة إلى ما ورد فيه على غير شرطه واقتصر على غير ما يؤدى معناه ، فمما ورد فيه صريحاً لجابر عن النبى ﷺ قال : " مداراة الناس صدقة " أخرجه ابن عدى والطبرانى فى (الأوسط) ، وفى سنده يوسف بن محمد بن المنكدر ضعفوه ، وقال ابن عدى : أرجو أنه لا بأس به ، وأخرجه ابن أبى عاصم فى " أداب الحكماء " بسند أحسن منه ، وحديث أبى هريرة " رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس " أخرجه البزار بسند ضعيف .

قوله : (ويذكر عن أبى الدرداء : إنا لنكشر " بالكاف الساكنة وكسر المعجمة .

قوله : " فى وجوه أقوام وإن قلوبنا لنلعنهم " كذا للأكثر بالعين المهملة واللام الساكنة والنون ، وللكشميهنى بالقاف الساكنة قبل اللام المكسورة ثم تحتانية ساكنة من القلا بكسر القاف مقصور وهو البغض ، وبهذه الرواية جزم ابن التين ، ومثله فى تفسير المزمل من (الكشاف) . وهذا الأثر وصله ابن أبى الدنيا وإبراهيم الحربى فى " غريب الحديث " والدينورى فى (المجالسة) من طريق أبى الزاهرية عن جبير بن نفير عن أبى الدرداء فذكر مثله وزاد : "ونضحك عليهم" وذكره بلفظ اللعن ولم يذكر الدينورى فى إسناده جبير بن نفير ، ورويناه فى (فوائد أبى بكر بن المقرى) من طريق كامل أبى العلاء عن أبى صالح عن أبى الدرداء قال : "إنا لنكشر أقواماً " فذكر مثله وهو منقطع ، وأخرجه أبو نعيم فى (الحلية) من طريق خلف بن حوشب قال قال أبو الدرداء فذكر اللفظ المعلق سواء ، وهو منقطع أيضاً والكشر بالشين =

= المعجمة وفتح أوله ظهور الأسنان ، وأكثر ما يطلق عند الضحك ، والاسم الكشرة كالعشرة قال ابن بطال : المداراة من أخلاق المؤمنين ، وهى خفض الجناح للناس ولين الكلمة وترك الإغلاظ لهم فى القول وذلك من أقوى أسباب الألفة . وظن بعضهم أن المداراة هى المداهنة فغلط ، لأن المدارة مندوب إليها والمداهنة محرمة ، والفرق أن المداهنة من الدهان وهو الذى يظهر على الشئ ويستر باطنه ، وفسرها العلماء بأنها معاشرة الفاسق وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه ، والمداراة هى الرفق بالجاهل فى التعليم وبالفاسق فى النهى عن فعله ، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه ، والإنكار عليه بلطف القول والفعل ، ولا سيما إذا احتيج إلى تألفه ونحو ذلك . ثم ذكر حديثين تقدما : **أحدهما** : حديث عائشة " استأذن على النبى ﷺ رجل فقال : ائذنوا له فبئس ابن العشيرة " وقد تقدم بيان موضع شرحه فى " باب ما يجوز من اغتياب أهل الفساد " والنكتة فى إيراده هنا التلميح إلى ما وقع فى بعض الطرق بلفظ المدارة وهو عند الحارث بن أبى أسامة من حديث صفوان بن عسال نحو حديث عائشة وفيه : " وقال : إنه منافق أسسسس داريه عن نفاقه ، وأخشى أن يفسد على غيره " .

والثانى : حديث المسور بن مخرمة " قدمت على النبى ﷺ أقبية " وفيه قصة أبيه مخرمة ووقع فى هذه الطريفق " زكان فى خلقه شئ " وقد رمز البخارى بإيراده عقب لحديث الذى قبله بأنه المبهم فيه كل أشرت إلى ذلك قبل ، ووقع فى رواية مسروق عن عائشة " مر رجل برسول الله ﷺ فقال : بئس عبدالله وأخو العشيرة ، ثم دخل عليه فرأيته أقبل عليه بوجهه كان له عنده منزلة . أخرجه النسائى ، وشرح ابن بطال الحديث على ان المذكور كان منافقاً ، وأن النبى ﷺ كان مأموراً بالحكم بما ظهر ، لا بما يعلمه فى نفس الأمر وأطال فى تقرير ذلك ولم يقل احد فى المبهم فى حديث عائشة أنه كان منافقاً لا مخرمة بن نوفل ولا عيينة بن حصن ، وإنما قيل فى مخرمة ما قيل لما كان فى خلقه من الشدة فكان لذلك فى لسانه بذاءة ، وأما عيينة فكان إسلامه ضعيفاً وكان مع ذلك اهوج فكان مطاعاً فى قومه كما تقدم والله أعلم . وقوله فى هذه الرواية : " فلما جاءه قال خبأت هذا لك "وفى رواية الكشميهنى " قد خبأت " وقوله : " قال أيوب " هو موصول بالسند المذكور ، قوله : " بثوبه وأنه يريه إياه " والمعنى أشار أيوب بثوبه ليرى الحاضرين كيفية ما فعل النبى ﷺ عند كلامه مع مخرمة ، ولفظ القول يطلق ويراد به الفعل، قوله : " رواه حماد بن زيد عن أيوب " تقدم موصولاً فى " باب فرض الخمس " وصورته مرسل أيضاً .

وخرجه من طريق عبدالرزاق قال : أنبأنا معمر عن ابن المنكدر في هذا الإسناد مثل معناه ، غير أنه قال : بئس أخو القوم وابن العشيرة .

هذا ، وقد اتفقوا على الشك في قوله : " من ودعه أو تركه الناس " وقال فيه البخاري : بئس أخو العشيرة ، أو ابن العشيرة ، وقال : ألان له الكلام وقال: إن شر الناس من تركه أو ودعه ، لم يذكر منزلة عند الله يوم القيامة ، وترجم عليه : باب ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب .

وذكره أبو داود في الأدب ، في باب حسن العشرة . وخرجه البخاري أيضاً في باب المداراة مع الناس ، من حديث سفيان عن ابن المنكدر ، وحدثه عروة بن الزبير ، أن عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها ، اخبرته أنه استاذن على النبي ﷺ رجل فقال : ائذنوا له ، فبئس ابن العشيرة - أو بئس أخو العشيرة - فلما دخل ألان له في الكلام ، فقلت : يا رسول الله ! قد قلت ما قلت، ثم ألنت له في الكلام ؟ فقال : أي عائشة ، إن شر الناس منزلة عند الله من تركه أو ودعه الناس اتقاء فحشه .

وخرجه في باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ، من طريق روح بن القاسم ، عن محمد بن المنكدر ، وعن عروة عن عئشة أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ، فلما رآه قال : بئس أخو العشيرة ، وبئس ابن العشيرة ، فلما جلس تطلق النبي ﷺ في وجهه وانبسط إليه ، فلما انطلق الرجل قالت له عائشة : يا رسول الله ! حين رأيت الرجل قلت له : كذا وكذا ، ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه ، فقال يا عائشة ، متى عهدتني فحاشاً ؟ إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه .

وخرجه أبو داود في باب حسن العشرة ، من حديث حماد ، عن محمد ابن عمرو عن أبي سلمة ، عن عائشة ، أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ ، فقال له النبي ﷺ : بئس أخو العشيرة ، فلما دخل انبسط عليه ، فقال : يا عائشة ، إن الله لا يحب الفاحش المتفحش .

قيل : الذي منع منه ﷺ هو أن يظهر بلفظه لمن يخاطبه شيئاً ، وهو يريد خلافه ، وأما لين الكلام لهذا الرجل فإنه ﷺ فعله حقيقة من أجل شره ،

ونبه بما قاله فى غيبته على صفته ليحذر منها أمتـه ، أو ليعـامل مـن هـو بحالـه مثل ما عامله به ﷺ ، وهذا من قبيل الدفع بالتى هى أحسن .

وبهذا أيضاً يجاب عـن قولـه ﷺ لأبـى بصـير : مسـعر حـرب لـو وجـد أعوانا[1] ويجاب أيضاً عما خرجه أبو داود فى بـاب مـن ليسـت لـه غيبـة ، مـن حديث الجريرى ، عن أبـى عبدالله الجشـمى ، قـال : حدثنـا جنـدب قـال : جـاء أعرابى فأناخ راحلته ، ثم عقلها ، ثم دخـل المسـجد ، فصلـى خلـف رسـول اللـه ﷺ، فلما سلم رسول الله ﷺ أتى راحلته فأطلقها ، ثـم ركـب ، ثـم نـادى : اللهـم ارحمنى ومحمداً ولا تشرك فى رحمتنا أحداً ، فقال النبى ﷺ ، أتقولون هو أضل أم بعيره ؟ ألم تسمعوا إلى ما قال ؟ قالوا : بلى[2] .

ويؤيده ما خرجه قاسم بن أصبغ ، من طريق بقية ، قال : حدثنـا الربيـع ابن بدر ، عن أبان ، عن أنس رضى الله تبارك وتعـالى عنـه قـال : قـال النبـى ﷺ من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له[3] ، قـول البخـارى فـى بابـا المـداراة مـع النـاس ، ويذكـر عـن أبـى الـدرداء : إنـا لنكشـر فـى وجـوه أقـوام وإن قلوبنـا لتعلنهم[4] .

(١) راجع خبره فى (إمتاع الأسماع) بتحقيقنا : ١٢/٩ .

(٢) (سنن أبى داود) : ١٩٧/٥ ، كتاب الأدب ، باب (٤٢) من ليس له غيبة ، حديث رقم (٤٨٨٥)، وأخرج الترمذى نحواً منه من حديث أبى هريرة وليس فيه الفصل الأخير ، فى الوضوء ، حديث رقم (١٤٧) ، باب البول يصيب الأرض ، والنسائى فى الطهارة ، حديث رقم (٥٦) باب ترك التوقيت فى الماء ، وفى السهو ، حديث رقم (١٢١٧)، باب الكلام فى الصلاة ، وابن ماجة فى الطهارة ، حديث رقم (٥٢٩) باب بول الصبى الذى لم يطعم ، ومسلم فى الطهارة ، حديث رقم (٢٨٤) ، والحاكم فى (المستدرك) : ٢٤٨/٤ ، وأحمد فى (المسند):٣١٢/٤ .

(٣) (الأحاديث الضعيفة) للألبانى : حديث رقم (٥٨٥) .

(٤) سبق تخريجه .

الرابعة : فى انعقاد نكاحه ﷺ بلا ولى ولا شهود

وفيه وجهان :

احدهما : لا ينعقد بعموم قولـه ﷺ لا نكـاح إلا بولـى وشـاهدى عـدل ، وأصحهما يباح له ذلك ، ودليله ما خرجه مسلم من حديث حماد بن سـلمة قـال : حدثنا ثابت عن أنس قال : كنت رديف أبى طلحة يوم خيبر ، وقدمى تمس قـدم النبى ﷺ قال : فأتيناهم حين بزغت الشمس ، وقد اخرجوا مواشـيهم ، وخرجـوا بفؤوسهم ومكاتلهم ، فقالوا محمداً والخميس ، وقال رسول الله ﷺ خربـت خيـبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قال وهزمهم الله عزوجـل ووقعـت فى سهم دحية جارية جميلة فاشتراها رسـول اللـه ﷺ بسـبعة أرؤس ، ثـم دفعهـا إلى أم سليم تصنعها وتهيئها ، قال واحسبها كذا قال ، وتعتـد فـى بيتهـا ، وهـى صفية بنت حيى ، قال فجعل رسول الله ﷺ وليمتها التمر والأقط والسمن قـال : فحصبـت الأرض أفـاحيص ، وجيئ بالأنطـاع فوضعـت بهـا ، وجـاء بـالأقط والثمن ، فشبع الناس ، قال : وقال الناس : لا ندرى أتزوجها أم اتخذها أم ولد ، قالوا : إن حجبها فهى امرأته ، وأن لم يحجبها فهى أم ولد . فلما أراد أن يركـب حجبها فقعدت على عجز البعير فعرفوا أنها قد تزوجها ... الحديث .

وأخـرج البخـارى والنسـائى نحـو هـذه القصـة مـن حديـث إسـماعيل بـن جعفر، عن حميد عن أنس ، قال : أقام النبى ﷺ بين خيبر والمدينة ثلاثاً ، يبنـى على بصفية بنت حيى ، فدعوت المسلمين الى وليمة ، فما كان فيها من خبز ولا لحم ، أمر بالأنطاع فألقى فيها من التمر والأقط والثمن ، وكـانت وليمتـه ، فقـال المسلمون : أحدى أمهات المؤمنين أو مما ملكت يمينه ؟ .

فقالوا : إن حجبها فهى من أمهات المؤمنين ، وإن لم يحجبهـا فهـى ممـا ملكت يمينه ، فلما ارتحل وطأها خلفه الحجاب بينها وبين الناس .

ذكـره البخـارى فـى بـاب بنـاء العـروس فـى السـفر ، وفـى بـاب اتخــاذ السرارى ، ومن أعتق جارية ثم تزوجهـا ، وذكـره النسـائى فـى بـاب البنـاء فـى السفر .

ووجه الدلالة من هذا الحديث أنه ﷺ لو عقد على صفية بولي وشهود لعلم ذلك الصحابة ، لا سيما عند من يشترط الإعلان فى النكاح ، فلما لم يكن عنده من العلم بحالها أن ضرب الحجاب عليها ، دلَّ ذلك دلالة واضحة على أنه ﷺ بنى عليها من غير أن يعقد له عليها ولى ، ولا حضر شهود بينهما بذلك، فإن اعتبار الولى فى عقد النكاح إنما هو للمحافظة على الكفاء ولا مرية فى أن رسول الله ﷺ فوق الأكفاء كلهم ، وهكذا اعتبار الشهود فى النكاح إنما هو خشية الجحود ، وقد نزه الله تعالى رسوله ﷺ عن نسبة ذلك إليه .

فلو فرضنا جحود المرأة ، لم يرجع إلى قولها ، بل قال العراقى فى (شرح المهذب) : تكون كافرة بتكذيبه ﷺ .

واستدل أيضاً بقصة زينب فى تزويجه ﷺ بها ، لكن هذا الخلاف فى غير زينب ، فإن زينب نصوا على أن الله تعالى زوجها نبيه ﷺ من فوق سبعة أرقعة ، وقد نبه عليه النووى فى (شرح مسلم) ، فى باب زواج زينب بنت جحش رضى الله تبارك وتعالى عنها .

وذكر القضاعى هذه الخصوصية فى ما خُصَّ به النبى ﷺ دون الأنبياء قبله . وقال الشيخ أبو حامد [الغزالى] : الخلاف فى المسألة مبنية على أن النكاح الان محكوم عليه هنا إنما هو نفى ماهية النكاح عند انتفاء ذلك فتنتفى تلك الماهية أيضاً فى حقه ﷺ عمل بهذا الحديث ، ولم يأت لفظ عام للأشخاص حتى نقول قد دخل فيهم فلا وجه له يكن فى هذا الحديث ولقويت له حجة المنع ، لكن قصة صفية دليل واضح فتأمله .

الخامسة : هل كان يباح له ﷺ التزويج فى الإحرام

أشبه وحجمه النووى فى أصل الروضة . وثانيها لا يباح كغيرة ودليل الجواز حديث ابن عباس تزوج ميمونة وهو محرم ، رواه عن ابن عباس عن عكرمة وسعيد بن جبير وجابر بن زيد أبو الشعثاء ومجاهد وعطاء بن رباح .

خرج البخارى من طريق مالك بن إسماعيل بن عتبة أنبأنا عمر وجابر ابن زيد أن ابن عباس أخبره أن النبى ﷺ تزوج وهو محرم فحدثت به الزهرى فقال أخبرنى يزيد بن الأصم أنه نكحها وهو حلال وله من حديث عمرو بن دينار وعن جابر بن زيد أبى الشعثاء عن ابن عباس قال : تزوج رسول الله ﷺ ميمونة وهو محرم .

وخرج فى كتاب الحج والنسائى من حديث الأوزاعى ، حدثنى عطاء بن رباح عن ابن عباس أن النبى ﷺ نكح ميمونة وهو محرم وترجم عليه البخارى باب ترويح المحرم .

وخرج البخارى فى عمرة القضاء من حديث عكرمة عن ابن عباس ان النبى ﷺ تزوج ميمونة وهو محرم .

وخرج ابن ماجة من طريق ابن إسحاق عن أبى نجيح وأبان بن صالح عن عطاء ومجاهد عن ابن عباس: تزوج النبى ﷺ ميمونه فى عمرة القضاء .

وللطبرانى فى (الأوسط) من طريق حماد بن سلمة عن حميد عن عكرمة عن ابن عباس أن النبى ﷺ تزوج ميمونة وهما محرمان وقال : لم يروه عن جميل إلا حماد ، وتفرد به الحسن وبلال ورواه ابن شاهين من طريق سعيد عن قتادة عن كرمة عن ابن عباس .

وكذلك ورواه البهيقى من طريق الأوزاعى عن عطاء عن ابن عباس أن النبى ﷺ تزوج ميمونة وهو محرم .

وخرج الدارقطنى والعقيلى والطحاوى فى (المشكل) من طريق أبى صالح عن أبى هريرة أن النبى ﷺ تزوج ميمونة وفى إسناده خالد بن عبد الرحمن قال العقيلى : ليس بذاك وقال الرافعى : ونكاح ميمونة فى أكثر الروايات جرى وهو حلال وقال ابن عبد البر : لا أعلم من الصحابه روى أن

الرسول ﷺ تزوج ميمونة وهو محرم إلا ابن عباس وتعقب عليه بحديث أبى هريرة المذكور وبحديث عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها ، وله فى طرق ، الأول أخرجه البزار والطحاوى وابن حبان من طريق أبى عوانه [بسنده] عن مسروق عن عائشة وهذا إسناد صحيح .

الثانى أخرجه النسائى والبيهقى من طريق عمر بن على الفلاس عن أبى عاصم عن عثمان بن الأسود عن بن أبى مليكة عن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة وهو محرم . قال عمرو : قلت لأبى عاصم : أنت أمليت علينا هذا ، ليس فيه عائشة ، قال : دع عائشة حتى أنظر .

قال عمرو الفلاس : فقمت أنظر ، أحق ما تقول ؟ قال أبو عاصم : فنظرت فيه ، فوجدته مرسلاً .

وقال ابن أبى شيبه[1]: أخبرنا عيسى بن يونس ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، قال : تزوج النبى ﷺ ميمونة وهو محرم .

وروى ابن سعد[2] من طريق الشعبى ومجاهد مثله ، والظاهر أن هؤلاء أخذوه عن ابن عباس رضى الله تبارك وتعالى عنهما .

ويدل على ذلك ما رواه النسائى[3] من طريق يحيى عن ابن جريج ، عن عطاء عن ابن عباس رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، أن النبى ﷺ نكح ميمونه وهو محرم .

وقد روت ميمونه ، وأبو رافع ، وجابر ، وصفية بنت شيبة ، وابن عباس ، أن النبى ﷺ تزوج ميمونة رضى الله تبارك وتعالى عنها حلالاً .

---

(١) (مصنف ابن أبى شيبة) : ١٤٨/٣ ، كتاب الحج ، باب (٣٩) فى المحرم يزوج ، حديث رقم (١٢٩٥٦) .

(٢) (طبقات ابن سعد) : ١٣٢/٨ .

(٣) (سنن النسائى) : ٢١٠/٥ ، كتاب المناسك ، باب (٩٠) الرخصة فى نكاح المحرم ، حديث رقم (٢٨٣٧) ، ولفظه : " تزوج النبى ﷺ ميمونة وهو محرم " ، وحديث رقم (٢٨٣٩) ، ولفظه: " أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة وهما محرمان " . =

أخرج مسلم[1] من حديث يحيى بن آدم قال : حدثنا جرير بن حازم ، حدثنا أبو فزارة ، عن يزيد بن الأصم ، حدثتني ميمونة بنت الحارث ، أن رسول الله ﷺ تزوجها وهو حلال . قال : وكانت خالتي وخالة ابن عباس رضى الله تبارك وتعالى عنهما .

وخرجه أبو داود من حديث حماد ، عن حبيب بن الشهيد ، عن ميمونة بنت مهران ، عن يزيد بن الأصم ، عن أخت ميمونه ، عن ميمونه ، قالت : تزوجنى رسول الله ﷺ ونحن حلال بسرف . ذكره فى كتاب الحج ، وخرجه الترمذى[2]وابن ماجه[3] .

(١) (مسلم بشرح النووى) : ٩/٢٠٧ ، كتاب النكاح ، باب (٥) تحريم نكاح المحرم وكراهة خطبته ، حديث رقم (٤٧) و (٤٨) .

(٢) (سنن الترمذى) : ٣/٢٠٢ - ٢٠٣ ، كتاب الحج ، باب (٢٤) ما جاء فى الرخصة فى تزويج المحرم ، حديث رقم (٨٤٤) ، قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح . وأبو الشعثاء اسمه جابر بن زيد .

واختلفوا فى تزويج النبى ﷺ ميمونة لأن النبى ﷺ تزوجها فى طريق مكة . فقال : بعضهم : تزوجها حلالاً ، وظهر أمر تزويجها وهو محرم ، ثم بنى بها وهو حلال ، بسرف ففى طريق مكة . وماتت ميمونة بسرف ، حيث بنى بها رسول الله ﷺ . ودفنت بسرف .

(٣) (سنن ابن ماجة) : ١/٦٣٢ ، كتاب النكاح ، باب (٤٥) المحرم يتزوج ، حديث رقم (١٩٦٥).

السادسه : هل كان يجب عليه ﷺ أن يقسم بين نسائه رضى الله تبارك وتعالى عنهنّ ؟

على وجهين :

أحدهما : لا يجب عليه . وقال أبو سعيد الاصطخرى ، والماوردى ، وطائفه ، وصححه الغزالى فى (الخلاصة) ، وعليه القسم فى الوجهين .

والثانى : أنه يجب ، وصححه الشيخ أبو حامد ، والعراقيون ، وتابعهم البغوى ، وهو فى ظاهر نصه فى (الأم) .

ومأخذ الخلاف فى هذه المسائل وأخواتها ، أن الزوجات فى حقه ﷺ كالسرارى فى حق غيره ، أو كالزوجات ، وفيه وجهان : فإن جعلناهن كالسرارى لم يشترط الولى ولا الشهود ، وانعقد نكاحه فى الإحرام ، وبلفظ الهبة، ولم ينحصر عدد منكوحاته ولا طلاقه ، ولا يجب عليه القسم ، وإن جعلناهن كالزوجات انعكس الحكم .

واحتج من لم يرالقسم واجباً ، وإنما كان يتطوع به ، لأن فى وجوبه عليه ﷺ شغلاً عن لوازم الرسالة ، ولقوله تعالى : ﴿ **ترجى من تشاء منهن وتؤوى إليك من تشاء** ﴾[1]...الآية ، أى تبعد من تشاء فلا تقسم لها ، وتقرب من تشاء وتقسم لها .

ولما خرجه مسلم[2] من حديث شعبة ، عن هشام بن زيد ، عن أنس رضى الله تبارك وتعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ كان يطوف على نسائه فى غسل واحد .

---

(١) الأحزاب : ٥١ .

(٢) (مسلم بشرح النووى) : ٣/٢٢٤ ، كتاب الحيض ، باب (٦) جواز نوم الجنب ، واستحباب الوضوء له وغسل الفرج إذا أراد أن يأكل ، أو يشرب ، أو ينام ، أو يجامع ، حديث رقم (٢٨)، قال الإمام النووى : وأما طوافه ﷺ على نسائه بغسل واحد فيحتمل أنه ﷺ كان يتوضأ بينهما أو يكون المراد بيان جواز ترك الوضوء وقد جاء فى (سنن أبى داوود) أنه ﷺ طاف على نسائه ذات ليلة يغتسل عند هذه وعند هذه ! فقيل يا رسول الله : ألا تجعله غسلاً واحداً =

وخرجه الترمذى[1] من حديث سفيان عن معمر ، عن قتادة ، عن أنس رضى الله تبارك وتعالى عنه أن النبى ﷺ بمثله ، وقال : حديث أنس حديث

= فقال : هذا أذكى وأطيب وأطهر . قال أبو داوود والحديث الأول أصح . قلت : وعلى تقدير صحته يكون هذا فى وقت وذاك فى وقت والله أعلم .

واختلف العلماء فى حكمة هذا الوضوء فقال أصحابنا لأنه يخفف الحدث فإنه يرفع الحدث عن أعضاء الوضوء . وقال أبو عبد الله المازرى رضى الله عنه اختلف فى تعليله فقيل : ليبيت على إحدى الطهارتين خشية أن يموت فى منامه وقيل : بل لعله أن ينشط إلى الغسل إذا نال الماء أعضاءه . قال المازرى : ويجرى هذا الخلاف فى وضوء الحائض قبل أن تنام فمن علل بالمبيت على طهارة استحبه لها . هذا كلام المازرى .

وأما أصحابنا فإنهم متفقون على أنه لا يستحب الوضوء للحائض والنفساء لأن الوضوء لا يأثر فى حدثهم فإن كانت الحائض قد انقطعت حيضتها صارت كالجنب والله أعلم .

وأما طواف النبى ﷺ على نسائه فهو محمول على أنه كان برضاهن أو برضى صاحبة النوبة إن كانت نوبة واحدة فهذا التأويل يحتاج إليه من يقول كان القسم واجباً على رسول الله ﷺ فى الدوام كما يجب علينا .

وأما من لا يوجبه فلا يحتاج إلى تأويل فإن له أن يفعل ما يشاء وهذا الخلاف فى وجوب القسم هو وجهان لأصحابنا والله أعلم .

وفى هذه الأحاديث المذكورة فى الباب أن غسل الجنابة ليس على الفور وإنما يتضيق على الإنسان عند القيام إلى الصلاة وهذا بإجماع المسلمين وقد اختلف اصحابنا فى الموجب لغسل الجنابة ؛ هل هو حصول الجنابة بالتقاء الختانين أو إنزال المنى أم هو القيام إلى الصلاة أم هو حصول الجنابة مع القيام إلى الصلاة ؟ فى ثلاثة أوجه لأصحابنا ومن قال : يجب بالجنابة قال : هو وجوب موسع ، وكذا اختلفوا فى موجب الوضوء هل هو الحدث أم القيام إلى الصلاة أم المجموع ؟ وكذا اختلفوا فى الموجب لغسل الحيض هل هو خروج الدم أم انقطاعه ؟ والله أعلم.

(1) (سنن الترمذى) : ١/٢٥٩ ، أبواب الطهارة ، باب (١٠٦) ما جاء فى الرجل يطوف على نسائه بغسل واحد ، حديث رقم (١٤٠) ، قال أبو عيسى : حديث أنس حديث حسن صحيح ، ثم قال فى هامشه : الحديث نسبه المجد بن تيمية فى المنتقى للجماعة إلا البخارى ، وتعقبه الشوكانى فى (نيل الأوطار) ، فقال : الحديث أخرجه البخارى أيضاً من حديث قتادة عن =

حسن صحيح ، [أن النبى ﷺ كان يطوف على نسائه بغسل واحد وهو قول غير واحد من أهل العلم ، منهم الحسن البصرى : أن لا بأس أن يعود قبل أن يتوضأ][1] ، وقد روى محمد بن يوسف هذا عن سفيان فقال : عن أبى عروة ، عن أبى الخطاب عن أنس ، وأبو عروة وهو : معمر بن راشد ، وأبو الخطاب : قتاده بن دعامة . [قال أبو عيسى : ورواه بعضهم عن محمد بن يوسف عن سفيان عن ابن أبى عروة ، عن أبى الخطاب ، وهو خطأ ، والصحيح : عن أبى عروة] .

وخرجه أبو داود[2] من حديث إسماعيل ، قال : أنبأنا حميد الطويل ، عن أنس رضى الله تبارك وتعالى عنه أن رسول الله ﷺ طاف على نسائه فى غسل واحد قال أبو داود : هكذا رواه هشام بن زيد ، عن أنس ومعمر ، عن قتادة.

وخرج البخارى[3] والنسائى[4] من حديث عبد الأعلى بن حماد ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد عن قتادة ، أن أنس بن مالك حدثهم أن

= أنس بلفظ : كان رسول الله ﷺ يدور على نسائه فى الساعة الواحدة من الليل أو النهار ، وهن أحدى عشر ، قال : قلت لأنس بن مالك : أو كان يطيقه ؟ قال : كنا نتحدث أنه ﷺ أعطى قوة ثلاثين .

(١) ما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (سنن الترمذى) .

(٢) (سنن أبى داوود) : ١/١٤٨ - ١٤٩ ، كتاب الطهارة ، باب (٨٥) فى الجنب يعود ، حديث رقم (٢١٨) .

(٣) (فتح البارى) : ١/٤٩٧ ، كتاب الغسل ، باب (١٢) إذا جامع ثم عاد ، حديث رقم (٢٦٨) ، وذكره فى كتاب النكاح باب (٤) كثرة النساء ، حديث رقم (٥٠٦٨) .

(٤) (سنن النسائى) : ٦/٣٦١ ، كتاب النكاح ، باب (١) ، ذكر أمر رسول الله ﷺ فى النكاح وأزواجه وما أباح الله عز وجل لنبيه ﷺ وحظره على خلقه زيادة فى كراماته وتنبيهاً لفضيلته ، حديث رقم (٣١٩٨) ، أخرجه النسائى أيضاً فى عشرة النساء من (الكبرى) ، باب طواف الرجل فى الليلة الواحدة ، حديث رقم (١٤٨) ، وذكره فى كتاب عشرة النساء من (المجتبى) ، باب (١) حب النساء ، حديث رقم (٣٩٤٩) .

نبى الله ﷺ كان يطوف على نسائه فى الليله الواحدة ، وله يومئذ تسع نسوة . ذكره البخارى فى كتاب الغسل ، وفى كتاب النكاح . وذكره النسائى فى أول كتاب النكاح ، وفى كتاب العشرة .

وللبخارى[1] من حديث هشام عن قتادة ، قال : أنبأنا أنس بن مالك قال : كان النبى ﷺ يدور على نسائه فى الساعة الواحدة من الليل والنهار ، وهن

---

(١) (فتح البارى) : ٤٩٧/١ ، كتاب الغسل ، باب (١٢) إذا جامع ثم عاد . ومن دار على نسائه فى غسل واحد ، حديث رقم (٢٦٨) وقد جمع ابن حبان فى (صحيحه) بين الروايتين بأن حمل ذلك على حالتين ، لكنه وهم فى قوله : " إن الأولى كانت فى أول قدومه المدينة حيث كان تحته تسع نسوة ، والحالة الثانية فى آخر الأمر حيث اجتمع عنده إحدى عشرة امرأة " وموضع الوهم منه أنه ﷺ لما قدم المدينة لم يكن تحته امرأة سوى سودة ، ثم دخل على عائشة بالمدينة ، ثم تزوج ام سلمة ، وحفصة ، وزينب بنت خزيمة فى السنة الثالثة والرابعة ، ثم تزوج زينب بنت جحش فى الخامسة، ثم جويرية فى السادسة ، ثم صفية وأم حبيبة وميمونة فى السابعة ، وهؤلاء جميع من دخل بهن من الزوجات بعد الهجرة على المشهور .

واختلف فى ريحانة وكانت من سبى بنى قريظة فجزم ابن إسحق بأنه عرض عليها أن يتزوجها ويضرب عليها الحجاب فاختارت البقاء فى ملكه ، والأكثر على أنها ماتت قبله فى سنة عشر ، وكذا ماتت زينب بنت خزيمة بعد دخولها عليه بقليل ، قال ابن عبدالبر : مكثت عنده شهرين أو ثلاثة .

فعلى هذا لم يجتمع عنده من الزوجات اكثر من تسع ، مع أن سودة كانت وهبت يومها لعائشة ، فرجحت رواية سعيد .

لكن تحمل رواية هشام على أنه ضم مارية وريحانة إليهن وأطلق عليهن لفظ " نسائه تغليباً. وقد سرد الدمياطى ـ فى (السيرة) التى جمعها ـ من اطلع عليه من أزواجه ممن دخل بها أو عقد عليها فقط أو طلقها قبل الدخول أو خطبها ولم يعقد عليها فبلغت ثلاثين ، وفى (المختارة) من وجه آخر عن أنس " تزوج خمس عشرة : دخل منهم بإحدى عشرة ومات عن تسع " وسرد أسماءهن ايضاً أبو الفتح اليعمرى ثم مغلطاى فزدن على العدد الذى ذكره الدمياطى، وأنكر ابن القيم ذلك .

=

إحدى عشرة ، قلت لأنس : وكان يطيقه ؟ قال : كنا نتحدث أنه أعطى قوة ثلاثين . وقال سعيد : عن قتادة ، أن أنس حدثهم : تسع نسوة . ذكره في باب إذا جامع ثم عاود . ومن دار على نسائه في غسل واحد .

وقال القاضي أبو بكر بن العربي : إن الله تعالى خصّ نبيه ﷺ بأشياء في النكاح ، منها أنه أعطاه ساعة لا يكون لأزواجه فيها حقّ يدخل فيها على جميع أزواجه ، فيحصل ما يريد منهن ، وفي كتاب مسلم أن تلك الساعة بعد العصر ، فلو اشتغل كانت بعد المغرب أو غيره ، فلذلك كان النبي ﷺ يدور على نسائه في الليل والنهار ، وهذا كله بناء على وجوب القسم عليه .

والذى يظهرمن أحاديث الوجوب ، منها ما خرجه مسلم(١) من حديث سليمان بن المغيرة قال : " كان للنبي ﷺ تسع نسوه ، فكان إذا قسم بينهن لاينهى إلى المرأه الأولى [إلا] في تسع فكن يجتمعن كل ليله في بيت التي يأتيها، فكان في بيت عائشة ، فجاءت زينب ، فمد يده إليها ، فقالت: هذه زينب ، فكف النبي ﷺ يده ، فتقاولتا حتى إستحثتا ، وأقيمت الصلاة ، فمر أبو بكر رضي الله تبارك وتعالى عنه على ذلك ، فسمع أصواتهما ، فقال : اخرج يا رسول الله إلى الصلاه ، واحث في أفواهن التراب ، فخرج رسول الله ﷺ فقالت عائشة : الآن

= والحق ان الكثرة المذكورة محمولة على اختلاف في بعض الأسماء ، وبمقتضى ذلك تنقص العدة . والله أعلم .

قوله : (أو كان) بفتح الواو هو مقول قتادة والهمزة للاستفهام ومميز ثلاثين محذوف أي ثلاثين رجلاً ، ووقع في رواية الإسماعيلي من طريق أبي موسى عن معاذ بن هشام " أربعين " بدل ثلاثين ، وهي شاذة من هذا الوجه لكن في مراسيل طاوس مثل ذلك، وزاد " في الجماع " وفي (صفة الجنة) لأبي نعيم من طريق مجاهد مثله وزاد " من رجال أهل الجنة " ، ومن حديث عبدالله بن عمرو رفعه " أعطيت قوة أربعين في البطش والجماع " وعند أحمد والنسائي وصححه الحاكم من حديث زيد بن أرقم رفعه " إن الرجل من أهل الجنة ليعطى قوة مائة في الأكل والشرب والجماع والشهوة " فعلى هذا يكون حساب قوة نبينا أربعة آلاف .

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٢٩٩/١٠ ، كتاب الرضاع ، باب (١٣) القسمة بين الزوجات ، حديث رقم (١٤٦٢) .

يقضى رسول الله ﷺ صلاته فيجئ أبو بكر فيفعل بى ويفعل ، فلما قضى النبى ﷺ صلاته أتاها أبو بكر فقال لها قولاً شديداً وقال : أتصنعين هذا ؟ .

وفيها ما أخرجه البخارى[1] من طريق زهير عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها ، أن سودة بنت زمعة وهبت يومها لعائشة، وكان النبى ﷺ يقسم لعائشة يومها ويوم سوده .

وخرجه مسلم[2] من حديث جريرعن هشام بن عروة ، عن أبيه عن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها ، قالت : يا رسول الله قد جعلت يومى منك لعائشة فكان رسول الله ﷺ يقسم لعائشة يومين يومها ويوم سودة .

[ومنها ما خرجه البخارى[3] ومسلم[4]][5] من حديث ابن جريح ، أخبرنى عطاء قال حضرنا مع ابن عباس جنازة ميمونة زوج النبى ﷺ بسرف

---

(١) (فتح البارى) : ٩/٣٩٠ ، كتاب النكاح ، باب (٩٩) المرأة تهب يومها من زوجها لضرتها ، وكيف يقسم ذلك ، حديث رقم (٥٢١٢) ، قال العلماء : إذا وهبت يومها لضرتها قسم الزوج لها يوم ضرتها ، فإن كان تالياً ليومها ، وإلا لم يقدمه عن رتبته فى القسم إلا برضا من بقى .

وقالوا : إذا وهبت المرأة يومها لضرتها ، فإن قبل الزوج لم يكن للموهوبة أن تتمنع ، وإن لم يقبل لم يكره على ذلك ، وإذا وهبت يومها لزوجها ولم تتعرض للضرة ، فهل له أن يخص واحدة إن كان عنده أكثر من اثنتين ، أو يوزعه بين من بقى ؟ .

وللواهبة فى جميع الأحوال الرجوع عن ذلك متى أحبت ، لكن فيما يستقبل ، لا فيما مضى ، وأطلق ابن بطال أنه لم يكن لسودة الرجوع فى يومها الذى وهبته لعائشة . (فتح البارى).

(٢) (مسلم بشرح النووى) : ١٠/٣٠٢ ، كتاب الرضاع ، باب (١٤) جواز هبتها نوبتها لضرتها ، حديث رقم (٤٧) .

(٣) (فتح البارى) : ٩/١٣٩ ، كتاب النحاح ، باب (٤) كثرة النساء ، حديث رقم (٥٠٦٧) ، ويستفاد منه أن حرمة المؤمن بعد موته باقية كما كانت فى حياته ، وفيه حديث كسر عظم المؤمن ميتاً ككسره حياً ، أخرجه أبو داوود ، وابن ماجه ، وصححه ابن حبان . (فتح البارى) .

(٤) (مسلم بشرح النووى) : ١٠/٣٠٤ ، كتاب الرضاع ، باب (١٤) جواز هبتها نوبتها لضرتها، حديث رقم (٥١) . قال الإمام النووى : وأما قول عطاء : التى لم يقسم لها صفية ، فقال =

فقال ابن عباس : هذه زوج النبى ﷺ فاذا رفعتم نعشها فلا تزعزعوا ولا تزلزلوا وأرفقوا فإنه كان عند رسول الله ﷺ تسع نسوه فكان يقسم لثمان ولا يقسم لواحدة . قال عطاء : التى لا يقسم لها صفية بنت حيى بن أخطب ، وقال البخارى : فلا تزعزعوها ولاتزلزلوها .

ومنها ما خرجه مسلم(١)، أبو داود(٢) من حديث سفيان ، عن محمد ابن أبى بكر عن عبدالملك بن أبى بكر بن عبد الرحمن أن رسول الله ﷺ حين

= العلماء: هو وهم من ابن جريح الراوى عن عطاء ، وإنما الصواب : فقال الزهرى : هى ميمونة ، وقيل: أم شريك ، وقيل : زينب بنت خزيمة .

(٥) زيادة يقتضيها السياق .

(١) (مسلم بشرح النووى) : ٢٩٦/١٠ ، كتاب الرضاع ، باب (١٢) قدر ما تستحقه البكر والثيب من إقامة الزوج عندها عقب الزفاف ، حديث رقم (٤٢) .

(٢) (سنن أبى داود) : ٥٩٤/٢ - ٥٩٥ ، كتاب النكاح ، باب (٣٥) ، حديث رقم (٢١٢٢) .

قال الخطابى فى (معالم السنن) : اختلف العلماء فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : الثلاث تخصص للثيب لا يحتسب بها عليها ، ويستأنف القسم فيما يستقبل ، وكذلك السبع للبكر ، وإلى هذا ذهب مالك والشافعى وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه ، وقد روى ذلك عن الشعبى .

وقال اصحاب الرأى : البكر والثيب فى القسم سواء ، وهو قول الحكم وحماد .

وقال الأوزاعى : اذا تزوج البكر على الثيب مكث ثلاثاً ، وإذا تزوج الثيب على البكر يمكث يومين .

قال الشيخ : السبع فى البكر والثلاث فى الثيب حق العقد خصوصاً لا يحاسبان على ذلك ولكن يكون لهما عفواً بلا قصاص .

وقوله " إن شئت سبعت لك ، سبعت لنسائى " ليس فيه دليل على سقوط حقها الواجب لها إذا لم يسبع لها وهو الثلاث التى هى بمعنى التسويغ لها ، ولوكان ذلك بمعنى التبدئة ثم يحاسب عليها لم يكن للتخيير معنى ، لأن الإنسان لا يخير بين جميع الحق وبين بعضه فدل على أنه بمعنى التخصيص .

قال الشيخ : ويشبه أن يكون هذا من المعروف الذى أمر الله تعالى به فى قوله ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾ [النساء:١٩] وذلك أن البكر لما فيها من الخفر والحياء تحتاج إلى =

تزوج أم سلمة وأصبحت عنده قال لها : ليس بك على أهلك هوان إن شئت سبعت وأن شئت ثلثت ثم درت ، قالت : ثلث .

وخرجه مسلم[1] أيضاً من حديث عبد الملك بن أبى بكر عن أبى بكر ابن عبدالرحمن أن رسول الله ﷺ حين تزوج أم سلمة ، أقام عندها ثلاثة ، وقال: إنه ليس بك على أهلك هوان ، إن شئت سبعت لك ، وإن سبعت لك سبعت لنسائى .

وله من حديث سليمان بن بلال ، عن عبد الرحمن بن حميد ، عن عبدالملك بن أبى بكر عن أبى بكر بن عبد الرحمن أن رسول الله ﷺ حين تزوج أم سلمة فدخل عليها فأراد أن يخرج أخذت بثوبه ، فقال رسول الله ﷺ أن شئت زدتك وحاسبتك به للبكر سبع وللثيب ثلاث .[2]

ومنها ما أخرجه البخارى[3] من حديث هشام بن عروة ، أخبرنى أبى عن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها أن رسول الله ﷺ كان يسأل فى مرضه الذى مات فيه : أين أنا غداً ؟ أين أنا غداً ؟ يريد يوم عائشة ، فأذن له أزواجه يكون حيث شاء ، فكان حتى مات عندها . قالت عائشة : فمات فى اليوم

= فصل إمهال وصبر وحسن تأن ورفق ليتوصل الزوج إلى الارب منها ، والثيب قد جربت الازواج وارتاضت بصحبة الرجال فالحاجة إلى ذلك فى أمرها أقل ، إلا انها تخص بالثلاث تكرمة لها وتأسياً للألفة فيما بينه وبينها والله أعلم . (خطابى) .

(١) (مسلم بشرح النووى) : ١٠/٢٩٦ ، كتاب الرضاع ، باب (١٢) قدر ما تستحقه البكر والثيب من إقامة الزوج عندها عقب الزفاف ، حديث رقم (٤١) .

(٢) (مسلم بشرح النووى) : ١٠/٢٩٧ ، كتاب الرضاع ، باب (١٢) قدرما تستحقه البكر والثيب من إقامة الزوج عندها عقب الزفاف ، الحديث الذى يلى رقم (٤٢) بدون رقم .

(٣) (فتح البارى) : ٩/٣٩٥ ، كتاب النكاح ، باب (١٠٥) إذا استأذن الرجل نساءه أن يمرض فى بيت بعضهن فأذن له ، حديث رقم (٥٢١٧) ، والغرض من هذا الحديث أن القسم لهن يسقط بإذنهن فى ذلك ، فكأنهن وهبن أيامهن تلك للتى هو فى بيتها . (فتح البارى) .

الذى كان يدور علىَّ فيه فى بيتى ، فقبضه الله وإن رأسه لبين نحرى وسحرى[1]، وخالط ريقى ريقه .

وخرجه مسلم[2] ، ولفظه : عن عائشة قالت : إن كان رسول الله ﷺ ليتفقد يقول : أين أنا اليوم ؟ أين أنا غداً ؟ استبطاءً ليوم عائشة ، قالت : فلما كان يومى قبضه الله بين سحرى ونحرى .

وفيها ما أخرجه البخارى[3] من حديث الزهرى ، عن عروة عن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه ، وكان يقسم لكل امرأة منهن يومها وليلتها ، غير أن سودة بنت زمعة وهبت يومها وليلتها لعائشة زوج النبى ﷺ تبتغى بذلك رضا رسول الله ﷺ .

وخرج البخارى[4] ومسلم[5] من حديث ابن أبى ملكية ، عن القاسم ، عن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها ، أن النبى ﷺ كان إذا أراد سفراً

---

(١) فى (الأصل) : " وسحرى الحديث " .

(٢) (مسلم بشرح النووى) : ١٥/٢١٦ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب (١٣) فضل عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها ، حديث رقم (٨٤) .

(٣) (فتح البارى) : ٥/٢٧٢ ، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها ، باب (١٥) هبة المرأة لغير زوجها وعتقها إذا كان لها زوج فهو جائز ، إذا لم تكن سفيهة . فإذا كانت سفيهة لم يجز ، قال الله تعالى : ﴿ **ولا تؤتوا السفهاء أموالكم** ﴾ [النساء : ٥] ، حديث رقم (٢٥٩٣) .

(٤) (فتح البارى) : ٩/٣٨٧ ، كتاب النكاح ، باب (٩٨) القرعة بين النساء إذا أراد سفراً ، حديث رقم (٥٢١١) ، قال الحافظ : مفهومه اختصاص القرعة بحالة السفر ، وليس على عمومها بل لتعين القرعه من يسافر بها ، وتجرى القرعة ايضاً فيما إذا أراد أن يقسم بين زوجاته فلا يبدأ بأيهن نساء بل يقرع بينهن فيبدأ بالتى تخرج لها القرعة ، إلا أن يرضين بشئ فيجوز بلا قرعة، وقوله : (أقرع بين نسائه) زاد ابن سعد من وجه آخر ، عن القاسم ، عن عائشة " فكان إذا خرج سهم غيرى عرف فيه الكراهية " ، واستدل به على مشروعيته القرعة فى القسمة بين الشركاء وغير ذلك كما تقدم فى أواخر الشهادات ، والمشهور عن الحنفية والمالكية عدم إعتبار القرعة ، قال عياض : هو مشهور عن مالك وأصحابه لأنه من باب الخطر والقمار ، وحكى =

أقرع بين نسائه ، فطارت القرعة لعائشة وحفصة ، وكان النبى ﷺ إذا كان بالليل سار مع عائشه يتحدث معها ، فقالت حفصة : إلا تركبين الليلة بعيرى وأركب بعيرك تنظرين وأنظر ، فقالت : بلى ، فركبت ، فجاء النبى ﷺ إلى جمل عائشة وعليه حفصه ، فسلم عليها ، ثم سار حتى نزلوا وافتقدته عائشة ، فلما نزلوا جعلت رجليها بين الإذخر ، وتقول : رب سلط علىّ عقرباً أوحية تلدغنى ، ولا أستطيع أن أقول له شيئاً .

ومنها ماخرجه أبو داود(1) والترمذى(2) والنسائى(3) ، وقاسم بن أصبغ ، من طريق حماد بن سلمة ، عن أيوب ، عن أبى قلابة ، عن عبد الله بن زيد ،

= عن الحنفية إجازتها ، وقد قالوا به فى مسألة الباب . واحتج من منع من المالكية بأن بعض النسوة قد تكون أنفع فى السفر من غيرها فلو خرجت القرعة للتى لا يقع بها السفر لأضر بحال الرجل ، وكذا بالعكس قد يكون بعض النساء أقوم ببيت الرجل من الأخرى ، وقال القرطبى : ينبغى أن يختلف ذلك باختلاف أحوال النساء وتختص مشروعية القرعة بما اتفقت أحوالهن لئلا تخرج واحدة معه فيكون ترجيحاً بغير مرجح ، وفيه مراعاة للمذهب مع الأمن من رد الحديث أصلاً لحمله على التخصيص ، فكأنه خصص العموم بالمعنى .

(5) (مسلم بشرح النووى) : ١٦/٢١٨ - ٢١٩ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب (١٣) فى فضل عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها ، حديث رقم (٨٨) ، قال الإمام النووى : وهذا الإقراع عندنا واجب فى حق غير النبى ﷺ وأما النبى ﷺ ففى وجوب القسم فى حقه خلاف فمن قال بوجوب القسم يجعل إقراعه واجباً ومن لم يوجبه يقول : إقراعه ﷺ من حسن عشرته ومكارم أخلاقه .

(1) (سنن أبى داوود) : ٢/٦٠١ ، كتاب النكاح ، باب (٣٩) فى القسم بين النساء ، حديث رقم (٢١٣٤) .

(2) (سنن الترمذى) : ٣/٤٤٦ ، كتاب النكاح ، باب (٤١) ما جاء فى التسوية بين الضرائر ، حديث رقم (١١٤٠) ، قال أبو عيسى : حديث عائشة هكذا رواه غير واحد عن حماد بن سلمة ، عن أيوب ، عن أبى قلابة ، عن عبد الله بن يزيد ، عن عائشة أن النبى ﷺ كان يقسم . ورواه حماد بن زيد وغير واحد عن أيوب عن أبى قلابة مرسلاً ، أن النبى ﷺ كان يقسم ، وهذا أصح من حديث حماد بن سلمة . =

عن عائشه رضى الله تبارك وتعالى عنها ، قالت : كان رسول الله ﷺ يقسم فيعدل ويقول : اللهم هذا قسمي فيما أملك ، فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك . قال أبو داود : يعنى القلب .

ومنها ما أخرجه مسلم(١) من حديث عبدالله بن وهب ، قال ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير بن المطلب أنه سمع محمد بن قيس يقول سمعت عائشة

=(٣) (سنن النسائى) : ٧/٧٥ ، كتاب النساء ، باب (٣) ميل الرجل إلى بعض نسائه دون بعض، حديث رقم (٣٩٥٣) ، قال الإمام السندى : قوله : " فلا تلمنى فيما لا أملك وتملك " أى المحبة بالقلب فإن قلت : لمثله لا يؤاخذ ولا يلام غيره ﷺ فضلاً عن أن يلام هو إذ لا تكليف بمثله فما معنى هذا الدعاء قلت لعله مبنى على جواز التكليف بمثله وإن رفع التكليف تفضل منه تعالى فينبغى للإنسان أن يتضرع فى حضرته تعالى ليديم هذا الإحسان أو المقصود إظهار إفتقار العبودية وفى مثله لا التفات إلى مثل هذه الأبحاث والله تعالى أعلم .

(١) (مسلم بشرح النووى) : ٧/٤٥ - ٤٨ ، كتاب الجنائز ، باب (٣٥) ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها ، حديث رقم (١٠٣) .

قوله ﷺ : (السلام عليكم دار قوم المؤمنين) دار منصوب على النداء أى يا أهل دار فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه وقيل منصوب على الاختصاص ، قال صاحب (المطالع) ويجوز جره على البدل من الضمير فى عليكم ، قال الخطابى : وفيه أن اسم الدار يقع على المقابر قال : وهو صحيح فان الدار فى اللغة يقع على الربع المسكون وعلى الخراب غير المأهول .

قوله ﷺ : (اللهم أغفر لأهل بقيع الغرقد) البقيع هنا بالباء بلا خلاف وهو مدفن أهل المدينة سمى بقيع الغرقد لغرقد كان فيه وهو ما عظم من العوسج وفيه إطلاق لفظ الأهل على ساكن المكان من حى وميت .

وفيه جواز ترخيم الأسم إذا لم يكن فيه إيذاء المرخم ، وحشياً بفتح الحاء المهملة وإسكان الشين المعجمة مقصور معناه وقد وقع عليك الحشا وهو الربو والتهيج الذى يعرض للمسرع فى مشيه والمحتد فى كلام من إرتفاع النفس وتواتره يقال امرأة حشياء وحشية ورجل حشيان وحشش قيل أصله من أصاب الربو حشاه وقوله رابية أى مرتفعة البطن . =

تحدث فقالت : ألا أحدثكم عن النبى ﷺ وسلم وعنى قلنا بلى وحدثنى من سمع حجاجاً الأعور واللفظ له قال : حدثنا حجاج بن محمد حدثنا ابن جريج أخبرنى عبد الله رجل من قريش عن محمد بن قيس بن مخرمه بن المطلب أنه قال يوماً: ألا أحدثكم عنى وعن أمى قال : فظننا أنه يريد أمه التى ولدته . قال : قالت عائشة : ألا أحدثكم عنى وعن رسول الله ﷺ ؟ قلنا بلى قال : قالت : لما كانت ليلتى التى كان النبى ﷺ فيها عندى انقلب فوضع ردائه وخلع نعليه فوضعهما عند رجليه وبسط طرف أزاره علي فراشه فاضطجع فلم يلبث إلا ريثما ظن أن قد رقدت ، فأخذ ردائه رويداً ، وابتعد رويداً ، وفتح الباب ، فخرج ثم أجاثه رويداً فجعلت درعى فى رأسى واختمرت وتقنعت إزارى ثم أنطلقت على إثره حتى جاء البقيع ، فقام فأطال القيام ، ثم رفع يديه ثلاث مرات، ثم انحرف فانحرفت ، وأسرع فأسرعت ، فهرول فهرولت ، فأحضر فأحضرت، فسبقته فليس لا أن اضطجعت فدخل فقال مالك : يا عائش حشياً رابية ، قالت : قلت لاشىء : قال : لتخبرينى أو ليخبرنى اللطيف الخبير ؟ قالت : قلت يا

= قولها : (قلت كيف أقول يا رسول الله ؟ قال : قولى : السلام على أهل الديار من المؤمنين المسلمين ويرحم الله المستقدمين منكم ومنا والمستأخرين وإنا إن شاء الله تعالى بكم للاحقون) فيه استحباب هذا القول لزائر القبور وفيه ترجيح لقول من قال فى قوله سلام عليكم دار قوم مؤمنين أن معناه أهل دار قوم مؤمنين وفيه أن المسلم والمؤمن قد يكونان بمعنى واحد وعطف أحدهم على الآخر لإختلاف اللفظ وهو بمعنى قوله تعالى ﴿ **فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين** ﴾ ولا يجوز أن يكون المراد بالمسلم فى هذا الحديث غير المؤمن لأن المؤمن إن كان منافقاً لا يجوز السلام عليه والترحم وفيه دليل لمن جوز للنساء زيارة القبور وفيها خلاف للعلماء وهى ثلاثة أوجه لأصحابنا:

أحدها : تحريمها عليهن لحديث لعن الله زورات القبور .

والثانى : يكره

والثالث : يباح ويستدل له بهذا الحديث وبحديث كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ويجاب عن هذا بأن نهيتكم ضمير ذكور فلا يدخل فيه النساء على المذهب الصحيح المختار فى الأصول ، والله أعلم .

رسول الله بأبى أنت وأمى فأخبرته قال : فأنت السواد الذى رأيت أمامى قلت: نعم فلهدنى فى صدرى لهده أوجعتنى ثم قال أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله ؟ قالت : مهما يكتم الناس يعلمه الله ، نعم قال : فإن جبريل عليه السلام أتانى حين رأيت فنادانى فأخفاه منك فأجبته فأخفيته منك ، ولم يكن يدخل عليك ، وقد وضعت ثيابك وظننت أن قد رقدت فكرهت أن أوقظك وخيشت أن تستوحشى فقال إن ربك يأمرك أن تأتى أهل البقيع فتستغفر لهم قالت : قلت : كيف أقول لهم يا رسول الله ؟ قال : قولى : السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم للاحقون .

وأخرجه النسائى[1] أيضاً من طريق حجاج الأعور ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى عبد الله بن أبى مليكة ، أنه سمع محمد بن قيس بن مخرمة يقول: سمعت عائشه تحدث قلت : ألا أحدثكم عنى وعن رسول الله ﷺ ؟ قلنا : بلى الحديث بطوله .

هذا الحديث لعائشه ، أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله ، واضح فى الدلالة وضوحاً أكثر من غيره . وأما الآية ، فقد اختلف فى تأويل قوله تعالى : ﴿ ترجى من تشاء منهن وتؤوى إليك من تشاء ﴾ فقال قوم : عنى بقوله : ﴿ترجى﴾ : تؤخر ، وبقوله : ﴿ تؤوى ﴾ : تضم . فعن ابن عباس : ﴿ ترجى من تشاء منهن ﴾ يقول : تؤخر . وعن مجاهد : تعزل بغير طلاق من أزواجك من تشاء ﴿ وتؤوى إليك من تشاء ﴾ تردها إليك .

وعن قتادة قال : فجعله من ذلك فى حل أن يدع من يشاء منهن ويأتى من يشاء بغير قسم . وكان نبى الله ﷺ يقسم .

وعن ابن زيد قال : لما أشفقن أن يطلقهن قلن : يا نبى الله : اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئت ، فكان ممن أرجأ منهن سودة بنت زمعة ، وجويرية ،

---

(١) (سنن النسائى) : ٣٩٦/٤ - ٣٩٨ ، كتاب الجنائز باب (١٠٣) ، الأمر بالاستغفار للمؤمنين ، حديث رقم (٢٠٣٦) ، وأخرجه النسائى أيضاً فى كتاب النساء ، باب (٤) الغيرة ، حديث رقم (٣٩٧٣) .

وصفية ، وأم حبيبة ، وميمونة ، وكان ممن أوى إليه عائشة ، وأم سلمة ، وحفصة ، وزينب .

وعن الضحاك : فما شاء صنع فى القسمة بين النساء ، أحل الله ذلك .

وعن أبى رزين : وكان ممن أوى ، عائشة ، وحفصة ، وزينب ، وأم سلمة ، فكان قسمه من ماله ونفسه سواء .

وكان ممن أرجأ : سودة ، وجويرية ، وصفية ، وأم حبيبة ، وميمونة ، وكان يقسم لهن ما شاء ، وكان إذا أراد أن يفارقهن فقلن : اقسم لنا من نفسك ما شئت ، ودعنا على حالنا .

وقال آخرون : معنى ذلك تطلق ، وتخلى سبيل من شئت من نسائك ، وتمسك منهن من شئت فلا تطلق .

فعن ابن عباس أيضاً ، قوله : ترجى من تشاء منهن أمهات المؤمنين وتؤوى إليك من تشاء ، يعنى نساء النبى ﷺ . ويعنى بالإرجاء ، يقول : من شئت خليت سبيله منهن ، ويعني بالإيواء : من اجتبيت أمسك .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : تترك نكاح من شئت ، وتنكح من شئت من نساء أمتك .

قال قتادة ، عن الحسن : وكان النبى ﷺ إذا خطب امرأة لم يكن لرجل أن يخطبها حتى يتزوجها أو يتركها . قال الطبرى : وقيل : إن ذلك إنما جعله الله تعالى لنبيه ، حين غار بعضهن على النبى ﷺ ، وطلبت بعضهن من النفقة زيادة على الذى كان يعطيها ، فأمره الله تعالى أن يخيرهن بين الدنيا والآخرة ، ويخلى سبيل من اختارت الحياة الدنيا وزينتها ، ويمسك من [اختارت] الله ورسوله ، فلما اخترن الله ورسوله ، قيل لهن : أقررن الآن على الرضا بالله وبرسوله ، قسم لكنّ رسول الله ﷺ أو لم يقسم ، أو قسم لبعضكن ، ولم يقسم لبعضكن ، وفضل بعضكن على بعضكن فى النفقة ، أو لم يفضل ، سوى بينكن أو لم يسو ، فإن الأمر فى ذلك إلى رسول الله ﷺ ليس لكن فى ذلك شىء .

وكان رسول الله ﷺ فيما ذكر ، مع ما جعل الله تعالى له من ذلك ، يسوى بينهن فى القسم ، إلا امرأة منهن أراد طلاقها ، فرضيت بترك القسم لها .

قال : وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل : فذكر عن منصـور ، عن أبى رزين ، قال : لما أراد النبى ﷺ أن يطلق أزواجه ، قلن له : افرض لنا من نفسك ومالك ما شئت ، فأمره الله تعالى ، فأوى أربعاً وأرجا خمساً .

وذكر حديث هشام بن عروة عن عائشة رضى الله تبارك وتعـالى عنهـا أنها قالت : أما تستحى المرأة أن تهب نفسها للرجل ، حتى أنـزل اللـه تعـالى : ﴿ **ترجى من تشاء منهن وتؤوى إليك من تشاء** ﴾[1]، فقالت : إن ربـك ليسـارع فى هواك .

وذكر من طريق ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله تعالى : ﴿ **ترجى من تشاء منهن وتؤوى إليك من تشاء** ﴾[2] قـال : كـان أزواجـه تغـايرن علـى النبى ﷺ ، فهجرهن شهراً ، ثم نزل التخيير مـن اللـه تعـالى فيهـن : ﴿ **يـا أيهـا النبـى قـل لأزواجـك إن كنتـن تـردن الحيـاه الدنيـا وزينتهـا فتعـالين أمتعكـن وأسرحكن سراحاً جميلاً * وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخره فأن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيما * يا نساء النبى من يأت منكن فاحشة مبينـة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا * ومن يقنت منكن للـه ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقاً كريما * يا نسـاء النبى لستن كأحدٍ من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولاً معروفا * وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولـى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنمـا يريـد اللـه ليذهـب عنكـم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا** ﴾[3] .

فخيرهن أن يخلـى سـبيلهن ويسـرحهن ، وبيـن إن يقمـن أن أردن اللــه ورسوله ، على أنهن أمهات المؤمنين ، لا ينكحن أبداً ، وعلى أنه يؤوى إليه من يشاء منهن ممن وهبت نفسها له ، حتى يكون هو يرفع رأسه إليها ، ويرجى مـن يشاء ، حتى يكون هو يرفع رأسه إليها ، ومن ابتغى ممن هى عنده وعزل ، فلا

---

(١) الأحزاب : ٥١ .

(٢) الأحزاب : ٥١ .

(٣) الأحزاب : ٢٨ - ٣٣ .

جناح عليه ، ذلك أدنى أن تقر أعينهن ، ولا يحزن ، ويرضين ، إذا علمن أنه من قضائى عليهن إيثار بعضهن على بعض ، ذلك أدنى أن يرضين .

قال : ومن ابتغيت ممن عزلت من ابتغى أصابه ، ومن عزله لم يصبه فخيرهن بين أن يرضين بهذا أو يفارقهن ، فاخترن الله ورسوله ، إلا امرأة واحدة بدويه ذهبت ، وكان على ذلك ﷺ ، وقد شرط الله هذا الشرط ، ما زال يعدل بينهن حتى لقى الله تعالى .

واختار الطبرى أن الله تعالى جعل لنبيه ﷺ أن يرجىء من النساء اللاتى أحللن له من يشاء ، ويؤوى منهن من يشاء ، وأن الإرجاء والإيواء غير مقصور على من هن فى نسائه يوم نزلت هذه الآيه دون غيرهن ممن يستحدث إيواءها ، وأرجاءها منهن .

وأن معنى الكلام : تؤخر من يشاء ممن وهبت نفسها لك ، واحلت لك نكاحها ، فلا تقبلها ، ولا تنكحها ، وممن هى فى حيالك ، فلا تقربها ، وتضم إليك من تشاء ممن وهبت نفسها لك ، أو أردت من النساء اللاتى أحللن لك نكاحهن ، فتقبلها أو تنكحها ، وهى ممن فى حيالك ، فتجامعها إذا شئت ، وتتركها إذا شئت بغير قسم .

وقال ابن القشيرى فى (تفسيره) : إن القسم كان واجباً ثم نسخ بهذه الآية ، وتفسير الماوردى فى الآية قولين :

أحدهما : عن مجاهد ، أن معناها : تعزل ما شئت من أزواجك ، فلا تأتيها ، وتأتى من شئت .

والثانى : تؤخر من شئت من أزواجك ، وتضم إليك من تشاء منهن ، وهو قول قتادة ، ونقله البخارى عن بن عباس . قال : الماوردى : واختلفوا ؛ هل أرجأ رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية من نسائه أحداً أم لا ؟ فالذى عليه

الأكثرون : أنه ﷺ لم يرجىء ، وأنه ﷺ مات عن تسع ، وكان يقسم لثمان منهن، لأن سودة وهبت يومها لعائشة رضى الله تبارك وتعالى عنهما .(١)

السابعة : فى وجوب نفقات زوجاته ﷺ

فيه الوجهان السابقان فى المهر والأصح الوجوب كما ذكره النووى فى (الروضه)(٢) وعبارة الرافعى وجهان بناء على الخلاف فى المهر . قال : فى

---

(١) قال الإمام النووى فى (الروضة) فى كتاب النكاح ، باب فى خصائص رسول الله ﷺ فى النكاح وغيره : وأما فى النكاح ، فأوجب الله سبحانه وتعالى على نبيه ﷺ تخيير نسائه بين مفارقته واختياره .

وحكى الحناطى وجهاً أن هذا تخيير كان مستحباً ، والصحيح الأول . ولما خيرهن ، اخترنه والدار الآخره ، فحرم الله تعالى عليه التزويج عليهن والتبدل بهن مكافأة لهن على حسن صنيعهن ، فقال تعالى : ﴿ **لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج** ﴾ ثم نسخ ذلك لتكون المنة لرسول الله ﷺ لترك التزويج عليهن ، بقوله تعالى : ﴿ **إنا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن** ..... ﴾ الآية . وهل حرم عليه ﷺ طلاقهن بعدما اختارهن ؟ فيه أوجه . **أصحها** : لا ، **والثانى** : نعم . **والثالث** : يحرم عقب اختيارهن ، ولا يحرم إذا انفصل ولو فرض أن واحدة منهن أختارت الدنيا ، فهل كان يحصل الفراق بنفس الاختيار ؟ وجهان . **أصحهما** : لا . وهل كان جوابهن مشروطاً بالفور ؟ وجهان . **أصحهما** : لا . فإن قلنا بالفور ، فهل كان يمتد بإمتداد المجلس ، أم المعتبر ما يعد جواباً فى العرف ؟ وجهان . وهل كان قولها: اخترت نفسى ، صريحاً فى الفراق ؟ فيه وجهان .

(٢) قال الإمام النووى : القسم الثانى : المتعلق بالنكاح ، فمنه الزيادة على أربع نسوة ، والأصح أنه لم يكن منحصراً فى تسع ، وقطع بعضهم بهذا ، وينحصر طلاقه فى ثلاث ، وينعقد نكاحه ﷺ بلفظ الهبة على الأصح فيهما وإذا انعقد بلفظ الهبة ، لم يجب مهر بالعقد ولا بالدخول ، ويشترط لفظ النكاح من جهته ﷺ على الأصح ، قال الأصحاب : وينعقد نكاحه ﷺ بمعنى الهبة ، حتى لا يجب المهر ابتداء ولا انتهاء ، وفى (المجرد) للحناطى وغيره وجه غريب : أنه يجب المهر . (روضة الطالبين) : ٣٥٣/٥ .

(المهمات) : وهذا البناء يشعر بترجيح عدم الوجوب وأنه الراجح في المهر واعترض على من بنى هذا على هذا بأن الخلاف في إيجاب المهر إنما هو في الواهبة ، والمذهب أنه لا يجب كما تقدم .

وأما غير الواهبة فقد صدقهن كما وقع في القرآن الكريم قال تعالى : ﴿**يا أيها النبى إنا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن**﴾ يعنى اللاتى تزوجهن بصداق وقال مجاهد : ﴿ **أتيت أجورهن** ﴾ قال : صدقاتهن . وقال ابن زيد : كان كل أمرأة أتاها مهراً فقد أحلها الله له ومما يدل على توهين الوجه الصائر إلى عدم الوجوب قوله ﷺ : ما تركت بعد نفقة نسائى ومؤنه عاملى فهو صدقه . فإذا كان يجب أن ينفق مما ترك بعد وفاته فكيف فى حياته ؟ .

الثامنه : كان له ﷺ تزويج المرأة ممن شاء بغير إذنها وإذن وليها وتزويجها من نفسه وتولى الطرفين بغير إذن وليها إذا جعله الله تعالى أولى بالمؤمنين من أنفسهم

قال الحناطى : ويحتمل أن يقال : كان لا يجوز إلا بإذنها ويؤيد قول الحناطى أنه ﷺ استأذن جويرية وطلب رضاها بنكاحه وأجيب عنه بأنه فعل ذلك تطيبياً لقلبها كقوله : والبكر تستأمر ، ووقع فى مطلب ابن الرفعة إن الرافعى حكى عن الحناطى أنه قال : يحتمل أن يقال : كان لا يجوز إلا بإذن وليها قال : ولم أر لذلك ذكراً فى (الروضة) بل ذكر الخلاف المذكور فى توليه الطرفين وإنما فيها حكايته فى إذنها كما حكاه الرافعى فتنبه لذلك .

التاسعة : أن المرأة تحل له ﷺ بتزويج الله تعالى

قال تعالى : ﴿ **فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها** ﴾[1] يقول تعالى : فلما قضى زيد بن حارثة من زينب حاجته وهى الوطر ؛ زوجناك زينب بعد ما طلقها زيد وبانت منه . وقيل : معنى زوجناكها أحللنا لك نكاحها ، وكانت زينب تفخر على صواحباتها بذلك تقول : زوجكن أهاليكن وزوجنى الله . من فوق سبع سموات .

كما خرجه البخارى من حديث أنس وقال محمد بن عبدالله بن جحش تفاخرت عائشه وزينب رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، فقالت زينب : أنا الذى نزل تزويجى وقال جرير عن مغيره عن الشعبى كانت زينب تقول للنبى ﷺ إنى لأدل عليك بثلاث ، ما من نسائك امرأه تدل بهنّ : أن جدى وجدك واحد، وأنى أنكحنيك الله من السماء ، وأن السفير لجبريل .

---

(١) الأحزاب : ٣٧ .

ومنع ذلك بعض أصحابنا وقال إنه ﷺ أنشأ عقداً على زينب ، ومعنى زوجنا كها أبحنالك نكاحها . وعد القضاعى هذه الخصيصة مما خص بها النبى ﷺ دون الأنبياء من قبله .

العاشرة : كان يحل له ﷺ نكاح المعتدّة

على وجه حكاه البغوى والرافعي ، ولفظ البغوى وقيل كانت تحل له نكاح المعتدة ، وذكر فى (التعليقة) ماليس فى (التهذيب) فقال : واذا رغب فى ذات زوج فإنه يحرم على زوجها إمساكها وتحل له بتزويج الله على الأصح وكذا كانت تحل له بلا عدة على معنى أنه لا يجب عليها أيضاً العدة .

وقال أبو خلف عوض بن أحمد الروياني فى كتاب (المعتبر فى تقليل المختصر) للجوينى بعد قول أبى محمد : وإذا رغب فى نكاح امرأه منكوحه كان على زوجها طلاقها ثم كان له أن ينكحها من غير عدة ، قال : وقوله : من غير عدة لم يوجد إلا فى هذا الكتاب أو ما بنى عليه ، وقال النووى فى (الروضه) : القطع بالمنع[1] .

قال ابن الصلاح : وقال الغزالى : فى (الخلاصة) : وهو غلط منكر ، وددت محوه منه وتبع فيه صاحب (مختصر الجوينى) ومنشؤه من تصحيف كلام أتى به المزنى رحمه الله .

---

(١) قال الإمام النووى فى (الروضة) : وكان له ﷺ تزويج المرأة ممن شاء بغير إذنها ، لا إذن وليها . قال الحناطى : ويحتمل أنه إنما كان يحل بإذنها ، وكان يحل له نكاح المعتدة على أحد الوجهين .

قلت : هذا الوجه حكاه البغوى ، وهو غلط ، لم يذكره جمهور الأصحاب ، وغلطوا من ذكره . بل الصواب القطع بامتناع نكاح المعتدة من غيره . والله تعالى أعلم . (روضة الطالبين) : ٣٥٤/٥ ، كتاب النكاح . باب فى خصائص رسول الله ﷺ فى النكاح وغيره .

الحادية عشرة : هل كان يحل له ﷺ الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها ؟

فيه وجهان فى الرافعى عن ابن القطان بناء على أن المخاطب هل يدخل فى الخطاب ؟ .

خرج البخارى[1] ومسلم[2] من حديث مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لا تجمع بين المرأة وعمتها ، ولا بين المرأة وخالتها ، وله طرق عندهما ، فالمعنى

---

(١) (فتح البارى) : ١٩٩/٩ ، كتاب النكاح ، باب (٢٨) لا تنكح المرأة على عمتها ، حديث رقم (٥١٠٩) .

(٢) (مسلم بشرح النووى) : ٢٠١/٩ ، كتاب النكاح ، باب (٤) تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها فى النكاح ، حديث رقم (٣٣) . قال الإمام النووى فى رواية : لا تنكح العمة على بنت الأخ ، ولا بنت الأخت على الخال .

هذا دليل لمذاهب العلماء كافة ، أنه يحرم الجمع بين المرأة وعمتها وبينها وبين خالتها ، سواء كانت عمة وخالة حقيقية ، وهى أخت الأب وأخت الأم ، أو مجازية ، وهى أخت أبى الأب ، وأبى الجد ، وإن علا ، أو أخت أم الأم ، وأم الجدة من جهة الأم والأب وإن علت . فكلهن بإجماع العلماء يحرم الجمع بينهما ، وقالت طائفة من الخوارج والشيعة : يجوز .

وقال العلماء كافة : هو حرام كالنكاح لعموم قوله تعالى : ﴿ **وأن تجمعوا بين الأختين** ﴾ وقولهم : إنما هو مختص بالنكاح لا يقبل ، بل جميع المذكورات فى الآية محرمات بالنكاح وبملك اليمين جميعاً ، ومما يدل عليه قوله تعالى : ﴿ **والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم** ﴾ فإن معناه إن ملك اليمين يحل وطؤها بملك اليمين ، لا نكاحها . فإن عقد النكاح عليها لا يجوز لسيدها ، والله تعالى أعلم . (مسلم بشرح النووى) مختصراً .

ثم قال فى (الروضة) : وهل كان يحل له ﷺ الجمع بين امرأة وعمتها أو خالتها ؟ وجهان بناءً على أن المخاطب هل يدخل فى الخطاب ؟ ولم يكن يحل الجمع بينها وبين أختها ، وأمها ، وبنتها على المذهب . حكى الحناطى فيه وجهين . (روضة الطالبين) : ٣٥٥/٥ ، كتاب النكاح ، باب فى خصائص رسول الله ﷺ فى النكاح وغيره .

لا ينكح أحد ، وهذا من الكلام فى الخصائص بالاجتهاد دونه باطل ، ولم يقع ذلك من النبى ﷺ ولم يذكره ابن القاص ولا القفال ولا غيرهما ، وإنما نسبه الرافعى إلى خط بعض الناس فقال : رأيت بخط بعض المصنفين عن أبى الحسن القطان فى أنه هل كان يجوز له الجمع بين المرأة وخالتها وعمتها إلى آخره .

الثانية عشرة : هل كان يحل له ﷺ الجمع بين الأختين ؟

فالقرآن والأحاديث الصحيحة صريحة بتحريم ذلك ، قال تعالى : ﴿ وأن تجمعوا بين الأختين ﴾ وهذا الخطاب يدخل فيه نبيه ﷺ .

وخرج البخارى[1] ومسلم[2] والنسائى[3] من حديث شعيب عن الزهرى قال : أخبرنى عروة بن الزبير أن زينب ابنة أبى سلمة أخبرته أن أم حبيبة

---

(١) (فتح البارى) : ٩/١٩٨ - ١٩٩ ، كتاب النكاح ، باب (٢٧) وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف ، حديث رقم (٥١٠٧) ، قال الحافظ فى (الفتح) : والجمع بين الأختين فى التزويج حرام بالإجماع ، سواء كانت شقيقتين ، أم من أب ، أم من أم ، وسواء النسب والرضاع ، واختلف فيما إذا كانتا بملك اليمين ، فأجازه بعض السلف ، وهو رواية عن أحمد والجمهور ، وفقهاء الأمصار على المنع ، ونظيره الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها ، وحكاه الثورى عن الشيعة .

(٢) (مسلم بشرح النووى) : ١٠/٢٧٨ ، كتاب الرضاع ، باب (٤) تحريم الربيبة وأخت المرأة ، حديث رقم (١٥) . قال الإمام النووى : معناه أنها حرام عليه بسببين : كونها ربيبة ، وكونها بنت أخى ، فلو فقد أحد السببين حرمت بالآخر .

والربيبة ابنة الزوجة مشتقة من الرب ، وهو الإصلاح ، لأنه يقوم بأمورها ، ويصلح أحوالها . ووقع فى بعض كتب الفقه أنها مشتقة من التربية ، وهذا غلط فاحش ، فإن من شرط الإشتقاق الاتفاق فى الحروف الأصلية ولام الكلمة ، وهو الحرف الأخير مختلف ، فإن آخر رب باء موحدة ، وفى آخر ربى ياء مثناه من تحت ، والله تعالى أعلم . =

قالت: يا رسول الله أنكح أختى بنت أبى سفيان ، قال : وتحبين ؟ قلت : نعم لست لك بمخلية . وأحب من شاركنى فى خير أختى ، فقال النبى ﷺ إن ذلك لا يحل لى . قلت : يا رسول الله . فوالله إنا لنتحدث أنك تريد أن تنكح درة بنت أبى سلمة . قال : بنت أم سلمة ؟ فقلت : نعم ، قال : فوالله لولم تكن فى حجرى حلت لى ، إنها لأبنة أخى من الرضاعة ، أرضعتنى وأباسلمة ثويبة . فلا تعرضن علىّ بناتكن ولا أخواتكن .

وما ذكر الخباطى مغاير للقرآن وصحيح الحديث ، هو خلاف الواقع أيضاً .

- (٣) (سنن النسائى) : ٦/٤٠٤ ، كتاب النكاح ، باب (٤٦) تحريم الجمع بين الأختين ، حديث رقم (٣٢٨٧) .

الثالثة عشرة : أنه ﷺ أعتق صفية وتزوج بها بأن جعل عتقها صداقها

خرج البخارى[1] فى باب من جعل عتق الأمه صداقها من طريق حماد عن ثابت وشعيب بن الحبحاب عن أنس رضى الله تبارك وتعالى عنه أن رسول الله ﷺ أعتق صفية وجعل عتقها صداقها .

وخرج فى باب الوليمة ولو بشاة من طريق مسدد عن عبدالوارث عن شعيب عن أنس أن رسول الله ﷺ أعتق صفية وتزوجها وجعل عتقها صداقها وأولم عليها بحيس[2] .

وخرجه فى غزوة خيبر من حديث شعبة عن عبد العزيز بن صهيب قال: سمعت أنس بن مالك يقول سبى النبى ﷺ صفية فأعتقها فتزوجها فقال ثابت لأنس : ما أصدقها ؟ قال أصدقها نفسها فأعتقها[3] .

وخرجه مسلم[4] من طريق حماد بن زيد عن ثابت ومن طريق أبى عوانه عن أبى عثمان عن أنس ومن طريق معاذ بن هشام قال حدثنى أبى عن

---

(١) (فتح البارى) : ٩/١٦٠ ، كتاب النكاح ، باب (١٤) ، من جعل عتق الأمه صداقها ، حديث رقم (٥٠٨٦) ، قال الحافظ فى (الفتح) : وقد أخذ بظاهره من القدماء سعيد بن المسيب ، وإبراهيم ، وطاووس ، والزهرى ، ومن فقهاء الأمصار الثورى ، وأبو يوسف ، وأحمد ، وإسحاق ، قالوا : إذا أعتق أمته على أن يجعل عتقها صداقها ، صح العقد ، والعتق ، والمهر على ظاهر الحديث . وأجاب الباقون على ظاهر الحديث بأجوبة ، أقربها إلى لفظ الحديث أنه أعتقها بشرط أن يتزوجها ، فوجبت له عليها قيمتها وكانت معلومة ، فتزوجها بها .

(٢) (المرجع السابق) : باب (٦٩) الوليمة ولو بشاة ، حديث رقم (٥١٦٩) .

(٣) (المرجع السابق) : ٧/٥٩٦ ، كتاب المغازى ، باب (٣٩) غزوة خيبر ، حديث رقم (٤١٩٥).

(٤) (مسلم بشرح النووى) : ٩/٢٣٣ ، كتاب النكاح ، باب (١٤) فضيلة إعتاقه أمته ثم يتزوجها ، حديث رقم (٨٥) . =

شعيب بن الحبحاب عن أنس ومن طريق سفيان ومن طريق معاذ بن هشام قال حدثني أبى عن شعيب بن الحبحاب عن أنس كلهم عن النبى ﷺ أنه أعتق صفية وجعل عتقها صداقها وفى حديث معاذ عن أبيه تزوج صفية وأصدقها عتقها .

وأخرجه الترمذى[1] من حديث أبى عوانة وقال : حديث حسن صحيح والعمل على هذا عند بعض أهل العلم من أصحاب النبى ﷺ وغيرهم ، وهو قول الشافعي وأحمد وإسحاق ، وكره بعض أهل العلم أن يجعل عتقها صداقها حتى يجعل لها مهراً سوى العتق قال : والقول الأول أصح .

= قال الإمام النووى : أنه يستحب أن يعتق الأمه ويتزوجها كما قال فى الحديث الذى بعده له أجران وقوله : أصدقها نفسها اختلف فى معناه فالصحيح الذى اختاره المحققون أنه أعتقها تبرعاً بلا عوض ولا شرط ثم تزوجها برضاها بلا صداق وهذا من خصائصه ﷺ أنه يجوز نكاحه بلا مهر لا فى الحال ولا فيما بعد بخلاف غيره وقال بعض أصحابنا معناه أنه شرط عليها أن يعتقها ويتزوجها فقبلت فلزمها الوفاء به وقال بعض أصحابنا أعتقها وتزوجها على قيمتها وكانت مجهولة ولا يجوز هذا ولا الذى قبله لغيره ﷺ بل هما من الخصائص كما قال اصحاب القول الأول واختلف العلماء فيمن اعتق أمته على أن تتزوج به ويكون عتقها صداقها فقال الجمهور : لا يلزمها أن تتزوج به ولا يصح هذا الشرط وممن قاله مالك والشافعي وابو حنيفة ومحمد بن الحسن وزفر وقال الشافعي : فإن أعتقها على هذا الشرط فقبلت عتقت ولا يلزمها أن تتزوجه بل له عليها قيمتها لأنه لم يرضى بعتقها مجاناً فإن رضيت وتزوجها على مهر يتفقان عليه فله عليها القيمة ولها عليه المهر المسمى من قليل أو كثير وأن تزوجها على قيمتها فإن كانت القيمة معلومة له ولها صح الصداق ولا تبقى له عليها قيمة ولا لها عليه صداق وإن كانت مجهولة ففيه وجهان لأصحابنا أحدهما يصح الصداق كما لو كانت معلومة بأن هذا العقد فيه ضرب من المسامحة والتخفيف وأصحهما وبه قال جمهور أصحابنا لا يصح الصداق بل يصح النكاح ويجب لها مهر المثل وقال سعيد بن المسيب والحسن والنخعي والزهرى والثورى والأوزاعى وأبو يوسف وأحمد وإسحاق : يجوز أن يعتقها على أن تتزوج به ويكون عتقها صداقها ويلزمها ذلك ويصح الصداق على ظاهر لفظ هذا الحديث وتأوله الآخرون بما سبق .

(١) (سنن الترمذى) : ٣/٤٢٣ - ٤٢٤ ، كتاب النكاح ، با ، (٢٣) ما جاء فى الرجل يعتق الأمة ثم يتزوجها ، حديث رقم (١١١٥) .

وذكر البخارى فى أول كتاب النكاح فى باب اتخاذ السرارى ومن أعتق جاريته ثم تزوجها ، حديث أيما رجل كانت عنده وليدة فعلمها فأحسن تعليمها ، وأدبها فأحسن تأديبها ، ثم أعتقها وتزوجها فله أجران . الحديث ، ثم قال : وقال أبو بكر عن أبى حصين عن أبى بردة عن أبيه عن النبى ﷺ أعتقها ثم أصدقها هكذا ذكره البخارى تعليقاً .

وقد وصله البيهقى من هذا الطريق بلفظ : واذا أعتق الرجل أمته ثم تزوجها بمهر جديد كان له أجران .

وذلك يدل على تحديد العقد بصداق غير عتق الأمة من روايه يحيى بن عبد الحميد الحمانى ، وهو ضعيف جداً عن ابى بكر بن عياش ، وهو حديث مشهور من رواية الثقات وليس فيه بمهر جديد أصلاً ، اختلف اصحابنا فى معنى أعتقها وجعل عتقها صداقها ، فقيل : أعتقها بشرط أن ينكحها فلزمها الوفاء بخلاف غيره ، وهذا يقتضى إنشاء عقد بعد ذلك ، وهذا وجه ضعيف لأنه لم ينقل فى رواية من الروايات فقيل : جعل نفس العتق صداقها وجازله ذلك بخلاف غيره .

وهذا أورده الماوردى وهو الموافق لغالب الأحاديث ، واختاره الغزالى ويشكل على هذا ما حكاه أبو عيسى الترمذى عن الشافعى أنه جوز ذلك لآحاد الناس ، وهو وجه مشهور ، وقيل أعتقها بلا عوض وتزوجها بلا مهر لافى الحال ولافيما بعد وهذا يقتضى أن يكون بلا مهر ، وسبقه إليه ابن الصلاح قال فى (مشكله) : أنه أصح وأقرب إلى الحديث وحكى عن أبى إسحق . قال فى (مشكله) وقطع به البهيقى فقال : أعتقها مطلقاً .

قال ابن الصلاح : فيكون معنى قوله : وجعل عتقها صداقها أنه لم يجعل لها شيئاً غير العتق فحل كل الصداق وإن لم يكن صداقا وهو من قبيل قولهم الجوع زاد من لا زاد له وقيل أعتقها على شرط أن يتزوجها فوجب له عليها قيمتها فتزوجها به وهى مجهولة وليس لغيره أن يتزوج بصداق مجهول، حكاه الغزالى فى (وسيطه) ، ولنا وجه فى صحته : إصداق قيمة الأمة المعتقة المجهولة إذا أعتقها عليه بالنسبة إلينا وهو يرد على قول الغزالى فى (وسيطه) ففيه خاصيه بالاتفاق إلا أن يكون القائل بالصحة فى حق غيره ﷺ غير القائل

بالإتفاق هنا . وقيل : بل أمهرها ﷺ جارية كما رواه البيهقى بإسناد غريب ولا يصح .

الرابعة عشرة : كان من خصائصه ﷺ الخلوة بالاجنبية

فإنه ﷺ معصوم ، ويملك إربه عن زوجته ، فكيف عن غيرها ، ممن هو المنزه عنه ؟ فإنه المبرأ عن كل فعل قبيح ، وقول رفث .

خرج البخارى[1] ومسلم[2] من حديث مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة . عن أنس بن مالك رضى الله تبارك وتعالى عنه ، أنه سمعه يقول :

---

(١) (فتح البارى) : ١٢/٦ ، كتاب الجهاد والسير ، باب (٣) الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء ، وقال : اللهم ارزقنى شهادة فى بلد رسولك ، حديث رقم (٢٧٨٢) ، (٢٧٨٩) ، وأخرجه فى باب (٨) فضل من يصرع فى سبيل الله فمات فهو منهم ، وقول الله عز وجل : **﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله﴾** [النساء : ١٠٠] ، حديث رقم (٢٧٩٩) ، (٢٨٠٠) ، وفى باب (٦٣) غزو المرأة فى البحر ، حديث رقم (٢٨٧٧) ، (٢٨٧٨) ، وذكره فى باب (٧٥) ركوب البحر ، حديث رقم (٢٨٩٤) ، (٢٨٩٥) ، (المرجع السابق) : ٨٣/١١ ، كتاب الاستئذان ، باب (٤١) من زار قوما فقال عندهم ، حديث رقم (٦٢٨٢) ، (٦٢٨٣) قوله : (وكانت تحت عباده بن الصامت) هذا ظاهره انها كانت حينئذ زوج عباده والسبج : قال الأصمعى : ثبج كل شئ وسطه ، قال أبو على فى (اماليه) : قيل ظهره ، وقيل معظمه ، وقيل هو له وإن ثبتت قصة أم عبد الله بنت ملحان ، فالقول فيها القول فى أم حرام انصاف إلى العلة المنكورة كون أنس خادم النبى ﷺ وقد جرت العادة بمخالطة المخدوم وخادمة وأهل خادمه ورفع الحشمة التى تقع بين الأجانب عنهم ، ثم قال الدمياطى : على أنه ليس فى الحديث ما يدل على الخلوة بأم حرام ، ولعل ذلك كان مع ولد أم خادم أو زوج أو تابع . قلت : وهو احتمال قوى ، ولكنه لا يرفع الإشكال من أصله لبقاء الملامسة فى تفلية الرأس ، وكذا النوم فى الحجر وأحسن الأجوبة دعوى الخصوصية ولا يردها كونها لا تثبت إلا بدليل ، لأن الدليل على ذلك واضح . والله أعلم .

كان رسول الله ﷺ إذا ذهب إلى قباء يدخل علي أم حرام بنت ملحان[1] فتطعمه - وكانت تحت عبادة بن الصامت - فدخل يوماً فاطعمته ، فنام رسول الله ﷺ ،

= (٢) (مسلم بشرح النووى) : ٦١/١٣ ، كتاب الإمارة ، باب (٤٩) فضل الغزو فى البحر ، حديث رقم (١٦٠) ، قال الإمام النووى : وفيه معجزات للنبى ﷺ منها إخباره ببقاء أمته بعده وأنه تكون لهم شوكة وقوة وعدد وأنهم يغزون وأنهم يركبون البحر وأن أم حرام تعيش إلى ذلك الزمان وأنها تكون معهم وقد وجد بحمد الله تعالى كل ذلك وفيه فضيلة لتلك الجيوش وأنهم غزاة فى سبيل الله واختلف العلماء متى جرت الغزوة التى توفيت فيها أم حرام فى البحر وقد ذكر فى هذه الرواية فى مسلم أنها ركبت البحر فى زمان معاوية فصرعت عن دابتها فهلكت قال القاضى : قال أكثر أهل السير والأخبار : أن ذلك كان فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله تبارك وتعالى عنه وأن فيها ركبت أم حرام وزوجها إلى قبرس فصرعت عن دابتها هناك فتوفيت ودفنت هناك وعلى هذا يكون قوله فى زمان معاوية معناه فى زمان غزوه فى البحر لا فى أيام خلافته . وفى هذا الحديث جواز ركوب البحر للرجال والنساء وكذا قاله الجمهور ، وكره مالك ركوبه للنساء لأنه لا يمكن غالباً التستر فيه ولا غض البصر عن المتصرفين فيه ولا يؤمن انكشاف عوراتهن فى تصرفهن لا سيما فيهما صغر من السفيان مع ضرورتهن إلى قضاء الحاجة بحضرة الرجال ، قال القاضى رحمه الله تعالى عن عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز رضى الله تبارك وتعالى عنهما منع ركوبه وقيل إنما منعه العمران للتجارة وطلب الدنيا لا للطاعات . وقد روى عن ابن عمر ، عن النبى ﷺ النهى عن ركوب البحر إلا لحاج أو معتمر أو غاز . وضعف أبو داود هذا الحديث وقال رواته مجهولون واستدل بعض العلماء بهذا الحديث على أن القتال فى سبيل الله تعالى والموت فيه سواء فى الأجر لأن أم حرام ماتت ولم تقتل ولا دلاله فيه لذلك لأنه ﷺ لم يقل أنهم شهداء إنما يغزون فى سبسيل الله ولكن قد ذكر مسلم فى الحديث الذى بعد هذا بقليل حديث زهير بن حرب من رواية أبى هريرة من قتل فى سبيل الله فهو شهيد ومن مات فى سبيل الله فهو شهيد وهو موافق لمعنى قول الله تعالى : **﴿ ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ﴾** .

(١) هى أم حرام بنت ملحان ، خاله أنس بن مالك . =

ثم استيقظ يضحك ، قالت : فقلت : ما يضحكك يا رسول الله ؟ فقال : ناس من أمتى عرضوا على غزاة فى سبيل الله ، يركبون ثبج هذا البحر ملوكا على الأسرة - أو مثل الملوك على الأسرة . فقلت : ادع الله أن يجعلنى منهم ، قال :

= تقدم نسبها مع أخيها حرام بن ملحان فى الحاء المهملة من الرجال ، ويقال إنها الرميصاء ، بالراء أو بالغين المعجمة ، كذا أخرجه أبو نعيم ؛ ولا يصح ، بل الصحيح أن ذلك وصف أم سليم . ثبت ذلك فى حديثين لأنس وجابر عند النسائى .

وقال أبو عمر فى أم حرام : لا أقف لها على اسم صحيح ، وثبت ذلك فى صحيح البخارى وغيره من طريق الموطأ لمالك عن إسحاق بن أبى طلحة ، عن أنس - أن النبى ﷺ كان إذا ذهب إلى قباء دخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه ، فدخل عليها فأطعمته وجلست تفلى رأسه فنام ثم استيقظ وهو يضحك ... الحديث فى شهداء البحر ، وفى آخره ؛ قال : فركبت أم حرام البحر فى زمن معاوية فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فماتت .

وفى بعض طرقه فى البخارى ، عن أنس ، عن أم حرام بنت ملحان ، وكانت خالته - أن رسول الله ﷺ قال فى بيتها ثم استيقظ وهو يضحك ؛ وقال : عرض على أناس من أمتى يركبون ظهر البحر الأخضر كالملوك على الأسرة . قالت : فقلت : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلنى منهم ، ثم نام فاستيقظ وهو يضحك ؛ فقال : يا رسول الله ، ما يضحكك ؟ فقال : عرض علىّ ناس من أمتى يركبون ظهر البحر الأخضر كالملوك على الأسرة . قلت: يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلنى منهم . قال : أنت من الأولين . قال : فتزوجها عبادة بن الصامت ، فأخرجها معه ؛ فلما جاز البحر قال ابن الأثير : وكانت تلك الغزوة غزوة قبرس ، فدفنت فيها ، وكان أمير ذلك الجيش معاوية بن أبى سفيان فى خلافة عثمان ومعه أبو ذر وأبو الدرداء وغيرهما من الصحابة، وذلك فى سنة سبع وعشرين . قال أبو عمر : كان معاوية غزا تلك الغزوة بنفسه ومعه امرأته فاختة بنت قرظة ، من بنى نوفل بن عبد مناف .

قلت هى كنود بنت قرظة ، فلعل فاختة كانت تلقب كنود وهى أختها . تزوج معاوية واحدة بعد أخرى ، وجزم بذلك بعض أهل الأخبار ؛ قال : وصالحهم معاوية تلك السنة ورجع .

وروى عن أم حرام أيضا زوجها عبادة بن الصمت ، وعمير بن الأسود وعطاء بن يسار ، ويعلى بن شداد بن أوس ترجمتها فى : (الإصابة) : ٨/١٨٩-١٩٠ ترجمة رقم (١١٩٦٧) ، (الاستيعاب) : ٤/١٩٣١

أنت من الأولين . فركبت البحر زمن معاوية ، فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر ، فهلكت .

ولمسلم[1] من حديث حماد بن زيد عن يحى بن سعيد ، عن محمد بن حبان ، عن أنس بن مالك ، عن أم حرام وهى خالة أنس قالت : أتانا النبى ﷺ يوما فقال : عندنا فاستيقظ وهو يضحك فقلت ما يضحكك يا رسول الله بأبى أنت وأمى ، قال : أريت قوماً من أمتى يركبون ظهر البحر كالملوك على الأسرة فقلت ادع الله أن يجعلنى منهم قال فإنك منهم . قالت : ثم نام فاستيقظ أيضا وهو يضحك فسألته فقال مثل مقالته . فقلت : ادع الله أن يجعلنى منهم . قال : أنت من الأولين : قال فتزوجها عبادة بن الصامت بعد فغزا فى البحر فحملها معه فلما أن جاءت قربت لها بغلة فركبتها فصرعتها فاندقت عنقها .

---

(١) (مسلم بشرح النووى) : ٦٣/١٣ ، كتاب الإمامة ، باب (٤٩) فضل الغزو فى البحر حديث رقم (١٦١) .

وأخرجه أبو داود فى (السنن) : ١٤/٣ ، كتاب الجهاد باب (١٠) فضل غزو البحر ، حديث رقم (٢٤٩٠) .

والترمذى فى (السنن) : ١٥٢/٤ ، كتاب فضائل الجهاد ، باب (١٥) ما جاء فى غزو البحر ، حديث رقم (١٦٤٥) .

والنسائى فى (السنن) : ٣٤٧/٦ - ٣٤٨ ، كتاب الجهاد ، باب (٤٠) فضل الجهاد فى البحر ، حديث رقم (٣١٧١) .

وابن ماجة فى (السنن) : ٩٢٧/٢ ، كتاب الجهاد ، باب (١٠) فضل غزو البحر ، حديث رقم (٢٧٧٦) .

والإمام مالك فى (الموطأ) : باب الترغيب فى الجهاد ، حديث رقم (١٠٠٢) .

والإمام أحمد فى (المسند) : ٥٠٣/٧ ، حديث رقم (٢٦٤٩٢) ، من حديث حذافة بنت وهب رضى الله تبارك وتعالى عنها .

والدارمى فى (السنن) :٢١٠/٢ ، باب فى فضل غزاة البحر .

ولمسلم[1] من حديث همام ، عن إسحاق بن عبد اللـه ، عـن أنـس قـال : كان النبى ﷺ لا يدخل على أحـد مـن النسـاء إلا علـى أزواجـه ، وإلا أم سليم ، فإنه كان يدخل عليها ، فقيل له فى ذلك ، فقال : إنى أرحمها ، قتل أخوها معى.

وقال ابن عبد البر : وأم حرام هذه خالة أنس بـن مـالك ، أخـت أم سـليم بنـت ملحـان ، أم أنـس . قـال : وأظنهـا أرضعـت رسـول اللـه ﷺ ، إذ أم سـليم جعلت أم حرام خالة له من الرضاعة ، فلذلك كانت تفلى رأسه ، وينـام عندهـا ، وكذلك كان ينام عند أم سليم ، وتنـال منـه مـا يجـوز لـذى المحـرم أن ينالـه مـن محارمه .

ولا يشك مسلم أن أم حرام كـانت مـن رسـول اللـه ﷺ المحـرم ، فلذلـك كان منها ما ذكر منها بما ذكرنا فى هذا الحديث .

وقد أخبرنا غير واحد من شيوخنا ، عن أبى محمد عبد اللـه بـن محمـد ابن على ، أن محمد بن [يونس] أخبره ، عن يحى بن إبراهيم بن مزين قـال : إنما استجاز رسول الله ﷺ أن تفلى أم حرام رأسه ، لأنها كانت منه ذات محـرم من قبل خالته لآل أم عبد المطلب من هاشم ، كانت من بنى النجار .

وقال يونس بن علد الأعلى : قال لنا ابن وهب : أم حرام إحدى خـالات النبى ﷺ من الرضاعة ، فلهـذا كـان يقيل عندهـا ، وينـام فـى حجرهـا وتفلـى رأسه .

قال أبو عمر بن عبد البر : أى ذلك كان ، فأم حرام محرم مـن رسـول الله ﷺ .

قال مؤلفه ويؤيده ما ذهب إليه ابو عمر أنه وقع فى صحيح البخارى من حديث هشام عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة ، حدثنـى أن رسـول اللـه ﷺ بعث خاله أخاً لأم سليم فى سبعين راكبا .... الحديث .

---

(١) (مسلم بشـرح النـووى) : ٢٤٣/١٦ ، كتـاب فضـائل الصحابـة ، بـاب (١٩) مــن فضـائل أم سليم، وأم أنس بن مالك ، وبلال ، رضى الله تبارك وتعالى عنهم ، حديث رقم (١٠٤) .

وهذا هو حرام بن ملحان ، واسم ملحان مالك بن خالد بن زيد بن حرام ابن جندب بن عامر بن غانم بن مالك بن النجار ، فانظر كيف قال فيه انس انه قال النبى ﷺ ؟ وانه أخ أم سليم وما هى إلا خؤولة الرضاعة فتأمله .

قال ابن عبد البر : والدليل على ذلك ، فذكر ما خرجه النسائى من حديث غشيم عن أبى الزبير ، عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ ألا لا يبيتن رجل عند امرأة إلا أن يكون ناكحاً أو ذا محرم .

وروى عمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه عن النبى ﷺ قال لا يخلون رجل بامرأة فإن الشيطان ثالثهما .

وروى ابن عباس رضى الله تبارك وتعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : لا يخلون رجلاً بامرأة إلا تكون منه ذات محرم .

روى عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تبارك وتعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : لا يدخلن رجلٌ على مغيبه إلا ومعه رجلاً أو رجلان .

ومن طليق النسائى حديث الليث عن صويب بن أبى حبيب ، عن أبى حيصر عن عقبة بن عامر رضى الله تبارك وتعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : أياكم والدخول على النساء ، فقال رجل من الأنصار : أرأيت الحمو ؟ قال : الحمو الموت .

قال ابن عبد البر : وهذه آثار ثابته للنهى عن ذلك ، ومحال أن يأتى رسول الله ﷺ ما ينهى عنه .

وقال النووى : فى باب فضل الغزو فى البحر من (شرح مسلم) : اتفق العلماء على أنها - يعنى أم حرام - كانت محرماً له ﷺ ، واختلفوا فى كيفية ذلك فقال ابن عبد البر وغيره : وكانت إحدى خالته ﷺ من الرضاعه ، وقال أخرون : بل كانت خالة لأبيه أو لجده لأن عبد المطلب كانت أمه من بنى النجار وقد اعترض على النووى بعض من أدركناه ، فقال : وما ذكره من الاتفاق على أنها كانت محرماً له فيه نظر ، ومن أحاط علماً بنسب النبى ﷺ ونسب أم حرام علم أنها لا محرمية بينهما .

قال من ذكرناه أن النبى ﷺ معصوم ، ويقال : كان من خصائصه الخلوة بالأجنبيه وقد ادعاه بعض شيوخنا .

قال مؤلفه رحمه الله : لم يـرد النـووى رحمـه اللـه بـأن أم حـرام كـانت محرماً لرسول الله ﷺ من جهة النسب ، فأنه من أعلـم النـاس بنسـبيهما ، وإنمـا أراد المحرمية الرضاعه التى حكاها ابن عبد البر وذهب إليها بلا شك .

وقال الحافظ أبو الفرج بن الجوزى : سمعت بعض الحفاظ يقول : كانت ام سليم اخت آمنه بنت وهب أم رسول الله ﷺ من الرضاعة وقال ابن العربى : ويحتمل ان تكون ذلك قبل الحجاب ، ورد بأنه كتن بعد حجة الوداع .

وقال الحافظ شرف الدين عبد المؤمـن الدميـاطى ذهـل مـن يزعـم ان أم حرام إحــدى خـالات النبـى ﷺ مـن الرضاعـه أو مـن النسـب ، لأن أمهاتـه مـن النسب واللاتى أرضعته معلومات ليس فيهن أحدٌ مــن الأنصـار البتـة ، سـوى أم عبد المطلب وهى سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن عباس بن عامر بن غنـم ابن النجار ، وأم حرام بنت ملحان بن مالك بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر ابن غنم بن عدى بن النجار ، فلا تجتمع أم حرام وهى سلمى إلا فى عـامر ابـن غنم ، جدهما الأعلى ، وهذه خؤوله لا تثبت بها محرميه ، لانها خؤولة مجازيه، وهى كقوله ﷺ لسعد بن أبى وقاص : هذا أخاً لى لكونه مـن بنـى زهـرة ، وهـم أقارب أمه وليس سعداً أخا لآمنه .

وإذا تقرر هذا فقد ثبت فى الصحيح انه ﷺ كان لا يدخل علـى أحد مـن النساء إلا على أزواجه ، إلا علـى أم سـليم فقيـل لـه ، فقـال : إلـى أرحمهـا قتـل أخوها معى يعنى حرام بن ملحان ، فكان قتل ببئر معونة ، قـال علـى أنـه ليـس فى الحديث ما يدل على الخلوة من أم حرام ولعل ذلك كان مـع ولـدٍ أو خـادم أو زوج أو تابع ، وهـذا احتمـال قـوى إلا أنـه لا يدفـع الإشـكال مـن أصلـه ، لبقـاء الملامسة فى تفلية الرأس ، وكذلك النوم فى الحجر .

وأحسن الأجوبة : دعـوى الخصوصيـة ، ولا يردهـا كونهـا لا تثبـت إلا بدليل ، لأن الدليل على ذلك واضح ، والحمد لله وحده .

الخامسة عشرة : هل تزوج رسول الله ﷺ بعائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها وهى بنت ست سنين أو سبع سنين كان من خصائصه ﷺ ؟ أو يجوز لأمته نكاح الصغيرة إذا زوجها أبوها ؟

قال ابن شبرمة فيما نقله عنه أبو محمد بن حزم : لا يجوز نكاح الاب ابنته صغيرة حتى تبلغ وتأذن ورأى أمر عائشة خصوصيةً للنبى ﷺ كالموهوبة، ونكاح أكثر من أربع ، ورد هذا بأن قول ابن شبرمة : بأن ادعاء الخصوصية يفتقر إلى دليل ، وقد عدم فى هذه المسأله .

وحكى ابن المنذر الإجماع على أن ذلك يجوز لكل أحد ، وقد خطب عمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه أم كلثوم إلى على رضى الله تبارك وتعالى عنه فقال : إنها تصغر عن ذلك ثم زوجه ، وقال الشافعى : زوج ابن الزبير ابنته صفية ، وزوج غير واحد من الصحابة .

النوع الرابع :ما اختص به ﷺ من الفضائل والكرامات وهو قسمان :

القسم الأول : المتعلق بالنكاح وفيه مسائل

المسألة الأولى : أزواجه ﷺ اللاتي توفى عنهن محرمات على غيره أبداً

قال الله تعالي : **﴿ وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيماً ﴾**(١).

يقول تعالى : وما ينبغي لكم أن تؤذوا رسول الله . وما يصح لكم ذلك وما ينبغي لكم أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً ، لأنهن أمهاتكم ، ولا يحل للرجل أن يتزوج أمه .

قال ابن وهب ، عن ابن زيد ، قال : ربما بلغ النبى ﷺ ، أن الرجل يقول : لو أن النبى توفى ، تزوجت فلانة من بعده ، قال : فكان ذلك يؤذى النبى ﷺ فنزل القرآن : **﴿ وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيماً ﴾** .

يقول : إن ذلكم رسول الله ، ونكاحكم أزواجه من بعده عند الله عظيم الإثم .

وروى إسماعيل بن إسحاق ، من طريق معمر ، عن قتادة ، أن رجلاً قال : لو قبض رسول الله ، تزوجت عائشة ! فأنزل الله تعالى : **﴿ وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ﴾** الآية . ونزلت : **﴿ وأزواجه أمهاتهم ﴾**(٢).

---

(١) الأحزاب : ٥٣ .

(٢) الأحزاب : ٦ .

ونقل أبو نصر عبد الرحيم القشيرى ، عن ابن عباس رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، قال : قال رجل من سادات قريش ، من العشرة الذين كانوا مع النبى ﷺ : على حرام نفسه لو توفى رسول الله ﷺ لتزوجت عائشة ، وهى بنت عمتى .

قال ابن عطيه : روى أنها نزلت بسبب بعض الصحابة ، قال : لو مات رسول الله ﷺ لتزوجت عائشة ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فنادى به هكذا كنى عنه ابن عباس رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، ببعض الصحابة .

وحكى مكى عن معمر أنه قال : هو طلحة بن عبيد الله ، وكذا حكى النحاس عن معمر . قال ابن عطية : وهذا عندى لا يصح عن طلحة .

وروى أن رجلاً من المنافقين قال حين تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة بعد أبى سلمة ، وحفصة بعد خنيس بن حذافة : مابال محمد يتزوج نساءنا ؟ والله لو مات لأحلنا السهام على نسائه ، فنزلت الآية فى هذا ، فحرم الله نكاح أزواجه من بعده ، وجعل لهن حكم الأمهات ، وهذا من خصائصه تمييزاً لشرفه، وتنبيها على علو مرتبته .

قال القاضى : وأزواجه ﷺ اللاتى مات عنهن ـ لا يحل لأحد نكاحهن ومن إستحل ذلك كافراً ، لقوله تعالى : ﴿ **وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً** ﴾ .

وقد قيل : إن الله تعالى إنما منع من التزويج بأزواج نبيه ، لأنهن أزواجه فى الجنة ، فإن المرأة فى الجنة لآخر أزواجها ، كما تقدم عن حذيفة .

وذكر القضاعى أن ذلك مما خص به ﷺ دون الأنبياء وأمته ، فإن المرأة فى الجنة لآخر أزواجها .

وقيل : إنما منع من نكاحهن ، لأنه ﷺ حى ، ولهذا حكى الماوردى وجهاً : أنهن لا تجب عليهن عدة الوفاة ، وفيمن فارقها فى الحياة كالمستعيذة ، والتى وجد بكشحها بياضاً ، ثلاثة أوجه :

أحدها : تحرمن أيضاً ، وهو المنصوص من الشافعى فى (أحكام القرآن) لشمول الآية ، والبعدية فى قوله تعالى : ﴿ **من بعده** ﴾ عند هذا القائل لا تختص بما بعد الموت ، بل هو أعم منه ، فيكون التقدير : من بعد نكاحه .

قال بعضهم : وحرمن لوجوب محبة رسول الله ﷺ ، فإن من العادة أن زوج المرأة يكره زوجها الأول ، قال فى (الروضة) : وهذا أرجح ، وقال ابن الصلاح : إنه أشبه بظاهر القرآن ، وهو ظاهر بنص الشافعى .

قال : وقيل : إن وجه التفضيل يعنى الثالث أصح ، وعبارة القضاعى تقتضى هذا الوجه أيضاً ، فإنه أطلق أن تساءه ﷺ حرمن على غيره ، وجعل ذلك من خصائه دون غيره من الأنبياء .

وثانيها : لا يحرمن لإعراض النبى ﷺ عنها ، وانقطاع الاعتناء بها ، لأن فى ذلك إضراراً بها ، والبعدية على هذا مخصوصة بما بعد الموت .

وثالثها : تحرم المدخول بها فقط ، وبه قال القاضى أبو حامد ، وذكر الشيخ أبو حامد أنه الصحيح ، وقال الرافعى فى (الشرح الصغير) : إنه الأظهر ، وصححه الماوردى ، والغزالى أيضاً ، وقال الإمام : إنه الأعدل ، وجزم به صاحب (الحاوى الصغير) ، ووليله ما روى داود عن علمر الشعبى به ، أن بنى الله ﷺ مات وقد ملك قتيلة ابنة الأشعث ، ولم يجامعها ، فتزوجها عكرمة بن أبى جهل بعد ذلك ، فشق على أبى بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه مشقة شديدة ، فقال له عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه : يا خليقة رسول الله ! إنها ليست من نسائه ، إنه لم يخبرها رسول الله ﷺ ، ولم يحجبها ، وقد برأه الله تعلاى منها بالردة التى ارتدتها مع قومها . قال : فاطمأن أبو بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه وسكن .

وخرج الحاكم فى (المستدرك)[1] ، عن أبى عبيدة ، ومعمر بن المثنى، أن رسول الله ﷺ تزوج حين قدم عليه وفد كندة ، قتيلة بنت قيس ، أخت الأشعث بن قيس ، فى سنة عشرة ، ثم اشتكى فى النصف من صفر ، ثم قبض يوم الأثنين ، ليومين مضيامن شهر ربيع الأول ، ولم تكن قدمت عليه ، ولا دخل بها ، ووقت بعضهم وقت تزويجه إياها ، فزعم أنه تزوجها قبل وفاته

---

(١) (المستدرك) : ٤/٤٠ ، كتاب معرفة الصحابة ، ذكر قتيلة بنت قيس أخت الأشعث بن قيس ، حديث رقم (٦٨١٧) ، قال الذهبى فى (التلخيص) : قتيلة أخت الأشعت بن قيس . قال أبو عبيدة : نزوجها بنى الله ﷺ ، ثم ذكر الحديث .

بشهر ، وزعم آخرون أنه تزوجها في مرضـه ، وزعم آخرون أنـه أوصـى أن تخير قتيلة ؛ فإن شاءت [أن يضرب عليها الحجـاب ، فتحـرم علـى المؤمنين ، ويجري عليهـا مـا يجـري علـى[1] أمهـات المؤنيـن ، وإن شـاءت أن تنكـح مـن شاءت] فاختارت النكاح ، وتزجها عكرمة بن أبي جهل بحضرموت ، فبلغ ذلـك أبا بكر رضي الله تبارك وتعالى عنه فقال : لقد هممت أن أرحـق عليهـا ، فقـال عمر بن الخطاب رضي الله تبارك وتعالى عنه : ما هي من أمهـات المؤمنين ، ولا دخل بها النبي ﷺ ، ولاضرب عليها الحجاب [وزعم بعضهم أنها أرتدت] ، فكف عنها .

وأورده أبو نعيم فـي كتـاب (معرفـة الصحابـة) ، مـن طريـق الشـعبي مرسلاً ، واستدل به الماوردي في (الحاوي) ، فأورده كذلك .

وذكر الإمام الغزالي ، والقاضي ، أن الأشعث بـن قيس نكـح المسـتعيذة في زمن عمر بن الخطاب رضي الله تبارك وتعالى عنه ، فهم عمر رضي اللـه تبارك وتعالى عنه برجمتها ، فأخبر أنها لم تكن مدخولاً بها ، فكف عنها .

وذكر الماوردي أيضاً وقال : فصار ذلك كالإجماع .

وقال القاضي أبو الطيب الطبري : أن الذي تزوج المستعيذة المهاجر بن أبي أميه ، ولم ينكر ذلك أحدٌ ، فدل ذلك على أنه إجماع .

وخرج الحاكم[2] أيضاً من طريق هشام بن محمد الكلبي ، قال : وحدثني أبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله تبـارك وتعـالى عنهمـا قـال خلـف على أسماء بنت النعمان المهاجر بن أبي أميه ، فـاراد عمـر رضـي اللـه تبـارك وتعالى عنه أن يعاقبها فقـالت : واللـه مـا ضـرب علـى الحجـاب ولا سـميت بـأم المؤمنين ، فكف عنها .

قال مؤلفه رحمه الله إنما هذه هي أسماء ابنة النعمان الجونية .

---

(١) ما بين الحاصرتين من (الأصل) ، وليس في (المستدرك) .

(٢) (المستدرك) : ٤/٤٠ ، آخـر الحديـث رقـم (٦٨١٦) ، وقـال عنـه حـافظ الذهبـي فـي (التلخيص) : سنده واهٍ ، ويروى عن زهير بن معاوية أنها ماتت كمداً .

ذكر هشام بن محمد أنها هى المستعيذة فى حديث ذكره ، وفى الأمة التى يفارقها ﷺ بالموت أو غيره بعد وطئها ، وجهان فى الرافعى وهما فى (التهذيب) .

أحدهما : لا تحل لغيره ، كالمنكوحه التى فارقها .

والثانى : لا تحرم ؛ لأن مارية غير معدودة فى أمهات المؤمنين والصواب أن محل الخلاف فيمن باعها ﷺ لامن مات عنها .

قال الماوردى : أن من مات عنها كمارية أم ولده إبراهيم عليه السلام ثم حرم نكاحها وإن لم تسم أماً للمؤمنين كالزوجات فنصفها بالرق وإن باعها فتحريمها على مشتريها وعلى سائر المسلمين وجهان كالمطلقة ، ولزم فى باب استبراء أم الولد بالتحريم وبالتعظيم من ذلك ثلاثة أوجه ثم الأوجه الثلاثة لغير المخيرات ، وأما المخيرات فمن اختارت منهم الدنيا ففى حلها من أزواجه طريقان :

قال العراقيون يطرد الأوجه ، وقطع أبو يعقوب الأبيوردى وآخرون بالحل لتحصل فائدة التخيير وهو التمكن من زينة الدنيا ، وهذا ما اختاره الإمام، والغزالى وفعل الإيقاف عليه ، ومن عهد ذلك فإن كانت لا تحل ، ففى وجوه نفقتها من خمس الخمس وجهان :

أحدهما : يجب كما تجب نفقة اللواتى مات عنهن لتحريمهن .

والثانى : لا تجب لانها غير واجبة فى حياته فالأولى أن لا تجب بعد موته ولأنها مقطوعة العصمة بالطلاق .

المسألة الثانية : أزواجه ﷺ أمهات المؤمنين

قال الله تعالى : ﴿ وأزواجه أمهاتهم ﴾ قال سعيد عن قتادة ليعظم بذلك حقهن ، وفى قراءة أبى بن كعب بمصحفه : النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم .

وقال ابن زيد : محرمات عليهم ، وقال الشافعى فى (المختصر) : أمهاتهم فى معنى دون معنى ، وذلك أنه لا يحل نكاحهن بحال ولم تحرم بناته لوكن له لأنه ﷺ زوج بناته وهن أخوات المؤمنين وذكر نحوه فى (الأم) .

وقال القرطبى فى (التفسير) : شرف الله تعالى أزواج نبيه ﷺ بأن جعلهن أمهات المؤمنين أى فى وجوب التعظيم والمبرة والإجلال وحرمة النكاح على الرجال وحجبهن رضى الله عنهن بخلاف الأمهات وقيل : لما كانت شفقتهن عليهم كشفقة الأمهات أنزلن منزلة الأمهات ، وقد عد القضاعى هذه مما اختص به دون الأنبياء ، وقد خولف فى ذلك . وأزواجه أمهات المؤمنين سواء من ماتت تحته أو مات عنها وهى تحته .

وأعلم ان الأمومة ثلاثة أقسام مختلفة الأحكام : وهى أمومة الأولاد ، ويثبت فيها جميع أحكام الأمومة ، وأمومة أزواج النبى ﷺ لا تثبت إلا تحريم النكاح ، وأمومة الرضاع وهى متوسطة بينهما . فإذا تقرر هذا فهنا أمور قد اختلف فيها ، وهى : هل يجوز النظر إليهن ؟ فيه وجهان أحدهما : هن محرم لا يحرم النظر إليهن لتحريم نكاحهن ، والثانى : إن النظر إليهن محرم لأن تحريم نكاحهن إنما كان حفظاً لحق الرسول ﷺ فيهن وكان من حفظ حقه تحريم النظر إليهن ، ولأن عائشة كانت إذا أرادت دخول رجل عليها أمرت أختها أم كلثوم أن ترضعه ليصير ابن أخيها من الرضاعة فيصير محرماً يستبيح النظر .

والمشهور المنع وبه جزم الرافعى ، والأدلة على تحريم النظر إليهن كثيرة شهيرة منها قصة عائشة فى أفلح أخى أبى القعيس جاء يستأذن عليها وهو عمها من الرضاعة بعد أن نزل الحجاب فأبت أن تأذن له فلما جاء رسول الله ﷺ أخبرته بالذى صنعت فأمرنى أن على أنزله ، لم يقل البخارى على وخرجاه من طرق .

ومنها أحاديث نـزول الحجـاب ، وسيأتى إن شـاء اللـه تعـالى ولا يثبت حكم الأمومة فى جواز الخلوة والمسافرة ، ولا فى النفقة والميراث ، وهـل يقـال بنـاتهن أخـوات المؤمنيـن ؟ نـص الشـافعى رحمـه اللـه فـى (المختصـر) علـى جوازه ، وحكى الرافعى وجهاً أن اسم الأخوه يطلق على بنـاتهن واسـم الخؤولـه يطلق على إخوتهن ، وأخواتهن ، لثبوت اسم الأمومة لهن وإن لم يوجب ذلـك تحريم النكاح كما أن المسلمات كلهن أخوات المسلمين فى الإسـلام ، ولا يوجب ذلك تحريم النكاح .

قال : وهذا ظاهر لفظ (المختصر) يشير إلى قوله : زوج بناته " وهـن أخوات المؤمنين " ، لكن أكثر الأصحاب كما قال المـاوردى : غلطـوه فيـه لأنـه قال الشافعى فى (أحكام القرآن) : وما زوج بناته وهن غير أخوات المؤمنين ، وقيـل : إن الكـاتب حـذف لفظـة غير ، وقيـل : مـا قالـه المـازنى فيـه صحيـح وتقديـره : قـد زوج بناتـه أى زوجهـن وهـن أخـوات المؤمنيـن وجـزم القـاضى يتخطئه المازنى ومنع آخرون من ذلك بدليل أنه لا يحرم على المؤمنين التزوج ببناتهن أو أخواتهن وقد زوج ﷺ بناته من المؤمنيـن ، فـزوج عثمـان ، وعليـاً ، ونكح الزبير أختاً لعائشه ، ونكح عبدالرحمن بن عوف حمنة أخت زينب ، وكـذا لا يقال أباؤهن وأمهاتهن أجداد وجدات المؤمنيـن بـل يقتصـر علـى مـا ورد مـن ثبوت حكم الأمومة لهن فى بعض الأحكام .

وهل يقال فى إخوانهن أخوال المؤمنين ؟ فيـه نـزاع فـى معاويـة أنطلـق عليه خال المؤمنيـن ؟ فحكـى القـاضى حسين الخـلاف فـى جـواز تسميته خـال المؤمنيـن ، وحكـى الرافعـى وجهـاً أن اسـم الخؤولـه ينطلـق علـى إخوانهـن وأخواتهن .

وذكر البيهقى من طريق شبابة ، قـال حدثنـى خارجـة بـن مصعـب بـن الكلبى عن أبى صالح ، عن ابن عبـاس فـى هـذه الآيـة ﴿ **عسـى اللـه أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة** ﴾ قال : كانت المودة التى جعـل اللـه بينهم

تزوج النبى ﷺ أم حبيبة بنت أبى سفيان ، فصارت أم المؤمنين وصار معاوية خال المؤمنين[1] .

قال البيهقى : كذا فى رواية الكلبى وذهب علماؤنا إلى أن هذا الحكم لا يتعدى أزواج النبى ﷺ فهن أمهات المؤمنين فى التحريم ولا يتعدى هذا التحريم إلى إخوتهن ، ولا إلى إخوانهن ، ولا إلى بناتهن ، ومنع قوم من جواز تسمية معاوية خال المؤمنين بأن هذا أمر متبدع لم يطلقه عليه إلا الغلاه فى موالاته حتى إنهم زعموا أنه دعى بذلك فى عهد النبى ﷺ وبالغوا فى الإفك حتى نسبوه إلى انه من قول الرسول ﷺ وليس لذلك أصل ، ولا عرف إطلاق ذلك فى عصر الصحابة ، والتابعين ، فقد قتل محمد بن أبى بكر ولم يشنع أعداء معاوية إذ ذاك بأنه قتل خال المؤمنين ، وثار عبد الله بن الزبير بمكة على سويد بن معاوية ولم [يكثرث] بأنه ابن خالة المؤمنين ، ولا دعاه به أحد من الصحابة ، ولم يدع عبد الله بن عمر بخال المؤمنين ، ولا قيل قط لعبد الرحمن بن أبى بكر خال المؤمنين ، ولا يمترى عامه أهل العلم فى أن منزلة عائشة وحفصة رضى الله تبارك وتعالى عنهما من رسول الله ﷺ كانت أعظم من منزلة أم حبيبة بنت أبى سفيان رضى الله تبارك وتعالى عنه ومع ذلك فلم يدع أحد من إخوتها بخال المؤمنين ، فكيف يطلق على معاوية بن أبى سفيان رضى الله تبارك وتعالى عنه خال المؤمنين ؟ ومنزلته ومنزلة أبيه من رسول الله ﷺ دون منزلة عبد الله بن عمر ومكانة عبد الله من العلم والورع والسابقة مكانة ، وهذه عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها تقول وقد قالت لها امرأة يا أمه : لست لك بأم ، إنما أنا أم رجالكم فعلمتنا بذلك معنى الأمومة تحريم نكاحهن وكذا لم ينقل أن

---

(١) قال القسطلانى : ولا يقال بناتهن أخوات المؤمنين . ولا آباؤهن وأمهاتهن أجداد وجدات ولا إخوانهن ولا أخواتهن أخوال و خالات . قال البغوى : كن أمهات المؤمنين دون النساء ، وروى ذلك عن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها . ولفظها كما فى البيضاوى : لسنا أمهات النساء ، وهو جار على الصحيح عند أصحابنا وغيرهم من أهل الأصول : أن النساء لا يدخلن فى خطاب الرجال . (المواهب اللدنية) : ٢/٧٣ - ٧٤ ، فصل فى ذكر أزواجه وسراريه المطهرات .

أحداً قال لأسماء بنت أبى بكر رضى الله تبارك وتعالى عنهما خالة المؤمنين ، فقد قال الواحدى فى تفسير قوله تعالى : ﴿ **وأزواجه أمهاتهم** ﴾ أى فى حرمة تكاحهن وهذه الأمومة تعود إلى حرمة نكاحن لا غير ، ألا ترى أنه لا يحل رؤيتهن ، ولا يريد المؤمنين ، ولا يردنهن ، وليست كالأمهات فى النفقة ، والميراث ، وفى (النكت) للماوردى : يعنى من مات عنها رسول الله ﷺ أزواجه هن كالأمهات فى شيئين .

أحدهما : تعظيم حقهن .

والثانى : تحريم نكاحهن ، ولسنا كالأمهات فى النفقة والميراث وهل كن أمهات المؤمنين من الرجال دون النساء ؟ صححوا المنع ، وهو قول عائشة.

وخرج البيهقى من طريق أبى عوانة ، عن فراس ، عن الشعبى ، عن مسروق عن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها ان امرأة قالت لها يا أمه فقالت : لست لك بأم إنما أنا أم لرجالكم وهذا جار على الصحيح عند أصحابنا وغيرهم ، وهذا تفريغ أن الجمع المذكر السالم هل يدخل فيه النساء[1] وهى مسأله منفردة فى الأصوال .

لكن وقع فى (الرسالة) للإمام الشافعى فى ترجمة ما نزل من القرآن عام الظاهر قوله تعالى : ﴿ **كتب عليكم الصيام** ﴾[2] وقوله : ﴿ **إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً** ﴾[3] فإنه قال رحمه الله فى آخر الكلام وهكذا التنزيل فى الصوم والصلاة على البالغين العاقلين خص من لم يبلغ ومن بلغ ، ولم يعقل ، وخص الحيض فى أيام حيضتهن فهذا يقتضى أنهن دخلن ، وإلا لم يخرج من لم ينحصر وجب الاختصاص أن فائدة أمومتهن فى حق الرجال منقوله فى حق النساء .

---

(١) خوطبت امرأة نوح وامرأة لوط بقوله تعالى : ﴿ **وقيل ادخلا النار مع الداخلين** ﴾ ، و﴿**الداخلين**﴾ جمع مذكر سالم [التحريم : ١٠] وخوطبت مريم ابنت عمران عليها السلام بقوله تعالى : ﴿ **وكانت من القانتين** ﴾ و ﴿ **القانتين** ﴾ جمع مذكر سلم . [التحريم : ١٢] .

(٢) البقرة : ١٨٣ .

(٣) النساء : ١٠٣ .

وحكى الماوردى فى (تفسيره) خلافاً فى كونهن أمهات المؤمنات وحكاه القرطبى أيضاً فى (التفسير) : فقد قال ابن العربى : وهو الصحيح يعنى أنهن أمهات الرجال ، فقط ثم قال القرطبى لا فائدة لاختصاص الحصر فى الإباحة للرجال دون النساء والذى يظهر لى أنهن أمهات الرجال والنساء تعظيماً لحقهن على الرجال والنساء يدل عليه صدر الآية : ﴿ **النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم** ﴾ وهذا يشمل الرجال والنساء ضرورة فيكون قوله : ﴿ **أزواجه أمهاتهم** ﴾ عائد على الجميع ثم إن فى مصحف أبى بن كعب : " وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم " .

وقرأ ابن عباس : " النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب وأزواجه أمهاتهم وهذا كله يوهن مارواه الشعبى عن مسروق ، عن عائشة إن صح من جهة الترجيح ، وإن لم يصح فسقط من جهة الاستدال به فى التخصيص وتعييننا على الأصل الذى هو العموم الذى يسبق إلى المفهوم والله تبارك وتعالى أعلم .

وقد اختلف أيضاً : هل يقال هو ﷺ أبو الرجال جميعاً ؟ قال الفريابى ، عن سفيان ، عن طلحة ، عن عطاء ، عن ابن عباس : أنه كان يقرأ هذه الآية النبى أولى بالمؤمنين وهو أب لهم وأزواجه أمهاتهم .

قال البغوى : وكان النبى ﷺ أبا الرجال والنساء جميعاً ، وقال الواحدى: قال بعض أصحابنا لا يجوز أن يقال : هو أبو المؤمنين لقوله تعالى : ﴿ **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم** ﴾ (١) وقال : ونص الشافعى على أنه يجوز أن يقال أبو المؤمنين أى فى الحرمه ، ومعنى الآية ليس أحد من رجالكم ولد صلبه لذا ذكره النووى فى (الروضة)(٢) .

وفى القطعة التى شرحها من البخارى ، وقال : (فى المطلب) وفيه نظر لأن ذلك جمعه قوم ، غير أن المعقول والشرع لا يرد بمثله إلا أن يراد به التنبيه على أنه تحريم .

---

(١) الأحزاب : ٤٠ .

(٢) (روضة الطالبين) : ٣٥٦/٥ ، كتاب النكاح .

المسأله الثالثه : تفضيل زوجاته ﷺ (١)

هذا قال القاضى حسين فى تعليقه أفضل نساء العالمين أزواجه .
ولفظ البغوى خير نساء هذه الأمة وغيرها ، وهذا خلاف فى مواضع .

أحدها : المفاضلة بينهن وبين مريم ابنة عمران .

والثاني : المفاضلة بين خديجة وعائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها.

والثالث : المافضلة بين فاطمة وأمها خديجة عليها السلام .

والرابع : المفاضلة بين فاطمة وعائشة .

أما مريم فخرج البخارى(٢) فى المناقب من حديث عبدة عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : سمعت عبد الله بن جعفر قال : سمعت علياً يقول :

---

(١) فى (الأصل) بعد العنوان مباشرة سطر كامل مطموس معظمه ، وما بعده يغنى عنه إن شاء الله تعالى ، حيث مضمونه رأى ابن سيده فى ذلك .

(٢) (فتح البارى) : ٧/١٦٦ ، كتاب مناقب الأنصار ، باب (٢٠) تزويج النبى ﷺ خديجة وفضلها رضى الله تبارك وتعالى عنها ، حديث رقم (٣٨١٥) .

قوله : (خديجة) : هى أول من تزوجها ﷺ ، وهى بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى ابن قصى ، تجتمع مع النبى ﷺ فى قصى ، وهى من أقرب نسائه إليه فى النسب ؛ ولم يتزوج من ذرية قصى غيرها إلا أم حبيبة ، وتزوجها سنة خمس وعشرين من مولده فى قول الجمهور، زوجه إياها أبوها خويلد ، ذكره البيهقى من حديث الزهرى بإسناده عن عمار بن ياسر ، وقيل : عمها عمرو بن أسد ذكره الكلبى ، وقيل : أخوها عمرو بن خويلد ذكره ابن إسحق ، وكانت قبله عند أبى هالة بن النباش بن زرارة التميمى حليف بنى عبد الدار ، واختلف فى اسم هالة فقيل مالك قاله الزبير ، وقيل : زرارة حكاه ابن منده ، وقيل : هند جزم به العسكرى ، وقيل : اسمه النباش جزم به أبو عبيد ، وكانت خديجة قبله عند عتيق بن عائذ المخزومى . وكان النبى ﷺ قبل أن يتزوج خديجة قد سافر فى مالها إلى الشام ، فرأى منه ميسرة غلامها ما رغبها فى تزويجه ، قال الزبير : وكانت تدعى فى الجاهلية الطاهرة ، وماتت على الصحيح بعد المبعث بعشر سنين فى شهر رمضان ، وقيل : بثمان ، وقيل : بسبع ، فأقامت معه ﷺ خمساً وعشرين سنة على الصحيح ، وقال ابن عبد البر : أربعاً وعشرين سنة وأربعة أشهر ، وذلك بعد =

سمعت رسول الله ﷺ يقول خير نسائها مريم ابنة عمران ، وخير نسائها خديجة وذكره في كتاب الأنبياء أيضاً[1] .

= مبعث لي الصواب بعشر سنين لا جرم كانت أفضل نسائه على الراجح . وروى الفاكهي في (كتاب مكة) عن أنس : أن النبي ﷺ كان عند أبي طالب ، فاستأذنه أن يتوجه إلى خديجة فأذن له ، وبعث بعده جارية له يقال لها نبعة فقال لها : انظري ما تقول له خديجة ؟ قالت نبعة : فرأيت عجباً ، وما هو إلا سمعت به خديجة فخرجت إلى الباب فأخذت بيدها فضمتها إلى صدرها ونحرها ثم قالت : بأبي وأمي ، والله ما أفعل هذا لشئ ، ولكني أرجو أن تكون أنت النبي الذي ستبعث ، فإن تكن هو فاعرف حقي ومنزلتي وادع الإله الذي يبعثك لي . قالت لها : والله لئن كنت أنا هو قد اصطنعت عندي مالا أضيعه أبداً ، وإن يكن غيري فإن الإله الذي تصنيعن هذا لأجله لا يضيعك أبداً .

(١) (المرجع السابق) : ٥٨٢/٦ ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب (٤٥) ﴿ وإذا قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين * يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين * ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وماكنت لديهم إذيلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون ﴾ .[آل عمران : ٤٢ - ٤٤] ، يقال (يكفل) : بضم . كفلها : ضمها ، مخففة ، ليس من كفالة الديون وشبيها ، حديث رقم (٣٤٣٢) .

قوله : (خير نسائها مريم) : أي نساء أهل الدنيا في زمانها وليس المراد أن مريم خير نسائها لأنه يصير كقولهم زيد أفضل إخوانه ، وقد صرحوا بمنعه ، فهو كما لو قيل فلان أفضل الدنيا . وقد رواه النسائي من حديث ابن عباس بلفظ " أفضل نساء أهل الجنة " فعلى هذا فالمعنى خير نساء أهل الجنة مريم ، وفي رواية " خير نساء العالمين " وهو كقوله تعالى : ﴿ واصطفاك على نساء العالمين ﴾ وظاهره أن مريم أفضل من جميع النساء وهذا لا يمنع عند من يقول إنها نبيه.

وأما من قال ليست بنبية فيحمله على عالمي زمانها ، وبالأول جوم الزجاج وجماعة واختاره القرطبي ، ويحتمل أيضاً أن يراد نساء بني إسرئيل أو نساء تلك الأمة أو فيه مضمرة والمعنى أنها من جملة النساء الفاضلات ، ويدفع ذلك حديث أبي موسى المتقدم بصبغة الحصر أنه يكمل من النساء غيرها وغير آسية . =

وخرجه مسلم[1] فى المناقب من حديث أبى أسامة وابن نمير ووكيع وأبى معاوية وعبد بن سليمان كلهم عن هشام بن عروة ، عن أبية قال : سمعت عبد الله بن جعفر يقول سمعت علياً رضى الله تبارك وتعالى عنه بالكوفة يقول:

- قوله : (وخير نسائها خديجة) أى نساء هذه الأمة قال القاضى أبو بكر بن العربى : خديجة أفضل نساء الأمة مطلقاً لهذا الحديث ، وقد تقدم فى آخر قصة موسى أبى موسى فى ذكر مريم وآسية وهو يقتضى فضلهما على غيرهما من النساء ، ودل هذا الحديث على أن مريم أفضل من آسية وأن خديجة أفضل نساء هذه الأمة حيث قال : ولم يكمل من النساء ، أى من نساء الأمم الماضية ، إلا إن حملنا الكمال على النبوة فيكون على إطلاقه . وعند النسائى بإسناد صحيح عن ابن عباس " أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة ومريم وآسية " وعند الترمذى بإسناد صحيح عن أنس " حسبك من نساء العالمين " فذكرهن . وللحاكم من حديث حذيفة " إن رسول الله ﷺ أتاه ملك فبشره أن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة " .

(١) (مسلم بشرح النووى) : ١٥/٢٠٧ - ٢٠٨ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب (١٢) فضائل خديجة أم المؤمنين رضى الله تبارك وتعالى عنها ، حديث رقم (٦٩) ، قال الإمام النووى : قوله ﷺ : (خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد وأشار وكيع إلى السماء والأرض) أراد وكيع بهذه الإشارة تفسير الضمير فى نسائها وأن المراد به جميع نساء الأرض أى كل من بين السماء والأرض من النساء والأظهر أن معناه أن كل واحدة منهما خير نساء الأرض فى عصرها وأما التفضيل بينهما فمسكوت عنه قال : القاضى ويحتمل أن المراد أنهما من خير نساء الأرض والصحيح الأول .

قوله ﷺ (كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون) يقال كمل بفتح الميم وضمها وكسرها ثلاث لغات مشهورات الكسر ضعيف قال القاضى : هذا الحديث يستدل به من يقول بنبوة النساء ونبوة آسية ومريم والجمهور على أنهما ليستا نبيتين بل هما صديقتان ووليتان من أولياء الله تعالى ولفظة الكمال تطلق على تمام الشيىء وتناهيه فى بابه والمراد هنا التناهى فى جميع الفضائل وخصال البر والتقوى قال . القاضى فإن قلنا هما نبيتان فلا شك أن غيرهما لا يلحق بهما وإن قلنا وليتان لم يمتنع أن يشاركهما من هذه الأمة غيرهما . هذا كلام القاضى ، وهذا الذى نقله من القول بنبوتهما غريب ضعيف وقد نقل جماعة الإجماع على عدمها والله أعلم .

سمعت رسول الله ﷺ يقول خير نسائها مريم ابنه عمران ، وخير نسائها خديجة بنت خويلد ، قال أبو كريب وأشار وكيع إلى السماء والأرض .

وخرج الحاكم[1] من طريق علياء بن أحمر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس رضى الله تبارك وتعالى عنه قال رسول الله ﷺ أفضل نساء العالمين خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ومريم ابنة عمران ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون . قال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذا اللفظ .

وخرج البخارى[2] فى المناقب ، وفى كتاب الأنبياء ، وفى الأطعمة ، من حديث شعبة ، عن عمرو بن مرة الجملى بسنده عن أبى موسى الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ : كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا اثنين : امرأة فرعون ، ومريم ابنة عمران وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام ، وفى بعض طرقه : كفضل عائشة بغير" إن " .

وخرجه مسلم فى المناقب وقد اختلف فى نبوة مريم فإن قلنا بنبوتها فتعين تفضيلها على أمهات المؤمنين وإن قلنا : إنها لم تكن نبية فقد ثبت مما تقدم تفضيلها على من عاداها الأمر ذكر فلم يبق إلا المفاضلة بينها وبين خديجة.

قال القاضى عياض فى قوله : خير نسائها مريم خير نسائها خديجة وأشار وكيع إلى السماء والأرض كأنه تفسير ضمير الهاء فى نسائها أنه يريد الدنيا والأرض وذكره لهم يحتمل أن يريد أن كل واحدة خير نساء الأرض فى وقتها أو أنهما من خير نسائهم أفضلهن وإن كانت المزايا تعد بينهما وبين غيرهما ممن هو خير النساء متفاضلة .

---

(١) (المستدرك) : ٢/٦٥٠ ، كتاب تاريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين ، حديث رقم (٤١٦٠)، وقال عنه الحافظ الذهبى فى (التلخيص) : صحيح .

(٢) (فتح البارى) : ٩/٦٨٧ - ٦٨٨ ، كتاب الأطعمة ، باب (٢٥) الثريد ، حديث رقم (٥٤١٨)، وأخرجه فى كتاب (أحاديث الأنبياء) : باب (٤٦) قوله تعالى : ﴿ وإذا قالت الملائكة يا مريم ﴾ إلى قوله : ﴿ فإنما يقول له كن فيكون ﴾ [آل عمران : ٤٥ - ٤٨] ، حديث رقم (٣٤٣٣) .

وقوله : وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام لسرعة إسخانة والاستلذاذ به وإشباعه وتقديمة على غيره من الأطعمة التى تقوم مقامه وليس هذا نص بتفضيلها على من ذكر من مريم وآسية ويحتمل مساويها أو مثلها قال مؤلفه رحمه الله : قد ثبت لمريم من الفضل ما لم يثبت لغيرها من النساء قال تعالى : ﴿ **وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاكِ** ﴾ أى اختارك وطهرك أى من الكفر أو من سائر الأنجاس ، وأصطفاكِ على العالمين وقال عليه السلام ولم يكمل من النساء إلا مريم وخديجة ، وكان الكمال هنا هو النبوة ويؤيده أن الله أوحى إليها بواسطة الملك كما أوحى إليها كسائر الأنبياء وكلمها روح القدس وطهرها ونفخ فى درعها وسماها الله الصديقة . وممن قال بنبوتها ابن وهب واختاره أبو إسحاق الزجاج وأبو بكر بن اللباء فقيه المغرب وأبو محمد بن أبى زيد وأبو المحاسن الفاسى .

وأما المفاضلة بين خديجة وعائشة
رضى الله تبارك وتعالى عنهما

ففيها ثلاثة أقوال ثالثها الوقف قال القاضى والمتولى : إن خديجة أفضل من عائشة واستدل أبو بكر بن داود لما سئل عن ذلك بأن عائشة أقرأها رسول الله ﷺ السلام من جبريل ، وخديجة أقرأها جبريل السلام على لسان محمد ﷺ فهى أفضل ، قال فريق : بل عائشة أفضل لدوام صحبتها للنبى ﷺ بعد النبوة وطول مدتها إلى موته لقوله ﷺ : أريتك فى المنام ثلاث ليال جائنى ملك الموت فى سرقة حرير فيقول هذه امرأتك فاكشف عن وجهها فإذا أنت هى فأقول أن ذلك من عند الله أمضه .

وخرجه فى الصحيحين ووجه الدلالة منه قوله هذه امرأتك لأنها كانت حب رسول الله ﷺ وقال : فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وسأله عمرو بن العاص أى الناس أحب إليك قال عائشة : إلى غير ذلك من فضائل كثيرة وأجيب بأنه ليس كسائر فضائل عائشة ما يبلغ قوله بخير نسائها خديجة وقوله أفضل نساء العالمين خديجة فإنه صريح فى بابه فتأمله من

انصرف علم أن لكل منهما فضائل تخصهم فخديجة كان تأثيرها فى أول الإسلام وكانت تسلى رسول الله ﷺ وتثبته وتسكنه فأدركت غرة الإسلام واحتملت الأذى فى الله ورسوله وكانت نصرتها للرسول فى أعظم أوقات الحاجة فلها من النصرة والبذل ما ليس لغيرها ، وعائشة تأثيرها فى أخر الإسلام فلها من الفقه فى الدين وتبليغه للأمة وانتفاع بنيها بما أدت إليهم من العلم ما ليس لغيرها .

فمن خصائص خديجة

أن الله تعالى بعث السلام إليها مع جبريل فبلغها رسول الله ﷺ ذلك وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب وكانت أول من آمن بالله ورسوله من هذه الأمة وأولاده كلهم منها ماعدا إبراهيم وهذه فضائل لم تكن لامرأة سواها .

ومن خصائص عائشة

إنها كانت أحب أزواج رسول الله ﷺ ولم يتزوج بكراً غيرها وكان ينزل الوحى فى بيتها دون غيرها ولما نزلت آية التخيير فخيرها فأختارت الله ورسوله ما سبقت به بقية الأزواج وبرأها الله مما رماها به أهل الأفك بعشر آيات تليت فى المحاريب إلى يوم القيامة ، وشهد لها بأنها من الطيبات ووعدها المغفرة والرزق الكريم وأخبر الله تعالى أن ما قيل فيها من الإفك كان خيراً لها ولم يكن الذى قيل فيها شراً لها ، ولا عاراً لها ، ولا خافضاً من شأنها ، بل رفعها بذلك فأعلى قدرها ، وعظم شأنها ، وأحيا لها ذكرها ، بالطيب والسراة من أهل الأرض والسماء .

وأما المفاضلة بين فاطمة وأمها خديجة

فلم [نجد] فيها نقلاً ، وما منهما إلا من له فضائل مشهورة ، وقوله صلى الله تبارك وتعالى عليه وعلى آله وسلم : " فاطمة بضعة منى " ، فلا شرف أعلى منه إلا شرف أبيها المصطفى ﷺ .

أما المفاضلة بين فاطمة وعائشة

قال القاضى عياض فى قوله ﷺ وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام : وليس فيه ما يشعر بتفضيلها على فاطمة إذ قد يكون تمثيل تفضيل فاطمة لو مثلها مما هو أرفع من هذا وبالجملة من هذا الحديث أن عائشة مفضلة على النساء تفضيلاً كثيراً وليس فيه عموم جميع النساء .

وقوله ﷺ فاطمة سيدة نساء أهل الجنة أعم وأظهر فى التفضيل .

وقال ابن دحية فى كتاب (مرج البحرين) : ذكر بعض الرواه أن عائشة أفضل من فاطمة واستدل على ذلك بأنها عند على فى الجنة وعائشة عند رسول الله ﷺ ، قال وهذا لا يوجب التفضيل ثم أطال الرد عليها إلى أن قال سئل العالم الكبير أبو بكر بن داود بن على من أفضل خديجة أم فاطمة ؟ فقالوا أن رسول الله ﷺ قال : أن فاطمة بضعة منى ولا أعدل ببضعة من رسول الله أحد .

قال السهيلى : وهذا استقراء حسن وشهد لصحة هذا الاستقراء أن أبا لبابة حين ارتبط نفسه وحلف ألا يحله إلا رسول الله ﷺ فجاءت فاطمة رضى الله تبارك وتعالى عنها تحله فأبى من أجل قسمة ، فقال رسول الله ﷺ : إنما فاطمة بضعة منى فحلته .

قال السهيلى : هذا حديث يدل على أن من سبها فقد كفر وأن من صلى عليها فقد صلى على أبيها رسول الله ﷺ .

الرابعة : أن شريعة محمد ﷺ مؤيدة وناسخة لسائر الشرائع

وقد مضى من ذلك ما فيه كفايه .

الخامسة : أن كتاب محمد ﷺ وهو القرآن معجز بخلاف سائر كتب الله التى أنزلها على رسله

وأنه محفوظ عن التحريف والتبديل وأنه حجة بعد رسول الله ﷺ وسائر معجزات الأنبياء انقرضت بانقراضهم ، وقد مر فى المعجزات جميع هذا فتأمله .

السادسة : أنه ﷺ نصر بالرعب مسيرة شهر

وسيأتى بطرقه ، فكان النبى ﷺ إذا هم بغزو قوم أرعبوا منه قبل أن يقدم عليهم بشهر ، ولم تكن هذه لأحد سواه وماروي فى صحيح مسلم فى قصة نزول عيسى عليه السلام إلى الأرض أن لا يدرك نفسه كافراً إلا مات ونفسه ينتهى حيث ينتهى بصره فإن كان ذلك صفه لم يزل له قبل أن يرفع فليست نظير هذا وإلا فهو بعد نزوله إلى محمد ﷺ بمعنى أنه يحكم بشرعه ولا يوحى إليه بخلافها وقد مضى هذا المعنى مجوداً .

السابعة : أن رسالته ﷺ عامة إلى الإنس والجن

وكان من عداه من الأنبياء انما يبعث إلى قومه خاصة وقد ذكر الله تعالى هذا المعنى فى كتابه العزيز فقال : ﴿ **وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم** ﴾ وقال : ﴿ **وإن من أمة إلا خلا فيها نذير** ﴾ فكان النبى ومن كان قبل محمد ﷺ لا يكلف من أداء الرسالة إلا أن يدعو قومه إلى الله عز وجل .

وأما محمد رسول الله ﷺ

فقال الله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً ﴾ وقال تعالى : ﴿ لأنذركم به ومن بلغ ﴾ وقال تعالى : ﴿ ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده ﴾ وقال :﴿ قل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد ﴾ وفى آيات كثيرة تدل على عموم رسالته ويؤيده قوله ﷺ فى حديث الشفاعة إنه أول نبى بعث إلى أهل الأرض إلى الثقلين فأمر الله تعالى أن ينذر جمع خلقه إنسهم ، وجنهم ، عربهم ، وعجمهم ، فقام صلوات الله وسلامه عليه بما أمر به ربه فى ذلك ، وبلغ رسالته ، وقد تقدم هذا كله فيما سلف .

الثامنة : جعلت له ﷺ ولأمته الأرض مسجداً وطهوراً

ومعنى ذلك فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد فى (مسنده) أن من كانوا قبلنا كانوا لا يصلون فى مساكنهم ، وإنما كانوا يصلون فى كنائسهم .

وقوله ﷺ وطهوراً يعنى به التيمم فإنه لم يكن فى أمة قبلنا وإنما شرع لرسول الله ﷺ ولأمته توسعاً ورحمة وتخفيفاً .

التاسعة : أحلت له ﷺ الغنائم

ولم تحل لأحد قبله وكان من قبله ﷺ إذا غنموا أشياء أخرجوا منه شيئاً، فوضعوه فى ناحية ، فتنزل نار من السماء ، فتحرقه ، وقد وقع ذلك فى الصحيح من رواية أبى هريرة فى حديث النبى ﷺ الذى غزا وحبس له الله الشمس ، قال ابن دقيق العيد : يحتمل أن يراد أنه ﷺ يتصرف فيها كيف يشاء ويقسمها كما أراد فى قوله تعالى : ﴿ يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول ﴾ .

ويحتمل أن يراد لم يحل شىء منها لغيره ﷺ وأمته ، وفى بعض الأحاديث ما يقر ظاهره بذلك ويحتمل أن يراد بالغنائم بعضها وفى بعض

الأحاديث وأحل لنا الخمس . أخرجه ابن حبان فى صحيحه وأجيب بأن الخمس خص به رسول الله ﷺ من الغنائم تشرفة لرسول الله ﷺ .

العاشرة : جعلت أمته ﷺ شهداء على الناس بتبليغ الرسل إليهم

قال الله تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ﴾ الآية ، وكما هديناكم فكذلك خصصناكم وفضلناكم بأن جعلناكم أمة عباداً عدولاً لتشهدوا للأنبياء على أمتهم وشهد لكم به رسول الله بالصدق ، ومستند بهم فى الشهادة وإن لم يروا ذلك عباداً الله تعالى لهم به لقوله : ﴿ كذبت قوم نوح المرسلين ﴾ وقوله : ﴿ كذبت عاد المرسلين ﴾ وقوله ﴿ كذبت ثمود المرسلين ﴾ وقوله : ﴿ فكذبوا رسلى ﴾ ونحوها من الآيات .

الحادية عشر : أصحابه ﷺ خير الأمة مقدماً

وقد سبق ذكر ذلك مفصلاً .

الثانية عشر : جمعت صفوف أمته ﷺ كصفوف الملائكة

فكل منهم أفضل من كل من بعده ، قال ﷺ لا تسبوا أصحابى فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ أحدهم ولا نصفه . خرجاه من حديث أبى سعيد الخدرى . وخرجه مسلم من حديث أبى هريرة .

الثالثة عشرة : الشفاعة

الأول : الشفاعة العظمي فى الفصل بين أهل الموقف حيث يقومون بعد الأنبياء وهو المقام المحمود ، الذى يغبط به الأولون والآخرون ، والمقام الذى يرغبون إليه الخلق كلهم ليشفع لهم إلى ربهم ليفصل بينهم ، وهذه خصوصية

ليست إلى الأمه من البشر كافه فيدخل الجنة فيشفع إلى الله تعالى في ذلك مما جاء في الإجازة الصحاح وهذه هي الشفاعة الأولى التي يختص بها دون غيره من الرسل ثم يكون له بعدها شفاعات من اتخاذ من شاء من أهل الكتاب من النار من أمته .

ولكن الرسل يشاركونه في هذه الشفاعة فيشفعون في عصاة أمتهم وكذلك الملائكة يشفعون بل المؤمنون كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة وأبي سعيد فيقول تعالى : شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين وذكر الحديث .

ثم له ﷺ بعد ذلك شفاعات آخرى منها شفاعة في جماعة يدخلون الجنة بغير حساب ومنها في ناس وقد استحقوا النار .

ومنها أربع شفاعات في أناس دخلوا النار فيخرجون منها ، ومنها شفاعة في رفع درجات بعض أهل الجنة ، وهذه الشفاعه اتفق عليها أهل السنة والمعتزله عليها في صحيح البخاري .

الرابعة عشرة : أنه أول شافع وأول مشفع ﷺ أى أول من تجاب شفاعته

خرج مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : أنا أول من ينشق عنه القبر ، وأنا أول شافع ، وأنا أول مشفع . وقد مضى بطرقه .

الخامسة عشرة : أنه ﷺ أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة

فإذا أفاق الناس يوم القيامة يكون أولهم إفاقة كما خرجاه في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه في قصة اليهودي الذي قال: لا والذي اصطفى موسى على العالمين ، فلطمه رجل من المسلمين ، وترافع

إلى رسول الله ﷺ فقال : لا تفضلونى على موسى فإن الناس يصعقون يوم القيامة ، وذكر الحديث .

السادسة عشرة : أنه ﷺ أول من يقرع باب الجنة

كما تقدم فى ذكر ذلك .

السابعة عشرة : اختصاصه ﷺ على إخوانه من الأنبياء عليهم السلام

بأنه أكملهم وسيدهم وخطيبهم وإمامهم وخاتمهم فما من نبى إلا وقد أخذ عليه الميثاق لإن بعث محمد وهو حى ليؤمن به ولينصره ، وأمر أن يأخذ على أمته الميثاق فلذلك قال الله تعالى : ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين** ﴾ .

فقوله تعالى : ﴿ **لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول** ﴾ مصدقاً بعد هذا كله فعليكم الإيمان به ونصرته وإذا كان هذا الميثاق شاملاً لكل منهم تضمن أخذه ﷺ من جميعهم هذه خصوصية ليست لأحد سواه وتقدم الكلام فى ذلك مجوداً .

الثامنه عشرة : أنه ﷺ أعطى جوامع الكلم

وقد تقدم فى ذلك قول الهروى يعنى بجوامع الكلم القرآن فى جمع الله فى الألفاظ اليسيرة المعانى الكثيرة ، وكلامه ﷺ كان قليل اللفظ كثير المعانى وقال ابن شهاب : جوامع الكلم أن الله يجمع له الأمور الكثيرة التى كانت تكتب فى الكتب قبله فى الأمر الواحد والأمر من نحو ذلك .

التاسعه عشر : أنهﷺ أكثر الأنبياء أتباعاً

وقد تقدم ذكر هذا .

العشرون : أنه ﷺ أعطى جوامع الكلم ومفاتيح الكلم

وقد تقدم ذكر ذلك أيضاً .

الحادية والعشرون : أنه ﷺ أعطى مفاتيح خزائن الأرض

كما خرجه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة وخرجه الأمام أحمد من حديث على رضى الله تبارك وتعالى عنه ولفظه أوتيت مقاليد الدنيا على فرس أبلق عليه قطيفة من سندس . وقد مضى هذا المعنى أيضاً .

الثانية والعشرون : أنه ﷺ أوتى الآيات الأربع من آخر سورة البقرة

وأصل هذا فى صحيح مسلم من حديث حذيفة رضى الله تبارك وتعالى عنه ، وقد تقدم طرق من ذلك .

الثالثة والعشرون : أنه ﷺ لا ينام قلبه وكذلك الأنبياء عليهم السلام

وتقدم ذكر هذا .

الرابعة والعشرون : كان ﷺ يرى من ورائه كما يرى من أمامه

والأحاديث الواردة فى ذلك مقيدة بحال الصلاة ، كما تقدم ذكره عند ذكر المعجزات .

الخامسة والعشرون : كان النبى ﷺ يرى مالا يرى الناس حوله كما يرى فى الضوء

وقد تقدم ذلك مجوداً .

السادسة والعشرون : أن رسول الله ﷺ تطوعه بالصلاة قاعداً كتطوعه قائماً وإن لم يكن عذر ، وتطوع غيره قاعداً على النصف من صلاته قائمة

قال صاحب (التلخيص) : وثقة الرافعى وأنكره القفال وقال : لا يعرف هذا ، بل هو كغيره ، وعدّ القضاعى هذه الخصوصية مما حظى به النبى ﷺ دون الأنبياء من قبله .

السابعة والعشرون : أن المصلى يخاطبه فى صلاته إذا تشهد

بقوله فى تشهده السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، ولا يجوز أن يخاطب أحد سواه .

الثامنه والعشرون : لا يجوز لأحد التقدم بين يدى النبى ﷺ ولا يرفع صوته فوق صوته ولا يجهرله بالقول ولا يناديه من وراء حجراته

قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنو لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم * يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون* إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم * إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون * ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم** ﴾ .

ومعنى الآيه يا أيها الذين آمنوا اجعلوا الرسول يبدأ فى الأقوال والأفعال ولا تعجلوا بقول أو فعل قبل أن يفعل ، عن ابن عباس معناها : لا تقطعوا أمراً إلا بعد أن يحكم به ويأذن فيه .

التاسعة والعشرون : لا يجوز لأحد أن يناديه ﷺ باسمه

فيقول : يا أحمد ، يا محمد ، ولكن يقول : يا نبى الله ، يا رسول الله ، قال الله تعالى : ﴿ **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً** ﴾ .

الثلاثون : شعره ﷺ طاهر

وهذا إنما يكون من الخصائص إذا حكمنا بنجاسة شعر من سواه المنفصل عنه فى حال الحياة ، وهو أحد الوجهين وكذلك بوله ، ودمه ، وسائر فضلاته ، كلها طاهرة على أحد الوجهين لأصحابنا ، وينبغى اختياره ، وقد صحح القاضى حسين ، وقال فى (الروضة) : وكان ليستشفى ويتبرك ببوله

ودمه ، وليس [فقط] بنخامته ، وبريقه ، وفضل وضوؤه ، وفى كون ذلك من الخصائص نظراً لا يخفى فى الظاهر من صاحب (الروضة) .

الحاديه والثلاثون : أن من دنى بحضرته ﷺ أو استهان به كفر

جزم به الرافعى وقاله النووى فى (الروضة) .

الثانية والثلاثون : يجب على المصلى إذا دعاه النبى ﷺ أن يجيبه ولاتبطل صلاته وليس هذا لأحد سواه

اللهم إلا ما حكاه الأوزاعى عن شيخه مكحول أنه كان يوجب إجابه الوالدة فى الصلاة ، حديث الراهب [جريج] الذى قال لما سمع نداء أمه وهو يصلى : اللهم أمى وصلاتى ثم مضى فى صلاته فلما كان المرة الثانية فعل بمثل ذلك ثم الثالثة فدعت عليه فاستجاب الله لها فيه وعاقبه كما ذكر فى صحيح البخارى وغيره .

الثالثة والثالثون : أولاد بناته ﷺ ينتسبون إليه وأولاد بنات غيره لاينتسبون إليه

ودليله ما خرجه البخارى من طريق ابن عيينة ، وفيه قوله ﷺ للحسن وقد مال عليه وهو صغير : لا تزرموا ابنى ، وقصة المباهلة .

وهذه الخصوصية عدها صاحب (التلخيص) من الخصوصيات .

الرابعة والثلاثون : أن كل نسب وحسب فإنه ينقطع نفعه يوم القيامه إلا نسبه وحسبه وصهره ﷺ

قال الله تعالى : ﴿ **فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولايتساءلون** ﴾ . وقال الإمام أحمد بسنده عن رسول الله ﷺ أنه قال : فاطمة بضعة منى إلى أن قال وأن الأنساب يوم القيامة تنقطع غير نسبى وصهرى ، وهذ الحديث فى الصحيحين عن المستورد بن مخرمة بلفظ آخر .

الخامسة والثلاثون : تحريم ذرية ابنته فاطمة على النار

خرج الحاكم بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله تبارك وتعالى عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ إن فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار . قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

قال كاتبه : وهذه الخصوصية لم أر أحداً عدها ، وهى مما ينبغى إلحاقة فى خصائص المصطفى ﷺ .

السادسة والثلاثون : الجمع بين اسمه وكنيته يجوز التسمى بإسمه ﷺ بل خلاف

وفى جواز التكنى بكنيته أقوال للعلماء :

أحـدها : المنع من ذلك مطلقاً ، وهو مذهب الإمام الشافعى ، حكاه عنه البيهقى ، والبغوى ، وأبو القاسم بن عساكر الدمشقى ، قال الشافعى : وليس لأحد أن يكنى بأبى القاسم سواء كان أسمه محمداً أم لا .

الثانى : وهو مذهب مالك ، أباحه مطلقاً لمن كان اسمه محمداً ولغيره ، وقد قيل : النهى مختص بحياته ﷺ وإليه ذهب القاضى عياض .

السابعة والثلاثون : أن من خصائصه ﷺ أنه
لا يقبل هدية مشرك ، ولا يستعين به

وقد تقدم ذلك فى المغازى وغيرها .

الثامنة والثلاثون : كانت الهدية له ﷺ حلالاً وغيره من الحكام
والولاة لا يحل لهم قبول الهدية من رعاياهم

ذكره النووى فى (الروضه) .

التاسعة والثلاثون : عرض عليه رسول الله ﷺ الخلق كلهم
من آدم عليه السلام إلى من بعده
كما علّم أدم أسماء كل شىء

ذكره العراقى فى شرح (المهذب) .

الأربعون : فاتته ﷺ ركعتان بعد الظهر فصلاهما بعد العصر ثم داوم عليها بعده

خرج البخارى[1] ومسلم[2] من طريق عبدالله بن وهب أخبره عمرو وهو ابن الحارث عن بكير عن كريب مولى ابن عباس ان عبدالله بن عباس وعبدالرحمن بن أزهر والمسور بن مخرمة رضى الله تبارك وتعالى عنه أرسلوه إلى عائشة زوج النبى ﷺ فقالوا : اقرأ عليها السلام منا جميعا وسلها عن الركعتين بعد الظهر وقل لها : أنا أخبرنا أنك تصلينها ، وقد بلغنا أن الرسول ﷺ نهى عنها قال ابن عباس : وكنت اصرف الناس مع عمر بن الخطاب عنها : قال كريب : فدخلت عليها وبلغتها بما أرسلونى به : فقالت : سل أم سلمة فخرجت إليهم فأخبرتهم بقولها ، فردونى إلى أم سلمة بمثل ما أرسلونى به إلى عائشة : فقالت أم سلمة رضى لله عنها : سمعت رسول الله ﷺ ينهى عنها ثم رأيته يسليهما أما حين صلاهما فإنه صلى العصر ، ثم دخل على وعندى نسوة من بنى حرام من الأنصار ، فصلاهما فأرسلت إليه الجارية فقلت: قومى بجنبه فقولى له: تقول لك أم سلمة : يا رسول الله إنى سمعتك تنهى عن هاتين الركعتين وأراك تصليهما ، فإن أشار بيده فاستأخرى عنه فلما أنصرف قال : يا ابنة أبى أمية ، سألت عن الركعتين بعد العصر ، أنه أتانى ناس من عبدالقيس بالاسلام من قومهم فشغلونى عن الركعتين اللتين بعد الظهر فهما هاتان .

---

(١) (فتح البارى) : ٣ / ١٣٦ ، كتاب السهو ، باب (٨) إذا كلم وهو يصلى فاشار بيده واستمع، حديث رقم (١٢٣٣) ، ٨ / ١٠٨ ، كتاب المغازى ، باب (٧٠) حديث رقم (٤٣٧٠) .

(٢) (مسلم بشرح النووى) : ٦ / ٣٦٧ - ٣٦٩ ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب (٥٤) معرفه الركعتين اللتين كان يصليهما النبى ﷺ بعد العصر ، حديث رقم (٨٣٤) ، (٨٣٥) .

وله من حديث اسماعيل بن جعفر : أخبرني محمد بن أبي حرملة ، أخبرني أبو سلمه ، أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن السجدتين اللتين كان رسول الله ﷺ يصليهما بعد العصر فقالت : كان يصليهما قبل العصر ثم إنه شغل أو نسيهما فصلاهما بعد العصر ثم أثبتهما وكان إذا صلى صلاة أثبتها . قال: يحيي بن أيوب : قال إسماعيل : يعني داوم عليهما . وذلك من خصائصه ﷺ على أصح الوجهين عند أصحابنا . ذكره النووي في (الروضة)[1] وقيل

---

(١) قال الإمام النووي في (الروضة) : ولو فاتته اتبه أو نافلة اتخذها ورداً ، فقضاهما في هذه الأوقات ، فهل له المداومة على مثلها في وقت الكراهة ؟ وجهان :

أحدهما : نعم ، للحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ فاته ركعتا الظهر ، فقضاهما بعد العصر ، وداوم عليهما بعد العصر من حديث أم سلمة أنه ﷺ دخل بيت أم سلمة بعد صلاة العصر فصلى ركعتين ، فسألته عنهما . فقال : أتاني ناس من عبدالقيس فشغلوني عن الركعتين اللتين بعد الظهر ، فهما هاتان . متفق عليه ، وفي الجامع الصحيح للبخاري من حديث أم سلمة: ما ترك النبي ﷺ السجدتين بعد العصر عندي قط . وأصحهما : لا . وتلك الصلاة من خصائص رسول الله ﷺ . والصلاة المنهي عنها في هذه الأوقات ، يستثنى منها زمان ، ومكان. أما الزمان ، فعند الاستواء يوم الجمعة ، ولا يلحق به باقي الأوقات يوم الجمعة على الأصح . فإن ألحقنا ، جاز التنفل يوم الجمعة في الأوقات الخمسة لكل أحد . وإن قلنا بالأصح ، فهل يجوز التنفل لكل أحد عند الاستواء ؟ وجهان . أصحهما : نعم . والثاني ، لا يجوز لمن ليس في الجامع . وأما من في الجامع ، ففيه وجهان . أحدهما : يجوز مطلقاً . والثاني : يجوز بشرط أن يبكر ، ثم يغلبه النعاس . وقيل : يكفر النعاس بلا تبكير . وأما المكان – فمكة زادها الله شرفاً – لا تكره الصلاة فيها في شئ وفي هذه الأوقات ، سواء صلاة الطواف ، وغيرها. وقيل : أنما يباح ركعتا الطواف . والصواب ، الأول . والمراد بمكة ، جميع الحرم . وقيل : إنما يستثنى نفس المسجد الحرام . والصواب المعروف هو الاول . (روضة الطالبين) : ١ / ٣٠٤ ، كتاب الصلاة ، فصل في الأوقات المكروهة . =

بل لغيره ﷺ أن يداوم عليهما وقال أبو الوفا بن عقيل : كان مخصوصاً بالصلاه فى الأوقات المنهى عنها كالوصال ونقل ابن الجوزى عن الاثرم أنه قال : حديث عائشة خطأ لأنه روى عنها أنه كان يصليهما بعد الظهر فشغله قوم

= وقال الإمام الزركشى فى (إعلام المساجد) وقد ذكر خصائص المسجد الحرام وأحكامه: إن الصلاة يحرم فعلها فى الأوقات الخمسة ، عند طلوع الشمس حتى ترتفع قيد رمح ، وعند الاستواء حتى تزول ، وعند الاصفرار حتى تغرب ، وبعد صلاة الصبح إلى الطلوع ، وبعد صلاة العصر الى الغروب ، لما فى الصحيح من النهى عن ذلك ، ويستثنى حرم مكة ، ففى (السنن الأربعة) من حديث جبير بن مطعم : أن رسول الله ﷺ قال : يا بنى عبدمناف ، لا تمنعوا أحداً طاف بهذا البيت وصلى أية ساعة شاء من ليل او نهار ، وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين . وفى رواية : لا صلاة بعد الصبح إلا بمكة ، والمراد جميع الحرم – والمعنى زيادة الفضل فى تلك الأماكن ، فلا يحرم المقيم هناك من استكثارها . وروى أبو الحسن على بن الجعد عن سفيان بن سعيد ، عن ابن جريج عن أبى مليكة : أنه ﷺ ، طاف بعد العصر فصلى ركعتين . هذا هو الصحيح .

وذكر ابن أبى شيبة فى مصنفة فيما أفرده فى الرد على أبى حنيفة فى الفجر وصلى ركعتين قبل طلوع الشمس . وعن عطاء قال : رأيت ابن عمر ، وابن عباس طافا بعد العصر وصليا . وعن ليث عن أبى سعيد أنه رأى الحسن والحسين قدما مكة ، فطافا بالبيت بعد صلاة العصر ويصلى حتى تصفار الشمس . وعن عطاء : رأيت ابن عمر وابن الزبير طافا بالبيت قبل صلاة الفجر ثم صليا ركعتين قبل طلوع الشمس . (إعلام الساجد بأحكام المساجد) : ١٠٥- ١٠٧ ، (مصنف ابن أبى شيبه) ٧ / ٣١٠ مسألة رقم (٣٦٣٦٠) ، (٣٦٣٦١) ، (٣٦٣٦٢) ، (٣٦٣٦٣) ، (٣٦٣٦٤) .

وأخرجه الإمام أحمد فى (المسند) : ٧ / ١٢٣ - ١٢٤ ، حديث رقم (٢٤٠٢٤) ولفظة أنه أتى عائشة أم المؤمنين فسلم عليها فقالت : من الرجل ؟ قال : أنا عبد لله مولى غطيف بن عازب فقالت : ابن عفيف ؟ فقال : نعم يا أم المؤمنين [illegible]

فصلاهما بعد العصر مرة واحدة .

الحادية والأربعون : هل كان ﷺ يحتلم ؟

على وجهين صحح النووى المنع ويشكل عليه ما خرجاه فى صحيحهما[1] من حديث عائشة رضى الله عنها كان رسول الله ﷺ يصبح جنبا من جماع من غير احتلام ثم يغتسل ويصوم ، والأ اظهر فى هذا التفصيل وهو أن يقال : أن الاحتلام فيض من البدن فلا امانع من هذا وإن أريد به ما يتحصل من تلاعب الشيطان فهو ﷺ معصوم من ذلك ، ولهذا لا يجوز عليه الجنون ويجوز عليه الإغماء بل قد أغمى عليه فى الحديث الذى روته عائشه فى الصحيح وفيه أنه أغتسل من الإغماء غير مرة وعن القاض حسين أن حكى عن الداركى أن الإغماء انما يجوز على الأنبياء ساعة أو ساعتين فأما الشهر والشهران فلا ، وفى الطبرانى من حديث ابن عباس يرفعه ما احتلم نبى قط إنما الاحتلام من الشيطان وقد ضعف هذا الحديث والله أعلم[2] .

---

(١) (فتح البارى) : ٤ / ١٩٢ ، كتاب الصوم ، باب (٢٥) اغتسال الصائم ، حديث رقم (١٩٣٠) ، (١٩٣١) ، (١٩٣٢) .

(مسلم بشرح النووى) : ٧ / ٢٢٧ - ٢٣١ ، كتاب الصيام ، باب (١٣) صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب ، حديث رقم (٧٥) ، (٧٦) ، (٧٧) ، (٧٨) ، (٧٩) ، (٨٠) . قولها : " كان يصبح جنباً من غير حلم " هو بضم الحاء ، وبضم اللام وإسكانها ، وفيه دليل لمن يقول بجواز الاحتلام لمن النبياء ، وفيه خلاف قدمناه ، الأشهر امتناعه .

قالوا : إنه من تلاعب الشيطان ، وهم منزهون عنه . ويتأولون هذا الحديث على أن المراد يصبح جنباً من جماع ، ولا يجنب ﷺ من احتلام لامتناعه منه ، ويكون قريباً من معنى قول الله تعالى : ﴿**ويقتلون النبيين بغير حق**﴾ . ومعلوم أن قتلهم لا يكون بحق .

(تفسير ابن كثير) : ١ / ٢٢٩ ، عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم** ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

=

= (مصنف ابن أبى شيبه) : ٢ / ٣٢٩ ، باب (٧٩) فى الرجل يصبح وهو جنب ، يغتسل ويجزئه صومه ، حديث رقم (٩٥٦٩) ، (٩٥٧٠) ، (٩٥٧٧) .

(مسند أحمد) : ٧ / ٥٥ ، حديث رقم (٢٣٥٥٤) ، من حديث السيدة عائشة رضى الله عنها ، ٢٦٣ - ٢٦٤ ، حديث رقم (٢٤٩٨١) ، من حديث السيدة عائشة رضى الله عنها ٣٤٩ ، حديث رقم (٢٥٥٥١) ، من حديث السيدة عائشة رضى الله عنها ، ٤١٢ ، حديث رقم (٢٥٩٤٥) ، من حديث السيدة عائشة رضى الله عنها ، ٤٣٩ ، حديث رقم (٢٦١٠٨) ، من حديث أم سلمة رضى الله عنها ، ٤٤٢ ، حديث رقم (٢٦١٢٦) .

(سنن ابن ماجة) : ١ / ٥٤٤ ، كتاب الصيام ، باب (٢٧) ما جاء فى الرجل يصبح جنباً وهو يريد الصيام ، حديث رقم (١٧٠٤) ، (سنن النسائى) : ١ / ١١٦ ، كتاب الطهارة ، باب (١٢٣) باب ترك الوضوء مما غيرت لنار ، حديث رقم (١٨٣) ، قال الإمام السندى :

قوله : من غير أحتلام " للتنصيص على أن الجنابة الإختيارية لا تفسد الصوم ، فضلا عن الأضطرارية . (حاشيه السندى على سنن النسائى) .

(سنن البيهقى) : ٤ / ٢١٤ ، كتاب الصيام ، باب من أصبح جنبا فى شهر رمضان .

(تاريخ بغداد) : ٧ / ٣٧٣ ، فى ترجمه الحسن بن على حمصة ، رقم (٣٨٩٥) ، ٤٣٩/٩، فى ترجمه عبدالله بن الحسن الهاشمى ، رقم (٥٠٥٩) .

(٢) قال فى (الشفاء) : والكلام فى عصمة نبينا عليه الصلاة والسلام وسائر الأنبياء صلوات الله عليهم ، قال القاضى أبو الفضل - وفقه الله - : أعلم أن الطوارئ من التغيرات والآفات على آحاد البشر ، لا يخلو أن يطرأ على جسمه أو على حواسه بغير قصد واختيار . كالأمراض والأسقام أو تطرا بقصد واختيار ، وكله فى الحقيقة عمل وفعل ، ولكن جرى رسم المشايخ بتفصيله إلى ثلاثة أنواع : عقد بالقلب ، وقول باللسان ، وعمل بالجوارح ، وجميع البشر تطرأ عليهم الآفات ، والتغيرات بالاختيار وبغير الاختيار فى هذه الوجوه كلها ، والنبى ﷺ وإن كان من البشر ويجوز على جبلته ما يجوز على جبلة البشر ، فقد قامت البراهين القاطعة ، وتمت كلمة الإجماع على خروجه عنهم ، وتنزيهه عن كثير من الآفات التى تقع على الاختيار وغير الاختيار . =

....

= قال القاضي عياض : واعلم أن الأمة مجمعة على عصمة النبي ﷺ من الشيطان وكفايته منه ، لا في جسمه بأنواع الأذى ، ولا على خاطره بالوسواس ، وقد أخبرنا القاضي الحافظ أبو على رحمه الله قال : حدثنا أبو الفضل بن خيرون العدل ، حدثنا أبو بكر البرقاني وغيره ، حدثنا أبو الحسن الدارقطني ، حدثنا إسماعيل الصافر ، حدثنا عباس الترقفي ، حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا سفيان عن منصور ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن مسروق ، عن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : ما منكم من أحد إلا وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة ، قالوا : وإياك يا رسول الله ؟ قال : واياى ، ولكن الله تعالى أعانني عليه فأسلم .

قال : قال أئمتنا في ذلك إن النبي ﷺ غير معصوم من الأمراض وما يكون من عوارضها، من شدة وجع ، وغش ، ونحوه مما يطرأ على جسمه ، معصوم أن يكون منه القول أثناء ذلك ما يطعن في معجزته ، ويؤدي إلى فساد في شريعته من هذايان أو اختلال في كلام ، وعلى هذان لا يصح ظاهر رواية من روى في الحديث هجر إذ معناه هذى ، أي حديث قوله ﷺ وقد غلبه الوجع : آتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدى ابداً ، فتنازعوا ، فقالوا : ماله ؟ أهجر .... الحديث (الشفا) : ١٠٠ - ١٧٠ ، بتصرف واختصار .

وقال موفق الدين بن قدامة : ولا يجب الغسل على المجنون والمغمى عليه إذا أفاقا من غير احتلام ، ولا أعلم في هذا خلافا . قال ابن المنذر : ثبت أن رسول الله ﷺ اغتسل من الإغماء ، وأجمعوا على أنه لا يجب ، ولأن زوال العقل في نفسه ليس بموجب للغسل (المغنى): ١ / ١٣٥ ، مسألة رقم (٢٢٩) .

[الثانية والأربعون : من رآه ﷺ فى المنام فقد رآه حقاً وإن الشيطان لا يتمثل فى صورته]

خرج البخارى[1] من طريق يونس ، عن الزهرى ، حدثنى أبو سلمة أن أبا هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : سمعت النبى ﷺ يقول : من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة ، ولا يتمثل الشيطان بى ، ومن طريق الزهرى قال أبو سلمة : " قال أبو قتادة : قال النبى ﷺ من رآنى فقد رأى الحق " وخرجه مسلم[2] من طريق ابن وهب ، قال : أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب ، قال : حدثنى أبو سلمة بن عبدالرحمن ، أن أبا هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة، أو فكأنما رآنى فى اليقظة لا يتمثل الشيطان بى .

وقال : فقال ابو سلمة : قال أبو قتادة : قال رسول الله ﷺ من رآنى فقد رأى الحق .

---

(١) (فتح البارى) : ١٢ / ٤٧٣ - ٤٧٤ ، كتاب التعبير ، باب (١٠) من رأى النبى ﷺ فى المنام ، حديث رقم (٦٩٩٣) ، (٦٩٩٦) .

(٢) (مسلم بشرح النووى) : ١٥ / ٢٩ - ٣٠ ، كتاب الرؤيا ، باب (١) قول النبى ﷺ " من رآنى فى المنام فقد رآنى " ، حديث رقم (٢٢٦٦) ، (٢٢٦٧) .

(سنن ابى داود) : ٥ / ٢٥٨ ، كتاب الأدب ، باب (٩٦) ما جاء فى الرؤيا ، حديث رقم (٥٠٢٣) .

(سنن ابن ماجة) : ٢ / ١٢٨٤ ، كتاب تعبير الرؤيا ، باب (٢) رؤية النبى ﷺ فى المنام ، حديث رقم (٣٩٠٠) ، (٣٩٠١) ، (٣٩٠٢) ، (٣٩٠٣) ، (٣٩٠٤) ، (٣٩٠٥) .

(المستدرك) : ٤ / ٤٣٥ ، كتاب تعبير الرؤيا ، حديث رقم (٨١٨٦) .

(شمائل الترمذى) : ٣٤٧ ، باب (٥٧) ما جاء فى رؤية رسول الله ﷺ فى المنام ، حديث رقم (٤٠٧) ، (٤٠٨) ، (٤٠٩) ، (٤١١) ، (٤١٤) ، (٤١٥) .

وخرج الإمام أحمد[1] من حديث ابن شهاب عن عمه محمد بن شهاب قال: حدثنى أبو سلمة قال : قال أبو قتادة : قال رسول الله ﷺ من رآنى فقد رأى الحق .

وخرج البخارى[2] من حديث الليث ، حدثنى ابن الهاد عن عبدالله بن خباب عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تبارك وتعالى عنه سمع النبى ﷺ يقول: من رآنى فقد رأى الحق فإن الشيطان لا يتكوننى .

وله من حدثنا عبدالعزيز بن مختار ثابت رضى الله تبارك وتعالى عنه قال النبى ﷺ من رآنى فى المنام فقد رآنى ، فإن الشيطان لا يتخيل بى ، ورؤيا للمؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة ,

ولمسلم[3] من طريق الليث ، عن أبى الزبير ، عن جابر رضى الله تبارك وتعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : من رآنى فى المنام فقد رآنى ، إنه لا ينبغى للشيطان أن يتمثل فى صورتى ، وقال : إذا حلم أحدكم فلا يخبر أحداً بتلعب الشيطان به فى المنام .

ومن طريق زكريا بن إسحاق ، قال : حدثنى أبو الزبير أنه سمع جابر ابن عبدالله يقول : قال رسول الله ﷺ : من رآنى فى المنام فقد رآنى فإنه لا ينبغى للشيطان أن يتشبه بى .

---

(١) (مسند أحمد) : ٣ / ٤٥٦ ، حديث رقم (١١١٢٩) .

(٢) (فتح البارى) : ١٢٠ / ٤٧٣ ، كتاب التعبير ، باب (١٠) من رأى النبى ﷺ فى المنام ن حديث رقم (٦٩٩٧) ، (٦٩٩٤) .

وذكره الإمام أحمد فى (مسنده) : ٢ / ٣١ ، حديث رقم (٤٢٩٢) ، (٤٦٢) ، حديث رقم (٧١٢٨) ، ٥١٤ حديث رقم (٧٥٠٠) ، ٣ / ١٤ ، حديث رقم (٨٣٠٣) ، ١٣٢ حديث رقم (٩٠٦١) ، ١٣٣ حديث رقم (٩٠٦٩) ، ١٥٧ حديث رقم (٩٢٠٤) ، ٢٥٥ حديث رقم (٩٦٥٠) ، ٢٣٥ حديث (٩٧١٣) ، ٢٤٢ حديث رقم (٩٧٥٩) ، ٤ / ١٧٣ حديث رقم (١٣٤٣٧) ، ٣١٥ ، حديث رقم (١٤٣٦٥) ، (سنن الترمذى) : ٤ / ٤٦٥ ، كتاب الرؤيا ، باب (٦) ما جاء فى تعبير الرؤيا ، حديث رقم (٢٢٧٩) .

(٣) (مسلم بشرح النووى) : ١٥ / ٣١ ، كتاب الرؤيا ، باب (١) ، حديث رقم (١٢) ، (١٣).

وخرج الترمذى[1] من حديث يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة ، عن ابن سيرين ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : الرؤيا ثلاث : فرؤيا حق، ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه ، ورؤيا تحزين من الشيطان .

فمن رأى ما يكره فليقم فليصل ، وكان يقول : يعجبنى القيد وأكره الغل: القيد : ثبات فى الدين ، وكان يقول : من رآنى أنا هو فإنه ليس للشيطان أن يتمثل بى ، وكان يقول : لا تقص الرؤيا إلا على عالم أو ناصح ، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح .

وخرج مسلم من طريق حماد بن زيد ، حدثنا أيوب وهشام عن محمد، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : من رآنى فى المنام فقد رانى فإن الشيطان لا يتمثل بى .

وللطبرانى فى (أوسط معاجمه) من حديث أبى سعيد الخدرى ، أن النبى ﷺ قال : من رآنى فى المنام فقد رآنى ، فإن الشيطان لا يتمثل بى ولا بالكعبة ، ثم قال : لا نحفظ هذه اللفظة إلا لهذا الحديث ، واعلم أن صورة النبى ﷺ التى شاهدها الحس مع قوته فى المدينة ، وأما صورة روحه ولطيفته فما شاهدها أحد وكل روح بهذه المثابة لم يشاهدها أحد ولا من نعته ، بل يتجسد للرائى روح النبى ﷺ فى المنام بصورة حسنة من غير أن يحرم شيئا ، فهو محمد ﷺ المرئى من حيث روحه فى جسد صورة جسدية تشبه إلى رؤيتة ، ولا يمكن للشيطان أن يتصور بصورة جسده ﷺ عصمة من الله تعالى فى حق الرائى، ولهذا من يراه بهذه الصورة ياخذ عنه جميع ما يأمره به ، أو ينهاه عنه أو يخبره كما كان يأخذ عنه فى الحياة الدنيا الأحكام على حسب ما يكون منه اللفظ الدال عليه من نص أو ظاهر أو مجمل . أو ما كان فان اعطى النبى ﷺ الرائى شيئاً فإن ذلك الوقت هو الذى يدخله التعبير ، فان خرج فى الحس كما كان فى الخيال فتلك رؤيا لا تعبير لها .

---

(١) (سنن الترمذى) : ٤ / ٤٦٥ ، كتاب الرؤيا ، باب (٦) ، حديث رقم (٢٢٨٠) .

قال القاضى أبو بكر قوله : فإن الشيطان لا يتمثل به معناه أن رؤياه صحيحة، وليست بأضغاث[1] وقال آخرون : معناه رآه حقيقة .

قال القاضى عياض : ويحتمل أن يكون المراد ما إذا رآه على صفته المعروفة له فى حياته فإن رآه على خلافها ، كانت رؤيا تقاويل لارؤيا حقيقة.

قال بعض العلماء : خص ﷺ بأن رؤيته فى المنام صحيحة ومنع الشيطان أن يتمثل فى خلقة لئلا يكذب على لسانه فى النوم ، كما منعه أن يتصف فى صورته فى اليقظة إكراماً له ، فإذا تقرر ذلك فما سمعه الرائى منه فى المنام، مما يتعلق بالأحكام لا يعمل به لعدم ضبط الرائى لا للشك فى الرؤيا فإن الخبر لا يقبل إلا من ضابط مكلف والنائم بخلافه هنا ما ذكره القاضى حسين فى فتاويه فى مسالة صيام رمضان ، وذكره أيضا جماعة من الأصحاب وجزم به النووى فى (الروضة) من زوائده فى أوائل النكاح فى الكلام على الخصائص ونقل القاضى عياض الإجماع عليه[2] .

ونقل النووى أيضا فى (شرح مسلم) فى باب بيان أن الإسناد من الدين عن أصحابنا وغيرهم أنهم نقلوا الاتفاق على أنه لا يغير بسبب ما يراه النائم ما تقرر فى الشرع ثم قال : وهذا فى مقام يتعلق بإثبات حكم على خلاف ما يحكم به أما إذا راء مرة يفعل ما هو مندوب إليه أو ينهاه من منهى عنه أو يرشده إلى فعل مصلحة فلا خلاف فى استجاب العمل على وقفه لان ذلك ليس حكما بمجرد المنام بل بما تقرر من أصل ذلك الشئ[3] .

---

(١) الأضغاث : جمع ضغث وهو الحلم الذى لا تأويل له ، ولا خير فيه ، وهى الأحلام المختلطة التى دخل بعضها فى بعض (اللسان) : ٢ / ١٦٣ .

(١) (روضة الطالبين) : ٥ / ٣٦١ ، كتاب النكاح ، باب فى خصائص رسول الله ﷺ فى النكاح وغيره .

(٣) (مسلم بشرح النووى) : ١ / ٢٣٠ ، المقدمة ، باب (٥) بيان أن الإسناد من الدين ، حديث رقم (٧) .

نعم عن فتاوى عن الحكم فأفتاه بخلاف مذهبه وليس مخالفاً ولا إجماعاً فقال : فيه وجهان أحدهما : يأخذ بقوله لأنه مقدم على القياس وثانيهما ، لا لأن القياس دليل والأحلام لا يعول عليها فلا يترك من أجلها الدليل ومن كتاب (الجدل) الأستاذ ابى إسحاق الإسفرايني حكاية وجهين فى أن الرجل لو رأى البنى ﷺ فى المنام وأمره بأمر هل يجب عليه امتثاله إذا استيقظ وجهين أيضا فى وجوب التمسك بالحلم من حيث هو فى الحالة المذكورة ومن (روضة الحكام) للقاضى شريح من أصحابنا : لو كان النبى ﷺ قال لفلان : صلى فلان كذا هل للسامع أن يشهد لفلان صلى فلان كذا وجهان .

وقد عد القضاعى هذه الخصوصيه مما خص به النبى ﷺ دون غيره من الأنبياء وعبر بقوله أنه حرم على الشيطان أن يتمثل به ﷺ .

الثالثة والأربعون : أن الأرض لا تأكل لحوم الأنبياء

خرج الأمام أحمد[1] من طريق حسين بن علي الجعفي ، عن عبدالرحمن بن جابر ، عن أبي الأشعث ، عن أوس بن أوس الثقفي ، قال : قال رسول الله ﷺ : " أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه الصعقة ، فأكثروا على من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة على ، قالوا: وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ يقولون : بليث فقال : إن الله عزوجل حرم على الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء " .

وخرجه أبو داود[2] ومسلم[3] والنسائي[4] إلا انهما قالا : إن الله حرم على الأرض أن تاكل أجسام الأنبياء ولم يقل أبو داود أن تأكل ، وعن أبي العالية إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض ولا تأكلها السباع .

---

(١) (مسند أحمد) : ٤ / ٥٧٧ . حديث رقم (١٥٧٢٩) .

(٢) (سنن أبي داود) : ١ / ٦٣٥ ، كتاب الصلاة ، باب (٢٠٧) فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة ، حديث رقم (١٠٤٧) .

(٣) (مسلم بشرح النووي) : ٦ / ٣٩٠ ، كتاب الجمعة ، باب (٥) فضل يوم الجمعة ، حديث رقم (٨٥٤) .

(٤) (سنن النسائي) : ٣ / ١٠١ - ١٠٢ ، (٥) إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة ، حديث رقم ١٣٧٣ .

وأخرجه أيضا ابن ماجة في (السنن) : كتاب إقامه الصلاة والسنه فيها باب (٧٩) في فضل الجمعه ، حديث رقم (١٠٨٥) .

وأخرجه الحاكم في (المستدرك) : ٤ / ٦٠٤ - ٦٠٥ ، كتاب الأهوال ، حديث رقم (٨٦٨١) . =

الرابعة والأربعون : أن الكذب عليه ﷺ ليس كالكذب على غيره

فقد تواتر عنه ﷺ إن من كذب عليه متعمداً فليتبوأ مقعده من النار . روى هذا الحديث من طريق نيف وثمانين صحابياً وهو فى الصحيحين[1] من حديث على بن أبى طالب ، وأنس بن مالك ، وأبى هريرة ، والمغيرة بن شعبة.

وعند البخارى من رواية الزبير بن العوام وسلمة بن الأكوع وعبدالله ابن عمرو بن العاص رضى الله تبارك وتعالى عنه ، ولفظ بلغوا عنى ولوآيه ، وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب على متعمداً فليتبوا مقعده من النار .

وفى (مسند الإمام أحمد) [2] عن عثمان بن عفان ، وعبدالله بن عمر ابن الخطاب وأبى سعيد الخدرى ،وسلمة بن الأسقع وزيد بن ارقم رضى الله تبارك وتعالى عنه .

- وأخرجه ايضا البيهقى فى (السنن الكبرى) : ٣ / ٢٤٨ - ٢٤٩ ، كتاب الجمعه ، باب ما يؤمر به فى ليلة الجمعة ويومها من كثرة الصلاة على النبى ﷺ ، (كنز العمال) : ٣٦٨/٨ ، فضل فى صلاة الجمعه وما يتعلق بها ، حديث رقم (٢٣٣٠١) ، (البدايه والنهايه) : ٢٩٧/٥، ما أصاب المسلمين من المصيبه بوفاته ﷺ (المصنف) : ٢ / ٢٥٤ ، ٧٩٢ فى ثواب الصلاة على النبى ﷺ ، حديث رقم (٨٦٩٧) ، (ميزان الاعتدال) : ٢ / ٩٩ ، حديث رقم (٢٩٩١) .

(١) (فتح البارى) : ١ / ٢٦٧ ، كتاب العلم ، باب (٣٨) إثم من كذب على النبى ﷺ ، حديث رقم (١٠٧) ، (١٠٨) ، (١٠٩) ، (١١٠) ، ١٠ / ٧٠٧ ، كتاب الأدب ، حديث (٦١٩٧) و (مسلم بشرح النووى) : ١ / ١٨١ - ١٨٧ المقدمه ، باب (٢) تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ .

(٢) (المسند) : ٣ / ٤٤٢ ، حديث رقم (١٠٩٥١) ، (١١٠٣٢) .

وعند الترمذى[1] عن عبدالله بن مسعود ورواه بن ماجة[2] عن جابر بن عبدالله ، وابى قتادة ، وقد صنف فيه جماعة من الحفاظ كإبراهيم الحربى ويحيى ابن صاعد والطبرانى والبزار وابن منده وغيرهم من المتقدمين وصنف فيه أبو الفرج بن الجوزى ويوسف بن خليل من المتاخرين وصرح بتواتره ابو عمرو بن الصلاح وأبو زكريا النووى وغيرهما من حفاظ الحديث وهو الحق

---

(١) (سنن الترمذى) : ٥ / ٣٤ - ٣٥ ، كتاب العلم ، باب (٨) ما جاء فى تعظيم الكذب على رسول الله ﷺ .

(٢) (سنن ابن ماجة) : ١ / ١٣ - ١٤ المقدمة ، باب (٤) التغليظ فى تعمد الكذب على رسول الله ﷺ ، حديث رقم (٣٠) ، (٣١) ، (٣٢) ، (٣٣) ، (٣٤) ، (٣٥) ، (٣٦) ، (٣٧) ، ٣٤٥ ، حديث رقم (١٠٨٥) ، ٥٢٤ ، حديث رقم (١٦٣٦) . (الموضوعات) ١/٩٠-٩١، (الكامل لابن عدى) : ١ / ٦ - ١٣ وأخرجه علاء الدين الهندى فى (كنز العمال) : ١٠ / ٢٣٣ ، حديث رقم (٢٩٢٢٩) ، (٢٩٢٣٠) ، (٢٩٢٣١) ، (٢٩٢٣٢) وأخرجه أيضا الطحاوى فى (مشكل الأثار) : ١ / ١٦٩ .

وقال فى هامش (المصنوع فى معرفة الحديث الموضوع) : وقال الحافظ الذهبى فى " تذكرة الحفاظ " ٣ : ٩٨٠ ، فى ترجمة أبى بكر المفيد (محمد بن أحمد محدث جرجرايا) " قرأت على أحمد بن سباع ، وأنا عتيق بن أبى الفضل سنه ٦٤١ ، أنا أبو القاسم الحافظ ، أنا أبو غالب بن البناء وأخوه يحيى ، قالا : أنا الحسن بن غالب المقرى ، أنا محمد بن أحمد المفيد .

بجر جرايا إملاء أنا عثمان بن الخطاب ، سمعت علياً ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار هذا مما لا أفرح يعلوه ، لعلمه بأن هذا الكذب ما رأى علياً رضى الله تبارك وتعالى عنه أصلاً ، ولا والله رأى من رآه " .

وأخرجه أيضا ابو داود فى (السنن) : ٤ / ٦٣ ، كتاب العلم ، باب (٤) التشديد فى الكذب على رسول الله ﷺ .

وأخرجه أيضا النسائى فى (السنن) : باب (٤) ذكر فضل يوم الجمعة ، (٥) إكثار الصلاة على النبى ﷺ يوم الجمعة ، حديث رقم (١٣٧٣) .

واخرجه أيضا أبو داود فى (السنن) : ١ / ٦٣٥ ، كتاب الصلاة ، باب (٢٠٧) فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة ، حديث رقم (١٠٤٧) ، ٢ / ١٨٤ ، حديث رقم (١٥٣١) .

ولهذا أجمع العلماء على كفر من كذب على الرسول ﷺ تعمداً مستجيزاً لذلك واختلفوا فى المتعمد فقط فقال الشيخ أبو محمد الجوينى : يكفر أيضاً ويخالفه الجمهور ثم لو تاب فهل تقبل روايته على قولين : فأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وأبو بكر الحميدى والصيرفى من أصحابنا قالوا : لا تقبل توبتة ولا روايته لقوله ﷺ إن كذباً على ليس ككذب على أحد ، من كذب على فليتبوأ مقعده من النار قالوا : ومعلوم أن من كذب على غيره فقد أثم وفسق ، وكذلك الكذب عليه ﷺ لكن من تاب عن الكذب على غيره تقبل بالاجماع توبته ، فينبغى أن لا تقبل توبته من كذب عليه ﷺ ولا روايته فرقاً بين الكذب عليه والكذب على غيره وأما الجمهور فقال : إن تاب قبلت توبته وروايته وهذا هو الصحيح والله اعلم .

الخامسة والأربعون : أنه ﷺ كان معصوماً فى أقواله وأفعاله ولا يجوز عليه التعمد ولا الخطأ الذى يتعلق بأداء الرسالة ولا بغيرها فيقدر عليه

[قال تعالى][(١)] ﴿ **وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحى يوحى** ﴾ فلهذا قال كثير من العلماء : لم يكن له الاجتهاد لأنه قادر على النص وقال آخرون : بل لا يقدر عليه فعلى الأقوال كلها هو واجب العصمة لا يتصور استمرار الخطأ عليه بخلاف أمته فإنه يجوز ذلك على كل واحد منهم منفرداً فأما إن اجتمعوا كلهم على قول واحد فلا يجوز عليهم الخطأ كما تقدم .

قال الماوردى فى (تفسيره) : قال ابن أبى هريرة : كان ﷺ لا يجوز عليه الخطأ ويجوز على غيره من الأنبياء لأنه خاتم النبيين فليس بعده من يستدرك الخطأ بخلافهم فلذلك عصمه الله تعالى منه وقال الإمام الحق الحق : إنه لا يخطئ فى اجتهاده ﷺ .

---

(١) زيادة يقتضيها السياق .

واختار الآمدى وابن الحاجب أنـه يجـوز عليـه بشـرط أن لا يقـره عليـه ونقله المدى من أكثر أصحابنا والحنابلة وأصحاب الحديث واحتج عليه بأشياء[1].

السادسة والأربعون : أنه ﷺ حى فى قبره وكذلك الأنبياء عليهم السلام

وقد أفرد الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى فى ذلك جزءاً حاصلـه أنه خرج من طريق أبى احمد بن عدى الحافظ قال : حدثنـا قسـطنطين بـن عبد الله الرومى أخبرنا الحسين بـن عرفـه العبدى قـال : حدثنـى الحسـن بـن قتيبـة المداينى أخبرنا مسلم بن سعيد الثقفى عن الحجاج بن الأسـود عـن ثـابت البنـانى عن أنس رضـى الله تبارك وتعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ الأنبيـاء أحيـاء فى قبورهم يصلون . قال البيهقى : هذا الحديث يعد فى أفـراد الحسـن بـن قتيبـه المدائنى أبو على ، له أحاديث غرائب حسان وأرجو أنه لا بأس به .

قال البيهقى : وقد روى عن يحيى بـن أبـى بكـر عـن المسلم بـن سـعيد فـذكره من طريـق ابـى يعلـى الموصلـى قـال ابـن علـى المسلم : عـن الحجـاج فذكره .

---

(١) قال القاضى عياض : وأما وفور عقله ، وذكاء لبه ، وقـوة حواسـه وفصاحـة لسـانه ، واعتـدال حركاته ، وحسن شمائله ، فلا حرمة أنه ﷺ كان أعقل الناس وأذكاهم ، ومـن تـأمل تدبيره أمر بواطن الخلق وظواهرهم ، وسياسة العامة والخاصة ، مع عجيب شـمائله وبديـع سيره ، فضـلاً عما افاضه من العلم ، وقرره من الشرع ، دون تعلم سبق ، ولا ممارسـة تقدمت ، ولا مطالعـة للكتب منه ، لم يمتر فى رجحـان عقلـه ، وثقـوب فهمـه لأول بديهـة ، وهـذا ممـا لا يحتـاج إلـى تقريره لتحققه (الشفا) : ١ / ٤٢ .

وقد قال وهب بن منبه : قرأت فى أحد وسبعين كتاباً ، فوجدت جميعها أن النبى ﷺ أرجح الناس عقلاً ، وأفضلهم رأياً وفى رواية أخرى : فوجدت فى جميعها أن الله تعالى لم يعط جميـع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل فى جنب عقله ﷺ إلا كحبة رمل من بين رمال الدنيا (المرجع السابق) .

وخرجه البيهقى عن سعيد ثنا عبيد الله بن أبى أحمد النهلى عن أبى المليح عن أنس قال : الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون[1] .

---

(١) وأخرجه الألبانى فى (سلسة الأحاديث الصحيحة) : ٢ / ١٨٧ - ١٩١ ، حديث رقم (٦٢١٠) وابن عدى فى (الكامل) والبيهقى فى (حياة الأنبياء) عن الحجاج بن الأسود عن ثابت البنانى عن أنس مرفوعاً به . وقال البيهقى : " يعد فى أفراد الحسن بن قتيبه " . وقال ابن عدى : " وله احاديث غرائب حسان ، وأرجو أنه لا بأس به " كذا قال ، ورده الذهبى بقوله : " قلت : بل هو مالك ، قال الدار قطنى فى رواية البرقانى عنه " متروك الحديث " . وقال أبو حاتم : " ضعيف " . وقال الأزدى : " واهى الحديث : . وقال العقيلى : كثير الوهم . قلت : وأقره الحافظ فى "اللسان" ، وبقيه رجال الاسناد ثقات ، ليس فيهم من ينظر فيه غير الحجاج ابن الأسود ، فقد أورده الذهبى فى :" الميزان " وقال " نكرة ، ما روى عنه - فيما أعلم - سوى مسلم بن سعيد فأتى يخبر منكر عنه ، عن أنس فى أن الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون . رواه البيهقى لكن تعقبه الحافظ فى (اللسان) ، فقال عقبه " وإنما هو حجاج بن أبى زياد الأسود ، يعرف بـ (زق العسل) وهو بصرى كان ينزل القسامل . روى عن ثابت وجابر بن زيد ، وابى نضرة وجماعة . وعنه جرير بن حازم وحماد بن سلمة وروح بن عبادة واخرون . قال أحمد : ثقة ، ورجل صالح ، وقال ابن معين : ثقه ، وقال أبو حاتم : صالح الحديث ، وذكره ابن حبان فى (الثقات) فقال : حجاج بن أبى زياد الأسود من أهل البصرة ..... وهو الذى يحدث عنه حماد بن سلمة فيقول : حدثنى حجاج بن الأسود قلت : ويتلخص منه أن حجاجاً هذا ثقة بلا خوف ، وأن الذهبى توهم أنه غيره فلم يعرفه ولذلك استنكر حديثه ، ويبدو أنه عرفه فيما بعد ، فقد أخرج له الحاكم فى (المستدرك) : ٤ / ٣٣٢ ، حديثاً اخر ، فقال الذهبى فى (تلخيصه) : " قلت : حجاج ثقه " . وكأنه لذلك لم يورده فى كتابه (الضعفاء) ولا فى (ذيله) . والله اعلم .

= وجملة القول : أن الحديث بهذا الإسناد ضعيف ، وأن علته إنما هي من الحسن ابن قتيبة المدائني ، ولكنه لم يتفرد به ، خلافاً لما سبق ذكره عن البيهقي ، فقال أبو يعلى الموصلي في (مسنده) ثنا أبو الجهم الأزرق بن علي ، ثنا يحيى بن أبي بكير ، ثنا المستلم بن سعيد به . ومن طريق أبي يعلى أخرجه البيهقي قال : أخبرنا الثقة من أهل العلم قال : أنبأ أبو عمرو بن حمدان قال : انبأ ابو يعلى الموصلي .... قلت : وهذا إسناد جيد ، رجاله كلهم ثقات ، غير الأزرق هذا قال الحافظ في (التقريب) : صدوق يغرب . ولم ينفرد به فقد أخرجه أبو نعيم في (أخبار أصبهان) من طريق عبدالله بن إبراهيم بن الصباح عن عبدالله بن محمد بن يحيى بن أبي بكير ثنا يحيى بن ابى بكير به أورده في ترجمه ابن الصباح هذا ، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً ، وعبدالله بن محمد بن يحيى بن أبي بكير ، فترجمه للخطيب وقال : سمع جده يحيى بن أبي بكير قاضي كرمان ..... وكان ثقه فهذه متابعة قوية للأزرق ، تدل على أنه قد حفظ ولم يغرب . وكأنه لذلك قال المناوى في (فيض القدير) بعدما عزا اصله لأبي يعلى : " وهو حديث صحيح " . ولكنه لم يبين وجهه ، وقد كفيناك مؤنته ، والحمدلله الذى هدانا لهذا وماكنا لنهتدى لو لا أن هدانا الله .

هذا . وقد كنت برهه من الدهر ارى أن هذا الحديث ضعيف لظني أنه مما تفرد به ابن قتيبة - كما قال البيهقي - ولم أكن قد وقفت عليه في (مسند أبي يعلى) و (أخبار أصبهان) . فلما وقفت على إسناده فيهما تبين لي أنه إسناد قوى ، وأن التفرد المذكور غير صحيح ن ولذلك بادرت إلى إخراجه في هذا الكتاب تبرئه ، للذمة ، وأداء للأمانة العلمية ، ولو أن ذلك قد يفتح الطريق لجاهل أو حاقد إلى الطعن والغمز واللمز ، فلست أبالي بذلك ما دمت أني اقوم بواجب ديني أرجو ثوابه من الله تعالى وحده .

فإذا رأيت أيها القارى الكريم في شئ من تأليفي خلاف هذا التحقيق ، فاضرب عليه ، واعتمد هذا وعض عليه بالتواجذ ، فإني لا أظن أنه يتسير لك الوقوف على مثله . والله ولي التوفيق .
=

قال : هذا موقوف عن أنس بن أبى ليلى عن ثابت عن أنس عن النبى ﷺ قال : : إن الأنبياء لا يتركون فى قبورهم بعد أربعين ليلة ولكنهم يصلون بين يدى الله حتى ينفخ فى الصور(١) .

قال البيهقى : وهذا إن صح بهذا اللفظ فالمراد لا يتركون لا يصلون إلا هذا المقدار ثم يكونون مصلين فيما بين يدى الله تعالى ويحتمل أن يكون المراد به رفع أجسادهم مع أرواحهم فقد روى سفيان الثورى فى الجامع فقال : قال لنا شيخ : عن سعيد بن المسيب قال : ما مكث نبى فى قبره أكثر من أربعين ليلة حتى رفع(٢) .

= ثم اعلم ان الحياة التى أثبتها هذا الحديث للأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وإنما هى حياة برزخية ، ليست من حياة الدنيا فى شئ . ولذلك وجب الإيمان بها ، دون ضرب الأمثال لها ومحاولة تكييفها وتشبيهها بما هو المعروف عندنا فى حياة الدنيا . هذا هو الموقف الذى يجب أن يتخذه المؤمن فى هذا الصدد : الإيمان بما جاء فى الحديث دون الزيادة عليه بالآراء كما يفعل أهل البدع الذين وصل الأمر ببعضهم ، إلى ادعاء أن حياته ﷺ فى قبره حياة حقيقية . قال : يأكل ويشرب ويجامع نساءه !! وإنما هى حياة برزخيه لا يعلم حقيقتها إلا الله سبحانه وتعالى .

وأخرجه ابن حجر فى (لسان الميزان) : ٢ / ٣٠٤ ، حديث رقم (٢٥٥٦) .

وأخرجه أيضا أبو عبدالله الذهبى فى (ميزان الاعتدال) ٥١٨/١ ، حديث رقم (١٩٣٣).

وأخرجه ايضا ابن حجر فى (المطالب العالية) : ٣ / ٢٦٩ باب حياة الأنبياء فى قبورهم يصلون ، حديث رقم (٣٤٥٢) .

(١) (كنز العمال) : ١١ / ٤٧٤ ، فصل فى بعض خصائص الأنبياء عموماً ، حديث رقم (٣٢٢٣٠) ، وعزاه إلى ابن عساكر فى (تاريخه) ، والبيهقى فى (حياة الأنبياء) عن أنس رضى الله تبارك وتعالى عنه ، (الموضوعات) : ١ / ٣٠٣ ، باب مقدار لبثه فى قبره ميتاً ولفظه : " ما من نبى يموت فيقيم فى قبره إلا اربعين صباحاً حتى ترد إليه روحه " .

قال ابن حبان : هذا حديث باطل موضوع ، والحسن بن يحيى منكر الحديث جداً يروى عن الثقاة مالا أصل له . وقال يحيى : الحسن ليس بشئ وقال الدارقطنى : متروك .

(٢) (سلسلة الأحاديث الضعيفه) : حديث رقم (٢٠١) .

قال كاتبه : وقال محمد بن زبالة : حدثني محمد بن حسن ، عن إبراهيم ابن عبدالرحمن ابن عبدالله ، قال : كنت جالساً عند سعيد بن المسيب ، فرآهم يلوذون بقبر النبى ﷺ فقال : لعلهم يرون أنه فيه ما يرى فى قبره أكثر من أربعين ليلة .

وحدثني محمد بن حسن عن عثمان عن الحكم بن عيينة عن سعيد مثلة قال البيهقى : فعلى هذا يسيرون كسائر الأحياء يكونون حيث ينزلهم الله تعالى لما روينا فى حديث المعراج وغيره أن النبى ﷺ رأى موسى عليه السلام قائما يصلى فى قبره ثم رآه مع سائر الأنبياء فى بيت المقدس ثم رآهم فى السموات ، ولحياة الأنبياء بعد موتهم شواهد من الأحاديث الصحيحة فذكر حديث يزيد بن هارون أن سليمان التيمى عن أنس أن بعض أصحاب رسول الله ﷺ أخبره أن النبى ﷺ ليلة اسرى به مر على موسى وهو يصلى فى قبره[1] .

وحديث سفيان الثورى ثنا سليمان عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : مررت على موسى وهو قائم يصلى فى قبره[2] وحديث حماد بن سلمة ثنا سليمان التيمى وثابت عن انس ان رسول الله ﷺ قال : أتيت على موسى ليلة اسرى بى عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلى فى قبره خرجه مسلم من حديث حماد بن سلمة رضى الله تبارك وتعالى عنهما ومن حديث الثورى وعيسى بن يونس وجرير بن عبدالحميد عن التيمى قال المؤلف[3] .

---

(١) سبق تخريج أحاديث الإسراء والمعراج فى الجزء الأول من (إمتاع الأسماع) بتحقيقنا ص٤٧.

(٢) (الكامل لابن عدى) : ٥ / ٣٨ ، ترجمه عمر بن حبيب العدوى رقم (١٢٠٨) .

(٣) راجع التعليق السابق .

وخرج البيهقى[١] من حديث عبدالعزيز بن أبى سلمة عن عبدالله بن الفضل الهاشمي عن أبى سلمة بن عبدالرحمن عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : لقد رأيتنى فى الحجر وأنا أخبر قريش عن مسراى ، فسألونى عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها ، فكربت كرباً ما كربت مثله قط ، فرفعه الله تعالى إلىّ أنظر إليه ما يسألونى عن شئ إلا أنبأتهم به ، وقد رأيتنى فى جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلى ، واذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة، واذا عيسى قائم يصلى أقرب الناس منه شبهاً : عروة بن مسعود الثقفى ، واذا إبراهيم قائم يصلى أشبه الناس به صاحبكم يعنى نفسه ﷺ ، فقامت الصلاة ، فأممتهم، فلما فرغت من الصلاة قال لى قائل : يا محمد هذا مالك صاحب النار ، فسلم عليه ، فالتفت إليه فبدأنى بالسلام .

خرجه مسلم من حديث عبدالعزيز وفى حديث سعيد بن المسيب لقيهم فى مسجد بيت المقدس .

وفى حديث أبى ذر ومالك بن صعصعة فى قصة المعراج أنه لقيهم فى جماعة من الأنبياء فى السموات وحكمهم وحكموه وكل ذلك صحيح لا يخالف بعضه بعضاً فقد يرى موسى قائماً يصلى فى قبره ثم أسرى بموسى وغيره إلى بيت المقدس كما أسرى بنبينا فيراهم فيه ثم يعرج بهم إلى السموات كما عرج نبينا فيراهم فيه كما أخبر ﷺ فحلوله فى أقعات بمواضع مختلفات ثابت ، فجائز فى العقل كما ورد عن الصادق وفى ذلك دلالة على حياتهم على ذلك فذكر حديث أوس الثقفى أن الله محرم على الأرض أن تأكل أجساد النبياء قال : وله شواهد فذكر حديث أبى مسعود يرفعه ليس يصلى على أحد يوم الجمعة إلا عرضت على صلاته[٢] .

---

(١) (دلائل النبوة) : ٢ / ٣٥٨ - ٣٥٩ ، باب الإسراء برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وما ظهر فى ذلك من الآيات .

(٢) (المستدرك) : ٢ /٤٥٧ ، كتاب التفسير تفسير سورة الأحزاب ، حديث رقم (٣٥٧٧) ، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، فإن أبا رافع هذا هو إسماعيل بن رافع ولم يخرجاه ، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص) : إسماعيل بن رافع أبو رافع : ضعفوه .

وحديث أبى أسامة : أكثروا علىّ من الصلاه فى كل يوم جمعة فإن صلاة أمتى تعرض علىّ فى كل يوم جمعه .

وحديث أنس يرفعه وفيه ثم يوكل الله بذلك ملك يدخله فى قبرى كما تدخل عليكم الهدايه يخبرنى من صلى على باسمه ونسبه إلى عشيرته .

فاثبتته عندى فى صحيفه بيضاء . وحديث أبى هريرة وفيه : صلوا على فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنتم وحديثه ايضا يرفعه ما من أحد يسلم على إلا رد الله علىروحى حتى أرد عليه السلام[1] .

قال البيهقى : وإنما أراد والله اعلم إلا وقد ردّ الله روحى حتى أرد عليه السلام .

وذكره حديث ابن مسعود يرفعه إن الله ملائكة سياحين فى الارض يبلغوننى من أمتى السلام .

وحديث أبى هريرة يرفعه من صلى على عند قبرى سمعته ومن صلى على غائباً ابلغته وذكر حديث لا تخيرونى على موسى فإن الناس يصعقون فاكون أول من يفيق فإذا موسى باطش بجانب العرش فلا أدرى أكان فيما صعق فأفاق قبلى أو كان فيما يستثنى الله فهذا إنما يصح على أن الله تعالى رد إلى الأنبياء أرواحهم وهم أحياء عند ربهم كالشهداء فإذا نفخ فى الصور النفخة الأولى صعقوا فيما صعق ثم لا يكون ذلك مرئياً فى جميع معانيه إلا فى ذهاب الاستشعار فإن كان موسى ممن استثنى الله بقوله ﴿ **إلا من شاء الله** ﴾ فالله تعالى لا يذهب باستشعاره فى تلك الحالة ويحاسبه الله بصعقة الصور والله أعلم .

وقال ابن زبالة : وحدثنى يزيد عن مبارك بن فضالة عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ من كلمه روح القدس لم يؤذن للأرض أن تأكل من لحمه[2].

---

(١) (سنن أبى داود) : ٢ / ٥٣٤ ، كتاب المناسك ، باب (١٠٠) زيارة القبور ، حديث رقم (٢٠٤١)، حديث رقم (٢٠٤٢) ولفظه " لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ، ولا تجعلوا قبرى عيداً ؛ وصلوا على فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنتم "

(٢) (الدر المنثور) : ١ / ٨٧ .

السابعة والأربعون : ما من أحد يسلم عليه ﷺ إلا ردَّ الله تعالى إليه روحه ليرُدّ عليه السلام يبلغه ﷺ سلام الناس عليه بعد موته ويشهد لجميع الأنبياء بالأداء يوم القيامة

قال الماوردى : أما شهادته للأنبياء عليهم السلام فتقدم ذكره وأما السلام عليه :

فخرج النسائى من طريق سفيان بن سعيد الثورى عن عبدالله بن السائب عن زاذان عن عبد الله بن مسعود رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن لله ملائكة سياحين يبلغونى حين يبلغونىعن أمتى السلام(١) وخرجه الحاكم فى مستدركه وقال : صحيح الإسناد(٢).

وخرج البيهقى وغيره من حديث أبى عبد الرحمن المقرىء قال ثنا حيوة ابن شريح : عن أبى صخر عن يزيد بن عبد الله بن قسط عن أبى هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : ما من أحد يسلم علىَّ إلا رد الله روحى حتى أرد عليه السلام (٣) .

---

(١) (سنن النسائى :) ٣ / ٥٠ ، كتاب السهو ، باب (٤٦) السلام على النبى ﷺ ، حديث رقم (١٢٨١) ، قوله : " سياحين " صفة الملائكة ، يقال : ساح فى الأرض يسيح سياحة إذا ذهب فيها ، وأصله من السيح ، وهو الماء الجارى المنبسط على الأرض والسياح بالتشديد كالعلاء ، مبالغة فيها .

" يبلغونى " من الإبلاغ أو التبليغ ، وفيه حث على الصلاة والسلام عليه ، وتعظيم له ﷺ، وإجلال لمنزلته ، حيث سخر الملائكة الكرام لهذا الشأن الفخم .

(٢) (المستدرك) : ٤٥٦/٢ ، كتاب التفسير ، تفسير سورة الأحزاب ، حديث رقم (٣٥٧٦) ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقد علونا فى حديث الثورى فإنه مشهور عنه ، فأما حديث الأعمش ، عن عبد الله بن السائب ، فإنا لم نكتبه إلا بهذا الإسناد ، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص) : صحيح .

(٣) (السنن الكبرى للبيهقى) : ٢٤٥/٥ ، كتاب الحج ، باب الزيارة قبر النبى ﷺ .

وخرجه الإمام أحمد من طريق عبد الله ثنا حيوة به ولفظه عن رسول الله ﷺ من من أحد يسلم عليَّ إلا رد الله إلى روحى حتى أرد عليه السلام [(١)]

وقال أبو بكر بن أبى الدنيا : حدثنى سويد بن سعيد حدثنى ابن أبى الرجال عن سليمان بن عثمان قال : رأيت رسول الله ﷺ فى النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتوك فيسلمون عليك أتفقه سلامهم ؟ قال : نعم وأرد عليهم .

الثامنة والأربعون : من خصائصه ﷺ أنه كان نوراً وكان إذا مشى فى الشمس والقمر لا يظهر له ظل

جعل ابن سبع فى كتاب (شفاء الصدر) من خصائصه ﷺ أنه كان نوراً وكان إذا مشى فى الشمس والقمر لا يظهر له ظل ويشهد لما ذكره قول الله تعالى: ﴿ **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين** ﴾[(٢)] فسماه الله نوراً وسماه سراجاً فقال تعالى : ﴿ **إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً** ﴾[(٣)] قال الطبرى : يعنى بالنور محمداً ﷺ الذى أنار الله به الحق وأظهر به الإسلام ومحق به الشرك وهو نور لمن استنار به انتهى .

وثبت أنه ﷺ سأل الله تعالى أن يجعل فى جميع أعضائه وجهان نوراً وختم ذلك بقوله واجعلنى نوراً .

---

(١) (مسند أحمد) : ٣٣٨/٣ ، حديث رقم (١٠٤٣٤) ، من مسند أبى هريرةرضى الله تبارك وتعالى عنه .

(٢) المائدة : ١٥ .

(٣) الأحزاب : ٤٥ .

وخرجه مسلم[1] من حديث محمد بن جعفر عن شعبه عن سلمه بن كهيل عن كريب عن ابن عباس قال : بت عند خالتى ميمونه الحديث وفيه واجعل لى نوراً وقال : واجعلنى نوراً ، وفى رواية النضر عن شعبه واجعلنى نوراً ولم يشك .

(١) رواه البخارى فى صلاة الجماعة ، باب يقوم عن يمين الإمام بحذائه ، سواء كانا اثنين ، وباب إذا قام الرجل عن يسار الإمام ، وباب إذا قام الرجل عن يسار الإمام وحوله الإمام خلفه إلى يمينه الوضوء ، باب التخفيف فى ، وباب قراءة القرآن بعد الحدث وغيره ، وفى صفة الصلاة ، باب وضوء الصبيان ، وفى الوتر ، باب ما جاء فى الوتر ، وفى العمل فى الصلاة ، باب استعانة اليد فى الصلاة إذا كان أمر الصلاة ، وفى تفسير سورة آل عمران ، باب قوله تعالى : ﴿ إن فى خلق السموات والأرض ﴾ .

وباب قوله تعالى ﴿ الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ﴾ وباب قوله تعالى : ﴿ ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته ﴾ ، وباب قوله تعالى : ﴿ ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان ﴾ وفى اللباس ، باب الذوائب ، وفى الأدب ، باب رفع البصر إلى السماء ، وفى الدعوات ، باب الدعاء إذا أنتبه بالليل ، وفى التوحيد ، باب ما جاء فى تخليق السموات والأرض وغيرها من الخلائق.

ومسلم فى صلاة المسافرين ، باب الدعاء فى صلاة الليل وقيامة ، حديث رقم (٧٦٣) ، (والموطأ) : ١٢١/١ - ١٢٢ ، فى صلاة الليل ، باب صلاة النبى ﷺ فى الوتر ، وأبو داود فى الصلاة ، باب الرجلين يؤم أحدهما صاحبه كيف يقومان ، حديث رقم (٦١٠) ، (٦١١) ، والترمذى فى الصلاة باب ما جاء فى الرجل يصلى ومعه رجل ، حديث رقم (٢٣٢) ، والنسائى فى الإمامه ، باب الجماعة إذا كانوا اثنين ، حديث رقم (٨٤٢) . جامع الأصول : ٦٠٠/٥- ٦٠١ ، حديث رقم (٣٨٥٢) وقال : وهذه الروايات أطراف من حديث طويل ، وله روايات كثيرة ، وطرق عدة ، قد أخرجه الجماعة ، ويرد فى صلاة الليل .

وأما أنه ﷺ ولد مختوناً

خرجه ابو محمد بن عدى حدثنا عبد الله بن يحى السرحينى ثنا جعفر ابن عبد الواحد قال : قال لنا صفوان بن هبيرة ومحمد بن بكر الرومانى : عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : ولد النبى ﷺ مختوناً (١) .

وقال محمد بن سعد : أخبرنى يونس بن عطاء المكى ثنا الحكم بن أبان العهدى ثنا عكرمه عن ابن عباس عن أبيه العباس بن عبد المطلب رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : ولد النبى ﷺ مختوناً مسروراً قال : فأعجب ذلك عبد المطلب وحظى عنده وقال : ليكون ابنى هذا شأن فكان له شأن (٢) .

وقال محمد بن كثير الكوفى : ثنا إسماعيل بن مسلم عن الحسن عن أبى هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه ان النبى ﷺ ولد مختوناً وقال سفيان بن محمد المصيصى : ارانا هشيم عن يونس عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ من كرامتى على الله عز وجل انى ولدت مختوناً ولم ير سؤاتى أحد (٣).

---

(١) خرجه بن عدى فى (الكامل) : ١٥/٢ من حديث جعفر بن عبد الواحد بسنده عن ابن عباس قال : (ولد النبى ﷺ مسروراً مختوناً) ثم قال : وهذه الأحاديث التى ذكرتها عن جعفر بن عبد الواحد ، كلها بواطيل ، وله غير هذه الأحاديث المناكير وكان يتهم بوضع الحديث ، وأحاديث جعفر إما تكون تروى عن ثقة بإسناد صالح ومتن منكر فلا يكون إسناده ولا متنه محفوظاً ، وإما يكون سرق الحديث من ثقة يكون تفرد به ذلك الثقة فيسرق منه فيرويه عن شيخ ذلك الثقة ، وإما أن يجازف إذا سمع شعبة بحديث لشعبه أو مالك أو لغيرهم ويكون تفرد عنهم فلا يحفظ الشيخ ذلك الرجل فيلزقه على إنسان غيره ولا يكون لذلك الرجل فى ذاك الحديث ذكر ولا يرويه ، وكذلك سرقه أيضاً محمد بن الوليد بن أبان مولى بنى هاشم بغدادى وغيرهما .

(٢) (طبقات ابن سعد) : ١٠٣/١ ، ذكر مولد رسول الله ﷺ .

(٣) راجع التعليق التالى .

وخرج الطبرانى فى (الاوسط) من معاجمه حدثنا محمد بن أحمد بن الفرج الأيلى المؤدب ثنا سفيان بن محمد الغزارى ثنا هشيم عن يونس بن عبيد عن الحسن عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : من كرامتى على الله أنى ولدت مختوناً ولم ير سوأتى أحد قال الطبرانى : لم يرو هذا الحديث عن يونس إلا هشيم تفرد به سفيان بن محمد الفزارى .

وخرج أبو نعيم الحافظ ثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن خالد الخطيب، ثنا محمد بن محمد بن سليمان ، ثنا عبد الرحمن بن أيوب الحمصى ، ثنا موسى بن أبى موسى ، حدثنى خالد بن سلمة .عن نافع عن ابن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : ولد النبى ﷺ مسروراً مختوناً(١) .

وخرج الطبرانى فى (معجمه الأوسط) عن محمد بن عبد الله الحضرمى ثنا عبد الرحمن بن عتيبه البصرى ثنا على محمد السلمى ابو الحسن المدائنى ثنا مسلمه بن محارب بن سلمة بن زياد عن أبيه عن أبى بكره أن جبريل ختن النبى ﷺ حين طهر قلبه قال الطبرانى : لا يروى هذا الحديث عن أبى بكره إلا بهذا الإسناد تفرد به عبد الرحمن بن عتيبة(٢) .

---

(١) (دلائل أبى نعيم) : ١٥٤/١ ، بيان رضاعة وفصاله ﷺ ، أنه ولد مختوناً مسروراً ولم ير أحد سوأتى ، وقال فى هامشه : أخرجه أيضاً الطبرانى فى (الأوسط) ، والخطيب ، وابن عساكر من طرق عن أنس ، وصححه الضياء المقدس فى (المختارة) ، والسيوطى فى (الخصائص) ١٣٢/١ ، وقال فى صحيح الزوائد ٢٤٤/٤ : ٢٢٤/٤ : رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط ، وفيه شعبان الفزازى ، وهو متهم .

قال الحاكم فى (المستدرك) : ٦٥٧/٢-٦٥٨ ، تواترت الأحاديث أنه عليه السلام ولد مختوناً ، وولد ﷺ فى الدار التى فى الزقاق المعروف بزقاق المدكل بمكة المكرمة ، وقد صليت فيه ، وهى الدار التى كانت بعد مهاجر رسول الله ﷺ فى يد عقيل بن أبى طالب ، فى [ثم] أيدى ولده بعده .

وحديث رقم (٩٢) ، ولفظه ولفظ ابن سعد سواء ، وحديث رقم (٩٣) : " أن جبريل ختن النبى ﷺ حين طهر قلبه " قال الهيثمى : ولم أعرفهما ، وبقية رجاله ثقات .

(٢) (راجع هامش المرجع السابق) .

التاسعة والأربعون : قال الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام جاء عن النبى ﷺ أنه علم بعض الناس الدعاء فقال : قل : اللهم إنى أقسم عليك بنبينا محمد ﷺ نبى الرحمة

فإن صح فينبغى أن يكون مخصوصاً ، فإنه سيد ولد آدم ، وأن لا يقسم على الله بغيره من الملائكه والأنبياء والأولياء فإنهم ليسوا فى درجته قال المؤلف : هذا الحديث خرجه الترمذى[1] من حديث عثمان بن حنيف ، ولفظه اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة ، الحديث وقال : حديث حسن صحيح غريب وقد تقدم ذكره فى المعجزات فتأمله وليس فى طرقه كلها أقسم عليك فيها أسألك والله أعلم .

---

(١) (سنن الترمذى) : ٥/٥٣١ ، كتاب الدعوات ، باب (١١٩) ، حديث رقم (٣٥٧٨) ، وتمامه : إنى توجهت بك إلى ربى فى حاجتى هذه لتقضى لى ، اللهم فشفعه فى .

قال : هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، من حديث أبى جعفر وهو الخطمى ، وعثمان بن حنيف هو أخو سهل بن حنيف ، وهو جزء من حديث طويل .

وأخرجه ابن ماجة فى (السنن) : ١/٤٤١ / كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب (١٨٩) ما جاء فى صلاة الحاجة ، حديث رقم (١٣٨٥) ، وفيه قوله : (إن شئت أخرت لك) أى أخرت جزاءه إلى الآخره . ولفظ أخرت يحتمل الخطاب والتكلم . (فشفعه) أى اقبل شفاعته فى حقى .

= قال الإمام الحافظ أبو العلاء محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري في (تحفة الأحوذي) : ٢٥/١٠ وما بعدها ، وقال الإمام ابن تيمية في رسالته (التوسل والوسيلة) بعد ذكر حديث عثمان بن حنيف هذا ما لفظه : وهذا الحديث حديث الأعمى قد رواه المصنفون في دلائل النبوة كالبيهقي وغيره ثم أطال الكلام في بيان طرقه وألفاظها (من حديث أبي جعفر وهو غير الخطمي) قال الإمام ابن تميمية : هكذا وقع في الترمذي وسائر العلماء قالوا هو أبو جعفر وهو الصواب انتهى . قلت أبو جعفر عن عمارة بن خزيمة رجلان أحدهما أبو جعفر الخطمي بفتح المعجمة وسكون المهملة اسمه عمير بن يزيد بن عمير بن حبيب الأنصاري المدني نزيل البصرة صدوق من السادسة والثاني غير الخطمي . قال في (التقريب) أبو جعفر عن عمارة ابن خزيمة قال الترمذي ليس هو الخطمي فلعله الذي بعده . قلت : والذي بعده هو أبو جعفر الرزاي التميمي مولاهم وأسمه عيسى بن أبي عيسى عبدالله بن ماهان وأصله من مرو وكان يتجر إلى الري صدوق سيء الحفظ خصوصاً عن مغيرة من كبار السابعة .

تنبيه : قال الشيخ عبد الغني في (إنجاح الحاجة) : ذكر شيخنا عابد السندي في رسالته والحديث يدل على جواز التوسل والإستشفاع بذاته المكرم في حياته . وأما بعد مماته فقد روى الطبراني في الكبير عن عثمان بن حنيف أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان في حاجة له فذكر الحديث قال وقد كتب شيخنا المذكور رسالة مستقلة فيها التفصيل من أراد فليرجع إليها أنتهى .

وقال الشوكاني في تحفة الذاكرين : وفي الحديث دليل على جواز التوسل برسول الله ﷺ إلى الله عز وجل مع أعتقاد أن الفاعل هو الله سبحانه تعالى وأنه المعطي المانع ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن انتهى .

وقال فيها في شرح قول صاحب العمدة : ويتوسل إلى الله بأنبيائه والصالحين ما لفظه ومن التوسل بالأنبياء ما أخرجه الترمذي من حديث عثمان بن حنيف رضي الله تبارك وتعالى عنه أن أعمى أتى النبي ﷺ فذكر الحديث ثم قال : وأما التوسل بالصالحين فمنه ما ثبت في الصحيح أن الصحابه استسقوا بالعباس رضي الله تبارك وتعالى عنه عم رسول الله ﷺ ، وقال وقال عمر رضي الله تبارك وتعالى عنه اللهم إنا نتوسل إليك بعم نبينا الخ انتهى . =

= وقال فى رسالته (الدر النضيد فى إخلاص كلمة التوحيد) وأما التوسل إلى الله سبحانه بأحد من خلقه فى مطلب يطلبه العبد من ربه فقد قال الشيخ عز الدين عبد السلام : أنه لا يجوز التوسل إلى الله تعالى إلا بالنبى ﷺ إن صح الحديث فيه . ولعله يشير إلى الحديث الذى أخرجه النسائى فى سننة والترمذى وصححه ابن ماجه وغيرهم أن أعمى أتى النبى ﷺ فذكر الحديث . قال وللناس فى معنى هذا قولان أحدهما أن التوسل هو الذى ذكره عمر بن الخطاب لما قال كنا إذا أجدبنا نتوسل بنبينا إليك فتسقينا بنبينا إليك فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا وهو فى صحيح البخارى وغيره فقد ذكر عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه أنهم كانوا يتوسلون بالنبى ﷺ فى حياته فى الإستسقاء ثم توسل بعمه العباس بعد موته وتوسلهم هو استسقاؤهم بحيث يدعو ويدعون معه فيكون هو وسيلتهم إلى الله تعالى والنبى ﷺ كان فى مثل هذا شافعاً وداعياً لهم ، والقول الثانى أن التوسل به ﷺ يكون فى حياته وبعد موته وفى حضرته ومغيبه ولا يخافك أنه قد ثبت التوسل به ﷺ فى حياته وثبت التوسل بغيره بعد موته بإجماع الصحابه إجماعاً سكوتياً لعدم إنكار أحد منهم على عمر ﷺ فى توسله بالعباس ﷺ ، وعندى أنه لا وجه لتخصيص جواز التوسل بالنبى ﷺ كما زعمه الشيخ عز الدين بن عبد السلام لأمرين الأول ما عرفناك به من إجماع الصحابه ﷺ والثانى أن التوسل إلى الله بأهل الفضل والعلم هو فى التحقيق توسل بأعمالهم الصالحة ومزاياهم الفاضلة إذ لا يكون الفاضل فاضلاً إلا بأعماله ، فإذا قال القائل اللهم إنى أتوسل إليك بالعالم الفلانى فهو باعتبار ما قام به من العلم ، وقد ثبت فى الصحيحين وغيرهما أن النبى ﷺ حكى عن الثلاثة الذين أنطبقت عليهم الصخرة أن كل واحد منهم توسل إلى الله بأعظم عمل عمله فأرتفعت الصخره ، فلو كان التوسل بالأعمال غير جائز أو كان شركاً كما يزعمه المشددون فى هذا الباب كابن عبد السلام ومن قال بقوله من أتباعه لم تحصل الإجابة لهم ولا سكت النبى ﷺ عن إنكار ما فعلوه بعد حكايته عنهم . وبهذا تعلم أن ما يورده المانعون من التوسل بالأنبياء والصلحاء من قوله تعالى :**﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾** ونحوه قوله تعالى **﴿ فلا تدعو مع الله أحداً ﴾** ونحو قوله تعالى : **﴿ له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء ﴾** ليس بوارد بل هو من الإستدلال على محل النزاع بما هو أجنبى عنه ، فإن قولهم ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى مصرح بأنهم عبدوهم لذلك والمتوسل بالعالم مثلاً لم يعبده بل علم أن له مزية عند الله بحمله العلم فتوسل به لذلك ، وكذلك قوله ولا تدعوا مع الله أحداً فإنه نهى عن أن التوسل عليه بعمل صالح عمله =

= بعض عباده كما توسل الثلاثة الذين أنطبقت عليهم الصخرة بصالح أعمالهم وكذلك قوله : ﴿ **والذين يدعو من دونه** ﴾ الآية فإن هؤلاء دعوا من لا يستجيب لهم ولم يدعوا ربهم الذى يستجيب لهم والمتوسل بالعالم مثلاً لم يدع إلا الله ولم يدع غيره دونه ولا دعا غيره معه . وإذا عرفت هذا لم يخف عليك دفع ما يورده المانعون للتوسل من الأدلة الخارجة عن محل النزاع خروجاً زائداً على ما ذكرناه كأستدلالهم بقوله تعالى : ﴿ **وما أدراك ما يوم الدين * ثم ما أدراك ما يوم الدين * يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله** ﴾ فإن هذا الآية الشريفة ليس فيها إلا أنه تعالى المنفرد بالأمر فى يوم الدين وأنه ليس لغيره من الأمر شيىء ، والمتوسل بنبى من الأنبياء أو عالم من العلماء هو لا يعتقد أن لمن توسل به مشاركة لله جل جلاله فى أمر يوم ومن اعتقد هذا العبد من العباد سواء كان نبياً أو غير نبى فهو ضلال مبين ، وهكذا الإستدلال على منع التوسل بقوله : ﴿ **ليس لك من الأمر شيء** ﴾ ﴿ **قل لا أملك لنفسى نفعاً ولا ضراً** ﴾ فأن هاتين الآيتين مصرحتان بأنه ليس لرسول الله ﷺ من أمر الله شيء وأنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فكيف يملك لغيره . وليس فيهما منع التوسل به أو بغيره من الأنبياء وأولياء والعلماء ، وقد جعل الله لرسول الله ﷺ المقام المحمود لمقام الشفاعة العظمى وأرشد الخلق إلى أن يسألوه ذلك ويطلبوه منه وقال له سل تعطه وأشفع تشفع وقيل ذلك فى كتابة العزيز بأن الشفاعة لا تكون إلا بأذنه ولا تكون إلا لمن أرتضى ، وهكذا الإستدلال على منع التوسل بقوله ﷺ لما نزل قوله تعالى : ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ يا فلان ابن فلان لا أملك لك من الله شيئاً ، يا فلانه بنت فلان لا أملك من الله شيئاً ، فإن هذا ليس فيها إلا التصريح بأنه ﷺ لا يستطيع نفع من أراد الله ضره ولاضر من الله تعالى نفعه وأنه لا يملك لأحد من قرابته فضلاً عن غيرهم شيئاً من الله ، وهذا معلوم لكل مسلم وليس فيه أنه لا يتوسل به إلى الله فإن ذلك هو طلب الأمر ممن له الأمر والنهى وإنما أراد الطالب أن يقدم بين يدى طلبه ما يكون سبباً للإجابه ممن هو المنفرد بالعطاء والمنع وهو مالك يوم الدين انتهى كلام الشوكانى .

قلت : الحق عندى أن التوسل بالنبى ﷺ فى حياته بمعنى التوسل بدعائه وشفاعته جائز وكذا التوسل بغيره من أهل الخير والصلاح فى حياتهم بمعنى التوسل بدعائهم وشفاعتهم أيضاً جائز ، وأما التوسل به ﷺ بعد مماته وكذا التوسل بغيره من أهل الخير والصلاح بعد مماتهم فلا يجوز، وأختاره الإمام ابن تميمة فى رسالته التوسل والوسيلة وقد أشبع الكلام فى تحقيقه وأجاد=

- فيه فعليك أن تراجعها ، ومن جملة كلامه فيها وإذا كان كذلك فمعلـوم أنـه ثبـت عـن عثمـان بـن حنيف أو غيره أنه جعل من المشروع المستحب أن يتوسل بالنبى ﷺ بعد موته من غير أن يكون النبى ﷺ داعياً له ولا شافعاً فيه فقد علمنا أن عمر وأكابر الصحابة لم يـروا هـذا مشـروعاً بعد مماته كما كان يشرع فى حياته بـل كـانوا فـى الإستقسـاء فـى حياتـه يتوسـلون بـه فلمـا مـات لـم يتوسلوا به بل قال عمر فى دعائه الصحيح المشهور الثابت بإتفاق أهل العلم بمحضر المهـاجرين والأنصار فى عام الرمادة المشهور لما أشتد بهم الجـدب حتـى حلـف عمـر لا يـأكل سـمناً حتـى يخصب الناس ، ثم لما استسقى بالناس قال : اللهم إنا كنا إذا أجدبنـا نتوسـل إليـك بنبينـا فتسـقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون ، وهذا دعاء أقره عليه جميع الصحابه لم ينكره أحد مـع شهرته وهو من أظهر الإجماعات الإقرارية ودعا بمثله معاوية بـن أبـى سـفيان فـى خلافتـه لمـا استسقى بالناس ، فلو كان توسلهم بالنبى ﷺ بعد مماته كتوسـلهم فـى حياتـه لقـالوا كيـف نتوسـل بمثل العباس ويزيد بن الأسود ونحوهما ونعدل عن التوسل بالنبى ﷺ الذى هـو أفضـل الخلائـق وهو أفضل الوسائل وأعظمها عند الله فلما لم يقل ذلك أحد منهم وقـد علـم أنهـم فـى حياتـه إنمـا توسلوا بدعائه وشفاعته وبعد مماته توسلوا بدعاء غيره وشفاعة غيره علـم أن المشـروع عندهـم التوسل بدعاء المتوسل به لا بذاته ، وحديث الأعمى حجة لعمر وعامـة الصحابـة رضـوان الله عليهم أجمعين فأنه إنما أمر الأعمى أن يتوسل إلى الله بشفاعة النبى ﷺ ودعائه لا بذاته ، وقـال له فى الدعاء قل اللهم فشفعه فى ، وإذا قدر أن بعـض الصحابـة أمـر غيره أن يتوسـل بذاتـه لا بشفاعته ولم يأمر بالدعاء المشروع بل ببعضه وترك سائره المتضمن للتوسـل بشـفاعته كـان مـا فعله عمر بن الخطاب هو الموافق لسنة رسول الله ﷺ . وكـان المخـالف لعمـر محجوجـاً بسـنة رسول الله ﷺ وكان الحديث الذى رواه عن النبى ﷺ حجة عليه لا له . وقال فيها فأمـا التوسـل بذاته فى حضوره أو مغيبه أو بعد موته مثل الأقسام بذاته أو بغيره من الأنبياء أو السؤال بنفـس ذواتهم لا بدعائهم فليس هذا مشروعاً عند الصحابة والتابعين لهـم بإحسـان لمـا أجدبـوا استسـقوا وتوسلوا أو استشفعوا بمن كان حياً كالعباس ويزيد بن الأسود ولـم يتوسـلوا ول يستشـفعوا ولـم يستسقوا فى هذه الحال بالنبى ﷺ لا عند قبره ولا غير قبره بل عدلوا إلى البدل كالعباس وكيزيد بل كانوا يصلون عليه فى دعائهم ، وقد قال عم اللهـم إنـا كنـا نتوسـل إليـك بنبينـا فتسـقينا وإنـا فتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا ، فجعلوا هـذا بـدلاً عـن ذاك لمـا تعـذر أن يتوسـلوا بـه علـى الوجـه المشروع الذى كانوا يفعلونه،وقد كان من الممكن أن يأتوا إلى قبرهو يتوسلوا هناك ويقولوا فى=

الخمسون : كان ﷺ يرى فى الظلمه كما يرى فى النور

وتقدم أيضاً والله أعلم[1] .

الحادية والخمسون : كان ﷺ إذا قعد لحاجته تبتلع الأرض بوله وغائطه

وقد تقدم ذلك بطرقه[2] .

الثانية والخمسون : ولد ﷺ مختوناً مسروراً

خرج الحافظ أبو بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب البغدادى من طريق سفيان بن محمد المصيصى قال : حدثنا هشيم عن يونس بن عبيد عن الحسن عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ من كرامتى إنى ولدت مختوناً ولم يرا أحد سوءتى[3] .

= دعائهم بالجاه ونحو ذلك من الألفاظ التى تتضمن القسم بمخلوق على الله عز وجل أو السؤال به فيقولون نسألك أو نقسم عليك أو بجاه نبيك ونحو ذلك مما يفعله بعض الناس انتهى .

(١) الذى تقدم هو باب رؤيته ﷺ من خلفه كما يرى من أمامه فى (إمتاع الإسماع): ٣٠٥/٥ بتحقيقنا.

(٢) راجع (إمتاع الإسماع) : ٣٠٢/٥ .

(٣) (تاريخ البغدادى) : ٣٢٩/١ ، فى ترجمة محمد بن الفرج رقم (٣٢٧) ، ثم قال : لم يروه فيما يقال عن يونس غير هشيم وتفرد به سفيان بن محمد .

فأن قيل : فلم لم يولد مطهر القلب من الحظ الشيطان حتى شق صدره قيل : قال ابن عقيل الحنبلي : لأن الله تعالى أخفى دون التطهير بين الذى جرت العادة أن تفعله القابلة أو الطبيب وأظهر أشرفهما وهو القلب فأظهر آثار التحميد والعناية بالعصمة فى الطرقات الوحى .

وقال أبو حسين بن بشر : أن ثنا عثمان بن أحمد الدقاق ثنا أبو الحسن ابن البراء قال قالت : آمنه : ولدته جاثياً على ركبتيه نظر إلى السماء ثم قبضة من الأرض وأهوى ساجداً وولد وقد قطعت سرته فغطين عليه إناء فوجدته قد تفلق الإناء عنه وهو يمص إبهامه يشخب لبناً وقد قال العباس : ولد رسول الله ﷺ مختوناً مسروراً فأعجب به جده عبد المطلب[1] .

الثالثة والخمسون : كان ﷺ لا يتثاءب

حدث محمد بن كثير الكوفى ثنا إسماعيل بن مسلم عن الحسن عن أبى هريرة أن النبى ﷺ ولد مختوناً وقال صفوان بن قتيبة : ومحمد الرمانى عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال : ولد رسول الله ﷺ مسروراً مختوناً وفى هذين الحديثين ضعف وقد ورد فى حديث آخر ما يخالف هذا وهو أن جده عبد المطلب ختنه فى يوم السابع وصنع له مأدبه رواه ابن عبد البر فى [المبتدأ] وإسناده أيضاً لا يصح وقد أستغنى عن هذا بحلب فى حدود الخمسين والستمائة فصنف فيها ابن طلحة تصنيفاً حكى فيه عن أبى عبد الله الترمذى الحكيم أنه ولد مختوناً وتعقبه الكمال عمر بن العديم فصنف كتاب [الملحة فى الرد على أبى طلحة] فأبدع وأجاد ذكره فى إختلاف الآثار فى كونه ولد مختوناً أو ختنه جده عبد المطلب أو ختنه جبريل عليه السلام وذكر ما ورد فى ذلك من الآثار وضعفها كلها وأنه لا يثبت فى هذا شيىء من ذلك والله أعلم .

---

(١) (طبقات ابن سعد) : ١٠٣/١ ، (عيون الأثر) : ٣٠/١ ، (تاريخ الخميس) : ٢٠٤/١ وفيه: وقد أنشق عنه القدر وهو شاخص ببصره إلى السماء .

خرج البخارى فى كتابه الكبير وأنس بن أبى شيبة فى مصنفه من مرسل يزيد بن الأصم قال : ما تثاءب النبى ﷺ فى الصلاة قط ولابن سعد[1] من حديث سفيان ، عن أبى فزاره عن يزيد ابن الأصم قال : ما رؤى النبى ﷺ متثائباً فى الصلاة قط ، وقال مسلمه بن عبد الملك : ما تثائب نبى قط وأنها من علامة النبوة ونقله ابن دحيه فى خصائص اعضاء النبى ﷺ قال مؤلفه : ويؤيد ذلك ما خرجه البخارى[2] فى صحيحة من حديث ابن أبى ذئب حدثنا سعيد المقبرى ، عن أبيه ، عن أبى هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه عن النبى ﷺ قال : أن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب ، فإذا عطس فحمد الله فحق على كل مسلم سمعه أن يشمته .

وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان ، فليرده ما استطاع ، فإن قال : هاضحك من الشيطان . وترجم عليه باب ما يستحب من العطاس ويكره من التثاؤب ، وخرجه أيضاً فى باب إذا تثائب فليضع على فيه . وهو آخر حديث فى كتاب الأدب وذكره فى بدء الخلق فى باب صفة أبليس وجنوده وخرجه أبو داود[3] أيضاً .

---

(١) (طبقات بن سعد) : ٣٨٥/١ ، ذكر صلاة رسول الله ﷺ .

(٢) (فتح البارى) : ٧٤٠/١٠ ، كتاب الأدب ، باب (١٢٥) ما يستحب من العطاس وما يكره من التثاؤب ، ٧٤٥ ، باب (١٢٨) إذا تثاءب فليضع يده على فيه ، حديث (٦٢٢٦) ٤١٦/٦ ، كتاب بدء الخلق ، باب (١١) صفه أبليس وجنوده ، حديث رقم (٣٢٨٩) .

وأخرجه أيضاً الترمزى فى (السنن) ٨٢،٨٠/٥ كتاب الأدب ، باب (٧) ما جاء إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب ، باب (٨) ما جاء إن العطاس فى الصلاة من الشيطان ، حديث رقم (٢٧٤٦) ، (٢٧٤٧) ، (٢٧٤٨) .

وأخرجه أيضاً ابن ماجه فى (السنن) : ٣١٠/١ - ٣١١ كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب (٤٢) ما يكره فى الصلاة ، حديث رقم (٩٦٨) ، (٩٦٩) .

(٣) (سنن أبى داود) : ٢٦٨/٥ ، ٢١٩ ، كتاب الأدب ، باب ما جاء فى التثاؤب وباب فى كم مرة يشمت العاطس ، حديث رقم (٥٠٢٦) ، (٥٠٢٧) ، (٥٠٢٨) ، (٥٠٣٧) .

وخرج مسلم من حديث أسماعيل بن جعفر ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبى هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : التثاوب من الشيطان فإذا تثاعب أحدكم فليكظم ما استطاع .

وخرج من طريق بشر بن المفضل ، قال : أخبرنا سهيل عن أبى صالح، قال : سمعت أبناً لأبى سعيد الخدرى يحدث أبى عن أبيه وقال : قال رسول الله ﷺ إذا تثاعب أحدكم فليمسك بيده على فيه ، فإن الشيطان يدخل .

ومن طريق عبد العزيز عن سهل عن عبد الرحمن بن أبى شيبه فذكره أورده فى الزهد قال ابن سينا العطاس حركة حاصلة من الدماغ لدفع خلط أو مؤذ آخر باستعانه من الهواء دفعاً من طريق الأنف ، والفم ، والعطاس للدماغ كالسعال للرئة وما يليها . قال : والعطاس أنفع الأشياء لتخفيف الرأس وهو مما يعين على نقض الفضول المحتبسة ويسهل للأولاد وخروج المشيمة وينقل ثقل الرأس انتهى ، فلهذا كان العطاس يدل على العطاس وخفه البدن وسعة المنافذ وذلك محبوب إلى الله تعالى فإن المنافذ إذا تسعت وضاقت على الشيطان واذا ضاقت بالأخلاط المتولدة عن كثرة الطعام والشراب أتسعت للشيطان فتمكن من الانسان بتصرفه فيه وذلك لأن الشبع داع إلى الفضول فإن البطن إذا اشبع طغت الجوارح وتصرفت من الحركة والنظر والسماع والكلام ، قواطع للعد عن المقصود وحينئذ يكثر التثاعب لثقل البدن وامتلائه واسترخائه وميله إلى الكسل فلذلك أضافه الرسول ﷺ إلى الشيطان فقال : التثاعب من الشيطان لأنه يدعو إلى الشهوات التى يكرها العبد فكره الله التثاعب لذلك والمراد التحذير من السبب الذى يتولد منه التثاعب وهو التوسع فى النماكل وإكثار الأكل المستلزم كثرة الشرب المتولد عنهما النوم الكثير والكسل المبطئ عن القيام بوظائف العبادة والتثاقل عن ادائها فإذا تقرر ذلك فقد عصم الله رسوله ﷺ عن أن يصدر عنه ما يكرهه الله تعالى من الأقوال والأفعال والأحوال ، ولم يجعل للشيطان عليه سبيلاً بوجه من الوجوه ولا حال من الأحوال ، فلا يكون منه شئ مما ينسب إلى الشيطان ابداً ليظهر الله له فى ذلك كله ....

الرابعة والخمسون : أنه قد اقر ببعثه ﷺ جماعة قبل ولادته وبعدها وقبل مبعثه

كورقه بن نوفل وحبيب بن النجار وتبع وغيرهم كما تقدم ذكره فيما سلف(١)

---

(١) أفرد الحافظ ابو نعيم الأصبها فى الفصل السادس من (دلائل النبوة) . وترجم عليه : توقع الكهان وملوك الأرض بعثته ﷺ ، ويشمل على (٥) أحاديث تضمنت قول سيف بن ذى يزن عن النبى ﷺ : هذا زمنه الذى يولد فيه ، اسمه محمد ، بين كتفيه شامة ، يموت أبوه وهو فى بطن أمه ، ويكلفه جده وعمه ، وقد وجدناه مراراً - والله باعثه جهاداً ، وجاعل له منا أنصاراً، يعزبهم أولياءه ، وبذل بهم أعداءه ، ويضرب بهم الناس عن عرض ، ويستبيح بهم كرائم الأرض ، ويعبد الرحمن ، ويدحر الشيطان ، ويخمد النيران ، ويكسر الأوثان ، قوله فصل ، وحكمه عدل ، يأمر بالمعروف ويفعله ، وينهى عن المنكر ويبطله ...

قال عبدالمطلب : نعم أيها الملك ، أنه كان لى ابن وكنت به عجباً ، وعليه رقيقاً ، فزوجته كريمة من كرائم قومى ، أمنة بنت وهب بن عبدمناف بن زهرة ، فجاءت بغلام سميته محمداً ، مات ابوه وأمه ، وكفلته أنا وعمه ، بين كتفيه شامة ، وفيه كل ما ذكرت من علامة .

قال سيف بن ذى يزن : إن الذى ذكرت لك كما ذكرت لك ، فاحتفظ بابنك ، واحذر عليه اليهود ، فإنهم له اعداء ، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلاً ، واطو ما ذكرت لك ، دون هؤلاء الرهط الين معك ، فإنى لست آمن أن تدخلهم النفاسة ، من أن تكون له الرياسة ، فيبغون له الغوائل ، وينصبون له الحبائل ، وهم فاعلون أو أنباؤهم ، ولولا أنى أعلم أن الموت مجتاحى قبل مبعثه ، لسرت إليه بخليى ورجلى ، حتى أصير يثرب دار ملكى ، فإنى أجد فى الكتاب الناطق والعلم السابق ، أن يثرب استحكام أمى ،وموضع قبره ، وأهل نصرته ، ولوى أنى امه من الآفات ، وأحذر عليه العاهات ، ولأوطأت أسنان العرب كعبة ، ولأ علنت على حدثة من سنه ذكره ، ولكنى صارف إليك ذلك من غير تقصير بمن معك . =

= ثم أجزل لهم العطاء وقال لعبدالمطلب : إذا كان رأس الحول فاتيني عجبره ، وما يكون من أمره ، فهلك ابن ذى يزيد قبل راس الحول ، وكان عبدالمطلب يقول : لا يغبطني يا معشر قريش رجل منكم بجزيل عطاء الملك وإن كثر ، فإنه إلى نفاد ، ولكن ليغبطني بما يبقى لي شرفه وذكره ، ولعقبي من بعدى ، وكان إذا قيل له : ما ذاك ؟ قال : سيعلن ولو بعد حين . [يغبى نبوة رسول الله ﷺ] . (دلائل أه نعيم) : ١ / ٩٧ - ٩٩ ، حديث رقم (٥٠) مختصراً .

ومن ذلك قول زيد بن عمرو بن نفيل لعامر بن ربيعة : فانا أنتظر نبياً من ولد اسماعيل ، من بني عبدالمطلب اسمه أحمد ، ولا أراني أدركه ، فأنا يا عامر أو من به ، وأصدقه ، واشهد أنه بني ، فإن طالت بك المدة فرايته فأقرئه من السلام ، وساخبرك يا عامر ما نعته ، حتى لا تخفى عليك ، قلت : هلم ، قال : هو رجل ليس بالقصير ولا بالطويل ، ولا بكثير الشعر ، ولا بقليله ، وليس تفارق عينيه حمرة ، وخاتم النبوة بين كتفيه ، واسمه أحمد ، وهذا البلد مولده ومبعثه حتى يخرجه قومه منها ، ويكرهون ما جاء به حتى يهاجر إلى يثرب ، فيظهر أمره ، فاياك أن تخدع عنه ، فإني بلغت البلاد كلها اطلب دين إبراهيم الخليل عليه السلام ، وكل من أسال من اليهود والنصارى والمجوس يقول : هذا الدين وراءك ، وينعتونه مثل ما نعته لك ، ويقولون : لم يبق نبى غيره . (المرجع السابق) : حديث رقم (٥٢) مختصراً .

ومن ذلك قول هرقل لدحية الكلبي حين قدم عليه بكتاب رسول الله ﷺ ويحك ، والله إني لأعلم أن صاحبك النبي مرسل ، وأنه للذى كنا ننتظره نجده في كتبنا ، ولكني أخاف الروم على نفسي ، ولولا ذلك لا تبعته . (المرجع السابق) : حديث رقم (٥٣) مختصراً .

ومن ذلك قول قس بن ساعدة الإيادى : إن لله ديناً هو أحب الأديان إليه من دينكم الذى أنتم عليه ، مالي ارى الناس يذهبون ولا يرجعون ، أرضوا بالمقام هناك فأقاموا ؟ أم تركوا هناك فناموا ؟ ثم قال : اقسم قس قسماً براً لا إثم فيه ، ما لله على الأرض وبين هو أحب غليه من دين اظلكم إيانه ، وأدر لكم أو انه ، طولى لمن أدركه فاتبعه ، وويل لمن ادركه ففارقه .
فقال رسول الله ﷺ : يرحم الله قس بن ساعدة ، لأرجو أن يأتي يوم القيامة أمة واحدة (المرجع السابق) : حديث رقم (٥٥) مختصراً . (دلائل البيهقى) : ٣ / ١٠٣ . =

الخامسة والخمسون : كان ﷺ لا ينزل عليه الذباب

قالع العزفى السبتى فى كتاب (أعـذب المـوارد واطيـب المـوالـد) وقـال ابن سبع فى كتاب (الشفا) أنه ﷺ لم يقع على ثيابه ذباب قط قـال : الإمـام أبـو الحسن على بن أحمد بن إبراهيم التجيبى الحرانى رحمه الله ولذلك لبد ﷺ رأسه فى الاحدام بالعسل لما كان آمنا من نزول الذباب عليه ويقال : أنـه لـم يتسـخ لـه ثوب قط ولا يقمل له ثوب قط(١) .

= وأما مقالة ورقه بن نوفل لخديجة رضى الله عنها : حين جاء الوحـى أول مـرة للنبـى ﷺ فمشهورة ، امسكنا عن ذكرها لاشتهارها خشـية الإطالـة ، وهـى مبثوثـة فـى كتـب السيرة فـى أبواب (كيف كان بدء الوحى للنبى ﷺ) .

(١) (تاريخ الخميس) : ١ / ٣١٩ .

السادسة والخمسون : كان له ﷺ إذا نسى الأستثناء أن يستثنى له إذا ذكر وليس لغيره أن يستثنى إلا فى صلة اليمين

خرج الطبرانى فى (معجمه الكبير) من طريق الوليد بن مسلم قال : حدثنا عبدالعزيز بن حسين عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس رضى الله تبارك وتعالى عنه ، فى قوله تعالى : ﴿ **واذكر ربك إذا نسيت**[1] ﴾ قال : إذا نسيت الأستثناء فاستثنى ، إذا ذكرت الاستثناء وذكر ابن شاهين أن من جمله شعب الإيمان الأستثناء فى كل كلام وأورد بسند ضعيف عن أبى هريرة يرفعه لا يتم إيمان المرء حتى يستثنى فى كل حديث أو قال : فى كل كلامه[2] .

---

(١) الكهف : ٢٤ .

(٢) قال صاحب التحرير والتنوير إن المشركين لما سألوا النبى ﷺ ، عن أهل الكهف وذى القرنين وعدهم بالجواب عن سؤالهم من الغد ، ولم يقل " إن شاء الله " فلم يأته جبريل عليه السلام - بالجواب إلاً بعد خمسة عشر يوما . وقيل : بعد ثلاثة أيام كما تقدم ، أى فكان تأخير الوحى إليه بالجواب عتابا ، رمزيا من الله لرسوله ﷺ ، كما عاقب سليمان - عليه السلام فيما رواه البخارى : " أن سليمان قال : لأطوفن الليلة على مائة امرأة تلد كل واحدة ولداً يقاتل فى سبيل الله ، فلم تحمل منهن إلا واحدة ولدت شق غلام " . ثم كان هذا عتابا صريحا فإن رسول الله ﷺ ، لما سئل عن أهل الكهف وعد بالإجابه ونسى أن يقول " إن شاء الله " كما نسى سليمان ، فأعلم الله رسوله بقصه اهل الكهف ، ثم نهاه عن أن يعد بفعل شئ دون التقييد بمشيئه الله .

ومقتضى كلام الكسائى والأخفش والفراء أنه مستثنى من جمله " إنى فاعل ذلك غدا " فيكوت مستثنى من كلام النبى ﷺ . المنهى عنه ، أى الا قولاً مقترنا بـ (إن شاء الله) فيكون المصدر المنسبك من (أن) ، والفعل فى محل نصب على نزع الخافض وهو باء الملابسة . والتقدير : إلا بـ (إن شاء الله) . أى بما يدل على ذكر مشيئه الله . لأن ملابسة القول الحقيقية المشيئه محال ، فعلم أن المراد تلبسه بذكر المشيئة بلفظ (إن شاء الله) ونحوه . فالمراد بالمشيئه إذن الله له .

وقد جمعت هذه الآيه كرامة للنبى ﷺ ، من ثلاث جهات : =

السابعه والخمسون : أنه كان ﷺ لا ينطق عن الهوى

وعَدَّها ابن الفارض[1] من خواصه وقد تقدم هذا[2]

= الأولى : أنه اجاب سؤله ، فبين لهم ما سألوه إياه على خلاف عادة الله مع المكابرين .

الثانيه : أنه علمه علما عظيما من أدب المبوءة .

فنظم الآيه أن اللام فى قوله (لشئ) ليست اللام التى يتعدى بها فعل القول إلى المخاطب بل هى لام العلة ، أى لا تقولن : إنى فاعل كذا لأجل شئ تعديه . فاللام بمنزلة (فى) . و " غدا " مستعمل فى المستقبل مجازا وليست كلمه (غدا) مراداً بها اليوم الذى يلى يومه ، ولكنه مستعمل فى معنى الزمان المستقبل ، كما يستعمل اليوم بمعنى زمان الحال ، والأمس بمعنى زمن الماضى . (تفسير التحرير والتنوير) : ١٥ / ٢٩٥ - ٢٩٧ .

(١) هو الشرف ابن الفارض أبو حفص وأبو القاسم عمر بن أبى الحسن ، على بن المرشد بن على ، الحموى الأصل ، المصرى المولد والدار والوفاة ، المعروف بابن الفارض ، المنعوت بالشرف .

له ديوان شعر لطيف ، وأسلوبه فيه رائق ظريف ، ينحو منحى طريقة الفقراء ، وله قصيده مقدار ستمائة بيت على اصطلاحهم ومنحهم .

قال ابن خلكان : وسمعت أنه كان رجلاً صالحاً كثير الخير ، على قدم التجرد ، جاور بمكة ، زادها الله تعالى شرفا زماناً ، وكان حسن الصحبة ، محمود العشرة ، أخبرنى عنه بعض أصحابه أنه ترنم يوماً وهو فى بيت الحريرى ، صاحب (المقامات) .

وكانت ولادته فى الرابع من ذى القعدة سنة ست وسبعين وخمسمائة بالقاهرة ، وتوفى بها يوم الثلاثاء الثانى من جمادى الأولى سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ، ودفن من الغد بسفح المقطم، رحمه الله تعالى والفارض : بفتح الفاء وبعد الألف راء وبعدها ضاد معجمة ، وهو الذى يكتب الفروض للنساء على الرجال . له ترجمه فى (وفيات الأعيان) : ٣ / ٤٥ - ٤٥٦ ، ترجمة رقم (٥٠٠) ، (ميزان الاعتدال) : ٢ / ٢٦٦ ، ترجمة رقم (٦١١٠) ، (سير أعلام النبلاء) : ٢٢ / ٣٦٨ - ٣٦٩ ، ترجمة (٢٣٢) ، (لسان الميزان) : ٤ / ٣٦٤ - ٣٦٦ ، (شذرات الذهب) : ٥ / ١٤٩ - ١٥٣ . =

الثامنة والخمسون : النهى عن طعام الفجأة
إلا له ﷺ خصوصية

قال أبوالعباس بن القاص : ونهى الرسول ﷺ عن طعام الفجاءة وقد فاجأه ابو الدرداء على طعامه فأمره بأكله وكان ذلك خاصاً له ﷺ قال البيهقى : لا أحفظ النهى عن طعام للفجاءة من وجه يثبت ثم اورد حديث ابى داود[1] من رواية درست بن زياد عن أبان بن طارق عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً من دعى فلم يجب فقد عصى الله ورسوله ومن دخل على غير دعوة فقد دخل سارقاً وخرج مغيراً وعد القضاعى أيضا هذه من الخصائص .

= (٢) الهوى : ميل النفس إلى ما تحبه أو تحب أن تفعله ، دون أن يقتضيه العقل السليم الحكيم ، ولذلك يختلف الناس فى الهوى ، ولا يختلفون فى الحق ، وقد يحب المرء الحق والصواب ، فالمراد بالهوى إذا أطلق أنه الهوى المجرد عن الدليل .

ونفى النطق عن الهوى ، يقتضى نفى جنس ما ينطق به ، عن الاتصاف بالصدور عن هوى ، سواء كان القرآن أو غيره من الإرشاد النبوى ، بالتعليم ، والخطابة ، والموعظة ، والحكمة ، ولكنه القرآن هو المقصود ، لأنه سبب هذا الرد عليهم .

واعلم أن تنزيهه ﷺ عن النطق عن هوى ، يقتضى التنزيه على أن يفعل أو يحكم عن هوى ، لأن التنزة عن النطق عن هوى أعظم مراتب الحكمة ، ولذلك ورد فى صفة النبى ﷺ : أنه يمزح ولا يقول إلا حقاً .

وإن كان النبى ﷺ ينطق بغير القرآن عن وحى ، كما فى حديث الحديبية ، فى جوابه الذى سأله : ما يفعل المعتمر ؟ وكقوله : إن روح القدس نفث فى روعى أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها ، ومثل جميع الأحاديث القدسية التى فيها : قال الله تعالى ، ونحوه .

فهذه الآية بمعزل عن إيرادها فى الاحتجاج لجواز الاجتهاد للنبى ﷺ ، لأنها كان نزولها فى أول أمر الإسلام ، وإن كان الأصح أن يجوز له ﷺ الاجتهاد ، وأنه وقع منه ، وهى من مسائل اصول الفقه . (تفسير التحرير والتنوير) : ٢٧ / ٩٣ - ٩٤ .

(١) (سنن أبى داود) : ٤ / ١٢٥ ، كتاب الأطعمة ، باب (١) ما جاء فى إجابة الدعوة ، حديث رقم (٣٧٤١) .
=

التاسعة والخمسون : عصمته ﷺ من الناس

عدها القضاعى من الخصائص وقد تقدم الكلام عليها[1].

= درست بن زياد ضعيف من الثامنة ، وقوله : " فقد عصى الله ورسوله " احتج بهذا من قال بوجوب الإجابة إلى الدعوة ، لأن العصيان لا يطلق إلا على ترك الواجب .

وقال فى (المرقاة) : والحاصل أنه ﷺ علم أمته مكارم الأخلاق البهية ، ونهاهم عن الشمائل الدنية ، فإن عدم إجابة الدعوة من غير حصول المعذرة يدل على تكبر النفس ، والرعونة ، وعدم الألفة والمحبة ، والدخول من غير دعوة يشير إلى حرص النفس ودناءة الهمة ، وحصول المهانة والمذلة ، فالخلق الحسن هو الاعتدال بين الخلقين المذمومين .

قال المنذرى : فى إسناده إبان بن طارق البصرى ، سئل عنه أبوزرعة الرازى ، فقال : شيخ مجهول ، وقال أبو أحمد بن عدى : وأبان بن طارق لا يعرف إلا بهذا الحديث ، وهذا الحديث معروف به ، وليس له أنكر من هذا الحديث ، وفى إسناده ايضاً درست بن زياد ولا يحتج بحديثه ، ويقال : هو درست بن حمزة ، وقيل : بل هما أثنان ضعيفان . (عون المعبود): ٥ / ١٤٧ - ١٤٨ .

(١) قال تعالى : ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾ ، والعصمة هنا الحفظ والوقاية من كيد أعدائه ، و" الناس " فى الآية مراد به الكفار من اليهود والمنافقين والمشركين ، لأن العصمة بمعنى الوقايه تؤذن بخوف عليه ، وإنما يخاف عليه أعداءه لا أحباءه ، وليس فى المؤمنين عدو لرسوله ، فالمراد العصمة من اغتيال المشركين ، لأن ذلك هو الذى كان يهم النبى ﷺ ، إذا لو حصل ذلك لتعطل الهدى الذى كان يحبه النبى للناس ، إذ كان حريصا على هدايتهم ، ولذلك كان رسول الله ، لما عرض نفسه على القبائل فى أول بعثته ، يقول لهم " أن تمنعونى حتى أبين عن الله ما بعثنى به - أو - حتى أبلغ رسالات ربى " . فأما ما دون ذلك من أذى وإضرار فذلك مما نال رسول الله ﷺ ليكون ممن أذى فى الله : فقد رماه المشركون بالحجارة حتى أدموه وقد شج وجهه ، وهذه العصمه التى وعد بها رسول الله قد تكرر وعده بها فى القرآن كقوله ﴿ فسيكفيكهم الله ﴾ وفى غير القرآن . فقد جاء فى بعض الآثار أن رسول الله ﷺ اخبر وهو بمكة أن الله عصمه من المشركين .

الستون : عصمته ﷺ من الأعلال السيئة

وقد عدها القضاعى فى الخصائص ويؤيده ما رواه يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثنى يعقوب بن عتبه بن المغيرة بن الأخنس ، عن الزهرى ، عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبه بن مسعود عن عائشة رضى الله عنها قالت : دخل على رسول الله ﷺ وهو يصدع ، وأنا اشتكى رأسى ، فقلت : وارأساه فقال : بل أنا والله يا عائشة وارأساه .

ثم قال : وما عليك لومت قبلى فوليت أمرك ،وصليت عليك وواريتك فقلت والله إنى لأحسب لو كان ذلك ، لقد خلوت ببعض نسائك فى بيتى فى آخر النهار ، فأعرست بها ، فضحك . ثم تمادى برسول الله ﷺ وجعه فاستقر برسول الله ﷺ وهو يدور على نسائه فى بيت ميمونة ، فاجتمع إليه أهله ، فقال العباس : إنا لنرى برسول الله ذات الجنب ، فهلموا فلنلده فلدوه ، وأفاق وقال : من فعل هذا ، فقالوا : عمك العباس تخوف أن يكون بك ذات لجنب ، فقال رسول الله ﷺ إنها من الشيطان ، وما كان الله ليسلطه على ، لا يبقى فى البيت أحد إلا لددتموه الأعمى العباس ، فلد أهل البيت كلهم ، حتى ميمونه ، وإنها لصائمه يومئذٍ ، ولذلك بعين رسول الله ﷺ الحديث [ثم استأذن رسول الله ﷺ نساءه ، يمرض فى بيتى فخرج رسول الله ﷺ إلى بيتى ، وهو بين العباس وبين رجل آخر - لم تسميه - تخط قدماه بالأرض إلى بيت عائشه . قال عبيدالله : فحدثت هذا الحديث ابن عباس فقال : تدرى من الرجل الأخر الذى مع العباس مالم تسميه عائشه ؟ قلت : لا قال : هو على بن أبى طالب رضى الله تبارك وتعالى عنه [1]] .

---

(١) (دلائل النبوة) : ٧ / ١٦٩ - ١٧٠ ، باب ما جاء فى إشارته إلى عائشة رضى الله عنها فى ابتداء مرضه بما يشبه النعى .

وفى روايه ذلك داء ما كان الله ليعذبنى به وفى رواية للطبرانى : إنى أكرم على الله من أن يعذبنى بها .

وفى رواية أخرى وهى من الشيطان وما كان الله ليسلطها علىّ ، وفى روايه ما كان الله ليميتنى بسئ الأسقام أو قال : الأمراض وقد كان ﷺ يقول فى دعائه اللهم إنى أعوذ بك من الجنون والجذام وسئ الأسقام .

خرجه النسائى[1] من حديث همام ، عن قتادة عن أنس ، أن النبى ﷺ كان يقول : اللهم إنى إعوذ بك من الجنون والجذام والبرص وسئ الأسقام .

= وبسياقه أخرى فى (فتح البارى) : ١٠ / ١٥٢ ، كتاب المرضى باب (١٦) ما رخص للمريض أن يقول وارأساه ، حديث رقم (٥٦٦٦) وذكر أيضا فى كتاب الطب ، باب (٢١) اللدود ، ولفظه من حديث عائشه : لددناه فى مرضه ، فجعل يشير إلينا أن لا تلدونى ، فقلنا : كراهيه المريض للدواء ، فلما افاق ، قال : ألم أنهكم أن تلدونى ؟ قلنا : كراهيه المريض للدواء ، فقال : لا يبقى أحد فى البيت إلا لد وأنا أنظر ، إلا العباس فإنه لم يشهدكم .

و١٠ / ٢٠٤ ، حديث رقم (٥٧١٢) ، ١٢ / ٢٦٤ ، كتاب الديات ، باب (١٤) القصاص بين الرجال والنساء فى الجراحات ، حديث رقم (٦٨٨٦) ، ٢٨٠ ، باب (٢١) اذا أصاب قوم من رجل هل يعاقب أم يقتص منهم كلهم ؟ ، حديث رقم (٦٨٩٧) ، ١٣ / ٢٥٤ ، كتاب الأحكام ، باب (٥١) الاستخلاف ، حديث رقم (٧٢١٧) . (مسلم بشرح النووى) : ١٤ / ٤٥٠ ، كتاب السلام ، باب (٢٧) كراهة التدواى باللدود ، حديث رقم (٢٢١٣) .

وأخرجه الإمام أحمد فى (المسند) : ٧ / ٧٩ ، من حديث السيدة عائشه حديث رقم (٢٣٧٤٢) .

وأخرجه الترمذى فى (السنن : ٤ / ٣٤٠ ، كتاب الطب ، باب (٩) ما جاء فى السعوط وغيره ، حديث (٢٠٤٧) ولفظه : إن خير ما تداويتم به اللدود والسعوط والحجامه وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب ، وهو حديث من طريق عباد بن منصور ، وهذا دليل على أن ليس كل ما روى الضعيف ، فهذا حديث صحيح والحديث له روايات صحيحة .

(١) (سنن النسائى) : ٨ / ٦٦٤ ، كتاب الإستعاذة : باب (٣٦) الإستعاذة من الجنون ، حديث رقم (٥٥٠٨) . (٥٤٩٥) .

وخرجه أبو داود[١] من حديث حماد ، عن قتادة ، عن أنس بهذا ، وخرجه أبوبكر بن أبى شيبه[٢] عن حديث حماد بن سلمة عن قتادة عن أنس ان النبى ﷺ كان يقول : بنحوه وقال : ومن سوء الأسقام .

الحادية والستون : أن الملائكة قاتلت معه ﷺ يوم بدر ولم تقاتل مع أحد من قبله

كما تقدم ذكره وعد القضاعى ذلك من الخصائص[٣] .

الثانيه والستون : كان ﷺ لا يشهد على جور

وعد ذلك القضاعي من خصائصه ووجه كون هذا من الخصائص أن لا يشهد على جور ، ظاهراً ولا باطناً ومن عداه قد شهد على الجور وفى طبقاته ليس يجوز لقصوره عن إدراك ما بطن عنه فى ذلك[٤] .

---

(١) (سنن أبى داود) : ٢ / ١٩٤ - ١٩٥ ، كتاب الصلاة ، باب (٣٦٧) فى الاستعاذة ، حديث رقم (١٥٥٤) .

(٢) (مصنف ابن أبى شيبه) : ٦ / ١٨ ، كتاب الدعاء ، حديث رقم (٢٩٢١٠) ، وأخرجه الإمام أحمد فى (المسند) : ٤ / ٤٤ ، من حديث أنس بن مالك حديث رقم (١٢٥٩٢) .

(٣) سبق تخريجه فى أحداث غزوة بدر وغيرها .

(٤) (فتح البارى) : ٥ / ٢٦٤ - ٢٦٦ ، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها ، باب (١٣) الإشهاد فى الهبة ، حديث رقم (٢٥٨٧) ، وقال الحافظ فى (الفتح) : ولمسلم فى رواية عروة وحديث البراء معاً ، ووقع فى رواية أبى حريز بمهملة وراء ثم زاى بوزن عظيم عند ابن حبان والطبرانى عن الشعبى " أن النعمان خطب بالكوفة فقال : إن والد بشير بن سعد أتى النبى ﷺ فقال : إن عمرة بنت رواحة نفست بغلام ، وإنى سميته النعمان ، وإنها أبت أن تربيه حتى جعلت له حديقة من أفضل مال هولى وأنها قالت : أشهد على ذلك رسول الله ، وفيه قوله ﷺ : (لا أشهد على جور) .

الثالثه والستون : كان ﷺ يرى فى الثريا أحد عشر نجماً(١)

كما ذكره القاضى عياض(٢) فى كتاب الشفاء وذكر السهيلى لا تزيد على تسعة انجم فيما يذكرون](٣).

---

(١) قال القاضى عياض : وقد حكى عنه ﷺ أنه كان يرى فى الثريا أحد عشر نجماً ، وهذه كلها محمولة على رؤيه العين ، وهو قول أحمد بن حنبل وغيره ، وذهب بعضهم إلى ردها إلى العلم والظواهر تخالفه ولا إحالة فى ذلك ، وهى من خواص الأنبياء وخصالهم ، كما أخبرنا أبو محمد عبدالله بن أحمد العدال من كتابه ، حدثنا أبو الحسن المقرئ الفرغانى ، حدثتنا أم القاسم بنت أبى بكر ، عن أبيها ، حدثنا الشريف أبو الحسن على بن محمد الحسنى ، حدثنا محمد بن محمد بن سعيد ، حدثنا محمد بن أحمد بن سليمان ، حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق ، حدثنا همام ، حدثنا الحسن ، عن قتادة ، عن يحيى ، عن أبى هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه عن النبى ﷺ ، قال : لما تجلى الله عز وجل لموسى عليه السلام ، كان يبصر النملة على الصفا فى الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ ، ولا يبعد على هذا أن يختص نبينا ﷺ بما ذكرناه من هذا الباب .

(٢) هو الإمام العلامه الحافظ الأوحد ، شيخ الإسلام ، القاضى أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبى الأندلسى ، ثم السبتى المالكى - ولد سنة ست وسبعين وأربع مائه ، تحول جدهم من الأندلس إلى فاس ، ثم سكن سبتة . رحل إلى الأندلس سنة بضع وخمس مائة ، وروى عن القاضى أبى على بن سكرة الصدفى ، ولازمه ، وعن أبى بحر بن العاص ، وعدة . وتفقه بأبى عبدالله محمد بن عيسى التميمى ، والقاضى محمد بن عبدالله المسيلى ، واستبحر من العلوم ، وجمع وألف ، وسارت بتصانيفه الركبان ، واشتهر اسمه فى الآفاق . قال خلف بن بشكوال : هو من اهل العلم والتفنن والذكاء والفهم . قال القاضى شمس الدين فى (وفيات الأعيان) : هو إمام الحديث فى وقته ، وأعرف الناس بعلومه، وبالنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم ، وكل تواليفه بديعة ، وله شعر حسن .

قلت : تواليفه لنفسية ، وأجلها وأشرفها كتاب (الشفا) لولا ما قد حشاه بالاحاديث المفتعلة، عمل إمام لا نقد له فى فن الحديث ولا ذوق ، والله يثيبه على حسن قصده ، وينفع بـــ (شفائه) ، وقد فعل . =

الرابعة والستون : بياض إبطه ﷺ من خصائصه ﷺ بخلاف غيره فإنه أسود لأجل الشعر(١)

ذكره أبو نعيم في كتاب دلائل النبوة فقال : بياض إبطه ﷺ من علامات نبوته وقد جاء في أحاديث عديدة ذكر بياضه منها : كان إذا سجد جافى بين أعضائه حتى يرى من خلفه عقرة أبطيه ، العقرة : البياض ليس بالناصع والله أعلم .

= وقد حدث عن القاضي خلق من العلماء ، منهم الإمام عبدالله بن محمد الأشيرى ، وأبو جعفر ابن القصير الغرناطي ، والحافظ خلف بن بشكوال .

توفى في سنة أربع وأربعين وخمس مائه بمراكش ، ومات ابنه في سنة خمس وسبعين وخمس مائه . وفيها مات شاعر زمانه القاضي أبو بكر أحمد بن محمد بن حسين الأرجاني قاضي تستر، والعلامة المصنف أبو جعفر أحمد بن علي بن أبي جعفر البيهقي ، والمسند بهراة أبو المحاسن أسعد بن علي بن المرفق ، ومحدث حلب ابو الحسن علي بن سليمان المرادى القرطبي .

(٣) في الأصل : " وذكر السهيلي أنه ﷺ وصفاته أنها لا تزيد على تسة أنجم فيما يذكرون وما أثبتناه أليق بالصواب .

(١) (فتح الباري) : ٢ / ٦٥٦ - ٦٥٧ ، كتاب الاستسقاء ، باب (٢١) ، (٢٢) رفع الناس أيديهم مع الإمام في الاستسقاء ، حديث رقم (١٠٣٠) ، (١٠٣١) .

(مسلم بشرح النووى) : ٤ / ٤٥٧ - ٤٥٨ ، كتاب الصلاة ، باب (٤٦) ما يجمع صفة الصلاة ، حديث رقم (٢٣٥) ، (٢٣٦) .

(المسند) : ١ / ٥٦٥ ، حديث رقم (٣١٨٧) ، ٥٨٤ ، حديث رقم (٣٣١٨) .

(كنز العمال) : ٨ / ١٣٠ ، السجود وما يتعلق به حديث رقم (٢٢٢٣٩) .

الخامسه والستون : كان ﷺ لا يحب الطيب فى الاحرام لأن الطيب من أسباب الجماع

ادعى المهلب بن أبى صفره المالكى أنه ﷺ كان لا يتجنب الطيب فى الإحرام ونهانا عنه لضعفنا عن ملك الشهوات ، إذا الطيب من أسباب الجماع فيكون ذلك من الخصائص وقد خولف المهلب فى هذه الدعوى[1]

---

(١) أخرج البخارى فى الحج ، باب (١٨) الطيب عند الإحرام ، وما يلبس إذا أراد أن يحرم ، ويترحل ويدهن ، حديث رقم (١٥٣٩) ، عن عائشة رضى الله عنها زوج النبى ﷺ قالت : " كنت أطيب رسول الله ﷺ لإحرامه حين يحرم ، ولحله قبل قبل أن يطوف بالبيت " .

قال الحافظ فى (الفتح) : وادعى بعضهم أن ذلك من خصائصه ﷺ قاله المهليب ، وابو الحسن القصار ، وأبو الفرج من المالكيه ، قال بعضهم : لأن الطيب من دواعى النكاح ، فنهى الناس عنه ، وكان هو أملك الناس لإربه ففعله ، ورجمه ابن العربى بكثرة ما ثبت له من الخصائص فى النكاح ، وقد ثبت عنه أنه قال " حبب إلى النساء والطيب " . أخرجه النسائى من حديث أنس ، وتعقب بأن الخصائص لا تثبت بالقياس . وقال المهلب : إنما خص بذلك لمباشرته الملائكة لأجل الوحى ، وتعقب بأنه فرع ثبوت الخصوصية وكيف بها ، ويردها حديث عائشة بنت طلحة المتقدم .

وروى سعيد بن منصور بإسناد صحيح عن عائشة قالت : " طيبت أبى بالمسك لإحرامه حين أحرم " ويبقولها " طيبت رسول الله ﷺ بيدى هاتين اخرجه الشيخان من طريق عمر بن عبدالله بن عروة ، عن جدة ، عنها ، وسيأتى من طريق سفيان ، عن عبدالرحمن بن القاسم بلفظ " وأشارت بيديها " واعتذر بعض المالكية بأن عمل أهل المدينه على خلافه ، وتعقب بما رواه النسائى ، من طريق أبى بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام ، أن سليمان بن عبدالملك لما حج جمع ناساً من أهل العلم - منهم القاسم بن محمد ، وخارجة بن زيد ، وسالم ، وعبدالله ابنا عبدالله بن عمر ، وعمر بن عبدالعزيز ، وأبو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث . فسالهم عن التطيب قبل الإفاضة ، فكلهم امربه - فهؤلاء فقهاء أهل المدينة من التابعين ، قد اتفقوا على ذلك ، فكيف يدعى مع ذلك العمل على خلافه . (فتح البارى) : ٣ / ٥٠٩ - ٥١٠.

السادسة والستون : كان ﷺ يسأل الله تعالى في كل وقت بخلاف الأنبياء جميعاً حيث لا يسألون الله تعالى إلا أن يؤذن لهم

نقل القضاعي في تفسيره في قوله تعالى ﴿ فلنولينك قبلة ترضاها ﴾ عن بعضهم أنه ﷺ كان أخبر جبريل عليه السلام بما يجب من ذلك فأمره عن الله تعالى أن يدعو الله تعالى ويسأله فيه ففعل لأن الأنبياء عليهم السلام لا يسألون الله تعالى شيئا إلا من بعد أن يأذن لهم وفي هذا نظر(١) .

السابعة والستون : لم يكن القمل يؤذيه ﷺ تعظيما له وتكريماً

قاله : ابن سبع في كتاب (شفاء الصدر) (٢) .

الثامنة والستون : لم تهرم له دابة مما كان يركب ﷺ

كل دابه يركب عليها ﷺ بقيت على القدر الذي كان يركب عليها فلم يهرم له مركب .

ذكره ابن سبع وقال : غريب ويعترض عليه بأن بغلة رسول الله ﷺ ذهبت أسنانها من الهرم وعميت كما سيأتي ذكره .

---

(١) لم أجد ما يؤيد هذا الرأي .

(٢) (تاريخ الخميس) : ١ / ٣١٩ .

التاسعه والستون : كان ﷺ إذا جلس
[كان] أعلى من جميع الناس
وإذا مشى بين الناس[كان] إلى الطول

ولم يكن أحد من الناس يماشيه إلا طاله . وذكره ابن سبع وقال : إنه حديث مشهور [1] ولم يكن أحد من الناس يما شيه إلا طاله ، ذكره ابن سبع وقال : إنه حديث مشهور .

---

(١) قال الحافظ أبو نعيم فى (دلائل النبوة) : ولم يكن ﷺ بالقصير المتردد ، فكان ينسب إلى الربعة ينسب إلى الطول ولم يكن على ذلك يماشيه أحد من الناس ينسب إلى الطويلين فيطولهما رسول الله ﷺ ، وإذا فارقاه نسبا إلى الطول ، ونسب رسول الله ﷺ إلى الربعة . (دلائل أبى نعيم) : ٦٣٧/٢ حديث رقم (٥٦٦) .

السبعون : لم يكفِّر ﷺ لأنه كان مغفوراً له ما تقدم من ذنبه وما تأخر إلا أن يكون تعليماً للمؤمنين كما فى عتقه ﷺ رقبه فى تحريم مارية عليها السلام

قال الزمخشرى[1] : فى سورة التحريم فى قوله تعالى : ﴿ قد فرض

---

(١) (الكشاف) : ٤ / ١١٣ ، القول فى سورة التحريم ، قال الإمام أحمد : ما أطلقه الزمخشرى فى حق النبى ﷺ تقول وافتراء والنبى ﷺ منه براء ، وذلك أن تحريم ما أحله الله على وجهين اعتقاد ثبوت حكم التحريم فيه فهذا بمثابة اعتقاد حكم التحليل فيما حرمه الله عزوجل ، وكلاهما محظور لا يصدر من المتسمين بسمة الإيمان وإن صدر سلب المؤمن حكم الإيمان واسمه الثانى الامتناع مما أحله عزوجل ، وحمل التحريم بمجرده صحيح لقوله وحرمنا عليه المراضع من قبل أى منعنا لاغير ، وقد يكون مؤكداً باليمين مع اعتقاد حله وهذا مباح صرف حلال محض . ولو كان على المنع ترك المباح والامتناع منه غير مباح ، استحالت حقيقة الحال . بلا إشكال ، فإذا علمت بدون ما بين القسمين ، فعلى القسم الثانى تحمل الآية والتفسير الصحيح يعضده ، فإن النبى ﷺ حلف بالله لا أقرب مارية .

ولما نزلت الآيه كفرَّ عن يمينه ، ويدل عليه ﴿ قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم ﴾ ، وقال مالك فى المدونة : عن زيد بن أسلم إنما كفر النبى ﷺ فى تحريمه أم ولده لأنه حلف أن لا يقر بها ومثله عن الشعبى ، وهذا المقدار مباح ليس فى ارتكابه جناح ، وإنما قبل له لم تحرم ما أحل الله لك ، رفقا به وشفقة عليه وتنويهاً لقدره ولمنصبه ﷺ أن يراعى مرضات أزواجه بما يشق عليه جريا على ما ألف من لطف الله تعالى بنبيه ورفعه عن أن يخرج بسبب أحد من البشر الذين هم أتباعه ، ومن أجله خلقوا ليظهر الله كمال نبوته بظهور نقصانهم عنه . =

الله لكم تحلة أيمانكم[1] ﴾ فإن قلت : هل كفرّ رسول الله ﷺ لذلك قلت : عن الحسن أنه لم يكفر لأنه كان مغفوراً له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وإنما هو تعليم للمؤمنين ، وعن مقاتل إن رسول الله ﷺ أعتق رقبة في تحريم ماربه . والله أعلم .

= والزمخشرى قطعاً لم يحمل التحريم على هذا الوجه لأنه جعله زلة فيلزمه أن يحمله على المحمل الأول . ومعاذ الله وحاش لله وأن آحاد المؤمنين حاشى أن يعتقد تحريم ما أحل الله له فكيف لا يربأ بمنصب النبى عليه السلام عما يرتفع عنه منصب عامة الأمة ، وما هذه من الزمخشرى إلا جراءة على الله ورسوله ، وإطلاق القول من غير تحرير وإبراز الرأى الفاسد بلا تخيير ، نعوذ بالله من ذلك ، وهو المسئول أن يجعل وسيلتنا إليه تعظيما لنبينا صلوات الله عليه وأن يجنبنا خطوات الشيطان ، ويقبلنا من عثرات اللسان . (تفسير القرآن العظيم) : ٤ / ٤١٢ ، وهذا خلاف لما ذكره الحافظ ابن كثير من حديث زيد بن أسلم أن رسول الله ﷺ اصاب أم إبراهيم فيبيت بعض نسائه ، فقالت : أى رسول الله فى بيتى وعلى فراشى ؟ فجعلها عليه حراماً ، قالت : أى رسول الله كيف يحرم عليك الحلال ؟ فحلف لها بالله لا يصيبها ، فأنزل الله تعالى ﴿ **يا أيها النبى لم تحرم ما أحلّ الله لك** ﴾ قال زيد بن أسلم فقوله أنت على حرام لغو ، وهكذا روى عبدالرحمن بن زيد عن أبيه ، وقال ابن جرير أيضا : حدثنا يونس ، حدثنا ابن وهب ، عن مالك ، عن زيد بن أسلم ، قال : قال لها " أنت على حرام والله لا أطؤك" وقال القسطلانى فى (المواهب اللدنية) : ٢ / ٦٥٤ - ٦٥٥ ، ومنها أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال الله تعالى : ﴿ **ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر** ﴾[سورة الفتح : الأيه ٢] قال الشيخ عزالدين بن عبدالسلام : من خصائصه ﷺ أنه أخبره الله تعالى بالمغفرة ولم ينقل أنه أخبره الله تعالى بالمغفرة ، ولم ينقل أنه أخبر أحداً من الأنبياء بمثل ذلك ، ويدل له قولهم فى الموقف : نفسى نفسى .

وقد سبق إلى نحو هذا ابن عطية فقال : وإنما المعنى التشريف بهذا الحكم ، ولم تكن ذنوب البتة ، ثم قال : وعلى تقدير الجواز لاشك ولا ارتياب أنه لم يقع منه ﷺ ، وكيف يتخيل خلاف ذلك ﴿ **وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحى يوحى** ﴾.[سورة النجم: الآيه ٤ -٥] .

(١) سورة التحريم : ٢ .

الحادية والسبعون : إنه أسرى به ﷺ إلى سدرة المنتهى ثم رجع إلى منزله فى ليلة واحدة وهذه من خصائصه ﷺ (١)

---

(١) (المواهب اللدنيه بالمنح المحمدية) : ١ / ٢٧٣ - ٢٧٥ ، وقت الإسراء كان فى شهر ربيع الأول ، أسرى بروحه وجسده يقظة من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ، ثم عرج به من المسجد الأقصى إلى فوق سبع سماوات ، ورأى ربه بعينى رأسه ، وأوحى الله إليه ما وأحى ، وفرض عليه الصلوات الخمس ، ثم انصرف فى ليلته إلى مكة ، فأخبر بذلك ، فصدقه الصديق ، وكل من آمن بالله . وكذبه الكفار واستوصفوه مسجد بيت المقدس ، فمثله الله له ، فجعل ينظر إليه ويصفه . قال الزهرى : وكان ذلك بعد المبعث بخمس سنين . حكاه عنه القاضى عياض ، ورجحه القرطبى والنووى . واحتج بأنه لا خلاف أن خديجة صلت معه بعد فرض الصلاة ، ولا خلاف أنها توفيت قبل الهجرة ، بثلاث أو بخمس ، ولا خلاف أن فرض الصلاة كان ليلة الإسراء . وتعقب : بأن موت خديجة بعد البعث بعشر سنين على الصحيح فى رمضان ، وذلك قبل أن تفرض الصلاة .

ويؤيده إطلاق حديث عائشه ، أن خديجة ماتت قبل أن تفرض الصلوات الخمس . ويلزم منه أن يكون موتها قبل الإسراء وهو المعتمد ، وأما التردد فى سنة وفاتها فيرده جزم عائشة بأنها ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين ، قاله الحافظ ابن حجر .

وقيل : قبل الهجرة بسنة . قاله ابن حزم ، وادعى فيه الإجماع . وقيل : قبل الهجرة بسنة وخمسه أشهر ، قاله السدى وأخرجه من طريقه الطبرى والبيهقى ، فعلى هذا كان فى شوال .
وقيل : كان فى رجب - حكاه ابن عبدالبر ، وقبله ابن قتيبة وبه جزم النووى فى (الروضه) .

وقيل : كان قبل الهجرة بسنة وثلاثة أشهر ، فعلى هذا يكون فى ذى الحجة ، وبه جزم ابن فارس .

وقيل : قبل الهجرة بثلاث سنين ، ذكره ابن الأثير ، وقال الحربى : إنه كان فى سابع عشر من ربيع الأخر ، كذا قال النووى فى (فتاويه) ، لكن قال فى شرح مسلم : فى ربيع الأول .

وقيل : كان ليلة السابع والعشرين من رجب ، واختاره الحافظ عبدالغنى بن سرور المقدسى .

=

اللهم الا أن يكون فى قوله فى الحديث حيث يقول : جبريل عليه السلام للبراق حين جمح لما أراد النبى ﷺ أن يركبه : اسكن فوالله ما ركبك خير منه وكذا فى قوله : فى الحديث فربط الدابة بالحلقه التى كانت تربط بها الأنبياء ما يدل على انه قد كان يسرى بهم إلا أنا نعلم أنه ﷺ لم يشاركه أحد منهم فى المبالغة فى التقريب والدنو منه والتعظيم ولهذا كانت منزلته فى الجنه أعلاها منزلة وأقربها إلى العرش كما جاء فى الحديث ثم سلوا الله لى الوسيله فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن اكون أنا . فصلى الله عليه وسلم وقد تقدمت أحاديث الإسراء .

* * *

= وأما اليوم الذى يسفر عن ليلة الإسراء ، فقيل الجمعة ، وقيل السبت ، وعن ابن دحيه : يكون إن شاء الله يوم الاثنين ، ليوافق المولد والمبعث والهجرة والوفاة ، فإن هذه أطوار الانتقالات : وجوداً ونبوة ومعراجاً وهجرة ووفاة .

وقد سبق تخريج أحاديث الإسراء والمعراج فى موضعها من (إمتاع الأسماع) بتحقيقنا .

الثانية والسبعون : أنه ﷺ صاحب اللواء الأعظم يوم القيامة

وقد تقدم ذكر ذلك[1] .

---

(1) راجع (إمتاع الأسماع) : ٣/٢٢٤ بتحقيقنا ، باب : وأما تفرده بالسيادة يوم القيامة على جميع الأنبياء والرسل وأن آدم ومن دونه تحت لوائه ﷺ .

وأخرج الترمذى فى (السنن) :٥/٥٤٦ ، كتاب المناقب ، باب (١) فى فضل النبى ﷺ ، حديث رقم (٣٦١٠) ، ولفظه : حدثنا الحسن بن يزيد الكوفى . حدثنا عبدالسلام بن حرب ، عن ليث ، عن الربيع بن أنس بن مالك رضى الله تبارك وتعالى عنهم ، قال : قال رسول الله ﷺ أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا ، وأنا خطيبهم إذا وفدوا ، وأنا مبشرهم إذا أيسوا ، لواء الحمد يومئذ بيدى ، وأنا أكرم ولد آدم على ربى ولا فخر .

وقال فى (تحفة الأحوذى) : ٨/٤٦٥ ، (لواء الحمد) اللواء بالكسر وبالمد : الراية ، ولا يمسكها إلا صاحب الجيش ، قاله الجزرى فى النهاية .

قال الطيبى : لواء الحمد عبارة عن الشهرة وانفراده بالحمد على رؤوس الخلائق ، ويحتمل أن يكون لحمده لواء يوم القيامة حقيقة ، يسمى لواء الحمد . وقال التوربشتى : لا مقام من مقامات عباد الله الصالحين ارفع وأعلى من مقام الحمد ، ودونه تنتهى سائر المقامات ، ولما كان نبينا سيد المرسلين ، أحمد الخلائق فى الدنيا والأخرة أعطاه لواء الحمد ليأوى إلى لوائه الأولون والأخرون ، وإليه الإشارة بقوله ﷺ : آدم ومن دونه تحت لوائى .

قال المباركفورى : حمل لواء الحمد على معناه الحقيقى هو الظاهر بل هو المتعين ، لأنه لا يصير إلى المجاز مع إمكان الحقيقة . " وما من نبى يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائى " . قال الطيبى : نبى نكرة وقعت فى سياق النفى ، وأدخل عليه من الاستغراقية ، فيفيد استغراق الجنس ، وقوله : آدم فمن : إما بيان أو بدل من محله ، ومن فيه موصولة وسواه صلته ، وصح لأنه ظرف ، وأثر الفاء التفصيلية فى فمن سواه على الواو للترتيب .

الثالثه والسبعون : أنه ﷺ يبعث هو وأمته على فشز من الأرض دون سائر الأمم

وقد تقدم ذكر ذلك عند ذكر الشفاعه .

الرابعة والسبعون : أن الله تعالى يأذن له ﷺ ولأمته فى السجود فى المحشر دون سائر الأمم

كما رواه ابن ماجة عن جبارة بن المغلس الحماقى ، ثنا عبد الأعلى بن أبى المساور ، عن أبى بردة ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة أذن لأمة محمد فى السجود فيسجدون له طويلاً ، ثم يقال : ارفعوا رؤوسكم فقد جعلنا عدوكم فداءكم من النار . وجبارة ضعيف وقد صح من غير وجه أنهم أول الأمم يقضى بينهم يوم القيامة وتقدم سجوده ﷺ فى أحاديث الساعة(1) .

الخامسة والسبعون : أنه ﷺ صاحب الحوض المورود

وتقدمت الأحاديث فى ذلك ، فقد روى الترمذى وغيره أن لكل نبى حوضاً ولكن نعلم أن حوضه ﷺ أعظم الحياض وأكثرها وارداً كما تقدم .

---

(1) (سنن ابن ماجة) : ٢/١٤٣٤ ، كتاب الزهد ، باب (٣٤) صفة أمة محمد ﷺ ، حديث رقم (٤٢٩١) ، وقال فى (الزوائد) : روى مسلم بمعناه وأتم سوق الحديث عن أبى بردة عن أبيه بإسناد أصح من هذا ، ومع ذلك فقد أعله البخارى ، قوله : " قد جعلنا عدتكم ، ليس المراد أنهم يدخلون بمجرد أنهم فداء هذه الأمة ، بل إنهم يدخلون لاستحقاقهم لذلك ، ويكتفى بدخولهم عن دخول هذه الأمة ، فصاروا فداء .

السادسة والسبعون : البلد الذى ولد فيه ﷺ أشرف بقاع الأرض ثم مهاجره وقيل : إن مهاجره أفضل البقاع

كما هو مأثور عن الإمام مالك وجمهور أصحابه ونقله القاضى ، عن عمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه ، ونقل الاتفاق على أن قبره ﷺ الذى ضم جسده المقدس بعد موته أشرف بقاع الأرض وقد سبقه إلى حكاية هذا الإجماع القاضى أبو الوليد الباجى وابن بطال .

وأصل ذلك ما روى أنه ﷺ لما مات اختلفوا فى موضع دفنه فقيل : بالبقيع وقيل : بمكة وقيل : ببيت المقدس فقال : أبو بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه : إن الله لم يقبضه إلا فى أحب البقاع إليه ذكره . عبدالصمد بن عساكر فى كتابه (تحفه الزائر) بغير إسناد .

وقال غيره : لما كان ﷺ أفضل الرسل ، وكتابه أفضل الكتب ، ودينه أشرف الأديان ، وشريعته أشرف الشرائع ، وهو أفضل الخلق ، فوضع قبره له فى أشرف المواضع .

ويشهد له ما رواه الحاكم عن أبى سعيد الخدرى قال : مر النبى ﷺ بجنازة عند قبر فقال : قبر من هذا فقالوا : فلان الحبشىّ فقال : لا إله إلا الله ! سيق من أرضه وسمائه إلى التربة التى خُلق منها .

ومسألة المفاضلة بين مكة والمدينة كثر المقال وطال النزاع فيها ، فاستدل من قال بتفضيل مكة على المدينة بأن الله تعالى حبس الفيل عن مكة وأهلها وأهلك جيش راكبه لما قصد غزو مكة كما تقدم ذكره وقال تعالى ﴿**ومن دخله كان آمناً**﴾ .

قيل : آمنا من النار وقيل : كان يأمن من الطلب من أحدث حدثاً ولجأ إليه فى الجاهليه ، وهذا مثل قوله ﴿ **وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً** ﴾ على قول بعضهم ، وقال : ﴿ **إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً** ﴾

وقال : ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله ﴾ وقال ﴿ ثم محلها إلى البيت العتيق ﴾ وقال ﴿ وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود ﴾ ثم جعل الله تعالى الكعبة لتمام الصلاة والحج والعمرة فى القبلة التى لا تقبل صلاة إلا بالقصد نحوها ؛ إليها الحج والعمرة المفروضات ، وإنما فرضت الهجرة إلى المدينة قبل فتح مكة ، فلما فتحت مكة بطلت الهجرة ، وهذه فضيلة لمكة ثم للمدينة وقد أمر ﷺ أن لا يسفك بمكة دم وأخبر أن الله تعالى حرمها يوم خلق السموات والأرض ، ولم يحرمها الناس ، ونهى عن أن يستقبلها أحد أو يستدبرها ببول أو غائط .

وخرج البخارى من حديث عبدالله بن عمر رض الله تبارك وتعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ فى حجة الوداع : ألا أى شهر تعلمون أعظم حرمة قالوا : شهرنا هذا . قال : أى بلد تعلمون أعظم حرمة قالوا : ألا بلدنا هذا ، قال : فإن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم إلا بحقها كحرمة يومكم هذا من شهركم هذا ، ألا قد بلغت ثلاثة كل ذلك يجيبونه : ألا نعم .

وخرجه أبو بكر بن أبى شيبة رضى الله تبارك وتعالى عنه من طريق أبى معاوية عن الأعمش عن أبى صالح السمان عن جابر بن عبدالله رضى الله تبراك وتعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : فى حجته أتدرون أى يوم أعظم حرمة فقلنا : يومنا هذا ، قال : فى أى بلد أعظم حرمة فقلنا : بلدنا هذا ، ثم ذكر مثل حديث ابن عمر .

قال الحافظ الفقيه ابو محمد على بن حزم : وقد ذكر هذه الأدلة : وهذا جابر وابن عمر يشهدان أن رسول الله ﷺ قرر الناس على أى بلد أعظم حرمة فأجابوه بأنه مكة فصدقهم فى ذلك وهذا إجماع من جميع الصحابة فى إجابتهم له ﷺ بأنه بلدهم ذلك وهم بمكة فمن خالف هذا فقد خالف الإجماع ، فصح بالنص والإجماع أن مكة أعظم حرمة من المدينة وإذا كانت أعظم حرمة فهى أفضل بلا شك لأن عظم الحرمة لا يكون إلا للأفضل [ولابد ولايكون للأقل] .

وخرج من طريق حماد بن سلمة عن محمد بن عمر عن أبى سلمة بن عبدالرحمن عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ كان بالحجون فقال : والله إنك لخير أرض الله ، وأحب أرض الله إلى ، ولو لم أخرج منك ما خرجت ، لم تحل لأحد قبلى ولا لأحد بعدى .

وذكر باقى الحديث من طريق سعيد بن منصور قال : حدثنا عبدالعزيز ابن محمد الدراوردى عن محمد بن عمرو بن علقمة عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه أن رسول الله ﷺ وقف على الحجون فقال : إنك خير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولو تركت فيك ما خرجت منك وذكر باقي الحديث .

ومن طريق النسائى من حديث معمر عن الزهرى عن أبى سلمه عن أبى هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ فى سوق الحزورة والله إنك لخير أرض الله وأحب البلاد إلى الله ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت .

وقال قتيبة : حدثنا الليث عن عقيل بن خالد وقال إسحاق حدثنا : يعقوب هو ابن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف قال : حدثنى أبى عن صالح بن كيسان ثم اتفق عقيل وصالح كلاهما عن الزهرى قال : أخبرنى أبو سلمة أن عبدالله بن عدى بن الحمراء أنه سمع رسول الله ﷺ وهو واقف على راحلته بالحزورة من مكة يقول : والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت .

قال البكرى وجماعة المحدثين : يقولون : الحزورة بفتح الزاى وتشديد الراء وإنما هو حزورة بالتخفيف لا يجوز غيره قال الغنوى : يوم ابن جدعان يوم الحزورة .

لم يختلف عقيل مع صالح فى شئ من لفظه إلا أن عقيل قال : عن الزبيرى عن أبى سلمة عن عبدالله بن عدى أن ابن الحمراء ، وعبدالله هذا مشهور من الصحابة زبيرى النسب .

ومن طريق أبى ذر الهروى من حديث أبى اليمان الحكم بن نافع أنبأنا شعيب عن الزهرى أخبرنى أبو سلمة أن عبدالله بن عدى بن الحمراء أخبره أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : وهو ما واقف بالحزورة من سوق مكة : والله إنك لخير ارض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت قال : فارتفع الإشكال جملة ولله الحمد .

وهذا خبر فى غاية الصحة رواه عن رسول الله ﷺ أبو هريرة وعبدالله بن عدى ورواه عنهما أبو سلمة بن عبدالرحمن وعن أبى سلمة محمد ابن عمرو بن علقمة وعن محمد بن عمر وحماد بن سلمة والدراوردى ورواه عن الزهرى أصحابه الثقات معمر وشعيب بن أبى حمزة وعقيل وصالح بن كيسان ورواه أيضاً عنه يونس بن يزيد وعبدالرحمن بن خالد ورواه عن هؤلاء الجم الغفير ، ولا مقال لأحد بعد هذا .

وخرج من طريق قاسم بن أصبغ من حديث أحمد بن زهير وأبى بحر ابن أبى ميسرة قالوا جميعاً : حدثنا سلمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن حبيب المعلم قال حدثنا : عطاء بن أبى رباح عن عبدالله بن الزبير رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : صلاه فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاه فيما سواه من المساجد إلا المسحد الحرام وإلا صلاة فى المسجد الحرام أفضل من صلاه فى مسجده هذا بمائة صلاة قال : أحد بن زهير سالت يحيى بن معين قال : ثقه وقال أحمد بن حنبل حبيب المعلم : ما أصح حديثه هذا لفظ أحمد ابن زهير .

قال بن أبى ميسرة فى روايته صلاه فى مسجدى هذا افضل من الف صلاه فيما سواه إلا المسجد الحرام وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائه صلاة فى مسجدى قال : ورويناه أيضاً من طريق محمد بن عبيد عن حماد بن زيد باسناده ولفظه ، ورويناه أيضاً من طريق أبى معاويه عن موسى الجهنى عن نافع عن ابن عمر عن النبى ﷺ (١).

---

(١) يراجع فى ذلك (إعلام الساجد فى أحكام المساجد) لبدر الدين الزركشى .

خرج مالك فى (الموطا) عن زيد بن رباح وعبدالله بن أبى هريـرة أن رسول الله ﷺ قال : صلاة فى مسجدى خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد حرام .

قال ابن عبدالبر : وقد روى عن أبى هريرة من طرق ثابتة صحاح متواترة .

وقال أبو محمد بن حزم : فروى القدح بفضل مكة على المدينة كما أوردوا عن النبى ﷺ جابر وأبو هريرة وابن عمرو بن الوبير ، وعبدالله بن عدى خمسة من الصحابة منهم ثلاثه مدنيون بأسانيد فى غاية الصحة ورواها عن هؤلاء أبو صالح السمان ومحمد بن زيد بن عبدالله بن عمر وأبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف وعطاء بن أبى رباح منهم ثلاثه مدنيون ورواه عن هؤلاء عاصم بن محمد والأعمش ومحمد بن عمرو بن علقمة والزهرى وحبيب المعلم منهم ثلاثة مدنيون ورواه عن هؤلاء واقد بن محمد وأبو معاوية محمد بن حازم وحماد بن سلمة وحماد بن زيد وعبدالعزيز بن محمد الدراوردى ومعمر وشعيب ابن أبى حمزة وعقيل بن خالد وصالح بن كيسان وعبدالرحمن بن خالد ويونس ابن يزيد منهم ثلاثه مدنيون ورواه عن هؤلاء من لا يحصى كثرة وقد ذكرنا أنه قول جميع الصحابة وقول عمر بن الخطاب مروياً عنه .

وروينا من طريق يحى بن سعيد القطان عن سفيان الثورى عن أسلم المنقرى قلت : لعطاء : آتى مسجد النبى ﷺ فأصلى فيه ؟ قال : فقال عطاء : طواف واحد أحب إلى من سفرك إلى المدينة وهو قول أبى حنيفة وسفيان وأحمد وداود والشافعى وغيرهم .

وقال ابن عبدالبر : وذكر أبو يحى الساجى قال : اختلف العلماء فى تفضيل مكة على المدينة فقال الشافعى : مكة خير البقاع كلها وهو قول عطاء والمكيين والكوفيين .

وقال مالك : والمدنيون المدينة أفضل من مكة واختلف أهل البصره والبغداديون فى ذلك ، فطائفة تقول مكة أفضل وطائفة تقول : المدينة أفضل

وقال عامة أهل الأثر : أن الصلاه فـى المسجد الحرام أفضل من الصلاه فى مسجد رسول الله ﷺ بمائه صلاة .

وقال القاضى عياض : إن تفضيل المدينة على مكة هو قول عمر بن الخطاب ومالك وأكثر المدنيين وذهب أهل مكة والكوفة إلى تفضيل مكة وهو قول عطاء وابن وهب وابن حيت من أصحاب مالك وحكاه الباجى عن الشافعى قال القاضى : ولا خلاف أن موضع قبره ﷺ أفضل بقاع الأرض .

قال أبو الوليد الباجى : الذى يقتضيه الحديث مخالف حكم مكة لسائر المساجد ولا يعلم منه حكمها مع المدينة وذهب الطحاوى إلى أن هذا التفضيل إنما هو تفضيل صلاة الفرض . وذهب مطرف من أصحابنا إلى أن ذلك فى النافله قال : وجمعته خير من جمعته ورمضانه خير من رمضانه .

واستدل المالكيون على تفضيل المدينة على مكة بقوله ﷺ : إن إبراهيم حرم مكة ودعا لها والنبى ﷺ حرّم المدينة كما حرم إبراهيم مكة وإنى دعوت فى صاعها ومدها بمثل ما دعا به إبراهيم لأهل مكة وليس فيه إلا أنه ﷺ حرمها كما حرم إبراهيم مكة ودعا لها كما دعا غير إبراهيم لمكة وليس فى ذلك ما يقتضى تفضيلها على مكة .

وقد حرم ﷺ الدماء والأعراض والأموال فما دل ذلك على فضل

واحتجوا بقوله ﷺ اللهم بارك لنا فى مدينتنا وبارك لنا فى صاعنا ومدنا ، اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك وإنه دعاك لمكة وإنى أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه ويقول اللهم اجعل بالمدينه ضعفى ما جعلت بمكة من البركة ، وهذا أيضاً إنما فى الدعاء للمدينة بزيادة البركة وهى والله مباركة .

وقد دعا إبراهيم عليه السلام لمكة بما أخبر به الله تعالى إذ يقول : ﴿ فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات ﴾ ولم يدع رسول الله ﷺ للمدينة بأن تهوى أفئدة الناس إليها أكثر من هويها إلى مكة لأن الحج إلى مكة لا إلى المدينة فصح أن دعاء النبى ﷺ للمدينه بمثل ما دعا إبراهيم

لمكة ومثله معه إنما هو مما في الثمرات وأن الثمار بالمدينه الآن أكثر مما بمكة وليس هذا من باب الفضل في شئ .

ومنها قوله : ﷺ المدينة كالكير تنفى خبثها وتنصع طيبها وإنما تنفى الناس كما ينفي الكير خبث الحديث .

وهذا الحديث لا يقتضى أفضليتة على مكة وليس هو على عمومه فقد قال تعالى ﴿ **ومن أهل المدينة مردوا على النفاق** ﴾ . وقال تعالى ﴿ **إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار** ﴾ فصح أنهم أخبث الخلق وقد كانوا بالمدينة وخرجوا منها ، وطلحة والزبير وأبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وعبدالله بن مسعود في عدة أخر ، وهم أطيب الخلق فصح بيقين أنه ﷺ لم يعن بأن المدينة تنفى الخبث إلا في خاص من الناس وفي خاص من الزمان لا عاماً .

وقد نص على هذا ﷺ كما رجحه مسلم من طريق عبدالعزيز الدراوردى عن العلاء بن عبدالرحمن عن ابى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : في حديث : ألا إن المدينة كالكير يخرج الخبث لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينه شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد .

وخرج النسائي حديث الأوزاعي عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال : ليس بلد إلا سيطؤه الدجال إلا المدينة ومكة على كل نقب من أنقاب المدينة صافين يحرسونها فينزل ، فترجف المدينة ثلاث رجفات يخرج الله منها كل منافق وكافر .

وهذا نص فيما قلنا وليس في جميع ذلك أنها أفضل من مكة إلا ما يقام عليه بدليل .

ومنها قوله ﷺ يفتح اليمن فيأتي قوم يسبون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون .

وذكر مثل هذا سواء في فتح الشام أو العراق وقوله ﷺ يأتي على الناس زمان يأتي الرجل ابن عمه هلم إلى الرخاء هلم إلى الرخاء والمدينة خير

له لو كانوا يعلمون والذى نفسى بيده لا يخرج أحد منهم رغبة عنها إلا أخلف الله من هو خير منه وهذا إنما فى أن المدينة هى لهم من اليمن والشام والعراق وبلاد الرخاء ولا شك فى هذا وليس فى فضلها على مكة وهذا أيضاً خاص بمن خرج منها طلب رخاء أو لغرض دنيا وأما من يخرج عنها لجهاد أو شئ من الخير فلا ، بل كان خروج الذين خرجوا منها بجهادٍ ونحوه أفضل من إقامتهم بها بدليل أنه ﷺ خرج عنها للجهاد وأمر الناس بالخروج معه وتوعد من تخلف بالمدينة لغير عذر وبعث أصحابه إلى اليمن والبحرين وعمان يدعون إلى الاسلام ويعلمون الناس القرآن والسنن فبطل التعلق بهذا الحديث على فضل المدينة على مكة .

وأما قوله لا يخرج منهم رغبة عنها إلى أخرى فإنه حق فإن من رغب عن المدينة أثم لرغبته عنها وكذلك من رغب عن مكة وليس فى هذا فضل بها على مكة .

ومنها قوله ﷺ إن الإيمان يأزر إلى المدينة ، كما تأزر الحية إلى جحرها وليس فى هذا فضلها على مكة وهو أيضاً إخبار عن وقت دون وقت فإنها اليوم من سنين مضت على خلاف ذلك .

فقد جاء هذا الخبر بزيادة كما خرجه مسلم من طريق عاصم بن محمد ابن زيد بن عبدالله بن عمر عن أبيه عن جده عبدالله بن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ وهو يأزر بين المسجدين كما تأزر الحية إلى جحرها ففى هذا أن الإيمان بين مسجد مكة ومسجد المدينة .

ومنها حديث أنس أن رسول الله ﷺ كان إذا قدم من سفر فنظر إلى جدر المدينة أوضع راحلته مرجعها وهذا إنما فى حب النبى ﷺ له١٠ ونعم كان يحبها لكن ليس فيه أنه كان يحبها أكثر من مكة ولا أنها أفضل من مكة .

ومنها قوله ﷺ : لا يكيد أحد أهل المدينة إلا إنماع كما ينماع الملح فى الماء ، وقوله : لا يريد أحد أهل المدينة بشر إلا أذا به فى النار ذوب الرصاص

وذوب الملح فى الماء ومن أخاف أهل المدينة أخافه الله وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً . وقوله : مثل هذا فيما أحدث فيها أو أوى محدثاً وهذا كله إنما فى الوعيد لمن كاد أهلها ولا يحل كيد مسلم وليس فيه أنها أفضل من مكة ، وقد قال تعالى ﴿ **ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم** ﴾ وهذا نص صريح بوعيد من ظلم بمكة كوعيده ﷺ من كاد أهل المدينة .

ومنها قوله : لا يثبت أحد على لأوائها وشدتها إلا كنت له شيعاً أو شهيداً يوم القيامة وهذا إنما فى الحض على الثبات على شدتها وأنه يكون لهم شفيعاً وليس فى هذا دليل على فضلها على مكة وقد صح أيضاً أنه يشفع لجميع أمته وقال ﷺ : العمرة إلى العمره كفارة لما بينها والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنه وهذه فضيلة لا تكون إلا لمكة والشفاعة يدخل فيها من برّ من المسلمين ومن فجر فتأمل ذلك يظهر لك منه تفضيل مكة .

ومنها قوله : اللهم حبب إلينا المدينا كحبنا مكة وأشد وهذا إنما فى الدعاء فى وقوع أحد الأمرين ؛ إما أن يحببه تعالى المدينة كحبنا مكة أو أشد وهذا إنما فيه الدعاء فى وقوع أحد الأمرين إما أن يحسببه تعالى المدينه كحبه ﷺ مكة أو يحببه المدينة أكثر من حبه لمكة ولم يبين لنا أى الأمرين أجيب به دعاؤه وحب البلد يكون للموافقه وللألفه وليس فى هذا فضل على مكة .

ومنها قوله ﷺ : لقاب قوس أحدكم من الجنه وموضع سوط من الجنه خير من الدنيا وما فيها .

وقوله : ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة وقبرى ومنبرى على حوضى .

قال القاضى عياض ، عن الطبرى : فيه معنيان أحدهما أن المراد بالبيت بيت سكناه على الظاهر مع أنه روى ما يثبته بين حجرتى ومنبرى والثانى أن البيت هنا القبر وهو قول يزيد بن أسلم فى هذا الحديث كما روى بين قبرى ومنبرى .

قال الطبرى : واذا كان قبره فى بيته فاتفقنا معاً فى الروايات ولم يكن فيها خلاف لأن قبره فى حجرته وهو بيته .

قال : وقوله : ومنبرى على حوضى يحتمل أنه منبره بعينه الذى كان فى المدينة وهو أظهر . والثانى أن يكون هناك له منبر والثالث أن قصده منبره والحوض عنده لملازمة الأعمال لصالحه يورد الحوض ويوجب الشرب منه .

قال القاضى : وقوله : روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين أحدهما أنه موجب لذلك وأن الدعاء والصلاه فيه يستحق ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف .

والثانى أن تلك البقعة قد ينقلها الله فتكون فى الجنة بعينها قاله الداودى .

قال ابن حزم : وأرادوا أن يثبتوا من هذا أن مكة من الدنيا كموضع قاب قوسين من تلك الروضة وتلك الروضة خير من مكة وليس هذا كما ظنوه ولو كان ذلك لكانت مصر والكوفة خير من مكة والمدينة .

روينا عن مسلم حدثنا محمد بن عبدالله بن نمير حدثنا محمد بن أنبأنا عبيدالله هو ابن عمرو عن حبيب بن عبدالرحمن عن حفص بن عاصم عن أبى هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ سيمان وحيجان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة وهذا مالا يقوله مسلم : أن هذه البلاد من أجل ما فيها من أنهار الجنة خير من المدينة ومكة .

قال : وهذا أن الحديثين ليسا على ما يظنه أهل الجهل من أن تلك الروضه قطعه منقطعه من الجنة أو أن هذه الأنهار مهبطه من الجنه لأن الله تعالى يقول : فى الجنة : ﴿ **إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى** ﴾ فهذه صفه الجنة وليست هذه الأنهار ولا تلك الروضة بهذه الصفه فصح كون تلك الروضه من الجنة إنما هو لفضلها وأن الصلاة فيها تؤدى إلى الجنة وأن تلك الأنهار لبركتها أضيفت إلى الجنه كما تقول : فى اليوم الطيب هذا يوم من أيام الجنة ، وكما قيل فى العنان : إنها من دواب الجنه وكما قال ﷺ : الجنة تحت ظلال السيوف وهذا فى أرض الكفر بلا شك وليس فى هذا فضل لها على مكة .

ثم لو صح ما ادعوه لما كان الفضل إلا لتلك الروضة خاصة لا لسائر المدينة وهذا خلاف قولهم .

فإن قالوا : ما قرب فيها أفضل مما بعد قلنا فليلزمكم على هذا أن تكون الجحفه ووادى القرى أفضل من مكة لانهما أقرب إلى الروضة من مكة وهذا لا يقولونه ، فبطل تعلقهم بهذا الخبر .

وقال أبوعمر بن عبدالبر : اختلف الناس فى تأويل قول الرسول ﷺ : ما بين قبرى ومنبرى ، وروى ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنه فقال قوم : معناه أن البقعة ترفع يوم القيامة فتجعل فى رياض الجنه . وقال آخرون : قال : فإنهم يعنون أنه لما كان جلوسه ﷺ وجلوس الناس إليه يتعلمون القرآن والدين هناك شبه ذلك الموضع بالروضة لكريم [يحصل فيه] فى وأضافها إلى الجنه كما قال ﷺ : الجنة تحت ظلال السيوف يعنى أنه عمل يوصل به إلى الجنة وهذا جائز شائع فى لسان العرب والله أعلم بما أراد من ذلك .

وقد استدل أصحابنا على أن المدينة أفضل من مكة بهذا الحديث وركبوا عليه قوله ﷺ : موضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها وهذا لا دليل فيه على ما ذهبوا إليه إلا أن قوله هذا أراد به ذم الدنيا والزهد فيها والترغيب فى الآخره فأخبر أن السير من الجنة خير من الدنيا كلها وأراد بذلك السوط التقليل لا أنه أراد موضع السوط بعينه بل موضع نصف سوط وربع سوط من الجنة الباقيه خير من الدنيا الفانية وهذا مثل قوله تعالى : ﴿ **ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار** ﴾ لم يرد القنطار بعينه وإنما أراد الكثير ﴿ **ومنهم من إن تأمنه بدينار** ﴾ لم يرد الدينار يعينه وانما أراد القليل أى أن منهم من يؤتمن على بيت مال فلا يخون ومنهم من يؤتمن على فلس أو نحوه فيخون على أن قوله : روضة من رياض الجنة يحتمل ما قال العلماء فى ما قدمنا ذكره فلا حجة لهم فى شئ مما ذهبوا إليه والمواضع كلها البقاع أرض الله فلا يجوز أن يفضل منها شئ على شئ إلا بما يجب التسليم له وإنى لا أعجب لمن يترك قول :

رسول الله ﷺ إذ وقف بمكة على الحجون وقيل : على الحزورة فقال : والله إنى لأعلم أنك خير أرض الله وأحبها إلى الله ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت ، وهذا حديث صحيح .

رواه أبو سلمة بن عبدالرحمن عن أبى هريره وعبدالله بن عدى بن الحمراء جميعاً عن النبى ﷺ فكيف يترك مثل هذا النص الثابت ويمال إلى أقوال لا تجامع مقاولة عليه ؟

قال : وقد روى عن مالك ما يدل على أن مكة أفضل الأرض كلها ولكن المشهور عن أصحابه فى مذهبه تفضيل المدينه ثم ذكر من طريق أحمد بن داود حدثنا سحنون حدثنا عبدالله بن وهب قال : حدثنى مالك بن أنس أن آدم لما أهبط إلى الأرض بالهند أو بالسند قال : يا رب هذه أحب الأرض إليك أن تعبد فيها قال : بل مكة فسار آدم حتى أتى مكة فوجد عندها ملائكة يطوفون بالبيت ويعبدون الله تعالى فقالوا : مرحباً يا آدم يا أبا البشر ، إنا منتظروك هاهنا منذ ألفى سنة قال : وكان مالك يقول : من فضل المدينه على مكة أنى لا أعلم فيها قبر نبى معروف غيرها وهذا والله أعلم وجهه عندى من قول مالك ، كأنه مالا يشك فيه وما يقطع العذر خبره وإلا فإن الناس يزعم منهم الكثير أن قبر إبراهيم عليه السلام ببيت المقدس وإن قبر موسى عليه السلام هناك أيضاً .

قال أبوعمر : إنما يحج بقبر رسول الله ﷺ وبفضائل المدينة وما جاء فيها عنه ﷺ وعن أصحابه على من أنكر فضلها وجعلها كسائر بقاع الأرض لأن تلك الآثار أثبتت فضلها وأوضحت موضعها وكرامتها .

وأما من أقر بفضلها وعرف موضعها وأقر أنه ليس على وجه الأرض بعد مكة أفضل منه فقد أنزلها منزلها وخرج بها وعرف لها حقها واستعمل القول بما جاء عن النبى ﷺ فى مكة لأن فضائل البلدان لا تدرك بالقياس والاسنباط وإنما سبيلها التوقيف ، وكل يقول بما بلغه وصح عنده والآثار فى فضل مكة عن السلف اكثر وفيها بيت الله الذى رضى من عباده على الحط لأوزارهم بقصده مرة فى العمر وقوله ﷺ صلاة فى مسجدى أفضل من ألف

صلاة فى ما سواه إلا المسجد الحرام قال أبو محمد بن حزم تأويلهم أن الصلاة فى مسجد المدينة أفضل من الصلاة فى مسجد مكة بدون ألف وقلنا نحن : بل هذا الاستثناء لأن الصلاة فى المسجد الحرام أفضل من الصلاة فى مسجد المدينة وكلا التأويلين محتمل ، نعم .

وتأويل ثالث أيضاً وهو إلا المسجد الحرام فإن الصلاة فى كليهما سواء فلا يجوز المصير إلى أحد هذه التأويلات إلا بنص آخر وبطل أن يكون فى هذا الخبر بيان فى فضل المدينة على مكة وقال : أبو عمر بن عبدالبر اختلفوا فى تأويله ومعناه فتأوله قوم منهم أبوبكر عبدالله بن نافع الزبيرى صاحب مالك على أن الصلاة فى مسجد رسول الله ﷺ أفضل من الصلاة فى المسجد الحرام بدون ألف درجة ، وأفضل من الصلاة فى سائر المساجد بألف صلاة ، وقال : بذلك جماعة من المالكيين ورواه بعضهم عن مالك .

وتأويل ابن نافع بعيد عند أهل المعرفة باللسان ويلزمه أن يقول : إن الصلاة فى مسجد رسول الله ﷺ أفضل من الصلاة فى المسجد الحرام بتسعمائه ضعف وتسعة وتسعين ضعفاً وإذا كان هذا كهذا لم يكن للمسجد الحرام فضل على سائر المساجد إلا بالجزء اللطيف على تأويل ابن نافع هذا .

وحسبك ضعفاً بقوله : يؤول إلى هذا وقد زعم بعض المتأخرين من أصحابنا أن الصلاة فى مسجد النبى ﷺ افضل من الصلاة فى المسجد الحرام بمائة صلاة ومن غيره بألف صلاة واحتج لذلك بما رواه سفيان بن عيينة عن زياد بن سعد عن ابن عتيق قال : سمعت عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه يقول : صلاة فى المسجد الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه فتأول بعضهم هذا الحديث أيضاً عن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه على أن الصلاة فى مسجد رسول الله ﷺ خير من تسعمائة صلاة فى المسجد الحرام ، وهذا كله تأويل لا يعضده أصل ولا يقوم عليه دليل ، وحديث سليمان بن عتيق هذا حجة فيه لأنه مختلف فى إسناده وفى لفظه وقد خالفه فيه من هو أثبت منه . فمن الأختلاف عليه فى ذلك ما ذكر من طريق قاسم بن أصبغ محمد بن وضاح حدثنا حامد بن يحيى حدثنا سفيان بن عيينه عن زياد بن سعد الخراسانى أبى

عبدالرحمن قال : أخبرنا سليمان بن عتيق قال : سمعت عبدالله بن الزبير يقول: سمعت عمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه يقول : صلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة فى مسجد النبى ﷺ .

ومن طريق أبى عبدالله سعيد بن عبدالرحمن المخزومى قال : حدثنا سفيان عن زياد بن سعد عن ابن عتيق قال سمعت ابن الزبير على المنبر يقول : سمعت عمر بن الخطاب يقول : صلاة فى المسجد الحرام افضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا مسجد رسول الله ﷺ فإنما فضله عليه بمائه صلاة .

فهذا خلاف ما ذكروه فى حديث ابن عتيق عن ابن الزبير عن عمر فكيف يحتجون بحديث قد روى فيه ضد ما ذكروه أيضاً فى رواية الثقات إلى ما فى إسناده من الاختلاف أيضاً .

وقد ذكر عبدالرزاق عن ابن جريج قال : أخبرنى سليمان بن عتيق وعطاء عن ابن الزبير أنهما سمعاه يقول : صلاة فى المسجد الحرام خير من مائتى صلاة فيه ويشير إلى مسجد المدينة .

وذكر من طريق قاسم بن أصبغ قال : حدثنا أبو يحيى بن أبى مرة ومحمد بن عبدالسلام الخشنى قالا : حدثنا محمد بن أبى عمر حدثنا سفيان بن زياد بن سعد حدثنا سليمان بن عتيق قال : سمعت ابن الزبير يقول : سمعت عمر بن الخطاب يقول : صلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا مسجد رسول الله ﷺ ، فإنما فضله عليه بمائة صلاة .

فهذا حديث سليمان بن عتيق محتمل للتأويل لأن قوله : فضله عليه يحتمل الوجهين إلا أنه قد جاء عن عبدالله بن الزبير أيضاً من نقل الثقات خلاف ما تأوله عليه على أنه لم يتابع فيه سليمان بن عتيق على ذكره عمر وهو مما أخطأ فيه عندهم سليمان بن عتيق وانفرد به ، وما انفرد به فلا حجة فيه وإنما الحديث محفوظ عن ابن الزبير على وجهين : طائفه توقفه عليه فتجعله من

قوله، وطائفة ترفعه عند النبى ﷺ بمعنى واحد أن الصلاة فى المسجد الحرام أفضل من الصلاة فى مسجد النبى ﷺ بمائة ضعف .

هكذا رواه عطاء بن أبى رباح عن عبدالله ابن الزبير واختلف فى رفعه عن عطاء على حسب ما ذكرنا وما رفعه منه عن النبى ﷺ أحفظ وأثبت من جهة النقل وهو أيضاً صحيح فى النظر لأن مثله لا يدرك بالرأى ولابد فيه من التوفيق فلهذا قلنا من رفعه أولى مع شهادة أئمه أهل الحديث الذى رفعه عن ابن الزبير من رواية عطاء بن أبى رباح الحجاج بن أرطاة وابن جريح على أن ابن جريح رواه عن سليمان بن عتيق أيضاً بمثل روايته عن عطاء سواء ، فحديث الحجاج بن أرطأة حدثناه عبدالوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا أحمد ابن زهير حدثنا أبى حدثنا هشيم أخبرنا الحجاج بن أرطاة عن عطاء عن عبدالله ابن الزبير قال : الصلاة فى المسجد الحرام تفضل على مسجد النبى ﷺ بمائة ضعف قال عطاء : فنظرنا فى ذلك فإذا هى تفضل على سائر المساجد بمائة ألف ضعف .

ذكرعبدالرزاق وغيره عن أبى جريج قال : أخبرنى عطاء أنه سمع ابن الزبير يقول : على المنبر : صلاة فى المسجد الحرام خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد قال : قلت : لم يسم مسجد المدينة قال : ليخيل إلى أنه إنما أراد مسجد المدينة .

قال ابن جريج : أخبرنى سليمان بن عتيق بمثل خبر عطاء هذا قال : حدثنى بشير بن الزبير إلى المدينة هكذا قال ابن جريج : بألف على ما أشار عليه وتأوله ابن جريج فى حديثه هكذا تكون الصلاة فى المسجد الحرام تفضل على الصلاة فى كل المساجد غير مسجد النبى ﷺ بألف ألف ولكن الحديث لم يقمه ولا رواه إلا حبيب المعلم عن عطاء اقام إسناده وجود لفظه فأتى بالمعروف فى الصلاة فى المسجد الحرام بأنها بمائة ألف صلاة وفى مسجد النبى ﷺ بألف صلاة فذكر من طريق قاسم بن أصبغ حدثنا أبو يحى عبدالله ابن أبى مرة فقيه مكة حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن حبيب

المعلم عن عطاء بن أبى رباح عن عبدالله بن الزبير قال : قال رسول الله ﷺ صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام وصلاة فى المسجد الحرامِ أفضل من مائة صلاة فى مسجدى .

ومن طريقه أيضاً حدثنا أحمد بن زهير حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن حبيب المعلم عن عطاء عن عبدالله بن الزبير قال : قال رسول الله ﷺ صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام ، وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من صلاة فى مسجدى هذا بمائة صلاة ، ما شبه حبيب المعلم هذا الحديث جودة ولم يخلط فى لفظه ولا فى معناه وكان ثقه وليس فى هذا الباب عن ابن الزبير ما يحتج به عند أهل العلم بالحديث إلا حديث حبيب هذا ، قال ابن أبى خيثمة : سمعت يحيى بن معين يقول : حبيب المعلم ثقة ما أصح حديثه وسأل أبو زرعه الرازى عن حبيب المعلم فقال : بصرى ثقة ، وقد روى فى هذا الباب عن عطاء عن جابر حديث نقلته ثقات كلهم بمثل حديث حبيب المعلم سواء وجائز أن يكون عند عطاء فى ذلك عن جابر وعبدالله بن الزبير فيكونان حديثين وعلى هذا يحمله أهل العلم بالحديث فذكر من طريق قاسم حديث حكيم بن شعبه حدثنا عبيدالله بن عمرو عن عبدالكريم الجزرى عن عطاء بن أبى رابح عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه ، وحكيم بن سيف هذا شيخ من أهل الرقة قد روى عنه أبو زرعة الرازى وغيره وأخذ عنه ابن وضاح وهو عندهم شيخ صدوق لا بأس به فإن كان حفظ فهما حديثان وإلا فالقولِ قول : حبيب المعلم على ما ذكرنا .

وقد روى فى هذا الباب أيضاً حديث بهذا المعنى عن عطاء عن ابن عمر مفرداً وهو عندهم حديث آخر لاشك فيه لأنه روى عن ابن عمر من وجوه ، فذكر من طريق إسماعيل بن علية حدثنا إسحق بن يوسف الأزرق حدثنا عبدالملك ، عن عطاء عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال : صلاة فى مسجدى هذا

أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام فإن الصلاة فيه أفضل .

ومن طريق عمر بن عبيد عن عبدالملك عن عطاء ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام فهو أفضل .

ومن طريق أبى معاوية عن موسى الجهنى عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فى غيره إلا المسجد الحرام فإنه أفضل منه بمائة صلاة .

قال : وقد روى عن أبى الدرداء وجابر مثل هذا المعنى سواء فذكره من طريق أحمد بن عمر والرازى حديث سالم القداح حدثنا سعيد بن بشير عن إسماعيل بن عبيدالله عن أم الدرداء عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ فضل الصلاه فى المسجد الحرام على غيره مائه ألف صلاة وفى مسجد بيت المقدس خمسمائة صلاة ، قال البزار : هذا إسناد حسن وقد روى من حديث عثمان بن الأسود عن مجاهد عن جابر مثله سواء .

وروى عبدالحميد عن ابن عيينة قال : حدثنى عمر بن سعيد عن أبيه عن أبى عمر والشيبانى قال : قال عبدالله بن مسعود : المرأة أفضل صلاتها فى بيتها إلا فى المسجد الحرام ، وهذا تفضيل منه للصلاه فيه على الصلاه فى مسجد النبى ﷺ لأن النبى ﷺ قال لأصحابه : صلاة أحدكم فى بيته أفضل من صلاته فى مسجدى إلا المكتوبة وقد اتفق مالك وسائر العلماء على أن صلاة العيدين يبرزلها فى كل بلد إلا بمكة فإنها تصلى فى المسجد الحرام .

ومن طريق قاسم من حديث سفيان حدثنا الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاه فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام قال سفيان : فيرون أن الصلاه فى المسجد الحرام أفضل من مائه ألف صلاه فيما سواه من المساجد ، من طريق ابن وضاح قال : حدثنا أحمد بن عمرو بن السرح قال : سمعت ابن

وهب يقول : ما رأيت اعلم بتفسير الحديث من ابن عيينه قال : ابن عبدالبر وحسبك فى هذا الحديث بقوله ﷺ لمكة والله إنى لأعلم أنك خير أرض واحبها إلى الله ولولا أن أهلك اخرجونى منك ما خرجت وهذا من أصح الآثار عن النبى ﷺ .

وذكر من طريق عبدالله بن عدى بن الحمرء ثم قال : وهذا قاطع فى موضع الخلاف ثم ذكر من طريق ابن سنجر حدثنا محمد بن عبيدة عن طلحة ابن مر عن عطاء عن ابن عباس قال : لما خرج رسول الله ﷺ من مكه قال : أما والله أنى لأخرج منك وإنى لأعلم أنك أحب بلاد الله إلى الله واكرمه على الله ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت

ومن طريق قاسم بن أصبغ حدثنا أحمد بن زهير حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن يوسف ابن مهران عن ابن عباس قال : قال على بن أبى طالب رضى الله تبارك وتعالى عنه إنى لأعلم أحب بقعه إلى الله فى الأرض ، وأفضل بئر فى الأرض ، وأطيب أرض فى الأرض فأما أحب بقعه فى الأرض إلى الله فالمسجد الحرام وما حوله وافضل بئر فى الأرض زمزم وأطيب أرض فى الأرض ريحا الهند هبط بها آدم عليه السلام من الجنه فعلق شجرها من ريح الجنه فهذا عمر وعلى وابن مسعود وأبو الدرداء وابن عمر وجابر يفضلون مكة ومجدها وهم أولى بالتقليد ممن بعدهم

وذكر عبدالرزاق عن معمر عن قتادة قال : صلاه فى المسجد الحرام خير من مائه صلاه فى مسجد الميدنه قال معمر : وسمعت أيوب يحدث عن أبى العاليه عن عبدالله بن الزبير مثل قول قتاده : وذكر عبدالملك بن حبيب عن مطرف عن أصبغ وعن ابن وهب أنهما كانا يذهبان إلى تفضيل الصلاة فى المسجد الحرام على الصلاة فى مسجد النبى ﷺ على ما فى أحاديث هذا الباب قال ابن عبدالبر : أصحابنا يقولون : أن قول ابن عيينه حجه حين حدث بحديث أبى الزبير عن أبى صالح عن ابى هريرة أنٍ رسول الله ﷺ قال : يوشك أن يضرب الناس أكباد الأبل فلا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينه قال : ابن

عيينه حجه لأنه إذا قال كانوا يرون غنما حكى عن التابعين فيلزمهم مثل ذلك في قول ذلك في قول ابن عيينه في تعبير حديث هذا الباب لأنه قال : إذ حدث به وكانوا يرون الصلاة في المسجد أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه ولا يشك عالم منصف في أن ابن عتيينة فوق ابن نافع في الفهم والفضل والعلم وأنه إذا لم يكن منهم بد من التقليد فنقليده أولى من تقليد ابن نافع وفيما ذكرنا من هذا الباب عن النبي ﷺ وأصحابه رضى الله تبارك وتعالى عنهم عن ما سواهم ، هذا ملخص ما ذكره في كتاب (التمهيد) وقال : في كتاب الاستذكار وقد ذكر حديث مالك عن أبي هريرة يرفعه صلاة في مسجدي هذا خير من الف : صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام وأجمعوا على صحته ، واختلفوا في تأويله وكان عبدالله بن نافع الزبيرى صاحب مالك فيما روى يحيى بن يحيى عنه أنه سأله عن معنى هذا الحديث فقال : معناه أن الصلاة في مسجد النبي ﷺ أفضل من الصلوات في سائر المساجد بألف صلاه إلا المسجد الحرام فإن الصلاة في مسجد لنبي ﷺ أفضل من الصلاه فيه دون الالف صلاة وهذا التأويل على بعده ومخالفة أكثر أهل العلم لما فيه فإنه لاحظ له في اللسان العربي لانه لا يقوم في اللسان الا بقرينه وبيان ، لا بيان ولا دليل لمن تأول تأويل ابن نافع يشهد له وأهل العربية يقولون : إذا قلت اليمن افضل من جميع البلاد بألف درجه إلا العراق جاز أن يكون العراق مساوياً وفاضلاً مفضولاً إذا كان مساوياً فقد علم مقدار فضله وإذا كان فاضلاً أو مفضولاً فمعلن في الفضل لا يعلم كم مقدار المفاضلة بينهما الا بقرينه ودليل على عدة درجات إما زائدة أو ناقصة فيحتاج الى الاتيان وقد علمنا أنه لم يحتمل ابن نافع ما تأوله في الحديث إلا ما كان يذهب إليه هو وشيخه مالك من تفضيل المدينة على مكة وتفضيل مسجد النبي ﷺ على المسجد الحرام ثم ذكر على ما تقدم انتهى .

ومنها قوله ﷺ على أبواب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال وهذا ليس فيه تفضيلها على مكة لأنه أخبر ﷺ أن المدينة لا يدخلها الدجال .

خرج البخارى ومسلم من طريق الوليد بن مسلم حدثنا عمر حدثنا إسحق قال : حدثنى أنس بن مالك رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : ليس بلد إلا سيطأه الدجال إلا مكة والمدينة وليس نقب من أنقابها إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها فترجف المدينه بأهلها ثلاث رجفات فيخرج اليه كل كافر ومنافق وقد صح أن الملائكة تنزل على المصلين فى كل بلد كما أخبر ﷺ أنهم يتعاقبون فينا ملائكة بالليل والنهار فشارك المدينه غيرها من البلاد فى حلول الملائكة بها ، ومنها قوله ﷺ هى طيبه وصدق رسول الله ﷺ أنها والله طيبة لكن ليس فى هذا فضل لها على مكة واحتجوا بأن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : لعبد الله بن عياش بن أبى ربيعه أنت القائل لمكة خير من المدينة فقال له عبدالله : هى حرم الله وأمنه وفيها قبلته ، فقال له عمر إنى لا أقول فى حرم لله ولا فى بيت الله شيئاً أنت القائل لمكة خير من المدينه ثم أنصرف ، وهذا ليس فيه إلا أن عبدالله بن عياش وهو أحد الصحابة كان يقول : مكة أفضل من المدينة وليس فى هذا الخبر عن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه تفضيل المدينة على مكة ولا تفضيل مكة على المدينه وإنما فيه تقرير عبدالله على هذا القول فقط وقد صح عن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه أن مكة أفضل من المدينه كما تقدم من طريق قاسم بن أصبغ يقول : صلاه فى المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة فى مسجد النبى ﷺ فهذان صاحبان لا يعرف لهما من الصحابة مخالف ومثل هذا حجة عندهم .

وخرج عبدالرزاق عن معمر عن عبدالكريم الجزرى عن سعيد بن المسيب قال : من يعتكف فى مسجد ايليا فاعتكف فى مسجد النبى ﷺ أجزأ عنه ومن نذر أن يعتكف فى مسجد النبى ﷺ فاعتكف فى المسجد الحرام اجرأ عنه فهذا سعيد بن المسيب فقيه أهل المدينه يصرح بفضل مكة على المدينة كفضل

المدينة على بيت المقدس واحتجوا ونحوا فيه بأن النبى ﷺ رأى ميتا فقال : دفن فى التربة التى خلق منها قالوا : والنبى ﷺ دفن بالمدينه فمن تربتها خلق وهو أفضل الخلق فهى أفضل البقاع وهذا حديث روى من طريقين إحديهما فيها محمد بن الحسن بن زبالة عن أنيس بن يحيى مرسل والأخرى من رواية أبى خالد عن يحيى البكاء فأما محمد بن الحسن بن زبالة القرشى المخزومى المدنى أحد المكثرين الضعفاء روى عن أسامة بن زيد وسعيد بن أبى سعيد المقبرى ومالك بن أنس ومحمد بن جعفر بن أبى كثير وخلائف ، وحدث عنه أبو خيثمة وأحمد بن صالح ، والزبير بن بكار وجماعة اسقطوه لحديثه عن مالك عن هشام عن أبيه عن عائشه حديث فتحت البلاد بالسيف ، وفتحت المدينة بالقرآن وبغير هذا من الحديث قال : أبو داود كذاب وقال ابن معين : والله ما هو ثقه وقال البخارى : عنده مناكير قال ابن معين : كان يسرق الحديث ، وقال النسائى : وغيره متروك وقال أبو حاتم : وهى الحديث وليس بمتروك وما أبه حديثه بحديث عمر بن أبى بكر الموصلى والواقدى ويعقوب بن محمد الزهرى وعبدالعزيز بن عمران ، وقال ابن حزم : هو ساقط بالجملة قال فيه يحيى : ليس بالثقه وهو بالجملة متفق على أطراحه ، وأما أنيس بن يحيى فقال ابن حزم : ولا ندرى من أنيس بن يحيى ، وأما أبو خالد فهو مجهول عن يحيى البكاء واختلف فى أسم أبيه فقيل : مسلم وقيل : سليم وقيل : يحيى بن أبى خليد أبو مسلم وقيل : أبو سلم وقيل : أبو الحكم يروى عن أبى عمرو عن السعيد بن المسيب وأبى العالية وغيره ويروى عنه عبدالوارث بن سعيد وعلى بن عاصم ، وجماعة قال أحمد : ليس بثقة وقال ابن معين : ليس بذاك وقال أبو زرعة ليس بقوى ، وقال أبو حاتم : شيخ ، وقال النسائى متروك الحديث وقال ابن عدى ويحيى البكاء هذا ليس بذاك المعروف وليس له كثير روايه فبهذا قد تبين ضعف الحديث بل قال فيه ابن حزم : وهذا خير موضوع ثم لو صح لما كانت فيه حجة لانها قد دفن فيها المنافقون ودفن إبراهيم واسحاق ويعقوب وموسى وهاورن ، وداود وسليمان فى الشام ولا يقول : مسلم من آجل ذلك أن الشام أفضل من مكة وفى حديث محمد بن الحسن ابن زبالة عن مالك عن هشام بن عروة عن ابيه

عن عائشه رضى الله تبارك وتعالى عنها عن النبى ﷺ أنه قال : فتحت البلاد بالسيف حديث : وفتحت المدينه بالقرآن وقد اسقطوه لهذا ولغيره ، وقال ابن عدى : وانكر ما روى حدي هشام بن عروة حديث : فتحت القرى بالسيف وقال ابن حزم : وهذا أيضاً من رواية محمد بن الحسن بن زبالة المذكور بوضع الحديث وهذا من وضعه بلا شك لأنه رواه عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشه عن النبى ﷺ وهذا اسناد تفرد به ابن زبالة دون سائر من روى عن مالك من الثقات ثم لو صح ما كانت فيه حجه فى فضلها لان البحرين واكثر مدائن اليمن وصنعاء والجند لم تفتح بالسيف إلا بالقرآن فقط وليس ذلك بموجب فضلها على مكة عند كل أحد من المسلمين ، ومنها حديث ابن زبالة عن مالك عن يحيى بن سعيد عن النبى ﷺ إنه قال : ما على الأرض بقعه أحب إلى الله تعالى من أن يكون قبرى فيها منها ، هكذا رواه مرسلا ولو صح لما كان فيه حجه فى فضلها على مكة لأن النبى ﷺ كره للمهاجين وهو عندهم أن يرجعوا إلى مكة ليحشروا غرباء مطرودين عن وطنهم فى الله تعالى ، حتى أنه ﷺ رثى لسعد ابن خولة أن مات بمكة ولم يجعل للمهاجر معه تمام نسكه أن يبقى بمكة إلا ثلاث ليال فقط فإذا خرجت مكه بهذه العلة على أن يدفن فيها النبى ﷺ فالمدينة افضل البقاع بعدها بلاشك وقد .

خرج البزار من طريق أبى نعيم الفضل بن دكين حدثنا محمد بن قيس عن أبى برده بن أبى موسى الاشعرى عن أبى موسى قال : مرض سعد بمكة فاتاه النبى ﷺ يعوده فقال له : يا رسول الله أليس نكره أن يموت الرجل فى الأرض التى هاجر منها قال : بلى وذكر باقى الحديث هذا نص ما قلنا ومنها حديث محمد بن زبالة عن محمد بن اسماعيل عن سليمان بن بريدة وغيره عن النبى ﷺ أنه قال : فى حين خروجه من مكة الله إنك اخرجتنى من أحب البقاع إلى فأسكنى أحب البقاع إليك هكذا ذكره مرسلا . قال ابن عبدالبر : وقد ذكر حديث عبدالله ابن عدى بن الحمراء الذى تقدم هو حديث ثابت عند جماعة أهل العلم بالحديث ولم يأن عن النبى ﷺ من وجه صحيح شئ يعارضه الا ما رواه

محمد بن الحسن بن زبالة وهو متروك الحديث مجتمع على ترك الاحتجاج بحديثه وقد انفرد بهذا الحديث وهذا الحديث لا يصح عند أهل العلم بالحديث وقال ابن حزم : وهذا موضع من روايه محمد بن الحسن بن زبالة ومنها حديث محمد بن الحسن عن يحيى بن عبدالرحمن عن عمرة بنت عبدالرحمن قال رافع ابن خديج قال رسول الله ﷺ خير من مكة ورواه محمد بن عبدالرحمن ابن الرداد بن عبدالله بن شريح بن مالك القرشى عن يحيى بن سعيد الانصارى عن عبيدة ابنه عبدالرحمن عن رافع بن خديج عن النبى ﷺ ورواه عبدالله بن رافع الصانع صاحب مالك عن محمد بن عبدالرحمن الرداد عن يحيى بن سعيد عن عمرة قال رافع : ومحمد بن زبالة هو صاحب هذه الفضائح كلها المتعود بوضعها ومحمد بن عبدالرحمن بن الرداد قال ابن عدى : مدينى من ولد ابن أم مكتوم رواياته ليست بمحفوظة وقال ابن حزم : مجهول لا يدريه أحد وعبدالله بن نافع وفيه مقال .

وقد خرج مسلم[1] هذا الخبر من طريق عبدالله بن مسلمة القصبى قال : حدثنا سليمان بن بلال عن عتبه بن مسلم عن نافع بن جبير بن مطعم أن مروان خطب الناس فذكر مكة وأهلها وحرمتها فناداه رافع بن خديج فقال : مالى اسمعك ذكرت مكة وأهلها وحرمتها ولم تذكر المدينة وأهلها وحرمتها وقد حرم رسول الله ﷺ ما بين لا بتيها ، وذلك عندنا فى أديم خولانى وإن شئت أقرأتكه قال : فسكت مروان ثم قال قد سمعت بعض ذلك قال : وهكذا كله كان الحديث فبدله أهل الزيغ عصبية عجل الله تعالى لهم بها الفضيحة فى الكذب على رسول الله ﷺ والله أعلم .

---

(١) (مسلم بشرح النووى) : ١٤٤/٩ ، كتاب الحج ، باب (٨٥) فضل المدينة ودعاء النبى ﷺ فيها بالبركة ، وبيان تحريها ، وتحريم صيدها ، وشجرها ، وبيان حدود حرمها ، حديث رقم (٤٥٧) .

السابعة والسبعون : أنه ﷺ كان إذا دعا لأهل القبور يملأها الله عليهم نوراً ببركة دعائه

خرج مسلم(١) من حديث حماد بن زيد عن ثابت البنائى عن رافع عن أبى هريرة أن امرأة سوداء كانت تقم المسجد أو شاباً ففقدها رسول الله ﷺ فسأل عنها أو عنه فقالوا : مات . قال : أفلا كنتم آذنتمونى قال : وكأنهم صغروا أمرها وأمره فقال : دلونى على قبره فدلوه فصلى عليها ثم قال : هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها وإن الله تعالى ينورها لهم بصلاتى عليهم .

وخرجه الإمام أحمد من حديث ابى عامر عن ثابت عن أنس أن أسود كان ينظف المسجد فمات فدفن ليلاً فأتى النبى ﷺ فأخبر فقال : انطلقوا إلى قبره ، فانطلقوا فقال : إن هذه القبور ممتلئة على أهلها ظلمة وإن الله عزوجل ينورها بصلاتى عليها فأتى القبر فصلى عليه وقال رجل من الأنصار : يا رسول الله ﷺ إن أخى مات ولم يصل عليه ، قال : فأين قبره فأخبره فانطلق النبى ﷺ مع الأنصارى فصلى عليه ، وفى لفظ له فإن صلاتى عليه رحمة له .

الثامنة والسبعون : أنه ﷺ كان يوعك وعك رجلين

خرج البخارى(٢) ومسلم من طريق الأعمش عن إبراهيم التيمى عن الحارث بن سويد عن عبدالله بن مسعود رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك فمسسته بيدى فقلت : يا رسول الله ﷺ

---

(١) سبق تخريجه فى موضعه من هذا الجزء ص ١٤٠ ، فيمن كان يقم المسجد .

(٢) (فتح البارى) : ١٠ / ١٥٢ ، كتاب المرضى ، باب (١٦) ما رخص للمريض أن يقول إنى وجع ، حديث رقم (٥٦٦٧) وخرجه مسلم فى كتاب البر ، باب (٤٥) ، والدارمى فى الرفاق .

أراك توعك وعكاً شديداً ؟ فقال رسول الله ﷺ : أجل إنى أوعك وعك رجلين منكم فقلت : ذاك إن أجرين فقال رسول الله ﷺ : أجل ، ثم قال : رسول الله ﷺ مامن مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها .

وخرج الحاكم[1] من حديث ابن وهب عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى قال : دخلت على النبى ﷺ وهو محموم فوضعت يدى من فوق القطيفه فوجدت حرارة الحمى فقلت : ما أشد حماك يا رسول الله قال : إنا كذلك معشر الأنبياء يضاعف علينا الوجع لنا لنا الأجر قال : فقلت : يا رسول الله أى الناس أشد بلاءً ؟ قلت : الأنبياء . قال: ثم من ؟ قال : ثم الصالحون إن من الرجل ليبتلى بالفقر حتى ما يجد إلا العباء فيحويها ويلبسها وإن كان أحدهم لبيتلى بالقمل حتى يقتله القمل ، وكان ذلك أحب إليهم من العطاء إليكم يقتله القمل وكان ذلك أحب غليهم من العطاء إليكم . قال الحاكم : وهذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .

التاسعة والسبعون : كان ﷺ لم يمت حتى خيره الله تعالى بين أن يفسح له فيِ أجله ثم الجنة وبين لقاء الله سريعاً ، فاختار ما عند الله على الدنيا

خرج البخارى ومسلم من حديث الليث قال : حدثنى عقيل ابن شهاب قال : أخبرنى سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير عن رجال من أهل العلم أن عائشه زوج النبى ﷺ قالت : كان رسول الله ﷺ يقول وهو صحيح : أنه لم

---

(١) (المستدرك) : ٣٤٢/٤ ، كتاب الرقاق حديث رقم (٧٨٤٨) وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص) : على شرط مسلم .

يقبض نبى حتى يرى مقعده من الجنه ثم يخير قالت عائشه رضى الله تبارك وتعالى عنها : فلما برسول الله ﷺ ورأسه على فخذى غشى عليه ساعة ثم أفاق فأشخص بصره إلى السقف ثم قال : اللهم الرفيق الأعلى قالت عائشه : قلت : إذاً لا يختارنا ، قالت عائشة : وعرفت الحديث وقال البخارى : وعلمت أنه الحديث الذى كان يحدثنا به وهو صحيح فى قوله : أنه لم يقبض نبى قط حتى يرى مقعده من الجنه ثم يخير قالت عائشه : فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها رسول الله ﷺ قوله الرفيق الأعلى ذكره البخارى فى كتاب الدعاء وفى كتاب الرقاق وفى المغازى وغير ذلك .

وخرج مسلم فى مناقب عائشة من طريق شعبة عن سعد بن إبراهيم عن عروة عن عائشة قالت : كنت أسمع أنه لن يموت نبى حتى يخبر بين الدنيا والآخرة ، قالت : فسمعت النبى ﷺ فى مرضه الذى مات فيه وأخذته بحة يقول : ﴿**مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً**﴾ قال : فظننته خير حينئذ .

وخرج البخارى فى كتاب التعبير من طريق إبراهيم بن سعد عن أبيه عن عروة عن عائشة قالت : سمعت النبى ﷺ يقول : ما من نبى مرض إلا خير بين الدنيا والآخرة وكان فى شكواه لذى قبض فيه أخذته بحة شديدة سمعته يقول : ﴿ **مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين** ﴾ فعلمت أنه خير .

وخرج النسائى من حديث سفيان عن إسماعيل بن أبى خالد عن أبى بردة عن عائشه قالت : أغمى على رسول الله ﷺ وهو فى حجرى فجعلت أمسحه وأدعو له بالشفاء فأفاق فقال : بل أسأل الله الرفيق الأعلى الأسعد مع جبريل وميكائيل وإسرافيل .

وخرج البخارى ومسلم من حديث هشام بن عروة عن عباد بن عبدالله ابن الزبير أن عائشة أخبرته أنها سمعت النبى ﷺ وأصغت إليه قبل أن يموت وهو مسند إلى ظهره يقول : اللهم اغفر لى وارحمنى وألحقنى بالرفيق الأعلى .

الثمانون : هل تشرع الصلاة على غير رسول الله ﷺ أو تكون للصلاة عليه مما خصه الله به دون غيره ؟

فى هذه المسألة أقوال :

أحدها : أنه ﷺ يختص بالصلاة عليه وهو ظاهر الكتاب والسنة

والثانى : أنه يصلى معه ﷺ على الأنبياء والمرسلين .

والثالث : أنه يصلى على آله وأزواجه دون غيرهم من الأمة مطلقاً .

والرابع : أنه يصلى عليهم إلا بطريق التبعيه له .

والخامس : أنه لا يصلى على سائر المسلمين .

وأما من ذهب إلى ما به الرسول الله ﷺ فإنه قال لم يصل الله سبحانه فى كتابه العزيز على أحد من أنبيائه المرسلين إلا على محمد ﷺ فقط وسلم على من عداه منهم وقال تعالى ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبى** ﴾ وقال تعالى عن نوح : ﴿ **وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح فى العالمين * إنا كذلك نجزى المحسنين** ﴾ .

وقال عن إبراهيم خليله ﴿ **وتركنا عليه فى الآخرين * سلام على إبراهيم** ﴾ .

وقال عن موسى ﴿ **وتركنا عليه فى الآخرين * سلام على موسى وهارون** ﴾ . وقال تعالى ﴿ **سلام على ألياسين** ﴾ .

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى : يعنى تعالى بقوله ﴿ **وتركنا عليه فى الآخرين** ﴾ يقول : وأبقينا على نوح ذكراً جميلاً وثناء حسنا فيمن يأتى من الناس فيذكرونه به وهو الذى قلنا فى ذلك كما قال أهل التأويل .

فذكر أبو صالح قال : حدثنى معاوية بن على عن ابن عباس : ﴿**وتركنا عليه فى الآخرين** ﴾ قال : يذكر بخير ، وعن ابن أبى نجيح عن مجاهد يقول : جعلنا لسان صدق للأنبياء كلهم ، وعن سعيد عن قتادة قال : أبقى الله عليه الثناء الحسن فى الآخرين وعن أسباط عن السدى قال : الثناء الحسن وقوله : ﴿**سلام على نوح فى العالمين** ﴾ يقول : أمنة من الله لنوح فى العالمين أن يذكره أحد بسوء وقد كان بعض أهل العربية من أهل الكوفة يقول : معناه وتركنا عليه فى الآخرين سلاماً أى تركنا عليه تلك الكلمة .

قال الطبرى : وتركنا عليه فى الآخرين يعنى إبراهيم : يقول : وأبقينا عليه فمن بعده إلى يوم القيامة ثناء حسناً . ثم ذكر عن سعيد عن قتادة قال : ابقى الله على إبراهيم الثناء الحسن فى الآخرين . وعن ابن وهب قال ابن زيد : هى التى سأل إبراهيم فقال : ﴿ **واجعل لى لسان صدق فى الآخرين** ﴾ .

قال : فترك الله عليه الثناء الحسن فى الآخرين كما ترك السوء على فرعون وأشياعه كذلك ترك اللسان الصدق والثناء الصالح على هؤلاء . وقيل : معنى ذلك : وتركنا عليه فى الآخرين السلام وهو قوله تعالى : ﴿ **سلام على إبراهيم** ﴾ وذلك قول ، روى عن ابن عباس وتركنا إسناده لأن فى إسناده من لم يستحق ذكره .

وقيل معنى ذلك وتركنا عليه فى الآخرين أن يقال : ﴿ **سلام على إبراهيم** ﴾ وقوله : ﴿ **سلام على إبراهيم** ﴾ يقول تعالى أمنة من الله فى الأرض لإبراهيم لا يذكر من بعده إلا بالجميل من الذكر .

قال : العلامة أبو عبدالله محمد بن أبى بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية : فالذى تركه سبحانه على رسله فى الآخرين هو السلام عليهم المذكور .

وقد قال : جماعة من المفسرين منهم مجاهد وغيره ﴿ **وتركنا عليهم فى الآخرين** ﴾ الثناء الحسن ولسان الصدق للأنبياء كلهم وهذا قول قتاده أيضاً ولا ينبغى أن يحكى هذا قولين للمفسرين كما يفعله من له عناية بحكاية الأقوال بل هو قول واحد فمن قال : إن المتروك هو السلام فى الآخرين نفسه فلا ريب أن قوله :﴿ **سلام على نوح** ﴾ جملة فى موضع نصب بتركنا والمعنى أن العالمين يسلمون على نوح ومن بعده من الأنبياء ومن فسره بلسان الصدق والثناء الحسن نظر إلى لازم السلام وموجبه وهو الثناء عليهم وما جعل لهم من لسان الصدق الذى لأجله إذا ذكروا سلم عليهم انتهى .

فهذا كما ترى لم يصلّ الله على أحد فى كتابه غير المصطفى ﷺ فإنه ﷺ وملائكته وأمر المؤذنين جميعا بالصلاه عليه دون أنبيائه ورسله تشريفاً له وتمييزا لعظيم مقامه ، وقد أمرنا بالاتباع ونهينا عن الابتداع ، وهو مذهب ابن عباس رضى الله تبارك وتعالى عنه .

خرج بقى بن مخلد بن حديث هشيم قال حدثنا عثمان بن حكيم عن عكرمة عن ابن عباس قال : ما أعلم الصلاة تبتغى من أحد على أحد الإعلى النبى ﷺ يعنى وسائر الناس يدعى لهم .

وخرجه القاضى إسماعيل بن إسحاق فى كتاب (فضل الصلاة على النبى) ﷺ من حديث عبدالرحمن بن زياد قال : حدثنى عثمان بن حكيم بن عباد عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال : لا تصح الصلاة على أحد إلا على النبى ﷺ ولكن يدعى للمسلمين والمسلمات بالاستغفار .

وقد حكى عن الإمام مالك فى رواية أنه على غير نبينا ﷺ وأوله بعض أصحابه بمعنى أنا لم نتقيد بالصلاة على غيره من الأنبياء كما تقيدنا بالصلاة عليه . وحكى النووى الإجماع على أن الصلاة على جميع الأنبياء مشروعة

واحتج من ذهب إلى هذا بما رواه إسماعيل بن إسحاق فى كتابه فقال : حدثنا محمد بن أبى بكر المقدمى حدثنا عمرو بن هارون عن موسى بن عبيد وعن محمد بن ثابت عن أبى هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه أن النبى ﷺ قال : صلوا على أنبياء الله ورسله فإن الله بعثهم كما بعثنى .

ورواه الطبرانى عن الديرى عن عبدالرزاق عن الثورى عن موسى بن عبيد قال : حدثنا عمرو بن عطاء عن ابن عباس رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ إذا صليتم على فصلوا على أنبياء الله فإن الله بعثهم كما بعثنى .

وقيل : عن أنس بن طلحة وموسى بن عبيدة . وقال : سفيان يكره أن يصلى على غير النبى . وقال الحافظ أبو موسى المدينى : وبلغنى بإسناد من بعض السلف أنه رأى آدم عليه السلام فى المنام كأنه يشكو قلة صلاة بنيه عليه .

وفى كتاب (النهاية) لابن الأثير فأما قولنا اللهم صلّ على محمد فمعناه عظمه فى الدنيا بإعلاء ذكره فى إظهار دعوته وابقاء شريعته وفى الآخرة بتشفيعه فى أمته وتضعيف أجره ومثوبته .

وقيل : المعنى لما أمر الله بالصلاة عيه ولم نبلغ قدر الواجب من ذلك أحلناه على الله وقلنا اللهم صل أنت على محمد لأنك أنت أعلم بما يليق به وهذا الدعاء قد اختلف فيه هل يجوز إطلاقه على غير الرسول ﷺ أم لا ؟ والصحيح أنه خاص له فلا يقال لغيره .

وقال الخطابى : الصلاة التى بمعنى التعظيم والتكريم لا تقال لغيره والتى بمعنى الدعاء والتبريك تقال لغيره ، ومنه الحديث اللهم صلّ على آل أبى أوفى أى ترحم وبرك وقيل فيه : إن هذا خاص له ولكنه آثر به غيره وأما سواه فلا يجوز له أن يخص به أحد .

وقال : الأصمعى : سمعت المهدى على منبر البصرة يقول : إن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه وثنى بملائكته فقال : ﴿ **إن الله وملائكته يصلون**

على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا عليه تسلماً ﴾ آثره من بين الرسل وخصكم بها من بين الأمم فقابلوا نعمة الله بالشكر .

وأما الاقتصار فى الصلاة على الآل والأزواج مطلقاً

فقال : ابن عبدالبر : استدل قوم بهذا الحديث على أن آل محمد هم ازواجه وذريته خاصة لقوله ، فى حديث مالك عن نعيم المجمر وفى غير ما حديث : اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته ، قالوا : فجائز أن يقول ، الرجل : لكن ما كان من أزواج محمد ﷺ صلى الله عليك إذا واجهه وصلى الله عليه إذا غاب عنه ولا يجوز ذلك فى غيرهم ، وأما الصلاة على الآل بطريق التبعية فإنه لا خلاف فى جوازها .

واختلف موجبو الصلاة على النبى ﷺ فى وجوبها على آله على قولين مشهورين ، وهى طريقتان لأصحابنا **إحداهما** : أن الصلاة واجبة على النبى ﷺ وفى وجوبها على الآل قولان ، للشافعى ، هذه طريقة إمام الحرمين والغزالى .

والطريقة الثانية : أن فى وجوبها على الآل وجهين وهى الطريقة المشهورة والذى صححوه أنها غير واجبه عليهم واختلف أصحاب أحمد فى وجوب الصلاة عليهم على وجهين ، وهل يصلى عليهم منفردين على النبى ﷺ ففيه خلاف ، وكذا فى الصلاة على غير الآل من الصحابة ومن بعدهم فكرة ذلك مالك وقال : لم يكن ذلك من عمل من مضى وهو مذهب أبى حنيفه وسفيان بن عيينة ، وسفيان الثورى ، وبه قال : طاووس .

وقال : ابن عباس لا ينبغى الصلاة إلا على النبى ﷺ وهو مذهب عمر ابن عبدالعزيز وقال : أبو بكر بن أبى شيبة : حدثنا حسين بن على عن جعفر ابن وثاب قال : كتب عمر بن عبدالعزيز أما بعد فإن أناساً من الناس قد أنهموا الدنيا بعمل الآخرة وإن القصاص قد أحدثوا الصلاة على خلفائهم وأمرائهم عدل

صلاتهم على النبى ﷺ فإذا جاءك كتابى فمرهم أن تكون صلاتهم على النبيين ودعاءهم للمسلمين عامة وهذا مذهب القاضى وفيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه منع تحريم .

والثانى : أنه منع تنزيه وهو قول أكثر الأصحاب .

والثالث : أنه من باب ترك الأولى وليس بمكروه .

حكاها النووى فى (الأذكار)[1] والصحيح الذى عليه الأكثرون أنه مكروه كراهة تنزيه واختلفوا في السلام هل هو فى معنى الصلاة فيكره أن يقال: السلام على فلان أو فلان عليه السلام فكرهه الشيخ أبو محمد الجوينى وطائفة ومنع أن يقال : على عليه السلام . وفرق آخرون بين السلام والصلاة فقالوا : السلام المشروع فى حق كل مؤمن حى وميت حاضر وغائب فإنك تقول بلغ فلاناً منى السلام وهو تحية أهل الإسلام بخلاف الصلاة فإنها من حقوق الرسول وآله ولهذا يقول المصلى فى تشهده السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، ولا يقول : الصلاة علينا وعلى عباد الله الصالحين فعلم الفرق .

واحتج من ذهب إلى أنه لا يصلى إلا على الرسول ﷺ بوجوه :

أحدها : ما تقدم عن ابن عباس .

الثانى : أن الصلاة على غير النبى ﷺ قد صارت شعار أهل البدع ذكره النووى ، ومعنى ذلك أن الرافضة إذ ذكروا أئمتهم صلوا عليهم ولا يصلون على غيرهم فاستحبوا مخالفتهم فى ذلك الشعار .

الثالث : ما احتج به الإمام من أن هذا لم يكن عمل من مضى من الأمة ولو كان خيراً لسبق السلف إليه .

الرابع : أن الصلاة صارت فى لسان الأمة مخصوصة بالنبى ﷺ تذكر مع ذكر اسمه لا يسوغ ذلك لغيره وكما لا يقال : محمد عزوجل ، ولا محمد

---

(١) (الأذكار للنووى) : ١١٥ ، كتاب الصلاه على رسول الله ﷺ ، باب (٤) الصلاه على الأنبياء وآلهم تبعالهم صلى عليهم وسلم .

سبحانه وتعالى ، لئلا يعطى رتبه الخالق فهكذا لا ينبغى أن تعطى غير النبى ﷺ رتبته فيقال : فلان ﷺ .

الخامس : أن الله تعالى قال : ﴿ **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا** ﴾ .

فكما أمر الله تعالى أن لايدعى باسمه كما يدعى غيره باسمه كذلك لاتجعل الصلاة على غيره فى دعائه والإخبار عنه كما تجعل الصلاة عليه فإن فعل هذا مما لايسوغ أصلاً قالوا : فاذا ذكر رسول الله ﷺ أحد من أمته انبغى له أن يصلى عليه لما جاء عنه فى ذلك من قوله : ﷺ من صلى علىّ مرةً صلى الله عليه عشراً . ولايجوز أن يترحم عليه لأنه لم يقل : من ترحم علىّ . ولاقال : من دعا لى وإن كانت الصلاة هنا الرحمة فكأنه خص بهذا اللفظ تعظيماً له .

قال تعالى : ﴿**إن الله وملائكته يصلون على النبى ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا عليه تسليما** ﴾ ولم يقل إن الله وملائكته يترحمون على النبى . وإن كان المعنى واحد أن يخصه بذلك .

السادس : أن النبى ﷺ شرع لأمته فى التشهد أن يسلموا على عباد الله الصالحين . وأن يصلوا على النبى ﷺ فعلمنا من ذلك أن الصلاة عليه حقه الذى لايشركه فيه أحد .

السابع : أن الله تعالى ذكر الأمر بالصلاة عليه فى معرض حقوقه وخواصه ، التى خصه بها من تحريم النكاح لأزواجه ، وجواز نكاحه لمن وهبت نفسها له ، وإيجاب اللعنة لمن آذاه ، ونحو ذلك من حقوقه وأكّدها بالصلاة عليه والتسليم فدل على أن ذلك حق له خاصة وآله تبع له فيه .

الثامن : أن الله تعالى شرع للمسلمين أن يدعو بعضهم لبعض ويستغفر بعضهم لبعض ويترحم عليه فى حياته وبعد موته ، فالدعاء ، حق للمسلمين والصلاة حق لرسول الله ﷺ فهما حقان لايقوم أحدهما مقام الآخر ، ألا ترى أن صلاة الجنازة إنما يدعى فيها للميت ويترحم عليه و يستغفر له ولا يصلى

عليه بدل ذلك ، فيقال : اللهم صلّ عليه ، فانه يصلى عليه فى الصلوات كلها ولايقال : بدل ذلك اللهم اغفر له وارحمه بل يعطى كل ذى حق حقه .

التاسع : أن الميت من يحتاج أن يُدعى له بالمغفرة والرحمة والنجاة من العذاب والرسول ﷺ غير محتاج إلى أن يُدعى له بذلك بل الصلاة عليه زيادة فى تشريف الله له وتكريمه ورفع درجاته وهذا حاصل له ، وإن غفل عن ذكره الغافلون فالأمر بالصلاة عليه إحسان من الله للأمة ورحمة منه لهم ولنبيهم بصلاتهم على رسوله بخلاف غيره من الأمة فإنه محتاج إلى من يدعو له ويستغفر له ويترحم عليه ولهذا جاء بهذا فى محله ليوجب العارف الحقوق إلى أهلها بفقهه عن الله تعالى .

العاشر : لو كانت الصلاة على غير النبى ﷺ سائغة فإما أن يقال ، باختصاصها ببعض الأمة ويقال : تجوز على كل مسلم فإن قيل . باختصاصها فلا وجه له وهو تخصيص غير مخصص وإن قيل : بعدم الاختصاص وأنها تسوغ لكل من يسوغ الدعاء له فحينئذ تسوغ الصلاة على المسلم وإن كان من أهل الكبائر ، وكما يقال : اللهم تب عليه اللهم اغفر له يقال : اللهم صل عليه وهذا باطل . وإن قيل : تجوز على الصالحين دون غيرهم فهذا مع أنه لادليل عليه ليس له ضابط فإن كون الرجل صالحاً أو غير صالح وصف يقبل الزيادة والنقصان وكذلك كونه ولياً لله وكونه شقياً وكونه مؤمناً ، كل ذلك يقبل الزيادة والنقصان فما ضابط من يصلى عليه من الأمة ومن لا يصلى عليه . نعلم بهذه الرجوه العشرة اختصاص الصلاة بالنبى ﷺ .

فصل فيمن أجاز الصلاة على غير النبى ﷺ

فقال: القاضى أبو سعيد بن الفراء فـى (رؤوس مسائله) : وبذلك قـال : الحسن البصرى ، وحصيف ، ومجاهد ، ومقاتل بن سليمان ومقـاتل بـن حيـان ، وكثير من أهل التفسير ، قال : وهو قول الإمام أحمد نص عليه فى روايـة أبـى داود وقد سئل . أينبغى أن يصلى على أحد أو لا يصلى إلا على النبى ﷺ فقال: أليس قال على لعمر : صلـى اللـه عليكْ قـال : وبـه قـال : إسحاق بـن راهويـه وأبوثور ، ومحمد بن جرير الطبرى ، وغيرهم وحكى أبوبكر بن أبـى داود عـن أبيه : قال ذلك أبوالحسن وعلى هذا العمل ، واحتج هؤلاء بوجوه :

أحدها : قوله تعالى : ﴿ **خذ من أموالهم صدقـة تطهرهـم وتزكيهـم بهـا وصلّ عليهم** ﴾ فأمر تعالي رسوله أن يأخذ الصدقة من أمته وأن يصلى عليهم ومعلوم أن الأمة من بعده تأخذ الصدقـة كمـا كـان يأخذهـا فيشـرع لهـم أن يصلـوا علـى المتصدق كما كان يصلى عليه حين يأخذها منه النبى ﷺ .

الثانـى : ثبت فى الصحيحين وغيرهما من حديث شعبة عن عمر وعـن عبد الله أبى أوفى قال: كان النبى ﷺ إذا أتـاه قـوم بصدقتهم قـال : اللهم صـل علـى ال فـلان فأتـاه أبـى بصـدقته فقـال ﷺ اللهم صـل علـى آل أبـى أوفـى . والأصل عدم الاختصاص وهذا ظاهر فى أنه هو المراد من الآية .

الثـالث : مارواه حجاج عن أبى عوانة عن الأسود بن قيس العمرى عن جابر بن عبدالله أن إمرأة قالت : يارسول الله صل على زوجى صلى الله عليك فقال ﷺ صلى الله عليك وعلى زوجك وأجيب عـن ذلـك بـأن الأدلـة نوعـان : نوع منها صحيح وهوغير متناول لعمل النزاع فلا يحتـج بـه ونـوع غير معلوم الصحة فلا يحتج به أيضا فقوله تعالى : ﴿ **وصل عليهم** ﴾ استدلال فـى غير محل الكلام لأن النزاع هل يشرع لأحدنا أن يصلى علـى النبـى وآلـه أم لا وأمـا صلاته ﷺ على من صلى فمسألة أخرى وأين هذه من صلاتنا عليه التـى أمرنـا الله بها قضاء حتما ؟ فـان الصـلاة عليـه حـق ل ﷺ يتعين علـى الأمـة أداؤه ،

والقيام به ، وأما هو ﷺ فيخص من أراد ببعض ذلك الحق وهذا كما تقول شاتمة ومؤذيه قتله حق لرسول الله ﷺ يجب على الأمة القيام به واستيفاؤه وأنه هو ﷺ كان يعفو عنه حين كان يبلغه ويقول : رحم الله موسى قد أوذى بأكثر من هذا فصبر .

وقال ابن عبد البر : تهذيب الآثار وحملها على غير المعارضة والتدافع هو أن يقال : أما النبى ﷺ فجائزان يصلى على من يشاء لأنه قد أمر أن يصلى على كل من يأخذ صدقته وأما غيره فلا ينبغى له إلا أن يخص النبى ﷺ عليه كما قال ابن عباس وجائز أن يحتج فى ذلك بعموم قوله تعالى﴿ **لاتعجلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا** ﴾ يقول : والذى اختاره فى هذا الباب أن يقول : اللهم ارحم فلاناً واغفر له ، ورحم الله فلاناً وغفر له ورضى عنه ، ونحو هذا الدعاء والترحم عليه ولا يقال : اذا ذكر النبى ﷺ إلا صلى عليه إلا أنه جائز أن يدخل معه فى ذلك ما جاء فى الأحاديث عنه من قوله : اللهم صل علي محمحد وعلى ال محمحد واللهم صل على محمحد وعلى آله وذريته ، ولا يصلى على غيره بلفظ الصلاة امتثالاً لعموم قول الله تعالى : ﴿ **لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا** ﴾ فى حياته وموته ﷺ .

الرابع : ما رواه ابن سعد فى كتاب (الطبقات) من حديث ابن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله أن علياً دخل على عمررضى الله تبارك وتعالى عنهما وهو مسجى فلما انتهى إليه قال : صلى الله عليك ما أحد لقى الله بصحيفته إلي من هذا المسجى بينكم .

وأجيب بأن هذا الحديث قد اختلف فيه على أنس بن محمد عن أبيه أن عليّاً لما غسل عمر وكفن وحمل على سريره وقف عليه فاثنى عليه وقال : والله ما على الأرض رجل أحب إلي أن ألقى الله بصحيفته من هذا المسجى بالثوب . وكذلك رواه محمد ومحمد ومعلى معلى ابنا عبيد عن حجاج الواسطى عن بعضهم ولم يذكر هذه اللفظة وكذلك رواه سليمان بن بلال عن جعفر عن

أبيه وكذلك رواه يزيد بن هارون عن جعفر عن أبيه وكذلك رواه عون بن أبى جحيفه عن أبيه قال كنت عند عمرو فقال : فذكره دون لفظة الصلاة بل قال : رحمك الله وكذلك رواه حازم بن الفضل عن حماد بن زيد عن أيوب وعمرو بن دينار وأبى جهيم قالوا : لما مات عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه فذكروا الحديث دون لفظ الصلاة وكذلك رواه قيس بن الربيع عن قيس بن مسلم عن محمد بن الحنفيه ومع ذلك فإن ابن سعد لم يسند حديثه بل قال : فى الطبقات : أخبرنا بعض أصحابنا عن سفيان بن عينيه أنه سمع منه هذا الحديث عن جعفر ابن محمد عن أبيه عن جابر بن عبدالله فذكروه فقال : لما انتهى اليه فقال : صلى الله عليك وهذا الرجل المهم لم يحفظه فلا يحتج به وقد عارضه قول : عبد الله بن عباس رضى الله تبارك وتعالى عنهما لاينبغى الصلاة على أحد إلا على النبى ﷺ فاحتاجا إلى ترجيح أحدهما على الآخر .

الخامس : ما رواه إسماعيل بن إسحاق فقال : حدثنا عبد الله بن مسلم حدثنا نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم القارى عن نعيم عن ابن عمررضى الله تبارك وتعالى عنه أنه كان يكبر على الجنازة ، ويصلى على النبى ﷺ ثم يقول : اللهم بارك فيه وصل عليه واغفر له وأورده حوض نبيك ﷺ .

وأجيب بأن نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم أبا رويم هذا ، قال أبو طالب: عن أحمد بن حنبل كان يؤخذ عنه القرآن وليس فى الحديث بشئ .

وقال ابن عدى : وأرجو أنه لابأس فيه ، فقد تبين ضعفه وإن كان من أئمة القراءة ، ويدل على أن حديثه هذا ليس بمحفوظ أن مالك لم يروه فى (الموطأ) وإنما روى أثراً عن أبى هريرة ، فلو كان هذا عند نافع مولاه لكان مالك أعلم به من نافع بن أبى نعيم ، وقول ابن عباس يعارضه مع ذلك .

السادس : أن الصلاة هى الدعاء وقد أمرنا بالدعاء بعضنا لبعض ، هكذا احتج أبو سليمان بن الفراء . وأجيب عن ذلك بأن الصلاة دعاء مخصوص قد أمروا به فى حق رسول الله ﷺ وليس فى ذلك دليل على جواز الدعاء به لغيره لما بين الرسول وبين غيره من الفرق العظيم ، فلا يصح الإلحاق به ، لافى الدعاء ولا فى المدعو ، وكما لا يصح أن يقاس عليه دعاء غيره لا يصح

أن يقاس على الرسول غيره ، لا سيما والصلاة تشرع فى حق الرسول لكونها دعاء بل لأخص من مطلق الدعاء ، وهو كون الصلاة مطلق تعظيمه ، وتحميده، والثناء عليه وهذا أخص من مطلق الدعاء .

السابع : ما خرجه مسلم فى صحيحه من حديث حماد بن زيد عن يزيد ابن ميسرة عن عبد الله بن شفيق عن أبى هريرة قال : إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان يصعدانها قال حماد : فذكر من طيب ريحها وذكر المسك قال: ويقول أهل السماء روح طيبة جاءت من قبل الأرض صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمرينه فينطلق به إلى ربه عز وجل ثم يقول انطلقوا به إلى آخر الأجل . قال : وإن الكافر إذا خرجت روحه قال حماد : وذكر من نتنها وذكر لعناً ويقول أهل السماء : روح خبيثة جاءت من قبل الأرض ، قال : فيقال : انطلقوا به إلى آخر الأجل . قال أبو هريرة : فرد رسول الله ﷺ ربطة كانت عليه على أنفه هكذا . وهو يدل عن عبد الله بن شفيق عن أبى هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه قال : إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان يصعدانها قال حماد : فذكر من طيب ريحها وذكر المسك قال : يقول أهل السماء : روح طيب ريحها وذكر المسك ، قال : يقول أهل السماء : روح طيبه جاءت من قبل الأرض صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمر فيه . وذكر الحديث هكذا قال : مسلم عن أبى هريرة موقوفاً وسياقه يدل على أنه مرفوع فإنه قال بعده : وإن الكافر إذا خرجت روحه قال حماد : وذكر من نتنها وذكرلفها ويقول : أهل السماء روح خبيئة جاءت من قبل الأرض قال : فيقال : انطلقوا به إلى آخر الأجل قال : أبو هريرة فرد رسول الله ﷺ ريطة كانت على الفه هكذا[1] وهو

---

(١) (مسلم بشرح النووى) ١٧/٢١٠ - ٢١١ ، كتاب الجنه وصفة تعيمها واهلها باب (١٧) عرض مقعد الميت من الجنة أو النار علية ، وإثبات عذاب القبر ، والتعوذ منه ، حديث رقم (٧٥) ولفظه حدثنى عبيد بن شقيق عن أبى هريرة قال إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان يصعد انها قال حماد فذكر من طيب ريحها وذكر المسك قال ويقول أهل السماء روح طيبة جاءت من قبل الأرض صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمرينه فينطلق به إلى ربه عز وجل ثم يقول انطلقوا به إلى آخر الأجل قال وان الكافر إذا خرجت روحه قال حماد وذكر من نتنها =

يدل على ان رسول الله ﷺ حدثهم به وقد رواه جماعة عن أبى هريرة مرفوعا منهم أبو سلمة وعمر وبن الحكم وإسماعيل السدى عن أبيه عن أبى هريرة وسعيد بن يسار وغيرهم فإذا كانت الملائكة تقول : المؤمن صلى الله عليك جاز ذلك أيضاً للمؤمنين بعضهم لبعض.

وأجيب بان هذا ليس بمتناول لمحل النزاع فإن النزاع فإنه هو حل يسوغ لأحد أن يصلى على غير الرسول وأله وأما الملائكة فليسوا بداخلين تحت تكاليف البشر حتى يصح قياساً عليهم فيها وبفعلونه فأين أحكام الملك من أحكام البشر فالملائكة رسل الله فى خلقه وأمر يتصرفون بأمره تعالى لا بأمر البشر .

الثامن : قال الله تعالى : ﴿ هو الذى يصلى عليكم وملائكته ﴾[1] .

وقال : ﷺ إن لله وملائكته يصلون على معلم الناس الخير[2] وأجيب بأن هذا أيضا فى غير النزاع فكيف يصح النزاع وقياس فعل العبد على فعل الرب وصلاة العبد دعاء وصلاة الله على عبده ليست دعاء وإنما هى اكرم وتعظيم ومحبه وثناء واين هذا من صلاة العبد .

= وذكر لعناً يقول أهل السماء روح خبيثة جاءت من قبل الأرض قال فيقال انطلقوا به إلى آخر الأجل قال أبو هريرة فرد رسول الله ﷺ ربطة كانت عليه على أنفه هكذا .

قال النووى : قوله فى روح المؤمن " ثم يقول انطلقوا به إلى آخر الأجل ثم قال فى روح الكافر فيقال انطلقوا به إلى آخر الأجل " قال القاضى المراد بالأول انطلقوا بروح المؤمن إلى سدرة المنتهى والمراد بالثانى انطلقوا بروح الكافر إلى سجين فهى منتهى الأجل ويحتمل أن المراد إلى إنقضاء أجل الدنيا قوله " فرد رسول الله ﷺ ربطة كانت عليه على أنفه " الربطه بفتح الراء وإسكان الياء وهو ثوب رقيق وقيل هى الملاءة وكان سبب ردها على الأنف بسبب ما ذكر من نتن ربح الكافر (مسلم بشرح النووى) .

(١) الاحزاب : ٤٣ ، وتمامها : (**ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً**) .

(٢) (كنز العمال) ١٠/١٤٥ ، حديث رقم (٢٨٧٣٦) ، وعزاه إلى الطبرانى والضياء المقدس عن أبى أمامه .

التاسع : ماخرجه أبو داود[1] ومن حديث عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها قالت : قال رسول الله ﷺ إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف[2] وفى حديث ارخ عنها قالت : ان رسول الله ﷺ وملائكته يصلون على الذين يصلون الصفوف[3] وقد جاء صلاة الملائكة على من صلى على النبى ﷺ وتقدم مجواب هذا كله فيما مضى .

العاشر : روى مالك بن مخامر عن النبى ﷺ مرسلاً أنه قال : اللهم صلى على آل أبى بكر فانه يحب الله ورسوله اللهم صل على عمر فإنه يحب الله ورسوله اللهم صلى على آل عثمان فإنه يحب الله ورسوله اللهم صلى على علىّ فإنه يحب الله ورسوله اللهم صل على أبى عبيدة فإنه يحب الله ورسوله اللهم صل على عمرو بن العاص فإنه يحب الله ورسوله ، وأجيب بأن هذا حديث مرسل لا إسناد له حتى نعرف صحته من سقمه ومع هذا فإنه فى غير محل ألنزاع كما تقدم .

الحادى عشر : ما روى عن عبد الله بن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنهما أنه كان يقف على فير النبى ﷺ فيصلى عليه وعلى أبى بكر وعمر . وأجيب بأن ابن عبد البر قال : ولهذا أنكر العلماء على يحيى بن يحيى ومن تابعه فى الروايه عن مالك فى (الموطأ) عن عبد الله بن دينار قال : رأيت عبد الله بن عمر يقف على قبر النبى ﷺ فيصلى على النبى ﷺ وعلى أبى بكر

---

(١) رواه أبو داود رقم (٦٦٤) فى الصلاة ، باب تسوية الصفوف ، والنسائى ٢/٨٩- ٩٠ فى الإمامة ، باب كيف يقوم الامام الصفوف ، وإسناده محجم . (جامع الأصول) : ٥/٦١٣ ، حديث رقم (٣٨٧٦) .

(٢) أخرجه أبو داود رقم (٦٧٦) فى الصلاة ، باب بين السوارى ، وإسناده حسن ، حسنه الحافظ فى (الفتح) ، ورواه أيضاً ابن ماجة رقم (٩٩٥) فى إقامة الصلاة ، باب إقامة الصفوف ، بلفظ: " إن الله وملائكته يصلون على الذين يصلون الصفوف ".(جامع الأصوال) : ٥/٦١٥، حديث رقم (٣٨٨٠) .

(٣) راجع التعليق السابق .

وعمر قالوا : إنما الروايه وغيره عن عبد الله بن عمر أنه كان يقف على قبر النبي ﷺ ويدعوا لأبى بكر وعمر وبين يصلى على أبى بكر وعمر فإن كانت الصلاة قد تكون دعاء لما به رسول الله ﷺ من لفظ الصلاة عليه وكذلك روى عن عبد الله بن عباس قال : لا يصلى على أحد إلا على النبى ﷺ يعنى وسائر الناس يدى لهم وترحم عليهم ومعلوم ان ابن عباس يعلم أن الصلاة قد تكون الدعاء والرحمة أيضاً وقد رد ابن وضاح رواية يحيى إلى رواية ابن القاسم عن سحنون وحدث بها عنه وكما رواه ابن القاسم كذلك رواه القعبنى وابن بكير ومن تابعهم فى (الموطأ) وجعلها يصلى على النبى ﷺ ويدعو لأبى بكر وعمر رضى الله تبارك وتعالى عنهما .

الثانى عشر : أنه قد صح عن النبى ﷺ أنه فى الصلاة عليه وعلى أزواجه وهذا على أصولكم الزم فإنكم لم تدخلوهن فى آله الذين تحرم عليهم الصدقة فإذا جازت الصلاة عليهن جازت على غيرهن من الصحابة . وأجيب إنما صلى على الأزواج لإضافتهن إلى الرسول الله ﷺ وأهل بيته وزوجاته تبع له فيها .

تم بحمد الله تعالى الجزء العاشر
ويليه
الجزء الحادى عشر
وأوله :
فصل فى أنهن لم يدخلن فيمن تحرم عليه الصدقة من الآل

إمتاع الأسماع

بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع

تأليف

تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي

المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

تحقيق وتعليق

محمد عبد الحميد النميسي

الجزء الحادي عشر

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ١١ - ٩٤٢٤ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH
Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

ISBN 2-7451-2208-8

http://www.al-ilmiyah.com.lb/
e-mail : sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل في أنهن لم يدخلن فيمن تحرم عليه الصدقة من الآل

فلعموم القرابة التي يثبت بها التحريم ، ومع ذلك فإنهن من أهل بيته الذين يستحقون الصلاة عليه ، ولامنافاة بين الأمرين .

الثالث عشر :

أنكم قد قلتم بجواز الصلاة على النبي ﷺ تبعاً له ، وقلتم بجواز أن يقال: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأصحابه وأزواجه وذريته وأتباعه .

قال الشيخ محي الدين أبو زكريا النووي : واتفقوا على جواز جعل غير الأنبياء تبعاً لهم في الصلاة ، ثم ذكر هذه الكيفية وقال : الأحاديث الصحيحة في ذلك ، وقد أمرنا به في التشهد ولم يزل السلف عليه خارج الصلاة أيضاً . قالوا: ومنه الأثر المعروف ، عن بعض السلف : اللهم صل على ملائكتك المقربين ، وأنبيائك المرسلين ، وأهل طاعتك أجمعين ، من أهل السموات والأرضين .

وأجيب بأن إدعاء الاتفاق غير معلوم الصحة ، فقد منع جماعة الصلاة على غير الأنبياء مفردة وتابعة كما تقدم ، فمن جعل الاتفاق وهذا التفصيل الذى ذكرتموه وإن كان معروفاً عن بعضهم في أصلهم بقوله : بل يمنعه ، وَهبْ أنا نجوز الصلاة على أتباعه بطريق التبعية له فمن أين يجوز إفراد المقر أو غيره بالصلاة عليه استقلالاً ودعواكم أن الأحاديث الصحيحة في ذلك غير مسلم بها، فأين تجدون في الأحاديث الصحيحة الصلاة على غير النبي ﷺ وآله وأزواجه وذريته حتى قلتم : والصحابة ؟ فليس فيما ذكر الصحابة ولا الأتباع ، وكذا قولكم : وقد أمرنا به في التشهد ، فما أمرنا في التشهد إلا بالصلاة على آله وأزواجه وذريته فقط دون من عداهم ، أوجدونا ، ولن تجدوه أبدا .

الرابع عشر :

ماخرجه أبو يعلى الموصلي ، عن ابن زنجويه ، حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا أبو بكر بن أبي مريم ، حدثنا ضمرة بن حبيب بن صهيب ، عن أبي الدرداء ، عن زيد بن ثابت ، أن رسول الله ﷺ دعاه وأمره أن يتعاهد به أهله كل يوم ، قال: قل حين تصبح : لبيك اللهم لبيك وسعديك ، والخير كله بيديك ، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك ، وتباركت وتعاليت ، وأستغفرك وأتوب إليك ،

اللهم ما قلتُ من قول أو نذرتُ من نذر، وحلفتُ من حلف ، فمشيئتك بين يديك ، ماشئت كان، وما لم تشأ لم يكن ، ولاحول ولاقوة لي إلا بك ، أنت على كل شئ قدير، اللهم ما صليت من صلاة فعلى من صليت ، وما لعنت من لعنة فعلى من لعنت، أنت وليي في الدنيا والآخرة ﴿ **توفني مسلماً وألحقني بالصالحين** ﴾.

ووجه الاستدلال أنه لو لم تشرع الصلاة على غير النبي ﷺ لما كان يصلي على من ليس بأهل للصلاة ، ولايدري استثنى من ذلك كما أستثنى في حلفه ونذره .

أجيب بأن في سند هذا الحديث أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني الحمصي ، قال ابن معين : ضعيف الحديث ليس بشيئ ، وقال أحمد : كان عيسى بن يونس لا يرضاه ، وقال السعدي : ليس بالقوى في الحديث وهو متهالك . وقال النسائي : ضعيف ، وقال أبو داود : سرق له متاع فأنكره عقله، وقال ابن عدي : والغالب على حديثه الغرائب وكل من يوافقه عليه من الثقات، وقال ابن حبان : كان من خيار أهل الشام ، ولكنه كان رديئ الحفظ ، يتحدث بالشيئ فَيَهِمُ ، وكثر ذلك حتى استحق الترك .

قال ابن القيم : وفصل الخطاب في هذه المسألة أن الصلاة على غير النبي ﷺ إما أن يكون آله وأزواجه وذريته أو غيرهم ، فإن كان الأول فالصلاة عليهم مشروعة مع الصلاة على النبي ﷺ وجائزة ومفردة .

وأما الثاني : فإن كان الملائكة وأهل الطاعة عموماً الذين يدخل فيهم الأنبياء وغيرهم جاز ذلك أيضاً فيقال : اللهم صل على ملائكتك المقربين وأنبيائك والمرسلين وأهل طاعتك أجمعين ، وإن كان معيناً أو طائفة معينة كره أن تتخذ الصلاة عليه شعاراً لاتحل به ، ولو قيل بتحريمه لكانت له وجه ، ولا سيما إذا جعلها شعاراً له ، وصنع منها نظيره أو من هو خير منه ، وهذا كما يفعل الرافضة بعليٍّ – رضي الله تبارك وتعالى عنه – ، فإنهم حيث ذكروه قالوا : عليه الصلاة والسلام ، ولايقولون ذلك فيمن هو خير منه ، فهذا ممنوع منه ، ولا سيما إذا اتخذ شعاراً لا تحل به ، فتركه حينئذ متعين ، وأما إن صلى عليه اتفاقاً بحيث لا يجعل ذلك شعاراً كما يصلي على دافع الزكاة ، وكما قال ابن عمر للميت ، وكما قال النبي ﷺ على المرأة وزوجها ، وكما روى

عن عليّ – رضي الله تبارك وتعالى عنه – من صلاته على عمر – رضي الله تبارك وتعالى عنهما – فهذا لابأس به ، وبهذا التفصيل تتفق الأدلة ، ويكشف وجه الصواب . والله الموفق.

الحادية والثمانون من خصائصه ﷺ :
أن الصلاة عليه واجبة

قال أبو عمر بن عبد البر : وأجمع العلماء على أن الصلاة على النبي ﷺ فرض على كل مؤمن بقوله عز وجل : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[1] ثم اختلفوا في كيفية ذلك وموضعه ، فذهب مالك وأبو حنيفة وأصحابهما إلى أن الصلاة على النبي ﷺ فرض في الجملة بعقد الإيمان، ولايتعين في الصلاة ولا في وقت من الأوقات ، ومن قول بعضهم : أنِ من صلى على النبي ﷺ مرة في عمره فقد سقط فرض ذلك عنه ، وبقى مندوباً إليه في سائر عمره بمقدار ما يمكنه .

قال كاتبه : وهذا أبو محمد بن حزم قال فيمن يقول : أن هذا القول فرض على كل مسلم أن يقوله مرة في الدهر: فإذا فعل ذلك فقد صلى على رسول الله ﷺ كما أمر ثم يستحب له ذلك في الصلاة وغيرها فهو يزيد من الأجر .

قيل : من أين اقتصرتم على وجوب هذا مرة في الدهر ولم توجبوا تكرار ذلك متى ذكر رسول الله ﷺ ؟ قلنا : إن ذلك مرة واحدة واجب ، ولا يوجد الاقتصار على أقل من مرة ، وأما الزيادة على المرة فنحن نسألكم : كم مرة توجبون ذلك في الدهر ؟ أو في الحول ؟ أو في الشهر ؟ أو في اليوم ؟ أو في الساعة ؟ ولا يمكن منكم تحديد عدد دون عدد إلا ببرهان ، ولا سبيل إليه فقد امتنع هذا بضرورة العقل .

---

(١) الأحزاب : ٥٦ .

فإن قالوا : نوجب ذلك عليه في الصلاة خاصة ، قلنا : ليس هذا موجوداً في الآية ولا في شيء من الأحاديث ، فهو دعوى منكم بلا برهان ، فإن من قال من غير الشافعي بقول إيجاب ذلك متى ذكر رسول الله ﷺ في صلاة أو غيرها، قلنا : هذا لا يوجد في الآية ولا في الصحيح من الأخبار .

قال القرطبي في تفسيره : ولاخلاف أن الصلاة عليه فرض في العمر مرة ، وفي كل حين من الواجبات وجوب السنن المؤكدة ، التي لا يسع تركها ، ولا يغفلها إلا من لا خير فيه .

ومنهم من قال : تجب في كل مجلس مرة وإن تكرر ذكره ، كما قال في آية السجدة ، وتشميت العاطس ، وكذلك في كل دعاء في أوله وفي آخره .

ومنهم من أوجبها في العمر مرة ، وكذا قال في إظهار الشهادتين ، والذى يقتضيه الأحتياط ، الصلاة عليه كلما ذكر، كما ورد من الأخبار في ذلك.

وقال أبو جعفر الطحاوي وأبو عبد الله الحليمي : تجب الصلاة عليه كلما ذكر اسمه ، وقال: ذلك مستحب ، وليس بفرض يأثم تاركه ، اختلفوا في ذلك ، فقالت فرقة : تجب الصلاة عليه في العمر مرة واحدة ، لأن الأمر لا يقتضى تكراراً ، والماهية تحصل بمرة ، وهذا لأنه يحكي عن أبي حنيفة ومالك وسفيان الثوري والأوزاعي .

وقال القاضي عياض – وهو قول جمهور الأمة – : وقالت فرقه : تجب في كل صلاة في تشهدها الأخير وهو قول الشافعي وأحمد في أحد الروايتين عنه .

قال ابن عبد البر : وقال الشافعي رحمه الله : إذا لم يصل على النبي ﷺ في التشهد الأخير ، بعد التشهد وقبل التسليم أعاد الصلاة ، قال : وإن صلى عليه قبل ذلك لم يجز ، هذا قول حكاه عنه حرملة ، ولايكاد يوجد عنه إلا من رواية حرملة ، وغير حرملة إنما يروى عنه أن الصلاة على النبي ﷺ فرض في كل صلاة ، موضعها التشهد الآخر قبل التسليم ، ولم يذكر إعادة فيمن وضعها قبل التشهد في الجلسة الأخرى ، وأن أصحابه قد تقلدوا رواية حرملة ، ومالوا إليها، وناظروا عليها .

وقالت فرقة : الأمر بالصلاة عليه أمـر أستحباب لا أمـر وجـوب ، هـذا قـول ابـن جريـج وطـائفـة ، وادعـى أبـو جعفـر محمـد بـن جريـر الطــبرى فيـه الإجماع، وهذا على أصله ، فإنه إذا رأى الأكثرين على قول جعل إجماعا يجـب اتباعه، والمقدمتان باطلتان ، واحتج القائلون بوجوب الصلاة عليه ﷺ بحجج :

الأولى : ما خرجه الحاكم[1] من حديث أبي هريرة – رضي اللــه تبـارك وتعالى عنه – عن النبي ﷺ قال : رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليَّ . ورغم أنفه : دعاء عليه ، وذم له .

الثانية : قوله : من ذكرت عنده فلم يصل عليّ فمات فـأبعده اللـه ، ولـه طـرق عـن أبـي هريـرة ، وجـابر بـن سـمرة ، وكعـب بـن عجـرة ، ومـالك بــن الحويرث ، وأنس بن مـالك وكـل طريـق منهـا جـاءت مستقله ، والحديـث بهـذه الطرق المتعددة يفيد الصحة .

الثالثة : قوله : من ذكرت عنده فليصل عليَّ فإنه مـن صلـى علـيّ مـرة صلى الله عليه عشراً . لأمر ظاهر في الوجوب .

الرابعة : قوله : إن البخيل من ذكرت عنده فلم يصل عليَّ ، وقوله : إن أبخل الناس من ذكرت عنده فلم يصل على ، وقوله : بحسب المؤمن مـن البخـل أن أذكر عنده فلا يصلي عليَّ ، وقوله : كفي بـه شـحاً أن أذكـر عنـد رجـل فـلا يصلـي علـيَّ فـإذاً ثبـت أنـه بخيـل ، ووجـه الدلالـة أن البخيـل اسم ذمّ ، وتـارك المستحب لا يستحق اسم الذم ، قـال تعـالى : ﴿ **إن اللـه لا يحـب كـل مختـال فخور**﴾[2] [وقال تعالى :] ﴿**الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل** ﴾[3] فقـرن تعالى البخل بالاختيال والفخر والأمر بالبخل ، وذم على المجموع ، فدل على أن البخل صفة ذم ، وقد قال النبي ﷺ : وأى داء أدوى مـن البخـل ؟ والبخيـل هـو

---

(١) (المستدرك) : ٧٣٤/١ ، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر ، حديث رقم (٢٠١٦) ، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : صحيح .

(٢) لقمان : ١٨ .

(٣) النساء : ٣٧ .

مانع ما وجب عليه ، فمن أدى الواجب عليه كله لم يسم بخيلاً ، وإنما البخيل مانع ما يجب عليه إعطاؤه وبذله .

الخامسة : أن الله تعالى أمر بالصلاة والسلام عليه ، والأمر المطلق للتكرار ، ولا يمكن أن يقال : التكرار هو في كل وقت ، فإن الأوامر المكررة إنما تكرر في أوقات خاصة ، أو عند شروط وأسباب تقتضي تكرارها ، وليس وقت أولى من وقت ، فتكرر الأمر بتكرار ذكر النبي ﷺ أولى لما تقدم من النصوص ، وهاهنا ثلاث مقدمات .

المقدمة الأولى : أن الصلاة مأمور بها أمراً مطلقاً ، وهذه معلومة .

المقدمة الثانية : أن الأمر المطلق يقتضى التكرار ، وهذا مختلف فيه ؛ فنفاه طائفة ، وفرقت طائفة بين الأمر المطلق والمعلق على شرط أو وقت ، فأثبت التكرار في المعلق دون المطلق ، وهذه الأقوال الثلاثة لأصحابنا ، ولأصحاب أحمد وغيرهم يقتضي الوجوب ، والنهي يقتضي الفساد ، فإن هذا معلوم من خطاب الشارع التكرار ، فلا يحمل كلام ، وإن كان لا يفرض لصحة المنهى عنه ولا فساده في أصل موضع اللغة ، وكذا خطاب الشارع للواحد من الأمة يقتضى معرفة الخاص أن يكون متناولاً له ولأمثاله ، وإن كان موضوع اللفظ لغة لا يقتضي ذلك ، فإن هذه لغة صاحب الشرع ، وعرفه في مصادر كلامه ، وموارده ، وهذا معلوم بالاضطرار عن دينه قبل أن يعلم صحة القياس، واعتباره ، وشروطه ، وهذا فرق بين اقتضاء اللفظ وعدم اقتضائه لغة ، وبين اقتضائه في عرف الشرع وعادة خطابه .

المقدمة الثالثة : إذا تكرر المأمور به فإنه لا يتكرر إلا بسبب ، ولولا الأسباب المقتضية لتكراره ذكر اسمه ﷺ لإخباره برغم أنف من ذكر عنده فلم يصل عليه ، والإمحال عليه بالبخل ، وإعطائه اسمه ، ومما يؤيد ذلك أن الله سبحانه أمر عباده المؤمنين بالصلاة عليه عقب إخباره لهم بأنه وملائكته يصلون عليه لم يكن مرة وانقطعت ، بل هى صلاة متكررة ، و لهذا ذكرها مبيناً بها فضله ، وشرفه ، وعلو مرتبته ، ثم أمر المؤمنين بها ، فتكرارها في حقهم أحق وأكثر لأجل الأمر ، ولأن الله تعالى أكد السلام بالمصدر الذى هو التسليم ، وهذا يقتضى المبالغة والزيادة في كميته ، وذلك بالتكرار ، ولأن لفظ المأمور به

يدل على التكثير فإن الفعل المشدد يدل على تكرار الفعل كقولك كسَّر الخبز وقطَّع اللحم ، وعلَّم الخير ، ونحوه ، ولأن الأمر بالصلاة عليه في مقابل إحسانه إلى الأمة وتعليمهم وإرشادهم المطلق ، وهذه الأقوال الثلاثة لأصحابنا ، ولأصحاب أحمد وغيرهم .

ورجحت هذه الطائفة التكرار بأن عامة أوامر الله تعالى على التكرار كقوله تعالى : ﴿ **آمنوا بالله ورسوله** ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ **ادخلوا في السلم كافة** ﴾[2] وقوله تعالى : ﴿ **وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول** ﴾[3] وقوله تعالى : ﴿**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول** ﴾[4] وقوله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله** ﴾[5] وقوله تعالى : ﴿ **فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين** ﴾[6] وقوله تعالى : ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعا**﴾[7] وقوله تعالى : ﴿ **وأوفوا بالعهد** ﴾[8] وقوله في اليتامى : ﴿**وارزقوهم فيها واكسوهم** ﴾[9] وقوله تعالى : ﴿ **إذا نودي للصلاة من يوم الجمعه فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع** ﴾[10] وقوله تعالى : ﴿ **إذا قمتم إلى**

---

(١) الحديد : ٧ .

(٢) البقرة : ٢٠٨ .

(٣) التغابن : ١٢ .

(٤) النور : ٥٦ .

(٥) آل عمران : ٢٠٠ .

(٦) آل عمران : ١٧٥ .

(٧) آل عمران : ١٠٣ .

(٨) الإسراء : ٣٤ .

(٩) النساء : ٥ .

(١٠) الجمعة : ٩ .

الصلاة فاغسلوا وجوهكم ﴾(١) إلى قوله تعالى : **﴿وإن كنتم جنباً فاطهروا ﴾**(٢) إلى قوله تعالى : **﴿ فلم تجدوا ماء فتيمموا﴾**(٣) وقوله تعالى : **﴿ استعينوا بالصبر والصلاة ﴾**(٤) وقوله تعالى : **﴿وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ﴾**(٥) وقوله تعالى : **﴿ وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ﴾**(٦) وقوله تعالى : **﴿ وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه﴾**(٧) وهذا في القرآن كثير جداً .

وإذا كانت أوامر الله تعالى ورسوله على التكرار ، حيث وردت إلا في النادر ، علم أن هذا عرف خطاب الله ورسوله للأمة ، والأمر إن لم يكن في لفظه المجرد ما يؤذن بتكرار ولا فَوْر ، وكان قد عرف في خطاب الشارع التكرار ، فلا يحمل كلامه إلا على عرفه ، والمألوف من خطابه ، وإن لم يكن ذلك مفهوماً من أصل الوضع في اللغة ، وهذا كما قلنا : إن الأمر يقتضي الوجوب، والنهى يقتضى الفساد ، فإن هذا معلوم من خطاب الشارع التكرار ، فلا يحمل كلامه وإن كان لا يفرض لصحة المنهي عنه ولا فساده في أصل موضوع اللغة ، وكذا خطاب الشارع بالواحد من الأمة يقتضي معرفة الخاص أن يكون متناولاً له ولأمثاله ، وإن كان موضوع اللفظ لغة لا يقتضي ذلك فإن هذه لغة صاحب الشرع ، وعرفه في مصادر كلامه وموارده ، وهذا معلوم بالاضطرار من دينه قبل أن يتعلم صحة القياس ، واعتباره ، وشروطه ، وهذا

---

(١) المائدة : ٦ .

(٢) المائدة : ٦ .

(٣) المائدة : ٦ .

(٤) البقرة : ٤٥ .

(٥) الأنعام : ١٥٢ .

(٦) الأنعام : ١٥٢ .

(٧) الأنعام : ١٥٢ .

الفرق بين اقتضاء اللفظ وعدم اقتضائه لغةً ، وبين اقتضائه في عرف الشرع وعادة خطابه .

ومعلوم أن مقابلة مثل هذا النفع العظيم لا تحصل بالصلاة مرة واحدة في العمر، بل لو صلى العبد عليه بعدد أنفاسه لم يكن موفياً لحقه ، ولا مؤدياً لنعمته، فجعل جزاء هذه النعمة الصلاة عليه عند ذكر اسمه ﷺ ، ولهذا أشار ﷺ إلى ذلك بتسمية من لم يصل عليه عند ذكر اسمه بخيلاً ؛ لأن من أحسن إلى العبد الإحسان العظيم ، وحصل له منه الخير الجسيم ، ثم يذكر عنده فلا يثنى عليه ، ولا يبالغ في حمده ، ومدحه ، ويبدئ ذلك ويعيده ، ويعتذر من التقصير في القيام بشكره ، وواجب حقه ، عده الناس بخيلاً ، لئيماً ، كفوراً ، فكيف بمن أوفي إحسانه إلى العبد يزيد على إحسان المخلوقين بعضهم لبعض ، الذي بإحسانه حصل للعبد خير الدنيا والآخرة ، ونجي من شر الدنيا والآخرة ، والذي لا تتصور القلوب حقيقة نعمته وإحسانه ، فضلاً عن أن يقوم بشكره ؟ .

أليس هذا المنعم المحسن أحق بأن يعظم ويثنى عليه ، ويتفرغ الوسع في حمده ومدحه ، إذا ذكر بين الملأ فلا أقل من أن يصلي عليه مرة إذا ذكر اسمه ، ولهذا دعى عليه النبي ﷺ برغم الأنف ، وهو أن يلصق أنفه بالتراب .

وأيضاً فإن الله تعالى : نهى الأمة أن تجعل دعاء الرسول بينهم كدعاء بعضهم بعضاً بل تدعوه : يا رسول الله ، يا نبى الله ، وهذا من تمام تعزيره وتوقيره ، فلهذا ينبغى أن يخص باقتران اسمه بالصلاة عليه ، ليكون ذلك فرقاً بينه وبين ذكر غيره ، كما كان الأمر به ، دعاءه بالرسول ، والنبي ، فرقاً بينه وبين خطاب غيره ، فلو كان عند ذكره لا يجب الصلاة عليه لكان ذكره كذكر غيره في ذلك ، هذا على أحد التفسيرين في الآية .

وأما التفسير الآخر وهو أن المعنى ﴿ **لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً** ﴾[1] فتؤخروا الإجابة بالأعذار والعلل التي يؤخر بعضكم عن إجابة بعض بها ، لكن بادروا إليه إذا دعاكم بسرعة الإجابة حتى لم يجعل اشتغالهم بالصلاة عذراً لهم في التخلف عن إجابته ، والمبادرة إلى طاعته ، فإذا

---

(١) النور : ٦٣ .

لم تكن الصلاة التي فيها شغل يستباح به إجابته فكيف ما دونها من الأسباب والأعذار؟ فعلى هذا يكون المصدر مضافاً إلى الفاعل ، وعلى القول الأول يكون مضافاً إلى المفعول ، وقد يقال : إن المصدر هنا لم يضف إلى الفاعل ولا المفعول ، وإنما أضيف إضافة الأسماء المحضة ، ويكون المعنى لا تجعلوا الدعاء المتعلق بالرسول المضاف إليه كدعاء بعضكم بعضاً ، وعلى هذا فيعم الأمرين معاً ، ويكون النهي عن دعائهم له باسمه كما يدعو بعضهم بعضا ، عن تأخير إجابته ، وعلى كل تقدير فكما أمر الله سبحانه بأن يميز عن غيره في خطابه ودعائه إياهم ، قياماً للأمة بما يجب عليهم من تعظيمه وإجلاله ، فتمييزه ﷺ بالصلاة عليه عند ذكر اسمه من تمام هذا المقصود وقد أخبر ﷺ أن من ذكرعنده فلم يصل عليه خطيء طريق الجنة ، فلولا أن الصلاة عليه واجبة عند ذكره ، فلم يكن تاركها مخطئاً لطريق الجنة ، فمن ذكر النبي ﷺ عنده فلم يصل عليه فقد جفاه ولا يجوز لمسلم جفاؤه .

والدليل على المقدمة الأولى : حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، يرفعه : من الجفاء أن أذكر عند الرجل فلا يصلي عليَّ وهذا وإن كان مرسلاً لا يحتج به ، فله شواهد .

والدليل على المقدمة الثانية : أن جفاءه مناف لكمال حبه ، وتقديم محبته على النفس ، والأهل ، والمال ، وأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فإن العبد لا يؤمن حتى يكون الرسول ﷺ أحب إليه من نفسه ، وولده ، ووالده ، والناس أجمعين كما تقدم ، فإن المحبة ثلاثة أنواع :

* إما محبة إجلال وتعظيم ، كمحبة الوالدين .
* وإما محبة تحنن وبر ولطف ، كمحبة الولد .
* وإما محبة لأجل الإحسان وصفات الكمال ، كمحبة الناس بعضهم بعضًا .

ولا يؤمن العبد حتى يكون حب الرسول ﷺ أشد من هذه المحبات الثلاثة، ومعلوم أن حقاً ثانياً في ذلك ، فلما كانت محبته ﷺ فرضاً وكانت توابعها من الإجلال ، والتعظيم ، والتوقير، والطاعة ، والتقديم على النفس وإيثاره بنفسه بحيث يقي نفسه بنفسه فرضاً ، كانت الصلاة عليه من لوازم هذه

المحبة وتمامها ، وإذا ثبت لهذه الوجوه وغيرها وجوب الصلاة على من ذكر عنده ، فوجوبها على الذاكر أولى .

ونظير هذا أن السامع آية السجدة إذا أمر بالسجود إما وجوباً واستحباباً على القولين فوجوبها على التالي أولى ، واحتج نفاة الوجوب بوجوه :

أحدها : أنه من المعلوم الذى لا ريب فيه أن السلف الصالح الذين هم القدوة لم يكن أحدهم كلما ذكر النبي ﷺ يقرن الصلاة عليه باسمه ، وهذا في خطابهم للنبى ﷺ أكثر من أن يذكر، فإنهم كانوا يقولون : يا رسول الله، مقتصرين على ذلك ، وربما كان يقول أحدهم : صلى الله عليك ، وهذا في الأحاديث ظاهر كثير ، فلو كانت الصلاة عليه واجبة عند ذكره لأنكر عليه تركها.

الثانى : أن الصلاة عليه لو كانت واجبة كما ذكر لكان هذا من أظهر الواجبات ، ولبينه لأمته بياناً يقطع العذر وتقوم به الحجة .

الثالث : أنه لا يعرف عند أحد من الصحابة ولا التابعين ولا تابعيهم هذا القول ، ولا يعرف أحد منهم قال به ، وأكثر الفقهاء حكى الإجماع على أن الصلاة عليه ليست من فروض الصلاة ، وقد نسب القائل بوجوبها إلى الشذوذ، ومخالفة الإجماع ، فكيف خارج الصلاة ؟ .

الرابع : لو وجبت الصلاة عليه عند ذكره دائما لوجب على المؤذن أن يقول : أشهد أن محمداً رسول الله ﷺ ، ولا يشرع له في الأذان فضلا عن أن تجب عليه .

الخامس : أنه كان يجب على من سمع النداء ويجيبه أن يصلي عليه ، وقد أمر ﷺ أن نقول كما يقول المؤذن ، وهذا دليل على جواز اقتصاره على قوله: أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، هذا هو مثل ما قال المؤذن .

السادس : أن التشهد الأول ينتهى عند قوله : وأشهد أن محمداً عبده ورسوله اتفاقا ، واختلف هل يشرع أن يصلي على النبي ﷺ وعلى آله في التشهد الأخير أم لا ؟ على ثلاثة أقوال : قيل : لا يشرع الصلاة عليه خاصة دون آله ، ولم يقل أحد بوجوبها في التشهد الأول عند ذكر النبي ﷺ .

السابع : أن المسلم إذا دخل في الإسلام بتلفظه بالشهادتين لم يحتج أن يقول : أشهد أن محمداً رسول الله ﷺ .

الثامن : أن الخطيب في الجمع والأعياد ونحوها ، لا يحتاج أن يصلي على النبي ﷺ في نفس التشهد ، ولو كانت الصلاة واجبة عليه عند ذكره لوجب عليه أن يقرنها بالشهادة ، فلا يقال : تكفي الصلاة عليه في الخطبة ، فإن تلك الصلاة لا تنعطف على ذكر اسمه عند التشهد ، ولاسيما مع طول الفصل ، والموجبون يقولون : تجب الصلاة كلما ذكر ، ومعلوم أن ذكره ثانيا غير ذكره أولاً .

التاسع : أنه لو وجبت الصلاة عليه كلما ذكر على القارئ كلما مَّر بذكر اسمه ، يصلي عليه ويقطع بذلك قراءته ليؤدي هذا الواجب ، وسواء كان في الصلاة أو خارجها فإن الصلاة عليه لا تبطل الصلاة وهى واجبة ، قد تعين فوجب أداؤه ، وترك إهماله .

العاشر : لو وجبت الصلاة عليه كلما ذكر لوجب الثناء على الله تعالى كلما ذكر اسمه ، وكان يجب على من ذكر اسم الله أن يقرنه بأن يقول : سبحانه وتعالى ، أو عز وجل ، أو تبارك وتعالى ، أو جلت عظمته ، أو تعالى جدّه ، ونحو ذلك ، بل كان ذلك أولى مما روى ، فإن تعظيم الرسول ﷺ وإجلاله، ومحبته ، وطاعته تابع لتعظيم مرسله سبحانه وإجلاله ، ومحبته ، وطاعته ، فمحال أن تثبت المحبة والطاعة ، والتعظيم والإجلال ، للرسول ﷺ دون مرسله، بل إنما يثبت له تبعاً لمحبة الله تبارك وتعالى ، وتعظيمه ، وإجلاله ، ولهذا كانت طاعة ومتابعة النبي ﷺ متابعة لله تبارك وتعالى ﴿**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم**﴾(١) ومحبته محبة لله تعالى .

قال تعالى : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** ﴾(٢) وتعظيمه تعظيماً لله ، ونصرته نصرة لله ، فإنه رسوله ﷺ وعبده الداعي إليه ، وإلى طاعته ، ومحبته ، وإجلاله ، وتعظيمه ، وحده لا شريك له . فكيف يقال :

---

(١) الفتح : ١٠ .

(٢) آل عمران : ٣١ .

تجب الصلاة كلما ذكر اسمه وهي ثناء وتعظيم ، ولا يجب الثناء والتعظيم للخالق سبحانه وتعالى كلما ذكر اسمه ؟ هذا محال من القول .

الحادي عشر : أنه لو جلس إنسان ليس له هجير إلا قوله : محمد رسول الله ، أو اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، وبشر كثير يسمعونه ، فإن قلتم: يجب على كل من أولئك السامعين أن يكون هجيراً للصلاة عليه ولو طال المجلس ما طال ، كان ذلك حرجا ومشقة ، وتركاً لقراءة قارئهم ، ودراسة دارسهم وكلام صاحب الحاجة منهم ، وهذا كونه في العلم وتعلمه القرآن وغير ذلك . وإن قلتم : لا تجب عليهم الصلاة في هذه الحالة نقضتم مذهبكم ، وإن قلتم : تجب عليه مرة أو أكثر كان تحكماً بلا دليل مع أنه مبطل لقولهم .

الثاني عشر : أن الشهادة له ﷺ بالرسالة فرض واجب من الصلاة عليه بلا ريب ، ومعلوم أنه لا يدخل أحد في الإسلام إلا بها ولا تجب كلما ذكر اسمه فكيف تجب الصلاة عليه كلما ذكر اسمه ؟ وليس من الواجبات بعد كلمة الإخلاص إفراد الشهادة له بالرسالة فمتى أقر له بوجوبها عند ذكر اسمه تذكر العبد الإيمان ، وموجبات هذه الشهادة ، فكان يجب على من ذكر اسمه أن يقول: محمد رسول الله ، ووجوب ذلك أظهر بكثير من موجب الصلاة عليه كلما ذكر اسمه ، فهذه حجج الفريقين ، ولكل فرقة منها أجوبة عن حجج الفرقة المنازعة لها ، بعضها ضعيف جدا ، وبعضها محتمل ، وبعضها قوى ، والفاضل لا يخفي عليه ذلك عند تأمل حجج الفريقين ، وبالجملة فأدلة الوجوب أقوى وأظهر .

الثانية والثمانون من خصائصه ﷺ :
في كيفية الصلاة على النبي ﷺ

اعلم أنه قد أوردت أحاديث الصلاة على الرسول ﷺ اثنان وأربعون من الصحابة - رضي الله تبارك وتعالى عنهم - وهم : أبو مسعود عقبة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري البدرى ، وكعب بن عجرة بن أمية بن عدى بن الحارث السوداوي حليف الأنصار، وأبو حميد الساعدي واسمه المنذر وقيل : عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة ، وأبو سعيد الخدري واسمه سعد بن مالك بن سنان ، وطلحه بن عبيد الله ، وزيد بن خارجة ويقال : ابن حارثه ، وعلي بن أبي طالب ، وأبو هريرة، وبريدة بن الحصيب ، وسهل بن سعد الساعدي ، وعبد الله بن مسعود ، وفضالة ابن عبيد ، وأبو طلحة الأنصاري واسمه زيد بن سهل بن الأسود بن حرام ، وأنس بن مالك وعمر بن الخطاب ، وعامر بن ربيعة ، وعبد الرحمن بن عوف، وأبي بن كعب ، وأوس بن أوس ، والحسن والحسين ابنا على بن أبي طالب ، وفاطمة الزهراء ، والبراء بن عازب ، ورويفع بن ثابت الأنصارى ، وجابر بن عبد الله ، وأبو رافع بن ثابت الأنصارى ، وجابر بن عبد الله ، وأبو رافع مولى رسول الله ﷺ وعبد الله بن أوفي ، وأبو أمامه الباهلي واسمه صدى ابن عجلان، وعبد الرحمن بن بشير بن مسعود ، وأبو بردة بن دينار واسمه هانى ، وقيل : الحارث ، وعمار بن ياسر ، وجابر بن سمرة ، وأبو أمامه بن سهل بن حنيف ، واسمه سعد ، ومالك بن الحويرث ، وعبد الله بن جزء الزبيدى ، وعبد الله بن عباس ، وأبو ذر الغفاري ، واسمه جندب بن جنادة ، وقيل : غير ذلك ، وواثلة بن الأسقع ، وأبو بكر الصديق، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وسعيد بن عمير الأنصاري، وهو من البدريين، وحبان بن منقذ.

فأما حديث أبي مسعود[١]
- رضى الله تبارك وتعالى عنه -

فحديث صحيح خرجه النسائي[٢]عن الحارث بن مسكين،عن ابن القاسم عن مالك .

وخرجه الترمذي[٣] عن إسحاق بن موسى،عن معن عن مالك .

وخرجه مسلم[٤] من حديث يحيى بن يحيى قال : قرأت على مالك عن نعيم بن عبد الله المجمر أن زيد بن عبد الله الأنصاري ، وعبد الله بن زيد ،

---

(١) هو أبو مسعود الأنصاري الزرقي ، روى عن على بن أبي طالب ، وعنه نافع بن جبير بن مطعم ، والصواب مسعود بن الحكم . (تهذيب التهذيب) : ٢٥٥/١٢ ، ترجمة رقم (١٠٦٠) .

(٢) (سنن النسائي) : ٣/٥٢-٥٣ ، كتاب السهو ، باب (٤٩) ، الأمر بالصلاة على النبي ﷺ ، حديث رقم (١٢٨٤) .

(٣) (سنن الترمذي) : ٣٣٤/٥ -٣٣٥ ، كتاب تفسير القرآن ، باب (٣٤) ومن سورة الأحزاب ، حديث رقم (٣٢٢٠) قال : وفي الباب عن علي ، وأبي حميد ، وكعب بن عجرة ، وطلحة بن عبيد الله ، وأبي سعيد ، وزيد بن خارجة - ويقال : حارثة - وبريدة . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(٤) (مسلم بشرح النووي) : ٣٦٦/٤ - ٣٦٧ ، كتاب الصلاة ، باب (١٧) الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد ، حديث رقم (٤٠٥) ، قال الإمام النووي : اعلم أن العلماء اختلفوا في وجوب الصلاة على النبي ﷺ عقب التشهد الأخير في الصلاة فذهب أبو حنيفة ومالك رحمهما الله تعالى والجمهور إلى أنها سنة لو تركت صحت الصلاة ، وذهب الشافعي وأحمد رحمهما الله تعالى إلى أنها واجبة لو تركت لم تصح الصلاة ، وهو مروى عن عمر بن الخطاب ، وابنه عبد الله رضى الله تعالى عنهما ، وهو قول الشعبي ، وقد نسب جماعة للشافعيّ رحمه الله تعالى في هذا إلى مخالفة الإجماع ولا يصح قوله فإنه مذهب الشعبي كما ذكرنا ، وقد رواه عن البيهقي، وفي الاستدلال لوجوبها خفاء ، وأصحابنا يحتجون بحديث أبي مسعود الأنصاري - رضي الله تبارك وتعالى عنه - المذكور ، هنا أنهم قالوا : كيف نصلي عليك يا رسول الله ؟ فقال : =

= قولوا: اللهم صل على محمد إلى آخره ، قالوا : والأمر للوجوب ، وهذا القدر لا يظهر الاستدلال به إلا إذا ضم إليه الرواية الأخرى ، كيف نصلي عليك إذا نحن صلينا عليك في صلاتنا ؟ فقال ﷺ : قولوا : اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد إلى آخره وهذه الزيادة صحيحة . رواها الإمامان الحافظان أبو حاتم بن حبان بكسر الحاء البستي ، والحاكم أبو عبد الله في صحيحيهما، قال الحاكم : هي زيادة صحيحة ، واحتج لها أبو حاتم وأبو عبد الله في صحيحيهما بما روياه عن فضالة بن عبيد - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يصلي لم يحمد الله، ولم يمجده ، ولم يصل على النبي ﷺ ، فقال النبي ﷺ : عجل هذا ، ثم دعاه النبي ﷺ ، فقال: إذا صلى أحدكم فليبدأ بحمد ربه والثناء عليه وليصل على النبي ﷺ وليدع ما يشاء .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، وهذان الحديثان وإن اشتملا على ما لا يجب بالإجماع كالصلاة على الآل والذرية والدعاء فلا يمتنع الإحتجاج بهما فإن الأمر للوجوب فإذا خرج بعض ما يتناوله الأمر عن الوجوب بدليل ، بقي الباقي على الوجوب . والله تعالى أعلم .

والواجب عند أصحابنا : اللهم صل على محمد ، وما زاد عليه سنة ، ولنا وجه شاذ أنه يجب الصلاة على الآل وليس بشيء ، والله تعالى أعلم .

واختلف العلماء في آل النبي ﷺ على أقوال : أظهرها وهو اختيار الأزهري وغيره من المحققين ، أنهم جميع الأمة ، والثاني : بنو هاشم ، وبنو المطلب ، والثالث : أهل بيته ﷺ وذريته والله تعالى أعلم .

قوله (أمرنا الله تعالى أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك) معناه أمرنا الله تعالى بقوله تعالى : ﴿ صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾ فكيف نلفظ بالصلاة ؟ وفي هذا أن من أمر بشيء لا يفهم مراده يسأل عنه ليعلم ما يأتي به ، قال القاضي : ويحتمل أن يكون سؤالهم عن كيفية الصلاة في غير الصلاة ويحتمل أن يكون في الصلاة ، قال : وهو الأظهر ، قلت : وهذا ظاهر اختيار مسلم وبهذا ذكر هذا الحديث في هذا الموضوع . قوله : (فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنينا أنه لم يسأله) معناه كرهنا سؤاله مخافة من أن يكون النبي ﷺ كره سؤاله وشق عليه. قوله ﷺ : (والسلام كما علمتم) معناه قد أمركم الله تعالى بالصلاة والسلام على ، فأما الصلاة فهذه صفاتها ، وأما السلام فكما علمتم في التشهد ، وهو قوله : السلام =

هو الذى كان أُرى النداء بالصلاة ، أخرجه عن أبي مسعود الأنصاريّ ، قال : أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد ، أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك ؟ قال : فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنينا أنه لم يسأله ، ثم قال رسول الله ﷺ : قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد ، والسلام كما قد علمتم .

ترجم عليه النسائي باب الأمر بالصلاة على النبي ﷺ ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح ، وخرجه أبو داود[1] عن القعنبى،عن مالك .

وخرجه الإمام أحمد[2] بزيادة عن طريق يعقوب بن إبراهيم بن سعد فقال: حدثنا أبو السحيم عبد ربه الأنصاريّ عن أبي مسعود قال : أقبل رجل حتى جلس بين يدي رسول الله ﷺ ونحن عنده فقال : يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه ، فكيف نحن نصلي عليك إذا نحن صلينا في صلاتنا صلى الله عليك ؟ قال : فصمت رسول الله ﷺ حتى أحببنا أن الرجل لم يسأله ، ثم قال :

= عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، وقوله : علمتم هو بفتح العين وكسر اللام المخففة ، ومنهم من رواه بضم العين وتشديد اللام أى علمتكموه ، وكلاهما صحيح .

وقوله : (من صلى على واحدة صلى الله عليه عشراً) ، قال القاضي : معناه رحمته وتضعيف أجره ، كقوله تعالى : ﴿ **من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها** ﴾ قال : وقد يكون الصلاة على وجهها وظاهرها تشريفاً له بين الملائكة كما في الحديث " وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه " .

(١) (سنن أبي داود) : ١/٦٠٠ ، كتاب الصلاة ، باب (١٨٣) ، الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد، حديث رقم (٩٨٠) ، فذكر معنى حديث كعب بن عجرة وزاد في آخره : في العالمين إنك حميد مجيد. ونعيم : بزنة التصغير ، والمجمر : بضم الميم الأولى وسكون الجيم وكسر الميم . لقب بذلك لأنه كان يجمر مسجد رسول الله ﷺ .

(٢) (مسند أحمد) : ٥/٩٧ ، حديث رقم (١٦٦٢٤) من حديث أبي مسعود الأنصاريّ - رضي الله تبارك وتعالى عنه - .

إذا أنتم صليتم عليّ فقولوا : اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك[1] .

ورواه ابن خزيمة والحاكم[2] . قال الحاكم فيه : على شرط مسلم واعترض عليه بأن في هذا نوع تساهل ، فإن مسلم لم يحتج بابن إسحاق في الأصول ، وإنما خرّج له في المتابعات ، وقد أحلت له هذه الزيادة بتفرد ابن إسحاق بها ، ومخالفة سائر الرواة له في تركهم ذكرها .

وأجيب عن ذلك بأن ابن إسحاق لم يخرّج بما يوجب ترك الاحتجاج به ، وقد وثقه كبار الأمة ، وأثنوا عليه بالحفظ والعدالة ، وهما ركنا الرواية ، ومع ذلك فإنما يخاف من تدليسه ، وقد صرح هنا بسماعه الحديث من محمد بن إبراهيم التيمى فزالت تهمة تدليسه ، وقد قال الدارقطني في هذا الحديث - وقد خرجه في (السنن)[3] من هذا الوجه - : وهذا إسناد حسن متصل ، وقال في كتاب (العلل) : يرويه محمد بن إبراهيم التيمي عن محمد بن عبد الله بن زيد عن أبي مسعود ، حدث به عنه كذلك القعنبي ومعن وأصحاب (الموطأ) . [يعنى أصحاب مالك][4] .

ورواه حماد بن مسعود عن مالك عن نعيم فقال : عن محمد بن زيد عن أبيه ووهم فيه ، ورواه داود بن قيس الفراء عن نعيم عن أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه ، خالف فيه مالك ، وحديث مالك أولى بالصواب . انتهى .

---

(١) هذا آخر الحديث في (المسند) ، وتمامه من (المسند) : على محمد النبي الأمي ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

(٢) (المستدرك) : ٤٠١/١ ، كتاب الصلاة ، حديث رقم (٩٨٨) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه ، فذكر الصلاة على النبي ﷺ في الصلوات . وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : على شرط مسلم .

(٣) (سنن الدارقطني) : ٣٥٤/١ - ٣٥٥ ، كتاب الصلاة ، باب ذكر وجوب الصلاة على النبي ﷺ في التشهد ، واختلاف الروايات في ذلك .

(٤) زيادة للبيان .

وقد اختلف على ابن إسحاق في هذه الزيادة فذكرها إسماعيل بن سعد كما تقدم ، ورواه زهير بن معاوية عن ابن إسحاق بدون ذكر الزيادة ، كذلك قال عبد بن حميد في (مسنده) : عن أحمد بن يونس والطبرانى في (معجمه) عن ابن عباس بن الفضل عن أحمد بن يونس عن زهير بن معاوية . والله تعالى أعلم .

وأما حديث كعب بن عجرة[1]

فقد رواه أهل الصحيح وأصحاب السنن والمسانيد من حديث عبد الرحمن ابن أبي ليلى عنه ، وهو حديث لا مغمز فيه ، فخرجه البخاري في كتاب الأنبياء في باب ﴿ واتخذ الله إبراهيم خليلاً ﴾ من طريق عبد الله بن عيسى ، سمع عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : لقيني كعب بن عجرة فقال : ألا أهدى لك هدية سمعتها من رسول الله ﷺ ؟ قلت : بلى ، فاهدها لي قال : فقال : سألنا النبي ﷺ فقلنا : يا رسول الله ، كيف الصلاة عليكم أهل البيت ؟ فإن الله قد علمنا كيف نسلم قال : قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد . اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

وخرّج البخاري[2] ومسلم [3] من طريق شعبة عن الحكم قال : سمعت ابن أبي ليلى يقول : لقيني كعب بن عجرة فقال : ألا أهدي لك هدية ؟ خرج

---

(١) هو كعب بن عجرة الأنصاري المدني أبو محمد ، وقيل أبو عبد الله ، وقيل : أبو إسحاق ، من بني سالم بن عوف ، وقيل : من بني سالم بن بلي حليف بني الخزرج وقيل في نسبه غير ذلك .
روى عن النبي ﷺ وعن عمر بن الخطاب وبلال . روى عنه بنوه إسحاق والربيع ومحمد وعبد الملك ، وابن عمر ، وابن عمرو ، وابن عباس وجابر وعبد الله بن معقل بن مقرن المزني وعبد الرحمن بن أبي ليلى وأبو وائل ومحمد بن سيرين وأبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود وطارق بن شهاب ومحمد بن كعب القرظي وأبو ثمامه الحناط وسعيد المقبري ، وقيل : بينهما رجل وإبراهيم وليس بالنخعي ، وعاصم العدوى وموسى بن وردان وغيرهما .

قال الواقدى : كان استأخر إسلامه ثم أسلم وشهد المشاهد وهو الذى نزلت فيه بالحديبية الرخصة في حلق رأس المحرم والفدية . قال خليفة : مات سنة إحدى وخمسين ، وقال الواقدى وآخرون : مات سنة (٥٢) قال بعضهم : وهو ابن خمس وقيل : سبع وسبعين سنة . (تهذيب التهذيب) : ٨/٣٩٠ - ٣٩١ ، ترجمة رقم (٧٩٠) .

(٢) (فتح الباري) : ٦ / ٥٠٣ ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب (١٠) بدون ترجمة ، حديث رقم (٣٣٧٠) ، (المرجع السابق) : ٨/٦٨٢ ، كتاب التفسير سورة (٣٢) سورة الاحزاب باب =

= (١٠) ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا ﴾، قال أبو العالية : صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة ، وصلاة الملائكة الدعاء ، قال ابن عباس : يصلون يبركون . لنغرينك : لنسلطنك ، حديث رقم (٤٧٩٧) ، (المرجع السابق) : ١٨٣/١١، كتاب الدعوات باب (٣٢) الصلاة على النبي ﷺ ، حديث رقم (٦٣٥٧) .

(٣) (مسلم بشرح النووي) : ٤/ ٣٦٧ ، كتاب الصلاة ، باب (١٧) الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد ، حديث رقم (٦٦) . قال الإمام النووي : قوله ﷺ : (قولوا اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم) قال العلماء : معنى البركه هنا الزيادة من الخير والكرامة ، وقيل : هو بمعنى التطهير والتزكية ، واختلف العلماء في الحكمة في قوله : اللهم صلّ على محمد كما صليت على إبراهيم، مع أن محمداً ﷺ أفضل من إبراهيم ﷺ قال القاضي عياض - رضي الله تبارك وتعالى عنه : أظهر الأقوال أن نبينا ﷺ سأل ذلك بنفسه ولأهل بيته ليتم النعمة عليهم كما أتمها على إبراهيم وعلى آله ، وقيل : بل سأل ذلك لأمته ، وقيل بل ليبقى ذلك له دائماً إلى يوم القيامة ويجعل له به لسان صدق في الآخرين كإبراهيم ﷺ . وقيل كان : ذالك قبل أن يعلم أنه أفضل من إبراهيم ﷺ ، وقيل : سأل صلاة يتخذه بها خليلاً كما اتخذ إبراهيم . هذا كلام القاضى، والمختار في ذلك أحد ثلاثة أقوال :

أحدها : حكاه بعض أصحابنا عن الشافعي رحمه الله تعالى أن معناه صل على محمد ، وتم الكلام هنا ، ثم استأنف وعلى آل محمد أى وصل على آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم ، فالمسؤول له مثل إبراهيم وآله هم آل محمد ﷺ لا نفسه .

القول الثانى : معناه : اجعل لمحمد وآله صلاة منك كما جعلتها لإبراهيم وآله فالمسؤول المشاركه في أصل الصلاة لا قدرها .

القول الثالث : أنه على ظاهره ، والمراد : اجعل لمحمد وآله صلاة بمقدار الصلاة التي لإبراهيم وآله والمسؤول مقابلة الجملة ، فإن المختار في الآل كما قدمناه أنهم جميع الأتباع، ويدخل في آل إبراهيم خلائق لا يحصون من الأنبياء ، ولا يدخل في آل محمد ﷺ نبى ، فطلب إلحاق هذه الجملة التي فيها نبى واحد بتلك الجملة التي فيها من الأنبياء . والله تعالى أعلم . =

= قال القاضي عياض : ولم يجيء في هذه الأحاديث ذكر الرحمة على النبي ﷺ وقد وقع في بعض الأحاديث الغريبة قال : واختلف شيوخنا في جواز الدعاء للنبي ﷺ بالرحمة فذهب بعضهم وهو اختيار أبي عمر بن عبد البر إلى أنه لا يقال ، وأجازه غيره وهو مذهب أبي محمد ابن أبي زيد وحجة الأكثرين تعليم النبي ﷺ الصلاة عليه وليس فيها ذكر الرحمة والمختار أنه لا يذكر الرحمة وقوله : وبارك على محمد وعلى آل محمد ، قيل : البركة هنا الزيادة من الخير والكرامة وقيل الثبات على ذلك من قولهم بركت الإبل أى ثبتت على الأرض ، ومنه بِركة الماء وقيل : التزكية والتطهير من العيوب كلها .

وقوله : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد احتج به من أجاز الصلاة على غير الأنبياء وهذا مما اختلف العلماء فيه ، فقال مالك والشافعي رحمهما الله تعالى والأكثرون : لا يصلي على غير الأنبياء استقلالاً فلا يقال : اللهم صل على أبي بكر أو عمر أو علي أو غيرهم ولكن يصلي عليهم تبعاً فيقال : اللهم صل على محمد وآل محمد وأصحابه وأزواجه وذريته ، كما جاءت به الأحاديث ، وقال أحمد وجماعة : يصلي على كل واحد من المؤمنين مستقلاً ، واحتجوا بأحاديث الباب وبقوله ﷺ : اللهم صل على آل أبي أوفى ، وكان إذا أتاه قوم بصدقتهم صلى عليهم ، قالوا : وهو موافق لقول الله تعالى : ﴿ **هو الذى يصلي عليكم وملائكته** ﴾ واحتج الأكثرون بأن هذا النوع مأخوذ من التوقيف واستعمال السلف ولم ينقل استعمالهم ذلك بل خصوا به الأنبياء كما خصوا الله تعالى بالتقديس والتسبيح فيقال : قال الله سبحانه وتعالى ، وقال عز وجل ، وقد جلت عظمته ، وتقدست أسماؤه ، وتبارك وتعالى ، ونحو ذلك ولا يقال قال النبي : عز وجل وإن كان عزيزاً جليلاً ولا نحو ذلك . وأجابوا عن قول الله عز وجل ﴿ **هو الذى يصلي عليكم وملائكته** ﴾ ومن الأحاديث بأن ما كان من الله عز وجل ورسوله فهو دعاء وترحم وليس فيه معنى التعظيم والتوقير الذى يكون من غيرهما .

وأما الصلاة على الآل والأزواج والذرية فإنما جاء على التبع لا على الاستقلال وقد بينا أنه يقال تبعاً لأن التابع يحتمل فيه مالاً يحتمل استقلالاً واختلف أصحابنا في الصلاة على غير الأنبياء ، هل يقال هو مكروه أو هو مجرد ترك أدب ؟ والصحيح المشهور أنه مكروه كراهة تنزيه ، قال الشيخ أبو محمد الجويني ، والسلام في معنى الصلاة فإن الله تعالى قرن بينهما فلا يفرد به غائب غير الأنبياء فلا يقال أبو بكر وعمر وعلى عليهم السلام وإنما يقال ذلك خطاباً للأحياء والأموات فيقال : السلام عليكم ورحمة الله . والله تعالى أعلم .

علينا رسول الله ﷺ فقلنا : يا رسول الله عرّفنا كيف نسلم عليك ؟ قال : قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد.

ذكره البخارى في كتاب الدعاء في باب الصلاة على النبي ﷺ .

وخرجه من طريق شعبة عن الحكم بهذا الإسناد مثله وليس في حديث مسعر : ألا أهدي لك هدية .

وخرجه أيضاً عن الأعمش وعن مسعر ، وعن مالك بن مغول كلهم عن الحكم بهذا الإسناد مثله غير أنه قال : وبارك على محمد ولم يقل : اللهم .

وخرجه البخاري[1] في كتاب التفسير من طريق مسعر عن الحكم عن ابن أبي ليلى ، عن كعب بن عجرة ، قيل : يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف الصلاة ؟ فقال : قولوا : اللهم صل ... مثل حديث شعبة سواء وقال : على إثر هذا الحديث : وخرَّج الفرياني حديث كعب بن عجرة رواه،عن سيفان الثورى عن الأعمش عن الحكم بن عيينة بنحو ما تقدم بعده وقيل لسفيان : كيف لم يقل : على إبراهيم وآل إبراهيم فقال : ألم تسمع إلى قوله تعالى : ﴿ **أدخلوا آل فرعون أشد العذاب** ﴾[2] وفرعون معهم .

وخرجه أبو داود[3] من حديث شعبة عن الحكم بن أبي ليلى ، عن كعب ابن عجرة قال : قلنا : أو قالوا : يا رسول الله أمرنا أن نصلي عليك وأن نسلم عليك فأما السلام فقد عرفناه فكيف نصلي عليك ؟ فقال : قولوا : اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم ، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

---

(١) (فتح الباري) : ٦٨٢/٨ ، كتاب التفسير [سورة الأحزاب] ، باب (١٠) ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي** ﴾ ، حديث رقم (٤٧٩٧) .

(٢) غافر : ٤٦ .

(٣) (سنن أبي داود) : ٥٩٨/١ ، كتاب الصلاة ، باب (١٨٣) الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد ، حديث رقم (٩٧٦) .

وخرجه أيضا من حديث شعبة بهذا الحديث ، قال : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وآل محمد ، كما باركت على [آل] إبراهيم إنك حميد مجيد[١] .

ومن حديث الحسن بن محمد الزعفراني قال : حدثنا محمد بن الصباح أنبأنا إسماعيل بن زكريا ، عن الأعمش ومسعر ومالك ، عن الحكم بن عيينة ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن أبي عجرة قال : لما نزلت هذه الآية **﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا﴾**[٢] قلنا : يا رسول الله كيف الصلاة عليك ؟ قال: تقولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد[٣] .

وقال ابن عبد البر : وقال شعبة والثوري عن الحكم عن عبد الرحمن أبي ليلى ، عن كعب بن عجرة قال : لما نزلت **﴿ يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾** جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله هذا السلام عليك قد عرفناه فكيف الصلاة ؟ فقال : قل : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد . هذا لفظ حديث الثورى ، وهذا الحديث يدخل في التفسير المسند ويبين معنى قوله تعالى : **﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾** .

---

(١) راجع التعليق السابق .

(٢) الأحزاب : ٥٦ .

(٣) سبق تخريجه .

فبين لهم رسول الله ﷺ كيف الصلاة عليه وعلمهم في التحيات كيف السلام عليه(١) . وهو قوله في التحيات : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، وهذا معنى قوله في حديث مالك والسلام كما قد علمتم .

ويشهد لذلك قول عبد الله بن عباس وابن عمر وابن مسعود - رضي الله تبارك وتعالى عنهم : كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن ، وهو أيضا معنى حديث كعب بن عجرة المذكور عند نزول الآية وقد قيل : إن السلام في هذه الأحاديث أريد به السلام من الصلاة ، والقول الأول أكثر.

---

(١) قال الشافعيّ وابن راهويه : ومن قال بوجوب الصلاة على النبي ﷺ في الصلاة فقوله : "أمرتنا أن نصلي عليك " يدل على وجوبه ، لأن أمره لازم ، وطاعته واجبة ، وقوله لا يجوز تركه .

قالوا : وقد أمر الله تعالى بالصلاة عليه فقال : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾ فكان ذلك منصرفاً إلى الصلاة ، لأنه إن صرف إلى غيرها كان ندباً ، وإن صرف إليها كان فرضاً ، إذ لا خلاف أن الصلاة عليه ﷺ غير واجبة في غير الصلاة ، فدل على وجوبها في الصلاة .

واختلفوا في التشهد ، هل هو واجب أم لا ؟ فروى عمر بن الخطاب - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أنه قال : من لم يتشهد فلا صلاة له . وبه قال الحسن البصرى ، وإليه ذهب الشافعي ، ومذهب مالك قريب منه .

وقال الزهري وقتادة وحماد : إن ترك التشهد حتى انصرف مضت صلاته ، وقال أصحاب الرأى : التشهد والصلاة على رسول الله ﷺ مستحب غير واجب ، والقعود قدر التشهد واجب . (معالم السنن) : ١/٥٩٨ ، تعليقاً على الحديث رقم (٩٧٦) ، باب (١٨٣) الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد ، من كتاب الصلاة .

وأما حديث أبي حميد الساعديّ[١]

فخرجه البخاريّ[٢] ومسلم[٣] وأبو داود[٤] والنسائيّ[٥] . فخرجه البخـاريّ من طريق عبد الله بن يوسف .

---

(١) هو أبو حميد الساعديّ الصحابيّ المشهور ، اسمه عبد الرحمن بن سعد ، ويقال : عبـد الرحمـن ابن عمرو بن سعد ، وقيل : المنذر بن سـعد بـن المنـذر ، وقيـل : اسـم جـده مـالك ، وقيـل هـو عمرو بن سعد بن المنذر بن سعد بن خالد بن ثعلبة بن عمرو ، ويقال : إنه عم سهل بن سعد .

روى عن النبيّ ﷺ عدة أحاديث ، وله ذكر معه في الصحيحين . روى عنه ولده سعيد بن المنذر بن أبي حميد ، وجابر الصحابي ، وعباس بن سهل بن سعد ، وعبد الملـك بـن سـعيد بـن سويد ، وعمرو بن سليم ، وعروة ، ومحمد بن عمرو بن عطاء ، وغيرهم .

قال خليفة وابن سعد وغيرهما : شهد أحدًا ومـا بعدهـا ، وقـال الواقـديّ : توفـي فـي آخـر خلافـة معاويـة ، أو أول خلافـة يزيـد بـن معاويـة . (الإصابـة) : ٧/٩٤- ٩٥ ، ترجمـة رقـم (٩٧٨٧) . (الاسـتيعاب) : ١٦٣٣/٤ ، ترجمـة رقـم (٢٩٢١) ، (تهذيـب التهذيـب) : ٨٥/١٢-٨٦ ، ترجمة رقم (٣٣٩) .

(٢) (فتح الباري) : ٢٠٢/١١ - ٢٠٣ ، كتاب الدعوات ، باب (٣٣) هل يصلي على غير النبي ﷺ ، وقوله تعالى : ﴿ وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم ﴾ حديـث رقـم (٦٣٦٠) قولـه (بـاب هل يصلي علـى غير النبـي ﷺ ؟ أي استقلالاً أو تبعاً ، ويدخـل فـي الغير الأنبيـاء والملائكـة والمؤمنون ، فأما مسألة الأنبياء فورد فيها أحاديث :

أحدها : حديث عليّ في الدعـاء بحفـظ القـرآن ففيـه " وصـل علـيّ وعلـى سـائر النبييـن " أخرجه الترمذي والحاكم ، وحديث بريدة رفعه " لا تتركن في التشهد الصلاة علي وعلـى أنبيـاء الله " الحديث أخرجه البيهقي بسند واهٍ ، وحديث أبـي هريـرة رفعـه " صلـوا علـى أنبيـاء اللـه " الحديث أخرجه إسماعيل القاضي بسـند ضعيـف ، وحديـث ابـن عبـاس رفعـه " إذا صليتـم علـى فصلوا على أنبياء الله ، فإن الله بعثهم كمـا بعثنـي . " أخرجـه الطـبراني ورويـنـاه فـي (فوائـد العيسوي) وسنده ضعيف أيضاً ، وقد ثبت عن علي بن عباس اختصاص ذلك بالنبي ﷺ أخرجه ابن أبي شيبة من طريق عثمان بن حكيم عن عكرمة عنه قال " ما أعلم الصلاة تنبغى على =

= أحد من أحد إلا على النبي ﷺ وهذا سند ، وحكى القول عن مالك وقال : ما تعبدنا به . وجاء نحوه عن عمر بن عبد العزيز ، وعن مالك يكره .

وقال عياض : عامة أهل العلم على الجواز ، وقال سفيان يكره أن يصلي إلا على نبى ، ووجدت بخط بعض شيوخ مذهب مالك : لا يجوز أن نصلي إلا على محمد ، وهذا غير معروف عن مالك وإنما قال : أكره الصلاة على غير الأنبياء وما ينبغى لنا أن نتعدى ما أمرنا به ، وخالفه يحيى بن يحيى فقال : واحتج بأن الصلاة دعاء بالرحمة لا يمنع إلا بنص أو إجماع.

قال عياض : والذى أميل إليه قول مالك وسفيان وهو قول المحققين من المتكلمين والفقهاء قالوا : يذكر غير الأنبياء بالرضا والغفران والصلاة على غير الأنبياء يعنى استقلالاً لم تكن من الأمر بالمعروف ، وإنما أحدثت في دولة بني هاشم ، وأما الملائكة فلا أعرف فيه حديثًا نصًا وإنما يؤخذ ذلك من الذى قبله إن ثبت ، لأن الله تعالى سماهم رسلاً ، وأما المؤمنون فاختلف فيه ، فقيل : لا تجوز إلا على النبي ﷺ خاصة ، وحكى عن مالك كما تقدم ، وقالت طائفة : لا تجوز مطلقًا استقلالًا وتجوز تبعًا فيما ورد به النص أو ألحق به قوله تعالى : ﴿ **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً** ﴾ ولأنه لما علمهم السلام قال : " السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين " ولما علمهم الصلاة قصر عليه وعلى أهل بيته ، وهذا القول اختاره القرطبي فى (المعجم) وأبو المعالي من الحنابلة ، وقد تقدم تقريره في تفسير سورة الأحزاب ، واختيار ابن تيمية من المتاخرين . وقالت طائفة : تجوز مطلقًا ولا تجوز استقلالًا ، وهذا قول أبي حنيفة وجماعة ، وقالت : تكره استقلالًا لا تبعًا وهى رواية عن أحمد .

وقال النووي : هو خلاف الأولى ، وقالت طائفة : تجوز مطلقاً ، وهو مقتضى صنيع البخارى فإنه صدر بالآية وهو قول الله تعالى : ﴿ **وصل عليهم** ﴾ ثم الحديث الدال على الجواز مطلقاً وعقبه بالحديث الدال على الجواز تبعاً ، فأما الأول وهو حديث عبد الله بن أبي أوفى فتقدم شرحه في كتاب الزكاة ، ووقع مثله عن قيس بن عبادة . " أن النبي ﷺ رفع يديه وهو يقول : اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة " أخرجه أبو داود والنسائي وسنده جيد .

وفي حديث جابر " أن امرأته قالت للنبى ﷺ : صل عليّ وعلى زوجى ففعل . أخرجه أحمد مطولاً ومختصرًا وصححه ابن حبان ، وهذا القول جاء عن الحسن ومجاهد ونص عليه أحمد في رواية أبي داود وبه قال إسحق وأبو ثور وداود والطبراني ، واحتجوا بقوله تعالى : =

= ﴿ هو الذى يصلي عليكم وملائكته ﴾ وفي (صحيح مسلم) من حديث أبي هريرة مرفوعاً " إن الملائكة تقول لروح المؤمن صلى الله عليك وعلى جسدك " وأجاب المانعون عن ذلك كله بأن ذلك صدر من الله ورسوله ولهما أن يخصا ما شاءا بما شاءا وليس ذلك لأحد غيرهما .

وقال البيهقي : يحمل قول ابن عباس بالمنع إذا كان على وجه التعظيم إلا ما إذا كان على وجه الدعاء بالرحمة والبركة .

وقال ابن القيم : المختار أن يصلي على الأنبياء والملائكة وأزواج النبي ﷺ وآله وذريته وأهل الطاعة على سبيل الإجماع ، وتكره في غير الأنبياء لشخص مفرد بحيث يصير شعارًا ولا سيما إذا ترك في حق مثله أو أفضل منه كما يفعله الرافضة ، فلو اتفق وقوع ذلك مفردًا في بعض الأحاديث من غير أن يتخذ شعارًا لم يكن به بأس ، ولهذا لم يرد في حق غير من أمر النبي ﷺ بقول ذلك له وهو من أدى زكاته إلا نادرًا كما في قصة زوجة جابر وآل سعد بن عبادة .

(تنبيه) : اختلف في السلام على غير الأنبياء بعد الاتفاق على مشروعيته في تحية الحي فقيل : يشرع مطلقًا ، وقيل بل تبعًا ، ولا يفرد لواحد لكونه صار شعارًا للرافضة ، ونقله النووى عن الشيخ أبي محمد الجويني .

وأخرجه البخارى أيضاً في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب (١٠) بدون ترجمة ، حديث رقم (٣٣٦٩) .

(٣) (مسلم بشرح النووى) : ٣٧٠/٤ ، كتاب الصلاة ، باب (١٧) الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد ، حديث رقم (٦٩) قال الإمام النووي : احتج به من أجاز الصلاة على غير الأنبياء ، وهذا مما اختلف العلماء فيه فقال مالك والشافعي ، والأكثرون : لا يصلي على غير الأنبياء استقلالًا ، فلا يقال : اللهم صل على أبي بكر أو عمر ، أو عليّ . أو غيرهما ، ولكن يصلي عليهم تبعًا ، فيقال : اللهم صل على محمد وآل محمد وأصحابه وأزواجه ، كما جاءت به الأحاديث .

وقال أحمد وجماعة : يصلي على كل واحد من المؤمنين مستقلاً ، واحتجوا بأحاديث الباب ، وبقوله ﷺ : اللهم صل على أبي أوفى .

وأما الصلاة على الآل والأزواج والذرية ، فإنما جاء على التبع ، لا على الاستقلال (شرح النووي) . =

وخرجه أبو داود من طريق القعنبي عن روح ، كلهم عن مالك بن سليم الزرقي قال : أخبرنى أبو حميد الساعدي أنهم قالوا : يا رسول الله كيف نصلي عليك ؟ قال : قولوا : اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد . ولم يقل أبو داود : آل في الموضعين . ذكره البخاري في كتاب الأنبياء في آخر باب قول الله تعالى : ﴿ **واتخذ الله إبراهيم خليلا** ﴾ وفي كتاب الدعاء ، في باب هل يصلي على غير النبي ﷺ ؟ .

وخرجه ابن ماجة(1) من طريق عبد الملك بن الماجشون به ،عن مالك به مثله .

= (٤) (سنن أبي داود) : ١/٥٩٩ - ٦٠٠ ، كتاب الصلاة ، باب (١٨٣) الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد ، حديث رقم (٩٧٩) .

(٥) (سنن النسائي) : ٣/٥٧ ، كتاب السهو ، باب (٥٤) نوع آخر من الصلاة على النبي ، حديث رقم (١٢٩٣) .

(١) (سنن ابن ماجة) : ١/٢٩٣ ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب (٢٥) الصلاة على النبي ﷺ ، حديث رقم (٩٠٥) .

وأما حديث أبي سعيد الخدري[1]

فخرّج البخاريّ[2] في كتاب التفسير من حديث الليث قال : حدثني ابن الهاد ، عن عبد الله بن خباب ، عن أبي سعيد الخدريّ - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : قلنا : يا رسول الله هذا التسليم فكيف نصلي عليك ؟ قال : قولوا : اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم .

حدثنا إبراهيم بن حمزة حدثنا ابن أبي حازم والدراورديّ عن يزيد يعني ابن الهاد قال : كما صليت على إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم هكذا ذكره في تفسير سورة الأحزاب.

وقال في كتاب الدعاء : حدثنا إبراهيم[3] بن حمزة حدثنا ابن أبي حازم والدراوردي عن يزيد عن عبد الله بن خباب عن أبي سعيد الخدري قال : قلنا : يا رسول الله هذا السلام عليك فكيف نصلي عليك ؟ قال : قولوا : اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم .

---

(١) هو سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن الأبحر ، وهو خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج ، الأنصاري ، الخزرجي ، أبو سعيد الخدري ، مشهور بكنيته ، استصغر يوم أحد ، واستشهد أبوه بها ، وغزا هو ما بعدها .

روى عن النبي ﷺ الكثير ، وروى عن أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ ، وزيد بن ثابت وغيرهم .

(٢) (فتح الباري) : ٦٨٣/٨ ، كتاب التفسير ، باب (١٠) ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾ ، حديث رقم (٤٧٩٨) .

(٣) (المرجع السابق) : ١٨٣/١١ ، باب (٣٢) الصلاة على النبي ﷺ ، حديث رقم (٦٣٥٨) .

وذكره في باب الصلاة على النبي[١] ﷺ ورواه النسائي عن قتيبة ، عن بكر بن نصر ، عن ابن الهاد ورواه ابن ماجة[٢] ، عن أبي بكر بن أبي بكر ، عن ابن أبي شيبة عن خالد بن مخلد ، عن عبد الله بن جعفر عن ابن الهاد .

وأما حديث طلحة بن عبيد الله[٣]

خرجه الإمام أحمد[٤] من حديث مجمع بن يحيى الأنصاري ، قال : حدثني عثمان بن موهب عن موسى بن طلحة عن أبيه قال : قلت : يا رسول الله كيف الصلاة عليك قال : قل : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

وخرجه النسائي من طريق شريك ، عن عثمان بن موهب ، عن موسى بن طلحة عن أبيه أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : كيف نصلي عليك يا نبي الله ؟ قال : قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد[٥] .

ومن طريق مجمع بن يحيى عن عثمان بن موهب عن موسى بن طلحة عن أبيه قال : قلت : يا رسول الله كيف الصلاة عليك ؟ قال : قولوا : اللهم صل على محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد[٦] .

---

(١) راجع التعليق السابق .

(٢) (سنن ابن ماجة) : ٢٩٢/١ ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب (٢٥) الصلاة على النبي ﷺ ، حديث رقم (٩٠٣) .

(٣) هو طلحة بن عبيد الله : ٥٢٩/٣ - ٥٢٣ .

(٤) (مسند أحمد) : ٢٦٣/١ ، حديث رقم (١٣٩٩) ، من مسند أبي محمد طلحة بن عبيد الله رضي الله تبارك وتعالى عنه .

(٥) (سنن النسائي) : ٥٥/٣ ، كتاب السهو ، باب (٥٢) نوع آخر من الصلاة على النبي ﷺ ، حديث رقم (١٢٩٠) .

(٦) (المرجع السابق) : حديث رقم (١٢٨٩) ، وقد انفرد به النسائي .

وعثمان بن عبد الله بن موهب أبو عبد الله وأبو عمر والمدنى الأعرج مولى آل طلحة يروي عن عمرو وأبي هريرة وأم سلمة وجابر بن سمرة وعبد الله بن أبي قتادة وموسى بن طلحة ويروي عنه شعبة وشيبة وشريك وأبو عوانة وآخرون ، وثقة أبو داود . وخرَّج له البخاريّ ومسلم والترمذيّ والنسائيّ وابن ماجة[1] .

وأما حديث زيد بن خارجة[2]

فرواه الإمام أحمد[3] من حديث عيسى بن يونس ، حدثنا عثمان بن حكيم حدثنا خالد بن سلمة أن عبد الرحمن دعا موسى بن طلحة حين عرس على ابنه عليّ فقال : يا أبا عيسى كيف بلغك في الصلاة على النبيّ ﷺ فقال موسى : سألت زيد بن خارجة فقال : أنا سألت النبي ﷺ كيف الصلاة عليك ؟ فقال : صلوا واجتهدوا ، ثم قولوا : اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد .

---

(١) هو عثمان بن عبد الله بن موهب التيمي ، أبو عبد الله ، ويقال : أبو عمرو المدنيّ الأعرج ، مولى آل طلحة وقد ينسب إلى جده . روى عن ابن عمر .

(٢) هو زيد بن خارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك بن امرىء القيس بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الأنصاريّ الخزرجيّ ، شهد أبوه أحداً وشهد هو بدراً .

وذكر البخاريّ وغيره أنه هو الذى تكلم بعد الموت . وقال ابن السكن : تزوج أبو بكر أخته فولدت له أم كلثوم بعد وفاته .

وروى النسائيّ وأحمد ، من طريق عبد الحميد بن عبد الرحمن ، عن موسى بن طلحة ، عنه قال : سألت رسول الله ﷺ كيف الصلاة عليك ؟ قال : صلوا فاجتهدوا ، ثم قولوا : اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد . الحديث . (الإصابة) : ٢/٦٠٣ ، ترجمة رقم (٢٨٩٦) ، (الاستيعاب) : ٢/٥٤٧ - ٥٤٩ ، ترجمة رقم (٨٤٤) ، (تهذيب التهذيب) : ٣/٣٥٣ - ٣٥٤ ، ترجمة رقم (٧٤٧) .

(٣) (مسند أحمد) : ١/٣٢٧ ، حديث رقم (١٧١٦) من حديث زيد بن خارجة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - .

ورواه النسائيّ ، عن سعيد بن يحيى الأمويّ ، عن عثمان به ، ورواه إسماعيل ابن إسحاق في فضل الصلاة على النبيّ ﷺ كيف الصلاة عليك ؟ عن عليّ بن عبد الله حدثنا مروان بن معاوية حدثنا عثمان بن الحكيم ، عن خالد بن سلمة ، عن موسى ، عن طلحة ، أخبرنى زيد بن حارثة بن الخزرج قال : قلت: يا رسول الله كيف نسلم عليك ؟ فذكر نحوه .

قال الحافظ أبو عبد الله بن منده في كتاب (الصحابة) : روى عبد الواحد ابن زياد عن عثمان بن حكم عن خالد بن سلمة قال : سمعت موسى بن طلحة وسأله عبد الحميد كيف الصلاة على النبي ﷺ ؟ فقال : سألت زيد بن خارجة الأنصارى فذكره .

وأما زيد بن حارثة هذا فهو زيد بن ثابت بن الضحاك بن حارث بن ثعلبة من بنى سلمة ويقال : ابن خارجة الخزرجيّ ذكره ابن منده في (الصحابة) والصواب زيد بن خارجة وهو ابن أبي زهير الأنصاريّ الخزرجيّ ، شهد بدرا وتوفي في خلافه عثمان ، وهو الذى تكلم بعد الموت ، قاله أبو نعيم وابن منده وابن عبد البر ، وقيل : بل هو زيد بن حارثة والباقى أصح .

وأما حديث علي بن أبي طالب
رضي الله تبارك وتعالى عنه

فخرّج النسائيّ من حديث عمرو بن عاصم ، حدثنا حبان بن يسار الكلابيّ ، عن عبد الرحمن بن طلحة الخزاعيّ ، عن محمد بن علي ، عن محمد ابن الحنفية عن عليّ قال : قال رسول الله ﷺ : من سره أن يكتال بالكيل الأوفي إذا صلى علينا أهلّ البيت فليقل : اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على محمد النبيّ وأزواجه أمهات المؤمنين ، وذريته وأهل بيته ، كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد .

وحبان بن يسار الكلابي البصريّ وثقة ابن حبان ، وقال البخاري : اختلط في آخرعمره ، وقال أبو حاتم الرازي : ليس بالقوى ولا بالمتروك ، وقال ابن عدى : حديثه فيه ما فيه لأجل الاختلاط الذى ذكر عنه ، ولهذا الحديث علة وهى أن موسى بن إسماعيل التبوذكى خالف عمرو بن عاصم فيه فرواه عن حبان بن يسار .

وحدثنى أبو المطرف والخزاعيّ وحدثني محمد بن عطاء الهاشمي عن أبي نعيم أن النبي ﷺ قال : من سره أن يكتال بالمكيال الأوفي فذكره .

ورواه أبو داود ، عن موسى بن إسماعيل وله علة أخرى وهي أن عمر بن عاصم قال : حدثنا ابن يسار ، عن عبد الرحمن بن طلحة الخزاعي ، وقال : موسى ابن عبيد الله بن طلحة بن عبيد الله بن كريز ، وهكذا هو في (تاريخ البخاري) وكتاب ابن أبي حاتم وكتاب (الثقات) لابن حبان ، كذا ذكره في كتاب (تهذيب الكمال) لأبي الحجاج المزي فقال ما ملخصه : عبيد الله بن طلحة بن عبيد الله بن كريز أبو مطرف الخزاعي ، عن الحسن والزهرى ومحمد بن على الهاشميّ وعنه صفوان بن سليم مع تقدمه ، وحبان بن يسار وحماد بن زيد وجماعة .

ذكره ابن حبان في (الثقات) ، فإما أن يكون عمرو بن العاص وهم في اسمه ، وإما أن يكون اثنين ، ولكن عبد الرحمن بن طلحة هذا مجهول لا يعرف في غبر هذا الحديث ولم يذكره أحد من المتقدمين ، وعمرو بن العاص وإن كان

روى عنه البخاريّ ومسلم واحتجا به ، فموسى بن إسماعيل أبو سلمة المنقريّ التبوذكي البصرى الحافظ أحفظ منه ، والحديث له أصل من رواية أبي هريرة بغير هذا السند والمتن كما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

وأما حديث أبي هريرة
رضي الله تبارك وتعالى عنه

فقال محمد بن إسحاق السراج : أخبرنا أبو يحيى وأحمد بن محمد اليزني قالا : أنبأنا عبد الله بن مسلمة بن قطب أنبأنا داود بن قيس ، عن نعيم بن عبد الله ، عن أبي هريرة أنهم سألوا رسول الله ﷺ كيف نصلي عليك ؟ قال : قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد ، والسلام كما قد علمتم . وهذا الإسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم ، رواه عبد الوهاب ابن منده في (الخفاف) عنه .

وقال :الشافعي أخبرنا إبراهيم بن محمد أنبأنا صفوان بن سليم ، عن أبي مسلمة ، عن أبي هريرة أنه قال : يا رسول الله كيف نصلي عليك ؟ يعني الصلاة في الصلاة . قال : قولوا : اللهم صل على محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم ثم تسلمون عليّ . وإبراهيم هذا هو ابن محمد بن يحيى الأسلمى كان الشافعي يرى الاحتجاج به على هجره ، وكان يقول : لأن يخبر من بعد أحب إليه من أن يكذب ، وقد تكلم فيه مالك والناس ، ورموه بالضعف والترك ، وصرح بتكذيبه مالك وأحمد ويحيى ابن سعيد القطان ويحيى بن معين والنسائيّ ، وقال ابن عقدة الحافظ : نظرت في حديث إبراهيم بن أبي يحيى كثيراً فهو ليس بمنكر الحديث ، وقال ابن عديّ : هو كما قال : ابن عقدة وقد نظرت أنا في حديثه الكثير فلم أجد فيه منكراً إلا عن شيوخ يحتملون ، يعنى أن يكون الضعف منهم ومن جهتهم ، ثم قال ابن عديّ : وقد نظرت في أحاديثه ومحتوتها .

وأما حديث بريدة بن الحصيب
رضي الله تبارك وتعالى عنه

فرواه الحسن بن شاذان ، عن عبد الله بن إسحاق الخرسانيّ حدثنا الحسين ابن مكرم ، حدثنا يزيد بن هارون حدثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي داود عن بريدة قال : قلنا : يا رسول الله قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك ؟ قال: قولوا : اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على محمد وعلى آل محمد كما جعلتهما على إبراهيم إنك حميد مجيد .

وأبو داود هذا هو نفيع بن الحارث أبو داود الأعمى الكوفيّ القاصّ ، وقيل: اسمه نافع الهمدانيّ وقيل : الدارمي السمعى مولاهم .

قال ابن معين : ليس بشئ وكان أحمد يقول : سمعت العبادلة ابن عمرو وابن عباس وابن الزبير ولم يسمع منهم شيئا ، وقال الفلاس : كان يحيى وعبد الرحمن لا يحدثان عن نفيع ، وقال همام : قدم علينا أبو داود فجعل يقول : حدثنا البراء بن عازب وزيد بن أرقم فقلنا لعبادة : إن أبا داود يحدثنا عن زيد ابن أرقم وعن البراء فقال : كذب إنما كان سائلا يتكفف الناس قبل طاعون الجارف ، وقال البخاري : قاصّ يتكلمون ، فيه ، وقال السعدي : كذاب يتناول قومًا من الصحابة بسوء ، وقال النسائي : متروك الحديث ، وقال ابن عدي : وهو من جمله الغالين بالكوفة .

قال كاتبه : وهو وإن كان متروكا كان مطروح الحديث ، فالعمدة على ما تقدم ولا يضر إخراج حديثه في الشواهد دون الأصول .

وأما حديث عبد الله بن مسعود
رضي الله تبارك وتعالى عنه

فخرَّج الحاكم في (المستدرك)[1] من حديث الليث بن سعد ، عن خالد ابن يزيد عن سعيد بن أبي هلاك عن يحيى بن السباق ، عن رجل من بني الحارث، عن ابن مسعود رضى الله وتبارك عنه عن رسول الله ﷺ قال : إذا تشهد أحدكم في الصلاة فليقل : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت وترحمت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد .

ورواه البيهقيّ في (السنن)[2] هكذا وقد اعترض على الحاكم في تصحيحه هذا الحديث فإن يحيى بن السباق وشيخه غير معروفين بعدالة ولا جرح .

وقد ذكر أبو حاتم ابن حبان يحيى بن السباق في كتاب (الثقات)[3] وقد رواه الدارقطنيّ في (السنن)[4] من حديث عبد الوهاب بن مجاهد بن أبي ليلى وأبو معمر قال : علمني ابن مسعود التشهد وقال : علمنيه رسول الله ﷺ كما كان يعلمنا السورة من القرآن : التحيات لله والصلوات والطيبات ، السلام عليك

---

(١) (المستدرك) : ١ / ٤٠٢ ، كتاب الصلاة ، حديث رقم (٩٩١) ، ولفظه : .. حدثنا الليث ، عن خالد بن بريدة ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن يحيى بن السباق ، عن رجل من بني الحارث، عن ابن مسعود رضي الله تبارك وتعالى عنه ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : إذا تشهد أحدكم في الصلاة فليقل : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد ، وارحم محمداً وآل محمد ، كما صليت وباركت وترحمت على إبراهيم إنك حميد مجيد . قال الحاكم : وأكثر الشواهد لهذه القاعدة لفروض الصلاة . وقال الحافظ الذهبي في(التلخيص): مرّحديث فضالة ، ثم ساقه وقال : على شروطها .

(٢) (السنن الكبرى) : ٢ / ٣٧٩ ، كتاب الصلاة ، باب وجوب الصلاة على النبي ﷺ .

(٣) (الثقات) : ٧ / ٦٠٣ ، يروى عن رجل ، عن ابن مسعود ، روى عنه سعيد بن أبي هلال .

(٤) (سنن الدارقطني) : ١ / ٣٥٤ ، باب ذكر وجوب الصلاة على النبي ﷺ في التشهد ، واختلاف الروايات في ذلك ، حديث رقم (١) .

أيها النبيّ ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشـهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صل على محمـد وعلـى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنـك حميـد مجيد . اللهـم صـل علينـا معهـم ، اللهم بارك على محمد وعلى أهل بيته كمـا بـاركت علـى آل إبراهيـم إنـك حميـد مجيد . اللهم بارك علينا معهـم ، صلـوات اللـه وصلـوات المؤمنيـن علـى محمـد النبيّ الأميّ ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . قال : وكان مجاهد يقول : إذا سلم فبلغ وعلى عباد الله الصالحين فقد سلم على أهـل السـماء والأرض . ولـهذا الحديث علتان :

إحداهما : أنه من رواية عبد الوهاب بن مجاهد بن جبر المكى ، قال ابن معين : ليس ممن يكتب حديثه ، ومرة قال : ليس بشئ ، ومـرة قـال : ضعيـف، وقال السعدى : غير مقنع ، وقال ابن عدي : وعامة ما يرويه لا يتابع عليه .

والأخرى : أن ابن مسعود المحفوظ عنه في التشهد إلـى أشـهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . ثم روي عنه موقوفا ومرفوعا فإذا قلـت هـذا فقد تمت صلاتك فـإن شئت أن تقـوم فقـم ، وأن تقعـد فـاقعد ، والموقـوف أشـبه وأصح وقد روى ابن ماجة في (سننه) من حديث المسعودي عن عوف بـن عبـد الله عن أبي فاختة عن الأسود بـن يزيـد ، عـن عبـد اللـه بـن مسـعود قـال : إذا صليتم علـى رسـول اللـه ﷺ فأحسـنوا الصـلاة عليـه فـإنكم لا تـدرون لعـل ذلـك يعرض عليه. قـال : فقـالوا لـه : فعلمنـا . قـال : قولـوا : اللهـم اجعـل صلـواتـك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبييـن محمـد عبـدك ورسولك إمام الخير وقائد الخير ، ورسول الرحمة ، اللهـم ابعثـه مقامـا محمـودًا يغبطه به الأولون والآخرون . اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

وأما حديث عبد الرحمن بن بشر بن مسعود رضي الله تبارك وتعالى عنه

فقال إسماعيل بن إسحاق في كتابه : حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد ابن زيد ، عن أيوب عن محمد بن سيرين ، عن عبد الرحمن بن بشر بن مسعود قال : قيل : يا رسول الله أمرتنا أن نسلم عليك وأن نصلي عليك ، فقد علمنا كيف نسلم عليك ، فكيف نصلي عليك ؟ قال : تقولون : اللهم صل على آل محمد كما صليت على آل إبراهيم ، اللهم بارك على آل محمد كما باركت على آل إبراهيم .

وحدثنا مسدد قال : حدثنا يزيد بن زريع حدثنا عون ، عن محمد بن سيرين عن عبد الرحمن بن بشر بن مسعود فذكره : حدثنا نصر بن على حدثنا عبد الآعلى حدثنا هشام ، عن محمد ، عن عبد الرحمن بن بشر بن مسعود قال: قلنا ، أو قيل للنبيّ ﷺ : أمرنا أن نصلي عليك ، قال : تقولون : اللهم صل على محمد كما صليت على آل إبراهيم .

فذكره بمثله سواء ، وعبد الرحمن هذا معدود في الصحابة ويقال فيه : ابن بشير بياء ، قال ابن عبد البر : عبد الرحمن بن بشير ، روى عن النبي ﷺ في فضل عليّ روى عنه الشعبيّ .

قال إسماعيل بن إسحاق : حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن سلمة حدثنا سعيد الجريريّ ، عن يزيد بن عبد الله أنهم كانوا يستحبون أن يقولوا : اللهم صل على محمد النبيّ الأميّ وعليه السلام .

حدثنا يحيى الحمانى حدثنا هشيم ، حدثنا أبو صالح حدثني يونس مولى بني هاشم قال : قلت : لعبد الله بن عمرو أو ابن عمر كيف الصلاة على النبي ﷺ ؟ قال : اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين وقائد الغر المحجلين ، اللهم ابعثه يوم القيامة مقامًا محمودًا يغبطه الأولون والآخرون . وصل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم .

حدثنا محمود بن خداش ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن أبي معشر ، عن إبراهيم قال : قالوا : يا رسول الله قد علمنا السلام عليك ، فكيف الصلاة عليك ؟ قال : قولوا : اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وأهل بيته كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد[1] .

حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا السرى بن يحيى ، قال : سمعت الحسن قال : لما نزلت ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[2] قالوا : يا رسول الله ، هذا السلام قد عرفنا كيف هو ، فكيف تأمرنا أن نصلي عليك ؟ قال : تقولون : اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على آل إبراهيم إنك حميد مجيد .[3]

(١) (مصنف ابن أبي شيبة) : ٢٤٨/٢ ، باب (٧٨٦) الصلاة على النبيّ ﷺ كيف هي ؟ حديث رقم (٨٦٣٥) ، (مسند أحمد) : ٣٦٨/٦ ، حديث رقم (٢١٨٤٧) ، (سنن النسائيّ) : ٥٤/٣، كتاب السهو باب (٥٠) كيف الصلاة على النبي ، حديث رقم (١٢٨٥) ، (١٢٨٧) ، (١٢٨٨) (١٢٨٩) ، (١٢٩٠) ، (١٢٩١) ، (١٢٩٢) ، (١٢٩٣) ، من طرقٍ وسياقات مختلفة تشتمل على أحاديث الباب .

(٢) الأحزاب : ٥٦ .

(٣) (كنز العمال) : ٤٩٦/١ ، حديث رقم (٢١٨٦) ، وعزاه إلى الإمام أحمد عن بريدة ، وضعفه .

الثالثة والثمانون من خصائص المصطفى ﷺ :
أن من صلى عليه واحدة صلى الله عليه عشراً

خرَّج مسلم(١) من حديث العلاء بن عبد الرحمن عن أبي هريرة – رضي الله تبارك وتعالى عنه – أن رسول ﷺ قال : من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشراً .

وخرجه أبو داود(٢) والترمذي(٣) والنسائي(٤) وابن حبان(٥) في (صحيحه) وقال الترمذي : حديث حسن صحيح . وفي بعض ألفاظه : من صلى على مرة واحدة كتب له بها عشر حسنات . ذكره ابن حبان .

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٣٧١/٤ ، (كتاب الصلاة) ، باب (١٧) الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد ، قوله ﷺ : (من صلى على واحدةً صلى الله عليه عشرًا) . قال القاضي : معناه : رحمته وتضعيف أجره كقوله تعالى : ﴿ **من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها** ﴾ قال : وقد يكون الصلاة على وجهها وظاهرها تشريفاً بين الملائكة كما في الحديث " وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم " .

(٢) (سنن أبي داود) : ١٨٤/٢ ، (كتاب الصلاة) ، باب (٣٦١) في الاستغفار ، حديث رقم (١٥٣٠) .

(٣) (سنن الترمذي) : ٣٥٥/٢ ، (أبواب الصلاة) ، باب (٢١) ماجاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ حديث رقم (٤٨٥) ، وقال في الباب عن عبد الرحمن بن عوف ، وعبد الرحمن بن ربيعة ، وعمار بن ياسر ، وأبي طلحة ، وأنس بن مالك ، وأبي بن كعب . قال أبو عيسى : حديث أبو هريرة حديث حسن صحيح .

وروى عن سفيان الثوريّ وغير واحد من أهل العلم ، قالوا : صلاة الرب الرحمة ، وصلاة الملائكة الاستغفار .

(٤) (سنن النسائيّ) : ٥٨/٣ (كتاب السهو) باب (٥٥) الفضل في الصلاة على النبي ﷺ حديث رقم (١٢٩٦) .

(٥) (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان) : ١٨٥/٣ ، كتاب الرقائق باب (٩) الأدعية ، ذكر حط الخطايا عن المصلي على المصطفي ﷺ بها ، حديث رقم (٩٠٤) ، وإسناده صحيح .

وروى عبد الله بن محمد المنقريّ ، عن محمد بن حبيب . حدثنا ابن أبي حازم ، عن أبيه ، عن سهل بن سعد الساعديّ رضي الله تبارك وتعالى عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فإذا أنا بأبي طلحة فقام إليه فتلقاه . فقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! إني أرى السرور في وجهك ! قال : أجل ، إنه أتاني جبريل آنفاً فقال : يا محمد ، من صلى عليك مرة أو قال : واحدة كتب الله بها عشر حسنات ومحا بها عنه عشر سيئات ورفع له بها عشر درجات . قال ابن حبيب : ولا أعلم إلا قال : وصلت عليه الملائكة عشر مرات .

وخرّج الإمام أحمد(1)من حديث معشر ، عن إسحاق بن كعب بن عجرة، عن أبي طلحة الأنصاريّ ، قال : أصبح رسول الله ﷺ يوماً طيب النفس يرى في وجهه البشر فقالوا : يا رسول الله ! أصبحت اليوم طيب النفس يرى في وجهك البشر، قال : أجل أتاني آت من ربي عز وجل وقال : من صلى عليك من أمتك صلاة كتب الله بها عشر حسنات ، ومحا عنه عشر سيئات ، ورفع له عشر درجات ورد عليه مثلها .

ومن حديث أبي طلحة الأنصاريّ قال : " أصبح رسول الله ﷺ يوماً طيب النفس يرى في وجهه البشر ، قالوا يا رسول الله ، أصبحت اليوم طيب النفس ، يرى في وجهك البشر ، قال : أجل ، أتاني آت من ربي عز وجل فقال: من صلى عليك من أمتك صلاة كتب الله له عشر حسنات ، ومحا عنه عشر سيئات ، ورفع له عشر درجات ، ورد عليه مثلها "(2) .

---

(1) (مسند أحمد) : ٣/٥٣٨ ، حديث رقم (١٢٥٨٧) من حديث أنس بن مالك ، ٤/١٦٠ حديث رقم (١٣٣٤٣) ، ٤/٦١٠ ، حديث رقم (١٥٩١٧) ، من حديث أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاريّ .

(2) (مسند أحمد) : ٤/١٦٠ ، حديث رقم (١٥٩١٧) ، من حديث أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاريّ ، وهذا الحديث سياقه مضطرب في (الأصل) ، وصوبناه من (المسند) .

رواه النسائيّ من حديث ابن المبارك وعفان ، عن حماد ، ورواه ابن حبان في (صحيحه) [1] من حديث حماد أيضاً والنسائيّ[2] من حديث أبي سلمة وهو المغيره بن مسلم الخرسانيّ عن أبي إسحاق ، عن أنس رضي الله تبارك وتعالى عنه أن النبي ﷺ قال : من ذكرت عند فليصل عليّ ومن صلى على مرة صلى الله عليه عشراً .

ومن حديث يحيى بن آدم حدثنا يونس بن أبي إسحاق حدثني يزيد بن أبي مريم عن أنس بن مالك - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أنه سمعه يقول : قال رسول الله ﷺ من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات ، وحط عنه عشر سيئات ، ورفعه بها عشرة درجات .

ورواه الإمام أحمد في (المسند) عن أبي نعيم عن يونس ، وعليه ما أشار إليه النسائيّ في كتابه (الكبير) أن مخلد بن يزيد رواه عن يونس بن أبي إسحاق عن يزيد بن أبي مريم عنِ الحسن عن أنس .

وهذه العلة لا تقدح فيه شيئًا لأن الحسن لا شك في سماعه عن أنس ، وقد صح سماع يزيد بن أبي مريم أيضًا من أنس هذا الحديث ، فرواه ابن حبان في (صحيحه) والحاكم[3] في (المستدرك) من حديث يونس ابن أبي إسحاق ، عن يزيد ، عن أبي مريم قال : سمعت أنس بن مالك فذكره ، ولعل يزيد سمعه من الحسن ، ثم سمعه من أنس فحدث به على الوجهين ، فإنه قال : كنت أزامل

---

(١) (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان) : ١٩٦/٣ ، (كتاب الرقائق) ، باب (٩) الأدعية ، باب ذكر تفضل الله جل وعلا على المسلم على رسوله ﷺ مرة واحدة يأمنه من النار عشر مرات ، نعوذ بالله منها ، حديث رقم (٩١٥) ولفظه عن عبد الله بن أبي طلحه ، عن أبيه قال : خرج رسول الله ﷺ وهو مسرور ، فقال : " إن الملك جاءنى فقال : يا محمد ، إن الله يقول : أما ترضى ألا يصلي عليك عبد من عبادي صلاة إلا صليت عليه بها عشرًا ، ولا يسلم عليك تسليمة إلا سلمت عليه بها عشرًا ؟ قلت : بلى أى رب " .

(٢) لم أجده في (المجتبى) ، ولعله في (الكبرى) .

(٣) (المستدرك) : ٤٥٦/٢ ، كتاب التفسير ، تفسير سورة الأحزاب حديث رقم (٣٥٧٥) ، وقال الحافظ الذهبيّ في (التلخيص) : صحيح .

الحسن في محل فقال : حدثنا أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : فذكره .

ثم إنه حدث به عن أنس فرواه عنه كما تقدم . لكن ينبغي أن يقال : يحتمل أن يكون هذا هو حديث أبي طلحة بعينه أرسل أنس عنه ، عن النبي ﷺ ويدل على ما رواه إسماعيل بن إسحاق .

حدثنا إسماعيل بن أبي أويس حدثني أخي ، عن سليمان بن بلال ، عن عبيد الله بن عمرو ، عن ثابت البناني قال : قال أنس بن مالك قال أبو طلحة - رضي الله تبارك وتعالى عنهما : أن رسول الله ﷺ خرج عليهم يوماً يعرفون البشر في وجهه فقالوا : إنا نعرف الآن البشر في وجهك ، فذكر حديث أبي طلحة المتقدم .

وروى ابن أبي عاصم ، حدثنا الحسن بن البراء حدثنا شبابة حدثنا المغيرة عن أبي إسحاق عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : صلوا على فان الصلاة عليّ كفارة لكم ، فمن صلى عليّ صلى الله عليه .

وخرّج إسماعيل بن إسحاق من حديث القعنبيّ حدثنا سلمة بن وردان قال : سمعت أنس بن مالك قال : خرج علينا النبي ﷺ يتبرز فلم يجد أحداً يتبعه ففزع عمر فاتبعه بمطهرة يعنى إداوة فوجده ساجدا فتنحى فجلس وراءه حتى رفع رأسه ، قال : فقال : أحسنت يا عمر حين وجدتنى ساجدًا فتنحيت عني ، إنّ جبريل أتاني فقال : من صلى عليك واحدة صلى الله عليه عشرا ، ورفعه عشر درجات .

وقال إسماعيل : حدثنا يعقوب بن حمد ، حدثنا أنس بن عياض بن سلمة ابن وردان ، حدثنا مالك بن أوس بن الحدثان ، عن عمر بن الخطاب - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : خرج النبي ﷺ يتبرز فاتبعته بإداوة من ماء فوجدته ساجداً ، فتنحيت عنه ، فلما رفع رأسه قال : أحسنت يا عمر حين تنحيت عني ، إن جبريل أتاني فقال : من صلى عليك صلاة صلى الله عليه عشراً ، ورفعه عشر درجات .

فإن قيل : هذا الحديث الثانى علة للحديث الأول لأن سلمة بن وردان أخبر أنه سمعه من مالك بن أوس بن الحدثان . قيل : ليس بعلة له ، فقد سمعه سلمة بن وردان منهما .

قال أبو بكر الإسماعيلى في كتاب (مسند عمر) : وحدثنى عبد الرحمن ابن عبد الله ، أخبرنا أبو موسى القروى ، حدثنى أبو ضمرة ، عن حمزة ، عن سلمة بن وردان قال : سمعت أنس بن مالك يقول : خرج رسول الله ﷺ ومعه عمر بن الخطاب - رضي الله تبارك وتعالى عنه - بإداوة ومجارة ، فوجده قد فرغ ، ووجده ساجدًا فتنحى عمر . وذكر الحديث .

حدثنا عمران بن موسى ، حدثنا ابن كاسب ، حدثنا أنس بن عياض ، عن سلمة بن وردان حدثني مالك بن أوس بن الحدثان ، عن عمرو حدثني أنس ابن مالك ثم ساقه من حديث الفضل بن دكين . حدثنا سلمة بن وردان سمعت أنس بن مالك ومالك بن أوس بن الحدثان وذكره .

وقال ابن شاهين : حدثنى العباس بن المغيرة ، حدثنا عبد الله بن ربيعة قال : سمعت عبد الله بن شريك عن عاصم بن عبد الله بن عاصم ، عن عبد الله ابن عامر بن ربيعة ، عن عمر بن الخطاب رضي الله تبارك وتعالى عنه عن النبي ﷺ قال : من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشراً ، فليقِلّ عبد عليّ أو ليكثر[1] .

وخرَّج الطبرانيّ من حديث عمر بن الربيع بن طارق حدثنا يحيى بن أيوب حدثني عبيد الله بن عمر عن الحكم بن عتيبة ، عن إبراهيم النخعى ، عن الأسود بن يزيد عن عمر بن الخطاب رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ لحاجته فلم يجد أحدًا يتبعه ففزع عمر فأتاه بمطهرة من خلفه ، فوجد النبي ﷺ ساجدًا فتنحى عنه من خلفه ، حتى رفع النبي ﷺ رأسه وقال: أحسنت يا عمر حين وجدتني ساجداً فتنحيت عني ، إن جبريل أتانى فقال: من صلى عليك من أمتك واحدة صلى الله عليه عشرًا ، ورفعه بها عشر درجات .

---

(١) راجع التعليق التالى .

قال الطبرانيّ لم يروه عن عبيد الله إلا يحيى بن أيوب ، تفرد بـه عمـرو ابن طارق .

وخرَّج الإمام أحمد من حديـث شـعبة ، عـن عـاصم بـن عبـد اللـه قـال : سمعت عبد الله بن عامر بن ربيعة يحدث عن أبيه قال : سمعت رسول اللـه ﷺ يخطب ويقول من صلى عليّ صلاة لم تزل الملائكة تصلي عليه فليقلّ عبدًا مـن ذلك أو ليكثر[1] .

ورواه ابن ماجة عن شعبة[2] ، ورواه عبد الرزاق ، عن عبد اللـه بـن عمر العمرى ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن عبد الله بن عامر ، عن أبيه ، ولفظه : من صلى عليّ صـلاة صلـى اللـه عليـه [عشـراً] فـأكثروا أو أقلـوا . وعاصم بن عبيد الله ابـن عـاصم بـن عمـر بـن الخطـاب وعبيـد اللـه بـن عمـر العمريّ وإن كان حديثهما فيه بعض الضعـف ، فروايـة هذا الحديـث مـن هذيـن الوجهين المختلفين يدل على أنه لـه أصـلاً ، وهذا لا ينزلـه عـن وسـط درجـات الحسن .

وخرَّج [الإمام] أحمد من حديث ليث عن يزيد بن جهـاد عـن عمـرو بـن أبي عمرو ، عن أبـي الحويـرث ، عـن محمـد بـن جبيـر بـن مطعـم ، عـن عبـد الرحمن بن عوف – رضي الله تبارك وتعالى عنـه – قـال : خـرج رسـول اللـه ﷺ فاتبعته حتى دخل مدخلاً ، فسجد فأطال السجود ، حتـى خفـت أو خشـيت أن يكون الله قد توفاه أو قبضه ، قال : فجئت أنظر فرفع رأسه فقال: مالك يـا عبـد الرحمن قال : فذكرت ذلك له فقال : إنَّ جبريل عليه السلام قال لى : ألا أبشرك أن الله عز وجل يقول لك : من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سـلمت عليه .

---

(١) (مسند أحمد) : ٤/٤٨٣ – ٤٨٤، حديث رقم (١٥٢٥٣) .

(٢) (سنن ابن ماجة) : ١/٢٩٤ ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها بـاب (٢٥) الصـلاة علـى النبي ﷺ، حديث رقم (٩٠٧) ، قال في (الزوائد) : إسناده ضعيف ، لأن عاصم بن عبيد الله ، قـال في البخاريّ وغيره : منكر الحديث .

وخرّجه أيضًا من حديث سليمان بن بلال ، حدثنا عمرو بن أبي عمرو ، عن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن عوف ، عن عبد الرحمن فذكره. وقال فيه : فسجدت لله شكراً[1] .

وخرّجه الحاكم في (المستدرك)[2] من طريق سليمان بن بلال ، عن عمرو وقال : صحيح الإسناد .

ورواه ابن أبي الدنيا عن يحيى بن جعفر . حدثنا زيد بن الحباب أخبرني موسى بن عبيده ، أخبرني قيس بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة ، عن سعد ابن إبراهيم عن أبيه عن جده عبد الرحمن بن عوف قال : سجد رسول الله ﷺ سجدة أطال فيها . فقلت له في ذلك فقال : إني سجدت هذه السجده شكرًا لله عز وجل فيما أبلاني في أمتي فإنه من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً . وموسى بن عبيدة وإن كان في حديثه بعض الضعف فهو شاهد لما تقدم .

وقال : عثمان بن أبي شيبة : حدثنا خالد بن مخلد ، حدثنا سليمان بن بلال ، حدثنا عمرو بن أبي عمرو ، عن عاصم بن عمرو بن قتاده ، عن عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ قال : لقيني جبريل وبشرني أن الله عز وجل يقول لك : من صلى عليك صلاة صليت عليه، ومن سلم عليك سلمت عليه ، فسجدت لذلك .

وخرّج النسائي من حديث أبي أسامة ، عن سعيد بن سعيد ، عن سعيد ابن عمير عن عمه أبي بردة بن نيار قال : قال رسول الله ﷺ من صلى عليّ من أمتي صلاة مخلصًا من قلبه صلى الله عليه بها عشر صلوات ، ورفعه بها عشر درجات ، وكتب له بها عشر حسنات ، ومحا عنه عشر سيئات ، وقد أُعلّ هذا الحديث بأن وكيعاً رواه ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن سعيد بن عمير الأنصاري ، عن أبيه وكان بدريًا ، قال : قال رسول الله ﷺ : من صلى عليّ ، فذكره .

---

(١) (المرجع السابق) : حديث رقم (١٦٦٦) .

(٢) (المستدرك) : ٧٣٥/١ ، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر ، حديث رقم (٢٠١٩) وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : صحيح .

وقال النسائيّ : أنبأنا الحسين بن حريث ، حدثنا وكيع فذكر قصة اختلاف أبي أسامة ووكيع ، قال الحافظ أبو قريش محمد بن زرعة : سألت أبا زرعة يعنى الراوى عن اختلاف هذين الحديثين فقال : حديث أبي أسامة أتم .

وخرَّج الطبراني في (المعجم الكبير) من طريق أبي بكر بن أبي شيبة ، حدثنا أبو أسامة ، عن سعيد بن أبي سعيد بن أبي الصباح ، حدثنا سعيد بن عمير بن عقبة بن نيار الأنصاريّ ، عن عمه أبي بردة بن نيار فذكروه .

ورواه بن أبي عاصم في كتاب (الصلاة على النبيّ) ﷺ ، عن أبي بكر ابن أبي شيبة عن أبي أسامة ، عن سعيد بن أبي سعيد به ، وروى الحافظ أبو نعيم من طريق أبي مالك عبد الملك بن حسين ، عن عاصم بن عبيد الله عن القاسم بن محمد عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت : قال رسول الله ﷺ من صلى عليّ صلاة صلت عليه الملائكة فليكثر عبد أو ليقل .

وخرَّج أبو دواد في (سننه) من حديث ابن وهب ، عن ابن لهيعة وسعيد بن أيوب ، عن كعب بن علقمة ، عن عبد الرحمن بن جبير ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تبارك وتعالى عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على ، فإنه من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه عشراً ، ثم سلوا لى الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فإن من سأل الله لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة [1]. وخرجه مسلم[2] .

---

(١) (سنن أبي داود) : ٣٥٩/١ ، كتاب الصلاة ، باب (٣٦) ، ما يقوله إذا سمع المؤذن ، حديث رقم (٥٢٣) .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ٣٢٨/٤ ، كتاب الصلاة ، باب (٧) استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ، ثم يصلي على النبيّ ﷺ ثم يسأل الله له الوسيلة ، حديث رقم (٣٨٤) .

وأخرجه النسائيّ في (السنن) : ٣٥٤/٢ ، (كتاب الأذان) ، باب (٣٧) الصلاة على النبي ﷺ حديث رقم (٦٧٧) .

وأخرجه الترمذيّ في (السنن) : ٥٤٧/٥ ، (كتاب المناقب) عن رسول الله ﷺ ، باب (١) في فضل النبي ﷺ ، حديث رقم (٣٦١٤) ، قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح =

وذكر عبد الله بن أحمد من طريق ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة عن عبد الله ، وفي نسخة عبد الرحمن بن شريح الخولانيّ قال : سمعت أبا قيس مولى عمرو بن العاص يقول : سمعت عبد الله بن عمرو يقول : من صلى على رسول الله ﷺ صلاة صلى الله عليه وملائكته بها سبعين صلاة فليقلّ من ذلك أو ليكثر . كذا رواه موقوفا .

وذكره أبو نعيم ، عن أحمد بن جعفر ، عن عبد الله عن أبيه ، وقال عبد الباقي بن قانع : حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الله بن صالح بن شيخ بن عميرة قال : حدثني محمد بن هاشم حدثنا محمد بن ربيعة الكلابي ، عن أبي الصباح البهزيّ حدثني سعيد بن عمير عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : من صلى عليّ صادقاً من نفسه صلى الله عليه عشر صلوات ، ورفعه عشر درجات ، وكتب له بها عشر حسنات .

وروى إسماعيل بن إسحاق من طريق العوام بن حوشب حدثني رجل من بني أسد ، عن عبد الرحمن بن عمرو ، قال : من صلى على النبيّ ﷺ كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ، ورفع له عشر درجات .

ومن طريق سفيان ، عن يعقوب بن زيد بن طلحة التيمي قال : قال رسول الله ﷺ أتاني آت من ربي فقال : ما من عبد يصلي عليك صلاة إلا صلى الله عليه بها عشراً[1] ، فقام إليه رجل فقال : يا رسول الله ، أجعل لك نصف دعائي؟ قال : إن شئت ، قال : أجعل ثلثي دعائي لك ؟ قال : إن شئت ، قال : أجعل دعائي لك كله ؟ قال : يكفيك الله همّ الدنيا وهمّ الآخرة ، فقال شيخ كان بمكة يقال له منيع لسفيان : عمن أسنده ؟ قال : لا أدري .

= قال محمد : عبد الرحمن بن جبير هذا قرشيّ مصريّ مدنيّ ، وعبد الرحمن بن جبير بن نفير شاميّ قرشيّ .

(١) (تفسير ابن كثير) : ٥١٨/٣ ، تفسير سورة الأحزاب .

الرابعة والثمانون من خصائصه ﷺ :
أنه من صلى عليه ﷺ غفر ذنبه

روى محمد بن موسى ، عن الأصمعيّ ، حدثني محمد بن مروان السديّ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من صلى عليّ عند قبري وكل الله به ملكاً يبلغني وكفي أمر دنياه وآخرته ، وكنت له يوم القيامة شهيدًا أو شفيعًا(١) .
ومحمد بن موسى ابن يونس بن موسى الكديمي متروك الحديث .

وقال : عبد الله بن حميد في (مسنده) : حدثنا قبيصة بن عقبة حدثنا سفيان ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن ابن الطفيل بن أبي بن كعب ، عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ربع الليل قام فقال : يا أيها الناس اذكروا الله، جاءت الراجفة ، تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه . قال أبي بن كعب : قلت : يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي ؟ قال : ما شئت ، قلت : الربع قال : ما شئت ، وإن زدت فهو خير لك ، قلت : الثلثين ؟ قال : ما شئت ، وإن زدت فهو خير لك ، قلت : أجعل لك صلاتي كلها؟ قال : إذًا تكفي همك ويغفر لك ذنبك(٢) .

---

(١) (شعب الإيمان) : ٢١٨/٢ ، الخامس عشر من شعب الإيمان وهو باب في تعظيم النبي ﷺ وإجلاله وتوقيره ﷺ حديث رقم (١٥٨٣) ، ولفظه : قال رسول الله ﷺ من صلى عليّ عند قبرى وكل بهما ملك يبلغني وكفي بها أمر دنياه وآخرته وكنت له شهيدًا أو شفيعًا ، هذا اللفظ حديث الأصمعي وفي رواية الحنفي قال : عن النبي ﷺ قال : من صلى علي عند قبرى سمعته ومن صلى عليّ نائيًا أبلغته .

(٢) قال الحافظ ابن كثير : حدثنا وكيع عن سفيان عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن ابن الطفيل ابن أبيّ بن كعب عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ " جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه " فقال رجل يا رسول الله أرأيت إن جعلت صلاتي كلها عليك ؟ قال " إذا يكفيك الله ما أهمك من دنياك وآخرتك . (تفسير ابن كثير) : ٤٩٨/٤ ، تفسير سورة النازعات .

وخرجه الإمام أحمد ، عن وكيع ، عن سفيان به[١] .

وخرجه الترمذي[٢] ، عن هناد ، عن قبيصة وقال : حسن صحيح .

وخرجه الحاكم في (المستدرك)[٣] وقال : صحيح .

وعبد الله بن محمد بن عقيل[٤] احتج به الأئمة الكبار كالحميدي وأحمد وإسحاق وغيرهم ، والترمذي تارة يصحح هذا الحديث وتارة يحسنه . وسئل شيخ الإسلام تقيّ الدين أبو العباس بن تيمية رحمه الله ، عن تفسير هذا الحديث فقال : كان لأبيّ بن كعب دعاء يدعو به لنفسه فسأل النبي ﷺ هل يجعل له منه ربع صلاة عليه . فقال : إن زدت فهو خير لك ، فقال له : النصف . فقال : إن زدت فهو خير لك . إلى أن قال : أجعل صلاتي كلها أى أجعل دعائي صلاة عليك ؟ قال : إذاً تكفي همك ، ويغفر ذنبك ، لأن من صلى على النبي ﷺ صلاة صلى الله عليه بها عشراً ، ومن صلى الله عليه كفاه همه ، وغفر له ذنبه .

---

(١) (المرجع السابق) .

(٢) (سنن الترمذيّ) : ٥٤٩/٤ ، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ، باب (٢٣) ، حديث رقم (٢٤٥٧) . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

(٣) (المستدرك) : ٤٥٧/٢، كتاب التفسير ، تفسير سورة الأحزاب ، حديث رقم (٣٥٧٨) ، وقال الحافظ الذهبيّ في (التلخيص) : صحيح .

(٤) هو عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب الهاشميّ أبو محمد المدنى وأمه زينب الصغرى بنت عليّ .

الخامسة والثمانون من خصائصه ﷺ :
أن الدعاء يتوقف إجابته حتى يصلي عليه
وأن العبد مأمور أن يصلي عليه في دعائه

روى الحسن بن عرفة ، عن الوليد بن بكر ، عن سلام الخراز ، عن أبي إسحاق السبيعيّ ، عن الحارث الأعور ، عن عليّ رضي الله تبارك وتعالى عنه ، عن النبي ﷺ قال : ما من دعاء إلا بينه وبين السماء والأرض حجاب حتى يصلي على محمد ، فإذا صلي على النبي ﷺ انخرق الحجاب واستجيب الدعاء ، وإذا لم يصل على النبي ﷺ لم يستجب الدعاء[1] . لكن قال شعبة والعجلى : لم يسمع أبو إسحاق السبيعيّ من الحارث إلا أربعه أحاديث ، فعدها ، لم يذكر هذا منها ، وقد ثبت ، عن ابن إسحاق وقفه على عليّ ، ومع هذا فالحارث بن عبد الله الهمداني الأعور ، قال الشعبيّ : كان كاذبًا ، وقال ابن معين : ضعيف ، وقال مرة : ليس به بأس ، وقال ابن عديٍ : وعامة ما يرويه ليس بمحفوظ .

وخرَّج الإمام أحمد[2] من طريق حيوة بن شريح قال : أخبرنى هانئ بن حميد بن هانئ أن أبا عليّ عمرو بن مالك حدثه أنه سمع فضالة بن عبيد صاحب رسول الله ﷺ قال : سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعو في صلاته لم يحمد الله ولم يصل على النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ : عجل هذا ، ثم دعاه فقال له أو لغيره : إذا صلى أحدكم فليبدأ بحمد الله والثناء عليه ثم يصلي على النبيّ ثم يدعو ربه بما شاء .

---

(١) (كنز العمال) : ٨٨/٢ ، حديث رقم (٣٢٧٠) ، وعزاه إلى الديلميّ عن عليّ - رضي الله تبارك وتعالى عنه .

(٢) (مسند أحمد) : ٣١٢/٧ ، حديث رقم (٢٣٤١٩) من مسند فضالة بن عبيد الأنصارى -رضي الله تبارك وتعالى عنه .

وخرجه أبو داود[1] ، والنسائيّ[2] ، والترمذيّ[3] وقال : حديث صحيح. وخرجه ابن ماجة في (سننه) .

وخرجه الترمذيّ[4] في (جامعه) من حديث النضر بن شميل ، عن أبي قرة الأسديّ ، عن سعيد بن المسيب ، عن عمر رضيّ الله تبارك وتعالى عنه قال : إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك . هكذا رواه موقوفاً .

وكذلك رواه الإسماعيليّ في (مسند عمر) من حديث النضر أتم من هذا فقال : أخبرنى الحسن حدثنا محمد بن قدامة وإسحاق بن إبراهيم قال : أنبأنا النضر ، عن أبي قرة سمعت سعيد بن المسيب يقول : قال عمر بن الخطاب - رضي الله تبارك وتعالى عنه : ما من امريء مسلم يأتى فضاء من الأرض فيصلي فيه الضحى ركعتين ، يقول : اللهم أصبحت عبدك على عهدك ووعدك، خلقتني ولم أكُ شيئاً . أستغفرك لذنبى فإنى قد أرهقتنى ذنوبى ، وأحاطت بى إلا أن تغفرها فاغفر لى يا رحمن ، إلا غفر الله له فى ذلك المقعد ذنبه وإن كان

---

(١) (سنن أبي داود) : ٢ / ١٦٢ ، كتاب الصلاة ، باب (٣٥٨) الدعاء ، حديث رقم (١٤٨١).

(٢) (سنن النسائي) : ٣ / ٥١ - ٥٢ ، كتاب السهو ، باب (٤٨) التمجيد والصلاة على النبي ﷺ في الصلاة ، حديث رقم (١٢٨٣) وإسناده صحيح .

(٣) (سنن الترمذي) : ٥ / ٤٨٢ - ٤٨٣ ، كتاب الدعوات ، باب (٦٥) بدون ترجمة ، حديث رقم (٣٤٧٦) ، وفيه : " عجلت أيها المصلى " ، قال أبو عيسى : هذا حديث حسن ، رواه حيوة بن شريح ، عن أبي هانئ ، وأبو هانئ اسمه حميد بن هانئ ، وأبو على الجنبى اسمه عمرو بن مالك .

وحديث رقم (٣٤٧٧) ، وفيه : " عجل هذا " . وقال أبو عيسى : هذا حديث صحيح .

(٤) (تحفة الأحوذي) : ٢/٤٩٨ . كتاب أبواب الوتر ، باب (٣٤٧) ما جاء في فضل الصلاة على النبيّ ﷺ ، حديث رقم (٤٨٤) .

مثل زبد البحر[١] . وقال عمر بن الخطاب رضي الله تبارك وتعالى عنه : ذكر لى أن الدعاء يكون بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك. وقال : قال عمر بن الخطاب - رضي الله تبارك وتعالى عنه - : ذكر لى أن الأعمال تتباهى فتقول الصدقة : أنا أفضلكن . وقال عمر : ما من امرىء يتصدق بزوجين من ماله إلا ابتدرته حجب الجنة[٢] ، قال الإسماعيلى :

الأول : في صلاة الضحى موقوف ، وكذلك الصدقة بزوجين من ماله موقوف .

والثانى : سواء يريد به حديث الصلاة وحديث تباهي الأعمال يحتمل الرفع ، ويحتمل الوقف على السواء .

وقد روى حديث الصلاة على النبي ﷺ من حديث معاذ بن الحارث ، عن أبي قرة مرفوعاً لكنه لا يثبت ، والموقوف أشبه . وقال : أحمد بن عمرو ابن أبي عاصم حدثنا أحمد بن عصام حدثنا أبو عاصم ، عن موسى بن عبيدة ، عن إبراهيم بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : لا تجعلوني كقدح الراكب إن الراكب يملأ قدحه فإذا

---

(١) (كنز العمال) : ٣٩٩/٨ ، صلاة الضحى ، حديث رقم (٢٣٤٣١) ، وعزاه إلى ابن راهويه ، وابن أبي الدنيا في (الدعاء) ، قال البوصيري في (زوائده) : في سنده أبو قرة الأسدى ، قال فيه ابن خزيمة : لا أعرفه بعدالة ولا جرح ، وباقى رجال الإسناد رجال الصحيح .

(٢) (شعب الإيمان) : ١٣٣/٧ ، باب في الصبر على المصائب حديث رقم (٩٧٤٨) من حديث هشام - يعنى ابن حسان - ، عن الحسن ، عن صعصعة بن معاوية قال : لقيت أبا ذر يقود حملاً له أو يسوقه في عنقه قربة . فقلت : يا أبا ذر مالك ؟ قال لي : عملي . قال : قلت : يا أبا ذر ما مالك ؟ قال لي : عملي ثلاث مرات قال : قلت : ألا تحدثني شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة لم يبلغوا الحنث إلا أدخلهم الله الجنة بفضل رحمته إياهم ، " وما من مسلم أنفق زوجين في سبيل الله إلا ابتدرته حجبة الجنة " ، وفي بعض النسخ "حجب الجنة" .

فرغ وعلق معاليقه فإن كان فيه ماء مرت حاجته أو للوضوء توضأ ، وإلا أهراق القدح فاجعلوني في أول الدعاء ، أوفي أوسطه ، ولا تجعلوني آخره[١] .

قال الطبراني حدثنا إسحاق الديري حدثنا عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن موسى بن عبيد ، عن محمد بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن جابر فذكر مثله إلا أنه قال : فأجعلونى في أول الدعاء ، وفي أوسطه ، وفي آخره .

وخرَّج الحافظ أبو موسى المديني من حديث سعيد بن معروف ، عن عمرو بن قيس أو ابن أبي قيس ، عن أبي الجوزاء . ، عن عبد الله بن عمر قال : من كان له إلى الله حاجة فليصم الأربعاء والخميس والجمعة ، فإذا كان يوم الجمعة تطهر وراح إلى المسجد ، فتصدق بصدقة قلت أو كثرت ، فإذا صلى الجمعة قال : اللهم إنى أسألك باسمك ، بسم الله الرحمن الرحيم ، الذى لا إله إلا هو الحى القيوم ، الذى لا تأخذه سنة ولا نوم ، الذى ملأت عظمته السموات والأرض ، الذى عنت له الوجوه ، وخشعت له الأصوات ، ووجلت القلوب من خشيته ، أن تصلى على محمد ، وأن تعطينى حاجتى وهى كذا .

فإنه يستجاب له إن شاء الله قال : وكان يقول : لا تعلموه سفهاءكم ، لا يدعو بإثم او قطيعة[٢] .

وخرَّج الترمذي من طريق عبد الله بن بكر التميمي ، عن فائد بن عبد الرحمن ، عن عبد الله بن أبي أوفي قال : قال رسول الله ﷺ : من كانت له إلى الله أو إلى أحد من بنى آدم حاجة ، فليتوضأ وليحسن الوضوء ، ثم ليصل

---

(١) (كنز العمال) : ٥٠٩/١ ، حديث رقم (٢٢٥٣) وعزاه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وضعفه، عن جابر ، (المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية) : ٢٢٢/٣ ، كتاب الأذكار والدعوات ، كتاب الصلاة على النبي ﷺ ، حديث رقم (٣٣١٦) ولفظه " لا تجعلوني كقدح الراكب إن الراكب إذا علق معاليقه أخذ قدحه فملأه من الماء ، فإن كان له حاجة في الوضوء توضأ ، وإن كانت له حاجة في الشرب شرب ، وإلا أهراق ما فيه ، اجعلوني في أول الدعاء ، وفي وسط الدعاء ، وفي آخر الدعاء .

(٢) لم أجده بهذه السياقه ، وقد أخرجه ابن ماجة في (السنن) في صلاة الحاجة بلفظ وسند آخر ، وكذلك الترمذيّ كما سيأتى .

ركعتين ، ثم ليثن على الله ، وليصل على النبي ﷺ ثم ليقل : لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين ، أسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل إثم ، لا تدع لي ذنباً إلا غفرته ، ولا هماً إلا فرجته ، ولا حاجة هي لك رضاً إلا قضيتها يا أرحم الراحمين .

قال الترمذي[1]: هذا حديث غريب وفي إسناده مقال ، وفائد بن عبد الرحمن ضعيف الحديث ، وقال ابن معين : ضعيف . وقال أبو حاتم بن حبان: كان ممن يروي المناكير ، عن المشاهير ، ويأتي عن ابن أبي أوفي بالمعضلات، لا يجوز الاحتجاج به ، وقال ابن عدي : وهو مع ضعفه يكتب حديثه .

وقد خرجه الحاكم في (المستدرك) وقال : إنما خرجته شاهدًا ، وفائد مستقيم الحديث ، كذا قيل .

---

(١) (سنن الترمذي) : ٣٤٤/٢ ، أبواب الصلاة ، باب (١٤٨) ما جاء في صلاة الحاجة ، حديث رقم (٤٧٩) .

وأخرجه ابن ماجة في (السنن) : ٤٤١/١ ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب (١٨٩) ما جاء في صلاة الحاجة ، حديث رقم (١٣٨٤) .

وأخرجه أيضاً أبو عبد الله الحاكم في (المستدرك) : ٤٦٦/١ ، كتاب صلاة التطوع ، حديث رقم (١١٩٩) ، قال الحاكم : فائد بن عبد الرحمن أبو الورقاء كوفي ، عداده في التابعين وقد رأيت جماعه من أعقابه ، وهو مستقيم الحديث ، إلا أن الشيخين لم يخرجا عنه ، وإنما جعلت حديثه هذا شاهداً لما تقدم . وقال الحافظ الذهبى في (التلخيص) : بل متروك ، يعنى فايد أبو الوراق العطار .

السادسة والثمانون من خصائصه ﷺ :
أن صلاة أمته تبلغه في قبره
وتعرض عليه صلاتهم وسلامهم

خرَّج أبو داود من طريق أحمد بن صالح قال : قرأت على عبد الله بن نافع قال : أخبرني ابن أبي ذئب ، عن سعيد بن سعيد ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ أنه قال : لا تجعلوا بيوتكم قبورًا ، ولا تجعلوا قبرى عيدا ، وصلوا على فإن صلاتكم تبلغنى حيث ما كنتم .

وخرَّج أبو الشيخ في كتاب (الصلاة على النبيّ) ﷺ من طريق الحسن ابن الصباح ، حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : من صلى عليّ عند قبري سمعته ، ومن صلى عليّ من بعيد علمته ، وهذا الحديث غريب جداً .

وقد خرجه البيهقيّ من حديث العلاء بن عمرو الجعفيّ : حدثنا أبو عبد الرحمن - هو محمد بن مروان السدى - عن الأعمش .

وخرَّج الطبرانيّ من حديث عبد الله بن محمد العمريّ ، حدثنا أبو مصعب حدثنا مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ما من مسلم سلم عليّ في شرق الأرض ولا غربها ، إلا أنا وملائكة ربي نردّ عليه الصلاة والسلام ، فقال له قائل : يا رسول الله ! فما بال أهل المدينة؟ قال : [كفؤ][1] كريم في جيرانه إنه مما أمربه حفظ الجوار . قال الأعمش : هذا وضعه العمريّ .

وروى النسائي[2] من طريق سفيان ، عن عبد الله بن السائب ، عن زاذان ، عن عبد الله بن مسعود - رضي الله تبارك وتعالى عنه - عن النبي

---

(١) ما بين الحاصرتين مطموس في (الأصل) . ولعل ما أثبتناه يناسب السياق .

(٢) (سنن النسائي) : ٣ / ٥٠ ، كتاب اللسهو ، باب (٤٦) السلام على النبي ﷺ .

حديث رقم (١٢٨١) ، قوله : " سياحين " صفة الملائكة ، يقال ساح في الأرض يسيح سياحة ، إذا ذهب فيها ، وأصله من السبح ، وهو الماء الجارى المنبسط على الأرض والسيّاح=

ﷺ قال : إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام . وذكره ابن حبان في (صحيحه)[1] .

وخرّج الإمام أحمد[2] من طريق حسين بن علي الجعفي ، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، عن أبي الأشعث الصنعانيّ ، عن أوس بن أبي أوس قال : قال رسول الله ﷺ : من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخه ، وفيه الصعقة . فأكثروا من الصلاة عليّ فيه ، فإن صلاتكم معروضة عليّ . قالوا : يا رسول الله ﷺ وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت ، يعني وقد بليت ؟ فقال : إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء .

ورواه أبو داود[3] والترمذي[4] والنسائي[5] ثلاثتهم من طريق حسين الجعفي ، وكذلك خرجه ابن حبان[6] في (صحيحه) والحاكم في (مستدركه)[7]

= بالتشديد كالعلاء ، مبالغة منها . قوله : " يبلغوني " من الإبلاغ أو التبليغ ، وفيه حثّ على الصلاة والسلام عليه وتعظيم له ﷺ وإجلاله لمنزلته ، حيث سخّر الملائكة الكرام لهذا الشأن الفخم . (وحاشية السندي على سنن النسائي) .

(١) (الإحسان بتقريب صحيح ابن حبان) : ٣ / ١٩٥ ، كتاب الرقائق ، (٩) الأدعية ، ذكر البيان بأن سلام المسلم على المصطفي ﷺ يبلّغ إياه ذلك في قبره ، حديث رقم (٩١٤) ، وقال ك إسناده صحيح ، رجاله رجال الصحيح ، وعبد الله بن السائب هو الشيباني الكندي .

(٢) (مسند أحمد) : ٤ / ٥٧٧ ، حديث رقم (١٥٧٢٩) ، من حديث أوس بن أبي أوس الثقفيّ .

(٣) (سنن أبي داود) كتاب الصلاة ، باب تفريع أبواب الجمعة (٢٠٧) باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة ، حديث رقم (١٠٤٧) ، قال الخطأبي : " أرمتَ " معناه بليت ، وأصله أرممت أى صرت رميماً ، فحذفوا إحدى الميمين ، وهي لغة لبعض العرب ، كما قالت : ظلت ، وقد غلط في هذا بعض من يفسر القرآن برأيه ، ولا يعبأ بقول أهل التفسير ، ولا يعرج عليهم لجهله ، فقال : إن قوله تعالى : ﴿ **فظلتم تفكهون** ﴾ [الواقعة ٦٥] . من ظال يظال ، وهذا شئ اختلفه من قبل نفسه لم يسبق إليه . (معالم السنن) ، مختصراً .

وأخرجه أيضاً في كتاب الصلاة ، باب (٣٦١) في الاستغفار ، حديث رقم (١٥٣١) . =

وقد أعل بعض الحفاظ هذا الحديث ، بأن حسين الجعفيّ حدث به عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن أبي الأشعث ، عن أوس ، قال : ومن تأمل هذا الإسناد لم يشك في صحته لثقة رواته وشهرتهم ، وقبول الأئمة أحاديثهم ، وعلته أن حسين الجعفيّ لم يسمع من عبد الرحمن بن يزيد بن تميم ، فلما حدث به حسين غلط في اسم الجد فقال : ابن جابر ، وقد بين ذلك الحفاظ ونبهوا عليه ، قال البخاري في (التاريخ الكبير)[1] : عبد الرحمن بن يزيد بن تميم السلمي[2] ، عن مكحول سمع منه الوليد بن مسلم ، عنده مناكير ويقال : هو الذى روى عنه أبو أسامة وحسين الجعفي ، وقال : هو ابن جابر وغلطا في نسبه ، ويزيد بن تميم أصح ، وهو ضعيف الحديث .

= (٤) (سنن الترمذي) : ٢ / ٣٥٩ ، أبواب الصلاة ، أبواب الجمعة ، باب (٣٥٣) ما جاء في فضل يوم الجمعة ، حديث رقم (٤٨٨) ، ولفظه : " خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة .." ، ثم قال الترمذى : وفي الباب عن أبي لبابة ، وسلمان ، وأبي ذر ، وسعد بن عبادة ، وأويس بن أوس ، قال : أبو عيسى : حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح .

(٥) (سنن النسائي) : ٣ / ١٠١ - ١٠٢ ، كتاب الجمعة ، باب (٥) إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة ، حديث رقم (١٣٧٣) .

(٦) (الإحسان بتقريب صحيح ابن حبان): ٣/١٩٠-١٩١ ، كتاب الرقائق ، باب (٩) الأدعية ، ذكر البيان بأن صلاة من صلى على المصطفي ﷺ من أمته تعرض عليه في قبره ، حديث رقم (٩١٠) .

(٧) (المستدرك) : ١ / ٤١٣ ، كتاب الجمعة ، حديث رقم (١٠٢٩) ، قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط البخاري ، ولم يخرجاه ، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : على شرط البخارى .

(١) (التاريخ الكبير) : ٥ / ٣٦٥ ، ترجمة رقم ١١٥٦ ، وهو الرحمن بن يزيد بن تميم المسلمى الشاميّ ، عن مكحول ، سمع منه الوليد بن مسبم ، عنده مناكير ، ويقال : هو روى عنه أهل الكوفة ، أبو أسامة وحسين ، فقالوا : عبد الرحمن بن يزيد بن جابر .

(٢) في (الأصل) : " الشامي "، وما أثبتناه من (المرجع السابق) .

[وقال الخطيب : روى الكوفيون أحاديث عبد الرحمن بن يزيد بن تميم ، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، ووهموا في ذلك ، فالحمل عليهم في تلك الاحاديث ، ولم يكن غير ابن تميم الذى اشار عمرو بن عليّ ، وأما ابن جابر فليس في حديثه منكر ، والله تبارك وتعالى أعلم . حُدِّثت عن دعلج بن أحمد ، قال : قال موسى بن هارون : روى أبو أسامة ، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، وإنما لقى عبد الرحمن بن يزيد بن تميم ، فظن أنه ابن جابر ، وابن جابر ثقة ، وابن تميم ضعيف] ، وأجيب عن هذا التعليل بأن حسين بن علي الجعفي قد صرح بسماعه له من عبد الرحمن بن يزيد بن جابر .

قال ابن حبان في (صحيحه) : حدثنا ابن خزيمة ، حدثنا ابن كريب ، حدثنا حسين بن علي ، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر فصرح بالسماع منه، وقوله : أنه ابن جابر وإنما هو ابن تميم فغلط في اسم جده فإنه قول بعيد فإنه لم يكن يشتبه على حسين بهذا مع نقضه وعلمه بها وسماعه منهما ، فإن قيل: فقد قال : حدثنا عبد الرحمن بن أبي حاتم في كتاب (العلل) سمعت أبي يقول : عبد الرحمن بن يزيد بن جابر لا أعلم أحداً من أهل العراق يحدث عنه ، والذى عندي أن الذى يروي عنه أبو أسامه وحسين الجعفيّ واحد ، وهو عبد الرحمن بن يزيد بن تميم ، لأن أبا أسامة روى عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامه خمسة أحاديث أو ستة أحاديث منكرة ، لا يحتمل أن يحدث عبد الرحمن بن يزيد بن جابر بمثلها ، ولا أعلم أحداً من أهل الشام روى عن ابن جابر من هذه الأحاديث شيئاً ، وأما حسين الجعفي فإنه روى عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، عن أبي الأشعث ، عن أوس بن أوس ، عن النبي ﷺ في يوم الجمعة ، وفيه الصاعقة ، وفيه النفخة وفيه كذا ، وهو حديث منكر لا أعلم أحدًا رواه غير حسين الجعفي ، وأما عبد الرحمن بن جابر ثقة . تم كلامه .

قيل : قد تكلم في سماع حسين الجعفيّ وأبي موسى من ابن جابر فأكثر الحديث ، هل أنكروا سماع أبي أسامة منه ؟ قال الحافظ أبو الحجاج المزيّ في (تهذيب الكمال) : قال ابن نمير وذكر أبا أسامة فقال : الذى يروى عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر نرى أنه ليس بابن جابر المعروف ، ذكر لى أنه رجل

يسمى بابن جابر ، قال يعقوب : وكأني رأيت ابن نمير يتهم أبا اسامة أنه علم ذلك وعرف ، ولكن تفاضل عن ذلك .

قال : وقال لى ابن نمير : ألا ترى روايته لا تشبه سائر أحاديثه الصحاح التي روى عنه أهل الشام وأصحابه ؟ وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم : سألت محمد بن عبد الرحمن بن أخي حسين الجعفيّ ، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر بعد ذلك بدهر ، فالذى يحدث عنه أبو أسامة ليس هو ابن جابر وهو ابن تميم .

وقال ابن أبي داود : سمع أبو اسامة من ابن المبارك ، عن ابن جابر ، وجميعاً يحدثان عن مكحول ، وابن جابر أيضاً دمشقيّ ، فلما قدم هذا قال : أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد الدمشقيّ وحدث عن مكحول ، فظن أبا أسامة أنه ابن جابر الذى روى عنه ابن المبارك ، وابن جابر ثقة مأمون ، يجمع حديثه وابن تميم ضعيف ، وقال أبو داود : متروك الحديث ، حدث عنه أبو أسامة وغلط في اسمه فقال : حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر الشاميّ وكل ما جاء عن أبي أسامة ، عن عبد الرحمن بن يزيد فإنما هو ابن تميم .

وأما رواية حسين الجعفيّ ، عن ابن جابر فقد ذكره المزيّ في كتاب (التهذيب) ، فقال : روى عنه حسين بن عليّ الجعفيّ وأبو أسامة حماد بن أسامة إن كان محفوظاً فجزم برواية حسين ، عن ابن جابر ، وشك في رواية حماد .

وقد ذكر الدارقطنيّ أيضًا . فقال : في كلامه على كتاب أبي حاتم في الضعفاء قوله : حسين الجعفيّ روى عن عبد الرحمن بن يزيد بن تميم خطأ الذى يروي عنه حسين هو عبد الرحمن بن يزيد بن تميم فغلط في اسم جده فهذا ما ظهر في جواب هذا التعليل .

وللحديث علة أخرى : وهى أن عبد الرحمن بن يزيد لم يذكر سماعه من أبي الأشعث . قال عليّ بن المدينيّ : حدثنا الحسين بن عليّ الجعفيّ حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر سمعته يذكر عن أبي الأشعث الصنعاني ، عن أوس ابن أوس فذكره . قال إسماعيل بن إسحاق في كتابه: حدثنا علي بن عبد الله فذكره .

وليست هذه العلة بعلة قادحة ، فإن للحديث شواهد من حديث أبي هريرة ، وأبي الدرداء ، وأبي أمامة ، وأبي مسعود الأنصاريّ ، وأنس بن مالك ، والحسن ، عن النبي ﷺ مرسلاً .

فأما حديث أبي هريرة
رضي الله تبارك وتعالى عنه

رواه مالك عن ابن الهاد ، عن محمد بن إبراهيم ، عن أبي سلمة عنه قال : قال ﷺ: خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة خلق فيه آدم ، وفيه أهبط ، وفيه تيب عليه ، وفيه مات ، وفيه تقوم الساعة ، وما من دابة إلا هى مصيخة يوم الجمعة ، من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقاً من الساعة ، إلا الجن والإنس ، وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه . فهذا الحديث الصحيح مؤيد لحديث أوس بن أوس ، وقال علي مثل معناه .

وأما حديث أبي الدرداء[1]
رضي الله تبارك وتعالى عنه

ففي (الثقفيات) : أنبأنا أبو بكر بن محمد بن إبراهيم بن علي بن المقريء ، أنبأنا أبو العباس محمد بن الحسين بن قتيبة العسقلانيّ ، أخبرني عمر ابن سعيد بن أبي هلال ، عن زيد بن أيمن ، عن عباده بن نسي ، عن أبي الدرداء قال : قال : رسول الله ﷺ : أكثروا الصلاة عليّ يوم الجمعة فإنه يوم مشهود ، تشهده الملائكة ، وإن أحدًا لا يصلي عليّ يوم الجمعة إلا عرضت عليّ صلاته حتى يفرغ قال : قلت : وبعد الموت ؟ قال : إن الله حرم على الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء ، فنبيّ الله حيّ يرزق .

وخرجه الطبرانيّ من طريق سعيد بن أبي مريم . حدثنا يحيى بن أيوب ، عن خالد بن زيد ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ أكثروا الصلاة : على يوم الجمعة فإنه يوم مشهود ، تشهده الملائكة ليس من عبد يصلي عليّ إلا بلغني صوته حيث كان . قلت : وبعد وفاتك ؟ قال : وبعد وفاتي ، إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، وخرجه ابن ماجة أيضاً[2] .

---

(١) هو أبو الدرداء الأنصاريّ ، واسمه عويمر ، وقيل : اسمه عامر ، وعويمر لقب . ترجمته في (الإصابة) : ١٢١/٧ ، ترجمة رقم (٩٨٦٠) .

(٢) (سنن ابن ماجة) : ٣٤٥/١ ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب (٧٩) في فضل الجمعة ، حديث رقم (١٠٨٥) .

وأما حديث أبي أمامة[1]
رضي الله تبارك وتعالى عنه

فخرجه البيهقيّ من طريق إبراهيم بن الحجاج ، حدثنا حماد بن سلمة عن برد بن سنان ، عن مكحول الشامي ، عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : أكثروا الصلاة علي فى كل يوم جمعة . فمن كان أكثرهم صلاة علي كان أقربهم منى منزلة[2] . وقد تكلم في برد بن سنان[3] ، ووثقة يحيى بن معين ، وغيره ، وقيل مع ذلك : إن مكحولاً لم يسمع من أبي أمامة بهذا على هذا الحديث .

---

(١) هو أبو أمامة الباهليّ ، صديّ بن عجلان بن الحارث ، وقيل : عجلان بن وهب . سكن مصر ، ثم انتقل منها فسكن حمص من الشام ومات بها . وكان من المكثرين فى الرواية ، وأكثر حديثه عند الشاميين . توفي سنة (٨١) ، وقيل : سنة (٨٦) .(أسماء الصحابة الرواة) : ٤٨ - ٤٩ ، ترجمة رقم (١٧) .

(٢) (شعب الإيمان) : ٣/١١٠ ، باب فى الصلوات ، فضل الصلاة على النبيّ ﷺ ليلة الجمعة ، حديث رقم (٣٠٣٢) .

(٣) هو برد بن سنان الشاميّ أبو العلاء الدمشقيّ مولى قريش، ترجمته فى (تهذيب التهذيب) : ٣٧٥/١، ترجمة رقم (٧٩٠) .

وأما حديث أنس[1]
رضي الله تبارك وتعالى عنه

فخرجه الطبرانيّ من طريق نصر بن عليّ ، حدثنا النعمان بن أبى عبد السلام ، حدثنا أبو طلال عن أنس قال : قال : رسول الله ﷺ أكثروا الصلاة عليّ يوم الجمعة فإنه أتاني جبريل آنفاً عن ربه عز وجل فقال : ما على الأرض مسلم يصلي عليك مرة واحدة إلا صليت عليه أنا وملائكتى عشراً[2] . فقال : محمد بن إسماعيل العرقيّ : حدثنا جبارة بن مغلس . حدثنا أبو إسحاق حازم عن يزيد الرقاشيّ عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ أكثروا الصلاة على يوم الجمعة فإن صلاتكم تعرض عليّ[3] .

وهذان الحديثان وإن كانا ضعيفين فيصلحان للاستشهاد . ورواه ابن على السرى . حدثنا داود بن الجراح . حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة . عن أنس عن النبيّ ﷺ أكثروا الصلاة عليّ يوم الجمعة . وكان الصحابة – رضي الله تبارك وتعالى عنه – يستحبون إكثار الصلاة على النبى ﷺ يوم الجمعة. قال محمد ابن يوسف العابد عن الأعمش عن يزيد بن وهب قال : قال : ابن مسعود حدثنا زيد ابن وهب : لا ندع إذا كان يوم الجمعة أن نصلي على النبيّ ﷺ ألف مرة، نقول: اللهم صل على محمد النبيّ الأميّ .

---

(١) هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عديّ بن النجار – واسمه تيم الله – بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة أبو حمزة الأنصاريّ ، الخزرجيّ النجاريّ ، من بني عديّ بن النجار ، خادم رسول الله ﷺ . أمه : أم سليم بنت ملحان . (أسماء الصحابة الراوة) : ٣٩ ، ترجمة رقم (٣) .

(٢) (كنز العمال) : ٥٠٠/١ ، حديث رقم (٢٢٠٩) ، (٢٢١٠) وعزاهما إلى الطبرانيّ عن أنس بن أبي طلحة .

(٣) (المرجع السابق) : حديث رقم (٢٢٣٥) وعزاه إلى أبي عبد الله الحاكم فى (المستدرك) ، والبيهقيّ فى (الشعب) عن أبي مسعود الأنصاريّ ، وحديث رقم (٢٢٣٦) وعزاه إلى الطبراني فى (الأوسط) عن أبي هريرة .

وأما حديث الحسن[1]
رضي الله تبارك وتعالى عنه

فخرَّج أبو يعلي فى (مسنده) من طريق أبي بكر الحنفيّ ، حدثنا عبد الله بن نافع أنبانا العلاء بن عبد الرحمن . قال : سمعت الحسن بن عليّ بن أبي طالب - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : صلوا في بيوتكم ولا تتخذوها قبورًا . ولا تتخذوا بيتي عيدًا . صلوا علي وسلموا فإن صلاتكم وسلامكم تبلغني أياً ما كنتم[2] . ولكن قد رواه مسلم بن عمر[3] عن عبد الله بن نافع عن ابن أبي ذئب عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ أنه قال : لا تجعلوا بيوتكم قبورًا . ولا تجعلوا قبري عيدًا . وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث ما كنتم[4] . وهذا أشبه . ولهذا جعلت لحديث أنس علة .

---

(١) هو الحسن بن علي بن أبى طالب ، سبط رسول الله ﷺ .

(٢) (كنزالعمال) : ٢٩٠/١٥ ، الصلاة فى البيت ، حديث رقم (٤١٥٠٦) وعزاه إلى أبـي يعلـي ، والضياء ، عن الحسن بن عليّ رضي الله تبارك وتعالى عنهما .

(٣) هو مسلم بن عمرو بن مسلم بن وهب الحذاء أبو عمرو المدينيّ ، وروى عن عبد الله بن نافع الصائغ ، وعنه الترمذيّ والنسائيّ ، وأبو بكر بن صدقة البغداديّ ، وعامر بن محمد القرطبيّ ، ومحمد بن أحمد بن نصر الترمذيّ ومحمد بن أحمد بن أبى خيثمة . ويحى بن الحسن النسابة ، ويحى بن محمد بن صاعد ، قال النسائيّ : صدوق . قلت: وكذا قال مسلمة ، وأخرج ابن خزيمة عنه فى (صحيحه) . (تهذيب التهذيب) : ١٢١/١٠ ، ترجمة رقم (٢٤٥) .

(٤) (كنز العمال) : ٣٩١/١٥ ، الصلاة فى البيت ، حديث رقم (٤١٥١٢) ، وعزاه إلى أبـي داود فى (السنن) : ٥٣٤/٢ ، كتاب الحج ، باب (١٠٠) زيارة القبور ، حديث رقم (٢٠٤٢) ، وفيه: " فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم" .

وخرَّج الطبرانيّ فى (المعجم الكبير)[1] مـن طريـق أحمـد بـن رشـدين المصرى ، حدثنا سعيد بن إبراهيم . حدثنا محمد بن جعفر ، أخبرنى حميد بـن أبى زين عن حسن بن علي بن أبي طالب – رضي اللـه تبـارك وتعـالى عنـه – عن أبيه أن الرسول ﷺ قال : حيثما كنتم فصلوا عليّ وصلاتكم تبلغنى .

وله من حديث موسى بن عمير، عن مكحول عن أبى أمامة ، قال : قـال رسول الله ﷺ : من صلى عليّ صلى الله عليه عشراً ، وملك موكـل بهـا حتـى يبلغنيها[2] .

وخرَّج أبو الشيخ الأنصاريّ من حديـث أبـي كريـب حدثنـا قبيصـة عـن نعيم بن ضمضم ، قال : قال لـى عمـران بـن حمـيري : ألا أحدثـك عـن خليلـى عمار ابن ياسر ؟ قلت : بلى ، قال : قـال سـول اللـه ﷺ : إن للـه ملكـاً أعطـاه أسماع الخلائق ، وهو قائم على قبري ، إذا مت فليس أحد يصلي عليّ صلاة إلا قال : يا محمد صلى عليك فلان . قال : فليصلي الرب تبارك وتعالى علـى ذلـك الرجل بكل صلاة عشراً[3] .

---

(١) (كنز العمال) : ٤٨٩/١ ، الباب السادس فى الصلاة عليه وآله ، حديث رقم (٢١٤٧) وعـزاه إلى الطبراني عن الحسن بن عليّ رضي الله تبـارك وتعـالى عنـه ، وأخرجـه الإمـام أحمـد فـى (المسند) : ٥٧/٣ ، حديث رقم (٨٥٨٦) من حديث أبي هريرة ، بسياقة أتم .

(٢) (كنز العمال) : ٥٠٠/١ ، حديث رقم (٢٢٠٧) ، وعزاه إلى الطبرانيّ عن أبي أمامة .

(٣) (المطالب العاليـة) : ٢٢٢/٣ – ٢٢٣ ، كـتاب الأذكـار والدعـوات ، بـاب الصـلاة عـلى النبيّ ﷺ ، حديث رقم (٣٣١٨) . وقال فى هامشه : قال البوصيري : رواه الحارث ، والبزار ، وأبو الشيخ ، وذكر ألفاظهم .

قال : ورواه الطبرانيّ ، قال المنذريّ : رووه كلهم عن نعيـم بـن ضمضـم ، وفيـه خـلاف عـن عمـران بـن الحميرى ولا يعرف ، قـال البوصـيريّ : عمـران هـذا ذكـره ابـن حبـان فـى (صحيحه) وقال البخاريّ : لا يتابع على حديثه .

وخرَّج الطبراني في (المعجم الكبير)(1) من طريق عثمان بن أبي شيبة . حدثنا أبو كريب . حدثنا قبيصة بن عقبة عن نعيم بن ضمضم عن الحميري قال : قال لي عمار : ألا أحدثك عن حبيبي نبي الله ؟ قلت : بلى ، قال : قال رسول الله ﷺ : يا عمار إن لله ملكاً أعطاه أسماع الخلائق كلها وهو قائم على قبري إلى يوم القيامة ، فليس أحد من أمتي يصلي علي صلاة إلا سماه باسمه واسم أبيه ، قال : يا محمد صلى عليك فلان هكذا وكذا . فيصلي الرب على ذلك الرجل بكل واحدة عشراً .

ومن حديث عبد الرحمن بن صالح الكوفي . حدثنا نعيم بن ضمضم عن خال له يقال له : عمران الحميري ، قال : سمعت عمار بن ياسر يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن لله ملكاً أعطاه سمع العباد [كلهم](2) فليس من أحد يصلي علي صلاة إلا أبلغنيها ، وإني سألت ربي أن لا يصلي علي عبد صلاة إلا صلى الله عليه عشر أمثالها(3) .

وقال إبراهيم بن رشيد بن مسلم : حدثنا عمر بن حبيب القاضي ، حدثنا هشام بن عروة عن أبيه ، عن عائشة – رضي الله تبارك وتعالى عنها – قالت: قال رسول الله ﷺ : ما من عبد صلى عليّ صلاة إلاعرج بها ملك حتى يبحث بها وجه الرحمن عز وجل فيقول ربنا تبارك وتعالى : اذهبوا بها إلى عبدى يستغفر لصاحبها وتقرّ بها عينه .

وخرَّج إسماعيل بن إسحاق فى كتابه من طريق هشيم . قال : حدثنا حصين بن عبد الرحمن عن يزيد الرقاشيّ قال : إن ملكا موكل يوم الجمعة من

---

(1) (سلسلة الأحاديث الصحيحة) : 4/44 ، من فضل الصلاة عليه ﷺ ، ذكره الشيخ الألباني شاهداً على صحه الحديث رقم (1530) ، ولفظه : أكثروا الصلاة عليّ ، فإن الله وكل بى ملكاً عند قبري، فإذا صلى علي رجل من أمتي قال لي ذلك الملك : يا محمد ، إن فلان بن فلان صلى عليك الساعة.

(2) زيادة للسياق من (ميزان الإعتدال) .

(3) (ميزان الاعتدال) : 1/213 ، ترجمة إسماعيل بن إبراهيم أبو يحيى التميمي الكوفي ، ترجمة رقم (829) ، ثم قال: تفرد به إسماعيل إسناداً ومتناً .

صلى على النبي ﷺ يبلغ النبي يقـول : إن فلانـا مـن أمتـك يصلـي عليـك . هـذا موقوف .

ومن طريق مبارك عن الحسن عن النبى ﷺ قال : أكثروا الصلاة علـيّ يوم الجمعة ، ومن طريق وهب عن أيوب قال : بلغني والله أعلم أن ملكاً موكـل بكل من صلى على رسول الله ﷺ حتى يبلغه النبى ﷺ .

ومن طريق إبراهيم بن حمزة . حدثنا عبد العزيز بن محمـد عبد سـهيل قال : جئت أسلم على النبي ﷺ وحسن وحسين يتعشيان فى البييت عنـد رسـول الله ﷺ فدعانى فجئته فقال: ادن فتعشَّ فقلت : لا أريد ، قال لـى : مـالي رأيتـك وقفت ؟ قال : وقفت أسلم على النبى ﷺ . قال : إذا دخلت المسجد فسلم عليه ثـم قال : إن رسول الله ﷺ قال : صلوا في بيوتكم ولاتجعلـوا بيوتكـم قبـوراً ، لعـن الله يهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، وصلوا عليّ إن صلاتكم تبلغنى حيث مـا كنتم[1] .

(١) سبق تخريجه .

السابعة والثمانون من خصائصه ﷺ :
أن من ذكر عنده فلم يصلّ عليه بَعُدَ وَرَغم أنفُه وخَطِئَ طريق الجنة

خرَّج الحاكم فى (المستدرك)[1] من طريق محمد بن إسحاق الصغانيّ، حدثنا ابن أبى مريم . حدثنا محمد بن هلال . حدثني سعد بن إسحاق بن كعب ابن عجرة عن أبيه عن كعب بن عجرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : أحضروا [المنبر] فأحضرنا فلما ارتقى درجة قال : آمين . ثم ارتقى الدرجة الثانية . فقال : آمين . ثم ارتقى الدرجة الثالثة . فقال : آمين . فلما فرغ نزل عن المنبر فقلنا : يا رسول الله لقد سمعنا . منك اليوم شئياً ما كنا نسمعه! فقال : إن جبريل عرض لي . فقال : بعد من أدرك رمضان ولم يغفر له . فقلت : آمين . فلما رقيت الثانية قال : بعد من ذكرت عند فلم يصل عليك . فقلت : آمين . فلما رقيت الثالثة قال : بعد من أدرك والديه الكبر أو أحدهما فلم يدخلاه الجنه . فقلت : آمين . قال الحاكم : صحيح الإسناد [ولم يخرجاه] .

وخرَّج الترمذيّ من طريق ربعيّ بن إبراهيم عن عبد الرحمن بن إسحاق عن سعيد بن أبى سعيد المقبريّ . عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : رغم أنف الرجل ذكرت عنده فلم يصل عليّ ، ورغم أنف [الرجل] دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له ، ورغم أنف [الرجل] أدرك أبواه عنده الكبر فلا يدخلاه الجنة . [قال عبد الرحمن : وأظنه قال: أو أحدهما] . قال الترمذيّ : وفى الباب عن جابر وأنس ، وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، وربعيّ بن إبراهيم هو أخو إسماعيل بن إبراهيم ، وهو ثقة ، وهو ابن عُلّية.

---

(١) (المستدرك) : ١٧٠/٤ ، حديث رقم (٧٢٥٦) ، وفيه : " بُعدًا لمن " ، ومابين الحاصرتين زيادة للسياق من (المستدرك) ، وقال الحافظ الذهبي فى (التلخيص) : صحيح .

ويروى عن بعض أهل العلم قال : إذا صلى الرجل على النبيّ ﷺ مرة في المجلس أجزأ ما كان في ذلك المجلس[١] .

ورواه الحاكم في (المستدرك)[٢] ، وعبد الرحمن بن إسحاق[٣] احتج به مسلم ، وقال فيه أحمد بن حنبل : صالح الحديث ، وتكلم فيه بعضهم ، وقال فيه أبو داود : ثقة إلا أنه قدريّ .

ورواه إسماعيل بن إسحاق القاضي من حديث عبد العزيز بن أبي حاتم عن كثير بن زيد عن الوليد بن رباح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ رقى المنبر ، فقال : آمين آمين آمين فقيل له : يا رسول الله ما كنت تصنع هذا فقال : قال لي جبريل : رغم أنف رجل دخل عليه رمضان ولم يغفر له . فقلت : آمين . ثم قال : رغم أنف الرجل أدرك أبوية أو أحدهما الكبر ولم يدخل الجنة ، فقلت : آمين . ثم قال : رغم أنف عبد ذكرت عنده فلم يصل عليك ، فقلت : آمين. كثير بن زيد[٤] وثقه ابن حبان وقال أبو زرعة : صدوق وقد تكلم فيه .

---

(١) (سنن الترمذي) : ٥/٥١٤ - ٥١٥ ، كتاب الدعوات ، باب (١٠١) قول رسول الله ﷺ : رغم أنف رجل ، حديث رقم (٣٥٤٥) ومابين الحاصرتين تصويبات وزيادات للسياق منه .

(٢) (المستدرك) : ١/٧٣٤ ، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر ، حديث رقم (٢٠١٦)، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : صحيح .

(٣) هو عبد الرحمن بن إسحاق بن عبد الله بن الحارث العامريّ ، مولاهم ، ويقال : الثقفي المدنيّ، ويقال له : عباد بن إسحاق . قال ابن خزيمة : ليس به بأس ، وذكره ابن حبان في (الثقات) ، وقال ابن عديّ : في حديثه بعض ما ينكر ، ولا يتابع عليه ، والأكثرون منه صحاح ، وهو صالح الحديث كما قال أحمد ، وقال الدارقطني : يرمى بالقدر . وحكى الترمذي في (العلل) عن البخاريّ أنه وثقه . (تهذيب التهذيب) : ٦/١٢٥ - ١٢٦ ، ترجمة رقم (٢٨٥) .

(٤) هو كثير بن زيد الأسلميّ ثم السهميّ مولاهم ، وأبو محمد المدني ، يقال له : ابن صافنة ، وهي أمه. قال ابن عديّ: تروى عنه نسخ ، ولم أر به بأساً ، وأرجو أنه لا بأس به . وذكره ابن حبان في (الثقات) ، وقال ابن سعد : توفي في خلافة أبي جعفر ، وكان كثير الحديث ، وقال خليفة : توفي في آخر خلافة أبي جعفر سنة (١٥٨) .

ورواه ابن حبان فى (صحيحه)[1] من حديث محمد بن عمر ، وعن سلمة عن أبى هريرة فذكره . وقال : وما من عبد ذكرت عنده فلم يصل عليك فماتفدخل النار فأبعده الله. قل : آمين . فقلت : آمين .

ومحمد بن عمرو[2] هذا خرَّج له البخاريّ ومسلم فى المتابعات ، ووثقه ابن معين وصحَّح له الترمذيّ .

ورغم بكسر الغين المعجمة أى لصق بالتراب وهو الرغام ، وقال ابن الأعرابى : هو بفتح الغين ومعناه ذلَّ عن كره . يقال : أرغمه الذل ، ويكون معناه حطه من عزة إلى مقام الذل ، وكنى عنه بالتراب[3] .

وقال : الفريابى : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا الفضل بن دكين ، حدثنا سلمة بن وردان، قال : سمعت أنسًا يقولّ : ارتقى رسول الله ﷺ المنبر فرقي درجة فقال : آمين ، ثم ارتقى درجة فقال : آمين ، ثم ارتقى الثالثة . فقال :

= قال الحافظ ابن حجر : وجزم ابن حبان بوفاته فيها . وقال أبو جعفر الطبريّ : وكثير بن زيد عندهم ممن لا يحتج بمثله . (تهذيب التهذيب) : ٣٧٠/٨ - ٣٧١ ، ترجمة رقم (٧٤٥) .

(١) (الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان) : ١٨٨/٣ ، كتاب الرقاق ، باب الأدعية ، ذكر رجاء دخول الجنان المصلى على المصطفى ﷺ عند ذكره مع خوف دخول النيران عند إغضائه عنه كلما ذكر ، حديث رقم (٩٠٧) ، وإسناده حسن .

(٢) هو محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي المدني ، قال الحافظ فى (التقريب) : صدوق له أوهام . (هامش المرجع السابق) .

(٣) وفى الحديث : إذا صلى أحدكم فليلزم جبهته وأنفه الأرض حتى يخرج منه الرغام ، وفى معناه يخرج ويذل منه كبر الشيطان ، وتقول : فعلت ذلك على الرغم من أنفه .

وفى الحديث أنه عليه السلام ، قال : رغم أنفه ثلاثاً ، وقيل : من يا رسول الله ؟ قال : من أدرك أبويه أو أحدهما حيًا ولم يدخل الجنة .

وفى الحديث : وإن رغم أنف أبى الدرداء ، أى وإن ذلّ ، وقيل : وإن كره .

وفى حديث أسماء : إن أمى قدمت علىّ راغمة مشركة ، أفأصلها ؟ قال : نعم ، لما كان العاجز الذليل لا يخلو من غضب ، وراغمة أى غاضبة ، تريد أنها قدمت على غضبي لإسلامى وهجرتي ، متسخطة لأمرى . (لسان العرب): ٢٤٦/١٢ ، مختصراً .

آمين ، ثم استوى فجلس فقال : أصحابه : أي رسول الله ! على ماذا أمنت ؟ قال : جاءني جبريل فقال : رغم أنف امريءٍ أدرك أبويه أو أحدهما فلم يدخل الجنة . فقلت : آمين ، ورغم أنف امريءٍ أدرك رمضان فلم يغفر له ، قلت: آمين ، ورغم أنف امريءٍ ذكرت عنده فلم يصل عليك ، قلت : آمين .

ورواه أبو بكر الشافعي عن معاذ حدثنا القعنبى ، حدثنا سلمة بن وردان فذكره ، وسلمة بن وردان[1] هذا لين الحديث قد تكلم فيه ، وليس ممن يطرح حديثه ، لا سيما وله شواهد وهو معروف من حديث غيره .

وقد روي من طريق قيس بن الربيع عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال : صعد النبى ﷺ المنبر فقال : آمين . آمين ، فقيل : يا رسول الله ما كنت تصنع هذا ، فقال : قال لى جبريل فذكر الحديث وقال فيه : يا محمد من ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله ، قل : آمين . فقلت : آمين .

وقيس بن الربيع[2] صدوق بستي كان شعبة يثنى عليه ، وقال أبو حاتم : محله الصدق وليس بالقويّ . وقال ابن عديّ : عامة رواياته مستقيمة ، وأصل

---

(١) هو سلمة بن وردان الليثى الجندعي مولاهم أبو يعلى المدنى ، رأى جابر بن عبد الله ، وسلمة بن الأكوع .

قال أبو داود والنسائي : ضعيف ، وقال ابن عدي : وفى متون بعض ما يرويه مناكير ، خالف سائر الناس. وقال ابن سعد : قد رأى عدة من الصحابة ، وكانت عنده أحاديث يسيرة ، وكان ثبتاً فيها ، ولا يحتج بحديثه ، وبعضهم يستضعفه .

قال ابن شاهين فى (الثقات) : وقال أحمد بن صالح : هو عندي ثقة صالح الحديث . قال ابن حبان: كان يروي عن أنس أشياء لا تشبه حديثه ، وعن غيره من الثقات مالا يشبه حديث الأثبات ، وكأنه كان قد حطمه السن ، فكان يأتي بالشئ على التوهم ، حتى خرج عن حد الاحتجاج.

وقال الحاكم : حديثه عن أنس مناكير أكثرها . وقال العجليّ والدارقطنيّ : ضعيف . مات فى خلافة أبى جعفر سنة (١٠٦) . (تهذيب التهذيب) : ٤/١٤٠ - ١٤١ ، ترجمة رقم (٢٧٥). =

هذا الحديث قد روي من حديث أبي هريرة وكعب بن عجرة وابن عباس وأنس ومالك بن الحويرث وعبد بن جزء والزبيدى ، وجابر بن سمرة وقد تقدم حديث أبى هريرة ، وجابر بن سمرة وكعب بن عجرة . وانس .

وأما مالك بن الحويرث[1] فقال أبو حاتم البستي فى (صحيحه) : حدثنا عبد الله بن صالح البخاريّ ببغداد ، حدثنا الحسين بن عليّ الحرانى ، حدثنا عمران بن أبان حدثنا مالك بن الحسين بن مالك بن الحويرث عن أبيه عن جده قال : صعد رسول الله ﷺ المنبر فلما رقى عتبة قال : آمين . ثم رقى عتبة أخرى وقال : آمين ثم رقى عتبة أخرى ، وقال آمين . ثم قال : أتانى جبريل عليه السلام وقال : يا محمد من أدرك رمضان فلم يغفر له فأبعده الله ، قلت : آمين . قال : ومن أدرك والديه أو أحدهما فدخل النار فأبعده الله قلت . آمين . قال : ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فأبعده الله . قلت : آمين .

= (٢) هو قيس بن الربيع الأسديّ ، وأبو محمد الكوفيّ ، من ولد قيس بن الحارث بن قيس الأسديّ ، والذى أسلم وعنده ثمان نسوة ، وفى رواية تسع نسوة .

قال جعفر بن أبان الحافظ : سألت ابن نمير عن قيس بن الربيع فقال : كان له ابن هو آفته . وقال أبو داود الطياسيّ : إنما آفته من قبل ابنه : كان ابنه يأخذ أحاديث الناس فيد خلها فى مرج كتاب قيس ولا يعرف الشيخ ذلك . مات سنة (٦٠١) . (تهذيب التهذيب) : ٣٥٠/٨ - ٣٥٣، ترجمة رقم (٦٩٨) .

(١) هو مالك بن الحويرث بن حشيش بن عوف بن جندع أبو سليمان الليثيّ الصحابيّ ، وقيل فى نسبه غير ذلك .

روى عن النبيّ ﷺ ، وعنه أبو قلابة الجرميّ ، وأبو عطية مولى بنى عقيل ، ونصر بن عاصم الليثيّ ، وسوار الجرميّ . ذكر ابن عبد البر أنه توفي سنة أربع وتسعين ، وتبعه على ذلك ابن طاهر وغيره ، وفيه نظر ، بل لا يصح ذلك ، لاتفاقهم على أن آخر من مات بالبصرة من الصحابة أنس بن مالك رضي الله تبارك وتعالى عنه ، حتى إن ابن عبد البر ممن صرح بذلك . (تهذيب التهذيب) : ١٢/١٠ ترجمة رقم (١٣) .

وأما حديث عبد الله بن جزء الزبيديّ[1]
رضي الله تبارك وتعالى عنه

فقال جعفر الفريابي : حدثنا عبد الله بن يوسف . حدثنا ابن لهيعة عن عبد الله بن يزيد الضعيف . عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيديّ أن رسول الله ﷺ دخل المسجد فصعد المنبر . فلما صعد أول درجة قال : آمين ثم صعد الثانية . فقال : آمين . ثم صعد الثالثة فقال : آمين ، فلما نزل . قيل له : رأيناك صنعت شيئاً ما كنت تصنعه ؟ فقال : إن جبريل تبدى لى فى أول درجة فقال : يا محمد من أدرك والديه فلم يدخلاه الجنة فأبعده الله ، ثم أبعده ، فقال : قل : آمين . فقلت : آمين . ثم قال فى الثانية : من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له . فأبعده الله ، ثم أبعده ، فقلت : آمين . وقال فى الثالثة : ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فأبعده الله ، ثم أبعده : فقلت : آمين ! .

---

(١) هو عبد الله بن الحارث بن جزء بن عبد الله بن معدي كرب بن عمرو بن عصم بن عمرو بن عويج بن عمرو بن زيد الزبيديّ . حليف أبي وداعة السهمى ، وله صحبة ، وروى عن النبي ﷺ أحاديث حفظها ، وسكن مصر ، فروى عنه المصريون ، ومن آخرهم : يزيد بن أبي حبيب. توفي سنة (٨٥) أو (٨٨) . (أسماء الصحابة الرواة) : ١٣٢ ، ترجمة رقم (١٣٧) .

وأما حديث ابن عباس[1]
رضي الله تبارك وتعالى عنه

فخرجه الطبرانيّ من حديث ابن هارون العكلى حدثنا محمد بن فضيل عن يزيد بن أبى زياد عن مجاهد عن ابن عباس قال : بينما النبي ﷺ على المنبر إذ قال : آمين ثلاث مرات فسئل عن ذلك فقال : أتانى جبريل فقال : من ذكرت عنده فلم يصل عليك فأبعده الله قل : آمين فقلت : آمين ، قال : ومن أدرك والديه أو أحدهما فمات فلم يغفر له فأبعده الله ، قل : آمين فقلت : آمين . قال : ومن أدرك رمضان فلم يغفر له فأبعده الله ، قل : آمين . فقلت : آمين .

وروى محمد بن حمدان المرزوى ، حدثنا عبد الله بن خبيق ، حدثنا يوسف بن أسباط عن سفيان الثورى عن رجل عن زر عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ من لم يصل عليّ فلا دين له[2] .

وخرَّج الطبرانيّ من طريق عبيدة بن حميد . قال : حدثنى فطر بن خليفة عن أبى جعفر محمد بن حسين عن أبيه عن جده حسين بن عليّ عليهما السلام . قال : قال رسول الله ﷺ : من ذكرت عنده فخطئ الصلاة عليّ خطئ طريق الجنة[3] . وعلة هذا الحديث أن ابن أبى عاصم عن أبي بكر بن أبي شيبة . حدثنا جعفر بن غياث عن جعفر بن محمد عن أبيه عن النبيّ ﷺ مرسلا

---

(١) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف أبو العباس القرشيّ الهاشميّ ابن عم رسول الله ﷺ. أمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية .

ولد وبنو هاشم بالشعب ، قيل الهجرة بثلاث ، وقيل بخمس ، كان يسمى البحر لسعة علمه ، ويسمى حبر الأمة ، ويسمى ترجمان القرآن ، وهو من صغار الصحابة . توفى النبى ﷺ وله على الأرجح ثلاث عشرة سنة . توفى بالطائف سنة (٦٨) وله (٧٤) سنة . (أسماء الصحابة الرواة) : ٤٠ ، ترجمة رقم (٥) .

(٢) (مجموعة الأحاديث الضعيفة للألبانيّ) : حديث رقم (٢١٤) .

(٣) (كنز العمال) : ٥٠٨/١ ، حديث رقم (٢٢٥٠) ، وعزاه إلى الطبراني عن ابن عباس ، وعبد الرزاق عن محمد بن علي مرسلاً ، ولفظه : من نسى الصلاة عليّ خطئ طريق الجنة .

ورواه عمر بن جعفر بن غياث عن أبيه عن محمد بن عمر عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ، ورواه إسماعيل بن إسحاق عن إبراهيم بن الحجاج حدثنا عن جعفر بن محمد عن أبيه عن النبى ﷺ مرسلاً ، ورواه علي بن المدينيّ . حدثنا سفيان . قال : قال عمر عن محمد بن عليّ بن حسين عن النبى ﷺ مرسلاً قال : قال سفيان : قال رجل بعد عمر : سمعت محمد بن علي يقول: قال رسول الله ﷺ ثم سمى سفيان الرجل وقال : هو بسام وهو الصيرفى : ذكره إسماعيل عن عليّ وقال : حدثنا سليمان بن حرب وحازم قالا : حدثنا حماد بن زيد عن عمر عن محمد بن عليّ قال : قال رسول الله ﷺ مرسلاً وله شاهد من حديث عبد الله بن عباس رواه الطبرانيّ عن عبدان بن أحمد ، حدثنا جبارة بن مغلس حدثنا حماد بن زيد عن عمر بن دينار عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : من نسي الصلاة علىّ خطىء [به] طريق الجنة[1] . ورواه ابن ماجة عن جبارة بن مغلس ، وجبارة بن المغلس الحمانيّ الكوفيّ أبو محمد ، كان ممن إذا وضع له الحديث حدث به وهو لا يشعر، وهذا المعنى قد روى من حديث أبي هريرة – رضي الله تبارك وتعالى عنه – وحسين بن على ومحمد بن الحنفية وابن عباس ، وتقدم حديث حسين بن عباس .

---

(١) (شعب الإيمان) : ٢/٢١٥ – ٢١٦ ، باب فى تعظيم النبى ﷺ و إجلاله وتقديره ، حديث رقم (١٥٧٣) ، (١٥٧٤)، وما بين الحاصرتين زياده للسياق منه .

وأما حديث محمد بن الحنفية(١)
رضي الله تبارك وتعالى عنه

فقال ابن أبي عاصم في كتاب (الصلاة على النبى) ﷺ : حدثنا أبو بكر حدثنا حفص بن غياث عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : قال : رسول الله ﷺ من ذكرت عنده فنسي الصلاة عليّ خطئ طريق الجنة(١) .

وأما حديث أبي هريرة
رضي الله تبارك وتعالى عنه

فقال عبد الخالق بن الحسن السقطيّ : حدثنا محمد بن سلمان بن الحارث ، حدثنا عمرو بن حفص بن غياث ، حدثنا أبي عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : من نسي الصلاة على خطئ طريق الجنة(٢) .

---

(١) هو محمد بن عليّ بن أبي طالب الهاشميّ أبو القاسم ، والمعروف بابن الحنفية ، وهى خولة بنت جعفر بن قيس ، من بنى حنيفة ويقال من مواليهم ، سبيت فى الردة من اليمامة .

وقال العجلى : تابعيّ ثقة ، وكان رجلاً صالحاً يكنى أبا القاسم ، قال ابن حبان : كان من أفاضل بيته . (تهذيب التهذيب) : ٧/٣١٥ - ٣١٦ ، ترجمة رقم (٥٨٨) .

(٢) سبق تخريجهما .

الثامنة والثمانون من خصائصه ﷺ :
أن البخيل من ذكر عنده النبيّ ﷺ فلم يصل عليه

خرّج الترمذيّ[1] من حديث أبي عامر العقديّ عن سليمان بن بلال عن عمارة بن غزية عن عبد الله بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن حسين بن عليّ عن عليّ - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : البخيل الذي [من] إذا ذكرت عنده فلم يصل عليّ . قال : الترمذيّ هذا حديث حسن صحيح غريب ، وفى بعض النسخ حديث حسن غريب.

وخرجه النسائيّ وابن حبان في (صحيحه)[2] والحاكم في (المستدرك)[3] وقال : صحيح الإسناد ، والنسائيّ في (سننه الكبير) : رواه عبد العزيز بن محمد عن عمارة بن غزيه عن عبد الله بن عليّ بن الحسين بن عليّ ابن أبي طالب قال : قال على - رضي الله تبارك وتعالى عنه - : قال رسول الله ﷺ : إن البخيل الذي إذا ذكرت عنده فلم يصل عليّ . قال : إسماعيل بن إسحاق فى كتابه : اختلف يحيى وأبو بكر بن أبي أويس فى إسناد هذا الحديث ، فرواه أبو بكر عن سليمان عن عمر بن أبي عمر ، ورواه الحمانيّ عن سليمان بن بلال عن عمارة بن غزية ، وهذا حديث مشتهر عن عمارة بن غزية ، وقد رواه عنه

---

(١) (سنن الترمذيّ) : ٥/٥١٥ ، كتاب الدعوات ، باب (١٠١) قول رسول الله ﷺ : ورغم أنف رجل، حديث رقم (٣٥٤٥) .

(٢) (الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان) : ٣/١٨٩ - ١٩٠ ، كتاب الرقائق ، باب (٩) الأدعية ، ذكر نفي البخل عن المصلي على النبي ﷺ ، حديث رقم (٩٠٩) .

(٣) (المستدرك) : ١/٧٣٤ ، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر ، حديث رقم (٢١٠٥) ، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الحافظ الذهبيّ فى (التلخيص) : صحيح ، وشاهده عند أبي هريرة صحيح .

وأخرجه الإمام أحمد فى (المسند) : ١/٣٣١ ، حديث رقم (١٧٣٨) ، من حديث عقيل ابن أبي طالب -رضي الله تبارك وتعالى عنه .

خمسة : سليمان بن بلال ، وعمر بن الحارث ، وعبد العزيز الدراوردي ، وإسماعيل بن جعفر ، وعبد الله بن جعفر والد عليّ ، ثم ساقها كلها ، ورواه إسماعيل بن أبي إدريس : حدثني أخي عن سليمان بن بلال عن عمر بن أبي عمر عن عليّ بن حسين عن أبيه فذكره .

وخرّج إسماعيل من حديث حماد بن سلمة عن سعيد بن هلال قال : حدثنى رجل من أهل دمشق عن عوف بن مالك عن أبي ذر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أن رسول الله ﷺ قال : إن البخيل من الناس من ذكرت عنده فلم يصل علي[1] .

وخرّج ابن أبي عاصم من حديث محمد بن شعيب بن سبور ، عن عثمان بن أبي العالية عن عليّ بن يزيد عن القاسم عن أبي أمارة ، عن أبي ذر قال : خرجت ذات يوم فأتيت رسول الله ﷺ قال : ألا أخبركم بأبخل الناس ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : من ذكرت عنده فلم يصل عليّ فذاك من أبخل الناس[2] .

وهذا من رواية الصحابيّ عن مثله ، وأصل هذا روي كما تقدم من حديث عليّ وابنه الحسين - رضي الله تبارك وتعالى عنهم .

وروى إسماعيل فى كتابه من طريق سليمان بن حرب : حدثنا جرير بن حازم قال : سمعت الحسن يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : بحسب امرئ من البخل أن أذكر عنده فلم يصل عليّ[3] .

وفي رواية عن الحسن يرفعه : كفى به شحاً أن يذكرني فلا يصلون على النبي ﷺ[4].

---

(١) (فضل الصلاة على النبى ﷺ) : ٣٢ ، ٣٥ .

(٢) (الترغيب والترهيب) : ٢/٥١٠ .

(٣) (تفسير ابن كثير) : ٣/٥٢٠ ، تفسير سورة الأحزاب ، آية (٦) ، عن الحسن .

(٤) (كنز العمال) : ١/٤٩٠ ، حديث رقم (٢١٥١) ، وعزاه إلى سعيد بن منصور ، عن الحسن مرسلاً .

التاسعة والثمانون من خصائصه ﷺ :
ما جلس قوم مجلساً ولم يصلوا عليه إلا كان عليهم ترة[1] وحسرة يوم القيامة وقاموا عن أنتن من جيفة [حمار]

خرّج الترمذيّ[2] من حديث عبد الرحمن بن مهديّ عن سفيان الثوريّ عن صالح بن صالح مولى التوءمة عن أبي هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : ما جلس قوم مجلساً فلم يذكروا الله ولم يصلوا عليّ إلا كان مجلسهم عليهم ترة وحسرةً يوم القيامة ، إن شاء الله عفا عنهم وإن شاء أخذهم ، وقال فيه : حديث حسن .

ورواه من حديث شعبة عن أبي إسحاق قال : سمعت الغرأبا مسلم قال : أشهد على أبي سعيد وأبي هريرة أنهما شهدا على رسول الله ﷺ فذكر مثله .

---

(١) أصل الترة : النقص ، ومعناها هاهنا : التبعة ، يقال : ترتُ الرجُلَ ترة على وزن: وعدته عدة (جامع الأصول) : ٤٧٢/٤ .

(٢) (سنن الترمذيّ) : ٤٣٠/٥ - ٤٣١ ، كتاب الدعوات ، باب (٨) فى القوم يجلسون ولا يذكرون الله ، حديث رقم (٣٣٨٠) وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه عن النبي ﷺ ، معنى قوله : ترة : يعني حَسرةً وندامة ، وقال بعض أهل المعرفة بالعربية : الترة هو الثأر.

وأخرجه الإمام أحمد فى (المسند) : ١٧٠/٣ ، حديث رقم (٩٣٠٠) من مسند أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه بسياقة أتم ، ولفظه : " ما جلس قوم مجلساً فلم يذكروا الله فيه إلا كان عليهم ترة ، وما من رجل مشي طريقاً فلم يذكر الله عز وجل إلا كان عليه ترة ، وما من رجل أوى إلى فراشه فلم يذكر الله إلا كان عليه ترة " قال أبي : حدثناه روح ، قال : حدثنا ابن أبي ذئب ، عن المقبرى ، عن إسحاق مولى عبد الله بن الحارث ، ولم يقل " : إذا أوى إلى فراشه " .

وحديث رقم (٩٥٣٣) ، وحديث رقم (٩٨٨٤) ، وحديث رقم (٩٩٠٧) ، وحديث رقم (٩٩٠٨) كلهم من مسند أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه .

ورواه إسماعيل بن إسحاق في كتابه من حديث محمد بن كثير عن سفيان عن صالح .

ورواه أبو داود[١] والنسائيّ وابن حبان في (صحيحه)[٢] من رواية سهيل عن أبي هريرة وهو على شرط مسلم .

ورواه ابن حبان أيضا من حديث شعبة عن الأعمش عن أبي صالح . عن أبي هريرة ولفظه : ما قعد قوم مقعدًا لا يذكرون الله فيه ولا يصلون على النبيّ ﷺ إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة وإن دخلوا الجنة للثواب . وهذا الإسناد على شرط الشيخين[٣] .

وخرجه الحاكم[٤] من رواية ابن أبي ذئب عن سعيد المقبريّ عن إسحاق ابن عبد الله بن الحارث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ، قال الحاكم : صحيح

---

(١) (سنن أبي داود) : ٥/١٨٠ - ١٨١ ، كتاب الأدب ، باب (٣١) كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله ، حديث رقم (٤٨٥٥) ولفظه : " ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا على مثل جيفة حمار ، وكان لهم حسرة " .

وحديث رقم (٤٨٥٦) ، ولفظه : من قعد مقعدًا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة ، ومن اضطجع مضجعًا لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة " .

قال الخطابي : الترة النقص ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ولن يتركم أعمالكم ﴾ [محمد : ٣٥] (معالم السنن) مختصرًا ، وحديث رقم (٥٠٥٩) باب (١٠٧) ما يقول عند النوم .

(٢) (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان) : ٢/٣٥٢ - ٣٥٣ ، كتاب البر والإحسان ، باب (١٣) الصحبة والمجالسة، ذكر البيان بأن الحسرة التي ذكرناها تلزم من ذكرناه وإن أدخل الجنة ، حديث رقم (٩٥١) ، وذكر الزجر عن افتراق القوم عن مجلسهم بغير ذكر الله ، حديث رقم (٥٩٢) ، وقال في هامشه : إسناده صحيح على شرط مسلم ، رجاله ثقات ، رجال الشيخين ، غير أحمد بن إبراهيم الدورقي ، فمن رجال مسلم .

(٣) راجع التعليق السابق .

(٤) (المستدرك) : ١/٧٣٥ ، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والذكر ، حديث رقم (٢٠١٧) ، وقال حديث صحيح على شرط البخاريّ ولم يخرجاه . وقال الحافظ الذهبيّ في (التلخيص) : على شرط مسلم .

على شرط البخاريّ ، واعترض عليه بأن إبراهيم بن الحسن بن ديزيل[1] رواه عن آدم بن إياس متكلم فيه ، ومع ذلك فقد رواه أبو إسحاق الفزاريّ عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة موقوفاً ، وأبو صالح بن نبهان مولى التؤمة ، كان شعبة لا يروى عنه . وقال مالك بن أنس : ليس بثقة فلا تأخذن عنه شيئاً ، وقال يحيى : ليس بالقويّ فى الحديث . وقال مرة : لم يكن ثقه ، وقال السعدى : تغير ، وقال النسائيّ : ضعيف ، وتحريرًا مرة أنه ثقة فى نفسه غير أنه تغير بآخره ، فمن سمع منه قديماً فسماعه صحيح ، ومن سمع منه آخراً ففى سماعه شئ ، فممن سمع منه قديماً : أبي ذئب وابن جريج وزياد بن سعد وأدركه مالك والثورى بعد اختلافه . وقال الإمام أحمد : ما أعلم ناساً ممن سمع منه قديماً ، ثم إن هذا الحديث قد رواه سليمان بن بلال عن سهيل عن أبيه عن أبى هريرة ولم يذكر فيه عن النبيّ ﷺ وتابعه ابن أبي أويس عن عبد العزيز بن أبي حازم عن سهيل .

وخرّج النسائيّ فى (سننه الكبير) من حديث أبي داود الطيالسيّ حدثنا يزيد بن إبراهيم عبد أبي الزبير عن جابر – رضي الله تبارك وتعالى عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : ما اجتمع قوم ثم تفرقوا من غير ذكر الله عز وجل وصلاة على النبيّ ﷺ إلا تفرقوا عن أنتن من جيفة[2].

وخرّج الطبراني[3] من حديث إسماعيل بن عياش عن يحيى بن الحارث ، عن القاسم عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : ما من قوم جلسوا مجلسًا ، ثم قاموا منه لم يذكروا الله ولم يصلوا على النبيّ ﷺ إلا كان ذلك المجلس عليهم ترة .

---

(١) هو إبراهيم بن الحسين الهمدانى . أبو إسحاق ، الذى يقال له ابن ديزيل سفينة ، يروى عن أبي نعيم. ترجمته فى (لسان الميزان) : ٤٨/١ ، (الثقات) : ٨٦/٨ .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) (كنز العمال) : ١٤٨/٩ ، حديث رقم (٢٥٤٥٥) ، وعزاه إلى الطبرانيّ عن أبي أمامة – رضي الله تبارك وتعالى عنه .

وقال ابن منيع فى مسنده : حدثنا يوسف عن عطية الصفار عن العلاء ابن كثير عن مكحول عن واثلة بن الأسقع قال : قال رسول الله ﷺ : أيما قوم جلسوا فى مجلس [ثم] تفرقوا قبل أن يذكروا الله تعالى ويصلوا على النبى ﷺ كان ذلك المجلس عليهم ترة يوم القيامة . يعنى حسرة . وهذا الأصل قد رواه أبو سعيد الخدريّ وأبو هريرة[1] .

وخرَّج ابن أبي عاصم من حديث شعبة عن سليمان عن ذكوان عن أبي سعيد قال : مامن قوم يقعدون ثم يقومون ولا يصلون على النبيّ ﷺ إلا كان عليهم حسرة وإن دخلوا الجنة لما يرون من الثواب[1] .

(١) (كنز العمال) : ١٤٨/٩ ، حديث رقم (٢٥٤٥٨) وعزاه إلى ابن حبان ، عن أبي هريرة .

التسعون من خصائصه ﷺ :
من صلى عليه [فى كتاب][1]
لم تزل الصلاة عليه ما بقيت الصلاة مكتوبة

روى محمد بن الحسن الهاشميّ حدثني سليمان بن الربيع ، حدثنا كادح ابن رحمة ، حدثنا نهشل بن سعيد عن الضحاك عن ابن عباس – رضي الله تبارك وتعالى عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : من صلى عليّ فى كتاب لم تزل الصلاة جارية له مادام اسمي فى ذلك الكتاب[2] وكادح بن رحمة العرني أبو رحمة الكوفيّ العابد ، قال ابن عدى : وأحاديثه عامة ما يرويه غير محفوظ ولا يتابع عليه فى أسانيده ولا متونه ، ويشبه حديثه حديث الصالحين ، قال: حديثهم يقع فيه مالا يتابعهم عليه أحد ، ونهشل بن سعيد بن وردان[3] أبو عبد

---

(١) زيادة للبيان .

(٢) (تفسير ابن كثير) : ٣/٥٢٤ ، تفسير سورة الأحزاب ، الآية ٥٦ ، عن ابن عباس ، ثم قال : وليس هذا الحديث بصحيح من وجوه كثيرة ، وقد روى من حديث أبي هريرة ولا يصح أيضاً .

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبى شيخنا : أحسبه موضوعًا . وقد روى نحوه عن أبي بكر وابن عباس ، ولا يصح من ذلك شئ ، والله تبارك وتعالى أعلم .

وقد ذكر الخطيب البغداديّ فى كتابه (الجامع لآداب الراوي والسامع) قال : رأيت بخط الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله كثيرًا ما يكتب اسم النبيّ ﷺ من غير ذكر الصلاة عليه كتابه ، قال: وبلغنى أنه كان يصلى عليه لفظاً . (المرجع السابق) .

(٣) هو نهشل بن سعيد بن وردان الوردانيّ أبو سعيد ، ويقال : أبو عبد الله الخراسانيّ النيسابوريّ ، ويقال : الترمذيّ ، بصريّ الأصل .

قال أبو داود الطيالسيّ وإسحاق بن راهويه : كذاب . وقال الدوريّ عن ابن معين : ليس بشئ ، وقال مرة: ليس بثقة ، وقال أبو زرعة والدارقطنيّ : ضعيف . وقال ابو حاتم : ليس بقويّ متروك الحديث ، وقال فى موضع آخر: ليس بثقة ، ولا يكتب حديثه .

قال ابن حبان : يروى عن الثقات ماليس من أحاديثهم ، ولا يحل كتب حديثه إلا على سبيل التعجب . قال الحافظ ابن حجر : وقال الحاكم : روى عن الضحاك المعضلات . =

الله ، ويقال : أبو سعيد النيسابورى ثم البصري ، قال ابن معين : ضعيف وقال مرة : يروي عن الضحاك ليس بثقه ومرة قال : يروى عنه ابن نمير ليس بشئ ، قال البخاريّ : روى عن ابن المبارك معاوية البصري قال إسحاق: كان كذاباً وقال السعدي : غيره محمود فى حديثه وقال أبو داود الطيالسيّ : كذاب ، وقال النسائيّ وغيره : متروك الحديث ، وقال أبو زرعة والدارقطنيّ : ضعيف وقال: ابن عديّ فكل أحاديثه يشبه بعضها بعضًا يعنى غير محفوظة . وقد روي هذا الحديث من وجه آخر ، قال ابن الجارود : حدثنا محمد بن عاصم . حدثنا بشر بن عبيد حدثنا محمد بن عبد الرحمن عن عبد الرحمن بن عبد الله عن الأعرج عن أبي هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : من صلى عليّ فى كتاب صلت عليه الملائكة غدوًا ورواحًا ، ما دام اسم رسول الله ﷺ فى الكتاب. وقال أحمد بن عطاء الروذباريّ : سمعت أبا صالح عبد الله بن صالح يقول : رؤي بعض أصحاب الحديث فى المنام قيل له : ما فعل الله بك ؟ ، فقال: غفر لى ، فقيل : بأى شئ ؟ فقال : بصلاتي فى كتبي على النبيّ ﷺ [1].

= وعن وردان بن أبى هند حديثًا منكرًا . قال البخاريّ : روى عنه معاوية البصريّ أحاديث مناكير . وقال أبو سعيد النقاش : روى عن الضحاك الموضوعات .

(١) علامات الوضع لائحة عليه ، ولاسيما أن أصله يعتمد على رؤيا منامية !! .

الحادية والتسعون من خصائصه ﷺ :
أن الصلاة عليه زكـاة

خرَّج إسماعيل فى كتاب (الصلاة على النبيّ ﷺ) مـن حديـث سـليمان ابن حرب قال: حدثنا سعيد بن زيد عن ليث عن كعب عن أبي هريرة - رضـي الله تبارك وتعالى عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : صلوا علـيّ فـإن صـلاتكم عليّ زكـاة لكم ، قال : واسألوا الله لى الوسيلة ، قـال : فإمـا حدثنـا وإمـا سـألناه قال : الوسيلة أعلى درجة فى الجنة لا ينالهـا إلارجـل . وأرجـوا أن أكـون ذلـك الرجل[١] .

وخرَّج الحاكم[٢] من حديث ابن وهب . أخبرني عمرو بـن الحـارث أنّ أبا الشيخ حدثه أن أبا الهيثم حدثه عن أبى سـعيد الخـدريّ عـن رسـول اللـه ﷺ أيما رجل كسب مالاً من حلال فأطعم نفسه وكساها فمن دونه من خلق الله فإنه له زكاة ، وأيما رجل مسلم لم يكن له صدقة فليقل فى دعائه : اللهم صـل علـى محمد عبـدك ورسـولك ، وصـل علـى المؤمنيـن والمؤمنـات ، والمسـلمين والمسلمات فإنها زكاة . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد .

وخرجه ابن حبان فى (صحيحه)[٣] بسنده ومعناه .

---

(١) (مسند أحمد) : ٣/٥٢ - ٥٣ ، حديث رقم (٨٥٥٢) من مسند أبي هريرة رضـي اللـه تبـارك وتعالى عنه .

(٢) (المستدرك) : ٤/٤٤ ، كتاب الأطعمة ، حديث رقم (٧١٧٥) ، وقـال فـى آخره : " قـال : لا يشبع مؤمن يسمع خيرًا حتى يكون منتهـاه الجنـة " . وقـال الحـافظ الذهبيّ فـى (التلخيص) : صحيح .

(٣) (الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان) : ٣/١٨٥ ، كتاب الرقائق ، باب (٦) الأدعية ، ذكـر البيان بأن صلاة الداعي ربه على صفته ﷺ فى دعائه ، تكون له صدقة عند عدم القدرة عليها ، علة هذا حديث فى روايته عن أبي الهيثم . وله شاهد من حديث أبى هريرة عنـد ابـن أبـي شيبة بلفظ " صلوا عليّ فإن الصلاة عليّ زكاة لكم .

الثانية والتسعون من خصائصه ﷺ :
من صلى عليه ﷺ فى يوم ألف مرة لم يمت حتى يرى مقعده فى الجنة

روى العشاريّ من حديث الحكم بن عطيه عن ثابت عن أنس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : قال : رسول الله ﷺ من صلى عليّ فى كل يوم ألف مرة لم يمت حتى يرى مقعده فى الجنة[١] .

قال الحافظ أبو عبد الله المقدسيّ فى كتاب (الصلاة على النبيّ ﷺ) لا أعرفه إلا من حديث الحكم بن عطية . قال كاتبه : الحكم بن عطية القيسى البصريّ له فى الترمذيّ حديث واحد وقد وثقه ابن معين ، وقال النسائيّ: ليس بالقويّ ، وقال أبو حاتم : يكتب حديثه ولا يحتج به ، ورواه ابن شاهين من حديث محمد بن أحمد البراء ، حدثنا محمد بن عبد العزيز الدنيوريّ ، حدثنا قرة ابن عبد العزيز بن حبيب . حدثنا الحكم بن عطية ، فذكره[٢] .

---

(١) (كنز العمال) : ٥٠٥/١ ، حديث رقم (٢٢٣٣) ، وعزاه إلى أبي الشيخ عن أنس ، ولفظه " من صلى عليّ فى يوم ألف مرة لم يمت حتى يبشر بالجنة " .

(٢) هو الحكم بن عطية العيشى البصري ، قال الترمذيّ : قد تكلم فيه بعضهم ، وقال النسائيّ : ليس بالقوى ، وقال مرة: ضعيف . وقال ابن أبي حاتم عن أبيه : يكتب حديثه وليس بمنكر الحديث . وكان أبو داود يذكره بجميل ، قلت : يحتج به ؟ قال : لا ، ليس هو بالمتين . ترجمته فى (تهذيب التهذيب) : ٣٧٤/٢ - ٣٧٥ ، ترجمة رقم (٧٥٨) .

الثالثة والتسعون من خصائصه ﷺ :
من صلى عليه ﷺ غفرت له ذنوبه

خرَّج أبو يعلى الموصلى من حديث خليفة بن خياط . حدثنا درست بن حمزة عن مطر الوراق عن قتادة عن أنس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أن رسول الله ﷺ قال : ما من عبدين متحابين يستقبل أحدهما صاحبه ويصليان على النبى ﷺ إلا لم يتفرقا ؛ حتى يغفر لهما ذنوبهما ما تقدم منها وما تأخر(١) .

الرابعة والتسعون من خصائصه ﷺ :
الصلاة عليه ﷺ كفارة

روى ابن أبي عاصم من طريق شبابة قال : حدثنا المغيرة بن مسلم عن أبى إسحاق عن أنس بن مالك - رضـي اللـه تبارك وتعالى عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : صلوا عليّ ؛ فإن الصلاة عليّ كفارة لكم ، فمن صلى عليَّ ؛ صلى الله عليه(٢) .

---

(١) (كنز العمال) : ١٣٥/٩ ، حديث رقم (٢٥٣٦٩) ، وعزاه إلى ابن السنى فى (عمل اليوم والليلة)، وابن النجار عن أنس .

(٢) لم أقف عليه .

الخامسة والتسعون من خصائصه ﷺ :
من صلى عليه ﷺ شفع فيه

خرَّج الطبراني فى (المعجم الكبير) من حديث ابن بكير : حدثنا ابن لهيعة عن بكر ابن سوادة عن زياد بن نعيم عن وفاء بن شريح الحضرمى عن رويفع بن ثابت الأنصاري - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : اللهم صلِّ على محمد ، وأنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة ؛ وجبت له شفاعتى(١) .

وروى ابن شاهين من حديث عبد الله بن سليمان بن الأشعث . حدثنا علي بن الحسين المكتب ، حدثنا إسماعيل بن يحيى بن عبيد الله التيمى ، حدثنا فطر بن خليفة عن أبي الطفيل عن أبي بكر الصديق - رضي الله تبارك وتعالى عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من صلى على ؛ كنت شفيعه(٢) .

وقال ابن أبي داود أيضاً : حدثنا علي بن الحسين حدثنا إسماعيل بن يحيى حدثنا فطر بن خليفة عن أبى الطفيل عن أبى بكر الصديق - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ فى حجه الوداع يقول : إن الله وهب لكم [ذنوبكم] عند الاستغفار فمن استغفر بنية صادقة غفر له ، ومن قال: لا إله إلا الله رجح ميزانه ، ومن صلى عليّ كنت شفيعه يوم القيامة .

روى إسماعيل من طريق عمرو بن على بن أبى بكر الجشمى عن صفوان بن سليم عن عبيد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : من صلى [علي] وسأل لى الوسيلة ، حلت له شفاعتى(٣) .

---

(١) (كنز العمال) : ٤٩٧/١ ، حديث رقم (٢١٨٩) ، وعزاه إلى الطبراني والبغوى ، عن رويفع بن ثابت .

(٢) (كنز العمال) : ٢٢٩/١٦ ، حديث رقم (٤٤٨٦٩) ، وعزاه إلى أبي بكر محمد بن عبد الباقى الأنصارى قاضى المارستان فى مشيخته ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه .

(٣) (المرجع السابق) : حديث رقم (٢١٩٢) وعزاه إلى ابن النجار عن عقبة بن عامر ، ولفظه : " من سأل الله لى الوسيلة ؛ حلت عليه شفاعتى يوم القيامة " .

السادسة والتسعون من خصائصه ﷺ :
أولى الناس به ﷺ يوم القيامة أكثرهم صلاة عليه

خرَّج الترمذي[١] في جامعه من طريق عبد الله بن كيسان عن عبد الله ابن شداد عن أبيه عن ابن مسعود - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة ، قال الترمذي : حديث حسن غريب .

ورواه أبو حاتم بن حبان في (صحيحه)[٢] من حديث خالد بن مخلد عن موسى بن يعقوب عن عبد الله بن كيسان عن عبد الله بن شداد عن أبيه

---

(١) (سنن الترمذي) : ٣٥٤/٢ ، أبواب الصلاة ، باب (٣٥٢) ما جاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ، حديث رقم (٤٨٤) .

(٢) (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان) : ١٩٢/٣ ، كتاب الرقائق ، باب (٩) الأدعية ، حديث رقم (٩١١) ثم قال : قال أبو حاتم رضي الله تبارك وتعالى عنه : في هذا الخبر دليل على أن أولى الناس برسول الله ﷺ في القيامة يكون أصحاب الحديث ، إذ ليس من هذه الأمة قوم أكثر صلاة عليه ﷺ منهم .

وقال أبو نعيم فيما نقله عنه الخطيب في (شرف أصحاب الحديث) : ٣٥ : وهذه منقبة شريفة يختص بها رواة الآثار ونقلتها ؛ لأنه لا يعرف لعصابة من العلماء من الصلاة على رسول الله أكثر مما يعرف لهذه العصابة نسخاً وذكراً .

وقال ابن عدي في (الكامل) بعد أن ذكر هذا الحديث : وهذا أيضاً يرويه خالد عن موسى بن يعقوب في الصلاة على النبي ﷺ ... هذه الأحاديث التي ذكرتها عن مالك وعن غيره لعله توهماً منه أنه كما يرويه أو حمل على حفظه . لأني قد اعتبرت حديثه ما روى الناس عنه من الكوفيين ، محمد بن عثمان بن كرامة ، ومن الغرباء أحمد بن سعيد الدارمي ، وعندي من حديثهما عن خالد صدر صالح ، ولم أجد في كتبه أنكر مما ذكرته ، فلعله توهماً منه أو حملاً على الحفظ ، وهو عندي إن شاء الله لا بأس به (الكامل في ضعفاء الرجال) : ٣٦/٣ ، ترجمة خالد بن مخلد أبو الهيثم القطواني رقم (٢٥) ، (تهذيب التهذيب) : ١٠١/٣ - ١٠٢ ، ترجمة رقم (٢٢١) .

عن ابن مسعود ، وهو فى (مسند البزار) ، فالذى عند الترمذى عن ابـن شـداد عن ابن مسعود وعند أبي حاتم عن ابن شداد عن أبيه عن ابن مسعود ، وكذلـك البغوى عن أبي بكر بن أبي شيبة ، حدثنا خالد بن مخلـد حدثنـا موسـى فذكـره ، وقال : عن ابن شداد عن أبيه عن ابن مسعود .

السابعة والتسعون من خصائصه ﷺ :
أنه ﷺ تتأكد الصلاة عليه فى واحد وأربعين موضعاً إما وجوباً أو استحباباً فى آخر التشهد من الصلاة [وهو الموضع الأول]

وقد أجمع المسلمون على مشروعية الصـلاة علـى النبـى ﷺ فـى هـذا الموضع ، واختلفوا فـى وجـوبها فيـه ؛ فقـالت طـائفة : ليسـت الصـلاة عـلـى النبي ﷺ فى آخر التشـهد بواجبـة ، ونسبوا مـن أوجبهـا إلـى الشـذوذ ومخالفـة الإجماع ، منهم أبو جعفر الطحاوى ، والقاضي عياض ، والخطـابي فإنـه قـال : ليست بواجبة فـى الصلاة ، وهو قول جماعة من الفقهاء إلا الشافعى ، ولا أعلم له قدوة ، وكذلك ابن المنذر ذكر أن الشافعى تفرد بذلك عـدم الوجـوب ، واحتـج القاضي عياض على عدم الوجـوب بـأن قـال : الدليـل عـلـى أن الصـلاة عـلـى النبي ﷺ ليست من فروض الصلاة عند السلف الصالح قبل الشـافعي وإجمـاعهم عليه ، وقد شنع الناس عليه هـذه المسـألة جداً ، وهـذا تشـهد ابـن مسـعود الـذى اختاره الشافعى ، وهو الذى عمله النبي ﷺ ، وكذلك كل من روى التشـهد علـى النبي ﷺ كأبى هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وأبي سعيد الخـدري وأبـي موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير لم يذكروا فيه .

وقال ابن عباس وجابر : كان النبي ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا السـورة من القرآن ، ونحوه عن أبى سعيد ، وقال ابن عمر : كان أبو بكر - رضـي اللـه تبارك وتعالى عنه - يعلمنا التشهد على المنبر كما تعلمون الصبيان فى الكتاب ، وكان عمر بن الخطاب - رضي الله تبارك وتعـالى عنـه - يعلمـه أيضـاً علـى المنبر ، يعني وليس فيه شيء من ذلـك ، أى أمرهـم بـالصلاة على النبـى ﷺ ،

وقال أبو عمر بن عبد البر فى كتاب (التمهيد) : ومن حجة من قال إن الصلاة على النبي ﷺ ليست بواجبة فى الصلاة حديث الحسن بن الحر عن القاسم بن مخيمر قال : أخذ علقمة بيدى فقال : إن عبد الله بن مسعود أخذ بيدى ، وقال : إن رسول الله ﷺ أخذ بيدى كما أخذت بيدك فعلمنى التشهد ، فقال : قل : التحيات لله والصوات والطيبات ، السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، قال : فإذا قلت ذلك فقد قضيت الصلاة ، فإن شئت فقم وإن شئت أن تقعد فاقعد .

قالوا : ففى هذا الحديث ما يشهد لمن لم ير الصلاة على النبي ﷺ فى التشهد واجبة ولا سنة مسنونة ، لأن ذلك لو كان واجباً أو سنه لبين ذلك وذكره آنفاً.

وقد روى أبو داود والترمذى والطحاوى من حديث عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : إذا رفع أحدكم رأسه من آخر السجود فقد مضت صلاته إذا أحدث . واللفظ لحديث الطحاوي ، وعندكم لا تمضى صلاتكم حتى يصلى على النبي ﷺ .

قالوا : وقد روى عاصم بن حمزة عن عليّ - رضي الله تبارك وتعالى عنه - إذا جلس مقدار التشهد ثم أحدث فقد تمت صلاته . ومن حجتهم أيضا حديث الأعمش عن أبى وائل عن ابن مسعود فى التشهد وقال : ليتخير ما أحب من الكلام ، يعنى ولم يذكر الصلاة على النبي ﷺ ، ومن حجتهم حديث فضالة بن عبيد أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يدعونى فى صلاته لم يحمد الله ولم يصل على النبى فقال ﷺ : عجل هذا ثم دعاه فقال له أو لغيره : إذا صلى أحدكم فليبدأ بحمد الله والثناء عليه ثم يدعو بما شاء .

ففى هذا الحديث أن النبي ﷺ لم يأمر المصلى إذا لم يصلّ على النبي ﷺ فى صلاته بالإعادة كما أمر الذى لم يتم ركوعه وسجوده بالإعادة ، فلو كانت فرضاً ؛ لأمره بإعادة الصلاة .

واحتجوا أيضاً بأن النبي ﷺ لم يعلمها المسي فى صلاته ، ولو كانت من فروض الصلاة التى لا تصح إلا بها ؛ لعلمه إياها ، كما علمه القراءة

والركوع والسجود والطمأنينة فى الصلاة ، قالوا : والفرائض تثبت بالدليل الصحيح ، لا معارض له من مثله أو بإجماع من تقوم الحجة بإجماعهم ، فهذا جل ما احتج به نفاة الوجوب ، وعارضهم من ذهب إلى الوجوب بأن قالوا : إنما نسبتكم الشافعي رحمه الله ومن قال بقوله فى هذه المسألة إلى الشذوذ ومخالفة الإجماع فغير مسلم به . فقد قال بقوله جماعة من الصحابة ومن بعدهم ، منهم عبد الله بن مسعود وأبو مسعود فإنه كان يراها واجبة ، ويقول : لا صلاة لمن لا يصلى فيها على النبي ﷺ ، وذكره ابن عبد البر من طريق عثمان بن أبي شيبه عن شريك عن جابر الجعفى عن أبى جعفر محمد بن علي عن أبي مسعود قال: ما أرى أن صلاة لى تمت حتى أصلى فيها على محمد وعلى آل محمد .

وعبد الله بن عمر ذكر أن الحسن بن شبيب المعمري ، حدثنا علي بن ميمون ، حدثنا خالد بن حيان عن جعفر بن برقان عن عقبة بن نافع عن ابن عمر أنه قال : لا تكون الصلاة إلا بقراءة وتشهد وصلاة على النبي ﷺ فإن نسيت شيئاً من ذلك فاسجد سجدتين بعد الصلاة . ومن التابعين أبو جعفر محمد بن علي والشعبى ومقاتل بن حيان وبه قال إسحاق بن راهويه قال : إن تركها عمداً لم تصح صلاته وإن تركها سهواً رجوت أن تجزئه .

وعن إسحاق فى ذلك روايتان ، ذكرهما حرب فى مسأله فى باب الصلاة على النبى ﷺ بعد التشهد ، قال : سألت إسحاق قلت : الرجل إذا تشهد فلم يصل على النبي ﷺ قال : أما أنا فأقول : إن صلاته جائزة وقال الشافعي : لا تجوز صلاته ، ثم قال : أنا أذهب إلى حديث الحسن بن الحر عن القاسم بن مخيرة ، فذكر حديث ابن مسعود قال : وسمعت أبا يعقوب يعنى إسحاق يقول : إذا فرغ من التشهد - إماماً كان أو مأموماً - لا يجزئه غير ذلك ؛ لقول أصحاب رسول الله ﷺ : قد عرفنا السلام عليك يعنى فى التشهد فكيف الصلاة عليك ؟ فأنزل الله تعالى:﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبى** ﴾ ، وفسّر النبي ﷺ كيف هى؟ فأدنى ما ذكر عن النبى ﷺ عليه يكفيك قليله بعد التشهد ، والتشهد والصلاة على النبى ﷺ فى الجلسة الأخيرة هما عملان لا يجوز لأحد أن يترك واحداً منهما عمداً ، وإن كان ناسياً رجونا أن تجزئه مع أن بعض

علماء الحجاز قال : لا يجزئه ترك الصلاة على النبي ﷺ فإن تركه أعاد الصلاة، انتهى.

وقد اختلفت الرواية عن أحمد بن حنبل أيضاً ، ففى (مسائل المروزى) قيل لأبى عبد الله : إن ابن راهويه يقول : لو أن رجلاً ترك الصلاة على النبى ﷺ فى التشهد ؛ بطلت صلاته ، قال : ما أجترئ أن أقول هذا . وقال مرة : هذا شذوذ فى مسائل أبى زرعة الدمشقي.

قال أحمد : كنت أَتَهَيب ذلك ، ثم تبينت فإذا الصلاة على النبي ﷺ واجبة، وظاهر هذا أنه رجع عن قوله بعدم الوجوب ، وأما قولكم رضي الله عنكم : إن الدليل على الوجوب عمل السلف الصالح قبل الشافعي وإجماعهم عليه ، فجوابه أن استدلالهم إما أن يكون بعمل الناس فى صلاتهم ، وإما بقول أهل الإجماع إنها ليست بواجبة ، فإن كان الاستدلال بالعمل فهو من أقوى حججنا عليكم ؛ فإنه لم يزل عمل الناس مستمراً قرناً بعد قرن وعصراً بعد عصر على الصلاة على النبي ﷺ فى آخر التشهد ، إمامهم ، ومأمومهم ، ومنفردهم ، حتى لوسئل كل مصل هل صليت على النبي ﷺ فى صلاتك هذه ؟ فقال : لم أصل عليه فيها وعلم المأمور ذلك ؛ لأنكروا عليه ، وهذا أمر لا يمكن إنكاره . فالعمل أقوى حجة عليكم فكيف يسوغ لكم أن تقولوا : عمل السلف الصالح قبل الشافعى ينفى الوجوب ؟ أفترى السلف الصالح كلهم ؟ ما كان أحد منهم قط يصلى على النبى ﷺ فى صلاته ؟ فإن قلتم : نعم كانوا كذلك علم كل أحد بطلان ذلك ، وأما إن كان احتجاجكم بقول أهل الإجماع : إنها ليست بفرض، فهذا مع أنه لم يتم عملاً لم يعمله أهل الإجماع ، وإنما هو مذهب مالك وأبى حنيفة وأصحابهما ، وغايته أنه قول كثير من أهل العلم ، ونازعهم فى ذلك آخرون من الصحابة والتابعين وأرباب المذاهب ، فهذا ابن مسعود ، وابن عمر، والشعبي ، ومقاتل بن حيان ، وجعفر بن محمد ، وإسحاق بن راهويه ، وأحمد بن حنبل فى أحد قوليه ، يوجبون الصلاة على النبي ﷺ فى التشهد ، فأين إجماع المسلمين مع خلاف هؤلاء ؟ وأين عمل السلف الصالح وهؤلاء من أفاضلهم ؟ ولكن هذا من شأن من لم يتبع مذاهب العلماء ، حتى يعلم مواضع الإجماع والنزاع .

وأما قوله : وقد شنع الناس المسأله على الشافعي جداً ، فياسبحان اللـه ! أى شناعة عليه إن هى إلا من محاسن مذهبه ؟ فـأى كتـاب خـالف الشـافعى فـى هذه المسألة ؟ أهل هـى فـرض ؟ أم سـنة ؟ أم إجمـاع ؟ إنمـا قـال قـولاً اقتضتـه الأدلة ، وقـامت علـى صحتـه ، فـالصلاة علـى النبـي ﷺ فـى الصـلاة مـن تمـام الصلاة بلا خلاف .

وأما تمام واجباتها أو مستحباتها وهو -رضي الله تبارك وتعـالى عنـه- رأى أنها من تمام واجبات الصلاة بالأدلـة التـى تـأتى إن شـاء اللـه تعـالى ، فـلا إجماعاً حرفه ، ولانصاً خالفه ، فمن أى وجـه يشـنع عليـه ؟ وهـل الشـناعة إلا بمن عليه أليق ، وبه ألحق ؟ .

وأما قوله : وهذا تشهد ابن مسعود الذى اختاره الشافعى وهو الذى علمه النبي ﷺ إياه إلى آخره ، فالشافعي إنما اختار تشهد عبد الله بن عبـاس ، والـذى اختار تشـهد ابـن مسـعود أبـو حنيفـة وأحمـد ، واختـار مـالك تشـهد ابـن عمـر ، والجواب من وجوه :

أحدها : أن تقول بموجب هذا الدليل ، فـإن مقتضـاه وجـوب التشـهد ولا ينفى وجوبه وجوب غيره ، فإنه لم يقل إن هذا التشهد جمـع الواجـب مـن الذكـر فى هذه القعدة ، فإيجاب الصـلاة علـى النبـي ﷺ بدليـل آخـر لا يكـون معارضـاً بترك تعليمه فى أحاديث التشهد .

الثانى : أنكم توجبون السلام من الصلاة ، ولم يعلمهم إياه النبي ﷺ فـإن قلتم : فإنما أوجبنا السلام بقوله ﷺ : تحريمها التكبير وتحليلهـا التسـليم ، قلنـا : ونحن أوجبنا الصلاة على النبي ﷺ بالأدلة المقتضية لها ، فإن كان تعليم التشـهد وحده مانعاً عن إيجاب الصلاة على النبي ﷺ ؛ كان مانعـاً مـن إيجـاب السـلام ، وإن لم يمنعه ؛ لم يمنع وجوب الصلاة .

الثالث : أن النبي ﷺ كما علمهم التشهد ؛ علمهم الصـلاة عليـه ، فكيـف يكون تعليمهم التشهد دليل وجوبها ؟ وتعليمهم الصلاة لا يدل على وجوبها ؟ فان قلتم : التشهد الذى علمهم إياه هـو تشـهد الصـلاة ؛ ولهـذا قـال فيـه : فـإذا جلـس أحدكم فليقل : التحيات لله ، وأما تعليم الصلاة عليـه ﷺ فإنـه مطلـق غـير مقيـد حالة الصلاة ، قلنا : والصلاة عليه أيضًا فى بحالة الصلاة لوجوه :

أحدها : حديث محمد بن إبراهيم التيمي الذى تقدم وقوله : وكيف نصلى عليك إذا نحن جلسنا ؟ .

الثانى : أن الصلاة التى سألوا النبى ﷺ أن يعلمهم إياها نظير السلام الذى علموه ؛ لأنهم قالوا : هذا السلام عليك قد عرفناه فكيف الصلاة عليك ؟ ومن المعلوم أن السلام الذى علموه هو قولهم فى الصلاة : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، فوجب أن تكون الصلاة المقرونة به هى فى الصلاة.

الثالث : أنه لو قدر أن أحاديث التشهد تنفى وجوب الصلاة على النبي ﷺ ، وكانت أدلة وجوبها مقدمة ذلك على تلك ؛ لأن نفيها باق على استحباب البراءة الأصلية ، ووجوبها ناقل عنها ، والناقل مقدم على المنفي ، فكيف ولاتعارض ، فإن غاية ماذكرتم من تعليم التشهد أدلة ساكتة عن وجوب شيء لا يكون معارضاً لما نطق به فضلاً أن يقدم عليه ؟

الرابع : أن تعليمهم التشهد كان متقدماً ، ولعله من حين فرضت الصلاة ، وأما تعليمهم الصلاة على النبي ﷺ فإنه كان بعد نزول قول الله تعالى: **﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ﴾** الآية ، ومعلوم أن هذه الآية نزلت فى الأحزاب بعد نكاحه ﷺ زينب بنت جحش ، وبعد تخييره أزواجه ، فهى بعد فرض التشهد ، فلو قدر أن فرض التشهد كان نافياً لوجوب الصلاة عليه ؛ كان منسوباً بأدلة الوجوب فإنها متأخرة ، والفرق بين هذا الوجه والوجه الذى قبله : أن هذا الوجه : يقتضى تقديم أدلة الوجوب لتأخرها ، والوجه الذى قبله : يقتضى تقديم لرفع البراءة الأصليه من غير نظر إلى تقدم وتأخر ، والذى يدل على تأخر الأمر بالصلاة على النبي ﷺ عن التشهد قولهم : أما السلام عليك قد عرفناه فكيف الصلاة عليك ؟ ومعلوم أن السلام عليه مقرون بذكر التشهد لم يشرع فى الصلاة وحده بدون ذكر التشهد والله أعلم .

وأما قوله : ومن حجة من لم يرها فرضاً فى الصلاة حديث الحسن بن الحر عن القاسم بن مخيمرة ... الحديث ، وفيه : فإذا قلت ذلك ؛ فقد قضيت الصلاة فإن شئت فقم ، وإن شئت فاقعد ، وأنه يذكر فى الصلاة على النبي ﷺ ، فجوابه من وجوه .

أحدها : أن هذه الزيادة مدرجة فى الحديث ليست من كلام رسول الله ﷺ على مانبه الحفاظ أئمة الإسلام ، قال الدارقطني فى كتاب (العلل) : رواه الحسن بن الحر عن القاسم بن مخيمرة عن علقمه عن عبد الله ، حدث به عنه محمد بن عجلان وحسين الجعفي وزهير بن معاوية وعبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان ، فأما ابن عجلان وحسين الجعفي فاتفقا على لفظه ، وأما زهير فزاد عليهما فى آخره كلاماً أدرجه بعض الرواة عن زهير فى حديث النبي ﷺ وهو قوله : إذا قضيت هذا، أو فعلت هذا ؛ فقد قضيت صلاتك إن شئت أن تقوم فقم .

ورواه شبابة بن سواد عن زهير ، ففصل فيه بين لفظ النبى ﷺ وقال فيه: عن زهير ، قال ابن مسعود : هذا الكلام وكذلك رواه ابن يونان عن الحسن بن الحر، فبينه وفصل كلام النبى ﷺ من كلام ابن مسعود وهو الصواب.

وقال فى كتاب (السنن) : وقد ذكر حديث الحسن بن الحر من طريق حسين الجعفيّ عنه من غير هذه الزيادة ، ثم قال : وتابعه ابن عجلان ومحمد بن أبان عن الحسن بن الحر .

ورواه زهير بن معاوية عن الحسن بن الحر فزاد فى آخره كلاماً ، وهو قوله : إذا قلت هذا ؛ أو فعلت هذا فقد قضيت الصلاة ، فإن شئت أن تقوم فقم ، وإن شئت أن فاقعد ، فأدرجه بعضهم عن زهير فى الحديث ، وذكره ووصله بكلام النبى ﷺ شبابة عن زهير ، وجعله من كلام عبد الله بن مسعود .

وقوله أشبه بالصواب من قول من أدرجه فى حديث النبى ﷺ ؛ لأن ابن ثوبان رواه عن الحسن بن الحر كذلك ، وجعل آخره من قول ابن مسعود ، ولاتفاق حسين الجعفي وابن عجلان ومحمد بن أبان فى رواياتهم عن الحسن على ترك ذكره فى آخر الحديث ، مع اتفاق كل من روى التشهد عن علقمة وعن غيره عن عبد الله بن مسعود على ذلك ، فأما حديث شبابة عن زهير فحدثنا محمد بن إسماعيل الصفار أنبأنا الحسن بن مكرم أنبأنا شبابة بن سوار أنبأنا أبو خيثمة زهير بن معاوية ، أنبأنا الحسن بن الحر عن القاسم بن مخيمرة قال : أخذ علقمة بيدى ، فقال : أخذ عبد الله بن مسعود بيدي ، فقال : أخذ رسول الله ﷺ بيدي . فعلمنى التشهد : التحيات لله والصوات والطيبات ،

السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، قال عبد الله : فإذا قلت ذلك ؛ فقد قضيت ما عليك من الصلاة ، فإن شئت أن تقوم فقم ، وإن شئت أن تقعد فاقعد ، قال الدارقطنيّ : شبابة ثقة ، وقد فصل آخر الحديث ، جعله من قول ابن مسعود وهو أصح من رواية : من أدرك آخره فى كلام النبى ﷺ وقد تابعه غسان ابن الربيع وغيره . فرووه عن ابن ثوبان عن الحسن كذلك، وجعل آخر الحديث من كلام ابن مسعود ، ولم يرفعه إلى النبي ﷺ وذكر الخطيب البغدادي فى كتاب (الفصل) : أن قول من فصل كلام النبي ﷺ من كلام ابن مسعود هو الصواب ، وبين أن هذه الزيادة مدرجة ، والله تبارك وتعالى أعلم .

فإن قيل : إنكم رويتم عن ابن مسعود : أن الصلاة على النبي ﷺ واجبة فى الصلاة ، وادعاؤكم أن الزيادة فى حديث الحسن بن الحر مدرجة وهي من قول ابن مسعود يبطل ما رويتم عنه ، بدليل أنه إن كان الحديث من كلام النبى ﷺ فهو نقل فى عدم وجوبها ، وإن كان من كلام ابن مسعود ؛ فهو مبطل لما رويتموه عنه .أجيب عنه بأجوبة .

أحدها : أن قوله : إذا قلت هذا فقد قضيت صلاتك معناه ؛ أنها قد قاربت التمام ؛ لإجماعنا وإياكم على أن الصلاة لم تتم .

ورد هذا الجواب بأنه قال : فإن شئت أن تقوم فقم ، وإن شئت أن تقعد فاقعد ، وعند من يوجب الصلاة على النبي ﷺ لا يخير بين القيام والقعود ، حتى يأتي بها.

الثانى : أن هذا حديث خرَّج على معنى التشهد ، وذلك أنهم كانوا يقولون فى الصلاة : السلام على الله ، فقيل لهم : إن الله هو السلام فعلمهم التشهد ، ومعنى قوله : فإذا قلت ذلك فقد قضيت صلاتك ، يعنى إذا ضم إليها ما يجب فيها مع ركوع وسجود وتسليم وسائر أحكامها، وألا ترى أنه لم يذكر التسليم من الصلاة وهو من فرائضها لأنه قد وقفتم عليه فاستغنى عن إعادة ذلك عليهم ؟ ونظير حديث ابن مسعود هذا قوله ﷺ فى الصدقة : إنها تؤخذ من أغنيائهم فترد فى فقرائهم ، أى مع من ضم إليهم وسمى معهم فى القرآن ، وهم

الثمانية الأصناف ، ومثله أيضـًا قوله في حديث المسيء في صلاته : ارجع فصل فإنك لم تصل ، ثم أمره بفعل ما رآه لم يأت به ، ولم يقيمه في صلاته ؛ فقال: إذا قمت إلى الصلاة ... فذكر الحديث ، وسكت له عن التشهد والتسليم ، وقد قام الدليل من غير هذا الحديث على وجوب التشهد والتسليم عليه ﷺ بما علمهم من ذلك كما يعلمهم السورة من القرآن ، وأعلمهم أن ذلك في صلاتهم ، وقام الدليل أيضاً في المسألة أنه إنما يتحلل من الصلاة به لا بغيره من هذا الحديث ، فذكر أن الصلاة على النبي ﷺ مأخوذة من غير ذلك الحديث .

وأيضاً جاز لمن جعل التشهد فرضاً بحديث ابن مسعود هذا حتى رد على من خالفه ، وقال : إذا قعد مقدار التشهد فقد تمت صلاته ، بأن ابن مسعود إنما علق التمام في حديثه بالتشهد جاز لمن أوجب الصلاة على النبي ﷺ أن يحتج بالأحاديث الموجبة لها ولكون حجته منها على من نفى وجوبها كالحجة من حديث ابن مسعود على من نفى وجوب التشهد ووجوب القعدة معه ، واستدلالنا أقوى من استدلالكم ؛ لأنه استدلال بكتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ ، وعمل الأمة قرناً بعد قرن ، فإن لم يكن ذلك أقوى ممن استدل على وجوب التشهد لم يكن دونه ، وإن كان في هذه المسألة من الفقهاء من ينازعنا ؛ فهو كمن ينازعكم من الفقهاء في وجوب التشهد ، والحجة في الدليل أين كان ومع من كان الجواب .

الثالث : أنه لا يمكن أحد من منازعينا أن يحتج علينا بهذا الأثر لا مرفوعاً ولا موقوفاً ، فإنه يقال لمن يحتج به إما أن يكون قوله : فإذا قلت هذا ؛ فقد تمت صلاتك مقتصراً عليه أو مضافاً إلى سائر واجباتها .

والأول : محال أو باطل ...

والثاني : حقٍ ولكنه لا ينفي وجوب شيء مما تنازع فيه الفقهاء من واجبات الصلاة فضلاً عن نفيه ، وجوب الصلاة على النبي ﷺ ، فهذا التسليم من تمام الصلاة وواجباتها عند مالك ، وكذا الجلوس للتشهد وإن لم يذكره ، وكذا إن كان عليه سهو واجب ، فإنه لاتتم الصلاة إلا به وليس لشيء من ذلك ذكر في هذا الأثر .

الجواب الرابع : أن عند أبي حنيفة رحمه الله أن التشهد ليس بفرض ، وإذا جلس مقدار التشهد فقد تمت صلاته تشهد أو لم يتشهد ، والحديث دليل على أن الصلاة لا تتم إلا بالتشهد فإن كان استدلالكم بأن علق التمام بالتشهد ؛ فلا تصح الصلاة بعدمه صحيحاً فهو حجة عليكم في قولكم بعدم وجوب التشهد . لأنه علق به التمام ، وبطل قولكم بنفى فريضة التشهد ، وإن لم يكن الاستدلال به صحيحاً بطلت معارضة أدلة الوجوب ، وبطل قولكم بنفى الوجوب للصلاة على النبى ﷺ ، فعلى كلا التقديرين قولكم بطل ، فإن قلتم : نحن نجيب عن هذا بأن قوله : فإن قلت هذا تمت صلاتك المراد به تمام الاستحباب وتمام الواجب قد نقضى بالجلوس . قيل لكم : هذا فاسد على قول من نفى وجوب الصلاة عليه، وعلى قول من أوجبها لأن من نفى وجوبها لا ينازع في أن تمام الاستحباب موقوف عليها فإن الصلاة لا تتم التمام المستحب إلا بها ، ومن أوجبها يقول : لا تتم التمام الواجب إلا بها فعلى التقديرين لا يمكنكم الاستدلال بالحديث أصلاً .

وأما قوله : روى أبو داود والترمذي حديث عبد الله بن عمرو ، وفيه : فإذا رفع رأسه من السجدة فقد مضت صلاته ، جوابه من وجوه :

أحدها : أن الحديث معلول وبيان علته من وجوه .

الثانى : أن الترمذي قال : ليس إسناده بالقوى وقد اضطربوا فى إسناده.

الثالث : أنه من رواية عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقي وقد ضعفه غير واحد من الأئمة .

الرابع : أنه من رواية بكر بن سواد عن عبد الله بن عمرو ولم يلقه فهو منقطع .

الخامس : أنه مضطرب الإسناد كما قال الترمذى .

السادس : أنه مضطرب المتن ، مرة يقول : إذا رفع رأسه من السجدة فقد مضت صلاته ، ولفظ أبى داود والترمذي غير هذا ، وهو إذا أحدث الرجل وقد جلس فى آخر صلاته قبل أن يسلم فقد جازت صلاته ، وهذا غير لفظ الطحاوى ، ورواه الطحاوي أيضاً بلفظ آخر فقال : إذا قضى الإمام صلاته فقعد

فأحدث هو أو واحد ممن أتم الصلاة معه فأحدث ، قبل أن يسلم الإمام فقد تمت صلاته ، فلا يعود فيها فهذا معناه غير معنى الأول .

قال : الطحاوى وقد روى بلفظ آخر : إذا رفع المصلي رأسه من آخر صلاته وقضى تشهده ثم أحدث فقد تمت صلاته ، وكلها مدارها على الأفريقي ، ويوشك أن يكون هذا من سوء حفظه . وأما قول على - رضي الله تبارك وتعالى عنه : إذا جلس مقدار التشهد تمت صلاته ، فجوابه أن على بن سعيد قال فى مسأله : سألت أحمد بن حنبل عن ترك التشهد فقال: يعيد .

قلت : فحديث على إذا قعد مقدار التشهد ؟ فقال : لا يصح . وقد روى عن النبى ﷺ بخلاف حديث على وعبد الله بن عمر .

وأما قوله : روى الأعمش عن أبى قصة التشهد وقال : ثم ليتخير من الكلام ما أحب ولم يذكر الصلاة على النبي ﷺ فجوابه : أن غاية هذا أن يكون ساكتاً عن وجوب الصلاة ، فلا يكون معارضاً لأحاديث الوجوب .

وأما قوله : وحديث فضالة بن عبيد يدل على نفى الوجوب ، فجوابه أن حديث فضالة حجة لنا فى المسألة ؛ لأن النبى ﷺ أمره بالصلاة عليه والتشهد ، وأمره للوجوب ، فهو نظير أمره بالتشهد ، وإذا كان الأمر متناولاً لهما معاً فالتفريق بين المأمور عن تحكم ، فإن قلتم : التشهد عندنا ليس بواجب . قلنا : الحديث حجة لنا عليكم فى المسألتين والواجب اتباع الدليل ، قوله : إن النبي ﷺ لم يأمر هذا المصلي بإعادة الصلاة ، ولو كانت الصلاة عليه فرضاً لأمره بإعادتها كما أمر المسيء فى صلاته ، وجوابه من وجوه :

أحدها : أن هذا كان عالماً بوجوبها معتقداً أنها غير واجبه فلم يأمره ﷺ بالإعادة ، أوامره فى المستقبل بكونها ، دليل على وجوبها وترك أمره بالإعادة دليل على أنه يعذر الجاهل بعدم الوجوب وهذا كما يأمر المسئ فى صلاته بإعادة مامضى من الصلوات ، وقد أخبره أنه لا يحسن غير تلك الصلاة عذراً له بالجهل .

فإن قيل : فلم أمره أن يعيد تلك الصلاة ولم يعذره فيها بالجهل ؟ قلت : لأن الوقت باق وقد علمه أركان الصلاة فوجب عليه أن يأتى بها ، فإن قيل : فهل لا أمر تارك الصلاة عليه بإعادة تلك الصلاة كما أمر المسيء ؟ قلنا : أمره

ﷺ بالصلاة فيها ، فحكم ظاهر فى الوجوب ويحتمل أن الرجل لما سمع ذلك الأمر من النبى ﷺ بادر إلى الإعادة من غير أن يأمر النبي ﷺ بها ، ويحتمل أن تكون الصلاة نفلا فلا تجب إعادتها ، ويحتمل ذلك ، فلا يترك الظاهر من الأمر وهو دليل محكم لهذا المشتبه المحتمل .

فحديث فضالة إما مشترك الدلالة على السواء فلا حجة لكم ، وإما راجح الدلالة فى جانبنا فذكرناه ، فلا حجة لكم فيه أيضاً ، فعلى التقديرين سقط احتجاجكم به ، وقوله : لم يعلمها النبي ﷺ المسيء فى صلاته ولو كانت فرضاً له لعلمها إياه ، جوابه من وجوه :

أحدها : أن حديث المسيء هذا قد جعله المتأخرون مستنداً لهم ، ونفى كل ما ينفون وجوبه ، وحملوه فوق طاقته ، وبالغوا فى نفى ما اختلف فى وجوبه ، فمن نفى وجوب الفاتحة احتج به ، ومن نفى وجوب التشهد احتج به ، ومن نفى وجوب التسليم احتج به ، ومن نفى وجوب الصلاة على النبي احتج به، ومن نفى وجوب الطمأنينة فى الصلاة احتج به ، ومن نفى وجوب التكبيرات احتج به وكل هذا تساهل واسترسال فى الاستدلال ، وإلا فعند التحقيق لا ينبغى وجوب شيء من ذلك بل غايته أن يكون قد سكت عن وجوبه ونفيه ، فإيجابه بالدلالة الموجبة لا يكون معارضاً به ، فإن قيل : سكوته عن الأمر يدل على أنه ليس بواجب لأنه من مقام البيان ، وتأخير البيان عن وقت الحاجة غير جائز ، قلنا : يلزمكم على هذا أن لا يجب التشهد ، ولا الجلوس ، ولا السلام ، ولا النية، ولا قراءة الفاتحة ، ولا كل شئ لم يذكره فى الحديث حتى ولا استقبال القبلة ، ولا الصلاة فى الوقت ، لأنه لم يأمره بشيء من ذلك فهذا لا يترك أحد .

وإن قلتم : إنما علمه ما أساء فيه وهو لم يسيء فى ذلك ، قيل لكم : فاقنعوا لهذا الجواب من منازعكم فى كل ما نفيتم وجوبه بحديث المسيء .

الثانى : أن أمره ﷺ بالصلاة عليه ظاهر فى الوجوب ، وترك أمره المسيء به يحتمل أموراً ، منها أنه لم يسئ فيه ، أو أنه وجب بعد ذلك ، أو أنه علمه معظم الأركان وأهمها ، وأحال بقية تعليمه على مشاهدته ﷺ فى صلاته أو على تعليمه بعض الصحابة له ، فإنه ﷺ كان بأمرهم بتعليم بعضهم بعضاً ، وكان من المستقر عندهم أنه دلهم على تعليم الجاهل وإرشاد الضال ، فأى

محذور فى أن يكون النبى ﷺ علمه بعضَ الصحابة ، وعلمه بعض الصحابة بعضهم[1] الآخر ، وإذا احتمل هذا لم يكن هذا المشتبه المحتمل معارضاً لأدله وجوب الصلاة على النبي ﷺ ولا غيرها من واجبات الصلاة فرضاً على أنه تقدم عليها ، فالواجب تقديم الصريح المحكم على المشتبه المحتمل .

وقوله : الفرائض إنما تثبت بدليل صحيح لا معارض له من مثله ، أو إجماع ، قلنا : استمعوا أدلتنا على الوجوب ، فلنا عليه أدلة ، فالدليل الأول قوله تعالى : ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً** ﴾ ، وجه الدلالة أن الله تعالى أمر المؤمنين بالصلاة والتسليم على رسول الله ﷺ وأمره المطلق على الوجوب مالم يقم دليل على خلافه ، قد ثبت أن أصحابه ﷺ قد سألوه عن كيفية هذه الصلاة المأمور بها فقال : قولوا : اللهم صل على محمد .. الحديث . وقد ثبت أن السلام الذى علموه هو السلام عليه فى الصلاة ، وهو سلام التشهد ، فمخرج الأمرين واحد ، يوضح أنه علمهم التشهد آمراً لهم به ، وفيه ذكر التسليم عليه فسألوا عن الصلاة عليه فعلمهم إياها ثم شبهها بما علموه من التسليم عليه ، وهذا يدل على الصلاة والتسليم عليه فى الصلاة ويتضح أنه لو كان المراد بالصلاة والتسليم عليه خارج الصلاة فيها لكان كل مسلم منهم إذا سلم عليه يقول له : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، ومن المعلوم أنهم لم يكونوا يتقيدون فى السلام عليه بهذه الكيفية ، بل كان الداخل منهم عليه يقول : السلام عليكم ، وربما قال : السلام على رسول الله ، وربما قال : السلام عليه من أول الإسلام بتحية الإسلام وإنما الذى علموه قدر زائد عليها ، وهو السلام عليه فى الصلاة يوضحه حديث ابن إسحاق : كيف نصلى عليك إذا نحن صلينا عليك فى صلاتنا ؟ وقد صحح هذه اللفظه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم والدارقطني والبيهقي كما تقدم .

---

(١) فى الأصل : " البعض الآخر " ، وما أثبتناه حق اللغة ، حيث إن كلمة " بعض " لا تأتى إلا نكرة غالباً ، ويكون تعريفها بالإضافة دون الألف واللام ، وبها جاء التنزيل قال تعالى : ﴿**بعضكم من بعض** ﴾ ، ﴿ **بعضكم بعضاً** ﴾.

وإذ تقرر أن الصلاة المسئول عن كيفيتها هى الصلاة عليه فى نفس الصلاة وقد خرَّج ذلك مخرج البيان المأمور به فى القرآن ، ثبت أنها على الوجوب ، ويضاف إلى ذلك أمر النبي ﷺ ، فإن قيل : يحتمل قوله ﷺ : والسلام كما علمتم أمرين :

أحدهما : أن يراد به السلام عليه فى الصلاة .

الثانى : أن يراد به السلام من الصلاة كما قد قاله أبو عمر بن عبد البر ، أجيب بأن فى نفس الحديث أنهم قالوا : هذا السلام عليك يا رسول الله قد عرفناه . فكيف الصلاة ؟ وهم إنما سألوه عن كيفية الصلاة ، والسلام المأمور بهما فى الآية لا عن كيفيه السلام من الصلاة. وإن قيل هذا إنما يدل دلالة اقتران الصلاة والسلام ، والسلام واجب فى التشهد ، فكذا الصلاة ودلالة الاقتران ضعيفة . أجيب أنا لم نحتج بدلالة الاقتران ، وإنما استدلالنا بالأمر بها فى القرآن وبينا أن الصلاة التى سألوا النبي ﷺ أن يعلمهم إياها إنما هى الصلاة التى فى الصلاة.

وإن قيل : لا نسلم وجوب السلام ولا الصلاة واستدلالكم إنما يتم بعد تسليمه وجوب السلام عليه . أجيب بأنه لا يعترض على الأدلة من الكتاب والسنة بخلاف المخالف ، فكيف يكون خلافكم فى مسألة قد قام الدليل على قول منازعكم مبطلاً لدليل صحيح لا معارض له فى مسألة أخرى ؟ وهل هذا إلا عكس طريقة أهل العلم بأن الأدلة هى التى تبطل ما خالفها من الأقوال ، ويعترض بها من خالف موجبيها ؟ فتقدم على كل قول اقتضى خلافها ، لا أن أقوال المجتهد يعارض بها الأدلة ، وتقدم عليها ، ثم إن الحديث حجة عليكم فى المسألتين ، فإنه دليل على وجوب التسليم والصلاة عليه ﷺ فيجب المصير إليه.

الدليل الثانى : أن النبي ﷺ كان يقول ذلك فى التشهد وأمرنا أن نصلى كصلاته ، وهذا على وجوب فعل ما فعل فى الصلاة ، إلا ما خصه الدليل ، فهاتان مقدمتان .

أما المقدمة الأولى : فبيانها ماروى الشافعى فى (مسنده) عن إبراهيم ابن محمد . حدثنى سعد بن إسحاق عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة ، عن النبي ﷺ أنه يقول فى الصلاة : اللهم صل على محمد وعلى آل

محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد وهذا وإن فيه إبراهيم بن يحيى فقد وثقه الشافعي وابن الأنفهاني وابن عدي وابن عقدة وضعفه آخرون .

وأما المقدمة الثانية : فبيانها ما روى البخاريّ في (صحيحه) من حديث مالك بن الحويرث وفيه : وصلوا كما رأيتموني أصلي .

الدليل الثالث : حديث فضالة بن عبيد فإن النبي ﷺ قال له أو لغيره : إذا صلى أحدكم فيبدأ بحمد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي ثم ليدع بما شاء. رواه أحمد وأصحاب السنن وصححه ابن خزيمه وابن حبان والحاكم .

فإن قيل : إن النبي ﷺ لم يأمر هذا المصلي بالإعادة ، أجيب بأنه قد تقدم جوابه فإن قيل : إن هذا الدعاء كان بعد الصلاة لا فيها بدليل ما خرجه الترمذيّ في جماعة من حديث رشدين بن سعد ، ولفظه : فبينا رسول الله ﷺ قاعدا إذ دخل عليه رجل فصلى فقال : اللهم اغفر لي وارحمني . فقال النبي ﷺ: إذا صليت فاحمد الله بما هو أهله ثم صل عليّ ثم ادعه .

أجيب بأن رشدين ضعفه أبو زرعة وغيره فلا يكون حجة مع استقلاله فكيف إذا خالف الثقات الأثبات ؟ لأن كل من روى هذا الحديث ، قال : سمع النبي ﷺ رجلاً يدعو في صلاته ، ثم إن رشدين لم يقل في حديثه إن هذا الداعي دعا بعد انقضاء الصلاة ، ولا يدل لفظه على ذلك بل قال : فصلى فقال : اللهم اغفرلي وارحمني وهذا لا يدل على أنه قال بعد فراغه من الصلاة ، بل نفس الحديث دليل على قولنا فإنه قال : إذا صلى أحدكم فيبدأ بتحميد الله. والمعلوم إنه لم يرد بذلك بعد الفراغ من الصلاة بل الدخول فيها ويؤيده أن عامة أدعيه النبي ﷺ إنما كانت في الصلاة لابعدها كحديث أبي هريرة ، وعليّ ، وأبي موسى ، وعائشة، وابن عائشة ، وحذيفة ، وعمار ، وغيرهم ، ولم ينقل أحد منهم أنه ﷺ كان يدعو بعد صلاته في حديث صحيح ، ولما سأله أبو بكر الصديق – رضي الله تبارك وتعالى عنه – [عن ما كان] يدعو به في صلاته لم يقل خارج الصلاة وكذا لم يقل لهذا الداعي : بعد سلامك من الصلاة ، لا سيما والمصلي يناجي ربه تعالى مقبلاً عليه ، فدعاؤه ربه تعالى في هذه الحال أنسب من دعائه له تعالى بعد انصرافه عنه وفراغه من مناجاته ، وقد قال ﷺ : فاحمد

الله بما هو أهله ، وهذا إنما أراد به التشهد وقت القعود ، ولهذا قال : إذا صليت فاقعد يعنى فى التشهد فأمره بحمد الله والثناء عليه والصلاة على الرسول ﷺ فإن قيل : إن الذى أمره أن يصلي عليه فيه بعد تحميدالله غير معين ، فلم قلتم : أنه بعد التشهد ؟ وأجيب بأنه ليس فى الصلاة موضع يشرع فيه الثناء على الله تعالى ، ثم الصلاة على رسول الله ﷺ ، ثم الدعاء إلا فى التشهد آخر الصلاة ، وذلك لا يشرع فى القيام ، ولا فى الركوع ، ولا فى السجود ، فلم أنه إنما أراد آخر الصلاة حال جلوسه فى التشهد ، وإن قيل : إنه أمره بالدعاء عقب الصلاة والدعاء ليس بواجب وكذا الصلاة عليه ﷺ، أجيب بأنه لا يستحيل أن يأمر بشيئين فيقوم الدليل على عدم وجوب أحدهما ويبقى الآخر على الوجوب ، ثم إن هذا المذكور من الحمد والثناء واجب . قيل : الدعاء فإنه هو التشهد . قد أمر النبى ﷺ به ، وأخبر الصحابه أنه فرض عليهم ، ولم يكن اقتران الأمر بالدعاء به مسقطاً لوجوبه ، فكذا الصلاة على النبي ﷺ ، ومع ذلك فقولكم الدعاء لا يجيب غير مسلم ، فإن من الدعاء ما هو واجب ، وهو الدعاء بالتوبة والاستغفار من الذنوب ، والهداية والعفو وغير ذلك.

وقد روى عن النبي ﷺ أنه قال : من لم يسأل الله يغضب عليه ، فالغضب لا يكون إلا بترك واجب أو فعل محرم . وإن قيل : لو كانت الصلاة على النبى ﷺ فرضاً فى الصلاة لم يؤخر بيانها إلى هذا الوقت حتى يرى رجلاً يفعلها فيأمره بها ، ولو كان العلم بوجوبها مستفاداً بمثل هذا الحديث أجيب بأنه لم نقل قط أنها وجبت على الأمة إلا بهذا الحديث ، بل هذا المصلى قد كان تركها فأمره النبي ﷺ بما هو مستقر من شرعه ، وهذا كحديث المسيء فى صلاته ، فإن وجوب الركوع ، والسجود ، والطمأنينة على الأمة ، لم يكن مستفاداً من حديثه ، وتأخر بيان النبى ﷺ لذلك إلى حين صلاة هذا الأعرابي ، وإنما أمره أن يصلى الصلاة التى شرعها لأمته قبل هذا ، وإن قيل : إن أبا داود والترمذيّ قالا فى حديث فضالة ولغيره محرف " أو " ولو كان هذا واجباً على مكلف لم يكن ذلك له أو لغيره ، أجيب بأن الرواية الصحيحة التى رواها ابن خزيمة وابن حبان إنما هى : فقال له ولغيره بالواو وكذا رواه الإمام أحمد والدارقطنيّ والبيهقيّ . ثم إن " أو " هذه ليست للتخيير حتى يصح الاعتراض بل

هي للتقييم والمعنى : أن أى مصل فليقل : ذلك هـذا وغيره . قـال اللـه تعـالى : ﴿ **ولاتطع منهم آثما أو كفوراً** ﴾ ليـس المـراد " أو " التخيير ، بـل المعنـى أن أيهما كان فلا تطعه . أما هذا الحديث ، والحديث مـع ذلـك صريـح فـى المعنـى بقوله : إذاصلى أحدكم فيبدأ بحمد الله تعالى. فذكره . وفى رواية النسـائي وابـن خزيمة : ثم علمه رسول الله ﷺ فذكره ، وهذا عام .

الدليل الرابع : ثلاثه أحاديث كل واحد لا تقوم به عند انفراده الحجة وقد تقوى بعضها عند الاجتماع .

أحدها : روى الدارقطنيّ من طريق عمرو بن شمـر عن جابر الجعفـيّ عن عبد الله ابن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : يـا بريـدة إذا جلسـت فى صلاتك فلا تتركنّ التشهد والصـلاة علـيّ فإنهـا زكـاة الصـلاة ، وسلم علـى جميع أنبياء الله ورسله ، وسلم على عباد الله الصالحين .

الثانى : ما خرجه الدارقطنيّ أيضًا من طريق عمرو بن شمر عن جـابر قال : قال الشعبى : سمعت مسروق بن الأجدع يقول : لا تقبل صلاة إلا بطـهور وبالصلاة عليّ . قال الدارقطنيّ : وعمرو بن شمر وجابر ضعيفان .

الثالث : خرّج الدارقطنيّ أيضاً من طريق عبد المهيمن بـن سـهيل بـن سعد عن أبيه عن جده سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال : لا صلاة لمـن لا يصلـي على نبيه ﷺ قال عبد المهيمن : ليس بالقوى .

وخرجه الطبراني من حديث فديك بن أبي فديك عن أخى ابن عباس عن أبيه عن جده سهل بن سعدان أن رسول الله ﷺ قال : لا صـلاة لمن لا وضـوء له ولا وضوء لمن لايذكر اسم الله عليه . ولا صلاة لمـن لـم يصـلّ علـى النبـي ﷺ ، ولا صلاة لمن لم يحب الأنصار .

وخرجه ابن ماجة من حديث عبـد المهيمـن أخـى ابـن عبـاس ، أمـا ابـن عباس فخرجـه لـه البخـاريّ صحيحـاً بـه فـى (الصحيـح) قـال النسـائي : ليس بالقوى ، وضعفه ابن معين وقال أحمد منكر : الحديث وقـال ابـن عدي : يكتب حديثه وهو فرد المتون والأسانيد ، وأمـا أخـوه عبـد المهيمن فمتفـق علـى تركـه واطراح حديثه فإن كان عبدالمهيمن سرقه مـن حديـث أخيه فـلا يضـر الحديـث شيئاً، ولا ينزل عن درجه الحديث الحسن ، وإن ابن أبي فديك أو من دونـه مـن

عبد المهيمن إلى أخيه أبي فهو الأشبه والله أعلم ، فإن الحديث معروف بعبد المهيمن فتلك علة قوية وقد رواه الطبراني بالوجهين ولا يثبت .

الدليل الخامس : قد ثبت وجوبها عن ابن مسعود وابن عمر ، وأبي مسعود الأنصاري ، ولم يحفظ عن أحد من الصحابة أنه قال: لاتجب ، وقول الصحابى إذا لم يخالفه غير حجة لا سيما على أصول أهل المدينه وأهل العراق.

الدليل السادس : أن هذا عمل الناس من عهد نبيهم وإلى الآن ، ولو كانت الصلاة على غيره واجبة لم يكن اتفاق الأمة فى سائر الأمصار والأعصار على قولها في التشهد وترك الإخلال بها . وقد قال مقاتل بن حيان فى تفسيره فى قوله تعالى:﴿**الذين يقيمون الصلاة**﴾ قال : إقامتها المحافظة عليها وعلى أوقاتها ، والقيام فيها ، والركوع ، والتشهد ، والصلاة على النبي ﷺ فى التشهد الأخير .

وقد قال الإمام أحمد : الناس فى التفسير عيال على مقاتل ، والصلاة على النبى ﷺ فى الصلاة من إقامة الصلاة المأمور بها فتكون واجبة ، ومع هذه الأدلة فإنا نقول لمنازعينا : ما منكم إلا من أوجب فى الصلاة أشياء بدون هذه الأدلة ، هذا أبو حنيفة رحمه الله تعالى قال بوجوب الوتر وإن أدلة وجوبه من أدله وجوب الصلاه على النبي ﷺ ، ويوجب الوضوء على من قهقه فى صلاته بحديث مرسل لا يقاوم أدلتنا فى هذه المسأله ، ويوجب [الوضوء] من القيء والرعاف والحجامة بأدلة لا تقاوم أدلة هذه المسألة ، وهذا مالك يقول : إن فى الصلاه أشياء بين الفرض والمستحب ليست بفرض وهى فوق الفضيلة المستحبة، يسميها أصحابه سنناً ، كقراءة سورة مع الفاتحة ، وتكبيرات الانتقال ، والجلسة الأولى ، والجهر والمخافتة ، ويوجبون السجود فى تركها على تفصيل لهم فيه .

وأحمد بن حنبل رحمه الله يسمى هذه واجبات ، ويوجب السجود بتركها، فإيجاب الصلاة على النبي ﷺ إن لم تكن أقوى من إيجاب كثير من هذه فليست دونها ، فهذه حجج الفريقين فى هذه المسألة ، والمقصود بيان أن تشنيع المشنع فيها على الشافعي باطل فى مسألة فيها ما فيها من الأدلة والبيان ، وإذا صار مثل هذا كيف يسوغ أن يشنع على الذاهب إليها ؟ ومن يهد الله فما له من مضل .

الموطن الثاني من مواطن الصلاة عليه ﷺ :
الصلاة عليه ﷺ في التشهد الأول

وقد اختلف فيه فقال الشافعيّ في (الأم) : يصلي فيه على النبي ﷺ في التشهد الأول ، وهذا هو المشهور في المذهب ، وهو الجديد ، لكنه يستحب وليس بواجب ، وقال في القديم : ولا يزيد على التشهد ، وهذه رواية المازني عنه ، وبه قال أبو حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم ، واحتج بقول الشافعيّ - رحمه الله - بما خرجه الدارقطنيّ من طريق موسى بن عبيد الله عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد والتحيات لله والصلوات والطيبات ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله ، ثم يصلى على النبي ﷺ.

وبما تقدم من حديث عمرو بن شمرة : إذا جلست في صلاتك فلا تتركن الصلاة عليّ ، وهذا عام يشمل الجلستين ، واحتج أيضاً بأن الله - تعالى - أمر المؤمنين بالصلاة على النبي ﷺ والتسليم على رسوله ﷺ فدل على أنه حيث شرع التسليم عليه شرعت الصلاة عليه . ولهذا سأله أصحابه عن كيفية الصلاة عليه ، وقالوا : قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلى عليك ؟ فدل على أن الصلاة مقرونة بالسلام ، ومعلوم أن المصلي يصلي على النبي ﷺ فتشرع الصلاة عليه كالتشهد الأخير ، لأن التشهد الأول محل يستحب في ذكر الرسول ﷺ فاستحب فى الصلاة عليه ، لأنه أكمل فى ذكره . ولأن في حديث محمد كيف نصلى عليك إذا نحن جلسنا فى صلاتنا ؟ وقال الآخرون : ليس التشهد الأول بمحل لذلك . وهو القديم من قول الشافعى ، وقد صححه جماعة . لأن التشهد الأول تخفيفه مشروع ، وكان النبي ﷺ إذا جلس فيه كان على الردف ، ولم يثبت عنه أنه كان يقول ذلك فيه ، ولا علمه الأمة ، ولا نعرف أن أحداً من الصحابة استحبه ، ولأن مشروعية ذلك لوكانت كما ذكرتم من الأمر ؛ لكانت واجبة فى هذا المحل كما فى الأخير . لتناول الأمر لهما . ولأنه لو كانت الصلاة مستحبة فى هذا الموضع لاستحبت فيه الصلاة على آله . لأن النبي ﷺ

لم يفرد نفسه دون آله بالأمر بالصلاة عليه بل أمرهم بالصلاة عليه وعلى آله فى الصلاة وغيرها ؛ ولأنه لوكانت الصلاة عليه فى هذا الموضع مشروعة ؛ لشرع فيها ذكر إبراهيم وآل إبراهيم ؛ لأنها هى صفة الصلاة المأمور بها . ولأنها لوشرعت فى هذا الموضع لشرع فيه الدعاء بعدها لحديث فضالة ، ولم يكن فرق بين التشهدين ، وأما الأحاديث التى استدللتم بها فإنها مع ضعفها بموسى بن عبيدة وعمرو بن شمر وجابر الجعفي ، لا تدل على أن المراد بالتشهد فيها هو الآخر دون الأول بما ذكرناه من الأدلة ، وهذا الجواب عن كل ما ذكرتموه من الأدلة والله أعلم.

الموطن الثالث من مواطن الصلاة عليه ﷺ :
آخر القنوت

وقد استحبه الشافعي ومن وافقه واحتج له بما خرجه النسائي من حديث محمد بن سلمة : حدثنا وهب عن يحيى بن عبد الله بن سالم ، عن موسى بن عقبة عن عبد الله بن علي عن علي بن الحسن بن علي - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - قال : علمنى رسول الله ﷺ هؤلاء الكلمات فى الوتر قال : قل: اللهم اهدنى فيمن هديت ، وعافني فيمن عافيت ، وبارك لي فيما أعطيت ، وتولني فيمن توليت ، وقني شر ما قضيت ، فإنك تقضي ولايقضي عليك ، وإنه لايذل من واليت ، تباركت ربنا وتعاليت ، وصلى الله على النبي ، وهذا إنما يعرف فى قنوت الوتر ، وإنما نقل إلى قنوت الفجر قياسًا كما نقل أصل هذا الدعاء إلى قنوت الفجر .

وقد راوه أبو إسحاق عن يزيد أبى الحوراء قال : قال الحسن بن على : علمنى رسول الله ﷺ كلمات أقولهن فى الوتر ، فذكروه ولم يذكر فيه الصلاة على النبى ﷺ وهو مستحب فى قنوت رمضان ، قال ابن وهب : أخبرنى يونس عن ابن شهاب ، قال : أخبرنى عروة بن الزبير أن عبد الرحمن بن القاري وكان فى عهد عمر بن الخطاب - رضي الله وتبارك عنه - مع زيد بن الأرقم على بيت المال ، قال : إن عمر خرج ليلة فى رمضان ، فخرج معه عبد

الرحمن بن القاري ؛ فطاف في المسجد أهل أوزاع متفرقون ، يصلي رجل لنفسه ، ويصلي الرجل فيصلي الرهط بصلاته ، فقال عمر - رضى الله وتبارك عنه : والله إنى لأظن لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد يكون أمثل ، ثم عزم عمر على ذلك ، وأمر أبى بن كعب أن يقوم بهم فى رمضان ، فخرج عليهم والناس يصلون بصلاة قارئهم ، فقال عمر : فعمت البدعة هذه ، والتى ينامون عنها أفضل من التى يقومون ، يريد آخر الليل ، وكان الناس يقومون أوله ، قال: وكانوا يلعنون الكفرة فى النصف ، يقولون : اللهم العن قابل الكفرة الذين يصدون عن دينك ، ويكذبون رسلك ، ولا يؤمنون بوعدك ، وخالف بين كلمتهم، وألق في قلوبهم الرعب ، وألق عليهم رجزك وعذابك ، إله الحق .

ثم يصلي على النبي ﷺ ، ثم يدعو للمسلمين ما استطاع من خير ، ثم يستغفر للمؤمنين .قال : وكان يقول إذا فرغ من لعنة الكفر ، وصلاته على النبي ﷺ واستغفاره للمؤمنين ، ومسألته : اللهم إياك نعبد ، ولك نصلى ونسجد ، وإليك نسعى ونحمد ، ونرجو رحمتك ونخاف عذابك الجد ؛ إن عذابك لمن عاديت ملحق ، ثم يكبر ويهوى ساجداً . وقال إسماعيل بن إسحاق : حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا معاذ بن هشام : حدثنى أبو قتادة عن عبد الله بن الحارث : أن معاذًا كان يصلي على النبي ﷺ فى القنوت .

الموطن الرابع من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : صلاة الجنازة بعد التكبيرة الثانية

وقد اختلف فى توقف صحة الصلاة عليها ، فقال الشافعى وأحمد فى المشهور من مذهبهما : إنها واجبة فى الصلاة لا تصح إلا بها ، رواه البيهقى عن عبادة بن الصامت وغيره من الصحابة ، وقال أبو حنيفة ومالك : تستحب ، وليست بواجبة وهو وجه في المذهب ، والدليل على مشروعيتها فى صلاة الجنازة . ما روى الشافعيّ في (المسند) من حديث مظفر بن مازن عن معمر عن الزهريّ . أخبرنى أبو أمامة بن سهل أنه أخبره رجل من أصحاب النبي ﷺ أن السنة في صلاة الجنازة ، أن يكبر الإمام ، ثم يقرأ فاتحة الكتاب بعد التكبيرة

الأولى سرًا في نفسه ، ثم يصلي على النبى ﷺ ، ويخلص الدعاء للجنازة ، ثم يسلم سرا فى نفسه ، لكن قد اختلف في هذا الحديث ، فقال مظفر بن مازن عن معمر عن الزهريّ عن أبي أمامة عن رجل من أصحاب النبي ﷺ : من السنة ، وقال عبد الأعلى عن معمر عن الزهريّ عن أبي أمامة : من السنة ، رواه الشافعيّ بالوجهين ، وليست هذه العلة قادحة فيه ، فإن جهالة الصحابى لا تضر. وقول الصحابى من السنة اختلف فيه ، فقيل : هو في حكم المرفوع ، وقيل : لا يقضى له بالرفع ، والصواب التفصيل كما هو مذكور فى موضعه .

وخرج إسماعيل فى كتاب (الصلاة على النبي ﷺ) من حديث محمد بن المثنى ، حدثنا عبد الأعلى ، حدثنا معمر عن الزهري قال : سمعت أبا أمامة ابن سهل بن حنيف يحدث سعيد بن المسيب ، قال : إن السنة فى الصلاة على الجنازة أن يقرأ بفاتحة الكتاب ، ويصلى على النبي ﷺ ، ثم يخلص الدعاء للميت حتى يفرغ ، ولا يقرأ إلا مرة واحدة ، ثم يسلم فى نفسه .

وخرجه النسائيّ فى (سننه) ، وقال : هذا إسناد صحيح[1]، وقد روى عن ابن عباس – رضي الله تبارك وتعالى عنه – أنه صلى على جنازة بمكة فكبر ، ثم قرأ وجهر وصلى على النبي ﷺ ، ثم دعا لصاحبها فأحسن ثم انصرف ، وقال : هكذا ينبغي أن تكون الصلاة على الجنازة .

---

(١) (سنن النسائي) : ٤ / ٣٧٧ ، كتاب الجنائز ، باب (٧٧) الدعاء ، حديث رقم (١٩٨٦) ولفظه :صليت خلف ابن عباس على جنازة ، فقرأ بفاتحة الكتاب وسورة ، وجهر حتى أسمعنا، فلما فرغ أخذت بيده فسألته ، قال : سنة وحق ، ونحوه حديث رقم (١٩٨٧) ، (١٩٨٨) وليس فيهما ذكر الصلاة على النبى ﷺ ، وأخرجه البخاريّ فى الجنائز ، باب قراءة فاتحة الكتاب على الجنازة ، حديث رقم (١٣٣٥) ، وأخرجه أبوداود فى الجنائز ، باب ما يقرأ على الجنازة ، حديث رقم (٣١٩٨) ، وأخرجة الترمذيّ فى الجنائز ، باب ما جاء فى القراءة على الجنازة بفاتحة الكتاب ، حديث رقم (١٠٢٧) وقال : حديث حسن صحيح .

قوله : (سنة وحق) ينبغى أن تكون الفاتحة أولى وأحسن من غيرها من الأدعية ، ولاحجة للمنع عنها . وعلى هذا كثير من محققى علمائنا إلا أنهم قالوا: يقرأ بنية الدعاء والثناء ، لا بنية القراءة ، والله تعالى أعلم . (حاشية السندي) مختصرًا .

وفي (موطأ يحيى بن بكير) : حدثنا مالك بن أنس عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه أنه سأل أبا هريرة : كيف يصلى على الجنازة ؟ فقال : أنا لعمرك أخبرك ، أتبعها مع أهلها ، فإذا وضعت كبرت وحمدت الله ، وصليت على نبيه ، ثم أقول : اللهم إنه عبدك وابن عبدك ، كان يشهد أن لا إله إلا أنت، وأن محمدا عبدك ورسولك ، وأنت أعلم به ، اللهم إن كان محسناً ؛ فزد في إحسانه ، وإن كان مسيئاً فتجاوز عن سيئاته ، اللهم لا تحرمنا أجره ، ولا تفتنا بعده .

وقال أبو ذر الهروى : أنبأنا أبو الحسن بن أبى سهل السرخسي ، أنبأنا أبو على أحمد بن محمد بن رزين ، حدثنا على بن خشرم . حدثنا أنس بن عياض عن إسماعيل بن رافع عن رجل قال : سمعت إبراهيم النخعى يقول : كان ابن مسعود –رضي الله تبارك وتعالى عنه– إذا أتى جنازة استقبل الناس ، وقال : ياأيها الناس سمعت رسول الله ﷺ يقول : لم يجتمع مائة [1] لميت فيجتهدون له فى الدعاء إلا وهب الله ذنوبه لهم ، وإنكم شفعاء لأخيكم ؛ فاجتهدوا فى الدعاء ، ثم يستقبل القبلة فإن كان رجلاً وقف عند رأسه ، وإن كانت إمراة قام عند منكبها ، ثم إنه قال : اللهم إنه عبدك ، وابن عبدك ، أنت خلقته وأنت هديته للإسلام وأنت قبضت روحه ، وأنت أعلم بسريرته وعلانيتة ، وقد جئناك شفعاء له ، اللهم إنا نستجير بحبل[2]جوارك ؛ فإنك ذو وفاء وذو رحمة ، أعذه من فتنه القبر وعذاب جهنم ، اللهم إن كان محسناً فزد فى إحسانه ، وإن كان مسيئاً فتجاوز عن سيئاته ، اللهم نورله قبره ، وألحقه بنبيك ، قال : ويقول : هذا كلما كَبَّر ، وإذا كانت التكبيرة الأخيرة ، قال مثل ذلك ، ثم

---

(١) (سنن النسائي) : ٤/ ٣٧٨ ــ ٣٧٩ كتاب الجنائز ، باب (٧٨) فضل من صلى عليه مائة ، حديث رقم (١٩٩٠) ، (١٩٩١) ،(١٩٩٢) مختصراً دون ذكر الدعاء في كل أحاديث الباب .

(٢) قال المنذري : قال بعضهم : كان من عادة العرب أن تخيف بعضها بعضاً ، فكان الرجل إذا أراد سفراً ؛ أخذ عهدًا من سيد كل قبيلة ، فيأمن به ما دام في حدودها ، حتى ينتهي إلى الأخرة ، فيأخذ مثل ذلك ، فهذا حبل الجوار ، أى مادام مجاوراً أرضه ، أو هو من الإجارة ، وهو الأمان والنصرة . (هامش سنن أبي داود) .

[illegible]

وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد ، اللهم صل على فرطنا وأسلافنا ، اللهم

[illegible]

المجالس، وقيل له: أكان رسول الله ﷺ يقف على القبر إذا فرغ منه ، قال : نعم، كان إذا فرغ منه وقف عليه ، ثم قال: اللهم إنه قد نزل بك وخلف الدنيا وراء ظهره ، ونعم المنزول به أنت ، اللهم ثبت عند المسألة منطقه ، ولا تبتلهِ في قبره بما لا طاقة له به ، اللهم نورله في قبره وألحقه بنبيه ، وكان يصلي على النبي ﷺ في الجنازة ، كما يصلي عليه في التشهد ؛ لأن النبي ﷺ علم ذلك أصحابه لما سألوه عن كيفية الصلاة عليه ، وفي (مسائل عبدالله بن أحمد بن حنبل) عن أبيه ، قال : يصلي على النبي ﷺ ويصلي على الملائكة المقربين .

الموطن الخامس من مواطن الصلاة على النبي ﷺ :
الخطب في الجمعة والعيدين
والاستسقاء ونحو ذلك

وقد اختلف في اشتراطها لصحه الخطبة ، فقال الشافعي وأحمد : المشهور عن مذاهبهما ، لا تصح الخطبة ، إلا بالصلاة على النبي ﷺ ، وقال مالك وأبو حنيفة : تصح بدونها ، وهو وجه في مذهب أحمد ، و الحجة في وجوبها قول الله تعالى : ﴿ **ألم نشرح لك صدرك * ووضعنا عنك وزرك * الذى أنقض ظهرك * ورفعنا لك ذكرك** ﴾[1] .

قال ابن عباس : رفع الله ذكره فلايذكر إلا ذكر معه ، واعترض عليه بأن المراد بذكره ﷺ مع ذكرربه - تعالى - هو الشهادة له بالرسالة إذا شهد لمرسله بالوحدانية ، وهذا هو الواجب قطعاً ، بل هو ركنها الأعظم .

وقد روى أبو داود[2] وأحمد[3] من حديث أبى هريرة - رضى الله تبارك وتعالى عنه - عن النبي ﷺ أنه قال : كل خطبة ليس فيها تشهد فهى كاليد الجذماء ، واليد الجذماء المقطوعة ، فمن أوجب الصلاة على النبي ﷺ في الخطبة دون التشهد ، فقوله في غاية الضعف .

---

(١) الشرح : ١ - ٤ .

(٢) (سنن أبي داود) : ١٧٣/٥ . كتاب الأدب ، باب (٢٢) في الخطبة ، حديث رقم (٤٨٤١) ، قوله " ليس فيها تشهد " أى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله .

وقوله : " فهي كاليد الجذماء " أى كاليد التي أصابها الجذام ، وهو مرض معروف ، يحمر اللحم المصاب به ويتساقط ، يعني قليل البركة .

والحديث أخرجه الترمذيّ في النكاح ، حديث رقم (١١٠٦) باب في خطبة النكاح ، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب ، ونقل المنذريّ عنه " حسن غريب " فقط .

(٣) (مسند أحمد) : ١٥/٣ ، حديث رقم (٨٣١٣) من مسند أبي هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه .

وقد روى يونس عن سفيان عن قتادة : ﴿ **ورفعنا لك ذكرك** ﴾ ، قال : رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة ، فليس خطيب ، ولا متشهد ، ولا صاحب صلاة إلا ابتدأها : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله .

وخرج عبد بن حميد من حديث هشيم عن جويبر عن الضحاك : ﴿**ورفعنا لك ذكرك** ﴾ ، قالا : لا أذكر إلا ذكرت معي في الأذان أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، فهذا هو المراد من الآية [1] .

وكيف لا يجب التشهد الذى هو عقد الإسلام فى الخطبة ، وهو أفضل كلماتها ، وتجب الصلاة على النبي ﷺ فيها .

والدليل على مشروعية الصلاة على النبي ﷺ في الخطبة ، ما رواه الإمام أحمد[2] من طريق منصور بن أبي مزاحم ، حدثنا خالد : حدثنى عون بن أبي جحيفة ، قال : كان أبي من شُرَط عليّ ، رضي الله تبارك وتعالى عنه - وكان تحت المنبر ، فحدثنى أنه صعد المنبر يعنى علياً - رضى الله تبارك وتعالى عنه - فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على النبي ﷺ ، وقال : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر والثاني : عمر ، قال : يجعل الله الخير حيث [أحب][3] .

وقال محمد بن الحسن بن جعفر الأسدي : حدثنا أبو الحسن علي بن محمد الحميدى : حدثنا عبد الله بن سعيد الكندي : حدثنا عبد الرحمن الرواسي، قال : سمعت أبى يذكر عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أنه كان يقول بعد ما يفرغ من خطبته والصلاة على النبي ﷺ : اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا ، وكره إلينا

---

(١) (تفسير ابن كثير) : ٥٦١/٤ ، وفيه : عن أبى الهيثم ، عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ أنه قال : " أتاني جبريل فقال : إن ربي وربك يقول كيف رفع ذكرك ؟ قال : الله أعلم ، قال : إذا ذكرت ذكرت معي " .

(٢) (مسند أحمد) : ١٧١/١ ، حديث رقم (٨٣٩) ، من مسند علي بن أبي طالب - رضي الله تبارك وتعالى عنه ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه .

(٣) في (الأصل) : " حيث شاء " وما أثبتناه من (مسند أحمد) .

الكفر والفسوق والعصيان ، اللهم بارك في أسماعنا وأبصارنا وأزواجنا وقلوبنا وذريتنا .

وروى الدارقطنى من طريق ابن لهيعة عن الأسود بن مالك الحضرمى عن بجير بن زاخر المعافري ، قال : رحت أنا ووالدى إلى صلاة الجمعة فذكر حديثاً وفيه : فقام عمرو بن العاص على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه حمداً موجزاً ، وصلي على النبي ﷺ ، ووعظ الناس وأمرهم ونهاهم .

وحديث ضبة بن محصن أن أبا موسى الأشعري - رضي الله تبارك وتعالى عنه - كان إذا خطب حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ودعا لعمر ؛ فأنكر عليه ضبة الدعاء لعمر قبل الدعاء لأبي بكر فرفع ذلك إلى عمر ؛ فقال لضبة : أنت أوفق منه وأرشد ، فهذا دليل على أن الصلاة على النبي ﷺ فى الخطبة أمر كان مشهوراً بين الصحابة - رضي الله تبارك وتعالى عنهم- معروفاً بينهم .

وأما وجوبها فيحتاج إلى دليل يجب المصير إليه حتى ينقطع به الشك .

الموطن السادس من مواطن الصلاة على النبي ﷺ :
بعد إجابة المؤذن وعند الإقامة

خرج مسلم[1] من طريق عبد الله بن وهب بن حيوة وسعيد بن أبي أيوب وغيرهما عن كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو ابن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول : إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً ، ثم سلوا الله لى الوسيلة ؛ فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لى الوسيلة حلت عليه شفاعتي .

وخرجه أبو داود[2] من طريق ابن وهب عن ابن لهيعة وحيوة وسعيد ابن أبى أيوب ، عن كعب بن علقمة إلى آخره مثله .

وخرجه الترمذي[3] من طريق عبد الرحمن بن يزيد المقرئ : حدثنا حيوه : أنبأنا كعب بن علقمة ، سمع عبد الرحمن بن جبير ، سمع عبد الله بن عمرو أنه سمع النبي ﷺ يقول الحديث بنحو هذا ، وقال : هذا حديث حسن صحيح .

وخرجه النسائي[4] من حديث سويد بن ناصر قال : أنبأنا عبد الله عن حيوة بن شريح قال : أخبرني كعب بن علقمة أنه سمع عبد الرحمن بن جبير

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٣٢٧/٤ ، كتاب الصلاة ، باب (٧) استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ، ثم يصلي على النبي ﷺ ، ثم يسأل له الوسيلة ، حديث رقم (٣٨٣) .

(٢) (سنن أبي داود) : ٣٥٩/١ - ٣٦٠ ، كتاب الصلاة ، باب (٣٦) ما يقول إذا سمع المؤذن ، حديث رقم (٥٢٣) .

(٣) (سنن الترمذي) : ٥٤٧/٥ ، كتاب المناقب ، باب (١) في فضل النبي ﷺ ، حديث رقم (٣٦١٤) ، ثم قال : قال محمد : عبد الرحمن بن جبير هذا قرشيّ مصري مدنيّ ، وعبد الرحمن ابن جبير بن نفير شامي .

(٤) (سنن النسائي) : ٣٥٥/٢ - ٣٥٦ ، كتاب الأذان ، باب (٣٨) الدعاء عند الأذان ، حديث رقم (٦٧٩) ، بسند آخر ، وسياقة أخرى .

مولى نافع بن عمرو القرشي يحدث أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول : سمعت رسول الله ﷺ إلى آخره بنحوه .

ومن طريق إسحاق بن منصور قال : أنبأنا عبد الله بن يزيد أنبأنا حيوة، أنبأنا كعب بن علقمة إلى آخره بمثله أو بنحوه .

وخرج الحسن بن عرفة من طريق العوام بن حريث : حدثنا منصور بن زاذان عن الحسن قال : من قال مثل ما يقول المؤذن ، فإذا قال المؤذن قد قامت الصلاة قال : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد عبدك ورسولك ، وأبلغه درجة الوسيلة فى الجنة ؛ دخل فى شفاعة محمد ﷺ[١].

وقال : يوسف بن أسباط بلغني أن الرجل إذا أقيمت الصلاة فلم يقل : اللهم رب هذه الدعوة المستمعة المستجاب لها ، صَلِّ على محمد وعلى آل محمد، وزوجنا الحور العين إلا قالت الحور العين : ما إن هداك غيرنا ، واعلم أن فى إجابة المؤذن خمس سنن قد اشتمل حديث عبد الله بن عمرو المذكور على ثلاثة منها ، والرابعة ، أن يقول : ما خرجه مسلم[٢] وأبو داود[٣] والترمذيّ[٤] والنسائيّ[٥] من حديث الليث عن حكيم بن عبد الله بن قيس

---

(١) (سنن أبي داود) : ١/٣٦٢ ، كتاب الصلاة ، باب (٣٨) ما جاء في الدعاء عند الأذان ، حديث رقم (٥٢٩) من حديث جابر بن عبد الله بسياقة أخرى ، أخرجه الترمذى فى (السنن) : ١/٤١٣ ، أبواب الصلاة ، باب (١٥٧) ، حديث رقم (٢١١) وقال : حديث جابر حديث صحيح حسن غريب من حديث محمد بن المنكدر ، لا نعلم أحداً رواه غير شعيب بن أبى حمزة عن محمد بن المنكدر ، وأبو حمزة اسمه دينار .

(٢) (مسلم بشرح النووى) : ٤/٣٢٧ ، كتاب الصلاة ، باب (٧) استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ، ثم يصلى على النبى ﷺ ، ثم يسأل له الوسيلة ، حديث رقم (٣٨٣) .

(٣) (سنن أبي داود) : ١/٣٥٩ - ٣٦٠ ، كتاب الصلاة ، باب (٣٦) ما يقول إذا سمع المؤذن ، حديث رقم (٥٢٣) .

(٤) (سنن الترمذيّ) : ١/٤١١ - ٤١٢ ، أبواب الصلاة ، باب (١٥٦) ما جاء ما يقول الرجل إذا أذن المؤذن من الدعاء ، حديث رقم (٢١٠) ، قال أبو عيسى : وهذا حديث حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلا من حديث الليث بن سعد عن حكيم بن عبد الله بن قيس . =

القرشي ، عن عامر بن سعد بن أبى وقاص ، عن سعد بن أبي وقاص -رضى الله تبارك وتعالى عنه - عن رسول الله ﷺ أنه قال حين يسمع المؤذن : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله ، رضيت بالله رباً وبالإسلام دينًا ، غفر ذنبه ، وفى رواية : من قال حين يسمع المؤذن وأنا أشهد هكذا ، قال أبو داود والترمذي والنسائي : وأنا أشهد . وقال الترمذى بعقبه : وهذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث ليث بن سعد ، عن حكيم بن عبد الله بن قيس ، والخامسة : أن يدعو بعد إجابة المؤذن وصلاته على رسول الله ﷺ وبعد سؤاله الوسيلة لما فى سنن أبي داود(١) والنسائي(٢) من حديث عبد الله بن عمرو ، أن رجلا قال : يا رسول الله إن المؤذنين يفضلوننا ؛ فقال : قل كما يقولون ، فإذا انتهيت فسل تعطه .

وخرج الإمام أحمد(٣) من حديث ابن لهيعة : حدثنا أبو الزبير عن جابر - رضى الله تبارك وتعالى عنه - أن رسول الله ﷺ قال : من قال حين ينادى المنادى بالصلاة : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة ، صل على

= (٥) (سنن النسائيّ) : ٣٥٥/١ ، كتاب الأذان ، باب (٣٨) الدعاء عند الأذان ، حديث رقم (٦٧٨) وأخرجه ابن ماجة في (السنن) : ٣٨/١ ، كتاب الأذان والسنة فيها ، باب (٤) ، ما يقال إذا أذن المؤذن ، حديث رقم (٧٢١) .

(١) (سنن أبي داود) : ٣٦٠/١ ، كتاب الصلاة ، باب (٣٦) ما يقول إذا سمع المؤذن ، حديث رقم (٥٢٤) .

(٢) أخرجه النسائي في (عمل اليوم والليلة) .

(٣) لم أجده في (المسند) بهذا السند ولا بهذه السياقة ، والذي في (مسند أحمد) : ٣٢٢/٤ ، حديث رقم (١٤٤٠٣) من مسند جابر بن عبد الله - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : " من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة ، آت محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ؛ إلا حلت له الشفاعة يوم القيامة ، وهو في (كنز العمال) : ٧٠٤/٧ ، حديث رقم (٢١٠١٩) ، كما جاء (بالأصل) . وعزاه إلى الإمام أحمد في (المسند) والطبراني في (الأوسط) عن جابر .

محمد وارض عنى رضاً لا سخط بعده ، استجاب الله له دعوته ، وخرجه الطبرانى في (الأوسط) عن ابن لهيعة به مثله .

وخرج الحاكم فى (المستدرك) من[1]حديث أبي أمامة أن رسول الله ﷺ كان إذا سمع الأذان قال : اللهم رب هذه الدعوة المستجابة المستجاب لها ، دعوة الحق ، وكلمة التقوى ، توفنى عليها وأحينى عليها واجعلنى من صالح عملاً يوم القيامة ، فهذه خمسة وعشرون سنة فى الأذان تكون فى كل يوم وليلة فما أعظم أجرها .

---

(١) لم أجده في (المستدرك) بهذه السياقة ، والذى فيه ، عن أم حبيبة : أن رسول الله ﷺ كان إذا سمع المؤذن قال كما يقول حتى يسكت ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وله شاهد بإسناد صحيح وهذا الحديث رقم (٧٣٣) ، وهو حديث ساقط من (التلخيص) وحديث رقم (٧٣٤) عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - أن النبي ﷺ كان إذا سمع المؤذن قال : " وأنا وأنا " وسكت عنه الذهبي فى التلخيص .

الموطن السابع من مواطن الصلاة على النبي ﷺ :
عند دعاء كل داع من أمتي وله ثلاث مراتب

الأولى : أن يصلي عليه ﷺ قبل الدعاء وبعد حمد الله تعالى .
والثانية : أن يصلي ﷺ عليه فى أول دعائه ، وأوسطه ، وآخره .
والثالثة : أن يصلي ﷺ عليه فى أول الدعاء ، وآخره ، ويجعل حاجته متوسطة بينهما .

فأما **المرتبة الأولى** : فيدل عليها حديث فضالة بن عبيد المتقدم ، وقول النبى ﷺ : إذا دعا أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصلّ على النبى ﷺ ثم يدع بما يشاء .

وخرج الترمذى[1] من حديث أبى بكر بن عياش عن عاصم عن زُر ، قال : كنت أصلي والنبي ﷺ وأبو بكر وعمر -رضي الله تبارك وتعالى عنهما- معه ، فلما جلست بدأت بالثناء على الله ، ثم بالصلاة على النبي ﷺ ، ثم دعوت لنفسي ، فقال النبي ﷺ : سل تعطه .

وخرج عبد الرزاق من حديث معمر عن أبى إسحاق عن أبى عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال : إذا أراد أحدكم أن يسأل الله - تعالى - فليبدأ بحمد الله - تعالى - والثناء عليه بما هو أهله ، ثم ليصل على النبي ﷺ ، ثم يسأل الله بعد ؛ فإنه أجدر أن ينجح ويصيب ، ورواه شريك عن أبي إسحاق ، وعن أبي الأحوص ، عن عبد الله نحوه .

وأما **المرتبة الثانية** : فقال عبد الرزاق عن الثورى عن موسى بن عبيدة عن محمد بن إبراهيم التيمى عن أبيه عن جابر بن عبد الله - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : لا تجعلوني كقدح الراكب فذكر الحديث ، وقال : اجعلوني وسط الدعاء ، وفى أوله ، وفى آخره ، وقد تقدم

(١) سبق تخريجه وهو أيضاً عن أبي داود بنحوه ومعناه .

حديث علي - رضي الله تبارك وتعالى عنه : ما من دعاء إلا وبينه وبين الله تعالى حجاب ، وإذا لم يصل على النبي ﷺ لم يستجب الدعاء .

وتقدم قول ابن عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه : الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يستجاب منه شيء حتى يصلى على النبي ﷺ ، وقال : أحمد ابن على بن شعيب : حدثنا محمد بن حفص ، حدثنا الجراح بن يحيى حدثنى عمر بن عمرو قال : سمعت عبد الله بن بشر يقول : قال رسول الله ﷺ : [الدعاء] محجوب حتى يكون أوله ثناء على الله - عز وجل - وصلاة على النبي ﷺ ثم يدعو فيستجاب لدعائه ، وعمر بن عمرو هو الأحمسى ، له عند عبد الله بن بشر حديثان ، هذا ، وحديث رواه الطبرانى فى (الكبير) عن النبي ﷺ : من استفتح أول نهاره بخير وختمه بخير قال الله - عز وجل - لملائكته : لا تكتبوا عليه ما بين ذلك من الذنوب .

واعلم أن الصلاة على النبي ﷺ مثل الفاتحة من الصلاة ، وهذه المواطن التى تقدمت كلها شرعت الصلاة فيها على النبي ﷺ .

أما الدعاء ، فمفتاح الدعاء الصلاة على النبي ﷺ كما أن مفتاح الصلاة الطهور ، قال أحمد بن أبى الحوارى : سمعت أبا سليمان الداراني يقول : من أراد أن يسأل الله - تعالى - حاجة ؛ فليبدأ بالصلاة على النبى ﷺ ، وليختم بالصلاة عليه ؛ فإن الصلاة على النبي ﷺ مقبولة ، والله - تعالى - أكرم من أن يردَّ ما بينهما .

الموطن الثامن من مواطن الصلاة على النبى ﷺ : عند دخول المسجد وعند الخروج منه

لما روى ابن خزيمة في (صحيحه) وأبو حاتم بن حبان من حديث أبى هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أن رسول الله ﷺ قال : إذا دخل أحدكم المسجد ، فليسلم على النبى ﷺ وليقل : اللهم افتح لى أبواب رحمتك ، وإذا خرج فليسلم على النبي ﷺ وليقل : اللهم أجرني من الشيطان(١) .

وفي (المستدرك)(٢) والترمذي(٣) وابن ماجة(٤) من حديث فاطمة بنت الحسين عن جدتها فاطمة الكبرى(٥) -رضي الله تبارك وتعالى عنهما- قالت :

---

(١) (الأذكار للنووي) : ٣٤ ، باب (٢٠) ما يقوله عند دخول المسجد والخروج منه ، وعزاه إلى ابن ماجة ، وابن خزيمة ، وأبو حاتم بن حبان .

(٢) (المستدرك) : ١/٣٢٥ - ٣٢٦ ، من كتاب الإمامة وصلاة الجماعة ، حديث رقم (٧٤٩) ، ولفظه : كان رسول الله ﷺ إذا دخل فى الصلاة يقول : " اللهم إنى أعوذ بك من الشيطان الرجيم، وهمزه ونفخه ، ونفثه " : فهمزه الموتة ، ونفثه الشعر ، ونفخه الكبرياء ، ثم قال : هذا حديث صحيح الإسناد ، وقد استشهد البخاري بعطاء بن السائب ، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : على شرطهما .

(٣) (سنن الترمذي) : ٢/١٢٧ - ١٢٨ ، أبواب الصلاة ، باب (٢٣٤) ما جاء ما يقول عند دخول المسجد ، حديث رقم (٣١٤) ، (٣١٥) .

قال أبو عيسى : وفي الباب عن أبي حميد ، وأبي أسيد ، وأبي هريرة ، [وقال أيضاً] : حديث فاطمة حديث حسن ، وليس إسناده بمتصل ، وفاطمة بنت الحسين لم تدرك فاطمة الكبرى، وإنما عاشت فاطمة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - بعد النبي ﷺ أشهراً .

قال الشارح : فإن قلت : قد اعترف الترمذى بعدم اتصال إسناده حديث فاطمة ، فكيف قال: حديث فاطمة حديث حسن ؟ قلت : الظاهر أنه حسن لشواهده ، وقد بينا فى المقدمة أن الترمذي قد يحسن الحديث مع ضعف الإسناد للشواهد ، وهذا الحديث أخرجه أحمد وابن ماجة أيضاً . =

كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد قال : اللهم صلِّ على محمد وسلم ، اللهم اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب رحمتك ، وإذا خرج قال مثلها ، إلا أنه يقول: أبواب فضلك .

رواه الترمذي عن علي بن حجر عن إسماعيل بن إبراهيم عن ليث عن عبد الله بن الحسن عن أمه فاطمة بنت الحسين عن جدتها فاطمة الكبرى ولفظه: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم ، قال إسماعيل : فلقيت عبد الله بن الحسن بمكة ، فسألته عن هذا الحديث فسألته به ، قال: وليس إسناده متصلاً ؛ لأن فاطمة بنت الحسين لم تدرك فاطمة الكبرى .

ورواه ابن ماجة عن أبي بكر عن ابن علية وأبي معاوية عن ليث نحوه .

وروى إسماعيل بن إسحاق عن شعبة عن أبي إسحاق قال : سمعت سعيد بن ذي حراب قال : قلت لعلقمة : ما أقول إذا دخلت المسجد ؟ قال : تقول : صلى الله وملائكته على محمد ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته .

ومن طريق ابن عمر التميمي عن سليمان العبسي عن علي بن الحسين قال : قال علي - رضي الله تبارك وتعالى عنه : إذا مررتم بالمسجد فصلوا على النبي ﷺ .

= (٤) (سنن ابن ماجة) : ٢٥٣/١ - ٢٥٤ ، كتاب المساجد والجماعات باب (١٣) الدعاء عند دخول المسجد ، حديث رقم (٧٧١) .

(٥) هي فاطمة الزهراء بنت النبي ﷺ .

الموطن التاسع من مواطن الصلاة على النبي ﷺ :
الصلاة عليه ﷺ على الصفا والمروة

روى إسماعيل بن إسحاق من طريق همام بن يحيى : حدثنا نافع أن ابن -عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه- كان يكبر على الصفا ثلاثاً ثم يقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير ، ثم يصلي على النبي ﷺ ويطيل القيام والدعاء ، ويفعل على المروة مثل ذلك ، وهذا من توابع الدعاء أيضاً .

وروى جعفر بن عون عن زكريا عن الشعبى ، عن وهب بن الأجدع قال : سمعت عمر بن الخطاب – رضي الله تبارك وتعالى عنه – يخطب الناس بمكة يقول : إذا قدم الرجل منكم حاجًا ؛ فليطف بالبيت سبعاً ، وليصلِّ بهذا المقام ركعتين ، ثم يستلم الحجر الأسود ، ثم يبدأ بالصفا فيقوم عليه ويستقبل البيت ، فيكبر سبع تكبيرات ، بين كل تكبيرتين حمداً لله عز وجل ، وثناءً عليه ، وصلاة على النبي ﷺ ، ويسأل لنفسه ، وعلى المروة مثل ذلك .

رواه أبو ذر عن زاهر عن محمد بن المسيب عن عبد الله بن جبير عن جعفر ، ورواه البزار عن عبد الله بن سليمان عن عبد الله بن محمد بن المسور عن سفيان عن مسعر عن فراس عن الشعبيّ عن وهب به .

الموطن العاشر من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : عند اجتماع القوم قبل تفرقهم

وقد تقدم : ما جلس قوم مجلسًا ثم تفرقوا ولم يذكروا الله – تعالى – ولم يصلوا على النبي ﷺ إلا كان عليهم من الله ترة[1] .

رواه ابن حبان والحاكم ، وروى عبد الله بن إدريس الأودي عن هشام عن عروة عن أبيه عن عائشه – رضي الله تبارك وتعالى عنها – قالت : زينوا مجالسكم بالصلاة على النبي ﷺ ، ويذكر عن عمر – رضي الله تبارك وتعالى عنه بمثل ذلك أيضاً[2] .

الموطن الحادي عشر من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : الصلاة عليه ﷺ عند ذكره

وقد تقدم .

---

(١) سبق تخريجه وشرحه .

(٢) " زينوا مجالسكم بالصلاة عليّ ؛ فإن صلاتكم عليّ نور لكم يوم القيامة " ، كذا في (كشف الخفا) ، وقال " رواه الديلمى بسند ضعيف عن عائشة – رضي الله تبارك وتعالى عنها – مرفوعاً ، وله شاهد عند النميرى عن عائشة من قولها : زينوا مجالسكم بالصلاة على النبى ﷺ ، وبذكر عمر بن الخطاب ، واقتصر الديلمي على الجملة الثانية بلا سند ، ولفظه كما في الديلمي : " زينوا مجالسكم بذكر عمر " ، واقتصر الخطيب فى (تاريخه) على الأولى ، عن أبي هريرة – رضي الله تبارك وتعالى عنه .

وقال ابن حجر الهيثمي في (فتاواه الحديثية) : هو حديث ضعيف وقال : وأما حديث : "زينوا مجالسكم بالصلاة عليّ ؛ فإن صلاتكم تعرض عليّ أو تبلغني" فقطعة من حديث آخر ، ثابت قوى ، (كشف الخفا ومزيل الالتباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس) : ٤٤٤/١ ، حديث رقم (١٤٤٣) .

الموطن الثاني عشر من مواطن الصلاة على النبي ﷺ :
بعد الفراغ من التلبية

خرج الدارقطني من طريق صالح بن محمد بن زائدة عن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن أبيه أن النبي ﷺ كان إذا فرغ من تلبيته سأل الله مغفرته ورضوانه ، واستعاذ برحمته من النار ، قال صالح : سمعت القاسم بن محمد يقول: كان يستحب للحاج إذا فرغ من تلبيته أن يصلي على النبي[1] ﷺ : وهذا ايضاً من توابع الدعاء .

الموطن الثالث عشر من مواطن الصلاة على النبي ﷺ
عند استلام الحجر

خرج أبو ذر الهروى من حديث محمد بن عثمان بن أبي شيبة : حدثنا عون بن سلام : حدثنا محمد بن مهاجر عن نافع قال : كان ابن عمرإذا أراد أن يستلم الحجر قال : اللهم إيماناً بك ، وتصديقاً بكتابك ، ووفاء جهدك ، واتباعاً لسنة نبيك ، ويصلي على النبي ﷺ .

(١) (سنن الدارقطني) : ٢٣٨ ، كتاب الحج ، باب المواقيت ، حديث رقم (١١) ، قال في (التعليق المغني على الدارقطني) : والحديث أخرجه الشافعيّ ، وفيه صالح بن محمد ، وهو مديني ضعيف .

الموطن الرابع عشر [من مواطن الصلاة على النبى ﷺ : عند الوقوف على قبره ﷺ]

قال مالك في (الموطأ)[1] : عن عبد الله بن دينار قال : رأيت عبد الله ابن عمـر - رضـي اللـه تبـارك وتعـالى عنهمـا - يقـف علـى قـبر الرسـول ﷺ ويدعو لأبى بكر وعمر ، رضى الله تبارك وتعــالى عنهمـا - وقـال : عـن عبـد الله بن دينار ويدعو عن عبد الله بن عمر أنه كان [إذا] أراد سفراً أو قدم مـن سفر جاء قبر النبي ﷺ ثم دعا ثم انصرف ، وقال ابـن غـير : حدثنـا محمـد بـن بشير : حدثنا عبيد الله بن نافع عن ابن عمر أنه كان إذا قدم من سفر بـدأ بقـبر النبي ﷺ فيصلي عليه ولايمـس القـبر ، ثـم يسـلم علـى أبـي بكـر - رضـي اللـه تبارك وتعالى عنه - ثم يقول : السلام عليك يا أبه .

الموطن الخامس عشر من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : إذا خرج إلى السوق أو إلى دعوة ونحوهما

روى أبو حاتم من حديث معمر : حدثنا عامر بن شقيق ، عـن أبـي وائـل، قال : ما رأيت عبد الله جلس في مأدبة ولاجنازة ولاغير ذلك ، فيقوم حتى يحمد الله ويثني عليه ، ويصلي على النبي ﷺ ، ويدعـو بدعـوات ، وإن كـان ليخـرج إلـى السـوق فيـأتي ، أغفلهـا مكانـاً فيحمـد اللـه ويصلـي علـى النبـي ﷺ ويدعـو بدعوات .

---

(١) (الموطأ) : ١١٥ ، حديث رقم (٣٩٧) .

الموطن السادس عشر [من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : إذا قام الرجل من النوم بالليل]

خرَّج النسائي فى (السنن الكبير) من طريق أبى الأحوص : حدثنا شريك عن أبى إسحاق ، عن عبيدة : عن عبد الله ، قال : يضحك الله -تعالى- إلى رجلين : رجل لقى العدو وهو على فرس من أمثل خيل أصحابه فانهزموا وثبت ، فإن قتل استشهد ، وإن بقي فذلك الذي يضحك الله إليه ، ورجل قام من جوف الليل لايعلم به ، فتوضأ فأسبغ الوضوء ، ثم حمد الله ومجده ، وصلي على النبي ﷺ واستفتح القرآن ، فذلك الذى يضحك الله إليه ، يقول : انظروا إلى عبدي نائماً لا يريد أحداً غيري ، وخرجه عبد الرزاق من طريق معمر عن أبى إسحاق ، عن عبيدة عن أبي مسعود أنه قال : رجلان يضحك الله إليهما فذكر بنحوه .

الموطن السابع عشر [من مواطن الصلاة على النبى ﷺ : ختم القرآن وفى صلاة التراويح ؛ لأن هذين المحلين محل دعاء]

قال الإمام أحمد من رواية أبي الحارث كان أنس إذا ختم القرآن جمع أهله وولده ، وقال في رواية يوسف بن موسى ، وقد سئل عن الرجل يختم القرآن فيجمع إليه قوم فيدعون ، قال : نعم . رأيت معمراً يفعله إذا ختم القرآن، وقال فى رواية حرب : استحب إذا ختم الرجل القرآن أن يجمع أهله ويدعو ، وقال ابن أبي داود في كتاب (فضائل القرآن) عن الحكم قال : أرسل إليّ مجاهد وعنده أبو لبابة أرسلنا إليك - أبا يزيد - نختم القرآن ، وكان يقال : إن الدعاء يستجاب عند ختم القرآن ويدعو بدعوات ، وروى فيه أيضاً عن ابن مسعود - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أنه قال : من ختم القرآن فله دعوة مستجابة ، قال : تنزل الرحمة عند ختم القرآن ، وروى أبو عبيد القاسم بن

سلام في كتاب (فضل الدعاء) عن قتادة قال : كان بالمدينة رجل يقرأ القرآن من أوله إلى آخره على أصحاب له ، وكان ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - يضع عليه الرقباء ، فإذا كان عند الختم جاءه ابن عباس فشهده ، وقال حنبل : سمعت أحمد - يعنى ابن حنبل - يقول في ختم القرآن قل : ﴿ **قل أعوذ برب الفلق** ﴾ وارفع يديك في الدعاء قبل الركوع يعني في التراويح ، قلت : إلى أي شيء تذهب في هذا ؟ قال : رأيت أهل مكة يفعلونه ، وكان سفيان بن عيينة يفعله معهم في مكة ، وقال عبس بن عبد العظيم : وكذلك أدركت الناس بالبصرة وبمكة ، ويروي أهل المدينة في هذا أشياء ، وذكر أيضًا عن عثمان بن عفان - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أن الفضل بن زياد قال : سألت أبا عبد الله فقلت : أأختم القرآن أجعله فى التراويح أو في الوتر ؟ قال : اجعله فى التروايح حتى يكون لنا دعاءان اثنان ، قلت : كيف أصنع ؟ قال : إذا فرغت من آخر القرآن فارفع يديك قبل أن تركع ، وادع بنا ونحن فى الصلاة وأطل القيام ، قلت : بم أدعو ؟ قال : بما شئت ، قال : ففعلت كما أمرني ، وهو خلفي يدعو قائماً ويرفع يديه ، وإذا كان هذا من أكبر مواضع الدعاء وأحقها بالإجابه ؛ فهو من أكبر مواطن الصلاة على النبي ﷺ .

الموطن الثامن عشر من مواطن الصلاة على النبي ﷺ :
[يوم الجمعة]

وقد تقدم قوله ﷺ : أكثروا من الصلاة عليَّ في كل جمعة ؛ فإن صلاة أمتى تعرض عليّ فى كل يوم جمعة فمن كان أكثرهم عليَّ صلاة كان أقربهم منى منزلة ؛ خرجه البيهقى من حديث أبي أمامة يرفعه(١) .

وخرج أيضاً عن أبي مسعود الأنصاري عن النبي ﷺ أنه قال : أكثروا على من الصلاة يوم الجمعة ؛ فإنه ليس أحد يصلي عليَّ يوم الجمعة إلا عرضت علي صلاته ، وفى طريقه إسماعيل بن رافع ، قال يعقوب بن سفيان :

---

(١) سبق تخريجه .

يصلح حديثه للشواهد والمتابعات ، وقال ابن عدى : حدثنا إسماعيل بن موسى الحاسب ، حدثنا جباره بن مغلس ، حدثنا أبو إسحاق الأحمسي ، عن يزيد الرقاشي عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : أكثروا الصلاة عليَّ يوم الجمعة فإن صلاتكم تعرض علي ، وإن كان إسناده ضعيفاً فهو محفوظ فى الجمعة ، ولا يضر ذكره في الشواهد ، وقد تقدم حديث أوس بن أوس وقول الحسن عن النبي ﷺ : أكثروا الصلاة عليَّ يوم الجمعة .

وقال ابن وضاع : حدثنا أبو مروان البزاز ، حدثنا ابن المبارك عن أبي شعيب قال : كتب عمر بن عبد العزيز أن انشروا العلم يوم الجمعة فإن غائلة العلم النسيان ، وأكثروا الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة .

الموطن التاسع عشر [من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : عند القيام من المجلس]

قال عبد الرحمن بن حاتم : حدثنا أبو سعيد بن يحيى بن سعيد القطان: حدثنا عثمان بن عمر قال : سمعت سفيان بن سعيد مالا أُحصي إذا أراد القيام يقول : صلى الله وملائكته على محمد وعلى أنبياء الله وملائكته .

الموطن العشرون [من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : عند المرور على المساجد ورؤيتها]

قال القاضى إسماعيل بن كتبة : حدثنا يحيى بن الحميد : حدثنا يوسف ابن عمر التميمي ، عن سليمان العبسي ، عن على بن حسين قال : قال علي بن أبي طالب – رضي الله تبارك وتعالى عنه : إذا مررتم [على المساجد] فصلوا على النبي ﷺ .

الموطن الحادى والعشرون [من مواطن الصلاة على النبى ﷺ : عند شدة الهم]

خرج الترمذي من حديث عبد الله بن عقيل عن الطفيل بن أبيّ بن كعب عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فذكره ، وفيه قلت : يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي ؟ قال : ماشئت إلى أن قال: أجعل لك صلاتي كلها ، قال: إذاً تكفي همك ، ويغفر ذنبك . وقد تقدم .

وخرجه ابن أبى شيبة مختصراً عن أبيّ ، قال رجل : يا رسول الله ، أرأيت صلاتي كلها صلاة عليك ، قال : إذاً يكفيك الله ما أهمك من أمر دنياك وآخرتك .

الموطن الثاني والعشرون [من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : عند كتابة اسمه ﷺ]

خرّج أبو الشيخ من طريق أسيد بن عاصم : حدثنا بشر بن عبيد : حدثنا محمد بن عبد الرحمن عن عبد الرحمن بن عبد الله عن الأعرج عن أبى هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : من صلى عليّ في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب ، قال أبو موسى : رواه غير واحد عن أسيد كذلك ، قال : رواه إسحاق بن وهب العلاف عن بشر ابن عبيد فقال : عن حازم بن بكر عن يزيد عن عياض عن الأعرج ، يروى من غير هذين الوجهين أيضاً عن الأعرج ، وفى الباب عن أبى بكر الصديق وعبد الله بن عباس وعائشة - رضى الله تبارك وتعالى عنهم ، وقد تقدم حديث كادح بن رحمة ، وقال جعفر بن علي الزعفراني : سمعت خالي الحسن بن محمد يقول : رأيت أحمد بن حنبل فى النوم فقال لى : يا أبا علي لو رأيت صلاتنا على النبي ﷺ في الكتب ، كيف تزهد ما بين أيدينا ؟ وقال أبو الحسن على : رأيت أبا الحسن بن عبيد فى المنام بعد موته - وكان على أصابع يديه شيئاً مكتوباً بلون الذهب أو بلون الزعفران - فسألته عن ذلك ، فقال : يا

بنى هذا لكتبى لحديث رسول الله ﷺ ، وقال الخطيب : حدثني مكي بن علي ، حدثنا أبو سليمان بن علي الحراني ، قال رجل من جواري يقال له الفضل وكان كثير الصوم والصلاة : كنت أكتب الحديث ولا أصلي على النبي ﷺ فرأيته في المنام ، فقال : إذا كتبت اسمي أو ذُكرت لم لا تصلي علي ؟ ففعلت ذلك ، ثم رأيته مرة أخرى ، فقال لى : بلغتنى صلاتك عليّ فإذا كتبت أوذكرت ؛ فقل : صلى الله عليه وسلم ، وقال سفيان الثوري : لو لم يكن لصاحب الحديث فائدة إلا الصلاة على النبي ﷺ فإنه يصلي عليه مادام في ذلك الكتاب اسمه ﷺ .

وقال محمد بن أبى سليمان : رأيت أبي فى النوم ، فقلت : يا أبه ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي ، قلت : بماذا ؟ قال : بكتابتي الصلاة على النبي ﷺ ، وقال بعض أهل الحديث كان لي جار مات فرؤي في النوم ، فقيل له : ما فعل الله بك قال : غفر لي ، قيل : بماذا ؟ قال : كنت إذا كتبت رسول الله فى الحديث قلت : ﷺ .

وقال سفيان بن عيينة : حدثنا خلف صاحب الخلفان ، قال : كان لي صديق يطلب معى الحديث فمات ، فرأيته في منامي - وعليه ثياب خضر يجول فيها ؛ فقلت : ألست كنت معى تطلب الحديث ؟ قال : بلى ، قلت : فما الذى أصارك إلى هذا ؟ قال : كان لا يمر بى حديث فيه ذكر محمد ﷺ إلا كتبت فى أسفله ﷺ ؛ فكافأني ربنا هذا الذي ترى .

وقال ابن عبد الحكم : رأيت الشافعيّ - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فى النوم فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال : رحمني وغفر لي وزفني إلى الجنة كما تزف العروس ، ونثر عليَّ كما ينثر علي العروس ، قلت : بم بلغت هذه الحالة؟ قال : بما فى كتاب الرسالة من الصلاة على النبي ﷺ ، قلت : وكيف ذلك ؟ قال : وصلى الله على محمد عدد ماذكره الذاكرون ، وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون ، قال : فلما أصبحت نظرت في الرسالة ؛ فوجدت الأمر كما رأيت .

وقال الخطيب : أنبأنا بشرى بن عبد الله الرومي قال : سمعت محمد ابن الحسين بن محمد بن عبيد العسكري يقول : سمعت أبا إسحاق الدارمي المعروف بنهشل يقول : كنت أكتب الحديث فى تخريجي للحديث : قال النبي

"صلى الله عليه وسلم تسليماً" ، فرأيت النبي ﷺ فى المنام ، وكأنه أخذ شيئاً مما أكتبه فنظر فيه وقال : هذا جيد .

وقد روى أبو موسى في كتابه عن جماعة من أهل الحديث أنهم رؤوا بعد موتهم ، فأخبروا أن الله غفرلهم بكتابتهم الصلاة على النبي ﷺ في كل حديث.

وقال عباس العنبري وعلي بن المديني : ماتركنا الصلاة على النبي ﷺ فى كل حديث سمعناه وربما عجلنا ، فنبيض الكتاب في كل حديث ؛ حتي نرجع إليه .

الموطن الثالث والعشرون [من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : عند تبليغ العلم إلى الناس مثل التذكير ، والقصص ، وإلقاء الدرس إلى الناس ، وتعليم المتعلم ، في أول ذلك ، وآخره]

روى إسماعيل فى كتابه من طريق أبي بكر بن أبي شيبة قال : حدثنا حسين بن على الجعفي عن جعفر بن برقان ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز: أما بعد فإن أناساً قد التمسو الدنيا بعمل الآخرة ، وإن القصاص قد أحدثوا من الصلاة على خلفائهم وأمرائهم عدل صلاتهم على النبي ﷺ ، فإذا جاءك كتابى هذا أن تكون صلاتهم على النبي ﷺ والنبيين ، ودعاؤهم للمسلمين عامة ، ويدعوا ماسوى ذلك . فاستحبت الصلاة على النبي ﷺ فى هذا الموطن ؛ لأنه موطن تبليغ العلم الذي جاء به ، ونشره فى أمته وإلقائه إليهم ، وهو أيضاً موطن دعوتهم إلى سننه وطريقته ، وهذا من أفضل الأعمال وأنفعها للعبد في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : ﴿ **ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين** ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ **قل هذه سبيلى أدعو**

---

(١) فصلت : ٣٣ .

إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾[1] ، سواء كان المعنى أنا ومن اتبعني يدعو إلى الله على بصيرة ، أو كان الوقف عند قوله : ﴿ **أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني**﴾[2] فالقولان متلازمان ؛ فإنه أمره - سبحانه وتعالى - أن يخبر أن سبيله الدعوة إلى الله ، فمن دعا إلى الله - تعالى - فهو على سبيل رسوله وهو على بصيرة ، وهو من أتباعه ، ومن دع ا إلى غير ذلك فليس على سبيله ، ولا هو على بصيرة ، ولا هو من أتباعه ، فالدعوة إلى الله تعالى هى وظيفة المرسلين وأتباعهم ، وهم خلفاء الرسل فى أممهم ، والناس تبع لهم ، وقد أمر الله - تعالى - رسوله ﷺ أن يبلغ ما أنزل إليه وضمن له حفظه وعصمته من الناس ، وهكذا المبلغون عنه من أمته لهم من حفظ الله - تعالى - لهم وعصمته إياهم بحسب قيامهم بدينه ، وتبليغهم شريعته ، وقد أمر ﷺ بالتبليغ عنه ولو آية ، ودعا لمن بلغ عنه ولو حديثاً ، فتبليغ سنته إلى أمته أفضل من تبليغ السهام إلى نحو الأعداء ؛ لأن تبليغ السهام يفعله كثير من الناس وأما تبيلغ السنن فلا يقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم ، كما قال عمر بن الخطاب -رضي الله تبارك وتعالى عنه - في خطبته التى ذكرها ابن وضاح في كتاب (الحوادث والبدع) : الحمد لله الذي أمتنَّ على العباد بأن جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ، ويحيون بكتاب الله من مات من أهل العمى ، كم من قتيل لإبليس قد أحيوه ، وضال تائه قد هدوه ، وبذلوا دماءهم وأموالهم دون هلكة العباد ، فما أحسن أثرهم على الناس ، وأقبح أثر الناس فيهم ، يقتلونهم فى سالف الدهر وإلى يومنا هذا ، فما نسيهم ربك ﴿**وما كان ربك نسياً**﴾[3] جعل قصصهم هدى ، وأخبر عن مقالتهم فلا تقمر عنهم ، فإنهم في منزلة رفيعة ، وإن أصابتهم الوضيعة .

وقال عبد الله بن مسعود - رضي الله تبارك وتعالى عنه : إن لك عند كل بدعة كيد بها الإسلام ولياً من أوليائه يذب عنها ، وينطق بها ، ويكفي في

---

(١) يوسف : ١٠٨ .

(٢) يوسف : ١٠٨ .

(٣) مريم : ٦٤ .

هذا قول رسول الله ﷺ لعليّ - رضي الله تبارك وتعالى عنه : لأن يهدى بك الله رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم ، وقوله : من أحيا شيئاً من سنتي كنت أنا وهو في الجنة كهاتين ، وضم مابين أصبعيه ، وقوله : من دعا إلى هدى فاتبع عليه كان له مثل أجر من تبعه إلى يوم القيامة ، فمتى يدرك العامل هذا الفضل العظيم والحظ الجسيم بشيء من عمله ، وإنما ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

فحقيق بالمبلغ عن الرسول ﷺ أقامه الله - تعالى - فى هذا المقام أن يفتتح وقت تبليغه بحمد الله - تعالى - والثناء عليه وتحميده والاعتراف له بالوحدانية ، وتعريف حقوقه على العباد ثم الصلاة على رسول الله ﷺ الذى هدى الله به عباده ، وأنقذهم باتباعه من النار ، ثم يختم أيضاً بالصلاة عليه ﷺ ؛ ليكون قد قام ببعض ما يجب له ﷺ من حقوقه الأكيدة .

الموطن الرابع والعشرون [من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : أول النهار وآخره]

خرّج الطبراني من حديث بقية بن الوليد : قال : حدثنى إبراهيم بن محمد بن زياد الألهاني : قال : سمعت خالد بن معدان عن أبي الدرداء - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : من صلي عليّ حين يصبح عشراً ، وحين يمسي عشراً ؛ أدركته شفاعتي يوم القيامة ، قال أبو موسى المديني : رواه عن بقية غير واحد .

الموطن الخامس والعشرون من مواطن الصلاة على النبي ﷺ :
[عقيب الذنب ، فإن الصلاة عليه ﷺ كفارة]

خرّج ابن أبي عاصم في كتاب (الصلاة على النبي ﷺ) من طريق شبابة : حدثنا مغيرة عن أبي إسحاق عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : صلوا عليّ فإن الصلاة عليّ ؛ كفارة لكم ، فمن صلى عليّ مرة صلي الله عليه عشراً، والكفارة تتضمن محو الذنوب .

وخرّج من طريق محمد بن أشكاب ، حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا الفضل بن عطاء ، عن الفضل بن شعيب عن أبى منصور ، عن أبي معاذ ، عن أبي كاهل ، قال : قال لي رسول الله ﷺ : يا أبا كاهل من صلى عليّ كل يوم ثلاث مرات وكل ليلة ثلاثا ؛ حباً وشوقاً إليّ ؛ كان حقاً على الله أن يغفر له ذنوبه تلك الليله وذلك اليوم .

وخرج أبو الشيخ في كتاب (الصلاة على النبي ﷺ) من طريق ليث ابن أبى سليم عن نافع بن كعب عن أبي هريرة -رضي الله تبارك وتعالى عنه- قال : قال رسول الله ﷺ : صلوا عليّ فإن الصلاة عليّ زكاة لكم .

ورواه ابن أبي شيبة عن ابن فضل عن ليث عن كعب عن أبى هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه ، والزكاة تتضمن النماء والبركة والطهارة فاقتضت هذه الأحاديث بالصلاة على النبي ﷺ تحصل بها طهارة النفس من رذائلها ، ويثبت لها النماء والزيادة في كمالاتها وفضائلها ، وإلى هذا يرجع كمال النفس ، فعُلم أن بالصلاة عليه ﷺ يحصل للنفس الكمال ؛ فإن الصلاة عليه من لوازم محبته ومتابعته وتقديمه على كل من سواه من المخلوقين ﷺ .

الموطن السادس والعشرون [من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : عند إلمام الفقر والحاجة ، أو خوف وقوعهما]

خرَّج أبو نعيم من طريق ابن الحسين بن سماعة : حدثنا أبو نعيم : حدثنا فطر بن خليفه ، عن جابر بن سمرة عن أبيه قال : كنا عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل فقال : يا رسول الله ، ما أقرب الأعمال إلى الله – عز وجل ؟ قال : صدق الحديث ، وأداء الأمانة ، قلت : يا رسول الله – زدنا ، قال : صلاة الليل، وصوم الهواجر ، قلت : يا رسول الله زدنا . قال : كثرة الذكر ، والصلاة عليّ تنفى الفقر ، قلت : يا رسول الله زدنا ، قال : من أم قوماً فليخفف ؛ فإن فيهم الكبير والعليل والضعيف وذا الحاجة .

الموطن السابع والعشرون من مواطن الصلاة على النبي ﷺ [عند خِطبة الرجل المرأة]

روى إسماعيل بن أبي زياد عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس – رضي الله تبارك وتعالى عنهما – في قوله تعالى : ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي** ﴾[1] الآية ، قال : بمعنى أنَّ الله – تعالي – يثني على نبيكم ويغفر له ، وأمر الملائكة بالاستغفار له ﷺ .

﴿ **يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً** ﴾ أثنوا عليه فى صلاتكم ، ومساجدكم ، وفي كل موطن ، وفي خطبة النساء لاتنسوه .

(١) الأحزاب : ٥٦ .

الموطن الثامن والعشرون [من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : عند العطاس]

خرَّج الطبراني من حديث سهل بن صالح الأنطاكي : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن سليمان عن موسى عن نافع قال : رأيت ابن عمر – وقد عطس رجل إلى جانبه – فقال : الحمد لله والسلام على رسول الله ؛ فقال ابن عمر : وأنا أقول : السلام على رسول الله ! ولكن ليس هكذا أمرنا رسول الله ﷺ إذا عطسنا إنما أمرنا أن نقول : الحمد لله على كل حال ، قال الطبراني : لم يروه عن سعيد إلا الوليد تفرد به سهل .

ورواه الترمذي[1] عن حميد بن مسعدة : حدثنا زياد بن الربيع : حدثني حضرمي من آل الجارود عن نافع : أن رجلاً عطس إلى جنب ابن عمر ؛ فقال: الحمد لله والسلام على رسول الله ، قال ابن عمر : وأنا أقول : الحمد لله والصلاة على رسول الله ﷺ ، ولكن هكذا علمنا رسول الله ﷺ علمنا أن نقول: الحمد لله على كل حال ، قال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث زياد بن الربيع .

قال أبو موسى المديني: روي عن نافع أيضاً عن ابن عمر خلاف ذلك ، ثم ذكر من حديث عبد الله بن أحمد ، حدثنا عباس بن زياد الأسدي ، حدثنا زهير عن إسحاق عن نافع ، قال : عطس رجل عند ابن عمر – رضي الله تبارك وتعالى عنه – فقال له ابن عمر : لقد بخلت ، هلاَّ حيث عطست حمدت الله ، صليت على النبي ﷺ ؟ فذهب إلى جماعة منهم أبو موسى المديني وغيره، ونازعهم في ذلك آخرون ، قالوا : لا تستحب الصلاة على النبي ﷺ عند العطاس وإنما هو موضع حمد الله وحده ، ولم يشرع النبي ﷺ عند العطاس حمد الله والصلاة على رسول الله ﷺ ، وإن كانت من أفضل الأعمال، ولكل ذكر موطن يخصه لا يقوم غيره مقامه فيه . ولهذا لم تشرع الصلاة عليه

---

(١) (سنن الترمذي) : ٧٦/٥ ، كتاب الأدب ، باب (٢) ما يقول العاطس إذا عطس، حديث رقم (٢٧٣٨) .

ﷺ فى الركوع ولا السجود ولا الاعتدال من الركوع ، وشرعت في التشهد الأخير ، إما مشروعية وجوب أو استحباب ، وقد روي أن النبي ﷺ قال : لاتذكروني عند ثلاث : عند تسمية الطعام ، وعند الذبح ؟ وعند العطاس .

وُردَّ هذا بأنه حديث لا يصح ؛ فإنه من حديث سليمان بن عيسى السنجرى عن عبد الرحمن بن زيد العمى عن أبيه عن النبي ﷺ فذكره ، وله ثلاث علل :

إحداها : تفرد سليمان بن عيسى به[1] قال البيهقيّ : وهو في عداد من يضع الحديث .

الثانية : ضعف عبد الرحمن العمي[2] .

الثالثة : انقطاعه .

الموطن التاسع والعشرون [من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : بعد الفراغ من الوضوء]

روى أبو الشيخ من طريق إسحاق بن أبى إسرائيل : حدثنا محمد بن جابر عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : إذا فرغ أحدكم من طهوره فليقل : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، ثم ليصل عليّ ؛ فإذا قال كذلك فتحت له أبواب الرحمه[3] ، وهذا حديث مشهور له طرق عن عمر بن الخطاب ، وعقبة بن عامر ، وثوبان ، وأنس بن مالك – رضى الله تبارك وتعالى عنهم – وليس فى شيء منها ذكر النبي ﷺ إلا فى

---

(١) هو سليمان بن عيسى ، قال يحى بن سعيد ، حدثنا أبى حدثنا سليمان بن عيسى عن جده موسى ابن طلحة : أسرت يوم الجمل فأتى بى على . ترجمته فى : (التاريخ الكبير) : ٣٠/٢/٢ ، ترجمة رقم (١٨٦٥) ، (الثقات) : ٣٩٤/٦ .

(٢) هو عبد الرحمن بن عبد الوهاب العمي البصري الكوفي ، ذكره ابن حبان فى (الثقات) ، وقال : مستقيم الحديث . (تهذيب التهذيب) : ٢٠٢/٦ ، ترجمة رقم (٤٥١) ، (الثقات) .

(٣) (جمع الجوامع) : حديث رقم (٢٢٣٧) .

هذه الرواية وروى ابن أبي عاصم فى كتابه من حديث رحيم حدثنا ابن أبي فديك ، حدثنا عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد عن أبيه عن جده يرفعه ، لا وضوء لمن لا يصلي على النبي ﷺ [1] ، وعبد المهيمن لا يحتج به .

الموطن الثلاثون [من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : عند دخول المنزل]

روى أبو عيسى المدينى من حديث أبى صالح بن المهلب عن أبي بكر ابن عمر أنه قال : حدثنى محمد بن عباس بن الوليد : حدثنى عمر بن سعد : حدثنا ابن أبى ذئب : حدثنى محمد بن عجلان عن أبى حازم عن سهل بن سعد قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فشكا إليه الفقر ، وضيق المعيشة أو المعاش ، فقال له رسول الله ﷺ : إذا دخلت منزلك فسلم إذا كان فيه أحد أو لم يكن فيه أحد ، ثم سلم عليّ واقرأ : ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ مرة واحدة ففعل الرجل ذلك؛ فأدر الله عليه الرزق وعلى جيرانه وقرابته[2] .

الموطن الحادي والثلاثون [من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : في كل موطن يجتمع فيه لذكر الله تعالى]

لحديث مسلم بن إبراهيم الكشني ، قال : حدثنا عبد السلام بن عجلان: حدثنا أبو عثمان النهدى : عن أبى هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : إن لله سيارة من الملائكة إذا مروا بحلق الذكر قال بعضهم لبعض : اقعدوا فإذا دعا القوم أمنوا على دعائهم فإذا صلوا على النبي

---

(١) (كنز العمال) : ٣٢٢/٩ ، حديث رقم (٢٦٢٣٩) ، وعزاه إلى الطبراني عن سهل بن سعد .

(٢) (إتحاف السادة المتقين) : ٢٧٤/٦ .

ﷺ صلوا معهم حتى يفرغوا ، ثم يقول بعضهم لبعض : طوبي- لهؤلاء يرجعون مغفوراً لهم(١)، وأصله في مسلم .

الموطن الثاني والثلاثون [من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : إذا نسي العبد شيئاً وأراد ذكره]

خرج أبو موسى المديني من طريق محمد بن عتاب المروزي : حدثنا سعدان بن عبيدة أبو سعيد المروزي : حدثنا عبيد الله بن عبد الله العتكي ، عن أنس بن مالك - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : إذا نسيتم شيئاً فصلوا على تذكروه إن شاء الله - تعالى ، قال الحافظ أبو موسى وقد ذكرناه من غير هذا الطريق في كتاب (الحفظ والنسيان) .

(١) (حلية الأولياء) : ٦ / ٢٨٦ ، ترجمة زياد بن عبد الله النميري رقم (٣٧٤) من حديث أنس ابن مالك - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أن رسول الله ﷺ قال : " إن لله سيارة من الملائكة ، يطلبون حلق الذكر ، فإن أتوا عليهم حفوا بهم ، ثم يبعثون رائدهم إلى السماء إلى رب العزة ، فيقولون : يا ربنا أتينا على عباد من الصالحين من عبادك ، يعظمون آلاءك ويتلون كتابك ، ويصلون على نبيك ، ويسألونك لآخرتهم ودنياهم ، فيقول ربنا - تعالى : غشوهم رحمتي ، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم ، وفي (كنز العمال) : ٤٣٤/١ ، حديث رقم (١٨٧٦) ، وعزاه إلى ابن النجار ، عن أبي هريرة بلفظ (الأصل) .

الموطن الثالث والثلاثون [من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : عند الحاجة تعرض للعبد]

روى أبو موسى المديني من طريق إبراهيم بن الأشعث الخراساني حدثنا عبد الله بن سنان بن عقبة بن أبى عائشه ، عن أبى سهل بن مالك عن جابر بن عبد الله - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : من صلى عليّ مائة صلاة حين يصلي الصبح قبل أن يتكلم ؛ قضى الله له مائة حاجة ، عجل له منها ثلاثين حاجة ، وأخّر له سبعين ، وفى المغرب مثل ذلك ، قيل : وكيف الصلاة عليك يا رسول الله ؟ قال : ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً** ﴾(١) . اللهم صلّ عليه حتى تبلغ مائة(٢).

وقال إبراهيم بن الجنيد ، حدثنا إسماعيل بن جريح بن معاوية ، عن أبي إسحاق ، عن أبى عبيد عن ابن مسعود - رضي الله تبارك وتعالى عنه : إذا أردت أن تسأل الله حاجة ؛ فابدأ بالمدح والتمجيد والثناء على الله عز وجل بما هو أهله، ثم صل على النبي ﷺ ، ثم ادع بعد ، فإن ذلك أحرى أن تصيب حاجتك .

وتقدم حديث فضالة بن عبيدة وحديث أبيّ بن كعب ، وتقدم أيضاً من طريق الترمذي حديث عبد الله بن أبي أوفي يرفعه : من كانت له إلى الله حاجه أو إلى أحد من خلقه . الحديث(٣) . وخرجه الطبراني ، وخرج الحافظ أبو موسى المديني من طريق محمد بن عبيد : حدثنا عباس بن بكار : حدثنا أبو بكر

---

(١) الأحزاب : ٥٦ .

(٢) (كنز العمال) : ١/٥٠٦ - ٥٠٧ ، حديث رقم (٢٢٣٧) وعزاه إلى البيهقي فى (الشعب) وابن عساكر عن أنس ، وحديث رقم (٢٢٤٢) وعزاه إلى الديلمى عن حكامة عن أبيها عن عثمان بن دينار ، عن أخيه مالك بن دينار عن أنس ، كلاهما بمعنى حديث (الأصل) مع اختلاف فى السند والسياقة .

(٣) سبق تخريجه .

الهزلي : حدثنا محمد بن المنكدر ، عن جابر - رضى الله تبارك وتعالى عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : من صلى عليَّ في كل يوم مائة مرة قضى الله - تعالى - له مائة حاجة ، سبعين منها لآخرته ، وثلاثين لدنياه ، قال : هذا حديث حسن(١) .

الموطن الرابع والثلاثون من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : عند طنين الأذن

خرَّج الطبراني من طريق معمر بن محمد بن عبد الله بن أبي رافع ، قال : أخبرني أبي محمد عن أبيه عبد الله عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : إذا طنت أذن أحدكم فليذكرني ويصلِّ على ، قال الطبراني : لا يروى عن أبي رافع إلا بهذا الإسناد تفرد به معمر بن محمد .

وخرَّجه محمد بن إسحاق بن خزيمة عن معمر بن محمد ، ولفظه : إذا طنت أذن أحدكم فليذكرني وليصل علي ، وليقل : ذكر الله من ذكرني بخير . رواه ابن أبي عاصم في كتابه من طريق حسان بن عدي ، حدثنا محمد بن عبد الله بن أبي رافع عن أبيه عن جده ، ولفظه : إذا طنت أذن أحدكم فليصلِّ عليَّ وليقل: ذكر الله بخير من ذكرني .. وفي رواية : ذكر الله من ذكرني بخير(٢) .

---

(١) راجع التعليق السابق .

(٢) رواه العقيلي عن أبي رافع مرفوعاً . قيل : هو موضوع ، وهو كذلك ، والخبر مداره على محمد بن عبيد الله بن أبي رافع ، وهو هالك ومع ذلك اختلف عنه ، وفي أسانيده والأسانيد إليه كلام ، وروى بسند ضعيف عن علي بن أبي رافع عن جده ، وعلى يقال له : على بن عبيد الله ويقال : عبيد الله بن علي ، ولم يوثق توثيقاً معتبراً ، ولا أدرك جده ، فإن صح عنه هذا ، فكأنه أخذه من قريبه محمد . (الفوائد المجموعة) : ٢٢٤ ، حديث رقم (٢٠) .

قال العجلوني : رواه الطبراني ، وابن السني ، والخرائطي ، وآخرون ، عن أبي رافع مرفوعاً وسنده ضعيف ، بل قال العقيلي : لا أصل له لكن قال الزرقاني كالمناوي ، وتعقب بأن الحافظ نور الدين الهيثمي قال : إسناد الطبراني في (الكبير) حسن . وقد رواه ابن خزيمة في=

الموطن الخامس والثلاثون من مواطن الصلاة على النبى ﷺ : عقيب الصلوات

ذكر الحافظ أبو موسى المدينى من طريق عبد الغنى بن سعيد ، قال : سمعت إسماعيل بن أحمد الحاسب ، قال : أخبرنى أبو بكر محمد بن عمر ، قال: كنت عند أبى بكر بن مجاهد فجاء الشبلي فقام إليه ابن مجاهد وعانقه وقبَّل بين عينيه ، فقلت له : يا سيدى تفعل هذا بالشبلي وأنت وجميع من ببغداد يتصورون أنه مجنون ؟ فقال لى : فعلت به كما رأيت رسول الله ﷺ فعل به ، وذلك أنى رأيت رسول الله ﷺ فى المنام ، وقد أقبل الشبلى فقام إليه وقبل بين عينيه ، فقلت يا رسول الله أتفعل هذا بالشبلي ؟ فقال : هذا يقرأ بعد صلاته : ﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه**﴾[1] إلى آخرها ويتبعها بالصلاة علىّ .

- صحيحه عن أبى رافع ، وهو ممن التزم الصحيح ، وبه شنعوا على ابن الجوزى فى زعمه أنه موضوع . (كشف الخفا ومزيل الالتباس) : ١/١٠٢ – ١٠٣ ، حديث رقم (٢٩٢) .

قال ابن الجوزي : هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ : قال يحيى بن معين : عبيد الله ليس بشيء ، وقال محمد بن طاهر : هو متروك الحديث ، وقال البخاري : معمر وأبوه كلاهما : منكر الحديث (الموضوعات) : ٣/٧٦ ، باب ما يقال عند طنين الأذن .

قال العلامة نور الدين على بن محمد بن سلطان ، المشهور بالملا على القارئ : فكل حديث فى طنين الأذن كذب ، قلت : رواه الحكم ، وابن السني ، والطبراني ، والعقيلي ، وابن عدي عن أبي رافع ، كذا فى (الجامع الصغير) للسيوطي ، والتزم أن لا يكون فيه موضوع ، وذكره ابن الجزري أيضاً فى (الحصن) والتزم أن لا يكون فيه إلا الصحيح ، (الأسرار المرفوعة) : ٤٤١، وقال محققه : هيهات أن يكون المؤلفون قادرين على أن يحققوا ما اشترطوه فى مقدماتهم دائماً .

(١) التوبة . ١٢٨ .

وفي رواية : أنه لم يصل صلاة فريضية إلا ويقرأ ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم** ﴾(١) إلى آخر السورة . ويقول : صلى الله عليك يا محمد ثلاث مرات . قال : فلما دخل الشبلي سألته عما يذكر بعد صلاته فذكر مثله .

الموطن السادس والثلاثون [من مواطن الصلاة على النبي ﷺ]: عند الذبيحة

وقد اختلف في ذلك فاستحبها الشافعي – رضى الله تبارك وتعالى عنه – فقال : التسمية عند الذبيحة : بسم الله ؛ فإن زاد بعد ذلك شيء من ذكر الله فالزيادة خير ، ولا إكراه مع تسميته على الذبيحة أن يقول : صلى الله على رسول الله بل أحبه له ، وأحب أن يكثر الصلاة عليه على كل الحالات ، لأن ذكر الله تعالى بالصلاة عليه ﷺ إيماناً بالله وعبادة لم يؤاخذ عليها – إن شاء الله تعالى – من قالها .

وقد ذكر عبد الرحمن بن عوف – رضي الله تبارك وتعالى عنه ، أنه كان مع النبي ﷺ فتقدمه النبي ﷺ فتابعه فوجده عبد الرحمن ساجداً ؛ فوقف ينتظره فأطال ، ثم رفع ، فقال عبد الرحمن : لقد خشيت أن يكون الله قبض روحك في سجودك قال ﷺ : يا عبد الرحمن لما كنت حيث رأيت ، لقيني جبريل فأخبرني عن الله – تعالى – أنه قال : من صلى عليك صليت عليه فسجدت لله شكراً ، وقال رسول الله ﷺ : من نسي الصلاة عليَّ خطيء طريق الجنة ، وبسط – رحمه الله – الكلام في هذا ، ونازعه في ذلك آخرون من الحنفية ، وكرهوا الصلاة عليه ﷺ في هذا الموطن ، كما ذكره صاحب (المحيط) ، وقال : لأن فيه إيهام الإهلال لغير الله ، وكرهها أيضاً من أصحاب أحمد القاضي أبو يعلي .

كما ذكر ذلك أبو الخطاب في (رؤوس المسائل) ، واحتج لهذا لما رواه الخلال من حديث معاذ بن جبل عن النبي ﷺ أنه قال : موطنان لا حظ لي

---

(١) التوبة . ١٢٨ .

فيهما: عند العطاس ، والذبح ، وبما تقدم من حديث عبد الرحمن بن زيد العمى عن أبيه وهو غير ثابت(١) .

الموطن السابع والثلاثون [من مواطن الصلاة على النبي ﷺ] : إذا مر وهو يقرأ فى الصلاة بذكره ﷺ أو بقوله تعالى : ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا ﴾(٢)

روى إسماعيل بن إسحاق من طريق بشر بن منصور ، عن هشام ، عن الحسن ، قال : إذا مر فى الصلاة على ذكر النبي ﷺ فليقف وليصل عليه فى التطوع ، وقال الإمام أحمد : إذا مر المصلى فيها بذكر النبي ﷺ ؛ فإن كان فى نفل صلى عليه .

الموطن السادس والثلاثون [من مواطن الصلاة على النبي ﷺ]: عند عدم المال

فإن الصلاة عليه ﷺ تقوم مقام الصدقة ، روى ابن وهب ، عن عمر ، عن عمرو بن الحارث ، عن دراج أبى السمح ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد، قال : قال رسول الله ﷺ : أيما رجل لم يكن عنده صدقة فليقل في دعائه : اللهم

---

(١) (كنز العمال) : ٥٠٩/١ ، حديث رقم (٢٢٥٥) : لا تذكروني عند ثلاث : تسمية طعامكم ، وعند الذبح ، وعند العطاس ، وعزاه إلى البيهقي فى (السنن) ، وضعفه ، عن عبد الرحمن بن زيد العمي ، عن أبيه مرسلاً . وحديث رقم (٢٢٥٦) : لاتذكروني في ثلاث مواطن ، عند العطاس، وعند الذبيحة ، وعند التعجب ، وعزاه إلى الحاكم فى (تاريخه) .

(٢) الأحزاب : ٥٦ .

صلّ على محمد عبدك ورسولك ، وصلّ على المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ؛ فإنها زكاة[1] .

الموطن التاسع والثلاثون [من مواطن الصلاة على النبي ﷺ] : عند النوم

روى أبو الشيخ فى كتابه من طريق آدم بن أبي إياس ، قال : حدثنا محمد بن بشر : حدثنا محمد بن عامر : قال : قال أبو قرصافة : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من أوى إلى فراشه ثم قرأ : ﴿ **تبارك الذي بيده الملك** ﴾[2]، ثم قال : اللهم رب الحل والحرام ، ورب البلد الحرام ، ورب الركن والمقام ، ورب المشعر الحرام ، بحق كل آية أنزلتها فى شهر رمضان ، بلغ روح محمد ﷺ منى تحية وسلام – أربع مرات ؛ وكّل الله تعالى بها ملكين ؛ حتى يأتيا محمداً ﷺ ، ويقولان له : يا محمد إن فلان بن فلان يقرأ عليك السلام ورحمة الله فيقول : وعلى فلان منى السلام ورحمة الله ، وبركاته[3]، ومحمد بن بشر المدنى قال فيه الأزدى : متروك الحديث مجهول ، ولهذا الحديث – مع ذلك – علة ، وهى أنه معروف من قول أبى جعفر محمد الباقر .

---

(١) (شعب الإيمان) : ٢/٨٦ ، باب (١٣) التوكل والتسليم ، حديث رقم (١٢٣١) ، عن أبي سعيد الخدرى ، عن رسول الله ﷺ قال : " أيما رجل كسب مالاً من حلال ، فأطعم نفسه ، أو كساها فمن دونه من خلق الله ؛ فإنها زكاة له ، وأيما رجل مسلم لم يكن له عنده صدقة فليقل فى دعائه: اللهم صلّ على محمد عبدك ورسولك ، وصلّ علىالمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ؛ فإنها زكاة له . أخرجه البيهقي من طريق ابن عدي في (الكامل) : ٣/٩٨٠-٩٨١.

(٢) الملك : ١ ، والمراد هنا قراءة سورة الملك كلها قبل النوم ، إن صح .

(٣) (كنز العمال) : ١٥/٣٤٦ – ٣٤٧ ، حديث رقم (٤١٣٢٠) وعزاه إلى أبي الشيخ فى (الثواب) ، والضياء المقدس ، وقال : غريب جداً عن أبي قرصافة .

الموطن الأربعون[من مواطن الصلاة على النبى ﷺ]:
عند كل كلام ذى بال

وفى هذا الموطن يشرع حمد الله - تعالى - والثناء عليه ، ثم يصلى على النبي ﷺ ، خرج الإمام أحمد(١) وأبو داود(٢) من حديث أبى هريرة -رضي الله تبارك وتعالى عنه - عن النبي ﷺ أنه قال : كل كلام لا يبدأ فيه بحمد الله - تعالى - فهو أجزم .

وروى أبو موسى المدنى ، عن يونس بن يزيد ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة - رضى الله تبارك وتعالى عنه - قال : قال رسول الله ﷺ كل كلام لا يذكر الله فيبدأ به وبالصلاة عليّ ؛ فهو أقطع ممحوق من كل بركة .

---

(١) (مسند أحمد) : ٤٣/٣ ، حديث رقم (٨٤٩٥) من مسند أبى هريرة - رضى الله تبارك وتعالى عنه ، ولفظه : " كل كلام أو أمر ذى بال لا يفتح بذكر الله عز وجل فهو أبتر ، أو قال: أقطع .

(٢) (سنن أبي داود) : ١٧٢/٥ ، كتاب الأدب ، باب (٢١) الهدى فى الكلام ، حديث رقم (٤٨٤٠) ، قال الخطابي : قوله : " أجزم " : معناه المنقطع الأبتر ، الذى لا نظام له ، وفسره أبو عبيد فقال : الأجزم : المقطوع اليد ، وقال ابن قتيبة : الأجزم بمعنى المجزوم ، فى قوله ﷺ: "من تعلم القرآن ثم نسيه لقى الله وهو أجزم " . وفى نسخة : " لا يبدأ فيه بحمد الله " .

وأخرجه ابن ماجة فى النكاح ، حديث رقم (١٨٩٤) باب فى خطبة النكاح ، وقال فيه : "أقطع" قال المنذري : وأخرجه النسائي مسنداً ومرسلاً .

الموطن الحادى والأربعون [من مواطن الصلاة على النبي ﷺ]: في صلاة العيد

روى القاضي إسماعيل فى كتابه من حديث مسلم بن إبراهيم ، قال : حدثنا هشام الدستوائى : حدثنا حماد بن أبي سليمان ، عن إبراهيم ، عن علقمة أن ابن مسعود وأبا موسى وحذيفة - رضي الله تبارك وتعالى عنهم - خرج عليهم الوليد بن عقبة قبل العيد يوماً فقال لهم : إن هذا العيد قد دنا ، فكيف التكبير فيه؟ قال عبد الله بن مسعود : تبدأ فتكبر تكبيرة الفتح تفتح بها الصلاة ، وتحمد ربك ، وتصلى على النبي ﷺ ، ثم تدعو وتكبر فتفعل مثل ذلك ، وتكبر ، وتفعل مثل ذلك ، ثم تقرأ ثم تكبر ، وتركع ثم تقوم ، وتقرأ ، وتحمد الله ، وتصلى على النبي محمد ﷺ ، ثم تدعو وتكبر ، وتفعل مثل ذلك ، ثم تكبر وتفعل مثل ذلك ، ثم تكبر وتفعل مثل ذلك ، ثم تركع ، فقال حذيفة وأبو موسى : صدق أبو عبد الرحمن .

وفى هذا الحديث الموالاه بين القراءتين ، وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد فى رواية عنه ، وفيه تكبيرات العيد الزوائد ثلاثاً فى كل ركعة ، وإليه ذهب أبوحنيفة ، وفيه حمد الله والثناء عليه ، والصلاة على رسول الله ﷺ ، وهو مذهب الشافعى وأحمد ، فأخذ أبو حنيفة - رحمه الله - به فى عدد التكبيرات ، والموالاة بين القراءتين .

وأخذ به الشافعي وأحمد - رحمهما الله - فى استحباب الذكر بين التكبيرات ، وأبو حنيفة ومالك - رحمهما الله - يستحبان سرد التكبيرات من غير ذكر بينهم ، ومالك لم يأخذ به في هذا ولا هذا ، ولبسط هذه المسألة موضع غير هذا ، والله الموفق .

الثامنة والتسعون من خصائصه ﷺ :
أن من صلى عليه ﷺ نال من الله تعالى
أربعين كرامة بصلاته عليه ﷺ

أولـــها : امتثاله أمر الله – تعالى .

ثانيـــها : موافقته لله تعالى– فى الصلاة عليه ﷺ وإن اختلفت الصلاتان فصلاتنا عليه دعاء وسؤال ، وصلاة الله عليه ثناء وتشريف .

ثالثـــها : موافقة الملائكة فى الصلاة عليه ﷺ .

رابعـــها : حصول عشر صلوات من الله – تعالى – للمصلى عليه مرة واحدة .

خامسها : أن الله – تعالى – يرفع له بالصلاة عليه عشر درجات .

سادسها : أنه يكتب له عشر حسنات .

سابعـها : أنه يمحى عنه عشر سيئات .

ثامنــها : أنه ترجى إجابة دعوته ؛ إذا قدم الصلاة عليــه ﷺ أمـام دعائـه فالصلاة عليه ﷺ تصعد بالدعاء إلى الله تعالى ، وقد كـان موقوفـاً بيـن السـماء والأرض قبلها .

تاسعها : أنها سبب لشفاعته ﷺ إذا قرنها بسؤاله الوسيلة له أو أفردها .

عاشرها : أنها سبب لمغفرة الذنوب .

روى رشدين بن سعد ، حدثنا معاوية بن صالح ، عن أبي إسحاق ، عـن عاصم بن ضمرة ، عـن علـيّ ، عـن أبـي بكـر الصديـق – رضـي اللـه تبـارك وتعالى عنــه – قـال : الصـلاة علـى النبـى ﷺ أمحـق للخطايـا مـن المـاء للنـار ، والسلام على النبي ﷺ أفضل من عتق الرقاب ، وحب رسول الله ﷺ أفضل من ضرب بالسيف فى سبيل الله عز وجل .

الحادية عشرة : أنها سبب لكفاية الله – تعالى – المصلىً عليه ما أهمه.

الثانية عشرة : أنها سبب لقرب المصلي عليه ﷺ منه يوم القيامة .

الثالثة عشرة : أنها تقوم للمصلي المعسر مقام الصدقة .

الرابعــة عشرة : أنها سبب لقاء الحوائج .
الخامسة عشرة : أنها سبب لصــلاة – اللـه سـبحانه وتعـالي – وملائكتـه على المصلى عليه .
السادسة عشرة : أنها زكاة وطهارة للمصلي عليه .
السابعـة عشرة : أنها سبب لبشارة المصلي عليه بالجنة قبل موته .
الثامنــة عشرة : أنها سبب للنجاة من أهوال يوم القيامة .
التاسعة عشرة : أنها سبب لردّ النبي ﷺ الصلاة والسلام على من صلـى عليه وسلم ﷺ .
الكرامــة العشرون : أنها سبب لتذكر المصلي ما نسيه .
الحادية والعشرون : أنها سبب لطيـب مجلس المصلـي عليـه ، وأنـه لا يعود حسرة عليه وعلى من كان معه يوم القيامة .
الثانيـة والعشرون : أنها تنفى الفقر .
الثالثـة والعشرون : أنها تنفى عن المصلي عليه إذا ذكر اسم البخل .
الرابعة والعشرون : نجاة المصلي عليه عند ذكره من الدعاء عليه برغم الأنف .
الخامسـة والعشرون : أنهـا ترمـى بـالمصلي عليـه علـى طريـق الجنــة، وتخطئ بتاركها عن طريقها .
السادسة والعشرون : أنها تنجى من نتن المجلس .
السابعة والعشرون : أنها سبب لتمام الكلام الذى تبدأ فيـه مـع حمـد اللـه – تعالى .
الثامنة والعشرون : أنها سبب لزيادة نـور المصلـي عليـه إذا جـاز علـى الصراط .
التاسعة والعشرون : أنها تخرج المصلي عليه مـن الجفـاء والكراهـة لـه ﷺ .
الكرامـة الثلاثـون : أنهـا سـبب لإلقـاء اللـه – تعــالى – الثنــاء الحســن للمصلـي عليه بين أهل السمـاء و الأرض ؛ لأن المصلى عليه طــالب مـن اللـه

- تعالى- أن يثنى على رسوله ويكرمــه ويشرفه ، والجزاء من جنس العمل، فلابد أن ينال المصلى عليه نوعاً من ذلك .

الحادية والثلاثون : أنها سبب للبركة فى ذات المصلي ، وفى عمله ، وفى عمره ، وفى أسباب مصالحه ، لأنــه داع ربـه أن يبارك على نبيه وعلى آله، وهذا الدعاء مستجاب ، والجزاء من جنسه .

الثانية والثلاثون : أنها سبب لنيل المصلي عليه ﷺ رحمة الله لـه ؛ لأن الرحمة إما معنى الصلاة ، وإما من لوازمها وموجباتها ، فلابد للمصلي عليه من رحمة تناله .

الثالثة والثلاثون : أنها سبب لدوام محبة المصلي عليه لـه وزيادتها وتضاعفها ، وقد تقرر أن محبته ﷺ عقد من عقود الإيمان الذى لا يتم بدونـه ، وذلك أن العبد كلما أكثر من ذكر محبوبه ، ومن استحضاره فى قلبه ، واستجلاء محاسنه ، وتذكر معانيه الجالبة لحبه ، تضاعف حبه ، وتزايد شوقه إليه ، واستولى على قلبه بأسره ، وإن أعرض عن ذكره ، وإحضاره قلبه ، وغفل عن تذكر محاسنه ، تناقص حبه من قلبه .

ومن المعلوم عند كل أحد أنـه لا شيىء أقر لعين المحب من رؤية محبوبه ، ولا أسر لقلبه من ذكره وتذكر معانيه واستجلائه لجمال محياه وتصوره محاسنه ، فإذا قوى ذلك فى قلب المحب ؛ جرى لسانه بمدح محبوبه والثناء عليه ، وبث محاسنه بحسب زيادة حبه ونقصانه .

ولما كانت كثرة ذكر النبي ﷺ موجبة بدوام محبته ونسيانه سبباً لزوال محبته أو ضعفها ، وكان الله - سبحانه وتعالى - هو المستحق من عباده نهاية المحبة ومع غاية التعظيم والإجلال ، لكان ذكره تعالى أنفع .

أما للعبد فإن الذكر للقلب كالماء للزرع ، بل كالماء للسمك ، لاحياة له إلا به ، وكانت محبة رسول الله ﷺ تابعة لمحبته - تعالى .

الرابعة والثلاثون : أنها سبب لمحبته ﷺ للمصلي عليه ، فإنها لما كانت سبباً لزيادة محبة المصلى عليه له ؛ كانت سبباً لمحبته هو المصلى عليه .

الخامسة والثلاثون : أنها سبب لهداية المصلي عليه وإحياء قلبه ، فإنه كلما أكثر من ذكره ومن الصلاة عليه استولت محبته على القلب حتى لا يبقى

فيه شك لما جاء به بكليته على امتثال ما أمر به واتباع سنته ، كأنما صارت سنته كتاباً مستوراً في قلبه ، لا يزال يقرؤه على تعاقب أحواله ، ويقتبس الهدى والصلاح وجميع العلوم منه ، فكلما ازداد في ذلك بصيرة وقوة ومعرفة ؛ تزايدت صلاته وسلامه عليه ؛ ولهذا كان فرق عظيم بين صلاة أهل العلم عليه القائمين بشريعته ، العارفين بسنته وهديه المتبعين له ، وبين صلاة العوام عليه ، الذين حظهم منها إزعاج أعضائهم ، وبها رفع أصواتهم ، فصلاة العارفين بسنته عليه العالمين بما جاء به ، نوع آخر ، فكلما ازدادو معرفة بما جاء به ؛ ازدادوا له محبة ومعرفة بحقيقة الصلاة المطلوبة من الله - تعالى .

فكلما كان العبد أعرف بالله - تعالى ، وله - تعالى - أطوع ، وله أحب مما سواه ، كان ذكره له - تعالى - غير ذكر الغافلين اللاهين ، وهذا أمر إنما يعرف بالذوق لا بالوصف ، وفرق بين من يذكر صفات محبوبه الذي قدم ملأ حبه جميع قلبه ، ويثني عليه ويمجده بها ، وبين من حظه من ذكره التلفظ بما لا يدري معناه ، فلا يطابق فيه قلبه لسانه ، كما أنه فرق بين بكاء النائحة وبكاء الثكلى .

فذكره ﷺ وذكر ما جاء به حمداً لله - تعالى - على إنعامه علينا ، ومنّه بإرساله هو حياة الوجود ، وروحه روح المجالس ، ذكره وحديثه ، وهدى لكل حيران ، وإذا أخل بذكره في مجلس فأولئك الأموات في الجثمان .

السادسة والثلاثون : أنها سبب لعرض اسم المصلي عليه وذكره عنده .

السابعة والثلاثون : أنها سبب لتثبيت أقدام المصلي عليه على الصراط ؛ لحديث سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرة في رؤيا النبي ﷺ وفيه : ورأيت رجلاً من أمتي يرجف على الصراط ؛ ويحبو أحياناً ، فجاء ته صلاته عليّ فأقامته وأنقذته ، وسيأتي بطوله إن شاء - الله تعالى - في مقامه ﷺ .

الثامنة والثلاثون : أن المصلي عليه يؤدي بصلاته عليه ﷺ أقل القليل من حقه ، ويقوم بأيسر اليسير من شكره على نعمته ، التي أنعم الله - تعالى - بها عليه في بعثته إلينا وهدايتنا به ، فإن الذي يستحقه ﷺ من ذلك لا يحصى علماً ولاقدرة منا ولا إرادة ، ولكن الله - تعالى - من كرمه يرضى من عبادة باليسر .

التاسعة والثلاثون : أنها متضمنه لذكر الله - تعالى - وشكره ومعرفةإنعامه على عبيده بإرساله ﷺ فالمصلي عليه قد تضمنت صلاته عليه ذكر الله - تعالى - وذكر رسوله ﷺ ، وسؤاله - تعالى - أن يجزيه بصلاته عليه ما هو عليه كما عرفنا ربنا - تعالى - وأسماءه وصفاته ، وهدانا إلى طريق مرضاته تعالى ، وعرفنا مالنا بعد الوصول إليه والقدوم ، فهى متضمنة للايمان كله ، من وجود الرب المدعو سبحانه ، وعلمه وسمعه وقدرته وإرادته وكلامه ، وإرساله رسوله، وتصديقه فيما أرسل به كله وكمال صحبته ﷺ ، وهذه هى أصول الإيمان ، والصلاة عليه متضمنه لعلم المصلي عليه ذلك وتصديقه به ، ومحبته له ، فكانت - من أجل ذلك - من أجلّ الأعمال .

الكرامة الأربعون : الصلاة عليه ﷺ من المصلي عليه دعاء ، وقد انقسم دعاء العبد وسؤاله ربه - تعالى - نوعين .

● ***أحدهما :*** سؤاله حوائجه ومهماته وما ينوبه فى الليل والنهار ، فهذا دعاء وسؤال ، وإيثار لمحبوب العبد ومطلوبه .

● ***والثانى :*** سؤال العبد ربه - تعالى - أن يثنى على رسول وخليله وحبيبه وأن يزيد فى تشريفه وقدره كرامته وإشادة ذكره ورفعه ، ولاريب أن الله - تعالى - يحب ذلك ، ورسوله أيضاً يحبه ، وفى هذا النوع من الدعاء يكون العبد قد آثر ما يحبه الله ورسوله على طلبه حوائجه هو ، بل كان هذا المطلوب من أحب الأمور إليه وآثرها عنده فقد آثر ما يحبه الله ورسوله على ما يحبه هو ومن آثر الله ومحابه على ما سواه ؛ كان جزاؤه من جنس عمله ؛ فدخل فى زمرة من آثرة على غيره ، ويا لها من رتبة ، ما أجلها وأعلاها ، واعتبر هذا بما تجد الناس يعتمدونه عند ملوكهم ورؤسائهم ؛ إذا أرادوا التقرب إليهم ، والمنزلة عندهم، فإنهم يسألون المطاع أن ينعم على من يعلمونه أحب إليه ، وكلما سألوه أن يزيد فى وكرمه وتشريفه ؛ علت منزلتهم عنده ، وازداد قربهم منه ، وحظوتهم عنده ؛ لأنهم يعلمون منه إرادة الإنعام والتشريف والتكريم لمحبوبه ، فأحبهم إليه أشدهم له سؤالاً ، ورغبة أن يتم عليه إنعامه وإحسانه ومراده ، وهذا أمر مشاهد بالحس . ولاتكون منزلة هؤلاء ، ومنزلة

من يسأل المطاع حوائجه منزلة واحدة، فكيف بأعظم محب وأجله لأكرم محبوب وأحقه بمحبة ربه ؟ ولو لم يكن من فوائد الصلاة على النبي ﷺ إلاهذا المطلوب وحده لكفى المؤمن به شرفاً فكيف ومعها أخواتها ؟

واعلم أن رسول الله ﷺ قد خصه الله - تعالى - من مزايا الشرف الرفيع بأن جعل له الأجر الزائد على أجر عمله مثل أجور من اتبعه منذ ابتعثه إلى قيام الساعة ؛ فشرفه ﷺ الشرف الذى لا فوقه غاية ، ولا له نهاية ، وصلاة أمته وسلامهم عليه ليس له فيها شيء يجدد ، ولا شرف يتعدد ، وإنما هى فضل من الله يعود على أمته بتكفير سيئاتهم ، ومحو خطيئاتهم ، وزيادة حسناتهم ، وارتفاع درجاتهم ، ﴿ **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم**﴾[1] ، فمن دعا إلى سنته ﷺ وأرشد إلى دينه وعلم الخير أمته ، إذا قصد توفير هذا الحظ على المصطفى ﷺ وصرفه إليه ، وقصد بدعائه الخلق إلىالله أن يتقرب إلى الله - تعالى - بإرشاد عباده ، وأن يوفرأجور المطيعين له على الرسول ﷺ كان ذلك أرفع لقدره ، وأعظم لأجره ، فإن الله - تعالى - يثيبه مع الأجرعلى دعوته وتعليمه بحسب هذه النية ثواباً جزيلاً ، ويؤتيه أجراً كبيراً، والله الموفق بمنه وكرمه .

(١) الجمعة : ٤ .

خاتمة فيها بيان وإرشاد لمعنى الصلاة على النبى ﷺ

اعلم أن أصل لفظة الصلاة فى اللغة يرجع إلى معنيين :

أحدهما : الدعاء والتبرك .

والثانى : العبـــــادة .

فالأول : كقول الله تعالى : ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم** ﴾[١] .

وقوله تعالى: ﴿ **ولا تصلِّ على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره** ﴾[٢]، وقول رسول الله ﷺ : إذا دعى أحدكم إلى طعام فليجب ، فإن كان صائماً فليصل ، قيل : فليدع بالبركه ، وقيل : يصلى عنده بدل أكله ، وقيل : الصلاة لغة معناها الدعاء ، والدعاء نوعان : دعاء عبادة ، ودعاء مسألة .

فالعابد داع ، كما أن السائل داع ، وبهما فسر ، قوله - تعالى : ﴿ **وقال ربكم ادعوني استجب لكم** ﴾[٣]، قيل : أطيعوني أثبكم وقيل : ادعوني سلونى أعطكم ، وبهما فسر قوله - تعالى : ﴿ **وإذا سألك عبادي عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان** ﴾[٤] ، والصواب أن الدعاء يعم النوعين ، وهو لفظ متواطئ لا اشتراك فيه ، فمن استعماله فى دعاء العبادة قوله - تعالى : ﴿ **قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض** ﴾[٥] ، وقوله - تعالى : ﴿ **واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون** ﴾[٦] وقوله - تعالى : ﴿ **ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم** ﴾[٧] ، والصحيح

---

(١) التوبة : ١٠٣ .

(٢) التوبة : ٨٤ .

(٣) غافر : ٦٠ .

(٤) البقرة : ١٨٦ .

(٥) سبأ : ٢٢ .

(٦) الفرقان : ٣ .

=

من القولين لولا أنكم تدعونه أى شئ لعبأ بكم لولا عبادتكم إياه ، سيكون المصدر مضافاً إلى الفاصل . وقال تعالى : ﴿ **ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين * ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً** ﴾(١).

وقال تعالى – إخباراً عن أنبيائه ورسله : ﴿ **إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً** ﴾(٢) ، وهذه الطريقة أحسن من الطريقة الأولى، وهذه دعوى الخلاف فى مسمى الدعاء ، وبهذا تزول الإشكالات الواردة على اسم الصلاة الشرعية ، هل هو منقول عن موضعه فى اللغة فيكون حقيقة فى شرعته أو مجازاً شرعياً ؟ فعلى هذا تكون الصلاة باقية على مسماها فى اللغة ، وهو الدعاء ، والدعاء دعاء عبادة ، ودعاء مسألة ، والمصلى من حين تكبيره إلى سلامه بين دعاء العبادة ودعاء المسألة فهو فى صلاته حقيقة لا مجازاً ، ولا منقولة ، لكن خصَّ اسم الصلاة بهذه العبادة المخصوصة كسائر الألفاظ التى يخصها أهل اللغة ويخصها أهل العرف ببعض مسماها كالرأس ونحوها ، فهذا غايته من تخصيص اللفظ وقصره على بعض موضوعه ، وهذا لا يوجب نقلاً ولا خروجاً عن موضوعه الأصلى ، وهذه هى الصلاة من الآدمىّ ، وأما صلاة الله – جل جلاله – على عبده فنوعان : **عامة وخاصة** .

[**فالصلاة**] **العامة** : صلاته – سبحانه – على جميع المؤمنين ، قال تعالى : ﴿ **هو الذى يصلى عليكم وملائكته** ﴾(٣) ، ومنه دعاء النبي ﷺ لآحاد المؤمنين كقوله : اللهم صل على آل أبى أوفى ، وقوله للمرأة : صلى الله عليك وعلى زوجك .

= (٧) الفرقان : ٧٧ .

(١) الأعراف : ٥٥ – ٥٦ .

(٢) الأنبياء : ٩٠ .

(٣) الأحزاب : ٤٣ .

والصلاة الخاصة : صلاته - تعالى - على أنبيائه ورسله ، خصوصاً على خاتمهم وأفضلهم محمد ﷺ ، اختلف فى معناها . فقيل : إنها رحمته - تعالى - .

روى إسماعيل بن إسحاق من طريق جويبر عن الضحاك قال : صلاة الله - تعالى - رحمته وصلاة الملائكة الدعاء ، وقال المبرد : أصل الصلاة الرحمة فهى من الله -تعالى- رحمة ، ومن الملائكة استدعاء للرحمة من الله ، وهذا القول هو المعروف عند كثير من المتأخرين ، وقيل : إن الصلاة مغفرته.

قال جويبر عن الضحاك : ﴿ **هو الذى يصلى عليكم وملائكته** ﴾[1] صلاة الله مغفرته ، وصلاة الملائكة الدعاء ، وهذا القول من جنس الذى قبله ، وَرُدَّ بوجوه :

أحدها : أن الله - تعالى - قد فرق بين صلاته على عباده ورحمته ، فقال تعالى : ﴿ **وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون** ﴾[2] .

فعطف - تعالى - الرحمة على الصلاة ، فاقتضى ذلك تغايرهما ، وهذا أصل العطف .

وأما قول الشاعر :

* فألفى قولها كذباً وميناً *

فإنه شاذ لا يحمل عليه أفصح الكلام مع أن المين أخص من الكذب .

ثانيها : أن صلاة الله - تعالى - خاصة بأنبيائه ورسله وعباده المؤمنين.

وأما رحمته فوسعت كل شئ فليست الصلاة مرادفة للرحمة ، لكن الرحمة من لوازم الصلاة وموجباتها وثمراتها ، فمن فسرها بالرحمة فقد فسرها ببعض ثمرتها وآحاد مقصودها ، وهذا كثير ما يأتى فى تفسير ألفاظ القرآن ،

---

(1) الأحزاب : ٤٣ .

(2) البقرة : ١٥٦ - ١٥٧ .

فتفسر اللفظة بملا زمها وجزء معناها ، كتفسير الريب بالشك ، والشك جزء مسمى الريب ، وتفسيره الرحمة بإرادة الإحسان ، وهو إرادة لازم الرحمة ، ونظير ذلك كثير .

ثالثها : أنه لا خلاف فى جواز الترحم على المؤمنين ، واختلف السلف والخلف فى جواز الصلاة على غير الأنبياء على ثلاثة أقوال - كما تقدم - فقلنا: إنهما ليسا بمترادفين .

رابعها : أنها لو كانت الصلاة بمعنى الرحمة لقامت مقامها فى امتثال الأمر ، وأسقطت عند من أوجبها ، إذا قال : اللهم ارحم محمداً وآل محمد ، وليس الأمر كذلك .

خامسها : أنه لا يقال لمن رحم غيره ورق عليه فأطعمه وسقاه وكساه أنه صلى عليه ، ويقال : قد رحمه .

سادسها : أن الإنسان قد يرحم من يبغضه ويعاديه فيجد فى قلبه له رحمة ولا يصلى عليه .

سابعها : أن الصلاة لابد فيها من كلام ؛ فهى ثناء من المصلى على المصلى عليه وتنويه به ، وإشادة بمحاسنة التى فيه وذكره .

قال البخارى فى صحيحه : عن أبي العاليه قال : صلاة الله على رسوله ثناؤه عليه عند الملائكة ، وروى القاضي إسماعيل فى كتابه من طريق الربيع بن أنس عن أبى العالية : ﴿**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه**﴾ ، قال : صلاة الله - عز وجل - وثناؤه عليه وصلاة الملائكة .

ثامنها : أن الله فرق بين صلاته وصلاة ملائكته وجمعها فى فعل واحد، فقال : ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي** ﴾ وهذه الصلاة لا تكون هى الرحمة ، وإنما هو ثناؤه - سبحانه - وثناء ملائكته عليه ، فإن قيل : الصلاة لفظ مشترك فيجوز أن تستعمل فى معنييه معاً ، قيل : فى ذلك محاذير :

● ***أحدها :*** أن الاشتراك على خلاف الأصل ، بل لا يعلم أنه وقع فى اللغة من مواضع ، وأحدها : نص على ذلك المبرد وغيره من أئمه اللغة ، وإنما يقع فى اللغة وقوعاً عارضاً اتفاقياً بسبب ، ثم تختلط اللغة فيعرض الاشتراك .

● ***ثانيها*** : أن الأكثرين لا يجوزون استعمال اللفظ المشترك فى معنييه لا بطريق الحقيقة ولا بطريق المجاز ، فإن قيل : قد حكى عن الشافعي – رحمه الله – تجويزه ، قيل : ممنوع صحة ذلك عنه وإنما نأخذ من قوله إذا أوصى لمواليه وله موالٍ من فوق ومن أسفل تناول جميعهم فظن من ظن أن لفظ المولى مشترك بينهما وأنه عند الإطلاق يحمل عليهما – وليس كذلك – فإن لفظ المولى من الألفاظ المتواطئه ، فالشافعي وأحمد – فى ظاهر مذهبه – يقولان بدخول نوعى الموالى فى هذا اللفظ ، وهو عنده عام متواطئ الاشتراك .

فإن قيل : قد جاء عن الشافعي – رحمه الله – أنه قال فى مفاوضة جرت له : قوله تعالى : ﴿ **أو لامستم النساء** ﴾ وقد قيل : يراد بالملامسة الجماع ، فقال: هى محمولة على المس باليد حقيقة وعلى الجماع مجازًا .

قيل : هذا لا يصح عن الشافعى ولا من درس كلامه المألوف لمن عرفه وإنما هو كلام بعض الفقهاء المتأخرين ، فإذا كان معنى الصلاة هو الصلاة على الرسول ﷺ والعناية به وإظهار شرفه وفضله وحرمته – كما هو المعروف من هذه اللفظة – لم يكن لفظ الصلاة فى الآية مشتركاً محمولاً على معنييه ، بل يكون مستقلاً فى معنى واحد ، وهذا هو الأصل فى الألفاظ .

الوجه التاسع : أنَّ الله أمر بالصلاة عليه عقيب إخباره بأنه – تعالى – هو وملائكته يصلون عليه ، والمعنى إذا كان الله تعالى وملائكته يصلون على رسوله فصلوا أيضًا أنتم عليه ، فأنتم أحق أن تصلوا عليه وتسلموا تسليمًا ؛ لإيمانكم ببركة رسالته ، ويمن سفارته من الخير والشرف فى الدنيا والآخرة ، ومن المعلوم أنه لو غير هذا المعنى بالرحمة لم يحسن موقعه ولم يحسن النظم ، فإنه يكون تقديره يصير إلى أن الله وملائكته يترحمون ويستغفرون لنبيه ، فادعوا أنتم وسلموا ، وهذا ليس مراد الآية قطعاً ، بل الصلاة المأمور بها فى الآية هى الطلب من الله – تعالى – ما أخبر به من صلاته وثناء ملائكته ، وهى ثناء عليه ، إظهار لشرفه ، وفضله ، وإرادته تكريمه ، وتقريبه ، فهى تتضمن الخبر والطلب ، وسمى هذا السؤال والدعاء منا نحن صلاة عليه لوجهين :

● ***أحدهما :*** أنـه يتضمـن ثنـاء المصلـى عليـه ، والإشـادة بذكـر شـرفه وفضله، والإرادة والمحبة لذلك من الله – تعالى .

● ***الثاني :*** أن ذلك سمي منا صلاة عليه لسؤالنا مـن اللـه – تعـالى – أن يصلى عليه ، فصلاة الله ثناؤه وإرادته لرفع ذكره وتقريبه ، وصلاتنا نحن عليـه سؤالنا الله – تعالى – أن يفعل ذلك به ، وضد ذلك فى لعنـة أعدائـه الشـانئين[1] لما جاء به ، فإنها تضاف إلى الله – تعالى– وتضاف إلى العبد كما قال تعالى : ﴿ **إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد مـا بينـاه للنـاس فـى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون** ﴾[2] .

فلعنة الله لهم تتضمن مقته وإبعاده وبغضه لهم ، ولعنة العبـد سؤال اللـه –تعالى– أن يفعل ذلك بمن هو أهل اللعنة ، وإذا ثبت هذا ؛ فمن المعلوم أنــه لـو كانت الصلاة هى الرحمة لم يصح أن يقال لطالبهـا من اللـه –تعـالى– مصليـاً ، وإنما يقال له مسـترحماً لـه ، كمـا يقـال لطـالب المغفـرة مستغفراً لـه ، ولطـالب العطف مستعطفاً ، ونظائره كثيرة ، ولهذا يقال لمن سأل الله المغفرة : قـد عفـى عنه ، وهنا قد سمى العبد مصلياً ، فلو كانت الصلاة هـى الرحمـة ؛ لكـان العبد راحماً لمن صلى عليه ، وكان يقال رحمــه يرحمـه ، ومـن رحـم النبـي ﷺ مـرة رحمه الله – تعالى – بها عشراً ، وهذا معلوم البطلان ، فإن قيل : ليـس معنـى صلاة العبد عليه ﷺ رحمه ، إنما معناها طلب الرحمة له من الله – تعالى ، قيل هذا غير مسلم لأمرين :

● ***أحدهما :*** أن طلب الرحمة مشروع لكل مسلم ، وطلب الصلاة من الله – تعالى – يختص بالأنبياء والرسل عند كثير من الناس كما تقدم .

● ***الثاني :*** أنـه لـو سـمى طـالب الرحمـة مصلياً لسمى طـالب المغفـرة غافراً، وطالب العفو عافياً ، وطالب الصفح صافحاً ، ونحوه ، فـإنْ قيـل : فـأنتم قد سميتم طالب الصلاة من اللـه – تعـالى – مصليـاً ، قيـل : إنمـا سمى مصليـاً

---

(1) الشانئون : جمع شانئ ، وهو المبغض ، قال تعالى : ﴿ **إن شانئك هو الأبتر** ﴾[الكوثر: ٣].

(2) البقرة : ١٥٩ .

لوجود حقيقـة الصـلاة منـه ، فـإن حقيقتهمـا الثنـاء ، وإرادة الإكـرام والتقريـب ، وإعلاء المنزلة ، وهذا حاصل من صلاة العبد ، لكـن العبـد يريـد ذلـك مـن اللـه - تعالى - والله - سبحانه - يريد ذلك من نفسه أن يفعله برسله .

وأما على الوجه الثانى : فإنـه سـمى مصليـاً لطلبـه ذلـك مـن اللـه ؛ لأن الصلاة من نوع الكلام الطلبى والخبرى ، وقد وجد ذلـك مـن المصلـى بخـلاف الرحمة ، والرحمة أفعال لا تحصل من الطالب وإنما تحصل من المطلوب منه .

الوجه العاشر : أنه قد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : من صلى علـى مـرة صلى الله بها عشـراً ، وأن اللـه تعـالى قـال : مـن صلـى عليـك مـن أمتـك مـرة صليت عليه عشراً .

وهذا موافق للقاعدة المستقرة فى الشريعة أن الجزاء مـن جنـس العمـل ، وصلاة الله تعالى على المصلى على رسوله جزاء لصلاته هـو عليـه ، ومعلـوم أن صلاة العبد على رسوله ﷺ ليست هى رحمة من العبد لتكون صلاة الله مـن جنسها ، وإنما هى ثناء على الرسـول ﷺ وإرادة مـن اللـه - تعـالى - أن يعلـى ذكره ويزيده تعظيماً وتشريفاً ، والجزاء من [جنس][1] العمـل ، فمـن أثنـى علـى رسول الله ﷺ جـزاه اللـه - تعـالى - مـن جنـس عملـه بـأن يثنـى عليـه ويزيـد تشريفة وتكريمة ، فصح ارتباط الجزاء بـالعمل ومشـاكلته لـه ، ومناسـبته إيـاه ، كقوله ﷺ من يسر على معسر يسر الله عليه حسـابه ، ومـن سـتر مسـلماً سـتره الله فى الدنيا والآخره ومن نفس عن مؤمن كربه من كرب الدنيا نفس اللـه عنـه كربه من كرب يوم القيامة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عـون أخيـه ، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلـى الجنـة . ومـن سُئل عن علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار ، ومن صلى علـى النبـى ﷺ مرة ؛ صلى الله عليه عشراً ، ونظائره كثيرة .

الوجه الحادى عشر : إنَّ أحداً قال : إنَّ رسول الله ﷺ رحمه الله ، بدل ﷺ ؛ لبادرت الأمة إلى الإنكار عليه ، وعدوه مبتدعاً غير موقر للرسول ﷺ ولا

---

(١) زيادة للسياق والبيان .

مصل عليه ، ولا مثن عليه بما يستحق ، ولا يستحق أن يصلى الله عليه بذلك عشراً ، ولو كانت الصلاة من الله الرحمة لم يمتنع شيء من ذلك .

الوجه الثاني عشر : إن الله – تعالى – قال : ﴿ **لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً** ﴾[1]، فأمر الله – تعالى – أن لا يُدعى رسوله ﷺ بما يدعو الناس به بعضهم بعضاً من مناداتهم ومخاطباتهم بأسمائهم ، بل يقال : يا رسول الله ولا يقال : يا محمد ، وما كان يسميه باسمه وقت مخاطبته إلا الكفار فقط : وأما المسلمون فكانوا يخاطبونه برسول الله ، وإذا كان هذا في خطابه مواجهة فهكذا يكون في مغيبه ، فلا ينبغي أن يجعل ما يدعى له من جنس ما يدعون بعضاً لبعض ، بل يدعى له بأشرف الدعاء ، وهو السلام عليه

ومعلوم أن الرحمة يدعى بها لكل مسلم ، نعم ولغير الآدمي من الحيوانات كما في الاستسقاء : اللهم ارحم عبادك ، وبلادك ، وبهائمك ؛ فلابد من تشريف يتميز به الرسول في الدعاء ، وإلا فيكون قد سوى بهم ، وفي عدم تشريفه ما قد علم من مقت الله ونكاله .

الوجه الثالث عشر : أن هذه اللفظة لا تعرف في اللغة الأصلية بمعنى الرحمة أصلاً ، والمعروف عند العرب معناها إنما هو الدعاء والتبريك والثناء .

قال الشاعر:

وإن ذكرت صلى عليها وزمزماً

أي برك عليها ومدحها ، ولا تعرف العرب قط صلى عليه بمعنى رحمه، فالواجب حمل اللفظة على معناها المتعارف .

قال ابن سيدة : والصلاة والدعاء والاستغفار ، وصلاة الله على رسوله رحمته له وحسن ثنائه عليه وصلى دعا ، وفي الحديث من دعي إلى وليمة فليجب وإلا فليصل .

قال الأعشى :

عليك مثل الذي صليت فاعتصمي *** يوماً فإن لجنب المرء مضجعها

---

(١) النور : ٦٣ .

معناه : يأمرها أن تدعو له مثل دعائها أى تعيد الدعاء لـه ، ويـردّ عليك مثل الذي صليت فهو عليها أي عليك مثل صلاتـك ، أي أسـالك مـن الخـير مثـل الذي أردت لي ودعوت به لي .

الوجه الرابع عشر: أنه يستحب لكل أحد أن يسـأل اللـه - تعـالى - أن يرحمه ولا يسوغ لأحد أن يقول : اللهم صلّ عليَّ ، بـل الداعـي بهـذا معتـدٍ فـى دعائه ، والله لا يحب المعتدين ، خلاف سؤاله الرحمة فإن الله - تعالى - يحب أن يسأله عبده مغفرته ورحمته ، فعلم أنه ليس معناها واحد .

الوجه الخامس عشر : أن أكثر المواضع التى تستعمل فيها الرحمـة لا يحسن أن تقع فيها الصلاة ، كقولـه تعـالى : ﴿ **ورحمتـى وسـعت كـل شـيء** ﴾[١] وقوله : إن رحمتي سبقت غضبى ، وقوله تعالى : ﴿ **إن رحمة اللـه قريـب مـن المحسنين** ﴾[٢] ﴿ **وكـان بـالمؤمنين رحيمًـا** ﴾[٣] ، وقولـه تعـالى : ﴿ **إنـه بهـم رؤوف رحيم** ﴾[٤] ، وقوله ﷺ : الله أرحـم بالعبـاد مـن الوالـدة بولدهـا ، وقولـه ﷺ: ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء ، وقولــه : مـن لا يرحـم لا يرحم وقوله ﷺ : لا تنزع الرحمة إلا من شقى ، وقوله ﷺ : الشـاة إن رحمتهـا رحمك الله ، فمواضع استعمال الرحمة فى حق الله - تعالى - وفى حق العبـاد لا يحسن أن تقع الصلاة فى كثير منها ، بل فى أكثرها فلا يصح تفسـير الصـلاة بالرحمة ، فإن قيل : قد قال ابن عباس - رضـي اللـه تبـارك وتعـالى عنهمـا : ﴿**إن الله وملائكته يصلون على النبي** ﴾[٥] قال : يباركون عليه . قيل : هـذا لا ينافى تفسيرها بالثناء . وإرادة التبريك والتعظيم ، فإن التبريك مـن اللـه يتضمـن ذلك ؛ ولهذا فـرق بين الصلاة عـليه والتبريك عليـه ، وقـالت الملائكـة لإبراهيـم

---

(١) الأعراف : ١٥٦ .

(٢) الأعراف : ١٥٦ .

(٣) الأحزاب : ٤٣ .

(٤) التوبة : ١١٧ .

(٥) الأحزاب : ٥٦ .

ﷺ : ﴿ **رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت** ﴾[1] وقال المسيح عليه السلام : ﴿ **وجعلني مباركاً أينما كنت** ﴾[2] ، قال غير واحد من السلف : معناه معلماً للخير أينما كنت ، وهذا جزء المسمى ، فالمبارك الكثير الخير في نفسه ، الذي يحصله لغيره تعليماً وأقدارًا ونصحًا وإرادة واجتهادًا ، وبهذا يكون العبد مباركاً ؛ لأن الله - تعالى - بارك ؛ فيه وجعله كذلك ، والله تعالى يبارك لأن البركة منه كلها ، فعبده المبارَك ، وهو المبارِك ، ﴿ **تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا** ﴾[3] ﴿**تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شيء قدير** ﴾[4].

(١) هود : ٧٣ .

(٢) مريم : ٣١ .

(٣) الفرقان : ١ .

(٤) الملك : ١ .

التاسعة والتسعون من خصائصه ﷺ :
مطابقة اسمه لمعناه ، الذى هو شيمه وأخلاقه ﷺ فكان اسمه يدل على مسماه ، وكانت خلائقه إنما هي تفصيل جملة اسمه وشرح معناه

وذلك أن أشهر أسمائه ﷺ محمد ، وهو اسم منقول من الحمد الذى هو يتضمن الثناء على المحمود ، ومحبته ، وإجلاله ، وتعظيمه ، وبنى على زنة مُفَعَّل مثل : معظم ومحبب ومسود ومبجل ، فإن هذا البناء موضوع للتكثير ، فمحمد هو الذي كثر حمد الحامدين له مرة بعد أخرى .

ويقال : حُمد فهو محمد كما يقال : علم فهو معلم ، وهذا علم وصفه اجتمع فيه الأمران فى حقه ﷺ وإن كان علمًا محضًا فى حق كثير ممن سمى به غيره ، وهذا شأن أسماء الرب – تعالى – وأسماء كتابه العزيز ، وأسماء نبيه الكريم ، فإنها أعلام دالة على معان ، هى بها أوصاف فلا تضاد فيها العلمية الوصف ، بخلاف غيرها من أسماء المخلوقين ، فهو الله الخالق البارئ المصور القهار ، فهذه أسماء له – تعالى – هى دالة على معان ، هى صفاته ، وكذلك القرآن والفرقان والكتاب المبين ، وغير ذلك من أسمائه .

وكذلك أسماء النبي ﷺ محمد وأحمد والماحى وغيرها من أسمائه ، وقد ذكر ﷺ منها عدة وبين ما خصه الله – تعالى – من الفضل ، وأشار إلى معانيها كما تقدم ذكره فيما مضى ، ولوكانت أسماؤه ﷺ أعلاماً محضاً لم تدل على مدح ؛ ولهذا قال حسان بن ثابت – رضى الله تبارك وتعالى عنه :

وشق له من اسمه ليجله   فذو العرش محمود وهذا محمدُ

فتسميته ﷺ بهذا الاسم اشتمل عليه من مسماه وهو الحمد ، فإنه ﷺ محمود عند الله ، محمود عند ملائكته ، محمود عند إخوانه من المرسلين ، محمود عند أهل الأرض كلهم، وإن كفر به بعضهم فإن ما فيه من صفات الكمال محمودة عند كل عاقل ، وإن كابر عقله جحوداً وعناداً ، أو جهلاً باتصافه ، ولو علم باتصافه ﷺ بها لحمده ؛ فإنه يحمد من اتصف بصفات

الكمال ويجهل وجودها فيه ، فهو فى الحقيقة حامد له ﷺ ، وقد اختص ﷺ من مسمى الحمد بما لم يجتمع لغيره ، فإنه اسمه محمد ، وأحمد ، وأمته الحامدون يحمدون الله - تعالى - على السراء والضراء ، وصلاته وصلاة أمته مفتتحة بالحمد ، وخطبته مفتتحة بالحمد ، وكتابه مفتتح بالحمد ، هذا كان عند الله - تعالى - فى اللوح المحفوظ ، أن خلفاءه وأصحابه يكتبون المصحف مفتتحًا بالحمد ، وبيده ﷺ لواء الحمد يوم القيامة ، ولما يسجد بين يدى الله - تعالى - للشفاعة ، ويؤذن له فيها بحمد ربه ، بمحامد يفتحها عليه حينئذ ، وهو صاحب المقام المحمود الذى يغبطه الأولون والآخرون ، وإذا قام فى ذلك المقام حمده حينئذ أهل الموقف كلهم ، مسلمهم وكافرهم ، أولهم وآخرهم ، وهو محمود بما ملأ به الأرض من الهدى والإيمان، والعلم النافع ، والعمل الصالح ، وفتح به القلوب ، وكشف به الظلمة عن أهل الأرض واستنقذهم من أسر الشياطين ، ومن الشرك والكفر به ؛ حتى نال به أتباعه شرف الدنيا والآخرة ، فإن رسالته وافت أهل الأرض أحوج ما كانوا إليها ، فإنهم كانوا عباد أوثان ، وعباد صلبان ، وعباد نيران ، وعباد كواكب ، ومغضوب عليهم ، باءوا بغضب من الله ، وحيران لا يعرف رباً يعبده ، ولا بماذا يعبده ، والناس يأكل بعضهم بعضًا ، من استحسن شيئًا دعا إليه ، وقاتل من خالفه ، وليس فى الأرض موضع قدم مشرقًا بنور الرسالة ، وقد نظر الله - تعالى - إلى أهل الأرض ، عربهم وعجمهم ، إلا بقايا على دين صحيح ، وأغاث الله به العباد والبلاد ، وكشف به تلك الظلم ، وأحيا به الخليقة بعد موتها ، وهدى به من الضلالة ، وعلم به الجهالة ، وكثر به من القلة ، وأعز به بعد الذلة ، وأغنى به بعد العيلة ، وفتح به أعيناً عمياً ، وآذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً ، فعرف الناس ربهم ومصورهم ، غاية مما يمكن أن تناله قواهم من المعرفه ، وأبدى وأعاد ، واختصر وأطنب ، فى ذكر أسمائه - تعالى - وصفاته ، وأفعاله وأحكامه ؛ حتى تجلت معرفته سبحانه فى قلوب عباده المؤمنين ، وانجابت سحائب الشك والريب ، كما تنجاب السحاب عن القمر ليله إبداره ، ولم يدع ﷺ لأمته حاجة فى التعريف لا إلى من قبله ولا إلى من بعده ، بل كفاهم وشفاهم ، وأغناهم عن

كل من تكلم فى هذا الباب ﴿ **أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون** ﴾[١] .

فلم يدع ﷺ حسناً إلا أمر به ، ولا قبيحاً إلا نهى عنه ، وعرفهم حالهم بعد القدوم على ربهم أتم التعريف ، وكشف الأمر وأوضحه ، ولم يدع باباً من العلم للعباد المقرب لهم إلى ربهم إلا فتحه ، ولا مشكلاً إلا بينه وشرحه ، حتى هدى الله – تعالى – به القلوب من ضلالها ، وشفاها من أسقامها ، وأغاثها من جهلها، فأى بشر أحق بأن يحمد منه ﷺ ؟ كما قال تعالى : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾[٢] .

فإن أتباعه نالوا برسالته كرامة الدنيا والآخرة ، وأعداءه الذين حاربوه عجل قتلهم وموتهم ؛ فكان خيراً لهم من حياتهم ؛ لأن حياتهم زيادة لهم فى تغليظ العذاب عليهم فى الدار الآخرة إذ كتب عليهم الشقاء ، فموتهم إذاً خيرٌ لهم من حياتهم ، وطول أعمارهم فى الكفر ، وعاش المتعاهدون فى الدنيا تحت ظله وفى ذمته ، وحصل للمنافقين بإظهار الإيمان به حقن دمائهم وبقاء أموالهم وأهليهم بأيديهم ، وجريان أحكام الإسلام عليهم فى توارثهم وغيرها .

ودفع الله – تعالى – برسالته العذاب العام على أهل الأرض فأصاب كل العالمين النفع برسالته ، وكان رحمة عمت الجميع وخصت المؤمنين الذين قبلوا هذه الرحمة وانتفعوا بها دنيا وآخرة ، وكانت الكفار الذين ردوها ولم يقبلوها كالدواء الذى فيه دواء للمريض ، لكنه لم يستعجله ؛ فلم يخرجه عدم استعمال المريض له عن كونه دواء .

ومما يحمد عليه ﷺ ما جبله الله – تعالى – عليه من مكارم الأخلاق وكرائم الشيم ، فمن نظر فى أخلافه وشيمه علم أنها خير أخلاق ، فإنه ﷺ كان أعلم الخلق وأعظمهم أمانة وأصدقهم حديثاً ، وأجودهم وأسخاهم ، وأشدهم احتمالاً وأعظمهم عفواً ومغفرة ، فكان لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً ، وكان أرحم الخلق وأرأفهم ، وأعظم الخلق نفعاً لهم فى دينهم ودنياهم ، وأفصح

---

(١) العنكبوت : ٥١ .

(٢) الأنبياء : ١٠٧ .

الخلق وأحسنهم تعبيراً عن المعانى الكثيرة ، بالألفاظ الوجيزة ، الدالة على المراد ، وأصبرهم فى مواطن الصبر ، وأصدقهم فى مواطن اللقاء وأوفاهم بالعهد والذمة، وأعظمهم مكافأة على الجميل بأضعافه وأشدهم تواضعًا وأعظمهم إيثاراً ، وأشد الخلق ذباً عن أصحابه وحمايةً لهم ، ودفعاً عنهم ، وأقوم الخلق بما يأمر به ، وأتركهم لما ينهى عنه ، وأوصل الخلق لرحمه ، يتفجر الخير منه تفجيرا وينطوى على كل خير، ليس فى الدنيا محل كان أكثر خيراً من صدره ، قد جمع الخير بحذافيره ، وأودع فيه ﷺ .

وكان أصدق لهجة بحيث أقر له بذلك أعداؤه المحاربون له ، ولم يجرب عليه أحد من أعدائه كذبة واحدة ، دع شهادة أوليائه كلهم ، فقد حاربه أهل الأرض بأنواع المحاربات مابين مشركيهم وأهل الكتاب ، فما أحد منهم طعن فيه يوماً من الدهر بكذبة واحدة ، صغيرة ولا كبيرة ، وكان سهلاً ليناً ، قريباً من الناس ، يجيب دعوة من دعاه ، ويقضى حاجة من استقضاه ، ويجبر قلب من قصده ، ولا يحرمه ، ولا يرده خائباً ، إذا أراد أصحابه أمراً وافقهم عليه، وتابعهم فيه ، وإن عزم على أمر لم يستبد به دونهم ، بل يشاورهم ويؤامرهم ، وكان يقبل من محسنهم ، ويعفو عن مسيئهم ، ولم يكن يعاشر جليسه إلا أتم وأحسنها وأكرمها ، فكان لا يعبس فى وجه ، ولا يغلظ له فى مقاله ، ولا يطوى عنه بشره ، ولا يمسك عليه فلتات لسانه ، ولا يؤاخذه بما يصدر منه من جفوة ونحوها ، بل يحسن إلى عشيره غاية الإحسان ، ويحتمله غاية الاحتمال ، ولا يعاتب أحداً من أصحابه ، ولا يلومه ، ولا يبادئه بما يكره ، مع احتمال الأذى والجفوة ، يقول من خالطه فى نفسه إنه أحب الناس إليه ، من لطفه به ، وقربه منه ، وبره له ، وإقباله عليه ، واهتمامه بأمره ، ونصيحته له وبذل إحسانه إليه ، واحتمال جفوته ، فأى عشرة كانت أو تكون أكرم من هذه العشرة ، قد خصه الله – تعالى – بصفتين ، وهما : الإجلال ... والمحبة .

فكان قد ألقى عليه هيبة منه – تعالى – ومحبة ، أن كل من يراه يجله ويملأ قلبه إجلالاً وتعظيماً – وإن كان عدواً له – فإذا خالطه وعاشره ؛ كان أحب إليه من كل مخلوق فهو المبجل المعظم ، المكرم المحبوب ، ولم يكن بشر

أحب إلى بشر ولا أهيب ولا أجل فى صدره من رسول الله ﷺ فى صدور أصحابه .

والفرق بين محمد وأحمد : أن محمدًا : هو المحمود حمداً بعد حمد ، فهو دال على كثرة حمد الحامدين له ؛ وذلك يستلزم كثرة موجبات الحمد ، كما قد سردنا من ذلك ما تيسر.

وأما أحمد فإنه أفعل تفضيل من الحمد ، يدل على أن الحمد الذى يستحقه أفضل مما يستحقه غيره ، كما قد تبين لك .

فمحمد زيادة حمده فى الكمية ، وأحمد زياده فى الكيفية ، فيحمد حمداً هو أكثر حمد ، وأفضل حمد حمده البشر ، وأيضاً فمحمد هو المحمود حمداً متكرراً ، وأما أحمد هو الذى حمده لربه أفضل من حمد الحامدين غيره ، فدل محمد على كونه ﷺ محموداً ، ودل أحمد على كونه أحمد الحامدين لربه - تعالى .

فقد تبين أن هذين الاسمين الكريمين إنما اشتقا من أخلاقه وخصائله المحمودة ؛ التى لأجلها استحق أن يسمى محمداً وأحمداً ، فهو الذى استحق أن يحمده أهل الدنيا والآخرة ، وأهل السماء وأهل الأرض ؛ فلكثرة خصائله المحمودة التى تفوت عدد العادين ، سمى باسمين من أسماء الحمد يقتضيان التفضيل والزيادة فى القدر والصفة ﷺ ، ولو لم يكن فى هذا الكتاب إلا هذا الفصل لكفى به منبهاً على شرف المصطفى ، فكيف لا ؟ وقد جمع الله لى فى ما لا أعلم أنه اجتمع فى تأليف ، ولكن الله يمن على من يشاء من عباده .

المائة من خصائصه ﷺ :
وجوب حب أهل بيته

روى البخاري[1] في كتاب قرابة رسول الله ﷺ وفي مناقب الحسن والحسين من طريق شعبة عن واقد بن محمد ، سمعت أبي يحدث عن ابن عمر

---

(١) (فتح الباري) : ١١٩/٧ ، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب مناقب الحسن والحسين - رضى الله تبارك وتعالى عنهما ، حديث رقم (٣٧٥١) .

قوله " مناقب الحسن والحسين " ، كأنه جمعهما لنا وقع لهما من الاشتراك في كثير من المناقب ، وكان مولد الحسن في رمضان سنة ثلاث من الهجرة عند الأكثر ، وقيل بعد ذلك ، ومات بالمدينة مسموماً سنة خمسين ، ويقال قبلها ، ويقال بعدها . وكان مولد الحسين في شعبان سنة أربع في قول الأكثر وقتل يوم عاشوراء سنة إحدى وستين بكربلاء من أرض العراق ، وكان أهل الكوفة لما مات معاوية واستخلف يزيد كاتبوا الحسين بأنهم في طاعته ، فخرج الحسين إليهم، قبله عبيد الله بن زياد إلى الكوفة ، فخذل الناس عنه فتأخروا رغبة ورهبة ، وقتل ابن عمه مسلم بن عقيل ، وكان الحسين قد قدمه قبله ليبايع له الناس ، ثم جهز إليه عسكراً فقاتلوه إلى أن قتل، هو وجماعة من أهل بيته ، والقصة مشهورة فلا نطيل بشرحتها .

فقد روى الترمذي وابن حبان - من طريق هانئ بن هانيء - عن علي قال : الحسن أشبه برسول الله ﷺ ما بين الرأس إلى الصدر ، والحسين أشبه بالنبي ﷺ ما كان أسفل من ذلك ووقع في رواية عبد الأعلى عن معمر عند الإسماعيلي في رواية الزهري هذه ، وكان أشبههم وجهاً بالنبي ﷺ ، وهو يؤيد حديث على هذا والله أعلم ، والذين يشبهون بالنبي ﷺ غير الحسن والحسين : جعفر بن أبي طالب وابنه عبد الله بن جعفر ، وقثم بالقاف ابن العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، ومسلم بن أبي طالب ، ومن غير بني هاشم : السائب بن يزيد المطلبي الجد الأعلى للإمام الشافعي ، وعبد الله بن عامر بن كريز العبشمي ، وكابس بن ربيعة بن عدي ، فهؤلاء عشرة نظم منهم أبو الفتح بن سيد الناس خمسة ، وأنشدنا محمد بن الحسن المقرى عنه .

بخمسة أشبهوا المختار من مضر ... يا حسن ما خولوا من شبهه الحسن
بجعفر وابن عم المصطفى قثم ... وسائب وأبي سفيان والحسن =

عن أبى بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : ارقبوا محمداً فى أهل بيته .

وخرَّج الحاكم[1] من طريق إبراهيم بن الحسين بن ديزيل ، حدثنا إسماعيل بن أبى أويس ، حدثنا أبى عن حميد بن قيس المكي ، عن عطاء بن أبى رياح وغيره من أصحاب ابن عباس عن ابن عباس - رضي الله وتبارك وتعالى عنه - أن رسول الله ﷺ قال : يابنى عبد المطلب إنى سألت الله لكم ثلاثاً : أن يثبت قائمكم ، وأن يهدى ضالكم ، وأن يعلم جاهلكم وسألت الله أن يجعلكم نجداء ورحماء ، فلو أن رجلاً صفن بين الركن والمقام فصلى وصام ، ثم لقى الله - وهو مبغض لأهل بيت محمد ﷺ دخل النار ، قال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم .

ومن حديث صالح بن محمد قال : حدثنا يحيى بن معين ، حدثنا هشام بن يوسف ، حدثنى عبد الله بن سليمان النوفلى ، عن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، عن أبيه ، عن ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى

= وزادهم شيخنا أبو الفضل بن الحسين الحافظ اثنين ، وهما الحسين وعبد الله بن عامر بن كريز ، ونظم ذلك فى بيتين وأنشدناهما وهما :

وسبعة شبهوا بالمصطفى فما ... لهم بذلك قدر قد زكا ونما

سبطا النبى أبو سفيان سائبهم ... وجعفر وابنه ذو الجود مع قثما

وزاد فيهم بعض أصحابنا ثامناً وهو عبد الله بن جعفر ، ونظم ذلك فى بيتين أيضاً ، وقد زدت فيهما مسلم بن عقيل ، وكابس بن ربيعة ؛ فصاروا عشرة ، ونظمت ذلك فى بيتين وهما :

شبه النبى لعشر سائب وأبى ... سفيان والحسنين الطاهرين هما

وجعفر وابنه ثم ابن عامر هم ... ومسلم كابس يتلوه مع قثما

وقد وجدت بعد ذلك أن فاطمة ابنته عليها السلام كانت تشبهه .

(١) (المستدرك) : ٣/١٦١ ، كتاب معرفة الصحابة ، حديث رقم (٤٧١٢) ، وقال الحافظ الذهبي فى (التخليص) : على شرط مسلم .

عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة ، وأحبوني لحب الله ، واحبوا أهل بيتى ، قال : حديث صحيح الإسناد(١) .

ومن حديث محمد بن فضيل الضبى ، حدثنا أبان بن تغلب ، عن جعفر ابن إياس عن أبى نضرة ، عن أبى سعيد الخدري – رضي الله تبارك وتعالى عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : والذى نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار . قال : حديث صحيح على شرط مسلم(٢) .

ومن حديث مفضل بن صالح ، عن أبى إسحاق ، عن حنش بن المعتمر الكنانى قال : سمعت أبا ذر – رضي الله تبارك وتعالى عنه – وهو آخذ بثياب الكعبة : من عرفنى فأنا من عرفنى ، ومن أنكرنى فأنا أبو ذر ، سمعت النبي ﷺ يقول : إلا إن مثل أهل بيتى فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك ، قال : حديث صحيح الإسناد(٣) .

وخرجه من حديث عبد الله بن عبد القدوس ، عن الأعمش ، عن إسحاق ، عن حنش بن المعتمر ، قال: رأيت أبا ذر وهو آخذ بعضادتى الكعبه ، وهو يقول : من عرفنى فقد عرفنى ، ومن أنكرنى فأنا أبو ذر الغفاري ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح فى قومه ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق ، ومثل حطة لبنى إسرائيل .

ومن حديث إسماعيل بن محمد بن إسحاق بن جعفر بن علي بن الحسين ، قال : حدثنى عمى علي بن جعفر ، حدثنى الحسين بن زيد عن عمر ابن علي عن أبيه على بن الحسين ، قال : خطب الحسن بن علي الناس حين قتل علي – رضي الله تبارك وتعالى عنه – وأثنى عليه ، ثم قال : لقد قبض فى هذه الليلة رجل لايسبقه الأولون بعمل ولا يدركه الآخرون ، وقد كان رسول الله ﷺ يعطيه رايته فيقاتل وجبريل عن يمينه ، وميكائيل عن يساره ، فما يرجع حتى يفتح الله عليه ، وما ترك على ظهر الأرض صفراء ولا بيضاء إلا ستمائة

---

(١) (المرجع السابق) : حديث رقم (٤٧١٦) ، وقال الحافظ الذهبي فى (التلخيص) : صحيح .

(٢) (المرجع السابق) : حديث رقم (٤٧١٧) ، وسكت الحافظ الذهبي عنه فى (التلخيص) .

(٣) (المرجع السابق) : حديث رقم (٤٧٢٠) ، ومفضل بن صالح واهٍ .

درهم فضلت من عطائه ، أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله ، ثم قال : أيها الناس من عرفنى فقد عرفنى ، ومن لم يعرفنى فأنا الحسن بن علي ، أنا ابن النبي ، وأنا ابن البشير ، وأنا ابن الوصى ، وأنا النذير ، وأنا ابن الداعي إلى الله بإذنه، وأنا ابن السراج المنير ، وأنا من أهل البيت الذين كان جبريل - عليه السلام - ينزل علينا ويصعد من عندنا ، وأنا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم ، فقال الله - تعالى - لنبيه ﷺ : **﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً ﴾**[1] ، فاقتراف الحسنة مودتنا - أهل البيت[2] .

ويروى عن ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - انه قال : لما نزلت **﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى ﴾** قالوا : يا رسول الله ، من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم ؟ قال : علي وفاطمة وابناهما[3] .

قال كاتبه : قد جاء فى الحض على حب أهل البيت أحاديث كثيرة : صحاح ، وحسان ، وضعيفة ، وحبهم مما يجب على أهل الإسلام إلا أن الشيعة العلوية سيّما الطائفة الإمامية دخلت عليهم شياطين الجن أولاً بحب أهل البيت والمبالغة فى حبهم ، فرأوا أن ذلك من أسنى القربات ، وكذلك هو فى نفس الأمر لوقفوا عند هذا الحد الشرعى إلا أنهم تحدّوا من حب أهل البيت إلى طريقين فمنهم من تعدى إلى بغض الصحابة - رضي الله تبارك وتعالى عنهم ، وسبهم وانتقاصهم بشنعاء هم بها أحق من الصحابة وأخروهم عما هو لهم ، وتخيلوا أن أهل البيت أولى بالخلافة الدنياوية ، وكان منهم من العظائم القبيحة

---

(١) الشورى : ٣٢ .

(٢) (المستدرك) : ١٨٨/٣ - ١٨٩ ، كتاب معرفة الصحابة ، حديث رقم (٤٨٠٢) ، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص) : ليس بصحيح .

(٣) ونحوه ما أخرجه الحاكم فى (المستدرك) على شرط البخارى ومسلم ، ووافقه الحافظ الذهبي في (التلخيص) : لما نزلت هذه الآية : **﴿ ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ﴾** [آل عمران : ٩١] ؛ دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً - رضى الله تبارك وتعالى عنهم - فقال : " اللهم هؤلاء أهلى " .

ما كان ، وطائفه زادت فى الإعتداء والتعدي ، فتركت الصحابة ، وقدحت فى رسول الله ﷺ وفي جبريل عليه السلام وفى الله عز وجل ، حيث لم يذعن على مرتبتهم للناس حتى لا يجهلونهم ، فكان الأصل فى حبهم لأهل البيت صحيحاً ، ولكن الغلو فى ذلك أخرجهم عن الحد ، فانعكس أمرهم إلى الضد ، وقال : الله تعالى : ﴿ **لا تغلوا فى دينكم** ﴾(١) .

وقال علي بن أبي طالب - رضي الله تبارك وتعالى عنه : يهلك فىّ رجلان : محب مفرط ، ومبغض مفرط ، وفى رواية لهلك فىّ رجلان : محب مطري ، ومبغض مفترى .

وعن حسن بن الحسن بن الحسن بن علي ، أنه قال لرجل يغلو فيهم : ويْحَكُم ! أحبونا لله فإن أطعنا الله فأحبونا وإن عصينا الله فأبغضونا فوالله لو كان الله نافعاً أحداً بقرابته من رسول الله ﷺ بغير طاعة الله ، لنفع بذلك أباه وأمه ، قولوا فينا الحق فإنه أبلغ فيما تريدون ونحن نرضي به منكم .

وقال الزبير بن بكار : حدثني عبد الله بن إبراهيم بن قدمة الجمحى ، عن أبيه ، عن جده ، عن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، عن أبيه ، قال : قدم المدينة قوم من أهل العراق ، فجلسوا إلى فذكروا أبا بكر وعمر - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - فمسوا منهما ، ثم ابتركوا فى عثمان - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ابتراكاً ، فقلت لهم : أخبروني أنتم من المهاجرين الأولين الذين قال الله - تعالى - فيهم : ﴿ **للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون** ﴾(٢) ؟ قالوا : لسنا منهم ، قلت : فأنتم من الذين قال الله - تعالى - فيهم : ﴿ **والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولايجدون فى أنفسهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على صدورهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾(٣)، قالوا :

---

(١) النساء : ١٧١ ، المائدة : ٧٧ .

(٢) الحشر : ٨ .

(٣) الحشر : ٩ .

لسنا منهم ، قال : قلت لهم : أما أنتم فقد تبرأتم عن أن تكونوا منهم ، وأنا أشهد أنكم لستم من الفرقة الثالثة التى قال الله - عز وجل : **﴿ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولاتجعل فى قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾**(١) ، قوموا - لا قرب الله دوركم - فأنتم مستترون بالإسلام ولستم من أهله .

وحدثنى محمد بن يحيى قال : أخبرنى بعض أصحابنا ، قال : قال رجل لعلى بن الحسين : كيف كان منزل أبى بكر وعمر - رضى الله تبارك وتعالى عنهما - من النبي ﷺ ؟ قال : منزلهما اليوم .

وقيل : لعمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب : هل فيكم أهل البيت إنسان مفترضة طاعتة ؟ فقال : لا . والله ما هذا فينا ، من قال هذا ؛ فهو كذاب ، وذكرت له الوصية ، فقال : والله لمات أبي فما أوصى بحرفين ، قاتلهم الله - إن هم إلا يناكلون بنا .

---

(١) الحشر : ١٠ .

عصمة سائر الأنبياء والملائكة عليهم السلام

قال ابن سيده : عصمه يعصمه منعه ووقاه[1] وفي التنزيل : ﴿ **لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم** ﴾ أي لا معصوم إلا المرحوم . والاسم : العصمة .

---

(١) العصمة فى كلام العرب : المنع وعصم الله عبده : أن يعصمه مما يوبقه . عصمه يعصمه عصماً : منعه ووقاه . وفى التنزيل : ﴿ **لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم** ﴾ أى لا معصوم إلا المرحوم ، قيل : هو على النسب أى ذا عصمة ، وذو العصمة يكون مفعولاً كما يكون فاعلاً ، فمن هنا قيل : إن معناه لا معصوم ، وإذا كان ذلك فليس المستثنى هنا من غير نوع الأول بل هو من نوعه ، وقيل : إلا من رحم مستثنى ليس من نوع الأول ، وهو مذهب سيبويه ، والاسم العصمة ؛ قال الفراء : من فى موضع نصب ؛ لأن المعصوم خلاف العاصم ، والمرحوم ، فكان نصبه بمنزلة قوله تعالى : ﴿ **ما لهم به من علم إلا اتباع الظن** ﴾ ، قال : ولو جعلت عاصماً فى تأويل المعصوم ، أى لا معصوم اليوم من أمر الله جاز رفع من ، قال : ولا تنكرن أن يخرج المفعول على الفاعل ، ألا ترى قوله عز وجل : ﴿ **خلق من ماء دافق** ﴾ معناه مدفوق وقال الأخفش : لا عاصم اليوم يجوز أن يكون إلا ذا عصمة أى معصوم ، ويكون إلا من رحم رفعاً بدلاً من لا عاصم ، قال أبو العباس : وهذا خلف من الكلام لا يكون الفاعل فى تأويل المفعول إلا شاذاً فى كلامهم ، والمرحوم معصوم ، والأول عاصم ، ومن نصب بالاستثناء المنقطع ، قال : وهذا الذى قاله الأخفش يجوز فى الشذوذ ، وقال الزجاج فى قوله تعالى : ﴿ **سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء** ﴾ أى يمنعنى من الماء ، والمعنى من تفريق الماء ، قال : لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم ، هذا استثناء من الأول ، وموضع من نصب المعنى لكن من رحم الله فإنه معصوم ، قال : وقالوا يجوز أن يكون عاصم فى معنى معصوم ، ويكون معنى لا عاصم لا ذا عصمة ، ويكون من فى موضع رفع ، ويكون المعنى لا معصوم إلا المرحوم ؛ والحذاق من النحويين اتفقوا على أن قوله لا عاصم بمعنى لا مانع ، وأنه فاعل لا مفعول ، وأن من نصب على الانقطاع ، واعتصم فلان بالله إذا امتنع به ، والعصمة : الحفظ ، يقال : عصمته فانعصم . واعتصمت بالله إذا امتنعت بلطفه من المعصية .

قلت : المراد بالعصمة هنا منع الأنبياء عليهم السلام من المعاصي ، وقد اتفقت الأمة على أن الأنبياء معصومون من الكفر ، إلا الفضيلية من الخوارج فإنهم يجوزون صدور الذنب عنهم ، وهو كفر عندهم وجوزت الروافض عليهم إظهار كلمة الكفر على سبيل التقية وأجمعوا على أنه لا يجوز عليهم التحريف والخيانة فى تبليغ الشرائع والأحكام عن الله - تعالى - لا عمداً ولا سهواً وإلا لم يوثق بشيء من الشرائع ، وأجمعوا على أنه لا يجوز عليهم تعمداً الخطأ فى الفتوى فأما على سبيل السهو فقدا اختلفوا فيه ، وأما ما يتعلق بأحوالهم وأفعالهم فقد اختلف فيه على خمسة مذاهب :

الأول : قالت : الحشوية يجوز عليهم الإقدام على الكبائر والصغائر .

الثانى : قال : أكثر المعتزلة لا يجوز تعمد الكبيرة ويجوز تعمد الصغيرة إن لم يكن منفراً ، فإن كان منفراً فلا يجوز عليهم كالتضعيف دون الحية .

الثالث : قال : لا يجوز عليهم تعمد الكبيرة ولا الصغيرة ولكن يجوز على سبيل الخطأ .

الرابع : لا يجوز عليهم صغيرة ولا كبيرة ، ولا عمداً ولا بالتقويل الخطأ.

الخامس: قالت : الروافض لا يجوز ذلك لا عمداً ولا تقويلاً ، ولا سهواً ولا نسياناً .

ثم هذه العصمة عند الأكثرين لم تجب إلا فى زمان النبوة ، وعند غير الروافض تجب من أول العمر ، وذهب أبو محمد علي بن حزم إلى أن الملائكة لا تعصي البتة بوجه من الوجوه لا بعمد ، ولا بخطأ ولا بسهو ، ولا كبيرة ، ولا صغيرة ، وأن الانبياء لا يعصون البتة بعمد لا صغيرة ، ولاكبيرة ، وربما كان منهم الشيء - على سبيل السهو وعلى سبيل إرادة الخير - فلا يوافقون مراد الله - تعالى إلا أنهم لا يقارهم الله على ذلك بل نبهم وربما عاقبهم على ذلك فى الدنيا بالكلام ، وربما ببعض المكروه فى الدنيا كالذى أصاب يونس عليه السلام .

وهم - عليهم السلام - بخلافنا فى هذا فإننا غير مؤاخذين بما سهونا فيه، ولا بما قصدنا به وجه الله - تعالى ، بل نحن مأجورون على هذا الوجه ،

وقد أخبر رسول الله ﷺ أن الله – تعالى – قرن بكل أحد شيطاناً وأن الله – تعالى– أعانه على شيطانه فأسلم ، فلا يأمره إلا بخير ، والملائكة برآء من هذا الا أنهم مخلوقون من نور لا من أمشاج ، والنور لا كدر فيه ولامزاح بل هو ظاهر سليم ، وبهذا نقول .

وقال : سيف الدين الآمدي اختلف فى السهو ، فذهب الأسفرايني وكثير إلى امتناعه ، وذهب أبو بكر الباقلاني إلى جوازه ، وأما الإمام فخر الدين فأدعى فى بعض كتبه الإجماع على امتناعة ، وفى بعضهما نقل الخلاف ، وحاصل الخلاف راجع إلى أن ذلك هل هو داخل تحت دلالة المعجزه على التصديق أم لا ؟ فمن جعله غير داخل جَوَّزَه ، وفي كلام إمام الحرمين إشارة إلى ذلك فيما يختلف ببيان الشرائع بسواء كان قولاً أو فعلاً ، وميله إلى الجواز، واحتج بقصة ذى اليدين .

وقال أبو العالى بن الزملكاني : الذى يظهر أن ما طريقته التبليغ فيه ما يقطع بدخوله تحت دلالة المعجزة على الصدق ، فهذا لا نزاع فى أنه لا يجوز فيه التحريف ، ولا الخيانة ، ولا الكذب ، ولا السهو ، ومالا يكون كذلك وهو مما طريقه التبليغ والبيان للشرائع هو محل الخلاف ، ويحتمل كلام فخر الدين حين نقل الإجماع على القسم الأول ، ويحمل كلامه وكلام الآمدى حين نقلا الخلاف على الثانى .

ونقل القاضي عياض الإجماع على عدم جواز السهو والنسيان فى الأقوال البلاغية ، وخص الخلاف بالأفعال .

قلت : هذا تفصيل اختلاف الأمة فى مسئله العصمة على الجملة ، وحجج المحققين وشبه المبطلين في هذه المسئله كثيرة جداً .

وقال القاضي عياض : اعلم أن الطواريء من التغييرات والآفات على آحاد البشر لا تخلو أن تطرأ على جسمه ، أو على حواسه ، بغير قصد واختيار، كالأمراض والأسقام أو تطرأ بقصد واختيار ، وكله فى الحقيقة عمل وفعل ولكن جرى رسم المشايخ لتفصيله إلى ثلاثة أنواع : عقد بالقلب .. وقول باللسان .. وعمل بالجوارح ...

وجميع البشر تطرأ عليهم الآفات والتغيرات بالاختيار وبغير الاختيار في هذه الوجوه كلها ، والنبي ﷺ وإن كان من البشر ويجوز على جبلته مايجوز على جبلة البشر ، فقد قامت البراهين القاطعة ، وتمت كلمة الإجماع على خروجه عنهم ، وتنزيهه من كثير من الآفات التى تقع على الاختيار ، وعلى غير الاختيار ، كما سنبينه إن شاء الله - تعالى .

قال : وقد ذكر حكم عقد قلبه ﷺ أن ما تعلق منه بطريق التوحيد والعلم بالله وضصفاته والإيمان به ، وبما أوحى به فعلى غاية المعرفة ، ورسوخ العلم، واليقين والانتفاء عن الجهل بشيء من ذلك ، أو الشك ، أو الريب فيه ، والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين ، هذا ما وقع إجماع المسلمين عليه ، ولا يصح بالبراهين الواضحات أن يكون فى عقول الأنبياء سواه ، ولا يعترض على هذا بقول إبراهيم عليه السلام : **﴿ قال بلى ولكن يطمئن قلبي ﴾**[1] إذا لم يشك إبراهيم فى إخبار الله - تعالى - بإحياء الموتى ، ولكن أراد طمأنينة القلب، وترك المنازعة ، ومشاهدة الإحياء ، فحصل له العلم الأول بوقوعه ، وأراد العلم الثانى بكيفيتة ومشاهدته .

الوجه الثانى : أن إبراهيم - عليه السلام - إنما أراد اختيار منزلته عند ربه - تعالى - وعلم إجابته دعوته بسؤال ذلك من ربه ، ويكون قوله : أو لم تؤمن أى تصدق بمنزلتك منى وخلتك واصطفائك ؟

الوجه الثالث : أنه سأل زيادة يقين وقوة طمأنينة وإن لم يكن فى الأول شك إذا العلوم الضرورية والنظرية قد تتفاضل فى قوتها وطرئان الشكوك على الضروريات ممتنع ، ومجوز فى النظريات ، فأراد الانتقال من النظر والخبر إلى المشاهدة ، والترقى من علم اليقين إلى عين اليقين ، فليس الخبر كالمعانية ، ولهذا قال : سهل بن عبد الله : سال كشف غطاء العيان ؛ ليزداد بنور اليقين تمكناً في حاله .

---

(١) البقرة : ٢٦٠ .

الوجه الرابع : أنه لما احتج على المشركين بأن ربه يحيى ويميت ؛ طلب ذلك من ربه ؛ ليصح احتجاجه عياناً .

الوجه الخامس : قول بعضهم هو سؤال عن طريق المراد : أقدرني علىإحياء الموتى ، قوله ﴿ **ليطمئن قلبى** ﴾[1] عن هذه الأمنية .

الوجه السادس : أنه أرى من نفسه الشك – وما شك – لكن ليجاوب فيزاد قربه.

وقول نبينا ﷺ : نحن أحق بالشك من إبراهيم نفى لأن يكون إبراهيم شك وإبعاد للخواطر الضعيفة أن نظن هذا بإبراهيم ، أى نحن موقنون بالبعث وإحياء الله الموتى ، فلو شك إبراهيم لكنا أولى بالشك منه ، إما على طريق الأدب ، أو أن يريد منه الذين يجوز عليهم الشك أو على طريق التواضع والإشفاق إن حملت قصة إبراهيم على اختيار حاله أو زيادة يقينه .

وقال أبو محمد بن حزم : وكذلك قوله عليه السلام : ﴿ **ربِّ أرني كيف تحيي الموتى** ﴾[2] ، ولم يقره ربنا – تعالى – وهو يشك فى إيمان إبراهيم خليله تعالى الله عن هذا ولكن تقريراً للإيمان فى قلبه ، وإن لم يركيف إحياء الموتى ، فأخبر عليه السلام عن نفسه أنه مؤمن مصدق وأنه إنما أراد أن يرى الكيفية فقط ، ويعتبر بذلك ، وما شك إبراهيم قط فى أن الله يحيي الموتى ، وإنما أراد أن يرى الهيئة ، كما أنا لا نشك فى صحة وجود الفيل ، والتمساح ، وزيادة النهر ، والخليفة ، ثم يرغب من لم ير ذلك منا أن يراه ، لا شكاً فى أنه حق ؛ ولكن ليرى العجب الذى تتمثله نفسه ، ولم تقع عليه حاسة بصره فقط ، وأما ما روى من قول رسول الله ﷺ : نحن أحق بالشك من إبراهيم قال كاتبه : فإنه حديث صحيح .

---

(١) البقرة : ٢٦٠ .

(٢) البقرة : ٢٦٠ .

خرَّجه البخاري[1] ومسلم[2] من طريق ابن وهب . قال : أخبرني يونس عن ابن شهاب عن أبي سلمه بن عبد الرحمن ، وسعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : نحن أحق بالشك من إبراهيم ، إذ قال : ﴿ **رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي** ﴾ . ويرحم الله لوطاً لقد كان يأوى إلى ركن شديد ، ولو لبثت فى السجن طول لبث يوسف . وقال : البخاري ما لبث يوسف لأجبت الداعي ، وله عندهما طرق .

---

(١) أخرجه البخاري فى الأنبياء ، باب قوله عز وجل : ﴿ **ونبئهم عن ضيف إبراهيم** ﴾ وباب (ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون) ، وباب قوله تعالى : ﴿ **لقد كان فى يوسف وإخوته آيات للسائلين** ﴾ وفى التفسير ، باب (وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى) وفى التعبير ، باب رؤيا أهل السجون والفساد والشرك .

(٢) أخرجه مسلم فى الإيمان ، باب زيادة طمأنينة القلب ، حديث رقم (١٥١) وفى الفضائل ، باب فضائل إبراهيم الخليل عليه السلام ، حديث رقم (١٥١) .

وأخرجه الترمذى فى التفيسر ، باب ومن سورة يوسف ، حديث رقم (٣١١٥) .

قال الحافظ فى (الفتح) : اختلفوا فى معنى قوله ﷺ : " نحن أحق بالشك " ، فقال بعضهم : نحن أشد أشتياقاً إلى رؤيه ذلك من إبراهيم ، وقيل : معناه إذا لم نشك نحن ، فإبراهيم أولى أن لايشك ، أى لو كان الشك متطرقاً إلى الأنبياء لكنت أنا أحق به منهم ، وقد علمتم أنى لم أشك ، فاعلموا أنه لم يشك ، وإنما قال ذلك تواضعاً منه ، أو من قبل أن يعلمه الله بأنه أفضل من إبراهيم .

وهو كقوله فى حديث أنس عند مسلم : " إنَّ رجلاً قال للنبى ﷺ : يا خير البرية ، قال : ذاك إبراهيم " .

وقيل : إن سبب هذا الحديث : أن الآية لما نزلت قال بعض الناس : " شك إبراهيم ولم يشك نبينا " فبلغه ذلك ، فقال : " نحن أحق بالشك من إبراهيم " أراد : ما جرت به العادة فى المخاطبة لمن أراد أن يدفع عن آخر شيئاً .

وقال ابن حزم : فمن ظن أن النبي ﷺ شك قط في قدرة ربه – تعالى – فقد كفر ، وهذا الحديث حجة لنا ، ونفى الشك عن إبراهيم أو لو كان هذا الكلام من إبراهيم شكاً ؛ لكان من لم يشاهد من القدرة ما شاهده إبراهيم ليس شاكاً ، فإبراهيم أبعد من الشك ، ومن نسب هاهنا إلى الخليل الشك فقد نسب إليه الكفر ، ومن كفر نبياً فهو كافر، وأيضاً فلو كان ذلك شكاً من إبراهيم ، كذا نحن أحقّ بالشك منه ؛ فنحن إذاً شكاك أو جاحدون كفار ، وهذا كلام نعلم ولله الحمد بطلانه من أنفسنا ، ونحن ولله الحمد مؤمنون مصدقون بالله وقدرته على كل شيء يسأل عنه .

قال كاتبه – والذى أثار هذا ما حكاه محمد بن جرير الطبرى ، عن ابن جرير ، قال : سألت عطاء بن أبي رباح عن قوله : ﴿ **وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى** ﴾ . قال : دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس فقال : ﴿ **رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير** ﴾ ليريه .

ثم احتج الطبري بقوله : نحن أحق بالشك من إبراهيم . قال الطوفي : وليس هذا بشيء ، إذ برهان القدرة واضح فكيف مثله على إبراهيم عليه السلام مع استخراجه حدوث العالم ، وقدم الصانع بلطف النظر من أقوال الكواكب والشمس والقمر .

وقد أورده بعضهم أن قول إبراهيم : بلى أنه آمن أي بلى ، آمنت ، وقوله : ﴿ **ولكن ليطمئن قلبي** ﴾ ، يقتضى أن قلبه لم يطمئن إلى الآن ، لكن الإيمان يلزمه الطمأنينة ، وحينئذ يصير كأنه قال : آمنت ما آمنت أو اطمأن قلبى ولم يطمئن ، وهو تناقض .

وأجيب بأن معناه بلى آمنت بالقدرة ولكن ليطمئن قلبي ، وكان قد جعل إظهاره على إحياء الموتى علامة على اتخاذه خليلاً وعلى هذا فلا تناقض ، وهذا كان قريباً ممكناً غير أن المختار غيره ، وهو أن الإيمان يستند إلى العلم ، والعلم له مراتب :

علم اليقين : وهو ما حصل عن النظر والاستدلال .

عين اليقين : وهو ما حصل عن شهادة ويقين عيان .

حق اليقين : وهو ما حصل عن العيان مع المباشرة .
فالأول : كمن علم بالعادة أن فى البحر ماء .
والثانى : كمن مشى حتى وقف على ساحله وعاينه .
والثالث : كمن خاض فيه واغتسل وشرب منه ، وإذا عرفت فإيمان إبراهيم - عليه السلام - بالقدرة على إحياء الموتى قبل أن يراه كان علم يقين نظرى ، فأراد أن يطمئن قلبه بالإيمان بذلك عن عين اليقين وحق اليقين ؛ فلذلك قيل له : ﴿ **فخذ أربعة من الطير** ﴾[١] إلى آخره ، أى باشر هذا الأمر ليحصل عين اليقين عياناً . وحق اليقين مباشرة .

وفى الحديث : ليس الخبر كالعيان ، أن موسى بلغه أن قومه قد فتنوا فلم يتغير ، فلما رآهم عاكفين على العجل أخذ برأس أخيه يجره إليه ، وفى هذا المعنى قيل :

ولكن للعيان لطيف معنى ... له سأل المعاينة الكليمُ

وحينئذ يكون معنى الكلام : بل آمنت عن نظر واستدلال ، ولكن أريد طمأنينة القلب بنظر العيان .

قال كاتبه : وهذا الذى قاله الطوفي يتضمنه كلام القاضي عياض ، ولكن باختصار ، وقال : وقد روى عن ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فى قوله تعالى : ﴿ **قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي** ﴾[٢] ، قال : أعلم أنك مجيبيى إذا دعوتك وتعطينى إذا سألتك .

وقال ابن خزيمة : سمعت المزني يقول - وذكر هذا الحديث : نحن أحق بالشك من إبراهيم ، قال المزنى : إنما شك إبراهيم أن يجيبه الله إلى ما سأل أم لا .

وقال أبو عوانة الإسفراييني : سمعت أبا حاتم الرازي يقول : يعنى نحن أحق بالمسألة ، وسمعت القاضى إسماعيل يقول : كان يعلم بقلبه أن الله يحيى الموتى ، ولكن أحب أن يرى معاينة ، وعن سعيد بن جبير ﴿ **ولكن ليطمئن**

---

(١) البقرة : ٢٦٠ .

(٢) البقرة : ٢٦٠ .

قلبي﴾ قال : ليزداد ايمانا ، وفى رواية : **﴿ ليطمئن قلبي ﴾** قال : بالخلة ، وعن ابن المبارك قال : اعلم أنك اتخذتنى خليلاً ، وقال القاضي عياض : فإن قلت : ما معنى قوله تعالى : **﴿ فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين * ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ﴾**(١) .

فاحذر – ثبت الله قلبك – أن يخطر ببالك ، كما ذكره بعض المفسرين عن ابن عباس أو غيره من إثبات شك للنبي ﷺ فيما أوحى إليه وأنه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه جملة ، بل قال ابن عباس – رضي الله تبارك وتعالى عنه : لم يشك النبي ﷺ ولم يسأل ، ونحوه عن ابن جبير والحسن ، وحكى قتادة أن النبى ﷺ قال : ما أشك ولا أسأل ، وعامة المفسرين على هذا ، واختلفوا فى معنى الآية فقيل : المراد قل يا محمد للشاك إن كنت فى شك ... ، الآية قالوا : وفى السورة نفسها مادل على هذا التأويل قوله : **﴿ قل يا أيها الناس إن كنتم فى شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين * وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين﴾**(٢) .

وقيل : المراد بالخطاب العرب وغير النبي ﷺ ، كما قال **﴿ لئن أشركت ليحبطنَّ عملك ﴾**(٣) ، الخطاب له والمراد غيره ومثله **﴿ فلا تك فى مرية مما يعبد هؤلاء ﴾**(٤) ، ونظيره كثير .

قال بكر بن العلاء : ألا تراه يقول **﴿ ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله ﴾**(٥) ، وهو ﷺ كان المكذَّب فيما يدعو إليه ؟ فكيف يكون ممن كذب به ؟ فهذا كله يدل على أن المراد بالخطاب غيره .

---

(١) يونس : ٩٣ – ٩٤ .

(٢) يونس : ١٠٤ – ١٠٥ .

(٣) الزمر : ٦٥ .

(٤) هود : ١٠٩ .

(٥) يونس : ٩٥ .

ومثل هذه الآية قوله تعالى : ﴿ **الرحمن فاسأل به خبيراً** ﴾[1] ، المأمور هاهنا غير النبي ﷺ ، ليسأل النبي ﷺ ، والنبي ﷺ هو الخبير المسئول لا المستخبر السائل ، وقال : إن هذا الذى أمر غير النبي ﷺ بسؤال الذين يقرؤن الكتاب إنما فيما قصد من إخبار الاسم لا فيما دعا إليه من التوحيد والشريعة .

ومثل هذا قوله تعالى : ﴿**واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا**﴾[2] ، المراد به المشركون والخطاب موجه للنبي ﷺ ، قال العتبي : وقيل : معناه سلنا عمن أرسلنا من قبلك ؛ فخذ الخافض ، وتم الكلام ثم ابتدأ ﴿ **أجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون** ﴾[3] على طريق الإنكار أى ما جعلنا ، حكاه مكى ، وقيل : أمر النبي ﷺ أن يسأل الأنبياء ليلة الإسراء عن ذلك ؛ فكان أشد يقينا أن يحتاج إلى السؤال ، ويروى أنه قال : لا أسأل قد اكتفيت ، قاله : ابن زيد ، وقيل : سل أمم من أرسلنا : هل جاءوهم بغير التوحيد ؟ وهو معنى قول مجاهد والسدى والضحاك وقتادة .

والمراد هنا بهذا والذى قبله إعلامه ﷺ بما بعث به الرسل ، وأنه – تعالى– لم يأذن فى عبادة غيره لأحد ؛ رداً على مشركى العرب وغيرهم فى قولهم : ﴿ **إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى** ﴾[4] ، وكذلك قوله تعالى : ﴿**والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين** ﴾[5] ، أى فى علمهم بأنك رسول الله وإن لم يقروا بذلك ، وليس المراد به شكه فيما ذكر فى أول الآية .

وقد يكون أيضاً على مثل ما تقدم ، أى قل لمن امترى يا محمد فى ذلك لا تكونن من الممترين بدليل قوله تعالى : ﴿ **أفغير الله ابتغى حكمًا** ﴾[6] ، وأن

---

(١) الفرقان : ٥٩ .

(٢) الزخرف : ٤٥ .

(٣) الزخرف : ٤٥ .

(٤) الزمر : ٣ .

(٥) الأنعام : ١١٤ .

(٦) الأنعام : ١١٤ .

النبي ﷺ يخاطب به غيره . وقيل : هو تقدير كقوله : **﴿ أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ﴾**[1] ، وقد علم أنه لم يقل .

وقيل : معناه ما كنت فى شك فاسأل ؛ تزدد طمأنينة وعلماً إلى علمك ويقينك ، وقيل : إن كنت تشك فيما شرفناك وفضلناك به ؛ فسلهم عن صفتك فى الكتب ونشر فضائلك ، وحكي عن أبي عبيدة : أن المراد إن كنت فى شك من غيرك مما أنزلنا .

قال كاتبه : وذهب محمد بن جرير إلى أن معناه : كقول القائل : إن كنت ابنى فبرني ، وهو لايشك فى أنه ابنه ، وإن ذلك من كلام العرب صحيح فيهم .

ومنه قوله تعالى : **﴿ يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمى إلّهين ﴾**[2] ، وقد علم – تعالى – أن عيسى لم يقل ذلك فهذا من ذلك لم ، يكن النبي ﷺ شاكاً فى حقيقية خبر الله – تعالى – وصحته ، والله – تعالى – بذلك من أمره كان عالماً ، ولكنه خاطبه خطاب قومه بعضهم بعضاً إذ كان القرآن بلسانهم نزل : **﴿فلا تكونن من الممترين﴾**[3] ، خبر من الله – تعالى – مبتدأ بقوله تعالى : أقسم لقد جاء الحق اليقين من الخبر بأنك لك رسول الله وأن هؤلاء اليهود والنصارى يعلمون صحة ذلك ويجدون بعثك عندهم فى كتبهم : **﴿فلا تكونن من الممترين﴾**[4] يقول : فلا تكونن من الشاكين فى صحة ذلك وحقيقته .

وقال الحافظ أبو محمد بن حزم : وذكروا قول الله تعالى : **﴿ فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك ﴾** ، وهذا إنما عهدناه يعترض به الكفار ، وأما المؤمن فما ظن قط بنبى أنه يشك فيما يدعو الناس وهذا غايه الوسواس ، نعود بالله من الخذلان ، ولنا فى هذه الآيه رسالة مشهورة ، وجملة حل هذا الشك أنّ (إنْ) هنا

---

(١) المائدة : ١١٦ .

(٢) المائدة : ١١٦ .

(٣) البقرة : ١٤٧ .

(٤) البقرة : ١٤٧ .

بمعنى (ما) وإنما هى وجد بمعنى ، وما كنت فى شك وأمره أن يسأل أهل الكتاب تقريراً لهم على أنهم يجدونه حقاً فى التوارة والإنجيل ، وقال القرطبي : وقيل : الشك ضيق الصدر ، أى إن ضاق صدرك بكفر هؤلاء ؛ فاصبر وسل الذين يقرءون الكتاب من قبلك يخبروك بصبر الأنبياء قبلك على أذى قومهم ، وكيف كانت عاقبة أمرهم ، فالشك فى اللغة أصله الضيق يقال : شك الثوب أى ضمه بخلال حتى يصير كالوعاء ، وكذلك السفرة تمتد علائقها حتى تقبض ، فالشك يقبض الصدور ويغمها حتى تضيق .

وقال الطوفى : قد يتوهم من ظاهرها أنه ﷺ اعترضه شك فى بعض الأوقات فيما أنزل إليه - كما توهمه بعض النصارى - فأورده متعلقاً به ، وليس كذلك فى أنه ﷺ معصوم من الشك والإرتياب لقوله تعالى : ﴿ **ألم نشرح لك صدرك** ﴾[1] ، وإنما وجه الآية : صرف الخطاب إلى من يجوز عليه الشك من أتباعه وأخصامه : ﴿ **كفى بالله شهيداً بينى وبينكم ومن عنده الكتاب** ﴾[2]، ﴿**فسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾[3] ، فإن لم يكن بد من صرف الكلام إليه على ظاهر اللفظ فمعناه على تقدير إن تشك فاسأل وإن كان ذلك التقدير لا يقع نحو : ﴿ **لو كان فيهما آلهه إلا الله لفسدتا** ﴾[4] ، أى لو قدر آلهة أخرى لزم الفساد ، لكن ذلك التقدير ممتنع .

وقال القاضى عياض : فإن قيل فيما معنى قوله تعالى : ﴿ **حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا** ﴾[5] - على قراءة التخفيف ؟ قلنا : المعنى في ذلك ، ما قالته عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - معاذ الله أن تظن الرسل بربها ، وإنما معنى ذلك أن الرسل لما استيأسوا ظنوا أن من وعدهم النصر من أتباعهم كذبوهم وعلى هذا أكثر المفسرون .

---

(١) الشرح : ١ .

(٢) الرعد : ٤٣ .

(٣) الأنبياء : ٧ .

(٤) الأنبياء : ٢٢ .

(٥) يوسف : ١١٠ .

قال كاتبه : قول عائشة هذا خرجه البخاري من حديث إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب قال : أخبرني عروة بن الزبير ، عن عائشة قالت – وهو يسألها عن قول الله – عز وجل : ﴿ **حتى إذا استيأس الرسل** ﴾[1] ، قال : قلت : أكذبوا أم كذبوا ؟ قالت عائشة : كذبوا . قلت : فقد استيقنوا أن قومهم كذبوهم فيما هو الظن ؟ قالت : أجل لعمرى لقد استيقنوا ذلك فقلت لها : وظنوا أنهم قد كذبوا ، قالت : معاذ الله لم تكن الرسل تظن ذلك بربها ، قلت : فما هذه الآية ؟ قالت : هم أتباع الرسل آمنوا بربهم وصدقوهم وطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر حتى إذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم ، وظنت الرسل أن أتباعهم كذبوهم ، جاء نصر الله عند ذلك .

وخرجه من حديث شعيب عن الزهري ، أخبرني عروة ، فقلت : لعلها كذبوا ، قالت : معاذ الله بنحوه[2] . ذكرهما فى تفسير سورة يوسف .

وخرجه فى كتاب الأنبياء أيضاً من حديث الليث ، عن عقيل عن ابن شهاب ، قال : أخبرني عروة أنه سأل عائشة زوج النبي ﷺ . أرأيت قول الله عز وجل ﴿ **حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا** ﴾ أو كذبوا ؟ قالت: بل كذبهم قومهم ، قلت : والله لقد استيقنوا أن قومهم كذبوهم وما هو بالظن ، فقالت : يا عرية لقد استيقنوا بذلك ، فقلت : فلعلها كذبوا قالت : معاذ الله لم تكن الرسل تظن ذلك بربها ، قلت : فما هذه الآيه ؟ فقالت : هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم وطال عليهم البلاء ، واستأخر عنهم النصر حتى إذا استيأست الرسل ممن كذبهم من قومهم ، وظنوا أن أتباعهم كذبوهم جاءهم نصر الله ، قال أبو عبد الله استيأسوا : استفعلوا من يئست[3] .

---

(١) (فتح الباري) : ٨ / ٤٦٧ – ٤٦٨ ، كتاب التفسير ، باب (٦) ﴿ لاحتى إذا استيأس الرسل﴾، حديث رقم (٤٦٩٥) .

(٢) (المرجع السابق) : حديث رقم (٤٦٩٦) .

(٣) حديث رقم (٣٣٨٩) .

وخرّجه فى تفسير سورة البقرة[1] ، من حديث هشام ، عن ابن جريج : سمعت ابن أبى مليكة يقول : قال ابن عباس – رضي الله تبارك وتعالى عنه : **﴿حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا﴾** خفيفة ، قال : ذهب بها هنالك وتلا : **﴿ حتى يقول الرسول والذين معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾** ، فلقيت عروة بن الزبير ، فذكرت ذلك له فقال : قالت عائشة – رضي الله تبارك وتعالى عنها : معاذ الله ! والله ما وعد الله رسوله من شيء إلا علم أنه كائن قبل أن يموت ، ولكن لم يزل البلاء بالرسل حتى خافوا أن من معهم يكذبونهم ، وكانت تقرأها : **﴿ وظنوا أنهم قد كذّبوا ﴾** مثقلة .

قال القاضي عياض : وقيل : إن الضمير فى ظنوا عائد على الأتباع والأمم لا الأنبياء والرسل وهو قول ابن عباس والنخعي وابن جبير وجماعة من العلماء .

وبهذا المعنى قرأ مجاهد كذبوا بالفتح فلا تشغل بالك من شاذ التفسير الواهى مما لا يليق بمنصب العلماء ، فكيف بالأنبياء عليهم السلام ؟ وقال ابن حزم : وذكروا قول الله – تعالى : **﴿ حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا ﴾** بتخفيف الذال – وليس هذا على ما ظنه من جهل أمر الله – تعالى – وإنما هو أنهم ظنوا بمن وعدهم النصر من قومهم أنهم كذبوهم فى وعدهم ، ومن المحال أن يظن من له أدنى فهم من الناس أن ربه – تعالى – يكذبه ، هذا مالا يظنه ذو عقل البتة ، فكيف صفوة الله فى أرضه من خلقه ؟ وإنا لله وإنا إليه راجعون على المصيبة ، هؤلاء الذين يجيزون على الأنبياء مثل هذا الكفر ، ونعوذ بالله من الخذلان .

قال كاتبه تحذير القاضي عياض وابن حزم من قبله إنما هو مما ذكره الطوفي ، فإنه وإن كان بعدهما بدهر حكى كلام من فى عقده وهن، ومال إليه ، قال : **﴿ حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذّبوا ﴾** بالتشديد ، أى كذبهم قومهم فلا يتابعهم أحد جاءهم نصرنا بإمالة الله قلوب الناس إليهم ، وكذبوا

---

(1) باب (٣٨) **﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ﴾** ، حديث رقم (٤٥٢٤) ، (٤٥٢٥) .

بالتخفيف ، أى أخلفهم الله وعده فى النصر ، وأنهم ليسوا على شيء ﴿ جاءهم نصرنا ﴾ ، بإنجائهم ومن أتبعهم وإهلاك الكافرين .

وقد أنكرت عائشة هذا التأويل ؛ تنزيها للأنبياء - عليهم السلام - من الشك فى أمرهم ، واختارت الوجه الأول أو نحوه ، وليس ما انكرته بالمنكر ، إذ الإنسان يطرأ عليه خوف ، أو حزن ، أو مرض ، أو هم ، أو غم ، أو أحوال ، يقول ويظن فيها أقوالاً وظنوناً ، هو فيها معذور لغلبة ذلك الحال .

ألا ترى أن النبي ﷺ ، لما تراخى عنه الوحي فى مبادئ أمره ؛ خرج ليتردى من شواهق الجبال وجداً لانقطاع الوحي ، والرسل - عليهم السلام - يوم القيامة ، يقال لهم : ماذا أجبتم ؟ فيقولون : لا علم لنا ينسون أو يدهشون ؛ لغلبة تلك الحال عليهم ، ثم يتذكرون فيشهدون بما علموا فكذا ظن الرسل هنا أنهم قد كذبوا ، هو من هذا الباب ، والله - تبارك وتعالى - أعلم .

قال كاتبه : هذه - لعمرى - وهلة من وهلات الطوفي ، إذ سوى الرسل بسائر البشر فى غلبة الحال عليهم حتى بالله يظنوا السوء ، وقد عصمهم الله من ذلك ، ومما دونه أيضاً .

قال القاضي عياض : وكذلك ما ورد فى حديث السيرة ومبتدأ الوحى من قوله لخديجة - رضي الله تبارك وتعالى عنها : لقد خشيت على نفسي ، ليس معناه الشك فيما أتاه الله بعد رؤية الملك ، ولكن لعله يخشى أن لا تتحمل قوته مقاومة الملك ، وأعباء الوحى لينخلع قلبه أو تزهق نفسه ، هذا على ماورد فى الصحيح أنه قال بعد لقاء الملك أو يكون ذلك قبل لقياه الملك وإعلام الله - تعالى - بالنبوة لأول ما عرضت عليه من العجائب ، وسلم عليه الحجر والشجر ، وبدأته المنامات والتباشير ، كما ورد فى بعض طرق هذا الحديث ،أن ذلك كان أولاً فى المنام ثم أرى فى اليقظة مثله ؛ تأنيساً له ﷺ لئلا يفجأه الأمر مشاهدة ومشافهة ، فلا تتحمله لأول حاله بنيته البشرية .

وفى الصحيح عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها : أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة ، قالت : ثم حبب إليه الخلاء، وقالت: إلى أن جاءه الحق ، وهو فى غار حراء ، الحديث - وعن ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - مكث رسول الله ﷺ بمكة خمس عشرة سنة

يسمع الصوت ، ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئاً وثمان سنين قبل أن يوحى إليه.

وقد روى ابن إسحاق ، عن بعضهم : أن النبي ﷺ قال وذكر جواره بغار حراء قال : فجاءنى ، وأنا نائم ، فقال : اقرأ ، قلت : وما أقرأ وذكر نحو حديث عائشة وإقرائه : ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾[1] السورة . قال : فانصرف عني وهببت من نومى ، كأنها صورت فى قلبى ، ولم يكن أبغض إلى من شاعر أو مجنون قلت : لا تحدث عني قريش بهذا أبداً إلا عمدت إلى حالقٍ من الجبل فلأطرحن نفسى منه فلأقتلنها فبينا أنا عامد لذلك إذ سمعت منادياً ينادي من السماء : محمد أنت رسول الله وأنا جبريل ؛ فرفعت رأسي فإذا جبريل – عليه السلام – على صورة رجل ، وذكر الحديث .

فقد بين في هذا أن قوله : لما قال وقصده ما قصد إنما كان قبل لقاء جبريل ، وقبل إعلام الله له بالنبوة وإظهاره واصطفاءه له بالرسالة .

ومثله حديث عمرو بن شرحبيل أنه ﷺ قال لخديجة : إنى إذا خلوت وحدى سمعت نداءً ، وقد خشيت أن يكون هذا الأمر ، ومن حديث حماد بن سلمة أن النبي ﷺ قال : الحديث إنى لأسمع صوتاً ، وأرى ضوءًا ، وأخشى أن يكون بي جنون ، وكل هذا يتأول لو صح قوله في بعض الأحاديث : أن الأبعد شاعر أو مجنون ، وألفاظاً يفهم منها معانى الشك في تصحيح ما رآه كله فى ابتداء أمره ، وقبل لقاء الملك له ، وإعلام الله له أنه رسوله ، فكيف وبعض هذه الألفاظ لا يصح طرقها ؟ وأما بعد إعلام الله – تعالى – ولقاء الملك ، فلا يصح فيه ريب ، ولا يجوز عليه شك فيما ألقى .

وقد روى ابن إسحاق عن شيوخه : أن رسول الله ﷺ يرقى بمكة من العين قبل أن ينزل عليه ، فلما نزل عليه القرآن أصابه نحو ما كان يصيبه ، فقالت له خديجة : أوجه إليك من يرقيك ؟ قال : أما الآن فلا ، وحديث خديجة – رضي الله تبارك وتعالى عنها – وإخبارها أمر جبريل بكشف رأسها ... الحديث ، إنما ذلك فى حق خديجة ؛ لتتحقق صحة نبوة رسول الله ﷺ ، وأن

---

(١) العلق : ١ .

الذي يأتيه ملك ، ويزول الشك عنها ، لا أنها فعلت ذلك للنبي ﷺ ؛ وليختبر هو حاله بذلك .

بل قد روى في حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشه - رضى الله تبارك وتعالى عنها - أن ورقة أمر خديجة أن تخبر الأمر بذلك .

وفى حديث إسماعيل بن أبي الحكم أنها قالت لرسول الله ﷺ : يا بن عم هل تستطيع أن تخبرني بصاحبك إذا جاءك ؟ قال : نعم : فلما جاء جبريل - عليه السلام - أخبرها ، فقالت له : اجلس إلى شقي ، وذكر الحديث إلى آخره ، وفيه قالت : ما هذا بشيطان هذا الملك يا بن عم فاثبت وأبشر وآمنت به ، فهذا يدل على أنها مستثبتة بما فعلته لنفسها ومستظهره لإيمانها لا للنبي ﷺ .

وقول معمر : ثم فتر الوحي ؛ فحزن النبي ﷺ حزناً غدا منه مراراً كي ينزو من شواهق الجبال ، لا يقدح فى هذا الأصل ؛ لقول معمر عنه فيما بلغنا ولم يسنده ، ولا ذكر رواته ، ولا من حدث به ، ولا أن النبي ﷺ قاله ، ولا يعرف هذا إلا من جهة النبي ﷺ ، مع أنه قد يحمل على أنه كان أول الأمر كما ذكرناه ، أو أنه فعل ذلك لما خرجه من تكذيب من بلغه كما قال تعالى : ﴿ **فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث** ﴾(١) .

ويصحح معنى هذا التأويل حديث شريك ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر بن عبد الله ، أن المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة للتشاور فى أمر النبي ﷺ ، واتفق رأيهم على أن يقولوا : ساحرٌ اشتدَّ ذلك عليه ، وتزمل فى ثيابه وتدثر فيها ؛ فأتاه جبريل فقال : ﴿ **يا أيها المزمل** ﴾(٢)﴿ **يا أيها المدثر** ﴾(٣) ، أو خاف أن الفترة لأمر أو سبب منه ، وخشى أن تكون عقوبة من ربه ، ففعل ذلك بنفسه ، ولم يرد بعد شرع بالنهي عن ذلك فيعترض به .

---

(١) الكهف : ٦ .

(٢) المزمل : ١ .

(٣) المدثر : ١ .

ونحوها فرار يونس - عليه السلام - خشية تكذيب قومه له لما وعدهم به من العذاب ، وقول الله - تعالى - فى يونس : ﴿ **فظن أن لن نقدر عليه فنادى** ﴾[1] معناه أن نضيق عليه مسلكه فى خروجه ، وقيل : حسن ظنه بمولاه أنه لا يقتضي عليه العقوبه ، وقيل : يقدر عليه ما أصابه ، وقد قرئ ﴿ **نقدّر عليه** ﴾ بالتشديد ،

وقيل : نؤاخذه بغضبه ، وقال ابن زيد : معناه أفظن أن لن نقدر عليه ؟ على الاستفهام ؟ ولا يليق أن يظن بنبي أن يجهل بصفة من صفات ربه ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ **إذ ذهب مغاضباً** ﴾[2] ، لقومه لكفرهم ، وهو قول ابن عباس ، والضحاك ، وغيرهم ، ولالربه ، إذ مغاضبة الله معاداة له ، ومعاداة الله كفر لا يليق بالمؤمنين ، فكيف بالأنبياء - عليهم السلام - وقيل : مستحيياً من قومه أن يسموه بالكذب ، أو يقتلونه كما ورد فى الخبر .

وقيل : مغاضباً لبعض الملوك فيما أمره به ، من التوجه إلى أمر ربه الذى أمره به على لسان نبيٍ آخر ، فقال له يونس غيرى أقوى عليه مني فعزم عليه فخرج لذلك مغاضباً . وقد روى عن ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أن إرسال يونس رسوله إنما بعد أن الحوت ، واستدلت الآية بقوله : ﴿ **فنبذناه بالعراء وهو سقيم * وأنبتنا عليه شجرة من يقطين * وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون** ﴾[3] ، ثم قال : ﴿ **فاجتباه ربه فجعله من الصالحين** ﴾[4] ، فتكون هذه العصمة إذا قبل نسوته .

وقال أبو محمد بن حزم : فان ذكروا أمر يونس - عليه السلام - بقوله - تعالى - عنه : ﴿ **وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظنّ أن لن نقدر عليه** ﴾[5]، وقوله - تعالى : ﴿ **فلولا أنه كان من المسبحين * للبث فى بطنه إلى يوم**

---

(١) الأنبياء : ٨٧ .

(٢) الأنبياء : ٨٧ .

(٣) الصافات : ١٤٥ - ١٤٧.

(٤) الصافات : ١٤٥ - ١٤٧ .

(٥) الأنبياء : ٨٧ .

يبعثون ﴾[1] ، وقوله تعالى لنبيه ﷺ : **﴿ ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم * لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم ﴾**[2] ، وقوله - تعالى : **﴿ فالتقمه الحوت وهو مليم ﴾**[3] ، وقوله تعالى : **﴿ فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾**[4] ، قالوا : ولا ذنب أعظم من المغاضبة لله - تعالى ، ومن ذنب من ظن أن لن يقدر عليه الله ، وقد أخبر - تعالى ، أنه استحق الذم لولا أن تداركه نعمة من عنده وأنه استحق الملاومة ، وأنه أقر على نفسه أنه كان من الظالمين ، ونهى الله تعالى محمداً ﷺ أن يكون مثله ، وهذا كله لا حجه لهم فيه بل هو حجه لنا على صحة قولنا .

أما إخبار الله - تعالى - أنه ذهب مغاضباً فلم يغاضب ربه قط ، ولا أخبر - تعالى - أنه غاضب ربه ، والزيادة فى القرآن لا تحل فإذ لا شك فى شك ولايجوز أن يظن من له أدنى مسكة من عقل أنه يغاضب الله - تعالى : فكيف بنبيّ من الأنبياء ؟ فعلمنا يقيناً أنه إنما غاضب قومه ولم يكن ذلك مراداً لله تعالى فعوقب لذلك وإن كان لم يقصد بذلك إلا - رضي الله تبارك وتعالى عنه .

وأما قوله تعالى : **﴿ فظن أن لن نقدر ﴾** فليس على تأولوه من الظن السخيف الذى لا يظن مثله بضعفة من ضعائف النساء أوضعفاء الرجال ، فكيف بنبى من الأنبياء ؟ ومن أبعد المحال أن يكون نبي يظن أن ربه عاجز عنه ، وهويرى أن آدميا مثله يقدر عليه ، ولاشك أن من ينسب هذا النوك إلى النبي الفاضل فإنه يشتد غضبه ؛ لو نسب ذلك إليه أو إلى ابنه ، فإذاً قد بطل ظنهم السخيف ، فباليقين نعلم أن معنى : **﴿ فظن أن لن نقدر عليه ﴾** ، إما معناه فظن

---

(١) الصافات : ١٤٣ - ١٤٤ .

(٢) القلم : ٤٨ - ٤٩ .

(٣) الصافات : ١٤٢ .

(٤) الأنبياء : ٨٧ .

أن لن نضيق عليه ، كما قال تعالى : ﴿ وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه ﴾[1]، فظن يونس – عليه السلام – أن الله – تعالى – لا يعاقبه على ذلك الفعل من المغاضبة لقومه ؛ إذ ظن أنه محسن فى ذلك .

وأما نهى الله – تعالى – لمحمد ﷺ أن يكون كصاحب الحوت ، فنعم نهاه عن مغاضبة قومه ، وأمره – تعالى – بالصبر على أذاهم بالمطاولة لهم ،

فأما قول الله – تعالى – أنه استحق الذم والملامة وأنه لولا النعمة التى تداركه بها للبث معاقباً فى بطن الحوت ، فهذا يقين ما قلناه عن الأنبياء – عليهم السلام– يؤاخذون فى الدنيا على ما فعلوه مما يظنونه خيراً وقربة إلى الله – تعالى – إذ لم يوافق ذلك مراد ربهم ، وعلى هذا أقر على نفسه أنه كان من الظالمين ، والظلم وضع الشيء فى غير موضعه ، فلما وضع المغاضبة فى غير موضعها ، اعترف في ذلك بالظلم على أنه قصده ، وهو يرى أنه ظلم .

وقال الطوفي : ﴿ لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم ﴾ ، قد علم أن لولا يقتضى امتناع شيء لوجود غيره ، والذى امتنع ها هنا لوجود النعمة هو نبذه بالعراء مذموماً ، لا مجرد نبذه بالعراء وهو الصحراء لأنه قد وجد بديل ، فنبذناه بالعراء وهو سقيم فدل على النبذ بالعراء مجرداً عن صفة الذم بديل : ﴿ فاجتباه ربه فجعله من الصالحين ﴾ ومن يكن مجتبى صالحاً لايكون مذموماً ، وسقط بهذا اللعن على يونس – عليه السلام .

وقال يونس ، عن ابن عبد الحق ، عن ربيعه بن عبد الرحمن ، قال : سمعت وهب بن منبه ، وهو فى مسجدنا ، وذكر له يونس النبى –عليه السلام– فقال : كان عبداً صالحاً وكان في خلقه ضيق ، فلما حملت عليه أثقال النبوة ، ولها أثقال ، فلما جعلت عليه تفسح تحتها نفسخ الربع تحت الحمل الثقيل ؛ فألقاها عنه ، وخرج هارباً .

قال القاضي عياص : فإن قيل : فما معنى قوله ﷺ : إنه ليغان على قلبي فاستغفر الله – تعالى – كل يوم مائة مرة ؟ ومن طريق : فى اليوم أكثر من سبعين مرة فاحذر أن يقع ببالك أن يكون هذا الغين وسوسة أوريباً وقع فى

---

(١) الفجر : ١٦ .

قلبه ﷺ بل أصل الغين فى هذا ما يتغشى القلب ويغطيه ، قال أبو عبيد : وأصله من غين السماء ، هو إطباق الغيم عليها ، وقاله غيره .

والغين شيء يغشــى القلـب ولايغطيـه كـل التغطيـة كـالغيم الرقيـق الـذى يعرض فى الهواء فلا يمنع ضوء الشمس ، وكذلك لا يفهم من الحديث أنه يغـان على قلبه مائة مرة أو أكثر من سبعين فى اليوم ، إذا ليس يقتضيه لفظـه الـذى ذكرناه ، وهو أكثر الروايات ، وإنمـا هـذا عـدد للاستغفار ، لا للغيـن ، فيكـون المراد بهذا الغين إشارة إلى غفلات قلبه ، وفترات نفسه ، وسهرها عـن مداومـة الذكر ، ومشاهدة الحق ، مما كان ﷺ دفع إليه من مقاساة البشر ، وسياسة الأمـة ومعاناة الأهل ، ومقاومة الولى والعدو ، ومصلحتة النفس ، كلفه من أعبـاء أداء الرسالة ، وحمل الأمانة وهوفى كل هذا فى طاعة ربه ، وعبـادة خالقـه ، ولكـن لما كان ﷺ أرفع الخلق إلى الله مكانة ، وأعلاهم درجـة ، واتمهـم بـه معرفـة ، وكانت حاله عند خلوص قلبه ، وخلو همه ، وتفرده بربه ، وإقباله بكليته عليه ، ومقامه هنالك أرفع حالته ، رأى ﷺ حال فترته عنها ؛ فاستغفر اللـه مـن ذلـك ، هذا أولى وجوه الحديث وأشهرها .

وإلى معنى ما أشرنا عنه مال كثير من الناس إليه ، وحام حوله ؛ فقارب ولم يرد ، وقد قربنا غامض معناه ، وكشفنا للمستفيد محيَّاه ، وهـو مبنـي علـى جواز الفترات والغفلات ، والسهو فى غير طريق البلاغ على ما سيأتى .

قال كاتبه : نعم ما قرره القاضي إلا أنى أقوال : ليس مع ذلك فترة منـه ﷺ ، ولا غفلة ، ولا سهو ، وإنما هو شغل بالتبليغ إلـى الخلـق مـن الاستغراق فى جناب الحق ، فإذا فرغ من ذلك ، ارتـاح لمـا هنـالك ، فاستغفر ربـه لا مـن ذنب بل تعرض منه ﷺ للنفحات الربانية .

قال القاضي : وذهبت طائفة من أرباب القلوب ومشيخة المنصوفة ممـن قال بالتنزيه للنبي ﷺ عن هذا جملته ، وأجعله أن يجوز عليه ، فـى حـال سـهواً وفترة إلا أن معنى الحديث مايهم خاطره ، وبعد فكره من أمر أمته ﷺ لاهتمامه بهم ، وكثره شفقته عليهم ، فيستغفر الله لهم ، قالوا وقد يكـون الغيـن علـى قلبـه

السكينة التى تتغشاه ؛ لقوله تعالى : ﴿ **فأنزل اللـه سكينته عليـه** ﴾[1] ، ويكـون استغفاره عندها إظهار العبودية والافتقار .

وقـال ابـن عطـاء : استغفاره وفعلـه هـذا تعريـف للأمـة يحملهـم علـى الاستغفار ، وقد يحتمل أن تكون هذه الإغانة حالة خشـية وإعظـام يغشـى قلبـه ، فيستغفر حينئذ شـكراً للـه – تعـالى ، وملازمـة لعبـوديته كمـا قـال فـي ملازمـة العبادة : أفلا أكون عبداً شكوراً ؟ .

وعلى هذه الوجوه الأخيرة يحمل ماروى فى بعـض طـرق هـذا الحديـث عنه ﷺ أنه ليغان على قلبى فى اليوم أكثر من سبعين مرة ؛ فأستغفر الله .

قال القاضي فإن قلت : فما معنى قولـه – تعـالى – لمحمـد ﷺ :﴿ **ولـو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين** ﴾[2] ، وقوله – تعـالى – لنوح عليه السلام : ﴿ **فلا تسألن ماليس لك به علم إنـى أعظك أن تكـون مـن الجاهلين** ﴾[3] ، فاعلم أنه لا يلتفت فى ذلك إلى قول من قال فى آيـة نبينـا ﷺ : لا تكونـن ممـن يجهـل أن اللـه لوشـاء لجمعهـم علـى الهـدى ، وفـى آيـة نـوح : لاتكونن ممن يجهل ان وعد الله حق ؛ لقوله – تعالى : ﴿ **إن وعدك الحـق** ﴾ ، إذ فيـه إثبـات الجهـل بصفـة مـن صفـات اللـه ، وذلـك لا يجـوز علـى الأنبيـاء ، والمقصـود : وعظهـم أن يتشبهوا فـى أمورهـم بسمات الجـاهلين ، كمـا قـال : ﴿**إنى أعظك**﴾ وليس فى آية منهما دليل على كونهم على تلك الصفة التى نهـاهم عن الكون عليها ، فكيف وآيـة نـوح : ﴿ **فـلا تسـألن مـاليس لـك بـه علم** ﴾ ؟ فحمل ما بعدها على ، قبلها أولى ؛ لأن مثل هذا قد يحتاج إلى إذن ، وقد تجـوز إباحه السؤال فيه ابتداء فنهاه الله – تعالى – أن يسأله عن ما طوى علمه عنه ، وأكنه فى غيبه ، من السبب الموجب لهلاك ابنه ، ثم أكمل الله – تعالى – نعمته بإعلامه ذلك بقوله : ﴿ **إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صـالح** ﴾ حكـى معنـاه مكي .

---

(١) التوبة : ٤٠ .

(٢) الأنعام : ٣٥ .

(٣) هود : ٤٦ .

كذلك أمر نبينا ﷺ في الآية الأخرى بالتزام الصبر على إعراض قومه لا يخرج عند ذلك ؛ فيقارب حال الجاهل بشدة التحسر، حكاه أبو بكر بن فورك.

وقيل : معنى الخطاب لأمة محمد ﷺ أى فلا تكونوا من الجاهلين ، حكاه أبو محمد مكي ، وقال : في القرآن كثير ، فبهذا الفصل وجب القول بعصمة الأنبياء منه بعد النبوة قطعاً .

وقال أبو محمد بن حزم : وذكروا قول الله - تعالى - لنوح - عليه السلام : ﴿ **فلا تسألن ماليس لك به علم إنى أعظك أن تكون من الجاهلين** ﴾، وهذا لا حجة لهم فيه ، لأن نوح تأول وعد الله - تعالي- له أن يخلصه وأهله ؛ فظن أن ابنه من أهله وهذا لو فعله أحدنا لكان مأجوراً ، ولم يسأل نوح تخليص من أيقن أنه ليس من أهله لكن هو أقرب القرابة إليه فقرع على ذلك ونهى أن يكون من الجاهلين فتذمم - عليه السلام - من ذلك ونزع ، وليس هاهنا عمد للمعصية البتة .

وقال الطوفي : ﴿ **ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلى** ﴾(1) ، يحتج به من يرى العموم وأن له صيغة والتمسك به بأن نوحاً إنما تمسك فى هذا السؤال لعموم قوله - تعالى : ﴿ **احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك** ﴾(2) ، وهو اسم جنس مضاف يفيد العموم ، فصار تقدير سؤال نوح - عليه السلام ﴿**إن ابني من أهلي**﴾ ، وقد وعدتنى بإنجاء أهلي قال : يا نوح إنه ليس من أهلك يحتمل وجوها :

أحدها : أن ابنك مخصوص فى علمنا من عموم أهلك ؛ فليس هو من أهلك الناجين .

الثاني : أنه ليس من أهل دنيك بذلك ، إنه عمل غير صالح وحينئذ يكون الأهل فى قوله - تعالى - مجازاً عن الموافقين فى الإيمان .

الثالث : ما قيل إن هذا الولد كان ابن زوجته أو أنه ولد على فراشه من غيره ، بدليل أنه عمل غير صالح برفعة عمل ونحوه مما لا يليق بعضه

---

(1) هود : ٤٥ .

(2) هود : ٤٠ .

بالأنبياء، وعلى كل حال فلا بد لهذه القصة من استعمال المجاز في أهلك أو تخصيص عمومه بالابن المذكور ، أو تجوز نوح بولده عن ابن امراته ؛ فيحتج بها على استعمال المجاز أو التخصيص في الكلام : ﴿ **فلا تسألن ماليس لك به علم** ﴾[1] ، كأن نوحاً لما قال : إن ابني من أهلي كان ذلك طلباً لنجاة ولده ؛ لأن الله – تعالى – قد حكم بإنجاء أهله فحمله لا يتغير ، فلا فرق بين شفاعة نوح في أهله في ابنه وعدمها ؛ فلذلك قوبل بهذا الكلام الذي يصعب موقعه ، فقال : إن نوحاً – عليه السلام – بكى من هذا الكلام دهراً .

قال القاضي عياض : فإن قلت : فإذا قررت عصمتهم من هذا ، وأنه لا يجوز عليهم شيء من ذلك ، فما معنى إذاً وعد الله لنبينا ﷺ على ذلك إن فعله وتحذيره منه ، كقوله – تعالى : ﴿ **لئن اشركت ليحبطن عملك** ﴾[2] ، قوله – تعالى : ﴿**ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك**﴾[3] ، وقوله : ﴿ **إذاً لأذقناك ضعف الحياة** ﴾[4] ، وقوله – تعالى : ﴿ **لأخذنا منه باليمين** ﴾[5] ، وقوله –تعالى : ﴿ **وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله** ﴾[6] ، وقوله تعالى : ﴿ **فان يشأ الله يختم على قلبك** ﴾[7] ، وقوله – تعالى : ﴿ **وإن لم تفعل فما بلغت رسالته** ﴾[8] ، وقوله تعالى : ﴿ **اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين** ﴾[9] .

---

(١) هود : ٤٦ .

(٢) الزمر : ٦٥ .

(٣) يونس : ١٠٦ .

(٤) الإسراء : ٧٥ .

(٥) الحاقة : ٤٥ .

(٦) الأنعام : ١١٦ .

(٧) الشورى : ٢٤ .

(٨) المائدة : ٦٧ .

(٩) الأحزاب : ١ .

فاعلم أنه ﷺ لا يصح ولايجوز عليه أن لا يبلغ ، وأن يخالف أمر ربه ، ولا أن يشرك ، ولا يتقول على الله مالا يجب ، أو يفترى عليه ، أو يضل ، أو يختم على قلبه ، أو يطيع الكافرين .

لكن يسر أمره بالمكاشفة والبيان فى البلاغ للمخالفين ، فإن إبلاغه لم يكن بهذه السبيل ، وكان مابلغ وطيب نفسه ، وقوى قلبه ، بقوله : ﴿ **والله يعصمك من الناس** ﴾[١] ، كما قال لموسى وهارون عليهما - السلام : ﴿ **لا تخافا إننى معكما** ﴾[٢] ؛ لتشتد بصائرهم فى الإبلاغ وإظهار دين الله ، ويذهب عنهم خوف العدو المضعف للنفس .

وأما قوله : ﴿ **ولو تقول علينا بعض الأقاويل** ﴾[٣] ، وقوله : ﴿ **إذاً لأذقناك ضعف الحياة** ﴾[٤] ، فمعناه : أن هذا جزاء من فعل هذا ، وجزاؤك لو كنت ممن يفعله ، وهو لا يفعله .

وكذلك قوله : ﴿ **وإن تطع أكثر من فى الأرض** ﴾[٥] ، فالمراد غيره كما قال - تعالى : ﴿ **إن تطيعوا الذين كفروا** ﴾[٦] ، وقوله - تعالى : ﴿ **فإن يشأ الله يختم على قلبك** ﴾[٧] ، وقوله - تعالى : ﴿ **ولئن أشركت ليحبطن عملك** ﴾[٨] ، وما أشبهه ، فالمراد غيره ، وإن هذه حال من أشرك ، والنبي ﷺ لا يجوز عليه ذلك . وقوله - تعالى : ﴿ **اتق الله ولاتطع الكافرين** ﴾[٩] ، فليس فيه أنه أطاعهم ، والله - تعالى - ينهاه عما يشاء ويأمره بما يشاء ، كما قال

---

(١) المائدة : ٦٧ .

(٢) طه : ٤٦ .

(٣) الحاقة : ٤٤ .

(٤) الإسراء : ٧٥ .

(٥) الأنعام : ١١٦ .

(٦) آل عمران : ١٤٩ .

(٧) الشورى : ٢٤ .

(٨) الزمر : ٦٥ .

(٩) الأحزاب : ١ .

– تعالى : ﴿ **ولاتطرد الذين يدعون ربهم** ﴾[1] ، وما كان طردهم ، وما كان من الظالمين .

قال : وأما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة ، فللناس فيه خلاف ، والصواب أنهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك في شيء من ذلك ، وقد تعاضدت الأخبار والآثار عن الأنبياء – عليهم السلام – بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ، ونشأتهم على التوحيد والإيمان ، بل على إشراق نور المعارف ونفحات الطاف ، السعادة ، ولم ينقل أحد من أهل الأخبار أن أحداً نُبِّئ واصطفى ممن عرف بكفر وإشراك قبل هذا .

ومستند هذا الباب النقل ، وقد استدل بعضهم بأن القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله ، وأنا أقول : إن قريشاً قد رمت نبينا ﷺ بكل ما افترته وغير كفار الأمم أنبياءها بكل ما أمكنها ، واختلقته بما نص الله – تعالى – عليه أو نقلته إليه الرواه ، ولم نجد في شيء من ذلك تعيير الواحد منهم برفضه آلهته ، وتقريعه بذمه ترك ما كان قد جاء معهم عليه ، ولو كان لكانوا لذلك مبادرين ، وبتلونه في معبوده محتجين ، ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد قبل أفظع وأقطع في الحجة من توبيخه بنهيهم عن تركهم آلهتهم ، وما كان يعبد آباؤهم من قبل ، ففي إطباقهم على الإعراض عنه دليل على أنهم لم يجدوا سبيلاً إليه ، وما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عنه تحويل القبلة ، وقالوا : ﴿ **ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها** ﴾[2] كما حكاه الله – تعالى – عنهم .

وقد استدل القاضي القشيري على تنزيهم عن هذا بقوله – تعالى :﴿ **وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح** ﴾[3] ، وقوله – تعالى : ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين** ﴾[4] ، إلى قوله : ﴿ **لتؤمنن به ولتنصرنه** ﴾[5] ، قال :

---

(١) الأنعام : ٥٢ .

(٢) البقرة : ١٤٢ .

(٣) الأحزاب : ٧ .

(٤) آل عمران : ٨١ .

(٥) آل عمران : ٨١ .

فأظهره الله في الميثاق ، وبعيد أن يأخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم يأخذ ميثاق النبيين بالإيمان به ونصره قبل مولده بدهور ويجوز عليه الشرك أو غيره من الذنوب ، هذا ما لايجوزه إلا ملحد ، هذا معنى كلامه .

وكيف يكون ذلك ؟ وقد أتاه جبريل -عليه السلام- وشق قلبه صغيراً ، واستخرج منه علقة ، وقال : هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله وملأه حكمة وإيماناً كما تظاهرت به أخبار المبدأ .

قال كاتبه : يكون نبياً وآدم بين الماء والطين ؛ ثم يجوز عليه شيء من النقائص التي نزه الله عنها أنبياءه ، هذا مالا يقوله جاهل ومعاند .

قال القاضي : ولا يشتبه عليك بقول إبراهيم – عليه السلام – في الكواكب والقمر والشمس : هذا ربي فإنه قد قيل : كان هذا في سن الطفولية وابتداء النظر والاستدلال ، وقبل لزوم التكليف .

وذهب معظم الحذاق من العلماء والمفسرين إلى أنه إنما قال ذلك مبكتاً لقومه ومستدلاً عليهم ، وقيل : معناه الاستفهام الوارد مورد الإنكار ، والمراد : أفهذا ربي ؟ قال الزجاج قوله : هذا ربي أي على قولكم : أين شركائي ؟ أي عندكم ، ويدل على أنه لم يعبد شيئاً من ذلك ، ولاأشرك بالله قط طرفة عين .

قول الله – تعالى عنه : ﴿ **إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون** ﴾[1] ، ثم قال : ﴿ **أفرأيتم ما كنتم تعبدون** ﴾[2] ، ثم قال – تعالى : ﴿ **أفرأيتم ماكنتم تعبدون * انتم وآباؤكم الأقدمون * فإنهم عدو لي إلا رب العالمين** ﴾[3] ، وقوله – تعالى : ﴿ **إذ جاء ربه بقلب سليم** ﴾[4] ، أي من الشرك ، وقوله – تعالى : ﴿ **واجنبني وبنيَّ أن نعبد الأصنام** ﴾[5] ، فان قلت : فما معنى قوله : ﴿ **لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين** ﴾ ، قيل : إنه إن لم يؤيدني

---

(١) الشعراء : ٧٠ .

(٢) الشعراء : ٧٥ .

(٣) الشعراء : ٧٥ – ٧٧ .

(٤) الصافات : ٨٤ .

(٥) إبراهيم : ٣٥ .

بمعونته أكن مثلكم فى ضلالكم وعبادتكم ، على معنى الإشفاق والحذر ، وإلا فهو معصوم فى الأزل من الضلال .

وقال أبو محمد بن حزم : وأما قوله : إذ رأى الشمس والقمر ؛ فقال : هذا ربى ، فقد قال قوم : إن هذا كان محققاً أول خروجه من الغار ، وهذه خرافة موضوعة ظاهرة الافتعال ومن المحال الممتنع أن يبلغ أحد حدَّ التمييز والكلام بمثل هذا ، ولم يرقط ضوء شمس بنهار ، ولا ضوء قمر بالليل ، وقد أكذب الله – تعالى – هذا الظن بقوله الصادق : ﴿ **ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل** ﴾[1] ، فمحال أن يكون من آتاه رشده من قبل يدخل فى عقله أن الكواكب والقمر أو الشمس ربه ، من أجل أنها أكبر قرصاً من القمر ، هذا مالا يظنه إلا مقلد سخيف .

والصحيح من ذلك أنه – عليه السلام – إنما قال ذلك موبخاً لقومه ، كما قال ذلك لهم في الكبير من الأصنام ، ولافرق ؛ لأنهم كانوا على دين الصالحين يعبدون الكواكب ، ويصورون الأوثان على صورها ، وأسمائها فى هياكلهم ، ويعدون لها الأعياد ، ويذبحون لها الذبائح ، ويقربون لها القرابيين والدخن ، ويقولون : إنها تعقل ، وتدبر، وتضر ، وتنفع ، ويقيمون لكل كوكب منها شريعة محدودة ، وقد وبخهم الخليل – عليه السلام – على ذلك وسخر منهم ، وجعل يريهم تعظيم الشمس لكبر جرمها ، كما قال – تعالى - : ﴿ **فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون** ﴾[2] ، فأراهم ضعف عقولهم فى تعظيمهم هذه الأجرام المسخرة الجمادية ، وبين لهم أنها مدبرة تتنقل فى الأماكن ، ومعاذ الله أن يكون الخليل أشرك قط برب أو شك فى أن الفلك بما فيه مخلق ، وبرهان قولنا هذا أن الله تعالى لم يعاتبه على شيء مما ذكرنا ولا عنفه على ذلك ، فصح أن هذا بخلاف ما وقع لآدم – عليه السلام ، وأنه وافق مراد الله – تعالى – فيما قال من ذلك ، وبما فعل ، يعني إبراهيم – عليه السلام .

---

(١) الأنبياء : ٥١ .

(٢) المطففين : ٣٤ .

وقال الطوفي [في قوله تعالى] : ﴿ **وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكونن من الموقنين** ﴾[1] ، هذا يدل على أن قوله [تعالى]: ﴿ **ولكن ليطمئن قلبي** ﴾[2] ، أراد به طمأنينة العيان ، لأن الله – تعالى – أخبر أنه أراه الملكوت ليوقن ، وإحياء الموتى من قبيل الملكوت العيني : ﴿ **فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي** ﴾[3] ، حاصلها أنه استدلال بحركات الكواكب وأفولها على عدم إلهيتها وربوبيتها وذلك بناء على مقدمات :

الأولى : إثبات الأعراض :

وهي ما لا يقوم بنفسه فيفتقر إلى موضوع يقوم به كالحركة والسكون . والألوان وهي الاجتماع والافتراض وغير ذلك من الأعراض وإثباتها شهادة بالحس .

الثانية : أن الأعراض مغايرة للجواهر : بدليل أن الجوهر الواحد تتعاقب عليه الأضداد من الأعراض كالحركة والسكون ، والسواد والبياض ، وذاته فى الحالين واحدة ، فالجوهر الباقى غير العرض الفاني .

الثالثة : أن الأعراض لا تنفك عن الجواهر : إذ لو انفكت عنها ؛ لزم قيام العرض بذاته ، وأنه محال .

الرابعة : أن الأعراض حادثه ؛ وهذا لأنها تتعاقب على الجواهر وجوداً وعدماً مسبوقاً بعضها ببعض ، والحدوث من لوازم المسبوقية ، والملزوم موجود قطعاً ، فاللازم كذلك .

الخامسة : أن مالاينفك عن الحادث أولا ينفك عنه الحادث يجب أن يكون حديثاً ؛ إذ لو كان قديماً مع أنه لم يفارق الحادث لزم تقدمه على الحادث ، وذلك يوجب انفكاكه عن الحادث فيما قبل وجود الحادث ، وذلك يستلزم أنه انفك عن الحادث على تقدير أنه لم ينفك عنه ؛ وأنه محال ، ولأن زيداً وعمراً لو ولدا فى ساعة واحدة ، ثم استمرا إلى تسعين سنة من مولدهما استحال أن يكون عمر

---

(١) الأنعام : ٧٥ .

(٢) البقرة : ٢٦١ .

(٣) الأنعام : ٧٦ .

أحدهما مائة دون الآخر ، وإذا ثبتت هذه المقدمات ثبتت حدوث الجواهر ؛ لعدم انفكاكها عن الأعراض الحادثة .

وينتظم البرهان هكذا : الجواهر لا تفارق الحوادث ، وكل مالا يفارق الحوادث حادث .

فالجوهر حادث ، والعالم إما جواهر وإما أعراض ، وقد ثبت حدوثها فالعالم المؤلف منهما بأسره حادث .

والحادث : إما أن يكون الموجد له هو ، وهو محال أو غيره ، فهو إما حادث فيلزم الدور أو التسلسل أو قديم ، وهو المطلوب كما سبق تقريره ، فهذه الطريقة العامة فى إثبات حدوث العالم وقدم الصانع ، فهي مستفادة من إبراهيم - عليه السلام - فى مقامه هذا النظرى ، ولقد أوتى رشده من قبل ، ومتكلمو الإسلام تلاميذه فى هذه الطريقة ، وهى أيسر الطرق وأحسنها ، والرشد الإبراهيمى عليها ظاهر ، ونور برهانها ساطع باهر ، وحاجه قومه هذه المحاجة إنما تقومت بإبراهيم وقومه ؛ لأنها مفاعلة تستدعى أكثر من فريق واحد ، ففيها أدل دليل على الحجاج والجدال فى طلب الحق فى أصول الدين وفروعه ، اقتداءً بإبراهيم - عليه السلام .

قال القاضي عياض - رحمه الله : فإن قلت : فما معنى قوله - تعالى: **﴿ وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا ﴾**[1] ، ثم قال - تعالى - بعد عن الرسل : **﴿ فقد افترينا على الله كذباً إن عدنا فى ملتكم بعد إذ نجانا الله منها ﴾** ؟ فلا يشكل عليك لفظة العود ، وأنها تقتضي أنهم إنما يعودون إلى ما كانوا فيه من ملتهم ، فقد تأتى هذه اللفظة في كلام العرب لغير ماليس له ابتداء بمعنى الصيرورة ، كما جاء فى حديث الجهنميين عادوا حمما ، ولم يكونوا قبل كذلك ومثله قول الشاعر :

* فعادا بعد أبوالاً *

---

(١) إبراهيم : ١٣ .

وما كانا قبل كذلك ، وقال الأستاذ أثير الدين أبو حيان فى قوله – تعالى: **﴿لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قومنا أو لتعودن فى ملتنا﴾**(١) ، عادلها استعمالان :

أحدهما : أن تكون بمعنى [تعود] ، قال :

تعود فيكم جزر الجزور ماحنا

ويرفعن بالأسياف منكسرات .

والثاني : بمعنى رجع إلى ماكان عليه فعلى الأول لا إشكال فى قوله : (**أو لتعودن**) فعلاً مسنداً إلى شعيب وأتباعه ، ولا يدل على أن شعيبا كان فى ملتهم .

وعلى المعنى الثاني : يشكل ، لأن شعيباً لم يكن فى ملتهم قط ، لكن أتباعه كانوا فيها .

وأجيب عن هذا بوجوه :

أحدها : أن يراد بعود شعيب إلى الملة حال سكوته عنهم قبل أن يبعث، لا حالة الضلال ، فإنه كان يخفى دينه إلى أن أوحى الله – تعالى – إليه .

الثانى : أن يكون من باب تغليب حكم الجماعة على الواحد ، لما عطفوا أتباعه على ضميره فى الإخراج ، استحبوا عليه حكمهم فى العود ، وإن كان شعيب بريئاً مما كان عليه قبل الإيمان .

الثالث : أن رؤساءهم قالوا ذلك على سبيل التلبيس على العامة والإيهام أنه كان منهم .

وقال الطوفي : قول شعيب : **﴿ قد افترينا على الله كذباً إن عدنا فى ملتكم بعد إذ نجانا الله منها ﴾**(٢) ، لما ما كان منشؤه فى قوم كفار انعقد له سبب موافقتهم ؛ فتجوز به عن ملابسة ملتهم ؛ فسمي إعراضه عنها بهداية الله – عز وجل – إياه نجاة ، ودخوله فيها لو قدر عوداً إليها .

---

(١) الأعراف : ٨٨ .

(٢) الأعراف : ٨٩ .

قال القاضي عياض : فإذا قلت : فما معنى قوله – تعالى : ﴿ **ووجدك ضالاً فهدى** ﴾(١) ؟ فليس هو في الضلال الذي هو الكفر ، قيل : ضالاً عن النبوة فهداك إليها ، قاله الطبري ، وقيل : ووجدك بين أهل الضلال ؛ فعصمك من ذلك وهداك للإيمان وإلى إرشادهم ، ونحوه عن السدي وغير واحد ، وقيل : ضالاً عن شريعتك ، أى لا تعرفها ، فهداك إليها ، والضلال هاهنا التحير ولهذا ، كان ﷺ يخلو بغار حراء فى طلب ما يتوجه إلى ربه وينشرح به ؛ حتى هداه الله – تعالى – إلى الإسلام ، قال معناه القشيرى ، وقيل : لا تعرف الحق فهداك إليه ، وهذا مثل قوله – تعالى : ﴿ **وعلمك ما لم تكن تعلم** ﴾(٢) ، قاله على بن عيس .

قال ابن عباس – رضي الله تبارك وتعالى عنه : لم يكن له ﷺ ضلالة معصية ، وقيل : إني أبين أمرك بالبراهين ، وقيل : وجدك ضالاً بين مكة والمدينة فهداك إلى المدينة، وقيل : وجدك فهدى بك ضالاً ، وعن جعفر بن محمد : ووجدك ضالاً عن محبتى لك فى الأزل ، أى لا تعرفها ؛ فمننت عليك بمعرفتى .

وقرأ الحسن بن علي : ﴿ **ووجدك ضالاً فهدى** ﴾(٣) ، أى اهتدى ، وقال : ابن عطاء ووجدك ضالاً ، أى محباً لمعرفتى ، والضال المحب ، كما قال – تعالى : ﴿ **إنك لفى ضلالك القديم** ﴾(٤) ، أى محبتك القديمة ، ولم يريدوا هاهنا إذ لو قالوا ذلك فى نبى الله لكفروا .

ومثله عند هذا قوله – تعالى : ﴿ **إنا لنراها فى ضلال مبين** ﴾(٥) ، أى محبة بينة ، وقال الجنيد : ووجدك متحيراً فى بيان ما أنزل إليك فهداك ؛ لبيان

---

(١) الضحى : ٧ .

(٢) النساء : ١٠٣ .

(٣) الضحى : ٧ .

(٤) يوسف : ٩٥ .

(٥) يوسف : ٣٠ .

قوله – تعالى : ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر** ﴾[1] ، وقيل : وجدك لم يعرفك أحد بالنبوة حتى أظهرك ؛ فهدى بك السعداء ولا أعلم أحداً من المفسرين قال فيها : ضالاً عن الإيمان وكذلك في قصة موسى – عليه السلام قوله تعالى : ﴿ **فعلتها إذاً وأنا من الضالين** ﴾[2] ، أي من المخطئين الفاعلين شيئاً بغير قصد ، قاله ابن عرفة .

قال الأزهري : معناه من الناسبين ، وقد قيل في قوله : ﴿ **ووجدك ضالاً فهدى** ﴾[3] ، أي ناسياً ، كما قال – تعالى : ﴿ **أن تضل إحداهما** ﴾[4] ، وقال عطيه ﴿**ووجدك ضالاً فهدى** ﴾[5] ، أى على غير طريق هذا الدين الذى بعثت به ، ولم يكن ﷺ فى ضلال الكفار ولا فى غفلتهم ، لأنه لم يشرك قط ، وإنما كان مستهدياً ربه – عز وجل – موحداً والسائل عن الطريق المتحير يقع عليه فى اللغه اسم ضال وقال الطوفي : وقيل : لما نشأ بين قوم كفار نعقد له سبب الضلال ، فلو لا أن أنقذه الله – تعالى – من ملتهم بهداه وبوحيه لضل ؛ فسمي انعقاد سبب الضلال ضلالاً على المجاز ، كما يقال : وجدت فلاناً غريقاً فأنقذته ، أو قتيلاً بين اعدائه فأحييته ونحوه إذا انعقد له سبب ذلك .

وفى هذه الآيه عشرين قولاً ، هذا أقربها إلى التحقيق وإليه يرجع قوله ﴿ **ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان** ﴾[6] .

قال القاضي عياض : فإن قلت : ما معنى قوله – تعالى : ﴿ **ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان** ﴾[7] ، فالجواب أن السمرقندي قال : معناه ما كنت تدرى قبل الوحي أن تقرأ القرآن ولاكيف تدعو الخلق إلى الايمان ، قال أبوبكر

---

(١) النحل ٤٤ .

(٢) الشعراء : ٢٠ .

(٣) الضحى : ٧ .

(٤) البقرة : ٢٨٢ .

(٥) الضحى : ٧ .

(٦) الشورى : ٥٢ .

(٧) الشورى : ٥٢. .

القاضي نحوه قال : ولا الإيمان الذى هو الفرائض والأحكام ، قال : فكان قبل مؤمناً بتوحيده ، ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدريها قبل ، فزاد بالتكليف إيماناً.

وكذلك الحديث الذى يرويه عثمان بن أبي شيبة بسنده ، عن جابر أن النبي ﷺ كان يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه ، أحدهما يقول لصاحبه : اذهب حتى تقوم خلفه ؛ فقال الآخر : كيف أقوم خلفه وعهده باستلام الأصنام ، فلم يشهدهم بعد ، فهذا حديث أنكره أحمد بن حنبل ، وقال : هنا موضوع أو شبيه بالموضوع .

وقال الدارقطني : إن عثمان وهم فى إسناده والحديث بالجملة منكر ، غير متفق على إسناده فلا يلتفت إليه ، والمعروف عن النبي ﷺ عند أهل العلم من قوله : بغضت إلى الأصنام وقوله - فى الحديث الآخر حين كلمه عمه وآله فى حضور بعض أعيادهم وعزموا عليه فيه بعد كراهته لذلك ، فخرج معهم ورجع مرعوباً - فقال : كلما دنوت عليها من صم تمثل لى شخص أبيض طويل يصيح بى وراءك لا تمسه فما شهد بعد لهم عيداً .

وقوله فى قصة بحيراً حين استحلف النبي ﷺ باللات والعزى إذا لقيه بالشام فى سفره مع عمه أبي طالب وهو صبي ، ورأى فيه علامات النبوة ، فأخبره بذلك ، فقال له النبي ﷺ : لا تسألنى بهما فوالله ما أبغضت شيئاً قط بغضهما فقال له بحيراً : فبالله إلا ما أخبرتنى عما اسألك عنه ، فقال : سل مابدا لك ، وكذلك المعروف من سيرته ﷺ وتوفيق الله - تعالى - له أنه كان قبل نبوته يخالف المشركين فى وقوفهم بمزدلفة فى الحج ، وكان يقف هو بعرفة ؛ لأنه كان موقف إبراهيم - عليه السلام .

قال الطوفي فى قوله - تعالى : ﴿ **ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان** ﴾ ، مع قوله ﷺ : كنت نبياً وآدم بين الماء والطين : وأنه حين ولد خر ساجداً مشيراً بأصبعه إلى السماء ، وأنه لم يزل ﷺ كارهًا الأصنام مبغضاً لها قبل النبوة ، ولم يحلف بها ، ولا أكل مما ذبح لها .

وإجماع الناس على أن نبياً من الأنبياء لم يكفر بالله وخلا من الإيمان به طرفه عين ، فالواجب تأويل الآية على مايزيل عنها هذا المحذور ، مثل أن

المراد ما ماكنت تدرى ما الكتاب . ولا كيفية ماهية الإيمان وحقيقته ، ولايلزم من كونه مؤمناً معرفة ذلك ، بدليل أن أكثر الناس هم كذلك ، أو ما كنت تدري ما الكتاب ولا الدعاء إلى الإيمان ، إذ كيفية دعاء الناس إلى الإيمان ، إنما تعلم بالوحى ، فقبل الوحي من أين تعلم ؟ ولا يلزم من كون الإنسان مؤمناً فى نفسه أن يدرى كيف يدعو إلى ما يدعو غيره لجواز أن يتعبد الله -تعالى- كل إنسان بأمر غير ما تعبد به الآخر ، اختص النبي ﷺ بخواص تعبد لم تكن لغيره .

قال القاضي عياض : قد بان مما قدمناه عقود الأنبياء فى التوحيد والإيمان والوحي ، وعصمتهم فى ذلك - على ما بيناه - فأما ما عدا هذا الباب من عقود قلوبهم ، فجماعها أنها مملوءة علماً ويقيناً على الجملة وإنما احتوت من المعرفة بأمور الدين والدنيا مالا شيء فوقه ، ومن طالع الأخبار واعتنى بالحديث وتأمل ما قلناه ، وجده إلا أن أحوالهم فى هذه المعارف تختلف ؛ فأما ما تعلق منها بأمر الدنيا فلا يشترط فى حق الأنبياء - عليهم السلام - العصمة من عدم معرفة الأنبياء ببعضها أو اعتقادها على خلاف ما هي عليه ، ولا وصم عليهم فيه إذ هممهم متعلقة بالآخرة واسبابها وأمر الشريعة وقوانيتها ، وأمور الدنيا تضادهم بخلاف غيرهم الذين : ﴿ **يعلمون ظاهراً من الحياه الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون** ﴾(١) ، كما سنبين - إن شاء الله تعالى - ولكنه لا يقال إنهم لا يعلمون شيئاً من أمر الدنيا ، فإن ذلك يؤدى إلى الغفلة والبله ، وهم المنزهون عنه ، بل قد أرسلوا إلى أهل الدنيا ، وقلدوا سياستهم وهدايتهم والنظر فى مصالح دينهم ودنياهم ، وهذا لا يكون مع هدم العلم بأمور الدنيا بالكلية ، وأحوال الأنبياء وسيرتهم فى هذا الباب معلومة ، ومعرفتهم بذلك كله مشهورة ، وإن كان هذا العقد مما يتعلق بالدين ، فلا يصح من النبى إلا العلم ، ولا يجوز عليه جهله جملة لأنه لا يخلو أن يكون حصل عنده ذلك عن وحي من الله - تعالى - فهو ما لايصح الشك منه على ما قدمناه ، فكيف الجهل ؟ بل حصل له العلم اليقين أو يكون فعل ذلك باجتهاده ، فلما لم ينزل عليه فيه شيء على القول بتجويز الاجتهاد منه فى ذلك على قول المحققين ، وعلى مقتضى حديث

---

(١) الروم : ٧ .

أم سلمه إني انما أقضي بينكم برأيى فيما لم ينزل عليّ فيه ، وخرّجه الثقات ، وكقصة أسرى بدر ، والإذن للمتخلفين - على رأى بعضهم - فلا يكون أيضاً ما يعتقده مما يثمره إجتهاده إلا حقاً ، وصحيحاً ، هذا هو الحق الذى لا يلتفت إلى خلاف من خالف فيه ، لا على القول بتصويب المجتهدين الذى هو الحق ، والصواب عندنا لا على القول الآخر بأن الحق فى طرف واحد ؛ لعصمة النبي ﷺ من الخطأ فى الاجتهاد فى الشرعيات ؛ ولأن القول فى تخطئة المجتهدين ، إنما هو استقراء الشرع ونظر النبي ﷺ واجتهاده إنما هو فيما لم ينزل عليه فيه شيء ، ولم يشرع له قبل هذا فيما عقد عليه قلبه فأما مالم يعقد عليه قلبه ، من أمر النوازل الشرعية ، فلقد كان لا يعلم منها أولاً إلا ما علمه الله شيئاً ، حتى استقر علم جملتها عنده ، إما بوحى من الله - تعالى - وإذن أن يشرع فى ذلك ويحكم بما أراه .

وقد كان ينتظر الوحي فى كثير منها ، ولكنه لم يمت حتى اسقر علم جملتها عنده ﷺ ، وتقررت معارفها لديه على التحقيق ، ورفع الشك والريب ، وانتفاء الجهل ، وبالجملة فلا يصح منه الجهل بشيء من تفاصيل الشرع الذى أمر بالدعوة إليه ، إذ لا تصح دعوته إلى مالا يعلمه .

قال جامعه ومؤلفه : قد اختلف فى اجتهاد الرسول ﷺ فيما لا نص عنده فيه ، فاحتج من أجاز ذلك بقوله - تعالى : ﴿**إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله**﴾[1] ، وقد اختلفت عبارات المفسرين فى معناها .

فقال الكرماني : بما أراك الله ، بما علمك وعرفك فى الحجة، وهو من الرأى الذى هو الاعتقاد ؛ لأن الرأى بمعنى العلم يستدعى ثلاثة مفاعيل ، قال الرازى : وهذه الآية تدل على أنه - صلوات الله تعالى عليه - ما كان يحكم إلا بالوحي والنص .

وقال الزمخشري : بما أراك الله ، بما عرفك وأوحى به إليك ، وعن عمر رضي الله تبارك وتعالى عنه : لايقل أحدكم قضيت بما أرانى الله ؛ لأن

---

(١) النساء : ١٠٥ .

الله لم يجعل ذلك إلا لنبيه ، ولكن ليجتهد رأيه ؛ لأن الرأي من رسول الله ﷺ كان مصيباً ؛ لأن الله كان يريه إياه ، وهو منا الظن والتكليف .

وقال الماتريدى : قوله : ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق ﴾ ، أى موافقاً لما هو الحق فى فعل كل أحد ، وهو التكليف دون الأعمال ، أو بما له عاقبة حميدة ؛ لأن ما ليس كذلك عبث وباطل ، أو مبيناً بما هو الحق لله على العباد ، وبما لبعضهم على بعض ؛ ليعملوا بذلك ، أو بياناً لأمر هو حق كائن ثابت ، وهو البعث والقيامة ؛ ليتزودوا له ، أو مما يحمد عليه فاعله ، أو بالعدل والصدق على الأمن من التغيير والتبديل ، بما أراك الله وألهمك .

وفيه دليل على جواز اجتهاده كالنص ؛ لأن الله - تعالى - أخبر أنه يريه ذلك ، ولا يريه غير الصواب .

وقال ابن حيان : معنى قوله : ﴿ بما أراك الله ﴾ ، يريد به بما أراك الله - تعالى - من القرآن وعلمك إياه ، وقال الأثير أبو حيان : ومعنى : ﴿بما أراك الله ﴾ بما أعلمك من الوحي ، وقيل : بالنظر فإنه ﷺ محروس فى اجتهاده معصوم الأقوال والأفعال ، وقيل : بما ألقاه فى قلبك من أنوار المعرفة ، وصفاء الباطن ، واحتج من أجاز ذلك أيضاً بأن منصب الاجتهاد فى الأحكام منصب كمال ؛ فلا ينبغى أن يفوته ﷺ .

وقد دل على وقوعه منه قوله ﷺ : لو قلت : نعم ؛ لو جبت ، وقوله : لو كنت سمعت شعرها ما قتلت أباها ، فى قضيتين مشهورتين :

أما القضية الأولى :

فخرَّج مسلم(١) من حديث يزيد بن هارون عن الربيع بن مسلم القرشي ، عن محمد بن زياد ، عن أبي هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال :

---

(١) (مسلم بشرح النووى) : ٩/١٠٨ - ١١٠ ، كتاب الحج ، باب (٧٣) فرض الحج مرة فى العمر ، حديث رقم (١٣٣٧) .

قوله ﷺ : (يا أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا ، فقال رجل : أكل عام يا رسول الله فسكت ، حق قالها ثلاثاً ؛ فقال رسول الله ﷺ : لو قلت : نعم لو جبت ولما استطعتم ، ثم قال : ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا =

= أمرتكم بشيء ، فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شئ فدعوه) هذا الرجل السائل هو الأقرع بن حابس كذا جاء مبيناً في غير هذه الرواية واختلف الأصوليون في أن الأمر هل يقتضي التكرار ، والصحيح عند أصحابنا لا يقتضيه ، والثاني يقتضيه ، والثالث يتوقف فيما زاد على مرة على البيان فلا يحكم باقتضائه ولابمنعه ، وهذا الحديث قد يستدل به من يقول بالتوقف ؛ لأنه سأل فقال : أكل عام ؟ ولو كان مطلقه يقتضي التكرار أو عدمه لم يسأل ، وقال له النبي ﷺ : لا حاجة إلى السؤال ، بل مطلقه محمول على كذا ، وقد يجيب الآخرون عنه بأنه سأل استظهاراً واحتياطاً ، وقوله : " ذروني ما تركتكم " ظاهر في أنه يقتضي التكرار .

قال الماوردي : ويحتمل أنه إنما احتمل التكرار عنده من وجه آخر ، لأن الحج في اللغة قصد فيه تكرار فاحتمل عنده التكرار من جهة الاشتقاق لا من مطلق الأمر ، قال : وقد تعلق بما ذكرناه عن أهل اللغة ههنا من قال بإيجاب العمرة ، وقال : لما كان قوله تعالى : ﴿ **ولله على الناس حج البيت** ﴾ يقتضي تكرار قصد البيت بمحكم اللغة والاشتقاق ، وقد أجمعوا على أن الحج لا يجب إلا مرة كانت العودة الأخرى إلى البيت تقتضي كونها عمرة ؛ لأنه لا يجب قصده لغير حج وعمرة بأصل الشرع .

وأما قوله ﷺ : لو قلت نعم لوجبت ففيه دليل للمذهب الصحيح أنه ﷺ كان له أن يجتهد في الأحكام ، ولا يشترط في حكمه أن يكون بوحي ، وقيل : بشترط ؛ وهذا القائل يجيب عن هذا الحديث بأنه لعله أوحي اليه ذلك ، والله أعلم .

قوله ﷺ : (ذروني ما تركتكم) دليل على أن الأصل عدم الوجوب ؛ وأنه لا حكم قبل ورود الشرع ، وهذا هو الصحيح عند محققي الأصوليين لقوله تعالى : ﴿ **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً** ﴾ .

وقوله ﷺ : فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه استطعتم هذا من قواعد الاسلام المهمة ، ومن جوامع الكلم التي أعطيها ﷺ ، ويدخل فيه مالا يحصي من الأحكام كالصلاة بأنواعها فإذا عجز عن بعض أركانها أو بعض شروطها أتى بالباقي ، وإذا عجز عن بعض أعضاء الوضوء أو الغسل الممكن ، وإذا وجد بعض ما يكفيه جماعة من الماء لطهارته أو لغسل النجاسة فعل الممكن ، وإذا وجبت إزالة منكرات أو فطرة جماعة من تلزمه نفقتهم أو نحوه ، وأمكنه البعض فعل الممكن وإذا وجد ما يستر بعض عورته أو حفظ بعض الفاتحة أتى بالممكن ، وأشباه هذا منحصرة وهي مشهورة في كتب الفقه ، والمقصود التنبيه على أصل ذلك . =

خطبنا رسول الله ﷺ فقال : يا أيها الناس قد فرض الله الحج فحجوا ؛ فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت - حتى قالها ثلاثاً ؛ فقال رسول الله ﷺ : لو قلت نعم لو جبت ولما استطعتم ، ثم قال : ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم ، واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه .

وخرجه النسائي[1] من حديث أبى هاشم المغيرة بن سلمة المخزومي ثقة بصري ، قال : أنبانا الربيع بن مسلم - إلى آخره بمعناه ، وقال فيه : ولو وجبت ما قمتم بها ، وقال في آخره فاجتنبوه مكان فدعوه .

= وهذا الحديث موافق لقول الله - تعالى : ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ ، وأما قوله - تعالى : ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾ ، ففيه مذهبان : أحدهما أنها منسوخة بقوله - تعالى : ﴿فاتقوا الله ماستطعتم﴾ ، والثانى - وهو الصحيح أو الصواب - وبه جزم المحققون أنها ليست منسوخة ، بل قوله تعالى : ﴿ فاتقوا الله ماسطتعم ﴾ مفسرة ومبينة للمراد بها ، قالوا : وحق تقاته هو امتثال أمره واجتناب نهيه ولم يأمر - سبحانه وتعالى - إلا بالمستطاع قال الله - تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ .

وقال - تعالى : ﴿ وما جعل عليكم فى الدين من حرج ﴾ ، والله أعلم . وأما قوله ﷺ : (وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه) ، فهو على إطلاقه فإن وجد عذر يبيحه كأكل الميتة عند الضرورة أو شرب الخمر عند الإكراه ، أو التلفظ بكلمة الكفر إذا أكره ونحو ذلك ، فهذا ليس منهياً عنه فى هذه الحال والله أعلم ، وأجمعت الأمة على أن الحج لا يجب فى العمر إلا مرة واحدة بأصل الشرع وقد تجب زيارة بالنذر ، وكذا إذا أراد دخول الحرم لحاجة لا تكرر كزيارة وتجارة - على مذهب من أوجب الإحرام لذلك - بحج أو عمرة .

(١) (سنن النسائى) : ٥/١١٦ - ١١٧ ، كتاب مناسك الحج ، باب (١) وجوب الحج ، حديث رقم (٢٦١٨) .

قال الحافظ السندي : قوله : (فى كل عام) أى هو مفروض على كل إنسان مكلف فى كل سنة ، أو هو مفروض عليه مرة واحدة (لو قلت نعم لوجبت إلخ) ، أى لوجب الحج كل عام وهذا بظاهره يقتضي أن أمر افتراض الحج كل عام كان مفوضاً إليه ، حتى لو قال : نعم ، لحصل وليس بمستبعد ، إذ يجوز أن يأمر الله - تعالى - بالإطلاق ، ويفوض أمر التقييد إلى =

وخرّج النسائيّ[1] من حديث سعيد بن أبي مريم ، قال : أنبأنا موسى بن سلمة ، قال : حدثني عبد الجليل بن حميد عن ابن شهاب ، عن أبي سنان الدؤلي، عن ابن عباس – رضي الله تبارك وتعالى عنه – أن رسول الله ﷺ قام فقال : إن الله قد كتب عليكم الحج ، فقال الأقرع بن حابس التميمي : كل عام يا رسول الله ؟ فسكت ، ثم قال : لوقلت : نعم لوجبت ، ثم إذاً لا تسمعون ، ولا تطيعون ، ولكنه حجة واحدة .

وخرّجه قاسم بن أصبغ من حديث محمد بن كثير ، أنبأنا سليمان ، عن الزهري عن سنان بن أبي سنان ، عن ابن عباس – رضي الله تبارك وتعالى عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله كتب عليكم الحج ، فقيل : يارسول الله كل عام ؟ قال : لا . ولو قلتها لو جبت الحج مرة واحدة ، فمن زاد فهو تطوع[2] .

= الذى فوض إليه البيان ، فهو إن أراد أن يبقيه على الإطلاق يبقيه عليه ، وإن أراد أن يقيده بكل عام يقيده به ، ثم فيه إشارة إلى كراهة السؤال فى النصوص المطلقة والتفتيش عن قيودها ، بل ينبغى العمل بإطلاقها ؛ حتى يظهر فيها قيد وقد جاء القرآن موافقاً لهذه الكراهة (ذروني) أى اتركوني من السؤال عن القيود فى المطلقات ، (ما تركتكم) عن التكليف فى القيود فيها ، وليس المراد لا تطلبوا مني العلم ما دام لا أبين بنفسي (واختلافهم) عطف على كثرة السؤال ، إذ الاختلاف وإن قل يؤدى إلى الهلاك ، ويحتمل أنه عطف على سؤالهم فهو إخبار عمن تقدم بأنه كثر اختلافهم فى الواقع فأداهم إلى الهلاك ، وهو لا ينافى أن القليل من الاختلاف مؤد إلى الفساد (فإذا أمرتكم إلخ) يريد أن الأمر المطلق لا يقتضي دوام الفعل ، وإنما يقتضي جنس المأمور به ، وأنه طاعة مطلوبة ينبغي أن يأتي كل إنسان منه على قدر طاقته وأما النهي فيقتضي دوام الترك ، والله – تبارك تعالى – أعلم .

(١) (المرجع السابق) : حديث رقم (٢٦١٩) .

(٢) راجع الحواشي السابقة .

وخرجه أبو داود[1] من حديث يزيد بن هارون ، عن سفيان بن حسين ، عن الزهري ، عن سنان ، عن ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أن الأقرع بن حابس سأل النبي ﷺ فقال : يارسول الله الحج فى كل سنه أو مرة واحدة ؟ قال : بل مرة واحدة ، فمن زاد فتطوع ، قال أبو داود : وهو أبو سنان الدؤلي ، كذا قال عبد الجليل بن حميد وسليمان بن كثير جميعًا ، عن الزهري ، وقال عقيل : عن سنان .

وأما القضية الثانية :

فقال أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر : قتيلة بنت النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ، قتل رسول الله ﷺ أباها يوم بدرٍ صبراً ، قال الواقدي : أسلمت قتيلة يوم الفتح ، قال ابن عبد البر : كانت شاعرة محسنة ، ولما أنصرف رسول الله ﷺ من بدر كتبت إليه فى أبيها ، وذلك قبل إسلامها[2] .

* يا راكبا إن الأثيل مظنة *

الأبيات . فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك بكى ؛ حتى اخضلت بالدموع لحيته ، وقال : لو بلغنى شعرها هذا قبل أن أقتله لعفوت عنه ، ذكرهذا الخبر عن عبد الله بن إدريس فى حديثه ، وذكره الزبير بن بكار ، وقال : فرق رسول الله ﷺ حتى دمعت عيناه ، وقال لأبي بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه : لو كنت سمعت شعرها ما قتلت أباها ، قال الزبير : وسمعت بعض أهل العلم يغمز أبياتها هذه ، ويقول : أنها مصنوعه[3] ، والله - تعالى - اعلم .

---

(١) (سنن أبي داود) : ٢ / ٣٤٤ ـ ٣٤٥ ، كتاب المناسك ، باب (١) فرض الحج ، حديث رقم (١٧٢١).

(٢) (الإستيعاب) : ١٩٠٤/٤ ، ترجمة رقم (٤٠٧٠) .

(٣) (الإستيعاب) : ١٩٠٥/٤ ، (سيرة ابن هشام) : ٣٠٩/٣ .

وأحتج من منع اجتهاده ﷺ بقوله - تعالى : ﴿ **وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى** ﴾[1] ، فأخبر - تعالى - أنه ﷺ كان لا يحكم إلا بالوحي ، قالوا والسنة الواردة عنه كانت توحى إليه .

كما خرَّجه أبو داود[2] ، من حديث جرير بن عثمان ، عن عبد الرحمن ابن أبي عون ، عن المقدام بن معدى كرب ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي ، ولا كل ذي ناب من السباع ولا لقطة معاهد ، إلا أن يستغنى عنها صاحبها ، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه ، فإن لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قراه .

ورواه بقية عن الزبيدي ، عن مروان بن رؤبة ، عن عبد الرحمن بن عوف الجرشي ، عن المقدام بن معدي كرب ، أن النبي ﷺ قال : ألا إني أوتيت الكتاب ، وما يعدله ، يوشك رجل شبعان على أريكته ، فذكره مثله إلى آخره[3].

وخرَّج أبو داود من حديث أشعث بن شعبة ، قال : حدثنا أرطأة بن المنذر قال : سمعت حكيم بن عمير أبا الأحوص يحدث عن العرباض بن سارية ، قال: نزلنا مع رسول الله ﷺ خيبر ، فذكر الحديث ، وفيه : أمر منادياً أن الجنة لا تحل إلا لمؤمن ، وأن اجتمعوا للصلاة ؛ فاجتمعوا وصلى بهم النبي ﷺ ثم قال : أيحسب أحدكم متكئاً على أريكته قد يظن أن الله لم يحرم شيئاً إلا فى القرآن ، ألا وإنى قد أمرت ووعظت ، ونهيت عن أنهما لمثل القرآن أو أكثر ، وأن الله لم يحل لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب إلا بإذن ، ولا ضرب لنسائهم ، ولا أكل

---

(١) النجم : ٣-٤ .

(٢) (سنن أبي داود) : ٥/١٠-١٢، كتاب السنة ، باب (٦) فى لزوم السنة ، حديث رقم (٤٦٠٤).

(٣) أخرجه الترمذى فى العلم ، حديث رقم (٢٦٦٦) ، باب ما ينهى أن يقال عند حديث النبي ﷺ ، وقال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، وابن ماجه فى المقدمه ، حديث رقم (١٢) ، وحديث أبي داود أتم من حديثيهما .

ثمارهم إذا أعطوكم الذى عليهم ، قال أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي قوله : أتيت الكتاب ، ومثله معه ، يتحمل وجهين من التأويل :

أحدهما : أنه أوتى من الوحي الباطن غير المتلو ، مثل ما أعطى من الظاهر.

والثانى : أنه ﷺ أوتى الكتاب وحياً يتلى وأوتى من البيان مثله ، أى أذن له ﷺ أن يبين ما فى الكتاب فيعم ويخصص ويزيد عليه ويشرح ما فى الكتاب ؛ فيكون فى وجوب العمل به ولزوم قبوله كالزاهرالمتلو من القرآن ، وقوله : كالظاهر يوشك رجل شبعان على أريكته ، الحديث يحذر بهذا القول من مخالفة السنن التى سنها ، مما ليس فى القرآن له ذكر .

قالوا : وقوله ﷺ : فى الرضى والغضب ، والجد والمزاح حق ؛ لما خرجه الترمذي[1] من حديث أسامة بن زيد عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : قالوا : يا رسول الله إنك تداعبنا ، قال: إنى لا أقول إلا حقاً ، قال أبو عيسى : هذا حديث حسن .

وخرّج أبو بكر بن أبي شيبة[2] ، قال : حدثنا يحيى بن سعيد القطان . عن أبي عبيد بن الأخنس ، قال : حدثني الوليد بن عبد الله ، عن يوسف بن مالك ، عن عبد الله بن عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يتكلم في الرضى والغضب ، فأمسكت فذكرت لرسول الله ﷺ فأشار بيده إلى فيه ، فقال : اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق .

خرجه أبو داود قال : أنبأنا مسدد ، وأبو بكر بن أبي شيبة قالا : حدثنا يحيى ابن سعيد ، عن عبيد الله بن الأخنس ، عن الوليد بن عبد الله بن أبي معتب ، إلى آخره بنحوه ، قالوا : ولأنه ﷺ قادر على يقين الوحي ، والاجتهاد لا يفيد ،

---

(١) (سنن الترمذي) : ٣١٤/٤ ، كتاب البر والصلة ، باب (٥٧) ما جاء فى المزاح ، حديث رقم (١٩٩٠) ، وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) (المصنف) : ٣١٤/٥ ، باب (١٧٣) من رخص فى كتابه العلم ، حديث رقم (٢٦٤١٩) .

فجوازه فى حقه ﷺ والحاله هذه كالتيمم مع القدره على الماء ، ثم على القول بأن الاجتهاد جائز ، هل يقع منه الخطأ فيه أم لا ؟ فيه قولان للأصوليين :

أحدهما : لا يقع منه ﷺ خطأ فى إجتهاده من الخطأ مطلقاً .

والثاني : نعم بشرط أن لا يقر عليه ، واستدل من ذهب إلى هذا بقوله تعالى: ﴿ **عفى الله عنك لما أذنت لهم** ﴾(١)، قالوا : فعوتب ﷺ حيث أذن لهم فى التخلف عن الغزو فى غير موضع الإذن ، وأجيب عن ذلك أن عفا الله عنك افتتاح كلام أعلمه الله - تعالى - عنه به أنه لا حرج عليه فيما فعل من الإذن ، وليس هو عفواً عن ذنب ، إنما هو أن الله - تعالى - أعلمهم أنه لا يلزمه ترك الإذن لهم ، كما قال ﷺ : عفا الله لكم عن صدقة الخيل ، والرقيق وما وجبتا قط ، ومعناه ترك أن يلزمكم ذلك ، قاله أبو حيان ، ونقل عن أبي عبد الله بن إبراهيم ابن عرفة نفطويه ، أنه قال : ذهب ناس إلى أن النبي ﷺ معاتب في هذه الآية وحاشاه من ذلك بل كان له أن يفعل ، وأن لا يفعل ، وقد قال تعالى : ﴿**ترجى من تشاء منهن وتؤوى إليك من تشاء**﴾ ؛ لأنه كان له ﷺ أن يفعل ما يشاء مما لم ينزل عليه فيه وحي ، واستأذنه المخلفون فى التخلف ، واعتذروا فاختار ﷺ أيسر الأمرين تكرماً منه وتفضلاً ، فأبان الله - تعالى - أنه لولم يأذن لهم لأقاموا على النفاق الذى فى قلوبهم ، وأنهم كاذبون فى الطاعة والمشاورة ، قاله أبو حيان ووافقه عليه قوم ، فقالوا ، : ذكر العفو هنا لم يكن عن تقديم ذنب ، وإنما هو استفتاح كلام جرت عادة العرب أن تخاطب بمثله تعظمه وترفع عن قدره ، يقصدون بذلك الدعاء له ، فيقولون : أصلح الله الأمير كان كذا وكذا ، فعلى هذا صيغته الخبر ، ومعناه الدعاء .

و كلام الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى : ﴿ **عفا الله عنك لم أذنت لهم**﴾ ، يجب اطراحه فضلاً عن أن يذكر فيرد عليه ، واستدلو أيضا بقوله تعالى : ﴿**ما كان لنبى أن يكون له أسرى**﴾(٢) ، ويتعلق بهذا مسألة التفويض ،

---

(١) التوبة : ٤٣ .

(٢) الأنفال : ٦٧ ، وتمامها : ﴿ حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ﴾ .

وهى أنه هل يجوز أن يفرض الله - تعالى - إلى نبي حكم الأمة أن يقول : احكم بينهم باجتهادك ، وما حكمت به فهو حق ، أو أنت لا تحكم إلا بالحق ، فيه قولان : أقربهما الجواز ، وهو قول موسى بن عمران من الأصوليين ؛ لأنه مضمون له إصابة الحق ، وكل مضمون له إصابة ذلك جاز له الحكم ، أو يقال: هذا التفويض لا محذور فيه ، وكل ما كان كذلك كان جائزًا والله - تعالى - أعلم .

قال القاضي عياض : وأما ما تعلق بعقده ﷺ من ملكوت السموات والأرض ، وخلق الله - تعالى - وتعيين أسمائه - تعالى - وآياته الكبرى ، وأمور الآخرة ، وأشراط الساعة ، وأحوال السعداء والأشقياء ، وعلم ما كان ويكون، ما لا يعلمه إلا بوحي ، فعلى ما تقدم من أنه معصوم فيه لا يأخذه فيما أعلم منه شك ولا ريب ، بل هو فى غاية اليقين ، لكنه لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك ، وان كان عنده من علم ذلك ما ليس عند البشر ؛ لقوله ﷺ : إني لا أعلم إلا ما علمني ربي ، ولقوله ﷺ : ولا خطر على قلب بشر ، ولا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ، وقول موسى للخضر - عليهما السلام : لا ﴿ **هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدًا** ﴾[1] ، وقوله ﷺ : أسألك اللهم بأسمائك الحسنى ما علمت منها ، وما لم أعلم ، وقوله ﷺ : أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك ، وقد قال الله - تعالى : ﴿**وفوق كل ذى علمٍ عليم**﴾[2] ، قال زيد بن أسلم وغيره : حتى ينتهى العلم إلى الله - تعالى ، وهذا ما لا خفاء فيه، إذ معلوماته - تعالى - لا يحاط بها ، ولا منتهى لها ، هذا حكم عقد النبي ﷺ فى التوحيد ، والشرع ، والمعارف ، والأمور الدينية .

قال : واعلم أن الأمة مجمعة على عصمة النبي ﷺ من الشيطان وكفايته منه لا فى جسمه بأنواع الأذى ، ولا على خاطره بالوساوس ثم ذكر قوله ﷺ : ما منكم من أحد إلا وكل به قرينه من الجن ، قالوا : وإياك يا رسول الله ؟

---

(١) الكهف : ٦٦ .

(٢) يوسف : ٧٦ .

قال: وإياى ولكن الله أعاننى عليه فأسلم ، فلا يأمرنى إلا بخير ، قال : فإذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط على بني آدم ، فكيف بمن بعد عن سنته ولم يلزم شخصه ، ولا قدر على الدنوّ منه ؟

وقد جاءت الآثار بتصدي الشياطين له فى غير موطن ؛ رغبة فى إخفاء نوره وإبانة نفسه ، وإدخال شغل عليه ، إذ يئسوا من أعوانه ، فانقلبوا خاسرين؛ كتعرضه له فى الصلاة ، فأخذه النبي ﷺ وأسره .

ففى الصحاح قال أبو هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه : عن النبي ﷺ إن الشيطان عرض لى ، قال عبد الرزاق : فى صورة هرٍّ فشدَّ عليّ يقطع على الصلاة ، فأمكننى الله منه فَذَعَتُهُ ، ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية ، حتى تصبحوا تنظرون إليه ، فذكرت قول : أخى سليمان : ﴿ **رب اغفر وهب لى ملكًا** ﴾[1] الآية ؛ فرده الله خاسئًا .

وفى حديث أبي الدرداء رضى الله تبارك وتعالى عنه عن النبي ﷺ أن عدو الله ابليس جاءنى بشهاب من نار ؛ ليجعله فى وجهى ، والنبي ﷺ فى الصلاة ، وذكر تعوذه بالله منه ، ولعنه له ، ثم أردت آخذه وذكر نحوه ، وقال : لأصبحنه موثقًا يتلاعب به ولدان أهل المدينة .

وكذلك فى حديث الأسماء وطلب العفريت له بشلغه ؛ فعلمه جبريل ما يتعوذ به منه ، ذكره فى (الموطأ)[2] ، ولما لم يقدر على أذاه بمباشرته تثبت بالتوسط الى عداه كقضيته مع قريش فى الائتمار بقتل النبي ﷺ ، وتصوره فى صورة الشيخ النجدي ، ومرة أخرى يوم بدر فى صورة سراقة بن مالك ، وهو قوله تعالى ﴿ **وإذا زين لهم الشيطان أعمالهم** ﴾[3] الآية ، ومرة ينذر بشأنه

---

(١) ص : ٣٥، وتما مها :﴿ **لاينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب** ﴾ .

(٢) ورواه مسلم : فى المساجد ، باب جواز لعن الشيطان فى أثناء الصلاة ، حديث رقم (٥٤٢) .
والنسائى : ٣/ ١٣ فى السهو ، باب لعن إبليس والتعوذ منه فى الصلاه .

(٣) الأنفال : ٤٨ ، وتمامها : ﴿ **وقال لاغالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني برئ منكم إني أرى مالا ترون إنى أخاف الله والله شديد العقاب** ﴾ .

عند بيعة العقبة ، وكل هذا قد كفاه الله أمره ، وعصمه ضره ، وشره ، وقد قال ﷺ : إن عيسى – عليه السلام – كفى من لمسه ، فجاء ليطعن بيده فى خاصرته حين وُلِد فطعن فى الحجاب ، وقال ﷺ : حين لُدَّ فى مرضه وقيل له : خشينا أن يكون بك ذات الجنب ، فقال إنها من الشيطان ، ولم يكن الله ليسلطه على .

فإن قيل : فما معنى قوله – تعالى : ﴿ **فإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله** ﴾(١) الآية ، فقد قال بعض المفسرين : إنها راجعة إلى قوله : ﴿**وأعرض عن الجاهلين**﴾(٢) ، ثم قال : وإما ينزغنك أي يتسخفنك غضب يحملك على ترك الإعراض عنهم ؛ فاستعذ بالله فقيل : النزغ هنا الفساد كما قال: ﴿ **من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين أخوتي** ﴾(٣) ، وقيل : ينزغنك يغرينك ، ويحركنك ، والنزغ أدنى الوسوسة ، فأمره الله – تعالى – أنه متى تحرك عليه عدوه أو رام الشيطان من إغرائه به ، وخواطر أدنى وساوسه ، ما لم يجعل له سبيل اليه أن يستعيذ عنه فيكفى أمره ، ويكون سبب تمام عصمته ؛ إذ لم يسلط عليه بأكثر من التعرض له ، ولم يجعل له قدرة عليه ، وقد قيل فى هذه الآية غير هذا ، وكذلك لا يصح أن يتصور له الشيطان فى صورة الملك ، ويلبس عليه ، لا فى أول الرسالة ، ولا بعدها ، والاعتماد فى ذلك دليل المعجزة، بل لا يشك النبى أن ما يأتيه من الله الملك ورسوله حقيقة ، إما بعلم ضرورى يخلقه الله له ، أو ببرهان يظهره لديه ، لتتم كلمة ربك صدقًا وعدلاً ، لا مبدل لكلماته ، فانه قيل : فما معنى قوله – تعالى : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته** ﴾(٤). الآية ، فاعلم أن للناس فى هذه الآية أقاويل منها السهل ، والغث ، والسمين ، والغث ، وأولى ما يقال فيها ما عليه الجمهور من المفسرين أن التمنى هاهنا التلاوة وإلقاء الشيطان فيها اشتغاله بخواطر وأذكار من أمور الدنيا للتالى ؛ حتى يدخل عليه

---

(١) الأعراف : ٢٠٠ ، وتما مها ﴿ إنه هو السميع العليم ﴾ .

(٢) الأعراف : ١٩٩ .

(٣) يوسف : ١٠٠ .

(٤) الحج : ٥٢ ، وتمامها : ﴿ فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم﴾.

الوهم ، والنسيان ، أو يدخل عليه غير ذلك على إيهام السامعين من التحريف وسوء التأويل ما يزيله ، وينسخه ويكشف لبسه ، ويحكم آياته .

وقال أبو محمد بن حزم : الأماني الواقعة فى النفس لا معنى لها ، وقد يكون ذلك الشيء الذى يلقى الشيطان فى أمنية النبى ﷺ خوفاً من آدمى عدو له، أو تمنى إسلام مشرك قريب له لم يأذن الله بإسلامه ، أو ما أشبه هذا الله ذلك فى نفسه المقدسة ويطهرها منه .

قال : وأما الحديث الذى ذكر فيه وأنهن الغرانيق العلى وكذب مختلف موضوع بلا شك ، ولم يصح قط ، بطريق النقل ، فلا معنى للاشتغال به ، قال القاضى عياض : وقد حكى السمرقندي إنكار قول من قال : سلط الشيطان على ملك سليمان وغلبه عليه ، وإن مثل هذا لا يصح ، وقال مكى فى قصة أيوب - عليه السلام - وقوله : ﴿ **إني مسني الشيطان بنصبٍ وعذاب** ﴾[(١)] ، لا يجوز لأحد أن يقال : أن الشيطان هو الذى أمرضه ، وألقى الضر فى بدنه ، ولا يكون ذلك إلا بفعل الله - تعالى ، وأمره ليبتليهم ، ويثبتهم ، وقال مكي : وقيل : إن الذى أصابه الشيطان ما وسوس به إلى أهله ، فإن قلت : فما معنى قوله تعالى عن يوشع : ﴿ **وما أنسانيه إلا الشيطان** ﴾[(٢)] ، وقوله عن يوسف : ﴿ **فأنساه الشيطان ذكر ربه** ﴾[(٣)] ، وقول نبينا ﷺ حين نام عن الصلاة يوم الوادي : إن هذا وادٍ به شيطان ، وقول موسى - عليه السلام - فى وكزته : ﴿**هذا من عمل الشيطان**﴾[(٤)] ، فاعلم أن هذا الكلام قد يرد فى جميع هذا على مورد مستمر فى كلام العرب فى وصفهم كل قبيح من شخص ، أو فعل بالشيطان ، أو فعله ، كما قال - تعالى : ﴿**كأنه رءوس الشياطين** ﴾[(٥)] .

---

(١) ص : ٤١ .

(٢) الكهف : ٦٣ ، وتمامها : ﴿ **واتخذ سبيله فى البحر عجباً** ﴾ .

(٣) يوسف : ٤٢ ، وتمامها : ﴿ **فلبث فى السجن بضع سنين** ﴾ .

(٤) القصص : ١٥ وتمامها : ﴿ **إنه عدو مضل مبين** ﴾ .

(٥) الصافات : ٦٥ .

وأيضًا فإن قول يوشع – عليه السلام – لا يلزمنا الجواب عنه ؛ إذ لم تثبت له فى ذلك الوقت نبوة مع موسى – عليه السلام – قال الله – تعالى : ﴿**وإذ قال موسى لفتاه**﴾[1] ، المروى أنه إنما نبئ بعد موت موسى ، وقيل : قبيل موته ؛ وقول موسى كان قبل نبوته بدليل القرآن الكريم .

---

(1) الكهف : ٦٠ ، وتمامها : ﴿ لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقباً ﴾ .

بسم اللَّه الرحمن الرحيم
وبه التوفيق ومنه الإعانة(*)
وأما ذهاب الصورة المصورة بوضع يد المصطفى عليها ﷺ

فخرَّج البيهقي(١) من حديث بشر بن بكر .. قال : حدثنا الأوزاعي عن ابن شهاب أنه قال : أخبرنى القاسم بن محمد بن أبي بكر عن عائشة - رضى الله تبارك وتعالى عنها - قالت: دخل علي النبي ﷺ وأنا مستترة بقرام(٢) فيه صورة فهتكه ، ثم قال : إن أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذين يشبهون بخلق الله .

قال الأوزاعي : قالت عائشة : أتاني رسول الله ﷺ ببرنس فيه تمثال عقاب، فوضع عليه يده فأذهبه الله(٣) .

وأما إعلامه بأن الله تعالى يعطيه إذا سأل ما لم تجر به العادة

فخرَّج أبو نعيم من حديث ابن لهيعة ، عن بكير بن عبد الله الأشج ، عن الحسن بن على ، أن ابن أبي رافع حدثه : أن أبا رافع حدثه : أنه صاحب الذراع ، قال : قال رسول الله ﷺ : ناولني الذراع ، فناولته ، ثم قال : ناولني الذراع فناولته ، ثم قال : ناولني الذراع ، فقلت : يا نبي الله وللشاة غير

(*) كذا بالأصل .

(١) (سنن البيهقي) : ٧/٢٦٧ : كتاب الصداق ، باب المدعو يرى فى الموضع الذى يدعى فيه صوراً منصوبة ذات أرواح فلا يدخل .

(٢) القرام ثوب من صوف ملون ، فيه ألوان ، وهو صفيق يتخذ ستراً ، والجمع قرم (لسان العرب) : ١٢/ ٤٧٤ .

(٣) (دلائل البيهقي) : ٦/ ٨١ ، باب ماجاء فى التمثال الذى وضع عليه رسول الله ﷺ يده فأذهبه الله - عز وجل .

ذراعين؟ فقال النبي ﷺ : لو ناولتني ما زلت تناولني ، قال أبو نعيم : رواه عمرو بن الحارث، عن بكير[1] .

وله من حديث أبي جعفر الرازي ، عن داود بن أبي هند عن شرحبيل ، عن أبي رافع [قال] : دخل عليّ رسول الله ﷺ ، وقد جعلنا شاة في قدر ، فقال : يا أبا رافع ناولني الذراع ؛ فناولته ؛ فانتهشها ، ثم قال : ناولني الذراع ؛ فناولته ، ثم قال : ناولني الذراع ، فقلت : يا رسول الله إنما يكون للشاة ذراعان، فقال : لو ناولتني لم تزل تناولني ؛ حتى أسكت ، ثم قام يصلي وما مس ماءً[2] ، قال : ودخل على يومًا آخر وعندي لحم بارد فأكل منه ، ثم قام فصلى ، ولم يتوضأ .

قال أبو نعيم : رواه عن شرحبيل بن سعدة ، عن أبي رافع في أكل اللحم ، وأنه صلى ولم يتوضأ جماعة منهم أبو خالد الدالاني ، وسماك بن حرب ، وزيد ابن أبي أنيسة ، وسليمان بن أبي داود .

وخرَّج أيضًا من حديث عبد العزيز بن محمد الدراوردي ، عن فائد عن عبيد الله بن أبي رافع ، عن أبي رافع - رضي الله تبارك وتعالى عنه .

قال : أمرني رسول الله ﷺ أن أصلي له شاةً فصليتُها له ، ثم جئته بها ، فقال : ناولنى الذراع فناولته ، ثم قال : ناولنى الذراع فناولته ، ثم قال : ناولني الذراع ، فقلت : كم لها من ذراع ؟ فقال : [لو] سكتَّ لوجدتها ما دعوتُ بها[3] .

ومن حديث حماد بن سلمة ، عن عبد الرحمن بن أبي رافع ، عن عمته سلمى ، عن أبي رافع قال : دخل علينا رسول الله ﷺ وعندنا شاة مطبوخة ، فقال : يا أبا رافع ناولني الذراع فناولته ؛ فأكلها ، ثم قال : ناولني الذراع ، فناولته ؛ فأكلها ، ثم قال : ناولني الذراع ، فقلت : يا رسول الله وهل للشاة إلا ذراعان؟ فقال : لو سكت لأعطيتني أذرعًا ما دعوتها [4] .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) سبق تخريجه .

وخرَّج من حديث أبان بن يزيد عن شهر بن حوشب ، عن أبي عبيد قال : طبخت للنبي ﷺ قدراً ، فقال : ناولني الذراع ، وكان يعجبه الذراع فناولته ، ثم قال : ناولني الذراع فناولته ، ثم قال : ناولني الذراع ، فقلت : يا رسول الله ! وكم للشاة من ذراع ؟ فقال : والذى نفسي بيده لو سكتَّ ؛ لأعطيتني ما دعوت بها .

وخرج من حديث أبي مسلم الكوفي ، قال : حدثنا أبو عاصم عن محمد بن عجلان ، عن أبيه ، عن أبي هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أن شاة طبخت ، فقال رسول الله ﷺ : ناولني الذراع فناولته ، ثم قال : ناولني الذراع فناولته ، ثم قال : ناولني الذراع ؛ فقلت : يا رسول الله إنما للشاة ذراعان ، فقال: أما إنك لو التمستها لوجدتها(١).

ومن حديث طالوت بن عباد قال : حدثنا سعيد بن راشد : حدثنا محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ لم يكن يعجبه في الشاة إلا الكتف ، فذبح ذات يوم شاة ، فقال : يا غلام ائتنى بالكتف ، فأتاه بها ثم قال له أيضًا ، فأتاه بها ثم قال له أيضًا فأتاه بها ، ثم قال : يا رسول الله ، إنما ذبحت شاة وقد أتيتك بثلاثة أكتاف ، فقال رسول الله ﷺ : لو سكت لجئت بها ما دعوت بها(٢).

ومن حديث ابن كاسب قال : حدثنا ابن أبي حازم عن العلاء عن أبيه ، عن أبي هريرة ، أن النبي ﷺ دعا بذراع شاة فأكلها ، ثم دعا بذراع أخرى فأكلها، ثم دعا بذراع أخرى ، فقالوا : يا رسول الله إنما للشاة ذراعان ، فقال : والذى نفسى بيده لو سكتم لوجدتموها(٣).

وخرَّج من حديث معاوية بن يحيى الصدفى أبي روح عن الزهري ، عن خارجة بن زيد ، عن أسامة بن زيد : أن امرأة أتت النبي ﷺ بشاة مَصْلية ، فقال لى : يا أسيم ناولني الذراع ، فأصلحت الذراع فناولته فأكلها ، ثم قال لي :

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) سبق تخريجه .

يا أسيم ناولني ذراعها ، فقلت : يا رسول الله ، إنك قلت : ناولني الذراع فناولتكها ، ثم قلت : ناولني الذراع ، فناولتكها ، ثم قلت : ناولني الذراع ، وإنما للشاة ذراعان ، فقال : إنك لو لم تراجعني ثم أهويت إليها ؛ ما زلت تجد فيها ذراعًا ما قلت لك[1] .

قال أبو نعيم ووجه الدلالة من هذه الأخبار إعلامه ﷺ فضيلته بأن الله يعطيه ؛ إذا سأله ما لم تجر العادة به تفضيلاً له ، وتخصيصًا ؛ ليكون ذلك آية له في نفسه ، ورفعةً له في مرتبته ، وإبانته في الكرامة عن الخليقة ، أن لو التمس ﷺ ذراعًا ثالثة من شاة واحدة ؛ لكان الله – عز وجل – يجيبه إلى مسألته ، فأما إذا لم يسأل الله – تعالى – فالفضيلة ثابتة ، وإن كانت الآية معدومة ؛ لأنها آية عطاء الله – تعالى – نبيه ﷺ [2] .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) (دلائل أبي نعيم) : ٤٣٧/٢ ، ذكر الأخبار التي أخرجتها أسلافنا في جملة دلائله ﷺ : قصة أذرع وأكتاف الشاة ، عقب الحديث رقم (٣٤٦) ، (٣٤٧).

وأما صدق رؤياه ﷺ
عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها
فى المنام وصنع الله له فى تزويجها به
بذهاب ما كان فى نفس أبي بكر رضي الله تبارك وتعالى عنه
وعنها من عِدَة مطعم بن عدي بها لابنه

فخرَّج البخاري(1) فى كتاب النكاح فى باب النظر إلى المرأة قبل التزويج ، وخرَّج مسلم(2) فى المناقب من حديث حماد بن زيد عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة أنها قالت : قال رسول الله ﷺ : أريتك فى المنام ثلاث ليالٍ جاءني بك الملك فى سرقة من حرير ، فيقول : هذه امرأتك فأكشف عن وجهكِ فإذا أنت هى ، فأقول : إن يكن هذا من عند الله يمضه .

وقال البخاري : فقال لى : هذه امرأتك ، ولم يقل ثلاث ليال ، وخرَّجه مسلم (3) من حديث ابن نمير ، حدثنا ابن إدريس ، وأبي أسامة ، عن هشام بهذا الإسناد .

وخرَّجه البخاري فى كتاب النكاح (4) فى باب نكاح الأبكار ، وفى كتاب التعبير(5) فى باب كشف المرأة فى المنام من حديث أبى أسامة ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : أريتك فى المنام مرتين إذا

---

(1) (فتح الباري) : ٩/٢٢٥، كتاب النكاح ، باب (٣٦) النظر إلى المرأة قبل التزويج، حديث رقم (٥١٢٦) .

(2) (مسلم بشرح النووي) : ١٥ / ٢١٢، كتاب فضائل الصحابة، باب (١٣) فضل عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها ، حديث رقم .

(3) المرجع السابق، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه .

(4) (فتح الباري) : ٩ / ١٥٠، كتاب النكاح ، باب (١٠) نكاح الأبكار ، حديث رقم (٥٠٧٨).

(5) (المرجع السابق) : ١٢ / ٤٩٤، كتاب التعبير، باب (٢٠) كشف المرأة فى المنام، حديث رقم (٧٠١١) .

رجل يحملك فى سرقة حرير ، فيقول : هذه امرأتك فإذا هى أنت ، فأقول : إن يكن هذا من عند الله يمضه .

وخرَّجه أيضًا فى التعبير[1] من حديث أبي معاوية عن هشام عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : قال رسول ﷺ : أريتك قبل أن أتزوجك مرتين : رأيت الملك يحملك فى سرقة من حرير ، فقلت له : اكشف فكشف ؛ فإذا هي أنت ، فقلت : إن يكن هذا من عند الله يمضه ، ثم أريتك يحملك فى سرقة ، فقلت : اكشف فكشف ، فإذا هى أنت ، فقلت : إن يكن هذا من عند الله يمضه ، ترجم عليه باب ثياب الحرير فى المنام .

وخرَّجه فى كتاب البعث فى باب تزويج النبي ﷺ عائشة من حديث وهيب، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، أن النبي ﷺ قال لها : أريتك فى المنام مرتين ، أرى أنك فى سرقة ، ويقول : هذه امرأتك ، فاكشف عنها فإذا هى أنت ، وأقول : إن يك هذا من عند الله يمضه .

وخرَّج الإمام أحمد [2] من حديث محمد بن بشر ، حدثنا محمد بن عمرو ، حدثنا أبو سلمة ويحيي ، قالا : لما هلكت خديجة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بنِ مظعون ، فقالت : يا رسول الله ألا تزوج ؟ قال : من؟ قالت : إن شئت بكراً ، أو إن شئت ثيبًا . قال : فمن البكر ؟ قالت : بنت أحب خلق الله إليك ، عائشة بنت أبي بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنهما ، قال : ومن الثيب ؟ قالت : سودة بنت زمعة ، قد آمنت بك ، واتبعتْك على ما تقول ، قال : فاذهبي فاذكريهما علي ، فدخلت بيت أم رومان[3] ، فقالت : يا أم رومان ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة ؟ قالت : وما ذاك ؟ قالت : أرسلنى رسول الله أخطب عليه عائشة ، قالت :

---

(١) (فتح الباري) : ١٢ / ٤٩٤، كتاب التعبير ، باب (٢١) ثياب الحرير فى المنام ، حديث رقم (٧٠١٢).

(٢) (مسند أحمد) : ٧ / ٣٠١ - ٣٠٢ ، حديث رقم (٢٠٢٤١) من حديث السيدة عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها .

(٣) كذا في (الأصل) ، وفي (المسند) : "بيت أبي بكر " .

انتظرى أبا بكر حتى يأتي ، فجاء أبو بكر - رضـي اللـه تبارك وتعالى عنـه ، فقالت : يا أبا بكر ، ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة ؟

قال : وما ذاك ؟ قالت : أرسلنى رسول الله أخطـب عائشـة ، قـال : وهـل تصلح له ، إنما هى بنت أخيه ، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلـك لـه ، فقال : انتظري ، وعندما خرجت خولة ، قالت أم رومـان : إن مطعم بـن عدي كان قد ذكرها على ابنه ، فوالله ما وعد وعدًا فأخلفـه لأبـي بكـر - رضـي اللـه تبارك وتعالى عنه ، فدخل أبو بكـر - رضـى اللـه تبارك وتعـالى عنـه - علـى مطعم بن عدي ، وعنده امرأته أم الفتى ، فقالت : يا ابن أبي قحافة لعلك مصـب صاحبنا مدخله فى دينك الذى أنت عليه إن تزوج إليك ، [قال أبو بكر - رضى الله تبارك وتعالى عنه - للمطعم بن عدي : أقول هذه تقـول ، قـال : أنهـا تقـول ذلك] (١) ؛ فخرج من عنده وقد أذهب الله ما فى نفسه مـن عدتـه التـى وعده ؛ فرجع ، فقال لخولة : ادعى لى رسـول الله ﷺ ، فدعـته فزوجـها إيـاه وعـائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - يومئذ بنت ست سنين ، ثم خرجت ، فدخلت على سودة بنت زمعة ، فقالت : ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة ؟ قالت: وما ذاك؟ قالت: أرسلنى رسول الله ﷺ أخطبك عليه ، قالت: وددت أدخلي على أبي فاذكرى له ذلك ، وكان شيخًا كبيرًا قد أدركته السن وتخلف عن الحج .

فدخلت عليه فحيته بتحية الجاهلية ، فقـال : مـن هـذه ؟ فقـال : خولـة بنـت ابنة حكيم ، قال : فما شأنك ؟ قالت : أرسلنى محمد بـن عبـد اللـه أخطـب عليـه سودة ، قـال : كفـؤ كريـم ، فمـاذا تقـول صـاحبتك ؟ قـالت : تحـب ذاك ، قـال : ادعها إلى فدعتها ، فقال : أى بنية ، إن هـذه تزعـم أن محمـد بـن عبـد اللـه بـن عبدالمطلب أرسل يخطبك ، وهو كفـؤ كريـم . أتحبيـن أن أزوجـك بـه ؟ قـالت : نعم، قال : ادعيه لى ، فجاء رسول الله ﷺ فـزوجـها إياه ؛ فجـاء أخوهـا عبـد الله بن زمعة من الحج ، فجعل يحثى التراب فى رأسه ، فقال : بعد مـا أسلم : لعمرك إني لسفيه يوم أحثي فى رأسى التراب أن تـزوج رسـول اللـه ﷺ سـودة بنت زمعه.

---

(١) ما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (المسند) .

قالت عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها : فقدمنا المدينة فنزلنا فـى بنـي الحارث بن الخزرج بالسنح ، قالت : فجاء رسول الله ﷺ فدخل بيتنـا ، واجتمـع إليه رجال من الأنصار ونساء فجاءتنى أمي ، وأنى لفـي أرجـوحة [بين عذقيـن] ترجح بي ، فأنزلتني من الأرجوحة ، ولي جميمة(١) ، ففرقتها ، ومسحت وجهي بشئ من ماء ، ثم أقبلت تقودنى حتى وقفت عند الباب ، وإني لأنهج حتـى سكن من نفسي ، ثم دخلت ، فإذا رسول الله ﷺ جالس على سرير فـى بيتنـا ، وعنـده رجال ونساء من الأنصار ، فأجلسني فى حجره ، ثم قالت :هـؤلاء أهلـك فبـارك الله لك فيهم ، وبارك لهـم فيـك ، فوثـب الرجـال والنسـاء ، وخرجـوا وبنـي بـي رسول الله ﷺ فى بيتنا ما نحرت على جـزور ، ولا نحـرت شـاة ، حتـى أرسـل إلينا سعد بن عبادة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - بجفنـة ، كـان يرسـل بهـا إلى رسول الله ﷺ إذا دار إلى نسائه ، وأنا يومئذ بنت تسع سنين .

---

(١) خصلة شعر صغيرة .

وأما تعليم الله تعالى له جواب ما يسأله عنه السائلون في مقامه فيه الذي قام ﷺ

فخرَّج البخاري فى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة[١] ، وفى كتاب العلم[٢] فى باب الغضب فى الموعظة والتعليم ، وخرَّج مسلم[٣] كلاهما من حديث أبي أسامة عن بريد بن أبي بردة ، عن أبي موسى - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : سئل النبي ﷺ عن أشياء كرهها ، فلما أكثر عليه غضب ، ثم قال للناس : سلوا عما شئتم ، فقام رجل فقال : من أبي يا رسول الله ؟ قال : أبوك حذافة ، فقام آخر ، فقال : من أبي يا رسول الله ، قال: أبوك سالم مولى شيبة ، فلما رأى عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ما فى وجه رسول الله ﷺ

---

(١) حديث رقم (٧٢٩١) باب (٣) ما يكره من كثرة السؤال ، وتكلف ما لا يعنيه .

(٢) حديث رقم (٩٢) .

(٣) حديث رقم (٢٣٦٠) باب (٣٧) توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله ، قال الإمام النووي : مقصود أحاديث الباب أنه ﷺ نهاهم عن إكثار السؤال ، والابتداء بالسؤال عما لا يقع ، وكره ذلك لمعان:

منها : أنه ربما كان فى الجواب ما يكره السائل ويسوؤه ؛ ولهذا أنزل الله - تعالى : **﴿يا أيها الذين آمنو لا تسألو عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾** ، كما صرح به فى الحديث فى سبب نزولها .

ومنها : أنه ربما كان سببًا لتحريم شيء على المسلمين فيلحقهم به المشقة ، وقد بين هذا بقولة ﷺ : أعظم المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم على المسلمين ؛ فحرم عليهم من أجل مسألته .

ومنها : أنهم ربما أحفوه ﷺ بالمسألة والحفوة المشقة والأذى ؛ فيكون ذلك سبباً لهلاكهم . (مسلم بشرح النووي) .

من الغضب ، قال : يا رسول الله إنا نتوب إلى الله ، وخرَّج مسلم في المناقب من حديث ابن وهب ، قال : أخبرني يونس عن ابن شهاب[1] .

وخرَّج البخاري[2] في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة من حديث شعيب عن الزهري ، ومن حديث عبد الرزاق : أنبأنا معمر عن الزهري ، قال : أخبرنى أنس بن مالك أن النبي ﷺ خرج حين زاغت الشمس ، فصلى الظهر ، فلما سلم قام على المنبر ، فذكر الساعة ، وذكر أن بين يديها أمورًا عظامًا ، ثم قال : من أحب أن يسأل عن شيء ؛ فليسأل عنه ، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به ما دمت فى مقامى هذا .

قال أنس : فأكثر الناس البكاء حين سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ ، وأكثر رسول الله ﷺ أن يقول : سلوني ، قال أنس : فقام إليه رجل ، فقال : أين مدخلى يا رسول الله ؟ قال : النار ، فقام عبدالله بن حذافة ، فقال : من أبي يا رسول الله ؟ قال : أبوك حذافة ، قال : ثم أكثر أن يقول : سلوني ، قال : فبرك عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - على ركبتيه ، فقال : رضينا بالله ربًا ، وبالإسلام دينا وبمحمد رسولاً .

قال : فسكت رسول الله ﷺ حين قال عمر ذلك ، ثم قال النبي ﷺ : والذي نفسى بيده لقد عرضت على الجنة والنار آنفًا فى عرض هذا الحائط ، وأنا أصلى ؛ فلم أرَ كاليوم فى الخير والشر .

وزاد هشام بعقبه ، قال ابن شهاب : أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال : قالت أم عبد الله بن حذافة لعبد الله بن حذافة : ما سمعت بابن قط

---

(١) عن ابن شهاب أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن، وسعيد بن المسيب قالا: كان أبو هريرة يحدث أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم ؛ فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم، حديث رقم (١٣٣٧) .

(٢) (فتح الباري) : ١٣ / ٣٢٩، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب (٣) ما يكره من كثرة السؤال، ومن تكلف ما لا يعنيه ، وقوله تعالى : ﴿ **لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم** ﴾، حديث رقم (٧٢٩٤) .

أعق منك ! أأمنت أن تكون أمك قارفت بعض ما يقارف نساء أهل الجاهلية ، فتفضحها على أعين الناس؟ قال عبدالله بن حذافة : والله لو أحلقني بعبد أسود للحقته .

ولم يذكر مسلم في حديثه قوله ، فقام إليه رجل ، فقال : أين مدخلي يا رسول الله ؟ قال : النار ، ولا ذكر البخاري قوله حين سمعوا ذلك من رسول الله .

وخرَّج مسلم من حديث عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، ومن حديث أبي اليمان قال : أخبرنا شعيب كلاهما ، عن الزهري ، عن أنس - رضي الله تبارك وتعالى عنه ، عن النبي ﷺ بهذا الحديث ، وحديث عبيد الله معه غير أن شعيبًا قال : عن الزهري ، قال : أخبرنا عبيد الله بن عبدالله ، قال : حدثني رجل من أهل العلم أن أم عبدالله قالت مثل حديث يونس .

وذكره البخاري[1] أيضًا في كتاب الصلاة في باب وقت الظهر بعد الزوال [وقال جابر : كان النبي ﷺ يصلي بالهاجرة][2] من حديث أبي اليمان ، قال : أخبرني شعيب عن الزهري ، قال : أخبرني أنس بن مالك ، وذكر الحديث بنحو ما تقدم ، وقال فيه : فذكر أن فيها أمورًا عظامًا ، وقال : فقام عبدالله بن حذافة السهمي ، وقال : وبمحمدٍ نبيًا ، ولم يذكر فيه سؤال الرجل له ، والذى نفسي بيده ولا ذكر الزيادة التى زادها مسلم بعقبة .

وذكره البخاري[3] أيضًا في كتاب العلم في باب من برك على ركبتيه عند العالم والمحدث ، ولفظه أن رسول الله ﷺ خرج ، فقام عبد الله بن حذافة ، فقال : من أبي ، فقال : أبوك حذافة ، ثم أكثر أن يقول : سلوني ؛ فبرك عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - على ركبتيه فقال : رضينا بالله ربًا وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا ؛ فسكت .

---

(١) حديث رقم (٥٤٠).

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (صحيح البخاري) .

(٣) حديث رقم (٩٣) .

وخرَّج مسلم[1] فى المناقب من حديث النضر بن شميل ، قال شعبة : حدثنا موسى بن أنس ، عن أنس بن مالك قال : بلغ رسول الله ﷺ عن أصحابه شيء، فخطب ، فقال : عرضت عليَّ الجنة والنار ، فلم أر كاليوم فى الخير والشر ، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ، ولبكيتم كثيرًا ، قال : فما أتى على رسول الله ﷺ يوم أشد منه ، قال : فغطوا رؤوسهم ولهم خنين ، قال : فقام عمر ، فقال: رضينا بالله ربًا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمد نبيًا .

قال : فقام ذلك الرجل ، فقال : من أبي ؟ قال : أبوك فلان ، قال : فنزلت هذه الآية : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تُبد لكم تسؤكم** ﴾[2].

وخرَّجه أيضًا من حديث روح بن عبادة[3] قال : حدثنا شعبة ، قال : أخبرني موسى بن أنس ، قال : سمعت أنس بن مالك يقول : قال رجل : يا رسول الله من أبي ؟ قال : أبوك فلان ، قال : فنزلت : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم** ﴾ تمام الآية .

وخرجه البخاري[4] فى التفسير من حديث منذر بن الوليد بن عبد الرحمن ابن الجارود أخبرنا أبي ،حدثنا حدثنا شعبة ، عن موسى بن أنس ، عن أنس ، قال: خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط ، قال : لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ، ولبكيتم كثيرًا ، قال : فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم خنين ، فقال رجل : من أبي ؟ قال : فلان ، فنزلت هذه الآية : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم** ﴾ ، رواه أبو النضر وروح ابن عُبادة ، عن شعبة ، ذكره فى تفسير سورة المائدة .

---

(١) باب (٣٧) توقيرة ﷺ ، وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، أو ما لا يتعلق به تكليف، حديث رقم (٢٣٥٩) .

(٢) المائدة : ١٠١ .

(٣) حديث رقم (١٣٥) من الباب السابق .

(٤) تفسير سورة المائدة، باب (١٢) ﴿ **ولا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم** ﴾ ، حديث رقم (٤٦٢١) .

وخرَّج في كتاب الاعتصام[1] من حديث روح بن عبادة ، قال : حدثنا شعبة ، قال : أخبرني موسى بن أنس ، قال : سمعت أنس بن مالك يقول : قال رجل : يا رسول الله من أبى ، قال : أبوك فلان ، قال : ونزلت ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم** ﴾ الآية .

وخرَّج مسلم[2] فى المناقب من حديث عبد الأعلى ، عن سعيد ، عن قتادة، عن أنس بن مالك أن الناس سألوا نبي الله ﷺ حتى أحفوه بالمسألة ؛ فحرج ذات يوم ، فصعد المنبر ، فقال : سلونى ، لا تسألوني عن شيء إلا بينته لكم ، فلما سمع ذلك القوم ؛ أرموا ورهبوا أنٍ يكون بين يدى أمر قد حضر .

قال أنس : فجعلت ألتفت يمينًا وشمالاً ، فإذا كل رجل لاف رأسه فى ثوبه يبكى ، فأنشأ رجل من المسجد كان يلاحى ، فيدعى لغير أبيه ، قال : يا نبى الله، من أبى ؟ قال : أبوك حذافة ، ثم أنشأ عمر بن الخطاب - رضي الله تبارك وتعالى عنه ، فقال : رضينا بالله ربًا ، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولاً عائذًا بالله من سوء الفتن .

فقال رسول الله ﷺ : لم أر كاليوم قط فى الخير والشر، إنى صورت لي الجنة والنار ؛ فرأيتهما دون هذا الحائط .

وخرَّجه أيضًا من حديث خالد يعني ابن الحارث [3] ، ومحمد بن بشار حدثنا محمد بن أبي عدي كلاهما عن هشام .

وفى حديث معتمر قال : سمعت أبي ، قالا جميعًا : حدثنا قتادة عن أنس بهذه القصة .

وخرَّج البخاري[4] فى كتاب الدعاء فى باب التعوذ من الفتن من حديث هشام ، عن قتادة ، عن أنس قال : سألوا النبي ﷺ حتى أحفوه بالمسألة ؛

---

(١) باب (٣) ما يكره من كثره السؤال ومن تكلف مالايعنيه، وقوله تعالي: ﴿ **ولا تسألواه عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم** ﴾ حديث رقم (٧٢٩٥) .

(٢) باب (٣٧) توقيره ﷺ ، وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه ، ألا يتعلق به بتكليف ، حديث رقم (١٣٧).

(٣) الحديث الذى يلى حديث رقم (١٣٧) ، بدون رقم . =

فغضب، فصعد المنبر فقال : لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بينته لكم ، فجعلت أنظر يمينًا وشمالاً ؛ فإذا كل رجل لاف رأسه في ثوبه يبكي ، فإذا رجل كان إذا لاحى يدعى إلى غير أبيه ، فقال : يا نبي الله من أبي ؟ قال : أبوك حذافة ، ثم أنشأ عمر ، فقال : رضينا بالله ربًا ، وبالإسلام دينـًا ، وبمحمد رسولاً ، نعوذ بالله من سوء الفتن .

فقال النبي ﷺ : ما رأيت في الخير والشر كاليوم قط صورت لي الجنة والنار ؛ حتى رأيتهما وراء الحائط .

وكان قتادة يذكر هذا الحديث عند هذه الآية : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم** ﴾ .

وفي حديث سعيد حدثنا قتادة أن أنسًا حدثهم عن نبي الله ﷺ بهذا ، وقال : عائذًا بالله من سوء الفتن ، أو قال : أعوذ بالله من سوء الفتن .

ومن حديث معتمر عن أبيه قال قتادة : أن أنسًا حدثهم عن النبي ﷺ بهذا ، وقال : عائذًا بالله من شر الفتن .

وذكره البخاري (١) أيضاً في كتاب الصلاة في باب رفع البصر إلى الإمام من حديث محمد بن سنان حدثنا فليح ، حدثنا هلال بن علي عن أنس بن مالك ، قال : صلى لنا النبي ﷺ ثم رقى ، فأشار بيده قبل قبلة المسجد ، ثم قال : لقد رأيت الآن منذ صليت لكم الصلاة الجنة والنار ممثلتين في قبلة هذا الجدار ، فلم أر كاليوم في الخير والشر ، ثلاثًا ، وذكره في كتاب الرقاق (٢) .

قال أبو نعيم فأظهر ﷺ نعمة الله – تعالى – لديه في تعليمه إياه جواب سؤال السائلين لو سألوه في مقامه ذلك ، فلو سئل لورد جواب مسألتهم حسب ما سبق من الله له الوعد به .

= (٤) حديث رقم (٦٣٦٢). وقولة : إذا لاحى بمهملة خفيفة أي خاصم ، وفي الحديث : أن غضب رسول الله ﷺ لا يمنع من حكمه ، فإنه لا يقول إلا الحق في الغضب والرضا ، وفيه فهم عمر – رضي الله تبارك وتعالى عنه – وفضل عمله . (فتح الباري).

(١) حديث رقم (٧٤٩) .

(٢) باب (١٨) القصد والمداومة على العمل ، حديث رقم (٦٤٦٨) .

فالفضيلة بموعود الله له تأتيه ، وإن لم يُسأل ، فزاده الله بها بصيرة وثقة بربه - تعالى ، وازداد المؤمنون إيمانًا ، وثباتًا على ما عهدوا من صدق دعوته ﷺ .

وقال ابن عبدالبر : وأما قوله ﷺ إني رأيت الجنة ، ورأيت النار ، فالآثار فى رؤيته لهما كثيرة ، وقد رآهما مرارًا على ما جاءت به الآثار عنه ، وعند الله علم كيفية رؤيته لهما ، فممكن أن يمثلا له فينظر إليهما بعيني وجهه كما مثل له بيت المقدس حين كذبه الكفار فى الإسراء فنظر إليه ، وجعل يخبرهم عنه ، وممكن أن يكون ذلك برؤية القلب ، والظاهر هو أنه رأى الجنة والنار رؤية عين ، وتناول من الجنة عنقودًا ، ويؤيد ذلك قوله فيه : لم أر كاليوم منظرًا قط ، وحق النظر إذا أطلق ، والرؤية أن لا يتبعوا بهما رؤية العين لا يدل بدليل على أن الجنة والنار مخلوقتان .

وأما إشارته إلى أبي هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه حتى أنه لم ينس بعد ذلك شيئًا حفظه منه

فخرَّج البخاري ومسلم من حديث سفيان بن عيينة ، وقال النسائي فى سياقته عن سفيان قال : حدثنا الزهري ، قال : سمعت أبا هريرة يقول ، قال مسلم فى سياقته عن سفيان ، عن الزهري ، عن الأعرج ، قال : سمعت أبا هريرة يقول ، وقال البخاري فى سياقته عن سفيان حدثنا الزهري .

أنه سمعه من الأعرج يقول : أخبرني أبو هريرة ، قال : إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ والله الموعد أنني كنت أمرأً مسكينًا ألزم رسول الله ﷺ .

وقال النسائي : أصحب رسول الله ﷺ ، وقال مسلم : أخدم رسول الله ﷺ على ملء بطنى ، وكان المسلمون يشغلهم الصفق بالأسواق ، وكان الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم ؛ فشهدت من رسول الله ﷺ ذات يوم ، وقال : من يبسط رداءه ؛ حتى أقضى مقالتي فلا ينسى شيئًا سمعه منى ، فبسطت بردة

كانت على ، قال النسائي : حتى قضى رسول الله ﷺ مقالته ، ثم قبضتها إلى . وقال مسلم : فبسطت ثوبي حتى قضى حديثه ، ثم ضممته إلي .

قال البخاري والنسائي : فوالذى بعثه بالحق ما نسيت شيئاً ، ولم يقل مسلم: فوالذى بعثه بالحق . قال : فما نسيت شيئًا سمعته منه.

ذكر النسائي[1] هذا الحديث فى كتاب العلم فى باب حفظ العلم ، وذكره مسلم[2] فى كتاب المناقب .

وذكره البخاري[3] فى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة فى باب الحجة على من قال إنَّ أحكام النبي ﷺ ظاهرة ، وما كان بعضهم يغيب عن مشاهد النبي ﷺ وأمور الإسلام .

وخرَّجه مسلم[4] أيضًا من حديث معن ، عن مالك ، ومن حديث عبدالرزاق ، قال : أخبرنا معتمر - كلاهما - عن الزهري ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه ، ولم يذكر فى حديثه الرواية عن النبي ﷺ من بسط ثوبه إلى آخره .

وخرجه البخاري[5] فى كتاب الحرث والمزارعة فى باب ما جاء فى الغرس ، من حديث إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة - رضى الله تبارك وتعالي عنه - قال : يقولون : إن أبا هريرة يكثر الحديث والله الموعد ، ويقولون : ما للمهاجرين والأنصار لا يحدثون مثله كان يشغلهم الصفق ، وإن إخوتى من الأنصار كان يشغلهم عمل أموالهم ، وكنت امرأ مسكينًا ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني ، فأحضر حين يغيبون ، وأعى حين ينسون .

---

(١) لعله فى الكبرى .

(٢) باب (٣٥) من فضائل أبي هريرة الدوسى - رضي الله تبارك وتعالى عنه ، حديث رقم (٢٤٩٢).

(٣) حديث رقم (٧٣٥٤) .

(٤) الحديث الذى يلى حديث رقم (٢٤٩٢)، بدون رقم .

(٥) حديث رقم (٢٣٥٠) .

وقال النبي ﷺ يومًا : لن يبسط أحد منكم ثوبه حتى أقضي مقالتي هذه ، ثم يجمعه إلى صدره ، فينسى من مقالتي شيئًا أبداً ، فبسطت نمرة ليس على ثوب غيرها حتى قضى النبي ﷺ مقالته ، ثم جمعتها إلى صدري ، فوالذى بعثه بالحق ما نسيتُ من مقالته تلك إلى يومى هذا ، والله لولا آيتان فى كتاب الله ما حدثتكم شيئًا أبدًا ﴿ **إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى** ﴾ إلى قوله : ﴿ **الرحيم** ﴾ .

وخرَّج البخاري[1] والنسائي من حديث مالك عن ابن شهاب ، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال : إن الناس يقولون : أكثر أبو هريرة ، ولولا آيتان فى كتاب الله ما حدثت حديثًا ، ثم يتلون ﴿ **إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى** ﴾ ، إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق ، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل فى أموالهم ، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ يشبع بطنه ، ويحضر ما لا يحضرون ، ويحفظ ما لا يحفظون .

وقال النسائي : ويقول على أثر الآيتين إن إخواننا من الأنصار... الحديث، وقال فيه : فيحضر ما لا يحضرون ، ذكره البخاري فى كتاب العلم [2] .

---

(١) (فتح الباري) : ١ / ٢٨٥ ، كتاب العلم، باب (٤٢) حفظ العلم ، حديث رقم (١١٨) .

(٢) (فتح الباري) : ١ / ٢٨٥ ، كتاب العلم ، باب (٤٢) حفظ العلم ، حديث رقم (١١٨) قال الحافظ فى (الفتح) : وقد روى البخاري فى (التاريخ) ، والحاكم فى (المستدرك) من حديث طلحة بن عبيد الله – رضي الله تبارك وتعالى عنه – شاهداً لحديث أبى هريرة هذا، ولفظه : لا أشك أنه سمع من رسول الله ﷺ مالاتسمع ،وذلك أنه كان مسكيناً لاشئ له ، ضيفاً لرسول الله ﷺ .

واخرج البخارى فى (التاريخ) ، والبيهقي فى المدخل ، من حديث محمد بن عمارة بن حزم ، أنه قعد فى مجلس فيه مشيخة من الصحابة بضعه عشر رجلاً، فجعل أبو هريرة يحدثهم عن رسول الله ﷺ بالحديث فلا يعرفه بعضهم، فيراجعون فيع حتى يعرفوه، ثم يحدثهم بالحديث كذلك حتى فعل مراراً، فعرفت يومئذ أن أبا هريرة أحفظ الناس .

وخرَّج مسلم بعد حديث سفيان بن عيينة المفتتح به ، وبعد ما دكر من حديث مالك ، ومعمر عن الزهري حديث ابن وهب قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب أن عروة بن الزبير حدثه أن عائشة ﷺ قالت : ألا يعجبك أبو هريرة ؟ جاء ، فجلس إلى جانب حجرتي يحدث عن رسول الله ﷺ يسمعني ، وكنت أسبح ، فقام قبل أن أقضي سبحتي ، ولو أدركته لرددت عليه أن رسول الله ﷺ لم يكن يسرد الحديث كسردكم[1] .

قال ابن شهاب : وقال ابن المسيب : إن أبا هريرة قال : يقولون : أن أبا هريرة قد أكثر والله الموعد ، ويقولون : ما بال المهاجرين والأنصار لا يتحدثون بمثل أحاديثه ، وسأحدثكم عن ذلك إن إخوانه من الأنصار كان يشغلهم عمل أرضهم ، وإن أخوانه من المهاجرين ، كان يشغلهم الصفق بالأسواق ، وكنت ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني ، فأشهد إذا غابوا ، وأحفظ إذا نسوا، ولقد قال رسول الله ﷺ يومًا : أيكم يبسط ثوبه ، فيأخذ مني حديثي هذا ، ثم يجمعه إلى صدره ، فإنه لن ينسى شيئًا سمعه ، فبسطت بردة علي حتى فرغ من حديثه ، ثم جمعتها إلى صدري ، فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئًا حدثني به ، ولولا آيتان أنزلهما الله – عز وجل – في كتابه ما حدثت شيئًا أبدًا ﴿**إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى**﴾[2] إلى آخر الآيتين[3] .

---

(1) (مسلم بشرح النووي) : ١٦ / ٨٦ ، كتاب فضائل الصحابة، باب (٣٥) من فضائل أبي هريرة الدوسي – رضى الله تبارك وتعالى عنه – حديث رقم (٢٤٩٢) .

(2) البقرة : ١٥٩ – ١٦٠، وتمامها: ﴿ **من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون * إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم** ﴾.

(3) (مسلم بشرح النووي) : ١٦/ ٢٨٦ – ٢٨٧، كتاب فضائل الصحابة باب (٣٥) من فضائل أبي هريرة الدوسي – رضي الله تبارك وتعالى عنه، حديث رقم (٢٤٩٢) .

وخرّج فى المناقب[1] بعد ما تقدم له من الروايات فى هذا الباب من حديث أبي اليمان عن شعيب ، عن الزهري قال : أخبرني سعيد بن المسيب ، وأبو سلمة بن عبدالرحمن أن أبا هريرة قال : إنكم تقولون : إن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ وتقولون : ما بال المهاجرين والأنصار لا يحدثون عن رسول الله ﷺ بمثل حديث أبي هريرة ؟ وإن إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم صفق بالأسواق ، وكنت ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني ، فأشهد إذا غابوا ، وأحفظ إذا نسوا .

وكان يشغل إخوتي من الأنصار عمل أموالهم ، وكنت امرأ مسكيناً من مساكين الصفة أعي حين ينسون ، وقد قال رسول الله ﷺ فى حديث يحدثه : أنه لن يبسط أحد ثوبه حتى أقضي مقالتى هذه ، ثم يجمع إليه ثوبه إلا وعى ما

---

(١) (المرجع السابق) ، الحديث الذى يلى رقم (٢٤٩٣) ، بدون رقم ، وآخر " يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ بنحو حديثهم قوله : كنت أخدم رسول الله ﷺ على ملء بطني " أى ألازمه وأقنع بقوتى ، ولا أجمع مالاً لذخيرة ولا لغيرها، ولا أزيد على قوتي .

والمراد من حيث حصل القوت من الوجوه المباحة ، وليس هو من الخدمة بالأجرة ، وقوله: " يقولون : إن أبا هريرة يكثر الحديث والله الموعد " معناه فيحاسبنى إن تعمدت كذباً، ويحاسب من ظن بي السوء وقوله : " يشغلهم ، الصفق بالأسواق" هو بفتح الياء من يشغلهم ، وحكى ضمها، وهو غريب. والصفق : هو كناية عن التبايع ، وكانوا يصفقون بالأيدى من المتبايعين بعضها على بعض . والسوق مؤنثة ، ويذكر ؛ وسميت به لقيام الناس فيها على سوقهم .

وفى هذا الحديث معجزه ظاهرة لرسول الله ﷺ فى بسط ثوب أبي هريرة . قوله : " كنت أسبح فقام قبل أن أقضى سبحتي" معنى أسبح : أصلى نافلة ، وهى السبحة بضم السين ، قيل : المراد هنا صلاة الضحى ، وقوله : " لم يكن يسرد الحديث كسردكم " أى يكثره ويتابعه والله - تبارك وتعالى - أعلم (شرح النووي) .

أقول، فبسطت نمرة على ، حتى إذا قضى رسول الله ﷺ مقالته جمعتها إلى صدرى ، فما نسيت من مقالة رسول الله ﷺ تلك من شيء[1] .

وأخرجه النسائي أيضًا فى كتاب العلم فى باب حفظ العلم من حديث شعيب عن الزهري .

وخرج البخاري فى - كتاب العلم - من حديث ابن أبي ذئب عن سعيد المقبرى ، عن أبي هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قلت : يا رسول الله ، إنى أسمع منك حديثًا كثيرًا أنساه، قال : ابسط رداءك ، فبسطته فغرف بيده ، قال : هلم ، فضممته ، فما نسيت شيئًا بعد[2] .

ومن حديث ابن أبي ذئب ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة قال : حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين ، فأما أحدهما : فبثثته ، وأما الآخر : فلو بثثته قطع هذا الحلقوم[3] .

وخرج فى كتاب العمل فى الصلاة - فى باب تفكر الرجل فى الشيء فى الصلاة ، من حديث ابن أبي ذئب ، عن سعيد المقبري قال : قال أبو هريرة : يقول الناس أكثر أبو هريرة ، فلقيت رجلاً ، فقلت : بم قرأ رسول الله ﷺ

---

(١) (فتح الباري) : ٤ / ٣٦١، كتاب البيوع وقوله تعالى : ﴿ **وأحل الله البيع وحرم الربا** ﴾ [البقرة : ٢٧٥]، وقوله تعالى ﴿ **إلا أن تكون تجاره حاضرة تديرونها بينكم** ﴾ [البقرة :٢٨٢]، باب (١) ما جاء فى قوله تعالى : ﴿ **فإذا قضيت الصلاة فأنتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون * وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين** ﴾ [الجمعه : ١٠ - ١١]، وقوله تعالى : ﴿ **لا تأكلوا أمولكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراضٍ منكم** ﴾ [النساء: ٢٩] ، حديث رقم (٢٠٤٧).

(٢) (فتح البارى) : ١ / ٢٨٦ ، كتاب العلم، باب (٤٢) حفظ العلم ، حديث رقم (١١٩) .

(٣) المرجع السابق ، حديث رقم (١٢٠) .

البارحة فى العتمة ؟ فقال : لا أدري ، فقلت : ألم تشهدها ؟ قال : بلى ، قلت : لكن أنا أدرى ، فقرأ بسورة كذا وكذا(١) .

وخرَّج الحاكم من حديث إسماعيل بن أمية أن محمد بن قيس بن مخرمة ، حدثه أن رجلاً جاء زيد بن ثابت ، فسأله عن شيء ، فقال : عليك بأبي هريرة ، فإنه بينا أنا ، وأبو هريرة ، وفلان فى المسجد ذات يوم ندعو الله ، ونذكر ربنا، خرج علينا رسول الله ﷺ ، حتى جلس إلينا ، فقال : عودوا إلى الذى كنتم فيه ، فقال زيد : فدعوت أنا وصاحبي قبل ابي هريرة ، وجعل رسول الله ﷺ يؤمن على دعائنا ، قال : ثم دعا أبو هريرة ، فقال : اللهم إنى أسألك مثل الذى سألك صاحباى هذان ، أسألك علمًا لا ينسى ، فقال رسول الله ﷺ : آمين ، فقلنا : يا رسول الله ، ونحن نسألك علمًا لا ينسى ، فقال : سبقكما بها الدوسي ، قال الحاكم : صحيح الإسناد(٢) .

ومن حديث زيد الأحوص عن زيد العمي ، عن أبي الصديق الناجي ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله ﷺ : أبو هريرة وعاء العلم (٣) .

---

(١) (فتح الباري) : ٣ / ١١٥ - ١١٦، كتاب العمل فى الصلاة ، باب (١٨) يفكر الرجل الشيء فى الصلاة، وقال عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه : إنى لأجهز جيشي وانا فى الصلاة، حديث رقم (١٢٢٣) ، وفيه الإشارة الى سبب إكثاره، وأن كان المهاجرين والأنصار كان يشغلهم المعاش ، وهذا يدل على أنه يقول هذا المقالة أما ما يريد أن يحدث به ، مما يدل على صحة إكثاره ، وعلى السبب فى ذلك ، وعلى سبب استمراره ، على التحديث ، قوله: " البارحة" أى أقرب ليلة مضت ، وفى القصة إشارة إلى سبب إكثار أبي هريرة ، وشدة أتقانه وضبطه، بخلاف غيره ، وفى هذه القصة إشار إلى سبب إكثار أبى هريرة، وشاهد الترجمة دلالة الحديث على عدم ضبط ذلك الرجل ، كأنه اشتغل بغير أمر الصلاة حتى نسى السورة التى قرئت ، أو دلالته على ضبط أبي هريرة ، كأنه شغل فكرة بأفعال الصلاة حتى ضبطها وأتقنها كذا وذكر الكرماني هذين الاحتمالين ، وبالأول جزم غيره ، والله تعالى أعلم . (فتح البارى) .

(٢) (المستدرك) : ٣/ ٥٨٢، كتاب معرفه الصحابة، حديث رقم (٦١٥٨)، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه ، وقال الحافظ الذهبي فى (التخليص) : حماد بن شعيب ضعيف .

(٣) (المرجع السابق) : حديث رقم (٦١٥٩) وسكت عنه الحافظ الذهبي فى (التلخيص) .

وقال وكيع عن الأعمش عن أبي صالح قال : كان أبو هريرة من أحفظ أصحاب رسول الله ﷺ [١] .

وقال هوذة بن خليفة حدثنا عوف عن سعيد بن الحسن ، قال : لم يكن أحد من أصحاب النبي ﷺ أكثر حديثًا عنه من أبي هريرة .

وقال جرير عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن أبي حذيفة ، قال : قال رجل لابن عمر : إن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ ، فقال ابن عمر: أعيذك بالله أن تكون فى شك مما يجيء به ، ولكنه اجترأ وجبنا[٢] .

وقال الربيع عن الشافعي : أبو هريرة أحفظ من روى الحديث فى دهره .

(١) (المرجع السابق) : حديث رقم (٦١٦١) .

(٢) (المرجع السابق) : حديث رقم (٦١٦٥) ، وسكت عنه الحافظ الذهبي فى (التلخيص) .

وأما حفظ عثمان بن أبي العاص[1] القرآن
رضي الله تبارك وتعالى عنه
بعد نسيانه بضرب الرسول ﷺ فى صدره

فخرَّج النسائي من حديث الحارث بن أبي أسامة قال :حدثنا محمد بن عمر الواقدى حدثنا عبدالله بن عبدالرحمن بن يعلى بن كعب، عن زيد بن الحكم ، عن عثمان بن أبي العاص ، قال : قلت : يا رسول الله إنى لأنسى القرآن ، قال: فضرب رسول الله ﷺ فى صدري ، ثم قال : أخرج يا شيطان من صدر عثمان؛ فما نسيت شيئًا بعد أن حفظته .

وأما هداية الله تعالى أم أبي هريرة
رضي الله تبارك وتعالى عنهما
إلى الإسلام بدعائه ﷺ
بعد ما كان ابنها يدعوها إلى ذلك فتأبى

فخرَّج مسلم من حديث عكرمة بن عمار عن أبي كثير ، قال : حدثنى أبو هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهى مشركة ، فدعوتها يومًا ، فأسمعتني فى رسول الله ﷺ ما أكره ؛ فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكى ، قلت : يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى عليّ ، فدعوتها اليوم فأسمعتنى فيك ما أكره ، فادع الله أن يهدي أم أبي

---

(١) هو عثمان بن أبي العاص الثقفي الطائفي أبو عبد الله، واستعمله النبي ﷺ على الطائف ، وأقره أبو بكر وعمر - رضى الله تبارك وتعالى عنهما - قال أبن عبد البر : هو الذى أفتتح توج واصطخر فى زمن عثمان ، قال : وهو الذى أمسك ثقيفاً عن الردة ، قال لهم : يا معشر ثقيف ! كنتم آخر الناس إسلاماً، فلا تكونوا أولهم ارتداداً .(تهذيب التهذيب) : ٧ / ١١٧ - ١١٨ ، ترجمة رقم (٢٧٠) مختصراً .

هريرة، فقال رسول الله ﷺ : اللهم اهد أم أبي هريرة ؛ فخرجت مستبشرً بدعوة نبى الله ﷺ ، فلما جئت وصرت إلى الباب ، فإذا هو مجاف ، فسمعت أمي خشفة قدمي ، فقالت : مكانك يا أبا هريرة ، وسمعت خضخضة الماء ، فاغتسلت، ولبست درعها ، وعجلت عن خمارها ، ففتحت الباب ، ثم قالت : يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله : قال : فرجعت إلى رسول الله ﷺ ، فأتيته وأنا أبكي من الفرح ، قال : قلت : أبشر قد استجاب الله دعوتك ، وهدى أم أبي هريرة ؛ فحمد الله ، وقال : خيرًا .

قال : قلت : يا رسول الله ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلى عبادة المؤمنين، ويحببهم إلينا ، قال : فقال رسول الله ﷺ : اللهم حبب عُبيدك هذا يعنى أبا هريرة ، وأمه إلى عبادك المؤمنين ، وحبب إليهم المؤمنين ، فما خلف مؤمن يسمع بي ، ولا يراني إلا أحبني[1] ، وخرَّجه البخاري فى الأدب المفرد .

وأما سلامة منديل مر على وجهه ﷺ فلم تحرقه النار لما طرح فيها

فخرَّج أبو نعيم[2] من حديث محمد بن رميح ، قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن المغيرة ، حدثنا أبو معمر عباد بن عبد الصمد ، قال : أتينا أنس بن مالك نسلم عليه ، فقال : يا جارية ، هلمى المائدة نتغدى ، فأتته بها فتغدينا ، ثم قال : يا جارية هلمى المنديل ، فأتته بمنديل وسخ ، فقال : يا جارية أسجرى التنور ، فأوقدته ، فأمر بالمنديل ، فطرح فيه ، فخرج أبيض كأنه اللبن .

فقلت : يا أبا حمزة ! ما هذا ؟ قال : هذا منديل كان رسول الله ﷺ يمسح به وجهه ، وإذا اتسخ صنعنا به هكذا ؛ لأن النار لا تأكل شيئًا مر على وجوه الأنبياء - عليهم السلام .

---

(١) (مسلم بشرح النوري) : ١٦/٢٨٤ - ٢٨٥، كتاب فضائل الصحابة ، باب (٣٥) من فضائل أبي هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه ، حديث رقم (٢٤٩١) .

(٢) لم أجده .

وأما نهضة بعير جابر بن عبد الله
رضي الله تبارك وتعالى عنه
فى مسيره بعد تخلفه وإعيائه عندما نخسه الرسول ﷺ أو ضربه

فخرَّج البخاري[1] فى كتاب الشروط من حديث أبي نعيم .

وخرَّج مسلم[2] فى كتاب البيوع من حديث عبدالله بن نمير كلاهما ، عن زكريا ، عن عامر ، قال : حدثني جابر بن عبدالله - رضي الله تبارك وتعالى

---

(١) (فتح الباري) : ٣٥ / ٣٩٣، كتاب الشروط، باب (٤) إذا اشترط البائع ظهر الدابه إلى مكان مسمى جاز ، حديث رقم (٢٧١٨) قوله : " ماكنت لآخذ جملك فخذ جملك ذلك فهو مالك " كذا وقع هنا، وقد رواه على بن عبد العزيز عن أبي نعيم شيخ البخارى فيه بلفظ : " إتراني وإنما ماكستك لآخذ جملك ؟ خذ جملك ودراهمك حمالك " أخرجة أبو نعيم فى (المستخرج) عن الطبراني عنه ، وكذا أخرجه مسلم من طريق عبد الله بن نمير عن زكريا، ولكن قال فى آخره: "فهو لك" وعليها اقتصر صاحب (العمدة) ، ووقع لأحمد عن يحى القطان عن زكريا بلفظ قال: أضننت حين ماكستك ، اذهب بجملك؟ خذ جملك وثمنه فهما لك ، وقوله : "ماكستك " هو من المماكسة أى المناقصة فى الثمن وأشار بذلك إلى ما وقع بينهما من المساومة عند البيع كما تقدم

قال ابن الجوزى : هذا من أحسن التكرم ؛ لأن من باع شيئاً هو فى الغالب محتاج لثمنه، فإذا تعوض من الثمن بقى فى قلبه من المبيع أسف على فراقه ، كما قيل :

وقد تخرج الحاجات يا أم مالك نفائس من رب بهن ضنين

فإذا رد عليه المبيع مع ثمنه ، ذهب الهم عنه وثبت فرحه ، وقضيت حاجته ، فكيف مع ما انضم إلى ذلك من الزيادة فى الثمن ؟! (فتح البارى) .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ١١/ ٣٣ - ٣٤، كتاب المساقاة، باب (٢١) بيع البعير واستثناء ركوبه ، حديث رقم (٧١٥)، قال الإمام النورى : وحديث جابر احتج به أحمد ومن وافقه فى جواز بيع الدابه ، ويشترط البائع لنفسه ركوبها، وقال مالك : يجوز ذلك إذا كانت مسافة الركوب قريبة ، وحمل هذا الحديث على هذا ، وقال الشافعي وأبو حنيفة وآخرون : لا يجوز ذلك ، سواء قلت المسافة أو كثرت، ولا ينعقد البيع، واحتجوا بالحديث السابق فى النهى عن =

عنه ، أنه كان يسير على جمل له قد أعيا فأراد أن يسيبه ، قال : فلحقني النبي ﷺ ، فدعاني ، وضربه ، فصار يسير لم يسر مثله ، قال : بعنيه بأوقية ، قال : لا ، ثم قال : بعينه بأوقية ، فبعته بأوقية ، واستثنيت عليه حملانه إلى أهلي ، فلما بلغت أتيته بالجمل ، فنقدني ثمنه ، ثم قال رجعت ، فأرسل فى أثرى . فقال: أترانى ماكستك لأخذ جملك؟ خذ جملك ودراهمك فهو لك ، هكذا سياقة مسلم .

ولم يذكر فيه البخاري ، فأراد أن يسيبه ، وقال فى آخره ثم انصرفت ، فأرسل على أثرى ، فقال : ما كنت لآخذ جملك فخذ جملك ذلك فهو مالك .

وخرَّجه النسائي من حديث يزيد ، قال : أخبرنا زكريا عن عامر ، عن جابر أنه كان يسير مع النبي ﷺ على جمل فأعيا ... الحديث ، وقال فيه : أتبيعه بأوقية ، والأوقية أربعون درهمًا ، وقال فى آخره : إنما ماكستك لأخذ جملك ، خذ جملك ودراهمك فهما لك ، ذكره فى الجهاد .

وخرج بعد حديثه من حديث عيسى بن يونس ، عن زكريا ، عن عامر ، قال : حدثنى جابر بن عبد الله - رضى الله تبارك وتعالى عنه - بمثل حديث ابن نمير، وترجم البخاري على حديثه : باب اشتراء البائع ظهر الدابة إلى مكان مسمى ، وقال بعد هذا الحديث : وقال شعبة : عن مغيرة ، عن عامر ، عن جابر : أفقرني رسول الله ﷺ ظهره إلى المدينة ، وقال إسحاق : عن جرير ، عن مغيرة : على أن لى فقار ظهره حتى أبلغ المدينة .

وقال عطاء وغيره : ولك ظهره إلى المدينة ، وقال محمد بن المنكدر [1] عن جابر شرط ظهره إلى المدينة ، وقال زيد بن أسلم عن جابر : ولك ظهره حتى ترجع .

وقال أبو الزبير عن جابر : أفقرناك ظهره إلى المدينة ، وقال الأعمش : عن سالم ، عن جابر ، تبلغ عليه إلى أهلك ، قال أبوعبد الله : الاشتراء أكثر

= بيع الثنيا، وبالحديث الآخر فى النهى عن بيع وشرط ، وأجابوا عن حديث جابر بأنها قضية عين تتطرق إليها الاحتمالات : قالوا : ولأن النبي ﷺ أراد أن يعطيه الثمن ، ولم يرد حقيقة البيع، قالوا: ويحتمل أن الشرط كان سابقاً، فلم يؤثر، ثم تبرع ﷺ بإركابه . (شرح النووي) .

(١) زيادة للسياق من (البخاري) .

وأصح عندي . وقال عبدالله ، وابن إسحاق عن وهب ، عن جابر : واشتراه النبي ﷺ بأوقية ، وتابعه زيد بن أسلم ، عن جابر ، وقال ابن جريج : عن عطاء وغيره ، عن جابر : وأخذته بأربعة دنانير ، وهذا يكون أوقية على حساب الدينار بعشرة .

ولم يبين الثمن مغيرة عن الشعبي ، عن جابر وابن المنكدر ، وأبو الزبير، عن جابر ، وقال الأعمش : عن سالم ، عن جابر ، وفيه ذهب .

وقال أبو إسحاق : عن سالم ، عن جابر بمائتى درهم ، وقال داود بن قيس: عن عبدالله بن مقسم ، عن جابر اشتراه بطريق تبوك ، أحسبه قال : بأربعة أواق ، وقال أبو نضرة ، عن جابر : اشتراه بعشرين دينارًا ، وقول الشعبى : بأوقية أكثر[١] .

وخرَّج البخاري[٢] فى كتاب الجهاد ، ومسلم[٣] فى البيوع من حديث جرير، عن مغيرة ، عن الشعبى ، عن جابر بن عبدالله ، قال : غزوت مع

---

(١) (فتح الباري): ٥ / ٣٩٣-٣٩٤ كتاب الشروط، باب (٤) إذا اشترط البائع ظهر الدابة إلى مكان مسمى جاز ، باقى روايات وسياقات الحديث رقم (٢٧١٨).

(٢) (فتح الباري) : ١٤٩/٦-١٥٠، كتاب الجهاد والسير ، باب (١١٣) استئذان الرجل الإمام لقوله: ﴿ **إنما المؤمنون الذين آمنو بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسولة فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم** ﴾ [النور : ٦٢] ، حديث رقم (٢٩٦٧) .

قولة : "باب استئذان الرجل " أى من الرعية " الإمام" أى فى الرجوع أو التخلف عن الخروج أو نحو ذلك . قوله : ﴿ **إنما المؤمنون الذين آمنو بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه** ﴾ قال ابن التين: هذه الآية احتج بها الحسن على أنه ليس لأحد أن يذهب من العسكر حتى يستأذن الأمير، وهذا عند سائر الفقهاء كان خاصاً بالنبى ﷺ، كذا قال ، والذى يظهر أن الخصوصية فى عموم وجوب الاستئذان، وإلا فلو كان ممن عينه الإمام ، فطرأ له ما يقضى التخلف أو الرجوع ؛ فإنه يحتاج الى الإستئذان . =

رسول الله ﷺ فتلاحق بي وتحتى ناضح لى قد أعيا ، وقال البخاري : قال : فتلاحق بى النبي ﷺ وأنا على ناضح لنا قد أعيا فلا يكاد يسير ، قال : فقال لي: ما لبعيرك ؟ قال : قلت : عليل ، وقال البخاري : قال : قلت : عيى ، قال : فتخلف رسول الله ﷺ فزجره ، ودعا له فما زال بين يدى الإبل قدامها يسير ، قال : فقال لى : كيف ترى بعيرك ؟ قلت : بخير ، قد أصابته بركتك ، قال : أفتبعينه ؟ قال : فاستحييت ، ولم يكن لنا ناضح غيره ، قال : فقلت : نعم ، فبعته إياه على أن لى فقار ظهره حتى أبلغ المدينة ، قال : فقلت يا رسول الله : أنى عروس فأستأذنته فأذن لي ، فتقدمت الناس إلى المدينة حتى انتهيت ، فلقيني

= قوله فى آخر هذا الحديث : " قال المغيرة : هذا فى قضائنا حسن لانرى به بأساً " هذا موصول بالإسناد المذكور إلى المغيرة وهو ابن مقسم الضبى أحد فقهاء الكوفة، ومراده بذلك ما وقع من جابر من اشتراط ركوب جمله إلى المدينة ، وأغرب الداودى فقال : مراده جوازه زيادة الغريم على حقه، أن ذلك ليس خاصاً بالنبي ﷺ وقد تعقبه ابن التين بأن هذه الزيادة لم ترد فى الطريق هنا، وهو كما قال .

(٣) (مسلم بشرح النووي): ١١ / ٣٤-٣٦، كتاب المساقاة، باب (٢١) بيع البعير واستثناء ركوبه، حديث رقم (١١٠) .

قال الإمام النووي : واعلم أن فى حديث جابر هذا فوائد كثيرة **أحدها** : هذه المعجزه الظاهرة لرسول الله ﷺ فى انبعاث جمل جابر ، وإسراعه بعد إعيائه . **الثانية** : جواز طلب البيع، ممن لم يعرض سلعته للبيع. **الثالثه** : جواز المماكسة فى البيع ، وسبق تفسيرها. **والرابعه**: سؤال الرجل الكبير أصحابه عن أحوالهم والإشارة عليهم بمصالحهم . **الخامسه** : استحباب نكاح البكر . **السادسة** : استحباب ملاعبة الزوجين . **السابعة** : فضيلة جابر فى أنه ترك حظ نفسه من نكاح البكر، واختار مصلحة أخواته بنكاح ثيب تقوم بمصالحهن . **الثامنة** : استحباب الابتداء بالمسجد وصلاة ركعتين فيه عند القدوم من السفر . **التاسعه** : استحباب الدلالة على الخير. **العاشرة** : استحباب إرجاح الميزان فيما يدفعه . **الحادية عشرة** : أن أجرة وزن الثمن على البائع. **الثانية عشره**: التبرك بآثار الصالحين لقوله: لا تفارقه زيارة رسول الله ﷺ . **الثالثة عشرة** : جواز تقدم بعض الجيش الراجعين بإذن الأمير. **الرابعة عشرة** : جواز الوكالة فى أداء الحقوق ونحوها، وفيه غير ذلك مماسبق . والله تبارك وتعالى أعلم . (شرح النووي).

خالي ، وقال البخاري : حتى أتيت المدينة ، فلقينى خالي ، فسألني عن البعير ، فأخبرته بما صنعت فيه ، قال : وقد كان رسول الله ﷺ قال لى حين أستأذنته : ما تزوجت ؟ أبكرًا أم ثيباً ؟ فقلت له : تزوجت ثيبًا ، قال : أفلا تزوجت بكرًا تلاعبها وتلاعبك .

فقلت : يا رسول الله توفى والدى أو استشهد ، ولي أخوات صغار ، فكرهت أن أتزوج إليهن مثلهن فلا تؤدبهن ، ولا تقوم عليهن ، فتزوجت ثيبًا ؛ لتقوم عليهن وتؤدبهن ، قال : فلما تقدم رسول الله ﷺ إلى المدينة غدوت عليه بالبعير ، فأعطاني ثمنه ، ورده على .

زاد البخاري بعد هذا ، قال المغيرة : هذا فى قضائنا حسن لا نرى به بأساً

ترجم عليه البخاري باب استئذان الرجل الإمام لقوله : ﴿ **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع** ﴾ الآية[1] ، وذكر القصة فى أول كتاب الاستقراض ، فى باب من اشترى بالدين ، وليس عنده ثمنه أو ليس بحضرته[2] .

---

(١) النور : ٦٢، وتمامها: ﴿ **لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم** ﴾ .

(٢) (فتح البارى) :٥/٦٨، كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب (١) من اشترى بالدين وليس عنده ثمنه ، أو ليس بحضرته، حديث رقم (٢٣٨٥)، ولفظه : حدثنا محمد بن يوسف – هو البيكندى – أخبرنا جرير عن المغيرة عن الشعبي عن جابر بن عبد الله رضي الله تبارك وتعالى عنهما قال : " غزوت مع النبى ﷺ فقال : كيف ترى بعيرك ؟ أتبيعه ؟ قلت : نعم، فبعته إياه، فلما قدم المدينة غدوت إليه بالبعير، فأعطاني ثمنه " .

قولة : " باب من اشترى بالدين وليس عنده ثمنه أو ليس بحضرته " أى فهو جائز، وكأنه يشير إلى ضعف ما جاء عن ابن عباس مرفوعاً "لاأشترى ما ليس عندي ثمنه" وهو حديث أخرجة أبو دواد والحاكم من طريق سماك عن عكرمة عنه فى أثناء حديث تفرد به شريك عن =

وخرّج مسلم[1] بعد حديث جرير ، عن مغيرة حديث جرير ، عن الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد ، عن جابر قال : خرجنا من مكة إلى المدينة مع رسول الله ﷺ ، وساق الحديث بقصته ، وفيه ثم قال : بعني جملك هذا ، قال : قلت : لا بل هو لك . قال : لا بل بعنيه ، قال : قلت : لا بل هو لك يا رسول الله ، قال : لا بل بعنيه .

قلت : فإن لرجل عليَّ أوقية من ذهب فهو لك بها ، قال : قد أخذته فبلغ به[2] إلى المدينة ، قال : فلما قدمت المدينة قال رسول الله ﷺ لبلال : أعطه أوقية من ذهب ، وزده ، قال : فأعطاني أوقية من ذهب ، وزادني قيراطًا .

= سماك واختلف فى وصلة ، ثم أورد فيه حديث جابر فى شرائه ﷺ من جملة فى السفر وقضائه ثمنه فى المدينة، وهو مطابق للركن الثانى من الترجمة .

وحديث عائشة فى شرائه ﷺ من اليهودي الطعام الى أجل ، وهو مطابق للركن الأول ، قال ابن المنير: وجه الدلالة منه أنه ﷺ لو حضره الثمن ما أخره ، وكذا ثمن الطعام لو حضره لم يرتب فى ذمته ديناً، لما عرف من عادته الشريفه من المبادرة إلى إخراج ما يلزمه إخراجه. (فتح البارى) .

(١) (مسلم بشرح النووي): ٣٦/١١، كتاب المساقاة، باب (٢١) بيع البعير واستثناء ركوبه ، حديث رقم (١١١) قوله : " فإن لرجل على أوقية من ذهب فهو لك بها، قال : قد أخذته به " هذا قد يحتج به أصحابنا فى اشتراط الإيجاب والقبول فى البيع ، وأنه لا ينعقد بالمعاطاة ، ولكن الأصح المختار انعقاده بالمعاطاة يجوز هذا فلا يرد عليه ؛ ولأن المعاطاة ، إنما تكون إذا حضر العوضان فأعطى وأخذ، فاما إذا لم يحضر العوضان أو أحدهما ، فلا بد من لفظ، وفى هذا دليل لأصح الوجهين عند أصحابنا، وهو انعقادالبيع بالكناية، لقوله ﷺ : " قد أخذته به " مع قول جابر: " هو لك " ، وهذان اللفظان كناية فى قوله ﷺ لبلال : أعطه أوقية من ذهب وزده " فيه جواز الوكالة فى قضاء الديون وأداء الحقوق ، وفيه استحباب الزيادة فى أداء الدين وإرجاح الوزن . قوله " : فأخذه أهل الشام يوم الحرة " يعنى حرة المدينة، كان قتال ونهب من أهل الشام هناك سنة ثلاث وستين من الهجرة .

(٢) كذا فى (الأصل)، وفى مسلم : " فتبلغ عليه " .

قال: فقلت : لا تفارقنى زيادة رسول الله ﷺ ، قال : وكان فى كيس لى ، فـأخذه أهل الشام يوم الحرة [1] .

---

(١) الحرة : أرض ذات حجارة سود نخرة ، كأنها أحرقت بالنار، والحرار كثيرة فى بلاد العرب، أكثرها حوالى المدينه والشام، والحرة التى وقعت فيها هذه الواقعة تقع فى شرقى المدينة ، اسمها حرة واقم ، وكانت هذه الوقعة فى خلال خلافة يزيد بن معاوية على أهل المدينه سنة (٦٣)هـ حيث تولى الخلافة بعد وفاة معاوية سنة (٦٠) وحتى توفى سنة (٦٣)هـ ، وكان موفور الرغبة فى اللهو والقنص والنساء، وكان أيضاً فصيحاً كريما شاعراً، ولى ثلاث سنين : فى السنة الأولى قتل الحسين ، وفى السنة الثانيه نهب المدينه وأباحها، وفى السنة الثالثة غزا الكعبة ، وكان من أخبار يوم الحرة أن مسلم بن عقيل أمر عبد الله بن عضاه الأشعرى فمشى فى خمسمائة حتى دنوا من ابن الغسيل [ابن حنظلة] وأصحابه، وأخذوا ينضحونهم بالنبل، فقال ابن غسيل : علام تستهدفون لهم ؟ من أراد التعجل إلى الجنة فليزم هذه الراية، فقام إليه كل مستميت، فقال : اتعدوا إلى ربكم ، فوالله إنى لأرجو أن تكونوا بعد ساعة قريرى عين ، فنهض القوم بعضهم إلى بعض ؛ فاقتتلوا أشد قتال رئى فى ذلك الزمان ساعة من نهار، وأخذ يقدم بنيه أمامه واحداً واحداً حتى قتلوا بين يديه، وابن الغسيل يضرب بسيفه ويقول:

بعد لمن رام الفساد وطغى وجانب الحق وآيات الهدى

لا يبعد الرحمن إلا من عصى

فقتل ومعه أخوه لأمه، محمد بن ثابت ، وقتل معه محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري ، فمر عليه مروان بن الحكم ، فقال : رحمك الله فرب سارية قد رأيتك تطيل القيام فى الصلاة إلى جنبها . وغلبت الهزيمة على أهل المدينه، وأباحها مسلم ثلاثاً، يقتلون الناس ، ويأخذون الأموال ، فأفزع ذلك من كان بها من الصحابة، فخرج أبو سعيد الخدرى حتى دخل فى كهف فى الجبل ، فبصر به رجل من أهل الشام ، فجاء حتى اقتحم عليه الغار .

قال أبو سعيد : دخل إلى الشامى يمشى بسيفه ، فانتصيت سيفى ، ومشيت إليه لأرعبه، لعله ينصرف عنى ، فأبى إلا الإقدام على ، فلما رأيت أن قد جد، شمت سيفى ثم قلت له : ﴿لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين ﴾ ، فقال لي: من أنت ؟ لله أبوك فقلت : أنا أبو سعيد الخدرى ، قال : صاحب رسول الله ﷺ ؟ قلت : نعم ؛ فانصرف عني . (أيام العرب فى الإسلام) . ٤١٩ - ٤٢٠ .

وخرَّج أيضًا من حديث عبدالواحد بن زياد ، قال : حدثنا الجريري ، عن أبي نضرة ، عن جابر بن عبد الله قال : كنا مع النبي ﷺ في سفر ، فتخلف ناضحي ، وساق الحديث ، قال فيه : فنخسه رسول الله ﷺ ، ثم قال لي : اركب بسم الله ، وزاد أيضًا قال : فما زال يزيدني ، ويقول : والله يغفر لك(١) .

وخرَّج البخاري(٢) من حديث ابن جريج ، عن عطاء بن أبي رباح ، وغيره ، يزيد بعضهم على بعض ، لم يبلغه كلهم رجل منهم . عن جابر بن

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٣٧/١١، كتاب المساقاة ، باب (٢١) بيع البعير واستثناء ركوبه ، حديث رقم (١١٢) .

(٢) (فتح الباري) :٦١٠/٤، كتاب الوكالة ، باب (٨) وإذا وكل رجلاً أن يعطي شيئاً ولم يبين له كم يعطي ، فأعطى ما يتعارفه الناس ، حديث رقم (٢٣٠٩) .

قوله : " ولم يبلغه كلهم رجل منهم بعنه " ، أي ليس جميع الحديث عند واحد منهم بعينهن وإنما عند بعضهم منه ما ليس عند الآخر.

قوله : " على جمل سفال " بفتح المثلثة بعدها فاء خفيفة، هو البعير البطيء السير، يقال : ثفال وثفيل، وأما الثفال بكسر أوله فهو ما يوضع تحت الرحى لينزل عليه الدقيق، وقال ابن التين: من ضبط الثفال الذى هو البعير بكسر أوله فقد أخطأ .

وقوله : " أربعه دنانير" ، كذا للجميع ، وذكره الداودي الشارح بلفظ " أربعة دنانير" ، وقال: سقطت الهاء لما دخلت الألف واللام، وذلك جائز فيما دون العشرة، وتعقبه ابن التين بأنه قول مخترع، لم يقله أحد غيره .

وقوله : " فلم يكن القيراط يفارق قراب جابر" كذا لأبى ذر والنسفى بقاف ، قال الداودي الشارح : يعنى خريطته ، وتعقبه ابن التين بأن المراد قراب السفينه، وأن الخريطة لا يقال لها قراب .

قال ابن بطال : فيه الاعتماد على العرف ؛ لأن النبي ﷺ لم يعين قدر الزيادة فى قوله:"وزده" ، فاعتمد بلال على العرف ، فاقتصر على قيراط، فلو زاد مثلاً ديناراً لتناوله مطلق الزيادة ، ولكن العرف يأباه ، كذا قال ، وقد ينازعه فى ذلك باحتمال أن يكون هذا القدر كان النبي ﷺ أذن فى زيادته، وذلك القدر الذى زيد عليه كأنه يكون أمره أن يزيد من يأمر له بالزيادة على كل دينار ربع قيراط ، فيكون عمله فى ذلك بالنص لابالعرف .(فتح الباري) .

عبدالله – رضي الله تبارك وتعالى عنه – قال : كنت مع النبي ﷺ فى سفر ، فكنت على جمل ثقال ، إنما هو فى آخر القوم ، فمر به النبي ﷺ ، فقال : من هذا ؟ فقلت : جابر بن عبدالله .

قال : مالك قلت إني على جمل ثقال ، قال : أمعك قضيب ؟ قلت : نعم قال : أعطنيه ، فضربه ، فزجره فكان من ذلك المكان من أول القوم ، قال: بعنيه ، قال : قلت : بل هو لك يا رسول الله ، فقال : بل بعنيه ، قد أخذته بأربعة دنانير ، ولك ظهره إلى المدينة، فلما دنونا من المدينة أخذت أرتحل ، قال : أين تريد ؟ ، قلت : تزوجت امرأة قد خلا منها ، قال : فهلا جارية تلاعبها ، وتلاعبك ؟ قلت : إن أبي توفى ، وترك بنات ، فأردت أن أنكح امرأة قد جربت خلا منها ، قال : فذلك ، فلما قدمنا المدينة قال : يا بلال أقضه ، وزده، فأعطاه أربعة دنانير ، وزاده قيراطًا ، قال : لا تفارقنى زيادة رسول الله ﷺ ، فلم يكن القيراط يفارق قراب جابر بن عبدالله .

ذكره فى كتاب الوكالة ، وترجم عليه إذا وكل رجلاً أن يعطى شيئًا ، ولم يتبين كم يعطي فأعطى على ما يتعارفه الناس .

وذكر مسلم[1] منه طرفًا يسيرًا من حديث ابن جريج عن عطاء ، عن جابر أن النبي ﷺ قال له : قد أخذت جملك بأربعة دنانير ، ولك ظهره إلى المدينة لم يزد على هذا .

وخرَّج أيضًا من حديث حماد ، قال :حدثنا أيوب عن أبي الزبير ، عن جابر قال : أتى على النبي ﷺ وقد أعيا بعيري ، فنخسه ، فوثب فكنت بعد ذلك أجبس خطامه لأسمع حديثه ، فما أقدر عليه ، فلحقنى النبي ﷺ ، فقال : ولك ظهره إلى المدينة بعنيه فبعته منه بخمس أواق ، قال : قلت : على أن لى ظهره إلى المدينة ، قال : فلمّا قدمت المدينة أتيته به ، فزادنى أوقية ثم وهبه لي[2] .

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ١١/ ٣٩، كتاب المساقاة ، باب (٢١) البعير واستثناء ركوبه ، حديث رقم (١١٧) .

(٢) (المرجع السابق) : حديث رقم (١١٣) .

وخرّج بعد حديث أبي الزبير هذا من حديث بشير بن عقبة ، عن أبي المتوكل الناجي ، عن جابر بن عبدالله قال : سافرت مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره ، أظنه قال غازيًا واقتصر الحديث ، وزاد فيه : قال : يا جابر أستوفيت الثمن ؟ قلت : نعم ، قال : لك الثمن ، ولك الجمل[1] ، لك الثمن ، ولك الجمل ، هكذا ذكره كما كتبناه .

وخرّج البخاري[2] من حديث عقيل ، حدثنا أبو المتوكل الناجى قال : أتيت جابر بن عبد الله الأنصاري - رضي الله تبارك وتعالى عنهما ، فقلت له : حدثني بما سمعت من رسول الله ﷺ قال : سافرت معه فى بعض أسفاره ، قال أبو عقيل : لا أدرى غزوة أم عمرة ، فلما أن أقبلت قال النبي ﷺ من أحب أن يتعجل أهله فليتعجل ، قال جابر : فأقبلنا وأنا على بعير لى أرمك ليس فيه شية ، والناس من خلفى ، فبينا أنا كذلك إذ قام على ، فقال لى النبي ﷺ : يا جابر استمسك ، فضربه بسوط ضربة ، فوثب البعير مكانه ، فقال: أتبيع الجمل ؟ قلت: نعم ، فلما قدمنا المدينة ودخل النبي ﷺ المسجد فى طوائف أصحابه ، فدخلت إليه وعقلت الجمل فى ناحية البلاط ، فقلت له : هذا جملك ، فخرج فجعل يطيف بالجمل ، ويقول : الجمل جملنا ، فبعث النبي ﷺ أواقٍ من ذهب ،

---

(١) (المرجع السابق) : حديث رقم (١١٤) .

(٢) (فتح الباري) : ٦ / ٨١- ٨٢، كتاب الجهاد والسير، باب (٤٩) من ضرب دابة غيره فى الغزو، حديث رقم (٢٨٦١).

قوله : " من ضرب دابة غيره فى الغزو" أى إعانة له رفقاً به ، قوله : " أرمك" ، براء، وكاف، وزن أحمر: ما خالط حمرته سواد ، وقوله : " ليس فيها شية " بكسر المعجمة وفتح التحتانية الخفيفة ، أى علامة، [وقال تعالى فى وصف بقرة بنى إسرائيل : ﴿ **مسلمة لا شية فيها** ﴾ [البقرة :] المراد أنه ليس فيه لمعه من غير لونه، ويحتمل أن يريد ليس فيه عيب ويؤيد قوله : " والناس خلفى ، فبينا أنا كذلك إذا قام على " لأنه يشعر بأنه أراد أنه كان قوياً فى سيره، لا عيب فيه من جهة ذلكن حتى كأنه صار قدام الناس. فطرأ عليه حينئذ. الوقوف ، قوله : " إذا قام علي " أى وقف فلم يسر من التعب . (فتح الباري) .

فقال : أعطوها جابراً ، ثم قال : أستوفيت الثمن؟ قلت : نعم ، قال : الثمن والجمل لك .

ذكره في كتاب الجهاد وترجم باب من ضرب دابة غيره في الغزو ، وذكره مختصرًا محذوف الإسناد في كتاب المظالم ، وترجم عليه باب من عقل بعيرًا على البلاط ، أوفي باب المسجد(١) .

قال كاتبه - يعنى مؤلفه - : وكانت قصة بعير جابر بن عبدالله - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - هذه التي أوردت من طرقها ما أمكن إيراده في غزوة ذات الرقاع(٢)كما تقدم .

---

(١) (فتح الباري) : ١٤٧/٥-١٤٨، كتاب المظالم، باب (٢٦) من عقل بعيره على البلاط أو باب المسجد ، حديث رقم (٢٤٧٠) ، والبلاط : حجارة مفروشة كانت عند باب المسجد . وقوله : " فعقلت الجمل في ناحية البلاط " فإنه يستفاد منه جواز ذلك إذا لم يحصل به ضرر . (فتح الباري) .

(٢) غزوة ذات الرقاع : اختلف أهل التاريخ فيها ، متى كانت ؟ فعند ابن إسحاق : بعد بني النضير سنه أربع، في شهر ربيع الآخر ، وبعض جمادى ، وعند ابن سعد وابن حبان : في المحرم سنة خمس ، وجزم أبو معشر: بأنها بعد بني قريظة في ذي العقدة سنه خمس ، فتكون ذات الرقاع في آخر السنة الخامسة وأول التي تليها .

وقد جنح البخاري إلى أنها كانت بعد خيبر، واستدل لذلك بأمور، ومع ذلك ذكرها قبل خيبر، فلا أدري هل تعمد ذلك تسليماً لأصحاب المغازي أنها كانت قبلها، أو أن ذلك من الرواة عنه، أو إشارة إلي احتمال أن تكون ذات الرقاع اسماً لغزوتين مختلفتين كما أشار البيهقي ، على أن ، أصحاب المغازي مع جزمهم بأنها كانت قبل خيبر مختلفون في زمانها .

وأما تسميتها بذات الرقاع ، فلأنهم رقعوا فيها راياتهم، قاله ابن هشام ، وقيل : لشجرة في ذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع ؛ وقيل : الأرض التي نزلوا بها فيها بقع سود وبقع بيض، وكأنها مرقعة برقاع مختلفه، فسميت ذات الرقاع لذلك ، وتميل غير ذلك .

قال السهيلي : وأصح من هذه الأقوال كلها ، ما رواه البخاري عن أبي موسى الأشعري. قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ونحن سته نفر، وبيننا بعير نعتقبه ، فنقبت أقدامنا، =

وقال الواقدي – وقد ذكر غزوة ذات الرقـاع – : ثـم رحنـا مـبردين . قـال جابر: فإنا لنسير إذ أدركني رسول الله ﷺ ، فقال مالك : يـا جـابر ، فقلـت : يـا رسول الله جدي أن يكون لى بعير سوء ، وقـد مضـى النـاس وتركونـي ، قـال: فأناخ رسول الله ﷺ بعيره .

فقال : أمعك ماء ؟ فقلت : نعم ، فجئتـه بقعـب مـن مـاء ؛ فنفـث فيـه ، ثـم نضح رأسه وظهره وعلى عجزه ، ثم قال : أعطني عصاً ، فأعطيته عصـاً ، أو قال : قطعت له عصًا من شجرة ، قال : ثم نخسه نخسات ، ثم قرعـه بالعصـا ، ثم قال : اركب يا جابر ، فركبت.

قال : فخرج ، والذى بعثه بالحق يواهق[1] ناقته مواهقـة مـا تفوتـه ناقتـه ، قال : وجعلت أتحدث مع رسول الله ﷺ ، ثم قال لي : يا أبا عبدالله أتزوجـت ، قلـت : نعـم ، قـال : بكـرًا أم ثيبًـا ؟ فقلـت : ثيبًـا ، فقـال : ألا جاريـة تلاعبهـا وتلاعبك ؟ فقلت : يا رسول الله – بأبي وأمى ، إن أبي أصيب يوم أحد ؛ فـترك تسع بنات فتزوجت امرأة جامعة تلم شعثهن ، وتقوم عليهن ، قال : أصبت .

ثم قال : أما أنا لو قدمنا صراراً [2] أمرنا بجـزور ، فنحـرت وأقمنـا عليهـا يومنا ذلك ، وسمعت بنا فنفضت نمارقها ، قال : قلت : والله يـا رسـول اللـه مـا لنا نمارق ، قال : أما إنها ستكون ، فإذا قدمت فاعمل عملاً كيسًا .

قال : قلت : أفعل ما استطعت ، قال : ثم قال : بعني جملك هذا يا جـابر ، قلت : بل هو لك يا رسول الله ، فقال : لا بل بعينـه ، قـال : قلـت : نعـم سُمني به، قال : فإنى آخذه بدرهـم ، قـال : قلـت : تغبننـي يـا رسـول اللـه ؟ قـال : لا

= ونقبت قدماى ، وسقطت أظافري ، فلكنا نلف على أرجلنا الخرق، فسميت غزوة ذات الرقـاع . (المواهب اللدنيه) : ١/٤٣٣-٤٣٥ مختصراً .

(١) أى يباريها فى السير ويماشيها، ومواهقة الإبل : مد أعناقها فى السير . (النهاية) : ٤ /٢٣٤.

(٢) صرار : بكسر أوله وآخره مثل ثانيه، وهى الأماكن المرتفعـة التـى لايعلوهـا المـاء، يقـال لهـا صرار ، وقيل : صرار موضـع علـى ثلاثـة أميـال مـن المدينـة علـى طريـق العـراق . (معجم البلدان) : ٤٥٢/٣، موضع رقم (٧٥٠٥) .

لعمري . قال جابر : فما زال يزيدني درهمًا حتى بلـغ أربعيـن درهمًـا وأوقيـة ، فقال : أما رضيت ، فقلت هو لك ، قال : فظهره لك حتى تقدم المدينة .

قال : ويقال : إنه قال : آخذه منك بأوقية ، وظهره لك ؛ فباعه على ذلك ، قال : فلما قدمنا صرارًا أمر بجزور ، فنحرت وأقام به يومه ، ثم دخلنا المدينة .

قال جابر : فقلت للمرأة : قد أمرنى النبي ﷺ أن أعمل عملاً كيسًا ، قالت: سمعًا وطاعة لأمر رسول الله ﷺ فدونك فـأفعل ؛ قـال : ثـم أصبحـت ، فـأخذت برأس الجمل ، فانطلقت حتى أنختـه عند حجرة رسـول اللـه ﷺ ، وجلسـت حتـى خرج .

فلما خرج قال : أهذا الجمل ؟ قلت : نعـم يـا رسـول اللـه الـذى اشـتريت ، فدعـا بـلالاً ، فقـال : اذهـب فأعطـه أوقيـة ، وخـذ بـرأس جملـك يـا بـن أخــي ، فانطلقت مع بلال .

فقال : أنت ابن صاحب الشعب ، فقلت : نعم ، فقال : لأطيبنك ولأزيدنك ، فزادنى قيراطًا أو قيراطين .

قال : فما زال يثمر ذلك ويزيدنا الله به ، ونعرف موضعه ؛ حتـى أصيـب هاهنا قريبًا يعنى الجمل .

هكذا ساق الواقدي هذه القصة فى مغازيه كما كتبتها[1] .

---

(١) (مغازي الواقدي) : ٣٩٩/١ - ٤٠١، غزوة ذات الرقاع .

وأما ظهور بركته ﷺ فى فرس أبي طلحة رضي الله تبارك وتعالى عنه حتى صار لا يجاريه فرس بعد أن كان قطوفًا بطيئًا

فخرَّج البخاري[1] من حديث غندر نا شعبة ، قال : سمعت قتادة عن أنس ابن مالك – رضي الله تبارك وتعالى عنه – كان فزع بالمدينة ، فاستعار النبي ﷺ فرسًا لنا يقال له : مندوب ، فقال : ما رأينا من فزع وإن وجدناه لبحرًا ، ذكره فى الجهاد فى باب اسم الفرس والحمار ، وخرَّجه فى كتاب الهبة[2] من

---

(١) (فتح الباري): ٧٣/٤، كتاب الجهاد، باب (٤٦) اسم الفرس والحمار، حديث رقم (٢٨٥٧).

وقوله : "باب اسم الفرس والحمار"، أى مشروعية تسميتهما، وكذا غيرهما من الدواب بأسماء تخصها غير أسماء أجناسها، قد اعتنى من ألف فى السيرة النبوية بسرد ماورد فى الأخبار من خيله ﷺ وغير ذلك من دوابه ، وفى الأحاديث الواردة فى هذا الباب ما يقوى قول من ذكر أنساب بعض الخيول العربية الأصيلة ؛ لأن الأسماء توضع للتمييز بين أفرد الجنس. (فتح الباري) .

(٢) (المرجع السابق) : ٣٠١/٥، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب (٣٣) من استعار من الناس الفرس، حديث رقم (٢٦٢٧). قوله : "من استعار من الناس الفرس " والبخاري أضاف العارية إلى الهبة ؛ لأنها هبة المنافع ، والعارية بتشديد التحتانية ويجوز تخفيفها . قال الأزهري: فأخوذة من عار إذا ذهب وجاء ، ومنه سمى العيار لأنه يكثر الذهاب والمجيء وقال الجوهري: منسوب إلى العار ؛ لأن طلبها عار ؛ وتعقب بوقوعها من الشارع فى مثل ذلك لبيان الجواز، وهى فى الشرع هبة المنافع دون الرقبة، ويجوز توقيتها ، وحكم العارية إذا تلفت فى يد المستعير أن يضمنها إلا فيما إذا كان ذلك من الوجه المأذون فيه، هذا قول الجهور، عن المالكية والحنفية : إن لم يتعد لم يضمن .

قوله : " كان فزع بالمدينة " أى خوف من عدو، قوله : " من أبي ، قيل " سمي بذلك من الندب، وهو الرهن عند السباق، وقيل : لندب كان فى جسمه ، وهو أثر الجرح .

قوله : " إن وجدناه لبحراً " قال الأصمعي : يقال للفرس بحر إذا كان واسع الجري ، أو لأنه جريه لا ينفذ كما لا ينفذ البحر (فتح الباري) مختصراً .

حديث آدم ، عن شعبة ، عن قتادة قال : سمعت أنسًا يقول : كان فزع بالمدينة ، واستعار النبي ﷺ فرسًا من أبي طلحة ، يقال له : المندوب ، فركب فلما رجع قال : ما رأينا من شيء ، وإن وجدناه لبحرًا ، ترجم عليه باب من استعار من الناس الفرس والدابة .

وخرَّجه أيضًا في باب مبادرة الإمام عند الفزع[1] من حديث يحيى ، عن شعبة ، حدثني قتادة عن أنس بن مالك - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : كان بالمدينة فزع فركب رسول الله ﷺ فرسًا لأبي طلحة ، فقال : ما رأينا من شيء وإن وجدناه لبحرًا .

وخرَّج مسلم في المناقب[2] من حديث وكيع ، حدثنا شعبة عن قتادة ، عن أنس ، قال : كان بالمدينة فزع فاستعار النبي ﷺ فرسًا لأبي طلحة ، يقال له : مندوب، فركب ، فقال : ما رأينا من فزع وإن وجدناه لبحرًا ، وخرجه من حديث محمد بن جعفر ، وخالد بن الحارث عن شعبة بهذا الإسناد[3] .

---

(١) (فتح الباري) : ٦ /١٥١-١٥٢، كتاب الجهاد والسير، باب (١١٦) مبادرة الإمام عند الفزع ، حديث رقم (٢٩٦٨).

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ١٥ / ٧٤، كتاب الفضائل، باب (١١) في شجاعة النبي ﷺ وتقدمه في الحرب، حديث رقم (٤٩).

(٣) (المرجع السابق) : الحديث الذي يلي الحديث السابق، بدون رقم ، قال الإمام النووي: وفيه فوائد: منها بيان شجاعته ﷺ من شدة عجلته في الخروج الى العدو قبل الناس كلهم، بحيث كشف الحال ورجع قبل وصول الناس ، وفيه بيان عظيم بركته ﷺ ومعجزته في انقلاب الفرس سريعاً بعد أن كان يبطأ، وهو معنى قوله ﷺ: وجدناه بحراً أي واسع الجرى . وفيه جواز سبق الإنسان وحده في كشف أخبار العدو مالم يتحقق الهلاك ، وفيه جواز العارية وجواز الغزو على الفرس المستعار لذلك وفيه استحباب تقلد السيف في العنق ، واستحباب تبشير الناس بعدم الخوف إذا ذهب ، ووقع في هذا الحديث تسميه هذا الفرس مندوباً ، قال القاضي : وقد كان في أفراس النبي ﷺ مندوب ، فلعله صار إليه بعد أبي طلحة ، هذا كلام القاضي ، قال الإمام النووي : ويحتمل أنهما فرسان اتفقا في الاسم .

وخرَّج البخاري[1] ومسلم[2] من حديث حماد بن زيد عن ثابت ، عن أنس ابن مالك - رضى اللـه تبـارك وتعـالى عنـه ، قـال : كـان رسـول اللـه ﷺ سـن الناس ، وكان أجود الناس ، وكان أشجع الناس ، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق ناس .

وقال البخاري : الناس قِبَل الصوت ، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعًـا ، وقد سبقهم إلى الصوت .

وقال البخاري : فاستقبلهم النبي ﷺ ، وقد سبق الناس إلى الصـوت ، وهو يقول : لم تراعوا ، لم تراعوا ، وهو على فرس لأبي طلحة ما عليه سرج ، فـى عنقه سيف ، قال : وجدنا بحرًا ، وإنه لبحر ، قال : وكان فرسًا ثبطًا ، لم يذكر البخاري : وكان فرسًا ثبطاً .

وخرَّج البخاري فى كتاب الجهاد[3] فى باب إذا فزعوا فى الليل من حديـث حماد يعنى ابن زيد ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : كـان رسـول اللـه ﷺ أحسـن الناس ، وأجـود النـاس ، وأشـجع النـاس ، قـال : وقـد فـزع أهـل المدينـة ليلـة ، فسمعوا صوتًا ، قال : فتلقاهم النبي ﷺ على فرس لأبي طلحة عرى وهو متقلد سيفه ، فقال : لم تراعوا ، لم تراعـوا ، ثـم قـال رسـول اللـه ﷺ : وجدتـه بحـرًا يعنى الفرس .

وخـرَّج فـى بـاب الحمـائل[4] وتعليـق السيـف بـالعنق ، هـذا الحديـث بهـذا الإسناد، ولفظه عن أنس قال : كـان النبـي ﷺ أحسـن النـاس ، وأشـجع النـاس ،

---

(1) (فتح الباري) : ٦/١١٨، كتـاب الجهـاد والسير، بـاب (٨٢) الحمـائل وتعليـق السيـف بـالعنق، حديث رقم (٢٩٠٨). مقصود المصنف من هذه التراجم أن يبيـن زى السلف فـى آلـة الحـرب ، وما سبق استعماله فى زمن النبى ﷺ ليكون أطيب للنفس وأنفى للبدعه.

(2) (مسلم بشـرح النووي): ١٥/٧٣، كتـاب الفضـائل، بـاب (١١) فـى شـجاعة النبـي ﷺ وتقدمـه للحرب ، حديث رقم (٢٣٠٧) .

(3) (فتح الباري): ٦/٢٠١، كتاب الجهاد، باب (١٦٥) إذا فزعـوا بـالليل، حديـث رقـم (٣٠٤٠)، أى ينبغى لأمير العسكر أن يكشف الخبر بنفسه أو بمن يند به لذلك .

(4) سبق تخريجة .

ولقد فزع أهل المدينة ؛ فخرجوا نحو الصوت ؛ فاستقبلهم النبيﷺ ، وقد استبرأ الخبر وهو على فرس لأبي طلحة عري ، وفى عنقه السيف ، وهو يقول : لم تراعوا ، لم تراعوا ، ثم قال : وجدناه بحرًا ، وقال : إنه لبحر ، وذكره فى باب الشجاعة فى الحرب[١] ، وفى باب ركوب الفرس العري[٢] .

وخرج البخاري من حديث يزيد بن زريع حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أن أهل المدينة فزعوا مرة ، فركب رسول الله ﷺ فرسًا لأبي طلحة كان يقطف[٣] ، أو كان فيه قطاف[٤] ، فلما رجع قال : وجدنا فرسكم هذا بحرًا ، وكان بعد ذلك لا يجاري .

ذكره فى كتاب الجهاد ، وترجم عليه باب الفرس القطوف ، وخرجه أيضًا فى باب السرعة والركض فى الفزع من حديث جرير بن حازم عن محمد ، عن أنس بن مالك قال : فزع الناس ، فركب رسول الله ﷺ فرسًا لأبي طلحة بطيئًا، وخرج يركض وحده ، فركب الناس يركضون خلفه ، فقال : لم تراعوا إنه لبحر فما سُبق بعد ذلك اليوم .

---

(١) حديث رقم (٢٨٢٠) .

(٢) حديث رقم (٢٨٦٦) .

(٣) حديث رقم (٢٨٦٧) ، القطوف : أى البطيء المشى .

(٤) حديث رقم (٢٩٦٩) .

وأما فراهة فرس جعيل[1] بعد عجفها وتأخر مسيرتها وبيعة نتاجها بمال جم بدعاء الرسول ﷺ له فيها بالبركة

خرّج البيهقي[2] من حديث رافع بن سلمة بن زياد الأشجعي ، قال : حدثني عبدالله بن أبي الجعد الأشجعي ، عن جعيل ، قال : غزوت مع النبي ﷺ وأنا على فرس لي عجفاء ضعيفة .

قال : فكنت فى أخريات الناس ، فلحقنى رسول الله ﷺ ، فقال : سر يا صاحب الفرس ، فقلت : يا رسول الله عجفاء ضعيفة ، قال : فرفع رسول الله ﷺ مخفقة معه ، فضربها بها ، وقال : اللهم بارك له فيها ، فقال : فلقد رأيتني وأنا أمسك فى رأسها أن نتقدم الناس ، ولقد بعت من بطنها باثنى عشر ألفًا .

(١) هو جعيل بن زياد ويقال: ابن حمزة الأشجعي ، روى عن عبد الله بن أبي الجعد حديثاً حسناً فى أعلام النبوة، قال : كنت مع رسول الله ﷺ فى بعض غزواته على فرس لى ضعيفة عجفاء فى أخريات الناس فذكر الحديث . له ترجمة فى : (الإستيعاب) : ١/٢٤٦، ترجمة رقم (٣٣٠)، (الإصابة) : ١/٤٩٠، ترجمة رقم (١١٧٣) ، (تهذيب التهذيب) : ٢/٩٤، ترجمة رقم (١٧٢).

(٢) (دلائل النبوة) : ٦ / ١٥٣.

وأما ضربه برجله ﷺ ناقةً لا تكاد تسير فصارت سابقة

فخرَّج البيهقي[1] من حديث مروان بن معاوية ، عن يزيد بن كيسان ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ﷺ قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ أو قال فتيً ، فقال : إنى تزوجت امرأة ، فقال : هل نظرت إليها فإن في أعين الأنصار شيئًا ؟ قال : قد نظرت إليها ، قال : على كم تزوجتها ؟ فذكر شيئًا قال: وكأنكم تنحتون الذهب والفضة من عرض هذا الجبل ؟ ما عندنا شيء نعطيكه ، ولكن سأبعثك فى وجه تصيب فيه ، فبعث بعثًا إلى بني عبس ، وبعث الرجل فيهم ، فأتاه ، فقال : يا رسول الله قد أعيتنى ناقتى أن تنبعث ، قال : فناوله رسول الله ﷺ يده كالمعتمد عليه للقيام ، فأتاه ، فضربها برجله ، قال أبو هريرة : والذي نفسى بيده لقد رأيتها تسبق القائد .

قال البيهقي : رواه مسلم فى الصحيح[2] عن يحيى بن معين ، عن مروان.

قال كاتبه[3] : خرَّج مسلم فى النكاح من حديث ابن أبي عدى حدثنا سفيان، عن يزيد بن كيسان بن أبي حازم ، عن أبي هريرة – رضي الله تبارك وتعالى عنه – قال : كنت عند النبي ﷺ فأتاه رجل ، فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار، فقال رسول الله ﷺ : أنظرت إليها ؟ قال : لا ، قال: فاذهب ، فانظر إليها فإن فى أعين الأنصار شيئًا .

قال مسلم : وحدثنى يحيى بن معين ، حدثنا مروان بن معاوية الفزاري ، حدثنا يزيد بن كيسان ، عن أبى حازم ، عن أبى هريرة ، قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ ، فقال : إني تزوجت امرأة من الأنصار ، فقال له النبي ﷺ : هل نظرت إليها ؟ فإن فى عيون الأنصار شيئًا .

---

(١) (دلائل النبوة) : ٦ / ١٥٤.

(٢) رواه مسلم فى كتاب النكاح، باب (١٢) ندب النظر إلى وجه المرأة وكفيها لمن يريد النكاح ، حديث رقم (٧٥) .

(٣) هو التقي المقريزي – رحمه الله .

قال : قد نظرت إليها ، قال : على كم تزوجتها ؟ قال على أربع أواق ، فقال له النبي ﷺ : على أربع أواق كأنما تنحتون الفضة من هذا الجبل ، ما عندنا ما نعطيك ولكن عسى أن نبعثك فى بعث تصيب منه ، قال : فبعث بعثًا إلى بني عبس وبعث ذلك الرجل فيهم ، هكذا سياقة مسلم ، ولم يذكر فيه قصة الناقة .

وقد خرَّج الحاكم(١) هذا الحديث من طريق زهير بن معاوية(٢) ، قال : حدثنا أبو إسماعيل الأسلمى أن أبا حازم حدثه عن أبي هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ ، فقال : إني تزوجت امرأة من الأنصار على ثماني أواق ، فتفزع لها رسول الله ﷺ ، فقال : كأنما تنحتون الفضة من عرض هذا الجبل ؟ هل رأيتها فإن فى عيون الأنصار شيئًا .

قال : قد رأيتها ؟ قال : ما عندنا شيء ولكنا سنبعثك فى بعث وأنا أرجو أن تصيب خيرًا ؛ فبعثه فى ناس إلى ناس من بني عبس ، فأمر لهم بناقة ، فحملوا عليها متاعهم ، فلم ترم إلا قليلاً حتى بركت ، فأعيتهم أن تنبعث ، فلم يكن فى القوم أصغر من الذى تزوج ، فجاء إلى نبي الله ﷺ وهو مستلق فى المسجد ، فقام عند رأسه كراهية أن يوقظه ، فانتبه نبي الله ﷺ ، فقال : يا نبي الله إن الذى أعطيتنا أعيينا أن نبعثه ، فناوله نبي الله ﷺ يمينه وأخذ رداءه بشماله ، فوضعه على عاتقه ، وانطلق يمشى حتى أتاها ، فضربها بباطن قدمه، والذى نفس أبي هريرة بيده لقد كانت بعد ذلك تسبق القائد ، وإنهم نزلوا بحضره العدو، وقد أوقدوا النيران ، فأحاطوا بهم ، وتفرقوا عليهم ، وكبروا تكبيرة رجل واحد، وأن الله - تعالى - هزمهم وأسر منهم .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، بهذه السياقة .

---

(١) (المستدرك): ٢/١٩٣ - ١٩٤ ، كتاب النكاح ، حديث رقم (٢٧٢٩)، وقال الحافظ الذهبي فى (التخليص) : على شرط البخارى ومسلم وأبو إسماعيل هو بشير بن سلمان، أخرج مسلم بعضه.

(٢) زيادة للسياق من (المستدرك) .

إنما خرَّج مسلم من حديث شعبة عن أبي إسماعيل ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة : أن رجلاً تزوج ، فقال رسول الله ﷺ : هلا نظرت إليها فقط ، وقال أبو إسماعيل هذا هو بشير بن سليمان[1] ، وقد احتجا جميعًا به .

قال كاتبه : بشير بن سليمان أبو إسماعيل هذا يروي عن أبي حازم الأشجعي وخيثمة بن يوسف الفريابي ، وطائفة ، وثقة ابن معين وأحمد بن حنبل، خرج له مسلم والأربعة ، وخرج له البخاري خارج الصحيح أظنه فى كتاب (الأدب المفرد)[2] .

(١) هو بشير بن سليمان الكندي أبو إسماعيل الكوفي ، روى عن أبي حازم الأشجعي ، وخيثمه بن أبى خيثمه، وسيار أبي الحكم، وقيل : عن سيار أبي حمزة، ومجاهد وعكرمة وغيرهم ، وعنه ابنه الحكم والسفيانان وابن المبارك، وابن فضيل، ووكيع والفريانى ، وأبو نعيم وغيرهم ، قال أحمد وابن معين والعجلى : ثقه ، وقال أبو حاتم : صالح حديث، وهو أحب إلىّ من يزيد بن كيسان ، قال الحافظ : وقال ابن سعد : كان شيخاً قيل الحديث وقال البزار : حدث بغير حديث لم يشاركه فيه أحد وذكرة ابن حبان فى (الثقات) . (تهذيب التهذيب) : ٤٠٨/١ ترجمة رقم (٨٥٨) .

(٢) زيادة للسياق والبيان .

وأما دعاؤه ﷺ لبعير الرجل أن يحمله الله عليه فمكث عنده عشرين سنة

فخرَّج البيهقي[1] من حديث جعفر بن عوف ، قال : أخبرنا الأعمش عن مجاهد أن رجلاً اشترى بعيرًا ، فأتى النبي ﷺ فقال : اشتريت بعيرًا ، فادع الله أن يبارك لي فيه ، فقال : اللهم بارك له فيه ، فلم يلبث إلا يسيرًا أن نفق ، ثم اشترى بعيرًا آخر ، فأتي به رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله إنى اشتريت بعيرًا ، فادع الله أن يبارك لي فيه ، فقال : اللهم بارك له فيه ، فلم يلبث إلا يسيرًا أن نفق ، ثم اشترى بعيرًا ، فأتي به رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إني اشتريت بعيرًا ، فادع الله أن يحملنى عليه ، قال : فقال اللهم احمله عليه ، قال : فمكث عنده عشرين سنة .

قال البيهقي : هذا مرسل ، ودعاؤه ﷺ صار إلى أمر الآخرة فى المرتين الأوليين ، ثم سأله صاحب البعير الدعاء أن يحمله عليه ، فوقعت الإجابة [إليه ﷺ أفضل زكاة وأطيبها وأنماها] [2] .

(١) (دلائل النبوة) : ٦ / ١٥٤ - ١٥٥ .

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (المرجع السابق) .

وأمـــا ذهـاب الجـوع عـن فاطمة الزهـراء
- رضى الله تبارك وتعالى عنـها -
بدعائه ﷺ

فخرَّج أبو نعيم[1] ، والبيهقي[2] من حديث مسهر بن عبد الملك بـن مسلـع الهمدانى ، عن عتبة أبي معاذ البصري عن عكرمة [مولى ابن عبـاس] ، عـن عمران بن الحصين - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قـال : كنـت مـع رسـول الله ﷺ إذا أقبلت فاطمة - رضي الله تبارك وتعـالى عنهـا ؛ فوقعـت بيـن يديـه ﷺ ، فنظر إليها رسول الله ﷺ ، وقد ذهب الدم مـن وجههـا ، وغلبـت الصفـرة على وجهها من شدة الجوع ، فنظر إليها رسول الله ﷺ فقال : ادني يا فاطمـة ، فدنت حتى قامت بين يديه ﷺ ، فرفع يده الشريفة ﷺ ، فوضعهـا علـى صدرهـا فى موضـع القلادة ، وفرج بين أصابعه ، ثم قال : اللهم مشـبع الجاعـة ، ورافـع الوضيعة ارفع فاطمة بنت محمد[3] ، وفى رواية لا تجع فاطمة بنت محمد[4] .

قال عمران : فنظرت إليها ، وقد ذهبت الصفرة من وجههـا ، وغلـب الـدم كما كانت الصفرة غلبت على الدم ، قال عمران : فلقيتها بعد، فسألتها ، فقـالت : ما جعت بعد يا عمران .

---

(١) (دلائل النبوة) : ٤٦٢، حديث رقم (٣٩٠)، وأخرجة الطبراني فى (الأوسـط) وفيـه عتبـة بـن حميد أبو معاذ، وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه جماعة، وبقيه رجاله وثقوا .

(٢) (دلائل النبوة) : ١٠٨/٦، باب ما جاء فى دعائه ﷺ لابنته - فاطمة عليهما السلام، وما ظهـر فيه من الإجابة .

(٣) كذا فى (دلائل البيهقي) .

(٤) كذا فى (دلائل أبى نعيم) .

قال البيهقي - رحمه الله : والأشبه أنه رآها ﷺ قبل نزول آية الحجاب[1].

وأما كفاية علي بن أبي طالب رضي الله تبارك وتعالى عنه الحر والبرد بدعائه له ﷺ

فخرَّج أبو نعيم من حديث أبى بكر بن أبـي شيبة ، قـال : حدثنـا علي بـن شهاب ، عن ابن أبي ليلى ، عن الحكم والمنهال وعيسى ، عن عبد الرحمن بـن أبي ليلى قال : كان علي - رضى الله تبارك وتعالى عنـه - يخـرج فـى الشـتاء فى إزار ورداء ، ثوبين خفيفين ، وفى الصيف فى القباء المحشو والثوب الثقيـل، فقال الناس لعبد الرحمن : لو قلت لأبيك فإنه يسمر معه .

قال : فسألت أبي أن الناس قـد رأوا مـن أمـير المؤمنيـن شـيئًا اسـتنكروه ، قال: وما ذاك ، قلت : يخرج فى الحر الشديد فى القباء المحشو والثوب الثقيـل ، لا يبالى ، ويخرج فى البرد الشديد فى الثوبين الخفيفين والملاءتين والخفيفتين لا يبالى ذلك ، ولا يتقى بردًا ، فهل سـمعت فـى ذلـك ؟ فقد أمرونـي أن أسـألك أن تسأله إذا أسمرت عنده ، فسمر عنده .

فقال : يا أمير المؤمنين إن الناس قد تفقدوا منـك شـيئًا ، قـال : ومـا هـو ؟ قلت : تخـرج فـي الـبرد الشـديد فـي الثوبيـن الخفيفيـن والملاءتيـن ولا تبـالي ، وتخرج فى الحر الشديد فى القباء المحشـو والثـوب الثقيـل ، ولا تبـالي بـردًا ولا حرًا.

قال : وما كنت معنا يا أبا ليلى بخيبر ؟ قلـت : بلـى ، واللـه كنـت معكـم ، قال: فإن رسول الله ﷺ قال لأعطين الراية غدًا رجلاً يحب الله ورسوله ويحبـه

---

(١) وزاد أبو نعيم: وقال سليمان : فبسط رسول الله ﷺ بين أصابعه ، ثم وضـع كفـه بيـن ترائبهـا، فرفع رأسه وقال : "اللهم مشبع الجاعة ، وقاضى الحاجة، ورافع الوضيعة ، لا تجع فاطمة بنـت محمد، ثم سألتها بعد ذلك فقالت : ماجعت بعد ذلك ، يا عمران .

الله ورسوله يفتح الله عليه ليس بفرار ، قال : فدعاني ، فأتيته وأنا أرمد لا أبصر شيئًا .

قال : فتفل في عيني ، ثم قال : اللهم اكفه الحر والبرد ، قال : فما أذاني بعد حر ولا برد[1] .

وخرَّجه من حديث محمد بن عمران بن أبي ليلى ، عن أخيه عيسى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : اجتمع إليَّ نفر من أهل المسجد ، فقالوا : إنا قد رأينا من أمير المؤمنين شيئًا أنكرناه ، قلت : وما هو ؟ ، قالوا : يخرج علينا في الشتاء في إزار ، ورداء ، وفي الصيف في قباء محشو ، فدخلت فذكرت ذلك لأبي ، فلما راح إلى علي - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : إن الناس قد رأوا منك شيئًا أنكروه ، قال : وما هو؟ قلت : لباسك ، قال : أوما كنت معنا حين دعاني رسول الله ﷺ وأنا أرمد فتفل في راحتيه وألصق بهما على عيني ، وقال: اللهم أذهب عنه الحر والبرد ، والذي بعثه بالحق ما وجدت لواحدة منهما أذى حتى الساعة[2] .

قال كاتبة حديث لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ، حديث . خرَّجه البخاري[3] ومسلم[4] ، وسيأتي في طرقه عن قريب إن شاء الله ، وليست فيه قصة الحر والبرد ، ولكن وقعت في النسائي .

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٤/ ٢١٢ - ٢١٣، باب ما جاء في بعث السرايا إلى حصون خيبر، وإخبار النبي ﷺ بفتحها على يدي علي بن أبي طالب - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ودعائه له وما ظهر في ذلك من آثار النبوة ودلالات الصدق ، وقد ذكره الهيثمي في (مجمع الزوائد) : ١٢٢/٩، وقال: ورواه الطبراني في (الأوسط) وإسناده حسن .

(٢) (دلائل أبي نعيم) : ٤٦٣، حديث رقم (٣٩١) ، رواه الطبراني في (الأوسط) ، وإسناده حسن .

(٣) أخرجه في المغازي ، باب (٣٨) في غزوة خيبر .

(٤) أخرجه في فضائل الصحابة، باب (٤) من فضائل علي بن أبي طالب - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ، حديث رقم (٣٤) .

خرَّجه من حديث عبدالله قال : حدثنا ابن أبي ليلى عن الحكم والمنهال ، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبيه أنه قال لعلي - رضي الله تبارك وتعالى عنه - وكان يسير معه : إن الناس قد أنكروا منك أنك تخرج فى البرد فى الملاءتين ، وتخرج فى الحر فى الحشو والثوب الغليظ .

قال : أولم تكن معنا بخيبر ؟ قال : بلى ، قال : فإن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - وعقد له لواء ؛ فرجع الناس ، فقال رسول الله ﷺ : لأعطينَّ الراية رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ليس بفرار .

قال : فأرسل إلي وأنا أرمد ، فتفل فى عيني ، وقال : اللهم [أذهب عنه] الحر والبرد ، قال : فما وجدت حرًا بعد ذلك ولا بردًا .

ومن حديث فردوس الأشعري قال : حدثنا معسود بن سليمان : حدثنا حبيب ابن أبي ثابت ، عن الجعد مولى سويد بن غفلة ، أنه قال : لقيت علياً - رضى الله تبارك وتعالى عنه - وهو فى ثوبين فى شدة الشتاء ، فقلت : لا تغنى بأرضنا هذه ، فإنها أرض مقرة(١) ، وليست مثل أرضك فقال : أما إني كنت مقرورًا(٢) ، فلما بعثني رسول الله ﷺ إلى خيبر قلت : مالى لا أدفأ به ، وإنى لأرمد ، فتفل فى عيني ، ودعا لي فما وجدت بردًا بعد ، ولا رمدت عيناى.

وخرَّج أبو نعيم من حديث محمد بن فضيل ، عن أبي حيان التيمي ، عن شبرمة بن الطفيل قال : رأيت عليًا - رضي الله تبارك وتعالى عنه - بذى قار عليه إزار ورداء ، وهو يهنأ بعيرًا له فى يوم شديد البرد ، وإن جبينه ليرشح عرقًا .

(١) مقرة : باردة شديدة البرودة .

(٢) المقرور: من أصابة القر، وهو شدة البرد .

وأما شفاؤه مما يشكو من الوجع بدعائه ﷺ

فخرَّج البيهقي[1] من حديث أبي داود الطيالسي ، قال : حدثنا شعبة ، قال : أخبرنى عمرو بن مرة قال : سمعت عبدالله بن سلمة يقول : سمعت عليًا - رضي الله تبارك وتعالى عنه - يقول : أتى على رسول الله ﷺ وأنا شاك أقول : اللهم إن كان أجلي قد حضر فأرحني ، وإن كان متأخرًا فارفق بي[2] ، وإن كان بلاء فصبرنى ، فضربني برجله ، وقال : كيف قلت ؟؟ فأعدت عليه ، فقال : اللهم اشفه ، أو قال: اللهم عافه ، قال علي - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فما اشتكيت وجعى ذاك بعد .

وخرَّجه النسائي من حديث شعبة ، عن عمرو بن مرة قال : سمعت عبد الله بن سلمة يحدث عن علي - رضى الله تبارك وتعالى عنه - قال : مر على رسول الله ﷺ وأنا أقول : اللهم إن كان أجلى حضر فأرحني ، وإن كان متأخرًا فأرفق بي ، وإن كان بلاء فصبرني، فضربني برجله ، وقال : اللهم اشفه، اللهم عافه ، فما اشتكيت بعد ذلك، وخرَّجه عبد بن حميد من حديث شعبة.

(١) (دلائل النبوة) :٦ /١٧٩، باب ماجاء فى دعائه لعلي ابن أبي طالب - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ، ولغيره بالشفاء ، وإجابة الله تعالى به فيما دعاه .

(٢) كذا فى (الأصل) ، وفى (دلائل البيهقي) : " فار، عنى ".

وأما شفاؤه رضي الله تبارك وتعالى عنه من رمد ببصاق الرسول ﷺ ودعائه له

فخرّج البخاري[(١)] ومسلم[(٢)] والنسائي من حديث يعقوب بن عبدالرحمن بن أبي حازم قال : أخبرني سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر :

---

(١) (فتح الباري) :٧ / ٦٠٥، كتاب المغازي ، باب (٣٩) غزوة خيبر، حديث رقم (٤٢١٠)، قوله: "لأعطينّ الراية غداً أو ليأخذنّ ، الراية غداً" هو شك من الراوى ، والراية يم، عنى اللواء، وهو العلم الذى فى الحرب، يعرف به موضع صاحب الجيش ، وقد يحمله أمير الجيش، وقد يدفعه لمقدم العسكر .

(٢) من فضائل علي بن أبي طالب - رضي الله تبارك وتعالى عنه - وقد صرح جماعة من أهل اللغة بترادفهما، ولكن روى أحمد والترمذي من حديث ابن عباس : " كانت راية رسول الله ﷺ سوداء ولواؤه أبيض " مثلة ، عند الطبرانى ، عن بريدة ، و، عند ابن عدي ، عن أبي هريرة وزاد " مكتوباً فيه لا إله لا الله محمد رسول الله" ، وهو ظاهر فى التغاير، فلعل التفرقة بينهما عرفية ، وقد ذكر ابن إسحق وكذا أبو الأسود ، عن عروة أن أول ما وجدت الرايات يوم خبير ، وما كانوا يعرفون قبل ذلك إلا الألوية " .

قوله : (يحبه الله ورسوله) زاد فى حديث سهل بن سعد " ويحب الله ورسوله" ، وفى رواية ابن إسحق "ليس بفرار، " وفى حديث بريدة " لا يرجع حتى يفتح الله له " .

قوله: (فنحن نرجوها) فى حديث سهل " فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها" وقوله: " يدوكون" بمهملة مضمومة أى باتوا فى اختلاط واختلاف، والدوكة بالكاف : الاختلاط ، و، عند مسلم من حديث أبي هريرة " إن عمر قال : ما أحببت الإمارة إلا يومئذ" ، وفى حديث بريدة " فما منا رجل له منزلة ، عند رسول الله ﷺ إلا وهو يرجو أن يكون ذلك الرجل ، حتى تطاولتُ أنا لها، فدعا عليا وهو يشتكى عينه فمسحها، ثم دفع إليه اللواء ، " ولمسلم من طريق إياس بن سلمة ، عن أبيه ، قال : " فأرسلني إلى علي قال : فجئت به أقوده أرمد فبزق فى عينه ؛ فبرأ "

قوله : (فقيل هذا علي) كذا وقع مختصراً، وبيانه فى رواية إياس بن سلمة ، عند مسلم، وفى حديث سهل بن سعد الذى بعده " فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال : أين علي بن أبي طلب ؟ قالوا: يشتكي عينيه، قال : فأرسلوا إليه ، فأتوا به " =

= وقد ظهر من حديث سلمة بن الأكوع انه هو الذى أحضره ، ولعل علياً حضر إليهم بخبير ولم يقدر على مباشرة القتال لرمده ؛ فأرسل إليه النبي ﷺ فحضر من المكان الذى نزل به، أو بعث إليه إلى المدينة فصادف حضوره.

قوله : (فبرأ) بفتح الراء والهمزة بوزن ضرب، ويجوز كسر الراء بوزن علم ، و، عند الحاكم من حديث على نفسة قال : " فوضع رأسي فى حجره ، ثم بزق فى ألية راحته ، فدلك بها عينى " ، وعند بريدة فى " الدلائل البيهقي " فما وجعها على حتى مضى لسبيله " أى مات ، عند الطبرانى من حديث علي : " فما رمدت ولاصدعت منذ دفع النبي ﷺ إلى الراية يوم خبير"،وله من وجه آخر " فما اشتكيتها حتى الساعة ، قال: ودعالى فقال: اللهم أذهب ، عنه الحر والقر، قال فما اشتكيتهما حتى يومي هذا ".

قوله : (فأعطاه ففتح عليه) فى حديث سهل "فأعطاه الراية" ، وفى حديث أبي سعيد ، عند أحمد " فانطلق حتى يفتح الله عليه خيبر وفدك ، وجاء بعجوتهما " وقد اختلف فى فتح خيبر هل كان ، عنوة أو صلحاً ، وفى حديث عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس التصريح بأنه كان ، عنوة وبه جزم ابن عبد البر، ورد على من قال فتحت صلحاً قال : وإنما دخلت الشبهة على من قال فتحت صلحاً بالحصنين اللذين أسلمهما أهلهما لحقن دمائهم، وهو ضرب من الصلح لكن لم يقع ذلك إلا بحصار وقتال . انتهى .

والذى يظهر أن الشبهة فى ذلك قول ابن عمر " : إن النبي ﷺ قاتل أهل خيبر ؛ فغلب على النخل والجأهم إلى القصر ؛ فصالحوه على أن يجلوا منها ، وله الصفراء والبيضاء والحلقة ، ولهم ما حملت ركابهم على أن لا يكتموا ولا يغيبوا " الحديث وفى آخره " فسبى نساءهم وذريتهم ، وقسم أموالهم للنكث الذى نكثوا ، وأراد أن يجليهم فقالوا : دعنا فى هذه الأرض نصلحها " الحديث أخرجه أبو دواد والبيهقي وغيرهما ، وكذلك أخرجه أبو الأسود فى المغازى ، عن عروة ، فعلى هذا كان قد وقع الصلح ، ثم حدث النقض منهم فزال أثر الصلح، ثم منّ عليهم بترك القتل وإبقائهم عمالاً بالأرض ليس لهم فيها ملك ؛ ولذلك أجلاهم عمر – كما تقدم فى فتح فرض الخمس احتجاج الطحاوي على أن بعضها صلحاً بما أخرجة هو وأبو دواد من طريق بشير بن يسار " : أن النبي ﷺ لما قسم خيبر عزل نصفها لنوائبه ، وقسم نصفها بين المسلمين " وهو حديث اختلف فى وصله وإرساله، وهو ظاهر فى أن بعضها فتح صلحاً، والله اعلم . =

لأعطينَّ هذه الراية رجلاً يفتح الله عليه يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله؛فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها ، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجون أن يعطاها .

فقال أين علي بن أبي طالب ؟ فقالوا : هو يا رسول الله يشتكي عينيه ، قال: فأرسلوا إليه فأتى به ؛ فبصق رسول الله ﷺ في عينيه، ودعا له ، فبرأ حتى كان لم يكن به وجع فأعطاه الراية ، فقال علي : يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ قال : أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام،

= قوله : في حديث سهل (فقال علي يارسول الله ، أقاتلهم) هو بحذف همزة الاستفهام .

قوله : (حتى يكونوا مثلنا) أي حتى يسلموا قوله : (فقال انفذ) بضم الفاء بعدها معجمة .

قوله : (على رسلك) بكسر الراء أي على هينتك.

قوله : (ثم ادعهم إلى الإسلام) ووقع في حديث أبي هريرة ، عند مسلم "فقال علي يا رسول الله علام أقاتل الناس ؟ قال : قاتلهم حتى يشهدوا أن إله إلا الله وان محمداً عبده ورسولة " واستدل بقوله : " ادعهم" أن الدعوة شرط في جواز القتال ، والخلاف في ذلك مشهور فقيل : يشترط مطلقاً، وهو ، عن مالك سواء من بلغتهم الدعوة أولم تبلغهم، قال : إلا أن يعجلوا المسلمين، وقيل : لا مطلقاً و، عن الشافعي مثله ، وعنه لا يقاتل من لم تبلغهم حتى يدعوهم، وأما من بلغته فتجوز الإغارة عليهم بغير دعاء، وهو مقتضى الأحاديث ، ويحمل ما في حديث سهل على الاستحباب بدليل أن في حديث أنس أنه ﷺ أغار على أهل خبير لما لم يسمع النداء، وكان ذلك أول ما طرقهم، وكانت قصة علي بعد ذلك ، وعن الحنفية تجوز الإغارة عليهم مطلقاً وتستحب الدعوة .

قوله : (فوالله لأن يهدى الله بك رجلاً إلخ) يؤخذ منه تألف الكافر حتى يسلم اولى من المبادرة إلى قتله (فتح الباري) ، هي الإبل الحمر، وهي أنفس أموال العرب، يضربون بها المثل في نفاسة الشيء وأنه ليس هناك أعظم منه، وقد سبق بيان أن تشبيه أمور الآخرة بأعراض الدنيا، وإنما هو التقريب من الأفهام، وإلا فذرة من الآخرة الباقية خير من الأرض بأسرها وأمثالها معها لو تصورت ، وفي هذا الحديث بيان فضيلة العلم والدعاء إلى الهدى وسن السنن الحسنة (شرح النووي) .

وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من أن يكون لك حمر النعم .

هكذا سياقة مسلم ، وقال فيه البخاري : والنسائي : لأعطين هذه الراية غدًا ، ولم يذكر النسائي فيه قوله : فبات الناس يذكرون ليلتهم أيهم يعطاها .

ذكره البخاري فى غزوة خيبر ، وذكره مسلم فى المناقب ، وذكره النسائي فى فضائل على ، وذكره البخاري أيضًا فى الجهاد فى باب فضل من أسلم على يديه رجل[1] ، وذكره فى المناقب[2] من حديث عبدالعزيز بن أبي حازم ، عن سهل بن سعد ، أن رسول الله ﷺ قال : لأعطين الراية غدًا رجلاً يفتح الله على يديه ، فبات الناس يدروكون ليلتهم أيهم يعطاها ، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها .

فقال : أين علي بن أبي طالب ؟ فقالوا : يشتكي عينيه يا رسول الله ، قال : فأرسلوا إليه ؛ فأتى[3] به ، فلما جاء بصق فى عينيه ، فدعا له حتى كأن لم يكن به وجع ، الحديث إلى آخره مثله .

وخرَّجه فى كتاب الجهاد ، فى باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة[4]، من حديث عبدالعزيز بن أبي حازم عن أبيه ، عن سهل بن سعد ، سمع النبي ﷺ يقول يوم خيبر : لأعطين الراية رجلاً يفتح الله على يديه ، فناموا يرجون ذلك

---

(١) حديث رقم (٣٠٠٩)، باب (١٤٣) .

(٢) باب (٩) مناقب علي بن أبي طالب القرشى الهاشمى أبي الحسن – رضي الله تبارك تعالى عنه – وقال النبي ﷺ لعلى : " أنت مني وأنا منك" ، وقال عمر: " توفى رسول الله ﷺ وهو ، عنه راضٍ"، حديث رقم (٣٧٠١) .

(٣) كذا فى (الأصل)، وفى البخاري : " فأتوني به " .

(٤) باب (١٠٢) دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة ، وأن لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله ، وقوله – تعالى : ﴿ **ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون**﴾ [آل عمران: ٧٩] ، حديث رقم (٢٩٤٢).

أيهم يعطي ؟ إذ كلهم يرجون أن يعطي[1] ، فقال : أين علي ؟ ، فقيل : يشتكي عينيه ، فأمر فدعا به فبصق في عينيه . فبرأ مكانه حتى كأن لم يكن به شيء ، فقال : نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال علي رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم ، فوالله لأن يُهدي بك رجل واحد خير لك من حمر النعم .

وخرَّج البخاري في الجهاد في باب ما قيل في لواء النبي[2] ﷺ وفي مناقب علي ، وخرَّج مسلم في المناقب : كلاهما من حديث حاتم بن إسماعيل ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن سلمة بن الأكوع ، قال : كان علي - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قد تخلف عن النبي ﷺ في خيبر كان رمدًا ، وقال البخاري: وكان به رمد ، فقال : أنا أتخلف عن رسول الله ﷺ ؟ فلما كان في مساء الليلة التي فتحها الله في صباحها ، قال رسول الله ﷺ : لأعطين الراية أو ليأخذن الراية غدًا رجلٌ يحبه الله ورسوله ، أو قال : يحب الله ورسوله ، يفتح الله عليه، فإذا نحن بعلي ، وما نرجوه . فقالوا : هذا علي فأعطاه رسول الله ﷺ ففتح الله عليه ، لفظهما فيه متقارب .

وخرَّج النسائي[3] من حديث الحسين بن واقد ، عن عبدالله بن بريدة ، قال: سمعت أبي بريدة يقول : حاصرنا خيبر ، فأخذ اللواء أبو بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ولم يفتح له وأخذه من الغد عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه ، فانصرف ولم يفتح له ، وأصاب الناس يومئذ شدة وجهد ، فقال رسول الله ﷺ : إني رافع لوائي غداً إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، لا يرجع حتى يفتح له ربنا طيبة أنفسنا أن الفتح غدًا فلما أصبح رسول الله ﷺ الغداة ، ثم قام قائمًا ، ودعا باللواء والناس على مصافهم ، فما منا إنسان له منزلة عند رسول الله ﷺ إلا هو يرجو أن يكون صاحب اللواء فدعا علي بن

---

(١) كذا في (الأصل)، وفي البخاري :"فغدوا وكلهم يرجو أن يعطي" .

(٢) باب (١٢١) ، حديث رقم (٢٩٧٥) .

(٣) في كتاب الجهاد من (الكبرى).

أبي طالب ، وهو أرمد فتفل فى عينيه ودفع إليه اللواء ، وفتح الله له ، وقال: أنا فيمن تطاول لها .

وخرَّجه من حديث ميمون أبي عبد الله أن عبد الله بن بريدة حدثه عن بريد الأسلمى - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - قال : لما كان حيث نزل رسول الله ﷺ خيبر أعطى رسول الله ﷺ اللواء عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فنهض معه من نهض من الناس فلقوا أهل خيبر ، فانكشف هو وأصحابه ، فرجعوا إلى رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : لأعطين اللواء رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، فلما كان من الغد تصادر أبو بكر وعمر - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - فدعا علياً - رضي الله تبارك وتعالى عنه - وهو أرمد ، فتفل فى عينيه ، ونهض معه من الناس من نهض ، فلقى أهل خيبر ، فإذا مرحبُ يرتجز وهو يقول :

قد علمت خيبر أني مرحب ... شاكى السلاح بطل مجرب
أطعن أحيانًا وحينًا أضرب ... إذا الليوث أقبلت تلهب

وخرَّج أبو نعيم من حديث محمد بن فضيل ، عن سالم بن أبي حفصة ، عن منذر الثوري قال : سمعت الربيع بن خيثم يقول : أتيت عبدالله بن عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - فسألته عن علي - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فقال : إن رسول الله ﷺ قال : لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله لا يرجع حتى يفتح الله عليه ، فجعل أصحاب رسول الله ﷺ يتصدونه ، فقال : أين على بن أبي طالب ؟ فقالوا : يا رسول الله إنه أرمد لا يبصر ، فأخذ الراية ، فدعاه رسول الله ﷺ فأتى به فتفل فى عينيه فأبصر ، ثم نهر له رسول الله ﷺ ، قال عبدالله بن عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه : فوالذى نفسى بيده ما صعد آخرنا حتى فتح الله على أولنا .

ومن حديث عباد بن يعقوب ، والنضر بن سعد بن صهيب قالا : حدثنا عبدالله بن بكير ، عن حكيم بن جبير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أن النبي ﷺ قال يوم خيبر : لأدفعن الراية إلى رجل يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، لا يرجع حتى يفتح الله

عليه، فأصبح الناس طيبة وجوههم رجاء أن يدفها إليهم ، فدعا عليًا ، وهو أرمد، فتفل في عينيه ، ثم دفع الراية إليه ، ففتح الله عليه .

وخرّج من حديث أبي عوانة ، عن أبي فليح ، عن عمرو بن ميمون قال : كنت عند ابن عباس – رضي الله تبارك وتعالى عنه – فجاءه نفر تسعة ، فقالوا: يا ابن عباس قم معنا ؛ فقام معهم ، فما ندرى ما قالوا غير أنه رجع ينفض ثوبه ، ويقول : أف وأف وقعوا فى رجل قال فيه رسول الله ﷺ:لأدفعن رايتي هذه إلى رجل يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ، فأرسل إلى علي وهو فى الرحل يطحن ، وما كان أحدهم ليطحن ، فجاءوا به رمدًا . فقال : يا رسول الله : ما أكاد أبصر ؛ فنفث رسول الله ﷺ فى عينيه وأخذ الراية بيده، فهزها ثلاثًا ثم دفعها إليه ؛ ففتح له ، فجاء بصفية بنت حيي .

ومن حديث بكير بن مسمار قال : سمعت عاصم بن سعد يقول : أن أباه سعدًا ؛ قال : قال رسول ﷺ : لأعطين هذه الراية رجلاً يحب الله ورسوله فتطاولنا لرسول الله ﷺ فقال : أين علي ، فقالوا : هو أرمد ؛ قال : فدعوناه؛ فبصق فى عينيه ، ثم أعطاه الراية ؛ ففتح الله عليه .

ومن حديث يحيى بن سلمة بن كهيل ، عن مسلم الملامى ، عن خيثمة بن عبد الرحمن بن أبي وقاص – رضي الله تبارك وتعالى عنه – قال : قال رسول ﷺ: لأعطين الراية رجلاً يحبه الله ورسوله ، ويحب الله ورسوله ، لا يرجع حتى يفتح عليه ، فلما أصبح صلى الفجر ، ثم نظر ﷺ فى وجوه الناس ، فرأى عليًا منكسًا فى ناحية القوم يشتكى عينيه ، فدعاه فقال : يا رسول الله ، إنى أرمد فأخذ يفتح عينيه ، ودعا له ، قال علي – رضي الله تبارك وتعالى عنه : فوالذى بعثه بالحق ما اشتكيتها بعد .

وخرّج من حديث معتمر بن سليمان عن أبيه ، ومن حديث أبي عوانة، وأبي بكر بن أبي شيبة عن جرير ، ومن حديث هشيم كلهم عن مغيرة ، عن أم موسى سرية علي ، عن علي – رضي الله تبارك وتعالى عنه – قال : ما

رمدت ، ولا صدعت ؛ منذ تفل رسول الله ﷺ في عيني حين بعثني في خيبر، قال : ورواه الحكم[١] وعيسى عن ابن أبي ليلى ، عن علي .

وخرَّج من حديث عباد بن يعقوب ، قال : حدثنا عمر بن ثابت ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن حبشي قال : سمعت علياً - رضي الله تبارك وتعالى عنه - يقول : كنت أرمد من دخان الحصن ؛ فدعاني النبي ﷺ ، فتفل في عيني؛ فما رمدت بعده .

وخرَّج من طريق محمد بن إسحاق قال : حدثني بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي ، عن أبيه ، عن سلمة بن الأكوع قال : بعث رسول الله ﷺ أبا بكر بن أبي قحافة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - برايته إلى حصن من خيبر ، فقاتل، ولم يك فتح ، وقد جهد ، ثم بعث عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - بالغد، فقاتل ولم يك فتح ، وقد جهد . فقال رسول الله ﷺ : لأعطين الراية غدًا رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرار ، فدعا بعلي - رضي الله تبارك وتعالى عنه - وهو أرمد ، فتفل في عينيه ، فقال : خذ هذه الراية وامض بها ؛ حتى يفتح الله عليك .

قال سلمة : فخرج بها والله يهرول هرولة ، وأنا لخلفه متتبع أثره ، حتى ركز رايته في رضم من حجارة تحت الحصن ، فاطلع عليه يهودي من رأس الحصن ، فقال : من أنت ؟ قال : علي بن أبي طالب ، قال : يقول اليهودي : غلبتم[٢]وما أنزل على موسى ، أو كما قال ، فما رجع حتى فتح الله على يديه[٣].

قال أبو نعيم ، ورواه عكرمة بن عمار ، عن إياس بن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه ، قال : فما رواه سلمة يدل على تقدم علم اليهودي من رواياتهم وكتبهم

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) كذا في (الأصل) ، وفي (دلائل البهقي): " عليتم " .

(٣) (دلائل البيهقي) : ٦/٢٠٩ - ٢١١٠، باب ما جاء في بعث السرايا إلى حصون خبير وإخبار النبي ﷺ بفتحها على يدى علي بن أبي طالب - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ودعائه له ، وما ظهر في ذلك من آثار النبوة ودلالات الصدق .

بتوجيه من وجه إليهم ويكون الفتح على يديه ، ويكون فيه فضيلة شريفة لعلي - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : ورواه يزيد بن أبي عبيد ، عن سلمة .

وخرَّج من حديث عبد الرزاق قال : حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن سعيد ابن المسيب أظنه ، عن أبي هريرة ، ومن حديث معمر ، عن عثمان الجريري ، عن مقسم ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ يوم خيبر : لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ، ليس بفرار يفتح الله خيبر على يديه ؛ فتشرف لها المهاجرون والأنصار ، فسأل ، عن عليّ فقالوا : هو أرمد ، فدعاه النبي ﷺ فنفث فى عينيه ، ثم دعا له وأعطاه الراية ، ففتح الله على يديه .

ومن حديث مسدد قال : حدثنا أبو عوانة ، حدثنا سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : قال رسول ﷺ: لأعطين الراية غدًا رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه ، فدعا علياً فنفثه، ثم قال : اذهب فقاتل حتى يفتح الله عليك .

وخرَّجه من طريق إسرائيل ، عن عبد الله بن عصمة ، عن أبي سعيد الخدري ، ومن حديث منصور بن المعتمر ، عن ربعي بن خراش ، عن عمران ابن حصين ، ومن حديث الخليل بن مرة ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر بن عبدالله .

ومن حديث أبي فروة ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبيه - وبعضهم يزيد على بعض وينقص فى حديثه - فالمعنى واحد .

وقال أبو عمر محمد بن عبدالواحد المعروف بالزاهد غلام ثعلب فى كتاب (اليواقيت) قال ابن الأعرابي : كانت فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب وأبو طالب غائب ، فوضعته فسمته أسداً يحيي اسم أبيها ، فقدم أبو طالب ، فسماه عليًا، فكانت أم مرحب كاهنة ، فقالت : يا مرحب لا تبرز فى الحرب إلى رجل يكتنى ويرتجز بحيدرة ، فإنه قاتلك ، قال : فلما كانت ليلة خيبر قال النبي ﷺ: لأعطين الراية غدًا الرجل يحبه الله ورسوله ، ويحب الله ورسوله .

قال بعض الأنصار فما زالوا يدوكون تلك الليلة من هو فلما كان الغد ، قال النبي ﷺ : أين علي ؟ فإذا هو عليل ، قالوا : هو عليل ، قال : أين علي ؟ فإذا هو أرمد العين ، قال : فجاء وعينه رمدة ، فقال : ادن مني ، فدنا منه ،

فوضع رأسه في حجره ، فتفل فيها ﷺ ومسحها بألية يده ، قال : فانفتحت عين علي فرأيتها ، وكأنها جزعة من حُسنها ، قال : فمشى والراية معه ، فسمعت صياحه بالنداء ، ووجهه إلى العدو وظهره إلى النبي ﷺ وهو يقول : يا رسول الله ، علام أقاتل الناس ؟ فقال ﷺ : على أن يقولوا لا إله إلا الله وأني محمد رسول الله .

قال : فجاء إلى اليهود أجمع ما كانوا فشدوا عليه شدة رجل واحد ، فيثبت، ثم حملوا عليه ، فثبت ، فحمل عليهم فانهزموا إلى الحصون ، فلما رأوا إمرة علي داروه ، وكان مرحبٍ أشجع اليهود فصاحوا : يا مرحب اليوم .

قال : فخرَّج مبادراً مدلاً ، فلما تواقفا قال مرحب : ما اسمك يا فتى ؟ قال : عليّ ؛ فاطمأن قلبه ، وأقبل نحو عليّ وهو يرتجز .

أنا الذى سمتنى أمي مرحب   شاك سلاحى بطل مجرب
[إذا الليوث أقبلت نلهب   وأحجمت ، عن صولة المغلبُ][1]

قال : فقال علي - رضي الله تبارك وتعالى عنه - :

أنا الذى سمتنى أمي حيدره   كليث غابات غليظ القسوره

ويروى :

أنا الذى سمتنى أمي حيدره   أضرب بالسيف رؤوس الكفره
* أكيلهم بالصاع كيل السندره *

قال : فضربه على ضربه قده[2] باثنتين قال ابن عباس : كانت لعلي ضربتان إذا تطاول قد ، وإذا تقاصر قط . قال ثعلب : اختلف الناس فى قوله : السندرة ، فقال ابن الأعرابي : هو مكيال كبير مثل القنقل[3] ، وقال غيره :

---

(١) هذا البيت زيادة للسياق من (دلائل البيهقي).

(٢) القد : الشق طولاً ، والقط : الشق عرضاً . قال تعالى : ﴿ **إن كان قميصه قُدَّ من** ﴾ .

(٣) السندرة : السرعة ، والسندرة : الحرأة ، والسندر : الجرىء المتشبع ، والسندرة : ضرب من الكيل غراف جراف واسع ، والسندر : مكيال معروف: وفى حديث على - عليه السلام :

* أكيلكم بالسيف كيل السندرة *

قال أبو العباس أحمد بن يحيى : لم تختلف الرواة أن هذه الأبيات لعلي - عليه السلام : =

السندرة امرأة كانت تبيع القمح ، وكانت توفى الكيل ، قال ثعلب : فعلى هـذا إنـي أكيلكم كيـلاً وافيًا . قـال : وقـال غيرهمـا : السـندرة العجلـة ، فعلـى هـذا إنـي أبادركم ، قبل الفرار .

وقال ابن قتيبة : ويحتمل أن يكون مكيالاً اتخذ من السندرة ، وهـي شـجرة يعمل منها النبل والقسي .

قال الأنصاري : فرأيت أم مرحب وهى تندبه وهو بين يديهـا ، فقلت مـن قتل مرحبًا ؟ قالت : من كان يقتله إلا أحد رجلين ، قلت : من الرجلين ؟ قـالت : محمدٌ أو علي ، قلت : فمن قتله منهما ؟ قالت : علي ، قال : وأنشدنى :

لله در أبي طالب ودر رُمنـجبه لقـد أنحـبا

قال : وكنت فى الجيش ، فوالله ما استتم بـه آخرنـا حتـى فتـح علـى أولنـا بركة علي – رضي الله تبارك وتعالى عنه – هكذا ساق غلام ثعلب .

وخرّج البيهقي من حديث يونس بـن بكير بـن مسـلم الأزدي قـال : حدثنـا عبدالله بن بريدة ، عن أبيه ، قال : كـان رسـول اللـه ﷺ ربمـا أخذتـه الشـقيقة ، فيلبث اليوم ، واليومين لا يخرج ، ولما نزل خيبر أخذته الشقيقة[1] فلم يخرج إلى الناس ، وإن أبا بكر – رضي الله تبارك وتعـالى عنـه – أخـذ رايـة رسـول اللـه ﷺ، ثم نـهض فقاتل قتالاً شديدًا ، ثم رجـع . فأخذهـا عمـر – رضـي اللـه تبـارك وتعالى عنه – فقاتل قتالاً هو أشد من القتال الأول ، ثم رجع فأخبر بذلـك رسـول

= أنا الذى سمتنى أمى حيدرة كليت غابات غليظ القصرة

• أكيلكم بالسيف كيل السندرة •

قال : واختلفوا فى السندرة. فقال ابن الأعرابي وغيره : هو مكيال كبير ضخم مثـل القنقـل والجراف ، أى أقتلكم قتلاً واسعاً كبيراً وذريعاً ، وقيل : السندرة امرأة كانت تبيـع القمـح وتوفـى الكيل، أى أكيلكم كيلاً وافياً ، وقال آخر: السندرة العجلة ، والنون زائدة ، يقال: رجل سندرى إذا كان عجلاً فى أموره حاداً، أى أقاتلكم بالعجلة وأبـادركم قبـل الفـرار ، ويحتمـل أن يكـون مكيـالاً اتخذت من السندرة ، وهى شجرة يعمل منها النبل والقسى ، ومنه قيل : سـهم سـندري . (لسـان العرب) : ٤ /٣٨٢ مختصراً .

(١) الشقيقة : صداع يعرض فى مقدم الرأس .

الله ﷺ ، فقال: لأعطينها غدًا رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، يأخذها عنوة وليس ثم علي ، فتطاولت لها قريش ورجا كل رجل منهم أن يكون صاحب ذلك، فأصبح وجاء على بعيره حتى أناخ قريباً ، وهو أرمد قد عصب عينه بشقة برد قطري .

فقال رسول الله ﷺ : مالك ؟ قال : رمدت بعدك !! قال : ادن مني ، فدنا منه ، فتفل في عينه فما وجعها حتى مضى بسبيله ، ثم أعطاه الراية ، فنهض بالراية وعليه جبة أرجوان حمراء قد أخرج خملها فأتى مدينة خيبر ، وعليه مغفر يماني ، وحجر قد نقبه مثل البيضة على رأسه ، وهو يرتجز :

قد علمت خيبر أني مرحب ... شاكي سلاحي بطل مجرب
إذا الليوث أقبلت تلهب ... وأحجمت عن صولة المغلب

فقال علي - رضي الله تبارك وتعالى عنه :

أنا الذي سمتني أمي حيدره ... كليث غابات شديد القسورة
أكيلهم بالصاع كيل السندرة

فاختلفا ضربتين ، فبدره على فضربه فقد الحجر والمغفرة ، ورأسه ووقع في الأضراس ، وأخذ المدينة[1] .

وأما دعاؤه ﷺ لعلي بالهداية والسداد ، وقد ضرب بيده المقدسة في صدره فأجيب فيه دعواته صلوات الله وسلامه عليه

فخرّج أبو بكر بن أبي شيبة من حديث أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البختري ، عن علي - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : بعثني رسول الله ﷺ إلى أهل اليمن لأقضي بينهم ، فقلت : يا رسول الله

(١) (دلائل البيهقي) : ٤/٢١١- ٢١٢ .

لا علم لى بالقضاء[1] ، فضرب بيده على صدري[2] ، قال : اللهم اهدِ قلبه ، وسدد[3] لسانه ، قال : فو الذى فلق الحبة[4] فما شككت فى قضاء بين أثنين[5] حتى جلست مجلسى هذا .

وخرَّجه عبد بن حميد من حديث الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البختري ، عن علي قال :

بعثني رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله تبعثني وأنا شاب أقضى بينهم ولا أدري ما القضاء ، فضرب بيده فى صدري ، وقال : اللهم أهد قلبه ، وثبت لسانه، قال : والذى فلق الحبة ما شككت بعد فى قضاء بين اثنين[6] .

وخرَّجه النسائي من حديث أبي معاوية بمثله قال النسائي : روى هذا الحديث شعبة - رضي الله تبارك وتعالى عنه ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البختري ، فقال : أخبرنى من سمع عليًا - رضي الله تبارك وتعالى عنه وأرضاه .

---

(١) كذا فى (الأصل) ، وفى (دلائل البيهقي) :" يارسول الله تبعثنى وأنا شاب أقضي بينهم ولا أدرى ما القضاء ؟ .

(٢) كذا فى (الأصل) وفى (دلائل البيهقي): "فى صدري" .

(٣) كذا فى (الأصل) وفى (دلائل البيهقي) : " وثبت" .

(٤) ما بين الحاضرتين زيادة للسياق من (المرجع السابق) .

(٥) (دلائل البيهقي) : ٣٩٧/٥، باب بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب - رضي الله تبارك وتعالى عنه - إلى أهل بحران ، وبعثه الى اليمن بعد خالد بن الوليد - رضي الله تبارك وتعالى عنه - وهذا الحديث إسناره ضعيف لانقطاعة، وأبو البختري ثبت ، ولم يسمع من علي شيئاً، قاله ابن معين ، والحديث فى (طبقات ابن سعد) ، (سنن ابن ماجة) ، (ومسند احمد) ، وله إسناد متصل ، عند أبي دواد ، وروى الترمذى بعضه وحسنة ، ورواة الإمام أحمد فى (المسند) باسناد صحيح ، عن حارثه بن مضرب ، عن علي قال: بعثنى رسول الله ﷺ إلى اليمن ، فقلت : يا رسول الله، أنك تبعثنى إلى قوم هم أنس منى لأقصى بينهم ، قال : اذهب ، فإن الله - تعالى - سيثبت لسانك ويهدى قلبك . (هامش الدلائل) .

(٦) راجع التعليق السابق .

قال النسائي والبختري : لم يسمع من على شيئًا ، ولم يره أيضاً ، وقال يحيى بن معين : أبو البختري الطائي اسمه سعد ، وهو ثبت ولم يسمع من علي - رضي الله تبارك وتعالى عنه - شيئًا .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة سمع أبا البخترى يقول : حدثنى من سمع عليًا - رضي الله تبارك وتعالى عنه - يقول : لما بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن ، فقلت : يا رسول الله تبعثنى وأنا رجل حديث السن لا علم لى بكثير من القضاء ، قال : فضرب رسول ﷺ يده فى صدري ، وقال : إن الله - عز وجل - سيثبت لسانك ، ويهدي قلبك ، قال : فما أعياني قضاء بين اثنين .

وخرَّجه ابن عساكر من حديث إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة بن مضرب ، عن علي - رضي الله تبارك وتعالى عنه .

ومن حديث جعفر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب - رضي الله تبارك وتعالى عنه ، ومن حديث شريك ، عن سماك ، عن حنش ، عن علي - رضي الله تبارك وتعالى عنه ، ومن حديث سلمة الأعور ، عن مجاهد ، عن ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنهما .

وأما صرف الوباء عن المدينة النبوية وانتقال الحمى عنها إلى الجحفة ببركة المصطفى ﷺ

فخرَّج البخاري من حديث مالك ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - أنها قالت : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك أبو بكر وبلال - رضي الله تبارك وتعالى عنه عنهما ، قالت : فدخلت عليهما يا أبه كيف تجدك ؟ ويا بلال [فقلت :] كيف تجدك ؟ قالت : وكان أبو بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - إذا أخذته الحمى يقول

كل امرئ مصبح فى أهله والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال إذ أقلع عنه الحمى يرفع عقيرته ، ويقول :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بوادٍ وحولى إذخر وجليل

وهل أردن يوماً مياه مجنة وهل يبدون لى شامة وطفيل

قالت عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها : فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته ، فقال : اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أشد وصححها ، وبارك لنا فى صاعها ومدها وانقل حماها ، فاجعلها بالجحفة .

ذكره فى باب من دعا برفع الوباء والحمى[1] ، وفى كتاب الهجرة[2] ، وفى كتاب المرضي فى باب عيادة النساء[3] الرجال .

---

(١) حديث رقم (٥٦٧٧) باب (٢٢) من كتاب المرضي قوله : (باب الدعاء برفع الوباء والحمى) الوباء يهمز، وجمع المقصور بلا همز أوبيه ، وجمع المهموز أوباء ، يقال أو بأت الأرض فهى مؤبئة ، ووبئت بضم الواو فهى موبوءة ، قال عياض : الوباء عموم الأمراض، وقد أطلق بعضهم على الطاعون أنه وباء لأنه من أفراده ، لكن ليس كل وباء طاعونا ، وعلى ذلك يحمل قول الداودى لما ذكر الطاعون : الصحيح أنه الوباء ، وكذا جاء ، عن الخليل بن أحمد أن الطاعون هو الوباء ، وقال ابن الأثير فى النهاية : الطاعون المرض العام، والوباء الذى يفسد له الهواء فتفسد به الأمزجة والأبدان ، وقال ابن سيناء: الوباء ينشأ ، عن فساد جوهر الهواء الذى هو مادة الروح ومدده ، قلت: ويفارق الطاعون الوباء بخصوص سببه الذى ليس هو كونه من طعن الجن كما سأذكره مبيناً فى " باب ما يذكر من الطاعون" من كتاب الطب إن شاء الله تعالى.

(٢) (فتح البارى) : ٧ /٣٣٣، كتاب مناقب الأنصار، باب (٤٦) مقدم النبي ﷺ وأصحابة المدينة ، حديث رقم (٣٩٢٦) قوله : (قدمنا المدينة) فى رواية أبي أسامة ، عن هشام "هى أوبأ أرض الله " وفى رواية محمد بن إسحق ، عن هشام بن عروة نحوه وزاد "قال هشام وكان وباؤها معروفاً فى الجاهليه ، وكان الإنسان إذا دخلها وأراد أن يسلم من وبائها قيل له انهق، فينهق كما ينهق الحمار، وفى ذلك يقول الشاعر لعمري لئن غنيت من خفة الردى ... نهيق حمار أننى لمروع قوله : (وعك) بضم أوله وكسر ثانيه أى أصابة الوعك وهى الحمى . قوله : (كيف تجدك) أى تجد نفسك أو جسدك ، وقوله : (مصبح) بمهملة ثم موحدة وزن وقد يفجأه الموت فى بقية النهار وهو مقيم بأهله . قوله: (شراك) بكسر المعجمة وتخفيف الراء: السير الذى يكون فى وجه النعل، والم، عنى أن الموت أقرب إلى الشخص من شراك نعله لرجله . قوله : (أقلع ، عنه) بفتح أوله أى الوعك وبضمها، والأقلاع الكف ، عن الأمر . قوله : (يرفع عقيرته) أى صوته =

وخرَّجه فى آخر كتاب الحج[1] ، من حديث أبي أسامة ، عن هشام بن عروة عن أبيه ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت : لما قدم

= ببكاء أو بغناء ، قال الأصمعي :أصلة أن رجلا انعقرت رجلة فرفعها على الأخرى وجعل يصيح فصار كل من رفع صوته يقال: رفع عقيرته، وإن لم يرفع رجلة قال ثعلب وهذا من الأسماء التى استعملت على غير أصلها.قوله : (وجليل) بالجيم موضع على أميال من مكة وكان به سوق، تقدم بيانه فى أوائل الحج.قوله "يبدون" أى يظهر، وشامة وطفيل جبلان بقرب مكة ، وقال الخطابي : كنت أحسب أنهما جبلان حتى ثبت ، عندى أنهما عينان ، وقوله : "أردن ويبدون" بنون التأكيد الخفيفة ، وشامة بالمعجمة والميم مخففاً ، وزعم بعضهم أن الصواب بالموحدة بدل الميم والمعروف بالميم ، وزاد المصنف أخر كتاب الحج من طريق أى اسامة ، عن هشام به "ثم يقول بلال : اللهم العن عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا" أى أخرجهم من رحمتك كما أخرجونا من وطننا، وزاد ابن اسحق فى روايته ، عن هشام وعمرو بن عبد الله ابن عروة ، عن عائشة عقب قول أبيها "فقلت والله ما يدري أبي ما يقول". قالت : "ثم دنوت إلى عامر بن فهيرة وذلك أن يضرب علينا الحجاب - فقلت : كيف تجدك يا عامر؟ فقال :

لقد وجدت الموت قبل ذوقة	إن الجبان حتفه من فوقه
كل امرئ مجاهد بطوقة	كالثور يحمي جسمه برقه

وقالت فى آخره : " فقلت : يارسول الله انهم ليهذون وما يعقلون من شدة الحمى " . والزيادة فى قوله عامر بن فهيرة رواها مالك أيضاً فى " الموطا" ، عن يحيى بن سعيد ، عن عائشة منقطعاً .

(٣) باب (٨) ، حديث رقم (٥٦٥٤) .

(١) (فتح الباري) : ١٢٤/٤، كتاب فضائل المدينة ، باب (١٢) بدون ترجمة، حديث رقم (١٨٨٩)، وفيه بعد قوله ﷺ: "وانقل حماها إلى الجحفة " : " قالت وقدمنا المدينة وهى أوبأ أرض الله ، فكان بطحان يجرى نجلاً ، تعنى ماءً أجنا قوله :(قالت) يعنى عائشة ، والقائل عروة متصل. قوله : (وهى أوبأ) بالهمز بوزن أفعل من الوباء والوباء مقصور يهمز ويغير همز هو المرض العام ، ولا يعارض قدومهم عليها وهى بهذه الصفه نهيه ﷺ ، عن القدوم على الطاعون ، لأن ذلك كان قبل النهى ، أن النهي يختص بالطاعون ونحوه من الموت الذريع لا =

رسول الله ﷺ المدينة وعك أبو بكر ، وبلال ، وكان أبو بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - إذا أخذته الحمى يقول :

كل امرئ مصبح فى أهله والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال - رضي الله تبارك وتعالى عنه - إذا أقلع عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بواد وحولى أذخر وجليل

وهل أردن يومًا مياه مجنة وهل يبدون لى شامة وطفيل

اللهم العن شيبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا إلى أرض الوباء ، قم قال رسول الله ﷺ : اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، اللهم بارك لنا فى صاعنا ، وفى مدنا وصححها لنا ، وانقل حماها إلى الجحفة . قالت : وقدمنا المدينة وهى أوبأ أرض الله ﷺ ، قالت : فكان بطحان يجرى ثجلا يعني ماء أجنا .

= المرض ولو عم . قوله : (قالت فكان بطحان) يعنى وادى المدينة وقولها : (يجرى نجلاً، تعنى ماء آجنا) هو من تفسير الراوى ، عنها ، عرضها بذلك بيان السبب فى كثرة الوباء بالمدينة، لأن الماء الذى هذه صفته يحدث ، عندة المرض ، وقيل : النخل الزيتون وزاى ، يقال استنجل الوادى إذا ظهر نزورة. و"نجلا" بفتح النون وسكون الجيم وقد تفتح حكاه ابن التين، وقال ابن فارس: النجل بفتحيم سعة العين وليس هو المراد هنا ، وقال ابن السكيت : النجل العين حين تظهر وينبع عين الماء. وقال الحربى نجلا أى واسعاً ، ومنه عين نجلاء أى واسعة، وقيل : هو الغدير الذى لايزال فيه الماء . قوله : (تعنى ماء آجنا) بفتح الهمزة وكسر الجيم بعدها نون أى متغيراً، قال عياض : هو خطأ ممن فسره فليس المراد هنا الماء المتغير. قلت : وليس كما قال فأن عائشة قالت ذلك فى مقام التعليل لكون المدينة كانت وبيئه ، ولا شك أن النجل إذا فسر بكونه الماء الحاصل من النز فهو بصدد أن يتغير" وإذا تغير كان استعماله مما يحدث الوباء فى العادة. أما أثر عمر فذكر ابن سعد سبب دعائة بذلك ، وهو ما اخرجه بإسناد صحيح ، عن عوف بن مالك أنه رأى رؤيا فيها أن عمر شهيد مستشهد ، فقال لما قصها عليه أنى لى بالشهادة وأنا بين ظهراني جزيرة العرب لست أغزو والناس حولى ثم قال : بلى بها الله إن شاء .

وخرَّجه فى كتاب الدعاء من حديث سفيان ، عن هشام بن عروة ، عن عائشة قالت : قال النبي ﷺ : اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة أو أشد، وانقل حماها إلى الجحفة ، اللهم بارك لنا فى مدنا وصاعنا ، ذكره فى باب الدعاء برفع الوباء[1] .

وخرَّجه مسلم[2] من حديث عبدة ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : قدمنا المدينة وهي وبئة ، فاشتكى أبو بكر واشتكى بلال - رضى الله تبارك وتعالى عنه ، فلما رأى رسول الله ﷺ شكوى أصحابه قال : اللهم حبب

---

(١) حديث رقم (٦٣٧٢) .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ٩ / ١٥٨-١٥٩، كتاب الحج ، باب (٨٦) الترغيب فى سكنى المدينة والصبر على وبائها، حديث رقم (١٣٧٤)، قولها (قدمنا المدينة وهى بيئة) وهى بهمزة ممدودة يعنى ذات وباء بالمد والقصر وهو الموت الذريع هذا أصلة ويطلق أيضا على الأرض الوخمة التى تكثر بها الأمراض لا سيما للغرباء الذين ليسوا مستوطنيها . فإن قيل كيف قدموا على الوباء وفى الحديث الآخر فى الصحيح النهى ، عن القدوم النهى عن القدوم عليه فالحواب من جهين ذكرهما القاضي أحدهما أن القدوم كان قبل النهي ؛ لأن النهي كان فى المدينة بعد استيطانها ، والثانى أن المنهى ، عنه هو القدوم على الوباء الذريع والطاعون ، وأما هذا الذى كان المدينه فانما كان وخما يمرض بسببه كثير من الغرباء والله أعلم . قوله ﷺ : (وحول حماها إلى الجعفة) قال الخطابي وغيرة : كان ساكنو الجحفة فى ذلك الوقت يهودا ، ففيه دليل للدعاء على الكفار بالأمراض والأسقام والهلاك وفيه الدعاء للمسلمين بالصحة وطيب بلادهم والبركة فيها وكشف الضر والشدئد ، عنهم وهذا مذهب العلماء كافة قال القاضى وهذا خلاف قول بعض المتصرفة أن الدعاء قدح فى التوكل والرضا وانه ينبغى تركه وخلاف قول بعض المتصوفة ان الدعاء قدح فى التوكل والرضا وانه ينبغى تركه وخلاف قول المعتزلة أن لا فائدة فى الدعاء مع سبق القدر ومذهب العلماء كافة أن الدعاء عبادة مستقلة ولا يستجاب منه إلا ما سبق به القدر والله اعلم ، وفى هذا الحديث علم من أعلام نبوة نبينا ﷺ فان الجعفة من يومئذ مجتنبة ولا يشرب أحد من مائها إلا حم . ورواه الإمام مالك فى (الموطأ) فى الجامع ، باب ما جاء فى وباء المدينة .

إلينا المدينة كما حببت إلينـا مكـة أو أشـد ، وصححهـا وبـارك لنـا فـى صاعهـا ، ومدها وحول حماها إلى الجحفة .

وخرَّجه أيضًا من حديث أبي أسامة ، وابن نمير ، عن هشام بـن عـروة[١]

قال ابن عبدالبر : وقد ذكر حديث خالد ، عـن هشـام ، ولـم يختلـف رواة الموطـأ فيها علمت ، عن مالك فـى إسناد هذا الحديث ولا فـى متنـه ، ولـم يذكـر مـالك - رحمه الله - فيه قول عامر بن فهيرة ، وسائر رواة هشـام يذكـرون عنـه فيـه بهذا الإسناد .

وذكره مالك فى الموطأ ، عن يحيى بن سعيد قال : قالت عائشة - رضـي الله تبارك وتعالى عنها : وكان عامر بن فهيرة يقول :

قد رأيت الموت قبل ذوقه   إن الجبان حتفه من فوقه

قال : ورواه ابن عيينة ، ومحمد بن إسحاق ، عن هشام بـن عـروة ، عـن أبيه ، عن عائشة ، فجعلا الداخل على أبي بكر وبلال وعامر رسول اللـه ﷺ ، لا عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها .

وقد تابع مالكـا علـى روايتـه فـى ذلـك سعيد بـن عبدالرحمـن ، فذكـر مـن طريق ابن وهب قال : أخبرني سعيد بن عبدالرحمن ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة - رضى الله تبارك وتعالى عنها - أنها قالت : لما قدم رسـول الله ﷺ المدينة وعك أبو بكر وبلال وعامر بن فهيرة ، قـالت : فدخلـت عليهـم ، وهم فى بيت ، فقلت : يا أبه كيف تجدك ؟ ويا بلال كيف تجدك ؟ فكان أبـو بكـر إذا أخذته الحمى يقول :

كل امرئ مصبح فـى أهـله   والموت أدنى من شراك نعله

ويقول عامر بن فهيرة :

قد ذقت طعم الموت قبل ذوقه   إن الجـبان حتفه مـن فـوقه

وكان بلال إذا أقلع عنه يقول : ألا ليـت شـعرى ، فذكـر البيتيـن والحديـث إلى آخره كرواية مالك سواء إلا أنه ذكر فيه قـول عـامر بـن فـهيرة كمـا تـرى ، وجعل الداخلة عليهم عائشة .

---

(١) الحديث الذى يليه بدون متن وبدون رقم .

وأما حديث سفيان بن عيينة ، فذكره من طريق الحميدي قال : حدثنا سفيان حدثنا هشام بن عروة ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت دخل رسول الله المدينة مع أصحابه ؛ فدخل النبي ﷺ على أبي بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - يعوده ، فقال : كيف تجدك يا أبا بكر؟ فقال :

كل امرئ مصبح فى أهله والموت أدنى من شراك نعله

قالت : ودخل على عامر بن فهيرة ، فقال : كيف تجدك ؟ فقال : وجدت

وجدت طعم الموت قبل ذوقه إن الجبان حتفه من فوقه

كالثور يحمى جلده بروقه

قالت : ودخل على بلال ، فقال : كيف تجدك ؟ فقال :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بفج محولى إذخر وجليلُ

وربما قال سفيان براد :

وهل أردن يومًا مياة مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيلُ

فقال رسول الله ﷺ : اللهم إبراهيم عبدك وخليلك دعاك لأهل مكة ، وأنا عبدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة بمثل ما دعاك إبراهيم لأهل مكة ، اللهم بارك لنا فى صاعنا ، وبارك لنا فى مدنا ، وبارك لنا فى مدينتنا .

قال سفيان : ورواه ، قال فى فرقنا الله : اللهم حببنا فيها ضعفى ما حببت إلينا مكة أو أشد ، وصححها ، وانقل وباءها إلى خم أو الجحفة ، هكذا قال ابن عيينة فى هذا الحديث أن رسول الله ﷺ هو كان الداخل على أبي بكر وعلي بلال وعامر بن فهيرة يعودهم ، وهو كان المخاطب لهم ، وشك فى قوله بلال فى البيت الذى أنشده بفج أو بواد .

وقال فى حديثه : وانقل وباءها إلى مهيعة وهى الجُحفة ، قال ابن عبدالبر: وقد روي ابن أبي الزناد ، عن موسى ابن عقبة ، عن سالم ، عن ابن عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : سمعت النبي ﷺ يقول : رأيت فى المنام امرأة سوداء ثائرة ثقيلة ، أخرجت من المدينة فأسكنت مهيعة ، فأولتها وباء المدينة ينقله الله إلى مهيعة .

قال كاتبه وقد خرج البخاري فى هذا الحديث من طريق سليمان بن بلال ، عن موسى بن عقبة ، عن سالم بن عبدالله ، عن أبيه أن النبي ﷺ قال : رأيت

كأن امرأة سوداء ثائرة الرأس[1] ، خرجت من المدينة حتى قامت بمهيعة وهى الجحفة ، فأولت أن وباء المدينة ينقل إليها .

ترجم عليه باب إذا رأى أنه أخرج الشيء من كورة ؛ فأسكنه موضعًا آخر[2] .

وخرَّجه فى باب المرأة السوداء ، من حديث فضيل بن سليمان ، حدثنا موسى بن عقبة ، حدثنى سالم بن عبدالله ، عن عبدالله بن عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فى رؤيا النبي ﷺ فى المدينة : رأيت امرأة سوداء ثائرة الرأس ، خرجت من المدينة حتى نزلت بمهيعة ؛ فتأولتها أن وباء المدينة نقل إلى مهيعة ، وهى الجحفة[3] .

وخرَّجه فى باب المرأة الثائرة الرأس[4] من حديث سليمان ابن موسى بن عقبة ، عن سالم ، عن أبيه أن النبي ﷺ قال : رأيت امرأة سوداء ثائرة الرأس خرجت ....

وقد خرَّج البيهقي[5] وغيره من حديث مسدد حدثنا حماد بن زيد ، عن هشام، عن عروة ، عن عائشة قالت : قدم رسول الله ﷺ المدينة وهى وبئة ،

---

(١) فى (الأصل) : " ثائرة الشعر" وما أثبتناه من البخاري .

(٢) باب (٤١) ، حديث رقم (٧٠٣٨) من كتاب التعبير .

(٣) باب (٤٢) ، حديث رقم (٧٠٣٩) من كتاب التعبير .

(٤) باب (٤٣) ، حديث رقم (٧٠٤٠) من كتاب التعبير .

(٥) (دلائل النبوة) : ٥٨٦/٢، باب مالقى رسول الله ﷺ من وباء المدينة حين قدموها، وعصمة الله رسول ﷺ ، عنها، ثم ورد فى دعائة بتصحيحها لهم ونقل وبائها عنهم إلى الجحفه ، واستجابة دعائة ، ثم تحريمة المدينة ودعائة لأهلها بالبركة ، وعنه نقله الحافظ ابن كثير فى (البداية والنهاية) قال هشام : وكان وباؤها معروفاً فى الجاهليه، وكان أذا كان الوادى وبيئاً فأسرف عليه إنسان قيل له : انهق كنهق الحمار ! فإذا فعل ذلك لم يضرة وباء ذلك الوادى ، وقد قال الشاعر حين أشرف على المدينة :

لعمرى لئن عشرت من خيفة الردى ... نهيق الحمار إننى لجزوع =

فذكر الحديث ، قال : وقال : هشام : فكان المولود يولد بالجحفة ، ولا يبلغ الحلم حتى تصرعه الحمى .

وقال الواقدي في غزوة بدر : لما نزل رسول الله ﷺ بيوت السقيا ، فحدثنى ابن أبي ذئب ، عن المقبري ، عن عبدالله بن قتادة ، عن أبيه أن رسول الله عند بيوت السقيا ، ودعا يومئذ لأهل المدينة ، فقال : اللهم إن إبراهيم عبدك، وخليلك ، ونبيك دعاك لأهل مكة ، وإني محمد عبدك ونبيك أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم فى صاعهم ، ومدهم ، وثمارهم ، اللهم حبب إلينا المدينة واجعل ما بها من الوباء بخم[1] ، اللهم إنى قد حرمت ما بين لابتيها كما حرم إبراهيم خليلك مكة[2] .

= قالت عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - فأشتكى أبو بكر وبلال - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - وذكر الحديث بنحو حديث أبي أسامة ، إلا أنه قال: فلما رأى رسول الله ﷺ ما أصاب أصحابه، دعا الله ، فذكره وقال فيه:

وبارك لنا فى صاعها ومدها . (دلائل البيهقي) :٢/٥٧٦ .

(١) خم : على ميلين من الجحفة .

(٢) (مغازى الواقدي) : ١/ ٢٢.

وأما شفاء سعد بن أبي وقاص
رضي الله تبارك وتعالى عنه
وإتمام الله تعالى هجرته بدعاء الرسول ﷺ
ووقوع ما أشار به ﷺ

فخرَّج البخاري من حديث الجعيد ، عن عائشة بنت سعد أن أباها قال : تشكيت بمكة شكوى شديدة ، فجاءني النبي ﷺ يعودني ، فقلت : يا نبي الله إني أترك مالاً ، وإني لا أترك إلا ابنة واحدة ، وأوصي بثلثي مالي ، وأترك الثلث ؟ قال : لا ، فقلت : فأوصي بالثلث وأترك لها الثلثين ؟ قال : الثلث ، والثلث كثير ، ثم وضع يده على جبهتي ، ثم مسح وجهي وبطني ، ثم قال : اللهم اشف سعدًا وأتمم له هجرته ، فما زلت أجد برد يده على كبدي فيما يخيل إلي حتى الساعة .

ذكره في كتاب المرضي ، وترجم عليه باب وضع اليد[1] على المريض . وخرَّجه النسائي[2] بهذا الإسناد بمعناه ، قال : وصح وجهي وصدري وبطني ، وقال : فما زلت أجد أحد برد يده على كبدي حتى الساعة .

وخرَّجه مسلم من حديث الثقفي ، عن أيوب السختياني ، عن عمرو بن سعيد، عن حميد بن عبدالرحمن الحميري ، عن ثلاثة من ولد سعد كلهم يحدث ، عن أبيه ، أن النبي ﷺ دخل على سعد يعوده بمكة ، فبكى ، فقال : ما يبكيك ؟ فقال : خشيت أن أموت بالأرض التي هاجرت منها كما مات سعد بن خولة ، فقال النبي ﷺ : اشف سعدًا – ثلاث مرات ، فقال : يا رسول الله إن لي مالاً كثيرًا، وإنما ترثني أفأوصي بمالي كله ؟ قال : لا ، قال : فبالثلثين ؟ قال : لا ،

---

(١) باب (١٢) وضع اليد على المريض، حديث رقم (٥٦٥٩)، ومابين الحاضرتين زيادة للسياق منه .

(٢) (سنن النسائي) : ٥٥٣/٦،كتاب الوصايا ،باب (٣) الوصية بالثلث ، حديث رقم (٣٦٣١)، وقد انفرد به النسائي في (المجتبى) ، ولكن حديث الباب في عشرة النساء من (الكبرى) باب ثواب النفقة التي يبتغى بها وجه الله – تعالى ، حديث رقم (٣٢٥) .

قال فبالنصف ؟ قال : لا قال : فبالثلث ؟ قال : الثلث ، والثلث كثير ، إن صدقتك من مالك صدقة ، وإن نفقتك على عيالك صدقة ، وإنك تدعهم يتكففون الناس وقال بيده[1] .

وخرَّجه أيضًا من حديث حماد بن زيد قال : حدثنا أيوب ، عن عمرو بن سعيد ، عن حميد بن عبدالرحمن الحميري ، عن ثلاثة من ولد سعد ، قالوا : مرض سعد بمكة ، فأتاه رسول الله ﷺ يعوده ، فذكره بنحو حديث الثقفي[2] .

وخرَّجه من حديث عبد الأعلى ، حدثنا هشام ، عن محمد بن حميد بن عبدالرحمن ، قال : حدثني ثلاثة من ولد سعد بن مالك كلهم يحدثه بمثل حديث صاحبه ، فقال : مرض سعد بمكة ، فأتاه النبيﷺ يعوده بنحو حديث عمرو بن سعيد ، عن الحميري[3] .

وخرَّج البخاري من حديث زكريا بن عدي : حدثنا مروان ، عن هاشم بن هاشم ، عن عامر بن سعد ، عن أبيه قال : مرضت عادني النبي ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ، ادع الله ألا يردني على عقبي ، قال : لعل الله يرفعك وينفع بك ناسًا، فقلت : أريد أن أوصى وإنما لى ابنة ، فقلت : أوصى بالنصف ؟

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ١١/٩٠، كتاب الوصية باب (١) الوصية بالثلث ، حديث رقم (٨) .

(٢) (المرجع السابق) : حديث رقم (٩) قوله : (عن حميد بن عبد الرحمن الحميري ، عن ثلاثه من ولد سعد كلهم يحدثه ، عن أبيه أن النبي ﷺ دخل على سعد يعوده بمكة) فى الرواية الأخرى، عن حميد ، عن ثلاثه من ولد سعد قالوا مرض سعد بمكة فاتاه رسول الله ﷺ يعوده فهذه الرواية مرسلة والأولى متصلة لأن أولاد سعد تابعيون وانما ذكر مسلم هذه الروايات المختلفة فى وصله وارساله ليبين اختلاف الرواة فى ذلك قال القاضي وهذا وشبهة من العلل التى وعد مسلم فى خطبة كتابه أنه يذكرها فى مواضعها ، فظن ظانون أنه يأتي بها مفردة ، وانه توفى قبل ذكرها والصواب أنه ذكرها فى تضاعيف كتابه كما أوضحناه فى أول هذا الشرح ، ولا يقدح هذا الخلاف فى صحة هذه الرواية ولا فى صحة أصل الحديث ، لأن أصل الحديث ثابت من طرق من غير جهة حميد ، عن أولاد سعد ، وثبت وصله ، عنهم فى بعض الطرق التى ذكرها مسلم .

(٣) (المرجع السابق) : الحديث الذى يلى الحديث رقم (٩) بدون رقم .

قال : النصف كثير ، قلت : فالثلث ؟ قال : الثلث ، والثلث كبير وكثير ، قال : فأوصى الناس بالثلث ؛ فجاز ذلك لهم ذكره فى باب الوصية بالثلث(١) .

---

(١) (فتح الباري) : ٤٦٤/٥، كتاب الوصايا، باب (٣) الوصية بالثلث وقال الحسن : لايجوز للذمي وصية إلا الثلث ، وقال الله عز وجل : ﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ﴾ [المائدة : ٤٩]، حديث رقم (٢٧٤٤) قوله : (باب الوصية بالثلث) أى جوازها أو مشروعيتها ، وقد سبق تقرير ذلك فى الباب الذى قبله ، واستقر الإجماع على منع الوصية بأزيد من الثلث ، لكن اختلف فيمن كان له وارث ، وسيأتي تحريره فى "باب لاوصية الوارث" وفيمن لم يكن له وارث خاص فمنعه الجمهور وجوزه الحنففية وإسحق وشريك وأحمد فى رواية ، وهو قول علي وابن مسعود، واحتجوا بأن الوصية مطلقة بالآية فقيدتها السنة بمن له وارث فيبقى من لا وارث له على الأطلاق ، وقد تقدم فى الباب الذى قبله توجيه لهم آخر، وأختلفوا أيضاً هل يعتبر ثلث المال حال الوصية أو حال الموت ؟ على قولين ، وهما وجهان للشافعية أصحهما الثانى ، فقال بالأول مالك وأكثر العراقيين وهو قول النجعى وعمر بن عبد العزيز، وقال بالثانى أبو حنيفه وأحمد والباقون وهو قول علي بن أبي طالب - رضي الله عنه وجماعة من التابعين ، وتمسك الأولون بأن الوصية عقد والعقود تعتبر بأولها ، وبأنه لو نذر أن يتصدق بثلث ماله ؛ اعتبر ذلك حالة النذر اتفاقاً ، وأجيب بأن الوصية ليست عقداً من كل جهة ؛ ولذلك لا تعتبر بها الفورية ولا القبول ، وبالفرق بين النذر والوصية بأنها يصح الرجوع عنها والنذر يلزم بما علمه الموصي دون ما خفى غليه أو تجدد له ولم يعلم به ؟ وبالأول قال الجمهور ، وبالثانى قال مالك وحجة أنه لا يشترط ان يستحضر تعداد مقدار المال حالة الوصية اتفاقاً ، ولو كان عالماً بجنسه ، فلو كان العلم به شرطاً لما جاز ذلك ، وثمرة هذا الخلاف تظهر فيما لو حدث له مال بعد الوصية، اختلفوا أيضا : هل يحسب الثلث من جميع المال أو تنفذ (فائده): أول من أوصى بالثلث فى الإسلام البراء بن المعرور بمهملات ، أوصى به للنبي ﷺ وكان قد مات قبل أن يدخل النبي ﷺ المدينة بشهر ، فقبله النبي ﷺ ورده على ورثته، أخرجه الحاكم وابن المنذر من طريق يحيى بن عبد الله بن أبي قتادة ، عن أبيه ، عن جده .

قوله : (وقال الحسن) أى البصري (لايجوز للذمى وصية إلا بالثلث) ، قال ابن بطال : أراد البخاري بهذا الرد على من قال كالحنفية بجواز الوصية بالزيادة على الثلث لمن لا وارث له، قال : ولذلك احتج بقول الله - تعالى : ﴿ وأن أحكم بينهم بما أنزل الله ﴾ والذى حكم به =

وقد خرَّج البخاري ومسلم هذا الحديث من طريق إبراهيم بن سعد ، قال : حدثنا ابن شهاب ، حدثنا عامر بن سعد عن أبيه ، ومن حديث سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، عن عامر بن سعد ، عن أبيه ، ومن حديث سفيان الثوري ، عن سعد بن إبراهيم ، عن عامر بن سعد ، عن أبيه .

وخرَّجه مسلم من حديث زهير : حدثنا سماك بن حرب قال : حدثني مصعب بن سعد ، عن أبيه ، ولم يذكر دعاء النبي ﷺ لسعد بالشفاء .

= النبي ﷺ من الثلث هو الحكم بما أنزل الله، فمن تجاوز ما حده فقد أتى ما نهى عنه ، وقال ابن المنير: لم يرد البخاري هذا ، وإنما أراد الأستشهاد بالآيه على أن الذمى إذا تحاكم إلينا ورثته لا ينفذ من وصيته إلا الثلث ؛ لأنا لا نحكم فيهم إلا بحكم الإسلام لقوله تعالى : ﴿ **وأن أحكم بينهم بما أنزل الله** ﴾ الآية ، قوله : (، عن هاشم بن هاشم) أى ابن عتبة بن أبي وقاص، وقد نزل البخاري فى هذا الإسناد درجتين ؛ لأنه يروى ، عن مكي بن إبراهيم ، ومكي يروى ، عن هاشم المذكور، وسيأتي فى مناقب سعد له بهذا الإسناد حديث ، عن مكي ، عن هاشم ، عن عامر بن سعد ، عن أبيه ، قوله : (فقلت يا رسول الله ادع الله أن لا يردني على عقبي) هو إشارة إلي ما تقدم من كراهية الموت بالأرض التى هاجر منها وقد تقدم توجيهة وشرحة فى الباب الذى قبله ، قوله : (لعل الله يرفعك) زاد أبو نعيم فى (المستخرج) فى روايته من وجه آخر ، عن زكريا بن عدي " ، عنى يقيمك من مرضك " ، قوله : فى هذه الرواية (قلت أوصى بالنصف؟ قال : النصف كثير) لم أر فى غيرها من طرقه وصف النصف بالكثرة فكيف امتنع النصف دون الثلث ؟ وجوابه أن الرواية الأخرى التى فيها جواب التى فيها جواب النصف دلت على منع النصف ولم يأت مثلها فى الثلث بل اقتصر على وصفه بالكثرة، وعلل بأن إبقاء الورثه أغنياء أولى ، وعلى هذا فقوله : " الثلث" خبر مبتدأ محذوف تقديره مباح ، ودل قوله :" والثلث كثير " على أن الأولى أن ينقص منه ، والله – تعالى – أعلم ، قوله : (قال وأوصى الناس بالثلث فجاز ذلك لهم) ظاهرة أنه من قول سعد بن أبي وقاص ، ويحتمل أن يكون من قول من دونه والله –تعالى – أعلم ، وكأن البخاري قصد بذلك الإشارة إلى أن النقص من الثلث فى حديث ابن عباس للاستحباب لا للمنع منه، جمعاً بين الحديثين ، والله أعلم .

ذكره البخاري في حجة الوداع ، وفي كتاب الهجرة[1] ، وفي كتاب الدعاء في باب الدعاء برفع الوباء والوجع[2] ، وذكره في الفرائض في باب ميراث البنات [3] ، وذكره في كتاب الوصايا[4] ، وفي كتاب النفقات في باب فضل النفقة على الأهل[5] .

وأورده مالك (في الموطأ)[6] ، عن ابن شهاب ، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه قال : جاءني رسول الله ﷺ يعودني في عام حجة الوداع وبي وجع قد اشتد بي ، فقلت : يا رسول الله قد اشتد بي الوجع ، ما ترى وأنا ذو مالٍ ولا ترثني ألا كلالة لي ، أفأتصدق بثلثي مالي ؟ قال : لا ، قلت : فالشطر ؟ قال : لا ، قلت : فالثلث ؟ قال : الثلث والثلث كثير وكبير ، ما إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس ، وإنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أجرت بها حتى ما تجعل في امرأتك ، قال : قلت : يا رسول الله أخلف بعد أصحابي ؟ قال : إنك لن تخلف فتعمل عملاً صالحًا إلا ازددت به رفعة ودرجة ، ولعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام ، ويضر بك آخرون ، اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ، لا تردهم على أعقابهم ، لكن البائس سعد بن خولة ، يرثى له رسول الله ﷺ إن مات بمكة .

---

(١) (فتح الباري): ٣٤٣/٧، كتاب (مناقب الأنصار)، باب (٤٩) قول النبي ﷺ : " اللهم أمضن لأصحابي هجرتهم" ، ومرثيته لمن مات بمكه، حديث رقم (٣٩٣٦)، والمرثيه تعديد محاسن الميت، والمراد هنا التوجع له ، لكونه مات في البلد الذى هاجر منه .

(٢) باب (٤٢) الدعاء برفع الوباء والوجع ، حديث رقم (٦٣٧٣) .

(٣) باب (٦) ميراث البنات ، حديث رقم (٦٧٣٣) .

(٤) باب (٢) أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس ، حديث رقم (٢٧٤٢) .

(٥) باب (١) فضل النفقة على الأهل ، وقول الله – عز وجل : ﴿ **ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة** ﴾ ، وقال الحسن : العفو : الفضل، حديث رقم (٥٣٥٤) .

(٦) (الموطأ) : ٥٤١، الوصية في الثلث لا يتعدى .

قال الحافظ أبو عمر بن عبدالبر : هذا حديث قد اتفق أهل العلم على صحة إسناده إلا أن فى بعض ألفاظه اختلافًا عند نقلته ، فمن ذلك أن ابن عيينة قال فيه: عن ابن شهاب ، عن عامر بن سعد ، عن أبيه : مرضت عام الفتح ، انفرد بذلك ، عن ابن شهاب ، وقد روينا هذا الحديث من طريق معمر ويونس ابن يزيد ، وعبد العزيز بن أبي سلمة ، ويحيى بن سعيد الأنصاري وابن أبي عتيق وإبراهيم بن سعد ، وكلهم قال فيه : ، عن ابن شهاب عام حجة الوداع، كما قال مالك ، قال يعقوب ابن شبة ، سمعت علي بن المدني ، وذكر الحديث فقال : وقال معمر ويونس ، وذلك حجة الوداع وقال ابن عيينة عام الفتح ، قال : والذين قالوا حجة الوداع أصوب .

قال أبو عمر بن عبدالبر ، لم أجد ذكر عام الفتح إلا فى رواية ابن عيينة، لهذا الحديث ، وفى حديث عمر والقاري رجل من الصحابة فى هذا الحديث . رواه عفان بن مسلم ، عن وهيب بن جابر ، عن عبيدالله بن عثمان بن خثيم ، عن عمرو بن القاري ، عن أبيه ، عن جده عمرو القاري ، أن رسول الله ﷺ قدم مكة عام الفتح ، فخلف سعدًا مريضًا ، حتى يخرج إلى حنين ، فلما قدم من الجعرانة معتمرًا ، دخل عليه وهو وجع مغلوب ، فقال سعد : يا رسول الله إن لى مالاً وإنى أورث كلالة أفأوصى بمالي كله ؟ أو تصدق بمالي كله ؟ قال : لا، وذكر الحديث هذا فى حديث عمرو القاري أفأوصى على الثلث أيضًا .

وأما حديث ابن شهاب ، فلم يختلف عنه أصحابه لا ابن عيينة ولا غيره أنه قال فيه : أفأتصدق بمالي كله ؟ أو بثلثى مالي ؟ ولم يقل : أفأوصى .

قال أبو عمرو : وأما قول سعد أأخلف بعد أصحابي ؟ فمعناه عندي : أتخلف بمكة بعد أصحابي المهاجرين والمنصرفين معك الى المدينة ، ويحتمل أن يكون لما سمع رسول الله ﷺ يقول : إنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله ، وتنفق فعل مستقبل أنفق أنه لا يموت من مرضه ذلك ، فأستفهمه هل يبقى بعد أصحابه ؟ فأجابه رسول الله ﷺ بضرب من قوله : لن تنفق نفقه تبتغى بها وجه الله ، وهو قوله : إنك لن تخلف فتعمل عملاً صالحًا إلا ازددت به رفعة ودرجة، ولعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام ، ويضر بك آخرون ، وهذا كله ليس

بصريح ، ولكنه قد قال كل ما قاله ﷺ ، وصدق فى ذلك ظنه ، وعاش سعد حتى انتفع به قوم ، واستضر به آخرون .

روى أن وهبًا قال : أخبرنى عمرو بن الحارث ، عن بكير بن الأشبح ، قال: سألت عامر بن سعد بن أبي وقاص ، عن قول رسول الله ﷺ لأبيه عام حجة الوداع : لعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام ، ويضر بك آخرون . فقال : أمر سعد على العراق ، فقتل أقوامًا على ردة ؛ فأضربهم ، واستتاب قومًا سجعوا سجع مسيلمة ؛ فتابوا ؛ فانتفعوا به .

قال أبو عمر : مما يشبه قوله رسول الله ﷺ لسعد هذا الكلام قوله للرجل الشعث : ماله ضرب الله عنقه ؟ فقال الرجل : فى سبيل الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : فى سبيل الله ، فقتل الرجل فى تلك الغزوة ومثله قوله ﷺ فى غزوة مؤته أميركم زيد بن حارثة ، فإن قتل فجعفر بن أبي طالب ، فإن قتل فعبد الله بن رواحة .

فقال بعض أصحابه : نعى إليهم أنفسهم ، فقتلوا بالاسهم فى تلك الغزاة ، وتلك ومثل ذلك أيضًا قصة عامر بن سنان حين أرتجز رسول الله ﷺ فى مسيره إلى خيبر ، فقال له رسول الله ﷺ : غفر لك ربك يا عامر ؟ فقال له عمر – رضي الله تبارك وتعالى عنه : يا رسول الله لو أسعدتنا به ؟ قال : وذلك أنه ما استغفر لإنسان قط إلا استشهد ، فاستشهد عامر يوم خيبر ، وهذا كله ليس بتصريح من رسول الله ﷺ فى القول ، ولا يبقين فى المراد والمعنى ، ولكنه كان يخرج كله كما ترى .

وقد خلف سعد بن أبي وقاص – رضي الله تبارك وتعالى عنه – بعد حجة الوداع نحو خمسين وأربعين سنة ، وتوفى فى سنة خمس وخمسين .

وأما شفاء أسماء بنت أبي بكر
رضي الله تبارك وتعالى عنهما بدعائه ﷺ

فخرَّج البيهقي(١) من حديث بشر بن المفضل قال : حدثنا شاكر أبو الفضل قال : حدثني رجل من آل الزبير أن أسماء بنت أبي بكر أصابها ورم في رأسها، ووجهها ، وأنها بعثت إلى عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها : اذكرى وجعى لرسول الله ﷺ لعل الله يشفينى ، فذكرت عائشة لرسول الله ﷺ وجع أسماء ؛ فانطلق حتى دخل على أسماء ، فوضع يده على وجهها ورأسها من فوق الثياب، فقال : بسم الله أذهب سوءه ، وفحشه بدعوة نبيك الطيب المبارك المكين عندك ، بسم الله - ضع ذلك ثلاث مرات - فأمرها أن تقول ذلك ؛ فقالت ؛ ثلاثة أيام فذهب الورم ، قال أبو الفضل : يصنع ذلك عند حضور الصلوات المكتوبة يقولها ثلاثًا.

وأما استجابة دعاء المصطفى ﷺ لابن المرأة

فخرَّج البيهقي(٢) من طريق ابن عون، عن محمد بن سيرين : أن امرأة جاءت بابن لها إلى رسول الله ﷺ ، فقالت : هذا ابنى ، وقد أتى عليه كذا وكذا، على الله أن يميته ، فقال : أدعو الله - عز وجل - أن يشفيه ويثبت به ، ويكون رجلاً صالحًا ؛ فيقاتل فى سبيل الله - تعالى - فيقتل فيدخل الجنة ، فدعا له ، فشفاه الله عز وجل وثبت ، وكان رجلاً صالحًا ، فقاتل فى سبيل الله ، فقتل فدخل الجنة ، قال البيهقي : هذا من تمثيل جيد .

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٦/١٨١ - ١٨٢، باب ما جاء فى دعائة لعلى بن أبي طالب - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ولغيره بالشفاء ، وإجابة الله تعالى فيما دعاه .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٦/ ١٨٢ .

وأما ظهور بركة دعائه فى طول قامة رجل ولد صغير الخلقة

فقال الزبير بن بكار : حدثنى إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز الزهرى ، عن أبيه ، قال : وُلد عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو ألطف من ولد ، فأخذه جده أبو أمه أبو لبابة بن عبدالمنذر الأنصارى فى ليفة فجاء النبي ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : ما هذا منك يا أبا لبابة ؟ ، قال : ابن ابنتى يا رسول الله: أرأيت مولودًا أصغر خلقة منه ؟! فحنكه رسول الله ﷺ ، ومسح على رأسه، ودعا فيه بالبركة . قال : فما رؤى عبد الرحمن بن زيد مع قوم فى صف إلا فرعهم طولاً[قال مصعب : كان عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب فيما زعموا أطول الرجال وأتمهم [1]] .

وأما شفاء الصبى من الجنون بمسح الرسول ﷺ رأسه ودعائه له

فخرّج البيهقي[2] من حديث عفان ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن مُرقد السنجى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنه- أن امرأة جاءت بابن لها ، فقالت : يا رسول الله إن بابنى جنون وإنه يأخذه عند غدائنا ، وعشائنا ؛ فيفسد علينا ، قال : فمسح رسول الله ﷺ رأسه ودعائه فثع ثعة، فخرج من جوفه مثل الجر والأسود يسعى ، وخرّجه أبو نعيم[3] من حديث حجاج بن المنهال ، عن حماد بمثله .

---

(١) (الاستيعاب) : ٢/ ٨٣٣ ، ترجمة رقم (١٤١٥) ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه .

(٢) (دلائل البيهقي) :١٨٦/٦، باب ما جاء فى المرأتين اللتين اغتابتا وهما صائمتان، وما ظهر فى ذلك من آثار النبوة ودلالة صدق القرآن ، وفيه حديث الصبى الذى كان يجن فدعاء له فخرج من جوفه جرو أسود .

(٣) (دلائل أبي نعيم): ٤٦٥، دعاؤه ﷺ بشفاء المريض،حديث رقم (٣٩٥)، أخرجة الإمام أحمد فى (المسند) برقم (٢١٣٣) و(٢٢٨٨)، والدارمى برقم (١٩)، ثغ : قاء .

وأما استجابة الله دعاءه ﷺ للمرأة التى كانت تنكشف إذا صرعت

فخرَّج البخاري من حديث مسدد قال : حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا عمران أبو كر قال : حدثني عطاء ابن أبي رباح ، قال : قال لى ابن عباس- رضي الله تبارك وتعالى عنه : ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ قلت : بلى ، قال : هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ، قالت : إنى أصرع وإنى أتكشف، فادع الله لى ، قال : إن شئت صبرت ، ولك الجنة ، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك ، قالت : أصبر، فقالت : أنى أتكشف فادع الله لى ألا أتكشف ؛ فدعا لها[1] .

---

(١) (فتح الباري): ١٠/١٤١، كتاب المرضي ، باب (٦) فضل من يصرع من الريح، حديث رقم (٥٦٥٢) ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه .

قوله :" باب فضل من يصرع من الريح" ، انحباس الريح قد يكون سبباً للصراع، وهى علة تمنع الأعضاء الرئيسية ، عن انفعالها منعاً غير تام، وسببه ريح غليظة تتحبس فى منافذ الرماغ، أو بخار رديء يرتفع إليه من بعض الأعضاء، وقد يتبعه تشنج فى الأعضاء فلا يبقى الشخص معه منتصباً بل يسقط ويقذف بالذبد لغلظ الرطوبه، وقد يكون الصراع من الجن، ولا يقع إلا من النفوس الخبيثة منهم ؛ إما لاستحسان بعض الصور الإنسية ؛ وإما لإيقاع الأذية به ، والأول هو الذى يثبته جميع الأطباء ويذكرون علاجة، والثانى يجحده كثير منهم، وبعضهم يثبته ولا يعرف له علاجا إلا بمقاومة الأرواح الخيرة العلوية لتندفع أثار الأرواح الشريرة السفلية وتبطل أفعالها، وممن نص على ذلك أبقراط ، فقال لما ذكر علاج المصروع : هذا إنما ينفع فى الذى سببه أخلاط، وأما الذى يكون من الأرواح فلا ، قوله : (وأني أتكشف) بمثناة وتشديد المعجمة من التكشف، وبالنون الساكنة مخففاً من الانكشاف، والمراد أنها خشيت أن تظهر عورتها وهى لا تشعر ، وذكر ابن سعد وعبد الغنى فى " المبهمات" من طريق الزبير أن هذه المرأة هى ماشطة خديجة التى كانت تتعاهد النبي ﷺ بالزيارة كما سيأتى ذكرها فى كتاب الأدب إن شاء الله تعالى، وقد يؤخذ من الطرق التى كان بأم زفر كان من صرع الجن لا من صرع الخلط ، وقد أخرجه =

وخرَّجه مسلم[1] من حديث عبيد الله القواريرى ، عن يحيى بن سعيد وبشر ابن المفضل قالا : حدثنا عمران أبو الفضل ، فذكره وخرَّجه النسائي أيضًا ، وقد أورد البخاري فى كتاب المرضي ، فى باب من صرع من الريح ،وقال بعده :

= البزار وابن حبان من حديث أبي هريرة - رضى الله تبارك وتعالى عنه - شبيهاً بقصتها ولفظه "جاءت أمرأة بها لمم إلى رسول الله ﷺ فقالت : ادع الله. فقال: إن شئت دعوت الله فشفاك ، وإن شئت صبرت ولا حساب عليك . قالت : بل أصبر ولا حساب على " وفى الحديث فضل من يصرع ، وأن الصبر على بلايا الدنيا يورث الجنة، وأن الأخذ بالشدة أفضل من الأخذ بالرخصة لمن علم من نفسه الطاقة ولم يضعف، عن التزام الشدة ، وفيه من العلاج بالعقاقير، وان تأثير ذلك وانفعال البدن ، عنه أعظم من تأثير الأدوية البدنية ، ولكن إنما ينجع بأمرين: أحدهما العليل وهو صدق القصد، والأخر من جهة المداوى وهو قوة توجهه وقوة قلبه بالتقوى والتوكل ، والله - تعالى - أعلم .

(۱) (مسلم بشرح النووى) : ١٦ /٣٦٧، كتاب البروالصلة والآداب ، باب (١٤) ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك ، حتى الشوكة بشاكها، حديث رقم (٢٥٧٦). وأخرجة البيهقي فى (دلائل النبوة) : ٦ /١٥٦-١٥٧، باب دعاء النبي ﷺ للمرأة التى كانت تصرع وتتكشف بالعافية إن لم تصبر أو بأن لا تتكشف إن صبرت ولها الجنة ، وما ظهر فى ذلك من آثار النبوة ، وقال : أخره : لفظ حديث مسدد رواه البخاري فى الصحيح ، عن مسدد، ورواه مسلم ، عن عبيد الله القوايرى ، عن يحيى ، بسنده إلى قال : أخبرنى عطاء: أنه رأى أم زمر تلك المرأة طويلة سوداء على ستر الكعبة .

وأخرجه الإمام أحمد فى (المسند): ٥٧١/١، حديث رقم (٣٢٣٠) من مسند عبد الله بن عباس ، ولفظه: " قال لى ابن عباس : ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ قلت : بلى ، قال : هذه السوداء أنت النبي ﷺ قالت : إنى أصرع وأتكشف ـ فادع الله لك أن يعافيك؟ قالت : لا، بل أصبر فادع الله أن لا أتكشف - أولا ينكشف ، عنى - قال : فدعا لها وفيه دليل على جواز ترك التداوى ، وفيه أن علاج الأمراض كلها والالتجاء إلى الله - تبارك وتعالى - أنجح وأنفع من العلاج بالعقاقير ، وأن تأثير ذلك انفعال البدن عنه أعظم من تأثير الأدوية البدنية ، ولكن إنما ينجح بأمرين أحدهما من جهة العليل ، وهو صدق القصد ، والآخر من جهه المداوى بحسن التوكل " .

حدثنى محمد أنبأنا مخلد ، عن ابن جريج ، أخبرني عطاء أنه رأى أم رومان امرأة طويلة سوداء على ستر الكعبة .

وأما شفاء عبدالله بن رواحة من وجع ضرسه بوضع يده ودعائه ﷺ له

فخرَّج البيهقي من حديث يحيى بن يحيى ، قال : أخبرني إسماعيل بن عياش ، عن يزيد بن نوح بن ذكوان أن النبي ﷺ لما بعث عبدالله بن رواحة مع زيد وجعفر إلى مؤتة ، قال : يا رسول الله إني أشتكي ضرسي ، آذاني ، واشتد عليَّ، فقال : ادن مني ، والذى بعثنى بالحق [نبيًا][1] لأدعون لك بدعوة لا يدعو بها مؤمن مكروب إلا كشف الله عنه كربه ، فوضع رسول الله ﷺ يده على الخد الذى فيه الوجع ، وقال : اللهم أذهب عنه سوء ما يجد ، وفحشه ، بدعوة نبيك المبارك ، المكين عندك ، سبع مرار، قال : فشفاه الله عز وجل قبل أن يبرح . هذا منقطع[2] .

وأما شفاء بطن رافع بن رفاعة بمسح المصطفى ﷺ بطنه

فخرج البيهقي من حديث يعقوب بن سفيان قال : حدثنا أبو صالح ، قال : حدثنى الليث ، قال : حدثنى خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن أبي أمية الأنصاري ، عن عبيد بن رفاعة ، عن أبيه ، أنه قال ، ومن حديث سعيد بن شرحبيل ، وعبدالله بن صالح قالا : حدثنا الليث بن سعد ، عن خالد ابن يزيد ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن أبي أمية الأنصاري ، عن عبيد بن

---

(١) كذا فى (الأصل) وليست فى (الدلائل) .

(٢) (دلائل البيهقي) :٦/١٨٣، باب ماجاء فى دعائه ﷺ لعلي بن أبي طالب - رضي الله تبارك وتعالى ، عنه - ولغيره بالشفاء ، وإجابة الله تعالى له فيما دعاه .

رفاعة ، عن رافع بن خديج قال : دخلت يومًا على رسول الله ﷺ وعنده قدر يفور بلحم ، فأعجبتني شحمة ، فأخذتها ، فازدردتها فاشتكيت منها سنة ، ثم إني ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال له : كان فيها أنفس سبعة أناسى ، ثم مسح بطني ، فألقيتها خضراء ، فوالذى بعثه بالحق ما اشتكيت بطني حتى الساعة .

قال البيهقي : [كذا عن رافع فى الكتاب] والصحيح رواية يعقوب .

قال يعقوب : وأظن أن المدائني كان صيره ، عن رافع [بن خديج] ، وكان كما شاء الله ، وكان عند ابن أبي بكير ، عن عبيد بن رفاعة ، ليس فيه ، عن أبيه، وغلط ،عبيد ليست له صحبة .

وخرّجه من طريق ابن وهب قال : أخبرني يزيد بن عياض ، عن عبدالكريم ، عن عبيد بن رفاعة ، عن أبيه ، أنه دخل بيتًا من بيوت النبي ﷺ فإذا قدر يجيش بلحم ، وإذا فيها شحمة ، فأهويت فأخذتها فالتقمتها ، فاشتكيت بطني عليها سنة ، فجئت رسول الله ﷺ ، فذكرت ذلك له . فقال رسول الله ﷺ : إنها كانت فيها أنفس سبعة أناسٍ ، قال : فمسح بطني فوضعتها خضراء ، فما اشتكيت بطني بعد[1] .

(١) (دلائل البيهقي) : ٦/ ١٨٣ - ١٨٤.

وأما شفاء أبي طالب بدعاء الرسول ﷺ

فخرج الحفاظ أبو أحمد بن عدي(١) ، وأبو نعيم أحمد ، وأبو بكر البيهقي.. من حديث الهيثم بن جماز الحنفى البصري ، عن ثابت البناني ، عن أنس بن مالك - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أن أبا طالب مرض فعاده النبي ﷺ ، فقال : يا ابن أخي ادع ربك الذى تعبد أن يعافيني ، فقال ﷺ : اللهم اشف عمي ، فقام أبو طالب كأنما نشط من عقال ، قال : يا ابن أخي إن ربك الذى تعبد ليطيعك ، قال: وأنت يا عماه !! لئن أطعت الله ليطيعك .

قال البيهقي(٢) تفرد به الهيثم بن جماز ، عن ثابت البناني ، والهيثم ضعيف عند أهل العلم بالحديث .

وفى رواية أبي نعيم ، عن أنس قال : لما مرض أبو طالب مرضه الذى مات فيه أرسل إلى النبي ﷺ : ادع ربك أن يشفيني ، فإن ربك يعطيك ، وابعث إلى بقطف من قطاف الجنة ، فأرسل إليه النبي ﷺ : وأنت يا عم إن أطعت الله أطاعك .

قال أبو نعيم : رواه عقبة بن مكرم ، فقال : حدثنا شريك بن عبدالمجيد حدثنا الهيثم حدثنا ثابت ، عن أنس . فذكر الحديث ، وزاد فقال النبي ﷺ : اللهم اشف عمي ، قال : فقام كأنما نشط من عقال .

---

(١) (الكامل فى ضعفاء الرجال) : ١٠٢/٧، فى ترجمة الهيثم بن جماز - بمعجمتين - الحنفي البكاء بصري معروف ، روى ، عن يحيى بن أبي كثير ، وثابت البنانى . قال يحيى بن معين : كان قاضياً -أو قاصاً - بالبصرة، ضعيف، قال مرة : ليس بذاك، وقال أحمد والنسائي والساجي : متروك الحديث، وذكره البرقي فى (الكذابين) ، وضعفه أبو حاتم ، وزاد: منكر الحديث ، ترجمته فى (لسان الميزان) : ٢٤٦/٦ ، ترجمة رقم (١٠٨ / ٩٨٦٤) ، و(الكامل): ١٠١/٧، ترجمة رقم (١ /٢٠١٨) ، وقال ابن حبان : كان من العباد والبكائين ممن غفل ، عن الحديث والحفظ ، واشتغل بالعبادة حتى كان يروى المعضلات ، عن الثقات توهماً ، فلما ظهر ذلك منه بطل الاحتجاج به. (هامش دلائل البيهقي) .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٦ / ١٨٤ - ١٨٥.

قال كاتبه : قد ذكر ابن عدي الهيثم هذا فى كتاب (الكامل)[1] على ما لخصته فى (مختصره) ، فقال : كان قاضيًا بالبصرة .

قال ابن معين : ضعيف ، ومرة قال : ليس بشيء ، وفى موضع آخر: ليس بذاك ، يروي عنه هشيم ، وقال أحمد بن حنبل : كان منكر الحديث ، ترك حديثه .

وقال السعدني : ضعيف ، روى عن ثابت معاضيل ، وقال ابن عدي: وأحاديثه أفراد ، عن ثابت بن عدي ، وفيه ما ليس بالمحفوظ .

وأما مسح المصطفى ﷺ ساق علي بن الحكم السلمى[2] وقد دق جدار الخندق فبرئ من وقته

فقال أبو عمر بن عبد البر : وروى كثير بن معاوية بن الحكم، عن أبيه قال : كنا مع النبي ﷺ فأنزى أخي علي بن الحكم فرساً له خندقا ، فدق جدار الخندق ساقه ، فأتينا به النبي ﷺ فمسح ساقه فما نزل عنها حتى برئ[3] ، فقال معاوية بن الحكم فى قصيدته :

وأنزاها عليٌّ فهى تهوى ... هوى الرجل تنزعه برجل

فقصت رجله فسما عليها ... سمو الصقر صادف يوم طل

فقال محمد صلى عليه ... مليك الناس قولاً غير فعل

---

(١) سبق تخريج الحديث وذكر الترجمة و (مختصر الكامل لا بن عدي) أحد مؤلفات المقريزي رحمه الله .

(٢) هو علي بن الحكم السلمى ، أخو معاوية بن الحكم، له صحبة ، من أهل قباء . (الإستيعاب) : ١٠٨٩/٣، ترجمة رقم (١٨٥٣) .

(٣) سياق هذا الحديث مضطرب فى (الأصل) ، ولم أجده فى (الاستيعاب) ، وصوبناه من (الإصابة) : ٥٦٢/٤ - ٥٦٣، ترجمة على بن الحكم السلمى رقم (٥٦٨٧)، وقال فيه : "فأتى النبي ﷺ فمسحها وقال: بسم الله ، فما آذاه منها شئ ، ثم قال الحافظ : قال ابن منك : غريب لانعرفة إلا من هذا الوجه ، وقال الحافظ ايضاً: فى الإسناد صفار بن حميد لا يعرف .

لعالك فأستمر بها سويًا وكانت بعد ذاك أصح رجل

ومعاوية بن الحكم السلميّ كان ينزل بالمدينة ، ويسكن في بني سليم ، روى عنه عطاء بن يسار ، وأخوه عليّ بن الحكم له صحبة ، وأيضًا ذكرهما ابن عبدالبر في كتاب (الصحابة) . وقد ذكر البيهقي[1] هذا الحديث بنحو ما تقدم من غير ذكر الشعر .

وأما ذهاب البلاء عن ابن الخثعمية بشربة ماءٍ غسل الرسول ﷺ فيها يديه وتمضمض

فخرج أبو نعيم من طريق محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، قال : حدثنا أحمد بن راشد ، حدثنا عبدالرحمن بن سليمان ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن ابن عمر ابن الأحوص، عن أمه أم جندب ، قالت : رأيت النبي ﷺ اتبعته امرأة من خثعم، ومعها صبي لها به بلاء ، فقالت : يا رسول الله إن صبيي هذا وبقية أهلي به بلاء لا يتكلم .

فقال رسول الله ﷺ : ائتوني بشيء من الماء ، فأتي بماء ، فغسل يديه ، ثم مضمض فاه ، ثم أعطاها ، فقال : اسقيه منه ، وصُبي عليه منه ، واستشفي الله له .

قالت : فلقيت المرأة ، فقلت : لو وهبتِ لي منه ، فقالت : إنما هو لهذا المبتلى . قالت : فلقيت المرأة من الحول ، فسألتها عن الغلام ، فقالت : برئ

(١) (دلائل البيهقي) : ٦ /١٨٥، ولفظه : وفي كتاب (المعجم) لأبي القاسم البغوي ، بإسناده ، عن كثير ، ، عن معاوية بن الحكم، ، عن أبيه ، قال : كنا مع رسول الله ﷺ فأنزى أخي عليّ ابن الحكم فرساً له خندقاً ، فأصاب رجله جدار الخندق فَدَمَّتْها فأتى النبي ﷺ وما نزل ، عن فرسه فمسحها وقال : بسم الله ، فما آذاه منها شيئ .

وعقل عقلاً ليس كعقول الناس[1] قال .أبو نعيم : رواه عبدالله بن إدريس عن يزيد بنحوه .

وأما نفثه ﷺ في فم غلام يأخذه الجنون كل يوم مرارًا فذهب عنه

فخرج أبو نعيم من طريق أبي بكر بن أبي شيبة قال : حدثنا عبدالله بن نمير حدثنا عثمان بن حكيم ، قال : أخبرنا عبدالرحمن بن عبدالعزيز ، عن يعلي ابن مرة قال : خرجت مع رسول الله ﷺ في سفر حتى إذا كنا ببعض الطريق مررنا بامرأة جالسة معها صبي ، فقالت : يا رسول الله ، ابني هذا أصابه بلاء ، وأصابنا منه بلاء ؛ يؤخذ في اليوم لا ندري كم من مرة . قال : ناولينيه ، قال : فرفعته إليه .

قال : فجعله بينه وبين وسط الرحل ، ثم فغر فاه فنفث فيه ثلاثًا ، ثم قال : بسم الله ، أنا عبد الله ، إخسَ عدو الله ، قال : ثم ناولها إياه . ثم قال : ألقينا به

---

(١) (دلائل أبي نعيم) : ٤٦٤ - ٤٦٥ ، حديث رقم (٣٩٣) ، وأخرجة الإمام أحمد في (المسند): ٥٢٣/٧ - ٥٢٤ ، حديث رقم (٢٦٥٩٠) ، من حديث أبي سليمان بن عمر بن الأحوص - رضي الله تبارك وتعالى عنه ، وأخرجه الحافظ بن حجر في (الإصابة) : ٤ / ٦٥٢، في ترجمة على ابن الحكم السلمى ، وقال : رواه البغوى ، والطبرانى ، وابن السكن ، وابن منده ، من طريق كثير بن معاوية بن الحكم السلمى ، عن أبيه ، وقال ابن منده : غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

قال الحافظ ابن حجر : في الإسناد صفار بن حميد لا يعرف . وزاد الطبراني في روايته ، فقال في ذلك معاوية بن الحكم من قصيدته :

فأنزاها عليّ فهو يهوى ... هوىّ الدلو مشرعة بحبل
فعصّب رجله فسما عليها ... سُمُوّ الصقر صادف يوم ظِل
فقال محمد صلى عليه ... مليك الناس قولاً غير فعلِ
لعاً لكَ فاستمر بها سوياً ... وكانت بعد ذاك أصحَّ رِجْلِ =

فى الرجعة فى هذا المكان ، فأخبرينا ما فعل ، قال : فذهبنا ورجعنا فوجدناها فى ذلك المكان معها شياه ثلاث ، قال فقال لها رسول الله ﷺ : ما فعل الخبيث ؟ قالت : والذى بعثك بالحق ما حسسنا منه شيئًا حتى الساعة ، فاختر[1] هذه الغنم ، قال : انزل فخذ منها شاة ورد البقية[2] .

وخرّجه من حديث علي بن عبدالعزيز حدثنا حجاج بن منهال حدثنا حماد ابن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن يعلى بن مرة الثقفى قال : خرجت مع رسول الله ﷺ حتى إذا كان بمكان كذا وكذا جاءته امرأة بابن لها ، فذكرت أن به جنون ، فأخذ النبي ﷺ منخريه ، فقال : اخرج أي عدو الله أنا محمد رسول الله ، اخرج بسمِ اللهِ أنا محمدٍ رسول الله ، ثم قال : اذهبي فتعاهدينا فى مرجعنا فاعتدت له جرزاً ولبناً وسمناً ، فلما رجع النبي ﷺ أهدت إلينا الجزر واللبن والسمن ، فرد عليها الجزر والسمن ، وقال : اسق أصحابي اللبن ، قالت : ما عرض لابني شئ بعدك . قلت : وقد تقدم هذا الحديث بطوله فى سجود البعير من حديث جابر بن عبدالله .

وخرّجه ومن حديث يعلي بن مرة ، خرجه أبو نعيم من حديث أسامة بن زيد قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ فى حجته التى حجها فعارضته امرأة فذكر نحوه .

(١) كذا فى (دلائل أبي نعيم) ، وفى (ابن أبي شيبة) و(الأصل): " فاختر" . وفى (مسند أحمد): " فاجترر" .

(٢) دلائل أبي نعيم : ٤٦٥، حديث رقم (٣٩٤) ، وأخرجه الإمام أحمد فى (المسند):٥/١٧٩١٨٠، حديث رقم (١٧٠٩٧)، من حديث يعلى مرة الثقفيّ ، عن النبي ﷺ .

وأما برء غلام من الجنون بمسح الرسول ﷺ وجهه ودعائه له

فخرج أبو نعيم من حديث مطر بن عبدالرحمن الأعنق قال : حدثتنى أم أبان بنت الوازع عن ابنها ، أن الوازع[1] انطلق إلى رسول الله ﷺ بابن له مجنون ، أو بابن أخت له مجنون ، فمسح وجهه ودعا له ، فلم يكن فى الوفد أحد بعد دعوة النبي ﷺ يفضل عليه .

وأما خروج الشيطان وإزالة النسيان وذهاب الوسوسة فى الصلاة عن عثمان بن أبي العاص بتفل رسول الله ﷺ فى فمه وضربه صدره

فخرج أبو نعيم من حديث عثمان بن عبدالوهاب حدثنا أبي عن يونس ، عن الحسن ، عن عثمان بن أبي العاص - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : شكيت إلى رسول الله ﷺ سوء حفظى القرآن ، فقال : ذاك شيطان يقال له خنزب ، أدن منى يا عثمان ، ثم تفل فى فمي ، ووضع يده على صدرى ، فوجدت بردها بين كتفي ، وقال : يا شيطان اخرج من صدر عثمان ، قال : فما سمعت شيئًا بعد ذلك إلا حفظته[2] . [قال أبو نعيم : رواه عنبسة بن أبي زايطة، عن الحسن بنحوه[3]] .

---

(١) هو الوازع العبدي ، والد أم أبان، وقد ذكره فى الصحابة: الإمام أحمد ، وابن نافع ، أبو بكر بن أبي علي ، وآخرون (الإصابة) : ٦/٥٩٣، ترجمة رقم (٩٠٩٧) .

(٢) (دلائل أبي نعيم) : ٤٦٦، دعاؤه ﷺ بطرد الشيطان من صدر عثمان بن أبي العاص ، حديث رقم (٣٩٦). قال في (مجمع الزوائد) : أخرجه الطبراني ، وفيه عثمان بن يسر ، ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات .

(٣) ما بين الحاصرتين من (الأصل) فقط .

وله من حديث عقبة بن مكرم ، حدثنا سعيد بن سفيان الجحدري ، حدثنا عيينة بن عبد الرحمن ، حدثنا أبي عن عثمان بن أبي العاص[1] قال : لما بعثني رسول الله ﷺ إلى الطائف عرض لي شيئٌ في صلاتي حتى كنت لا أدري ما أصلي ، فلما رأيت ذلك أتيت النبي ﷺ قال : فلم يرعه مني إلا وأنا أمشي إلي جنبه ، فقال : ابن أبي العاص ؟ قلت : نعم ، قال : ما جاء بك ؟ ، قلت : عرض لى شئ فى صلاتي حتى ما أدري ما أصلي ، فقال : ذاك الشيطان . ادن ، فدنوت حتى جلست على صدورقدمي بين يديه .

---

(١) هو عثمان بن أبي العاص بن بشر عبد دهمان- أو عبد بن دهمان بن عبد الله بن همام الثقفيّ ، أبو عبد الله ، نزيل البصرة . أسلم فى وفد ثقيف، فاستعمله النبي ﷺ على الطائف ، وأقره أبو بكر ، ثم عمر ، ثم استعمله عمر على عمان والبحرين سنة خمس عشرة ، ثم سكن البصرة حتى مات بها فى خلافة معاوية قبل سنة خمسين ، وقيل : سنة إحدى وخمسين . وكان هو الذى منع ثقيفاً ، عن الردة ؛ خطبهم فقال : كنتم آخر الناس إسلاماً ، فلا تكونوا أولهم ارتداداً . وجاء ، عنه أنه شهد آمنه لما ولدت النبي ﷺ، وهى قصة أخرجها البيهقي فى (الدلائل)، والطبراني من طريق محمد بن أبي سويد الثقفي ، ، عنه قال: حدثتنى أمى ....، فعلى هذا يكون عاش نحواً من مائة وعشرين سنة . كذا فى (الإصابة) ، وفي (سير الأعلام) : أن أمه هي التى شهدت ولادة النبي ﷺ، فالله أعلم أى ذلك كان .

روي عثمان ، عن النبي ﷺ أحاديث فى (صحيح مسلم) ، وفى (السنن) ، روى ، عنه ابن أخيه يزيد بن الحكم بن أبي العاص، ومولاه أبو الحكم ، وسعيد بن المسيب، وموسى بن طلحة، ونافع بن جبير بن مطعم، وأبو العلاء، ومطرف ابنا عبد الله بن الشخير ، وآخرون .

وعثمان بن أبي العاص ، كان سبب إمساك ثقيف ، عن الردة حين ارتدت العرب ، لأنه قال لهم حين هموا بالردة : يامشعر ثقيف ، كنتم آخر الناس إسلاماً ، فلا تكونوا أول الناس ردة ، وهو القائل : الناكح مغترس، فلينظر أين يضع غرسه ، فإن عرق السوء لابد أن ينزع ولو بعد حين . له ترجمة فى : (سير أعلام النبلاء) : ٣٧٤/٢، ترجمة رقم (٧٨)، (الإستيعاب) : ١٠٣٥/٣ - ١٠٣٦ ، ترجمة رقم (١٧٧٢) ، (تهذيب التهذيب) : ١١٧/٧- ١١٨، ترجمة رقم (٢٧٠)، (المعارف): ٣٦٨، (طبقات خليفة) : ٥٣ ، ١٨٢ ، (تاريخ خليفة) : ١٤٩ ، ١٥٢ ، (التاريخ الكبير): ١٢/٦ ، (شذارات الذهب) : ١ / ٣٦ .

فقال : افغر فاك ، فضرب صدري بيده وتفل في فمي ، وقال : اخرج عدو الله ، قال ففعل ذلك ثلاث مرات ، ثم قال : الحق بعملك . قال عثمان : فلا أحسبه عرض لي بعد .

وله من حديث حجاج بن المنهال حدثنا حماد بن سلمة ، عن شعيب الجريري ، عن أبي العلاء ، عن مطرف ، عن عثمان بن أبي العاص ، أنه شكا إلى النبي ﷺ الوسوسة في الصلاة ، فقال : ذاك شيطان يقال له : خنزب ، فإذا وجد أحدكم منه شيئًا ، فليتفل عن يساره ثلاثًا ، وليتعوذ بالله منه .

قال أبو نعيم : رواه الثوري وعبدالواحد بن زيد ومروان بن معاوية وابن علية وسالم بن نوح ، عن الجريرى ، عن أبي العلاء ، عن عثمان فلم يذكر مطرفًا .

قال كاتبه : وخرّج مسلم حديث الجريري هذا عن أبي العلاء ، عن عثمان ابن أبي العاص قال : قلت : يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتى [يلبسها عليّ] ، قال : فقال ذاك شيطان يقال له خنزب ، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه ، واتفل عن يسارك ثلاثًا ، قال : ففعلت فأذهبه الله عنى[1] .

وله من حديث محمد بن عمر الواقدي : حدثنا عبدالله بن عبدالرحمن بن يعلي بن كعب ، عن عبد ربه بن الحكم ، عن عثمان بن أبي العاص قال : كنت أنسى القراءة ، فقلت : يا رسول الله إني لأنسى القرآن ، فضرب رسول الله ﷺ

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ١٤/٤٤٠، كتاب السلام ، باب (٢٥) التعوذ من شيطان الوسوسة في الصلاة، حديث رقم (٢٢٠٣)، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه. وفي هذا الحديث استحباب التعوذ من الشيطان ، عند وسوسته مع التفل ، عن اليسار ثلاثاً، ومعنى يلبسها : أي يخلطها ويشككني فيها، وهو بفتح أوله وكسر ثالثه ، ومعنى حال بيني وبينها : أي نكدني فيها، ومن، عني لذتها ، والفراغ للخشوع فيها. (شرح النووي) .

فى صدري ثم قال : اخرج يا شيطان من صدر عثمان ، فما نسيت شيئًا حفظته[١] .

وله من حديث عبدالأعلى : حدثنا عبدالله بن عبدالرحمن الطائفي ، عن عبدالله بن الحكم ، عن عثمان بن بشر ، سمعت عثمان بن أبي العاص يقول : شكوت إلى النبي ﷺ نسيان القرآن ، قال : فضرب صدري بيده ، فقال : يا شيطان اخرج من صدر عثمان ، قال عثمان : فما نسيت منه شيئًا بعد أن أحببت أن أذكره[٢] .

وأما ردُّ الله عز وجل بصر الأعمى عليه بتعليم الرسول ﷺ له دعاءً يدعو به

فخرج البيهقي[٣] من حديث محمد بن يونس قال : حدثنا عثمان بن عمر قال : حدثنا شعبة عن أبي جعفر الخطمي قال : سمعت عمارة بن خزيمة يحدث عن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضريرًا أتى النبي ﷺ ، فقال : ادع الله لى أن

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٥/٣٠٧-٣٠٨ باب تعليم النبي ﷺ عثمان بن أبي العاصى الثقفى - رضي الله تبارك وتعالى ، عنه - ما كان سبباً لشفائه ودعائه له حتى فارقه الشيطان وذهب ، عنه النسيان .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٥/٣٠٨ ، وفيه : " شيئاً بعده أريد حفظه " .

(٣) (دلائل البيهقي) : ٦ /١٦٦-١٦٧، باب فى تعليمه ﷺ الضرير ماكان فيه شفاؤه حين لم يصبر، وما ظهر فى ذلك من آثار النبوة، ثم قال البيهقي : هذا لفظ حديث العباس، زاد محمد بن يونس فى روايته : قال: فقام وقد أبصر. ورويناه فى كتاب (الدعوات) بإسناد صحيح ، عن روح ابن عبادة ، عن شعبة ، ففعل الرجل فبرأ. كذلك رواه حماد بن سلمة ، عن أبي جعفر الخطمى وأخرجه الترمذي فى كتاب الدعوات، باب (١١٩)، حديث رقم (٣٥٧٨) من كتاب الجامع الصحيح (سنن الترمذي) ، ، عن محمود بن غيلان.

وأخرجه ابن ماجة فى (السنن) : ١/٤٤١، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب (١٩٨) ماجاء فى صلاة الحاجة ، حديث رقم (١٣٨٥) .

يعافيني ، قال : فإن شئت أخرت ذلك وهـو خير لـك ، وإن شئت دعوت اللـه ، قال: فادعه ، قال : فأمره أن يتوضأ فيحسن الوضوء ويصلـى ركعتيـن ، ويدعـو بهذا [الدعاء] : " اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبى الرحمـة ، يـا محمد إنى أتوجه بك إلى ربي فى حاجتي هـذه فيقضيها لـى ، اللهم شفعه فـى ، وشفعني فى نفسي " ، فقام وقد أبصر .

قال البيهقي[1] : ورويناه فى كتاب (الدعوات) بإسناد صحيح عن روح بـن القاسم ، عن شعبة قال : ففعل الرجل فبرأ . وكذلك رواه حماد بن سلمة عن أبـي جعفر الخطمى ، وخرَّجه أبو نعيم من طريق ابن وهب قـال : حدثنـى شـبيب بـن سعيد عن روح بن القاسم ، عن أبي جعفر الخطمي ، عن أبي أمامة ابن سهل بن حنيف ، عن عمه عثمان بن حنيف أن أعمى أتى النبي ﷺ فقال : يا رسـول اللـه علمنى دعاء أدعو به يـرد اللـه تعـالى علـيَّ بصـري ، فقـال : قـل : " اللهـم إنـي أسالك وأتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة ، يا محمد إني قد توجهت بـك إلـى ربـي ، الله شفعه فى وشفعني فى نفسي "، فدعا بهذا الدعاء ، فقام وقد أبصر .

قال أبو نعيم ورواه حماد بن سلمة ، عن أبي جعفر الخطمي ، عن عمـارة ابن خزيمة ، عن عثمان بن حنيف بنحوه .

وخرَّجه البيهقي من حديث ابن شبيب بن سعيد الحبطيّ قـال : حدثنـى أبـي عن روح بن القاسم ، عن أبي جعفر المدني وهو الخطمي ، عـن أبـي أمامـة بـن سهل بن حنيف ، عن عمه عثمان بن حنيف قال : سمعت رسول الله ﷺ وجـاءه رجل ضرير ، فشكا إليه ذهاب بصره ، فقال : يا رسول الله ليـس لـى قـائد وقـد شق على ، فقال رسول الله ﷺ : ائت الميضأة فتوضأ ، ثم صل ركعتين ، ثم قل "اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك نبيك محمد ﷺ نبي الرحمة ، يا محمـد إنـي أتوجـه بك إلى ربي فيجلي لي عن بصري اللهم شفعه فـيّ ، وشـفعني فـى نفسـي ". قـال

---

(١) (المرجع السابق) : ١٦٧ .

عثمان : فوالله ما تفرقنا ، ولا طال الحديث حتى دخل الرجل وكأنه لم يكن به ضرٌ قط(١) .

وخرَّج أيضًا من حديث إسماعيل بن شبيب قال : حدثنا أبي عن روحٍ بن القاسم ، عن أبي جعفر المدينى ، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فى حاجة ، وكان عثمان لا يلتفت إليه ، ولا ينظر فى حاجته ، فلقى عثمان بن حنيف ، فشكا إليه ذلك . فقال له عثمان بن حنيف : ائت الميضأة فتوضأ ، ثم ائت المسجد فصل ركعتين ، ثم قل : " اللهم إنى أسالك وأتوجه إليك بنيك محمد نبى الرحمة ، يا محمد إنى أتوجه بك إلى ربى فتقضى حاجتى " واذكر حاجتك ، ثم راح حتى أزمع ، فانطلق الرجل ، وصنع ذلك ، ثم أتى باب عثمان بن عفان - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ، فجاء البواب ، فأخذ بيده ، فأدخله على عثمان ، فأجلسه معه على الطنفسة(٢) ، فقال : انظر ما كانت لك من حاجة ، ثم إن الرجل خرج من عنده ، فلقى عثمان بن حنيف ، فقال له : جزاك الله خيرًا ، ما كان ينظر فى حاجتي ، ولا يلتفت إلى حتى كلمته ، فقال عثمان بن حنيف : ما كلمته ، ولكني سمعت رسول الله ﷺ وجاءه ضرير ، فشكى إليه ذهاب بصره ، فقال له النبي ﷺ: أو تصبر ؟ فقال : يا رسول الله ليس لى قائد ، وقد شق عليّ .

فقال : ائت الميضأة فتوضأ ، وصل ركعتين ثم قل : " اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة ، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي فيجلي لي عن بصري ، اللهم شفعه فى وشفعني فى نفسي " . قال عثمان : فوالله ما تفرقنا ، وطال بنا الحديث حتى دخل الرجل كأن لم يكن به ضرر .

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٦/١٦٧، باب ما جاء فى تعليمه الضرير ماكان فيه شفاؤه حين لم يصبر وما ظهر فى ذلك من آثار النبوة .

(٢) الطنفسة ، بضم الفاء الأخيرة ، عن كراع: النمرقة فوق الرحل ، وجمعها طنافس، وقيل: هى البساط الذى له حمل رقيق، ولها ذكر فى الحديث [الذى معنا] ، [وفى القرآن الكريم فى قوله تعالى ﴿ ونمارق مصفوفة ﴾ [الغاشية : ١٥] .

قال البيهقي : ورواه أحمد بن شبيب ، عن سعيد ، عن أبيه أيضًا بطوله : أخبرنا أبو على الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن شاذان ، أنبأنا عبد الله بن جعفر ابن درستويه ، حدثنا يعقوب بن سفيان ، حدثنا أحمد بن شبيب بن سعيد ، فذكره بطوله . وهذه زيادة ألحقتها به فى شهر رمضان سن أربع وأربعين .

قال : ورواه أيضًا هشام الدستوائي ، عن أبي جعفر ، عن أبي أمامة بن سهل ، عن عمه ، وهو عثمان بن حنيف [1] .

(١) سبق تخريجة .

وأما رد بصر من كانت عيناه مبيضتين لا يبصر بهما شيئًا بنفث المصطفى ﷺ فى عينيه

فخرج الحافظان أبو نعيم[1] والبيهقي[2] من حديث أبي بكر بن أبي شيبة قال حدثنا محمد بن بشر حدثنا عبدالعزيز بن عمر ، قال : حدثنى رجل من بني سلامان بن سعد ، عن أمه أن خالها حبيب بن فويك[3] حدثها ، أن أباه خرج به إلى رسول الله ﷺ وعيناه مبيضتان لا يبصر بهما شيئًا . فسأله ما أصابه ، فقال : إني كنت أمرن جملاً لي ، فوضعت رجلى على بيض حية ، فأصيب

---

(1) (دلائل أبي نعيم): ٤٦٦-٤٦٧، دعاؤه ﷺ برد بصر أعمى ، حديث رقم (٣٩٧)، أخرجه ابن أبي شيبة، وقال الهيثمي فى (مجمع الزوائد) : رواه الطبراني ، وفيه من لم أعرفهم .

(2) (دلائل البيهقي): ١٧٣/٦، باب ما جاء فى نفثه ﷺ فى عينين كانتا مبيضتين لا يبصر صاحبها بهما حتى أبصر .

(3) هو حبيب بن فويك، أو فديك، أو فريك ، روت بنت أخيه أن رسول الله ﷺ دعا له وهو أعمى مبيضه عيناه فأصبر ، (الاستيعاب) :٣٢٢/١، ترجمة رقم (٤٧٥)، ١٢٧١/٣، ترجمة رقم (٢٠٩٦) . قال الحافظ ابن حجر : ذكره البغوى وابن السكن وغيرهما ، وروى ابن أبي شيبة وعتبة ، من طريق عبد العزيز بن عمر ، عن رجل من بني سلامان ، عن أمه ، أن خالها حبيب ابن فويك حدثها أن أباه خرج به إلى رسول الله ﷺ وعيناه مبيضتان لايبصر بهما شيئاً، فسأله فقال: كنت أروض جملاً لى فوقعت رجلى على بيض خية ، فأصيب بصرى ، فنفث فى عينيه فأبصر، قال : فأنا رأيته يدخل الخيط فى الإبرة . وإنه لابن ثمانين سنة ، وإن عينيه لمبيضتان . ذكره ابن أبي شيبة ، عن محمد بن بشر العبدى ، عن عبد العزيز بن عمر ، عن رجل عن سلامان ابن سعد ، عن أمه أن خالها حبيب بن فويك حدثها أن أباه فويكاً خرج إلى رسول الله ﷺ ، فذكر الحديث ، ولا أعلم لحبيب غيره .

قال الحافظ ابن حجر : روى ابن منك من طريق عبد العزيز بن عمر أيضاً ، عن الحليسي السلاماني ، عن أبيه ، عن جده حبيب بن فويك بن عمرو ، أنه عرض على رسول الله ﷺ رقية من العين فأذن له فيها، فدعا له بالبركة. (الإصابة) : ٢٣/٢ - ٢٤ ، ترجمة رقم (١٥٩٨) .

بصري ، فنفث رسول الله ﷺ فى عينيه فأبصر ، قال : فرأيته يدخل الخيط فى الإبرة وإنه لابن ثمانين ، وإن عينيه لمبيضتان .

وأما رد الرسول ﷺ عين قتادة [١]
بعد ما سالت على خده فكان يقال له : ذو العين

فخرج البيهقي[٢] من حديث يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق ، عن عاصم ابن عمر بن قتادة أن رسول الله ﷺ رمى يوم أحد عن قوسه حتى اندقت سيتها[٣]، فأخذها قتادة بن النعمان ، فكانت عنده ، وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته ، فردها رسول الله ﷺ ، فكانت أحسن عينيه وأحدّهما .

وقال الواقدي فى (مغازيه)[٤] - وقد ذكر يوم أحد - : وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته .

قال قتادة بن النعمان : فجئت رسول الله ﷺ ، فقلت : أى رسول الله ،إن تحتي امرأة شابة جميلة أحبها وتحبني ، وأنا أخشى أن تقذر مكان عيني ، فأخذها

---

(١) هو قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر الأمير المجاهد. أبو عمر الأنصاري الظفرى البدري ، من نجباء الصحابة ، وهو أخو أبي سعيد الخدري لأمه، وهو الذى وقعت عينه على خده يوم أحد، فأتى بها إلى النبي ﷺ فغمزها رسول الله ﷺ بيده الشريفة، فردها ، فكانت أصح عينيه .

له أحاديث، وكان على مقدمة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله تبارك وتعالى عنه - لما سار إلى الشام، وكان من الرماة المعدودين . عاش خمساً وستين سنة ، وتوفى فى سنه ثلاث وعشرين بالمدينة، ونزل عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - يومئذ فى قبره ، (تهذيب سير الأعلام) : ١/٦٦-٦٧، ترجمة رقم (١٧٠).

(٢) (دلائل البيهقي) : ٣/٢٥١-٢٥٣، باب ما ذكر فى المغازي من وقوع عين قتادة بن النعمان على وجنته ، ورد رسول الله ﷺ عينه إلى مكانها وعودتها إلى حالها .

(٣) سية القوسي : طرفها .

(٤) (مغازي الواقدي) : ١/٢٤٢، غزوة أحد .

رسول الله ﷺ ، فردها فأبصرت وعادت كما كانت ، ولم تضرب عليه ساعة من ليل ولا نهار ، فكان يقول بعد أن أيس : هى أقوي عينى ، وكانت أحسنهما .

وخرَّج البيهقي من حديث إسحاق بن عبدالله بن أبي فروة [يحدث] ، عن عياض بن عبدالله بن سعد بن أبي سرح ، عن أبي سعيد الخدري ، عن قتادة بن النعمان وكان أخوه لأمه : أن عينه ذهبت يوم بدر فجاء بها إلى النبي ﷺ فردها فاستقامت[١] .

وخرَّج أبو نعيم من حديث يحيى اليماني حدثنا عبدالرحمن بن سليمان بن الغسيل ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أبيه ، عن قتادة بن النعمان : أنه أصيبت عينه يوم أحد ، فسالت حدقته على وجنته ، فأرادوا أن يقطعوها ، فسألوا النبي ﷺ [فقال : لا] فدعا به فغمز عينه براحته ، فكان لا يدري أى عينيه أصيبت .

وخرَّج أيضًا من حديث مالك بن أنس[٢] ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن عبيد ، عن قتادة بن النعمان ، أنه سقطت[٣] عينه يوم أحد فوقعت على وجنته[٤] ، فردها النبي ﷺ بيده ، فكانت أصح عينيه وأحدَّهما[٥] .

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٢٥٣/٣، وأخرجه الدارقطنى فى (السنن) ، و، عن البيهقي نقله ابن كثير فى (البداية والنهاية) .

(٢) سنده فى (دلائل أبي نعيم): حدثنا أبو بكر بن خلاد قال: حدثنا إبراهيم بن إسحاق الحربي ، حدثنا يوسف بن بهلول ، حدثنا ابن إدريس، ، عن محمد بن إسحاق ، ، عن عاصم بن عمر بن قتادة، ، عن محمود بن لبيد، ، عن قتادة بن النعمان .

(٣) فى (الأصل): " أصيبت" وما أثبتناه من (دلائل أبي نعيم).

(٤) ما بين الحاصرتين فى (الأصل) فقط .

(٥) (دلائل أبي نعيم): ٤٨٣ - ٤٨٤، باب ومن الأخبار فى غزوة أحد من الدلائل، حديث رقم (٤١٦)، وهذا الحديث مبثوث فى كتب السيرة والمغازي فى أحداث غزوة أحد ، وغزوة بدر ، والله تعالى أعلم .

وأخرجه الحاكم فى (المستدرك): ٣٣٤/٣، كتاب معرفة الصحابة ، ذكر مناقب قتادة بن النعمان الظفري ، وهو أخو أبي سعيد الخدري لأمه، قال : وشهد قتادة بن النعمان العقبة مع =

ومن حديث عبدالله بن الفضل بن عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان بن زيد الأنصاري قال : حدثنا أبي الفضل عن أبيه عاصم ، عن أبيه عمر ، عن أبيه قتادة بن النعمان بن زيد قال : أهدى إلى رسول الله ﷺ قوس ، فدفعها إليَّ يوم أحد ، فرميت بها بين يدي النبي ﷺ حتى اندقت سيتها ، ولم أزل فى مقامي نصب وجه رسول الله ﷺ أتقى[1] السهام ووجهي[2] دونه ، فكان آخرها سهم ندرت منه[3] حدقتي ، فأخذت حدقتي بيدي فسعيت بها فى كفى إلى رسول الله ﷺ ، فلما رأى رسول الله ﷺ حدقتي فى كفي دمعت عيناه ، فقال ﷺ : اللهم قِ قتادة كما وقى وجه نبيك[4] ، فاجعلها أحسن عينيه وأحدهما نظرًا [5] .

[وفى حديث منصور بن أحمد المعدل: فردها النبي ﷺ بيده فكانت أصحَّ عينيه وأحدهما] [6] .

= السبعين من الأنصار، وكان الرماة المذكورين من أصحاب رسول الله ﷺ ، شهد بدراً وأحداً ورميت عينه يوم أحد فسالت حدقته على وجنته ، فأتى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله! إن ، عندى امرأة أحبها ، وإن هى رأت عينى خشيت أن تقذرها، فردها رسول الله ﷺ بيده فاستوت، ورجعت ، وكانت أقوى عينيه وأصحهما بعد أن كبر. وشهد أيضاً الخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وكانت معه راية بنى ظفر فى غزة الفتح . قال محمد بن عمر: أخبرنى محمد بن صالح بن هاني ، عن عاصم بن عمر بن قتادة قال : مات قتادة بن النعمان سنة ثلاث وعشرين، وهو يومئذ ابن خمس وستين سنة ، وصلى عليه عمر بن الخطاب - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ونزل فى قبره أخوه لأمه أبو سعيد الخدري ، ومحمد بن مسلمة ، والحارث بن خزمة - رضي الله تبارك وتعالى عنهم. [هذا الحديث حذفه الحافظ الذهبي من التلخيص]

(١) فى (الأصل) : "ألقي" ، وما أثبتناه من (دلائل أبي نعيم) .

(٢) فى (الأصل) : " بوجهي " ، وما أثبتناه من (دلائل أبي نعيم).

(٣) ندرت : سقطت .

(٤) كذا فى (الأصل) و فى (دلائل أبي نعيم) : "كما وقى نبيك عليه السلام بوجهه " .

(٥) (المرجع السابق) حديث رقم (٤١٧) .

(٦) ما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (المرجع السابق) .

وخرَّج من حديث مالك ، عن محمد ، عن عبدالله بن أبي صعصعة ، عن أبيه ، عن أبي سعيد ، عن أخيه قتادة بن النعمان قال : أصيبت عيناي يوم بدر فسقطتا على وجنتي فأتيت بهما النبي ﷺ فأعادهما مكانهما وبزق فيهما ، فما عادتا تبرقان .

وخرَّجه البيهقي[1] من حديث ابن أبي خيثمة ، قال : حدثنا مالك بن إسماعيل ، قال : حدثنا ابن الغسيل ، قال : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان ، عن جده قتادة : أنه أصيبت عينه يوم بدر ، فسالت حدقته على وجنته ، فأراد القوم أن يقطعوها ، فقال : أنأتي رسول الله ﷺ نستشيره في ذلك ؟ فجئناه، فأخبرناه الخبر ، فأدناه رسول الله ﷺ منه ، فرفع حدقته حتى وضعها موضعها، ثم غمزها براحته ، وقال : اللهم اكسه جمالاً ، فمات وما يدري من لقيه أي عينيه أصيبت .

وخرَّجه من حديث يحيى بن عبد الحميد قال : حدثنا عبدالرحمن بن سليمان بن الغسيل ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أبيه قتادة بن النعمان : أنه أصيبت عينه يوم بدر ، فسالت حدقته على وجنته ، فأرادوا أن يقطعوها ، فسألوا النبي ﷺ ، فقال : لا ، فدعا به فغمز حدقته براحته ، فكان لا يدري أى عينيه أصيبت[2] .

قال البيهقي[3] : وفى الروايتين جميعًا ، عن ابن الغسيل أن ذلك كان يوم بدر، والله تبارك وتعالى أعلم .

وقال أبو عمر بن عبد البر[4]- وقد ذكر قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر ابن سوداء بن كعب فى كتاب (الصحابة) - : وأصيبت عينه يوم بدر ، وقيل :

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٣/٢٥١ - ٢٥٢ ، باب ما ذكر فى المغازى من وقوع عين قتادة بن النعمان على وجنتيه ، وردّ رسول الله ﷺ عينه إلى مكانها ، وعودتها إلى حالها .

(٢) (المرجع السابق) ٢٥٢ .

(٣) (المرجع السابق) ٢٥٢ .

(٤) (الإستيعاب): ٣ /١٢٧٤ - ١٢٧٧، ترجمة رقم (٢١٠٧) ، قال أبو عمر بعد ذلك : الأصح والله تعالى أعلم ، أن عين قتادة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أصيبت يوم أحد ، روى =

يوم الخندق ، وقيل : يوم أحد ، فسالت حدقته ، فأرادوا قطعها ، ثم أتوا النبي ﷺ، فرفع حدقته بيده حتى وضعها موضعها ، ثم غمزها براحته ، وقال : اللهم اكسه جمالاً ، فمات وإنها لأحسن عينيه وما مرضت بعد .

وقال عمر بن عبدالعزيز - رضي الله تبارك وتعالى عنه : كنا نتحدث أنها تعلقت بعرق فردها رسول الله ﷺ ، وقال : اللهم اكسها جمالاً ، قال عمر ابن عبدالعزيز :

تلك المكارم لا قعبان من لبن

شيبا بماء فعادا بعد أبوالاً

وقال عبد الله بن محمد بن عمارة : إن قتادة بن النعمان رميت عينه يوم أحد ، فسالت حدقته على وجهه ، فأتى النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله إن عندي

= عبد الله بن إدريس ، عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن جابر ابن عبد الله ، قال: أصيبت عين قتادة بن النعمان يوم أحد ، وكان حديث عهد بعرس ، فأتى النبي ﷺ فأخذها بيده فردّها، فكانت أحسن عينيه وأحدهما نظراً .

وقال عمر بن عبد العزيز : كنا نتحدث أنها تعلقت بعرق فردها رسول الله ﷺ ، وقال : اللهم اكسُها جمالاً .

وذكر الأصمعي ، عن أبي معشر المدني ، قال : وفد أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم بديوان أهل المدينة إلى عمر بن عبد العزيز ، رجل من ولد قتادة ابن النعمان ، فلما قدم عليه قال له: ممن الرجل ؟ فقال :

أنا ابن الذى سالت على الخدّ عينه

فَرُدّتْ بكف المصطفى أحسن الردّ

فعادت كما كانت لأول أمرها

فيا حُسْن ما عين ويا حُسْن ما رَدّ

فقال عمر بن عبد العزيز - رضي الله تبارك وتعالى عنه :

تلك المكارم لا قعبان من لبن

شيبا بماء فعادا بعد أبوالاً .

امرأة أحبها ، وإن هى رأت عينى خشيت أن تقذرنى ، فردها رسول الله ﷺ بيده، فاستوت ورجعت وكانت أقوى عينيه وأصحهما [بعد أن كبر] [1] .

وخرَّج أبو بكر بن الأنباري من حديث أبيه ، حدثنا أحمد بن عبيد ، عن الهيثم بن عدي ، عن أبيه قال : أصيبت عين قتادة بن النعمان الظفرى يوم أحد ، فأتى النبي ﷺ وهى فى يده ، فقال : ما هذا يا قتادة ؟ قال : هذا ما ترى يا رسول الله ، قال : إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت رددتها ودعوت الله لك ، فلم تفقد فيها شيئًا ، فقال : يا رسول الله ، والله إن الجنة لجزاء جزيل ، وعطاء جليل ، ولكني رجل مبتلى بحب النساء وأخاف أن يقلن : أعور ، فلا يُردنني ، ولكن تردها لى ، وتسأل الله لى الجنة ، فقال : أفعل يا قتادة ، ثم أخذها رسول الله ﷺ بيده ، فأعادها إلى موضعها ، فكانت أحسن عينيه إلى أن مات ، ودعا الله له بالجنة .

قال : فدخل ابنه على عمر بن عبدالعزيز رحمه الله ، فقال له عمر : من أنت يا فتى ؟ فقال :

أنا ابن الذى سالت على الخد عينه ... فردت بكف المصطفى أحسن الرد
فعادت كما كانت لأحسن حالها ... فيا حسن ما عين ويا طيب ما رد

فقال عمر : بمثل هذا فليتوسل إلينا المتوسلون ثم قال :

تلك المكارم لا قعبان من لبن ... شيبًا بماءٍ فعادا بعد أبوالا

---

(1) زيادة للسياق .

وأما برءُ يد محمد بن حاطب[1] بنفث المصطفى ﷺ عليها

فخرج البيهقي[2] من حديث أبي داود الطيالسي ، قال : حدثنا شعبة ، عن سماك بن حرب ، قال : سمعت محمد بن حاطب يقول : وقعت على يدى القدر ، فاحترقت ، فانطلقت إلى النبي ﷺ فجعل يتفل عليها ويقول : أذهب البأس رب الناس ، فأحسبه قال : واشف أنت الشافي .

---

(١) هو محمد بن حاطب بن الحارث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جُمح، أبو القاسم القرشي الجمحي ، وقيل : أبو إبراهيم، وقيل أبو وهب، أمه أم جميل ، يقال : ولد بأرض الحبشة ؛ وقيل ذلك على سبيل المجاز ،لأنه ولد في السفينة قبل أن يصلوا إلى الحبشة . هاجر أبوه ، ومات أبوه بها، فقدمت به أمه إلى المدينة مع أهل السفينتين ، فروى عبد الله بن الحارث ابن محمد بن حاطب ، عن أبيه ، عن جده قال : لما قدمنا أرض الحبشة خرجت بي أمي – يعنى إلى النبي ﷺ فقالت : يارسول الله! هذا ابن أخيك – وقد أصابه هذا الحرق من النار فادع الله له ... الحديث .

ورواه أيضاً عبد الرحمن بن عثمان بن محمد الحاطبي ، عن أبيه ، عن جده، أخرجه أحمد وابن أبي خيثمة والبغوي ، وفيه أن أمه قالت : يارسول الله ! هذا محمد بن حاطب ، وهو أول من سمي بك . قالت : فمسح على رأسك، وتفل في فيك ، ودعا لك بالبركة .

وأخرج ابن أبي خيثمة ، عن محمد بن سلام الجمحي ، قال : وحدثني بعض أصحابنا ، قال : هو أول من سمي في الإسلام محمداً . ولد بأرض الحبشة ، وأرضعته أسماء بنت عميس مع ابنها عبد الله بن جعفر ، وأرضعت أم محمد عبد الله بن جعفر، فكانا يتواصلان على ذلك حتى ماتا . وقال ابن شاهين : سمعت البغوى يقول : هو أول من سمي في الإسلام محمداً ، قال: وكان يكنى أبا القاسم : وجزم ابن سعد بأن كنيته أبو إبراهيم . وقال الهيثم : مات في ولايه بشر على العراق، وقال غيره : سنة أربع وسبعين، وقيل: مات سنة ست وثمانين .(الإصابة):٦/٨١٠، ترجمة رقم (٧٧٧٠) .

(٢) (دلائل البيهقي) : ١٧٤/٦ ، باب في نفثه ﷺ في يد محمد بن حاطب ، وقد احترقت حتى برئت .

ومن طريق يعقوب بن سفيان الفسوي ، قال : حدثنا محمد بن معاوية ، حدثنا شريك ، عن سماك ، عن محمد بن حاطب ، قال : أدنيت إلى قدر لنا ، فوضعت يدى فيه فاحترقت ، فذهبت بي أمي إلى البطحاء ، فقالت : يا رسول الله ، إن ابني هذا احترقت يده ، فجعل يتكلم الكلام ولا أدري ما هو ، ولكنه ينفث ، فسألت فى إمارة عثمان ، - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فقالوا : كان رسول الله ﷺ أظنه قال : ما رويناه من حديث شعبة[1] .

ومن طريق جعفر بن عون قال : أخبرنا مسعر عن سماك ، عن محمد بن حاطب قال : صنعت أمى مريقة[2] فاهراقت على يدى ، فذهبت بي أمي إلى النبي ﷺ فقال كلامًا لم أحفظه ، وسألت عنه فى إمارة عثمان ما قال ؟ قالت : قال : أذهب البأس رب الناس ، واشف أنت الشافي لا شافي إلا أنت .

وخرَّج البيهقي وأبو نعيم ، كلاهما من حديث سعيد بن سليمان قال : حدثنا عبدالرحمن بن عثمان بن إبراهيم ، عن جده معمر بن حاطب ، عن أمه أم جميل أم محمد بن حاطب ، قالت : أقبلت بك من أرض الحبشة ، حتى إذا كنت من المدينة بليلة أو ليلتين ، طبخت لك طبيخًا ، ففنى الحطب فرجعت[3] أطلب الحطب فتناولت القدر ، فانكفأتْ على ذراعك القدر ، فقدمت بك المدينة ، فأتيت رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله هذا محمد بن حاطب ، وهو أول من سمى بك فمسح على رأسك ودعا لك بالبركة ، ثم تفل في فيك ، وجعل يتفل على يديك وهو يقول : أذهب البأس رب الناس ، اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقمًا . قالت : فما قمت بك من عنده حتى برئت[4] يداك .

---

(١) راجع التعليق السابق .

(٢) كذا فى (الأصل) ، وهو أجود للسياق، وفى (دلائل البيهقي) :" مريعة" .

(٣) كذا فى (الأصل)، وفى (دلائل البيهقي) : "فرحت"

(٤) فى (الأصل) : "قويت" وما أثبتناه من (دلائل البيهقي) ، و(دلائل أبي نعيم) ، والحديث أخرجه أيضاً أبو نعيم فى (الدلائل): ٤٦٧، دعاؤه ﷺ بشفاء يد محمد بن حاطب ، حديث رقم (٣٩٨)، وأخرجه البخاري فى (التاريخ الكبير): ١٧/١١/١، وأخرجه الحاكم فى (المستدرك): ٧٠/٤، =

وقال أبو عمر بن عبدالبر : محمد بن حاطب بن الحارث بن معمر بن حبيب بن وهيب بن حذافة بن جمح القرشي الجمحي ، ولد بأرض الحبشة ، كانت أمه أم جميل ، ويقال : جويرية بنت المجلل بن عبدالله بن أبي قيس بن عبد ودُ بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي القرشية العامرية ، قد هاجرت إليها مع زوجها حاطب ، فولدت له هناك محمدًا والحارث ابنا حاطب ، وكان محمد بن حاطب يكنى أبا القاسم ، وقيل : أبا إبراهيم ، توفي في خلافة عبدالملك بن مروان سنة أربع وسبعين بمكة ، وقيل : بالكوفة وعداده في الكوفيين .

وقال مصعب : كان محمد بن حاطب في حين قدومه من أرض الحبشة وهو صبي ، قد أصابته نار في إحدى يديه فأحرقته ، فذهبت به أم جميل بنت المجلل إلى النبي ﷺ ، فرقاه ونفث عليه .

وقال البخاري : حدثنا عبد الرحمن بن عثمان بن إبراهيم بن محمد قال : أخبرني أبي عثمان ، عن جده محمد بن حاطب ، عن أمه أم جميل أم محمد بن حاطب قالت : خرجت بكِ من أرض الحبشة حتى إذا كنت من المدينة على ليلة أو ليلتين طبخت لك طبيخًا ، فخرجت أطلب الحطب ، فتناولت القدر فانكفأت على ذراعك ، فقدمت المدينة وأتيت بك إلى النبي ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ! هذا محمد بن حاطب ، وهو أول من سمي باسمك ، فمسح على رأسك ودعا بالبركة، ثم تفل في فيك وجعل يتفل على يديك ويقول : أذهب الباس رب الناس ، اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاءك ، شفاء لا يغادر سقمًا . فما قمت بك من عنده حتى برئت يدك[1] .

قال كاتبه[2] : رواية البخاري هذه خارج (الصحيح)[3] .

= كتاب معرفة الصحابة ، ذكر فاطمة بنت المجلل القرشية أم جميل أم محمد بن حاطب - رضي الله تبارك وتعالى عنهما ، حديث رقم (٦٩٠٩) ، وقد سكت ، عنه حافظ الذهبي في (التلخيص) .

(١) (الاستيعاب): ٣/١٣٦٨ - ١٣٦٩، ترجمة محمد بن حاطب رقم (٢٣٢٤).

(٢) هو التقي المقريزي عليه رحمة الله . =

وأما ذهاب السلعة[1] من كف شرحبيل[2] بنفث الرسول ﷺ ووضع يده عليها

فخرج البيهقي[3] من طريق البخاري خارج (الصحيح) قال : قال لي علي : حدثنا يونس بن محمد المؤدب ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا مخلد بن عقبة بن عبدالرحمن بن شرحبيل الجعفي ، عن جده عبدالرحمن ، عن أبيه قال :

أتيت رسول الله ﷺ وبكفي سلعة ، فقلت : يا رسول الله ! هذه السلعة آذتني ، تحول بيني وبين قائم السيف أن أقبض عليه عنان الدابة ، فقال : ادن مني ، فدنوت منه ، فقال : افتح كفك ، ففتحتها ، ثم قال : اقبضها فقبضتها ، ثم قال : أدْنُ منى ، فدنوت منه ، فقال : افتحها ، ففتحتها ، فنفث فى كفى ، ووضع كفه على السلعة، فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها عنها ، وما أدرى أين أثرها .

= (٣) رواها الإمام البخاري فى (التاريخ الكبير) : ١٧/١/١.

(١) السلعه: غدة تظهر بين الجلد واللحم إذا غمزت باليد تحركت .

(٢) هو شراحيل أو شرحبيل الجعفى . ذكرعلي بن المدينى ، عن يونس بن محمد ، ، عن حماد بن زيد، ، عن مخلد بن عقبة بن عبد الرحمن بن شراحيل الجعفي ، عن جده عبد الرحمن ، عن أبيه شراحيل ، قال : أتيت النبي ﷺ وبيدي سلعة .. الحديث . (الإستيعاب) : ٦٩٧/٢، ترجمة شراحيل رقم (١١٦٢)، ترجمة رقم (١١٧٠) ، وقال فيه : شرحبيل .

(٣) (دلائل البيهقي) : ١٧٦/٦-١٧٧ ، باب ما جاء فى نفثه فى كف شرحبيل الجعفي ، ووضع كفه على السلعة التى كانت بكفه حتى ذهبت ، ثم قال البيهقي : وقرأت فى كتاب الواقدي ، أن أبا سبرة قال : يا رسول الله ؟ إن لى بظهر كفى سلعة قد منعتني من خطام راحلتي ، فدعا رسول الله ﷺ بقدح ، فجعل يضرب به على السلعة ويمسحها فذهبت ، فدعا له رسول الله ﷺ ولابنيه ، أحدهما : سبرة ، والآخر ، عزيز ، فسماه عبد الرحمن ، ووهو أبو خيثمة بن عبد الرحمن .

وقرأت فى كتاب محمد بن سعيد ، عن الحميدي ، ، عن فرح بن سعيد الواقدي ، ، عن عمه ثابت بن سعيد ، عن أبيه ، عن جده أبيض حمال ، أنه كان بوجهه جدرة – يعنى القوباء – وقد التمعت وجهه ، فدعا رسول الله ﷺ فمسح وجهه ، فلم يُمْس ذلك اليوم ومنها أثر .

وقال ابن عبدالبر : شرحبيل الجعفي وقال : بعضهم فيه شـراحيل ، حديثـه فى أعلام النبوة فى قصة السلعة التـى كـانت بـه ، شـكاها إلـى رسـول اللـه ﷺ ، فنفث فيها ، ووضع يده عليها .

وأما برء خبيب[1] بتفل الرسول ﷺ على موضع مصابه

فروى يونس بن بكير بن ابن إسحاق قال : حدثني خبيب بن عبدالرحمن ، قال : ضرب خبيب يعنى ابن على يوم بدر ، فمال شقه ، فتفل عليـه رسـول اللـه ﷺ ولأمه ورده فانطبق ، فلم ير لها أثر . وروى عنه ابنه عبدالرحمن .

---

(١) هو خبيب ، بالتصغير، ابن إساف بهمزة مكسورة ، وقد تبدل تحتانيـة - يسـاف - بـن ، عنبـة ، بكسر المهملة وفتح النون ، بعدها موحدة ، ابن عمرو بن خديج بن عامر بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن الأوس الأنصاري الأوسي . ذكره ابن إسحاق فيمن شهد بدراً . وقال الواقـدي: كـان تأخر إسلامه . إلى أن خرج النبي ﷺ إلى بدر، فلحقة فى الطريق ، فأسلم ، وشهدها وما بعدهـا، ومات فى خلافة عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - . وقال ابـن إسـحاق ، عـن مكحـول، عن سعيد ابن المسيب ، قال : بعث عمر بـن الخطـاب خبيـب بـن إسـاف أحد بنـي الحـارث بـن الخزرج على بعض العمل، وكان بدرياً . وروى أحمد ، والبخاري فى (تاريخه) من طريق مسلم ابن سعيد ، عن خبيب بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن جده ، قال : أتيـت النبـي ﷺ وهـو يريـد غزواً أنا ورجل من قومى ولم نسلم ، فقلنا : إنا نستحي أن يشـهد قومنـا مشـهداً لانشـهده معهـم ، قال : إنا لا نستعين بالمشركين على المشركين ، قال : فأسلمنا وشهدنا معه رواه أحمد بـن منيـع، فقال فى روايته : ، عن خبيب بن عبد الرحمن بن خبيب .

وقال ابن إسحاق: حدثني ابن عبد الرحمن قال : ضرب خبيب جدى يوم بدر ، فمال سـيفه، فتفل عليه النبي ﷺ وردّه ولأمه . وذكـر الواقدي أن الـذى ضربه هو أميـة بـن خلـف ، ويقـال : إنه هو الذي قتل أمية . قال الحافظ : وفى حديثه المذكور ، عند أحمد أنـه قـال : ضربنـي رجـل من المشركين على عاتقي فقتلته ، ثم تزوجت ابنته فكانت تقول لى :لا عدمت رجلاً وشـحك هـذا الوشـاح ، فـأقول :لاعدمـت رجـلاً عجلـه إلـى النـار! (الإصابـة) : ٢/٢٦١-٢٦٢، ترجمـة رقـم (٢٢٢١) .

وأما ذهاب السلعة من كف أبي سبرة
بمسح الرسول ﷺ

فقال البيهقي[١] : وقرأت في كتاب الواقدي أن أبا سبرة قال : يا رسول الله إن بظهر كفي سلعة قد منعتني من خطام راحلتي ، فدعا رسول الله ﷺ بقدح ، فجعل يضرب على السلعة ويمسحها ، فذهبت ، فدعا له رسول الله ﷺ ولأبنيه : أحدهما ، سبرة ، والآخر .. عزيز ، فسماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن ، وهو أبو خيثمة [بن عبد الرحمن][٢] قال ابن عبدالبر[٣] : أبو سبرة الجعفي اسمه يزيد ابن مالك بن عبدالله بن ذؤيب بن سلمة بن عمرو بن ذهل بن مروان بن جعفي، والد سبرة بن أبي سبرة ، وعبدالرحمن بن أبي سبرة ، له صحبة ، وفد إلى النبي ﷺ ومعه ابناه عزيز وسبرة ، فسمى رسول الله ﷺ عزيزًا عبدالرحمن، روى ، عنه ابناه في القراءة في الوتر وفي الأسماء حديثًا مرفوعًا ، جد هو خيثمة بن عبدالرحمن [بن أبي سبرة] .

وقال ابن الكلبي : وولد سلمة بن عمرو يعني ابن ذهل بن مروان بن جعفي بن سعد العشيرة بن مالك ، وهو مذحج بن أدد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان الذؤيب ، والمعترض منهم أبو سبرة وهو يزيد بن مالك بن عبدالله بن ذؤيب بن سلمة ، وفد على النبي ﷺ ومعه ابناه سبرة عبد الرحمن ، وكان في ألفين وخمسمائة من العطاء، وأقطعه رسول الله ﷺ وادى جعفي باليمين.

وكان اسم الوادى جردان ، وكان الحجاج ولى عبدالرحمن بن أبي سبرة أصبهان وابنه خيثمة بن عبد الرحمن الفقيه ، ومحمد بن عبد الرحمن كان من فرسان العرب وولى مسايح الرى . انتهى[٤] .

---

(١) (دلائل البيهقي) : ١٧٦/٦.

(٢) زيادة للسياق من (المرجع السابق) .

(٣) (الاستيعاب) : ١٦٦٧/٤، ترجمة رقم (٢٩٨٥) وما بين الحاصرتين من (الأصل) فقط .

(٤) (جهرة أنساب العرب لابن حزم) : ٤٠٩ - ٤١٠.

وقال المعافي بن زكريا : حدثنا ابن دريد أخبرنا السكن بن سعيد ، عن العباس بن هشام ، عن أبيه قال : حدثنا الوليد بن عبدالله الجعفى عن أبيه ، عن أشياخ قومه ، قالوا : كانت عند أبي سبرة وهو يزيد بن مالك بن عبدالله بن الذؤيب بن سلمة بن عمرو بن ذهل بن مروان بن جعفي امرأة منهم ، فولدت له سبرة وعزيز ، ثم ماتت فورثها ابناها إبلاً ، ثم تزوج أبو سبرة أخرى ، فجفا ابنيه ونجاهما عنه ، فكانا فى إبلها التى ورثاها من أمها ، فلما بلغهما مهاجر النبي ﷺ، قال سبرة لمولى لأمه ، كان يرعى عليه : ابغني ناقة كنازًا ، يعني كثيرة اللحم مجتمعة الجسم ذات لبن ، فأتاه بها فركبها ، وهو يقول لأبيه :

ألا بلغا عني يزيد بن مالك أماً بالُ الشيخ أن يتذكرا
رأيت أبانا صدّ عنا بوجهه وأمسك عنا ماله وتمرا

ثم توجه إلى النبي ﷺ فأقبل أخوه عزيز ، فقال للمولى : أين أخي ؟ قال : ندت ناقته ، فذهب فى طلبها ، فنظر فى الإبل فلم ير شيئًا ، فقال للمولى : لتخبرنى ، فأخبره وأنشده البيتين فدعا بناقة فركبها وهو يقول :

ألا بلغا عني معاشر مذجح فهل لى من بعد ابن أمي معشرًا ؟

ولحق بالنبي ﷺ ، ثم أقبل أبو سبرة ، فقال للمولى : أين أخي ؟ قال : ندت ناقته ، فذهب فى طلبها ، فنظر فى الإبل فلم ير شيئًا ، فقال للمولى : أين ابناي ؟ فأخبره خبرهما وأنشده شعريهما ، فركبها وهو يقول :

وسبرة كان النفس لو أن حاجة ترد ولكن كتان أمرًا تيسرًا
وكان عزيز خلتى فرأيته تولى ولم يقبل عليَّ وأدبرا

ثم لحق بهما ، وخلف عند المولى غلامًا له يقال له : شنقرًا فمكث المولى أيامًا ، ثم لحق بهم ، وأنشأ يقول :

بدلت ايناسًا حيالاً وشنقرًا بأهلي لا أرضي به أولئك

فأتى أبو سبرة النبي ﷺ ومعه ابناه فأسلموا ، فقال النبي ﷺ لعزيز : ما اسمك ؟ فقال عزيز ، قال : لاعزيز إلا الله ، أنت عبد الرحمن[1] .

---

(١) قال الحافظ ابن حجر: عبد الرحمن بن أبي سبرة عداده فى أهل الكوفة ، وقال ابن حبان: يقال له صحبة ، وقال : وأخرج أحمد ، وابن حبان فى (صحيحه) من طريق أبي إسحاق ، عن خثيمة =

وقال أبو سبرة للنبي ﷺ : إني بظهر كفي سلعة قد منعتني من خطام راحلتي ، فدعا ﷺ بقدح ، فجعل يضرب به على السلعة ، ويمسحها ، فذهبت ، ودعا له ولابنيه ، وأقطعه جردان[2] واديًا في بلاد قومه . قال ابن الكلبيّ : فلم يسمع بأهل بيت أجابوا إلى الإسلام طوعًا مثل هؤلاء .

= ابن عبد الرحمن ، عن أبيه قال : أتيت النبي ﷺ مع أبي وأنا غلام ، فقال : ما اسم ابنك هذا ؟ قال : اسمه عزيز ، قال : لا تُسمِّ عزيزاً ، ولكن سمه عبد الرحمن ؛ فإن أحب الأسماء إلى الله تعالى ، عبد الله ، وعبد الرحمن ، والحارث ، تابعه العلاء بن المسيب بن خيثمة ، عن أبيه .

وأخرجه ابن منده من طريق شعيب بن سليمان ، عن عباد بن العوام ، عن العلاء ، أرسله إبراهيم بن زياد ، وعن عباد ، فقال بهذا السند ، عن خيثمة : كان اسم أبي عزيزاً ، فقال له النبيﷺ أنت عبد الرحمن . وكأن الصواب : كان اسم أخي .

وأخرجه ابن منده من طريق حجاج بن أرطأة ، عن عمر بن سعيد ، عن سبرة بن أبي سبرة ، قال : أتيت النبي ﷺ ومعي ابني ، فقال : ما اسم ولدك ؟ قلت : فلان ، وفلان ، وعبد العزى ، فقال ﷺ : سمّه عبد الرحمن . (الإصابة) : ٤/٣٠٨ ، ترجمة رقم (٥١٢٩) .

(٢) جردان، بالدال المهملة وآخره نون : بلد قرب كابلستان، بين غزنة وكابل، به يصيف أهل ألبان . (معجم البلدان): ٢/ ١٤٤، موضع رقم (٣٠٣٦).

وأما ذهاب القوباء من وجه أبيض بن حمال[1] بمسح رسول الله ﷺ وجهه

فخرَّج محمد بن سعد ، عن الواقدي عن الحميدي ، عن فرح بن سعيد ، عن عمه ثابت بن سعيد ، عن أبيه ، عن جده أبيض أنه كان بوجهه جدرة يعني القوباء .

وقد التمعت وجهه ، فدعا رسول الله ﷺ فمسح وجهه فلم يمس من ذلك اليوم ، ومنها أثر هكذا رواه البيهقي[2].

وأما برء جراحة خبيب بتفل المصطفى ﷺ فيها

فخرَّج البيهقي من حديث خلاد الواسطي ، قال : حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا المستلم بن سعيد ، حدثنا خبيب بن عبدالرحمن بن خبيب ، عن أبيه عن جده ، قال : أتيت النبي ﷺ أنا ورجل من قومي في بعض مغازيه ، فقلنا : إنا نشتهي معك مشهدًا . قال : أسلمتم ، قلنا : لا قال : فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين ، فأسلمت وشهدت مع رسول الله ﷺ فأصابني ضربة على عاتقي فخانتني ، فتعلقت يدي فأتيت النبي ﷺ فتفل فيها وألزقها ، فالتأمت ، فبرأت ، وقتلت الذي ضربني ، ثم تزوجت ابنة الذي قتلته وكانت تقول :

عدمتُ رجلاً وشحك هذا الوشاح ، فأقول : لا عدمتِ رجلاً أعجل أباك إلي النار [3] .

---

(١) لم أجد له ذكر فيما بين يدى من كتب التراجم .

(٢) (دلائل البيهقي) : ١٧٧/٦ .

(٣) سبق تخريجه .

قال كاتبه[1] : وخبيب هذا بخاء معجمه مضمومة ، وبعدها باء مفتوحة معجمة بواحدة ، وقد اختلف في اسم أبيه[2]، فقيل إساف بهمزة وقيل يساف بياء آخر الحروف ابن عنبة بكسر العين ، وفتح النون والباء الموحدة ابن عمرو بن خديج بن عامر بن جشم بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجي ، أسلم بطريق بدر وما بعد ، وتزوج حبيبة بنت خارجة بعد أبي بكر الصديق رضي الله تبارك وتعالى عنه ، ومات في خلافة عثمان رضي الله تبارك وتعالى عنه، وهو جد خبيب بن عبدالرحمن بن خبيب بن يساف .

(١) هو التقى المقريزي عليه رحمة الله .

(٢) سبق أن أشرنا إلى مصادر ترجمته .

وأما عدم شيب عمرو بن أخطب[1] بدعاء الرسول ﷺ أن يجمله الله

فخرَّج أبو نعيم من حديث حسين بن واقد ويحيى الحماني ، قالا : حدثنا أبو نهيك الأزدي قال : حدثني عمرو بن أخطب ، قال : استسقى رسول الله ﷺ فأتيته بجمجمة وفيها ماء وفيها شعرة ، فرفعتها فناولته فنظر إليَّ ، فقال : اللهم جمله، قال : فرأيته وهو ابن ثلاث وتسعين سنة ، وما في رأسه ولحيته شعرة بيضاء[2] .

وخرَّجه من طريق أبي بكر بن أبي شيبة قال : حدثنا زيد بن الحباب ، حدثنا حسين بن واقد مثله ، وقال : هو ابن أربع وتسعين سنة.

وخرَّجه البيهقي من طريق الإمام أحمد ، قال : حدثنا حَرِمي بن عمارة ، حدثنا عروة بن ثابت ، حدثنا علباء بن أحمر ، قال : حدثني أبو زيد الأنصاري قال : قال رسول الله ﷺ لي : ادن مني ، قال : فمسح بيده علي رأسي ولحيتي، ثم قال : اللهم جمله ، وأدم جماله ، قال : فبلغ بضعًا ومائة سنة ، وما في لحيته بياض إلا نبذ يسيرة ، ولقد كان منبسط الوجه ، ولم ينقبض وجهه حتي مات[3]. قال البيهقي : هذا إسناد صحيح موصول ، قد رواه أيضًا الحسين بن واقد ، قال:

---

(١) هو عمرو بن أخطب بن رفاعة الأنصاري الخزرجي ، أبو زيد ، مشهور بكنيته، غزا مع النبي ﷺ ثلاث عشرة مرة ، ومسح رأسه، وقال : اللهم جمله، ونزل البصرة، وروى عنه ابنه بشير، وآخرون، وحديثه فى (صحيح مسلم) ، و(السنن) ، وهو ممن جاوز المائة . ويقال: إنه من بني الحارث بن الخزرج، بلغ مائة سنة ونيفاً وما فى رأسة ولحيته إلا نبذ من شعر أبيض ، هو عزرة بن ثابت ، روى عنه أنس بن سيرين، وأبو الخليل، وعلباء بن أحمرن وتميم بن حويص، وأبو نهيك، وسعيد بن قطن. (الإصابة): ٥٩٩/٤، ترجمة رقم (٥٧٦٣)، (الإستيعاب): ١١٦٢/٣، ترجمة رقم (١٨٨٩).

(٢) (دلائل أبي نعيم): ٤٥٨، دعاؤه ﷺ لعمرو بن أخطب، حديث رقم (٣٨٤).

(٣) (دلائل البيهقي) : ٢١١/٦، باب ماجاء فى شأن أبي زيد، عمرو بن أخطب الأنصاري – رضي الله تبارك وتعالى عنه – ودعائه له ، وما ظهر فى ذلك من آثار النبوة .

حدثنا أبو نهيك [الأزدى][1] عن عمرو بن أخطب ، وهو أبو يزيد ، قال: استسقى رسول الله ﷺ ، فأتيته بإناء فيه ماء وفيه شعرة ، فرفعتها ثم ناولته ، فقال : اللهم جمله ، قال : فرأيته ابن ثلاث وتسعين ، وما في رأسه ، ولحيته شعرة بيضاء [2] .

قال ابن عبدالبر : عمرو بن أخطب أبو زيد الأنصاري هو مشهور بكنيته، يقال إنه من بني الحارث بن الخزرج غزا مع رسول الله ﷺ غزوات ، ومسح على رأسه ودعا له بالجمال ، فيقال إنه بلغ مائة سنة ونيفًا ما في رأسه ولحيته إلا نبذ من شعر أبيض .

(١) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي).

(٢) (المرجع السابق): ٢١٢/٦، ثم قال بعقبة : وهو فيما ذكره أبو عبد الله الحافظ فيما أنبأني به قال : أنبأنا أبو العباس : القاسم بن القاسم السياري ، حدثنا محمد بن موسى الباشاني ، حدثنا علي بن الحسن بن شقيق ، حدثنا الحسين بن واقد .

وأما أن عمرو بن الحَمِق[1] بلغ الثمانين ولم يبيض شعره بدعائه ﷺ له

---

(١) هو عمرو بن الحمق – بفتح أوله وكسر الميم بعدها قاف ، ابن كاهل ، ويقال: الكاهن بن حبيب ابن عمرو بن القين بن رزاح بن عمرو بن سعد بن كعب بن عمرو الخزاعي الكعبى . قال ابن السكن : له صحبة، وقال أبو عمر: هاجر بعد الحديبية ، وقيل: بل أسلم بعد حجة الوداع. والأول أصح . قال الحافظ ابن حجر: قد أخرج الطبرانى من طريق صخر بن الحكم، عن عمه، عن عمرو بن الحمق قال: هاجرت إلى النبي ﷺ ، فبينا أنا عنده ... فذكر قصة على ، وسنده ضعيف وقد وقع فى (الكنى) للحاكم أبي أحمد فى ترجمة أبي داود المازنى ، من طريق الأموي، عن ابن إسحاق ، ما يقتضي أن عمرو بن الحمق شهد بدراً .

وجاء عن أبي إسحاق بن أبي فروة، أحد الضعفاء، قال: حدثنا يوسف بن سليمان عن جده معاوية ، عن عمرو بن الحمق أنه سقى النبي ﷺ لبناً– فقال : اللهم أمتعه بشبابه. فمرت ثمانون سنة لم يرشعرة بيضاء، يعنى أنه استكمل الثمانين، لا أنه عاش بعد ذلك ثمانين . قال أبو عمر : سكن الشام ، ثم كان يسكن الكوفه ، ثم كان ممن قام على عثمان مع أهلها، وشهد مع علي حروبه، ثم قدم مصر .

فروى الطبراني وابن قانع من طريق عميرة بن عبد الله المعافري ، عن أبيه أنه سمع عمرو بن الحمق يقول : سمعت رسول الله ﷺ ذكر الجند العربى ، قال عمرو : فلذلك قدمت عليكم مصر.

وأخرج النسائي وابن ماجة، عن رواية رفاعة بن سواد عنه حديث: من أمن رجلاً على دمة فقتله فأنا بري،من القاتل ، وإن كان المقتول كافراً.

وروى عنه ايضاً عبد الله بن عامر المعافري ، وجبير بن نفير الحضرمي ، وأبو منصور مولى الأنصار.

وذكر الطبري عن أبي مخنف أنه كان من أعوان حجر بن عدي ، فلما قبض زياد على حجر بن عدى ، وأرسله مع أصحابه إلى الشام هرب عمرو بن الحمق .

وذكر ابن حبان أنه توجه به إلى الموصل ، فدخل غاراً فنهشته حية فمات فأخذ عامل الموصل رأسه فأرسله إلى زياد، فبعث به إلى معاوية وذلك سنة خمسين . وقال خليفة : سنة إحدى وخمسين ، وزاد أن عبد الرحمن بن عثمان الثقفى قتل بالموصل ، وبعث برأسه . وقيل : بل عاش إلى أن قتل فى وقعة الحرة سنة ثلاث وستين . قال ابن السكن : يقال إن معاوية =

فخرج أبو نعيم من حديث عبدالأعلى بن مسهر ، قال : حدثنا يحيي بن حمزة قال : حدثني إسحاق بن عبدالله عن يوسف بن سليمان ، عن جدته ميمونة نائرة عن عمرو بن الحمق أنه سقي النبي ﷺ لبنًا ؛ فقال : اللهم أمتعه بشبابه ، فمرت عليه ثمانون سنة ، لم ير له شعرة بيضاء .

وخرَّجه ابن عساكر من طريق هشام بن عمار ، قال : حدثنا يحيي بن حمزة الحضرمي ، حدثني إسحاق، بن أبي فروة ، حدثنا يوسف بن سليمان ، عن جدته ميمونة ، عن عمرو بن الحمق : أنه سقي النبي ﷺ لبنًا ... الحديث .

وأما دعاؤه ﷺ ليهودي بالجمال فاسودت لحيته بعد بياضها

فخرَّج البيهقي[1] من حديث محمد بن إبراهيم بن عزرة بن ثابت عن أبيه، عن عزرة بن ثابت الأنصاري ، عن ثمامة ، عن أنس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أن يهوديًا أخذ من لحية النبي ﷺ قال : فقال النبي ﷺ : اللهم جمله ؛ فاسودت لحيته بعدما كانت بيضاء[2] .

وخرَّج من طريق عبدالرزاق قال : أخبرنا معمر عن قتادة قال : حلب يهودي للنبي ﷺ ، فقال النبي ﷺ : اللهم جمله ، قال : فاسودَّ شعره حتي صار أشد سوادًا من كذا وكذا .

= أرسل فى طلبه ، فلما أخذ فزع ، فمات، فخشوا أن يتهموا ، فقطعوا رأسه ، وحملوه إليه ، ثم ذكر بسند جيد إلى أبي إسحاق السبيعي ، عن هنيدة الخزاعي ، قال : أول رأس أهدي فى الإسلام ، رأس عمرو بن الحمق ، بعث به زياد الى معاوية .

(الإصابة) : ٤/٦٣٢ - ٦٢٤،ترجمة رقم (٥٨٢٢)، (الإستيعاب) : ٣/١١٧٣ - ١١٧٤، ترجمة رقم (١٩٠٩).

(١) (دلائل البيهقي) : ٦/ ٢١٠، باب ما روى فى شأن اليهودي الذى أخذ من لحية النبي ﷺ وما ظهر فى ذلك من آثار النبوة.

(٢) قال البيهقي بعقبة : له شاهد بإسناد مرسل .

قال معمر وسمعت غير قتادة يذكر أنه عاش نحوًا من تسعين سنة ، فلم يشب[1] .

قال البيهقي : ورأيته في كتاب (المراسيل) لأبي داود مختصرًا : إن يهوديًا حلب للنبي ﷺ ، فقال : اللهم جمله ، فاسود شعره[2] .

(١) (المرجع السابق).

(٢) (المرجع السابق) .

وأما تمتع السائب بن يزيد[1] بحواسه وسواد شعره بدعاء الرسول ﷺ له

فخرّج البخاري[2] من حديث إسحاق بن إبراهيم ، قال : حدثنا الفضل بن موسى عن الجعد بن عبدالرحمن ، قال : رأيت السائب بن يزيد ابن أربع وتسعين جلدًا معتدلاً ، فقال : قد علمت ما متعت سمعي وبصري إلا بدعاء

---

(١) هو السائب بن يزيد بن سعيد بن يمامة او ثمامة ، ويقال عائد بن الأسود الكندي أو الأزدي ، وقيل : هو كناني ، ثم ليثى ، وقيل : هذلي ، يعرف بابن أخت النمر، والنمر خال أبيه يزيد، وهو النمر بن جبل ، ووهم من قال إنه النمر بن قاسط، وقال الزهري : هو أزدى ، حالف بني كنانه، له ولأبيه صحبة . روى البخاري من طريق محمد بن يوسف ، عن السائب بن يزيد، قال: حج أبى مع النبي ﷺ وأنا ابن ست سنين. ومن طريق الزهري عنه ، قال : خرجت مع الصبيان نتلقى النبي ﷺ من تبوك . وفى الصحيحين أيضاً من طريق محمد بن يوسف، عن السائب ، أن خالته ذهبت به وهو وجع ، فسمح النبي ﷺ رأسه ، ودعا له وتوضأ وشرب من وضوئه، ونظر إلى خاتم النبوة . وأم السائب : أم العلاء بنت شريح الحضرمية ، وكان العلاء بن الحضرمي خاله . قال الزبيري : استعمله عمر - رضى الله تبارك وتعالى عنه - على سوق المدينة، وهو وسليمان بن أبي خيثمة ، وعبد الله بن عتبه بن مسعود . قال أبو نعيم : مات سنة اثنتين وثمانين، وقيل : بعد التسعين وقيل : سنة إحدى ، وقيل: سنة أربع ، وقال ابن أبي دواد: هو آخر من مات بالمدينة من الصحابة ووهم يعقوب بن سفيان فذكره فيمن قتل يوم الحرة . له ترجمة فى : (الاستيعاب): ٢ /٥٧٦ - ٥٧٧، ترجمة رقم (٩٠٢) ، (الإصابة): ٢٦/٣-٢٨، ترجمة رقم (٣٠٧٩) .

(٢) (فتح الباري) : ٦٩٥/٦، كتاب المناقب، باب (٢١) بدون ترجمة حديث رقم (٣٥٤٠).

وأخرج فى باب (٢٢) خاتم النبوة، حديث رقم (٣٥٤١)، ولفظه : حدثنا محمد بن عبد الله، حدثنا حاتم عن الجعد بن عبد الرحمن قال : سمعت السائب بن يزيد قال : ذهبت بي خالتي إلى رسول الله ، فقالت : يارسول الله - إن ابن أختي وقع فمسح رأسي ودعا لى بالبركة، وتوضأ فشربت من وضوئه، ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه .

رسول الله ﷺ أن خالتي ذهبت بي إليه ، فقالت : يا رسول الله ، إن ابن أختي شاك ، فادع الله له ، فدعا لي .

وخرّج البيهقي[1] من حديث عكرمة بن عمارة ، قال : حدثنا عطاء مولى السائب قال : كان رأس السائب أسود من هذا المكان ووصف بيده أنه كان أسود الهامة أي مقدم رأسه ، وكان سائر مؤخرة لحيته وعارضاه أبيض .

فقال : يا مولاي ما رأيت أحدًا أعجب شعرًا منك ، قال : وما تدري [يابنى] لم ذاك ؟ إن رسول الله ﷺ مر بي وأنا مع الصبيان ، فقال : من أنت ؟ قلت : السائب بن يزيد أخو النمر ؛ فمسح يده على رأسي ، وقال : بارك الله فيك ، فهو لا يشيب أبدًا .

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٢٠٩/٦، باب ما جاء فى دعائه ﷺ للسائب بن يزيد - رضي الله تبارك وتعالى عنه - وما ظهر فيه ببركة دعائه من الآثار ، ذكره الهيثمى فى (مجمع الزوائد) ، وقال : أخرجه الطبراني فى (الكبير) ، ورجال (الكبير) رجال الصحيح ، غير عطاء مولى السائب، وهو ثقة.

وأما عدم شيب موضع يد الرسول ﷺ من رأس محمد بن أنس[1]

---

(١) هو محمد بن أنس بن فضالة بن عبيد بن يزيد بن قيس بن ضبيعة بن الأصرم بن جحجي بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي .ذكره في الصحابة، وقال: قال لى يحيى بن موسى ، عن يعقوب بن محمد، أنبأنا إدريس بن محمد بن يونس بن محمد ابن أنس الظفري ،حدثنى جدي عن أبيه، قال : قدم النبي ﷺ المدينة وأنا ابن أسبوعين، فأتى بي إليه ، فمسح برأسي ، وحج بى حجة الوداع، وأنا ابن عشر سنين، وقال : دعا لى بالبركة، وقال: سموه باسمي ، ولا تكنوه بكنيتي. وقال يونس: ولقد عمَّر أبى حتى شاب كل شيء فيه، ومات وما شاب موضع يد النبى ﷺ من رأسه . وكذا أخرجه مطين، عن أبي أمية الطرسوسي، وعن يعقوب بن محمد - هو الزهري به . واختصره ابن أبي حاتم، فقال: محمد ابن أنس بن فضالة ، قال: السكن مطولاً من وجه أخر، عن يعقوب بن محمد بهذا السند ، لكن قال: محمد بن فضالة، فنسب محمد إلى جده . قال ابن شاهين: سمعت عبد الله بن سليمان بن الأشعث يقول : محمد بن أنس بن فضالة، هو الذى كان تصدق النبى ﷺ بماله وابن منده ، من طريق سفيان بن حمزة، عن عمرو بن أبى فروة ، عن مشيخة أهل بيته، قال: قتل أنس بن فضاله يوم أحد، فأتى النبى ﷺ بمحمد بن أنس بن فضالة فتصدق عليه بعتق لا يباع و لايوهب. قال ابن منده: لا يروي إلابهذا الإسناد محمد بن فضالة عن أبيه - وكان أبوه ممن صحب النبي ﷺ هو وجده : أن النبي ﷺ أتاهم فى بنيِ ظفر. ووصله البغوي عن أبي كامل ، وهو فضيل بن حسين، والصلت بن مسعود كلاهما عن فضيل بن سليمان بهذا، وزاد فجلس على صخرة ومعه ابن مسعود ومعاذ، فأمر رسول الله ﷺ قارئاً فقرأ ، حتى إذا بلغ : ﴿ **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً** ﴾ بكى بكر حتى اضطرب لحياه ، وقال : رب على هؤلاء شهدت، فكيف بمن لم أره . وهكذا أخرجه ابن شاهين عن البغوي ، وقال: قال البغوي : لا أعلم روى محمد بن فضاله غير هذا الحديث. وفرق البغوي وابن شاهين وابن قانع وغيرهم بين محمد بن أنس بن فضاله، وبين محمد بن فضالة، والراجح أنهما واحد: لكن قال ابن شاهين أنس ابن فضاله شهد فتح مكة والمشاهد بعدها. والله - تبارك وتعالى - أعلم . (الإصابة): ٦/٤-٥، ترجمة رقم (٧٧٦٢) ، (الإستيعاب) : ٣/٣٦٥، ترجمة رقم (٣١٧).

فخرَّج البخاري في (التاريخ)[1] على ما أورده البيهقي[2] من حديث يحيي بن موسى ، عن يعقوب بن محمد [بن إبراهيم الفارسي] قال : حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الأصبهاني قال :[3] أنبأنا إدريس بن محمد بن يونس ابن محمد بن أنس بن فضالة الظفري قال : حدثني جدي يونس عن أبيه قال : قدم النبي ﷺ المدينة وأنا ابن أسبوعين ، فأتى بي النبي ﷺ فمسح رأسي وحج بي حجة الوداع ، وأنا ابن عشر سنين ، ودعا لي بالبركة ، وقال : سموه باسمي ولا تكنوه بكنيتي قال: قال يونس : فلقد عمر أبي حتى شاب كل شيء من أبي ، وما شاب موضع يد النبي ﷺ من رأسه ولحيته .

(١) (تاريخ البخاري) : ١٦/١/١.

(٢) (دلائل البيهقي) : ٢١٣/٦-٢١٤، باب ماجاء فى مسحه ﷺ رأس محمد بن أنس، وحنظلة وعينهما ، وما ظهر فى ذلك من آثار النبوة .

(٣) زيادة للسياق من (المرجع السابق) .

وأما تبين بركة يد حنظلة بن حذيم[1]
رضي الله تبارك وتعالى عنه
بدعاء النبي ﷺ فيه بالبركة

فخرَّج البيهقي من حديث أبي القاسم البغوي ، قال : حدثنا هارون بن عبدالله أبو موسى حدثنا محمد بن سهل بن مروان ، حدثنا الذيال بن عسكر بن

---

(١) هو حنظلة بن حذيم بن حنيفة التميمي ، ويقال : الأسدي ، أسد خزيمه ، ويقال له : المالكي ، ومالك بطن من بني أسد بن خزيمة . له ولأبيه ولجده صحبه ، وقد قال فيه العقيلي فى رواية حنظلة بن حنيفة بن حذيم فقلبه . وقد حكى البخاري ذلك عن بعض الرواة . قال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم ، حديثا الذيال بن عبيد ، سمعت جدي حنظلة بن حذيم ، حدثني أبي أن جدي حنيفة قال لحذيم : اجمع لي بني ، فأوصاهم ، فقال : إنّ ليتيمي الذى فى حجري مائة من الإبل . فقال حذيم : ياأبت ، إنى سمعت بنيك يقولون : إنما نقر بهذا لتقر عين أبينا ، فإذا مات رجعنا ، فارتفعوا إلى رسول الله ﷺ ، فجاء حنيفة وحذيم ومن معهما ومعهم حنظلة وهو غلام وهو رديف أبيه حذيم – فقص حنيفة على النبي ﷺ قصته ، قال : فغضب النبي ﷺ فجثا على ركبتيه ، وقال : لا ، لا الصدقة خمس ، وإلا فعشر ، وإلا فعشرون ، وإلا فثلاثون ، فإن كثرت فأربعون . قال : فودعوه ومع اليتيم هراوة ، فقال النبي ﷺ : عظمت هذه هراوة يتيم. فقال حذيم : إن لي بنين ذوي لحي ، وإن هذا أصغرهم – يعنى حنظلة – فادع الله له ؛ فمسح رأسه وقال : بارك الله فيك . أو قال : بورك فيك . قال الذيال : فلقد رأيت حنظلة يؤتى بالإنسان الوارم وجهه ، فيتفل على يديه ويقول : بسم الله ، ويضع يده على رأسه موضع كف رسول الله ﷺ فيمسحه ، ثم يمسح موضع الورم ، فيذهب الورم . ورواه الحسن بن سفيان فى (مسنده) من وجه آخر عن الذيال ؛ وزاد أن اسم اليتيم : ضريس بن قطيعة ، وأنه كان شبيه المحتلم . ورواه الطبراني بطوله منقطعاً ، ورواه أبو يعلى من هذا الوجه ، وليس بتمامه ، وكذا رواه يعقوب بن سفيان والمنجنيقى فى (مسنده) وغيرهم . وأخرج له الحسن بن سفيان والباوردى وابن السكن من طريق مسلم بن قتيبة عن الذيال : سمعت جدى حنظله سمعت رسول الله ﷺ يقول : لايتم بعد احتلام ، ولا تصلي جاريه إ ذا هى إلا بخمار. (الإصابة) : ٢/١٣٢- ١٣٤ ، ترجمة رقم (١٨٥٧) ، (الاستيعاب) : ٢/ ٣٨٢ ، ترجمة رقم (٥٥٠) .

حنظلة بن حذيم بن حنيفة قال : سمعت جدي حنظلة يحدث أبي وأعمامه أن حنيفة جمع بنيه .

فذكر الحديث في وصيته ، وقدومه على النبي ﷺ ومعه حذيم وحنظلة ، وفي آخره قال :بأبي أنت وأمي ، أنا رجل ذو بنين[١] هذا ابني حنظلة ، فسمّت عليه[٢] .

فقال النبي ﷺ : يا غلام وأخذ بيده ، فمسح رأسه ، وقال له : بورك فيك، أو قال : بارك الله فيك ، ورأيت حنظلة يومًا بالشاة الوارم ضرعها والبعير والإنسان به الورم فيتفل في يده ويمسح بصلعته ، ويقول : بسم الله على أثر يد رسول الله ، فيمسحه فيذهب عنه [٣] .

وخرَّج من طريق البخاري في (التاريخ)[٤] قال : حنظلة بن حذيم ، قال يعقوب بن إسحاق حنظلة بن حنيفة بن حذيم ، قال : قال حذيم : يا رسول الله إني رجل ذو بنين ، وهذا أصغر بني ، فسمت عليه . قال : فقال : يا غلام فأخذ بيده ومسح برأسه ، وقال : بارك الله فيك أو بورك فيك ، فرأيت حنظلة يؤتي بالإنسان الوارم ، فيمسح بيده ويقول : بسم الله فيذهب الورم .

وخرَّجه الإمام أحمد[٥] من حديث أبي سعيد مولي بني هاشم ، حدثنا ذيال ابن عتيك فذكره بطوله إلي أن قال : فدنا أبي إلي النبي ﷺ ، فقال : إن لي بنين ذوي لحي ، ودون ذلك وإن ذا أصغرهم فادع الله له ، فمسح رأسه ، وقال : بارك الله فيك أو بورك فيك . قال ذيال : فلقد رأيت حنظلة يؤتي بالإنسان

---

(١) فى (الأصل) : ذوبنين ، وما أثبتناه من (دلائل البيهقى) .

(٢) فادع له .

(٣) (دلائل البيهقي) : ٦/ ٢١٣ - ٢١٤ ، باب ما جاء فى مسحه ﷺ رأس محمد بن أنس ، وحنظلة بن حنيفة التيمي ، وعينيهما ، وما ظهر فى ذلك من آثار النبوة .

(٤) (التاريخ الكبر) ٣٧/١/٢ .

(٥) (مسند أحمد) : ٦/ ٦٢ ، حديث رقم (٢٠١٤٢) بقية حديث حنظلة بن حذيم - رضي الله تبارك وتعالى عنه ، وهو حديث طويل ، اكتفى المقريزي - رحمه الله تعالى - على ما يشهد به منه لأحاديث الباب .

الوارم وجهه أو بالبهيمة الوارمة الضرع ، فيتفل على يده ، ويقول : بسم الله ويضع يده ويقول على موضع كف رسول الله ﷺ فيمسحه عليه ، فيذهب الورم.

وقال أبو عمر بن عبد البر: حنظلة [1] بن حذيم بن حنيفة أبو عتيبة الحنفي من بني حنيفة ، ويقال : حنظلة بن حنيفة بن حذيم التميمي السعدي .

هكذا قال العقيلي ، وقال البخاري [2] : حنظلة بن حذيم ، ولم ينسبه ، قال: وقال يعقوب بن إسحاق : عن حنظلة بن حنيفة بن حذيم ، قال : قال حذيم: يا رسول الله إن حنظلة أصغر بني ... الحديث ، هكذا ذكره البخاري ولم يجوده.

(١) (الاستيعاب) : ٢ / ٣٨٢ ، ترجمة رقم (٥٥٠) .

(٢) (التاريخ الكبير) : ٧٣/١/٢ .

وأما سلامة موضع يد المصطفى ﷺ من رأس أبي سفيان مدلوك[١] فلم يشب دون سائر رأسه

فخرَّج البخاري في (التاريخ)[٢] على ما أورده البيهقي ، عن سليمان بن عبدالرحمن ، عن مطر بن العلاء الفزاري ، عن عمته وقطعة مولاة لهم قالتا : سمعنا أبا سفيان واسمه مدلوك أنه ذهب إلي النبي ﷺ فأسلم ، ودعا له النبي ﷺ ومسح رأسه بيده ، ودعا له بالبركة فكان مقدم رأس أبي سفيان أسود مما مسته يد النبي ﷺ وسائره أبيض .

---

(١) هو مدلوك الفزاري ، مولاهم ، أبو سفيان ، قال ابن أبي حاتم : له صحبة ، وذكره محمد بن سعد فيمن نزل الشام من الصحابة ، وذكره السبرديجي فى (الأسماء المفردة من الصحابة) . وأخرج البخاري فى (التاريخ الكبير) ، وابن سعد ، والبغوي ، والطبراني ، من طريق مطر ابن العلاء الفزاري ، وحدثتنى عمتى آمنه أو أمية بنت الشعثاء ، وقطبة مولاة لنا، قالتا: سمعنا أبا سفيان، وزاد البغوي فى روايته مدلوكاً ، يقول : ذهب بي مولاي إلى النبي ﷺ فأسلمت، فدعا لى بالبركة، ومسح رأسي بيده، قالت : فكان مقدم رأس أبى سفيان أسود مما مسه النبى ﷺ ، وسائره أبيض! وأخرجه ابن منده وأبو نعيم من وجه آخر عن مطر : فقال فى السند : عن آمنة، بالنون، ولم يشك . وقال الحافظ ابن حجر فى (الإصابة) فى ترجمة ضمضم بن قتادة : ومن طريق مطر بن العلاء عن عمته قطبة بنت هرم بن قطبة ، أن مدلوكاً حدثهم أن ضمضم ابن قتادة ولد له مولود أسود من امرأة من بني عجل ، فأوجس لذلك ، فشكا إلى النبي ﷺ ، فقال : هل لك من إبل؟ قال: نعم، قال : فما ألوانها ؟ قال: فيها الأحمر، والأسود وغير ذلك . قال : فأنى ذلك ؟ قال: عرق نزع، قال : وهذا عرق نزع ذلك . قال : فقدم عجائز من بنى عجل فأخبرن أنه كان للمرأة جدة سوداء. قال أبو موسى فى (الذيل): إسناده عجيب. قال الحافظ: أصل القصة فى الصحيحين من حديث أبي هريرة من غير تسمية الرجل ولا الزيادة التى فى آخره، واستدركه ابن فتحون أيضاً من هذا الوجه . (الإصابة) : ٣/٤٩٣-٤٩٤، ترجمة رقم (٤٢٠٢)، ٦/٦٢-٦٣، ترجمة رقم (٨٧٦٥)، ٧/١٨١، ترجمة رقم (١٠٠٢٤) ، (الاستيعاب): ٤/١٦٨٠، ترجمة رقم (٣٠٠٧).

(٢) (التاريخ الكبير) : ٤/٢/٥٥.

وخرَّجه البيهقي[1] من طريق علي بن حجر قال : أخبرنا مطر بن العـلاء الفزاري قال : حدثتنــي عمتــي آمنـة بنـت أبــي الشـعثاء عـن مدلـوك أبــي سـفيان فذكره[2] ، وقال ابن عبد البر[3] : أبو سفيان مدلوك ذهب مع مولاه إلي النبي ﷺ معه ، ومسح النبي ﷺ برأسه ودعا له بالبركـة ؛ فكـان مقـدم رأسـه مـامسَّ منـه رسول الله ﷺ أسـود وسائره أبيض .

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٦/٢١٥.

(٢) ثم قال الحافظ البيهقي عقب ذلك: وأخبرناه أبو عبد الله الحافظ قال: انبأنا أبو الفضل محمـد بـن إبراهيم، حدثنا الحسين بن محمد بن زياد القبانى ، قال : ذكر على بن حجر فيما كتـب بـه إلينـا، قال : أنبأنا فطر بن العلاء الفزاري ، قال: حدثتني عمتي آمنة بنت أبي الشعثاء، عن مدلوك أبي سفيان .

(٣) (الاستيعاب) : ٤/١٦٨٠، ترجمة رقم (٣٠٠٧) .

وأما سلامة عبد الله بن عتبة[1] وذريته من الهرم بدعاء رسول الله ﷺ له بالبركة ولذريته رضي الله تبارك وتعالى عنه

فخرَّج البيهقي[2] من حديث الفضل بن عون المسعودي أبي حمزة قال : حدثتني أم عبد الرحمن بنت حمزة بن عبد الله عن جدتها، وكانت أم ولد عبد الله بن عتبة ، قالت : قلت لسيدي عبد الله بن عتبة : أيش تذكر عن[3] النبي

---

(١) هو عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي ، ابن أخي عبد الله بن مسعود أبو عبد الرحمن، ويقال: أبو عبيد الله بالتصغير . كان صغيراً على عهد النبي ﷺ، وقد حفظ عنه يسيراً، قال أبو عمر : ذكره العقيلي في (الصحابة)، وغلط، وإنما هو تابعي ، قال الحافظ ابن حجر: المعروف أن أباه مات في حياة النبي ﷺ. وذكر ابن البرقي فيمن أدرك النبي ﷺ، ولم يثبت عنه رواية، ولم يزد البخاري في ترجمته على قوله: سمع عمر . يروى عن حميد بن عبد الرحمن، وذكره ابن سعد فيمن ولد على عهد رسول الله ﷺ ، ثم روى بسند صحيح إلى الزهري ، أن عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - استعمله على السوق. قال الحافظ : ولهذا ذكرته في هذا القسم لأن عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - لا يستعمل صغيراً، لأنه مات بعده بثلاث عشرة سنة وتسعة أشهر ، فأقل ما يكون عبد الله أدرك من حياة النبي ﷺ ست سنين، فكأن هذا عمدة العقيلي في ذكره في (الصحابة)، وقد اتفقوا على ثقتة . وروى عنه عمه، وعمر ، وعمار، وغيرهم ، وروى عنه ابناه: عبيد الله وهو الفقيه المشهور، وعوف ، والشعبي ، وحميد بن عبد الرحمن بن عوف، وأبو إسحاق السبيعي ، ومحمد بن سيرين وآخرون . وقال ابن سعد: كان رفيعاً أى رفيع القدر، كثير الحديث والفتيا، فقيهاً. وقال ابن حبان في (الثقات) : كان يؤم الناس بالكوفة، ومات في ولاية بشر بن مروان على العراق سنة أربع وسبعين. وقيل : سنة ثلاث (الإصابة) : ٤/١٦٦-١٦٧، ترجمة رقم (٤٨١٦)، (طبقات ابن سعد) :٦/٢٨٢، (الثقات) : ٥/١٧ .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٦/٢١٥.

(٣) في (الأصل) : "من" ، وما أثبتناه من (المرجع السابق) .

ﷺ؟ قال : أذكر أني غلام خماسي أو سداسي[1] أجلسني النبي ﷺ في حجره ، ودعا لي ولولدي بالبركة ، قالت جدتي : فنحن نعرف ذلك أنا لا نهرم[2] .

قال كاتبه :[3]هو عبد الله بن عتيبة بن مسعود ابن أخي عبد الله بن مسعود.

قال ابن عبد البر[4] : ذكره العقيلي في الصحابة فغلط، وإنما هو تابعي من كبار التابعين بالكوفه، وهو والد عبيد الله بن عبد الله بن عتبة الفقية المدني الشاعر شيخ ابن شهاب .

روي عنه ابنه عبيد الله بن عبد الله ، وحميد بن عبد الرحمن، ومحمد بن سيرين، وروي ابنه حمزة بن عبد الله بن عتبة ، قال : أذكر أن رسول الله ﷺ وضع يده علي رأسي .

قال : وذكره البخاري في التابعين، وإنما ذكره العقيلي في (الصحابة) لحديث حدثه به محمد بن إسماعيل الصايغ ، عن سعيد بن منصور، عن خديج ابن معاوية أخي زهير بن معاوية عن أبي إسحاق السبيعي ، عن عبد الله بن عتبه بن مسعود قال : بعثنا رسول الله ﷺ إلي النجاشي نحواً من ثمانين رجلاً منهم ابن مسعود، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن أبي عرفطة، وأبو موسى الأشعري وعثمان بن مظعون ، فقال جعفر : أنا خطيبكم اليوم . الحديث .

قال أبو عمر : لوصحَّ هذا الحديث لثبتت هجرة عبد الله بن عتبه إلي أرض الحبشة، ولكنه وهم وغلط، والصحيح فيه أن أبا إسحاق رواه عن عبد الله ابن عتبة، عن ابن مسعود قال : بعثنا رسول الله ﷺ إلي أرض النجاشي ، ونحن نحواً من ثمانين رجلاً منهم : ابن مسعود وجعفر .. الحديث ، ولعل الوهم أن يكون دخل على من قال ذلك، لما في الحديث ، منهم : ابن مسعود، وليس

---

(١) ابن خمس سنين أو ست سنين .

(٢) من الهرم، وهو الكبر .

(٣) هو التقى المقريزي رحمة الله عليه .

(٤) (الاستيعاب) : ٣/٩٤٥- ٩٤٦، ترجمة رقم (١٦٠٣).

بمشكل عند أحد من أهل هذا الشأن أن عبد الله بن عتبة ليس ممن أدرك زمن الهجرة إلي النجاشي . انتهي كلام ابن عبد البر .

وقد خرَّج لعبد الله بن عتبة : البخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، وابن ماجة، وعده المزني والذهبي في الصحابة، وقالا : رأى النبي ﷺ وهو خماسي أو سداسي .

وأما سلامة عمرو بن ثعلبة[1] من الشيب بلمس رسول الله ﷺ وجهه بيده المقدسة

فخرَّج البيهقي[2] من حديث أبي القاسم البغوي قال : حدثنا أحمد بن عباد الفرغاني ، حدثنا يعقوب بن محمد ، حدثنا وهب بن عطاء بن يزيد الجهني قال: حدثني الوضاح بن سلمة الجهني عن أبيه، عن عمرو بن ثعلبة الجهني قال : لقيت رسول الله ﷺ فأسلمت ومسح على وجهي ، فمات عمرو بن ثعلبه ، وقد أتت عليه مائة سنة، وما شاب منه شعرة مستها يد رسول الله ﷺ من وجهه ورأسه .

(١) هو عمر بن ثعلبة الجهني أو الخشني ، ثم الزهري ، قال ابن السكن: له صحبة ، وروى البغوي ، وابن السكن ، وابن منده ، من طريق الوضاح بن سلمة الجهني ، عن أبيه ، عنه ، قال: لقيت رسول الله ﷺ بالسيالة [مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكة] ، فأسلمت فمسح على وجهي ، فمات عمرو بن ثعلبة عن مائة سنة ، وما شابت منه شعرة . وقال ابن منده: لا يعرف إلا من هذا الوجه، قال الحافظ ابن حجر : وفي إسناده من لايعرف. وقد خلطة ابن منده بالذي قبله، فوهم . (الإصابة) : ٤/٦١٠-٦١١، ترجمة رقم (٥٧٩١) ، (الإستيعاب) : ٣/١٦٨، ترجمة رقم (١٩٠١).

(٢) (دلائل البيهقي): ٦/٢١٥-٢١٦، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه .

واما أن موضع مس يد رسول الله ﷺ من رأس مالك بن عمير[١] ووجهه لم يشب

فقال البيهقي : روينا عن مالك بن عمير الشاعر أن النبي ﷺ وضع يده على رأسه، ثم على وجهه ، ثم على صدره، ثم على بطنه، ثم عمر مالك حتى شاب رأسه ولحيته ، وما شاب موضع يد رسول الله ﷺ[٢]. وقال أبو عمر بن عبد البر: مالك بن عمير السلمي ، شهد مع رسول الله ﷺ الفتح وحنيناً والطائف، وكان شاعراً[٣] .

---

(١) هو مالك بن عمير السلمي الشاعر، ذكره البغوي وغيره في الصحابة، وأخرج هو والحسن بن سفيان والطبراني من طريق يعقوب بن محمد الزهري ، عن واصل بن يزيد بن واصل السلمي، ثم الناصري ، حدثنا أبي وعمومتي عن جدي مالك بن عمير ، قال : شهدت مع النبي ﷺ الفتح وحنيناً والطائف: فقلت : يارسول الله ، إني امرؤ شاعر، فأفتني في الشعر ، فقال : لأن يمتلئ ما بين لبتك إلى عاتقك قيحاً خير لك من أن يمتلئ شعراً ! قلت : يارسول الله ، فامسح عني الخطيئه . قال: فمسح يده على رأسي ، ثم أمرها على كبدي ثم على بطني ،حتى إني لأحتشم من مبلغ يد رسول الله ﷺ، قال : فلقد كبر مالك حتى شاب رأسه . ولحيته ، ثم لم يشب موضع يد رسول الله ﷺ من رأسه ولحيته . وفي رواية البغوي : فإن كان ولابد منه فشبب بامرأتك، وامدح راحلتك. قال : فما قلت بعد ذلك شعراً . وأخرجه ابن منده من هذا الوجة مختصراً. وأخرج الطبراني في (الأوسط) ، من طريق سعيد بن عبيد القطان، عن واصل بن يزيد به ، ولكن لم يقل : عن جدي ، وإنما قال: عن مالك، وقال: لا يروى عن مالك إلا بهذا الإسناد . تفرد به سعيد ، كذا قال ، ورواية يعقوب ترد عليه. وذكره المرزباني في (معجم الشعراء) وقال: له خبر مع النبي ﷺ ، فكأنه أشار إلى هذا الحديث ، قال : وهو القائل :

ومن يفتزع ما ليس من سوس نفسة فدعه ويغلبه على النفس خيمها

(الإصابة) : ٥/٧٤٠-٧٤١، ترجمة رقم (٧٦٧٦)، و(الاستيعاب) : ٣/١٣٥٦، ترجمة رقم (٢٢٨٧) .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٦/٢١٦.

(٣) (الاستيعاب) : ٣/١٣٥٦، ترجمة رقم (٢٢٨٧) .

أما طيب رائحة عتبه بن فرقد(١) بمسح رسول الله ﷺ بيده على ظهره وبطنه

فقال البيهقي(١) : وروينا عن حصين بن عبد الرحمن عن أم عاصم امرأة عتبه بن فرقد أن عتبة بن فرقد كان لايزيد على أن يدهن رأسه ولحيته، وكان أطيبنا ريحاً ، فسألته فذكرعتبه أن النبي ﷺ لما شكا إليه ، أخذ إزار عتبة فوضعه ، على فرجه، ثم بسط يديه، ونفث فيها، ومسح إحداهما على ظهره، والأخرى على بطنه، قال : فهذه الريح من ذلك .

وقال ابن عبد البر(٢) : عتبة بن فرقد السلمي أبو عبد الله له صحبة ورواية، وكان أميراً لعمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - على فتوحات العراق .

---

(١) هو عتبة بن فرقد بن يربوع بن حبيب بن مالك بن أسعد بن رفاعة السلمي أبو عبد الله. وقال ابن سعد : يربوع هو فرقد. وروى أبو المعافي فى (تاريخ الموصل) ، من طريق هشيم ، عن حصين، أنه شهيد خيبر، وقسم له منها فكان يعطية لبنى أخواله عاماً ، ولبنى أعمامه عاما، وقال: وكان حصين من أقربائه ، وإن عمر -رضي الله تبارك وتعالى عنه- ولاه فى الفتوح الموصل سنة ثمان عشرة مع عياض بن غنم . وروى شعبة عن حصين، عن أمرأة عتبة بن فرقد وأن عتبة غزا مع رسول الله ﷺ غزوتين . وروى الطبراني فى (الصغير) ، و(الكبير)، من طريق أم عاصم امرأة عتبة بن فرقد ، قال: أخذني الشرى على عهد رسول الله ﷺ، فأمرني فتجردت ، فوضع يده على بطني وظهري ، فعبق بى الطيب من يومئذ . وقالت أم عاصم: كنا عنده ثلاث أو أربع نسوة، فكنا نجتهد فى الطيب ، وما كان يمس الطيب. وإنه لأطيب منا . وقال أبو عثمان النهدي: جاءنا كتاب عمر ونحن بأذربجان مع عتبة بن فرقد . وأخرجاه ونزل عتبة بعد ذلك الكوفة ومات بها . (الإصابة) : ٤/٤٣٩-٤٤٠، ترجمة رقم (٥٤١٦) ، (طبقات ابن سعد) : ٦/٢٦.

(١) (دلائل البيهقي) : ٦/٢١٦.

(٢) (الاستيعاب) : ٣/١٠٢٩، ترجمة رقم (١٧٦٥) ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه .

قال: وينسبونه عتبة بن يربوع بن حبيب بن مالك وهو فرقد بن سعد رفاعة بن الحارث بن بهثة بن سليم السلمي أمه آمنة بنت عمرو بن علقمه بن المطلب بن عبد مناف .

ثم ذكر من حديث ابن وضاع قال : حدثنا محمد بن فروح، حدثنا علي ابن عاصم حدثنا حصين بن عبد الرحمن قال : حدثتني أم عاصم امرأة عتبة بن فرقد، [قالت : كنا عند عتبة بن فرقد] ثلاث [نسوة] مامنا واحدة إلا وهي تجتهد في التطيب لتكون أطيب ريح من صاحبتها، وما يمسّ عتبة طيباً إلا أن يلتمس دهناً، وكان أطيب ريح منا ، فقلت له في ذلك، فقال : أصابني الشري على عهد رسول الله ﷺ، فأقعدني رسول الله ﷺ بين يديه ، وتجردت وألقيت ثيابي على عورتي ، فنفث رسول الله ﷺ في كفه ثم دلك بها ثم والأخرى ، أمرهما على ظهري وبطني فعبق به ما ترون .

وروى عن شعبة عن حصين ، عن امرأة عتبة بن فرقد أنه غزا مع النبي ﷺ غزوتين .

وخرّج هذا الحديث أبو القاسم الطبراني من حديث آدم بن أبي إياس قال: حدثنا شيبان وورقاء ، عن حصين بن عبد الرحمن قال :حدثني أم عاصم امرأة عتبة بن فرقد السلمي قالت : كنا عند عتبة أربع نسوة ما منا امرأة إلا وهي تجتهد في الطيب لتكون أطيب من صاحبتها، وما يمس عتبة الطيب إلا أن يمس دهنا يمسح به لحيته، وهو أطيب ريحاً منا .

وكان إذا خرج إلي الناس قالوا : ماشممنا أطيب من ريح عتبة ، فقلت له يوماً : إنا لنجتهد في الطيب، ولأنت أطيب ريح منا . فمم ذلك ؟ قال : أخذني الشرى على عهد رسول الله ﷺ فشكوت ذلك إليه ، فأمرني أن أتجرد، فتجردت وقعدت بين يديه، وألقيت ثوبي على فرجي ، فنفث في يده ، ثم مسح يده على ظهري وبطني ، فعبق على هذا الطيب من يومئذ .

وأما وضاءة وجه قتادة بن ملحان[1] بمسح المصطفى ﷺ له

فخرّج الإمام أحمد[2] من حديث معتمر بن سليمان قال : سمعت أبي يحدث عن أبي العلاء قال : كنت عند قتادة بن ملحان في مرضه الذي مات فيه، فمر رجل في مؤخر الدار، فرأيته في وجه قتادة قال : كان رسول الله ﷺ مسح وجهه، قال : كنت قل ما رأيته إلا رأيته كان على وجهه الدهان .

---

(١) هو قتادة بن ملحان القيسي ، قال البخاري وابن حبان : له صحبة ، يعد في البصريين ، روى همام عن أنس بن سيرين ، عن عبد الملك بن قتادة بن ملحان عن أبيه ، وقال أبو الوليد : وهم فيه ابن سعد، فقال عبد الملك بن المنهال عن أبيه .قال الحافظ ابن حجر : ومتن الحديث في صوم أيام البيض أخرجه أبو دواد من طريق همام أيضاً ، والبغوي ، وأخرج ابن شاهين من طريق سليمان ، عن حيان بن عمرو ، قال: مسح النبي ﷺ وجه قتادة بن ملحان ، ثم كبر، فبلى منه كل شئ غير وجهه: قال فحضرته عند الوفاة ، فمرت امرأة فرأيتها في وجهه كما أراها في المرآة روى عن النبي ﷺ، روى عنه ابنه عبد الملك، وأبو العلاء بن الشخير، ووقع في بعض الطرق : عبد الملك بن قدامة ، بدل قتادة ، وفي بعضها: ابن المنهال ، والأول أصوب . (الإصابة) : ٥/٤١٦، ترجمة رقم (٧٠٧٩)، و(الإستيعاب) : ٣/١٢٧٤، ترجمة رقم (٢١٠٦).

(٢) (مسند أحمد) : ٥/٦٦٤، حديث رقم (١٩٨٠٦)، من حديث قتادة بن ملحان ، ٦/١٨، حديث رقم (٢٠٢٣٩)، (٢٠٢٤٠)، من حديث المهاجر بن قنفذ -رضي الله تبارك وتعالى عنه . وأخرجه البيهقي في (دلائل النبوة) : ٦/٢١٧، باب ماروى في شأن قتادة بن ملحان ، وما ظهر على وجهه ببركة مسح النبي ﷺ إياه من النور، من حديث معتمر بن سليمان وعبد الله بن أحمد حنبل .

وأما تمتع النابغة[١] بأسنانه وقد نيف على المائة عام بدعاء النبي ﷺ له بذلك

---

(١) هو النابغة الجعدي الشاعر المشهور المعمر، اختلف في اسمه ، فقيل : هو قيس بن عبد الله بن عبس بن ربيعة بن جعدة، وقيل بدل عدس: وحوح . وجعدة هو ابن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وقيل :سمى النابغة عبد الله ، وقيل : حبان بن قيس بن عبد الله بن قيس ، وقيل بتقديم قيس على عبد الله وبه جزم القحذمي ، وأبو الفرج الأصبهاني ، وبالأول جزم ابن الكلبي، وأبو حاتم السجستاني ، وأبو عبيدة ، ومحمد بن سلام الجمحي ، وغيرهم، وحكاه البغوى عنه ، وحكى أبو الفرج الأصبهانى أنه غلط ، لأنه كان له أخ اسمه وحوح بن قيس قتل فى الجاهلية ، فرثاه النابغة . قال الحافظ ابن حجر : ويحتمل أن يكون وحوح أخاه لأمه ، وقد أخرج الحسن بن سفيان فى مسنده عن أبى وهب الوليد بن عبد الملك ، عن يعلى بن الأشدق: حدثنى قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة ، نابغة بنى جعدة ، فذكر حديثاً ، قال أبو الفرج : أقام مدة لا يقول الشعر، ثم قاله، فقيل : نبغ ، وقيل: كان يقول الشعر ثم تركه فى الجاهلية ثم عاد إليه بعد أن أسلم فقيل : نبغ . وقال القحذمي : كان النابغة قديماً شاعراً مغلقاً طويل العمر فى الجاهلية وفى الإسلام ، قال : وكان أسنّ من النابغة الذبياني ، ومن شعره الدال على طول عمره :

ألا زعمت بنو أسد بأنى ... أبو ولد كبير السن فاني
فمن يك سائلا عنى فإنى ... من الفتيان أيام الخنان
أتت مائة عام ولدت فيه ... وعشر بعد ذاك وحجتان
وقد أبقت صروف الدهر منى ... كما أبقت من السيف اليماني

وقال أبو حاتم السجستانى فى كتاب (المعمرين) : عاش مائتى سنه، وهو القائل :

قال أمامة كم عمرت زمانة ... وذبحت من عتر على الأوثان
ولقد شهدت عكاظ قبل محلها ... فيها وكنت أعدُّ فى الفتيان
والمنذر بن محرق فى ملكه ... وشهدت يوم هجائن النعمان
وعمرت حتى جاء أحمد بالهدى ... وقوارع تتلى من القرآن
ولبست فى الإسلام ثوباً واسعاً ... من سيب لاحرم ولا منان

قال ابن عبد البر : استدلوا بهذا على أنه كان أسن من النابغة الذبياني لأنه ذكر أنه شهد المنذرين بن محرق ، والنابغة إنما أدرك النعمان بن المنذر ، وتقدمت وفاة النابغة الذبياني قبله=

= بمدة ولذلك كان يظن أن النابغة الذبياني أكبر من الجعدي . وذكر عمر بن شبة عن أشياخه أنه عمر مائة وثمانين سنة، وأنه أنشد عمر بن الخطاب - رضي الله تبارك وتعالى عنه :

لبست أناساً فأفنيتهم وأفنيت بعد أناس أناسا

ثلاثة أهلين أفنيتهم وكان الإله هو المستآسا

فقال له عمر -رضي الله تبارك وتعالى عنه : كم لبثت مع كل أهل ؟ قال : ستين سنة وقال ابن قتيبه : عمر بعد ذلك الى زمن ابن الزبير ، ومات بأصبهان وله مائتان وعشرون سنة، وذكر المرزباني نحوه إلا قدر عمره ، وزاد أنه كان من أصحاب على وله مع معاوية أخبار ، وعن الأصمعي أنه عاش مائتين وثلاثين سنة . وروينا فى كتاب الحاكم من طريق النضر بن شميل ، أنه سئل عن أكبر شيخ لقيه المنتجع الأعرابى ، قال : قلت له : من أكبر من لقيت ؟ قال: النابغة الجعدي ، قال : قلت له : كم عشت فى الجاهلية ؟ قال : دارين . قال النضر : يعنى مائتي سنة ، وقال أبو عبيدة معمر بن المثني : كان النابغة ممن فكر فى الجاهلية ، وأنكر الخمر والسكر ، وهجر الأزلام، واجتنب الأوثان ، وذكر دين إبراهيم، وهو القائل القصيدة التى فيها :

الحمد لله لاشريك له من لم يقلها فنفسه ظلما

قال أبو عمر: فى هذه القصيدة ضروب من التوحيد ، والإقرار بالبعث ، والجزاء، والجنة، والنار ، على نحو شعر أمية بن أبى الصلت، وقد قيل: إنها لأمية ، لكن صحح حماد الراوية، ويونس بن حبيب ، ومحمد بن سلام الجمحي ، وعلى بن سليمان الأخفش للنابغة قرأت على عليّ بن محمد الدمشقي بالقاهرة ، عن سليمان بن حمزة ، أنبأنا أبو النصر الطوسى ، أنبأنا أبو طاهر المخلص، حدثنا أبو القاسم البغوى ، حدثنا دواد بن رشيد ، حدثنا يعلي بن الأشدق، قال : سمعت النابغة الجعدي يقول : انشدت النبي ﷺ

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا ... وإنا لنرجو فوق ذلك مظهراً

فقال : أين المظهر يا أبا ليلى ؟ قلت : الجنة . قال : أجل - إن شاء الله تعالى ، ثم قال :

ولاخير فى حلم إذا لم يكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

ولاخير فى جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا =

= فقال رسول الله ﷺ لا يفضض الله فاك ، مرتين ، وهكذا أخرجه البزار ، والحسن بن سفيان في (مسنديهما) ، وأبو نعيم في (تاريخ أصبهان) ، والشيرازي في (الألقاب) ، وكلهم من رواية يعلي بن الأشدق ، قال : وهو ساقط الحديث .

قال أبو نعيم: رواه عن يعلى جماعة، منهم هاشم بن القاسم الحراني ، وأبو بكر الباهلي: فقد وقعت لنا قصة في غريب الحديث للخطابي: وفي كتاب (العلم) للمرهبي ، وغيرهما، ومن طريق مهاجر بن سليم ، عن عبد الله بن جراد : سمعت نابغة بني جعدة يقول : أنشدت النبي ﷺ قولي :

* علونا السماء مجدنا وجدودنا *

البيت فغضب ﷺ وقال : أين المظهر يا أبا ليلى ؟ قلت : الجنة، قال :أجل- إن شاء الله- ثم قال: أنشدني من قولك. فأنشدته البيتين :

* ولا خير في حلم إذا لم يكن له *

فقال لي : أجدت ، ولا يفضض الله فاك، فرأيت أسنانة كالبرد المنهل ، فما انقصمت له سنٌ، ولا انفلت ، ورويناه في (المؤتلف والمختلف) للدارقطني ، وفي (الصحابة) لابن السكن، وفي غيرهما من طريق الرحال بن المنذر : حدثني أبي عن أبيه كرز بن أسامة، وكانت له وفادة مع النابغة الجعدي ، فذكرها بنحوه ، ورويناها في (الأربعين البلدانية) للسلفي ، من طريق أبي عمرو ابن العلاء، عن نصر بن عاصم الليثي ، عن أبيه : سمعت النابغة يقول : أتيت رسول الله ﷺ فأنشدته قولي :

* بلغنا السماء مجدنا وجدودنا *

فقال : إلى أين يا أبا ليلى ؟ قال : إلى الجنة ، فقال رسول الله ﷺ -إن شاء الله - فلما أنشدته:

* ولا خير في حلم إذا لم يكن له *

* ولا خير في جهل إذا لم يكن له *

فقال لي : صدقت، لا يفضض الله فاك ، فبقي عمره أحسن الناس ثغراً، كلماً سقطت سن عادت أخرى ، فكان معمراً ، ورويناه في (مسند الحارث بن أبي أسامة) ، ومن طريق الحسن ابن عبيد الله العنبري ، قال : حدثني من سمع النابغة الجعدي يقول : أتيت رسول الله ﷺ فأنشدته: =

= وإنا لقـــوم ما نعـــود خـــيلنا إذا مـــا التقـــينا أن تحـــيد وتنـــفرا

وننكر يوم الروع ألوان خـــيلنا من الطعن حتى نحسب الجون أشقرا

وليس بمعروف لـــنا أن نـــردها صحـاحـــاً ولا مـستنكـــرا أن تعـــقرا

ورويناها مسلسلة بالشعراء من رواية دعبل بن علي الشاعر، عن أبي نواس عن والبة بـن الحباب، عن الفرزدق ، عـن الطرمـاح، عـن النابغـة، وهـى فـى كتـاب (الشـعراء) لأبـي زرعـة الرازي المتأخر ، وقد طولت ترجمته فى كتاب (من جاوز المائة) مما دار بينه وبين من هاجـاه من الماجريات كليلى الأخيلية صاحبة توبة ، وأوس المزنـي ، وغيرهمـا . وذكر أبـو نعيـم فـى (تاريخ أصبهان)، انه قيس بن عبد الله، وأنه مات بأصبهان ، قال : وكان معاوية سيره إليها مع الحارث بن عبد الله بن عبد عوف بن أصرم ، وكان ولى أصبهان من قبل علي ، ثم أسند مـن طريق الأصمعي ، عن هانئ بن عبد الله ، عن أبيه ، عن عبد الله بـن صفـوان، قـال : عـاش النابغة ، مائة وعشرين سنة . قال ابن عبد البر: قصيدة النابغة مطولة نحو مائتي بيت ، أولها :

خـــليـــلي غــضاضة وتهـــجـــرا ولوماً على ما أحدث الدهر أو ذرا

يقول فيها :

أتيت رسول الله إذا جاء بالهدى ويتـــلو كـــتاباً كـــالمجـــرة نـــــيراً

ومنها :

وجاهدت حتى ما أحس ومن معى سـهيلاً إذا مـــالاح ثـــم تحــورا

أقيم على التقوى وأرضـــى بفعلها وكنت من النار المخوفة أحذرا

ثم أورد أبو عمر بإسناده إلى أبي الفرج الرياشى منها أربعة وعشرين بيتاً، وذكر عمر بن شبة عن مسلمة بن محارب ، أن النابغة الجعدي دخل على على فذكر قصة ، وذكر أبو نعيم فـى (تاريخ أصبهان): وأخرج ابن أبي خثيمة فى تاريخه عن الزبير بن بكار، وحدثني أخـي هـارون ابن أبى بكر، عن يحى بن أبي قتيلة ، عن سليمان بن محمد بن يحيى بن عروة ، عن أبيه ، عن عمه عبد الله بن عروة قال : ألحت السنة على نابغـة بنـي جعدة ، فدخـل علـي ابـن الزبـير فـي المسجد الحرام ، فأنشده :

حكيت لنا الصـــديق لـــما ولـــيتنـــا وعثمـــان والفـــاروق فـارتاح معدم

وسويت بين الناس فى الحق فاستووا فعـــاد صباحاً حـالك الليل مـظلـــم =

فخرَّج أبو نعيم[1] من حديث إسماعيل بن عبد الله بن خالد الرقي قال : حدثنا يعلى بن الأشهل قال: سمعت النابغة - نابغه بني جعدة - يقول : أنشدت رسول الله ﷺ هذا الشعر فأعجبه وهو :

بلغنا السماء مجدنا وثراءنا   وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال لي : أين المظهريا أبا ليلى ؟ قلت : إلي الجنة ، قال : - إن شاء الله تعالى - فلما أنشدته :

= أتاك أبو ليل تجوب بـه الدجى   دجـى الليل جـواب الفلاة عرمرم

لجبر منـه جـانبا دعـدعت به   صروف الليالي والزمان المصمم

فقال ابن الزبير : هون عليك يا أبا ليلى فإن الشعر أيسر وسائلك عندنا، لك في مال الله حقان: لرؤيتك رسول الله ﷺ وحق لشركتك أهل الإسلام في فيئهم، ثم أخذ بيده ، فدخل به دار النعم، وأعطاه فجعل النابغة يستعجل ويأكل الحب صرفاً، فقال ابن الزبير : ويح أبي ليلى لقد بلغ به الجهد ، فقال النابغة : أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول : ما وليت فعدلت ، واسترحمت فرحمت ، وحدثت فصدقت ، ووعدت خيراً فأنجزت ، فأنا والنبيون فراط التابعين ، [يريد أنهم يتقدمون الأمم إلى الجنة ، وهم على إثره متدافعين ومزدحمين] ، وقد وقع لنا عالياً جداً من حديث ابن الزبير موافقة : قرأت على فاطمة بنت محمد بن المنجي بدمشق، عن سليمان بن حمزة ، أنبأنا محمود بن إبراهيم في كتابه، أنبأنا مسعود بن الحسن، أنبأنا أبو بكر السمسار، أنبأنا أبو إسحاق بن خرشة ، أنبأنا ابو الحسن المخزومي ، حدثنا الزبير بن بكار ، به بتمامه ، وأخرجه ابن جرير في (تاريخه)، عن ابن أبي خيثمة ، وأخرجه أبو الفرج الأصبهاني في (الأغاني) عن ابن جرير. وأخرجه ابن أبي عمر في (مسنده)، عن هارون . واخرجه ابن السكن، عن محمد بن إبراهيم الأنماطي ، والطبراني في (الصغير)، عن حسين بن الفهم ، وأبو الفرج الأصبهاني ، عن حرمي بن العلاء ، ثلاثتهم عن الزبير، فوقع لنا بدلاً عالياً . وأخرج أبو نعيم عن الطبراني طرفاً منه (الإصابة) : ٦/٣٩١-٣٩٨، ترجمة رقم (٨٦٤٥)، (الاستيعاب): ٤/١٥١٤-١٥٢٢، ترجمة رقم (٢٦٤٨) ، (الشعر والشعراء) : ١٧٧-١٨١، (المؤتلف والمختلف للدارقطني) : ٤/١٩٥٧، ٢١٦٨.

(١) (دلائل أبي نعيم) : ٤٥٨-٤٥٩، دعاؤه ﷺ لعمرو بن أخطب والنابغة الجعدي ، حديث رقم (٣٨٥) ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه .

ولا خير في حلم إذا لم يكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدرا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له حكيم إذا اما أورد الأمر أصدرا

فقال النبي ﷺ : أجدت لا يفضض الله فاك ، قال يعلي : فلقد رأيته وقد أتى عليه نيفاً ومائة سنة وما ذهب له سن .

قال كاتبه : فذكر ابن عبد البر أنه اختلف في اسم النابغة هذا، فقيل قيس ابن عبد الله، وقيل حبان بن قيس بن عبد الله بن عمر بن عبس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وقيل اسمه حبان بن قيس عبد الله بن وحوح بن عبس بن ربيعة بن جعدة ، وإنما قيل له النابغة لأنه قال الشعر، ثم تركه نحو ثلاثين سنة ، ثم سعى فيه بعد فقال ، فسمي النابغة . قال ابن قتيبة : عمره مائتين وعشرين سنة ، وقيل : أقل من ذلك .

قال أبو عمر : وفد على النبي ﷺ مسلماً وأنشده ، فدعا له ﷺ وذكر أبو عمر من حديث قاسم بن أصبغ قال :حدثنا الحارث بن أبي أسامة حدثنا العباس ابن الفضل، حدثنا محمد بن عبد الله التميمي ، قال : حدثنا الحسن بن عبيد الله، قال: حدثني من سمع النابغة الجعدي يقول : رأيت رسول الله ﷺ، فأنشدته قولي :

وإنا لقوم ما تعود خيلنا إذا ما التقينا أن تحيد وتنفرا
وننكر يوم الروع ألوان خيلنا من الطعن حتى يحسب الجون أشقرا
وليس بمعروف لنا أن نردها صحاحاً ولا مستنكر أن تعقرا
بلغنا السماء مجدنا وثناءنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال النبي ﷺ : إلي أين يا أبا ليلى ؟ قال : فقلت : إلي الجنة، قال : نعم إن شاء الله، فلما أنشدته :

ولا خير في حلم إذا لم يكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدرا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له حكيم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال رسول الله ﷺ : لا يفضض الله فاك، قال :وكان من أحسن الناس ثغراً ، كان إذا سقطت له سن نبتت .

وفي رواية عبد الله بن جراد لهذا الخبر قال : فنظرت إليه كأن فاه البرد المتهل[1] يتلألأ، وما سقطت له سن ولا تقلقلت بقول رسول الله ﷺ : له أجدت، لا يفضض الله فاك[2] .

(١) فى بعض النسخ : المنهل .

(٢) وأخرجه البيهقي فى (دلائل النبوة) : ٦/٢٣٢-٢٣٣، باب ما جاء فى دعائه ﷺ للنابغة الجعدي، وإجابة الله - تعالى - له فيما دعا له به .

وأما برء ساق سلمة بن الأكوع[1] بنفث الرسولﷺ فيها

فخرَّج البيهقى[2] في (الدلائل) من حديث المكي بن أبي عبيدة قال :رأيت أثر ضربة في ساق سلمة، فقلت : يا أبا مسلم ! ما هذه الضربة التي أصابتها

---

(١) وهو سلمة بن الأكوع، هكذا يقول جماعة أهل الحديث، ينسبونه إلى جده وهو سلمة بن عمرو ابن الأكوع ، والأكوع هو سنان بن عبد الله بن قشير بن خزيمة بن مالك بن سلامان بن الأفصى الأسلمي .يكنى أبا مسلم ، وقيل: يكنى أبا إياس. وقال بعضهم : يكنى أبا عامر، والأكثر: أبو إياس [بابنه إياس] ، كان ممن بايع تحت الشجرة، سكن بالربذة، وتوفى بالمدينة سنة أربع وسبعين ، وهو ابن ثمانين سنة، وهو معدود فى أهلها، وكان شجاعاً، سخياً ، فاضلاً . روى عنه جماعة من تابعى أهل المدينة . قال ابن إسحاق : وقد سمعت أن الذي كلمة الذئب سلمة بن الأكوع، قال سلمة: رأيت الذئب قد أخذ ظبياً ، فطلبته حتى نزعته منه ، فقال : ويحك! مالي ولك ولها ؟ عمدت إلى رزق رزقنيه الله ، وليس من مالك تنتزعه مني؟ قال : قلت : أيا عباد الله ، إن هذا لعجب! ذئب يتكلم ؟ فقال الذئب : أعجب من هذا أن النبي ﷺ فى أصول النخل يدعوكم إلى عبادة الله ، وتأبون إلا عبادة الأوثان قال : فلحقت برسول الله ﷺ فأسلمت فالله أعلم أى ذلك كان ، ذكر ذلك ابن إسحاق بعد ذكر رافع بن عميرة الذى كلمه الذئب ، عمر سلمة بن الأكوع عمراً طويلاً، روى عنه إياس بن سلمة، ويزيد بن أبي عبيد. وقال: يزيد بن أبى عبيد: قلت لسلمة بن الأكوع : على أي شئ بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحديبية ؟ قال : على الموت ، قال يزيد: وسمعت سلمة بن الأكوع يقول : غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات، وخرجت فيما بعث من البعوث سبع غزوات ، وقال عنه ابنه إياس: ما كذب أبي قط وروى عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال : خير رجالنا سلمة ابن الأكوع ، وروى عبد الله بن موسى عن موسى بن عبيدة عن إياس بن سلمة عن أبيه ، قال: بينا نحن قائلون نادى مناد أيها الناس، فذلك قول الله عز وجل : ﴿ **لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم** ﴾ [الفتح : ١٨] . (الاستيعاب) ٢/٦٣٩-٦٤٠، ترجمة رقم (٣٣٩١). (الإصابة) : ٣ / ١٤٣، ترجمة رقم (٣٣٦٤)، ترجمة رقم (٣٣٩١) .

(٢) (دلائل البيهقي) :٤/٢٥١، باب ما جاء فى نفث رسول الله ﷺ فى جرح سلمة بن الأكوع يوم خيبر وبرؤه من ذلك .

قال: هذه ضربة أصابتني يوم خـــيبر؟ فقال الناس : أصيـب سـلمة [١] ، فـأتيت النبي ﷺ فنفث فيها ثلاث نفثات فما اشتكيتها حتي الساعة [٢] .

وأما برء قرحة في رَجُل بوضع المصطفى ﷺ ريقه بأصبعه عليها

فخرَّج البيهقى[٣] من حديث ابن وهب قال : أخبرنا ابن لهيعة عـن عمـارة ابن غزية أن محمد بن إبراهيم التيمي حدثه، قال : أخـبرني عمـرو بـن الحـارث أن سعيد بن أبي هلال حدثه أن محمد بن إبراهيم حدثـه أن رسـول اللـه ﷺ أتـي برجل برجله قرحة قد أعيت الأطباء فوضع أصبعه على ريقـه، ثـم رفـع طـرف الخنصر، فوضع أصبعه على التراب، ثم رفعها فوضعها على القرحة، ثم قـال : باسـمك اللهـم ريـق بعضنـا ، بتربـه أرضنـا ، يشـفى سـقيمنا ، بـإذن ربنـا . قـال البيهقي : هذا الدعاء في حديث عائشة موصولاً ، قلت : أوردته في الطب .

(١) فى (الأصل) : " فما اشتكيتها " ، وما أثبتناه من (المرجع السابق).

(٢) (فتح البارى): ٦٠٣/٧، كتاب المغازى ، باب (٣٩) غزوة خبير حديث رقم (٤٢٠٦)، وفيـه : "أصابتها يوم خبير" أى أصاب ركبته، يوم بالنصب علـى الظرفيـة ، قولـه : "فنفـث فيـه" أى فـى موضـع الضربة، والنفث: فوق النفخ ودون التفل ، وقد يكون بغير ريق بخلاف التفل وقد يكـون بريق خفيف بخلاف النفخ ، وأخرجـه أبـو داود فـى (السنن) : ٢١٩/٤، كتـاب الطـب ، بـاب (١٩) كيف الرقى ؟ حديث رقم (٣٨٩٤) من حديث مكى بن ابراهيم أيضاً .

(٣) (دلائل البيهقى) : ١٧٠/٦، باب ماجاء فـى دعائـه ﷺ لصـاحب القرحـة حتـى صح وبرئـت القرحة .

وأما ظهور بركة تفله ﷺ في فم عبد الله بن عامر[1]

فخرّج البيهقي من حديث عمر بن شبة قال : أخبرني أبو عبيدة النحـوي ، أن عامر بن كريز أتي بابنه النبي ﷺ، وهو ابن خمس سنين أو ست سنين، فتفل النبي ﷺ في فيه، فجعل يزدرد ريق النبي ﷺ ويتملظ .

فقال النبي ﷺ : إن ابنك هذا مسقي[2] علي وفي رواية : أرجو أن يكون مسقياً[3] . قال : وكان يقال : لو أن عبد الله قدح حجراً أمامه يعني يخـرج من الحجر الماء من بركته[4] .

وقال ابن عبد البر : عبد الله بن عامر بن كريز بن حبيب بن عبد شمس ابن عبد مناف القرشي العبشمي : ولد على عهد رسول الله ﷺ، فأتي به رسول الله ﷺ وهو صغير ، فقال : هذا شبيهنا، وجعل يتفل عليه ، عوذه فجعل عبد الله يتسوع ريق رسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ : إنه لمسقا، فكان لا يعالج أرضاً إلا ظهر له الماء . وقيل : لما أتي بعبد الله بن عامر إلي النبي ﷺ قال لبني عبد شمس هذا أشبه بنا منكم ، ثم تفل في فيه فازدرده ، فقال : أرجو أن يكون مسقياً[5] ، فكان كما قال [النبي ﷺ] فإنه هو الذي اتخذ النباج وأنبط عيوناً

---

(١) هو عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي العبشمي ، ابن خال عثمان بن عفان . أم عثمان أروى بنت كريز ، وأمها وأم عامر بن كريز البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب . وأم عامر بن ربيعة دجاجة بنت أسماء بن الصلت . (الاستيعاب) : ٢/٩٣١، ترجمة رقم (١٥٨٧) .

(٢) في (الأصل) : "يسقي"، وما أثبتناه من (دلائل البيهقي) .

(٣) ما بين الحاصرتين من (الأصل) فقط .

(٤) (دلائل البيهقي) : ٦/٢٢٥، باب ماجاء في تفله ﷺ في فم عبد الله بن عامر بن كريز، وما أصابه من بركته .

(٥) زيادة للسياق من (الاستيعاب)، ثم قال أبو عمر : وقد أتى عبد المطلب بن هاشم بأبيه عامر بن كريز وهو ابن ابنته أم حكيم البيضاء، فتأمله عبد المطلب ، وقال : ما ولدنا ولداً أحرص منه وكانت أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم تحت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد =

تعرف به ، ثم اتخذ النهر الذي عرف بنهر أم عبد الله ، وهي أمه دجاجة بنت أسماء بن الصلت السلمي ، وقال : لو تركت لخرجت المرأة ترد كل يوم ماء حتي توافي مكه يعني البصرة .

= شمس ، فولدت له عامراً أبا عبد الله بن عامر هذا ، وقد روى عبد الله بن عامر هذا عن النبي ﷺ ، وما أظنة سمع منه ولا حفظ عنه . ذكر البغوي عن مصعب الزبيري ، عن أبيه ، عن مصعب بن ثابت ، عن حنظلة بن قيس، عن عبد الله بن الزبير وعبد الله بن عامر بن كريز ، قال : قال رسول الله ﷺ : " من قتل دون ماله فهو شهيد " رواه موسى بن هارون الحمال، عن مصعب ، بإسناده . قال الزبير وغيره : كان عبد الله بن عامر سخياً، كريماً ، حليماً، ميمون النقيبة ، كثير المناقب، هو افتتح خراسان، وقتل كسرى في ولايته، وأحرم من نيسابور شكراً لله تعالى ، وهو الذى عمل السقايات بعرفة ، وقال صالح بن الوجيه ، وخليفة بن خياط : وفى سنة تسع وعشرين عزل عثمان أبا موسى الأشعرى عن البصرة، وعثمان بن أبي العاص، عن فارس، وجمع ذلك كله لعبد الله بن عامر بن كريز ، وقال صالح : وهو ابن أربع وعشرين سنة: وقال أبو اليقظان : قدم ابن عامر البصرة والياً عليها، وهو ابن أربع أو خمس وعشرين سنة، ولم يختلفوا أنه افتتح أطراف فارس كلها ، وعامة خراسان، وأصبهان، وحلوان وكرمان ، وهو الذى شق نهر البصرة ، ولم يزل والياً لعثمان على البصرة، إلى أن قتل عثمان – رضي الله تبارك وتعالى عنه – وكان ابن عمته ؛ لأن أم عثمان أروى بنت كريز ، ثم عقد له معاوية على البصرة ثم عزله عنها ، وكان أحد الأجواد ، أوصى إلى عبد الله بن الزبير ، ومات قبله بيسير ، وقد رثاه كل من زياد، وزياد الأعجم بأبيات ذكرها ابن عبد البر فى (الإستيعاب):٣/٩٣١ – ٩٣٣، ترجمة رقم (١٥٨٧) .

وأما قيام تفله ﷺ في أفواه الرضعاء
[يوم عاشوراء] مقام الغذاء

فخرَّج البيهقي[1] من حديث عبيد الله بن عمر القواريري ، قال : حدثتنا عليه بنت الكميت العتكية عن أمها أميمة قالت : قلت لأمه الله أسمعت أمك رزينة تذكر أنها سمعت رسول الله ﷺ يذكر صوم يوم عاشوراء ؟ قالت : نعم يعظمه ويدعو برضعائه ورضعاء ابنته فاطمة ، فيتفل في أفواههم ، ويقول للأمهات : لا ترضعوهن إلي الليل[2] .

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٦/٢٢٦، باب ماجاء فى تفلة فى أفواه المرتضعين يوم عاشوراء فتكفوا به إلى الليل . ومابين الحاصرتين فى عنوان الفصل زيادة للسياق منه .

(٢) ثم قال البيهقى : وأخبرنا أبو الحسن ، أنبأنا أحمد بن الحسن أنه علي بن المتوكل، حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري ، فذكره بإسناد نحوه ، إلا انه لم يقل العتكية ، وقال : حدثتنى أمي أميمة ، ولم يقل مولاة رسول الله ﷺ ، قال الحافظ ابن حجر : رزينة مولاة صفية زوج النبى ﷺ، وهى أيضاً خادم رسول الله ﷺ [حديثها عند البصريين فى يوم عاشوراء] أخرجه ابن أبى عاصم ، وابن منده من طريق ، عن مسلم بن إبراهيم، عن عليلة مطولاً: ولفظه : حدثتنا عليلة بنت الكميت ﷺ يقال لها : أمة الله ، وكانت أمها خادماً لرسول الله ﷺ : قالت : نعم، حدثتنى أمي رزينة أنها سمعت رسول الله ﷺ [يذكر يوم عاشوراء ويعظمة] حتى إن كان ليدعو صبيانه وصبيان فاطمة المراضع فى ذلك اليوم، فيتفل فى أفواههم، ويقول لأمهاتم : لا ترضعوهم إلى الليل ، ورزينة : ضبطت بفتح أولها، وقيل فيها بتقديم الزاى على الراء : وأخرج أبو يعلى [بسنده] أن النبي ﷺ لما تزوج صفية أمر ببرها خادماً وهى رزينة (الإصابة) : ٧/٦٤٤-٦٤٥، ترجمة رقم (١١١٧٠) .

وأما قيام ريقه ﷺ في فم محمد بن ثابت[1] وتحنيكه بتمره مقام لبان أمه

فخرَّج البيهقي من حديث زيد بن الحباب قال : حدثني أبو ثابت يزيد بن إسحاق بن إسماعيل بن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري قال:حدثني إسماعيل بن محمد بن ثابت بن قيس أن ثابت بن قيس فارق جميلة بنت عبد الله ابن أبيّ ، وهي حامل بمحمد، فلما ولدته حلفت أن لا تلبنه من لبنها ، فدعا به رسول الله ﷺ فبزق في فيه وحنكه بتمر عجوة ، وسماه محمداً ، وقال : اختلفْ به [إليّ][2] فإن الله رازقه ، فأتينه اليوم الأول، والثاني ، والثالث ، فإذا امرأة

---

(١) هو محمد بن ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري الخزرجي المدني ، أمه جميلة بنت عبد الله ابن أبى بن سلوك التى اختلعت من ثابت ، وأتى به النبى ﷺ لما ولد فحنكه ، وأورده فى الصحابة على قاعدتهم فيمن له رؤية ، فأخرج البغوي ، وابن أبي داود ، وابن شاهين ، من طريق زيد ابن الحباب : حدثنا أبو ثابت ، من ولد ثابت بن قيس بن شماس عن إسماعيل بن محمد بن ثابت، عن أبيه ، أن أباه ثابتاً فارق جميلة بنت عبد الله بن أبي وهى حامل بمحمد ، فلما وضعته حلفت أن لا تلبنه بلبنها، فجاء به ثابت الى رسول الله ﷺ فبزق فى فيه ، وسماه محمداً وقال اذهب به ، فإن الله رزاقه؟ قال: فتلقتنى امرأة من العرب تسأل عن ثابت بن قيس، فقلت : أنا ثابت بن قيس ، ما تريدين؟ قالت رأيت فى ليلتى هذه أنى أرضع ابناً يقال له محمد، قال: فهذا ابني ، فأخذته وإن ضرعها ليعصر من لبنها من ثديها ، لفظ البغوى ، وقال ابن منده: غريب لا نعرفه إلا من حديث زيد بن الحباب، ولا يصح لمحمد بن ثابت صحبة ، وأخرج الحديث البيهقى من وجه آخر ، عن زيد بن الحباب، وسمى أبا ثابت زيد بن إسحاق بن إسماعيل ابن محمد بن ثابت ، وقد سبق لمحمد ذكر فى ترجمة أخيه عبد الله بن ثابت ، وروي عن النبي ﷺ عن أبيه، وسالم مولى أبى حذيفة . وروى عنه ابناه : إسماعيل ويوسف ، والزهرى وغيرهم. ذكره ابن سعد فى الطبقه الأولى ، وقال: هو أخو عبد الله بن حنظلة لأمه ، وقتل يوم الحرة هو وأولاده : عبد الله ، وسليمان ، ويحيى : وقال خليفة : قتل هو وأخواه : عبد الله ويحى يوم الحرة ، (الإصابة) : ٦/٢٤٦-٢٤٧، وترجمة رقم (٨٣٠١) .

(٢) فى (الأصل) فقط .

من العرب تسأل عن ثابت بن قيس، فقلت لها : ما تريدين منه ؟ أنا ثابت ، قالت: رأيت في منامي هذه الليلة كأني أرضع ابناً له يقال له : محمد، فقال : أنا ثابت وهذا ابني محمد ، قال : وإذا درعها ينعصر من لبنها[1] . وخرّجه الحاكم في مستدركه .

وأما ذهاب الصداع عن فراس بن عمرو[2] بأخذ المصطفى ﷺ بجلدة ما بين عينيه وما ظهر من أعلام النبوة في ذلك

فخرّج البيهقي[3] من حديث أبي أسامة الكلبي قال : حدثنا شريح بن مسلمة حدثنا أبو يحيى التيمي وإسماعيل بن إبراهيم قال : حدثني سيف بن وهب ابن أبي الطفيل أن رجلاً من بني ليث يقال له : فراس بن عمرو أصابه صداع شديد، فذهب به أبواه إلي رسول الله ﷺ فشكا اليه الصراع الذي به فدعا رسول الله ﷺ فراساً فأجلسه بين يديه، فأخذ بجلدة ما بين عينيه فجذبها حتي تنقضت ،

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٦/٢٢٧، باب ما جاء فى تحنيكة محمد بن ثابت بن قيس بن شماس وبزاقة فى فيه، وما ظهر فى ذلك ببركته من ﷺ الآثار .

(٢) هو فراس بن عمرو الكناني ثم الليثي. وقال ابن حبان : له صحبة وقال غيره : له رؤية ، ولأبيه صحبة ، وروى الباوردى وابن منده من طريق أبى يحيى التيمى - وهو إسماعيل بن يحيى أحد الكذابين قال : حدثنى يوسف بن هارون ، عن أبي الطفيل ، أن رجلاً من بني ليث يقال له : فراس بن عمرو ، أصابه صداع شديد، فذهب به أبوه الى رسول الله ﷺ ، فشكا إليه الصداع الذى به ، فدعا رسول الله فراساً فأجلسه بين يديه ، وأخذ جلدة ما بين عينيه فمدها ، فنبتت فى موضع أصابعه ﷺ من جبين فراس شعرة ، فذهب عنه الصداع ، فلم يصدع ، زاد الباوردي فى روايته : قال أبو الطفيل : فأراد أن يخرج مع الخوارج يوم حروراء فأوثقه رباطاً، فسقطت الشعرة التى بين عينيه ، ففزع لذلك، وأحدث توبة قال أبو الطفيل : فلما تاب نبتت ، قال : ورأيتها قد سقطت . ثم رأيتها بعد نبتت ، ورواه محمد بن قدامة المروزى فى كتاب (أخبار الخوارج) له ، من هذا الطريق ، (الإصابة) : ٢٥٩-٢٦٠، ترجمة رقم (٦٩٧٢) .

(٣) (دلائل البيهقي) : ٦/٢٣٠-٢٣١، باب ما جاء فى شأن من شكا إليه الصداع .

فنبتت في موضع أصابع رسول الله ﷺ من جبينه شعرة فذهب عنه الصداع ، فلم يصدع .

قال أبو الطفيل : فرأيتها كأنها شعره قنفذ، قال : فهم بالخروج على عليٍّ - رضي الله تبارك وتعالى عنه - مع أهل حروري قال : فأخذه أبوه فأوثقه وحبسه فسقطت تلك الشعرة ، فما رآها [قد سقطت][1] شق عليه ذلك، فقيل له: هذا ما هممت به ؟ [فأحدث][2] توبة وتاب .

قال أبو الطفيل : فرأيتها قد سقطت ثم رأيتها بعد ما نبتت ، قال البيهقي : تفرد به أبو يحيي التيمي .

قال كاتبه : أبو يحيي هذا هو إسماعيل بن إبراهيم الأحول أبو يحيي التيمي الكوفي[3] يروي عن عطاء بن السائب وإبراهيم بن الفضل ، والأعمش ، وزيد بن أبي زياد .

ويروي عنه أبو كريب وأبو سعيد الأشج ، وإبراهيم بن يوسف الكندي وجماعة .

قال البخاري : ضعفه لي ابن نمير جداً ، وقال ابن معين : يروي عنه سجادة ، وقال النسائي : ضعيف .

وقال ابن عدي : له أحاديث حسان، وليس فيما يرويه حديث منكر المتن ويكتب حديثه .

وقد خرَّج الإمام أحمد هذا الحديث في (المسند)[4] من طريق حماد ابن سلمة، عن على بن زيد بن جدعان، عن أبي الطفيل ، أن رجلاً ولد له غلام

---

(١) من (الأصل) فقط .

(٢) زيادة للسياق من (دلائل البيهقى) .

(٣) ضعيف جداً يخطى كثيراً حتى خرج عن حد الاحتجاج به ، ضعفه غير واحد ، ترجمته فى : (الضعفاء الكبير) : ٧٣/١، (المجروحين) : ١ /١٢٢، (ميزان الإعتدال) : ٢١٣/١.

(٤) (مسند أحمد) : ٦٣٧/٦، حديث رقم (٢٣٢٩٣) من حديث أبى الطفيل عامر بن واثلة ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه .

على عهد رسول الله ﷺ ، فأتي به النبي ﷺ فأخذ ببشرة وجهه[1] ودعا له بالبركة ، [قال :] فنبتت شعره في جبهته كهيئة[2] الفرس ، وشب الغلام، فلما كان زمن الخوارج أحبهم ، فسقطت الشعرة من جبهته، فأخذه أبوه فقيده وحبسه مخافةً أن يلحق بهم ، قال : فدخلنا عليه فوعظناه ، وقلنا له : فيما تقول ؟ ألم تر أن[3] بركة رسول الله ﷺ قد وقعت عن جبهتك [فما زلنا به حتي رجع عن رأيهم] ، فرجع[4] فرد الله - عز وجل - عليه الشعرة بعد في جبهته وتاب . وخرَّجه البيهقي هكذا من حديث حماد[5] .

---

(١) فى (الأصل): "جبهته" وما أثبتناه من (المسند) .

(٢) فى (الأصل) : " كذؤابة" ، وما أثبتناه من (المسند) .

(٣) فى (الأصل): "إلي" وما أثبتناه من (المسند).

(٤) من (الأصل) فقط .

(٥) ثم قال بعقبه : وفيما أنبأنا أبو عبد الرحمن السلمي ، انبأنا أبو عبد الله العكبري ، حدثنا أبو القاسم البغوي ، حدثنا كامل بن طلحة ، حدثنا حماد ابن سلمة ، حدثنا علي بن زيد ، فذكره .

وأما ذهاب البرد عن حذيفة بن اليمان[1] بدعاء الرسول ﷺ له بذلك

فخرَّج مسلم من حديث جرير عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي ، عن أبيه قال : كنا عند حذيفة ، [بن اليمان] فقال رجل : لو أدركت رسول الله ﷺ قاتلت معه وأبليت[2] ، فقال له حذيفة : أنت تفعل ذلك ؟ لقد رأينا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب وأخذتنا ريح شديدة[3] وقر ، فقال رسول الله ﷺ: ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيام ؟ فسكتنا، فلم يجبه منا أحد، ثم قال : ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة ؟ فسكتنا، فلم يجبه منا أحد فقال : قم يا حذيفة فأتنا بخبر القوم ، فلم أجد بداً إذ دعاني باسمي أن أقوم ، فقال: اذهب فأتني بخبر القوم، ولا تذعرهم عليَّ[4] .

---

(١) هو حذيفة بن اليمان، من نجباء أصحاب محمد ﷺ وهو صاحب السر ، واسم اليمان: حسل ويقال : حسيل - بن جابر العبسي اليماني ، أبو عبد الله، حليف الأنصار، ومن أعيان المهاجرين حدث عنه أبو وائل، وزر بن حبيش، وزيد بن وهب، وهمام بن الحارث ، وخلق سواهم . له في الصحيحين اثنا عشر حديثاً، وفي البخاري ثمانية ، وفي مسلم سبعة عشر حديثاً ، وكان النبي ﷺ أسر إلى حذيفة أسماء المنافقين، وضبط عنه الفتن الكائنة في الأمة، وقد ناشد عمر: أأنا من المنافقين ؟ فقال: لا ، ولا أزكي أحداً بعدك. وحذيفة هو الذي ندبه رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب ليجس له خبر العدو، وعلى يده فتح الدينور عنوة، ومناقبه تطول - رضي الله تبارك وتعالى عنه- قال حذيفة : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني ، وولي حذيفة إمرة المدائن لعمر، فبقي عليها إلى بعد مقتل عثمان، وتوفي بعد عثمان بأربعين ليلة ، (تهذيب سير أعلام النبلاء) : ٦١/١، ترجمة رقم (١٨١) - (الإصابة) : ٤٤/٢-٤٥، ترجمة رقم (١٦٤٩)، (الاستيعاب) : ٣٣٤/١ - ٣٣٥، ترجمة رقم (٤٩٢) .

(٢) أبليت : من البلاء الحسن وهو المبالغة في النصرة .

(٣) كذا في (الأصل) ، وفي (دلائل البيهقي) : "في ليلة ذات ريح شديدة" .

(٤) أي لا تحركهم عليك، فإنهم إن أخذوك كان ضرراً على لأنك رسولي وصاحبي .

فلما وثبت من عنده جعلت كأنما أمشي في حمام ، حتي أتيته فرأيت أبا سفيان يصلي ظهره بالنار(١) ، فوضعت سهماً في كبد قوسي ، فأردت أن أرميه، فذكرت قول رسول الله ﷺ : لا تذعرهم عليّ ولو رميته لأصبته، فأخبرته خبر القوم وفرغت قـررت ، فألبسني رسول الله ﷺ من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها، فلم أزل نائماً حتي أصبحت ، فقال : قم أيا نومان(٢) .

---

(١) يصلى ظهره : يدفئه .

(٢) النومان : كثير النوم، (دلائل البيهقي) : ٣/٤٤٩-٤٥٠، باب إرسال رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان – رضي الله تبارك وتعالى عنه – إلى عسكر المشركين، وما ظهر له فى ذلك من آثار النبوة بوقوفة ليلتئذ على ما أرسل على المشركين من الريح والجنود، وتصديق الله –سبحانه– قول نبيه ﷺ فيما وعد حذيفة من حفظ الله إياه عن الأسر والبرد، باختلاف يسير فى اللفظ ، وأخرجه الإمام مسلم (فى صحيحه)، كتاب الجهاد والسير، باب (٣٦) غزوة الأحزاب، حديث رقم (١٧٨٨). قوله : " كنا عند حذيفة، فقال رجل : لو أدركت رسول الله ﷺ قاتلت معه وأبليت، فقال له حذيفة ما قال " : معناه أن حذيفة فهم منه أنه لو أدرك النبي ﷺ لبالغ فى نصرته ، ولزاد على الصحابة – رضي الله تبارك وتعالى عنهم ، فأخبره. بخبره فى ليلة الأحزاب ، وقصد زجره عن ظنه أنه يفعل أكثر من فعل الصحابة . قوله :" وأخذتنا تاريخ شديدة وقر" ، هو بضم القاف، وهو البرد وقوله بعد هذا :" قررت" هو بضم القاف وكسر الراء ، أى بردت ، قوله : "اذهب فأتني بخير القوم ولا تذعرهم علي " هو بفتح التاء وبالذال المعجمة ، معناه: لا تفزعهم على ولاتحركهم علي ، وقيل : معناه لا تنفرهم ، وهو قريب من المعنى الأول، والمراد: لاتحركهم عليك، فإنهم إن أخذوك كان ذلك ضرراً على لأنك رسولي وصاحبي قوله :" فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشى فى حمام حتى أتيتهم"، يعنى أنه لم يجد البرد الذى يجد الناس، ولا من تلك الريح الشديدة ودعائه ﷺ له ، واستمر ذلك اللطف به ومعافاته من البرد حتى عاد إلى النبي ﷺ، فلما رجع ووصل عاد إليه البرد الذى يجده الناس ، وهذه من معجزات النبي ﷺ. ولفظة الحمام عربية، وهو مذكر مشتق من الحميم ، وهو الماء الحار . قوله : "فرأيت أبا سفيان يصلي ظهره" ، هو بفتح الياء وإسكان الصاد، أى يدفئه، ويدنيه فيها ، وهو الصلا ، بفتح الصاد والقصر، والصلاء بكسرها والمد . وقوله :" كبد القوس" ، هو مقبضها ، =

وخرَّج البيهقي[1] مـن حديـث أبـي نعيـم الفضـل بـن دكيـن ، قـال : حدثنـا يوسف ابن عبد الله بن أبي المختار عن بلال العبسي ، عن حذيفـة بـن اليمـان : أن الناس تفرقوا عن رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب، فلـم يبـق معـه إلا اثنـا عشـر رجلاً، فأتاني رسول الله ﷺ وأنا جاثم من البرد .

قال يا بن اليمان : قم فـانطلق إلـي عسكر الأحـزاب، فـانظر إلـي حـالهم، قلت: يا رسول الله والذي بعثك بالحق نبياً ما قمنا إليك إلا حياءً منك من البرد.

قال : انطلق يا بن اليمان ؛ فلا بأس عليك من حـرّ ولا بـرد حتـي ترجـع إليّ، فانطلقت إلي عسكرهم ، فوجدت أبا سفيان يوقد النار في عصبة حوله وقـد تفرق الأحزاب عنه ، قال : حتي إذا جلست فيهم ، قـال : فحـس أبـو سـفيان أنـه دخل فيهم من غيرهم ، قال : ليأخذ كل رجل منكم بيـد جليسـه، قـال : فضربـت بيدي على الذي عن يميني، فأخذت بيده [ثم ضربت يدي على الذي عن يساري فأخذت بيده] فكنت فيهم هنية ثم قمت فأتيت رسول الله ﷺ وهـو قـائم يصلـي ، فأوماً بيده أن ادن ، فدنوت ثم أوماً إليّ أيضاً أن ادن ، فدنوت حتـي أسـبل علـى من الثوب الذي كان عليه وهو يصلي .

= وكبد كل شيء وسطه . قوله :" فألبسني رسول الله ﷺ من فضل عباءة كانت عليه يصلى فيهـا"، العباءة بالمد والعباية بزيادة ، لغتان ، مشهورتان ، معروفتان ، وفى الحديث: جواز الصلاة فـى الصوف وهو جائز بإجماع من يعتد به ، وسواء الصلاة عليه وفيه، ولا كراهيـة فـى ذلـك. قـال العبدرى من أصحابنا: وقالت الشيعة : لاتجـوز الصـلاة علـى الصـوف، ولاتجـوز فيـه . وقـال مالك: يكره كراهة تنزيه . قوله : "فلم أزل نائماً حتى أصبحت قـال : قم يـا نومـان"، هـو بفتـح النون وإسكان الواو، وهو كثير النوم، وأكثر ما يسـتعمل فـى النـداء كمـا اسـتعمله هنـا . قولـه : "أصبحت "، أى طلع الفجر وفى هذا الحديث أنـه ينبغـي للإمـام وأمـير الجيـش بعـث الجواسـيس والطلائع لكشف خبر العدو، والله - تبارك وتعالى - أعلم . (شرح النووى) .

(١) (دلائل البيهقي) : ٣/٤٥٠-٤٥١، وأخرجه الحاكم فـى (المستدرك): ٣/٣٣، كتـاب المغـازي والسرايا، حديث رقم (٤٣٢٥) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسـناد ولـم يخرجـاه، وقـال الحـافظ الذهبي فى (التلخيص) : صحيح .

فلما فرغ من صلاته قال ابن اليمان : اقعد [ما الخبر؟] ، قلت :يارسول الله ، تفرق الناس عن أبي سفيان، فلم يبق إلا في عصبةٍ يوقد النار، قد صب الله عليه من البرد مثل الذي صب علينا ولكنا نرجو من الله مالايرجو .

وله من طريق عكرمة بن عمار، عن محمد بن عبيد أبي قدامة الحنفي ، عن عبد العزيز بن أخي[1] حذيفة قال : ذكر حذيفة مشاهدهم مع رسول الله ﷺ، فقال جلساؤه : أما والله لو كنا شهدنا ذلك ، لفعلنا . فقال حذيفة : لا تمنوا ذلك، فلقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافون قعود ؛ أبو سفيان ومن معه من الأحزاب فوقنا، وقريظة اليهود أسفل منا نخافهم علي ذرارينا ، وما أتت علينا ليلة قط أشد ظلمة ولا أشد ريحاً في أصوات ريحها أمثال الصواعق وهي ظلمة ما يرى أحد منا أصبعه .

فجعل المنافقون يستأذنون النبي ﷺ ويقولون : ﴿ **إن بيوتنا عورة وما هي بعورة** ﴾[2] ؛ فما يستأذنه أحد منهم إلا أذن له فيأذن لهم فيتسللون ونحن ثلاثمائة أو نحو ذلك إذ استقبلنا رسول الله ﷺ رجلاً رجلاً حتي مر عليّ وما عليّ جُنة من العدو ولا من البرد إلا مرط لامرأتي ما يجاوز ركبتي .

قال : فأتاني وأنا جاث على ركبتي ، فقال : من هذا ؟ فقلت : حذيفة ، فقال : حذيفة ؟ فتقاصرت بالأرض ، فقلت : بلى يا رسول الله ، كراهية أن أقوم ، قال : قم ، فقمت فقال : إنه كائن في القوم خبر فأتيني[3] بخبر القوم ، قال وأنا من أشد الناس فزعًا ، وأشدهم قرًا ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شماله ، ومن فوقه ومن تحته ، قال : فوالله - ما خلق الله فزعًا ولاقراً في جوفي إلا خرج، وما أجد منه شيئاً، فلما وليت قال : ياحذيفة لا تحدث[4] في القوم شيئاً حتي تأتيني ، فخرجت حتي إذا دنوت من عسكر القوم في ضوء نار لهم توقد، وإذا رجل أدهم ضخم يقوم بيده

---

(١) فى (الأصل): " أبي" وما أثبتناه من (دلائل البيهقي) .

(٢) الأحزاب : ١٣ .

(٣) فى (الأصل) : "فأت" ، وما أثبتناه من (دلائل البيهقي) .

(٤) كذا فى (الأصل) ، وفى (دلائل البيهقي) : " لاتحدثن " .

علي النار، ويمسح خاصرته، ويقول : الرحيل الرحيل، ولم أكن أعرف أبا سفيان قبل ذلك، فانتزعت سهماً من كنانتي أبيض الريش ؛ فأضعه في كبد قوسي لأرميه، فذكرت قول رسول الله ﷺ: لا تحدثن شيئاً حتى تأتيني فأمسكت ورددت سهمي في كنانتي ، ثم إني شجعت نفسي حتي دخلت العسكر، فإذا أدني الناس مني بنو عامر يقولون : يا آل عامر الرحيل الرحيل، لا مقام لكم ، فإذا الريح في عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبراً، فوالله - إني لأسمع صوت الحجارة في رحالهم وفرشهم الريح تضربهم بها ، ثم خرجت نحو النبي ﷺ، فلما انتصف بي الطريق أو غير ذلك إذا أنا بنحو من عشرين فارساً معتمين، فقالوا : أخبرصاحبك أن الله كفاه القوم ، فرجعت إلي رسول الله ﷺ وهو مشتمل شملة يصلي ، فوالله ماعدا أن رجعت راجعني القر، وجعلت أقرقف[1] ، فأومأ إلي رسول الله ﷺ بيده وهو يصلي ، فدنوت منه فأسبل عليّ شملته ، وكان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلي .

فأخبرته خبر القوم ، وأخبرته أني تركتهم يترحلون، فأنزل الله :﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذا جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها**﴾[2] .

وخرّج هذا الحديث أبو نعيم من طرق ، والمعني واحد وإن تقاربت ألفاظه.

(١) أقرقف : أرتعد من البرد .

(٢) الأحزاب : ٩ ، وتمامها : ﴿ **وكان الله بما تعملون بصيراً** ﴾ .

وأما استئذان الحمي على رسول الله ﷺ
وإرسالها إلي أهل قباء لتكون كفارة لهم

فخرَّج البيهقي(١) والإمام أحمد(٢) من حديث يعلي بن عبيد، قال : حدثنا الأعمش عن جعفر(٣) بن عبد الرحمن الأنصاري ، عن أم طارق مولاة سعد ، قالت : جاء النبي ﷺ إلي سعد فاستأذن، فسكت سعد وأعاد فسكت سعد، فأرسلني سعد إليه أنه لم يمنعنا أن نأذن لك إلا أنا أردنا أن تزيدنا ، قالت : فسمعت صوتاً على الباب يستأذن ولا أري شيئاً، فقال رسول الله ﷺ : من أنت؟ قالت : أنا أم ملدم(٤)، قال : لامرحباً بك ولا أهلاً، أتهدين إلي قباء ؟ قالت : نعم، قال: فاذهبي إليهم .

ولهما من طريق يعلي قال : حدثنا الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر ابن عبد الله - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : إن أهل قباء أتوا النبي ﷺ، فقالوا: إن الحمى قد اشتدت علينا فقال: إن شئتم أن ترفع عنكم رفعت، وإن شئتم كانت طهوراً، قالوا : بل تكون لنا طهوراً(٥) .

ومن حديث يحيى بن المغيرة قال : حدثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال : أتت الحمى النبي ﷺ، فاستأذنت عليه، فقال : من أنت؟ قالت : أم ملدم، قال أتريدين أهل قباء؟ قالت : نعم قال : فحموا ولقوا منها شدة فاشتكوا إليه فقالوا : يا رسول الله ﷺ لقينا من الحمى ، قال: إن شئتم دعوت الله فكشفها عنكم ، وإن شئتم كانت لكم طهوراً [قالوا : بل تكون لنا طهوراً].

---

(١) (دلائل البيهقي) : ١٥٨/٦، باب ما جاء في استئذان الحمى على رسول الله ﷺ وإرساله إياها إلى أهل قباء لتكون لهم كفارة، وظهور ما ظهر في ذلك من آثار النبوة .

(٢) (مسند أحمد) : ٥٢٢/٧-٥٢٣، حديث رقم (٢٦٥٨٦)، من حديث أم طارق - رضي الله تبارك وتعالى عنها .

(٣) في (الأصل) : " جبير" ، وما أثبتناه من (الدلائل) و(المسند) .

(٤) اسم الحمى .

(٥) (دلائل البيهقي) : ١٥٨/٦-١٥٩.

ومن طريق الإمام أحمد قال : حدثني أبى[1] ، حدثنا هشام بن لاحق أبو عثمان المدائني ، حدثنا عاصم الأحول عن أبي عثمان المهدي ، عن سلمان الفارسي - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : استأذنت الحمى على رسول الله ﷺ، فقال لها :من أنت ؟ قالت : أنا الحمى أبرئ اللحم وأمصّ الدم ، قال اذهبي إلي أهل قباء، فأتتهم وجوههم إلي رسول الله ﷺ قد اصفرت وجوههم ، فشكوا الحمى إلي رسول الله ﷺ فقال : ماشئتم إن شئتم دعوت الله - عز وجل - فكشفها عنكم ، وإن شئتم تركتموها، فأسقطت ذنوبكم ، قالوا : بل ندعها يا رسول الله[2] .

ومن حديث قرة بن حبيب الغنوي قال : حدثنا إياس بن أبي تميمة، عن عطاء بن أبي هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : جاءت الحمى إلي رسول الله ﷺ، فقالت : يا رسول الله ابعثني إلي أحب قومك ، أوإلي أحب أصحابك إليك ، شك قرة ، فقال : اذهبي إلي الأنصار، قال : فذهبت فصبت عليهم فصرعتهم، فجاءوا إلي النبي ﷺ، فقالوا: يارسول الله : قد أتت الحمى علينا فادع الله لنا بالشفاء قال : فدعا لهم ، فكشف عنهم ، فاتبعته امرأة فقالت : يا رسول الله ﷺ ادع الله [لي] إني لمن الأنصار، وإن أبي لمن الأنصار فادع الله لي كما دعوت لهم. فقال: أيما أحب إليك ؟ أن أدعولك فيكشف عنك أو تصبرين و[تجب] لك الجنة ؟ قالت : لا -والله - يا رسول الله بل أصبر ثلاثا، ولاأجعل من الله بجنته خطراً ابدا ، قال البيهقي : [والله تعالى أعلم][3] يحتمل أن يكون هذا في قوم آخرين من الأنصار.

وخرّجه البخاري في (الأدب المفرد) من حديث قرة به ، ولفظه : عن أبي هريرة قال : جاءت الحمى إلي النبي ﷺ، فقالت : ابعثني إلي آثر أهلك عندك ، فبعثها إلي الأنصار فبقيت عليهم ستة أيام ولياليها فاشتد ذلك عليهم، فأتهم في ديارهم، فشكوا ذلك إليه ، فجعل النبي ﷺ يدخل داراً داراً، وبيتاً بيتاً

---

(١) (دلائل البيهقى) : ١٥٩/٦.

(٢) (المرجع السابق) : ١٥٩/٦ - ١٦٠ .

(٣) (المرجع السابق) : ١٦٠، وما بين الحاصرتين تصويبات وزيادات للسياق منه .

يدعو لهم بالعافية ، فلما رجع تبعته امرأة منهم، فقالت : والذي بعثك بالحق إني لمن الأنصار وإن أبي لمن الأنصار فادع الله لي كما دعوت للأنصار . قال: ما شئت ! إن شئت دعوت الله أن يعفو عنك ، وإن شئت صبرت ولك الجنة . قالت: بلي ، أصبر ولا أجعل إلي الجنة خطراً[1] .

تم بحمد الله تعالى الجزء الحادى عشر
ويليه الجزء الثانى عشر
وأوله : وأما ذهاب الحمى عن عائشة
رضي الله تبارك وتعالى عنها
بدعاء علّمها رسول الله ﷺ

(١) راجع التعليق السابق .

إمتاع الأسماع

بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع

تأليف

تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي
المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

تحقيق وتعليق

محمد عبد الحميد النميسي

الجزء الثاني عشر

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت

تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠

صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.

Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98

P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

ISBN 2-7451-2208-8

http://www.al-ilmiyah.com.lb/

e-mail : sales@al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وأما ذهاب الحمى عن عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها بدعاء علّمها رسول الله ﷺ

فخرّج أبو بكر بن أبي الدنيا من حديث إسحاق بن أبي إسرائيل قال : حدثنا منصور بن حمزة عن ولد أنس بن مالك، عن جده أنس بن مالك قال : دخل رسول الله ﷺ على عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - وهي موعوكة، فقال: مالي أراك هكذا ؟! ، قالت : بأبي وأمي ، هذه الحمى ، وسبتها، فقال: لا تسبيها [فإنها مأمورة] ولكن إن شئت أعلمك كلمات إذا تلوتهن أذهبها الله - تعالى -عنك، قالت : فعلمني .

قال : قولي : اللهم ارحم جلدي الرقيق ، وعظمي الدقيق ، من شدة الحريق ، يا أم ملدم إن كنت آمنت بالله العظيم فلا تصدعي الرأس، ولا تنتني الفم، ولا تأكلي اللحم ، ولا تشربي الدم ، وتحولي عني إلى من اتخذ مع الله إلها آخر . قال : فقالتها ، فذهب عنها [1] .

وأما قيء من اغتاب وهو صائم لحماً عبيطاً بين يدي النبي ﷺ فكان ذلك من أعلام النبوة

فخرّج البيهقي[2] وأحمد[3] من حديث محمد بن عبد الملك الدقيقي قال : حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا سليمان التيمي قال : سمعت رجلاً يحدث في مجلس

---

(١) (دلائل البيهقي) : ١٦٩/٦ ، باب ما جاء فى تعليمه ﷺ عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - دعاء الحمى فقالته فذهبت .

(٢) (دلائل البيهقي) : ١٨٦/٦-١٨٧، باب ما جاء فى المرأتين اللتين اغتابنا وهما صائمتان ، وما ظهر فى ذلك من آثار النبوة ، ودلالة صدق القرآن ، وفيه حديث الصبي الذى كان يجن ، فدعا له ، فخرج من جوفه جرو أسود .

(٣) (مسند أحمد) : ٥٩٩/٦ - ٦٠٠، حديث رقم (٢٣١٤١)، من حديث عبيد مولى النبي ﷺ .

أبي عثمان النهدي ، عن عبيد مولى رسول الله ﷺ أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله ﷺ وأن رجلا أتى النبي ﷺ، فقال: يارسول الله إن هاهنا امرأتين صامتا، وإنهما قد كادتا تموتان من العطش قال : فأعرض عنه أوسكت، ثم عاد قال : أراه قال بالهاجرة فقال : يانبي الله إنهما والله قد ماتتا أو كادتا تموتان، فقال : ادعهما، فجاءتا ، قال: فجيء بقدح أو عس فقال لإحداهما : قيئى، فقاءت من قيحٍ ودم وصديدٍ حتى قاءت نصف القدح ثم قال :قيئي ، فقاءت قيحاً ودماً وصديداً ولحماً عبيطاً ، وغيره حتى ملأت القدح، ثم إن هاتين المرأتين صامتا عما أحل الله لهما، وأفطرتا على ماحرم عليهما . فجلست إحداهما إلى الأخرى ، فجعلتا تأكلان لحومِ الناس ، قال البيهقي: كذا قال عبيد وهو الصحيح.

وخرّج أيضاً من حديث مسدد بن مسهر قال : حدثنا يحيى بن سعيد عن عثمان بن غياث قال : حدثني رجل أظنه في حلقة أبي عثمان، عن سعد مولى رسول الله ﷺ أنهم أمروا بصيام، فجاء رجَل في بعض النهار، فقال: يا رسول الله! فلانة ، وفلانة قد بلغتا الجهد، فأعرض عنه - مرتين أو ثلاثاً، فقال : ادعهما، فجاءتا بعسٍ أو قدح - لا أدري أيهما ، قال ، فقال لإحداهما : قيئي ، فقاءت لحماً عبيطاً ودماً ، وقال للأخرى :[1]قيئي مثل ذلك فقال : إن هاتين صامتا عما أحل لهما، وأفطرتا على ماحرم عليهما ، أتت إحداهما الأخرى ، فلم يريا إلا[2]يأكلان لحوم الناس حتى امتلأت أجوافهما قيحاً ، كذلك قال سعد، والأول أصح .

---

(١) كذا فى (الأصل) وفى (دلائل البيهقي) : "وقال للأخرى مثل ذلك".

(٢) كذا فى (الاصل) ، وفى (دلائل البيهقي) "فلم يزالا يأكلان"

وأما سماع الرسول ﷺ أصوات المقبورين

فخرّج الإمام أحمد[1] من حديث عبد الصمد : حدثنا أبي ، حدثنا عبد العزيز عن أنس قال : بينما رسول الله ﷺ في نخل لأبي طلحة يتبرز لحاجته، قال : وبلال يمشي وراءه يكرم النبي ﷺ أن يمشي إلى جنبه ، فمر نبي الله ﷺ بقبر، فقام حتى قام إليه بلال ، فقال : ويحك يابلال ! هل تسمع ما أسمع؟ قال: ما أسمع شيئاً !! قال : إن صاحب القبر يعذب ، قال : فسأل عنه فوجده يهودياً .

وخرّج من حديث فليح عن هلال بن علي ، عن أنس بن مالك قال : أخبرني من لا أتهم من أصحاب النبي ﷺ ، قال : فبينما رسول الله ﷺ وبلال يمشيان بالبقيع إذ قال رسول الله ﷺ : يابلال هل تسمع ما أسمع؟ قال : والله يارسول الله ما أسمعه !! قال : ألا تسمع؟ أهل هذه القبور يعذبون؟ يعني قبور أهل الجاهلية[2] .

وخرّج من حديث أبي معاوية، حدثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر، عن أمّ مبشر قال : دخل علي رسول الله ﷺ وأنا في حائط من حوائط بني النجار فيه قبور منهم قد ماتوا في الجاهلية، فسمعهم يعذبون، فخرج وهو يقول استعيذوا بالله من عذاب القبر .

قال : قالت يا رسول الله، وإنهم ليعذبون في قبورهم ؟ فقال: نعم عذاباً تسمعه البهائم[3] .

وخرّج أبو نعيم من حديث عبد الملك بن ابراهيم بن جبر ، عن رباح بن صالح بن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه ، عن جده أن رسول الله ﷺ خرج

---

(١) (مسند أحمد) :٣/٦٢١ ، حديث رقم (١٢١٢١) ، من مسند أنس بن مالك -رضي الله تبارك وتعالى عنه .

(٢) (مسندأحمد) : ٤/١٥٥-١٥٦، حديث رقم (١٣٣٠٨)، من مسند أنس بن مالك -رضي الله تبارك وتعالى عنه .

(٣) (مسند أحمد) : ٧/٥٠٥ ، حديث رقم (٢٦٥٠٤) من حديث أم مبشر ، امرأة زيد بن حارثه - رضي الله تبارك وتعالى عنها .

من جوف الليل يدعو بالبقيع ومعه أبو رافع ، فدعا بما شاء الله ، ثم انصرف مقبلا، فمر على قبر فقال : أف ... أف ... أف ، ثلاثاً !! فقال أبو رافع : يا نبي الله بأبي وأمي ما معك أحد غيري فمني أففت ؟ فقال : لا ، ولكني أففت من صاحب هذا القبر الذي سئل علي فشك في .

وأما سماعه ﷺ أطيط السماء

فخرَّج الترمذي(١) من حديث أبي أحمد الزبير : حدثنا إسرئيل عن إبراهيم ابن المهاجر عن مجاهد عن مورق عن أبي ذر -رضي الله تبارك وتعالى عنه- قال : قال رسول الله ﷺ : إني أرى ما لا ترون، واسمع مالاتسمعون ، أطت السماء وحق لها أن تئط ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله ، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله ، لوددت أني كنت شجرة تعضد .[والذي عن أبي ذرّ موقوف] .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب ، ويروي من غير هذا الوجه : أن أباذر قال : لوددت أني شجره تعضد .

وخرَّجه أبو بكر بن أبي شيبة : من حديث عبيد الله بن موسى قال حدثنا إسماعيل فذكره(٢) .

---

(١) (سنن الترمذي) :٤/٤٨١-٤٨٢ ، كتاب الزهد ، باب (٩) فى قول النبي ﷺ:"لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً "، حديث رقم (٢٣١٢)، قوله : "أطت" ، الأطيط :صوت الأقتاب، وأطيط الإبل: أصواتها وحنينها ، والمعنى : أن كثرة ما فى السماء من الملائكة قد أثقلها حتى أطت ، وهذا مثل وإيذان بكثرة الملائكة، وإن لم يكن ثم أطيط . " الصعدات" ، جمع صعيد ، وهو التراب ، والمراد : الطرق مثل طريق وطرق وطرفات ، و"تجأرون"، الجؤار : الصياح والضجة ، يعنى تستغيثون ، و"تعضد" عضدت الشجرة ونحوه : إذا قطعته. (جامع الأصول) : ٤/١٣-١٤، شرح غريب الحديث رقم (١٩٨٥) .

(٢) هو متن حديث أبي نعيم .

وخرّج أبو نعيم[1] من حديث عبد الوهاب بن عطاء قال : أخبرنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة عن صفوان بن محرز، عن حكيم بن حزام ، قال : بينما رسول الله ﷺ في أصحابه إذ قال لهم : تسمعون ما أسمع ؟ قالوا : ما نسمع من شيء ، قال : إني لأسمع أطيط السماء ، و لا تلام أن تئط وما فيها موضع شبر ألا وعليه ملك ساجدٌ أو قائم .

قال كاتبه : قد خرّج البخاري طرفاً من هذا الحديث، فخرّج في كتاب الأيمان [والنذور][2]من حديث هشام عن همام ، عن أبي هريرة - رضي الله

---

(١) (دلائل أبي نعيم) : ٤٤٢، سماعه مالايسمع الناس ،ورؤيته مالايرون ،حديث رقم (٣٦٠) ، وأخرجه من حديث أبي بكر بن أبى شيبة ،حدثنا عن الله بن موسى ، حدثنا إسرائيل عن إبراهيم ابن المهاجر، عن مسروق،عن أبي ذر،وذكره بنحو حديث الترمذي وأخرجه ابن ماجة فى (السنن) : ١٤٠٢/٢، كتاب الزهد، باب (١٩) الحزن والبكاء ، حديث رقم (٤١٩٠).وأخرجه الحاكم فى (المستدرك) : ٥٤٤/٢، كتاب التفسير ، باب (٧٦) تفسير سورة : **﴿هل أتى على الإنسان﴾**، حديث رقم (٣٨٨٣) ، ولفظه: قرأ رسول الله ﷺ : **﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾** حتى ختامها ، ثم قال: إني أرى مالاترون ، وأسمع مالاتسمعون...." الحديث . ثم قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وقد سكت عنه الحافظ الذهبي فى (التلخيص) ، وعن إبراهيم بن مهاجر بن جابر البجلى الكوفي ، قال يحيى ابن سعيد : لم يكن بالقوى ، وقال أحمد : لابأس به ، وروى عباس عن يحيى : ضعيف.. وقال ابن عدي : يكتب حديثه فى الضعفاء ، (ميزان الإعتدال) :٦٧/١، وأخرجه الإمام أحمد فى (المسند) : ٢١٩/٦، حديث رقم (٢١٠٠٥) ، من حديث أبي ذر الغفاري - رضي الله تبارك وتعالى عنه.

(٢) (فتح الباري): ٦٤٣/١١، كتاب الأيمان والنذور، باب (٣) كيف كانت يمين النبي ﷺ ؟ حديث رقم (٦٦٣٧) ، قوله :"باب كيف كانت يمين النبى" ؟ أى التى كان يواظب على القسم بها أوتكثر، وجملة ماذكر فى الباب أربعة ألفاظ: **أحدها** : والذى نفسى بيده ،وكذا نفس محمد بيده، فبعضها مصدر بلفظ لا، وبعضها بلفظ أما ، وبعضها بلفظ أيم . **ثانيا**:لا ومقلب القلوب .**ثالثاً** : والله ، **رابعها**: ورب الكعبة ، وأما قوله: "لاها الله إذاً" فيؤخذ منه مشروعيته من تقريره لا من لفظه والأول أكثرها وروداً ، وفى سياق الثانى إشعار بكثرته أيضاً، وقد وقع فى حديث رفاعة بن =

تبارك وتعالى عنه – قال : قال أبو القاسم : والذي نفس محمد بيده – لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ، ولضحكتم قليلاً .

وخرّجه في الرقاق (١) من حديث يحيي بن بكير : حدثنا الليث ، عن عقيل، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، أن أبا هريرة كان يقول : قال رسول الله ﷺ : لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً .

= عرابة عند ابن ماجة والطبراني :" كان النبي ﷺ إذا حلف قال :والذى نفسي بيده" ، ولابن أبي شيبة من طريق عاصم بن شميخ ، عن أبي سعيد : "كان النبي ﷺ إذا اجتهد فى اليمين قال: لا والذى نفسي بيده " ولابن ماجة من وجه آخر فى هذا الحديث : " كانت يمين رسول الله ﷺ التى يحلف بها أشهد عند الله ، والذى نفسى بيده "ودل ما سوى الثالث من الأربعة، على أن النهى عن الحلف بغير الله لا يراد به اختصاص لفظ الجلالة بذلك ، بل يتناول كل اسم وصفة تختص به سبحانه وتعالى . وقد جزم ابن حزم، وهو ظاهر كلام المالكية والحنفية بأن جميع الأسماء الواردة فى القرآن والسنة الصحيحة ، وكذا الصفات صريح فى اليمين تنعقد به، وتجب لمخالفته الكفارة، وهو وجه غريب عند الشافعية، وعندهم وجه أغرب منه ، أنه ليس فى شيء من ذلك صريح إلا لفظ الجلالة، وأحاديث الباب ترده ، والمشهور عندهم وعند الحنابلة أنها ثلاثة أقسام : **أحدها** : ما يختص به كالرحمن . ورب العالمين، وخالق الخلق ، فهو صريح فتنعقد به اليمين ، سواء قصد الله أو أطلق ، **ثانيهما** : ما يطلق عليه، وقد يقال لغيرة، ولكن بقيد، كالرب، والحق، فتنعقد به اليمين، وإلا أن قصد به غير الله. **ثالثها** : ما يطلق على السواء، كالحي ، والموجود، والمؤمن، فإن نوى غير الله أو أطلق فليس بيمين، وإن نوى به الله انعقد على الصحيح ، وإذا تقرر هذا، فمثل " والذى نفسي بيده" ينصرف عند الإطلاق لله جزماً، فإن نوى به غيره كملك الموت مثلاً ، لم يخرج عن الصراحة على الصحيح، وفيه وجه عن بعض الشافعية وغيرهم ، ويلتحق به " والذى فلق الحبة، ومقلب القلوب" وأما مثل " والذى أعبده، أو أسجد له ، أو أصلى له " فصريح جزماً . (فتح البارى) .

(١) (فتح الباري) : ١١ / ٣٨٧، كتاب الرقاق، باب (٢٧) قول النبي ﷺ: " لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً لبكيتم كثيراً " حديث رقم (٦٤٨٥) ، قال الحافظ : والمراد بالعلم هنا ما يتعلق بعظمة الله وانتقامه ممن يعصيه، والأهوال التى تقع عند النزع، والموت، وفى القبر، ويوم القيامة . ومناسبة كثرة البكاء وقلة الضحك فى هذا المقام واضحة، والمراد به التخويف، وقد =

وخرَّجه مسلم[1] من حديث مالك بن أنس وعبد الله بن نمَير وأبــي معاويــة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة ، عن النبي ﷺ أنه قال : يا أمة محمـد لوتعلمون ما أعلم ، لبكيتم كثيراً، ولضحكتم قليلاً .

= جاء لهذا الحديث سبب أخرجه سنيد فى (تفسيره) بسنده ، والطبراني عن أبي عمر : " خرج رسول الله ﷺ إلى المسجد، فإذا بقوم يتحدثون ويضحكون ، فقال : والذى نفسي بيده" فذكر هذا الحديث، وعن الحسن البصري : " من علم يحكم أن الموت مورده ، والقيامة موعده ، والوقـوف بين يدى الله – تعالى – مشـهده ، فحق أن يطـول فـى الدنيـا حزنـه " قـال الكرمـاني : فـى هـذا الحديث من صناعة البديع مقابلة الضحك بالبكاء، والقلة بالكثرة، ومطابقة كل منهما .

(١) (مسلم بشرح النووي): ١٥/١٢٠-١٢١، كتاب الفضائل، بـاب (٣٧) توقـيره ﷺ وتـرك إكثـار سؤاله عمالا ضرورة إليه، أولا يتعلق به تكليف ، حديـث رقـم (٢٣٥٩)، مـن حديـث موسى بـن أنس ، عن أنس بن مالك –رضي الله تبارك وتعالى عنه – قال: بلغ رسول الله ﷺ عن أصحابه شيء ، فخطب فقال :عرضت على الجنة والنار، فلم أر كاليوم فى الخير والشر، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ، قال : فما أتى أصحاب رسول الله ﷺ يـوم أشـد منـه ، قـال : غطوا رءوسهم ولهم حنين ، قال : فقام عمر، فقال : رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ نبياً، قال : فقاوم ذاك الرجل فقال: من أبي؟ قال : أبوك فلان ، فنزلت : ﴿**ياأيها الذين آمنـوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم**﴾ . قال الإمام النووي : مقصود أحـاديث البـاب أنـه ﷺ نهاهم عن إكثار السؤال ، والابتداء بالسؤال عما لا يقع ، وكـره ذلــك لمعان منهـا : أنـه ربمـا كان سبباً لتحريم شئ على المسلمين فيلحقهم به المشقة ومنها : أنه ربما كان فى الجواب ما يكـره السائل ويسوؤه ، ولهذا أنـزل اللـه : ﴿ **يا أيها الذين آمنـوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم**﴾ ، وكما صرح بـه الحديث فـى سبب نزولهـا . ومنهـا : أنهـم ربمـا أحفوه بالمسألة ، وألحفوه المشقة والأذى ، فيكون ذلك سبباً لهلاكهم. قال الخطابي وغيره : هذا الحديث فيمن سـأل تكلفاً، أو تعنتاً فيما لا حاجة به إليه ، فأما من سأل لضرورة: بأن وقعت له مسألة فسأله عنها فـلا إثم عليه ولا عتب، لقوله تعالي:﴿**فاسألوا أهل الذكر**﴾ قال صاحب (التحرير) وغيره : فيـه دليل على أن من عمل ما فيه إضراراً بغيره كان آثماً . قوله ﷺ : عرضت على الجنة والنـار فلـم أر كاليوم فى الخير والشر، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثـيراً " فيـه أن الجنـة والنـار مخلوقتان ، ومعنى الحديث: لم أر خيراً أكثر مما رأيته اليوم فى الجنة، ولا شراً أكثر مما رأيته=

ومنها أن خالد بن الوليد رضي الله تبارك وتعالى عنه(١)

= فى النار، ولو رأيتم ما رأيت، وعلمتم ما علمت مما رأيته اليوم وقبل اليوم، لأشفقتم إشفاقاً بليغاً، ولقل ضحككم ، وكثر بكاؤكم، وفيه دليل على أنه لا كراهة فى استعمال لفظة " لو" فى مثل هذا. والله تعالى أعلم . قوله : " غطوا رؤوسهم ولهم خنين " هو بالخاء المعجمة ، هكذا هو فى معظم النسخ، ولمعظم الرواة ، ولبعضهم بالحاء المهملة، وممن ذكر الوجهين : القاضي ، وصاحب (التحرير) ، وآخرون. قالوا : ومعناه بالمعجمة صوت البكاء، وهو نوع من البكاء دون الانتحاب، قالوا : وأصل الخنين خروج الصوت من الأنف ، كالحنين بالمهملة من الفم . وقال الخليل : هو صوت فيه غنة. وقال الأصمعى: إذا تردد بكاؤه، فصار فى كونه عنه فهو حنين . وقال أبو زيد: الحنين مثل الخنين، وهو شديد البكاء (شرح النووي) .

(١) هو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن كعب، سيف الله تعالى ، وفارس الإسلام، وليث المشاهد، والسيد الإمام، الأمير الكبير ، قائد المجاهدين، أبو سليمان القرشي المخزومي المكي ، وابن أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث . هاجر مسلماً فى صفر سنة ثمان، ثم سار غازياً، فشهد غزوة مؤتة ، واستشهد أمراء رسول الله ﷺ الثلاثة : مولاه زيد ، وابن عمه جعفر ذو الجناحين ، وابن رواحة ، وبقى الجيش بلا أمير فتأمر عليهم فى الحال خالد ، وأخذ الراية وحمل على العدو، فكان النصر . وسماه النبي ﷺ سيف الله، فقال: " إن خالد سيف سله الله على المشركين" ، وشهد الفتح وحنيناً، وتأمر فى أيام النبي ﷺ. واحتبس أدراعه ولأمته فى سبيل الله، وحارب أهل الردة ومسيلمة الكذاب ، وغزا العراق، واستظهر، ثم اخترق البرية السماوية ، بحيث إنه قطع المفازة من حد العراق إلى أول الشام فى خمس ليالٍ فى عسكر معه ، وشهد حروب الشام ، ولم يبق فى جسده قيد شبر إلا وعليه طابع الشهداء ، ومناقبه غزيرة ، أمره الصديق على سائر أمراء الأجناد، حاصر دمشق فافتتحها هو وأبو عبيدة رضي الله تبارك وتعالى عنهما . توفى رضي الله تبارك وتعالى عنه بحمص سنة إحدى وعشرين، ومشهده على باب حمص عليه جلالة ، له أحاديث قليلة : وقال خليفة: ولى عمر أبا عبيدة على الشام، فاستعمل يزيد على فلسطين، وشرحبيل على الأردن ، وخالد بن الوليد على دمشق ، وحبيب بن مسلمة على حمص . وقال سحيم : مات بالمدينة، قلت: الصحيح موته بحمص ، وله مشهد يزار، وله فى (الصحيحين) حديثان ، وفى (مسند بقي) واحد وسبعون . (تهذيب سير أعلام النبلاء) : ١/٤٠، ترجمة رقم (٨٤) .

لم يقاتل إلا ونصره الله ببركة شَعر رسول الله ﷺ وأنه لم يؤذه السم

فخرج أبو نعيم[1] من طريق سعيد بن منصور قال : حدثنا هشام حدثنا الحميد بن جعفر، عن أبيه ، أن خالد بن الوليد، فقد قلنسوة له يوم اليرموك فقال: اطلبوها، فوجدوها فإذا هي قلنسوه خلقة ، فقال خالد : اعتمر رسول الله ﷺ فحلق رأسه فابتدر الناس جوانب شعره ، قال : فسبقتهم إلى ناصيته، فلم أشهد قتالاوهي معي إلا رزقت النصر .

وخرج من حديث سعيد بن عمر قال : حدثنا سفيان بن عيينة عن إسماعيل ابن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال : رأيت خالد بن الوليد أتى بسم، فقال : ما هذا، قالوا : سم ، قال : بسم الله ، وازدرده .

ومن حديث يعقوب بن الوليد حيث كان هناك، أتى بسم ساعة واحدة، فجعله على كفه ، ثم ألقاه في فيه، وقال: بسم الله ، فلم يضره شيئاً .

ومن حديث يحيى بن زكريا عن أبي زائدة ، عن يونس بن إسحاق، عن أبي السفر قال : نزل خالد بن الوليد رضي الله تبارك وتعالى عنه الحيرة على [أمرأة من][2] المرازية ، فقالوا: احذر السمّ لا يسقيكه الأعاجم ، فقال : ائتوني به، فأتى بشئ منه فأخذه بيده، ثم اقتمحه ، وقال : بسم الله ، فلم يضره شيئاً[3] .

---

(١) (دلائل أبي نعيم) : ٤٤٤-٤٤٥، باب شعر الرسول الموجود فى قلنسوة خالد ، حديث رقم (٣٦٧). وأخرجه الحاكم فى(المستدرك) : ٣/٣٣٨-٣٣٩ ، كتاب معرفة الصحابة ، ذكر مناقب خالد بن الوليد رضي الله تبارك وتعالى عنه حديث رقم (٥٢٩٩) ، وقال الحافظ الذهبي فى (التلخيص): منقطع. وأخرجه البيهقي فى (دلائل النبوة) : ٦/٢٤٩، باب ماجاء فى قلنسوة خالد ابن الوليد واستنصاره بما جعل فيها من شعر رسول الله ﷺ .

(٢) (فى الأصل) : "على أم بني" وما أثبتناه من (دلائل أبى نعيم) .

(٣) (دلائل أبى نعيم): ٤٤٥، باب عدم تأثير السم فى خالد ، حديث رقم (٣٨٦). قال الهيثمي : أخرجه أبو يعلى والطبراني بنحوه ، وأحد إسنادى الطبراني ، رجاله رجال الصحيح ، وهو =

وأما تفقه عبد الله بن عباس[1] رضي الله تبارك وتعالى عنهما بدعاء رسول الله ﷺ بذلك له

- مرسل، ورجالهما ثقات، إلا أن أبا السفر وأبا بردة بن أبي موسى لم يسمعا من خالد . والله تعالى أعلم . (مجمع الزوائد) : ٩ /٣٥٠.

(١) هو عبد الله بن عباس البحر، حبر الأمة، وفقية العصر ، وإمام التفسير، وأبو العباس عبد الله، ابن عم رسول الله ﷺ ، العباس بن عبد المطلب، شيبة بنى هاشم ، واسمه عمرو بن عبد مناف ابن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر القرشى الهاشمى المكى الأمير رضي الله تبارك وتعالى عنه. مولده بشعب بني هاشم قبل عام الهجرة بثلاث سنين. وصحب النبى ﷺ نحواً من ثلاثين شهراً، وحدث عنه بجملة صالحة، وعن عمر وعلى ، ومعاذ، ووالده، وعبد الرحمن بن عوف، وأبى سفيان صخر بن حرب ، وأبي ذر، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وخلق . وقرأ على أبى بن كعب، وزيد. وقرأ عليه مجاهد، وسعيد بن جبير، وطائفة . روى عنه ابنه على ، وابن أخيه عبد الله بن معبد ، ومواليه : عكرمة ، و مقسم ، وكريب ، وأنس بن مالك، وطاووس، وخلق سواهم، وكان وسيماً جميلاً، مديد القامة مهيباً كامل العقل ، ذكى النفس، من رجال الكمال .انتقل ابن عباس مع أبويه إلى دار الهجرة سنة الفتح، وقد أسلم قبل ذلك، فإنه صح عنه أنه قال : كنت أنا وأمى من المستضعفين : أنا من الولدان وأمي من النساء . عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: مسح النبي ﷺ رأسى ، ودعا لى بالحكمة. وقال الزبير بن كار : توفى رسول الله ﷺ ولابن عباس ثلاث عشرة سنة. قال أبو سعيد بن يونس: غزا ابن عباس إفريقية مع ابن أبي سرح، وروى عنه من أهل مصر خمسة عشر نفساً . عن سعيد بن جبير، عن عبد الله قال: بت فى بيت خالتى ميمونة ، فوضعت للنبى ﷺ غُسلاً ، فقال : من وضع هذا ؟ قالوا : عبد الله. فقال " اللهم علمه التأويل وفقهه فى الدين . وقال مجاهد : مارأيت أحداً قط مثل ابن عباس لقد مات يوم مات وإنه لحبر هذه الأمة. قال أبو عبيدة فى تسمية أمراء على يوم صفين : فكان على الميسرة ابن عباس، ثم رد بعد إلى ولاية البصرة . ومسنده ألف وست مئة وستون حديثاً، وله من ذلك فى (الصحيحين) خمسة وسبعون ، وتفرد البخارى له بمائة وعشرين حديثاً، وتفرد مسلم بتسعه أحاديث قال علي بن المدينى : توفى ابن عباس سنة ثمان أو سبع وستين. (تهذيب سير أعلام النبلاء) : ١ / ١٠١ - ١٠٢ ، ترجمة رقم (٢٨٥).

فخرج البخاري[1] من حديث هاشم بن القاسم، حدثنا ورقـاء عـن عبيـد اللـه ابن أبي يزيد ، عن ابن عباس رضي اللـه تبـارك وتعـالى عنهمـا ، أن النبـي ﷺ دخل الخلاء، فوضعت له وضوءاً قال : من وضع هذا ؟ فأُخبر، فقال اللهـم فقهـه في الدين . ذكره في كتاب الطهارة، وترجم عليه باب وضـع المـاء عنـد الخـلاء وذكره في المناقب[2] .

وخرجه من حديث زهير بن حرب وأبي بكر عن أبي النضر قالا : حدثنـا هشام بن القاسم، حدثنا ورقاء بن عمر اليشكرى قال : سمعت عبيد اللـه بـن أبـي يزيد يحدث عن ابن عباس أن النبي ﷺ أتي الخلاء، فوضعـت لـه وضـوءاً، فلمـا خرج قال. من وضع هذا؟ وفي رواية زهير : قالوا ، وفي رواية أبي بكـر قلـت: ابن عباس، قال : اللهم فقهه .

وقال أبو عبيد محمد بن أبـي نضـر، وحكـي المسـعودي : اللهـم فقهـه فـي الدين وعلمه التأويل، ولم أجده في (الكياس) ، وخرج أبـو بكـر بـن أبـي شـيبة، من حديث جابر بن أبي صغيرة عن عمرو بن مسعود أن كريباً أخبره عن ابن عباس قال : دعا لي رسول الله ﷺ أن يزيدني الله علماً وفهماً .

---

(١) (فتح الباري) : ٣٢٥/١ ، كتاب الوضوء بـاب (١٠) وضـع المـاء عنـد الخـلاء ، حديث رقـم (١٤٣) ، قال التيمي : فيه استحباب المكافأة بالدعاء ، وقال ابن المنير : مناسبة الدعـاء لابـن عباس بالتفقه على وضعه الماء من جهة أنه تردد بين ثلاثه أمور: إما أن يدخـل إليـه بالمـاء إلـى الخلاء، أو يضعه على الباب ليتناوله من قرب، أو لا يفعل شيئاً ، فـرأى الثـانى أوفـق ، لأن فـى الأول تعرضاً للاطلاع، والثالث يستدعى مشقة فى طلب الماء، والثانى أسهلها، ففعلـه يـدل علـى ذكائه ، فناسب أنه يدعى له بالتفقه فى الدين ليحصل به النفع وكذا كان. (فتح الباري) .

(٢) (فتح الباري) : ١٢٥/٧-١٢٦، كتاب فضائل أصحاب النبى ﷺ، بـاب (٢٤) ذكـر ابـن عبـاس رضي الله تبارك وتعالى عنهما، حديث رقم (٣٧٥٦)، من حديث مسدد ، حدثنا عبد الوارث عـن خالد عن عكرمة، عن ابـن عبـاس ، قـال: "ضمنـي النبـي ﷺ إلـى صـدره، وقـال: " اللهـم علمـه الحكمة" . حدثنا أبو معمر، حدثنا عبد الوارث " وقال : اللهم علمه الكتاب " ، حدثنا موسى حدثنـا وهيب عن خالد مثله . والحكمة : الإصابة فى غير النبوة .

وخرج البخاري في المناقب[1] من حديث مسدد حدثنا عبد الوارث عن خالد، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : ضمني النبي ﷺ إلي صدره وقال : اللهم علمه الحكمه، وحدثنا أبو معمر، حدثنا عبد الوارث وقال : علمه الكتاب حدثنا موسى حدثنا وهيب عن خالد مثله . الحكمة الإصابة من غير النبوة .

وخرجه في كتاب العلم[2] في باب قول النبي ﷺ: اللهم علمه الكتاب.

وله من حديث أبي معمر حدثنا عبد الوارث، حدثنا خالد عن عكرمة، عن ابن عباس قال : ضمني رسول الله ﷺ، وقال : اللهم علمه الكتاب . وقال في أول كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة[3] حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا وهيب عن خالد، عن عكرمة، عن ابن عباس قال : ضمني النبي ﷺ إليه، وقال : اللهم علمه الكتاب . وقال ابن أبي خيثمة : حدثنا موسى بن إسماعيل قال : حدثنا حماد

---

(١) سبق تخريجه ، قال الحافظ فى (الفتح) : واختلف فى المراد بالحكمة هنا، فقيل : الإصابة فى القول . وقيل : الفهم عن الله، وقيل : ما يشهد العقل بصحته، وقيل : نور يفرق به بين الإلهام والوسواس ، وقيل : سرعة الجواب بالصواب ، وقيل غير ذلك . وكان ابن عباس رضي الله تبارك وتعالى عنه من أعلم الصحابة بتفسير القرآن . وروى يعقوب بن سفيان فى (تاريخه) بإسناد صحيح ، عن ابن مسعود قال : "لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عاشره منا رجل" . وكان يقول : "نعم ترجمان القرآن ابن عباس " ، وروى هذه الزيادة ابن سعد من وجه آخر عن عبد الله ابن مسعود ، وروى أبو زرعة الدمشقى فى (تاريخه) عن ابن عمر قال :"هو أعلم الناس بما أنزل الله على محمد" ، وأخرج ابن أبي خيثمة نحوه بإسناد حسن ، وروى يعقوب أيضاً بإسناد صحيح عن أبي وائل قال : " قرأ ابن عباس سورة النور ، ثم جعل يفسرها ، فقال رجل : لو سمعتْ هذا الديلم لأسلمتْ " . ورواه أبو نعيم فى (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء) من وجه آخر بلفظ " سورة البقرة" وزاد أنه كان على الموسم، يعنى سنة خمس وثلاثين ، كان عثمان أرسله لما حضر . (فتح الباري) .

(٢) (المرجع السابق): ٢٢٤/١، كتاب العلم. باب (١٧) قول النبي ﷺ : "اللهم علمه الكتاب" . حديث رقم (٧٥). قوله : ضمنى رسول الله ﷺ " كان ابن عباس إذ ذاك غلاماً مميزاً ، فيستفاد منه جواز احتضان الصبي القريب على سبيل الشفقة .

(٣) (المرجع السابق) : ٣٠٥/١٣، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنه، حديث رقم (٧٢٧٠) .

ابن سلمة ، حدثنا عبد الله بن عثمان بن خيثمة عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كنت في بيت ميمونة بنت الحارث، فوضعت لرسول الله ﷺ طهوره، فقال : من وضع هذا ؟ قالت ميمونة: وضعه عبد الله بن عباس، فقال النبي ﷺ: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل .

وخرجه جعفر الفرياني ، فقال: حدثنا علي بن حكيم السمرقندي ، حدثنا هاشم بن مخلد الفرياني، عن شبل، عن سليمان الأحول، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. أنه سكب للنبي ﷺ وضوءاً، فقال: من وضع لي وضوئي هذا؟ فقالت أم هانيء: ابن أخي، فقال: اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل.

وقال ابن أبي خيثمة: وحدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا وهيب بن خالد عن خالد، عن عكرمة، عن ابن عباس قال : ضمني رسول الله ﷺ وقال : اللهم علمه الحكمة وفقه في الدين .

أخبرنا الشافعي ، حدثنا سفيان بن عيينة، عن الأعمش، عن إبراهيم قال : قال عبد الله : لو أن هذا الغلام من بني عبد المطلب أدرك ما أدركنا ما تعلقنا عنه بشيء .

حدثنا أبي ، حدثنا جعفر بن عون، حدثنا الأعمش عن مسلم بن صبيح، عن مسروق قال : قال ابن مسعود رضي الله تبارك وتعالى عنه : لو أن ابن عباس أدرك أسناننا ما عاشره منا أحد . قال : وكان يقول نعم ترجمان القرآن ابن عباس .

وخرج أبو نعيم[1] من حديث عبد الله بن بكير، حدثنا هاشم بن أبي صغيرة عن عمرو بن دينار، أن كريباً أخبره أن ابن عباس قال : صليت خلف رسول الله ﷺ من آخر الليل ، فجعلني حذاءه ، فلما انصرف قلت : وينبغي لأحد أن يصلي حذاءك وأنت رسول الله الذي أعطاك الله ؟ فدعا الله تعالى أن يزيدني فهماً وعلماً .

---

(١) (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء) : ٣١٥/١، ترجمة رقم (٤٥) .

ومن حديث حاتم بن العلاء، حدثنا عبد المؤمن بن خـالد حدثنـا أبـو نهيـك، عن ابن عباس قال : دعاني النبي ﷺ فأجلسني في حجره، وجعل يمسـح رأسي ، ودعا لي بالحكمة ، فلم تخطئني دعـوة رسـول الله ﷺ .

ومن حديث عبد العزيز بن يحيى ، حدثنا سليمان بن بلال، عن حسـين بـن عبد الله، عن عكرمة عن ابن عبـاس عـن النبـي ﷺ أنـه قـال : اللهـم أعـط ابـن عباس الحكمة وعلمه التأويل . وعنه أخذ أكثر التفسير، فسمى البحر والحبر[1] .

---

(١) (المرجع السابق): ٣١٦ ، وأخرجه البيهقي فى (دلائل النبوة) : ٦/١٩٢-١٩٣، باب ماجاء فى دعائه لعبد الله بن عباس رضى الله تبارك وتعالى عنهما بالفقه فى الدين والعلم بالتـأويل وإجابـة الله دعاءه فيه. وأخرجه الحاكم فى (المستدرك): ٣/٦١٥، كتاب معرفة الصحابة، ذكر عبـد اللـه ابن عباس رضي الله تبـارك وتعـالى عنهمـا ، حديث رقـم (٦٢٨٠)، وقـال الحـافظ الذهبي فـى (التلخيص) : صحيح .

وأما كثرة مال أنس بن مالك رضي الله تبارك وتعالى عنه[1] وولده وطول عمره بدعائه ﷺ له بذلك

فخرج البخاري[2] في كتاب الدعوات في باب الدعاء بكثرة المال مع البركة من حديث غندر ، وخرج مسلم[3] في المناقب ، والترمذي[4] من حديث

---

(١) هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي ابن النجار، الإمام ، المفتي ، المقرئ، المحدث، راوية الإسلام، أبو حمزة الأنصاري الخزرجي النجاري المدني ، خادم رسول الله ﷺ، وقرابته من النساء وتلميذه، وتبعه، آخر الصحابة موتاً. روى عن النبي ﷺ علماً جماً ، وعن أبي بكر ، وعمر ، وعثمان، ومعاذ، وأسيد بن الحضير، وأبي طلحة، وأم سليم بنت ملحان، وخالته أم حرام، وزوجها عبادة بن الصامت ، وأبي ذر، ومالك بن صعصعة، وأبي هريرة ، وفاطمة النبوية، وعدة. وعنه خلق عظيم ومنهم الحسن، وابن سيرين، والشعبي ، وخلق، وبقي أصحابه الثقات الى بعد الخمسين ومائة. وكان أنس يقول: قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنا ابن عشرة ومات وأنا ابن عشرين وكن أمهاتي يحثثنني على الملازمة، منذ هاجر وإلى أن مات ، وغزا معه غير مرة، وبايع تحت الشجرة، ولم يعده أصحاب المغازي في البدريين لكونه حضرها صبياً، ما قاتل، بل بقي في رحال الجيش، فهذا وجه الجمع. وقال أبو هريرة: ما رأيت أحداً أشبه بصلاة رسول الله ﷺ من ابن أم سليم - يعني أنساً . وقال أنس بن سيرين: كان أنس بن مالك أحسن الناس صلاة في الحضر والسفر . مسنده ألفان ومائتان وستة وثمانون. اتفق له البخاري ومسلم على مائة وثمانين حديثاً وانفرد البخاري بثمانين حديثاً ، ومسلم بتسعين . أما موته فاختلف فيه ، فروى معمر عن حميد أنه مات سنة إحدى ، وتسعين، وروى معين بن عيسى عن ابن لأنس بن مالك: سنة اثنين وتسعين، فيكون عمره على هذا مائة وثلاث سنين . (تهذيب سير أعلام النبلاء) :١/١٠٥، ترجمة رقم (٢٩٦).

(٢) باب (٤٧) ، حديث رقم (٦٣٧٨)، (٦٣٧٩)، (٦٣٨٠)، (٦٣٨١)، كلهم من حديث شعبة عن قتادة .

(٣) (مسلم بشرح النووي) : ١٦/٢٧٢-٢٧٣، كتاب فضائل الصحابة، باب (٣٢) من فضائل أنس ابن مالك رضي الله تبارك وتعالى عنه، حديث رقم (٢٤٨٠). وقال الإمام النووي : هذا من أعلام نبوته ﷺ في إجابة دعائه ﷺ ، وفيه فضائل لأنس ، وفيه دليل لمن يفضل الغنى =

محمد بن جعفر قالا جميعاً : حدثنا شعبه قال : سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك عن أم سليم رضي الله تبارك وتعالى عنها أنها قالت : يا رسول الله خادمك أنس ادع الله له، فقال : اللهم أكثر ماله، وولده، وبارك له فيما أعطيته . قال الترمذي : هذا حديث صحيح، وزاد البخاري متصلاً به :وعن هشام بن زيد قال : سمعت أنس بن مالك بمثله . وقال مسلم بعد حديثه : حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا أبو داود حدثنا شعبة عن قتادة قال : سمعت أنس بن مالك رضي الله تبارك وتعالى عنه يقول : فأتت أم سليم فقالت : يا رسول الله خادمك أنس . فذكر نحوه .

حدثنا محمد بن بشار، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة عن هشام بن زيد، قال: سمعت أنس بن مالك يقول بمثل ذلك .

وخرج البخاري في كتاب الدعوات في باب قول الله تعالى : ﴿ **وصل عليهم** ﴾من حديث سعيد بن الربيع قال : حدثنا شعبة ، عن قتادة قال : سمعت أنس بن مالك قال : قالت أم سليم : يا رسول الله خادمك فادع الله له، قال :اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته . ذكره في دعوة النبي ﷺ لخادمه بطول العمر وكثرة المال[1] .

وخرج مسلم من حديث هاشم بن القاسم قال : حدثنا سليمان عن ثابت عن أنس قال : دخل النبي ﷺ علينا وما هو إلا أنا وأمي وأم حرام ، وخالتي فقالت

= على الفقير ، ومن قال بتفضيل الفقير أجاب عن هذا بأن هذا قد دعا له النبي ﷺ بأن يبارك له فيه، ومتى بورك فيه لم يكن فيه فتنه ، ولم يحصل بسببه ضرر، ولا تقصير في حق، ولا غير ذلك من الآفات التي تتطرق إلى سائر الأغنياء بخلاف غيره. وفيه هذا الأدب البديع، وهو أنه إذا دعا بشئ له تعلق بالدنيا ينبغي أن يضم إلى دعائه طلب البركة فيه والصيانة ونحوهما . وكان أنس وولده رحمة وخيراً، ونفعاً بلاضرر بسبب دعاء رسول الله ﷺ .

(٤) (سنن الترمذي) : ٥/٦٤٠، كتاب المناقب، باب (٤٦) مناقب لأنس بن مالك رضي الله تبارك وتعالى عنه ، حديث رقم (٣٨٢٩).

(١) باب (٢٦)، حديث رقم (٦٣٤٤) .

أمى : يارسول الله ، خويدمك ادع الله له، قال : فدعا لى بكل خير ، وكان في آخر ما دعا لى أن قال: اللهم أكثر ماله ، وولده، وبارك له فيه[(١)] .

ومن حديث عمر بن يونس قال : حدثنا عكرمة، حدثنا إسحاق قال : حدثنى أنس قال : جاءت أمي أم سليم إلى رسول الله ﷺ قد أزرتنى بنصف خمارها وردتنى بنصفه ، فقالت : يا رسول الله، هذا أنس ابني أتيتك به يخدمك، فادع الله له ، فقال : اللهم أكثر ماله وولده ، قال أنس : فوالله إن مالي لكثير، وإن ولدى وولد ولدى ليتعادون على نحو المائة اليوم[(٢)] .

ولمسلم[(٣)] والترمذي[(٤)] من حديث جعفر بن سليمان، عن الجعد أبي عمر قال : حدثنا أنس بن مالك ، قال :مر رسول الله ﷺ فسمعت أم سليم صوته، فقالت: بأبي وأمى يارسول الله ! أنيس، قال : فدعا لى رسول الله ﷺ ثلاث دعوات قد رأيت منهن[(٥)] اثنتين في الدنيا، وأما الثالثة في الآخرة .

قال الترمذيّ : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وقد روى هذا الحديث من غير وجه، عن أنس، عن النبي ﷺ .

خرج البيهقيّ[(٦)] من حديث أبي حاتم الرزاى قال : حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاريّ قال : حدثنى حميد الطويل، عن أنس بن مالك قال: قالت أم سليم : يا رسول الله إن لى خويصة[(٧)] قال : وماهى ؟ قالت: خادمك أنس، قال : فما ترك

---

(١) باب (٣٢) ، حديث رقم (٢٤٨١) .

(٢) (المرجع السابق) : حديث رقم (١٤٣) .

(٣) (المرجع السابق) : حديث رقم (١٤٤) .

(٤) (سنن الترمذي) : ٥/٦٣٩-٦٤٠،كتاب المناقب ،باب (٤٦) مناقب لأنس بن مالك رضي الله تبارك وتعالى عنه،حديث رقم (٣٨٢٧).

(٥) وفى بعض الأصول:"فيها" .

(٦) (دلائل البيهقى): ٦/١٩٥، باب دعائه ﷺ لأنس بن مالك الأنصاري رضي الله تبارك وتعالى عنه بكثرة المال والولد، وإجابة الله تعالى له فيه.

(٧) خويصة بتشديد الصاد وبتخفيفها : تصغير خاصة .

خير آخرةٍ ولا دُنيا إلا دعا لى به ، ثم قال : اللهم ارزقه مالاً وولداً، وبارك له فيه، قال : فإنى من أكثر الأنصار مالاً .

قال أنس : وحدثتنى ابنتى أمينة أنه قد دفن من صلبي إلى مقدم الحجاج البصرة تسع وعشرون ومائة .

ومن طريق الترمذيّ قال : حدثنا محمود بن غيلان حدثنا أبو داود، عن أبي خلدة قال : قلت لأبي العالية سمع أنس من النبي ﷺ قال : خدمه عشر سنين ، ودعا له النبي ﷺ، وكان له بستان يحمل في السنة الفاكهة مرتين، وكان فيه ريحان كان يجئ منه ريح المسك[1] .

ومن حديث نوح بن قيس قال: حدثني ثمامة بن أنس، عن أنس بن مالك قال : قالت أم سليم : يارسول الله خادمك أنس ادع الله له ، قال : اللهم عمره وأكثر ماله .

وقال الإمام أحمد[2] : حدثنا معتمر عن حميد أن أنساً عمر مائة سنة إلا سنة ، ومات سنة إحدى وتسعين .

وخرج البخاري في (الأدب المفرد) من طريق عارم قال : حدثنا سعيد ابن زيد، عن سنان قال : حدثنا أنس قال :كان النبي ﷺ يدخل علينا أهل البيت، فدخل يوماً، فدعا لنا ، فقالت أم سليم خويدمك، ألا تدعو له؟ قال : اللهم أكثر ماله، وولده، وأطل حياته، واغفر له ، فدعا لى بثلاث ، فدفنت مائه وثلاثة، وإن ثمرتى لتطعم في السنة مرتين ، وطالت حياتي حتى استحييت من الناس ، وأرجو المغفرة .

وخرج البخاريّ فى(الصحيح)[3]من حديث خالد بن الحارث ، حدثنا حميد الطويل، عن أنس قال : دخل النبي ﷺ على أم سليم، فأتته بتمر وسمن، قال :

---

(١) (سنن الترمذيّ) : ٥/٦٤١، كتاب المناقب ، باب (٤٦) مناقب لأنس بن مالك رضي الله تبارك وتعالى عنه ، حديث رقم (٣٨٣٣)، ثم قال :هذا حديث حسن ، وأبو خلدة اسمه خالد بن دينار ، وهو ثقة عند أهل الحديث ، وقد أدرك أبو خلدة أنس بن مالك ، وروى عنه.

(٢) (مسند أحمد) : ٣/٥٤٧، حديث رقم (١١٦٤٢) ، ٤/٣٦، حديث رقم (١٢٥٤١)، ٤/١٣٨، حديث رقم (١٣١٨٢)، ثلاثتهم من مسند أنس بن مالك رضي الله تبارك وتعالى عنه. =

أعيدى سمنكم في سقائه، وتمركم في وعائه ، فإني صائم . ثم قام إلى ناحيـة مـن البيت فصلى غير المكتوبة، فدعا لأم سليم وأهل بيتها ، فقالت أم سليم : يارسول الله ! إن لي خويصة، قال : ما هي؟ قالت : خادمك أُنيس، فما ترك خـير آخـرةٍ، ولادنيا إلا دعا له به : اللهم ارزقه مالاً وولداً، وبـارك لـه فيـه، فإنى لمـن أكـثر الأنصار مالاً . حدثتني ابنتي أمينة أنه دفن لصلبى مقدم الحجاج البصـرة بضـع وعشرون ومائة . وترجم عليه : باب من زار قوماً، فلم يفطر عندهم .

- (٣) (فتح الباري): ٢٨٥/٤، كتاب الصوم، باب (٦١) من زار قوماً فلـم يفطـر عندهم، حديث رقـم (١٩٨٢)، وقال فى آخره: قال ابن أبي مريم : أخبرنا يحيى بن أيوب ، قـال: حدثنـى حميد سمع أنساً رضي الله تبارك وتعالى عنه عن النبي ﷺ . قال الحافظ: ابن أبي مريم هـو سـعيد، وفـائدة ذكر هذه الطريق بيان سماع حميد لهذا الحديث من أنس، لما اشتهرمن أن حميداً كان ربمـا دلـس عن أنس، ووقع فى رواية الكريمي والأصيلي فى هذا الموضـوع: "حدثنـا ابـن أبـي مريم"فيكـون موصولاً.

وفى هذا الحديث من الفوائد: جواز التصغير علىمعنى التلطـف لا التحقير، وتحفـه الزائـر بما حضر بغير تكليف، وجواز رد الهديه إذا لم يشق ذلك علـى المهدي، وأن أخذ مـن رد عليـه ذلك ليس من العود فى الهبة. وفيه حفظ الطعام وترك التفريط فيه ، وجـبر خـاطر المـزور إذالـم يؤكل عنده بالدعاء له ، ومشروعية الدعاء عقـب الصـلاة ، وتقديـم الصـلاة أمـام طلـب الحاجـة، والدعاء بخيرى الدنيا والآخرة ، والدعاء بكثرة المال والولد ، وأن ذلك لاينافى الخير الأخروي ، وأن فضل التقلل من الدنيا يختلف باختلاف الأشخاص . وفيه زيارة الإمام بعض رعيتـه،ودخـول بيت الرجل فى غيبته، لأنه لم يقل فى طرق هذه القصة أن أباطلحة كان حاضراً. وفيه إيثار الولد على النفس، وحسن التلطف فى السؤال، وأن كثرة الموت فى الأولاد لاينافي إجابة الدعاء بطلـب كثرتهم، ولاطلب البركة فيهم ، لما يحصل من المصيبة بموتهم، والصبر على ذلـك مـن الثـواب. وفيه التحدث بنعم الله تعالى ، وبمعجزات النبي ﷺ لما فى إجابة دعوته من الأمـر النـادر، وهـو اجتماع كثرة المال مع كثرة الولد ، وكون بستان المدعـو لـه صـار يثمر مرتين فـى السنة دون غيره. وفيه التاريخ بالأمر الشهير، ولايتوقـف ذلـك علـى صـلاح المـؤرخ بـه، وفيـه جـواز ذكـر البضع فيما زاد على عقد العشر، خلافاً لمن قصره على ماقبل العشرين . (فتح الباري) .

وأما إجابة دعائه ﷺ لرجل وامرأة

فخرج أبو نعيم[1] من حديث عطاء بن مسلم قال : حدثنا جعفر بن برقان عن عطاء بن أبي رباح ، عن الفضل بن عباس رضي الله تبارك وتعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : شدوا رأسي لعلى أخرج إلى المسجد، فشددت رأسه بعصابة صفراء، ثم خرج إلى المسجد يهادي بين رجلين ، فذكر كلاماً ثم قال : من غلبته نفسه إلى أمر يخفيه اليه، فليقم، وليسألنى حتى أدعو الله له.

فقامت امراة، فأومأت بأصبعها إلى لسانها، فقال: انطلقي إلى بيت عائشة حتى آتيك. فقال رجل آخر: يا رسول الله إني لبخيل وإني لجبان، وإنى لنؤوم، فادع الله أن يسخى نفسى ، وأن يشجع جبنى، وأن يذهب بكثرة نومى . قال الفضل : فلقد رأيته بعد ذلك أراه في الغزو معنا، ومامنا رجل أسخى نفساً، ولا أشد بأساً، ولا أقل نوماً منه .

ووضع ﷺ قضيباً على رأس المرأه، ثم دعا لها، فقالت عائشه رضي الله تبارك وتعالى عنها : فإن كنت لأعرف دعوة رسول الله ﷺ حتى إن كانت لتقول: يا عائشة أحسنى صلاتك ! .

(١) (دلائل أبي نعيم) : ٤٥١، دعاؤه ﷺ بشفاء الأمراض النفسية والعضوية، حديث رقم (٣٧٦).

وإما إجابة دعائه ﷺ لحمل أم سليم[1]

فخرج البخاري[2] ومسلم[3] من حديث يزيد بن هارون، أخبرنا عبد الله ابن عون، عن أنس بن سيرين ، عن أنس بن مالك قال : كان ابن لأبي طلحة يشتكى، فخرج أبو طلحة ، فقبض الصبي ، فلما رجع أبوه طلحه قال : ما فعل ابني ؟ قالت أم سليم: هو أسكن ماكان. وقال مسلم : مما كان ، فقربت إليه العشاء، فتعشى ثم أصاب منها، فلما فرغ قالت : واروا الصبي ، فلما أصبح أبو طلحة أتى رسول الله ﷺ، فأخبره ، فقال:أعرستم الليلة ؟ فقال : نعم .. قال : اللهم بارك لهما ، فولدت غلاماً، فقال لي أبو طلحة : احفظه . وقال مسلم : احمله حتى آتي به النبي ﷺ، فأتى به النبي ﷺ وأرسلت معه بتمرات، فأخذه النبي ﷺ فقال: أمعه شئ ؟ قالوا : تمرات، فأخذها النبي ﷺ فمضغها، ثم أخذ من

---

(١) هى أم سليم الغميصاء – ويقال : الرميصاء – ويقال : سهلة، ويقال : أنيفة. ويقال : رميثة بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الأنصارية الخزرجية، أم خادم النبي ﷺ أنس بن مالك. فمات زوجها مالك بن النضر، ثم تزوجها أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري ، فولدت له : أبا عمير ، وعبد الله، شهدت حنيناً وأحداً فهى من أفاضل النساء . عن أنس : أن أم سليم اتخذت خنجراً يوم حنين، فقال أبو طلحة :يا رسول الله! هذه أم سليم معها خنجر، فقالت: يا رسول الله ، إن دنا منى مشرك بقرت بطنه. عن أنس قال: خطب أبو طلحة أم سليم ، فقالت : إنى قد آمنت : فإن تابعتنى تزوجتك، قال : فأنا على مثل ما أنت عليه، فتزوجته أم سليم ، وكان صداقها الإسلام . روت أربعة عشر حديثاً، اتفقا لها على حديث، وانفرد البخارى بحديث، ومسلم بحديثين . (تهذيب سير أعلام النبلاء) : ٦٤/١، ترجمة رقم (١٥٧).

(٢) (فتح الباري): ٧٣٣/٩، كتاب العقيقة، باب (١) تسمية المولود غداة يولد لمن لم يعق عنه، وتحنيكه ، حديث رقم (٥٤٧٠) .

(٣) (مسلم بشرح النووي) : ٣٧١/١٤، كتاب الأدب، باب (٥) استحباب تحنيك المولود عند ولادته وحمله إلى صالح يحنكه، وجواز تسميته يوم ولادته، واستحباب التسمية بعبد الله ، وإبراهيم، وسائر أسماء الأنبياء ، عليهم السلام ، حديث رقم (٢٣) .

فيه فجعله في فى الصبى وحنكه به ، وسماه عبد الله . ذكره البخاريّ في أول كتاب العقيقة .

وخرج مسلم[1] من حديث سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس قال : مات ابن [أبي] طلحة من أم سليم، فقالت لأهلها : لاتحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه، قال: فجاء فقربت له عشاءه، ثم تصنعت له أحسن ماكانت تصنع قبل ذلك فوقع عليها ، فلما رأت أنه قد شبع، وأصاب منها قالت : يا أبا طلحة أرأيت إن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم؟ قال : لا، قالت : فاحتسب ابنك قال : فغضب، وقال : تركتنى حتى تلطخت، ثم أخبرتنى ؟ يا بنى فانطلق حتى آتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان ، فكان رسول الله ﷺ : بارك الله لكما في غابر ليلتكما ، قال: فحملت، قال : فكان رسول الله ﷺ في سفر وهى معه ، وكان رسول الله ﷺ إذا أتى المدينة من سفر لا يطرقها طروقا فدنوا من المدينه، فضربها المخاض فاحتبس عليها أبو طلحة، وانطلق إلى رسول الله ﷺ .

قال يقول أبو طلحة : إنك لتعلم يا رب أنه يعجبنى أن أخرج مع رسولك إذا خرج، وأدخل معه إذا دخل ، وقد احتبست بما ترى قال : تقول أم سليم : يا أبا طلحة ما أجد الذى كنت أجد، انطلق فانطلقنا، قال : وضربها المخاض حين قدما فولدت غلاماً، فقالت لى أمي : يا أنس لا يرضعه أحد حتى تغدو به على رسول الله ﷺ، فلما أصبح احتملته فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ .

قال: فصادفته ومعه ميسم ، فلما رآنى قال : لعل أم سليم ولدت، قلت : نعم، قال : فوضع الميسم ، قال : وجئت به فوضعته في حجره، ودعا رسول الله ﷺ بعجوة من عجوة المدينة فلاكها في فيه حتى ذابت، ثم قذفها في فى الصبي ، فجعل الصبي يتلمظها، قال : فقال النبي ﷺ: انظروا إلى حب

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ١٦/٢٤٤ - ٢٤٦ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب (٢٠) من فضائل أبي طلحة الأنصاري رضي الله تبارك وتعالى عنه ، حديث رقم (٢١٤٤) .

الأنصار التمر، قال : فمسح وجهه وسماه عبد الله . تفرد به مسلم من هذا الطريق وهذه الألفاظ(١).

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر بن ثابت ، عن أنس بن مالك قال : كان لأم سليم من أبي طلحة ابن ، فمرض مرضه الذى مات فيه، فلما مات غطته أمه بثوب ، فدخل أبو طلحة فقال : كيف أمسى ابني؟ قالت : أمسى هادئاً ، فتعشى ، ثم قالت له في بعض الليل : أريت لو أن رجلاً أعارك عارية، ثم أخذها منك إذاً جزعت ؟ قال : لا .

قالت : فإن الله أعارك ابنك ، وقد أخذه منك ، قال : فغدا إلى النبي ﷺ فأخبره بقولها ، وقد كان أصابها تلك الليلة، فقال النبي ﷺ : بارك الله لكما في ليلتكما . قال : فولدت له غلاماً كان اسمه عبد الله ، قال : فذكروا أنه كان من خير أهل زمانه(٢) .

وخرج البيهقيّ من حديث مسدد قال : حدثنا أبو الأحوص ، حدثنا سعيد بن مسروق عن عباية بن رافع ، قال : كانت أم أنس بن مالك تحب أبي طلحة،

---

(١) قال الإمام النووي: وفى هذا الحديث فوائد : منها : تحنيك المولود عند ولادته، وهو سنة بالإجماع ، ومنها أن يحنكه صالح من رجل أو امرأة، ومنها التبرك بآثار الصالحين وريقهم ، وكل شئ منهم، ومنها كون التحنيك بتمر وهو مستحب ولوحنك بغيره حصل التحنيك، ولكن التمر أفضل، ومنها جواز لبس العباءة ، ومنها التواضع ، وتعاطى الكبير أشغاله، وأنه لا ينقص ذلك مروءته، ومنها استحباب التسمية بعبد الله، ومنها استحباب تفويض تسميته إلى صالح فيختار له اسماً يرتضيه ، ومنها جواز تسميته يوم ولادته . والله تعالى أعلم .

(٢) وفى هذا الحديث مناقب لأم سليم رضي الله تبارك وتعالى عنها من عظيم صبرها ، و حسن رضاها بقضاء الله تعالى ، وجزالة عقلها فى إخفائها موته على أبيه فى أول الليل ليبيت مستريحاً بلا حزن، ثم عشتة وتعشت ثم تصنعت له ، وعرضت له بإصابته فأصابها . وفيه استعمال المعاريض عند الحاجة لقولها : هو أسكن ما كان ، فإنه كلام صحيح، مع أن المفهوم منه أنه قد هان مرضه وسهل وهو فى الحياة، وشرط المعاريض المباحة أن لا يضيع بها حق أحد . والله تعالى أعلم .

فولدت له غلاماً فمات ، فخرج أبو طلحة إلى حاجته ، فلما كان من الليل جاء أبو طلحة فأتته امرأته بجفنته[1] التي كانت تأتيه بها، ثم طلب منها ما يطلب الرجل من امرأته ، ثم قال : ما فعل ابني ؟ .

فقالت : يا أبا طلحة ما رأيت كما فعل جيراننا هؤلاء؟ أنهم استعاروا عارية فجاء أصحابها يطلبونها، فأبوا أن يردوها عليهم . قال : بئس ما صنعوا قالت : فأنت هو، كان ابنك عارية من الله عز وجل، وانه قد مات، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال له النبي ﷺ : اللهم بارك لهما في ليلتهما، فتلقت فولدت غلاماً ، فقال: عباية لقد رأيت لذلك الغلام سبعة بنين كلهم قد قرأ القرآن. قال البيهقيّ [2] : ورواه إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس بن مالك موصولاً[3] .

---

(١) كذا في (الأصل)، وفي (دلائل البيهقي) : " بتحفته" . وأخرجه البخاري أيضاً في كتاب الجنائز، باب (٤١) من لم يظهر حزنه عند المصيبة، وقال محمد بن كعب القرظي : الجزع القول السيئ والظن السيئ. وقال يعقوب عليه السلام : ﴿إنما أشكو بثي وحزني إلى الله ﴾ حديث رقم (١٣٠١) قال الحافظ في (الفتح): وفي قصة أم سليم هذه من الفوائد أيضاً جواز الأخذ بالشدة وترك الرخصة مع القدرة عليها، والتسلية عند المصائب، وتزين المرأة لزوجها، وتعرضها لطلب الجماع منه، واجتهادها في عمل مصالحه، ومشروعية المعاريض الموهمة إذا دعت الضرورة إليها، وشرط جوازها أن لاتبطل حقاً لمسلم . وكان الحامل لأم سليم على ذلك المبالغة في الصبر والتسليم لأمر الله تعالى ، ورجاء إخلافه عليها ما فات منها، إذ لو أعلمت أبا طلحة بالأمر في أول الحال تكند عليه وقته ، ولم تبلغ الغرض الذي أرادته، فلما علم الله صدق نيتها بلغها مناها ، وأصلح لها ذريتها. وفيها إجابة دعوة النبي ﷺ ، وأن من ترك شيئاً عوضه الله خيراً منه، وبيان حال أم سليم من التجلد وجودة الرأي وقوة العزم. وقد كانت أم سليم تشهد القتال، وتقوم بخدمة المجاهدين إلى غير ذلك مما انفردت به عن معظم النسوة .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٦/١٩٨ - ٢٠٠، باب ما جاء في دعائه ﷺ بالبركة لحمل أم سليم من أبي طلحة .

(٣) هو الذي كناه النبي ﷺ بأبي عمير، فكان ﷺ يمازحه بقوله : أبا عمير! ما فعل النغير ؟ وسبق شرح ذلك الحديث مستوفي .

آخر قصة تحنكه ذاك الصبي ، ثم مسح ناصيته ، وسماه عبد الله ، فكانت تلك المسحة غرة في وجهه[1] .

وأما زوال الشك من قلب أبيّ بن كعب[١] في الحال بضرب النبي ﷺ في صدره ودعائه له

فخرج مسلم[٢] من حديث ابن نمير قال : حدثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن جده عن أبي بن كعب

---

(١) هو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك النجار، وسيد القراء، وأبو منذر ، الأنصاري ، النجاري ، المدنى ، المقرئ، البدري ، ويكنى أيضاً أبا الطفيل . شهد العقبة، وبدراً، وجمع القرآن فى حياة النبي ﷺ ، وعرض على النبى ﷺ وحفظ عنه علماً مباركاً، وكان رأساً فى العلم والعمل، رضى الله تبارك وتعالى عنه . قال أنس : قال النبي ﷺ لأبي بن كعب : "إن الله أمرني أن أقرأ، وفى لفظ: " أمرنى أن أقرئك القرآن" قال : الله سمانى لك؟ قال : "نعم"، قال: وذكرت عند رب العالمين؟ قال:"نعم"، فذرفت عيناه. قال أنس بن مالك : جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الأنصار : أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد أحد عمومتي. وروى أبو قلابة عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ: " أقرأ أمتى أبى " . قال الواقدى : وفاة أبى بن كعب فى خلافة عمر، ورأيت أهله وغيرهم يقولون. مات فى سنة اثنتين وعشرين بالمدينة. ولأبى فى الكتب الستة نيف وستون حديثاً له عند بقى بن مخلد مائة وأربعة وستون حديثاً، منها فى البخارى ومسلم ثلاثة أحاديث، وانفرد البخاري بثلاثة ، ومسلم بسبعة. (تهذيب سير أعلام النبلاء) :١/٤٠-٤١، ترجمة رقم (٨٨).

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ٣٤٩/٦، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب (٤٨) بيان أن القرآن على سبعة أحرف التخفيف ، والتسهيل ، ولهذا قال النبى ﷺ هون على أمتى . واختلف العلماء فى المراد بالسبعة أحرف ، قال القاضي عياض : هو توسعة وتسهيل لم يقصد به الحصر، قال : وقال الأكثرون : هو حصر للعدد سبعة، ثم قيل : هى سبعة فى المعانى : كالوعيد، والمحكم ، والمتشابه، والحلال، والحرام، والقصص، والأمثال، والأمر، والنهي ، ثم اختلف هؤلاء فى تعيين السبعة، وقال آخرون: هى فى أداء، التلاوة وكيفية النطق بكلماتها: من إدغام واظهار ، وتفخيم وترقيق ، وإمالة ، ومد، لأن العرب مختلفة اللغات فى هذه الوجوه ، فيسر الله تعالى عليهم ليقرأ كل إنسان بما يوافق لغته ، ويسهل على لسانه . وقال آخرون : هى الألفاظ والحروف ، وإليه أشار ابن شهاب بما رواه مسلم عنه فى الكتاب، ثم اختلف هؤلاء فقيل : سبع قراءات وأوجه ،=

قال: كنت في المسجد، فدخل رجل يصلى فقرأ قراءة أنكرتها عليه ،ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه ، فلما قضينا الصلاة دخلنا على رسول الله ﷺ، فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه، فأمرهما رسول الله ﷺ فقرأ فحسن النبي ﷺ شأنهما، فسقط في نفسي من

= وقال أبو عبيد : سبع لغات العرب ، يمنها ومعدها ، وهى أفصح اللغات وأعلاها، وقيل : بل السبعة كلها لمضر وحدها، وهى متفرقة فى القرآن غير مجتمعة فى كلمة واحدة، وقيل : بل هى مجتمعة فى بعض الكلمات ، كقوله تعالى : **﴿عبد الطاغوت﴾** ، **﴿ نرتع ونلعب ﴾** ، **﴿وباعد بين أسفارنا﴾** و**﴿ بعذاب بئيس ﴾** ، وغير ذلك . وقال القاضي أبو بكر الباقلاني : الصحيح أن هذه الأحرف السبعة ظهرت واستفاضت عن رسول اللهﷺ، وضبطها، وإنما حذفوا منها مالم يثبت متواتراً. وأن هذه الأحرف تختلف معانيها تارة، وألفاظها أخرى ، وليست متضاربة، ولا متنافية ، وذكر الطحاوى أن القراءة بالأحرف السبعة كانت فى أول الأمر خاصة للضرورة، ولاختلاف لغة العرب ، ومشقة أخذ جميع الطوائف بلغة، فلما كثر الناس والكتاب، وارتفعت الضرورة، كانت قراءة واحدة . قال الداودي : وهذه القراءات السبع التى يقرأ الناس اليوم بها، ليس كل حرف منها هو أحد تلك السبعة، بل تكون متفرقة فيها، وقال أبو عبيد الله بن أبي صفرة: هذه القراءات السبع إنما شرعت من حرف واحد من السبعة المذكورة فى الحديث، وهو الذى جمع عليه عثمان رضي الله تبارك وتعالى عنه المصحف، وهذا ذكره النحاس وغيره. وقال غيره : ولا تكن القراءة بالسبع المذكورة فى ختمة واحدة، ولا يدرى أى هذه القراءات كان آخر العرض على النبي ﷺ، وكلها مستفيضة عن النبى ﷺ ضبطتها عنه الأمة، وأضافت كل حرف منها إلى من أضيف إليه من الصحابى ، أى أنه كان أكثر قراءة به ، كما أضيفت كل قراءة منها إلى من اختار القراءة بها من القراء السبعة وغيرهم. قال المازردى : وأما قول من قال: المراد سبعة معان مختلفة: كالاحكام والأمثال والقصص فخطأ، لأنه ﷺ أشار إلى جواز القراءة بكل واحد من الحروف وإبدال حرف بحرف، وقد تقرر إجماع المسلمين أنه يحرم إبدال آية أمثال بآية أحكام. وقال : وقول من قال المراد خواتيم الآية، فيجعل مكان **﴿غفور رحيم﴾** **﴿سميع بصير﴾** فاسد أيضاً للإجماع على منع تغيير القرآن للناس . وهذا مختصرها ، ونقلة القاضى عياض فى المسألة . والله تعالى أعلم .

التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية [١]، فلما رأى رسول الله ﷺ ما قد غشيني ضرب في صدري[٢] ، ففضت عرقاً ، وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فرقاً . فقال : يا أبي إني أرسل إليّ أن أقرأ القرآن على حرف، فرددت إليه أن هون

---

(١) قال الإمام النووي : معناه وسوس لي الشيطان تكذيباً للنبوة أشد مما كنت عليه في الجاهلية. ولأنه في الجاهلية كان غافلاً أو متشككاً، فوسوس له الشيطان الجزم بالتكذيب .قال القاضي عياض : معنى قوله : سقط في نفسي : أنه اعترته حيرة ودهشة. قال: وقوله:" ولا إذا كنت في الجاهلية " معناه أن الشيطان نزع في نفسه تكذيباً لم يعتقده، وقال: وهذه الخواطر إذا لم يستمر عليها لا يؤاخذ بها، قال القاضي عياض: قال المازري : معنى هذا أنه وقع في نفس أبي بن كعب نزعة شيطان غير مستقرة، ثم زالت في الحال، حين ضرب النبي ﷺ بيده في صدره، ففاض عرقاً .

(٢) قال القاضي عياض: ضربه ﷺ في صدره تثبيتاً له حين رآه قد غشيه ذلك الخاطر المذموم. قال: ويقال : فضت عرقاً، وفصت عرقاً بالضاد المعجمة، والصاد المهملة. وقال : وروايتنا هذه بالمعجمة قال الإمام النووي : وكذا هو في معظم أصول بلادنا، وفي بعضها بالمهملة. قوله: " أرسل إلي أن اقرأ على حرف فرددت إليه أن هون على أمتي ، فرد إلي الثالثة اقرأه على سبعة أحرف " هكذا وقعت هذه الرواية الأولى في معظم الأصول، ووقع في بعضها زيادة، قال: أرسل إليّ أن أقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هون على أمتي فرد إليّ الثانية، اقرأه على حرف، فرددت إليه أن هون على أمتي ، فرد إلى الثالثة، اقرأه على سبعة أحرف. ووقع في الطريق الذى بعد هذا من رواية ابن أبي شيبة أن قال : اقرأه على حرف، وفي المرة الثانية على حرفين، وفي الثالثة على ثلاثة، وفي الرابعة على سبعة. هذا مما يشكل معناه، والجمع بين الروايتين ، وأقرب ما يقال فيه: أن قوله في الرواية الأولى فرد إلى الثالثة المراد بالثالثة الأخيرة وهي الرابعة، فسماها ثالثه مجازاً، وحملنا على هذا التأويل، تصريحه في الرواية الثانية أن الأحرف السبعة إنما كانت في المرة الرابعة وهي الأخيرة، ويكون قد حذف في الرواية الأولى أيضاً بعض المرات. قوله : " ولك بكل ردة رددتها " وفي بعض النسخ : رددتكها" هذا يدل على أنه سقط في الرواية الأولى ذكر بعض الردات الثلاث ، وقد جاءت مبينة في الرواية الثانية. وقوله تعالى : " ولك بكل ردة رددتكهامسألة تسألينها ، " معناه مسألة مجابة قطعاً، وأما باقي الدعوات فمرجوة، ليست قطعية الإجابة ..

على أمتي ، فرددت إلى الثانية أن اقرأه على حرفين، فرددت اليه أن هـون علـى أمتى ، فرد إليّ الثالثة أن اقرأه على سبعة أحرف، فلك بكل ردة رددتكها مسـألة. فقلت : اللهم اغفر لأمتـي ، وأخـرت الثالثـة ليوم يرغـب إلـيّ الخلـق كلهـم حتـى إبرهيم عليه السلام .

ومن حديث أبي بكر بن أبي شيبة[1] قـال : حدثنـا محمـد بـن بشـر، قـال : حدثنى إسماعيل بن أبي خالد قال: حدثنى عبد الله بن عيسى ، عن عبد الرحمـن ابن أبي ليلى قال : أخبرنى أبي بن كعب أنه كان جالساً في المسجد إذ دخل رجل يصلى فقرأ قراءة . واقتصّ الحديث بمثل حديث ابن نمير.

وقد خرج هذا الحديث[2]مسلم أيضاً، وخرجه أبو دواد والنسائي و قاسم بـن أصبغ، والترمذي[3] بزيادات وبقصة، وقد ذكرتها كلها ، وما في معناها ، والكلام عليها في كتاب (نهاية الجمع لأخبار القراءات السبع)[4] .

---

(١) (المرجع السابق): الحديث الذى يلى الحديـث رقـم (٨٢٠) بـدون رقـم . وأخرجـه البيهقـى فـى (دلائل النبوة) : ٦ /١٨٨، باب ما جاء فى دعاء النبي ﷺ لأبـي بـن كعـب رضـي اللـه تبـارك وتعالى عنه حين شك فى القراءة ، وإجابة الله تعالى له فيما دعاه فى الحال .

(٢) (المرجع السابق) : حديث رقم (٨٢١) .

(٣) (سنن الترمذى): ٥/٦٢٤، كتاب المناقب، باب (٣٣) مناقب معـاذ بـن جبـل، وزيـد بـن ثـابت، وأبى عبيدة بن الجراح رضى الله تبارك وتعالى عنهم ، حديث رقم،(٣٧٩٢). وقال أبو عيسـى : هذا حديث حسن صحيح، وقد روى عن أبى بن كعب قال : قال لى النبي ﷺ ، فذكر نحوه .

(٤) و أحد مؤلفات المقريزى رحمه الله، وله نظير باسم (نهاية الجمع فى القراءات السبع) نظماً بغير رمز للشيخ زين الدين سريجاً بن محمد الملطى ، المتوفى سنه (٧٨٨) هـ .(كشـف الظنـون) : ٢٠ / ٧٨٠.

وأما استجابة دعاء سعد بن أبي وقاص(١)
بدعاء الرسول ﷺ له أن تستجاب دعوته

فخرج الترمذي(٢) من حديث جعفر بن عون، عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم، عن سعد ، أن رسول الله ﷺ قال : اللهم استجب لسعد

---

(١) هو سعد بن أبي وقاص، واسم أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ، الأمير أبو إسحاق القرشي ، الزهري المكى ، أحد العشرة ، وأحد السابقين الأولين ، وأحد من شهد بدراً والحديبية، وأحد السته أهل الشوري. روى جملة صالحة من الحديث ، وله فى (الصحيحين) خمسة عشر حديثاً، وانفرد له البخاري بخمسة أحاديث، ومسلم بثمانية عشر حديثاً . عن سعيد بن المسيب، سمعت سعداً يقول : ما أسلم أحد فى اليوم الذى أسلمت فيه، ولقد مكثت سبع ليال وإنى ثلث الاسلام . عن قيس قال سعد بن مالك: ما جمع رسول الله ﷺ أبويه لأحد قبلي. وإنى لأول المسلمين رمى المشركين بسهم . ولقد رأيتنى مع رسول الله ﷺ سابع سبعة مالنا طعام إلا ورق السمر، وحتى إن أحدنا ليضع كما تضع الشاة، ثم أصبحت بنو أسد تعزرنى على الإسلام، لقد خبت إذن وضل سعيى . قال ابن المسيب : كان جيد الرمى ، سمعته يقول : جمع لى رسول الله ﷺ أبويه يوم أحد. عن أبي عثمان أن سعداً قال : نزلت هذه الآية فى ﴿ **وإن جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعمها** ﴾[العنكبوت:٨] ، قال : كنت براً بأمى ، فلما أسلمت قالت : ياسعد! ما هذا الدين الذى قد أحدثت؟ لتدعن دينك هذا أولا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعيّر بي ، فيقال : يا قاتل أمه ، قلت : لاتفعلى يا أمه ، وإنى لا أدع دينى لهذا الشئ، فمكثت يوماً وليلة لا تأكل ولا تشرب وليلة، وأصبحت وقد جهدت، فلما رأيت ذلك، قلت : يا أمه ! تعلمين والله لو كان لك مئة نفس، فخرجت نفساً نفساً، ما تركت ديني، وإن شئت فكلى أو لا تأكلى ، فلما رأت ذلك أكلت . ومن مناقبه رضي الله تبارك وتعالى عنه أن فتح العراق كان على يديه، وكان هو مقدم الجيوش يوم وقعة القادسية ، ونصر الله دينه، ونزل سعد بالمدائن، ثم كان أمير الناس يوم جلولاء ، فكان النصر على يده ، واستأصل الله تعالى الأكاسرة . كان رضي الله تبارك وتعالى عنه آخر المهاجرين وفاة، قال المدائني : توفى سنة خمس وخمسين رضي الله تبارك وتعالى عنه . (تهذيب سير أعلام النبلاء) : ١ /١٥-١٦ ، ترجمة رقم (٥).

إذا دعا. قال أبو عيسى : وقد روى هذا الحديث عن إسماعيل، عن قيس أن النبي ﷺ قال : اللهم استجب لسعد إذا دعاك، وهذا أصح .

وخرج الحاكم[1] من حديث ابن عون ، عن إسماعيل ، عن قيس قال سمعت سعداً يقول . فذكره ، ثم قال : هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه .

وذكر البيهقي[2] حديث ابن عون، عن إسماعيل ، عن قيس، ثم قال : هذا مرسل حسن .

وخرج البخاري[3] من حديث أبي عوانه قال : حدثنا عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سمرة ، شكا أهل الكوفة سعداً إلى عمر رضي الله تبارك وتعالى

=(٢) (سنن الترمذي) : ٥ /٦٠٧، كتاب المناقب ، باب (٢٧) مناقب سعد بن أبي وقاص رضي الله تبارك وتعالى عنه . حديث رقم (٣٧٥١) .

(١) (المستدرك) : ٣ / ٥٧٠، كتاب معرفة الصحابة ، ذكر مناقب أبى إسحاق سعد بن أبي وقاص رضي الله تبارك وتعالى عنه , حديث رقم (٦١١٨)، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الحافظ الذهبي فى (التلخيص) : صحيح .

(٢) (دلائل البيهقي) : ١٨٩/٦، باب ماجاء في دعاء رسول الله ﷺ لسعد بن أبي وقاص رضي الله تبارك وتعالى عنه باستجابة الدعاء، وما ظهر من إجابة الله تعالى دعاء رسوله ﷺ فيه.

(٣) (فتح الباري) ٢ / ٣٠٠ - ٣٠١ ، كتاب الأذان ، باب (٥٩) ، وجوب القراءة للإمام والمأموم فى الصلوات كلها فى الحضر والسفر، وما يجهر فيها وما يخافت ، حديث رقم (٧٥٥). وفى هذا الحديث من الفوائد : عزل الإمام بعض عماله إذا شكى إليه وإن لم يثبت عليه شئ إذا اقتضت ذلك المصلحة ، قال مالك : قد عزل عمر سعداً ، وهو أعدل من يأتي بعده إلى يوم القيامة ، والذى يظهر أن عمر عزله حسماً لمادة الفتنة ، ففى رواية سيف : " قال عمر : لولا الاحتياط وأن لا يتقى من أمير مثل سعد لما عزلته ". وقيل : عزله إيثاراً لقربه منه لكونه من أهل الشورى ، وقيل :لأن مذهب عمر أنه لا يستمر بالعامل أكثر من أربع سنين . وقال المازرى: اختلفوا هل يعزل القاضى بشكوى الواحد أو الاثنين أو لا يعزل حتى يجمع الأكثر على الشكوى منه ؟ وفيه استفسار العامل عما قيل فيه ، والسؤال عمن شكى فى موضع عمله، والاقتصار فى المسألة على من يظن به الفضل . وفيه أن السؤال عن عدالة الشاهد ونحوه يكون ممن يجاوره، وأن تعريض العدل للكشف عن حاله لا ينافى قبول شهادته فى الحال . وفيه خطاب الرجل =

عنه فعزله عنه واستعمل عليهم عماراً، فشكوه حتى أنهم ذكروا أنه لا يحسن يصلى ، فأرسل اليه.

فقال : يا أبا إسحاق إنهم يزعمون أنك لاتُحْسِنُ تصلى ، فقال : أما أنا فإنى كنت أصلى بهم صلاة رسول الله ﷺ ما أخرم عنها ، أصلى صلاة العشى ، فأركد في الأولين وأخف في الأخريين . قال : ذاك الظن بك يا أبا إسحاق، وأرسل معه رجلاً أو رجالاً إلى الكوفة فسأل عنه أهل الكوفة، فلم يدع مسجداً إلا سأل عنه، ويثنون معروفاً ، حتى دخل مسجداً لبنى عبس ، فقام رجلٌ منهم يقال له أسامه بن قتادة يكنى أبا سعدة ،فقال : أما إذ نشدتنا ، فإن سعداً كان لا يسير بالسرية ، ولا يعدل في القضية، قال سعد : أما والله لأدعون بثلاث : اللهم إن كان عبدك هذا كاذبا قام سمعة ورياء فأطل عمره، وأطل فقره، وعرضه بالفتن ، وكان بعد إذا سئل يقول شيخ كبير مفتون : أصابتنى دعوة سعد. قال عبد الملك : فأنا رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وإنه ليتعرض للجواري في الطرق يغمزهن .

= الجليل بكنيته ، والاعتذار لمن سمع فى حقة كلام يسوؤه . وفية الفرق بين الافتراء الذى يقصد به السب ، والافتراء الذى قصد به دفع الضرر ، فيعزر قائل الأول دون الثانى ، ويحتمل أن يكون سعد لم يطلب حقه منهم أو عفا عنهم ، واكتفى بالدعاء على الذى كشف قناعه فى الافتراء عليه دون غيره، فإنه صار كالمنفرد بأذيته . وقد جاء فى الخبر : "من دعا على ظالمه فقد انتصر " فلعله أراد الشفقة عليه بأن عجل له العقوبة فى الدنيا ، فانتصر لنفسه، وراعى حال من ظلمه ، لما كان فيه من وفور الديانة ، ويقال : إنما دعا عليه لكونه انتهك حرمة من صحب صاحب الشريعة، وكأنه قد انتصر لصاحب الشريعة . وفيه جواز الدعاء على الظالم المعين بما يستلزم النقص فى دينه، وليس هو من طلب وقوع المعصية، ولكن من حيث أنه يؤدى إلى نكاية الظالم وعقوبته ومن هذا القبيل مشروعية طلب الشهادة، وإن كانت تستلزم ظهور الكافر على المسلم . ومن الأول قول موسى عليه السلام: ﴿ **ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم** ﴾. وفيه سلوك الورع فى الدعاء، واستدل به على أن الأولين من الرباعية متساويتان فى الطول . (فتح الباري) .

ذكره البخاريّ في باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلاة كلها في الحضرو والسفر، وما يجهر به، وما يخافت ، وذكره مختصراً في باب القراءة في الظهر[1].

وخرج الحاكم[2] من حديث سعيد بن عامر قال : حدثنا شعبة عن أبي بلح، عن مصعب بن سعد أن رجلاً نال من علي رضي الله تبارك وتعالى عنه. فدعا عليه سعد بن مالك ، فجاءته ناقة أو جمل، فقتله ، فأعتق سعد نسمة وحلف أن لايدعو على أحد .

وخرجه من حديث سفيان عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم قال : كنت بالمدينه [فبينا أنا][3] أطوف في السوق، وبلغت أحجار الزيت[4]، فرأيت قوماً مجتمعين على فارس قد ركب دابة وهو يشتم علي بن أبي طالب والناس وقوف حواليه إذ أقبل سعد بن أبي وقاص رضي الله تبارك

---

(١) (المرجع السابق) : باب (٩٦) القراءة فى الظهر، حديث رقم (٧٥٩) ولفظه : " كان النبي ﷺ يقرأ فى الركعتين الأوليين من صلاة الظهر بفاتحة الكتاب وسورتين ، ويطول فى الأولى ويقصر فى الثانية ، ويسمع الآية أحياناً، وكان يقرأ فى العصر بفاتحة الكتاب وسورتين، وكان يطول فى الركعة الأولى من صلاة الصبح ويقصر فى الثانية " . وفيه حجة على من زعم أن الإسرار شرط لصحة الصلاة السرية، وقوله : " أحياناً " يدل على تكرر ذلك منه . وقال ابن دقيق العيد: فيه دليل على جواز الاكتفاء بظاهر الحال فى الإخبار دون التوقف على اليقين، لأن الطريق إلى العلم بقراءة السورة فى السرية لا يكون إلا بسماع كلها، وإنما يفيد يقين ذلك لو كان فى الجهرية، وكأنه مأخوذ من سماع بعضها مع قيام القرينة على قراءة باقيها . ويحتمل أن يكون الرسول ﷺ كان يخبرهم عقب الصلاة دائماً أو غالباً بقراءة السورتين. وهو بعيد جداً . والله تبارك وتعالى أعلم . (فتح الباري).

(٢) (المستدرك): ٣ / ٥٧١، كتاب معرفة الصحابة ، وذكر مناقب أبي إسحاق سعد بن أبي وقاص رضي الله تبارك وتعالى عنه ، حديث رقم (٦١٢٠)، وقد سكت عنه الحافظ الذهبي فى (التلخيص).

(٣) زيادة للسياق من (المرجع السابق).

(٤) اسم موضع .

وتعالى عنه، فوقف عليهم فقال : ما هذا؟ فقالوا رجل يشتم علي بن أبي طالب فتقدم سعد فأفرجوا حتى وقف عليه . فقال : ياهذا على ما تشتم ؟ علي بن أبي طالب ؟ ألم يكن أول من أسلم ؟ ألم يكن أول من صلى مع رسول الله ﷺ ؟ ألم يكن أزهد الناس ؟ ألم لكن أعلم الناس ؟ وذكر حتى قال : ألم يكن ختن رسول الله ﷺ على ابنته ؟ ألم يكن صاحب راية رسول الله ﷺ في غزواته ؟ ثم استقبل القبله ورفع يديه، وقال: اللهم إن هذا يشتم ولياً من أوليائك فلا تفرق هذا الجمع حتى تريهم قدرتك. قال قيس: فوالله ما تفرقنا حتى ساخت به دابته، فرمته على هامته في تلك الأحجار ، فانفلق دماغه ومات. قال الحاكم : هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين [ولم يخرجاه](1) .

وخرج أيضاً من حديث إبراهيم بن يحيى الشجري(2)، عن أبيه قال : حدثني موسى بن عقبة، حدثني إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم،

---

(1) (المستدرك) : ٣/٥٧٣-٥٧٤، كتاب معرفة الصحابة، مناقب أبي إسحاق سعد بن أبي وقاص رضي الله تبارك وتعالى عنه، حديث رقم (٦١٢١)، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : على شرط البخاري ومسلم ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (المستدرك).

(2) هو يحيى بن محمد عباد بن هانى المدني الشجري ، روى عن مالك ، وابن إسحاق، وعبد الرحمن بن أبي الزناد ، ومحمد بن عبد الله بن مسلم بن أخي الزهري ، وموسى بن عقبة، وموسى ابن يعقوب الزمعي ، وعبد الله بن محمد بن عجلان، وهشام بن سعد، وغيرهم. وعنه ابنه إبراهيم، وعبد الجبار بن سعيد المساحقي ، ومحمد بن المنذر بن سعيد بن أبي جهم القانوسي، قال أبو حاتم: ضعيف، وذكره ابن حبان في الثقات. قال الحافظ ابن حجر: وقال الساجي : في حديثه مناكير وأغاليط وكان فيما بلغني ضريراً يلقن . (تهذيب التهذيب) : ١١/٢٣٩ - ٢٤٠، ترجمة رقم (٤٤٦). وابنه إبراهيم بن يحى بن محمد بن عباد بن هانى الشجري ، روى عن أبيه، وعنه البخاري في غير (الصحيح)، وأبو إسماعيل الترمذي ، والذهلي، وابن الضريس، وغيرهم. قال أبو حاتم ضعيف ، وذكره ابن الأزدي : منكر الحديث عن أبيه، وقال أبو إسماعيل الترمذي : لم أر أعمى قلباً منه ، قلت له : حدثكم إبراهيم بن سعد ، فقال : حدثكم إبراهيم بن سعد! (تهذيب التهذيب) ١/١٥٤، ترجمة رقم (٣٢٣).

عن سعد بن أبي وقاص قال : قال لى رسول الله ﷺ : اللهم سدد رميته وأجب دعوته[1].

قال الحاكم : هذا حديث تفرد به إبراهيم بن يحيى بن هانى الشجرى، كان ينزل الشجرة[2] بذى الحليفة ، روى عن أبيه إبراهيم بن سعد، ويروي عنه محمد ابن إبراهيم الترمذي وإسحاق بن إبراهيم شاذان ،والبخاريّ في غير (الصحيح) ومحمد بن أيوب وجماعة، وذكره ابن حبان في (الثقات) وضعفه أبو حاتم . وقد خرج له الترمذي، وقال : الواقع في غزوه بدر .

وقال سعد بن أبي وقاص : لما كنا بتربان[3] قال لى رسول الله ﷺ : ياسعد انظر إلى الظبي ، فأفوق له سهم ، وقام رسول الله ﷺ فوضع ذقنه على بين منكبى وأذنى ، ثم [قال] ارم، اللهم سدد رميته، قال : فما أخطأ سهمى عن نحره، قال فتبسم النبي ﷺ، فخرجت أعدو فأجده وبه رمق فذكيته ، فحملناه حتى نزلنا قريباً، فأمر رسول الله ﷺ فقسم بين أصحابه[4] .هكذا ذكره بغير سند[5] .

---

(١) (المرجع السابق) : حديث رقم (٦١٢٢). وقال الحافظ الذهبي فى (التلخيص) : تفرد به الشجري وهو ثقة .

(٢) هى الشجرة التى ولدت عندها أسماء بنت محمد بن أبي بكر رضي الله تبارك وتعالى عنها، بذى الحليفة، وكانت سمرة، وكان النبى ﷺ ينزلها من المدينة و يحرم منها، وهى على سته أميال من المدينة، وإليها ينسب إبراهيم بن يحيى بن محمد بن عباد بن هانى الشجرى المدنى ، من مدينة رسول الله ﷺ، روى عن أبيه والمدنيين، روى عنه محمد بن يحيى الذهلى ، وأبو إسماعيل الترمذى، وهو ضعيف . (معجم البلدان): ٣ /٣٦٩، موضع رقم (٧٠١٢). وفى (الأصل): "تفرد به إبراهيم بن يحيى»، وفى (المستدرك) : " تفرد به يحى بن هانى " .

(٣) تربان: بالضم ثم سكون، قال أبو زيد الكلابي : هو واد بين ذات الجيش وملل والسيالة، على المحجة نفسها، وفيه مياه كثيرة، مرية، نزلها رسول الله ﷺ فى غزوة بدر وبها منزل عروة بن أذينة الشاعر الكلابي . (معجم البلدان): ٢/٢٣-٢٤، موضع رقم (٢٤٧٢).

(٤) (مغازى الواقدي): ١/٢٦-٢٧، فى ذكر أحداث غزوة بدر.

(٥) قال الواقدي بعد أن ساق هذا الخبر : حدثنى بذلك محمد بن بجاد ، عن أبيه ، عن سعد. (المرجع السابق).

وخرج الحاكم من حديث هاشم بن هاشم الزهري ، عن سعيد بن المسيب قال : كنت جالساً مع سعد فجاء رجل يقال له : الحارث بن برصاء[1] وهو في السوق، فقال له: يا أبا إسحاق، إني كنت آنفاً عند مروان فسمعته وهو يقول : إن هذا المال مالنا نعطيه من نشاء قال : فرفع سعد يديه وقال: أفأدعو؟ ، فوثب مروان وهو على سريره فاعتنقه، وقال: أنشدك الله يا أبا الحسن أن تدعو، فإنما هو مال الله .

وفى رواية عن سعيد بن المسيب، عن سعد قال : جاءه الحارث بن البرصاء وهو في السوق، فقال له : يا أبا إسحاق إني سمعت مروان يزعم أن مال الله ماله ، من شاء أعطاه ومن شاء منعه، فقال له : أنت سمعته يقول ذلك؟ قال: نعم، قال سعيد : فأخذ بيدى سعد، ويد حارث حتى دخل على مروان، فقال: يامروان أنت تزعم أن مال الله مالك ؟ من شئت أعطيته، ومن شئت منعته ؟ قال: نعم ، قال : فأدعو؟ ورفع سعد يديه، فوثب مروان إليه وقال : أنشدك الله أن تدعو ، هو مال الله من شاء أعطاه، ومن شاء منعه.[2] وخرج البيهقي[3] من حديث ابن عون قال : أنبأني محمد بن محمد بن الأسود ، عن عامر بن سعد قال: بينما سعد يمشي إذا مر برجل وهويشتم علياً وطلحه والزبير رضي الله تبارك وتعالى عنهم ، فقال له سعد : إنك لتسب قوماً قد سبق لهم من الله ما سبق، والله لتكفن عن سبهم أو لأدعون الله عليك .فقال : يخوفني كأنه نبي ،

---

(١) (المستدرك) : ٥٧٢/٣، كتاب معرفة الصحابة ، ذكر مناقب أبي إسحاق سعد بن أبي وقاص رضي الله تبارك وتعالى عنه ، حديث رقم (٦١٢٣)، وساقه الحافظ الذهبي في (التلخيص) ، وقال : رواه مكى بن إبراهيم عن هاشم، وزاد : قال ابن المسيب : فأخذ سعد بيدى الحارث حتى دخل على مروان فقال: أنت تزعم أن مال الله مالك ؟ قال : نعم . قال : فأدعو . ورفع سعد يديه، فوثب إليه مروان . الحديث.

(٢) (المرجع السابق): حديث رقم (٦١٢٤).

(٣) (دلائل البيهقي): ١٩٠/٦، باب ما جاء في دعاء رسول الله ﷺ لسعد بن أبي وقاص رضي الله تبارك وتعالى عنه باستجابة الدعاء، وما ظهر من إجابة الله تعالى دعاء رسوله فيه .

قال: فقال سعد : اللهم إن كان يسب قوماً قد سبق لهم ما قد سبق فاجعله اليوم نكالاً .

قال : فجاءت بختيه، فأفرج الناس فتخبطته ، قال : فرأيت الناس يتبعون سعداً، ويقولون : استجاب الله لك أبا إسحاق .

وله من حديث أسد بن موسى[1] قال : حدثنا حاتم بن إسماعيل قال : حدثني يحيى بن عبد الرحمن بن أبي لبيبة، عن جده قال : دعا سعد بن أبي وقاص، فقال : يارب إن لي بنين صغاراً فأخّر عني الموت حتى يبلغوا، فأخرَ عنه الموت عشرين سنة ! .

(١) (المرجع السابق) : ١٩١.

وأما وفاء الله تعالى دَيْنَ أبي بكر الصديق[١] رضي الله تبارك وتعالى عنه بدعاء النبي ﷺ

فخرج البيهقي[٢] من حديث إسماعيل بن أبي أويس قال : حدثنى سليمان ابن بلال، عن يونس بن يونس بن مزيد الأيلى ، عن الحكم بن عبد الله بن عبد الأعلى عن القاسم بن محمد بن أبي بكر ، عن عائشه رضي الله تبارك وتعالى عنها أن أباها دخل عليها ، فقال : هل سمعت من رسول الله ﷺ دعاء كان يعلمناه، وذكر أن عيسى عليه السلام كان يعلمه أصحابه ؟ يقول : لو كان على أحدكم جبل دين ذهباً قضاه الله عنه، ثم يقول : اللهم فارج الهم كاشف الغم مجيب دعوة المضطرين رحمن الدينا والآخره ورحيمهما ، أنت ترحمنى ، فارحمنى برحمة تغنينى بها عن رحمه من سواك .

قال أبو بكرٍ رضي الله تبارك وتعالى عنه : كانت علىَّ دنانير من دين، وكنت للدين كارهاً، فلم ألبث إلا يسيراً حتى جاءنى الله بعائدة ، فقضى الله ما كان عليّ من الدين .

قالت : عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها : وكان لأسماء على دينار وثلاثة دراهم، فكنت أستحيى منها كلما نظرت إليها، فكنت أدعو بذلك الدعاء، فما لبثت إلا يسيراً حتى جاءنى الله برزق من غير ميراث ولا صدقة فقضيتها. وحليت ابنة عبد الرحمن بن أبي بكر بثلاث أواقى ، وفضل لنا فضل حسن[٣] .

---

(١) هو عبد الله بن أبي قحافة خليفة رسول الله ﷺ وصاحبه فى الغار . سبقت له ترجمة وافية ، وهو غنى عن التعريف .

(٢) (سنن البيهقي) : ٦/١٧١-١٧٢، باب ما جاء فى الدعاء الذى علمه أبا بكر فى الدين فدعا به، فقضى الله عنه دينه .

(٣) ثم قال البيهقي : " لفظ حديث الصغاني".

قال البيهقيّ : تفرد به الحكم الأيلى[١] . قال ابـن معين : ليس بثقـة ولا مأمون، ومرة قال : ليس بشئ ، لا يكتب حديثه. ومرة قال : ضعيف وقال وهـب ابن زمعة ، عن عبد الله بن المبارك : أنه ترك حديثه . وقال البخاريّ : تركـوه، كان ابن المبارك يوهنه، ونهى أحمد عن حديثه ، وقال السعدي : الحكم بـن عبد الله جاهل كذاب ، وأمر الحكم أوضح من ذلك، وقال النسائي : متروك الحديث ، وقال ابن عدي : وما أمليت للحكم عن القاسم بن محمد والزهـرى ، كلهـا ممـا لا يتابعه الثقات عليها وضعفه بيِّن على حديثه .

---

(١) هو الحكم بن عبد الله بن سعد بن عبد الله الأيلى ، يكنى أبا عبد اللـه، كـان ابـن المبـارك شـديد الحمل عليه، وقال أحمد : أحاديثه كلها موضوعة، وقال ابن معين : ليس بثقة، وقال السعدي وأبو حاتم: كذاب، وقـال النسائي والدارقطني : متروك الحديث . (الكامل فـى ضعفـاء الرجـال): ٢٠٢/٢، ترجمة رقم (٣٩/٢٠) ثم قال: وحدث عن الحكم هذا يونس بن يزيد الأيلى ، حدثناه عن على بن أحمد بن بسطام ، حدثنا يعقوب بن كاسب ، حدثنا أنس بـن عيـاض ، حدثنـا يونـس بـن يزيد، حدثنا الحكم بن عبد الله، عن القاسم ، عن عائشة رضي اللـه تبـارك وتعـالى عنهـا قـالت: دخل على أبو بكر ... وساق الحديث ، ثم قال : حدثنا ابن أبي عصمة، حدثنا أحمد بن إسماعيل، حدثنا حجاج بن منهال، حدثنا عبد الله بن عمر النميرى ، عن يونس بن يزيـد، حدثنـا الحكم بـن عبد الله، عن القاسم، عن عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها قالت : دخل على أبـو بكـر .... فذكر نحوه .

وأما ظهور البركة في ربح عروة البارقى[1] بدعاء الرسول ﷺ له بالبركه في بيعه

فخرج البخاري[2] من حديث سفيان قال : حدثنا شبيب بن غرقدة قال : سمعت الحى يتحدثون أن النبي ﷺ أعطاه ديناراً يشترى له به شاه، فاشترى له به شاتين، فباع إحديهما بدينار، فجاءه بدينار وشاة ، فدعا له بالبركة في بيعه، وكان لو اشترى التراب لربح فيه .

قال سفيان : كان بن عمارة جاءنا بهذا الحديث عنه ، قال : سمعه شبيب من عروة فأتيته فقال شبيب : إنى لم أسمعه من عروة، ولكن قال : سمعت الحى

---

(١) هو عروة بن عياض بن أبى الجعد البارقي وبارق فى الأزد يقال : إن البارق جبل نزله بعض الأزديين ، فنسبوا إليه . استعمل عمر بن الخطاب عروة البارقي هذا على قضاء الكوفة ، وضم إلية سلمان بن ربيعة، وذلك قبل أن يستقضى شريحاً . يعد عروة البارقي فى الكوفيين ، روى عنه قيس بن أبى حازم ، والشعبي ، وأبو إسحاق ، والعيزار بن حريث . وشبيب بن غرقدة البارقي . قال علي بن المديني : من قال فيه عروة بن الجعد فقد أخطأ ، وإنما هو عروة بن أبي الجعد . قال : وكان غندر محمد بن جعفر يهم فيه ، فيقول : عروة بن الجعد .

أخبرنا عبد الوارث بن سفيان ، قال : وحدثنا سفيان ، حدثنا مجالد ، عن الشعبي ، عن عروة بن عياض بن أبى الجعد البارقي ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والمغنم .

وأخبرنا سفيان ، عن شبيب بن غرقدة ، سمعه عروة البارقي ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : الخير معقود بنواصى الخيل . وأخبرنا سفيان عن شبيب بن عروة بن غرقدة ، قال : رأيت فى دار عروة بن أبى الجعد سبعين فرساً رغبة فى رباط الخيل . وهو الذى أرسله النبي ﷺ ليشترى الشاة بدينار ، فاشترى به شاتين والحديث مشهور فى البخارى وغيره ، وكان فيمن حضر فتوح الشام ونزلها ، ثم سيره عثمان إلى الكوفة ، وحديثه عند أهلها . (الإصابة):٤/٤٨٩،٤٨٨، ترجمة رقم (٥٥٢٢) ، (الاستيعاب) : ٣/١٠٦٥- ١٠٦٦، ترجمة رقم (١٨٠٢) .

(٢) (فتح الباري): ٦/٧٨٤، كتاب المناقب ، باب (٢٨) بدون ترجمة، حديث رقم (٣٦٤٢).

يخبرونـه عنـه ، ولكـن سـمعته يقـول : سـمعت النبـي ﷺ يقـول : الخيـر معقـود بنواصي الخيل إلى يـوم القيامـة ، قـال : وقـد رأيـت فـي داره سـبعين فرسـاً.قـال سفيان : ليشترى له شاة كأنها أضحية[1] . ذكره في المناقب .

وخرجه الترمذي[2] مـن حديث هـارون الأعـور بـن موسـى القـاري قـال: حدثنا الزبير بن الخريت، عن أبي لبيد، عن عروة البارقى قال : رفع إلى رسـول الله ﷺ ديناراً لأشترى به شاه فاشتريت لهشـاتين،فبعت إحديهما بدينار ، وجئـت بدينار وشاة إلى النبي ﷺ فذكر له ماكـان مـن أمـره ، فقـال: بـارك اللـه لـك فـي صفقه يمينك، فكان يخرج بعد ذلك الى كناسة الكوفه، فيربح الربح العظيم، فكـان أكثر أهل الكوفة مالاً.[3] قال أبو لبيد : اسمة لمازة [بن زياد] .

---

(١) (المرجع السابق): حديث رقم (٣٦٤٣) .

(٢) (سنن الترمذي): ٥٥٩/٣، كتاب البيوع ، باب (٣٤) بدون ترجمة ، حديث رقم (١٢٥٨) .

(٣) ثم قال الترمذي : حدثنا أحمد بن سعيد الدرامي ، حدثنا حبان ، حدثنا سعيد بـن زيـد [هـو أخـو حماد بن زيد] قال : حدثنا الزبير بن خريت فذكر نحوه عن أبـي لبيـد . قـال أبـو عيسـى : وقـد ذهب بعض أهل العلم إلى هذا الحديث وقالوا به ، وهو قول أحمد وإسحاق. ولم يأخذ بعض أهـل العلم بهذا الحديث ، منهم الشافعي ، وسعيد بن زيد ، أخو حماد بن زيد . وأخرجـه أبـو دواد فـى (السنن) : ٦٧٧/٣- ٦٧٨، كتاب البيوع والإجارات ، باب (٢٨) فى المضـارب يخـالف، حديـث رقم (٣٣٨٤) . وقال الخطابي فى (معالم السنن) : هذا الحديث ممـا يحتـج بـه أصحـاب الـرأى لأنهم يجيزون بيع مال زيد من عمرو بغير إذن منه أو توكيل ، ويتوقف البيع على إجازة المالك، فإذا أجازه صح إلا انهم لم يجيزوا الشراء بغير إذنه ، وأجاز مالك بن أنس الشراء والبيـع معـاً . وكان الشافعي لا يجيز شيئاً من ذلك، لأنه غرر، لابدرى هل يجيزه أم لا ؟ وكذلـك يجـيز النكـاح الموقوف على رضا المنكوحة، أو إجازة الولى ، غـير أن الخـبرين معـاً غـير متصليـن، لأن فـى أحدهما - وهو خبر حكيم بن حزام - رجلاً مجهولاً ، لا يدري من هـو ؟ وفـى خـبر عـروة أن الحى حدثوه ، وما كان هذا سبيلة من الرواية لم تقم به الحجة .

وقد ذهب بعض من لم يجز البيع الموقوف مـن تـأويل هذا الحديـث إلـى أن وكالتـة كـانت وكالة تفويض وإطلاق ، وإذا كنت الوكالـة مطلقـة فقد حصـل البيـع والشـراء عـن إذن . وقـال الخطابى : وهذا لا يستقيم ، لأن فى خبر حكيم أنه تصدق بدينار ، فـلو كـانت الوكـالة مـطلقة =

وخرجه أبو نعيم[1] من حديث الحسن بن عمارة عن الحكم بن عتيبة عن شبيب عن غرقدة، عن عروة ، عن أبي الجعد البارقى قال : أعطاني رسول الله ﷺ ديناراً وأمرنى أن أشترى له أضحية فاشتريت ، ثم عرض لى رجل فسامنى بها فبعتها منه بدينارين ، فأخذت الدينار، فاشتريت به أضحية، فأتيت بها رسول الله ﷺ وبالدينار، فقبلها مني، ودعا لى أن يبارك في صفقتى فما اشتريت شيئاً إلا ربحت فيه.

ومن حديث يحيى بن عبد الحميد الحماني قال : حدثنا أبو الأحوص، عن شبيب، عن غرقدة، عن عروة البارقى أن النبي ﷺ بعث رجلاً يشترى له أضحيه بدينار، فاشترى له شاتين بدينار ، فباع إحديهما بدينار، ثم أتى النبي ﷺ بشاة ودينار، فدعا له بالبركة، وكان لو اشترى تراباً لربح فيه .

ومن حديث سعد بن زيد قال : حدثنا الزبير بن الخريت ، عن أبي لبيد،عن عروة البارقي أن النبي ﷺ لقى جلباً فأعطاه ديناراً، فقال : اشترلنا به شاة،

- طابت له الزيارة . وقد جعل غير واحد من أهل العلم هذا أصلاً فى أن من وصل إليه مال من شبهة وهو لا يعرف له مستحقاً ، فإنه يتصدق به . واختلف الفقهاء فى المضارب إذا خالف رب المال، فروى عن ابن عمر أنه قال : " الربح لرب المال" . وعن أبي قلابه ونافع : " أنه ضامن والربح لرب المال ". وبه قال أحمد وإسحاق ، وكذلك الحكم عند أحمد فى من استودع مالاً فاتجر فيه بغير إذن صاحبه أن الربح لرب المال . وقال أصحاب الرأى : الربح للمضارب ، ويتصدق به ، والوضعية عليه ، وهو ضامن لرأس المال فى الوجهين معاً . وقال الأوزاعي : إن خالف وربح فالربح له فى القضاء، ويتصدق به فى الورع والفتيا، ولا يصلح لواحد منهما . وقال الشافعي : إذا خالف المضارب نُظر ، فإن اشترى السلعة التى لم يؤمر بها بغير المال فالبيع باطل وإن اشتراها بغير العين فالسلعة ملك للمشترى ، وهو ضامن للمال . (معالم السنن).

(١) (دلائل أبى نعيم): ٣٨٨، دعاؤه ﷺ لعروة البارقي ، حديث رقم (٣٨٨) من حديث سعيد بن زيد . وأخرجه البيهقي في (دلائل النبوة) : ٦/٢٢٠، باب ما جاء فى دعائه (ﷺ لعروة البارقي فى البركة فى بيعه وظهورها بعده فى ذلك ، وكذلك فى تجارة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله تبارك وتعالى عنه .

فانطلق فاشترى شاتين بدينار، فلقيه رجل فباعه شاة بدينار، ثم أتى النبي ﷺ بدينار وشاة .

فقال له النبي ﷺ : بارك الله لك في صفقة يمينك، قال : فإن كنت لأقوم في الكناسة[1] ، فما أرجع إلى أهلى حتى أربح أربعين ألفا.

ورواه عفان ، عن سعيد بن زيد ، قال : فلقد رأيتنى أقف بكناسة الكوفة ، فأربح أربعين ديناراً قبل أن أرجع إلى أهلي[2] .

قال مؤلفه رحمه الله تعالى : عروة بن عياض بن أبي الجعد البارقى ، وبارق في الأزد يعدّ في الكوفيين ولاه عمر رضي الله تبارك وتعالى عنه قضاء الكوفة قبل شريح .

ومن قال فيه عروه بن الجعد، فقد أخطأ إنما هو عروة بن أبي الجعد ، خرج له الجماعة[3] .

---

(١) الكناسة : سوق بالكوفة .

(٢) هذا هو الحديث الذى فى (دلائل أبي نعيم) والباقي من (الأصل) .

(٣) راجع ترجمته فى أول الفصل .

وأما ربح عبد الله بن جعفر[1] في التجارة بدعاء الرسول ﷺ

فخرج البيهقي[2] من حديث أبي نعيم الفضل بن دكين قال : حدثنا فطر بن خليفة ، عن أبيه زعم أنه سمع عمرو بن حريث قال : انطلق بي أبي إلى رسول

---

(١) هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم، السيد العالم، أبو جعفر القرشي الهاشمي ، الحبشي المولد ، المدني الدار، الجواد بن الجواد ذي الجناحين . له صحبة ورواية ، عداده في صغار الصحابة استشهد أبوه رضي الله تبارك وتعالى عنه يوم مؤتة فكفله النبي ﷺ، ونشأ في حجره ، وهو آخر من رأى النبي ﷺ وصحبه من بني هاشم ، وروي أيضا عن عمه علي وعن أمه أسماء بنت عميس ، حدث عنه أولاده : إسماعيل ، وإسحاق، ومعاوية ، وأبو جعفر الباقر ، والشعبي وعروة، وآخرون . وله وفادة على معاوية ، وكان كبير الشأن كريماً ، جواداً، يصلح للخلافة .

عن الحسن بن سعد ، عن عبد الله بن جعفر، أن النبي ﷺ أتاهم بعد ما أخبرهم بقتل جعفر بعد ثالثه فقال : "لا تبكوا أخي بعد اليوم" ، ثم قال " ائتوني ببني أخي" ، فجئ بنا كأننا أفرخ ، فقال : "ادعو لي الحلاق " فأمره فحلق رءوسنا، ثم قال: أما محمد: فشبه عمنا أبي طالب ، وأما عبد الله : فشبة خلقي وخلقي"، ثم أخذ بيدي ، فأشالها ، ثم قال :" اللهم اخلف جعفراً في أهله ، وبارك لعبد الله في صفقته". قال : فجاءت أمنا، فذكرت يتمنا، فقال : " العيلة تخافين عليهم وأنا وليهم في الدنيا والآخرة ؟ رواه أحمد في (المسند) . قال أبو عبيدة : كان على قريش وأسد وكنانة يوم صفين عبد الله بن جعفر . ولعبد الله بن جعفر أخبار في الجود والبذل ، وكان وافر الحشمة ، كثير التنعم، وممن يستمع الغناء. وقال الواقدي ومصعب الزبيري : مات في سنة ثمانين ، وقال المدائني : توفي سنة أربع أو خمس وثمانين ، وقال أبو عبيد : سنة أربع وثمانين، ويقال : سنة تسعين . (تهذيب سير أعلام النبلاء): ١١٣/١، ترجمة رقم (٣٢٧) .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٢٢٠/٦ - ٢٢١، باب ما جاء في دعائه ﷺ لعروة البارقي في البركة في بيعه، وظهورها بعده في ذلك ، وكذلك في تجارة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. وقد ذكره الهيثمي في (المجمع) وقال : رواه أبو يعلي والطبراني ورجالهما ثقات .

الله ﷺ وأنا غلام شاب، فمرّ النبي ﷺ على عبد الله بن جعفر، وهو يبيع شيئاً يلعب به ، فدعا له النبي ﷺ ، قال : اللهم بارك له في تجارته .

وخرجه الواقدي في (مغازيه) من حديث محمد بن مسلمة عن يحيى بن موسى قال : سمعت عبد الله بن جعفر يقول : أنا أحفظ حين دخل رسول الله ﷺ على أمي فنعى لها أبي[1] . وذكر الحديث بطوله، ثم قال : فأتى رسول الله ﷺ وأنا أساوم بشاة أخ لي[2]، فقال: اللهم بارك له في صفقته . قال عبد الله : فما بعت شيئاً ، ولا اشتريت شيئاً إلا بورك فيه[3] .

(١) في (الأصل) : " مسلمة " و " موسى" ، وما أثبتناه من (مغازى الواقدي) .

(٢) وتمامة : فأنظر إليه وهو يمسح على رأس أخي ، وعيناه تهراقان الدموع حتى تقطر لحيتة، ثم قال : اللهم إن جعفراً قد تقدم إلى أحسن الثواب، فاخلفه في ذريته بأحسن ما خلفت أحداً من عبادك في ذريته ، ثم قال : يا أسماء، ألا أبشرك ؟ قالت :بلى ، بأبي أنت وأمي ! قال : فإن الله عز وجل جعل لجعفر جناحين يطير بهما في الجنة ! قالت بأبي وأمي يارسول الله ، فأعلم الناس ذلك ! فقام رسول الله وأخذ بيدي ، يمسح بيده رأسي حتى رقى على المنبر، وأجلسني أمامه على الدرجة السفلي ، والحزن يعرف عليه ، فتكلم فقال: إن المرء كثير بأخيه وابن عمه، ألا وإن جعفراً قد استشهد ، وقد جعل الله له جناحين يطير بهما في الجنة ، ثم نزل رسول الله ﷺ فدخل بيته وأدخلني ، وأمر بطعام فصنع لأهلي ، وأرسل إلى أخي فتغدينا عنده والله غداء طيباً مباركاً عمدت سلمى خادمته إلى شعير فطحنته ، ثم نسفته ، ثم أنضجته وأدمته بزيت ، وجعلت عليه فلفلاً. فتغديت انا وأخي معه ، فأقمنا ثلاثه أيام في بيته ، ندور معه كما صار في إحدى بيون نسائه ، ثم رجعنا إلى بيتنا ، فأتى رسول ﷺ وأنا أساوم بشاة أخ لي فقال : اللهم بارك له في صفقته . قال عبد الله : فما بعت شيئاً ولا اشتريت إلا بورك فيه . (مغازي الواقدي): ٢/٧٦٦ - ٧٦٧، غزوة مؤته .

(٣) راجع التعليق السابق .

وأما كثرة ربح عبد الله بن هشام[1]
بدعاء رسول الله ﷺ له بالبركة

فخرج البخاريّ في كتاب الشركة[2] من حديث عبد الله بن وهب قال : أخبرنى سعيد عن زهرة بن معبد، عن جده عبد الله بن هشام ، وكان قد أدرك

---

(١) هو عبد الله بن هشام بن زهرة بن عثمان بن عمرو بن كعب بن أسد بن تيم بن مرة القرشي التيمي . له ولأبيه صحبة. روى عنه حفيده أبو عقيل زهرة بن معبد، قال البغوي : سكن المدينة. وقال ابن منده كان مولده سنة أربع . وذكر الذهبي فى (التجريد) أن البخاري أخرج حديثه فى الأضحية ، ولم أره فيه : وإنما أخرج حديثه البخارى فى كتاب الشركة من رواية أبى عقيل عن جده عبد الله بن هشام ، وكان قد أدرك النبي ﷺ وذهبت به أمه زينب بنت حميد إلى رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسول الله، بايعه ، فقال : هو صغير، فمسح رأسه ودعا له . هذا أخرجه الإسماعيلي بتمامه ، فزاد : فكان يضحي بالشاة الواحدة عن جميع أهله، فهذا مراد الذهبي بقوله: فى الأضحية ، ولم يرد أن البخاري أخرجه فى كتاب الأضحية . وأخرجه فى الأحكام وفى الدعوات عن أبى عقيل أيضاً أنه كان يخرج مع جده عبد الله بن هشام إلى السوق، فيشترى الطعام ، فيلقاه ابن عمر وابن الزبير، فيقولان له : أشركنا فإن النبي ﷺ قد دعا لك بالبركة .

وأخرجه فى مناقب عمر فى الاستئذان وفى البدور ، عن أبي عقيل ، عن جده، قال : كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب .... فذكر قصته .

وأخرج أبو دواد الحديث الأول، وهذا جميع ماله فى الكتب الستة ، وذكر البلاذرى أنه عاش إلى خلافة معاوية .

وأخرج له أبو القاسم والبغوى من طريق أصبغ ، عن ابن وهب بسند الحديث الذى أخرج له البخاري فى الشركة حديثاً آخر رواه عن الصحابة ، ولفظه : كان أصحاب رسول الله ﷺ يتعلمون الدعاء كما يتعلمون القرآن إذا دخل الشهر أو السنة : اللهم أدخله علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام ، وجواز من الشيطان ، ورضوان من الرحمن . وهذا موقوف على شرط الصحيح . (الإصابة) :٤/٢٥٥ -٢٥٦، ترجمة رقم (٥٠١٠)، ٥/٢١٦، ترجمة رقم (٦٦٥٦).

(٢) (فتح الباري) : ٥/١٧٠، كتاب الشركة، باب (١٣) الشركة فى الطعام وغيره، حديث رقم (٢٥٠١)، (٢٥٠٢) .

النبي ﷺ وذهبت به أمه زينب بنت حميد[1] إلى رسول الله ﷺ، فقالت : يارسول الله بايعه ، فقال :هو صغير، فمسح رأسه ودعاه له . وعن زهرة بن معبد أنه كان يخرج به جده عبد الله بن هشام إلى السوق ، فيشترى الطعام فيلقاه ابن عمر وابن الزبير فيقولان له : أشركنا[2] ، فإن النبي ﷺ دعا لك بالبركة ، فيشركهم، فربما أصاب الراحلة كما هى فيبعث بها إلى المنزل . ترجم عليه باب الشركة في الطعام ، وغيره . وذكره أيضاً في كتاب الدعاء[3] من طريق ابن وهب حدثنا

---

(١) وهى معدودة فى الصحابة ، وأبوه هشام مات قبل الفتح كافراً ، وقد شهد عبد الله بن هشام فتح مصر واختط بها ، فيما ذكره ابن يونس وغيره ، وعاش إلى خلافة معاوية . قال الحافظ فى (الفتح) : وقد أخرجه المصنف فى الدعوات عن عبد الله بن وهب بهذا الإسناد ، وكذلك أخرجه أبو نعيم من وجهين عن ابن وهب ، وقال الإسماعيلى : تفرد به ابن وهب .

(٢) هو شاهد الترجمة لكونهما طلبا منه الاشتراك فى الطعام الذى اشتراه ، فأجابهما إلى ذلك، وهم من الصحابة ، ولم ينقل عن غيرهم ما يخالف ذلك ، فيكون حجة .

وفى الحديث مسح رأس الصغير، وترك مبايعة من لم يبلغ ، و الدخول فى السوق لطلب المعاش، وطلب البركة حيث كانت ، والرد على من زعم أن السعة من الحلال مذمومة، وتوفر دواعى الصحابة على إحضار أولادهم عند النبي ﷺ لالتماس بركته، وعلم من أعلام نبوته ﷺ لإجابة دعائه فى عبد الله بن هشام.

(٣) (المرجع السابق) : ١١ / ١٨١، كتاب الدعوات، باب (٣١) الدعاء للصبيان بالبركة ومسح رؤوسهم، حديث رقم (٦٣٠٣) وأخرجه أيضاً فى كتاب الأحكام ، باب (٤٦) بيعة الصغير، حديث رقم (٧٢١٠) من حديث أبى عقيل زهرة بن معبد" عن جده عبد الله بن هشام وكان قد أدرك النبي ﷺ وذهبت به أمه زينب ابنة حميد إلى رسول الله ﷺ فقالت : يارسول الله بايعه، فقال النبي ﷺ : هو صغير ، فمسح رأسه ودعا له ، وكان يضحى بالشاة الواحدة عن جميع أهله " قال الحافظ فى (الفتح) : وإنما ذكره البخاري مع أن من عادته أن يحذف الموقوفات غالباً لأن المتن قصير، وفيه إشارة إلى أن عبد الله بن هشام عاش بعد النبي ﷺ زماناً ببركة دعائه.

وأخرجه البيهقي فى (دلائل النبوة) : ٢٢٣/٦ ، باب فى دعائه لعبد الله بن هشام بالبركة وظهورها بعده .

سعيد بن أبي أيوب ، عن أبي عقيل أنه كان يخرج به جده عبد الله ابن هشام من السوق. أو إلى السوق . الحديث إلى آخره بمثله، ولم يذكر أوله .

وأما دعاؤه ﷺ لأبي أمامة(١) وأصحابه بالسلامة والغنيمة فكان كما دعا

---

(١) هو صُدَيّ – بالتصغير – ابن عجلان بن الحارث. ويقال : ابن وهب، ويقال : ابن عمرو بن وهب ابن عريب بن وهب بن رياح بن الحارث، ويقال ابن الحارث بن معن بن مالك بن أعصر الباهلي ، أبو أمامة ، مشهور بكنيته . روى عن النبي ﷺ ، وعن عمر، وعثمان ، وعلى وأبي عبيدة ومعاذ، وأبى الدرداء ، وعبادة بن الصامت، وعمرو بن عبسة ، وغيرهم .

روى عنه أبو سلام الأسود، ومحمد بن زياد الألهاني ، وشرحبيل بن مسلم ، وشداد ، وأبو عمار ، والقاسم بن عبد الرحمن ، وشهر بن حوشب، ومكحول ، وخالد بن معدان ، وآخرون. وقال ابن سعد : سكن الشام ، وأخرج الطبراني ما يدل على أنه شهد أحداً ولكن بسند ضعيف . وروى أبو يعلي من طريق أبى غالب ، عن أبي أمامة ، قال : بعثنى رسول الله ﷺ إلى قوم فانتهيت إليهم وأنا طاوٍ وهم يأكلون الدم ، فقالوا: هلم ، قلت : إنما جئت أنهاكم عن هذا فنمت وأنا مغلوب، فأتانى آ تٍ بإناء فيه شراب ، فأخذته وشربته، فكظني بطنى فشبعت ورويت ، ثم قال لهم رجل منهم : أتاكم رجل من سراة قومكم فلم تتحفوه ، فأتونى بلبن ، فقلت : لا حاجة لى به، وأريتهم بطنى فأسلموا عن آخرهم . ورواه البيهقى فى (الدلائل) وزاد فيه : أنه أرسله إلى قومه باهلة . وقال ابن حبان كان مع على بصفين . مات أبو أمامة الباهلى سنة ست وثمانين. وقال ابن البرقى : بغير خلاف، وأثبت غيره الخلاف، فقيل : سنة إحدى قاله محمد بن سعد ، وقال عبد الصمد بن سعيد : ولما مات خلف ابناً يقال له المغلس ، وله – يعنى صاحب الترجمة – مائة وست سنين ، فقد صح عنه أن النبى ﷺ مات وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة . وأخرجه البخاري فى (تاريخه) ، من طريق حميد بن ربيعة : رأيت أبا أمامة خرج من عند الوليد بن عبد الملك فى ولايته سنة ست وثمانين ، ومات ابنه الوليد سنة ست وتسعين . قال : وقال الحسن بن رافع عن ضمرة فى (فضائل الصحابة) لخيثمة، ومن طريق وهب بن صدقة : سمعت جدي يوسف بن حزن الباهلى، سمعت أبا أمامة الباهلي يقول : لما نزلت : ﴿ **لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة** ﴾ [الفتح :١٨] ، قلت : يارسول الله ، أنا ممن بايع تحت=

فخرج البيهقي(١) من حديث عفان بن مسلم قال : حدثنا مهدى ابن ميمون، حدثنا محمد بن عبدالله بن أبي يعقوب، عن رجاء بن حيوة، عن أبي أمامة رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : أنشأ رسول الله ﷺ غزواً، فأتيته، فقلت : يارسول الله ادع لى بالشهادة . فقال : اللهم سلمهم وغنمهم . قال : فغزونا، فسلمنا، وغنمنا، ثم أنشأ رسول الله ﷺ غزوة فأتيته ، فقلت : يارسول الله ادع لى بالشهادة ، فقال : اللهم سلمهم وغنمهم ، قال : فغرونا، فسلمنا وغنمنا، ثم أنشأ رسول الله ﷺ غزوة فأتيته فقلت : يارسول الله إنى أتيتك مرتين . أسألك أن تدعو لى بالشهادة ، فقال : اللهم سلمهم، وغنمهم . قال : فغزونا ، فسلمنا وغنمنا، ثم أتيته بعد ذلك فقلت : يا رسول الله مرنى بعمل آخذه عنك ينفعنى الله به ، قال : قال عليك بالصوم فإنه لامثل له. قال : وكان أبو أمامه وامرأته وخادمه لايلفون إلا صياماً ، فإذا رأوا ناراً أو دخاناً عرفوا أنه قد اعتراهم ضيف، قال : ثم أتيته بعد ذلك ، قلت : فقلت : يا رسول الله ! قد أمرتنى بأمر أرجو أن يكون الله قد نفعنى به ، مرنى بأمر آخر ينفعنى الله تعالى به. قال : اعلم أنك لا تسجد لله تعالى سجدة إلا رفع بك بها درجة ، وحط عنك بها خطيئة.

قال البيهقيّ : هكذا رواه جرير بن حازم، عن محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب، عن رجاء (٢) .

= الشجرة ؟ قال: أنت منى وأنا منك . وأخرج أبو يعلي من طريق رجاء بن حيوة ، عن أبي أمامة: أنشأ رسول الله ﷺ غزواً فأتيته فقلت : ادع الله لى بالشهادة . فقال : اللهم سلمهم وغنمهم.... الحديث . (الإصابة) : ٣/٤٢٠-٤٢١، ترجمة رقم (٤٠٦٣).

(١) (دلائل البيهقي) : ٦/٣٣٤-٣٣٥، باب ما جاء فى دعائه ﷺ لأبي أمامة وأصحابه حين سأل الدعاء بالشهادة وإصابة الغنيمة فكان كما دعاه .

(٢) رواية رجاء أخرجها الإمام أحمد فى (المسند): ٦/٣٣٠، حديث رقم (٢١٦٣٦)،من حديث أبى أمامة الباهلي الصدي بن عجلان بن وهب الباهلي رضي الله تبارك وتعالى عنه عن النبي ﷺ ، وأخرجه النسائيّ فى (السنن) : ٤/٤٧٤، كتاب الصيام، باب (٤٣) ذكر الاختلاف على محمد بن أبى يعقوب فى حديث أبي أمامة فى فضل الصائم ، حديث رقم (٢٢١٩) ، (٢٢٢٠) ، وقال =

ورواه شعبة عن محمد عن أبي نصر الهلالي، عن رجاء بن حيوة مختصراً[1] .

وأما دعاؤه ﷺ في شويهات أبي قرصافة ومسحه ظهورهنّ وضروعهن فمن بركاته امتلأت شحما ولبناً

فخرج أبو نعيم [2]من حديث أيوب بن علي بن الهيصم بن مسلم ابن خيثمه قال : سمعت زيار بن سيار يقول: حدثتني عزة بنت عياض ابن أبي قرصافة أنها سمعت جدها أبا قرصافة صاحب رسول الله ﷺ يقول : كان بدؤ إسلامى أنى كنت يتيماً بين أمى وخالتي، وكان أكثر ميلى إلى خالتى ، وكنت أرعى شويهات لى ، وكانت خالتي كثيراً ما تقول لى : يابنى لا تمر إلى هذا الرجل يعنى النبي ﷺ ، فيغرربك[3] ويضلك ، فكنت أخرج حتى آتي المرعى ، فأترك شويهاتى ، ثم آتى النبي ﷺ ولا أزال عنده أسمع منه ، ثم أروح بغنمى ضمراً يابسات الضروع ، فقالت لى خالتي: ما لغنمك يابسات الضروع ؟ قلت : ما أدرى !! ثم عدت إليه اليوم الثانى ففعل كما فعل اليوم الأول ، غير أنى سمعته يقول : أيها الناس هاجروا وتمسكو بالإسلام ، فإن الهجرة لا تنقطع ما دام

- الحافظ السندي فى (حاشيته على سنن النسائي): قوله :" عليك بالصوم"، أى الشرعى ، فإنه المتبادر " فإنه لا مثل له " فى كسر الشهوة، ودفع النفس الأمارة بالسوء والشيطان. أو لا مثل له في كثرة الثواب، ويحتمل أن المراد بالصوم كف النفس عما لا يليق ، وهو التقوى كلها، وقد قال تعالى : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات : ١٣] .

(١) ورواية شعبة أخرجها النسائى فى (المرجع السابق) : حديث رقم (٢٢٢١) .

(٢) (دلائل أبى نعيم) : ٤٥٣ - ٤٥٤ ، دعاؤه ﷺ لغنم أبى قرصافة ، حديث رقم (٣٧٨) - وقد أخرجه الطبراني ورجاله ثقات ، وأبو قرصافة اسمه جَنْدر بن خشينة الكنانى ، كما فى (الاستيعاب) وغيره .

(٣) فى (الدلائل) : " فيغويك " ، وفي الأصل : " فيغربك " ، ولعل ما أثبتناه أقرب إلى الصواب .

الجهاد، ثم إني رجعت بغنمي كما رحن اليوم الأول ، ثم عدت اليه في اليوم الثالث، فلم أزل عند النبي ﷺ أسمع منه حتى أسلمت ، وبايعته وصافحته بيدي ، وشكوت إليه أمر خالتي، وأمر غنمي فقال لي رسول الله ﷺ :جئني بالشياه ، فجئته بهن، فمسح ظهورهن ، وضروعهن ، ودعا فيهن بالبركة ، فامتلأت شحماً ولبناً ، فلما دخلت على خالتي بهن قالت : يا بني هكذا فارع ، فقلت : ياخالة ما رعيت إلاحيث كنت أرعى كل يوم، لكن أخبرك بقصتي ، فأخبرتها بالقصة ، وإتياني النبي ﷺ ، وأخبرتها بسيرته وكلامه فقالت لي أمي وخالتي : اذهب بنا إليه ، فذهبت أنا وأمي وخالتي ، فأسلمنا[١] وبايعنا رسول الله ﷺ ، وصافحهما. فهذا ما كان من إسلام أبي قرصافة وهجرته[٢] ، قال ابن عبد البر رحمة الله عليه : أبو قرصافة الكناني اسمه جندرة بن خيشنة بن نفير من بني كنانة له صحبة ، ونسبه بعضهم ، فقال : أبو قرصافة جندرة بن خيشنة بن مرة بن واثلة بن الفاكه بن عمرو بن الحارث بن مالك بن النضر بن كنانه ، وقيل : اسمه قيس بن سهل ، ولايصح ، سكن فلسطين، وقيل : أرض تهامة ، قال مؤلفه[٣] : حديثه في الطبراني لما أسر ولده ببلاد الروم ، وقبره بعسقلان ، وتسميه العامه قبر أبي هريرة.

وأما حديثه فقال الطبراني : حدثنا بشر بن موسى بن بشر الغزيّ بغزة ، حدثنا أيوب بن علي بن هيصم ، حدثنا زياد بن يسار، عن عزة بنت عياض عن جدها أبي قرصافة جندرة بن خيشنه الليثي قال: قال النبي ﷺ : نضّر الله سامع مقالتي ، فوعاها، فحفظها، فرب حامل علم إلى من هو أعلم به منه ، ثلاث لا يغل عليهن القلب ، إخلاص العمل فيه، ومناصحة الولاة ، ولزوم الجماعة .

قال الطبراني : لا يروي عن أبي قرصافة إلا بهذا الإسناد، وبلغني أن ابناً لأبي قرصافة أسرته الروم ، فكان أبو قرصافة يناديه في سوق عسقلان وقت الصلاة بها... يافلان الصلاة ، فيسمعه، فيجيبه ، وبينهما عرض البحر .

---

(١) في (أبي نعيم): "فأسلمن" " وبايعن " ، وصافحن" ، وما أثبتناه من (الأصل)، وهو حق اللغه .

(٢) ما بين الحاصرتين من (الأصل) فقط .

(٣) في (الأصل) كلمة غير واضحة، وما أثبتناه من (تهذيب التهذيب).

وأما ثبات جرير البجلى[1] على الخيل بدعاء الرسول ﷺ له بعد أن كان لا يثبت عليها

---

(١) هو جرير بن عبد الله ، وهو الشليل بن مالك بن نصر - أو نضر - بن ثعلبة بن جشم بن عويف بن خزيمة بن حرب بن علي- أو عدي - بن مالك بن سعد بن نذير بن قسر ، وهو مالك ابن عبقر بن أنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث البجلي . يكنى أبا عمرو . وقيل : أبا عبد الله، واختلف في بجيلة ، فقيل : ما ذكرنا، وقيل : إنهم من ولد أنمار بن نزار على ما ذكرناه في كتاب (القبائل) ، ولم يختلفوا أن بجيلة أمهم نسبوا إليها، وهى بجيلة بنت صعب بن علي بن سعد العشيرة.

قال ابن إسحاق : جرير بن عبد الله البجلى سيد قبيلتة ، يعنى بجيلة . قال : وبجيلة هو ابن أنمار بن نزار بن معد بن عدنان، وقال مصعب : أنمار بن نزار بن معد بن عدنان ، منهم بجيلة. وقال أبو عمر رحمه الله : كان إسلامه في العام الذى توفي فيه رسول الله ﷺ وقال جرير : أسلمت قبل موت رسول الله ﷺ بأربعين يوماً . وروى شعبة وهشيم عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن جرير بن عبد الله البجلي ، قال : ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ولا رآنى قط إلا ضحك وتبسم . وقال فيه رسول الله ﷺ حين اقبل وافداً عليه: يطلع عليكم خير ذى يمن ، كأن على وجهه مسحة ملك ، فطلع جرير ، وبعثه رسول الله ﷺ إلى ذى كلاع وذى رعين باليمن . وفيه فيما روى ، قال رسول الله ﷺ : إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه، وروى أنه قال ذلك فى صفوان بن أمية الجمحي . وفى جرير قال الشاعر:

لولا جرير هلكت بجيلة نعم الفتى وبئس القبيلة

فقال عمر بن الخطاب رضي الله تبارك وتعالى عنه : ما مدح من هُجى قومه ، وكان عمر رضي الله تبارك وتعالى عنه يقول : جرير بن عبد الله يوسف هذه الأمة - يعنى فى حسنه- وهو الذى قال لعمر رضي الله تبارك وتعالى عنه حين وجد فى مجلسة رائحة من بعض جلسائه ، فقال عمر : عزمت على صاحب هذه الرائحة إلا قام فتوضأ، فقال جرير بن عبد الله : علينا كلنا يا أمير المؤمنين فاعزم ، قال : عليكم كلكم عزمت . ثم قال: ياجرير ، مازلت سيداً فى الجاهلية والإسلام. ونزل جرير الكوفة وسكنها ، وكان له بها داراً ، ثم تحول إلى قرقيسياء ، ومات بها سنة أربع وخمسين . وقد قيل : إن جريراً توفى سنة إحدى وخمسين . وقيل مات بالسراة فى ولاية الضحاك بن قيس على الكوفة لمعاوية .

=

فخرج النسائيّ من حديث سفيان، عن إسماعيل ، عن قيس عن جرير قال: قال لي رسول الله ﷺ : ألا تكفني ذا الخلصة؟ فقلت : يا رسول الله إني لا أثبت على الخيل فصكَّ في صدري فقال : اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً فخرجت في خمسين راكباً من قومي ، فأتيناها ، فأحرقناها .

وخرج الطبراني من حديث أبي أسامة عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن جرير قال :كنت لا أثبت على الخيل ، فذكرت ذلك

= أخبرنا عبد الله بن محمد،حدثنا حمزة ، حدثنا أحمد بن شعيب ، حدثنا محمد بن منصور، حدثنا سفيان عن إسماعيل عن قيس عن جرير قال : قال رسول الله ﷺ : ألا تكفيني ذا الخلصة - [ذو الخلصة - محرك - : بيت كان يدعى الكعبة اليمانية لخثعم ، وكان فيه صنم اسمه الخلصة] - فقلت : يارسول الله ، إنى رجل لا أثبت على الخيل ، فصك في صدري ، فقال : اللهم ثبته ، واجعله هادياً مهدياً . فخرجت في خمسين من قومي، فأتيناها فأحرقناها . وبعث رسول الله ﷺ جرير بن عبد الله إلى ذى الكلاع وذى ظليم باليمن ، وقدم جرير بن عبد الله على عمر بن الخطاب من عند سعد بن أبي وقاص، فقال له : كيف تركت سعداً في ولايته ؟ فقال : ولايته ؟ أكرم الناس مقدرة ، و أحسنهم معذرة ، هو لهم كالأم البرة ، يجمع لهم كما تجمع الذرة ، مع أنه ميمون الأثر ، مرزوق الظفر، أشد الناس عند البأس ، وأحب قريش إلى الناس .

قال : فأخبرني عن حال الناس، قال : هم كسهام الجعبة، منها القائم الرائش ، ومنها العضل الطائش ، وابن أبي وقاص ثقافها يغمز عضلها ، ويقيم ميلها ، والله أعلم بالسرائر ياعمر.

قال أخبرني عن إسلامهم ، قال : يقيمون الصلاة لأوقاتها ، ويؤتون الطاعة لولاتها . فقال عمر : الحمد لله إذا كانت الصلاة أوتيت والزكاة، وإذا كانت الطاعة كانت الجماعة .

وجرير القائل : الخرس خير من الخلابة، والبكم خير من البذاء. وكان جرير رسول علي رضي الله تبارك وتعالى عنه إلى معاوية ، فحبسه مدة طويلة ، ثم رده برق مطبوع غير مكتوب، وبعث معه من يخبره بمنابذته له في خبر طويل مشهور .

روى عنه أنس بن مالك ، وقيس بن أبي حازم ، وهمام بن الحارث ، والشعبي وبنوه عبيد الله ، والمنذر، وإبراهيم .(الاستيعاب): ١ /٢٣٦ - ٢٤٠ ، ترجمة رقم (٣٢٢)، (الإصابة) : ١/٤٧٥ - ٤٧٦، ترجمة رقم (١١٣٨) .

لرسول الله ﷺ فضرب يده في صدري ، حتى رأيت أثر يده في صدري ، فقال: اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً، فما سقطت عن فرس بعد .

وخرجه البخاريّ [1] في كتاب الجهاد من حديث إسماعيل عن قيس ، عن جرير قال : ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت ، ولا رآني إلا تبسم في وجهي ولقد شكوت إليه أني لا أثبت على الخيل فضربني بيده في صدري. وقال: اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً . وخرجه مسلم أيضاً [2] .

---

(١) (فتح الباري): ٦/١٩٠، كتاب الجهاد والسير ، باب (١٥٤) حرق الدور والنخيل ، حديث رقم (٣٠٢٠)، وباب (١٦٢) من لا يثبت على الخيل ، حديث رقم (٣٠٣٥)، (٣٠٣٦). وفي كتاب المغازي ، باب (٦٣) غزوة ذي الخلصة ، حديث رقم (٤٣٥٥) ، (٤٥٣٦) ، وفي كتاب مناقب الأنصار ، باب (٢١) ذكر جرير بن عبد الله البجلي رضي الله تبارك وتعالى عنه ، حديث رقم (٣٨٢٢)، (٣٨٢٣) ، وفي كتاب الأدب، باب (٦٨) التبسم والضحك ، (حديث رقم (٦٠٨٩) ، (٦٠٩٠) ، وفي كتاب الدعوات ، باب (١٩) قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وصل عليهم ﴾ ومن خصّ أخاه بالدعاء دون نفسه ، حديث رقم (٦٣٣٣).

وفي الحديث مشروعية إزالة ما يفتتن به الناس من بناء وغيره ، وسواء كان إنساناً أو حيواناً أو جماداً ، وفيه استمالة نفوس القوم بتأمير من هو منهم ، والاستمالة بالدعاء ، والثناء والبشارة في الفتوح ، وفضل ركوب الخيل في الحرب ، وقبول خبر الواحد والمبالغة في نكاية العدو ، ومناقب لجرير وقومه ، وبركة يد النبي ﷺ ودعائه ، وأنه ﷺ كان يدعو وتراً ، وقد يجاوز الثلاث، وفيه تخصيص لعموم قول أنس رضي الله تبارك وتعالى عنه: " كان إذا دعا دعا ثلاثاً " ، فيحمل على الغالب ، وكأن الزيادة لمعني اقتضى ذلك ، وهو ظاهر في أحمس لما اعتمدوه من دحض الكفر ونصر الإسلام ، ولا سيما مع القوم الذين هم منهم (فتح الباري) .

(٢) (مسلم بشرح النووي): ١٦/٢٦٨ -٢٦٩، كتاب فضائل الصحابة ، باب (٢٩) من فضائل جرير بن عبد الله رضي الله تبارك وتعالى عنه ، حديث رقم (١٣٤) ، (١٣٥) ، (١٣٦) ، (١٣٧) ، وفيه استحباب اللطف للواردة ، وفيه فضيلة ظاهرة لجرير ، وفيه النكاية بآثار الباطل والمبالغة في إزالته ، وفيه استحباب إرسال البشير بالفتوح وغيرها . (شرح النووي) .

وأخرجه أيضاً أبو دادو في (السنن) : ٣/٢١٤، كتاب الجهاد ، باب (١٧٢) في بعثه البشراء، حديث رقم (٢٧٧٢) ، عن قيس عن جرير قال : قال لي رسول الله : ﷺ " ألا =

أما ظهور البركة بدعاء الرسول ﷺ في سبعة عشر ديناراً أظفر بها المقداد بن عمرو[1] حتى امتلأت منها غرائر ورقاء

= تريحني من ذى الخلصة " ؟ فأتاها فحرقها ، ثم بعث رجلاً من أحمس إلى النبي ﷺ يبشره يكنى أبا أرطأة . وأحمس : قبيلة جرير ، وأبو أرطأة اسمه الحصين بن ربيعة ، له صحبة . قال في هامشه : نسبة المنذري للنسائي .

(١) هو المقداد بن الأسود الكندي ، هو ابن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن عامر بن مطرود البهراني ، وقيل : الحضرمي . قال ابن الكلبي : كان عمرو بن ثعلبه أصاب دماً في قومه ، فلحق بحضرموت ، فخالف كندة ، فكان يقال له الكندى ، وتزوج هناك امرأة فولدت له المقداد، فلما كبر المقداد وقع بينه وبين أبى شمر بن حجر الكندي ، فضرب رجله بالسيف وهرب إلى مكة، فخالف الأسود بن عبد يغوث الزهري ، وكتب إلى أبيه ، فقدم عليه فتبنى الأسود المقداد فصار يقال : المقداد بن الأسود وغلبت عليه ، واشتهر بذلك : فلما نزلت : ﴿**ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله**﴾ [الأحزاب : ٥] قيل له : أبا الأسود ، وقيل : كنيته أبو عمر ، وقيل : أبو سعيد . أسلم قديماً ، وتزوج ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب ، ابنة عم النبي ﷺ، وهاجر الهجرتين ، وشهد بدراً والمشاهد بعدها ، وكان فارساً يوم بدر، حتى إنه لم يثبت أنه كان فيها على فرس غيره. وقال زر بن حبيش ، عن عبد الله بن مسعود : أول من أظهر إسلامه سبعة ، فذكره منهم . وقال مخارق بن طارق ، عن ابن مسعود : شهدت مع المقداد مشهداً لأن أكون صاحبه أحب إلى مما عدل به .

وذكر البغوى ، من طريق أبى بكر بن عياش ، عن عاصم ، عن زر : أول من قاتل على فرس فى سبيل الله المقداد بن الأسود . ومن طريق موسى بن يعقوب الزمعي عن عمتهما قريبة، عن عمتها كريمة بنت المقداد ، عن أبيها : شهدت بدراً على فرس لى يقال لها سبحة . ومن طريق يعقوب بن سليمان عن ثابت البناني ، قال : كان المقداد وعبد الرحمن بن عوف جالسين ، فقال له مالك: ألا تتزوج ؟ قال : زوجني ابنتك ، فغضب عبد الرحمن وأغلظ له ، فشكا ذلك للنبي ﷺ ، فقال ﷺ : أنا أزوجك . وعن المدائني ، قال : كان المقداد طويلاً ، آدم ، كثير الشعر، أعين [واسع العينين] ، مقروناً [مقرون الحاجبين] ، يصفر لحيته . =

فخرج أبو بكر بن أبي شيبة[1] من حديث موسى بن يعقوب قال : حدثتني قريبة بنت عبد الله بن وهب ، عن أمها كريمة بنت المقداد بن عمرو ، عن ضباعة بنت الزبير، وكانت تحت المقداد ، قالت : كان الناس إنما يذهبون لحاجتهم فرط اليومين والثلاث[2] ، فيبعرون كما تبعر الإبل ، فلما كان [ذات][3] يوم خرج المقداد لحاجته ، بلغ الحجنة وهو ببقيع الغرقد ، فدخل خربه لحاجته فبينما هوجالس إذ خرج جرذ من جحر ديناراً . فلم يزل يخرج ديناراً ديناراً حتى بلغ سبعة عشر ديناراً، فخرجت بها حتى جئت بها رسول الله ﷺ، فأخبرته خبرها ، فقال : هل أتبعت يدك الجحر ؟ فقلت : لا والذى بعثك بالحق نبياً ،

= وأخرجه يعقوب بن سفيان ، وابن شاهين من طريقه بسنده إلى كريمة زوج المقداد : كان عظيم البطن ، وكان له غلام رومى ، فقال له : أشق بطنك فأخرج من شحمه حتى تلطف ، فشق بطنة ثم خاطة ، فمات المقداد ، وهرب الغلام . وقال أبو ربيعة الإيادى ، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه ، عن النبي ﷺ : إن الله عز وجل أمرني بحب أربعة ، وأخبرني أنه يحبهم : علي ، والمقداد ، وأبو ذر، وسلمان ، أخرجه الترمذي وابن ماجة ، وسنده حسن . وروى المقداد عن النبي ﷺ أحاديث . روى عنه علي ، وأنس ، وعبيد الله بن الخيار ، وهمام بن الحارث ، وعبد الرحمن بن أبى ليلى ، وآخرون . اتفقوا أنه مات سنة ثلاثاً وثلاثين فى خلافة عثمان رضى الله تبارك وتعالى عنه ، قيل : وهو ابن سبعين سنة رضي الله تبارك وتعالى عنه . (الإصابة): ٦/٢٠٢-٢٠٤، ترجمة رقم (٨١٨٩) ، (الاستيعاب): ٣/١٤٨٠ - ١٤٨٢، ترجمة رقم (٢٥٦١).

(١) (دلائل أبي نعيم) : ٤٦١-٤٦٢، دعاؤه ﷺ للمقداد بالبركة فى مال وصل إليه ، حديث رقم (٣٨٩) من حديث أبي بكر بن أبى شيبة وسنده عند أبي نعيم :" حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا خالد بن مخلد، حدثنا موسى بن يعقوب قال : حدثتنى عمتى قريبة بنت عبد الله بن وهب ، عن أمها كريمة بنت المقداد بن عمرو عن ضباعة بنت الزبير ، وكانت تحت المقداد ، قالت : الحديث ، باختلاف يسير فى اللفظ .

(٢) أى بعد اليومين والثلاث .

(٣) زيادة للسياق من (دلائل أبي نعيم).

فقال: لاصدقه عليك فيها بارك الله فيها، قالت : ضباعة فما فنى آخرها حتى رأيت غرائر الورق في بيت المقداد .

قال أبو نعيم : رواه ابن أبي فديك ، عن موسى بن يعقوب نحوه .

وأما تصرع أعدائه ﷺ عند استغاثته بمالك يوم الدين

فخرج أبو نعيم من حديث محمد بن عبد الله البغوي قال : حدثنا أبو الربيع الزهرانيّ عبد السلام بن هاشم حدثنا حنبل عن أنس بن مالك ، عن أبي طلحة رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة فلقى العدو ، فسمعته يقول : يا مالك يوم الدين ، إياك نعبد وإياك نستعين ، فلقد رأيت الرجال تصرع تضربها الملائكة من بين أيديها ، ومن خلفها[1].

(١) (دلائل أبي نعيم): ٤٥٩-٤٦٠، استعانته بالله تبارك وتعالى ، حديث رقم (٣٨٦)، وهذا الحديث انفرد به أبو نعيم .

وأما استرضاؤه ﷺ أم شاب قد أمسك لسانه عن شهادة الحق حتى رضيتْ فشهد بها

فخرج البيهقي[١] من حديث عبد الله بن عطاء قال : حدثنا أبو الورقاء عن عبد الله بن أبي أوفى قال : بينما نحن قعود عند رسول الله ﷺ إذ أتاه آت،فقال : يارسول الله إن هاهنا شاب يجود بنفسه يقال له : قل:لا إله إلا الله .. فلا يستطيع. قال فنهض ، ونهضنا معه ، حتى دخل عليه، فقال : ياشاب قل : لاإله إلا الله . قال : لا أستطيع ، قال : لم ؟ قال : أقفل على قلبى كلما أردت أن أقولها ، غمر القفل على قلبى، قال : لم ؟ قال: بعقوقي والدتي! قال : أحية والدتك ؟ قال : نعم، قال : فأرسل إليها ..فلما جاءت قال : هذا ابنك ؟ قالت: نعم قال : أرأيت إن أججتْ لك نار ضخمة، فقيل لك : أتشفعين له أم نلقيه فيها ؟ فقالت : بل يارسول الله أشفع له، قال: فأشهدي الله، وأشهديني برضاك عنه .

فقالت : اللهم إنى أشهدك، وأشهد رسولك برضاي عنه، قال : فقال : ياشاب ، قل : لا إله إلا الله فقال : لا إلا اله الله وحده لا شريك له، قال : فقال ثلاثاً الحمد لله الذى أنقذك بى من النار .

قال مؤلفه رحمة الله عليه: لايكاد هذا الحديث أن يصح لأنه من رواية أبي الورقاء فائد بن عبد الرحمن أبي الوقارء الكوفي العطار. يروي عن عبد الله بن أبي أوفى وبلال بن أبي الدرداء وغيرهما. ويروي عنه عيسى بن يونس، وعبد الله بن بكر، وأبو عاصم العباد ويزيد بن هارون، ومسلم بن هارون، ومسلم بن إبراهيم ، والفرياني فى آخرين .

قال ابن معين : ليس بثقة ، ومرة قال : ضعيف، قال أحمد بن حنبل متروك الحديث وقال البخاري: فائد عن ابن أبي أوفى منكرالحديث . وقال ابن عدي : وهو مع ضعفه يكتب حديثه. خرج له ابن ماجة والراوي عنه عبد الوهاب بن عطاء الحفاف أبو نصر العجلي مولاهم البصرى نزيل بغداد .

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٦/٢٠٥-٢٠٦، ماجاء فى الشاب الذى لم ينفتح لسانه بالشهادة عند الموت، حتى رضيت عنه والدته .

يروى عن حميد وسليمان التيمي وابن عون وعدة. ويروى عنه أحمد وابن معين وأبو ثوروخلف .

قال المروزى : قلت لأبي عبد الله : عبد الوهاب ثقة ؟ قال: تدري ما تقول؟ إنما الثقة يحيى القطان . وقال زكريا الساجى والبخاري قبله والنسائي: ليس بالقوى . وقال صالح: أنكروا حديثه فى فضل العباسى ورواه عن ثور، عن ابن عباس، فكان يحيى بن معين يقول هذا موضوع . ومات بعد سنة مائتين .

خرج له مسلم والأربعة ووثقة ابن معين وغيره[1] .

وأما إسلام يهودي عند تشميت الرسول ﷺ بقوله : هداك الله

فخرج البيهقي[2]من حديث محمد بن رزام بن عبد الملك قال حدثنا محمد ابن عبد الله بن عمر وأبو سلمة الأنصارى ، عن مالك بن دينار، عن أنس بن مالك رضي الله تبارك وتعالى عنه قال: كان يهودي جالساً بين يدي النبي ﷺ فعطس النبي ﷺ ، فقال له اليهودي : يرحمك الله، فقال النبي ﷺ لليهودي: هداك الله ، فأسلم . قال البيهقي : هذا إنسان مجهول[3] .

---

(١) ترجمته فى (البخاري الكبير): ١٣٢/٧، (ضعفاء العقيلى): ٤٦٠/٣، قال عنه ابن حبان فى (الضعفاء) : ٢٠٣/٢: كان ممن يروى المناكير عن المشاهير ، ويأتى عن ابن أبي أوفى بالمعضلات، ولا يجوز الاحتجاج به .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٢٠٧/٦، باب ما جاء فى اليهودي الذى شمته النبي ﷺ فقال له : هداك الله، فأسلم ، إن صح .

(٣) إسناده فى (دلائل البيهقي) : حدثنا أبو جعفر : كامل بن أحمد المستملى ، قال : أنبأنا أبو الحسن على بن محمد بن على الخلعانى السمنانى بدامغان، حدثنا عبد الله بن محمد بن يونس السمنانى ، حدثنا محمد بن رزام السليطي البصري ، حدثنا محمد بن عمرو ، عن عبد الله الأنصارى ، وأنبأنا أبو الحسن على بن الحسين بن علي البيهقي صاحب المدرسة ، حدثنا أبو إسحاق : إبراهيم بن محمد بن يزداد ، إملاءً ببخارى - أنبأنا أبو عبد الله : محمد بن يونس المقرئ بنيسابور ، قال : حدثنا أبو الفضل العباس بن إبراهيم ، حدثنا محمد رزام ، أبو عبد =

أما ثروة صخر الغامدى[1] لامتثاله ما أخبر به الرسول ﷺ من البركة فى البكور

فخرج البيهقي[2] من حديث شعبة عن يعلى بن عطاء، عن عمارة بن حديد، عن صخر الغامدي قال : قال رسول الله ﷺ : بارك اللهم لأمتى فى بكورها[3]، وكان رسول الله ﷺ لايبعث سرية إلا بعثهم فى أول النهار. قال :

= الملك الأيلى ، حدثنا محمد بن عبد الله بن عمرو أبو سلمة الأنصاري ، عن مالك بن دينار ، عن أنس بن مالك ... فذكره .

(١) هو صخر بن وداعة . وقال ابن حبان : صخر بن وديعة ، ويقال : ابن وداعة الغامدي ، نسبة إلى غامد بالمعجمة ، ابن عمرو بن عبد الله بن كعب بن الحارث [بطن من الأزد] . وقال البغوي : سكن صخر الطائف . وقال ابن السكن مثله ، وزاد : يعد فى أهل الحجاز ، روى حديثه أصحاب السنن ، وأحمد ، وصححه ابن خزيمة وغيره ، وهو : " اللهم بارك لأمتي فى بكورها" . وفى بعض طرقه : وكان صخر رجلاً تاجراً ، فكان إذا بعث تجارة بعثهم أول النهار، فأثرى وكثر ماله . وقال الترمذيّ والبغوي : ماله غيره ، وتعقب بأن الطبراني أخرج له آخر متنه : "لا تسبوا الأموات" . وقال أبو الفتح وابن السكن : لم يرو عنه إلا عمارة بن حديد . قال أبو عمر بن عبد البر : وعمارة بن حديد رجل مجهول لم يرو عنه غير يعلي بن عطاء الطائفى، ولا أعلم لصخر الغامدى غير حديث : " بورك لأمتى فى بكورها : ، وهو لفظ رواه جماعة عن النبي ﷺ . (الإصابة) :٣/٤١٨- ٤١٩، ترجمة رقم (٤٠٥٨)، (الاستيعاب): ٢/٧١٦، ترجمة رقم (١٢١٠).

(٢) (دلائل البيهقي) : ٦ /٢٢٢ ، باب ما جاء فى دعائه ﷺ بالبركة لأمته فى بكورها.

(٣) كذا فى (الأصل) وفى(المرجع السابق) : " اللهم بارك .... " وأخرجه أبو داود فى (السنن): ٣/٧٩-٨٠، وأخرجه الترمذيّ فى (السنن) : ٣/٥١٧، كتاب البيوع، باب (٦) ما جاء في التبكير بالتّجارة . حديث رقم (١٢١٢) ، قال : وفى الباب عن على وابن مسعود وبريدة وأنس وابن عمر وابن عباس وجابر . وقال أبو عيسى : حديث صخر الغامدي حديث حسن ، ولا نعرف لصخر الغامدي ، عن النبي ﷺ غير هذا الحديث، وقد روى سفيان الثوري ، عن شعبة ، عن =

وكان صخر رجلاً تاجراً ، فكان يبعث غلمانه فى أول النهار فأثرى وكثر ماله، حتى لم يدر أين يضعه .

قال ابن عبد البر صخر بن وداعة الغامدي ، وغامد فى الأزد ، سكن الطائف وهو معدود فى أهل الحجاز .

روى عنه عمارة بن حديد ، رجل مجهول لم يرو عنه غير يعلي ابن عطاء الطائفي ، ولا أعلم لصخر الغامدي غير حديث : "بورك لامتي فى بكورها". وهو لفظ رواه جماعه عن النبي ﷺ [1] قال المؤلف رحمه الله : قد خرج أصحاب السنن الأربعه لصخر هذا حديث : "بورك لأمتى فى بكورها".

وخرج له الطبراني مما لم يخرجوه حديث: "لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء" ، من طريق الفريابي ، حدثنا سفيان عن سعيد ، عن يعلى بن عطاء بن حديد، قال أبو حاتم : مجهول، وذكره ابن حبان فى (الثقات) وحسن له الترمذي حديثه الذى لم يعرف بغير رواية " بورك لامتي فى بكورها "، وأنكر ذلك على الترمذي لمكان عمارة منه، ولا يعتبر ذكر ابن حبان له فى (الثقات)[2] فإنه يذكر المجاهيل الأحوال .

= يعلى ابن عطاء ، هذا الحديث . وأخرجه ابن ماجة فى (السنن) : ٧٥٢/٢، كتاب التجارات ، باب (٤١) ، ما يرجى من البركة في البكور، حديث رقم (٢٢٣٦).

(١) راجع ترجمته السابقة .

(٢) (الثقات): ١٩٣/٣وراجع ترجمتة فى أول الفصل .

وأما تحاب امرأة وزوجها بعد تباغضهما بدعائه ﷺ

فخرج أبو نعيم[١] من حديث عبد الله بن الزبير الحميدي قال : حدثنا أبو الحسن علي بن أبي على اللهبى، حدثنا محمد بن المنكدر[٢] ، عن جابر رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : مر رسول الله ﷺ بسوق النبط[٣] ، ومعه عمر بن الخطاب رضي الله تبارك وتعالى عنه فأقبلت امرأة قالت : يارسول الله إن معى زوجى فى البيت مثل المرأة، وأنا امرأة من المسلمين أحب ما تحبه المسلمة .

فقال النبي ﷺ: عليَّ به ، فجاءت به ، فقال النبي ﷺ : ما تقول زوجتك هذه ؟ فقال : والذى بعثك بالحق ما جف رأسى من الغسل منها بعد. فقالت: يارسول الله وما مرة واحدة فى الشهر؟ فقال النبي ﷺ : تبغضينه ؟ ! قالت : نعم والذى أكرمك [بالحق] [٤] ، فقال رسول الله ﷺ : ادنيا إليَّ رأسيكما[٥] ، فوضعا جبهتهما على وجهه فقال : اللهم ألف بينهما وحبب أحدهما إلى صاحبه، ثم مر النبي ﷺ بعد ذلك بأيام بهما، وكان زوج المرأة خرازً ، فإذا هى تحمل أدماً على رقبتها، فقال النبي ﷺ يا عمر، أليست صاحبتنا التى قالت ما قالت ؟ فسمعت صوت النبي ﷺ فرمت بالأدم ، فقبلت[٦] رجل النبي ﷺ .

ثم قال لها النبي ﷺ: كيف أنت وزوجك؟ فقالت : والذى أكرمك ما فى الدنيا ولد ولا والد أحب إلى منه. فقال النبي ﷺ : إني أشهد أنى رسول الله. فقال عمررضي الله تبارك وتعالى عنه وأنا أشهد أنك رسول الله. قال أبو نعيم: رواه ابن المبارك عن محمد بن المنكدر[٧] مرسلا[٨] .

---

(١) (دلائل أبي نعيم) : ٤٦٠، دعاؤه ﷺ لزوجين بالتأليف بينهما ، حديث رقم (٣٨٧).

(٢) كذا فى (الأصل) ، وفى (دلائل أبي نعيم) : " المنذر " .

(٣) النبط : أخلاط الناس من غير العرب .

(٤) زيادة للسياق من (دلائل أبي نعيم) .

(٥) فى (دلائل أبي نعيم) : "رؤوسكما" .

(٦) كذا (بالأصل) ، وفى (دلائل أبي نعيم) : " ثم قبلت " .

(٧) لعله " ابن المنذر " كما فى سند الحديث .

=

وخرجه البيهقي[1] من حديث عبد العزيز بن عبد الله الأويسي قال : حدثني علي بن أبي علي اللهبي[2] ، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب ، عن نافع، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ خرج وعمر بن الخطاب معه، فعرضت له امرأة ، فقالت يا رسول الله إني امرأة مسلمة محرومة ومعي زوج لي في بيتي مثل المرأه . فقال لها النبي ﷺ : ادعي زوجك ، فدعته وكان خرازاً ، فقال النبي ﷺ ما تقول امرأتك يا عبد الله؟ فقال الرجل: والذى أكرمك ما جفّ رأسى منها؟ فقالت امرأته : ما مرة واحدة فى الشهر؟ فقال لها النبي ﷺ: أتبغضينه؟ قالت: نعم ، فقال : أدنيا رأسيكما[3]، فوضع جبهتها على جبهة زوجة ، وقال : اللهم ألف بينهما وحبب أحدهما إلى صاحبه ، ثم مر رسول الله ﷺ بسوق النبط ومعه عمر بن الخطاب رضي الله تبارك وتعالى عنه فطلعت المرأة تحمل أدماً على رأسها ، فلما رأت النبي ﷺ طرحته وأقبلت فقبلت رجليه! فقال : كيف انت وزوجك ؟ فقالت والذى أكرمك ما طارق ولاتالد[4] ولاولد أحب إلى منه . فقال رسول الله ﷺ : أشهد أني رسول الله ، فقال عمر : وأنا أشهد أنك لرسول الله .

قال أبو عبد الله – يعنى الحاكم – : تفرد به علي بن أبي علي اللهبي ، وهو كثير الرواية للمناكير. وقال البيهقي : وقد روى يوسف بن محمد بن المنكدر عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله معنى هذه القصة، إلا أنه لم يذكر فيها عمر بن الخطاب رضي الله تبارك وتعالى عنه .

= (٨) ما بين الحاصرتين من (الأصل) فقط ، وليس فى النسخة المحققة من (دلائل أبي نعيم) .

(١) (دلائل البيهقي) : ٦ / ٢٢٨ – ٢٢٩ ، باب ما جاء فى دعائه لزوجين أحدهما يبغض الآخر بالألفة ، واستجابة الله تعالى دعاءه فيهما .

(٢) من (الأصل) فقط .

(٣) كذا فى (الأصل) وفى (دلائل البيهقي) : " رؤوسكما " .

(٤) فى (الأصل) : " تليد " ، " ولد " وما أثبتناه من (دلائل البيهقي) .

قال المؤلف رحمه الله : علي بن أبي على اللهبي[1]، مدنى ، قال الإمام أحمد: يروى أحاديث مناكير عن جابر، وقال يحيى : ليس بشئ ، وقال البخاري: لم يرضه ، أحمد منكر الحديث ، وقال السعدى : ضعيف الحديث، روى عن محمد ابن المكندر فأعضل ، وقال النسائي : متروك الحديث، وقال ابن عدي : وهذه الأحاديث التى أمليتها لعلى عن محمد بن المنكدر، عن جابر وغيره، كلها محفوظة ، وله غير ما ذكرت وكله يشبه بعضه بعضاً[2] .

(١) على بن أبي علي اللهبي ، ترجمته فى (لسان الميزان) : ٤ / ٢٤٥ ، (ميزان الاعتدال) : ٣/ ١٤٧ ، (الكامل فى ضعفاء الرجال) : ٥ / ١٨٤ - ١٨٦ ، ترجمة رقم (٣٧٦ / ١٣٤٤)، وقال فى آخرها : وهذه الأحاديث التى أمليتها لعلى بن أبي على عن محمد بن المنكدر ، وغيره كلها غير محفوظة ، وله غير ما ذكرت من الحديث وكل يشبه بعضه بعضاً .

(٢) راجع التعليق السابق .

وأما هداية الله تعالى أهل اليمن
وأهل الشام والعراق بدعائه ﷺ

فخرج الترمذي[1] من حديث عمران القَطّان، عن قتادة، عن أنس، عن زيد ابن ثابت ، أن النبي ﷺ نظر قبل اليمن، فقال : اللهم أقبل بقلوبهم ، وبارك لنا فى صاعنا ومدنا . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب لا يعرف من حديث زيد بن ثابت إلا من حديث عمران القطان .

خرج أبو بكر بن أبي شيبة من حديث عيسى بن المختار عم محمد بن أبي ليلى ، عن أبي الزبير، عن جابر عن النبي ﷺ ، أنه نظر قبل الشام، فقال: اللهم أقبل بقلوبهم ، ثم نظر إلى كل أفق، فقال: اللهم أقبل بقلوبهم، ثم قال: اللهم ارزقنا من كثرات الأرض، وبارك لنا فى مدنا وصاعنا .

قال أبو بكر: كثرت الأرض نباتها . قال أبو عيسى الترمذي : وقد تكلم بعض أهل العلم فى ابن أبي ليلى من قبل حفظه، قال أحمد: لا يحتج بحديث ابن أبي ليلى ، وقال محمد بن إسماعيل، يعنى البخاري : ابن أبي ليلى صدوق، ولا أروى عنه لأنه لا يدرى صحيح حديثه سقيمه، وكل من كان على مثل هذا فلا أروى عنه شيئا .

وخرج أبو دواد الطيالسي هذا الحديث من طريق عمران القطان، عن قتادة، عن أنس بن مالك ، عن زيد بن ثابت، قال : نظر رسول الله ﷺ قبل اليمن، فقال: اللهم أقبل بقلوبهم، ثم نظر قبل الشام وقال : اللهم أقبل بقلوبهم، ثم نظر قبل العراق وقال: اللهم أقبل بقلوبهم، وبارك لنا فى صاعنا ومدنا .

(١) (سنن الترمذيّ) : ٥/٦٨٢ – ٦٨٣، كتاب المناقب ، باب (٧٢) فى فضل اليمن ، حديث رقم (٣٩٣٤) .

وأما دعاؤه ﷺ على مضر حتى قحطوا
ثم دعاؤه ﷺ لهم حتى سقوا

خرج مسلم(١)من حديث ابن وهب قال : أخبرنى يونس [بن يزيد](٢)عن ابن شهاب، أخبرنا سعيد المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن أنهما سمعا أبا هريرة يقول : كان رسول الله ﷺ يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة(٣)، ويرفع رأسه: سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد، ثم يقول وهو قائم: اللهم أنج الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعه، والمستضعفين من المؤمنين .

اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم كسنى يوسف، اللهم العن لحيان، ورعلاً، وذكوان، وعصية عصت الله ورسوله، ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل عليه **﴿ليس لك من الأمر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾**(٤) .

وخرَّجه من حديث ابن عيينة، عن الزهري عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ إلى قوله : واجعلها عليهم كسنى يوسف ولم يذكر ما بعده(٥).

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ١٨٢/٥ -١٨٣، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب (٥٤) استحباب القنوت فى جميع الصلاة إذا انزلت بالمسلمين نازلة، حديث رقم (٢٩٤).

(٢) زيادة للسياق من (صحيح مسلم) .

(٣) زيادة للسياق من (صحيح مسلم) .

(٤) آل عمران : ١٢٨.

(٥) الحديث الذى يلى الحديث السابق بدون رقم ، ثم ذكره كاملاً من حديث الأوزاعى عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة ، حديث رقم (٢٩٥)، وفيه استحباب الجهر بالقنوت فى الصلاة الجهرية، وجهان: أصحهما يجهر ، ويستحب رفع اليدين فيه ، ولا يمسح الوجه ، وقيل : يستحب مسحه ، وقيل: لا يرفع اليد، واتفقوا على كراهة مسح الصدر، والصحيح أنه لا يتعين فيه دعاء=

وخرّجه البخاري[1] من حديث إبراهيم بن سعد، حدثنا ابن شهاب، عن سعيد وأبى سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يدعو على أحد أو يدعو لأحد قال بعد الركوع ، وربما قال : إذا قال : سمع الله لمن حمده، ربنا لك الحمد، اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة، اللهم أشدد وطأتك على مضرواجعلها عليهم كسنى يوسف. يجتهد بذلك، وكان يقول فى بعض صلاته فى صلاة الفجر: اللهم العن فلاناً وفلاناً[2] لأحياء من العرب حتى أنزل الله : ﴿**ليس لك من الأمر شئ**﴾[3].

= مخصوص، بل يحصل بكل دعاء، وفيه وجه أنه لا يحصل إلا بالدعاء المشهور: " اللهم اهدنى فيمن هديت" إلى آخره، والصحيح أن هذا مستحب لا شرط ، ولو ترك القنوت فى الصبح سجد للسهو، وذهب أبو حنيفة وأحمد وآخرون إلى أنه لا قنوت فى الصبح، وقال يقنت قبل الركوع .

وفيه جواز الدعاء لإنسان معين وعلى معين، وقد سبق أنه يجوز أن يقول : ربنا لك الحمد، وربنا ولك الحمد، بإثبات الواو وحذفها، وقد ثبت الأمران فى الصحيح . والوطأة : هى البأس. قوله : " واجعلها عليهم كسنى يوسف" وهو بكسر السين وتخفيف الياء أى اجعلها سنين شداداً ذوات قحط وغلاء . (شرح النووي) .

(١) باب (٩) قوله تعالى : ﴿ **ليس لك من الأمر شئ** ﴾ ، حديث رقم (٤٥٦٠) .

(٢) قال الحافظ فى (الفتح) : تقدمت تسميتهم فى غزوة أحد من رواية مرسلة أوردها المصنف عقب هذا الحديث بعينه،عن حنظلة بن أبي سفيان، عن سالم بن عبد الله بن عمر، قال: " كان رسول الله ﷺ يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام فنزلت".

وأخرج الإمام أحمد والترمذيّ هذا الحديث موصولاً من رواية عمرو بن حمزة، عن سالم عن أبيه، فسماهم، وزاد فى آخر الحديث:" فتيب عليهم كلهم"وأشار بذلك إلى قوله فى بقية الآية : ﴿ **أو يتوب عليهم** ﴾ وللإمام أحمد أيضاً من طريق محمد بن عجلان عن نافع عن عمر " كان رسول الله ﷺ يدعو على أربعة فنزلت ، قال : وهداهم الله للإسلام " وكان الرابع عمرو بن العاص رضي الله تبارك وتعالى عنه .

قوله : " الوليد بن الوليد " أى ابن المغيرة ، وهو أخو خالد بن الوليد ، وكان شهد بدراً مع المشركين ، وأسر ، وفدى نفسه ثم أسلم ، فحبس بمكة ، ثم تواعد هو وسلمة وعياش =

ذكره في التفسير، وذكره في كتاب الأدب في باب تسمية الوليد[1]، من حديث أبي نعيم قال : حدثنا ابن عيينة، عن الزهري ، عن سعيد، عن أبي هريرة قال: لما رفع النبي ﷺ رأسه من الركعة قال: اللهم أنج الوليد بن الوليد، وسلمة ابن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين بمكة، اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف .

وخرجه النسائي[2] من حديث سفيان قال: حفظناه عن الزهرى ، عن سعيد، عن أبي هريرة قال: لما رفع النبي ﷺ رأسه من الركعة الثانية من صلاة الصبح قال: اللهم أنج ... ، الحديث، بمثل حديث أبي نعيم غير أنه قال: "واجعلها"، ولم يقل : " اللهم " .

= المذكورين معه وهربوا من المشركين ، فعلم رسول الله ﷺ بمخرجهم فدعا لهم ، أخرجه عبد الرازق بسند مرسل ، ومات الوليد المذكور لما قدم على النبي ﷺ .

قوله : " وسلمة بن هشام " أى ابن المغيرة ، وهو ابن عم الذى قبله ، وهو أخو أبي جهل، وكان من السابقين إلى الاسلام ، واستشهد فى خلافة أبي بكر بالشام سنة أربع عشرة . قوله : "لأحياء من العرب " وقع تسميتهم فى رواية يونس عن الزهري عند مسلم بلفظ : " اللهم العن رعلاً" ، وذكوان ، وعصية " .

(٣) آل عمران : ١٢٨.

(١) باب (١١٠) تسمية " الوليد" ، حديث رقم (٦٢٠٠)، وأخرجه عبد الرزاق فى الجزء الثانى من (أماليه) ، عن عمر ، كلاهما عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب، قال : " ولد لأخى أم سلمة ولد فسماه الوليد، فقال رسول الله ﷺ : سميتموه بأسماء فراعنتكم ، ليكونن فى هذه الأمة رجل يقال له الوليد ، هو أشر على هذه الأمة من فرعون لقومه" قال الوليد بن مسلم فى روايته : قال الأوزاعى : فكانوا يرونه الوليد بن عبد الملك. ثم رأينا أنه الوليد بن يزيد لفتنة الناس به حين خرجوا عليه فقتلوه، وانفتحت الفتن على الأمة بسبب ذلك وكثر فيهم القتل .

(٢) (سنن النسائي) : ٢/٥٤٥-٥٤٧، كتاب التطبيق ، باب (٢٦) القنوت بعد الركوع ، حديث رقم (١٠٦٩) ، باب (٢٧) القنوت فى صلاة الصبح ، حديث رقم (١٠٧٢)، (١٠٧٣) .

وخرجه مسلم[1] وأبو دواد[2] من حديث الوليد بن مسلم قال : حدثنا الأوزاعى ، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة أن أبا هريرة حدثهم أن النبي ﷺ قنت بعد الركعة في صلاة العتمة[3] شهراً، إذا قال: سمع الله لمن حمده، يقول في قنوته: اللهم نج الوليد بن الوليد، اللهم أنج سلمة بن هشام ، اللهم نج عياش بن أبي عياش، اللهم نج المستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف .

قال أبو هريرة : ثم رأيت رسول الله ﷺ ترك الدعاء بعد ، فقلت : أرى رسول الله قد ترك الدعاء لهم، قال : فقال : وما تراهم قد قدموا ؟ وقال أبو داود: قال أبو هريرة[4] أصبح رسول الله ﷺ ذات يوم، فلم يدع ، فذكر ذلك له. فقال : ما تراهم قد قدموا[5]؟ ولم يقل في الحديث : أو قال : سمع الله لمن حمده.

وخرج مسلم[6] من حديث حسين بن محمد، حدثنا شيبان عن يحيى ، عن أبي سلمة أن أباه أخبره أن رسول الله ﷺ بينما هو يصلى العشاء إذا قال : سمع

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٥/١٨٣، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب (٥٤) استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة ، حديث رقم (٢٩٥).

(٢) (سنن أبي دواد): ٢/١٤٢، كتاب الصلاة ، باب (٣٤٥) القنوت في الصلوات ، حديث رقم (٤٤٢).

(٣) في(الأصل) : " الفجر"، وما أثبتناه من (سنن أبي دواد).

(٤) زيادة للسياق من (سنن أبي دواد).

(٥) أى كان ذلك الدعاء لهم لأجل تخليصهم من أيدى الكفرة، وقد خلصوا منهم وجاءوا للمدينة، فما بقي حاجة بالدعاء لهم بذلك. وفيه من الفقة إثبات القنوت في غير الوتر، وفيه دليل على أن الدعاء لقوم بأسمائهم وأسماء آبائهم لايقطع الصلاة، وأن الدعاء على الكفار والظلمة لا يفسدها ومعنى " سني يوسف " القحط والجدب ، وهى السبع الشداد التى أصابتهم . (معالم السنن) .

(٦) (مسلم بشرح النووى) : ٥/١٨٤، كتاب المساجد ومواضع الصلاة فيها، باب (٤٥) استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة ، الحديث الذى يلى رقم (٢٩٥)، بدون رقم .

الله لمن حمده، ثم قال قبل أن يسجد : اللهم نج عياش بن أبي ربيعة، ثم ذكر بمثل حديث الأوزاعي في قوله : كسني يوسف، ولم يذكر ما بعده .

وخرج البخاري[1] في تفسير سورة النساء من حديث أبي نعيم قال حدثنا شيبان، عن يحيى ، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال : بينما رسول الله ﷺ يصلي العشاء إذا قال : سمع الله لمن حمده ، ثم قال قبل أن يسجد: اللهم نج عياش بن أبي ربيعة، اللهم نج سلمة بن هشام، اللهم نج الوليد بن الوليد، اللهم نج المستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعلها سنين كسني يوسف .

وخرّج في كتاب الأدعية في باب الدعاء على المشركين[2] من حديث هشام، عن يحيى ، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان إذا قال: سمع الله لمن حمده في الركعة الأخرى من صلاة العشاء قنت : اللهم أنج عياش ابن أبي ربيعة، اللهم أنج الوليد بن الوليد، اللهم أنج سلمة بن هشام، اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر ، اللهم اجعلها سنين كسني يوسف .

وخرّجه في الاستسقاء في باب دعاء النبي ﷺ [3] من حديث مغيرة بن عبد الرحمن، عن أبي الزناد، عن الأعرج ، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان إذا رفع رأسه من الركعة الآخرة يقول : اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة ، اللهم أنج سلمة بن هشام، اللهم أنج الوليد بن الوليد، اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعلها سنين كسني يوسف . وأن النبيﷺ قال : غفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله. قال ابن أبي الزناد عن

---

(١) (فتح الباري) : ٨/٣٣٥، كتاب التفسير ، باب (٢١) ﴿ فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً ﴾ ، حديث رقم (٤٥٩٨) .

(٢) باب (٥٨) ، وقال ابن مسعود: قال النبي ﷺ : اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف ، وقال : اللهم عليك بأبى جهل ، وقال ابن عمر : دعا النبي ﷺ فى الصلاة وقال : اللهم العن فلاناً وفلاناً حتى أنزل الله عز وجل : ﴿ ليس لك من الأمر شئ ﴾ حديث رقم (٦٣٩٣) .

(٣) باب (٢) دعاء النبي ﷺ : " اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف "، حديث رقم (١٠٠٦).

أبيه: هذا كله فى الصبح وخرجه فى أول كتاب الإكراه[1] من حديث هلال بن أسامة ومحمد بن عمرو، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة .

وخرجه فى الجهاد فى باب الدعاء على المشركين[2] من حديث سفيان، عن ذكوان، عن الأعرج[3]، عن أبي هريرة ، وفى كتاب الأنبياء فى باب : ﴿ **لقد كان فى يوسف وإخوته آيات للسائلين** ﴾ من حديث شعيب ، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة .

خرج أبو نعيم من حديث عباد بن منصور، عن القاسم بن محمد، عن أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ كان لايقنت فى الصبح إلا أن يدعو على قوم ، وأنه قنت فى صلاة الصبح بعد الركوع ، وقال: اللهم أنج الوليد بن الوليد ، وسلمة بن هشام ، وعياش بن أبي ربيعة ، والمستضعفين من المؤمنين ، والمسلمين من أهل مكة ، اللهم اشدد وطأتك على مضر، وخذهم بسنين كسنى يوسف ، فأكلوا العلهز، قال : قلت للقاسم بن محمد : ما العلهن؟ قال : الوبر والدم .

ومن حديث محمد بن زكريا قال سفيان : عن منصور، والأعمشى عن أبي الفضل عن مسروق قال : قال عبد الله : إن الله بعث محمداً ﷺ ، وقال : ﴿ **قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين** ﴾ .

وأن النبي ﷺ لما رأى قريشاً استعصوا عليه ، دعا عليهم فقال: اللهم اعنى بسبع كسبع يوسف ، فأصابتهم سنة أكلوا فيها الخف والعظام، وكان يرى فى السماء شبه الدخان ، فأتى أبو سفيان رسول الله ﷺ فقال : إنك كنت تأمرنا بصله الرحم، وإن قومك قد هلكوا فادع الله لهم وهو قوله : ﴿ **فارتقب يوم تأتى**

---

(1) كتاب (٨٩) قوله الله تعالى : ﴿ **إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم** ﴾ ، وقال : ﴿ **إلا أن تتقوا منهم تقاة** ﴾ وهى تقية ... حديث رقم (٦٩٤٠).

(2) باب (٩٨) الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة ، حديث رقم (٢٩٣٣) .

(3) باب (١٩) ﴿ **لقد كان فى يوسف وإخوته آيات للسائلين** ﴾ [يوسف : ٧] ، حديث رقم (٣٣٨٦).

السماء بدخان مبين﴾ إلى قوله: **﴿ عائدون ﴾** . ثم عادوا فـي كفرهـم، فـأخذهم الله يوم بدر، وهو قوله تعالى : **﴿ يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون﴾** .

قال عبد الله : فقد مضى الدخان، ومضت البطشه يوم بدر ومضى اللزام وهو يوم بدر، **﴿آلم غلبت الروم﴾**[١] واللزوم قد مضى ، فقد مضت الأربع[٢] .

وله من حديث محمد بن جعفر قال : حدثنا شعبة عـن سليمان ومنصـور، عن أبي الضحى ، عن مسروق، قال عبد الله :إن الله بعث محمداً ﷺ بـالحق، وقال: **﴿قل ماأسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾** .

وأن رسول الله ﷺ لما رأى قريشاً استعصوا عليه قال: اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف فـأخذتهم السنة حتـى حصـب كـل شـئ ، حتـى أكلـوا الجلـود والعظام. وقال أحدهما: الجلود والميتة وجعل يخرج من الأرض كهيئـه الدخـان، فأتاه أبو سفيان فقال : يامحمد إن قومـك قد هلكوا فـادع اللـه أن يكشـف عنهـم، فدعا، ثم قال : يعودون ، ثم قرأ هذه الآيه : **﴿فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم ﴾**[٣] . فيكشف الله عنهم عذاب الآخرة . فقـد مضى الدخان والبطشة واللزام، وقال أحدهما : واللزوم .

رواه جرير بن حازم، وجرير بـن عبـد الحميـد ، وعلـى بـن مسـهر وأبـو معاوية ووكيع فى آخر، عن الأعمش ، وقال الرياشى : لما دعا رسـول اللـه ﷺ قال : اللهم اشدد وطأتك علـى مضرواجعلهـا عليهـم سـنين كسـنى يوسـف قـال : فبقيت السماء سـبع سنين لا تمطـر ، واشـتد الجهـد بقيـس فقدم وفـد قيـس علـى رسول الله ﷺ وفيهم لبيد بن ربيعة[٤]، فلما مثلوا بين يديه فقام لبيد وقال:

---

(١) أول سورة الروم .

(٢) (فتح الباري) : ٢/٦٢٦، كتاب الاستسقاء ،باب (٢) دعاء النبي ﷺ : "اجعلها عليهم سنين كسنى يوسـف" ، حديث رقـم (١٠٠٧) ، وفيـه : " فالبطشـة يـوم بـدر ، وقـد مضـت الدخـان والبطشـة واللزام، وآية الروم .

(٣) راجع التعليق السابق .

(٤) هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بـن كـلاب العـامري ، وكـان يقـال لأبيـه : ربيـع المقـترين لسخائه. وقتلته بنو أسد فى حرب بينهم وبين قومه . وقيل غير ذلك . ويكنى لبيد أبا عقيل ، =

أتينـــاك ياخـــير البـــريـــه كـــلـــها	لـترحـمـنا مـما لقـــينا مـــن الأزل
أتينـــاك تشـــكو خطـة جل أمـــرهـا	لسبع سـنين واقــفـين علـى محـل
فـإن تـدع أخـــرى بالقـحـوط فـإننـا	أحــاديث طـسم مـا دعـاؤك بالــهزل
وإن تـــدع بالســقيا وبالعفــو ترسل	السماء لنا والمرء يبقى على الأصـل
أتينـــاك والعـــذراء يدمى لثـامــها[1]	وقد ذهلت[2] أم الصبي عن الطـفل

= وكان من شعراء الجاهلية وفرسانهم، وكان الحارث بـن أبي شمر الغسـاني - وهـو الأعرج - وجه إلى المنذر بن ماء السماء مائة فرس، فلما تمكنوا منه قتلوه وركبـوا خيلهـم، فقتـل أكـثرهم ونجا لبيد، حتى أتى ملك غسان فأخبره الخبر، فحمل الغسانيون على عسـكر المنـذر فهزموهـم ، وقو يوم حليمة. وكانت حليمـة بنـت ملـك غسـان طيبـت هـؤلاء الفتيـان حيـن توجهـوا وألبسـتهم الأكفان والدروع وبرانس الإضريـح [ضـرب مـن الأكسية]. وأدرك لبيـد الإسـلام، وقـدم لبيد الكوفة وبنوه، فرجع بنوه إلى البادية بعد ذلك ، فأقام لبيد إلى أن مات بها، فدفن فى صحـراء بنى جعفر بن كلاب ، ويقال : إن وفاته كانت فى أول خلافة معاوية ، إنه مات وهو ابن مائة وسـبع وخمسين ، ولم يقل فى الإسلام إلا بيتاً واحداً واختلف فى البيت . قال أبو اليقظان هو :

الحمد لله إذا لم يأتنى أجلى	حتى كسانى من الإسلام سربالا

وقال له عمر بن الخطاب رضي الله تبارك وتعالى عنه أنشدنى من شعرك ، فقرأ سورة البقرة وقال : ما كنت لأقول شعراً بعد إذ علمنى الله سورة البقرة وآل عمران ، فزادة عمر فى عطائـه خمسائة درهم، وكان ألفين . فلما كان فى زمن معاوية، قال معاوية : هـذان الفـودان ، فمـا بـال العلاوة يعنى بالفودين الألفين ، وبالعلاوة الخمسمائة - وأراد أن يحطه إياها، فقال : أموت الآن وتبقى لك العلاوة والفودان. فرمد له معاوية ، وترك عطاءه على حاله، فمات بعد ذلـك بيسير. ومما يستجد من شعره :

وكل امرئ سيعلم سيعه	إذا كشفت عند الإله المحاصل

وهذا البيت يدل على أنه قيل فى الإســـــلام ، وهو شبيه بقول الله تبارك وتعـالى : ﴿ **وحصل ما فى الصدور** ﴾ [العاديات :١٠]، أو كان لبيد قبـل إسـلامه يؤمـن بـالبعث والحسـاب . (الشـعر والشعراء) : ١٦٧ -١٧٤، ترجمة لبيد بن ربيعة مختصراً .

(١) فى (دلائل البيهقي) : " لبانها " .

(٢) فى (دلائل البيهقي) : " شغلت " .

وألقى بكفيه الشجاع[1] استكانة من الجوع صمتاً[2] ما يمر وما يحل
ولاشيء مما يأكل الناس عندنا سوى الحنظل العامي والعلهز الفشل[3]
[ليس لنا إلا إليك فرارنا وأين فرار الناس إلا إلى الرسل][4]
فأنت لديننا وأنت لدنيانا تؤمل للدنيا وللآخرة الفصل
لنامنك في يوم الحساب شفاعة تزحزح عنا والشفاعة في الأهل

قال: فبكى رسول الله ﷺ حتى اخضلت لحيته، ثم قال: اللهم اسقنا غيثاً عاجلاً غير آجل . قال البراء بن عازب : والله ماكان في السماء قذعة، ولقد رأيت السحاب يتداعى من نواحي السماء حتى التأم ، ثم أمطرت بشئ عجيب فجاء أهل أسافل المدينة فقالوا : يارسول الله الغرق؟ فقال : اللهم حوالينا ولا علينا فقشعت.

وخرج أبو نعيم من حديث الحارث بن أبي أسامة قال : حدثنايحيى بن أبي بكر، حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة، عن سالم بن أبي الجعد، أن شرحبيل بن السمط قال لكعب بن مرة : حدثنا حديثاً واحداً من رسول الله ﷺ ، قال دعا رسول الله ﷺ على مضر، فأتيته ، فقلت: إن الله قد نصرك وأعطاك واستجاب لك؟ وإن قومك هلكوا ؟ فادع الله لهم . فقال : اللهم اسقنا غيثاً، مريعاً، طبقاً، غدقاً ، عاجلاً غير رائث، نافعاً غير ضار ، قال : فما أتى علينا جمعة حتى مطرنا[5].

---

(١) فى (دلائل البيهقي) : " الصبى " .

(٢) فى (دلائل البيهقي) : " ضعفاً " .

(٣) فى (دلائل البيهقي) : " الغسل " .

(٤) هذا البيت زيادة للسياق من (المرجع السباق) .

(٥) (دلائل البيبهقي) : ٦/١٣٩، استسقاء النبي ﷺ وإجابة الله تعالى إياه فى سقياه ، ثم دعاؤه، بالكشف حين شكوا إليه كثرة المطر، وإجابة الله تعالى إياه فيما دعاه، وماظهر فى ذلك من آثار النبوة .

وخرَّجه من حديث بدل بن المحبر[1]، قال : حدثنا شعبة عن عمرو بن دينار ومنصور وقتادة عن سالم بن أبي الجعد، عن شرحبيل بن السمط ، عن كعب بن مرة عن النبي ﷺ بنحوه .

ومن حديث أبي داود الطيالسي قال : حدثنا شعبة عن حبيب بن أبي ثابت، عن سالم بن أبي الجعد أن كعب بن مرة[2] قال للنبي ﷺ : جئت من عند قوم لا يحظم لهم بعير ، ولا يتزود لهم راع .

وخرَّجه البيهقي من حديث شبابة قال : حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة ، عن سالم بن أبي الجعد أن ابن السمط قال لكعب بن مرة أومرة بن كعب الفهري، حدثنا بحديث سمعته من رسول الله ﷺ لله أبوك ، واحذر ، قال: دعا رسول الله ﷺ على مضر ، فأتاه أبو سفيان ، فقال: يارسول الله إن قومك قد هلكوا فادع الله لهم ، قال شعبه : وزاد حبيب بن أبي ثابت فيه بهذا الإسناد أن أبا سفيان قال للنبى ﷺ : إنى آتيك من عند قوم لم يخطم لهم فحل، ولم يتزود لهم راعٍ ، ثم رجع الى حديث عمرو، فقال النبي ﷺ : اللهم اسقنا غيثاً ، مغيثاً ، [غدقاً][3]، طبقاً ، مريعاً ، نافعاً غير ضار عاجلاً ، غير رائب . قال شعبة، وزاد حبيب بن أبي ثابت، قال : فما لبثت إلا جمعة حتى مُطِرنا .

قال المؤلف رحمة الله عليه : كعب بن مُرَّة[4] هذا يقال فيه : مُرَّة بن كعب البهزي السلمى نزل البصرة، ثم الأردن، روى عن النبي ﷺ ، وروى عن شرحبيل بن الصمت وسالم بن أبي الجعد، وقيل : لم يلقه ، وجبير بن نفير ، وأبو الأشعث الصغاني ، وطائفة . وخرج له أبو دواد .

قال ابن عبد البر: الأكثر يقولون : كعب بن مُرَّة قال: وله أحاديث مخرجها عن أهل الكوفة يروونها عن شرحبيل بن السمط ، عن كعب بن مرة

---

(١) هو بَدَل بن المحبر بن المنبه التميمي اليربوعي أبو المنير المصري . ترجمته فى (تهذيب التهذيب) : ٣٧١/١، ترجمة رقم (٧٨٢).

(٢) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي).

(٣) (دلائل البيهقي) : ١٤٦/٦.

(٤) له ترجمة فى (تهذيب التهذيب) : ٣٩٥/٨- ٣٩٦ ترجمة رقم (٧٩٧).

السلمي البهزي ، وأهل الشام يروون تلك الأحاديث بأعيانها، من شرحبيل بن السمط عن عمرو بن السمط عن عمرو بن عبسة .

وخرج الحاكم من[1] من حديث الحسين بن واقد ، حدثني يزيد النحوي أن عكرمة حدثه عن ابن عباس قال : جاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ، فقال : يا محمد أنشدك الله والرحم قد أكلنا العلهز يعنى الوبر، فأنزل الله تعالى ﴿ **ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون** ﴾[2] قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد .

وخرجه ابن حبان فى (صحيحه) [3] من حديث الحسين بن واقد، حدثنا أبي حدثنا يزيد النحوى فذكره .

وخرج أبو نعيم من حديث محمود بن بكر بن عبد الرحمن بنِ أبي ليلى ، عن دواد بن علي بن عبد الله بن عباس، عن أبيه عن جده، أن ناساً من مضر أتوا النبي ﷺ ، فسألوه أن يدعو الله عز وجل أن يسقيهم، فقال : اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً، هنيئاً، مريئاً، مريعاً، غدقاً، طبقاً، نافعاً، غير ضار، عاجلاًغير رائث، فأطبقت عليهم حتى مطروا سبعاً . وقال نجدة بن نفيع : سألت ابن عباس عن قوله تعالى ﴿ **إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً** ﴾[4] قال : استنفر رسول الله ﷺ حياً من أحياء العرب فتثاقلوا ، فأمسك عنهم المطر، فكان عذابهم . خرجه الحاكم وصححه[5] .

---

(١) (المستدرك): ٢/٢٤٨، كتاب التفسير ، تفسير سورة المؤمنون ، حديث رقم (٣٤٨٨)، وقال الحافظ الذهبي فى (التلخيصص) : صحيح .

(٢) المؤمنون : ٧٦.

(٣) الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان): ٣/٢٤٧، كتاب الرقائق ،باب (٩) الأدعية ، ذكر السبب الذى من أجله أنزل الله جل وعلا: ﴿**فما استكانوا لربهم وما يتضرعون**﴾ ، حديث رقم (٩٦٧).

(٤) التوبة : ٣٩.

(٥) (المستدرك): ٢/١١٤ - ١١٥، كتاب الجهاد، حديث رقم (٢٥٠٤)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، و قال الحافظ الذهبي فى (التلخيص): صحيح .

وأما دعاؤه ﷺ لأهل جرش[1] برفع قتل صرد بن عبد الله[2] الأزديّ وأصحابه عنهم ، فنجوا بدعائه ﷺ

فروى إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق[3] قال: قدم على رسول الله ﷺ صرد بن عبد الله الأزدي ، فأسلم وحسن إسلامه في وفد من الأزد .

فأمَّرهُ رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه ، وأَمَره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن ، فخرج صرد يسير [بأمر رسول الله ﷺ][4] في جيش حتى نزل بجرش وهي يومئذ مغلقه بها قبائل من اليمن وقد

---

(١) (جرش أو جرش - بالتحريك - اسم مدينة عظيمة كانت ، وهي الآن خراب . حدثني من شاهدها وذكر لي أنها خراب ، وبها آبار عادية تدل على عظم ، قال : وفي سطحها نهر جار يدير عدة رحى عامرة إلى هذه الغاية ، وهي في شرقي جبل السواد من أرض البلقاء وحوران من عمل دمشق، وهي في جبل يشتمل على ضياع وقرى ، يقال للجميع : جبل جرش ، اسم رجل، وهو : جرش بن عبد الله بن عليم بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة، ويخالط هذا الجبل جبل عوف، و إليه ينتهي حمى جرش،وهو من فتوح شرحبيل رضي الله تبارك وتعالى عنه في أيام عمر رضي الله تبارك وتعالى عنه. (معجم البلدان): ٢ / ١٤٨ - موضع رقم (٣٠٤٨) مختصراً .

(٢) هو صرد بن عبد الله الأزدي ، قال ابن حبان : جرش ، له صحبة . وقال ابن إسحاق في (المغازي): وقدم على رسول الله ﷺ صرد بن عبد الله الأزدي ، فأسلم وحسن إسلامه - وأمره أن يجاهد المشركين ، فذكر قصة طويلة ، قال : وكان ذلك في سنة عشر. وروى الواقدي أن رسول الله ﷺ توفي وعامله على جرش صرد بن عبد الله الأزدي . وأخرجه في المغازي . (الإصابة): ٣/٤٢١-٤٢٢، ترجمة رقم (٤٠٦٤)، (الاستيعاب): ٢/٧٣٧، ترجمة رقم (١٢٣٨).

(٣) سنده في (دلائل البيهقي) : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار، عن يونس عن ابن إسحاق ، قال : ......

(٤) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي) .

ضوت إليهم جشعم، فدخلوها معهم حين سمعوا بمسير المسلمين إليهم، فحاصرهم بماء قريباً من شهر وامتنعوا منه فيها، ثم رجع قافلاً حتى إذا كان فى جبل يقال له كشر ظن أهل جرش أنه إنما ولى عنهم منهزماً ، فخرجوا فى طلبه حتى إذا أدركوه عطف عليهم، فقاتلهم قتالاً شديداً .

وقد كان أهل جرش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ بالمدينة يرتادان وينظران، فبينما هما عند رسول الله ﷺ عشية بعد الفطر، إذا قال [رسول الله ﷺ[1] :] بأى بلاد شكر؟ فقام الجرشيان فقالا: يا رسول الله ببلادنا جبل يقال له كشر ، وكذلك تسميه أهل جرش . فقال النبي ﷺ إنه ليس بكشر ، ولكنه شكر قال: فما له يارسول الله ؟ إن بدن الله لتنحرعنده الآن، فجلس الرجلان إلى أبي بكر وإلى عثمان رضي الله تبارك وتعالى عنهما فقالا [لهما] [2]: ويحكما ! إن رسول الله ﷺ لينعى إليكما ، قومكما، فقوما فاسألاه أن يدعوا لله - عز وجل- فيرفع عن قومكما، فقاما إليه فسألا ذلك . فقال : اللهم ارفع عنهم .

فخرجا من عنده راجعين إلى قومهما ، فوجدا قومهما قد أصيبوا يوم أصابهم صرد بن عبد الله فى اليوم الذى قال فيه رسول الله ﷺ ما قال ، فى الساعة التى ذكر فيها ما ذكر .

فخرج وفد جرش حتى قدموا على رسول الله ﷺ فأسلموا، وحمى لهم حمى حول قريتهم على أعلام معلومة للفرس، والراحلة ، وللمثيرة ، وهى بقرة الحرث[3].

---

(١) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي) .

(٢) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي) .

(٣) (دلائل البيهقي) : ٣٧٢/٥ - ٣٧٣، باب قدوم صرد بن عبد الله على النبي ﷺ فى وفد من الأزد ، وإسلامه، ورجوعه إلى جرش وقدوم رجلين من جرش على النبي ﷺ وإخباره إياهما بإصابة صرد قومهما فى الساعة التى أصابهم فيها ، وما ظهر فى ذلك من آثار النبوة ورواه ابن هشام فى (السيرة) .

وأما تمكين الله تعالى قريشاً من العزّ والشرف والملك بدعاء رسول الله ﷺ

فخرج أبو نعيم من حديث أبي يحى عبد الحميد بن عبد الرحمن الحمانى ، عن الأعمش ، عن طارق بن عبد الرحمن،عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله تبارك وتعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : كما أذقت أول قريش نكالاً، فارزق آخرهم نوالاً . قال أبو نعيم : رواه أبو كرب والمتقدمون، عن أبي يحى الحمانى .

وله من طريق أبي دواد ، قال حدثنا جعفر بن سليمان، عن النضر بن معبد، عن الجارود ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ: أذقت أول قريش عذاباً ووبالاً، فأذق آخرها نوالاً .

وخرجه الترمذي من حديث أبي يحيى بسنده ومتنه كما تقدم ، وقال: هذا حديث حسن وغريب[1] .

قال المؤلف رحمه الله : قد استجاب الله تعالى دعوة نبيه محمد ﷺ لقريش وملّكلها مشارق الأرض ومغاربها، فلم يقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان حتى بلغت الدعوة الإسلامية كل ما تطأه الأقدام ، وتمر فيه السفن ، ومكن الله لقريش فى الأرض حتى لقد نقل أن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان نظر مرة إلى السحاب ، فقال : أمطرى حيث شئت ، إن أمطرت فى البر حُمل إلى البر، وإن أمطرت فى البحر حُمل إلى الدار .

وامتد ملك بنى أمية من عانة[2] إلى فرغانة[3] وأنت إن كنت ممن تبحر فى الأخبار، فاعلم كيف كان أجيال الخليقة تبين لك أن الذى تهيأ لقريش من

---

(١) وأخرجه الإمام أحمد فى (المسند): ٤٠٤/١، حديث رقم (٢١٧١)، من مسند عبد الله بن عباس رضي الله تبارك وتعالى عنهما.

(٢) عانة: بلد مشهور بين الرقة وهيت، يعد فى أعمال الجزيرة، وجاء فى الشعر ، عانات كأنه جمع بما حوله، ونسبت إليه العرب الخمر، وهى مشرفة على الفرات قرب حديثة النورة ، وبها قلعة حصينة . وعانة أيضاً بلد بالأردن. (معجم البلدان): ٨١/٤، موضع رقم (٨١٢٨). =

اتساع المملكة وكثرة العساكر، وزيارة الأموال ، لم يكن مثله لملوك فارس والروم، والله تعالى يؤتى ملكه من يشاء ، والله واسع عليم .

وأما تأييد الله عز وجل من كان معه الرسول ﷺ وتيقن الصحابة ذلك

فخرج البخاري(١) من حديث حاتم بن إسماعيل ، عن يزيد بن أبي عبيد قال: سمعت سلمة بن الأكوع قال: مر نبى الله ﷺ على نفر من أسلم ينتضلون، فقال النبي ﷺ : ارموا بنى إسماعيل،فإن أباكم كان رامياً ، وأنا مع بني فلان، فأمسك أحد الفريقين بأيديهم ، فقال رسول الله ﷺ : مالكم لا ترمون ، قالوا:

= (٣) فرغانة: بالفتح ثم السكون وعين معجمة ، وبعد الألف نون: مدينة فرغانة وكورة واسعة بما وراء النهر، متاخمة لبلاد تركستان ، فى زاوية من ناحية هيطل، من جهة مطلع الشمس على يمين القاصد لبلاد الترك، كثيرة الخير واسعة الرستاق ، ويقال : كان بها أربعون منبراً، بينها وبين سمرقند خمسون فرسخاً، ومن ولايتها جخندة .(المرجع السابق) : موضع رقم (٩١٢٨).

(١) (فتح الباري): ١١٣/٦، كتاب الجهاد والسير ، باب (٧٨) التحريض على الرمى ، وقول الله عز وجل: ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم**﴾ [الأنفال : ٦٠] ويستفاد من هذا الحديث أن من صار السلطان عليه فى جملة المناضلين له أن لا يتعرض لذلك كما فعل هؤلاء القوم ،حيث أمسكوا، لكون النبي ﷺ مع الفريق الآخر، خشية أن يغلبوهم، فيكون النبي ﷺ مع من وقع عليه الغلب ، فأمسكوا عن ذلك تأدباً معه . وتعقب بأن المعنى الذى أمسكوا له لم ينحصر فى هذا ، بل الظاهر أنهم أمسكوا لما استشعروا من قوة قلوب أصحابهم بالغلبة حيث صار النبي ﷺ معهم، وذلك من أعظم الوجوه المشعرة بالنصر. واستدل بهذا الحديث على أن اليمن من بنى إسماعيل ، وفيه نظر ، لما سيأتى فى مناقب قريش من أنه استدلال بالأخص على الأعم، وفيه أن الجد الأعلى يسمى أبا، وفيه التنويه بذكر الماهر فى صناعته ببيان فضلة، وتطييب قلوب من هم دونه، وفيه حسن خلق النبي ﷺ ومعرفته بأمور الحرب، وفيه الندب إلى اتباع خصال الآباء المحمودة والعمل بمثلها، وفيه حسن أدب الصحابة مع النبي ﷺ .

كيف نرمى وأنت معهم؟ فقال النبي ﷺ : ارموا فأنا معكم كلكم . ترجم عليه باب التحريض على الرمى .

وذكره فى كتاب (الأنبياء) [1] من حديث مسدد قال. أخبرنا يحيى عن يزيد ابن أبي عبيد ، أخبرنا سلمة قال : خرج رسول الله ﷺ على قوم من أسلم يتناضلون بالسوق فقال: أرموا بنى إسماعيل . الحديث بمعناه . ذكره فى كتاب (نسبة اليمن) إلى اسماعيل[2] منهم أسلم بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر ابن خزاعة .

وخرج البيهقي[3] من حديث يحيى بن حسان قال: حدثنا سليمان بن بلال، عن عبد الرحمن بن حرملة، عن محمد بن إياس بن سلمة ،عن أبيه عن جده .

أن رسول الله ﷺ مر على ناس من أسلم ينتضلون، فقال : حسن هذا اللهو، مرتين أو ثلاثا ارموا،وأنا مع ابن الأدرع، فأمسك القوم بأيديهم، فقالوا : لا والله لانرمى معه وأنت معهم يارسول الله إذاً يفضلنا ! فقالوا: ارموا وأنا معكم جميعاً ، فقال : لقد رموا عامة يومهم ذلك ، ثم تفرقوا على السواء ما نضل بعضهم بعضا. قال البيهقي : وكذلك رواية أبي بكر بن أبي أويس، عن سليمان .

---

(١) (المرجع السابق): ٥١٠، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (١٢) قول الله تعالى : ﴿ **واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد** ﴾ [مريم :٥٤]، حديث رقم (٣٣٧٣) .

(٢) (المرجع السابق): ٦٦٦، كتاب المناقب ، باب (٤) نسبة اليمن إلى إسماعيل، منهم أسلم بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر من خزاعة، حديث رقم (٣٥٠٧).

(٣) (دلائل البيهقي) : ٦/٢٥٥، باب ما جاء فى قوله ﷺ للرماة : ارموا وأنا مع ابن الأدرع، وما ظهر فى ذلك من الآثار. وأخرجه البيهقي أيضاً فى (السنن الكبرى) : ١٠/١٧.

وأما إجابة الله تعالى دعاءه ﷺ حتى صرع ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف[1] وكان أحدٌ لا يصرعه

فروى يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال : حدثني والدي إسحاق بن يسار أن رسول الله ﷺ قال لركانة بن عبد يزيد : أسلم ، فقال : لو أعلم أن ما تقول حقاً لفعلت . فقال له رسول الله ﷺ - وكان ركانه من أشد الناس - : أرأيت إن صرعتك تعلم أن ذلك حق؟ فقام رسول الله ﷺ فصرعه، فقال له : عُدْ يا محمد، فعاد له رسول الله ﷺ فأخذه الثانية فصرعه على الأرض،

---

(١) هو ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف المطلبي ، قال البلاذري : حدثني عباس بن هشام، حدثني أبي عن ابن خربوذ وغيره، قالوا قدم ركانة من سفر، فأخبر خبر النبي ﷺ ، فلقيه في بعض جبال مكة، فقال: يا ابن اخي ، بلغني عنك شئ، فإن صرعتني علمت أنك صادق، فصارعه فصرعه رسول الله ﷺ ، وأسلم ركانة في الفتح، وقيل : إنه أسلم عقب مصارعته. قال ابن حبان: في إسناد خبره في المصارعة نظر. يشير إلى الحديث أخرجه أبو داود والترمذيّ من رواية أبي الحسن العسقلانيّ ، عن أبي جعفر بن محمد بن ركانة، عن أبيه، أن ركانة صارع النبي ﷺ فصرعة النبي ﷺ . قال الترمذيّ : غريب ، وليس إسنادة بقائم. وقال الزبير : ركانة بن عبد يزيد الذى صارع النبي ﷺ بمكة قبل الإسلام، وكان أشد الناس، فقال : يا محمد، إن صرعتنى آمنت بك، فصرعه النبي ﷺ ، فقال : أشهد أنك ساحر ، ثم أسلم بعد، وأطعمه النبي ﷺ خمسين وسقاً . وفى الترمذيّ من طريق الزبير بن سعيد ، عن عبد الله بن يزيد بن ركانة ، عن أبيه عن جده ، قال : قلت : يارسول الله ، إنى طلقت امرأتى ألبته، فقال ﷺ : ما أردت بها ؟ قال : واحدة ... الحديث، وفى إسناده اختلاف على أبي داود وغيره . وروى عنه نافع بن عجيرة ، وابن ابنه على بن يزيد بن ركانة . قال الزبير : مات بالمدينة، فى خلافة معاوية ،وقال أبو نعيم :مات فى خلافة عثمان ، وقيل : عاش إلى سنة إحدى وأربعين . (الاستيعاب): ٥٠٧/٢، ترجمة رقم (٨٠١)، (الإصابة): ٤٩٧/٢-٤٩٨، ترجمة رقم (٢٦٩١).

فانطلق ركانة [وهو][١] يقول: هذا ساحر لم أر مثله قط، ولم ار مثل سحر هذا، والله ما ملكت من نفسى شيئاً حتى وضع جنبى على الأرض[٢] .

وروى أبو أويس المدنى عن محمد بن عبد الله بن يزيد بن ركانة، عن جده ركانه بن عبد يزيد - وكان من أشد الناس - قال: كنت أنا والنبي ﷺ فى غنيمة لأبي طالب نرعاها فى أول ما رأى إذ قال لى ذات يوم : هل لك أن تصارعنى ؟ قلت : أنت ؟ قال : أنا ، فقلت : على ماذا؟ قال : على شاة من الغنم فصارعته ، فصرعنى ، فأخذ منى شاة ، فقال : هل لك فى الثانيه ؟ قلت : نعم ، فصارعته، فصرعنى ، وأخذ منى . فجعلت ألتفت هل يرانى إنسان ، فقال: مالك؟ قلت : لا يرانى [بعض] [٣] الرعاة فيجترئون علىّ وأنا فى قومى من أشدهم ، قال : هل لك فى الصراع الثالثة وشاة ؟ قلت : نعم ، فصارعته فصرعنى ، وأخذ شاة ، فقعدتُ كئيباً حزيناً ، فقال: مالك ؟ قلت : إنى أرجع إلى عبد يزيد وقد أعطيت ثلاثاً من غنمه ، والثانية أنى كنت أظن أنى أشد قريش .

فقال : هل لك فى الرابعة ؟ فقلت : لا بعد ثلاث ، فقال : أما قولك فى الغنم فإنى أردها عليك ، فردها علىّ ، فلم يلبث أن ظهر أمره ، فأتيته، فأسلمت، فكان مما هدانى الله عز وجلّ أنى علمت أنه لم يصرعنى يومئذ بقوته، ولم يصرعنى يومئذ إلا بقوة غيره[٤] .

وخرج البيهقي[٥] من حديث أبي عبد الملك، عن القاسم عن أبي أمامة قال: كان رجل من بنى هاشم يقال له ركانه ، وكان من أفتك الناس وأشدهم[٦] ،

---

(١) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي).

(٢) (دلائل البيهقي) : ٦/٢٥٠، باب ماجاء فى استنصار رسول الله ﷺ بأسماء الله تعالى على ركانة فى المصارعة، ونصرة الله تعالى إياه عليه ، وما روى فى تلك القصة من آثار النبوة.

(٣) زيادة للسياق من (المرجع السابق) .

(٤) (دلائل البيهقي) : ٦/٢٥٠ - ٢٥١.

(٥) (دلائل البيهقي) : ٦/٢٥٢ - ٢٥٤.

(٦) (دلائل البيهقي) : "أشده" ، وما أثبتناه أجود للسياق .

وكان مشركاً يرعى غنماً له في واد يقال له إضم[١] فخرج نبي الله ﷺ من بيت عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها ذات يوم ، وتوجه قبل ذلك الوادى فلقيه ركانة وليس مع النبي ﷺ أحد، فقام إليه ركانة فقال : يا أحمد أنت الذى تشتم [آلهتنا] [٢] اللات والعزى ، وتدعو إلى إلهك العزيز الحكيم ، ولولا رحم بيني وبينك ماكلمتك الكلام - يعني حتى أقتلك - ولكن ادع إلهك العزيز الحكيم ينجيك مني اليوم وسأعرض عليك أمراً ، هل لك أن أصارعك وتدعوا إلهك العزيز الحكيم يعينك[٣]؟ وأنا أدعو اللات والعزى ؟ فإن أنت صرعتني فلك عشرمن غنمي هذه تختارها .

فقال عند ذلك نبي الله ﷺ : إن شئت ، فاتعدا[٤] ، ودعا نبي الله ﷺ إلهه العزيز الحكيم أن يعينه على ركانة، ودعا ركانه اللات والعزى : أعني على محمد، فأخذه النبي ﷺ فصرعه وجلس على صدره .

---

(١) إضم بالكسر ثم الفتح وميم :ماء يطؤه الطريق بين مكة واليمامة عند السمينة ، وقيل : ذو إضم جوف هناك به ماء وأماكن يقال لها الحناظل ،وله ذكر في سرايا النبي ﷺ . وقال السيد عُلَيّ : إضم واد بجبال تهامة، وهو الوادى الذى فيه المدينة ، ويسمى من عند المدينة القناة،ومن أعلى منها عند السد يسمى الشظاة، ومن عند الشظاة أسفل يسمى إضماً إلى البحر. قال ابن السكيت : إضم القناة التى تمر دوين المدينة . وقيل : إضم واد لأشجع وجهنية، ويوم إضم من أيامهم. وعن نصر : إضم ماء بين مكة واليمامة عند السمينة ، يطؤه الحاج وكان رسول الله ﷺ بعث محلماً في نفر من المسلمين ، فلما كانوا ببطن إضم مرّ بهم عامر ، فسلم عليهم بتحية الإسلام ، فقام إليه محلم فقتله لشئ كان بينهما ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا** ﴾ . [النساء : ٩٤] . (معجم البلدان): ١/٢٥٤ ، موضع رقم (٧٥٥)، (معجم ما استعجم) : ١/١٦٦.

(٢) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي).

(٣) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي).

(٤) في (المرجع السابق) : "فاتخذا" ، وفي (الأصل): " فاتعدى" .

فقال ركانة : قم ، فلست أنت الذى فعلت بي هذا، إنما فلعه إلهك العزيز الحكيم، وخذلنى اللات والعزى ، وما وضع أحد قط جنبى قبلك ! فقال له ركانة: عُدّ، فإن أنت صرعتنى فلك عشر أخرى تختارها .

فأخذه نبى الله ﷺ ودعا كل واحد منهما إلهه كما فعلا أول مرة، فصرعه نبى الله ﷺ، فجلس على كبده، فقال له ركانة : قم ،فلست أنت فعلت [بي] (١) هذا، إنما فعله إلهك العزيز الحكيم، وخذلنى اللات والعزى ، وما وضع جنبى أحد قبلك ثم قال له ركانة : عُدّ ، فإن أنت صرعتني فلك عشر أخرى تختارها، فأخذه النبي ﷺ ودعا كل واحد إلهه، فصرعه نبى الله ﷺ الثالثة .

فقال له ركانة : لست أنت الذى فعلت [بي هذا] (٢) ، وإنما فعله إلهك العزيز الحكيم، وخذلنى اللات والعزى ، فدونك ثلاثين شاة من غنمي ، فاخترها.

فقال له النبي ﷺ ما أريد ذلك، ولكنى أدعوك إلى الإسلام يا ركانة، وأنفس بك أن تصير إلى النار، وإنك إن تسلم تسلم .

فقال له ركانة : لا إلا أن تريني آيه ، فقال له نبى الله ﷺ [الله عليك] (٣) شهيد إن أنا دعوت ربى فأريتك آية لتجيبننى إلى ما أدعوك إليه ؟ قال : نعم .

وقريب منه شجرة ثمر ذات فروع وقضبان فأشار إليها نبى الله ﷺ، وقال لها : أقبلى بإذن الله فانشقت باثنتين وأقبلت على نصف شقها(٤) وقضبانها وفروعها حتى كانت بين يدى نبي الله ﷺ وبين ركانة ، فقال له ركانة : أريتنى عظيماً فمرها فلترجع، فقال له نبي الله ﷺ :شهيد لئن أنا دعوت ربى عز وجل فرجعت لتجيبننى إلى ما أدعوك إليه ؟ قال : نعم ، فأمرها فرجعت بقضبانها وفروعها حتى التأمت بشقها.

---

(١) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي).

(٢) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي).

(٣) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي).

(٤) فى بعض المصادر : (ساقها).

فقال له النبي ﷺ: [أسلم][1] تسلم ؟ فقال له ركانة: ما بي إلا أن أكون رأيت عظيماً، ولكنى أكره أن يتحدث نساء أهل المدينة وصبيانهم ، أنى إنما أجبتك لرعب دخل على قلبي[2]منك ، ولكن قد علمت نساء أهل المدينه وصبيانهم أنه لم يضع جنبى أحد قط ، ولم يدخل قلبي رعب قط ليلاً ، ولا نهاراً، ولكن دونك فاخترغنمك .

فقال النبي ﷺ : ليس لى حاجة إلى غنمك إذا أبيت أن تسلم، فانطلق نبي الله ﷺ راجعاً، وأقبل أبو بكر وعمر رضي الله تبارك وتعالى عنهما يلتمسانه فى بيت عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها، فأخبرتهما أنه قد توجه قبل وادى إضم، وقد عرفا أنه وادى ركانة لا يكاد يخطئه .

فخرجا فى طلبه وأشفقا أن يلقاه ركانه فيقتله، فجعلا يصعدان على كل شرف ، ويتشوفان مخرجاً، إذ نظرا إلى نبى الله ﷺ مقبلاً، فقالا: يارسول الله! كيف تخرج إلى هذا الوادى وحدك ؟ وقد عرفت أنه جهة ركانة، وأنه من أفتك الناس وأشدهم تكذيباً لك ، فضحك النبي ﷺ، ثم قال : أليس الله عزوجل يقول لى : ﴿**والله يعصمك من الناس**﴾[3] إنه لم يكن يصل إلىّ والله معي ، فأنشأ يحدثهما حديثه، والذى فعل به، والذى أراه، فعجبا من ذلك ، وقالا: يارسول الله: أصرعت ركانة ؟ فلا والذى بعثك بالحق ما نعلم أنه وضع جنبه إنسان قط. فقال لهما النبي ﷺ :إنى دعوت ربي فأعاننى عليه، وإن ربي عز وجل أعانني ببضع عشرة وقوة عشرة[4] .

---

(١) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي).

(٢) فى (الاصل) : " على " وما أثبتناه من (دلائل البيهقي).

(٣) المائدة : ٦٧ .

(٤) وأخرجه الحاكم فى (المستدرك) : ٥١١/٣، كتاب معرفة الصحابة ، ذكر مناقب ركانة بن عبد يزيد ، حديث رقم (٥٩٠٣) مختصراً جداً ، وقد حذفه الحافظ الذهبي من (التلخيص) .

قال البيهقي : أبو عبد الملك هذا على بن يزيد الشامى ،وليس بالقوى إلا أنه معه ما يؤكد حديثه . قال كاتبه : هو على بن يزيد بن أبي هلال أبو عبد الملك[1] ، ويقال : أبو الحسن الألهانى ، ويقال : الهلالى من أهل دمشق.

روى عن القاسم بن عبد الرحمن ومكحول ، روى عنه يحيى بن الحارث الدنارى وعثمان بن أبي العاتكة ، وعبيد الله بن زحر، ومطرح بن يزيد ومعاذ ابن رفاعة ، وعمرو بن واقد ومدرك بن أبي سعد، والوليد بن سليمان بن أبي السائب، وبكر بن عمرو المعافرى ، قال البخاري : منكر الحديث. وقال ابن يونس : وفيه نظر، وقال النسائي : ليس بثقة . وقال مرة: متروك الحديث . وقال أبو أحمد الحاكم : سمعت البخاري يقول : علي بن يزيد بن عبد الملك الألهانى ضعيف وفى رواية منكر الحديث . وقال محمد بن يزيد المستملى : قلت لأبى مسهر فعليّ بن يزيد ؟ قال : مأعلم إلاخبراً انظر من يروى عنه ابن أبي عاتكة ليس من أهل الحديث، ونظراؤه.

وقال حارث بن إسماعيل : قلت لأحمد بن حنبل : عليّ بن يزيد ، قال : هو دمشقي كان ضعيفاً ، وقال ابن معين : علىّ بن يزيد الشامى ضعيف .

وفى رواية علىّ بن يزيد ، عن القاسم بن أبي أمامة : هى ضعاف كلها .

وقال أبو إسحاق السعدي : عليّ بن يزيد الدمشقيّ رأيت غير واحد من الأئمة ينكر أحاديثه التى يرويها عنه عبيد الله بن زحر، وعثمان بن أبي العاتكه، ثم رأينا أحاديث جعفر بن الزبير، وبشر بن نمير يرويان عن القاسم أحاديثه تشبه تلك الأحاديث . وكان القاسم خياراً فاضلاً، ممن أدرك أربعين رجلاً من المهاجرين والأنصار، وأظننا أتينا من قبل علىّ بن يزيد ، على أن بشر بن نمير وجعفر بن الزبير ليسا ممن يحتج بهما على أحد من أهل العلم .

وقال عمر بن شبة : عليّ بن يزيد واهى الحديث كثير المنكرات. وقال محمد بن أبي حاتم : وسألت أبي عن عليّ بن يزيد ، فقال : ضعيف الحديث منكره ، فإن كان ما روى عن عليّ بن يزيد، عن القاسم على الصحه ، فيحتاج

---

(١) له ترجمة فى : (تهذيب التهذيب) : ٣٤٦/٧ -٣٤٧، ترجمة رقم (٦٤٢)، وهو عليّ بن يزيد ابن أبي هلال الألهانى ، ويقال الهلالى أبو عبد الملك ، ويقال: أبو الحسن الدمشقيّ .

أن ينظر فى أمر علي بن يزيد . وسألت أبا رزعة عن عليّ بن يزيد فقال: ليس بقوىّ ، وقال أبو زكريا الساجىّ : وأحاديث عبيد الله بن زحر ، وعليّ بن يزيد، عن القاسم ، عن أبي أمامه مرفوعة ضعيفة . وفى رواية علىّ بن يزيد مضعف. وقال أبو عيسى الترمذي : وقد تكلم بعض أهل العلم فى عليّ بن يزيد وضعفه، وهو شامىّ .

وقال فى موضع آخرعلىّ بن يزيد يضعف فى الحديث ويكنى أبا عبد الملك، وقال فى موضع آخر . قال محمد يعنى البخاري : القاسم ثقة ، وعليّ بن يزيد ضعيف ، وقال أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الكنانىّ الأصبهانىّ : قلت لأبى حاتم : ما تقول فى أحاديث عليّ بن يزيد عن القاسم ، عن أبي أمامة ؟ فقال: ليست بالقوية هى ضعاف . وقال أبو أحمد بن عدىّ : ولعلىّ بن يزيد أحاديث ونسخ، وعبيد الله بن زحر يروى عن عليّ بن يزيد، عن القاسم ، عن أبي أمامة أحاديث ، وهو فى نفسه صالح إلا أن يروى عنه ضعيف ، فيوتى من قبل ذلك الضعيف .

وقال أبو بكر أحمد بن محمد بن غالب : هذا ما وافقت عليه أبا الحسين الدارقطني من المتروكين علىّ بن يزيد الدمشقيّ أبوعبد الملك،عن القاسم بن عبد الرحمن . وقال الحافظ أبو نعيم : علىّ بن يزيد منكر الحديث . وقاله البخاري ، قال كاتبه : خرج لعليّ بن يزيد هذا الترمذيّ وابن ماجة وقال ابن حبان عن حديث مصارعة ركانة: فى إسناده نظر وقال عبد الغنىّ : هو أصل ماروى فى المصارعة، ومصارعة أبي جهل فليس لها أصل .

وأما كون إنسان يصلح بين القبائل لأن المصطفى ﷺ سَمَّاه مطاعاً

فخرَّج أبو نعيم من حديث أبي مسعود عبد الرحمن بن المثنى بن مطاع بن عيسى بن مطاع بن زياد ، بن مسعود، بن الضحاك[1] [بن خالد][2] بن عدى بن أراش بن جزيلة بن اللخم اللخميّ قال : حدثني أبي المثنى عن أبيه مطاع، عن أبيه عيسى ، عن أبيه مطاع ، عن أبيه زياد ، عن جده مسعود أن النبي ﷺ سماه مطاعاً ، وقال له : أنت مطاع فى قومك ، وقال له : امض إلى أصحابك ، فمن دخل تحت رايتك هذه فهو آمن من العذاب، فمضى مطاع إلى أصحابه فقال لهم : أنتم سامعون مطيعون .

قالوا : نعم يامسعود ، فقال لهم : إن النبي ﷺ سمانى مطاعاً ، وحملني على هذا الفرس وأعطاني هذه الراية ، وقال لي : امض إلى أصحابك ، فمن دخل تحت هذه الراية فقد أمن من عذابى . فأقبلوا معه الى النبي ﷺ فصاروا من أصحابه وقالوا : يا رسول الله ادع لنا على حدس ، فقال لهم : حدس الأحداس يكثرون ويقل الناس .

---

(١) هو مسعود بن الضحاك بن عدي بن أراش بن حرملة بن لخم اللخمى ، وقد ينسب مسعود إلى جده ، وسمى أبو عمر جده : حرملة ، كأنة نسب أباه إلى جده الأعلى ، وقال : زعم أهله وولده أن له صحبة ، وروى الحديث عن جماعة من ولده .

وقال الطبراني : حدثنا أبو مسعود عبد الرحمن بن المثنى بن المطاع بن عيسى بن المطاع بن زياد بن مسعود بن الضحاك بن عدى بن أوس بن حرملة بن لخم، حدثني أبي عن أبيه ، عن جده المطاع ، عن أبيه زيادة ، عن جده مسعود ، أن النبي ﷺ سماه مطاعاً، و قال له: أنت مطاع فى قومك، امض إلى أصحابك، وحمله على فرس أبلق، وأعطاه الراية ، وقال : من دخل تحت رايتي هذه فقد أمن من العذاب . رواه عبد السلام بن المثني بن المطاع ، عن أبيه، عن جده مثله ، لكن قال : زائدة بدل زيادة . (الاستيعاب): ١٣٩٣/٣، ترجمة رقم (٢٣٨٣)، (الإصابة) : ١٠٠/٦-١٠١، ترجمة رقم (٧٩٥٨).

(٢) من الأصل فقط .

فقالوا : يارسول الله دعوت لهم بالكثرة؟ فقال : جاءنى جبريل فأخبرني أن مسعوداً يقابلنى بكرة مشركاً ويأتيني بالعشى مؤمناً، فلما كان مع زوال الشمس قالوا : يا نبي الله إنا نرى شخصاً مقبلاً ، فأقبل مسعود إلى النبي ﷺ ، قال أبو مسعود : أخبرنى أبي عن جدي مطاع أنه كان يأخذ الراية إذا وقع بين القبائل فيصلح بينهم ، وكان قد كبر وبلغ أرجح من مائة سنة ، وكان يربط العمامة على حاجبيه حتى تنكشف عيناه ، ويقاتل على كبره .

وأما استجابة الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ فى دعائه على عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر هوازن بن منصور ابن عكرمة بن حفصة بن قيس بن غيلان بن مضر ، وأربد بن قيس ابن جزء بن خالد بن جعفر بن كلاب

فخرج البخاري من حديث همام عن إسحاق عن عبد الله بن أبي طلحة قال : حدثني أنس أن النبي ﷺ بعثه خاله أخاً لأم سليم فى سبعين راكباً ، وكان رأس المشركين عامر بن طفيل ، خير بين ثلاث خصال، فقال : يكون لك أهل السهل ولى أهل المدر، وأكون خليفتك أو أغزوك بأهل غطفان بألف وألف ، فطعن عامر فى بيت أم فلان، فقال : غدة كغدة البعير[1] فى بيت امرأة من آل فلان، ائتونى بفرسى ، فمات على ظهر فرسه ، فانطلق حرام أخو أم سليم هو ورجل أعرج ورجل من بنى فلان، قال : كونا قريباً منى حتى آتيهم ، فإن آمنو بى كنتم . وإن قتلونى أتيتما أصحابكما ، فقال : أتؤمنونني حتى أبلغ رسالة رسول الله ﷺ، فجعل يحدثهم ، وأومئوا إلى رجل فأتاه من خلفه ، فطعنه .

قال همام : أحسبه قال حتى أنفذه بالرمح ، قال : الله أكبر فزت ورب الكعبة، فأنزل الله علينا ، ثم كان من المنسوخ : "وإنا قد لقينا ربنا فرضي عنا [وأرضانا][2] " فدعا النبي ﷺ ثلاثين صباحاً على رعل وذكوان وبني[3] لحيان وعصية الذين عصوا الله ورسوله .

---

(١) فى البخاري : " البكر " .

(٢) زيادة للسياق من (البخاري) .

(٣) (فتح الباري) : ٧/٤٩٠-٤٩١، كتاب المغازى باب (٢٩) غزوة الرجيع، ورعل، وذكوان، وبئر معونة، حديث عضل والقارة - وعاصم بن ثابت وخبيب وأصحابه، قال ابن إسحاق : حدثنا عاصم بن عمر أنها كانت بعد أحد . حديث رقم (٤٠٩١) . قوله : "ثم كان من المنسوخ " أى المنسوخ تلاوته، فلم يبق له حكم حرمة القرآن كتحريمه على الجنب، وغير ذلك . (فتح الباري).

وخرَّج الحاكم من طريق عبد الله بن الزبير الحميدى حدثنا على بن يزيد بن أبي حكيمة ، عن أبيه وغيره، عن سلمة بن الأكوع أن عامر بن الطفيل لم يدخل المدينة إلا بأمان من رسول الله ﷺ فلما جاء النبي ﷺ قال له : أسلم تسلم قال : نعم، على أن لى الوبر ولك المدر .

قال : هذا لا يكون أسلم تسلم يا عامر، يا عامر اذهب حتى تنظر فى أمرك إلى غدٍ فأرسل رسول الله ﷺ إلى الأنصار ، فقال: ماذا ترون ؟ إنى دعوت الرجل فأبى أن يسلم إلا أن يكون له الوبر ولى المدر، فقالوا: ماشاء الله، ثم شئت يا رسول الله ما أخذوا منا عقالاً إلا أخذنا منهم عقالين ، فالله ورسوله أعلم، فرجع عامر إلى النبي ﷺ الغد، فقال له النبي ﷺ: تسلم يا عامر؟ قال : لا إلا أن يكون لى الوبر ولك المدر .

فقال النبي ﷺ: ليس إلى ذلك ، فأبى إلا أن يكون له الوبر، وللنبى ﷺ المدر، فأبى النبي ﷺ ، فقال عامر: أما والله لأملأنها عليك خيلاً ورجالاً، فقال له النبي ﷺ يأبى الله ذلك عليك،وأبناء قيلة الأوس والخزرج، ثم ولى عامر، فقال رسول الله ﷺ : اللهم اكفنيه، فرماه الله بالذبحة قبل أن يأتى أهله، قال : فقال عامر حين أخذته الذبحة : ياآل عامر كغدة البكر، فهلك ساعة أخذته دون أهله(١).

وقال يونس بن محمد بن إسحاق، قال : قدم على رسول الله ﷺ وفد بني عامر، فيهم عامر بن الطفيل ، وأربد بن قيس، وخالد بن جعفر ، وجبار بن سلمى بن مالك . فكان هؤلاء النفر رؤساء القوم وشياطينهم، فقدم عامر بن الطفيل عدو الله على رسول الله ﷺ وهو يريد أن يغدر به، فقال له قومه : ياعامر إن الناس قد أسلموا، فقال : والله لقد كنت آليت ألا ننتهى حتى تتبع العرب عقبى ، فأنا أتبع هذا الفتى من قريش، ثم قال لأربد : إذا قدمنا على الرجل فإنى شاغل عنك وجهه، فإذا فعلت ذلك فاعله بالسيف .

---

(١)(المستدرك) : ٤/٩٢-٩٣، كتاب معرفة الصحابة ، ذكر فضيلة أخرى للأوس والخزرج ، لم يقدر ذكرها من فضائل الأنصار، حديث رقم (٦٩٨٣)، وقد سكت عنه الحافظ الذهبى فى (التلخيص) .

فلما قدموا على رسول الله ﷺ ، قال عامر : يامحمد خالنى ، فقال: لا،حتى تؤمن بالله وحده لاشريك له ، فلما أبي عليه رسول الله ﷺ قال : أما والله لأملأنها عليك خيلاً حمراً، ورجلاً، فلما ولى قال رسول الله ﷺ : اللهم اكفنى عامر بن الطفيل ، فلما خرجوا من عند رسول الله ﷺ ، قال عامر لأربد: ويحك يا أربد ! أين ماكنت أمرتك به ؟ والله ماكان علي الأرض رجل أخوف عندى على نفسى منك ، وأيم الله لا أخاف بعد اليوم أحداً ، قال: لا أباً لك ، لا تعجل عليّ فوالله ما هممت بالذى أمرتني به من مرة إلا دخلت بيني وبين الرجل! أفأضربك بالسيف؟ ثم خرجوا راجعين إلى بلادهم حتى إذا كانوا ببعض الطريق، بعث الله عز وجل على عامر بن الطفيل الطاعون فى عنقه، فقتله فى بيت امرأة من بنى سلول، ثم خرج أصحابه حتى واروه حين قدموا أرض بنى عامر أتاهم قومهم، فقالوا: ماوراءك ياأربد؟ فقال : قد دعانا إلى عبادة شئ لوددت أنه عندى فأرميه بنبلى هذه حتى أقتله . فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين ومعه جمل يبيعه، فأرسل الله عليه وعلى جمله صاعقه فأحرقتهما ، وكان أربد أخاً للبيد بن ربيعة لأمه فبكاه ورثاه(١) .

وخرّج البيهقي من حديث محمد بن إسحاق قال : حدثنا معاوية بن عمر وأخبرنا أبو إسحاق، عن الأوزاعى ، عن عبد الحق بن عبد الله بن أبي سلمة فى قصة بئر معونة، قال الأوزاعى : قال يحيى : فمكث رسول الله ﷺ يدعو على عامر بن الطفيل ثلاثين صباحاً: اللهم اكفنى عامر بن الطفيل وابعث عليه داء يقتله ، فبعث الله طاعوناً فقتله(٢) .

ومن طريق همام عن إسحاق بن أبي طلحة قال : حدثني أنس بن مالك رضي الله تبارك وتعالى عنه فى قصة حرام بن ملحان قال: وكان رئيس المشركين عامر بن الطفيل ، كان أتى النبي ﷺ، فقال: أخيرك بين ثلاث

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٣١١٨/٥ –٣٢٠، باب وفد بنى عامر ، ودعاء النبي ﷺ على عامر بن الطفيل، وكفاية الله تعالى شره، وشر أربد بن قيس بعد أن عصم منها نبيه ﷺ وماظهر فى ذلك من آثار النبوة .

(٢) (المرجع السابق) : ٣٢٠.

خصال: يكون لك أهل السهل ويكون لى أهل المدر، وأكون خليفتك من بعدك ، أو أغزوك بغطفان بألف أشقر، و ألف شقراء .

قال : فطعن فى بيت امرأة فقال : غدة كغدة البكر فى بيت امرأة من بني فلان ؟ أئتونى بفرس ، فركب، فمات على ظهر فرسه(١) .

ومن طريق الزبير بن بكار قال: حدثتنى فاطمة بنت عبد العزيز بن مؤملة ابن جميل قال : أتى عامر بن الطفيل النبي ﷺ، فقال له : يا عامر أسلم ، قال: أسلم على أن لى الوبر ولك المدر؟ قال : لا، فولىّ وهو يقول : والله يا محمد لأملأنها عليك خيلاً جرداً، ورجالاً مرداً ، ولأربطن بكل نخله فرساً .

فقال النبي ﷺ: اللهم اكفنى عامراً واهد قومه ، فخرج عامر حتى إذا كان بظهر المدينة صادف امرأة يقال لها : سلولية، فنزل عن فرسه ونام فى بيتها، فأخذته غدة فى حلقة، فوثب على فرسه، وأخذ رمحه، وأقبل يجول وهو يقول : غدة كغدة البكر؟ وموت فى بيت سلولية ؟ فلم تزل تلك حاله حتى سقط عن فرسه ميتاً(٢) .

---

(١) (المرجع السابق) : ٣٢٠ .

(٢) (المرجع السابق) : ٣٢١ .

وأما استجابة الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ فيمن أكل بشماله

فخرج مسلم من حديث أبي بكر بن أبي شيبة قال : حدثنا شيبة قال :حدثنا زيد بن الحباب عن عكرمة بن عمار قال: حدثني إياس بن سلمة بن الأكوع ان أباه حدثه أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله، فقال: كل بيمينك، قال: لا أستطيع، قال[ﷺ] :لااستطعت ، ما منعه إلا الكبر، قال : فما رفعها إلى فيه[١] .

وخرجه أبو نعيم[٢] من طريق أبي داود الطيالسى ، قال: حدثنا عكرمة بن عمار، عن إياس بن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه أن النبي ﷺ أبصر بسر بن راعى العير[٣] يأكل بشماله، فقال : كل بيمينك، فقال: لاأستطيع، قال[ﷺ]: لااستطعت، فما نالت يمينه إلى فيه بعد .

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٢٠٣/١٣، كتاب الأشربة ،باب (١٣) آداب الطعام والشراب وأحكامهما ، حديث رقم (١٠٧). وفى أحاديث الباب استحباب الأكل والشرب باليمين ، وكراهتهما بالشمال ، وقد زاد نافع الأخذ والإعطاء ، وهذا إذا لم يكن عذر، فإن كان عذر يمنع الأكل والشرب باليمين من مرض أو جراحة أو غير ذلك فلاكراهة فى الشمال . قوله : " إن رجلاً أكل " ، هذا الرجل هو بسر بضم الباء وبالسين المهملة ابن راعى العير بفتح العين وبالمثناة الأشجعي . كذا ذكره ابن منده وأبو نعيم الأصبهاني ،وابن ماكولا وآخرون ، وهو صحابى مشهور عده هؤلاء وغيرهم فى الصحابة رضي الله تبارك وتعالى عنهم . وأما قول القاضى عياض رضي الله تبارك وتعالى عنه أن قوله : ما منعه إلا الكبر ، يدل على أنه كان منافقاً فليس بصحيح ، فإن مجرد الكبر والمخالفة لا يقتضى النفاق والكفر ، لكنه معصية إن كان الأمر أمر إيجاب . وفى هذا الحديث جواز الدعاء على من خالف الحكم الشرعى بلا عذر، وفيه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى كل حال ، حتى فى حال الأكل ، واستحباب تعليم الآكل آداب الأكل إذا خالفه (شرح النووي) .

(٢) راجع التعليق السابق .

(٣) هو بسر بن راعى العير الأشجعي ، روى الدارمي ، وعبد بن حميد، وابن حبان ، والطبراني ، من طريق عكرمة بن عمار، عن إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه ، أن النبي ﷺ أبصر بسر

ومن حديث محمد بن جعفر قال: حدثنا شعبة، عن عكرمة بن عمار، عن إياس بن سلمة بن الأكوع، عن أبيه، أن رجلاً كان يأكل عند النبي ﷺ بشماله، فقال له رسول الله ﷺ : كل بيمينك، قال: لاأستطيع ، فقال النبي ﷺ :لا استطعت، قال: فما رفعها بعد إلى فيه .

وخرج البيهقي(١) من حديث ابن وهب قال: أخبرني ابن لهيعة، عن يزيد ابن أبي حبيب أن رسول الله ﷺ رأى سبيعة الأسلمية تأكل بشمالها، فقال: مالها تأكل بشمالها؟ أخذها داء غزة . فقالت: يانبى الله إن فى يمينى قرحة، قال: وإن، قال يزيد : إن سبيعة لما مرت بغزة أصابها الطاعون وقتلها .

قال ابن لهيعة : وأخبرنى عثمان بن نعيم الرعيني ، عن مغيرة بن نهيك الحجرى ، عن دخين الحجري ، أنه سمع عقبه بن عامر يذكر عن رسول الله ﷺ .

بسر هذا بضم الباء الموحدة وبالسين والراء المهملتين . ذكره ابن منده وأبو نعيم، وابن ماكولا وعُدَّ من الصحابة .

وذكر القاضى عياض أن قوله: مامنعه إلا الكبر يدل على أنه كان منافقاً. ورده النووى بأن مجرد الكبر لا يقتضي النفاق والكفر، ولكنه معصية إذا كان الأمر أمر إيجاب(٢) .

ابن راعى العير يأكل بشماله فقال : كل بيمينك . فقال : لاأستطيع فقال : لا استطعت فما نالت يمينه إلى فيه بعد . وفى رواية : فما نالت يده فمه بعد . وقد قيل فيه : بشر بالمعجمة ، وبذلك ذكره ابن منده وأنكر عليه أبو نعيم ، ونسبه إلى التصحيف ، ولم يحك الدار قطنى وابن ماكولا فيه خلافاً أنه بالمهملة ، وأما البيهقي فحكى فى (السنن)أنه بالمعجمة أصح ، و أغرب ابن فتحون فاستدركه فيمن اسمه بشير (الإصابة): ١/٢٩١ - ٢٩٢ ، ترجمة رقم (٦٤٥).

(١) (دلائل البيهقي): ٦/٢٣٩.

(٢) راجع ترجمته السابقة فى أول الفصل .

وأما استجابة الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام في الحكم بن مروان

فخرج البيهقي[١] وغيره من حديث ضرار بن صرد قال: حدثنا عائذ عن حبيب، بن إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد الله المزنى قال : سمعت عبد الرحمن ابن أبي بكر يقول : كان فلان يجلس إلى النبي ﷺ فاذا تكلم النبي ﷺ بشئ اختلج بوجهه فقال له النبي ﷺ : كن كذلك، فلم يزل يختلج حتى مات .

ومن حديث عبد الواحد بن زياد قال: حدثنا صدقة بن أبي سعيد الحنفى عن جميع بن عمير التميمى ، قال : سمعت عبد الله بن عمررضي الله تبارك وتعالى عنهما يقول : كنا على باب رسول الله ﷺ ننتظره فخرج فاتبعناه حتى أتى عقبة من عقاب المدينة، فقعد عليها ،[وقال]: يا أيها الناس لا يتلقين أحدكم سوقاً ، ولا يبيع مهاجر لأعرابى ، ومن باع محفلة فهو بالخيار ثلاثه أيام، فإن ردها رد معها مثل ، أو قال: مثلى لبنها قمحاً . قال: ورجل خلف النبي ﷺ يحاكيه ويلحظه، فقال النبي ﷺ : كذلك كن ، قال: فرفع إلى أهله فلبط به شهرين، فغشى عليه، ثم أفاق حين أفاق، وهو كما حكى رسول الله ﷺ[٢] .

ومن حديث السرى بن يحيى ، عن مالك بن دينار قال : حدثني هند بن خديجة[٣] زوج النبي ﷺ فرآه فقال: اللهم اجعل به وزعاً، فزحف مكانه ، [والوزع ارتعاش][٤] .

وقال أبو القاسم البغوي : عن محمد بن إسحاق بإسناده ، قال: مر النبي ﷺ بالحكم، فجعل [الحكم] [٥] يغمز [النبي] [٦] بإصبعه، ثم ذكر الباقي .

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٦/٢٣٩.

(٢) (المرجع السابق) : ٢٣٩ -٢٤٠.

(٣) هو هند بن أبي هالة .

(٤) زيادة للسياق من (المرجع السابق) .

(٥) (المرجع السابق) : ٢٤٠ .

(٦) (المرجع السابق) : ٢٤٠ .

وقال ابن عبد البر فى ترجمة الحكم بن أبي العاصي[1] بن أميه بن عبد شمس ، ذكروا أن النبي ﷺ كان إذا مشى يتكفأ، فكان الحكم بن أبي العاص يحكيه، فالتفت النبي ﷺ يوماً، فرآه يفعل ذلك ، فقال ﷺ: فكذلك فلتكن، وكان

(١) هو الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى القرشي الأموى ، عم عثمان بن عفان ، أبو مروان بن الحكم ، كان من مسلمة الفتح ، وأخرجه رسول الله ﷺ من المدينة وطرده عنها ، فنزل الطائف ، خرج معه ابنه مروان . وقيل: إن مروان ولد بالطائف إلى أن ولى عثمان، فرده عثمان إلى المدينة ، وبقى فيها وتوفى فى آخر خلافة عثمان ، قبل القيام على عثمان بأشهر فيما أحسب ، واختلف فى السبب الموجب لنفى رسول الله ﷺ إياه ، فقيل : كان يتحيل ويستخفي ويتسمع ما يسره رسول الله ﷺ إلى كبار الصحابة فى مشركى قريش وسائر الكفار والمنافقين، فكان يفشى ذلك عنه حتى ظهر ذلك عليه ، وكان يحكيه فى مشيته وبعض حركاته، إلى أمور غيرها كرهت ذكرها . ذكروا أن النبي ﷺ كان إذا مشى يتكفأ، وكان الحكم بن أبي العاصي يحكية ، فالتفت النبي ﷺ يوماً فرآه يفعل ذلك. فقال ﷺ : فكذلك فلتكن ، فكان الحكم مختلجاً يرتعش من يومئذ فعيره عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، فقال فى عبد الرحمن بن الحكم يهجوه :

إن اللعين أبوك فارم عظامه ... إن ترم ترم مخلّجاً مجنوناً
يُمْسى خميص البطن من عمل التقى ... ويظل من عمل الخبيث بطيناً

فأما قول عبد الرحمن بن حسان : إن اللعين أبوك ، فروى عن عائشة من طرق ذكرها ابن أبي خيثمة وغيره أنها قالت لمروان ، إذ قال فى أخيها عبد الرحمن ما قال [لما امتنع عن البيعة ليزيد بن معاوية بولاية العهد] : أما أنت يامروان فأشهد أن رسول الله ﷺ لعن أباك وأنت فى صلبه. وحدثنا عبد الوارث بن سفيان ، حدثنا قاسم ، حدثنا أحمد بن زهير ، حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا عثمان بن حكيم، قال : حدثنا شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال : قال رسول الله ﷺ يدخل عليكم رجل لعين . قال عبد الله : وكنت قد تركت عمراً يلبس ثيابه ليقبل إلى رسول الله ﷺ ، فلم أزل مشفقاً أن يكون أول من يدخل فدخل الحكم بن أبي العاصي. (الاستيعاب):١/٣٥٩-٣٦٠، ترجمة رقم (٥٢٩) .

الحكم مختلجاً يرتعش من يومئذ، فعيره عبد الرحمن بن حسان بن ثابت. فقال فى عبد الرحمن بن الحكم يهجوه:

إن اللعـــين أبـــوك فـــارم عظامـــه إن تـرْم تــرم مخلجاً مجنوناً
يمسى خميص البطن من عمل التقى ويظل من عمل الخبيث بطينا

وأما استجابة الله تعالى دعاء رسوله محمد ﷺ على قريش حين تظاهروا عليه بمكة حتى أمكنه الله منهم وقتلهم يوم بدر بسيوف الله

فخرج مسلم[1] من حديث زكريا، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون الأزدي ، عن ابن مسعود رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : بينما رسول الله ﷺ [يصلي] [2] عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس ، وقد نحرت جرزو بالأمس، فقال أبو جهل : أيكم يقوم إلى سلا[3] جزور بني فلان ، فيأخذه، فيضعه بين في كتفي محمد إذا سجد ؟ فانبعث أشقى القوم، فأخذه، فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه! قال: فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض وأنا قائم، انظر ولو كان لي منعة طرحته على ظهر رسول الله ﷺ، والنبي ﷺ ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق إنسان، فأخبر فاطمة رضي الله تبارك وتعالى عنها، فجاءت وهي جويرية ، فطرحته عنه، ثم أقبلت عليهم تسبهم .

فلما قضى النبي ﷺ صلاته رفع صوته ، ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا، دعا ثلاثاً، وإذا سأل سأل ثلاثاً ، ثم قال : اللهم عليك بقريش ثلاث مرات، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك ، وخافوا دعوته، ثم قال: اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عقبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط .

وذكر السابع[4] ، ولم أحفظه، فوالذي بعث محمداً بالحق، لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر ، ثم سحبوا إلى القليب قليب بدر .

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ١٢/٣٩٣-٣٩٤ ، كتاب الجهاد والسير ، باب (٣٩) ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ، حديث رقم (١٠٧) .

(٢) زيادة للسياق من (صحيح مسلم) .

(٣) هي الجلدة التي يكون فيها الولد من البهائم ، وأما من الآدميات فهي المشيمة . وفي رواية : "فيعمد إلى فرثها ، ودمها ، وسلاها" .

(٤) السابع هو عمارة بن الوليد كما وقع في رواية (البخاري) .

قال مسلم : الوليد بن عقبة: غلط في هذا الحديث . قال كاتبه : وقع في رواية في كتاب مسلم : الوليد بن عقبة والصواب الوليد بن عقبه بن ربيعة .

وخرجه البخاري من حديث شعبة عن أبي إسحاق،عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله قال: بينا رسول الله ﷺ ساجد . ومن حديث إبراهيم بن يوسف ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق قال : حدثني عمرو بن ميمون أن عبد الله بن مسعود رضي الله تبارك وتعالى عنه حدثه أن النبي ﷺ كان يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس ، إذ قال بعضهم لبعض : أيكم يجئ بسلى[1] جزور بني فلان، فيضعه على ظهر محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم ، فجاء به ، فنظر حتى سجد النبي ﷺ وضعه على ظهره بين كتفيه، وأنا أنظر لا أغنى[2] شيئاً لو كانت لي منعة .

قال : فجعلوا يضحكون ويميل بعضهم على بعض[3] ورسول الله ﷺ ساجد[4] لا يرفع رأسه حتى جاءته فاطمة، فطرحته عن ظهره، فرفع رأسه ، ثم قال : اللهم عليك بقريش ثلاث مرات ، فشق عليهم ، قال وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة، ثم سمى ، اللهم عليك بأبى جهل ، وعليك بعتبة ابن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط وعد السابع، فلم يحفظه قال: فوالذى نفسي بيده، لقد رأيت الذين عد رسول الله ﷺ صرعى في القليب، قليب بدر. ذكره في كتاب (الطهارة) في باب إذا ألقى على ظهر المصلى قذراً وجيفه لم تفسد عليه صلاته[5] .

---

(١) سبق شرحها ، وهي تمد وتقصر .

(٢) في (الأصل) : " أغير " وما أثبتناه من (البخاري) .

(٣) زيادة للسياق من (البخاري) .

(٤) زيادة للسياق من (البخاري) .

(٥) باب (٦٩) ، حديث رقم (٢٤٠) ، وفي الأصل : (كتاب الطهارة) . وفي الحديث تعظيم الدعاء بمكة عند الكفار ، وما ازدادت عند المسلمين إلا تعظيماً، وفيه معرفه الكفار بصدقه ﷺ لخوفهم من دعائه، ولكن حملهم الحسد على ترك الانقياد له، وفيه حلمه ﷺ عمن أذاه ، ففي رواية الطيالسي عن شعبة في هذا الحديث أن ابن مسعود قال لم أره دعا عليهم إلايومئذ.=

وخرَّج في كتاب الصلاة أيضاً[1] من حديث إسرائيل، عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله قال: بينما رسول الله ﷺ قائم يصلى عند الكعبة

= وإنما استحقوا الدعاء حينئذ لما أقدموا عليه من الاستحقاق به حال عبادة ربه، وفيه استحباب الدعاء ثلاثا، وفيه جواز الدعاء على الظالم ، ولكن قال بعضهم : محله ما إذا كان كافراً، فأما المسلم فيستحب الاستغفار له ، والدعاء بالتوبة، ولوقيل: لا دلالة فيه على الدعاء على الكفار لما كان بعيداً لاحتمال أن يكون اطلع ﷺ على أن المذكورين لايؤمنون ،والأولى أن يدعى لكل حي بالهدايه. وفيه قوة نفس فاطمة الزهراء من صغرها ، لشرفها في قومها ونفسها ، لكونها صرحت بشتمهم وهم رؤوس قريش ، فلم يردواعليها . وفيه أن المباشرة آكد من السبب والإعانة لقوله فى عقبة "أشقى القوم" ، مع أنه كان فيهم أبو جهل ، وهو أشد منه كفراً وأذى للنبي ﷺ ، لكن الشقاء هنا بالنسبه إلى هذه القصة لأنهم اشتركوا فى الأمر والرضا ، وانفرد عقبه بالمباشرة فكان أشقاهم ولهذا قتلوا فى الحرب ، وقتل هو صبراً. واستدل به على أن من حدث له في الصلاة مايمنع انعقادها ابتداءً لاتبطل صلاته ولو تمادى ، وعلى هذا ينزل كلام المصنف ، فلو كانت نجاسة فأزالها في الحال ولا أثرلها صحت اتفاقاً ، واستدل به على طهارة فرث مايؤكل لحمه ، وعلى أن إزالة النجاسه ليست بفرض ، وهو ضعيف ،وحمله على ما سبق أولى. وتعقب الأول بأن الفرث لم يفرد، بل كان مع الدم كما فى رواية إسرائيل ، والدم نجس اتفاقاً ، وأجيب بأن الفرث والدم كانا داخلي السلى وجلدة السلى الظاهرة طاهرة . فكان كحمل القارورة المرصصة وتعقب بأنها ذبيحة وثنى ، فجميع أجزائها نجسه لأنها ميتة ، وأجيب بأن ذلك كان قبل التعبد بتحريم ذبائحهم ، وتعقب بأنه يحتاج إلى تاريخ ولايكفى فيه الاحتمال ، وقال الإمام النووى : الجواب المرضى أنه ﷺ لم يعلم ما وضع على ظهره، فاستمر فى سجوده استصحاباً لأصل الطهارة، وتعقب بأنه يشكل على قولنا بوجوب الإعادة فى مثل هذه الصوره . وأجاب بأن الإعادة إنما تجب فى الفريضة ، فإن ثبت أنها فريضة، فالوقت موسع ، فلعه ﷺ أعاد ، وتعقب بأنه لو أعاد لنقل ، ولم ينقل ، وبأن الله تعالى لايقره على التمادى فى صلاة فاسدة ، وقد تقدم أنه ﷺ خلع نعليه وهو فى الصلاة ، لأن جبريل أخبره أن فيهما قذراً ، ويدل على أنه علم بما ألقى على ظهره أن فاطمة ذهبت به قبل أن يرفع رأسه ، وعقب هو صلاته بالدعاء عليهم . (فتح الباري) .

(١) باب (١٠٩) المرأة تطرح عن المصلى شيئاً من الأذى ، حديث رقم (٥٢٠).

وجمع قريش في مجالسهم، إذا قال قائل منهم :ألا تنظرون إلى هذا المرائي؟ أيكم يقوم إلى جزور آل فلان[1]، فيعمد إلى فرثها، ودمها، وسلاها فيجئ به، ثم يمهله حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه، وثبت النبي ﷺ ساجداً، فضحكوا حتى مال بعضهم على بعض من الضحك، فانطلق منطلق[2] إلى فاطمة وهي جويرية، فأقبلت تسعى وثبت النبي ﷺ ساجداً حتى ألقته عنه، وأقبلت عليهم تسبهم، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال: اللهم عليك بقريش [ثلاثا] ، ثم سمى : اللهم عليك بعمرو بن هشام ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وعمارة بن الوليد .

قال عبد الله : فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى قليب بدر، ثم قال رسول الله ﷺ: وأتبع أصحاب القليب لعنة.

ترجم عليه باب المرأة تطرح عن المصلى شيئاً من الأذى . وأخرجاه معاً من حديث شعبة قال : سمعت أبا إسحاق يحدث عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله قال : بينما رسول الله ساجد وحوله ناس من قريش إذ جاء عقبة بن أبي معيط بسلى جزور، فقذفه على ظهر رسول الله ﷺ، فلم يرفع رأسه، فجاءت فاطمة عليها السلام، فأخذته عن ظهره، ودعت على من صنع ذلك .

فقال: اللهم عليك الملأ من قريش : أبا جهل بن هشام،وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وعقبة بن أبي معيط، وأمية بن خلف أو أبي بن خلف [شعبة الشاك] . قال: فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر، فألقوا في بئر غير أن أمية أو أبياً تقطعت أوصاله، فلم يلق في بئر. اللفظ لمسلم، ولفظ البخاري قريب منه[3]. وفي

---

(١) يشبه أن يكون آل معيط لمبادرة عقبة بن أبي معيط إلى إحضار ما طلبوه منه ، وهو المعنى بقوله : أشقاهم .

(٢) يحتمل أن يكون هو بن مسعود الراوى .

(٣) (فتح الباري): ٣٤٧/٦،كتاب الجزية والموادعة ، باب (٢١) طرح جيف المشركين في البئر، ولايؤخذ لهم ثمن ، حديث رقم (٣١٨٥)، (مسلم بشرح النووي) : ٣٩٤/١٢-٣٩٥، كتاب الجهاد والسير، باب (٣٩) مالقى النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ، حديث رقم (١٠٨).

حديث عبدان غير أمية أو أبي فإنه كان رجلاً ضخماً، فلما جروه تقطعت أوصاله قبل أن يلقى في البئر[1].

وخرجاه أيضاً من حديث سفيان الثوري ، عن أبي إسحاق بهذا الإسناد نحوه[2]، وزاد مسلم ، وكان يستحب ثلاثاً يقول : اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش ثلاثاً[3]. وذكر فيهم الوليد بن عتبة وأمية بن خلف لم يشك ، قال أبو إسحاق: ونسيت السابع. وسياق البخاري في كتاب الجهاد عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله قال: كان النبي ﷺ في ظل الكعبة، فقال أبو جهل وناس من قريش ونحرت جزور بناحية مكة، فأرسلوا، فجاءوا من سلاها وطرحوا عليه، فجاءت فاطمة فألقته عنه قال: اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، لأبي جهل وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة، وأبيّ بن خلف، وعقبة بن أبي معيط . قال عبد الله : فلقد رأيتهم في قليب بدر قتلى . قال أبو إسحاق : ونسيت السابع .

قال أبو عبد الله : قال يوسف بن أبي إسحاق : أمية بن خلف وقال شعبه: أمية أو أبي ، والصحيح أمية. ذكره في باب الدعاء على المشركين[4] . وخرجاه أيضاً من حديث زهير بن معاوية ، عن أبي إسحاق . فذكره البخاري في أول المغازى في غزوة بدر[5] ومن حديث زهير قال أبو إسحاق: عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله بن مسعود قال: استقبل النبي ﷺ الكعبة، فدعا على نفر

---

(١) ذكره في كتاب مناقب الأنصار ، باب (٢٩) ما لقى النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة ، حديث رقم (٣٨٥٤) .

(٢) ذكره في كتاب الجهاد والسير ، باب (٩٨) الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة ، حديث رقم (٢٩٣٤) .

(٣) (مسلم بشرح النووى): ٣٩٥/١٢، كتاب الجهاد والسير ، باب (٣٩) ما لقى النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ، حديث رقم (١٠٩).

(٤) باب (٩) ، حديث رقم (٢٩٣٤).

(٥) باب (٧) دعاء النبي ﷺ على كفار قريش : شيبة وعتبة ، والوليد ، وأبي جهل بن هشام ، وهلاكهم ، حديث رقم (٣٩٦٠).

من قريش على شبية بن ربيعة ، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأبى جهل ابن هشام ، فأشهد بالله لقد رأيتهم صرعى، قد غيرتهم الشمس، وكان يوم حار .

وسياق مسلم له من حديث زهير قال: حدثنا أبو إسحاق، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله قال: استقبل رسول الله ﷺ البيت، فدعا على ستة نفر من قريش، فيهم أبو جهل، وأمية بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وعقبة بن أبي معيط، فأقسم بالله لقد رأيتهم صرعى على بدر، قد غيرتهم الشمس، وكان [يوماً] حاراً[1] .

وخرَّج البيهقي[2] من طريق أبي نعيم قال :حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم قال : أخبرني سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : جاءت فاطمة رضي الله تبارك وتعالى عنها إلى النبي ﷺ تبكى ، فقالت: تركت الملأ من قريش تعاقدوا في الحجر، فحلفوا باللات، والعزى ، وإساف ، ونائلة ، إذا هم رأوك يقومون إليك، فيضربونك بأسيافهم، فيقتلوك، وليس فيهم رجل إلا قد عرف نصيبه منك.

قال: لا تبكى يابنية، ثم قام فتوضأ، ثم أتاهم ، فلما نظروا إليه طأطأوا، ونكسوا رؤوسهم إلى الأرض ، فأخذ كفاً من تراب، فرماهم به، ثم قال: شاهت الوجوه . قال ابن عباس : ما أصاب ذلك التراب منهم أحداً إلا قتل يوم بدر كافراً.

---

(١) باب (٣٩) ما لقى النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ، حديث رقم (١١٠).

(٢) (دلائل البيهقي): ٦/٢٤٠ -٢٤١.

وأما إقعاد من مرّ بين يدي الرسول ﷺ وهو يصلي بدعائه عليه

فخرج البيهقي[1] من حديث أبي سلمة قال : حدثنا البيهقي من حديث عمرو بن أبي سلمة قال: حدثنا سعيد بن عبد العزيز قال: حدثني مولي ابن نمران ، عن يزيد بن نمران قال : رأيت معقداً بتبوك، فسألته عن إقعاده، فقال : كان رسول الله ﷺ يصلي ، فمررت بين يديه، فقال : قطع صلاتنا قطع الله أثره ، قال : فقعدت ، قال : وكان علي أتان أو حمار .

وخرجه أبو داود من حديث وكيع ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن مولي ليزيد بن نمران، عن يزيد بن نمران قال : رأيت رجلاً بتبوك مقعداً، فقال: مررت بين يدي النبي ﷺ وأنا على حمار، وهو يصلي ، فقال : اللهم اقطع أثره، فما مشيت عليهما بعد[2] .

وذكره أبو داود من حديث أبي حيوة ، عن سعيد بإسناده ومعناه وزاد. فقال: قطع صلاتنا قطع الله أثره[3] .

وذكره أيضا من حديث ابن وهب قال: أخبرني معاوية عن سعيد بن غزوان ، عن أبيه أنه نزل بتبوك وهو خارج ، فإذا رجل مقعد، فسألته عن أمره، فقال : سأحدثك حديثاً فلا تحدث به ما سمعت إلي حيّ إن رسول الله ﷺ نزل بتبوك إلي نخلة فقال: هذه قبلتنا، ثم صلي إليها، فقال : فأقبلت وأنا غلام

---

(١) (المرجع السابق) : ٢٤١، ثم قال البيهقي : وقد رويناه في غزوة تبوك من وجهين آخرين عن سعيد بن عبد العزيز ، وروي أن واحداً من أصحاب النبي ﷺ دعا علي كلب مر بهم وهم في الصلاة فمات في الحال .

(٢) (سنن أبي دواد): ٤٥٤/١، كتاب الصلاة ، باب (١١٠) ما يقطع الصلاة ، حديث رقم (٧٠٥)، وفي إسناده مجهول هو مولي سعيد بن غزوان .

(٣) (المرجع السابق) : حديث رقم (٧٠٦) .

أسع، حتي مررت بينه وبينهما ، فقال : قطع صلاتنا ، فقطع الله أثره ، قال : فما قمت إلي يومي هذا[1].

وأما موت الكلب بدعاء بعض من كان يصلي معه ﷺ حين أراد المرور بين يديه

فخرج البيهقي[2] من حديث سليمان بن طريف السلمي ، عن مكحول، عن أبي الدارداء رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : كنت مع النبي ﷺ فصلي بنا العصر في يوم جمعة، إذ مر بهم كلب، فقطع عليهم الصلاة، فدعا عليه رجل من القوم، فما بلغت رجله الأرض حتى مات، فانصرف رسول الله ﷺ فقال : من الداعي على هذا الكلب آنفاً ؟ فقال: رجل من القوم : أنا يارسول الله ، قال: والذي بعثني بالحق لقد دعوت الله باسمه الذي إذا دعى به أجاب ، وإذا سئل به أعطى ، ولو دعوت بهذا الاسم لجميع أمة محمد أن يغفر لهم لغفر لهم .

قالوا : كيف دعوت قال : قلت: اللهم إني أسالك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان، بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام اكفنا هذا الكلب بما شئت، وكيف شئت، فما برح حتى مات[3] .

ومن حديث عمر بن ذر قال : أخبرنا يحيى بن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري أن رسول الله ﷺ كان في صلاة العصر يوم الجمعه فسبح كلب أحمر بين يديه ، فمر الكلب فمات قبل أن يمر بين يدي رسول الله ﷺ، فلما انصرف رسول الله ﷺ أقبل على القوم بوجهه ، فقال : أيكم دعا على هذا

(١) (المرجع السابق) : حديث رقم (٧٠٧) ، وإسناده ضعيف ، قال ابن القطان : سعيد بن غزوان مجهول .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٦/ ٢٤١ -٢٤٢.

(٣) قال البيهقي : وله شاهد من وجه آخر كذلك مرسلاً مختصراً .

الكلب؟ فقال رجل من القوم : أنا دعوت عليه يارسول الله! فقـال عليـه السـلام : دعوت عليه في ساعة يستجاب فيها الدعاء[١] . فهذا حديث مرسل .

وأما تشتت رجل في الأرض بدعاء الرسول ﷺ

فخرج البيهقي[٢] من حديث حنبل بن إسحاق قال : حدثنا مسلم بن إبراهيـم قال : حدثتنـا أم الأسـود الخزاعيـة ، قـالت : حدثتنـي أم نائلـة الخزاعيـة قـالت : حدثتنـي بريـرة أن النبـي ﷺ سـأل عـن رجـل يقـال لـه قيـس ، فقـال : لا أقرتـه الأرض، فكان لايدخل أرضا يستقر بها، حتى يخرج منها .

---

(١) (المرجع السابق) : ٢٤٢ .

(٢) (المرجع السابق) : ٢٤٢-٢٤٣ .

وأما إجابة الله دعوة الرسول ﷺ على معاوية بن أبي سفيان(١) بعدم الشبع

---

(١) هو معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ، أمير المؤمنين ، ملك الإسلام . أبو عبد الرحمن القرشي الأموي المكي . أمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي . وقيل : إنه أسلم قبل أبيه وقت عمرة القضاء ، وبقي يخاف اللحاق بالنبي ﷺ ، من أبيه ، ولكن ما ظهر إسلامه إلا يوم الفتح ، حدث عن النبي ﷺ وكتب له مرات يسيرة ، وحدث أيضاً عن أخته أم المؤمنين أم حبيبة ، وعن أبي بكر وعمر رضي الله تبارك وتعالى عنهما .عن عبد الرحمن بن أبي عميرة المزني - وكان من أصحاب النبي ﷺ أن النبي ﷺ قال لمعاوية : " اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب .

وخلف معاوية خلق كثير يحبونه ويغالون فيه ويفضلونه ، إما قد ملكهم بالكرم والحلم والعطاء ، وإما قد ولدوا في الشام على حبه ، وتربى أولادهم على ذلك ،وفيهم جماعة يسيرة من الصحابة ، وعدد كثير من التابعين والفضلاء ، وحاربوا معه أهل العراق . قال خليفة : جمع عمر رضي الله تبارك وتعالى عنه الشام كلها لماوية وأقره عثمان ، قلت : حسبك بمن يؤمره عمر، ثم عثمان على إقليم - وهو ثغر - فيضبطه ، ويقوم به أتم قيام ، ويرضى الناس بسخائه وحلمه ، وإن كان بعضهم تألم مرة منه ، وكذلك فليكن الملك . وإن كان غيره من أصاحب رسول الله ﷺ خيراً منه بكثير وأفضل وأصلح ، فهذا الرجل ساد، وساس العالم بكمال عقله ، وفرط حلمه ، وسعة نفسه ، وقوة دهائه ورأيه ، وله هنات وأمور، والله الموعد . وكان محبباً إلى رعيته ، عمل نيابة الشام عشرين سنة ، والخلافة عشرين سنة، ولم يهجه أحد فى دولتة ، بل دانت له الأمم، وحكم على العرب والعجم ، وكان ملكه على الحرمين ، ومصر ، والشام ، والعراق ، وخراسان، وفارس ، والجزيرة ، واليمن ، والمغرب ، وغير ذلك . قال أحمد بن حنبل: فتحت قيسارية سنة تسع عشرة ، وأميرها معاوية ، وقال يزيد بن عبيدة غزا معاوية قبرص سنة خمس وعشرين . وقال الزهري : نزع عثمان عمير بن سعد ، وجمع الشام لمعاوية . وأقبل معاوية في أهل الشام ، فالتقوا ، فكره الحسن القتال ، وبايع معاوية على أن جعل له العهد بالخلافة من بعده . ثم إن معاوية أجاب إلى الصلح وسر بذلك ، ودخل هو والحسن الكوفة راكبين ، وتسلم معاوية الخلافة فى ربيع الآخر ، وسمى عام الجماعة لاجتماعهم على إمام ، وهو عام أحد وأربعين . =

فخرج مسلم[١] من حديث أمية بن خالد قال : حدثنا شعبة عن أبي حمزة القصاب، عن ابن عباس قال : كنت مع الصبيان، فجاء فحطأني حطأه ، وقال: اذهب ادع معاوية ، قال : فجئته فقلت : هو يأكل ، قال : ثم قال لي : اذهب فادع معاوية، فجئت فقلت : هو يأكل ، فقال: لا أشبع الله بطنه . قال ابن مثني : قلت لأمية : ما حطأني ؟ قال : قفدني قفده[٢] .

= مجالد : عن الشعبي عن قبيصه بن جابر ، قال صحبت معاوية ، فما رأيت رجلاً أثقل حلماً، ولا أبطأ جهلاً ، ولا أبعد أناة منه . قال الزبيربن بكار : كان معاوية أول من اتخذ الديوان للختم وأمر بالنيروز والمهرجان، واتخذ المقاصير في الجامع، وأول من قتل مسلماً صبراً ، وأول من قام على رأسه حرس، وأول من قيدت بين يدية الجنائب ، وأول من اتخذ الخدام الخصيان في الإسلام ، وأول من بلغ درجات المنبر خمس عشرة مرقاة ، وكان يقول : أنا أول الملوك . قلت : نعم ، فقد روى سفينة عن رسول الله ﷺ قال : " الخلافة بعدي ثلاثون سنة ، ثم تكون ملكاً ، فانقضت خلافة النبوة ثلاثين عاماً وولي معاوية ، فبالغ في التجمل والهيئة، وقل أن بلغ سلطان إلى رتبته ، وليته لم يعهد بالأمر إلى ابنه يزيد ، وترك الأمة من اختياره لهم ، ومعاوية من خيار الملوك الذين غلب عدلهم على ظلمهم، وما هو ببرئ من الهنات ، والله تبارك وتعالى يعفو عنه . مسنده في (مسند بقى) مائة وثلاثه وستون حديثاً، وقد عمل الأهوازي مسنده في مجلد ، و اتفق له البخاري ومسلم علي أربعة أحاديث ، وانفرد البخاري بأربعة ، ومسلم بخمسة .قال أبو مسهر: صلي الضحاك بن قيس الفهري على معاوية ، ودفن بين باب الجابية وباب الصغير فيما بلغني . قال أبو معشر، والليث ، وعدة : مات معاوية في رجب سنة ستين ، وقيل : في نصف رجب وقيل : لثمان بقين منه .وعاش سبعاً وسبعين عاماً . (تهذيب سير أعلام النبلاء) : ١/٨٩ -٩١، ترجمة رقم (٢٥٧).

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٣٩٢/١٦ -٣٩٣، كتاب البر والصلة والآداب ، باب (٢٥) من لعنه النبي ﷺ أو سبه ، أو دعا عليه ، وليس هو أهلاً لذلك ، كان له زكاه وأجراً ورحمة ، حديث رقم (٩٧) .

(٢) وفسر الراوي: أي قفدني أو حطأني، فبحاء ثم طاء مهملتين وبعدها همزة ، وقفدني بقاف ثم فاء ثم دال مهمله.وقوله: حطأة ، بفتح الحاء واسكان الطاء بعدها همزة، وهو الضرب باليد مبسوطة بين الكتفين، وإنما فعل هذا بابن عباس ملاطفة وتأنيساً، وأما دعاؤه علي معاوية أن لا يشبع =

وخرجه أيضا من حديث إسحاق بن منصور قال: حدثنا النضر بن شميل، قال : حدثنا شعبة حدثنا أبوحمزة قال : سمعت ابن عباس يقول كنت ألعب مع الصبيان ، فجاء رسول الله ﷺ فاختبأت منه. فذكر الحديث بمثله[1] .

وقال البيهقي : وقد روى عن أبي عوانه عن أبي حمزة أنه استجيب له فيما دعا في هذا الحديث على معاوية. وذكر من حديث موسى بن إسماعيل قال: حدثنا أبو عوانة، عن أبي حمزة قال : سمعت ابن عباس قال : كنت ألعب مع الغلمان فإذا رسول الله ﷺ قد جاء فقلت : ما جاء إلا إليّ ، فاختبأت على باب، فجاء فحطأني حطأة فقال : اذهب فادع لي معاوية ، وكان يكتب الوحى ، قال : فذهبت فدعوته له، فقيل : إنه يأكل، فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال : فاذهب فادعه فأتيته ، فقيل : إنه يأكل، فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته ، فقال في الثالثه: لاأشبع الله بطنه،قال فما شبع بطنه أبداً.

قال البيهقي : وروي عن هزيم عن أبي حمزة في هذا الحديث زياده تدل على الاستجابة[2] .

= حين تأخر ، ففيه الجوابان السابقان : أحدهما : أنه جرى على اللسان بلاقصد، والثاني : أنه عقوبة له لتأخيره . وقد فهم مسلم رحمة الله من هذا الحديث ، أن معاوية لم يكن مستحقاً للدعاء عليه، فلهذا أدخله في هذا الباب ، وجعله غيره من مناقب معاوية ، لأنه في الحقيقة يصير دعاء له . وفي هذا الحديث جواز ترك الصبيان يلعبون بما ليس بحرام ، وفيه اعتماد الصبي فيما يرسل فيه من دعاء إنسان ونحوه ، من حمل هدية ، وطلب حاجة ، وأشباهه ، وفيه جواز إرسال صبي غيره ممن يدل عليه في مثل هذا ، ولا يقال : هذا تصرف في منفعة الصبي، لأن هذا قدر يسير ، ورد الشرع بالمسامحة به للحاجة ، واطرد به العرف ، وعمل المسلمين ، والله تبارك وتعالى أعلم . (شرح النووي).

(١) (المرجع السابق) : حديث رقم (٩٨).

(٢) (دلائل البيهقي) : ٦/٢٤٢-٢٤٣.

وأما استجابة الله تعالى لرسوله الله ﷺ في قوله لرجل : ضرب الله عنقه

فقال الواقدي(١) : وحدثني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم ، عن جابر رضي الله تبارك وتعالى عنه فذكر غزوة ذات الرقاع إلي أن قال: وقد جهرنا صاحباً لنا يرعى ظهرنا وعليه ثوب متخرق ، فقال رسول الله ﷺ : أما له ثوب غير هذا ؟ فقلنا: بلي يا رسول الله إن له ثوبين جديدين في العيبة ، فقال له رسول الله ﷺ : خذ ثوبيك، فأخذ ثوبيه فلبسهما، ثم أدبر فقال رسول الله ﷺ أليس هذا أحسن ؟ ماله ! ضرب الله عنقه ، فسمع ذلك الرجل فقال : في سبيل الله يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : في سبيل ، فقال جابر : فضربت عنقه بعد ذلك في سبيل الله .

وخرج الحاكم(٢) من طريق سعيد بن سليمان الواسطي ، حدثنا الليث بن سعد ، عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار عن جابر قال: خرجنا مع النبي ﷺ في بعض مغازيه ، فخرج رجل في ثوبين متخرقين يريد أن يسوق بالإبل ، فقال له رسول الله ﷺ : ماله ثوباً غير هذا ؟ قيل : إن في عيبته ثوبين جديدين ، قال : ائتوني بعيبته ففتحها فإذا فيها ثوبان فقال للرجل : خذ هذين البسهما وألق المتخرقين ، ففعل ، ثم ساق بالإبل، فنظر رسول الله ﷺ في أثره كالمتعجب من بخله على نفسه بالثوبين، فقال له : ضرب الله عنقك، فالتفت إليه الرجل وقال : في سبيل الله ؟ فقتل يوم اليمامة : قال الحاكم(٣) : هذا

---

(١) (مغازي الواقدي): ٣٩٨/١، وجهرنا أي صبحنا .

(٢) (المستدرك): ٢٠٣/٤، كتاب اللباس ، حديث رقم (٧٣٦٩) ، (٧٣٧٠) .

(٣) ثم قال : حدثناه أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا بحر بن نصر ، قال عبد الله بن وهب ، قال : أخبرني مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله تبارك وتعالى عنهم. وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : ورواه مالك عن زيد بن أسلم عن جابر نفسه . وأخرجه الإمام مالك في (الموطأ): ٦٥٤، كتاب الجامع، باب ماجاء في لبس الثياب للجمال=

حديث صحيح على شرط مسلم ، قد احتج في غير موضع بهشام بن سعد. ولم يخرجاه، إلا أن الحديث عند مالك بن أنس عن يزيد بن أسلم عن جابر .

وأما استجابة الله تعالى دعاءه ﷺ على من احتكر الطعام

فقد خرج البيهقي[1] من حديث الهيثم بن رافع الباهلي حدثنا أبو يحيى ، عن فروخ مولى عثمان ، قال : ألقي على باب مسجد مكة طعام كثير وعمر يومئذ أمير المؤمنين ، فخرج إلي المسجد فرأى الطعام فقال : ما هذا الطعام ؟ قالو : طعام جلب إلينا ، قال : بارك الله فيه وفيمن جلبه إلينا ، قالو : يا أمير المؤمنين قد احتكر . قال : من احتكره ؟ قالوا : فروخ مولى عثمان وفلان مولاك ، قال : سمعت النبي ﷺ يقول : من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام أو بالإفلاس ، قال فروخ : أعاهد الله يا أمير المؤمنين ألا أعود ، فحول تجارته إلي بر مصر ، وأما مولى عمر فقال : نشتري بأموالنا ونبيع ، فزعم أبو يحيى أنه رأى مولى عمر بعد حين مجذوماً ، وذلك رواه جماعه عن الهيثم ، وأبو يحيى هو مكي .

= بها ، حديث رقم (١٦٤٥) ، لكن بسياقة أتم . وأخرجه البيهقي في (دلائل النبوة) : ٢٤٤/٦، باب ما جاء في قوله للرجل ضرب الله عنقه في سبيل الله ، فقتل الرجل في سبيل الله ! .

(١) (دلائل البيهقي) : ٢٤٦/٦ . باب ما جاء في دعائه ﷺ علي من احتكر بالجذام وإجابه الله تعالى دعاءه فيمن احتكر من زمان عمر رضي الله تبارك وتعالى عنه ، وقال في هامشه : نقله السيوطي في (الخصائص الكبرى) : ١٢٧/١ وعزاه إلى المصنف .

وأما إجابه الله تعالى دعاءه ﷺ على أبي ثروان

فخرج أبو نعيم[1] من حديث عبد الملك بن هارون بن عنترة ، عن أبيه عن جده ، عن أبي ثروان قال : كان أبو ثروان راعياً لبني عمرو بن تيم في إيلهم ، فخاف رسول الله ﷺ من قريش ، فخرج فنظر إلى سواد الإبل فقصد له ، فإذا هي إيل ، فدخل بين الأراك ، فجلس ، فنفرت الإبل ، فقام أبو ثروان فأطاف بالإبل فلم ير شيئاً ، ثم تخللها ، فإذا برسول الله ﷺ جالس ، فقال له : من أنت فقد أنفرت على إيلي ، فقال : لم ترع ، أردت أن أستأنس بإبلك ، فقال أبو ثروان : من أنت ؟ قال : لا تسأل ، رجل أردت أن أستأنس إلى إبلك ، فقال: إني أراك الرجل الذي يزعمون أنه خرج نبياً فقال رسوال الله ﷺ أجل ، فأدعوك إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، فقال أبو ثروان : اخرج ، فلا تصلح إبل أنت فيها ، وأبي أن يدعه ، فدعا عليه رسول الله ﷺ فقال : اللهم أطل شقاءه وبقاءه .

قال عبد الملك : قال أبي : فأدركته شيخاً كبيراً يتمنى الموت ، فقال له القوم : ما نراك إلا قد هلكت ، دعا عليك رسول الله ﷺ فقال : كلا ، إني قد أتيته بعد حين ظهر الاسلام ، فأسلمت معه ، فدعا لي واستغفر ، ولكن الأولى قد سبقت .

قال ابن عبد البر : أبو ثروان روى عن النبي ﷺ وروى عنه عنتره أبو وكيع .

---

(١) (دلائل أبي نعيم) : ٤٥٢- ٤٥٣ ، دعاؤه ﷺ علي أبي ثروان بطول الشقاء والبقاء ، حديث رقم (٣٧٧) ، باختلاف يسير .

وأما افتراس الأسد عتيبة بن أبي لهب بدعاء المصطفى ﷺ ربه عز وجل أن يسلط عليه كلباً من كلابه

فخرج الحارث بن أبي أسامه من حديث الأسود بن شيبان ، قال أبو نوفل ، عن أبيه قال : كان عتيبة بن أبي لهب يسب النبي ﷺ قال : فقال النبي ﷺ اللهم سلط عليه كلبك ، قال : فخرج يريد الشام في قافلة مع أصحابه ، قال : فنزلوا منزلاً ، فقال : والله إني لأخاف دعوة محمد ، فقالوا له : كلا ، قال : فحطوا المتاع حوله ، وقعدوا يحرسونه ، فجاء السبع فانتزعه ، فذهب به .

وقال سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، عن عثمان بن عروة بن الزبير ، عن أبيه ، عن هبار بن الأسود ، قال : كان أبو لهب وابنه عتيبة قد تجهزا إلي الشام ، وتجهزت معه ، فقال ابنه عتيبة : لأنطلقنّ إليه ، ولأوذينه في ربه ، فانطلق حتى أتى النبي ﷺ ، فقال : يا محمد هو يكفر بالذي ﴿ **دنا فتدلى* فكان قاب قوسين أو أدنى** ﴾ فقال رسول الله ﷺ : اللهم ابعث عليه كلباً من كلابك ، ثم انصرف عنه ، فرجع إليه ، فقال : أي بني ! ما قلت له ؟ قال : كفرت بإلهه الذي يعبد ، قال : فماذا قال لك ؟ قال : قال : اللهم ابعث عليه كلباً من كلابك ، قال : أي بني ! والله ما آمن عليك دعوة محمد ، قال : فسرنا حتى نزلنا الشراة ـ وهي مأسدة ـ فنزلنا إلى صومعه راهب فقال : يا معشر العرب ! ما أنزلكم هذه البلاد وإنها مسرح الضيغم ؟ فقال لنا أبو لهب : إنكم قد عرفتم سني وحقي ؟ قلنا : أجل ، فقال : إن محمداً قد دعا على ابني دعوة ، والله لا آمنها عليه ، فاجمعوا متاعكم إلي هذه الصومعة ، ثم افترشوا لابني عتيبة عليه ، ثم افترشوا حوله .

قال : ففعلنا ، جمعنا المتاع حتى ارتفع ، ثم فرشنا له عليه ، وفرشنا حوله فبتنا نحن حوله ، وأبو لهب معنا أسفل ، وبات هو فوق المتاع ، فجاء الأسد ، فشم وجوهنا ، فلما لم يجد ما يريد ، تقبض ثم وثب ، فإذا هو فوق المتاع ، فشم وجهه ، ثم هزمه هزمة فنضخ رأسه ، فقال : سبعي يا كلب لم

يقدر على غيرك ، ووتبنا ، فانطلق الأسد ، وقد نضخ رأسه ، فقال أبولهب : قد عرفت والله ما كان لينفلت من دعوة محمد ﷺ .

وقال ابن إسحاق في كتاب (المغازي) عن يزيد بن زياد ، عن محمد ابن كعب القرظي ، وعن عثمان بن عروة بن الزبير ، عن رجال من أهل بيته، قالوا : كانت بنت رسول الله ﷺ عند عتيبة بن أبي لهب ، فطلقها ، فلما أراد الخروج إلي الشام قال : لآتين محمداً وأوذينه في ربه ، قال : فأتى فقال : يا محمد ، هو يكفر بالذي ﴿ **دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى** ﴾ ثم تفل في وجهه ، ثم رد عليه ابنته ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم سلط عليه كلباً من كلابك.

قال : وأبو طالب حاضر ، فوجم عنها وقال : ما أغناك عن دعوة ابن أخي ، فرجع إلي أبيه فأخبره بذلك ، وخرجوا إلى الشام ، فنزلوا منزلاً ، فأشرف عليهم راهب من الدير ، فقال لهم : هذه أرض مُسبعة ، فقال أبو لهب : يا معشر قريش اغنونا هذه الليله ، فإني أخاف عليه دعوة محمد فجمعوا أحمالهم ، ففرشوا لعتيبة في أعلاها ، وناموا حوله ، فجاء الأسد ، فجعل يشم وجوههم ، ثم ثني ذنبه ، فوثب ، عنه فضربةً بذنبه ضربه واحدة ، فخدشه، فقال: قتلني ، ومات مكانه ، فقال حسان رضي الله تبارك وتعالى عنه :

سائل بني الأشعر جئتهم ... ماكان أنباء أبي واسع
لا وسع الله له قبره ... بل ضيق الله على القاطع
رحم نبي جده ثابت ... يدعو إلى نور الله ساطع
أسبل بالحجر لتكذيبه ... دون قريش نهزة القاذع
فاستوجب الدعوة منه بما ... تبين للناظر والسامع
أن سلط الله بها كلبه ... يمشي الهوينا مشية الخادع
حتى أتاه وسط أصحابه ... وبه عَلَتْهُم سنة الهاجع
فالتقم الرأس من يافوخه ... والنحر منه فغرة الجائع[1]

---

(١) (دلائل أبي نعيم) : ٤٥٤ - ٤٥٧ ، قصة عتيبة بن أبي لهيب ، حديث رقم (٣٨٠) ، (٣٨١)، حديث رقم (٣٨٣) .

[أسلمتموه وهـو يدعـوكـم بالنسـب الأدنـى وبالجـامع]
[واللـيث يعلـوه بأنيـابه منعفـراً وسـط الدم النـاقـع]
[لا يرفع الرحمن مصروعكم ولا يوهـن قـوة الصـارع]
[من يرجـع العام إلي أهـله فما أكـيل السبـع بالراجـع]
[قد كان فـيه لكـم عـبرة للسـيد المتبـوع والتـابـع]
[مـن عـاد فـالليث له عـائد أعـظم به من خبرٍ شائع[1]]

وقال الواقدي : حدثني معمر عن ابن طاووس عن أبيه قال : تلا رسول الله ﷺ ﴿ **والنجم إذا هوى** ﴾ قال عتيبة بن أبي لهب كفرت برب النجم ، فقال رسول الله ﷺ : سلط الله عليك كلباً من كلابه .

فحدثني موسى بن محمد بن إبراهيم عن أبيه قال : خرج عتيبة مع أصحابه في عير إلى الشام ، حتى إذا كانوا بالشام ، فزأر الأسد ، فجعلت فرائصه ترعد ، فقيل له : من أي شئ ترعد ؟ فوالله ما نحن وأنت إلا سواء ، فقال : إن محمداً دعا عليّ ، لا والله ما أظلت هذه السماء على ذي لهجة أصدق من محمد ، ثم وضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه ، ثم جاء النوم فحاطوا أنفسهم بمتاعهم ووسطوه بينهم ، وناموا . فجاءهم الأسد يهمس يستنشق رؤوسهم رجلاً رجلاً ، حتى انتهي اليه ، فضغمه ضغمة كانت إياها ، ففزع وهو بآخر رمق وهو يقول : ألم أقل لكم إن محمداً أصدق الناس ؟ ومات[2] .

وقال محمد بن يوسف الفريابي : حدثنا إسرائيل عن سعيد بن مسروق ، عن أبي الضحى ، قال : أراد ابن أبي لهب أن يأتي بتجارته إلى الكعبة ، فقال :

---

(١) الأبيات التي بين الحاصرتين زيادة للسياق من (ديوان حسان بن ثابت) : ١٦٢ - ١٦٣ ، قصيدة رقم (٥٣) ، وفيه : وقال حسان لعتبة بن أبي لهيب - وكان يكني أبا واسع - وكان شديد الإيذاء للنبي ﷺ ، فقال النبي ﷺ : اللهم سلط عليه كلباً من كلابك .

وخرج أبو واسع في سفر له ، ومعه عدة من قومه فتخطى إليه السبع من بينهم حتى أكله. (المرجع السابق) .

(٢) (دلائل أبي نعيم) : ٤٥٧-٤٥٨ ، حديث رقم (٣٨٣) ، وقال محقق (الدلائل) : لم أجده عن غير أبي نعيم ، وهو مرسل ومن رواية الواقدي .

أنا أكفر بمن قال : ﴿ والنجم إذا هوى ﴾ فبلغ النبي ﷺ فقال : عسى أن يرسل عليه كلباً من كلابه ، فبلغ ذلك والده أبالهب ، فأوصى أصحابه ، فقال : إذا نمتم فاجعلوه وسطكم ، ففعلوا ، حتى إذا كانت ذات ليله ، بعث الله تعالى سبعاً فقتله. ذكر ذلك أبونعيم .

وأما أن دعوته ﷺ تدرك ولد الولد

فخرج الإمام أحمد[1] من حديث وكيع ، قال : أنبأنا أبو العميس عن أبي بكر بن عمرو بن عتبة ، عن ابن لحذيفة عن أبيه ، أن النبي ﷺ كان إذا دعا لرجل أصابته ، وأصابت ولده ، وولد ولده .

(١) (مسند أحمد) : ٥٣٣/٦ ، حديث رقم (٢٢٧٦٦) .

وأما كفاية المصطفى ﷺ كيد سراقة بقوله ﷺ: اللهم اصرعه

فخرج البخاري[1] من حديث الليثي عن عقيل ، قال : قال ابن شهاب : فأخبرني عروة ابن الزبير ، أن عائشه رضي الله وتبارك وتعالى عنها قالت : لم أعقل أبويّ قط إلا وهما يدينان بالدين ، فذكر الحديث إلى أن قال . ابن شهاب : وأخبرني عبدالرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن أخي سراقه بن مالك ابن جعشم ، أن أباه أخبره أنه سمع سراقه بن مالك بن جعشم يقول : جاءتنا رسل كفار قريش ، يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر دية كل واحد منهما من قتله أو أسره ، فبينا أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج ، إذ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس ، فقال : ياسراقة إني رأيت آنفاً أسودة بالساحل ، أراها محمداً وأصحابه ، قال سراقة : فعرفت أنهم هم . فقلت له : إنهم ليسوا بهم ، ولكنك رأيت فلاناً وفلانا انطلقا بأعيننا يبغون ضالة لهم .

ثم لبثت في المجلس ساعة ، ثم قمت فدخلت ، فأمرت جاريتي ، أن تخرج بفرسي من وراء أكمة فتحبسها عليّ . وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت، فخططت بزجه الأرض ، وخفضت عاليه ، حتى أتيت فرسي فركبتها ، فرفعتها تقرب بي حتي دنوت منهم ، فعثرت بي فرسي ، فخررت عنها ، فقمت فأهويت بيدي إلي كنانتي ، فاستخرجت منها الأزلام فاستقسمت بها، أضرهم أم لا .

فخرج الذي أكره ، فركبت فرسي وعصيت الأزلام تقرب بي ، حتى اذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لايلتفت ، وأبوبكر رضي الله تبارك وتعالى عنه يكثر الالتفات ، ساخت يدا فرسي حتى بلغتا الراكبتين ، فخررت عنها ، ثم زجرتها ، فنهضت ، فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمه إذ لأثر يدها غثان ساطع في السماء مثل الدخان ، فاستقسمت بالأزلام ، فخرج الذى أكره ، فناديتهم بالأمان ، فوقفوا ، فركبت فرسي حتى جئتهم ، ووقع في نفسي – حين لقيت ما القيت من الحبس عنهم – أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ ، فقلت له :

---

(١) (جامع الأصول) : ١١/٥٨٧-٥٨٨ ، كتاب ذكر الهجرتين ، حديث رقم (٩٢٠٣) .

إن قومك قد جعلوا فيك الدية ، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم ، وعرضت عليهم الزاد والمتاع ، فلم يرزآني شيئاً ، ولم يسألاني إلا أن قال : أخف عنا ما استطعت ، فسألته أن يكتب لي كتاب أمن ، فأمر عامر بن فهيرة ، فكتب لي في رقعه من أدم ، ثم مضى رسول الله ﷺ .

وخرج أيضاً من حديث عبد الصمد[1] قال : حدثني أبي ، حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك رضي الله تبارك وتعالى عنه : قال : أقبل النبي ﷺ إلى المدينة وهو مردف أبا بكر، وأبوبكر رضي الله تبارك وتعالى عنه شيخ يعرف ، والنبي ﷺ شاب لايعرف ، فيلقي الرجل أبا بكر ، فيقول : يا أبا بكر! من هذا الرجل الذي بين يديك ؟ فيقول : هذا الرجل يهديني السبيل ، قال: فيحسب الحاسب أنه إنما يعني الطريق ، وإنما يعني السبيل هو الخير ، فالتفت أبوبكر رضي الله تبارك وتعالى عنه ، فإذا هو بفارس قد لحقهم ، فقال : يارسول الله هذا فارس قد لحقنا ، فالتفت النبي ﷺ فقال : اللهم اصرعه ، فصرعته فرسه ، فقال : يا نبي الله ، مُرني بما شئت ، فقال : قف مكانك ، لاتتركن أحداً يلحق بنا ، قال : فكان أول النهار جاهداً [2]على رسول الله ﷺ وكان آخر النهار مسلحة له[3] . وذكر الحديث .

وخرج البخاري ومسلم من حديث شعبه قال : سمعت أبا إسحاق الهمداني يقول : سمعت البراء يقول : لما أقبل رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة ، قال : تبعه سراقة بن مالك بن جعشم ، قال : فدعا عليه رسول الله ﷺ فساخت [قوائم] فرسه ، فقال : ادع الله لي ولا أخبربك ، فدعا الله. الحديث[4] .

---

(١) (المرجع السابق) : حديث رقم (٩٢٠٦) .

(٢) الجاهد : المبالغ الباذل غاية ما يقدر عليه .

(٣) المسلحة : قوم ذوو سلاح ، والمسلحة أيضاً ك كالثغر ، والمرقب ، وهو الموضع الذي يقيم فيه قوم يحفظون من ورائهم من العدو ، لئلا يهجموا غليهم ، ويدخلوا إليهم ، وهو بالأعجمية : اليَزَك . (جامع الأصول) .

(٤) (المرجع السابق) : ٥٩٦-٥٩٧ ، حديث رقم (٩٢٠٤) .

وخرجا من حديث البراء مطولاً ، وفيه : ثم قال : ألم يأن للرحيل ؟ قلت بلى ، قال : فارتحلنا بعدا مازالت الشمس ، واتبعنا سراقه بن مالك ، قال : ونحن في جدد من الأرض ، فقلت : يارسول الله أتينا ، فقال : لاتحزن إن الله معنا ، فدعا عليه رسول الله ﷺ ، فارتطمت فرسه إلى بطنها ، فقال : إني قد علمت أنكما قد دعوتما علي ، فادع الله لي ، فالله لكما أن أرد عنكما الطلب فدعا الله فنجا ، فرجع لايلقي أحداً إلا رده . اللفظ المسلم .

وفي لفظ لهما : فلما دنا دعا عليه رسول الله ﷺ فساخ فرسه في الأرض إلى بطنه ، ووثب عنه ، وقال : يامحمد قد علمت أن هذا عملك ، فادع الله لي أن يخلصني مما أنا فيه ، ولك علي لأعمين على من ورائي ، وهذه كنانتي فخذ سهماً منها ، فإنك ستمر على إبلي وغلماني ، بمكان كذا وكذا ، فخذ منها حاجتك ، قال : لا حاجة لي في إبلك[1] .

وذكر أبو نعيم[2] عن محمد بن إسحاق أنه قال : قال أبو بكر الصديق رضي الله وتبارك وتعالى عنه فيما يزعمون ـ والله تعالى أعلم ـ في دخوله الغار مع رسول الله ﷺ ومسيره معه حين ساروا ، في طلب سراقة بن جعشم إياهم :

قال النبي ولم أجزع يوقرني ... ونحن في سدنة في ظلمة الغار
لا تخش شيئاً فإن الله ثالثنا ... وقد توكل لي منه بإظهار
وإنما كيد من تخشى بوادره ... كيد الشياطين كادته لكفار
والله مهلكهم طراً بما كسبوا ... وجاعل المنتهى منهم إلى النار
وأنت مرتجل عنهم وتاركهم ... إما غدواً وإما مدلج سار
وهاجر أرضهم حتى يكون لنا ... قوم عليهم ذوو عز وأنصار
حتى إذا الليل وارانا جوانبه ... وسد من دون من نخشى بأستار
سار الأريقط يهدينا وأنيقه ... ينعبن بالقوم نعباً تحت أكوار

---

(١) (المرجع السابق) : ٥٩٨ .

(٢) (دلائل أبي نعيم) : ٣٣٤ - ٣٣٦ ، حديث رقم (٢٣٧) ، وما بين الحاصرتين تصويبات منه .

يعسفن عرض الثنايا بعد أطولها — وكل سهب دقـــيق الترب مـــوار
حتى إذا قلت قد أنجدن عارضنا — من مدلـج فـــارس في منصـب وار
يردي به مشرف الأقطار معترم — كالسيد ذي اللبدة المستأسد الضاري
فقال كروا ، فقــلنا إن كـــرتنا — من دونـها لك نصر الخــالق الباري
إن تخسف الأرض بالأخرى وفارسها — فانظر إلى مربع فى الأرض خــوار
فهيل لما رأى أرســاغ مقــربه — قد سخن في الأرض لم تحفر بمحفار
فقال هل لكم أن تطلوا فـــرسي — وتأخـذوا موثـقـي فـي نصـح أسرار
وأصرف الحي عنكم إن لقيتـهم — وأن أعـــور منهم عـين عـــواد
فادع الذي هو عنكم كف عدوتنا — يطلـق جـــوادي فأنتـم خـير أبرار
فقال قولاً رسول الله مبتهــلاً : — يا رب إن كـان ينوي غـير إخـــفار
فنجـه سالماً من شـــر دعوتنا — ومهــــرة مطــلقاً مـــن كــل آثـار
فأظهر الله –إذ يدعو–حوافره — وفـــاز فـارسه من هــــول أخطار

وقال أبوجهل [بن هشام] فيما يزعمون حين سمع بشأن سراقة [بن مالك] ، وما يذكر من أمر رسول الله ﷺ وما رأى من أمر الفرس حين أصابه ما أصابه ، وتخوف أبو جهل سراقة أن يسلم حين رأى ما أرى :

بني مدلج إني أخـــاف سفيهكم — سراقة مستغـــو لنصـــر محمد
عليكم به لا يفرقـن جموعــكم — فتصبح شتي بعد عـز وســؤدد
يظن سفيه الحي أن جاء شبهـة — على واضح من سنة الحق مهتد
فأني يكون الحق ما قال إذ غدا — ولم يـأت بالحـــق المبين المسدد
ولكنه ولي غـــريباً بسخـــطة — إلى يثرب منا ، فيا بعـد مولـد
ولو أنه لم يأت يثرب هـــارباً — لأشجـاه وقـع المشـرفي المهـند

فقال سراقة بن مالك يجيب أبا جهل فيما قال :

أبا حكم والله لو كنت شـــاهداً — لأمر جـــوادي إذ تسـيخ قوائمه
عجبت ولم تشكك بأن محمداً — نبـي وبرهـــــان ذا يكــاتمــه
عليك بكف القوم عــنه فإنني — أرى أن يوماً ما ستبدو معــالمه
بأمر يود النصر فيه بالبـــها — لو أن جميع الناس طراً يسـالمه

وأما قتل الله عز وجل كسرى بن أبرويز بن هرمز[بن أنوشروان] وتمزيق ملك فارس بدعاء المصطفى ﷺ

فخرج البخاري من حديث ابن شهاب ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن عبد الله بن عباس أخبره أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه رجلاً[1] وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين ، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى[2]، فلما قرأه مزقه ، فحسبت أن ابن المسيب قال : فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يمزقوا كل ممزق .

وخرّج البخاري ومسلم من حديث عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه عن النبي ﷺ قال : هلك كسرى ثم لايكون كسرى بعده ، وقيصر ليهلكن ، ثم لايكون قيصر بعده ، ولتقسمن كنوزهما في سبيل الله[3] .

---

(١) هو عبد الله بن حذافة السهمي .

(٢) كسرى : هو أبرويز بن هرمز بن أنوشروان ، وهم من قال هو أنوشروان . وأخرجه أيضاً في كتاب الجهاد والسير ، باب (١٠١) دعوة اليهود والنصارى ، وعلى ما يقاتلون عليه ؟ وما كتب النبي ﷺ إلي كسرى وقصيره ، والدعوة قبل القتال ، حديث رقم (٢٩٣٩) ، وفيه الدعاء إلى الإسلام بالكلام والكتابة ، وأن الكتابة تقوم مقام النطق ، وفيه إرشاد المسلم إلى الكافر ، وأن العادة جرت بين الملوك بترك قتل الرسل ، ولهذا مزق كسرى الكتاب ، ولم يتعرض للرسول . وأخرجه في كتاب المغازي ، باب (٨٣) كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقصير ، حديث رقم (٤٤٢٤) . وكسرى بفتح الكاف وبكسرها ، لقب كل من تملك الفرس ، ومعناه بالعربية المظفري .

وأخرجه الإمام أحمد في (المسند) : ٤٠٣/١ ، حديث رقم (٢١٨٥) ، من مسند عبد الله ابن عباس رضي الله تبارك وتعالى عنه .

(٣) (فتح الباري) : ٧٧٦/٦ ، كتاب المناقب ، باب (٢٥) علامات النبوة في الإسلام ، حديث رقم (٣٦١٨)، (٣٦١٩) ، وسبب الحديث أن قريشاً كانوا يأتون الشام والعراق تجاراً ، فلما أسلموا=

وقال الواقدي : حدثني محمد بن عبد الله ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ، قال : بينا كسرى مغلق بيته الذي يخلو فيه إذا دخله ، إذا رجل قد خرج إليه في يده عصاً ، فقال : يا كسرى إن الله تعالى قد بعث رسولاً وأنزل كتاباً ، فأسلم تسلم ، وأتبعه يبق له ملك .

قال كسرى : أخر عن هذا أثراماً ، فدعا حجابه وبوابه ، فتوعدهم ، وقال : من هذا الذي دخل علي ؟ قالوا : والله ما دخل عليك أحد ، وما ضيعنا لك باباً .

ومكث حتى إذا كان العام القابل أتاه فقال له مثل ذلك : إلا تسلم اكسر العصا ، قال لا تفعل ، أخر ذلك أثراماً ، ثم جاءه العام الثالث فقال له مثل ذلك ، فكسرها وخرج من عنده .

قال : فحدثني محمد بن الحصين ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة، قال : أغلق كسرى عليه بابه أي لا تدخلوا على أحداً من العرب وذلك حين

= خافوا انقطاع سفرهم إليهما لدخولهم في الإسلام ، فقال النبي ﷺ ذلك تطييباً لقلوبهم ، وتبشيراً لهم بأن ملكهما سيزول عن الاقليميين المذكورين .

وقيل : الحكمة في أن قصير بقي ملكه ، وإنما ارتفع من الشام وما والاها ، وكسرى ذهب ملكه أصلاً ورأساً ، أن قيصر لما جاءه كتاب النبي ﷺ قبله وكاد أن يسلم كما مضى ، كسرى لما أتاه كتاب النبي ﷺ مزقه ، فدعا النبي ﷺ أن يمزق ملكه كل ممزق ، فكان كذلك .

قال الخطابي : معناه فلا قيصر بعده يملك بمثل ما يملك ، وذلك أنه كان بالشام ، وبها بيت المقدس ، الذي لا يتم للنصارى نسك إلا به ، ولا يملك على الروم أحد إلا كان قد دخله ، إما سراً وإما جهراً ، فانجلى عنها قيصر واستفتحت خزائنه ولم يخلفه أحد من القياصرة في تلك البلاد بعد . (فتح الباري) مختصراً .

وأخرجه مسلم في الفتن ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت ، حديث رقم (٢٩١٨) ، (٢٩١٩) .

وأخرجه البخاري في الجهاد ، باب الحرب خدعة ، وباب قول النبي ﷺ : أحلت لكم الغنائم ، وفي الأيمان والنذور ، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ .

وأخرجه الترمذي في الفتن ، باب ما جاء في الفتن ، حديث رقم (٢١٢٧) .

انصرف عبد الله بن حذافه حين أرسله رسول الله ﷺ فلم يجبه ، فلما أغلق بابه إذا رجل واقف بين يديه ، وبيده عصا ، فقال : ياكسرى ، أسلم ، فإن الله قد بعث رسولاً يدعو إلى كتاب الله والحق ، قال : أخر عني اليوم حتى ترجع . فذكر مثل حديث أبي سلمة ، قال : فضرب بالعصا على رأسه وقتله ابنه فلذلك كسرها وخرج من عنده .

قال : فحدثني محمد بن الحصين عن داود بن الحصين عن عكرمة قال : أغلق كسرى عليه بابه وقال لا تدخلوا علي أحد من العرب وذلك حين انصرف عبدالله من حذافة حين أرسله رسول الله ﷺ فلم يجبه فلما أغلق بابه إذا رجل واقف بين يديه وبيده عصا فقال : ياكسرى أسلم فإن الله قد بعث رسولاً يدعو إلى كتاب الله والحق .

قال : أخر عني اليوم حتى ترجع فذكر مثل حديث أبي سلمة قال : فضرب بالعصا على رأسه وقتله ابنه تلك الليلة ، فلذلك كتب ابن كسرى باذان ومن معه ينهاه أن يحرك رسول الله ﷺ وخاف ما رأى ، وكان باذان قد سبق بالإسلام ومن معه .

قال : وحدثني عبد الملك بن محمد عن ثابت بن عجلان عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبي أمامه الباهلي رضي الله عنه قال : مثل بين يدي كسرى رجل فى بردين أخضرين معه قضيب أخضر قد حني ظهره وهو يقول : ياكسرى أسلم وإلا كسرت ملكك كما أكسر هذه العصا فقال كسرى : لاتفعل ، ثم تولى عنه .

قال الواقدي : حدثني صالح بن جعفر قال : سمعت محمد بن كعب يقول دخلت مدائن كسرى سنه ثمانين عام العجاف فنظرت إلى بناء كسرى وعجبت له ، فإذا شيخ هرم يهدج قائم معي فسألته عن بعض امره فقال : إن كسرى أول من أنكر من ملكه أنه أصبح في الليلة التي أوحي فيها إلي رسول الله ﷺ ودجاته قد أسلمت عليه وأصبح طاق ملكه الذي كان يغلق عليه تاجه منعدماً وأشار لي إليه وأشار إلى حديث أسلمت دجاته وكان يجلس في ذلك الطاق فأغتم واحتسب نفسه وقال : ما انصدع هذا الطاق من غير ثقل وانبعثت دجلة من مأمنها إلا من أمر قد حدث ، فانظروا إليه ، فإن عندكم كل ساحر، وكاهن،

وعائف ، ومنجم ، فذكر القصه إلى أن قال:ثم إن كسرى رأى في النوم أن سلماً وضع في الأرض إلى السماء وحشر الناس حوله إذ أقبل رجل عليه عمامة وإزار ورداء فصعد السلم حتى إذا كان بمكان منه نودي أين فارس ورجالها، ونساؤها ، ولأمتها ، وكنوزها ؟ فأقبلوا فجعلوا في جوالق ثم دفع الجوالق إلى ذلك الرجل فأصبح كسرى بئيس النفس محزوناً بتلك الرؤيا ، فذكرها لأساورته فجعلوا يهونون عليه الأمر فيقول كسرى : هذا من فضل الأمر الذى يراد به فارس ، فلم يزل مهموماً حتى قدم عليه كتاب النبي ﷺ وقدم به عبدالله بن حذافه .

قال : وحدثني سعيد بن بشير عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال : إن كسرى رأى في النوم أن سلماً وضع في الأرض إلى السماء وحشر الناس من حوله فذكر مثله وزاد فكتب كسرى إلى عامل اليمن باذان إني لم أبعثك لتأكل وتشرب إلى هذا الرجل الذي خالف دين قومه فمره فليرجع إلى دين قومه وإلا فليواعدك يوماً تلتقون فيه تقتلون ، فلما ورد كتابه على باذان بعث بكاتبه مع رجلين ، فلما وردا على رسول الله ﷺ أذن لها وأمرهما بالمقام فأقاما ثم أرسل إليهما رسول الله ﷺ ذات غداة فقال : انطلقا إلى باذان وأعلما أن ربي قد قتل كسرى في هذه الليله ، فانطلقا حتى قدما على باذان فأخبراه بذلك ، فقال : إن يكن الأمر كما قال فإن خبر ذلك يوافي يوم كذا ، وأتاه الخبر كذلك فاجتمعت أساودته إليه وهو مريض فقالوا : من يرأس علينا ؟ فقال ملك مقبل وملك مدبر فاتبعوا هذا الرجل وادخلوا في دينه وأسلموا ، ومات باذان وبعثوا وفدهم بإسلامهم إلى رسول الله ﷺ .

هكذا ساق أبو نعيم هذه الأخبار عن الواقدي ثم قال ورواه على بن عاصم عن داود بن أبي هند عن الشعبي ، قال : كتب رسول الله ﷺ كتاباً إلى هرقل [1]و كتاباً إلى صاحب دومة الجندل[2]، وكتاباً إلى النجاشي[3] وكتاباً إلى

---

(١) ولفظه : بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم . سلام على من اتبع الهدى . أما بعد فإني أدعوك بدعايه الإسلام . أسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فعليك إثم الأريسين ،﴿ **يا أهل الكتاب تعالوا إلي كلمه سواء بيننا وبينكم=**

كسرى[1] بن هرمز، فلما دخل صاحب كتاب كسرى عليه لم يقرأه وأمر به فمزقه وقال : من يلي هذا من عمالي قالوا : باذان صاحب اليمن فدعا الكاتب فأملي عليه : من كسرى إلى باذان ، أما بعد فيا ابن الخبيثه إني لم أستعملك على اليمن لتأكل خيرها ولتلبس حريرها وإنما استعملتك لتقاتل من عاداني وإنه بلغني

= ألا نعبد إلا الله ولانشرك به شيئاً ولايتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾[آل عمران : ٦٤] (مجموعه الوثائق السياسيه) : ٣٥ ، وثيقه رقم (٢٦) .

(٢) ولفظه : بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله لأكيدر حين أجاب إلي الإسلام وخلع الأنداد والأصنام مع خالد بن الوليد سيف الله في دوماء الجندل وأكنافها . إن لنا الضاحية من الضحل والبور والمعامي ، وأغفال الأرض والحلقه ، والسلاح والحافر ، والحصن ، ولكم الضامنه من النخل ، والمعين من المعمور لاتعدل سارحتكم، ولاتعد فاردتكم ، ولا يحظر عليكم النبات ، تقيمون الصلاة لوقتها ، وتؤتون الزكاة بحقها ، عليكم بذلك عهد الله والميثاق ، ولكم بذلك الصدق والوفاء شهد تبارك وتعالى الله ومن حضر من المسلمين . (مجموعه الوثائق السياسيه) : ١٨١ ، وثيقه رقم (١٩٠) ، (الأموال) : ١٨٨ ، مسأله رقم (٥٠٩) ، قال أبوعبيد : أما هذا الكتاب فأنا قرأت نسخته ، وأتاني به شيخ من هناك مكتوباً في صحيفه بيضاء فنسخته حرفاً بحرف .

(٣) ولفظه : هذا كتاب من محمد النبي إلي النجاشي الأصحم عظيم الحبشة . سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له . لم يتخذ صاحبه ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأدعوك بدعايه الإسلام ، فإني رسول الله فأسلم تسلم ﴿ **يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولانشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون** ﴾ ، فإن أبيت فعليك إثم النصاري من قومك . (مجموعه الوثائق السياسية) : ٢٢ ، وثيقه رقم (٢٢) .

(١) ولفظه : من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس . سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وادعوك بدعاء الله ، فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين . فأسلم تسلم فإن أبيت فإن إثم المجوس عليك . (مجموعه الوثائق السياسية) .

أن رجلاً من أهل تهامه خرج عن دين قومه ومنسكهم ، ويزعم أنه رسول الله يقال له أحمد ، فإذا جاءك كتابي فاختر رجلين من أهل فارس ممن ترضى عقله فابعثهما إليه واكتب معهما إليه ، أن يرجع إلى دين قومه ومنسكهم أو تواعده يوماً تلقاه فيه ، فإنه يزعم أنه نبي يغلبني على ملكي ن فلما جاء باذان الكتاب اختار رجلين من أهل فارس وكتب إلى النبي ﷺ بما كتب به كسرى فقدما عليه فأعطياه الكتاب ، فردّوهما شهراً يختلفان إليه فلا يجيبها إلى جواب كتابهما ، فدعوا عليه يوماً فقال ما أحسبني إلا قد حبستكما وشققت عليكما ، قال : أجل قال: فانطلقا وتلبسا واركبا ثم مرا بي ففعلا فقال لهما : أما كتابه اليّ أن أرجع إلى دين قومي ومنسكهم ، أو أعده موعداً ألقاه فيه ، فموعدة بيني وبينه أبواب صنعاء أنا بنفسي وخيلي ، وأبلغاه عني أن ربي عز وجل قتل ربّه الغداه، قال : فكتبا ذلك اليوم ثم قدما على باذان فقال ما حبسكما ؟ قالا : هو حبسنا وأبلغاه ما قال النبي ﷺ قال : وتحفظان اليوم الذى قال إن ربي قتل ربه ؟ قالا نعم ، قال : فأمر به فكتب فما لبثوا إلا أياما قليلة حتى جاء كتاب من شيرويه بن كسرى: أما بعد فإني قتلت أبي يوم كذا وكذا ، فادع من قبلك من أهل فارس إلى بيعتي ، وأن يسمعوا ويطيعوا ، قال : فسألهما باذان : أي رجل أحمد ؟ قال: جئناك من عند خير الناس ، وأصدقهم لساناً وأبينه ، قال : عليه حرس ؟ قالا : وما يصنع بالحرس ؟ لهو أحبّ إلى أصحابه من أنفسهم وأولادهم قال : هذا الملك الهنئ قال : فنادوا أنْ يا أهل فارس بايعوا شيرويه ، واسمعوا وأطيعوا له، يا أهل فارس ، هذا الملك قد أقبل ملك محمد ، وهذا الملك قد أدبر، ملك فارس

فأنا أهلك فيما بينهما ، قال عامر : فأقبل ملك النبي ﷺ وأدبر ملك فارس وهلك باذان فيما بينهما ، قتله العبسي الكذاب وتزوج أمرأته[1].

---

(١) قال الثعالبي أبو إسحاق بن محمد بن إبراهيم ويقال : الثعالبي ، المتوفي سنه (٤٢٧) في تفسيره المسمى بـ (الكشف والبيان) فى تفسير قوله تعالى من سورة الأنعام : ﴿ **وإن يمسسك بخير فهو على كل شئ قدير** ﴾ : عن ابن عباس قال : أهدى كسرى بغله لرسول الله ﷺ فركبها بحبل من شعر ، وأردفه خلفه . وإن صح هذا ـ لأن البغوي ذكره أيضاً في تفسير =

وقال البيهقي[1] أخبرني أبو سعيد بن أبي عمرو قال : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب قال : أخبرنا الربيع بن سليمان ، قال : حدثنا الشافعي ، حدثنا ابن عيينة ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، والذى نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله.

قال الشافعي: ولما أتى كسرى بكتاب رسول الله ﷺ مزقه ، فقال رسول الله ﷺ : مزق الله ملكه ، قال : وحفظنا إن قيصرأكرم كتاب رسول الله ﷺ ووضعه في مِسْك فقال : النبي ﷺ ثبت الله ملكه .

قال البيهقي : فخرجه مسلم في (الصحيح)[2] من حديث ابن عيينة وخرجاه[3] من وجه آخر عن الزهري ، قال : كتابه وسيرد بطريقه عن قريب إن شاء الله .

= سورة الأنعام ـ فيتحمل أن يكون الذي أرسل البغله شيرويه، أو ابن عمه كسرى بن قباذ بن هرمز ، أو أرد شير بن شيرويه ، أو جرهان ، هؤلاء كلهم ملكوا بعد قتل أبوزيز ، ثم ملك بعدهم بوران بنت كسرى وبلغ النبي ﷺ أمرها فقال : لن يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة . قاله ابن قتيبه في (المعارف) ٦٦٦/٢، باب ملوك العجم ، (المصباح المضئ) : ١٥٧/٢ ـ ١٥٨ . والله تعالى أعلم أي ذلك كان .

(١) (دلائل البيهقي) : ٣٩٣/٤ ، باب ما جاء في الجمع بين قوله ﷺ : إذا هلك قيصر فلا قيصر بعد ، وماروى عنه من قوله في قيصر حين أكرم كتاب النبي ﷺ : ثبت الله ملكه ، وما ظهر من صدقه ﷺ فيه ، وفيما أخبر عنه من هلاك كسرى ، وهو الصادق الصدوق ﷺ .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ٢٥٧/١٨ ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب (١٨) لاتقوم الساعه حتى يمر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء ، حديث رقم (٧٦) .

قال الإمام النووي : قال الشافعي وسائر العلماء : معناه لايكون كسرى بالعراق ، ولا قيصر بالشام ، كما كان . قال ﷺ : فأما كسرى فانقطع ملكه ، وزال بالكلية من جميع الأرض ، وتمزق ملكه كل ممزق، واضمحل بدعوة رسول الله ﷺ وأما قيصر فانهزم من الشام ، ودخل=

قال الشافعي[١] : كانت قريش تنتاب الشام انتياباً كثيراً وكان كثير من معاشها منه ، وتأتي العراق ، فيقال لما دخلت في الإسلام وذكرت للنبي ﷺ خوفها من انقطاع معاشها بالتجارة من الشام والعراق إذا فارقت الكفر ودخلت في الإسلام ، مع خلاف مِلك الشام والعراق لأهل الإسلام ، فقال النبي ﷺ : إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده . فلم يكن بأرض العراق كسرى يثبت له أمر بعده.

وقال : إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، فلم يكن بأرض الشام قيصر بعده ، وأجابهم على ماقالوا له وكان كما قال لهم ﷺ وقطع الله الأكاسره عن العراق وفارس ، وقطع قيصر ومن قام بالأمر بعده عن الشام ، وقال النبي ﷺ في كسرى : مُزّق مُلكه فلم يبق للأكاسرة ملك ، وقال في قيصر : ثبت ملكه فثبت له ملك ببلاد الروم إلى اليوم وتنحى ملكه عن الشام وكل هذا مؤتفق يصدق بعضه بعضاً .

قال كاتبه : يقال : إن كسرى أبرويز بن هرمز هذا خلع ، وقيل بعدما سهل ، وقد مضى من الهجرة النبوية أربع سنين وأربعه أشهر واثنان وعشرون يوماً .

= أقاصي بلاده ، فافتتح المسلمون بلادهما ، واستقرت للمسلمين والله الحمد ، وأنفق المسلمون كنوزهما في سبيل الله ، كما أخبر ﷺ وهذه معجزات ظاهرة .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ، باب علامات النبوة في الإسلام ، وفي الجهاد ، باب الحرب خدعه ، وباب قول النبي ﷺ : أحلت لكم الغنائم ، وفي الأيمان والنذور ، باب كيف كانت يمين ولنبي ﷺ .

وأخرجه مسلم برقم (٢٩١٨) في كتاب الفتن ، باب لاتقوم الساعه حتى يمر الرجل بقبر الرجل ، فيتمنى أن يكون مكان الميت (جامع الأصول) : ٣١٢/١١ ، الباب الخامس في معجزاته ﷺ ودلائل نبوته .

(١) (دلائل البيهقي) : ٣٩٤/٤ ، باب ما جاء في الجمع بين قوله ﷺ : إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، وما روى عنه من قوله في قيصر حين أكرم كتاب النبي ﷺ : ثبت ملكه ، وما ظهر من صدقه فيهما ، وفيما أخبر عنه من هلاك كسرى ، وهو الصادق المصدوق ﷺ .

قال الواقدي : فلبط عليه ابنه شيرويه فقتله ليلة الثلاثاء لعشر مضين من جمادي سنة سبع ، وملك بعده ابنه شيريويه ، واسمه قباذ بن أبرويز، ثمانيه أشهر، وهلك في الطاعون لأشهر من السنة الخامسة من الهجرة بعد ما قتل من آخرته ثمانيه عشر ، وملك بعده ابنه أرد شيرو بن شيرويه وله من العمر سبع سنين ، وقتل بعد سنة وستة أشهر(١) ، وملك بعده شهر آران مقدم الفرس ، ثم قتل، وأقيمت بعده بوران دخت بنت كسرى أبرويز شهر خرهان(٢) وقدم خالد بن الوليد رضي الله تبارك وتعالى عنه بجيوش المسلمين في ولايتهما لاثنتي عشرة سنة مضت من الهجرة فهلكت بعد قدوم خالد بسبعة أشهر ، وهلكت لأربعه أشهر من خلافة عمر رضي الله عنه ، فكانت مدتها سنة وأربعة أشهر ، وملك خشنشدة من بني عم أبرويز شهراً ، وقيل : سنة [فأقيمت] (٣)بعده أزرميدخت ولم [يكن](٣)من بيت الملك ، وملك [بعدها](٣) خرذاوخر ابن أبرويز وهو طفل فأقام شهراً واحداً وملك يزدجرد بن شهريار من أبرويز وعمره خمس عشرة سنة ، ثم قتل بمرور سنة إحدى وثلاثين من الهجرة بعدما أقام في المملكة تسع عشرة سنة ، وقيل : عشرين سنة ولم يقم بعده ملك فارس وتمزقوا حتى فنوا ولم يعرف اليوم منهم أحد .

---

(١) قال ابن قتيبة فى (المعارف) : ٦٦٥ ، وكان ملكه خمسه شهور .

(٢) قال ابن قتيبة فى (المرجع السابق) : ولم يكن من أهل بيت الملك ، فاحتالت له امرأة من أهل بيت الملك يقال لها [بوران] فقتلته ، فكان ملكه اثنين وعشرين يوماً ، ثم ملك بعده من ولد هرمز رجلاً يقال له كسرى بن قباذ ، وكان ولد بأرض الترك ، وقدم عندما بلغه من الاختلاف ، فوثب عليه ملك خراسان فقتله ، وكان ثلاثة أشهر . أنظر (تاريخ الطبرى) : ٢/٢١٨ -٢٣٤، ذكر من كان على ثغر العرب من قبل ملوك الفرس بالحيرة بعد عمرو بن هند .

(٣) في (الأصل) : " فأقيم " ، " يكن " ، " بعده " ، وصوبناه من (المعارف) : ٦٦٦ .

وأما إستجابة الله تعالى دعاء رسول الله ﷺ على المشركين وهزيمتهم يوم بدر

فخرج البيهقي من حديث سفيان عن أبي إسحاق ، عن عاصم بن ضمرة ، عن علي رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : جعل رسول الله ﷺ يصلي ليلة بدر ويدعو ويقول : اللهم إن تهلك هذه العصابة لاتعبد[1] .

وخرّج البخاري[2] عن طريق سفيان ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس رضي الله تبارك وتعالى عنهما ﴿ **ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرًا** ﴾ قال : هم والله كفار قريش ، قال عمرو : هم قريش ، ومحمد ﷺ نعمة الله ﴿ **وأحلوا قومهم دار البوار** ﴾ قال : النار يوم بدر . ذكره في المغازي ، وذكره في التفسير من طريق سفيانِ ، عن عمرو عن وهب عن عبدالله ، عن أبي الطفيل أن ابن الكواء سأل علياً قال : من الذين بدلوا نعمة الله كفراً ؟ قال الأفجران ، بنو أمية وبنو مخزوم كفيتهم يوم بدر. وفي رواية لغير عبد الرزاق

---

(١) وتمامه من (الدلائل) : " لم تعبد في الأرض أبداً ، فقال له جبريل عليه السلام : خذ قبضة من تراب ، فأخذ قبضة من الترساب فرمي بها في وجوههم ، فما من المشركين أحد إلاأصاب عينيه ومنخيريه وفمه تراب من تلك القبضة ، فولوا مدبرين ".

(٢) (فتح الباري) : ٣٨٢/٧ ، كتاب المغازي ، باب (٨) قتل أبي جهل ، حديث رقم (٣٩٧٧) ، كتاب التفسير وباب (٣) ﴿ **ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً** ﴾ ، حديث رقم (٧٤٠٠) .

وروي الطبري من طريق أخرى ، عن ابن عباس أنه سأل عمر رضي الله تبارك وتعالى عنه عن هذه الآية ، فقال : من هم ؟ قال : هم الأفجران من بني مخزوم وبني أمية أخوالي وأعمامك ، فأما أخوالي فاستأصلهم الله يوم بدر ، وأما أعمامك فأملي الله لهم إلى حين .

ومن طريق على قال : هم الأفجران بنو أمية وبنو المغيرة فقطع الله ودابرهم يوم بدر ، وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين .

وهو عند عبد الرزاق أيضاً والنسائي وصححه الحاكم . قال الحافظ : والمراد بعضهم لا جميع بني أمية وبني مخزوم ، فإن بني مخزم لم يستأصلوا يوم بدر ، بل المراد بعضهم ، كأبي جهل من بني مخزوم ، وأبي سفيان من بني أمية . (فتح الباري) .

قال : هم كفار قريش الذين فروا يوم بدر . وقال يونس بن بكير [بسنده] : حدثني يحيى بن عباد من عبدالله بن الزبير: بين أول ﴿ **يا أيها المزمل** ﴾[١] وبين قول الله تعالى : ﴿ **وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلا** ﴾ [٢] حبي اللّه قريشاً بالرفعة يوم بدر .

وقال الأعمش : عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : أخذتهم يوم بدر ريح عقيم ، وقال مجاهد : عن أبّي بن كعب في قوله : ﴿**يأتيهم عذاب يوم عقيم**﴾[٣] قال ، يوم بدر ، وعن أبي هريرة في قوله تعالى : ﴿**أخذنا مترفيهم بالعذاب**﴾[٤] قال : يوم بدر . وقال مجاهد : السيوف يوم بدر ، وعن عبدالله بن مسعود قال :﴿ **فسوف يكون لزاما** ﴾[٥] يوم بدر ، وعن قتادة في قوله تعالى: ﴿**فسوف يكون لزاما** ﴾ قال أبّي بن كعب هو القتل يوم بدر ، وقال مغيرة عن ابراهيم : اللزوم يوم بدر، وعن مجاهد﴿ **فسوف يكون لزاما** ﴾ قال: هزموا يوم بدر، وقال سعيد ، عن ابن مسعو قال : اللزام القتل يوم بدر ، وقال الضحال فقد كذبتم بقول الكفار: كذب رسول الله ﷺ ثم أجابه ابن عبدالله قد مضى اللزام كان اللزام يوم بدر ﴿ **ولنذيقنهم من العذاب الأدنى** ﴾[٦] قال : يوم بدر ، وعن ابن عباس ﴿ **ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين * قل يوم الفتح لاينفع الذين كفروا إيمانهم ولاهم ينظرون** ﴾[٧] قال : يوم بدر لاينفع الذين كفروا ايمانهم .

---

(١) المزمل : ١ .

(٢) المزمل : ١١ .

(٣) الحج : ٥٥ .

(٤) المؤمنون : ٦٤ .

(٥) السجدة :٢١ .

(٦) السجدة : ٢١ .

(٧) السجدة : ٢٨ – ٢٩ .

وخرج أبونعيم[١] من حديث معاوية بن صالح ، عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : أقبلت عير أهل مكة تريد الشام فبلغ أهل المدينة ، فخرجوا ومعهم رسو الله ﷺ يريدون العير فبلغ أهل مكة ذلك فأسرعوا السير إليها لكى لايغلب عليها النبي ﷺ وأصحابه فسبقت العير سول الله ﷺ وكان الله وعدهم إحدى الطائفتين ، وكانوا إن بلغوا العير أحب إليهم ، وأيسر شوكة ، وأحضر مغنما ، فلما سبقت العير وفاتت رسول الله ﷺ ، وسار رسول الله ﷺ بالمسلمين بينهم وبين الماء رسلة دعصة[٢]، فأصحاب المسلمين ضعف شديد فألقى الشيطان في قلوبهم القنط ويوسوسهم : تزعموا أنكم أولياء الله وفيكم رسوله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم تصلون مجنبين ؟ فأمطر الله عليهم مطراً شديداً فشرب المسلمون وتطهروا ، وأذهب الله رجز الشيطان وانتسق الرمل[٣] حين أصابه المطر ومشى الناس عليه والدواب فساروا إلى القوم وأمدّ الله نبيه والمؤمنين بألف من الملائكه مجنبة ، وميكائيل في خمسمائة ، قال : أصطف القوم قال أبوجهل : اللهم أولانا بالحق فانصره ، ورفع رسول الله ﷺ يده فقال : اللهم إنك ان تهلك هذه العصابة لم تعبد في الأرض فقال جبريل : خذ قبضة من التراب ، فأخذ قبضة من التراب فرمي بها وجوهم فما من المشتركين أحد إلا أصاب عينيه، ومخريه، وفمه تراب من تلك القبضة فولوا مدبرين .

ومن حديث الأعمش[٤] ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، أو أبي عبيدة ، عن عبدالله قال لما كان يوم بدر قام رسول الله ﷺ ثم قعد يدعو قال : اللهم عهدك الذي عهدت إلىّ، اللهم وعدك الذي وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لاتعبد في الأرض أبداً .

---

(١) (دلائل أبي نعيم) : ٤٦٩ ، ذكر ماجرى من الآيات في غزواته وسراياه ﷺ ، ماحدث من المعجزات في غزوة بدر ، حديث رقم (٤٠٠) .

(٢) أي أرض مرملة ، رملها زلق تغوص الأقدام فيه .

(٣) انتسق الرمل : انتظم بعضه إلى بعض وزال زلفة .

(٤) (المرجع السابق) : ٤٧٤ ، حديث رقم (٤٠٨) بسند آخر وسياقه أتم .

وخرج البخاري[١] من حديث عبد الوهاب ووهيب قالا : حدثنا خالد عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله وتبارك وتعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال وهو في قبته يوم بدر : اللهم أنشدك عهدك ووعدك اللهم إن تشأ لاتعبد بعد اليوم فأخذ أبوبكر رضي الله تبارك وتعالى عنه بيده فقال : حسبك يارسول الله ألححت على ربك وهو يثب في الدرع ، فخرج وهو يقول ﴿ **سيهزم الجمع ويولون الدبر** ﴾[٢] ذكره في كتاب التفسير في باب ﴿ **بل الساعة موعدهم والساعه أدهى وأمرّ** ﴾[٣] وذكره في غزوة بدر[٤] .

وخرج مسلم[٥] والترمذي[٦] من حديث عكرمه بن عمار قال : حدثني سماك الحنفي . قال : سمعت ابن عباس يقول لما كان يوم بدر . ذكره مسلم في

---

(١) (فتح الباري) : ٧٩٦/٨ - ٧٩٧ ، كتاب التفسير ، باب (٥) قوله تعالى : ﴿ **سيهزم الجمع ويولون الدبر** ﴾ ، حديث رقم (٤٨٧٥) ، باب (٦) قوله تعالى : ﴿ **بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمرّ** ﴾ ، حديث رقم (٤٨٧٧) .

(٢) القمر : ٤٥ .

(٣) القمر : ٤٦ .

(٤) (فتح الباري) : ٢٦٤/٧ ، كتاب المغازي ، باب (٤) قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم ربكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين * وماجعله الله إلابشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلامن عند الله إن الله عزيز حكيم * إذيغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام * إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان * ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب** ﴾ [الأنفال : ٩-١٢] ، حديث رقم (٣٩٥٣) .

(٥) (مسلم بشرح النووي) : ٢٩٢/١٢ ، كتاب الجهاد والسير ، باب (٧) استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو ، حديث رقم (١٧٤٣) مختصرًا .

(٦) (سنن الترمذي) : ١٦٨/٤ ، كتاب الجهاد ، باب (٨) ماجاء في الدعاء عند القتلي ، حديث رقم (١٦٧٨) ، قال أبوعيسي : وفي الباب عن ابن مسعود ، وهذا حديث حسن صحيح .

الجهاد وذكره الترمذي في التفسير. وخرجه مسلم[1] أيضاً من حديث عكرمة بن عمار قال : أخبرني أبو زميل قال حدثني عبد الله بن عباس قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائه وسبعة عشر رجلاً فاستقبل نبي الله ﷺ القبله ثم مدَّ يديه فجعل يهتف بربه : اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم آتني ما وعدتني ، اللهم إنك إنِ تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض فما زال يهتف بربه ماداً يديه مستقبل القبله حتي سقط رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال : يابني الله ! كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجزلك ما وعدك فأنزل اللّه تعالى : ﴿ **إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكه مردفين** ﴾[2] فأمده الله بالملائكه . وذكر الحديث.

وخرج البيهقي[3] من حديث ابن مهدي ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق عن حارثه بن مضرب ، عن عليّ رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : ماكان فينا فارس يوم بدر إلا رسول الله ﷺ غير المقداد على فرس أبلق ، ولقد رأيتنا وما فينا قائم إلا رسول الله ﷺ تحت سمرة يصلي ويبكي حتي أصبح .

ومن حديث إسماعيل بن عوف عن عبدالله بن أبي رافع ، عن عبد الله ابن محمد بن عمر بن على بن أبي طالب رضي الله تبارك وتعالى عنه عن أبيه، عن جده ، عن علي بن أبي طالب رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : لما كان يوم بدر قاتلت شيئاً من قتال ثم جئت مسرعاً لأنظر إلى رسول الله ﷺ ما فعل ؟ فجئت فإذا هو ساجد يقول : يا حي يا قيوم ، يا حي يا قيوم ، لايزيد

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ١٢/٣٢٧ - ٣٣٠ ، كتاب الجهاد والسير باب (١٨) الإمداد بالملائكة في غزوة بدر إباحة الغنائم ، حديث رقم (١٧٦٣) .

(٢) الأنفال : ٩ .

(٣) (سنن البيهقي) : ٣/٤٩ ، باب ماجاء في دعاء النبي ﷺ على المشركين قبل التقاء الجمعين وبعده ، ودعاء أصحابه عليهم ، واستغاثتهم ربهم ، واستجابة الله تعالى لهم ، وإمدادهم بالملائكة ، وإخبار النبي ﷺ عن مصارع القوم قبل وقوعها ، وماظهر في ذلك من آثار النبوة . والحديث أخرجه النسائي في (الكبري) ، في الصلاة ، عن محمد بن المثني ، عن محمد ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة بن مضرب .

عليها فرجعت إلى القتال ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك فلم يزل يقول ذلك حتى فتح الله عليه .

ومن حديث يحيى ، عن الأعمش ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة، عن عبد الله ، قال : ما سمعت مناشداً ينشد حقاً له أشد من مناشدة محمدﷺ يوم بدر، جعل يقول : اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك اللهم إن تهلك هذه العصابة لاتعبد ، ثم التفت كأن شق وجهه القمر فقال : كأنما أنظر إلى مصارع القوم عشية [(١)] .

وقال الواقدي : في غزوة بدر : ثم سار رسول الله ﷺ حتى أتى الروحاء فحدثني عبد الملك بن عبدالعزيز ، عن أبان بن صالح ، عن سعيد بن المسيب أن رسول الله ﷺ لما رفع رأسه من الركعة الأخيرة من وتره لعن الكفرة وقال : اللهم لا تفلتن أبا جهل فرعون هذه الأمة ، اللهم لا تفلتن زومعة ابن الأسود، اللهم واسخن عين أبي زمعة، وأعم بصر أبي زمعة ، اللهم لاتفلتن لايغلبن سهيلاً ، اللهم أنج سلمة بن هشام ، وعياش بن أبي ربيعه والمستضعفين من المؤمنين .

قال : والوليد بن الوليد ، لم يدْع له يومئذ ، أسر ببدر، ولكنه لما رجع إلى مكة بعد بدر أسلم ، فأراد أن يخرج إلى المدينة ، فجلس ، فدعا له النبي ﷺ بعد ذلك . هكذا ذكرالواقدي هذا الحديث مرسلاً [(٢)].

قال : فحدثني محمد بن عبد الله عن الزهري عن عروة بن الزبير ومحمد بن صالح ، عن عاصم بن عمر ، ويزيد بن رومان ، قالا : لما رأى رسول الله ﷺ قريشاً تصوب من الوادي ، وكان أول من طلع زمعة بن الأسود على فرس له يتبعه ابنه ، فاستجال بفرسه يريد أن يتبوأ للقوم منزلاً .

فقال رسول الله ﷺ : اللهم إنك أنزلت عليّ الكتاب وأمرتني بالقتال ، ووعدتني إحدى الطائفتين ، وأنت لاتخلف الميعاد ، اللهم إن هذه قريش قد أقبلت

---

(١) (المرجع السابق) : ٥١ ، (مسند أحمد) : ٥١/١ ، حديث رقم (٢٠٨) .

(٢) (مغازي الواقدي) : ٤٦/١ .

بخيلائها وفخرها تحادك ، وتكذّب رسولك ، اللهم نصرك الذي وعدتني ، اللهم أحنهم الغداة [1] .

حدثني معمر بن راشد عن الزهري ، عن عبدالله بن ثعلبة بن صعير قال : واستفتح أبو جهل يوم بدر فقال : اللهم أقطعنا للرحم وأتانا بما لايعلم فأحنه الغداة [2] . فأنزل الله تبارك وتعالي : ﴿ **إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم** ﴾[3] الآية .

وحدثني عمر بن عقبه ، عن سعيد مولى ابن عباس قال : سمعت ابن عباس رضي الله تبارك وتعالى عنهما يقول : لما تواقف الناس أغمي على رسول الله ﷺ ساعة ثم كشف عنه فبشر المؤمنين بجبريل في جند من الملائكة في ميمنة الناس ، وميكائيل في جند آخر في ميسرة رسول الله ﷺ وإسرافيل في جند آخر بألف [4] .

(١) (مغازي الواقدي) : ٥٩/١ .
(٢) (المرجع السابق) : ٧٠ .
(٣) الأنفال : ١٩ .
(٤) (المرجع السابق) : ٧٠/١ - ٧١ .

وأما تصديق الله تعالى رسوله ﷺ في تعيينه مصارع المشركين ببدر

فخرج مسلم[1] من حديث عفان قال : حدثنا حماد بن سملة ، عن ثابت، عن أنس رضي الله تبارك وتعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان قال : فتكلم أبوبكر رضي الله تبارك وتعالى عنه فأعرض عنه ثم تكلم عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه فأعرض عنه ، فقام سعد بن عباده رضي الله تبارك وتعالى عنه فقال : إيانا تريد يا رسوال الله ؟ والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها ، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا .

قال : فندب رسول الله ﷺ الناس فانطلقوا حتى نزلوا بدراً ووردت عليهم روايا قريش وفيهم غلام أسود لبني الحجاج فأخذوه ، وكان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن أبي سفيان فيقول : مالي علم بأبي سفيان ، ولكن هذا أبوجهل وعتبة وشبية وأميّة بن خلف ، فإذا ذلك ضربوه ، فقال : نعم أنا أخبركم ، هذا أبو سفيان ، فاذا تركوه فسألوه فقال مالي بأبي سفيان علم ، ولكن أبوجهل وعتبة وشيبة وأمية بن خلف في الناس ، فإذا قال ذلك ضربوه ، فقال : نعم ، أنا أخبركم ، هذا أبو سفيان ، فإذا تركوه فسألوه فقال : مالي بأبي سفيان علم ، ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأمية بن خلف في الناس ، فإذا قال هذا أيضًا ضربوه ، ورسول الله ﷺ قائم يصلي .

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٣٦٦/١٢ -٣٦٨، كتاب الجهاد والسير ، باب (٣٠) غزوة بدر ، حديث رقم (١٧٧٩) . قال الإمام النووي : قال العلماء : إنما قصد ﷺ اختبار الأنصار ، لأنه ﷺ لم يكن بايعهم على أن يخرجوا معه للقتال وطلب العدو ، وإنما بايعهم على أن يمنعوه ممن يقصده ، فلما عرض الخروج لعير أبي سفبان ، أراد أن يعلم أنهم يوافقون على ذلك ، فأجابوه أحسن جواب بالموافقة التامة في هذه المرة وغيرها . وفيه استشارة الأصحاب وأهل الرأى والخبرة . (شرح النووي) .

فلما رأى ذلك انصرف ، قال : والذي نفسي بيده لتضربونه إذا صدقكم، وتتركونه إذا كذبكم قال : فقال رسول الله ﷺ : هذا مصرع فلان ، قال : ويضع يده على الأرض ، هاهنا وهاهنا ، قال : فما ماط أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ .

وخرجه أبو داود[1] من حديث موسى بن إسماعيل عن حماد فذكره إلي أن، قال : وقال أنس قال رسول الله ﷺ : هذا مصرع فلان غداً ووضع يده على الأرض وهذا مصرع فلان وفلان غداً ووضع يده على الأرض ، فقال : والذي نفسي بيده ماجاوز واحد منهم عن موضع يد رسول الله ﷺ فأمربهم رسول الله ﷺ فأخذ بأرجلهم فسحبوا في قليب بدر .

وخرج مسلم[2] من حديث سلميان بن المغيرة حدثنا ثابت عن أنس قال ، كنا مع عمر رضي الله تبارك وتعالى عنه بين مكة والمدينة ، قال : فتراءينا الهلال - وكنت رجلاً حديد البصر - فرأيته وليس أحد يزعم أنه رآه غيري قال : أقول لعمر رضي الله تبارك وتعالى عنه : أماتراه ؟ فجعل لا يراه. قال : يقول عمر : بينا سأراه وأنا مستلقٍ على فراشي ثم أنشأ يحدثنا عن أهل بدر فقال : إن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع القوم بالأمس يقول هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله . قال : فقال عمر رضي الله تبارك وتعالى عنه : فوالذي بعثه بالحق ما أخطؤا الحدود التي حدّ رسول الله ﷺ قال : فجعلوا في بئر

---

(١) (سنن أبي داود) : ٣/١٣٠ - ١٣١ ، كتاب الجهاد ، باب (١٢٥) في الأسير ينال منه ، ويضرب ويقرر ، حديث رقم (٢٦٨١) ، وفيه دليل على جواز ضرب الأسير الكافر ، إذا كان في ضربه طائل . (معالم السنن) .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ١٨/٢١١ ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب (١٧) عرض مقعد الميت من الجنة أوالنار عليه ، وإثبات عذاب القبر ، والتعوذ منه ، حديث رقم (٢٨٧٣)، وفيه معجزة ظاهرة للنبي ﷺ ، قال القاضي عياض : يحمل سماعهم على مايحمل عليه سماع الموتى في أحاديث عذاب القبر وفتنته التي لا مدفع لها ، وذلك بإحيائهم ، أو إحياء ، جزء منهم يعقلون به ويسمعون ، في الوقت الذي يريد الله ، هذا كلام القاضي ، وهو الظاهر المختار الذي يقتضيه أحاديث السلام على القبور ، والله تبارك وتعالى أعلم .(شرح النووي)

بعضهم على بعض ، فانطلق رسول الله ﷺ حتي انتهي إليهم فقال : يافلان ابن فلان ، ويافلان بنِ فلان ، هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقاً ؟ فإني وجدت ما وعدني الله حقاً قال عمر : يارسول الله ! كيف تكلم أجساداً لا أرواح فيها ؟ قال : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير أنهم لايستطيعون أن يردّوا عليّ شيئاً .

وخرّج البيهقي[1] من طريق أبي نعيم قال : حدثنا إسرائيل عن سماك عن عكرمه عن ابن عباس رضي الله تبارك وتعالى عنهما قال : لما فرغ رسول الله ﷺ من القتلى قيل له : عليك العير[2] ليس دونها شئ فناداه العباس وهو في وثاقه : أنه لايصلح لك قال : لأن الله وعدك إحدى الطائفتين وقد أنجز ما وعدك .

(١) (دلائل البيهقي) : ٩٦/٣ ، باب إجابة الله عزوجل دعوة رسول الله ﷺ على كل من كان يؤذيه بمكة من كفار قريش حتى قتلوا مع إخوانهم من الكفرة ببدر . وأخرجه الترمذي في (صحيحه) في تفسير سورة الأنفال ، حديث رقم (٣٠٨٠) ، عن عبد بن حميد ، وقال أبوعيسي : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) وهى عير أبي سيفان التي خرج النبي ﷺ من المدينة يريدها ، وليس دونها شئ ، أي ليس دون العير شئ يزاحمك .

وأما تَبَرّؤ إبليس من قريش في يوم بدر بعد مازين لهم أن يخرجوا لقتال رسول الله ﷺ وقال إني جارلكم فقال الله تبارك وتعالى :

﴿ وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لاغالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني برئ منكم إني أخاف الله والله شديد العقاب﴾(١)

فقوله : **﴿ زين لهم الشيطان أعمالهم ﴾** هى ماكانو فيه من الشرك بالله وعبادة الأصنام ومسيرهم إلى بدر ، وعزمهم على قتال الرسول ﷺ ، وقوله :**﴿جار لكم﴾** أي مجيركم من بني كنانة والفئتان جمعاً المؤمنين والكافرين، وقيل : فئة المؤمنين وفئة الملائكة ، **﴿نكص﴾** رجع على عقبيه في ضد إقباله ،**﴿ وقال إني برئ منكم ﴾** مبالغة في الخذلان والانفصال عنهم، لم يكتف بالفعل حتى أكد ذلك بالقول **﴿ أرى ما لا ترون ﴾** أي خرق العادة ، ونزول الملائكة **﴿ إني أخاف الله ﴾** قال قتادة ، وابن الكلبي : معذرة كاذبة لم يخف الله قط .

وقال الزجاج وغيره : بل خاف مما رأى أن يكون اليوم الذي أنظر اليه **﴿ والله شديد العقاب ﴾** قال ذلك بسطاً لعذره عندهم وهو متحقق أن عقاب الله شديد ، ويحتمل أن يكون من كلام الله تعالى ، استأنفه تهديداً لإبليس ومن تابعه من مشركي قريش وغيرهم ، واتفق الجمهور على أن هذا التزيين والنكوص والقول صدر حقيقة ، وزعم الزمخشري جرياً على عادته في بدعته أنه وسوس إليهم أنهم لايغلبون ، ولايطاقون وأن نكوصه وتبرئه منهم هو بطلان كيده حين نزل جنود الله ، فيكون ما ذكر الله يعبر عن إبليس على قوله : إنما هو على سبيل المجاز .

---

(١) الأنفال : ٤٨ .

ونقل عن الحسن أن ذلك كان على سبيل الوسوة ولـم يتمثـل لهـم ، هـذا مبنـي علـى مـا أصّلـه المعتزلـة مـن امتنـاع رؤيـة الجـن أو امتنـاع وجودهـم ، والقرآن والسنة وآثار السلف يردون[1] ذلك ، قال ابن إسحاق ، وقد ذكر الحـرب التي كانت بين قريش وبين بني بكر : وحدثني يزيد بـن رومـان عـن عـروة بـن الزبير قال : لما أجمعت قريش المسير ذكرت الـذي بينهـا وبيـن بنـي بكـر فكـان يثنيهم فتبّرى لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك بـن جعشـم المدلجـي ، وكـان من أشراف بني كنانـة فقـال : أنـا لكـم جـار مـن أن تـأتيكم كنانـة مــن خلفكـم ، فخرجوا سراعا .

ثم ذكر محمد بن إسحاق من رواية أبي محمد عبد الملك بن هشام وقعـه بدر إلى أن قال : وعمير بن وهب أو الحارث بن هشام فذكر أحدهما رأى إبليس حين نكص على عقيبة يوم بدر فقال : أين سراقة ؟ ومثل عدو الله فذهب فـأنزل الله فيه .

﴿ وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقـال لاغـالب لكـم اليـوم مـن النـاس وإني جار لكم ﴾ فذكر استخراج إبليس إياهم وتشبهه بسراقه بن مالك بن جعشـم لهم حين ذكروا ما بينهم وبين بني بكر من عبد مناة بن كنانـة فـي الحـرب التـي كانت بينهم بقول الله عز وجل **﴿ فلما تراءت الفئتان نكص ﴾** ونظر عـدو اللـه إلي جنود الله من المـلائكة قد أيّد الله بهـم رسوله ﷺ والمؤمنين على عدوهـم **﴿ نكـص علـى عقبيـه وقـال إنـي بـرئ منكـم إنـي أرى مـالا تـرون ﴾** وصـــدق عدوالله ، رأى مالم يروا وقال : **﴿ إني أخاف الله والله شديد العقـاب ﴾** فذكـر لي أنهم كانوا يرونه في كل منزل في صورة سراقه لا ينكرونه ، حتـى إذا كـان يوم بدر والتقى الجمعان نكص على عقبيه فأوردهم ثم أسلمهم [٢] .

---

(١) في الأصل : " يردان " ، وما أثبتناه حق اللغة .

(٢) (سيرة ابن هشام) : ٣/٢١٥ - ٢١٦ ، من رأى إبليس عندمـا نكـص علـى عقبيـه يـوم بـدر ، وقال في هامشه : وذكر غير ابن إسحاق : أن الحارث بن هشام تشبث به ، وهويرى أنه سـراقة ابن مالك ، فقال : إلى أين يا سراقة ؟ أين تفر ؟ فلكمه لكمة طرحه إلى قفاه . =

وقال يونس بن بكير عن إسحاق حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن بعض بني ساعدة قال : سمعت أبا أسيد مالك بن ربيعة بعد ما أصيب بصره يقول : لو كنت معكم ببدر الآن ومعي بصرى لأخبركم بالشعب الذي خرجت منه الملائكة لا أشك ولا أتمارى ، فلما نزلت الملائكة ورآها إبليس وأوحى الله إليهم﴿ **إني معكم فثبتوا الذين آمنوا** ﴾ وتثبيتهم أن الملائكة تأتي الرجل في صورة الرجل يعرفه فيقول أبشروا فإنهم ليسوا بشئ كروا عليهم والله معكم ، كروا عليهم ، فلما رأى إبليس الملائكة نكص على عقبيه وقال إني برئ منكم وهو في صورة سراقة ، وأقبل أبوجهل يحرض أصحابه ويقول لا يهولنكم خذلان سراقة إياكم فإنه كان على موعد من محمد وأصحابه ، ثم قال : واللات والعزى لا نرجع حتى تقرن محمد وأصحابه في الجبال ، فلا تقتلوهم ، وخذوهم أخذا[1] .

وقال عثمان بن سعيد الدرامي : حدثنا عبد الله بن صالح قال حدثني معاوية بن صالح عن على بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله تبارك وتعالى عنه في قوله تعالى : ﴿ **وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين** ﴾ قال : أقبلت عير أهل مكة تريد الشام فبلغ أهل المدينه ذلك فخرجوا ومعهم رسول الله ﷺ

- وإنما تمثل في صورة سراقة المدلجي ، لأنهم خافوا من بني مدلج أن يعرضوا لهم ، فيشغلوهم من أجل الدماء التي كانت بينهم ، فتمثل لهم إبليس في صورة سراقة المدلجي ، وقال: إني جارلكم من الناس ، أي من بني مدلج .

ويروى أنهم رأوا سراقة بمكة بعد ذلك ، فقالوا له : ياسراقة ! أخرقت الصف ، وأوقعت بنا الهزيمة ، فقال : والله ماعلمت بشئ من أمركم حتى هزيمتكم ، وماشهدت ، وماعلمت ، فما صدقوه ، حتى أسلموا وسمعوا ماأنزل الله تعالى ، فعلموا أنه إبليس تمثل لهم . وقول اللعين:﴿ **إني أخاف الله** ﴾ لأهل التأويل فيه أقوال ، **أحدها** : أنه كذب من قوله : إني أخاف الله، لأن الكافر لايخاف الله ، **والثاني** : أنه رأى جنود الله تنزل من السماء ، فخاف أن يكون اليوم الموعود الذي قال الله فيه : ﴿ **يوم يرون الملائكة لابشرى يومئذ للمجرمين** ﴾ ، **الثالث** : إنما خاف أن تدركه الملائكة لما رأي من فعلها بحزبه الكافرين .

(١) (دلائل البيهقي) : ٣ / ٥٢ - ٥٣ .

يريدون العير فبلغ ذلك أهل مكة فأسرعوا السير إليها لكي لايغلب عليها النبي ﷺ وكان الله تعالى وعدهم إحدى الطائفتين وكانوا أن يلقوا العير أحب إليهم وأيسر شوكة وأحضر مغنماً ، فلما سبقت العير وفاتت رسول الله ﷺ بالمسلمين يريد القوم فكره القوم مسيرهم لشوكة القوم ، فنزل النبي ﷺ والمسلون وبينهم وبين الماء رملة دعصة فأصاب المسلمين ضعف شديد وألقى الشيطان في قلوبهم القنط ، يوسوسهم : تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم كذلك فأمطر الله عليهم مطراً شديداً فشرب المسلمون وتطهروا ، فأذهب الله عنهم رجز الشيطان وصار الرمل كذا[1] ، ذكر كلمة أخبر أنه أصابه المطر ، ومشى الناس عليه والدواب ، فساروا إلى القوم وأمدّ الله نبيه والمؤمنين بألف من الملائكه وكان جبريل عليه السلام في خمسمائة من الملائكة مجنبة وميكائيل عليه السلام في خمسمائة مجنبة ، وجاء إبليس لعنه الله في جند من الشياطين معه ، رأيته في صورة رجال بني مدلج والشيطان في صورة سراقه بن مالك بن جعشم فقال الشيطان للمشركين : لاغالب لكم اليوم من الناس وإني جارلكم فلما اصطفّ القوم قال أبوجهل : اللهم أولانا بالحق فانصره ، ورفع رسول الله ﷺ يديه وقال : اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض أبداً فقال له جبريل : خذ قبضة من التراب ، فأخذ قبضة من تراب فرمى بها وجوهم ، فما من المشركين من أحد إلا أصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة فولوا مدبرين ، وأقبل فلما رآه وكانت يده في يد رجل من المشركين انتزع إبليس يده ثم ولّى مدبراً وشيعته ، فقال رجل : ياسراقه ألم تزعم أنك لنا جار ؟ قال : ﴿ **إني أرى مالا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب** ﴾ [2]وذلك حين رأى الملائكة .

وذكره موسى بن عقبة في مغازيه في غزوة بدر إلى أن قال : وأقبل المشركون ومعهم إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي يحدثهم أن بني كنانة وراءه قد أقبلوا للنصر وقال : ﴿ **لاغالب لك اليوم من الناس وإني**

---

(١) في بعض النسخ : " مستقا " ، أي يصلح للسير عليه بعد جفافه .

(٢) الأنفال : ٤٨ .

جار لكم ﴾[1] لما أخبرهم من مسير بني كنانة ، وقال : وأنزل الله تعالى : ﴿ولاتكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورءاء الناس ﴾[2] هذه الآيه والتي بعدها ثم ساق القصة ونزول الملائكة إلى أن قال: ونكص الشيطان على عقبيه حين رأى الملائكة وتبرأ من نصر أصحابه .

وقد ذكر ذلك الواقدي أيضاً في (مغازيه)[3] قال : فلما اجمعت قريش المسير وذكروا الذي بينهم وبين بني بكر من العداوة وخافوهم على من تخلف وكان أشدهم خوفاً عتبة بن ربيعة ، وكان يقول : يامعشر قريش إنكم وإن ظفرتم بالذي تريدون فإنا لا نأمن على من تخلف إنما تخلف نساء وذرية ، ومن لاطعم به فارتأوا رأيكم فتصور لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي فقال:يا معشر قريش قد عرفتم شرفي ومكاني في قومي ، وأنا لكم جار أن تأتيكم كنانة بشئ تكرهونه فطابت نفس عتبة فقال له أبوجهل : فما تريد ؟ هذا سيد كنانة هو لنا جار على من تخلف . فقال عتبة : لا شئ أنا خارج .

ثم ذكر القصه وقال[4] : فحدثني عمر بن عقبة عن سعيد مولى بن عباس قال : سمعت ابن عباس يقول : لما تواقف الناس أغمي على رسول الله ﷺ ساعة ثم كشف عنه فبشر المؤمنين بجبريل في جند من الملائكة ميمنة الناس ، وميكائيل في جند آخر في ميسرة رسول الله ﷺ ، وإسرافيل في جند آخر بأف ، وإبليس قد تصور في صورة سراقه بن جعشم يذمر المشركين ويخبرهم أنه لا غالب لهم اليوم من الناس فلما أبصرعدو الله الملائكة نكص على عقبيه وقال : ﴿إني بريئ منكم إني أرى مالا ترون﴾ [5]، فتشبث به الحارث بن هشام وهو يرى أنه سراقة ، لما سمع من كلامه ، فضرب في صدر الحارث فسقط الحارث

---

(١) الأنفال : ٤٨ .

(٢) الأنفال : ٤٧ .

(٣) (مغازي الواقدي) : ١/٣٧ - ٣٨ .

(٤) الأنفال : ٤٨ .

(٥) الأنفال : ٤٨ .

وانطلق إبليس لا يرى حتي وقع في البحر، فرفع يديه وقال : يارب موعدك الذي وعدتني .

وأقبل أبو جهل على أصحابه يحضهم على القتال ، وقال : لا يغرنكم خذلان سراقة إياكم فإنما كان على ميعاد من محمد وأصحابه ، سيعلم إذا رجعنا إلى قديد ما نصنع بقومه لا يهولنكم مقتل عتبه وشيبة والوليد ، فإنهم عجلوا وبطروا حتى قاتلوا ، وأيم الله لا نرجع اليوم حتى نقرن محمدٍ وأصحابه في الحبال ، ولا ألفين أحداً منكم قتل منهم أحداً ، ولكن خذوهم أخذاً نعرفهم بالذي صنعوا لمفارقتهم دينكم ورغبتهم عما كان يعبد آباؤكم .

وحدثني أبو إسحاق بن محمد عن إسحاق بن عبدالله عن عمر بن الحكم قال : نادى يومئذ نوفل بن خويلد بن العدوية : يامعشر قريش إن سراقة وقد عرفتم قومه وخذلانهم لكم في كل موطن فاصدقوا القوم الضرب فإني أعلم أن ابني ربيعة قد عجلا في مبارزتهما من يبارز.

وحدثني عبيد بنِ يحيى عن معاذ بن رافعة بن رافع عن أبيه قال: إن كنا لنسمع من إبليس خوراً ، ودعا بالويل والثبورِ ، وتصور في صورة سراقة بن جعشم حتى هرب فاقتحم البحر ورفع يديه مداً يقول : يارب ماوعدتني ، ولقد كانت قريش بعد ذلك تُعير سراقة بما صنع يومئذ فيقول : والله ما صنعت منه شيئا [١].

وحدثني أبو إسحاق الأسلمي عن الحسن بن عبيد الله بن حنين مولى بني العباس عن عمارة بنِ أكيمة الليثي قال : حدثني شيخ عَرَّاك من الحي كان يومئذ على الساحل مطلاً على البحر ، قال : سمعت صياحاً : ياويلاه ! قد ملأ الوادي ، ياحزناه ، فنظرت فإذا سراقة بن جعشم فدنوت منه فقال مالك : فداك أبي وأمي ؟ فلم يرجع إليّ شيئاً ، ثم أراه اقتحم البحر فرفع يديه مداً يقول : يارب ماوعدتني ، فقلت في نفسي : جُنَّ وبيت الله سراقة ، وذلك حين زاغت الشمس وذلك عند انهزامهم يوم بدر [٢] .

---

(١) (مغازي الواقدي) : ٧٤/١ - ٧٥ .

(٢) (المرجع السابق) : ٧٥ ، وعراك يعني صياد .

وقال الضحاك : جاءهم إبليس يومئذ برايته وجنوده وألقى في قلوبهم أنهم انهزموا وهم يقاتلون على دين آبائهم .

وخرج مالك[1] رحمه الله في (الموطأ) عن إبراهيم بن أبي عبلة عن طلحة بن عبيد الله بن كريز أن رسول الله ﷺ قال ماروؤي الشيطان يوماً هو فيه أصغر، ولا أحقر ، ولا أدحر، ولا أغيظ منه ، في يوم عرفة ، وما ذاك إلا لما رأى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام ، إلا ما رأى يوم بدر فقيل : ما رأى يوم بدر يارسول الله ؟ فقال أما إنه قد رأى جبريل يزع[2] الملائكة .

قال أبو عمر بن عبدالبر : هكذا هذا الحديث في (الموطأ) عند جماعة الرواة له عن مالك . ورواه أبو النضر إسماعيل بن ابراهيم العجلي عن مالك ، عن إبراهيم بن أبي عبلة ، عن طلحة بن عبيد الله بن كريز ، عن أبيه ولم يقل في هذا الحديث : عن أبيه غيري وليس بشئ ، وطلحة بن عبيد الله بن كريز هذا خزاعي من أنفسهم ، تابعي ، مدني ، ثقة سمع ابن عمر وغيره ، قال البخاري : سمع أم الدرداء . قال أبو عمر : هذا حديث حسن في فضل شهود ذلك الموقف المبارك ، قال ومعني هذا الحديث محفوظ من وجوه كثيرة والله أعلم .

---

(١) (الموطأ) :٢٩١ ، جامع الحج ، حديث رقم (٩٥٤) .

(٢) أي يصفهم للقتال ويدفع بهم لنصر المؤمنين .

وأما تصديق الله تعالى الرسول ﷺ في إخباره بمكة لأبي جهل أنه يقتل فقتله الله ببدر وأنجز وعده لرسوله

فخرج أبو نعيم[1] من حديث إبراهيم بن المنذر قال : حدثنا عبدالعزيز بن عمران ، حدثنا سعيد بن محمد ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : قال أبو جهل بن هشام : إن محمداً يزعم أنكم إن لم تطيعوه كان لكم منه ذبح ، فقال رسول الله ﷺ : أنا أقول ذلك ، فلما نظر إليه يوم بدر مقتولاً قال : اللهم قد أنجزت لي ما وعدتني ، فوجه أباسلمة بن عبد الأسد قبل أبي جهل ، فقيل لابن مسعود رضي الله تبارك وتعالى عنه : أنت قتلته؟ قال : بل الله قتله ، فقال أبو سلمة : فأنت قتلته ؟ قال : نعم ، فقال أبو سلمة : لو شاء لجعلك في كفه ، قال ابن مسعود : فو الله لقد قتلته وجردته ، قال : فما علامته ؟ قال : شامة سوداء ببطن فخده اليسرى ، فعرف أبو سلمة النعت ، فقال جردته ولم تجرد قرشياً غيره ، وقد تقدم قوله ﷺ : اللهم عليك بأبي جهل بن هشام ودعاؤه ﷺ على قوم آخرين ، وقول ابن مسعود : فوالذي بعث محمداً بالحق لقد رأيت الذي سمى صرعى يوم بدر ثم سحبوا إلى القليب ، قليب بدر .

وخرج البخاري[2] ومسلم[3] من حديث يوسف بن الماجشون ، عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبدالرحيم بن عوف ، عن أبيه ، عن عبدالرحمن بن عوف - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أنه قال : بينما أنا

---

(١) (دلائل أبي نعيم) : ٤٧٧ - ٤٧٨ ، حديث رقم (٤١١) بسند اخر ، (سيرة ابن هشام) : ١٨٢/٣ - ١٨٥ ، فقتل أبي جهل ، (دلائل البيهقي) : ٣ / ٨٤ - ٨٦ .

(٢) (فتح الباري) : ٦ / ٣٠٣ ، كتاب فرض الخمس ، باب (١٨) من لم يخمس الأسلاب ، ومن قتل قتيلاً فله سلبه من غير أن يخمس ، وحكم الإمام فيه ، حديث رقم (٣١٤١) .

(٣) (مسلم بشرح النووي) : ١٢ / ٤٠٢ ، كتاب الجهاد والسير ، باب (٤١) قتل أبي جهل ، حديث رقم (١١٨) .

واقف في الصف يوم بدر نظرت عن يميني وعن شمالي فإذا أنا بغلامين من الأنصار حديثة أسنانها فتمنيت أن لو كنت بين أضلع منهما ، فغمزني أحدهما فقال : ياعم هل تعرف أبا جهل ؟ قال : قلت : نعم وما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ قال : أخبرت أنه يسبّ رسول الله ﷺ ! والذي نفسي بيده لئن رأيته لايفارق سوادي سواده حتي يومت الأعجل منا قال : فتعجبت لذلك ، فغمزني الآخر فقال لي مثلها فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يرفل إلى الناس .

وقال البخاري : يجول في الناس ، فقلت : ألا تريان هذا صاحبكم الذي تسألان عنه ؟ قال : فابتدراه فضرباه بسيفهما حتى قتلاه ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه فقال : أيكما قتله ؟ فقال كل واحد منهما : أنا قتلته ، فقال : هل مسحتما سفيكما فقالا : لا فنظر في السيفين فقال كلاكما قتله ، وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح ، والرجلان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء[1] ، ذكره البخاري في كتاب فرض الخمس في باب من لم يخمس الأسلاب .

وقال محمد بن إسحاق[2] حدثني ثور بن يزيد عن عكرمة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس رضي الله تبارك وتعالى عنهما وعبدالله بن أبي بكر أيضاً قد حدثني ذلك قال معاذ بن عمرو بن الجموح أخو بني سلمة : سمعت القوم وأبوجهل في مثل الحرجة[3] وهم يقولون : أبو الحكم لايخلص إليه ، فلما سمعتها جعلته من شأني ، فصمدت نحوه فلما أمكنني حملت عليه فضربته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه ، فوالله ما أشبهها حين طاحت إلا بالنواة تطيح من تحت مرضخه النوى حين تضرب بها ، وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي فتعلقت بجلدة من جنبي فأجهضني القتال عنه ، ولقد قاتلت عامة

---

(١) ثم قال بعد ذلك : قال محمد سمع يوسف صالحاً ، وسمع إبراهيم أباه عبد الرحمن بن عوف .

(٢) (سيرة ابن هشام) : ٣ / ١٨٢ - ١٨٤ ، فقتل أبي جهل عليه لعنة الله تعالى .

(٣) قال ابن هشام : الحرجة : الشجر الملتف ، وفي الحديث عن عمربن الخطاب رضي الله تبارك وتعالى عنه : أنه سأل أعرابيًا عن الحرجة ؛ فقال : هي شجرة من الأشجار لايوصل إليها ، وهم يقولون : أبو الحكم لايخلص إليه . (المرجع السابق) .

يومي وإني لأسحبها خلفي فلما آذتني وضعت عليها قدمي ثم تمطيت حتي طرحتها ، قال[1] : ثم عاش معاذ بعد ذلك حتى كان زمان عثمان رضي الله تبارك وتعالى عنه ، قال : ثم مّر بأبي جهل معوذ بن عفراء فضربه حتى أثبته فتركته وبه رمق ، وقاتل معوذ ، فمر عبدالله بن مسعود بأبي جهل حين أمر رسول الله ﷺ أن يلتمس في القتلى ، قال : ولقد قال لهم رسول الله ﷺ - فيما بلغني- : انظروا إن خفى عليكم في القتلى إلى أثر جرح بركبته فإني ازدحمت أنا وهو على مأدبة لعبد الله بن جدعان ونحن غلمان ، فكنت أسن منه بيسير، فدفعته فوقع على ركبتيه فجحش في إحديهما ، جحشاً لم يزل أثره [به][2]. قال عبدالله بن مسعود : فوجدته بآخر رمق ، فعرفته ، فوضعت رجلي على عنقه ، وقد كان ضبث بي مرة بمكة فآذاني [ولكزني][3] ثم قلت : هل أخزاك الله أي عدو الله ؟ قال : وبماذا أخزاني عدا رجل فتلتموه ، أخبرني لمن الدبرة؟ قلت الله ورسوله أعلم ، وزعم رجال من بني مخزوم أن ابن مسعود كان يقول: قال لي : لقد ارتقيت يارويعي الغنم مرتقىً صعباً ، ثم احتززت رأسه ثم جئت به رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ، هذا رأس عدو الله أبي جهل! فقال رسول الله ﷺ : آلله الذي لاإله غيره ؟ قلت : نعم والله الذي لا إله غيره ثم ألقيت رأسه بين يديه ، فحمد الله[4] معنا .

وخرج البخاري[5] من حديث إسماعيل بن عليّة قال : حدثنا سلميان التميمي ، حدثنا أنس رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ يوم بدر : من ينظر ما يصنع أبوجهل فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد فقال : أأنت أبوجهل ؟ قال : وهل فوق رجل قتلتموه ؟ قال

---

(١) أي ابن إسحاق في (المرجع السابق) . ومرضخة النووي : كالإرزبة يدق بها النوى للعلف وأجهضتني : غلبتني .

(٢) في (الأصل) : " بعد ذلك " وما أثبتناه من (سيرة ابن هشام) .

(٣) زيادة للسياق من (المرجع السابق) . وضبث : قبض عليه ولزمه .

(٤) (المرجع السابق) : ١٨٤ - ١٨٥ ، رأس عدوّ الله بين يدي رسول الله ﷺ .

(٥) (فتح الباري) : ٧ / ٣٧٢ ، كتاب المغازي باب (٨) قتل أبي جهل (٣٩٦٢) ، (٣٩٦٣) .

سليمان أو قال : قتله قومه . قال : وقال أبومجلز : قال أبوجهل " فلو غير أكار قتلني . وخرج من طريق إسماعيل أنبأنا قيس عن عبدالله أنه أتى أبا جهل وبه رمق يوم بدر، فقال أبوجهل هل أعمد من رجل قتلتموه[١] .

ومن طريق زهير حدثنا سليمان أن أنساً حدثهم أن النبي ﷺ قال : من ينظر ما صنع أبوجهل ؟ فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد قال : أنت أبوجهل ؟ وقال أحمد بن يونس : عن زهير أنت أبوجهل ؟ فأخذ بلحيته قال : وهل فوق رجل قتلتموه أو قتله قومه ؟[٢]. وخرجه مسلم[٣] من طريق ابن علية .

وخرج البيهقي[٤] من طريق غنام بن على قال : حدثنا الأعمش عن أبي إسحاق ، عن عبدالله قال : انتهيت إلي أبي جهل وهو صريع وعليه بيضة ، ومعه سيف جيد ، ومعي سيف رث ، فجعلت أنقف رأسه بسيفي وأذكر نقفاً كان ينقف رأسي بمكة حتي ضعفت يدي فأخذت سيفه فرفع رأسه فقال على من كانت الدبرة ؟ لنا أم علينا ؟ أليست رويعينا بمكة ؟ قال : فقتلته ، ثم أتيت النبي ﷺ فقلت قتلت أباجهل ؟ قال : آلله الذي لا إله إلا هو ؟ فاستحلفني ثلاث مرات ثم قام معي إليهم فدعا عليهم .

ومن طريق أبي صالح قال : حدثنا أبو إسحاق الفراري ، عن سفيان ، عن أبي إساحق ، عن أبي عبيدة ، عن ابن مسعود قال : أتيت النبي ﷺ يوم بدر فقلت أباجهل، فقال الله الذي لا إله إلا هو ؟ قلت الله الذي لا إله إلا هو ، مرتين أو ثلاثا قال : الله أكبر، الحمد لله الذي صدق عده ، ونصر عبده ، وهزم

---

(١) (المرجع السابق) : باب (٨) قتل أبي جهل ، حديث رقم (٣٩٦٢) .

(٢) (المرجع السابق) : حديث رقم (٢٩٦٣) .

(٣) (مسلم بشرح النووي) : ٤٠٢/١٢ ، كتاب الجهاد والسير ، باب (٤١) قتل أبي جهل ، حديث رقم (١٨٠٠) ، ثم قال حدثنا حامد بن عمر البكراوي ، حدثنا أنس ، قال : قال : رسول الله ﷺ: من يعلم لي ما فعل أبو جهل ، بمثل حديث ابن علية ، وقول أبي مجلز كما ذكره إسماعيل .

(٤) (دلائل البيهقي) : ٨٧/٣ -٨٨ ، باب إجابة الله عز وجل دعوة رسول الله ﷺ على كل من كان يؤذيه بمكة من كفار قريش حتى قتلوا مع إخوانهم .

الاحزاب وحده ، ثم قال " انطلق فأرنيه فانطلقت فأريته فقال : هذا فرعـون هـذه الأمة[1] .

وقال الإمام أحمد[2] حدثنا زهير عـن أبـي إسحاق عـن أبـي عبيده عـن النبي ﷺ أنه قال : إن هذا فرعون أمتي ، يعني أباجهل .

وقال الواقدي[3] : وقف رسول الله ﷺ على مصـرع ابنـي عفـراء فقـال يرحم الله ابني عفراء فهما شركاء في قتل فرعون هذه الأمة ورأس أئمة الكفـر ، فقيل: يارسول الله ومن قتله معهما؟ قال : الملائكة وابن مسعود شرك في قتله .

قال الواقدي : قال رسول الله ﷺ : الحمد الله الذي جعل خدّ أبـي جهـل الأسفل ، وصرعه ، وشفانا منه .

وذكر يونس بن بكير عن عنبة بن الأزهر ، عن أبي إسـحاق قـال : لمـا جاء رسول الله ﷺ البشير يوم بدرٍ بقتـل أبـي جهـل استحلفه ثـلاث أيمـان باللـه الذي لا إله إلا هو ، لقد رأيته قتيلاً فحلف لـه فخـرّ رسـول اللـه ﷺ سـاجداً وقـد جاء أنه ﷺ صلي ركعتين .

(١) (المرجع السابق) : ٨٨ ، وأخرجه أبو داود فى الجهاد ، باب (١٤٢) في الرخصة في السلاح يقال به في المعركة ، حديث رقم (٢٧٠٩) عن محمد بن العلاء ، عن إبراهيم بن يوسف بن أبي إسحاق ، عن أبيه ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله تبارك وتعالى عنه .
وأخرجه النسائي في السير من (السنن الكبري) ، عن عمرو بن يزيد الجرمي ، عن أبيـه عن خالد القيسي ، عن شعبة عنه ببعضه .

(٢) (مسند أحمـد) : ٦٦٥/١ ، حديـث رقـم (٣٨١٤) مطـولاً ، ٦٦٦ ، حديـث رقـم (٣٨١٥) مختصراً، كلاهما من مسند عبد الله بن مسعود رضي الله تبارك وتعالى عنه .

(٣) (مغازي الواقدي) : ٩١/١ ، وفيه : " فقيل يا رسول الله ومن قتله معهما ؟ قـال : الملائكـة ، وذافّه ابن مسعود ، فكل قد شرك في قتله ، ومـا اثبتنـاه مـن (الأصـل) . وذافّـه : أجهـز عليـه . (الصحاح) .

وأما إجابة الله تعالى دعاء الرسول ﷺ على أمية بن خلف وقتله ببدر

فخرج البخاري[1] من حديث يوسف بن الماجشون عن صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جده عبدالرحمن بن عوف رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : كاتبت أمية بن خلف كتاباً بأن يحفظني في صاغيتي بمكة وأحفظه في صاغتيه بالمدينة ، فلما ذكرت الرحمن قال: لا أعرف الرحمن ، كاتبني باسمك الذي كان في الجاهلية ، فاكتبته عبد عمرو ، فلما كان يوم بدر خرجت إلى جبل لأحرزه حين نام الناس فأبصره بلال فخرج حتى وقف على مجلس من الأنصار فقال أمية بن خلف : لانجوت إن نجا أمية ، فجمع معه فريق من الأنصار في آثارنا فلما خشيت أن يلحقونا ، خلفت لهم ابنه لأشغلهم به فقتلوه ، ثم أبوا حتى يتبعونا . وكان رجلاً ثقيلاً فلما أدركونا قلت له: ابرك ، فبرك ، فألقيت عليه نفسي لأمنعه ، فجللوه بالسيوف من تحتي حتى قتلوه ، وأصاب أحدهم رجلي بسيفه ، وكان عبدالرحمن بن عوف يرينا ذلك الأثر في ظهر قدمه .

قال البخاري سمع يوسف صالحاً وإبراهيم إياه ذكر البخاري هذا الحديث في كتاب الوكالة ، وترجم عليه إذا وكل المسلم حربياً في دار الحرب أوفي دار السلام جاز ، وخرجه في غزوة بدر[2] ، وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق[3]

---

(١) (فتح الباري) : ٦٠٤/٤ ، كتاب الوكالة ، باب (٢) إذا وكل المسلم حربياً في دار الحرب أو في دار الإسلام جاز ، حديث رقم (٢٣٠١) قال الحافظ في (الفتح): ووجه أخذ الترجمة من هذا الحديث أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله تبارك وتعالى عنه وهو مسلم في دار الإسلام، فوض إلى أمية بن خلف وهو كافر في دار الحرب ما يتعلق بأموره ، والظاهر اطلاع النبي ﷺ عليه ولم ينكره . قال ابن المنذر : توكيل المسلم حربياً مستأمناً ، وتوكيل الحربي المستأمن مسلماً لاخلاف في جوازه .

(٢) (المرجع السابق) : ٣٧٩/٧ ، كتاب المغازي ، باب (٨) قتل أبي جهل ، حديث رقم (٣٩٧١) .

قال : حدثني يحيى بن عباده بن عبدالله بن الزبير عن أبيه ، وحدثني صالح بن إبراهيم عن عبدالرحمن بنو عوف قالا : كان عبدالرحمن بن عوف يقول كان أمية بن خلف صديقاً لي بمكة وكان اسمي عبد عمرو ، فلما اسلمت سميتُ عبدالرحمن ، فلقيني فقال : ياعبدعمرو أرغبت عن اسم سماك به أبوك ؟ فأقول نعم هداني الله للإسلام فسميت عبد الرحمن قال إني لا أعرف الرحمن أما أنت فلا تجيبني باسمك الأول وأما أنا فلا أدعوك باسمك الآخر فاجعل بيني وبينك شيئاً أدعوك به تجيبني ، فقلت : يا أباعلى فقل ما شئت ، قال : فأنت عبد الإله، وكان إذا لقيني قال ياعبدالإله فلما كان يوم بدر وهزم الناس استلبت أدراعا فمررت بهم أحملهن فرآني أمية وهو قائم مع ابنه عليّ آخذ بيده فقال : يا عبد عمرو ، فلم أجبه ، فقال: ياعبدالإله فقلت : نعم ، فقال : هل لك فيّ وفي ابني فنحن خير لك من الأدراع التي تحمل ؟ فقلت : نعم هايم الله[1] إذاً فألقيت الأدراع فأخذت بيده وبيد ابنه فجعل يقول : ما رأيت كاليوم قط أما لكم حاجه في اللبن ؟ يقول الفداء فوالله إني لأمشي معهما إذ رآهما معي بلال فقال رأس الكفر أمية بن خلف : لانجوت إن نجوت ! فقلت : أي بلال أبأسيري ، فقال لانجوت إن نجا ، فصرخ بأعلى صوته يا معشر الأنصار رأس الكفر أمية بن خلف لانجوت إن نجا فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المسكة وجعلت أذب عنهما وأقول أسيري إذ أخلف رجل السيف فضرب رجل ابنه فطرحها فصاح أمية صيحه والله ما سمعت صيحه مثلها قط ، فقلت: انج بنفسك فوالله ما أغني عنك شيئاً ونجاة فهبروه والله بأسيافهم ، حتى فرغوا منه ، وكان عبدالرحمن يقول يرحم الله بلالاً ذهبت أدراعي وفجعني بأسيري[2] .

---

(٣) (سيرة ابن هشام) : ٣/١٧٩ - ١٨١ ، مقتل أمية بن خلف ،عليه لعنة الله تعالى .

(١) كذا في (الأصل) ، في (المرجع السابق) : " ها اللـه ذا " ، ها : حرف تنبيه ، وذا : اسم إشارة يشير به إلى نفسه ، وقال بعضهم : إلى القسم ، أي أضمره ، وقام التنبيه مقامه ، كما يقوم الاستفهام مقامه ، فكأنه قال : هاذا مقسم ، وفعل بالإسم المقسم به بين ها ، وذا ، فعلم أنه هو القسم فاستغنى عن أنا ، وكذا في قول أبى بكر : لاها الله ذا . (هامش المرجع السابق) .

(٢) سبق تخريجه . والمسكة : الحلقة . وأخلف : سلّ .

وخرج أبونعيم من طريق يحيى بن بكير قال : حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبدالله بن مسعود أن سعد بن معاذ خرج معتمراً فنزل على أمية بن خلف وكان أمية إذا خرج إلي الشام نزل على سعد فقال له : أمهل حتى يسكن أو يهدأ الناس ثم تطوف بالبيت فبينا هو يطوف بالبيت إذا رآه أبوجهل فقال من ذا الذي يطوف بالبيت ؟ قال : أنا سعد بن معاذ، قال: تطوف بالبيت وقد آويتم محمداً وأصحابه ؟ فقال له سعد : والله لئن منعتني لأقطعن عليك متجرك من الشام ، فجعل أمية يمسك سعداً ويقول : لاترفع صوتك على أبي الحكم ، فإنه سيّد أهل الوادي ، فغضب سعد ودفع في صدر أمية وقال: دعنا عنك فقد سمعت محمداً ﷺ يزعم أنه قاتلك ، قال : إياي ؟ قال: نعم ، قال : فوالله ما يكذب محمد ، فلما رجع إلى أم صفوان قال لها : أما تعلمين ما قال أخي اليثربي ؟ قالت فوالله ما يكذب محمد فلما جاء الصريخ فخرجوا إلى بدر قالت له امرأته : أما تذكر ما قال أخوك اليثربي ؟ فأراد أن يقعد فقال له أبوجهل - أخزاه الله - : إنك من أشراف أهل الوادي فسربنا يوماً أو يومين فسار معهم فقتله الله تعالى .

وقال الواقدي(١): وكان عبد الرحمن بن عوف يقول إني لأجمع أدراعاً يوم بدر بعد أن ولى الناس فإذا أمية بن خلف وكان لي صديقاً في الجاهليه ، وكان اسمي عبد عمرو فلما جاء الإسلام تسميت عبدالرحمن ، فكان يلقاني فيقول: ياعبد عمرو ، فلا أجيبه فيقول إني لا أقول لك عبد الرحمن إن مسيلمة باليمامة يسمى عبدالرحمن ، فأنا لا أدعوك إليه ، فكان يدعوني عبد الإله، فلما كان يوم بدر ، [رأيته] كأنه [جمل] أورق ومعه ابنه [عليّ] ، فناداني : ياعبد عمرو ، فأبيت أن أجيبه ، [فنادى] : ياعبد الإله ، فأجبته ، فقال : أما لكم حاجة في اللبن نحن خير لك من أدراعك هذه ، فقلت : امضيا ، فجعلت أسوقهما أمامي وقد رأى أميه أنه قد أمن بعض الأمن فقال لي أمية : رأيت رجلاً فيكم اليوم معلما في صدره ريش نعامة من هو ؟ فقلت : حمزة بن عبدالمطلب ، فقال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل ، ثم قال : فمن رجل دحداح قصير معلم

---

(١) (مغازي الواقدي) : ٨٢/١-٨٤ .

حمراء ؟ قلت : ذاك رجل من الأنصار يقال له سماك بن خرشة . فقال : وبذاك [أيضاً] ياعبد الإله صرنا اليوم جزراً لكم ! قال : فبينما هو معـي أزجيه أمامي ومعه ابنه إذ بَصُربه بلال وهو يعجن عجيناً له فترك العجين وجعل [يفتل] يديه من اليمين [العجين] [فتلاً] وهو ينادي يا معشر الأنصار، أمية بن خلف رأس الكفر ، لانجوت إن نجا فأقبلوا كأنهم عوذ[1] حنت إلى أولادها ، حتي طرح أمية على ظهره ، واضطجعت عليه ، وأقبل الحباب بن المنذر فأدخل سيفه فاقتطع أرنبه أنفه ، فلما فقد أمية أنفه قال : إيه عنك أي خل بيني وبينهم . قال عبد الرحمن : فذكرت قول حسان * أو عن ذلك الأنف جادع * ، قال : ويقبل إليه خبيب بن يساف فضربه حتى قتله ، وقد[ضرب] أمية خبيب بن يساف حتى قطع يده من المنكب ، فأدعاها النبي ﷺ بيده فالتحمت واستوت ، وتزوج خبيب بعد ذلك ابنة أبيّ بن خلف فرأت تلك الضربة فقالت : لايشلل الله يد رجل فعل هذا ، فقال خبيب وأنا والله قد أوردته شعوب ، فكان خبيب يحدث قال : فأضربه فوق العاتق فأقطع عاتقه حتى بلغت مؤتزره وعليه الدرع وأنا أقول : خذها وأنا ابن يساف ، وأخذت سلاحه ودرعاً مقطوعاً فأقبل عليّ بن أمية فيعرض له الحباب [فقطع] رجله[2].

وذكر الواقدي[3] أن رفاعة بن رافع هو الذي قتل أمية في خبر ذكره . والله تبارك وتعالى أعلم .

(١) العوذ : الصبية الصغار . (لسان العرب) : ٣/٥٠٠ .

(٢) (مغازي الواقدي) :٨٢- ٨٤ . وما بين الحاصرتين تصويبات وزيارات للسياق منه .

(٣) سبق تخريجه .

وأما إنجاز الله تعالى وعده للرسول ﷺ وقتله صناديد قريش وإلقاؤهم في القليب

فخرج مسلم[1] من طريق حماد بن سلمة عن ثابت ، عن أنس أن رسول الله ﷺ ترك قتلى بدر ثلاثاً ثم أتاهم فقام عليهم ثم ناداهم فقال : يا أباجهل بن هشام ، يا أمية بن خلف ، ياعتبة بن ربيعة ، يا شيبة بن ربيعة أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فإني وجدت ماوعدني ربي حقاً ، فسمع عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه قول النبي ﷺ فقال : يارسول الله كيف يسمعون؟ وأني يجيبون وقد جيفوا ؟ قال : والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لايقدرون أن يجيبوا ، ثم أمر بهم فسحبوا فألقوا في قليب بدر .

وخرج مسلم[2] من طريق روح بن عبادة قال : حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال ذكر لنا أنس بن مالك عن أبي طلحة قال : لما كان يوم بدر وظهر عليهم نبي الله ﷺ أمر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش ، فألقوا فى طوى من أطواء بدر. وساق الحديث بمعنى حديث ثابت عن أنس

وخرج البخارى[3] حديث روح ، حدثنا سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة قال : ذكر لنا أنس بن مالك ، عن أبى طلحة أن نبى الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش ، فقذفوا فى طوى من أطواء بدر حبيث مخبث وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرضه ثلاث ليال فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها ثم مشى واتبعه أصحابه وقالوا : مانرى ينطلق إلا لبعض حاجته حتى قام على شفير الركى ، فجعل يناديهم

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ١٨/٢١٢ - ٢١٣ ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب (١٧) عرض مقعد الميت من الجن أو الجنة أو النار عليه ، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه ، حديث رقم (٢٨٧٤) . وهذا السحب إلى القليب ليس دفناً لهم ، ولا صيانة ، ولا حرمة ، بل لدفع رائحتهم المؤذية ، والله أعلم .

(٢) (المرجع السابق) : حديث رقم (٢٨٧٥) .

(٣) (فتح الباري) : ٧/٣٨٢ ، كتاب المغازي ، باب (٨) قتل أبي جهل ، حديث رقم (٣٩٧٦).

بأسمائهم وأسماء آبائهم فلان بن فلان ويا فلان بن فلان أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟ قال : فقال عمر رضي الله تبارك وتعالى عنه : يارسول الله ما تكلم من أجساد ولا أرواح لها فقال النبي ﷺ والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم قال قتادة : أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخاً وتصغيراً[1] ، ونقيمة[2] وحسرة وندمًا .

وقال الواقدي في (مغازيه)[3] : قالوا : وأمر الله رسول الله ﷺ يوم بدر بالقلب أن تغور ، ثم أمر بالقتلى فطرحوا فيها اللهم إلا أمية بن خلف فإنه كان مسمناً انتفخ من يومه فلما أرادوا أن يلقوه تزايل لحمه فقال النبي ﷺ : أتركوه ونظر رسول الله ﷺ إلى عتبة يجر إلى القليب وكان رجلاً جسيماً في وجهه أثر الجدري تغير وجه ابنه أبي حذيفة ، فقال له النبي ﷺ : يا أباحذيفة كأنك ساءك ما أصاب أباك ؟ قال : لا والله يارسول الله ، ولكني رأيت لأبي عقلاً وشرفاً ، كنت أرجو أن يهديه الله للإسلام فلما أخطأه ذلك ، ورأيت ما أصابه غاظني قال أبو بكر رضي الله تبارك وتعالى عنه : كان والله يارسول الله أتقى في العشيرة من غيرة وقد كان كارهاً لوجهه ، ولكن الحين ومصارع السوء .

فلما توافوا في القليب وقد كان رسول الله ﷺ يطوف عليهم وهم مصرعون وأبوبكر رضي الله تبارك وتعالى عنه يخبره بهم رجلاً رجلاً ، ورسول الله ﷺ بحمد الله ويشكره ويقول : الحمد لله الذي أنجز لي ما وعدني ، فقد وعدني إحدى الطائفتين .

---

(١) في رواية الإسماعيلي : " وتندمًا وذلة وصغاراً " ، وأراد قتادة بهذا التأويل الرد على من أنكر أنهم يسمعون ، كما جاء عن عائشة أنها استدلت بقوله تعالى : ﴿ إنك لاتسمع الموتى ﴾ .

وأخرجه الإمام أحمد في (المسند) : ٦١٠/٣ ، حديث رقم (١٢٠٦) من مسند أنس بن مالك رضي الله تبارك وتعالى عنه ، ٦١٠/٤ ، حديث رقم (١٥٩٢١) ، من حديث أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري .

(٢) في بعض المصادر : " تقمئة " ، " نقمة " ، " نقيمة " .

(٣) (مغازي الواقدي) : ١١١/١-١١٢ .

قال : ثم وقف رسول الله ﷺ علـى أهل القليب فنـاداهم رجـلاً رجـلاً : ياعتبة بن ربيعة ، ويا شيبة بن ربيعة ، يا أمية بن خلف ، يا أباجهل بن هشـام ، هل وجدكم ما وعدكم ربكم حقاً ؟ فـإني قـد وجـدت مـاوعدني ربـي حقـاً ، بئـس القـوم كنتـم لنبيكـم ، كذبتمونـي وصدقنـي النـاس ، وأخرجتمونـي وآوانـي النـاس وقاتلتموني ونصرني الناس ، قالوا: يارسول الله ! تنـادي قومـاً قـد مـاتوا ؟ قـال رسول الله ﷺ : قد علموا أن ما وعدهم ربهم حقاً.

وأما تصديق الله تعالى رسوله ﷺ في قتل عتبة بن أبي معيط بمكة والنبي ﷺ مهاجر بالمدينة فكان يقول بمكة فيه بيتين من شعر

فقال النبي ﷺ لما بلغه قوله اللهم أكبه لمنخره واصرعه ، فجمح به فرسه يوم بدر ، فأخذه عبدالله بن سلمه العجلاني فأمر به النبي ﷺ عاصم بن أبي الأقلح فضرب عنقه صبراً .

وقال الواقدي في (مغازيه)[١] وكان عقبه بن أبي معيط والنبي ﷺ مهاجر بالمدينه فكان يقول بمكة :

ياراكب الناقه القصواء هاجرنا   عما قليل تراني راكب الفرس
أعلّ رمحي فيكم ثم أنهله   والسيف يأخذ منكم كل ملتبس

فقال النبي ﷺ وبلغه قوله : اللهم أكبه لمنخره واصرعه ، فجمح به فرسه يوم بدر ، فأخذه عبدالله بن سلمه العجلاني فأمر به النبي ﷺ عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح فضرب عنقه صبراً .

وخرج أبو نعيم[٢] من طريق محمد بن السائب عن أبي صالح ، عن ابن عباس رضي الله تبارك وتعالى عنهما ، قال : كان عقبة بن أبي معيط لايقدم من سفر إلاصنع طعاماً فدعا عليه جبرانه أهل مكة كلهم ، قال : وكان يكثر مجالسة النبي ﷺ ويعجبه حدثيه ، ويغلب عليه الشقاء ، فقدم ذات يوم من سفره فصنع طعاماً ودعا رسول الله ﷺ إلى طعامه ، فقال : ما أنا بالذي آكل من طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، قال : أطمعها يا ابن أخي قال : ما أنا بالذي أفعل حتى تقول فشهد بذلك ، فطعم من طعامه فبلغ ذلك أبي بن خلف فأتاه فقال : أصبوت ياعقبة ؟ – وكان خليله – فقال : لا والله ما

---

(١) (مغازي الواقدي) : ٨٢/١ .

(٢) (دلائل أبي نعيم) : ٤٧٠ – ٤٧١ ، ذكر ماجرى من الآيات في غزواته وسراياه ، من غزوة بدر إلى غزوة تبوك ، وفي جميع ذلك دليل على أنه لم يخل شئ من أحواله ﷺ عن آية شاهدة له ، ومعجزة جارية على يديه ، خليق كون ذلك له ، وإذ النبوة مختومة به ، والشريعة إلى قيام الساعة قائمة به ﷺ ، حديث رقم (٤٠١) .

صبوت ، ولكن دخل عليّ رجل فأبى أن يطعم من طعامي إلا أن أشهد له ، فاستحييت أن يخرج من بيتي قبل أن يطعم فشهدت له فطعم ، قال : ما أنا بالذى أرضي عنك أبداً حتى تأتيه فتبزق في وجهه وتطأ على عنقه ، قال : ففعل عقبة ذلك وأخذ رحماً فألقاه بين كتفيه فقال له رسول الله ﷺ لا ألقاك خارجاً من مكة إلا علوت رأسك بالسيف ، فأسر عقبة يوم بدر فقتل صبراً ، ولم يقتل من الأساري يومئذ غيره ، قتله ثابت بن أبي الأقلح .

قال : ورواه جعفر أبي المغيرة رضي الله تبارك وتعالى عنه ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تبارك وتعالى عنهما أن ابن أبي معيط كان يجلس مع النبي ﷺ بمكة لايؤذيه ، وكان رجلاً حليماً وكان يقيه من قريش، وكانت قريش إذا جلسوا معه آذوه وكان ابن أبيٍّ خلف غائب عنه بالشام فقالت قريش : صبأ ابن أبي معيط فقدم خليله من الشام ليللاً ، فقال لامرأته : ما فعل محمد فيما كان عليه ؟ فقالت : هو أشد ما كان أمراً ، فقال لها مافعل خليلي ؟ ابن أبي معيط ؟ فحيّاه فلم يردّ عليه التحية ، فقال : مالك لاترد عليّ تحيتي ؟ فقال : كيف أردّ عليك تحيتك وقد صبوت ؟ قال : وقد فعلتها قريش ؟ قال : نعم قال : يبرئ صدورهم إن أنا فعلت ؟ قال : تأتيه على مجلسه فتبزق في وجهه وتشتمه بأخبث ما تعلم ، فلم يزد النبي ﷺ على أن مسح وجهه من البزاق ، ثم التفتت إليه فقال: لئن وجدتك خارجاً من جبال مكة لأضربن عنقك صبراً ، فلما كان يوم بدر وخرج أصحابه ، أبي أن يخرج ، فقال له أصحابه : اخرج معنا فقال وعدني هذا الرجل إن أخذني خارجاً من جبال مكة لضرب عنقي صبراً ، فقالوا : لك جملاً حمولاً بدرك فإن كانت الهزيمة طرت ، فخرج معهم ، فلما هزم الله المشركين وحل به جمله في جدد من الأرض ، فأخذه رسول الله ﷺ أسيراً في سبعين من قريش ، فيهم العباس بن عبدالمطلب ، وعقيل بن أبي طالب ، فجعل عليهم الفداء أربعين أوقيه من ذهب ، وجعل على العباس مائه أوقية ، وعلى عقيل بن أبي طالب ثمانين أوقيه ، وقدم إليه ابن أبي معيط فقال : أتقتلني من بين هؤلاء ، وأنا أكبرهم سناً وأكثرهم مالاً ؟ قال : نعم بما بزقت في وجهي ، فأنزل الله تعالى في ابن أبي معيط ﴿ **ويوم يعض الظالم على يديه**

يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً * ياويلتي ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً * لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً﴾[1] .

فقال عباس : القرابة صنعت هذا ، فوالذي يحلف به العباس ، لقد تركتني فقير قريش ، وقد استودعت بنادق الذهب أم الفضل ، ثم أقبلت إليّ فقلت لها : إن قتلت فقد تركتك غنية ما بقيت ، وإن أرجع فلا يهمنك شئ، فقال : إني أشهد أن الذي تقوله قد كان ، وما اطلع عليه إلا الله قال : فأنزل الله تعالى على نبيه ﷺ **﴿ يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم﴾**[2] الآيه فقال العباس حين نزلت[3] : لوددت أنك كنت أخذت مني أضعافها ، فأتاني الله خيراً منها[4] .

---

(١) الفرقان : ٢٧ - ٢٩ .

(٢) الأنفال : ٧٠ ، وتمامها : ﴿ ويغفرلكم والله غفور رحيم ﴾ .

(٣) (البحر المحيط) : ٣٥٢/٥ .

(٤) (دلائل أبي نعيم) : ٤٧٦ - ٤٧٧ ، حديث رقم (٤١٠) مختصراً ، وقال الحافظ في (الفتح) : إسناده حسين ، وأخرجه الإمام أحمد في (المسند) : ٥٨١/١ - ٥٨٢ ، حديث رقم (٣٣٠٠) من مسند عبد الله بن عباس رضي الله تبارك وتعالى عنهما .

وأما إجابة دعوة النبي ﷺ في نوفل بن خويلد(1)

قال الواقدي في (مغازيه)(2) فحدثني معمر عن الزهري قال : قال رسول الله ﷺ : اللهم اكفني نوفل بن خويلد، وأقبل نوفل يومئذ وهو مرعوب قد رأى قتل أصحابه ، وكان في أول ما التقوا هم والمسلمون يصيح بصوت له زجل رافعاً صوته : يامعشر قريش ، إن هذا اليوم يوم العلاء والرفعة، فلما رأى قريشاً قد انكشفت جعل يصيح بالأنصار : ماحاجتكم إلى دمائنا ؟ أماترون من تقتلون؟ أما لكم في اللبن من حاجة ؟ فأسره جبار بن صخر فهو يسوقه أمامه ، فجعل نوفل يقول لجبار- وقد رأى علياً رضي الله تبارك وتعالى عنه مقبلا نحوه : يا أخا الأنصار ، من هذا ؟ واللات والعزى إني لأرى رجلاً إنه ليريدني، قال : هذا عليّ بن أبي طالب ، قال : مارأيت كاليوم رجلاً أسرع في قومه منه فيصمد له عليّ رضي الله تبارك وتعالى عنه فيضربه فنشب سيف عليّ في جَحَفته ساعة ، ثم نزعه فيضرب ساقيه ودرعه مشمرة فقطعهما ، ثم أجهز عليه فقتله فقال رسول الله ﷺ : من له علم بنوفل بن خويلد ؟ فقال علي أنا قتلته قال : فكبر رسول الله ﷺ وقال : الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه.

---

(1) (مغازي الواقدي) : ١/٩١ - ٩٢ .

(2) كان يقال لنوفل بن خويلد : أسد قريش ، وأسد المطيبين ؛ وروى أن رسول الله ﷺ قال يوم بدر : " اللهم اكفنا ابن العدويةّ ! " ، يعني نوفلاً . وكانت أمه من عدي بن خزاعة . وتقول عامة الرواة : إنّ عليّا قتله ؛ وله من الولد : الأسود بن نوفل . (جمهرة أنساب العرب) : ١٢٠ .

وأما إعلام النبي ﷺ عمه العباس بما كان بينه وبين امرأته أم الفضل ، لم يَطّلِعْ عليه أحد

فخرج أبونعيم[١] من طريق محمد بن إسحاق قال : حدثني الحسن بم عمارة عن الحكم عن مقسم ، عن ابن عباس رضي الله تبارك وتعالي عنه ، قال : كان الذي أسر العباس أبو اليسر كعب بن سلمة ، ويقال : كعب بن عمرو بن مالك بن عمرو بن عباد بن عمر بن تميم بن شداد بن عثمان بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي ، وكان أبو اليسر رجلا مجموعًا[٢] ، وكان العباس رجلاً جسيماً ، فقال رسول الله ﷺ : يا أبا اليسر كيف أسرت العباس ؟ فقال : يارسول الله لقد أعانني عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده ، وهيئته كذا وكذا فقال رسول الله ﷺ : لقد أعانك عليه ملك كريم .

وذكر الكلبي أن عبيد بن أوس بن مالك بن سواد بن كعب وهو ظفر ابن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس أبا النعمان الأنصاري الظفري أسر العباس وعقيلا .

وقال ابن عبد البر[٣] : هو الذي أسر عقيل بن أبي طالب ويقال : إنه أسر العباس ونوفلاً وعقيلاً فقرنهم في حبل وأتى بهم رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ : لقد أعانك عليهم ملك كريم ، وسماه رسول الله ﷺ مقرناً ، وبنو سلمة يدّعون أن أبااليسر كعب بن عمرو أسر العباس وكذلك قال ابن إسحاق .

---

(١) (دلائل أبي نعيم) : ٤٧١ - ٤٧٢ ، حديث رقم (٤٠٢) ، وأخرجه الإمام أحمد من مسند عبد الله بن عباس رضي الله تبارك وتعالى عنه بسياقة أتم ، وأخرجه ابن سعد في (الطبقات): ١٢/٤ في ترجمة العباس بن عبد المطلب رضي الله تبارك وتعالى عنهما .

(٢) مجموعًا : دميمًا .

(٣) (الاستيعاب) : ١٠١٥/٣ ، ترجمة رقم (١٧٢٥) .

وخرج أبو نعيم[1] من طريق أبي بكر بن أبي شيبة ، حدثنا عبدالله بن موسى ، حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق ، عن حارثه بن مضرب ، عن عليّ بن أبي طالب رضي الله تبارك وتعالى عنه ، وذكر وقعة بدر ، قتلنا منهم سبعين وأسرنا سبعين ، قال : فجاء رجل من الأنصار فصير بالعباس أسيراً ، فقال العباس : يارسول الله إن هذا والله ما أسرني لقد أسرني رجل أجلح من أحسن الناس وجهاً على فرس أبلق ، وما أراه في القوم ، فقال الأنصاري : أنا أسرته يارسول الله فقال رسول الله ﷺ لقد أيَّدَك الله بملك كريم .

ومن طريق عبدالله بن المبارك قال : حدثني جرير بن حازم ، عن على ابن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : قلت لأبي : يا أبت كيف أسرك أبواليسر ولو شئت لجعلته في كفك ؟ قال : يابني ! لاتقل ذلك لقد لقيني وهو أعظم في عيني من الحندمة[2] .

ومن طريق محمد بن إسحاق ، عن ابن أبي نجيح ، عن عطاء عن ابن عباس قال : لما نزلت ﴿ **يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى** ﴾[3] كان العباس يقول : في نزلت هذه الآيه حين أخبرت رسول الله ﷺ بإسلامي فسألته أن يحاسبني بالعشرين أوقية التي أخذت مني فأبى رسول الله ﷺ ، وأعطاني بالعشرين أوقيه عشرين عبداً كلهم تاجر بمال معه في يده معها أرجو معفره الله ورحمته .

وعن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن بن عباس ، عن جابر ، عن عبدالله ابن دياب قال : قال العباس في نزلت هذه الآية حين ذكرت لرسول الله ﷺ إسلامي فسألته أن يقاضيني بالعشرين الأوقية التي أخذت مني فأبي فعوضني الله بها بعشرين عبداً كلهم تاجر يضرب بماله ، ومعها أرجو رحمة الله تعالى ومغفرته[4].

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) الحندم : شجر حمر العروق ، واحدته حندمة : (لسان العرب) : ١٦٢/١٢ .

(٣) الأنفال : ٧٠ .

(٤) (طبقات ابن سعد) : ١٥/٤ ، (سير أعلام النبلاء) : ٢٨/٢-٨٣ ، ترجمة رقم (١١) .

قال ابن إسحاق : حدثني بعض أصحابنا عن مقسم ، عن ابن عباس قال: كان الذي أسر العباس أبو اليسر كعب بن عمرو وكان أبواليسر مجموعاً وكان العباس رضي الله تبارك وتعالى عنه رجلاً جسمياً فقال رسول الله ﷺ للعباس: أفدِ نفسك وابني أخيك عقيل بن أبي طالب ، ونوفل بن الحارث ، وحليفك عتبة بن عمرو بن جحدم أخا بلحارث بن فهر ، فإنك ذومال ، قال : يارسول الله إني كنت مسلماً ولكن القوم استكرهوني ، قال : الله أعلم بإسلامك ولكن إن يك ماتقول حقاً فالله يجزيك به فأما ظاهر أمرك فكان علينا ، فافد نفسك ، وقد كان رسول الله ﷺ أخذ منه عشرين أوقية من ذهب ، فقال العباس: يارسول الله أحسبها من فدائي ، قال : لا ذاك شئ أعطاناه الله منك ، قال : فإنه ليس لي مال قال : فأين المال الذي وضعت بمكة حين خرجت من عند أم الفضل ابنة الحارث ، وليس معكما أحد ؟ ثم قلت : إن أصبت في سفري فللفضل كذا ، ولعبد الله كذا ؟ قال : والذي بعثك بالحق ما علم بهذا أحد غيري وغيرها ، وإني لأعلم أنك رسول الله ، ففدى العباس نفسه وابني أخيه وحليفه .

وقال جرير عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما كان يوم بدر أسر سبعون فجعل رسول الله ﷺ أربعين أوقية ذهب ، وجعل على عمه العباس مائة ، وعلى عقيل ثمانين ، فقال العباس : ألقرابه صنعت هذا ؟ والذي يحلف به العباس لقد تركتني فقير قريش مابقيت ، قال : كيف تكون فقير قريش وقد استودعت أم الفضل بنادق الذهب ؟ ثم أقبلت إليّ فقلت لها : إن قتلت تركتك غنية وإن رجعت فلايهمنك شئ ، فقال : إني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله ، ما أخبرك بهذا إلا الله عزوجل، وأنزل الله تعالي : ﴿ **يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفرلكم والله غفور رحيم** ﴾[1] فقال حين نزلت : يانبي الله لوددت أنك كنت أخذت مني أضعافها ، وآتاني الله خيراً منها[2] .

---

(١) الأنفال : ٧٠ .

(٢) سبق تخريجه .

وأما إخباره ﷺ عمير بن وهب بن خلف بن وهب ابن حذافة بن جمح الجمحي أبا أمية وهو المضرّب بماهمّ به من قتله[رسول الله ﷺ]

فقال إبراهيم بن سعد ، عن محمد بن إسحاق(١) ، عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال : جلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية بعد مصاب أهل بدر من قريش بيسير وهو في الحجر ، وكان عمر بن وهب شيطاناً من شياطين قريش ، وممن كان يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه به ويلقون منه عنتاً وهم بمكة ، وكان ابنه وهب بن عمير في أساري أصحاب بدر.

قال : فذكر أصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان : والله إن في العيش خير بعدهم ، فقال له عمير: صدقت والله أما والله لولا ديْن عليّ ليس عندي قضاء له ، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي ، لركبت إلى محمد حتي أقتله فإن لي قبلهم علة : ابني أسير في أيديهم ، فاغتنمها صفوان بن أمية فقال: عليّ دينك أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالي[أواسيهم] ، لايسعني شئ ويعجز، عنهم قال له عمير: فاكتم عليّ شأني[وشأنك] ، قال : أفعل .

ثم أمر عمير بسيفه فشحذ له وسمَّ ، ثم انطلق حتى قدم المدينة فبينا عمر ابن الخطاب رضي الله تبارك وتعالى عنه في نفر من المسلمين في المسجد يتحدثون عن يوم بدر، ويذكرون ما أكرمهم الله به ، وما أراهم من عدوهم ، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب حين أناخ على باب المسجد متوشحاً بالسيف ، فقال : هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ، ما جاء إلا لشر ، وهو الذي حرّش بيننا وحزرنا [للقوم] يوم بدر .

ثم دخل على رسول الله ﷺ فقال : يانبي الله ! هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحا بسيفه ، قال: فأدخله عليّ ، قال : فأقبل عمر حتى أخذ

---

(١) (سيرة ابن هشام) : ٢١٢/٣ - ٢١٥ ، إسلام عمير بن وهب بعد تحريض صفوان له على قتل رسول الله ﷺ ، وما في ذلك من دلائل نبوته ﷺ .وما بين الحاصرتين زيادة للسياق وتصويباً منه .

بحمالة سيفه في عنقه فلبه بها ، وقال لرجال ممن كان معه من الأنصار : ادخلوا على رسول الله فاجلسوا عنده، واحذروا [عليه من] هذا الخبيث ، فإنه غير مأمون ، ثم دخل به على رسول الله ﷺ .

فلما رآه ﷺ وعمر رضي الله تبارك وتعالى عنه آخذ بحمالة سيفه في عنقه قال : أرسله يا عمر ، ادن ياعمير؛ فدنا ثم قال : أنعموا صباحاً - وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم - فقال رسول الله ﷺ : قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك ياعمير ، بالسلام تحية أهل الجنة ، قال : أما والله يامحمد إن كنت لحديث عهد بها ، قال فما أقدمك ؟ قال: جئتك لهذا الأسير الذى في أيديكم ، فأحسنوا فيه ، قال : فما بال السيف في عنقك ؟ قال : قبحها الله من سيوف ، وهل أغنت شيئاً ؟ قال : أصدقني ما الذي جئت له ؟ قال : ماجئت إلا لذلك .

قال بل قعدت أنت وصفوان بن أممة في الحجر فذكرتما أصحاب القليب من قريش ، ثم قلت : لولا ديْنٌ عليّ وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمداً، فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك حتى تقتلني له ، والله حائل بينك وبين ذلك .

قال عمير: أشهد أنك رسول الله ، وقد كنا [يا رسول الله] نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء ، وما ينزل عليك من الوحى ، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إني لأعلم إنه ما أتاك به إلا الله ، فالحمد لله الذي هداني للإسلام ، وساقني هذا المساق ، ثم تشهد بشهادة الحق ، فقال رسول الله ﷺ : فقهوا أخاكم في دينه ، وأقرئوه القرآن ، واطلقوا له أسيره ، قال : ففعلوا .

ثم قال : يارسول الله ، إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله ، وإني أحب أن تأذن لي فأقدم مكة ، فأدعوهم إلي الله وإلى الإسلام، لعل الله أن يهديهم ، وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أوذي أصحابك .

قال : فأذن له رسول الله ﷺ ، فلحق بمكة ، وكان صفوان بن أمية حين خرج عمير بن وهب يقول لقريش : أبشروا بوقعة تأتيكم الآن في أيام تنسيكم وقعة بدر ، وكان صفوان يسأل عنه الركبان ، حتى قدم راكب فأخبره بإسلامه فحلف لايكلمه أبداً ولا ينفعه بنفع أبداً، فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى

الإسلام ويؤذي من خالفه إيذاء شديداً ، وكان رجلاً شهماً منعياً ، فأسلم على يديه ناس كثير، [فلما انقضى أمر بدر أنزل الله فيه القرآن [سورة] الأنفال بأسرها] [(١)].

وقد ذكر قصة عمير بن وهب موسى بن عقبه رحمه الله تعالى وذكرها الواقدي في (مغازيه)[(٢)]فقال: ثم قال: حدثني محمد بن أبي حميد عن عبدالله بن عمرو بن أمية قال : لما قدم عمير بن وهب في أهله ولم يقرب صفوان بن أمية فأظهر الإسلام ودعا إليه ، فبلغ صفوان فقال : قد عرفت حين لم يبدأ بي قبل منزله أنه قد ارتكس ، وحلف باللات والعزى لا أكلمه من رأسي أبداً ولا أنفعه ولا عياله بنافعة أبداً ، فوقف عليه عمير وهو في الحجر فأعرض عنه ، فقال عمير: أنت سيد من ساداتنا أرأيت الذي كنا عليه من عبادة حجر والذبح له ، أهذا دين ؟ أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، فلم يجبه صفوان بكلمة .

(١) ما بين الحاصرتين ليس في (سيرة ابن هشام) .

(٢) (مغازي الواقدي) : ١/١٢٧ - ١٢٨.

وأما إخباره ﷺ قباث بن أَشْيَمْ[1] بن عامر بن الملوّح الكناني - ويقال الليثي - بما قاله في نفسه ، وقد انهزم فيمن انهزم يوم بدر

فقال الواقدي في (مغازيه) [2]: وكان قباث بن أشْيَم الكنانيّ يقول : شهدت مع المشركين بدراً وإني لأنظر لقلة أصحاب محمد في عيني ، وكثرة ما منعنا من الخيل والرجال ، فانهزمت فيمن انهزم ، فلقد رأيتني وإني لأنظر إلى المشركين في كل وجه وإني لأقول في نفسي : ما رأيت مثل هذا الأمر فرّ منه إلا النساء ، وصاحبني رجل ، فبينما هو يسير معي إذ لحقنا من خلفنا ، فقلت لصاحبي : أبِك نهوض ؟ قال : لا والله ، ماهو بي ، قال : وعقر فترفعت ، فلقد صبحت غيقةَ قبل الشمس ، كنت هادياً بالطريق ولم أسلك المحاج وخفت من الطلب فتنكبت عنها ، فلقيني رجل من قومي بغيقة[3] ، فقال : ما وراءك ؟ قلت: لا شئ ! قتلنا ، وأسرنا ، وانهزمنا ، فهل عنك من حملان ؟ قال : فحملني على بعير ، وزودني زاداً حتى لقيت الطريق بالجحفة ، ثم مضيت حتى دخلت مكة ،

---

(١) هو قباث بن أشيم بن عامر بن الملوح الكناني ويقال التميمي ، والأكثر قول من نسبه في كتاب ، سكن دمشق . روي عنه عامر بن زياد الليثي وأبو الحويرث فإنه قال : سمعت عبد الملك بن مروان يقول لقباث بن أشيم قال : بل رسول الله ﷺ أكبر مني وأنا أسن منه ، ولد رسول الله ﷺ عام الفيل. ووقفت بي أمي على روث الفيل ، وأنا أعقله .وقال البخاري : حدثنا عبدالله بن يوسف ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا ثور ، عن يونس بن يوسف ، عن عبد الرحمن بن زياد ، عن قباث بن أشيم الليثي قال : قال رسول الله ﷺ : صلاة رجلين يؤمهما أحدهما أزكى عند الله من صلاة ثمانية تترى ؛ وصلاة ثمانية يؤمهما أحدهم أزكى عند الله من صلاة مائة تترى . ذكره البخاري في (التاريخ) .(الاستيعاب): ١٣٠٣/٣ - ١٣٠٤ ، ترجمة رقم (٢١٦٥) ، (الإصابة): ٤٠٧/٥- ٤٠٨ ، ترجمة رقم (٧٠٦١) .

(٢) (مغازي الواقدي) : ٩٧/١ - ٩٨ . وترفعت : من رفع البعير في السير ، أي بالغ . (الصحاح) .

(٣) غيقة : بين مكة والمدينة في بلاد غفار. (معجم البلدان) : ٢٥١/٤ ، موضع رقم (٨٩٦٧) .

وإني لأنظر إلى الحيسمان بن حابس الخزاعي بالغميم ، فعرفت أنه تقدم ينعى قريشاً بمكة ، فلو أردت أن أسبقه لسبقته ، فتكبت عنه حتى سبقني ببعض النهار، فقدمت وقد انتهى إلى مكة خبر قتلاهم وهم يلعنون الخزاعي ويقولون : ما جاءنا بخير، فمكث بمكة ، فلما كان بعد الخندق قلت : لو قدمت المدينه فنظرت ما يقول محمد، وقد وقع في قلبي الإسلام فقدمت المدينة فسألت عن رسول الله ﷺ ، فقالوا : هو ذاك في ظل المسجد مع ملأ من أصحابه ، فأتيته، وأنا لا أعرفه من بينهم ، فسلمت ، فقال : ياقباث بن أشيم ، أنت القائل يوم بدر ما رأيت مثل هذا الأمر فرّ منه إلا النساء ؟ قلت : أشهد أنك رسول الله وأن هذا الأمر ما خرج مني إلى أحد قط وما ترمرمت[1] به إلا شيئاً حدثت به نفسي فلولا أنك نبي ما أطلعك الله عليه ، هلم حتى أبايعك . فعرض علي الإسلام فأسلمت .

(١) ترمرم : حرك فاه : بالكلام . (الصحاح) .

وأماقيام سهيل بن عمرو[1] والمقام الذي خَبَّرَ به النبي ﷺ عمر بن الخطـاب رضي الله تبارك وتعالى عنه يوم بدر

فقال الواقدي[2] - رحمه الله - ولما أسر سهيل بن عمرو يوم بـدر ، قـال عمر رضي الله تبارك وتعالى عنه : يارسول الله انزع ثنيته يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيباً أبداً ، فقال رسول الله ﷺ : لا أمثل به فيمثـل اللـه بـي ، وإن كنـت نبياً ، ولعله يقوم مقاماً لاتكرهه ، فقام سهيل بن عمرو حين جاءه وفاة النبـي ﷺ بخطبة أبي بكر رضي الله تبارك وتعالى عنه حين بلغه كلام سهيل : أشهد أنـك رسول الله ، يريد حيث قال النبي ﷺ لعله يقوم مقاماً لاتكرهه .

وقال أبوعمر بن عبدالبر:[3] سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وُدّ ابن نصر بن مالك بن حسل بـن عامر بـن لـؤي بـن غـالب القرشـي العـامري ، يكني أبا يزيد ، كان أحد أشـراف قريش وسـاداتهم فـي الجاهليـه أسـر يـوم بـدر كـافراً، وكـان خطيـب قريـش ، فقـال عمـر رضـي اللـه تبـارك وتعـالى عنــه : يارسول، الله انزع ثنيته فلا يقوم عليك خطيباً أبداً ، فقـال ﷺ : دعـه فعسـى أن يقوم مقاماً تحمده ، وكان الذي أسره مالك بن الدخشم ، فقدم مكرز بن حفص بن الأحنف العامري فقاطعهم في فدائه ، وقال : ضعوا أرجلى في القيـد حتـي يـأتي الفداء ، ففعلوا ذلك .

وكان سهيل أعلم ؛ أي مشقوق الشفة العليا ، وهـو الـذي جـاء فـي الصلـح يوم الحديبية ، فقال رسول الله ﷺ حين رآه : قد سهل أمركم ، وعقد مع رسـول الله ﷺ الصلح يؤمئذ وهو كان يتولى ذلك دون سائر قريش .

وكان المقام الذي قام به في الإسلام الذي قاله رسول الله ﷺ لعمر رضـي الله تبارك وتعالى عنه : دعه فعسى أن يقوم مقاماً تحمده ، فكان مقامه ذلـك أنـه لما هاج أهل مكة عند وفاة النبي ﷺ ، وارتدّ من ارتد من العرب ، قام سهيل بن

---

(١) ترجمته في (الإصابه) : ٢١٢/٣ - ٢١٥ ، ترجمة رقم (٣٥٧٥) .

(٢) (مغازي الواقدي) : ١٠٧/١ .

(٣) (الاستيعاب) : ٦٦٩/٢ -٦٧٢ ، ترجمة رقم (١١٠٦)

عمرو خطيباً ، فقال : والله أعلم أن هذا الذين سيمتد امتداد الشمس في طلوعها إلى غروبها ، فلا يغرنكم هذا من أنفسكم ، يعنى أبا سفيان ، فإنه ليعلم من هذا الأمر ما أعلم ، ولكنه قد ختم على صدره حسد بنى هاشم ، وأتى في خطبته بمثل ما جاء به أبوبكر رضي الله تبارك وتعالى عنه بالمدينة ، فكان ذلك معنى قول رسول الله ﷺ فيه لعمر رضي الله تبارك تعالى عنه أعلم .

وقال أسد بن موسى عن سعيد بن عبدالله الجمحي ، عن عبدالله بن عمير الليثي ، عن أبيه قال : مات رسول الله ﷺ وعلى مكة وعاملها عتاب بن أسيد ، فلما بلغهم موت النبي ﷺ ضج أهل المسجد ، فبلغ عتاب ، فخرج حتى دخل شعباً من شعاب مكة ، وسمع أهل مكة الضجيج ، فوافى رجالهم إلى المسجد ، فقال سهيل بن عمرو : أين عتاب ؟ وجعل يستدل عليه ، حتى أتى عليه الشعب ، فقال : مالك ؟ قال : مات رسول الله ﷺ ! فقال : قم في الناس فتكلم ، قال : لا أطيق الكلام مع موت رسول الله ﷺ ، قال : فاخرج معي فأنا أكفيكه ، فخرجا ، حتى أتيا المسجد ، فقام سهيل خطيباً فحمد الله وأثني عليه ، وخطب مثل خطبه أبي بكر ، لم يجزم منها شيئاً وكان النبي ﷺ قال لعمر بن الخطاب وسهيل في الأسرى يوم بدر : مايدعوك إلى نزع ثناياه ؟ دعه فعسى أن يقيمه الله مقاماً يسرك ، فكان ذالك المقام الذي قال ، وضبط عتاب عمله وما حوله .

وخرج البيهقي[1] من طريق سفيان ، عن عمر ، عن الحسن قال : قال عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - للنبي ﷺ : يارسول الله دعنى أنزع ثنية سهيل ابن عمرو ، فلا يقوم خطيباً في قومه أبداً ، فقال : دعها فلعلها أن تسرك يوماً ، قال سفيان : فلما مات النبي ﷺ نفر منه أهل مكة فقام سهيل بن عمرو عند الكعبة فقال : من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، والله حيّ لايموت .

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٣٦٧/٦ ، باب إخباره ﷺ بما يرجع إليه مقال سهيل بن عمرو بن عبد شمس ، ورجوعه إلى ذلك ، فكان كما أخبر . وفيه : من كان محمد إلهه فإن محمداً قد مات"، وما أثبتناه من (الأصل) .

قال البيهقي[1] ثم لحق سهيل في أيام عمر بالشام مرابطاً في سبيل الله حتى مات بها في طاعون عمواس .

وذكر ابن سعد أن سهيلاً قال يومئذ : أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لايموت ، وقد نعى الله نبيكم إليكم ، وهو بين أظهركم ، ونعاكم إلى أنفسكم ، فهو الموت الذي لايبقى أحداً ، ألم تعلموا أن الله قال : ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون** ﴾[2] وقال : ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم**﴾[3] وقال : ﴿ **كل نفس ذائقه الموت** ﴾[4] ثم تلا: ﴿ **كل شئ هالك إلا وجهه** ﴾[5] فاتقوا الله واعتصموا بدينكم وتوكلوا على ربكم فإن دين الله قائم وكلمة الله تامة ، وإن الله تعالى ناصر من نصره ، ومعز لدينه ، وقد جمعكم الله على خيركم .

فلما بلغ عمر كلام سهيل بمكة قال : أشهد أن محمداً رسول الله وأن ما جاء به حق ، هذا هو المقام الذي تمنى رسول الله ﷺ حين قال لي : لعله يقوم مقاماً لا تكرهه[6] .

---

(١) (المرجع السابق) .

(٢) الزمر : ٣٠ .

(٣) آل عمران : ١٤٤ .

(٤) آل عمران : ١٨٥ ، الأنبياء ٣٥ .

(٥) القصص : ٨٨ .

(٦) (مغازي الواقدي) : ١/١٠٧ .

وأما دعاؤه ﷺ لمن خرج معه إلى بدر
وإجابة الله تبارك وتعالى دعاءه

فقال الواقدي[١] : حدثني أبوبكر بن إسماعيل ، عن أبيه ، عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : خرجنا إلى بدر مع رسول الله ﷺ ومعنا سبعون بعيراً وكانوا يتعاقبون الثلاثه والأربعه والاثنان على بعير، وكنت أنا من أعظم أصحاب النبي ﷺ غناء ، أرجلهم رجلة ، وأرماهم بسهم ، لم أركب خطوة ذاهباً ولا راجعاً ، وقال رسول الله ﷺ حين فصل من بيوت السقيا : اللهم إنهم حفاة فاحملهم ، وعراة فاكسهم ، وجياع فأشبعهم ، وعالة فأغنهم من فضلك .

قال : فما رجع أحد منهم يريد أن يركب إلا وجد ظهراً للرجل ، البعير والبعيران ، واكتسى من كان عارياً ، وأصابوا طعاماً من أزوادهم ، وأصابوا فداء الأسرى .

وأما قتل كعب بن الأشرف اليهودي أحد بني النضير
بسؤال رسول الله ﷺ ربه تعالى أن يكفيه إياه بما شاء

فقال الواقدي في (مغازيه)[٢] : حدثني عبدالحميد بن جعفر ، عن يزيد بن رومان ، ومعمر ، عن الزهري ، عن ابن كعب بن مالك ، وابراهيم بن جعفر ، عن أبيه عن جابر بن عبدالله ، فكل قد حدثني منه بطائفة ، فكان الذي اجتمعوا لنا عليه قالوا: إن ابن الأشرف كان شاعراً وكان يهجو النبي ﷺ وأصحابه، ويحرض عليهم كفار قريش في شعره .

وكان رسول الله ﷺ قدم المدينة وأهلها أخلاط ، منهم المسلمون الذين تجمعهم دعوة الإسلام ، فيهم أهل الحلقة والحصون ، ومنهم حلفاء للحيين

---

(١) (مغازي الواقدي) : ١/٢٦ .

(٢) (مغازي الواقدي) : ١/١٨٤ - ١٩٣ .

جميعاً، الأوس والخزرج ، فأراد رسول الله ﷺ حين قدم المدينة استصلاحهم كلهم وموادعتهم ، وكان الرجل يكون مسلماً وأبوه مشركاً ، وكان المشركون واليهود من أهل المدينة يؤذون رسول الله ﷺ وأصحابه أذى شديداً ، فأمر الله عز وجل نبيه ﷺ والمسلمين بالصبر على ذلك ، والعفو عنهم ، وفيهم أنزل الله تعالى : ﴿ **ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والذين أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور** ﴾[١] وفيهم أنزل ﴿ **ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شئ قدير** ﴾[٢] .

فلما أبي ابن الأشرف أن ينزع عن أذى النبي ﷺ وأذى المسلمين وقد بلغ منهم ، فلما قدم زيد بن حارثة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - بالبشارة من بدر بقتل المشركين ، وأسر من أسر منهم ، ورأى الأسرى مقرنين كُبت وذل ، ثم قال لقومه : والله لبطن الأرض خير لكم من ظهرها اليوم ، هؤلاء سراة الناس قد قتلوا وأسروا ، فما عندكم ؟ قالوا : عداوته ما حيينا . قال وما أنتم وقد وطئ قومه وأصابهم ؟ ولكني أخرج إلى قريش فأحضها وأبكي قتلاهم ، فلعلهم ينتدبون ، وأخرج معهم .

فخرج حتى قدم مكة ووضع رحله عند أبي وداعة بن ضميرة السهميّ، فجعل يرثي قريشًا يقول[٣] :

طحنت رحى بدر لتهلك أهلها ولمثل بدر تستهل وتدمعُ
قتلت سراه الناس حول حياضه لاتبعدوا إن الملوك تصرع
ويقول أقوام أذل بسخطهم إن ابن أشرف ظل كعباً يجزع
صدقوا فليت الأرض ساعة قتلوا ظلت تسيخ بأهلها وتصدع
كم قد أصيب بها من أبيض ماجد ذي بهجه بأوى إليه الضبَّعُ

---

(١) آل عمران : ١٨٦ .

(٢) البقرة : ١٠٩ .

(٣) (مغازي الواقدي) : ١/١٨٦ .

طلق الدين إذا الكواكب أخلفت حمال أثقال يسود ويربع
نبئت أن بني المغيرة كلهم خشعوا لقتل أبي الحكيم وجدّعوا
وابنا ربيعة عنده ومنبهٌ هل نال مثل المُهْلكين التبّع[1]
صار الذي أثر الحديث بطعنة أو عاش أمي مرعشاً لايسمع
نبئت أن الحارث بن هشام في الناس يبنى الصالحات ويجمع
ليزور يثرب بالجموع وإنما يحمي على الحب الكريم الأروع
نبئت أن بني كنانة كلهم خشعوا لقتل أبي الوليد وجدّعوا

قال فأجابه حسان بن ثابت رضي الله تبارك وتعالى عنه وقليلاً قال :

بكت عين كعب[2] ثم عُلّ بعبرة منه وعاش مجدعاً لايسمع
ولقد رأيت ببطن بدرٍ منهمو قتلى تسح لها العيون وتدمع
وفابكي فقد أبكيت عبداً رافعا شبه الكليب للكليبة يتبع
ولقد شفى الرحمن منهم سيداً وأهان قوماً قاتلوه وصرّعوا
ونجا وأفلت منهم من قلبه شعف يظل لخوفه يتصدع[3]
نجا وأفلت منهم متسرعاً فلّ قليل هارب يتهزّع[4]

ودعا رسول الله ﷺ حسان بن ثابت ، فأخبره بنزول كعب على من نزل، فقال حسان :

ألا أبلغا عني أسيداً رسالة فخالك عبد بالسراب مجرب
لعمرك ما أوفي أسيد بجاره ولا خالدٌ ولا المفاضة زينب
وعتاب عبد غير موفٍ بذمه كذوب شؤون الرأس قرد مدربُ[5]

---

(١) إلى هنا آخر الأبيات في (المغازي) .

(٢) كذا في (الأصل) ، وفي (ديوان حسان) ، و (مغازي الواقدي) : " أبكى لكعب " ،

(٣)هذه الشطرة في (الديوان) هكذا : * شعفٌ يظل لخوفه يتصدع *

(٤) هذا البيت من (الأصل) فقط .

(٥) هذه الأبيات ليست في (الديوان) وأثبتناه من (الأصل) ، وصوبناها من (المغازي) . والمفاضة من النساء الضخمة البطن .

فلما بلغها[1] هجاوه نبذت رحله وقالت : مالنا ولهذا اليهـودي ؟ ألا تـرى ما يصنعه بنا حسان ؟ فتحول ، فكلما تحول عند قوم دعا رسول الله ﷺ حسـاناً، فقال : ابن الأشرف نزل على آل فلان فلا يزال يهجوهم حتى نبذ رحله ،فلما لـم يجد مأوى قدم المدينة فلما بلـغ النبـي ﷺ قـدوم ابـن الأشـرف قـال : اكفنـي ابـن الأشرف بما شئت في إعلانه الشر وقوله الأشعار ، وقال رسـول اللـه ﷺ : مـن لي بابن الأشرف ؟ فقد آذاني ، فقال محمد بن مسـلمة أنـا لـه يارسـول اللـه وأنـا أقتله ، قال فافعل فمكث محمد بن مسملة : أياماً لا يأكل ، فدعاه رسـول الـه ﷺ فقال : يا محمد ، تركت الطعام والشراب ؟ قال : يارسول الله قلت لك قولاً فـلا أدري أفي لك به أم لا قال رسول الله ﷺ : إنما عليك الجهد ، وقال رسول اللـه ﷺ : أشاور سعد بن معاذ في أمره .

فاجتمع محمد بن مسلمة ونفر من الأوس ، منهم عباد بن بشر وأبـو نائلـة سلكان بن سلامة وأبو عبس بن جبر، والحارث بن أوس ، فقالوا : يارسول الله نحن نقتله ، فأذن لنا فلنقتله فإنه لابد لنا مـنه ، قال : قولوا ، فخرج أبو نائلة إليه فلما رآه كعب أنكـر شأنه ، وكاد يذعر ، وخاف أن يكـون وراءه كميـن ، فقـال أبونائلة : حدثت لنا حاجة إليك ، قال وهو في نادي قومه وجماعتهم : أدنُ إليّ ، فخبرني بحاجتك ، وهو متغير اللون مرعوب وكان أبو نائلة ومحمـد بـن مسلمه أخويه من الرضاعة ، فتحدثا ساعة وتناشدا الأشعار وانبسط كعب وهـو يقـول بين ذلك : حاجتك وأبو نائلة يناشده الشعر ، فقال كعب حاجتك ، لعلـك تحـب أن يقوم من عندنا ؟ فلما سمع ذلك القوم قاموا .

قال أبونائلة : إني كرهت أن يتسـمع القـوم ذرو[2] كلامنـا فيظنـون ، كـان قدوم هذا الرجل علينا من البلاء ، حاربتنا العرب ، ورمتنـا عـن قـوس واحـدة ، وتقطعت السبل عنا حتى جهـدت الأنفس ، وضـاعت العيـال ، أخذنـا الصدقـة ، ولانجد ما نأكل ، فقال كعب : قـد كنـت واللـه أحدثـك بهذا يـا ابـن سـلامة ، إن الأمر سيصير إليه .

---

(١) الضمير عائد على عاتكة بنت أسيد .

(٢) ذرو القول : طرفه .

وقال أبونائلة : ومعي رجال على مثل رأيي ، وقد أردتُ أن آتيك ثقة بهم، فنبتاع منك طعاماً وتمراً وتحسنِ في ذلك إلينا ، ونرهنك ما يكون لك فيه، قال كعب إما إن رفاقي تقصف تمراً من عجوة تغيب فيها الضرس ، أما والله يا أبا نائلة ماكنت أحب أني أرى هذه الخصاصة بك ، وإن كنت من أكرم الناس عليّ، أنت أخي نازعتك الثدي .

قال سلكان اكتم عنا ماحدثتك من ذكر محمد ، قال كعب : لا ألا ذكر منه حرفاً ثم قال كعب : يا أبا نائلة اصدقني ذات نفسك ، ما الذي تريدون في أمره ؟ قال : خذلانه والتنحى عنه ، قال : سررتني يا أبا نائلة فما الذي ترهنونني ، أترهنونني أبناءكم ونساءكم ؟ قال : لقد أردت أن تفضحنا وتظهر أمرنا ، ولكنا نرهنك من الحلقة ماترضى به ، قال كعب : إن في الحلقة لوفاء وإنما يقول ذلك سلكان لئلا ينكرهم إذا جاؤا في السلاح ، فخرج أبونائلة من عنده على ميعاد فأتى أصحابه وأجمعوا أمرهم على أن يأتوه إذا أمسي لميعاده ، ثم أتوا النبي ﷺ عشاءً ، فأخبروه فمشى معهم ، حتى أتى البقيع[1] ، ثم وجههم ، ثم قال : امضوا على بركة الله وعونه . ويقال : وجههم بعد أن صلوا العشاء في ليلة مقمرة مثل النهار ، ليلة أربعة عشرة من ربيع الأول ، على رأس خمسة وعشرين شهراً .

قال : فمضوا حتى أتوا ابن الأشرف فلما انتهوا إلى حصنه هتف به أبونائلة ، وكان ابن الأشرف حديث عهد بُعرس ، فأخذت امرأته بناحية ملحفته وقالت : أين تذهب ؟ إنك رجل محارب ، ولاينزل مثلك في هذه الساعة ، فقال : ميعاد ، إنما هو أخى أبو نائلة ، والله لو وجدني نائماً ما أيقظني ، ثم ضرب بيده الملحفة وهو يقول : لودعي الفتي لطعنة لأجاب ، ثم نزل إليهم فحياهم ، ثم جلسوا فتحدثوا ساعةً حتى انبسط إليهم ، ثم قالوا له : يا ابن الأشرف هل لك أن نتمشى إلى شرج العجوز[2] فنتحدث فيه بقية ليلتنا ؟ قال : فخرجوا يتماشون حتى وجهوا قبل الشرج فأدخل أبو نائلة يده في رأس كعب ثم قال : ويحك ما

---

(١) البقيع : بقيع الغرقد ، وهو مقبرة المدينة .

(٢) شرج العجوز : موضع قرب المدينة .

أطيب عطرك هذا يا ابن الأشرف ! وإنما كان كعب يدهن بالمسك الفتيت بالماء والعنبر حتى يتلبد في صدغيه ، وكان جعداً جميلاً، ثم مشى ساعة فعاد بمثلها حتى اطمأن إليه ، وسلت يداه في شعره ، فأخذ بقرون رأسه وقال لأصحابه : اقتلوا عدو الله ، فضربوه بأسيافهم ، فالتفت عليه فلم تغن شيئاً ، ورد بعضها بعض ولحق بأبي نائلة .

قال محمد بن مسلمة: فذكرت مغولاً كان في سيفي فانتزعته فوضعته في سرته ثم تحاملت عليه فقططته[1] حتى انتهى إلى عانته ، فصاح عدو الله صيحة ما بقى أطم من آطام يهودي إلا أوقدت عليه نار فقال : ابن سنينة – يهودي من يهود بني حارثه وبينهما ثلاثه أميال– إني لأجد ريح دم بيثرب مسفوح وقد كان أصاب بعض القوم الحارث بن أوس بسيفه وهم يضربون كعباً ، فَكَلَمه في رجله فلما فرغوا احتزوا رأسه ثم حملوه معهم ، ثم خرجوا يشتدون وهم يخافون من يهود الإرصاد ، حتى أخذوا على بني أمية بن زيد ، ثم على بني قريظة ، وإن نيرانهم في الآطام لعاليه ، ثم على بعاث ، حتى إذا كانوا بحره العريض نزف الحارث فأبطا عليهم فناداهم : أقرئوا رسول الله مني السلام ، فعطفوا عليه حتى أتوا النبي ﷺ فلما بلغوا بقيع الغرقد كبروا ، وقد قام رسول الله ﷺ تلك الليلة يصلي ، فلما سمع تكبيرهم بالبقيع كبر وعرف أنهم قد قتلوه .

ثم انتهوا يعدون حتي وجدوا رسول الله ﷺ واقفاً على باب المسجد ، فقال: أفلحت الوجوه ، فقالوا : ووجهك يارسول الله ، ورموا برأسه بين يديه فحمد الله على قتله ، ثم أتو بصاحبهم الحارث فتفل في جرحه فلم يؤذه ، فقال :

صرخت به ولم يجفل لصوتي ... ووافي طالعاً من فوق قصر
فعدت فقال من هذا المنادي ... فقلت أخوك عباد بن بشر
فقال محمد أسرع إلينا ... فقد جئنا لتشكرنا وتقري
وترفدنا فقد جئنا سغابا ... بنصف الوسق من حب وتمر
وهذه درعنا رهناً فخذها ... لشهرٍ إن وفي أونصف شهر

---

(١) كذا في (الأصل) ، و (المغازي) ، والأولى : " فقددته " لأن القدّ : الشق طولاً ، والقطّ : الشق عرضاً ، قال تعالى : ﴿ إن كان قميصه قد ﴾ .

فقال معاشر سغبوا وجاعوا لقد عدموا الغني من غير فقر
وأقبل نحونا يهوي سريعاً وقال لنا لقد جئتم لأمر
وفي أيماننا بيض حداد مجرية بها الكفار نفري
فعانقه ابن مسلمة المرادي به الكفان كالليث الهزبز
وشد بسيفه صلتا عليه فقطره أبوعبس بن جبر
وصلت وصاحباني فكان لما قتلناه الخبيث كذبح عترٍ (١)
ومر برأسه نفر كرام هم ناهوك من صدق وبر
وكان الله سادساً فأبنا بأفضل نعمة وأعز نصر (٢)

قال فلما أصبح رسول الله ﷺ من الليلة التي قتل فيها ابن الأشرف ، قال رسول الله ﷺ : من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه ، [فخافت اليهود] فلم يطلع عظيم من عظمائهم ، ولم ينطقوا ، وخافوا أن يبيتوا كما بُيّت ابن الأشرف، وكان ابن سنينة من يهود بني حارثه ، وكان حليفاً لحويصة بن مسعود ، وقد أسلم بعد . [فعدا محيّصَة علي ابن سنية فقتله] .

فجعل حويصة يضرب محيصة وكان أسنّ منه ، يقول : أي عدوّ الله أقتله ؟ والله لرب شحم في بطنك من ماله ، فقال محيصة : والله لو أمرني بقتلك الذي أمرني بقتله لقتلتك ، قال والله لو أمرك محمد أن تقتلني لقتلتني ؟ قال: نعم قال حويصة إن ديناً يبلغ هذا لدينٌ معجب فأسلم حويّصَة يومئذ ، فقال محيصة :

يلوم ابن أمي لو أمرت بقتله لطبقت ذفراه بأبيض فاضبِ
حسام كلون الملح أخلص صقله متى ما تضرب به فليس بكاذبِ
ما سرني أني قتلت طائعاً وما أن لي ما بين بصري ومأربِ

ففزعت يهود ومن معها من المشركين ، فجاؤه إلى النبي ﷺ حين أصبحوا ، فقالوا : قد طُرِق صاحبنا الليلة وهو سيد من ساداتنا قتل غيلة من غير جرم ولا حدث علمناه ، فقال ﷺ : لوقر كما قر غيره من هو على مثل

---

(١) العتر : العتيرة ، وهى شاه كانوا يذبحونها في رجب لآلهتهم .

(٢) (مغازي الواقدي) : ١٩١/١ . وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه .

رأيه ما اغتيل ؛ ولكنه نال منا الأذى وهجانا بالشعر ، ولم يفعل هذا أحدٌ منكم إلا كان له السيف .

ودعا رسول الله ﷺ إلى أن يكتب بينهم كتاباً ينتهون إلى ما فيه ، فكتبوا بينهم وبينه كتاباً [تحت العذق] في دار رملة بنت الحارث فحذرت يهود وخافت [وذلت] من يوم قتل ابن الأشرف[١] .

فحدثني إبراهيم بن جعفر عن أبيه قال : قال مروان بن الحكم وهو على المدينة وعنده ابن يامين النضري : كيف كان قتل ابن الأشرف ؟ قال ابن يامين: كان غدراً ، ومحمد بن مسلمة جالس شيخاً كبيراً ، فقال : يامروان ، أيغدر رسول الله ﷺ [عندك] ؟ والله [ما قتلناه إلا بأمر رسول الله ﷺ] والله لا يؤويني واياك سقف بيت إلا المسجد ، وأما أنت يا ابن يامين فلله عليّ إن أفلت وقدرت عليك وفي يدي سيف إلا ضربتُ به رأسك ! فكان ابن يامين لاينزل في بني قريظة حتى يبعث له رسولاً ينظر محمد بن مسلمة ، فإن كان في بعض ضياعة نزل فقضى حاجته ثم صدر وإلا لم ينزل .

فبينا محمد بن مسلمة في جنازه وابن يامين بالبقيع فرأى محمد نعشاً عليه جرائد رطبة لامرأة ، فجاء فحله فقام إليه الناس فقالوا : يا أباعبدالرحمن ماتصنع نحن نكفيك ؟ فقام إليه فلم يزل يضربه بها جريدة جريدة حتى كسر ذلك الجريد على وجهه ورأسه حتى لم يترك فيه مصَحاً ، ثم أرسله ولا طباخ به ، ثم قال : والله لو قدرتُ على السيف لضربتك به[٢] .

وقال موسى بن عقبة وكان كعب بن الأشرف اليهودي أحد بني النضير – أو فيهم – قد آذى رسول الله ﷺ بالهجاء ، وركب إلى قريش فقدم عليهم فاستغواهم على رسول الله ﷺ فقال : أناشدك الله أديننا أحب إلى الله أم دين محمد وأصحابه ؟ وأينا أهدي في رأيك وأقرب إلى الحق ؟ فإنا نطعم الجزور والكوماء[٣] ، ونسقي اللبن على الماء ، ونطعم ماهبت السماء ، فقال

---

(١) (مغازي الواقدي) : ١٩٢/١، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه .

(١) (مغازي الواقدي) : ١٩٣/١ . والطِّبَاخ : القوة .

(٣) الكوماء من الإبل : عظيمة السنام . (لسان العرب) .

ابن الأشرف : أنتم أهدي منه سبيلاً ، ثم خرج مقبلاً وقد أجمع رأى المشركين على قتال رسول الله ﷺ من لنا بابن الأشرف ؟ قد استعلن بعد عداوتنا وهجائنا خرج إلى قريش فجمعهم علينا قد أخبرني الله عز وجل بذلك ثم قدم على أخبث ما كان ينتظر قريشاً أن تقدم فيقاتلنا معهم ، ثم قرأ رسول الله ﷺ علي المسلمين ما أنزل الله فيه ﴿ **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدي من الذين آمنوا سبيلا** ﴾ وآيات في قريش معها ، وذكر لنا – والله أعلم – أن رسول الله ﷺ قال : اللهم اكفني ابن الأشرف بما شئت فقال له محمد بن مسلمة أنا يارسول الله أقتله ، فقال رسول الله ﷺ : نعم فقام محمد بن مسلمة منقلباً إلى أهله فلقى سلكان بن سلامة في المقبرة عامداً إلى رسول الله ﷺ ، فقال له محمد : إن رسول الله ﷺ قد أمرني بقتل ابن الأشرف وأنت نديمه في الجاهلية ، ولن يأمنن غيرك ، فقال له سلكان : إن أمرني فعلت ، فرجع معه ابن مسلمة إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله أمرت بقتل كعب بن الأشرف ؟ قال : نعم قال سلكان : يارسول الله فاحللني فيما قلت لابن الأشرف فقال : أنت في حِلّ مما قلت ، فخرج سلكان، ومحمد بن مسلمة ، وعباد بن بشر، وسلمة بن ثابت ، وأبوعبس بن جبر، حتى أتوه في ليلة مقمرة فتواروا في ظلال جذوع النخل ، وخرج سلكان فصرخ : ياكعب ، فقال له كعب : من هذا ؟ فقال له سلكان : هذا أبوليلى يا أبا نائلة وكان كعب يكني أبا نائلة ، فقالت له امرأته : لاتنزل يا أبا نائلة إنه قاتلك ، فقال ماكان أخي ليأتيني إلا بخير لو يدعى الفتى لطعنة أجاب ، فخرج كعب ، فلما فتح باب الرض قال من أنت ؟ قال : أخوك ، قال : فطأطئ لي رأسك ، فطأطأ فعرفه ، فنزل إليه فمشى به سلكان نحو القوم ، وقال له سلكان : جعنا وأصابتنا شدة مع صاحبنا هذا ، فجئتك لأن تحدث معك ، ولأرهنك درعي في شعير ، فقال له كعب قد حدثتكم أنكم ستلقون ذلك ، ولكن نحن عندنا تمر وشعير وعبير، فأتونا ، فقال : لعلنا أن نفعل ، ثم أدخل سلكان يده في رأس كعب فشمها فقال : ما أطيب عبيركم هذا ! صنع ذلك مرة أو مرتين حتى أمّنه ، ثم أخذ سلكان برأسه أخذة فصاه منها ، فجار والله جارة رفيعة وصاحت امرأته ، وقال ياصباحاه ، فعانقه سلكان وقال : اقتلوا عدوّ الله ، فلم يزالوا يتخلصون

بأسيافهم حتى طعنه أحدهم في بطنه طعنة بالسيف ، خرج مصرانه ، وخلصوا إليه ، فضربوه بأسيافهم ، وكانوا في بعض مايتخلصون إليه وسلكان معانقه، أصابوا عابد بن بشر في يده أو في رجله ولايشعرون ، وخرجوا يشتدون سراعاً حتى إذا كانوا بجرف بعاث[1] فقدوا صحابهم ، ونزفه الدم ، فرجعوا فوجدوه من وراء الجرف ، فاحتملوه حتى أتو به أهلهم من ليلتهم ، فقتل الله ابن الآشرف ، بعد أذيته الله ورسوله ، وهجائه إياه ، وتأليبه قريشًا ، وإعلانه عليه قريشًا بذلك.

وخرج البيهقي[2] من طريق سفيان قال : حدثنا عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله تبارك وتعالى عنهما قال : قدم حيى بن أخطب ، وكعب بن الأشرف مكة على قريش فحالفوهم على قتال رسول الله ﷺ، فقالوا لهم أنتم أهل العلم القديم وأهل الكتاب ، فأخبرونا عنا وعن محمد ، قالوا : ما أنتم وما محمد ؟ قالوا نحن ننحر الكوماء ونسقي اللبن على الماء ونفك العناة ونسقي الحجيج ، ونصل الأرحام ، قالوا : فما محمد ؟ قالوا : صنبور قطع أرحامنا واتبعه سراق الحجيج بنو غفار ، قالوا : لا ، بل أنتم خير منهم وأهدى سبيلا فأنزل الله تعالى : ﴿ **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت** ﴾[3] إلى آخر الآية ، قال سفيان : وكان غفار أهل سلة [في الجاهليه[4]] يعني سرقة .

---

(١) جرف بعاث : اسم موضع على ميل من المدينة .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٣ / ١٩٣ - ١٩٤ ،باب ما جاء في قتل كعب بن الأشرف ، وكفايه الله عزّ و جلّ رسوله ﷺ والمسلمين شره .

(٣) النساء : ٥١ .

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (دلائل البيهقي) .

وخرج البخاري[1] من حديث سفيان قال عمرو : سمعت جابر بن عبد الله – رضي الله تبارك وتعالى عنه – يقول : قال رسول الله ﷺ : من لكعب ابن الأشرف فإنه قد أذى الله ورسوله ؟ فقام محمد بن مسلمة فقال : يارسول الله أتحب أن أقتله ؟ قال : نعم ، قال : فأذن لي أن أقول شيئاً ، قال ، فأتاه محمد بن مسلمة فقال : إن هذا الرجل قد سألنا صدقة وأنه قد عنانا ، وأني قد أتيتك استسلفك ، قال : وأيضاً والله لتملنه ، قال : إنا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى تنظر إلي أي شئ يصير أمره ، وقد أردنا أن تسلفنا وسقاً أو وسقين فقال : أرهنوني ، قال أي شئ تريد ؟ قال : أرهنوني نساءكم ! قال : كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب ؟ قال : فأرهنوني أبنائكم ، قال : كيف نرهنك

---

(١) (فتح الباري) : ٧ / ٤٢٧ ، كتاب المغازي ، باب (١٥) قتل كعب الأشرف ، حديث رقم (٤٠٣٧) ، قال السهيلي : في قصة كعب بن الأشرف قتل المعاهد إذا سب الشارع ، خلافاً لأبي حنيفة . قال الحافظ : وفيه نظرا ، وصنيع المصنف في الجهاد يعطي أن كعبًا كان محاربًا حيث ترجم لهذا الحديث : " الفتك بأهل الحرب " وترجم له أيضًا : " الكذب في الحرب" ، وفيه جواز قتل المشرك بغير دعوة إذا كانت الدعوة العامة قد بلغته ،وفيه جواز الكلام الذي يحتاج إليه في الحرب ، ولو لم يقصد قائله إلى حقيقته . (فتح الباري) .

وأخرجه مسلم في (صحيحه) : ١٢ / ٤٠٣ ، كتاب (الجهاد والسير) ، باب (٤٢) قتل كعب بن الأشرف طاغوت اليهود ، وقد استدل بهذا الحديث بعضهم على جواز قتل من بلغته الدعوة من الكفار ، وتبييته من غير دعاء إلى الإسلام . (شرح النووي) .

وأخرجه أبو داود في (السنن) : ٣ / ٢١١ – ٢١٢ ، كتاب الجهاد ، باب(١٦٩) في العدوّ يؤتى على غرة ويتشبه بهم ، حديث رقم (٢٧٦٨) . وفي هذا الحديث من الفقه إسقاط الحرج عن تأول الكلام فأخبر عن الشى بما لم يكن إذا كان يريد بذلك استصلاح أمر دينه ، أو الذود عن نفسه وذويه ، ومثل هذا الصنيع جائز في الكافر الذي لا عهد له ، كما جاز البيات والإغارة عليهم في أوقات الغفلة وأوان الغرة .

وكان كعب لهج بسب النبي ﷺ وهجائه فاستحق القتل مع كفره بسببه رسول ﷺ . (معالم السنن) .

أبناءنا فيسب أحدهم فيقال : رهن بوسق أو وسقين ؟ هذا عار علينا ولكن نرهنك اللأمة ، قال سفيان : يعني السّلاح ، فواعده أن يأتيه فجاءه ليلاً ومعـه أبـو نائلـة وهو أخو كعب من الرضاعـة - فدعـاهم إلـى الحصـن ، فنـزل إليهم فقـالت لـه امرأته : أين تخرج هذه الساعة ؟ فقال : إنما هـو محمـد بـن مسلمة وأخـي أبـو نائلة ، وقال غير عمرو ، قالت : أسمع صوتاً كأنه يقطر منه الـدم ، قـال : إنمـا هو أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة ، إن الكريم لودعي إلى طعنة بليـل لأجـاب ، قـال : ويدخـل محمـد بـن مسلمـة معه رجلين وقـال غـير عمـرو ، أبوعبس بن حيبر والحارث بن أوس وعباد بن بشر . قال عمـرو: جـاء برجليـن فقال إذا جاء فإني شام شعره فإذا رأيتموني استمكنت من رأسـه فدونكـم : قـال : فلما نزل وهو متوحش قال : إنا نجد منك ريح الطيب ، قال : نعم ، تحتي فلانة، هى أعطر نساء العـرب ، قـال : فتـأذن لـي أن أشـم منـه ؟ قـال : نعـم ، فشُمّ ، فتناول فشم ثم قال: أتأذن لي أن أعـود ؟ قـال : فاستكمنت مـن رأسـه ثـم قـال : دونكم ، قال : فقتلوه .

قال : ابن إسحاق[1] فاجتمع في قـتله محمـد بـن مسلمـة ، وسلكان بـن سلامة بن وقـش ، وهـو أبـو نائلـة ، حدثـني عبدالأشهـل وكـان أخـاً لكعـب مـن الرضـاعة ، وعباد بن بشر بن وقش ، وأبوعبس بن جبر، أخو بني حارثة .

قال ابن إسحاق : فحدثـني ثـور بـن يزيـد عـن عكرمـة عـن ابـن عبـاس رضي الله تبارك وتعـالى عنهمـا ، قـال بعثـني معهـم رسـول اللـه ﷺ إلـى بقيـع الغرقد ، ثم وجههـم قال : انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعنهم .

قال مؤلفه : ولقتل كعب بن الأشرف طرق كـثيرة ، وقـد تضمـن أربعـه أعلام من أعلام النبوة ، وهى : إخبار رسول الله ﷺ عن الله تعالى بما كان من تحريض كعب قريشاً بمكة علـى محاربـة رسـول اللـه ﷺ ، ودعائـه اللـه تعـالى بإعانة من بعثهم لقتله ، وأعانهم الله تعالى علـى ذلـك إجـابة لدعـاء المصطفـى ﷺ ، وثالثهـا دُعـاؤه ﷺ أن يكفيـه كعبـاً فكفـاه أمـره ، ثـم نفثـه ﷺ فـي جـرح الحارث بن أوس فلم يؤذه .

---

(١) (سيرة ابن هشام) : ٣ /٣٢٢ - ٣٢٣، مقتل كعب بن الأشرف .

وأما كفاية الله تعالى رسوله ﷺ دعثور بن الحارث إذ عزم على قتله وقد أمكنته الفرصة

فقال الواقدي في (مغازيه)[1]: حدثني محمد بن زياد بن أبي هنيدة ، حدثنا زيد بن أبي عتاب ، وحدثني عثمان بن الضحاك بن عثمان ، وحدثني : عبدالرحمن بن محمد بن أبي بكر عن عبيد الله بن أبي بكر، فزاد بعضهم على بعضٍ في الحديث ، وغيرهم قد حدثنا أيضاً ، قالوا : بلغ رسول الله ﷺ أن جمعاً من بني ثعلبه ومحارب بذي أَمَرّ[2] قد تجمعوا يريدون أن يصيبوا من أطراف رسول الله ﷺ ، جمعهم رجل منهم يقال له دعثور بن الحارث بن محارب ، فندب رسول الله ﷺ المسلمين وخرج في أربعمائة رجل وخمسين ، ومعهم أفراس ، فذكر الخبر إلى أن قال : وهربت منه الأعراب فوق الجبال وقبل ذلك ما قد غيبوا سرحهم في ذرى الجبال ، فلم يلاق رسول الله ﷺ أحداً، إلا أنه ينظر إليهم في رءوس الجبال ، فنزل رسول الله ﷺ ذا أمر وعسكر معسكره ، فأصابهم مطر شديد فذهب رسول الله ﷺ لحاجته فأصابه ذلك المطر فبَلّ ثوبه ، وقد جعل رسول الله ﷺ وادي ذي أمرّ بينه وبين أصحابه ، ثم نزع ثيابه فنشرها لتجف ، وألقاها على شجرة ثم اضطجع تحتها والأعراب ينظرون كل ما يفعل ، فقالت الأعراب لدعثور - وكان سيدها وأشجعها - : قد أمكنك محمد ، وقد انفرد من أصحابه حيث إن غوّث بأصحابه لم يُغَث حتى تقتل ، فاختار سيفاً من سيوفهم صارماً ، ثم أقبل مشتملاً بالسيف حتى قام على رأس النبي ﷺ بالسيف مشهوراً ، فقال : يامحمد ! من يمنعك مني اليوم ؟ قال : الله ! وقال : ودفع جبريل في صدره فوقع السيف من يده ، فأخذه رسول الله ﷺ وقام

---

(١) (مغازي الواقدي) : ١ /١٩٤ - ١٩٦. وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه .

(٢) موضع غزاه رسول الله ﷺ ، قال الوقدي : هو من ناحيه النخيل ، وهو بنجد من ديار غطفان، وكان رسول الله ﷺ خرج في ربيع الأول من سنة ثلاث للهجرة لجمع بلغه أنه اجتمع من محارب وغيرهم ، فهرب القوم منهم الى رؤوس الجبال ، وزعيمها دعثور بن الحارث المحاربي ، فعسكر المسلمون بذى أمرّ .

به على رأسه ، فقال : من يمنعك منى اليوم ؟ قال : لا أحد ، قال : فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والله لا أكثر عليك جمعاً أبداً ، فأعطاه رسول الله ﷺ سيفه ، ثم أقبل بوجهه فقال : أما والله لأنت خير مني ، قال : رسول الله ﷺ أنا أحق بذلك منك ، فأتى قومه فقالوا : أين ما كنت تقول ؟ وقد أمكنك والسيف في يدك ؟ فقال : قد والله كان ذلك ، ولكني نظرت إلى رجل أبيض طويل دفع في صدري ، فوقعت لظهري فعرفت أنه مَلَك ، وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ولا أكثر عليه ، وجعل يدعو قومه إلى الإسلام ونزلت هذه الآية فيه ، وهي قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذهم قوم أن يبسطوا إليكم أيدهم فكف أيدهم عنكم**﴾[1].. الآية ، وكانت غيبة النبي ﷺ إحدى عشرة ليلة . [واستحلف النبي ﷺ على المدينة عثمان بن عفان رضي الله تبارك وتعالى عنه] .

قال البيهقي: كذا قال الواقدي ، وقد روي في غزوة ذات الرقاع[2] قصة أخرى في الأعرابي الذي قام على رأسه بالسيف وقال : من يمنعك مني ؟ فإن كان الواقدي حفظ ماذكر في هذه الغزوة فكأنهما قصتان . قال المؤلف رحمه الله : وذكر الواقدي قصة ثالثة في غزوة حنين[3] سيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى ، والحمد الله رب العالمين .

---

(١) المائدة : ١١ .

(٢) (مغازي الواقدي) : ١ /٣٩٥ .

(٣) (مغازي الواقدي) : ٣ / ٨٥٥ .

وأما إخباره ﷺ بإستشهاد زيد بن صوحان العبدي(١)

فخرج البيهقي(٢) من حديث الهذيل بن بلال المدائني الفزاري ، عن عبد الرحمن بن مسعود العبدي ، عن على رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من سرهُ أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة سبقه بعض أعضائه إلى الجنة فلينظر إلى زيد بن صوحان .

قال البيهقي : هذيل بن بلال غير قوي(٣) . قال المؤلف : قال ابن معين ليس بشئ وقال البخاري : سمع منه ابن مهدي وأبوداود . وقال النسائي : ضعيف . وقال ابن عدي : وليس في حديثه حديث منكم .

وقال أبو عمر بن عبدالبر: وروى من وجوه أن النبي ﷺ كان في مسير له فبينما هو يسير إذ هّوم فجعل يقول : زيد وما زيد ، جندب وماجندب ، فسئل عن ذلك فقال : رجلان من أمتي ؛ أما أحدهما فتسبقه يده أو قال : بعض جسده إلى الجنة ، ثم يتبعه سائر جسده ، وأما الآخر فيضرب ضربة يفرق بها بين الحق والباطل .

قال أبو عمر : أصيبت يد زيد يوم جلولاء(٤) ثم قتل يوم الجمل مع عليّ رضي الله تبارك وتعالى عنه ، وجندب قاتل الساحر .

---

(١) ذكره ابن حجر في (الاصابة) : ٢ /٦١٠ ، ترجمة رقم (١٩١٢) وقال : يقال: إن له صحبة .
وقال ابن عبد البر : ولا أعلم له صحبة ، ولكنه ممن أدرك النبي ﷺ بسنه مسلمًا ، وكان فاضلًا ديناً سيداً في قومه هو وإخوته . (الاستيعاب) : ٢ /٥٥٥ -٥٥٧ ، ترجمة رقم (٨٥٢) .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٦ / ٤١٦ - ٤١٧ ، باب ما روي في إخباره ﷺ عن قتل زيد بن صوحان شهيداً ، فكان كما أخبر ، قتل يوم الجمل .

(٣) ترجمته في : (ميزان الاعتدال) : ٤ / ٢٩٤ ، ترجمة رقم (٩٢١٣) ، ضعفه النسائي والدارقطني . وقال يحيى ليس بشى ، وقال ابن حبان : يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل ، فصار متروكاً . قال أحمد : لا أرى به بأساً . وقال أبو زرعه : ليس بالقوى . =

وللبيهقي[١] من حديث إسحاق الأزرق قال : حدثنا عوف عن ابن سيرين قال : قال خالد بن الواشمة : لما فرغ من أصحاب الجمل ونزلت عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - منزلها دخلت عليها فقلتُ : السلام عليك يا أم المؤمنين فقالت : من هذا ؟ قلت : خالد بن الواشمة ، قالت : مافعل طلحة؟ قلت أصيب ! قالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ورحمه الله ، قالت مافعل الزبير ؟ قلت أصيب ! قالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، يرحمه الله ، قلت : بل نحن لله وإنا إليه راجعون في زيد بن صوحان ، قالت : وأصيب ؟ قلت : نعم ، قالت : إنا لله وإنا إليه راجعون - يرحمه الله - فقلت : يا أم المؤمنين ذكرتُ طلحة فقلت : يرحمه الله ، وذكرت الزبير فقلت : يرحمه الله ، وذكرت زيداً فقلت : يرحمه الله ، وقد قتل بعضهم بعضاً ، والله لايجمعهم الله في الجنة أبداً، قالت : أو لا تدري أن رحمة الله واسعة وهو على كل شئ قدير ؟ .

وخرجه من طريق إسحاق ، حدثنا ابن عون عن ابن سيرين عن خالد بن الواشمة بنحوه[٢] .

وقال ابن عبدالبر[٣] : روى إسماعيل بن عليه عن أيوب عن محمد بن سيرين قال أنبئت أن عائشة [أم المؤمنين][٤] - رضي الله تبارك وتعالى عنها- سمعت [كلام][٥] خالد يوم الجمل فقالت : خالد بن الواشمة ؟ قال : نعم، قالت : أنشدك الله ، أصادق أنت إن سألتك ؟ قلت : نعم ، وما يمنعني أن أفعل؟ قالت : مافعل طلحة ؟ قلت : قتل . قالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، قلت : بل

= (٤) اسم موضع في طريق خراسان ، بها كانت الوقعة المشهورة على الفرس للمسلمين سنة (١٦) فسميت : جلولاء الوقيعة ، لما أوقع بهم المسلمون . (معجم البلدان) : ٢ / ١٨١ ، موضع رقم (٣١٩٨) مختصراً .

(١) (دلائل البيهقي) : ٦ /٤١٦ -٤١٧ .

(٢) (المرجع السابق) .

(٣) (الاستيعاب) : ٥٥٧/٢ ، ترجمة زيد بن صوحان رقم (٨٥٢) .

(٤) مابين الحاصرتين زيادة للسياق من (المرجع السابق) .

(٥) في (الأصل) : " سمعت خالداً " ، وما أثبتناه من (المرجع السابق) .

نحن لله ونحن إليه راجعون على زيد وأصحاب زيد ، قالت : زيد بن صوحان؟ قلت : نعم ، قالت : له خير ، فقلت : والله لايجمع بينهم في الجنة أبداً ، قالت : لا تقل[١]، فإن رحمة الله واسعه وهو على كل شئ قدير .

وأما إنذاره ﷺ بوقعة صفين

فَخَرَّج البخاري[٢] من حديث شعيب ، حدثنا أبو الزناد عن عبدالرحمن ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : لاتقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة ، دعواهما[٣] واحدة وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين ، كلهم يزعم أنه رسول الله ، وحتى يقبض العلم ، وتكثر الزلازل ، ويتقارب الزمان ، وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل وحتى يكثر فيكم المال [فيفيض][٤] ، حتى يهم بهم صاحب[٥] المال من يقبل صدقته وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه : لا أرب لي به ، وحتى يتطاول الناس في البنيان ، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه ، وحتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس آمنت أجمعون ، فذلك حين﴿**لاينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً**﴾[٦] أولتقو منّ الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولايطويانه ، ولتقومنّ الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ، ولتقومنّ الساعة

---

(١) في (الأصل) : " لاتفعل " ، وما أثبتناه من (المرجع السابق) .

(٢) (فتح الباري) : ١٠٢/١٣ ، كتاب الفتن ، باب (٢٥) بدون ترجمة حديث رقم (٧١٢١) .
والمراد بالفئتين : علي ومن معه ، ومعاوية ومن معه ، ويؤخذ من تسميتهم مسلمين ، ومن قوله: دعوتهما واحدة ، الرد على الخوارج ومن تبعهم في تكفيرهم كلاً من الطائفتين . (فتح الباري) .

(٣) في (المرجع السابق) : " دعوتهما " ، وما أثبتناه من (الأصل) .

(٤) زيادة للسياق من (البخاري) .

(٥) في (البخاري) : " رب " .

(٦) الأنعام : ١٥٨ .

وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه[1] ولتقومنّ الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها . هكذا ذكر البخاري هذا الحديث مجتمعاً .

وذكره مسلم[2] أو أكثره مفرقاً في كتاب الفتن وغيره من كتابه ، فخرج في كتاب الفتن من حديث عبد الرزاق ، حدثنا معمر عن همام بن منبه قال : هذا ماحدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ فذكر أحاديث منها ، وقال رسول الله ﷺ : لاتقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة ، دعواهما واحدة .

وخرجة البخاري[3] في كتاب استتابه المرتدين والمعاندين وقتالهم ، من حديث سفيان ، حدثنا أبو الزناد عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، قال رسول الله ﷺ : لاتقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان دعواهما واحدة . وخرجه في باب علامات النبوة في الإسلام[4] من حديث شعيب عن الزهري أخبرني أبو سلمة بن عبدالرحمن أن أباهريرة قال : قال رسول الله ﷺ : لاتقوم الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة .

ومن حديث عبدالرزاق[5] أنبأنا معمر عن همام ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : لاتقوم الساعة حتى تقتتل فئتان فتكون بينهما مقتلة عظيمة ،

---

(١) في (الأصل) : " منه " .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٥٧) في الزكاة ، باب الترغيب في الصدقه قبل أن لا يوجد من يقبلها ، وفي الإيمان ، باب بيان الزمن الذي لايقبل فيه الإيمان ، رقم (٢٩١٢) ، (٢٩٢٢) ، (١٥٧) في الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمني أن يكون مكان الميت من البلاء . (جامع الأصول) : ٤٠٥/١٠ ، في أحاديث جامعة لأشراط الساعة ، تعليقًا على الحديث رقم (٧٩٢٠) .

(٣) (فتح الباري) : ٣٧٤/١٢ . كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم ، باب (٨) قول النبي ﷺ : لاتقول الساعة حتى تقتل فئتان دعواهما واحدة ، حديث رقم (٦٩٣٥) .

(٤) (فتح الباري) : ٧٦٤/٦ ، كتاب المناقب ، باب (٢٥) علامات النبوة في الإسلام ، حديث رقم (٣٦٠٨) .

(٥) (المرجع السابق) : حديث رقم (٣٦٠٩) .

دعواهما واحدة ، ولاتقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريباً من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله .

وخرج الحافظ أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عساكر من حديث عبد السلام عن حرب عن يزيد بن أبي خالد الدالاني ، عن مالك بن الحويرث ، عن أبي هريرة قال : بلغني أن رسول الله ﷺ ، ذكرفتنة فقربها ، قال : فأتيته بالبقيع وعنده أبوبكر ، وعمر ، وعليّ ، وطلحة ، والزبير ، رضي الله تبارك وتعالى عنهم ، فقلت : يارسول الله بلغنى أنك ذكرت .. قال : نعم ، كيف أنتم إذا اقتتلت فئتان دينهما واحد ، وحجمهما واحد ، قال أبوبكر : أدركها يارسول الله ؟ قال : لا ، قال : الله أكبر ، قال عمر : أدركها يارسول الله ؟ قال : لا ، قال : الحمد لله ، قال عثمان : أدركها يارسول الله ؟ قال : نعم وبك يبتلون ، وبك يقتتلون ، قال عليّ : أدركها يارسول الله ؟ قال : نعم ، تقود الخيل بأزمتها .

وخرجه الحافظ أبونعيم قال : حدثنا سليمان بن أحمد اللخمي ، حدثنا أحمد بن عبدالوهاب بن نجده الحوطي ، حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا صفوان بن عمرو ، حدثنا ماعز التميمي قال : سمعت جابر بن عبدالله يقول خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار وهو ينتظرها ، قال : كيف لو رأيتم خيلين من الناس يقتتلان دعواهما واحدة وأصلهما واحد ؟ قال : يكون هذا ؟ قال : نعم ، قال أبوبكر رضي الله تبارك وتعالى عنه : أأدرك ذلك يارسول الله؟ قال : لا ، قال عمر رضي الله تبارك وتعالى عنه : أفأدرك أنا ذلك يارسول الله؟ قال : بك يبتلون ، قال عليّ رضي الله تبارك وتعالى عنه ، أفأدرك أنا ذلك يارسول الله؟ قال : أنت القائد لها والآخذ بزمامها .

وذكر البيهقي(١) من طريق يعقوب بن سفيان حدثنا أبو اليمان ، حدثنا صفوان بن عمرو ، قال : كان أهل الشام ستين ألفاً فقتل منهم عشرون ألفاً ، وكان أهل العراق مائة وعشرين ألفا قُتل منهم عشرون ألفا .

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٤١٨/٦ - ٤١٩ ، باب ماجاء في إخباره ﷺ باقتتال فئتين عظيمتين تكون بينهما مقاتلة عظيمة ، ودعواهما واحدة ، فكان كما أخبر في حرب صفين .

وأما إخباره ﷺ بأن عمار بن ياسر رضي الله تبارك وتعالى عنه تقتله الفئة الباغية ، فقتله أهل الشام بصفين

فخرج مسلم(١) من حديث محمد بن جعفر قال : حدثنا شعبة عن أبي مسلمة قال : سمعت أبا نضرة يحدث عن أبي سعيد الخدري قال : أخبرني من هو خير مني ، أن رسول الله ﷺ قال لعمار بن ياسر حين جعل يحفر الخندق وجعل يمسح رأسه ويقول : بؤس ابن سمية تقتلك فئة باغية .

ومن حديث خالد بن الحارث والنضر بن شميل عن شعبة ، عن أبي مسلمة بهذا الإسناد نحوه ، غير أن في حديث النضر قال : أخبرني من هو خير مني أبوقتادة .

وفي حديث خالد بن الحرث قال : أراه يعني أبا قتادة . وفي حديث خالد ويقول : ويس أو يا ويس ابن سمية(٢) .

وخرج من حديث غندر وعبد الصمد بن عبد الوارث كلاهما قالا: حدثنا شعبه : قال : سمعت خالد الحذاء عن سعيد بن أبي الحسن والحسن ، عن أمه عن أم سلمة رضي الله تبارك وتعالى عنها أن رسول الله ﷺ قال لعمار : تقتلك الفئة الباغية(٣) .

ومن حديث إسماعيل بن إبراهيم(٤) عن ابن عون ، عن الحسن ، عن أمه ، عن أم سلمة قالت : قال رسول الله ﷺ : تقتل عماراً الفئة الباغية .

وخرج البخاري(٥) في كتاب الصلاة ، في باب التعاون في بناء المسجد، من حديث مسدد قال : حدثنا عبد العزيز بن جمعان(٦) قال : حدثنا خالد الحذاء

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ١٨/٢٥٥ - ٢٥٦ ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب (١٨) لاتقوم الساعة حتى يمر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء ، حديث رقم (٧٠) .

(٢) (المرجع السابق) : حديث رقم (٧١) .

(٣) (المرجع السابق) : حديث رقم (٧٢) .

(٤) (المرجع السابق) : حديث رقم (٧٣) .

=

عن عكرمة قال : قال لي ابن عباس رضي الله تبارك وتعالى عنهما ولابنه عليّ : انطلقا إلى أبي سعيد فاسمعا من حديثه ، فانطلقنا ، فإذا في حائط له يصلحه ، فأخذ رداءه فاحتبى ، ثم أنشأ يحدثنا ، حتى أتى على ذكر بناء المسجد، فقال : كنا نحمل لبنة لبنة ، وعمار يحمل لبنتين [لبنتين][1] ، فرآه النبي ﷺ فينفض التراب عنه ويقول : ويح عمار تقتله الفئة الباغية ، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار ! قال : يقول عمار : أعوذ بالله من الفتن .

وخرجه في الجهاد[2] من حديث عبدالوهاب ، حدثنا خالد عن عكرمة أن ابن عباس قال له ولعليّ بن عبد الله : ائتيا أبا سعيد فاسمعا من حديثه . فأتيناه وهو وأخوه في حائط لهما يسقيانه ، فلما رآنا جاء فاحتبى وجلس فقال : كنا ننقل لبن المسجد لبنة لبنة ، وكان عمار ينقل لبنتين لبنتين ، فمر به النبي ﷺ ومسح عن رأسه الغبار ، وقال : ويح عمار تقتله الفئة الباغية ، يدعوهم إلى الله ويدعونه إلى النار ! .

وخرج البيهقي[3] من طريق يوسف الماجشون ، عن أبيه ، عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر ، عن مولاةٍ لعمار قالت : اشتكى عمار شكوى أرق منها فغشي عليه ، فأفاق ، ونحن نبكي حوله ، فقال : ما تبكون ،

---

(٥) (فتح الباري) : ٧١٢/١ ، كتاب الصلاة ، باب (٦٣) التعاون في بناء المسجد ، حديث رقم (٤٤٧) ، وفيه ماكان السلف عليه من التواضع وعدم التكبر ، وتعاهد أحوال المعاش بأنفسهم ، والاعتراف لأهل الفضل بفضلم ، وإكرام طلبة العلم ، وتقديم حوائجهم على حوائج أنفسهم .

(٦) في (البخاري) : " ابن مختار " .

(١) زيادة للسياق من (البخاري) .

(٢) (المرجع السابق : ٣٦/٦ ، كتاب الجهاد باب (١٧) مسح الغبار عن الرأس في سبيل الله تبارك وتعالى حديث رقم (٢٨١٢) .

(٣) (دلائل البيهقي) : ٤٢١/٦ ، باب ماجاء في إخباره عن الفئة الباغية منهما ، بما جعله علامة كمعرفتهم ، وأخرجه الإمام أحمد في (المسند) : ٤١٨/٥ ، حديث رقم (١٨٤٠٤) ، من حديث عمار بن ياسر رضي الله تبارك وتعالى عنه .

أتخشون أن أموت على فراشي ؟ أخبرني حبيبي ﷺ أنه تقتلني الفئة الباغية ، وأن آخر أدمى من الدنيا مذقة من لبن .

ومن حديث أبي نعيم[1] ومحمد بن كثير قالا : حدثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت ، عن البحتري أن عمار بن ياسر أتى بشربة من لبن فضحك ، فقيل له مايضحك ؟ فقال : إن رسول الله ﷺ قال : آخر شراب أشربه حتى أموت .

وخرجه الحاكم[2] وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وللبيهقي[3] من حديث يعقوب بن سفيان قال : حدثنا أبوبكر بن أبي شيبة ، حدثنا وكيع عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي البحتري قال : لما كان يوم صفين ، واشتد الحرب قال عمار : ائتوني بشراب أشربه ، ثم قال : إن رسول الله ﷺ قال : آخر شراب تشربه من الدنيا شربة لبن ، ثم تقدم فقتل .

وخرج الحاكم[4] من طريق محمد بن عمر قال :حدثني عبد الله بن أبي عبيدة عن أبيه ، عن لؤلؤة مولاة أم الحكم ابنة عمار بن ياسر قالت : لما كان اليوم الذي قتل فيه عمار والراية يحملها أبوهاشم بن عتبة ، وقد قتل أصحاب عليّ رضي الله تبارك وتعالى عنه ذلك اليوم حتى كان العصر ، ثم تقدم عمار بن ياسر ورأى أباهاشم تقدمه ، وقد جنحت الشمس للغروب ، ومع عمار ضيح من لبن ينتظر وجوب الشمس أن يفطر فقال حين وجبت الشمس وشرب الضيح : سمعت رسول الله ﷺ يقول آخر زادك من الدنيا ضيح من لبن ، قال : ثم اقترب فقاتل حين قتل وهو ابن أربع وتسعين سنة .

---

(١) (المرجع السابق) .

(٢) (المستدرك) : ٤٣٩/٣ ، كتاب معرفة الصحابة ، ذكر مناقب عماربن ياسر رضي الله تبارك وتعالى عنه ، حديث رقم (٥٦٦٩) ، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : على شرط البخاري ومسلم .

(٣) (دلائل البيهقي) : ٤٢١/٦ .

(٤) (المستدرك) : ٤٣٥/٣ ، كتاب معرفة الصحابة ، ذكر مناقب عماربن ياسر رضي الله تبارك وتعالى عنه ، حديث رقم (٥٦٥٧) ، أورده الحافظ الذهبي في (التلخيص) مختصرًا .

قال ابن عمر[1]: وحدثني عبد الله بن الحارث عن أبيه عن عمارة بن خزيمة بن ثابت قال : شهد خزيمة بن ثابت رضي الله تبارك وتعالى عنه يوم الجمل وهو لايسلّ سيفًا [وشهد صفين][2] فقال : أن لا أضل أبداً بقتل عمار ، قال خزيمة : قد حانت له الضلالة ثم اقترب فقاتل حتى قتل .

وكان الذي قتل عمار أبوغادية المزني ، طعنه برمح فسقط ، وكان يومئذ يقاتل وهو ابن أربع تسعين سنة ، فلما وقع أكب عليه رجل آخر فاحتز رأسه فأقبلا يختصمان ، كلاهما يقول : أنا قتلته ، فقال عمرو بن العاص رضي الله تبارك وتعالى عنه : والله إن تختصمان إلا في النار ، فسمعها منه معاوية رضي الله تبارك وتعالى عنه ، فلما انصرف الرجلان قال معاوية لعمرو : وما رأيت مثل ما صنعت يوم بذلوا أنفسهم دوننا ، تقول لهم : إنكم تختصمان في النار ، فقال له عمرو : والله ذاك ، والله إنك لتعلمه ، ولوددت أني مت من قبل هذا بعشرين سنة . يقال : إن الذي قتلة ابن الحارث وشريك بن سُميّ اشتركا فيه .

وخرج الحاكم[3] وأحمد[4] من طريق عبدالرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه أخبره قال : لما قتل عمار بن ياسر دخل عمرو بن حزم على عمرو بن العاص فقال : قتل عمار وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : تقتله الفئه الباغية ، فقال له معاويه : أنحن قتلناه ؟ إنما قتله عليّ وأصحابه ، جاءوا به حتى ألقوه بين رماحنا ، أو قال : سيوفنا .

قال الحاكم : صحيح على شرطهما ولم يخرجاه بهذه السياقة .

---

(١) (المرجع السابق) .

(٢) زيادة للسياق من (المرجع السابق) .

(٣) (المرجع السابق) : ٤٣٦ ، حديث رقم (٥٦٥٩) وقال : صحيح على شرطها ، ولم يخرجاه بهذه السياقة ، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : على شرط البخاري ومسلم .

(٤) (مسند أحمد) : ٥/٢٢٤ ، حديث رقم (١٧٣٢٤) من حديث عمرو بن العاص رضي الله تبارك وتعالى عنه .

قال المؤلف – رحمه الله : إن كان عليّ رضي الله تبارك وتعالى عنه هو الذى قتل عماراً إلا أنه جاء به حتى قاتل فقتل ، فقياسه أن يكون رسول الله ﷺ هو الذي قتل [حمزة]، لأنه هو الذي جاء به حتى قتل يوم أحد ، ومعاذ الله من ذلك ، فما قتل عماراً إلا البغاه أهل الشام كما قتل حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء مشركو مكة .

وخرّج الحاكم(١) من حديث عطاء بن مسلم الحلبي قال : سمعت الأعمش يقول : قال أبو عبد الرحمن السلمي : شهدت صفين فكنا إذا تواعدنا دخل هؤلاء في عسكر هؤلاء ، ودخل هؤلاء في عسكر هؤلاء ، فرأيت أربعة يسيرون : معاوية بن أبي سفيان ، وأبو الأعور السلمي ، وعمرو بن العاص ، وابنه ، فسمعت عبدالله بن عمرو يقول لأبيه عمرو : قد قتلنا هذا الرجل وقد قال رسول الله ﷺ فيه ما قال! قال : أي رجل ؟ قال عمار بن ياسر ، أما تذكر يوم بني رسول الله ﷺ المسجد فكنا نحمل لبنة لبنة ، وعمار يحمل لبنتين لبنتين ، وأنت ممن حضر ، قال : أما إنك ستقتلك الفئة الباغية وأنت من أهل الجنة، فدخل عمرو على معاوية فقال : قتلنا هذا الرجل وقد قال فيه رسول الله ﷺ ما قال ؟ فقال : اسكت فوالله ماتزال ترحض في بولك ! أنحن قتلناه ؟ إنما قتله عليّ وأصحابه ، جاءوا به حتى ألقوه بيننا .

قال المؤلف – رحمه الله – : إني لأعجب كيف ذهل الحاكم أبو عبد الله عن هذا الوهم ؟ فإن عمرو بن العاص لم يحضر بناء مسجد رسول الله ﷺ بلا خلاف ، فإنه كان يوم بنائه على دين قومه ، وإنما أسلم بعد ذلك بسنتين في سنة ثمان قبل الفتح ، وقيل : أسلم بين الحديبية وخيبر ، وقيل: أسلم عام خيبر ، والصحيح أنه أسلم في صفر سنة ثمان قبل الفتح بسته أشهر ، ولا خلاف في أن رسول الله ﷺ بني مسجده عند قدومه إلى المدينة مهاجراً .

---

(١) (المستدرك) : ٣/٤٣٦ – ٤٣٧ ، كتاب معرفة الصحابة ، ذكر مناقب عمار بن ياسر رضي الله تبارك وتعالى عنه ، حديث رقم (٥٦٦٠) ، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : هو كما ترى خطأ ، فأين كان عمرو وابنه يوم بناء المسجد ؟ وعطاء ضعفه أبو داود .

وخرج أيضاً من حديث ابن وهب قال : أخبرني إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن جده ، سمعت عمار بن ياسر بصفين في اليوم الذي قتل فيه وهو ينادي : أزلفت الجنه ، وزوجت الحور العين ، اليوم نلقي حبيبنا محمداً ، عهد إليّ إن آخر زادك من الدنيا ضيح من لبن[١] . قال الحاكم : صحيح على شرطهما ولم يخرجاه .

وخرج من حديث أبي أسامة ، حدثنا مسلم بن عبدالله الأعور عن حبة العرني قال : دخلنا مع أبي مسعود الأنصاري على حذيفة بن اليمان أساله عن الفتن فقال : دوروا مع كتاب الله حيث دار ، وانظروا الفئه التي فيها ابن سيمة فاتبعوها فإنه يدور مع كتاب الله حيث ما دار . قال : فقلنا له : ومن ابن سمية؟ قال : عمار بن ياسر فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول له لن تموت حتى تقتلك الفئة الباغية ، تشرب شربة ضياح تكون آخرَ رزقك من الدنيا[٢].

ولعبدالرزاق عن معمر ، عن من سمع الحسن يحدث عن أبيه عن أم سلمة رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت : كان رسول الله ﷺ وأصحابه يبنون المسجد فجعل أصحاب النبي ﷺ يحمل كل رجل منهم لبنة [ويحمل عمار لبنتين] فقام إليه النبي ﷺ فمسح ظهره ، وقال : ابن سمية لك أجران[٣] وللناس أجر ، آخر زادك شربة من لبن وتقتلك الفئة الباغية .

وخرج البيهقي[٤] من حديث عمار الدّهني عن سالم بن أبي الجعد قال جاء رجل إلى عبدالله بن مسعود رضي الله تبارك وتعالى عنه فقال : يا أبا عبدالرحمن! إن الله قد أمَّنَا من أن يظلمنا ، ولم يؤمننا من أن يفتننا ، أرأيت إن أدركت فتنة ؟ قال : عليك بكتاب الله ، قال : أرأيت إن كان كلهم يدعو إلى

---

(١) (المستدرك) : ٤٣٩/٣ ، حديث رقم (٥٦٦٨) ، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص): على شرط البخاري ومسلم .

(٢) (المرجع السابق) : حديث رقم (٥٦٧٦) ، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : صحيح .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) (دلائل البيهقي) : ٤٢١/٦ - ٤٢٢ ، باب ماجاء في إخباره عن الفئة الباغية منهما بما جعله علامة لمعرفتهم .

كتاب الله؟ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا اختلفت الناس كان ابن سُمية مع الحق .

ومن طريق عبدالرزاق قال : أخبرنا ابن عيينة قال : أخبرني عمرو بن دينار عن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة قال : قال عمر لعبد الرحمن بن عوف - رضي الله تبارك وتعالى عنهما : أما علمت أنا كنا نقرأ : ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده﴾[1] " في آخر الزمان كما جاهدتم في أوله " قال: فقال عبد الرحمن ومتى ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : إذا كان بنو أمية الأمراء وبنو المغيرة الوزراء[2] .

وأما إخباره ﷺ بالحكمين اللذين حكما بين عليّ ومعاوية بعد صفّين

فخرج البيهقي[3] من حديث قتيبة بن سعيد قال : حدثنا جرير عن زكريا بن يحيى[4] ، عن عبدالله بن يزيد ، وحبيب بن يسار عن سويد بن غفلة قال : إني لأمشي مع عليّ رضي الله تبارك وتعالى عنه بشط الفرات ، فقال : قال رسول الله ﷺ : إن بني إسرائيل اختلفوا فلم يزل اختلافهم بينهم حتى بعثوا حكمين فضلاً وأضلاً ، وأن هذه الأمة ستختلف ، فلا يزال اختلافهم بينهم حتى

(١) الحج : ٧٨

(٢) (المرجع السابق) : ٤٢٢ .

(٣) (دلائل البيهقي) : ٤٢٣/٦ ، باب ماجاء في إخباره ﷺ عن الحكمين اللذين بعثا في زمان عليّ رضي الله تبارك وتعالى عنه .

(٤) ترجمته في (ميزان الاعتدال) : ٧٥/٢ ، وفيه : زكريا بن يحيى الكندي ، عن الشعبي ، قال يحيى : ليس بشئ ، قلت : وكان ضريرًا .

بعثوا حكمين فضلاً وأضلاً ، وأن هذه الأمه ستختلف ، فلا يزال اختلافهم بينهم حتى يبعثوا حكمين ، ضلاً وضلّ من اتبعهما [١] .

وفي (كتاب صفين) ، حدثنا عبدالرحمن المسعودي عن صفوان بن موسى البارقي عن سويد بن غفلة ، قال : كنت أساير أبا موسى الأشعري على شاطئ الفرات فقال : ياسويد حدثني ، فقلت : أحدثك وأنت صاحب رسول الله ﷺ ؟ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الفتن لم تزل ببني إسرائيل تخفضهم وترفعهم ، حتى حكموا حكمين ضلا وضل من اتبعهما ، وإن الفتن لم تزل بهذه الأمة تخفضهم وترفعهم ، حتى يحكما حكمين يضلان ويضل من تبعهما ، قال سويد بن غفلة: فقلت : يا أبا موسى فلعل أحدهما ، قال : فأخذ بأسفل ثوبه ثم قال: اللهم يوم يكون أبو موسي ذلك فلا تجعل له في السماء مصعداً ولا في الأرض مهبطاً ، فقال سويد : فما مات حتى رأيته أحدهما [٢] .

---

(١) وعن البيهقي نقله الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) : ٦/٢٤٠ - ٢٤١ وقال : هكذا أورده ولم يبين شيئًا من أمره ، وهو حديث منكر جدًا ، وآفته من زكريا بن يحيى هذا ، وهو الكندي الحميري الأعمي . قال ابن معين : ليس بشئ .

والحكمان كانا من خيار الصحابة وهما عمرو بن العاص السهمي ، من جهة أهل الشام ، والثاني أبوموسى عبدالله بن قيس الأشعري ، من جهة أهل العراق ، وإنما نصبا ليصلحا بين الناس ويتفقا على أمر فيه رفق بالمسلمين ، وحقن لدمائهم ، وكذلك وقع ، ولم يضل بسببها إلا فرقة الخوارج من حديث أنكروا على الأميرين التحكيم ، وخرجوا عليهما وكفروهما. حتى قاتلهم علي بن أبي طالب ، وناظرهم ابن عباس ، فرجع منهم شرذمة إلى الحق ، واستمر بقيتهم حتى قتل أكثرهم بالنهروان وغيره من المواقف المرذولة عليهم .

(٢) راجع التعليق السابق .

وأما إخباره ﷺ بأن مارقة تمرق بين طائفتين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق فخرجوا على عليّ رضي تبارك وتعالى الله عنه وقتلهم فاقتضي ذلك أنه رضي الله تبارك وتعالى عنه على الحق

فخرج مسلم[1] من حديث القاسم بن الفضل الحداني قال : حدثنا أبو نضرة ، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله تبارك وتعالى عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلهم أولى الطائفتين بالحق .

وخرج من حديث أبي عوانه[2] عن قتادة ، عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدريّ قال : قال رسول الله ﷺ : تكون في أمتي فرقتان فتخرج من بينهما مارقه يلي قتلهم أولاهم بالحق .

ومن حديث سفيان عن حبيب[3] بن أبي ثابت عن الضحاك المشرقي عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي ﷺ في حديث ذكر فيه قوماً يخرجون على فرقة مختلفة يقتلهم أقرب الطائفتين من الحقّ .

وخرج البيهقي[4] من طريق يعقوب بن سفيان الحميدي ، حدثنا سفيان عن مجالد بن سعيد ، عن الشعبي قال : خطبنا الحسن بن على بالنخيلة حين صالح معاوية فقام فحمد الله وأثني عليه ، ثم قال : إن أكيس الكيس التّقي ، وإن أعجز العجز الفجور ، وإن هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية حق أتركه لمعاوية

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ١٧٤/٧ ، كتاب الزكاة ، باب (٤٧) ذكر الخوارج وصفاتهم ، حديث رقم (١٥٠) .

(٢) (المرجع السابق) : حديث رقم (٥١) .

(٣) (المرجع السابق) : حديث رقم (١٥٢) ، (١٥٣) .

(٤) (تاريخ الطبري) : ١٦٣/٥ ، أحداث سنة (٤١) .

إرادة استصلاح المسلمين وحقن دماءهم ، ﴿ **وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاعٌ إلى حين** ﴾[١] أقول قولي هذا ، وأستغفرالله لي ولكم .

وخرج من طريق حماد بن واصل قال : حدثتني فاطمة بنت الحارث عن أبيها أن علياً – رضي الله تبارك وتعالى عنه – كان يقول : الحسن – رضي الله تبارك وتعالى عنه – خالع سرباله .

ومن طريق محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، قال : سمعت يزيد بن حمير يحدث أنه سمع عبدالرحمن بن جبير يحدث عن أبيه قال : قلت للحسن بن علي: إن الناس يقولون إنك تريد الخلافة قال : قد كان جماجم العرب في يدي يحاربون من حاربت ويسالمون من سالمت تركتها ابتغاء وجه الله وحقن دماء أمة محمد ، ثم ابتزها بأتياس أهل الحجارة .

قال المؤلف – رحمه الله : كان أبو عبدالله الحسن بن عليّ – رضي الله تبارك وتعالى عنه – أعلم بالله وأخوف له وأشحّ على دينه وأفقه من أن يأخذ بالإمامة التي وجبت له من الله ورسوله عرضاً من الدُنيا ، أو يعتاض بها شيئاً من معاوية ، وإنما كان الأمر في ذلك أنه ندب الناس إلي حرب معاوية وجهد فيه ووجّه قيس بن سعد وعبد الله بن عباس على مقدمته ، وأتبعهم بنفسه مرتحلاً في عسكره فاختلف أصحابه عليه ميلاً منهم إلى إيثار الدنيا ، وغشوه وكاتبو معاوية ، وسألوه الدنيا الخبيثة ، ثم وثبوا على الحسن فانتبهوا رحله ، فلما لم يجد رحمهُ الله للحق ناصراً ، ولا لدينِ الله ثائراً ، ولا معيناً ، إلاشرذمة قليلة ، خاف إن هو حارب بهم أن يصطلموا فلم يبق لدين الله ناصر ، ولاداعٍ إليه ، ولا قائم بحقه ، فضن بأهل بيته عن الهلكة ، كما فعل أبوه أمير المؤمنين ، علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه ، فلما رأى الحسن رضي الله تبارك وتعالى عنه من فعل من معه ، ما استدل به على خلافهم له ، وميلهم

---

(١) الأنبياء : ١١١ .

وأخرجه البيهقي في (الدلائل) : ٦/٤٤٤ – ٤٤٥ ، باب ماجاء في إخباره ﷺ بسيادة ابن ابنته الحسن بن عليّ بن أبي طالب رضي الله تبارك وتعالى عنهما ، وإصلاحه بين فئتين عظيمتين من المسلمين فكان كما أخبر .

عنه إلى الدنيا ، وزهدهم في الآخرة ، ورفضهم الحق ، لم يسعه فيما بينه وبين الله عز وجل إلا الإبقاء على نفسه وأهل بيته فراوغ حينئذ معاوية ، ووثق في الشرط عليه ، والأمان للناس جميعاً ، وأخذ عليه أشد ما أخذ الله على أحد بالوفاء ، إعطاء من نفسه ، مثل ما دخل فيه عليّ رضي الله تبارك وتعالى عنه من الشورى ، فتنبهْ رحمكَ الله لما أوضحته ، ولاتكن كأحد اثنين : أحدهما يرى أن الحسن حين رغب ، عن معاوية حتى أنبه وقال : يامُسود وجوه المؤمنين[1]! والثاني لقلة تفطنه أن الحسن باع الإمامة بعرض من الدنيا حتى لقد جعل ذلك بعض من زعم أنه فقيه ، دليلاً على بيع الجند الإقطاعات ، والفقهاء الوظائف ، وما كان الامر إلا ما أوضحته ، فتنبه لعلل الحوادث ، وافحص عن أسباب الموجود ، أن تظفر بأسرار الله الكامنة في طي مخلوقاته ، واحذر أن تعدّ من الذين ﴿ **يعلمون ظاهراً من الحياة الدُنيا وهم عن الآخرة هم غافلون** ﴾[2] فتكون ممن ﴿**انقلب على وجهه خسر الدُنيا والآخرة ذلك الخسران المبين**﴾[3] نسأل الله العصمة في القول والعمل ، من الزيغ والزلل . [آمين] .

---

(١) فقال : لاتعذلني ، فإن رسول الله ﷺ رأى في المنام بنى أمية ينزون على منبره رجلاً فرجلاً ، فساءه ذلك ، فأنزل الله عزوجلّ : ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ وهو نهر في الجنة ، ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة القدر** ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ **خير من ألف شهر** ﴾ يملكها بعدك بنو أمية .(الكامل في التاريخ) : ٤٠٧/٤ ، ذكر تسليم الحسن بن عليّ الخلافة إلى معاوية ، في أحداث سنة إحدي وأربعين .

(٢) الروم : ٧ .

(٣) الحج : ١١ .

وأما إخباره ﷺ بملك معاوية

فخرج أبوبكر بن أبي شيبة من حديث عبد الله بن نمير ، عن إسماعيل بن إبراهيم بن المهاجر[1] قال : سمعت عبدالله بن عمير قال : قال معاويه : مازلت أطمع في الخلافة مذ قال رسول الله ﷺ ماقال : إن ملكتَ يامعاوية فأحسن .

وخرج البيهقي[2]من حديث يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن إسماعيل ، عن عبدالله قال : قال معاوية : والله ما حملني على الخلافة إلا قول النبي ﷺ: إن ملكت فأحسن . قال البيهقي : إسماعيل بن إبراهيم هذا ضعيف عند أهل المعرفة بالحديث غير أن لهذا الحديث شواهد .

قال المؤلف – رحمه الله : إسماعيل بن إبراهيم بن المهاجر البجلي كوفي : قال الدارمي : سألت يحيى عنه فقال : هو ضعيف وقال عباس عنه : إبراهيم بن مهاجر ضعيف وابنه إسماعيل ضعيف . وقال عبد الله بن أحمد : سألت أبي عنه عن إبراهيم بن مهاجر فقال : ليس به بأس وسألته عن ابنه إسماعيل فقال : أقوي في الحديث منه وقال البخاري : إسماعيل بن إبراهيم بن

---

(١) ذكره العقيلي في (الضعفاء الكبير) : ٧٣/١ وضعفه ، وقال ابن حبان في (المجروحين) : ١٢٢/١ : إسماعيل بن مهاجر الكوفي ، يروي عن أبيه وعبد الملك بن عمير روى عنه أبو نعيم والكوفيون ، كان فاحش الخطأ . وقال الحافظ الذهبي في (ميزان الإعتدال) : ١١٢/١ ، ترجمة رقم (٨٢٧) : إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر البجليي الكوفي ، عن أبيه وعبد الملك بن عمير ، وعنه أبو نعيم وطائفة ، ضعفه غير واحد وقال البخاري : في حديثه نظر ، وقال أحمد : أبوه أقوى منه . قال الحافظ الذهبي : من مناكيره ، قال : حدثنا عبدالملك بن عمير ، عن عمرو بن حريث ألا يبارك له فيه إلا أن يجعله في مثله .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٤٤٦/٦ ، باب ماجاء في إخباره ﷺ بملك معاوية بن أبي سفيان إن صح الحديث فيه ، وماظهر في ذلك من آثار النبوة .

مهاجر عن أبيه ، وعبدالله بن عمير سمع منه أبونعيم ، عنده عجائب وقال ، مرة : فيه نظر ، وقال ابن عدي : في حديثه بعض النكرة وأبوه خير منه(١).

وذكر البيهقي(٢) من شواهد حديث إسماعيل بن مهاجر المذكور حديث عمرو بن يحيى بن سعيد بن العاص عن جده سعيد ، أن معاوية أخذ الاداوة وتبع رسول الله ﷺ فنظر إليه وقال له : يامعاويه إن وليت أمراً فاتق الله واعدل ، قال : فمازلت اظن أني مبتلى بعمل لقول رسول الله ﷺ (٣) [حتى ابتليت](٤).

ومنها حديث راشد بن سعيد ، عن معاوية قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول إنك إن اتبعت عورات الناس أو عثرات الناس أفسدتهم أوكدت أن تفسدهم يقول أبوالدرداء - رضي الله تبارك وتعالى عنه : كلمة سمعها معاوية من رسول الله ﷺ فنفعه الله بها (٥) .

وخرج البيهقي من حديث يحيى بن معين ، ومن حديث عمرو بن عون كلاهما قال : حدثنا هشيم ، عن العوام بن حوشب ، عن سليمان بن أبي سليمان(٦) ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : الخلافة بالمدينة والملك بالشام .

---

(١) راجع ترجمته فيما أشرنا إليه من مراجع في ماسبق من تعليقات .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٤٤٦/٦ - ٤٤٧ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في (المسند) : ٦٩/٥ ، حديث رقم (١٦٤٨٦) ، من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله تبارك وتعالى عنه .

(٤) زيادة للسياق من (المرجع السابق) .

(٥) (سنن أبي داود) : ١٩٩/٥ ، كتاب الأدب ، باب (٤٤) في النهي عن التجسس ، حديث رقم (٤٨٨٨) .

(٦) ترجمته في (ميزان الإعتدال) : ٢١١/٢ ، ترجمة رقم (٣٤٧٦) ، (تهذيب التهذيب) : ١٧١/٤ ، لايكاد يعرف روى عنه العوام بن حوشب وحده ، وفي روايته عنه اختلاف . =

وخرج من طريق يعقوب بن سفيان[1] قال : حدثنا عبدالله بن يوسف حدثنا يحيى بن حمزه عن زيد بن واقد قال : حدثني بُر بن عبدالله قال : حدثني أبو إدريس عائذ الله الخولاني ، عن أبي الدرداء - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أن رسول الله ﷺ قال : بينما أنا نائم رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي فظننت أنه مذهوب به ، فأتبعته بصرى فعُمد به إلى الشام ، وأن الإيمان حين تقع الفتنة بالشام[2] .

قال البيهقي : هذا إسناد صحيح وروي من وجه آخر فذكره من طريق عقبة بن علقمة قال : حدثنا سعيد بن عبد العزيز ، عن عطية بن قيس ، عن عبد الله بن عمرو - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : قال رسول الله ﷺ: إن عمود الكتاب انتزع من تحت وسادتي فنظرت فإذا هو نور ساطع عُمد به إلى الشام ألا إن الإيمان إذا وقعت الفتن بالشام .

وذكره من حديث الوليد بن مسلم ، حدثنا سعيد بن عبدالعزيز ، عن يونس بن ميسرة ، عن عبدالله بن عمر .

ومن حديث الوليد قال : حدثني عُفير بن معدان أنه سمع سليم بن عامر يحدث عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ فذكره [3] .

ومن حديث أبي ضمرة محمد بن سليمان السلمي قال : حدثني عبد الله ابن أبي قيس قال : سمعت عمر بن الخطاب رضي الله تبارك وتعالى عنه

= قال إسحاق بن منصور عن ابن معين لا أعرفه روى له الترمذي حديثاً واحداً لما خلق الله الأرض جعلت تميد . قلت : ذكره ابن حبان في الثقات في التابعين ، وقال الدارقطني في (العلل) : مجهول لم يرو عنه غير قتادة فهذا يؤيده .ترجمة رقم (٣٣٣) .

(١) (دلائل البيهقي) : ٦/٤٤٨ - ٤٤٩ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في (المسند): ٥/٢٢٢ ، حديث رقم (١٧٣٢١) من حديث عمرو بن العاص - رضي الله تبارك وتعالى عنه - وقال فيه : " حيث تقع الفتن بالشام " وفي (الأصل): " في الشام " .

(٣) (المرجع السابق) : ٤٤٨ .

يقول: قال رسول الله ﷺ : رأيت عموداً من نور خرج من تحت رأسي ساطعاً حتى أستقر بالشام[1] .

وخرج عبدالرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عبدالله بن صفوان قال : قال رجل يوم صفين : اللهم العن أهل الشام فقال عليّ رضي الله تبارك تعالى عنه : لاتسب أهل الشام جَمّا غفيراً فإن بها الأبدال[2] ، فإن بها الأبدال ، فإن بها الأبدال .

وروى أبو سعيد ، عن عبدالرحمن بن أحمد بن يونس المصري من طريق يحيى بن عبدالله بن بكير أخبرني عبدالله بن سويد ، عن عياش بن عباس الكنعي ، عن أبي خارجة أنه خرج إلى عليّ رضي الله تبارك وتعالى عنه في زمانه ليقاتل معه ، فسمعته يقول : إنما أنا سبط من الأسباط أقاتل على حق ، ولن يقوم والأمر لهم والله تبارك وتعالى أعلم بالصواب .

(١) (المرجع السابق) : ٤٤٩ .

(٢) (المرجع السابق) : ٤٤٩ ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه قال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على (المسند) : إسناده ضعيف لانقطاعه ، شريح بن عبيد الحمصي لم يدرك علياً ، بل لم يدرك إلا بعض متأخري الوفاة من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم .

وقال الحافظ الذهبي في (سير الأعلام) : في (مسند أحمد) جملة من الأحاديث الضعيفة ، مما يسوغ نقلها ، ولا يجب الاحتجاج بها ، وفيه أحاديث معدودة شبه موضوعة ، لكنها قطرة في بحر .

وللسخاوي في (المقاصد الحسنة) : ٤٣ - ٤٧ ، كلام كثير ، ذكره تعليقاً على الحديث رقم (٨) ، حديث الأبدال ، وقال : له طرق عن أنس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - مرفوعاً بألفاظ مختلفة ، كلها ضعيفة . وراجع في ذلك : (كشف الخفا) : حديث رقم (٣٥) ، (ضعيف الجامع الصغير) : حديث رقم (٢٢٦٦) ، (الأسرار المرفوعة) : حديث رقم (٦٧ ، ٤٩١) ، (اللآلئ المصنوعة) : ٣٣٠/٢/٢ ، و(حلية الأولياء) : ٨/١ ، و(الفوائد المجموعة):٢٤٥ .

وأما ظهور صدقه ﷺ في موت ميمونة رضي الله تبارك وتعالى عنها بغير مكة

فخرج البيهقي[١] من حديث موسى بن إسماعيل قال : حدثنا عبد الواحد ابن زياد حدثنا عبد الله بن الأصم : نقلت ميمونة رضي الله تبارك وتعالى عنها بمكة وليس عندها من بني أختها أحد فقالت : أخرجوني من مكة فإني لا أموت بها ، إن رسول الله ﷺ أخبرني أني لا أموت بمكة ، فحملوها حتى أتوا بها سرف ، إلى الشجرة التي بني بها رسول الله ﷺ تحتها ، في موقع القبة ، فماتت.

ومن حديث عفان قال[٢] : حدثنا عبدالواحد بن زياد فذكره وزاد : فماتت، فلما وضعتها في لحدها أخذت ردائي فوضعته تحت خدها في اللحد فأخذه ابن عباس فرمى به .

وأما ظهور صدقه ﷺ في ركوب أم حرام البحر مع غزاة في سبيل الله كالملوك على الأسرة

فخرج البخاري[٣] ومسلم[٤] من حديث مالك عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك رضي الله تبارك وتعالى عنه أن رسول الله ﷺ ،

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٤٣٧/٦ ، باب ما جاء في إخباره ﷺ زوجته ميمونة بنت الحارث رضي الله تبارك وتعالى عنه أنها لاتموت بمكة ، فماتت بسرف سنة ثلاث و ثلاثين .

(٢) (المرجع السابق) .

(٣) (فتح الباري) : ١٢/٦ ، كتاب الجهاد و السير ، باب (٣) الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء ، حديث رقم (٢٧٨٨) ، (٢٧٨٩) .

(٤) (مسلم بشرح النووي) : ١٣ /٦١ - ٦٢ ، كتاب الإمارة ، باب (٤٩) فضل الغزو في البحر ، حديث رقم (١٩١٢). وفيه معجزات للنبي ﷺ منها إخباره ببقاء أمته بعده وأنه تكون لهم شوكة وقوة وعدد ، وأنهم يغزون، وأنهم يركبون البحر، وأن أم حرام تعيش إلى ذلك الزمان ، وأنها=

كان يدخل على أم حرام بنت ملحان ، فتطعمه ، وكانت أم حرام بنت ملحان تحت عبادة بن الصامت ، فدخل عليها رسول الله ﷺ يوماً فأطعمته ، ثم جلست تفلي رأسه فنام رسول الله ﷺ ، ثم استيقظ وهو يضحك ، قالت : فقلت يارسول الله ما يضحكك ؟ قال : ناس من أمتي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج البحر

= تكون معهم وقد وجد بحمد اللّه تعالى كل ذلك . وفيه فضلية لتلك الجيوش وأنهم غزاة في سبيل الله . واختلف العلماء متى جرت الغزوة التى توفيت فيهما أم حرام في البحر وقد ذكر في هذه الرواية في مسلم أنها ركبت البحر في زمان معاوية فصرعت عن دابتها فهلكت قال القاضي : قال أكثر أهل السير والأخبار أن ذلك كان في خلافة عثمان بن عفان - رضي الله تبارك وتعالى عنه - وأن فيها ركبت أم حرام وزوجها الى قبرس فصرعت عن دابتها هناك . فتوفيت ودفنت هناك .

وعلى هذا يكون قوله في زمان معاوية معناه في زمان غزوة في البحر لا في أيام خلافته قال : وقيل : بل كان ذلك في خلافته قال وهو أظهر في دلالة قوله في زمانه .

وفى هذا الحديث جواز ركوب البحر للرجال والنساء وكذا قاله الجمهور ، وكره مالك ركوبه للنساء لأنه لايمكنهن غالباً التستر فيه ولاغض البصر عن المتصرفين فيه ولا يؤمن انكشاف عوراتهن في تصرفهن لاسيما فيما صغر من السفيان مع ضرورتهن إلى قضاء الحاجة بحضرة الرجال .

قال القاضي - رحمه الله تعالى - وروى عن عمر بن الخطاب ، وعمر بن عبد العزيز - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - منع ركوبه ، وقيل : إنما منعه العمران للتجارة وطلب الدنيا لا للطاعات وقد روى ابن عمر ، عن النبي ﷺ النهي عن ركوب البحر إلا لحاج أو معتمر أو غاز .

وضعف أبو داود هذا الحديث وقال : رواته مجهولون واستدل بعض العلماء بهذا الحديث على أن في القتال في سبيل الله تعالى والموت فيه الأجر ، لأن أم حرام ماتت ولا دلالة فيه لذلك لأنه ﷺ لم يقل : إنهم شهداء ، إنما يغزون في سبيل الله ، ولكن قد ذكر مسلم في الحديث الذى بعد هذا بقليل حديث زهير بن حرب من رواية أبي هريرة من قتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد ، وهو موافق لمعنى قول الله تعالى : **﴿ ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ﴾** .

ملوكاً علـى الأسرة ، أو كالملوك على الأسرة ، تشك أيهما ، قال : قالت : فقلت: يارسول الله ، قال : ناس من أمتي عرضوا عليّ غزاة في سبيل الله كما قال في الأول ، قال : فقلت يارسول اللـه ادع الله أن يجعلنـي منهـم ، قـال : أنـتِ مـن الأولين ، فركبت أم حرام بنت ملحان البحر فـي زمـن معاويـة ، فصرعـت عـن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت .

وخرجه الترمذي[1] من حديث مالك بهذا الإسناد مثله أو نحوه ولم يقل : تشك أيهما ، قال : ثم قال : هذا حديث حسن صحيح .

قال : وأم حرام بنت ملحان هى أخت أم سليم وهى خاله أنـس بـن مـالك رضـي اللـه تبـارك وتعـالى عنـه ، وترجـم عليـه البخـاري بـاب الدعـاء بالجهـاد والشهاده للرجال والنساء.

وخرج في كتاب الاستئذان[2] من حديث مالك بهذا الإسناد : كان رسـول الله ﷺ إذا ذهب إلى قباء يدخل إلى أم حرام بنت ملحان فتطعمه ... الحديث .

وخرجه أبوداود[3] عن مالك به وقال : كان رسول الله ﷺ إذا ذهب إلى قبـاء يدخـل إلـى أم حـرام ، وكـانت تحـت عبـادة بـن الصـامت ، فدخـل يومـاً . الحديث.

وخرجوه من حديث يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن محمد بن يحيى بـن حيان ، عن أنس ، وترجم عليه البخاري باب ركوب البحر[4].

---

(١) (سنن الترمذي) :٤/١٥٢ – ١٥٣ ، كتاب فضائل الجهاد ، باب (١٥) ما جاء في غـزو البحـر، حديث رقم (١٦٤٥) .

(٢) باب (٤١) من زار قومًا فقال عندهم ، حديث رقم (٦٢٨٢) ، (٦٢٨٣) .

(٣) (سنن أبي داود) : ٣/١٤ ، كتاب الجهاد ، باب (١٠) فضـل الغزو فـي البحـر ، حديـث رقـم (٢٤٩٠) .

(٤) (سنن النسائي) : ٦/٣٤٧ –٣٤٨ ، كتاب الجهاد ، باب (٤٠) فضل الجهاد في البحر ، حديث رقـم (٣١٧١) ، وثبيـج البحـر : أي وسـطه ومعظمـه . وأخرجـه البخـاري فـي كتـاب الجهـاد والسير ، باب (٧٥) ركوب البحر ، حديث رقم (٢٨٩٤) ، (٢٨٩٥) .

وخرجه البخاري[1] من حديث الليث ، عن محمد بن يحيى بن حيان ، عن أنس ، عن أم حرام . ومن حديث أبي إسحاق عن عبدالله بن عبدالرحمن الأنصاري ، عن أنس[2] .

وخرجه في باب ما قيل في قتال الروم[3] من حديث ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان أن عمير بن الأسود العقبي حدثه أنه أتى عبادة بن الصامت رضي الله تبارك وتعالى عنه ، وهو نازل في ساحل حمص ، وهو في بناء له ، ومعه أم حرام ، قال عمير : فحدثتنا أم حرام : أنها سمعت النبي ﷺ يقول: أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا ، قالت أم حرام : قلت : يارسول الله أنا فيهم ؟ قال : أنتِ فيهم ، قالت : ثم قال النبي ﷺ أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم ، فقلت أنا فيهم يارسول الله ؟ قال : لا .

قال المؤلف - رحمه الله - : وكان ركوب أم حرام البحر مع زوجها عبادة بن الصامت - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ، فلما وصلوا إلى جزيرة قبرس ، خرجت من البحر فقربت إليها دابة لتركبها ، فصرعتها ، وماتت فذهبت في موضعها ، وذلك في خلافة عثمان رضي الله تبارك وتعالى عنه سنة ثمان وعشرين ، وأمير تلك الغزاة معاوية بن أبي سفيان ، فقد تضمن هذا الخبر ضروباً من علامات النبوة منها : إعلامه ببقاء أمته بعده ، وأن فيهم أصحاب قوة وشوكه ونكايه في العدو ، وأنهم يتمكنون من البلاد حتى يغزو البحر ، وأن أم حرام تعيش إلى ذلك الزمان ، وأنها تكون مع من يغزو البحر ، وأنها تدرك زمان الغزوة .

---

(١) (فتح الباري) : ٦/٢١-٢٢ ، كتاب الجهاد والسير ، باب (٨) فضل من يصرع في سبيل الله فمات وهو منهم ، وقول الله عزّ وجلّ : ﴿ **ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله** ﴾ [النساء :١٠٠] ، وقع : وجب ، حديث رقم (٢٧٩٩-٢٨٠٠) ، وفي الإسناد تابعيان ؛ هو وشيخه ، وصحابيان ؛ أنس وخالته ، وكان ذلك سنة ثمان وعشرين في خلافه عثمان رضي الله تبارك وتعالى عنه ، (فتح الباري) .

(٢) (المرجع السابق) : باب (٦٣) غزو المرأة في البحر ، حديث رقم (٢٨٧٧) (٢٨٧٨)

(٣) (المرجع السابق) : باب (٩٣) ماقيل في قتال الروم ، حديث رقم (٢٩٢٤) .

قال ابن عبدالبر : وأما قوله ﷺ : ناس من أمتي عُرضوا عليّ غزاة في سبيل الله فإنه أراد - والله أعلم - أنه رأى الغزاة في البحر من أمته ملوكاً على الأسرة في الجنة ورؤياه وحي ، ويشهد لقوله : ملوكاً على الأسرة ، ماذكر الله تعالى في أهل الجنة ﴿ **على الأرائك متكئون** ﴾[1] قال أهل التفسير : الأرائك السرر في الحجال ، ومثله قوله تعالى : ﴿ **على سُرر متقابلين** ﴾[2] وهذا الحديث إنما ورد تنبيهاً على فضل الجهاد في البحر وترغيباً فيه .

---

(١) ياسين : ٥٦ .

(٢) الحجر : ٤٧ .

وأما ظهور صدقة في إخباره [بتكلم] رجل [من أمته] بعد موته [من خير التابعين فكان كما أخبر]

فخرج البيهقي[١]من حديث عبد الله بن موسى قال : حدثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبدالملك بن عمير ، عن ربعى بن خراش ، قال : أتيتُ فقيل لى: إن أخاك قد مات فجئت فوجدتُ أخى مسجّى ، فأنا عند رأسه أستغفر له وأترحم عليه ، إذا كشف الثوب عن وجهه فقال : السلام عليكم ، فقلت : سبحان الله أبعد الموت ؟! قال : بعد الموت ، إنى قدمت على الله عز وجل بعدكم ، فتلقيت بروح وريحان ، ورب غير غضبان ، وكساني ثياباً خضراً من سندس وإستبرق ، ووجدت الأمر أيسر مما تظنون ، وتتكلوا . إنى أستأذنت ربي أن أخبركم وأبشركم ، فاحملونى إلى رسول الله ﷺ ، فقد عهد اليّ أن لا أبرح حتى ألقاه ثم طفى كما هو . قال البيهقى[٢] هذا إسناد صحيح لايشك حديثى في صحته.

وخرج أيضاً من حديث إسحاق بن يوسف الأزرق[٣] ، عن المسعودى ، عن عبد الملك بن عمير ، عن ربعي بن خراش ، قال : توفى أخى وكان أصوَمنَا في اليوم الحار ، وأقومنا في الليلة الباردة ، فسجيته[٤] ، وخرجت في شراء كفنه ، فرجعت إليه ، أو قال : البيت ، وقد كشف الثوب عن وجهه ، وقال: السلام عليكم ، فقلنا : بعد الموت ؟! قال : نعم ، إنى قدمت على ربي بعدكم ، فتلقاني بروح وريحان ، ورب غير غضبان ، وكسانى ثياباً خضراً من سندس وإستبرق ، وإني لقيت محمداً ﷺ ، وقد أقسم أن لا أبرح حتى آتيه ،

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٤٥٤/٦ ، باب ماجاء في إخباره ﷺ بتكلم رجل من أمته بعد موته من خير التابعين فكان كما أخبر .

(٢) (المرجع السابق) .

(٣) (المرجع السابق) : ٤٥٤ – ٤٥٥ .

(٤) كذا في (الأصل) ، وفى (المرجع السابق) : " فجئته " .

فعجلوا بى ، ولا تحبسونى[1] ، والأمر أيسر مما في أنفسكم ، فلا تغتروا ، قال : فما شبهتُ نفسه عند ذلك إلا حصاة ألقيتها في ماء فرسبت.

قال : فذكرت ذلك لعائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - فقالت : قد بلغنا أنه سيكون في هذه الأمة رجل يتكلم بعد موته[2].

ومن طريق أبي بكر بن أبي الدُنيا قال : حدثنا شريح بن يونس ، حدثنا خالد بن نافع ، عن علي بن عبدالله الغطفاني ، وحفص بن يزيد ، قالا : بلغنا أن ابن خراش حلف أن لايضحك أبداً حتى يعلم أهو في الجنة أو في النار ، فمكث كذلك لايراه أحد يضحك حتى مات ، فذكر نحو حديث عبدالملك بن عمير، غير أنه قال : فبلغ ذلك عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - فقالت: صدق أخو بني عيسى رحمه الله ، سمعت رسول الله ﷺ يقول يتكلم رجل من أمتي بعد الموت من خير التابعين[3] .

ومن حديث شريك عن منصور[4] ، عن ربعي قال : مات الربيع فسجيته فضحك ، فقلت يا أخى أحياة بعد الموت؟ قال : لا، ولكن لقيت ربي تبارك وتعالى فلقيني بروح وريحان ، ووجه غير غضبان ، فقلت : كيف رأيت الأمر؟ قال : يسر ولاتغتروا ، قال : فذكر لعائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - فقالت : صدق ربعي ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : من أمتي من يتكلم بعد الموت .

---

(١) كذا في (الأصل) ، وفى (المرجع السابق) : " تجسونى " .

(٢) (دلائل النبوة) : ٦/ ٤٥٤ - ٤٥٥ ، وأخرجه الحافظ أبونعيم في (حلية الأولياء) : ٣٦٧/٤- ٣٦٨ ، ترجمة ربعي بن خراش رقم (٢٨١) بسياقة أتم .

(٣) (المرجع السابق) : ٤٥٥ .

(٤) (المرجع السابق) : ٤٥٥ .

وأما ظهور صدقه ﷺ في قتل نفر من المسلمين ظلماً بعذراء[1] من أرض الشام [فكان كما أخبر ﷺ][2]

فخرج البيهقي[3] من طريق يعقوب بن سفيان قال : حدثنا ابن بكير قال : حدثني ابن لهيعة ، قال : حدثني الحارث بن سويد ، عن عبد الله بن زرير الغافقي ، قال : سمعت عليّ بن أبي طالب – رضي الله تبارك وتعالى عنه – يقول : يا أهل العراق سيقتل منكم سبعة نفر بعذراء ، مثلهم كمثل أصحاب الأخدود ، فقتل حجر وأصحابه ، قال يعقوب : قال أبو نعيم : ذكر زياد بن سمية ، على بن أبي طالب – رضي الله تبارك وتعالى عنهما – على المنبر ، فقبض حجر على الحصباء ثم أرسلها ، وحصبت من حوله زياداً ، فكتب إلى معاوية يقول إن حُجْراً حصبني وأنا على المنبر ، فكتب إليه معاوية : أن يحمل إليه حجراً ، فلما قرب من الشام بعث من يتلقاهم فالتقى معهم بعذراء فقتلهم .

قال البيهقي : لايقول عليّ مثل هذا إلا بأن يكون سمعه من رسول الله ﷺ.

وقد روى عن عائشة – رضي الله تبارك وتعالى عنها – بإسناد مرسل مرفوعاً فذكر من طريق يعقوب بن سفيان ، قال : حدثني حرملة قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن لهيعة عن أبي الأسود قال : دخل معاوية على عائشة – رضي الله تبارك وتعالى عنها – فقالت : ماحملك على قتل أهل

---

(١) عذراء : بالفتح ثم السكون والمد ، وهو في الأصل الرمله التى لم توطأ ، والدرة العذراء التى لم تثقب . وهى قرية بغوطة دمشق من إقليم خولان معروفة ، وبها منارة ، وبها قتل حجر بن عدى الكندي ، وبها قبره ، وقيل إنه هو الذي فتحها . (معجم البلدان) : ١٠٣/٤ ، موضع رقم (٨٢٥١) ، مختصراً .

(٢) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي) .

(٣) (دلائل البيهقي) : ٤٥٦/٦ ، باب ماروي في إخباره ﷺ بقتل نفر من المسلمين ظلمًا بعذراء من أرض الشام ، فكان كما أخبر ﷺ .

عذراء ، حجر وأصحابه ، فقال : يا أم المؤمنين ، رأيت قتنهم صلاحاً للأمة ، وأن بقاءهم فساد للأمة ، فقالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول سيقتل بعذراء ناس يغضب الله لهم ، وأهل السماء[1] .

قال ابن عساكر : رواه ابن المبارك ، عن ابن لهيعة فلم يرفعه .

وذكر بإسناد آخر ، فأخرجه من حديث عبد الله بن المبارك ، عن ابن لهيعة ، حدثني خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبي هلال ، أن معاوية حج فدخل على عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها فقالت : يامعاوية ! قتلت حجر بن الأدبر وأصحابه ؟ أما والله لقد بلغني أنه سيقتل سبعة نفر يغضب الله لهم وأهل السماء .

وخرج البيهقي من طريق يعقوب حدثنا عمرو بن عاصم ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن على بن زيد ، عن سعيد بن المسيب ، عن مروان بن الحكم ، قال : دخل معاوية على أم المؤمنين عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - فقالت : سمعت يا معاوية أنك قتلت حُجْراً وأصحابه ، وفعلت[2] مافعلت، أما خشيت أنّ أختبا لك رجل"[3] فيقتلك ؟ فقال : لا ، إني في بيت أمان ، سمعت رسول الله ﷺ يقول الإيمان قيد الفتك ، لايفتك مؤمن يا أم المؤمنين ، كيف أنا فيما سوى ذلك من حاجاتك وأمرك ؟ قالت : صالح ، قال : فدعيني وحُجراً حتى نلتقي عند ربنا .

---

(١) (المرجع السابق) : ٤٥٧ .

(٢) في (المرجع السابق) : " وفعلت الذي فعلت " .

(٣) في (المرجع السابق) : " أختبأ لك رجلاً " ، وما أثبتناه حق اللغة .

وأما ظهور صدقه فيمن قتل عمرو بن الحمق بن الكاهن ابن حبيب بن عمرو بن القين بن رزاح بن عمرو ابن سعد بن كعب بن عمرو الخزاعي الكعبي(١)

فذكر الحافظ أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عساكر في (تاريخه) من طريق غياث بن إبراهيم ، عن الأجلح بن عبد الله الكندي ، قال : سمعت زيد بن علي وعبد الله بن الحسن وجعفر بن محمد ، ومحمد بن عبدالله ابن الحسن يذكرون تسمية من شهد مع عليّ بن أبي طالب رضي الله تبارك وتعالى عنه من أصحاب رسول الله ﷺ ، كلهم ذكره عن آبائه ، وعمن أدرك من أهله ، وسمعته أيضاً من غيرهم فذكرهم ، وذكر فيهم عمرو بن الحمق الخزاعي وكان رسول الله ﷺ قال له : يا عمرو ، أتحب أن أريك آية الجنة ؟ قال : نعم يارسول الله ، فمرّ عليّ فقال هذا وقومه آية الجنة ، فلما قتل عثمان وبايع الناس علياً رضي الله تبارك وتعالى عنه لزمه ، وكان معه حتى أصيب ، ثم كتب معاوية في طلبه ، وبعث من يأتيه به .

قال الأجلح : فحدثني عمران بن سعيد البجلي ، وكان مؤاخياً لعمرو بن الحمق ، أنه خرج معه حين طلب ، فقال لي : يارفاعة ، إن القوم قاتليّ ، رسول الله ﷺ أخبرني أن الجن والإنس تشترك في دمي ، وقال لي : ياعمرو إن أمَّنك رجل على دمه فلا تقتله فتلقى الله بوجه غادر(٢) ، قال رفاعة : فما أتم حديثه حتى رأيت أعنة الخيل فودعته وواثبته حية فلسعته ، وأدركوه ، فاحتزوا رأسه ، فكان أول رأس أهدي في الإسلام .

وذكر من طريق أبي سعيد عبيد بن كثير بن عبدالواحد العامري ، قال : حدثنا موسى بن زياد أبي هارون الزيات قال : حدثنا على بن هاشم بن البريد عن محمد بن عبيدالله بن علي بن أبي رافع ، عن عون بن عبيدالله بن أبي

---

(١) النسب في (الأصل) أطول من ذلك ، واكتفينا بما أمكن تحقيقه من (الإصابة) : ٤/٦٢٣ - ٦٢٤ ، ترجمة رقم (٥٨٢٢) ، (الاستيعاب) : ٣/١١٧٣ - ١١٧٤ ، ترجمة رقم (١٩٠٩) .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٦/٤٨٢ - ٤٨٣ .

رافع عن أبيه عبيد الله ، قال : قال موسى بن زياد : حدثنا يحيى بن يعلى عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه ، عن جده ، وعن ابن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه ، قال علي بن هاشم في حديثه وكان عبيد الله بن أبي رافع كاتب عليّ بن أبي طالب رضي الله تبارك وتعالى عنه واللفظ لعبيد الله بن كثير في تسمية من شهد مع أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله تبارك وتعالى عنه من قريش ، والأنصار ، ومن مهاجرى العرب ، فذكرهم ، وذكر فيهم عمرو بن الحمق الخزاعي ، بقي بعد عليّ فطلبه معاوية ليقتله فهرب منه نحو الجزيرة ومعه رجل من أصحاب علي رضي الله تبارك وتعالى عنه يقال له زاهر ، فلما نزلا الوادي نهشت عمراً حية من جوف الليل ، فأصبح منتفخاً ، فقال لزاهر تنح عني فإن خليلي رسول الله ﷺ قد أخبرني أني سيشترك في دمي الجن والإنس ، ولا بُد لي أن أقتل ، فقد أصابتنى بلية الجن بهذا الوادي ، فبينما هما على ذلك إذ رأيا نواصي الخيل في طلبه ، فأمر زاهراً يتغيب ، فإذا قتلت فإنهم يأخذون رأسي فارجع إلى جسدى فادفنه ، فقال له زاهر : بل أنشر نبلى فأرميهم حتى إذا فنيت نبلى قتلت معك ، قال : لا ، ولكنى سأزودك مني بما ينفعك الله به ، فاسمع منى آيه الجنة ، محمد ﷺ ، وعلامتهم عليّ بن أبي طالب رضي الله تبارك وتعالى عنه ، وتوارى زاهر ، فأقبل القوم فنظروا إلى عمرو فنزل إليه رجل منهم أدم فقطع رأسه ، وكان أول رأس في الإسلام نصب ، وخرج زاهر إليه فدفنه ، ثم بقي حتى قتل الحسين رضي الله تبارك وتعالى عنه بالطف .

وأما ظهور صدقه ﷺ في إشارته إلى كيف يموت سمرة بن جندب[1] رضي الله تبارك وتعالى عنه

فخرج البيهقى[2] من حديث سفيان قال : حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبي ، حدثنا شعبة عن أبي [مسلمة عن أبى][3] نضرة ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال لعشرة في بيت من أصحابه : آخركم موتاً في النار فيهم سمرة ابن جندب . قال أبونضرة : فكان سمرة آخرهم موتا .

قال البيهقى : رواته ثقات ، إلا أن أبا نضرة العبدي لم يثبت له عن أبي هريرة سماع .

وروى من وجه آخر موصولاً ، عن أبي هريرة فذكره من طريق يونس ابن عبيد ، عن الحسن ، عن أنس بن حكيم الضبى قال : كنت أمر بالمدينة فألقى أبا هريرة فيسألنى فلا يبدأ بشئ حتى يسألنى عن سمرة ، فإذا أخبرت بحياته وصحته فرح وقال : إناكنا عشرة في بيت ، وأن رسول الله ﷺ قام علينا[4] فنظر في وجوهنا ، وأخذ بعضادتى الباب ثم قال : آخركم موتاً في

---

(١) هو سمرة بن جندب بن هلال الفزاري ، من علماء الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، نزل البصرة . له أحاديث صالحة ، حدّث : ابنه سليمان ، والحسن البصرى ، وابن سيرين ، وجماعة . وبين العلماء فيما روى الحسن عن سمرة اختلاف في الاحتجاج بذلك ، وقد ثبتَ سماع الحسن من سمرة ، ولقيه بلاريب ، صرح بذلك في حديثين .

وكان زياد بن أبيه يستخلفه على البصرة إذا سار إلى الكوفة ، ويستخلفه على الكوفة إذا سار إلى البصرة ، وكان شديداً على الخوارج ، قتل منهم جماعة . وكان الحسن وابن سيرين يثنيان عليه . رضي الله تبارك وتعالى عنه . مات سمرة سنة ثمان وخمسين . وقيل : سنة تسع وخمسين (تهذيب سير الأعلام) : ٩٤/١ ، ترجمة رقم (٢٦٩) .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٤٥٨/٦ ، باب ما روى في إخباره ﷺ نفراً من أصحابه بأن آخرهم موتًا في النار .

(٣) زيادة للسياق من (المرجع السابق) .

(٤) كذا في (الأصل) ، وفى (المرجع السابق) : " قام فينا " .

النار، فقد مات منا ثمانية ولمن يبق غيرى وغيره ، فليس شئ أحب إلـىّ مـن أن أكون قد ذقت الموت

وخرج أيضاً من طريق حماد عن على بن زيد عن أوس بن خالد ، قال : كنت إذا قدمت على أبي محذورة فقلت لأبـى محـذورة : مـالك إذا قدمـت عليـك وسألتنى عن سمرة ؟ وإذا قدمت على سـمرة سـألنى عنـك ؟ فقـال إنـى كنـت أنـا وسمرة وأبوهريرة في بيت ، فجاء النبي ﷺ فقال : آخركم موتاً في النار ، فمات أبوهريرة ، ثم مات أبومحذورة ، ثم سمرة .

قال البيهقي : بهذا وبصحبه رسول الله ﷺ ، نرجوا له بعد تحقيـق قـول رسول الله ﷺ[1] وقد قال بعض أهل العلم : إن سمرة مات في الحريق ، فصـدق قول رسول الله ﷺ . وبلغنى عن هلال بن العلاء الرقى أن عبداللـه بـن معاويـة حدثهم عن رجل [قد][2] سماه : أن سمرة استُجمر فغفل عنه أهله ، حتى أخذتـه النار[3] .

وقال : ابن عبدالبر[4] : وكان زيـاد يستخلفه علـى البصـرة ستة أشـهر ، وعلى الكوفة ستة أشهر ، فلما مات زياد استخلفه على البصـرة ، فـأقره معاويـة عليها ، عاماً أو نحوه ، ثم عزله ، وكان شديداً على الحروريـة ، وكـان إذا أتـى بواحـد منهـم قتلـه ولـم يقلـه ويقـول : شـر قتلـى تحت أديم الأرض[5] يكفــرون المسلمين ، ويسفكون الدماء ، فالحرورية ومن قاربهم في مذهبهم يطعنون عليـه وينالون منه .

قال : وكانت وفاته بالبصرة [فى خلافة معاوية][6] سـنة ثمـان وخمسـين ، سقط في قدر مملوءة ماءاً حاراً ، كان يتعالج بالقعود عليها من كـزاز [شـديد][7]

---

(١) (المرجع السابق) : ٤٥٩ .

(٢) زيادة للسياق من (المرجع السابق) .

(٣) (المرجع السابق) : ٤٦٠ .

(٤) (الاستعاب) : ٦٥٣/٢ – ٦٥٥ ، ترجمة سمرة بن جندب رقم (١٠٦٣) .

(٥) كذا في (الأصل) ، وفى (الاستيعاب) : " أديم السماء " .

(٦) زيادة للسياق من (المرجع السابق) .

أصابه فسقط في القدر الحارة فمات ، فكان ذلك تصديقًا[1] لقول رسول الله ﷺ له ولأبى هريرة ، وثالث معهما : آخركم موتاً في النار .

وروى أبو سعيد بن يونس من حديث داود بن المحبر عن زياد بن عبدالله بن سمرة بن جندب ، كان أصابه كزاز شديد ، وكان لايكاد أن يدفأ ، فأمر بقدر عظيمة فملئت ماءً وأوقد تحتها واتخذ فوقها مجلساً ، وكان يصعد إليه بخارها فيدفئه ، فبينا هو كذلك إذا خفت به . فظن أن ذلك الذي قيل فيه[2] .

= (٧) زيادة للسياق من (المرجع السابق) .

(١) في (الأصل) : " قصد بها " ، وما أثبتناه من (المرجع السابق) .

(٢) قال البيهقي : وقد قال بعض أهل العلم : إن سمرة مات في الحريق فصدق بذلك قول رسول الله ﷺ ويحتمل أن يورد النار بذنوبه ، ثم ينجو بإيمانه ، فيخرج منها بشفاعة الشافعين . والله تعالى أعلم . (دلائل البيهقي) : ٦/٤٦٠ .

وأما ظهور صدقه ﷺ في موت عبدالله بن سلام[١] على الإسلام من غير أن ينال الشهادة [فكان كما أخبر - توفي على الإسلام فى أول أيام معاوية بن أبي سفيان سنة ثلاث وأربعين -]

فخرج البخاري[٢] من حديث ابن عون عن محمد [بن سيرين] ، عن قيس بن عباد قال: كنت جالساً في مسجد المدينة فدخل رجل على وجهه أثر الخشوع ، فقالوا: هذا رجل من أهل الجنة ، فصلى ركعتين فتجوز فيهما ثم خرج وتبعته ، فقلت: إنك حين دخلت المسجد قالوا : هذا رجل من أهل الجنة ! قال : والله ما ينبغي لأحد أن يقول مالا يعلم ، وسأحدثك لم ذاك ، رأيت رؤيا على عهد النبي ﷺ فقصصتها عليه ، ورأيت كأنى في روضة ، ذكر من سعتها وخضرتها ، وسطها عمود من حديد أسفله في الأرض وأعلاه في السماء ، في أعلاه عروة، فقيل لي : ارق ، فرقيت ، حتى كنت في أعلاه فأخذت بالعروة ، فقيل لي : استمسك فاستيقظت ، وإنها لفى يدى ، فقصصتها على النبي ﷺ فقال: تلك العروة الوثقى ، فأنت تموت على الإسلام حين تموت وذلك الرجل عبد الله ابن سلام .

---

(١) هو عبد الله بن سلام بن الحارث ، الإمام الحبر ، المشهود له بالجنة ، أبو الحارث الإسرائيلي، حليف الأنصار ، من خواص أصحاب النبي ﷺ حدث عنه أبو هريرة ، وأنس بن مالك ، وعطاء بن يسار ، وزرارة بن أوفى ، وآخرون . له إسلام قديم بعد أن قدم النبي ﷺ المدينة ، وهو من أحبار اليهود . اتفقوا على أن ابن سلام توفى سنة ثلاث وأربعين . (تهذيب سير الأعلام) : ١/٧١-٧٢ ، ترجمة رقم (١٩٠) باختصار . وما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (الدلائل) .

(٢) (فتح الباري) : ٧/١٦٢ -١٦٣ ، كتاب مناقب الأنصار ، باب (١٩) مناقب عبد الله بن سلام رضي الله تبارك وتعالى عنه ، حديث رقم (٣٨١٣) .

وخرجه من حديث ابن عون عن محمد [بن سيرين] ، حدثنا قيس بن عباد، عن ابن سلام قال : وصيف مكان منصف . ذكره في كتاب التعبير ، في باب التعلق بالعروة والحلقة [١] .

ومن حديث ابن عون ، عن محمد [بن سيرين] ، حدثنا قيس بن عباد ، عن عبد الله بن سلام ، رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : كأني في روضة ذكر من سعتها وخضرتها ، قال : ورأيت في وسط تلك الروضة عموداً وفى أعلى العمود عروة فقيل لي : ارقه ، قلت : لا أستطيع ، قال : فأتانى وصيف ، فرفع ذلك الوصيف ثيابى من خلفي ، فرقيت حتى كنت في أعلاه ، فقيل لي : استمسك بالعروة ، قال : فاستمسكت بتلك العروة فانتبهت وإنها لفي يدي وأنا متمسك بها ، فلما استيقظت أتيت النبي ﷺ فقصصتها عليه ، فقال : تلك الروضة روضة الإسلام ، وذلك العمود عمود الإسلام ، وتلك العروة العروة الوثقى لاتزال مستمسكاً بالإسلام حتى تموت[٢] .

وخرجه مسلم[٣] من حديث عبدالله بن عون بهذا الإسناد أو نحواً أو قريباً مما تقدم أولاً .

وخرجاه من حديث حرمي بن عمارة ، قال : حدثنا قرة بن خالد ، عن محمد بن سيربن قال : قال قيس بن عباد فذكره .

ولمسلم[٤] من حديث جرير عن الأعمش ، عن سليمان بن مسهر ، عن خرشة بن الحر ، قال : كنت جالساً في حلقة في مسجد المدينة قال : وفيها شيخ حسن الهيئة وهو عبد الله بن سلام ، قال: فجعل يحدثهم حديثاً حسناً قال : فلما قام قال القوم : من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا ، قال:

---

(١) باب رقم (٢٣) التعليق بالعروة الوثقى ، حديث رقم (٧٠١٤) .

(٢) (فتح الباري) : ٤٩٦/١١ ، كتاب التعبير باب (٢٣) التعليق بالعروة والحلقة ، حديث رقم (٧٠١٤) . وأخرجه البيهقي في (الدلائل) : ٤٦١/٦ - ٤٦٢ .

(٣) (مسلم بشرح النووي) : ٢٧٥/٥ ، كتاب فضائل الصحابة باب (٣٣٩) باب من فضائل عبد الله بن سلام ، رضي الله تبارك وتعالى عنه ، حديث رقم (١٤٨) .

(٤) (المرجع السابق) : ٢٧٦ - ٢٧٧ حديث رقم (١٥٠) .

فقلت : والله لاتبعنه فلأعلمن مكان بيته قال : فتبعته ، قـال : فـانطلق حتـى كـاد أن يخرج من المدينة ، ثم دخل منزله، قال : فاستأذنت عليه ، فأذن لي ، فقـال : ما حاجتك يا ابن أخي ؟ فقلت له : سمعت القوم يقولون لك لما قمت : مـن سـره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلـى هـذا ، فـأعجبني أن أكـون معـك ، قال : الله أعلم بأهل الجنة ، وسـأحدثك مـمّ قـالوا ذاك ، إنـي بينمـا أنـا نـائم ، إذ أتانى رجل فقال لي : قم ، فأخذ بيدي ، فانطلقت معه ، قال : فإذا أنا بجواد عـن شمالى ، قال : فأخذت لآخذ فيها ، فقال لي : لا تأخذ فيها ، فإنها طرق أصحـاب الشمال ، قال : فإذا جواد منهج على يميني فقـال لـي : خـذ هـا هنـا ، فـأتى بـي جبلاً، فقال لي اصعد ، قال : فجعلت إذا أردت أن أصعد خـررت علـى استي ، قال : حتى فعلت ذلك مراراً ، قال : ثم انطلق بي حتى أتى بي عموداً رأسه فـي السماء وأسفله في الأرض ، في أعلاه حلقة ، فقال لي : اصعد فوق هذا ! قلت : كيف أصعد هذا ورأسه في السماء ؟ .

قال : فأخذ بيدى فـزج بـي ، قـال : فـإذا أنـا متعلق بالحلقـة ، قـال : ثم ضرب العمود فخرّ ، قال : وبقيت متعلقاً بالحلقة حتى أصبحت .

قال : فأتيت النبي ﷺ فقصصتها عليه ، فقال : أمـا الطـرق التـى رأيـت على يسارك ، فهى طرق أصحاب الشمال ، قال : وأما الطرق التى رأيت عن يمينك ، فهى طرق أصحاب اليمين ، وأما الجبل فهو منزل الشهداء ، ولن تنالـه، وأما العمود فهو عمود الإسلام ، وأما العروة فهـى عـروة الإسـلام ، ولـن تـزال متمسكاً بها حتى تموت .

قال ابن عبد البر(١) : توفـي فـي المدينـة فـي خلافـة معاويـة سـنة ثـلاث وأربعين ، وشهد رسول الله ﷺ لعبد الله بن سلام بالجنة .

---

(١) (الاستيعاب) : ٣/٩٢١ – ٩٢٢ ، ترجمة رقم (١٥٦١) .

وأما ظهور صدقه ﷺ في إخباره لرافع بن خديج [ابن رافع بن عدي بن زيد بن عمرو بن زيد ابن جشم الأنصاري ، البخاريّ ، الخذرجيّ] بالشهادة

فخرج البيهقي[1] من طريق مسلم بن إبراهيم ، قال : حدثنا عمرو بن مرزوق الواشحي ، حدثنا يحيى بن عبدالحميد - يعني : ابن رافع - عن جدته أن رافع بن خديج رمى - قال عمرة : لا أدرى أيهما قال؟ يوم أحد أو يوم حنين - بسهم في ثندوته فأتى النبي ﷺ فقال : يارسول الله انزع السهم ؟ فقال له : يارفع إن شئت نزعت السهم والقطبة جميعاً ، وإن شئت نزعت السهم وتركت القطبة وشهدت لك يوم القيامة أنك شهيد ، فقال رافع : يارسول الله ، انزع السهم ودع القطبة واشهد لي يوم القيامة أنى شهيد قال : فعاش بعد ذلك حياة النبي ﷺ حتى إذا كان خلافة معاوية انتقض ذلك الجرح فمات بعد العصر .

قال كاتبه : وقد ذكر ابن عبد البر[2] أنه أصيب يوم أحد ؛ انتقضت جراحته في زمن عبدالملك بن مروان ، فمات قبل ابن عمر بيسير سنة أربع وسبعين ، وكذا ذكره الحاكم[3] وغيره عن الواقدي في تاريخ وفاته .

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٤٦٣/٦ ، باب ما جاء في شهادة [النبي ﷺ] لرافع بن خديج بالشهادة وظهور صدقة في ذلك زمن معاوية . والثندوة : الترقوة .

(٢) (الاستيعاب) : ٤٧٩/٢ - ٤٨٠ ، ترجمة رقم (٧٢٧) وما بين الحاصرتين في العنوان زيادة للنسب منه .

(٣) (المستدرك) : ٦٤٨/٣ ، كتاب معرفة الصحابة ، ذكر رافع بن خديج رضي الله تبارك وتعالى عنه .

وأما إنذاره ﷺ بهلاك أمته على يد أغيلمة من قريش فكان منذ وُلِّيَ يزيد بن معاوية

فخرج البخاري[1] من حديث عمرو بن يحيى بن سعيد بن عمرو بن سعيد قال : أخبرني جدي قال : كنت جالساً مع أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه في مسجد النبي ﷺ بالمدينة ، ومعنا مروان ، قال أبوهريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه : " سمعت الصادق المصدوق ﷺ يقول : هلكت أمتي على يدي غلمة من قريش ، فقال مروان : لعنة الله عليهم غلمة ، فقال أبوهريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه لوشئت أن أقول بني فلان بني فلان لفعلت " ، فكنت أخرج مع جدي إلى بني مروان حين ملكوا بالشام ، فإذا رآهم غلماناً أحداثاً قال لنا : عسي هؤلاء أن يكونوا منهم . قلنا : أنت أعلم .

وذكره أيضاً في باب علامات النبوة[2] ، وخرج فيه أيضاً من حديث شعبة عن أبي التياح ، عن أبي رزعة ، عن أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يهلك الناس هذا الحي من قريش ، قالوا فما تأمرنا ؟ قال : لو أن الناس اعتزلوهم[3] .

---

(١) (فتح الباري) : ١٣ / ١٠ ، كتاب الفتن ، باب (٣) قول النبي ﷺ : هلاك أمتي على يدي أغيلمة سفهاء ، حديث رقم (٧٠٥٨) ، قال الحافظ : يُتعجب من لعن مروان الغلمة المذكورين، مع أن الظاهر أنهم من ولده ، فكأن الله تعالى أجرى ذلك على لسانه ليكون أشدّ في الحجة عليهم لعلهم يتعظون .

وقد وردت أحاديث في لعن الحكم والد مروان وما ولد ، أخرجها الطبراني وغيره ، غالبها فيه مقال ، وبعضها جيد ، ولعل المراد تخصيص الغلمة المذكورين بذلك. (فتح الباري).

(٢) باب (٢٥) من كتاب المناقب ، حديث رقم (٣٦٠٥) .

(٣) (المرجع السابق) : حديث رقم (٣٦٠٤) .

وخرج مسلم[1] في كتاب الفتن من حديث أبي أسامة بهذا الإسناد ولفظه: عن النبي ﷺ قال : يهلك أمتى هذا الحى من قريش . الحديث .

وخرج البيهقي[2] من طريق عبدالله بن يزيد المقريء قال : حدثنا حيوة قال : أخبرنى بشير بن أبي عمرو الخولانى أن الوليد بن قيس الحسبي أخبره أنه سمع أباسعيد الخدري رضي الله تبارك وتعالى عنه يقول : وتلا هذه الآيه : ﴿ **فخلف من بعدهم خلف** ﴾[3] فقال : يكون خلف من بعد ستين سنة أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيّاً ، ثم يكون خلف يقرؤون القرآن لايعدو تراقيهم ، ويقرأ القرآن ثلاثة : مؤمن ، ومنافق ، وفاجر .

قال بشير : فقلت للوليد : ماهؤلاء الثلاثة ؟ فقال : المنافق كافر به ، والفاجر يتأكل به ، والمؤمن يؤمن به .

وخرجه الحاكم[4] وقال : هذا حديث صحيح رواته حجازيون وشاميون أثبات .

قال البيهقي[5] : وقد روي عن علي عن أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنهما ما يؤكد هذا التاريخ ، فذكر من طريق أبي أسامة ، عن مجالد ، عن عامر قال : لما رجع عليّ من صفين قال : يا أيها الناس لاتكرهوا إمارة معاوية فإنه لو قد فقدتموه لقد رأيتم الرؤوس تنزو من كواهلها كالحنظل .

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٢٥٦/١٨ - ٢٥٧ ، كتاب الفتن واشراط الساعة ، باب (١٨) لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء ، حديث رقم (٢٩١٧) .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٤٦٤/٦-٤٦٧ ، باب ما جاء في إخباره النبي ﷺ بالفتن التى ظهرت بعد الستين من أغيلمة من قريش فكان كما أخبر .

(٣) مريم : ٥٩ .

(٤) (المستدرك) : ٤٠٦/٢ ، كتاب التفسير ، باب (١٩) تفسير سورة مريم . حديث رقم (٣٤١٦)، وقال الحافظ الذهبى في (التلخيص) : صحيح .

(٥) (دلائل البيهقي) : ٤٦٦/٦ ، باب ما جاء في إخبار النبي ﷺ بالفتن التى ظهرت بعد الستين من أغيلمة من قريش فكان كما أخبر .

ومن حديث العباس بن الوليد[١] بن مزيد البيروتي قال : أخبرنا أبي قال: حدثنا ابن جابر عن عمير بن هانيء أنه حدثه قال : كان أبوهريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه يمشي في سوق المدينة وهو يقول اللهم لا تدركني سنة الستين، ويحكم! تمسكوا بصدغي معاوية : اللهم لا تدركني إمارة الصبيان .

قال البيهقى[٢] : وهما إنما يقولان مثل هذا الشئ سمعاه من النبي ﷺ .

وخرج البيهقى[٣] من طريق هوذة بن خليفة قال : حدثنا عوف بن أبي خلدة عن أبي العالية قال : لما كان يزيد بن أبي سفيان أميراً بالشام غزا الناس فغنموا وسلموا ، فكان في غنيمتهم جارية نفيسة فصارت لرجل من المسلمين في سهمه ، فأرسل إليه يزيد فانتزعها منه ، وأبوذر رضي الله تبارك وتعالى عنه يومئذ بالشام قال : فاستغاث الرجل بأبي ذر على يزيد ، فانطلق معه ، فقال ليزيد : ردّ على الرجل جاريته - ثلاث مرات - ، قال أبو ذر : أما والله لئن فعلت لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : أن أول من يبدل سنتى رجل من بني أمية ، ثم ولّى عنه ، فلحقه يزيد فقال : أذكرك بالله أنا هو؟ قال : اللهم لا ، وردّ على الرجل جاريته .

قال البيهقي[٤] : يزيد بن أبي سفيان كان من أمراء الأجناد بالشام في أيام أبي بكر وعمر رضي الله تبارك وتعالى عنهما ولكن سَميه يزيد بنَ معاوية يشبه أن يكون هو ، قال : وفى هذا الإسناد إرسال بين أبي العالية وأبي ذر ، وقد روى من وجه آخر .

فذكر من طريق يعقوب بن سفيان قال : أخبرنا عبدالرحمن بن عمرو الحرانى ، حدثنا : محمد بن سليمان ، عن ابن غنيم البعلبكى ، عن هشام بن الغاز ، عن مكحول ، عن أبي ثعلبة الخشني ، عن أبي عبيدة بن الجراح رضي

---

(١) (المرجع السابق) .

(٢) (المرجع السابق) .

(٣) (المرجع السابق) : ٤٦٦ - ٤٦٧ .

(٤) (المرجع السابق) : ٤٦٧ .

الله تبارك وتعالى عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : لايزال هذا الأمر معتدلاً قائماً بالقسط حتى يثلمه رجل من بني أمية[1] .

وأما ظهور صدقه ﷺ في أن قيس بن خرشة القيسى لايضره بشر

فخرج الحافظ أبو عمر بن عبدالبر[2] من طريق ابن وهب قال : حدثنى حرملة بن عمران عن يزيد بن أبي حبيب أنه سمعه يحدث محمد بن يزيد بن أبي زياد الثقفى ، قال : اصطحب قيس بن خرشة وكعب الكتابيين حتى إذا بلغا صفين وقف كعب ، ثم نظر ساعة ، قال : فقال لا إله إلا الله ، ليهرقن بهذه البقعة من دماء المسلمين شئ لم يهرق ببقعة من الأرض ، فغضب قيس ، ثم قال : وما يدريك يا أبا إسحاق ما هذا ؛ فإن هذا من الغيب الذي استأثر الله به ، فقال كعب : ما من شبر من الأرض إلا وهو مكتوب في التوراة التى أنزل الله على نبيه موسى بن عمران عليه السلام - مايكون عليه إلى يوم القيامة ، فقال : محمد بن يزيد : ومن قيس بن خرشة ؟ فقال له رجل : تقول : ومن قيس بن خرشة ؟ وما تعرفه وهو رجل من أهل بلادك ؟ قال : والله ما أعرفه ، قال : فإن قيس بن خرشة قدم على رسول الله ﷺ فقال : أبايعك على ماجاءك من الله، وعلى أن أقول بالحق ، فقال رسول الله ﷺ : ياقيس عسى إن مر بك

(١) (دلائل البيهقي) : ٤٦٧/٦ . باب ما جاء في إخبار النبي ﷺ بالفتن التى ظهرت بعد الستين من أغيلمة من قريش فكان كما أخبر . (المطالب العالية) : ٣٣٢/٤ ، باب لعن رسول الله ﷺ الحكم بن العاص وبنيه وبني أمية ، حديث رقم (٤٥٣٢) .

وقال البوصيري : رواه ابن منيع والحارث وأبو يعلى بسند منقطع وقال الهيثمي : رواه أبو يعلى والبزار ورجال أبي يعلي رجال الصحيح إلا أن مكحولاً لم يدرك أبا عبيدة .

(٢) (الاستيعاب) : ١٢٨٦/٣ - ١٢٨٨ ، ترجمة رقم (٢١٢٩) قيس بن خرشة القيسي .

الدهر أن يليك بعدي ولاة لا تستطيع أن تقول لهم(١) الحق ، قال قيس : لا والله، لا أبايعك على شئ إلا وفيت به ، فقال رسول الله ﷺ : إذاً لا يضرك بشر .

قال : فكان قيس يعيب زياداً أو ابنه عبيدالله بن زياد من بعده ، فبلغ ذلك عبيدالله بن زياد ، فأرسل إليه فقال : أنت الذي تفتري على الله وعلى رسوله ﷺ ؟ فقال : [لا والله ، ولكن إن شئت أخبرتك بمن يفتري على الله وعلى رسوله ﷺ ، قال : ومن هو؟ قال : من ترك العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، قال:](٢) ومن قال : من ترك العمل بكتاب الله وسنة رسوله ، قال : ومن ذلك ؟ قال : أنت ، وأبوك ، والذي أمركما ، قال : وأنت الذي تزعم أنه لا يضرك بشر ؟ قال : نعم ، قال : لتعلمن اليوم أنك كاذب ، ائتوني بصاحب العذاب ، فمال قيس عند ذلك فمات - رضي الله تبارك وتعالى عنه - وخزي ابن مرجانة(٣) .

(١) في (الأصل) : " معهم " ، وما أثبتناه من (الاستيعاب) .

(٢) ما بين الحاصرتين سقط من (الأصل) ، وأثبتناه من (الاستيعاب) .

(٣) (الاستيعاب) : ٣/١٢٨٦ - ١٢٨٨ ، ترجمة قيس بن خرشة القيسي رقم (٢١٢٩) .

وأما إنذاره ﷺ بقتل الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله تبارك وتعالى عنهما

فخرج الإمام أحمد[1] من حديث مُؤمل قال : حدثنا عمارة بن زاذان ، حدثنا ثابت عن أنس[بن مالك][2] رضي الله تبارك وتعالى عنه أن ملك القطر[3] استأذن [ربه][2] أن يأتي النبي ﷺ ، فأذن له فقال لأم سلمة : املكي علينا الباب ، لايدخل علينا أحد ، قال : وجاء الحسين [بن عليّ][4] ليدخل فمنعته ، فوثب فدخل فجعل يقعد على ظهر النبي ﷺ ، وعلى منكبه ، وعلى عاتقه ، قال: فقال الملك للنبي ﷺ : أتحبه ؟ قال : نعم ، قال [أما][2] إن أمتك ستقتله وإن شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه ، فضرب بيده فجاء بطينة حمراء، فأخذتها أم سلمة فصرتها في خمارها ، قال ثابت : بلغنا أنها كربلاء .

وخرجه البيهقي من حديث عبدالصمد بن حسان عن عمارة بن زاذان نحوه أو قريباً منه ، إلا أنه قال : فضرب بيده فأراه ترابا أحمر فأخذته أم سلمة رضي الله تبارك وتعالى عنها فصرته في طرف ثوبها ، فكنا نسمع ، أن يقتل بكربلاء ، قال : وكذلك رواه سفيان بن فروخ ، عن عمارة فذكره نحوه[5].

وقال أبو يعلي : حدثنا عبدالرحمن بن صالح الأزدي ، عن ليث بن أبي سليم ، عن جرير ، عن الحسن العبسي ، عن مولى لزينب ، أو عن بعض أهله ، عن زينب قالت : بينا رسول الله ﷺ في بيتي وحسين رضي الله تبارك وتعالى عنه عندي حين درج ، فغفلت عنه ، فدخل عليّ رسول الله ﷺ فجلس على بطنه فبال فانطلق لأخذه ، فاستيقظ رسول الله ﷺ فقال : دعيه ، فتركته

---

(١) (مسند أحمد) ٤/١٢٧ ، حديث رقم (١٣١٢٧) من مسند أنس بن مالك رضي الله تبارك وتعالى عنه ، حديث رقم (١٣٣٨٣) .

(٢) زيادة للسياق من (المرجع السابق) .

(٣) كذا في (الأصل) ، وفي(المرجع السابق) : " ملك القطر " .

(٤) من (الأصل) فقط .

(٥) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي) .

حتى فرغ ، ثم دعا بماء ، فقال : إنه يصب من الغلام ، ويغسل من الجارية ، فصبوا صباً ، ثم توضأ ، فقام فصلى ، فلما قام احتضنه إليه ، فإذا ركع أوجلس وضعه ثم جلس فشكا ، ثم مدّ يده فقلت حين قضى الصلاة : يارسول الله ، إني رأيتك اليوم صنعت شيئاً مارأيتك تصنعه ؟ قال : إن جبريل أتاني فأخبرني أن ابنى هذا تقتله أمتي ، فقلت : أرني تربته ، فأراني تربة حمراء .

وخرج الإمام أحمد[1] وأبوبكر بن أبي شيبة من حديث محمد بن شرحبيل بن مدرك الجعفي عن عبد الله بن نجي الحضرمي ، عن أبيه ، أنه صار مع عليّ رضي الله تبارك وتعالى عنه وكان صاحب مطهرته ، فلما حاذى نينوى وهو منطلق إلى صفين فنادى عليّ : صبراً أباعبد الله ، بشط الفرات ، فقلت : وماذاك ؟ قال : دخلت على النبي ﷺ ذات يوم وإذا عيناه تذرفان ، قلت : يانبى الله أغضبك أحد ؟ ماشأن عينيك تفضيان ؟ قال : بل قام جبريل من عندي قبل ، فحدثني أن الحسين يقتل بشط الفرات ، قال : فقال هل لك أن اشمك من تربته ؟ قلت : نعم ، فمدّ يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها ، فلم أملك عيني أن فاضتا .

وخرج الإمام[2] أحمد من حديث وكيع قال : حدثنى عبدالله بن سعيد ، عن أبيه ، عن عائشة ، أو أم سلمة رضي الله تبارك وتعالى عنهما ، قال لإحداهما لقد دخل عليّ البيت ملك لم يدخل عليّ قبلها ، فقال : إن ابنك هذا حسين مقتول ، وإن شئت أريتك من تربة الأرض التى يقتل بها ، قال : فأخرج تربة حمراء .

---

(١) (مسند أحمد) : ١٣٧/١ ، حديث رقم (٦٤٩) ، من مسند على بن أبي طالب رضي الله تبارك وتعالى عنه .

(٢) (المرجع السابق) : ٤١٨/٧ ، حديث رقم (٢٥٩٨٥) ، من حديث أم سلمة رضي الله تبارك وتعالى عنها زوج النبي ﷺ .

وخرج الحاكم[1] من حديث مصعب قال : حدثنا الأوزاعي عن أبي عمار شداد بن عبدالله ، عن أم الفضل بنت الحارث أنها دخلت على رسول الله ﷺ فقالت : يارسول الله إني رأيت حلماً منكراً الليلة ، قال : [وماهو] ؟ قالت : إنه شديد ، قال : [وماهو] ؟ قالت : رأيت كأن قطعة من جسدك قطعت ووضعت في حجري ، فقال رسول الله ﷺ : رأيت خيراً ، تلد فاطمة إن شاء الله غلاماً فيكون في حجرك ، فولدت فاطمة الحسين رضي الله تبارك وتعالى عنه ، فكان في حجري كما قال رسول الله ﷺ ، فدخلت يوماً إلى رسول الله ﷺ فوضعته في حجره ، ثم حانت مني التفاتة فإذا عينا رسول الله ﷺ تهريقان الدموع ، قالت : فقلت : يارسول الله ، بأبي أنت وأمي ، مالك ؟ قال : أتاني جبريل فأخبرني أن أمتي ستقتل ابنى هذا ، فقلت : هذا ؟ قال : نعم ، وأتاني بتربة من تربته حمراء .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين[2] [ولم يخرجاه]

وخرج من طريق أبي نعيم قال : حدثنا عبدالله بن حبيب بن أبي ثابت ، عن أبيه، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله تبارك وتعالى عنه ، قال: أوحى الله إلى محمد ﷺ أني قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً وإني قاتل بابن ابنتك سبيعن ألفاً وسبعين ألفاً . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد[3] .

---

(١) (المستدرك) : ١٩٤/٣ ، كتاب معرفة الصحابة ، أول فضائل أبي عبد الله الحسين بن على الشهيد رضي الله تبارك وتعالى عنهما ، ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، حديث رقم (٤٨١٨)، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص): بل منقطع ضعيف ، فإن شداداً لم يدرك أم الفضل ، ومحمد بن مصعب ضعيف .

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (المستدرك) .

(٣) (المستدرك) : ١٩٥/٣ - ١٩٦ ، كتاب معرفة الصحابة ، حديث رقم (٤٨٢٢) . وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : على شرط مسلم .

وخرَّج من حديث قرة بن خالد قال : حدثنا عامر بن عبدالواحد ، عن أبي الضحى ، عن ابن عباس قال : ماكنا نشك وأهل البيت متوافرون أن الحسين بن عليّ يقتل بالطف[1] .

وخرج أبوبكر بن أبي شيبة[2] من حديث يعلي بن عبيد ، عن موسى الجهني ، عن صالح بن أربد النخعي ، قال : قالت أم سلمة رضي الله تبارك وتعالى عنها : دخل الحسين بن عليّ رضي الله تبارك وتعالى عنهما على النبي ﷺ وأنا جالسة على الباب ، فاطلعت فرأيتُ في كفّ النبي ﷺ شيئاً يقلبه وهو نائم على بطنه! فقلت : يارسول الله تطلعت فرأيتك تقلب شيئاً في كفك ، والصبي نائم على بطنك ، ودموعك تسيل ، فقال : إن جبريل عليه السلام أتاني بالتربة التى يقتل عليها ، وأخبرني أن أمتي يقتلونه .

وخرَّج أبو نعيم أحمد من حديث عبدالله بن أحمد ، قال : حدثني عبد بن زياد الأسدي ، حدثنا عمرو بن ثابت عن الأعمش ، عن أبي وائل شقيق بن سلمة ، عن أم سلمة قالت : كان الحسين والحسن رضي الله تبارك وتعالى عنهما يلعبان بين يدي النبي ﷺ في بيتي ، فنزل جبريل فقال : يامحمد ، إن أمتك تقتل ابنك هذا من بعدك ، وأومأ بيده إلى الحسين ، فبكى رسول الله ﷺ ، وضمه إلى صدره ، ثم قال : وديعة عندك هذه التربة ، فشمها رسول الله ﷺ وقال : ريح كرب وبلاء ، وقال رسول الله ﷺ : يا أم سلمة ، إذا تحولت هذه التربة دماً فاعلمي أن ابني قد قتل ، قال : فجعلتها أم سلمة في قارورة ثم جعلت تنظر إليها كل يوم وتقول : تحولين دماً ليوم عظيم[3] .

وخرج من حديث يحيى بن عبد الحميد قال : حدثنا سليمان بن بلال عن كثير بن زيد ، عن المطلب بن عبد الله بن حنطب ، عن أم سلمة قالت : كان

---

(١) (المرجع السابق) : حديث رقم (٤٨٢٦) ، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : حجاج بن نصير متروك .

(٢) (المصنف) : ٧/٤٧٧ - ٤٧٨ ، كتاب الفتن ، باب (٢) ما ذكر في فتنة الدجال ، حديث رقم (٣٧٣٥٥) .

(٣) سبق تخريجهما .

النبي ﷺ جالساً في بيتي ذات يوم ، فقال : لايدخلن عليّ أحد ، فانتظرت ، فدخل الحسين ، فسمعت نشيج النبي ﷺ يبكي ، فاطلعت ، فإذا الحسين في حجره ، وإلى جنبه يمسح رأسه وهو يبكي ، فقلت : والله ما علمت به حتى دخل ، قال النبي ﷺ : إن جبريل كان معنا في البيت فقال : أتحبه ؟ فقلت : أما من حيث الدُنيا فنعم ، فقال:إن أمتك ستقتل هذا بأرض يقال لها كربلاء ، فتناول جبريل من ترابها فأراه النبي ﷺ ، فلما أحيط بالحسين رضي الله تبارك وتعالى عنه حين قتل ، قال : ما أسم هذه الأرض ؟ قالوا : أرض كربلاء ، قال : صدق رسول الله ﷺ ، أرض كرب وبلاء(١) .

وخرَّج البيهقي(٢) من حديث موسى بن يعقوب عن هاشم بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، عن عبد الله بن وهب بن زمعة ، قال : أخبرتني أم سلمة رضي الله تبارك وتعالى عنها أن رسول الله ﷺ اضطجع ذات يوم للنوم فاستيقظ وهو حائر ، ثم اضطجع فرقد ، ثم استيقظ وهو حائر دون ما رأيت منه في الكرة الأولي ، ثم اضطجع واستيقظ وفى يده تربة حمراء يقلبها ، فقلت : ما هذه التربة يا رسول الله ؟ قال : أخبرني جبريل عليه السلام أن هذا يقتل بأرض العراق – للحسين – فقلت : يا جبريل أرني تربة الأرض التى يقتل بها فهذه تربتها .

تابعه موسى الجهني عن صالح بن زيد النخعي عن أم سلمة وأبان ، عن شهر بن حوشب ، عن أم سلمة .

وخرَّج البيهقي(٣) من طريق سعيد بن الحكم بن أبي مريم قال : حدثني يحيى بن أيوب قال : حدثني ابن غزية وهو عمارة عن محمد بن إبراهيم ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال : كان لعائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها مشربة ، فكان رسول الله ﷺ إذا أراد لقي جبريل عليه السلام لقيه فيها ، فرقاها مرة من ذلك ، وأمر عائشة أن لايطلع [إليهم] أحد ، قال : وكان رأس الدرجة

---

(١) سبق تخريجهما .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٦/٤٦٨ .

(٣) (دلائل البيهقي) : ٦/٤٧٠ . في (الأصل) : " إليه " .

في حجرة عائشة ، فدخل الحسين بن علي فرقى ولم تعلم حتى غشيها ، فقال جبريل : من هذا ؟ قال : ابني ، فأخذه رسول الله ﷺ فجعله على فخده ، قال جبريل : سيقتل ، تقتله أمتك ، فقال رسول الله ﷺ : أمتي ؟ قال : نعم ، وإن شئت أخبرتك بالأرض التى يقتل فيها فأشار جبريل بيده إلى الطف بالعراق ، فأخذ تربة حمراء ، فأراه إياها .

قال البيهقي[1]: هكذا رواه يحيى بن أيوب عن عمارة بن غزية مرسلاً. ورواه إبراهيم بن أبي يحيى ، عن عمارة موصولاً فقال : عن محمد بن ابراهيم، عن أبي سلمة ، عن عائشة .

وخرّجه الحافظ أبونعيم[2] من حديث عطاء بن مسلم الخفاق ، عن الأشعث بن سحيم ، عن أبيه ، عن أنس بن الحارث ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن أمتي تقتل هذا بأرض من أراضي العراق ، فمن أدركه منكم فلينصره ، قال : فقتل أنس مع الحسين بن علي رضي الله تبارك وتعالى عنهم .

وذكر أبوبكر بن أبي شيبة[3] حدثنا : أحوص بن حبان عن يونس ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن نعجة قال : إن أول ذل دخل على العرب قتل الحسين بن علي وادّعاه زياد .

وخرّج البيهقي[4] من حديث شبابة بن سوار ، قال : حدثنا يحيى بن سالم الأسدي ، قال : سمعت الشعبى يقول : كان ابن عمر رضي الله تبارك وتعالى عنه قدم المدينة ، فأخبر أن الحسين بن علي قد توجه إلى العراق ، فلحقه على مسيرة ليلتين أو ثلاث من المدينة ، فقال : أين تريد ؟ قال : العراق ، ومعه

---

(١) (االمرجع السابق) : ٤٧٠ .

(٢) (دلائل أبي نعيم) : ٥٥٤ ، إخباره ﷺ عن قتل الحسين رضي الله تبارك وتعالى عنه ، حديث رقم (٤٩٣) ، ونقله الحافظ السيوطي في (الخصائص الكبرى) : ٢ /٤٥١ ، وقال : رواه ابن السكن والبغوي في الصحابة .

(٣) (المصنف) : ٧ / ٢٥٨ ، كتاب الأوائل ، باب (١) أول ما فعل ومن فعله ، حديث رقم (٣٥٨٤٩) .

(٤) (دلائل البيهقي) : ٦/٤٧٠ - ٤٧١ .

طومير وكتب ، فقال : لاتأتهم ، فقال : هذه كتبهم وبيعتهم ، فقال : إن الله عز وجل خيّر نبيه ﷺ بين الدنيا وبين الآخره فاختار الآخرة ، ولم يرد الدنيا وإنكم بضعه من رسول الله ﷺ والله لا يليها أحد منكم أبدا ، وماصرفها الله عنكم إلا للذى هو خير لكم ، فارجعوا فأبى ، وقال : هذه كتبهم وبيعتهم ، قال : فاعتنقه ابن عمر وقال : استودعك الله من قتيل .

وخرج الإمام أحمد(١) من حديث عبدالرحمن ، قال : حدثنا : حماد بن سلمة ، عن عمار بن أبي عمار ، عن ابن عباس رضي الله تبارك وتعالى عنه ، قال : رأيت النبي ﷺ في المنام نصف النهار ، أشعث أغبر ، معه قارورة فيها دم يلتقطه ، أو يتبع فيها شيئاً ، فقلت : ما هذا ؟ قال : دم الحسين وأصحابه لم أزل أتبعه منذ اليوم ، قال : فحفظنا ذلك فوجدناه قتل ذلك اليوم .

وخرج من حديث عفان ، حدثنا حماد ، حدثنا : عمار فذكره بنحو منه(٢) .

وخرج البيهقي(٣) من حديث مسلم بن إبراهيم ، قال : حدثتنا أم شوق العبدية ، قالت : حدثتنى نضرة الأزدية قالت : لما قتل الحسين بن على أمطرت السماء دماً فأصبحت وكل شئ [لنا](٤) ملآن [دماء](٥) .

ومن حديث سليمان بن حرب قال : حدثنا حماد بن زيد ، عن معمر قال: أول ماعرف الزهري تكلم في مجلس الوليد بن عبد الملك ، فقال الوليد : أيكم يعلم ما فعلت أحجار بيت المقدس يوم قتل الحسين بن علي ؟ فقال الزهري: بلغنى أنه لم يقلب حجر إلا وجد تحته دم عبيط(٦) .

---

(١) (مسند أحمد) : ١ / ٤٠٠ ، حديث رقم (٢١٦٦) من مسند عبد الله بن عباس رضي الله تبارك وتعالى عنه .

(٢) (المرجع السابق) : حديث رقم (٢٥٤٩) من مسند عبد الله بن عباس رضي الله تبارك وتعالى عنه .

(٣) (دلائل البيهقي) : ٦/٤٧١ .

(٤) من (الأصل) : فقط .

(٥) في (الأصل) : دماء ، وما أثبتناه من (الدلائل) .

(٦) (دلائل البيهقي) : ٦/٤٧١ .

وخرج الحاكم[1] من طريق نوح بن دراج عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري أن أسماء الأنصارية قالت : ما رفع حجر بإيليا ليلة قتل عليّ رضي الله تبارك وتعالى عنه إلا ووجد تحته دم عبيط .

وخرجه البيهقي[2] من حديث ابن عفير ، حدثنا حفص بن عمران عن السرى بن يحيى ، عن ابن شهاب قال : قدمت دمشق وأنا أريد الغزو فأتيت عبد الملك يعنى ابن مروان لأسلم عليه ، فوجدته في قبه على فرش يفوق القائم ، والناس تحته سماطان فسلمت وجلست ، فقال : يا ابن شهاب أتعلم ماكان في بيت المقدس صباح قتل ابن أبي طالب ؟ قلت : نعم ، قال : هلم ، فقمت من وراء الناس حتى أتيت خلف القبة وحوّل وجهه فأحنى عليّ فقال : ماكان ؟ فقلت : لم يرفع حجر في بيت المقدس إلا وجد تحته دم ، قال : فقال : لم يبق أحد يعلم هذا غيرى وغيرك ، ولايسمعن منك ، قال : فما تحدثت به حتى توفى.

قال البيهقي هكذا روى في قتل عليّ بهذا الإسناد ، وروى بإسناد أصح من هذا عن الزهري ، أن ذلك كان في قتل الحسين بن عليّ رضي الله تبارك وتعالى عنهما .

قال كاتبه : يريد ماتقدم ذكره من طريق سليمان بن حرب ، عن حماد .

وخرج من طريق أيوب بن محمد الرقى حدثنا : سلام بن سليمان الثقفي ، عن زيد بن عمرو الطندي ، قال : حدثتني أم حبان ، قالت : يوم قُتل الحسين أظلمت علينا ثلاثا : ولم يمس أحد منا من زعفرانهم شيئا فجعله على وجهه إلا احترق ، ولم يقلب حجر في بيت المقدس إلا أصبح تحته دم عبيط .

---

(١) (المستدرك) : ٣/١٥٥ ، كتاب معرفة الصحابة ، ذكر مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تبارك وتعالى عنه بأصح الأسانيد على سبيل الاختصار ، حديث رقم (٤٦٩٤) قال الحاكم : قد اختلفت الروايات في مبلغ سنّ أمير المؤمنين حين قتل ، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : نوح كذاب .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٦/٤٤٠-٤٤١ ، باب ماروى في إخباره بتأمير علي رضي الله تبارك وتعالى عنه وقتله فكانا كما أخبر .

ومن حديث علي بن مسهر قال : حدثتني جدتي ، قالت : كنت أيام الحسين جارية شابة فكانت السماء أياماً كأنها علقة[1] .

ومن حديث أبي بكر الحميدي حدثنا سفيان ، قال : حدثتني جدتي ، قالت : لقد رأيت الورس عاد رماداً ، ولقد رأيت اللحم كأن فيه النار حين قتل الحسين[2] .

ومن طريق سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد ، قال : حدثني جميل بن مرة ، قال : أصابوا إبلاً في عسكر الحسين يوم قُتل ، فنحروها وطبخوها قال : فصارت مثل العلقم ، فما استطاعوا أن يسيغوا منها شيئا[3] .

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٤٧٢/٦ .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٤٧٢/٦ .

(٣) (المرجع السابق) .

وأما إنذاره ﷺ بقتل أهل الحرة
وتحريق الكعبة المشرفة

فخرج البيهقي[(١)] من طريق يعقوب بن سفيان قال : حدثنا إبراهيم بن المنذر ، قال : حدثني ابن فليح عن أبيه ، عن أيوب بن عبد الرحمن ، عن أيوب بن بشير المعافري ، أن رسول الله ﷺ خرج من سفر من أسفاره ، فلما مَرّ بحرة زهرة وقف فاسترجع فساء ذلك من معه ، وظنوا أن ذلك من أمر سفرهم ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله تبارك وتعالى عنه : يارسول الله ! ما الذي رأيت ؟ فقال رسول الله ﷺ : أما إن ذلك ليس من سفركم هـذا ، قالوا: فما هو يارسول الله ؟ فقال : يقتل بهذه الحرة خيار أُمتي بعد أصحابي .

قال البيهقي[(٢)] : هذا مرسل وقد روي عن ابن عباس رضي الله تبارك وتعالى عنهما في تأويل آيه من كتاب الله تعالى مايؤكده ، فذكر من طريق ثور ابن يزيد عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : جاء تأويل هذه الآية على رأس ستين سنة ﴿ **ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لأتوها** ﴾[(٣)] قال : لأعطوها ، يعنى إدخال بني حارثة أهل الشام على أهل المدينة .

وخرج الإمام أحمد[(٤)] من حديث شعبة بن أوس عن بلال العبسي ، عن ميمونة رضي الله تبارك وتعالى عنها قالت : قال رسول الله ﷺ كيف أنتم إذا مرج الدين وظهرت الرغبةِ واختلف الإخوان ، وحرق البيت العتيق ؟ .

وذكر محمد بن الحسن بن زبالة ، عن إبراهيم بن محمد ، عن أبيه قال : أمطرت السماء على عهد عمر بن الخطاب فقال لأصحابه : هل لكم في هذا

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٤٧٣/٦ ، باب ما روى عن النبي ﷺ في إخباره بقتل أهل الحرة فكان كما أخبر .

(٢) (المرجع السابق) .

(٣) الأحزاب : ١٤ ، كذا في (الأصل) ، برواية ورش عن نافع وهى برواية حفص عن عاصم : ﴿ لآتوها ﴾ .

(٤) (مسند أحمد) : ٤٦٩/٧ ، حديث رقم (٢٦٢٨٩) .

الماء الحديث العهد بالعرش لننزل به ونشرب منه ؟ فلو جاء من مجيئه راكب لتمسحنا به ، فخرجوا حتى أتوا حرة واقم ، وشراجها تطرد ، فشربوا منها وتوضئنا فقال كعب : والله يا أمير المؤمنين ليسيلن هذا الشراج بدماء الناس كما تسيل بهذا الماء ! فقال عمر : دعنا من أحاديثك ، قال : فدنا منه عبد الله بن الزبير فقال : يا أبا الحق ومتى ذلك ؟ وفي أي زمان ؟ قال : إياك أن يكون ذلك على يدك .

وعن موسى بن عقبة ، عن عطاء بن أبي مروان الواسطي ، عن أبيه ، عن كعب الأحبار قال : افنجد في كتاب الله حرة في المدينة تقتل بها مقتلة تضئ وجوههم يوم القيامة كما يضيء القمر ليلة البدر .

وذكر من حديث زيد بن كثير عن المطلب بن عبدالله ، عن ابن أبي ربيعة أنه مر بعروة بن الزبير وهو يبني قصره بالعقيق ، فقال : أردت الحرث يا أبا عبدالله ؟ قال : لا ، ولكنه ذكر لي أنه سيصيبها عذاب يعني المدينة ، فقلت: إن أصابها شئ كنت متنحياً عنها .

قال كاتبه : وكان من خبر وقعة الحرة[1] أن الوليد بن عتبة بن أبي سفيان عامل المدينة ليزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، بعث بوفد من أهل المدينة إلى يزيد فيهم عبدالله بن حنظلة الغسيل وعبدالله بن عمرو بن أبي حفص ، بن المغيرة المجذومي ، والمنذر بن الزبير بن العوام ، فأكرمهم يزيد وأعظم جوائزهم ، فلما عادوا إلى المدينة أظهروا شيم يزيد ، وعابوه بشرب الخمر ، وعزف القيان ، واللعب بالكلاب ، وخلعوه ، وبايعوا عبدالله بن حنظلة في سنه اثنين وستين ، فندب يزيد لحربهم مسلم بن عقبة المزني ، ويسمى مسرفاً ، في اثنى عشر ألف ، وعهد إليه إن ظهر عليهم أن يبيح المدينة ، وقاتلهم بعد مادعاهم إلى طاعة يزيد ، وأجّلهم ثلاثاً فلم يجيبوه ، فهزمهم بعد قتال شديد قتل فيه عبدالله بن حنظلة ، وعبدالله بن زيد المازني ، ومعقل بن سنان الأشجعي، في سبعمائة من حملة القرآن وعدة كثيرة .

قال أبو الهيثم : قتل يوم الحرة حرة واقم نحو من ستين ألف وخمسمائة.

---

(١) (تاريخ الطبري) : ٤٩٥/٥ من أحداث سنة (٦٣هـ) .

وقال : أبو مخنف : المقتولون من وجوه قريش سبعمائة. وقال أبو جعفر الطبرى : قتل من القراء سبعمائة ومن الصاحبة أربعة : عبد الله بن يزيد ابن عاصم ، ومعقل بن يسار ، ومحمد بن عمرو بن حزم ، وعبد الله بن حنظلة الغسيل ، وأنهب المدينة ثلاثاً فانتهبت ، وذلك يوم الأربعاء لثلاث أيام ، افتضّ فيها ألف عذراء ! وكان الذي أدخل أهل الشام بنو حارثه من خلف الناس حينئذ، فانهزموا حنيئذ ، ودعا مسرف الناس إلى بيعة يزيد على أنهم خول له يحكم في دمائهم وأموالهم وأهليهم ماشاء ، وقتل من امتنع من ذلك حتى أسرف في القتل والظلم ، فسموه مسرفاً لذلك قبَّحهُ الله[1] .

وخرج الحاكم[2] من حديث يزيد بن هارون ، أخبرنا ابن عون ، عن خالد بن عبد الحويرث عن عبد الله بن عمرو رضي الله تبارك وتعالى عنهما ، عن النبي ﷺ قال : الآيات خرزات منظومات في سلك ، يقطع السلك فيتبع بعضها بعضا .

قال ابن الحويرث : كنا نادين بالصباح وهناك عبد الله بن عمرو وكان هناك امرأة من بني المغيره يقال لها فاطمة ، فسمعت عبد الله بن عمرو يقول: ذاك يزيد بن معاوية ، فقالت : أكذاك ياعبد الله بن عمرو ، تجده مكتوباً في الكتاب ؟ قال : لا أجده باسمه ولكن أجد رجلاً من شجرة معاوية يسفك الدماء ، ويستحل الأموال ، وينقض هذا البيت حجراً حجراً ، فإن كان ذلك وأنا حي ، وإلا فاذكريني ، قال : وكان منزلها على أبي قبيس[3] فلما كان زمن الحجاج وابن الزبير ورأت البيت ينقض ، قالت : رحم الله عبد الله بن عمرو قد كان حدثنا بهذا .

قال كاتبه إنما أحرق البيت في حصار أيام يزيد بن معاوية وقال الليث : رمى الحجاج البيت بالنار فأحرقه ، فجاءت سحابة فمطرت على البيت لم

---

(١) (تاريخ الطبري) : ٤٩٥/٥ ، من أحداث سنة (٦٣هـ) .

(٢) (المستدرك) : ٥٢٠/٤ - ٥٢١ ، كتاب الفتن والملاحم ، حديث رقم (٨٤٦١) ، وسكت عنه الحافظ الذهبي في (التلخيص) .

(٣) أبو قبيس : اسم جبل .

تجاوزه وأطفأت النار ، وجاءت صاعقة فأحرقت المنجنيق وما فيه ، وانكسر الحجر الأسود حين رمى الحجاج البيت[١] .

وأما إنذاره ﷺ بذهاب بصر عبد الله بن عباس رضي الله تبارك وتعالى عنه فكان كذلك وعمي قبل موته

فخرج البيهقي[٢] من حديث عبدالعزيز بن محمد الدراوردي عن ثور بن يزيد ، عن موسى بن ميسرة ، أن بعض بني عبد الله سايره في طريق مكة ، قال : حدثني العباس بن عبد المطلب أنه بعث ابنه عبدالله إلى رسول الله ﷺ في حاجة فوجد عنده رجلاً ، فرجع ولم يكلمه من أجل مكان الرجل معه ، فلقي رسول الله ﷺ العباس بعد ذلك ، فقال العباس : أرسلت إليك ابني فوجد عندك رجلاً فلم يستطع أن يكلمك ، فرجع ، قال : ورآه ؟ قال : نعم ! ، قال : أتدري من ذلك الرجل؟ ذاك الرجل جبريل - عليه السلام - ، ولن يموت حتى يذهب بصره ويؤتى علما .

وخرّجه الحاكم[٣] من حديث عاصم بن على ، قال : حدثتنا زينب بنت سليمان بن علىّ بن عبدالله بن عباس ، قال : حدثنى أبي قال : سمعت أبي يقول: بعث العباس ابنه عبدالله إلى النبي ﷺ فنام وراءه ، وعند النبي ﷺ رجلا فالتفت النبي ﷺ فقال : متى جئت ياحبيبى ؟ قال : مذ ساعة قال : هل رأيت عندى أحداً ؟ قال : نعم ، رأيت رجلاً ، قال : ذاك جبريل عليه السلام ولم يره خلق إلا عمي إلا أن يكون نبياً ، ولكن عسى أن يجعل ذلك في آخر عمرك ، ثم قال : اللهم علّمه التأويل ، وفقهه في الدين ، واجعله من أهل الإيمان . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد .

---

(١) راجع التعليق : رقم (١) .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٤٧٨/٦ ، قال في (مجمع الزوائد) : فيه من لم أعرفه .

(٣) (المستدرك) : ٦١٧/٣ - ٦١٨ ، كتاب معرفة الصحابة حديث رقم (٦٢٨٧) ، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : بل منكر .

وخرج أبونعيم[1] من حديث صالح بن أبي الأسود ، عن أبي الجارود ، عن شوذب ، عن عكرمة ، قال : خرجت بابن عباس وهو على راحلته فلما أخرجها من الحرم قال : إن رسول الله ﷺ حدثني أنه سيذهب بصري وقد ذهب، وحدثني أنى سأغرق وقد غرقت في بحيرة طبرية ، وحدثني أني سأهاجر من بعد فتنة ، اللهم وأني أشهدك أن هجرتي اليوم إلى محمد بن علي بن أبي طالب .

وأما إنذاره ﷺ زيد بن أرقم بالعمى فكان كذلك

فخرج البيهقي[2] من طريق المعتمر قال : حدثنا نباته بن بنت بريد ، عن حمادة ، عن أنيسة بنت زيد بن أرقم ، عن أبيها : أن النبي ﷺ دخل على زيد يعوده من مرض كان به ، قال : ليس عليك من مرضك بأس ، ولكن كيف بك إذا أعمرت بعدي فعميت ؟ قال : إذا احتسب وأصبر . قال : إذاً تدخل الجنة بغير حساب قال ، فعمي بعد ما مات النبي ﷺ ثم ردَّ الله عليه بصره ثم مات .

وأما إخباره ﷺ من يأتي بعده من الكذابين [وإشارته إلى من يكون] منهم من ثقيف فكان كما أخبر

فخرج مسلم[3] من حديث مالك عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه ، عن النبي ﷺ ، قال : لاتقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين ، كلهم يزعم أنه رسول الله ﷺ .

---

(١) لم أجده .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٦/٤٧٩ .

(٣) (مسلم بشرح النووي) : ١٨/٢٦٠ ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب (١٨) لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء ، حديث رقم (٨٤) .

خرجه أيضاً من طريق عبدالرزاق قال : حدثنا معمر ، عن همام عن أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه بمثله ، غير أنه قال : ينبعث[1] .

وخرج الحافظ[2] أبو أحمد بن عدي ، من حديث أبي يعلي الموصلي قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا محمد بن الحسن ، حدثنا : شريك عن أبي الحق ، عن عبد الله بن الزبير رضي الله تبارك وتعالى عنه ، قال : قال رسول ﷺ لاتقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً منهم مسيلمة والعنسي ، والمختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن قسي ، وهو ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور ابن عكرمة بن خصفة بن قيس غيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، أمه دومة بنت عمرو بن وهب بن معقبة بن مالك بن كعب بن عمرو بن عوف بن ثقيف ، كان المختار خارجياً ، ثم صار زبيرياً ، ثم صار رافضياً في ظاهره ، وزعم أنه يوحى إليه فيسجع به سجعاً . وولاه ابن الزبير الكوفة ، ثم خرج يطلب بدم الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، فقتل عبيدالله بن زياد في حرب ، وقتل أناساً كثيرة ، ثم قتله مصعب بن الزبير سنة سبع وستين ، وشر قبائل العرب بنو أمية ، وبنو حنيفة ، وثقيف .

قال ابن عدي : وهذا لا أعلم رواه عن شريك إلا محمد بن الحسن الأسدي ، وله إفرادات ، وحدث عنه الثقات من الناس ، ولم أجد بحديثه بأساً .

قال البيهقي : ولحديث هذا المُختار بن أبي عبيد الثقفي شواهد صحيحة .

وذكر من طريق أبي داود الطيالسي قال : حدثنا الأسود بن سفيان ، عن أبي نوفل بن أبي عقرب ، عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تبارك وتعالى عنهما أنها قالت للحجاج بن يوسف : أما إن رسول الله ﷺ حدثنا أن في ثقيف كذابا ومبيراً ، فأما الكذاب فقد رأيناه ، وأما المبير فلا أخالك إلا اياه قال : فقام عنها ولم يراجعها .

---

(١) (المرجع السابق) الحديث الذي يلى الحديث السابق .

(٢) (الكامل في ضعفاء الرجال) لابن عدي : ٦/١٧٣-١٧٤ ، حديث رقم ٣٦/١٦٥٧ .

خرجه مسلم[1] في الصحيح من وجه آخر عن الأسود بن شيبان .

وذكر من طريق عبدالله بن الزبير الحميدي قال : حدثنا سفيان هو ابن عيينة حدثنا أبو المحياة عن أمه ، قالت : لما قتل الحجاج بن يوسف عبدالله بن الزبير، دخل الحجاج على أسماء بنت أبي بكر فقال لها : يا أمّه ، إن أمير المؤمنين أوصانى بك فهل لك من حاجة ؟ فقالت : لست لك بأم ، ولكنى أم المصلوب على رأس الثنية ، وما لى من حاجة ، ولكن انتظر حتى أحدثك بما سمعت من رسول الله ﷺ ، يقول : يخرج في ثقيف كذاب ومبير ، فأما الكذاب فقد رأيناه يعنى المختار[2]، وأما المبير فأنت ، فقال الحجاج : مبير المنافقين .

ومن طريق أبي داود الطيالسي قال : حدثنا شريك عن أبي علوان عبدالله بن عصمة ، عن ابن عمر رضي الله تبارك وتعالى عنهم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن في ثقيف كذاباً ومبيراً .

قال كاتبه : المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو بن غمير بن عوف ابن عقدة بن غيرة بن عوف بن قسي بن منبه ، وقسي هو ثقيف ، كان شاباً مع عمه سعد بن مسعود الثقفي وهو على المدائن لعلي رضي الله تبارك وتعالى عنه ، ثم نزل الكوفة وأنزله في داره ، فأراد نصرته ، فقبض عليه عبيدالله بن زياد بعد ماضرب وجهه بقضيب فشتر عينه ، ثم حبسه حتى قتل الحسين رضي الله تبارك وتعالى عنه ، لأنه كان زوج أخته صفيه بنت أبي عبيد ، وأخرجه إلى الحجاز ، فأقسم ليأخذن بثأر الحسين وليقتلن بقتله عدة من على دم يحيى بن زكريا عليهما السلام ، ونزل الطائف وزعم أنه مبيد الجبارين ثم تبع عبدالله بن الزبير وقاتل معه ، فلما مات يزيد بن معاوية مضى إلى الكوفة فكان لايمر على مجلس إلاّ سلّم عليه ، قال : أبشروه بالنصر والفتح ، أتاكم ماتحبون فأجمعت الشيعة إليه ، فقال : لهم إن المهدي يعني محمد بن الحنيفة -بعثنى إليكم أميناً ووزيراً ، وأمرنى بقتال الملحدين ، والطلب بدم أهل بيته ، فبايعوه ، فقبض عليه

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ١٦/٣٣٢-٣٣٤ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب (٥٨) ذكر كذاب ثقيف ومبيرها ، حديث رقم (٢٢٩) .

(٢) (المرجع السابق) .

وسجن ، فلما قتل سليمان بن حرد آخرج من السجن ، فأخذ يجمع الشيعة وخرج يظاهر الكوفة ليلاً في ربيع الأول سنة ستة وستين ، ونادى مناديه : يامنصور أمت ، ونادى آخر : يالثأرات الحسين ، فملك الكوفة بعد حروب شديدة ، وبايعة الناس ، فأحسن السيرة ، وسير بعوثة إلى أرمينية ، وأذربيجان ، والموصل، والمدائن ، وغير ذلك ، ثم وثب بمن في الكوفة من قتلة الحسين ، وقد خرج عليه أهل الكوفة وقاتلوه فظهر بهم في ذى الحجة منها ، وقتل منهم نحو الثمانمائة ، وتجرد لقتلة الحسين حتى أفناهم ، فكانوا ألوفاً ، فبعث عبدالله ابن الزبير لقتاله أخاه مصعب بن الزبير ، فكانت بينهم حروب عظيمة ، قتل فيها المختار ، وعمره سبع وستون سنة .

قال البيهقي(١): وقد شهد جماعة من أكابر التابعين على المختار بن أبي عبيد بما كان يستبطن ، وأخبر بعضهم بأنه من جملة الكذابين الذين أخبر النبي ﷺ بخروجهم بعده ، فذكر عن أبي داود الطيالسي قال : حدثنا قرة بن خالد ، عن عبدالملك بن عمير ، عن رفاعه بن شداد ، قال : كنت أبطن شيء بالمختار - يعنى : الكذاب - قال : فدخلت عليه ذات يوم ، فقال : دخلت وقد قام جبريل قبل من هذا الكرسي ! قال : فأهديت إلى قائم سيفي يعني لأضربه ، حتى ذكرت حديثاً حدثته عمرو بن الحمق الخزاعى ، أن النبي ﷺ قال : إذا أمن الرجل الرجل على دمه ، ثم قلته رفع له لواء الغدر يوم القيامة ، فكففت عنه ، وقال زائدة عن السدي عن رفاعة القتباني : قال : كنت بالسيف على رأس المختار بن أبي عبيد ، فسمعته ذات يوم يقول : قام جبريل من هذه النمرقة فأردت أن أسل سيفى فأضرب عنقه فذكرت حديثاً حدثنيه عمرو بن الحمق الخزاعي أنه سمع النبي ﷺ يقول : من أمن رجلاً على نفسه فقتله فأنا من القاتل برئ ، وإن كان المقتول كافراً ، قال : فتركته .

---

(١) (دلائل البيهقي) :٦/٤٨٢ ، باب ما جاء في إخباره بمن يكون من الكذابين وإشارته إلى من يكون منهم من ثقيف فكان كما أخبر .

قال البيهقي[١] وكذلك رواه سفيان الثوري وأسباط بن نصـر ، وغيرهما ، عن إسماعيل بن عبدالرحمن السندي .

وخرجه الإمام[٢] أحمد من طريق ابن نمير ، حدثنا : عيسى[القاري] أبو عمر حدثنا السدى عن رفاعة القتبانى قال : دخلت على المختار فألقى لي وسادة فقال : لولا أخي جبريل قام عن هذه لألقيتها لك ، قال : فاردت أن أضرب عنقه، فذكرت حديثاً حدثنيه [أخي] عمرو بن الحمق قال : قال رسول الله ﷺ: أيما مؤمن أمن مؤمناً على دمه فقتله ، فأنا من القاتل برئ .

ومن طريق الحميدي[٣] حدثنا : سفيان بن عيينة ، عن مجالد ، عن الشعبي قال : فأخرت أهل البصرة فغلبتهم بأهل الكوفة ، والأحنف ساكت لايتكلم، فلما رآني غلبتهم أرسل غلاماً له فجاءه بكتاب فقال لي : هاك اقرأ ، فقرأته، فإذا فيه من المختار إليه يذكر أنه نبي فقال : يقول الأحنف : أنى فينا مثل هذا .

قال البيهقي[١]: وقد روينا عن يحيى بن سعيد ، عن مجالد ، عن الشعبي قصة ما كان في الكتاب من موضوعه الذي كان يعارض به القرآن .

ومن طريق عبيد الله بن معاذ ، حدثنا أبي حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مُرّة ، سمعَ مرة يعنى الهمذانى ، قال : قال عبد الله بن مسعود : القرآن مامنه حرف ، أو قال : آية – شك – إلا وقد عمل به قوم أو قال سيعملون بها ، قال مُرة: فقرأت : ﴿ **ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحي إليّ ولم يوح إليه شيء أو قال سأنزل مثل ما أنزل الله** ﴾[٤] فقلت من عمل بهذه حتى كان المختار بن أبي عبيد .

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٤٨٣/٦ ، باب ما جاء في إخباره ﷺ بمن يكون بعده من الكذابين ، وإشارته ﷺ إلى من يكون منهم من ثقيف ، فكان كما أخبر .

(٢) (مسند أحمد) : ٢٩٤/٦ ، حديث رقم (٢١٤٤٠) ، من حديث عمرو بن الحمق الخزاعى رضي الله تبارك وتعالى عنه ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه .

(٣) (دلائل البيهقي) : ٤٨٣/٦ .

(٤) الأنعام : ٩٣ .

قال البيهقي[1]: ولعكرمة مولى ابن عباس فيما يقال عن الوحي والموضوع [سئل] [2]يريدون ماكان المختار يدّعيه من أنه يوحى إليه ، وأنّ عنده كتاب يسمى الموضوع .

ومن طريق أبي داود حدثنا : عبدالله بن الجراح عن جرير ، عن مغيرة، عن إبراهيم قال : قال عبيدة السلماني يعنى عن النبي ﷺ في خروج الكذابين ، قال إبراهيم : فقلت له أترى هذا منهم ؟ يعنى المختار بن أبي عبيد؟ قال عبيدة: أما إنه من الرؤوس[3] .

قال جامعه : وكانت سيرة المختار بن أبي عبيد في تتبع قتله الحسين وقتلهم ، شاهدة بصدق على ماخرجه الحاكم[4] من حديث أبي يعلى محمد بن شداد المسمعي ، حدثنا أبونعيم حدثنا عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت ، عن أبيه، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : أوحى الله إلى نبيكم أني قتلت بيحيى سبعين ألفاً ، وأني قاتل بابن ابنتك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً .

قال الحاكم : قد كنت أحسب دهراً أن المسمعي تفرد بهذا الحديث عن أبي نعيم حتى حدثناه أبو محمد السبيعي الحافظ ، حدثنا عبد الله بن محمد بن ناجية حدثنا حميد بن الربيع ، حدثنا أبو نعيم ، فذكره بإسناد نحوه .

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٦/٤٨٤.

(٢) في (الأصل) : " يقال " وما أثبتناه من (الدلائل) .

(٣) (المرجع السابق) : ٤٨٤ .

(٤) (المستدرك) : ٢/٢١٩ ، كتاب التفسير ، من سورة البقرة ، حديث رقم (٣١٤٧) ، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : عبد الله ثقة ، ولكن المتن منكر جداً ، فأما محمد بن شداد ، فقال الدارقطني : لا يكتب حديثه ، وأما حميد ، فقال ابن عدي : كان يسرق الحديث .

وأما إخباره ﷺ عبدالله بن الزبير رضي الله تبارك وتعالى عنه بأمره ومالقي

فخرج الحاكم[1]، وأبو نعيم[2] أحمد من طريق سعد أبي عاصم مولى سلميان بن عليّ ، قال : زعم لي كيسان مولى عبد الله بن الزبير قال : دخل سلمان على[رسول الله ﷺ] وإذا عبدالله بن الزبير معه طست بشرب مافيها ، فدخل عبدالله على رسول الله ﷺ فقال له : فرغت ؟ قال : نعم ، قال سلمان رضي الله تبارك وتعالى عنه : ماذاك يارسول الله ؟ قال : أعطيته غسالة محاجمي يهريق مافيها ، قال سلمان : ذاك شربة ، والذي بعثكم بالحق ، قال: شربته ؟ قال : نعم ، قال : لم ؟ قال : أحببت أن يكون دم رسول الله ﷺ في جوفي فقال بيده على رأس ابن الزبير وقال : ويل للناس منك ، وويل لك من الناس ، لاتمسك النار إلا قسم اليمين .

وخرجه من طريق الهنيد بن القاسم[3] بن عبدالرحمن بن ماعز قال : سمعت عامر بن عبد الله بن الزبير يحدث أن أباه حدثه أنه أتى النبي ﷺ وهو يحتجم ، فلما فرغ قال : يا عبد الله اذهب بهذا الدم فأهرقه حيث لايراك أحد ، فلما برزت عنه ﷺ حسوته فلما رجعت إلى النبي ﷺ قال : ماصنعت ؟ قلت جعلته في مكان ظننت أنه خاف عن الناس ، قال : فلعلك شربته ؟ قلت : نعم ، قال : ومن أمرك أن تشرب الدم ؟ ويلٌ لك من الناس وويلٌ للناس منك .

---

(١) (المستدرك) : ٦٣٨/٣ ، كتاب معرفة الصحابة ، ذكر عبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله تبارك وتعالى عنهما ، حديث رقم (٦٣٤٣) ، وسكت عنه الحافظ الذهبي في (التلخيص) .

(٢) (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء) : ٣٣٠/١ ، ترجمة عبد الله بن الزبير رقم (٤٦) ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه .

(٣) (المرجع السابق) : باختلاف يسير في اللفظ ، والمعنى واحد .

وخرج الحاكم[1] من طريق الأعمش عن شمر بن عطية ، عن هلال بن يساف ، قال : حدثني البريد الذي أتى ابن الزبير برأس المختار فلما رآه قال ابن الزبير : ماحدثني كعب بحديث إلا وجدت مصداقة ، إلا أنه حدثني أن رجلاً من ثقيف سيقتلني ، قال الأعمش : ومايدرى أن أبا محمد خذله الله خبأ له .

وأما إخباره ﷺ بالمبير الذي يخرج من ثقيف فكان كما أخبرﷺ

فخرج مسلم[2] من حديث يعقوب بن إسحاق الحضرى قال : حدثنا الأسود بن شيبان ، عن أبي نوفل رأيت عبدالله بن الزبير على عقبة المدينة ، قال : فجعلت قريش تمر عليه والناس حتى مر عليه عبد الله بن عمر فوقف عليه ، فقال : السلام عليك أباخبيب ، السلام عليك أباخبيب ، السلام عليك أباخبيب ، أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا ، أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا ، أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا ، والله إن كنت ماعلمت صواماً وصولاً للرحم، أما والله لأمة أنت أشرها ، لأمة خير، ثم نفذ عبد الله بن عمر رضي الله تبارك وتعالى عنه.

فبلغ الحجاج موقف عبدالله بن عمر وقوله ، فأرسل إليه ، فأنزل عن جذعه فألقى في قبور اليهود ، ثم أرسل إلى أمه أسماء بنت أبي بكر رضي الله تبارك وتعالى عنهما ، فأبت أن تأتيه ، فأعاد إليها الرسول لتأتين أو لأبعثن إليك من يسحبك بقرونك قال : فأبت ، وقالت : والله لا آتيك حتى تبعث إلى من يسحبني بقروني ! قال : فقال : أروني سبتي ! فأخذ نعليه ثم انطلق يتوذف حتى دخل عليها ، فقال لها : كيف رأيتني صنعت بعدوّ الله ؟ قالت : رأيتك أفسدت

---

(١) (المستدرك) : ٦٣٣/٣ ، كتاب معرفة الصحابة ، ذكر عبد الله بن الزبير رضي الله تبارك وتعالى عنهما ، حديث رقم (٦٣٣٣) ، وسكت عنه الحافظ الذهبي في (التلخيص) .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ٣٣٢/١٦ - ٣٣٤ كتاب فضائل الصحابة ، باب (٥٨) ذكر كذاب ثقيف، حديث رقم (٢٢٩) .

عليه دنياه ، وأفسد عليك آخرتك ، بلغنى أنك تقول له : يا ابن ذات النطاقين ، أنا والله ذات النطاقين ، أما أحدهما فكنت أرفع به طعام رسول الله ﷺ وطعام أبي بكر من الدواب ، وأما الآخر فنطاق المرأة التى لاتستغنى عنه ، أما إن رسول الله ﷺ قال : حدثنا أن في ثقيف كذاباً ومبيراً ، فأما الكذاب فرأيناه وأما المبير فلا إخالك إياه ، قال : فقام عنها ولم يراجعها .

وخرج الترمذي[1] من حديث شريك عن عبدالله بن عصم ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ في ثقيف كذاب ومبير .

قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب لانعرفه إلا من حديث شريك ، وشريك يقول : عبد الله بن عصم وإسرائيل يقول : عبدالله بن عصمة قال : أبوعيسى يقال الكذاب المختار بن أبي عبيد ، والمبير الحجاج بن يوسف .

قال الترمذي : حدثنا أبو داود سليمان بن سلم البلخى أخبرنا النضر بن شميل ، عن هشام بن حسان قال : احصوا ما قتل الحجاج صبراً فبلغ مائه ألف وعشرين ألف قتيل .

قال البيهقي : وقد حذر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ثم أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله تبارك وتعالى عنهما ، أمة محمد ﷺ شأن الحجاج بن يوسف ، وأخبرا بخروجه ، ولا يقولان ذلك إلا توفيفاً ، فذكر من طريق عثمان بن سعيد الدرامي قال : قرأت على أبي اليمان أن جرير بن عثمان حدثه عن عبدالرحمن بن ميسرة بن أزهر ، عن أبي عذبة الحمصي قال: قدمت على عمر بن الخطاب رضي الله تبارك وتعالى عنه رابع أربعة من الشام ، ونحن حجاج فبينا نحن عنده أتاه آت من قبل العراق فأخبرهم أنهم قد حصبوا إمامهم ، وقد كان عوضهم به مكان إمام كان قبله فحصبوه ، فخرج إلى الصلاة مغضباً فيها في صلاته ثم أقبل على الناس ، فقال : من هاهنا من أهل الشام ؟ فقمت أنا وأصاحبي ، فقال : يا أهل الشام ، تجهزوا لأهل العراق فإن الشيطان قد باض فيهم وفرخ ، ثم قال : اللهم إن قد لَبَّسوا عليّ فألبس عليهم ،

---

(١) (سنن الترمذي) : ٤٣٢/٤ - كتاب الفتن ، باب (٤٤) ما جاء في ثقيف ، حديث رقم (٢٢٢٠)

اللهم عجل لهم الغلام الثقفى يحكم فيهم بحكم الجاهلية ، لايقبل من محسنهم ، ولايتجاوز عن مسيئهم .

قال : أبواليمان : علم عمر رضي الله تبارك وتعالى عنه أن الحجاج خارج لامحالة ، فلما أغضبوه استعجل لهم العقوبة التى لابد لهم منها ، قال عثمان : وقلت له : إن هذا أحد البراهين على أمر الحجاج ، قال : صدقت .

وقد خرجه الدرامي من حديث عبدالله بن صالح ، أن معاوية بن صالح حدثه عن شريح بن عبيد ، عن أبي عذبة ، وذكر نحو ما تقدم أو قريباً منه ، قال : عبدالله : وحدثه ابن لهيعة بمثله قال : وما ولد الحجاج يومئذ .

ومن طريق عبدالرزاق ، حدثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار عن الحسن ، قال : قال علي رضي الله تبارك وتعالى عنه لأهل الكوفة : اللهم كما ائتمنتهم فخانوني ، ونصحت لهم فغشوني ، فسلط عليهم فتى ثقيف الذيال ، الميال ، يأكل خضرتها ، ويلبس فروتها ، ويحكم بحكم الجاهليه ، قال : يقول الحسن : وما خلق الحجاج يومئذٍ .

ومن طريق المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن أيوب بن مالك بن أوس ابن الحدثان عن عليّ رضي الله تبارك وتعالى عنه أنه قال : الشاب الذيال أمير المصرين يلبس فروتها ، ويأكل خضرتها ، ويقتل أشراف أهلها ، يشتد منه الفرقُ ، ويكثر منه الأرقُ ، يسلطه الله على شيعته .

ومن طريق يزيد بن هارون أخبرنا العوام بن حوشب قال : حدثني حبيب بن أبي ثابت قال : قال عليّ لرجل : لا متَّ حتى تدرك فتى ثقيف ، قيل له : يا أمير المؤمنين مافتى ثقيف ؟ قال : ليقالنِ له يوم القيامة أكفنا زاوية من زوايا جهنم ، رجل يملك عشرين سنة أو بضعاً وعشرين لايدع لله معصية إلا ارتكبها، حتى لو لم تبق إلا معصية واحدة ، وكان بينه وبينها باب مغلق لكسره حتى يرتكبها ، يقتل بمن أطاعه من عصاه[1] .

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٤٨٩/٦ ، باب ما جاء في إخباره بالمبير الذي يخرج من ثقيف وتصديق الله سبحانه قوله في الحجاج بن يوسف الثقفي غفر الله لنا ولجميع المسلمين .

ومن طريق أبي حاتم الرازى : حدثنا : عبدالله بن يوسف التنيسي ، حدثنا هشام بن يحيى الغساني قال : قال عمر بن عبدالعزيز لو جاءت كل أمة بخبيثها وجئناهم بالحجاج لغلبناهم[1].

وقال : أبوبكر بن عياش ، عن عاصم بن أبي النجود قال : مابقيت لله حرمة إلا وقد انتهكها الحجاج[2] .

وقال : عبدالرزاق أخبرنا معمر ، عن ابن طاووس ، قال : دخل رجل على أبي فقال : مات الحجاج بن يوسف يا أبا عبد الرحمن ! قال لأبى : أربعوا على أنفسكم حبس رجل عليه لسانه وعلم ما يقول ، فقال له الرجل : يا أباعبد الرحمن برح الخفاء هذه نساء وافد بن سلمة قد نشرن أشعارهن وخرقن ثيابهن ينحن عليه ، قال : أفعلوا ؟ قال : نعم ، قال : ﴿ **فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لِلهِ رب العالمين** ﴾ [3].

وخرج الحاكم[4] من طريق سفيان الثورى ، عن سلمة بن كهيل قال : اختلفت أنا والمرهبى في الحجاج ، فقال : مؤمن ، وقلت ، كافر .

ومن طريق ابي بكر بن عياش قال : سمعت الأعمش يقول : والله لقد سمعت الحجاج بن يوسف يقول : ياعجباً من عبد هذيل يزعم أنه يقرأ قرآناً من عند الله ، والله ماهو إلا رجز من رجز الأعراب ، والله لو أدركت عبد هذيل لضربت عنقه[5] .

---

(١) (المرجع السابق) .

(٢) (المرجع السابق) .

(٣) (المرجع السابق) .

(٤) (المستدرك) : ٣ / ٦٤٠ - ٦٤١ ، كتاب معرفة الصحابة حديث رقم (٦٣٥١) ، ثم قال بعقبه : وبيان صحته ما أطلق فيه مجاهد بن جبير رضي الله تبارك وتعالى عنه .

(٥) (المرجع السابق) : حديث رقم (٦٣٥٢) وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : يتأسف على ما فاته من قتل ابن مسعود بعد قتل ابن عمر ، وابن الزبير .

قال الحاكم : هذا بعد قتله عبدالله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، يتأسف على مافاته من قتل عبدالله بن مسعود رضي الله تبارك وتعالى عنه و عن العبادلة ولعن من أبغضهم وخذلهم .

وقيل للشعبى : الحجاج مؤمن ؟ فقال : مؤمن بالجبت والطاغوت و كافر بالله ، وسئل مجاهد عنه فقال : اسألوني عن الشيخ الكافر ، وينقل عنه أنه قال – وقد رأى الناس حول قبر الرسول ﷺ – : إنما يطوفون بأعواد ورمّة .

وخرج الإمام أحمد[1] من حديث إسحاق بن سعيد بن عمرو عن عبدالله بن عمرو قال : أشهد بالله لسمعت رسول الله ﷺ يقول يُحلها وتحل به رجل من قريش لو وزنت ذنوبه بذنوب الثقلين لوزنتها .

وخرجه البزار من حديث محمد بن كثير ، عن الأوزاعيّ ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة بن عبدالرحمن ، عن عبدالله بن عمرو ، أن رسول الله ﷺ قال : يلحد رجل بمكة يقال له عبدالله ، عليه نصف عذاب العالم. قال البزار لم يتابع محمد بن كثير عليه .

ورواه غيره عن الأوزاعي عن رجل من آل المغيرة ، عن المغيرة بن شعبة ، عن عثمان بن عفان .

وخرجه الإمام أحمد أيضاً[2] من حديث إسحاق بن سعيد ، حدثنا سعيد بن عمرو ، قال : أتى عبدالله بن عمرو بن الزبير وهوجالس في الحجر ، فقال : يا ابن الزبير إياك والإلحاد في حرم الله ، فإني أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول : يحلها وتحل به رجل من قريش ، لو وزنت ذنوبه بذنوب الثقلين لوزنتها ، قال : فانظر ألا تكون هو ، قال : يا ابن عمرو ! فإنك قد قرأت الكتب وصحبت الرسول ﷺ قال : فإني أشهدك أن هذا وجهي إلى الشام مجاهداً .

ومن حديث إسحاق بن سعيد[3] عن أبيه قال : أتى عبدالله بن عمرو بن الزبير فقال : يا ابن الزبير ، إياك والإلحاد في حرم الله فإني سمعت رسول الله

---

(١) (مسند أحمد) : ٢ / ٤٠٢ ، حديث رقم (٦٨٠٨) .

(٢) (المرجع السابق) : ٢ / ٤٤٠ ، حديث رقم (٧٠٠٣) .

(٣) (مسند أحمد) : ٢ / ٢٩٨ ، حديث رقم (٦١٦٥) .

ﷺ يقول : إنه سيلحد فيه رجل من قريش لو وزنت ذنوبه بذنوب الثقلين لرجحت ، قال فانظر ألا تكونه .

وخرج من حديث جعفر بن أبي المغيرة[1] عن ابن أبزى ، عن عثمان بن عفان ، رضي الله تبارك وتعالى عنه ، قال : قال له عبدالله بن الزبير عند حصره : إن عندى غائبة قد أعددتها لك ، فهل لك أن تحول إلى مكة ، فيأتيك من أراد أن يأتيك ؟ قال : لا ، إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : يلحد بمكة كبش من قريش اسمه عبدالله ، عليه نصف أوزار الناس .

وقال الزبير بن بكار : وحدثني محمد بن حسن يعنى ابن زبالة ، عن إبراهيم بن محمد ، عن نافع بن ثابت ، عن محمد من كعب القرظي ، أن رسول الله ﷺ دخل على أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله تبارك وتعالى عنها حين وُلد عبدالله بن الزبير فقال : أو هو ؟ تركت أسماء رضاع عبدالله بن الزبير لما سمعت رسول الله ﷺ يقول : أهو هو ، فقيل لرسول الله ﷺ إن أسماء تركت رضاع عبدالله بن الزبير لما سمعتك تقول أهو هو؟ فقال : أرضيعه ولوبماء عينيك ، كبش بين ذئاب ، ليمنعن الحرم وليقتلن به .

وأما إخباره بأن معترك المنايا بين الستين إلى السبعين فكان كما أخبر ﷺ

فخرج أبو يعلي الموصلي في مسنده ، قال : حدثنا إسحاق بن موسى بن عبد الله الأنصارى ، حدثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك ، عن إبراهيم بن الفضل بن سليمان ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ معترك المنايا بين الستين إلى السبعين ورواته رواة الصحيح ، إلا إبراهيم بن الفضل فهو ضعيف .

واختلفت في تأويل هذا الحديث فذهب بعضهم إلى أن معناه الإشارة إلى الفتن الواقعه فيما بين الستين والسبعين من الهجرة النبوية ، وقال آخرون بل

---

(١) (المرجع السابق) : ١ / ١٠٤ ، حديث رقم (٤٦٣) .

ذلك يشير إلى أن أعمار هذه الأمـة المحمدية في الغالب والأكثر تكون مابين ستين سنة إلى سبعين ، ولكل على ما ذهب إليه دليل ، وشواهد الأحوال تصدق ذلك وتؤيده ، فقد وقعت بين الستين إلى السبعين من سني الهجرة ، فمنها : قتل الحسين وقتال الحرة ، ومرج راهط ، ويوم جبانة السبيع[1] ، ووقائع المختار بن أبي عبيد ، ويوم جازر[2] ، وفتنة عبدالله بن الزبير ، والطاعون الجارف الذي هلك فيه بالبصرة في ثلاثة أيام في كل يوم سبعون ألفاً ، ومات فيه لأنس بن مالك ثلاثة وثمانون ابناً ، ويقال ثلاثة وسبعون ، ومات لعبدالرحمن بن أبي بكرة أربعون ابناً ، ومات لصدقة بن عامر الحارثي سبعة بنين في يوم واحد ، وطاعون الكوفة .

ويؤيد ذلك ماخرجه الإمام أحمد[3] من حديث يحيى بن أبي بكير ، حدثنا كامل أبو العلاء ، قال : سمعت أبا صالح عن أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : تعوذوا بالله من السبعين ، ومن إمارة الصبيان ، وقال : لاتذهب الدنيا حتى تصير للكع بن لكع ، وله عنده طرق .

والأكثر يتأول قوله : معترك المنايا مابين الستين إلى السبعين ، أن أكثر موت الناس وقد بلغوا من السنين مابين الستين والسبعين ، واحتجوا لذلك بما خرجه البخاري[4] من حديث معن بن محمد الغفاري عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه ، عن النبي ﷺ قال :

---

(١) يوم جبانة السبيع ، للمختار على أهل الكوفة ، وكان هذا اليوم لست ليال بقين من ذى الحجة سنة (٦٦هـ) وجبانة السبيع : من مواضع الكوفة . (أيام العرب في الإسلام) : ٤٤٥ – ٤٥٠ ، يوم جبانة السبيع ، رقم (٥٩) .

(٢) يوم خازر ، وكان لابن الأشتر على بن زياد ، سنة (٦٧هـ) ، وخازر إلى جنب قرية بينها وبين الموصل خمسة فراسخ . (المرجع السابق) : ٤٥١ .

(٣) (مسند أحمد) : ٢ / ٦٢٤ ، حديث رقم (٨١٢١) والحديث رقم (٨٤٤٠) .

(٤) (فتح الباري) : ٢٨٦/١١ – ٢٨٧ . كتاب الرقاق ، باب (٥) من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر حديث رقم (٦٤١٩) .

أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغ ستين سنة . تابعه أبوحازم وابن عجلان عن المقبري .

وقال عبدالرزاق ، عن معمر والثورى ، عن أبي خثيم ، عن مجاهد عن بن عباس رضي الله تبارك وتعالى عنه في قوله تعالى :﴿ **أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر** ﴾ قال : ستون سنة .

وخرج الأمام أحمد[1] من طريق محمد بن عجلان ، عن سعيد المقبرى عن أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من أتت عليه ستون فقد اعذر الله إليه في العمر. وعلق البخاري طريق ابن عجلان هذه .

وخرجه أبوبكر بن مردويه في (التفسير) من طريق أبي معشر، عن سعيد المقبرى ، عن أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من عمر ستين أوسبعين سنة فقد عذر الله إليه في العمر، وأبومعشر فيه ضعف .

وخرج الترمذي[2] من حديث محمد بن ربيعة ، عن كامل أبي العلاء ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : عمر أمتى من ستين إلى سبعين .

قال أبوعيسى : هذا حديث حسن غريب من حديث أبي صالح ، عن أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه وقد روى من غير وجه عن أبي هريرة .

وخرجه في كتاب الدعاء[3] من حديث عبدالرحمن بن محمد المحاربى عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه

---

(١) (مسند أحمد) : ٢ / ٦١٥ ، حديث رقم (٨٠٦٣) ، من مسند أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه .

(٢) (سنن الترمذي) : ٤ / ٤٨٩ - ٤٩٠ ، كتاب الزهد ، باب (٢٣) ما جاء في فناء أعمار هذه الأمة ما بين الستين إلى السبعين ، حديث رقم (٢٣٣١) ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه.

(٣) (المرجع السابق) : ٥/٥١٧ باب (١٠٢) ، في دعاء النبي ﷺ ، حديث رقم (٣٥٥٠) .
وأخرجه ابن ماجة في الزهد ، باب الأمل والأجل ، حديث رقم (٤٢٣٦) وإسناده حسن .

قال : قال رسول الله ﷺ : أعمار أمتى مابين ستين إلى سبعين ، وأقلهم من يجوز ذلك .

قال أبوعيسى : هذا حديث حسن غريب من حديث محمد بن عمرو، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وزعم بعضهم أن التأويل الأول أليق بالحديث ، لأن أكثر من الناس يموت في الصغر ، ومن تأمل هذا في الأطفال والأحداث عرف الحقيقة .

وقال المبرد في كتاب (الأزمنة) : تأمل حكيم إلى أخ له : لاتغتر بشبابك فإن أكثر من يموت الشباب ، والدليل على ذلك أن الشيوخ أقل الناس .

قال أبوالفتح البستى :

لاتغترن بشباب رائع خضل　　　فكم يعدم قبل الشيب شبانُ .

أما إخباره ﷺ بوقوع الشر بعد الخير الذي جاء به ثم وقوع الخير بعد ذلك الشر ، ثم وقوع الشر بعد الخير ، فكان كما أخبر

فخرج البخاري(1) في الفتن ، ومسلم(2) في الإمارة ، من حديث الوليد بن مسلم قال : حدثنا عبدالرحمن بن زيد بن جابر حدثنا بُسر بن عبيد الله

---

(1) باب (11) كيف الأمر إذا لم تكن جماعة ؟ حديث رقم (٧٠٨٤) ، وفيه حجة لجماعة الفقهاء في وجوب لزوم جماعة المسلمين ، وترك الخروج على أئمة الجور ، لأنه وصف الطائفة الأخيرة بأنهم دعاة على أبواب جهنم .

وفيه إنه متى لم يكن للناس إمام ، فافترق الناس أحزاباً فلا يتبع أحداً في الفرقة ، ويعتزل الجميع إن استطاع خشية من الوقوع في الشر . وعلى ذلك يتنزل ما جاء في سائر الأحاديث ، وبه يجمع بين ما ظاهره الاختلاف منها .

وفيه حكمة الله في عباده ، كيف أقام كلاً منهم فيما شاء ، فحبب إلى أكثر الصحابة السؤال عن وجوه الخير ليعملوا بها ، ويبلغوها غيرهم ، وحبب لحذيفة رضي الله تبارك وتعالى عنه السؤال عن الشر ليجتنبه ، ويكون سبباً في دفعه عمن أراد الله له النجاة ، وفيه سعة صدر النبي ﷺ ، ومعرفته بوجوه الحكم كلها ، حتى كان يجيب كل مسألة بما يناسبه .

ويؤخذ منه أن كل من حبب إليه شئ فإنه يفوق فيه غيره ، ومن ثم كان حذيفة رضي الله تبارك وتعالى عنه صاحب السرّ الذي لا يعلمه غيره ، حتى خُصّ بمعرفة أسماء المنافقين ، وبكثير الأمور الآتية .

ويؤخذ منه أن من أدب التعليم أن يعلم التلميذ من أنواع العلوم ما يراه مائلاً إليه من العلوم المباحة ، فإنه أجدر أن يسرع إلى تفهمه ، والقيام به ، وأن كل شئ يهدى إلى طريق الخير يسمى خيراً ، وكذا بالعكس .

ويؤخذ منه ذم من جعل للدين أصلاً خلاف الكتاب والسنة ، وجعلهما فرعاً لذلك الأصل الذي ابتدعوه .

وفيه وجوب ردّ الباطل ، وكل ما خالف الهدى النبوي ، ولو قاله من قاله من رفيع أو وضيع .

الحضرمي أنه سمع أبا إدريس الخولاني يقول : سمعت حذيفة بن اليمان رضي الله تبارك وتعالى عنه يقول : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني ، فقلت : يارسول الله إنّا كنا في جاهلية وشرّ فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير شر ؟ قال : نعم ، فقلت : هل بعد ذلك شر من خير قال : نعم ؟ وفيه دخن ، قال : قلت : ومادخنه ؟ قال : قوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هديي ، تعرف منهم وتذكر ، فقلت : هل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : نعم ، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها ، قلت : يارسول الله ، صفهم لنا ، قال : نعم ، قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ، قلت : يارسول الله ، فما تأمرنى إن أدركني ذلك ؟ قال : تلزم جماعة المسلمين وإمامهم ، قلت فإن لم يكن جماعة ولا إمام ؟ قال : فتعتزل تلك الفرق كلها ولو أنْ تعض [على أصل] شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك . اللفظ لمسلم ، ولم يقل فيه البخاري : يستنون بغير سنتى .

وذكر البخاري هذا الحديث أيضاً في باب علامات النبوة في الإسلام[1]، ولم يقل يستنون بغير سنتي ، وفى رواية الأصيلي : قوم يهدون بغير هديي ، وفى رواية أبي ذر : بغير هديي .

وخرجه البخاري[2] أيضاً من حديث يحيى بن سعيد عن إسماعيل ، حدثنى قيس عن حذيفة ، قال : تعلم أصحابى الخير ، وتعلمت الشر .

ووجد بخط أبي إسحاق بن قرقول على هذا الحديث ، قال أبوالحسن القابسى : ينبغى أن يتخذ هذا الحديث أصلا يرجع إليه عند نزول الحوادث .

وقد خرجه مسلم[3] أيضاً من حديث يحيى بن حسان قال : حدثنا معاوية بن سلام قال : حدثنا زيد بن سلام ، عن أبي سلام قال : قال حذيفة :

---

(٢) باب (١٣) وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ، وفى كل حال . وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة ، حديث رقم (١٨٤٧).

(١) (فتح الباري) : ٦ / ٧٦٣ - ٧٦٤ ، كتاب المناقب ، باب (٢٥) علامات النبوة في الإسلام ، حديث رقم (٣٦٠٦) .

(٢) (المرجع السابق) : حديث رقم (٣٦٠٧) .

قلت : يارسول الله إنّا كنا بشرّ ، فجاء الله بخير ، فنحن فيه ، فهل من وراء هذا الخير شر ؟ قال : نعم ، قلت : هل وراء ذلك الشر خير ؟ قال : نعم ، قلت: فهل من وراء ذلك الخير شر ؟ قال : نعم ، قلت : كيف ؟ قال : يكون بعدى أئمة لايهتدون بهداي ، ولايستنون بسنتى سيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين أئمة في إنس ، قال : قلت : كيف أصنع يارسول الله إن أدركت ذلك ؟ قال: نسمع وتطيع ، وإن ضُرب ظهرك ، وأخذ مالك فاسمع وأطع .

قال الدارقطني(١) : هذا عندي مرسل ، أبو سلام لم يسمع من حذيفة ، ولامن نظرائه الذين نزلوا العراق ، لأن حذيفة توفي بعد قتل عثمان رضي الله تبارك وتعالى عنه ، وقد قال فيه : قال حذيفة ، فهذا يدل على إرساله .

وخرج البيهقي(٢) من طريق عباس بن الوليد بن مزيد قال : أخبرنى أبي قال : وسُئل الأوزاعي عن تفسير حديث حذيفة حين سأل رسول الله ﷺ عن الشر الذي يكون بعد ذلك الخير ، قال الأوزاعي : هى الردة التى كانت بعد وفاة رسول الله ﷺ .

---

(٣) (مسلم بشرح النووي) : ١٢ / ٤٧٩ - ٤٨٠ ، كتاب الإمارة ، باب (١٣) وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ، وفى كل حال ، وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة ، حديث رقم (٥٢) .

(١) (مسلم بشرح النووي) : ١٢/ ٤٨٠ ، ضمن شرح الحديث رقم (٥٢) ، قال الدارقطنى : هذا عندى مرسل ، لأن أبا سلام لم يسمع حذيفة ، وهو كما قال الدارقطنى ، لكن المتن صحيح ، متصل بالطريق الأول ، وإنما أتى مسلم بهذا متابعة كما ترى ، وقد قدمنا في (الفصول) وغيرها أن الحديث المرسل إذا روى من طريق آخر متصلا ، تبين به صحة المرسل ، وجاز الاحتجاج به ، وبصير في المسألة حديثان صحيحان .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٦ / ٤٩١ ، باب ما جاء في إخباره ﷺ بالشر الذي يكون بعد الخير الذي جاء به ، ثم بالخير الذي يكون بعد ذلك ، ثم بالشر الذي يكون بعده ، وما يستدل به على إخباره بعمر بن عبد العزيز رضي الله تبارك وتعالى عنه ، وإشارته إلى ما ظهر من عدله وإنصافه في ولايته.

قال الأوزاعي : وفى مسألة حذيفة : فهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : نعم ، وفيه دخن .

قال الأوزاعي : الخير الجماعة ، وفى ولاتهم من تعرف سيرته ، وفيهم من تنكر سيرته ، قال : فلم يأذن له رسول الله ﷺ في قتالهم ماصلوا الصلاة .

وخرج من طريق أبي داود الطيالسي(١) قال : حدثنا داود الواسطي - وكان ثقة - قال : سمعت حبيب بن سالم قال : سمعت النعمان بن بشير بن سعد في حديث ذكره ، قال : فجاء أبو ثعلبة ، قال : يابشير بن سعد ، أتحفظ حديث رسول الله ﷺ في الأمراء ، وكان حذيفة قاعداً مع بشير ، فقال حذيفة : أنا أحفظ خطبتة ، فجلس أبو ثعلبة فقال حذيفة : قال رسول الله ﷺ إنكم في النبوة ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ، ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء ، ثم تكون جبرية تكون ماشاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، قال : فقدم عمر يعنى ابن عبدالعزيز ، ومعه يزيد بن النعمان فكتبت إليه أذكره الحديث ، وكتبت إليه أني أرجو أن يكون أمير المؤمنين بعد الجبرية ، فأخذ يزيد الكتاب فأدخله على عمر فسرّ به وأعجبه .

وخرج الحاكم(٢) من طريق سعيد بن عامر قال : حدثنا أبو عامر صالح بن رستم عن حميد بن هلال ، عن عبد الرحمن بن قرط قال : دخلت المسجد فإذا حلقة كأنما قطعت رؤوسهم ، وإذا فيهم رجل يحدث ، فإذا حذيفة قال : كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أساله عن الشر كيما أعرفه فأتقيه ، وعلمت أن الخير لايفوتنى ، قال : فقلت : يارسول الله ، هل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : ياحذيفة تعلم كتاب الله واعمل بما فيه ، ثم قال : في الثالثه : فتنه واختلاف ، قلت : يارسول الله هل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : ياحذيفة تعلّم كتاب الله واعمل بما فيه قلت : يارسول أبعد ذلك الشر من خير ؟

---

(١) (المرجع السابق) .

(٢) (المستدرك) : ٤ / ٤٧٨ ، كتاب الفتن والملاحم ، حديث رقم (٨٣٣٠) ، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : صحيح .

قال : فتن على أبوابهـا دعـاة إلى النـار، فـلأن تمـوت وأنـت عـاض علـى جـذل [شجرة] خير لك من أن تتبع أحـداً منهـم . قـال الحـاكم[1] : هـذا حديـث صحيـح الإسناد ولم يخرجاه .

قال كاتبه : هو معنى ماخرجاه في الصحيحين وتلك أحسن سياقة وأتم .

وخرج الحاكم[2] من طريق أبي داود الطيالسي قال : حدثنا أبوعوانـة عـن قتاده ، عن نضر بن عاصم ، عن سبيع بن خالد قال : خرجت إلى الكوفة زمـن فتحت تستر لأجلب منها بغالاً ، فدخلت المسجد ، فإذا صدع من الرجـال تعـرف إذا رأيتهم أنهم من رجال الحجاز ، قال : قلت مـن هـذا ؟ قـال : فحدقنـى القـوم بأبصارهم وقالوا : ماتعرف هذا ؟ هذا حذيفة صاحب رسول الله ﷺ قال : فقال حذيفة : إن الناس كـانوا يسـألون رسـول اللـه ﷺ عـن الخير وكنـت أسـأله عـن الشر.

قال : قلت يارسول الله ! أرأيت هذا الخير الـذي أعطانـا اللـه يكـون بعـده شر كما كان قبله ؟ قال : نعم ، قلت : يارسول اللـه فمـا العصمـة مـن ذلـك ؟ قال : السيف ، وقلت وهل للسيف من بقية ؟ قال : نعم ، قال : قلت : ثـم مـاذا ؟ قال : ثم هدنة على دخن ، قال : جماعة على فرقة ، فإن كان لله عزوجل يومئذ خليفة ضرب ظهرك وأخذ مالك ، فاسمع وأطع ، وإلا فمت وأنـت عاضـاً بجذل شجرة ، قال : قلت : ثم ماذا ؟ قال : يخـرج الدجـال ، ومعـه نهـر ونـار ، فمـن وقع في نـاره أجره وحـط وزره ، ومـن وقـع فـي نهـره ، وجـب وزره ، وحـط أجره، قلت : ثم ماذا ؟ قال : ثم إنما هى قيام الساعة .

وخرج الحاكم[2] من طريق أبي داود الطيالسي قال حدثنا أبوعوانـه عـن قتادة ، عن نصر بن عاصم ، عن سبيع بن خالد قال : خرجت إلى الكوفة زمـن فتحت تستر لأجلب منها بغالاً فدخلت المسجد فإذا صدع مـن الرجـال تعـرف إذا رأيتهـم أنهـم مـن رجـال الحجـاز ، قـال : قلت من هذا ؟ قـال : فحدقنـي القـوم

---

(١) في (الأصل) : هذا حديث حسن صحيح الإسناد ، ومـا أثبتنـاه مـن (المستدرك) ، ومـا بيـن الحاصرتين زيادة للسياق منه .

(٢) (المرجع السابق) : حيث رقم (٨٣٣٢) ، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : صحيح .

بأبصارهم وقالوا : ما تعرف هذا ، هـذا حذيفـة صـاحب رسـول اللـه ﷺ قـال : كان الناس سيألون رسول اله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر .

قال : قلت : يا رسول الله ! أرأيت هذا الخير الذي أعطانا الله يكون بعـده شر كما كان قبله ؟ قال : نعم ، قلت : يا رسول الله فما العصمة من ذلك ؟ قال: السيف ، وقلت : وهل للسيف من بقية ؟ قال : نعم ، قال : قلت : ثم ماذا ؟ قـال: ثم هدنة على دخن ، قال : جماعة على فُرقـة ، فـإن كـان للـه عـز وجـل يومئـذ خليفة ضرب ظهرك ، وأخذ مالك ، فاسمع وأطع ، وإلا فمت وأنت عاض بجذل شجرة ، قال : قلت : ثم ماذا ؟ قال : يخرج الدجال ، ومعه نهر ونار ، فمن وقع في ناره وحط وزره ، ومن وقع في نهره وجب وزره ، وحط أجره ، قلت : ثم ماذا ؟ قال : ثم إنما هى قيام الساعة . قال الحاكم : هـذا حديـث صحيـح الإسـناد ولم يُخرجاه .

وخرج الإمام أحمد[1] من حديث زيد بن أرطـاة عـن بعـض إخوتـه عـن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال : كل شئ ينقص إلا الشر ، فإنه يزاد فيـه . واللـه تبارك وتعالى أعلم .

قال كاتبه : هو معنى ما خرجاه في الصحيحين وتلك أحسن سياقه وأتم.

(١) (مسند أحمد) : ٧ / ٥٩٤ ، حديث رقم (٢٦٩٣٧) ، من حديث أبي الدرداء عويمر .

وأما إخباره ﷺ بيزيد بن معاوية[1]
وإحداثه في الإسلام الأحداث العظام

فخرج الحاكم[2] من طريق مجاشع بن عمرو ومنصور بن عمارة قالا : حدثنا ابن لهيعة عن أبي قبيل قال حدثني عبدالله بن عمرو بن العاص رضي

---

(١) هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية ، الخليفة ، أبو خالد ، القرشيّ ، الأموي ، الدمشقيّ ، أمه ميسون بنت بحدل الكلبية .

جعله أبوه وليّ عهده ، وأكره الناس على ذلك . له على هناته حسنة ، وهي غزو القسطنطينية ، وكان أمير ذلك الجيش ، وفيهم مثل أبي أيوب الأنصاري رضي الله تبارك وتعالى عنه .

عقد له أبوه بولاية العهد من بعده ، فتسلم الملك عند موت أبيه في رجب سنة ستين ، وله ثلاث وثلاثون سنة ، فكانت دولته أقل من أربع سنين ، ويزيد ممن لا نسبّه ولا نحبّه ، وله نظراء من خلفاء الدولتين ، وكذلك في ملوك النواحي ، بل فيهم من هو شَرٌّ منه ، وإنما عظم الخطب لكونه وُلي بعد وفاة النبي ﷺ بتسع وأربعون سنة ، والعهد قريب ، والصحابة موجودون، كابن عمر رضي الله تبارك وتعالى عنهما ، الذي كان أولى بالأمر منه ، ومن أبيه، وجده .

قال الحسن البصرى : أفسد أمر الناس اثنان : عمرو بن العاص يوم أشار على معاوية برفع المصاحف فحُملت ، ونال من القراء ، فحكم الخوارج ، فلا يزال هذا التحكيم إلى يوم القيامة .

والمغيرة بن شعبة ، فإنه كان عامل معاوية على الكوفة ، فكتب إليه معاوية : إذا قرأت كتابى فأقبل معزولاً ، فأبطأ عنه ، فلما ورد عليه قال : ما أبطأ بك ؟ قال : أمر كنت أوطئه وأهيئه ، قال : وما هو ؟ قال : البيعة ليزيد من بعدك ، قال : أو قد فعلت ؟ قال : نعم ، قال : ارجع إلى عملك ، فلما خرج قال له أصحابه : ما وراءك ؟ قال : وضعت رجل معاوية في غرزغيّ لا يزال فيه إلى يوم القيامة . قال الحسن : فمن أجل ذلك بايع هؤلاء لأبنائهم ، ولولا ذلك لكانت شورى إلى يوم القيامة ، توفى يزيد في نصف ربيع الأول سنة أربع وستين . (تهذيب سير الأعلام) : ١ / ١٢٨ ، ترجمة رقم (٣٨٩) ، (تاريخ الخلفاء) : ١٦٤ - ١٦٨ مختصراً .

الله تبارك وتعالى عنهما ، أن معاذ بن جبل أخبره قال : خرج علينا رسول الله ﷺ متغير اللون فقال : أنا محمد أوتيت فواتح الكلام وخواتمه ، فأطيعوني ما دمت بين أظهركم ، فإذا ذهب بي فعليكم بكتاب الله ، أحلوا حلاله وحرموا حرامه ، أتتكم الموتة ، أتكلم بالروح والراحة ، كتاب من الله سبق ، أتتكم الفتن كقطع الليل المظلم كلما ذهب رسل جاء رسل تناسخت النبوة فصارت ملكاً رحم الله من أخذها بحقها وخرج منها كما دخلها ، وذلك أن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس أحد رءوس الكفر، جاء يزيد من قبل أبيه فإن أباه معاوية ، أمه هند بنت عتبة هذا ، وقتله الله يوم بدر ، فهو يقول في سفره أنه ينتفي من عتبة رأس الكفر إن لم يأخذ بثأره من أحمد رسول الله ﷺ وينعق في شعره بأنه تشفى إذا أخذ بثأر عتبة لما قتل الحسين ابن بنت رسول الله ﷺ ، وكانت قتلة الحسين إحدى مصائب الإسلام التى انتهكت فيها بحرمات الله .

ومن شنائع يزيد أنه لما جهز الجيش إلى المدينة مع مسلم بن عقبة المري قال : خذها إليك أبا خبيب إنها كناصية الحصان الأشقر وادع إلهك في السماء فإنني داعٍ إليك رجال سُمر وأشعر .

يريد بأبي خبيب عبدالله بن الزبير - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ، ويستخف بدعائه إلى الله تعالى فإنه كان قد عاذ بالبيت الحرام . فكانت وقعة الحرة[١]، إحدى مصائب الإسلام الشنيعة ومضت جيوش يزيد بعدها من المدينة

- (٢) لم أجده في (المستدرك) .

(١) قال يعقوب : حدثنا يحى بن عبد بن بكير ، عن الليث بن سعد قال : كانت وقعة الحرة يوم الأربعاء لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وستين .

أخبرنا أبو الحسن بن الفضل ، أخبرنا عبد الله بن جعفر ، حدثنا يعقوب بن سفيان ، حدثنا يوسف بن موسى، حدثنا جرير عن مغيرة ، قال: أنهب مسرف بن عقبة المدينة ثلاثة أيام ، فزعم المغيرة أنه افتضّ فيها ألف عذراء .

ومسرف بن عقبة هو الذي يقال له : مسلم بن عقبة ، الذي جاء في قتال أهل الحرة ، وإنما سماه مسرفاً لإسرافه في القتل والظلم . (دلائل البيهقي) .

إلى مكة لمحاربه ابن الزبير بمكة وقد رميت الكعبة بالمنجنيق واحترقت من شرارة هبت بها الريح .

وأما إخباره ﷺ بأن جباراً من جبابرة بني أمية يرعف على منبره فكان كما أخبر ﷺ

فخرج الإمام أحمد[1] من حديث عبدالصمد قال : حدثنا حماد قال حدثني علي بن زيد قال : أخبرني من سمع أباهريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ليرعفن على منبري جبار من جبابرة بني أمية ، فيسيل رعافة . قال : فحدثني من رأى عمرو بن سعيد بن العاص رعف على منبر رسول الله ﷺ حتى سال رعافه .

وعمرو هذا هو أبو أمية عمرو الأشدق بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبدمناف الأموي القرشي أحد أشراف قريش ، ولاه معاوية مكة ثم استعمله يزيد بن معاوية على المدينة في رمضان سنة ستين فباشرها ، وكان عظيم الكبر حتى عزله في سنة إحدى وستين في ولايته ، رعف على المنبر أول ماخطب ، ثم شهد مع مروان بن الحكم مرج راهط[2] وحرب مصر ، فلما قام عبدالملك بن مروان قتله في سنة سبعين أو قبلها ، وقد ذكرتة ذكراً شافياً في كتاب (التاريخ الكبير المقفى)[3] .

---

(١) (مسند أحمد) : ٣ / ٣٣٠ ، حديث رقم (١٠٣٨٥) من مسند أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه .

(٢) مرج راهط : بنواحي دمشق ، وهو أشهر المروج في الشعر ، فاذا قالوه مفرداً فإياه يعنون . (معجم البلدان) : ٥ / ١١٨ ، موضع (١١٠٩٢) .

(٣) ترجمتة في (المقفى الكبير) :٢ / ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٦ ، ٣ / ١٥٦ ، ٢٧٩ ، ٥٧٧ ، ٥٨٠ ، ٦٠٧ ، ٦١٥ ، ٤ / ٣٣٣ ، ٤٥٧ ، ٣٥٨ ، ٦١٣ ، ٦ /٢٩٠ .

ولما رعف وهو يخطب قال : أعرابي جاء بالدم ، وناوله إنسان عمامة فمسحه بها فقال أعرابي : عمّ الناس الدم ، ثم ناوله إنسان عصا ذات شعبتين فقال أعرابي : شعب بين الناس[1] .

وأما إخباره ﷺ بتمليك بني أمية

فخرج الإمام أحمد[2] والحاكم[3] من حديث حجاج بن محمد ، حدثنا شعبة عن أبي حمزة قال : سمعت حميد بن هلال يحدث عن عبدالله بن مطرف ، عن أبي برزة الأسلمي ، قال : كان أبغض الأحياء إلى رسول الله ﷺ بنو أمية وبنو حنيفة وثقيف .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين .

وخرج الحاكم[4] من حديث أحمد بن محمد بن الوليد الأزرقي مؤذن المسجد الحرام ، قال : حدثنا مسلم بن خالد الزنجي ، عن العلاء بن عبدالرحمن، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : إني رأيت في منامي كأن بني الحكم بن أبي العاص ينزون على

---

(١) وخرج الحاكم من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : إني رأيت في منامى كأن بنى الحكم بن أبي العاص ينزون على منبرى كما تنزو القردة . قال : فما رؤي النبي ﷺ مستجمعاً ضاحكاً حتى توفي . قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : على شرط مسلم . كتاب الفتن والملاحم (المستدرك) : ٥٢٧/٤ ، حديث رقم (٨٤٨١) .

(٢) (مسند أحمد) : ٥ / ٥٧٩ ، حديث رقم (١٩٢٧٦) . من حديث أبي بردة الأسلمي ، ولفظه : كان أبغض الناس – أو أبغض الأحياء – إلى رسول الله ﷺ ثقيف وبنو حنيفة .

(٣) (المستدرك) : ٤ / ٥٢٨ ، كتاب الفتن والملاحم ، حديث رقم (٨٤٨٢) وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : على شرط البخاري ومسلم .

(٤) راجع التعليق رقم (١) .

منبري كما تنزو القرود ، قال : فما رؤي النبي ﷺ مستجمعاً ضاحكاً حتى توفى.

قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم .

وخرج الترمذي[1] من حديث أبي داود الطيالسي حدثنا : القاسم بن الفضل الحداني عن يوسف بن سعد قال : قام رجل إلى الحسن بن عليّ رضي الله تبارك وتعالى عنهما بعد ما بويع معاوية رضي الله تبارك وتعالى عنه فقال : سوّدت وجوه المؤمنين ! قال : لاتؤنبنى رحمك الله ، فإن النبي ﷺ أرى بنو أمية على منبره فساءه ذلك ، فزلت : **﴿ إنّا اعطيناك الكوثر ﴾**[2] يامحمد يعنى نهراً في الجنة ، ونزلت **﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر ﴾**[3] تملكها بعدك بنو أمية يا محمد ، قال القاسم : فعددناها فإذا هى ألف شهر لايزيد يوم ولا ينقص .

قال أبوعيسى : هذا حديث غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه ، والقاسم بن الفضل الحداني هو ثقة ، وثقه يحيى بن سعيد ، وعبدالرحمن بن مهدى ، ويوسف بن سعد مجهول ، ولانعرف هذا الحديث على هذا اللفظ إلا من هذا الوجه .

وقد خرج هذا الحديث البيهقي[4] من طريق أحمد بن زهير بن حرب حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا القاسم بن الفضل الحدانى .

ومن طريق أبي داود يعنى الطيالسى حدثنا القاسم بن الفضل قال حدثنا يوسف بن مازن الراسبي قال : قام رجل إلى الحسن بن علي فقال : يامسّود وجه المؤمنين ! فقال الحسن : لاتؤنبني رحمك الله . الحديث .

---

(١) (سنن الترمذي) : ٥/ ٤١٤ ، كتاب تفسير القرآن ، باب (٨٥) تفسير سورة القدر ، حديث رقم (٣٣٥٠) ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه .

(٢) الكوثر : ١ .

(٣) القدر : ١-٣ .

(٤) (دلائل البيهقي) : ٦ / ٥٠٩ - ٥١٠ ، باب ما جاء في رؤياه ﷺ في ملك بنى أمية .

وخرج الحاكم[1] من حديث بقية بن الوليد عن أبي بكر بن أبي مريم عن راشد بن سعد ، عن أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا بلغت بنو أمية أربعين اتخذوا عباد الله خولاً، ومال الله نحلاً ، وكتاب الله دغلاً .

وخرجه[2] من حديث بقية وعبدالقدوس بن الحجاج قالا : حدثنا : أبوبكر ابن أبي مريم عن راشد بن سعد عن أبي ذر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا بلغت بنو أمية أربعين اتخذوا عباد الله خولاً ، ومال الله نحلاً ، وكتاب الله دغلاً .

قال أبوبكر بن أبي مريم : وحدثني عمار بن أبي عمار أنه سمع أبا هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه يقول : سمعت رسول الله ﷺ [يقول] هلاك هذه الأمة على يدى أغيلمة من قريش .

[قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين]، قال : ولهذا الحديث توابع وشواهد عن رسول الله ﷺ وصحابته والأئمة من التابعين ، لم يسعنى إلا ذكرها ، فذكرت بعض ماحضرني منها .

فذكر من طريق عبد الرزاق بن همام[3] قال : حدثني أبي عن مينا مولى عبدالرحمن ، عن عبدالرحمن بن عوف رضي الله تبارك وتعالى عنه ، قال : كان لايولد لأحد مولود إلا أتي به النبي ﷺ فدعا له فأدخل عليه مروان بن الحكم فقال : هو الوزغ بن الوزغ الملعون بن الملعون . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد [ولم يخرجاه] الملعون .

---

(١) (المستدرك) : ٤ / ٥٢٥ - ٥٢٦ ، كتاب الفتن والملاحم ، حديث رقم (٨٤٧٥) ، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : على ضعف رواته منقطع .

(٢) (المرجع السابق) : حديث رقم (٨٤٧٦) ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه .

(٣) (المرجع السابق) : حديث رقم (٨٤٧٧) ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه ، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : لا والله ، وميناء كذبه أبو حاتم .

وذكر أيضاً من طريق إسحاق بن يوسف(١) ، حدثنا شريك بن عبد الله، عن الأعمش ، عن شقيق بن سلمة ، عن حلام بن جزل الغفاري قال : سمعت أباذر جندب بن جنادة الغفاري يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله دولاً ، وعباد الله خولاً ودين الله دغلاً، قال حلام : فأنكرت ذلك على أبي ذر ، فشهد عليّ بن أبي طالب رضي الله تبارك وتعالى عنه أني سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما أظلت الخضراء ، ولاأقلت الغبراء ، على ذى لهجة أصدق من أبي ذر ، وأشهد أن رسول الله ﷺ قاله .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، وشاهده حديث أبي سعيد الخدري ، فذكر عن طريق أبي صالح بن عمر(٢) ، حدثنا مطرف بن طريف عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا دين الله دغلاً ، وعبادالله خولاً ، ومال الله دولاً .

قال وهكذا رواه الأعمش عن عطية ، فذكره من طريق محمد بن حميد(٣) حدثنا جرير عن الأعمش ، عن عطية عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله دولاً ، ودين الله دغلاً ، وعباد الله خولاً .

قال كاتبه : وقد خرج هذا الحديث من طريق أبي بكر بن أبي إدريس ، قال : حدثني سليمان بن بلال عن العلاء بن عبدالرحمن عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه أن النبي ﷺ قال : إذا بلغ بنو أبي العاص أربعين رجلا اتخذوا دين الله دغلاً ، وعبادالله خولاً ، ومال الله دولاً .

---

(١) (المرجع السابق) : حديث رقم (٨٤٧٨) .

(٢) (المرجع السابق) : حديث رقم (٨٤٧٩) ، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : ورواه محمد بن حميد عن جرير عن الأعمش عن عطية .

(٣) (المرجع السابق) حديث رقم (٨٤٨٠) .

وخرج الحاكم(١) من حديث أمية بن خالد عن شعبة ، عن محمد بن زياد قال : لما بايع معاوية لابنه يزيد قال مروان : سُنَّة أبي بكر وعمر ، فقال عبدالرحمن بن أبي بكر ، سُنَّة كسرى وقيصر ، قال مروان : هو الذي أُنزل فيه ﴿ والذى قال لوالديه أف لكما ﴾(٢) الآية . قال : فبلغ عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها ، فقالت كذب والله ماهو به ، ولكن رسول الله ﷺ لعن أبا مروان، ومروان في صلبه ، فمروان قصص من لعنة الله . قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين .

وخرج من طريق مسلم بن إبراهيم(٣) ، حدثنا : جعفر بن سليمان الضبعى، حدثنا على بن الحكم البنانى ، عن أبي الحسن الجزرى ، عن عمرو ابن مرة الجهني ، وكانت له صحبة ، أن الحكم بن أبي العاص استأذن على النبي ﷺ فعرف صوته وكلامه ، فقال : ائذنوا له ، عليه لعنة الله ، وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمن منهم ، وقليل ماهم ، يشرفون في الدنيا ، ويوضعون في الآخرة ، ذوو مكر وخديعة ، يعطون في الدنيا ومالهم في الآخرة من خلاق. قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد . [ولم يخرجاه] .

وخرجه البيهقي(٤) من حديث مسلم بن إبراهيم ، حدثنا سعيد بن زيد أخو حمَّاد بن يزيد ، عن علي بن الحكم عن أبي الحسن ، عن عمرو بن مرة ،

---

(١) (المستدرك) : ٤ / ٥٢٨ ، كتاب الفتن والملاحم ، حديث رقم (٨٤٨٣) ، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : فيه انقطاع ، محمد لم يسمع من عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (المستدرك) ، وفيه " هرقل وقيصر " .

(٢) الإحقاف : ١٧ .

(٣) (المرجع السابق) : حديث رقم (٨٤٨٤) ، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : لاوالله ، فأبو الحسن من المجاهيل ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (المستدرك) .

(٤) (دلائل البيهقي) : ٦ / ٥١٢ ، باب ما جاء في رؤياه ﷺ في ملك بنى أمية ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه ، ثم قال في آخرة قال الدارمي : عبد الله بن عبد الرحمن أبو الحسن هذا حمصيّ.

وكانت له صحبة ، قال : جاء الحكم بن أبي العاص يستأذن على رسول الله ﷺ ، فعرف كلامه ، فقال : ائذنوا له ، حية أو ولد حية ، فذكره بنحو منه .

قال الحاكم[1] : وشاهده ، فذكر من حديث أحمد بن محمد بن الحجاج بن رشدين ، حدثنا إبراهيم بن منصور الخراسانى حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى ، عن محمد بن سوقة ، عن الشعبي ، عن عبدالله بن الزبير رضي الله تبارك وتعالى عنهما أن رسول الله ﷺ لعن الحكم وولده . قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ، وقال الحاكم[2] : ليعلم طالب العلم أن هذا باب لم أذكر فيه ثلث ماروى ، وأن أول الفتن في هذه الأمة فتنتهم ، ولم يسعنى فيما بينى وبين الله تعالى أن أخلى الكتاب من ذكرهم .

وخرج البيهقي[3] من حديث كامل بن طلحة ، حدثنا ابن لهيعة عن أبي قبيل أن ابن موهب أخبره أنه كان عند معاوية بن أبي سفيان ، فدخل عليه مروان ، فكلمه في حاجته ، فقال : اقض حاجتي يا أمير المؤمنين ، فوالله إن مؤونتي لعظيمة ، وإني أبوعشرة ، وعم عشرة ، وأخو عشرة ، فلما أدبر مروان وابن عباس جالس [مع][4] معاوية ، على السرير ، قال معاوية : أنشدك الله[5] يا ابن عباس[6] ألم تعلم أن رسول الله ﷺ قال : إذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله بينهم دولاً ، وعباد الله خولاً ، وكتاب الله دغلاً ،

---

(١) (المستدرك) : ٤ / ٥٢٨ - ٥٢٩ ، كتاب الفتن والملاحم ، حديث رقم (٨٤٨٥) ، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : الرشدينى ضعفه ابن عدىّ ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (المستدرك) .

(٢) (المرجع السابق) : ٤ / ٥٢٩ .

(٣) (دلائل البيهقي) : ٦ / ٥٠٧ - ٥٠٨ ، باب ما جاء في إخباره ﷺ بصفة بني عبد الحكم بن أبي العاص ، إذا كثروا ، فكانوا كما أخبر .

(٤) في (الأصل) : "عند" ، وما أثبتناه من (المرجع السابق) .

(٥) كذا في (الأصل) ، وفى (المرجع السابق) : " أشهد بالله " .

(٦) كذا في (الأصل) ، وفى (المرجع السابق) : " أما تعلم " .

فإذا بلغوا تسعة وتسعين وأربعمائة كان هلاكهم أسرع من لوك تمرة؟ فقال [ابن عباس] [١] : اللهم نعم[٢] .

وذكر مروان حاجة له ، فرد مروان عبدالملك إلى معاوية فكلمه فيها ، فلما أدبر عبد الملك قال معاوية : أنشدك الله يا ابن عباس ! أما تعلم أن رسول الله ﷺ ذكر هذا ؟ فقال : أبو الجبابرة الأربعة ؟ فقال ابن عباس : اللهم نعم .

وخرج من حديث سفيان[٣] عن علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب قال : رأى النبي ﷺ بني أمية على منابرهم فساءه ذلك ، فأوحى الله إليه إنما هى دُنيا أُعطوها ، فقرت عينه ، وهى قوله تعالى : ﴿ **وماجعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس** ﴾[٤] يعنى بلاء الناس.

وخرج الحاكم[٥] من حديث الفريانى حدثنا سفيان عن أبي إسحاق ، عن عمرو ذى مر عن عليّ رضي الله تبارك وتعالى عنه في قوله تعالى : ﴿**وأحلوا قومهم دار البوار** ﴾ قال : هم الأفخران من قريش ، بنو أمية ، وبنو المغيرة ، فأما بنو المغيرة فقد قطع الله دابرهم يوم بدر ، وأما بنو أمية فمتعوا حتى حين ، قال الحاكم : حديث صحيح الإسناد [ولم يخرجاه] .

ولأبى بكر بن أبي شيبه[٦] من حديث هوذة بن خليفة عن أبي خلدة عن عوف ، عن أبي العالية ، عن أبي ذر ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : أول من يبدل سنتي رجل من بنى أمية .

---

(١) ما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (المرجع السابق) .

(٢) قال ابن كثير : فيه غرابة ونكارة شديدة .

(٣) (دلائل البيهقي) : ٦ / ٥٠٩ ، باب ما جاء في رؤياة ملك بنى أميه .

(٤) الإسراء : ٦٠

(٥) (المستدرك) : ٢ / ٣٨٣ ، كتاب التفسير ، تفسير سورة إبراهيم ، حديث رقم (٣٣٤٣) : قال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : صحيح ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (المستدرك) .

(٦) (المصنف) : ٧ / ٢٥٩ ، حديث رقم (٣٥٨٦٦) .

وأما إخباره عليه الصلاة والسلام بالوليد وذَمّه له

فخرج البيهقي[١] من حديث بشر بن بكر ، قال : حدثني الأوزاعي ، قال حدثني الزهري ، قال : حدثني سعيد بن المسيب ، قال : ولد لأخي أم سلمة من أمها غلام فسموه[٢] الوليد ، فقال رسول الله ﷺ : تسمون بأسماء فراعنتكم ؟ غيروا اسمه ، فسموه عبدالله ، فإنه سيكون في هذه الأمة رجل يقال له الوليد ، هو شر لأمتي من فرعون وقومه قال البيهقي : هذا مرسل حسن .

وخرجه الحافظ أبو نعيم[٣] من حديث إسماعيل بن عياش ، عن الأوزاعي بنحوه وزاد ، قال الأوزاعي : قلت له : أيّ الوليد هو ؟ إن استخلف الوليد بن يزيد فهو هو ، وإلا فالوليد بن عبد الملك .

وقد خرجه الإمام أحمد[٤] من حديث الأوزاعي ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضي الله تبارك وتعالى عنه .

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٦ / ٥٠٥ ، باب ما جاء في إخباره ﷺ برجل يكون في أمته يقال له : الوليد صاحب ضرر ، فكان كما أخبر .

(٢) في (الأصل) : " فسمته " ، وما أثبتناه من (دلائل البيهقي) .

(٣) أخرجه أيضاً الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) : ٦ / ٢٧١ ، باب الإخبار عن الوليد بما فيه له من الوعيد الشديد ، وإن صحَّ فهو الوليد بن يزيد ، لا الوليد بن عبد الملك ، ثم قال : قال أبو عمرو الأوزاعي : فكان الناس يرون أنه الوليد بن عبد الملك ثم رأينا أنه الوليد بن يزيد، لفتنة الناس به ، حتى خرجوا عليه فقتلوه ، وانفتحت على الأمة الفتنة والهرج .

وقد رواه نعيم بن حماد عن الوليد بن مسلم به ، وعنده قال الزهريّ : إن استخلف الوليد ابن يزيد ، فهو هو ، وإلا فهو الوليد بن عبد الملك .

وقال نعيم بن حماد : حدثنا هشيم عن أبي حمزة عن الحسن ، قال : قال رسول الله ﷺ : سيكون رجل اسمه الوليد ، يسدّ به ركن من أركان جهنم وزاوية من زواياها ، وهذا مرسل أيضاً .

(٤) (مسند أحمد) : ١ / ٣٢ ، حديث رقم (١١٠) ، من مسند عمر بن الخطاب رضي الله تبارك وتعالى عنه .

وخرجه الحاكم[1] من حديث الأوزاعى عن الزهري عن ابن المسيب . عن أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه ثم قال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، [قال الحاكم :] وهو الوليد بن يزيد بلا شكّ ولا مرية .

وخرجه البيهقي[2] أيضا من حديث الوليد بن مسلم قال : حدثنا أبو عمر الأوزاعي بنحوه وزاد في آخره : قال الأوزاعي : وكان الناس يرون أنه الوليد ابن عبدالملك بن مروان ثم رأينا أنه الوليد بن يزيد بن عبدالملك لفتنة الناس به حين خرجوا عليه فقتلوه ، ففتحت الفتن على الأمة والهرج .

قال كاتبه : كان الوليد بن عبدالملك بن مراون جباراً عنيداً قال : كنتم تسمون الخلفاء ومن سماني قتلته ، قال : فكف الناس عن تسمية الخلفاء ، وسمعت عمر بن عبد العزيز يقول في خطبته : يا ليتها كانت القاضية[3] ، فقال: عليك وأراحتنا منك ، وكان الوليد بن يزيد بن عبد الملك ماجناً ، فاسقاً ، معلناً بالفسق ، واقع جارية ، ثم دعى إلى الصلاة ، فأمرها فخرجت متلثمة فصلت بالناس ، وأخذ القوس ، ورمى المصحف ، وخرقه ، وقال : إذا لاقيت ربك يوم حشر فقل يارب خرقني الوليد[4] ويقال : إنه كان يقول مقالة التنويه .

---

(١) (المستدرك) : ٤ / ٥٣٩ ، كتاب الفتن والملاحم ، حديث رقم (٨٥٠٩) ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه ، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : على شرط البخاري ومسلم .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٦ / ٥٠٥ - ٥٠٦ .

(٣) الحاقة : ٢٧ .

(٤) (حياة الحيوان الكبرى) : ١/٦٦ - ٦٧ ، خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، قال الدميرى : فأقام في الخلافة سنة واحدة ، ثم أجمع أهل دمشق على خلعه وقتله ، لاشتهاره بالمنكرات ، وتظاهره بالكفر والزندقة . قال الحافظ ابن عساكر وغيره: انهمك الوليد في شربه الخمر ولذاته، ورفض الآخرة وراء ظهره ، وأقبل على القصف واللهو ، والتلذذ مع الندماء والمغنين ، وكان يضرب بالعود ، ويوقع بالطبل ، ويمشى بالدف ، وكان قد انتهك محارم الله تعالى ، حتى قيل له : الفاسق . =

وأما إشارته ﷺ إلى خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله تبارك وتعالى عنه

فخرج البيهقي(١) من حديث عفان بن مسلم قال : حدثنا عثمان بن عبد الحميد بن لاحق ، عن جويرة بنت أسماء ، عن نافع ، قال : بلغنا أن عمر بن الخطاب رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : إن من ولدي رجلاً بوجهه شين يلي ، فيملأ الأرض عدلاً ، قال نافع من قبله : لا أحسبه إلا عمر بن العزيز .

= وكان أكمل بنى أمية أدباً ، وفصاحة ، وظرفاً ، وأعرفهم بالنحو واللغة والحديث ، وكان جواداً مفضالاً . ومع ذلك لم يكن في بنى أمية أكثر إدماناً للشراب والسماع ، ولا أشد مجوناً ، وتهتكاً ، واستخفافاً بأمر الأمة من الوليد بن يزيد .

يقال : إنه واقع جارية له وهو سكران ، وجاء المؤذنون يؤذنون بالصلاة ، فحلف أن لا يصلى بالناس إلا هى ، فلبست ثيابه ، وتنكرت ، وصلت بالمسلمين ، وهى جنب سكرى .

ويقال : إنه اصطنع بركة من خمر ، وكان إذا طرب ألقى نفسه فيها ، وشرب منها حتى يبين النقص في أطرافها . وحكى الماوردى في كتاب (أدب الدين والدنيا) عنه أنه تفاءل يوماً في المصحف ، فخرج له قوله تعالى : ﴿ **واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد** ﴾، [إبراهيم:١٥] فمزق المصحف وأنشأ يقول :

أتوعد كلَّ جبار عـنيد ... فها أنا ذاك جبار عنيدُ

إذا ما جئت ربك يوم حشر ... فقل : يارب مزقني الوليد

فلم يلبث إلا أياماً يسيرة حتى قُتل شرّ قتله ، وصلب رأسه على قصره ، ثم على أعلى سور بلده.

(١) (دلائل البيهقي) : ٦ / ٤٩٢ ، باب ما جاء في إخباره ﷺ بالشر الذي يكون بعد الخير الذي يكون بعد ذلك ، ثم بالشر الذي يكون بعده ، وما يستدل به على إخباره بعمر بن عبد العزيز رضي الله تبارك وتعالى عنه . وإشارته إلى ما ظهر من عدله وإنصافه في ولايته .

وأخرجه الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) : ٦ / ٢٨٦ ، نقلاً عن البيهقي في (الدلائل) .

ومن طريق عثمان بن طالوت[1] ، قال : أخبرنا سليمان بن حرب ، حدثنا مبارك بن فضالة عن عبيدالله بن عمر ، عن نافع ، قال : كان ابن عمر رضي الله تبارك وتعالى عنه يقول كثيراً : ليت شعرى ! من هذا الذي من ولد عمر بن الخطاب في وجهه علامة يملأ الأرض عدلاً ؟ [فأمر ابن أيوب بالحديث] .

ومن حديث عبد العزيز بن عبد الله[2] بن أبي سلمة ، قال : أخبرنا عبد الله بن دينار ، قال : قال عمر : ياعجباً كيف يزعم الناس أن الدنيا لن تنقضى حتى يلى رجل من آل عمر يعمل بمثل عمل عمر ؟ قال : فكانوا يرونه بلال بن عبد الله بن عمر ، قال : وكان بوجهه أثر قال : فلم يكن هو ، وإذا هو عمر بن عبدالعزيز ، وأمه ابنة عاصم بن الخطاب .

ومن طريق أصبغ بن الفرج ، قال : أخبرنى عبدالرحمن بن القاسم ، قال: حدثني مالك عن سعيد بن المسيب أنه وجد نشطة ، فقال لرجل : من الخلفاء ؟ قال الرجل : أبوبكر ، وعمر وعثمان ، فقال سعيد : الخلفاء أبوبكر، والعمران ، فقال : أبوبكر ، وعمر ، قد عرفناهما فمن عمر الآخر ؟ قال يوشك إن عشت أن تعرفه ، يريد عمر بن عبدالعزيز ، قال محمد بن أصبغ : الرجل عبد الرحمن بن حرملة[3] .

قال البيهقي[4] : عن الحارث بن مسكين ، عن ابن القاسم عن مالك ، عن عبدالرحمن بن حرملة ، عن سعيد بن المسيب ، وابن المسيب مات قبل عمر بن عبدالعزيز بسنتين ، ولايقول إلا توقيفاً .

وخرج أيضاً من حديث ابن وهب[5] قال : حدثني أسامه بن زيد ، عن عمر بن أسيد بن عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب ، قال : إنما ولى عمر بن عبد العزيز حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم ، فيقول اجعلوا هذا ، كيف ترون

---

(١) (المرجع السابق) ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه .

(٢) (المرجع السابق) .

(٣) (دلائل البيهقي) ٦ / ٤٩٣ ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه .

(٤) (المرجع السابق) ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه .

(٥) (المرجع السابق) .

في الفقراء فما يبرح حتى يرجع بماله ، يتذكر من يضعه فيهم فلا يجده ، فيرجع بماله ، قد أغنى عمر بن عبدالعزيز الناس .

قال البيهقي[1] : وفى هذه الحكاية تصديق ماروينا في حديث عدي بن حاتم ، عن النبي ﷺ من قوله : ولئن طالت بك حياة لترى الرجل يخرج ملء كفه ذهباً أو فضة فيلتمس من يقبله ولا يجد أحداً يقبله .

وأما إخباره ﷺ بأحوال وهب بن منبّه وغيلان القدري

فخرج البيهقي[2] من حديث هشام بن عمار ، والهيثم بن خارجة ، قالا : حدثنا الوليد بن مسلم عن مروان بن سالم القرقساني ، قال : حدثنا الأحوص بن حكيم ، عن خالد بن معدان ، عن عبادة بن الصامت ، رضي الله تبارك وتعالى عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ يكون في أمتي [رجل يقال له وهب يهب الله له الحكمة ، ورجل يقال له غيلان ، هو أضر على أمتي من إبليس] .

قال البيهقي: تفرد به مروان بن سالم الجزري وكان ضعيفاً في الحديث .

قال كاتبه : هو مروان بن سالم بن عبد الله البغدادى الشامي سكن قرقيسياء[3] من الجزيرة ، وروى عن عبد الملك بن أبي سليمان والأعمش وابن

---

(١) (المرجع السابق) .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٤٩٦/٦ ، باب ما روي من إخباره بحال وهب بن منبه ، وغيلان القدريّ ، إن صح هذا الحديث ولا أراه صحيحاً ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه .

(٣) قرقيسياء : بالفتح ثم سكون ، وقاف أخرى ، وياء ساكنة ، وسين مكسورة ، وياء أخرى ، وألف ممدودة ، ويقال بياء واحدة .

قال حمزة الأصبهانى : قرقسياء معرب كركسيا ، وهو مأخوذ من كركيس ، واسم معرب لأرسال الخيل ، المسمى بالعربية بالحلْبة ، وكثيراً ما يجئ في الشعر مكسوراً .

وهى بلد على نهر الهابور ، وعندها مصب الخابور في الفرات ، فهى مثلث بين الخابور والفرات . وإليها فرّ زفر بن الحارث العامريّ ثم الكلابيّ بعد وقعة مرج راهط . (معجم البلدان) : ٣٧٣/٤ ، موضع رقم (٩٥٤٣) .

جريج وأبى حنيفة وجماعة ، وروى عنه بقية وعبد الصمد بن عبد الوارث وعبد المجيد بن أبي داود ونعيم بن حماد ، وطائفة البخاري : منكر الحديث، وقال أحمد : ليس بثقة ، وقال النسائي متروك الحديث ، وقال : أبوحاتم : منكر الحديث جداً ، وقال ابن عدى : ومروان هذا قريب من مروان بن نهيك ، وليس بالمعروف[1] .

وقال البيهقي[2] : وروى ذلك من وجه آخر أضعف من هذا ، فذكره من حديث أحمد بن العباس ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا ابن لهيعة عن موسى بن وردان ، عن أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه، قال : قال النبي ﷺ : ينعق الشيطان بالشام نعقة يكذب ثلثاهم بالقدر .

قال البيهقي : وهذا إن صح ، فيه إشارة إلى غيلان القدرى ، وماظهر بالشام بسببه من التكذيب بالقدر حتى قتل[3] .

قال كاتبه : وقد خرج ابن عساكر من حديث عبد بن حميد ، حدثنا إسماعيل بن عبدالكريم ، حدثني الوليد بن مسلم ، وعبدالمجيد بن أبي داود ، عن مروان بن سالم ، عن خالد بن معدان ، عن عبادة ، فذكره ، ثم قال : وقد أسقط من إسناده الأحوص بن حكيم ، فذكره من طريق أحمد بن زهير ابن حرب ويعقوب بن كعب الأنطاكي ، حدثنا الوليد بن مسلم ، عن مروان بن سالم ، حدثنا الأحوص عن خالد عن عباده ، فذكره ثم قال : وروى من وجه آخر عن خالد بن معدان ، فذكره من حديث حسان بن إبراهيم بن يحيى بن زيان عن عبد الله بن راشد ، عن خالد بن معدان ، عن عبادة ، فذكره . قال : ورواه عليّ ابن المديني عن حسان فزاد في إسناده رجلاً غير مسمى فأورد من حديث ابن المدينى حسان بن إبراهيم ، حدثنا يحيى بن زيان أخبرنا عبدالله بن راشد ، عن مولى لسعيد بن عبدالملك ، قال : سمعت خالد بن معدان يحدث عن عبادة ، فذكره . قال : وروي من وجه آخر مرسلاً ، فأورده من طريق أبي الجهم

(١) له ترجمة في : (ميزان الإعتدال) : ٤/٩٠ ، ترجمة رقم (٨٤٢٥) .
(٢) (المرجع السابق) : ٤٩٦ - ٤٩٧ .
(٣) (المرجع السابق) .

أحمد بن الحسين بن طلاب حدثنا العباس بن الوليد بن صبح الخلال ، حدثنا مروان بن محمد ، حدثنا محمد بن عبد الله الشعيثي ، قال : كنت جالساً عند مكحول ، قال : ومعه غيلان ، قال : إذ أقبل شيخ من أهل البصرة ، قال : فجلس إلى مكحول ، قال : فسلم عليه ثم قال له مكحول : كيف سمعت الحسن يقول في آية كذا أو كذا؟ فأخبره بشئ لم أحفظه ، قال : ثم أقبل عليه يسأله عن شيئ من كلام الحسن ، فقال له غيلان : يا أبا عبدالله أقبلْ عليَّ ودع هذا عنك ، فغضب مكحول ، وكان شديد الغضب ، ثم قال له : ويلك ياغيلان إنه قد بلغني أن رسول الله ﷺ قال : سيكون في أمتي رجل يقال له غيلان هو أضرّ عليها من إبليس ، فإياك أن تكون هو ! ثم قام وتركه .

قال المؤلف : فقد وجد لحديث مروان متابعات . والله تبارك وتعالى أعلم.

وأما إشارته ﷺ إلى حال محمد بن كعب القرظي[1]

فخرج البيهقي[2] وغيره من حديث ابن وهب قال : أخبرني أبوصخر ، عن عبدالله بن مغيث بن أبي بردة الظفري ، عن جده ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يخرج في أحد الكاهنين رجل يدرس القرآن دراسة لايدرسها أحد يكون من بعده .

ومن حديث يعقوب بن سفيان[3] حدثنا سعيد بن أبي مريم ، حدثنا نافع ابن يزيد ، حدثنا أبوصخر ، عن عبدالله بن معتب أن معتب بن أبي بردة . فذكره بإسناده نحوه .

ومن حديث ابن وهب[4] ، قال : حدثني عبد الجبار بن عمر عن ربيعة بن أبي عبدالرحمن قال : قال رسول الله ﷺ : يكون في أحد الكاهنين رجل يدرس القرآن دراسة لايدرسها أحد غيره ، قال : وكانوا يرون أنه محمد بن كعب القرظي [قال أبو ثابت : الكاهنان قريظة والنضير] ، قال البيهقي : هذا مرسل ، وروى من وجه آخر مرسلاً ، فذكره من طريق موسى ابن عقبة[5] قال : بلغني أن رسول الله ﷺ قال : يخرج من الكاهنين رجل أعلم الناس بكتاب الله . قال سفيان : يرون أنه محمد بن كعب القرظي[6] .

---

(١) هو محمد بن كعب بن سليم القرظيّ المدنيّ ، من أئمة التفسير ، ثقة ، عالم ، متبحر ، وفاته سنة (١٠٨) ، وولادته قيل : في حياة رسول الله ﷺ ، ولم يصح ، وقيل : أنه كان مجاب الدعوة ، كبير القدر . له ترجمة في : (التاريخ الكبير) : ١ / ٢١٦ ، (حلية الأولياء):٣/٢١٢، (شذرات الذهب) : ١ / ١٣٦ .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٦ / ٤٥٨ ، باب ما روى في إشارته إلى من يكون بعده من قريظة يدرس القرآن .

(٣) (المرجع السابق) .

(٤) (المرجع السابق) ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه .

(٥) (المرجع السابق) .

(٦) (المرجع السابق) .

وقال عون بن عبد الله : ما رأيت أحداً أعلم بتأويل القرآن من محمد بن كعب القرظي .

وأما إخباره ﷺ بانخرام قرنه الذي كان فيه على رأس مائة سنة ، فكان كما أخبر ﷺ

فخرج البخاري في كتاب العلم[1] ، في باب السمر بالعلم ، من حديث الليث، قال : حدثني عبدالرحمن بن خالد بن مسافر ، عن ابن شهاب ، عن سالم وأبي بكر بن سليمان ، عن أبي حثمة .

وخرج في كتاب الصلاة[2] في باب السمر في الفقه والخير بعد العشاء ، من حديث شعيب ، عن الزهري ، قال : حدثني سالم بن عمر رضي الله تبارك وتعالى عنه ، قال : صلى النبي ﷺ صلاة العشاء في آخر حياته فلما سلم قام النبي ﷺ ، فقال : أرأيتكم ليلتكم هذه ؟ فإن على رأس مائة سنة لايبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد . فَوَهَلَ الناس في مقالة النبي ﷺ إلى مايتحدثون من هذه الأحاديث على مائة سنة ، وإنما قال النبي ﷺ : لايبقى ممن هو اليوم عن ظهر الأرض . يريد بذلك أنها تخرم ذلك القرن . هذا لفظ حديث شعيب . وانتهى ابن مسافر إلى قوله : أحد[3]وقال فيه صلى ﷺ العشاء ، وقال: فإن رأس مائة سنة منها .

---

(١) (فتح الباري) : ١ / ٢٨١ - ٢٨٢ ، كتاب العلم ، باب (٤١) السمر في العلم ، حديث رقم (١١٦) .

(٢) (المرجع السابق) : ٢ / ٩٣ ، كتاب مواقيت الصلاة ، باب (٤٠) السمر في الفقه والخير بعد العشاء ، حديث رقم (٦٠١) .

(٣) (المرجع السابق) : باب (٢٠) ذكر العشاء والعتمة ، ومن رآه واسعاً ، حديث رقم (٥٦٤) .

وخرج مسلم[1] في كتاب المناقب من حديث عبد الرزاق ، قال : حدثنا معمر عن الزهري ، قال أخبرنى سالم بن عبد الله ، وأبو بكر بن سليمان ، أن عبدالله بن عمر ، قال : صلى بنا رسول الله ﷺ ذات ليلة صلاة العشاء في آخر حياته ، فلما سلم قام فقال : أرأيتكم ليلتكم هذه ؟ فإن على رأس مائة سنة منها لايبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد قال ابن عمر : فوهل الناس في مقالة رسول الله ﷺ ، فيما يتحدثون من هذه الأحاديث عن مائة سنة ، وإنما قال رسول ﷺ لايبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد ، يريد بذلك أن ينخرم ذلك القرن .

وخرجه أبوداود[2] في كتاب الملاحم من حديث عبدالرزاق . وخرج مسلم[3] من حديث ابن جريج أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبدالله يقول: سمعت النبي ﷺ يقول قبل أن يموت بشهر تسألونى عن الساعة وإنما علمها عند الله، وأقسم بالله ما على الأرض من نفس منفوسة يأتى عليها مائة سنة .

ومن حديث معتمر بن سليمان ، قال : سمعت أبي قال : حدثنا نضرة ، عن جابر بن عبد الله ، عن النبي ﷺ أنه قال ذلك وقبل موته بشهر أو نحو

---

(١) (مسلم بشرح النووى) : ١٦ / ٣٢٣ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب (٥٣) قوله ﷺ : لا تأتى مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم ، حديث رقم (٢٥٣٧) . قال الإمام النووى : لكن قال النبي ﷺ ذلك لما رجع من تبوك هذه الأحاديث ، وقد فسر بعضها بعضاً ، وفيها علم من أعلام النبوة ، والمراد أن كل نفس منفوسة كانت تلك الليلة على الأرض ، لا تعيش بعدها أكثر من مائة سنة .. وليس فيه نفى عيش أحد يوجد بعد تلك الليلة فوق مائة سنة ، ومعنى نفس منفوسة أى مولودة . وفيه احتراز من الملائكة ، وقد احتج بهذه الأحاديث من شذ من المحدثين ، فقال : الخضر عليه السلام ميت ! والجمهور على حياته ، ويتأولون هذه الأحاديث على أنه أى الخضر كان على البحر لا على الأرض ، أو أنها عام مخصوص . (شرح النووي) . وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه .

(٢) (سنن أبي داود) : ٥١٦/٤ ، كتاب الملاحم ، باب (١٨) قيام الساعة ، حديث رقم (٤٣٤٨) .

(٣) (مسلم بشرح النووى) : ٣٢٤/١٦ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب (٥٣) قوله ﷺ : لا تأتى مائة سنة ، وعلى الأرض نفس منفوسة ، حديث رقم (٢٥٣٨) .

ذلك : مامن نفس منفوسة اليوم تأتي عليها مائة سنة ، وهي حية يومئذ [وعن عبد الرحمن صاحب السقاية عن جابر بن عبد الله ، عن النبي ﷺ بمثل ذلك ، وفسرها عبد الرحمن قال : نقص العمر] .

ومن حديث أبي بكر بن أبي شيبة قال : حدثنا سليمان(١) بن حيان عن داود ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدرى ، قال : لما رجع النبي ﷺ من تبوك سألوه عن الساعة فقال : لاتأتى مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم .

ومن حديث أبي عوانة ، عن حصين ، عن سالم ، عن جابر بن عبدالله قال : قال نبي الله ﷺ : ما من نفس منفوسة تبلغ مائة سنة : فقال سالم : تذاكرنا ذلك عنده إنما هى كل نفس مخلوقة يومئذ(٢) .

وخرج مسلم(٣) من حديث الجريرى ، قال : كنت أطوف مع الطفيل فقال لي : لم يبق أحد ممن لقى رسول الله ﷺ غيرى .... الحديث .

قال البيهقي(٤) وأبو الطفيل ولد عام أُحد ، ومات بعد المائة من الهجرة وقيل من وفاة النبي ﷺ فيكون موته على رأس المائة من إخباره النبي ﷺ بما أخبر.

وقال الأمام أحمد(٥) : حدثنا ثابت بن الوليد بن عبدالله بن جميع قال : حدثني أبي قال : حدثنا أبو الطفيل ، ادركت ثماني سنين من حياة رسول الله ﷺ ، وولدت عام أُحد .

---

(١) (المرجع السابق) ، حديث رقم (٢٥٣٩) .

(٢) (المرجع السابق) : حديث رقم (٢٠٢) .

(٣) (المرجع السابق) : كتاب الفضائل ، باب (٢٨) كان النبي ﷺ أبيض ، مليح الوجه ، حديث رقم (٩٨) ، عن الجريري ، عن أبي الطفيل قال : قلت له : أرأيت رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم كان أبيض مليح الوجه . قال مسلم بن الحجاج : مات أبو الطفيل سنة مائة ، وكان آخر من مات من أصحاب رسول الله ﷺ .

(٤) (دلائل البيهقي) : ٦ / ٥٠١ ، باب ما جاء في إخباره ﷺ بانخزام قرنه الذي كان فيه على رأس مائة سنة فكان كما أخبر .

وقال أبو عيسى الترمذي[١] : سمعت الحسن بن على الحلواني يقول : آخر من مات من أصحاب رسول الله ﷺ أبو الطفيل ، مات بعد المائة . قال البيهقي : يريد بعد المائة من الهجرة .

قال كاتبه : ويؤيده أنه ﷺ أراد بذلك انخرام قرنه الذي هو فيه ، ماخرجه البخاري[٢] في كتاب الرقاق من حديث عبدة عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها قالت : كان رجال من الأعراب جفاة يأتون النبي ﷺ يسألونه متى الساعة ؟ فكان ينظر إلى أصغرهم فيقول إن يعش هذا لايدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم . قال هشام : يعني موتهم .

وخرجه مسلم[٣] في آخر كتاب الفتن من حديث أبي أسامه ، عن هشام عن أبيه ، عن عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها قالت : كان الأعراب إذا قدموا على رسول الله ﷺ سألوه عن الساعة ، متى الساعة ؟ فنظر إلى أحدث إنسان منهم فقال : إن يعشْ هذا لم يدركه الهرم قامت عليكم ساعتكم .

= (٥) (مسند أحمد) : ٥ / ٦٣٥ ، حديث رقم (٢٣٢٨٧) من حديث أبي الطفيل عامر بن واثلة رضي الله تبارك وتعالى عنه .

(١) (دلائل البيهقي) ٦ / ٥٠٢ .

(٢)(فتح الباري) : ١١ / ٤٣٩ - ٤٤٠ ، كتاب الرقاق ، باب (٤٢) سكرات الموت ، حديث رقم (٦٥١١) ، سكرات الموت بفتح المهملة والكاف : جمع سكرة ، قال الراغب وغيره : السكر حالة تعرض بين المرء وعقله ، وأكثر ما تستعمل في الشراب المسكر ، ومطلق في الغضب ، والعشق ، والألم ، والنعاس ، والغشى الناشئ عن الألم ، وهو المراد هنا . قال تعالى: ﴿ **كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار** ﴾ وأطلقت الساعة على ثلاثة أشياء : الساعة الكبرى : وهى بعث الناس للمحاسبة ، والوسطى : وهى موت أهل القرن الواحد نحو ما روى أنه ﷺ رأى عبد الله بن أنيس فقال : إن يطل عمر هذا الغلام لم يمت حتى تقوم الساعة ، فقيل : إنه آخر من مات من الصحابة . والصغرى : موت الإنسان ، فساعة كل إنسان موته . (فتح الباري) مختصراً .

(٣) (مسلم بشرح النووى) : ١٧ / ٣٠١ - ٣٠٢ ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب (٢٧) قرب الساعة ، حديث رقم (١٣٦) .

وخرجه من حديث يونس بن محمد(١) عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس ، أن رجلاً سأل رسول ﷺ متى تقوم الساعة ؟ وعنده غلام من الأنصار يقال له محمد ، فقال له رسول الله ﷺ : إن يعشْ هذا الغلام لايدركه الهرم حتى تقوم الساعة .

ومن طريق سليمان بن حرب(٢) قال : حدثنا حماد يعنى ابن زيد حدثنا معبد بن هلال العنزى عن أنس بن مالك ، أن رجلاً سأل النبي ﷺ قال : متى تقوم الساعة ؟ قال : فسكت رسول الله ﷺ هنية ثم نظر إلى غلام بين يديه من أزد شنوءة ، فقال : إن عمِّر هذا لم يدركه الهرم حتى تقوم الساعة . قال أنس : ذلك الغلام من أترابى يومئذ .

ومن حديث عفان بن مسلم(٣) قال : حدثنا همام عن قتادة ، عن أنس قال : مر غلام للمغيرة بن شعبة وكان من أقرانى فقال النبي : إن يؤخرْ هذا فلن يدركة الهرم حتى تقوم الساعة .

وخرجه البخاري(٤) في كتاب الأدب من حديث عمرو بن عاصم ، قال : حدثنا همام عن قتادة ، عن أنس ، أن رجلاً من أهل البادية أتى النبي ﷺ فقال: يارسول متى الساعة قائمة ؟ قال : ويلك وما أعددت لها ؟ قال : ما أعددت لها إلا أنى أحب الله ورسوله ، قال : إنك مع من أحببت ، فقلنا : ونحن كذلك ؟

---

(١) (المرجع السابق) : حديث رقم (١٣٧) .

(٢) (المرجع السابق) : حديث رقم (١٣٨) .

(٣) (المرجع السابق) : حديث رقم (١٣٩) .

(٤) (فتح الباري) : ٦٧٧/١٠ ، كتاب الأدب ، باب (٩٥) ما جاء في قول الرجل : " ويلك " ، حديث رقم (٦١٦٧) . ثم قال في آخره : واختصره شعبة عن قتادة : " سمعت أنساً عن النبي ﷺ ... " ، قال الحافظ : وصله مسلم من رواية محمد بن جعفر عن شعبة ، ولم يسق لفظه ، بل أحال به على رواية سالم بن أبي الجعد عن أنس ، وساقها أحمد في (مسنده) ... فكأن مراد البخاري بالاختصار ما زاده همام في آخر الحديث من قوله : " فقلنا : ونحن كذلك ؟ قال : نعم، ففرحنا يومئذ فرحاً شديداً ، فمرّ غلام إلخ " . (فتح الباري) مختصراً .

قال: نعم ففرِحنا يومئذ فرحاً شديداً ، فمر غلام للمغيرة - وكان من أقراني - فقال : إن أُخر هذا فلم يدركه الهرم حتى تقوم الساعة .

قال المؤلف : ولم يبق بعد سنة مائة من الهجرة أحد رأى النبي ﷺ .

وأما ظهور صدقه ﷺ في إخباره بعمر سماه لغلام وهلاك آخر أنذره سرعة هلاكه

فخرج البيهقي(١) من حديث حيوة بن شريح [بن يزيد الحضرمى](٢) عن إبراهيم بن محمد بن زياد عن أبيه ، عن عبد الله بن بُسر ، أن النبي ﷺ قال له: يعيش هذا الغلام قرناً ، فعاش مائة سنة .

ومن طريق البخاري وأبى حاتم الرازي حدثني داود بن رشيد حدثنا أبو حيوة عن إبراهيم بن محمد عن أبيه ، عن عبدالله بن بسر فذكره .

ومن طريق الواقدي حدثني شريح بن يزيد عن إبراهيم بن محمد بن زياد ، عن أبيه ، عن عبد الله بن بُسر قال : وضع رسول الله ﷺ يده على رأسي فقال : هذا الغلام يعيش [قرناً فعاش](٢) مائة سنة.

قال الواقدي : يقول الله عزوجل : ﴿ **وقروناً بين ذلك كثيراً** ﴾(٣) فكان بين نوح وآدم عشرة قرون ، وبين إبراهيم ونوح عشرة قرون ، فولد إبراهيم عليه السلام على رأس ألفي سنة من خلق آدم(٤) .

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٦ / ٥٠٣ ، باب ما جاء في إخباره ﷺ بعمر من سماه فعاش إليه ، وبهلاك من ذكره فهلك سريعاً كما قال . قال البيهقي : زاد فيه غيره وكان في وجهه ثألول . قال : لا يموت هذا حتى يذهب الثألول من وجهه ، فلم يمت حتى ذهب الثألول من وجهه . ثم قال : أنبأنيه أبو عبد الله الحافظ إجازة أخبرنا الحسين بن أيوب ، حدثنا أبو حاتم الرازى ، حدثنا داود بن رشيد ، فذكره بإسناده وزيادته .

(٢) زيادة للسياق من (المرجع السابق) .

(٣) الفرقان : ٣٨ .

(٤) (المرجع السابق) : ٥٠٤ .

ولابن منده من طريق أحمد بن سليمان بن داود بن حذلم ، حدثنا موسى بن أبي عوف ، حدثنا سلمة بن جواس ، حدثنا محمد بن القاسم الطائي ، أن عبدالله بن بسر كان معهم في قريته ، فقال : هاجر أبي وأمي إلى النبي ﷺ وأن النبي ﷺ مسح رأسي بيده ، وقال : ليعيش هذا الغلام قرناً ، فقلت:بأبي وأمي يارسول الله ! وكم القرن ؟ قال : مائة سنة ، قال عبدالله : فلقد عشت خمساً وتسعين سنة وبقيت خمس سنين إلى أن أتم قول رسول الله ﷺ قال محمد: فحسبنا بعد ذلك خمس سنين ثم مات .

وخرج البيهقي[1] من طريق إبراهيم بن محمد الشافعي قال : قرأت على داود بن عبدالرحمن عن ابن أبي مليكة ، عن حبيب بن سلمة الفهري أنه أتى النبي ﷺ وهو بالمدينة ليراه ، فأدركه أبوه ، فقال : يارسول الله ، يدي ورجلي، فقال له : ارجع معه فإنه يوشك أن يهلك فهلك في تلك السنة .

(١) (المرجع السابق) : ٥٠٤ .

وأما إخباره ﷺ بتملك بنى العباس
[ابن عبد المطلب رضي الله تبارك وتعالى عنه]

فخرج البيهقي(١) من حديث حماد عن عطاء بن السائب قال : سمعت عبدالرحمن بن العلاء الحضرمى ، قال : حدثني من سمع النبي ﷺ يقول : إنه سيكون في آخر هذه الأمة قوم لهم مثل أجر أولهم ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، يقاتلون أهل الفتن .

ومن حديث الوليد بن مسلم(٢) ، قال : حدثني أبوعبد الله ، عن الوليد بن هشام المعيطى ، عن أبان بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، قال : قدم عبد الله بن عباس على معاوية ، وأنا حاضر ، فأجازه فأحسن جائزته ، ثم قال : يا أبا العباس ، هل يكون لكم دولة ؟ قال اعفنى يا أمير المؤمنين ، قال : لتخبرنى ، قال : نعم ، قال : فمن أنصاركم ؟ قال أهل خراسان ، ولبنى أمية من بنى هاشم بطحات .

ومن طريق يعقوب بن سفيان(٣) قال : حدثني إبراهيم بن أيوب حدثنا الوليد حدثنا عبد الملك بن حميد بن أبي غنية ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير قال : سمعت عبد الله بن عباس رضي الله تبارك وتعالى عنه ، ونحن نقول : اثنى عشر أميراً ، ثم لا أمير ، واثنى عشر أميراً ، ثم هى الساعة، فقال ابن عباس : ما أحمقكم إن منا أهل البيت بعد ذلك المنصور والسفاح والمهدى ، يدفعها إلى عيسى ابن مريم .

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٦ / ٥١٣ ، باب ما جاء في الإخبار عن ملك بنى العباس بن عبد المطلب رضي الله تبارك وتعالى عنه .
(٢) (المرجع السابق) .
(٣) (المرجع السابق) : ٥١٣ - ٥١٤ .

ومن حديث أبي خيثمة[1] ، قال : حدثنا ميسرة ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، قال كنت عند ابن العباس ، فتذاكروا المهدي ، فقال : يكون منا ثلاثة أهل البيت : سفاح ، ومنصور ، ومهديّ.

ومن حديث أبي عوانة[2] ، عن الأعمش ، عن الضحاك ، عن ابن عباس يرويه عن النبي ﷺ قال : منا السفاح ، والمنصور ، والمهدي .

ومن حديث أحمد بن عبدالجبار[3] ، حدثنا أبومعاوية عن الأعمش عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يخرج رجل من أهل بيتي عند انقطاع من الزمان ، وظهور من الفتن ، يقال له : السفاح يكون عطاؤه حثياً[4] .

ومن طريق عبدالرزاق ، حدثنا الثوري ، عن خالد الحذاء عن أبي قلابة ، عن أبي أسماء ، عن ثوبان ، قال : قال رسول الله ﷺ : يقتتل عند كنزكم هذا ثلاثة كلهم ولد خليفة ، ولايصير إلى واحد منهم ، ثم تقبل الرايات السود من خراسان ، فيقتلونكم قتلا لم يقتله قوم ، ثم يجئ خليفة الله المهدى . وفى رواية: فإذا رأيتموهم فبايعوهم ولوحبواً على الثلج ، فإنه خليفة الله المهدي .

قال البيهقي : تفرد به عبدالرزاق عن الثورى ، وروى من وجه آخر عن أبي قلابة وليس بالقوي ، فذكره من حديث كثير بن يحيى ، حدثنا شريك ، عن عليّ بن زيد عن أبي قلابة عن أبي أسماء ، عن ثوبان ، قال : قال رسول الله ﷺ : إذا أقبلوا برايات سود من عقب خراسان فأتوها ولو حبواً فإن فيها خليفة الله المهدي .

---

(١) (المرجع السابق) : ٥١٤ .

(٢) (المرجع السابق) : ٥١٤ قال ابن كثير : موقوف ورواه البيهقي مرفوعاً ، وهو ضعيف .

(٣) (المرجع السابق) : ٥١٤ .

(٤) قال ابن كثير : هذا الإسناد على شرط أهل السنن ولم يخرجوه .

ورواه عبد الوهاب بن عطاء عن خالد الحذاء ، عن أبي قلابة ، عن أبي أسماء ، عن ثوبان موقوفاً ، قال : إذا رأيتم الرايات السود خرجت من قبل خراسان فأتوها فإن فيها خليفة الله المهدي[١] .

وخرجه الحاكم[٢] بهذا السند موقوفاً ، وقال : حديث صحيح على شرط الشيخين .

وخرج البيهقي[٣] من حديث عبدالله بن يوسف ، حدثنا رُشد بن رشدين ابن سعد ، عن يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، عن قبيصة بن ذؤيب ، عن أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه عن النبي ﷺ قال : تخرج رايات سود من خراسان لايردها شئ حتى تنصب بإيلياء .

قال البيهقي[٤] : تفرد رشدين بن سعد[٥] ، عن يونس بن يزيد ، ويروى قريب من هذا اللفظ عن كعب الأحبار ، ولعله أشبه ، فذكره من طريق يعقوب بن سفيان ، حدثنا محدث عن أبي المغيرة ، عبدالقدوس ، عن ابن عياش عمن حدثه عن كعب ، قال : تظهر رايات سود لبني العباس حتى ينزلوا الشام ويقتل الله على أيديهم كل جبار وعدوّ لهم .

وروى في ذلك عن ابن عباس من قوله بإسناد ضعيف ، فذكره من طريق أحمد بن المظفر البكري[٦] ، حدثنا ابن أبي خثيمة حدثنا يحيى بن معين ،

---

(١) راجع التعليق السابق .

(٢) (المستدرك) : ٤ / ٥٤٧ ، كتاب الفتن والملاحم ، حديث رقم (٨٥٣١) ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه، وهذا الحديث ساقط من (التلخيص) .

(٣) (دلائل البيهقي) : ٦ / ٥١٦ .

(٤) (المرجع السابق) : ٦ / ٥١٧ .

(٥) رشدين بن سعد المهريّ المصري ، قال الإمام أحمد : لا يبالى عمن روى ، وقال ابن معين : ليس بشئ ، وقال أبو زرعة : ضعيف ، وقال الجوزجاني : عنده مناكر كثيرة ، وقال النسائي : متروك ، وقال ابن حبان : يقلب المناكير في أخباره على مستقيم حديثه . له ترجمة في : (الضعفاء الكبير للعقيلي) ، (المجروحين لابن حبان) ، (الميزان للذهبي) .

(٦) (دلائل البيهقي) : ٦ / ٥١٧ .

حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار عن أبي معبد ، قال : قال ابن عباس: كما فتح الله بأولنا أرجو أن يختمه بنا[١] .

ومن حديث ابن أبي أويس ، عن محمد بن إسماعيل بن دينار أبي فديك عن محمد بن عبد الرحمن العامرى عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه أن النبي ﷺ قال للعباس بن عبد المطلب رضي الله تبارك وتعالى عنه : فيكم النبوة والمملكة[٢] .

قال البيهقي : تفرد به محمد بن عبدالرحمن العامرى ، عن سهيل وليس بالقوى .

ومن حديث عبد الله بن أحمد ، قال : حدثني يحيى بن معين حدثنا عبيد ابن أبي قرة ، حدثنا الليث بن سعد ، عن أبي قبيل ، عن أبي ميسرة ، مولى العباس ، قال : سمعت العباس يقول : كنت عند النبي ﷺ ذات ليلة فقال : انظر هل ترى في السماء من شئ ؟ قلت : نعم ، قال : ماترى ؟ قلت : الثريا ، فقال : إنه يملك هذه الأمة بعددها من صلبك[٣] .

قال ابن عدي : سمعت ابن حماد يقول : قال البخاري : عن عبيد بن قرة سمع الليث بن سعد ، بغدادي ، لايتابع في حديثه في قصة العباس .

ومن طريق الحافظ أبي أحمد بن عدي ، قال : حدثنا محمد بن عبدة بن حرب ، حدثنا سويد بن سعيد ، حدثنا حجاج بن تميم ، عن ميمون بن مروان ، عن ابن عباس رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : مررت بالنبي ﷺ وإذا معه جبريل عليه السلام ، وأنا أظنه دحية الكلبى ، فقال جبريل للنبي ﷺ إنه لوسخ الثياب ، وسيلبس ولده من بعده السواد ، فقلت للنبي ﷺ : مررت وكان معك

---

(١) (المرجع السابق) ، وقال ابن كثير في (البداية والنهاية) : هذا إسناد جيد ، وهو موقوف على ابن عباس من كلامه.

(٢) (المرجع السابق) ، وقال ابن كثير في (البداية والنهاية) : محمد بن عبد الرحمن [العامري]: ضعيف .

(٣) (المرجع السابق) : ٥١٨ ، قال البخاري : عبيد الله بن أبي قرة لا يتابع على حديثه في قصة العباس .

دحية ، قال : فذكره ، وذكر قصة ذهاب بصره وردها عليه عند موته[1] . تفرد به حجاج بن تميم وليس بالقوى[2] .

وخرج الحافظ أبونعيم[3] من حديث ابن وهب قال : حدثنا ابن لهيعة ، قال حدثني واهب بن عبدالله المعافرى ، قال : سمعت عقبة بن عامر الجهني ، يقول : رأيت رسول الله ﷺ أخذ بيد عمه العباس ، ثم قال : ياعباس إنه لاتكون نبوة إلا كانت بعدها خلافه ، وسيلي من ولدك في آخر الزمان سبعة عشر : منهم السفاح ، ومنهم المنصور ، ومنهم المهدي ، وليس بمهدي ، ومنهم الجموح، ومنهم العاقب ، ومنهم الراهن من ولدك ، وويل لأمتي منه ، كيف يعقدها ويهلكها ، ويذهب بأمرها .

ومن حديث محمد بن جابر عن الأعمش ، عن أبي الوداك عن أبي سعيد ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : منا القائم ، ومنا المنصور ، ومنا السفاح ، ومنا المهدي ، فأما القائم فتأتيه الخلافه ولم يهرق فيها محجمة دم .

وأما المنصور فلا ترد له راية ، وأما السفاح فهو يسفح المال والدم ، والمهدي يملأها عدلاً كما ملئت ظلماً .

قال ابن جابر حسبت المنصور أباجعفر ، والسفاح المهدي .

قال أبونعيم رواه الأعمش عن الضحاك عن ابن عباس نحوه ، فذكره من حديث أبي عوانة عن الأعمش عن الضحاك ، عن ابن عباس نحوه .

ومن طريق حفص بن عبدالله بن الشخير قال : دخلنا على إسحاق بن عيسى بن على بن عبد الله بن عباس داره ، فحدثنا عن أبيه ، عن جده ، عن ابن عباس رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : أقبل العباس يوماً فنظر إليه رسول الله ﷺ ، ثم أقبل على أبي بكر رضي الله تبارك وتعالى عنه متبسماً ، فقال : هذا العباس ، قد أقبل وعليه ثياب بياض ، وسيلبس ولده من بعده السواد، ويملك منهم اثنا عشر رجلاً .

---

(١) (المرجع السابق) .

(٢) حجاج بن تميم : ذكره الذهبي في (الميزان) ، وقال : أحاديثه تدل على أنه واه .

(٣) راجع رأى المقريزى في هذه الأحاديث في آخر هذا الباب .

ومن حديث أحمد بن عمر بن يونس اليمامي ، قال : حدثنا محمد بن شروين الصفاتي ، حدثنا عبدالرحمن بن مينا ، عن أبيه ، عن عبدالله بن مسعود رضي الله تبارك وتعالى عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : لن تذهب الدُنيا حتى يملك من ولدك يا عم في آخر الزمان عند انقطاع دولتهم ، وهو الثامن عشر يكون معه فتنه عمياء صماء يقتل من كل عشرة آلاف تسعه آلاف وتسعمائة ، لا ينجو منها إلا اليسير ، ويكون قتالهم بموضع من العراق .

ومن حديث أحمد بن [راشد] بن خيثم ، حدثنا عمي سعيد بن خيثم ، عن حنظلة ، عن طاووس ، عن ابن عباس ، قال : حدثتني أم الفضل ، قالت : مررت بالنبي ﷺ ، فقال إنك حامل بغلام ، فإذا ولدت فأتيني به ، قالت : يارسول الله ، أنى ذلك ؟ وقد تحالفت قريش أن لا يأتوا ، النساء ، قال : هو ما أخبرتك ، قالت : فلما ولدته أتيت به النبي ﷺ ، فأذن في أذنه اليمنى ، وأقام في أذنه اليسرى ، والبأه[1] من ريقه ، وسماه عبدالله ، وقال : اذهبي بأبي الخلفاء ، فأخبرت العباس وكان رجلاً لباساً فلبس ثيابه ، ثم أتى النبي ﷺ فلما بصر به قام ، فقبل بين عينيه ثم قال : هذا عمي ، فمن شاء فليباهي بعمه ، قال : قلت : يارسول الله ، أو بعض القول ؟ قال : ولم لا ؟ وأنت عمي وصنو أبي ، قال ماشيئ أخبرتني به أم الفضل؟ قال : هو ما أخبرتك ، وهذا أبو الخلفاء ، يكون منهم السفاح ، حتى يكون منهم المهدي ، حتى يكون منهم من يصلي بعيسى ابن مريم[2].

قال المصنف رحمه الله : هذا الحديث ينادى على نفسه ، أنه موضوع ، وذلك لأنه لاخلاف بين علماء الأخبار ، ونقلة الحديث ، وأهل الآثار ، أن عبد الله بن عباس ولد بمكة ، وأن الأذان إنما ابتدئ به بالمدينة ، فكانت ولادة عبد الله في الشعب قبل خروج بني هاشم منه ، وذلك قبل الهجرة

---

(١) ألبأه: أي صب ريقه في فمه كما يصب اللبأ في فم الصبي . واللبأ : أول ما يحلب في الولادة .

(٢) (دلائل أبي نعيم) : ٥٥٠ – ٥٥١ ، حديث رقم (٤٨٧) . قال الذهبي في (الميزان) هذا خبر باطل اختلقه بجهله أحمد بن راشد بن خيثم ، وفي (الأصل) : " أحمد بن رشيد " ، وصوبناه من (الميزان) .

بثلاث سنين وقيل: غير ذلك، والأذان إنما أريه عبد الله بن زيد بالمدينة بلا خلاف ، وكان في السنة الأولى من الهجرة ، فكيف يمكن أن تكون ولادة عبدالله بمكة قبل الهجرة ؟ ويؤذن النبي ﷺ في أذنه لما ولد ، والأذان إنما كان بعد ولادته بأربع سنين أو نحوها ، والله الموفق ، وهكذا عامة أحاديثه لا تكاد تثبت صحتها عند الانتقاد .

وأما إخباره ﷺ بما نزل بأهل بيته من البلاء

فخرج الحاكم[1] من حديث نعيم بن حماد ، حدثنا الوليد بن مسلم ، عن أبي رافع إسماعيل بن رافع ، عن أبي نضرة ، قال : قال : أبوسعيد الخدري رضي الله تبارك وتعالى عنه : قال رسول الله ﷺ : إن أهل بيتي سيلقون من بعدى من أمتى قتلا وتشديداً ، إن أشد قومنا لنا بغضاً بنو أمية وبنو المغيرة وبنو مخزوم قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد .

وخرج الحافظ أبو نعيم من حديث الحسن بن سفيان حدثنا محمد بن خالد بن عبد الله ، قال : حدثني أبي عن يزيد بن زياد ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبدالله قال : بينما نحن نجلس عند رسول الله ﷺ ، إذ أقبل فتية من قريش فتغير لونه ، فقلنا : مالنا نرى في وجهك أمراً تكرهه؟ قال : إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا ، وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاءً وتطريداً وتشديداً ، حتى يأتي قوم من هاهنا - وأومأ بيده نحو المشرق - وأصحاب رايات سود ، فيسألون الحق فلا يعطونه مرتين أو ثلاثا ، فيقاتلون ، فيضربون ، فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي ، فيملأها عدلاً ، كما ملئت ظلما ، فمن أدرك ذلك فليأتهم ولو حبواً على الثلج .
قال أبونعيم : رواه على بن صالح ومحمد بن فضيل عن يزيد نحوه .

---

(١) (المستدرك) : ٤ / ٥٣٤ ، كتاب الفتن والملاحم ، حديث رقم (٨٥٠٠) ، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : لا والله ! كيف ؟ وإسماعيل متروك ، ثم لم يصح السند إليه .

وأما إخباره ﷺ بقيام اثنى عشر خليفة
وبظهور الجور والمنكرات
فكان كما أخبرنا ﷺ

فخرج مسلم[١] من حديث جرير ، عن حصين ، عن جابر بن سمرة قال : سمعت النبي ﷺ يقول ، ومن حديث خالد بن عبد الله الطحان ، عن حصين ، عن جابر بن سمرة قال : دخلت مع أبي على النبي ﷺ فسمعته يقول : إن هذا الأمر لاينقضي حتى يمضى فيهم اثنا عشر خليفة ، قال : ثم تكلم بكلام خفيّ عليّ ، قال : فقلت لأبي ما كان ؟ قال : قال : كلهم من قريش .

ومن حديث سفيان عن عبدالملك بن عمير[٢] ، عن جابر بن سمرة ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : لايزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً ، ثم تكلم النبي ﷺ بكلمة خفيت عليّ ، فسألت أبي : ماذا قال رسول الله ﷺ ؟ فقال : كلهم من قريش .

ومن حديث أبي عوانة عن سماك[٣] ، عن جابر بن سمرة بهذا الحديث ، ولم يذكر : لايزال أمر الناس ماضياً .

ومن حديث حماد بن سلمة عن سماك بن حرب[٤] قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لايزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة ، ثم قال كلمة لم أفهمها ، فقلت لأبي : ماقال ؟ فقال : كلهم من قريش .

وخرجه أيضاً من حديث أبي معاوية عن داود[٥] ، عن الشعبى ، عن جابر بن سمرة قال : قال النبي ﷺ : لايزال الأمر عزيزاً إلى اثني عشر خليفة ، قال : ثم تكلم بشئ لم أفهمه فقلت لأبى : فقال : كلهم من قريش .

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٤٤٢/١٢ ، كتاب الإمارة ، باب (١) الناس تبع لقريش والخلافة في قريش ، حديث رقم (٥) .

(٢) (المرجع السابق) : حديث رقم (٦) .

(٣) (المرجع السابق) : الحديث الذي يلى الحديث السابق بدون رقم .

(٤) (المرجع السابق) : حديث رقم (٧) .

ومن حديث ابن عون عن الشعبى[1] ، عن جابر بن سمرة قال : انطلقت إلى رسول الله ﷺ ومعى أبي فسمعته يقول لايزال هذا [الدين] [2] عزيزاً منيعاً إلى اثنى عشر خليفة فقال كلمة صمنيها[3] الناس فقلت لأبى : ماقال ؟ قال : كلهم من قريش .

قال البيهقي[4] : وليس في إثباته هذا العدد نفى الزيادة عليه ، وقد قيل : أراد اثنى عشر أميراً كلهم يجتمع عليه الأمة ، ثم يكون الهرج ، واستدل لذلك بما خرجه من حديث مروان بن معاوية ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبيه، عن جابر بن سمرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لايزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم يجتمع عليه الأمة ، فسمعت كلاماً من النبي ﷺ لم أفهمه ، فقلت لأبى : مايقول ؟ قال : كلهم من قريش .

وبما رواه زهير بن معاوية[5] قال : حدثنا زياد بن خيثمة حدثنا الأسود بن سعيد الهمدانى ، عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : لاتزال هذه الأمة مستقيم أمرها ، ظاهرة على عدوها ، أو على غيرها ، حتى يمضى منهم اثنا عشر خليفة ، قال : فلما رجع إلى منزله أتته قريش فقالوا : ثم يكون ماذا ؟ قال : ثم يكون الهرج .

قال البيهقي[6] : ففى الرواية الأولى بيان العدد ، وفى هذه الرواية الثانية بيان المراد بالعدد ، وفى الرواية الثالثة بيان وقوع الهرج وهو القتل بعدهم ،

= (٥) (المرجع السابق) : حيث رقم (٨) .

(١) (المرجع السابق) : حديث رقم (٩) .

(٢) في (الأصل) : " الأمر " ، وما أثبتناه من (صحيح مسلم) .

(٣) صمنيها : هو بفتح الصاد وتشديد الميم المفتوحة ، أى أصمونى عنها . فلم أسمعها لكثرة الكلام، ووقع في بعض النسخ " صمنيها الناس " أى سكتونى عن السؤال عنها .

(٤) (دلائل البيهقي) : ٥١٩/٦-٥٢٠ ، وأخرجه أبو داود في أول كتاب المهدى ، ، والإمام أحمد في (مسنده) .

(٥) (المرجع السابق) : ٥٢٠ .

(٦) (المرجع السابق) .

وقد وجد هذا العدد بالصفة المذكورة إلى وقت الوليد بن يزيد بن عبدالملك ، ثم وقع الهرج والفتنه العظيمة ، كما أخبر في هذه الرواية ، ثم ظهر ملك العباسيين كما أشار إليه في الباب قبله [وإنما][1] يزيدون على العدد المذكور في الخبر إذا تركت الصفة المذكورة فيه . أووعدٌ معهم من كان بعد الهرج المذكور فيه . وقد قال النبي ﷺ : لايزال هذا الأمر في قريش مابقى من الناس اثنان[2] .

فذكره من حديث عثمان بن سعيد الدارمي ، قال : حدثنا أبو الوليد ، حدثنا عاصم بن محمد قال : سمعت أبي يحدث عن ابن عمر عن النبي ﷺ ، وذكر حديث البخاري[3] من طريق الزهري ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن معاوية ، عن النبي ﷺ إن هذا الأمر في قريش لايعاديهم أحدٌ إلا كبه[4] الله على وجهه ما أقاموا الدين ، قال : والمراد بإقامة الدين - والله تبارك وتعالى أعلم- إقامة معالمه ، وإن كان بعضهم يتعاطى بعد ذلك ما لايحل .

واستدل بحديث الأوزاعي عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : سيكون بعدي خلفاء يعملون مايعلمون ، ويفعلون مايؤمرون وسيكون بعدهم خلفاء يعلمون بما لا يعلمون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، ، فمن أنكر عليهم برئ ، ومن أمسك يده سلم ، ولكن من رضى وبايع[5] .

---

(١) في (الأصل) : " فإنما به ، وما أثبتناه من (المرجع السابق) .

(٢) (فتح الباري) : ١٤٣/١٣ ، كتاب الأحكام ، باب (٢) الأمراء من قريش ، حديث رقم (٧١٤٠) .

(٣) (المرجع السابق) : حديث رقم (٧١٣٩) .

(٤) في (الأصل) : " أكبه " ، وما أثبتناه من (المرجع السابق) .

(٥) (دلائل البيهقي) : ٥٢١/٦ ، وفيه : " من رضى وتابع " .

وبحديث الإمام أحمد[1] قال : حدثني عبد الرزاق قال : [أخبرنا معمر عن عبد الله بن عثمان بن خثيم] ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن جابر بن عبد الله قال: حدثنا أن رسول الله ﷺ قال : ياكعب بن عجرة ، أعيذك بالله من إرادة السفهاء ، قال : وماذاك يا رسول الله ؟ قال : أمراء سيكونون من بعدي ، من دخل عليهم فصدقهم بحديثهم وأعانهم على ظلمهم فليسوا منى ولست منهم ، وما يردوا على الحوض ، ومن لم يدخل عليهم ولم يصدقهم بحديثهم ولم يعنهم على ظلمهم ، فأولئك منى وأنا منهم ، وأولئك يردون على الحوض .

ياكعب بن عجرة ، الصلاة قربان ، والصوم جنة ، والصدقة تطفئ الخطيئة ، كما يطفئ الماء النار ، يا كعب بن عجرة ،لا يدخل الجنة من نبت لحمه من سحت ، النار أولى به ، يا كعب بن عجرة ، الناس غاديان : فغاد بائع نفسه وموبق رقبته ، وغادٍ مبتاع نفسه ومعتق رقبته .

وخرجه الحاكم[2] وقال : حديث صحيح الإسناد .

وبحديث الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : إنه ستكون بعدى أثره وأمور تكرهوها ، فقالوا : فما يصنع من أدرك منا

---

(١) (مسند أحمد) : ٣٩٦/٤ - ٣٩٧ ، حديث رقم (١٤٨٦٠) من مسند جابر بن عبد الله رضي الله تبارك وتعالى عنه ، وما بين الحاصرتين تصويب للمسند من (المسند) ، وباقي الحديث سياقه مضرب في (الأصل) ، وصوبناه من (المسند) .

(٢) (المستدرك) : ٤٥٦/٣ ، كتاب معرفة الصحابة ، ذكر مناقب كعب بن عجرة الأنصارى رضي الله تبارك وتعالى عنه ، حديث رقم (٦٠٣٠) ، ورواية الإمام أحمد في (المسند) أتم . وقد سكت عنه الحافظ الذهبي في (التلخيص) .

وخرج الحاكم أيضاً في كتاب الإيمان ، حديث رقم (٢٦٢) بنحوه مختصرًا ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وشاهده الحديث المشهور عن الشعبي ، عن كعب ابن عجرة مع الخلاف عليه فيه ، وهذا الحديث رقم (٢٦٣) وقال في آخره : رواه مسعر بن كدام ، وسفيان الثوري ، عن أبي حصين ، عن عاصم العدوى ، عن كعب بن عجرة . والحديث رقم (٢٦٤) بنحوه أو قريب منه ، وقال في آخره : وقد شهد جابر بن عبد الله قول رسول الله ﷺ هذا لكعب بن عجره .

يارسول الله ؟ قال : أدوا الحق الذي عليكم ،وسلوا الله الذي لكم . وخرجاه في الصحيح(١) .

قال البيهقي(٢) : وقد قيل إنه أراد اثنا عشر خليفة كلهم يعمل ثم يكونون متفرقين في الأمراء ، فمن عدل منهم وعمل بالهدى ودين الحق فهو من جملة الإثنا عشر ، وقد قال أبو الجلد وكان ينظر في الكتب - : إن هذه الأمة لن تهلك حتى يكون فيها اثنا عشر خليفة كلهم يعمل بالهدى ودين الحق ، فمنهم رجلان من أهل بيت النبي ﷺ أحدهما يعيش أربعين والآخر ثلاثين سنة .

قال البيهقي(٣) : معقول لكن من خوطب بما روينا عن النبي ﷺ في اثنى عشر خليفة ، وفى بعض الروايات اثنى عشر أميراً ، أنه أراد خلفاء أو أمراء تكون لهم ولاية ، وعدة ، وقوة ، وسلطة ، والناس يطيعونهم وتجرى أحكامهم عليهم ، فأما أناس لم تقم لهم راية ، ولم تجز لهم على الناس ولاية ، وإن كانو

---

(١) رواه الترمذي برقم (٦١٤) في الصلاة ، باب ما ذكر في فضل الصلاة ، والنسائي ١٦٠/٧ في البيعة ، باب الوعيد لمن أعان أميراً على الظلم ، وباب من لم يعن أميراً على الظلم ، من حديث عبيد الله بن موسى ، عن غالب بن نجيح القطان ، عن أيوب بن عائذ الطائي ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب ، عن كعب بن عجرة .

وغالب بن نجيح القطان ، لم يوثقه غير ابن حبان وباقي رجاله ثقات . وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، لا نعرفه إلا من حديث عبيد الله بن موسى ، قال : وسألت محمداً - يعنى البخاري - عن هذا الحديث فلم يعرفه إلا من حديث عبيد الله بن موسى واستغربه جداً ، وقال محمد - يعنى البخاري - : حدثنا ابن نمير عن عبيد الله بن موسى ، عن غالب بهذا .

وأورد المنذري في (الترغيب والترهيب) : ١٥/٣ قطعة منه ، ونسبه لابن حبان في (صحيحه) ، وقد ورد هذا الحديث بإسناد آخر مختصراً ، رواه الترمذي في الفتن من طريق مسعر عن أبي حصين . عن الشعبيّ ، عن عاصم العدوي ، عن كعب بن عجرة ، وقال : صحيح غريب . فالحديث أقل أحواله أن يكون حسناً .(جامع الأصول) : ٧٦/٤ هامش .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٥٢٣/٦ .

(٣) (المرجع السابق) : باختلاف يسير في بعض الألفاظ ، والمعنى واحد .

يستحقون الإمارة بما كان لهم من حق القرابة ، والكفاية ، فلا يتنـاولهم الخبر ، ولايجوز أن يكون المخبَر بخلاف الخبر. والله تبارك وتعالى أعلم.

قال المؤلف - رحمه الله - : يشير الإمام الحافظ أبوبكر البيهقي رحمه الله بهذا إلى مازعمته الفرقة الإمامية من فرق الرافضة[1] ، الأئمة اثنا عشر ، وهو مذهب محدث ، ابتداء حدوثة بعد موسى بن جعفر الصادق .

خرج الأمام أحمد[2] من حديث يحيى بن أبي بكير ، حدثنا مطرف عن أبي الجهم مولى البراء ، عن خالد بن وهبان ، - أو وهبان - عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : كيف أنت وأئمة من بعدى يستأثرون بهذا الفيء ؟ فقلت إذاً والذى بعثك بالحق أضع سيفى على عاتقى ، ثم أضرب به حتى ألقاك أو ألحق بك ، قال : أولا أدلك على ماهو خير من ذلك ؟ تصبر حتى تلقانى .

(١) هؤلاء الإمامية المخالفة الزيدية والكيسانية والغلاة : خمس عشرة فرقة : الكاملية ، والمحمدية ، والباقرية ، والناووسية ، والشميطية ، والعمارية ، والإسماعيلية ، والمباركية ، والموسوية ، والقطعية ، والإثناعشرية ، والهاشمية ، والزرارية ، واليونسية ، والشيطانية . (الفرق بين الفرق) : ٥٣ ، (مقالات الإسلاميين) : ٩٨/١ ، (الملل والنحل) : ١٦٢/١ .

(٢) (مسند أحمد) : ٢٢٨/٦ -٢٢٩ ، حديث رقم (٢١٠٤٨) ، من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله تبارك وتعالى عنه .

وأما إشارته ﷺ بأن قريشاً إذا أحدثت في دين الله الأحداث سلط الله عليها شرار خلقه فنزعوهم من الملك ونزعوا الملك منهم حتى لم يبقوا لهم شيئاً فكان كما أخبر ، وصارت العرب بعد الملك همجاً ورعاعاً لايعبأ الله بهم

فخرج البخاري من حديث شعيب عن الزهريّ قال : سمعت محمد بن مطعم يحدث أنه بلغ معاوية وهم عنده في وفد من قريش - أن عبد الله بن عمرو يحدث أنه سيكون ملك من قحطان فغضب فقام ، فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : أما بعد فإنه بلغني أن رجالا منكم يحدثون بأحاديث ليست في كتاب الله ، ولاتؤثر عن رسول الله ﷺ ، وأولئك جهالكم فإياكم والأماني التي تضل أهلها فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول إن هذا الأمر في قريش لايعاديهم أحدٌ إلا أكبه الله في النار على وجهه ما أقاموا الدين . تابعه أبو نعييم ، عن ابن المبارك، عن معمر ، عن الزهري ، عن محمد بن جبير ، ذكره في أول كتاب الأحكام[1]، وفي مناقب قريش[2] بهذا الإسناد وقال فيه : إن عبد الله بن عمرو بن العاص .

وخرج أبوبكر بن أبي شية[3] من حديث أبي أسامة ، عن عوف ، عن زياد بن مخراف ، عن أبي موسى ، قال : قام رسول الله ﷺ على باب فيه نفر من قريش ، وأخذ بعضادتي الباب ثم قال : هل في البيت إلا قريش ؟ قالوا : يارسول الله ، غير فلان ابن أختنا ، فقال : ابن أخت القوم منهم ، ثم قال إن هذا

---

(١) (فتح الباري) : ١٤٢/١٣ - ١٤٣ ، كتاب الأحكام ، باب (٢) باب الأمراء من قريش ، حديث رقم (٧١٣٩) .

(٢) (المرجع السابق) : ٦٦١/٦ ، كتاب المناقب ، باب (٢) مناقب قريش حديث رقم (٣٥٠٠) .

(٣) (المصنف) : ٣١٩/٥ ، باب (١٨١) من قال : ابن أخت القوم منهم ، حديث رقم (٢٦٤٧٣)، (٢٦٤٧٤) ، (٢٦٤٧٥) بألفاظ متقاربة والمعنى قريب من (الأصل) .

الأمر في قريش ، ماداموا ، إذا ما استرحموا رحموا ، وإذا ماحكموا عدلوا ، واذا ماقسموا أقسطوا ، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لايقبل منهم صرف ولاعدل .

وخرج أيضاً من حديث الفضل بن دكين ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن الحارث بن القاسم ، عن عبدالله بن عتبة ، عن أبي مسعود قال: قال رسول الله ﷺ لقريش : إن هذا الأمر لايزال فيكم وأنتم ولاته ، مالم تحدثوا ، فإذا فعلتم ذلك سلط الله عليكم شرار خلقه يلتحونكم كما يلتحى القضيب[1].

وخرجه الحاكم[2] من طريق الحسين بن حفص قال : حدثنا سفيان بن أبي ثابت ، عن القاسم بن الحارث ، عن عبدالله بن عتبه ، عن أبي مسعود الأنصاري ، قال : قال رسول الله ﷺ : لايزال هذا الأمر فيكم ، وأنتم ولاته ما لم تحدثوا أعمالاً تنزعه ، فإذا فعلتم ذلك سلط الله عليكم شرار خلقه ، فالتحوكم كما يلتحى القضيب . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد .

وخرج الإمام أحمد[3] من حديث هشام ، عن قتادة ، عن أبي الطفيل ، قال : انطلقت أنا وعمرو بن صليع حتى أتينا حذيفة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول إن هذا الحي من مضر لاتدع لله في الأرض عبداً صالحاً إلا فتنته وأهلكته، حتى يدركها الله بجنود من عباده فيذلها حتى لا تمنع ذنب تلعه . وله عنده طرق .

---

(١) راجع التعليق السابق .

(٢) (المستدرك) : ٥٤٨/٤ ، كتاب الفتن والملاحم ، حديث رقم (٨٥٣٤) ، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : صحيح .

(٣) (مسند أحمد) : ٥٤٠/٦ ، حديث رقم (٢٢٨٠٥) ، من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله تبارك وتعالى عنه .

وخرج الحاكم[1] من حديث محمد بن المثنى قال : حدثنا معاذ بن هشام قال : حدثني أبي عن قتاده عن عبدالله بن بريدة ، عن سلمان بن ربيعة قال : انطلقت في نفر من أصحابي حتى قدمنا مكة ، فطلبنا عبدالله بن عمرو فلم نوافقه ، فإذا قريب من ثلاثمائة راحل ، فرجعناه فلقيناه في المسجد ، فإذا شيخ عليه بردان قطريان ، وعمامة ليس عليه قميص ، فقال : ممن أنتم؟ قلنا : من أهل العراق ، قال : أنتم يا أهل العراق تكذبون وتكذبون وتسخرون ، قلنا لا نكذب ولا نكذب ولانسخر ، قال : كم بينكم وبين الأيلة[2]؟ قلنا : أربعة فراسخ ، قال : يوشك بنو قنطوراء بن كركر أن يسوقكم من خراسان وسجاستان سوقاً عنيفاً ، ثم يخرجون حتى يربطوا ويربطون خيولهم بنهر دجلة ، قوم صغار الأعين خنس الأنوف ، كأن وجوهم المجان المطرقة . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم [ولم يخرجاه] .

وخرج أبو نعيم الحافظ والإمام أحمد والحاكم[3] وصححه من حديث موسى بن إسماعيل وابن عائشة قالا : حدثنا حماد بن سلمة ، عن يونس بن

(1) (المستدرك) : ٥٤٧/٤ ، كتاب الفتن والملاحم ، حديث رقم (٨٥٣٢) وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه ، وهذا الحديث ساقط من (التلخيص) .

(2) الأبلة : مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام . (معجم البلدان) : ٣٤٧/١ ، موضع رقم (١١٩٦) .

(3) (المستدرك) : ٥٦٤/٤ ، كتاب الفتن والملاحم ، حديث رقم (٨٥٨٣) ، قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) بل محمد بن زيد بن سنان واهٍ كأبيه .

ولفظ الحاكم : " يوشك الله أن يملأ أيديكم من العجم ، ويجعلكم أسداً لا يفرون فيضربون رقابكم ويأكلون فيأكم " .

وللإمام أحمد من حديث سمرة بن جندب ، قال رسول الله ﷺ : " يوشك أن يملأ الله عز وجل أيديكم من العجم ، ثم يكونون أسداً لا يفرون ، فيقتلون مقاتلتكم ، ويأكلون فيأكم . حديث رقم (١٩٦١٥) ، وحديث (١٩٧٣٤) ، (١٩٧٣٥) ، (١٩٧٣٦) كلهم من حديث سمرة بن جندب رضي الله تبارك وتعالى عنه .

عبيد ، عن الحسن ، عن سمرة بن جندب ، أن رسول الله ﷺ قال : يوشك الله أن يملأ أيديكم من العجم يجعلهم أسد لايفرون ، فيضربون رقابكم ، ويأكلون فيأكم .

وخرج أيضاً من حديث ابن أبي داود عن مراون بن سالم عن الأعمش ، عن زيد بن وهب وأبى وائل شقيق بن سلمة ، عن عبدالله بن مسعود رضي الله تبارك وتعالى عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : اتركوا الحبشة ماتركوكم فإنه لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السويقتين من الحبشة [1] .

قال : أبونعيم : رواه إبراهيم بن قتيبة ، عن أبي داود فقال : زيد بن وهب عن حذيفة .

وخرج الحاكم[2] من حديث عبد الوهاب بن عطاء ، حدثنا سعد بن إياس الجريرى ، عن أبي نضرة ، عن جابر بن عبد الله رضي الله تبارك وتعالى عنه ، قال : يوشك أهل العراق أن لايجئ إليهم درهم ولا قفيز ، قالوا : مما ذاك يا أبا عبدالله ؟ قال من قبل العجم يمنعون ذاك[3] . قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم .

---

(١) (المستدرك) : ٤/٥٠٠ ، باب الفتن والملاحم ، حديث رقم (٨٣٩٦) ، ولفظه : " اتركوا الحبشة ما تركوكم ، فإنه لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السويقتين من الحبشة " . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : صحيح ، واتفق البخاري ومسلم على حديث أبي هريرة : " يخرب الكعبة ذو السويقتين " .

(٢) (المستدرك) : ٤/٥٠١ ، كتاب الفتن والملاحم ، حديث رقم (٨٤٠٠) .

(٣) هذا آخر الحديث في (الأصل) ، ثم زاد في (المستدرك) : " ثم سكت هنية ، ثم قال : يوشك أهل الشام أن لا يجئ إليهم دينار ولا مدّ ، قالوا : مم ذاك ؟ قال : من قبل الروم يمنعون ذلك...." . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذه السياقة .. وسكت عنه الحافظ الذهبي في (التلخيص) .

وخرجه أبو داود[١] مـن حديث بشير بـن بكـر قـال : حدثنـا جـابر قـال : حدثني أبو عبد [السلام][٢] عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ : يوشك الأمم أن تداعى عليكم ، كمـا تداعـى الأكلـه إلـى قصعتهـا ، فقـال قـائل : ومـن قلـة نحـن يومئذ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء[٣] كغثـاء السيل ، ولينـزعن اللـه من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن الله في قلبوكم الوهن[٤] ، فقال قـائل : يارسول الله وما الوهن ؟ قال : حب الدُنيا وكراهية الموت .

وخرجه الإمام أحمد[٥] من حديث عبدالصمد بن حبيب الأزدي عـن أبيه ، عن شبيل بن عوف ، عن أبي هريرة رضي اللـه تبـارك وتعـالى عنـه بنحـوه أو قريب منه .

وخرج البخاري[٦] تعليقاً من حديث سعيد بن عمر عن أبـي هريـرة قـال : كيف أنتـم إذ لـم تجيبـوا دينـار أو درهمـاً ؟ فقيـل وكيـف تـرى ذلـك كائنـاً يـا أبـا هريرة؟ . قال : إى والذى نفس أبي هريرة بيده ، عن قـول الصـادق المصـدوق ﷺ قال: عمّ ذاك ؟ قال : تنتهك ذمة الله وذمة رسـوله ، فيشـدّ اللـه قلـوب أهـل الذمة فيمنعون ما في أيديهم .

---

(١) (سنن أبي داود): ٤/٤٨٣ – ٤٨٤ ، كتاب الملاحم ، باب (٥) في تداعي الأمم على الإسلام، حديث رقم (٤٢٩٧) .

(٢) في (الأصل) : " أبو عبد الله " وصوبناه من (سنن أبي داود) ، وأبـو عبد السلام هذا هو صالح بن رستم الهاشمي ، مولاهم الدمشقي ، سُئل عنـه أبو حـاتم الرازى فقـال : مجهـول لا نعرفه .

(٣) الغثاء – بضم الغين – : ما يحمله السيل من وسخ ، شبههم به لقلة غنائهم .

(٤) الوهن : الضعف ، فاستعمله هنا في دواعيه وأسبابه .

(٥) (مسند أحمد) : ٤/٣٧٥ ، حديث رقم (٢١٨٩١) ، من حديث ثوبان رضي الله تبارك وتعـالى عنه .

(٦) (فتح الباري) : ٦/٣٤٤ ، كتاب الجزية والموادعة ، باب (١٧) إثم من عاهد ثم غدر ، وقـول اللـه تعـالى : ﴿ **الذين عـاهدت منهـم ثـم ينقضـون عهدهـم فـي كـل مـرة وهـم لا يتقـون** ﴾ [الأنفال:٥٦] حديث رقم (٣١٨٠) .

وخرج مسلم[١] معنى هذا الحديث بلفظ آخر ، أوجب تفريقه وإلا فهو في المعنى متفق عليه ، وهو الحادي والتسعون من أفراد مسلم ، وأوله : منعت العراق درهمها وقفيزها . قاله أبو نصر الحميدي .

وخرج مسلم من حديث زهير عن سهل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : إذا منعت العراق درهمها وقفيزها ، ومنعت الشام مديها ودينارها ، ومنعت مصر إردبّها ، ودينارها ، وعدتم من حيث بدأتم ، شهد على ذلك لحم أبي هريرة ودمه[٢] .

وخرج مسلم[٣] من حديث الجريرى عن أبي نضرة ، قال : كنا عند جابر بن عبدالله فقال : يوشك أهل العراق أن لا يجبى إليهم قفيز ولادرهم ، قلنا من أين ذاك ؟ قال من قبل العجم ، يمنعون ذلك ، قال : يوشك أهل الشام أن لايجبى اليهم دينار ولمُدّ ، قلنا من أين ذاك ؟ قال من قبل الروم ، ثم سكت هنية ، ثم قال : قال رسول الله ﷺ : يكون في آخر أمتى خليفة يحثي المال حثياً ، لايعده عدداً ، قال : قلت لأبي نضرة ، وأبي العلاء : أترىان أنه عمر بن عبدالعزيز ؟ فقالا : لا .

قال المؤلف رحمه الله : هذا الحديث موقوف على جابر ، ومثله لايقال بالرأى ، فيحمل على أنه سمعه من رسول الله ﷺ ، وكذا رواية الحاكم لهذا الحديث ، فإنها موقوفة أيضاً على جابر ، وقد منعت العجم جباية خراج

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٨/٢٣٧ ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب (٨) لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب ، حديث رقم (٢٨٩٦) ، ولفظه : " حدثنا زهير عن سهيل ابن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : منعت العراق درهمها وقفيزها ، ومنعت الشام مديها ودينارها ، ومنعت مصر إردبها ودينارها ، وعدتم من حيث بدأتم، وعدتم من حيث بدأتم ، وعدتم من حيث بدأتم ، شهد على ذلك لحم أبي هريرة ودمه .

(٢) راجع التعليق السابق .

(٣) (مسلم بشرح النووي) : ١٨/٢٥٤ - ٢٥٥ ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب (١٨) لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء ، حديث رقم (٢٩١٣) .

العراق ، وتغلبوا عليه منذ عهد بني العباس ، لما خرجت الديلم سنة بضع وعشرين وثلاثمائة .

وخرج الإمام أحمد(١) من حديث أبي بكر بن داود عن أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : أقبل سعد إلى النبي ﷺ فلما رآه قال : إن في وجه سعد خيراً ، قال : قتل كسرى : قال : يقول رسول الله ﷺ : لعن الله كسرى إن أول الناس هلاكاً العرب ، ثم أهل فارس .

وخرج الإمام أحمد(٢) من حديث عبدالله حدثني أبي حدثنا موسى بن داود قال حدثنا عبد الله بن المؤمل : عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها قالت : " قال النبي ﷺ : ياعائشة أن أول من يهلك من الناس قومك ، قالت : قلت : جعلني الله فداءك ، ابني تيم ؟ قال لا ، ولكن هذا الحي من قريش تستحليهم المنايا وتنفس عنهم أول الناس هلاكاً ، قلت : فما بقاء الناس بعدهم ؟ قال : هم صلب الناس فإذا هلكوا هلك الناس" .

ومن حديث إسحاق بن سعيد(٣) عن أبيه عن عائشة قالت : دخل عليّ رسول الله ﷺ وهو يقول : يا عائشة قومك أسرع أمتي بي لحاقاً ، قالت : فلما جلس ، قلت : يارسول الله جعلني الله فداءك لقد دخلت وأنت تقول كلام ذعرني ، قال : وماهو ؟ قالت : تزعم أن قومي أسرع أمتك بك لحاقاً ، قال : نعم . قالت : وممّ ذاك ؟ قال : تستحليهم المنايا ، وتنفس عليهم أمتهم ، قالت : فقلت : فكيف الناس بعد ذلك ؟ - أو عند ذلك - قال : دبي يأكل شداده ضعافه

---

(١) (مسند أحمد) : ٣/٣١٤ ، حديث رقم (١٠٢٧٧) ، من مسند أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه .

(٢) (المرجع السابق) : ٧/١٠٩ ، حديث رقم (٢٣٩٣٦) من حديث السيدة عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها .

(٣) (مسند أحمد) : ٧/١١٩ ، حديث رقم (٢٣٩٩٨) من حديث السيدة عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها . وزاد في آخره: قال أبو عبد الرحمن: فسره رجل هو الجنادب التى لم تنبت أجنحتها .

حتى تقوم عليهم الساعة ، قال أبو عبد الرحمن : فسره رجل هو الجنادب التى لم تنبت أجنحتها " .

قال المؤلف – رحمه الله – : ويؤيد ذلك كله ما خرجه البخاري[1] في باب أيام الجاهليه من آخر المناقب من حديث أبي عوانة عن بيان بن بشر أبي بشر عن قيس بن أبي حازم قال : دخل أبوبكر رضي الله تبارك وتعالى عنه على امرأة من أحمس يقال لها زينب فرآها لاتتكلم فقال : مالها لاتتكلم ؟ قالوا: حجت مصمتة قال لها : تكلمى فإن هذا لايحل ، هذا من عمل الجاهلية ، فتكلمت فقالت: من أنت ؟ قال : امرؤ من المهاجرين قالت : أي المهاجرين ؟ قال : من قريش ، قالت : من أى قريش أنت ؟ قال : إنك لسؤول ، أنا أبوبكر ، قالت : ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح الذي جاء الله به بعد الجاهلية ؟ قال : بقاؤكم عليه ما استقامت أئمتكم ، قالت : وما الأئمة ؟ قال : أما كان لقومك رؤوس وأشراف يأمرونهم فيطيعونهم ؟ قالت : بلى ، قال : فهم أولئك على الناس .

وخرج الإمام أحمد[2] من حديث يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن سعيد بن طارق عن أبي حازم ، عن أبي هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ أسرع قبائل العرب فناء قريش ، أن تمر المرأة بالنعل فتقول: هذا نعل قرشى .

قال المؤلف – رحمه الله – : قد صدق الله ورسوله فقد كان من بعد رسول الله ﷺ خلفاء قضوا بالهدى ودين الحق ، ثم قامت خلفاء خلطوا وبدلوا سنن الهدى ، فسلط الله عليهم أولاً شيعة بني العباس ، وهم العجم أهل خراسان، فاجتاحوا بنى أمية الذين بدلوا نعمه الله كفراً ، واتخذوا دين الله دغلاً ، ومال الله دولاً ، وعبيد الله خولاً ، حتى أفنوهم إلا قليلاً مشردين في أقطار الأرض ، جزاء بما كسبوا ، فلما ملك بنو العباس عتوا وتجبروا وطغوا فسلط الله تعالى عليهم مماليكهم الأتراك ، فقتلوا المتوكل جعفر بن محمد ، ثم قتلوا المستعين

---

(١) (فتح الباري) : ٧/١٨٦ – ١٨٧ ، كتاب مناقب الأنصار ، (٢٦) أيام الجاهلية ، حديث رقم (٣٨٣٤) .

(٢) (مسند أحمد) : ٢/٦٤٣ ، حديث رقم (٨٢٣٢) .

أحمد بن محمد ، وتحكموا في الدولة ، وتلاعبوا بدين اللـه ، ثـم بعـث اللـه علـى بني العباس الديلم بنو بويـه ، فتغلبـوا علـى البـلاد وسـاموا النـاس بعتوهـم سـوء العـذاب ، وتحكمـوا فـي بنـي العبـاس ، تحكـم المـالك فـي مماليكـه ، يقتلونهـم ويسملون أعينهم ، وأظهروا مع ذلك مذاهب رديئـة ، حتـى أخـرج اللـه الأتـراك فبطشت السلجوقية بطش الجبابرة ، وتحكمت تحكم الفراعنة ، إلى أن يـأذن اللـه بانقراض تحكم العرب ، وأدال الله العجـم عليهـا ، فقتـل عـدو اللـه جنكيـز خـان وأشياعه الناس ، حتى محوهم من المشرق ، وأزالو كلمة الإسلام وشـرائعه مـن تلك الجهات بأسرها ، ثم قام حفيده عدو اللـه هولاكـو ، فشـمل قتلـه عامـة أهـل بغداد ، والجزيرة ، ودمر المعتصم بالله فلم يقم بعده قـائم مـن قريـش ، وصـار ممالك العالم شرقاً وغرباً ، وشمالا وجنوبـا ، بـأيدى العجـم ، ففـى المشـرق مـن حدود الصين إلى الجزيرة أشياع جنكيز خان ، وفى المغرب بأسـره البـرابر فـي الشمال ، والروم ثم الفرنجة إلا قليلاً مع بنى عثمـان وبنـى فرمـان ، وهـم أروام في مصر والشام ، والحجاز ، المماليك الأتراك ، ثم الممـاليك الحراكسـة ، وفـى اليمن بنو على بن عمر بن رسول الأكراد إلا قليلاً مع الشريف الرضى صـاحب صنعاء ، والهند كله بأيدى العجم وأكثر الشمال بيد الفرنـج ، ومعظـم الجنـوب بأيدى الحبشة وكلا الفريقين نصـارى ، يأسـرون مـن المسـلمين ويعذبونهـم أشـد العذاب ، فتحت أيديهم في الأسر ، من المسلمين والمسلمات ، عشرات الألـوف ، ويمر بهم من أنـواع البـلاء مـالا يمكـن وصفـه ، ومـع ذلـك فـأن جميـع قبـائل العرب، قيسها وتميمها ، رعـاع غوغـاء لايملكـون دنيـا ، ولايقيمـون دينـاً ، دأب ملوك الأرض يقتلونهم ويأسرونهم ، جزاء بما كسبت أيديهـم ، ومـا ربـك بظـلام للعبيد ، ولايعترض بخلفاء مصر فإنهم منذ أولهم الحاكم أحمـد وإلـى يومنـا هـذا ليس لأحد منهم أمر ولا نهى ولانفوذ كلمة ، وإنما هو واحد من عرض النـاس ، والسلاطين مع هذا تسجنهم وتنفيهم عن المدينة إلى الأطراف إذا تنكروا لهم ، قد رضي الخليفة منهم من دينهم ودنياهم أن يقال له أمير المؤمنين ، وحكـم الملـوك

الأقطار في رعاياهم ، قد تساوى الناس في معرفتهم ، فلا حاجة بنا إلى وصفه وتبيينه ، ولله در أبي دعبل وهب بن ربيعة الجمحى[1] . حيث يقول :

تبيت النشاوى من أمية وبالطف قتلى ما ينام حميمها
وما أهلك الإسلام إلا قلة تأمّر نوماها ودام نعيمها
وصارت قناة الدين في كف ظالم إذا مال منها ظالم لايقيمها

والله الموفق للصواب ، وإليه المرجع والمآب[2] .

(١) هو وهب بن ربيعة الجمحي ، من جميح ، وكان شاعراً محسناً ، وأكثر أشعاره في عبد الله بن عبد الرحمن الأزرقي والي اليمن . (الشعر والشعراء) : ٤٠٨ .

(٢) هذه العبارة في (الأصل) قبل الأبيات ، وما أثبتناه أجود للسياق .

وأما إخباره عليه الصلاة والسلام باتساع الدنيا على أمته حتى يلبسوا الذهب والحرير ويتنافسوا فيها ويقتل بعضهم بعضاً

فخرج البيهقي[1] من حديث سليمان بن حيان قال : حدثنا داود بن أبي هند عن أبي حرب ، عن أبي الأسود الدؤلي ، عن طلحة البصري قال : قدمت المدينة مهاجراً وكان الرجل إذا قدم المدينة فإن كان له عريف نزل عليه وإن لم يكن عريف نزل الصفة فقدمتها وليس لي بها عريف فنزلت الصفة وكان رسول الله ﷺ يرافق بين الرجلين ويقسم بينهما مداً من تمر ، فبينا رسول الله ﷺ ذات يوم في صلاته إذا ناداه رجل فقال : يا رسول الله أحرق بطوننا التمر وتخرقت عنا الخنف قال : وإن رسول الله ﷺ حمد الله وأثنى عليه وذكر ما لقى من قومه ثم قال : لقد رأيتني وصاحبي مكثنا بضع عشرة ليلة مالنا طعام غير البرير - والبرير تمر الأراك - حتى أتينا إخواننا من الأنصار فآسونا من طعامهم وكان جلّ طعامهم التمر- والذي لا إله إلا هو لو قدرت لكم على الخبز واللحم لأطعمتكموه سيأتى عليكم زمان - أو من أدركه منكم يلبسون مثل أستار الكعبة ويغدا ويراح عليكم بالجفان قالوا:يا رسول الله أنحن يومئذ خير أو اليوم قال : بل أنتم اليوم خير ، أنتم اليوم إخوان ، وأنتم يومئذ يضرب بعضكم رقاب بعض .

ومن حديث سفيان ، عن يحيى بن سعيد ، عن أبي موسى يحنس قال : قال رسول الله ﷺ : " إذا مشت أمتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلط بعضهم على بعض " ورواه أبو الربيع قال : حدثنا زيد بن الحباب ، عن

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٦ / ٥٢٤ ، باب ما جاء في إخباره باتساع الدنيا على أمته حتى يلبسوا أمثال أستار الكعبة ويغدا ويراح عليهم بالجفان ويتنافسوا فيها حتى يضرب بعضهم رقاب بعض.

موسى بن عبيدة ، حدثنا عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ نحوه[1].

وخرجه الحافظ[2] أبو نعيم من حديث أبي معاوية الضرير ، عن يحيى بن سعيد ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر رضي الله تبارك وتعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ: إذا مشت أمتى المطيطاء ، وخدمتها أبناء الملوك ، أبناء فارس والروم ، سلط شرارهم على خيارهم .

ومن حديث بقية [3] ، عن بجير بن سعد ، عن خالد بن معدان ، عن جبير بن نفير ، عن عوف بن مالك قال : " قام رسول الله ﷺ في أصحابه فقال: الفقر تخافون ؟ أوتهمكم الدنيا ؟ فإن الله فاتح لكم أرض فارس والروم ويصب عليكم الدنيا صباً حتى لا يزيغكم بعدي إن زعمتم إلا هى ."

---

(١) وخرجه البيهقي في (دلائل النبوة) ٦ / ٥٢٥ باب ما جاء في إخباره ﷺ باتساع الدنيا على أمته حتى يلبسوا أمثال أستار الكعبة ويغدا ويراح عليهم بالجفان ويتنافسوا فيها حتى يضرب بعضهم رقاب بعض .

(٢) (دلائل أبي نعيم) : ٥٣٩ ، ما أخبر به ﷺ من الغيوب فتحقق ذلك على ما أخبر به في حياته وبعد موته ، حديث رقم (٤٦٦) .

وأخرجه أيضا الترمذي في (السنن) : ٤ / ٤٥٦ ، باب (٧٤) بدون ترجمة ، حديث رقم (٢٢٦١) ، قال أبوعيسى: هذا حديث غريب ، وقد رواه أبو معاوية عن يحيى بن سعيد الأنصاري . والمطيطاء رواها ابن الأثير المطيطا ، وذكر أنها بالمد والقصر، وهى مشية فيها تبختر ومد اليدين .

وقد روى مالك بن أنس هذا الحديث عن يحيى بن سعيد مرسلاً ، ولم يذكر فيه عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر . ورواه الطبراني من حديث أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه لكنه قال في آخره : " سلط بعضهم على بعض " وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد) : ٢٣٧/١: إسناده حسن .

(٣) (المرجع السابق) : حديث رقم (٤٦٧) ، وأخرجه الطبراني وفى إسناده بقية - انظر المنذري في الترغيب والترهيب ٤ / ١٨١ - وهو بقية بن الوليد الكلاعي ، قال عنه ابن حجر في تقريب التهذيب : صدوق كثير التدليس عن الضعفاء .

ومن حديث الحرث[1] بن أبي أسامة حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زايد ، حدثنا يزيد بن أبي زياد ، عن يزيد بن وهب ، عن أبي ذر- رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : أكلتنا الضبع - يعني السنة - فقال : أنا لغير الضبع أخوف عليكم ، أن تصب الدنيا على أمتي صباً ، فليت أمتي لا يلبسون الذهب .

ومن حديث هشام عن عبيدة ، عن ربيع ، عن حذيفة رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : أكلتنا الضبع فقال رسول الله ﷺ : إن الدنيا ستفتح عليكم فيا ليت أمتي لا تلبس الذهب .

وأما إخباره ﷺ بوقوع بأس أمته بينهم وأن السيف لا يرتفع عنها بعد وضعه فيها فيهلك بعضها بعضا

فقد قال الله تعالى : ﴿ **هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون** ﴾[2] عذابا من فوقكم كالصواعق ، وكما أمطر على قوم لوط وأصحاب الفيل الحجارة . وأدخل على قوم نوح الطوفان ، ومن تحت أرجلكم كالزلازل ، ونبع الماء المهلك ، وكما خسف بقارون .

وقال السدي عن أبي مالك وسعيد بن جبير : من فوقكم أو من تحت أرجلكم ، الرجم والخسف ، وقال ابن عباس : ﴿**من فوقكم** ﴾، ولاة الجور ، ﴿**ومن تحت أرجلكم** ﴾، سفلة السوء وخدمته . ﴿**أو يلبسكم شيعاً**﴾ أي يخلطكم فرقاً مختلفين على أهواء شتى ، كل فرقة من مشايعة لأخرى ، ومعنى انسياب خلطهم : انتساب القتال بينهم ، فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال .

---

(١) (المرجع السابق) : حديث رقم (٤٦٨) .

(٢) الأنعام : ٦٥ .

وقال ابن عباس ومجاهد : يبث فيكم الأهواء المختلفة فتصيرون فرقاً ، وقيل : المعنى يقوى عدوكم حتى يخالطوكم ﴿ **ويذيق بعضكم بأس بعض** ﴾ البأس : الشدة من قبله ، والإذاقة : الإنالة والإصابة به .

وهذا إخبار يتضمن الوعيد ، وقد اختلف فيه ؛ فذهب الطبري إلى أنه خطاب للكفار ، وقال أُبيّ وأبو العالية وجماعة : الآية خطاب للمؤمنين [ويؤيد قول من ذهب إلى ذلك] ما خرجه البخاري[1] في كتاب التوحيد، من حديث حماد بن زيد ، عن أيوب عن أبي قلابة ، عن أبي أسماء، عن ثوبان ، قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله زوى [لي] الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن ملك أمتي سيبلغ ملكها .

قال أبو داود : وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها فأعطيت الكنزين : الأحمر والأبيض وأنى سألت ربي لأمتى أن لا يهلكها بسنة عامة ولا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، وإن ربي قال : يا محمد ، إني

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ١٨ / ٢٢٩ ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب (٥) هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ، حديث رقم (١٩) ، وله من حديث ثوبان أن الكنزين : الأحمر والأبيض، ثم ذكر نحو حديث أيوب عن أبي قلابة ، وفى (الأصل) : البخاري والصواب ما أثبتناه ، أما زوى ، فمعناه جمع ، وهذا الحديث فيه معجزات ظاهرة وقد وقعت كلها بحمد الله كما أخبر به ﷺ .

قال العلماء : المراد بالكنزين : الذهب والفضة ، والمراد كنزي كسرى وقيصر ملكى العراق والشام ، فيه إشارة إلى أن ملك هذه الأمة يكون معظم امتداده في جهتى المشرق والمغرب وهكذا وقع ، وأما في جهتى الجنوب والشمال فقليل بالنسبة إلى المشرق والمغرب وصلوات الله وسلامه على رسوله ﷺ الصادق الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى . (شرح النووي) .

وأخرجه أبو داود في (السنن) : ٤ / ٤٥٠ - ٤٥٢ ، كتاب الفتن والملاحم ، باب (١) ذكر الفتن ودلائلها ، حديث رقم (٤٢٥٢) .

وأخرجه ابن ماجة في (السنن) : ٢ / ١٣٠٤ ، كتاب الفتن ، باب ما يكون من الفتن ، حديث رقم (٣٩٥٢) .

إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد ، ولا أهلكهم بسنة عامة ، ولا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، ولو اجتمعت عليهم من بين أقطارها ، أو قال: بأقطارها ، حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ، وحتى يكون بعضهم يسبي بعضاً ، وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين ، وإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة ، ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين ، وحتى تعبد قبائل من أمتى الأوثان ، وأنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي ، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدى ، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق . قال أبو عيسى : " ظاهرين " ثم اتفقا " لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله " .

وخرجه الترمذي[1] إلى قوله : ويسبي بعضهم بعضاً . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

وبهذا الإسناد أيضاً قال رسول الله ﷺ : إذا وضع السيف في أمتي لا يرفع عنها إلى يوم القيامة وقال : هذا حديث حسن صحيح[2] .

وبهذا الإسناد أيضاً قال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتى بالمشركين ، وحتى يعبدوا الأوثان وإنه سيكون في أمتى ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي[3] . وسألت ربي أن لاتهلك أمتى بالغرق فأعطانيها ، وسألت أن لايجعل بأسهم بينهم فمنعينها .

وخرج الترمذي[4] من حديث الزهري ، عن عبدالله بن الحرث ، عن عبدالله بن خباب بن الأرت ، عن أبيه ، قال : صلى رسول الله ﷺ صلاة

---

(١) (سنن الترمذي) : ٤ / ٤١٠ ، كتاب الفتن ، باب (١٤) ما جاء في سؤال النبي ﷺ ثلاثة في أمته ، حديث رقم (٢١٧٦) .

(٢) (المرجع السابق) : حديث رقم (٢٢٠٢) .

(٣) (المرجع السابق) : حديث رقم (٢٢١٩) .

(٤) (سنن الترمذي) : ٤٠٩/٤ حديث رقم (٢١٧٥) ، باب (١٤) ماجاء في سؤال النبي ﷺ ثلاثاً في أمته، وأخرجه ابن ماجة في (السنن) ١٠٣٠/٢ ، باب (٩) مايكون من الفتن ، حديث رقم (٣٥٩١) بسياقة أتم ، وأخرجه الإمام أحمد في (المسند) ٦١٣/٦ ، حديث رقم (١٠٢٧٧) ، =

فأطالها، قالوا : يارسول الله صليت صلاة لم تكن تصليها ! قال : أجل إنها صلاة رغبة ورهبة ، إنى سألت الله فيها ثلاثاً ، فأعطاني اثنتين ، ومنعني واحدة، سألته أن لايهلك امتى بسنة فأعطانيها ، وسألته أن لايسلط عليهم عدوا من غيرهم فأعطانيها ، وسألته أن لايذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها . قال أبوعيسى هذا حديث حسن صحيح .

وخرج الدمشقي من حديث حماد بن سلمة ، عن يونس وثابت وحميد وحبيب ، عن الحسن ، عن خطاب بن عبدالله ، عن أبي موسي الأشعري رضي الله تبارك وتعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : بين يدى الساعة الهرج ، قالوا: يارسول الله ! وما الهرج ؟ قال : القتل ، قالوا : أكثر مما يقتل؟ أن يُقتل في العام الواحد أكثر من كذا ألفاً ، قال : إنه ليس يقتلكم المشركون ولكن يقتل بعضكم بعضاً ، قالوا : ومعنا يومئذ عقولنا ؟ قال : إنه ينتزع عقول أكثر أهل ذلك [الزمان] ويخلصوا له من الناس ، يحسب أكثرهم أنه على شئ وليسوا على شئ .

قال أبو موسى : والذي نفسي بيده ولا أجد لي ولكم وإن أدركنا إلا أن نخرج منها كما دخلناها . لم يصب فيها دماً ولامالاً .

ومن حديث بشر بن شعيب ، عن أبيه ، عن الزهري قال : أخبرنى عروة بن الزبير أن كرز بن علقمة الخزاعى قال : بينا أنا جالس عند رسول الله ﷺ جاءه رجل من أعراب نجد ، قال : يارسول الله . هل للإسلام من منتهى ؟ قال : نعم ، أيما أهل بيت من العرب أو العجم أراد الله بهم خيراً أو دخل عليهم الإسلام ، قال الأعرابي : ثم ماذا يارسول الله ؟ قال : ثم تجمع الفتن كأنها الظلل، قال الأعرابي : كلا يارسول الله ، قال : والذي نفس محمد بيده لتعودن فيها أساود ضباً بضرب بعضهم رقاب بعض .

وخرجه الإمام أحمد من حديث الزهري .

= وحديث رقم (١٢١٧٩) ، كلاهما من مسند أنس بن مالك رضي الله تبارك وتعالى عنه ، ٣٢٨/٦ ، حديث رقم (٢١٦٢٠) ، كلاهما من حديث معاذ بن جبل رضي الله تبارك وتعالى عنه وأخرجه النسائي في (السنن) ٣/٢٣٩-٢٤٠ باب (١٦) إحياء الليل ، حديث رقم (١٦٣٧) .

وخرجه أبو نعيم[1] من طريق أبي داود والحميدي وسعيد بن منصور ، وأبي بكر بن أبي شيبة ، كلهم من حديث سفيان بن عيينة ، حدثنا الزهري بنحوه وزاد في آخره : قال الزهري : والأسود الحية إذا أراد أن ينهس ينتصب هكذا ورفع الحميدي يده ثم انصبَّ .

وخرج من طريق عبدالرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، قال : أبونعيم : رواه عقيل وابن يسار ومعاوية بن يحيى عن الزهري مثله ، ورواه عبدالواحد بن قيس عن عروة بن الزبير وأكثر من طريق يحيى وعبد الله ، قال: حدثني عبد الواحد بن قيس ، أنه سمع عروة بن الزبير يقول : حدثني كرز الخزاعى قال: أتى النبي ﷺ فقال يارسول الله هل للإسلام منتهى ؟ قال : نعم ، فمن أراد الله به خيراً من العرب والعجم أدخله عليه ، ثم تقع الفتن كالظلل قال: كلا والله يارسول الله [قال رسول الله ﷺ] : بلى والذي نفسي بيده[2] لتعودون فيها أساود صباً يضرب بعضكم رقاب بعض ، وأفضل الناس يومئذ معتزل في شعب من الشعاب يتقى ربه ويدع الناس من شره[3] .

ومن حديث الوليد بن مسلم حدثنا بن جابر قال : حدثني سليمان بن حبيب عن كرز الخزاعي أن أعرابياً قال : يارسول الله جاءنا الله بهذا الإسلام فجعل له من منتهى ؟ قال : نعم ، فمن يرد الله قال : خيراً يدخله عليه ، ثم ماذا يارسول الله ؟ قال : ثم تقع فتن كالظلل قال : كلا يارسول الله ، قال : بلي ، والذي نفسى بيده ثم تعودون فيها أساود صُباً يضرب بعضكم رقاب بعض ، فخير الناس[4] يومئذ هو من يعتزل .

وخرج أيضاً من حديث الدمشقي ، قال : قال أبواليمان بن شعيب عن الزهري ، عن أنس بن مالك رضي الله تبارك وتعالى عنه ، عن أم حبيبة أن

---

(١) (دلائل أبي نعيم) : ٥٤٨ ، حديث رقم (٤٨١) ، وفيه : " إذا أراد أن ينهس ارتفع " وما أثبتناه من (الأصل) .

(٢) (المرجع السابق) : حديث رقم (٤٨٢) .

(٣) مابين الحاصرتين زيادة للسياق من (دلائل أبي نعيم) .

(٤) في (أبي نعيم) : " وأفضل الناس "

رسول الله ﷺ قال : أرأيت ماتلقى أمتى من بعدي ، وسفك بعضهم دماء بعض، وكان ذلك سابقاً من الله فسألته أن يولينى بشفاعة فيهم ففعل .

وخرجه أبومحمد بن أحمد بن حماد والدولابي من حديث محمد بن عوف بن سفيان الطائى قال أبواليمان : قال الزهري : قال أنس بن مالك: عن أم حبيبة رضي الله تبارك وتعالى عنها ، عن النبي ﷺ ، قال : أرأيت ما تلقى أمتى من بعدي ؟ سفك بعضهم دماء بعض فأحزنني وشق ذلك عليّ ، وسبق ذلك من الله كما سبق الأمم قبلها فسألته أن يوليني الشفاعة فيهم يوم القيامة ففعل.

وخرجه ابن موسى عن موسى بن عبيدة عن سعيد بن عبدالرحمن ، عن أنس بن مالك رضي الله تبارك وتعالى عنه ، عن أم سلمة قالت : قال رسول الله ﷺ : قد أريت ماتلقى أمتي من بعدي فأخرت لهم شفاعتى إلى يوم القيامة .

وخرج الحاكم[1] من حديث عبدالله بن وهب قال : أخبرنى عمرو بن الحرث ، عن سعيد بن هلال ، عن إبان بن صالح ، عن الشعبي ، عن عون بن مالك الأشجعي قال : [بينا] نحن مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ورسول الله ﷺ في قبة من أدم إذ مررت فسمع صوتى فقال : " ياعوف بن مالك ادخل " فقلت : يارسول الله أكلي أم بعضي ؟ فقال : " بل كلك " قال : فدخلت ، فقال : "ياعوف اعدد ستاً بين يدى الساعة " فقلت : ماهن يارسول الله ؟ قال : موت رسول الله " فبكى عوف ، ثم قال رسول الله ﷺ : " قل: إحدى " قلت : إحدى ، ثم قال : "وفتح بيت المقدس قل اثنتين " قلت اثنين ، قال : "وموت يكون في أمتى كعقاص الغنم ، قل: ثلاث ، " قلت: ثلاث ، قال : وتفتح لهم الدنيا حتى يعطى الرجل المائه فيسخطها ، قل: أربع " وفتنه لايبقى أحد من المسلمين إلا دخلت عليه بيته قل خمس " قلت: خمس " وهدنة تكون بينكم وبين بنى الأصفر يأتونكم على ثمانين غاية ، كل غاية اثنا عشر ألفاً ثم يغدرون بكم حتى حمل أمرأة "، فلما كان عام عمواس زعموا أن عوف بن مالك قال لمعاذ بن جبل : إن

---

(١) (المستدرك) : ٤٦٩/٤ ، كتاب الفتن والملاحم ، باب (٤٩) ، حديث رقم (٨٣٠٣) ، وفى (الأصل) : " بهذا الإسناد " بدلاً من : " بهذه السياقة " .

رسول الله ﷺ قال لي : اعدد ستاً بين يدي الساعة فقد كان منهن الثلاث وبقى الثلاث فقال معاذ : إن لهذا مدة ولكن خمس أظللنكم من أدرك منهن شيئاً ثم استطاع أن يموت فليمت [قبل] أن يظهر التلاعن على المنابر ، ويعطى مال الله على الكذب والبهتان ، وسفك الدماء بغير حق ، وتقطع الأرحام ، ويصبح العبد لايدرى أضال هو أم مهتد .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة .

وخرج الإمام أحمد(١) من حديث وكيع حدثنا أبوجعفر عن الربيع ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب في قوله تعالى : ﴿ **قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم** ﴾(٢) الآية ، قال من أربع وكلهن رفع لامحالة مضت اثنتان بعد وفاة رسول اللهﷺ بخمس وعشرين سنة ، فألبسوا شيعاً ، وذاق بعضهم بأس بعض ، وبقيت هنا فقال : لا محالة الحيف والرجم .

وخرج الحاكم (٣) من حديث أنس ، عن الأعمش فإنى برؤوس خوارج فكلما مروا عليه برأس ، قال : إلى النار ، فقال له عبد بن يزيد : أولا تدرى ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : عذاب هذه الأمة جعل بأيديها في دنياها . قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ، إنما أخرج مسلم وحده حديث طلحة بن يحيى ، عن أبي بردة ، عن أبي موسي : أمتى أمة مرحومة .

(١) (مسند أحمد) : ٢٧٨/١ ، حديث رقم (١٤٦٩) ، ٣٠٩/٣ ، حديث رقم (١٣٩٠٣) ، ١٦١/٦ حديث رقم (٢٠٧٢١)

(٢) الأنعام : ٦٥ .

(٣) (المستدرك) : ٢٨٣/٤ ، كتاب التوبة والإنابة ، باب (٤٠) حديث رقم (٧٦٥٠) .

وأما إخباره ﷺ بظهور المعادن فيكون فيها شرار الناس فكان كما أخبر

فخرج البيهقي(١) من حديث عاصم بن يوسف ، قال سعير بن الخمس ، عن زيد بن أسلم ، عن ابن عمر رضي الله تبارك وتعالى عنهما ، قال: أتى النبي ﷺ بقطعة من ذهب وكانت أول صدقة قد جاءت به بنو سليم من معدن لهم فقالوا : يارسول اللله هذه من معدن لنا فقال رسول الله ﷺ : تكون معادن ويكون فيها شرار خلق الله .

رواه محمد بن يوسف الفريابي قال : ذكر سفيان ، عن زيد بن أسلم ، عن رجل من بنى سليم ، عن جده ، قال أتيت النبي ﷺ بشئ من فضة ، من معدن لنا فقال أما إنه ستظهر معادن وسيحضرها شرار الناس .

قال البيهقي : وهكذا رواه قبيصة بن عقبة ، عن سفيان وقال أبوبكر بن أبي شيبة ، عن ابن مهدي ، عن سفيان ، عن زيد بن أسلم عن رجل من بني سليم عن أبيه أنه أتى النبي ﷺ بفضة فقال هذا معدن لنا . فقال النبي : إنها ستكون معادن يحضرها شرار الناس . قال البيهقي : هذا هو المحفوظ من حديث زيد بن اسلم .

وخرجه(٢) الإمام أحمد من حديث سفيان ، عن زيد بن أسلم ، عن رجل من بنى سليم ، عن جده ، أنه أتى النبي ﷺ بفضة ، فقال : هذه من معدن لنا فقال النبي ﷺ : ستكون معادن يحضرها شرار الناس .

---

(١) (دلائل البيهقي) ٦/٥٣٠-٥٣١ ، باب ما جاء في إخباره بكون المعادن وأنه يكون فيها من شرار خلق الله عز وجل فكان كما أخبر .

(٢) (مسند أحمد) : ٦/٥٩٨ ، حديث رقم (٢٣١٣٣) .

وأما إخباره ﷺ بمجئ قوم بأيديهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات فكان كما أخبر

فخرج مسلم[1] في آخر كتاب اللباس ، وفى آخر كتاب بدء الخلق ، من حديث جرير ، عن سهيل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : صنفان من أهل النار لم أرهما ، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مميلات مائلات ، رؤسهن كأسنمة البُخت المائلة ، لايدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا .

وخرجه من حديث زيد بن حباب ، حدثنا أفلح بن سعيد : حدثنا عبد الله ابن رافع مولى أم سلمة قال : سمعت أباهريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ١٤/٣٥٦ ــ ٣٥٧ ، باب (٣٤) النساء الكاسيات والعاريات المائلات المميلات ، حديث رقم (٢١٢٨) ، قال في (جامع الأصول) : " كاسيات عاريات " المعنى : أنهن كاسيات من نعم الله عز وجل ، عاريات من شكره . المعنى : أنهن يكشفن بعض أجسامهن ، ويسدلن الخمر من ورائهن ، فيكشفن صدروهن ، فهن كاسيات عاريات ، إذ بعض ذلك مكشوف ، وقيل هو أن تلبس ثياباً رقاقاً تصف ماتحتها فهن كاسيات في ظاهر الأمر ، عاريات في الحقيقة .

" مائلات مميلات " مائلات ، أى : زائغات عن طاعة الله وعما يلزمهن من حفظ الفروج، ومميلات يعلمن غيرهن الدخول في مثل فعلهن ، وقيل : مائلات ، أى : يمتشطن المشطة الميلاء ، وهى التى جاءت كراهيتها في بعض الحديث ، وهى مشطة البغايا ، والمميلات : اللاتى يمشطن غيرهن المشطة الميلاء ، وقيل : مائلات إلى الشر ، مميلات للرجال إلى الفتنة .

" رؤوسهن كأسنمة البخت " أراد تشبه رؤوسهن بأسنمة البخت بما يكبرن رؤسهن به من المقانع والخمر والعمائم ، أو بصلّه الشعور ، وخرجه البيهقي في (الدلائل) : ٦/٥٣٢ .

وأخرجه مسلم أيضاً في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب (١٣) النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء حديث رقم (٥٢) .

يقول : قال رسول الله ﷺ : يوشك إن طالت بك مدة أن ترى قوماً في أيديهم مثل أذناب البقر ، يغدون في غضب الله ، ويروحون في سخط الله[1] .

ومن حديث أبي عامر العقدى قال أفلح بن سعيد قال : حدثنى عبدالله بن رافع مولى أم سلمة ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول إن طالت به مدة أوشكت أن ترى قوماً يغدون في سخط الله ، ويروحون في لعنته في أيديهم مثل أذناب البقر[2] .

وخرجه الحاكم في (المستدرك)[3] من حديث أبىعبد الله محمد بن يعقوب الشيبانى ، حدثنا يحيى بن محمد بن يحيى الذهلي حدثنا مسدد من حديث بشر بن المفضل حدثنا عبد الله بن بجير حدثنا سيار بن سلامة عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ يخرج في هذه الأمة في آخر الزمان رجال معهم سياط كأنها أذناب البقر يغدون في سخط الله ويروحون في غضبه ، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

وخرج من حديث ابن وهب قال : أخبرنى عبدالله بن عياش القتبانى عن أبيه ، عن عيسى بن هلال الصدفى عن عبد الله بن عمرو رضي الله تبارك وتعالى عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : سيكون في هذه الأمة رجال يركبون على المياثر حتى يأتوا أبواب مساجدهم ونساؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهن كاسنمة البخت العجاف العنوهن فإنهن ملعونات لو كانت وراءكم أمة من الأمم لخدمهم كما خدمكم نساء الأمم السابقة .

فقلت لأبى : وما المياثر ؟ قال سروجاً عظاماً .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ١٩٦/١٧ ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب (١٣) ، حديث رقم (٥٣) .

(٢) (المرجع السابق) : حديث رقم (٥٤) .

(٣) المرجع السابق : ٤٨٣/٤ ، كتاب الفتن ، حديث رقم (٨٣٤٧) . وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : صحيح .

قال سروح : قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين[١] .

قال الحافظ أبونعيم[٢] النساء المذكورات في هذا الحديث قيل : إنهن المغنيات بالعراق يتعممن بكارات كبار على رؤوسهن ثم يتجلببن فوقهن .

وأما إشارته ﷺ إلى أن بغداد تبنى ثم تخرب[٣] فكان كما أشار وأخبر ﷺ

خرج الحافظ أبو نعيم من حديث عمار بن سيف ، عن عاصم الأحول ، عن أبي عثمان المتعلج ، عن جابر ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول تبنى مدينة بين دجلة ، ودجيل وقطربل ، والصراة ، تجبى إليها خزائن الأرض وجبابرتها ، لهى أسرع ذهاباً في الأرض من الوتد الحديد في الأرض الرخوة[٤].

ومن حديث محمد بن جابر ، عن عاصم ، عن أبي عثمان ، عن أبي جرير قال : قال رسول الله ﷺ : تبنى مدينة بين دجلة ، ودجيل ، والصراة ،

---

(١) (المستدرك) : ٤٨٣/٤ ، كتاب الفتن ، حديث رقم (٨٣٤٦) . ثم قال : فقلت لأبي : وما المياثر؟ قال : سروجاً عظاماً . وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : عبد الله بن عياش وإن كان قد احتج به مسلم فقد عافاه أبو داود والنسائي ، وقال أبو حاتم هو قريب من ابن لهيعة .

(٢) (دلائل أبي نعيم) : ٥٤٧ ، حديث رقم (٤٨٠) ، وأخرجه مسلم في (صحيحه) في كتاب (الجنة وصفة نعيمها وأهلها) باب (١٣) النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء حديث رقم (٢١٢٨) .

(٣) ذكر الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد) : ٣٨/٢٧ جميع أحاديث الباب ثم أوردها تحت عنوان ذكر أحاديث رويت في السلب لبغداد والطعن على أهلها ، وبيان فسادها وعللها ، وشرح أحوال رواتها وناقليها ، فلتراجع هناك .

(٤) (تاريخ بغداد) : ٣٢/١ .

وقطربل يجتمع فيها خزائن الأرض ، يخسف بها فلهى أسرع خسفاً بأهلها من التيه في الأرض الصبخة والخوراة[1].

ومن حديث إسماعيل ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : ستبنى مدائن بين نهرين من المشرق ، وتحشر إليها خزائن الأرض وسروها ، يسكنها أشر خلق الله وخبأت أمتى يخسف الله بها[2] .

وأما إخباره ﷺ عن البصرة ومصير أمرها[3]

فخرج الحافظ أبو نعيم من حديث محمد بن عبدالله الخزاعى قال : حدثنا حماد بن سملة ، عن على بن زيد ، عن أبي نضره قال : أتينا عثمان بن أبي العاص يوم جمعة فجلسنا إليه فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : والشام ، تكون المسلمين بلدة أمصار ومقر بملتقى البحرين ، ومقر بالحيرة ، ومصر ، بالشام فيخرج للمسلمين ثلاث فزعات .

ومن حديث صالح المري عن المغيرة بن حبيب صهر مالك قال : قلت لمالك بن دينار : يا أبا يحيى لو ذهبت بنا إلى بعض جزائر البحر كنا فيها حتى تسكن بأمر الناس فقال : ماكنت بالذي أفعل .

حدثنى الأحنف بن قيس ، عن أبي ذر رضي الله تبارك وتعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول إني لأعرف أرضاً يقال لها : البصرة أقوفها قبلة ، وأكثر مساجد ومؤذنين ، يدفع عنها من البلاء مايدفع عن سائر البلاد .

ومن حديث صالح المري عن سعيد الريعي ، عن صالح عن مالك بن دينار، عن الأحنف بن قيس ، عن أبي ذر رضي الله تبارك وتعالى عنه أن النبي ﷺ ذكر أهل الكوفة فذكر أنهم سينزل بهم بلايا عظام ، وذكر أهل البصرة وذكر أنهم أفضل من الأمصار .

---

(١) (المرجع السابق) : ٣٣/١ .

(٢) (المرجع السابق) : ٣٣/١ ، أنظر (معجم البلدان) : ٥٤١/١ وما بعدها .

(٣) راجع تعليقات الفصل السابق ، وانظرا (معجم البلدان) : ٥١٠/١ وما بعدها .

ومن حديث إسماعيل بن أبي إسماعيل قال : حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن جرهم بن الحارث ، عن العوام بن حوشب ، عن سعيد بن جهمان، عن أبي بكره قال : ذكر رسول الله ﷺ أن أرضاً تسمى البصرة أو البصيرة فنزلها أناس من المسلمين فبينما هم على ذلك إذا جاءهم بنو قنطور حتى ينزلوا بين دحلمة ذى نخل فتتصرف الناس عن ذلك ثلاث فرقٍ فأما فرقة فتلحق بأصلها فتهلكها فتأخذ على نفسها وكفروا ، وفرقة تقاتل قتالاً شديداً فيفتح الله عليهم .

ومن حديث داود بن سعيد بن حيان ، عن مسلم ، عن أبي بكرة ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ إن ناساً من أمتى ينزلون بغائط موته البصره عندهم نهر يقال له دجله يكون لهم عليها جسر ويكون أهلها وتكون من أنصار المهاجرين ، فإذا كان في آخر الزمان جاء بنو قنطور عراض الوجوه صفن الأعين حتى ينزلوا على شاطئ البصرة فيضيق أهلها على ثلاث فذكر قتله .

ومن حديث عبدالرحمن بن أبي غياث قال الحرث بن سليمان الكوفى ، عن سالم بن أبي الجعد ، قال : لما فرغ على بن أبي طالب رضي الله تبارك وتعالى عنه من قتال أهل البصرة دخل المسجد فاستنزل حائط القبلة ثم أمر منادٍ ينادى : الصلاة جامعة وبرئت الذمة من رجل يحلق .

وأما إخباره ﷺ بما يكون في هذه الأمة من الفجور وتناول المال الحرام والتسرع إلى القتل[1]

فخرج البيهقي[2] من حديث علي بن عاصم ، عن داود بن أبي هند ، قال : نزلت الجديلة جديلة قيس فسمعت شيخاً أعمى يُقال له ، أبوعمر يقول : سمعت أباهريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه يقول : قال رسول الله ﷺ ليأتين على الناس زمان يخير الرجل فيه بين العجز أو الفجور فمن أدرك ذلك الزمان منكم فليختر العجز على الفجور .

وخرجه أحمد[3] والحاكم[4] من حديث سفيان عن داود بن أبي هند قال : أخبرني شيخ سمع أبا هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه يقول : قال رسول الله ﷺ يأتي على الناس زمان يخير الرجل فيه بين العجز والفجور فمن أدرك ذلك الزمان فليختر العجز على الفجور .

قال الحاكم[5] هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأن الشيخ الذي لم يسم سفيان الثوري عن داود بن أبي هند هو سعيد بن أبي جبيرة ، رواه من حديث عباد بن العوام ، عن داود بن أبي هند ، عن سعيد بن أبي جبيرة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ فذكره .

وخرج الحاكم[6] من حديث معاوية بن صالح أن عبد الرحمن بن جبير بن نفير حدثه عن أبيه ، عن كعب بن عياض رضي الله تبارك وتعالى

---

(١) هذا العنوان في (دلائل البيهقي) هكذا : باب ماجاء في إخباره بزمان يخير الرجل فيه بين العجز والفجور وبزمان لايبالي المرء بما أخذ المال بحلال أو بحرام فكان كما أخبر .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٥٣٥/٦ .

(٣) (مسند أحمد) : ٥٤٣/٢ حديث رقم (٧٦٨٦) .

(٤) (المستدرك) : ٤٨٥/٤ حديث رقم (٨٣٥٣) ، (كتاب الفتن) .

(٥) (المستدرك) : ٤٨٤/٤-٤٨٥ حديث رقم (٨٣٥٢) (كتاب الفتن) .

(٦) (المستدرك) : ٣٥٤/٤ ، (كتاب الرقاق) حديث رقم (٧٨٩٦) .

عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول " إن لكل أمة فتنة وإن فتنة أمتي المال " قال : هذا حديث صحيح الإسناد .

وخرجه الحاكم[1] من حديث عبد الله بن صالح قال : أخبرني معاويه بن صالح قال : حدثني أبوالزاهرية ، عن كثير بن مُرة عن ابن عمر رضي الله تبارك وتعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ ليغشين أمتي من بعدي فتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسى كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع أقوام دينهم بعرض من الدُنيا قليل . قال[2] الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

ومن حديث ابن أبي وهب قال أخبرني عمرو بن الحرث وابن لهيعه عن زيد أبي حبيب ، عن سنان بن سعد ، عن أنس بن مالك رضي الله تبارك وتعالى عنه ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : " بين يدي الساعة فتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسى كافراً ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا قليل " .

وخرج الحاكم[3] من حديث عمرو بن محمد بن منصور العدل ، حدثنا عمر بن حفص ، حدثنا عاصم بن عليّ ، حدثنا المبارك بن فضالة ، عن الحسن، عن النعمان بن بشير رضي الله تبارك وتعالى عنهما ، قال : صحبنا رسول الله ﷺ فسمعناه يقول : " إن بين يدى الساعة فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسى كافراً ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً يبيع أقوام خلاقهم فيها بعرض من الدنيا يسير " .

قال الحسن : والله لقد رأيناهم صوراً بلا عقول أجساماً بلا أحلام فراش نار وذبان طمع يغدون بدرهمين ويروحون بدرهمين يبيع أحدهم دينة بثمن العنز.

---

(١) (المرجع السابق) : ٤٨٥/٤ ، (كتاب الفتن) حديث رقم (٨٣٥٤) .

(٢) (المرجع السابق) : ٤٨٥/٤ ، (كتاب الفتن) حديث رقم (٨٣٥٥) .

(٣) (المستدرك) : ٣ /٦١١، كتاب (معرفه الصحابه) حديث رقم (٦٢٦٣) .

وخرجه أبو نعيم من حديث عاصم بن علي قال : المبارك بن فضالة عن الحسن ، عن النعمان بن بشير قال : صحبنا رسول الله ﷺ وسمعناه يقول : إن من بين يدى الساعة فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسى كافراً ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً ويبيع أقوام اخلاقهم في عرض أو بعرض من الدنيا[١] يسير ، ومن حديث[٢] حفص بن عمر ، عن يونس بن عبيد ، عن الحسن ، عن النعمان بن بشير أنه كتب إلى قيس بن سعد [أما بعد فإنكم إخواننا أسقافاً وأما شهدنا ولم يشهدوا وسمعنا ولم يسمعوا] وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول إن بين يديّ فتنا كقطع الدخان يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسى كافراً ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً يبيع الرجل دينه بثمن عرض . قال الحسن : قد رأيناهم والله .

وخرج الإمام أحمد من حديث ابن لهيعه حدثنا يونس عن أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ويل للعرب من شر قد اقترب فتنا كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمناً ويمسى كافراً ، يبيع قوم دينهم بعرض من الدنيا قليل ، المتمسك يومئذ بدينه كالقابض على الجمر أو قال: على الشوك قال حسن في حديثه : [٣] خبط الشوك .

ومن حديث شعبه عن محمد بن يعقوب سمعت شقيق بن حيان يحدث عن مسعود بن قبيصة أو قبيصة بن مسعود يقول : صلى هذا الحي من محارب الصبح فلما صلوا قال شاب منهم : سمعت رسول الله ﷺ يقول إنه سيفتح لكم مشارق الأرض ومغاربها ، وأن عمالها في النار إلا من اتقى الله وأدى الأمانة[٤].

---

(١) (المرجع السابق) .

(٢) (المرجع السابق) : حديث رقم (٦٢٦٣) .

(٣) (مسند أحمد) ٣/٩٧ ـ ٩٨ ، حديث رقم (٨٨٣١) .

(٤) (مسند الإمام أحمد) : ٦/٥٠٤ - ٥٠٥ ، حديث رقم (٢٢٥٩٩) .

وخرج [١] مسلم من حديث أبي حازم ، عن أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده لاتذهب الدنيا حتى يأتي على الناس يوم لايدرى القاتل فيم قتل ولا المقتول فيم قتل فقيل : كيف يكون ذلك ؟ قال: الهرج ، القاتل والمقتول في النار .

وأما إخباره ﷺ عن حال بقعة من الأرض فظهر صدق ما أخبر به

فخرج الحافظ أبو نعيم[٢] من حديث الإمام أحمد ، عن عبد الرحمن بن مهندب ، عن سفيان ، عن عاصم بن عبيدالله ، عن عبيد مولى أبي ، رهم ، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ نظر إلى بقعة من بقاع المدينة فقال : رب يمين لايصعد إلى الله بهذه البقعة فرأيت فيها النخاسين بعد .

وخرجه الإمام أحمد[٣] في (المسند) من حديث عبد الرحمن ولفظه : سمعت رسول الله ﷺ يقول رب يمين لاتصعد إلى الله بهذه البقعة فرأيت فيها النخاسين بعد .

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ١٨ / ٢٥١ - ٢٥٢ ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب لاتقوم الساعة حتى يمر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء ، حديث رقم (٥٦) .

(٢) راجع التعليق التالى :

(٣) (مسند أحمد) : ٢/٥٨٥ ، حديث رقم (٧٩٦٣) .

(مسلم بشرح النووي) : ٣/١٤٠- ١٤١ كتاب الطهاره ، باب (١٢) حديث رقم (٣٩) ، وأخرجه الإمام أحمد في (المسند) : ٢/٥٨١ حديث رقم (٧٩٣٣) .

وأما إخباره ﷺ عن قوم يؤمنون به ولم يروه

فخرج مسلم[1] من حديث إسماعيل بن جعفر قال : أخبرنا العلاء بن عبدالرحمن عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ أتي المقبرة فقال : السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون وددت أنا قد رأينا إخواننا . قالوا : أولسنا إخوانك يارسول الله ؟ قال : أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد فقالوا كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يارسول الله ؟ فقال : أرأيت لو أن رجلا له خيل غر محجلة بين ظهرى خيل دهم بهم ألا يعرف خيله ؟ قالوا بلى يارسول اللّه ، قال : فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض ألاّ ليزادن رجال من حوضي كما يزاد البعير الضال أناديهم ألا هلم فيقال أنهم قد بدلوا بعدك فأقول : سحقاً سحقاً .

وخرج مسلم[2] من حديث عبدالعزيز الدراوردي ، حدثنا مالك ، جميعاً عن العلاء بن عبدالرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه أن رسول الله ﷺ خرج إلى المقبرة فقال : السلام عليكم دار قوم مؤمنين أنتم السابقون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون . بمثل حديث إسماعيل بن جعفر غير أن حديث مالك : فليذادن رجال عن حوضى .

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٣/١٤٠ - ١٤١ ، كتاب الطهارة ، باب (١٢) ، حديث رقم (٣٩) .

(٢) (راجع التعليق السابق) .

وأخرجه النسائي[1] من حديث مالك ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ خرج إلى المقبرة فقال : السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، وددت أني قد رأيت إخواننا ، قالوا : يا رسول الله ، ألسنا إخوانك ؟ قال : بل أنتم أصحابي وإخواني الذين لم يأتوا بعد وأنا فرطهم على الحوض ، قالوا : يا رسول الله ، كيف تعرف من يأتي بعدك من أمتك قال : أرأيت لو كان لرجل خيل غر محجلين في خيل بُهم دُهم ألا يعرف خيله ؟ قالوا : بلى ، قال : فإنهم يأتون يوم القيامة غراً محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض .

وذكر ابن عبد البر من حديث عمرو بن خالد حدثنا ابن لهيعه عن يزيد عن أبي حبيب عن بكير بن عبدالله بن الأشح ، عن عبدالرحمن بن أبي عمر عن أبيه قال : قلت لرسول الله ﷺ أرأيت من آمن بك ولم يرك ؟ فقال : أولئك اخواننا معنا ، طوبى لهم ، طوبى لهم .

ومن حديث ابن أبي أوفى قال : خرج علينا رسول الله ﷺ وجاءه عُمر فقال : ياعمر إني لمشتاق إلى إخواني ، قال : عمر رضي الله تبارك وتعالى عنه: ألسنا بإخوانك يارسول الله ؟ قال : لا ، ولكنكم أصحابي ، وإخواني قوم آمنوا بي ولم يروني .

هكذا أورده ابن عبدالبر بغير إسناد . وذكر من طريق موسى بن داود، عن همام ، عن قتاده ، عن أنس عن أبي أمامة أن النبي ﷺ قال : طوبى لمن رآني وآمن بي ، وطوبى سبع مرّات لمن لم يرني وآمن بي . قال : ورواه أبو داود الطيالسي عن همام ، عن قتاده به مثله .

ومن مسند أبي داود الطيالسي ، عن محمد بن أبي حميد ، عن زيد بن أسلم عن أبيه ، عن عمر رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : كنت جالساً عند النبي ﷺ فقال : أتدرون أى الخلق أفضل إيماناً ؟ قلنا : الملائكة ، قال : فحق لهم بل غربتم ، قلنا : الأنبياء ، قال : حق لهم بل غربتم ، ثم قال رسول الله

---

(١) (سنن النسائي) : ١/١٠١ – ١٠٢ ، كتاب الطهارة ، باب (١١٠) ، حلية الوضوء حديث رقم (١٥٠) .

ﷺ: أفضل الخلق إيماناً قوم في أصلاب الرجال يؤمنون بي ولم يروني يجدون ورقاً فيتعلمون فيه فهم أفضل الخلق إيماناً .

وذكره ابن عبد البر من طريق زكريا بن يحيى الشامي ، عن محمد بن المثنى بن أبي عدي ، عن ابن أبي حميد ، عن زيد بن أسلم عن أبيه ، عن عمر ابن الخطاب رضي الله تبارك وتعالى عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول ائتوني بأفضل أهل الإيمان إيماناً قلنا الملائكة .... وذكر الحديث كما تقدم .

قال المؤلف عفى الله عنه وغفر ذنوبه : وقد خرجه[1] الحاكم من حديث أبي عامر العقدي ، حدثنا محمد بن أبي حميد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عمر رضي الله تبارك وتعالى عنه قال: كنت مع النبي ﷺ جالساً ، فقال رسول الله ﷺ " أتدرون أي أهل الإيمان أفضل إيماناً ؟ " قالوا : يارسول الله الملائكة ؟ قال : هم كذلك ويحق ذلك لهم ومايمنعهم وقد أنزلهم الله المنزلة التي أنزلهم بها غيرهم ، قالوا : يارسول الله فالأنبياء الذين أكرمهم الله تعالى بالنبوة والرسالة ؟ قال : "هم كذلك ويحق لهم ذلك ومايمنعهم وقد أنزلهم الله المنزلة التى أنزلهم بها بل غيرهم " قال : قلنا فمن هم يارسول الله ؟ قال : " أقوام يأتون من بعدي في أصلاب الرجال فيؤمنون بي ولم يروني ويجدون الورق المعلق فيعملون بما فيه ، فهؤلاء أفضل أهل الإيمان إيماناً " ، قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد .

وقال ابن عبد البر: [2] وذكر سنين عن خلف بن خليفة عن عطاء بن السائب قال : قال ابن عباس رضي الله تبارك وتعالى عنه لأصحابه يوماً : أي الناس أعجب إيماناً قالوا : الملائكة ، قال : وكيف لاتؤمن الملائكة والأمر فوقهم يرونه ؟ قالوا : الأنبياء ، قال : وكيف لاتؤمن الأنبياء والأمر منزل إليهم غدوة وعشية ؟ قال : فنحن ؟ قال : وكيف لاتؤمنون وأنتم ترون من رسول الله ماترون ؟ ثم قال : قال رسول الله ﷺ : أعجب الناس إيماناً قوم يأتون بعدي

---

(١) (المستدرك) : ٩٦/٤ ، كتاب معرفة الصحابة ، حديث رقم (٦٩٩٣) . وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : بل محمد [بن أبي حميد] ضعفوه .

(٢) (الاستيعاب) : ٦٨٩/٢ ، ترجمة رقم (١١٤٧) .

يؤمنون بي ولم يروني ، أولئك إخواني حقاً ، وكان سفيان بن عُيينة يقول: تفسير هذا الحديث وماكان مثله بين في كتاب الله تعالى وهو قوله تعالى :﴿ **وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله**﴾[١] .

قال ابن عبد البر: وروى مالك عن صفوان بن سليم ، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال : إن أهل الجنة ليتراؤون أهل الغرف من فوقهم كما يتراؤون الكوكب الدري في الأفق من المشرق أو المغرب لا يتفاضل بينهم ، قيل : يارسول الله تلك منازل الأنبياء لايلقاها غيرهم؟ قال: بلى والذي نفسي بيده ، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين [٢].

وروى فليح بن سليمان عن هلال بن على عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ مثله ، وقال : محمد بن يحيى كلاماً غير مرفوع وذكر من حديث قاسم بن أصبغ ، عن أحمد بن زهيد ، عن مروان بن عزوف ، حدثنا عن مرزوق بن نافع ، عن صالح بن حنز ، عن أبي جمعة قال : قلنا : يارسول الله هل أحد خير منا ؟ قال : نعم قوم يكونون بعدكم فيجدون كتابا بين لوحين يؤمنون بما فيه ويؤمنون بي ولم يروني [٣] .

قال جامعه - رحمه الله وعفى عنه- : وقد خرج الحاكم[٤] هذا الحديث من طريق أبي العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن عوف بن سفيان الطائى بحمص ، حدثنا عبدالقدوس بن الحجاج ، حدثنا الأوزاعى ، حدثنا أسيد ابن عبدالرحمن ، حدثنى صالح بن محمد ، عن أبي جمعة قال : تغدينا مع رسول الله ﷺ ومعنا أبو عبيدة بن الجراح ، قال : فقلنا : يارسول الله أحد خير

---

(١) آل عمران : ١٠١ .

(٢) باقى هذا الحديث مطموس في الأصل .

(٣) المرجع التالى مع اختلاف يسير في اللفظ .

(٤) (المستدرك) : ٤ / ٩٥-٩٦ ، كتاب معرفة الصحابة حديث رقم (٦٩٩٢) . وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : صحيح .

منا معك أسلمنا معنا وجاهدنا معك ؟ قال : نعم قوم يكونـون بعدكم يؤمنـون بـى ولم يرونى . قال الحاكم[1] هذا حديث صحيح الإسناد .

قال ابن عبد البر : قد عارض قوم هذه الأحاديث بما جاء عنه ﷺ : خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، وهو حديث حسن المخرج ، جيد الأسانيد ، وليس ذلك عندى بمعارض لأن قوله : خير الناس قرني ليس على عمومه ، بدليل مايجمع القرن من الفاضل والمفضول ، وقد جمع قرنه من السابقين من المهاجرين والأنصار جماعة من المنافقين المظهرين للإيمان ، وأهل الكبائر الذين أقام عليهم وعلى بعضهم الحد ، ردّ وقال : أنتم ماتقولون في الشارب والسارق والزانى وقال ﷺ : لاتسبوا أصحابي فلو أنفق أحكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولانصيفه .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله تبارك وتعالى عنه في قوله تعالى : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس** ﴾[2] قال : من فعل منكم فعلها كان مثلها وقال ابن عباس رضي الله عنه : في قوله تعالى : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس** ﴾ ثم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة وشهدوا بدراً والحديبية وهذا كله يشهد أن خير قومه فضلاء أصحابه وقد قيل في قول الله -عزوجل- : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس** ﴾ أمة محمد ﷺ يعنى الصالحين منهم وأهل الفضل وكنتم شهداء على الناس يوم القيامة ، قالوا : إنما صار أول هذه الأمة خير القرون لأنهم آمنوا به حين كفر الناس ، وصدقوه حين كذبه الناس ، وعزروه ، ونصروه ، وآووه وواسوه بأموالهم وأنفسهم وقاتلوا غيرهم على كفرهم حتى أدخلوه في الإسلام .

وقد قيل في توجيه أحاديث هذا الباب مع قوله خير الناس قرني في قوته إنما قيل : لأنهم كانوا غرباء في إيمانهم لكثرة الكفار وصبروا على إيذائهم وتمسكهم ، وأن آخر هذه الأمة إذا أقاموا الدين وتمسكوا به وصبروا على طاعة ربهم في حين ظهور الشر والفسق والهرج والكبائر ، كانوا عند ذلك أيضاً

---

(١) راجع التعليق السابق .

(٢) سورة آل عمران : ١١٠ .

غُرباء ، وزكت أعمالهم في ذلك الزمن ، كما زكت أعمال من قبلهم ، ومما يشهد لهذا قوله ﷺ [1] بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً فطوبى للغرباء، ويشهد له أيضاً حديث أبي ثعلبة ، ويشهد له قوله ﷺ أمتي كالمطر لايدرى أوله خير أم آخره .

هذا حديث خرجه الإمام أحمد[2] من حديث رماد عن أبي عمرو عن الحسين عن عمار بن ياسر قال : قال رسول الله ﷺ مثل أمتي مثل المطر لايدرى أوله خير أم آخره .

وقد ذكر البخاري - رحمه الله - قال : محمد بن بشار بن أبي عدى عن حميد ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : لاتقوم الساعة على أحد يقول في الأرض الله[3] . قال ابن عبد البر : فما ظنك بعبادة الله وإظهار دينه في ذلك الوقت ليس هو كالعاص على الجمر ، لصبره على الذل والفاقة وإقامة الدين والسنة .

وروينا أن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافه كتب إلى سالم بن عبد الله ابن عمر أن أكتب إليّ سيرة عمر بن الخطاب لأعمل بها ، فكتب إليه سالم أن عملت بسيرة عمر ، وأنت أفضل من عمر ، لأن لا زمانك كزمان عمر، ولارجالك كرجال عمر. قال : وكتب إلى فقهاء زمانه فكلهم كتب إليه بمثل قول

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٥٣٦/٢ ، كتاب الإيمان باب (٦٤) رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب وعرض الفتن على القلوب حديث رقم (٢٣٢) في (الأصل) : " الدين " وما أثبتناه من سائر المراجع (سلسله الأحاديث الصحيحة) : ٢٦٧/٣ ، حديث رقم (١٢٧٣) ، وتمامه : قيل: من هم يارسول الله ؟ قال : الذين يصلحون إذا فسد الناس ، قال الألباني : وهذا سند صحيح ، رجاله ثقات ، رجال الصحيح ، غير محمد بن آدم المصيصي وهو ثقة كما قال النسائي وغيره .

(٢) (مسند أحمد) : ٥ : ٤١٧ ، حديث رقم (١٨٤٠٢) .

(٣) (جامع الأصول) : ٣٩٤/١٠ ، حديث رقم (٧٩٠٢) .

سالم وقد عدل عن بعض الجملة من العلماء قوله ﷺ (١) " خير الناس قرني بقوله : خير الناس من طال عمره وحسن عمله " ، قال : وهذه الأحاديث تقتضى مع مواتر [صحة] طرقها وحسنها التسويه بين أول هذه الأمة وآخرها ، [والمقنع] في ذلك ماقدمنا ذكره من الإيمان والعمل الصالح في الزمن الفاسد الذي يرفع فيه من أهله العلم والدين ، وبكثر الهرج والفسق ، ويذل المؤمن ، ويعز الفاجر ، ويعود الدين غريباً كما بدأ ويكون القائم فيه بدينه كالقابض على الجمر فيستوي أول هذه الأمة بآخرها في فضل العمل إلا أهل بدر والحديبية والله يؤتى فضله من يشاء .

وأما إخباره ﷺ بأن أقصى أماني من جاء بعده من أمته أن يروه فكان كما أخبر

فخرج البخاري من حديث شعيب عن أبي حمزه عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه ، عن النبي ﷺ قال : لاتقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر حتى تقابلوا الترك صغار الأعين حمر الوجوه ذلف الأنوف كأن وجوهم المجان المطرقة وتجدون خير الناس اشدهم كراهة لهذا الأمر ، حتى يقع فيه ، والناس معادن ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام ، إذا فقهوا وليأتين على أحدكم زمان لأن يراني أحب إليه من أن يكون له مثل أهله وماله .

---

(١) (إحياء علوم الدين) : ٦٢٦/٤ ، باب المجاهدة " حديث خير الناس من طال عمره وحسن عمله ، أخرجه الطبراني من حديث عبدالله بن بشر وفيه بقية وهو مدلس . وللترمذي من حديث أبي بكر " خير الناس من طال عمره وحسن عمله " وقال : حسن صحيح .

وأخرجه أيضاً من حديث صالح بن كيسان عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه ، عن النبي ﷺ بمثل حديث شعيب دون الزيادة مع تقديم وتأخير[1] .

وخرج البخاري[2] ومسلم من حديث شعيب عن أبي جمرة ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : ليأتين على أحدكم زمان لأن يراني أحب إليه من أن يكون له مثل أهله وماله .

---

(١) (جامع الأصول) : ١٠/٣٧٥ - ٣٧٦ ، الفصل الرابع في الفتن والاختلاف أمام القيامة ، حديث رقم (٧٨٧٠) ، وقال : قال سفيان : زاد فيه روايه " صغار الأعين " ذلف الأنوف ، كأن وجوهم المجان المطرقة" .

وفي رواية قال : قال رسول الله ﷺ تقاتلون بين يدى الساعة قوماً نعالهم الشعر ، كان وجوهم المجان المطرقة ، حُمر الوجوه ، صغار الأعين ، أخرجه البخاري ومسلم .

وللبخارى عن قيس بن أبي حازم قال : أتينا أبا هريرة ، فقال : صحبت رسول الله ﷺ ثلاث سنين ، لم أكن في سنى أحرص على أن أعى الحديث منى فيهن ، سمعتهُ يقول : وقال هكذا بيده: بين يدى الساعة تقاتلون قوماً نعالهم الشعر ، وهو هذا البارز قال سفيان مرة : وهم أهل البارز ويعنى بأهل البارز فارس ، كذا هو بلغتهم " .

وللبخاري أيضاً : وزاد في آخره ، وتجدون خير الناس أشدهم كراهية لهذا الأمر ، حتى يقع فيه ، والناسُ معادن ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام ، إذا فقهوا ، وليأتين على أحدكم زمان لأن يراني أحبُ إليه من أن يكون له مثل أهله وماله " .

وله أيضاً : قال : قال رسول الله ﷺ لاتقوم الساعة حتى تقاتلون خوزاً وكرمان من الأعاجم ، حُمر الوجوه ، فطس الأنوف ، صغار الأعين ، وجوهم المجان المطرقة ، نعالهم الشعر " ولمسلم : أن رسول الله ﷺ قال : لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون الترك ، قوماً وجوهم كالمجان المطرقة ، يلبسون الشعر ، ويمشون في الشعر " .

وأخرج أبو داود الأولى والآخرة ، وأخرج الترمذي الأولى ، وأخرج [أبوداود] والنسائي الآخرة ، إلا أن أبا داود لم يذكر " يمشون في الشعر " [شرح الغريب] " ذلف الأنوف " الذلف في الأنف ـ بالذال المعجمة ـ استواء في طرفه وليس بالغليظ الكبير .

(٢) (جامع الأصول) : ١٠ / ٣٧٥ - ٣٧٧ ، حديث رقم (٧٨٧٠) .

وخرجه مسلم[1] من حديث همام بن منبه ، عن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ والذي نفس محمد بيده ليأتين على أحدكم يوم ولايرانى ، ثم لأن يرانى أحب إليه من أهله وماله معهم .

قال أبونصر الحميدي : تأولوه على أنه نعى مصيبة إليهم وعن فهم بما يحدث لهم بعده من تمنى لقائه عند فقدهم ماكانوا يشاهدون من بركاته ﷺ .

وخرج مسلم[2] من حديث يعقوب بن عبدالرحمن ، عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، حدثنا أبوهريرة عن رسول الله ﷺ قال : والذي نفس محمد بيده ليأتين على أحدكم يوم ولايرانى ثم لأن يرانى أحب إليه من أهله وماله معهم.قال أبو إسحاق : المعنى فيه عندي لأن يرانى معهم أحب إليه من أهله وماله وهو عندي يقدم ويؤخر .

وخرج أبوبكر بن أبي شيبة من حديث أبي خالد الأجوري عن يحيى بن سعيد ، عن أبي صالح ، عن رجل من بني أسد ، عن أبي ذر رضي الله عنه

---

(١) (المرجع السابق) ٥٤٣/٨ ، حديث رقم (٦٣٤٩) .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ١٢٧/١٥ ، كتاب الفضائل ، باب (٣٩) فضل النظر إليه ﷺ حديث رقم (١٤٢) قوله ﷺ والذي نفس محمد بيده ليأتين على أحدكم يوم ولايراني ثم لأن يراني معهم أحب إليه من أهله وماله وهو عندى مقدم ومؤخر ، هذا الذي قال أبو إسحاق هو الذي قاله القاضي عياض واقتصر عليه قال تقديره لأن يراني معهم أحب إليه من أهله وماله ثم لايرانى وكذا جاء في مسند سعيد بن منصور ليأتين على أحدكم يوم لأن يراني أحب إليه من أن يكون له مثل أهله وماله ثم لايراني أي رؤيته إياى أفضل عنده وأخطر من أهله وماله . هذا كلام القاضي والظاهر أن قوله في تقديم لأن يراني وتأخير من أهله لايراني كما قال.وأما لفظة معهم فعلى ظاهرها وفى موضعها وتقدير الكلام يأتى على أحدكم يوم لأن يرانى فيه لحظة ثم لايراني بعدها أحب إليه من أهله وماله جميعاً ومقصود الحديث حثهم على ملازمة مجلسة الكريم ومشاهدته حضراً وسفراً للتأدب بآدابه ، وتعلم الشرائع وحفظها ليبلغوها ، وإعلامهم أنهم سيندمون على مافرطوا فيه من الزيادة من مشاهدته وملازمته.

قال: قال رسول الله ﷺ إن من أشد أمتي حُباً إلىّ مؤمنين يأتون من بعدي يود أحدهم لو رآني أحب إليه من أهله كأنه يراني .

وخرجه الإمام أحمد من حديث أبي صالح .

وخرجه الحاكم من حديث عبدالله بن مسلمة ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد،عن يعقوب بن عبد الرحمن ، عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ إن ناساً من أمتى يأتون بعدي يود أحدهم لو اشترى رؤيتي بأهله وماله . قال الحاكم هذا صحيح الإسناد .

وأما إخباره ﷺ بتبليغ أصحابه ما سمعوا منه حديثهم من بعده وخطبه من بعدهم فكان كما أخبر

فخرج أبو داود[١] من حديث جرير ، عن الأعمش ، عن عبدالله بن عبدالله ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله تبارك وتعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ تسمعون ويُسمع منكم ويُسمع ممن سمع منكم .

وخرجه الحرث عن أبي أسامة من حديث فضيل عن الأعمش به مثله .

وخرج أبونعيم [٢] من حديث محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى ، عن ثابت بن قيس قال : قال رسول الله ﷺ : تسمعون ويسمع منكم ويُسمع ممن يَسمع منكم .

وخرج الترمذي [٣] من حديث أبي داود الطيالسى قال : عن سماك بن حرب قال : سمعت عبدالرحمن بن عبد الله بن مسعود يتحدث عن أبيه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : نضر الله امرءاً سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه ، فرب مبلغ أوعى من سامع قال أبوعيسى : هذا حديث حسن صحيح . وبه رواه عبدالملك بن عمير عن عبدالرحمن بن عبد الله .

---

(١) (سنن أبي داود) : ٦٨/٤ ، كتاب العلم ، باب (١٠) فضل نشر العلم ، حديث رقم (٣٦٥٩) .

(٢) راجع التعليق السابق .

(٣) (جامع الأصول) : ١٨/٨ ، حديث رقم (٥٨٤٩) .

قال المؤلف – رحمه الله تعالى – : ووقع هذا الحديث في سنن أبي داود الطيالسي ، عن شعبة وحماد بن سلمة ، عن سماك بن حرب إلى آخره بمثله .

وروى غافر بن مجد الدورى ، عن يحيى بن معين أن عبد الرحمن بن عبد الله وأخاه أبا عبيد لم يسمعا من أخيهم شيئاً مما يحدث .

وخرج الترمذي[1] من حديث أبي داود عن شعبة أخبرني عمر بن سليمان عن ولد عمر بن الخطاب قال : سمعت عبد الرحمن بن عثمان يحدث عن أبيه قال : خرج زيد بن ثابت من عند مروان نصف النهار ، قلنا مابعث إليه في هذه الساعة إلا لشئ فسألاه عنه ، فقمنا فسألناه فقال : نعم ، سألنا عن أشياء سمعناها من رسول الله ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول : " نضر الله امرؤاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه " .

وخرجه أبوداود[2] في باب نشر العلم من كتاب العلم من حديث يحيى عن شعبة إلى آخره مثله .

وخرج أبوبكر بن أبي شيبة من حديث محمد بن إسحاق ، عن عبد السلام ، عن الزهري ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه : قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " نضر الله عبداً سمع مقالتى هذه فحملها ، فرب حامل الفقه فيه غير فقيه ، ورب حامل الفقه إلى من هو أفقه منه ، ثلاث لا يغل عليهم صدر مسلم : إخلاص العمل لله – عز وجل – ، ومناصحة أولى الأمر ، ولزوم جماعة المسلمين ، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم [3] .

---

(١) (جامع الأصول) : ٨/١٧ ، حديث رقم (٥٨٤٨) أخرجه الترمذي ، وأخرج أبوداود في (السنن) وحده قوله : (نضر الله امرؤاً) دُعاء له بالنضارة ، وهى النعمة والبهجة ، يقال : نضره الله ونضره ـ مثقلاً ومخففاً ـ وأجودهما التخفيف .

(٢) راجع التعليق السابق .

(٣) (سنن أبي داود) : ٤/٦٨ ، كتاب العلم ، باب (١٠) فضل نشر العلم ، حديث رقم (٣٦٦٠) ، قوله " نضر الله " معناه : الدعاء له بالنضارة وهى النعمة والبهجة ، يقال : =

وخرج الترمذي من حديث سفيان ، عن عبدالملك بن عمـير ، عـن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، عن أبيه ، عن النبي ﷺ قال : نَضَّرَ الله امرؤاً سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها ، فرب حـامل فقـه إلـى مـن هـو أفقـه منـه ، ثلاث لايغل عليهن قلب مسلم : إخلاص العمل لله ، ومناصحة أئمـة المسلمين ، ولزوم جماعتهم ، فإن الدعوة تُحيط من ورائهم (١) .

وخرج البخاري (٢) ومسلم (٣) والنسائي من حديث عبد اللـه بـن عـون ، عن محمد بن سيرين ، عن عبدالرحمن بن أبي بكرة ، عن أبيه ، ذكر أن النبـي ﷺ قعد على بعيره وأمسك إنسان بخطامه ـ أوبزمامـه ـ قـال : أى يـوم هـذا ؟ فسكتنا حتى ظننا أنه سيُسميه سوى اسمه . قال : أليس يوم النحر ؟ قلنا : بلـى . قال : فأى شهر هذا ؟ فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسـمه ، فقـال : أليس بذي الحجة ؟ قلنا : بلى . قال : فإن دمـاءكم وأموالكـم وأعراضكـم بينكـم حـرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا . ليبلغ الشاهد الغـائب ، فـإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى منه .

= بتخفيف الضاد وتثقيلها، وأجودهما : التخفيف وفى قوله " فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منـه " دليل على كراهة اختصار الحديث لمـن ليس بالمتنـاهى فىالفقـه ، لأنـه إذا فعل ذلك فقد قطـع طريق الاستنباط والاستدلال لمعاني الكلام من طريق التفهم ، وفى ضمنه وجوب التفقـه والحـث على استنباط معاني الحديث واستخراج المكنون من سره (معالم السنن) .

(١) راجع التعليق السابق .

(٢) (فتح الباري) : ٢٠٩/١ ، كتاب العلم ، بـاب (٩) حديـث رقـم (٦٧) وفـى هـذا الحديـث من الفوائد الحث على تبليغ العلم ، وجواز التحمل قبـل كمـال الأهليـة ، وأن الفهـم ليـس شـرطاً فـي الأداء ، وأنه قد يأتي في الآخرة من يكون الأهم ممن تقدمه لكن بقله ، واستنبط ابـن المنـير مـن تعليل كون المتأخر أرجح نظراً من المتقدم أن تفسير الرواى أرجح من تفسير غيره . وفيه جواز القعود على ظهر الدواب وهى واقفه إذا احتيج إلى ذلك ، وحمل النهى الوارد في ذلـك علـى مـا إذا كان لغير ضرورة وفيه الخطبة على موضع عال ليكون أبلغ في إسماعه للناس ورؤيتهم إياه.

(٣) (مسلم بشرح النووي) : ١٨١/١١ ـ ١٨٢ ، كتاب القسامه باب (٩) حديث رقم (٣٠) .

قال : ثم انكفأ إلى كبشين أملحين فذبحهما ، وإلى جذيعة من الغنم فقسمها بيننا اللفظ لمسلم وهو أتم وزاد البخاري بعد قوله : ليبلغ الشاهد الغائب : فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه .

وقال النسائي[1] : فليدعه أن يبلغ الشاهد من هو أوعى له منه ولم يذكر هو ولا البخاري قوله : ثم انكفأ إلى كبشين إلى آخره .

وذكره مسلم في كتاب الديات وذكره البخاري والنسائي في كتاب العلم وقال فيه البخاري أى يوم هذا ؟ وهكذا فسكتا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه وكذلك قال : في التفسير ولم يقل فيه:قالوا:الله ورسوله أعلم .

وأخرجاه من حديث أبي عامر العقدي عن قرة بن خالد ، عن محمد بن سيرين . ذكره البخاري في كتاب الحج ، وفى كتاب الفتن.وأخرجاه من حديث أيوب ، عن ابن سيرين.ذكره البخاري في الأضاحي ، وذكره مسلم في الديات .

وخرجه البيهقي من حديث عباد بن العوام ، عن الجريري ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله تبارك وتعالى عنه أنه قال : مرحباً بوصية رسول الله ﷺ يوصينا بكم .

وأما إنذاره عليه الصلاة والسلام بظهور الاختلاف في أمته

فخرج أبوداود[2] من حديث صفوان ، قال حدثني أزهر بن عبد الله الجرازى ، عن أبي عامر الهوزني ، عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله تبارك وتعالى عنه أنه قام فقال : ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال : ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة ، وأن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ، ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهى الجماعة .

---

(١) لم أجده في (المجتبى) ولعله في (الكبرى) .

(٢) (سنن أبي داود) : ٤/٥ ، كتاب السنة ، باب (١) شرح السنة ، حديث رقم (٤٥٩٧) .

وأنه سيخرج في أمتي أقوام تجاري بهم الأهواء كما يتجاري الكلب لصاحبه لايبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله .

وخرج الترمذي[١] من حديث الفضل بن موسى ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: تفرقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة ، والنصارى مثل ذلك ، وتفترق أمتى على ثلاثة وسبعين فرقة . قال أبو عيسى : حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح[٢] .

وخرج من حديث سفيان [الثورى] عن عبد الرحمن بن زياد الأفريقي عن عبد الله بن يزيد ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله تبارك وتعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل ، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك ، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة ، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة ، كلهم في النار إلا ملة واحدة ، قالوا : ومن هي يا رسول الله ؟ قال : ما أنا عليه وأصحابى[٣] .

قال : أبو عيسى هذا حديث مفسر غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه .

قال الترمذي : الأفريقي ضعيف عند أهل الحديث ضعفه يحيى بن سعيد القطان وغيره . قال أحمد : لا أكتب حديث الأفريقي .

---

(١) (سنن الترمذي) : ٥ / ٢٥ ، كتاب الإيمان ، باب (١٨) ما جاء في افتراق هذه الأمة ، حديث رقم (٢٦٤٠) .

(٢) ثم قال : وفى الباب عن سعد وعبد الله بن عمرو ، وعوف بن مالك .

(٣) (المرجع السابق) : حديث رقم (٢٦٤١) ، وأخرجه ابن ماجة في (السنن) : ١ / ١٦ ، المقدمة ، باب (٦) اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ، حديث رقم (٢٦٤٢) ، (٢٦٤٣) بسياقه أتم . وأخرجه الإمام أحمد في (المسند) : ١٠٩/٥، حديث رقم (١٦٦٩٢) ، (١٦٦٩٤)، (١٦٦٩٥) ، ثلاثتهم من حديث العرباض بن سارية رضي الله تبارك وتعالى عنه .

وخرج الحاكم[1] من حديث نعيم بن حماد ، عن عيسى بن يونس عن جرير بن عثمان ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، عن أبيه ، عن عوف بن مالك عن النبي ﷺ قال : تفترق أمتى على بضع وسبعين فرقة ، أعظمها فتنه على أمتي قوم يقيسون الأمور برأيهم ، فيحلون الحرام ، ويحرمون الحلال .

وخرج البيهقي[2] من حديث بقية عن بجير بن سعد ، عن خالد بن معدان، عن عبد الرحمن بن أبي عمر السلمى ، عن العرباض بن سارية . أن رسول الله ﷺ وعظهم يوماً بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، فقال رجل : يا رسول الله هذه موعظة مودع فما تعهد إلينا؟ فقال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ، وإن كان عبداً حبشياً ، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة ، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين [من بعدى ، عضوا عليها بالنواجذ][3] . حدثنا ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان .

قال المؤلف – رحمه الله تعالى – : خرج أبو داود[4] هذا الحديث ، قال: حدثنا أحمد بن حنبل ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا ثور بن يزيد ، قال : حدثنى خالد بن معدان ، قال : حدثنى عبد الرحمن بن عمرو السلمى ، وحجر بن حجر، قالا : أتينا العرباض بن سارية ، وهو ممن نزل فيه : ﴿ **ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه**﴾[5] فسلمنا ، وقلنا : أتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين ، فقال العرباض : صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، ثم أقبل علينا ، فوعظنا موعظة بليغة ، ذرفت منها العيون ، ووجلت منها

---

(١) (المستدرك) : ٣ / ٦٣١ ، كتاب معرفة الصحابة ، ذكر مناقب عوف بن مالك الأشجعي رضي الله تبارك وتعالى عنه ، حديث رقم (٦٣٢٥) ، وقد سكت عنه الذهبي في (التلخيص) .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٦ / ٥٤١ ، باب ما جاء في إخباره ﷺ بظهور الاختلاف في أمته ، وإشارته عليهم بملازمة سنته وسنة الخلفاء الراشدين من أمته .

(٣) زيادة للسياق من (المرجع السابق) .

(٤) (سنن أبي داود) : ٥ / ١٣ -١٥ ، كتاب السنة باب (٦) في لزوم السنة ، حديث رقم (٤٦٠٧).

(٥) التوبة : ٩٢ .

القلوب فقال قائل : يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع ، فماذا تعهد إلينا؟ قال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ، وإن عبداً حبشياً[1]، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ[2] ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة[3] وكل بدعة ضلالة .

وأخرجه الترمذي[4] من حديث بقية بن الوليد عن بجير بن سعد عن خالد ابن معدان ، عن عبد الرحمن بن معن السلمى عن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله ﷺ يوماً بعد العصر موعظة بليغة إلى آخره بنحوه . وحديث

---

(١) قوله : " وإن عبداً حبشياً " يريد به طاعة من ولاه الإمام عليكم ، وإن كان عبداً حبشياً . وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال : " الأئمة من قريش " ، وقد يضرب المثل في الشئ بما لا يكاد يصح منه الوجود ، كقوله ﷺ : " من بنى لله مسجداً ولو مثل مفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة " وقدر مفحص قطاة لا يكون مسجداً لشخص آدمي . وكقوله ﷺ : " لو سرقت فاطمة لقطعتها " وهى رضوان الله عليها وسلامه لا يتوهم عليها السرقة . وقال ﷺ : " لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده " ونظائر هذا في الكلام كثير . (معالم السنن) .

(٢) النواجذ : " آخر الأضراس ، واحدها ناجذ ، وإنما أراد بذلك الحد في لزوم السنة ، فعل من أمسك الشئ بين أضراسه ، وعض عليها منعاً له أن ينتزع ، وذلك أشد ما يكون من التمسك بالشئ ، إذ كان ما يمسكه بمقاديم فمه أقرب تناولاً وأسهل انتزاعاً .

(٣) قوله : " كل محدثة بدعة " فإن هذا خاص في بعض الأمور دون بعض ، وكل شئ أحدث على غير أصل من أصول الدين وعلى غير عياره وقياسه . وأما ما كان منها مبنياً على قواعد الأصول ومردوداً إليها ، فليس ببدعة ولا ضلالة .

قال الخطابي : وفى قوله ﷺ : " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين " دليل على أن الواحد من الخلفاء الراشدين إذا قال قولاً ، وخالفه فيه غيره من الصحابة ، كان المصير إلى قول الخليفة أولى . (معالم السنن) . والخلفاء الراشدون هم : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين .

(٤) سبق تخريجه .

أبي داود أتم ، وقال الترمذي: إياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي . قال الترمذي رحمه الله : هذا حديث حسن صحيح .

وأما إخباره ﷺ بإتباع أمته سنن من قبلهم من الأمم فكان كما أخبر

فخرج البخاري[1] ومسلم[2] من حديث زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار، "عن أبي سعيد الخدرى رضي الله تبارك وتعالي عنه قال : قال رسول الله ﷺ:لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً وذراعاً ذراعاً حتى لو دخلوا جحر ضب اتبعتموهم قلنا : يا رسول الله اليهود والنصارى " قال : فمن ؟ هذا لفظ مسلم .

ولفظ البخاري عن النبي ﷺ قال : لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه ، قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى ! قال النبي ﷺ فمن ؟ .

وخرج بقى بن مخلد عن أنس ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : لتتبعن سنن من كان قبلكم باعاً بباع وذراعاً بذراع وشبراً بشبر حتى لو دخلوا في جحر ضب تبعتموهم ، قلنا : يا رسول الله اليهود والنصاري ! قال فمن ؟ .

وخرجه ابن ماجة[3] عن شيخ ، عن يزيد ، عن محمد بن عمرو .

---

(١) (فتح الباري) : ١٣ / ٣٧١ ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب (١٤) ، حديث رقم (٧٣٢٠) .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ١٦ / ٤٥٩ - ٤٦٠ ، كتاب العلم ، باب (٣) اتباع سنة اليهود والنصارى ، حديث رقم (٢٦٦٩) .

(٣) (سنن ابن ماجة) : ٢ / ١٣٢٢ ، كتاب الفتن ، باب (١٧) افتراق الأمم ، حديث رقم (٣٩٩٤) ، قال في (الزوائد) : إسناده صحيح ورجاله ثقات . وقال في (هامشه) : الجماعة ، أى الموافقون لجماعة الصحابة الآخذون بعقائدهم المتمسكون برأيهم .

وخرج البخاري[1] في كتاب الاعتصام من حديث محمد بن أبي ذئب، عن المقبري ، عن أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه ، عن النبي ﷺ قال : لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع فقيل: يا رسول الله كفارس والروم ؟ فقال : ومن الناس إلا أولئك ؟ .

قال المؤلف - رحمه الله تعالى - : قد صدق الله تعالى رسوله ﷺ فيما أخبره من أنباء الغيب التي يوجهها سبحانه إليه فاتفقوا في الخلافة الإسلامية كما اتفق فى الملة الموسوية حذو القدوة بالقدوة ، وذلك أن العرب كلها ترجع إلى قحطان وعدنان ، فيقال لسائر قحطان : اليمن ، ويقال لسائر بني عدنان المضرية والنزارية وهى قيس ، والعرب كلها على طبقات شعوب وقبائل وعمائر وبطون وما بينها من الآباء يعرفها أهلها ، وكما أن الله تعالى جعل العرب شعوباً وقبائل فقد جعل بني إسرائيل قوم موسى عليه السلام أسباطاً ، فالبسبط من بني إسرائيل كالقبيلة من العرب ، وبنو إسرائيل بأسرهم اثنا عشر سبطاً وهم : يوسف النبي ، وبنيامين ، وكاد ، ويهوذا ، وثعتالى ، وزبولون ، وشمعون ، وروبيل ، وبستاخار ، ولاوى ، وذان ، وياشير ، فكل واحد من هؤلاء الإثنى عشر يقال له سبط ومنهم كلهم سائر بني إسرائيل ، وجميع هؤلاء الإثنى عشر سبطاً هم أولاد يعقوب ، وهو إسرائيل لصلبه ، ويعقوب هو ابن إسحاق بن إبراهيم الخليل ، سلام الله عليهم ، فموسى عليه السلام هو ابن عمران بن قاهث ابن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم فهو من سبط لاوى، وقد قام عليه السلام بأمر بني إسرائيل حتى مات فلم يخلفه على بني إسرائيل بعد موته أحد من سبط لاوى الذين هم قرابته القريبة ، وإنما خلفه يوشع ابن نون بن أليشا ماع ابن عم يهود بن لغدان بن تالخ بن راشف بن بريعا بن أفرايم بن يوسف بن يعقوب ، فيوشع من سبط أفوايم بن يوسف وهو بعيد من سبط لاوى ، وهكذا وقع في الإسلام ، فإن رسول الله ﷺ سيد بني هاشم هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب

---

(١) (فتح الباري) : ١٣ / ٣٧١ ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب (١٤) قول النبي ﷺ لتتبعن سنن من كان قبلكم ، حديث رقم (٧٣١٩) .

ابن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركه بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، قام ﷺ بأمر الأمة حتى توفاه الله تعالى ، فلم يخلفه في أمته أحد من بني هاشم الذين هم أعرب العرب إليه وإنما خلفه في أمته أبو بكر الصديق رضي الله تبارك وتعالى عنه وهو من تيم بن مرة بن كعب فإنه أبو بكر ، واسمه عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن كعب . فانظر ، كيف كان كان أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ في البعد من جذر رسول الله ﷺ في مرة بن كعب بن لؤى بعد عدة آباء ، وكذلك يوشع إنما يلتقى مع موسى في يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام ، وكما أنه قام بأمر بني إسرائيل بعد يوشع خلف موسى جماعة مختلفو الأنساب بعضهم من سبط يهوذا ، أو بعضهم من سبط يلخار وبعضهم من سبط بنيامين وبعضهم من منشّا بن يوسف وبعضهم من سبط عاش وبعضهم من سبط دان .

وكذلك قام في الخلافة بعد أبي بكر الصديق رضي الله تبارك وتعالى عنه جماعة مختلفة أنسابهم بعضهم من بني عدي وهو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تبارك وتعالى عنه بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرظ بن رزاح بن عدي بن كعب .

وبعضهم من بني أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي وهو أمير المؤمنين عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية .

وبعضهم من بني هاشم ، [وهو] أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي وابنه أبو عبد الله الحسن بن علي ابن أبي طالب رضوان عليهم .

وبعضهم من بني حرب بن أمية بن عبد شمس وهو معاوية بن أبي سفيان ابن صخر بن حرب بن أمية وابنه يزيد بن معاوية وابنه معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان .

وبعضهم من بني أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب وهو عبد الله بن الزبير بن العوام بن أسد بن عبد العزى .

وبعضهم من بني الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، ثم مروان بن الحكم وابنه عبد الملك بن مروان بن الحكم وبنوه .

وكما أن بني إسرائيل استقر أمرهم بعد من ذكرنا في القائمين من بني يهوذا ، كذلك استقرت الخلافة في بني العباس بعد من ذكرنا ، وكما أن يهوذا عم موسى عليه السلام ، كذلك العباس بن عبد المطلب بن هاشم هو عم رسول الله ﷺ وكما أن يهوذا قدمه يعقوب على إخوانه وبشر هو مدحه كما هو مذكور في التوراة ، كذلك العباس رضي الله تبارك وتعالى عنه كان رسول الله ﷺ يجله ويكرمه ويثني عليه كما هو مذكور في الأحاديث الصحيحة ، وكما أن أمر بني إسرائيل افترق في دولة بني يهوذا فصاروا بعد موت سليمان بن داود عليه السلام فرقة بالقدس مع ابنه رجبعم بن سليمان بن داود وهم سبط يهوذا سبط بنيامين وفرقة بشمرون مع يُربعام بن نياط وهم بقية الأسباط لذلك لما صارت الخلافة في بنى العباس افترق أمر الأمة المحمدية فصار في الأنبار ، ثم في بغداد بنو العباس ، وفى الأندلس عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم وبنوه من بعده فلم تدخل الأندلس تحت طاعة بني العباس كما لم تدخل شمرون تحت حكم سبط يهوذا .

وكما أن مدينة القدس التى هى دار ملك بنى يهوذا كان تدعى بالعبرانية أورشليم ، ومعناه دار السلام ، كذلك بغداد دار ملك بني العباس كان يقال لها دار السلام ، وكما أن دولة بربغام ومن معه بشمرون التى عرفت اليوم بنابلس انقرضت قبل دولة يهوذا بالقدس ذاتها لم يقم سوى مائتي سنة وإحدى وستين سنة ، وكذلك دولة بني أمية بالأندلس انقرضت قبل انقراض دولة بني العباس فكانت دولتهم كدولة أصحاب شمرون وكما أن دولة بني يهوذا أقيمت بالقدس من عهد داود عليه السلام وهو أول من ملك منهم إلى أن انقرضت مدة تزيد على خمسمائة سنة ، كذلك بنو العباس أقامت خلافتهم منذ أبي العباس عبد الله السفاح أول قائم منهم إلى أن انقرضت أيامهم خمسمائة سنة وثلاثاً وعشرين سنة، وكما أن يهوذا تميزوا بألقاب تخصهم لا تكون لأحد من رعيتهم ، كذلك بنو العباس كانت لهم ألقاب يخص بها الخليفة كالسفاح ، والمنصور ، والمهدى، ونحو ذلك ، وكما أن دولة بني بربغام بشمرون إذا لقى قوم من غير جنسهم ،

ولا يتكلمون بلغتهم كذلك أزال بني أمية من الأندلس البربر وليسوا من جنسهم ، ولغتهم تخالف لغة العرب وكما أن دولة بني يهوذا انقرضت من القدس علـى يـد بخت نصَّر فإنه صار إليهم من بلاد المشرق حتى قتلهم وهدم مدينـة القـدس دار ملكهم ، وقتل رجاله بني إسرائيل ، وسبي نساءهم وذريـاتهم ، وانتهبت أموالهـم فكذلك زالت خلافتهم بالقدس من بعده ، وكما أن بني إسرائيل قـوم قطعهـم اللـه في الأرض أمماً ، وكذلك قريش قوم رسول الله ﷺ تفرقوا فـي أقطـار الأرض وصاروا رعية رعاعاً ليس لهم ملك ولا دولـة ، وكمـا أن أنسـاب بنـي إسـرائيل بأسرهم جهلت بينهم إلا بعض بنى يهوذا فـإن نسـبهم يصـل عندهـم بـداود عليـه السلام ، كذلك قريش قد جهلت في هذه الأيام أنساب جميع بطونها إلا ما كان في بني حسن وحسين ابني على بن أبي طالب وبني جعفر بن أبي طالب فإن أنساب كثيرة منهم متصلة على مقالات في كثير منهم عند النساء بيّن ، فانظر - أعـزك الله - كيف تشابه أمر هذه الأمة المحمدية بأمر الأمة الموسوية تصديقاً لما أنـذر به رسول الله ﷺ من اتباع أمته سنن من كان قبلها ، وهـذا فضـل اللـه [منَّ] بـه عليَّ في كتابي (النزاع والتخاصم بيـن بنـي أميـة وبنـي هاشـم) ولـم أره لأحد قبلي، والله يختص برحمته من يشاء من عباده ، والله ذو الفضل العظيم .

وأما إخباره ﷺ بذهاب العلم وظهورالجهل
فظهر في ديننا مصداق ذلك في غالب الأقطار

فخرج البخاري[1] ومسلم[2] من حديث عبد الوارث ، عن قتادة ، عن أنس رضي الله تبارك وتعالى عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ، ويكثر الجهل ، ويكثر الزنا ، ويكثر شرب الخمر . ولفظها في المتن سواء . ذكره في العلم .

وخرج البخاري من حديث يحيى ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن أنس رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : " لأحدثتكم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ لا يحدثكم به أحد غيري ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ، ويكثر شرب الخمر ، ويقل الرجال ، ويكثر النساء ، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد ".

وخرجه مسلم[3] من حديث محمد بن جعفر قال شعبة : سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك قال : ألا أحدثكم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ لا يحدثكم أحد بعدي ؛ سمعت منه : إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل ويفشو الزنا ، ويشرب الخمر ويذهب الرجال وتبقي النساء حتى يكون الخمسين امرأة قيم واحد .

---

(١) (فتح الباري) : ٩ /٤١٢ ، كتاب النكاح ، باب (١١١) يقل الرجال ويكثر النساء ، وقال أبو موسى : عن النبي ﷺ وترى الرجل الواحد يتبعه أربعون نسوة يلذن به من قلة الرجال ، وكثرة النساء ، حديث رقم (٥٢٣١) .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ١٦ / ٤٦٢ ، كتاب العلم ، باب (٥) رفع العلم وقبضه ، وظهور الجهل والفتن ، في آخر الزمان ، حديث رقم (٩) .

(٣) (سبق تخريجه) .

وأخرجه مسلم[1] أيضاً من حديث سعيد ، بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، عن النبي ﷺ وفى حديث ابن بشر وعبدة لا يحدثكموه أحد بعدي ، سمعت رسول الله ﷺ ، فذكر مثله .

وأخرجه البخاري[2] أيضاً في آخر كتاب النكاح من حديث هشام الدستواني وهمام بن يحيى ، عن قتادة ، عن أنس ، وأخرجه في كتاب الأشربة[3] وفى كتاب الحدود[4] .

وخرج أبو بكر بن أبي شيبة من حديث وكيع عن الأعمش ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن زياد بن لبيد قال : ذكر النبي ﷺ شيئاً فقال : ذاك عند أوان ذهاب العلم قال : فقلت يا رسول الله وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ العلم وتقرأه أبناؤنا وأبناؤهم إلى يوم القيامة قال : ثكلتك أمك زياد ! إن كنت لأراك من أفقه رجال المدينة أوليس هذه اليهود والنصارى يقرؤون التوراة والإنجيل ولا يعملون بشئ مما فيها .

وخرجه الحاكم[5]من حديث أبي إسحاق إبراهيم بن إسماعيل القاري ، وأبو الحسن أحمد بن محمد العنبري ، قالا : حدثنا عثمان بن سعيد الدرامي ، حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثني معاوية بن صالح ، عن عبد الرحمن بن جبير ابن نفير ، عن أبيه جبير ، عن أبي الدرداء قال : كنا مع رسول الله ﷺ فشخص ببصره إلى السماء ثم قال : " هذا أوان يختلس العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شئ " قال : فقال زياد بن لبيد الأنصاري : يا رسول الله ، وكيف يختلس منا وقد قرأنا القرآن ؟ فوالله لنقرأنه ولتقرأنه نساؤنا وأبناؤنا ، فقال : " ثكلتك أمك يا زياد ، إنى كنت لأعدك من فقهاء أهل المدينة ، هذه

---

(1) (سبق تخريجه) .

(2) (سبق تخريجه) .

(3) (فتح الباري) : ١٠ / ٣٧ ، كتاب الأشربة ، باب (1) قوله تعالى: ﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾ حديث رقم (٥٥٧٧) .

(4) (فتح الباري) : ١٢/ ١٣٦ ، كتاب الحدود ، باب (٢٠) إثم الزناة ، حديث رقم (٦٨٠٨) .

(5) (المستدرك) : ١ / ١٧٩ ، كتاب العلم ، حديث رقم (٣٣٨) .

التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى ، فماذا يغني عنهم ذلك ؟ " قال جبير : فلقيت عبادة بن الصامت فقلت له : ألا تسمع ما يقول أخوك أبو الدرداء ؟ وأخبرته بالذي قال . قال : صدق أبو الدرداء ، إن شئت لأحدثك بأول علم يرفع من الناس : الخشوع ، يوشك أن تدخل مسجد الجماعة فلا ترى فيه رجلاً خاشعاً. هذا إسناد صحيح من حديث البصريين .

فيه شاهد رابع على صحة الحديث ، وهو عبادة بن الصامت ، ولعل متوهماً أن جبير بن نفير رواه مرة عن عوف بن مالك الأشجعي ، ومرة عن أبي الدرداء ، فيصير به الحديث مطولاً ، وليس كذلك ، فإن رواة الإسنادين جميعاً ثقات ، وجبير بن نفير الحضرمي من أكابر تابعي الشام ، فإذا صح الحديث عنه بالإسنادين جميعاً فقد ظهر أنه سمعه من الصحابيين جميعاً ، والدليل الواضح على ما ذكرته أن الحديث قد روى بإسناد صحيح ، عن زياد بن لبيد الأنصاري الذي ذكر مراجعته رسول الله ﷺ في الحديثين .

ومعاوية بن صالح له عند أهل الحديث ولا نعلم أحداً يتكلم فيه غير يحيى بن سعيد القطان .

وخرج البخاري[1] من حديث مالك ، وخرج مسلم[2] من حديث جرير كلاما عن هشام بن عروة عن أبيه قال : سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا ، بغير علم فضلوا ، وأضلوا .

وقال البخاري : ينتزعه من العباد ، وقال : حتى إذا لم يبق عالماً . وله عندهما طرق أخر .

---

(١) (فتح الباري) : ٢٥٨/١ ، كتاب العلم باب (٣٤) كيف يقبض العلم حديث رقم (١٠٠) ، وأخرجه البخاري أيضاً في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب (٧) ما يذكر من قول الرأى متكلف القياس ، حديث رقم (٧٣٠٧) .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ١٦ / ٤٦٥ ، كتاب العلم ، باب (٥) رفع العلم وقبضه ، وظهور الجهل والفتن ، في آخر الزمان ، ٤٦٥/١٦ حديث رقم (٢٦٧٣) .

وخرجه الحاكم[1] من حديث محمد بن مقاتل المروزي عن يوسف بن عطية ، عن ثابت ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : " يكون في آخر الزمان علماء جهال وقراء فسقة " .

وأما إخباره ﷺ باتباع أهل الزيغ ما تشابه من القرآن

فخرج البخاري[2]ومسلم[3]وأبو داود[4] من حديث عبد الله بن أبي مليكة عن القاسم بن محمد ، عن عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها قالت : تلى رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ **هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات · فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب** ﴾[5] .

قال : قال رسول الله ﷺ : إذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم .

وقال أبو داود[6] : وقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ولم يقل مسلم ذكره البخاري في (التفسير) [7]وذكره مسلم[8] في كتاب القدر وذكره أبو داود[9] في

---

(١) (المستدرك) : ٤ / ٣٥١ ، كتاب الرقاق ، حديث رقم (٧٨٨٣) ، قال الحافظ الذهبي في (التلخيص) يوسف بن عطية هالك .

(٢) (فتح الباري) : ٨ / ٢٦٥ ، كتاب التفسير ، سورة آل عمران ، باب (١) حديث رقم (٤٥٤٧) .

(٣) (مسلم بشرح النووي) ١٦ / ٤٥٧، كتاب العلم ، باب (١) النهي عن اتباع متشابه القرآن ، والتحذير من متبعه ، والنهى عن الاختلاف في القرآن ، حديث رقم (٢٦٦٥) ، في (الأصل) كتاب القدر وصوابه كتاب العلم .

(٤) (سنن أبي داود) : ٥ / ٦ ، كتاب السنة ، باب (٢) النهى عن الجدل واتباع المتشابه من القرآن، حديث رقم (٤٥٩٨) .

(٥) آل عمران : ٧ .

(٦) (سبق تخريجه) .

شرح السنة ، قال أيوب : لا أعلم أحداً من أصحاب الأهواء إلا وهو تعلل بالتشابه .

وأما إخباره ﷺ باكتفاء قوم بما في القرآن وردهم سنته ﷺ فكان كما أخبر

فخرج بقي بن مخلد من حديث زايد بن الخباب قال : حدثني الحسن عن جابر أنه سمع المقدام بن معد يكرب يقول : قال رسول الله ﷺ : يوشك أن يقعد الرجل منكم علي أريكته يحدث بحديثي فيقول : بيني وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه ، وما وجدنا فيه حراماً حّرمناه ، وإن ما حَرَّم رسول الله ﷺ كما حرم الله عز وجل(١) .

وخرجه الترمذي(٢) أيضاً من حديث معاوية بن صالح ، عن الحسن بن جابر اللخمي ، عن المقدام بن معدي كرب قال : قال رسول الله ﷺ : ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكيء على أريكته فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالاً أحلناه وما وجدنا فيه حراماً حرمناه ، وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله .

---

(٧) (سبق تخريجه) .

(٨) (سبق تخريجه) .

(٩) (سبق تخريجه) .

(١) (سنن أبي داود) : ١٢/٥ ، كتاب السنة ، باب (٦) لزوم السنة ، حديث رقم (٤٦٠٥) ، وفي (مسند أحمد) : ١٦/٧ ، حديث رقم (٢٣٣٤٩) ، (سنن ابن ماجة) : ١/٦-٧ ، باب (٢) تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ من معارضته حديث رقم (١٣) ، في (المستدرك) : ١/١٩٠ ، ١٩١ ، كتاب العلم حديث رقم (٣٦٨) ، بسياق مختلف .

(٢) (سنن الترمذي) : ٣٧/٥، كتاب العلم ، باب (١٠) مانهى عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ ، حديث رقم (٢٦٦٤) .

قال الترمذي هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، والأريكة السرير، يريد ﷺ أهل الترف والدعة ، الذين لزموا بيوتهم ، ولم يطلبوا العلم من مظانه يحذر بذلك من مخالفة السنن التى سنها ﷺ بما ليس له في القرآن ذكر . والله سبحانه وتعالى أعلم .

وأما إخباره ﷺ بظهور الروافض والقدرية

فخرج البيهقي[١] وأبوعبد الله بن الحافظ من حديث الأسود بن عامر قال: أخبرني أبو سهل قال : أخبرني كثير النواء قال : أخبرنا إبراهيم بن الحسن عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : يخرج قبل قيام الساعة قوم يقال لهم : الرافضة برءاء من الإسلام .

ومن حديث المتوكل[٢] عن كثير النواء عن ابراهيم بن الحسن بن علي بن أبى طالب عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يكون فى أمتي قوم فى آخر الزمان يسمون الرافضة يرفضون الإسلام .

قال البيهقي تفرد به كثير النواء وكان من الشيعة .

وروي من وجه آخر ضعيف فذكره من حديث الحجاج بن تميم ، عن ميمون بن مهران عن ابن عباس رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يكون فى آخرالزمان قوم يسمون الرافضة يرفضون الإسلام ويلفظونه فاقتلوهم فإنهم مشركون .

يقال وروي فى معناه من وجوه أُخَر كلها ضعيفة .

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٥٤٧/٦ ، باب (١) ما جاء فى إخباره بظهور الروافض والقدرية إن صح الحديث فيه فظهروا .

(٢) (المرجع السابق) .

وقال الحافظ[1] أبو نعيم : غريب تفرد به الحجاج بن تميم عن ميمون ، ورواه يوسف بن عدي ، عن الحجاج بن تميم نحوه .

وخرج من حديث سعيد بن أبي أيوب قال : أخبرنا أبو صخر ، عن نافع ، عن ابن عمر رضي الله تبارك وتعالى عنه ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إنه سيكون في أمتى أقوام يكذبون بالقدر .

وأما إخباره ﷺ بالكذب عليه
فكان كما أخبر ﷺ

فخرج مسلم[2] من حديث سعيد بن أبي أيوب قال : حدثنى أبو هانئ عن أبي عثمان مسلم بن يسار عن أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فاياكم وإياهم .

ومن طريق ابن وهب[3] قال : حدثني أبو شريح أنه سمع شراحيل بن يزيد يقول : قال رسول الله ﷺ : يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فاياكم وإياهم لايضلونكم ولا يفتنونكم.

ومن حديث أبي عوانة عن سماك ، عن جابر بن سمرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول إن بين يدى الساعة كذابين .

---

(١) (المرجع السابق) .

وأخرجه الترمذي فى (السنن) :٣٩٧/٤ ، كتاب القدر ، باب (١٦) بدون ترجمة ، حديث رقم (٢١٥٢) .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ١٩٢/١ ، كتاب مقدمه الصحيح ، باب (٤) النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط من تحملها حديث رقم (٦) .

(٣) (المرجع السابق) : ١٩٣/١ حديث رقم (٧) .

وعن عامر بن عبدة قال : قال عبد الله بن مسعود : إن الشيطان ليتمثل في صورة الرجل فيأتي القوم فيحدثهم بالحديث من الكذب فيتفرقون" [١] فيقول الرجل منهم سمعت رجلاً أحرقوا وجهه ولا أدرى اسمه يحدث .

وقال مسلم عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : إن في البحر شياطين مسجونة أوثقها سليمان يوشك أن تخرج فتقرأ على الناس قرآناً[٢] .

قال البيهقي[٣]: وقد روى ذلك عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً .

وخرج البيهقي[٤] من حديث عبد الله بن يزيد المقري ، عن سعيد بن أبي أيوب ، عن ابن عجلان ، عن عبد الواحد النصرى ، عن واثلة بن الأسقع قال : قال النبي ﷺ : لا تقوم الساعة حتى يطوف إبليس في الأسواق ويقول حدثنا : فلان بن فلان بكذا وكذا .

وقال ابن المبارك ، عن سفيان حدثنا من رأى قاصاً يقص في مسجد الخيف أو نحوه قال : فطلبته فإذا هو شيطان[٥] .

وقال الحافظ[٦] أبو أحمد بن عدي ، عن عمران بن موسى ، عن محمد بن يوسف السراج ، عن عيسى بن أبي فاطمة الفزارى يقول : كنت جالساً عند شيخ في المسجد الحرام أكتب عنه ، فقال الشيخ الشيباني : فقال رجل : حدثني الشيباني فقال عن الشعبي فقال : حدثني الشعبي فقال : عن الحارث قد والله

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٥٥٠/٦ ، باب ما جاء في إخباره عما يكون في آخر أمته من الكذابين والشياطين الذين يكذبون في الحديث فكان كما أخبر .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ١٩٤/١ ، مقدمة الصحيح ، باب (٤) النهى عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط من تحملها ، حديث رقم (٧) .

(٣) (دلائل البيهقي) : ٥٥٠/٦ ، باب ما جاء في إخباره عما يكون في آخر أمته من الكذابين والشياطين الذين يكذبون في الحديث فكان كما أخبر .

(٤) (المرجع السابق) : ٥٥١/٦ .

(٥) (المرجع السابق) .

(٦) (المرجع السابق) .

رأيت الحارث وسمعت منه قال عن علي قال : قد والله رأيت علياً وسمعت منه وشهدت معه صفين فلما رأيت ذلك قرأت آية الكرسي فلما قلت:﴿ **ولا يؤوده حفظهما** ﴾ التفت فلم أر شيئاً .

وأما ظهور صدقة فيما أخبر به عليه الصلاة والسلام من تغير الناس بعد خيار القرون

فخرج البخاري في كتاب الشهادات[1] وفى الفضائل[2] من حديث سفيان عن منصور ، عن إبراهيم ، عن عبيدة ، عن عبد الله رضي الله تبارك وتعالى عنه ، عن النبي ﷺ قال : " خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم. ثم يجئ أقوام يسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته " .

قال إبراهيم : " وكانوا يضربوننا على الشهادة والعهد " .

وخرجه مسلم[3] في كتاب المناقب من حديث أبي الأحوص عن منصور ، عن إبراهيم ، عن عبيدة السلمانى ، عن عبد الله ، عن النبي ﷺ قال : خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة قال : ثم يتخلف من بعدهم خلف تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته .

وخرج البخاري[4] من حديث يحيى بن سعيد ، عن شعبة ، قال : حدثني أبو حمزة ، عن زهدم بن مضرب ، سمعت عمران بن حصين يحدث عن النبي ﷺ قال : " خيركم قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم -

---

(١) (فتح الباري) : ٣٢٤/٥ ، كتاب الشهادات ، باب (٩) لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد .

(٢) (المرجع السابق) : ٣/٧ ، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب (١) فضائل النبي ﷺ ومن صحب النبي أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه ، حديث رقم (٣٦٥٢) .

(٣) (مسلم بشرح النووي) : ٣٢٠/١٦ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب (٥٢) فضل الصحابة ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم حديث رقم (٢١٢) .

(٤) (فتح الباري) : ٣٢٤/٥ ، كتاب الشهادات ، باب (٩) لا يشهد على شهادة جور إذا شهد ، حديث رقم (٢٦٥١) .

قال عمران : لا أدرى أذكر النبي ﷺ بعد قرنين أو ثلاثة - قال النبي ﷺ : إن بعدكم قوماً يخونون ولا يؤتمنون ، ويشهدون ولا يستشهدون ، وينذرون ولا يوفون ، ويظهر فيهم السمن " .

وخرجه في المناقب(١) وفى الشهادات(٢) وفى الرقاق(٣) كلها من حديث شعبة عن أبي حمزة . وخرجه مسلم من طرق عن شعبة ، عن أبي حمزة .

وخرج الترمذي(٤) من حديث محمد بن فضل ، عن الأعمش عن على بن مدرك ، عن هلال بن يساف ، عن عمران بن حصين قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " خير أمتي القرن الذى بعثت فيهم ثم الذين يلونهم . قال : ولا أعلم ذكر الثالث أم لا ، ثم ينشأ أقوام يشهدون ولا يستشهدون ، ويخونون ولا يؤتمنون ويفشو فيهم السمن " .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، من حديث الأعمش ، عن على بن مدرك ، عن هلال بن يساف ، عن عمران بن حصين ، عن النبى ﷺ فذكر نحوه ، وقال : هذا أصح عندى من حديث محمد بن فضيل ، قال : ومعنى هذا الحديث عند بعض أهل العلم يعطون الشهادة قبل أن يسألوها إنما يعنى شهادة الزور يقول : يشهد أحدهم من غير أن يستشهد ، وبيان هذا في حديث عمر بن الخطاب رضي الله تبارك وتعالى عنه ، عن النبى ﷺ قال : خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يفشو الكذب حتى يشهد الرجل ولا يشهد، ويحلف الرجل ولا يستحلف ، ومعنى حديث النبى ﷺ خير الشهداء

---

(١) (المرجع السابق) : ٣/٧ ، كتاب فضائل أصحاب النبى ، باب (١) فضائل أصحاب النبي ﷺ ومن صحب النبي أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه ، حديث رقم (٣٦٥٠) .

(٢) (المرجع السابق) : كتاب الشهادات حديث رقم (٢٦٥١) .

(٣) (المرجع السابق) : ٢٩٣/١١ ، كتاب الرقاق ، باب (٧) مايحذر من زهرة الدنيا ، والتنافس فيها ، حديث رقم (٦٤٢٨) .

(٤) (سنن الترمذي) : ٤٣٣/٤ - ٤٣٤ ، كتاب الفتن باب (٤٥) ما جاء فى القرن الثالث ، حديث رقم (٢٢٢٢) .

الذى يأتى بشهادته قبل أن يسألها هو عندنا إذا أشهد الرجل على الشئ أن يـؤدى شهادته ولا يمنع من الشهادة ، والله أعلم[1].

وأما إخباره ﷺ بأن طائفة من أمته متمسكة بالدين إلى قيام الساعة

فخرج البخاري في كتاب [المناقب][2] وفى كتاب التوحيد[3] من حديث الوليد بن مسلم ، [قال] ابن جابر حدثنى عمير بن هانئ أنه سمع معاوية يقول : " لا تزال طائفة من أمتي أمة قائمة بدين الله لا يضرهم من كذبهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك " .

قال عمير : فقال مالك بن عامر سمعت معاذاً يقول وهم بالشام : فقال معاوية : هذا مالك يزعم أنه سمع معاذاً يقول : وهم بالشام وخرجه مسلم[4] من حديث يحيى بن حمزة ، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر أن عمير بن هانئ حدثه قال : سمعت معاوية على المنبر يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لاتزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس .

---

(١) (المرجع السابق) : ٤٧٦/٤ ، كتاب الشهادات ، باب (٤) ما جاء فى شهادة الزور ، حديث رقم (٢٣٠٣) .

(٢) (فتح الباري) :٣٦٣/١٣ ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب (١٠٩) قول النبى ﷺ "لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق وهم أهل العلم " حديث رقم (٧٣١١) ، وما بين الحاصرتين في (الأصل) فقط .

(٣) (المرجع السابق) : ٥٤٢/١٣ ، كتاب التوحيد ، باب (٢٩) ﴿ إنما قولنا لشيئ إذا أردناه ﴾ حديث رقم (٧٤٦٠) .

(٤) (مسلم بشرح النووي) :٧١/١٣ ، كتاب الإمارة ، باب (٥٣) قوله ﷺ " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم " حديث رقم (١٧٤) .

وخرج البخاري في كتاب المناقب [1] من حديث يحيى ، عن إسماعيل ، عن قيس ، سمعت المغيرة بن شعبة ، عن النبي ﷺ قال : " لا يزال ناس من أمتي ظاهرين ، حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرين " وخرجه في كتاب الإعتصام[2] من حديث عبيد الله بن موسى ، عن إسماعيل عن قيس ، عن المغيرة ، عن النبي ﷺ قال : لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرين . "

وخرجه في كتاب التوحيد[3] من حديث إبراهيم بن حميد ، عن إسماعيل ، عن قيس عن المغيرة قال : سمعت النبي ﷺ يقول : " لا يزال من أمتي قوم ظاهرين على الناس حتى يأتيهم أمر الله " .

وخرجه مسلم[4] من حديث وكيع عن ابن نمير حدثنا وكيع وعبدة كلاهما عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن ابن أبي عمر " واللفظ له " : حدثنا مروان " يعنى الفزاري " عن إسماعيل ، عن قيس ، عن المغيرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا يزال قوم من أمتي ظاهرين على الناس حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرين " .

وخرج مسلم[5] من حديث شعبة عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة، عن النبي ﷺ قال : لن يبرح هذا الدين قائماً يقاتل عليه عصابة من المسلمين

---

(١) (فتح الباري) : ٧٨٤/٦ ، كتاب المناقب ، باب (٢٨) بدون ترجمة حديث رقم (٣٦٤٠) .

(٢) (فتح الباري) : ٣٦٣/١٣ ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب (١٠) قوله ﷺ " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، وهم أهل العلم " ، حديث رقم (٧٣١١) .

(٣) (المرجع السابق) : ٥٤٢/١٣ ، كتاب التوحيد ، باب (٢٩) قول الله تعالى : ﴿ **إنما قولنا لشئ إذا أردناه** ﴾ . حديث رقم (٧٤٥٩) .

(٤) (مسلم بشرح النووي) : ٧٠/١٣ ، كتاب الإمارة ، باب (٥٣) قوله ﷺ : " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم " . حديث رقم (١٧١) .

(٥) (مسلم بشرح النووي) : ٧١/١٣ ، كتاب الإمارة ، باب (٥٣) قوله ﷺ : " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم " . حديث رقم (١٧٢) .

حتى تقوم الساعة . ومن حديث ابن جريح[١] أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابر ابن عبد الله يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة " .

وخرج من حديث عبد الله[٢] بن وهب قال : حدثنا عمرو بن الحرث حدثني يزيد بن أبي حبيب حدثني عبد الرحمن بن شماسة المهري قال : كنت عند مسلمة بن مخلد وعنده عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقال عبد الله : " لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق هم من أهل الجاهلية ، لا يدعون الله بشئ إلا رده عليهم فبينما هم على ذلك إذ أقبل عقبة بن عامر فقال له مسلمة : يا عقبة اسمع ما يقول عبد الله فقال عقبة : هو أعلم وأما أنا فسمعت رسول الله ﷺ يقول : "لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك فقال عبد الله : أجل ثم يبعث الله ريحاً كريح المسك مسها مس الحرير فلا تترك نفساً في قلبه مثقال حبة من الإيمان إلا قبضته ، ثم يبقى شرار الناس عليهم تقوم الساعة " .

وخرج من حديث داود[٣] بن أبي هند ، عن أبي عثمان ، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة " .

وخرجه البزار من حديث داود بهذا الإسناد ولفظه : لأقوام أهل الغرب ظاهرين على الحق إلى يوم القيامة " . قال وخرج مسلم[٤] من حديث حماد بن زيد عن أبي قلابة ، عن أبي أسماء ، عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك .

---

(١) (المرجع السابق) : حديث رقم (١٧٣) .

(٢) (المرجع السابق) : ١٣/٧٢ ، حديث رقم (١٧٦) .

(٣) (المرجع السابق) : ١٣/٧٢ - ٧٣ ، حديث رقم (١٧٧) .

(٤) (المرجع السابق) : ١٣/٧٠ ، حديث رقم (١٧٠) .

قال المؤلف - رحمه الله تعالى وعفا عنه - : هذا جزء من حديث فيه طول وقد جاء مسلم بجملة منه في كتاب الفتن ، وجاء به أبو داود بكماله ، وأوردته في وقوع بأس الأمة بينهم .

وخرج أبو داود[1] من حديث حماد ، عن قتادة ، عن مطرف ، عن عمران بن حصين ، قال : قال رسول الله ﷺ : " لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيخ الدجال " .

وخرج الترمذي[2] من حديث قتيبة بن سعيد ، عن حماد بن يزيد ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أبي أسماء الرحبي ، عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ : " إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين قال : وقال رسول الله ﷺ : "لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من يخذلهم حتى يأتي أمر الله " .

قال أبو عيسى : وهذا حديث حسن صحيح سمعت محمد بن إسماعيل يقول : سمعت على بن المديني يقول وذكر هذا الحديث ، عن النبي ﷺ " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق . فقال علي : هم أهل الحديث ، وذكره في الفتن .

(١) (سنن أبي داود) : ٣/١١ ، كتاب الجهاد ، باب (٤) دوام الجهاد ، حديث رقم (٢٤٨٤) .

(٢) (سنن الترمذي) : ٤/٤٣٧ - ٤٣٨ ، كتاب الفتن ، باب (٥١) ، ما جاء في الأئمة المضلين ، حديث رقم (٢٢٢٩) .

وأما إخباره ﷺ بما يرويه بعده
فوقع ما أنذرهم به

فخرج البخاري في باب علامات النبوة(١) من حديث أبي نعيم ، عن عبد الرحمن بن سليمان بن حنظلة بن الغسيل ، عن عكرمة ، عن ابن عباس رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : " خرج رسول الله ﷺ في مرضه الذى مات فيه بملحفة قد عصب بعصابة دسماء حتى جلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإن الناس يكثرون ويقل الأنصار ، حتى يكونوا في الناس بمنزلة الملح في الطعام ، فمن ولي منكم شيئاً يضر فيه قوماً وينفع آخرين فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم فكان آخر مجلس جلس فيه النبي ﷺ . وخرجه في المناقب(٢) وفى كتاب الجمعة(٣) .

وخرج البخاري من حديث زهير عن يحيى بن سعيد قال : سمعت أنس ابن مالك رضي الله تبارك وتعالى عنه قال سمعت النبي ﷺ دعا الأنصار ليكتب لهم بالبحرين ، قالوا : لا والله حتى تكتب لإخواننا من قريش بمثلها ، فقال : ذاك لهم ما شاء الله على ذلك يقولون له ، قال : فإنكم سترون بعدي أثره فاصبروا حتى تلقوني على الحوض(٤) . ترجم عليه باب ما أقطع النبي ﷺ من البحرين . وخرجه في آخر كتاب الشرب من حديث حماد بن زيد عن يحيى

---

(١) (فتح الباري) : ٧٧٩/٦ ، كتاب المناقب ، باب (٢٥) ، علامات النبوة فى الإسلام ، حديث رقم (٣٦٢٨) .

(٢) (فتح الباري) : ١٥٢/٧ ، كتاب مناقب الأنصار ، باب (١١) قول النبي ﷺ " اقبلوا من محسنهم ، وتجاوزوا عن مسيئهم " ، حديث رقم (٣٧٩٩) .

(٣) (المرجع السابق) : ٥١٣/٢ ، كتاب الجمعة ، باب (٢٩) من قال فى الخطبة بعد الثناء : أما بعد ، حديث رقم (٩٢٧) وخرجه الترمذى برقم (٣٩٠٠) .

(٤) (المرجع السابق) : ٣٢٩/٦ ، كتاب الجزية والموادعة ، باب (٤) ما أقطع النبي ﷺ من البحرين وما وعد من مال البحرين والجزية ولمن يقسم الفيء والجزية ؟ ، حديث رقم (٣١٦٣) ، فى الأصل كتاب الأشربة وصوابه ، (كتاب الجزية والموادعة) .

بنحوه ولم يقل على الحوض ، ترجم عليه باب القطائع ، وخرجه في باب كتابة القطائع تعليقاً وقال الليث ، عن يحيى بن سعيد ووصله قاسم بن أصبغ فقال : مطلب بن شعيب ، عن صالح قال : حدثني الليث عن يحيى ، عن أنس أن رسول الله ﷺ دعا الأنصار . والحديث كما ذكره البخاري عن الليث .

وأما إخباره عليه الصلاة والسلام بخروج نار بالحجاز تضيئ أعناق الإبل ببُصرى فكان كما أخبر

وخرج من حديث عمرو بن أبي عمرو ، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأنصارى الأشهلى ، عن حذيفة عن عبد الملك بن شعيب بن الليث ، قال : حدثني أبي عن جدي قال : حدثني عقيل ، عن ابن شهاب أنه قال : أخبرني ابن المسيب أخبرني أبو هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : " لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى[1] .

وقال الحاكم[2] : وقد روَى عن النبي ﷺ في أشراط الساعة خروج النار من أرض الحجاز عاصم بن عدي الأنصاري ، وأبو هريرة ، وأبو ذر الغفاري وذكر ذلك بأسانيده وصححها .

وروى أبو البداح بن عاصم الأنصاري ، عن أبيه أنه قال : سألنا رسول الله ﷺ حدثان ما قدم فقال : " أين حُبس سيل"[3] ؟ قلنا : لا ندري فمر بي رجل من بني سليم فقلت : من أين جئت ؟ فقال : من حُبس سيل ، فدعوت بنعلي

---

(١) (فتح الباري) : ١٣/٩٨ ، كتاب الفتن ، باب (٢٤) خروج النار ، حديث رقم (٧١٨٨) ، وأخرجه أيضاً فى (مسلم بشرح النووي) : ١٨/٢٤٦ ، كتاب الفتن ، باب (١٤) لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز ، حديث (٤٢) .

(٢) (المستدرك) : ٤/٤٨٩-٤٩٠ ، كتاب الفتن والملاحم ، حديث رقم (٨٣٦٧) .

(٣) حبس سيل : إحدى حَرَّتي بنى سليم ، وقال الأصمعي : الحُبس جبل مشرف على السلماء (معجم البلدان) : ٢/٢٤٦ ، موضع رقم (٣٤٨٠) .

فانحدرت إلى رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله سألتنا عن حُبس سيل وأنه لم يكن لنا به علم وأنه مر بي هذا الرجل فسألته فزعم أن به أهله فسأله رسول الله ﷺ فقال : " أين أهلك " ؟ قال : بحُبس سيل ، فقال : " أخر أهلك فإنه يوشك أن تخرج منه نارٌ تضئ أعناق الأبل ببصرى " .

قال المؤلف[1] - رحمه الله - : قد صدق الله تعالى ما أنذر به رسوله ﷺ من ذلك فظهرت بأرض الحجاز إلى خامس جمادي الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة من سنن الهجرة واستمرت شهراً شرقي المدينة النبوية بناحية وادى شظا تلقاء جبل أحد حتى امتلأت تلك الأودية منها وصار يخرج منها شرر يأكل الحجارة وزلزلت المدينة بسببها وسمع الناس أصواتاً مزعجة قبل ظهورها بخمسة أيام أولها يوم الأثنين أول الشهر فلم تزل الأصوات ليلاً ونهاراً حتى ظهرت النار يوم الجمعة خامسه وقد انتجت الأرض عن نار عظيمة عند وادى شظا وامتدت أربعة فراسخ في أربعة أميال وعمق قامة ونصف فسال الصخر منها ثم صار فحماً أسود وأضاءت بيوت المدينة منها في الليل حتى كأن في كل بيت مصباح ورأى الناس سناها بمكة وذكرغير واحد من الأعراب الذين كانوا بحاضرة بصرى من أرض الشام أنهم رأوا صفحات أعناق إبلهم في ضوء النار المذكورة فالتجأ الناس بالمدينة النبوية إلى قبر رسول الله ﷺ ودعوا واستغفروا الله تعالى واعتقوا عبيدهم وإماءهم وتصدقوا.في هذه النار يقول :

يا كاشف الضر صفحاً عن جرائمنا ... لقد أحاطت بنا يارب بأساء
نشكو إليك خطوباً لا نطيق لها ... حملاً ونحن بها حقاً أحقاء
زلزال تخشع الصم الصلاب لها ... وكيف يقوى على الزلزال شماء
[أقام سبعاً يرج الأرض فانصدعت ... عن منظر منه عين الشمس عشواء]
بحر من النار تجرى فوقه سفن ... من الهضاب لها في الأرض أرساء
كأنما فوقه الأجيال طافية ... موج عليه لفرط اليهج وعثاء
ترمى لها شرراً كالقصر طائشة ... كأنها ديمة تنصب هطلاء

(١) يراجع فى ذلك (مرآة الجنان) لليافعي : ٤/١٣٠-١٣١ ، ويراجع أيضاً في (شذرات الذهب فى أخبار من ذهب) : ٣/٢٦٣-٢٦٤ ، (البداية والنهاية) : ١٣/٢١٩-٢٢٥ .

[تنشق منها قلوب الصخر إن زفت رعباً وترعد مثل السعف أضواء]
منها تكاثف في الجو الدخان إلى أن عادت الشمس منه وهي دهماء
قد أثرت سفعة في البدر لفحتها فليلة التيم بعد النور ليلاء
تحدثت النيران السبع ألسنتها بما يلاقى بها تحت الثرى الماء
وقد أحاط لظاها بالبروج إلى إن كاد يلحقها بالأرض إهواء
فيا لها آية من معجزات رسو الله يعقلها القوم الألباء
[فباسمك الأعظم المكنون إن عظمت منا الذنوب وساء القلب أسواء]
فاسمح وهب وتفضل وامح واعف وجد واصفح فكل لفرط الجهل خطاء
[فقوم يونس لما آمنوا كشف الـ ـعذاب عنهم وعم القوم نعماءُ]
[ونحن أمة هذا المصطفى ولنا منه إلى عفوك المرجو دعاءُ]
[هذا الرسول الذى لولاه ما سلكت محجة في سبيل الله بيضاءُ]
[فارحم وصلِّ على المختار ماخطبت على عُلا منبر الأوراق ورقاءُ] .

وأما أخباره عليه أفضل الصلاة والسلام بغرق أحجار الزيت بالدم فكان كذلك

فخرج أبو داود[1] لحديث حماد بن يزيد ، عن أبي عمران الجوني ، عن المشعث بن طريف ، عن عبد الله بن الصامت ، عن أبي ذر قال : قال لي رسول الله ﷺ : يا أبا ذر قلت : لبيك يا رسول الله وسعديك ، فذكر الحديث ، قال فيه : كيف أنت إذا أصاب الناس موت يكون البيت فيه بالوصيف ؟ [يعني القبر] قلت : الله ورسوله أعلم ، أو قال : من خار الله لي ورسوله ، قال : عليك بالصبر ، أو قال : تصبر ، ثم قال لي : يا أبا ذر قلت لبيك وسعديك . قال: كيف أنت إذا رأيت أحجار الزيت قد غرقت بالدم ؟ قلت : ما خار الله لي ورسوله ، قال : عليك بمن أنت منه ، قلت : يا رسول الله أفلا آخذ سيفي وأضعه على عاتقي ؟ قال : شاركت القوم إذن ، قلت : فما تأمرني ؟ قال : تلزم بيتك ، قلت : فإن دخل عليّ بيتي قال : فإذا خشيت أن يبهرك شعاع السيف فألق ثوبك على وجهك يبوء بإثمك وإثمه .

وخرجه ابن ماجة[2] بنحوه في الفتن .

---

(١) (سنن أبي داود) : ٤/٤٥٨-٤٥٩ ، كتاب الفتن ، باب (٢) النهي عن السعي فى الفتنة ، حديث رقم (٤٢٦١) .

(٢) (سنن ابن ماجة) : ٢/١٣٠٨ ، كتاب الفتن ، باب (١٠) التثبت فى الفتنة ، حديث رقم (٣٩٥٨) " حتى تقوم " من التقويم ، أى يقوم البيت بالوصيف . "بالوصيف" المراد بالبيت القبر ، وبالوصيف الخادم والعبد ، أى يكون العبد قيمة القبر بسبب كثرة الأموات. وقيل : المراد بالبيت المتعارف . والمعنى أن البيوت تصير رخيصة لكثرة الموت وقلة من يسكنها .

فيباع البيت بعبد . " حجارة الزيت " موضع بالمدينة فى الحرة سمي بها لسواد الحجارة ، كأنها طليت بالزيت ، أي الدم يعلو حجارة الزيت ويسترها لكثرة القتلى وهذا إشارة إلى وقعة الحرة التى كانت زمن يزيد ." بمن أنت منه " أى بأهلك وعشيرتك .

وخرجه الحاكم[١] من حديث معمر وحماد بن سلمة قالا : حدثنا أبو عمران الجولى ، عن عبد الله بن الصامت ، عن أبي ذر فذكره بمعنى حديث أبي داود ، ثم قال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين .

وقد خرجه البخاري[٢] من حديث همام عن أبي عمران وقد زاد حماد بن زيد في إسناده بين أبي عمران الجوفى وعبد الله بن الصامت المشعث بن طريق بزيادة في المتن وحماد بن زيد أثبت من حماد بن سلمة .

قال المؤلف - رحمة الله تعالى - : أحجار الزيت بالمدينة النبوية[٣] وعندها قيل محمد الملقب بالمهدى وبالنفس الزكية ابن عبد الله بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليهم وذلك أن أبا جعفر عبد الله بن المنصور بن على بن عبد الله بن عباس ثانى خلفاء بنى العباس ألح في طلبه فطلب أخيه إبراهيم بن عبد الله فقام محمد بالمدينة ليلتين بقيتا من جمادى الآخره سنة خمس واربعين ومائة فلما بلغ المنصور ترك بالكوفة وسرح عيسى بن موسى بن محمد بن عبد الله بن عباس لقتال محمد ، فخندق محمد على المدينة ونزل عيسى الاعوض فتفرق أكثر الناس عن محمد وبقى في شرذمة قليلة فقاتل عيسى لأيام مضت من شهر رمضان إلى أن قتل عند أحجار الزيت في يوم الأثنين لأربع عشرة خلت منه وقتل معه كثير وأخذ عيسى المدينة وصلب من أهلها عالماً كثيراً وبسبب محمد هذا ضرب موسى بن عيسى الإمام مالك بن أنس رحمه الله .

وقد قال كعب الأحبار : إنى أجد أحجار الزيت في كتاب الله تعالى وإنها ستكون بالمدينة ملحمة عندها .

---

(١) (المستدرك) : ٤٧٠/٤، كتاب الفتن والملاحم ، حديث رقم (٨٣٠٥) وقال الحافظ الذهبي : في (التلخيص) صحيح على شرط البخاري ومسلم .

(٢) ذكر ابن الأثير فى (جامع الأصول) أن هذا الحديث لأبي داود فقط .

(٣) موضع بالمدينة قريب من الزوراء ، وهو موضع صلاة الإستسقاء . (معجم البلدان) : ١٣٥/١ موضع رقم (٢٧٠) .

وقال محمد بن عبد الله لعبد الله بن عامر السلمي : تغشانا سحابة فإن أمطرتنا ظفرنا وإن تجاوزتنا إليهم فانظر إلى دمي عند أحجار الزيت ، قال : فوالله لقد أظلتنا سحابة فلم تمطرنا وتجاوزتنا إلى عيسى بن موسى وأصحابه فظفروا وقتلوا محمداً ورأيت دمه عند أحجار الزيت .

وأما إخباره عليه أفضل الصلاة والسلام بالخسف الذى يكون من بعده فكان كما أخبر

فخرج مسلم(١) من حديث سفيان بن عيينة عن فرات القزاز عن أبي الطفيل ، عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال : اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر ، قال : ما تذكرون ؟ قالوا تذكر الساعة ، قال : إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان و الدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام ويأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم .

وخرجه من حديث شعبة عن فرات بنحوه وخرجه الحاكم(٢) من حديث صدقة بن المنتصر الشعباني عن عمرو بن عبد الله الحضرمي حدثني واثلة بن الأسقع رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تقوم الساعة حتى تكون عشر آيات : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف في جزيرة العرب ، والدجال ، والدخان ، ونزول عيسى ابن مريم ، فيأجوج ومأجوج ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر وتحشر الذر والنمل ، وقال الحاكم هذا حديث صحيح

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٢٤٣/١٨ ، كتاب الفتن وأشراط الساعة باب (١٣) الآيات التى تكون قبل الساعة ، حديث رقم (٣٩) .

(٢) (المستدرك): ٤٧٤/٤ ، كتاب الفتن والملاحم ، حديث رقم (٨٣١٧) . وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : صحيح .

الإسناد ، وخرج من حديث يزيد بن هارون قال : أنبأنا سعيد بن إياس الجريري، عن أبي العلاء بن الشخير عن عبد الرحمن بن صحار العبدى ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ " لا تقوم الساعة حتى يخسف بقبائل من العرب " فيقال من بقى من بني فلان ؟ قال : فعرفت حتى قال : قبائل أنها العرب لأن العجم تنسب إلى قراها[1] . قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد .

ومن حديث عبد الله بن نمير قال : الحسن بن عمرو الفقيمي عن أبي الزبير عن عبد الله بن عمر رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " في أمتي خسف ومسخ وقذف[2] قال الحاكم إن كان أبو الزبير سمع من عبد الله بن عمر فإنه صحيح على شرط مسلم .

وقال الزبير بن بكار : حدثني محمد بن حسن يعني بن زبالة ، عن محمد ابن يعقوب بن عتبة ، عن عبد الله بن عكرمة بن عبد الرحمن ، عن عروة بن الزبير [أن رسول الله ﷺ] قال : يكون في آخر أمتي مسخ وخسف وقذف ، وذلك عند ظهور شئ من عمل لوط .

قال المؤلف - رحمه الله تعالى - : أما الخسف الذى بالمغرب فذكر الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي في كتاب (شذور العقود في تاريخ اليهود) أن في سنة سبع وثلاثين ومائة ورجعت للكتب من المغرب إن ثلاث عشرة قرن من صف بها فلم ينفج منها إلا إثنان وأربعون رجلاً سود الوجوه وأن في سنة اثنين وأربعين ومائتين رجمت قرية السويداء بناحية مضر بخمسة أحجار وقع حجر منها على خيمة أعرابي فاحترقت ، ووزن منها حجر فكال عشرة أرطال . وذكر أنه سنة خمس وعشرين وأربع مائة هدم نحو من نصف رملة لدى فلسطين بالزلزلة وخسف بقرى ، وسقط بعض حائط بيت المقدس .

---

(١) (المرجع السابق) : ٤/٤٩٢ ، كتاب الفتن والملاحم ، حديث رقم (٨٣٧٥) . وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) على شرط مسلم وإن كان أبو الزبير سمع من عبد الله .

(٢) (المرجع السابق) : حديث رقم (٨٣٧٦) وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : صحيح ، وخرجه أيضاً في (الترمذي) : ٤/٤٢٩ ، كتاب الفتن ، باب (٣٨) ما جاء في علامة حلول المسخ والخسف ، حديث رقم (٢٢١٢) .

انتهى . وفى سنة إحدى وتسعين وسبعمائة خسف بمدينة نشاور من خراسان وهلك.وأنه في صفر هبت عندهم ريح عاصفة ارتجت الأرض من شدة هبوبها ثم زلزلت زلزلة مهولة اشتد اضطراب الأرض لها بحيث كان الإنسان والحيوان في غير ذلك يرتفع عن الأرض أكثر من عشرة أذرع وصارت الأرض تنقل من موضع إلى موضع حتى جميع مبانى المدينة بأسرها اهتزت إهتزازاً شديداً . أقامت كذلك أربعة أيام ثم سكنت في اليوم الرابع فاطمأن الناس قليلاً وغدا بريح عاتية تعتعت كل ما هنالك تعتعه عنيفة جداً فانقلبت المدينة حتى صار عاليها سافلها وابتلعت الأرض ما كان بها من المبانى على اختلافها فخسف بها وبأهاليها عن آخرهم فلم يسلم من الناس مع كثرتهم إلا النادر ، وقد بسطت خبر هذا الخسف في كتاب (السلوك لمعرفة دول الملوك) .

وفى سنة أربع وثلاثين وثمان مائة خسف بثلاث بلاد كبيرة في مرج مدينة أشجر باطه من جزيرة الأندلس وذلك أنه كانت زلزلة شديدة في شعبان منها بمرج غرناطة سقط بها مبانى كثيرة جداً على سكانها فهلكوا بأجمعهم وابتلعت الأرض البلاد الثلاثة بأناسها وحيوانها وهي همدان . قال لورة ودارما وخسف أيضاً بعدة مواضع من البلاد المجاورة تعليقاً وأقامت الأرض عندهم بعد ذلك خمسة وأربعون يوماً تعثر حتى يسكن الناس الصخر ، ولهذه الحادثه مبسط في كتاب (السلوك) .

وأما إخباره ﷺ بولاية أمر الناس غير أهلها
وما يترقب من مقت الله عند ذلك

فخرج البخاري[1] في كتاب العلم من حديث محمد بن فليح ، عن أبي قال: حدثني هلال بن علي ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : بينما رسول الله ﷺ في مجلس يحدث القوم جاءه أعرابي فقال: متى الساعة ؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدث فقال بعض القوم : سمع ما قال فكره ما قال ، وقال بعضهم : بل لم يسمع . حتى إذا قضى حديثه قال : أين أراه السائل عن الساعة ؟ قال : ها أنا يا رسول الله قال : " فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة " . قال : كيف إضاعتها ؟ قال : " إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة " .

وذكره أيضاً في الرقاق[2]مختصرا ، فخرج في باب الأمانة من حديث فليح بن سليمان ، عن هلال بن على ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة . قال : كيف إضاعتها يا رسول الله ؟ قال : " إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة " .

وخرج الترمذي[3] من حديث المستلم بن سعيد ، عن رميح الجذامي ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ إذا اتخذ الفيئ دولا ، والأمانة مغنماً،والزكاة مغرماً ، وتعلم لغير الدين ، وأطاع الرجل امرأته وعق أمه ، وأدنى صديقه ، وأقصى أباه ، وظهرت الأصوات في المساجد ، وساد القبيلة فاسقهم ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأكرم الرجل مخافة شره وظهرت القينات والمعازف ،

---

(١) (فتح الباري) : ١/١٨٨ - ١٨٩ ، كتاب العلم ، باب (٢) من سئل علماً وهو مشتغل فى حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل ، حديث رقم (٥٩) .

(٢) (المرجع السابق) : ١١/٤٠٤ ، كتاب الرقاق ، باب (٣٥) رفع الأمانة ، حديث رقم (٦٤٩٦).

(٣) (سنن الترمذي) : ٤/٤٢٨ - ٤٢٩ ، كتاب الفتن ، باب (٣٨) ما جاء فى علامة حلول المسخ والخسف ، حديث رقم (٢٢١١) .

وشربت الخمور ، ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمـراء ، وزلزلة وخسفاً ومسخاً وقذفاً وآيات تتابع كنظم قطع سلكه فتتابع .

قال أبو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

وخرج من حديث عمرو بن أبي عمـرو،عـن عبدالله بـن عبد الرحمـن الأنصاري الأشهلي عن حذيفة بـن اليمـان رضـي اللـه وتبـارك عنـه قـال : قـال رسول الله ﷺ لاتقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع قال أبو عيسى : هذا حديث غريب لانعرفه إلا من حديث عمرو بن عمرو[1] .

وخرج الإمام أحمد[2]من حديث وكيع عن الوليد بـن عبداللـه بـن جميـع عـن الجهم بـن أبي الجهم عـن ابـن نيـار قـال : سـمعت رسـول اللـه ﷺ يقـول "لاتذهب الدنيا حتى تكون للكع بن لكع ".

وخرج ابن حبان في (صحيحه)[3] من حديـث أشـهل ، حدثنـا محمـد بـن إسماعيل البخاري ، حدثنا إسماعيل بن أبي أويس ، حدثني زفربن عبـد الرحمـن ابن أردك ، عن محمد بن سليمان بن والبـة ، عـن سـعيد ابـن جبير ، عـن أبـي هريرة ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : "والذى نفس محمد بيـده ، لاتقـوم السـاعة حتى يظـهر الفحش والبخل ، ويخون الأمين ، ويؤتمن الخائن ، ويهلك الوعول ، وتظـهر التحوت " قالوا : يارسول الله ، وما الوعول والتحوت ؟ قال " الوعول : وجوه الناس وأشرافهم ، والتحوت : الذين كانوا تحت أقدام الناس لايعلم بهم ".

---

(١) (سنن الترمذي): ٤/٤٢٧-٤٢٨، كتاب الفتن ، باب (٣٧) حديث رقم (٢٢٠٩) وخرجه أيضـاً فى (مسند أحمد) : ٦/٥٣٨ ، حديث رقم (٥٣٨) .

(٢) (مسند أحمد) : ٤/٥٠٦ ، حد يث رقم (١٥٤٠٤) .

(٣) (الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان) : ١٥/٢٥٨ ، حديث رقم (٦٨٤٤) ، وقال فى هامشـه إسماعيل بن أبى أويس فيه لين كمال قال الذهبي . ومحمد بن سليمان لم يوثقه أحد غير المؤلف، وأخرجه البخاري فـى (تاريخـه) : ١/٩٨ لإسماعيل بـن أبـى أويـس بهـذا الإسـناد ، وأخرجـه الحاكم عن أبي عبدالله بن محمد بن يعقوب الحافظ ، حدثنا يحيى بن محمد بـن يحيـى الشـهيد ، والفضل بن محمد بن المسيرالشعراني ، قالا : حدثنا إسـماعيل ابـن أبـي أويـس بـه ، وقـال هـذا حديث رواته كلهم مدنيون مما لم ينسبوا إلى نوع من الجرح ، وأقره الذهبي .

وخرج الترمذي[1] أيضاً من حديث عمرو بن أبي عمرو بهذا السند أن رسول الله ﷺ قال : " والذي نفسي بيده لاتقوم الساعة حتى تقتلوا إمامكم وتجتلدوا بأسيافكم ، ويرث دنياكم شراركم ".

قال أبو عيسى هذا حديث حسن ، إنما نعرفه من حديث عمرو بن أبي عمرو .

وخرج الإمام[2] أحمد من حديث عبد الملك بن عمرو حدثنا كثير بن زيد، عن داود بن أبي صالح قال : أقبل مروان يوماً ، فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر ، فقال : أتدري ما تصنع ؟ فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب ، فقال: نعم ، فجئت رسول الله ﷺ ولم آت الحجر ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: لاتبكوا على الدين إذا وليه أهله ، ولكن أبكوا عليه إذا وليه غير أهله .

ومن حديث حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد وحميد في آخرين عن الحسن ، عن أبي بكرة عن النبي ﷺ إنه قال : "إن الله تعالى يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر[3] .

وروى أبوسعيد بن يونس . من حديث ابن وهب قال : حدثني ابن لهيعة ، بكر بن سوادة عمن حدثه ابني خثيم قدموا على النبي ﷺ فقال لهم : مارأيتم ؟ قالوا : لاشيء ، قال لتخبروني ، وفي رواية : قالوا رأينا حمارا قد علته قوائمه قال : فماذا قلتم ؟ قالوا قلنا تعلو سفلة الناس ويتضع سراتهم فقال النبي ﷺ : فإنه كذلك .

ومن طريق وهب قال : أخبرني أبو شريح عبد الرحمن بن شريح ، عن إسماعيل بن قاسم الرعيني أن عبد الله بن مسعود قال : لاتقوم الساعة حتى يسود كل قبيله منافقوها .

---

(١) (سنن الترمذي) : ٤٠٧/٤ ، كتاب الفتن ، باب (٩) ماجاء فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، حديث رقم (٢١٧٠) .

(٢) (مسند أحمد) : ٥٨٧/٦ ، حديث رقم (٢٣٠٧٤) .

(٣) (المرجع السابق) : ٥٩٦/٢ ، حديث رقم (٨٠٢٩) .

ومن طريق ابن وهب قال : حدثني عبد الله الرحمن بن شريح أنه سمع يزيد بن أبي حبيب يحدث عن طلحة الخولاني ، عن أبي ذر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ستبتلى هذه الأمة رجلاً وفى رواية تبلى هذه الأمة شرها رجلاً قال : ابن يونس ماأعرف هذا إلا من حديث أبي شريح عبد الرحمن ابن شريح .

وروى بن عباس وأبوبكر يعنى ابن عياش وجرير ، عن عبد الله بن العزيز بن رفيع ، عن شداد بن معقل ، قال : سمعت عبدالله بن مسعود يقول : أول ماتفقدون من دينكم الأمانة وآخر مايبقى الصلاة وسيصلي قوم لادين لهم .

أما إخباره ﷺ بكثرة أولاد الزنا

فخرج الحاكم[1] من طريق ابن وهب قال : أخبرني يحيى بن أيوب عن زبان بن فائد عن سهيل بن معاذ بن أنس عن أبيه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : لاتزال الأمة على شريعة مالم تظهر فيهم ثلاث : مالم يقبض منهم العلم ، ويكثر فيهم ولد الخبث ويظهر فيهم السقارون قالوا : وما السقارون يارسول الله ؟ قال بشر يكونون فى آخر الزمان تكون تحيتهم بينهم إذا تلاقوا التلاعن . قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين .

وخرج الإمام أحمد[2] من حديث محمد بن إسحاق عن محمد بن عبدالله ابن عثمان عن محمد بن عبد الرحمن بن لبيبة عن عبدالله بن أبي رافع ، عن ميمونة زوج النبي ﷺ قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لاتزال أمتى بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنا ، فإذ فشا فيهم ولد الزنا فيوشك أن يعمهم الله عز وجل بعقاب .

وقد ظهر ولاقوة إلا بالله مع قلة العلم كثرة أولاد الزنا فإن تيمور لما أخذ بلاد فارس ، وعراقي العجم ، والعرب ، وبلاد الجزيرة ، وأرض الروم ، والهند ، وبلاد الشام ، عاشت رجاله في نساء هذه الممالك وسبوهن فلم تكد ينج منهم إلا القليل الأقل من النساء فمعظم من في تلك البلاد إنما هم أولاد تلك النساء اللاتي زنى بهن التيمورية وقد قدم إلى مصر والحجاز واليمن من هؤلاء عالم كبير مابين من تسمى بفقيه ، ومظهر زي التصوف وتاجر واختلطوا بالناس ، ونكحوا من نسائهم ، فدلت أخلاقهم وطرائقهم في دينهم ودنياهم على خبث أصولهم ولله الأمر من قبل ومن بعد ، وقد قالت أم سليم : يارسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم إذا كثر الخبث . فسَّره أهل العلم بأولاد الزنا فيالها بطشة من الله بعباده وأشنعها . توفاني الله قبلها .

---

(١) (المستدرك) : ٤٩١/٤ ، كتاب الفتن والملاحم باب (٥٠) حديث رقم (٨٣٧١) وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : منكر ، وزبان لم يخرجا له .

(٢) (مسند أحمد) : ٤٦٩/٧ ، حديث رقم (٢٦٢٩٠) .

وأما إخباره عليه الصلاة وأتم التسليم بعود الإسلام إلى الغربه كما بدأ ، وأنه تنقض عراه

فخرج مسلم[1] من حديث مروان عن يزيد بن كيسان ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة رضي الله تبارك عنه قال : قال رسول الله ﷺ : بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأغريباً فطوبى للغرباء .

ومن حديث عاصم بن محمد العمري ، عن النبي ﷺ قال : إن الإسلام بدأ غريباً فطوبى للغرباء . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب من حديث ابن مسعود إنما نعرفه من حديث حفص بن خباب ، عن الأعمش . وأبو

---

(١) (جامع الأصول) : ١/٢٧٥ - حديث رقم (٦٢) ، (٦٣) .

قال النووي في شرح مسلم : " بدأ الإسلام غريباً " كذا ضبطناه : " بدأ " بالهمزة من الابتداء و " طوبي " فعلى من الطيب . قال الفراء : وإنما جاءت الواو لضمة الطاء ، قال : وفيها لغتان . تقول العرب : طوباك ، وطوبي لك .

وأما معنى " طوب " فاختلف المفسرون في معنى قوله تعالى : ﴿ طوبى لهم ﴾ [الرعد:٢٩] فروى عن ابن عباس أن معناه : فرح وقرة عين ، وقال عكرمة : نعمى لهم ، وقال الضحاك : غبطة لهم وقال قتادة : حسنى لهم ، وعن قتادة أيضاً معناه : أصابوا خيراً ، وقال إبراهيم : خير لهم وكرامة . وقال عجلان : دوام الخير ، وقيل : الجنة ، وقيل : شجرة في الجنة ، وكل هذه الأقوال محتملة الحديث .

وقال القاضي عياض : روى ابن أبي أويس عن مالك : معنى بدأ غريباً ، أي بدأ الإسلام غريباً في المدينة ، وسيعود إليها .

وظاهر الحديث العموم ، وأن الإسلام بدأ في آحاد من الناس وقلة ثم انتشر وظهر ، ثم سيلحق أهله النقص والاختلاف ، حتى لا يبقى إلا في آحاد وقلة أيضاً بدأ .

وجاء في الحديث تفسير الغرباء " هم النزاع من القبائل " قال الهروي : أراد بذلك المهاجرين الذين هجروا أوطانهم إلى الله تعالى .

نقول وللحافظ ابن رجب الحنبلي رسالة قيمة استوفى فيها شرح هذا الحديث سماها " كشف الكربة في وصف أهل الغربة " .

الأحوص أسمه عوف بن مالك بن نصله الجشمي تفرد به حفص . ومن حديث إسماعيل بن أبي فديك حدثني كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف بن يزيد بن مسلخه ، عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال : " إن[1] الدين ليأرز إلى الحجاز كما تأرز الحية إلى جحرها وليعقلن الدين من الحجاز معقل الأروية من رأس الجبل إن الدين بدأ غريباً ، وسيعود كما بدأ فطوبي للغرباء وهم الذين يصلحون ما أفسد الناس [من بعدي] من سنتي . قال ابو عيسى : هذا حديث حسن ، وخرجه أبو بكر الآجرى من حديث حفص بن غياث عن الأعمش ، عن أبي اسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء . قيل ومن هم يارسول الله ؟ قال الذين يصلحون إذا فسد الناس .

وخرج الإمام أحمد[2] من حديث محمد بن أبي شيبة حدثنا حفص بن غياث ، عن الأعمش ، عن أبي اسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله تبارك وتعالي عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء ، قيل ومن الغرباء ؟ قال : النزاع من القبائل ، والذي نفس أبي القاسم بيده ليأرزن الإسلام بين هذين المسجدين كما تأزر الحية إلى جحرها .

ومن حديث ابن لهيعة ، عن الحرث بن يزيد ، عن جندب بن عبد الله أنه سمع سيفان بن وهب يقول : سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص قال: رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن عنده : طوبى للغرباء فقيل من الغرباء يارسول

---

(١) (جامع الأصول) : ٣٤١/٩، حديث رقم (٦٩٧٤) .

" قوله " : ليعقلن أي : لبعضهم ويلتجئ ويحتمي .

" وقوله " : (الأورية) : الشاة الواحدة من شياه الجبل ، وجمعها : أروى .

" قوله " : (طوبى) : اسم الجنة ، أي : فالجنة لأولئك المسلمين الذين كانوا غرباء في أول الإسلام والذين يصيرون غرباء بين الكفار في آخره لصبرهم على أذى الكفار أولاً وآخراً ، أو لزومهم الإسلام .

(٢) (مسند أحمد) : ٦٥٧/١ - ٦٥٨ ، حديث رقم (٣٧٧٥) باختلاف يسير في اللفظ .

الله؟ قال : أناس صالحون في أناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يُطيعهم(١).

وقال عبدالله بن أبي فروة ، عن يوسف بن سليمان ، عن جدته ميمونه ، عن عبدالله الرحمنِ بن شيته الأسلمي أنه سمع النبي ﷺ يقول : بدأ الإسلام غريباً ثم يعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء ، قيل يارسول الله ومن الغرباء ؟ قال الذين يصلحون إذ أفسد الناس ، والذي نفسي بيده ليأرزن الإسلام بين هذين المسجدين كما تأرز الحيه إلى حجرها .

قال ابن عبد الرحمن بن شيبة الأسلمي روي عن النبي ﷺ الإسلام بدأ غريباً الحديث وفي الإسناد عنه ضعف .

وخرج [أبو عبد الله الحاكم](٢) من حديث الوليد بن مسلم ، حدثني عبدالعزيز ، عن إسماعيل بن عبيد الله أن سليمان بن حبيب حدثهم عن أبي أمامة الباهلي ، عن رسول الله ﷺ قال : لتنتقض عري الإسلام عروة عروة فكلما انتقضت عُروه تشبثت بالتي تليها ، وأول نقضها الحكم ، وآخرها الصلاة . قال الحاكم : والإسناد كله صحيح .

ومن حديث هيثم بن خارجه ، عن ضمرة ، عن يحيى بن أبي عمرو، عن ابن هزور اليلمي ، عن ابنه قال : قال ﷺ : لتنقضوا(٣) الإسلام عروة كما ينقض الحبل فوة فوة ومن حديث الأوزاعي حدثني أبو عمار قال حدثني جابر ابن عبد الله قال : قدمت من سفر فجاءني جابر يسلم عليَّ فجعلت أحدثه بإفتراق الناس وما أحدثو فجعل جابر يبكي ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الناس دخلوا في دين الله أفواجاً وسيخرجون منه أفواجاً والحمد لله رب العالمين على كل حال .

---

(١) (المرجع السابق) : ٣٧٠/٢ ، حديث رقم (٦٦١٢) .

(٢) في (الأصل) : " الإمام أحمد " ، والصواب ما أثبتناه . (المستدرك) : ١٠٤/٤ ، كتاب الأحكام حديث رقم (٧٠٢٢) .

(٣) راجع التعليق السابق .

وأما إخباره ﷺ بتغلب الترك على أهل الإسلام فكان كما أخبر

فخرج الإمام أحمد[1] من حديث بشير بن المهاجر قال : حدثني عبدالله ابن بريدة ، عن أبيه قال : كنت جالساً عند النبي ﷺ فسمعت النبي ﷺ يقول : إن امتي يسوقها قوم عراض الأوجه ، صغار الأعين كأن وجوههم مثل الحجف ثلاث مرات حتى يُلحقوهم بجزيرة العرب أما السابقة الأولي : فينجو من هرب منهم ، وأما الثانية : فينجو بعض ويهلك بعض ، وأما الثالثة : فيصطلون كلهم من بقي منهم ، قالوا : يارسول الله من هم ؟ قال : هم الترك ، قال أما والذي نفسي بيده ليربطن خيولهم إلى سواري مساجد المسلمين قال : وكان بريدة لايفارقه بعيران أو ثلاثة ومتاع السفر والأسقية بعد ذلك للهرب مما سمع من النبي ﷺ من البلاء من أمراء الترك .

وخرجه الحاكم بنحو أوقريب منه وقال هذا حديث صحيح الإسناد .

قال المؤلف عفا الله عنه : وله شواهد تقدمت ، وقد أوضح صحة هذا الحديث ماكان من خروج جنكيزخان وأولاده وأستيلائهم من سنة بضع عشرة وستمائة على ممالك الشرق وعراقي العرب والعجم إلى حدود جزيرة العرب واصطلامهم أهل الإسلام من تلك الممالك .

وذكر الحاكم من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن أيوب ، عن ابن سيرين أن ابن مسعود قال : كأني بالروم قد اتتكم على براذين محدمة الأذان حتى تربطها بشط الفرات . ومن طريق قتاده ، عن محمد بن سيرين ، عن عبدالرحمن بن أبي بكرة ، عن عبد الله بن عمرو قال : يوشك[2] بنو قنطوراء بن كركر أن يخرجوا أهل العراق من أرضهم . قلت : ثم يعودون؟ قال : إنك لتشتهي ذلك ! قال : ويكون لهم سلوة من عيش .

---

(١) (مسند أحمد) : ٤٧٨/٦ ، حديث رقم (٢٢٤٤٢) ، (المستدرك) ٥٢١/٤ ، كتاب الفتن ، باب (٥٠) ، حديث رقم (٨٤٦٣) .

(٢) (المستدرك) : ٥٢٢/٤ ، كتاب الفتن والملاحم باب (٥٠) حديث رقم (٨٤٦٦ ، ٨٤٦٧) .

قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ، وبنو قنطور هم الترك .

قال المؤلف – عفا الله عنه – : قد أخرج الترك أهل العراق ونزلوا شاطئي الفرات في سنة ست وخمسين وستمائة . وذكر عبدالله بن قتيبة من حديث عبد الله بن وهب ، عن حمزه بن عبد الله ، عن محمدبن حلجة ، عن محمد بن عمرو بن عطاء ، عن عبدالله بن صفوان ، عن حفصة أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ قال : إذا سمعتم بناس يأتون من قبل المشرق إلى زهاء يعجب الناس من زيهم ، فقد أظلت الساعة . قوله إلى زهاء يريد إلى عدد كثير وهو من قولك هم زهاء ألف أى قدرألف ويقال : كم زهاء القوم ؟ أي كم حرزهم وقدرهم[1] والله أعلم .

وأما إخباره ﷺ بالزلازل

فاعلم أنه لم يأت عن النبي ﷺ من وجه صحيح ، أن الزلزلة كانت في عصره ولاصحت عنه فيها سنّة ، وأول زلزلة كانت في الإسلام في عهد عمر رضي الله تبارك وتعالى عنه فأنكرها .

روى سفيان بن عيينة ، عن عبد الله بن عمر رضي الله تبارك وتعالى عنه ، عن نافع ، عن صفية رضي الله تبارك وتعالى عنها قال : زلزلزت المدينة على عهد عمر رضي الله وتبارك وتعالى عنه حتى اصطلكت البيوت ، فقام فحمد الله و أثنى عليه ثم قال : ما أسرع ما أحدثتم ! والله لئن عادت لأخرجن من بين أظهركم .

وخرج ابن حبان في [صحيحه] من حديث أرطأه بن المنذر قال : حدثني ضمرة بن حبيب قال : سمعت سلمة بن نفيل الكوفي قال : كنا جلوساً عند النبي ﷺ وهو يوحي إليه فقال : إني غير لابث فيكم ولستم لابثين بعدي إلا

---

(١) (جمع الجوامع للسيوطي) : حديث رقم (٢٠٠٨) .

قليلاً وستأتوني أفناداً ، يفني بعضكم بعضاً ، وبين يدي الساعه موتان شديد وبعده سنوات الزلازل[1] .

وخرج الإمام أحمد[2] من حديث أرطأة بن المنذر قال : حدثني ضمرة ابن حبيب قال : سمعت سلمة بن نفيل السكوني قال : قال قائل : يارسول الله هل أثبت بطعام من السماء ؟ قال : نعم ، قال : وبماذا ؟ قال بسخنة ، قالوا : فهل كان فيها فضل عنك ؟ قال : نعم ، قال : فما فعل به ؟ قال رفع وهو يوحى إلي أني مكفوت غير لابث فيكم ولستم لابثين بعدي إلا قليلا ، بل تلبثون حتى تقولوا متى ، وستأتون أفناداً يفني بعضكم بعضاً ، وبين يدي الساعة موتان شديد وبعده سنوات الزلازل .

وخرج الحاكم من حديث محمد بن فضل بن غزوان حديثاً صدقه ابن المثنى ، عن رباح بن المثنى ، عن أبي بروة قال : بينا أنا واقف في السوق في إمارة زياد إذ ضربت بإحدى يدي على الأخرى تعجباً ! فقال رجل من الأنصار قد كانت لوالدي صحبة مع رسول الله ﷺ مما تعجب يا أبا بردة ؟ قلت : أعجب من قوم دينهم واحد ، ونبيهم واحد ، ودعوتهم واحدة ، وحجهم واحد ، وغزوهم واحد، ويستحل بعضهم ! قتل بعض قال : فلا تعجب فإني سمعت والدي أخبرني

---

(١) (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان) : ١٨٠/١٥ ، كتاب التاريخ ، باب (١٠) إخباره ﷺ عما يكون في أمته من الفتن والحوادث ، حديث رقم (٦٧٧٧) وإسناد صحيح . أبو المغيرة : هو عبد القدوس بن الحجاج الخولاني .

وأخرجه أحمد : ٧٤/٥ ، حديث رقم (١٦٥١٦) عن أبي المغيرة ، بهذا الإسناد . وقال في أوله: " كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ ! إذ قال له قائل : يا رسول الله ، هل أتيت بطعام من السماء ؟ قال :" نعم " ، قال : وبماذا ؟ قال : بمسخنة في (المسند) " بسخنة " ، والمسخنة : قدر يسحن فيها الطعام ، قال : فهل كان فيها فضل عنك ؟ قال : نعم " ، قال : فما فعل به ؟ قال: رفع ، وهو يوحي إلى أني مكفوت غير لا بث .. " فذكره . والأفناد : الفرق المختلفين ، الواحد فند . والموتان بوزن البُطلان : الموت الكثير الوقوع .

(٢) (مسند أحمد) : ٧٤/٥ ، حديث رقم (١٦٥١٦) .

أنه سمع النبي ﷺ يقول : إن أمتي أمة مرحومه ليس عليها في الآخرة حساب ولاعذاب إنما عذابها في القتل والزلازل والفتن[1] .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، وخرجه أبو داود كما تقدم .

وخرج الحاكم[2] من حديث نعيم بن حماد ، حدثنا بقية بن الوليد ، عن يزيد بن عبد الله الجهمي ، عن أنس بن مالك رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : دخلت على عائشة رضي الله وتبارك عنها ورجل معها ، فقال الرجل : يا أم المؤمنين حدثينا عن الزلزلة ، فأعرضت عنه بوجهها . قال أنس : فقلت لها حدثينا يا أم المؤمنين عن الزلزلة . فقالت : يا أنس ، إن حدثتك عنها عشت حزيناً وبعثت حين تبعث وذلك الحزن في قلبك ، فقلت : يا أماه حدثينا . فقالت : إن المرأة إذا خلعت ثيابها في غير بيت زوجها هتكت ما بينها وبين الله عز وجل من حجاب ، وإن تطيبت لغير زوجها كان عليها ناراً وشناراً ، فإذا استحلوا الزنا ، وشربوا الخمور بعد هذا ، وضربوا المعازف ، غار الله في سمائه ، فقال للأرض : تزلزلي بهم ، فإن تابوا ونزعوا وإلا هدمها عليهم .

وفي الحديث قصة تركتها ، وأول زلزلة كانت في الإسلام سنة عشرين على عهد عمر رضى الله وتبارك عنه فأنكرها ، وقال : أحدثتم ، والله لئن عادت لأخرجن من بين أظهركم . رواه سفيان بن عيينه عن عبدالله بن عمر عن صفية قال : زلزلت المدينة على عهد عمر رضي الله تبارك وتعالى عنه حتى اصطكت البيوت ، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ما أسرع ما أحدثتم ، والله لئن عادت لأخرجن من بين أظهركم .

قال المؤلف - رحمه الله تعالى - : وفي سنة أربع وتسعين دامت الزلازل في الدنيا أربعين يوماً فوقعت الأبنية الشاهقة وتهدمت أنطاكية .

---

(١) (المستدرك) : ٢٨٣/٤ ، كتاب التوبة والإنابة ، حديث رقم (٧٦٤٩) ، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : صحيح .

(٢) (المستدرك) : ٥٦١/٤ ، كتاب الفتن والملاحم ، حديث رقم (٨٥٧٥) ، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : بل أحسبه موضوعاً على أنس ، ونعيم منكر الحديث إلى الغاية مع أن البخاري روى عنه .

وفي سنة أربع وعشرين ومائتين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وأزكى التحيات ، وأجل الإكرام زلزلت فرغانة فمات منها خمسة عشر الفاً .

وفي سنة عشرين ومائتين جفت الأهواز فتصدعت الجبال ودامت ستة عشريوماً .

وفي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين من الهجرة النبوبة رجفت دمشق رجفة انقضت منها البيوت وسقطت على من فيها ، فمات خلائق كثيرة من ذلك، وانكفأت قرية بالغوطة على أهلها فلم ينج منهم سوى رجل واحد ، وزلزلت أنطاكية فمات منها عشرون ألفاً .

وفي سنة اثنتين وأربعين ومائتين زلزلت جرجار ، وطبرستان ، ونيسابور ، وأصبهان ، وقم ، وقاشان ، في وقت واحد ، وزلزلت الافغان فهلك من أهلها خمسة وعشرون ألفاً وتقطعت الجبال ودنا بعضها من بعض وسمع للسماء والأرض أصوات عالية ، وسار جبل لم يكن عليه مزارع حتى أتى مزارع قوم آخرين ، ووقع طائر أبيض دون الرخمة وفوق الغراب على دابة بحلب لسبع سنين من شهر رمضان المعظم فصاح بصوت عال يسمعه الناس: يامعشر الناس اتقوا الله ، الله ، الله ، حتى صاح أربعين صوتاً فكتب صاحب البريد بذلك إلى الخليفة ببغداد وأشهد على ذلك خمسمائة إنسان ممن سمعوه ، وكتب أسماءهم إلى الخليفة .

وفي سنة خمس وأربعين ومائتين من الهجرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام وأزكى التحيات وأجلّ الاكرام ، زلزلت أنطاكية فسقط منها ألف وخمسمائة دار ووقع من سورها بضع وتسعون برجاً وسمعت أصوات هائلة من كبرى المنازل ، وسمع بمدنية نبتيس صيحة هائلة دامت مدة فمات منها خلق كثير، وذهب جبلة بأهلها ، وفي سنة ثمان وثمانين ومائتين من الهجرة والنبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وأزكى التحيات وأجل الإكرام ، زلزلت ديل ليلاً ولم يبق منهم إلا اليسير، فأخرج من تحت الهدم من مات تحت الأماكن الساقطه

بالزلزلة المذكورة خمسون ومائة ألف ميت .

وفي سنة أربع وثلاثين وأربع مائة من الهجرة النبوية وقعت زلزلة بتبريز فهدمت قلعتها وأسواقها ، ودورها ، فهلك تحت الهدم نحو من خمسين الفا.

وفي سنة أربع وأربعين أربع مائة كانت بأرَّجان زلازل انقلعت منها الحيطان وانفرج إيوان دار، حتى رؤيت السماء من وسطه ثم عاد إلى حاله الأول والتأم كما كان .

وفي سنة ستين وأربعمائة زلزلت فلسطين ، فهلك فيها خمسة عشر ألفاً وانشقت صخرة بيت المقدس ، ثم عادت والتأمت ، وغار البحر مسيرة يوم، فساخ في الأرض ، ثم رجع ، فهلك به خلق كثير.

وفي سنة اثنتين وستين وأربعمائة ، خسف بأيلة من زلزلة كانت بها .

وفي سنة سبع وخمسمائة ، زلزلت نواحي الشام فوقع ثلاثه عشر برجاً من سور الزها ، وخسف بسميساط وقلب بنصف القلعة .

وفي سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ، كانت زلزلة بحرة أتت علي مائة ألف وثلاثين ألف ، فأهلكتهم ، وكانت في مقدار عشرة فراسخ ، ثم خسفت في سنة أربع وثلاثين فصار موضع البلد ماء أسود ، وفيها زلزلت حلوان ، فتقطع الجبل وهلك خلائق بها .

وفي سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة كانت بالشام زلازل ، هلك منها خلائق كثيرة ، إلى غير ذلك من الأهوال .

تم بحمد الله تعالى الجزء الثاني عشر
ويليه الجزء الثالث عشر
وأوله : وأما إنذاره ﷺ بغلبة المسلمين
على الأعمال الدنيوية

إمتاع الأسماع

بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع

تأليف

تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي
المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

تحقيق وتعليق

محمد عبد الحميد النميسي

الجزء الثالث عشر

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

ISBN 2-7451-2208-8

http://www.al-ilmiyah.com.lb/
e-mail : sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

وأما إنذاره ﷺ بغلبة المسلمين على الأعمال الدنيوية

خرَّج ابن يونس من طريق ابن وهب قال : حدثني عمرو بن الحارث وابن لهيعة عن بكر بن سوادة أن موسى بن الشعب حدثهم أن الوليد بن عتبة حدثه أنه انطلق هو وأبيض [رجل من أصحاب رسول الله ﷺ][(1)] إلى رجل يعوده قال : فدخلت المسجد ، فرأيت الناس يصلون ، فقلت: الحمد لله، جمع الله بالاسلام بين الأحمر ، والأبيض، والأسود، فقال: الأبيض والأسود فقال الأبيض: بصلاتكم وتجلسون مجالسكم وهو معكم في سوادكم ، ولكل أمة منكم نصيب .

قال المؤلف : مثل هذا لايقال بالرأى ، وإنما يعلم بخبر الصادق والمصدوق ، فيحمل على السماع ، ويفسره ما خرجه ابن يونس من طريق ابن وهب ، قال : حدثنى موسى بن أبي الغافقي ، عن سليط بن معية ، عن أبيه أنه كان مع تبيع بن عامر الكلاعي بالإسكندريه مقفله من رؤوس فقال : يا معشر العرب إذا اعتدت مسلمة الأرض على أربعة أباء فعليكم بالهرب قالوا : يا أبا عطيف إلى أين الهرب ؟ قال : إلى الآخرة ، فإن مسلمة الأرض سيغلبون على الدنيا وأعمالها .

وذكر ابن يونس أن معاوية بن خديج وفد على معاوية بن أبي سفيان فجعل يسأله عن أهل مصر ويخبره عنهم ، فقال معاوية بن خديج : إني وجدت أهل مصر ثلاثة أصناف ؛ فثلث ناس ، وثلث أشبه بالناس ، وثلث لا ناس فقال ابن خديج: فسرلنا يا أمير المؤمنين هذا ، قال: أما الثلث الذين هم الناس العرب، والثلث الذين يشبهون الناس الموالى ، والثلث الذين هم لا ناس فالمسالمة .

قال المؤلف : قد ظهر مصداق مايقدم من غلبة المسلمة فإن الشرق بات إنما يليه حقطاي ، وهم تيمور ، وهم حديثو عهد بالإسلام ، والمغرب بأيدى البربر ، ولمصر والشام الجراكسة ، وقد حكموا بأرض مصر القبط ، وأنه ليذكر فيما أراه وأسمعه قول ابن بسام :

---

(1) هو أبيض بن حمال .

إذاحكم النصارى إلى الفروج وباهت بالخيول والسروج
وزالت دولة الأحرار طرًا وصار الملك في ولد العلوج
فقل للأعور والدجال هذا أوانك إن عزمت على الخروج

وأما إنذاره ﷺ بفتنة السفياني من الشام

فخرّج الحاكم[1] من طريق نعيم بن حماد ، عن يحيى بن سعيد عن الوليد ابن عياش ، عن إبراهيم ، عن علقمة قال : قال ابن مسعود - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال لنا رسول الله ﷺ : أحذركم سبع فتن تكون بعدى ، فتنة تقبل من المدينة ، وفتنة بمكة ، وفتنة تقبل من اليمن ، وفتنة تقبل من الشام ، وفتنة تقبل من المشرق ، وفتنة تقبل من المغرب ، وفتنة من بطن الشام وهى السفياني.

قال : فقال ابن مسعود - رضي الله تبارك وتعالى عنه - : منكم من يدرك أولها ، ومن هذه الأمة من يدرك آخرها ، قال الوليد بن عياش : فكانت فتنة المدينة من قبل طلحة والزبير - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - وفتنة مكة فتنة عبدالله بن الزبير - رضي الله تبارك وتعالى عنه - وفتنة الشام من قبل بني أمية ، وفتنة المشرق من قبل هولاء .

قال الحاكم - رحمه الله - : هذا حديث صحيح الإسناد والله أعلم .

---

(١) (المستدرك) : ٥١٥/٤ ، كتاب الفتن والملاحم باب (٥٠) ، حديث رقم (٨٤٤٧) ، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) هذا من أوابد نعيم مهدي .

وأما تأويله ﷺ رؤيا زرارة
فوقع كما قال

فقال محمد بن سعد : زرارة بن قيس بن الحارث بن عداء بن الحارث بن عوف بن جشم بن كعب بن قيس بن سعد بن مالك بن النخع ، وفد إلي النبي ﷺ في وفد النخع ، وهم مائتا رجل وكانوا آخر وفد قدموا من اليمن ، فقدموا لنصف من المحرم سنة إحدى عشرة وهم مائتا رجل فنزلو داررملة بنت الحارث ، ثم جاءوا رسول الله ﷺ مقرين بالإسلام ، وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل باليمن[1] فقال رجل منهم يقال له زرارة : يا رسول الله ، إني رأيت في سفري هذا عجباً فقال له : وما رأيت ؟ قال : رأيت أتاناً خلقها في أهلي ولدت جدياً أسفع أحوى ، وأريت النعمان بن المنذر عليه قرطان ، ودملجان ، ومسكتان ، قال : ذاك ملك العرب رجع إلي أحسن زيه وبهجته .

قال : يارسول الله ﷺ ورأيت عجوزاً خرجت من الأرض ! قال : تلك بقية الدنيا ، قال : وأريت ناراً خرجت من الأرض فحالت بيني وبين ابن لي يقال له : عمرو ، وهي تقول : لظى لظى بصير وأعمى ، أطعموني أكلكم وما لكم ، فقال رسول الله ﷺ : تلك فتنة تكون في آخر الزمان ، قال : يارسول الله وما الفتنه ؟ قال : يقتل الناس إمامهم ، ويشتجرون اشتجار أطباق الزاس ، وخالف رسول الله ﷺ بين أصابعه ، يحسب المسيء فيها أنه محسن ، ويكون دم المؤمن أحل من شرب الماء ، إن مات ابنك أدركت الفتنة ، وإن مت أنت أدركها ابنك ، فقال : يارسول الله ادع الله أن لاأدركها فقال رسول الله ﷺ : اللهم لاتدركها ، فمات ، وبقي عمرو بن زرارة وكان أول خلق الله خلع عثمان – رضي الله تبارك وتعالى عنه – بالكوفه وبايع علياً – رضي الله تبارك وتعالى عنه – .

---

(١) إلى هنا آخر القصة في (طبقات ابن سعد) : ١/٣٤٦ ، وباقى القصة في (الإصابة) : ٢/٥٦٠ – ٥٦١ ، ترجمة رقم (٢٧٩٧) .

فصل في ذكر خصائص رسول الله ﷺ
التى لم يشركه فيها غيره

اعلم أنه يقال : خصه بالشيء يخصه خصاً وخصوصاً وخصّصه واختصه أفرده به دون غيره ، والاسم الخصوصية ، والخصّية ، والخاصّة ، والخصّيصيّ ، وهى تمد وتقصر ، وفعلت به خصّية ، وخاصّة ، وخصوصيّة ، والخاصّة من تخصه لنفسك ، والخصتان كالخاصّة ، وخاصّه بكذا أعطاه شيئاً كثيراً . قاله أبوالحسن على بن سيده في (المحكم)(١) .

اعلم أن أصحابنا – رحمهم الله – قد أكثروا من ذكر هذا الفصل في أوائل كتب النكاح من مصنفاتهم ، تأسيًا بالإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعيّ – رضي الله تبارك وتعالى عنه – فإنه ذكر طرفاً من ذلك هنالك فقال: إن الله – تعالى – لما خص به رسوله من وجد وأبان بينه وبين خلقه ، بينما فرض عليهم من طاعته افترض علينا أشياء خففها عن خلقه ، ليزيده بها إن شاء الله حظها على خلقه زيادة في كرامته ، وتنبيها لفضيلته ﷺ ، قال : أقضى القضاة أبوالحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي – رحمه الله تعالى – بعد إيراده هذا في كتاب (الحاوي) : هذا فصل نقله المزني مع بقية الباب من أحكام القرآن للشافعي ، فأنكر بعض المعترضين عليه إيراد ذلك في مختصره ، لسقوط التكليف عنا فيما خص به الرسول ﷺ ، من تخفيف وتغليظ ، ولوفاة زوجاته المخصوصات بالأحكام ، فلم يكن فيه إلا التشاغل بما يلزم ، عما يجب ويلزم ، فصوب أصحابنا ما أورده المزني على هذا المعترض بما ذكروه من غرض المزني من وجهين :

أحدهما : أنه قدم مناكح النبي ﷺ تبركاً بها ، والتبرك في المناكح مقصود كالتبرك بالخطب .

---

(١) كذا قاله ابن منظور في (اللسان) : ٢٤/٧ – ٢٥ ، نقلاً عن (المحكم) لابن سيده .

والثانى : أن يسبق العلم بأن الأمة لاتساوى نبيها ﷺ في مناكحه ، وإن كانت تساويه في غيرها من الأحكام ، حتى لايقدم أحد على ماخطر عليه اقتداء به انتهى .

وقد حكى الصيمريّ عن أبي علي بن خيران أنه منع من الكلام في خصائص رسول الله ﷺ في أحكام النكاح ، وكذا في الإمامة ، كما حكاه الماورديّ ، واطلق في (الروضه)[1] الحكاية ، عن الصيمريّ عنه ، ووجهه أن ذلك قد انقضى ، فلا عمل يتعلق به ، فلا معنى للكلام فيه ، وإنما يسوغ الاجتهاد في النوازل التي تقع ، أونتوقع ، ومال إلى هذا الشيخ أبو حامد الغزالي ونسبه إلى المحققين تبعاً لإمامه ، فقال : وليس يسوغ إثبات خصائص رسول الله ﷺ بالأقيسة التى تناط بها الأحكام العامة في الناس ، ولكن الوجه ماجاء به الشرع من غير مزيد عليه .

وقال إمام الحرمين : قال المحققون : وذكر الخلاف في مسائل الخصائص خبط غير مفيد ، فإنه لاتعلق به حكم ناجز ، تمس الحاجه إليه ، وإنما يجزي الخلاف فيما [لا][2] نجد بداً من إثبات حكم فيه ، فإن الأقيسه لا مجال لها في ذلك ، والأحكام الخاصة تتبع فيها النصوص ، ما لم ينقل فيه فالخلاف فيه هجوم على غيب من غير فائدة .

قال الشيخ أبوعمرو بن الصلاح بعد حكايه ذلك : وهذا غريب بلبح ، وقال : إنه قد انقضى فلا عمل يتعلق به ، وليس فيه من دقيق العلم مايقع به التدريب ، فلا وجه لتضييع الزمان برجم الظنون فيه ، وأما الجمهور فإنهم جوّزوا ذلك لما فيه من العلم .

وقال الثوري : وجه الصواب الجزم بجواز ذلك بل بإستحبابه ، ولو قيل بوجوبه لم يكن بعيداً أن لم يمنع منه إجماع ، لأنه ربما رأى جاهل بعض الخصائص ثابتاً في الصحيح فيعمل به أخذاً بأصل الناس ، فوجب بيانها لتعرف،

---

(١) (روضة الطالبين) : ٣٦٢/٥ ، كتاب النكاح ، باب في خصائص رسول الله ﷺ في النكاح وغيره .

(٢) زيادة للسياق من (المرجع السابق) .

ولايشاركه فيها أحد ، وأى فائدة أعظم من هذه ؟ وأما مايقع في أثناء الخصائص مما لافائده فيه اليوم فقليل جداً ، لا تخلو أبواب الفقه عن مثله للتدرب ، ومعرفه الأدلة ، وتحقيق الشيء على ماهو عليه .

وقال ابن الرفعة في (المطلب) : قد يقال بالتوسط ، فيتكلم فيما جرى في الصدر الأول من ذلك دون ما لم يجرمنه ، قال : وكلام الوسيط يرشد إليه ، وأما جمهور الأصحاب فلم يعرجوا على ما ذكره ابن جبران وإمام الحرمين ، بل ذكروا ذلك مستقصياً لزيادة العلم ، لاسيما الإمام أبو العباس أحمد بن أحمد ابن القاضي الطبريّ صاحب كتاب (التلخيص) . وقد جاء في السنة مابينه ، وهو قوله ﷺ عام الفتح : إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم ، وإنما أذن لي ساعة من نهار ، وقد رتب الحافظ أبوبكر البيهقيّ كلامه في ذلك في (سننه الكبير)[1] ولكن فرعوا كثييراً من ذلك على أحاديث فيها نظر ، سيرد ذكرها إن شاء الله – تعالى – ، وقد رتبوا الكلام فيها على أربعه أنحاء :

الأول : ماوجب عليه دون غيره .

الثاني : ما حرم عليه دون غيره .

الثالث : ما أبيح له دون غيره .

الرابع : ما اختص به من الفضائل دون غيره .

فذكروا في كل منها أحكام النكاح وغيرها ورتبها بعضهم على قسمين :

أحدهما : ما اختص به عن سائر إخوانه من الأنبياء صلوات الله عليه وعليهم أجمعين .

الثاني : ما اختص به من الأحكام دون أمته .

---

(١) (سنن البيهقيّ) : ٣٦/٧ ، كتاب النكاح .

النوع الاول : في الواجبات
والحكمة في اختصاصه عليه السلام
عن ازدياده الدرجات

لما خرَّج البخاريّ في كتاب (الرقاق) من - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ترفعه وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلى من ما أفترضته عليه الحديث ..... ، وذكر الرافعي منه عبارة ولم يسنده ، وعلم الله أنه ﷺ أقوم بها، وأصبر عليها من غيره ، قال إمام الحرمين : قال بعض علمائنا : الفريضة يزيد ثوابها على ثواب النافلة سبعين درجة ، واستأنس بما خرجه ابن خزيمة في (صحيحه) وعلّق القول بصحته فقال : إن صح الحديث .

وخرَّجه البيهقيّ[1] في (شعب الإيمان) من حديث سلمان - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ، أن النبي ﷺ قال في رمضان : من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، فقال : النفل فيه كالفرض في غيره ، وقال: الفرض بسبعين فرضاً في غيره فأشعر هذا بأن الفرض يزيد على النفل بسبعين درجة من طريق النحوى . هذا كلام إمام الحرمين في (النهاية) .

وتعقب بأنه لايلزم وماذكر، لأن هذه خصوصية لشهر رمضان لايلزم منها أن كل فرض مفعول في غيره يزيد ثوابه على ثواب النافلة بسبعين درجة ، وهذا النوع ينقسم إلى متعلق بالنكاح ، وإلى غيره . وفى القسم الثاني مسائل :

---

(١) (شعب الإيمان) : ٣٠٥/٣ ، باب (٢٣) في الصيام ، فضائل شهر رمضان حديث رقم (٦٣٠٨) باختلاف يسير في اللفظ ، وعزاه السيوطى إلى ابن خزيمة وقال : إن صح الخبر ، والمصنف والأصبهاني في (الراغب) عن سلمان ، وقال الحافظ ابن حجر في (أطرافه) : مداره على عليّ بن زيد بن جدعان وهو ضعيف ويوسف بن زياد الراوى عنه ضعيف جداً، وتابعه إياس بن عبد الغفار عن علي بن زيد عند البيهقيّ في (الشعب) قال ابن حجر : وإياس ما عرفته . (صحيح ابن خزيمة) : ١٩١/٣ - ١٩٢ باب (٨) فضائل شهررمضان إن صح الخبر حديث رقم (١٨٨٧) .

المسألة الأولى : صلاة الضحى
المسألة الثانيه : صلاة الأضحى
المسألة الثالثه : صلاة الوتر

واستدل أصحابنا لذلك بما خرَّجه الإمام أحمد في (مسنده)[1] والبيهقيّ في (سننه)[2] من حديث أبي جناب الكلبي واسمه يحيى بن أبي حبة عن عكرمة عن ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - عن النبي ﷺ قال : ثلاث هُنَّ على فرائض وهي لكم تطوع : النحر والوتر وركعتا الضحى . وخرَّجه الدارقطنيّ وقال : ركعتا الفجر بدل الضحى[3] .

وخرَّجه الحافظ أبو حامد بن عدىّ[4] ولفظه : ثلاث عليّ فريضة ولكم تطوع : الوتر والأضحى وركعتا الفجر .

وخرَّجه الحاكم في (المستدرك)[5] شاهداً بلفظ ثلاث هى على فريضة ولكم تطوع : النحر والوتر وركعتا الفجر . ومدار هذا الحديث على أبي جناب

---

(١) (مسند أحمد) : ٣٨٣/١ ، حديث رقم (٢٠١٥) ، من مسند عبد الله بن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - .

(٢) (سنن البيهقيّ) : ٤٦٨/٢ ، كتاب الصلاة ، باب ذكر البيان أن لا فرض في اليوم والليلة من الصلوات أكثر من خمس صلوات ، وأن الوتر تطوع ، ثم قال : أبو جناب الكلبيّ اسمه يحيى ابن أبي حية ، ضعيف ، وكان يزيد بن هارون يصدقه ويرميه بالتدليس .

وله أيضًا في (المرجع السابق) : ٢٦٤/٩ ، كتاب الضحايا ، باب الأضحية سنة ، نحب لزومها ، ونكره تركها .

(٣) (سنن الدارقطني) : ٢١/٢ ، من حديث ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - .

(٤) (الكامل لابن عدي) : ٢١٣/٧ ، من حديث ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - .

(٥) (المستدرك) : ٤٤١/١-٤٤٢ ، كتاب الوتر ، حديث رقم (١١١٩) ، قال الحاكم : الأصل في هذا حديث الإيمان ، وسؤال الأعرابيّ النبيّ ﷺ عن الصلوات الخمس ، قال : هل عليّ غيرها ؟ قال : لا ، إلا أن تطوع . ومن حديث سعيد بن يسار، عن ابن عمر في الوتر على =

يحيى بن أبي حية الكلبي الكوفيّ قال يحيى القطان : لواستحللت ، أن أروى عن جناب لرويت حديث عليّ في تكبيرات العيدين .

وقال أبو نعيم : أبو جباب يدلس ، وقال البخاريّ : كان يحيى القطان يضعفه ، يقول : مات سنة خمسين ومائة . وقال السعديّ : يضعف حديثه ، وقال ابن المثنى : ماسمعت يحيى ولا عبد الرحمن تحدثا عن ابن حبان بشيء . وقال ابن معين : ليس به بأس إلا أنه كان يدلس ، مرة قال : هو صدوق ، وقال الدراميّ : هو ضعيف ، وقال الفلاس : متروك الحديث ، وقال النسائيّ : ضعيف ، وقال ابن عديّ : هو من جمله المتشيعين بالكوفة .

وقد اختلف كلام ابن حبان فيه ، فذكره في (ثقاته) (وضعفائه) ، وقال الإمام أحمد : أحاديثه مناكير .

وقال البيهقيّ في (خلافياته) : أبو جناب هذا ليس بالقوى . وقال في (سننه) : ضعيف . وقال ابن الصلاح : هذا حديث غير ثابت ، ضعفه البيهقيّ في (خلافياته) ، فظهر من كلام الأئمة أن أبا جناب هذا ضعيف مُدَلّس وقد عنعن[١] .

ولهذا الحديث طريق ثان من حديث جابر الجعفيّ ، عن عكرمة ، عن ابن عباس مرفوعاً : أمرت بركعتي الفجر والوتر وليس عليكم . رواه البزار : وجابر بن يزيد بن الحارث بن عبد يغوث بن الجعفيّ الكوفيّ أبو عبد الله .

وخرَّجه الإمام أحمد ولم يذكر لفظة "عليكم" وقال بدلها : "ولم تكتب" ، وفى رواية له : " أمرت بركعتي الضحى ولم تؤمروا بها ، وأمرت بالضحى ولم تكتب عليكم " [٢] .

= الراحلة ، وقد اتفق الشيخان على إخراجهما في (الصحيح) . وقال الحافظ الذهبيّ في (التلخيص) : ما تكلم الحاكم عليه ، وهو غريب منكر ، ويحيى ضعفه النسائيّ والدارقطنيّ .

(١) له ترجمة في : (الثقات) : ٥٩٧/٧ ، (المغني في الضعفاء) : ٧٣٣/٢-٧٣٤ ، ترجمة رقم (٦٩٥٤) .

(٢) (مسند أحمد) : ٣٨٧/١ ، حديث رقم (٢٠٨٢) ، من مسند عبد الله بن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - .

وقيل أبو يزيد وقيل أبو محمد يروى عن أبي الطفيل عامر بن واثلة الشعبي ، ومجاهد وأبي الضحى ، وعكرمة ، وطائفة ، ويروى عنه شعبة والسفيانان ، وإسرائيل ، وشريك ، وأبو عوانة ، وخلق ؛ وكان من كبار علماء الشيعة . قال سلام بن أبي مطيع : حدثنا جابر الجعفيّ : عندي خمسون ألف باب من العلم ماحدثت به أحد فذكرت لأيوب ذلك فقال : أما الآن فهو كذاب .

وقال إسماعيل بن أبي خالد : قال الشعبي : ياجابر ، ماتموت حتى تكذب على رسول الله ﷺ ؟ قال إسماعيل : مضت الأيام والليالى حتى أتهم بالكذب ، وقال أبوحنيفة – رحمه الله – : ما رأيت فيمن رأيت أفضل من عطاء ، ولا لقيت فيمن لقيت أكذب من جابر الجعفي ، ما أتيته بشيء قط من رأني إخاني فيه بحديث ، وزعم أن عنده كذا وكذا ألف حديث عن رسول الله ﷺ ، لم يظهرها .

وقال جرير عن ثعلبة : أردت جابر الجعفي فقال لي : كتب ابن أبي سليم لا تأته فإنه كذاب ، وقال النسائي : جابر الجعفي متروك الحديث ، قال جرير : أدركت جابر الجعفي وطلب الحديث وتوصى فلم أستحل أن أسمع منه حديثاً ، قال زائدة : كان كذابًا يؤمن بالرجعة . وقال ابن معين : وكان جابر الجعفي كذابًا لا يكتب حديثه ولاكرامة ، ليس بشيء .

قال أبو الأحوص : كنت إذا مررت بجابر الجعفي سألت ربي العافية ، وكلام الأئمه فيه كثير ، قد أورده ابن عدي ، وله أيضاً طريق ثالث من حديث وضاح بن يحيى عن مندل بن علي العتري ، عن يحيى بن سعيد ، عن عكرمة، عن ابن عباس مرفوعاً : ثلاث على فريضة وهن لكم تطوع الوتر ، وركعتا الفجر ، وركعتا الضحى ، ويترك أسوأ حالاً ممن تقدم . وله أحاديث أفراد وغرائب ، ضعفه يحيى ووقع فيه شريك ، وقال السعدي : واهى الحديث ، وقال النسائيّ : ضعيف ، وقال ابن حبان : لايحتج بالوضّاح ، كان يروى عن الثقات الأحاديث المقلوبة التى كأنها معمولة ، وضعفه ابن الجوزى في (علله) وقال : هذا حديث لايصح ، وقال في (الأعلام) : إنه حديث لايثبت . فتبين من هذا ضعف الحديث من جميع طرقه .

ومع ذلك ففي ثبوت خصوصية هذه الثلاثة برسول الله ﷺ نظر ، فإن الذى ينفي ولايعدل قد جاء ما يعارض هذا الحديث ، وما أخرجه الدارقطني[1] من حديث قتادة عن أنس مرفوعاً : أمرت بالوتر والأضحى ، ولم يعزم عليّ .

ورواه ابن شاهين في (ناسخه ومنسوخه) وقال : ولم يعرض عليّ ولكنه حديث ضعيف أيضاً فيه عبد الله بن مجرد العامريّ الجزريّ ، قاضي الجزيرة لأبي جعفر المنصور ، يروى عن نافع ، والزهريّ ، وقتادة ، والحكم بن عيينة، وجماعة ، ويروى عنه بقية ، وأبو يوسف القاضي ، وعبد الرزاق ، وأبونعيم وجماعة ، وهو ضعيف بإجماعهم . قال ابن معين : ضعيف ، ومره قال : ليس بثقة ، وقال السعدي : هالك ، وقال الفلاس : متروك الحديث ، وقال البخاريّ : منكر الحديث ، وقال ابن عديّ : ورواياته عمن يرويه غير محفوظه ، وذكرابن شاهين في (الناسخ والمنسوخ) حديث ابن عباس المتقدم من طريق الوضاح ، وحديث أنس هذا ، ثم قال : الحديث الأول أقرب إلى الصواب من الثاني ، لأن فيه عبد الله بن مجرد وليس بمرض عندهم ، وقال : ولا أعلم الناتج منهما لصاحبه قال : ولكن الذى عندي يشبه ان يكون حديث عبد الله بن مجرد على ما فيه ناسخاً للأول ، لأنه ليس يثبت أن هذه الصلوات فرض وهذا كله كلام عجيب ، فلا ناسخ ولا منسوخ ، لأن النسخ أيضًا يصار إليه عند تعارض الأدلة الصحيحة ، ولامعارضة ، إذا تم هاهنا أمور :

أحدها : ما حكاه بعض الأصحاب عن أبي العباس الروياني أن الأضحيه والوتر لم تجبا عليه ﷺ وقد شهد للوتر فقط ماثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ كان يوتر على البعير ، وهذا من حجتنا على الحنفية في عدم وجوبه ، لأنه لو كان واجبًا لما فعله على الراحلة ، فدل على أنه سنة في حقه شأن المندوب ، لكن قال النوويّ في (شرح المهذب) : إنه كان من خصائصه ﷺ جواز هذا الواجب الخاص به على الراحلة .

---

(١) (سنن الدارقطني) : ٢١/٢ .

وقال العوفي المالكي : فعل الوتر في السفر على الراحلة ، والوتر لم يكن واجبًا عليه إلا في الحضر ، صرح به في (شرح المحصول) و(شرح التنقيح) وعز الدين في (القواعد) .

وقال الشيخ تقيّ الدين بن الصلاح : تردد الأصحاب في وجوب الضحى والأضحى والوتر عليه ، مع أن مسند الحديث الذى ذكرنا ضعّفه ، ولو تمكنوا فقطعوا بوجوب السؤال عليه ، وتردد في الأمور الثلاثة لكان أقرب ، ويكون مستند التردد فيها أن ضعفه من جهة ، ولو أنه ابن جناب الكلبيّ ، وفي ضعفه خلاف بين أئمة الحديث ، وقد وثقه بعضهم ، والله أعلم بأنها الضحى .

وخرّج البخاريّ(١) من حديث مالك عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة – رضي الله تبارك وتعالى عنها – قالت : إن كان رسول الله ﷺ ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم .

وخرَّجه أبو دواد(٢) من حديث وما يسبح رسول الله ﷺ يسبحه الضحى قط وإني لأسبحها . ذكره في باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب .

وخرَّجه في باب من لم يُصَلّ الضحى ورآه واسعاً ، من حديث ابن ذؤيب عن الزهريّ ، عن عروة ، عن عائشة – رضي الله تبارك وتعالى عنها – قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ سبَّح سُبْحَة الضحى وإني لأسبحها(٣) .

---

(١) (فتح الباري) : ٣/١٢ ، كتاب التهجد ، باب (١٥) تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب ، وطرق النبي ﷺ فاطمة وعليًا – عليهما السلام – ليلة للصلاة ، حديث رقم (١١٢٨) .

(٢) (سنن أبي داود) : ٢/٦٤ ، كتاب الصلاة ، باب (٣٠١) صلاة الضحى ، حديث رقم (١٢٩٣).

(٣) (فتح الباري) : ٣/٧١ ، كتاب التهجد ، باب (٣٢) من لم يُصلّ الضحى ورآه واسعًا ، حديث رقم (١١٧٧) .

قال الحافظ في (الفتح) : حديث عائشة يدل على ضعف ما روى عن النبي ﷺ أن صلاة الضحى كانت واجبة عليه ، وعدها لذلك جماعة من العلماء من خصائصه ﷺ ، ولم يثبت في =

وخرَّجه مسلم من حديث مالك ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة – رضي الله تبارك وتعالى عنها – أنها قالت : ما رأيت رسول الله ﷺ يصلي بسبحة الضحى قط وإني لأسبحها وإن كان رسول الله ﷺ ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم .

وخرَّجه أبو داود[1] من حديث مالك بهذا الإسناد كما قال البخاريّ .

وخرَّج مسلم[2] من حديث سعيد الجريري ، عن عبد الله بن شفيق قال : قلت لعائشه – رضي الله تبارك وتعالى عنها – هل كان النبي ﷺ يصلي الضحى؟ قالت : لا ، إلا أن يجيء من مغيبه .

= ذلك خبر صحيح ، وقول الماوردي في (الحاوي) : إنه ﷺ واظب عليها بعد يوم الفتح إلى أن مات ، يعكر عليه ما رواه مسلم من حديث أم هانيء : أنه لم يصلها قبل ولا بعد .

ولا يقال : إن نفى أم هانيء لذلك يلزم منه العدم ، لأنا نقول : يحتاج من أثبته إلى دليل ، ولو وجد لم يكن حجة ، لأن عائشة ذكرت أنه كان إذا عمل عملاً أثبته ، فلا يستلزم المواظبة على هذا الوجوب عليه .

ثم قال الحافظ : ومن فوائد ركعتي الضحى أنها تجزئ عن الصدقة التي تصبح على مفاصل الإنسان في كل يوم ، وهي ثلاثمائة وستون مفصلاً ، كما أخرجه مسلم من حديث أبي ذر ، وقال فيه : " ويجزئ عن ذلك ركعتا الضحى " . وحكى شيخنا الحافظ أبو الفضل بن الحسين في (شرح الترمذيّ) : أنه اشتهر بين العوام أن من صلى الضحى ثم قطعها يعمى ، فصار كثير من الناس يتركونها أصلاً لذلك ، وليس لما قالوه أصل ، بل الظاهر أنه مما ألقاه الشيطان على ألسنة العوام ليحرمهم الكثير ، لا سيما ما وقع في حديث أبي ذر – رضي الله تبارك وتعالى عنه – . (فتح الباري) .

(١) سبق تخريجه .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ٥/٢٣٧ ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب (١٣) استحباب صلاة الضحى ، وأن أقلها ركعتان ، وأكملها ثمان ركعات ، وأوسطها أربع ركعات أو ست ، والحث على المحافظة عليها ، حديث رقم (٧١٧) . =

وخرّج الترمذيّ[1] من حديث عطية العوفي[2] عن أبي سعيد الخدري قال: كان النبي ﷺ يصلي الضحى حتى نقول : لايدعها ، ويدعها حتى نقول : لايصليها ، ثم قال : حسن غريب .

= قال الإمام النووي : هذه الأحاديث كلها متفقة لا اختلاف بينها عند أهل التحقيق ، وحاصلها أن الضحى سنة مؤكدة ، وأن أقلها ركعتان ، وأكملها ثمان ركعات ، وبينهما أربع أو ست ، كلاهما أكمل من ركعتين ودون ثمان .

وأما الجمع بين حديثي عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - في نفي صلاته ﷺ الضحى وإثباتها ، فهو أن النبي ﷺ كان يصليها بعض الأوقات لفضلها ، ويتركها في بعض خشية أن تفرض كما ذكرته عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - . ويتأول قولها : " ما كان يصليها إلا أن يجئ من مغيبه " على أن معناه ما رأيته ، كما قالت في الرواية الثانية : " ما رأيت رسول الله ﷺ يصلي سبحة الضحى " وسببه أن النبي ﷺ ما كان يكون عند عائشة في وقت الضحى إلا في نادر من الأوقات ، فإنه قد يكون في ذلك مسافراً ، وقد يكون حاضرًا ، ولكنه في المسجد أو في موضع آخر ، وإذا كان عند نسائه ، فإنما كان لها يوم من تسعة ، فيصح قولها : ما رأيته يصليها ، وتكون قد علمت بخبره أو خبر غيره ، أنه صلاها ، أو يقال: قولها: "ما كان يصليها" ، أي ما يداوم عليها ، فيكون نفيًا للمداومة ، لا لأصلها ، والله - تبارك وتعالى - أعلم .

وأما ما صح عن ابن عمر أنه قال في الضحى : " هي بدعة " ، فمحمول على أن صلاتها في المسجد ، والتظاهر بها كما كانوا يفعلونه بدعة ، لأن أصلها في البيوت ونحوها مذموم . أو يقال : قوله : " بدعة " أى المواظبة عليها لأن النبي ﷺ لم يواظب عليها خشية أن تفرض ، وهذا في حقه ﷺ وقد ثبت استحباب المحافظة في حقنا بحديث أبي الدرداء وأبي ذر ، أو يقال : إن ابن عمر لم يبلغه فعل النبي ﷺ الضحى ، وأمره بها ، وكيف كان ؟ فجمهور العلماء على استحباب الضحى ، وإنما نقل التوقف فيها عن ابن مسعود ، وابن عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - ، والله - تبارك وتعالى - أعلم . (شرح النووي) .

(١) (سنن الترمذيّ) : ٢/٣٤٢ ، كتاب أبواب الصلاة ، باب (٣٤٦) ما جاء في صلاة الضحى ، حديث رقم (٤٧٧) ، وقال : هذا حديث حسن غريب . =

وهذا الحديث ظاهره مقتضى عدم الوجوب ، وكذا حديث عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - فلو كانت واجبة في حقه لكان مداومته عليها أشهر من أن تخفى .

ونقل النووي في (شرح المهذب) أنه ﷺ كان لايداوم على صلاة الضحى مخافة أن تفرض على الأمة فيعجزوا عنها ، وكان ينفلها في بعض الأوقات ، وذكر في (الروضة) أنها واجبة عليه ﷺ .

وذكر الماوردي أنه ﷺ لما صلاها يوم الفتح واظب عليها إلى أن مات ، وفيه نظر، ففي البخاريّ[١] ومسلم[٢] من حديث شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : ما أخبرني أحد أنه رأى النبي ﷺ يصلي الضحى إلا أم هانيء - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - فإنها حدثت أن النبي ﷺ دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثماني ركعات ما رأيته صلى صلاة قط أخف منها ، غير أنه كان يتم الركوع والسجود .

وخرَّجه الترمذيّ[٣] وقال : فسبح ثماني ركعات .

= وأخرجه الإمام أحمد في (المسند) برقم (١١١٧٢) ، (١١٣٣٢) ، من طريق فضيل ابن مرزوق .

(٢) هو عطية بن سعد بن جنادة - بضم الجيم وتخفيف النون - وعطية هذا قد تكلموا فيه كثيرًا ، وهو صدوق ، وفي حفظه شيء ، وعندي أن حديثه لا يقل عن درجة الحسن ، وقد حسَّن له الترمذيّ كثيرًا ، كما في هذا الحديث . (هامش سنن الترمذيّ) .

(١) (فتح الباري) : ٦٦/٣ ، كتاب التهجد ، باب (٣١) صلاة الضحى في السفر ، حديث رقم (١١٧٦) .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ٢٣٨/٥ - ٢٣٩ ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب (١٣) استحباب صلاة الضحى ، وأن أقلها ركعتان وأكملها ثمان ركعات ، وأوسطها أربع ركعات أو ست ، والحث على المحافظة عليها ، حديث رقم (٨٠) .

(٣) (سنن الترمذيّ) : ٣٣٨/٢ ، كتاب أبواب الصلاة ، باب (٣٤٦) ما جاء في صلاة الضحى ، حديث رقم (٤٧٤) ، قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، وكأنَّ أحمد رأى أصح شيء في هذا الباب حديث أم هانيء ، واختلفوا في نعيم ؛ فقال بعضهم : " نعيم بن خَمَّار " ، وقال =

وخرَّج البخاريّ في باب صلاة الضحى في الحضر[1] ، من حديث شعبة، عن أنس بن سيرين ، قال : سمعت أنس بن مالك [الأنصاري] قال : قال رجل من الأنصار – وكان ضخمًا – للنبي ﷺ : إني لا أستطيع الصلاة معك ، فصنع للنبي ﷺ طعامًا فدعاه إلى بيته ونضح له طرف حصير بماء ، فصلى عليه ركعتين وقال : فلان بن فلان بن الجارود لأنس – رضي الله تبارك وتعالى عنه – : أكان النبي ﷺ يصلي الضحى ؟ فقال : ما رأيته صلى غير ذلك اليوم .

فلذلك اختلف الناس في صلاة الضحى ، فذهبت طائفة من السلف إلى حديث عائشة المتقدم ولم يروا صلاة الضحى ، حكاه ابن بطال ، وأبعد بعضهم فقال : إنها بدعة كما يحكى عن ابن عمر .

خرَّج البخاريّ[2] من حديث مسدد قال : حدثنا يحيى عن شعبة ، عن توبة، عن مورّق قال : قلت لابن عمر – رضي الله تبارك وتعالى عنه – : أتصلي الضحى؟ قال : لا ، قلت فعمر ؟ قال : لا ، قلت : فأبو بكر ؟ قال : لا ، قلت : فالنبي ﷺ ؟ قال لا إخالهُ .

وخرَّج الفرياني من حديث سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، قال : صلاة الضحى في السفر بدعة .

= بعضهم : " ابن همّار " ، وقال بعضهم : " نعيم بن هبّار " ، وقال بعضهم : " ابن همام " ، والصحيح : " ابن همّار " ، وأبو نعيم وهم فيه فقال : " ابن حِمَاز " ، وأخطأ فيه ، ثم ترك فقال: " نعيم عن النبي ﷺ " . قال أبو عيسى : وأخبرني بذلك عبد بن حميد عن أبي نعيم .

(١) (فتح الباري) : ٣/٧٢ ، كتاب التهجد ، باب (٣٣) صلاة الضحى في الحضر ، حديث رقم (١١٧٩) .

قوله : " يصلي الضحى " قال ابن رشيد : هذا يدل على أن ذلك كان كالمتعارف عندهم ، وإلا فصلاته ﷺ في بيت الأنصاري ، وإن كانت في وقت صلاة الضحى ، ولا يلزم نسبتها لصلاة الضحى ، قال الحافظ : إلا أنا قدمنا أن القصة لعتبان بن مالك ، وقد تقدم في صدر الباب أن عتبان سماها صلاة الضحى ، فاستقام مراد المصنف ، وتقييده ذلك بالحضر ظاهر لكونه ﷺ صلى في بيته .

(٢) (المرجع السابق) ، باب (٣١) صلاة الضحى في السفر ، حديث رقم (١١٧٥) .

وذكر عبد الرزاق عن ابن عيينة ، عن إسماعيل ، عن الشعبي ، قال سمعت ابن عمر يقول : ماصليت الضحى منذ أسلمت . وقال طاووس : أول من صلاها الأعراب .

وروى عثمان : وما أحد يسبحها ، وما أحدث الناس شيئًا أحب إليَّ منها .

وحكى أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، عن جماعة استحباب فعلها ، وهو رواية عن أحمد .

وخرَّج الفريابي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : كانوا يكرهون أن يديموا صلاة الضحى كهيئة المكتوبة ، كانوا يصلون ويدعون ، وذهبت طائفة إلى أنها إنما تفعل بسبب ، وإن النبي ﷺ إنما فعلها لأجل الفتح ، وقال أبوعمر بن عبد البر : وأما قول عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - : ما سبح رسول الله سبحة الضحى قط ، فما قلت لك إن من علم السنن علمًا خاصًا يوجد عند بعض أهل العلم دون بعض ، وليس أحد من الصحابة إلا وقد فاته من الحديث ما أحصاه غيره ، إلاخاصة ممتنعة ، وهذا ما لا يجهله إلا من لا عناية له بالعلم ، وإنما حصل المتأخرون على علم داخله فليسوا في الحفظ كالمتقدمين ، وإن كانوا قد حصل في كتب المقل منهم علم جماعة من العلماء ، والله ينور بالعلم قلب من يشاء .

وقد روى عن النبي ﷺ أثار كثيرة حسان في صلاة الضحى منها حديث أم هانيء ، فذكره من حديث أم هانيء بنت أبي طالب ، ومن حديث ابن طهمان، عن أبي الزبير ، عن عكرمة بن خالد ، عن أم هانيء ، وذكره من حديث أم هانيء بنت أبي طالب أنها قالت : قدم[1]رسول الله ﷺ في الفتح - فتح مكة - فنزل بأعلى مكة ، فصلى ثماني ركعات فقلت : يارسول الله ! ماهذه الصلاة ؟ قال: الضحى .

قال أبو عمر الأسدي : إن أم هانيء قد علمت من صلاة الضحى مالم تعلم عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - ، من الأمور ما يقضي وعليه المداد ، وهو الأصل .

---

(١) (مسند أحمد) : ٤٧٨/٧ ، حديث رقم (٢٦٣٤٧ - ٢٦٣٤٨) . باختلاف في اللفظ .

وقد روى إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ، عن أم هانيء قالت : لما كان يوم الفتح اغتسل رسول الله ﷺ فصلى ثماني ركعات فلم ير أحد صلاهن بعد ، فهذه أم هانيء لم تعلم أن رسول الله ﷺ صلاهن بعد .

وذكر من حديث شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن ابن أبي ليلى ، قال : ماأخبرنا أحد أنه رأى النبي ﷺ يوم فتح مكة اغتسل في بيتها وصلى ثماني ركعات فلم يره أحد صلاها من بعد ، وابن ليلى من كبار التابعين .

وذكر من حديث إسحاق بن راشد عن الزهريّ ، عن عبد الله بن عبد الله ابن الحارث ، عن أبيه قال : سمعته يقول : سألت وحرصت على أحد يحدثني أنه رآه ﷺ يصلي الضحى ، فلم أجد غير أم هانيء ، حدثتني أن رسول الله ﷺ دخل عليها يوم فتح مكة ، فأمر بماء فوضع له ، فاغتسل ثم صلى في بيتها ثماني ركعات ، تقول أم هانيء : لا أدري أقيامه أطول أم ركوعه ؟ ولا أدري أركوعه أطول أم سجوده ؟ غير أن ذلك مقارب يشبه بعضه بعضًا .

ورواه ابن عيينة ، وعبد الكريم بن أبي أمية ويزيد بن أبي زياد عن عبدالله بن الحارث قال : سألت عن صلاة الضحى في إمارة عثمان وأصحاب رسول الله متوافرون ، فلم أجد أحدًا أثبت لي صلاة رسول الله ﷺ الضحى إلا أم هانيء ، وذكر الحديث .

قال : فهذه الآثار كلها حجة لعائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - ، في قولها[1] : ماسبح رسول الله سبحة الضحى قط ، لأن كثيراً من الصحابة قد شركها في علم ذلك ، ومما يؤيد ذلك أيضا حديث سماك، قلت لجابر بن سمرة : أكنت[2] تجالس رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم كثيرًا ، فكان لايقوم من مصلاه الذى صلى فيه الغداة حتى تطلع الشمس ، فإذا طلعت قام .

---

(١) (فتح الباري) : ٧١/٣ ، كتاب التهجد ، باب (٣٢) من لم يصل الضحى ورآه واسعاً ، حديث رقم (١١٧٧) .

(٢) (سبق تخريجه) .

وهذا حديث صحيح ، رواه الترمذيّ وجماعة عن سماك ، وذكر حديث عمر بن ذر ، قال : سمعت مجاهد يقول : كان رسول الله ﷺ يصلي الضحى ركعتين وأربعًا أو ستًا . هذا حديث مرسل .

وذكر حديث أحمد بن عبد الله بن صالح ، قال: حدثنا عثمان بن عمر ، حدثنا يونس ، عن الزهريّ ، عن محمود بن الربيع ، عن عتبان بن مالك أن رسول الله ﷺ صلى في بيته بسبحة الضحى فقاموا وراءه فصلوا[1] قال : وهذا حديث إنما حدث به عثمان بن عمر بن فارس ، أو يونس بن يزيد على المعنى بتأويل تأوله ، وإنما الحديث على حسب مارواه مالك وغيره عن ابن شهاب .

قال : والدليل على أنه لا يعرف في هذا الحديث ذكر صلاة الضحى ، إنكار ابن شهاب لصلاة الضحى ، فقد كان الزهريّ يعتني بحديث عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها- هذا ، ويقول: إن رسول الله ﷺ لم يصل الضحى قط ، قال : وإنما كان أصحاب رسول الله ﷺ يصلونها بالهواجر ، أو قال : بالهجير ، ولم يكن عبدالرحمن بن عوف ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عمر ، يصلون الضحى ولايعرفونها .

قال الواقدي : عن عائشة في صلاة الضحى حديث منكر ، رواه معمر عن قتادة عن معاذة العدوية ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت: سألت عائشة كم كان رسول الله ﷺ يصلي الضحى؟ قالت : أربع ركعات ويزيد ما يشاء ، وهذا عندي غير صحيح ، وهو مردود بحديث ابن شهاب المذكور في هذا الباب .

قال مؤلفه : وقد خرّج مسلم هذا الحديث من طريق يزيد الرشاقي ، قال : حدثتني معاذة أنها سألت عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - : كم

---

(١) (فتح الباري) : ٣/٧٢ ، كتاب التهجد ، باب (٣٣) صلاة الضحى في الحضر ، قاله عتبان بن مالك عن النبي ﷺ حديث رقم (١١٧٩) .

كان رسول الله ﷺ يصلي الضحى؟ فقالت : أربع ركعات ويزيد مايشاء[١] ، وفى لفظ : ويزيد ما يشاء .

وخرَّجه من حديث معاذ بن هشام قال حدثني أبي عن قتادة بهذا الإسناد مثله[٢] فهو إذًا حديث صحيح ، ونحوه حمله حينئذ على أنه ﷺ يصليها كذلك إذا صلاها ، وقد قدم من مغيبه ، جمعًا بين الحديثين والله -تبارك وتعالى- أعلم .

وخرَّجه البيهقيّ[٣] من حديث على بن عبد العزيز ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا سلمة بن رجاء عن الشعثاء امرأة من بنى أسد ، قال : دخلتُ على عبد الله بن أبي أوفى فرأيته صلى الضحى ركعتين ، فقالت له امرأته : إنك صليت ركعتين! فقال : رأيت رسول الله ﷺ صلى الضحى ركعتين حين بشر بالفتح ، وحين جيء برأس أبي جهل .

ثالثها : هل كان الواجب عليه ﷺ إذا قلنا به أقل الضحى أوأكثرها ؟ ففي رواية لأحمد : أمرت بركعتي الضحى ، ولم تؤمروا بها ؟ .

رابعها : هل كان الواجب عليه في الوتر أكثره أو أقله ؟ .

خامسها : الأضحية في الحديث السالف وكلام أصحابنا المراد به الضحى كما قاله ابن الصلاح .

وقال ابن سيده : وضحى بالشاة : ذبحها ضُحَى النحر ، هذا هو الأصل، وقد تستعمل التضحية في جميع أوقات أيام النحر ، والضحية ما ضحيت به ، وهى الأضحى وجمعها أضاحي ، يذكر ويؤنث ، وقال يعقوب : سمى اليوم أضحى بجمع الأضحاء التى الشاة ، والأضحية ، كالضحية. انتهى .

---

(١) (مسند أحمد) : ١٧٣/٧ ، حديث رقم (٢٤٣٦٨) ، (مسلم بشرح النووي) : ٢٣٨/٥ ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب (١٣) استحباب صلاة الضحى ، الحديث الذي يلي الحديث رقم (٧٩) . كلاهما بدون رقم .

(٢) راجع التعليق السابق .

(٣) (دلائل البيهقيّ) : ٨٩/٣ ، باب إجابة الله عز وجل دعوة رسول الله ﷺ على كل من كان يؤذيه بمكة من كفار قريش حتى قتلوا مع إخوانهم من الكفرة ببدر .

فإذا يقال : أضحى في الواحد والجمع ، ويقال أيضاً : وضحايا ، وأضحية، وأضاحيّ وبالتشديد .

وهذا التقرير قد يفهم منه أنه ﷺ كان الواجب عليه ضحايا في كل سنة ، وتقل الإشادة به إلى وجوب ذلك في العوام .

وفي قوله – تعالى – : ﴿ **قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت** ﴾[1] دليل على وجوب الأضحية على رسول الله ﷺ لأن الإشارة في قوله – تعالى –: ﴿ **وبذلك أمرت** ﴾ إلى ماسبق من الصلاة ، والنسك ، والأضحية من النسك ، فاقتضت الآية أنه ﷺ كان يؤديها، والأمر على الوجوب فهو خاص به ، لا يتعدى إلى الأمة ، وهذا أقعد من الاستدلال بالآية على وجوب الأضحية على الأمة فتأمله .

وقد خرَّج البخاريّ[2] من حديث شعبة قال: حدثنا عبد العزيز بن صهيب ، سمعت أنس بن مالك – رضي الله تبارك وتعالى عنه – قال : كان النبي ﷺ يضحى بكبشين وأنا أضحي بكبشين .

وله من حديث شعبة حدثنا قتادة عن أنس ، قال : ضحى النبي ﷺ بكبشين أملحين فرأيته واضعاً قدمه على صفاحهما يسمي ويكبر فذبحهما بيده[3].

وخرَّجه مسلم[4] ، ولفظه : ضحى رسول الله ﷺ بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده وسمى وكبر ووضع رجله على صفاحهما .

وخرَّج النسائي[5] من حديث حفص عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : ضحى رسول الله ﷺ بكبش أقرن فُحيل يمشي في سواد ، ويأكل في سواد ، وينظر في سواد .

---

(١) الأنعام : ١٦٢ .

(٢) (فتح الباري) : ٢٢/١٠ ، كتاب الأضاحي ، باب (٩) من ذبح الأضاحي بيده ، حديث رقم (٥٥٥٣) .

(٣) المرجع السابق : حديث رقم (٥٥٥٨) .

(٤) (مسلم بشرح النووي) : ٣٥/١٣ ، كتاب الأضاحي باب (٣) استحباب الضحية ، وذبحها مباشرة بلا توكيل والتسمية والتكبير ، حديث رقم (١٩٦٦) . =

وخرَّجه الترمذيّ بهذا الإسناد مثله ، وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث حفص بن غياث .

وخرَّجه أبو داود[1] من حديث حفص ولفظه : كان رسول الله ﷺ يضحى بكبش أقرن فحيل ، ينظر في سواد ، ويأكل في سواد .

وخرَّج أبو بكر البزار من حديث أبي عامر ، قال : حدثنا زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن على بن حسين عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ ، قال : كان رسول الله ﷺ إذا ضحى اشترى كبشين ، سمينين ، أقرنين ، أملحين ، فإذا صلى وخطب أتى بأحدهما وهو في مصلاه فذبحه ، ثم يقول : اللهم هذا عن أمتي جميعاً ، من شهد لك بالتوحيد ، وشهد لى بالبلاغ ، ثم يؤتى بالآخر فيذبحه ويقول : هذا عن محمد وآل محمد فيطعمهما جميعاً المساكين ، ويأكل هو وأهله ... الحديث .

سادسها : أن الآمديّ وابن الحاجب ، عدَّا ركعتى الفجر من خصائصه ﷺ ، ولا خلاف كما في ذلك ، ويشهد ما في حديث ابن عباس المتقدم ، إلا أنه ضعيف .

---

(٥) (سنن النسائي) : ٢٥٢/٧ ، كتاب الضحايا ، باب (٤٣) حديث رقم (٤٤٠٢) .

(١) (عون المعبود بشرح سنن أبي داود) : ٣٥٢/٤ ، كتاب الضحايا ، باب (٤) ما يستحب من الضحايا ، حديث رقم (٢٧٩٣) .

(فحيل) بوزن كريم . قال الخطابي : هو الكريم المختار للفحولة ، وأما الفحل فهو عام في الذكورة منها ، وقالوا: في ذكورة النخل فحال فرقاً بينه وبين سائر الفحول من الحيوان . انتهى.

قال في (النيل) : فيه أن النبي ﷺ ضحى بالفحيل كما ضحى بالخصي " ينظر في سواد الخ " معناه أن ما حول عينيه وقوائمه وفمه أسود .

المسألة الرابعة : التهجد
كان واجباً عليه

فقال القفال : هو ما يصلى بالليل وإن قل ، قال الله – تعالى – : ﴿ **ومن الليل فتهجد به نافلةً لك** ﴾[1] أو زياده على ثواب الفرائض بخلاف تهجد غيره، فإنه جائز للنقصان المتطرق إلى الفرائض ، وهو ﷺ معصوم من تطرق الخلل إلى مفروضاته ، فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . حكاه إمام الحرمين .

وذكر البغويّ في (تفسيره) نحوه ، وقال الحسن وغيره : ليس لأحد نافلة إلا النبي ﷺ لأن فرائضه كاملة ، وأما غيره فلا يخلو عن نقص ، فنوافله تكمل فرائضه ، وأسنده البيهقيّ في (دلائل النبوه) عن مجاهد وكذا ابن المنذر في (تفسيره) ، وحكى ابن المنذر أيضًا عن الضحاك نحوه ، وذكره سليمان بن حبان، عن أبي غالب ، عن أبي أمامة ، وذكر محمد بن نصر المروزي ، عن أبي اسحاق أنه – تعالى – قال : ﴿ **نافلة لك** ﴾ قال : ليس هى نافلة لأحد إلا النبي ﷺ .

وعن مجاهد قال : النافلة للنبي ﷺ خاصة من أجل أنه غفرله ماتقدم من ذنبه وما تأخر ، فما عمل من عمل سوى المكتوبة فهو له نافلة ، من أجل أنه لايعمل ذلك في كفارة الذنوب ، فهي نوافل له وزيادة ، فالناس يعملون ماسوى المكتوبات لذنوبهم في كفارتها ، فليس للناس نوافل وإنما هى للنبي ﷺ خاصة .

وعن الحسن : لا تكون نافلة الليل إلا للنبي ﷺ .

وعن قتادة : ﴿ **نافلة لك** ﴾ قال : تطوعًا وفضيلة لك .

وخرّج من طريق وكيع : يعنى ﴿ **ومن الليل فتهجد به نافلة لك** ﴾ قال محمد بن نصر : قد سمى ابن مسعود – رضي الله تبارك وتعالى عنه – التطوع نوافل من الناس كلهم ، لم يخص بذلك النبي ﷺ دون غيره ، وهذا المعروف في اللغة ، أن كل تطوع نافلة من الناس كلهم . واستدل الرافعي وغيره بحديث عائشة – رضي الله تبارك وتعالى عنها – ، أن رسول الله ﷺ

---

(١) الإسراء : ٧٩ .

قال : ثلاث هن علي فرض ، وهن لكم سنّة : الوتر ، والسواك ، وقيام الليل[١] .
وهو حديث ضعيف ، أخرجه البيهقيّ في (السنن) و(الخلافيات) من حديث موسى بن عبد الرحمن الصنعاني عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - أن رسول الله ﷺ قال : ثلاث هن عليّ فرض وهن لكم سُنّة : الوتر ، والسواك ، وقيام الليل . وموسى هذا هو موسى ابن عبد الرحمن الثقفي الصنعاني أبو محمد المفسّر . قال ابن عدي : منكر الحديث ، وقد يُقبل بابن جريح ، عن عطاء ، عن ابن عياش ، وهذه الأحاديث بواطيل .

وقال البيهقيّ : موسى هذا ضعيف جداً ولم يثبت في هذا إسناد .

وقال الشيخ أبو حامد : إن الشافعيّ نص على أنه نسخ وجوب قيام الليل في حقه ﷺ ، كما نسخ في حق الأمة فإنه كان واجبًا في ابتداء الإسلام على الأمة كافة .

قال ابن الصلاح ، والنووي في (الروضة) : وهذا هو الصحيح تشهد له الأحاديث .

قال مؤلفه : قال الشافعيّ : سمعت من أثق خبره وعمله ، يذكر أن الله - عزوجل - أنزل فرضًا في الصلاة ، ثم نسخه بفرض غيره ، ثم نسخ الثاني بالفرض في الصلوات الخمس ، قال : كأنه يعنى قوله - تعالى - : ﴿ **يا أيها المزمل * قم الليل إلا قيلاً * نصفه أو انقص منه قليلاً * أو زد عليه** ﴾[٢] ، ثم نسخه في [آخر] السورة بقوله : ﴿ **إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه** ﴾[٣] فينسخ قيام الليل ، أو نصفه ، أو أقل ، أو أكثر بما تقدم . قال: ويقال : نسخ ماوصفت في المزمل بقول الله - تعالى- : ﴿ **أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودًا** *

---

(١) (سبق تخريجه) . وموسى بن عبد الرحمن الثقفيّ الصنعاني منكر الحديث ، ترجمته في (الكامل في ضعفاء الرجال) : ٣٤٩/٦ ، ترجمة رقم (١٨٣١/٢١٠) .

(٢) المزمل : ١ - ٤ .

(٣) المزمل : ٢٠ .

ومن الليل فتهجد به نافلة لك ﴾[1] فأعلمه أن صلاة الليل نافلة لا فريضة ، والفرائض فيما ذكر من ليل ونهار ، وقال : ففرائض الصلوات خمس ، وما سواها تطوع . انتهى ، فهذا ما أشار إليه الشيخ أبو حامد من نصّ الشافعيّ .

وقال محمد بن نصير المروزي في كتاب (قيام الليل) وقد حكاها عن الشافعيّ : فذهب الشافعيّ في الحكاية التى حكاها وغيره ، إلى أن الله – تعالى– افترض قيام الليل في أول سورة المزمل على المقادير التى ذكرها ، ثم نسخ ذلك في آخر السورة ، وأوجب قراءة ماتيسر في قيام الليل فرضًا ، ثم نسخ فرض قراءة ماتيسر بالصلوات الخمس .

---

(١) الإسراء : ٧٨ – ٧٩ .

وأما سائر الأخبار التى ذكرناها عن عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها وابن عباس وغيرهما فإنها دلت على أن آخر السورة نسخ أولها فصار قيام الليل تطوعًا بعد فرضيته بنزول آخر السورة

فذهبوا إلى أن قوله – تعالى – : ﴿ **فاقرءوا ما تيسر منه** ﴾(١) اختيار لا إيجاب فرض . قال محمد بن نصر : وهذا أولى القولين عندي بالصواب ، وكيف يجوز أن تكون الصلوات الخمس مفروضات في أول الإسلام ، والنبي ﷺ بمكة ، فرضت عليه ليلة أسرى به ، والأخبار التى ذكرناها تدل على أن قوله – تعالى – : ﴿ **فاقرءوا ماتيسر من القرآن** ﴾ إنما نزل بالمدينة ، ونفس الآية تدل على ذلك ؟

قوله : ﴿ **علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله** ﴾(٢) والقتال في سبيل الله إنما كان بالمدينة ، وكذلك قوله – تعالى – : ﴿ **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** ﴾ والزكاة إنما فرضت بالمدينة .

وفى حديث جابر : أن النبي ﷺ بعثهم في الجيش وقد كان كتب عليهم قيام الليل ، وبعثه الجيوش لم يكن إلا بعد قدوم النبي ﷺ المدينة، قال – تعالى–: ﴿ **ماتيسر** ﴾ ، يدل على أنه ندب واختيار وليس بفرض . انتهى .

قال مؤلفه : وقال عمر بن نصر : لم يخف على الشافعيّ شيء مما قلت ، وإنما أرادوا – والله أعلم – أن هذه الآية نسخت بنزولها قيام الليل ، أو بقول الله – تعالى – فيها : ﴿ **ومن الليل فتهجد به نافلة لك** ﴾ ، فتأمله تجده كذلك .

---

(١) المزمل : ٢٠ .

(٢) المزمل : ٢٠ .

وخرَّج مسلم[1] من حديث سعيد ، عن قتادة ، عن زرارة ، أن سعيد بن هشام بن عامر أراد أن يغزو في سبيل الله فقدم المدينة ، فأراد أن يبيع عقارًا بها، فيجعله في السلاح والكراع ، ويجاهد الروم حتى يموت ، فلما قدم المدينة أتى أناساً من أهل المدينة ، فنهوه عن ذلك ، وأخبروه أن رهطًا ستة أرادوا ذلك في حياة النبي ﷺ فنهاهم نبي الله ﷺ وقال : أليس لكم فيّ أسوة ؟ .

فلما حدثوه بذلك راجع امرأته وقد كان طلقها ، وأشهد على رجعتها ، فأتى ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فسأله عن وتر رسول الله ﷺ فقال ابن عباس : ألا أدلك على أعلم أهل الأرض بوتر رسول الله ﷺ ؟ قال: من ؟ قال : عائشة ، فَأْتِها فاسألها ، ثم ائتني فأخبرني بردها عليك ، فانطلقت إليها فأتيت على حكيم بن أفلح فاستلخفته إليها ، فقال : ما أنا بمقاربها لأني نهيتها إلى أن تقول في هاتين الشعبتين شيئًا ، فأبت فيهما إلا مضياً .

قال : فأقسمت عليه ، فجاء ، فانطلقنا إلى عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - ، فاستأذنا عليها ، فأذنت لنا ، فدخلنا عليها ، فقالت : أحكيم ؟ فعرفته، فقال : نعم ، فقالت : من معك ؟ قال : سعد بن هشام ، ثم قالت : من هشام ؟ قال : ابن عامر ، فترحمت عليه ، وقالت : خيرًا ، قال قتاده : وكان أصيب يوم أحد ، فقلت : [يا] أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ ، قالت: ألست تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى ، قالت : فإن خلق النبي ﷺ كان القرآن ، فهممت أن أقوم ولا أسأل أحدًا عن شيء من أمره[2] ، ثم بدا لي ، فقلت : أنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ ، فقالت : ألست تقرأ : ﴿ **يا أيها المزمل** ﴾[3] ؟ قلت : بلى ، قالت : فإن الله - عز وجل - افترض قيام الليل في أول هذه السورة ، فقام نبي الله ﷺ وأصحابه حولاً ، وأمسك الله - عز وجل - خاتمَتَها

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٦/٢٧١ - ٢٧٣ ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب (٢٨) جامع صلاة الليل ، ومن نام عنه أو مرض ، حديث رقم (١٣٩) .

(٢) كذا في (الأصل) ، وفي (صحيح مسلم) : " عن شيء حتى أموت " .

(٣) المزمل : ١ .

اثنى عشر شهرًا في السماء ، حتى أنزل الله [عز وجل] في آخر هذه السوره التخفيف ، فصار قيام الليل تطوعًا بعد فريضة .

قال : قلت : يا أم المؤمنين ! أنبئيني عن وتر رسول الله ﷺ ، قالت : كنا نعد له سواكه وطهوره ، فيبعثه الله ما يشاء أن يبعثه من الليل ، فيتسوك ، ويتوضأ ، ويصلي تسع ركعات ، لايجلس إلا في الثامنة ، فيذكر الله ، ويحمده ، ويدعوه ، ثم ينهض ولايسلم ، ثم يقوم فيصلى التاسعة ، ثم يقعد فيذكر الله -عز وجل- ويحمده ، ويدعوه ، ثم يسلم تسليمًا يسمعنا ، ثم يصلى ركعتين بعدما يسلم وهو قاعد ، فتلك إحدى عشرة ركعة يا بني ، فلما أسن نبي الله ﷺ وأخذ اللحم، أوتر بسبع ، وصنع في الركعتين مثل صنيعه الأول ، فتلك تسع يا بني ، وكان النبي ﷺ إذا صلى صلاة أحب أن يدوام عليها ، وكان إذا غلبه نوم أو وجع عن قيام الليل ، صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة ، ولا أعلم نبي الله ﷺ قرأ القرآن كله في ليلة ، ولا صلى ليلة إلى الصبح ، ولاصام شهرًا كاملاً غير رمضان .

قال : فانطلقت إلى ابن عباس فحدثته بحديثها فقال : صدقت ، لوكنت أقربها أو أدخل عليها لأتيتها حتى تشافهني به ، قال : قلت : لوعلمت أنك لاتدخل عليها ماحدثتك حديثها .

وخرَّجه أيضا من حديث هشام ، عن أبيه ، عن قتادة ، من حديث معمر عن قتادة ، وأخرَّجه النسائي(١) من حديث سعيد عن قتادة مختصرًا .

وخرَّج أبوداود(٢) من طريق يزيد النحوي عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال في المزمل : ﴿ **قم الليل إلا قليلا نصفه** ﴾(٣) نسختها الآية التى فيها: ﴿ **علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسر من القرآن** ﴾(٤) وناشئة الليل :

---

(١) (سبق تخريجه) .

(٢) قال المنذري : صح من حديث عائشة أنها قالت : " وأمسك الله خاتمتها - تريد سورة المزمل - أثنى عشر شهراً في السماء . (هامش سنن أبي داود) .

(٣) المزمل : ٢ ، ٣ .

(٤) المزمل : ٢٠ .

أوله ، كانت صلاتهم أول الليل ، يقول : هو أجدر أن تحصوا مافرض الله عليكم من قيامكم ، وذلك أن الإنسان إذا نام لايدري متى يستيقظ .

وقوله - تعالى - : ﴿**قم الليل إلا قليلا**﴾[1] هو أجدر أن يفقه القول ، وقوله - تعالى - : ﴿ **إن لك في النهار سبحًا طويلاً** ﴾[2] يقول فراغًا طويلا .

وخرَّج من طريق وكيع[3] ، عن مسعود ، عن سماك الخثعمي عن ابن عباس ، قال : لما نزلت أول المزمل ، كانوا يقومون نحوًا من قيامهم في شهر رمضان حتى نزل آخرها ، وكان بين أولها وآخرها سنة . ترجم عليه باب نسخ قيام الليل والتيسير فيه .

وذهب بعضهم إلى أن الناسخ قوله - تعالى - : ﴿ **ومن الليل فتهجد به نافلة لك** ﴾ وقوله - تعالى - : ﴿ **علم أن لن تحصوه فتاب عليكم** ﴾ الآية ، وأن ذلك ناسخ لقيام الليل في حق الأمة فقط ، وفي هذا نظر ، فإن الخطاب في أول السورة للنبي ﷺ ، وقد شركته الأمة في ذلك ، فالخطاب في آخرها يتوجه لمن يتوجه إليه الخطاب في أولها ، وقد قيل : إنَّ المنسوخ من قيام الليل ماكان مقدرًا ، وأما الواجب فهو باقٍ لقوله - تعالى - : ﴿ **فاقرءوا ماتيسر منه**﴾ وهذا بناء على أن المراد بالقراءة الصلاة ، فسماها - تعالى - ببعض أجزائها ، فتكون الآية كقوله - تعالى -: ﴿ **فما استيسر من الهدي** ﴾ إذ لابد من الهدى ، فكذلك لابد من صلاة الليل .

وحديث عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - ، المخرج في (الصحيحين)[4] كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تفطر رجلاه ، قالت

---

(١) المزمل : ٢ .

(٢) المزمل : ٧ .

(٣) (سنن أبي داود) : ٧٢/٢ ، كتاب الصلاة ، أبواب قيام الليل ، باب (٣٠٦) نسخ قيام الليل والتيسير فيه ، حديث رقم (١٣٠٥) ، (تفسير ابن كثير) : ٤٦٥/٤ ، سورة المزمل .

(٤) (فتح الباري) : ١٨/٣ ، كتاب التهجد ، باب (٦) قيام النبي ﷺ الليل ، وقالت عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - : كان يقوم حتى تفطر قدماه . =

= والفطور : الشقوق ، انفطرت : انشقت ، حديث رقم (١١٣٠) ، ومن كان في بلية ففرضه الصبر والشكر ، وأما الصبر فواضح ، وأما الشكر فالقيام بحق الله – تعالى – عليه في تلك البلية ، فإن لله على العبد عبودية في البلاء كما له عليه عبودية في النعماء .

ثم الصبر على ثلاثة أقسام : صبر المعصية فلا يرتكبها ، وصبر على الطاعة حتى يؤديها، وصبر على البلية فلا يشكو ربه فيها . والمرء لابد له من واحدة من هذه الثلاث ، فالصبر لازم له أبدًا لا خروج له عنه ، والصبر سبب في حصول كل كمال ، وإلى ذلك أشار ﷺ بقوله في الحديث الأول : " إن الصبر خير ما أعطيه العبد " . وقال بعضهم : الصبر تارة يكون لله ، وتارة يكون بالله ، فالأول : الصابر لأمر الله طلبًا لمرضاته ، فيصبر على الطاعة، ويصبر على المعصية ، والثاني : المفوض لله بأن يبرأ من الحول والقوة ، ويضيف ذلك إلى ربه .

وزاد بعضهم : الصبر على الله ، وهو الرضا بالمقدور ، فالصبر لله يتعلق بإلهيته ومحبته ، والصبر به يتعلق بمشيئته وإرادته ، والثالث : يرجع إلى القسمين الأولين عند التحقيق، فإنه لا يخرج عن الصبر على أحكامه الدينية ، وهي أوامره ونواهيه ، والصبر على ابتلائه وهو أحكامه الكونية . والله – تبارك وتعالى – أعلم . (فتح الباري) .

وأخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب (١٨) إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة ، حديث رقم (٧٩) ، (٨٠) ، (٨١) . قال القاضي : الشكر معرفة إحسان المحسن والتحدث به ، وسميت المجازاة على فعل الجميل شكرًا لأنها تتضمن الثناء عليه ، وشكر العبد لله – تعالى – اعترافه بنعمه ، وثناؤه عليه ، وتمام مواظبته على طاعته .

وأما شكر الله – تعالى – أفعال عباده فمجازاته إياهم عليها ، وتضعيف ثوابها ، وثناؤه بما أنعم به عليهم ، فهو المعطي والمثني سبحانه ، والشكور من أسمائه مواظبته – سبحانه وتعالى – بهذا المعنى ، والله – تبارك وتعالى – أعلم . (شرح النووي) .

وأخرجه الإمام أحمد في (المسند) : ١٦٧/٧ ، حديث رقم (٢٤٣٢٣) ، من حديث السيدة عائشة – رضي الله تبارك وتعالى عنها – (٥) ، (٦) راجع التعليق السابق . وفيه مشروعية الصلاة للشكر ، وفيه أن الشكر يكون بالعمل كما يكون باللسان ، كما قال –تعالى– : **﴿ اعملوا آل داود شكرًا ﴾ قال القرطبي** : ظن من سأله عن سبب تحمله المشقة في العبادة أنه ﷺ إنما يعبد الله خوفًا من الذنوب ، وطلبًا للمغفرة والرحمة ، فمن تحقق أنه غفر له لا يحتاج إلى =

عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - : يارسول الله ! أتصنع هذا وقد غفر لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر؟ فقال : ياعائشة ! أفلا أكون عبدًا شكورًا ؟ .

وأخرجه مسلم من طريق ابن وهب عن صخر ، عن أبي قسيط ، عن عروة ، وأخرجاه من وجه آخر عن المغيرة بن شعبة ، وهو من جملة مايدل على عدم وجوب قيام الليل عليه ﷺ .

وقال ابن عبد البر في كتاب (التمهيد) : وأوجب بعض التابعين قيام الليل فرضًا ، ولو كان كقدر حلب شاة ، وهو عبيدة السلماني ، وهو قول شاذ متروك لإجماع العلماء على أن قيام الليل منسوخ عن الناس بقوله - عزوجل - :

= ذلك ، فأفادهم أن هناك طريقاً آخر للعبادة ، وهو الشكر على المغفرة وإيصال النعمة لم لا يستحق عليه فيها شيئًا ، فيتعين كثرة الشكر على ذلك .

والشكر : الاعتراف بالنعمة والقيام بالخدمة ، فمن كثر ذلك منه سمي شكورًا ، ومن ثم قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ **وقليل من عبادي الشكور** ﴾ وفيه ما كان النبي ﷺ عليه من الاجتهاد في العبادة والخشية من ربه .

قال العلماء : إنما ألزم الأنبياء أنفسهم بشدة الخوف لعلمهم بعظيم نعمة الله - تعالى - عليهم ، وأنه ابتدأهم بها قبل استحقاقها ، فبذلوا مجهودهم في عبادته ليؤدوا بعض شكره ، مع أن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العباد . والله - تبارك وتعالى - أعلم .

وقيل: أخرج البخاريّ هذا الحديث لينبه على أن قيام جميع الليل غير مكروه، ولا تعارضه الأحاديث الآتية بخلافه ، لأنه يجمع بينها بأنه ﷺ لم يكن يداوم على قيام جميع الليل ، بل كان يقوم وينام ، كما أخبر عن نفسه ، وأخبرت عنه عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - .

وأخرجه البخاريّ أيضاً في كتاب التفسير ، باب (٢) ﴿ **ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطًا مستقيمًا** ﴾ حديث رقم (٤٨٣٦) ، (٤٨٣٧) ، وفي كتاب الرقاق ، باب (٢٠) الصبر على محارم الله ﴿**إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب**﴾، حديث رقم (٦٤٧١) .

قال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري) : ووجه مناسبته للترجمة أن الشكر واجب ، وترك الواجب حرام ، وفي شغل النفس بفعل الواجب صبر عن فعل الحرام ، والحاصل أن الشكر يتضمن الصبر على الطاعة والصبر عن المعصية .

﴿**علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسر منــه**﴾ والفرائـض لا تثبـت إلا بتقدير وتحصيل .

وذكر محمد بن نصر المروزي في كتـاب (قيـام الليـل) بسـنده إلـى أبـي رجاء، قلت للحسن : ماتقول في رجل حدثنا القرآن كله عن ظهر قلب ، ولايقول به ، إنما يصلي المكتوبة ؟ فقال : لعن اللـه ذاك إنمـا [القيـام] للقـرآن ، قلـت : قال الله تعالى : ﴿ **فاقرءوا ماتيسر منه**﴾ قال : نعم ولو خمسين آية ، ونقل أبو محمد بن حزم في (المحلى)[1] أن الخمسين [آية] تقول : إن الوتر فـرض وإن تهجد الليل فرض .

(١) (المحلى) : ٩٣/٢ ، كتاب الصلاة ، مسألة رقـم (٢٩٢) ، قـال : حدثنـا حمـاد بـن سـلمة عن عاصم الأحول ، عن أبي مجلز ، أن أبا موسى الأشعري كان بين مكة والمدينة ؛ فصلى العشـاء ركعتين ، ثم قام فصلى ركعة أوترها ، وقرأ فيها بمائة آية من سورة النساء ، وقـال : مـا ألـوت أن وضعت قدمي حيث وضع رسول الله ﷺ وأن أقرأ ما قرأ رسول الله ﷺ .

تنبيهات

الأول : أن قبل قوله – تعالى – : ﴿ **ومن الليل فتتهجد به نافلة لك** ﴾[١] يقتضي أن التهجد غير واجب عليه ﷺ فإن النافلة غير الواجب . قال ابن سيده : العطية عن بدء ، والنفل مايفعله الإنسان مما لايجب عليه . ﴿ **ومن الليل فتهجد به نافلة لك** ﴾ قلنا بها أن النافلة فيها بمعنى الزيادة .

ومنه قوله – تعالى – : ﴿ **ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة** ﴾[٢] ، ﴿**وكلا جعلنا نبيا**﴾[٣] أن اسحاق ويعقوب زيادة ، لأن إبراهيم عليه السلام لما سأل الله – سبحانه – ولدًا بقوله : ﴿ **هب لي من الصالحين** ﴾[٤] استحباب دعاءه ووهب له اسحاق ، وزاده يعقوب بن اسحاق ، من غير زيادة ، فكان يعقوب نافلة لإبراهيم ، عند الولد ، قال ابن سيده : النافلة ولد ، وهو من ذلك يعني من العطية امتداداً ، فإذا تقرر أن النافلة الزيادة ، ولا يأتونكم منا غير واجبة .

وخرَّج مسلم من طريق أبي بكر بن أبي شيبة قال : حدثنا حاتم بن إسماعيل المزني ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه قال : هو خليل على جابر بن عبد الله ... فذكر حديث جابر الطويل في الحج إلى أن قال جابر عن النبي ﷺ : لقد صلى بنا المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ، ولم يسبح بينها شيئا ، ثم اضطجع رسول الله ﷺ حتى طلع الفجر فصلى حين تبين له الصبح . الحديث ، وهذا يدل على عدم وجوب الوتر والتهجد لأن الظاهر أنه ﷺ لم يفعلها تلك **الليلة.**

وقد يجاب عن التهجد بأنه لعله إذ ذاك صار منسوخًا في هذا الحديث وعلى ماجزم به الدارمي .

---

(١) الاسراء : ٧٩ .

(٢) الأنبياء : ٧٢ .

(٣) مريم : ٤٩.

(٤) الصافات : ١٠٠ .

والذي نص عليه الشافعيّ في (الأم) وغيره : أن السنة ترك التنفل بعد العشاء . كما يسن تركه بعد المغرب ، وصرح به الماوردي ، والقاضي حسين ، وغيرهما ، وأبعد البحلي فقال : إنه يأتي بسنة المغرب بعد العشاء ثم بسنة العشاء ، ثم بالوتر ، وهو مصادم للنص .

الثاني : قال الرافعيّ : مقتضى الحديث المروى عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - الذي سلف ، وكلام الأئمة هنا كون الوتر غير التهجد المأمور به ، وذلك مخالف لما مرَّ في باب صلاة التطوع أنه يشبه أن يكون الوتر هو التهجد ، ويعتضد به الوجه المذكور هناك عن رواية الروياني . قال وكان التغاير أظهر ، وكذا قال في (تذييله على الشرح) : من أنه الأظهر وتبعه صاحب (الحاوي) .

لكن خرَّج البخاريّ[1] ومسلم[2] وأبو داود[3] والترمذي[4] من حديث مالك عن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، أنه سأل

---

(١) (فتح الباري) : ٤١/٣ ، كتاب التهجد ، باب (١٦) قيام النبي ﷺ بالليل في رمضان وغيره ، حديث رقم (١١٤٧) ، وذكره في كتاب صلاة التراويح ، باب (١) فضل من قام في رمضان ، حديث رقم (٢٠١٣) ، وفي كتاب المناقب ، باب (٢٤) كان النبي ﷺ تنام عينه ولا ينام قلبه ، رواه سعيد بن ميناء ، عن جابر ، عن النبي ﷺ .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ٢٦٣/٥ ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب (١٧) صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ في الليل ، وأن الوتر ركعة ، وأن الركعة صلاة صحيحة ، حديث رقم (٧٣٨) .

قوله : " إن عينيّ تنامان ولا ينام قلبي " هذا من خصائص الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - . وسبق في حديث نومه ﷺ في الوادي ، فلم يعلم بفوات وقت الصبح حتى طلعت الشمس ، وأن طلوع الفجر والشمس متعلق بالعين لا بالقلب . وأما أمر الحدث ونحوه فمتعلق بالقلب ، وأنه قيل أنه في وقت ينام قلبه ، وفي وقت لا ينام ، فصادف الوادي نومه . والصواب الأول . (شرح النووي) .

(٣) (سنن أبي داود) : ٨٦/٢ - ٨٧ ، كتاب الصلاة ، باب (٣١٦) في صلاة الليل ، حديث رقم (١٣٤١) .

=

عائشة – رضي الله تبارك وتعالى عنها – ، كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ في رمضان ؟ قالت : ما كانَ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة ، يصلي أربعًا ، فلا تَسَلْ عن حسنهنّ وطولهنّ ، ثم يصلى ثلاثاً ، قالت عائشة – رضي الله تبارك وتعالى عنها – : فقلت : يا رسول الله أتنام قبل أن توتر؟ فقال : يا عائشة إن عينيَّ تنامان ولا ينام قلبي . وهذا يدل على أن التهجد هو غير الوتر .

وما خرَّجه مسلم[1] وأبو داود[2] والترمذيّ[3] والنسائيّ[4] من طريق هشام بن عروة عن أبيه ، عن عائشة – رضي الله تبارك وتعالى عنها – قالت : كان

= (٤) (سنن الترمذيّ) : ٢/٣٠٢ – ٣٠٣ ، أبواب الصلاة ، باب (٣٢٥) ما جاء في وصف صلاة النبي ﷺ بالليل ، حديث رقم (٤٣٩) ، وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٥/٢٦٢ ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب (١٧) صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ في الليل ، وأن الوتر ركعة ، وأن الركعة صلاة صحيحة ، حديث رقم (٧٣٧) .

قال القاضي : قال العلماء : في هذه الأحاديث أخبار كل واحد من ابن العباس ، وزيد ، وعائشة ، بما شاهد ، وأما الاختلاف في حديث عائشة : فقيل : هو منها ، وقيل : من الرواة عنها ، فيحتمل أن إخبارها بأحد عشرة هو الأغلب ، وباقي رواياتها إخبار منها بما كان يقع نادرًا في بعض الأوقات ، فأكثره خمس عشرة بركعتي الفجر ، وأقله سبع ، وذلك بحسب ما كان يحصل من اتساع الوقت أو ضيقه ، بطول قراءة ، كما جاء في حديث حذيفة وابن مسعود، أو لنوم ، أو عذر أو مرض ، أو غيره في بعض الأوقات عند كبر السن ، كما قالت : فلما أسنّ صلى سبع ركعات ، أو تارة تعد الركعتين الخفيفتين في أول قيام الليل ، كما رواه زيد بن خالد، وروتها عائشة بعدها ، هذا في مسلم ، وتعد ركعتي الفجر تارة ، وتحذفهما تارة ، أو تعد إحداهما ، وقد تكون عدت راتبة العشاء مع ذلك تارة ، وحذفتها تارة .

قال القاضي : ولا خلاف أنه ليس في ذلك حد لا يزاد عليه ولا ينقص منه ، وأن صلاة الليل من الطاعات ، التي كلما زاد فيها زاد الأجر ، وإنما الخلاف في فعل النبي ﷺ وما اختاره لنفسه ، والله – تعالى – أعلم . =

رسول الله ﷺ يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة يوتر من ذلك بخمس ، لا يجلس في شيء إلا في آخرها . يقابل الحديث الأول ، والذي يلزم من كلامهم أن يكون كل وتر تهجداً ، مأموراً به .

ولفظ الشافعيّ – رحمه الله – : وأوكد النوافل الوتر ويشبه أن يكون صلاة التهجد ، والظاهر أن الوتر والتهجد يفرقان ؛ فالوتر لا يعتبر في حقيقته أن يكون بعد النوم ، بخلاف التهجد .

قال ابن سيده : هجد يجهد هجوداً ، وأهجد نام ، والهاجد والهجود المصلي بالليل ، والجمع هجودٌ وهُجد . قال : وتهجد القوم ، استيقظوا للصلاة أو لغيرها ، وقال الأزهري : المتهجد القائم لصلاة الليل من النوم ، فكأنه قيل له متهجد لإلقائه الهجود عن نفسه ، كما يقال للعابد : متحنث لإلقائه الحنث عن نفسه ، فيمكن تأويل كلام الشافعيّ – رضي الله تبارك وتعالى عنه – على أن يقال : إن الذي يتبع الوتر في التأكيد هو التهجد .

وذكر محمد بن نصر المزروي ، عن الحجاج بن عمر بن غزية الأنصاري أنه قال : يحسب أحدكم أنه إذا قام من الليل فصلى حتى يصبح ، أنه قد تهجد ؟ إنما التهجد الصلاة بعد رقدة ، ثم الصلاة بعد رقدة ، ثم الصلاة بعد رقدة ، ثم الصلاة بعد رقدة ، قال : فتلك كانت صلاة رسول الله ﷺ .

= (٢) (سنن أبي داود) : ٢/٩٦ ، كتاب الصلاة ، باب (٣١٦) في صلاة الليل ، حديث رقم (١٣٥٩) .

(٣) (سنن الترمذيّ) : ٢/٣٠٤ ، أبواب الصلاة ، باب (٣٢٦) بدون ترجمة ، حديث رقم (٤٤٢)، من حديث وكيع ، عن شعبة ، عن أبي جمرة الضُبَعيّ ، عن ابن مسعود – رضي الله تبارك وتعالى عنهما – ، وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

(٤) (سنن النسائي) : ٣/٢٦٦ – ٢٦٧ ، كتاب قيام الليل ، باب (٤١) كيف الوتر بخمس ، حديث رقم (١٧١٦) ، وقد انفرد به النسائي .

المسألة الخامسة : صلاته ﷺ بالليل

و كانت ثمانية أنواع :

النوع الأول : أن يصلي ثنتي عشرة ركعة يسلم في كل ركعتين ، ثم يصلي ركعة واحدة ، ويسلم .

وخرَّج أبو داود[1] من طريق مالك ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - ، أن نبي الله ﷺ كان يصلي بالليل ثلاث عشرة ركعة ، ثم يصلي إذا سمع النداء بالصبح ركعتين خفيفتين .

النوع الثاني : أن يصلي ثماني ركعات يسلم من كل ركعتين ، ثم يصلي خمس ركعات متصلات لا يجلس إلا في آخرهن[2] .

خرَّج النسائي[3] وغيره من طريق عبدة بن سليمان ، قال : حدثنا هشام ابن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت : كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة ، يوتر بينهن بخمس ركعات لا يجلس في شيء من الخمس إلا في آخرهن، ثم يجلس ويسلم .

النوع الثالث : أن يصلي عشر ركعات يسلم في آخر كل ركعتين ، ثم يوتر بواحدة .

خرَّج مسلم[4] من طريق ابن وهب قال : أخبرني وهب ، أخبرني عمرو ابن الحارث عن ابن شهاب ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة أم المؤمنين

---

(١) (سنن أبي داود) : ١/٩٦ - ٩٧ ، كتاب الصلاة ، باب (٣١٦) في صلاة الليل ، حديث رقم (١٣٦٠) .

(٢) (المرجع السابق) : حديث رقم (١٣٥٨) .

(٣) (سنن النسائي) : ٣/٢٦٦ - ٢٦٧ ، كتاب قيام الليل ، باب (٤١) كيف الوتر بخمس ، حديث رقم (١٧١٦) .

(٤) (مسلم بشرح النووي) : ٦/٢٦٢ ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب (١٧) صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ في الليل ، وأن الوتر ركعة وأن الركعة صلاة صحيحة ، حديث رقم (١٢٢) .

- رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت : كان رسول الله ﷺ يصلي في ما بين أن يفرغ من صلاة العشاء - وهي التي تدعو الناس العتمة - إلى الفجر ، إحدى عشرة ركعة يسلم بين كل ركعتين ، ويوتر لواحدة ، فإذا سكت المؤذن من صلاة الفجر وتبين له الفجر ، وجاء المؤذن ، قام ، فركع ركعتين خفيفتين ، ثم اضطجع على شقه الأيمن ، حتى يأتيه المؤذن للإقامة .

النوع الرابع : أن يصلي ثماني ركعات لا يجلس في شيء منهن جلوس تشهد إلا في آخرها ، فإذا جلس في آخرهن وتشهد قام دون أن يسلم ، فأتى بركعة واحدة ، ثم يجلس ويتشهد ويسلم .

خرَّج مسلم[1] من حديث سعد بن هشام المتقدم ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - فيذكر الله ويحمده ، ويدعوه ثم ينهض ولا يسلم ، ثم يقوم فيصلي التاسعة ثم يقعد ، فيذكر الله - عز وجل - ، ويحمده ، ويدعوه ، ثم ينهض ، ثم يسلم . الحديث .

وخرَّج النسائي[2] من طريق حماد عن أبي حمزه ، عن الحسن ، عن سعد ابن هشام ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - أن النبي ﷺ كان يوتر بتسع ركعات يقعد في الثامنة ، ثم يقوم فيركع ركعة .

النوع الخامس : أن يصلي سبع ركعات لايجلس ولايتشهد إلا في آخر السادسة منهن ، ثم يقوم دون تسليم ، فيأتي بالسابعة ، ثم يجلس ويتشهد ويسلم .

خرَّج النسائي[3] من طريق معاذ بن هشام الدستوائي ، حدثنا أبي عن قتادة، عن زرارة بن أوفى ، عن سعد بن هشام بن عامر ، عن عائشة - رضي

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) (سنن النسائي) : ٣/٦٧ - ٦٨ ، كتاب السهو ، باب (٦٧) أقل ما يجزئ من عمل الصلاة ، حديث رقم (١٣١٤) ، باب (٤٣) كيف الوتر بتسع ، حديث رقم (١٧١٩) ، (١٩٢٠) ، وأخرَّجه ابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ما جاء في الوتر بثلاث وخمس وسبع وتسع ، حديث رقم (١١٩١) .

(٣) (سنن النسائي) : ٣/٦٧ ، كتاب قيام الليل ، باب (٤٢) كيف الوتر بسبع ، حديث رقم (١٧١٨) .

الله تبارك وتعالى عنها - أن رسول الله ﷺ لما كبر وضعف ، أوتر بسبع ركعات لا يقعد إلا في السادسة ، ثم ينهض ، ولايسلم ، فيصلي السابعة ، ثم يسلم تسليمة ... الحديث .

النوع السادس : أن يصلي سبع ركعات لايجلس جلوس تشهد إلا في آخرهن ، جلس وتشهد وسلم .

خرَّج النسائي(١) من طريق سعيد ، حدثنا قتادة عن زرادة بن أوفى ، عن سعد بن هشام ، أن عائشة أم المؤمنين - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت: لما أسنّ رسول الله ﷺ وأخذه اللحم ، صلى سبع ركعات لا يقعد إلا في آخرهن ، ثم يصلي ركعتين بعد أن يسلم .

النوع السابع : أن يصلي خمس ركعات متصلات ، لايجلس ولايتشهد إلا في آخرهن .

خرَّج النسائي(٢) من حديث سفيان ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة أن النبي ﷺ كان يوتر بخمس لايجلس إلا في آخرهن .

النوع الثامن : أن يصلي ثلاث ركعات يجلس في الثانية ، ثم يقوم دون أن يسلم ، ويأتي بالثالثة ، ثم يجلس ، ويتشهد ، ويسلم كصلاة المغرب .

خرَّج النسائي(٣) من طريق سعيد بن أبي عروبه ، عن قتادة ، عن زرارة ابن أوفى ، عن سعد بن هشام ، أن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - حدثته أن رسول الله ﷺ كان لايسلم في ركعتي الوتر .

قال محمد بن نصر المروزي : فأما الوتر بثلاث ركعات فإنا لم نجد عن النبي ﷺ خبرًا ثابتا مفسرًا أنه أوتر بثلاث لم يسلم إلا في آخرهن كما وجدنا عنه أخبارًا أنه ﷺ أوتر بثلاث ، لا ذكر للتسليم فيها .

فذكر من طريق يونس عن أبي اسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أن رسول الله ﷺ كان يوتر بثلاث ،

---

(١) (المرجع السابق) : باب (٤٢) كيف الوتر بسبع ، حديث رقم (١٧١٧) .

(٢) (المرجع السابق) : باب (٤١) كيف الوتر بخمس ، حديث رقم (١٧١٣) .

(٣) (المرجع السابق) : باب (٣٦) كيف الوتر بثلاث ؟ حديث رقم (١٦٩٧) .

يقرأ في الأولى بـ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾[1] وفي الثانية ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾[2] وفي الثالثة ﴿ قل هو الله أحد ﴾[3] .

قال مؤلفه : وذكر في الباب عن عمران بن حصين وعائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - ، وعبد الرحمن بن أبزى ، وأنس بن مالك - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أسندَ ذلك محمد بن نصر عنهم من طرق عديدة ، ثم قال : فهذه أخبار منهم ، تحتمل أن يكون النبي ﷺ قد سلم في الركعتين من هذه التي روى أنه أوتر بها ، جائز أن يقال لمن صلى عشر ركعات يسلم بين كل ركعتين: فلا نصلي عشر ركعات ، وكذلك إن لم يسلم إلا في آخرهن ، جاز أن يقال : يصلي عشر ركعات ، والأخبار المفسرة التى لاتحتمل إلا معنى واحدًا أولى أن تتبع ، ويحتج بها ، غير أنا روينا عن النبي ﷺ أنه خَيَّر الموتر بين أن يوتر بخمس أو بثلاث ، أو بواحدة .

وروينا عن بعض أصحاب النبي ﷺ أنه أوتر بثلاث لم يسلم إلا في آخرهن ، فالعمل بذلك جائز عندنا ، والاختيار مابينا .

فأما الحديث الذى حدثنا بشر بن المفضل قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن زرارة ، عن سعد بن هشام ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - أن النبي ﷺ كان لايسلم في ركعتي الوتر .

وفى رواية قد أسندها أيضًا : كان لايسلم في الركعتين الأولين من الوتر قال : فهذا عندنا قد اختصره سعيد من الحديث الطويل الذى ذكرناه ، ولم يقل في هذا الحديث أن النبي ﷺ أوتر بثلاث لم يسلم في الركعتين الوتر ، وصدق في ذلك الحديث ، فكان يكون حجة لمن أوتر بثلاث بلاتسليمة في الركعتين ، إنما قال : لم يسلم في ركعتي الوتر ، وصدق في ذلك الحديث ، أنه لم يسلم في

---

(١) الأعلى : ١ .

(٢) الكافرون : ١ .

(٣) الإخلاص : ١ ، ثم زاد في آخره " ويقنت قبل الركوع ، فإذا فرغ قال عند فراغه : سبحان الملك القدوس ثلاث مرات ، يطيل في آخرهن " . المرجع السابق : باب (٣٧) ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر أبيّ بن كعب في الوتر ، حديث رقم (١٦٩٨) ، (١٦٩٩) ، (١٧٠٠) .

الركعتين ، ولا في الست ، ولم يجلس أيضًا في الركعتين ، كما لم يسلم فيهما ، والله - تبارك وتعالى - أعلم .

وقال ابن عبد البر : وأهل العلم يقولون : إن الاضطراب عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - في أحاديثها في الحج ، وأحاديثها في الرضاع ، وأحاديثها في صلاة النبي ﷺ بالليل ، وأحاديثها في قصر صلاة المسافر ، ولم يأت ذلك إلا منها ، لأن الذين يروون ذلك عنها حفاظ أثبات : القاسم بن محمد ، وعروة بن الزبير ، والأسود بن يزيد ، ومسروق ، ونظراؤهم ، وقد أجمع العلماء على أن لا حد ولا شيئًا مقدرًا في صلاة الليل ، وأنها نافلة ، فمن شاء أطال فيها القيام ، وقلت ركعاته ، ومن شاء أكثر الركوع والسجود ، والله - تبارك وتعالى - أعلم .

المسألة السادسة : في السواك
وكان واجبًا عليه ﷺ على الصحيح

واستدل له بحديث عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - المتقدم ، وقد تبين ضعفه لكن خرّج أبوداود[١] والبيهقي[٢] في (سننهما) ، وابن خزيمة[٣] من حديث عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر الغسيل ، أن رسول الله ﷺ أمر بالوضوء لكل صلاة طاهرًا أوغير طاهر ، فلما شقّ ذلك على رسول الله ﷺ أمرنا بالسواك لكل صلاة ووضع عنه الوضوء إلامن حدث .

---

(١) (سنن أبي داود) : ١/٤١ - ٤٢ ، كتاب الطهارة ، باب (٢٥) السواك ، حديث رقم (٤٨) ، ثم قال : فكان ابن عمر بن الخطاب - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - يرى أن به قوة ، فكان لا يدع الوضوء لكل صلاة . قال أبو داود : إبراهيم بن سعد رواه عن محمد بن اسحاق ، قال : عبيد الله بن عبد الله .

قال الخطّابيّ : يحتج بهذا الحديث من يرى أن المتيمم لا يجمع بين صلاتي فرض بتيمم واحد ، وأن عليه أن يتيمم لكل صلاة فريضة .

قال : وذلك لأن الطهارة بالماء كانت مفروضة عليه ﷺ لكل صلاة ، وكان معلوماً أن حكم التيمم الذي جعل بدلاً عنها مثلها في الوجوب ، فلما وقع التخفيف بالعفو عن الأصل ولم يذكر سقوط التيمم ، كان باقيًا على حكمه الأول ، وهو قول عليّ بن أبي طالب ، وابن عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - ، والنخعيّ ، وقتادة ، وإليه ذهب مالك ، والشافعيّ ، وأحمد ، واسحاق . (معالم السنن) .

(٢) (سنن البيهقيّ) : ٧/٤٩ ، كتاب النكاح ، باب ما روى عنه ﷺ من قوله : " أمرت بالسواك حتى خفت أن يدردني " ، يدردني أي يذهب بأسناني .

(٣) (صحيح ابن خزيمة) : ١/٧١ - ٧٢ ، باب (١٠٦) الأمر بالسواك عند كل صلاة أمر ندب وفضيلة ، لا أمر وجوب وفريضة ، حديث رقم (١٣٨) .

وأخرَّجه الحاكم[1] في (مستدركه) وقال : حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرِّجاه .

وقد اختلف في هذا الحديث على ابن إسحاق ، فقيل : عنه عن محمد بن يحيى بن حبان ، عن عبيد الله بن عبدالله بن عمر ، وقيل : عن محمد بن طلحه ، عن محمد بن يحيى ، عن بن اسحاق ، فالظاهر من هذا الحديث أنه أوجب عليه السواك ، وهو الصحيح عند الأصحاب قاله النووي : ومال إلى قوله ابن الصلاح ، ويؤيده ما خرَّجه البيهقيّ[2] من حديث أم سلمة مرفوعا : مازال جبريل يوصيني بالسواك حتى خشيت على أضراسي . قال البخاريّ : هذا حديث حسن[3] .

قال عبد الله بن وهب : حدثنا يحيى بن عبد الله بن سالم ، عن عمرو مولى المطلب ، عن المطلب بن عبد الله ، عن عائشة – رضي الله تبارك وتعالى عنها – ، أن رسول الله ﷺ قال : لقد لزمت السواك حتى تخوفت يتدردنى . رواه البيهقيّ[4] وفيه انقطاع بين المطلب وعائشة .

وقال محمد بن يوسف الفريابي : قال ابن عيينة : سمعت أبا الحويرث الدرقي يذكر عن نافع بن جبير بن مطعم قال : قال رسول الله ﷺ : لقد أمرت بالسواك حتى خفت أن يدردنى . هكذا ذكره مرسَلا ، وحدثنا إسرائيل ، وحدثنا

---

(١) (المستدرك) : ١/٥٨ ، كتاب الطهارة ، حديث رقم (٥٥٦) ، قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرِّجاه ، إنما اتفقا على حديث علقمة بن مرثد ، عن سليمان بن بريدة ، عن أبيه ، أن النبي ﷺ كان يتوضأ لكل صلاة ، فلما كان عام الفتح صلى الصلوات كلها بوضوء واحد ، وقال الحافظ الذهبيّ في (التلخيص) : على شرط مسلم ، وله شاهد في الكتابين من حديث بريدة .

(٢) (سنن البيهقيّ) : ٧/٤٩ ، كتاب النكاح ، باب ما روى عنه من قوله : " أمرت بالسواك حتى خفت أن يدردني " .

(٣) المرجع السابق .

(٤) (المرجع السابق) : ٧/٥٠ .

أبو إسحاق عن التميمي واسمه أربدة قال : قلت لابن عباس : أرأيت السواك ؟ فقال : مازال يذكر النبي ﷺ حتى ظن أنه سينزل عليه فيه شيء .

وخرَّج الإمام أحمد[1] من طريق ليث عن أبي بردة عن أبي المليح بن أسامة عن واثله بن الأسقع قال : قال رسول الله ﷺ أمرت بالسواك حتى خشيت أن يكتب عليّ .

وخرَّجه الطبراني في (المعجم الكبير) من طريقين مدارهما على ليث بن أبي سليم بن زنيم أبي بكر القرشي مولاهم . ضعفه ابن معين والنسائي .

وخرَّجه ابن ماجة[2] من حديث أبي أمامة أن النبي ﷺ قال : تسوكوا فإن السواك مطهرة للفم مرضاة للرب ، ماجاءني جبريل إلا أوصاني بالسواك حتى خشيت أن يفرض عليّ وعلى أمتي ، ولولاخشيت أن أشق على أمتي لفرضته عليهم ، وإني لأستاك حتى أني تخشيت أن يدرد مقادم فمي إلا أن في سنده من تكلم فيه .

وخرَّج الإمام أحمد[3] من طريق شريك عن أبي إسحاق عن التميمي ، عن ابن عباس قال : قال : كان رسول الله ﷺ يكثر السواك حتى رأينا أوخشينا أنه ينزل عليه .

وخرَّج الطبراني في (الأوسط) من رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - بلفظ غير هذا .

وخرَّج البزار من طريق عمران بن خالد الخياط ، عن ثابت عن أنس ، قال : قال رسول الله ﷺ : أمرت بالسواك حتى خشيت ادراداً وحتى خشيت على أمتي وأسناني .

---

(١) (مسند أحمد) : ٥٤٤/٤ ، حديث رقم (١٥٥٧٧) من حديث واثلة بن الأسقع .

(٢) (سنن ابن ماجة) : ١٠٦/١ ، كتاب الطهارة وسننها ، باب (٧) السواك ، حديث رقم (٢٨٩) باختلاف يسير في اللفظ .

(٣) (مسند أحمد) : ٤٦٩/١ ، حديث رقم (٢٥٦٨) ، من مسند عبد الله بن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - .

واستدل من رأى أن السواك لم يكن واجبًا على النبي ﷺ وإنما كان مستحبًا برواية أمرت بالسواك حتى خشيت أن يكتب عليّ ، وطرقها كلها معلولة فتأملها .

تنبيه

هل المراد بوجوب السواك في حقه ﷺ بالنسبه إلى الصلاة المفروضة ؟ أو في النافلة أيضًا ؟ أو في الأحوال التي أكدها في حقنا ؟ أوما هو أعم من ذلك؟ وساق حديث عبدالله بن حنظله المتقدم أولاً ، يقول بوجوبه عليه مطلقًا ، وقال ابن الرفعة في (الكفاية) : إنه لم يصح أنه ﷺ فعل السواك إلا عند القيام إلى الصلاة ، وعند تغيير الفم ، ثم قال : فإن قلت : قد روى مسلم عن شريح بن هانيء سألت عائشة عن أى شيء كان يبدأ به النبي ﷺ أذا دخل بيته ؟ قالت : بالسواك[1] ولفظه كان يؤذن بالدوام ، ثم أجاب يحتمل أن يكون فعل ذلك لأجل تغيير حصل في فمه، ثم استبعده بأن في رواية النسائي عن ابن عباس – رضي الله تبارك وتعالى عنه – ، قال : كان رسول الله ﷺ يصلي ركعتين ، ثم ينصرف فيستاك .

(١) (جامع الأصول) : ١٧٧/٧ ، حديث رقم (٥١٧٥) ، ورواه أبو داود برقم (٥١) ، (٥٦) ، (٥٧) في الطهارة ، باب في الرجل يستاك بسواك غيره ، وباب السواك لمن قام الليل ، ومسلم برقم (٢٥٣) في الطهارة ، باب السواك ، والنسائي في الطهارة ، باب السواك في كل حين .

المسألة السابعة : مشاورة ذوي الأحلام في الأمور

قال ابن سيده : وأشار عليه بأمر كذا ، أمره به ، وهي الشورى ، والمشورة مفعلة ، ولاتكون مفعولة لأنها مصدر ، والمصادر لا تجيء على مثال مفعول ، وإن جاءت على مثال مفعول ، وكذلك المشورة ، وشاور مشاورة وشوارًا ، واستشاره طلب منه المشورة .

وقال الراغب(١) : والمشاورة واستخراج صائب الرأي عن الغير ، واشتقاقه من شرت العسل وشورته إذا أظهرت ماله من الجري .

قلت اختلف في مشاورة رسول الله ﷺ وأصحابه ، هل كانت واجبة عليه، أو مستحبة ؟ فالصحيح عند أصحابنا أنها كانت واجبة عليه لقوله - تعالى - : ﴿وشاورهم في الأمر﴾(٢) وظاهر الأمر الوجوب وذهب قوم إلى أنها كانت مستحبة ، وقاسوا ذلك على غيره ، وقالوا : الأمر للاستحباب من أجل استمالة قلوب أصحابه وحكى ذلك ابن القشيري عن نص الشافعيّ - رحمه الله - ، وأنه جعله كقوله ﷺ : والبكر تستأمر تطبيباً لقلبها ، إلا أنه واجب ، وهو قول الحسن ، فإنه قال : قد [فعله حتى] يستن به من بعده .

وفى رواية : لقد كان رسول الله ﷺ غنياً عن المشاورة ، ولكنه أراد أن يستن بذلك الحكام بعده .

وقال الشافعيّ - رحمه الله - : أخبرنا سفيان بن عيينة عن الزهريّ ، قال : قال أبو هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - : ما رأيت أحداً أكثر

---

(١) لفظ الراغب : التشاور ، والمشاورة ، والمشورة : استخراج الرأي بمراجعة البعض إلى البعض، من قولهم : شرت العسل إذا اتخذته من موضعه ، واستخرجته منه ، قال - تعالى - : ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ ، والشورى : الأمر الذي يتشاور فيه ، قال - تعالى - : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ . (المفردات في غريب القرآن) : ٢٧٠ .

(٢) آل عمران : ١٥٩ .

مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ[١] . ورواه الإمام أحمد وعبد الرزاق ، وفي (سنن البيهقيّ) ، وفي إسناده انقطاع .

وروى أبو عبد الرحمن السلمي ، من طريق محمد بن يزيد بن عبادة بن كثير ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - ، قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ **وشاورهم في الأمر** ﴾[٢] ، قال النبي ﷺ : إن الله ورسوله غنيان عنها ، ولكن جعلها رحمة في أمتي ، فمن شاور منهم لم يعدم رشداً ، ومن ترك المشورة منهم لم يعدم غياً ، فعلى هذا لا تبقى المشورة من الخصائص .

وقال الراغب : وقيل : كان سادات العرب إذا لم يشاوروا في الأمر شق عليهم ، فأمر الله رسوله ﷺ بمشاورة أصحابه لئلا يثقل عليهم استبداده بالرأي دونهم ، قال - تعالى - : ﴿ **فإذا عزمت** ﴾[٣] أي قطعت الرأي على شيء بعد الشورى فتوكل على الله في إمضاء أمرك وقريء : ﴿ **فإذا عزمت** ﴾[٤] بضم التاء أي عزمتُ لك على شيء فتوكل عليَّ ولا تشاور بعد ذلك أحداً ، والعزم ثبات الرأي على الأمر ، نحو اجتماع الرأي ، والتوكل على الله الثقة به ، والوقوف حيثما وقف ، ونبه - تعالى - بقوله : ﴿ **فبما رحمةٍ** ﴾[٥] على نعمته على النبي ﷺ أولاً ، وعلى أمته ثانياً ، وأمر بالعفو عن تقصيرهم فيما يلزمهم له ، وأن يستغفر لهم من ذلك ، ثم أمره بإجراء نفسه أحدهم في الرأي ، الذي هو خاص بالإنسان ، وقال - تعالى - : ﴿ **فإذا عزمت فتوكل على الله** ﴾[٦] أي فإن قاربتهم هذه المقاربه فليكن اعتمادك على الله [وتوكلك عليه] ، ومشاورته ﷺ لأصحابه ليقتدي به غيره ، وقيل : تطيباً لقلوبهم .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) آل عمران : ١٥٩ .

(٣) آل عمران : ١٥٩ .

(٤) آل عمران : ١٥٩ .

(٥) آل عمران : ١٥٩ .

(٦) آل عمران : ١٥٩ .

وأما ما استشار فيه فهو الأمور الممكنات المتقاربة باختيار الفاعل

قال جامعه : قال الماورديّ : واختلف فيما يشاور فيه ؛ فقال قوم : في الحروب ومكايدة العدوّ خاصة ، وقال آخرون : في أمور الدنيا دون الدين ، وقال آخرون : في أمور الدين بيينها لهم على علل الأحكام ، وطريق الاجتهاد ، وقال الثعلبي : اختلف في المعنى الذى أمر الله - تعالى - نبيه ﷺ بالمشاورة لهم فيه ، مع كمال عقله ، وجزالة رأيه ، وتتابع الوحي عليه ، ووجوب طاعته على أمته ، فيما أحبوا أو كرهوا .

فقيل : هو خاص في المعنى ، وإن كان عاماً في اللفظ ، ومعنى الآية : ومشاورتهم فيما ليس عندك فيه من الله - تعالى - عهد ، يدل عليه قراءة ابن مسعود : " وشاورهم في بعض الأمر " ، وقال ابن الكلبي : ناظرهم لقاء العدو ، ومكايد الحروب عند الغزو ، وقال الراغب : وأما القصد بالاستشارة فتارة لاستضاءة المستشير برأي المستشار ، أو لئلا يلزم إن استبدّ فيتفق وقوعه بخلاف إيراده ، ولهذا قيل : الاستشارة حصن من الندامة ، وأمن من الملامة ، وتارة طلباً لهداية المستشار ، إما لأن يبين له خطأ رأيه إن كان له رأي خطأ في ذلك الأمر ، وإما أن لا يعتقد هو أو غيره أن الاستبداد فضيلة فيستبد رأيه فيما ربما يؤدي إلى فساد ، وإما لإكرامه وتعظيمه ، فإذا تقرر هذا فأمور النبي ﷺ لا تنفعك من أن يكون شيئاً دنياوياً ، أو كان دينياً فمعلوم أن النبي ﷺ غير محتاج إلى الاستضاءة برأي غيره من البشر ، لما أمده الله - تعالى - به من النور الإلهي ، وما كان ﷺ يستشيرهم في شيء من أصول الشريعة ، ولكن ربما كان يستشيرهم في بعض فروعها ، التى هي مسائل الاجتهاد ، نحو ما روي أنه ﷺ استشارهم في شعار يرفع للصلاة ، ومثل ذلك تشريف لهم أولاً ، وتنبيه على أن ما سبيله الاجتهاد فحقه الاستعانة فيه بالآراء الكثيرة الصحيحة ، لينقدح منها الصواب .

وأما ما كان من الأمور الدنياوية كالمساحة ، والكتاب ، والحساب

فمعلوم أنه ﷺ كان مستعيناً بغيره في كثير منها ، بل صرح في ذلك بكونهم أعرف بها منه ، فيما روى أنه لما ورد المدينة وجد أهلها يأبرون نخيلهم فقال : ما أرى أن ذلك ينفع فتركوه ، فتبين نقص ثمارهم في تركه ، فعاودوه ، فقال : ما كان من أمر دنياكم فأنتم أعلم به ، وأنا أعلم بأمور آخرتكم[1] .

واعترض العلامة شرف الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد المرسي ، على الراغب في هذا المثال ، فقال : هذا الأمر من الأمور التي لا يستشار فيها ، لأنها راجعة إلى ما أجرى الله – تعالى – العادة فيها ، فمن لم يعلم جري العادة في أن الثمار إذ لم تؤبر يسقط ثمرها ، فإن الإبار لا ينفع ، ومن علم جري العادة فيها قال : إن ذلك نافع ، وإذا كان كذلك فلا معنى للاستشارة في ذلك ، وإنما ﷺ لما لم يعلم جري العادة في ذلك قال : ما أرى أن ذلك ينفع ، ثم قال لهم : أنتم أعلم بأمر دنياكم ، قلت : والراغب يبعد من الصواب ، فإن منعه لهم من الثابت ، إن لم يكن رأياً أشار به فإنه في معناه ، بدليل أنه ﷺ رجع عن قوله الأول في المنع ، وأقرهم على التأبير ولو لم يكن منعه لهم أشار به ، لما رجع عنه .

قال الراغب : وعلى هذا ما يتعلق بأمر الحرب ؛ مثل تهييجها تارة ، وتليينها أخرى ، والمن والافتداء تارة[2] ، ولذلك لما هم ﷺ بمصالحة عيينة بن حصن على ثلث ثمار المدينة ، قيل له : إن كان ذلك بوحي فسمعاً وطاعة ، وإن

---

(١) أبَرَ النخل والزرع يأبره ويأبِره أبْراً وإباراً وإباراة . وأبّره أصلحه ، وتأبير النخل تلقيحه ، ويقال: نخلة مؤبرة مثل مأبورة ، والاسم منه الإبار على وزن الإزار. (لسان العرب) : ٤/٤-٣مختصرًا .

(٢) إشارة إلى قوله – تعالى – :﴿ فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منًا بعد وإما فداءً حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم ﴾ [محمد : ٤] .

كان برأي رأيته فليس ذلك بصواب ، فترك رأيه لرأيهم ، فثبت أن ما يتعلق بالأمور الدنيوية ، فحال الرسول ﷺ وغيره فيه ، سواء ، والمشاورة فيه مستحسنة له ولغيره .

قال المرسي : الأمور الممكنة على ضربين ، منها ما جعل الله -تعالى- فيه عادة مطردة تنخزم ، فهذا مما لا يستشار فيه ، بل من علم العادة كان أعلم ممن لا يعلمها .

والضرب الثاني : ما كانت العادة فيه أكثر ، ورأيه فيها أصوب ، ألا ترى أن من حاول التجارة علم وقت رخصها ، وغلائها ، وما يصلح ، فيستشار فيها لعلمه بالأكثر وقوعاً من الصلاح فيها ، ولهذا ينبغي أن يستشار أرباب كل فن في فنهم ، والاستشارة لاتعدو هذا ، والله - تبارك وتعالى - أعلم .

قلت : صحيح ما أورده المرسيّ ، ومع صحته فلا يمنع كون مصالحة النبي ﷺ عيينة أوهمّه بمصالحته ، كان رأياً من عند نفسه ، بحسب ما رآه من مصلحة الناس ، وهو مأخوذ من المشورة ، فكأنه أشاد بهذا ، بل الحديث مصرح به فتأمله(١) .

---

(١) قال الحافظ ابن كثير : قد ادعى بعض العلماء أن هذه الآية المخيرة بين مفاداة الأسير والمنّ عليه منسوخة بقوله - تعالى - : ﴿ **فإذا انسلخ الأشهر الحرم فقاتلوا المشركين حيث وجدتموهم** ﴾ رواه العوفي عن ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - ، وقاله الضّحاك ، وقتادة ، والسديّ ، وابن جريج : وقال الآخرون - وهم الأكثرون - : ليست بمنسوخة .

ثم قال بعضهم : إنما الإمام مخير بين المن على الأسير ومفاداته فقط ، ولا يجوز له قتله. وقال آخرون منهم : بل له أن يقتله إن شاء ، لحديث قتل النبي ﷺ النضر بن الحارث ، وعقبة ابن أبي معيط من أساري بدر ، وقال ثمامة بن أثال لرسول الله ﷺ حين قال له : " ما عندك يا ثمامة ؟ فقال : إن تقتل ، تقتل ذا دم ، وإن تمنن على شاكر ، وإن كنتَ تريد المال فاسأل تعط منه ما شئت . وزاد الشافعيّ - رحمة الله عليه - فقال : الإمام مخير بين قتله ، أو المن عليه ، أو مفاداته ، أو استرقاقه أيضًا . (تفسير ابن كثير) : ١٨٦/٤ ، سورة محمد .

المسألة الثامنة : كان يجب عليه ﷺ
مصابرة العدو وإن كثر عددهم ، والأمة إنما يلزمهم الثبات
إذا لم يزد عدد الكفار على الضعف

ولم يبوّب البيهقيّ - رحمه الله - على هذه الخصوصية في (سننه) ، ولكن يستدل لذلك بقوله ﷺ لعروة في جملة كلامه لما خرج إليه يوم الحديبية: فإن أبوا فوالله لأقاتلنهم حتى تنفرد سالفتي ، يريد ﷺ قريشًا .

ويستدل أيضًا بما وقع في يوم أحد فإنه ﷺ أفرد في اثنى عشر رجلاً أو نحوهم ، والعدو إذ ذاك نحو ثلاثه آلاف ، ومثل ذلك أنه ﷺ أفرد يوم حنين كما هو مشهور في السير ومرّ ذكره ، وسيمر إن شاء الله - تعالى - .

ومن ذلك ماذكره الماورديّ في كتاب (الحاوي) أنه ﷺ كان إذا بارز رجلا في الحرب لم يكفّ عنه قبل قتله .

ومنه أنه ﷺ لم ينفر من الزحف وثبت بإزاء عدوّه وإن كثروا ، ويمكن أن يستدل لذلك بأن الفرار والتولي من الزحف إنما هو تخوف القتل ، وهو ﷺ معصوم من ذلك .

المسألة التاسعة : كان يجب عليه ﷺ إذا رأى منكراً أن ينكره ويغيّره إنما يلزمه ذلك عند الإمكان

ووجهه أن الله – تعالى – وعده بالعصمة والحفظ ، فقال – سبحانه – : ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾[1] الآية . وقد ثبت في (الصحيحين) [2] وغيرهما من حديث عائشة – رضي الله تبارك وتعالى عنها – أنها قالت : ماخيّر رسول الله ﷺ في أمرين إلا أحب أيسرهما ما لم يكن إثمًا ، فإذا كان إثمًا كان أبعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله ، فينتقم لله بها .

ووجوب تغيير المنكر سببه أنه ﷺ إذا مَرَّ عليه يظن جوازه ، وقد قرر الآمديّ ذلك ، فقال : وفرق ما إذ اكان الفعل الصادر من كافر أومسلم ، فإن كان من كافر لم يدل على الجواز لما تقرر من كفره ، وإن كان من مسلم فإن كان سبق منه تحريم ذلك الفعل ، فسكوته يدل على النسخ ، وإن لم يسبق ، فيدلّ على الجواز ، وأورد النووي في (الروضة)[3] سؤالاً ، فقال : قد يقال : هذا ليس من الخصائص ، بل كل مكلف يتمكن من إزالة المنكر يلزمه تغييره ، ثم أجاب

---

(١) المائدة : ٦٧ .

(٢) رواه البخاريّ في الأنبياء ، باب صفة النبي ﷺ ، وفي الأدب ، باب قول النبي ﷺ : " يسروا ولا تعسروا " وفي الحدود ، باب إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله ، وفي المحاربين ، باب كم التعزيز والأدب ، ومسلم رقم (٢٣٢٧) في الفضائل ، باب مباعدته ﷺ للآثام ، والموطأ ٩٠٣/٢ في حسن الخلق ، باب ما جاء في حسن الخلق ، وأبو داود رقم (٤٧٨٥) في الأدب ، باب التجاوز في الأمر . (جامع الأصول) : ٢٤٨/١١ – ٢٤٩ .

(٣) (روضة الطالبين) : ٣٤٧/٥ ، كتاب النكاح ، باب في خصائص رسول الله ﷺ في النكاح وغيره .

بأن المراد أنه لايسقط عنه ﷺ للخوف ، فإن معصوم بخلاف غيره ، والله - تعالى - أعلم .

المسألة العاشرة : كان يجب عليه ﷺ قضاء دين من مات من المسلمين معسرًا عند اتساع المال[1]

خرَّج البخاريّ في آخر كتاب الكفاله[2]، وفي آخر كتاب النفقات[3] ، من طريق يحيى بن بكير ، حدثنا الليث عن عقيل ، عن ابن شهاب .

وخرَّج مسلم في آخر كتاب الفرائض [4] من طريق ابن وهب ، قال : أخبرني يونس عن ابن شهاب ، عن أبي سلمة بن عبدالرحمن ، عن أبي هريرة

---

(١) قال الإمام النووي في (المرجع السابق) : وكان عليه ﷺ قضاء دين من مات من المسلمين معسرًا . وقيل : كان يقضيه تكرمًا . وقال في هامشه : وقيد الإمام محل الوجهين بما إذا صدر منه مطل ظلم به ومات ، قال : فأما إذا لم يملك في حياته ما يؤديه ولم ينسب إلى المطل والتسويف لم يقض دينه من بيت المال ، لأنه لقى الله - تعالى - ولا مظلمة عليه ، قال : وحيث أوجبناه فشرطه اتساع المال ، وفضله عن مصالح الأحياء .

(٢) (فتح الباري) : ٥٩٧/٤ - ٥٩٨ ، كتاب الكفالة ، باب (٣) من تكفل عن ميت دينًا فليس له أن يرجع ، وبه قال الحسن ، حديث رقم (٢٢٩٥) .

(٣) (فتح الباري) : ٦٤٣/٩ - ٦٤٤ ، كتاب النفقات ، باب (١٥) قول النبي ﷺ : " من ترك كلاًّ أو ضياعًا فإليَّ " ، حديث رقم (٥٣٧١) ، باختلاف يسير في اللفظ .

(٤) (مسلم بشرح النووي) : ٦٥/١١ - ٦٦ ، كتاب الفرائض ، باب (٤) من ترك مالاً فلورثته ، حديث رقم (١٦١٩) . قال الإمام النوويّ : إنما كان ﷺ يترك الصلاة عليه ليحرض الناس على قضاء الدين في حياتهم ، والتوصل إلى البراءة منها ، لئلا تفوتهم صلاة النبي ﷺ ، فلما فتح الله عليه عاد يصلي عليهم ، ويقضي دين من لم يخلف وفاءً . =

- رضي الله تبارك وتعالى عنه - ، أن رسول الله ﷺ كان يؤتى بالرجل عليه الدين فيسأل : هل ترك لدينه من قضاء ؟ فإن حدّث أنه ترك وفاءً صلى عليه ، وإلا قال : صلوا على صاحبكم ، فلما فتح الله - تعالى - الفتوح قال : أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فمن توفي وعليه دين فعليّ قضاؤه ، ومن ترك مالا فهو لورثته ، قال البخاريّ : فمن توفى من المؤمنين فترك دينًا فعليّ قضاؤه ومن ترك مالًا فلورثته .

وخرّج البخاريّ في كتاب الفرائض [1] من طريق يونس عن ابن شهاب ، حدثني أبوسلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : أنا أولى بالمؤمينين من أنفسهم فمن مات وعليه دين ولم يترك وفاءً فعلينا قضاؤه ومن ترك مالاً فلورثته.

وخرّجه في باب الاستقراض[2] ، ولفظه : مامن مؤمن إلا أنا أولى به في الدنيا والآخرة ، اقرءوا إن شئتم : ﴿ **النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم** ﴾[3] فأيما مؤمن مات وترك مالاً فليرثه عصبته من كانوا ، ومن ترك دينًا أوضياعًا

= وفيه الأمر بصلاة الجنازة ، وهي فرض كفاية ، وقد قيل : إنه ﷺ كان يقضيه من مال مصالح المؤمنين ، وقيل : من خالص مال نفسه ، وقيل : كان هذا القضاء واجبًا عليه ﷺ ، وقيل : تبرع منه ﷺ ، والخلاف وجهان لأصحابنا وغيرهم .

واختلف أصحابنا في قضاء دين من مات وعليه دين ، فقيل : يجب قضاؤه من بيت المال، وقيل : لا يجب . ومعنى هذا الحديث : أان النبي ﷺ قال : أنا قائم بمصالحكم حياة أحدكم وموته ، وأنا وليه في الحالين ، فإن كان عليه دين قضيته من عندي إن لم يخلف وفاءً ، وإن كان له مال فهو لورثته ، لا آخذ منه شيئًا ، وإن خلف عيالاً محتاجين ضائعين فليأتوا إليّ فعليّ نفقتهم ومؤنتهم . (شرح مسلم) مختصرًا .

(١) (فتح الباري) : ٨/١٢ - ٩ ، كتاب الفرائض ، باب (٤) قول النبي ﷺ : " من ترك مالاً فلأهله " ، حديث رقم (٦٧٣١) .

(٢) (المرجع السابق) : كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس ، باب (١١) الصلاة على من ترك دنيًا ، حديث رقم (٢٣٩٩) .

(٣) الأحزاب : ٦ .

فليأتني فأنا مولاه . وخرّجاه من طريق آخر ، وحكى الإمام وجهًا أنه لم يكن واجباً عليه ، بل كان يفعله تكرما . وبه جزم الماورديّ .

وقال النووي في (شرح مسلم)[١] كان يقضيه من مال المصالح وقيل : من خالص ماله ، وقال الإمام في (النهاية) : أشعر قوله ﷺ : من ترك ضياعًا ، أودينًا فعليّ بالوجوب عليه ، ومن قال : كان ذلك تكرمًا فهو غير سديد ، لأن وعده ﷺ حق وصدق ، فلا يجوز تقدير خلافه . انتهى ، على القول الأول : هل يجب ذلك على الأئمة بعده فيقومون به من مال المصالح ؟ وجهان ، وقد جاء في رواية قيل : يارسول الله وعلى كل إمام بعدك ؟ قال : وعلى كل إمام بعدي حكايه الوجهين وفي الإطلاق نظر ، لأن من استدان وبقي معسرًا حتى مات ، لم يقض دينه من بيت المال . والله – تعالى – أعلم .

المسألة الحادية عشر : كان يجب عليه ﷺ إذا رأى شيئًا يعجبه أن يقول : لبيك إن العيش عيش الآخرة[٢]

ذكره الرافعي بصيغة قيل ، وجزم به ابن القاصّ في (تلخيصه) لكن لفظه فيه : كان إذا رأى شيئًا يعجبه قال : لبيك إن العيش عيش الآخرة .

وقال البيهقيّ في كتاب (السنن)[٣] كان إذا رأى شيئًا يعجبه ، ثم قال : هذه كلمة صدرت من رسول الله ﷺ في أنعم حاله يوم حجه بعرفة ، ثم ساقه بإسناده ، وفي أشد حاله يوم الخندق ، ثم ساقه بإسناده .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) (روضة الطالبين) : ٣٤٨/٥ ، كتاب النكاح ، باب خصائص رسول الله ﷺ في النكاح وغيره.

(٣) (سنن البيهقيّ) : ٤٨/٧ ، كتاب النكاح ، باب كان إذا رأى شيئًا يعجبه قال : لبيك إن العيش عيش الآخرة .

خرَّج البخاريّ من طريق قتيبة ، حدثنا عبد العزيز ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد ، قال : كنا مع النبي ﷺ في الخندق وهو يحفر ونحن ننقل التراب على أكتافنا ، فقال رسول الله ﷺ : لاعيش إلا عيش الآخرة ، فاغفر للمهاجرين والأنصار . ذكره في غزوة الخندق(١) كذلك ، وذكره في كتاب المناقب(٢) ، وفي أول كتاب الرقاق (٣) ، ولفظه فيهما : اللهم لا عيش إلا عيش الآخره ، فاغفر للأنصار والمهاجره .

وخرَّجه مسلم(٤) من طريق عبدالعزيز بن أبي حازم ، عن أبيه ، عن سهل بن سعيد قال : جاءنا النبي ﷺ ونحن نحفر الخندق وننقل التراب على أكتافنا ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم لاعيش إلاعيش الآخرة ، فاغفر للمهاجرين والأنصار . وأخرجاه من حديث أنس ، وفيه زيادة .

وقال الشافعيّ : أخبرنا سعيد ، عن ابن جريج ، أخبرني حميد الأعرج ، عن مجاهد أنه قال : كان رسول الله ﷺ يُظهر التلبية : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لاشريك لك ، قال : حتى إذا كان ذات يوم والناس منصرفون عنه كأنه أعجبه ماهو فيه ، فزاد فيها : لبيك إن العيش عيش الآخرة . قال ابن جريج : وأحسب أن ذلك كان يوم عرفة .

قال مؤلفه : ليس في هذين الحديثين مايقتضي الوجوب ، وغاية ما فيهما استحباب مثل ذلك ، وقد قيل به في حق المكلفين ، ومع هذا الحديث فقول مجاهد مرسل ، وقول ابن جريج منقطع .

---

(١) (فتح الباري): ٤٩٨/٧ - ٤٩٩ ، كتاب المغازي ، باب (٣٠) غزوة الخندق وهي الأحزاب ، قال موسى بن عقبة : كانت في شوال سنة أربع ، حديث رقم (٤٠٩٨) .

(٢) (المرجع السابق) : ١٤٩/٧ ، كتاب مناقب الأنصار ، باب (٩) دعاء النبي ﷺ أصلح الأنصار والمهاجرة ، حديث رقم (٣٧٩٧) .

(٣) (المرجع السابق) : ٢٧٥/١١ ، كتاب الرقاق ، باب (١) ما جاء في الرقاق ، وأن لا عيش إلا عيش الآخرة ، حديث رقم (٦٤١٤) .

(٤) (مسلم بشرح النووي) : ٤١٤/١٢ ، كتاب الجهاد والسير ، باب (٤٤) غزوة الأحزاب وهي (الخندق) ، حديث رقم (١٢٦) ، (١٢٧) .

المسألة الثانية عشر : كان يجب عليه ﷺ إذا فرض الصلاة [صلاها] كاملة لا خلل فيها

قاله القاضي الماوردي .

المسألة الثالثة عشر : كان يلزمه ﷺ إتمام كل تطوع يبتدأ به

حكاه البغوي عن بعضهم .

المسألة الرابعة عشر : أنه كان يجب عليه ﷺ أن يدفع بالتي هى أحسن

قاله ابن القاصّ ، ودليله قوله - تعالى - : ﴿ أدفع بالتى هى أحسن ﴾[1] قال ابن عطية : آية جمعت مكارم الأخلاق ، وأنواع الحلم ، والمعنى : ادفع أمورك وما يعرضك مع الناس ومخالطتك لهم بالفعلة ، أو باليسيرة التي هي أحسن السير والفعلات . فمن ذلك السلام ، وحُسن الأدب ، وكظم الغيظ ، والسماحة في العطاء ، والاقتضاء وغير ذلك .

قال ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - : إذا فعل المؤمن هذه الفضائل عصمه الله من الشيطان ، وخضع له عدوه . وفسر مجاهد وعطاء هذه الآية بالسلام عند اللقاء ، ولاشك أن السلام مبدأ الدقع بالتى هى أحسن ، وهو جزء منه .

(١) فصلت : ٣٤ .

المسألة الخامسة عشر : أنه ﷺ كلف وحده من العلم ما كلف الناس بأجمعهم

ذكره ابن القاصّ ، واستشهد له بما خرَّجه البيهقيّ من طريق يونس ، عن الزهريّ قال : أخبرني حمزة بن عمر ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : بينما أنا نائم أتيتُ بقدح لبن ، فشربت منه ، حتى أني لأرى الريّ يخرج في أظفاري ، ثم أعطيت فضلي يعني عمر قال : فما أولته يارسول الله ؟ قال : العلم[1] ، وسيأتي بطرقه إن شاء الله – تعالى – في المنامات النبويه .

المسألة السادسة عشر : أنه ﷺ كان يغان على قلبه فيستغفر الله ويتوب إليه في اليوم سبعين مرة

خرَّج مسلم[2] من طريق حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن أبي بردة ، عن الأغر ، وكانت له صحبة – أن رسول الله ﷺ قال : إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة .

---

(١) سبق تخريجه ، وسيأتي له مزيد بيان إن شاء الله – تعالى – .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ١٧/٢٦ – ٢٧ ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب (١٢) استحباب الاستغفار والإستكثار منه ، حديث رقم (٤١) .

قال القاضي : قيل المراد الفترات والغفلات عن الذكر الذى كان شأنه ﷺ الدوام عليه ، فإذا فتر أو غفل عُدَّ ذلك ذنباً ، واستغفر منه ، قال : وقيل هو همه بسبب أمته وما اطلع عليه من أحوالها بعده ، فيستغفر لهم ، وقيل : سببه اشتغاله بالنظر في مصالح أمته وأمورهم ومحاربة العدو ، ومداراته ، وتأليف المؤلفة ، ونحو ذلك فيشتغل بذلك من عظيم مقامه فيراه ذنباً بالنسبة إلى عظيم منزلته ، وإن هذه الأمور من أعظم الطاعات ، وأفضل الأعمال ، فهي نزول عن أعالي درجته ورفيع مقامه من حضوره مع الله – تعالى – ، ومشاهدته ، ومراقبته وفراغه مما سواه ، فيستغفر لذلك .

=

قال أبو زكريا النووي : والمراد به هنا ما يتغشى القلب . قال القاضي - يعني أبا الفضل عياض - : قيل : المراد الفترات والغفلات عن الذكر الذي شأنه الدوام عليه ، فإذا فتر عنه أو غفل عدّ ذلك ذنبًا واستغفر منه ، قال : وقيل: سببه اشتغاله بالنظر في مصالح أمته ، وأمورهم ، ومحاربة العدوّ ومداراته ، وتألف المؤلفة ، ونحو ذلك ، فيشتغل بذلك عن عظيم مقامه ، فيراه ذنبًا بالنسبة إلى عظيم منزلته ، وإن كانت هذه الأمور من أعظم الطاعات ، وأفضل الأعمال ، فهي نزول عن عالي درجته ، ورفيع مقامه ، في حضوره مع الله - تعالى - ، ومشاهدته ، ومراقبته ، وفراغه مما سواه ، فيستغفر لذلك.

وقيل : إن هذا الغين هى السكينة التي تغشي قلبه لقوله -تعالى-:﴿ **فأنزل السكينة عليهم** ﴾(١) ويكون استغفاره إظهارًا للعبودية والانقياد ، وملازمة الخضوع ، وشكرًا لما أولاه ، وقد قال المحاسبي : خوف الأنبياء والملائكة خوف إعظام ، وإن كانوا آمنين من عذاب الله .

وقيل : يحتمل أن هذا الغين حال خشية وإعظام ، تغشي القلب ، ويكون استغفاره شكرًا كما سبق ، وهو شيء يعتري القلوب الصافية ، كما تتحدث به النفس فهو يشبهها .

= وقيل يحتمل أن هذا الغين هو السكينة التى تغشى قلبه لقوله - تعالى - : ﴿ **فأنزل السكينة عليهم** ﴾ [الفتح : ١٨] . ويكون استغفاره إظهار للعبودية والافتقار ، وملازمة الخشوع ، وشكراً لما أولاه ، وقد المحاشى : خوف الأنبياء والملائكة خوف إعظام ، وإن كانوا آمنين عذاب الله - تعالى - ، وقيل يحتمل أن هذا الغين حال إعظام يغشي القلب ويكون استغفاره شكراً كما سبق ، وقيل : هو شيء يعتري القلوب الصافية مما تتحدث به النفس ، فهو شأنها والله - تعالى - أعلم .

(١) الفتح : ١٨ .

المسألة السابعة عشر : أنه ﷺ كان يؤخذ عن الدنيا عند تلقى الوحي وهو مطالب بأحكامها عند الأخذ عنها(١)

وقد تقدم الكلام في كيفية تلقي الوحي .

المسألة الثامنة عشر : أنه ﷺ كان مطالبًا برؤية مشاهدة الحق مع معاشرة الناس بالنفس والكلام(٢)

---

(١) (السنن الكبرى للبيهقي) : ٥٢/٧ ، كتاب النكاح ، باب كان يؤخذ عن الدنيا عند تلقى الوحى ، وهو مطالب بأحكامها عند الأخذ عنها .

(٢) (المرجع السابق) : ٥١/٧ ، كتاب النكاح باب ما كان مطالباً برؤية مشاهدة الحق مع معاشرة الناس بالنفس والكلام .

وأما الواجب المتعلق بالنكاح
وهو القسم الأول من الوجبات
فكان يجب عليه ﷺ تخيير زوجاته
بين اختيار زينة الدنيا ومفارقته
وبين اختيار الآخرة والبقاء في عصمته
ولايجب ذلك على غيره

قال الله – جل جلاله – : ﴿ **يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحًا جميلاً وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخره فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيمًا** ﴾[1] .

ومعنى الآية : أن الله – تعالى – يقول لنبيه محمد ﷺ : يامحمد قل لأزواجك : إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن ، يقول : فإني أمتعكن ما أوجب الله على الرجال لنسائهم ، من المتعة عند فراقهم إياهن بالطلاق ، بقوله – تعالي – : ﴿ **فمتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعًا بالمعروف حقا على المحسنين** ﴾[2] وقوله –تعالى– : ﴿ **وأسرحكن سراحًا جميلاً** ﴾[3] يقول : وأطلقكن على ما أذن الله به ، وأدّب به عباده بقوله – تعالى – : ﴿ **إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن** ﴾[4]، ﴿ **إن كنتن تردن الله ورسوله** ﴾[5] ، وإن كنتن تردن طاعة الله وطاعة رسوله ، ورضى الله ، ورضى رسوله ، ﴿ **فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرًا عظيمًا** ﴾[6] .

---

(١) الأحزاب : ٢٨ – ٢٩ .

(٢) البقرة : ٢٣٦ .

(٣) الأحزاب : ٢٨ .

(٤) الطلاق : ١ .

(٥) الأحزاب : ٢٩ .

(٦) الأحزاب : ٢٩ .

وقد اختلف سلف الأمة في سبب نزول هذه الآية على أقوال تسعة :

إحداها : أن عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها قالت :
سألت رسول الله ﷺ شيئاً من عرض الدنيا
إما زيادة في النفقه أو غير ذلك
فاعتزل رسول الله ﷺ نساءه شهرًا فيما ذكر
ثم أخبره الله تعالى أن يخيرهن بين الصبر عليه
والرضى بما قسم لهن ، والعمل بطاعة الله تعالى
وبين أن يمتعهن ويفارقهن إن لم يرضين بالذي يقسم لهن

خرَّج محمد بن جرير الطبريّ من طريق ابن علية عن أيوب عن أبي الزبير أن رسول الله ﷺ لم يخرج صلواتٍ فقالوا : ماشأنه ؟ فقال عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - : إن شئتم لأعلمن لكم ما شأنه ، فأتى النبي ﷺ فجعل يتكلم ويرفع صوته ، حتى أذن له ، قال : فجعلت أقول في نفسي : أي شيء أكلم به رسول الله ﷺ لعله ينبسط أو كلمة نحوها ؟ فقلت : يارسول الله ! لورأيت فلانة وسألتني النفقة وصككتها صكة ، فقال : ذاك حبسني عنكم ، قال : فأتى حفصة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - فقال: لاتسألي رسول الله شيئًا، ما كانت لك من حاجة فإليّ ، ثم تتبع نساء النبي ﷺ فجعل يكلمهن، فقال لعائشة: أيغرك أنك امرأة حسناء وأن زوجك يحبك؟ لتنتهينّ أولينزلنّ الله فيكنّ القرآن .

قال : فقالت له أم سلمة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - : يا ابن الخطاب : أو ما بقي لك إلا أن تدخل بين رسول الله ﷺ وبين نسائه ؟ فمن تسأل المرأة إلا زوجها ؟ قال : ونزل القرآن : **﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحًا جميلاً ﴾**(١)

---

(١) الأحزاب : ٢٨ - ٢٩ وتمامها : **﴿ وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرًا عظيمًا ﴾** .

إلى قوله – تعالى – : ﴿ أجرًا عظيمًا ﴾ قال : فبدأ بعائشة – رضي الله تبارك وتعالى عنها – فخيرها وقرأ عليها القرآن ، فقالت : هل بدأت بأحد من نسائك قبلي ؟ قال : لا ، قالت : فإني أختار الله ورسول والدار الآخرة ، ولا تخيرهن بذلك ، قال : ثم تتبعهن ، فجعل يخبرهن ويقرأ عليهن القرآن ، ويخبرهن بما صنعت عائشة ، فتتابعن على ذلك .

وخرَّج من طريق سعيد عن قتادة قال : قال الحسن وقتادة : خيرهن بين الدنيا والآخرة ، والجنة والنار ، في كل شيء كن أردنه من الدنيا .

ثانيها : في غيرة كانت غارتها عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : وقال عكرمة : في غيرة كانت غارتها عائشة – رضي الله تبارك وتعالى عنه – ، وكان تحته يومئذ تسع نسوة ، خمس من قريش : عائشة ، وحفصة ، وأم حبيبة ابنة أبي سفيان ، وسودة ابنة زمعة ، وأم سلمة ابنة أبي أمية ، وكانت تحته صفية ابنة حيي الخيبرية ، وميمونة ابنة الحارث الهلاليه ، وزينب ابنة جحش الأسديه ، وجويرية ابنة الحارث ، فاختارت عائشة – رضي الله تبارك وتعالى عنه – الله ورسوله والدار الآخرة ، رؤى الفرج في وجهه ، فتتابعن كلهن على ذلك ، واخترن الله ورسوله والدار الآخرة .

وخرَّج من طريق عبد الأعلى قال : حدثنا سعيد عن قتادة ، عن الحسن وهو قول قتادة قالا: أمره أن يخيرهن بين الدنيا ، والآخرة ، والجنة ، والنار قال قتادة : وهي غيرة من عائشة في شيء أرادته من الدنيا وكانت تحته تسع نسوة ، فذكرهن .

قال: فبدأ بعائشة – رضي الله تبارك وتعالى عنها – وكانت أحبهن إليه ، فلما اختارت الله ورسوله والدار الآخرة ، رؤى الفرج في وجهه فتتابعن على ذلك .

ثالثها : أن نساءه يغايرن عليه

خرّج أبو جعفر من طريق ابن وهب ، قال : قال ابن زيد كان أزواجه ﷺ قد تغايرن عليه[1] فهجرهن شهرًا ، ثم نزل التخيير من الله فيهن ، فخيرهن بين أن يخترن أن يخلي سبيلهن ويسرحهن ، وبين أن يخترن إن أردن الله ورسوله على أنهن أمهات المؤمنين لاتنكحن [بعده] أبدًا ، وعلى أنه يؤوي إليه من يشاء منهن لمن وهبت نفسها له ، حتى يكون هو يرفع رأسه إليها ، ويرجي من يشاء حتى يكون هو يرفع رأسه إليها ، ومن ابتغى ممن هي عنده وعزل ، فلاجناح عليه ، ﴿ **ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولايحزن ويرضين** ﴾[2] .

قال : ﴿ **ومن ابتغيت ممن عزلت** ﴾[3] من ابتغى أصابه ، ومن عزل لم يصبه ، فخيرهن بين أن يرضين بهذا أو يفارقهن ، فاخترن الله ورسوله ، إلا امرأة. شرط الله له هذا الشرط مازال يعدل بينهنّ حتى لقي الله ، قال الغزالي : لأن الغيرة توغر الصدور ، وتنفر القلب ، وتوهن الاعتقاد .

رابعها : أنهن أجمعن وقلن : نريد كما تريد النساء من الحلى والثياب

فطالبنه بذلك ، وليس عنده ،فتأذى، وإلزامهنّ الصبر على الفقر يؤذيهن ، ومطالبتهن له بذلك يؤذيه ، فأمر ﷺ بإلقاء زمام الأمر إليهن ليفعلن مايخترنه ، ونزه الله – تعالى – منصبه العالي عن التأذي والإيذاء .

خامسها : أن بعض نسائه التمست منه خاتمًا من ذهب فاتخذ لها خاتم فضة وصفَّره بالزعفران فتسخَّطت

---

(١) في (الأصل) : كان أزواجه قد تغايرن على النبي ﷺ ، وما أثبتناه أجود للسياق .

(٢) الأحزاب : ٥١ .

(٣) الأحزاب : ٥١ .

سادسها : أن الله سبحانه امتحنهن بالتخيير ليكون لرسول ﷺ خير النساء

سابعها : أن الله تعالى خيره ﷺ بين الغنى والفقر فأمره تعالى بتخيير نسائه لتكون من اختارته موافقة لاختياره

وعبارة الرافعي أنه ﷺ آثر لنفسه الفقر والصبر عليه ، فأمر بتخييرهن لئلا يكون مكرهًا لهن على الفقر والصبر .

وقال الشافعي(١) : إن من ملك زوجة فليس عليه تخييرها ، وأمر رسول الله ﷺ أن يخير نساءه فاخترنه ، وحمله ذلك أن الله - تعالى - خير النبي ﷺ بين أن يكون نبيًا ملكًا ، وعرض عليه مفاتيح خزائن الدنيا ، وبين أن يكون نبيًا مسكينًا ، فشاور جبريل ، فأشار عليه بالمسكنة ، فاختارها فلما اختارها وهي أعلى المنزلتين ، وأمره الله - تعالى - أن يخير زوجاته فربما كان فيهن من يكره المقام معه على الشدة تنزيهًا له .

ثامنها : أن سبب نزول الآية قصة مارية في بيت حفصة

(١) ونحوه في (البحر المحيط في التفسير) : ٨/٤٦١ - ٤٧٤ .

تاسعها : أن سبب شربه ﷺ العسل في بيت زينب بنت جحش وتواطؤ عائشة وحفصة رضي الله تبارك وتعالى عنهما على أن يقولا له : إنا نجد منك ريح مغافير ونزل فيهما ﴿ إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما ﴾(١)

ويترجح من هذه الأقوال ماخرَّجه مسلم(٢) من طريق روح بن عبادة قال: حدثنا زكريا بن اسحاق حدثنا أبو الزبير ، عن جابر بن عبدالله - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ، قال : دخل أبوبكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - يستأذن على رسول الله ﷺ ، فوجد الناس جلوسًا ببابه ، لم يؤذن لأحد منهم ، قال : فأذن لأبي بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ، فدخل ، ثم أقبل عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فأستأذن ، فأذن له ، فوجد النبي ﷺ جالسًا حوله نساؤه ، واجمًا ، ساكنًا ، فقال : لأقولن شيئًا أضحك النبي ﷺ ، فقال : يارسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقه : فقمت إليها فوجأت عنقها !! فضحك رسول الله ﷺ ، وقال : هن حولي كما ترى يسألنني النفقه .

فقام أبوبكر إلى عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - يجأ عنقها ، وقام عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - إلى حفصة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - يجأ عنقها ، يقول : تسألن رسول الله ماليس عنده ؟ قلن : لا والله لا نسأل رسول الله شيئًا أبدًا ليس عنده ، ثم اعتزلهن شهرًا ، أوتسعًا وعشرين يومًا ، ثم نزلت عليه هذه الآية : ﴿ **يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن**

---

(١) التحريم : ٤ .

(٢) (مسلم بشرح النووي) ١٠ /٣٣٥ - ٣٣٦ ، كتاب الطلاق ، باب (٤) بيان أن تخييره امرأته لا يكون طلاقًا إلا بالنية ، حديث رقم (١٤٧٨) . قوله : " لأقولن شيئاً يضحك النبي ﷺ" ، وفي بعض النسخ : " أضحك النبي ﷺ " ، فيه استحباب مثل هذا ، وأن الإنسان إذا رأى صاحبه مهموماً حزيناً ، يستحب له أن يحدثه بما يضحكه ويطيب نفسه ، وفيه فضيلة لأبي بكر الصديق - رضي الله تبارك وتعالى عنه - .

تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحًا جميلاً * وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرًا عظيما ﴾[1] .

قال : فبدأ بعائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - ، فقال : ياعائشة إني أريد أن أعرض عليك أمرًا ، أحب ألا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك ، قالت : وما هو يا رسول الله ؟ فتلا عليها الآية ، فقالت : أفيك يا رسول الله أستشير أبويَّ ؟ بل اختار الله ورسوله والدار الآخرة ، وأسألك ألا تخبره امرأة من نسائك بالذي قلت ، قال : لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها أن الله - عز وجل - لم يبعثني معنتًا ولا متعنتاً، ولكن بعثني معلمًا ميسرًا .

قال مؤلفه : في هذا الحديث دليل على أن نساء رسول الله ﷺ طلبن منه عرض الدنيا وإن تغير عليهن لذلك ، فنزلت آية التخيير[2] ، وحكى الحناطيّ وجهًا : أن التخيير لم يكن واجبًا عليه ﷺ وإنما كان مندوبًا .

وفي آية التخيير[1] فوائد : وهي أن الزوج إن اعتبر بالنفقه ، كان لها خيار الفسخ ، وأن المتعة تجب للمدخول بها إذا طلقت ، وجواز تعجيلها قبل الطلاق ، وأن السراح صريح في الطلاق ، وأن المتعة غير مقدرة شرعًا ، حكى هذه القواعد الخمس الماوردي ، وزاد أبوبكر الخفاف في كتاب (الأقسام والخصال) : أن التخيير ليس بطلاق ، وأنها متى اختارت فراقه وجب عليه الطلاق ، وأن الخيار على النبي ﷺ دون سائر أمته ، وأنه غير جائز أن يتزوج ﷺ كافرة ، وأن أزواجه محرمات على التأبيد ، إلا أن تكون مطلقة غير مدخول بها . وهنا فوائد أخر :

---

(١) الأحزاب : ٢٨ - ٢٩ .

(٢) الأحزاب : ٢٨ - ٢٩ .

أحدها : من اختارت من أزواج النبي ﷺ الحياة الدنيا هل كان يحصل الفراق بنفس الاختيار ؟

وفيه وجهان لأصحابنا : **أحدهما** : يحصل ، كما لو خير غيره زوجته ، ونوى تفويض الطلاق إليها ، فاختارت نفسها ، **وأصحهما** : لايحصل ، لقوله - تعالى - : ﴿ **فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحًا جميلاً** ﴾[1] ولو حصل الفراق باختيارها لما كان للتسريح معنى ، لأنه تخيير بين الدنيا والآخرة ، فلا يحصل الفراق باختيار الدنيا ، كما لوخير واحد من الأمة زوجته فاختارت الفراق .

وفي السراح الجميل تأويلات : **أحدها** : أن تطلق دون الثلاث ، **والثاني** : أن يوفي فيه المهر والمتعة ، **والثالث** : أنه الصريح من الطلاق دون الكناية ، **والرابع** : حكاه ابن القشيري في (تفسيره) ، وهو أن يكون في مستقبل العدة في طهر لم يجامع فيه .

قال الماوردي : هل كان التخيير بين الدنيا والآخرة ؟ أوبين الطلاق والمقام ؟ فيه قولان للعلماء ، أشبههما بقول الشافعيّ الثاني ، ثم قال : إنه الصحيح ، فعلى الأول لاشيء حتى تطلق ، وعلى الثاني فيه وجهان : **أحدهما** : أن تخييره كتخيير غيره ، يرجع فيه إلى نيته ونيتها ، **وثانيها** : أنه صريح في الطلاق لخروجه مخرج التغليظ .

وعن أبي عباس الروياني حكاية وجهين ، في أن قولها : اخترت نفسي ، هل يكون صريحًا في الطلاق ؟ حكاهما الرافعي عنه ، والظاهرأنه ما حكاه الماوردي ، فإن قلنا : تحصل الفرقة بالاختيار أوبوقوع الطلاق فطلقها دون الثلاث ، ففي كونه رجعيًا كما في حق غيره ، أوبائنًا تغليظًا ، لأن الله - تعالى - غلظ عليه في التخيير ، فيغلظ عليه الطلاق ، وجهان : **أحدهما** : لا يكون السراح جميلاً ، **وثانيهما** : نعم لاختيارها الدنيا على الآخرة ، فلم تكن من

---

(١) الأحزاب : ٢٨ .

أزواجه في الآخرة ، حكاهما الرافعي عن أبي العباس الروياني أيضا ، وهما في (الحاوي) لأبي الحسن الماوردي .

ثانيهما : هل يعتبر أن يكون جوابهن على الفور ؟

فيه وجهان : أصحهما في أصل (الروضة)[١] ، لايجوز فيه التراخي ، وبه قطع القاضي ابن كج ، ونقل ابن الرفعة في (المطلب) تصحيحه عن (النهاية) ولم يتردد فيه ، ودليل ذلك قوله ﷺ لعائشة – رضي الله تبارك وتعالى عنها – : لاتعجلي حتى تستأمري أبويك ، واعترض الشيخ أبوحامد بأنه ﷺ صرح بتراخي خيارها إلى مراجعة أبويها ، والكلام في التخيير المطلق .

قال الرافعي : وحكاه الإمام عن الأصحاب وهما مبنيان على الوجهين في حصول الفراق ، وبنفس الاختيار ، فإن قلنا به ، وجب على الفور ، وإن قلنا : لا ، جاز فيه التراخي .

قال الإمام : لا يجوز كما لو قال الواحد منا لزوجته : طلقي نفسك ، ففي كون جوابها على الفور أو على التراخي قولان . قال الإمام : وبناء هذا الخلاف السابق عندنا في غاية الضعف ، لأجل الخبر ، وإن قال متكلف : ما جرى من النبي ﷺ لعائشة – رضي الله تبارك وتعالى عنها – تخييرًا ناجزًا في حقها ، قلنا : نعم ، فلم اكتفي النبي ﷺ باختيارها الله ورسوله ، ورآه جواباً عن التخيير، فلا حاصل فيه لذكر الخلاف .

وحكى النوراني ، والماورديّ ، الخلاف في اعتبار الفور وعدمه مع جزمه بحصول الفراق بالاختيار ، لكنه بناه على أن الفرقة فرقة طلاق أو فسخ ، فيه وجهان ، فإن قلنا : فرقة طلاق فهو على الفور ، وإلا فعلي التراخي ، فإن

---

(١) قال الإمام النووي : وهل كان جوابهن مشروطًا بالفور ؟ وجهان : أصحهما : لا ، فإن قلنا بالفور فهل كان يمتد بامتداد المجلس ، أم المعتبر ما يعد جوابًا في العرف ؟ وجهان . وهل كان قولها : اخترت نفسي ، صريحًا في الفراق ؟ فيه وجهان .

فعلناه على الفور فيمتد بامتداد المجلس ، أو يعتبر فيه الفورية المعتبرة في الإيجاب والقبول ؟ فيه وجهان ، حكاهما الرافعي عن الهرويّ .

ثالثها : هل كان يحرم عليه ﷺ طلاق من اختارته ؟

فيه وجهان لأصحابنا ، **أحدهما** : وبه قطع الماوردي ونص عليه الشافعيّ في (الأم) نعم ، كما يحرم إمساكها لو رغبت عنه ، ومكافأة لهن على صبرهن، وبه يشعر قوله – تعالى – : ﴿ **ولا أن تبدل بهن من أزواج** ﴾[1] فإن التبدل فراقهن ، وتزوج غيرهن ، ففي تحريمه تحريم مفارقتهن ، وأظهرها ما عند الإمام والرافعي في (الشرح الصغير) ، والنووي في (أصل الروضة)[2]، لا كما لو أراد واحد من الأمة طلاق زوجته لا يمنع منه ، وإن رغبت فيه ، ولأن التبدل معناه مفارقتهن أولاً ، والتزويج بأمثالهن بدلاً عنهن ، وذلك مجموع أمرين ، فلا يقتضي المنع من أولهما .

قال الإمام : وادعاء الحجر على الشارع في الطلاق بعيد ، وفيه وجه ثالث ، أنه يحرم عقب اختيارهن ، ولا يحرم إذا انفصل عنه .

فإن قلت : يستدل للوجه الأظهر بأنه ﷺ طلق حفصة وراجعها ، وعزم على طلاق سودة ، فوهبت يومها لعائشة ، قلنا : ذكر الماورديّ أن ذلك كان قبل التخيير ، وكذا قصة الإفك ، وقول عليّ – رضي الله تبارك وتعالى عنه – لما استشاره النبي ﷺ في فراق أهله : لم يضيق الله عليك ، النساء كثير سواها ، لعله كان قبل نزول آية التخيير .

وقد قال ابن الجوزي : كان إيلاؤه ﷺ منهن سنة تسع ، والتخيير بعدها، لكن اصطفى ﷺ صفية بنت حيي من سبي خيبر سنة سبع وتزوجها .

---

(١) الأحزاب : ٥٢ .

(٢) راجع التعليق السابق .

ونقل الماوردي أنّ تزويجها كان بعد نزول آيـة التخيير ولا يصـح ذلـك ، لأن التخيير كان بعد الفتح ، ففـي (صحيـح البخـاريّ) مـن طريـق مـروان بـن معاوية قال : حدثنا أبو يعفور ، قال : تذكرنـا عنـد أبي الضحـى ، قـال : حدثنـا عبد الله بن عباس ، قال : أصبحنا يومًا ونساء النبي ﷺ يبكين وعنـد كـل امرأة منهن أهلها ، فخرجت إلى المسجد فإذا هو مـلآن مـن النـاس ، فجـاء عمـر بـن الخطاب فصعد إلى النبي ﷺ وهو في غرفة له ، فسلم ، فلم يجبه أحد ، ثم سـلم، فلم يجبه أحد ، ثم سلم ، فلم يجبه أحد ؛ فناداه ، فدخـل علـى النبـي ﷺ ، فقـال : أطلقت نساءك ؟ فقال : لا ، ولكـن آليت منهـن شـهراً ، فمكـث تسـعاً وعشـرين [ليلة] ، ثم دخل على نسائه . ترجم عليه باب هجـرة النبـي ﷺ نسـاءه فـي غيـر بيوتهن(١) .

---

(١) (فتح الباري) : ٩/٣٧٤ - ٣٧٥ ، كتاب النكاح ، باب (٩٣) هجرة النبي ﷺ نساءه فـي غير بيوتهن ، ويذكر عن معاوية بن حيدة رفعه : " غير أن لا تهجر إلا فـي البيت " والأول أصـحّ ، حديث رقم (٥٢٠٣) .

قولـه : " بـاب هجـرة النبـي ﷺ نسـاءه فـي غيـر بيوتهـن " كأنـه يشـير إلـى أن قولـه : ﴿**واهجروهن في المضاجع**﴾ لا مفهوم له ، وأنه تجوز الهجرة فيمـا زاد علـى ذلـك ، كمـا وقـع للنبي ﷺ من هجره لأزواجه في المشربه ، وللعلماء في ذلك اختلاف .

قوله : " تذاكرنا عند أبي الضحى فقال : حدثنا ابن عباس " لم يذكر ما تذاكروا بـه ، وقـد أخرّجه النسائي عـن أحمد بـن عبد الحكـم ، عـن مـروان بـن معاويـة ، بالإسـناد الـذي أخرّجـه البخـاريّ فأوضحـه ، ولفظـه : " تذاكـر الشـهر ، فقـال بعضنـا : ثلاثيـن ، وقـال بعضنـا تسـعًا وعشرين، فقال أبو الضحى : ابن عباس " . وكذا أخرّجه أبو نعيم من وجه آخر عن مروان بن معاوية ، وقال فيه : " تذاكرنا الشهر عند أبي الضحى " .

قوله : " دخلت المسجد ، فإذا هو ملآن من الناس " هذا ظاهر في حضور ابن عباس هـذه القصة ، وحديثه الطويل ، بل الذي مضى قريبًا يُشعر بأنه ما عرف القصة إلا مـن عمـر ، لكن يحتمل أن يكون عرفها مجملة ففصلها عمر له ، لمـا سـأله عـن المتظـاهرتين . (فتـح البـاري) مختصرًا .

فتأمل هذا الحديث تجده دليلاً على أن هجره عليه السلام نساءه وإيلاءه منهن كان بعد الفتح ، وبيان ذلك أن ابن عباس لم يقدم المدينة إلا مع أبيه بعد الفتح ، وقد صرح في هذا الحديث بحضوره القصة .

رابعها : لما خير ﷺ زوجاته فاخترنه كافأهن الله تعالى على حسن صنيعهن بالجنة

فقال: ﴿ **فإن الله أعدّ للمحسنات منكن أجراً عظيمًا** ﴾[1] أي في الجنة ، وبأن حرم على رسول الله ﷺ التزويج عليهن ، والاستبدال بهن ، فقال - تعالى - : ﴿ **لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك** ﴾ لكن نسخ ذلك لتكون المنّة لرسوله ﷺ بترك التزويج عليهن بقوله - تعالى - : ﴿ **يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وماملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين** ﴾[2]. الآية .

وذهب محمد بن جرير الطبريّ إلى أنه كان لرسول الله أن يتزوج من شاء من النساء اللاتي أحلهن الله له على نسائه اللاتي كنَّ عنده ، ثم نزلت عليه ﴿**لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن**﴾[3] فلم ينهه فيها ، إلا أن يفارق من كان عنده منهن بطلاق ، إرادة استبدال غيرها لها، ولإعجاب بحُسْن المستبدلة بها إياه ، إذ كان الله - تعالى - قد جعلهن أمهات المؤمنين ، وخيرهن فاخترن الله ورسوله ، فحرمن على غيره ، ومنع من فراقهن بطلاق .

---

(١) الأحزاب : ٢٩ .

(٢) الأحزاب : ٥٠ .

(٣) الأحزاب : ٥٢ .

وأما نكاح غيرهن : فلم يمنع منه
بل أحله الله له على ما بَيَّن في كتابه

وقد روى أبو عاصم عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت : ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل له النساء ، يعني أهل الأرض .

وقال سفيان : عن عمرو عن عطاء ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت : ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل له النساء(١).

وقال وهيب : عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن عبيد الله بن عمير الليثي، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت : ما توفي رسول الله ﷺ حتى أحلَّ الله له أن يتزوج من النساء ما شاء (٢) .

وقال عمر بن شيبة : حدثنا أبو عاصم ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، قال : أحسب عبيد بن عمير حدثني ، قال أبو زيد عمر بن شبة ، وقال أبو عاصم مرة : عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت : ما مات

---

(١) (سنن النسائي) : ٦/٣٦٤ ، كتاب النكاح ، باب (٢) ما افترض الله - عزّ وجلّ - على رسوله ﷺ وحرمه على خلقه ، ليزيد إن شاء الله قربه إليه ، حديث رقم (٣٢٠٤) ، وأخرّجه الترمذيّ في تفسير القرآن ، باب ومن سورة الأحزاب ، حديث رقم (٣٢١٦) ، قال الحافظ السنديّ في (حاشيته على سنن النسائي) : قوله : " حتى أحل له النساء " أي بقوله -تعالى- : ﴿ إنا أحللنا لك أزواجك ﴾ الآية ، فهي ناسخة لقوله -تعالى- : ﴿ لا يحل لك النساء من بعد ﴾ الآية .

(٢) (سنن النسائي) : ٦/٣٦٤ ، حديث رقم (٣٢٠٥) ، وهذا الحديث انفرد به النسائي ، قال في (جامع الأصول) : وصححه ابن خزيمة وابن حبان ، والحاكم من طريق ابن جرير عن عطاء ، عن عبيد بن عمير ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - ، وله شاهد عند ابن أبي حاتم من حديث أم سلمة أنها قالت : لم يمت رسول الله ﷺ حتى أحل الله أن يتزوج من النساء ما شاء إلا ذات محرم . (جامع الأصول) : ٢/٣٢١ ، حديث رقم (٧٦٩) .

رسول الله ﷺ حتى أُحلَّ له النساء[1]، قال : وقال أبو الزبير : شهدت رجلا يحدثه عن عطاء ، وقال : الآية ، ولأن قوله - تعالى - : ﴿ **إنا أحللنا** ﴾ يقتضي تقدم لحظر ، والثاني أنه قال فيها : ﴿ **وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك** ﴾ ولم يكن في المخيرات أحد من هؤلاء ، كما قاله الشافعيّ - رحمه الله - في الآية .

وأجيب بأن الإحلال يقتضي تقدم حظر ، وزوجاته اللاتي اخترنه لم يكنّ محرمات عليه ، وإنما كان حَرُم عليه أن يتزوج بالأجنبيات ، فانصرف الإحلال إليهن ، ولأنه قال في سياق الآية : ﴿ **وبنات عمك** ﴾ الآية ، ومعلوم أنه لم يكن تحته أحد من بنات عمه ، ولا بنات عماته ، ولا من بنات خاله ، ولا من بنات خالاته ، فثبت أنه أحل له التزويج بهذا ابتداءاً .

خامسها : إذا ثبت أنه ﷺ أحل له التزويج فهل ذلك عام في جميع النساء ؟

فيه وجهان ، حكاهما الماورديّ وغيره :

أحدهما : أن ذلك يختص ببنات الأعمام والعمات ، وبنات الأخوال والخالات ، المهاجرات معه لظاهر الآية .

وقد روى البيهقيّ[2] وغيره من طريق السدي ، عن أبي صالح ، عن أم هانيء قالت : خطبني رسول الله ﷺ فاعتذرت إليه ، فعذرني ، ثم أنزل الله -تعالى- عليه : ﴿ **يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن** ﴾

---

(١) راجع التعليق رقم (١) .

(٢) (سنن البيهقيّ) : ٥٤/٧ ، كتاب النكاح ، باب كان يجوز له ﷺ أن يبدل من أزواجه أحدًا ثم نسخ ، قال الشافعيّ - رضي الله تبارك وتعالى عنه - : أنزل الله - تبارك وتعالى - عليه : ﴿ **لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج** ﴾ ، قال بعض أهل العلم : نزلت عليه ﷺ بعد تخييره أزواجه .

إلى قوله –تعالى– : ﴿ **اللاتي هاجرن معك** ﴾[1] ، قالت : فلم أكن أحلّ لـه ، لـم أهاجر معه ، كنت من الطلقاء .

وخرَّجه الترمذيّ[2] وقال : حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

وخرَّجه الحاكم[3] وقال : صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه، وذكر أن ذلك في قراءة ابن مسعود : وبنات خالاتك واللاتي هاجرن معك بواو .

وقال الضحاك في هذه القراءة : يعني بذلك كل شيء هاجر معه ، ليس من بنات العم والعمة ، ولا من بنات الخال والخالة ، وُردّ ذلك بأن السدي ضعيف .

وقال ابن [العربي] : هو ضعيف جداً ، ولم يأت هذا الحديث من طريق صحيح .

---

(١) الأحزاب : ٥٠ .

(٢) (سنن الترمذيّ) : كتاب التفسير ، باب ومن سورة الأحزاب ، حديث رقم (٣٢١١) ، وقال : هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث السدي .

قال الشيخ عبد القادر الأرناؤوط : والسدي هذا هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي الكبير ، وأبو محمد الكوفيّ ، وهو صدوق يهم كما قال الحافظ في (التقريب) ، وفي سنده أيضًا أبو صالح باذام ، مولى أم هانيء ، وهو ضعيف مدلس ، ومع ذلك فقد صححه الحاكم ، ووافقه الذهبيّ .

قال الحافظ في (تخريج الكشاف) : رواه الترمذيّ ، والحاكم ، وابن أبي شيبة ، واسحاق، والطبريّ ، والطبرانيّ ، وابن أبي حاتم ، كلهم من رواية السدّي ، عن أبي صالح ، عن أم هانيء . (جامع الأصول) : ٣١٩/٢ ، حديث رقم (٧٦٧) .

(٣) (المستدرك) : ١٨٥/٢ ، كتاب النكاح ، حديث رقم (٢٧٥٤) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الحافظ الذهبيّ في (التلخيص) : صحيح ، وأخرّجه أيضًا في كتاب معرفة الصحابة من (المستدرك) : ٥٨/٤ ، ذكر أم هانيء فأختـه بنت أبي طالب بن عبد المطلب – رضي الله تبارك وتعالى عنها – حديث رقم (٦٧٨٢) ، وقد سكت عنه الحافظ الذهبيّ في (التلخيص) .

وقراءة ابن مسعود لا تعارض ما ثبت بالتواتر ، ومع هذا فإنه جائز أن يكون بمعنى القراءة المتواترة ، فإن العرب تدخل الواو في نعت من تقدم ذكره أحياناً ، كما قال الشاعر :

فإن رشيداً وابن مروان لم يكن ... يفعل حتى يصدر الأمر مصدراً

ورشيد هو ابن مروان .

والثاني : وهو الأظهر ، أنه عام في جميع النساء لأن الإباحة رفعت ما تقدم في الحظر ، فاستباح ما كان يستبيح قبلها ، ولأنه في استباحة النساء أوسع من أمته ، فلم يجز أن ينقص عنهم .

وقال القاضي حسين : إن تحريم النسوة عليه ، هل بقي مؤبداً أم ارتفع ؟ فيه وجهان .

سادسها : قال الماوردي : تحريم طلاق من اختارته ﷺ منهن إذا قلنا به كما سلف لم ينسخ بل بقي إلى الموت

وبه استدل أبو حنيفة – رحمه الله – على بقاء تحريم نكاح غيرهن أيضاً، وكلام الإمام يشير إلى خلافه .

سابعها : هل كان يجوز له ﷺ أن يجعل الاختيار لهن قبل المشاورة معهن ؟

فيه وجهان ، حكاهما الرافعي في (الجرجانيات) لأبي العباس الروياني ، ولم يذكرهما في (الروضة) .

النوع الثاني : ما اختص به الرسول ﷺ من المحرمات

وذلك تكرمة له ﷺ فإن تأخير ترك المحرم ، أكثر من تأخير ترك المكروه ، وفعل المندوب ، إذ الحرام في المنهيات كالواجب في المأمورات ، وهو أيضاً قسمان :

القسم الأول : المحرمات في غير النكاح

وفيه مسائل :

الأولى : الزكاة ، فإنها حرام عليه ﷺ لا تحل له بإجماع العلماء على ذلك

وشاركه في ذلك ذو القربى بسببه أيضاً ، فالخاصة عائدة عليه ﷺ فإنها أوساخ الناس ، وتحريم ذلك عليه وعلى آله ، أشهر عند أهل العلم من أن يحتاج فيه إلى إكثار .

كما خرّجه مسلم من طريق مالك ، عن الزهريّ أن عبد الله بن عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب حدثه أن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث ، حدثه فذكر الحديث إلى أن قال : ثم قال : - يعنى النبي ﷺ - إنّ الصدقة لا تنبغي لآل محمد ، إنما هى أوساخ الناس[1] وذكره أيضاً من طريق

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٧/١٦٧-١٦٨ ، كتاب الزكاة ، باب (٥١) ترك استعمال آل النبي ﷺ على الصدقة ، حديث رقم (١٦٧) .

قوله ﷺ : " إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد " دليل على أنها محرمة سواء كانت بسبب العمل ، أو بسبب الفقر والمسكنة ، وغيرهما من الأسباب الثمانية ، وهذا هو الصحيح عند =

يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ولفظه : إن هذه الصدقات إنما هى أوساخ الناس ، وإنها لا تحل لا لمحمد ، ولا آل محمد[1] .

وخرّج ابن أبي شيبة[2] من طريق سفيان ، عن موسى بن أبي عائشة ، عن موسى بن أبي رزين ، عن عليّ قال : قلت للعباس – رضي الله تبارك وتعالى عنه – : سل النبي ﷺ يستعملك على الصدقة ، فسأله ، فقال : ما كنت لأستعملك على غسالات ذنوب الناس .

واعلم أن منصب رسول الله ﷺ منزه عن ذلك ، وأيضاً فإن الزكاة تعطى على سبيل التكرم ، المبني على ذلّ الآخذ ، فأبدلوا عنها بالغنيمة المأخوذة بطريق العز والشرف ، والمبني على عزّ الآخذ وذلّ المأخوذ منه .

وقد اختلف علماء السلف ، هل الأنبياء عليهم السلام تشارك النبي ﷺ في ذلك ؟ أم يختص بهﷺ دونهم ؟ فذهب الحسن إلى أن الأنبياء تشاركه في ذلك ، وذهب سفيان بن عيينة إلى اختصاصه ﷺ بذلك دونهم .

- أصحابنا ، وجوز بعض أصحابنا لبني هاشم وعبد المطلب العمل عليها بسهم العامل ، لأنه أجاره ، وهذا ضعيف أو باطل ، وهذا الحديث صريح في رده .

قوله ﷺ : " إنما هى أوساخ الناس " تنبيه على العلة في تحريمها على بني هاشم وبني عبد المطلب ، وأنها لكرامتهم وتنزيههم عن الأوساخ ، ومعنى أوساخ الناس أنها تطهير لأموالهم ونفوسهم كما قال – تعالى – : ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** ﴾ فهي كغسالة الأوساخ . (شرح النووي) .

(١) (المرجع السابق) : حديث رقم (١٦٨) .

(٢) راجع التعليقات السابقة .

وأما صدقة التطوع
ففي تحريمها على النبي ﷺ
وتحريمها على آله أربعة أقوال :

أحدُها : تحرم ، حكاه الشيخ أبو حامد ، والقفال ، قال ابن الصلاح : وخفي على إمام الحرمين ، والغزاليّ ، والصحيح الأول .

والثاني : لا تحرم ، إنما كان ﷺ يمتنع منها ترفعاً .

والثالث : تحرم عليه دونهم ، وهذا القول أصحهما ، قال ابن عبد البر : الذي عليه جمهور أهل العلم وهو الصحيح عندنا : أن صدقة التطوع لا بأس بها لبني هاشم ومواليهم ، ومما يدل على صحة ذلك ، أن علياً والعباس - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - وغيرهما تصدقوا ، وأوقفوا أوقافاً على جماعة من بني هاشم ، وصدقاتهم الموقوفة معروفة مشهورة ، لا خلاف بين العلماء ، أن بني هاشم وغيرهم ، في قبول الهدايا والمعروف سواء ، وقد قال ﷺ : كل معروف صدقة .

والرابع : محرم عليهم الجهة الخاصة دون العامة ، كالمساجد ، ومياه الآبار ، وأبدى الماوردي وجهًا آخر اختاره : أن ما كان منها أموالاً متقومة كانت محرمة عليه ﷺ دون ما كان منها غير متقوم ، فتخرج صلاته في المساجد ، وشربه ماء زمزم ، وبئر رومة ، ويخرج من هذا الوجه أنه كان يحرم عليه أن يوقف عليه معيناً ، لأن الوقف صدقة تطوع .

وحكى الرافعي في هذا الخلاف وجهين ، فقال : وفي المحرمات الصدقة في أظهر الوجهين على ما سبق في قسم الصدقات ، وتبع في حكاية الخلاف لذلك الإمام هنا ، والطبري صاحب (العدة) وكذا حكاه العجلي في شرح (الوسيط) والجرجاني في (الشافي) .

ولكن الذي سبق في كلام الرافعي : أن في الخلاف قولان ، وهو الصواب في بعض نسخ الرافعي ، و(الروضة)[١] ، أيضًا فقد قال الماوردي في كتاب (الوقف) : إنها منصوصة في (الأم)[٢] .

وقد ثبت ما يقوي تحريم الصدقة عليه ﷺ مطلقًا ؛ زكاة مفروضة كانت أو تطوعًا ، وهو قول أكثر أهل العلم .

خرّج البخاريّ في آخر كتاب الجهاد[٣] ، في باب من تكلم بالفارسية والرطانة من طريق شعبة ، عن محمد بن زياد ، عن أبي هريرة - رضي الله

---

(١) (روضة الطالبين) : ٣٤٨/٥ ، كتاب النكاح ، باب في خصائص رسول الله ﷺ في النكاح وغيره ، الضرب الثاني ، ما اختص به ﷺ من المحرمات ، وهي قسمان ، أحدهما المحرمات في غير النكاح ، فمنها الزكاة ، وكذا الصدقة على الأظهر .

(٢) قال الإمام الشافعيّ - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فأما آل محمد ، الذين جعل لهم الخُمس عوضًا من الصدقة ، فلا يعطون من الصدقات المفروضات شيئًا - قلّ أو كثر - لا يحل لهم أن يأخذوها ، ولا يجزئ عمن يعطيهموها إذا عرفهم ، وإن كانوا محتاجين ، وغارمين ، ومن أهل السهمان ، وإن حبس عنهم الخمس ، وليس منعهم حقهم في الخمس يحل لهم ما حرم عليهم من الصدقة .

قال : وآل محمد الذين تحرم عليهم الصدقة المفروضة أهل الخمس ، وهم أهل الشعب ، وهم صليبة بني هاشم وبني عبد المطلب ، ولا يحرم على آل محمد صدقة التطوع ، إنما يحرم عليهم الصدقة المفروضة .

أخبرنا إبراهيم بن محمد ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، أنه كان يشرب من سقايات الناس بمكة والمدينة ! فقلت له : أتشرب من الصدقة وهي لا تحل لك ؟ فقال : إنما حرمت علينا الصدقة المفروضة .

قال الشافعيّ - رضي الله تبارك وتعالى عنه - وتصدق عليّ وفاطمة على بني هاشم وبني المطلب بأموالهما ، وذلك أن هذا تطوع . وقبل النبي ﷺ الهدية من صدقة تُصدّق بها على بريرة ، وذلك أنها من بريرة تطوع لا صدقة . (الأم) : ٦٩/٢ كتاب الزكاة ، باب العلة في القسم .

تبارك وتعالى عنه - أن الحسن بن عليّ - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - أخذ تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه ، فقال النبي ﷺ : كخ ، كخ ! أما تعرف أنا لا نأكل الصدقة ؟ وخرَّجه في كتاب الزكاة[1] ، وترجم عليه باب ما يذكر في الصدقة للنبي وآله .

وخرَّجه مسلم في آخر كتاب الزكاة به ، ولفظه عن محمد - وهو ابن زياد - سمع أبا هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - يقول : أخذ الحسن بن عليّ تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه ، فقال النبي ﷺ : كخ ، كخ ! ارم بها ، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة[2] ؟ وفي لفظ له قال : إنا لا تحل لنا الصدقة[3] ، وفي لفظ البخاريّ : إن آل محمد لا يأكلون الصدقة .

وخرَّجاه أيضًا من حديث معمر عن همام بن أمية ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : إني لأنقلب إلى أهلي فأجد التمرة ساقطة على فراشي فأرفعها لآكلها ، ثم أخشى أن تكون صدقة فألقيها ، ذكره البخاريّ في كتاب اللقطة في باب إذا وجد تمرة في الطريق[4] .

= (٣) (فتح الباري) : ٦/٢٢٦ ، كتاب الجهاد والسير ، باب (١٨٨) من متكلم بالفارسية والرطانة ، وقول الله - عزّ وجلّ - : ﴿ **واختلاف ألسنتكم وألوانكم** ﴾ [الروم : ٢٢] ، وقال : ﴿ **وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه** ﴾ [إبراهيم : ٤] ، حديث رقم (٣٠٧٢) .

(١) (فتح الباري) : ٣/٤٥١ ، كتاب الزكاة ، باب (٦٠) ما يذكر في الصدقة للنبي ﷺ ، حديث رقم (١٤٩١) . وفي حديث دفع الصدمات إلى الإمام ، والإنتفاع بالمسجد في الأمور العامة ، وجواز إدخال الأطفال المساجد وتأديبهم بما ينفعهم ، ومنعهم مما يضرهم ، ومن تناول المحرمات ، وإن كانوا غير مكلفين ليتدربوا بذلك .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ٧/١٨١ ، كتاب الزكاة ، باب (٥٠) تحريم الزكاة على رسول الله ﷺ ، وعلى آله ، وهم : بنو هاشم ، وبنو المطلب دون غيرهم ، حديث رقم (١٦١) .

(٣) (المرجع السابق) ، الحديث الذي يلي الحديث السابق ، بدون رقم .

(٤) (فتح الباري) : ٥/١٠٨ ، كتاب اللقطة ، باب (٧) إذا وجد تمرة في الطريق ، حديث رقم (٢٤٣٢) .

وخرَّجه مسلم في الزكاة[1] ، وخرجاه من حديث سفيان ، عن منصور ، عن طلحة ، عن أنس بن مالك - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : مر النبي ﷺ بتمرة في الطريق فقال : لولا أنني أخاف أن تكون من الصدقة لأكلتها. ذكره البخاريّ في البيوع[2] ولفظة ، عن أنس قال : مرَّ النبي ﷺ بتمرة مسقوطة ، فقال : لولا أن تكون صدقة لأكلتها ، وقال همام عن أبي هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - عن النبي ﷺ ، قال : أجد تمرة ساقطة على فراشي ، هكذا ذكر هذا متصلاً بحديث أنس ، وترجم عليهما باب ما يتنزه عنه من الشبهات .

وخرَّجه مسلم[3] وأبو داود[4] وخرَّج البخاريّ[5] في كتاب الهبة في باب قبول الهدية من طريق معن قال : حدثني إبراهيم بن طهمان ، عن محمد بن زياد ، عن أبي هريرة ، قال : كان رسول الله ﷺ إذا أتى بطعام سأل عنه : أهدية أم صدقة ؟ فإن قيل : صدقة ، قال لأصحابه : كلوا ، ولم يأكل ؛ فإن قيل : هدية ضرب بيده ﷺ فأكل معهم .

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ١٨٢/٧ ، كتاب الزكاة ، باب (٥٠) تحريم الزكاة على رسول الله ﷺ ، وعلى آله ، وهم بنو هاشم وبنو المطلب دون غيرهم ، حديث رقم (١٦٢) .

(٢) (فتح الباري) : ٣٦٨/٤ ، كتاب البيوع ، باب (٤) ما يتنزه عن الشبهات ، رقم (٢٠٥٥) . قال المهلب : إنما تركها ﷺ تورعًا وليس بواجب ، لأن الأصل أن كل شيء في بيت الإنسان على الإباحة ، حتى يقوم دليل على التحريم ، وفيه تحريم قليل الصدقة على النبي ﷺ ، ويؤخذ منه تحريم كثيرها من باب أولى . (فتح الباري) .

(٣) (مسلم بشرح النووي) : ١٩٠/٧ ، كتاب الزكاة ، باب (٥٣) باب قبول النبي ﷺ الهدية ورده الصدقة ، حديث رقم (١٧٥) . وفيه استعمال الورع والفحص عن أصل المآكل والمشارب . (شرح النووي) .

(٤) (سنن أبي داود) : ٣٠٠/٢ ، كتاب الزكاة ، باب (٢٩) الصدقة على بني هاشم ، حديث رقم (١٦٥٢) .

(٥) (فتح الباري) : ٢٥٤/٥ ، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها ، باب (٦) قبول الهدية ، حديث رقم (٢٥٧٦) .

وخرَّجه مسلم[1] في كتاب (الزكـاة) من طريـق الربيـع بـن مسـلم ، عـن محمد بن زياد ، عن أبي هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أن النبي ﷺ كان إذا أُتيّ بطعام سأل عنه ، فإن قيل : هدية أكل منها ، وإن قيـل : صدقـة لـم يأكل منها .

وخرَّجه النسائي[2] من طريق بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده ، قـال : كان رسول الله ﷺ إذا أُتيّ بشيء سأل عنه : أهدية أم صدقة ؟ فإن قيـل صدقـة لم يأكل ، وإن قيل هديه بسط يده . ذكره في آخر كتاب الزكاة .

وفي حديث سليمان : إنها لا تحل لنا الصدقة . وترجم عليـه الهديـة للنبـي ﷺ .

واستبعد إمام الحرمين ثبوت الخلافة فـي جـواز أخـذه ﷺ صدقـة التطـوع لنفسه ، وحكى ابن الصلاح عن (أمالي أبي الفرج السرخسي) ، أن في صرف الكفارة والنذر إلى الهاشمي قولين ، والظاهر جريانهما فـي المطَّلبـيِّ أيضـاً لأنـه في معناه .

---

(1) (مسلم بشرح النووي) : ١٩٠/٧ ، كتـاب الزكـاة ، بـاب (٥٣) قبـول النبـي ﷺ الهديـة ورده الصدقة ، حديث رقم (١٧٥) .

(2) (سنن النسائي) : ١١٢/٥ - ١١٣ ، كتاب الزكـاة ، بـاب (٩٨) الصدقـة لا تحـل للنبـي ﷺ ، حديث رقم (٢٦١٢) .

الثانية : كان رسول الله ﷺ
لا يأكل البصل ، والثوم ، والكراث ،
وما له رائحة كريهة من البقول

خرّج البخاري[1] من طريق يونس عن ابن شهاب ، زعم عطاء أن جابر بن عبد الله - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ، زعم أن النبي ﷺ قال : من أكل ثوماً ، أو بصلاً ، فليعتزلنا ، أو فليعتزل مسجدنا وليقعد في بيته ، وأن النبي ﷺ أُتى بقدر فيه خضروات من بقول فوجد لها ريحًا ، فسأل ، فأُخبر بما فيه من البقول ، فقال : قربوها إلى بعض أصحابه كان معه ، فلما رآه أكلها ، وقال : كل ، فإني أناجي من لا تناجي .

---

(١) (فتح الباري) : ٩/٧١٧ - ٧١٨ ، كتاب الأطعمة ، باب (٤٩) ما يكره من الثوم والبقول ، حديث رقم (٥٤٥٢) .

قوله : (باب ما يكره من الثوم والبقول) أي التي لها رائحة كريهة ، وهل النهي عن دخول المسجد لأكلها على التعميم أو على من أكل النيء منها دون المطبوخ ؟ وفي هذه الأحاديث بيان جواز أكل الثوم والبصل والكرات ، إلا أن من أكلها يكره له حضور المسجد ، وقد ألحق بها الفقهاء ما في معناها من البقول الكريهة الرائحة كالفجل ، وقد ورد فيه حديث في الطبراني وقيده عياض بمن يتجشى منه ، وألحق به بعض الشافعية الشديدا البخر ومن به جراحة تفوح منها رائحتها ، واختلف في الكراهية : فالجمهور على التنزيه ، وعن الظاهرية التحريم ، وأغرب عياض فنقل عن أهل الظاهر تحريم تناول هذه الأشياء مطلقًا لأنها تمنع حضور الجماعة ، والجماعة فرض عين ، ولكن صرح ابن حزم بالجواز ، ثم يحرم على من يتعاطى ذلك حضور المسجد ، وهو أعلم بمذهبه من غيره .

وخرَّجه مسلم(١) وأبو داود(٢) ، وقال مالك : عن ابن شهاب ، عن سليمان بن يسار قال : كان رسول الله ﷺ لا يأكل الثوم ، ولا الكراث ، ولا البصل ، من أجل الملائكة ، ومن أجل أنه يكلم جبريل - عليه السلام - .

قال ابن عبد البر : في هذا الحديث من الفقه إباحة أكل الثوم لسائر الناس، لأن رسول الله ﷺ إنما امتنع من أكلِ الثوم والبصل والكراث لعلة ليست موجودة في غيره ، فصار ذلك خصوصاً له .

وقد اختلف هل كان ذلك حراماً عليه ﷺ ؟ فيه لأصحابنا وجهان :

أحدهما : يحرم ، وبه جزم الماوردي كيلا يتأذى به الملك ، وأشبههما لا يحرم عليه ، بل كان أكل ذلك مكروهاً في حقه ﷺ وإنما كان يمتنع منه ترفعاً .

والدليل على ذلك ما خرَّجه مسلم من طريق شعبة ، عن سماك بن حرب ، عن جابر بن سمرة ، عن أبي أيوب الأنصاريّ - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ، قال كان رسول الله ﷺ إذا أتى بطعام أكل منه ، وبعث بفضلة إليَّ ، وأنه بعث إليّ يومًا بفضلة لم يأكل منها ، لأن فيها ثوماً فسألته : أحرام هو؟ قال : لا ، ولكني أكرهه من أجل ريحه ، قال : فإني أكره ما كرهت .

و خرَّجه الترمذيّ(٣) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

و خرَّجه مسلم(٤) أيضًا من طريق عاصم ، عن عبد الله بن الحارث ، عن أفلح مولى أبي أيوب ، عن أبي أيوب ، وفيه قصة ، وفي آخره : وكان

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٥/٥٢ - ٥٣ ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب (١٧) نهي من أكل ثومًا أو بصلاً أو كراثًا أو نحوها ، حديث رقم (٧٢) .

(٢) (سنن أبى داود) : ٤/١٧٠، كتاب الأطعمة ، باب (٤١) أكل الثوم ، حديث رقم (٣٨٢٢) ، وقوله : " فليعتزل مسجدنا " إنما أمره باعتزال المسجد عقوبة له وليس هذا كالمطر والريح العاصف ونحوهما من الأمور ، وقد رأيت بعض الناس صنف في الأعذار المانعة عن حضور الجماعة بابًا ووضع فيها أكل الثوم والبصل وليس هذا من ذاك في شيء ، والله -تعالى- أعلم.

(٣) (سنن الترمذيّ) : ٤/٢٩٩ - ٢٣٠ ، كتاب الأطعمة ، باب (١٣) ما جاء في كراهية أكل الثوم والبصل ، حديث رقم (١٨٠٦) .

(٤) (سبق تخريجه) .

النبي ﷺ يؤتي - يعني مجيء الملك - وهذا صريح في نفي التحريم ، وإثبات الكراهة ، وعلى هذا الجادة ، قال ابن الصلاح : وهذا يبطل وجه التحريم .

وخرّج أبو داود[١] من حديث بقية عن بجير ، عن خالد ، عن أبي زياد ، عن خيار بن سلمة أنه سأل عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - عن البصل ، فقالت : إن آخر طعام أكله رسول الله ﷺ طعام فيه بصل .

وخرّجه أحمد[٢] أيضاً وهو سند صالح واعترض صاحب (المطلب) بأن حديث أبي أيوب كان في ابتداء الهجرة ، والنهي عن أكل الثوم كان عام خيبر كما رواه البخاريّ في (صحيحه) .

وأجيب بما خرّجه مسلم[٣] من طريق إسماعيل بن علية ، عن الجريريّ ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : لم نعد أن فتحت خيبر فوقعنا أصحاب رسول الله ﷺ في تلك البقلة ، الثوم ، والناس جياع ، فأكلنا منها أكلاً شديداً ، ثم رحنا إلى المسجد ، فوجد رسول الله ﷺ الريح فقال : من أكل من هذه الشجرة الخبيثة شيئاً فلا يقربنا في المسجد ، فقال الناس : حرمت! حرمت! فبلغ ذلك النبي ﷺ ، فقال : يا أيها الناس ! إنه ليس لي تحريم ما أحل الله لي ، ولكنها شجرة أكره ريحها .

---

(١) (سنن أبي داود) : ٤/١٧٣ ، كتاب الأطعمة ، باب (٤١) في أكل الثوم حديث رقم (٣٨٢٩) .

(٢) (مسند أحمد) : ٧/١٣٠ ، حديث رقم (٢٤٠٦٤) .

(٣) (المرجع السابق) : ٥/٥٤ ، حديث رقم (٧٦) .

الثالثة : أنه ﷺ كان لا يأكل متكئًا

خرّج البخاريّ[1] من طريق مسعر عن عليّ بن الأقمر ، سمعت أبا جحيفه قال : كنت عند النبي ﷺ ، فقال لرجلٍ : لا آكل متكئاً .

وخرّجه ابن أبي خيثمه بهذا الإسناد مثله ، وخرّجه أبو داود[2] من طريق سفيان ، عن عليّ بن الأقمر بهذا الإسناد مثله سواء .

وخرّج البخاريّ[3] من طريق جرير بن منصور ، عن عليّ بن الأقمر ، عن أبي جحيفة ، قال : كنت عند النبي ﷺ ، فقال لرجلٍ عنده : لا آكل وأنا متكيء .

وخرّجه النسائي من طريق شريك عن عليّ بن الأقمر ، عن أبي جحيفة ، قال : قال رسول الله ﷺ : أما أنا فلا آكل متكئاً .

وخرّج عبد الرزاق عن معمر ، عن يحيى بن أبي كثير ، أن النبي ﷺ قال : آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد ، فإنما أنا عبد ، وخرّجه البيهقيّ في (شعب الإيمان)[4] وفي (دلائل النبوة) .

وخرّج ابن سعد[5] ، عن أبي النضر ، عن أبي معشر ، عن سعيد [المقبري] ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - ، أن النبي ﷺ قال لها : يا عائشة إن شئت لسارت معي جبال الذهب ، أتاني ملك وإن حُجْزته لتساوي الكعبة ، فقال : إن ربك يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : إن شئت

---

(١) (فتح الباري) : ٦٧٥/٩ ، كتاب الأطعمة ، باب (١٣) ، حديث رقم (٥٣٩٨) .

(٢) (سنن أبي داود) : ١٤٠/٤ - ١٤١ ، كتاب الأطعمة ، باب (١٧) ما جاء في الأكل متكئًا ، حديث رقم (٣٧٦٩) .

(٣) (فتح الباري) : ٦٧٥/٩ ، كتاب الأطعمة ، باب (١٣) الأكل متكئًا ، حديث رقم (٥٣٩٩) .

(٤) (شعب الإيمان) : ١٠٧/٥ ، باب (٣٩) في المطاعم والمشارب ، الأكل متكئًا ، حديث رقم (٥٩٧٥) .

(٥) (طبقات ابن سعد) : ٣٨١/١ ، ذكر صفة مأكله ﷺ ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه .

[كنت][1] نبيًا [مليكًا][2] ، وإن شئت [نبيًا] عبدًا ، فأشار إليَّ جبريل [أن] ضع نفسك ، فقلت : نبيًا عبدًا ، فكان بعد ذلك لا يأكل متكئًا ، ويقول : آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد .

وخرَّج النسائي من طريق بقية الزبيدي قال : حدثني الزهريّ ، عن محمد بن عبد الله بن عباس قال : كان ابن عباس – رضي الله تبارك وتعالى عنه – يحدث أن الله – تعالى – أرسل إلى بيته ﷺ ملكاً من الملائكة ، ومعه جبريل – عليه السلام – ، فقال له الملك : إن الله يخيّرك بين أن تكون عبدًا نبيًا وبين أن تكون ملكاً فالتفت رسول الله ﷺ إلى جبريل كالمستشير ، فأشار جبريل بيده أن تواضع ، فقال رسول الله ﷺ : لا بل أكون عبدًا نبيًا ، فما أكل بعد هذه الكلمة طعاماً متكئًا .

ورواه عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهريّ ، قال : جاء النبي ﷺ ملك لم يأته قبلها ولا بعدها ، فقال : إن الله يخيرك بين أن تكون نبياً ملكاً ، أو نبياً عبداً ... الحديث بنحوه .

وعن ابن عمر – رضي الله تبارك وتعالى عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : إنما أنا عبدٌ آكل كما يأكل العبد . خرَّجه البزار وقال : لا نعلمه يروي بإسناد متصل إلا من هذا الوجه ، ولا نعلم رواه عن ابن عمر إلا نافعاً ، ولاعنه إلا عبيد الله ، ولاعنه إلا مبارك ، تفرد به حفص وقال : ومبارك كان مدلساً ، وقد اختلف في ذلك ، هل كان حراماً عليه ﷺ أو مكروهاً ؟ فيه وجهان : أشبههما كما قال الرافعي وغيره : أنه كان مكروهاً فإنه لم يثبت فيه ما يقتضي

---

(١) من (الأصل) فقط .

(٢) كذا في (الأصل) ، وفي (الطبقات) : " ملكًا " ، وله من حديث حماد بن سلمة ، عن ثابت البناني ، عن شعيب بن عبد الله بن عمرو ، قال إسحاق بن عيسى في حديثه عن أبيه قال : ما رؤي رسول الله ﷺ يأكل متكئًا قطّ ، ولا يطأ عقبه رجلان . ومن حديث الفضل بن دكين ، أخبرنا مسعر ، كلاهما عن عليّ بن الأقمر ، قال : سمعت أبا جحيفة يقول : قال رسول الله ﷺ : لا آكل متكئًا . (المرجع السابق) : ١/٣٨٠ .

التحريمِ واجتناب رسول الله ﷺ الشيء واختياره غيره ، لا يدل على كونه محرماً عنده .

وقال النووي[1] : والصحيح أنه كان مكروهاً في حقه ﷺ ، لا حراماً ، وقال ابن شاهين : لم يكن محرمًا عليه وإنما هو أدب من الآداب .

والثاني : أنه كان حراماً عليه وجزم به صاحب (التلخيص) لما فيه من الكبر والعجب ، فعلى أنه ليس بحرام لا يبقى من باب الخصائص ، فإنه يكره لغيره أيضاً الأكل متكئاً على كل من تفسيريه ، وإذا تقرر ذلك فما المراد بالمتكيء ؟ ففيه خلاف ، قال ابن سيده : توكأ على الشيء واتكأ تحمل واعتمد ، والتكأة العصا يتكأ عليها في المشي ، واتكأ الرجل جعل له متكًا ، وضربه فأتكأه، ألقاه على جانبه الأيسر[2] ، وفسر الخطّابيّ المتكيء هنا بالمتمكن في جلوسه من التربع ، وشبهه المعتمد على الوطاء تحته ، قال : وكل من استوى

---

(١) (روضة الطالبين) : ٥/٣٤٨- ٣٤٩ ، كتاب النكاح ، باب في خصائص رسول الله ﷺ في النكاح وغيره ، وقال في هامشه : لم يبين المصنف المراد بالاتكاء ، وعن الخطّابي : المراد به الجالس المعتمد على وطاء تحته ، وعن ابن الجوزي : أن المراد به المائل على جنب ، وفسّره القاضي عياض في (الشفاء) بما ذكره الخطّابيّ .

(٢) قال الزجاج : هو ما يُتكأ عليه لطعام أو شراب أو حديث ، وقال المفسرون في قوله -تعالى- : ﴿ وأعتدت لهن متكًا ﴾ أي طعامًا ، وقيل للطعام متكأ لأن القوم إذا قعدوا على الطعام اتكؤوا، وقد نهيت هذه الأمة عن ذلك ، قال النبي ﷺ : آكل كما يأكل العبد ، وفي الحديث : لا آكل متكئًا .

المتكيء في العربية كل من استوى قاعدًا ، على وطاءٍ متمكنًا ، والعامة لا تعرف المتكيء إلا من مال في قعوده معتمدًا على أحد شقيه ؛ والتاء فيه بدل من الواو ، وأصله من الوكاء ، وهو ما يشد به الكيس وغيره ، كأنه أوكأ مقعدته وشدُّها بالقعود على الوطاء الذي تحته .

قال ابن الأثير : ومعنى الحديث : أني إذا أكلت لم أقعد متمكنًا فعل من يريد الاستكثار منه، ولكن آكل بُلغة ، فيكون قعودي له مستوفزًا . قال : ومن حمل الاتكاء على الميل إلى أحد الشقين ، تأوله على مذهب الطب ، فإنه لا ينحدر في مجاري الطعام سهلاً ، ولا يسيغه هنيئًا ، وربما تأذى به . (لسان العرب) : ١/٢٠٠ – ٢٠١ مختصرًا .

قاعداً على وطيء فهو متكيء ، ومعناه لا آكل أكل من يريد الاستكثار من الطعام ويقعد له متكئاً بل أقعد مستوفزاً[(١)] ، وآكل قليلاً ، فيكون الاتكاء على هذا التفسير التربع ، ورجحه جماعة لما فيه من التجبّر والتعاظم ، وأنكر ابن الجوزي هذا التفسير ، وقال : المراد به المائل على جنب ، فيكون الاتكاء على هذا التفسير الاضطجاع ، وهو المتبادر إلى أفهام كثيرين ، لما قد يحصل به من الأذى كما نهى عن الشرب قائمًا .

وقال القاضي عياض[(٢)] : وليس هو الميل على شِق عند المحققين ، واختيار ما فسره الخطابي وإليه ذهب ابن دحية أيضاً فقال : الاتكاء في اللغة هو التمكن في الأكل .

الرابعة : تعليم الشّعر

قال الله تعالى : ﴿ وما علمناه الشّعر وما ينبغي له ﴾[(٣)]

يقول - تعالى- : وما علمنا محمداً الشعر وما ينبغي له أن يكون شاعراً ، فجعل الله - تعالى- ذلك علماً من أعلام نبوة محمد ﷺ لئلا تدخل الشبهة على من أرسل إليهم ، فيظن به أنه قوي على القرآن بما في طبعه من القوة على الشعر .

قال سعيد : عن قتادة ، قيل لعائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - هل كان رسول الله ﷺ يتمثل بشيء من الشعر ؟ قالت : كان أبغض الحديث إليه غير أنه كان يتمثل بيت أخي بني قيس فيجعل آخره أوله ، وأوله آخره ، فقال أبو بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - إنه ليس هكذا ، فقال نبي الله ﷺ إني والله ما أنا بشاعر ولا ينبغي لي .

---

(١) (معالم السنن) : ١٤١/٤ ، شرح الحديث رقم (٣٧٦٩) باب ما جاء في الأكل متكئًا من (سنن أبي داود) .

(٢) (الشفا) : ٥١/١ ، فصل وأما ما تدعو ضرورة الحياة إليه مما فصلناه ... الخ .

(٣) ياسين : ٦٩ .

وقال الزَجّاج : معنى ﴿ وما ينبغي له ﴾[1] أي ما يتسهل له .

وخرَّج أبو داود[2] من حديث ابن عمرو - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما أبالي ما أتيت إن أنا شربت ترياقاً ، أو تعلقت تميمة ، أو قلت الشعر من قبل نفسي .

فلهذا قال أصحابنا : إنه كان يحرم عليه ﷺ تعلم الشعر . قال الرافعي : وإنما يتجه القول بتحريمهما - يعنى الشعر والخط - ممن يقول : إنه كان ﷺ يحسنها ، وقد اختلف فيه ، فقيل : يحسنهما ويمتنع منهما، والأصحّ أنه ﷺ كان لا يحسنهما . قال النووي في (الروضة)[3]: ولا يمتنع تحريمهما وإن لم

---

(١) ياسين : ٦٩ .

(٢) (سنن أبي داود) : ٤/٢٠١ - ٢٠٢ ، كتاب الطب ، باب (١٠) في الترياق ، حديث رقم (٣٨٦٩) ، ثم قال أبو داود : هذا كان للنبي ﷺ خاصة ، وقد رَخَّص فيه قوم ، يعني الترياق .

قال الشيخ : ليس شرب الترياق مكروهًا من أجل أن التداوي محظور ، وقد أباح رسول الله ﷺ التداوي والعلاج في عدة أحاديث ، ولكن من أجل أن يقع فيه من لحوم الأفاعي وهي محرمة . والترياق أنواع : فإذا لم يكن فيه لحوم الأفاعي فلا بأس بتناوله والله - تبارك وتعالى- أعلم .

والتميمة ، يقال : إنها خرزة كانوا يتعلقونها يرون أنها تدفع عنهم الآفات ، واعتقاد هذا الرأي جهل وضلال ، إذا لا مانع ولا دافع غير الله - سبحانه - ، ولا يدخل في هذا التعوذ بالقرآن ، والتبرك والاستشفاء به ، لأنه كلام الله - سبحانه - ، والاستعاذة به ترجع إلى الاستعاذة بالله - سبحانه - ، ويقال : بل التميمة قلادة تعلق فيها العوذ ، قال أبو ذؤيب :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

وقال آخر :

بلاد بها عقّ الشباب تميمتي وأول أرض مسّ جلدي ترابها

وقد قيل : إن المكروه من العوذ هو ما كان بغير لسان العرب فلا يفهم معناه ، ولعله قد يكون فيه سحر أو نحوه من المحظور ، والله - تبارك وتعالى - أعلم . (معالم السنن) .

(٣) (روضة الطالبين) : ٥/٣٤٩ ، كتاب النكاح ، باب في خصائص رسول الله ﷺ في النكاح وغيره ، وقال في هامشه : قال في (الخادم) قال في : (البيان) : ذكر النقاش أن النبي ﷺ =

يحسنهما ، ويكون المراد تحريم التوصل إليهما ، ودليل التحريم أن الله – تعالى – أخبر عن حال نبيه ﷺ وردَّ قول من قال من الكفار : إنه شاعر ، وأن القرآن شعر بقوله – تعالى – : ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له ﴾(١) .

ولذلك كان النبي ﷺ لا يقول الشعر ، ولا يزنه ، وكان إذا حاول إنشاء بيت قديم متمثلاً به كسر وزنه ، وإنما كان يحرر المعاني فقط ، من ذلك أنه انشد بيت طرفة(٢) :

= ما مات حتى كتب . قال : والأول أي عدم الكتابة هو المشهور . قال صاحب (الخادم) : يشهد للنقاش ما رواه البخاريّ في عمرة القضاء أن النبي ﷺ صالح سهيل بن عمرو ، فكتب عليّ بن أبي طالب – رضي الله تبارك وتعالى عنه – الصحيفة : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ﷺ ، فقال سهيل : اكتب محمد بن عبد الله ، فقال ﷺ لعلي – رضي الله تبارك وتعالى عنه –: امحه ، فقال عليّ : لا أمحوك أبدًا ، فأخذ النبي ﷺ الكتاب فكتب : هذا ما قاضى محمد بن عبد الله ، وفي هذه الكتابة وجوه :

أحدها : أنه ﷺ كتب وهو لا يعلم ما يكتب فانتظم مراده .

ثانيها : أنه ﷺ أوحى إليه فكتبه عن علم بالكتابة .

ثالثها : أنه ﷺ لكثرة كتابة اسمه بين يديه فعلم ذلك ، وهذا أضعف الأوجه .

رابعها : أنه ﷺ أمر من كتب ونسب الفعل إليه تجوزًا ، ولم يبين الشيخ هل المراد بالشعر إنشاده أو روايته أو أعم من ذلك ؟ قال في (الخادم) : وجعل الماورديّ والرويانيّ قول الشعر ، وتعلمه ، وروايته ، سواء في التحريم .

(١) ياسين : ٦٩ .

(٢) هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن عُباد بن صعصعة بن قيس بن ثعلبة ، ويقال: إن اسمه عمرو ، وأمه وردة ، من رهط أبيه ، وكان أحدث الشعراء سنًا ، وأقلهم عمرًا ، قتل وهو ابن عشرين سنة ، فيقال له : ابن العشرين ، وكان حسب من قومه ، جريئًا على هجائهم وهجاء غيرهم ، ومما سبق إليه قوله :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ... ويأتيك بالأخبار من لم تُزَوِّدِ

وقال غيره :

ويأتيك بالأنبياء من لم تبع لـه ... بتاتًا ولم تضرب له وقت موعد

(الشعر والشعراء) : ١٠٣ – ١٠٨ مختصرًا .

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك من لم تزوره بالأخبار

وأنشد يوماً ، وقد قيل له : من أشعر الناس ؟ فقال : الذي يقول :

ألم تريانِي كلما جئت طارقًا وجدت بها وإن لم تطبني طيبياً

وأنشد يوماً :

أتجعل نهبي ونهب العبـ ـيد بين الأقرع وعيينه [1]

وربما أنشد ﷺ البيت المستقيم في النادر .

---

(١) كان النبي ﷺ أعطى في العرب الأقرع بن حابس التميميّ مائة من الأبل ، وأعطى عيينة بن بدر الفزاريّ مائة من الإبل ، وأعطى مالك بن عوف مائة من الأبل ، وأعطى العباس بن مرداس السلميّ أربعًا من الإبل ، فعاتب النبي ﷺ في شعر قاله :

كانت نهابًا تلافيتها بكرّي على القوم في الأجرعِ
وحثّي الجنود لكي يدلجوا إذا هجع القوم لم أهجعِ
فأصبح نهبي ونهب العبيـ ـد بين عيينة والأقرعِ
إلا أفائل أعطيتها عديد قوائمها الأربعِ
وقد كنتُ في الحرب ذا تدرإٍ فلم أعط شيئًا ولم أُمنعِ
وما كان حصنٌ ولا حابسٌ يفوقان مرداس في المجمعِ
وما كنتُ دون امرئٍ منهما ومن تضعِ اليوم لا يُرفعِ

فرفع أبو بكر – رضي الله تبارك وتعالى عنه – إلى النبي ﷺ ، فقال النبي ﷺ للعباس: أنت الذي تقول :

أصبح نهبي ونهب العبـ ـيد بين الأقرع وعيينة ؟

فقال أبو بكر – رضي الله تبارك وتعالى عنه – : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، ليس هكذا قال ! قال : كيف ؟ فأنشده أبو بكر كما قال عباس ، فقال النبي ﷺ : سواء ، ما يضرك بدأت بالأقرع أم عيينة ! فقال أبو بكر – رضي الله تبارك وتعالى عنه – : بأبي أنت وأمي ، ما أنت بشاعر ولا راوية ، ولا ينبغي لك ، فقال رسول الله ﷺ : اقطعوا لسانه عني ، فأعطوه مائة من الإبل ، ويقال : خمسين من الإبل . (مغازي الواقدي) : ٣/٩٤٦ – ٩٤٧ . والأجرع : المكان السهل . والعبيد : فرس عباس بن مرداس . أفائل : جمع أفيل ، وهي الصغار من الأبل. ذا تدرإٍ : أي ذا دفع ، من قولك : درأه أي دفعه .

وروى البيهقيّ من طريق عليّ بن عمرو الأنصاري ، حدثنا سفيان بن عيينه ، عن الزهريّ عن عروة ، عن عائشة – رضي الله تبارك وتعالى عنها– قالت : ما سمعت من النبي ﷺ بيت شعر قط إلا بيتًا واحدًا :

تفـــاعل بمـــا تهـوى يكـــن فلقل ما يقال بشيء كان ألاّ يحققُ

وثبت في الصحيح أنه ﷺ يوم الخندق تمثّل شعر عبد الله بن رواحة :

اللـــهم لـــولا أنت ما اهتدينا ولا تـَصَــدّقـنـا ولا صَــلّيْـنـا

الشعر بتمامه لكن قال أبو الحجاج المزني في حديث عائشة – رضي اللـه تبارك وتعالى عنها – : هذا حديث منكر .

وأما بشعر ابن رواحة فإنه تارة يروي برحاف ، وتارة بغير رحاف ، فالله أعلم كيف قاله ﷺ .

وذكر الأمويّ في (مغازيه) أنه ﷺ جعل يوم بدر يدور بين القتلى يقول :

فعلـق هـامًا مـن رجـال أعزّةٍ علينا وهـم كـانوا أعـق وأظلما

وقال الحربي : ولم يبلغني أنه ﷺ أنشد بيتاً تامًا على وزنه ، بل الصدر ، كقول لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

أو العَجُز كقوله طرفة :

ويـأتيك بالأخبار مـن لـم تـزود

فإن أنشد بيتاً كاملاً غيَّرهُ ، قال يوماً :

أتجعـل نهـبي ونهـب العبيـ ـد بـيــن الأقـــرع وعـيينــة[1]

فقال أبو بكر : أشهد أنك رسول الله ، ثم قرأ: ﴿**وما علمناه الشعر**﴾[2].. الآية ، وقال عمر بن شبّة[3] في كتاب (أخبار مكة) : حدثنا أبو داود ، حدثنا

---

(١) راجع التعليق السابق ، ففيه البيت بدون تغيير .

(٢) ياسين : ٦٩ .

(٣) هو عمرو بن شبة يزيد بن عبيدة بن رابطة النميريّ أبو يزيد البصريّ ، ثم البصريّ ، ثم البغداديّ ، الأديب الإخباريّ الشهير بابن شبة . ولد سنة (١٧٣) وتوفى بسّر من رأى سنة =

شعبة ، عن سماك بن حرب ، قال : سمعت رجلاً اسمه سعد قال مرة ، عن سعد ولم يذكر مرة سعدًا ، قال : ذكرت بنو ناجية عند رسول الله ﷺ فإما أن يكون النبي ﷺ قال : عين ، فأبكى أسامة بن لؤي فقال رجل : علقت بأسامة العلاقة ، وإما أن يكون الرجل قال ، فأتم رسول الله ﷺ البيت .

وذكر السهيلي أنه ﷺ قال للعباس بن مرادس : أنت القائل :

أتجعل نهبى العبـ ـيد بين الأقرع وعيينة

وتكلم السهيلي على ما تقدم الأقرع على عيينة بمناسبات غريبة ، وتكلموا على قوله ﷺ يوم حنين وهو في وجوه العدو :

أنا النبي لا كـذب أنا ابن عبد المطلب

بما حاصله أنه لم يخرج مخرج الشعر ، وإنما وقع سجعاً من غير قصد .

وقال الحسن بن أبي الحسن : أنشد النبي ﷺ :

كفي بالإسلام والشيب للمرء ناهياً

فقال أبو بكر –رضي الله تبارك وتعالى عنه–: يا رسول الله إنما قال الشاعر :

هريرة ودع إن تجهزت غاديًا كفي بالشيب والإسلام للمرء ناهياً

فقال أبو بكر وعمر – رضي الله تبارك وتعالى عنهما – : أشهد أنك رسول الله ، يقول الله عز وجل : ﴿ **وما علمناه الشعر وما ينبغي له** ﴾[1] ، وقال الخليل بن أحمد : كان الشعر أحب إلى رسول الله ﷺ من كثير الكلام ، ولكن لا يأتي له .

واعلم أن إصابة رسول الله ﷺ وزن الشعر أحياناً لا يوجب أنه لا يعلم الشعر وكذلك ما يأتي له أحياناً من نثر كلامه مما يدخل في وزن الشعر كقوله :

هل أنت إلا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت ؟

وقوله :

= (٢٦٢) ، وله من التصانيف : أخبار أمراء البصرة ، أخبار أمراء الكوفة ، أخبار أمراء المدينة، أخبار مكة ، أخبار بني نمير ، أخبار الكوفة ، وغير ذلك . (كشف الظنون) : ٦٢٢/٥ .

(١) ياسين : ٦٩ .

أنا النبي لا كذب أن ابن عبد المطلب

فقد تأتى مثل ذلك في آيات القرآن الكريم ، بل في كل كلام ، وليس كل ذلك بشعر ، ولا في معناه ، كقوله – تعالى – : ﴿ **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون** ﴾[1] ، وقوله – تعالى – : ﴿ **نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين** ﴾[2] وقوله – تعالى – : ﴿ **وجفان كالجواب وقدور راسيات** ﴾[3] ، إلى غير ذلك من الآيات ، لأن ما وافق وزنه وزن الشعر ، ولم يقصد به الشعر، ليس بشعر ، إذ لو كان شعرًا لكان كل من نطق بكلام موزون من عامة الناس الذين لا يعرفون الوزن ، يصدق عليه أنه شاعر ، ولم يقل بهذا أحد من العقلاء .

وقال أبو حسن الأخفش في قوله – عليه السلام – :

أنا النبي لا كذب

ليس بشعر ، وقال في كتاب (العين) : ما جاء من السجع على جزأين لا يكون شعرًا ، وروى عن الأصمعي أنه من منهوك الرجز ، وقد قيل : لا يكون من منهوك الرجز إلا بالوقوف على الباء من قوله : " لا كذب " ، ومن قوله : " عبد المطلبْ " ، ولم يعلم كيف قاله ﷺ .

وقال ثابت : قال الخليل : المشطور ليس من الشعر ، وكذلك المنهوك ، قيل : فما هما ؟ قال أنصاف مسجعة ، فرد ذلك عليه ، فقال : لأحتجن عليهم بحجة ، إن لم يقرعوا بها كفروا ، لو كان شعرًا ما جرى على لسان رسول الله ﷺ ، لأن الله – تعالى – يقول : ﴿ **وما علمناه الشعر وما ينبغي له** ﴾[4] .

---

(١) آل عمران : ٩٢ ، قال الشاعر :

يا عباد الله هُبّوا ليس غير الله ربُّ

إن في القرآن آية ذكرها للقلب طبُّ

لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبّوا

(٢) الصف : ١٣ .

(٣) سبأ : ١٣ .

(٤) ياسين : ٦٩ .

وقال القاضي أبو بكر بن العربي : الأظهر من حاله ﷺ أنه قال : " لا كذبُ " ، الباء مرفوعه ، ويخفض الباء من عبد المطلب على الإضافة .

وقال النحاس عن بعضهم : إنما الرواية بالإعراب ، وإذا كانت بالإعراب لم يكن شعراً ، لأنه إذا فتح الباء من البيت الأول ، أو ضمها ، أو نوَّنها ، وكسر الباء من البيت الثاني ، خرج على وزن الشعر .

وقال بعضهم : ليس هذا الوزن من الشعر ، ورد بأن أشعار العرب على هذا الوزن ، قد رواها الخليل وغيره ، وأما قوله – عليه السلام – :

هل أنت إلا أصبع دميت   [وفي سبيل الله ما لقيت] ؟[1]

فإنه من بحر السريع ، إذا كسرت التاء من دميت ، فإن سكنت لم يكن شعراً ؛ لأن ما بين الكلمتين على هذه الصفة لا يكون فعولن ، ويصير فَعلنْ ، ولا مدخل لفعلن في بحر السريع .

فلعل النبي ﷺ قالها ساكنة ، أو متحركة التاء ، من غير إشباع ، وعلى تسليم أنه شعر لا يلزم منه أن يكون ﷺ عالماً بالشعر ، ولا شاعراً ، لأن التمثل بالبيت النادر وإضافة القافيتين من الرجز وغيره لا يوجب أن يكون قائل ذلك عالماً بالشعر ، ولا يسمى شاعرًا باتفاق العقلاء ، كما أن من خاط مرة لا يكون خياطاً .

وقال أبو إسحاق الزجاج : معنى ﴿ **وما علمناه الشعر** ﴾[2] وما علمناه أن يشعر ، أي ما جعلناه شاعرًا ، وهذا لا يمنع أن ينشد شيئًا من الشعر .

وقد قيل : إنما أخبر الله – تعالى – أنه ما علمه الشعر ولم يخبر أنه لا ينشد شعرًا ، وقالوا مع ذلك : كل من قال قولاً موزونًا لا يقصد به الشعر فإنه ليس بشعر ، وإنما وافق الشعر ، فالذي نفاه الله – تعالى – عن نبيه ﷺ ، إنما هو العلم بالشعر ، وأصنافه ، وأعاريضه ، وقوافيه ، والاتصاف بقوله ، ولم يكن ﷺ موصوفًا بذلك من أحد بالاتفاق ، ألا ترى أن قريشًا لما تراوضت فيما تقول العرب فيه إذا قدموا عليهم في الموسم ، فلما قال بعضهم : نقول : إنه

---

(١) ما بين الحاصرتين زيادة للسياق .

(٢) ياسين : ٦٩ .

شاعر" ، قال أهل الفطنة منهم : والله لتكيدنكم العرب ، فإنهم يعرفون أصناف الشعر ، فوالله ما يشبهه شيئًا منها ، وما قوله بشعر .

وقال أنيس أخو أبي ذر : لقد وضعت قوله على أقراء الشعر ، فلم يلتئم أنه شعراً . وقال عتبة بن ربيعة لما كلمه : والله ما هو بشعر ، ولا كهانة ، ولا سحر . وقد سُقْتُ هذه كلها بأسانيدها في موضعها من هذا الكتاب .

الخامسة : أنه ﷺ لم يكن يحسن الكتابة

قالوا : وكان يحرم عليه ذلك ، قال الله – تعالى – : ﴿ **الذين يتبعون الرسول النبي الأميّ الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل** ﴾[(١)] قال ابن كيسان : واحد الآيتين أميّ ، كان منسوبًا إلى أمة ؛ والأمة لا تكتب بالجملة، إنما يكتب بعضها ، وقيل نسب إلى أمه ، لأن الكتاب كان في الرجال ، ولم يكن في النساء[(٢)].

---

(١) الأعراف : ١٥٧ ، وتمامها : ﴿ **يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون** ﴾ .

(٢) قال ابن حديدة الأنصاري (٧٨٣ هـ) : روينا عن الإمام أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الخثعميّ ثم السهيليّ – رحمه الله – في (الروض الأنف) – وقد تكلم على كتاب رسول الله ﷺ في صلح الحديبية – : وأنه محا اسمه وهو " رسول الله " حين قال له سهيل بن عمرو : ولو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، فكتب : " هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله " لأنه قول حق كله ، فظن بعض الناس أنه كتب بيده ؛ وفى البخاريّ : كتب وهو لا يحسن الكتابة ، فتوهم أن الله – تعالى – أطلق يده بالكتابة في تلك الساعة خاصة. وقال : هي آية ، فيقال له : كانت تكون آية لا تنكر ، لولا أنها مناقضة لآية أخرى وهو كونه أميًا لا يكتب ، وبكونه أميًا في أمة أمية قامت الحجة ، وأفحم الجاحد ، وانحسمت الشبهة ، فكيف يطلق الله – عزّ وجلّ – يده فيكتب لتكون آية ؟ وإنما معنى " كتب " أمر أن يكتب ، وكان الكاتب في ذلك اليوم عليّ بن أبي طالب – رضوان الله عليه – ، وقد كتب له عدة من =

- أصحابه ﷺ منهم الخلفاء الأربعة [وغيرهم] ، ذكرهم عمر بن شبة في كتاب (الكتّاب) له ، فجميعهم ثلاثة وعشرون ، وقد تتبعت ما أغفله ابن شبّة - رحمه الله - فبلغت بهم نحوًا من أربعة وأربعين كاتبًا مع الذين ذكرهم ، خرجتهم من مصنفات علماء هذا الشأن . (المصباح المضيّ) : ١/٢٧ - ٢٨ ، باب في ذكر من كتب له من الصحابة ، والكلام على كتابه ﷺ في صلح الحديبية ، مختصرًا .

وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور : ولأن محمدًا ﷺ اشتهر بوصف النبيّ الأميّ ، فصار هذا المركب كاللقب له ، فلذلك لا يغيره عن شهرته ، وكذلك هو حيثما ورد ذكره في القرآن الكريم .

والأميّ : الذي لا يعرف الكتابة والقراءة ، قيل : هو منسوب إلى الأم ، أي هو أشبه بأمه منه لأبيه ، لأن النساء في العرب ما كنّ يعرفن القراءة والكتابة ، وما تعلمنها إلا في الإسلام ، فصار تعلم القراءة والكتابة من شعار الحرائر دون الإماء ، كما قال عبيد الراعي - وهو إسلاميّ - :

هنّ الحرائر لا ربات أخمرةٍ سود المحاجر لا يقرأن بالسُّوَرِ

أما الرجال ففيهم من يقرأ ويكتب .

وقيل : منسوب للأمة ، أي الذي جاء حاله معظم الأمة ، أي الأمة المعهودة عندهم وهي العربية ، وكانوا في الجاهلية لا يعرف منهم القراءة والكتابة إلا النادر منهم ، ولذلك يصفهم أهل الكتاب بالأميين ، لما حكى الله - تعالى - عنهم في قوله : ﴿ **ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل** ﴾ [آل عمران : ٧٥] .

والأمية وصف خص الله - تعالى - به من رسله محمدًا ﷺ إتمامًا للإعجاز العلميّ والعقليّ الذي أيده الله به ، فجعل الأمية وصفًا ذاتيًا له ، ليتم بها وصفه الذاتي ، وهو الرسالة ، لكي يظهر أن كماله النفسانيّ كمالٌ لدنيّ إلهيّ ، لا وساطة فيه للأسباب المتعارفة للكمالات ، وبذلك كانت الأمية وصف كمال فيه ، مع أنها في غيره وصف نقصان ، لأنه لما حصل له من المعرفة وسداد العقل ما لا يحتمل الخطأ في كل نواحي معرفة الكمالات الحق ، وكان على يقين من علمه ، وبينه من أمره ، ما هو أعظم مما حصل للمتعلمين ، صارت أميته آية على كون ما حصل له إنما هو من فيوضات إلهية . (تفسير التحرير والتنوير) : ٩/١٣٣ .

وقال ابن النحاس : منسوب إلى أمه كما ولد ، وقيل : نسب إلى أم القرى، وقال – تعالى – : ﴿ **وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون** ﴾(١) يقول الله – جل ذكره – : وما كنت يا محمد تتلو يعني تقرأ قبله يعني من قبل هذا القرآن الذي أنزلته إليك من كتاب ولا تخطه بيمينك يقول: ولم تكن تكتب بيمينك ، ولكنك كنت أميًا ، إذًا لارتاب المبطلون ، يقول : ولو كنت من قبل أن يوحى إليك تقرأ الكتب أو تخطها بيمينك ، إذًا لارتاب ، يقول : إذًا لشكَّ بسبب ذلك في أمرك وما جئتهم به من عند ربك من هذا الكتاب الذي تتلوه عليهم المبطلون القائلون : أنه سجع وكهانة ، وأنه أساطير الأولين .

قال ابن عباس : كان النبي ﷺ أميًا لا يقرأ شيئاً ولا يكتب . وقال سعيد عن قتادة : كان النبي ﷺ لا يقرأ كتاباً قبله ، ولا يخطه بيمينه ، قال : كان أميًّا؛ والأمي الذي لا يكتب ، وقال أبو إدريس الأوردي ، عن الحكم ، عن مجاهد : كان أميًا ؛ والأميّ الذي لا يكتب ، قال : وكان أهل الكتاب يجدون في كتبهم أن النبي ﷺ لا يخط ، ولا يقرأ كتابًا ، فنزلت هذه الآية : ﴿ **وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذًا لارتاب المبطلون** ﴾(٢) قال سعيد : إذًا لقالوا: إنما هذا شيء تعلمه محمد وكتبه .

وقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : المبطلون قريش ، وقد زعم بعضهم أنه ﷺ لم يمت حتى تعلم الكتابة ، وهذا قول لا دليل عليه ، فهو مردود .

وتمسك القائل بأنه ﷺ كان يحسن الكتابة بما خرَّجه البيهقيّ من طريق أبي عقيل يحيى بن المتوكل ، عن مجاهد ، عن عون بن عبد الله ، عن أبيه ، قال : لم يمت رسول الله ﷺ حتى كتب وقرأ .

وقال مجاهد : فذكرت ذلك للشعبي ، فقال : قد صدق ، قد سمعت من بعض أصحابنا يذكرون ذلك .

---

(١) العنكبوت : ٤٨ .

(٢) العنكبوت : ٤٨ .

قال البيهقيّ : إنه حديث منقطع ، وفي روايته جماعة من الضعفاء والمجهولين(١) .

قال مؤلفه : يحيي بن المتوكل أبو عقيل المدني الحذَّاء الضرير(٢) مولى آل عمر وصاحب بُهيمة ، روى عنهما ، وعن محمد بن المنكدر ، والقاسم بن عبد الله العمري ، وجماعة ، وروى عنه ابن المبارك ، ووكيع ، وجماعة .

قال ابن معين : ليس بشيء ، ومرة قال : ليس به بأس ، ومرة قال : ضعيف ، وقال الدارميّ : هو ضعيف ، وقال أحمد بن حنبل : أحاديثه عن بهيمة ، عن عائشة منكرة ، لم يرو عن بهيمة شيء وما روى عنها إلا هو واهي الحديث ، ومرة قال : يروي عن قوم لا أعرف منهم واحدًا ، ولم يحل عنهم .

وقال الفلاس : هو ضعيف ، ومرة قال : فيه ضعف ، وقال السعديّ : أحاديثه منكرة ، وقال النسائي : ضعيف وقال ابن عدي : وعامة أحاديثه غير محفوظة ، ومجالد بن سعيد بن عمير بن ذى يزن ، أبو عمير الهمداني ، الكوفي ، ضعفه يحيى القطان ، وابن معين ، والسعديّ ، والنسائيّ ، وقال ابن عدي : وعامة ما يروونه غير محفوظ .

وذكر النقاش في (تفسيره) عن الشعبي أنه قال : ما مات النبي ﷺ حتى كتب ، وأسند من حديث أبي كبشة السلوليّ أنه ﷺ قرأ صحيفة لعيينة بن حصن.

قال ابن عطية : وهذا كله ضعيف ، وتمسك أيضًا بما خرَّجه البخاريّ(٣) في كتاب الصلح في عمرة القضاء من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق ، عن

---

(١) (سنن البيهقيّ) : ٤٢/٧ - ٤٣ ، كتاب النكاح ، باب لم يكن له ﷺ أن يتعلم شعرًا ولا يكتب .

(٢) يحيى بن المتوكل العمري أبو عقيل المدنيّ ، ويقال : الكوفيّ الحذاء الضرير ، صاحب بُهية ، مولى العمريين ، روى عن أبيه ، وأمه أم يحيى وبهية ويحيى بن سعيد الأنصاريّ وغيرهم ، عن يحيى بن معين وهو ضعيف ، وليس حديثه بشيء ، وعن عليّ بن المديني كذلك ، كما ضعفه النسائي وغيره ، قال ابن قانع : مات سنة (١٦٧) . له ترجمة في : (تهذيب التهذيب) : ٢٣٧/١١ ، (تاريخ بغداد) : ١٠٨/١٤ ، (الكامل في ضعفاء الرجال) : ٢٠٦/٧ - ٢٠٨. =

= (٣) (فتح الباري) : ٣٨٠/٥ ، كتاب الصلح ، باب (٦) كيف يكتب " هذا ما صالح فلان ابن فلان فلان ابن فلان " وإن لم ينسبه إلى قبيلته أو نسبه ، حديث رقم (٢٦٩٩) .

قال الحافظ : وقد تمسك بظاهر هذه الرواية أبو الوليد الباجي ، فادعى أن النبي ﷺ كتب بيده بعد أن لم يكن يحسن يكتب ، فشنع عليه علماء الأندلس في زمانه ، ورموه بالزندقة ، وأن الذي قاله يخالف القرآن ، حتى قال قائلهم :

برئتُ ممن شرى دنيا بآخرةٍ وقال إن رسول الله قد كتبا

فجمعهم الأمير فاستظهر الباجي عليهم بما لديه من المعرفة وقال للأمير : هذا لا ينافي القرآن ، بل يؤخذ من مفهوم القرآن ، لأنه قيد النفي بما قبل ورود القرآن ، فقال : ﴿ **وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك** ﴾ وبعد أن تحققت أمنيته ، وتقررت بذلك معجزته ، وأمن الارتياب في ذلك ، لا مانع من أن يعرف الكتابة بعد ذلك من غير تعليم فتكون معجزة أخرى .

وذكر ابن دحية أن جماعة من العلماء وافقوا الباجي في ذلك ، منهم شيخه أبو ذر الهرويّ، وأبو الفتوح النيسابوريّ ، وآخرون من علماء إفريقية وغيرها ، واحتج بعضهم لذلك بما أخرجه ابن أبي شيبة ، وعمر بن شبة ، من طريق مجاهد عن عون بن عبد الله قال : " ما مات رسول الله حتى كتب وقرأ " قال مجاهد : فذكرته للشعبيّ فقال : صدق ، قد سمعت من يذكر ذلك .

ومن طريق يونس بن ميسرة على أبي كبشة السلوليّ ، عن سهل بن الحنظلية " أن النبي ﷺ أمر معاوية أن يكتب للأقرع وعيينة ، فقال عيينة : أتراني أذهب بصحيفة المتلمس ؟ فأخذ رسول الله ﷺ الصحيفة فنظر فيها فقال : قد كتب لك بما أمر لك " . قال يونس : فنرى أن رسول الله ﷺ كتب بعد ما أنزل إليه .

قال عياض : وردت آثار تدل على معرفة حروف الخط وحُسن تصويرها ، كقوله لكاتبه : " ضع القلم على أذنك فإنه أذكر لك " ، وقوله لمعاوية : " ألق الدواة وحرف القلم ، وأقم الباء ، وفرق السين ولا تعور الميم " ، وقوله : " لا تمد بسم الله " . قال : وهذا وإن لم يثبت أنه ﷺ كتب ، فلا يبعد أن يرزق علم وضع الكتابة ، فإنه أوتى من كل شيء .

وأجاب الجمهور بضعف هذه الأحاديث . وعن قصة الحديبية بأن القصة واحدة ، والكاتب فيها عليّ ، وقد صرح في حديث المسور بأن عليًا هو الذي كتب ، فيحمل على أن النكتة في =

البراء ، قال : اعتمر النبي ﷺ في ذي القعدة ، فأبى أهل مكة أن يَدَعُوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيامٍ ، فلما كتبوا الكتاب كتبوا: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ، فقالوا : لا نُقِرُّ بها ، فلو نعلم أنك رسول الله ما منعناك ، لكن أنت محمد بن عبد الله ، فقال : أنا رسول الله ، وأنا محمد بن عبد الله ، ثم قال لعليّ بن أبي طالب : امح رسول الله ، قال : لا والله لا أمحوك أبدًا ، فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب - وليس يحسن يكتب - فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله . وذكر الحديث .

ووقع في (أطراف أبي مسعود الدمشقي) أنه ﷺ أخذ الكتاب وليس يحسن أن يكتب ، فكتب : مكان "رسول الله" : " محمدًا " وكتب : "هذا ما قاضى عليه محمد" " .

وأخرجه الإسماعيلي ، وقال ابن دحية في كتاب (التنوير) بعد أن عزاها إلى أبي مسعود : هي زيادة متلوّة ليست في (الصحيحين) ، وغفل - رحمه الله - عن وقوعها في (صحيح البخاريّ) ، كما بيَّنا ، وليس في هذه الزيادة

= قوله : " فأخذ الكتاب وليس يحسن يكتب " لبيان أن قوله : " أرني إياها " أنه ما احتاج إلى أن يريه موضع الكلمة التي امتنع عليّ من محوها ، إلا لكونه كان لا يحسن الكتابة ، وعلى أن قوله بعد ذلك : " فكتب " فيه حذف ، تقديره : فمحاها ، فأعادها لعليّ - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فكتب ، وبهذا جزم ابن التين ، وأطلق كتب بمعنى أمر الكتابة ، وهو كثير كقوله : كتب إلى قيصر ، وكتب إلى كسرى ، وعلى تقدير حمله على ظاهره ، فلا يلزم من كتابة اسمه الشريف في ذلك اليوم وهو لا يحسن الكتابة أن يصير عالمًا بالكتابة ويخرج عن كونه أميًا ، فإن كثيرًا ممن لا يحسن الكتابة يعرف تصور بعض الكلمات ويحسن وضعها وخصوصًا الأسماء ، ولا يخرج بذلك عن كونه أميًا ككثير من الملوك ويحتمل أن يكون جرت يده بالكتابة حينئذ وهو لا يحسنها ، فخرج المكتوب على وفق المراد ، فيكون معجزة أخرى في ذلك الوقت خاصة ، ولا يخرج بذلك عن كونه أميًا . وبهذا أجاب أبو جعفر السمناني - أحد أئمة الأصول من الأشاعرة - وتبعه ابن الجوزي ، وتعقب ذلك السهيليّ وغيره ، بأن هذا وإن كان ممكنًا ويكون آية أخرى ، لكنه يناقض كونه أميًا لا أن يصير يكتب بعد ذلك لعادت الشبهة . (فتح الباري): ٧/٦٤١ - ٦٤٢ ، كتاب المغازي ، باب (٤٤) عمرة القضاء ، حديث رقم (٤٢٥١) .

دليل ، فقد تقرر في موضعه أن المقيد يقضي على المطلق ، ففي الرواية الأخرى : فأمر عليًا فكتب : هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله ، وله طرق عديدة في (الصحيحين) وغيرهما .

قال ابن دحية : وذكر عمر بن شبة في كتاب (الكُتّاب) له ، أنه ﷺ كتب يوم الحديبية بيده ، ونحى في قوله إلى أنه قصر الكتاب عالمًا به في ذلك الوقت، ولم يعلمه قبله ، وإن ذلك من معجزاته ﷺ ، أن تعلم الكتاب في وقته ، لأن ذلك خرق للعادة .

وقال بهذا القول بعض المحدثين ، منهم أبو ذرّ الهروي ، وأبو الفتح النيسابوري ، والقاضي أبو الوليد الباجي ، وصنف في ذلك كتابًا ، وقيل : إنه ﷺ كتب ذلك اليوم غير عالم بالكتابة ، ولا مميز لحروفها ، لكنه أخذ العلم بيده، فخط به ما لم يميزه هو فإذا هو كتاب ظاهر بينٌ على حسب المراد .

قال: وذهب إلى ذلك القاضي أبو جعفر السمنانيّ الأصوليّ ، قال الباجي : كان من أوكد معجزاته ﷺ أن يكتب من غير تعلم ، قال ابن دحية : وهذا كله ليس بشيء ، وقد ردَّ على الباجي فيما ذهب إليه من ذلك ابن معوذ ، وسمَّع عليه بسبب المقالة ، وتبعه كثير من فقهاء الأندلس وغيرهم بموافقته ، منهم . محمد بن إبراهيم الكناني ، وأجاد فيما كتب ، وبين أن ذلك لا يبطل المعجزة ، واستأنس بمفهوم ﴿ **وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك** ﴾ وحكى في أثناء ذلك عن بعض أهل الأدب أنه زعم أن النبي ﷺ كان يحسن الشعر ولكنه كان لا يتعاطاه ، قال : وإن ذلك أتم وأكمل مما لو قلنا إنه كان لا يحسنه .

وحكى البغوي في (التهذيب) الخلاف ، فقال : وقيل : كان يحسن الخط ولا يكتب ، ويحسن الشعر ولا يقوله ، والأصح أنه كان لا يحسنهما ، ولكن كان يميز بين جيد الشعر ورديئة .

وقال القضاعي في (عيون المعارف) : أن من خصائصه ﷺ أنه لم يكن له أن يقول شعراً ، ولا أن ينقله ، وألحق الماوردي بقول الشعر روايته وبالكتابة والقراءة أي في كتاب لقوله - تعالى - : ﴿ **وما كنت تتلو من قبله من كتاب** ﴾ قال موسعه والصواب أن الله - تعالى - إنما سأل نبيه ﷺ ما فضّل به ملائكته

مع إعلاء ذكره وما خصّه به من بين أنبيائه إلا لما هو أفضل منه وأقوم بحجته على الكافرين به ، وهو أنه ﷺ بعث في زمن الفصاحة والبلاغة ، فلو كان ممن يقرأ ويكتب لتوجه للطاعن الطعن مع أنه مع شدة فصاحة أهل بيته وتميزهم فيها على فصاحة قريش كلها وإتقان المعرفة بالكتابة والخط أن يأتي بما أتى به من القرآن فيتبع لقريش الحجة بذلك ، وحاش له معرفة الكتابة ليكون له ذلك معجزاً يبطل به دعواهم ، ويحصن ، حجتهم ويكذب أقوالهم ، إذ كان قد أتى العرب من رجل أي ما أنجزه ، ومنعهم عن الإتيان بمثله .

السادسة : كان يحرم عليه ﷺ
إذا لبس لأمته أن ينزعها حتى يلقى العدو
ويقاتله لحديث يوم أحد لما أشار عليه ﷺ جماعة من المؤمنين
بالخروج إلى عدوه إلى أحد فدخل فلبس لأمته
فلما خرج عليهم قالوا : يا رسول الله إن أبيت أن ترجع
فقال : ما ينبغي لنبيّ إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل

هكذا في رواية يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن شهاب وغيره ، وفي رواية موسى بن عقبة ، عن ابن شهاب قال : قال رسول الله ﷺ : ما ينبغي لنبي إذا أخذ لأمة الحرب وأذن بالخروج إلى العدو أن يرجع حتى يقاتل .

وقال الواقدي[1] في روايته : عن الزهريّ عن عروة ، عن المستورد بن مخرمة : فقال رسول الله ﷺ : قد دعوتكم إلى هذا الحديث فأبيتم ، ولا ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه ، [وكانت الأنبياء قبله إذا لبس النبي لأمته لم يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه][2].

وفي سنن البيهقيّ مرسلاً[3] : لا ينبغي لنبي إذا أخذ لأمة الحرب وأذن في الناس بالخروج إلى العدوّ أن يرجع حتى يقاتل ، ثم قال : وقد كتبناه موصولا

(١) (مغازي الواقدي) : ٢١٤/١ ، في سياق حوادث غزوة أحد ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه .

(٢) وعلى ذلك لا تكون خصوصية له ﷺ ، ما دامت كانت للأنبياء قبله .

(٣) (سنن البيهقيّ) : ٤٠/٧ - ٤١ ، كتاب النكاح ، باب لم يكن له إذا لبس لأمته أن ينزعها حتى يلقى العدوّ ولو بنفسه ، ثم قال : وهكذا ذكره موسى بن عقبة عن الزهريّ ، وكذلك ذكره محمد بن إسحاق عن يسار عن شيوخه من أهل المغازي ، وهو عام في أهل المغازي وإن كان منقطعًا ، وكتبناه موصولاً بإسناد حسن .

بإسناد حسن ، فذكره من رواية ابن عباس وأخرجه الإمام أحمد[1] من حديث أبي الزبير عن جابر .

وذكره البخاريّ في (صحيحه)[2] في باب المشاورة بغير إسناد . وقوله في الحديث : لأمته هو بالمحركة قيده صاحب (المشارق) ، وقال أبو الخطاب ابن دحية في كتاب (نهاية السؤول في خصائص الرسول ﷺ) كذا سمعته .

قال ابن فارس في (المحل) اللأمة مهمون الزرع قال : كذا قيدتها بالتمييز في كتاب (فقه اللغة) إلا أنه جعلها الزرع التام وكذا قيده في (كفاية المتحفظ) وقال ابن سيدة في مادة لأم : أو اللأمة الزرع وجمعها لأَم وهذا على غير قياس وإسلام لأمته وتلاءم منها لبسها وجاء ملاءمًا عليه لأمة واللأمة سلاح كلها ، عن بن الأعرابيّ وقد استلأم بها ، وقد اختلف في هذه المسألة فاشتهر الجمهور بأنه كان يحرم عليه ﷺ التسرع حتى يقاتل ويمكن تقرير دليله بأن نزع اللأمة بعد لبسها يشعر بالجبن وهو من ضعف النفس وذلك ممتنع على الأنبياء غير جائز عليهم ، وعن رواية الشيخ أبي علي : إن ذلك كان مكروهًا لامحرمًا ، وقال الإمام : وهذا بعيد غير موثوق به قال : وقد قيل بناء عليه : إنه كان لا يبتدي تطوعاً إلا لزمه إتمامه ، فإذا كان ذلك في القتال الذي هو

---

(١) (مسند أحمد) : ٣١٧/٤ ، حديث رقم (١٤٣٧٣) ، من مسند جابر بن عبد الله - رضي الله تبارك وتعالى عنه - .

(٢) (فتح الباري) : ٤١٩/١٣ ، كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة ، باب (٢٨) قول الله -تعالى- : ﴿ **وأمرهم شورى بينهم** ﴾ ، ﴿ **وشاورهم في الأمر** ﴾ ، وأن المشاورة قبل العزم والتبين لقوله - تعالى - : ﴿ **فإذا عزمت فتوكل على الله** ﴾ الحديث الذي بين رقمي (٧٣٦٨) ، (٧٣٦٩) بدون إسناد أو رقم . وذلك أن رسول الله ﷺ لما جاءه المشركون يوم أحد كان رأى رسول الله ﷺ أن يقيم بالمدينة فيقاتلهم فيها ، فقال له ناس لم يكون شهدوا ما أصاب أهل بدر ، فما زالوا برسول الله ﷺ حتى لبس لأمته ، فلما لبسها ندموا وقالوا : يا رسول الله أقم ، فالرأي رأيك ، فقال : ما ينبغي لنبي أن يضع أداته بعد أن لبسها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه ، وكان قد ذكرلهم قبل أن يلبس الأداة : إني رأيت أني في درع حصينة فأولتها المدينة . (فتح الباري) .

فرض وهذا التفريع ضعيف لما قام من أكله ﷺ الحيس بعد ما أصبح صائماً وقد ضعف هذا التفريع النووي - رحمه الله - .

السابعة : كان يحرم عليه ﷺ خائنة الأعين
أي لم يكن له أن يومىء بطرفه خلاف ما يظهره بكلامه

وقد اختلف في المراد بخائنة الأعين فقيل : نفى الإيماء بالعين وقيل : مقاربة النظر . وقال الرافعي : هي الإيماء إلى مباح من ضرب أو قتل وغيره على خلاف ما يظهره وما يشعر به الحال[1] دائماً ، قيل لها : خائنة الأعين ، تشبهها بالخيانة من حيث أنه يخفى خلاف ما يظهر ، ولا يحرم ذالك على غير الرسول ﷺ .

خرَّج النسائي[2] من حديث أسباط بن نصر قال : زعم السدي ، عن مصعب بن سعد ، عن أبيه قال : لما كان يوم فتح مكة أمن سول الله ﷺ الناس، إلا أربعة نفر وامرأتين وقال : اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة ، عكرمة بن أبي جهل ، وعبد الله بن خطل ، ومقيس بن صبابة ، وعبد الله بن سعد بن أبي السرح ، فأما عبد الله بن خطل فأدرك وهو متعلق بأستار الكعبة ، فاستبق إليه سعيد بن حريث وعمار بن ياسر ، فسبق سعيد عمارًا وكان أشبه الرجلين فقتله ، وأما مقيس بن صبابة فأدركه الناس في السوق فقتلوه ، وأما عكرمة فركب البحر فأصابتهم ريح عاصف ، فقال أصحاب السفينة : أخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئاً ههنا ، فقال عكرمة : والله لئن لم ينجني من البحر إلا الإخلاص لا ينجيني في البر غيره ، اللهم إن لك علي عهدًا إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتى محمداً حتى أضع يدي في يده فلأجدنه

---

(١) (روضة الطالبين) : ٣٥٠/٥ ، كتاب النكاح ، باب في خصائص رسول الله ﷺ في النكاح وغيره .

(٢) (سنن النسائي) : ١٢٢/٧ ، كتاب التحريم ، باب (١٤) الحكم في المرتد ، حديث رقم (٤٠٧٨) .

عفواً كريمًا ، فجاء فأسلم ، وأما عبد الله بن سعد بن أبي السرح فإنه اختبأ عند عثمان بن عفان - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فلما دعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة جاء به حتى أوقفه على النبي ﷺ قال : يا رسول الله بايع عبد الله ، قال : فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثًا كل ذلك يأبى ، فبايعه بعد ثلاث ، ثم أقبل على أصحابه فقال : أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله ، فقالوا : وما يدرينا يا رسول الله ما في نفسك ؟ هل أومأت إلينا بعينك ، قال : إنه لا ينبغي لنبيّ أن تكون له خائنة أعين .

وخرّجه أبو بكر بن أبي شيبه في (مسنده) بهذا الإسناد إلى آخره نحوه .

وخرّجه أبو داود[1] بهذا الإسناد يوم كان فتح مكة : اختبأ عبد الله بن سعد ابن أبي السرح عند عثمان بن عفان - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فجاء به حتى أوقفه على النبي ﷺ فقال يا رسول الله بايع عبد الله ، الحديث ... إلى آخره ولم يذكر أوله ، ذكره في الحدود .

أخرجه الحاكم[2] وقال حديث صحيح على شرط مسلم ، وروى بن سعد[3] من طريق سعيد بن المسيب ، قال : أمر النبي ﷺ بقتل ابن أبي السرح ومقيس بن صبابة والحويرث بن نقيذ وعبد الله [بن هلال] بن خطل ، فأما ابن خطل [الأدرمي] وهو متعلق بأستار الكعبة فبقر بطنه وكان رجل من الأنصار نذر إن رأى ابن أبي السرح أن يقتله ، فجاء عثمان - وكان أخا لابن أبي السرح من الرضاعة - فشفع له النبي ﷺ وقد أخذ الأنصاري يقلم السيف ينتظر النبي ﷺ متى ينوي إليه أن يقتله فشفع له عثمان - رضي الله تبارك وتعالى عنه - حتى تركه ، ثم قال رسول الله ﷺ للأنصاري قد انتظرتك أن توفي بنذرك ، قال : يا رسول الله هِبْتك ، أفلا أومأت إليّ ؟ قال : إنه ليس لنبي أن يومىء . رواه

---

(١) (سنن أبي داود) : ٣/١٣٣ ، كتاب الجهاد ، باب (١٢٧) باب قتل الأسير ولا يفرض عليه الإسلام حديث رقم (٢٦٨٣) .

(٢) (المستدرك) : ٢/٦٢ ، كتاب البيوع ، باب (١٩) حديث رقم (٢٣٢٩) وقال الحافظ الذهبيّ في (التلخيص) : صحيح .

(٣) (طبقات ابن سعد) : ٢/١٣٦ ، غزوة رسول الله ﷺ عام الفتح .

البيهقيّ في دلائل النبوه[1] من طريق قتادة ، عن أنس نحوه في قصة ابن أبي السرح ، قد حكى سبط بن الجوزي في (مرآة الزمان) أن هذا الأنصاريّ عباد بن بشر ، واستدل صاحب (التلخيص) بهذا على أنه ﷺ لم يكن له أن يجزع في الحرب .

قال الرافعي : احتج بما خرَّجه البخاريّ من حديث الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب ، عن ابن مالك أن عبد الله بن كعب قال : سمعت كعب بن مالك حين تخلف عن رسول الله ﷺ ولم يكن يريد رسول الله غزوة إلا ورَّىَ بغيرها ، ومن طريق عبد الله بن المبارك ، عن الزهريّ قال : أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك قال : سمعت كعب بن مالك يقول كان رسول الله ﷺ قل ما يريد غزوة إلا ورَّىَ بغيرها حتى كانت غزوة تبوك فغزاها رسول الله ﷺ في حر شديد واستقبل سفراً بعيداً واستقبل غزو عدو كبير فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة عدوهم ، وأخبرهم بوجهه الذي يريد .

وعن يونس ، عن الزهريّ ، أخبرني عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن كعب بن مالك كان يقول : لقل ما كان رسول الله ﷺ يخرج إذا خرج في سفر إلا يوم الخميس . هكذا وقع هذا الحديث في صحيح البخاريّ[2] ، عن يونس ،

---

(١) (دلائل النبوة) : ٥/٦٠ ، باب من أمر رسول الله ﷺ بقتله يوم فتح مكة ولم يدخل فيما عقد من الأمان .

(٢) (فتح الباري) : ٦/١٤٠ ، كتاب الجهاد والسير ، باب (١٠٣) من أراد غزوة فورّىَ بغيرها ، ومن أحب الخروج يوم الخميس ، حديث رقم (٢٩٤٩) .

وأخرجه أبو داود في الجهاد ، باب (٨٤) في أي يوم يستحب السفر ، حديث رقم (٢٦٠٥) ، وأخرجه الدارميّ في السير ، باب في الخروج يوم الخميس . من حديث عثمان بن عمر ، عن يونس عن الزهريّ ، وأخرجه الإمام أحمد في (المسند) : ٤/٤٩١ ، حديث رقم (١٥٣٥٢) من حديث كعب بن مالك الأنصاري ، ولفظه : " أن النبي ﷺ خرج يوم الخميس في غزوة تبوك " ، ورقم (١٥٣٥٤) من حديث كعب بن مالك الأنصاري أيضًا ، ولفظه : " أقل ما كان رسول الله ﷺ يخرج إذا أراد سفرًا إلا يوم الخميس " ، وحديث رقم (٢٦٦٣٧) بنحوه .

عن الزهريّ ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك قال سمعت كعب بن مالك يقول ، وإن كعب بن مالك كان يقول ، والحديث منقطع لأنه لم يسمع عبد الرحمن بن عبد الله من عمه عبيد الله عن ابنهما كعب بن المبارك وعدد ذلك من أوهام عبد الله بن المبارك ، لأن ابن سعد وعبد الله بن وهب . روياه عن يونس ، عن الزهريّ ، عن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن جده كعب بن مالك ، ورواه الليث عن عقيل عن الزهريّ بهذا الإسناد أيضًا متصلاً ، وروى مسلم قوله : وكان رسول الله ﷺ قل ما يريد غزوة إلا ورّى [بغيرها][1]، من حديث الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، ومن حديث محمد ابن عبد الله ابن أخي بن شهاب ، عن عمه ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك وهو حديث طويل وله طرق عديدة .

واحتجوا أيضًا بما خرَّجه البخاريّ ومسلم وغيرهما من حديث معمر ، عن همام عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : الحرب خدعة[2] .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) أخرجه الجماعة إلا (الموطأ) ، و(النسائي) .

فقد أخرجه البخاريّ في الأنبياء ، باب علامات النبوة في الإسلام ، وفي الجهاد ، باب الحرب خدعة ، وقول النبي ﷺ أحلت لكم الغنائم ، وفي الأيمان والنذور ، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ ، ومسلم في الفتن ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء ، حديث رقم (٢٩١٨) ، والترمذي في الفتن ، باب ما جاء في الفتن ، حديث رقم (٢١٢٧) .

قوله ﷺ : " الحرب خدعة " تروى بفتح الخاء ، وهي اللغة الفصحى ، وهي المرة الواحدة من الخداع ، يعني أن الحرب بمرة واحدة من الخداع ، يبلغ فيها الغرض ، لأن الخصم متى انخدع غلب وقهر ، وتروى بضم الخاء ، وهي الاسم من الخداع ، وقد روى بضم الخاء وفتح الدال - بوزن هُمَزة - أي : إن الحرب تخدع الرجال كثيرًا . (جامع الأصول) : ٣١٢/١١ ، شرح الحديث رقم (٨٨٧٥) .

قال الخطابيّ : هذا الحرف يروى بفتح الخاء وسكون الدال ، وهو أفصحها ، وبضم الخاء وسكون الدال ، وبضم الخاء وفتح الدال ؛ فمعنى الأولى : المرة الواحدة من الخداع : أي أن =

وبما خرَّجاه من حديث سفيان بن عيينة عن عمرو سمع جابر بن عبد اللـه قال : قال النبي ﷺ : الحرب خدعة ، وبما خرَّجه أبو بكر بن أبـي شيبة[1] من حديث زكريا عن أبي اسحاق ، عن سعد بن ذى حدان ، عن عليّ قال : إن اللـه سَمَّي على لسان نبيه إن الحرب خدعة .

واحتجوا بما فعله ﷺ يوم الأحزاب من أمره نعيم بن مسعود أن يوقع بيـن قريش وقريظة وفعل ما فعل ، حتى فرق اللـه شملهم على يديـه ، وألقـى بينهـم العداوة ، وقلل الله جمعهم بذلك وبغيره ، وسيرد خبر نعيم في ذكر رسله عليهـم السلام ، والفرق بين الرَّنو بالعين والخـداع بـالحرب : أن الرَّنـو يـزرى بـالرامز بخلاف الإبهام في الأمور العظام فإنه يدل على الحزم والله أعلم .

= المقاتل إذا خدع مرة واحدة لم يكن لها إقالة ، ومعنى الثانية : الاسم من الخداع ، ومعنى الثالثة: أراد أن الحرب تخدع الرجال ، وتمنيهم ، ولا تفي لهم ، كما يقال : فلان رجـل لُعَبَـة : إذا كـان يكثر اللعب ، وضُحكة : إذا كان يكثر الضحك . (المرجع السابق) : ٢/٥٧٥ - ٥٧٦ ، شـرح الحديث رقم (١٠٥٤) .

وأخرجـه مسلم في الجهـاد ، بـاب جـواز الخداع في الحـرب ، حديث رقـم (١٧٤٠) ، وأخرجه أبو داود في الجهاد ، باب المكر في الحرب ، حديث رقم (٢٦٣٧) ، وإسناده صحيح .

(١) (المصنف): ٦/٤٥٣ ، باب (١٨٥) في المكر والخدعة في الحرب ، حديث رقم (٣٣٦٥٠) ، وحديث رقم (٣٣٦٥١) : " إن الله قضى على لسان نبيه ﷺ أن الحرب خدعـة ، وإنـي محـارب أتكلم في الحرب ، قال : ولكن إذا قلت : قال رسول الله ﷺ ، فوالله لأن أخرَّ من السـماء أحب إليَّ من أن أقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل .

الثامنة : اختلف أصحابنا هل كان يحرم عليه ﷺ أن يصلي على من عليه دين ؟ على وجهين ، وفي جوازه مع وجود الضامن على طريقتين

حكاهما أبو العباس في (الجرجانيات) ، يثاب على ما حكاه الرافعي عنه، قال النووي في (الروضة)[1]بعد أن حكى الخلاف في الثانية وجهين على خلاف الرافعي ، من كونه طريقتين : والصواب الجزم بجوازه مع الضامن نسخ التحريم ، فكان ﷺ بعد ذلك يصلي على من عليه دين ولا ضامن له ويوفيه من عنده والأحاديث الصحيحة [مصرحة بما ذكرته] ؛ ففي الباب حديث أبي سلمى ، عن أبي هريرة في (الصحيحين) ، وعن سلمة بن الأكوع ، في البخاريّ ، وعن أبي قتادة في الترمذيّ ، وعن جابر عند أبي داوود ، وعن أبي سعيد ، عند البيهقيّ ، وعن ابن عمر ، عند الطبراني ، قال في (الأوسط) : عن أبي أمامة وأسماء بنت يزيد وعنده في (الكبير) ، وعن ابن عياش في (الناسخ) للبخاري .

وفي حديث سلمة يعني الضامن أنه قتادة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - وفي حديث أبي سعيد أن الضامن عليّ فتكون القصة تكررت وكل ذلك لا يدل على التحريم فقيل في امتناعة ﷺ : أنه تأديب للأحياء لئلا يأكلوا أموال

---

(١) (روضة الطالبين) : ٣٥٠/٥ ، كتاب النكاح ، باب في خصائص رسول الله ﷺ في النكاح وغيره ، وقال في (هامشه) : كان رسول الله ﷺ يؤتي بالرجل المتوفي عليه الدين فيسأل : هل ترك لدينه قضاء ؟ فإن حُدِّث أنه ترك وفاء صلى عليه ، وإن قيل : لا ، قال للمسلمين : صلوا على صاحبكم ، فلما فتح عليه الفتوح قام فقال : أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فمن توفى من المؤمنين فترك دينًا فعليّ قضاؤه ، ومن ترك مالاً فلورثته . [متفق عليه] .

وأخرجه البيهقيّ في (السنن الكبرى) : ٤٤/٧ ، كتاب النكاح ، باب كان عليه ﷺ قضاء دين من مات من المسلمين ، وقال : رواه مسلم في الصحيح ، عن حرملة بن وهب ، وأخرجه البخاريّ من وجه آخر عن يونس ، ٥٣/٧ كتاب النكاح ، باب كان لا يصلي على من عليه دين ثم نسخ ، بنحوه .

الناس وقيل : هي عقوبة في أمور الدين أصلها المال ، وحديث سلمة عند البخاريّ مصرح بمسألة الصلاة إذا وجد الضامن .

التاسعة : كان يحرم عليه ﷺ أن يستكثر ومعناها : أن يعطي شيئًا ليأخذ أكثر منه

وقد اختلف في تأويل ذلك ، فعن ابن عباس – رضي الله تبارك وتعالى عنه – قال : لا يعطي عطية يلتمس بها أفضل منها . وقال أرطأة عن ضمرة بن حبيب وأبي الأحوص : لا يعطي شيئًا له معطي أكثر منه . وقال أبو دجانة عن عكرمة : لا يعطي شيئاً لأن يُعطى أكثر منه ، وعنه أيضًا قال : لا تعطي العطية لتريد أن تأخذ أكثر منها ، وقال منصور عن إبراهيم : لا تعطي فيما يزداد ، وقال مغيرة عن إبراهيم : لا تعطي شيئًا تأخذ أكثر منه ، وفي رواية عنه : لا تعطي شيئاً ليزداد ، وفي رواية : لا تعط أكثر منه ، وقال سلمة عن الضحاك : لا تعْطي وتعطِي أكثر منه ، وقال وكيع عن أبي داوود عن الضحاك قال : هو الربا الحلال ، قال : للنبي ﷺ خاصة .

وفي رواية : هما ربا ، إن حلال أوحرام ، وقلنا : الحلال فالهدايا ، وأما الحرام فالربا ، وقال سعيد عن قتادة : قال : لا تُعط شيئاً لشيء أكثر منه ، وقاله أيضاً طاووس ، قال : ونقل عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : لا تُعط مالاً مصانعة رجاء أفضل من الثواب في الدنيا . وقال سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم قال : لا تُعط لتزداد ، قال سفيان عن رجل عن الضحاك بن مزاحم : ﴿ **ولا تمنن تستكثر** ﴾[1] قال : للنبي ﷺ خاصة ، وللناس عامة موسع عليهم .

---

(١) المدثر : ٦ ، وقرأ الجمهور : ﴿ ولا تمنن ﴾ ، بفك التضعيف ؛ والحسن وأبو السمال : بشد النون . قال ابن عباس وغيره : لا تعط عطاءً لتُعطىَ أكثر منه ، كأنه من قولهم : منّ إذا أعطى. قال الضحاك : هذا خاص به ﷺ ، ومباح ذلك لأمته ، لكنه لا أجر لهم . (البحر المحيط) : ١٠/٣٢٦ – ٣٢٧ .

قال سفيان بن حسين ، عن الحسن قال : لا تمنن عملك تستكثره على ربك وفي رواية لا تمنن تستكثر عملك الصالح ، وعن الربيع بن أنس قال لا تكثرن عملك في عينك فإنه فيما أنعم الله عليك وأعطاك قليل ، وقال حصبة عن مجاهد : لا تضعف أن تستكثر من الخير ، قال : لا تمنن في كلام العرب تضعف من قولهم حبل متين إذا كان ضعيفاً ، وقال ابن وهب عن أبي زيد قال : لا تمنن بالنبوة والقرآن الذي أرسلناك به تستكثرهم به لتأخذ عليه عرضاً من الدنيا . واختار أبو جعفر محمد بن جرير الطبري من هذه الأقوال : ولا تمنن على ربك من أن تستكثر عملك الصالح لأنه في سياق آيات فيه أمره – تعالى – عليه السلام للجد في الدعاء إليه والصبر على ما يلقاه من الأذى في فكانت أشبه بذلك من غيرها ، واختار القرطبي : لا تُعط لتأخذ أكثر مما أعطيت من المال . وقال: يقال : مننت فلاناً كذا أي أعطيته ، ويقال : العطية المن ، فكأنه أمر بأن يكون عطاياه ﷺ لله – عز وجل – لا لارتقاب ثواب من الخلق عليها لأن النبي ﷺ ما كان يجمع الدنيا ، ولهذا قال : ما لي مما أفاء الله عليكم إلا هذا الخمس، والخمس مردود فيكم كان ما يفضل من نفقة عياله مصروفاً إلى مصالح المسلمين ، ولهذا لم يورث لأنه كان لا يدخر ، ولا يقتني ، وقد عصمه الله – تعالى – عن الرغبة في شيئ من الدنيا ، ولهذا حرمت عليه الصدقة ، وأبيحت له الهدية ، فكان يتقبلها ويثيب عليها ، وقال : لو دعيت إلى كراع لأجبت ، ولو دعيت إلى كراع لقبلت ، قال ابن العربي : وكان ﷺ يقبلها سُنّة ، ولا يستكثرها شريعة ، وإذا كان لا يعطي عطية يستكثر بها فالأغنياء أولى بالاجتناب ، لأنها باب من أبواب المذلة ، وذكر قول من قال : معناه لا تعط عطية تنتظر ثوابها فإن الانتظار يعلق الأطماع ، وذلك في حيرة بحكم الامتناع وقد قال الله – تعالى –: ﴿ **ولا تمدنّ عينيك إلى ما متعنا به أزواجًا منهم**

زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى ﴾[1]وذلك جائز لسائر الخلق ، لأنه متاع الدنيا ، وطلب الكسب ، والتكاثر بها[2] .

قال القرطبي : وأما من قال : أنه أراد به العمل ، أي لا تمنن على الله بعملك فتستكثر فهو صحيح ، فإن ابن آدم لو أطاع الله عمره من غير معصية لم يبلغ نعم الله بعد شكرها .

خرّج البيهقيّ[3] من طريق زكريا بن عدي حدثنا ابن المبارك ، عن الأوزاعيّ ، عن عطاء ، وقال زكريا : أراه عن ابن عباس – رضي الله تبارك وتعالى عنه – في قوله تعالى : **﴿ وما آتيتم من ربًا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله ﴾**[4] قال : هو الربا الحلال أن يهدي يريد أكثر منه فلا أجر فيه ولا وزر ، ونُهيَ عنه النبي ﷺ خاصة ، **﴿ ولا تمنن تستكثر ﴾** .

---

(1) طه : ١٣١ .

(2) قال أبو حيان الأندلسي : وعن ابن عباس أيضًا : لا تقل دعوت فلم أجب ، وعن قتادة : لا تدل بعملك ، وعن ابن زيد : لا تمنن بنبوتك تستكثر بأجر أو كسب تطلبه منهم . وقال الحسن : تمنن على الله بجدّك ، تستكثر أعمالك ويقع لك بها إعجاب ، وهذه الأقوال كلها من المنّ تعداد اليد وذكرها .

وقال مجاهد : **﴿ ولا تمنن تستكثر ﴾** ما حملناك من أعباء الرسالة ، أو تستكثر من الخير، من قولهم : حبل متين : أي ضعيف .

وقيل : ولا تعط مستكثرًا رائيًا لما تعطيه . وقرأ الجمهور : **﴿ تستكثر ﴾** برفع الراء ، والجملة حالية ، أي مستكثرًا . وقال الزمخشري : ويجوز في الرفع أن تحذف " أن " ويبطل عملها . (المرجع السابق) .

(3) (سنن البيهقيّ) : ٥١/٧ ، كتاب النكاح ، باب ما نهاه الله – عز وجلّ – عنه بقوله : **﴿ ولا تمنن تستكثر ﴾** ، ثم قال البيهقيّ : وأخبرنا أبو عبد الله ، وأبو بكر بن الحسن ، قالا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد حدثنا أبو نعيم ، حدثنا سلمة بن سابور عن عطية عن ابن عباس **﴿ ولا تمنن تستكثر ﴾** قال : لا تعطي رجلاً ليعطيك أكثر منه .

(4) الروم : ٣٩ .

العاشرة : أمره الله - تعالى - أن يختار الآخرة عن الأولى

فكان يحرم عليه ﷺ أن يمد عينيه إلى ما مُتع به المترفون من إقبال الدنيا قال تعالى : **﴿ ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى ﴾**[1] .

---

(١) طه : ١٣١ ، قال البيهقيّ : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر عن ابن طاووس عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : نُصرت بالرعب ، وأعطيت الخزائن ، وخيرت بين أن أبقى حتى أرى ما يفتح على أمتي وبين التعجيل فاخترت التعجيل .

وأخبرنا يحيى بن إسماعيل بن سالم الأسديّ قال : سمعت الشعبيّ يحدث عن ابن عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أنه قال : إن جبريل - عليه السلام - أتى النبي ﷺ فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا . (سنن البيهقيّ) : ٤٦/٧ - ٤٨ ، كتاب النكاح باب ما أمره الله - تعالى - به من اختياره الآخرة على الأولى ، ولا يمد عينيه إلى زهرة الحياة الدنيا ، فقال تعالى : **﴿ ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجًا منهم زهرة لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى ﴾** [طه : ١٣١] .

القسم الثاني : المحرمات المتعلقة بالنكاح

وفيه مسائل :

الأولى : إمساك من كرهت نكاحه ورغبت عنه محرم عليه على الصحيح

بخلاف غيره من يخير امرأته فإنها لو اختارت فراقه لما وجب عليه فراقًا، وقال بعضهم : بل كان يفارقها تكرمًا . [وهو] [(١)] حديث غريب كما قاله الرافعي[(٢)] .

واستند من قال بالتحريم بما خرَّجه البخاريّ من طريق الأوزاعي[(٣)] ، سألت الزهريّ : أي أزواج النبي ﷺ استعاذت منه ؟ قال : أخبرني عروة عن عائشة – رضي الله تبارك وتعالى عنها – أن ابنة الجون لما أُدْخِلَتْ على النبي ﷺ ودنا منها ، قالت : أعوذُ بالله منك ، فقال لها : لقد عُذت بعظيم ، إلحقي بأهلك .

وخرَّج أيضاً من طريق حمزة بن أبي أسيد[(٤)] ، عن أبي أسيد [– رضي الله تبارك وتعالى عنه –][(٥)] قال : خرجنا مع النبي ﷺ حتى انطلقنا إلى حائط يقال له الشوط حتى انتهينا إلى حائطين جلسنا بينهما ، فقال النبي ﷺ : اجلسوا ها هنا ودخل ، وقد أُتي بالجونية فأنزلت في بيت في نخل في بيت أميمة بنت

---

(١) زيادة للسياق .

(٢) (روضة الطالبين) : ٣٥٠/٥ ، كتاب النكاح ، باب في خصائص رسول الله ﷺ في النكاح وغيره .

(٣) (فتح الباري) : ٤٥٥/٩ ، كتاب الطلاق ، باب (٣) من طلق ، هل يواجه الرجل امرأته بالطلاق ، حديث رقم (٥٢٥٤) .

(٤) (المرجع السابق) : حديث رقم (٥٢٥٥) .

(٥) زيادة للسياق من (المرجع السابق) .

النعمان بن شراحيل ومعها دايتها حاضنة لها فلما دخل عليها النبي ﷺ قال : هبي نفسك لي قالت : وهل تهب الملكة نفسها للسوقة ؟ قال : فأهوى بيده يضع يده عليها لتسكن فقالت : أعوذ بالله منك قال : قد عذت بمعاذ ثم خرج علينا فقال : يا أبا أسيد ، اكسها رازقين وألحقها بأهلها .

وقال الحسين بن الوليد النيسابوري : عن عبد الرحمن ، عن عباس ، عن سهل عن أبيه وأبي أسيد قالا : تزوج النبي ﷺ أميمة بنت شراحيل فلما أُدخلت عليه بسط يده إليها ، فكأنها كرهت ذلك ، فأمر أبا أسيد أن يجهزها ويكسوها ثوبين رازقين . ترجم عليه البخاريّ باب [باب من طلق][1] ، هل يواجه الرجل امرأته بالطلاق ؟ .

---

(١) زيادة للسياق من (المرجع السابق) .

والسوقة بضم السين المهملة ، يقال للواحد من الرعية والجمع ، قيل لهم ذلك لأن الملك يسوقهم فيساقون إليه ويصرفهم على مراده ، وأما أهل السوق فالواحد منهم سوقيّ . قال ابن المنير : هذا من بقية ما كان فيها من الجاهلية ، والسوق عندهم من ليس بملك كائنًا من كان ، فكأنها استبعدت أن يتزوج الملكة من ليس بملك ، ولم يؤاخذها النبي ﷺ بكلامها معذرة لها لقرب عهدها بجاهليتها . وقال غيره : يحتمل أنها لم تعرفه ﷺ فخاطبته بذلك ، وسياق القصة من مجموع طرقها يأبى هذا الاحتمال .

وسيأتي في الحديث التالي من طريق أبي حازم عن سهل بن سعد قال : " ذكر للنبي ﷺ امرأة من العرب ، فأمر أبا أسيد الساعديّ أن يرسل إليها ، فقدمت ، فنزلت في أجم بني ساعدة، فخرج النبي ﷺ حتى جاء بها فدخل عليها فإذا امرأة منكسة رأسها ، فلما كلمها قالت : أعوذ بالله منك ، قال : لقد اعذت مني . فقالوا لها : أتدرين من هذا ؟ هذا رسول الله ﷺ جاء ليخطبك ، قالت : كنت أشقى من ذلك " . فإن كانت القصة واحدة فلا يكون قوله في حديث الباب : " ألحقها بأهلها " ، ولا قوله في حديث عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - : "إلحقي بأهلك" تطليقًا ، ويتعين أنها لم تعرفه .

وإن كانت القصة متعددة - ولا مانع من ذلك - فلعل هذه المرأة هى الكلابية التي وقع =
فيها الاضطراب .

= وقد ذكر ابن سعد بسند فيه العزرميّ الضعيف ، عن ابن عمر ، قال : " كان في نساء النبي ﷺ سنا بنت سفيان بن عوف بن كعب بن أبي بكر بن كلاب ، قال: وكان النبي ﷺ بعث أبا سعيد الساعديّ يخطب عليه امرأة من بني عامر يقال لها : عمرة بنت يزيد بن عبيد بن رؤاس بن كلاب بن ربيعة بن عامر ، قال ابن سعد : اختلف علينا اسم الكلابية فقيل : فاطمة بنت الضحاك بن سفيان ، وقيل : عمرة بنت يزيد بن عبيد ، وقيل : سنا بنت سفيان بن عوف ، وقيل : العالية بنت ظبيان بن عمرو بن عوف " .

" فقال بعضهم : هي واحدة اختلف في اسمها ، وقال بعضهم : بل كن جميعًا ، ولكن لكل واحدة منهن قصة غير قصة صاحبتها " ، ثم ترجم الجونية فقال : أسماء بنت النعمان .

ثم أخرج من طريق عبد الواحد بن أبي عون قال : " قدم النعمان بن أبي الجون الكندي على رسول الله ﷺ مسلمًا ، فقال : يا رسول الله ، ألا أزوجك أجمل أيّم في العرب ، كانت تحت ابن عم لها فتوفي ، وقد رغبت فيك؟ قال : نعم ، قال : فابعث من يحملها إليك ، فبعث معه أبا أسيد الساعديّ ، قال أبو أسيد : فأقمت ثلاثة أيام ثم تحملت معي في محفة ، فأقبلتُ بها حتى قدمتُ المدينة ، فأنزلتها في بني ساعدة ، ووجهت إلى رسول الله ﷺ وهو في بني عمرو بن عوف فأخبرته " الحديث . قال ابن عون : وكان ذلك في ربيع الأول سنة تسع ، ثم أخرج من طريق أخرى عن عمر بن الحكم ، عن أبي أسيد ، قال : " بعثني رسول الله ﷺ إلى الجونية فحملتها حتى نزلت بها في أطم بني ساعدة ، ثم جئت رسول الله ﷺ فأخبرته ، فخرج يمشي على رجليه حتى جاء ها " الحديث .

ومن طريق سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى ، قال : اسم الجونية أسماء بنت النعمان بن أبي الجون ، قيل لها : استعيذي منه فإنه أحظى لك عنده ، وخُدعت لما رؤى من جمالها ، وذكر لرسول الله ﷺ من حملها على ماقالت ، فقال ﷺ : " إنهن صواحب يوسف وكيدهن " . فهذه تتنزل قصتها على حديث أبي حازم عن سهل بن سعد .

وأما القصة التي في حديث الباب من رواية عائشة ، فيمكن أن تنزل على هذه أيضًا ، فإنه ليس فيها إلا الاستعاذة ، والقصة التي في حديث أبي أسيد فيها أشياء مغايرة لهذه القصة ، فيقوى التعدد ، ويقوى أن التي في حديث أبي أسيد اسمها أميمة ، والتي في حديث سهل اسمها أسماء ، بل جاء ليخطبها فقط . =

= قوله : " فأهوى بيده " أي أمالها إليها . ووقع في رواية ابن سعد : " فأهوى إليها ليقبلها ، وكان إذا اختلى النساء أقعى وقبّل " وفي رواية لابن سعد : " فدخل عليها داخل من النساء وكانت من أجمل النساء فقالت : إنك من الملوك ، فإن كنت تريدين أن تحظي عند رسول الله ﷺ فإذا جاءك فاستعيذي منه " ، ووقع عنده عن هشام بن محمد عن عبد الرحمن بن الغسيل بإسناد حديث الباب : " أن عائشة وحفصة دخلتا عليها أول ما قدمت فمشطتاها وخضبتاها ، وقالت لها إحداهما : إن النبي ﷺ يعجبه من المرأة إذا دخل عليها أن تقول : أعوذ بالله منك " .

قوله ﷺ : " قدعُذت بمعاذ " هو بفتح الميم ما يستعاذ به ، أو اسم مكان العوذ ، والتنوين فيه للتعظيم . وفي رواية ابن سعد : " فقال بكمه على وجهه وقال : عذت معاذاً ثلاث مرات " وفي أخرى له : " فقال : أمن عائذ الله " .

قوله ﷺ : " يا أبا أسيد اكسها رازقين " براء ثم زاى ثم قاف بالتثنية صفة موصوف محذوف للعلم به . والرازقيه ثياب من كتان بيض طوال . قاله أبو عبيدة وقال غيره : يكون في داخل بياضها زرقة ، والرازقي الصفيق . قال ابن التين : متعها بذلك إما وجوبًا وإما تفضلاً .

قوله ﷺ : " وألحقها بأهلها " قال ابن بطال : ليس في هذا أنه ﷺ واجهها بالطلاق ، وتعقبه ابن المنير بأن ذلك ثبت في حديث عائشة [أول أحاديث الباب] ، فيحمل على أنه ﷺ قال لها : الحقي بأهلك ، ثم لما خرج إلى أبي أسيد قال له : ألحقها بأهلها ، فلا منافاة ، فالأول قصد بالطلاق ، والثاني أراد به حقيقة اللفظ ، وهو أن يعيدها إلى أهلها ، لأن أبا أسيد هو الذي كان أحضرها كما ذكرناه .

ووقع في رواية لابن سعد ، عن أبي أسيد قال : " فأمرني فرددتها إلى قومها " وفى أخرى له : " فلما وصلت بها تصايحوا وقالوا : إنك لغير مباركة ، فما دهاك ؟ قالت : خدعت . قال : فتوفيت في خلافة عثمان " . قال : " وحدثني هشام بن محمد عن أبي خيثمة زهير بن معاوية أنها ماتت كمدًا " ثم روى بسند فيه الكلبيّ " أن المهاجر بن أبي أمية تزوجها ، فأراد عمر – رضي الله تبارك وتعالى عنه – معاقبتها ، فقالت : ما ضرب عليّ الحجاب ، ولا سميت أم المؤمنين . فكفّ عنها " .

وعن الواقديّ : سمعت من يقول : إن عكرمة بن أبي جهل خلف عليها ، قال : وليس ذلك بثبت . ولعل ابن بطال أراد أنه لم يواجهها بلفظ الطلاق . وقد أخرج ابن سعد من طريق هشام بن عروة عن أبيه أن الوليد بن عبد الملك إليه يسأله ، فكتب إليه : ما تزوج النبي ﷺ =

وخرَّج البخاريّ في كتاب الأشربة في باب الشرب من قدح النبي ﷺ وآنيته ، من حديث أبي حازم عن سهل بن سعد قال : ذُكر لرسول الله ﷺ امرأة من العرب فأمر أبا أسيد أن يرسل إليها ، فأرسل إليها فقدمت ، فأنزلت في أُجُم بني ساعدة فخرج رسول الله ﷺ حتى جاءها فدخل عليها فإذا امرأة منكسة رأسها فلما كلمها رسول الله ﷺ قالت : أعوذ بالله منك ، فقال : قد أعذتك مني، فقالوا لها : أتدرين من هذا ؟ فقالت : لا فقالوا : هذا رسول الله ﷺ جاءك ليخطبك فقالت : كنت أنا أشقى من ذلك . قال سهل : فأقبل رسول الله ﷺ يومئذ حتى جلس في سقيفة بني ساعدة هو وأصحابة ، ثم قال : اسقنا يا سهل ، فأخرجت لهم هذا القدح فأسقيتهم فيه ، قال أبو حازم : فأخرج لنا سهل ذلك القدح فشربنا فيه[1]، قال : ثم استوهبه بعد ذلك عمر بن عبد العزيز فوهبه له[2]. وخرَّجه مسلم وهذه سياقته[3] .

= كندية إلا أخت بني الجون فملكها . فلما قدمت المدينة نظر إليها فطلقها ولم يبن بها . فقوله : فطلقها ، يحتمل أن يكون باللفظ المذكور قبل ، ويحتمل أن يكون واجهها بلفظ الطلاق ، ولعل هذا هو السرّ في إيراد الترجمة بلفظ الاستفهام دون بت الحكم . واعترض بعضهم بأنه لم يتزوجها إذ لم يجر ذكر صورة العقد ، وامتنعت أن تهب له نفسها فكيف يطلقها ؟ .

والجواب أنه ﷺ كان له أن يزوج من نفسه بغير إذن المرأة وبغير إذن وليها ، فكان مجرد إرساله إليها ، وإحضارها ، ورغبته فيها كان كافيًا في ذلك ، ويكون قوله ﷺ " هبي لي نفسك " تطييبًا لخاطرها ، واستمالة لقلبها ، ويؤيده قوله في رواية لابن سعد : " أنه اتفق مع أبيها على مقدار صداقها ، وأن أباها قال له : إنها رغبت فيك وخطبت إليك " .

وفي الحديث أن من قال لامرأته : إلحقي بأهلك وأراد الطلاق طلقت ، فإن لم يرد الطلاق لم تطلق ، على ما وقع في حديث كعب بن مالك الطويل في قصة توبته " أن النبي ﷺ لما أرسل إليه أن يعتزل امرأته قال لها : إلحقي بأهلك فكوني حتى يقضي الله هذا الأمر " . (فتح الباري) مختصرًا .

(١) كذا في (الأصل) وفي (صحيح البخاريّ) : " فأخرجت لهم هذا القدح فأسقيتهم فيه . فأخرج لنا سهل ذلك القدح فشربنا منه " . =

وقال البخاريّ : اسقنا يا سهل ، وقد قيل : إنّ بين القصتين تغاير فلعلهما قضيتان لامرأتين إحداهما مخطوبة ، والأخرى نزولها معقود عليها ، وفيه بُعد ، وفي رواية لابن سعد : علمها نساؤه ذلك وإسناده ضعيف .

وذكره الحاكم في المستدرك[1]وسيأتي في ذكر أزواج النبي ﷺ مزيد بيان لذلك ، وفيها مما ذكرنا أنه حرم عليه ﷺ نكاح كل امرأة كرهت صحبته ، وجدير أن يكون الأمر كذلك لما فيه من الإيذاء ، ويشهد لذلك إيجاب التخيير كما تقدم ، وينبغي أن يفرق بالكراهة فإن كانت كراهة المرأة لذاته ﷺ فإنها تكفر بذلك ، وإن كانت كراهتها لأجل الغيرة فلا .

وقد قال بعضهم : ينبغي أن ينظر في التاريخ ، وعلى تقدير أن تكون قصة المستعيذة بعد آية التخيير . ففي سبب نزول آية التخيير أقوال منها : تغاير نسائه عليه. يقول: لم يكرهن صحبته وإنما رغبتهن فيه أوجبت تغايرهن عليه ،

= (٢) (فتح الباري) : ١٢١/١٠ ، كتاب الأشربة ، باب (٣٠) الشرب من قدح النبي ﷺ وآنيته ، وقال أبو بردة : قال لي عبد الله بن سلام : " ألا أسقيك في قدح شرب النبي ﷺ فيه ؟ " حديث رقم (٥٦٣٧) .

قوله : " قالت : أنا كنت أشقى من ذلك " ليس أفعل التفضيل فيه على ظاهره ، بل مرادها إثبات الشقاء لها لما فاتها من التزوج برسول الله ﷺ ، " وسقيفة بني ساعدة " هو المكان الذي وقعت فيه البيعة لأبي بكر الصديق - رضي الله تبارك وتعالى عنه - بالخلافة .

وفي الحديث : التبسط على الصاحب ، واستدعاء ما عنده من مأكول ومشروب ، وتعظيمه بدعائه بكنيته ، والتبرك بآثار الصالحين ، واستيهاب الصديق ما لا يشق عليه هبته . (فتح الباري) : مختصرًا .

(٣) لم أجده في (صحيح مسلم) .

(١) (المستدرك): ٣٨/٤ ، كتاب معرفة الصحابة ، ذكر الكلابية أو الكندية ، حديث رقم (٦٨١٣) ، وقد سكت عنه الحافظ الذهبيّ في (التلخيص) ، وحديث رقم (٦٨١٦) ، وقال الحافظ الذهبيّ في (التلخيص) : سنده واهٍ ، ويروي عن زهير بن معاوية أنها ماتت كمدًا ، ويذكر عن هشام ابن الكلبي ، عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال : خلف عن أسماء ... الخبر .

وحصل بذلك ضيق ، فأنزل الله - تعالى - الآية ، فعلى هذا ونحوه لا تحريـم ، وهذا قويّ ودليل التحريم غير منهض قائله .

الثانية : نكاح الحرة الكتابية حرام عليه

قال إمام الحرمين : وقد اختلف في تحريم الحرة الكافرة عليه ، قال ابن العربي[1] : والصحيح عندي تحريمها عليه ، وبهذا يتميز علينا فإنه ما كان من جانب الفضائل والكرامة فحظه فيه أكثر ، وما كان من جانب النقائص فجانبه عنها أظهر فجوز لنا نكاح الحرائر الكتابيات وقصر هو ﷺ لجلالته على المؤمنات ، وإذا كان لا يحل له من لم تهاجر لنقصان فضل الهجرة ، فأحرى ألا تحل له الكتابية الكافرة لنقصان الكفر . انتهى[2] .

وخرَّج الحاكم[3] من حديث عبد الله بن أبي أوفى - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أن النبي ﷺ قال : سألت ربي - عز وجل - أن لا أزوج أحداً من أمتي ولا أتزوج إلا كان معي في الجنة فأعطاني ، قال الحاكم صحيح الإسناد [ولم يخرجاه] .

---

(١) قال ابن العربي في قوله تعالى : ﴿ ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ﴾ [البقرة : ٢٢] ، قال فيها ثلاث أقوال :

الأول : لا يجوز العقد بنكاح على مشركة كانت كتابية أو غير كتابية ، قال عمر في إحدى روايتيه ، وهو اختيار مالك والشافعيّ إذا كانت أمة .

الثاني : المراد به وطء من لا كتاب له من المجوس والعرب ، قاله قتادة .

الثالث : أنه منسوخ بقوله تعالى : ﴿ **والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم** ﴾ [المائدة : ٥] . (أحكام القرآن) : ١٥٦/١ .

(٢) (أحكام القرآن) : ١٥٥٩/٣ .

(٣) (المستدرك) : ١٤٨/٣ ، كتاب معرفة الصحابة ، حديث رقم (٤٦٦٧) ، ومابين الحاصرتين زيادة للسياق منه . وقال الحافظ الذهبيّ في (التلخيص) : صحيح .

خرَّج البيهقيّ[1] من حديث حذيفة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أنه قال لامرأته : أن سرّك أن تكوني زوجتي في الجنة فلا تزوجي بعدي فإن المرأة في الجنة لآخر أزواجها في الدنيا ، فلذلك حرم على أزواج النبي ﷺ أن ينكحن بعده لأنهن أزواجه في الجنة .

وإذا تقرر ذلك ، فالجنة محرمة على الكافرين ولأن الكافرة تكره صحبة النبي ﷺ ، ولأنه أشرف من أن يضع ماءه في رحم كافرة ، قال القاضي حسين: لا يجوز له أن ينزع ماؤه في رحمها ، خالفه أبو إسحاق من أصحابنا فقال : لا يحرم عليه نكاحها كما في موالاته وحكمه ﷺ في النكاح إن سعى من حكم أمته وهى حلال لهم وله أولى وهذا القائل يقول : لو نكح كتابية لهديت إلى الإسلام كرامة له ، وفي (الحاوي) للماورديّ أنه ﷺ استمتع بأمته ريحانة بنت عمر بملك اليمين وكانت يهودية من بني قريظة بعد أن عرض عليها الإسلام فأبتْ ثم أسلمت بعد ذلك ، وهذا دليل القائل على الأمة الكتابية كما سيأتي إن شاء الله - تعالى - .

قال مؤلفه فيما نقله الماورديّ نظر ، فقد نقل الواقدي[2] أنَّ رسول الله ﷺ لما أخذها من سبي بني قريظة لنفسه صفية عرض عليها الإسلام فأبتْ فعزلها

---

(1) (السنن الكبرى) : ٦٩/٧ - ٧٠ ، كتاب النكاح ، باب ما خص به من أن أزواجه أمهات المؤمنين ، وأنه يحرم نكاحهن من بعده على جميع العالمين .

(2) (مغازي الواقدي) : ٥٢٠/٢ - ٥٢١ ، باب غزوة بني قريظة .

وقال الواقدي : وحدثني ابن أبي سبرة ، عن أبي حرملة ، عن أخته أم عبد الله ....[قالت صفية] : فسار رسول الله ﷺ إلينا قبل الكتيبة ، فسبيت في النزار قبل أن ينتهي النبي ﷺ إلى الكتيبة ، فأرسل بى إلى رحله ، ثم جاءنا حين أمسى فدعاني ، فجئت وأنا مقنَّعة حييَّة ، فجلست بين يديه فقال : إن أقمت على دينك لم أكرهك ، وإن اخترت الله ورسوله فهو خير لك، قالت : أختار الله ورسوله والإسلام ، فأعتقني رسول الله ﷺ وتزوجني وجعل عتقي مهري ، فلما أراد أن يخرج إلى المدينة قال أصحابه : اليوم نعلم أزوجة أم سرية ، فإن كانت امرأته فسيحجبها وإلا فهي سرية . فلما خرج أمر بستر فسترت به فعُرف أني زوجة ، ثم قدّم إليّ البعير وقدّم فخده لاضع رجلي ، فأعظمتُ ذلك ، ووضعت فخذي على فخده ، ثم ركبت . وكنت ألقى =

حتى أسلمت ، فسر بذلك ثم قال : فحدثني عبد الملك بن سليمان ، عن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة ، عن أيوب بن بشير المعاوي ، قال : أرسل بها رسول الله ﷺ إلى بيت سلمى بنت قيس أم المنذر ، وكانت عندها حتى حاضت حيضة ثم طهرت من حيضتها فجاءت أم المنذر فأخبرت رسول الله ﷺ فجاءها في منزل أم المنذر فقال لها رسول الله ﷺ : إن أحببت إن أعتقك وأتزوجك فعلتُ ، وإن أحببت أن تكوني في ملكي أطؤك بالملك فعلتُ ، فقالت : يا رسول الله إني أخفُّ عليك وعليّ أن أكون في ملكك ، فكانت في ملك رسول الله ﷺ يطؤها حتى ماتت عنده .

وحدثني بن أبي ذئب قال : سألت الزهريّ عن ريحانة فقال : كانت أمة لرسول الله ﷺ فأعتقها وتزوجها فكانت تحتجب في أهلها وتقول : لا يراني أحد بعد رسول الله ﷺ ، قال الواقدي[1] : فهذا أثبت الحديثين عندنا .

فتبين أنه ﷺ لم يطأ ريحانة إلا بعد أن أسلمت ويظل الاستدلال على جواز التسري بالأمة الكتابية وقد خرجوا على القول بجواز ذلك هل عليه تخييرها بين أن تسلم فيمسكها أم تقيم على دينها فيفارقها ؟ فيه وجهان حكاهما الماورديّ أحدهما : عليه تخييرها لتصبح من أزواجه في الآخرة ، والثاني ليس ذلك عليه لأنه لما خير ريحانة وقد عرض عليها الإسلام فأقام على الاستمتاع بها .

= أزواجه ، يفخرن عليّ يقلن : يا بنت اليهوديّ وكنت أرى رسول الله ﷺ يلطف بي ويكرمني ، فدخل عليّ يومًا وأنا أبكي فقال : مالك ؟ فقلت : أزواجك يفخرن عليّ ويقلن : يا بنت اليهوديّ. قالت : فرأيت رسول الله ﷺ قد غضب ثم قال : إذا قالوا لك أو فاخروك فقولي : أبي هارون وعمي موسى .(مغازي الواقدي) : ٢/٦٧٤ - ٦٧٥ ، باب غزوة خيبر مختصرًا .

(١) راجع التعليق السابق .

الثالثة : في تسريه بالأمة الكتابية

وفيه الخلاف المذكور قبله ، وقال الرافعيّ : الأظهر هنا أجل ، وبه أجاب الشيخ أبو حامد ، وهو اختيار الماورديّ في ريحانة ، ولا ينهض دليل ذلك عنه إلا التعقب والابتعاد[1] .

الرابعة : في تحريم نكاحه ﷺ الأمة المسلمة

اختلف أصحابنا في ذلك على وجهين :

أحدهما : عن أبي هريرة : لا يحرم عليه نكاحها كما في حق أبيه وأنه ﷺ أوسع نكاحًا من أمته ، وأصحهما ، يحرم لأن جواز نكاح الأمة مشروط بخوف العنت ، وكونه ﷺ معصوم ويفقد أن طول الحرة ونكاحه ﷺ غير مفتقر إلى المهر ، ولأن من نكح أمة كان ولده رقيقًا ، ومنصبه ﷺ منزه عن ذلك

---

(١) قال الشافعيّ – رضي الله تبارك وتعالى عنه – : لأنها داخلة في معنى من حرم من المشركات وغير حلال ، منصوصة بالإحلال كما نص حرائر أهل الكتاب في النكاح ، والله –تعالى– إنما أحل نكاح إماء أهل الإسلام بمعنيين ، وفي ذلك دلالة على تحريم من خالفهن من إماء المشركين ، والله أعلم ، لأن الإسلام شرط ثالث .

وأخبرنا أبو منصور النضروي ، حدثنا أحمد بن نجدة ، حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا سفيان عن ابن نجيح عن مجاهد ، قال : لا يصلح نكاح إماء أهل الكتاب ؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ **من فتياتكم المؤمنات** ﴾ . وعن الحسن في قوله تعالى : ﴿ **ومن لم يستطع منكم طولاً** ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ **من فتياتكم المؤمنات** ﴾ قال : فلم يرخص لنا في إماء أهل الكتاب .

وعمن أدرك من فقهائهم الذين ينتهي إلى قولهم ، منهم سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، والقاسم بن محمد ، وأبو بكر بن عبد الرحمن ، وخارجة بن زيد ، وعبيد الله ، وسليمان بن يسار ، قال : وكانوا يقولون : لا يصلح للمسلم نكاح الأمة اليهودية ولا النصرانية ، إنما أحل الله المحصنات من الذين أوتوا الكتاب ، وليست الأمة بمحصنة . (سنن البيهقيّ) : ١٧٧/٧ ، كتاب النكاح ، باب لا يحل نكاح أمة كتابية لمسلم بحال .

وبهذا قطع جماعة ، وجمع الماورديّ هذه المسألة مفرعة على جواز الاجتهاد في الخصائص ، وذهب الجمهور إلى الجواز ليتوصل به إلى معرفة الأحكام ، ثم ذكر الماورديّ اختلافهم في نكاح الكتابية ، ثم قال : وأما الأمة فلم يختلف أنه لم يكن له أن يتزوجها .

قال الرافعي : لكن من جوز ذلك قال : خوف العنت إنما يشترط في حق الأمة وفي اشتراط فقدان الطول تردد عن الشيخ أبي محمد وغيره على وجه الجواز .

قال الإمام فإن شرطناه لم تجز الزيادة على أمة واحدة وإلا جازت وقد فرعوا على القول بأن نكاح الأمة جائز فروعًا منها إذا أتت بولد هل يكون رقيقًا أم لا ؟ وفي لزوم قيمة هذا الولد لسيدها وجهان ، وهل يقدر في حقه ﷺ نكاح غرر ؟ وكل هذا مما يجب أن يصان جانبه العليّ عنه ، والإمساك في حقه إضرار إلى نكاح الأمة لأنه لو اعجبته أمة وجب على مالكها بذلها له هبة قياسًا على ماذكروه في الطعام . والله اعلم .

النوع الثالث : ما اختص به من المباحات والتخفيفات توسعة وتنبيهًا على [أنَّ] ما اختص به ﷺ من الإباحة لا يلهيه عن طاعة الله تعالى وهذا النوع قسمان أيضاً : متعلق بغير النكاح ومتعلق به

واعلم أن معظم المباحات لم يفعلها مع إباحتها له ، وليس المراد المباح هنا ما استوى طرفاه بل مالم يحرج في فعله ولا في تركه فإنه ﷺ واصل ، [وكان له][1] الاستبداد بالخمس ، قد يكون راجحًا لفعل يصرفه في المصالح ، وقد يكون راجح الترك لفقد هذا المعنى ، ودخوله مكة بغير إحرام قد يترجح فعله ، وقد يترجح تركه ، وكذا الزيادة على الأربع لا يساوي فيه فإن أفعاله ﷺ وأقواله كلها راجحة مثاب عليها ، حتى في أكله وشربه ، لأن كل واحد من أمته يكون له أن يقصد وجه الله – تعالى – بذلك ، وهو ﷺ أولى بذلك .

القسم الأول : المباحات له ﷺ في غير النكاح

وفيه مسائل :

الأولى : الوصال في الصوم أبيح له ﷺ

قال القضاعي : أبيح له دون غيره من الأنبياء ، وقد اختلف في ذلك ؛ فقيل: يكره فيما قاله الشافعي ، وعند الجمهور أنه من المباحات ، وأحاديث وصال رسول الله ﷺ والنهي عنه لغيره ثابته في الصحيحين ، من حديث أنس

(١) زيادة للبيان .

ابن مالك[1]، وفي البخاريّ من حديث أبي سعيد[2]، وفي الصحيحين أيضاً من حديث عبد الله بن عمر[3]، ومن حديث أبي هريرة[4]، ومن حديث عائشة[5] -

---

(١) أخرجه البخاريّ ومسلم والترمذي ، ولفظه " عن أنس بن مالك - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : واصل رسول الله ﷺ في آخر شهر رمضان ، فواصل ناسٌ من المسلمين ، فبلغه ذلك ، فقال : لومُدَّ لنا الشهر لواصلنا وصالاً يدع المتعمقون تعمقهم ، إنكم لستم مثلي - أو قال: لست مثلكم - إني أظل يطعمني ربي ويسقيني " .

وفي رواية قال : قال النبي ﷺ : " لا تواصلوا ، قالوا : إنك تواصل ؟ قال : لست كأحد منكم ، إني أبيت أُطعم وأُسقى " . أخرجه البخاريّ ومسلم ، وأخرج الترمذيّ الرواية الثانية ، وقال : إن ربي يطعمني ويسقيني .

والمتعمق في الأمر : المبالغ فيه المجاوز للحد . (جامع الأصول) : ٦/٣٨٠ ، ترك الوصال ، حديث رقم (٤٥٦٣) .

(٢) أخرجه البخاريّ وأبو داود ، ولفظه: "عن أبي سعيد الخدريّ - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : لا تواصلوا ، فأيكم أراد أن يواصل فليواصل حتى السحر ، قالوا : فإنك تواصل يا رسول الله ؟ فقال : إني لست كهيئتكم ، إني أبيت لي مُطعم يُطعمني ، وساق يسقيني " (جامع الأصول) : ٦/٣٨٢ حديث رقم (٤٥٥٦٦) .

(٣) أخرجه البخاريّ ومسلم ومالك وأبو داود : ولفظه : " عن عبد الله بن عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - أن النبي ﷺ نهى عن الوصال ، قالوا : إنك تواصل ؟ قال : إني لست كهيئتكم، إني أُطعم وأُسقى " وفي رواية : " لستُ مثلكم " .

وللبخاري أن النبي ﷺ واصل ، فواصل الناس ، فشق عليهم ، فنهاهم رسول الله ﷺ أن يواصلوا ، قالوا : إنك تواصل ؟ قال : لست كهيئتكم ، إني أظل أُطعم وأُسقى ، وأخرج الموطأ وأبو داود الرواية الأولى . (جامع الأصول) : ٦/٣٧٩ ، حديث رقم (٤٥٦٢) .

(٤) أخرجه البخاريّ ومسلم ومالك ، ولفظه : " عن أبي هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : نهى رسول الله ﷺ عن الوصال في الصوم ، فقال له رجل من المسلمين : إنك تواصل يا رسول الله ؟ قال : وأيكم مثلي ؟ إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني ، فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال واصل بهم يومًا ، ثم يومًا ، ثم رأوا الهلال ، فقال : لو تأخر لزدتكم كالتنكيل لهم حين أبوا أن ينتهوا " أخرجه البخاريّ ومسلم . =

رضي الله تبارك وتعالى عنها – ، ولأحمد[1] من وجهين صحيحين : إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني .

= وللبخاري : أن النبي ﷺ قال : " إياكم والوصال – مرتين – فقيل : إنك تواصل ؟ قال : إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني ، فاكفلوا من الأعمال ما تطيقون " . ولمسلم نحوه ، ولم يقل : "مرتين" وقال : " إنكم لستم في ذلك مثلي " . وله في أخرى مثله ، وقال : " واكفلوا ما لكم به طاقة " . وأخرج الموطأ رواية البخاريّ إلى قوله : " ويسقيني " . والتنكيل ، نكّل به : إذا جعله عبرة لغيرة ، وقيل : هو العقوبة .(جامع الأصول) : ٣٨١/٦ – ٣٨٢ ، حديث رقم (٤٥٦٥).

(٥) أخرجه البخاريّ ومسلم ولفظه : " عن عائشة – رضي الله تبارك وتعالى عنه – قالت : نهاهم رسول الله ﷺ عن الوصال رحمة لهم ، فقالوا : إنك تواصل ؟ إني لست كهيئتكم ، إني يطعمني ربي ويسقيني ، إلا أن البخاريّ قال : "نهى" ولم يقل : " نهاهم " (جامع الأصول) : ٣٨١/٦ ، حديث رقم (٤٥٦٤) .

(١) (مسند أحمد) : ٤٦١/٢ ، حديث رقم (٧١٢٢) من مسند أبي هريرة – رضي الله تبارك وتعالى عنه – ولفظه : " قال رسول الله ﷺ : إياكم والوصال ، قالها ثلاث مرار ، قالها ثلاث مرار ، قالوا : فإنك تواصل يا رسول الله ، قال : إنكم لستم في ذلك مثلي ، إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني ، فاكلفوا من العمل ما تطيقون " .

وحديث رقم (٧١٨٨) من مسند أبي هريرة – رضي الله تبارك وتعالى عنه – ولفظه : "قال رسول الله ﷺ إياكم والوصال كذاك علمي ، قالوا: إنك تواصل ، قال: إني لست كأحدكم ، إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني " .

وحديث رقم (٧٤٩٥) من مسند أبي هريرة – رضي الله تبارك وتعالى عنه – ولفظه : "نهى رسول الله ﷺ عن الوصال ، قالوا : إنك تواصل ، قال : إنكم لستم كهيئتي ، إن الله حبى يطعمني ويسقيني " وقال يزيد : " إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني " .

وحديث رقم (٧٧٢٨) من مسند أبي هريرة – رضي الله تبارك وتعالى عنه – ولفظه : "قال رسول الله ﷺ لا تواصلوا ، قالوا : يا رسول الله إنك تواصل ؟ قال : إني لست مثلكم ، إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني ، قال : فلم ينتهوا عن الوصال ، فواصل بهم النبي ﷺ يومين أو ليلتين ثم رأوا الهلال ، فقال النبي ﷺ : لو تأخر الهلال لزدتكم ، كالمنكل بهم " . =

حدثنا أمية به بتخصيصه بأنه ليس كهيئاتهم ، إن الله يطعمه ويسقيه ، قال النووي[1] : قوله يطعمني ويسقيني : معناه يجعل الله لي قوة الطاعم والشارب ، وقيل هو على ظاهره أنه يطعم من طعام الجنة كرامةً له ، والأول أصح ، لأنه لو أكل حقيقةً لم يكن مواصلاً ، وقد قال في روايه ابن عمر : إني في الظل

= وحديث رقم (٨٠٥٣) من مسند أبي هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ولفظه : "إياكم والوصال ، إياكم والوصال ، قالوا : إنك تواصل يا رسول الله ، قال : إني لست في ذاكم مثلكم ، إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني ، فأكلفوا من العمل ما لكم به طاقة " .

وحديث رقم (١٠٦٧١) من مسند أبي سعيد الخدريّ - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ولفظه : " لا تواصلوا ، فأيكم أراد أن يواصل فليواصل حتى السحر ، فقالوا : إنك تواصل ؟ قال : إني لست كهيئتكم ، إني أبيت لي مُطعم يطعمني ، وساق يسقيني " .

وحديث رقم " (١٣٦٦٦) من مسند أنس بن مالك - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ولفظه : " أن النبي ﷺ نهى عن الوصال ، قال : قيل له : إنك تواصل ؟ قال : إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني " .

وحديث رقم (١٣١٧٠) من مسند أنس بن مالك - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ولفظه: " أن رسول الله ﷺ نهى عن الوصال ، قال فقيل : إنك تواصل ؟ قال : إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني " .

وحديث رقم (٢٥٦٨٠) من حديث السيدة عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - ولفظه : أن رسول الله ﷺ نهى عن الوصال ، فقيل : يا رسول الله فإنك تواصل ؟ قال : إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني " .

وأخرجه البيهقيّ في (السنن الكبرى) : ٧/٦١ - ٦٢ ، كتاب النكاح ، باب الوصال له مباح ليس لغيره ، وقال : أخرجه البخاريّ ومسلم في الصحيحين من حديث مالك ، وثبت معناه من حديث أبي هريرة ، وأنس بن مالك ، وعائشة بنت الصديق - رضي الله تبارك وتعالى عنهم جميعًا - ، عن النبي ﷺ .

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٧/٢٢٠ ، شرح الحديث رقم (١١٠٣) من باب (١١) النهي عن الوصال في الصوم .

يطعمني ربي ويسقيني ، ولنفسه ظل لا يكون إلا في النهار ، ولا يجوز الأكل الحقيقي في النهار بلا شك فثبت ما قلناه .

وأجيب بأنه لو أكل من طعام الجنة لم يفطر أو بأن طعام الله - تعالى - لا يفطر بدليل القاضي وقد علل بقوله : إنما أطعمه الله وسقاه وقيل : يعان على الصوم ويقوى عليه فكأنه أطعم أو يخلق له الله من الشبع الذي كالطاعم والشارب .

وقيل : كان الإطعام والإسقاء حقيقة في المنام وقال الإمام : الوصال قربة في حقه ﷺ ، وإنما يثبت خصوصية الوصال للرسول ﷺ إذا قلنا بأنه حرام على الأمة . وقد نص الشافعي - رحمه الله - على كراهيته ، وفي ذلك وجهان ، قيل: كراهة تحريم ، وقيل: كراهة تنزيه ، أصحهما أنه كراهة تحريم في النهي عنه . قال جمهور العلماء : قاله النووي واستدل به على تحريم الوِصال بما خرَّجه البخاريّ من حديث أبي حازم ، عن يزيد بن الهاد ، عن عبد الله بن حباب ، عن أبي سعيد الخدري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : لا تواصلوا فأيكم إذا كان يواصل فليواصل حتى السحر . قالوا: فإنك تواصل يا رسول؟ الله قال: لست كهيئتكم إني أبيت مطعم يطعمني وساقٍ يسقيني[1] .

والنهي يقتضي التحريم ، وقال القاضي عياض : قيل : النهي عنه رحمه وتخفيف فمن قدر فلا حرج ، وقد واصل جماعة من السلف لأيام ، وأجازه ابن وهب وأحمد واسحاق إلى السحر ثم حكى عن الأكثرين كراهته .

وقد كانت أخت أبي سعيد تواصل وهى صحابية ، وكان عبد الله بن الزبير يواصل سبعة أيام ، فإذا كان الليلة السابعة دعى بإناء من سمن فشربه ، ثم يأتي بثريدة فيها عرقان ويؤتي الناسُ بالجنان فيقول : هذا من خالص مالي ، وهذا من بيت مالكم ، وكان ابن وضاح يواصل أربعة أيام .

وقال عطاء وأبيّ وغيرهم من أصحابنا : هو من الخصائص التى أبيحت لرسول الله ﷺ وحرمت على الأمة واحتج لمن أباحه بقوله في بعض طرق مسلم : نهاهم عن الوصال - رحمه الله - .

---

(١) سبق تخريجه .

وفي طرق بعضهم : لما أبوا أن ينتهوا واصل بهم يومًا ثم يومًا ثم زاد الهلال فقال : لو تأخر الهلال لزدتكم . وفي بعضها لو مدّ لنا الشهر لواصلنا وصالاً يدعُ المتعمقون تعمقهم(١) .

ولو كان حرامًا ما فعله ﷺ بأصحابه ، وقد اشتهر عن كثير من الصلحاء الوصال ، فلعل وصالهم جاء من غير قصد إليه ، بل اتفق ترك تناولهم المفطر بفعله عنهم ، أو لاشتغاله بالاستغراق بالمعارف ، ونحن نشاهد الترك عند اشتغال القلب بما يسرّ أو يحزن فكيف بذاك ؟ وعلى هذا تكون الخصوصية له ﷺ على كل أمته لا على أحد من أفرادها .

الثانية : اصطفاؤه ﷺ فيما يختاره من الغنيمة قبل قسمها من جارية أو غيرها بشيء ما اختاره من ذلك الصفيّ والجمع الصَّفايا

خرّج أبو داود(٢) من طريق سفيان بن مسروق [حدثنا محمود بن خالد السلمي ، حدثنا عمر - يعني ابن عبد الواحد - عن سعيد - يعني ابن بشير ، عن قتادة ، قال : كان رسول الله ﷺ إذا غزا كان له سهم صاف يأخذه من حيث

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٧/٢٢١ ، كتاب الصيام ، باب (١١) النهي عن الوصال في الصوم ، حديث رقم (١١٠٤) قال الإمام النووي : وبيان الحكمة في نهيهم والمفسدة المترتبة على الوصال، وهي الملل من العبادة والتعرض للتقصير في بعض وظائف الدين : من إتمام الصلاة بخشوعها ، وأذكارها ، وآدابها ، وملازمة الأذكار ، وسائر الوظائف المشروعة في نهاره وليلة. والله تعالى أعلم . (مسلم بشرح النووي) .

(٢) (سنن أبي داود) : ٣/٣٩٧ ، كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب (٢١) ما جاء في سهم الصفيّن حديث رقم (٢٩٩٣) ، ومابين الحاصرتين زيادة للسياق منه ، وهو حديث مرسل ، وفيه سعيد بن بشير وهو ضعيف .

شاء ، فكانت صفية من ذلك السهم وكان إذا لم يغز [بنفسه] ضُرب له بسهم ولم يخير .

وعن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت : كانت صفية من الصَّفيّ[1] .

وخرَّج أبو بكر بن أبي شيبة من حديث وكيع ، حدثنا قرة بن خالد ، عن أبي العلاء يزيد بن عبد الله بن الشخير قال : كنا جلوساً بهذا المِرْبَد بالبصرة فجاء أعرابي معه قطعة من أديم أو قطعة جراب فقال : هذا كتاب كتبه النبي ﷺ أخذته فقرأته على القوم فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، كتاب من محمد رسول الله لبني زهير بن أقيش ، إنكم إن أقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، وأعطيتم من المغنم الخمس ، وسهم النبي والصَّفيّ فإنكم آمنون بأمان الله وأمان الرسول ، قال : قلنا للأعرابي : أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ فقال : نعم يقول صوم شهر الصبر - يعني رمضان - وثلاثة أيام من كل شهر يذهبن من حرَّ الصدر ، ثم انصاع مدبرًا ، فقال : تروني أكذب على رسول الله؟ .

وخرَّجه أبو محمد بن داود من حديث وكيع ، عن قرة بن خالد بنحوه إلى قوله : وأمان رسول الله ، وبعد هذا قال : قلنا له : هل سمعت رسول الله ﷺ يقول : شيئًا ؟ قال : سمعته يقول صوم شهر الصبر ، وصوم ثلاثة أيام من كل شهر يذهبن في حرَّ الصدر قال : قلت : إنك سمعت رسول الله ؟ قال : أتروني أكذب على رسول الله ؟ ثم أخذ العتاب وانصاع مدبرًا .

وخرَّجه أبو داود[2] من حديث مسلم بن إبراهيم قال : حدثنا قرة قال : سمعت يزِّيد بن عبد الله[3] قال : كنا بالمِربد[4] ، فجاء رجل أشعث الرأس بيده قطعة أديم أحمر ، فقلنا : كأنك من أهل البادية ، فقال : أجل ، قلنا : ناولنا هذه

(١) (المرجع السابق) : حديث رقم (٢٩٩٤) ، وإسناده صحيح ، وصححه ابن حبان والحاكم .

(٢) (سنن أبي داود) : ٣/٤٠٠ ، كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب (٢١) ما جاء في سهم الصفيّ ، حديث رقم (٢٩٩٩) .

(٣) يزيد بن عبد الله : هو ابن الشِّخِّير .

(٤) المِربد : محلة بالبصرة من أشهر محالها وأطيبها .

القطعة الأديم التي في يدك ، فناولناها [فقرأناها] (١) ، فإذا فيها : من محمد رسول الله إلى بني زهير بن أقيش ، إنكم إن شهدتم أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأقم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، وأديتم الخمس من المغنم ، وسهم النبي ﷺ الصَّفيّ ، فأنتم آمنون بأمان الله ورسوله ، فقلنا : من كتب لك هذا الكتاب ؟ قال : رسول الله ﷺ (٢) ، وخرَّجه قاسم بن أصبغ من طريق مسلم بن إبراهيم ، عن قرة إلى آخره نحوه(٣) .

قال أبو عمر بن عبد البر : سهم الصَّفيّ مشهود في صحيح الآثار ، معروف عند أهل العلم ، ولا يختلف أهل السير في أن صفيّ من الصَّفا ، وأجمع العلماء على أن سهم الصَّفيّ ليس لأحد بعد النبي ﷺ .

وخرَّج البخاريّ ومسلم من طريق حماد بن يزيد ، عن ثابت ، عن أنس ، عن النبي ﷺ أنه اعتق صفية وجعل عتقها صداقها ، وقصة صفية . خرجها البخاريّ من حديث عمرو بن أبي عمرو ، عن أنس ، قدمنا خيبر فلما فتحنا الحصن ذكر له جمال صفية ، وقد قتل زوجها وكانت عروسًا ، فاصطفاها لنفسه(٤) ، الحديث .

---

(١) زيادة للسياق من (سنن أبي داود) ، وأقيش ، بضم الهمزة وفتح القاف ، ثم ياء مثناة ساكنة وآخره شين معجمة ، هم حيّ من بني عكل .

(٢) قال الخطابيّ : أما سهم النبي ﷺ فإنه كان يسهم له كسهم رجل ممن شهد الوقعة ، حضرها رسول الله ﷺ أو غاب عنها . وأما الصفيّ فهو ما يصطفيه من عَرْض الغنيمة من شيء قبل أن يخمس - عبد ، أو جارية ، أو فرس ، أو سيف ، أو غيرها - وكان النبي ﷺ مخصوصًا بذلك ، مع الخمس الذي كان له خاصة . (معالم السنن) .

(٣) ورواه بعضهم عن يزيد بن عبد الله ، وسمى الرجل النمر بن تولب الشاعر ، صاحب رسول الله ﷺ ، ويقال : إنه ما مدح أحدًا ، ولا هجا أحدًا ، وكان جوادًا لا يكاد يمسك شيئًا ، وأدرك الإسلام وهو كبير ، ويسمى الكيّس لحسن شعره ، ترجمته في (الشعر والشعراء): ١٩١-١٩٢ .

(٤) (فتح الباري) : ٦٠٨/٧ ، كتاب المغازي ، باب (٣٩) غزوة خيبر ، حديث رقم (٤٢١١) .

وله من حديث ثابت عن أنس كان في السبي صفية ، فصارت إلى دحية ، ثم صارت إلى النبي ﷺ[1] .

خرّج البخاريّ ومسلم من حديث عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس في قصة خيبر ، فجمع السبى ، فجاء دحية فقال : أعطنى جارية من السبي ، قال : اذهب فخذ جارية ، فأخذ صفية ، فجاء رجل فقال : يا نبيّ الله ! أأعطيت دحية صفية سيدة قريظة والنضير لا تصلح إلا لك ، قال : أدعوه بها ، فجاء بها ، فلما نظر إليها [النبى ﷺ] قال : خذ جارية من السبي غيرها ، الحديث[2] .

وعن حماد بن سلمة ، عن ثابت ،عن أنس أنه أشتراها من دحية بسبعة أرؤس[3] .

---

(١) (المرجع السابق) : حديث رقم (٤٢٠٠) ، (٤٢٠١) ، قال الحافظ في (الفتح) : فلما قيل للنبي ﷺ ، إنها بنت ملك سن ملوكهم ، ظهر له أنها ليست ممن توهب لدحية لكثرة من كان في الصحابة مثل دحية وفوقه ، وقلة من كان في السبى مثل صفية في نفاستها ، فلو خصه بها لأمكن تغير خاطر بعضهم ، فكان من المصلحة العامة ارتجاعها منه ، واختصاص النبي ﷺ بها، فإن في ذلك رضا الجميع ، وليس ذلك من الرجوع في الهبة في شيء .

(٢) (فتح الباري) : ٦٣٢/١ ، كتاب الصلاة ، باب (١٢) ما يذكر في الفخذ ، حديث رقم (٣٧١)، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه .

قوله ﷺ : " خذ جارية من السبي غيرها " ذكر الشافعيّ – رضي الله تبارك وتعالى عنه – في (الأم) عن (سير الواقدي) أن النبي ﷺ أعطاه أخت كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وكان كنانة زوج صفية ، فكأنه طيب خاطره لما استرجع منه صفية بأن أعطاهأخت زوجها ، واسترجاع النبي ﷺ صفية منه محمول على أنه إنما أذن له في أخذ جارية من حشو السبى لا في أخذ أفضلهن فجاز استرجاعها مننه لئلا يتميز بها على باقي الجيش ، مع أن فيهم من هو أفضل منه .

ووقع في رواية لمسلم أن النبي ﷺ اشترى صفية منه بسبعة أرؤس ، وإطلاق الشراء على ذلك على سبيل المجاز ، وليس في قوله : " سبعة أرؤس " ما ينافي قوله هنا : " خذ جارية " إذ ليس هنا دلالة على نفي الزيادة (فتح الباري) .

(٣) راجع التعليق السابق .

وذكر الرافعي أن ذا الفقار[1] كان من الصفيّ ، واعترض عليه بأن غنائم بدر كانت للنبي ﷺ كلها لأنها كانت قبل فرض الخمس ، والكلام في الصفيّ بعد فرض الخمس وعلى هذا المعنى يحمل ما خرَّجه الترمذيّ ، وابن ماجة ، والحاكم ، عن ابن عباس أن النبي ﷺ تنفَّل سيفه ذا الفقار يوم بدر .

وخرَّجه الواقدي عن الزهريّ ، عن سعيد بن المسيب ، وعن عبد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس قال : تنفَّل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار يومئذ ، وكان لمنبه بن الحجاج ، ومعناه أخذه لنفسه لم يعطيه أحدًا .

تتمَّه

قد عد الإمام أبو حامد الغزالي - رحمه الله - إعطاءه [تميم] الداري بنت ميمونة فتجرى من الخصائص النبوية ، وجعل ذلك من الصفايا المختصة به ﷺ ، فلا يكون لأحد من الأئمة بعد النبي ﷺ أن يقطع أحداً من الرعية شيئاً لم يدخل في ملك المسلمين .

وتردد القاضي أبو الحسن الماوردي في ما أخذ الإقطاع الذي وقع لتميم الداري ، وجوز أن تكون من الخصائص بعد أن حكى الخلاف ، هل لغير النبي ﷺ أن يفعل ذلك ؟ وسيرد كلامه في ذلك إن شاء - الله تعالى - .

قال القاضي أبو بكر أبو محمد بن العربي المعارفي الأشبيلي المالكي في شرح (الموطأ) لما تكلم على حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال في (صحيحه) : وإنما تركها من تركها لقولهم : إنها غير مسموعة ، وهذا لا يمنع من الاحتجاج ، وقد كان عند أولاد تميم الداريّ - رضي الله تبارك وتعالى عنه - كتاب النبي ﷺ في قطعة أديم[2] : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا

---

(١) ذو الفقار : اسم سيف رسول الله ﷺ .

(٢) وفد عليه ﷺ الداريون مرتين ، مرة قبل الهجرة ، ومرة بعدها ، وفي المرة الأولى سألوا رسول الله ﷺ أرضًا فدعا بقطعة من أدم ، وكتب كتابًا نسخته : =

ما أنطى[1] محمد رسول الله تميماً الدارميّ قطعة قرية حبرون وبيت عينون بلد الخليل ، فبقى ذلك في يده ويد أهله إلى أن غلب الفرنجة على القدس سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة ، قال : ولقد اعترض بعض الولاة على تميم الداريّ أيام كان بالشام وأراد انتزاعها فحضر القاضي حامد الهرويّ الحنفي ، فاحتج الدارميّ بالكتاب ، فقال القاضي : هذا الكتاب ليس بلازم لأن النبي ﷺ أقطع تميمًا ما لم يملك ، فاستدعى الوالى الفقهاء ، وكانت الرواية التي رويت إلى الأرض كلها ، وكان يقطع الجنة فيقول : قصر كذا لفلان ، فوعده صدق ، وعطاؤه حق ، قال: فحضره القاضي والوالي ، وأبقى الدارميين على ما في أيديهم .

= بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب ذكر فيه ما وهب محمد رسول الله للداريين . إذ أعطاه الله الأرض وهب لهم بيت عينون ، وحبرون ، والمرطوم ، وبيت إبراهيم ومن فيهم إلى الأبد ، شهد عباس بن عبد المطلب ، وخزيمة بن قيس ، وشرحبيل بن حسنة وكتب . فلما هاجر ﷺ إلى المدينة قدموا عليه وسألوه أن يجدد لهم الكتاب فكتب ما نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد رسول الله لتميم بن أوس الدرايّ : أنّ له قرية حبرون ، وبين عينون ، قريتهما كلهما ، وسهلهما ، وجبلهما ، وماءهما ، وحرثهما ، وأنباطهما ، وبقرهما ، ولعقبه من بعده ، لا يحاقه فيهما أحد ، ولا يلجها عليهم أحدٌ بظلم ، فمن ظلم وأخذ منهم شيئًا فإن عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . وكتب عليّ . (مجموعة الوثائق السياسية) : ٥٣١، وثيقة رقم (٤٣) الإقطاع للداربين وهم من لخم ، ووثيقة رقم (٤٤) تجديد الكتاب السابق .

ثم رواية أخرى عن النص السابق ، وثيقة (٤٥) :

بسم الله الرحمن الرحيم .

هذا ما أنطى محمد رسول الله لتميم الداري وإخوته وحبرون ، ومرطوم ، وبيت إبراهيم وما فيهن ، نطية بتٍ بذمهتم ، ونفّذت وسلّمت ذلك لهم ولأعقابهم . فمن آذاهم آذاه الله ، ومن أذاهم لعنه الله . شهد عتيق بن أبي قحافة ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وكتب عليّ بن أبي طالب وشهد

(١) في بعض الروايات : " أنطى " ، " أعطى " وما أثبتناه من (الأصل) .

وقد ذكر القاضي أبو بكر بن العربي - رحمه الله - هذه القصة في كتاب سماه (قانون التأويل)[١] وهو كان جمعة من قوام يد الشيخ أبي حامد محمد بن محمد الغزالي - رحمه الله - ونصه ما قوله أدام الله علوه :

فما أقطع رسول الله ﷺ تميم الداري من الشام قبل أن يملكه أهل الإسلام ما وجه صحته مع أنه جرى قبل الملك ، ولم يتصل به القدر ، ولم يجر تحديد محل الإقطاع ، هل يجوز لإمام أن ينزع ذلك من يد تميم ؟ ومتى يحصل الملك للمقطع ؟ فأجاب على ذلك بأن الإقطاع صحيح لتميم ومنتقل إلى أعقابه وقت حصول الملك عند تسليم الإمام المستولي على تلك الأرض له ذلك ، ووجه صحته أن النبي ﷺ كان مختصاً بالصفايا من المغنم حتى كان يختار من المغنم ما يريد ، ويدفع ملك المسلمين عنه بعد استيلائهم عليه ، فلذلك كان له أن يستثنى تبعة من ذيلة الكفر عن ملك المسلمين ويعينها لبعض المسلمين فتصير ملكاً له ، ويكون سبب الملك تسليم الإمام وأمر رسول الله ﷺ ويستثنى من التخصيصات ، وليس ذلك لغيره من الأئمة ، فإنه ﷺ كان مطلعاً بالوحي على من سيملك في المستقبل ، وعلى وجه المصلحة في التخصيص والاستثناء وغير ذلك ولا يطلع غيره عليه .

وأما قول من قال لا يصح إقطاعه لأنه قبل الملك ، فهو كفر محض ، لأنه يقال له : هل حل لرسول الله ما فعل أو كان ظالماً بتصرفه ذلك ؟ فإن جعله ظالماً كفر ، وإن قال بل حل له ذلك ، قيل له : أتعلم أن ذلك يحصل أو لا فإن جهله كفر ، وإن قال : إنه علم ، لكن علم أنه لا يحصل ، قيل له : فلا يبقى إلا أنه قد قدم عليه مع علمه مبطلاته[٢] .

هذا كلام الشيخ أبي حامد الغزالي ، كما ترى أن عطاء ذلك لتميم الداري منن الخصائص النبوية وجعله من الصفايا المختصة به ﷺ فلا يكون لأحد من

---

(١) (قانون التأويل) ، للقاضيّ أبي بكر محمد بن عبد الله الأشبيليّ المالكيّ ، المعروف بابن العربيّ ، الحافظ ، المتوفي سنة (٥٤٦ هـ) ، ذكر حاجي خليفة في (كشف الظنون) : ٢٨١/٢ .

(٢) بعد هذه العبارة طمس في (الأصل) لم أجد له توجيهًا بقدر سطرين ونصف .

الأئمة بعد النبي ﷺ أن يقطع أحداً من الرعية [شيئاً] لم يملكه المسلمون وأختلف كلام القاضي أبي الحسن على الماورديّ ، فجزم في (الأحكام السلطانية) بجواز ذلك عموماً .

وقال في كتاب (الحاوى) : وأما الإقطاع فإنه لا يصح إلا في ما لم يستقر عليه ملك ، وعلى هذا كانت قطائع النبي ﷺ ، فذكر قال : فعلى هذا كانت قطائع النبي ﷺ إلا ما كان من شأن تميم الداري ، وأبى ثعلبة ، فذكرها احتمل ذلك من فعله أن يكون أقطعهما ذلك إقطاع تقليد لا إقطاع تمليك ، ويجوز أن يكونا مخصوصين بتصديق إخبار وتحقيق إعجاز ، وأما الأئمة بعد رسول الله ﷺ فإن أبا بكر ، وعمر - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - لم يقطعا الأموات لم يجز عليه ملك واصطفى عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - من أرض سواد أموال كسرى لأهل بيته ، وما وهب عنه أربابه أو تملكوا ، وكان مبلغ ذلك تسعة آلاف ألف ، وكان ينفقها في مصالح المسلمين ، ولم يقطع شيئاً منها، ثم إن عثمان بن عفان - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أقطعها لأنه رأى إقطاعها أوفر لعلتها من تعطيلها ، وشرط على من أقطعها أن يأخذ منه حق الف ، فكان ذلك منه إقطاع إجارة ، قال بذلك الماورديّ ، هذا ، وقال في قوله : إقطاع إجارة إلى أمرائهم أن يؤجروها بأجرة معلومة ينتفعوا بها مع بقاء الرقبة . انتهى . وقد جمع الفقهاء الخصائص ، ولم يعدوا منها ما ذكره الغزاليّ .

الثالثة : كان له ﷺ الاستبداد بخمس الفيء والغنيمة وبأربعة أخماس الفيء فينفرد ﷺ بذلك

قال ابن سيده : والغُنْم والغنيمة والمغنم ، الفيء ، وغنم الشئ غُنماً ، فاز به وتغنمه واغتنمه ، وانتهز غنمه واغتنمه الشيء جعله له غنيمة(١) ، قال : والفيء الغنيمة ، وقد فيئت فيئًا واستفأت .

وكانت الغنيمة لغة : ما يناله الرجل والجماعة بسعي ، غير أنهم جعلوا على أن المراد بقوله – تعالى – : ﴿ **واعلموا أنما غنمتم من شيء** ﴾ فإنما هو مال الكفار إذا ظفر به المسلمون على وجه الغلبة والقهر ، وهذا التخصيص لا تقتضيه اللغة(٢) ، لكن عرف الشرع قيد اللفظ بهذا النوع ، وسمى الشرع ما يصل من أموال الكفار باسمين : هما الغنيمة ، والفيء ما ناله المسلمون من عدوهم بسعي كما تجاف الخيل والركاب يسمى غنيمة ، ولزم هذا الاسم هذا المعنى حتى صار عرفيًا ، وكل مال دخل على المسلمين من غير حرب ، ولا إيجاف ، فخراج الأرضين وجزية الجماجم ، وخمس الغنيمة ، ونحو ذلك مما يؤخذ من المشركين عفواً يسمى فيئًا .

---

(١) (لسان العرب) : ١٢/٤٤٥ – ٤٤٦ .

(٢) قال الأزهريّ : الغنيمة ما أوجف عليه المسلمون بخيلهم وركابهم من أموال المشركين ، ويجب الخمس لمن قسمه الله له ، ويقسم أربعة أخماسها بين الموجفين : للفارس ثلاثة أسهم ، وللراجل سهم واحد . وأما الفيء فهو ما أفاء الله من أموال المشركين على المسلمين بلا حرب ولا إيجاف عليه ، مثل جزية الرؤوس وما صولحوا عليه فيجب فيه الخمس أيضًا لمن قسمه الله، والباقي يصرف فيما يسدّ الثغور من خيل ، وسلاح وعُدّه ، وفي أرزاق أهل الفيء ، وأرزاق القضاة ، ومن غيرهم ، ومن يجري مجراهم .

وقد تكرر في الحديث ذكر الغنيمة ، والمغنم ، والغنائم ، وهو ما أصيب من أموال أهل الحرب ، وأوجف عليه المسلمون الخيل والركاب . (لسان العرب) : ١٢/٤٤٦ .

وقال عطاء بن السائب : الغنيمة ما ظهر عليها من أموال المشركين والفيء ما ظهر عليه من الأرضين ، والأصل في الغنيمة قول الله – تعالى – : ﴿ **واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل** ﴾[1] والأصل في الفيء قوله – تعالى – : ﴿ **ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل** ﴾[2] وقد كانت الغنيمة محرمة على الأنبياء وأحلها الله – تعالى – لرسوله محمد ﷺ ، فجعلها الله – تعالى – ملكا له ﷺ خالصًا دون غيره لقوله – تعالى– : ﴿ **يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول** ﴾[3] والأنفال هي الغنائم ، والنفل هو الزيادة من الخير ، فسميت الغنائم أنفالاً لأنها زيادة ، ثم نسخ الله –تعالى– هذه الآية بقوله –تعالى– : ﴿**واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه** ﴾[4] الآية . وقال أبو عمر بن عبد البر : وأجمع على أن هذه الآية نزلت بعد قوله – تعالى –: ﴿ **يسألونك عن الأنفال** ﴾[5] وإن أربعة أخماس الغنيمة مقسومة على الغانمين ، وعن قوله – تعالى – : ﴿**يسألونك عن الأنفال** ﴾[6] نزلت في حين تشاجر أهل بدر في غنائم بدر ، انتهى .

فلما أضاف – تعالى – مال الغنيمة إلى الغانمين ، ثم استثنى منه خمسه لرسوله ﷺ ، ومن سمى معه من أهل الخمس بقوله – تعالى – : ﴿ **لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل** ﴾ دل على أن الباقي من بعد أخماسه ملك الغانمين ، فصار مال الغانمين مقسومًا على خمسة وعشرين سهمًا منها لأهل الخمس ، وهم رسول الله ﷺ ، وذي القربى ،

---

(١) الأنفال : ٤١ .

(٢) الحشر : ٧ .

(٣) الأنفال : ١ .

(٤) الأنفال : ٤١ .

(٥) الأنفال : ١ .

(٦) الأنفال : ١ .

واليتامى ، والمساكين وابن السبيل ، وفيه خلاف ذكر في موضعه ، وصار أربعة أخماس ، وهو عشرون سهمًا تقسم بين الغانمين لا يشاركهم فيها غيرها .

وأما مال الفيء وهى الأموال الواصلة من المشركين بغير قتال ولا إيجاف بخيل ولا ركاب

كالذي أجلى عنه المشركون خوفًا ورغبًا ، والأموال التى يضحون بها عن أنفسهم ، ودمائهم وأموالهم ، المأخوذ من عشور أموالهم إذا دخلوا تجارًا ، والجزية التى تقربهم بها إلى دارنا ، ومال الخراج المقربون على أراضيهم ، والأرضين المأخوذة عفواً منهم ، ومال من مات في دارنا ولا وارث له منهم ، كل ذلك فيء لأنه واصل بغير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب ، هذا هو المنصوص من مذهب الشافعيّ في الجديد .

وقوله في القديم : أن الفيء من جميع ذلك ما انجلى عنه المشركون خوفاً ورعبًا ، وما سواه من الجزية ، والخراج ، وعشور التجارة ، ومال من مات ولا وارث له ، ليس بفيء ولا يخمس والأول أصح ، وقد كان رسول الله ﷺ في صدر الإسلام يملك جميع الفيء كما ملك جميع الغنيمة ، لذلك ملك أموال بني النضير ، فكانت مما أفاء الله – تعالى – لم يشاركه فيها أحد ، وصارت من صدقاته التى تصدق بها إلى أن أنزل الله – تعالى – في الفيء قوله – تعالى –: ﴿ **ما أفاءِ الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل** ﴾ فاختلف الناس حينئذ فيما استقر حكم الفيء عليه على ثلاثة مذاهب :

أحدها : إن مال الفيء مصروف في وجوه المصالح لا يخمس ، وهو قول أبي حنيفة .

الثاني : إن مال الفيء مقسوم على خمسة أسهم لرسول الله ﷺ منها سهم كأحد أهل الخمس وهو قول مالك .

الثالث : أن خمسه مقسوم على خمسة ، منها لرسول الله ﷺ سهم ، وأربعة أخماس الفيء له أيضًا خاصة ، فيكون جميع مال الفيء مقسومًا على

خمسة وعشرين سهمًا منها واحد وعشرين سهمًا لرسول الله ﷺ ، وأربعة أسهم هي لأربعة أصناف هم ذوو القربى ، واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل ، وهذا هو مذهب الشافعيّ ، ولكل على قوله دليل إذا تكرر ما وصفنا ، فالذي ملّك الله - تعالى - رسوله ﷺ مال الغنيمة ، ومال الفيء ، خمس الخمس من الفيء والغنيمة ، وأربعة أخماس الفيء ، ذلك سوى الصفيّ من الغنيمة ، فصار رسول الله ﷺ مالكًا لأربعة أموال : مالين من الغنيمة هما خمس الخمس ، والصفيّ ، ومالين من الفيء هما خمس الخمس ، وأربعة أخماسه ، واستدل أصحابنا على ذلك بقوله - تعالى - : ﴿ **ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل** ﴾ فأضاف الله - تعالى - الفيء إلى رسوله ، كما أضاف الغنيمة إلى الغانمين ، ثم من استثناه في سهم الغانمين ، فوجب أن يكون إطلاق ما جعل لهم من الفيء محمول على المقدار المحمول من الغنيمة ، ويكون الخمس ، ويكون الباقي بعده لمن أضاف المال إليه وهو الرسول ﷺ كما كان الباقي من الغنيمة لما أضافها إليه وهم الغانمون .

وقال الشافعيّ : سمعت ابن عيينة يحدث عن الزهريّ أنه سمع مالك بن أوس بن الحدثان يقول : سمعت عمر بن الخطاب ، والعباس بن عبد المطلب ، وعلى بن أبي طالب - رضي الله تبارك وتعالى عنهم - يختصمان إليه في أموال النبي ﷺ ، فقال عمر : كانت أموال بنى النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليها بخيل ، ولا ركاب ، فكانت لرسول الله ﷺ دون المسلمين ، وكان رسول الله ﷺ ينفق منها على أهله نفقة سنة ، فما فضل منها جعله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله ، ثم توفّي رسول الله ﷺ فوليها أبو بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - بمثل ما وليها به رسول الله ﷺ ، ثم وليها عمر بمثل ما ولى به رسول الله ﷺ ، وأبو بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ، ثم سألها فى أن أوليكما هذا على أن تعملانها بمثل ما وليهما به رسول الله ﷺ ، ثم وليها أبو بكر ، ثم وليتها ، ثم حينما تختصمان تريدان أن أدفع إلى كل واحد منكما نصفاً ، أتريدان منى قضاء غير ما قضيت بينكما أولاً

والذي بإذنه تقوم السموات والأرض لا أقضي بينكما قضاء غير هذا ، فإن عجزتما عنها فادفعاها إليّ أكفيكماها .

وهذا الحديث خرَّجه البخاريّ[1]، ومسلم[2]من حديث جويرية ، عن معمر، عن الزهريّ ، وعن عقيل ، عن ابن شهاب ، وعن شعيب عن الزهريّ .

وخرَّجه مسلم[3] وأبو داود[4]، عن ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن الزهريّ . وخرَّجه أبو داود[5] عن أسامة بن زيد ، عن الزهريّ ، عن مالك بن أوس ، وفي بعضها طول ، وفي بعضها اختصار .

ووجه الدلالة أن هذا الخبر اقتضى ظاهره الفيء جميعه ملك لرسول الله ﷺ ، واقتضى ظاهر الآية أن الفيء كله يقسم على خمسة ، فوجب الجمع بينهما على وجه لا تنافي فيه ليستوا جميعًا ، وهو أن يكون معنى الخبر أن أربعة

---

(١) (فتح الباري) : ٦/٢٤٢ - ٢٤٣ ، كتاب فرض الخمس ، باب (١) حديث رقم (٣٠٩٤) مطولاً .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ١٢/٣١٥ - ٣١٩ ، كتاب الجهاد والسير ، حديث رقم (٤٩) .

(٣) (المرجع السابق) : حديث رقم (١٧٥٧) .

(٤) (سنن أبي داود) : ٣/٣٧١ - ٣٧٢ ، كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب (١٩) في صفايا رسول الله ﷺ من الأموال ، حديث رقم (٢٩٦٥) .

وأخرجه الترمذيّ في الجهاد ، في باب الفيء ، حديث رقم (١٧١٩) ، وأخرجه النسائي في كتاب قسم الفيء ، حديث رقم (٤١٤٥) .

(٥) (المرجع السابق) : حديث رقم (٢٩٦٧) ، وفيه ، قال رسول الله ﷺ : " ردوا عليهم نساءهم وأبناءهم ، فمن مسّك بشيء من هذا الفيء فإن له به علينا ست فرائض من أول شيء يفيئه الله علينا " ثم دنا - يعني النبي ﷺ - من بعير ، فأخذ وبرة من سنامه ، ثم قال : " يا أيها الناس ، إنه ليس لي من هذا الفيء شيء ، ولا هذا " ورفع إصبعيه " إلا الخمس ، والخمس مردود عليكم ، فأدوا الخياط والمخيط " ، فقام رجل في يده كبة من شعر ، فقال : أخذت هذه لأصلح بها برذعة لي ، فقال رسول الله ﷺ : " أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لك " .

وأخرجه الإمام أحمد في (المسند) : ٢/٢٨٢ - ٢٨٣ ، حديث رقم (٦٦٩٠) من مسند عبد الله بن عمرو - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - .

أخماس الفيء خالص لرسول الله ﷺ ، ومعنى الآية أن خُمسه مقسوم على خمسة . والله أعلم .

وخرَّج أبو داود[1] والحاكم[2] من حديث عمرو بن عبسة قال : قال رسول الله ﷺ : لا يحل لي من غنائمكم مثل هذا إلا الخمس ، والخمس مردود فيكم .

قال الحاكم : وهو على شرط البخاريّ ، ولنا وجه يشير إليه كلام الفوراني أن الخمس من الخمس يصرف بعد رسول الله ﷺ إلى خليفة الزمان[3].

قال الإمام : ولم يصح عندى نسبته إلى أحد من الأصحاب ، وعلى هذا الوجه إن صح لا تبقى خصوصية[4] .

قال مؤلفه : نقل ابن عبد البر أن مذهب أبي بكر ، وعمر ، في سهم رسول الله ﷺ ، وفيما كان له خاصة من صفاياه ، وما لم يوجف عليه بخيل ، ولا ركاب ؛ كأموال بني النضير ، وفدك ، وخيبر ، أن ذلك في سبيل الله على حسب ما كان سبيله في حياته ، كان ينفق منه على عياله ، وعامله سنة ، ثم يجعل باقيه عدة في سبيل الله ، وأن هذا مذهب جمهور أهل الحديث والرأى ، ومذهب عثمان بن عفان – رضي الله تبارك وتعالى عنه – أن ذلك لقيامهم بأمر المسلمين يصرفه فيما وليّ من مصالح المسلمين ، ولذلك أقطعه مروان ، وهو قول قتادة ، والحسن .

---

(١) راجع التعليقات السابقة .

(٢) (المستدرك) : ٣/٧١٤ ، كتاب معرفة الصحابة ، ذكر عمرو بن عبسة السلمي – رضي الله تبارك وتعالى عنه – ، حديث رقم (٦٥٨٣) ، ولفظه : صلى بنا رسول الله ﷺ إلى بعير من المغنم ، فلما سلم أخذ وبرة من جنب البعير فقال : " إنه لا يحل لي من هذا المغنم مثل هذه إلا الخمس ، والخمس مردود عليكم " . وقد حذفه الحافظ الذهبيّ من (التلخيص) .

(٣) قال الحنفية : سقط سهم رسول الله ﷺ بموته ؛ لأنه كان يأخذه بوصف الرسالة لا بوصف الإمامة ، وهذا مخالف لجمهور الأئمة (الفقه الإسلامي وأدلته) : ٦/٤٦١ ، الفصل الثالث ، حكم الأنفال والغنائم .

(٤) راجع التعليق السابق .

الرابعة : دخوله ﷺ مكة بلا إحرام

نقله صاحب (التلخيص) وغيره : أنه كان مباحاً له ﷺ وفي جوازه لغيره من غير غدر خلاف ، ودليل ذلك ما خرَّجه مسلم من حديث ابن الزبير ، عن جابر أن رسول الله ﷺ دخل مكة وعليه عمامة سوداء بغير إحرام ، وفي رواية دخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء[١] .

وذكر ابن عبد البر في (الكفاية) : أنه من دخل مكة مقاتلاً لباغٍ أو قاطع طريق أو خائفاً من ظالم يلزمه الإحرام .

واستدل بدخوله ﷺ مكة عام الفتح، وعلى رأسه المغفر ، لو كان محرمًا لم يلبسه ، وقد كان خائفاً من غدر الكفار ، وعدم قبولهم الصلح الواقع بينه وبين أبي سفيان ، وقد علمت ما في هذا الاستدلال ؟ فإن دخوله ﷺ بغير إحرام خاص به ، وقوله : " لو كان محرماً لم يلبسه ، وقد كان خائفًا من غدرهم " كلام غير مستقيم لأن المحرم الخائف يباح له اللبس قطعاً ، وكيف يقال : أنه ﷺ كان يومئذ خائفاً من غدر قريش ؟ والله – تعالى – قد وعده بأن يعصمه منهم ، ومن غيرهم بقوله – تعالى – : ﴿ **والله يعصمك من الناس** ﴾[٢] ، ويترك الخوض عند ذلك فيما بينه .

الخامسة : أبيحت له مكة يومًا واحدًا

ودخلها كما تقدم بغير إحرام ، وقتل من أهلها يومئذ نحو عشرين ، منهم : ابن خطل ، وهو متعلق بأستار الكعبة[1] ، وقال القضاعي : إنه خُصَّ به سائر الأنبياء .

وخرَّج البخاريّ ومسلم من حديث جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن طاوس ، عن ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة : لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونيّة وإذا استنفرتم فانفروا ، وقال يوم فتح مكة : إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله ، وأنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة . الحديث[2] .

---

(١) (السنن الكبرى للبيهقيّ) : ٥٩/٧ - ٦٠ ، كتاب النكاح ، باب دخول الحرم بغير إحرام والقتل فيه ، من حديث ابن شهاب عن أنس بن مالك - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أن رسول الله ﷺ دخل عام الفتح ، وعلى رأسه مغفر ، فلما نزعه جاءه رجل فقال : يا رسول الله ! ابن خطل متعلق بأستار الكعبة ، فقال رسول الله ﷺ : اقتلوه . رواه مسلم في الصحيح عن يحيى ، وأخرجه البخاريّ من أوجه عن مالك .

(٢) (جامع الأصول) : ٢٨٨/٩ - ٢٩٠ ، النوع الثالث : في مكة وحرمها ، حديث رقم (٦٩٠٠) ، وتمامه : " .. لا يعضد شوكه ، ولا ينفر صيده ، ولا يلتقط لقطته ، إلا من عرفها ، ولا يختلي خلاه ، فقال العباس : يا رسول الله ! إلا الإذخر ، فإنه لقينهم وبتوتهم ، فقال ﷺ : إلا الأذخر " أخرجه البخاريّ في الحج ، باب لا ينفر صيد الحرم ، وباب فضل الحرم ، وفي الجنائز ، باب الحشيش في القبر ، وفي البيوع ، باب ما قيل في الصواغ ، وفي المغازي ، باب مقام النبي ﷺ بمكة زمن الفتح .

وأخرجه مسلم في الحج ، باب تحريم مكة ، وصيدها ، وخلاها ، وشجرها ، ولقطتها إلا لمنشد على الدوام ، والنسائي في الحج ، باب حرمة مكة ، وباب تحريم القتال فيها ، وباب النهي أن ينفر صيد الحرم ، وأخرجه أيضًا أبو داود في المناسك ، باب تحريم حرم مكة ، حديث رقم (٢٠١٨) ، وإسناده صحيح .

وللبخاريِّ من حديث خالد عن عكرمة ، عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: إن الله حرم مكة ، فلم تحل لأحد قبلي ، ولا تحل لأحد بعدي ، وإنما حلت لي ساعة من نهار ، والحديث له طرف آخر[1] ، وهذا صريح في اختصاصه ﷺ بذلك دون من قبله من الأنبياء عليهم السلام .

السادسة : أنه ﷺ لا يورث وأن ما تركه صدقة

وبه قطع أبو العباس الروياني ، وقال الرافعي في (الشرح الصغير) : أنه المشهور ، وعلى هذا هل يكونِ وقفًا على ورثته ؟ فيه وجهان : حكاهما الروياني في أيضًا ، فإن جعلناه وقفًا ، فهل هو الواقف ؟ فيه وجهان لقوله عليه السلام : ما تركنا صدقة . وأصحهما عند الإمام أنه باقٍ على ملكه ، ينفق منه على أهله كما كان ﷺ ينفقه في حياته ، ووجه الإمام بأن الأنبياء - عليهم السلام - أحياء ، قال : وكذلك كان أبو بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ينفق منه على أهله ، وخدمه ، ويصرفه فيما كان يصرفه في حياته .

قال النووي في (الروضة)[2] : وهذا ضعيف ، والصواب الجزم بأنه زال ملكه ﷺ عنه ، وأن ما تركه فهو صدقه على المسلمين لا يختص به الورثه ، وكيف يصح غير [ما ذكرته مع قوله ﷺ : " لا نورث ما تركناه فهو صدقة][3] فإنه نص على زوال الملك . ثم إن الرافعي ذكر في قسم الفيء والقسمة ، أن خمس الفيء كان له ﷺ ينفق منه على نفسه ، وأهله ، وفي مصالحه ، ولم يكن يملكه ، ولا ينقل منه إلى غيره أبدًا ، وهذا حكم منه بأن جهة الإنفاق غير مملوكة ، خلاف ما ذكر هنا ، ومن الغريب ما ذكره صاحب

---

(١) راجع التعليق السابق .

(٢) (روضة الطالبين) : ٣٥١/٥ ، كتاب النكاح ، باب في خصائص رسول الله ﷺ في النكاح وغيره .

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (روضة الطالبين) ، وفي (الأصل) : " غير ذلك مع الحديث الصحيح " .

(البيان) في آخر (إحياء الموات) عن الشيخ أبي حامد أن بعضهم قال : أنه ﷺ ما كان يملك شيئًا ولا يأتي منه الملك ، وإنما أبيح له ما يأكله ، وما يحتاج إليه ، وغلطه أبو حامد لقوله - تعالى - : ﴿ **ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول** ﴾ الآية ، وقد أعتق ﷺ صفيه ، واستولد مارية ، وقد عد الغزالي - رحمه الله - هذه الخصلة من هذا الضرب .

قال الرافعي : كان المعنى فيه إن جعلها صدقة تورث زيادة القربة ، ورفع الدرجات ، وعدها الأكثرون من المكرمات ، وعلى هذا يجوز له ﷺ أن يتصدق بجميع ماله بعد موته بخلاف أمته ، وهذا ليس خاصًا به ﷺ بل الأنبياء - عليهم السلام - لا تورث ، لكنه ﷺ يمتاز به من بين أمته ، ولما ذكر القضاعيّ ما اختص به - عليه السلام - من بين الأنبياء . قال : ومنها أن ماله كان بعد موته قائمًا على نفقته وملكه ، فجعل الخصوصية من هذه الحيثية .

واعلم أن ما ملكه ﷺ في حياته كأموال بني النضير ، والنصف من فدك ، والثلث من وادي القرى ، وثلاثة حصون من خيبر ، [وأطم] الكتيبة ، و[حصن] الوطيح ، و[حصن] السّلالم فإنها بعد وفاته كلها صدقة تصدق بها في حياته لا تورث عنه[1] .

---

(١) خرّج البيهقيّ في (السنن الكبرى) : ٧/٦٤ - ٦٥ ، كتاب النكاح ، باب كان ماله ﷺ بعد موته قائمًا على نفقته وملكه ، من حديث الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة - زوج النبي ﷺ - أنها - رضي الله تبارك وتعالى عنها - أخبرته أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ - رضي الله تبارك وتعالى عنها - ، أرسلت إلى أبي بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ مما أفاء الله بالمدينة ، وفدك ، وما بقى من خمس خيبر ، قال أبو بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - : إن رسول الله ﷺ قال : لا نورث ، ما تركناه صدقة ، وإنما يأكل آل محمد في هذا المال ، وإني والله لا أغير شيئًا من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كانت عليه في عهد رسول الله ﷺ ، ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله ﷺ ... وذكر الحديث . رواه البخاريّ في الصحيح عن ابن بكير ، وأخرجه مسلم من وجه آخر عن الليث . =

وأما سهمه ﷺ من خُمس الخُمس من الفيء والغنيمة

فإنه مصروف بعده في المصالح ، من الكراع ، والسلاح ، وأرزاق المقاتلة ، والقضاة ، والأئمة ، وعمارة المساجد ، وقناطر السابلة .

وأما سهمه ﷺ من أربعة أخماس الفيء[1]

= وعن أبي هريرة – رضي الله تبارك وتعالى عنه – ، أن رسول الله ﷺ قال : لا يقتسم ورثتي دينارًا ، ما تركت بعد نفقة نسائي ، ومؤنة عاملي فهو صدقة . رواه مسلم في الصحيح عن ابن أبي عمر ، وأخرجه البخاريّ من حديث مالك عن أبي الزناد . وما بين الحاصرتين في هذه الفقرة زيادة لبيان أسماء الأماكن من (مغازي الواقدي) .

(١) خرَّج البيهقيّ في (السنن الكبرى) : ٧/٥٨ – ٥٩ ، من حديث سفيان عن عمرو بن دينار ، عن الزهريّ ، عن مالك بن أوس بن الحدثان قال : أرسل إليّ عمر – رضي الله تبارك وتعالى عنه – فدعاني فدخلت عليه وهو على رمال فقال : يا ملك ، إنه قد نزل علينا دواف من قومك ، فخذ هذا المال فاقسمه بينهم ، فقلت : يا أمير المؤمنين ! ولِّ ذلك غيري ، فقال : خذها عنك أيها الرجل ، فجلست ، فجاء يرفأ ، فقال : هل لك في عبد الرحمن ، وطلحة ، والزبير ، وسعد ؟ قال : قل لهم : فليدخلوا ، فدخلوا ، فقال : هل لك في عليّ وعباس ؟ قال : قل لهما : فليدخلا ، فدخلوا ، وكل واحد منهما يكلم صاحبه ، فلما جلسوا قالوا : يا أمير المؤمنين ، أقضي بينهما وأرحهما ، قال : أنشدكما الله الذي بإذنه تقوم السموات والأرض ، هل علمتما أن رسول الله ﷺ قال : إنا لا نورث ، ما تركناه صدقة ، يعني فقالا : نعم ، ثم قال ذلك للآخرين ، فقال القوم : نعم ، قال : وقال إن أموال بني النضير كانت مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، فكانت لرسول الله ﷺ خالصة ينفق منها على أهله نفقة سنة ، وما بقى جعله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله ، ثم هى للنبي ﷺ خاصة . وأخرجاه من حديث سفيان مختصرًا . كتاب النكاح من (السنن الكبرى) : ٧/٥٨ – ٥٩ ، باب ما أبيح له ﷺ من أربعة أخماس الفيء وخمس الفيء والغنيمة . =

ففي تصرفه قولان :

أحدهما : في المقاتله ؛ فعلى هذا يصرف جميعه فيهم خاصة .

ثانيهما : أنه يصرف جميعه في المصالح كلها .

وأما الصفيّ فقد سقط حكمه فلا يستحقه أحد بعده ﷺ

فقد خرّج البخاري ومسلم وأبو داود من حديث مالك عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - أنها قالت : إن أزواج النبي ﷺ حين توفى رسول الله ﷺ أردن أن يبعثن عثمان بن عفان إلى أبي بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - يسألنه ميراثهن من النبي ﷺ فقالت عائشة لهن : أليس قد قال رسول الله ﷺ : لا نورث ما تركنا صدقة ؟ [1] .

= ومن حديث صفوان بن عيسى ، عن أسامة بن زيد عن الزهريّ ، عن مالك بن أوس ، قال : كان فيما احتج به عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أنه قال : كانت لرسول الله ﷺ ، ثلاث صفايا : بنو النضير ، وخيبر ، وفدك ، فأما بنو النضير ، فكانت حبسًا لنوائبه ، وأما فدك فكانت حبسًا لابن السبيل ، وأما خيبر فجزأها رسول الله ﷺ ثلاثة أجزاء ، جزأين بين المسلمين ، وجزءًا لنفقة أهله ، فما فضل عن نفقة أهله جعله بين فقراء المسلمين .

قال الشيخ - رحمه الله-: وأما الخمس فالآية ناطقة به مع ما روينا في كتاب قسم الفيء ، والله تبارك وتعالى أعلم . (المرجع السابق) .

(١) أخرجه البخاريّ في الفرائض ، باب قول النبي ﷺ : لا نورث ما تركناه صدقة ، وفي الجهاد ، باب المجن ومن يتترس بترس صاحبه وفرض الخمس ، وفي المغازي ، باب حديث بني النضير ، ومخرج رسول الله ﷺ إليهم في دية الرجلين ، وفي تفسير سورة الحشر ، باب قوله - تعالى - : ﴿ **ما أفاء الله على رسوله** ﴾ ، وفي النفقات ، باب حبس الرجل قوت سنة على أهله ، وفي الاعتصام ، باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم والغلوّ في الدين والبدع . =

= ومسلم في الجهاد ، باب حكم الفيء ، حديث رقم (١٧٥٧) ، والترمذيّ في السير ، باب ما جاء في تركة رسول الله ﷺ حديث رقم (١٦١٠) ، وأبو داود ، حديث رقم (٢٩٦٣) وإسناده صحيح ، و(٢٩٦٤) وإسناده صحيح ، و(٢٩٦٥) وإسناده صحيح ، وفي الخراج والإمارة ، باب في صفايا رسول الله ﷺ من الأموال ، والنسائي : ١٣٦/٧ - ١٣٧ في قسم الفيء ، وإسناده صحيح .

قال القاضي عياض : وقد تأول قوم طلب فاطمة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - ميراثها من أبيها على أنها تأولت الحديث - إن كان بلغها - قوله ﷺ : " لا نورث " على الأموال التي لها بال ، فهي التي لا تورث .. لا ما يتركوه من طعام ، وأثاث ، وسلاح . وهذا التأويل خلاف ما ذهب إليه أبو بكر وعمر - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - ، وسائر الصحابة - رضي الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين - .

وأما قوله ﷺ : " ما تركت بعد نفقة نسائي ، ومؤنة عاملي " فليس معناه : إرثهن منه ، بل لكونهن محبوسات عن الأزواج لسببه ، أو لعظم حقهن في بيت المال لفضلهن ، وقدم هجرتهن ، وكونهن أمهات المؤمنين . وكذلك اختصصن بمساكنهن لم يرثها ورثتهن .

قال القاضي : وفي ترك فاطمة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - منازعة أبي بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - بعد احتجاجه عليها بالحديث : التسليم للإجماع على القضية ، وأنها لما بلغها الحديث ، وبين لها التأويل ، تركت رأيها ، ثم لم يكن منها ولا من أحد من ذريتها بعد ذلك طلب الميراث . ثم لما ولي عليّ - رضي الله تبارك وتعالى عنه - الخلافة لم يعدل بها عما فعله أبو بكر وعمر - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - ، فدل على أن طلب عليّ والعباس - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - إنما كان طلب تولى القيام بها بأنفسهما ، وقسمتها بينهما كما سبق .

قال : وأما ما ذكر من هجران فاطمة أبا بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - ، فمعناه : انقباضتها عن لقائه ، وليس هذا من الهجران المحرم ، الذي هو ترك السلام والإعراض عند اللقاء ، ولم ينقل قط أنهما التقيا فلم تسلم عليه ولا كلمته .

قال العلماء : وفي هذا الحديث : أنه ينبغي أن يولي أمر كل قبيلة سيدهم ، ويفوض إليه مصلحتهم ، لأنه أعرف بهم وأرفق بحالهم ، وأبعد من أن يأنفوا من الانقياد له . ولهذا قا الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ **فابعثوا حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها** ﴾ [النساء : ٣٥] . =

ولأبي داود من حديث أسامة بن زيد عن ابن شهاب بإسناده نحوه قالت : قلت ألا تتقين الله ؟ ألم تسمعن رسول الله ﷺ يقول : لا نورث ما تركنا فهو صدقة ؟ وإنما هو المال لآل محمد ، لنا بينهم ولضيفهم ، فإذا مت فإلى من يلي الأمر من بعدي . ذكره في كتاب الفيء[1] .

وخرَّج البخاريّ ومسلم من طريق معمر عن الزهريّ ، عن عروة ، عن عائشة ، أن فاطمة والعباس آتيا أبا بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - يلتمسان ميراثهما عن رسول الله ﷺ وهما حينئذ يطلبان أرضيهما من فدك ، وسهمهما من خيبر ، فقال أبو بكر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا نورث ، ما تركنا صدقة ، إنما يأكل آل محمد من هذا المال . قال أبو بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - والله لا أدع أمرًا رأيت رسول الله ﷺ بصنعه فيه إلا صنعته ، قال : فهجرته فاطمة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - فلم تكلمه حتى ماتت[2] . اللفظ للبخاريّ ، خرَّجه في الفرائض ، وخرجه في المغازي في حديث بني النضير من طريق معمر بهذا الإسناد بمعناه وقال في آخره : إنما يأكل آل محمد في هذا المال والله لقرابة رسول الله ﷺ أحب إليّ أن أصل من قرابتي .

وخرَّجه من حديث عقيل وصالح بن كيسان ومعمر بأطول من هذا وأشبع، وهي كلها مما اتفق عليه . ولهما أيضاً من حديث ابن المبارك عن يونس ، عن الزهري ، عن الذهبيّ ، عن عروة ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - أن النبي ﷺ قال : لا نورث ما تركنا صدقة .

= وفيه جواز نداء الرجل باسمه من غير كنية ، وفيه جواز احتجاب المتولي في وقت الحاجة لطعامه أو وضوئه ، ونحو ذلك ، وفيه قبول خبر الواحد ، وفيه استشهاد الإمام على ما يقوله بحضرة الخصمين العدول لتقوى حجته في إقامة الحق ، وقمع الخصم . والله - تعالى - أعلم . (جامع الأصول) : ٧٠٢/٢ - ٧٠٣ ، هامش ، ٦٣٦/٩ - ٦٤٠ ، الأحاديث .

(١) راجع التعليق السابق .

(٢) راجع التعليق السابق .

ومن حديث سفيان الثوري ، عن أبي الزياد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة مثله سواء .

ومن حديث حماد بن سلمة[1] ، عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : جاءت فاطمة – رضي الله تبارك وتعالى عنه – إلى أبي بكر فقالت : من يرثك ؟ قال : أهلي وولدي قالت : فما لي لا أرث أبي ؟ فقال أبو بكر – رضي الله تبارك وتعالى عنه – : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا نورث ، ولكني أعول من كان رسول الله ﷺ يعوله ، وأنفق على من كان رسول الله ﷺ ينفق عليه . قال أبو عيسى : حديث أبي هريرة ، حديث حسن غريب من هذا الوجه ، إنما أسنده حماد بن سلمة وعبد الوهاب بن عطاء بن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، وسألت محمداً عن هذا الحديث فقال : لا أعلم أحدًا رواه عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، إلا حماد بن سلمة ، قال أبو عيسى : وروى عبد الوهاب بن عطاء عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة نحو حديث حماد بن سلمة فذكره ، ولفظه : أن فاطمة جاءت أبا بكر وعمر – رضي الله تبارك وتعالى عنهما – تسأل ميراثها من رسول الله فقالا: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: إني لا أورث ، قالت : والله لا أكلمكما أبدًا فماتت ولم تكلمهما . قال علي بن عيسى : معنى لا أكلمكما : يعني في هذا الميراث أنتما صادقان .

قال مؤلفه : تأويل عليّ بن عيسى بن يزيد البغدادي هذا غير موافق عليه ، فقد روي الليث ، عن عقيل ، عن أبي شهاب ، عن عروة ، عن عائشة

---

(١) أخرجه الترمذيّ في السير ، باب ما جاء في تركة رسول الله ﷺ ، حديث رقم (١٦٠٨) وهو حديث حسن ، وقال الترمذيّ : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، إنما أسنده حماد بن سلمة وعبد الوهاب بن عطاء بن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة عن أبي هريرة – رضي الله تبارك وتعالى عنه – قال : وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن أبي بكر الصديق ، عن النبي ﷺ ، وقال الترمذيّ : وفي الباب عن عمر وطلحة والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف وسعد وعائشة – رضي الله تبارك وتعالى عنهم – . (جامع الأصول) : ٦٣٩/٩ الحديث رقم (٧٤٣٩) .

طلبت فاطمة ميراثها في أبيها من أبي بكر ، وفي الحديث : فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت . اتفق البخاري ومسلم على إخراج هذا الحديث وهذه اللفظة فيه .

وروى إبراهيم بن سعد ، عن صالح بن كيسان ، عن ابن شهاب هذا الحديث بهذا الإسناد وفيه : فغضبت فاطمة بنت رسول الله ﷺ فهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرته حتى توفيت ، واتفقا أيضًا على هذا الحديث وانفرد البخاريّ بهذا اللفظ دون مسلم .

وخرَّج البخاريّ[1] في فرض الخمس والوصايا في الفرائض . وخرج مسلم[2] في الجهاد وأبو داود في كتاب الفيء من حديث مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أن رسول الله ﷺ قال : لا تقتسم ورثتي دينارًا ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة ، فقال أبو داود : ومؤنة عاملي يعني اكرة الأرض .

وخرَّجه مسلم أيضاً من حديث سفيان عن أبي الزناد بهذا الإسناد نحوه[3]، وخرَّج أبو عمر يوسف بن عبد البر حديث لا نورث من طرق عديدة ، ثم قال : فإن قال قائل لو سلمت فاطمة وعلي والعباس ذلك لقول أبي بكر ما أتى علي والعباس في ذلك عمر بن الخطاب في خلافته يسألانه ذلك ، وقد علمت أنهما أتيا عمر يسألانه ذلك وذلك معلوم .

---

(١) (جامع الأصول) : ٦٣٦/٩ ، ميراث رسول الله ﷺ وما خلّفه ، حديث رقم (٧٤٣٧) ثم قال في هامشه : رواه البخاريّ في الفرائض ، باب قول النبيّ ﷺ : لا نورث ما تركنا صدقة ، وفي الوصايا ، باب نفقة القيم للوقف ، وفي الجهاد ، باب نفقة نساء النبيّ ﷺ بعد وفاته .

وأخرجه مسلم في الجهاد ، باب قول النبي ﷺ : لا نورث ما تركناه صدقة ، حديث رقم (١٧٦٠) ، (١٧٦١) ، والموطأ : ٩٩٣/٢ ، في الكلام باب ما جاء في تركة النبي ﷺ ، وأبو داود في الخراج والإمارة ، باب صفايا رسول الله ﷺ ، حديث رقم (٢٩٧٤) .

(٢) راجع التعليق السابق .

(٣) راجع التعليق السابق .

قيل له : أما تشاجر علي والعباس وإقبالهما إلى عمر فمشهود ، ولكنهما لم يسألا ذلك ميراثًا ، إنما سألا ذلك عن عمد ليكون بأيديهما منه ما كان بيد رسول الله ﷺ منه أيام حياته ، ليعملا في ذلك بالذي كان رسول الله ﷺ يعمل به في حياته ، وكان رسول الله ﷺ يأخذ منه قوت عامه ثم يجعل ما فضل في الكراع ، والسلاح ، عدة في سبيل الله ، وكذلك صنع أبو بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فأراد عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ذلك لأنه موضع يسوغ فيه الاختلاف ، وأما الميراث والتمليك فلا يقوله أحد إلا الروافض ، وأما علماء الإسلام فعلى قولين :

أحدهما : وهو الأكثر ، وعليه الجمهور ، أن النبي ﷺ لا يورث وما ترك صدقة .

والآخر : أن بيت النبي ﷺ لم يورث ، لأنه خصه الله - عز وجل - بأن جعل ما له صدقه زيادة في فضله .

كما خصه في النكاح بأشياء حرمها عليه أباحها لغيره ، وأشياء أباحها له حرمها على غيره ، وهذا القول قاله بعض أهل البصرة ، منهم ابن علية ، وسائر علماء المسلمين على القول الأول . وأما الروافض فليس قولهم مما يشتغل به ، ولا يحكى مثله ، لما فيه من الطعن على السلف ، والمخالفة لسبيل المؤمنين .

وخرّج أيضًا من حديث عبد الله بن أبي أمية قال : قرئ على مالك ، عن ابن شهاب ، عن ابن مالك بن أوس بن الحدثان قال : سمعت عمر بن الخطاب - رضي الله تبارك وتعالى عنه - يقول : حدثنا أبو بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إناً معشر الأنبياء ما تركنا صدقة ، ومن حديث الحميدي[1] ، حدثنا سفيان عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة بعد نفقة نسائي ومؤونة عاملي .

---

(١) (جامع الأصول) : ٦٣٦/٩ ، حديث رقم (٧٤٣٧) ، ولفظه : أن رسول الله ﷺ قال : " لا تقتسم ورثتي دينارًا ، ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤونة عاملي فهو صدقة " .

وقد خرَّج هذا الحديث أبو عبد الرحمن النسائي في (السنن الكبير) من حديث الزبير وغيره .

السابعة : كان له ﷺ أن يقضي بعلمه وفى غير خلاف مشهود حاصله ثلاثة أقوال لجواز المنع ، وفي غير الحدود ، وشاهد حكمه عليه السلام بعلمه حديث هند بنت عتبة

خرَّج البخاريّ[1] ومسلم[2] من حديث الزهري ، عن عروة ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت : جاءت هند بنت عتبة إلى

---

(١) رواه البخاريّ في البيوع ، باب من أجرى أمر الأنصار على ما يتعارفون بينهم ، وفي المظالم، باب قصاص المظلوم إذا وجد مال ظالمه ، وفي النفقات ، باب نفقة المرأة إذا غاب عنها زوجها ، ونفقة الولد ، وباب إذا لم ينفق الرجل فللمرأة أن تأخذ بغير علمه ما يكفيها وولدها بالمعروف ، وباب ﴿ **وعلى الوارث مثل ذلك** ﴾ ، وفي الإيمان و النذور ، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ ، وفي الأحكام ، باب من رأى للقاضي أن يحكم بعلمه في أمر الناس إذا لم يخف الظنون والتهمة ، وباب القضاء على الغائب .

(٢) ومسلم في الأقضية ، باب قضية هند ، حديث رقم (١٧١٤) ، وأبو داود في البيوع ، باب في الرجل يأخذ حقه من تحت يده ، حديث رقم (٣٥٣٢) ، والنسائي في القضاة ، باب قضاء الحاكم على الغائب إذا عرفه ، ٨/٢٤٦ .

قال الإمام النووي : في هذا الحديث فوائد ، منها : وجوب نفقة الزوجية ، ومنها وجوب نفقة الأولاد الفقراء الصغار ، ومنها أن النفقة مقدرة بالكفاية لا بالأمداد ، ومذهب أصحابنا أن نفقة القريب مقدرة بالكفاية كما هو ظاهر هذا الحديث ، ونفقة الزوجة مقدرة بالأمداد : على الموسر كل يوم مُدَّان ، وعلى المعسر مُدّ ، وعلى المتوسط مُدّ ونصف ، وهذا الحديث يرد على أصحابنا .

ومنها جواز سماع الأجنبية عند الإفتاء والحكم ، وكذا ما في معناه ، ومنها جواز ذكر الإنسان بما يكرهه إذا كان للاستفتاء والشكوى، ونحوهما، ومنها أن من له على غير حق وهو=

= عاجز عن استيفائه ، يجوز له أن يأخذ من ماله قدر حقه بغير إذنه ، وهذا مذهبنا ، ومنع ذلك أبو حنيفة ومالك - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - .

ومنها جواز إطلاق الفتوى ، ويكون المراد تعليقًا بثبوت ما يقوله المستفتي ، ولا يحتاج المفتي أن يقول : إن ثبت كان الحكم كذا وكذا ، بل يجوز له الإطلاق كما أطلق النبي ﷺ ، فإن قال ذلك فلا بأس .

ومنها أن للمرأة مدخلاً في كفالة أولادها والإنفاق عليهم من مال أبيهم . قال أصحابنا : إذا امتنع الأب من الإنفاق على الصغير ، أو كان غائبًا ، أذن القاضي لأمه في الأخذ من آل الأب أو الاستقراض عليه ، والإنفاق على الصغير ، بشرط أهليتها ، وهل لها الاستقلال بالأخذ من ماله بغير إذن القاضي ؟ فيه وجهان مبنيان على وجهين لأصحابنا في أن إذن النبي ﷺ لهند امرأة أبي سفيان إفتاءً أم قضاءً ، والأصح أنه كان إفتاءً ، وأن هذا يجري في كل امرأة أشبهتها فيجوز ، والثاني : كان قضاءً ، فلا يجوز لغيرها إلا بإذن القاضي ، والله - تعالى - أعلم .

ومنها اعتماد العرف في الأمور التي ليس فيها تحديد شرعيّ ، ومنها جواز خروج المزوجة من بيتها لحاجتها إذا أذن لها زوجها في ذلك أو علمت رضاه .

واستدل به جماعات من أصحابنا وغيرهم على جواز القضاء على الغائب ، وفي المسألة خلاف للعلماء ، قال أبو حنيفة وسائر الكوفيين لا يقضي عليه بشيء ، وقال الشافعي والجمهور: يقضي عليه في حقوق الآدميين ، ولا يقضي في حقوق الله - تعالى - .

ولا يصح الاستدلال بهذا الحديث للمسألة ، لأن هذه القضية كانت بمكة ، وكان أبو سفيان حاضرًا بها ، وشرط القضاء على الغائب أن يكون غائبًا عن البلد ، أو مستترًا لا يقدر عليه ، أو متعذرًا ، ولم يكن هذا الشرط في أبي سفيان موجودًا ، فلا يكون قضاءً على الغائب ، بل هو إفتاء كما سبق والله - تبارك وتعالى - أعلم . (شرح مسلم) .

قال القاضي عياض - رضي الله تبارك وتعالى عنه - : أرادت بقولها : أهل خباء ، نفسه ﷺ فكنَّتْ عنه بأهل الخباء إجلالًا له ﷺ ، قال : ويحتمل أنها تريد بأهل الخباء أهل بيته ، والخباء يعبر عن مسكن الرجل وداره .

وأما قوله ﷺ : وأيضًا والذي نفسي بيده ، فمعناه وستزيدين من ذلك ، ويتمكن الإيمان من قلبك ، ويزيد حبك لله ولرسوله ﷺ ، ويقوى رجوعك عن بغضه ، وأصل هذه اللفظة : آض يئض أيضًا إذا رجع . ورجل مسيك ؛ أي شحيح وبخيل .

النبي ﷺ فقالت : والله يا رسول الله ما كان على ظهر الأرض أهل خباء أحب إليّ من أن يذلهم الله ، وقال البخاريّ : أن يذلوا من أهل خبائك ، وما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل خباء أحب إليّ أن يعزهم الله من أهل خبائك ، وقال البخاريّ : إن يعزوا من أهلُ خبائك ، فقال النبي ﷺ : وأيضًا والذي نفسي بيده ، ثم قالت : يا رسول الله إن أبا سفيان رجل ممسك ، وقال البخاريّ : مسيك ، فهل عليّ من حرج أن أنفق على عياله من ماله بغير إذنه ؟ فقال النبي ﷺ : لا حرج عليك أن تنفقي عليهم بالمعروف .

وقال البخاريّ : فهل عليّ من حرج من أن أطعم من الذي له عيالنا ؟ قال لها : لا حرج عليك أن تطعميهم بالمعروف ولم يقل في الحديث : وقال رسول الله ﷺ : وأيضًا والذي نفسي بيده .

وخرَّجه البخاريّ في الأحكام ، وترجم عليه باب القضاء على الغائب وحكم القاضي بعلمه إذا لم يخف الظنون والتهمة ، كما قال النبي ﷺ لهند : خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف وذلك إذا كان مشهودًا .

وخرَّجه في كتاب النذور والأيمان وفي كتاب المناقب وذكره في كتاب النفقات[1] مختصراً . وخرَّجاه أيضاً من طريق هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة .

وخرَّجه النسائي أيضًا[2] ، واستدل به البيهقيّ[3] قد اختلف في قوله عليه السلام خذي من ماله ما يكفيك بالمعروف وهل هو قضاء أو إفتاء جزم الرافعي والنووي في (الروضة)[4] على أنه قضاء ، ذكره النووي في القضاء على

---

(١) راجع التعليق السابق .

(٢) راجع التعليق السابق .

(٣) (السنن الكبرى) : ٦٦/٧ - ٦٧ ، كتاب النكاح ، باب ما أبيح له ﷺ من القضاء بعلمه ، وفي قضاء غيره بعلم نفسه قولان .

(٤) (روضة الطالبين) : ٣٥٢/٥ ، كتاب النكاح ، باب في خصائص رسول الله ﷺ في النكاح وغيره .

الغائب ، وذكره في نفقة الأقارب أنه إفتاء وهو مبني على أنه كان أبو سفيان حاضرًا أو غائبًا وفيه قولان(١) .

قال الخطابي(٢) وقد ذكر الحديث : وفيه جواز الحكم بعلمه وذلك أنه لم يكلفها البينة فيما ادعته من ذلك ، إذ كان قد علم ﷺ ما بينهما من الزوجية ، وأنه كان كالمستفيض عندهم بخل أبي سفيان ، وما كان ينسب إليه من الشح ، وظاهر إطلاق الأصحاب أن له ﷺ أن يقضي بعلمه مطلقًا سواء الحدود وغيرها.

(١) سبق أن أشرنا إليه مستفيضًا .

(٢) (معالم السنن) : ٨٠٣/٣ ، كتاب البيوع والإجارات ، باب (٨١) في الرجل يأخذ حقه من تحت يده ، شرح الحديث رقم (٣٥٣٢) ، ثم قال : وفيه جواز أن يقضي الرجل حقه من مال عنده لرجل له عليه حق يمعنه منه ، وسواء كان ذلك من جنس حقه أو من غير جنس حقه ، وذلك لأن معلومًا أن منزل الرجل الشحيح لا يجمع كل ما يحتاج إليه من النفقة والكسوة وسائر المرافق التي تلزمه لهم ، ثم أطلق إذنها في أخذ كفايتها وكفاية أولادها من ماله ، ويدل على صحة ذلك قولها في غير هذه الرواية : " إن أبا سفيان رجل شحيح وأنه لا يدخل عليّ بيتي ما يكفيني وولدي " .

قال الشيخ : وقد استدل بعضهم من معنى هذا الحديث على وجوب نفقة خادم المرأة على الزوج ، قال : وذلك أن أبا سفيان رجل رئيس في قومه ، ويبعد أن يتوهم عليه أن يمنع زوجته نفقتها ، ويشبه أن يكون ذلك منه في نفقة خادمها ، فوقعت الإضافة في ذلك إليها ، إذا كانت الخادم داخلة في ضمنها ، ومعدودة في جملتها . والله - تبارك وتعالى - أعلم . (معالم السنن).

الثامنة : كان له ﷺ أن يحكم لنفسه ولولده على الأصح لأنه معصوم وفي من عداه ﷺ وجه في حكمه لولده

حكاه الماوردي وحكى معه وجهًا آخر أنه يجوز، وجعل القضاعي هذ الخصوصية والآتية بعدها مما خُصَّ ﷺ بهما من بين سائر الأنبياء ، ويستدل لذلك بقوله – تعالى – : ﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليمًا**﴾[1] فإنه يشمل قضاءه لنفسه ، ولولده ، ومن ذلك أنه ﷺ كان لا يكره له الفتوى والحكم في حال الغضب ، لأنه لا يخاف عليه من الغضب ما يخاف علينا ، ذكره النووي في (شرح مسلم) في كتاب اللقطة[2] .

التاسعة : كان ﷺ يقبل شهادة من يشهد له

خرَّج أبو داود[3] من حديث أبي اليمان قال : حدثنا شعيب عن الزهري ، عن عمارة بن خزيمة أنَّ عمه حدثه – وهو من أصحاب النبي ﷺ – أن النبي

---

(١) النساء : ٦٥ .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ٢٦٨/١٢ ، كتاب اللقطة ، شرح الحديث رقم (١٧٢٣) ، حيث قال : وفيه جواز الفتوى والحكم في حال الغضب ، وأنه نافذ ، لكن يكره ذلك في حقنا ، ولا يكره في حق النبي ﷺ ، لأنه لا يُخاف عليه في الغضب ما يخاف علينا ، والله – تعالى – أعلم .

(٣) (سنن أبي داود) : ٣١/٤ – ٣٢ ، كتاب الأقضية ، باب (٢٠) إذا علم الحاكم صدق الشاهد الواحد ، يجوز له أن يحكم به ، حديث رقم (٣٦٠٧) ، قال الشيخ : هذا حديث يضعه كثير من الناس غير موضعه ، وقد تذرع به قوم من أهل البدع إلى استحلال الشهادة لمن عرف عنده بالصدق على كل شيء ادعاه ، وإنما وجه الحديث ومعناه أن النبي ﷺ إنما حكم على الأعرابيّ بعلمه إذ كان النبي ﷺ صادقًا بارًا في قوله ، وجرت شهادة خزيمة في ذلك مجرى التوكيد =

ﷺ ابتاع فرسًا من أعرابي فاستتبعه النبي ﷺ ليقضيه ثمن الفرس ، فأسرع النبي ﷺ المشي وأبطأ الأعرابي ، فطفق رجال يعترضون الأعرابي ، فيساومونه بالفرس ولا يشعرون أن النبي ﷺ ابتاعه ، فنادى الأعرابي النبي ﷺ فقال : إن كنت مبتاعًا هذا الفرس وإلا بعته ؟ فقام النبي ﷺ حين سمع نداء الأعرابي .

فقال : أو ليس قد ابتعته منك ؟ قال : لا والله ما بعتكه ، فقال النبي ﷺ : بلى قد ابتعته منك ، فطفق الأعرابي يقول : هلم شهيدًا ، فقال خزيمة بن ثابت : أنا أشهد أنك قد بايعته ، فأقبل النبي ﷺ على خزيمة فقال : بم تشهد ؟ فقال : بتصديقك يا رسول الله ، فجعل النبي ﷺ شهادة خزيمة بشهادة رجلين . ترجم عليه باب إذا علم الحاكم صدق الشاهد الواحد يجوز له أن يقضي به .

وفي صحيح البخاريّ ما يؤيد قصة خزيمة هذه ، قال في تفسير سورة الأحزاب[1] : حدثنا أبو اليمان قال : حدثنا شعيب ، عن الزهريّ قال : أخبرني

= لقوله ، والاستظهار بها على خصمه ، فصارت في التقدير شهادته له وتصديقه إياه على قوله كشهادة رجلين في سائر القضايا . (معالم السنن) .

وأخرجه النسائي في البيوع ، باب (٨١) التسهيل في ترك الإشهاد على البيع ، حديث رقم (٤٦٦١) .

قال الحافظ المنذري : وهذا الأعرابي : هو سواء بن الحارث ، وقيل : سواء بن قيس المحاربي ، ذكره غير واحد من الصحابة ، وقيل : إنه جحد البيع بأمر بعض المنافقين ، وقيل : إن هذا الفرس هو " المرتجز " المذكور في أفراس رسول الله ﷺ .

قال الحافظ السندي في (حاشيته على سنن النسائي) : والمشهور أنه ﷺ ردَّ الفرس بعد ذلك على الأعرابي فمات من ليلته عنده . والله - تعالى - أعلم .

وأخرجه أيضًا الإمام أحمد في (المسند) : ٦/ ٢٨٢ - ٢٨٣ ، حديث رقم (٢١٣٧٦) من حديث خزيمة بن ثابت الأنصاري ، بسياقة أتم .

(١) (فتح الباري) : ٨/٦٤٤ - ٦٤٥، كتاب التفسير ، باب (٣) ﴿ **فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً** ﴾ [الأحزاب : ٢٣] ، حديث رقم (٤٧٨٤) . =

خارجة بن زيد بن ثابت قال : لما نسخنا الصحف في المصاحف فقدت آية من سورة الأحزاب كنت كثيرًا أسمع النبي ﷺ يقرأها ، لم أجدها عند أحد إلا مع خزيمة الأنصاريّ الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته شهادة رجلين ﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه** ﴾ وفي هذا الحديث التصريح بأنه ﷺ قبل شهادة من شهد له . ومقتضى إطلاق صاحب (الحاوي الصغير) أن من خصائصه ﷺ أيضًا قبول شهادة من شهد لولده أيضًا وبه صرح المروذيّ في (توضيحه الكبير) وله أيضًا أن يشهد لنفسه ولولده[1] ﷺ فلو قال ﷺ : لفلان على فلان كذا ، فيه وجهان .

= قال الحافظ في (الفتح) : هذا يدل على أن زيدًا لم يكن يعتمد في جمع القرآن على علمه ، ولا يقتصر على حفظه ، لكن فيه إشكال ، لأن ظاهره أنه اكتفى مع ذلك بخزيمة وحده والقرآن إنما يثبت بالتواتر ، والذي يظهر في الجواب أن الذي أشار إليه أن فقده فَقْد وجودها مكتوبة ، لا فقد وجودها محفوظة ، بل كانت محفوظة عنده وعند غيره ، ويدل على هذا قوله في حديث جمع القرآن : " فأخذت أتتبعه في الرقاع والعسب " .

وفي هذا الحديث فضيلة الفطنة في الأمور ، وأنها ترفع منزلة صاحبها ، لأن السبب الذي أبداه خزيمة حاصل في نفس الأمر يعرفه غيره من الصحابة ، وإنما هو لما اختصَّ بتفطنه لما غفل عنه غيره ، مع وضوحه ، جوزى على ذلك بأن خُصَّ بفضيلة من شهد له خزيمة أوعليه فحسبه .

(١) (روضة الطالبين) : ٥/٣٥٢ ، كتاب النكاح ، باب في خصائص رسول الله ﷺ في النكاح وغيره . وأخرجه أيضًا البيهقيّ في (السنن الكبرى) : ٧/٦٦ ، كتاب النكاح ، باب ما أبيح له من الحكم لنفسه ، وقبول شهادة من شهد له بقوله ، وإن جاز ذلك جاز أن يحكم لولده ، وولد ولده .

العاشرة : كان له ﷺ أن يحمي لنفسه ولم يقع ذلك وليس للأئمة بعده ولا لغيره أن يحموا لأنفسهم

ذكر القضاعي هذه الخصيصة بما خص به ﷺ دون من قبله من الأنبياء ، وقد اختلف فيما حماه ﷺ للمسلمين ، فالصحيح أنه لا ينقض بحال لأنه نص ، وقيل إن بقيت الجماعة التي حمى لها لم ينقض ، وإن زالت فوجهان : أصحهما المنع أيضًا ، لأنه تغيير للمقطوع بصحته باجتهاد محتمل للخطأ ، وأما الإمام بعده فله نقض ما حماه للحاجة على الأصح[1] .

(١) خرَّج البيهقيّ من حديث يحيى بن بكير ، حدثنا الليث بن سعد ، حدثني يونس بن زيد عن ابن شهاب ، عن عبيد الله بن عتبة ، عن ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - ، أن الصعب بن جثامة قال: قال - رضي الله تبارك وتعالى عنه - : لا حمى إلا لله ورسوله ، قال: وبلغنا أن رسول الله ﷺ حمى البقيع [أو النقيع] ، وأن عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - حمى الشرف والربذة . ثم قال : رواه البخاريّ عن يحيى بن بكير في (السنن الكبرى): ٧/٥٩ ، كتاب النكاح ، باب الحمى له خاصة في أحد القولين ، ثم قال في باب دوام الحمى له ﷺ خاصة: قد روينا في كتاب الحج مرفوعًا وموقوفًا في حمى النبي ﷺ أنه لا يخبط ، ولا يعضد ، ولكن يهش هشًا . (المرجع السابق) .

قال في هامش (جامع الأصول): أخرجه البخاريّ في الحرث والمزارعة ، باب لا حمى إلا لله - تعالى - ورسوله ، وفي الجهاد ، باب أهل الدار يبيتون فيصاب الولدان والذراري ، وأبو داود في الخراج والإمارة ، باب في الأرض يحميها الإمام أو الرجل ، حديث رقم (٣٠٨٣) ، (٣٠٨٤) .

الحادية عشر : له ﷺ أن يأخذ الطعام والشراب من مالكهما المحتاج إليهما إذا احتاج ﷺ إليهما وعلى مالكهما البذل ويفدي مهجة الرسول ﷺ بمهجته صيانة لمهجة الرسول ﷺ ووقاية لنفسه الكريمة بالأموال والأرواح

قال الله – جل جلاله – : ﴿ **النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم** ﴾(١) قال ابن قتيبة : يريد إذا دعاهم إلى أمر ودعتهم أنفسهم إلى خلاف ذلك الأمر كانت طاعته أولى بهم من طاعتهم لأنفسهم .

وذكر الفورانيّ وإبراهيم المروذيّ وغيرهما ، أنه لو قصده ﷺ ظالم وجب على من حضره أن يبذل نفسه دونه ﷺ(٢) ، ودليله وقاية طلحة بن عبيد الله له بنفسه يوم أحد ، وعد القضاعيّ هذه الخصوصية مما خصّ به دون غيره من الأنبياء ، وفى هذه المسألة نظر فإن قاصد نفس المصطفى ﷺ إما كافر ، وإما مسلم ، فإن كان كافرًا فذلك ليس من الخصوصيات ، إلا على طريقه ذكرها الإمام عن الأصوليين ، هى أضعف الطرق ، وإن كان مسلماً فهو بنفس هذا القصد كافر ، فتأمله .

---

(١) الأحزاب : ٦ .

(٢) (روضة الطالبين) : ٣٥٢/٥ ، كتاب النكاح ، باب في خصائص رسول الله ﷺ في النكاح وغيره .

المسألة الثانية عشر : أنه يجب على أمته ﷺ أن يحبوه

قال الله – تعالى – : ﴿ **قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين** ﴾(١) ، قال القاضي عياض : يكفي بهذا حضًا وتنبيهًا ودلالةً وحجةً على إلزام محبته ، ووجوب فرضها ، وعظم خطرها ، واستحقاقه لها ﷺ إذ قرَّع تعالى من كان ماله ، وأهله ، وولده ، أحب إليه من الله ورسوله ، وأوعدهم بقوله : ﴿ **فتربصوا حتى يأتي الله بأمره** ﴾ ، ثم [فسقهم](٢) بتمام الآية ، وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله(٣) .

---

(١) التوبة : ٢٤ .

(٢) في (الأصل) : " خشعهم " وصوبناها من (الشفا) .

(٣) (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) : ١٤/٢ – ١٥ ، الباب الثاني في لزوم محبته ﷺ . قال الملا على القاري في (شرح الشفا) : واعلم أن المراد بالحب هنا ليس الحب الطبيعي التابع لهوى النفس ، فإن محبة الإنسان لنفسه من حيث الطبع أشد من محبة غيره ، وكذا محبة ولده ووالده أشد من محبة غيرهما ، وهذا الحب ليس بداخل تحت اختيار الشخص ، بل خارج عن حد الاستطاعة ، فلا مؤاخذة به لقوله – تعالى – : ﴿ **لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها** ﴾ بل المراد الحب العقلي الاختياري ، الذي هو إيثار ما يقتضي العقل رجحانه ، وإن كان على خلاف الطبع ، ألا ترى أن المريض يكره الدواء المر بطبعه ، ومع ذلك يميل إليه باختياره ويهوى تناوله بمقتضى عقله ، لما علم أو ظنّ أن صلاحه فيه ؟ .

وكذلك المؤمن إذا علم أن الرسول ﷺ لا يأمر ولا ينهى إلا بما فيه صلاح دينه ، ودنياه ، وآخرته ، وعقباه ، وتيقن أنه ﷺ أشفق الناس عليه وألطفهم إليه ، وحينئذ يرجح جانب أمره بمقتضى عقله على أمر غيره ، وهذا أول درجات الإيمان .

وأما كماله : فهو أن يصير طبعه تابعًا لعقله في حبه ﷺ . قيل : ومن محبته ﷺ نصر سنته ، والذب عن شريعته ، والاقتداء بسيرته ﷺ . (شرح الشفا) : ٣٤/٢ .

خرَّج مسلم[1] من حديث إسماعيل بن علية ، وعبد الوارث كلاهما عن عبد العزيز ، عن أنس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : قال رسول الله ﷺ: لا يؤمن عبد ، وفي حديث عبد الوارث : الرجل ، حتى أكون أحب إليه من أهله ، وماله ، والناس أجمعين .

وخرَّج من حديث شعبة قال : سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين[2] .

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٢/٣٧٤ - ٣٧٥ ، كتاب الإيمان ، باب (١٦) وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل ، والولد ، والوالد ، والناس أجمعين ، وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبة ، حديث رقم (٦٩) .

(٢) (المرجع السابق) حديث رقم (٧٠) . قال الإمام أبو سليمان الخطابي : لم يرد به حب الطبع ، بل أراد به حب الاختيار ، لأن حب الإنسان نفسه طبع ، ولا سبيل إلى قلبه . قال : فمعناه : لا تصدق في حبي حتى تفنى في طاعتي نفسك ، وتؤثر رضاي على هواك ، وإن كان فيه هلاكك. هذا كلام الخطابيّ .

وقال ابن بطال ، والقاضي عياض ، وغيرهما - رحمة الله عليهم - : المحبة ثلاثة أقسام : محبة إجلال وإعظام ، كمحبة الوالد ، ومحبة شفقة ورحمة كمحبة الولد ، ومحبة مشاكلة واستحسان كمحبة سائر الناس ، فجمع أصناف المحبة في محبته ﷺ .

قال ابن بطال - رحمه الله - : ومعنى الحديث : أن كل من استكمل الإيمان علم أن حق النبي ﷺ آكد عليه من حق أبيه وابنه والناس أجمعين ، لأن به ﷺ استنقذنا من النار ، وهدينا من الضلال .

قال القاضي عياض - رحمه الله - : ومن محبته ﷺ نصرة سنته ، والذب عن شريعته ، وتمني حضور حياته ، فيبذل ماله ونفسه دونه . قال : وإذا تبين ما ذكرناه ، تبين أن حقيقة الإيمان لا تتم إلا بذلك ، ولا يصح الإيمان إلا بتحقيق إعلاء قدر النبي ﷺ ومنزلته على كل والد ، وولد ، ومحسن ، ومفضل ، ومن لم يعتقد هذا واعتقد سواه ، فليس بمؤمن ، هذا كلام القاضي عياض - رحمه الله - والله تبارك وتعالى أعلم . (مسلم بشرح النووي) .

وخرَّج البخاريّ من حديث ابن علية ، عن عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده، وولده ، والناس أجمعين(١) .

ذكره في باب حب الرسول ﷺ من الإيمان ، وخرَّج فيه من طريق شعيب قال : حدثنا أبو الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أن رسول الله ﷺ قال : والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده ، وولده(٢) .

---

(١) (فتح الباري) : ١/٨٠ ، كتاب الإيمان ، باب (٨) حب الرسول ﷺ من الإيمان ، حديث رقم (١٥) .

(٢) (المرجع السابق) : حديث رقم (١٤) ، وفي هذا الحديث إيماء إلى فضيلة التفكر ، فإن الأحبية المذكورة تعرف به ، وذلك أن محبوب الإنسان إما نفسه وإما غيرها ، أما نفسه فهو أن يريد دوام بقائها سالمة من الآفات ، هذا هو حقيقة المطلوب . وأما غيرها فإذا حقق الأمر فيه فإنما هو بسبب تحصيل نفع ما ، على وجوهه المختلف حالاً ومآلاً ، فإذا تأمل النفع الحاصل له من جهة الرسول ﷺ الذي أخرجه من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ، إما بالمباشرة ، وإما بالسبب ، علم أنه سبب بقاء نفسه البقاء الأبديّ ، في النعيم السرمديّ ، وعلم أن نفعه بذلك أعظم من جميع وجوه الانتفاعات ، فاستحق لذلك أن يكون حظه من محبته أوفر من غيره . لأن النفع الذي يثير المحبة حاصل منه أكثر من غيره ، ولكن الناس يتفاوتون في ذلك بحسب استحضار ذلك والغفلة عنه .

ولا شك أن حظ الصحابة - رضي الله تبارك وتعالى عنهم - من هذا المعنى أتم ، لأن هذا ثمرة المعرفة ، وهم بها أعلم ، والله الموفق .

وقال القرطبيّ : كل من آمن بالنبي ﷺ إيمانًا صحيحًا لا يخلو عن وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة ، غير أنهم متفاوتون . فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظ الأوفى ، ومنهم من أخذ منها بالحد الأدنى ، كمن كان مستغرقًا في الشهوات ، محجوبًا في الغفلات ، أكثر الأوقات ، لكن الكثير منهم إذا ذكر النبي ﷺ اشتاق إلى رؤيته ، بحيث لا يؤثرها على أهله ، وولده ، وماله ، ووالده ، ويبذل نفسه في الأمور الخطيرة ، ويجد مخبر ذلك من نفسه وجدانًا لا تردد فيه ، وقد شوهد من هذا الجنس من يؤثر زيارة قبره ورؤية مواضع آثاره على جميع ما =

وخرَّج في كتاب الأيْمان والنذور[1] من طريق ابن وهب قال : أخبرني حيوة قال : حدثني أبو عقيل زهرة بن معبد ، أنه سمع جده عبد الله بن هشام ، قال : كنا مع رسول الله ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فقال عمر : يا رسول الله ، لأنت أحبُّ إليَّ من كل شئ إلا نفسي ، فقال ﷺ : لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك ، فقال له عمر : فإنه الآن والله لأنت أحب إليَّ من نفسي ، فقال النبي ﷺ : الآن يا عمر.

وذكره أيضًا بهذا الإسناد في مناقب عمر[2] ، وفي كتاب الإستئذان[3] ، وانتهى منه إلى قوله : بيد عمر بن الخطاب .

وخرَّج البخاريّ ومسلم من حديث عبد الوهاب الثقفى عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أنس ، عن النبي ﷺ قال : ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان ، من كان الله ورسوله أحب عليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا

= ذكر ، لما وقر في قلوبهم من محبته ، غير أن ذلك سريع الزوال بتوالي الغفلات ، والله المستعان . (فتح الباري) .

(١) (فتح الباري) :١١/٦٤١ - ٦٤٢ ، كتاب الإيمان والنذور ، باب (٣) كيف كانت يمين النبي ﷺ ؟ وقال سعد : قال النبي ﷺ : " والذي نفسي بيده " ، وقال أبو قتادة : قال أبو بكر عند النبي ﷺ : لاها الله إذًا . يقال : والله ، بالله ، وتالله ، حديث رقم (٦٦٣٢) .

قال الخطابيّ : حب الإنسان نفسه طبع ، وحب غيره اختيار بتوسط الأسباب ، وإنما أراد - عليه السلام - حب الاختيار ، إذا لا سبيل إلى قلب الطباع وتغييرها عما جبلت عليه .

قال الحافظ : فعلى هذا فجواب عمر أولاً كان بحسب الطبع ، ثم تأمل فعرف بالاستدلال أن النبي ﷺ أحب إليه من نفسه لكونه السبب في نجاتها من المهلكات في الدنيا والأخرى ، فأخبر بما اقتضاه الاختيار ، ولذلك حصل الجواب بقوله ﷺ : " الآن يا عمر " أي الآن عرفت فنطقت بما يحب . (فتح الباري) .

(٢) (فتح الباري) : ٧/٥٣ ، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب (٦) مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشيّ العدويّ - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ، حديث رقم (٣٦٩٤) .

(٣) (فتح الباري) : ١١/٦٤ ، كتاب الاستئذان ، باب (٢٧) المصافحة ، حديث رقم (٦٢٦٤) .

يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه ، كما يكره أن يقذف في النار(١) .

وقال البخاريّ(٢) : أن يكون الله ورسوله ، ولم يقل : بعد أن أنقذه الله منه .

وأخرجاه من حديث شعبة ، قال : سمعت قتادة يحدث عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : ثلاث من كن فيه وجد طعم الإيمان ، من كان يحب المرء لا يحبه إلا لله ، ومن كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ومن كان أن يلقى في النار أحب إليه من أن يرجع في الكفر بعد أن أنقذه الله منه(٣) .

وقال البخاريّ : وجد حلاوة الإيمان ، ومن كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ومن أحب عبداً لا يحبه إلا الله ، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله كما يكره أن يلقى في النار .

ترجم عليه باب من كره أن يعود في الكفر ، كما يكره أن يلقى في النار ، في كتاب الإيمان(٤) .

وخرَّجه في كتاب الأدب ، في باب الحب في الله من حديث شعبة(٥) ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : لا يجد أحدٌ حلاوة

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٣٧٢/٢ ، كتاب الإيمان ، باب (١٥) بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان ، حديث رقم (٦٧) .

(٢) (فتح الباري) : ٨٢/١ ، باب (٩) حلاوة الإيمان ، حديث رقم (١٦) .

(٣) (مسلم بشرح النووي) : ٣٧٣/٢ ، كتاب الإيمان ، باب (١٥) بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان ، حديث رقم (٦٨) .

(٤) (فتح الباري) : ٩٨/١ ، باب (١٤) ، حديث رقم (٢١) .

(٥) (فتح الباري) : ٥٦٧/١٠ - ٥٦٨ ، كتاب الأدب ، باب (٤٢) الحب في الله ، حديث رقم (٦٠٤١) ، وأخرجه أيضًا في كتاب الإكراه ، باب (١) من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر ، حديث رقم (٦٩٤١) .

قوله ﷺ : " ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان ...." ، هذا حديث عظيم ، أصل من أصول الإسلام ، قال العلماء - رحمهم الله تعالى - : معنى حلاوة الإيمان استلذاذ =

الإيمان حتى يحب المرء لايحبه إلا الله ، وحتى أن يقذف في النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد أن أنقذه الله ، وحتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .

ولمسلم من حديث النضر بن شميل قال : حدثنا حماد ، عن ثابت ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ بنحو حديثهم غير أنه قال من رجع يهوديًا أو

= الطاعات ، وتحمل المشقات ، في رضى الله - عزّ وجلّ ورسوله ﷺ ، وإيثار ذلك على عرض الدنيا ومحبة العبد ربه - سبحانه وتعالى - بفعل طاعته ، وترك مخالفته ، وكذلك محبة رسول الله ﷺ .

قال القاضي - رحمه الله - : هذا الحديث بمعنى الحديث المتقدم ، ذاق طعم الإيمان ؛ من رضى بالله ربًا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمد رسولاً ، وذلك أنه لا يصح المحبة لله ورسوله ﷺ حقيقة ، وحب الآدميّ في الله ورسوله ، وكراهة الرجوع إلى الكفر ، إلا لمن قوى بالإيمان يقينه ، واطمأنت به نفسه ، وانشرح له صدره ، وخالط لحمه ودمه ، وهذا الذي وجد حلاوته .

قال : والحب في الله ثمرات حب الله ، قال بعضهم : المحبة مواطأة القلب على ما يرضى الرب سبحانه ، فيحب ما أحب ، ويكره ما كره . واختلفت عبارات المتكلمين في هذا الباب بما لا يؤول إلى اختلاف إلا في اللفظ ، وبالجملة : أصل المحبة الميل إلى ما يوافق المحب ، ثم الميل قد يكون لما يستلذه الإنسان ويستحسنه ، كحسن الصورة ، والصوت ، والطعام ، ونحوها ، وقد يستلذه بعقله للمعاني الباطنة كمحبة الصالحين ، والعلماء ، وأهل الفضل مطلقًا ، وقد يكون لإحسانه إليه ، ودفعه المضار والمكارة عنه ، وهذه المعاني كلها موجودة في النبي ﷺ لما جمع من جمال المظاهر والباطن ، وكمال خلال الجلال ، وأنواع الفضائل ، وإحسانه إلى جميع المسلمين ، بهدايته إياهم إلى الصراط المستقيم ، ودوام النعم ، والإبعاد .

وقد أشار بعضهم إلى أن هذا متصور في حق الله - تعالى - ، فإن الخير كله منه - سبحانه وتعالى - .

قال مالك وغيره : المحبة في الله من واجبات الإسلام ، هذا كلام القاضي - رحمه الله - . وأما قوله ﷺ : يعود أو يرجع ، فمعناه يصير ، وقد جاء العود ، والرجوع بمعنى الصيرورة . (شرح النووي) .

نصرانيًا ، وقال سهل بن عبد الله : من لم ير ولاية الرسول ﷺ في جميع الأحوال ، ويرى نفسه في ملكه ﷺ لا يذوق حلاوة سنته لأن النبي ﷺ قال : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه .

وخرّج البخاريّ من حديث شعبة ، عن سليمان ، عن أبي وائل ، عن عبد الله ، عن النبي ﷺ أنه قال : المرء مع من أحب[١] .

وخرّجاه من حديث جرير ، عن الأعمش ، عن أبي وائل قال : جاء رجل إلى البنى ﷺ ، فقال : يا رسول الله كيف ترى رجلاً ؟[٢] .

وقال البخاريّ : كيف تقول في رجل أحب قوماً ، ولم يلحق بهم ؟ فقال رسول الله ﷺ : المرء مع من أحب[٣] .

وخرّج أبو داود من حديث يونس بن عبيد ، عن ثابت ، عن أنس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : ما رأيت أصحاب النبي ﷺ فرحوا بشئ أشد منه ، قال رجل : يا رسول الله الرجل يحب العمل من الخير يعمل به ، ولا يعمل مثله ، فقال رسول الله ﷺ : المرء مع من أحب .

ولمسلم[٤] من حديث مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس بن مالك أن أعرابياً قال لرسول الله ﷺ : متى الساعة ؟ فقال رسول الله ﷺ : ما أعددت لها ؟ قال : أحب الله ورسوله ، قال : أنت مع من أحببت .

وخرّجه البخاريّ[٥] من طرق . وقد أجمع الحافظ أبو نعيم ُطرق هذا الحديث ، وسماه كتاب (المحبين مع المحبوبين) ، عدَّ الصحابة فيه نحو العشرين، وقد قال بعض الحفاظ قوله ﷺ : المرء مع من أحب، أو ما هذا معناه

---

(١) أخرجه البخاريّ في الأدب ، باب علامة حب الله عزّ وجلّ ، ومسلم في البر والصلة ، باب المرء مع من أحب ، حديث رقم (٢٦٤٠) ، (٢٦٤١) والترمذيّ في الزهد ، باب ما جاء أن المرء مع من أحب ، وإسناده حسن ، وقال الترمذيّ : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) راجع التعليق السابق .

(٣) راجع التعليق السابق .

(٤) (جامع الأصول) : ٦/٥٥٥ - ٥٥٧ ، حديث رقم (٤٧٨٥) .

(٥) راجع التعليق السابق .

مشهور جدًا يكاد يبلغ درجة التواتر ، رواه عن النبي ﷺ أنس بن مالك ، وعبد الله بن مسعود ، وأبو موسى الأشعريّ ، وعليّ بن أبي طالب ، وأبو سعيد الخدريّ ، وأبو ذر الغفاريّ ، وصفوان بن عسال ، والبراء بن عازب ، وأبو أمامة الباهليّ ، وأبو هريرة ، ومعاذ بن جبل ، وأبو قتادة الأنصاريّ ، وعبادة الصامت ، وجابر بن عبد الله ، وأم المؤمنين عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنهم - قال مؤلفه : فانظر ما أعظم أجر محبة الله تعالى ورسوله ﷺ إذ كل محب مع محبوبه ، وانظر إلى سيرة السلف في محبته ﷺ كيف كانت ؟ فعن عمرو بن العاص - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أنه قال : ما كان أحدٌ أحبَّ إليَّ من رسول الله . وعن عبدة بنت خالد بن سعد ، أنها قالت : ما كان خالد يأوى إلى فراش إلا وهو يذكر من شوقه إلى رسول الله ﷺ ، وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار ، ويقول : هم أصلي ، وفصلي ، وهم بحق قلبي ، طال شوقي إليهم فعجّل ربِّ قبضي إليك ، حتى يغلبه النوم .

وروى عن أبي بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أنه قال للنبى ﷺ: والذى بعثك بالحق لإسلام أبي طالب كان أقر لعينى من إسلامه ، يعنى أباه أبا قحافة ، ذلك أن إسلام أبي طالب كان أقر لعينك ، وعن عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أنه قال للعباس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أن تسلم أحب إليَّ من أن يسلم الخطاب لأن ذاك أحب إلى رسول الله ﷺ .

وعن هند بنت عمرو بن حرام[1] - وقد قتل زوجها عمرو بن الجموح وابنها خلاد بن عمرو بن الجموح ، وأخوها عبد الله بن عمرو بن حرام - فحملتهم على بعير تريد خيم المدينة فلقيتها عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - وقد خرجت تستروح الخبر - [فقالت] : فما وراءك ؟ قالت هند : أما رسول الله ﷺ فصالح ، وكل مصيبة بعده جلل واتخذ الله من المؤمنين شهداء

(١) هى هند بن عمرو بن حرام الأنصارية ، قال ابن منده : روى حديثها الواقديّ عن أيوب بن النعمان عن أبيها عنها (الإصابة) : ٨/١٥٧ ، ترجمة رقم (١١٦٨٠) .

﴿ ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزًا ﴾(1) .

وسئل عليّ - رضي الله تبارك وتعالى عنه - كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ ؟ قال : كان والله أحب إلينا من أموالنا ، وأولادنا ، وأبنائنا ، وأمهاتنا ، ومن الماء البارد على الظمأ .

وقيل لزيد بن الدثنة(2) لما أخرجه أهل مكة من الحرم ليقتلوه ، قالوا : أيسّرك أن محمدًا في أيدينا مكانك وأنت في بيتك ؟ قال ": ما يسرني أن محمدًا أُشيك بشوكة وأني في بيتي ، قال : يقول سفيان بن حرب : لا ، ما رأينا أصحاب رجل قط أشد له حبًا من أصحاب محمد بمحمد(3) .

وقال القاضي حسين : يجب على المرء أن يكون حزنه على فراق النبي ﷺ من الدنيا أكثر من حزنه على فراق أبويه ، كما يجب عليه أن يكون عنده أحب إليه من نفسه ، وأهله ، وماله ، والآثار في هذا عن السلف كثيرة جدًا .

وقال القاضي عياض : من أحب شيئًا آثره ، وآثر موافقته ، وإلا لم يكن صادقًا في حبه ، وكان مدعيًا ، فالصادق في حب النبي ﷺ من تظهر علامات(4) ذلك عليه ، وأولها الاقتداء به ، واستعمال سنته ، واتباع أقواله ،

---

(1) الأحزاب : ٢٥ ، والخبر في (مغازي الواقدي) : ٢٦٥/١ .

(2) هو زيد بن الدثنة ، بفتح الدال وكسر المثلثة بعدها نون ، ابن معاوية بن عبيد بن عامر بن بياضة الأنصاريّ البياضيّ . شهد بدرًا وأحدًا ، وكان في غزوة بئر معونه ، فأسره المشركون ، وقتلته قريش بالتنعيم .

قال ابن اسحاق في (المغازي) : حدثنا عاصم بن عمر بن قتادة ، أن نفرًا من عضل والقارة قدموا على رسول الله ﷺ بعد أحد ، فقالوا : إن فينا إسلامًا فابعث معنا نفرًا من أصحابك يفقهوا بنا في الدين ، فبعث معهم خبيب بن عديّ ، وزيد بن الدثنة ... فذكر القصة بطولها ، وهى في صحيح البخاريّ من حديث أبي هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - .

(3) (مغازي الواقدي) : ٣٦٢/١ ، غزوة الرجيع .

(4) كذا في (الأصل) ، وفي (الشفا) : " علامة " .

وأفعاله ، وامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، والتأدب بآدابه في عسره ، ويسره ، ومنشطه ومكرهه .

وشاهد هذا قوله – تعالى – : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** ﴾[1] . وإيثار ما شرعه ، وحضَّ عليه على هوى نفسه ، وموافقة شهوته ، قال الله – تعالى – : ﴿ **والذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** ﴾[2] . وإسخاط العباد في رضى الله قال ، فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة لله ، ورسوله ، ومن خالفها في بعض هذه الأمور فهو ناقص المحبة ، ولا يخرج عن اسمها ، ودليله قوله ﷺ للذي حده في الخمر ، فلعنه بعضهم ، وقال : ما أكثرما يؤتى به ، فقال النبي ﷺ : لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله ، ومن علامات محبة النبي ﷺ كثرة ذكره له ، فمن أحب شيئاً أكثر ذكره ، ومنها كثرة شوقه إلى لقائه ، فكل حبيب يحب لقاء حبيبه ، ومن علامات ذلك كثرة ذكره وتعظيمه له ، وتوقيره عند ذكره ، وإظهار الخشوع ، والانكسار مع سماع اسمه[3] .

قال اسحاق التجيبيّ : كان أصحاب النبي ﷺ بعده لا يذكرونه إلا خشعوا، واقشعرت جلودهم ، وبكوا ، وكذلك كثير من التابعين ، منهم من يفعل ذلك محبة له ، وشوقًا إليه ، ومنهم من يفعله تهيبًا ، وتوقيرًا ، ومنها محبته لمن أحب النبي ﷺ ، ومن هو بسببه من آل بيته ، وصحابته من المهاجرين ، والأنصار ، وعداوة من عاداهم ، وبغض من أبغضهم ، وسبهم ، فمن أحب شيئاً أحب من يحب ، ومن قال أحب شيئاً ، أحب كل شئ يحبه ، ومنها بغض من أبغض الله ورسوله ، ومعاداة من عاداه ، ومجانبة من خالف سنته ، وابتدع في دينه ، واستثقاله كل أمر يخالف شريعته ، قال – تعالى – : ﴿ **لا تجد قومًا يؤمنون**

---

(١) آل عمران : ٣١ .

(٢) الحشر : ٩ .

(٣) (الشفا) : ٢٠/٢ .

بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ﴾[1] وهؤلاء أصحابه ﷺ ، قد قتلوا أحبَّاءهم ، وقاتلوا أباءهم وأبناءهم في مرضاته .

وقال له عبد الله بن أبيّ : لو شئت لأتيتك برأسه يعني أباه ، ومنها أن يحب القرآن ويحب تلاوته والعمل به ، وتفهمه ، ويحب سنته ، ويقف عند حدودها ، ومن علامة حبه للنبي ﷺ شفقته على أمته ، ونصحه لهم ، وسعيه في مصالحهم ، ودفع المضار عنهم ، كما كان عليه السلام بالمؤمنين رؤفا رحيما . ومن علامة تمام محبته زهد مُدَّعيها في الدنيا ، وإيثاره الفقر ، وإنصافه به .

قال : اختلف الناس في تفسير محبة الله ، ومحبة النبي ﷺ ، فقال سفيان : المحبة اتباع الرسول ﷺ ، وقال بعضهم : محبة الرسول اعتقاد نصرته والذبّ عن سنته والانقياد لها ، وهيبة مخالفته ، وقال بعضهم : المحبة دوام الذكر للمحبوب ، وقال بعضهم : المحبة مواطأة القلب لمراد الرب يحب ما أحب ، ويكره ما كره .

وقال آخر : المحبة ميل القلب إلى موافق له ، وأكثر العبارات المتقدمة إشارة إلى ثمرات المحبة دون حقيقتها ، وحقيقة المحبة الميل إلى ما يوافق الإنسان ، وتكون موافقته له إما لاستلذاذه [بذكره][2] بإدراكه كحب الصور الجميلة ، والأصوات الحسنة ، والأطعمة ، والأشربة اللذيذة ، وأشباهها مما كل طبع سليم مائل إليها لموافقتها له ، أو لاستلذاذه بإدراكه بحاسة عقله ، وقلبه معانى باطنة شريفة كمحبة الصالحين ، والعلماء ، وأهل المعروف ، والمأثور عنهم السير الجميلة ، والأفعال الحسنة ، فإن طبع الإنسان مائل إلى الشغف بأمثال هؤلاء ، حتى يبلغ التعصب بقوم لقوم ، والتشيّع من أمة في آخرين ما يؤدي إلى الجلاء عن الأوطان ، وهتك الحُرَم ، واخترام النفوس ، أو يكون حبه إياه لموافقة له من جهة إحسانه له ، وإنعامه عليه ، فقد جُبلتْ النفوس على حب

---

(١) المجادلة : ٢٢ .

(٢) من (الأصل) فقط ، وليست في (الشفا) .

من أحسن إليها ، فإذا تقرر لك هذا نظرت هذه الأسباب كلها في حقه ﷺ ، فعلمت أنه ﷺ جامع لهذه المعاني الثلاثة الموجبة للمحبة[1] .

أما جمال الصورة والظاهر ، وكمال الأخلاق والباطن

فقد قررنا منها قبل فيما مر من الكتاب ما لا يحتاج إلى زيادة[2] .

وأما إحسانه وإنعامه على أمته

فكذلك قد مر منه في أوصاف الله – تعالى – من رأفته بهم ، ورحمته لهم ، وهدايته إياهم ، وشفقته عليهم ، واستنقاذهم به من النار ، وأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم ، ورحمة للعالمين ، مبشرًا ، ونذيرًا ، وداعيًا إلى الله بإذنه ، ويتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، ويهديهم إلى صراطٍ مستقيم، فأي إحسان أجل قدرًا ، وأعظم خطرًا ، من إحسانه إلى جميع المؤمنين ، وأي إفضال أعم منفعة ، وأكثر فائدة ، من إنعامه على كافة المؤمنين ، وداعيهم إلى الفلاح ، والكرامة ، ووسيلتهم إلى ربهم ، وشفيعهم ، والمتكلم عنهم ، والشاهد لهم ، والموجب لهم البقاء الدائم ، والنعيم السرمد ، فقد استبان لك أنه ﷺ مستوجب للمحبة الحقيقية شرعًا ، بما قدمناه من صحيح الآثار ، وعادة وجبله ، بما ذكرناه آنفاً لإفاضة الإحسان ، وعمومة الإجمال ، فإذا كان الإنسان يحب من منحه في دنياه مرة أو مرتين معروفًا ، أو استنقذه من هلكه أو مضرة مدة التأذي بها قليل منقطع ، فمن منحه ما لا يغني من عذاب الجحيم أولى بالحب[3] ، وإذا كان يُحب بالطبع ملكاً لحسن سيرته ، أو حاكماً لما يؤثر من قوام طريقته ، أو قاص بعيد الدار لما يشاد من علمه ، أو كرم

---

(١) (الشفا) : ٢/٢٣ – ٢٤ ، فصل في معنى المحبة للنبي ﷺ وحقيقتها ، مختصرًا .

(٢) (المرجع السابق) .

(٣) كذا في (الأصل) وفي (الشفا) : " فمن منحه ما لا يبيد من النعيم ، ووقاه ما لا يغني من عذاب الجحيم " .

شيمته[١] ، فمن جمع هذه الخصال على غاية مراتب الكمال أحق بالحب ، وأولى بالميل[٢] .

المسألة الثالثة عشر : أنه ﷺ لا ينقض وضوؤه بالنوم بخلاف غيره

ودليله ما خرَّجه البخاريّ من حديث سفيان ، عن عمرو قال : أخبرني كريب ، عن ابن عباس – رضي الله تبارك وتعالى عنه – أن النبي ﷺ نام حتى نفخ ، ثم صلى ، وربما قال : اضطجع حتى نفخ ، ثم قام فصلى ، ثم حدثنا به سفيان مرة بعد مرة، عن معمر ، عن كريب ، عن ابن عباس قال : بتُّ عند خالتي ميمونة ليلة ، فقام النبي ﷺ من الليل ، فلما كان في بعض الليل قام رسول الله ﷺ فتوضأ من شنّ معلقة وضوءًا خفيفًا يخففه عمرو ، ويقلله ، وقام يصلي ، فتوضأت نحوًا مما توضأ ، ثم جئت ، فقمت عن يساره ، وربما قال سفيان : عن شماله ، فحولني فجعلني عن يمينه ، ثم صلى ما شاء الله ، ثم اضطجع ، فنام حتى نفخ ، ثم أتاه المنادي فآذنه بالصلاة ، فقام معه إلى الصلاة ، فصلى ولم يتوضأ ، قلنا لعمرو : إنَّ أناسًا يقولون : إن رسول الله ﷺ تنام عينيه ، ولا ينام قلبه ، قال عمرو : سمعت عبيد بن عمير يقول : رؤيا الأنبياء وحي ، ثم قرأ ﴿ **إني أرى في المنام أني أذبحك** ﴾[٣] .

---

(١) في (الأصل) : " شيمه " ، وما أثبتناه من (الشفا) .

(٢) (الشفا) : ٢/٢٤ – ٢٥ ، فصل في معنى المحبة للنبي ﷺ وحقيقتها ، ثم قال : وقد قال عليّ – رضي الله تبارك وتعالى عنه – في صفته ﷺ : من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه ، وذكرنا عن بعض الصحابة أنه كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه ﷺ .

(٣) الصافات : ١٠٢ .

ذكره البخاريّ في أول الوضوء ، وترجم عليه باب التخفيف في الوضوء[1] .

وذكره في كتاب [الآذان] في باب وضوء الصبيان ، ومتى يجب عليهم الغسل ، والطهور[2] .

وخرَّجه مسلم في كتاب الصلاة به مثله أو نحوًا منه ، ثم اضطجع فنام حتى نفخ ، ثم أتاه بلال فأذنه بالصلاة ، فخرج ، فصلى الصبح ، ولم يتوضأ، قال سفيان : وهذا للنبى ﷺ خاصة لأنه بلغنا أن النبي ﷺ تنام عيناه ، ولا ينام قلبه[3] . وخرَّجه البخاريّ ومسلم من طرق عديدة .

وخرَّج الترمذيّ[4] من حديث مالك ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن أبي سلمة ، عن عائشة – رضي الله تبارك وتعالى عنها – قالت : قلت : يا رسول الله أتنام قبل أن توتر ؟ قال : يا عائشة إن عينيّ تنامان ولا ينام قلبيّ .

قال ابن عبد البر : وأما قوله ﷺ إن عينيّ تنامان ، ولا ينام قلبى ، فتلك من علياء مراتب الأنبياء ، [قال :] تنام أعيننا ، ولا تنام قلوبنا . والله أعلم .

قال ابن عباس – رضي الله تبارك وتعالى عنه – رؤيا الأنبياء وحى لأن الأنبياء يفارقون سائر البشر في نوم القلب ، ويساوونهم في نوم العين ، فلو سلط النوم على قلوبهم كما يصنع بغيرهم ، لم تكن رؤياهم أكثر من سواهم ، وقد خصهم الله – تعالى – من فضله بما شاء أن يخصهم به ، ومن هنا كان رسول الله ﷺ ينام حتى ينفخ ، ثم يصلي ولا يتوضأ ، لأن الوضوء إنما يجب بغلبة

---

(١) (فتح الباري) : ٣١٧/١ ن كتاب الوضوء ، باب (٥) التخفيف فى الوضوء ، حديث رقم (١٣٨) .

(٢) (فتح الباري) : ٤٣٨/٢ ، كتاب الأذان ، باب (١٦١) وضوء الصبيان ، ومتى يجب عليهم الغسل والطهور ؟ وحضورهم الجماعة والعيدين والجنائز وصفوفهم ، حديث رقم (٨٥٩) .

(٣) (مسلم بشرح النووي) : ٢٩٤/٦ – ٢٩٥ ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب (٢٦) الدعاء فى صلاة الليل وقيامه ، حديث رقم (١٨٦) .

(٤) (سنن الترمذي) : ٣٠٢/٢ – ٣٠٣ ، أبواب الصلاة ، باب (٢٠٨) ما جاء في وصف صلاة النبي ﷺ بالليل ، حديث رقم (٤٣٩) .

النوم على القلب لا على العين ، فكان ﷺ يساوي أمته في الوضوء من الحدث ، ولا يساويهم في الوضوء من النوم ، كما لم يساويهم في وصال الصوم وغيره مما جرت عادتهم به ، فإن قيل كان رسول الله ﷺ يتوضأ ، قيل له : كان يتوضأ لكل صلاة وما جاء عنه قط أنه قال : وضوئي هذا من النوم ، وليس ببعيد أن يتوضأ إذا خامر النوم قلبه ، وذلك نادر ، كنومه في سفره عن صلاة الصبح ، ليسن لأمته أن الصلاة لا يسقطها خروج الوقت ، وإن كان مغلوباً بنوم ، أو نسيان ، وهذا واضح .

روى حماد بن سلمة ، عن أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ نام حتى سمع غطيطه ، ثم صلى ولم يتوضأ[1].

قال عكرمة : كان رسول الله ﷺ محفوظاً ، وإن ذلك منه كان نادرًا ليس لأمته كما سنَّ في من نام ، أو نسي كما قال رسول الله ﷺ : إني لأسنّ .

وذكر عند عبد الرزاق عن معمر ، عن أيوب ، عن أبي قلابة قال : قال رسول الله ﷺ : قيل لي : لتنم عينك ، ولتغفل ، فقال : يا أمير المؤمنين ما يذكر من شأن ذاك أو ذاك ، فقال عمر : هبلتك أمك أدركه ! مرتين ، أو ثلاثًا ، وقال : إن رسول الله ﷺ قال لنا : إن رجلاً يقال له أويس من قَرَن من أمره كذا ، فلما قدم الرجل لم يبدأ بأحد قبله ، فدخل عليه ، قال : استغفر لي ، فقال : ما بدا لك ، قال : إن عمر قال لي كذا وكذا ، قال : ما [أنا] بمستغفر لك حتى تجعل لي ثلاثاً ، قال : وما هن ؟ قال : لا تؤذيني فيما بقي ، ولا تخبر بما قال لك عمر أحداً من الناس ، ونسي الثالثة .

قال المؤلف - رحمه الله - : وقد روى من وجوه أن أويسًا[2] قتل بصفين مع علي - رضي الله تبارك وتعالى عنه - .

---

(١) (فتح الباري) : ٢/٢٤٢ - ٢٤٣ ، كتاب الأذان ، باب (٥٧) يوم عن يمين الإمام بحذائه سواء إذا كانا أثنين ، حديث رقم (٦٩٧) من حديث شعبة عن الحكم ، قال : سمعت سعيد بن جبير ، عن ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - . =

وأما إخباره ﷺ بصلة بن أَشْيَم(١)

فخرَّج البيهقيّ(٢) من حديث ابن المبارك ، قال : أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، قال : بلغنا أنّ رسول الله ﷺ كان يقول : يكون في أمتي رجل يقال له : صلة بن أشيم يدخل الجنة بشفاعته كذا وكذا(٣) .

= (٢) هو أويس القرني ، القدوة ، الزاهد ، سيد التابعين في زمانه ، أبو عمرو ، أويس بن عامر بن جزء بن مالك القَرنيّ المراديّ اليمانيّ ، وقرن بطنٌ من مُراد ، وفد على عمر ، وروى قليلاً عنه ، وعن عليّ - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - .

عن أُسير بن جابر قال : كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سألهم : أفيكم أويس بن عامر ؟ حتى أتى على أويس فقال : أنت أويس بن عامر ؟ قال : نعم ، قال : من مراد ثم من قرن ؟ قال : نعم ، قال : فكان بك برص ، فبرأت منه إلا موضع درهم ؟ قال : نعم ، قال : ألك والدة ؟ قال : نعم ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد اليمن من مراد ثم من قرن ، كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم ، له والدة هو بها برّ ، لو أقسم على الله لأبره ، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل ، فاستَغْفِرْ لي . قال : فاستَغفَر له . وُجد في قتلَى صفين مع أصحاب عليّ - رضي الله تبارك وتعالى عنه - . له ترجمة في : (طبقات ابن سعد) : ١٦١/٦ ، (طبقات خليفة) : ترجمة رقم (١٠٤٤) ، (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء) : ٧٩/٢ ، (لسان الميزان) : ٤٧١/١ ، (سير الأعلام) : ١٩/٤-٣٣ . وأحاديث صلاة النبي ﷺ بالليل ، ونومه ولايتوضأ ، وتنام عيناه ولا ينام قلبه المقدس . ذكرها البيهقي في (السنن الكبرى) : ٦٢/٧ ، باب كان ينام ولا يتوضأ .

(١) هو أبو الصهباء ، صلة بن أَشْيَمَ العدويّ ، له ترجمة في (التاريخ الكبير) : ٣٢١/٤ ، (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء) : ٢٣٧/٢ - ٢٤٣ ، ترجمة رقم (١٨٤) .

(٢) (دلائل البيهقيّ) : ٣٧٩/٦ ، باب ما روي في إخباره ﷺ بأنه يكون في أمته رجل يقال له : صلة بن أشيم ، فكان بعد وفاته على صفته .

(٣) (حلية الأولياء) : ٢٤١/٢ ، وفيه : قال رجل لصلة بن أشيم : ادع الله لي . فقال : رغبك الله فيما يبقى ، وزهدك فيما يفنى ، ووهب لك اليقين الذي لا يسكن إلا إليه ، ولا يعول في الدين إلا عليه ، وله فيه كرامات لا يتسع المقام لسردها ، فلتراجع هناك .

وأما إخباره ﷺ عليّ بن أبي طالب رضي الله تبارك وتعالى عنه بولادة غلام له يسميه باسمه ﷺ

فخرّج البيهقيّ[(١)] من طريق عون بن سلام ، قال قيس : عن ليث ، عن محمد بن بشر ، عن محمد ابن الحنيفة ، عن عليّ - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : سيولد لك بعدي غلام قد نحلته اسمي وكنيتي[(٢)] .

وخرّجه الحافظ أبو نعيم أحمد من طريق عبد العزيز بن الخطاب عن قيس ابن الربيع ، عن ليث ، عن محمد بن بشر عن محمد ابن الحنفية ، عن عليّ قال: قال لي رسول الله ﷺ : سيولد لك ولد قد نحلته اسمي وكنيتي[(٣)] .

وفي رواية : حدثنا عليّ : سيولد لك ، وخالفهما غيرهما ، عن قيس ، فقال محمد بن الأشعث : خرّجه الحافظ أبو بكر الخطيب من طريق الحسن بن بشر، عن قيس ، عن ليث ، عن محمد بن الأشعث ، عن ابن الحنفية ، عن عليّ قال : قال رسول الله ﷺ : يولد لك ابن قد نحلته اسمي قال : وكلا الحديثين غريب . والمحفوظ عن ابن الحنفية ، فذكر حديث وكيع ، حدثنا فطر عن

---

(١) (دلائل البيهقيّ) : ٣٨٠/٦ ، باب ما جاء في إخباره ﷺ بولادة غلام لعليّ بن أبي طالب - رضي الله تبارك وتعالى عنه - وإذنه إياه في أن يسميه باسمه ، ويكنيه بكنيته ، فكان ذلك في محمد ابن الحنفية .

(٢) هو محمد ابن الحنفية ، السيد الإمام أبو القاسم وأبو عبد الله محمد بن الإمام علي بن أبي طالب القرشيّ الهاشميّ ، وُلِدَ في العام الذي مات فيه أبو بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ، وكان ورعًا كثير العلم ، وتوفى سنة إحدى وثمانين، له ترجمة في(التاريخ الكبير): ١٨٢/١/١ ، (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء) : ١٧٤/٣، (العقد الثمين) : ١٥٧/٢ ، (شذرات الذهب) : ٨٨/١ ، (طبقات ابن سعد) : ٩١/٥ .

(٣) راجع التعليق السابق .

منذر ، عن ابن الحنفية قال : قال على : يا رسول الله أرأيت إن ولد لي بعدك أسميه باسمك وأكنيه بكنيتك ؟ قال : نعم ، فكانت رخصة من رسول الله ﷺ .

ورواه أيوب بن واقد عن فطر ، عن منذر الثوريّ ، عن محمد ابن الحنفية ، عن أبيه عليّ قال : قال رسول الله ﷺ إن وُلِدَ لك غلام فسمه باسمي ، وكنه بكنيتي ، وهو رخصة لك دون الناس .

ورواه يحيى بن سعيد ، عن فطر ، عن منذر الثوريّ ، عن محمد ابن الحنفية ، عن عليّ أنه استأذن رسول الله ﷺ إن ولد له بعده أن يسميه باسمه ، ويكنيه بكنيته ، قال : وكانت رخصة من رسول الله ﷺ قال : وسماني محمدًا وكنيته أبو القاسم .

ورواه أبو نعيم ، عن فطر هو ابن خليفة ، عن منذر الثوريّ ، قال : سمعت ابن الحنفية يقول : كانت رخصة لعليّ -رضي الله تبارك وتعالى عنه- قال : يا رسول الله إن ولدَ لي بعدك أسميه بأسمك ، وأكنيه بكنيتك ، قال : نعم وكذا رواه على بن قادم ، عن فطر .

وروى ابن عساكر من طريق محمد بن الصلت الأسدي ، قال ربيع بن منذر الثورى ، عن أبيه أظنه عن ابن الحنفية ، قال : وقع بين طلحة ، وبين عليّ - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - كلام ، قال : فقال لعليّ : إنك تسمى باسمه ، وتكنى بكنيته ، وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك أن يجمعا لأحد من أمته ، فقال على إن الجرئ من اجترأ على الله ، وعلى رسوله ، يا فلان ادع له فلانًا وفلانًا ، فجاء نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من قريش فشهدوا أن رسول الله ﷺ رخص لعليّ - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أن يجمعهما ، وحرمهما على أمته من بعده .

ومن طريق محمد بن سعد[1] أن محمد بن الصلت ، وخالد بن مخلد قالا : عن الربيع بن المنذر ، والثوريّ ، عن أبيه قال : وقع بين عليّ وطلحة كلام ، فقال له طلحة : ما اجرأك على رسول الله ﷺ سميت باسمه ، وكنيت بكنيته ، وقد نهى رسول الله ﷺ أن يجمعهما أحد من أمته بعده ، فقال عليّ : إن الجرئ

(١) (طبقات ابن سعد) : ٨/٤٦٤ .

من اجترأ على الله وعلى رسوله ، اذهب يا فلان فادع لي فلانًا وفلانًا لنفر من قريش ، قال : فجاءوا ، فقال : بم تشهدوا ؟ قالوا : نشهد أن رسول الله ﷺ قال: إنه سيولد لك بعدي غلام ، فقد نحلته اسمي وكنيتي ، ولا يحل لأحد من أمتي بعده .

ومن حديث ابن أبي خثيمة ، عن محمد بن الصلت الأسديّ ، عن الربيع ابن منذر ، عن أبيه قال : كان بين عليّ وطلحة كلام ، فقال عليّ : إن الجرئ من افترى على الله ، وعلى رسوله ، يا فلان ادع لي فلانـا وفلانـا ، فدعا نفرًا من قريش ، فقال : بم تشهدون ؟ قالوا : نشهد أن رسول الله ﷺ قال : سَمِّ يا عليّ [باسمي] وكن بكنيتي ، ولا تحل لأحد بعدك .

وأما إخباره عليه الصلاة والسلام أمَّ ورقة[1] بأنها ستدرك الشهادة فكان كما أخبر

فخرّج البيهقيّ[2] وغيره من طريق أبي نعيم ، قال الوليد بن جُميع : قال حدثتني جدتي عن أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث ، وكان رسول الله ﷺ

---

(1) هى أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث بن عويمر بن نوفل الأنصارية ، ويقال لها : أم ورقة بنت نوفل ، فنسبت إلى جدها الأعلى .

أخرج حديثها أبوداود من حديث وكيع بن الجراح ، عن الوليد بن عبد الله بن جميع ، حدثتني جدتي ، وعبد الله بن خلاد الأنصاريّ ، عن أم ورقة أن رسول الله ﷺ لما غزا بدرًا... وذكر الحديث . ومن طريق محمد بن فضيل ، عن الوليد ، عن عبد الرحمن بن خلاد ، عن أم ورقة بنت عبيد الله بن الحارث بهذا ، والأول أتم .

وأخرجه ابن السكن ، من طريق محمد بن فضيل ، وأخرجه ابن السكن أيضًا من طريق عبد الله بن داود عن الوليد ، عن ليلى بنت مالك ، عن أمها ، عن أم ورقة ، وهو عند ابن منده بعلو عن عبد الله بن داود ، وكذا قيل بين عبد الرحمن بن خلاد وأم ورقة واسطة .

وأخرجه أبو نعيم من رواية أبي نعيم ، عن الوليد ، حدثتني جدتي عن أمها أم ورقة ، وساق الحديث كرواية وكيع. (الإصابة): ٨/٣٢١ - ٣٢٢ ، ترجمة رقم (١٢٢٩٤) مختصرًا .=

يزورها ويسميها الشهيدة ، وكانت قد جمعت القرآن وكان رسول الله ﷺ حين غزا بدرًا قالت : تأذن لي فأخرج معك أداوي جرحاكم ، وأُمرِّضُ مرضاكم لعل الله - تعالى - يهدي لي شهادة ، قال : إن الله - تعالى - مهد لك شهادة ، فكان يسميها الشهيدة ، وكان رسول الله ﷺ قد أمرها أن تؤم أهل دارها ، وأنها غمتها جارية لها ، وغلام كانت قد دبرتهما فقتلاها في إمارة عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فقيل : إن أم ورقة قتلتها جاريتها ، وغلامها ، وأنهما هربا ، فأتى بهما فصلبهما ، فكانا أول مصلوبين بالمدينة ، فقال عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - : صدق رسول الله كان يقول : انطلقوا نزور الشهيدة[1] .

وخرَّجه أبو داود[2] من حديث وكيع بن الجراح ، حدثنا الوليد بن عبد الله ابن جميع ، قال : حدثتني جدتي ، وعبد الرحمن بن خلاد الأنصاريّ ، عن أم ورقة بنت نوفل أن النبي ﷺ لما غزا بدرًا قالت له : يا رسول الله ائذن لي في الغزو معك أمرّض مرضاكم لعل الله أن يرزقني شهادة ، قال : قري في بيتك ، فإن الله يرزقك الشهادة ، قال : فكانت تسمى الشهيدة ، فاستأذنت النبي ﷺ أن يتخذ في دارها مؤذنًا ، فأذن لها ، قال : وكانت دبرت غلامًا لها ، وجارية ، فقاما إليها بالليل فغماها بقطيفة لها حتى ماتت ودفناها ، فأصبح عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ، فقام في الناس ، فقال : من عنده من هذين علم أو من رآهما فليجيء بهما فجيء بهما فصلبا ، فكانا أول مصلوب بالمدينة .

= (٢) (دلائل البيهقيّ) : ٦/٣٨١ - ٣٨٢ ، باب في إخباره ﷺ أم ورقة بأنها تدرك الشهادة فاستشهدت في عهد عمر بن الخطاب - رضي الله تبارك وتعالى عنه - .

(١) (المرجع السابق) ، والمدبَّر هو العبد أو الجارية الذي أعتقه سيده بحيث ينال حريته بعد موت سيده .

(٢) (سنن أبي داود) : ١/٣٩٦ - ٣٩٧ ، كتاب الصلاة ، باب (٦٢) إمامة النساء ، حديث رقم (٥٩١) .

قال أبو عمر بن عبد البر[1] : أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث بن عويمر الأنصاريّ ، وقيل : أم ورقة بنت نوفل وهى مشهورة بكنيتها ، واضطرب أهل الخبر فى نسبها .

وأما إخباره ﷺ بالطاعون الذي يأتي بعده

فخرَّج البخاريّ[2] من حديث بُسْر بن عبيد الله أنه سمع أبا إدريس الخولاني قال : سمعت عوف بن مالك قال : أتيتُ النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم فقال : اعدد ستًا بين يدى الساعة : موتى ، ثم فتح بيت المقدس ، ثم موتان يأخذ فيكم كعقاص الغنم ، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطًا ، ثم فتنة لا يبقى بيت من بيوت المدينة إلا دخلته ، ثم هدنة تكون بينكم ، وبين بني الأصفر ، فيغدرون ، فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفا .

---

(١) (الاستيعاب) : ٤/١٩٦٥ ، ترجمة رقم (٤٢٢٤) ، وذكر حديثها وزاد فيه وقال : صدق رسول الله ﷺ حين كان يقول : انطلقوا بنا نزور الشهيدة .

(٢) (فتح الباري) : ٦/٣٤٠ ، كتاب الجزية والموادعة ، باب ما يُحذر من الغدر وقول الله - تعالى - : ﴿ **وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله** ﴾ [الأنفال : ٦٢] ، حديث رقم (٣١٧٦) ، وفيه أشياء من علامات النبوة قد ظهر أكثرها ، وفيه بشارة ونذارة ، وذلك أنه دل على أن العاقبة للمؤمنين مع كثرة ذلك الجيش ، وفيه إشارة إلى أن عدد جيوش المسلمين سيكون أضعاف ما هو عليه . ووقع في رواية للحاكم من طريق الشعبيّ عن عوف بن مالك في هذا الحديث " ان عوف بن مالك قال لمعاذ في طاعون عمواس أن رسول الله ﷺ قال لي : اعدد ستًا بين يدى الساعة ، فقد وقع منهن ثلاث ، يعني موته ﷺ ، وفتح بيت المقدس والطاعون ، قال : وبقى ثلاث ، فقال له معاذ : إن لهذا أهلاً " .

ووقع في (الفتن) لنعيم بن حماد أن هذه القصة تكون في زمن المهدى على يد ملك من آل هرقل . (فتح الباري) مختصرًا . وبنو الأصفر : الروم .

وأخرجه ابن ماجة في الفتن ، باب (٢٥) أشراط الساعة ، حديث رقم (٤٠٤٢) ، وبعضه في الأدب من (سنن أبى داود) .

ذكره في كتاب الجزية والموادعة ، في باب ما يحذر من الغدر .

وخرَّجه البيهقي[1] بهذا السند ، ولفظه قال : أتيت رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وهو في خباء من أدم ، فجلست بفناء الخباء فسلمت ، فرد وقال : ادخل يا عوف ، فقلت : أكلي أم بعضي ؟ قال : كلك ، فدخلت ، فرأيته يتوضأ وضوءاً مكيثًا ، ثم قال : يا عوف احفظ خلالاً ستًا بين يدى الساعة : إحداهن موتى ، قال عوف : فوجمت عندها وجمه شديدة ، فقال رسول الله ﷺ : قل إحدى ، فقلت : إحدى ، ثم قال : فتح بيت المقدس ، أظنه قال : ثم موتان يظهر فيكم يستشهد الله به ذراريكم ، وأنفسكم ، ويزكى به أموالكم ، ثم استفاضة المال بينكم ، وذكر الحديث .

وهذه الستة قد وقع بعضها ، فمات رسول الله ﷺ ، وفتح بيت المقدس في خلافة عمر بن الخطاب - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ووقع الطاعون ، ثم استفاض المال في خلافة عثمان بن عفان - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال الوليد بن مسلم ، قال سعيد بن عبد العزيز: زاد عثمان الناس عامة مائة دينار ، ومائة دينار في عطياتهم ، قالوا : وكانت الفتنة الرابعة من الآيات الستة مقتل بالشام ، والعراق ، وخرسان بين الفرق والعصبية ، ولاتزال متتابعة حتى تقع فتنة الروم .

ومن طريق ابن وهب قال[2] : أخبرنى ابن لهيعة ، عن عبد الله بن حبان أنه سمع سليمان بن موسى يذكر أن الطاعون وقع بالناس يوم جسر عموسة ، فقام عمرو بن العاص - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فقال : يا أيها الناس إنما هذا الوجه رجس فتنحوا منه ، فقال شرحبيل بن حسنة : يا أيها الناس إني قد سمعت قول صاحبكم ، وإني والله لقد أسلمت ، وصليت وإن عمرًا لأضلَّ من بعير أهله ، وإنما هو بلاء أنزله الله فاصبروا ، فقام معاذ بن جبل ، فقال : يا أيها الناس إنى قد سمعت قول صاحبيكم هذين ، وإن هذا الطاعون رحمة ربكم ،

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٦/٣٨٣ - ٣٨٥ ، باب ما جاء في إخبار النبي ﷺ بالطاعون الذي وقع بالشام في أصحابه في عهد عمر بن الخطاب - رضي الله تبارك وتعالى عنه - .

(٢) (المرجع السابق) : ٣٨٥ .

ودعوة بينكم ، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنكم ستقدمون الشام ، فتنزلون أرضًا يقال لها جسر عموسة(١) ، فتخرج لكم فيها جرجان لها ذباب كذباب الدمل يستشهد الله به أنفسكم ، وذراريكم ، ويزكي به أموالكم ، اللهم إن كنت تعلم أني سمعت هذا من رسول الله ﷺ فارزق معاذًا ، وآل معاذ من ذلك الحظ الأوفى ، ولا تعافه منه ، قال : فطعن في السبابة ، فجعل ينظر إليها ويقول : اللهم بارك فيها فإنك إذا باركت في الصغير كان كبيرًا، ثم طعن ابنه ، فدخل عليه ، فقال : ﴿**الحق من ربك فلا تكونن من الممترين**﴾(٢) ، قال : ﴿**ستجدني إن شاء الله من الصابرين**﴾(٣) .

قال المؤلف - رحمة الله عليه - : وقوله في هذا الحديث : وأن هذا الطاعون رحمة ربكم ، ودعوة نبيكم ، يشير إلى حديث يحيى بن أبي بكير ، قال: عن أبي بكر النهشليّ ، عن رماد بن علابة عن أسامة بن شريك ، قال : خرجنا في اثنى عشر من بني ثعلبة ، فبلغنا أن أبا موسى نزل منزلاً ، فأتيناه ، فسمعناه يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال : اللهم اجعل فناء أمتي بالطعن والطاعون ، قلنا : يا رسول الله هذا الطعن قد عرفناه فما الطاعون ؟ قال : وخز أعدائكم وذراريكم من الجن ، وفي كل شهداء(٤) .

وخرج ابن عساكر من طريق هشام بن خالد الأزرق عن الحسن بن يحي، عن ابن ثوبان ، عن أبيه ، عن مكحول ، عن بشر بن مرة ، عن معاذ بن جبل،

---

(١) لم أجد لهذا الموضع ذكر فيما بين يديّ من معاجم البلدان .

(٢) البقرة : ١٤٧ .

(٣) الصافات: ١٠٢ ، وأخرجه الإمام أحمد في (المسند): ٢١٨/٥ - ٢١٩، حديث رقم (١٧٢٩٩)، من حديث شرحبيل بن حسنة عن النبي ﷺ .

(٤) (مسند أحمد) : ٥٣٧/٥ ، حديث رقم (١٩٠٣٤) ، من حديث أبي موسى الأشعريّ . وفي (الفتوح) لابن أعثم الكوفي : واشتدّ الطاعون بالشام ، وفشا الموت في الناس ، فقال عمرو بن العاص : أيها الناس ! إنّ هذا الوباء قد وقع فيكم ، إنما هو وخز من الجن فمن أقام به هوى ، ومن انحاز عنه نجا . (الفتوح) : ٣١٣/١ ، ذكر الطاعون الذي وقع بالشام ، ومن مات هنالك من المسلمين .

قال : قال رسول الله ﷺ : تنزلون منزلاً يقال له : الجاثية يصيبكم فيه ذباب مثل عدة الجمل يستشهد الله به أنفسكم ، ودراركم ، ويزكى أبدانكم .

وخرجه الطبراني إلا أنه قال : كما يستشهد الله به أنفسكم ودراركم ، ويزكى به أعمالكم .

وقال سيف بن عمر : قالوا : ووقع الطاعون بالشام ، ومصر ، والعراق ، واستقر في الشام ، ومات فيه الناس الذين هم في أهل الأمصار ، وفى المحرم ، وصفر ، يعني سنة سبع عشرة وارتفع عن الناس ، وكتبوا إلى عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - بإخلاء الشام ، قالوا : وكان ذلك الطاعون موتانا لم ير مثيله طمع له العدو في [الناس] وتخوفت له قلوب المسلمين [لما] كثر موته، وطال مكثه ، حتى [ما] تكلم في ذلك اثنان فاختلفوا ، فأمر معاذ بن جبل - رضي الله تبارك وتعالى عنه - بالصبر حتى ينجلي ، وأمر عمر بن عبسة بالتنحى ، ثم ذكر سيف كلامهم في ذلك .

وأما إنذاره ﷺ بفتن تموج كموج البحر وأنها تكون بعد قتل عمر بن الخطاب رضي الله تبارك وتعالى عنه

فخرج البخاريّ من حديث حفص بن غياث ، عن الأعمش ، عن شقيق سمعت حذيفة يقول : بينا نحن جلوس عند عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - إذ فقال : أيكم يحفظ قول النبي ﷺ في الفتنة؟ قال: فتنة الرجل في أهله ، وماله ، وولده ، وجاره ، يكفرها الصلاة ، والصدقة والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، قال : ليس عن هذا أسألك ، ولكن التى تموج كموج البحر ، فقال : ليس عليك منها يا أمير المؤمنين بأس ، إن بينك وبينها بابًا مغلقًا .

قال عمر : أيكسر الباب أم يفتح ؟ قال : بل يكسر ، قال عمر : إذن لا يغلق الباب أبدًا ، قلت : أجل ، قلت لحذيفة : أكان عمر يعلم الباب ؟ قال : نعم كما يعلم أن دون غدٍ ليلةٍ ، وذلك أني حدثته حديثًا ليس بالأغاليظ فهبنا أن نسأله من الباب ، فأمرنا مسروقًا فسأله ، فقال : من الباب ؟ قال عمر[1] .

وخرَّجه مسلم من حديث أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن شقيق ، عن حذيفة ، قال : كنا عند عمر ، فقال : أيكم يحفظ حديث رسول الله ﷺ في الفتنة كما قال ؟ قال : قلت : أنا ، قال : إنك لجريء ، وكيف قال ؟ قلت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : فتنة الرجل في أهله ، وماله ، ونفسه ، وولده وجاره ، يكفرها الصلاة ، والصيام ، والصدقة ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر فقال عمر : ليس هذا أريد إنما أريد ، التى تموج كموج البحر ، قال : فقلت :

---

(١) (فتح الباري) : ١٣/ ٦٠ ، كتاب الفتن ، باب (١٧) الفتنة التي تموج كموج البحر ، وقال ابن عيينة عن خلف بن حوشب : كانوا يستحبون أن يتمثلوا بهذه الأبيات عند الفتن ، قال امرؤ القيس :

الحرب أول ماتكون فتية ... تسعى بزينتها لكل جهول
حتى إذا اشتغلت وشب ضرامها ... ولت عجوزًا غير ذات حليل
شمطاء يُنكسر لونها وتغيرت ... مكروهة للشم والتقبيل

مالك ، ولها يا أمير المؤمنين ؟ إن بينك وبينها باباً مغلقاً ، قال : أفيكسر الباب ، أو يفتح ؟ قال : قلت : لا بل يكسر ، قال : ذلك أحرى أن لا يغلق أبدًا ، قال : فقلنا لحذيفة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - : هل كان عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - يعلم من الباب ؟ قال : نعم كما يعلم أن دون غد ليلة ، إني حدثته حديثًا ليس بالأغاليط قال : فهبنا أن نسأل حذيفة : من الباب ؟ فقلنا لمسروق : سله ، فسأله ، فقال : عمر[1] .

وخرَّجه من حديث وكيع ، وجرير ، وعيسى بن يونس ، ويحيى بن عيسى كلهم ، عن الأعمش ، بهذا الإسناد نحو حديث أبي معاوية ، وفي حديث عيسى ، عن الأعمش ، عن شقيق ، قال : سمعت حذيفة يقول[2] .

وخرَّجه من حديث سفيان ، عن جامع بن أبي راشد والأعمش ، عن أبي وائل ، عن حذيفة ، قال : قال عمر : من يحدثنا عن الفتنة ، واقتصَّ بنحو حديثهم[3] .

وخرَّجه البخاريّ في كتاب الصلاة ، وفي كتاب الزكاة ، وفي أول المناقب، وفي أبواب علاماتها النبوية .

وخرَّج الإمام أحمد[4] حديث أبي عوانة ، عن عاصم ، عن أبي وائل ، عن عزرة بن قيس ، عن خالد بن الوليد ، قال : كتب إليّ أمير المؤمنين حين ألقى الشام ، بوانية بثينة وعسلاً - وشك عفان ، مرة قال : حين ألقى الشام كذا وكذا - فأمرني أن أسير إلى الهنْد والهَند ، في أنفسنا يومئذ البصرة ، قال : وأنا لذلك كاره ، قال : فقام رجل فقال لي : يا أبا سليمان ، اتق الله فإن الفتن قد

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ١٧/٢٣٣ - ٢٣٤ ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب (٧) في الفتنة التي تموج كموج البحر ، حديث رقم (٢٦) .

(٢) (المرجع السابق) : حديث رقم (٢٧) .

(٣) (المرجع السابق) : الحديث الذي يلي الحديث السابق بدون رقم ، وأخرجه مسلم مطولاً في كتاب الإيمان ، باب (٦٥) بيان أن الإسلام بدا غريبًا وسيعود غريبًا وأنه ليزأر بين المسجدين ، حديث رقم (٢٣١) .

(٤) (مسند أحمد) : ٥/٥١ ، حديث رقم (١٦٣٧٩) من حديث زيد بن العوام .

ظهرت ، قال : فقال : وابن الخطاب حيّ؟! إنما تكون بعده ، والناس بـذى بليـان - أو بذي بليان - بمكان كذا وكذا ، فينظر الرجل فيتفكر ، هـل يجـد مكانـاً لـم ينزل به ما نزل بمكانه الذي هو فيه من الفتنة والشر ، فـلا يجـده ، قـال : وتلـك الأيام التي ذكر رسول اللــه ﷺ بيـن يـدى السـاعة أيـام الهـرج ، فنعـوذ باللـه أن تدركنا وإياكم تلك الأيام .

وأما إنذاره عثمان بن عفان
رضي الله تبارك وتعالى عنه
بالبلوى التى أصابته فقتل فيها

خرَّج البخاريّ[١] ومسلم[٢] من حديث سليمان بن بلال ، عن شريك بن أبي نمر ، عن سعيد بن المسيب قال : أخبرني أبو موسى الأشعريّ - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أنه توضأ في بيته ، ثم خرج ، فقلت : لألزمنَّ رسول الله ﷺ ولأكوننَّ معه يومي هذا ، قال : فجاء المسجد فسأل عن النبي ﷺ ، فقالوا : خرج ووجه هاهنا .

قال : فخرجت على إثره أسأل عنه حتى دخل بئر أريس ، قال : فجلست عند الباب - وبابها من جريد - حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته ، وتوضأ ، فقمت إليه فإذا هو قد جلس على بئر أريس وتوسط قفها ، وكشف عن ساقيه ، ودلاهما في البئر ، قال : فسلمت عليه ، ثم انصرفت ، فجلست عند الباب ، فقلت : لأكونن بواب رسول الله ﷺ اليوم ، فجاء أبو بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ، فدفع الباب ، فقلت : من هذا ؟ فقال : أبو بكر ، فقلت : على رسلك ، قال: فذهبت ، فقلت : يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن ، قال : ائذن له وبشره بالجنة .

قال : فأقبلت حتى قلت لأبى بكر : ادخل ورسول الله ﷺ يبشرك بالجنة ، قال : فدخل أبو بكر ، فجلس عن يمين رسول الله ﷺ في القف ، ودلى رجليه في البئر كما صنع رسول الله ﷺ ، وكشف عن ساقيه ، ثم رجعت فجلست ، وقد تركت أخي يتوضأ ويلحقني ، فقلت : إن يرد الله بفلان يريد أخاه خيرًا يأت

---

(١) (فتح الباري) : ٧/٢٥ ، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب (٥) قول النبي ﷺ : لو كنت متخذًا خليلاً ، حديث رقم (٣٦٧٤) . وأخرجه أيضًا في كتاب الأدب ، باب (١١٩) من نكت العود في الماء والطين ، حديث رقم (٦٢١٦) .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ١٥/١٨٠ - ١٨١ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب (٣) من فضائل عثمان بن عفان - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ، حديث رقم (٢٩) .

به ، فإذا إنسان يحرك الباب ، فقلت : من هذا ؟ فقال : عمر بن الخطاب فقلت : على رسلك ، ثم جئت إلى رسول الله ﷺ ، فسلمت عليه ، وقلت : هذا عمر يستأذن ، فقال : ائذن له وبشره بالجنة ، فجئت عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ، فقلت له ادخل ويبشرك رسول الله بالجنة ، قال : فدخل ، فجلس مع رسول الله ﷺ في القف عن يساره ، ودلى رجليه في البئر ، ثم رجعت فجلست، فقلت : إن يرد الله بفلان خيرًا يعنى أخاه يأت به ، فجاء إنسان فحرك الباب ، فقلت : من هذا ؟ فقال عثمان بن عفان ، فقلت : على رسلك ، قال : وجئت النبي ﷺ فأخبرته ، فقال : ائذن له وبشره بالجنة مع بلوى تصيبه .

وقال البخاريّ : على بلوى تصيبه ، قال : فجئت ، فقلت : ادخل ويبشرك رسول الله ﷺ بالجنة مع بلوى تصيبك ، قال : فدخل ، فوجد القفَّ قد ملئ ، فجلس ، وجاههم من الشقّ الآخر ، قال شريك : قال سعيد بن المسيب : فأولتها قبورهم[1] ، ذكره البخاريّ في مناقب أبي بكر -رضي الله تبارك وتعالى عنه-.

وخرَّجه مسلم[2] من حديث سليمان بن بلال ، قال : أخبرني شريك بن عبد الله بن أبي نمر قال : سمعت سعيد بن المسيب بنحوه أو قريب منه .

وخرَّجاه من حديث محمد بن جعفر بن أبي كثير ، عن شريك ، وخرجاه أيضاً من حديث عثمان بن غياث ، قال : حدثني أبو النهدي ، عن أبي موسى ، ومن حديث حماد ، عن أيوب ، عن أبي عثمان النهديّ[3] .

وخرَّجه الترمذيّ[4] من طريق حماد به ، وقال : هذا حديث صحيح ، وقد روى من غير وجه ، عن أبي عثمان النهديّ ، وقال الحافظ أبو القاسم بن

---

(١) هذه رواية مسلم ، والقفّ : حافة البئر . رقم (٢٩) .

(٢) (المرجع السابق) : الحديث الذي قبل الحديث رقم (٩) بدون رقم .

(٣) (المرجع السابق) : الحديث الذي قبل الحديث رقم (٢٩) بدون رقم .

(٤) (سنن الترمذيّ) : ٥/٥٨٩ - ٥٩٠ ، كتاب المناقب ، باب (١٩) ، مناقب عثمان بن عفان - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ، حديث رقم (٣٧١٠) ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وقد روى من غير وجه عن أبي عثمان النهديّ ، وفي الباب عن جابر وابن عمران - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - .

عساكر : والحديث محفوظ من مسند أبي موسى ، رواه عن صفية ، وسعيد بن المسيب ، وأبو عثمان النهديّ وابنه أبو بردة .

وخرَّجه البيهقيّ[1] من طريق عبد الأعلى بن أبي المساور، عن إبراهيم بن محمد بن حاطب ، عن عبد الرحمن بن بجير ، عن زيد بن أرقم قال : بعثني رسول الله ﷺ ، فقال : انطلق حتى تأتي أبا بكر، فتجده في داره جالسًا محتبيًا ، فقل : إن النبي ﷺ يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : أبشر بالجنة ، ثم انطلق حتى تأتي الثنية ، فتلقى عمر راكبًا على حمار تلوح صلعته ، فقل إن النبي ﷺ يقرأ عليك السلام ، ويقول : أبشر بالجنة ، ثم انصرفْ حتى تأتي عثمان فتجده في السوق ، وهو يبيع ويبتاع ، فقل : إن النبي يقرأ عليك السلام ، ويقول : أبشر بالجنة بعد بلاء شديد ، قال : فانطلقت حتى أتيت أبا بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فوجدته في داره جالسًا محتبيًا كما قال لي رسول الله ﷺ ، فقلت: إن نبي الله ﷺ يقرأ عليك السلام ، ويقول : أبشر بالجنة ، قال : فأين رسول الله ﷺ ؟ قلت : في مكان كذا وكذا قال : فقام ، فانطلق إليه ، قال : ثم أتيت الثنية ، فإذا عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - راكب على حمار[2] تلوح صلعته كما قال لي رسول الله ﷺ : فقلت : إن نبي الله يقرأ عليك السلام ويقول أبشر بالجنة ، قال : فأين رسول الله ﷺ ؟ فقلت : في مكان كذا وكذا ، فانطلق له قال : ثم أنطلقت إلى السوق فأجد عثمان - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فيها يبيع ويبتاع كما قال لي رسول الله ﷺ : فقلت : إن نبى الله يقرأ عليك السلام ويقول أبشر بالجنة بعد بلاء شديد ، قال : فأين رسول الله ﷺ : فقلت : في مكان كذا وكذا ، قال : فأخذ بيدي وأقبلنا جميعًا حتى أتينا رسول الله ﷺ ، فقال : يا نبيّ الله إن زيداً أتاني فقال : إن نبيّ الله يقرأ عليك السلام ويقول :

---

(١) (دلائل البيهقيّ) : ٦/٣٨٩ - ٣٩٠ ، باب ما جاء في إخبار النبي ﷺ بالبلوى التي أصابت عثمان بن عفان - رضي الله تبارك وتعالى عنه - والفتنة التي ظهرت في أيامه ، والعلامة التي دلت على قبره وقبر صاحبيه - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - .

(٢) كذا في (الأصل) ، وفي (دلائل البيهقيّ) : " على جمله " ، وما أثبتناه أجود للسياق ، وهو مطابق لصدر الحديث .

أبشر بالجنة بعد بلاء شديد ! وأي بـلاء يصيبني يا رسول الله ؟ والذي بعثك بالحق ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعتك ، فأيّ بلاء يصيبني ؟ فقال : هو ذاك .

قال البيهقيّ : عبد الأعلى[1] بن أبي المساور ضعيف في الحديث ، فإن كان حفظ هذا فيحتمل أن يكون النبي ﷺ بعث زيد بن أرقم وأبو موسى لم يعلمه فقعد على الباب ، فلما جاءوا راسلهم على لسان أبي موسى بمثل ذلك .

قال المؤلف - رحمه الله وعفى عنه - قد خرّج ابن عساكر حديث البئر من طريق بكر بن المختار ومن طريق عبد الأعلى عن أبي المساور وكلاهما عن المختار بن فلفل ، عن أنس بن مالك - رضي الله تبارك وتعالى عنه - .

ومن طريق المبارك بن فلفل أخي المختار عن أنس ، ومن طريق أبي معاوية ، عن عمرو بن سلمة ، عن أبي حازم ، عن أنس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - .

وخرّج معناه من حديث إسماعيل بن قيس ، عن أبيه قيس بن زيد بن ثابت ، ومن حديث زيد بن أبي أنيسة ، عن محمد بن عبد الله ، عن المطلب ، عن أبي هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - .

وخرّج البيهقيّ[2] من من حديث يحيى بن سعيد القطان ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن أبي سهلة مولى عثمان بن عفان ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - أن رسول الله ﷺ قال : ادع لي أو ليت عندي رجلٌ من أصحابي ، قالت : قلت : أبو بكر ؟ قال : لا ، قالت :

---

(١) عبد الأعلى بن أبي المساور ، قال البخاريّ : منكر الحديث ، وقال يحيى بن معين وأبو داود : ليس بشيء ، وقال النسائي : متروك ، وقال الدارقطنيّ : متروك ، وذكره العقيلي في (الضعفاء الكبير) ، وابن حبان في (المجروحين) وقال : كان ممن يروي عن الأثبات مالا يشبه حديث الثقات حتى إذا سمعها المبتديء في هذه الصناعة علم أنها معمولة . وهو الذي روي عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : من أتى منكم الجمعة فليغتسل فإنه كفارة من الجمعة إلى الجمعة .

(٢) (المرجع السابق) : ٣٩١ .

قلت: عمر ؟ قال : لا ، قلت : ابن عمك علي ؟ قال : لا ، قلت : فعثمان ؟ قال: نعم ، قال : فجاء عثمان - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فقال : قومي ، قال: فجعل النبي ﷺ يسر إلى عثمان ولون عثمان يتغير ، فلما كان يوم الدار[١] قلنا : ألا تقاتل ؟ قال : لا ، إن رسول الله ﷺ عهد إليّ أمرًا فأنا صابر نفسي عليه[٢].

وخرّجه الترمذيّ من حديث يحيى بن سعيد ، عن إسماعيل بن خالد ، عن قيس [بن أبي حازم] حدثني أبو سهلة قال : قال عثمان يوم الدار : إن رسول الله ﷺ قد عهد إليّ عهدًا فأنا صابر عليه . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث إسماعيل بن أبي خالد[٣] .

وللبيهقي من حديث إسماعيل بن جعفر ، عن عمرو بن أبي عمر مولى المطلب[٤] ، عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ " لا تقوم الساعة حتى تقتلوا إمامكم وتجتلدوا بأسيافكم ويرث دنياكم شراركم "[٥] .

وقد خرّجه أبو عيسى من حديث عبد العزيز بن محمد ، عن عمرو بن أبي عمرو ، عن عبد الله وهو ابن عبد الرحمن الأنصاري الأشهليّ ، عن حذيفة بن اليمان أن رسول الله ﷺ بمثله ، قال أبوعيسى : هذا حديث حسن إنما نعرفه من حديث عمرو بن أبي عمرو[٦] .

---

(١) الدار التي حُصر فيها عثمان - رضي الله تبارك وتعالى عنه - .

(٢) وأخرجه الإمام أحمد في (المسند) ، حديث رقم (٤٠٩) ، من مسند عثمان بن عفان - رضي الله تبارك وتعالى عنه - وقال قيس : فكانوا يرونه ذلك اليوم أي يوم الدار .

(٣) (سنن الترمذيّ) : ٥/٥٩٠ ، كتاب المناقب ، باب (١٩) من مناقب عثمان بن عفان - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ، حديث رقم (٣٧١١) . وأخرجه ابن ماجه في المقدمة ، حديث رقم (١١٣) .

(٤) في (دلائل البيهقيّ) : " عبد المطلب - هكذا قال أبو داود - عن حذيفة " .

(٥) (دلائل البيهقيّ) : ٦/٣١٩ .

(٦) (سنن الترمذيّ) : ٤/٤٠٧ ، كتاب الفتن ، باب (٩) ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حديث رقم (٢١٧٠) . وأخرجه ابن ماجه في (السنن) : ٢/١٣٤٢ ، كتاب الفتن ، =

وخرج البيهقيّ من طريق عبد الله بن الحكم [المصري] وشعيب بن الليث ، قالا : حدثنا الليث ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن ربيعة بن لقيط التجيبيّ ، عن عبد الله بن حوالة [الأسديّ] ، عن رسول الله ﷺ قال : من نجا من ثلاث فقد نجا ، قالوا : ماذا يا رسول الله ؟ قال : موتى ، وقتل خليفة مصطبر بالحق يعطيه ، ومن الدجال[١] .

وخرّج الترمذيّ من طريق حجين بن المثنى ، عن الليث بن سعد ، عن معاوية بن صالح ، عن ربيعة بن يزيد ، عن عبد الملك بن عامر ، عن النعمان بن بشير ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - أن النبي ﷺ قال : يا عثمان إنه لعل الله يُقمّصك قميصًا ، فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم . قال : وفي الحديث قصة طويلة . قال : هذا حديث حسن غريب[٢] .

وخرّجه البيهقيّ من حديث عبد الله بن صالح قال : حدثني الليث قال : حدثني خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن ربيعة بن سيف أنه حدثه أنه جلس يومًا مع شُفيّ الأصبحي فقال : سمعت عبد الله بن عمرو - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : سيكون فيكم اثنا عشر خليفة :

أبو بكر الصديق لا يلبث خلفي[٣] إلا قليلاً ، وصاحب رحى دار العرب يعيش حميدًا ويموت شهيدًا ، فقال رجل : يا رسول الله ! ومن هو ؟ قال : عمر بن الخطاب ، ثم التفت إلى عثمان فقال : وأنت يسألك الناس أن تخلع

= باب (٢٥) أشراط الساعة ، حديث رقم (٤٠٤٣) ، وأخرجه الإمام أحمد في (المسند) : ٥٣٧/٦ ، حديث رقم (٢٢٧٩١) ، من حديث حذيفة بن اليمان .

(١) (سنن البيهقيّ) : ٣٩٢/٦ .

(٢) (سنن الترمذيّ) : ٥٨٧/٥ ، كتاب المناقب ، باب (١٩) في مناقب عثمان بن عفان - رضي الله تبارك وتعالى عنه - حديث رقم (٣٧٠٥) .

(٣) في (الأصل) : " بعدي " وما أثبتناه من (دلائل البيهقيّ) .

قميصًا كساكه الله - عز وجل - والذي بعثني بالحق لئن خلعته لا تدخل الجنة حتى يلج الجمل في سمّ الخياط[1] .

وخرَّجه الطبراني من طريق بقية عن صفوان بن عمرو بن يزيد عن النعمان بن بشير قال : حججت فأتيت عائشة -رضي الله تبارك وتعالى عنها- فقالت : من أنت فقلت أنا النعمان فقالت ابن بشير ؟ فقلت : نعم فقال : إن رسول الله ﷺ قال يومًا لعثمان : إن كساك الله ثوباً فأرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه . قال النعمان : فقلت : غفرالله لك يا أم المؤمنين ألا ذكرت هذا حين جعلوا يختلفون إليك ؟ فقالت فقلت : أنسيته حتى بلغ الله فيه أمره .

وخرَّجه الإمام أحمد من طريق الوليد بن سليمان قال : حدثني ربيعة بن يزيد عن عبد الله بن عامر ، عن النعمان بن بشير ، عن عائشة قالت : أرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان بن عفان فأقبل عليه رسول الله ﷺ فلما رأينا رسول الله أقبلت إحدانا على الأخرى فكان من آخر كلام كلمه ، أن ضرب منكبه وقال: يا عثمان إن الله - عز وجل - عسى أن يلبسك قميصًا فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني ثلاثًا فقلت لها : يا أم المؤمنين فأين كان هذا عنك ؟ قالت : أنسيته والله فما ذكرته ، قال فأخبرته معاوية بن أبي سفيان فلم يرض بما أخبرته حتى كتب إلى أم المؤمنين ، أن اكتبى إليّ به ، فكتبت به إليه كتابًا[2] .

قال المؤلف - رحمه الله - ورواه فرج بن فضالة عن محمد بن الوليد الزبيدى ، عن الزهريّ ، عن عروة عن عائشة .

---

(١) (دلائل البيهقيّ) : ٣٩٢/٦ - ٣٩٣ ، وسمّ الخياط : خرق الإبرة ، وهو كناية على الاستحالة، اقتباسًا من قوله - تعالى - : ﴿ **إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سمّ الخياط وكذلك نجزى المجرمين** ﴾ [الأعراف:٤٠].

(٢) (مسند أحمد) : ١٢٦/٧ - ١٢٧ ، حديث رقم (٢٤٠٤٥) ، من حديث السيدة عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - .

ورواه محمد بن عبد الأعلى بن كناسة الأسدي أبو يحيى ، عن إسحاق بن سعيد ، عن عمرو بن سعيد بن العاص ، عن ابنه قال : بلغني أن عائشة قالت : ورواه عبد الرحمن بن أبي الزناد ، وحماد بن سلمة كلاهما عن هشام بن عروة ، عن ابنه ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - .

ورواه يحيى بن سعيد عن إسماعيل ، عن قيس ، عن أبي سلمة ، عن عائشة .

ورواه أبو معاوية محمد بن حازم الضرير ، عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم ، عن أبي سهلة ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - .

ورواه سفيان بن عيينة وزيد بن أبي أنية ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، فجعله من مسند عثمان .

وخرّج الإمام أحمد[1] من حديث أرطأة بن المنذر ، أخبرني أبو عون الأنصاري أن عثمان بن عفان قال لابن مسعود : هل أنت منته عما بلغني عنك؟ فاعتذر إليه بعض العذر ، فقال عثمان : ويحك ! إني قد سمعت وحفظت وليس كما سمعت أن رسول الله ﷺ قال : إنه سيقتل أمير وينتزى منتزٍ وإني أنا المقتول ، وليس عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - إنما قتل عمر واحدٌ وإنه يجتمع عليّ .

وقال موسى بن عقبة[2]: حدثني جدى أبو أمي أبو حبيبة أنه دخل الدار وعثمان - رضي الله تبارك وتعالى عنه - محصور فيها ، وأنه سمع أبا هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - يستأذن عثمان - رضي الله تبارك وتعالى عنه- في الكلام ، فأذن له ، فقام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنكم ستلقون بعدي فتنة ، واختلافًا ، أو قال : اختلافًا وفتنة ، فقال قائل من الناس : فمن لنا يا رسول الله ؟ أو ما تأمرنا به ؟ قال :

---

(١) (مسند أحمد) : ١٠٧/١ ، حديث رقم (٤٨١) ، من مسند عثمان بن عفان - رضي الله تبارك وتعالى عنه - .

(٢) (دلائل البيهقيّ) : ٣٩٣/٦ .

عليكم بالأمين ، وأصحابه ، وهو يشير إلى عثمان – رضي الله تبارك وتعالى عنه – بذلك .

وقال يعقوب بن سفيان عن عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن منصور عن ربعيّ بن خراش عن البراء بن ناجية الكاهليّ ، عن ابن مسعود – رضي الله تبارك وتعالى عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : تدور رحى الإسلام عند رأس خمس ، أو ست وثلاثين ، أو سبع وثلاثين ، فإن يهلكوا فسبيل من هلك ، وإلا تروحى عنهم سبعين سنة ، فقال عمر – رضي الله تبارك وتعالى عنه – : أمن هذا ؟ أو من مستقبله ؟ قال : من مستقبله . قال البيهقيّ : تابعه الأعمش ، وسفيان الثوريّ ، عن منصور[1] .

وخرَّج الحاكم من حديث قبيصة بن عقبة قال : حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن ربعيّ ، عن البراء بن ناجية ، عن عبد الله بن مسعود – رضي الله تبارك وتعالى عنه – قال : تدور رحى الإسلام على خمس وثلاثين ، أو ست وثلاثين ، فإن يهلكوا فسبيل من هلك ، وإن بقى لهم دينهم سبعين عامًا ، فقال عمر : يا رسول الله بما بقى ؟ أو بما مضى ؟ قال : بما بقى ، قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد [ولم يخرجاه][2] .

وخرَّجه ابن حبان في (صحيحه) من حديث مسدد ، عن يزيد بن مروان ، عن العوام بن حوشب ، عن سليمان بن أبي عبلة ، عن القاسم بن عبد الرجمن ، عن أبيه ، عن عبد الله بن مسعود ، عن النبي ﷺ قال : تدور رحى

---

(١) (دلائل البيهقيّ) : ٦/٣٩٣ – ٣٩٤ .

(٢) (المستدرك) ٣/١٢٣ ، كتاب معرفة الصحابة ، حديث رقم (٤٥٩٣) . وأخرجه الحاكم أيضًا في (المستدرك) : ٤/٥٦٦ ، كتاب الفتن والملاحم ، حديث رقم (٨٥٨٩) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، حديث إسناده خارج عن الكتب الثلاث ، أخرجته تعجبًا إذ هو قريب مما نحن فيه . وقال الحافظ الذهبيّ في (التلخيص) : صحيح .

الإسلام على خمس وثلاثين ، أو ست وثلاثين ، فإن هلكوا فسبيل من هلك ، وإن بقوا بقى لهم دينهم سبعين سنة[1] .

---

(١) (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان) : ٤٦/١٥ ، كتاب التاريخ ، باب (١٠) إخباره ﷺ عما يكون في أمته من الفتن والحوادث ، ذكر خبر شنع به بعض المعطلة وأهل البدع على أصحاب الحديث حيث حرموا توفيق الإصابة لمعناه ، حديث رقم (٦٦٦٤) وقال : في هامشه : إسناده صحيح ، رجاله ثقات رجال الصحيح . سليمان بن أبي سليمان : هو أبو اسحاق الشيبانيّ، والقاسم بن عبد الرحمن : هو القاسم بن عبد الله بن مسعود الهذليّ .

ثم قال بعقب هذا الحديث : هذا خبر شنع به أهل البدع على أئمتنا ، وزعموا أن أصحاب الحديث حشوية ، يروون ما يدفعه العيان والحسّ ، ويصححونه ، فإن سُئلوا عن وصف ذلك قالوا : نؤمن به ولا نفسّره .

ولسنا بحمد الله ومنّه مما رُمينا في شيء ، بل نقول : إن المصطفى ﷺ ما خاطب أمته قط بشيء لم يعْقَل عنه ، ولا في سننه شيء لا يُعلم معناه ، ومن زعم أن السنن إذا صحت يجب أن تروى ويُؤمن بها من غير أن تفسّر ويعقل معناها ، فقد قدح في الرسالة ، اللهم إلا أن تكون في السنن الأخبار التي فيها صفات الله جلّ وعلا ، التي يقع فيها التكييف ، بل على الناس الإيمان بها .

ومعنى هذا الخبر عندنا مما نقول في كتبنا : إن العرب تطلق اسم الشيء بالكلية على بعض أجزائه ، وتطلق العرب في لغتها اسم النهاية على بدايتها ، واسم البداية على نهايتها ، أراد ﷺ بقوله : تدور رَحَى الإسلام على خمس وثلاثين ، أو ست وثلاثين ، زوال الأمر عن بني هاشم إلى بني أمية ، لأن الحكمين كان في آخر سنة ست وثلاثين ، فلما تلعثم الأمر على بني هاشم وشاركهم فيه بنو أمية ، أطلق ﷺ اسم نهاية أمرهم على بدايته ، وقد ذكرنا استخلافهم واحدًا واحدًا إلى أن مات عمر بن عبد العزيز سنة إحدى ومئة ، وبايع الناس في ذلك يزيد بن عبد الملك ، وتوفى يزيد بن عبد الملك ببلقاء من أرض الشام [وهي اليوم إحدى محافظات المملكة الأردنية الهاشمية] يوم الجمعة لخمس ليالٍ بقين من شعبان سنة خمس ومائة ، وبايع الناس هشام بن عبد الملك أخاه في ذلك اليوم ، فولّى هشامٌ خالد بن عبد الله القسريّ العراق ، وعزل عمر بن هبيرة في أول سنة ست ومائة ، وظهرت الدعاة بخراسان لبني العباس ، وبايعوا سليمان بن كثير الخزاعي الداعي إلى بني هاشم ، فخرج في سنة ست ومائة إلى مكة، وبايعه =

قال البيهقيّ : وبلغنـي أن في هذا إشارة إلى الفتنة التى كان فيها قتل عثمان سنة خمس وثلاثين ، ثم إلى الفتن التى كانت في أيام على - رضـي اللـه تبارك وتعالى عنه - وأراد بالسبعين - والله أعلم - ملك بنى أمية ، فإنه بقى ما بين أن استقر لهم الملك إلى أن ظهرت الدعـاة بخـرسان ، وضعُف أمـر بنـى أمية ، ودخل الوهن فيه نحوًا من سبعين سنة[1] .

وخرَّج البيهقيّ من حديث ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيـب ، عـن ابـن شماسة أن رجلاً حدثه ، عن عبد الرحمن بن عُديس[2] أنه قال : سـمعت رسـول الله ﷺ يقول : يخرج أنـاس يمرقـون مـن الديـن كمـا يمـرق السـهم مـن الرميـة يقتلون في جبل لبان ، أو الجليل ، أو جبل لبنان[3] .

وخرَّجه ابن يونس من حديث ابـن لهيعـة ، عـن عياش بـن عيـاش ، عـن الهيثم بن شفيّ ، عن عبد الرحمن بن عديس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقـول: يخرج ناس من أمتي يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية يقتلـون فـي جبل لبنان والخليل[4] .

ومن حديث ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب أن معاوية بن أبي سفيان - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أخذ ابن عديس في زمن أهل مصر ، فجعلـه في يعلبك ، فهرب منه ، فطلب سفيان بن مجيب فأدركه رجل رامٍ مـن قريـش ،

= الناس لبني هاشم ، فكان ذلك تلعثم أمور بني أمية ، حيث شاركهم فيه بنو هاشم ، فأطلق اسم نهاية أمرهم على بدايته ، وقال : وإن بقوا بقى لهم دينهم سبعين سنة ، يريد على ماكانوا عليه . (الاحسان) : ١٥/٤٧-٤٩ .

(١) (دلائل البيهقيّ) : ٦/٣٩٤ .

(٢) عبد الرحمن بن عديس بن عمرو بن كلاب البلويّ ، صحب النبي ﷺ وسمع منه ، وشهد فتح مصر ، وكان فيمن سار إلى عثمان .

(٣) أخرجه يعقوب بن سفيان ، والبغوى ، وابن منده ، وابن السكن ، وغيرهم ، وهو في (كنز العمال) رقم (٣١٢٤٣) وعزاه إلى ابن منده والطبرانيّ والبيهقيّ وابن عساكر عن عبد الرحمن بن عديس .

(٤) راجع التعليق السابق .

فأشار إليه بنُشابة ، فقال ابن عديس : أنشدك الله في دمي ، فإني ممن بايع تحت الشجرة ، فقال : إن الشجر كثير في الجبل ، أو قال : الجليل فقتله ، قال ابن لهيعة : كان عبد الرحمن بن عديس البلويّ سار بأهل مصر إلى عثمان - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فقتلوه ، ثم قتل ابن عديس بعد ذلك[1] [بعام أو اثنين بجبل لبنان أو بالجليل][2] .

قال البيهقيّ : ورواه عثمان بن صالح ، عن ابن لهيعة ، عن عياش بن عياش ، عن أبي الحصين ، عن عبد الرحمن بن عديس بمعنى الحديث المرفوع ثَمَّ في قتله ، ورواه عمرو بن الحارث ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن عبد الرحمن بمعنى الحديث المرفوع[3] .

قال البيهقيّ : وبلغني عن محمد بن يحيى الذُّهلي أنه قال : عبد الرحمن البلويّ هو رأس الفتنة لا يحل أن يُحَدَّث عنه بشيء ، وبلغنى عن أبي حامد بن الشرقى أنه قال : حدثونا أن عبد الرحمن البلويّ هذا خطب حين حُصر عثمان ، فقال ابن مسعود يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : عثمان أضلُّ عيبة بفلاةٍ عليها قفل ضل مفتاحها ، فبلغ ذلك عثمان فقال : كذب البلويّ ما سمعها من عبد الله بن مسعود ، ولا سمعها من رسول الله ﷺ[4].

قال المؤلف - رحمه الله - : قد روى الشاميون عدة أحاديث في مقتل عثمان - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أورد منها الحافظ أبو القاسم بن عساكر جملة في تاريخ دمشق ، ولما كلم على عثمان - رضي الله تبارك وتعالى عنه - عندما بدأ الناس يعينونه ، كان مما قاله لعثمان : وإنى أحذرك أن تكون إمام هذه الأمة المقتول ، فإنه كان يقال : يقتل في هذه الأمة إمام يفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة .

---

(١) (دلائل البيهقيّ) : ٣٩٤/٦ - ٣٩٥ .

(٢) زيادة للسياق من المرجع السابق .

(٣) (دلائل البيهقيّ) : ٣٩٥/٦ .

(٤) (دلائل البيهقيّ) : ٣٩٥/٦ .

وقال عبد الله بن محمد بن عقيل : قتل عثمان - رضي الله تبارك وتعالى عنه - سنة خمس وثلاثين ، فكانت الفتنة خمس سنين منها أربعة أشهر للحسن - رضي الله تبارك وتعالى عنه - . قاله الإمام أحمد في (المسند)[١] .

وأما إنذاره ﷺ بأقوام يؤخرون الصلاة

فخرّج مسلم[٢] عن حماد بن زيد ، عن أبي عمران الجونيّ ، عن عبد الله بن الصامت ، عن أبي ذر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : قال لي رسول الله ﷺ : كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها ، أو يميتون الصلاة عن وقتها ؟ قال : قلت : فما تأمرني ؟ قال : صلّ الصلاة لوقتها ، فإن أدركتها معهم فصلِّ ، فإنها لك نافلة .

وخرّج مسلم[٣] والترمذيّ[٤] من حديث جعفر بن سليمان ، عن أبي عمران الجوني ، عن عبد الله بن الصامت ، عن أبي ذر قال : قال لي رسول

---

(١) (مسند أحمد) : ١/١١٩ ، حديث رقم (٥٥١) من مسند عثمان بن عفان - رضي الله تبارك وتعالى عنه - .

(٢) (مسلم بشرح النوويّ) : ٥/١٥٢ - ١٥٣ ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب (٤١) كراهية تأخير الصلاة عن وقتها المختار ، وما يفعله المأموم إذا أخرها الإمام ، حديث رقم (٢٣٨) .

(٣) (المرجع السابق) : حديث رقم (٢٣٩) .

(٤) (سنن الترمذيّ) : ١/٣٣٢ - ٣٣٣ ، أبواب الصلاة ، باب (١٢٩) ما جاء في تعجيل الصلاة إذا أخرها الإمام ، حديث رقم (١٧٦) .

قال الإمام النووي في (شرح مسلم) : معنى يميتون الصلاة : يؤخرنها فيجعلونها كالميت الذي خرجت روحه ، والمراد بتأخيرها عن وقتها ، أي وقتها المختار ، لا عن جميع وقتها ، فإن المنقول عن الأمراء المتقدمين والمتأخرين إنما هو تأخيرها عن وقتها المختار ، ولم يؤخرها أحد منهم عن جميع وقتها ، فوجب حمل هذه الأخبار على ما هو الواقع .

وقال الحافظ في (الفتح) : قال المهلب : المراد بتضييعها تأخيرها عن وقتها المستحب ، لا أنهم أخرجوها عن الوقت . كذا قال : وتبعه جماعة ، وهو مخالف للواقع ، فقد صح أن =

الله ﷺ : يا أبا ذر إنه سيكون بعدي أمراء يميتون الصلاة ، فصلِّ الصلاة لوقتها ، فإن صليت لوقتها كانت لك نافلة وإلا كنت قد أحرزت صلاتك .

وخرَّج مسلم[1] والنسائي[2] من حديث يحيى بن حبيب الحارثي ، حدثنا خالد بن الحارث قال : حدثنا شعبة ، عن بديل قال : سمعت أبا العالية يحدث عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ وضرب فخذي: كيف أنت إذا بقيت في قوم يؤخرون الصلاة عن وقتها ؟ قال : فما تأمر؟ قال : صلِّ الصلاة لوقتها ، ثم اذهب لحاجتك ، فإن أقيمت الصلاة وأنت في المسجد ، فصل .

= الحجاج وأميره الوليد وغيرهما ، كانوا يؤخرون الصلاة عن وقتها ، والآثار في ذلك مشهورة ، منها: ما رواه عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء قال : أخر الوليد الجمعة حتى أمسى ، فجئت فصليت الظهر قبل أن أجلس ، ثم صليت العصر وأنا جالس إيماء وهو يخطب . وإنما فعل ذلك عطاء خوفًا على نفسه من القتل .

ومنها ما رواه أبو نعيم – شيخ البخاريّ – في كتاب الصلاة من طريق أبي بكر بن عتبة ، قال : صليت إلى جنب أبي جحيفة ، فمسي الحجاج بالصلاة ، فقام أبو جحيفة فصلى .

ومن طريق ابن عمر : أنه كان يصلي مع الحجاج ، فلما أخر الصلاة ترك أن يشهدها معه ، فنظرت إلى سعيد بن جبير وعطاء يومئان إيماءً وهما قاعدان .

قال أبو عيسى : وفي الباب عن عبد الله بن مسعود ، وعبادة بن الصامت ، قال : وحديث أبي ذر حديث حسن [بل هو حديث صحيح ، رواه مسلم ، وأبو داود ، والدارميّ ، ونسبه إلى المنذريّ أيضًا وابن ماجة] .

قال أبو عيسى : وهو قول غير واحد من أهل العلم : يستحبون أن يصلي الرجل الصلاة لميقاتها إذا أخرها الإمام ، ثم يصلي مع الإمام ، والصلاة الأولى المكتوبة عند أكثر أهل العلم . وأبو عمران الجونيّ اسمه : عبد الملك بن حبيب .

(١) (مسلم بشرح النووي) : ١٥٥/٥ ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب (٤١) كراهية تأخير الصلاة عن وقتها المختار ، وما يفعله المأموم إذا أخرها ، حديث رقم (٢٤١) .

(٢) (سنن النسائي) : ٤٠٩/٢ – ٤١٠ ، كتاب الإمامة ، باب (٢) الصلاة مع أئمة الجور ، حديث رقم (٧٧٧) .

وخرَّجاه[١] من حديث إسماعيل بن إبراهيم ، عن أيوب عن أبي العالية البراء قال: أَخرَّ ابن زياد الصلاة ، فجاءني عبد الله بن الصامت ، فألقيت له كرسيًا ، فجلس عليه ، فذكرت له صنيع ابن زياد ، فعض على شفته وضرب على فخذي وقال : إني سألت أبا ذرّ كما سألتني فضرب فخذي كما ضربت فخذك ، وقال : إني سألت رسول الله ﷺ كما سألتني ، فضرب فخذي كما ضربت فخذك ، وقال : صلِّ الصلاة لوقتها فإن أدركتك الصلاة معهم فصلِّ ولا تقل : إني قد صليت ، فلا أصلي .

وخرَّجاه[٢] من حديث خالد بن الحارث قال : عن شعبة ، عن أبي نعامة ، عن عبد الله بن الصامت ، عن أبي ذر قال : كيف أنتم ؟ أو قال : كيف أنت إذا بقيت في قوم يؤخرون الصلاة عن وقتها ؟ فصلّ الصلاة لوقتها ، ثم إن أقيمت الصلاة فصلِّ معهم فإنها زيادة خير .

وخرَّج مسلم[٣] من طريق مطر ، عن أبي العالية البراء قال : قلت لعبد الله بن الصامت : نصلي يوم الجمعة خلف أمراء ، فيؤخرون الصلاة ، قال : فضرب فخذي ضربة أوجعتني وقال : سألت أبا ذر عن ذلك ، فضرب فخذي ، وقال : سألت رسول الله ﷺ عن ذلك ، فقال : صلوا الصلاة لوقتها ، واجعلوا صلاتكم معهم نافلة .

ولابن الجارود من حديث أبي بكر بن عياش ، عن عاصم ، عن زرّ بن حبيش ، عن عبد الله بن مسعود - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : كان رسول الله ﷺ يقول : لعلكم تدركون أقوامًا يصلون الصلاة لغير وقتها ، فإن أدركتموهم ، فصلوا في بيوتكم الوقت الذي تعرفون ، ثم صلوا معهم ، واجعلوها تسبيح .

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : حديث رقم (٢٤٢) ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : حديث رقم (٢٤٣) ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة .

(٣) (مسلم بشرح النووي) : حديث رقم (٢٤٤) ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ثم قال بعقبة : قال : وقال عبد الله : ذكر لي أن نبي الله ﷺ ضرب فخذ أبي ذر .

وقال ابن عبد البر : وقد روى الخبر عن النبي ﷺ عبادة بن الصامت ، وعامر بن ربيعة ، وقبيصة بن وقاص ، ومعاذ بن جبل ، كما رواه أبو ذر ، وابن مسعود - رضي الله تبارك وتعالى عنهم - وهي آثار صحاح كلها ثابتة .

خرَّج البيهقيّ من طريق عبد الله بن عثمان بن خيثم ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن ابن مسعود ، قال : قال رسول الله ﷺ : إنه سيلي أمركم قوم يطفئون السنة ، ويحدثون البدعة ، ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها . قال ابن مسعود : فكيف أصنع يا رسول الله إن أدركتهم ؟ قال : يا ابن أم عبد لا طاعة لمن عصى الله ، قالها ثلاثًا[1] .

ومن طريق ابن خثيم ، عن القاسم بن عبد الرحمن أن أباه أخبره أن الوليد بن عقبة أخر الصلاة بالكوفة وأنا جالس مع أبي في المسجد ، فقام عبد الله بن مسعود ، فثوب بالصلاة ، فصلى بالناس ، فأرسل الوليد إليه : ما حملك على ما صنعت ، أجاءك من أمير المؤمنين أمر ؟ فسمع وطاعة ، أم ابتدعت الذي صنعت ؟ قال : لم يأتنا من أمير المؤمنين أمر ، ومعاذ الله أن أكون ابتدعت أَبَى الله علينا ورسوله أن ننتظرك في صلاتنا ونتّبع حاجتك[2] .

وروى ابن يونس من طريق عيسى بن حماد ، عن ابن وهب ، عن عمرو بن مالك ، وحيوة بن شريح ، عن ابن الهاد ، قال : خرجت أنا وربيعة بن أبي عبد الرحمن ، وعبد الرحمن بن القاسم ، فقال ربيعة : سأل رجل القاسم بن محمد وأنا وعبد الرحمن معه ، وذلك في إمرة ابن حبان ، وكان ابن حبان يؤخر الصلاة ، وكان الناس يومئذ لا يصلون الصلاة معهم حتى يذهب وقتها ، فقال له رجل : يا أبا محمد صليت قبله ؟ - يعني ابن حبان - قال : نعم ، قال : وتصلي معهم أيضًا ؟ قال : نعم ، قال: تصلي مرتين ؟ فقال القاسم: نعم أصلي مرتين أحب إليَّ من أن لا أصلي .

---

(١) (دلائل البيهقيّ) : ٦/٣٩٦ ، باب ما جاء في في إخباره ﷺ عبد الله بن مسعود وغيره بأنهم يدركون أقوامًا يصلون الصلاة لغير وقتها ، وما ظهر من صدقة فيما قال . وأخرجه ابن ماجة في كتاب الجهاد ، باب (٤٠) لا طاعة في معصية الله ، حديث رقم (٢٨٦٥) .

(٢) (المرجع السابق) : ٣٩٧ .

وقال عيسى بن حماد : قلت لعبد الله بن وهب : فما كان يمنعهم أن يصلوا في منازلهم ، ولا يحضروا معهم ؟ قال : لم يكن يمكنهم ذلك ، كان من تخلف عنهم عوقب أشد العقوبة .

قال ابن وهب : حدثني الحارث بن نبهان ، عن سليمان بن عمرو عن محمد بن إسماعيل قال : كنت بين عطاء، وسعيد بن جبير ، والحجاج بن يوسف يخطب ، وقد أخر الصلاة حتى كادت تفوت ، قال : فرأيت عطاء ، وسعيد بن جبير يصليان إيماءً .

وذكر ابن عبد البر من حديث حفص بن غياث ، عن عقبة بن معتب ، قال : كنا نصلى مع الحجاج الجمعة ، ثم ننصرف فنبادر مسجد سماك نصلى العصر .

وعن ابن جريح ، عن عطاء قال : أخَّر الوليد مرة الجمعة حتى أمسى ، قال : فصلينا الظهر قبل أن أجلس ، ثم صليت العصر وأنا جالس وهو يخطب ، قال أضع يدى على ركبتى ، وأومى إيماءً برأسي .

وعن الثوري ، عن محمد بن إسماعيل قال : رأيت سعيد بن جبير ، وعطاء بن أبي رباح ، أخر الوليد بن عبد الملك الصلاة ، فرأيتهما يومئان إيماءً وهما قاعدان .

وعن الثوري ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق وأبى عبيدة أنهما كانا يصليان الظهر إذا حانت الظهر ، وإذا حانت العصر صليا العصر في المسجد مكانهما ، وكان ابن زياد يؤخر الظهر والعصر .

وعن إسرائيل ، عن عامر بن شقيق ، عن شقيق قال : كان يأمرنا أن نصلي الجمعة في بيوتنا ، ثم نأتي المسجد وذلك أن الحجاج كان يؤخر الصلاة .

وقال أبو زرعة عن أبي مسهر ، عن سعيد بن عبد العزيز قال : كانوا يؤخرون الصلاة في أيام الوليد بن عبد الملك ، ويستحلفون الناس أنهم ما صلوا، فأتى عبد الله بن أبي زكريا ، فاستحلف أنه ما صلى ، وقد كان صلى ، وأتى مكحول ، فقال : فلما جئنا إذن ؟ فترك .

قال ابن عبد البر : وكانت ملوك بنى أمية على تأخير الصلاة ، كان ذلك شأنهم قديماً من زمن عثمان - رضي الله تبارك وتعالى عنه - وقد كان الوليد

ابن عقبة يؤخرها في زمن عثمان ، وكان ابن مسعود - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ينكر ذلك عليه ، ومن أجل ذلك حدث ابن مسعود بالحديث في ذلك ، وكانت وفاة ابن مسعود في خلافة عثمان ، قال : وإنما صلىّ من صلىّ إيماءً وقاعدًا لخوف خروج الوقت ، وللخوف على نفسه القتل والضرب ، ومن كان شأنه التأخير لم يؤمن عليه فوات الوقت من المدينة والشام إلا على إنكاره عليهم تأخير الصلاة ، ولا يصح عندي إخراجه من المدينة ذلك ، وإنما حمل العلماء - والله أعلم - الصلاة معهم أمره ﷺ بذلك ، وحضه على لزوم الجماعة ، وفي قول رسول الله ﷺ لأبي ذر : كيف بك يا أبا ذر إذا كان عليك أمراء ؟ ويقوله لكبار الصحابة الذين رووا الحديث : يكون عليكم أمراء يؤخرون الصلاة ، دليل على تأخير الصلاة عن وقتها ، وقد كان قبل زمن الوليد بن عبد الملك لأن أبا ذر توفى في خلافة عثمان بالربذة[1] ، ودفن بها على قارعة الطريق ، وصلىّ عليه ابن مسعود منصرفه من الكوفة إلى المدينة ، وتوفى ابن مسعود بالمدينة بعد ذلك بيسير ، وفي قول النبي ﷺ في حديث أبي ذر وغيره : سيكون عليكم أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها ، ولم يقل : خلفًا ، دليل على أن عثمان - رضي الله تبارك وتعالى عنه - لم يكن يؤخر الصلاة ، ولا يظن ذلك مسلم به لأن عثمان من الخلفاء لا من الأمراء ، قال رسول الله ﷺ : عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ، أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ ، فسماهم خلفاء ، وقال: الخلافة بعدي ثلاثون سنة ، ثم إمارة ، وملكًا ، وجبروتًا، فتضمنت الخلافة هذه الأربعة .

---

(١) الربذة : من قرى المدينة على ثلاثة أيام ، قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكة ، وبهذا الموضع قبر أبي ذرّ الغفاريّ - رضي الله تبارك وتعالى عنه - واسمه جندب بن جُنادة . (معجم البلدان) : /٢٧ ، موضع رقم (٥٣٥٣) مُختصرًا .

وأما ظهور صدقة ﷺ
فيما قال لعقبة بن أبي معيط فى صبيته

فخرَّج البيهقيّ[١] من حديث زيد بن أبي أنيسة ، عنٍ عمرو بن مرة ، عن إبراهيم قال : أراد الضحاك بن قيسٍ أن يستعمل مسروقاً ، فقال له عمارة بن عقبة : عن أبي معيط تستعمل رجلاً من بقايا قتله عثمان - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ، فقال له مسروق : عن عبد الله بن مسعود - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ، وكان في أنفسنا موثوق الحديث ، أن النبي ﷺ لما أراد قتل أبيك قال : من للصبية قال : النار ، فقد رضيت لك ما رضي لك رسول الله ﷺ .

وقال الإمام أحمد[٢] : عن فياض بن محمد الرقى ، عن جعفر بن برقان ، عن ثابت بن الحجاج الكلابي ، عن عبد الله الهمداني ، عن الوليد بن عقبة قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة جعل أهل مكة يأتونه بصبيانهم ، فيمسح رسول الله ﷺ على رؤوسهم ، ويدعو لهم ، فجيء بي إليه وإني مطيب بالخلوق فلم يمسح على رأسى ولم يمنعه من ذلك إلا أن أمي خلقتني بالخلوق فلم يمسني من أجل الخلوق .

قال الإمام أحمد[٣] وقد روي أنه مسح يومئذ فقذره رسول الله ﷺ فلم يمسه ولم يدع له الخلوق ولا يمنع من الدعاء لطفل في فعل غيره لكنه منع بركة رسول الله ﷺ لسابق علم الله فيه .

قال المؤلف - رحمه الله وعفى عنه - : عبد الله الهمزاني على الشك أبو موسى قال ابن عدي : لا يصح حديثه ، قال البخاريّ[٤] : قال ابن عدي

---

(١) (سنن البيهقيّ) : ٦٥/٩ ، كتاب السير ، باب ما يفعله بالرجال البالغين منهم .

(٢) (مسند أحمد) : ٦١٥/٤ - ٦١٦ ، حديث رقم (١٥٩٤٤) . من حديث الوليد بن عقبة بن أبي معيط - رضي الله تبارك وتعالى عنه - .

(٣) راجع التعليق السابق .

وعبد الله الهمداني : لم ينسب ولم أعرفه إلا هكذا ، وقال ابن عبد البر وأبو موسى : هذا محمول والحديث منكر مضطرب لا يصح ، ولا يمكن أن يكون من بعث مصدقاً في زمن النبي ﷺ صبياً يوم الفتح ، ويدل أيضاً على فساد ما رواه أبو موسى مجهول ، إن الزبير وغيره من أهل العلم اليسير والخبر ، ذكروا أن الوليد وعمارة ابني عقبة خرجا ليردا أختهما أم كلثوم عن الهجرة وكانت هجرتها في الهدنة بين النبي ﷺ ، وبين أهل مكة ومن كان غلامًا مخلقًا يوم الفتح يجيء منه مثل هذا وذلك واضح والحمد لله .

---

(٤) (جامع الأصول) : ٧٤٦/٤ ، حديث رقم (٢٨٧٩) ، أخرجه أبو داود رقم (٤١٨١) في الترجل ، باب في الخلوق للرجال ، ومن حديث جعفر بن برقان ، عن ثابت بن الحجاج ، عن عبد الله الهمداني ، عن الوليد بن عقبة ، وقال فيه غيره : عن أبي موسى الهمداني ، عن الوليد ابن عقبة ، ويقال : الهمداني ، قاله جعفر بن برقان ، عن ثابت بن الحجاج ، ولا يصح حديثه . وقال الحافظ أبو القاسم الدمشقي : إن عبد الله الهمداني هو أبو موسى . وقال الحاكم أبو أحمد : الكرابيسي وليس يعرف أبو موسى الهمداني ، ولا عبد الله الهمداني ، وقد خولف في هذا الإسناد . وقال ابن أبي خثيمة : أبو موسى الهمداني اسمه عبد الله ، وهذا حديث مضطرب الإسناد ، ولا يستقيم عن أصحاب التواريخ أن الوليد بن عقبة كان يوم فتح مكة صغيرًا ، وقد روي أن النبي ﷺ بعثه ساعيًا إلى بني المصطلق ، ونكته زوجته إلى النبي ﷺ وروي أنه قدم في فداء من أسر يوم بدر .

وقال أبو عمر النمري : وهذا الحديث رواه جعفر بن برقان ، عن ثابت بن الحجاج ، عن أبي موسى الهمداني ، ويقال : الهمداني ، كذلك ذكره البخاريّ على الشك ، عن الوليد بن عقبة. قالوا : وأبو موسى هذا مجهول ، والحديث منكر مضطرب لا يصح ، ولا يمكن أن يكون من بعث مصدقًا في زمن النبي ﷺ صبيًا يوم الفتح ، وبدل على فساد ما رواه أبو موسى المجهول : أن الزبير بن بكار وغيره ذكروا أن الوليد وعمارة ابني عقبة خرجا ليردا أختهما أم كلثوم عن الهجرة ، وكانت هجرتها في الهدنة بين النبي ﷺ وبين أهل مكة . ومن كان غلامًا مخلقًا يوم الفتح ليس يجيء منه مثل هذا ، ثم قال : وله أخبار فيها نكارة وشناعة . وقال الحافظ ابن حجر في (التقريب) : عبد الله الهمداني أو أبو موسى مجهول ، وخبره منكر ، قاله ابن عبد البر .

وقال عبد الرازق[1] : عن معمر ، عن قتادة في قوله - تعالى - ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا** ﴾[2] قال : بعث النبي ﷺ الوليد بن عقبة إلى بني المصطلق ، فأتاهم الوليد بن عقبة فخرجوا يتلقونه ، ففرقهم فرجع إلى النبي ﷺ فقال : ارتدوا ، فبعث النبي ﷺ خالد بن الوليد ، فلما دنا منهم ، بعث عيوناً ليلاً فإذا هم يصلون وينادون فأتاهم خالد ، فلم يَرَ منهم إلا طاعة وخيرًا ، فرجع إلى النبي ﷺ فأخبره ، فأنزل الله الآية ، وقال ابن عبد البر: ولا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن فيما علمت أن قوله - عز وجل - ﴿ **إن جاءكم فاسق بنبأ** ﴾ نزلت في الوليد بن عقبة وذكر ذلك عن مجاهد وقتادة وابن أبي ليلى .

ومن حديث الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : نزلت في علي بن أبي طالب والوليد بن عقبة في قصة ذكرها ﴿ **أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون** ﴾[3] .

قال ابن عبد البر[4] : وكان الأصمعي وأبو عبيدة وابن الكلبي وغيرهم يقولون : كان الوليد بن عقبة فاسقاً شريب خمر وكان شاعرًا كريمًا [تجاوز الله عنا وعنه] قال أبو عمر بن عبد البر : أخباره في شرب الخمر ومنادمته أبا زبيد الطائي كثيرة مشهورة يسمج بنا ذكرها هنا ، وله أخبار فيها نكارة وشناعة بقطع على سوء حاله ، وقبح أفعاله ، غفر الله لنا وله ، فلقد كان من رجالات قريش ظرفاً وحلمًا وشجاعة وأدباً وكان من الشعراء المطبوعين ، وتذكر منها طرفاً: ذكر عمر بن شبة قال: عن هارون بن معروف عن ضمرة بن ربيعة عن ابن شوذب قال : صلى الوليد [ابن عقبة] بأهل الكوفة الصبح أربع ركعات، ثم التفت إليهم فقال : أزيدكم ؟ فقال عبد الله بن مسعود : مازلنا معك في زيادة منذ اليوم .

---

(١) (تفسير عبد الرزاق) : ٢/١٨٨ ، تفسير سورة الحجرات ، مسألة رقم (٢٩٢٩) .

(٢) الحجرات : ٦ .

(٣) السجدة : ١٨ .

(٤) (الإستيعاب) : ٤/١٥٥٢ - ١٥٥٧ ، ترجمة رقم (٢٧٢١) .

قال : وحدثنا محمد بن حميد ، عن جرير ، عن الأجلح ، عن الشعبي في حديث الوليد بن عقبة حين شهدوا عليه فقال الخطيئة : في ذلك :

شهد الخطيئة يوم يلقي ربه … أن الوليد أحق بالغدر
نادي وقد تمت صلاتهم … أأزيدكم سُكْرًا وما يدري
فأبوا أبا وهب ولو أذنوا … لقرنت بين الشفع والوتر
كفّوا عنانك إذ جريت ولو … تركوا عنانك لم تزل تجري

وقال أيضًا :

تكلم في الصلاة وزاد فيها … علانية وجاهر بالنفاق
ومج الخمر في سنن المصلي … ونادي والجميع إلى افتراق
أزيدكم على أن تحمدوني … فمالكم ومالي من خلاق

قال ابن عبد البر : وخبر صلاته بهم وهو سكران ، وقوله لهم : أزيدكم بعد أن صلى الصبح أربعًا ، مشهورة من رواية الثقات من نقل أهل الحديث وأهل الإخبار.

وقد روى فيما ذكر الطبري : أنه تعصب عليه قوم من أهل الكوفة بغياً وحسداً وشهدوا عليه زوراً أنه تقيأ الخمر ، وذكر القصة ، قال ابن عبد البر : وهذا الخبر من نقل أهل الأخبار لا يصح عند أهل الحديث ، ولا له عند أهل العلم أصل ، والصحيح عندهم في ذلك ما رواه عبد العزيز بن المختار وسعيد بن أبي عروبة ، عن عبد الله الداناج ، عن حصين بن المنذر أبي ساسان ، أنه ركب إلى عثمان فأخبره بقصة الوليد ، وقدم على عثمان رجلان فشهدا عليه بشرب الخمر ، وأنه صلى صلاة الغداة بالكوفة أربعًا ، ثم قال : أزيدكم ؟ فقال أحدهما : رأيته يشربها ، وقال الآخر : رأيته يتقيأها ، فقال عثمان: إنه لم يتقيأها حتى شربها . وقال لعلي : أقم عليه الحد ، فقال عليّ لابن أخيه عبد الله بن جعفر أقم عبد الله ببن جعفر أقم عليه الحد ، فأخذ السوط ، فجلده وعثمان يعد ، حتى بلغ أربعين ، فقال عليّ : أمسك ، جلد رسول الله ﷺ في الخمر أربعين ، وجلد أبو بكر أربعين ، وجلد عمر ثمانين ، وكلٌ سنة .

قال ابن عبد البر : وكان معاوية لا يرضاه ، وهو الذي حرضه على قتال عليّ ، فرب حريص محروم .

وذكر له ابن عبد البر[1] في تحريضه معاوية على قتال عليّ أتركها طلبًا للإختيار .

وقد سمع أبو جعفر محمد بن جرير الطبري - رحمه الله - فيما ذكر من تعصب القوم ، قال الوليد : وإنهم شهدوا عليه بالزور ، سيف بن عمر فإنه أورد ذلك في كتاب (الردة) له ، ولولا خوف الإطالة لنقلت ما رواه من ذلك .

وقد خرّج البيهقيّ حديث عبد الله الداناج من طريق سعيد بن أيوب قال يزيد بن هارون عن سعيد بن أبي عروبة ، عن عبد الله الداناج فذكره .

وأما إنذاره ﷺ بالفتن من بعده فكان كما أخبر ﷺ ووقعت الفتنة في آخر أيام عثمان وفى أيام علي رضي الله تبارك وتعالى عنهما

فخرّج البخاريّ[2] من حديث ابن عيينة أنه سمع الزهريّ ، عن عروة ، عن زينب بنت أم سلمة عن أم حبيبة ، عن زينب بنت جحش - رضي الله تبارك وتعالى عنها - أنها قالت : استيقظ رسول الله ﷺ من النوم محمراً وجهه يقول: لا إله إلا الله ويلٌ للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه - وعقد سفيان تسعين أو مائة - قيل : أنهلك وفينا الصالحون؟ قال : نعم إذا كثر الخبث .

---

(١) (الاستيعاب) : ٤/١٥٥٥ ، ترجمة رقم (٢٧٢١) .

(٢) (فتح الباري) : ٦/٤٧٠ ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب (٧) قصة يأجوج ومأجوج ، حديث رقم (٣٣٤٦) ، وفي كتاب المناقب ، باب (٢٥) علامات النبوة في الإسلام ، حديث رقم (٣٥٩٨) . وأخرجه في كتاب الفتن ، باب (٤) قول النبي ﷺ : ويل للعرب من شر قد اقترب ، حديث رقم (٧٠٥٩) .

وخرّجه مسلم[1] من حديث سفيان بهذا الإسناد ولفظه أن رسول الله ﷺ أستيقظ من نومه وهو يقول لا إله إلا الله ويلٌ للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردمِ يأجوج ومأجوج مثل هذه – وعقد سفيان بيده عشرة – قلت : يا رسول الله أنُهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم إذا كثر الخبث .

وخرّجه مسلم[2] من حديث يونس عن ابن شهاب ، عن عروة بن الزبير أن زينب بنت أبي سلمة أخبرته أم حبيبة بنت أبي سفيان أخبرتها أن زينب بنت جحش قالت : خرج رسول الله ﷺ يوماً فزعاً محمراً وجهه يقول لا إله إلا الله ويلٌ للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا وحلق بأصبعه الإبهام والتي تليها فقلت : يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم إذا كثر الخبث .

وخرّجه من حديث الليث[3] قال : حدثني عقيل بن خالد ، ومن حديث إبراهيم بن سعد قال أبي : عن صالح كلاهما عن ابن شهاب بمثل حديث يونس، عن الزهريّ بإسناده .

وخرّجه البخاريّ في كتاب الأنبياء[4] من حديث الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، عن عروة .

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ١٨/٢١٩ – ٢٢٠ ، كتاب الفتن وأشراط الساعة باب (١) اقتران الفتن ، وفتح ردم يأجوج ومأجوج ، حديث رقم (١) .

(٢) (المرجع السابق) : حديث رقم (٢) .

قال الإمام النووي : هذا الإسناد اجتمع فيه أربع صحابيات : زوجتان لرسول الله ﷺ وربيبتان له بعضهن عن بعض ، ولا يعلم حديث اجتمع فيه أربع صحابيات بعضهن عن بعض غيره.

قوله (أنهلك وفينا الصالحون ؟) قال : إذا كثر الخبث هو بفتح الخاء والباء وفسره الجمهور بالفسوق والفجور ، وقيل : المراد الزنا خاصة ، وقيل أولاد الزنا ، والظاهر أنه المعاصي مطلقًا ويهلك بكسر اللام على اللغة الفصيحة المشهورة وحكى فتحها وهو ضعيف ، أو فاسق ومعنى الحديث أن الخبث إذا كثر فقد يحصل الهلاك العام وإن كان هناك صالحون .

(٣) (المرجع السابق) : الحديث الذي بين (٢) ، (٣) بدون رقم . =

وخرَّجه في كتاب الفتن[1] من حديث محمد بن أبي عتيق ، عن ابن شهاب ، عن عروة مثل حديث عقيل .

وخرَّجه في باب علامات النبوة[2] في الإسلام من حديث شعيب ، عن الزهريّ قال : أخبرني عروة نحو حديث عقيل ، ولأبي داود[3] من حديث عقيل، ولأبي داود من حديث سلام بن سلام بن سليم ، عن منصور ، عن هلال بن سياف ، عن سعيد بن زيد ، قال : كنا عند النبي ﷺ فذكر فتنه فعظم أمرها أو قالوا : يا رسول الله لئن أدركتنا هذه لتهلكنا ، فقال رسول الله ﷺ : كلا ، إن بحسبكم القتل ، قال سعيد : فرأيت إخواني قتلوا .

وله من حديث الأعمش عن أبي صالح ، عن أبي هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - عن النبي ﷺ " ويلٌ للعرب من شر قد اقترب ، موتوا إن استطعتم .

وخرَّج الحاكم[4] من حديث عبد الرزاق ، أخبرنا معمر عن إسماعيل بن أمية ، عن سعيد بن أبي هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : ويلٌ للعرب من شر قد اقترب ، على رأس الستين تصير الأمانة غنيمة ، والصدقة غرامة ، والشهادة بالمعرفة ، والحكم بالهوى[5] .

= (٤) (فتح الباري) : ٤٧٠/٦ ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب (٧) قصة يأجوج ومأجوج ، حديث رقم (٣٣٤٦) وأطرافه في (٣٥٩٨) ، (٧٠٥٩) ، (٧١٣٥) .

(١) راجع التعليق السابق .

(٢) راجع التعليق السابق .

(٣) (سنن أبي داود) : ٤٦٨/٤ ، كتاب الفتن والملاحم ، باب (٧) ما يرجى في القتل ، حديث رقم (٤٢٧٧) .

(٤) (المستدرك) : ٤٨٦/٤ ، كتاب الفتن والملاحم ، باب (٥٠) حديث رقم (٨٣٥٧) قال الحافظ الذهبيّ في (التلخيص) : على شرط مسلم .

(٥) (المرجع السابق) : ٥٣٠/٤ ، حديث رقم (٨٤٨٩) . وقال الحافظ الذهبيّ في (التلخيص) : على شرط البخاريّ ومسلم .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرِّجاه بهذه الزيادات .

وقال سليمان بن حرب عن يزيد بن إبراهيم التستري قال : سمعت الحسن - رضي الله تبارك وتعالى عنه - يقول : قال الزبير : لما نزلت ﴿ **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة** ﴾[1] ما كنا نشعر أنها وقعت . ولأبي داود الطيالسي من حديث الصلت بن دينار قال : حدثنا عقبة بن صهبان وأبو رجاء العطاردي قالا : سمعنا الزبير - رضي الله تبارك وتعالى عنه - وهو يتلو هذه الآية : ﴿ **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة** ﴾ قال : وقعت حيث وقعت[2] .

وقال الإمام أحمد[3] : حدثنا أبو سعيد - مولى بني هاشم ، عن شداد يعني ابن سعيد ، عن غيلان بن جرير ، عن مطرف قال : قلنا للزبير - رضي الله تبارك وتعالى عنه - : يا أبا عبد الله ما جاء بكم ؟ ضيعتم الخليفة حتى قتل ، ثم جئتم تطلبون بدمه ؟ ، قال الزبير - رضي الله تبارك وتعالى عنه - : إنا قرأناها على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان - رضي الله تبارك وتعالى عنهم - ﴿ **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة** ﴾ قال : لقد تلوت هذه الآية زماناً وما أراني من أهلها فأصبحنا من أهلها .

وخرَّجه من حديث أسود بن عامر حدثنا جرير سمعت الحسن قال : قال الزبير : فذكر معناه .

وخرَّج البخاريّ[4] من حديث شعيب عن الإمام ، ومن حديث محمد بن أبي عتيق عن ابن شهاب ، عن هند بنت الحارث الرواسية أن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت : استيقظ رسول الله ﷺ ليلة فزعاً يقول سبحان الله ماذا أنزل

---

(١) الأنفال : ٢٥ .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٦/٤٠٦ - ٤٠٧ .

(٣) (مسند أحمد) : ١/٢٦٧ ، حديث رقم (١٤١٧) .

(٤) (فتح الباري) : ٦/٧٥٩ ، كتاب المناقب ، باب (٢٥) علامات النبوة في الإسلام ، حديث رقم (٣٥٩٩) .

الله من الخزائن وماذا أنزل من الفتن[1]؟ من يوقظ صواحب الحجرات - يريد أزواجه - لكي يصلين ؟ رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة .

ذكره في الفتن ، وذكره في كتاب الأدب من حديث شعيب عن الزهريّ ، حدثتني هند بنت الحارث أن أم سلمة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت : استيقظ النبي ﷺ فقال سبحان الله ماذا أنزل من الخزائن ، وماذا أنزل من الفتن؟ من يوقظ صواحب الحجر - يريد أزواجه - حتى يصلين ؟ رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة ؛ وخرَّجه في كتاب (العلم)[2] وفى كتاب (اللباس)[3]من حديث معمر عن الزهريّ .

وخرَّج البخاريّ[4] ومسلم[5] كلاهما من حديث سفيان بن عيينة ، عن الزهريّ، عن عروة ، عن أسامة بن زيد - رضي الله تبارك وتعالى عنهما -

---

(١) إلى هنا آخر الحديث في المناقب ، وسياقته في كتاب الفتن أتم .

(٢) (المرجع السابق) : ١/٢٨٠ ، كتاب العلم ، باب (٤٠) العلم والعظة بالليل ، حديث رقم (١١٥) .

(٣) (المرجع السابق) : ١٠/٣٧٢ ، كتاب اللباس ، باب (٣١) ما كان النبي ﷺ يتجوز من اللباس والبُسُط ، حديث رقم (٥٨٤٤) .

(٤) المرجع السابق ١٣/١٤ ، كتاب الفتن ، باب (٤) قول النبي ﷺ : ويلٌ للعرب ، من شر قد اقترب . حديث رقم (٧٠٦٠) .

قال الحافظ : وإنما اختصت المدينة بذلك لأن قتل عثمان - رضي الله تبارك وتعالى عنه - كان بها ، ثم انتشرت الفتن في البلاد بعد ذلك ، فالقتال بالجمل وبصفين كان بسبب قتل عثمان ، والقتال بالنهروان كان بسبب التحكيم بصفين وكل قتال وقع في ذلك العصر إنما تولد عن شيء من ذلك أو عن شيء تولد بتوليته لهم ، وأول ما نشأ ذلك من العراق وهي من جهة المشرق فلا منافاة بين حديث الباب وبين الحديث الآتي : إن الفتنة من قبل المشرق ، وحسن التشبيه بالمطر لإرادة التعميم لأنه إذا وقع في أرض معينة عمها ولو في بعض حباتها ، قال ابن بطال : أنذر النبي ﷺ في حديث زينب بقرب قيام الساعة كي يتوبوا قبل أن تهجم عليهم ، وقد ثبت أن خروج يأجوج ومأجوج قرب قيام الساعة فإذا فتح من ردمهم ذاك القدر في زمنه ﷺ لم يزل الفتح يتسع على مرّ الأوقات ، وقد جاء في حديث أبي هريرة رفعه " ويلٌ للعرب من شر=

أن النبي ﷺ أشرف على أطم من آطام المدينة فقال: هل ترون ما أرى ؟ قالوا : لا ، قال : فإني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كوقع القطر. وقال البخاريّ : على أطم من الآطام وقال : إني أرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع القطر .

وخرّجه مسلم[1] من حديث معمر عن الزهريّ بهذا الإسناد نحوه .

وخرَّج البخاريّ[2] في آخر كتاب الحج من حديث سفيان عن ابن شهاب قال: أخبرني عروة قال سمعت أسامة قال : أشرف النبي ﷺ على أطم من آطام المدينة فقال : هل ترون ما أرى ؟ إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر ، قال الحافظ أبو نعيم : فكان تحقيق هذا الخبر ما وقع بالمدينة وقتل عثمان وما وقع يوم الحرة في أيام يزيد بن معاوية .

وخرَّج مسلم[3] من حديث ابن وهب قال : أخبرني يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب أن أبا أدريس الخولاني كان يقول : قال حذيفة بن اليمان : والله إني لأعلم الناس بكل فتنة فهي كائنة فيما بيني وبين الساعة وما بي إلا أن يكون رسول الله ﷺ أسرّ إلى في ذلك شيئًا لم يحدثه غيري ولكن رسول الله ﷺ قال:

= قد اقترب ، موتوا إن استطعتم " قال : وهذا غاية في التحذير من الفتن والخوض فيها حيث جعل الموت خيرًا من مباشرتها ، وأخبر في حديث أسامة بوقوع الفتن خلال البيوت ليتأهبوا لها فلا يخوضوا فيها ويسألوا الله الصبر والنجاة من شرها . (فتح الباري) .

(٥) (مسلم بشرح النووي) : ١٨/٢٢٤ ، كتاب الفتن وأشراط الساعة باب (٣) نزول الفتن كمواقع القطر ، حديث رقم (٩) .

(١) (المرجع السابق) : الحديث الذي يلي رقم (٩) بدون رقم .

(٢) (فتح البارى) : ٤/١١٧ ، كتاب فضائل المدينة ، باب (٨) آطام المدينة ، حديث رقم (١٨٧٨)، وأخرجه أيضًا في كتاب المظالم ، باب (٢٥) الغرفة والعلية المشرقة وغير المشرفة في السطوح وغيرها ، حديث رقم (٢٤٦٧) .

وأخرجه أيضًا ف كتاب المناقب ، باب (٢٥) علامات النبوة في الإسلام ، حديث رقم (٣٥٩٧) .

(٣) (مسلم بشرح النووي) : ١٨/٢٣١ ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب (٦) إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة ، حديث رقم (٢٢) .

وهو يحدث مجلسًا أنا فيه عن الفتن فقال رسول الله ﷺ وهو يعد الفتن : منهن ثلاث لا يكدن يذرن شيئًا ومنهن فتن كرياح الصيف منها صغار ومنها كبار قال حذيفة : فذهب أولئك الرهط كلهم غيري .

قال البيهقيّ[1] : ومات حذيفة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - بعد الفتنة الأولى يقتل عثمان - رضي الله تبارك وتعالى عنه - وقيل الفتنتين الأخريين في أيام علي - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فهن ثلاث لم يكدن يذرن شيئاً وهن المراد بالمذكورات في الخبر فيما نعلم . والله أعلم .

وله من حديث يحيى بن عبد الحميد قال : عن إبراهيم بن سعد عن سالم بن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبيه ، عن محمود بن لبيد ، عن محمد بن مسلمة أنه قال : يا رسول الله كيف أصنع إذا اختلف المصلون قال : تخرج بسيفك إلى الحرة ونفر فتضرب بها ثم تدخل بيتك حتى تأتيك منية قاضية أو يد خاطية .

ولأبي داود[2] من حديث عمرو بن مرزوق ، اخبرنا شعبة ، عن الأشعث بن سليم ، عن أبي بردة ، عن ثعلبة بن ضبيعة ، قال : دخلنا على حذيفة ، فقال : إني لأعرف رجلاً لا تضره الفتن شيئًا ، فخرجنا ، فإذا فسطاط مضروب ، فإذا فيه محمد بن مسلمة ، فسألناه عن ذلك ، فقال : ما أريد أن يشتمل على شيء من أمصارهم حتى تنجلي عما انجلت .

حدثنا مسدد[3] ، عن أبي عوانه ، عن أشعث بن سليم ، عن أبي بردة عن ضبيعة بن حصين الثعلبي ، بمعناه .

خرّج مسلم[4] من حديث حماد بن زيد قال عثمان السحام : انطلقت أنا وفرقد السبخي إلى مسلم بن أبي بكرة وهو في أرضه فدخلنا عليه فقلنا : هل

---

(١) (دلائل البيهقيّ) : ٤٠٦/٦ ، (السنن الكبرى للبيهقيّ) ١٩١/٨ ، كتاب قتال أهل البغي .

(٢) (سنن أبي داود) : ٥٠/٥ ، كتاب السنة ، باب (١٣) ما يدل على ترك الكلام في الفتنة ، حديث رقم (٤٦٦٤) .

(٣) (المرجع السابق) : حديث رقم (٤٦٦٥) . =

سمعت أباك يحدث ، قال : سمعت أبا بكرة يحدث قال : قال رسول الله ﷺ إنها ستكون فتن ألا ثم تكون فتنة القاعد فيها خير من الماشي فيها ، والماشي فيها خير من الساعي إليها ، ألا فإذا نزلت أو وقعت ، فمن كان له أرض فليلحق بأرضه ، قال : فقال رجل : يا رسول الله أرأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض ؟ قال : يعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر ، ثم لينج إن استطاع النجاء، اللهم هل بلغت ، اللهم هل بلغت ، اللهم هل بلغت ؟ قال : فقال رجل : يا رسول الله أرأيت إن أكرهت حتى ينطلق بي إلى أحد الصفين أو إحدى الفئتين فضربني رجل بسيفه أو يجيء سهم فيقتلني ؟ قال : يبوء بإثمه و إثمك ويكون من أصحاب النار .

وخرّجه من حديث وكيع[1] وابن أبي عدي كلاهما ، عن عثمان الشحام بهذا الإسناد حديث ابن أبي عدي نحو حديث حماد إلى آخره ، وانتهى حديث وكيع عند قوله إن استطاع النجاء . ولم يذكر ما بعده .

= (٤) (مسلم بشرح النووي) : ٢٢٥/١٨ ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب (٣) نزول الفتن كمواقع القطر ، حديث رقم (١٣) .

(١) (المرجع السابق) : الحديث الذي يلي رقم (١٣) بدون رقم .

وأما صدق إخباره ﷺ بأن إحدى نسائه تنبح عليها كلاب الحوأب[1]

وماء الحوأب ينسب إلى الحوأب ابنة كلب بن وبرة أم ثعلبة وهو ظاعنه ومحارب بن مر بن أو بن طابخة بن إلياس بن نضر بن نزار بن معد بن عدنان.

خرَّج الإمام أحمد[2] من حديث محمد بن جعفر قال : عن شعبة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس أن عائشة – رضي الله تبارك وتعالى عنها – قالت : لما أتت على الحوأب سمعت نباح الكلاب فقالت : ما أظنني إلا راجعة إني سمعت رسول الله ﷺ يقول لنا : أيتكن تنبح عليها كلاب الحوأب ؟ فقال الزبير – رضي الله تبارك وتعالى عنه – : ترجعين عسى الله أن يصلح بك بين الناس .

---

(١) الحوأب : بالفتح ثم السكون ، همزة مفتوحة ، وباء موحدة ، وأصله في اللغة ، يقال : حافر حوأب وأب صعب ، والحوأبة : العُلبة الضخمة ، والحوأب : الوادي الوسيع في هذه .

والحوأب : موضع في طريق البصرة محاذي البقرة ماءة أيضًا من مياهم ، قال أبو زياد : ومن مياه أبي بكر بن كلاب الحوأب ، وهو من المياه الأعداد ، قديم جاهلي ، وقال نصر : الحوأب من مياه العرب على طريق البصرة ، والحوأب والغناب والحزيز : جبال سود أظنها في ديار عوف بن عبد بن أبي بكر بن كلاب أخي قريط بن عبد ، وقيل : سمي الحوأب بالحوأب بنت كلب بن وبرة ، وهي أم تميم وبكر المعروف بالشعيراء والغوث وهو الربيط ، وهو صوفة وثعلبة ، وهو ظاعنة وغيرهم من ولد مر بن أد بن طابخة ، وفي الحديث : أن عائشة لما أرادت المضي إلى البصرة في وقعة الجمل مرت بهذا الموضع فسمعت نباح الكلاب فقالت : ما هذا الموضع ؟ فقيل لها : هذا موضع يقال له الحوأب ، فقالت : إنا لله ! ما أراني إلا صاحبة القصة ، فقيل لها : وأي قصة ؟ قالت : سمعت رسول الله ﷺ ، يقول وعنده نساؤه: ليت شعري أيتكن تنبحها كلاب الحوأب سائرة إلى الشرق في كتيبة ! وهمت بالرجوع فغالطوها وحلفوا لها أنه ليس بالحوأب . (معجم البلدان) : ٢/٣٦٠ – ٣٦١ ، موضع رقم (٣٩٧٢) .

(٢) (مسند أحمد) : ٧/١٤٠ ، حديث رقم (٢٤١٣٣) .

وخرّجه أيضًا من حديث يحيى عن إسماعيل عن قيس قال : لما أقبلت عائشة بلغت مياه بني عامر ليلاً نبحت الكلاب ، قالت : أي ماء هذا ؟ قالوا : الحوأب ، قالت : ما أظنني إلا راجعة ، فقال بعض من كان معها : بل تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله - عز وجل - ذات بينهم ، قالت : إن رسول الله ﷺ قال لها ذات يوم : كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب[1] .

وخرّجه بقى بن مخلد من حديث أبي أسامة عن إسماعيل ، عن قيس قال لما بلغت عائشة بعض مياه بني عامر ليلاً نبحت عليها الكلاب فقالت : أي ماء هذا ؟ قالوا : ماء الحوأب ، فوقفت وقالت : ما أظنني إلا أني راجعة سمعت رسول الله ﷺ قال : لنا ذات يوم : كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب[2] .

وخرّج البيهقيّ[3] من طريق أبي نعيم الفضل بن دكين قال : عن عبد الجبار بن الورد ، عن عمار الدهني ، عن سالم بن أبي الجعد عن أم سلمة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت : ذكر النبي ﷺ خروج بعض نسائه أمهات المؤمنين فضحكت عائشة وقال : انظري يا حميراء أن لا تكوني أنت ثم التفت إلى علي فقال : يا علي وليت من أمرها شيئًا فأرفق بها .

قال المؤلف - رحمه الله - عمار الدهني هو عمار بن معاوية ويقال : ابن أبي معاوية ويقال : ابن صالح ويقال : ابن حبان البجلي الكوفيّ مولى الحكم بن نفيل وأحمد وابن معين وأبو حاتم : ثقة ، إلا أنه كان شيعيًا ، قطع بشر بن مروان عن عرقوبيه في التشيّع[4] .

وقال البيهقيّ[5] وحذيفة بن اليمان - رضي الله تبارك وتعالى عنه - توفى قبل مسير عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - ، وقد أخبرنا الطفيل

---

(١) (المرجع السابق) : ٧/٧٨ ، حديث رقم (٢٣٧٣٢) .

(٢) (المرجع السابق) .

(٣) (دلائل البيهقيّ) : ٦/٤١١ .

(٤) (تهذيب التهذيب) : ٧/٣٥٥ - ٣٥٦ ، ترجمة رقم (٦٦٢) .

(٥) (دلائل البيهقيّ) : ٦/٤١١ .

وعمرو بن ضُلَيع بمسير إحدى أمهات المؤمنين في كتيبة ولا يقوله إلا عن سماع.

وذكر من حديث عبد الله بن رجاء قال : عن همام بن يحيى قال : عن قتادة ، عن أبي الطفيل قال : انطلقت أنا وعمرو إلى حذيفة فذكر الحديث وقال فيه : لو حدثتكم أن أم أحدكم تغزوه في كتيبة تضربه بالسيف ما صدقتموني ، قال : رواه أيضاً أبو الزاهرية عن حذيفة[1] .

وخرَّج الحاكم[2] من حديث هلال بن العلاء الرقي ، عن عبد الله بن جعفر ، عن عبيد الله بن عمرو ، عن زيد بن أبي أنيسة ، عن عمرو بن مرة ، عن خيثمة بن عبد الرحمن قال : كنا عند حذيفة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فقال : بعضنا حدثنا يا أبا عبد الله ما سمعت من رسول الله ﷺ قال : لو فعلت لرجمتموني ، قال : قلنا : سبحان الله أنحن نفعل ذلك ؟ قال : أرأيتكم لو حدثتكم أن بعض أمهاتكم تأتيكم في كتيبة كثير عددها ، شديد بأسها ، صدقتم به؟ قالوا : سبحان الله ! ومن يصدق بهذا ، ثم قال حذيفة : أتتكم الحميراء في كتيبة يسوقها أعلاجها حيث تسوء وجوهكم ثم قام فدخل مخدعاً .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين . [ولم يخرجاه] .

وقال البيهقي[3] عن جعفر بن عون ، أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت : وددت أني ثكلتك عشرة مثل ولد الحارث بن هشام وأني لم أسرْ مسيري الذي سرتُ .

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٦/٤١١ .

(٢) (المستدرك) : ٤/٥١٧ - ٥١٨ ، كتاب الفتن والملاحم باب (٥٠) الفتن والملاحم ، حديث رقم (٨٤٥٣) وقال الحافظ الذهبيّ في (التلخيص) : على شرط البخاريّ ومسلم . وما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (المستدرك) .

(٣) (دلائل البيهقي) : ٦/٤١١ - ٤١٢ ، باب ما جاء في إخباره وما روى في إشارته على عليّ - رضي الله تبارك وتعالى عنه - بأن يرفق بها ، وما روى في توبتها منن خروجها ، وتلهفها على ما خفي عليها من ذلك ، وكونها منن أهل الجنة مع زوجها ﷺ ، ورضي عنها .

وقال حدثنا أحمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن يوسف ، قال : ذكر سفيان، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : لوددت إذا مت وكنت نسيًا منسيًا[1] .

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أحمد بن جعفر القطيعي ، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، قال حدثنا أبي ، عن محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن الحكم ، قال : سمعت وائلاً قال : لما بعث عليّ عمارًا والحسن إلى الكوفة يستنفرهم خطب عمارُ ، فقال : أني لأعلم أنها زوجته في الدنيا والآخرة ولكن الله – تبارك وتعالى – ابتلاكم لتتبعوه أو إياها[2] .

وخرَّجه البخاريّ في كتاب الفتن[3] من حديث أبي بكر ، عن عياش ، عن ابن عباس ، عن ابن حصين ، عن أبي مريم عبد الله بن زياد الأسدي قال : لما صار طلحة ، والزبير ، وعائشة – رضي الله تبارك وتعالى عنهم – إلى البصرة بعث عليّ عمار بن ياسر والحسن بن علي فقدما علينا الكوفة فصعدا المنبر ، فكان الحسن بن علي فوق المنبر في أعلاه وقام عمارُ أسفل من الحسن فاجتمعنا إليه ، فسمعت عمارًا يقول : إن عائشة قد سارت إلى البصرة والله إنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة ولكن الله ابتلاكم ليعلم إياه تطيعون أم هي .

وذكره في كتاب (الفتن) من حديث ابن أبي غنيّة ، عن الحكم ، عن أبي وائل قال : قام عمّار على منبر الكوفة ، فذكر عائشة وذكر مسيرها وقال : إنها زوجة نبيكم ﷺ في الدنيا الآخرة ، ولكنها مما ابتليتم[4] .

---

(١) (دلائل البيهقيّ) : ٤١٢/٦ ، وأخرجه البخاريّ في كتاب التفسير ، باب (٨) ﴿ **إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينًا وهو عند الله عظيم** ﴾ ، حديث رقم (٤٧٥٤) ، وفي (مسند أحمد) : ٤٥٥/١ ، وهو جزء من حديث طويل رقم (٢٤٩٢) من حديث عبد الله بن عباس – رضي الله تبارك وتعالى عنهما – .

(٢) (المرجع السابق) .

(٣) (فتح الباري) : ٦٧/١٣ ، كتاب الفتن ، باب (١٨) حديث رقم (٧١٠٠) .

(٤) (المرجع السابق) : حديث رقم (٧١٠١) .

وخرَّج البيهقيّ[١] من طريق أبي نعيم قال : عـن عبد الجبـار بـن العبـاس الشامي الكوفي ، عن عطاء بن السائب ، عن عمرو بن الهُجَنّع ، عن أبي بكرة، قال : قيل له : مـا يمنعك ألا تكـون قـاتلت علـى بصيرتك يـوم الجمـل ؟ قـال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يخرج قوم هلكى لا يفلحون ، قائدهم امرأة قـادئهم في الجنة .

قال المؤلف - رحمه الله - : قد وقع حديث أبو بكرة في البخـاريّ مـن حديث عوف ، عن الحسن ، عن أبي بكرة قال : لقـد نفعنـي اللـه بكلمـة سـمعتها من رسول الله ﷺ أيام الجمل بعد ما كدت ألحق بأصحاب الجمل فأقاتل معهـم . قال : لما بلغ رسول الله ﷺ أن أهل فارس قد ملّكوا عليهم بنت كسرى قال : لن يصلح قوم ولّـوا أمرهـم امرأة . ذكره في آخر كتـاب المغـازي[٢] وفـي كتـاب الفتن[٣] .

ذكر خبر وقعة الجمل تصديقًا للفقرة السابقة

[خرجت[٤]عائشة ومن معها من مكـة وتبعهـا أمهـات المؤمنيـن إلـى ذات عرق فبكوا على الإسلام ، فلم ير يوم كان أكثر باكيًا وباكيـة مـن ذلـك اليـوم ، فكان يسمى يوم النحيب ، فلما بلغوا ذات عرق لقى سعيد بن العاص مروان بـن الحكم وأصحابـه بهـا فقـال : أيـن تذهبـون وتـتركون ثـأركم علـى أعجـاز الإبـل وراءكـم ؟ يعنـي عائشـة وطلحـة والزبيـر ، اقتلوهـم ثـم ارجعـوا إلـى منـازلكم . فقالوا: نسير فلعلنا نقتل قتلة عثمان جميعًا . فخلا سعيد بطلحة والزبير فقال : إن

---

(١) (دلائل البيهقيّ) : ٦/٤١٣ ، وعبد الجبار الشبامي : قال أبو نعيم : لم يكن بالكوفة أكذب منه.

(٢) (فتح الباري) : ٨/١٦٠ ، كتاب المغازي ، باب (٨٣) كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر ، حديث رقم (٤٤٢٥) .

(٣) (المرجع السابق) : ١٣/٦٧ ، كتاب الفتن ، باب (١٨) حديث رقم (٧٠٩٩) .

(٤) ما بين الحاصرتين مضطرب في الأصل وبه طمس وبياض وأثبتناه من (الكامل لابن الأثير).

ظفرتما لمن تجعلان الأمر ؟ أصدقاني . قالا : نجعله لأحدنا أينا اختاره الناس ، قال : بل تجعلونه لولد عثمان فإنكم خرجتم تطلبون بدمه . فقالا : ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لأيتام ! قال : فلا أراني أسعى إلا لإخراجها من بني عبد مناف . فرجع ورجع عبد الله بن خالد بن أسيد ، وقال المغيرة بن شعبة : الرأي ما قال سعيد ، من كان ههنا من ثقيف فليرجع . فرجع ومضى القوم ومعهم أبان والوليد ابنا عثمان ، وأعطى يعلي بن منية عائشة جملا اسمه عسكر اشتراه بثمانين دينارًا فركبته ، وقيل : بل كان جملها لرجل من عرينة .

قال العرني : بينما أنا أسير على جمل إذ عرض لي راكب فقال : أتبيع جملك ؟ قلت : نعم ، قال : بكم ؟ قلت : بألف درهم ، قال : أمجنون أنت ؟ . قلت: ولم ؟ والله ما طلبت عليه أحدًا إلا أدركته ولا طلبني وأنا عليه أحد إلا فته، قال : لو تعلم لمن نريده ! إنما نريده لأم المؤمنين عائشة ! فقلت : خذه بغير ثمن . قال : بل ترجع معنا إلى الرحل فنعطيك ناقة ودراهم ، قال : فرجعت معه فأعطوني ناقة مهرية وأربعمائة درهم أو ستمائة ، وقالوا لي : يا أخا عرينة هل لك دلالة بالطريق ؟ قلت : أنا من أدل الناس . قالوا : فسر معنا ، فسرت معهم فلا أمر على واد إلا سألوني عنه ، حتى طرقنا الحوأب ، وهو ماء ، فنبحتنا كلابه ، فقالوا : أي ماء هذا ؟ فقلت هذا ماء الحوأب ، فصرخت عائشة بأعلى صوتها وقالت : إن لله وإن إليه راجعون ، إني لهيه ، سمعت رسول الله ﷺ يقول وعنده نساؤه : ليت شعري أيتكن تنبحها كلاب الحوأب ، ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته وقالت : ردوني ، أنا والله صاحبة ماء الحوأب ، فأناخوا حولها يومًا وليلة ، فقال لها عبد الله بن الزبير : إنه كذب ، ولم يزل بها وهي تمتنع ، فقال لها : النجاء النجاء ! قد أدرككم عليّ بن أبي طالب ، فارتحلوا نحو البصرة ، ولما بلغ ذلك أهل البصرة دعا عثمان بن حنيف عمران بن حصين وكان رجل عامة ، وألزَّهُ بأبي الأسود الدئلي ، وكان رجل خاصة ، وقال لهما : انطلقا إلى هذه المرأة فاعلما علمها ، وعلم من معها . فخرجا فانتهيا إليها بالحفير ، فأذنت لهما ، فدخلا وسلما وقالا : إن أميرنا بعثنا إليك لنسألك عن مسيرك فهل أنت مخبرتنا ؟ فقالت : والله ما مثلي يعطي لبنيه الخبر ، إن الغوغاء ونزاع القبائل غزوا حرم رسول الله ﷺ وأحدثوا فيه

وآووا المحدثين فاستوجبوا لعنة الله ولعنة رسول الله ﷺ مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين بلا ترة ولا عذر ، فاستحلوا الدم الحرام وسفكوه ، وانتهبوا المال الحرام وأحلوا البلد الحرام والشهر الحرام فخرجت في المسلمين أعلمهم ما أتي هؤلاء وما الناس فيه وراءنا ، وما ينبغي لهم من إصلاح هذه القصة ، وقرأت : ﴿ **لا خير في كثير نجواهم** ﴾[1] الآية ، فهذا شأننا إلى معروف نأمركم به ، ومنكر ننهاكم عنه.

فخرج عمران وأبو الأسود من عندها فأتيا طلحة وقالا : ما أقدمك ؟ فقال: الطلب بدم عثمان ، فقالا : ألم تبايع عليًا ؟ فقال : بلى والسيف على عنقي وما أستقيل عليًا البيعة إن هو لم يحل بيننا وبين قتلة عثمان . ثم أتيا الزبير فقالا: له مثل قولهما لطلحة ، وقال لهما مثل قول طلحة ، فرجعا إلى عثمان بن حنيف ونادى مناديها بالرحيل .

فقال عثمان : إنا لله وإنا إليه راجعون ، دارت رحى الإسلامِ وربِ الكعبة فانظروا بأي زيفان تزيف ، فقال عمران : إي والله لتعركنكم عركًا طويلاً قال : فأشر عليّ يا عمران ، قال : اعتزل فإني قاعد ، قال عثمان : بل أمنعهم حتى يأتي أمير المؤمنين . فأبى ونادى عثمان في الناس وأمرهم بلبس السلاح ، فاجتمعوا إلى المسجد وأمرهم بالتجهز ، وأمر رجلاً دسه إلى الناس خدعًا كوفيًا قيسيًا فقام فقال : أيها الناس أنا قيس بن العقدية الحميسي ، إن هؤلاء القوم إن كانوا جاؤوا خائفين فقد أتوا من بلد يأمن فيه الطير ، وإن كانوا جاؤوا يطلبون بدم عثمان فما نحن بقتلة عثمان ، فأطيعوني وردوهم من حيث جاؤوا . فأقبلت عائشة فيمن معها حتى أنتهوا إلى المربد فدخلوا من أعلاه ووقفوا حتى خرج عثمان فيمن معه ، وخرج إليها من أهل البصرة من أراد أن يكون معها ، فاجتمع القوم بالمربد ، فتكلم طلحة وهو في ميمنة المربد ، وعثمان في ميسرته، فأنصتوا له ، فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر عثمان وفضله وما استحل منه ، ودعا إلى الطلب بدمه وحثهم عليه وكذلك الزبير ، فتكلمت عائشة ، وكانت جهورية الصوت ، فحمدت الله وقالت : كان الناس يتجنون على عثمان ويزرون

---

(١) النساء : ١١٤ .

على عماله ويأتوننا بالمدينة فيستشيروننا فيما يخبرونا عنهم ، فننظر في ذلك فنجده بريئًا تقيًا وفيًا ، ونجدهم فجرة غدرة كذبة ، وهم يحاولون غير ما يظهرون ، فلما قووا كاثروه ، واقتحموا عليه داره ، واستحلوا الدم الحرام ، والشهر الحرام ، والبلد الحرام ، بلا ترة ولا عذر ، إلا أن مما ينبغي لا ينبغي لكم غيره ، أخذ قتلة عثمان وأقامة كتاب الله ، وقرأت : ﴿ **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله** ﴾[1] الآية ، فافترق أصحاب عثمان فرقتين ، فرقة قالت : صدقت وبرت ، وقال الآخرون : كذبتم والله ما نعرف ما جئتم به ! وأقبل جارية بن قدامة السعدي وقال : يا أم المؤمنين والله لقتل عثمان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عرضة للسلاح! إنه قد كان لك من الله ستر وحرمة ، فهتكت سترك وأبحت حرمتك ! إنه من رأى قتالك يرى قتلك! لئن كنت أتيتنا طائعة فارجعي إلى منزلك ، وإن كنت أتيتنا مكرهة فاستعيني بالناس وأقبل حكيم بن جبلة العبدي وهو على الخيل، فأنشب القتال ، وأشرع أصحاب عائشة رماحهم ، وأمسكوا ليمسك حكيم وأصحابه ، فلم ينته وقاتلهم وأصحاب عائشة كافون يدفعون عن أنفسهم وحكيم يذمر خيله ويركبهم بها ، فاقتتلوا على فم السكة ، وأمرت عائشة أصحابها فتيمانوا إلى مقبرة بني مازن وحجز الليل بينهم ورجع عثمان إلى القصر ، وأتى أصحاب عائشة إلى ناحية دار الرزق وباتوا يتأهبون وبات الناس يأتونهم ، واجتمعوا بساحة دار الرزق ، فغاداهم حكيم بن جبلة العبدي وهو يسب وبيده الرمح ، فقال له رجل من عبد القيس : من هذا الذي تسبه ؟ قال : عائشة ، قال: يا ابن الخبيثة ألأمّ المؤمنين تقول هذا ؟ فطعنه حكيم فقتله ، ثم مر بامرأة وهو يسبها أيضًا ، فقالت له : ألأمّ المؤمنين تقول هذا يا ابن الخبيثة ؟ فطعنها فقتلها ، ثم سار فاقتتلوا بدار الرزق قتالاً شديدًا إلى أن زال النهار وكثر القتل في أصحاب عثمان بن حنيف وكثر الجراح في الفريقين ، فلما عضتهم الحرب تنادوا إلى الصلح وتوادعوا ، فكتبوا بينهم كتابًا على أن يبعثوا رسولاً إلى المدينة يسأل أهلها ، فإن كان طلحة والزبير أكرها خرج عثمان بن حنيف عن

---

(١) آل عمران : ٢٣ .

البصرة وأخلاها لهما ، وإن لم يكونا أكرها خرج طلحة والزبير ، وكتبوا بينهم كتابًا بذلك وسار كعب بن سور إلى أهل المدينة يسألهم .

فقدم الكتاب على عثمان ، وقدم كعب بن سور ، فأرسلوا إلى عثمان ليخرج ، فاحتج بالكتاب وقال : هذا أمر آخر غير ما كنا فيه ، فجمع طلحة والزبير الرجال في ليلة مظلمة ذات رياح ومطر ، ثم قصدا المسجد فوافقا صلاة العشاء ، وكانوا يؤخرونها ، فأبطأ عثمان ، فَقَدَّما عبد الرحمن بن عتاب ، فشهر الزط والسيابجة السلاح ، ثم وضعوه فيهم ، فأقبلوا عليهم فاقتتلوا في المسجد فقتلوا ، وهم أربعون رجلاً ، فأدخلا الرجال على عثمان فأخرجوه إليهما ، فلما وصل إليهما توطؤوه وما بقيت في وجهه شعرة ، فاستعظما ذلك وأرسلا إلى عائشة يعلمانها الخبر ، فأرسلت إليهما أن خلو سبيله .

وقد قيل في إخراج عثمان غير ما تقدم ، وذلك أن عائشة وطلحة والزبير لما قدموا البصرة كتبت عائشة إلى زيد بن صوحان : من عائشة أم المؤمنين حبيبة رسول الله ﷺ إلى ابنها الخالص زيد بن صُوحان ، أما بعد فإذا أتاك كتابي هذا فاقدم فانصرنا ، فإن لم تفعل فخذل الناس عن عليّ ، فكتب إليها : أما بعد فأنا ابنك الخالص ، لئن اعتزلت ورجعت إلى بيتك وإلا فأنا أول من نابذك . وقال زيد : رحم الله أم المؤمنين ! أُمرت أن تلزم بيتها وأُمرنا أن نقاتل فتركت ما أمرت به وأمرتنا به وصنعت ما أُمرنا به ونهتنا عنه ، وبلغ حكيم بن جبلة ما صنع بعثمان بن حنيف فقال : لست أخاف الله إن لم أنصره ! فجاء في جماعة من عبد القيس ومن تبعه من ربيعة وتوجه نحو دار الرزق ، وبها طعامه أراد عبد الله بن الزبير أن يرزقه أصحابه ! فقال له عبد الله : مالك يا حكيم ؟ قال : نريد أن نرتزق من هذا الطعام ، وأن تخلوا عثمانَ فيقيم في دار الإمارة على ما كتبتم بينكم حتى يقدم عليّ ، وأيم الله لو أجد أعوانًا عليكم ما رضيت بهذه منكم حتى أقتلكم بمن قتلتم ، ولقد أصبحتم وإن دماءكم لنا لحلال بمن قتلتم ، أما تخافون الله ؟ بم تستحلون الدم الحرام ؟ قال : بدم عثمان ، قال : فالذين قتلتم هم قتلوا عثمان ، أما تخافوا مقت الله ؟ فقال له عبد الله : لا نرزقكم من هذا الطعام ولا نخلي سبيل عثمان حتى تخلع علياً . فقال حكيم : اللهم إنك حكم عدل فاشهد ، وقال لأصحابه : لست في شك من قتال هؤلاء القوم ، فمن كان في شك

فلينصرف . وتقدم فقاتلهم . فقال طلحة والزبير : الحمد لله الذي جمع لنا ثأرنا من أهل البصرة ، اللهم لا تبق منهم أحدًا فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ومع حكيم أربعة قواد ، فكان حكيم بحيال طلحة ، وذريح بحيال الزبير ، وابن المحترش بحيال عبد الرحمن بن عتاب ، وحرقوص بن زهير بحيال عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فزحف طلحة لحكيم وهو في ثلاثمائة ، فضرب رجل رجله فقطعها ، فحبا حتى أخذها فرمى بها صاحبه ، فصرعه وأتاه فقتله ثم أتكأ عليه ، فأتى عليه رجل وهو رثيث رأسه على آخر ، فقال : مالك يا حكيم ؟ قال : قتلت ، قال : من قتلك ؟ قال : وسادتي ، فاحتمله وضمه في سبعين من أصحابه ، وقيل: قتله رجل فقال له ضخيم وقتل معه ابنه الأشرف وأخوه الرعل بن جبلة ، ولما قتل حكيم أرادوا قتل عثمان بن حنيف ، فقال لهم : أما إن سهلاً بالمدينة فإن قتلتمونى انتصر ، فخلوا سبيله ، فقصد علياً . وقتل ذريح ومن معه ، وأفلت حرقوص بن زهير في نفر من أصحابه ، فلجأوا إلى قومهم ، فنادى منادى طلحة والزبير : من كان فيهم أحد ممن غزا المدينة فليأتنا بهم ، فجئ بهم فقتلوا ولم ينج منهم إلا حرقوص بن زهير ، فإن عشيرته بني سعد منعوه ، وكان منهم ، فنالهم من ذلك أمر شديد ، وكتبت عائشة إلى أهل الكوفة بما كان منهم وتأمرهم أن يثبطوا الناس عن عليّ وتحثهم على طلب قتلة عثمان ، وكتبت إلى أهل اليمامة وإلى أهل المدينة بما كان منهم أيضًا ، وسيرت الكتب ، وكانت هذه الوقعة لخمس ليال بقين من شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين .

قال الشعبي : ما نهض في تلك الفتنة إلا ستة نفر بدريون مالهم سابع ، وقال سعيد بن زيد : ما اجتمع أربعة من أصحاب النبي ﷺ لخير يعلمونه إلا وعليّ أحدهم ، قيل : وقال أبو قتادة الأنصاري لعلي : يا أمير المؤمنين إن رسول الله ﷺ قلدني هذا السيف وقد أغمدته زماناً وقد حان تجريده على هؤلاء القوم الظالمين الذين لا يألون الأمة غشاً وقد أحببت أن تقدمني فقدمني : وقالت أم مسلمة : يا أمير المؤمنين لولا أن أعصي الله وأنك لا تقبله مني لخرجت معك ، وهذا ابن عمي ، وهو والله أعز عليّ من نفسي ، يخرج معك ويشهد مشاهدك ، فخرج معه وهو لم يزل معه ، واستعمله عليّ على البحرين ، ثم عزله ، واستعمله النعمان بن عجلان الزرقي ، فلما أراد عليّ المسير إلى

البصرة وكان يرجو أن يدرك طلحة والزبير فيردهما قبل وصولهما إلى البصرة أو يوقع بهما ، فلما سار أستخلف على المدينة تَمَّام بن العباس ، وعلى مكة قُثَم ابن العباس ، وقيل : أَمَّر على المدينة سهل بن حنيف ، وسار علي من المدينة في تعبئته التي تعبأها لأهل الشام آخر شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين ، وخرج معه من نشط من الكوفيين والبصريين متخففين في تسعمائة ، وسار حتى انتهى إلى الربذة ، فلما انتهى إليها أتاه خبر سبقهم ، فأقام بها يأتمر ما يفعل ، وأتاه ابنه الحسن في الطريق ، فقال له : لقد أمرتك فعصيتني فتقتل غداً بمضيعة لا ناصر لك .

فقال له علي : إنك لا تزال تخن خنين الجارية ، وما الذي أمرتني فعصيتك ؟ قال : أمرتك يوم أحيط بعثمان أن تخرج من المدينة فيقتل ولست بها، ثم أمرتك يوم قتل أن لا تبايع حتى تأتيك وفود العرب وبيعة أهل كلّ مصر فإنهم لن يقطعوا أمراً دونك ، فأبيت عليّ ، وأمرتك حين خرجت هذه المرأة وهذان الرجلان أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا فإن كان الفساد كان على يد غيرك، فعصيتني في ذلك كله .

ولما قدم الربذة وسمع بها خبر القوم أرسل منها إلى الكوفة محمد بن أبي بكر الصديق ومحمد بن جعفر وكتب إليهم : إني اخترتكم على الأمصار وفزعت إليكم لما حدث ، فكونوا لدين الله أعواناً وأنصاراً وانهضوا إلينا ، فالإصلاح نريد لتعود هذه الأمة إخواناً ، فمضيا وبقي عليّ بالربذة ، وأرسل إلى المدينة فأتاه ما يريده من دابة وسلاح وأمر أمره وقام في الناس فخطبهم وقال : إن الله – تبارك وتعالى – أعزنا بالإسلام ورفعنا به وجعلنا به إخواناً بعد ذلة وقلة وتباغض وتباعد ، فجرى الناس على ذلك ما شاء الله ، الإسلام دينهم والحق فيهم والكتاب إمامهم ، حتى أصيب هذا الرجل بأيدي هؤلاء القوم الذين نزغهم الشيطان لينزع بين هذه الأمة ! ألا إن هذه الأمة لابد مفترقة كما افترقت الأمم قبلها ، فنعوذ بالله من شر ما هو كائن .

فلما أراد المسير من الربذة إلى البصرة قام إليه ابن لرفاعة بن رافع فقال: أمير المؤمنين ، أي شيء تريد وأين تذهب بنا ؟ فقال : أما الذي نريد وننوي فالإصلاح إن قبلوا منا وأجابونا إليه ، قال : فإن لم يجيبونا إليه ؟ قال : ندعهم

بعذرهم ونُعطيهم الحقَّ ونصبر ، قال : فإن لم يرضوا ؟ قال : ندعهم ما تركونا قال : فإن لم يتركونا ؟ قال : امتنعنا منهم ، قال : فنعم إذًا .

وسار علي من الربذة وعلى مقدمته أبو ليلى بن عمر بن الجراح ، والراية مع محمد بن الحنفية ، وعليّ على ناقة حمراء يقود فرسًا كميتًا ، فلما انتهى إلى ذي قار أتاه فيها عثمان بن حنيف وليس في وجهه شعرة ، وقيل : أتاه بالربذة ، وكانوا قد نتفوا شعر رأسه ولحيته ، على ما ذكرناه ، فقال : يا أمير المؤمنين بعثتني ذا لحية وقد جئتك أمرد ، فقال : أصبت أجرًا وخيرًا ، إن الناس وليهم قبلي رجلان فعملا بالكتاب والسنة ، ثم وليهم ثالث فقالوا وفعلوا ، ثم بايعوني وبايعني طلحة والزبير ، ثم نكثا بيعتي وألَّبا الناس علي ، ومن العجب انقيادهما لأبي بكر وعمر وعثمان وخلافهما عليّ ، والله إنهما ليعلمان أني لست بدون رجل ممن تقدم ، اللهم فاحلل ما عقدا ولا تبرم ما أحكما في أنفسهما ، وأرِهما المساءة فيما قد عملا ! وأقام بذي قار ينتظر محمدًا ومحمدًا ، فأتاه الخبر بما لقيت ربيعة وخروج عبد القيس .

وقيل : إن عليًا أرسل الأشتر بعد ابنه الحسن وعمار إلى الكوفة فدخل والناس في المسجد وأبو موسى يخطبهم ويثبطهم والحسن وعمار معه في منازعة ، وكذلك سائر الناس ، كما تقدم ، فجعل الأشتر لا يمر بقبيلة فيها جماعة إلا دعاهم ، ويقول : اتبعوني إلى القصر، فانتهى إلى القصر في جماعة الناس ، فدخله وأبو موسى في المسجد يخطبهم ويثبطهم والحسن يقول له : اعتزل عملنا لا أم لك ! وتنح عن منبرنا ! وعمار ينازعه ، فأخرج الأشتر غلمان أبي موسى من القصر ، فخرجوا يعدون وينادون : يا أبا موسى هذا الأشتر قد دخل القصر فضربنا وأخرجنا . فنزل أبو موسى فدخل القصر فصاح به الأشتر : اخرج لا أم لك أخرج الله نفسك ! فقال: أجلني هذه العشية فقال : هي لك ولا تبيتن في القصر الليلة ، ودخل الناس ينهبون متاع أبي موسى ، فمنعهم الأشتر وقال : أنا له جار ، فكفوا عنه . فنفر الناس في العدد المذكور ، وقيل : إن عدد من سار من الكوفة اثنا عشر ألف رجل ورجل ، قال أبو الطفيل: سمعت عليًا يقول ذلك قبل وصولهم ، فقعدت فأحصيتهم فما زادوا رجلاً ولا نقصوا رجلاً . وكان على كنانة وأسد وتميم والرباب ومزينة معقل بن يسار

الرياحي ، وكان على سبع قيس سعد بن مسعود الثقفي عم المختار ، وعلى بكر وتغلب وعلة بن محدوج الذهلي ، وكان على مذحج والأشعرين حجر بن عدي، وعلى بجيلة وأنمار وخثعم والأزد مخنف بن سليم الأزدي ، فقدموا على أمير المؤمنين بذي قار، فلقيهم في ناس معه فيهم ابن عباس فرحب بهم وقال : يا أهل الكوفة أنتم قاتلتم ملوك العجم وفضضتم جموعهم حتى صارت إليكم مواريثهم فمنعتم حوزتكم وأعنتم الناس على عدوهم ، وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة فإن يرجعوا فذاك الذي نريد ، وإن يلجوا داويناهم بالرفق حتى يبدأونا بظلم ، ولم ندع أمرًا فيه صلاح إلا أثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله .

وكان رؤساء الجماعة من الكوفيين : القعقاع بن عمرو ، وسعد بن مالك، وهند بن عمرو ، والهيثم بن شهاب ، وكان رؤساء النفار : زيد بن صوحان ، والأشتر ، وعدي بن حاتم ، والمسيب بن نجبة ، ويزيد بن قيس ، وأمثال لهم ليسوا دونهم ، إلا أنهم لم يؤمروا، منهم حجر بن عدي ، فلما نزلوا بذي قار دعا علي القعقاع فأرسله إلى أهل البصرة وقال : الق هذين الرجلين ، وكان القعقاع من أصحاب النبي ﷺ فادعهما إلى الألفة والجماعة وعظم عليهما الفرقة ، وقال له : كيف تصنع فيما جاءك منهما وليس عندك فيه وصاة [مني] ؟ قال : نلقاهم بالذي أمرت به ، فإذا جاء منهم ما ليس عندنا منك فيه رأى اجتهدنا رأينا وكلمناهم كما نسمع ونرى أنه ينبغي قال : أنت لها .

فخرج القعقاع حتى قدم البصرة فبدأ بعائشة فسلم عليها وقال : أى أمه ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة ؟ قالت : أي بني الإصلاح بين الناس . قال : فأبعثي إلى طلحة والزبير حتى تسمعي كلامي وكلامها ، فبعثت إليهما ، فجاءا ، فقال لهما : إني سألت أم المؤمنين ما أقدمها ، فقالت : الإصلاح بين الناس ، فما تقولان أنتما ؟ أمتابعان أم مخالفان ؟ قالا : متابعان ، قال : فأخبراني ما وجه هذه الإصلاح ؟ فوالله لئن عرفناه لنصلحن ولئن أنكرناه لا نصلح . قالا : قتلة عثمان ، فإن هذا إن ترك كان تركًا للقرآن . قال : قد قتلتما قتلة عثمان من أهل البصرة ، وأنتم قبل قتلهم أقرب إلى الاستقامة منكم اليوم ، قتلتم ستمائة رجل فغضب لهم ستة آلاف واعتزلوكم وخرجوا من بين أظهركم ، وطلبتم

حرقوص بن زهير فمنعه ستة آلاف ، فإن تركتموهم كنتم تاركين لما تقولون ، وإن قاتلتموهم والذين اعتزلوكم فأديلوا عليكم ، فالذي حذرتم وقويتم به هذا الأمر أعظم مما أراكم تكرهون ، وإن أنتم منعتم مضر وربيعة من هذه البلاد اجتمعوا على حربكم وخذلانكم نصرة لهؤلاء كما اجتمع هؤلاء لأهل هذا الحديث العظيم والذنب الكبير .

قالت عائشة : فماذا تقول أنت ؟ قال : أقول : إن هذا الأمر دواؤه التسكين، فإذا سكن اختلجوا ، فإن أنتم بايعتمونا فعلامة خير ، وتباشير رحمة، ودرك بثأر ، وإن أنتم أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر واعتسافه كانت علامة شر، وذهاب هذا المال ، فآثروا العافية ترزقوها ، وكونوا مفاتيح الخير كما كنتم ، ولا تعرضونا للبلاء فتعرضوا له فيصرعنا وإياكم ، وأيم الله إني لأقول هذا القول وأدعوكم إليه ! وإني لخائف أن لا يتم حتى يأخذ الله حاجته من هذه الأمة التي قل متاعها ونزل بها ما نزل ، فإن هذا الأمر الذي حدث أمر ليس يقدر ، وليس كقتل الرجل الرجل ، ولا النفر الرجل ، ولا القبيلة الرجل ، قالوا : قد أصبت وأحسنت فارجع ، فإن قدم علي وهو على مثل رأيك صلح هذا الأمر ، فرجع إلى عليّ فأخبره فأعجبه ذلك ، وأشرف القوم على الصلح ، كره ذلك من كرهه ، ورضيه من رضيه ، وأقبلت وفود العرب من أهل البصرة نحو عليّ بذي قار قبل رجوع القعقاع لينظروا ما رأى إخوانهم من أهل الكوفة وعلى أي حال نهضوا إليهم وليعلموهم أن الذي عليه رأيهم الإصلاح ولا يخطر لهم قتالهم على بال .

فلما لقوا عشائرهم من أهل الكوفة قال لهم الكوفيون مثل مقالتهم وأدخلوهم على عليّ فأخبروه بخبرهم ، وسأل على جرير بن شرس ، عن طلحة والزبير ، فأخبره بدقيق أمرهما وجليله وقال له : أما الزبير فيقول : بايعنا كرهًا.

وأما طلحة فيتمثل الأشعار ، فقال الأشتر : قد عرفنا رأي طلحة والزبير .

وأما عليّ فلم نعرف رأيه إلى اليوم ، ورأى الناس فينا واحد ، فإن يصطلحوا مع علي فعلى دمائنا ، فهلموا بنا نثب على عليّ فنلحقه بعثمان فتعود فتنة ، يرضى منا فيها بالسكون ، فقال عبد الله بن السوداء : بئس الرأي رأيت ،

أنتم يا قتلة عثمان بذي قار ألفان وخمسمائة أو نحو من ستمائة ، وهذا ابن الحنظلية ، يعني طلحة ، وأصحابه في نحو من خمسة آلاف بالأشواق إلى أن يجدوا إلى قتالكم سبيلاً ، فقال علباء بتن الهيثم : انصرفوا بنا عنهم ودعوهم ، فإن قلوا كان أقوى لعدوهم عليهم ، وإن كثروا كان أحرى أن يصطلحوا عليكم ، دعوهم وارجعوا فتعلقوا ببلد من البلدان حتى يأتيكم فيه من تقوون به وامتنعوا من الناس ، فقال ابن السوداء : بئس ما رأيت ، ودَّ والله الناس أنكم انفردتم ولم تكونوا مع أقوام برآء ، ولو انفردتم لتخطفكم الناس كل شيء ، وأصبح عليّ على ظهر ومضى ، ومضى معه الناس حتى نزل على عبد القيس فانضموا إليه ، وسارمن هناك فنزل الزاوية يريد البصرة ، وسار طلحة والزبير وعائشة من الفرضة ، فالتقوا عند موضع قصر عبيد الله بن زياد ، فلما نزل الناس أرسل شقيق بن ثور إلى عمرو بن مرحوم العبدي أن اخرج فإذا خرجت فمل بنا إلى عسكر علي فخرجا في عبد القيس وبكر بن وائل فعدلوا إلى عسكر عليّ ، فقال الناس : من كان هؤلاء معه غلب ، وأقاموا ثلاثة أيام لم يكن بينهم قتال ، فكان يرسل عليّ إليهم يكلمهم ويدعوهم ، وكان نزولهم في النصف من جمادي الآخرة سنة ست وثلاثين ، ونزل بهم عليّ وقد سبق أصحابه وهم يتلاحقون به ، وقام عليّ فخطب الناس ، فقام إليه الأعور بن بنان المنقري فسأله عن إقدامهم على أهل البصرة ، فقال له عليّ : على الإصلاح وإطفاء النائرة[1] لعل الله يجمع شمل هذه الأمة بنا ويضع حربهم ، قال : فإن لم يجيبونا ؟ قال : تركناهم ما تركونا ، قال : فإن لم يتركونا ؟ قال : دفعناهم عن أنفسنا ، قال : فهل لهم من هذا مثل الذي عليهم ؟ قال : نعم ، وقام إليه أبو سلامة الدألاني فقال: أترى لهؤلاء القوم حجة فيما طلبوا من هذا الدم إن كانوا أرادوا الله بذلك؟ قال : نعم ، قال : أفترى لك حجة بتأخير ذلك ؟ قال : نعم ، إن الشيء إذا كان لا يدرك فإن الحكم فيه أحوطه وأعمه نفعًا ، قال : فما حالنا وحالهم إن ابتلينا غدًا ؟ قال : إني لأرجو أن لا يقتل منا ومنهم أحد نقي قلبه لله إلا أدخله الله الجنة ، فلما قدم علي أتاه الأحنف فقال له : إن قومنا بالبصرة يزعمون أنك إن ظهرت عليهم

---

(١) النائرة : العداوة والشحناء .

غدًا قتلت رجالهم وسبيت نساءهم ، قال : ما مثلي يخاف هذا منه ، وهل يحل هذا إلا لمن تولى وكفر ، وهم قوم مسلمون ؟ قال : اخترمني واحدة من اثنتين ، إما أن أقاتل معك ، وإما أن أكف عنك عشرة آلاف سيف ، قال فكيف بما أعطيت أصحابك من الأعتزال ؟ قال : إن من الوفاء لله قتالهم ، قال : فاكفف عنا عشرة آلاف سيف : فرجع إلى الناس فدعاهم إلى القعود ونادى : يا آل خندف ! فأجابه ناس ، ونادى : يا آل تميم ! فأجابه ناس ، ثم نادى : يا آل سعد! فلم يبق سعدي إلا أجابه ، فاعتزل بهم ونظر ما يصنع الناس ، فلما كان القتال وظفر علي دخلوا فيما دخل فيه الناس وافرين ، فلما تراءى الجمعان خرج الزبير على فرس عليه سلاح ، فقيل لعلي : هذا الزبير ، فقال : أما إنه أحرى الرجلين إن ذكر بالله - تعالى - أن يذكر .

وخرج طلحة فخرج إليهما عليّ حتى اختلفت أعناق دوابهم ، فقال عليّ : لعمري قد أعددتما سلاحًا وخيلاً ورجالاً إن كنتما أعددتما عند الله عذرًا فاتقيا الله ولا تكونا ﴿ **كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثًا** ﴾[1] ألم أكن أخاكما في دينكما تحرمان دمي وأحرم دمكما ، فهل من حدث أحل لكما دمي ؟ قال طلحة : ألبت على عثمان ، قال علي : ﴿ **يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق** ﴾[2] يا طلحة ، تطلب بدم عثمان فلعن الله قتلة عثمان ! يا طلحة ، أجئت بعرس رسول الله ﷺ، تقاتل بها وخبأت عرسك في البيت ! أما بايعتني ؟ قال : بايعتك والسيف على عنقي ، فقال عليّ للزبير : يا زبير ما أخرجك ؟ قال : أنت ، ولا أراك لهذا الأمر أهلا ولا أولى به منا ، فقال له عليّ : ألست له أهلاً بعد عثمان؟ قد كنا نعدك من بني عبد المطلب حتى بلغ ابنك السوء ففرق بيننا ، وذكره أشياء ، وافترق أهل البصرة ثلاث فرق : فرقة مع طلحة والزبير ، وفرقة مع علي ، وفرقة لا ترى القتال ، منهم الأحنف وعمران بن حصين وغيرهما ، وجاءت عائشة فنزلت في مسجد الحدان في الأزد ، ورأس الأزد يومئذ صبرة بن شيمان ، فقال له كعب بن سور : إن الجموع إذا تراءت لم

(١) النحل : ٩٢ .

(٢) النور : ٢٥ .

تستطع ، إنما هو بحور تدفق فأطعني ولا تشهدهم واعتزل بقومك فإني أخاف أن لا يكون صلح ، ودع مضر وربيعة فهما أخوان ، فإن اصطلحا فالصلح أردنا وإن اقتتلا كنا حكامًا عليهم غدًا .

ولما خرج طلحة والزبير نزلت مضر جميعًا وهم لا يشكون في الصلح ، ونزلت ربيعة فوقهم وهم لا يشكون في الصلح ، ونزلت اليمن أسفل منهم ولا يشكون في الصلح ، وعائشة في الحُدان ، والناس بالزابوقة على رؤسائهم هؤلاء، وهم ثلاثون ألفًا ، وردّوا حكيمًا ومالكًا إلى عليّ إننا على ما فارقنا عليه القعقاع ، ونزل علي بحيالهم ، فنزلت مضر إلى مضر ، وربيعة إلى ربيعة ، واليمن ، فكان بعضهم يخرج إلى بعض لا يذكرون إلا الصلح ، وكان أصحاب علي عشرين ألفًا ، وخرج علي وطلحة والزبير فتواقفوا فلم يروا أمر أمثل من الصلح ووضع الحرب ، فافترقوا على ذلك ، وبعث علي من العشي عبد الله بن عباس إلى طلحة والزبير ، وبعثا هما محمد بن أبي طلحة إلى عليّ ، وأرسل عليّ إلى رؤساء أصحابه ، وطلحة والزبير إلى رؤساء أصحابهما بذلك ، فباتوا بليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية التي أشرفوا عليها والصلح ، وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشر ليلة وقد أشرفوا على الهلكة ، وباتوا يتشاورون ، فاجتمعوا على إنشاب الحرب ، فغدوا مع الغلس وما يشعر بهم ، فخرجوا متسللين وعليهم ظلمة ، فقصد مضرهم إلى مضرهم ، وربيعتهم إلى ربيعتهم ، ويمنهم إلى يمنهم ، فوضعوا فيهم السلاح ، فثار أهل البصرة وثار كل قوم في وجوه أصحابهم الذين أتوهم ، وبعث طلحة والزبير إلى الميمنة، وهم ربيعة ، أميرًا عليها عبد الرحمن بن الحارث ، وإلى الميسرة عبد الرحمن ابن عتّاب ، وثبتا في القلب وقالا : ما هذا ؟ قالوا : طرقنا أهل الكوفة ليلاً ، فقالا : قد علمنا أن عليًا غير منته حتى يسفك الدماء وأنه لن يطاوعنا ، فرد أهل البصرة أولئك الكوفيين إلى عسكرهم ، وأقبل كعب بن سور حتى أتى عائشة فقال : أدركي فقد أبى القوم إلا القتال لعل الله أن يصلح بك .

فركبت وألبسوا هودجها الأدراع ، فلما برزت من البيوت وهي على الجمل بحيث تسمع الغوغاء وقفت واقتتل الناس وقاتل الزبير فحمل عليه عمار بن ياسر فجعل يحوزه بالرمح والزبير كاف عنه يقول : أتقتلني يا أبا اليقظان ؟

فيقول : لا يا أبا عبد الله ، وإنما كف الزبير عنه لقول رسول الله ﷺ : تقتل عمارًا الفئة الباغية ، ولولا ذلك لقتله ، وبينما عائشة واقفة إذ سمعت ضجة شديدة فقالت : ما هذا ؟ قالوا : ضجة العسكر ، قالت : بخير أو بشر ؟ قالوا : بشر ، فما فجأها إلا الهزيمة ، فمضى الزبير من وجهه إلى وادي السباع ، وإنما فارق المعركة لأنه قاتل تعذيرًا لما ذكر له عليّ ، وأما طلحة فأتاه سهم غرب فأصابه فشك رجله بصفحة الفرس وهو ينادي : إليّ ، إليّ عباد الله ! الصبر الصبر ! فقال له القعقاع بن عمرو : يا أبا محمد إنك لجريح وإنك عما تريد لعليل ، فأدخل البيوت ، فدخل ودمه يسيل وهو يقول : اللهم خذ لعثمان مني حتىٍ ترضى ، فلما امتلأ خفه دمًا وثقل قال لغلامه : أردفني وأمسكني وأبلغني مكانًا أنزل فيه . فدخل البصرة ، فأنزله في دار خربة فمات فيها ، وكان الذي رمى طلحة مروان بن الحكم وقيل: غيره . وقالت عائشة : لما انجلت الوقعة وانهزم الناس لكعب بن سور : خلّ عن الجمل وتقدم بالمصحف فادعهم إليه . وناولته مصحفًا ، فاستقبل القوم والسبئية أمامهم ، فرموه رشقًا واحدًا فقتلوه ، ورموا أم المؤمنين في هودجها ، فجعلت تنادي : البقية البقية يا بنيّ ! ويعلو صوتها كثرة : الله الله ! اذكروا الله والحساب ! فيأبون إلا إقدامًا ، فكان أول شيء أحدثته حين أبوا أن قالت : أيها الناس العنوا قتلة عثمان وأشياعهم وأقبلت تدعو ، وضج الناس بالدعاء . فسمع عليّ فقال : ما هذه الضجة ؟ قالوا : عائشة تدعوا على قتلة عثمان وأشياعهم ، فقال عليّ : اللهم العن قتلة عثمان ! فأرسلت إلى عبد الرحمن بن عتاب وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام أن أثبتا مكانكما ، وحرضت الناس حين رأت القوم يريدونها ولا يكفون ، فحملت مضر البصرة حتى قصفت مضر الكوفة حتى زحم عليّ فنخس قفا ابنه محمد ، وكانت الراية معه ، وقال له : أحمل ! فتقدم حتى لم يجد متقدمًا إلا على سنان رمح ، فأخذ عليّ الراية من يده وقال : يا بني بين يدي ، وحملت مضر الكوفة ، فاجتلدوا قدام الجمل حتى ضرسوا والمجنبتان على حالهما لا تصنع شيئًا ، ومع علي قوم من غير مضر ، منهم زيد بن صوحان طلبوا ذلك منه ، فقال له رجل : تنح إلى قومك ، مالك ولهذا الموقف ؟ ألست تعلم أن مضر بحيالك والجمل بين يديك وأن الموت دونه ؟ فقال : الموت خير من الحياة ، الموت أريد ، فأصيب هو

وأخوه سيحان وارتث صعصعة أخوهما واشتدت الحرب ، فلما رأى علي ذلك بعث إلى ربيعة وإلى اليمن أن أجمعوا من يليكم ، فقام رجل من عبد القيس من أصحاب عليّ فقال : ندعوكم إلى كتاب الله ، فقالوا : وكيف يدعوننا إليه من لا يستقيم ولا يقيم حدود الله وقد قتل كعب بن سور داعي الله ! ورمته ربيعة رشقًا واحدًا فقتلوه ، فقام مسلم بن عبد الله العجلي مكانه فرشقوه رشقًا واحدًا فقتلوه ، ودعت يمن الكوفة يمن البصرة فرشقوهم ، وأبى أهل الكوفة القتال ولم يريدوا إلا عائشة ، فذكرت أصحابها فاقتتلوا حتى تنادوا فتحاجزوا ، ثم رجعوا فاقتتلوا وتزاحف الناس وظهرت يمن البصرة على يمن الكوفة فهزمتهم ، وربيعة البصرة على ربيعة الكوفة فهزمتهم ، ثم عاد يمنّ الكوفة فقتل على رايتهم عشرة، خمسة من همدان وخمسة من سائر اليمن ورجعت ربيعة الكوفة فاقتتلوا قتالاً شديدًا فقتل على رايتهم ، وهم في المسيرة : زيد وعبد الله بن رقبة وأبو عبيدة بن راشد بن سلمى وهو يقول : اللهم أنت هديتنا من الضلالة واستنقذتنا من الجهالة ، وابتليتنا بالفتنة فكنا في شبهة وعلى ريبة ، وقتل واشتد الأمر حتى لزقت ميمنة أهل الكوفة بقلبهم وميسرة أهل البصرة بقلبهم ومنعوا ميمنة أهل الكوفة أن يختلطوا بقلبهم وإن كانوا إلى جنبهم ، وفعل مثل ذلك ميسرة أهل الكوفة بميمنة أهل البصرة ، فلما رأى الشجعان من مضر الكوفة والبصرة الصبر تنادوا : طرفوا إذا فرغ الصبر ، فجعلوا يقصدون الأطراف الأيدي والأرجل ، فما رؤي وقعة كانت أعظم منها قبلها ولا بعدها ولا أكثر ذراعًا مقطوعة ولا رجلاً مقطوعة ، وأصيب يد عبد الرحمن بن عتّاب قبل قتله ، فنظرت عائشة من يسارها فقالت : من القوم عن يساري ؟ قال صبرة بن شيمان: بنوك الأزد ، فقالت : يا آل غسان حافظوا اليوم على جلادكم الذي كنا نسمع به ، فكان الأزد يأخذون بعر الجمل يشمونه ويقولون : بعر جمل أمنا ريحه ريح المسك ، وقالت لمن عن يمينها : من القوم عن يميني ؟ قال : بكر بن وائل ، قالت : إنما بإزائكم عبد القيس ، فاقتتلوا أشد من قتالهم قبل ذلك ، وأقبلت على كتيبة بين يديها فقالت : من القوم؟ قالوا : بنوا ناجية ، قالت : بخ بخ سيوف أبطحية قرشية ! فجالدوا جلادًا يتفادى منه ، ثم أطافت بها بنو ضبة فقالت : ويها جمرة الجمرات ! فلما رقوا خالطهم بنو عدي بن عبد مناة وكثروا

حولها ، فقالت : من أنتم ؟ قالوا : بنو عدي خالطنا إخواتنا ، فأقاموا رأس الجمل وضربوا ضربًا شديدًا ليس بالتعذير ولا يعدلون بالتطريف ، حتى إذا كثر ذلك وظهر في العسكرين جميعًا راموا الجمل وقالوا : لا يزال القوم أو يصرع الجمل ، وصار مجنبتا علي إلى القلب ، وفعل ذلك أهل البصرة ، وكره القوم بعضهم بعضًا ، وأخذ عميرة بن يثربي برأس الجمل وكان قاضي البصرة قبل كعب بن سور ، فشهد الجمل هو وأخوه عبد الله ، فقال علي : من يحمل على الجمل ؟ فانتدب له هند بن عمر الجمليّ المراديّ ، فاعترضه ابن يثربي فاختلفا ضربتين ، فقتله ابن يثربي ، ثم حمل علباء بن الهيثم فاعترضه ابن يثربي فقتله وقتل سيحان بن صوحان وارتث صعصعة .

ولم يزل الأمر كذلك حتى قتل على الخطام أربعون رجلاً ، قالت عائشة : ما زال جملي معتدلاً حتى فقدت أصوات بني ضبة ، قال : وأخذ الخطام سبعون رجلاً من قريش كلهم يُقتل وهو آخذ بخطام الجمل ، وكان ممن أخذ بزمام الجمل محمد بن طلحة ، وقال : يا أمتاه مريني بأمرك ، قالت : آمرك أن تكون خير بني آدم إن تركت ، فجعل لا يحمل عليه أحد إلا حمل عليه ، وقال : حاميم لا ينصرون ، واجتمع عليه نفر كلهم ادعى قتله ، المكعبر الأسديّ ، والمكعبر الضبيّ ، ومعاوية بن شداد العبسيّ ، وعفّار السعديّ النصري ، فأنفذه بعضهم بالرمح ، وأخذ الخطام عمرو بن الأشرف فجعل لا يدنو منه أحد إلا خبطه بالسيف ، فأقبل إليه الحارث بن زهير الأزدي ، فاختلفا ضربتن فقتل كل واحد منهما صاحبه ، وأحدق أهل النجدات والشجاعة بعائشة ، فكان لا يأخذ الخطام أحد إلا قتل ، وكان لا يأخذه والراية إلا معروف عند المطيفين بالجمل فينتسب : أنا فلان بن فلان ، فوالله إن كان ليقاتلون عليه وإنه للموت لا يوصل إليه إلا بطلبة وعنت ، وما رامه أحد من أصحاب علي إلا قتل أو أفلت ثم لم يعد ، وحمل عدي بن حاتم الطائي عليهم ففقئت عينه ، وجاء عبد الله بن الزبير ولم يتكلم فقالت : من أنت ؟ فقال : ابنك ابن أختك ، قالت : واثكل أسماء ! وانتهى إليه الأشتر ، فاقتتلا ، فضربة الأشتر على رأسه فجرحه جرحًا شديدًا ، وضربه عبد الله ضربة خفيفة ، واعتنق كل رجل منهما صاحبه وسقطا إلى الأرض يعتركان ، وأخذ الخطام الأسود بن أبي البختري فقتل ، وهو قرشي

أيضًا ، وأخذه عمرو بن الأشرف فقتل ، وقتل معه ثلاثة عشر رجلاً من أهل بيته ، وهو أزدي ، وجرح مروان بن الحكم ، وجرح عبد الله بن الزبير سبعًا وثلاثين جراحة من طعنة ورمية ، قال : وما رأيت مثل يوم الجمل ، ما ينهزم منا أحد وما نحن إلا كالجبل الأسود ، وما يأخذ بخطام الجمل أحد إلا قتل حتى ضاع الخطام ، ونادى علي : اعقروا الجمل فإنه إن عقر تفرقوا ، فضربه رجل فسقط فما سمعت صوتًا قط أشد من عجيج الجمل ، وكانت راية الأزد من أهل الكوفة مع مخنف بن سليم فقتل وأخذها الصقعب ، وأخوه عبد الله بن سليم فقتل ، وأخذها العلاء بن عروة ، فكان الفتح وهي بيده ، وكانت راية عبد القيس من أهل الكوفة مع القاسم بن سليم فقتل ، وقتل معه زيد وسيحان ابنا صوحان ، وأخذها عدة نفر ، فقتلوا ، منهم عبد الله بن رقية ، ثم أخذها منقذ بن النعمان فرفعها إلى ابنة مُرة بن منقذ فانقضت الحرب وهي في يده ، وكانت راية بكر بن وائل في بني ذهل مع الحارث بن حسان الذهلي ، فأقدم وقال : يا معشر بكر لم يكن أحد له من رسول الله ﷺ مثل منزلة صاحبكم فانصروه ، فتقدم وقاتلهم فقتل ابنه وخمسة من بني أهله ، وقتل الحارث ، وقتل رجال من بني محدوج ، وقتل من بني ذهل خمسة وثلاثون رجلاً ، وقال رجل لأخيه وهو يقاتل : يا أخي ما أحسن قتالنا إن كنا على الحق ! قال : فإنا على الحق ، إن الناس أخذوا يمينًا وشمالاً ، وان تمسكنا بأهل بيت نبينا فقاتلا حتى قتلا ، وجرح يومئذ عمير بن الأهلب الضبي ، فقال له الرجل : قل لا إله إلا الله ، قال : أدن مني فلقني فيَّ صمم ، فدنا منه الرجل ، فوثب عليه فعض أذنه فقطعها .

وقيل في عقر الجمل : إن القعقاع لقي الأشتر وقد عاد من القتال عند الجمل ، فقال : هل لك في العود ؟ فلم يجبه ، فقال : يا أشتر بعضنا أعلم بقتال بعض منك ، وحمل القعقاع والزمام مع زفر بن الحارث ، وكان آخر من أخذ الخطام ، فلم يبق شيخ من بني عامر إلا أصيب قدام الجمل ، وقيل : لما سقط الجمل أقبل محمد بن أبي بكر إليه ومعه عمار فاحتملا الهودج فنحياه ، فأدخل محمد يده فيه ، فقالت : من هذا ؟ فقال : أخوك البر ، قالت : عقق ، قال : يا أخيّه هل أصابك شيء ؟ قالت : ما أنت وذاك ؟ قال : فمن إذا الضلال ؟ قالت : بل الهداة ، وقال لها عمار : كيف رأيت ضرب بنيك اليوم يا أماه ؟ قالت : لست

لك بأم ، قال : بلى وإن كرهت ، قالت : فخرتم أن ظفرتم وأتيتم مثل الذي نقمتم ، هيهات والله لن يظفر من كان هذا دأبه ـ! فأبرزوا هودجها فوضعوها ليس قربها أحد ، وأتاها عليّ فقال : كيف أنت يا أمه ؟ قالت : بخير ، قال : يغفر الله لك ، قالت : ولك ، وجاء أعين بن ضبيعة بن أعين المجاشعي حتى اطلع في الهودج ، فقالت : إليك لعنك الله ، فقال: والله ما أرى إلا حميراء ، فقالت له: هتك الله سترك وقطع يدك وأبدى عورتك ، فقتل بالبصرة ، وسلب ، وقطعت يده ، ورمى عريانًا في خربة من خربات الأزد ، فلما كان الليل أدخلها أخوها محمد بن أبي بكر البصرة فأنزلها في دار عبد الله بن خلف الخزاعي على صفية بنت الحارث بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، وهي أم طلحة الطلحات بن عبد الله بن خلف ، وتسلل الجرحى من بين القتلى ليلاً فدخلوا البصرة ، فأقام على بظاهر البصرة ثلاثاً ، وأذن للناس في دفن موتاهم ، فخرجوا إليهم فدفنوهم ، وجعل كلما مر برجل فيه خير قال : زعم من زعم أنه لم يخرج إلينا إلا الغوغاء وهذا العابد المجتهد فيهم ، وصلى عليّ على القتلى من أهل البصرة والكوفة ، وصلى على قريش من هؤلاء وهؤلاء ، وأمر فدفنت الأطراف في قبر عظيم ، وجمع ما كان في العسكر من شيء وبعث به إلى مسجد البصرة وقال : من عرف شيئًا فليأخذه إلا سلاحًا كان في الخزائن عليه سمة السلطان ، وكان جميع القتلى عشرة آلاف نصفهم من أصحاب عليّ ونصفهم من أصحاب عائشة ، وقيل غير ذلك .

ثم دخل على البصرة يوم الأثنين فبايعه أهلها على راياتهم حتى الجرحى والمستأمنة ، وأتاه عبد الرحمن بن أبي بكرة في المستأمنين أيضًا فبايعه ، ثم راح إلى عائشة وهى في دار عبد الله بن خلف ، وهي أعظم دار بالبصرة ، فوجد النساء يبكين على عبد الله وعثمان ابني خلف وكان عبد الله قتل مع عائشة وعثمان قتل مع علي ، وكانت صفية زوج عبد الله مختمرة تبكي ، فلما رأته قالت له : يا على يا قاتل الأحبة ! يا مفرق الجمع ! أيتم الله منك بنيك كما أيتمت ولد عبد الله منه ! فلم يرد عليها شيئًا ، ودخل على عائشة فسلم عليها ، وقعد عندها ، فلما خرج عليّ أعادت عليه القول ، فكف بغلته وقال : لقد هممت أن أفتح هذا الباب ، واشار إلى باب في الدار ، وأقتل من فيه ، وكان فيه ناس

من الجرحى فأخبر عليّ بمكانهم فتغافل عنهم فسكت ، وكان مذهبه أن لا يقتل مدبرًا لا يذفف على جريح ولا يكشف سترًا ولا يأخذ مالاً ، ثم جهز علي عائشة بكل ما ينبغي لها من مركب وزاد ومتاع وغير ذلك وبعث معها كل من نجا ممن خرج معها إلا من أحب المقام ، واختار لها أربعين امرأة من نساء البصرة المعروفات ، وسير معها أخاها محمد بن أبي بكر ، فلما كان اليوم الذي ارتحلت فيه أتاها عليّ فوقف لها ، وحضر الناس فخرجت وودعتهم وقالت : يا بني لا يعتب بعضنا على بعض ، إنه والله ما كان بيني وبين عليّ في القديم إلا ما يكون بين المرأة وبين أحمائها ، وإنه على معتبي لمن الأخيار ، وقال عليّ : صدقت ، والله ما كان بيني وبينها إلا ذاك ، وإنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة .

وخرجت يوم السبت غرة رجب وشيعها أميالاً وسرح بنيه معها يومًا، فكان وجهها إلى مكة ، فأقامت إلى الحج ، ثم رجعت إلى المدينة ، وقال لها عمار حين ودعها : ما أبعد هذا المسير من العهد الذي عهد إليك ! قالت : والله إنك ما علمت لقوال بالحق ، قال : الحمد لله الذي قضى على لسانك لي][1] .

(١) (الكامل في التاريخ لابن الاسير) : ٣/٢٠٩ – ٢٥٨ مختصرًا .

وأما إخبار الله تعالى النبي ﷺ بما عزم عليه عمرو بن جحاش من إلقاء صخرة عليه حتى قام من مكانه

فقال الواقدي : حدثني محمد بن عبد الله ، وعبد الله بن جعفر ، ومحمد بن صالح ، ومحمد بن يحيى بن سهل ، وابن أبي حبيبة ، ومعمر بن راشد فى رجال ممن لم أسمهم ؛ فكل قد حدثني ببعض هذا الحديث ، وبعض القوم كان أوعى له من بعض ، وقد جمعت كل الذي حدثوني ، قالوا : أقبل عمرو بن أمية من بئر معونة حتى كان بقناة ، فلقى رجلين من بنى عامر فنسبها ، فانتسبا ، فقابلهما حتى إذا ناما وثب عليهما فقتلهما ، ثم خرج حتى ورد على رسول الله ﷺ من ساعته في قدر حلب شاة ، فأخبره خبرهما ، فقال رسول الله ﷺ : بئس ما صنعت ، قد كان لهما منا أمان وعهد ! فقال : ما شعرت ، كنت أراهما على شركهما ، وكان قومهما قد نالوا منا ما نالوا من الغدر بنا ، وجاء بسلبهما ، فأمر رسول الله ﷺ فعزل سلبهما حتى بعث به مع ديتها ، وذلك أن عامر بن الطفيل بعث إلى رسول الله ﷺ : إن رجلاً من أصحابك قتل رجلين من قومي ، ولهما منك أمان وعهد ، فابعث بديتهما إلينا ، فسار رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعين في ديتهما ، وكانت بنو النضير حلفاء لبني عامر ، فخرج رسول الله ﷺ يوم السبت فصلى في مسجد قباء ومعه رهط من المهاجرين والأنصار ، ثم جاء بني النضير فيجدهم في ناديهم ، فجلس رسول الله ﷺ وأصحابه ، فكلمهم رسول الله ﷺ أن يعينوه في دية الكلابيين الذين قتلهما عمرو بن أمية ، فقالوا : نفعل ، يا أبا القاسم ، ما أحببت قد أني لك أن تزورنا وإن تأتينا ، أجلس حتى نطعمك ! ورسول الله ﷺ مستند إلى بيت من بيوتهم ؛ ثم خلا بعضهم إلى بعض فتناجوا ، فقال : حُيى بن أخطب : يا معشر اليهود ، قد جاءكم محمد في نفير من أصحابه لا يبلغون عشرة – ومعه أبو بكر ، وعمرو ، وعلي ، والزبير ، وطلحة ، وسعد بن معاذ ، وأسيد بن خضير ، وسعد بن عبادة – فأطرحوا عليه حجارة من فوق هذا البيت الذي هو تحته فاقتلوه ، فلن تجدوه أخلى منه الساعة !! فإنه إن قتل تفرق أصحابه ، فلحق من كان معه من قريش بحرمهم ، وبقى من ها هنا من

الأوس والخزرج حلفاؤكم ؛ فما كنتم تريدون أن تصنعوا يومًا من الدهر فمن الآن ! فقال عمرو بن جحاش : أنا أظهر على البيت فأطرح عليه صخرة ، قال سلام بن مشكم : يا قوم ، أطيعوني هذه المرة وخالفوني الدهر ! والله إن فعلتم ليخبرن بأن قد غدرنا به ؛ وإن هذا نقض العهد الذي بيننا وبينه ، فلا تفعلوا ! ألا فوالله لو فعلتم الذي تريدون ليقومن بهذا الدين منهم قائم إلى يوم القيامة ؛ يستأصل اليهود ويظهر دينه ! وقد هيأ الصخرة ليرسلها على رسول الله ﷺ ويحدرها ، فلما أشرف بها جاء رسول الله الخبر من السماء بما هموا به فنهض رسول الله ﷺ سريعًا كأنه يريد حاجة ، وتوجه إلى المدينة ، وجلس أصحابه يتحدثون وهم يظنون أنه قام يقضي حاجة .

فلما يئسوا من ذلك قال أبو بكر – رضي الله تبارك وتعالى عنه – : ما مقامنا ها هنا بشيء ؛ لقد وجه رسول الله ﷺ لأمر فقاموا ، فقال حُيي : عجل أبو القاسم قد كنا نريد أن نقضي حاجته ونغذيه ، وندمت اليهود على ما صنعوا، فقال لهم كنانة بن صويراء : هل تدرون لمَ قام محمد ؟ قالوا : لا والله ، ما ندري وما تدري أنت ! قال : بلى والتوراة ، أني لأدري قد أخبر محمد ما هممتم به من الغدر ، فلا تخدعوا أنفسكم ، والله إنه لرسول الله وما قام إلا أنه أخبر بما هممتم به من الغدر ، وإنه لآخر الأنبياء ، كنتم تطمعون أن يكون من بني هارون فجعله الله حيث شاء وإن كتبنا والذي درسنا في التوراه التي لم يغير ولم تبدل أن مولده بمكة ودار هجرته يثرب ، وصفته بعينها ما تخالف حرفًا هما في كتابنا ، وما يأتيكم [به] أولى من محاربته أياكم ، ولكأني أنظر إليكم ظاعنين، يتضاغى صبيانكم ، قد تركتم دوركم خلوفًا وأموالكم ، وإنما هي شرفكم ؛ فأطيعوني في خصلتين ، والثالثة لا خير فيها ! .

قالوا : ما هما ؟ قال : تسلمون وتدخلون مع محمد ، فتأمنون على أموالكم وأولادكم ، وتكونون من عليه أصحابه ، وتبقى بأيديكم أموالكم ، ولا تخرجوا من دياركم ، قالوا : لا نفارق التوراة وعهد موسى ! قال: فإنه مرسل إليكم : اخرجوا من بلدي ، فقالوا : نعم – فإنه لا يستحل لكم دمًا ولا مالاً – وتبقى أموالكم ، إن شئتم بعتم ، وإن شئتم أمسكتم ، قالوا : أما هذا فنعم ، قال : أما والله إن الأخرى خيرهن لي ، قال : أما والله لولا أني أفضحكم لأسلمت ، ولكن

والله لا تعير شعثاء بإسلامي أبدًا حتى يصيبني ما أصابكم - وابنته شعثاء التى كان حسان ينسب بها .

فقال سلام بن مشكم : قد كنت لما صنعتم كارهًا ، وهو مرسل إلينا أن اخرجوا من داري ، فلا تعقب يا حيي كلامه ، وأنعم له بالخروج ، فاخرج من بلاده ، قال : أفعل ، أنا أخرج ! .

فلما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة تبعه أصحابه ، فلقوا رجلاً خارجًا من المدينة فسألوه : هل لقيت رسول الله ﷺ ؟ قال: لقيته بالجسر داخلاً ، فلما أنتهى أصحابه إليه وجدوه قد أرسل إلى محمد بن مسلمة يدعوه ، فقال أبو بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - : يا رسول الله قمت ولم نشعر ، فقال رسول الله ﷺ : همت اليهود بالغدر بي ، فأخبرني الله بذلك فقمت[1] ، وقد ذكر موسى بن عقبة القصة بمعنى ما تقدم .

(١) (مغازي الواقدي) : ١/٣٦٣ - ٣٦٦ ، وقد ذكره الواقدي بتمامه لكن ذكره المقريزي مختصرًا .

وأما تصديق الله تعالى رسوله ﷺ في قوله عن أُبَيّ بن خلف : أنا أقتله ، فقتله يوم أحد

فخرج أبو نعيم[1] من طريق محمد بن إسحاق قال : حدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف أن أبيّ بن خلف قال حين افتدى : والله إن عندي فرسًا أعلفها كل يوم فرق ذرة ولأقتلن عليها محمدًا ، فبلغت رسول الله ﷺ حلفته فقال : بل أنا أقتله إن شاء الله ، فلما كان يوم أحد طعنه رسول الله ﷺ في عنقه بحربته ، فوقع أبيّ عن فرسه ، فلما رجع إلى فرسه وقد خدشه في عنقه خدشاً غير كبير ، فاحتقن الدم ، قال : قتلني والله محمد ! قالوا : ذهب والله فؤادك إن بك بأس ، فقال : إنه قد قال لي بمكة : أنا أقتلك إن شاء الله ، والله لو بصق لقتلني ، فمات عدو الله بسرف وهم قافلون إلى مكة .

وقال ابن إسحاق[2] : حدثنا ابن شهاب ، وقال قتيبة بن سعيد حدثنا الليث بن سعد عن عبد الرحمن بن خالد ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب أن أبي بن خلف الجمحي أسر ببدر ، فلما افتدي من رسول الله ﷺ ، قال لرسول الله ﷺ : إن عندي العوذ فرسًا أعلفه كل يوم فرقًا من ذرة أقتلك عليها ، فيقول رسول الله ﷺ : أنا أقتلك عليها إن شاء الله ، فلما كان يوم أحد أقبل أبي بن خلف يركض على فرسه تلك حتى دنا من رسول الله ﷺ ، فاعترض رجال من المسلمين ليقاتلوه فقال لهم رسول الله ﷺ : استأخروا استأخروا ! فقام رسول الله ﷺ بحربة في يده فرمى بها أبي بن خلف فكسرت الحربة ضلعًا من أضلاعه ، فرجع إلى أصحابه ثقيلاً فاحتملوه حتى ولوا به ، فطفقوا يقولون له : لا بأس بك ، فقال لهم أبي : ألم يقل لي : بل أنا أقتلك إن شاء الله ؟ فانطلق به أصحابه ، فمات ببعض الطريق فدفنوه ، قال سعيد بن المسيب : وفيه أنزل الله - تبارك تعالى - : ﴿ **وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى** ﴾[3] .

---

(١) (دلائل البيهقيّ) : ٣/٢١١ .

(٢) (السيرة النبوية لابن هشام) : ٤/٣٣ .

(٣) (طبقات ابن سعد) : ٢/٤٦ ، من قتل من المسلمين يوم أحد .

قال أبو نعيم[1] : ورواه حماد بن سلمة عن عليّ بن زيد بن جدعان ، عن سعيد بن المسيب ، وقال محمد بن سعيد : حدثني ابن شهاب الزهريّ عن عبد الله بن كعب بن مالك قال : كان كعب أول من عرف رسول الله ﷺ بعد الهزيمة ، وقول الناس قتل رسول الله ﷺ ، قال كعب : عرفت عينيه تزهران من تحت المغفر ، فناديت بأعلى صوتي يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله ﷺ ، فأشار إليّ أن أنصت ، فلما عرفوا رسول الله ﷺ نهضوا به معهم ، ونهض به معهم نحو الشّعب ومعه أبو بكر ، وعمر ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، والحارث بن الصمة في رهط من المسلمين ، فلما أسند رسول الله ﷺ في الشّعب أدركه أبيّ بن خلف وهو يقول : يا محمد لا نجوت إن نجوت فقال القوم : أيعطف عليه يا رسول الله رجل منا ؟ فقال : دعوه ، فلما دنا تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة ، يقول بعض القوم فيما ذكر لي : فلما أخذها رسول الله ﷺ انتفض بها انتفاضه تطايرنا عنه تطاير الشُّعْرِ[2] من ظهر البعير إذ انتفض ، ثم استقبله ، فطعنه بها طعنة تدأدأ[3] منها عن ظهر فرسه مرارًا .

وقال ابن لهيعة : حدثت أبو الأسود ، عن عروة بن الزبير قال : كان أُبيّ ابن خلف أخو بني جمح حلف وهو بمكة ليقتلن رسول الله ﷺ ، فلما بلغت حلفته رسول الله ﷺ ، قال رسول الله ﷺ : أنا أقتله إن شاء الله ، فأقبل أُبيّ مقنعًا في الحديد يقول لا نجوت إن نجا محمد ، فحمل على رسول الله ﷺ يريد قتله فاستقبله مصعب بن عمير أخو بني عبد الدار يتقي رسول الله ﷺ بنفسه ، فقتل مصعب بن عمير ، وأبصر رسول الله ﷺ ترقوة أبيّ بن خلف من فرجه بين سابغة الدرع والبيضة ، فطعنه بحربته فوقع أبي عن فرسه ، ولم يخرج من طعنته دم ، فأتوه أصحابه فاحتملوه وهو يخور خوار الثور ، فقالوا : ما

---

(١) (دلائل أبي نعيم) : ٢/٤٨٢ ، حديث رقم (٤١٤) .

(٢) الشُّعْرِ : ذباب زرق تقع على الأبل والحمير فتتادي بها كثيرًا .

(٣) تدأدأ : سقط وتدحرج .

أجزعك؟ إنما هو خدش ، فذكر لهم قول رسول الله ﷺ : [أقتل أبيًا] ثم قال : والذي نفسي بيده لو كان الذي بى بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعين ، فمات[1] .

وقال موسى بن عقبة : عن ابن شهاب فيمن ذكرهم من قتلى المشركين يوم أحد . قال : وأبيّ بن خلف مات بمكة أو بالطريق من طعنة ، طعنه إياها رسول الله ﷺ .

وقال عبد الرزاق : عن معمر بن عثمان الجزري ، عن مقسم قال معمر: وحدثني الزهريّ ببعضه أنّ عقبة بن أبي معيط وأبيّ بن خلف التقيا ، فقال عقبة لأبيّ : لا أرضى عنك حتى تأتي محمدًا فتتفل في وجهه ، وتشتمه وتكذبه ، فلما كان يوم أحد خرج أبيّ بن خلف مع المشركين فأخذ النبيّ ﷺ بحربة فخرج له بها فتقع في ترقوته ، فخر يخور كما يخور الثور ، فأقبل أصحابه حتى احتملوه وهو يخور ، فقالوا ما هذا ؟ فوالله ما بك إلا خدش فقال : والله لو لم يصبني إلا ريقه لقتلني أليس قد قال : أنا أقتله ؟ فوالله لو كان الذي بي بأهل ذي المجاز لقتلهم فما لبث إلا يومًا أو نحو ذلك حتى مات .

وقال الواقدي : في (مغازيه) فحدثني يونس بن محمد الظفري ، عن عاصم بن عمرو ، عن عبد الله بن كعب بن مالك قال : كان أبيّ بن خلف قدم في فداء ابنه وكان أسر يوم بدر فقال : يا محمد إن عندي فرسًا لي أعلفها كل يوم فرقًا من ذرة كي أقتلك عليها ، فقال رسول الله ﷺ : بل أنا أقتلك عليها إن شاء الله ، ويقال : قال : ذلك بمكة فبلغ رسول الله ﷺ كلمته بالمدينة فقال : أنا أقتله عليها إن شاء الله ، قالوا : وكان رسول الله ﷺ في القتال لا يلتفت وراءه ، وكان يقول لأصحابه إني أخشى أن يأتي أُبيّ بن خلف من خلفي فإذا رأيتموه فآذنوني به ، فإذا بأبيّ يركض على فرسه وقد رأى رسول الله ﷺ فعرفه ، فجعل يصيح بأعلى صوته يا محمد لا نجوت إن نجوت ، فقال القوم : يا رسول الله ما كنت صانعًا حين يغشاك ؟ فقد جاءك ، وإن شئت عطف بعضنا عليك فأبىّ رسول الله ودنا أبي ، فتناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة، ثم انتفض بأصحابه كما ينتفض البعير ، فتطايرنا عنه تطاير الشعْرِ من

---

(١) (المرجع السابق) : حديث رقم (٤١٥) .

ظهر البعير ، ولم يكن أحد يشبه رسول الله ﷺ إذا جد الجد ، ثم أخذ الحربة فطعنه بالحربة في عنقه وهو على فرسه ، فجعل يخور كما يخور الثور ، ويقول له أصحابه : أبا عامر ! والله ما بك بأس ، ولو كان هذا الذي بك يعين أحدنا ما ضره ، قال : لا واللات والعزى لو كان هذا الذي بي بأهل المجاز لماتوا أجمعون ، أليس قال : لأقتلنك ؟ فاحتملوه ، وشغلهم ذلك عن طلب النبي ﷺ ، ولحق رسول الله ﷺ بعظم أصحابة في الشعب ، ويقال : تناول الحربة من الزبير بن العوام .

كان ابن عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - يقول : مات أُبيّ بن خلف ببطن رابغ فإني لأسير ببطن رابغ بعد هوي من الليل إذ نار تأجج لي ، فهبتها وإذا رجل يخرج منها في سلسلة يجتذ بها يصيح : العطش ، وإذا رجل يقول : لا تسقه فإن هذا قتيل رسول الله ﷺ هذا أُبيّ بن خلف ، فقلت : ألا سحقا، ويقال : مات بسرف ، ويقال : لما تناول الحربة من الزبير حمل أبيّ علي رسول الله ﷺ ليضربه ، فاستقبله مصعب بن عمير يجود بنفسه دون رسول الله ﷺ ، فضرب مصعب بن عمير وجهه ، وأبصر رسول الله ﷺ فرجة بين سابغة البيضة والدرع ، فطعنه هناك فوقع وهو يخور(1) .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا محمد بن مروان عن عمارة بن أبي حصينة ، عن عكرمة ، قال : شُجَّ النبي ﷺ في وجهه يوم أحد وكسرت رباعيته وذلق لسانه من العطش حتى جعل يقع على ركبتيه ، وتركه أصحابه ، فجاء أُبيّ بن خلف يطلبه بدم أخيه أمية بن خلف ، فقال : أين هذا الذي يزعم أنه نبيّ؟ فليبرز لي فإنه إن كان نبيًا قتلني ، فقال رسول الله ﷺ : أعطوني الحربة ، فقالوا : يا رسول الله وبك حراك فقال : إني قد استسقيت الله دمه ، فأخذ الحربة، ثم مشى إليه فطعنه فصرعه عن دابته ، وحمله أصحابه فاستنقذوه ، فقالوا له : ما نرى بك بأسًا ، قال : إنه قد استسقى الله دمي ، إني لأجد لها ما لو كانت على ربيعة ، ومضر لوسعتهم(2) .

---

(1) (مغازي الواقدي) : ١/٢٥٠ - ٢٥٢ ، غزوة أحد .

(2) (مصنف ابن أبي شيبة) : ٧/٣٧١ ، كتاب المغازي ، حديث رقم (٣٦٧٧٣) .

وأما إجابة الله تعالى دعاء نبيه ﷺ
على عتبة بن أبي وقاص

فخرَّج عبد الرزاق عن معمر ، عن الزهريّ ، عن عثمان الجزري ، عن مقسم أن النبي ﷺ دعا على عتبة بن أبي وقاص يوم أحد حين كسر رباعيته ، ودمى وجهه ، وقال : اللهم لا يحل عليه الحول حتى يموت كافرًا ، فما حال عليه الحول حتى مات كافرًا إلى النار .

وأما إجابة الله تعالى دعاء رسوله ﷺ
على ابن قميئة ومن وافقه في ضيعه

فخرَّج أبو نعيم[1] من حديث بن جريح ، عن إبراهيم بن ميسرة ، عن نافع بن عاصم ، قال : الذي دمى وجه رسول الله ﷺ عبد الله بن قميئة رجل من هذيل ، فسلط الله عليه تيسًا فنطحه حتى قتله .

وقال الواقدي في (مغازيه)[2]- وقد ذكر غزوة أحد - : وكان أربعة من قريش قد تعاهدوا وتعاقدوا على قتل رسول الله ﷺ وعرفهم المشركون بذلك عبد الله بن شهاب ، وعتبة بن أبي وقاص ، وابن قميئة[3] ، وأبيّ بن خلف ، ورمى عتبة يومئذٍ رسول الله ﷺ بأربعة أحجار وكسرت رباعيته - أشظى[4] باطنها اليمنى السفلى وشج وجنتيه حتى غاب حلق المغفر في وجنته ، وأصيبت ركبتاه فجحشتا ، وكان حُفر حَفرها أبو عامر الفاسق كالخنادق للمسلمين ، وكان رسول الله ﷺ واقفًا على بعضها ولايشعر به ، والثبت عندنا أن الذي وجنتي رسول الله ﷺ ابن قميئة رمى شفته وأصاب رباعيته عتبة بن أبي وقاص ،

---

(١) (دلائل أبي نعيم) : ٤٨٨ - ٤٨٩ ، حديث رقم (٤٢٤) وسنده منقطع .

(٢) (مغازي الواقدي) : ١/٢٤٣ - ٢٤٦ .

(٣) في بعض المراجع : " قمئة " .

(٤) أشظى : كسر .

وأقبل ابن قميئة وهو يقول : دلوني على محمد ، فوالذي يحلف به ، لئن رأيته لأقتلنه ! فعلاه السيف ورماه عتبة بن أبي وقاص مع تجليل السيف ، وكان عليه ﷺ درعان ، فوقع رسول الله ﷺ في الحفرة التي أمامه فجحشت ركبتاه ، ولم يصنع سيف بن قميئة شيئًا إلا وهن الضربة بثقل السيف ، فقد وقع لها رسول الله ﷺ وانتهض رسول الله ﷺ وطلحه يحمله من ورائه ، وعلي آخذ بيديه حتى استوى قائمًا .

حدثني الضحاك بن عثمان عن ضمرة بن سعيد ، عن أبي بشير المازني، قال : حضرت يوم أحد وأنا غلام ، فرأيت ابن قميئة علا رسول الله ﷺ بالسيف، فرأيت رسول الله ﷺ وقع على ركبتيه في حفرة أمامه حتى توارى ، فجعلت أصيح - وأنا غلام - حتى رأيت الناس ثابوا إليه ، قال : فأنظر إلى طلحة بن عبيد الله آخذًا بحضنه حتى قام رسول الله ﷺ .

ويقال : إن الذي شج رسول الله ﷺ في جبهته ابن شهاب ، والذي أشظى رباعيته وأدمى شفتيه عتبة بن أبي وقاص ، والذي رمى وجنتيه ، حتى غاب الحلق في وجنتيه ابن قميئة ، وسال الدم من في شجته التي في جبهته حتى أخضل الدم لحيته ﷺ .

وكان سالم مولى أبي حذيفة يغسل الدم عن وجه رسول الله ، ورسول الله ﷺ يقول : كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى الله - عز وجل- ؟ فأنزل الله -عز وجل -: ﴿ **ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم**﴾[1]الآية .

وقال سعد بن أبي وقاص - رضي الله تبارك وتعالى عنه - : سمعته يقول : اشتد غضب الله على قوم أدموا وجه رسول الله ؛ اشتد غضب الله على رجل قتله رسول الله ! قال سعد : فقد شفاني من عتبة أخي دعاء رسول الله ﷺ ، لقد حرصت على قتله حرصًا ما حرصته على شيء قط ، وإن كان ما علمته لعاقًا بالوالد سيء الخلق ، ولقد تخرقت صفوف المشركين مرتين أطلب أخي لأقتله ، ولك راغ مني روغان الثعلب ، فلما كان الثالثة قال لي رسول الله ﷺ : يا عبد الله ما تريد ؟ تريد أن تقتل نفسك ؟ فكففت ، فقال رسول الله ﷺ :

---

(١) آل عمران : ١٢٨ .

اللهم لا يحولنّ الحول على أحد منهم ! قال : والله ، ماحال الحول على أحد ممن رماه أو جرجه ! مات عتبة .

وأما ابن قميئة فإنه اختلف فيه ، فقائل يقول : قتل في المعرك ، وقائل يقول : إنه رمى يوم أحد بسهم ، فأصاب مصعب بن عمير ، فقال : خذها وأنا ابن قميئة ! فقتل مصعبًا ، فقال رسول الله ﷺ : أقمأه الله ، فعمد إلى شاة يحتلبها فنطحته بقرنها وهو معتقلها فقتلته ، فوجد ميتًا بين الجبال ، لدعوة رسول الله ﷺ ، وكان عدو الله قد رجع إلى أصحابه ، فأخبرهم أنه قتل رسول الله ﷺ وهو رجل من بني الأدرم من بني فهر .

وأما تغسيل الملائكة حنظلة بن أبي عامر رضي الله تبارك وتعالى عنه لما قتل بأُحد وظهور الماء بقطر من رأسه تصديقًا لإخبار رسول الله ﷺ بذلك

فقال ابن إسحاق[1] : فحدثني يحيى بن عبد الله ، عن جده وقد التقى حنظلة بن أبي عامر الغسيل وأبو سفيان ، فلما استعلاه حنظلة بن أبي عامر رآه شداد بن الأسود وهو ابن شعوب ، وقد علا أبا سفيان فضربه شداد بالسيف حتى قتله ، فقال رسول الله ﷺ : إن صاحبكم - يعني حنظلة - لتغسله الملائكة ، فسألوا أهله ما شأنه ؟ فسئلت صاحبته ، فقالت : خرج وهو جنب سمع الهاتفة .

وذكر الواقدي[2] في (مغازيه) قصة حنظلة قال : وكان حنظلة بن أبي عامر تزوج جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول ، فأدخلت عليه في الليلة التي في صبحها قتال أحد ، وكان قد استأذن رسول الله ﷺ أن يبيت عندها فأذن له ، فلما صلى الصبح غدا يريد رسول الله ﷺ ، ولزمته جميلة فعاد فكان معها ، فأجنب منها ثم أراد الخروج ؛ وقد أرسلت قبل ذلك إلى أربعة من قومها فأشهدتهم أنه قد دخل بها ، فقيل لها بعد : لم أشهدت عليه ؟ قالت : رأيت كأن السماء فرجت فدخل فيها حنظلة ثم أطبقت ، فقلت : هذه الشهادة ! فأشهدت عليه أنه قد دخل بها ، وتعلق بعبد الله بن حنظلة ، ثم تزوجها ثابت بن قيس بعد فولدت له محمد بن ثابت بن قيس .

وأخذ حنظلة بن أبي عامر سلاحه ، فلحق برسول الله ﷺ بأحد وهو يسوي الصفوف ، قال : فلما انكشف المشركون اعترض حنظلة بن أبي عامر لأبي سفيان بن حرب فضرب عرقوب فرسه فاكتسعت الفرس ، ويقع أبو سفيان إلى الأرض ! وحنظلة يريد ذبحه بالسيف ، فأسمع الصوت رجالاً لا يلتفتون إليه من الهزيمة ، حتى عاينه الأسود بن شعوب ، فحمل على حنظلة بالرمح فأنفذه ،

---

(١) (السيرة النبوية لابن هشام) : ٣/٢٢ - ٢٣ .

(٢) (مغازي الواقدي) : ١/٢٧٣ - ٢٧٤ .

فمشى حنظلة إليه بالرمح وقد أثبته ، ثم ضربه الثانية فقتله ، وهرب أبو سفيان يعدو على قدميه فلحق ببعض قريش ، فنزل عن صدر فرسه وردف وراء أبي سفيان – فذلك قول أبي سفيان – فلما قتل حنظلة مر عليه أبوه، وهو مقتول جنب حمزة بن عبد المطلب وعبد الله بن جحش ، فقال : إن كنت لأحذرك هذا الرجل من قبل هذ المصرع ؛ والله إن كنت لبرًا بالوالد ، شريف الخلق في حياتك ، وإن مماتك لمع سراة أصحابك وأشرافهم ، وإن جزى الله هذا القتيل – لحمزة – خيرًا ، أو أحداً أمن أصحاب محمد فجزاك الله خيرًا ، ثم نادي يا معشر قريش حنظلة لا يمثل به وإن كان خالفني وخالفكم فلم يأل لنفسه فيما يرى خيرًا ، ثم نادى : يا معشر قريش ، حنظلة لا يمثل به وإن كان خالفني وخالفكم، فلم يأل لنفسه فيما يرى خيرًا ، فمثل بالناس وترك فلم يمثل به .

وكانت هند أول من مثل بأصحاب النبي ﷺ وأمرت النساء بالمثل – جدع الأنوف والآذان – فلم تبق امرأة إلا عليها معضدان ومسكتان وخدمتان ، ومثل بهم كلهم إلا حنظلة.

وقال رسول الله ﷺ : إني رأيت الملائكة تغسل حنظلة بن أبي عامر بين السماء والأرض بماء المزن في صحاف الفضة ، قال أبو أسيد الساعدي : فذهبنا فنظرنا إليه فإذا رأسه يقطر ماء ، قال أبو أسيد : فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته ، فأرسل إلى امرأته فسألها ، فأخبرته أنه خرج وهو جنب .

وقال ابن عبد البر[1] : وذكر أهل السيرة أن حنظلة الغسيل كان قد ألم بأهله في حين خروجه إلى أحد ، ثم هجم عليه من الخروج في النفير ما أنساه الغسل ، وأعجله عنه ، فلما قتل شهيدًا أخبر رسول الله ﷺ بأن الملائكة غسلته.

وروى حماد بن سلمة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، أن رسول الله ﷺ قال : لأمرأة حنظلة بن أبي عامر الأنصاري : ما كان شأنه ؟ قالت : كان جنبًا وغسلت أحد شقي رأسه ، فلما سمع الهيعة خرج فقتل ، فقال رسول الله ﷺ : لقد رأيت الملائكة تغسله .

---

(١) (الاستيعاب في معرفة الأصحاب) : ١/٣٨١ – ٣٨٢ ترجمة رقم (٥٤٩) .

وابنه عبد الله بن حنظلة ، ولد على عهد رسول الله ﷺ ، قد ذكرناه في باب العبادلة من هذا الكتاب[1] .

حدثنا عبد الوارث بن سفيان ، حدثنا قاسم أصبغ ، حدثنا محمد بن عبد السلام الخشني ، قال : حدثنا أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم البغدادي الدورقي قال: حدثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن سيعد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أنس ، قال : افتخرت الأوس فقالوا : منا غسيل الملائكة حنظلة بن الراهب ، ومنا من حمته الدبر عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ، ومنا من أجيزت شهادته بشهادة رجلين خزيمة بن ثابت ، ومنا من اهتز بموته عرش الرحمن سعد بن معاذ ، فقال الخزرجيون : منا أربعة قرءوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ ولم يقرأه غيرهم : زيد بن ثابت ، وأبو زيد ، ومعاذ بن جبل ، وأبيّ بن كعب .

قال ابن عبد البر[2] : يعني لم يقرأه كله أحد منكم يا معشر الأوس ، ولكن قد قرأه جماعة من غير الأنصار منهم : عبد الله بن مسعود ، وسالم مولى أبي حذيفة . وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وغيرهم .

(١) (المرجع السابق) : ٣٨١ .

(٢) (المرجع السابق) : ٣٨٢ .

وأما غشي النعاس المؤمنين يوم أُحد
فقال الله تعالى :
﴿ ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً يغشى طائفة منكم ﴾(١)

الأمن وهو نقيض الخوف ، يقال أمن أمنا وأمنه ، وقيل الأمنة الأمن وهو نقيض الخوف إنما تكون من استباق الخوف ، والأمن يكون مع عدم الخوف ، وكان في ذلك علم من أعلام رسول الله ﷺ فإن المسلمين كانوا في غم شديد ، وقد انهزموا من عدوهم ، وخرج الشيطان فيهم قبل محمد ، واستشهد منهم سبعون ، فما نزل الله - سبحانه وتعالى - عليهم مع هذه الشدائد العظيمة النعاس حتى نام أكثرهم ، وإنما ينعس من يأمن ، والخائف لا ينام .

خرَّج البخاري(٢) من حديث حسين بن محمد عن شيبان ، عن قتادة ، حدثنا أنس بن أبا طلحة قال : غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد قال : فجعل سيفي يسقط من يدى وآخذه ، ويسقط وآخذه .

وخرَّج الترمذي(٣) من حديث سعيد عن قتادة ، عن أنس أن أبا طلحة قال: غشينا ونحن في مصافنا يوم أحد ، حدث أنه كان فيمن غشيه النعاس يومئذ قال: فجعل سيفي يسقط من يدي ، وآخذ ، ويسقط من يدي وآخذه ، والطائفة الأخرى المنافقون ليس لهم هم إلا أنفسهم ، أجبن قوم وأرغبه ، وأخْذَ لهُ للحق .

قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

وخرَّج أبو نعيم(٤) والبيهقي(٥) من طريق حماد بن سلمة عن ثابت ، عن أنس ، عن أبي طلحة قال : رفعت رأسي يوم أحد فجعلت أنظر وما منهم أحدٌ

---

(١) آل عمران : ١٥٤ .

(٢) (فتح الباري) : ٢٨٨/٨ ، كتاب التفسير ، باب (١١) ﴿ أمنة نعاسًا ﴾ ، حديث رقم (٤٥٦٢).

(٣) (الترمذيّ) : ٢١٤/٥ ، كتاب تفسير القرآن ، باب (٤) ومن سورة آل عمران ، حديث رقم (٣٠٠٨) .

(٤) (دلائل أبي نعيم) : ٤٨٧/٢ ، حديث رقم (٤٢١) . =

إلا وهو يميد تحت حجمته من النعاس ، فذلك قوله - تعالى عز وجل - : ﴿ **ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً يغشى طائفة منكم** ﴾[١] الآية .

وخرّج أبو نعيم[٢] من حديث هشام بن عروة عن أبيه ، عن الزهريّ أنهم كانوا جلوساً مع النبي ﷺ يوم أحد في أصل الجبل حتى أرسل الله عليهم النعاس أمنة منه ، وأنهم ليغطون حتى إن حَجَفَهم لتنتطح في أيديهم والعدو تحتهم .

وقال ابن إسحاق[٣] : حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير ، عن الزبير قال : والله إني لأسمع قول معتب بن قشير أخي بني عمرو بن عوف والنعاس يغشاني ما أسمعه إلا كالحلم حين قال: ﴿ **لو كان لنا من الأمر شئ ما قتلنا ها هنا** ﴾[٤].

وخرّج البيهقيّ من حديث ابن شهاب عن عبد الرحمن بن مصور بن محرقة ، عن عابية ، عن عبد الرحمن بن عوف - رضي الله تبارك وتعالى عنه - في قوله - تعالى - : ﴿ **إذ يغشيكم النعاس أمنة منه** ﴾[٥] قال : ألقى علينا النوم يوم أحد .

= (٥) (دلائل البيهقيّ) : ٣/٢٦٧ ، باب قول الله - عز وجل - : ﴿ **ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر** ﴾ الآية . وقول الله - عز وجل - ﴿ **إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غمًا بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون ثم انزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسًا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية** ﴾ [آل عمران : ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤] .

(١) آل عمران : ١٥٤ .

(٢) (دلائل أبي نعيم) : ٢/٤٨٧ ، حديث رقم (٤٢٢) .

(٣) (المرجع السابق) : حديث رقم (٤٢٣) .

(٤) آل عمران : ١٥٤ .

(٥) آل عمران : ١٥٤ .

وذكر الواقدي[1] في (مغازيه) قصة أحد ، ثم قال أبو أسيد الساعدي : لقد رأيتنا قبل أن يلقى علينا النعاس ، وإنا لسلم لمن أرادنا ، لما بنا من الحزن ؛ فألقى علينا النعاس فنمنا حتى تناطح الحجف ، وفزعنا وكأنا لم تصبنا قبل ذلك نكبة .

وقال طلحة بن عبيد الله : غشينا النعاس حتى كان حجف القوم تناطح .

وقال الزبير بن العوام : غشينا النعاس فما منا رجل إلا وذقنه في صدره من النوم ، فأسمع معتب بن قشير يقول : وإني لك لكالحالم ﴿ **لو كان لنا من الأمر شئ ما قتلنا ها هنا** ﴾[2] ، فأنزل الله – تعالى – فيه .

وقال أبو اليسر : لقد رأيتني يومئذ في أربعة عشر رجلاً من قومي إلى جنب رسول الله ﷺ ، وقد أصابنا النعاس أمنة منه ، ما منهم رجل إلا يغط غطيطًا حتى إن الحجف لتناطح ، ولقد رأيت سيف بشر بن البراء بن معرور سقط من يده وما يشعر به ، وأخذه بعد ما تثلم وإن المشركين لتحتنا .

= قال الشيخ أبو نعيم – رضي الله تبارك وتعالى عنه – : وفي هذه الغزوة مما ذكرناه من الدلائل ما حقق اللله من قول النبي ﷺ في أبيّ بن خلف : بل أنا أقتلك ، وكذب أبيّ إذ قال : أنا أقتل محمدًا .

ومنها : ما أراهم الله – عزّ وجلّ – منن ردّه ﷺ حدقة قتادة بن النعمان إلى موضعها بعد سقوطها ، حتى كانت أحسن عينيه وأحدهما ، فثبتت الدلالة فيه من وجهين .

وفيها : غسل الملائكة لحنظلة ، وظهور ذلك للأنصار ، فرأوا الماء يقطر من رأسه رفعًا للجنابة التي كانت عليه .

وفيها : ما غشيهم من النعاس مع قرب العدوّ منهم ، وما يوجب في العادة أن لا يناموا ، فلما كان ما وقع شيئًا خارجًا عن العادة ، ثبتت في الدلالة فيه ، والله – تعالى – أعلم . (دلائل أبي نعيم) : ٢/٤٨٨ .

(١) (مغازي الواقدي) : ١/٢٩٥ – ٢٩٦ .

(٢) آل عمران : ١٥٤ .

وقال أبو طلحة : ألقى علينا النعاس فكنت أنعس حتى يسقط سيفي من يدي ، وكان النعاس لم يصب أهل النفاق والشك يومئذ ، فكان منافق يتكلم بما في نفسه ، وإنما أصاب النعاس أهل اليقين والإيمان .

وقال أبو نعيم[1] : ما غشيهم من النعاس مع قرب العدو منهم ، وما يوجب في العادة أن لا يناموا فلما كان فيما وقع شيئًا خارجًا عن العادة ثبتت الدلالة فيه والله أعلم .

(١) (دلائل أبي نعيم) : ٤٨٨/٢ ، حديث رقم (٤٢٣) .

وأما ظهور صدق الرسول ﷺ
في إخباره أن قزمان في النار

فقال الواقدي[1] : وكان قزمان من المنافقين ، وكان قد تخلف عن أحد ، فلما أصبح عيره نساء بني ظفر فقلن : يا قزمان ، قد خرج الرجال وبقيت ! يا قزمان ، ألا تستحي مما صنعت ؟ ما أنت إلى إلا امرأة ، خرج قومك فبقيت في الدار ! فأحفظته ، فدخل بيته فأخرج قوسه وجعبته وسيفه – وكان يعرف بالشجاعة – فخرج يعدو حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ وهو يسوي صفوف المسلمين ، فجاء من خلف الصفوف حتى انتهى الصف الأول فكان فيه ، وكان أول من رمى بسهم من المسلمين ، فجعل يرسل نبلاً كأنها الرماح ، وإنه ليكت كتيت الجمل ، ثم صار إلى السيف ففعل الأفاعيل ، حتى إذا كان آخر ذلك قتل نفسه ، وكان رسول الله ﷺ إذا ذكره قال : من أهل النار ، فلما انكشف المسلمون كسر جفن سيفه وجعل يقول : الموت أحسن من الفرار ! يا آل أوس ، قاتلوا على الأحساب واصنعوا مثل ما اصنع ! قال : فيدخل بالسيف وسط المشركين حتى يقال : قد قتل ، ثم يطلع ويقول: أنا الغلام الظفري ! حتى قتل منهم سبعة ، وأصابته الجراحة وكثرت به فوقع ، فمر به قتادة بن النعمان فقال: أبا الغيداق ! قال له قزمان : يا لبيك ! قال : هنيئًا لك الشهادة ! قال قزمان : إني والله ما قاتلت يا أبا عمرو على دين ، ما قاتلت إلا على الحفاظ ، أن قريش إلينا حتى تطأ سعفنا ، فذكر للنبي ﷺ جراحته فقال : من أهل النار ، فأندبته الجراحة ، فقتل نفسه ، فقال رسول الله ﷺ : إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر .

وقال الواقدي[2] في موضع آخر : وكان قزمان عديدًا في بني ظفر لا يدري ممن هو ، وكان لهم حائطًا محبًا ، وكان مقلاً لا ولد له ولا زوجة ، وكان شجاعًا يعرف بذلك في حروبهم ، تلك التي كانت تكون بينهم ، فشهد أحدًا فقاتل

---

(١) (مغازي الواقدي) : ١/٢٢٣ - ٢٢٤ .

(٢) (المرجع السابق) : ١/٢٦٣ - ٢٦٤ .

قتالاً شديدًا فقتل ستة أو سبعة ، وأصابته الجراح فقيل للنبي ﷺ : قزمان قد أصابته الجراح ، فهو شهيد ! قال : من أهل النار ، فأتي إلى قزمان فقيل له : هنيئًا لك يا أبا الغيداق الشهادة ! قال : بم تبشرون ؟ والله ما قاتلنا إلا على الأحساب ، قالوا : بشرناك بالجنة ، قال : جنة من حرمل ؛ والله ما قاتلنا على جنة ولا نار ، إنما قاتلنا على أحسابنا ! فأخرج سهمًا من كنانته ، فجعل يتوجأ به نفسه ، فلما أبطأ عليه المشقص أخذ السيف فأتكأ عليه حتى خرج من ظهره ، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال : من أهل النار .

حدثنا يونس[١] بن محمد الظفري ، عن أبيه ، قال : أقبل قزمان يشد على المشركين ، وتلقاه خالد بن الأعلم ، وكل واحد منهما راجل ، فاضطربا بأسيافهما ، فيمر بهما خالد بن الوليد فحمل الرمح على قزمان ، فسلك الرمح في غير مقتل ، شطب الرمح ، ومضى خالد وهو يرى أنه قد قتله ، فضربه عمرو بن العاص وهما على تلك الحال ، وطعنه أخرى فلم يجهز عليه ، فلم يزالا يتجاولان حتى قتل قزمان خالد بن الأعلم ، ومات قزمان من جراحة به من ساعة ، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة قتله الحارث بن الصمة خمسة .

فقال الواقدي[٢] في (مغازيه) : قال جابر بن عبد الله : لما قتل سعد بن ربيع بأحد رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ، ثم مضى إلى حمراء الأسد ، وجاء أخو سعد بن ربيع فأخذ ميراث سعد ، وكان لسعد ابنتان وكانت امرأته حاملاً ، وكان المسلمون يتوارثون على ما كان في الجاهلية حتى قتل سعد بن ربيع ، فلما قبض عمهن المال –ولم تنزل الفرائض– وكانت امرأة سعد امرأة حازمة ، صنعت طعامًا – ثم دعت رسول الله ﷺ – خبزًا ولحمًا وهي يومئذ بالأسواف[٣] ، فانصرفنا إلى النبي ﷺ من الصبح ، فبينا نحن عنده جلوس ونحن نذكر وقعة أحد ومن قتل من المسلمين ، ونذكر سعد بن ربيع إلى أن قال رسول

---

(١) (المرجع السابق) : ٣٠٨/١ .

(٢) (المرجع السابق) : ٣٢٩/١ – ٣٣١ ، هذا الحديث مطموس في الأصل ونقلناه بتمامه من المرجع السابق .

(٣) الأسواف : اسم حرم المدينة ، وقيل : اسم موضع بعينه بناحية البقيع : (معجم البلدان) .

الله ﷺ : قوموا بنا ، فقمنا معه ونحن عشرون رجلاً حتى انتهينا إلى الأسواف، فدخل رسول الله ﷺ ، ودخلنا معه فنجدها قد رشت ما بين صورين ، وطرحت خصفة(١) .

قال جابر بن عبد الله : والله ما ثم وسادة ولا بساط ، فجلسنا ورسول الله ﷺ يحدثنا عن سعد بن ربيع ، يترحم عليه ويقول : لقد رأيت الأسنة شرعت إليه يومئذ حتى قتل ، فلما سمع ذلك النسوة بكين ، فدمعت عينا رسول الله ﷺ وما نهاهن عن شيء من البكاء .

قال جابر : ثم قال رسول الله ﷺ : يطلع عليكم رجل من أهل الجنة ، قال : فتراءينا من يطلع ، قال فطلع أبو بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فقمنا فبشرناه بما قال رسول الله ﷺ ، ثم سلم ثم ردوا عليه ، ثم جلس .

ثم قال رسول الله ﷺ : يطلع عليكم رجل من أهل الجنة ، فترائينا من يطلع من خلال السعف ، فطلع عمر بن الخطاب - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ، فقمنا فبشرناه بما قال النبي ﷺ فسلم ثم جلس .

ثم قال : يطلع عليكم رجل من أهل الجنة ، فنظرنا من خلال السعف ، فإذا علي بن أبي طالب - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قد طلع ، فقمنا فبشرناه بالجنة ، ثم جاء فجلس فسلم ثم جلس ، ثم أتي بالطعام .

قال جابر : فأتى من الطعام بقدر ما يأكل رجل واحدًا واثنان ، فوضع رسول الله ﷺ يده فيه ، فقال : خذوا بسم الله ! فأكلنا منها حتى نهلنا ؛ والله ما أرانا حركنا منها شيئًا ، ثم قال رسول الله ﷺ : ارفعوا هذا الطعام ! فرفعوه ، ثم أتينا برطب في طبق في باكورة أو مؤخر قليل ، فقال رسول الله ﷺ : بسم الله ، كلوا ! قال : فأكلنا حتى نهلنا ، وإني لأرى في الطبق نحوًا مما أتى به ، وجاءت الظهر فصلى بنا رسول ﷺ ولم يمس ماءً ، ثم رجع إلى مجلسه فتحدث رسول الله ﷺ ، ثم جاءت العصر فأتى ببقية الطعام يتشبع به ، فقام النبي ﷺ فصلى بنا العصر ، ولم يمس ماء .

---

(١) الخصفة : الشيء المنسوج من خوص .

ثم قامت امرأة سعد بن ربيع فقالت : يا رسول الله ، إن سعد بن ربيع قتل بأحد ، فجاء أخوه فأخذ ما ترك ، وترك ابنتين ولا مال لهما ، وإنما ينكح – يا رسول الله – النساء على المال ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم أحسن الخلافة على تركته ، لم ينزل عليّ في ذلك شيء ، وعودي إليَّ إذا رجعت ! فلما رجع رسول الله ﷺ إلى بيته جلس على بابه وجلسنا معه ، فأخذ رسول الله ﷺ برحاء حتى ظننا أنه أنزل عليه ، قال : فسرى عنه والعرق يتحدر عن جبينه مثل الجمان ، فقال : عليَّ بامرأة سعد قال : فخرج أبو مسعود عقبة بن عمرو حتى جاء بها ، قال : وكانت امرأة حازمة جلدة ، فقال : أين عم ولدك ؟ قالت : يا رسول الله في منزله ، قال : ادعيه لي ، ثم قال رسول الله ﷺ : اجلسي ، فجلست وبعث رجلاً يعدو إليه فأتى به وهو في بلحارث بن الخزرج ، فأتى به وهو متعب ، فقال رسول الله ﷺ : ادفع إلى بنات أخيك ثلثي ما ترك أخوك فكبرت امرأته تكبيرة سمعها أهل المسجد ، وقال رسول الله ﷺ : ادفع إلى زوجة أخيك الثمن وشأنك وسائر ما بيدك ، ولم يورث الحمل يومئذ ، وهي أم سعد بنت سعد بن ربيع امرأة زيد بن ثابت أم خارجة بن زيد ، فلما ولي عمر بن الخطاب – رضي الله تبارك وتعالى عنه – وقد تزوج زيد أم سعد بنت سعد وكانت حملاً ، فقال : إن كانت لك حاجة أن تكلمي في ميراثك من أبيك ، فإن أمير المؤمنين قد ورَّث الحمل اليوم ، وكانت أم سعد يوم قتل أبوها سعد حملاً ، فقالت : ما كنت لأطلب من أخي شيئاً .

وأما حماية الدبر عاصم بن ثابت
حتى لم تمسه أيدي المشركين
تكرمة لرسول الله ﷺ وعلماً من أعلام نبوته

فخرَّج البخاريّ من حديث الزهريّ قال : أخبرني عمرو بن أبي سفيان بن أسيد بن جارية الثقفي –وهو حليف لبني زهرة – وكان من أصحاب أبي هريرة إن أبا هريرة – رضي الله تبارك وتعالى عنه – قال : بعث رسول الله ﷺ عشرة رهط سرية عينًا ، وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري – جد عاصم بن عمرو بن الخطاب – فانطلقوا حتى إذا كانوا بالهدأة – وهو بين عسفان ومكة – ذُكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان ، فنفروا لهم قريبًا من مائتي رجل كلهم رام ، فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم تمرًا تزودوه من المدينة ، فقالوا : هذا تمر يثرب فاقتصوا آثارهم ، فلما رآهم عاصم وأصحابه لجؤوا إلى فدفد ، وأحاط بهم القوم ، فقالوا لهم : انزلوا وأعطونا بأيديكم ولكم العهد والميثاق ولا نقتل منكم أحدًا .

فقال عاصم بن ثابت أمير السرية : أما أنا فوالله لا أنزل اليوم في ذمة كافر ، اللهم أخبر عنا نبيك ، فرموهم بالنبل ، فقتلوا عاصمًا في سبعة ، فنزل إليهم ثلاثة رهط بالعهد والميثاق ، منهم خبيب الأنصاريّ وابن دثنة ورجل آخر ، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم ، فأوثقوهم .

فقال الرجل الثالث : هذا أول الغدر ، والله لأصحبكم ، إن لي في هؤلاء لأسوة – يريد القتلى – وجرروه وعالجوه على أن يصحبهم فأبى ، فقتلوه ، فانطلقوا بخبيب ، وابن دثنة حتى باعوهما بمكة بعد وقيعة بدر ، فابتاع خبيبًا بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ، وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر ، فلبث خبيب عندهم أسيرًا ، فأخبرني عبيد الله بن عياض أن بنت الحارث أخبرته أنهم حين اجتمعوا استعار منها موسى يستحد بها فأعارته ، فأخذ ابنا لي وأنا غافله حين أتاه ، قالت : فوجدته مجلسه على فخده والموس بيده ، ففزعت فزعة عرفها خبيب في وجهي ، فقال: تخشين أن أقتله؟ ما كنت

لأفعل ذلك ، والله ما رأيت أسيرًا قط خير من خبيب ، والله لقد وجدته يومًا يأكل من قطف عنب في يده وإنه لموثق في الحديد وما بمكة من ثمر ، وكانت تقول إنه لرزق من الله رزقه خبيبًا ، فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خبيب : ذروني أركع ركعتين ، ثم قال :

لولا أن تظنون أن بى جزعٍ — اللهم أحصهم عدداً
ولست أبالي حين أقتل مسلماً — على أي شق كان لله مصرعى
وذلك في ذات الإله وإن يشأ — يبارك على أوصال شلو ممزع

فقتله ابن الحارث ، فكان خبيب هو سنّ الركعتين لكل امرىء مسلم قتل صبراً ، فأستجاب الله لعاصم بن ثابت يوم أصيب ، وبعث ناس من كفار قريش إلى عاصم حين حدثوا أنه قتل ليؤتوا بشيء منه يعرف ، وكان قد قتل رجلاً من عظمائهم يوم بدر ، فبعث الله على عاصم مثل الظلة من الدُبر ، فحمته من رسولهم ، فلم يقدر على أن يقطع من لحمه شيئاً . ذكره البخاريّ في كتاب الجهاد[1] ، وترجم عليه : هل يستأسر الرجل ؟ ومن لم يستأسر ، ومن ركع ركعتين عند القتل .

وذكره في غزوة الرجيع[2] بنحوه أو قريب منه ، وذكر بعقبه من طريق سفيان ، عن عمرو سمع جابر بن عبد الله يقول : الذي قتل خبيباً هو أبو سروعة .

وذكره أيضًا في غزوة بدر[3] ، وذكر موسى بن عقبة هذا الحديث ، وقصة من قتل منهم ومن أسر بنحو حديث أبي هريرة .

---

(١) (فتح الباري) : ٦/٢٠٣ - ٢٠٤ ، كتاب الجهاد والسير ، باب (١٧٠) هل يستأسر الرجل ؟ ومن لم يستأسر ، ومن ركع ركعتين عند القتل حديث رقم (٣٠٤٥) .

(٢) (المرجع السابق) : ٧/٤٨١ - ٤٨٢ ، كتاب المغازي باب (٢٩) غزوة الرجيع ، ورعل وذكوان ، وبئر معونة وحديث عضل والقارة وعاصم بن ثابت وخبيب وأصحابه ، قال ابن إسحاق : حدثنا عاصم بن عمر أنها بعد أحد ، حديث رقم (٤٠٨٦) .

(٣) (المرجع السابق) : ٧/٣٩٢ - ٣٩٣ ، كتاب المغازي ، باب (١٠) بدون ترجمة ، حديث رقم (٣٩٨٩) ، وذكره في كتاب التوحيد ، باب (١٤) ما يذكر في الذات والنعوت وأسامي الله=

وذكره عروة بن الزبير أيضًا ، وزاد فيه قول خبيب : اللهم إني لا أنظر في وجه عدوك ، اللهم إني لا أجد رسولك ، فبلغه عني السلام ، فجاء جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ فأخبره ذلك ، وزاد موسى بن عقبة : وزعموا أن رسول الله ﷺ قال وهو جالس في ذلك اليوم الذي قتلا فيه : وعليكما أو عليك السلام ، خبيب قتلته قريش ، ولا أدري أذكر زيد الدثنة معه أم لا ؟ قال : وزعموا أنهم رموا ابن الدثنة بالنبل وأرادوا قتله ، فلم يزدد إلا إيمانًا وتثبيتًا .

وزاد عروة وموسى بن عقبة جميعًا : أنهم لما رفعوا خبيباً على الخشبة نادوه يناشدونه : أتحب أن محمداً مكانك ؟ قال : لا والله العظيم ما أحب أن يفديني بشوكة يشاكها في قدميه ، فضحكوا منه ، وزاد بيانًا قالها .

وذكر الواقدي في (مغازيه)[1] في غزوة الرجيع بأتم سياقه قال : حدثني موسى بن يعقوب ، عن أبي الأسود عن عروة قال : بعث رسول الله ﷺ أصحاب الرجيع عيوناً إلى مكة ليخبروه خبر قريش ، فسلكوا على النجدية حتى كانوا بالرجيع ، فاعترضت لهم بنو لحيان .

حدثني محمد بن عبد الله ، ومعمر بن راشد ، وعبد الرحمن بن عبد العزيز ، وعبد الله بن جعفر ، ومحمد بن صالح ، ومحمد بن يحيى بن سهل بن أبي حثمة ، ومعاذ بن محمد ، في رجال من لم أسمّ ؛ وكل قد حدثني ببعض الحديث ، وبعض القوم كان أوعى له من بعض ، وقد جمعت الذي حدثوني ، قالوا : لما قتل سفيان بن خالد بن نبيح الهذلي مشت بنو لحيان إلى عضل والقارة ، فجعلوا لهم فرائض على أن يقدموا على رسول الله ﷺ ، فيكلموه ، فيخرج إليهم نفراً من أصحابه يدعونهم إلى الإسلام ، فنقتل من قتل صاحبنا ، ونخرج بسائرهم إلى قريش بمكة فنصيب بهم ثمناً ؛ فإنهم ليسوا لشيء أحب إليهم من أن يؤتوا بأحد من أصحاب محمد ، يمثلون به ويقتلونه بمن قتل منهم ببدر .

= - عز وجل - ، وقال خبيب : وذلك في ذات الإله فذكر الذات باسمه - تعالى - ، حديث رقم (٧٤٠٢) .

(١) (مغازي الواقدي): ١/٣٥٤ - ٣٦٣ ، غزوة الرجيع في صفر على رأس سته وثلاثين شهرًا .

فقدم سبعة نفر من عضل والقارة - وهما حيان إلى خزيمة - مقرين بالإسلام ، فقالوا لرسول الله ﷺ : إنا فينا إسلامًا فاشيًا ، فابعث معنا نفرًا من أصحابك يقرئوننا القرآن ، ويفقهوننا في الإسلام ، فبعث معهم سبعة نفر : مرثد بن أبي مرثد الغنوي ، وخالد بن أبي البكير ، وعبد الله بن طارق البلوي حليف في بني ظفر ، وأخاه لأمه معتب بن عبيد ، حليف في بني ظَفَر ، وخبيب بن عديّ بن بلحارث بن الخزرج ، وزيد بن الدثنة من بني بياضة ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ، ويقال : كانوا عشرة وأميرهم مرثد بن أبي مرثد ؛ ويقال أميرهم عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح .

فخرجوا حتى إذا كانوا بماء لهذيل - يقال له الرجيع قريب من الهدة - خرج النفر فاستصرخوا عليهم أصحابهم الذين بعثهم اللحيانيون ؛ فلم يرع أصحاب محمد ﷺ إلا بالقوم ، مائة رام وفي أيديهم السيوف ، فاخترط أصحاب النبي ﷺ أسيافهم ، ثم قاموا ، فقال العدو : ما نريد قتالكم ، وما نريد إلا أن نصيب منكم من أهل مكة ثمنًا ، ولكم عهد الله وميثاقه لا نقتلكم .

فأما خبيب بن عدي ، وزيد بن الدثنة ، وعبد الله بن طارق فاستأسروا ، وقال خبيب : إن لي عند القوم يدًا ، وأما عاصم بن ثابت ، ومرثد، وخالد بن أبي البكير ، ومعتب بن عبيد ، فأبوا أن يقبلوا جوارهم ولا أمانهم ، وقال عاصم بن ثابت : إني نذرت ألا أقبل جوار مشرك أبدًا ، فجعل عاصم يقاتلهم وهو يقول :

ما علتي وأنا جلد نابل   النبل والقوس لها بلابلُ
نزلٌ عن صفحتها المعابل   الموت حق والحياة باطلُ
وكل ما حم الإله نازل   بالمرء والمرء إليه آئلُ
إن لم أقاتلكم فأمي هابلُ(١)

قال الواقدي : ما رأيت من أصحابنا أحدًا يدفعه ، قال : فرماهم بالنبل حتى فنيت نبله ، ثم طعنهم بالرمح حتى كسر رمحه ، وبقي السيف فقال : اللهم حميتُ دينك أول نهاري فاحم لي لحمي آخره ! وكانوا يجردون كل من قتل من

---

(١) هابل : أي فاقد ، يقال : هبلته أمه إذا فقدته .

أصحابه ، قال : فكسر غمد سيفه ، ثم قاتل حتى قتل ، وقد جرح رجلين وقتل واحد ، فقال عاصم وهو يقاتل :

أنا أبو سليمان ومثلي رامي ورثت مجدًا معشرًا كرامًا
أصبت مرثدًا وخالدًا قيامًا

ثم شرعوا فيه الأسنة حتى قتلوه ، وكانت سلافة بنت سعد بن الشهيد قد قتل زوجها وبنوها أربعة ، قد كان عاصم قتل منهم أثنين ، الحارث ، ومسافعًا ؛ فندرت لئن أمكنها الله منه أن تشرب في قحف رأسه الخمر ، وجعلت لمن جاء برأس عاصم مائة ناقة ؛ قد علمت ذلك العرب وعلمته بنو لحيان فأرادوا أن يحتزوا رأس عاصم ليذهبوا به إلى سلافة بنت سعد ليأخذوا منها مائة ناقة . فبعث الله - تبارك وتعالى - عليهم الدبر فحمته فلم يدن إليه أحد إلا لدغت وجهه ، وجاء منها شيء كثير لا طاقة لأحد به ، فقالوا : دعوه إلى الليل ، فإنه إذا جاء الليل ذهب عنه الدبر ، فلما جاء الليل بعث الله عليه سيلا - وكنا ما نرى في السماء سحابًا في وجه من الوجوه - فأحتمله فذهب به فلم يصلوا إليه ، فقال : عمر بن الخطاب - رضي الله تبارك وتعالى عنه - وهو يذكر عاصمًا - وكان عاصم نذر ألا يمس مشركًا ولا يمسه مشرك تنجسا به ، فقال عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - : إن الله - عز وجل - ليحفظ المؤمنين ، فمنعه الله - عز وجل - أن يمسوه بعد وفاته كما امتنع في حياته .

وقاتل معتب بن عبيد حتى جرح فيهم ، ثم خلصوا إليه فقتلوه ، وخرجوا بخبيب ، وعبد الله بن طارق ، وزيد بن الدثنة حتى إذا كانوا بمر الظهران ، وهم موثقون بأوتار قسيهم ، قال عبد الله بن طارق : هذا أول الغدر ! والله لا أصاحبكم ؛ إن لي في هؤلاء لأسوة - يعني القتل ، فعالجوه فأبى ، ونزع يده من رباطه ، ثم أخذ سيفه ، فانحازوا عنه ، فجعل يشد فيهم وينفرجون عنه ، فرموه بالحجارة حتى قتلوه - فقبره بمر الظهران ، وخرجوا بخبيب بن عدي ، وزيد بن الدثنة حتى قدموا بهما مكة ، فأما خبيب فابتاعه حجير بن أبي إهاب بثمانين مثقال ذهب ، ويقال اشتراه بخمسين فريضة ، ويقال اشترته ابنة الحارث بن عامر بن نوفل بمائة من الأبل ، وكان حجير إنما اشتراه لابن أخيه عقبة بن الحارث بن عامر ليقتله بأبيه - قتل يوم بدر - ، وأما زيد بن الدثنة ،

فاشتراه صفوان بن أمية بخمسين فريضة فقتله بأبيه ، ويقال إنه شرك فيه أناس من قريش ؛ فدخل بهما في شهر حرام ؛ وفي ذي القعدة ، فحبس حجير خبيب بن عدي في بيت امرأة ، يقال لها ماوية ، مولاة لبني عبد مناف ، وحبس صفوان بن أمية زيد بن الدثنة عند ناس من بني جمح ، ويقال عند نسطاس غلامه ، وكانت ماوية قد أسلمت بعد فحسن اسلامها ، وكانت تقول : والله ما رأيت أحدًا خيرًا من خبيب ، والله لقد أطلعت عليه من صير الباب وإنه لفي الحديد ، وما أعلم في الأرض حبة عنب تؤكل ، وإن في يده لقطف عنب مثل رأس الرجل يأكل منه ، وما هو إلا رزق رزقه الله ، وكان خبيب يتهجد بالقرآن ، وكان يسمعه النساء فيبكين ويرققن عليه ، قالت : فقلت له : ياخبيب ، هل لك من حاجة ؟ قال : لا ، إلا أن تسقيني العذب ، ولا تطعميني ما ذبح على النصب ، وتخبريني إذا أرادوا قتلي ، قالت : فلما انسلخت الأشهر الحرم واجمعوا على قتله أتيته فأخبرته ، فوالله ما رأيته اكترث لذلك ، وقال : ابعثي لي بحديدة أستصلح بها ، قالت : فبعثت إليه موسى مع ابني أبي حسين ، فلما ولى الغلام قلت : أدرك والله الرجل ثأره ، أي شيء صنعت ؟ بعثت هذا الغلام بهذه الحديدة ، فيقتله ويقول : " رجل برجل " فلما أتاه ابني بالحديدة تناولها منه ، ثم قال ممازحًا له : وأبيك إنك لجريء ! أما خشيت أمك غدري حين بعثت معك بحديدة وأنتم تريدون قتلي ؟ قالت ماوية : وأنا أسمع ذلك فقلت : يا خبيب ، إنما أمنتك بأمان الله وأعطيتك بإلاهك ، ولم أعطك لتقتل ابني ، فقال خبيب : ما كنت لأقتله ، وما نستحل في ديننا الغدر ، ثم أخبرته أنهم مخرجوه فقاتلوه بالغداة، قال : فأخرجوه بالحديد حتى انتهوا به إلى التنعيم ، وخرج معه النساء والصبيان والعبيد وجماعة من أهل مكة ؛ فلم يتخلف أحد ، إما موتور فهو يريد أن يتشافي بالنظر من وتره ، وأما غير موتور فهو مخالف للإسلام وأهله ، فلما أنتهوا به إلى التنعيم ، ومعه زيد بن الدثنة ، فأمروا بخشبة طويلة فحفر لها ، فلما انتهوا بخبيب إلى خشبته قال : هل أنتم تاركي فأصلي ركعتين؟ قالوا: نعم ، فركع ركعتين أتمهما من غير أن يطول فيهما .

فحدثني معمر ، عن الزهريّ ، عن عمرو بن أبي سفيان بن أسيد بن العلاء ، عن أبي هريرة ، قال : أول من سن الركعتين عند القتل خبيب .

قالوا : ثم قال : أما والله لولا أن تروا أني جزعت من الموت لاستكثرت من الصلاة ، ثم قال : اللهم أحصهم عددًا ، واقتلهم بددًا ، ولا تغادر منهم أحدًا .

فقال معاوية بن أبي سفيانٍ : لقد حضرت دعوته ولقد رأيتني وإن أبا سفيان ليضجعني إلى الأرض فرقًا من دعوة خبيب ، ولقد جبذني يومئذ أبو سفيان جبذة ، فسقطت على عجب ذنبي فلم أزل أشتكي السقطة زمانا .

وقال حويطب بن عبد العزى : لقد رأيتني أدخلت أصبعي في أذني وعدوت هربًا فرقًا أن أسمع دعاؤه .

وقال حكيم بن حزام : لقد رأيتني أتوارى بالشجر فرقًا من دعوة خبيب منهم أحدًا .

فحدثني عبد الله بن يزيد قال : حدثني بنِ عمرو قال : سمعت جبير بن مطعم يقول : لقد رأيتني يومئذ أتستر بالرجال فرقاً من أن أشرف لدعوته .

وقال الحارث بن برصاء : والله ما ظننت أن تغادر دعوة خبيب منهم أحد

وحدثني عبد الله ، قال : سمعت عمرو بن الخطاب - رضي الله تبارك وتعالى عنه - سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي على حمص ، وكانت تصيبه غشية وهو بين ظهري أصحابه ، فذكر ذلك لعمر بن الخطاب فسأله في قدمة قدم عليه من حمص فقال : يا سعيد ما الذي يصيبك ؟ أبك جنة ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ولكني كنت فيمن حضر خبيبًا حين قتل وسمعت دعوته ؛ فوالله ما خطرت على قلبي وأنا في مجلس إلا غشى علي ، قال : فزادته عند عمر خيرًا .

وحدثني قدامة بن موسى ، عن عبد العزيز بن رمانة ، عن عروة بن الزبير ، عن نوفل بن معاوية الديلي ، قال : حضرت يومئذ دعوة خبيب ، فما كنت أرى أنِ أحدًا ممن حضر ينفلت من دعوته ؛ ولقد كنت قائمًا فأخلدت إلى الأرض فرقًا من دعوته ، ولقد مكثت قريش شهرًا أو أكثر وما لها حديث في انديتها إلا دعوة خبيب .

قالوا : فلما صلى ركعتين حملوه إلى الخشبة ، ثم وجهوه إلى المدينة وأوثقوه رباطًا ، ثم قالوا : أرجع عن الإسلام ، نخل سبيلك ! قال : لا والله ما أحب أني رجعت عن الإسلام وأن لي ما في الأرض جميعًا ! قالوا : فتحب أن

محمدًا في مكانك وأنت جالس في بيتك ؟ قال : والله ما أحب أن يشاك محمد بشوكة وأنا جالس في بيتي ، فجعلوا يقولون : ارجع ياخبيب ! قال : لا أرجع أبدًا ! قالوا : أما واللات والعزى ، لئن لم تفعل لنقتلنك ! فقال : إن قتلي في الله لقليل ! فلما أبى عليهم وقد جعلوا وجهه من حيث جاء ، قال : أما صرفكم وجهي عن القبلة فإن الله يقول : ﴿ **فأينما تولوا فثم وجه الله** ﴾(١) ، ثم قال : اللهم إني لا أرى إلا وجه عدو ، اللهم أنه ليس ها هنا أحد يبلغ رسولك السلام عني ، فبلغه أنت عني السلام .

فحدثني أسامة بن زيد ، عن أبيه ، أن رسول الله ﷺ كان جالسًا مع أصحابه ، فأخذته غمية كما كان يأخذه إذا أنزل عليه الوحي ، قال : ثم سمعناه يقول : وعليه السلام ورحمة الله ؛ ثم قال : هذا جبريل يقرئني من خبيب السلام، قال : ثم دعوا أبناء من أبناء من قتل ببدر فوجدوهم أربعين غلامًا ، فأعطوا كل غلام رمحًا ، ثم قالوا : هذا الذي قتل أباءكم ، فطعنوه برماحهم طعنًا خفيفًا ، فاضطرب على الخشبة فأنقلب ، فصار وجهه إلى الكعبة ، فقال : الحمد لله الذي جعل وجهي نحو قبلته التي رضي لنفسه ولنبيه وللمؤمنين ! وكان الذين أجلبوا على قتل خبيب : عكرمة بن أبي جهل ، وسعيد بن عبد الله بن قيس ، والأخنس بن شريق ، وعبيدة بن حكيم بن أمية بن الأوقص السلميّ ، وكان عقبة بن الحارث بن عامر ممن حضر ، وكان يقول : والله ما أنا قتلت خبيبًا إن كنت يومئذ لغلامًا صغيرًا ، ولكن رجلاً من بني عبد الدار يقال له أبو ميسرة من عوف بن السباق أخذ بيدي فوضعها على الحربة ، ثم أمسك بيدي ، ثم جعل يطعن بيده حتى قتله ، فلما طعنه بالحربة أفلت ، فصاحوا: يا أبا سروعة ، بئس ما طعنه أبو ميسرة ! فطعنه أبو سروعة حتى أخرجها من ظهره ، فمكث ساعة يوحد الله ويشهد أن محمدًا رسول الله .

يقول الأخنس بن شريق : لو ترك ذكر محمد على حال لتركه على هذه الحال ؛ ما رأينا قط والدًا يجد بوالده ما يجد أصحاب محمد بمحمد ﷺ .

---

(١) البقرة : ١١٥ .

قالوا : وكان زيد بن الدثنة عند آل صفوان بن أمية محبوسًا في حديد ، وكان يتهجد بالليل ويصوم بالنهار ، ولا يأكل شيئًا مما أوتي به من الذبائح ، فشق ذلك على صفوان ، وكانوا قد أحسنوا إساره ، فأرسل إليه صفوان : فما الذي تأكل من الطعام ؟ قال : لست آكل مما ذبح لغير الله ، ولكني أشرب اللبن، وكان يصوم ، فأمر له صفوان بعس من اللبن عند فطره فيشرب منه حتي يكون مثلها من القابلة ، فلما خرج به وبخبيب في يوم واحد التقيا ، ومع كل واحد منهما فئام من الناس ، فالتزم كل منهما صاحبه ، وأوصى كل واحد منهما صاحبه بالصبر على ما أصابه ، ثم أفترقا ، وكان الذي ولى قتل زيد نسطاس غلام صفوان ، خرج به إلى التنعيم فرفعوا له جزعًا ، فقال : أصلي ركعتين فصلى ركعتين ، ثم حملوه على الخشبة ، ثم جعلوا يقولون لزيد : أرجع عن دينك المحدث وأتبع ديننا ، ونرسلك ! قال : لا والله ، لا أفارق ديني أبدا ! قالوا: أيسرك أن محمدًا في أيدينا مكانك وأنت في بيتك ؟ قال : ما يسرني أن محمد أشيك بشوكة وأني في بيتي ! قال : يقول أبو سفيان بن حرب : لا ، ما رأينا أصحاب رجل قط أشد له حبًا من أصحاب محمد بمحمد ﷺ ، وقال حسان بن ثابت ؛ صحيحة سمعتها من يونس بن محمد الظفري :

فليت خبيبًا لم تخنه أمانة　　وليت خبيبًا كان بالقوم عالمًا
شراه زهير بن الأغر وجامع　　وكانا قديمًا يركبان المحارما
أجرتم فلما أن أجرتم غدرتم　　وكنتم بأكناف الرجيع اللهازما

وقال حسان بن ثابت ، ثبته قديمة :

لو كان في الدار قرم ذو محافظة　　حامي الحقيقة ماض في خاله أنس
إذن حللت خبيبا منزلاً فسحًا　　ولم يشد عليك الكبل والحرس
ولم تقدك إلى التنعيم زعنفة　　من المعاشر ممن قد نفت عدس
فأصبر خبيب فإن القتل مكرمة　　إلى جنان نعيم ترجع النفس
دلوك غدرًا وهم فيها أولو خلف　　وأنت ضيف لهم في الدار محتبس

وقد ذكر يونس بن بكير بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة هذه القصة وزاد فيها أن قدوم النفر من القادة على رسول الله ﷺ المدينة بعد أحد وزاد أن خبيبًا قال : حين بلغه أن القوم قد أجتمعوا على صلبه أبياتاً :

لقد جمع الأحزاب حولي وألبوا قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
وكلهم مبري العداوة جاهد علي لأني في وثاق بمضجع
وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم وقربت من جزع طويل ممنع
إلى الله أشكو غربتي ثم كربتي وما أرصد الأحزاب لي عند مصرعي
فذا العرش ، صبرني على ما يراد بي فقد بضعوا لحمي وقد بأس مطمعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع
وقد خيروني الكفر والموت دونه وقد هملت عيناي من غير مجزع
وما بي حذار الموت إني لميت ولكن حذاري حجم نار ملفع
فوالله ما أرجو إذا مت مسلمًا على أي جنب كان في الله مصرعي
فلست بمبد العدو تخشعًا ولا جزعًا إني إلى الله مرجعي

وذكر عبد الله بن وهب قال : حدثنا عمر بن الحرث بن عبد الرحمن بن عبد الله الزهريّ أخبره عن بريدة بن سفيان الأسلمي ، فذكر القصة ، وزاد فيها رفع خبيب على الخشبة أستقبل الدعاء .

قال رجل : فلما رأيته يدعوا لبثت بالأرض ، فلم يحل الحول ومنهم أحد غير ذلك الرجل الذي لبث بالأرض .

وقال يونس عن إبراهيم بن إسماعيل : حدثني جعفر بن عمرو بن أمية الضمري أن أباه حدثه عن جده - وكان رسول الله ﷺ بعثه عيناً وحده - قال : جئت إلى خشبة خبيب ، فرقيت فيها وأنا أخوف العيون ، فأطلقته ، فوقع بالأرض ، ثم اقتحمه فانتبذت قليلاً ، ثم التفت فكأنما ابتلعته الأرض . ذكره جعفر بن عون ، عن إبراهيم بن إسماعيل ، فذكره بمعناه إلا أنه قال : فانتبذت غير بعيد ، فلم أر خبيباً فكأنما ابتلعته الأرض ، فلم يذكر لخبيب رمة حتى الساعة.

قال كاتبه : قد تضمن هذا الخبرعشرة أعلام من أعلام النبوة : أن الدبر جمعت عاصماً حتى لم تمسه أيدى المشركين ، ومنها أن السيل غيبه ، ومنها أكل خبيب العنب في غير أوانه ، وهى كرامة كما قصه الله - تعالى - من شأن

مريم ﴿**كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً**﴾[1] ومنها ثباته ، وثبات زيد على دين الإسلام ، ومحبة الرسول ﷺ مع عظيم ما جمع فيه من المحبة العظيمة في ذلك ، ومنها تغييب رمة خبيب عن المشركين بعد صلبه ، ومنها توجيه الله تعالى له إلى نحو الكعبة بعد صرفهم إياه عنها ، ومنها إعلام الله - تعالى - رسوله ﷺ بما نزل بالقوم ، وإبلاغه تعالى سلام خبيب له ، ومنها إجابة الله دعوة خبيب ، وهلاك من شهد قتله من عامة كل ذلك تكرمة من الله لرسوله ﷺ .

(١) آل عمران : ٣٧ .

وأما حماية الله تعالى رسوله ﷺ
ممن بعثه أبو سفيان بن حرب ليقتله
وتخليصه تعالى عمرو بن أمية الضمري ومن معه
من فتك المشركين وتأييدهما عليهم حتى قتلا منهم وأسرا

قال الواقدي[1] : حدثني إبراهيم بن جعفر، عن أبيه قال : وحدثنا عبد الله بن أبي عبيدة ، عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمريّ ، قال : وحدثنا عبد الله بن جعفر ، عن عبد الواحد بن أبي عون ، وزاد بعضهم على بعض قال : كان أبو سفيان بن حرب قد قال لنفر من قريش بمكة : ما أحد يغتال محمدًا فإنه يمشي في الأسواق فندرك ثأرنا ، فأتاه رجل من العرب فدخل عليه منزله ، وقال له : إن أنت قويتني خرجت إليه حتى أغتاله فإني هادٍ بالطريق خريت ، ومعي خنجر مثل خافية النسر ، قال : أنت صاحبنا فأعطاه بعيرًا ونفقة وقال : أطو أمرك فإني لا آمن أن يسمع هذا أحد فينمه إلى محمد ، قال العربى : لا يعلم به أحد .

فخرج ليلاً على راحلته فسار خمسًا وصبح ظهر الحرة ، صبح سادسة ، ثم أقبل يسأل عن رسول الله ﷺ حتى أتى المصلي ، فقال له قائل : قد توجه إلى بني عبد الأشهل ، فخرج يقود راحلته حتى أنتهى إلى بنى عبد الشهل ، فعقل راحلته ، ثم أقبل يؤم رسول الله ﷺ فوجده في جماعة من أصحابه يحدث في مسجدهم ، فدخل ، فلما رآه رسول الله ﷺ ، قال لأصحابه : إن هذا الرجل يريد غدرًا والله حائل بينه وبين ما يريد .

فوقف ، فقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟ فقال رسول الله ﷺ : أنا ابن عبد المطلب ، فذهب ينحني على رسول الله ﷺ كأنه يساره ، مجبذه أسيد بن الحضير ، وقال له : تنح عن رسول الله ﷺ وجبذ بداخله ازاره ، فإذا الخنجر ، فقال رسول الله ﷺ : هذا غادر ، وسقط في يدي العربي ، وقال : دمي دمي يا محمد ، وأخذ أسيد يلبب ، فقال رسول الله ﷺ اصدقني : ما انت ؟ وما أقدمك ؟

---

(١) (دلائل البيهقيّ) : ٣/٣٣٣ - ٣٣٧ .

فإن صدقتني نفعك الصدق ، وإن كذبتني فقد أطلعت على ما هممت به ، قال العربي : فأنا آمن ؟ قال فأنت آمن ، فأخبره بخير أبي سفيان وما جعل له ، فأمر به فحبس عند أسيد ، ثم دعا به من الغد فقال : قد أمنتك ، فأذهب حيث شئت ، أوخير لك من ذلك ، قال : وما وهو ؟ قال : أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ، قال : فإني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ، والله يا محمد ما كنت أفرق الرجال فما هو إلا أن رأيتك فذهب عقلي ، وضعفت نفسي ، ثم اطلعت على ما هممت به مما سبقت به الركبان ، ولم يعلمه أحد ، فعرفت أنك ممنوع ، وأنك على حق ، وأن حزب أبي سفيان حزب الشيطان ، فجعل النبي ﷺ يتبسم ، وأقام أيامًا ثم استأذن النبي ﷺ فخرج من عنده فلم يسمع له بذكر .

فقال رسول الله ﷺ لعمرو بن أمية الضمريّ ، ولسلمة بن أسلم بن حريش : أخرجا حتى تأتيا أبا سفيان بن حرب ، فإن أصبتما منه غرة فاقتلاه ، قال عمرو: فخرجت أنا وصاحبي حتى أتينا بطن [يأجج] فقيدنا بعيرنا ، فقال لي صاحبي : يا عمرو هل لك في أن نأتى مكة ونطوف بالبيت سبعاً ، ونصلي ركعتين ؟ فقلت : إني أعرف بمكة من الفرس الأبلق ، وأنهم أن رأوني عرفوني ، وأنا أعرف أهل مكة إنهم إذا أمسوا أنفجعوا بأفنيتهم ، فأبى أن يطيعني ، فأتينا مكة فطفنا سبعًا وصلينا ركعتين ، فلما خرجت لقيني معاوية بن أبي سفيان فعرفني وقال عمرو بن أمية : [وأحزناه] فأخبر أباه فنيد بنا أهل مكة ، فقالوا : ما جاء عمرو في خير - وكان عمرو رجلاً فاتكًا في الجاهلية - فحشد أهل مكة ، وتجمعوا ، وهرب عمرو ، وسلمة ، وخرجوا في طلبهما ، وأشتدوا في الجبل قال عمرو : فدخلت غارًا فتغيبت عنهم ، حتى أصبحت وباتوا يطلبون في الجبل ، وعمى الله عليهم طريق المدينة أن يهتدوا لراحلتنا فلما كان الغد ضحوة أقبل عثمان بن مالك بن عبيد الله التيمي يختلي لفرسه حشيشًا ، فقلت لسلمة بن أسلم : إن أبصرنا أشعر بنا أهل مكة ، وقد أقصروا عنا فلم يزل يدنو من باب الغار حتى أشرف علينا وخرجت فطعنته طعنة تحت الثدي بخنجري فسقط وصاح ، وأسمع أهل مكة ، فأقبلوا بعد تفرقهم ، ودخلت الغار فقلت لصاحبي : لا تحرك واقبلوا حتى أتوا عثمان بن مالك ، فقالوا : من قتلك ؟

قال عمرو بن أمية قال أبو سفيان : وما علمنا أنه لم يأت بعمرو خير ، ولم يستطع أن يخبرهم بمكاننا كان بآخر رمق ومات ، وشغلوا عن طلبنا بصاحبهم يحملونه ، فمكثنا ليلتين في مكاننا ، ثم خرجنا ، فقال صاحبي : يا عمرو بن أمية ، هل لك في خبيب بن عدي ننزله ؟ فقلت له : أين هو ؟ قال : هو ذاك مصلوب حوله الحرس ، فقلت : أمهلني وتنح عني فإن خشيت شيئاً فانح إلى بعيرك فأقعد عليه وأت رسول الله ﷺ فأخبره الخبر ، ودعني فإني عالم بالمدينة ، ثم اشتددت عليه حتى حللته فحملته على ظهري فما مشيت به إلا عشرين ذراعًا حتى استيقظوا فخرجوا في طلب أثري ، فطرحت الخشبة ، فما أنسي وقعها دب ، يعني صوتها ، ثم أهلت عليه من التراب برجلي فأخذت بهم طريق الصفراء فأعبوا فرجعوا وكنت لا أدرك مع بقاء نفس ، فأنطلق صاحبي إلى البعير فركبه ، وأتى النبي ﷺ فأخبره ، واقبلت حتى أشرفت على الغليل : غليل ضجنان فدخلت في غار فيه معي قوس وأسهم وخنجر، فبينا أنا فيه إذ أقبل رجل من بني بكر من بني الدئل أعور طويل يسوق غنمًا ومعزى ، فدخل على الغار ، فقال : من الرجل ؟ فقلت : من بني بكر ، فقال : وأنا من بني بكر ، ثم اتكأ ، فرفع عقيرته يتغنى يقول :

فلست بمسلم ما دمت حيًا ولست أدين دين المسلمينا

فقلت في نفسي : والله إني لأرجو أن أقتلك ، فلما نام قمت إليه ، فقتلته شر قتلة قتلها أحد قط ، ثم خرجت حتى هبطت ، فلما أسهلت في الطريق إذا رجلان بعثتهما قريش يتجسسان الأخبار ، فقلت : استأسرا فأبى أحدهما فرميته فقتلته ، فلما رأى ذلك الآخر استأسر فشددته وثاقًا ، ثم أقبلت به إلى النبي ﷺ ، فلما قدمت المدينة رآني صبيان وهم يلعبون وسمعوا أشياخهم يقولون : هذا عمرو ، فأشتد الصبيان إلى النبي ﷺ ، فأخبروه ، وأتيته بالرجل قد ربطت أبهاميه بوتر قوسي ، فلقد رأيت النبي ﷺ يضحك ، ثم دعا لي بخير ، وكان قدوم سلمة قبل قدوم عمرو بثلاثة أيام .

وأما رفع عامر بن فهيرة بعد قتله
في بعث بئر معونة

فخرَّج البخاريّ قصة بئر معونة في (المغـازي)[1] مـن حديث يزيد بن زريع حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ، ومن حديث همـام ، عن إسحاق بن عبد الله ، عن أنس بن أبي طلحة ، حدثني أنس .

ومن حديث مالك عن إسحاق بن عبد الله ، عن أنس ، وخرَّجها في غزوة الرجيع من حديث أبي أسامة ، عن هشام ، عن أبيه ، ثم قال : وعن أسامة قال: قال هشام بن عروة : فأخبرني أبـي قـال : لمـا قتـل الذيـن ببـئر معونـة ، وأسر عمرو بن أمية الضمريّ قال له عامر بن الطفيل : من هذا ؟ وأشار إلى قتيـل ، فقال له عمرو بن أمية : هذا عامر بن فهيرة ، فقال : لقد رأيته بعد ما قتـل رفـع إلى السماء حتى إني لأنظر إلى السـماء بينـه ، وبيـن الأرض ، ثـم وضـع فـأتى النبي ﷺ خبرهم ، فنعاهم الحديث .

وذكر الواقدي خبر بعث بئر معونة ، ثم قال عامر بن الطفيـل لعمـرو بـن أمية : هل تعرف أصحـابك ؟ قـال : قلـت : نعـم ، قـال : فطـاف فيهـم ، وجعـل يسأله عن أنسابهم ، فقال : هل تفقد منهم عن أحد ؟ قال : أفقد مولـى لأبـي بكـر – رضي الله تبارك وتعالى عنه – يقال له عامر بن فهيرة ، فقـال : كيـف كـان فيكم ؟ قال : قلت : كان من أفضلنا ، ومن أول أصحاب نبينا إسلاماً . قال : ألا أخبرك خبره ؟ وأشار إلى رجل ، فقال : هذا طعنه برمحه ، ثم انـتزع رمحـه ، فذهب بالرجـل علوّا في السـماء حتـى واللـه مـا أراه ، قـال عمـرو : فقلـت ذلـك عامر بن فهيرة كان الذي قتله من بني كلاب يقال له جبار بن سلمي ، ذكـر أنـه لما طعنه قال : سمعته يقول : فـزت واللـه ، قـال : فقلـت فـي نفسـى : مـا قولـه فزت؟ قال : فأتيت الضحاك بن سفيان الكلابي ، فأخبرته بما كان ، وسـألته عـن قوله : فزت ، فقال : الجنة ، قـال : وعـرض علـي الإسـلام ، قـال : فأسـلمت ، ودعاني إلى الإسلام ما رأيت مـن مقتل عـامر بـن فهيرة ، ورفعـه إلـى السـماء

---

(١) (مغازي الواقدي) : ١/٣٤٩ .

علواً قال : وكتب الضحاك إلى رسول الله ﷺ يخبره بإسلامي ، وما رأيت من مقتل عامر بن فهيرة ، فقال رسول الله ﷺ : فإن الملائكة وارت جثته ! وأنزل عليين .

وأما إعلام الله تعالى رسوله ﷺ يهاجم به المشركون من الميل على المسلمين إذ أضلوا ليقتلوهم

فخرَّج مسلم[1] من حديث زهير ، حدثنا أبو الزبير ، عن جابر قال : غزونا مع رسول الله ﷺ قومًا من جهينة فقاتلونا قتالاً شديدًا ، فلما صلينا الظهر قال المشركون : لو ملنا عليهم ميلة لاقتطعناهم ، فأخبر جبريل رسول الله ﷺ ذلك ، فذكر ذلك لنا رسول الله ﷺ قال : وقالوا : إنه ستأتيهم صلاة هي أحب إليهم من الأولاد ، فلما حضرت العصر قال : صفنا صفين والمشركين بيننا وبين القبلة ، قال : فكبر رسول الله ﷺ ، وكبرنا وركع فركعنا ، ثم سجد وسجد معه الصف الأول ، فلما قاموا سجد الصف الثاني ، ثم تأخر الصف الأول ، وتقدم الصف الثاني ، فقاموا مقام الأول فكبر رسول الله ﷺ وكبرنا ، وركع فركعنا ، ثم سجد وسجد معه الصف الأول ، وقام الثاني ، فلما سجد الصف الثاني ، ثم جلسوا جميعًا سلم عليهم رسول الله ﷺ ، قال أبو الزبير : ثم خص جابر أن قال : كما يصلي أمراؤكم هؤلاء .

وخرَّج أبو داود[2] من حديث سعيد بن منصور ، حدثنا جرير بن عبد الحميد ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن أبي عياش الزرقيّ قال : كنا مع رسول الله ﷺ بعسفان ، وعلى المشركين خالد بن الوليد ، فصلينا الظهر ، فقال

---

(1) (مسلم بشرح النووي) : ٣٧٥/٦ ، كتاب صلاة المسافر وقصرها ، باب (٥٧) صلاة الخوف، حديث رقم (٣٠٨) .

(2) (سنن أبي داود) : ٢٨/٢ - ٢٩ ، كتاب الصلاة باب (٢٨١) صلاة الخوف ، حديث رقم (١٢٣٦) .

المشركون : لقد أصبنا غرة ، لقد أصبنا غفلة ، لو كنا حملنا عليهم وهم في الصلاة ، فنزلت آية القصر بين الظهر والعصر ، فلما حضرت العصر قام رسول الله ﷺ مستقبل القبلة ، والمشركون أمامه ، فصف خلف رسول الله ﷺ صف ، وصف بعد ذلك الصف صف آخر ، فركع رسول الله ﷺ وركعوا جميعًا ، ثم سجد وسجد الصف الذين يلونه ، وقام الآخرون يحرسونهم فلما صلى هؤلاء السجدتين وقاموا سجد الآخرون الذين كانوا خلفهم ، ثم تأخر الصف الذي يليه إلى مقام الآخرين ، وتقدم الصف الأخير إلى مقام الصف الأول ، ثم ركع رسول الله ﷺ وركعوا جميعاً ، ثم سجد وسجد الصف الذي يليه، وقام الآخرون يحرسونهم ، فلما جلس رسول ﷺ والصف الذي يليه سجد الآخرون ، ثم جلسوا جميعاً ، فسلم عليهم جميعاً ، فصلاها بعسفان ، وصلاها يوم بني سليم .

قال أبو داود : روى أيوب ، وهشام عن أبي الزبير ، عن جابر هذا المعنى عن النبي ﷺ ، وكذلك رواه داود بن حصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس وكذلك عبد الملك ، عن عطاء ، عن جابر ، وكذلك قتادة ، عن الحسن ، عن حطان ، عن أبي موسى فعله ، وكذلك عكرمة بن خالد ، عن مجاهد ، عن النبي ﷺ ، وكذلك هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن النبي ﷺ .

قال كاتبه : في رواية أبي داود زيادة ذكر الموضع الذي صلى فيه ، وقول أبي عياش : وعلى المشركين خالد بن الوليد ، وهو قول الثوري .

وذكر الواقدي ، عن خالد بن الوليد - رضي الله تبارك وتعالى عنه - في قصة إسلامه قال : فلما خرج رسول الله ﷺ إلى الحديبية خرجت في خيل المشركين ، فلقيت رسول الله ﷺ في أصحابه بعسفان ، فقمت بإزائه ، وتعرضت له فصلى بأصحابه الظهر أمامنا ، فَهَمَمْنَا أن نغير عليه ، ثم لم يعزم لنا فَأَطْلَعَ الله نبيه على ما في أنفسنا من الهم به ، فصلى بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا أبو هشام عن أبي الزبير ، عن جابر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : صلى رسول الله ﷺ بأصحابه الظهر بنخل ، فهم بهم المشركون ، ثم قالوا : دعوهم فإن لهم صلاة بعد هذه أحب إليهم

من أبنائهم ، قال : فنزل جبريل على رسول الله ﷺ فأخبره ، فصلى العصر ، وصفهم صفين ورسول الله ﷺ بين أيديهم ، والعدو بين يديّ رسول الله ﷺ ، وكبروا جميعاً ، وركعوا جميعاً ، ثم سجد الذين يلونه ، والآخرون قيام ، فلما رفعوا رؤوسهم سجد الآخرون ، ثم تقدم هؤلاء ، وتأخر هؤلاء ، وكبروا جميعاً ، وركعوا جميعاً، ثم سجد الذين يلونهم والآخرون قيام ، فلما رفعوا رؤوسهم سجد الآخرون .

وأما حماية الله تعالى رسوله ﷺ
من غورث بن الحارث ، وكفايته أمره

فخرّج البخاريّ من حديث شعيب ، ومحمد بن أبي عتيق ، عن ابن شهاب، عن سنان ، عن جابر بن عبد الله - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أخبره أنه غزا مع رسول الله ﷺ قبل نجد ، فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه ، فأدركتهم القافلة في وادٍ كثير العضاه ، فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس في العضاة يستظلون بالشجر ، ونزل رسول الله ﷺ تحت الشجرة ، فعلق بها سيفه. قال جابر : فنمنا نومة ، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا ، فجئناه فإذا عنده أعرابي جالس ، فقال رسول الله ﷺ : إن هذا أخترط سيفي وأنا نائم ، فأستيقظت وهو في يده صلتا فقال لي : من يمنعك مني ؟ قلت : الله ، فها هو ذا جالس ، ثم لم يعاقبه رسول الله ﷺ (١) .

وقال : أبان حدثنا يحيي بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن جابر قال : كنا مع النبي ﷺ بذات الرقاع ، فإذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها للنبي ﷺ فجاء رجل من المشركين ، وسيف النبي ﷺ معلق بالشجرة. فأخترطه ، فقال له: تخافني ؟ قال : لا ، قال : فمن يمنعك مني ؟ قال : الله فتهدده أصحاب النبي

---

(١) (فتح الباري) : ٧/٥٤١ - ٥٤٢ ، كتاب المغازي ، باب (٣٢) غزوة ذات الرقاع ، وهي غزوة محارب خصفة منن بني ثعلبة من غطفان فنزل نخلاً ، وهي بعد خيبر ، لأن أبا موسى جاء بعد خيبر ، حديث رقم (٤١٣٥) .

ﷺ وأقيمت الصلاة ، فصلى بطائفة ركعتين ، ثم تأخروا ، وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين ، وكان للنبي ﷺ أربع ، وللقوم ركعتان . وقال مسدد : عن أبي عوانة ، عن أبي بشر أسم الرجل غورث بن الحارث ، وقاتل فيها محارب خصفة[1] .

وخرج البخاريّ أيضاً من طريق عبد الرزاق حدثنا معمر ، عن الزهريّ، عن أبي سلمة ، عن جابر بن عبد الله قال : غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة نجد ، فلما أدركته القائلة وهو في وادٍ كثير العضاة ، فنزل تحت شجرة ، وأستظل بها ، وعلق سيفه فتفرق الناس في الشجرة يستظلون ، وبينا نحن كذلك إذ دعانا رسول الله ﷺ ، فجئنا فإذا أعرابى قاعد بين يديه ، فقال : إن هذا أتاني وأنا نائم ، فأخترط سيفي ، فأستيقظت وهو قائم على رأسي مخترط سيفي صلتا، قال : من يمنعك مني ؟ قلت : الله ، فشامه ، ثم قعد ، فهو هذا ، قال : ولم يعاقبه رسول الله ﷺ [2] . ذكره في غزوة ذات الرقاع[3] ، وغزوة المريسيع[4].

وخرَّجه النسائي[5] وخرَّجه البيهقيّ[6] من طريق أبي بكر الإسماعيلي قال: أخبرنا محمد بن يحيي المروزي ، قال : حدثنا عاصم هو ابن عليّ ، قالا : حدثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن سليمان بن قيس ، عن جابر ، قال : قاتل رسول الله ﷺ محارب خصفة بنخل ، فرأوا من المسلمين غرة ، فجاء رجل يقال له غورث بن الحارث ، حتى قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف ، فقال:

---

(١) (المرجع السابق) : حديث رقم (٤١٣٦) .

(٢) (المرجع السابق) : ٧/٥٤٥ ، كتاب المغازي ، باب (٣٣) غزوة بني المصطلق من خزاعة وهي غزوة المريسيع ، قال ابن اسحاق : وذلك سنة ست ، وقال موسى بن عقبة : سنة أربع ، وقال النعمان بن راشد عن الزهريّ : كان حديث الأفك في غزوة المريسيع ، حديث رقم (٤١٣٩) .

(٣) (سبق تخريجه) .

(٤) (سبق تخريجه) .

(٥) (لعله في الكبرى) .

(٦) (دلائل البيهقيّ) : ٣/٣٧٥ - ٣٧٦ .

من يمنعك مني ؟ قال : الله ، قال : فسقط السيف من يده ، قال : فأخذ رسول الله ﷺ السيف ، فقال : من يمنعك مني ؟ قال : كن خير آخذ ، قال : تشهد أن لا إله إلا الله وإني رسول الله ؟ قال : لا ، ولكن أعاهدك على أن لا أقاتلك ، ولا أكون مع قوم يقاتلونك ، فخلى سبيله ، فأتى أصحابه وقال : جئتكم من عند خير الناس ، ثم ذكر صلاة الخوف ، وأنه صلى أربع ركعات ، لكل طائفة ركعتين .

قال البيهقيّ : هذا لفظ حديث عاصم ، وفي رواية عارم قال الأعرابي : أعاهدك أن لا أقاتلك ، ولا أكون مع قوم يقاتلونك ، قال : فخلى رسول الله ﷺ عنه ، فجاء إلى قومه ، فقال : جئتكم من عند خير الناس ، فلما حضرت الصلاة صلى رسول الله ﷺ صلاة الخوف ، فكان الناس طائفتين بإزاء عدوهم، وطائفة تصلي مع رسول الله ﷺ ، قال : فصلى بالطائفة الذين معه ركعتين ، ثم انصرفوا فكانوا مع أولئك الذين بإزاء عدوهم ، وجاء أولئك ، فصلى بهم رسول الله ﷺ ركعتين ، فكانت للناس ركعتين ركعتين وللنبي ﷺ أربع ركعات .

وأما إشارة الرسول ﷺ
حين ضرب بالفأس في حفر الخندق
وإلى ما فتحه الله من المدائن لأمته

فخرج أبو نعيم[1] من طريق ابن وهب ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، أن رسول الله ﷺ خرج يوم الخندق وهم محدقون حول المدينة فتناول رسول الله ﷺ الفأس فضرب بها ضربة فقال : هذه الضربة يفتح الله - تعالى - بها كنوز الروم ، ثم ضرب الثانية فقال : هذه الضربة يفتح الله - تعالى - بها كنوز فارس ، ثم ضرب الثالثة فقال : هذه الضربة يأتيني الله - عزّ وجلّ - بأهل اليمن أنصارًا وأعوانًا .

وخرجه البيهقيّ[2] من طريق محمد بن عبد الله الحافظ قال : أخبرنا أبو بكرمحمد بن علّون المقري ببغداد ، قال : حدثنا أبو العباس محمد بن يونس القرشيّ، قال : حدثنا محمد بن خالد بن عثمة ، قال : حدثنا كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزنيّ قال : حدثني أبي عن أبيه قال : خط رسول الله ﷺ الخندق عام الأحزاب من أجم السَّمُر طرف بني حارثة حين بلغ المداد ، ثم قطع أربعين ذراعًا بين كل عشرة ، فاختلف المهاجرون والأنصار - في سلمان الفارسيّ - وكان رجلاً قويًا - فقالت الأنصار : سلمان منا ، وقالت المهاجرون: سلمان منا ، فقال رسول الله ﷺ : سلمان منا أهل البيت .

قال عمر بن عوف : فكنت أنا ، وسلمان ، وحذيفة بن اليمان ، والنعمان ابن مُقَرّن ، وستة من الأنصار في أربعين ذراعًا ، فحضرنا حتى إذا بلغنا الثديّ أخرج الله من بطن الخندق صخرة بيضاء مدورة ، فكسرت حديدنا ، وشقّت

---

(١) (دلائل أبي نعيم) : ٢/٤٩٨ - ٤٩٩ ، من الأخبار في غزوة الخندق ، حديث رقم (٤٢٩) ، أخرجه الطبراني بإسنادين في أحدهما حييّ بن عبد الله ، وثقة ابن معين ، وضعفه جماعة ، وبقية رجاله رجال الصحيح ، كما في (مجمع الزوائد) : ٦/١٣١ .

(٢) (دلائل البيهقيّ) : ٣/٤١٨ - ٤٢٠ ، باب ما ظهر في حفر الخندق من دلائل النبوة وآثار الصدق .

علينا ، فقلنا : يا سلمان ، ارق إلى رسول الله ﷺ فأخبره خبر هذه الصخرة ، فإنا إن نعدل عنها فإن المعدل قريب ، وإما أن يأمرنا فيها بأمره فإنا لا نحب أن نجاوز خطه ، فرقى سلمان حتى أتى رسول الله ﷺ وهو ضارب عليه قبه تركية ، فقال : يا رسول الله ، بأبينا أنت وأمنا ، خرجت لنا صخرة بيضاء من الخندق مروه فكسرت حديدنا ، وشقت علينا حتى ما يحيك فيها قليل ولا كثير ، فمرنا فيها بأمرك ، فإنا لا نحب أن نجاوز خطك ، فهبط رسول الله ﷺ مع سلمان في الخندق ، ورقينا عن الشقة في شقة الخندق ، فأخذ رسول الله ﷺ المعول من سلمان فضرب الصخرة ضربة صدعها ، وبرقت منها برقة أضاء ما بين لابيتها - يعني لابتي المدينة - حتى لكأن مصباحًا في جوف ليل مظلم ، فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة فتح ، فكبر المسلمون .

ثم ضربها رسول الله ﷺ الثانية ، فكسرها ، وبرق منها برقة أضاء ما بين لابتيها ، حتى لكأن مصباحًا في جوف بيت مظلم ، فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة فتح ، فكبر المسلمون .

ثم أخذ بيد سلمان فرقى ، فقال سلمان : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! لقد رأيت شيئًا ما رأيته قط ، فالتفت رسول الله ﷺ إلى القوم ، فقال : هل رأيتم ما يقول سلمان ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، بأبينا أنت وأمنا ، قد رأيناك تضرب ، فخرج برق كالموج فرأيناك تكبر ، ولا نرى شيئًا غير ذلك ، فقال : صدقتم ، ضربت ضربتي الأولى ، فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى ، كأنها أنياب الكلاب فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها .

ثم ضربت ضربتي الثانية ، فبرق الذي رأيتم ، أضاءت لي منها قصور الحمر من أرض الروم ، كأنها أنياب الكلاب ، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها .

ثم ضربت ضربتي الثالثة فبرق منها ، الذي رأيتم ، أضاءت منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب ، فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ، فأبشروا يبلغهم النصر ، وأبشروا يبلغهم النصر ، وأبشروا يبلغهم النصر .

فاستبشر المسلمون ، وقالوا : الحمد الله موعود صادق بأن الله وعدنا النصر بعد الحصر ، فطلعت الأحزاب ، فقال المسلمون : ﴿ **هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانًا وتسليمًا** ﴾(١) .

وقال المنافقون : ألا تعجبون !؟ يحدثكم ويمنيكم ، ويعدكم بالباطل ، يخبركم أنه بصر من يثرب قصور الحيرة ، ومدائن كسرى ، وأنها تفتح لكم وأنتم تحفرون الخندق ، ولا تسطيعون أن تبرزوا !! .

فأنزل القرآن : ﴿ **وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورًا** ﴾(٢) .

وله من حديث هوذة بن خليفة قال : حدثنا عوف عن ميمون ، قال : حدثني البراء بن عازب قال : لما كان حين أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق عرضت لنا في بعض الخندق صخرة عظيمة شديدة لا تأخذ فيها المعاول ، فشكونا ذلك إلى النبي ﷺ ، فجاء فلما رآها ألقى ثوبة ، وأخذ المعول ، فقال : بسم الله ، ثم ضرب ضربة فكسر ثلثها ، فقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله إني لأبصر قصورها الحمر الساعة ، ثم ضرب الثانية ، وقال : بسم الله ، فقطع ثلثا آخر ، فقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس ، والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض ، ثم ضرب الثالثة ، وقال بسم الله ، فقطع بقية الحجر ، فقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا الساعة(٣) .

ومن طريق محمد بن إسحاق قال : حدثنا سعيد بن يحيى قال : حدثني أبي قال : ابن إسحاق : فحدثني من سمع حميلاً يتحدث ، عن أنس بن مالك قال: قسم رسول الله ﷺ الخندق بين المهاجرين والأنصار ، وظل رسول الله ﷺ يومه ذلك بعمل فضرب النبي ﷺ بمعوله ضربة ، وبرقت برقة ، فخرج نور من قبل اليمن ، ثم ضرب أخرى فخرج نور من قبل فارس ، فعجب سلمان من

---

(١) الأحزاب : ٢٢ .

(٢) الأحزاب : ١٢ .

(٣) (المرجع السابق) : ٢٤١ ، باختلاف يسير في اللفظ .

ذلك فقال رسول الله : أرأيت ؟ قلت : نعم ، قال : لقد أضاء لي أبيض المدائن ، فقال رسول الله ﷺ : إن الله قد بشرني في مقامي هذا بفتح اليمن ، والروم ، وفارس.

وقال : محمد بن إسحاق ، عن الكلبي عن أبي صالح ، عن سلمان – رضي الله تبارك وتعالى عنه – قال : ضربت في ناحية الخندق فعصت عليّ صخرة ورسول الله ﷺ قريب مني فلما رآني أضرب ، ورأى شدة المكان [جاء] فأخذ المعول من يدي ، فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة ، ثم ضرب به ضربة أخرى ، فلمعت برقة أخرى ، قال : فقلت : بأبي أنت وأمي ! ما هذا الذي رأيت تحت المعول ؟ قال : وقد رأيت ذلك يا سلمان ؟ قلت : نعم ، قال : أما الأولى فإن الله فتح بها عليّ اليمن ، وأما الثانية فإن الله فتح بها عليّ الشام والمغرب ، وأما الثالثة فإن الله فتح بها عليّ المشرق .

ومن طريق الحسن بن سفيان قال : حدثنا عبد الرحمن بن المتوكل ، حدثنا فضيل بن سليمان ، حدثنا محمد بن أبي يحيى عن العباس بن سهل ، بن سعد ، عن أبيه قال : كنا مع النبي ﷺ في الخندق ، فأخذ الكرزن[1] فحفره ، فصادف حجرًا فضحك ، فقيل : لم ضحكت يا رسول الله ؟ قال : ضحكت من ناس يؤتي بهم من قبل المشرق في الكبول يساقون إلى الجنة ، وهو كارهون .

قال أبو نعيم : فأخبر ﷺ بانتشار المسلمين وظهورهم حتى يسبوا سبايا الأمم مقيدين مسوقين إلى بلاد الإسلام يسترقون فيسلمون .

وقال الواقدي في (مغازيه) : وحدثني أُبيّ بن عباس بن سهل عن أبيه ، عن جده قال : كنا مع رسول الله ﷺ يوم الخندق ، فأخذ الكرزن[2] ، وضرب

---

(١) الكرزن والكرزين : قال أبو حنيفة : الكرزن ، بفتح الكاف والزاى جميعًا ، الفأس لها حدّ ، وفي الحديث عن العباس بن سهل عن أبيه قال : كنت مع رسول الله ﷺ يوم الخندق فأخذ الكرزين يحفر في حجر إذ ضحك ، فسُئل : ما أضحكك ؟ فقال : من ناس يؤتى بهم من قبل المشرق في الكبول يساقون إلى الجنة وهم كارهون ، قال : أبو عمرو : إذا كان لها حد واحد فهي فأس وكَرزَن وكرزِن ، والجمع كرازين وكرازن . (لسان العرب) : ٣٥٨/١٣ .

(٢) راجع التعليق السابق .

به ، [فصادف حجرًا] ، فصلَّ الحجر فضحك رسول الله ﷺ ، فقيل : يا رسول الله مم تضحك ؟ قال : أضحك من قوم يؤتي بهم من المشرق في الكبول يساقون إلى الجنة وهم كارهون[١] .

وحدثني عاصم بن عبد الله الحكمي ، عن عمر بن الحكم قال : كان عمر بن الخطاب – رضي الله تبارك وتعالى عنه – يضرب يومئذ بالمعول ، فصادف حجرًا صلدًا ، فأخذ رسول الله ﷺ المعول وهو عند جبل بني عبيد ، فضرب ضربة فذهبت أولها برقة إلى اليمن ، ثم ضرب أخرى فذهبت برقة إلى الشام ، ثم ضرب أخرى فذهبت برقة نحو المشرق ، وكسِر الحجر عند الثالثة ، فكان عمر – رضي الله تبارك وتعالى عنه – يقول : والذي بعثه بالحق لصار كأنه سهلة[٢] ، وكان كلما ضرب ضربه تبعه سليمان ببصره فيبصر عند كل ضربه برقة ، فقال سلمان – رضي الله تبارك وتعالى عنه – : يا رسول الله رأيت المعول كلما ضربت به أضاء ما تحته ، فقال : أليس قد رأيت ذلك ؟ قال: نعم .

قال النبي ﷺ إني رأيت في الأولى قصور الشام ، ثم رأيت في الثانية قصور اليمن ، ورأيت في الثالثة قصر كسرى الأبيض بالمدائن ، وجعل يصفه لسلمان ، فقال : صدقت والذي بعثك بالحق إن هذه لصفته ، وأشهد أنك رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : هذه فتوح يفتحها الله عليكم بعدي يا سليمان ، لتفتحن الشام ويهرب هرقل إلى أقصى مملكته ، وتظهرون على الشام فلا ينازعكم أحد ، ولتفتحن اليمن ، ولتفتحن هذا المشرق ، ويقتل كسرى فلا يكون [كسرى] بعده ، قال سلمان : فكل هذا قد رأيت[٣] .

---

(١) (مغازي الواقدي) : ٤٤٩/٢ ، ومابين الحاصرتين من (الأصل) فقط .

(٢) السهلة : رمل ليس بالدقاق .

(٣) (مغازي الواقدي) : ٤٤٩/٢- ٤٥٠ ، وما بين الحاصرتين من (الأصل) فقط .

وأما إخبار رسول الله ﷺ بأن المشركين بعد الخندق لا يغزون المسلمين ، وكان كذلك

فخرّج البخاريّ من حديث سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن سليمان بن صرد قال : قال النبي ﷺ : يوم الأحزاب نغزوهم ، ولا يغزوننا[1] .

ومن حديث إسرائيل قال : سمعت أبا اسحاق يقول : سمعت سليمان بن صرد يقول : " سمعت النبي ﷺ يقول حين أجلي الأحزاب عنه : الآن نغزوهم ولا يغزوننا ، نحن نسير إليهم " [2] .

وذكر يونس عن ابن إسحاق - رحمة الله عليه - قال : انصرف أهل الخندق عن الخندق ، قالوا : يا رسول الله فما ندمنا لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم فلم تغزهم قريش بعد ذلك ، وكان هو يغزوهم ﷺ حتى فتح الله - تعالى - عليه مكة شرفها الله - تعالى - وعظمها[3] .

---

(١) (فتح الباري) : ٧/٥١٥ ، كتاب المغازي ، باب (٣٠) غزوة الخندق وهي الأحزاب ، قال موسى بن عقبة : كانت في شوال سنة أربع ، حديث رقم (٤١٠٩) .

(٢) (المرجع السابق) : حديث رقم (٤١١٠) .

(٣) (دلائل البيهقيّ) : ٣/٤٥٧ - ٤٥٨ ، باب قول النبي ﷺ بعد ذهاب الأحزاب الآن نغزوهم ولا يغزوننا فكان كما قال .

وأخرجه البخاريّ في (الصحيح) من حديث يحيى بن آدم عن إسرائيل .

وأما قذف الله عز وجل
الرعب في قلوب بني قريظة

فخرَّج البخاريّ[1] من حديث ابن نمير ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قال: لما رجع النبي ﷺ من الخندق ، ووضع السلاح واغتسل ، أتاه جبريل عليه السلام ، فقال : قد وضعت السلاح ! والله ما وضعناه فاخرج إليهم . قال : فإلى أين ؟ قال : هاهنا ، وأشار إلى قريظة ، فخرج رسول الله ﷺ إليهم . وخرَّجه مسلم .

وخرَّج البخاريّ في الجهاد من طريق عبدة عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - أن رسول الله ﷺ لما رجع يوم الخندق ، ووضع السلاح واغتسل ، فأتاه جبريل وقد عصب رأسه الغبار فقال : وضعت السلاح ؟ فوالله ما وضعته ، فقال رسول الله ﷺ : فأين ؟ قال : ها هنا وأومأ إلى بني قريظة ، قال : فخرج إليهم رسول الله ﷺ . ترجم عليه باب الغسل بعد الحرب والغبار[2] .

وخرَّج من طريق جرير بن حازم عن حميد بن هلال ، عن أنس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : كأني أنظر إلى الغبار ساطعًا في زقاق بني غنم ، موكب جبريل حين سار رسول الله ﷺ إلى بني قريظة[3] .

وذكر ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ حاصرهم خمسًا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار ، ونزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فرد رسول الله ﷺ الحكم

---

(١) (فتح الباري) : ٨١٥/٧ ، كتاب المغازي ، باب (٣١) مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ، ومحاصرته إياهم ، حديث رقم (٤١١٧) .

(٢) (فتح الباري) : ٣٨/٦ ، كتاب الجهاد والسير ، باب (١٨) الغسل بعد الحرب والغبار ، حديث رقم (٢٨١٣) .

(٣) (فتح الباري) : ٥١٨/٧ ، كتاب المغازي ، باب (٣١) مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ، ومحاصرته إياهم ، حديث رقم (٤١١٨) .

فيهم إلى سعد بن معاذ الأوسي الأشهلي ، فحكم فيهم بأن تقتل الرجال ، وتقسم الأموال ، وتسبي الذراري والنساء(١) .

وخرّج البيهقيّ من طريق بشر عن أبيه قال حدثنا الزهري : قال : أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عمه عبيد الله بن كعب أخبره أن رسول الله ﷺ لما رجع من طلب الأحزاب وضع عنه اللأمة ، واغتسل ، واستجمر فتبدّا له جبريل - عليه السلام - فقال : عذيرك(٢) من محارب ألا أراك قد وضعت اللأمة ، وما وضعناها بعد ، قال : فوثب رسول الله ﷺ فزعًا ، فعزم على الناس أن لا يصلوا صلاة العصر حتى يأتوا بني قريظة ، قال : فلبس الناس السلاح ، فلم يأتوا بني قريظة حتى غربت الشمس ، فاختصم الناس عند الغروب ، فقال بعضهم : إن رسول الله ﷺ عزم علينا أن لا نصلي حتى نأتي بني قريظة ، فإنما نحن في عزيمة رسول الله ﷺ فليس علينا إثم ، وصلى طائفة من الناس احتسابًا ، وتركت طائفة منهم الصلاة حتى غربت الشمس ، فصلوا حين جاؤوا بني قريظة احتسابًا ، فلم يعنف رسول الله ﷺ واحدًا من الفريقين(٣) .

---

(١) (سيرة ابن هشام) : ١٩٥/٤ ، ١٩٩ ، والذراري : الذرّ النسل والذرية فعلية من الذر وهم الصغار ، وتكون الذرية واحدًا وجمعًا ، وفيها ثلاث لغات أفصحها ضم الذال ، وبها قرأ السبعة، والثانية كسرها ، ويروي عن زيد بن ثابت ، والثالثة : فتح الذال مع تخفيف الراء ، وبها قرأ أبان بن عثمان ، وتجمع على ذريات ، وقد تجمع على الذراريّ .

(٢) عذيرك : أي هات من يعذرك : فعيل بمعنى فاعل .

(٣) (دلائل البيهقيّ) : ٧/٤ -٨ ، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ، ومحاصرته إياهم ، وما ظهر في رؤية من رأى من الصحابة جبريل - عليه السلام - في صورة دحية الكلبيّ ، ثم قذف الرعب في قلوب بني قريظة وإنزالهم من حصونهم من آثار النبوة.

وقد أخرجه الإمام أحمد والشيخان مختصرًا ، والحاكم مطولاً عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - ومن طريق جابر أخرجه أبو نعيم في (الدلائل) ، والطبري في (التاريخ) عن عبد الله بن أبي أوفى .

وخرَّج أيضًا من حديث عبد الله بن نافع قال : حدثنا عبد الله بن عمر عن أخيه عبيد الله بن عمر ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة – رضي الله تبارك وتعالى عنها – أن رسول الله ﷺ كان عندها ، فسلم علينا رجل ونحن في البيت، فقام رسول الله ﷺ فزعًا فقمت في أثره ، فإذا بدحية الكلبي . فقال : هذا جبريل يأمرني أن أذهب إلى بني قريظة ، فقال : قد وضعتم السلاح لكنا لا نضع طلبنا المشريكن حتى بلغنا حمراء الأسد(١) ، وذلك حين رجع رسول الله ﷺ من الخندق ، فقام النبي ﷺ فزعًا ، فقال لأصحابه : عزمت عليكم أن لا تصلوا صلاة العصر حتى تأتوا بني قريظة ، فغربت الشمس قبل أن يأتوهم ، فقالت طائفة من المسلمين : إن النبي ﷺ لم يرد أن ندع الصلاة ، فصلوا . وقالت طائفة : والله إنا لفي عزيمة النبي ﷺ وما علينا من إثم ، فصلت طائفة إيمانًا واحتسابًا ، وتركت طائفة إيمانًا واحتسابًا فلم فلم يعب النبي ﷺ واحدًا من الفريقين(٢) .

---

(١) حمراء الأسد : موضع على ثمانية أميال من المدينة ، (معجم البلدان) : ٣٤٦/٢ ، موضع رقم (٣٩٠٨) .

(٢) (دلائل البيهقيّ) : ٨/٤ – ٩ ، وقال في (هامشه) : وقد اختلف العلماء في المصيب من الصحابة يومئذ من هو ؟ بل الإجماع على أن كلا من الفريقين مأجور ومعذور غير معنف ، فقالت طائفة من العلماء : الذين أخروا الصلاة يومئذ عن وقتها المقدر لها حتى صلوها في بني قريظة هم المصيبون لأن الأمر يومئذ بتأخير الصلاة خاص فيقدم على عموم الأمر بها في وقتها المقدر لها شرعًا ، قال أبو محمد بن حزم الظاهري في كتاب السيرة : وعلم الله أنا لو كنا هناك لم نُصلّ العصر إلا في بني قريظة ولو بعد أيام ، وهذا القول منه ماشٍ على قاعدته الأصلية في الأخذ بالظاهر .

وقالت طائفة أخرى من العلماء : بل الذين صلوا في وقتها لما أدركتهم وهم في مسيرتهم هم المصيبون ، لأنهم فهموا أن المراد إنما هو تعجيل السير إلى بني قريظة لا تأخير الصلاة ، فعملوا بمقتضى الأدلة الدالة على أفضلية الصلاة في أول وقتها مع فهمهم عن الشارع ما أراد ، ولهذا لم يعنفهم ولم يأمرهم بإعادة الصلاة في وقتها التى حولت إليه يومئذ كما يدعيه أولئك ، وأما أولئك الذين أخروا فعذروا بحسب ما فهموا، وأكثر ما كانوا يؤمرون بالقضاء وقد فعلوه، =

وخرج النبي ﷺ بمجالس بينه وبين بني قريظة ، فقال : هل مرَّ بكم من أحد ؟ قالوا مرَّ علينا دحية الكلبي على بغلة شهباء تحته قطيفة ديباج . فقال النبي ﷺ : ليس ذلك بدحية ، ولكن جبريل أُرسل إلى بني قريظة ليزلزلهم ويقذف في قلوبهم الرعب ، فحاصرهم النبي ﷺ وأمر أصحابه أن يستتروا بالجحف حتى يسمعهم كلامه ، فناداهم : يا إخوة القردة والخنازير ، قالوا : يا أبا القاسم لم تك فحاشًا ، فحاصرهم حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ ، وكانوا حلفاءه فحكم فيهم أن يقتل مقاتلتهم وتسبي ذراريهم ونساؤهم .

وقال يونس عن ابن إسحاق : وحدثني والدي إسحاق بن يسار ، عن معبد ابن كلب بن مالك السلمي أن رسول الله ﷺ حاصرهم خمسًا وعشرين ليلة حتى أجهدهم الحصار، وقذف الله - عز وجل - في قلوبهم الرعب[1] .

= وأما على قول من يجوّز تأخير الصلاة لعذر القتال كما فهمه البحتري ، حيث احتج على ذلك بحديث ابن عمر المتقدم في هذا ، فلا إشكال على من أخر ، ولا على من قدم أيضًا ، والله - تبارك وتعالى أعلم - .

(١) (سيرة ابن هشام) : ٤/١٩٥ ، حصار بني قريظة .

وأما إجابة الله تعالى دعاء سعد بن معاذ رضي الله تبارك وتعالى عنه فى جراحته وإجابة الله تعالى إياه في دعوته وما ظهر في ذلك من كرامته

فخرج البخاريّ[1] ومسلم[2] من طريق ابن نمير قال : حدثنا هشام ، عن أبيه ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت : أصيب سعد يوم الخندق رماه رجل قريش يقال له ابن العرقة .

وقال البخاريّ : يقال له حبان بن العرقة رماه في الأكحل ، فضرب عليه رسول الله ﷺ من خيمة في المسجد ، ليعوده من قريب ، فلما رجع رسول الله ﷺ من الخندق ، وضع السلاح ، فاغتسل ، فأتاه جبريل - عليه السلام - وهو ينفض رأسه من الغبار ، فقال : قد وضعت السلاح فوالله ما وضعناه اخرج إليهم ، فقال رسول الله ﷺ : فأين ؟ فأشار إلى بنى قريظة ، فقاتلهم رسول الله ﷺ ، فنزلوا على حكمه ، فرد رسول الله ﷺ الحكم فيهم إلى سعد ، قال : فإنى أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة ، وتسبى النساء والذرية ، وأن تقسم أموالهم .

وقال مسلم بعد هذا : حدثنا أبو كريب عن ابن نمير ، عن هشام قال : قال أبي : فأخبرت أن رسول الله ﷺ قال : لقد حكمت فيهم بحكم الله عزّ وجلّ [3] .

وقال البخاريّ متصلاً بقوله : وأن تقسم أموالهم .

قال هشام : أخبرني أبي عن عائشة أن سعداً قال : - وتحجَّر كَلْمَه للبُرء - فقال : اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحبُ إليَّ أن أجاهد فيك من قوم

---

(١) (فتح الباري) : ٥٢٣/٧ ، كتاب المغازي ، باب (٣١) مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ، ومخرجه إلى بني قريظة ، ومحاصرته إياهم ، حديث رقم (٤١٢٢) .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ٣٣٧/١٢ - ٣٣٨ ، كتاب الجهاد والسير ، باب (٢٢) جواز قتال من نقض العهد ، وجواز إنزال أهل الحصن على حكم حاكم عدل أهل للحكم ، حديث رقم (٦٥) ، (٦٦) .

(٣) راجع التعليق السابق .

كذبوا رسولك وأخرجوه ، اللهم فإن كان بقى من حرب قريش فأبقني أجاهدهم فيك ، اللهم فإني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم ، فإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فافجرها واجعل موتي فيها ، فانفجرت من لبته فلم يرعهم - وفي المسجد خيمة من بني غفار - إلا الدم يسيل إليهم ، فقالوا : يا أهل الخيمة ! ما هذا الذي يأتينا من قبلكم ؟ فإذا سعد يغذو جرحه دمًا فمات منها .

وقال مسلم متصلاً بقوله : لقد حكمت فيهم بحكم الله ، وعن أبي كريم قال: عن نمير ، عن هشام ، قال : أخبرنى أبي عن عائشة أن سعداً قال : وتحجّر كلمه للبرء ، فقال : اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إليَّ أن أجاهد فيك من قوم كذبوا رسولك وأخرجوه ، اللهم فإن كان بقى من حرب قريش شيء ، فأبقني أجاهدهم فيك اللهم فإنى أظن أنك وضعت الحرب بيننا وبينهم فإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فافجرها ، واجعل موتى فيها ، فانفجرت من ليلته ، فلم يرعهم - وفى المسجد معه خيمة من بنى غفار - إلا والدم يسيل إليهم . فقالوا: يا أهل الخيمة ! ما الذي يأتينا من قبلكم ؟ فإذا سعد جرحه يغذو دمًا ، فمات منها. (١)

وخرّج البيهقيّ من حديث الليث قال : حدثنا أبو الزبير ، عن جابر ، قال: رمى سعد بن معاذ يوم الأحزاب فقطعوا أكحله ، فحسمه رسول الله ﷺ بالنار فانتفخت يده ، فتركه ، فنزف الدم ، فحسمه أخرى ، فانتفخت يده فلما رأى ذلك قال : اللهم لا تُخرج نفسي حتى تقرّ عيني من بني قريظة ، فاستمسك عرقه ، فما قطرت منه قطره ، حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ ، فأرسل إليه رسول

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ١٢/٣٣٨ - ٣٣٩ ، كتاب الجهاد والسير باب (٢٢) جواز قتال من نقض العهد ، وجواز إنزال أهل الحصن على حكم حاكم عدل أهل للحكم ، حديث رقم (٦٧) ، قوله " رماه في الأكحل " قال العلماء : هو عرق معروف ، قال الخليل : إذا قطع في اليد لم يرفأ الدم ، وهو عرق الحياة ، في عضو منه شعبة لها اسم .

قوله : " فضرب رسول الله ﷺ خيمة في المسجد " فيه جواز النوم في المسجد ، وجواز مُكث المريض فيه وإن كان جريحًا . وقوله : " إن سعدًا تحجر كلمه للبرء " الكلم بفتح الكاف الجرح ، وتحجّر أى يبس .

الله ﷺ فحكم أن تُقتل رجالهم ، وتسبي نساؤهم ، وذراريهم ، يستعين بهم المسلمون ، فقال رسول الله ﷺ يا سعد : أصبت حكم الله فيهم ، وكانوا أربع مائة ، فلما فرغ من قتلهم انفتق عرقه ؛ فمات - رحمه الله - [1] .

وأما إسلام ثعلبة وأسيد بني سعية وأسد بن عبيد وما في ذلك من آثار النبوة

فخرج البيهقيّ من طريق جرير بن حازم ، عن طريق محمد بن إسحاق قال : حدثني عاصم بن عمر عن شيخ من بني قريظة قال : قدم علينا من الشام رجل يهودى يقال له : ابن الهيبان ، والله ما رأينا رجلاً قط خيراً منه ، فأقام[2] بين أظهرنا ، وكنا نقول له إذا احتبس المطر : استسق لنا ، فيقول : لا والله ، حتى تخرجوا أمام مخرجكم صدقة . فيقولون[3] : ماذا؟ فيقول : صاعٌ[4] من تمر أو مدٌ من شعير ، فنفعل[5] ، فيخرج بنا إلى ظاهر حرّينا ، فوالله ما يبرح مجلسه حتى تمر بنا الشعاب تسيل ، قد فعل ذلك غير مرة ، ولا مرتين ، فلما حضرته الوفاة قال : يا معشر يهود أما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوعِ ! قلنا : أنت أعلم ، قال : أخرجني نبي

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٤/٢٧ - ٢٨ ، دعاء سعد بن معاذ - رضي الله تبارك وتعالى عنه - في جراحته ، وإجابة الله - تعالى - إياه في دعوته ، وما ظهر في ذلك من كرامته .

وأخرجه الترمذي في كتاب السير ، باب (٢٩) ما جاء في النزول على الحكم ، حديث رقم (١٥٨٢) والإمام أحمد في (المسند) : ٤/٣١٤ - ٣١٥ ، حديث رقم (١٤٣٥٩) .

(٢) في (الأصل) : " فقام " ، وما أثبتناه من (دلائل البيهقي) .

(٣) في (الأصل) : " فنقول " ، وما أثبتناه من (دلائل البيهقي) .

(٤) في (الأصل) : " صاعًا " ، وما أثبتناه من (دلائل البيهقي) .

(٥) في (الأصل) : " فنخرج " ، وما أثبتناه من (دلائل البيهقي) .

أتوقعه يبعث الآن فهذه البلدة مهاجره ، وأنه يبعث بسفك الدماء ، وسبي الذرية ، فلا يمنعنكم ذلك منه ، ولا تسبقن إليه ، ثم مات[1].

وخرّج من طريق يونس ، عن ابن إسحاق قال : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن شيخ من بنى قريظة أنه قال : هل تدري عما كان إسلام ثعلبة ، وأسيد ابني سعية ، وأسد بن عبيد نفر من هزل لم يكونوا من بني قريظة، ولا نضير ، كانوا فوق ذلك ، فقلت : لا ، قال : فإنه قدم علينا رجل من الشام من يهود يقال له ابن الهيبان .

فذكر القصة بمعنى رواية جرير ، وزاد قال : فلما كان تلك الليلة التي افتتحت فيها قريظة ، قال : أولئك الفتية الثلاثة ، وكانوا شباباً أحداثا يا معشر يهود هذا الذي كان ذكر لكم ابن الهيبان ، قالوا : ما هو ؟ قال : بلى إنه لهو يا معشر يهود هذا يهود ، إنه والله بصفته، ثم نزلوا ، وخلوا أموالهم ، وأولادهم ، وأهاليهم ، قالوا : وكانت أموالهم في الحصن مع المشركين ، فلما فتح رد ذلك عليهم[2] .

وقال الواقدي فى (مغازيه)[3] : فحدثني صالح بن جعفر ، عن محمد بن عقبة، عن ثعلبة بن أبي مالك قال : قال ثعلبة ، وأسيد ابنا سعيّة ، وأسيد بن عبيد عمهم : يا معشر بني قريظة ، والله إنكم لتعلمون أنه رسول الله ، وأن صفته عندنا ، حدثنا بها علماؤنا ، وعلماء بنى النضير ، هذا أولهم يعني حُيَيّ بن أخطب مع جبير بن الهيبان أصدق الناس عندنا ، هو خبَّرنا بصفته عند موته . قالوا : لا نفارق التوراة ، فلما رأى هؤلاء النفر إباءَهم نزلوا في الليلة التي في صبحها نزل بنو قريظة[4]، فأسلموا فأمنوا على أنفسهم وأهلهم وأموالهم.

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٣١/٤ .

(٢) (المرجع السابق) : ٣٢/٤ .

(٣) (مغازي الواقدي) : ٥٠٣/٢ .

(٤) في (المغازي) : " نزلت بنو قريظة " وما أثبتناه من (الأصل) .

وقال أبو عمر بن عبد البر[1] : أسيد بن سعية القرظي من بني قريظة أسلم وأحرز ماله ، وحسن إسلامه .

وذكر من طريق يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق قال : حدثني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - قال : لما أسلم عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسيد بن عبيد ، ومن أسلم من يهود فآمنوا وصدقوا ورغبوا في الإسلام قالت أحبار يهود : ما أتى محمد إلا شرارنا ، فأنزل الله - عز وجل-: ﴿ **ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون * يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك من الصالحين** ﴾ [2] .

وذكر الطبري عن ابن حميد ، عن سلمة [بن الفضل] ، عن ابن اسحاق قال : ثم إن ثعلبة بن سعية ، وأسيد بن سعية ، وأسد بن عبيد وهم من بني هُذيل ليسوا من بني قريظة ولا النضير نسبهم فوق ذلك ، وهم بنوا عم القوم ، أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله ﷺ .

وقال البخاريّ توفى أسيد بن سعية ثعلبة بن سعية في حياة النبي ﷺ[3].

---

(١) (الاستيعاب) : ١/٩٦ ، ترجمة رقم (٥٩) : أَسِيْد بن سعية ، ويقال : أسيد - بالفتح - بن سعية أو شعبة - بن عريب القرظيّ . قال إبراهيم بن سعد ؛ عن ابن إسحاق : أُسيد بالضم ، وقال يونس بن بكير أسيد بالفتح ، وقال الدارقطني : بالفتح الصواب . وقد قيل : سعية ، وسَعْيَة، وسعية بالياء أكثر ، نزل هو وأخوه ثعلبة بن سعية في الليلة التي في صبيحتها نزل بنو قريظة على حكم سعد بن معاذ ، ونزل معهما أسد بن عبيد القرظيّ فأسلموا ، وأحرزوا دمائهم وأموالهم .

(٢) آل عمران : ١١٣ .

(٣) (الاستيعاب) : ١/٩٦ - ٩٧ ، ترجمة رقم (٦٠) .

وأما امتناع عمرو بن سُعْدى القرظيّ من الغدر برسول الله ﷺ

قال ابن إسحاق[1] : وخرج في تلك الليلة عمرو بن سُعْدَى القرظيّ ، فمرّ بحرس رسول الله ﷺ وعليه محمد بن مسلمة تلك الليلة ، فلما رآه قال : من هذا؟ قال : أنا عمرو بن سُعْدَى القرظيّ ، وكان عمرو قد أبي أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله ﷺ ، وقال : لا أغدر بمحمد أبدًا .

فقال محمد بن مسلمة حين عرفه : اللهم لا تحرمني أقالة عثرات الكرام ، ثم خلى سبيله ، فخرج على وجهه حتى أتى باب مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة تلك الليلة ، ثم ذهب فلم يُدْرَ أين ذهب من الأرض إلى يومه هذا ، فذكر شأنه لرسول الله ﷺ ، فقال : ذاك رجل نجاه الله بوفائه ، وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق برمّة فيمن أوثق من بني قريظة حتى نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فأصبحت رمته ملقاه ، ولا يُدْرَي أين يذهب . [فقال رسول الله ﷺ فيه تلك المقالة] .

وقال الواقدي في (مغازيه)[2] : فحدثني الضحاك بن عثمان ، عن محمد بن يحيي بن حبان قال : قال عمرو بن سُعْدَى وهو رجل منهم : يا معشر اليهود إنكم قد حالفتم محمداً على ما حالفتموه عليه ألا تنصروا عليه أحداً من عدوه ، وأن تنصروه ممن دهمه ، فنقضتم ذلك العهد الذي كان بينكم ، وبينه ، فلم أدخل فيه ، ولم أشرككم في غدركم ، فإن أبيتم أن تدخلوا معه ، فاثبتوا على اليهودية ، وأعطوا الجزية ، فوالله لا أدرى يقبلها أم لا ، قالوا : نحن لا نقر للعرب بِخَرْجٍ في رقابنا يأخذوننا به ، القتل خير من ذلك ، قال : فإني بريءٌ منكم ، وخرج في تلك الليلة مع بني سعية ، فمر بحرس النبي ﷺ ، وعليهم محمد بن مسلمة .

---

(١) (سيرة ابن هشام) : ١٩٧/٤ - ١٩٨ ، قصة عمرو بن سُعْدى ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه ، والرمة : الحبل البالي .

(٢) (مغازي الواقدي) : ٥٠٣/٢ - ٥٠٤ .

فقال محمد بن مسلمة : من هذا ؟ قال : عمرو بن سُعْدىَ ، فقال محمد : مُرّ ! اللهم لا تحرمني إقالة عثرات الكرام ، فخل سبيله ، وخرج حتى أتى مسجد رسول الله ﷺ ، فبات به حتى أصبح ، فلما أصبح غدا ، فلم يُدْرَ أين هو حتى الساعة ، فسئل رسول الله ﷺ عنه ، فقال : ذاك نجاه الله بوفائه ، ويقال أنه لم يطع أحدًا[1] منهم ، ولم يبادر للقتال .

وأما قتل أبي رافع بن أبي الحقيق
واسمه عبد الله وقيل سلام

فقال يونس بن بكير : عن ابن إسحاق ، لما انقضى شأن[2] الخندق ، وأمر بني قريظة ، وكان أبو رافع سلام بن أبي الحقيق فيمن كان حزّب الأحزاب على رسول الله ﷺ ، وكانت الأوس قبل أحد قد قتلت كعب بن الأشرف في عداوته لرسول الله ﷺ ، وتحريضه عليه ، فاستأذنت الخزرج ورسول الله ﷺ في قتل [سلام] بن أبي الحقيق ، وهو بخيبر ، فأذن لهم فيه .

قال ابن إسحاق : حدثني الزهريّ عن عبد الله بن كعب بن مالك قال : كان مما صنع الله به لرسول الله ﷺ إن هذين الحيين من الأنصار : الأوس ، والخزرج ، كانا يتصاولان معه تصاول الفحلين لا تصنع أحد منهما شيئاً إلا صنع الآخر مثله ، فلما قتلت الأوس كعب بن الأشرف تذكرت الخزرج رجلاً هو في العداوة لرسول الله ﷺ مثله .

فذكروا ابن أبي الحقيق بخير ، فاستأذنوا رسول الله ﷺ في قتله ، فأذن لهم ، فخرج له عبد الله بن عتيك ، وأبو قتادة ، وعبد الله بن أنيس ، ومسعود ابن سنان ، وخزاعيّ[3] بن أسود حليف [لهم][4] من أسلم .

(١) في (المغازي) : " لم يطلع أحدٌ " ، وما أثبتناه من (الأصل) ، وهو أجود للسياق .

(٢) في (الأصل) : " أمر الخندق " ، وما أثبتناه من (سيرة ابن هشام) .

(٣) في (الأصل) : " الأسود بن خزاعيّ " ، وما أثبتناه من (سيرة ابن هشام) .

(٤) زيادة للسياق من (المرجع السابق) .

قال ابن إسحاق : وحسبت أن فيهم فلان ابن سلمة ، فخرجوا إليه ، فلما جاءه ، وصعد إليه في علية له [طلعت منها] امرأته ، فصيحَّت ، وكان قد نهاهم رسول الله ﷺ حين بعثهم عن قتل النساء ، والولدان ، فجعل الرجل يرفع عليها السيف ، ثم يذكر نهي رسول الله ﷺ ، فيمسك يده ، قال : فابتدروه بأسيافهم ، فتحامل عليه عبد الله بن أنيس في بطنه حتى قتله .

وروى عن إبراهيم بن عبد الرحمن ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، عن أبيه ، عن أمه ، عن عبد الله بن أنيس أنه قتل ابن عتيك ، وابن أنيس وقف عليه ، وقيل فيه : أنه قتله ابن أنيس وابن عتيك وقف عليه[1] .

والصحيح ما خرَّجه البخاريّ من طريق إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع اليهوديّ رجالاً من الأنصار ، وأمرَّ عليهم عبد الله بن عتيك وكان أبو رافع يؤذي رسول الله ﷺ ، ويعين عليه ، وكان في حصن له بأرض الحجاز ، فلما دنوا منه ، وقد غربت الشمس ، وراح الناس بسرحهم .

قال عبد الله لأصحابه : اجلسوا مكانكم فإني منطلق ، ومتلطف بالبواب لعلي أدخل ، فأقبل حتى دنا من الباب ، فتقنع بثوبه كأنه يقضي حاجة ، وقد دخل الناس ، فهتف به البواب : يا عبد الله إن كنت تريد أن تدخل ، فادخل ، فإني أريد أن أغلق الباب ، فدخلت ، فكمنت ، فلما دخل الناس أغلق الباب ، ثم علّق الأعاليق على ود[2] قال : فقمت إلى الأقاليد ، فأخذتها ، ففتحت الباب ، وكان أبو رافع يُسمَرُ عنده ، وكان في علاليّ له ، فلما ذهب عنه أهل سمره ، صعدت إليْه فجعلت كلما فتحت بابًا أغلقت عليّ من داخل ، قلت : إن القوم نذروا بي ، لم يخلصوا إليّ حتى أقتله ، فانتهيت إليه ، فإذا هو في بيت مظلم

---

(۱) (سيرة ابن هشام) : ٢٣٤/٤ - ٢٣٧ ، مقتل سلام بن أبي الحقيق وسياقة ابن هشام أتم ، وفيها : فقدمنا على رسول الله ﷺ فأخبرناه بقتل عدوّ الله ، واختلفنا عنده في قتله ، كلنا يدعيه، قال : فقال رسول الله ﷺ : هاتوا أسيافكم ، قال : فجئناه بها ، فنظر إليها ، فقال لسيف عبد الله بن أنيس : هذا قتله ، أرى فيه أثر الطعام .

(۲) الودّ : الوتد في لغة تميم .

وسط عياله ، لا أدري أين هو من البيت ، قلت : أبا رافع ؟ قال : من هذا ؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسيف وأنا دهش ، فما أغنيتُ شيئًا وصاح ، فخرجت من البيت فأمكث غير بعيد ثم دخلت إليه فقلت : ما هذا الصوت يا أبا رافع ؟ فقال : لأُمّك الويل ، إن رجلاً في البيت ضربني قبلُ بالسيف قال : فأضربه ضربة فأثخنتهُ ، ثم وضعت صبيب[1] السيف ولم أقتله ، ثم وضعت ضبيب السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره ، فعرفت أني قتلته ، فجعلت أفتح الأبواب بابًا بابًا حتى انتهيت إلى درجة له ، فوضعت رجلي وأنا أرى أني قد انتهيت إلى الأرض فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت ساقي ، فعصبتها بعمامتي ، ثم انطلقت حتى جلست على الباب فقلت : لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته ؟ فلما صاح الديك قام الناعي على السور ، فقال : أنعي أبا رافع تاجر أهل الحجاز ، فانطلقت إلى أصحابي فقلت : النجاء فقد قتل الله أبا رافع فانتهيت إلى النبي ﷺ فحدثته فقال : ابسط رجلك فبسطت رجلي ، فمسحها فكأنما لم اشتكها قط . وكرره البخاريّ من غير طريق كلها تدور على البراء بن عازب [2].

وقال الواقدي[3] - رحمه الله - في (مغازيه) : حدثني أبو أيوب بن النعمان ، عن أبيه ، عن عطية بن عبد الله بن أنيس ، عن أبيه قال : خرجنا من

---

(١) ضبيب السيف : طرفه .

(٢) أخرجه البخاريّ في المغازي ، باب (١٦) قتل أبي رافع عبد الله بن أبي الحقيق ، ويقال سلام ابن أبي الحقيق ، كان بخيبر ، ويقال في حصن له بأرض الحجاز ، وقال الزهريّ : هو بعد كعب بن الأشرف ، حديث رقم (٤٠٣٨) .

وفي هذا الحديث من الفوائد : جواز اغتيال المشرك الذي بلغته الدعوة وأصرَّ ، وقتل من أعان على رسول الله ﷺ بيده ، أو ماله ، أو لسانه ، وجواز التجسيس على أهل الحرب وتطلب غرتهم ، والأخذ بالشدة في محاربة المشركين ، وجواز إيهام القول للمصلحة ، وتعرض القليل من المسلمين للكثير من المشركين ؛ والحكم بالدليل والعلامة لاستدلال ابن عتيك على أبي رافع بصوته واعتماده على صوت الناعي بموته ، والله - تعالى - أعلم . (فتح الباري) .

(٣) (مغازي الواقدي) : ١/٣٩١ - ٣٩٥ .

المدينة حتى أتينا خيبر . قال : وقد كانت أم عبد الله بن عتيك بخيبر يهودية أرضعته ، وقد بعثنا رسول الله ﷺ خمسة نفر: عبد الله بن عتيك ، وعبد الله ابن أنيس ، وأبو قتادة ، والأسود بن خزاعي ومسعود بن سنان . قال : فأنتهينا إلى خيبر ، وبعث عبد الله بن عتيك إلى أمه فأعلمها بمكانه ، فخرجت إلينا بجراب مملوء تمرًا كبيسًا وخبزًا ، فأكلنا منه ثم قال لها : يا أماه إنا قد أمسينا، بيتينا عندك فادخلينا خيبر ، فقالت أمه : وكيف تطيق خيبر وفيها أربعة آلاف مقاتل ؟ ومن تريد فيها ، قال : أبا رافع ، قالت : لا تقدر عليه . قال : والله لأقتلنه أو لأقتلن دونه قبل ذلك ، فقالت : فادخلوا على ليلاً : فدخلوا عليها فلما ناما أهل خيبر ، وقد قالت لهم : أدخلوا في خمر الناس ، فإذا هدأت الرجل فأكمنوا ! ففعلوا ودخلوا عليها ، ثم قالت : إن اليهود لا تغلق عليها أبوابها فرقًا أن يطرقها ضيف ، فيصبح أحدهم بالفناء لم يضف فيجد الباب مفتوحًا فيدخل فيتعشى ، فلما هدأت الرجل قالت : انطلقوا حتى تستفتحوا على أبي رافع فقولوا: إنا جئنا لأبي رافع بهديه فإنهم سيفتحون لكم . ففعلوا ذلك ، ثم خرجوا لا يمرون بباب من بيوت خيبر إلا أغلقوه ، حتى أغلقوا بيوت القرية كلها ، حتى انتهوا إلى عجلة عند قصر سلام ، قال : فصعدنا ، وقدمنا عبد الله بن عتيك ، لأنه كان يرطن باليهودية ، ثم استفتحوا على أبي رافع فجاءت امرأته فقالت : ما شأنك ؟ فقال : عبد الله بن عتيك ورطن باليهودية : جئت أبا رافع بهديه ففتحت له ، فلما رأت السلاح أرادت أن تصيح . قال عبد الله بن أنيس : وازدحمنا على الباب أينا يبدر إليه ، فلما أرادت أن تصيح . قال : فأشرت إليها السيف قال : وأنا أكره أن يسبقني أصحابي إليه . قال : فسكنت ساعة . قال : ثم قلت لها : أين أبو رافع ؟ وإلا ضربتك بالسيف ! فقالت : هو ذاك في البيت فدخلنا عليه فما عرفناه إلا بياضة كأنه قطنة ملقاه فعلوناه بأسيافنا ، فصاحت امرأته ، فهَمّ بعضنا أن يخرج إليها ، ثم ذكرنا أن رسول الله ﷺ نهانا عن قتل النساء ، قال : فلما انتهينا جعل سمك البيت يقصر علينا ، وجعلت سيوفنا ترجع .

قال ابن أنيس : وكنت رجلاً أعشى لا أبصر بالليل إلا بصرًا ضعيفًا ، قال: فتأملته كأنه قمر ، قال : فاتكئ بسيفي على بطنه حتى سمعت خشّه في الفراش ، وعرفت أنه قد قضى ، قال : وجعل القوم يضربونه جميعًا ، ثم نزلنا

ونسى أبو قتادة قوسه ، فذكرها بعد ما نزل ، فقال أصحابه : دع القوس ، فأبى فرجع فأخذ قوسه ، فانفكت رجله فاحتملوه بينهم ، فصاحت امرأته فتصايح أهل الدار بعد ما قتل فلم يفتح أهل البيوت عن أنفسهم ليلاً طويلاً ، واختبأ القوم في بعض مناهر خيبر ، وأقبلت اليهود وأقبل الحارث أبو زينب ، فخرجت إليه امرأته فقالت : خرج القوم الآن ، فخرج الحارث في ثلاثة آلاف في آثارنا يطلبوننا بالنيران في شعل السعف ، ولربما وطئوا في النهر ، فنحن في بطنه وهم على ظهره فلا يرونا ، فلما أوعبوا في الطلب فلم يروا شيئًا رجعوا إلى امرأته فقالوا لها : هل تعرفين منهم أحدًا ؟ فقالت : سمعت منهم كلام عبد الله بن عتيك ، فإن كان في بلادنا هذه فهو معهم . فكروا الطلب الثانية ، وقال القوم فيما بينهم : لو أن بعضنا أتاهم فنظر هل مات الرجل أم لا ؟ فخرج الأسود بن خزاعي حتى دخل مع القوم وتشبه بهم ؛ فجعل في يده شعله كشعلهم حتى كر القوم الثانية إلى القصر وكر معهم ، ويجد الدار قد شحنت ، قال : فأقبلوا جميعًا ينظرون إلى أبي رافع ما فعل ، قال : فأقبلت إمرأته معها شعلة من نار ، ثم أحنت عليه تنظر أحيٌ أم ميت هو فقالت : فاظ وإله موسى ! قال: ثم كرهت أن أرجع إلا بأمر بين ، قال : فدخلت الثانية معهم ،فإذا الرجل لا يتحرك منه عرق ، قال : فخرجت اليهود في صيحة واحدة وأخذوا في جهازه يدفنونه ، وخرجت معهم وقد أبطأت على أصحابي بعض الإبطاء ، قال : فأنحدرت عليهم في النهر فخبرتهم ، فمكثنا في مكاننا يومين ترميم حتى سكن عنا الطلب ، ثم خرجنا مقبلين إلى المدينة ، كلنا يدعي قتله ، فقدمنا على النبي ﷺ وهو على المنبر ، فلما رآنا قال : أفلحت الوجوه ! فقلنا : أفلح وجهك يا رسول الله ، قال : أقتلتموه ؟ قلنا : نعم ، وكلنا يدعي قتله ، قال : عجلوا عليّ بأسيافكم، فأتيناه بأسيافنا ، ثم قال : هذا قتله هذا أثر الطعام في سيف الطعام في سيفه عبد الله بن أنيس . قال : وكان ابن أبي الحقيق قد أجلب في غطفان ومن حوله من مشركي من العرب جعل لهم الجعل العظيم لحرب رسول الله ﷺ ، فبعث إليهم النبي ﷺ هؤلاء النفر .

فحدثني أيوب بن النعمان قال : حدثني خارجة بن عبد الله قال : فلما انتهوا إلى أبي رافع تشاجروا في قتله . قال : فإستهموا عليه فخرج سهم عبد

الله بن أنيس . وكان رجلاً أعشى فقال لأصحابه : أين موضعه ؟ فقالوا له : ترى بياضه كأنه قمر . قال : قد رأيت قال : وأقبل عبد الله بن أنيس وقام النفر مع المرأة يفرقون أن تصيح قد شهروا سيفوهم عليها ، ودخل عبد الله بن أنيس، فضرب بالسيف ، فرجع السيف عليه لقصر السمك فاتكأ عليه وهو ممتلئ خمرًا حتى سمع خش السيف وهو في الفراش .

وأما إخباره ﷺ بأن عبد الله بن أنيس إذا رأى سفيان بن خالد نبيح فرق منه فكان كذلك

خرَّج أبو داود[1] من حديث محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر ، عن ابن عبد الله بن أنيس ، عن أبيه قال : بعثني رسول الله ﷺ إلى خالد بن سفيان ابن نبيح الهذلي ، وكان نحو عرنة وعرفات ، فقال : أذهب فاقتله ، فرأيته وقد حضرت صلاة العصر، فقلت : إني أومىء أخاف أن يكون بيني وبينه ما إن أؤخر الصلاة فانطلقت أمشي وأنا أصلي أمشي إيماء نحوه ، فلما دنوت منه قال: من أنت ؟ قلت : رجل من العرب ، بلغني أنك تجمع لهذا الرجل فجئتك في ذاك ، قال : إني لفي ذاك ، فمشيت معه ساعة ، حتى إذا أمكنني علوته بسيفي حتى برد .

وقال الواقدي[2] - رحمه الله - : حدثنا إسماعيل بن عبد الله بن جبير ، عن موسى بن جبير قال بلغ رسول الله ﷺ أن سفيان بن خالد بن نبيح الهذلي ، ثم اللحياني ، وكان نزل عرنة وما حولها في ناسٍ من قومه وغيرهم ، فجمع الجموع لرسول الله ﷺ وضوى إليه بشر كثير من أفناء الناس ، فدعا رسول

---

(١) (سنن أبي داود) : ٢/ ٤١- ٤٢ ، كتاب الصلاة ، باب (٢٨٩) في صلاة ، حديث رقم (١٢٤٩) ، قال ابن الأثير : وهو حديث حسن بشواهده . (جامع الأصول) : ٥/ ٧٤٩ ، حديث رقم (٤٠٦٣) .

(٢) (مغازي الواقدي) : ٢/٥٣١ - ٥٣٣ .

الله ﷺ عبد الله بن أنيس ، فبعثه سرية وحده إليه ليقتله ، وقال له رسول الله ﷺ : انتسب إلى خزاعة فقال عبد الله بن أنيس : يا رسول الله ما أعرفه فصفه لي فقال رسول الله ﷺ : إنك إذا رأيته هبته وفرقت منه وذكرت الشيطان ، وكنت لا أهاب الرجال ، فقلت يا رسول الله : ما فرقت من شيء قط ، فقال رسول الله ﷺ : بلى ، آية بينك وبينه أن تجد له قشعريرة إذا رأيته ، واستأذنت النبي ﷺ أن أقول ، فقال : قل ما بدا لك ، قال : فأخذت سيفي لم أزد عليه ، وخرجت أعتزي إلى خزاعة ، فأخذت على الطريق حتى انتهيت إلى قديد فأجد بها خزاعة كثيرًا ، فعرضوا علي الحملان والصحابة ، فلم أرد ذلك وخرجت حتى أتيت بطن سرف ، ثم عدلت حتى خرجت على عرنة ، وجعلت أخبر من لقيت أني أريد سفيان بن خالد لأكون معه ، حتى إذا كنت ببطن عرنة لقيته يمشي ، ووراءه الأحابيش ومن استجلب وضوى إليه فلما رأيته هبته ، وعرفته بالنعت الذي نعت لي رسول الله ﷺ ، ورأيتني أقطر فقلت : صدق الله ورسوله! وقد دخلت في وقت العصر حين رأيته ، فصليت وأنا أمشي أومىء إيماءً برأسي فلما دنوت منه قال : من الرجل ؟ فقلت : رجل من خزاعة ، سمعت بجمعك لمحمد فجئتك لأكون معك ، قال : أجل أني لفي الجمع له ، فمشيت معه ، وحدثته فاستحلى حديثي ، وأنشدته شعرًا ، وقلت : عجبًا لما أحدث محمد من هذا الدين المحدث ؛ فارق الأباء وسفه أحلامهم قال : لم يلق محمد أحد يشبهني ! قال: وهو يتوكأ على عصى يهد الأرض حتى انتهى إلى خبائه ، وتفرق عنه أصحابه إلى منازل قريبة منه وهم مطيفون به ، فقال : هلم يا أخا خزاعة ! فدونت منه لجاريته : احلبي ! فحلبت ، ثم ناولتني ، فمصصت ثم دفعته إليه ، فعب كما يعب الجمل حتى غاب أنفه في الرغوة ، ثم قال : اجلس ، فجلست معه ، حتى إذا هدأ الناس وناموا وهدأ ، اغتررته فقتلته وأخذت رأسه ، ثم أقبلت وتركت نساءه يبكين عليه ، وكان النجاء مني حتى صعدت في جبل فدخلت غارًا ، وأقبل الطلب من الخيل والرجال توزع في كل وجه ، وأنا مختفٍ في غار الجبل ، وضربت العنكبوت على الغار ، وأقبل رجل معه إداوة ضخمة ونعلاه في يده ، وكنت حافيًا ، وكان أهم أمري عندي العطش ، كنت أذكر تهامة وحرها ، فوضع إداوته ونعله وجلس يبول على باب الغار ، ثم قال

لأصحابه : ليس في الغار أحد ، فأنصرفوا راجعين ، وخرجت إلى الإداوة فشربت منها وأخذت النعلين فلبستهما ، فكنت أسير الليل وأتوارى النهار حتى جئت المدينة فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد ، فلما رآني قال : أفلح الوجه ، قلت : أفلح وجهك يا رسول الله ! فوضعت رأسه بين يديه ، وأخبرته خبري، فدفع إليّ عصا ، فقال : تخصر بهذه في الجنة ، فإن المتحضرين في الجنة قليل، فكانت عند عبد الله بن أنيس حتى إذا حضره الموت أوصى أهله أن يدرجوها في كفنه ، وكان قتله في المحرم على رأس أربعة وخمسين شهرًا .

وأما إخباره ﷺ الحارث بن أبي ضرار بأمور فكانت كما أمره ﷺ

قال ابن إسحاق(١) : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة ، قالت : لم قسم رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق وقعت جويريه بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن الشماس ، أو لابن عم له فكاتبته على نفسها ، وكانت امرأة حلوة ملاحة ، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها ، قالت عائشة : فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها : وعرفت أنه سيرى منها ﷺ ما رأيت ، فدخلت عليه ، فقالت : يا رسول الله ، أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار ، سيد قومه وقد أصابني من البلاء ، ما لم يخف عليك فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشماس ، أو لابن عم له ، فكاتبته على نفسي فجئتك أستعينك على كتابتي ، قال : فهل لك في خير من ذلك ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : أقضى عنك كتابتك وأتزوجك ؛ قالت : نعم يا رسول الله ، قال : قد فعلت .

قالت : وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوج جويرية ابنة الحارث بن أبي ضرار ، فقال الناس : أصهار رسول الله ﷺ وأرسلوا ما

---

(١) (السيرة النبوية لأبن هشام) : ٤/٢٥٧ - ٢٥٩ .

بأيديهم ، قالت : فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بنـي المصطلق ، فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها .

قال ابن هشام : ويقال : لما أنصرف رسول الله ﷺ من غزوة بني المصطلق ومعه جويرية بنت الحارث ، وكان بذات الجيش دفع جويريه إلى رجل من الأنصار وديعة ، وأمره بالإحتفاظ بها ، وقدم رسول الله ﷺ المدينة فأقبل أبوها الحارث بن أبي ضرار بفداء ابنته ، فلما بالعقيق نظر إلى الأبل التى جاء بها للفداء ، فرغب في بعيرين منها ، فغيبهما في شعب من شعاب العقيق ، ثم أتى إلى النبي ﷺ وقال : يا محمد ، أصبتم ابنتي ، وهذا فداؤها ، فقال رسول الله ﷺ : فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق ، في شعب كذا وكذا ؟ فقال الحارث : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك محمد رسول الله فوالله ما اطلع على ذلك إلا الله ، فأسلم الحارث ، وأسلم معه ابنان له ، وناس من قومه ، وأرسل إلى البعيرين ، فجاء بهما فدفع الأبل إلى النبي ﷺ ودفعت إليه ابنته جويرية ، فأسلمت ، وحسن إسلامها ، فخطبها رسول الله ﷺ إلى أبيها فزوجه أياها ، وأصدقها أربعمائة درهم .

قال المؤلف - رحمه الله - : قد نقدمه في موضعه من هذا الكتاب الإختلاف في نكاح رسول الله ﷺ جويريه هل هو بأداء ما كتبت عليه أو بغير ذلك .

وأما إخباره ﷺ بموت منافق
عند هبوب الريح فكان كما أخبر

فخرج الواقدي[1] : في (مغازيه) عن عبيد الله بن الهرير ، عن أبيه ، عن رافع بن خديج قال : لما رحنا من المريسيع قبل الزوال كان الجهد بنا يومئذ وليلتنا ، ما أناخ منا رجل إلا لحاجته ، أو لصلاة يصليها وأن رسول الله ﷺ يستحث راحلته ، ويخلف بالسوط في مراقها حتى أصبحنا ومددنا يومنا حتى انتصف النهار ، أو كرب ، ولقد راح الناس وهم يتحدثون بمقالة ابن أبي ، وما كان منه ، فما هو إلا أن أخذهم السهر والتعب بالمسير ، فما نزلوا حتى ما يسمع لقول ابن أبي في أفواهم - يعني ذكرًا - إنما أسرع رسول الله ﷺ بالناس ليدعوا حديث ابن أبي ، فلما نزلوا وجدوا مس الأرض وقعوا نياماً ، ثم راح رسول الله ﷺ بالناس مبرداً ، فنزل من الغد ماءً ، يقال له بقعاء فوق النقيع، وسرح الناس كله ظهرهم ، فأخذتهم ريح شديدة حتى أشفق الناس منها ، وسألوا عنها رسول الله ﷺ ، وخافوا أن يكون عيينة بن حصين خالف إلى المدينة ، وقالوا : لم تهج هذه الريح إلا من حدث ! وإنما بالمدينة الذراري والصبيان ، وكانت بين النبي ﷺ وعيينة مدة ، فكان ذلك حين إنقضائها فدخلهم أشد الخوف ، فبلغ رسول الله ﷺ خوفهم فقال ﷺ : ليس عليكم بأس منها ما بالمدينة من نقب إلا عليه ملك يحرسه وما كان ليدخلها عدو حتى تأتوها ولكنه مات اليوم منافق عظيم النفاق بالمدينة ، فلذلك عصفت الريح وكان موته للمنافقين غيظًا شديدًا وهو زيد بن رفاعة بن التابوت مات ذلك اليوم .

فحدثني خارجة بن الحارث ، عن عباس بن سهل ، عن جابر بن عبد الله - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ، قال : كانت الريح يومئذ أشد ما كانت قط إلى أن زالت الشمس ، ثم سكنت آخر النهار .

---

(١) (مغازي الواقدي) : ٢/٤٢٢ - ٤٢٣ .

وقال جابر : فسألت حين قدمت قبل أن أدخل بيتي : من مات ؟ فقالوا : زيد ابن رفاعة بن التابوت وذكر أهل المدينة أنهم وجدوا مثل ذلك من شدة الريح حتى دفن عدو الله فسكنت الريح .

وحدثني عبد الحميد بن جعفر ، عن أبيه قال : قال عبادة بن الصامت - رضي الله تبارك وتعالى عنه - يومئذ لأبن أبي : أبا حباب ، مات خليلك ! قال: أي أخلائي ؟ قال : من موته فتح الإسلام وأهله . قال من قال زيد بن رفاعة بن التابوت قال : يا ويلاه كان والله وكان ! وكان فجعل يذكر ، فقلت : أعتصمت والله بالذنب الأبتر قال : من أخبرك يا أبا الوليد بموته ؟ قلت رسول الله ﷺ أخبرنا الساعة أنه مات هذه الساعة ، قال : فأسقط في يديه وانصرفت كئيبًا حزينًا ، قال : وسكنت الريح آخر النهار فجمع الناس ظهورهم وقد ذكر هذه القصة موسى بن عقبة في (مغازيه) ومحمد بن إسحاق بن يسار .

وخرَّج البيهقي[1] من طريق محمد بن اسحاق الثقفي ، قال : حدثنا أبو كريب من حفص بن غياث ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر أن النبي ﷺ قدم من سفر فلما كان قرب المدينة هاجت ريح شديدة تكاد أن تدفن الراكب ، فزعم أن رسول الله ﷺ قال : بعثت هذه الريح لموت منافق ، قال : فقدم المدينة فإذا منافق عظيم من المنافقين قد مات ، وفي رواية أبي معاوية قال: هبت ريح شديدة والنبى ﷺ في بعض أسفاره فقال : هذه لموت منافق قال : فلما قدمنا المدينة إذا هو قد مات عظيم من عظماء المنافقين رواه مسلم[2] في (الصحيحين) ، عن أبي كريب .

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٦١/٤ .

(٢) (صحيح مسلم): ١٣٢/١٧ ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب (٥٠) حديث رقم (١٥) .

وأما إخباره ﷺ بموضع ناقته لما فقدت وإخباره بما قال المنافق في ذلك

فقال الواقدي[1]: فحدثني عبد الحميد بن جعفر، عن ابن رومان، ومحمد ابن صالح، عن عاصم بن عمر بن قتادة، قالا: فقدت ناقة رسول الله ﷺ القصواء من بين الإبل، فجعل المسلمون يطلبونها في كل وجه، فقال زيد بن اللصيت - وكان منافقًا وهو في رفقة قوم من الأنصار، منهم عباد بن بشر بن وقش، وسلمة بن سلامة بن وقش، وأسيد بن حضير -، فقال: أين يذهب هؤلاء في وجه قالوا: يطلبون ناقة رسول الله ﷺ قد ضلت، قال: أفلا يخبره الله بمكان ناقته ؟ فأنكر القوم ذلك عليه فقالوا: قاتلك الله يا عدو الله، نافقت!.

ثم أقبل عليه أسيد بن حضير فقال: والله لولا أني لا أدري ما يوافق رسول الله ﷺ من ذلك لأنفذت خصيتك بالرمح يا عدو الله، فلما خرجت معنا وهذا في نفسك ؟ قال: خرجت لأطلب من عرض الدنيا، ولعمري أن محمد ليخبرنا بأعظم من شأن الناقة، يخبرنا عن أمر السماء، فوقعوا به جميعًا وقالوا: والله، لا يكون منك سبيل أبدًا ولا يظلنا وإياك ظل أبدًا ولو علمنا ما في نفسك ما صحبتنا ساعة من نهار، ثم وثب هاربًا منهزمًا منهم أن يقعوا به ونبذوا متاعه فعمد لرسول الله ﷺ، فجلس معه فرارًا من أصحابه متعوذًا به وقد جاء رسول الله ﷺ خبر ما قال: من السماء.

فقال رسول الله ﷺ: والمنافق يسمع أن رجلاً من المنافقين شمت أن ضلت ناقة رسول الله ﷺ قال: ألا يخبره بمكانها ؟ فلعمري أن محمد ليخبرنا بأعظم من شأن الناقة! ولا يعلم الغيب إلا الله وأن الله - تعالى - قد أخبرني بمكانها وأنها في هذا الشعب مقابلكم، قد تعلق زمامها بشجرة، فأعمدوا عمدها فذهبوا فأتوا بها من حيث قال رسول الله ﷺ.

فلما نظر المنافق إليها قام سريعًا إلى رفقائه الذين كانوا معه، فإذا رحله منبوذ، وإذ هم جلوس لم يقم رجل من مجلسه، فقالوا له حين دنا: لا تدن منا!

---

(١) (مغازي الواقدي) : ٢/٤٢٣ - ٤٢٥ .

قال : أكلمكم ! فدنا فقال : أذكركم بالله ، هل أتى احدًا فأخبره بالذي قلت ؟ قالوا: لا والله ولا قمنا من مجلسنا هذا . قال : فإني قد وجدت عند القوم ما تكلمت به ، وتكلم به رسول الله ﷺ وأخبرهم بما قال رسول الله ﷺ وإنه قد أتى بناقته وأني قد كنت في شك من شأن محمد فأشهد أنه رسول الله ، والله لكأني لم أسلم إلا اليوم قالوا له : فاذهب إلى رسول الله ﷺ يستغفرلك ، فذهب إلى رسول الله ﷺ ، فاستغفر له واعترف بذنبه ، ويقال : أنه لم يزل فسلاً حتى مات ، وصنع مثل هذا في غزوة تبوك .

وقد ذكر قصة الناقة موسى بن عقبة بنحو بما تقدم وزاد فرعون أن ابن اللصيب .

وقال الحافظ أبو نعيم وقد ذكر فقد الناقة لرسول الله ﷺ في منصرفه من تبوك وليس ببعيد وقوع الأمرين جميعًا .

وأما نفث الرسول ﷺ
شجة عبد الله بن أنيس فلم تقح

فقال الواقدي(١) فحدثني ابن أبي حبيبة ، عن داود بن الحصين ، عن أبي سفيان ، عن ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : كان أسير بن زارم رجلاً شجاعًا ، فلما قتل أبو رافع أمرت يهود أشير بن زارم ، فقام في اليهود فقال : أنه والله ما سار محمد إلى أحد من اليهود وإلا بعث أحدًا من أصحابه فأصاب منهم ما أراد ، ولكني أصنع ما لا يصنع أصحابي ، فقالوا : وما عسيت أن تصنع ما لم يصنع أصحابك ؟ قال : أسير في غطفان فأجمعهم. فسار في غطفان فجمعها ، ثم قال : يا معشر اليهود نسير إلى محمد في عقر داره فإنه لم يغز أحد في داره إلا أدرك منه عدوه بعض ما يريد قالوا : نعم ما رأيت فبلغ ذلك النبي ﷺ قال : وقدم عليه خارجة بن حسيل الأشجعي ، فاستخبره رسول الله ﷺ ما وراءه فقال : تركت أسير بن زارم يسير إليك في

---

(١) (مغازي الواقدي) : ٢/٥٦٦ - ٥٦٨ .

كتائب اليهود ، قال ابن عباس – رضي الله تبارك وتعالى عنه – : فندب رسول الله ﷺ الناس، فانتدب له ثلاثون رجلاً .

قال عبد الله بن أنيس : فكنت فيهم : فاستعمل علينا رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة : قال : فخرجنا حتى قدمنا خيبر فأرسلنا إلى عبد الله بن رواحة: قال : فخرجنا حتى قدمنا خيبر فارسلنا إلى أسير : إنا آمنون حتى نأتيك فنعرض عليك ما جئنا له ؟ فقال : نعم ، ولي مثل ذلك منكم ؟ قلنا : نعم ، فدخلنا عليه ، فقلنا : إن رسول الله ﷺ بعثنا إليك أن تخرج إليه فيستعملك على خيبر ويحسن إليك ، فطمع في ذلك ، وشاور اليهود فخالفوه في الخروج وقالوا : ما كان محمد يستعمل رجلا من بني إسرائيل ، فقال : بلى ، قد مللنا الحرب ، قال : فخرج معه ثلاثون رجلاً من اليهود مع كل رجل رديف من المسلمين ، قال : فسرنا حتى إذا كنا بقرقرة ثبار ندم أسير حتى عرفنا الندامة فيه . قال عبد الله بن أنيس : وأهوى بيده إلى سيفي ففطنت له ، قال : فدفعت بعيري فقلت : غدرًا أي عدو الله ! ثم تناومت فدنوت منه لأنظر ما يصنع ، فتناول سيفي ، فغمزت بعيري وقلت : هل من رجل ينزلق فيسوق بنا ؟ فلم ينزل أحد ، فنزلت عن بعيري فسقت بالقوم حتى أنفرد أسير ، فضربته بالسيف فقطعت مؤخرة الرجل وأندرت عامة فخده وساقه ، وسقط عن بعيره ، وفي يده مخرش من شوحط ، فضربني فشجني مأمومة ، وملنا على أصحابه فقتلناهم كلهم غير رجل واحد أعجزنا شدًا ، ولم يصب من المسلمين أحد ، ثم أقبلنا إلى رسول الله ﷺ ، قال : فبينا رسول الله ﷺ يحدث أصحابه إذا قال لهم : تمشوا بنا إلى الثنية نتحسب من أصحابنا خبرًا ، فخرجوا معه ، فلما أشرفوا على الثنية، فإذا هم بسرعان أصحابنا ، قال : فجلس رسول الله ﷺ في أصحابه ، قال : وانتهينا إليه فحدثناه الحديث ، فقال : نجاكم الله من القوم الظالمين ! .

قال عبد الله بن أنيس : فدنوت إلى النبي ﷺ ، فنفث في شجتي ، فلم تقح بعد ذلك اليوم ، ولم تؤذني ، وقد كان العظم فل ؛ ومسح على وجهي ، ودعا لي، وقطع قطعة من عصاه فقال : أمسك هذا معك علامة بيني وبينك يوم القيامة أعرفك بها، فإنك تأتي يوم القيامة متحضرًا، فلما دفن جعلت معه تلي جسده دون ثيابه .

قال : فحدثني خارجة بن الحارث ، عن عطية بن عبد الله بن أنيس ، عن أبيه قال : كنت أصلح قوسي ، قال : فجئت فوجدت أصحابي قد وجهوا إلى أسير بن زارم ، قال النبي ﷺ : لا أرى أسير بن زارم ! أي أقتله ، قال : ثم بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن عتيك في ثلاثين راكبًا فيهم عبد الله بن أنيس إلى أسير بن زارم اليهودي حتى أتوه بخيبر وبلغ رسول الله ﷺ فأتوه فقالوا : إنا أرسلنا إليك رسول الله ﷺ ليستعملك على خيبر ، فلم يزالوا يخدعونه ، حتى أقبل معهم في ثلاثين راكبًا مع كل رجل منهم رديف من المسلمين ، فلما بلغوا قرقرة ، وهي من خيبر على ستة أميال ، ندم أسيربن زارم فأهوى بيده إلى السيف ، سيف عبد الله بن أنيس ، ففطن له عبد الله بن أنيس فزجر راحلته ، واقتحم عبد الله بن أنيس حتى استمكن من أسير بن زارم في يده محرث من شوحط ، فضرب عبد الله بن أنيس فشجه شجة مأمومة[1] ، وانكفأ كل رجل من المسلمين إلى رديفة ، فقتله غير رجل واحد من اليهود أعجزهم شدًا ، ولم يصب من المسلمين أحد ، وقدموا على رسول الله ﷺ ، فبصق في شجة عبد الله بن أنيس ، فلم تقح ولم تؤذه ، هكذا ذكر ابن لهيعة أن المبعوث عبد الله بن عتيك وخالفه ابن شهاب ، وابن إسحاق فقالا : عبد الله بن رواحة ، كما ذكر الواقدي.

(١) شجة مأمومة : أي بلغت أم الرأس .

وأما إخباره ﷺ في مسيره إلى الحديبية بأن قريشًا لا ترى نيرانهم وإخباره ﷺ بمجيء أهل اليمن وبشقاوة الأعرابي فكان كما أخبر

فخرَّج الحافظ أبو نعيم من حديث عبد الله بن وهب قال : حدثنا هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية حتى إذا كنا بعسفان قال رسول الله ﷺ : أيكم يعرف ثنية ذات الحنضل ، فإن عيون قريش على ضجنان ومر الظهران ، فأخذنا حين أمسينا على جبال يقال لها : سراوغ ، فقال رسول الله ﷺ : إلا رجل يسعى أمام الركب ، فنزل رجل فجعل تنكبه الحجارة ، وتتعلق به الشجرة ، فقال له رسول الله ﷺ : اركب ، فركب ، ثم قال لنا رسول الله ﷺ : إلا رجل يسعى أمام الركب ، فنزل رجل آخر تنكبه الحجارة وتعلق به الشجرة ، فقال رسول الله ﷺ : خذوا هاهنا ، وأشار إلى ناحية فأصبنا الطريق ، فسرنا حتى أتينا في آخر الليلة على عقبة ذات الحنظل فقال رسول الله ﷺ : مثل هذه الثنية الليلة كمثل الباب الذي قال الله - عز وجل- لبني إسرائيل : ﴿**ادخلوا الباب سجدًا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم**﴾[1] ما هبط أحد من الثنية الليلة إلا غفر له ، فاطلعت في آخر الليل الناس التمس أخي قتادة بن النعمان بما سمعت من رسول الله ﷺ ، فجعل الناس يركب بعضهم بعضًا حتى وجدت أخي في آخر الناس ، فلما هبطنا نزلنا ، فقال رسول الله ﷺ من كان معه ثقل[2] فليصطنع قال أبو سعيد : رأينا الذي معه ثقل[3] ، فقلت : يا رسول الله عسى أن ترى قريش نيراننا ، فقال : لن يروكم ، فلما أصبحنا صلى رسول الله ﷺ الصبح ، وصلينا معه ، ثم قال : والذي نفسي بيده

---

(١) البقرة : ٥٨ .

(٢) الثَّقل : الدقيق .

(٣) راجع التعليق السابق .

لقد غفر للركب الليلة أجمعين ، إلا رويكبًا واحدًا ، التفت عليه رحال القوم ليس منهم ، فذهبنا ننظر ، فإذا أعرابي بين ظهرانيّ القوم قال : قال رسول الله ﷺ : يوشك أن يأتي قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم ، فقلنا : من هم يا رسول الله ، أقريش ؟ قال : لا ، لكن أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوبًا ، قلنا : أهم خير منا يا رسول الله ؟ قال : لو كان لأحدكم جبل ذهب فأنفقه ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه ، إلا أن هذا فصل ما بيننا وبين الناس ﴿ **لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير** ﴾[١] .

وخرَّج الحاكم من حديث أبي عامر العقديّ ، حدثنا قرة بن خالد ، حدثنا أبو الزبير ، عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : من صعد ثنية المرار ، فإنه يحط عمله ما حط عن بني إسرائيل ، فكان أول من صعدها جبل بني الخزرج ، فقال رسول الله ﷺ : كلهم مغفور لهم ، إلا صاحب الجمل الأحمر ، قال : فإذا هو أعرابي ينشد ضالة له ، فقلنا : يستغفر لك رسول الله ، فقال : لأن أجد ضالتي أحب إليّ مما يستغفر لي صاحبكم ، قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم .

وقال الواقدي في كتاب (المغازي)[٢] : قالوا : فلما أمسى قال رسول الله ﷺ : تيامنوا في هذا العضل ، فإن عيون قريش يمر بظهران ، أو بضجنان ، فأيكم يعرف ثنية ذات الحنظل ؟ فقال بريدة بن الحصيب الأسلمي : أنا يا رسول الله عالم بها ، قال : اسلك أمامنا فأخذ به بريدة في العضل قبل جبال سراوع قبل المغرب ، فسار قليلاً تنكبه الحجارة ، وتعلقه الشجر ، وحار حتى كأنه لم يعرفها قط ، قال : فوالله إن كنت لأسلكها في الجمعة مرارًا ، فلما رآه رسول الله ﷺ لا يتوجه ، قال : اركب ، فركبتُ ، فقال ﷺ : من رجل يدلنا على طريق ذات الحنظل ؟ فنزل حمزة بن عمرو الأسلمي فقال : أنا يا رسول الله أدلك ، فقال : انطلق امامنا ، فانطلق عمرو أمامهم حتى نظر رسول الله ﷺ إلى

---

(١) الحديد : ١٠ .

(٢) (مغازي الواقدي) : ٢/٥٨٣ - ٥٨٦ .

الثنية فقال : هذه ثنية ذات الحنظل ؟ فقال عمرو : نعم يا رسول الله ، فلما وقف به على رأسها تحدَّر به ، قال عمرو : والله إن كان لا يهمني نفسي وحدي إنما كانت مثل الشراك فاتسعت لي حتى برزت فكانت محجة لاحبة[1] ، ولقد كان النفر يسيرون تلك الليلة جميعًا معطفين من سعتها يتحدثون ، وأضاءت تلك الليلة حتى كأنا في قمر ، فقال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده ما مثل هذه الليلة إلا مثل الباب الذي قال الله - تعالى - لبني إسرائيل : ﴿ **ادخلوا الباب سجدًا وقولوا حطة** ﴾ قالوا : ثم قال رسول الله ﷺ : لا يجوز هذا الثنية أحد إلا غفر له .

قال أبو سعيد الخدري : وكان أخي لأمي قتادة بن النعمان في آخر الناس، فقال : فوقفت على الثنية فجعلت أقول للناس : إنّ رسول الله ﷺ قال : لا يجوز هذه الثنية هذه الليلة أحد إلا غفر له ، فجعل الناس يسرعون حتى جاز أخي في آخر الناس ، وفرقت أن يصبح قبل أن نجوز ، فقال رسول الله ﷺ حين نزل : من كان معه ثَقَل فليصطنع ، قال أبو سعيد : وأينا معه ثَقَل ، إنما كان عامة زادنا التمر ، فقلنا : يا رسول الله إنا نخاف من قريش أن ترانا ، فقال رسول الله ﷺ: إنهم لن يروكم ، إن الله سيعينكم عليهم ، فأوقدوا النيران ، واصطنع من أراد أن يصطنع ، فلقد أوقدوا أكثر من خمسمائة نار ، فلما أصبحنا صلى رسول الله ﷺ الصبح ، ثم قال : والذي نفسي بيده لقد غفر الله للركب أجمعين إلا رويكبًا واحدًا على جمل أحمر التفت عليه رجال القوم ليس منهم ، فطلب في العسكر وهو يُظن أنه من أصحاب رسول الله ﷺ ، فإذا هو به ناحيةً إلى ذرى سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل من بني ضمرة من أهل سيف البحر ، فقيل السعيد : إنَّ رسول الله ﷺ قال : كذا وكذا ، قال سعيد : ويحك اذهب إلي رسول الله ﷺ يستغفر لك ، قال : بعيري والله أهم[2] إليّ من أن يستغفر لي وإذ هو قد أضلّ بعيرًا له يتبع العسكر يتوصل بهم ويطلب بعيره وإنه لفي عسكركم فأدّوا إليّ بعيري ، قال سعيد : تحوّلْ عني لا حياك الله ، ألا لا أرى قربي إلا

---

(١) لاحبة : واسعة .

(٢) في (الأصل) : " أحب " وما أثبتناه منن (المغازي) .

داهية وما أشعر به ، فانطلق الأعرابي يطلب بعيره بعد أن استبرأ العسكر ، فبينما هو في جبال سرواع ، إذ زلفت نعله فتردى فمات ، فما عُلم به حتى أكلته السباع[١] .

وحدثني هشام بن سعد[٢] ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : إنه سيأتي قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم ، فقيل يا رسول الله : قريش ؟ قال : لا ، ولكن أهل اليمن فإنهم أرق أفئدة ، وألين قلوبًا ، قلنا : يا رسول الله هم بخير منا ؟ فقال بيده هكذا ويصف ، وأخذ هشام في الصفة كأنه يقول : سواء إلا أن فضل ما بيننا وبين الناس ﴿ **لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح** ﴾[٣] .

---

(١) (المرجع السابق) : ٢/٥٨٦ .

(٢) راجع التعليق السابق .

(٣) الحديد : ١٠ .

وأما إجابة الله تعالى دعاء الرسول ﷺ
بفتح خيبر

فروى يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق قال : حدثني عبد الله بن بكر بن حزم ، عن بعض أسلم أن بني سهم من أسلم أتوا رسول الله ﷺ بخيبر فقالوا : والله يا رسول الله لقد جهدنا وما بأيدينا شيء ، فلم يجدوا عند رسول الله ﷺ شيئًا يعطهم إياه ، فقال : اللهم إنك قد عرفت حالهم وأن ليس بهم قوة ، وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غناء وأكثرها طعامًا وودكًا ، فغدا الناس ، ففتح الله عليهم حصن الصعب بن معاذ ، وما بخيبر حصن كان أكثر منه طعامًا وودكًا ، فلما فتح رسول الله ﷺ من حصونهم ما افتتح ، وحاز من الأموال ما حاز ، انتهوا إلى حصنيهم الوطيح والسلالم ، وكانا آخر حصون أهل خيبر افتتاحًا ، فحاصرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة[1].

وقال الواقدي - رحمه الله - وكان حصن الصعب بن معاذ في النطاة ، وكان حصن اليهود فيه الطعام ، والودك ، والماشية ، والمتاع ، وكان فيه خمسمائة مقاتل ، وكان الناس قد أقاموا أيامًا يقاتلون وليس عندهم طعام إلا العلف . قال معتب الأسلمي : أصابنا معشر أسلم خصاصة حين قدمنا خيبر وأقمت عشرة أيام على حصن النطاة لا نفتح ساقيه طعام ، فأجمعت أسلم أن يرسلوا أسماء بن حارثة فقالوا : ائت محمدًا رسول الله ﷺ فقل : إن أسلم يقرئونك السلام ، ويقولون : إنا قد جهدنا من الجوع والضعف ، فقال بريدة بن الحصيب : والله إن رأيت كاليوم قط أمرًا بين العرب يصنعون منه هذا الخير ، فقام هند بن حارثة فقال : إنا لنرجوا أن تكون البعثة إلى رسول الله ﷺ مفتاح خيبر ، فجاءه أسماء بن حارثة فقال : يا رسول الله إن أسلم تقول : إنا قد جهدنا من الجوع والضعف فادع الله لنا ، فدعا لهم رسول الله ﷺ فقال : والله ما بيدي ما أقريهم ، ثم صاح بالناس فقال : اللهم افتح عليهم أعظم حصن فيه ، أكثره طعامًا ، وأكثره ودكًا ، ودفع اللواء إلى الحباب بن المنذر بن الجموح

---

(١) (سيرة ابن هشام) : ٣٠٢/٤ - ٣٠٣ ، افتتاح أعظم الحصون على بني سهم .

وندب الناس فما رجعنا حتى فتح الله علينا الحصن ، حصن الصعب بن معاذ ، فقالت أم مطاع الأسلمية : وكانت قد شهدت خيبر مع رسول الله ﷺ في نساء ، قالت : لقد رأيتهم حين شكوا إلى رسول الله ﷺ ما شكوا من شدة الحال فندب رسول الله ﷺ فنهضوا ، فرأيت أسلم أول من انتهى إلى حصن الصعب بن معاذ وإن عليه لخمسمائة مقاتل فما غابت الشمس من ذلك اليوم حتى فتحه الله ، وكان عليه قتال شديد برز رجل من اليهود يقال له : يويشع يدعو إلى البراز فبرز إليه الحباب بن المنذر فاختلفا ضربتين فقتله الحباب ، وبرز آخر يقال له : الذيال فبرز له عمارة بن عقبة الغفاري فبدره الغفاري فيضربه ضربة على هامته[١] وهو يقول : خذها وأنا الغلام الغفاري ! فقال الناس : بطل جهاده ، فبلغ رسول الله ﷺ ، فقال : ما بأس به يؤجر ويحمد[٢] .

---

(١) في (الأصل) : " عاتقة " وما أثبتناه من (المغازي) .

(٢) (مغازي الواقدي) : ٢/٦٥٨ - ٦٦٠ .

وأما طول عمر أبي اليسر
بدعاء رسول الله ﷺ

فقال الواقدي[١] : وكان أبو اليسر يحدث أنهم حاصروا حصن الصعب بن معاذ ثلاثة أيام ، وكان حصنًا منيعًا ، وأقبلت غنم لرجل من اليهود ترتع وراء حصنهم ، فقال رسول الله ﷺ : من رجل يطعمنا من هذه الغنم ؟ فقلت : أنا يا رسول الله ، فخرجت أسعى مثل الظبى فلما نظر إليّ رسول الله ﷺ موليًا قال : اللهم متعنا به ، فأدركت الغنم وقد دخل أولها الحصن فأخذت شاتين من آخرها فاحتضنتهما تحت يدي ، ثم أقبلت أعدو كأن ليس معي شيء حتى أتيت بهما رسول الله ﷺ وأمر بهما فذبحتا ، ثم قسمهما فما بقى أحد من أهل العسكر الذين هم معه محاصرين الحصن إلا أكل منها ، فقيل لأبي اليسر : وكم كانوا ؟ قال : كانوا عددًا كبيرًا ، فيقال : أين بقية الناس ؟ فيقول : بالرجيع في العسكر ، فسُمع أبو اليسر - وهو شيخ كبير - وهي يبكي في شيء غاظه من بعض ولده فقال: لعمري بقيت بعد أصحابي وَمُتعوا بي ، وما أمتّع بهم ، لقول رسول الله ﷺ : اللهم متعنا به ، فبقى فكان من آخرهم .

قال المؤلف - رحمه الله - أبو اليسر كعب بن عمرو بن عباد بن عمر بن غزية بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي شهد العقبة وبدرًا وهو الذي أسر العباس بن عبد المطلب -رضي الله تبارك وتعالى عنه- يوم بدر مات سنة خمس وخمسين بالمدينة[٢] .

---

(١) (مغازي الواقدي) : ٦٦٠/٢ .

(٢) له ترجمة في : (الاستيعاب) : ١٧٧٦/٤ ، ترجمة رقم (٣٢٢١) .

وأما رجيف الحصن بخيبر
لما رماه رسول الله ﷺ بكفٍّ من حصا

فقال الواقدي في (مغازيه)[1] : فحدثني موسى بن عمر الحارثي ، عن أبي عفير محمد بن سهل بن أبي حثمة قال : لما تحول رسول الله ﷺ إلى الشق وبه حصون ذوات عدد ، فكان أول حصن بدأ به منها حصن أُبيّ ، فقام رسول الله ﷺ على قلعة يقال لها سموان ، فقاتل عليها أهل الحصن قتالاً شديدًا ، وخرج رجل من اليهود يقال له : غَزّال فدعا إلى البراز فبرز له الحباب بن المنذر واختلفا ضربات ، ثم حمل الحباب عليه فقطع يده اليمنى من نصف الذراع ، فوقع السيف من يد غَزّال فكان أعزل .

فبادر راجعًا منهزمًا إلى الحصن ، وتبعه الحباب فقطع عرقوبه فوقع فذفَّف عليه[2] ، فخرج آخر فصاح من يبارز ؟ فبرز له رجل من المسلمين من آل جحش فقُتِل الجحشيّ وقام مكانه يدعو إلى البراز فبرز له أبو دجانة قد عصب رأسه بعصابة حمراء فوق المغفر يختال في مشيته ، فبدره أبو دجانة فضربه فقطع رجليه ، ثم ذفَّف عليه وأخذ سلبه ، درعه ، وسيفه ، فجاء به إلى رسول الله ﷺ فنفله رسول الله ﷺ ذلك .

وأحجموا عن البراز ، فكبر المسلمون ثم تحاملوا على الحصن فدخلوه ، يقدمهم أبو دجانة ، فوجدوا فيه أثاثًا ، ومتاعًا ، وغنمًا ، وطعامًا ، وهرب من كان فيه من المقاتلة وتقحموا الجدر كأنهم الظباء حتى صاروا إلى حصن النزار بالشق . وجعل يأتي من بقي من قلل النطاة إلى حصن البزار فعلقوه وامتنعوا فيه أشد الامتناع .

وزحف رسول الله ﷺ في أصحابه فقاتلهم فكانوا أشد أهل الشق رميًا للمسلمين بالنبل والحجارة ورسول الله ﷺ معهم ، حتى أصابت النبل ثياب

---

(١) (مغازي الواقدي) : ٢/٦٦٧ - ٦٦٨ .

(٢) فذفَّف عليه : أجهز عليه حتى مات .

رسول الله ﷺ ، وعلقت به ، فأخذ النبل فجمعها ، ثم أخذ لهم كفًا من حصا ، فحصب به حصنهم فرجف الحصن بهم ، ثم ساخ في الأرض .

قال إبراهيم بن جعفر : استوى بالأرض حتى جاء المسلمون فأخذوه أهله أخذًا وكانت فيه صفية بنت حيي وابنة عمها وصبيات من حصن النزار[1] .

وأما ما صنعه الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ حتى فرت غطفان وتركت يهود خيبر

فذكر الواقدي[2] وغيره : أن كنانة بن أبي الحقيق ، خرج من خيبر في ركب إلى غطفان يدعوهم إلى نصرهم ، ولهم نصف تمر خيبر سنة ، وذلك أنه بلغهم أن رسول الله ﷺ سار إليهم ، قالوا : وكان رجل من بني مرة يكني أبا شُيَم يقول : أنا في الجيش الذين كانوا مع عيينة من غطفان ؛ أقبل : مدد اليهود ، فنزلنا بخيبر ولم ندخل حصناً ، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عيينة بن حصن وهو رأس غطفان وقائدهم أن ارجع بمن معك ، ولك نصف تمر خيبر هذه السنة ، إن الله وقد وعدني خيبر .

فقال عيينة : لست بمسلمٍ حلفائي وجيراني ، فأقمنا على ذلك مع عيينة إذ سمعنا صائحًا لا ندري من السماء أو من الأرض : أهلكم ، أهلكم بحيفاء[3] – صيح ثلاثة – فإنكم قد خولفتم إليهم !! .

وقال الواقدي – رحمه الله – : إنه لما سار كنانة بن أبي الحقيق فيهم ، حلفوا معه وارتأسهم عيينة بن حصن ، وهم أربعة آلاف ، فدخلوا مع اليهود في حصون النطاة قبل قدوم رسول الله ﷺ بثلاثة أيام ، فلما قدم رسول الله ﷺ خيبر أرسل إليهم سعد بن عبادة – رضي الله تبارك وتعالى عنه – وهم في

---

(١) (مغازي الواقدي) : ٢/٦٦٧ – ٦٦٨ ، وقلل : جمع قلة ، وقله أعلاه ، وفي (البداية والنهاية) : " وأخذ المسلمون كل شيء أخذًا باليد " .

(٢) (مغازي الواقدي) : ٢/٦٥٠ – ٦٥٢.

(٣) حيفاء أو حفياء : موضع قرب المدينة .

الحصن ، فلما انتهى سعد إلى الحصن ناداهم : إني أريد إن أكلم عيينة بن حصن ، فأراد عيينة أن يُدْخله الحصن ، فقال مرحب : لا ندخله فيرى خلل حصننا ، ويعرف نواحيه التي يؤتي منها ولكن تخرج إليه ، فقال عيينة : وقد أحببت أن يدخل فيرى حصانته ويرى عددًا كبيرًا ، فأبى مرحبُ أن يُدْخله ، فخرج عيينة إلى باب الحصن .

فقال سعد : إن رسول الله ﷺ أرسلني إليك يقول : إن الله قد وعدني خيبر ، فارجعوا ، وكفوا فإن ظهرنا عليها فلكم تمر خيبر سنة ، فقال عيينة : بلغه عني أنا والله ما كنا لنسلم حلفاءنا لشيء ، وإنا لنعلم ما لك ، ولمن معك ، بما ها هنا طاقة ، هؤلاء قوم أهل حصون منيعة ، ورجال عددهم كثير وسلاح ، إن أقمت هلكت ومن معك ، وإن أردت القتال عجلوا عليك بالرجال والسلاح ولا والله ، ما هؤلاء كقريش ، قوم ساروا إليك ، فإن أصابوا غرة منك فذاك الذي أرادوا ، وإلا انصرفوا ، وهؤلاء قوم يماكرونك الحرب ، ويطاولونك حتى تملهم.

فقال له سعد بن عباده : أشهد ليحضرنك في حصنك هذا حتى تطلب الذي عبادة عرضنا عليك ، فلا نعطيك إلا السيف ، ولقد رأيت يا عيينة من قد حللنا بساحته من يهود يثرب ، كيف مزقوا كل ممزق ! فرجع سعد إلى رسول الله ﷺ فأخبره بما قال ، وقال سعد : يا رسول الله إن الله منجز لك ما وعدك ، ومُظْهر دينه ، فلا تعطه[1] تمرة واحدة يا رسول الله ، لئن أخذه السيف ليسلمنهم وليهربن إلى بلاده ، كما فعل قبل ذلك اليوم في الخندق ، فأمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يوجهوا إلى حصنهم الذي فيه غطفان ، وذلك عشيّة وهم في حصن ناعم .

فنادى منادي رسول الله ﷺ أن أصبحوا على رايتكم عند حصن ناعم الذي فيه غطفان ، قال : فرعبوا من ذلك يومهم وليلتهم ، فلما كان بعد هذه من تلك الليلة سمعوا صائحًا يصيح ، لا يدرون من السماء أو الأرض : يا معشر غطفان أهلكم ، أهلكم ، الغوث ، الغوث بحيفاء صيح ثلاثة لا تربه ولا مال .

---

(١) كذا في (الأصل) ، وفى (المغازي) : " فلا تُعط هذا الأعرابيّ " .

قال : فخرجت غطفان على الصعب والذّلول ، وكان أمرًا صنعه الله – عزّ وجلّ – لنبيه ﷺ ، فلما أصبحوا أُخبر كنانة بن أبي الحقيق وهو في الكتيبة بإنصرافهم ، فسقط في يديه[1] ، وذلّ ، وأيقن بالهلكة وقال : كنا من هؤلاء الأعراب في باطل ، إنا سرنا فيهم فوعدونا النصر ، وغزّونا ، ولعمري لولا ما وعدونا من نصرهم ما نابَذْنا محمدًا بالحرب ، ولم نحفظ كلام سلام بن أبي الحقيق إذ قال : لا تستنصروا بهؤلاء الأعراب أبدًا فإنا قد بلوناهم ، وَجَلَبهم لنصر بني قريظة ثم غرّوهم ، فلم نر عندهم وفاءً لنا ، وقد سار فيهم حُيَيّ بن أخطب ، وجعلوا يطلبون الصلح من محمد ، ثم زحف محمدٌ إلى بني قريظة ، وانكشفت غطفان راجعة إلى أهلها .

قالوا : فلما انتهى الغطفانيون إلى أهلهم بحيفاء ، وجدوا أهلهم على حالهم، فقالوا : هل راعكم شيء ؟ قالوا : لا والله ، فقالوا ولقد ظننا أنكم قد غنمتم ، فما نرى معكم غنيمة ولا خيرًا .

فقال عيينة لأصحابه : هذا والله من مكائد محمد وأصحابه خدعنا والله ، فقال له الحارث بن عوف : بأي شيء ؟ قال عيينة : إنّا في حصن النطاة بعد هدأة[2] ، إذا سمعنا صائحًا يصيح ، لا ندري من السماء أو من الأرض ! أهلكم، أهلكم بحيفاء ، صيح ثلاثة فلا تربة ، ولا مال .

فقال الحارث بن عوف : يا عيينة والله لقد غبرت أن انتفعت والله إن الذي سمعت لمن السماء ، والله ليظهرن محمد على من ناوأه ، حتى لو ناو أته الجبال لأدرك منها ما أراد ، فأقام عيينة أيامًا في أهله ، ثم دعا أصحابه للخروج إلى نصر اليهود ، فجاءه الحارث بن عوف ، فقال : يا عيينة أطعني ، وأقم في منزلك ، ودع نصر اليهود ، [محمد أحب إلينا من اليهود] مع أني لا أراك ترجع إلى خيبر ، إلا وقد فتحها محمد ﷺ ولا آمن عليك ، فأبى عيينة أن يقبل قوله ، وقال : لا أسلم حلفائي لشيءٍ ، ولما ولي عيينة إلى أهله ، هجم رسول الله ﷺ على الحصون حصنا حصنا ، فلقد انتهى رسول الله ﷺ إلى حصن

---

(١) سُقط في يده : ندم وتحيّر وذَلّ .

(٢) الهدأة : أول الليل إلى ثلثه .

ناعم ومعه المسلمون ، وحصون ناعم عدة ، فرمت اليهود يومئذ بالنَّبل ، وترّس أصحاب ﷺ عن رسول الله ، وعلى رسول الله ﷺ يومئذ دِرْعان ومِغفر وبيضة وهو على فرسٍ يقال له الظرب ، في يده قناة وترس ، وأصحابه محدقون به ، وقد كان دفعَ لواءَه إلى رجل من أصحابه من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيئًا ، ثم دفع إلى آخر فرجع ولم يصنع شيئًا ، ودفع رسول الله ﷺ لواءَ الأنصار إلى رجل منهم ، فخرج ورجع ولم يعمل شيئًا ، فحث رسول الله ﷺ المسلمين ، وسالت كتائب اليهود ، أمامهم الحارث أبو زينب يقدُم اليهود يَهُدّ الأرض هَدًّا ، فأقبل صاحبُ رايةِ الأنصار فلم يزل يسوقهم حتى انتهوا إلى الحصن فدخلوه ، وخرج أسَير اليهوديّ يقدم أصحابه معه عاديته ، وكشف راية أصحاب الأنصار حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ في موقفه ، ووجد رسول الله ﷺ في نفسه حِدةً شديدة ، وقد ذكر لهم الذي وعدهم الله ، فأمسى رسول الله ﷺ مهمومًا ، وقد كان سعدُ بن عُبادة رَجَع مجروحًا وجعل يستبطئُ أصحابه ، وجعل صاحبُ راية المهاجرين يستبطئُ أصحابه ويقول : أنتم ، وأنتم ! فقال رسول الله ﷺ : إنّ اليهود جاءَهم الشيطان فقال لهم : إنّ محمدًا يقاتلكم على أموالكم ! نادوهم : قولوا لا إله إلا الله ، ثم قد أحرزتم بذلك أموالكم ودماءكم ، وحسابكم على الله ، فنادوهم بذلك فنادت اليهود : إنا لا نفعل ولا نترك عهد موسى والتوراة بيننا ، فقال رسول الله ﷺ : لأُعطينّ الراية غدًا رجلاً يُحبه الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ، ليس بفرّار ، أبشِر يا محمد بن مَسْلَمَة غدًا ، إن شاء الله يقتل قاتل أخيك وتولى عادية اليهود ، فلما أصبح أرسل إلى عليّ بن أبي طالب - رضي الله تبارك وتعالى عنه - وهو أرْمَد ، فقال : ما أبصرُ سهلاً ولا جبلاً . قال : فذهب إليه فقال : افتح عينيك . ففتحهما فتفل فيهما . قال عليّ - رضي الله تبارك وتعالى عنه - : فما رمدتُ حتى الساعة ، ثم دفع إليه اللواء ، ودعا له ومن معه من أصحابه بالنصر ، فكان أول من خرج إليهم الحارث أخو مَرْحَب في عاديته ، فانكشف المسلمون وثبت عليّ - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فاضطربا ضربات فقتل عليّ - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ، ورجع أصحاب الحارث إلى الحصن فدخلوه وأغلقوا عليهم ، فرجع المسلمون إلى موضعهم ، فخرج مرحب وهو يقول :

قد عَلمِتْ خيبرُ أني مرحبُ شاكي السلاح بَطَلُ مجربُ
أَضرِبُ أحيانًا وحيناً أُضْرَبُ

فحمل عليّ - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فقطره على الباب وفتح الباب ، وكان للحصن بابان .

وحدثني ابن أبي سبرة ، عن خالد بن رباح ، عن شيوخ من بني ساعدة قالوا : قتل أبو دجانة الحارث أبا زينب ، وكان يومئذ معلمًا بعمامة حمراء ، والحارث معلم فوق مِغْفَره ، وياسر وأُسَير وعامر معلمين .

قال وحدثني ابن أبي سبرة ، عن إسحاق بن عبد الله قال : لما نظر عيينة بن حصن إلى حصن الصعب بن معاذ ، والمسلمون ينقلون منه الطعام ، والعلف ، والبُرّ ، قال : ما أحد يعلف لنا دوابنا ويطعمنا من هذا الطعام الضائع، فقد كان أهله عليه كرامًا ، فشتمه المسلمون وقالوا : لك الذي جعل لك رسول الله ﷺ ذو الرقيبة فأمسكت[1] .

(١) شرح معنى " ذو الرقيبة " ، في سياق الفقرة التالية .

وأما إعلام الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ
بما رآه عيينة بن حصن في منامه
وبالصياح الذي أنفره إلى أهله

فقال الواقدي في (مغازيه)[1] : قالوا : وكان أبو شُيَيْم المزني – قد أسلم ، فحسن إسلامه – يحدث يقول لما نفرنا أهلها بحيفاء مع عيينة ، قدمنا عليهم وهم قارون هادئون لم يهجهم هائج ، رجع بنا عيينة فلما كان دون خيبر بمكان يقال له الحطام عن عرَّسْنا من الليل ففزعنا .

فقال عيينة : أبشروا إني أرى الليلة في النوم ، أني أعطيت ذا الرقيبة – جبلاً بخيبر – قد والله أخذت برقبة محمد . قال : فلما قدمنا خيبر قدم عيينة ، فوجد رسول الله ﷺ قد فتح خيبر وغنمه الله ما فيها ، فقال عيينة : أعطني يا محمد مما غنمت من حلفائي فإني انصرفت عن قتالك وخذلت حلفائي ولم أكثر عليك ، ورجعت عنك بأربعة آلاف مقاتل ، فقال رسول الله ﷺ : كذبت ، ولكن الصياح الذي سمعت أنفرك إلى أهلك ، قال : أجزني يا محمد ، قال : لك ذو الرقيبة ! قال عيينة : وما ذو الرقيبة ؟ قال : الجبل الذي رأيته في النوم ، أنك أخذته .

فانصرف عيينة فجعل يتدسس إلى اليهود ويقول : ما رأيت كاليوم أمرًا ، والله ما كنت أرى أحد يصيب محمدًا غيركم ، قلت : أهل الحصون والعُدّة ، والثروة ، أعطيتم بأيديكم وأنتم في هذه الحصون المنيعة ، وهذا الطعام الكثير ما يوجد له آكل ، والماء الواتن ، قالوا : قد أردنا الامتناع في قلعة الزبير ، ولكن الدبول قطعت عنا ، وكان الحر ، فلم يكن لنا بقاء على العطش ، قال : فقد وليتم من حصون الناعم منهزمين حتى صرتم إلى حصن قلعة الزبير ، وجعل يسأل عمن قتل منهم فيُخبر ، قال : قُتل والله أهل الجد والجلد ، لا نظام ليهود بالحجاز أبدًا . ويسمع كلامه ثعلبة بن سلام بن أبي الحقيق وكانوا يقولون : إنه

---

(١) (مغازي الواقدي) : ٢/٦٧٥ – ٦٧٧ .

ضعيف العقل مختلِط ، فقال : يا عيينــة أنـت غررتهـم وخذلتهـم وتركتهـم وقتـال محمد ، وقبل ذلك ما صنعت ببنى قريظة .

فقال عيينة : إن محمد كادنا في أهلنـا فنفرنـا إليهـم حيث سمعنا الصريـخ ونحن نظن أن محمداً قد خالف إليهم ، فلم نرَ شيئاً فكررنا إليكم لننصركم . قـال ثعلبة : ومن بقى تنصره ، قد قُتل من قتل ، وبقى من بقى ، فصار عبـدًا لمحمد وسبانا وقبض الأموال . قال : يقول رجل من غطفـان لعيينـة : لا أنـت خلفـاءك فلم يعدوا عليك حلفنا ولا أنت حيث وليت ، كنـت أخـذت تمـر خيبـر مـن محمد سنة، والله إني لأرى أمر محمد أمرًا ظاهرًا ، ليظهر على مـن نـاوأه فـانصرف عيينة إلى أهله يفتل يديه ، فلما رجع إلى أهله جاءه الحارث بن عوف فقال : ألم أقل لك إنك توضع في غير شيء ، والله ليظهرن محمد على من بيـن المشـرق والمغـرب ، اليهود كـانوا يخبروننا هذا . أشهد لسمعت أبا رافـع سـلام بـن أبـي الحقيق يقول : إنا لنحسد محمدًا على النبوة حيث خرجت مكن بني هـارون وهـو نبي مرسل ، واليهود لا تطاوعني علــى هـذا ، ولنـا منـه ذبحـان : واحد بيثرب وآخـر بخيـبر قـال الحـارث : قلـت لسـلام : يملـك الأرض جميعًـا ؟ قـال: نعـم ، والتوراة التي أنزلت على موسى بن عمران ، وما أحب أن تعلم يهود بقولي فيه.

وقال موسى بن عقبة عن ابن شهاب : كانت بنو فزارة ممن قدم على أهل خيبـر ليعينوهم ، فراسلهم رسول اللـه ﷺ أن لا يعينوهـم ، وسـألهم أن يخرجـوا عنهم ولكم من خيبر كـذا وكـذا ، هنـالك مـن بنـي فـزارة فقـالوا : أُحطنـا والـذي وعدتنا ، فقال : حطكم أو قال : لكم ذا الرقيبة جبـل مـن جبـال خيبـر فقـالوا: إذا نقاتلك ، فقال : موعدكم حقًا ، فلما سمعوا ذلك خرجوا هاربين ، وحقًـا مـاء مـن مياه بني فزاره .

وأما إخباره ﷺ عن رجل كان يقاتل معه بخيبر أنه من أهل النار ، فقتل نفسه وصار من أهل النار

فخرَّج البخاريّ من حديث أبي غسان قال : حدثني أبو حازم ، عن سهل بن سعد أن رجلاً من أعظم المسلمين غناءً عن المسلمين في غزوة غزاها مع النبي ﷺ فنظر النبي ﷺ فقال : من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا ، فأتبعه رجل من القوم وهو على تلك الحال من أشد الناس على المشركين حتى جُرح فاستعجل الموت ، فجعل ذبابة سيفه بين ثدييه حتى خرج من بين كتفيه ، فأقبل الرجل إلى النبي ﷺ مسرعًا فقال : أشهد أنك رسول الله ، قال : وما ذاك ؟ قال : قلت لفلان : من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إليه ، وكان من أعظمنا غناءٍ عن المسلمين ، فعرفت أنه لا يموت على ذلك فلما جُرح استعجل الموت فقتلَ نفسه فقال النبي ﷺ عند ذلك : إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة ، ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار، وإنما الأعمال بالخواتيم . ذكره في (القدر)(١) وفى كتاب (الرقاق)(٢) .

وخرَّج في كتاب (القدر) (٣) من حديث معمر ، عن الزهريّ حدثنا سعيد ابن المسيب ، عن أبي هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : شهدنا

---

(١) (فتح الباري) : ١١/٦١٠ ، كتاب القدر ، باب (٥) العمل بالخواتيم ، حديث رقم (٦٦٠٧) .

(٢) (المرجع السابق) : كتاب الرقاق ، باب (٣٣) الأعمال بالخواتيم ، وما يخاف منها ، حديث رقم (٦٤٩٣) ، قال ابن بطال في تغييب خاتمة العمل عن العبد حكمة بالغة ، وتدبير لطيف ، لأنه لو علم وكان ناجيًا أعجب وكسل ، وإن كان هالكًا ازداد عتوًا ، فحجب عنه ذلك ليكون بين الخوف والرجاء . وقد روى الطبري عن حفص بن حميد قال : قلت لابن المبارك : رأيت رجلاً قتل رجلاً ظلمًا ، فقلت في نفسي : أنا أفضل من هذا ، فقال : أَمْنُكَ على نفسك أشدّ من ذنبه . قال الطبري : لأنه لا يدري ما يؤول إليه الأمر ، لعل القاتل يتوب فتقبل توبته ، ولعل الذي أنكر عليه يختم له بخاتمة السوء - أعاذنا الله منها - .

(٣) (المرجع السابق) : كتاب القدر ، باب (٥) العمل بالخواتيم ، حديث رقم (٦٦٠٦) .

مع رسول الله ﷺ خيبر فقال رسول الله ﷺ لرجل ممن معه يدعي الإسلام : هذا من أهل النار ، فلما حضر القتال قاتل الرجل من أشد القتال فكثرت به الجراح فأثبتته ، فجاء رجل من أصحاب النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، أرأيت الذي تحدثت أنه من أهل النار قاتل في سبيل الله من أشد القتال فكثرت به الجراح فأثبتته ، فقال النبي ﷺ : أما إنه من أهل النار فكاد بعض المسلمين يرتاب ، فبينا هو على ذلك إذ وجد الرجل ألم الجراح ، فأهوى بيده إلى كنانته فانتزع منها سهمًا فانتحر بها ، فاشتد رجال من المسلمين إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله ، صدق الله حديثك ، قد انتحر فلان فقتل نفسه ، فقال رسول الله ﷺ : يا بلال قم فأذن : لا يدخل الجنة إلا مؤمن وإنّ الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر .

وخرَّجه في غزوة خيبر من حديث شعيب ، عن الزهري أخبرني سعيد بن المسَيَّب أن أبا هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : شهدنا خيبر... إلى آخره بنحو حديث معمر وقال فيه : الجراحة في الموضعين وقال : فاستخرج منها سهمًا فنحر بها نفسه ، وقال بعده تابعه معمر عن الزهري[1] .

وقال شبيب عن يونس ، عن ابن شهاب أخبرني ابن المسيب وعبد الرحمن بن عبد الله بن كعب أنَّ أبا هريرة قال : شهدنا مع النبي ﷺ حنينًا وقال ابن المبارك : عن يونس ، عن الزهريّ ، عن سعيد ، عن النبي ﷺ تابعه صالح عن الزهريّ .

وقال الزبيدي : أخبرني الزهريّ أن عبيد الرحمن بن كعب أخبره أن عبيد الله بن كعب قال : أخبرني من شهد مع النبي ﷺ خيبر قال الزهريّ : وأخبرني عبيد الله بن عبد الله وسعيد عن النبي ﷺ[2].

وخرَّج مسلم حديث عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : شهدنا مع رسول الله ﷺ حنينًا ، فقال الرجل : ممن يدعي بالإسلام هذا من أهل

---

(١) (فتح الباري) : ٥٩٨/٧ ، كتاب المغازي ، باب (٣٩) ، غزوة خيبر ، حديث رقم (٤٢٠٤) .
(٢) (المرجع السابق) : حديث رقم (٤٢٠٥) .

النار ، فلما حضر القتال ، قاتل الرجل قتالاً شديدًا ، فأصابه جراحه ، فقيل : يا رسول الله الذي قلت له آنفًا أنه من أهل النار ، فإنه قاتل اليوم قتالاً شديداً ، وقد مات ، فقال النبي ﷺ : إلى النار ، فكاد بعض المسلمين يرتاب ، فبينما هم على ذلك إذ قيل : فإنه لم يمت ولكن به جراحًا شديدًا ، فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح ، فقتل نفسه فأخبر النبي ﷺ فقال : الله أكبر أشهد أني عبد الله ورسوله ، ثم أمر بلالاً فنادى في الناس أنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر[1] .

وخرَّجه البخاريّ من حديث شعيب ، عن الزهريّ ومعمر عن الزهريّ إلى آخره بنحوه ولم يذكر حنيناً ولا قال : آنفًا وقال : ليؤيده ، ذكره في كتاب الجهاد[2] .

وخرَّجا من حديث أبي حازم ، عن سهل بن معبد الساعدي ، أن النبي ﷺ التقى هو والمشركون فاقتتلوا ... الحديث . ولم يذكر فيه بخيبر[3] .

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٢/٤٨٢ - ٤٨٣ ، كتاب الإيمان ، باب (٤٧) غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه وإنّ من قتل نفسه بشيء عذب به في النار ، وأنه لا يدخل الجنة نفس مسلمة ، حديث رقم (١١١) .

(٢) (فتح الباري) : ٦/٢٢٠ - ٢٢١ ، كتاب الجهاد والسير ، باب (١٨٢) إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر ، حديث رقم (٣٠٦٢) .

(٣) (مسلم بشرح النووي) : ٢/٤٨٤ - ٤٨٥ ، كتاب الإيمان ، باب (٤٧) غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه وإن من قتل نفسه بشيء عذب به في النار ، وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، حديث رقم (١١٢) .

وأما إطلاع الله تعالى رسوله ﷺ على ما غلّه من شهد خيبر معه .

فخرّج مسلم[1] والترمذي[2] من حديث عكرمة بن عمار قال : حدثني سماك الحنفي أبو زميل قال : حدثني عبد الله بن عباس قال : حدثني عمر بن الخطاب - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : لما كان يوم خيبر أقبل نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا : فلان شهيد ، فلان شهيد ، حتى مروا على رجل فقالوا : فلان شهيد ، فقال رسول الله ﷺ : كلا إني رأيته في النار في بردة غلها أوفى عباءة ، ثم قال رسول الله ﷺ : يا ابن الخطاب اذهب فناد في الناس أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ، قال : فخرجت فناديت في الناس : ألا إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ، اللفظ لمسلم وهو أتم ، ذكره في كتاب الإيمان، وقال الترمذيّ : هذا حديث حسن غريب صحيح .

وخرّج مسلم في كتاب الإيمان من حديث ابن وهب ، عن مالك ، عن ابن أنس عن ثور بن زيد الدؤليّ ، ومن حديث عبد العزيز بن محمد ، عن ثور ، عن سالم أبي الغيث ، عن أبي هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر ففتح الله علينا فلم نغنم ذهبًا ولا ورقًا ، غنمنا المتاع ، والطعام ، والثياب ، ثم انطلقنا إلى الوادي ومع رسول الله ﷺ عبد له وهبه له رجل من جذام يدعى رفاعة بن زيد من بني الضبيب فلما نزلنا الوادي قام عبد رسول الله ﷺ يحل رحله فرمى بسهم فكان فيه حتفه ، فقلنا : هنيئًا له الشهادة يا رسول الله ، قال رسول الله ﷺ : كلا والذي نفسي بيده إن الشملة لتلتهب عليه نارًا أخذها من المغانم يوم خيبر لم تصبها المقاسم ، قال : ففزع

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٢/٤٨٧ - ٤٨٨ ، كتاب الإيمان ، باب (٤٨) غلظ تحريم الغلول ، وأنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ، حديث رقم (١١٤) .

(٢) (سنن الترمذي) : ٤/١١٨ ، كتاب السير ، باب (٢١) ما جاء في الغلول ، حديث رقم (١٥٧٤) ، وفيه : " قم يا عليّ فناد " .

الناس فجاء رجل بشراك ، أو شراكين ، فقال : يارسول الله أُصبت يوم خيبر ، فقال رسول الله ﷺ : شراك من نار أو شراكان من نار[1] .

وخرَّجه البخاريّ في كتاب الأيمان والنذور من حديث مالك ، عن ثور بن زيد الدئلي ، عن أبي الغيث مولى ابن مطيع ، عن أبي هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ يوم خيبر فلم نغنم ذهبًا ولا فضة إلا الأموال ، والثياب ، والمتاع ، فأهدى رجل من بني الضبيب يقال له : رفاعة بن زيد غلامًا يقال له مِدْعَمْ ، فوجه رسول الله ﷺ إلى وادي القرى، حتى إذا كان بوادي القرى ، بينما مدعم بحط رحْلاً لرسول الله ﷺ إذا سهم عائر فقتله ، فقال الناس : هنيئًا له الجنة ، فقال رسول الله ﷺ : كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارًا ، فلما سمع ذلك الناس جاء رجل بشراك أو شراكين إلى النبي ﷺ ، فقال : شراك من نار أو شراكان من نار[2].

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٢/٤٨٨ - ٤٨٩ ، كتاب الإيمان ، باب (٤٨) غلظ تحريم الغلول ، وأنه لايدخل الجنة إلا المؤمنون ، حديث رقم (١١٥) . وفي الحديثين من الفوائد غلظ تحريم الغلول ، وأنه لا فرق بين قليله وكثيره ، حتى الشراك ، ومنها أن الغلول يمنع من إطلاق اسم الشهادة على من غلّ إذا قتل ... ومنها أنه لا يدخل الجنة أحد ممن مات على الكفر ، وهذا بإجماع المسلمين ، ومنها جواز الحلف بالله - تعالى - من غير ضرورة ، لقوله ﷺ : والذي نفس محمد بيده ، ومنها أن من غلّ شيئًا من الغنيمة يجب عليه ردّه ، وأنه إذا ردّه يقبل منه ، ولا يحرق متاعه ، سواء ردّه أم لم يرده ، فإنه ﷺ لم يحرق متاع صاحب الشملة ، وصاحب الشراك ، ولو كان واجبًا لفعله ، ولو فعله لنقل . (شرح النووي) .

(٢) (فتح الباري) : ١١/٧٢٥ ، كتاب الأيمان والنذور ، باب (٣٣) هل يدخل في الأيمان والنذور، الأرض والغنم والزرع والأمتعة ، وقال ابن عمر : قال عمر للنبي ﷺ : أصبتُ أرضًا لم أصب مالاً قط أنفس منه ، قال : إن شئت حبسّت أصلها وتصدقت بها ، وقال أبو طلحة للنبي ﷺ : أحب أموالي إليّ بيرحاء لحائط له مستقبلة القبلة حديث رقم (٦٧٠٧) ، والشراك : سير النعل .

وخرَّجه أبو داود في الجهاد ، عن مالك بهذا الإسناد ، وخرجنا مع رسول الله ﷺ عام خيبر ، فلم نغنم ذهبًا ولا ورقًا إلا الثياب والمتاع والأموال قال : فوجه رسول الله ﷺ نحو وادي القرى وقد أهدى لرسول الله ﷺ عبد أسود يقال له : مدعم ، حتى إذا كانوا بوادي القرى فبينما مدعم يحط رحل رسول الله ﷺ إذا جاءه سهم فقتله .. الحديث إلى آخره نحوه(١) .

وخرَّج في كتاب الجهاد من حديث سفيان ، عن عمرو عن سالم بن أبي الجعد ، عن عبد الله بن عمرو قال : كان على ثقل النبي ﷺ رجل يقال له : كِركرة فمات ، فقال رسول الله ﷺ : هو في النار ، فذهبوا ينظرون إليه ، فوجدوا عباءة قد غلَّها(٢) .

---

(١) (سنن أبي داود) : ٣/١٥٥ ، كتاب الجهاد باب (١٤٣) في تعظيم الغلول ، حديث رقم (٢٧١١) .

(٢) (فتح الباري) : ٦/٢٣٠ ، كتاب الجهاد والسير ، باب (١٩٠) القليل من الغلول ، ولم يذكر عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه حرّق متاعه ، وهذا أصح ، حديث رقم (٣٠٧٤) ، وقال في آخره : قال أبو عبد الله : قال ابن سلام : كَركَرة ، يعني بفتح الكاف ، وهو مضبوط هكذا .

قوله : " على ثقل " ، بمثلثة وقاف مفتوحتين : العيال ، وما يثقل حمله من الأمتعة .

قوله : " كركرة " ، ذكر الواقديّ أنه كان أسود يمسك دابة رسول الله ﷺ في القتال ، وروى أبو سعيد النيسابوري في (شرف المصطفى) : أنه كان نوبيًا أهداه له هوذة بن عليّ الحنفيّ صاحب اليمامة فاعتقه ، وذكر البلاذريّ أنه مات في الرق .

واختلف في ضبطه في كافه الأولى ، وأما الثانية فمكسورة اتفاقاً ، وقد أشار البخاريّ إلى الخلاف في ذلك بقوله في آخر الحديث : " قال ابن سلام : كركرة " قال ، وأراد بذلك أن شيخه محمد بن سلام رواه عن ابن عيينة بهذا الإسناد بفتح الكاف ، وصرح بذلك الأصيلي في روايته، فقال : يعني بفتح الكاف . والله - تعالى - أعلم .

قال عياض : هو للأكثر بالفتح في رواية عليّ ، وبالكسر في رواية ابن سلام وعند الأصيلي بالكسر في الأول ، وقال القابسيّ : لم يكن عند المروزي فيه ضبط إلا أني أعلم الأول خلاف الثاني .

وخرَّج أبو داود[١] والنسائيّ[٢] من حديث يحيى بن سعيد الأنصاريّ ، عن محمد بن يحيى بن حبان ، عن أبي عمرة ، عن زيد بن خالد الجهني أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ توفى يوم خيبر فذكروا ذلك لرسول ﷺ فقال : صلوا على صاحبكم فتغيرت وجوه الناس لذلك فقال : إن صاحبكم غلَّ في سبيل الله ففتشنا متاعه فوجدنا خرزًا من خرز يهود لا يساوي درهمين ، اللفظ لأبي داود ، وخرَّجه ابن الجارود به بنحوه .

وقال الواقدي في غزاة خيبر[٣] : وكان رجل أسود مع النبي ﷺ يمسك دابته عند القتال فقال له : كِركِرة فقتل يومئذ ، فقيل يا رسول الله استشهد كركر فقال رسول الله ﷺ : إنه الآنِ ليحرق في النار على شملة غلها ، فقال رجل من القوم : يا رسول الله أخذتُ شراكين يوم كذا وكذا ، فقال رسول الله ﷺ : شراكان من نار ، وتوفى يومئذ رجل من أشجع وإنهم ذكروه لرسول الله ﷺ فقال : صلوا على صاحبكم ، فتغيرت وجوه الناس لذلك ، فقال رسول الله ﷺ : إن صاحبكم غلّ في سبيل الله ، قال زيد بن خالد الجهني : ففتشنا متاعه ، فوجدنا خرزًا من خرز اليهود لا يَسْوَى درهمين .

وقال في غزوة وادي القرى[٤] ، وكان أبو هريرة [يحدث][٥] قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ من خيبر إلى وادي القرى ، وكان رفاعة بن زيد بن

= وفي الحديث تحريم قليل الغلول وكثيره ، وقوله : " هو في النار " ، أي يعذب على معصيته أو المراد هو في النار إن لم يعف الله عنه .

(١) (سنن أبي داود) : ١٥٥/٣ ، كتاب الجهاد ، باب (١٤٣) في تعظيم الغلول ، حديث رقم (٢٧١٠) ، وأخرجه ابن ماجه في الجهاد ، باب الغلول ، حديث رقم (٢٨٤٨) .

(٢) (سنن النسائي): ٣٦٦/٤ ، كتاب الجنائز، باب (٦٦) الصلاة على من غلّ ، حديث رقم (١٩٥٨) . قال الحافظ السندي: "غلّ" : أي خان في الغنيمة قبل القسمة ، " ما يساوي درهمين ": أي قدرًا يساوي درهمين ، أو كلمه " ما " نافية . (حاشية السندي على سنن النسائي) .

(٣) (مغازي الواقدي) : ٦٨١/٢ .

(٤) (مغازي الواقدي) : ٧٠٩/٢ - ٧١٠ .

(٥) زيادة للسياق من (المغازي) .

وهب الجذاميّ قد وهب لرسول الله ﷺ عبدًا أسود يقال له : مِدْعَم ، وكان يُرحّل لرسول الله ﷺ فلما نزلوا بوادي القرى انتهينا إلى اليهود وقد ضوى إليها أناس من العرب فبينما مدعم يحط رحْل النبي ﷺ وقد استقبلتنا اليهود بالرمي حيث نزلنا ، ولم يكن على تعبئة وهم يصيحون في آطامهم ، فيقبل سهم عائر[1] فأصاب مدعمًا فقتله ، فقال الناس : هنيئًا لك الجنة ، فقال النبي ﷺ : كلا والذي نفسي بيده ، إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لتشتعل عليه نارًا فلما سمع بذلك الناس جاء رجل إلى رسول الله ﷺ بشراك أو بشراكين فقال رسول الله ﷺ : شراك[2] من نار ، أو شراكان من نار .

وقال في غزوة حنين[3] : [أن رجلاً] قاتل قتالاً شديدًا حتى اشتد به الجراح فذكر للنبي ﷺ ، فقال : من أهل النار ، فارتاب المسلمون في ذلك ، ووقع في أنفسهم ما الله به عليم ، فلما اشتدّ به الجراح أخذ مشقصًا[4] من كنانته فانتحر به ، فأمر رسول الله ﷺ بلالاً ينادي : ألا لا يدخل الجنة إلا مؤمن ، وإن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر .

قال المؤلف - رحمه الله - : فدخل الواقدي - رحمه الله - بما ذكر وجه البيان بأن الغالّين أربعة :

أحدهم : الذي نحر نفسه من شدة ألم الجراحة بحُنين .

والثاني : الذي لم يصلّ عليه النبيﷺ لما مات بخيبر وهو رجل من أشجع .

والثالث : كركرة قتل بخيبر .

والرابع : مدعم قتل بوادي القرى .

---

(١) العائر من السهام : ما لا يدري راميه .

(٢) الشراك أحد سيور النعل التي تكون على وجهها .

(٣) (مغازي الواقدي) : ٣/٩١٧ .

(٤) المشقص من النصال : ما طال وَعَرُض .

وأما نطق ذراع الشاة المسمومة لرسول الله ﷺ تخبره بما فيها من السم

فخرَّج الحاكم[1] من حديث أبي قلابة الرقاشيّ ، حدثنا أبو عتّاب سهل بن حماد ، عن عبد الملك بن أبي نضرة ، عن أبيه ، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أن يهودية أهدت شاة إلى رسول الله ﷺ سميطًا ، فلما بسط القوم أيديهم قال لهم النبي ﷺ : كفوا أيديكم ، فإن عضوًا من أعضائها يخبرني أنها مسمومة قال : فأرسل إلى صاحبتها : أسممت طعامك هذا؟ قالت : نعم ، أحببت إن كنت كاذبًا أن أريح الناس منك ، وإن كنت صادقًا علمت أن الله سيطلعك عليه ، فقال رسول الله ﷺ : " اذكروا اسم الله وكلوا ، فأكلنا ، فلم يضر أحدًا منا شيئًا " قال : هذا حديث صحيح [الإسناد ولم يخرجاه][2] .

وخرَّج البيهقيّ[3] من حديث عبد الملك بن أبي نضرة ، عن جابر بن عبد الله - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أن يهودية أهدت إلى رسول الله ﷺ إما شاة مسمومة وإما برقًا مسموطًا مسمومًا ، فلما قربته إليه وبسط القوم أيديهم ، قال : أمسكوا ، فإن عضوًا من أعضائها يخبرني أنها مسمومة ، فدعا صاحبتها فقال : أسممت هذا ؟ قالت : نعم ، قال : ما حملك عليه ؟ قالت : أحببت إن كنت كاذبًا أن أريح الناس منك ، وإن كنت رسولاً أنك ستطلع عليه ، فلم يعاقبها .

ومن طريق عبد الرزاق عن معمر ، عن الزهريّ ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن امرأة يهودية أهدت إلى النبي ﷺ شاة مصلية بخيبر فقال : ما

---

(١) (المستدرك) : ٤/١٢٢ ، كتاب الأطعمة ، حديث رقم (٧٠٩٠) ، وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الحافظ الذهبيّ في (التلخيص) : صحيح .

(٢) زيادة للسياق من (المستدرك) .

(٣) (دلائل البيهقي) : ٤/٢٦٠ ، باب ما جاء في الشاة التي سممت للنبي ﷺ بخيبر ، وما ظهر في ذلك من عصمة الله جلّ ثناؤه ورسوله ﷺ عن ضرر ما أكل منه حتى بلغ فيه أمره ، وإخبار ذراعها إياه بذلك حتى أمسك عن البقية .

هذه؟ قالت : هدية ، وحذرت أن تقول من الصدقة فلا يأكل ، قال : فأكل النبي ﷺ وأكل أصحابه ، ثم قال : أمسكوا ، ثم قال للمرأة : هل سممت هذه الشاة ؟ قالت: من أخبرك هذا ؟ قال : هذا العظم لساقها ، وهو في يده ، قالت : نعم ، [قال رسول الله ﷺ :] لم ، قالت : أردت إن كنت كاذبًا أن يستريح الناس منك ، وإن كنت نبيًا لم يضرك ، قال : فاحتجم النبي ﷺ على الكاهل وأمر أصحابه فاحتجموا ، فمات بعضهم ، قال الزهريّ : فأسلمت ، فتركها النبي ﷺ ، قال معمر : وأما الناس فيقولون قتلها النبي ﷺ (١).

قال البيهقيّ : هذا مرسل ويحتمل أن يكون عبد الرحمن حمله ، عن جابر بن عبد الله – رضي الله تبارك وتعالى عنه – (٢) .

وخرَّج أبو داود من طريق ابن وهب قال : أخبرني يونس عن ابن شهاب قال : كان جابر بن عبد الله يحدث أن يهودية من أهل خيبر سممت شاة مصلية، ثم أهدتها لرسول الله ﷺ فأخذ رسول الله ﷺ الذراع فأكل منها ، وأكل رهط من أصحابه معه ، ثم قال لهم رسول الله ﷺ : ارفعوا أيديكم ، وأرسل رسول الله ﷺ إلى اليهودية ، فدعاها ، فقال : أسممت هذه الشاه ؟ قالت اليهودية : من أخبرك ، قال : أخبرتني هذه التي في يدي للذراع ، قالت : نعم ، قال : فما أردت إلى ذلك ؟ قالت : قلت إن كان نبيًا فلم يضره [شيئًا](٣) ، وإن لم يكن نبيًا استرحنا منه ، فعفى عنها رسول الله ﷺ ، ولم يعاقبها ، وتوفى بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة واحتجم رسول الله ﷺ على كاهله من أجل الذي أكل من الشاة ، حجمه أبو هند بالقرن والشفرة ، وهو مولى لبني بياضة من الأنصار(٤) .

---

(١) (المرجع السابق) : ٢٦٠ – ٢٦١ ، ومابين الحاصرتين زيادة للبيان .

(٢) (المرجع السابق) : ٢٦٢ .

(٣) زيادة في (الأصل) : فقط .

(٤) (سنن أبي داود) : ٤/٦٤٨ – ٦٤٩ ، كتاب الديات ، باب (٦) فيمن سقى رجلاً سمًا أو أطعمة فمات ، أيقاد منه ؟ حديث رقم (٤٥١٠) ، وهو حديث منقطع ، الزهريّ لم يسمع من جابر .

ومن طريق وهب بن بقية قال : حدثنا خالد عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة أن رسول الله ﷺ أهدت له يهودية شاة مصلية بخيبر ، نحو حديث جابر قال : فمات بشر بن البراء بن معرور ، فأرسل إلى اليهودية ، [وقال لها رسول الله ﷺ :] ما حملك على الذي صنعت فذكر نحو حديث جابر ، فأمر بها رسول الله ﷺ فقتلت . ولم يذكر أمر الحجامة(١) .

قال البيهقيّ : ورويناه عن حماد بن سلمة ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ويحتمل أنه لم يقتلها [في الابتداء] ، ثم لما مات

---

(١) (المرجع السابق) : حديث رقم (٤٥١١) ، وما بين الحاصرتين زيادة للبيان .

وقد اختلف الناس فيما يجب على من جعل في طعام رجل سمًا فأكله فمات ، فقال مالك بن أنس : عليه القود ، وأوجب الشافعيّ – في أحد قوليه – القود إذا جعل في طعامه سمًا وأطعمه إياه ، أو في شرابه فسقاه ولم يعلمه أن فيه سمًا . قال الشافعيّ : وإن خلط بطعام سما فوضعه ولم يقل له فأكله أو شربه فمات فلا قود عليه .

قال الخطابيّ : والأصل أن المباشرة والسبب إذا اجتمعا كان حكم المباشرة مقدمًا على السبب ، كحافر البئر والدافع إليها .

فأما إذا استكرهه على شرب السمّ فعليه القود في مذهب الشافعيّ ومالك ، وعن أبي حنيفة: إن سقاه السمّ فمات : لم يقتل به ، وإن أوجره إيجارًا كان على عاقلته الدية .

ثم إنه ليس في هذا الحديث أكثر من أن اليهودية أهدتها لرسول الله ﷺ بأن بعثت بها ، فصارت ملكًا له ، وصار أصحابه أضيافًا له ، ولم تكن هى التي قدّمتها إليهم وإليه ، وما هذا سبيله فالقود فيه ساقط ، لما ذكرنا من علة المباشرة وتقديمها على السبب .

وفي الحديث دليل على إباحة أكل طعام أهل الكتاب ، وجواز مبايعتهم ومعاملتهم مع إمكان أن يكون في أموالهم الربا ونحوه من الشبهة .

وفيه حجة لمن ذهب إلى أن الهدية توجب العوض ، وذلك أنه ﷺ لا يَقبل الهدية من يهودية إلا من حيث يرى فيها التعويض ، فيكون ذلك عنده بمنزلة المعاوضة بعقد البيع . والله – تعالى – أعلم . (معالم السنن) .

بشر بن البراء أمر بقتلها ، وقال ابن لهيعة : حدثنا أبو الأسود عن عروة بن الزبير[١] .

وقال إسماعيل بن إبراهيم عن عمه موسى بن عقبة وقال محمد بن فليح: حدثنا عقبة عن ابن شهاب قال : لما فتح رسول الله ﷺ خيبر وقتل من قتل منهم أهدت زينب بنت الحارث اليهودية وهي ابنة أخي مرحب لصفية شاةً مصلية وسممتها ، وأكثرت في الكتف والذراع لأنه بلغها أنه أحب أعضاء الشاة إلى رسول الله ﷺ ، فدخل رسول الله ﷺ على صفية ومعه بشر بن البراء بن معرور أخو بني سلمة ، فقدمت إليهم الشاة المصلية ، فتناول رسول الله ﷺ الكتف وانتهش منها ، وتناول بشر بن البراء عضوًا فانتهش منه ، فلما استرطها رسول الله ﷺ استرط بشر بن البراء ما في فيه ، فقال رسول الله ﷺ : أرفعوا أيديكم فإن كتف هذه الشاة تخبرني أن قد بُغيتْ فيها ، فقال بشر بن البراء : والذي أكرمك لقد وجدت ذلك في أكلتي التي أكلت فما منعني أن ألفظها إلا أني أعظمت أن أنغصك طعامك ، فلما أسغت ما في فيك ، لم أكن أرغب بنفسي عن نفسك ، ورجوت أن لا تكون استرطتها وفيها بغي ، فلم يقم بشر من مكانه حتى عاد لونه مثل الطيلسان ، ومَاطلهُ وجعه حتى كان لا يتحول إلا ما حُوِّل[٢] .

[قال جابر] : وفي رواية ابن فليح عن موسى ، قال الزهري : قال جابر بن عبد الله : واحتجم رسول الله ﷺ على الكاهل يومئذ حجمه مولى بني بياضه بالقون والشفرة وبقي رسول الله ﷺ بعده ثلاث سنين حتى كان وجعه الذي توفي فيه فقال : ما زلت أجد من الأكله التي أكلت من الشاة يوم خيبر عدادًا حتى كان هذا أوان انقطع الأبهر مني فتوفي رسول الله ﷺ شهيدًا[٣] .

وقد ذكر ابن اسحاق[٤] والواقدي قصة سم الشاة ، وسياق الواقدي أنه قال في (مغازيه)[٥] : لما فتح رسول الله ﷺ خيبر واطمأن جعلت زينب ابنة

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٤/٢٦٢ - ٢٦٣ .

(٢) (المرجع السابق) : ٢٦٣ - ٢٦٤ .

(٣) (المرجع السابق) : ٢٦٤ - وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه .

(٤) (سيرة ابن هشام) : ٤/٣٠٨ - ٣٠٩ ، قصة الشاة المسمومة ، وموته ﷺ شهيدًا .

الحارث اليهودية تسأل : أي الشاة أحب إلى محمد ؟ فيقولون : الذراع والكتف ، فعمدت إلى عنزٍ لها فذبحتها ، ثم عمدت إلى سم لابطيّ ، قد شاورت اليهود في سموم فأجمعوا لَها على هذا السم بعينه ، فسمت الشاة وأكثرت في الذراعين والكتفين ، فلما غابت الشمس صلى رسول الله ﷺ المغرب وانصرف إلى منزله، وجد زينب جالسة عند رَحْله فيسأل عنها فقالت : أبا القاسم ، هدية أهديتها لك ، وكان رسول الله ﷺ يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، فأمر ﷺ بالهدية فقبضت منها ووضعت بين يديه ، ثم قال لأصحابه وهم حضور أو من حضر منهم : ادنوا فتعشوا ، فدنوا فمدوا أيديهم ، وتناول رسول الله ﷺ الذراع وتناول بشر بن البراء عظمًا فانتهش رسول الله ﷺ منها نهشًا وانتهش بشر ، فلما ازدرد رسول الله ﷺ ، ازدرد بشر .

فقال رسول الله ﷺ : ضعوا أيديكم فإن هذه الذراع تخبره أنها مسمومة ، فقال بشر بن البراء : قد والله يا رسول الله وجدت ذلك من أكلتي التي أكلتها ، فما منعني أن ألفظها إلا كراهية أن أنغص إليك طعامك ، فلما تسوغت ما في يدك ، لم أرغب بنفسي عن نفسك ، ورجوت أن لا تكون ازدرتها وفيها بغى ، فلم يرم بشر من مكانه حتى عاد لونه كالطيلسان وماطله وجعه سنة لا يتحول إلا ما حُوّل ، ثم مات منه ، ويقال : لم يرم مكانه حتى مات .

وعاش رسول الله ﷺ بعد ذلك ثلاث سنين ، ودعا رسول الله ﷺ بزينب، فقال : سممت الذراع ؟ فقالت : من أخبرك ؟ قال : الذراع ، قالت : نعم ، [قال رسول الله ﷺ :] وما حملك على ذلك ؟ قالت : قتلت أبي ، وعمي ، وزوجي ، ونلت من قومي ما نلت ، فقلت : إن كان نبيًا فستخبره الشاة بما صنعت ، وإن كان ملكًا استرحنا منه .

فاختلف علينا فيها ، فقال قائل : أمر بها رسول الله ﷺ فقتلت ، ثم صلبت ، وقال قائل : عفى عنها ، وكان نفر ثلاثة قد وضعوا أيديهم في الطعام ولم يسيغوا منه شيئًا ، فأمر رسول الله ﷺ أصحابه فاحتجموا أوساط رؤوسهم

---

(٥) (مغازي الواقدي) : ٦٧٧/٢ - ٦٧٨ .

من الشاة ، واحتجم رسول الله ﷺ تحت كتفه اليسرى ، ويقال : احتجم على كاهله ، حجمه أبو هند بالقرن والشفرة.

قالوا : فكانت أم بشر بن البراء تقول : دخلت على رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه وهو محموم فمسسته فقلت : ما وجدت مثل [ما] وعك عليك على أحد ، فقال رسول الله ﷺ : كما يضاعف لنا الأجر كذلك يضاعف لنا البلاء ، زعم الناس أن برسول الله ذات الجنب ، ما كان الله ليسلطها عليّ ، إنما هي همزة من الشيطان ولكنه من الأكلة الذي أكلت أنا وابنك يوم خيبر ، مازال يصيبني منها عداد[1] حتى كان هذا أوان انقطاع أبهرى[2] ، فمات رسول الله ﷺ شهيدًا .

ويقال : إن الذي مات من الشاة مبشر بن البراء ، وبشر أثبت عندنا ، وهو المجتمع عليه .

قال الواقدي : سألت إبراهيم بن جعفر عن قول زينب ابنة الحارث قتلت أبي ؟ قال : قتل يوم خيبر أبوها الحارث وعمها يسار ، وكان أجبن الناس ، وكان الحارث أشجع اليهود ، وأخوها زبير قتل يومئذ وكان زوجها سيدهم وأشجعهم سلام بن مشكم ، كان مريضًا ، فقتل وهو مريض ، وهو أبو الحكم كان صاحب حربهم ، ولكن الله شغله بالمرض[3] .

---

(١) العداد : اهتياج وجع اللديغ ، وذلك إذا تمت له سنة من يوم لدغ هاج به الألم .

(٢) الأبهر : العرق المعلق بالقلب .

(٣) (المرجع السابق) : ٦٧٨ - ٦٧٩ .

وأما أن الأرض أبت أن تقبل ميتًا
قتل مُوَحَّدًا

روى محمد بن أبي عتيق وموسى بن عقبة وشعيب ، عن ابن شهاب الزهريّ قال : حدثنا عبد الله بن موهب ، عن قبيصة بن ذؤيب قال : أغار رجل من أصحاب رسول الله ﷺ على سرية من المشركين فانهزمت ، فغشى رجل من المسلمين رجلاً من المشركين وهو منهزم فلما أراد أن يعلوه بالسيف قال : لا إله إلا الله ، فلم ينزع عنه حتى قتله ، ثم وجد في نفسه من قتله ، فذكر حديثه لرسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : فهل لا نقبت عن قلبه ؟ يريد أن يعبر عن القلب اللسان ، فلم يلبثوا إلا قليلاً حتى توفى ذلك الرجل القاتل ، فأصبح على وجه الأرض فجاء أهله فحدثوا رسول الله ﷺ فقال : ادفنوه ، فدفنوه ، فأصبح على وجه الأرض ، فجاء رسول الله ﷺ فحدثوه ذلك ، فقال : إن الأرض قد أبت أن تقبله فاطرحوه في غار من الغيران .

وروى يونس بن بكير عن البراء بن عبد الله ، عن الحسن قال : بلغنا أن رجلاً كان على عهد رسول الله ﷺ في قتال المشركين ، فذكر معنى ما ذكر قبيصة ، يزيد وينقص ، ومما زاد ، قال : فأنزل الله فيه : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنًا** ﴾ ، فبلغنا أن الرجل مات فقيل : يا رسول الله مات فلان فدفناه ، فأصبحت الأرض قد لفظته ، ثم دفناه فلفظته ، فقال : أما إنها تقبل من هو شر منه ولكن الله – عز وجل – أراد أن يجعله موعظة لكم لكي لا يقدم رجل على قتل من يشهد أن لا إله إلا الله ويقول : إني مسلم ، اذهبوا به إلى شعب بني فلان فادفنوه ، فإن الأرض ستقبله ، فدفنوه في ذلك الشعب ، ذكر ذلك البيهقيّ[1] – رحمة الله عليه – .

---

(١) (دلائل البيهقيّ) : ٣١٠/٤ ، باب ذكر الرجل الذي قتل رجلاً بعد ما شهد بالحق ، ثم مات فلم تقبله الأرض ، وما ظهر في ذلك من آثار .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة :حدثنا أبو خالد ، عن محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن القعقاع بن عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي ، عن أبيه قال : بعثنا رسول الله ﷺ في سرية إلى إضم ، فلقينا عامر بن الأضبط فحيانا بتحية الإسلام ، فحمل عليه المحلم بن جثامة فقتله وسلبه ، فلما قدمنا جئنا بسلبة إلى رسول الله ﷺ فأخبرناه ، فنزلت : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا من ألقى إليكم السلام لست مؤمنًا** ﴾[1]..الآية.

وقال في غزوة حنين : قالوا : وصلى رسول الله ﷺ الظهر يومًا بحنين ، ثم تنحى إلى [ظل] شجرة فجلس إليها فقام عيينة بن بدر يطلب بدم عامر بن الأضبط الأشجعي وهو يومئذ سيد قيس ومعه الأقرع بن حابس يدفع عن محلم ابن جثامة لمكان خندف ، فاختصما بين النبي ﷺ وعيينة ، يقول : يا رسول الله، لا والله لا أدعه حتى أدخل على نسائه من الحرب والحزن ما أدخل على نسائي ، فقال رسول الله ﷺ : تأخذ الدية ؟ فأبى عيينة حتى ارتفعت الأصوات وكثر اللغط إلى أن قام رجل من بني ليث يقال له : مكيتل قصد مجتمع ، عليه سلة كاملة وذرقة في يده ، فقال : يا رسول الله إني لم أجد لهذا القتيل شبهًا غرة الإسلام إلا كغنم وردت فرميت أُولاها فنفرت أُخراها ، أُسنن اليوم وغير غدًا[2]، فقال رسول الله ﷺ : هل لكم أن تأخذوا خمسين بعيرًا الآن وخمسين إذا رجعنا

---

(١) النساء : ٩٤ ، واختلف في اسم القاتل والمقتول ، بعد الاتفاق على أن ذلك كان في سرية ، فروى ابن القاسم عن مالك : أن القاتل أسامة بن زيد ، والمقتول مرداس بن نهيك الفزاري من أهل فدك ، وفي سيرة ابن إسحاق : أن القاتل مُحلم بن جثامة ، والمقتول عامر بن الأضبط . وقيل : القاتل أبو قتادة ، وقيل : أبو الدرداء ، وأن النبي ﷺ وبّخ القاتل ، وقال له : فهلا شققت عن بطنه فعلمت ما في قلبه .

ومخاطبتهم بـ ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ تلوّح إلى أن الباعث على قتل من أظهر الإسلام منهي عنه ، ولو كان قصد القاتل الحرص على تحقيق وصف الإيمان ثابت للمقتول ، فإن هذا التحقيق غير مراد للشريعة ، وقد ناطت صفة الإسلام بقول : " لا إله إلا الله محمد رسول الله"، أو بتحية الإسلام وهي : " السلام عليكم " (تفسير التحرير والتنوير) : ١٦٧/٤ .

(٢) اسن اليوم وغيّر غدًا : يريد احكم لنا اليوم بالدم ، واحكم غدًا بالدية لمن شئت .

إلى المدينة ؟ فلم يزل بهم حتى رضوا بالدية ، قال قوم مُحَلَّم : ائتوا به حتى يستغفر له رسول الله ﷺ ، فجاء رجل طوال ضرب للحم في حلة قد تهيأ فيها للقتل ، فقام بين يدي النبي ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم لا تغفر لمحلم، قالها ثلاثًا فقام وإنه ليتلقى دموعه بطرف ثوبه .

قال محمد بن إسحاق : زعم قومه أنه استغفر له بعد كذا في كتابي عن ابن حدرد ، عن أبيه ، وقيل : عن حجاج بن منهال عن حماد في هذا الإسناد عن أبي حدرد عن أبيه(١) .

عن عبد الرحمن بن الحارث ، عن الحسن البصري قال : لما مات محلم بن جثامة دفنه قومه فلفظته الأرض ، ثم دفنوه فلفظته الأرض ، ثم دفنوه فلفظته الأرض ، فطرحوه بين قزحين فأكلته السباع .

وذكر الطبري عن نافع ، عن ابن عمر أن محلم بن جثامة مات في حياة النبي ﷺ ، فدفنوه ، فلفظته الأرض مرة بعد أخرى ، فأمر به فألقى به بين جبلين ، وألقيب عليه حجارة ، قال ابن عبد البر : وقال مثل ذلك أيضًا قتادة .

وروى أنه مات بعد سبعة أيام ودفنوه فلفظته الأرض ، فقال رسول الله ﷺ: إن الأرض لتقبل من هو شرّ منه ولكن الله أراد أن يريكم آية في قتل المؤمن .

قال ابن عبد البر : وقد قيل : أن هذا ليس بمحلِّم بن جثامة ، وأن محلَّم بن جثامة ترك حمص بآخره ، ومات بها في إمارة ابن الزبير .

قال ابن عبد البر : ومعلوم أن قتله كان خطأ لا عمدًا لأن قاتله لم يصدقه في قوله والله – تعالى – أعلم .

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٣٠٦/٤ – ٣٠٧ .

وأما تصديق الله تعالى رؤيا رسوله ﷺ بدخوله المسجد الحرام

قال الله – تبارك وتعالى – : ﴿ **لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحًا قريبًا** ﴾[1] .

قال ابن عطية : روى في تفسير هذه الآية : أن النبي ﷺ رأى في منامه عند خروجه من العمرة أنه يطوف بالبيت هو وأصحابه بعضهم محلقين وبعضهم مقصرين .

وقال مجاهد أُرى ذلك بالحديبية فأخبر الناس بهذه الرؤيا ووثق الجميع أن ذلك يكون إن شاء الله – تعالى – لكن ليس في تلك الوجهة .

وروى أن رؤياه إنما كانت أن ملكًا جاءه فقال : لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين ، وأنه بهذا أعلم الناس فلما قضى الله – تعالى – بالحديبية بأمر بالصلح وأخذ رسول الله ﷺ في الصدر[2] ، قال المنافقون : أين الرؤيا ؟ ووقع في نفوس المسلمين من ذلك ، فأنزل الله – تعالى – : ﴿ **لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق** ﴾ قال : ولما نزلت هذه الآية علم المسلمون أن تلك الرؤيا ستخرج فيما يستأنفونه من الزمن ، واطمأنت قلوبهم بذلك وسكنت فخرجت في العام المقبل ، فخرج رسول الله ﷺ إلى مكة في ذي القعدة سنة سبع ، ودخلها ثلاثة أيام هو وأصحابه ، وصدقت رؤياه ﷺ .

وقوله : ﴿ **فعلم ما لم تعلموا** ﴾ يريد ما قدره من ظهور الإسلام في تلك المدة ، ودخول الناس فيه ، وما كان أيضًا بمكة من المؤمنين الذين دفع الله بهم.

وقوله – تعالى – : ﴿ **فجعل من دون ذلك** ﴾ أي من قبل ذلك وفيما يدنوا إليكم ، واختلف في الفتح القريب ، قيل : هو بيعة الرضوان ، وعن مجاهد وابن إسحاق : أنه الفتح بالحديبية ، وقال عبد الله بن زيد : الفتح القريب : خيبر ،

---

(١) الفتح : ٢٧ .

(٢) الرجوع والعودة .

وقال قوم : الفتح القريب : مكة ، وهذا ضعيف لأن فتح مكة كان بعد ذلك ، قال ابن عطية : ويحسن أن يكون الفتح هذا اسم جنس يعم كل ما وقع للنبي ﷺ فيه ظهور وفتح عليه .

وقال الواقدي في (مغازيه)[1] : قالوا : كان رسول الله ﷺ قد رأى في النوم أنه دخل البيت ، وحلق رأسه ، وأخذ مفتاح البيت وعرَّف مع المعرفين[2]، فاستنفر أصحابه إلى العمرة ، فأسرعوا وتهيأ للخروج ، وخرج أصحابه معه لا يشكون في الفتح للرؤيا التى رأى رسول الله ﷺ ، وساق قصة الحديبية إلى أن قال : فلما وقعت هذه القضية أسلم في الهدنة أكثر ممن كان أسلم من يوم دعاء رسول الله ﷺ إلى يوم الحديبية ، وما كان في الإسلام فتح أعظم من يوم الحديبية ، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يكرهون الصلح لأنهم خرجوا لا يشكون في الفتح لرؤيا رسول الله ﷺ أنه حلق رأسه ، وأنه دخل البيت ، وأخذ مفتاح الكعبة ، وعرف مع المعرفين فلما رأوا الصلح ، دخل الناس من ذلك أمر عظيم ، حتى كادوا يهلكوا .

وقال عمر بن الخطاب - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ورجال معه من أصحاب النبي ﷺ : يا رسول الله ألم تكن حدثتنا أنك ستدخل المسجد الحرام ، وتأخذ مفتاح الكعبة ، وتعرف مع المعرفين ، وهْدينا لم يصل إلى البيت ولا نحر ، فقال رسول الله ﷺ : قلت لكم في سفركم هذا ؟ قال عمر : لا ، فقال رسول الله ﷺ : أما إنكم ستدخلونه وآخذ مفتاح الكعبة ، وأحلق رأسي ورءوسكم ببطن مكة وأعرف مع المعرفين ، ثم أقبل على عمر فقال : أنسيتم يوم أحد وأنا أدعوكم : ﴿ **إذ تصعدون لا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم** ﴾ ؟ أنسيتم يوم الأحزاب : ﴿ **إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر** ﴾ ؟ أنسيتم يوم كذا ؟ وجعل يذكرهم أمورًا ، فقال المسلمون : صدق الله ورسوله ، يا رسول الله ما فكرنا فيما فكرت فيه ، لأنت أعلم بالله وبأمره منا ، فلما دخل رسول الله ﷺ عام القضية

---

(١) (مغازي الواقدي) : ٥٧٢/٢ وما بعدها .

(٢) أي وقف بعرفة .

وحلق رأسه قال : هذا الذي وعدتكم ، فلما كان يوم الفتح أخذ المفتاح فقال : ادعوا لي عمر بن الخطاب ، فقال : هذا الذي قلت لكم : فلما كان في حجة الوداع وقف بعرفة فقال : أي عمر ، هذا الذي قلت لكم ، قال : أي رسول الله ، ما كان فتح في الإسلام أعظم من صلح الحديبية .

وكان الناس قصر رأيهم يومئذ عما كان بين محمد وبين ربه ، والعباد يعجلون ، والله لا يعجل كعجلة العباد حتى تبلغ الأمور ما أراد ، لقد نظرت إلى سهيل بن عمر في حجة الوداع قائمًا عند المنحر يقرب إلى رسول الله ﷺ بُدنه، ورسول الله ﷺ ينحرها بيده ، ودعا الحلاق ، فحلق رأسه ، وأنظرُ إلى سهيل يلتقط من شعره ، وأراه يضعه على عينيه ، وأذكر إباءه أن يقر يوم الحديبية بأن يكتب : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ ويأبى أن يكتب أن محمدًا رسول الله ، فحمدت الله الذي هداه للإسلام ، وصلوات الله وبركاته على نبي الرحمة الذي هدانا به ، وأنقذنا به من الهلكة .

وأما إطلاع الله تعالى رسوله ﷺ
على ماقاله المشركون في عمرة القضية

فخرَّج أبو داود[١] من حديث مسدد قال : حدثنا حماد بن زيد عن أيوب ، عن سعيد بن جبير أنه حدثه ، عن ابن عباس -رضي الله تبارك وتعالى عنه- قال : قدم رسول الله ﷺ مكة وقد وهنتهم حمى يثرب ، فقال المشركون : إنه يقدم عليكم قوم وقد وهنتهم الحمى ولقوا منها شرًا ، فأطلع الله - تعالى - نبيه على ما قالوه ، فأمرهم أن يرملوا الأشواط الثلاثة ، وأن يمشوا بين الركنين ، فلما رأوهم رملوا قالوا : هؤلاء الذين ذكرتم أن الحمى قد وهنتهم ، هؤلاء أجلد منا ، قال ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - : ولم يأمرهم أن يرملوا الأشواط إلا إبقاءً عليهم .

وخرَّجه البخاريّ أيضًا في باب كيف كان بدء الرَّمَل[٢] ، وفي عمرة القضاء[٣] من حديث سليمان بن حرب ، وحماد بن زيد .

---

(١) (سنن أبي داود) : ٤٤٦/٢ ، كتاب المناسك ، باب (٥١) في الرَّمَل ، حديث رقم (١٨٨٦) .

(٢) (فتح الباري) : ٥٩٩/٣ ، كتاب الحج ، باب (٥٥) كيف كان بدأ الرَّمل ؟ حديث رقم (١٦٠٢) .

(٣) (فتح الباري) : ٦٤٧/٧ - ٦٤٨ ، كتاب المغازي ، باب (٤٤) عمرة القضاء ، حديث رقم (٤٢٥٦) ، وزاد ابن سلمة عن أيوب عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : لما قدم النبي ﷺ لعامه الذي استأمن قال : ارملوا ليرى المشركون قوتكم . والمشركون من قبل قعيقعان .

قوله : " باب كيف كان بدء الرمل " أي ابتداء مشروعيته ، وهو بفتح الراء والميم هو الإسراع ، وقال ابن دريد : هو شبيه بالهرولة ، وأصله أن يحرك الماشي منكبيه في مشيه ، وفي الحديث : جواز تسمية الطوفة شوطًا ، ونقل عن مجاهد والشافعي كراهته ، ويؤخذ منه جواز تسمية الطوفة شوطًا ، ونقل عن مجاهد والشافعي كراهته ، ويؤخذ منه جواز إظهار القوة بالعدة والسلاح ونحو ذلك للكفار إرهابًا لهم ، ولا يعد ذلك من الرياء المذموم ، وفيه جواز المعاريض بالفعل كما يجوز بالقول ، وربما كانت بالفعل أولى . (فتح الباري) .

وخرّجه مسلم[1] من حديث أبي الربيع الزهراني قال حماد : يعني ابن زيد عن أيوب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : قدم رسول الله ﷺ وأصحابه مكة وقد وهنتهم حمى يثرب ، فقال المشركون : يقدم عليكم غدا قوم وهنتهم الحمى ولقوا منها شدة ، فجلسوا مما يلي الحجر وأمرهم النبي ﷺ أن يرملوا ثلاثة أشواط ويمشوا ما بين الركنين ليرى المشركون جلدهم ، فقال المشركون : هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم ، هؤلاء أجلد من كذا وكذا .

قال ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم . اللفظ لمسلم ، وهو أتم ، فلم يذكر

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٩/١٥ - ١٦ ، كتاب الحج ، باب (٣٩) استحباب الرمل في الطواف والعمرة ، وفي الطواف الأول في الحج ، حديث رقم (٢٤٠) .

ومن حديث سفيان عن عطاء ، عن ابن عباس قال : إنما سعى رسول الله ﷺ ورمل بالبيت ليرى المشركين قوته . حديث رقم (٢٤١) .

قال الإمام النووي : وأما يثرب فهو الاسم الذي كان للمدينة في الجاهلية ، وسميت في الإسلام المدينة ، فطيبة ، فطابة ، قال الله - تعالى - ﴿ **ما كان لأهل المدينة** ﴾ ، ﴿ **ومن أهل المدينة** ﴾ ، ﴿ **يقولون لئن رجعنا إلى المدينة** ﴾ . [ولم يأتِ ذكر " يثرب " في القرآن الكريم إلا على لسان المشركين أو اليهود أو المنافقين ، قال تعالى : ﴿ **وإذا قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا** ﴾ ، [الأحزاب : ١٣] .

وأخرجه النسائي في المناسك ، باب (١٥٥) العلة التي من أجلها سعى النبي ﷺ بالبيت ، حديث رقم (٢٩٤٥) . قال الحافظ السيوطي في (حاشيته على سنن النسائي) : قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : فكان ذلك ضربًا من الجهاد ، قال : وعلته في حقنا تذكر النعمة التي أنعمها الله على رسوله وأصحابه بالعزة بعد الذلة ، وبالقوة بعد الضعف ، حتى بلغ عسكره ﷺ سبعين ألفًا .

وأخرجه الإمام أحمد في (المسند) : ١/٤٨٥ ، حديث رقم (٢٦٨١) ، وحديث رقم (٢٧٩٠) ، وحديث رقم (٣٥٢٦) كلهم من مسند عبد الله بن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - .

فيما خرَّجه البخاريّ ومسلم الإطلاع ، وله عندهما طرق ، والله - تعالى - أعلم .

وأما تعيين أمراء غزوة مؤتة واحدًا بعد واحدٍ وكان ذلك إشارة إلى أنهم سيستشهدوا

فخرَّج البخاريّ[1] من حديث مغيرة بن عبد الرحمن ، عن عبد الله بن سعيد، عن نافع عن ابن عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - قال : أُمر رسول الله ﷺ في غزوة مؤتة زيد بن حارثة ، فقال رسول الله ﷺ : إن قُتل زيد فجعفر ، وإن قُتل جعفر فعبد الله بن رواحة ، قال عبد الله : كنت فيهم في تلك الغزوة فالتمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلى ، ووجدنا ما في جسده بضعًا وتسعين من طعنة ورمية .

وقال الواقدي في (مغازيه)[2] : حدثني ربيعة بن عثمان ، عن عمر بن الحكم قال : بعث رسول الله ﷺ الحارث بن عمير الأزدي ، ثم أحد بني لِهْب إلى ملك بُصري بكتاب ، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغسانيّ فقال : أين تريد ؟ قال : الشام ، قال : لعلك من رسل محمد ؟ قال : نعم أنا

---

(١) (فتح الباري) : ٧/٦٥٠ ، كتاب المغازي ، باب (٤٥) غزوة مؤته من أرض الشام ، حديث رقم (٤٢٦١) .

قال ابن إسحاق : هي بالقرب من البلقاء ، وقال غيره : هي على مرحلتين من بيت المقدس ويقال : إن السبب فيها أن شرحبيل بن عمرو الغساني - وهو من أمراء قيصر على الشام - قتل رسولاً أرسله النبي ﷺ إلى صاحب بصرى ، واسم الرسول الحارث بن عمير ، فجهز إليهم النبي ﷺ عسكرًا في ثلاثة آلاف .

وفي (مغازي أبي الأسود) : عن عروة : بعث رسول الله ﷺ الجيش إلى مؤته في جمادي من سنة ثمان ، وكذا قال ابن إسحاق وموس بن عتبة وغيرهما من أهل المغازي لا يختلفون في ذلك ، إلا ما ذكر خليفة في (تاريخه) أنها كانت سنة سبع ، (فتح الباري) .

(٢) (مغازي الواقدي) : ٢/٧٥٥ - ٧٥٦ ، غزوة مؤتة .

رسول رسول الله ﷺ ، فأمر به ، فأوثق رباطًا ، ثم قدمه فضرب عنقه صبرًا، ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره ، فبلغ رسول الله ﷺ الخبر ، فاشتد عليه وندب الناس وأخبرهم بمقتل الحارث ومن قتله ، فأسرع الناس وخرجوا فعسكروا بالجرف ، ولم يبين رسول الله ﷺ الأمر ، فلما صلى رسول الله ﷺ ، الظهر جلس ، وجلس أصحابه حوله ، وجاء النعمان بن مهض[1] اليهودي ، فوقف على رسول الله ﷺ مع الناس ، فقال رسول الله ﷺ : زيد بن حارثه أمير الناس ، فإن قتل زيد بن حارثة ، فجعفر بن أبي طالب ، فإن أصيب جعفر، فعبد الله بن رواحة ، فإن أصيب عبد الله بن رواحة فليرتض المسلمون بينهم رجلاً فليجعلوه عليهم ، فقال النعمان بن مهض[2] : أبا القاسم إن كنت نبيًا فسميت من سميت قليلاً أو كثيرًا أصيبوا جميعًا ، إن الأنبياء في بني إسرائيل إذا استعملوا الرجل على القوم ، ثم قالوا : إن أصيب فلان فلو سمى مائة أصيبوا جميعًا ، ثم جعل اليهود يقولون لزيد بن حارثة : اعهد فلا ترجع إلى محمد أبدًا إن كان نبيًا ، فقال زيد : فأشهد أنه نبي صادق بارّ ، وذكر الخبر في قتل الأمراء بمؤته .

(١) في بعض أصول (مغازي الواقدي) : " فُنْحص " .
(٢) راجع التعليق السابق .

وأما نعي رسول الله ﷺ زيدًا وجعفرًا وعبد الله بن رواحة يوم قتلوا بمؤتة قبل أن يأتي خبرهم إلى الناس

فخرَّج البخاريّ من حديث حماد بن زيد عن أيوب ، عن حُميد بن هلال ، عن أنس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أن النبي ﷺ نعى زيدًا وجعفرًا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم قال : أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذ جعفر فأصيب ، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب وعيناه تذرفان ، حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله ، حتى فتح الله عليهم . ذكره في غزوة مؤتة[1] وفي المناقب[2] والإسناد واحد .

وخرَّج في كتاب الجهاد[3] من طريق ابن عُلية ، عن أيوب ، عن حُميد بن هلال ، عن أنس بن مالك - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال :

---

(١) (فتح الباري) : ٦٥٢/٧ ، كتاب المغازي ، باب (٤٥) غزوة مؤتة من أرض الشام ، حديث رقم (٤٢٦٢) .

(٢) (فتح الباري) : ١٢٦/٦ ، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب (٢٥) مناقب خالد بن الوليد - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ، حديث رقم (٣٧٥٧) ، وشهد خالد بن الوليد - رضي الله تبارك وتعالى عنه - عدة مشاهد ظهرت فيها نجابته ، ثم كان قتل أهل الردة على يديه ، ثم فتوح البلاد الكبار ، ومات على فراشه سنة إحدى وعشرين ، وبذلك جزم ابن نمير ، وذلك في خلافة عمر بحمص ، وقد أخرج الحاكم وابن حبان من حديث عبد الله بن أبي أوفى ، قال : " قال رسول الله ﷺ : لا تؤذوا خالدًا فإنه سيف من سيوف الله صبّه الله على الكفارة .

(٣) (فتح الباري) : ٢٢١/٦ ، كتاب الجهاد ، باب (١٨٣) من تأمر في الحرب من غيره إمره إذا خاف العدو ، حديث رقم (٣٠٦٣) . قال ابن المنير : يؤخذ من حديث الباب أن من تعين لولاية وتعذرت مراجعة الإمام أن الولاية ثبتت لذلك المعين شرعًا ، وتجب طاعته حكمًا ، ولا يخفى أن محله ما إذا اتفق الحاضرون عليه ، قال : ويستفاد منه صحة مذهب مالك في أن المرأة إذا لم يكن لها وليّ إلا السلطان ، فتعذر إذن السلطان أن يزوجها الآحاد ، وكذا إذا غاب إمام الجمعة قدم الناس لأنفسهم .

خطب رسول الله ﷺ فقال : أخذ الرايةَ زيدُ فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب ، ثم أخذها خالد بن الوليد عن غير إمرة ، ففتح الله عليه وما يسرني – أو قال : وما يسرهم – أنهم عندنا وقال : وإن عينية لتذرفان ، ترجم عليه باب من تأمر في الحرب من غير إمره .

وخرَّجه في الجنائز(١) في الرجل ينعي إلى أهل الميت بنفسه من حديث عبد الوارث عن أيوب ، عن حُميد بن هلال ، عن أنس بن مالك – رضي الله تبارك وتعالى عنه – قال : قال النبي ﷺ: أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأُصيب ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأُصيب – وإن عيني رسول الله ﷺ لتذرفان – ثم أخذها خالد بن الوليد من غير إمره ففتح له .

وقال موسى بن عقبة : وقدم يعلي بن منبه على رسول الله ﷺ يخبر أهل مؤتة فقال رسول الله ﷺ : إن شئت فأخبرني وإن شئت أخبرتك ، قال : بل أخبرني يا رسول الله ، فأخبره رسول الله ﷺ خبرهم كله ووصف له ، فقال : والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفًا لم تذكره ، وإن أمرهم كما ذكرت ، فقال النبي ﷺ : إن الله رفع لي الأرض حتى رأيت معتركهم .

---

(١) (فتح الباري) : ٣/١٥٠ ، كتاب الجنائز ، باب (٤) الرجل ينعي إلى أهل الميت بنفسه ، حديث رقم (١٢٤٦) ، قال ابن المرابط : مراده النعي الذي هو إعلام الناس بموت قريبهم مباح، وإن كان فيه إدخال الكرب والمصائب على أهله ، لكن في تلك المفسدة مصالح جمة لما يترتب على معرفة ذلك من المبادرة لشهود جنازته وتهيئة أمره ، والصلاة عليه ، والدعاء له ، والاستغفار ، وتنفيذ وصاياه ، وما يترتب على ذلك من الأحكام .

قال ابن العربي : يؤخذ من مجموع الأحاديث ثلاث حالات :

الأولى : دعوة الأهل والأصحاب وأهل الصلاح ، فهذا سنة .

الثانية : دعوة الحفل للمفاخرة ، فهذه تكره .

الثالثة : الإعلام بنوع آخر كالنياحة ونحو ذلك فهذا يحرم .

قال الزين ابن المنير : وجه دخول قصة الأمراء في الترجمة ، أن نعيهم كان لأقاربهم وللمسلمين ، الذين هم أهلهم من جهة الدين . (فتح الباري) .

وخرَّج الحاكم[1] من حديث الحسن بن بشر حدثنا سعدان بن الوليد ، عن عطاء ، عن ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - قال : بينما النبي ﷺ جالس وأسماء بنت عميس قريبة منه إذ ردّ السلام ، ثم قال : يا أسماء هذا جعفر بن أبي طالب مع جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، سلموا علينا فردى عليهم السلام ، وقد أخبرني أنه لقى المشركين يوم كذا وكذا قبل ممره على رسول الله ﷺ بثلاث أو أربع فقال : لقيت المشركين فأصبت في جسدي في مقاديمي ثلاثًا وسبعين بين رمية وطعنة وضربة ، ثم أخذت اللواء بيدي اليمنى فقطعت ، ثم أخذت باليد اليسرى فقطعت ، فعوضني الله من يدي جناحين أطير بهماأخذت مع جبريل وميكائيل ، أنزل من الجنة حيث شئت وآكل من ثمارها ما شئت، فقالت أسماء : هنيئًا لجعفر ما رزقه الله من الخير ، ولكن أخاف أن لا يصدق الناس فأصعد المنبر فأخبر به ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أيها الناس إن جعفر مع جبريل وميكائيل ، له جناحان عوضه الله من يديه سلّم عليّ ، ثم أخبرهم كيف كان أمره حيث لقيَ المشركين ، فاستبان للناس بعد اليوم الذي أخبر رسول الله ﷺ أن جعفر لقيهم ، فلذلك سمي الطيار في الجنة .

وخرَّج البيهقي[2] من طريق أبي خليفة الفضل بن حباب الجمحي قال : حدثنا سليمان بن حرب ، عن الأسود بن شيبان ، عن خالد بن سُمير قال : قدم علينا عبد الله بن رباح الأنصاري ، وكانت الأنصار تفقهه فغشيه الناس فغشيته فيمن غشيه من الناس ، فقال : حدثنا أبو قتادة فارس رسول الله ﷺ قال : بعث رسول الله ﷺ جيش الأمراء وقال عليكم زيد بن حارثة ، فإن أصيب زيد ، فجعفر ، فإن أصيب جعفر ، فعبد الله بن رواحة ، فوثب جعفر فقال : يا رسول

---

(1) (المستدرك) : ٣/٢٣٢ ، كتاب معرفة الصحابة ، ذكر مناقب جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، حديث رقم (٤٩٣٧) ، وقد سكت عنه الحافظ الذهبيّ في (التلخيص) ، وحديث رقم (٤٩٣٧) ، وقد حذفه الحافظ الذهبي من (التلخيص) لضعفه .

(2) (دلائل البيهقي) : ٤/٣٦٧ - ٣٦٨ ، باب ما جاء في غزوة مؤته ، وما ظهر في تأمير النبي ﷺ أمراءها ، ثم في إخباره عن الوقعة قبل مجيء خبرها من آثار النبوة .

الله ! : ما كنت أرهب أن تستعمل زيدًا عليّ ، قال : امض فإنك لا تدري أي ذلك خير ، فانطلقوا فلبثوا ما شاء الله فصعد رسول الله ﷺ المنبر فأمر فنودي الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس إلى رسول الله ﷺ ، فقال : أخبركم عن جيشكم هذا ، إنهم انطلقوا فلقوا العدو فقتل زيد شهيدًا فاستغفر له ، ثم أخذ اللواء جعفر فشد على القوم حتى قتل شهيدًا شهد له بالشهادة واستغفر له ، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فأثبت قدميه حتى قتل شهيدًا فاستغفر له ، ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الأمراء وهو أَمَّرَ نفسه ، ثم قال رسول الله ﷺ : اللهم إنه سيف من سيوفك فأنت تنصره . فمن يومئذ سمى خالد : سيف الله .

وقال الواقدي في (مغازيه) [١] : حدثني محمد بن صالح ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، وحدثني عبد الجبار بن عمارة ، عن عبد الله بن أبي بكر زاد أحدهما على صاحبه في الحديث قالا : لما التقى الناس بمؤته جلس رسول الله ﷺ على المنبر وكشف له ما بينه وبين الشام ، فهو ينظر إلى معتركهم ، فقال رسول الله ﷺ : أخذ الراية زيد بن حارثة ، فجاءه الشيطان فحبب إليه الحياة وكرَّه إليه الموت وحبب إليه الدنيا ، فقال : الآن حين استحكم الإيمان في قلوب المؤمنين تحبب إليَّ الدنيا ، فمضى قدما حتى استشهد ، فصلى عليه رسول الله ﷺ وقال : استغفروا له فقد دخل الجنة وهو يسعى ، ثم أخذ الراية جعفر بن أبي طالب فجاءه الشيطان فمناه الحياه وكره إليه الموت ، ومناه الدنيا ، فقال : الآن حين استحكم الإيمان في قلوب المؤمنين تمنيني الدنيا ، ثم مضى قدما حتى استشهد . فصلى عليه رسول الله ﷺ ، ثم قال : استغفروا لأخيكم فإنه شهيد دخل الجنة . فهو يطير في الجنة بجناحين من ياقوت حيث شاء من الجنة ، ثم أخذ الراية بعده عبد الله بن رواحة فاستشهد ، ثم دخل الجنة فشق ذلك على الأنصار فقال رسول الله ﷺ : أصابته الجراح معترضًا قيل : يا رسول الله ما اعتراضه ؟ قال : لما أصابته الجراح فكل فعاتب نفسه ، فشجع فاستشهد، فدخل الجنة ، فسرى عن قومه .

---

(١) (مغازي الواقدي) : ٢/٦٧١ - ٦٧٢ .

وخرَّج الإمام أحمد[1] من طريق ابن إسحاق ، حدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن أم عيسى ، عن أم جعفر ابنة محمد بن جعفر بن أبي طالب ، عن جدتها أسماء ابنة عميس قالت : لما أصيب جعفر وأصحابه دخل على رسول الله ﷺ [وقد دبغت أربعين منيئة ، وعجنت عجيني ، وغسلت بنيّ ، ودهنتهم ، ونظفتهم] ، فقال رسول الله ﷺ : ائتيني ببني جعفر ، قالت : فأتيته بهم ، فشمّهم وذرفت عيناه ، فقلت : يا رسول الله ! بأبي أنت وأمي ما يبكيك ؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء ؟ قال : نعم ، أصيبوا هذا اليوم [قالت : فكنت أصيح ، واجتمع النساء إليّ وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله ، فقال : لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعامًا فأنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم] .

---

(١) (مسند أحمد) : ٧/٥١٣ - ٥١٤ ، حديث رقم (٢٦٥٤٦) ، من حديث أسماء بنت عميس ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه .

وأما إخبار رسول الله ﷺ عوف بن مالك الأشجعيّ بقصة الجزور المنحور في غزاة ذات السلاسل

فقال يونس بن بكير : عن ابن إسحاق ، حدثني يزيد بن أبي حبيب قال : حدثت عن عوف بن مالك الأشجعي ، قال : كنت في الغزوة التى بعث فيها رسول الله ﷺ عمرو بن العاص – رضي الله تبارك وتعالى عنه – غزوة ذات السلاسل ، فصبحت أبا بكر ، وعمر – رضي الله تبارك وتعالى عنهما – فمررت بقوم وهم على جزور قد نحروها ، وهم لا يقدرون على أن يعضوها ، وكنت امرؤًا جزارًا ، فقلت لهم : تعطوني منها عشيرًا على أن أقسمها بينكم ؟ فقالوا : نعم ، فأخذت الشفرتين ، فجزيتها مكاني وأخذت جزاءًا ، فحملته إلى أصحابي ، فأطعمنا ، وأكلنا .

فقال أبو بكر وعمر : أني لك هذا اللحم يا عوف ؟ فأخبرتهما ، فقالا : لا والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا ، ثم قاما يتقيآن ما في بطونهما منه ، فلما قفل الناس من ذلك السفر كنت أول قادم على رسول الله ﷺ ، فجئته وهو يصلي في بيته ، فقلت : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، فقال عوف بن مالك ؟ فقلت : نعم بأبي أنت وأمي ، فقال صاحب الجزور ؟ ولم يزدني على ذلك شيئاً(١) .

قال البيهقيّ(٢) : قصر بإسناده محمد بن إسحاق ، ورواه سعيد بن أبي أيوب ، وابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن ربيعة بن لقيط أخبره عن مالك قال : غزونا وعلينا عمرو بن العاص – رضي الله تبارك وتعالى عنه – وفينا عمر بن الخطاب ، وأبو عبيدة بن الجراح – رضي الله تبارك وتعالى عنهما – فأصابتنا مخمصة شديدة ، فانطلقت ألتمس المعيشة ، فالتقيت قومًا

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٤/٤٠٤ – ٤٠٥ ، باب ما جاء في الجزور التي نحرت في غزوة ذات السلاسل ، وما جرى لعوف بن مالك الأشجعيّ فيها ، وإخبار النبيّ ﷺ عوفًا بعلمه بها قبل أن يخبره عوف بن مالك – رضي الله تبارك وتعالى عنه – .

(٢) (المرجع السابق) : ٤٠٥ .

يريدون ينحرون جزورًا لهم ، فقلت : إن شئتم كفيتم نحرها ، وعملها ، واعطوني منها ، ففعلت ، فأعطوني منها شيئاً ، فصنعته ، ثم أتيت عمر بن الخطاب ، فسألني من أين هو ؟ فأخبرته ، فقال : أسمعك قد تعجلت أجرك ، وأبى أن يأكله ، فلما رأيت ذلك تركتهما ، ثم أبردوني في فتح لنا ، فقدمت على رسول الله ﷺ ، فقال : صاحب الجزور ؟ ولم يزد على ذلك .

وذكره البيهقي[1] من طريق يعقوب بن سفيان قال : حدثنا ابن عثمان ، عن عبد الله بن المبارك ، ومن طريق عمرو ، وحدثنى يعقوب بن الربيع ، حدثنا ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، فذكره .

وقال الواقدي - رحمه الله - في (مغازيه)[2] : وكان عوف بن مالك الأشجعيّ رفيقاً لأبي بكر وعمر - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - في رحلهما ، فخرج يومًا عوف في العسكر ، فمر بقوم في أيديهم جزور ، وقد عجزوا عن عملها ، وكان عوف هذا عالمًا بالجزر ، فقال : أتعطوني عليها ، وأقسمها بينكم ؟ قالوا : نعم نعطيك عشيراً منها ، فنحرها ، ثم جزأها بينهم ، وأعطوه منها جزءًا ، فأخذه ، فأتى به أصحابه ، فطبخوه ، وأكلوا منه ، فلما فرغوا قال أبو بكر وعمر - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - : من أين لك هذا اللحم ؟ فأخبرهما ، فقالا : والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا ، ثم قاما يتقيآن، فلما فعل ذلك أبو بكر، وعمر - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - فعل ذلك الجيش .

قال أبو بكر وعمر لعوف : تعجلت أجرك ، ثم أتى أبا عبيدة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فقال له : مثل ذلك .

وكان عمرو بن العاص - رضي الله تبارك وتعالى عنه - حين قفلنا احتلم فى ليلة باردة كأشد ما يكون من البرد ، فقال لأصحابه : ما ترون ؟ قد والله احتلمت وإن اغتسلت مت ، فدعا بماء ، فتوضأ ، وغسل فرجه ، وتيمم ، ثم قام، فصلى بهم ، فكان أول من بعث عوف بن مالك بريداً .

---

(١) (المرجع السابق) : ٤٠٥ .

(٢) (مغازي الواقدي) : ٢/٧٧٣ .

قال عوف : فقدمت على رسول الله ﷺ في السَّحَر ، وهو يصلى في بيته، فسلمت عليه ، فقال عوف بن مالك ؟ فقلت : عوف بن مالك يا رسول الله ، قال صاحب الجزور ؟ قلت : نعم ، فلم يزد على هذا شيئاً ، وذكر الخبر .

وأما إغاثة الله تعالى سرية بعثها رسول الله ﷺ برزق أخرجه لها من البحر وقد جهدها الجوع تكرمة له ﷺ

فخرَّج البخاريّ في كتاب الصيد والذبائح[(١)] ، وفى كتاب المغازى[(٢)] من حديث ابن جريج ، أخبرنى سفيان عن عمرو أنه سمع جابرًا يقول : غزونا جيش الخبط ، وأمَّر أبو عبيدة بن الجراح ، فجعنا جوعًا شديدًا ، فألقى البحر حوتاً ميتاً لم ير مثله يقال له : العنبر ، فأكلنا منه نصف شهر ، فأخذ أبو عبيدة عظماً من عظامه ، فمر الراكب تحته .

زاد في المغازي : أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابر يقول : فقال أبوعبيدة : كلوا ، فلما قدمنا المدينة ذكرنا ذلك للنبى ﷺ ، فقال : كلوا ، رزقاً أخرجه الله ، أطعمونا إن كان معكم ، فأتاه بعضهم ببعضه ، فأكله .

وخرَّج مسلم[(٣)] من حديث زهير قال : حدثنا أبو الزبير ، عن جابر ، ومن حديث أبي خثيمة ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : بعثنا رسول الله ﷺ ، فأمَّر علينا أبا عبيدة يتلقى عيراً لقريش ، وزودنا جراباً من تمر لم يجد لنا غيره، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة ، قال : قلت : كيف كنتم تصنعون ؟ قال:

---

(١) (فتح الباري) : ٩/٧٦٧ ، كتاب الذبائح والصيد ، باب (١٢) قول الله - تعالى - : ﴿ أحل لكم صيد البحر ﴾ ، حديث رقم (٥٤٩٣) .

(٢) (فتح الباري) : ٨/٩٧ ، كتاب المغازي ، باب (٦٦) غزوة سيف البحر ، وهم يتلقون عيرًا لقريش .

(٣) (مسلم بشرح النووي) : ١٣/٩٠ - ٩٢ ، كتاب الصيد والذبائح باب (٤) إباحة ميتات البحر ، حديث رقم (١٧) .

نمصها كما يمص الصبي ، ثم نشرب عليها من الماء ، فتكفينا يومنا إلى الليل، وكنا نضرب بعصينا الخبط ، ثم نبله بالماء ، فنأكله ، قال : وانطلقنا على ساحل البحر ، فرفع لنا ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم ، فأتيناه ، فإذا هو دابة تدعى العنبر ، قال : قال أبوعبيدة : ميتة ، ثم قال : لا ، بل نحن رسل رسول الله ﷺ ، وفى سبيل الله ، وقد اضطررتم ، فكلوا ، قال : فأقمنا عليه شهراً ونحن ثلاثمائة حتى سمنّا ، ولقد رأيتنا نغترف من وقب عينه بالقلال الدهن ، ونقتطع منه القدر كالثور ، ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً فأقعدهم في وقب عينة وأخذ ضلعاً من أضلاعه ، فأقامها ، ثم رحل أعظم بعير معنا ، فمر من تحتها ، وتزودنا من لحمه وشايق ، فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له فقال : هو رزق أخرجه الله لكم ، فهل معكم شئ من لحمه فتطعمونا ؟ قال : فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ منه فأكله .

وخرجه البخاريّ ومسلم من حديث سفيان ، عن عمرو : سمعت جابرًا يقول ، ومن حديث مالك ، عن وهب بن كيسان ، عن جابر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - .

وأما نعي رسول الله ﷺ النجاشيّ في اليوم الذي مات فيه بأرض الحبشة

فخرَّج البخاريّ[1] ومسلم ، وأبو داود ، والنسائي من حديث مالك بن أنس، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أن رسول الله ﷺ نعى للناس النجاشي في اليوم الذي مات فيه ، وخرج بهم إلى المصلى ، فصف بهم وكبر عليه أربع تكبيرات ، وقال النسائي : فصف عليه ، وكبر أربع تكبيرات ، ذكره في باب الصفوف على الجنازة ، وذكره البخاريّ في باب التكبير على الجنازة أربعاً ، وذكره أبو داود في باب الصلاة على المسلم يليه أهل الشرك في بلد آخر.

وخرَّج مسلم من حديث الليث بن سعد قال : حدثني عقيل بن خالد ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، وأبى سلمة بن عبد الرحمن أنهما حدثاه عن أبي هريرة أنه قال : نعى رسول الله ﷺ النجاشيّ صاحب الحبشة في اليوم الذي مات فيه ، فقال : استغفروا لأخيكم .

قال ابن شهاب : وحدثنى سعيد بن المسيب أن أبا هريرة حدثه أن رسول الله ﷺ صفَّ بهم بالمصلى ، فكبر عليه أربع تكبيرات .

وقال البخاريّ : أربعاً ، وأخرجاه من حديث صالح ، عن ابن شهاب ، فخرَّجه مسلم كرواية عقيل بالإسنادين جميعاً .

---

(١) (جامع الأصول) ٦/٢١٥ ، الفصل الثالث ، في صلاة الجنائز ، حديث رقم (٤٣٠٢) وقال في (هامشه) : رواه البخاريّ في الجنائز ، باب الرجل ينعي إلى الميت بنفسه ، وباب الصفوف على الجنازة ، وباب الصلاة على الجنازة بالمصلي وبالمسجد ، وباب التكبير على الجنازة أربعًا، وفي فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب موت النجاشيّ ، ومسلم في الجنائز باب في التكبير على الجنازة ، حديث رقم (٩٥١) ، والموطأ في الجنائز ، باب التكبير على الجنائز ، وأبو داود في الجنائز باب في الصلاة على المشرك يموت في بلاد الشرك ، حديث رقم (٣٢٠٤) ، والترمذيّ في الجنائز ، باب ما جاء في التكبير على الجنازة ، حديث رقم (١٠٢٢) ، والنسائي في الجنائز ، باب عدد التكبير على الجنازة .

وخرَّجه البخاريّ في هجرة الحبشة وموت النجاشيّ ، عن صالح ، عن ابن شهاب حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن ، وابن المسيب أن أبا هريرة أخبرهما أن رسول الله ﷺ نعى لهم النجاشيّ صاحب الحبشة في اليوم الذي مات فيه ، وقال : استغفروا لأخيكم ، وعن صالح ، وعن ابن شهاب حدثني سعيد بن المسيب أن أبا هريرة أخبرهم أن رسول الله ﷺ صف لهم في المصلى، فصلى عليه ، وكبر عليه أربعاً .

وخرَّج النسائي من طريق عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر ، عن الزهريّ، عن ابن المسيب وأبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : نعى رسول الله ﷺ النجاشي لأصحابه ، فذكره .

وخرَّج البيهقيّ[١] من طريق مسدد قال : حدثنا مسلم بن خالد الزنجي ، عن موسى بن عقبة ، عن أمه ، عن أم كلثوم قالت : لما تزوج النبي ﷺ أم سلمة قال : إني قد أهديت إلى النجاشي أواق من مسك ، وحلة ، وإني لا أراه إلا قد مات ، وإني لا أرى الهدية إلا سترد عليَّ ، فإن رُدَّت عليَّ أظنه قال : قسمتها بينكن أو فيكن قالت : فكان كما قال رسول الله ﷺ مات النجاشي ، وردت عليه ، أعطى كل امرأة من نسائه أوقية من ذلك المسك ، وأعطى سائره أم سلمة ، وأعطاها الحلة .

وخرَّج الإمام أحمد[٢] - رحمه الله - من حديث يزيد بن هارون ، عن مسلم بن خالد ، عن موسى بن عقبة ، عن أمه ، عن أم كلثوم بنت أبي سلمة قال : لما تزوج النبي ﷺ أم سلمة قال لها : إني قد أهديت إلى النجاشيّ حلة وأواقي من مسك ولا أرى النجاشيّ إلا قد مات ، ولا أرى هديتي إلا مردودة عليّ ، فإن ردت عليّ فهى لك ، وكان كما قال رسول الله ﷺ وردت عليه

(١) (دلائل البيهقي) : ٤١٢/٤ ، باب نعي رسول الله ﷺ النجاشيّ في اليوم الذي مات فيه بأرض الحبشة ، وذلك قبل فتح مكة .

(٢) (مسند أحمد) : ٥٥٢/٧ - ٥٥٣ ، حديث رقم (٢٦٧٣٢) ، من حديث أم كلثوم بنت عقبة أم حميد بن عبد الرحمن - رضي الله تبارك وتعالى عنه - .

هديته ، فأعطنى كل امرأة من نسائه أوقية مسك ، وأعطى أم سلمة بقية المسك والحلة .

وخرَّجه ابن حبان في (صحيحه) [1] من حديث موسى بن عقبة ، عن أمه ، عن أم كلثوم ، عن أم سلمة قالت : لما تزوجنى رسول الله ﷺ قال : إنى أهديت إلى النجاشي حُلة ، وأواقي مسك ، ولا أراه إلا قد مات ، وسترد الهدية ، فإن كان كذلك فهى لك ، قالت : فكان كما قال النبي ﷺ مات النجاشي ، وردت الهدية ، فدفع النبي ﷺ إلى كل امرأة من نسائه أوقية مسك ، ودفع الحلة وسائر المسك إلى أم سلمة .

قال البيهقي [2] قوله : ولا أراه إلا قد مات ، يريد والله أعلم قبل بلوغ الهدية إليه ، وهذا القول صدر منه قبل موته ، ثم لما مات نعاه في اليوم الذي مات فيه، وصلى عليه .

---

(١) (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان) : ١١/٥١٥ - ٥١٦ ، كتاب الهبة ، باب ذكر إباحة المُهْدى هدية نفسه بعد بعثه إلى المهدى إليه ، قبل وصول الهدية إليه ، حديث رقم (٥١١٤) . وقال في إسناده ضعيف . مسلم بن خالد : هو الزنجى سيء الحفظ ، وأم موسى بن عقبة لا تُعرف .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٤/٤١٢ .

وأما إخباره ﷺ بنصر بني كعب على بني بكر فكان كذلك وإجابة الله تعالى دعاءه في تعمية خبره عن قريش بمكة

فقال يونس بن بكير: عن ابن إسحاق قال: حدثني الزهريّ ، عن عروة بن الزبير ، عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة أنهما حدثاه جميعاً قالا : كان في صلح رسول الله ﷺ يوم الحديبية بينه وبين قريش ، أنه من شاء أن يدخل في عقد محمد ﷺ ، وعهده دخل ، ومن يشاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه ، فمكثوا في تلك الهدنة نحو السبعة أو الثمانية عشر شهراً ، ثم بنى بكر الذين كانوا دخلوا في عقد رسول الله ﷺ ، وعهده وأن عمرو بن سالم الخزاعي أحد بني كعب ركب إلى رسول الله ﷺ عندما كان من أمر خزاعة ، وبني بكر بالوتيرة(١) حتى قدم المدينة على رسول الله ﷺ يخبره الخبر ، وقد قال أبيات شعر ، فلما قدم على رسول الله ﷺ أنشده إياها فقال :

يا رب إني ناشد محمداً ... حلف أبينا وأبيه الأتلدَا
قد كنتم ولداً وكنا والدا ... ثُمتَ أسلمنا فلم ننزع يدَا
فانصر هداك الله نصرًا اعتدا ... وادْعُ عباد الله يأتوا مددَا
فيهم رسول الله قد تجردًا ... إن سِيم خسفًا وجهُه تربَّدَا
في فيلَقٍ كالبحرِ يجري مُزبدًا ... إن قُريشًا أخلفوك الموْعِدَا
ونقضوا ميثاقك الموكد ... وجعلوا لي في كداء رصدَا
وزعموا أن لَستُ أدعُو أحدَا ... وهُم أذلُّ وأقل عددَا
هم بيتوناً بالوتير هُجَّدَا ... وقتلونا رُكعًا وسُجَّدَا

فقال رسول الله ﷺ : نصرت يا عمرو بن سالم فما برح حتى مرت عنان(٢) من السماء فقال رسول الله ﷺ : إن هذه السحابة تستهل بنصر بني كعب ، وأمر رسول الله ﷺ الناس بالجهاد وكتمهم فخرجوا ، وسأل الله

---

(١) الوتيرة : الأرض الممتدة .

(٢) عنان : سحاب .

- تعالى – أن يعمي على قريش خبره حتى يتبعهم في بلادهم ، فذكر خبر فتح مكة بطوله[1] .

وقال الواقدي : فحدثني يحيى بن خالد بن دينار ، عن عبد الله بن عمير ، عن ابن عباس – رضي الله تبارك وتعالى عنه – وحدثني داود بن خالد بن دينار ، عن عبد الله بن عمير عن ابن عباس –رضي الله تبارك وتعالى عنه– وحدثني داود بن خالد ، عن المقبري ، عن أبي هريرة – رضي الله تبارك وتعالى عنه – قالا : قال رسول الله ﷺ إني لأرى السحاب تستهل بنصر بني كعب[2] . وخرج رسول الله ﷺ من المدينة فنادى مُناديه : من أحب أن يصوم فلْيصُمْ ، ومن أحب أن يُفطر فليفطر وصام ! رسول الله ﷺ .

قال : وحدثني مالك بن أنس ، عن سُمي مولى أبي بكر ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ، عن رجل رأى رسول الله ﷺ بالعَرْج يَصُبُ الماء على رأسه ووجهه من العطش .

قال : وحدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز ، عن حكيم بن حكيم ، عن أبي جعفر ، عن جابر بن عبد الله ، قال : لما كنا بالكديد بين الظهر والعصر أخذ رسول الله ﷺ إناء من ماء في يده حتى رآه المسلمون ، ثم أفطر تلك الساعة . وبلغ رسول الله ﷺ أن قومًا صاموا فقال : أولئك العُصاة ! وقال أبو سعيد الخدري : قال رسول الله ﷺ : إنكم مصبحو عدوكم ، والفطر أقوى لكم! قال ذلك بمر الظهران . فلما نزل رسول الله ﷺ العرج ، والناس لا يدرونن أين توجه رسول الله ﷺ إلى قريش ، أو إلى هوازن أو إلى ثقيف ! فهم يحبون أن يعلموا ، فجلس في أصحابه بالعرج وهو يتحدث ، فقال كعب بن مالك : آتي رسول الله ﷺ فأعلم لكم علم وجهه . فجاء كعب فبرك بين يدى رسول الله ﷺ على ركبتيه ، ثم قال :

---

(١) (سيرة ابن هشام) : ٤٨/٥ – ٤٩ ، باختلاف يسير في سياق أبيات الشعر ، وهي أقرب لما في (مغازي الواقدي) ، وصوبناها من (ابن هشام) .

(٢) (مغازي الواقدي) : ٨٠١/٢ – ٨٠٣ .

قضينـا من تهـامة كـل ريب وخيبر ثـم أجمـمنا السيوفا
نسائلـها ولو نطـقـت لقـالـت قواطعهـن دوسـًا أو ثقـيفًا
فلست لحاضر إن لم تـروها بسـاحة داركـم منـها ألوفًا
فننتـزع الخـيام ببـطـن وج ونترك دورهم منهم خلوفًا

أنشدنيها أيوب بن النعمان ، عن أبيه . قال : فتبسم رسول الله ﷺ ، ولـم يزد عللى ذلك ، فجعل الناس يقولون : والله ما بين لك رسـول اللـه شـيئًا ، مـا ندري بمن يبدى ؛ بقريش أو ثقيف أوهوازن .

قال : حدثنا هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم قال لما نزل رسول اللـه ﷺ بقديد قيل : هل لك في بِيض النساء وأدم الإبل ؟ فقال رسول الله ﷺ : أن اللـه – تعالى – حرمها عليّ بصلة الرحم ووكزهم في لبات الإبل .

قال : حدثني الزبير بن موسى ، عن أبـي الحويـرث ، عـن النبـي ﷺ أنـه قال : إن الله حرمهم عليّ ببر الوالد ووكزهم في لبات الإبل .

وأما إطلاع الله تعالى رسول الله ﷺ
على كتاب حاطب بن أبي بلتعة
إلى قريش يخبرهم بالمسير إليهم

فروى يونس بن بكير ، عن بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة قال : لما أجمع رسول الله ﷺ المسير إلى مكة كتب حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش يخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله ﷺ من المسير إليهم ، ثم أعطاه امرأة من مزينة وجعل لها جعلاً على أن تبلغه قريشاً فجعلته في رأسها ، ثم ققلت عليه فروتها وخرجت به ، فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما صنع حاطب فبعث عليّ بن أبي طالب والزبير بن العوام فقال : أدركا امرأة قد كتب معها حاطب كتاباً إلى قريش يحذرهم ما قد أجمعنا في أمرهم فذكر الحديث[1] .

وخرج البخاريّ في آخر كتاب الجهاد[2] من طريق هشيم حدثنا حصين، عن سعد بن عبيدة ، عن أبي عبد الرحمن – وكان عثمانيًا – فقال لابن عطية – وكان علويًا – إني لأعلم الذي جرَّأ صاحبك على الدماء ، سمعته يقول بعثني النبي ﷺ والزبير فقال : ائتوا روضة كذا ، تجدون بها امرأة أعطاها حاطب كتاباً فأتينا الروضة فقلنا : الكتاب ، فقالت : لم يعطني ، قلنا : لتخرجن أو لأجردنك ، فأخرجت من حجزتها ، فأرسل إلى حاطب فقال : لا تعجل والله ما كفرت ولا أزددت للإسلام إلا حباً ولم يكن أحد من أصحابك إلا وله بمكة من يدفع الله به عن أهله وماله ، ولم يكن لي أحد فأحببت أن أتخذ عندهم يدًا فصدقه النبي ﷺ فقال عمرو : دعني أضرب عنقه فإنه قد نافق ، فقال : ما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ، فهذا الذي جرأه .

---

(١) (سيرة ابن هشام) : ٥٢/٥ ، كتاب حاطب بن أبي بلتعة يحذر أهل مكة .

(٢) (فتح الباري) : ٢٣٤/٦ ، كتاب الجهاد والسير ، باب (١٩٥) ، إذا اضطر الرجل إلى النظر في شعور أهل الذمة والمؤمنات إذا عصين الله ، وتجريدهن ، حديث رقم (٣٠٨١) .

وخرَّجه أيضاً في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم ، في باب ما جاء في المتأولين من حديث أبي عوانة عن فلان قال : تنازع أبو عبد الرحمن وحبان بن عطية فقال أبو عبد الرحمن لحبان : لقد علمت ما الذي جَرَّأ صاحبك على الدماء يعنى علياً - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فقال : ما هو لا أباً لك، قال : شيء سمعته يقول ، قال : ما هو ؟ قال : بعثني رسول الله ﷺ والزبير وأبا مرثد وكلنا فارس قال : انطلقوا حتى تأتوا روضة حاج ، [قال البكري : خاخ بخاء معجمة بعد الألف ، موضع][1] ، قال أبو سلمة : قال أبو عوانة : حاج ، فإن فيها امرأة معها صحيفة من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين فأتوني بها ، فانطلقنا على أفراسنا حتى أدركناها حيث قال رسول الله ﷺ تسير على بعيرلها وقد كان كتب إلى أهل مكة بمسير رسول الله ﷺ إليهم، فقلنا أين الكتاب الذي معك ؟ فقالت : ما معي كتاب ، فأنخنا بها بعيرها فابتغينا في رحلها فما وجدنا شيئاً ، فقال صاحباي : ما نرى معها كتابًا ، قال : فقلت : لقد علمنا ماكذب رسول الله ﷺ ، ثم حلف عليّ - رضي الله تبارك وتعالى عنه - والذى يحلف به لتخرجن الكتاب وإلا لأجردنك ، فأهوت إلى حجزتها وهى محتجزة بكساء فأخرجت الصحيفة ، فأتوا بها رسول الله ﷺ ، فقال عمر : يا رسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين ، دعنى فأضرب عنقه ، فقال النبي ﷺ : ياحاطب ماحملك على ماصنعت ؟ قال : يارسول الله ما لي أن لا أكون مؤمنًا بالله ورسوله ولكني أردت أن يكون لي عند القوم يد يدفع بها عن أهلي ومالي ، وليس من أصحابك أحد إلا له هناك من قومه من يدفع الله به عن أهله وماله ، قال : صدق ، ولا تقولوا له إلا خيرًا ، قال : فعاد عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فقال : يارسول الله ، قد خان الله ورسوله والمؤمنين ، دعنى فلأضرب عنقه ، فقال : أوليس من أهل بدر ؟ وما يدريك لعل الله اطلع

(١) ما بين الحاصرتين من (الأصل) فقط .

عليهم فقال : اعملوا ما شئتم فقد أوجبت لكم الجنة ، فاغرورقت عيناه ، فقال : الله ورسوله أعلم[1] .

قال أبو عبد الله خاخ أصح ولقد قال أبو عوانة : أنه حاج وحاج تصحيف وهو موضع ، وهشيم يقول : حاج .

وخرَّجه أيضاً من حديث سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن الحسن بن محمد ، عن عبيد الله بن أبي رافع ، عن على - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ومن حديث حصين بن عبد الرحمن ، عن سعيد بن عبيدة ، عن أبي عبد الرحمن السلمى ، عن علىّ - رضي الله تبارك وتعالى عنه - وهو مما اتفقا على إخراجه .

(١) (فتح الباري) : ١٢/٣٧٥ - ٣٧٦ ، كتابه استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم ، باب (٩) ما جاء في المتأولين ، حديث رقم (٦٩٣٩) .

وأما وحى الله تعالى بما قالته الأنصار
يوم فتح مكة لرسول الله ﷺ

فخرَّج مسلم من حديث سفيان بن فروخ ، قال : حدثنا سليمان بن المغيرة قال ثابت البناني : عن عبد الله بن رباح ، عن أبي هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : وفدت وفود إلى معاوية وذلك في رمضان ، فكان يصنع بعضنا لبعض الطعام ، وكان أبو هريرة مما يكثر أن يدعونا إلى رحلة ، فقلت : إلا أضع طعامًا فأدعوهم إلى رحلي ، قال : فأمرت بطعام يصنع ، ثم لقيت أبا هريرة من العشي ، فقلت : الدعوة عندي الليلة ، فقال : سبقتني ؟ فقلت : نعم ، فدعوتهم ، فقال أبو هريرة : ألا أعلمكم بحديث من حديثكم يا معشر الأنصار ؟ ثم ذكر فتح مكة ، فقال : أقبل رسول الله ﷺ حتى قدم مكة ، فبعث الزبير على إحدى المجنبتين ، وبعث خالدًا على المجنبة الأخرى وبعث أبا عبيدة أبا عبيدة على الحسر فأخذوا بطن الوادي ورسول الله ﷺ في كتيبة قال : فنظر فرآني فقال : أبو هريرة قلت : نعم لبيك يارسول الله ، فقال : لا يأتيني إلا أنصاري .

زاد غير شيبان فقال : اهتف لي بالأنصار قال : فأطافوا به ووبشت قريش أوباشًا وأتباعًا فقالوا : نقدم هؤلاء فإن كان لهم شيء كنا معهم ، وإن أصيبوا أعطينا الذي سئلنا ، فقال رسول الله ﷺ : ترون إلى أوباش قريش وأتباعهم ، ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى ، ثم قال : حتى توافوني بالصفا ، قال : فانطلقنا فما شاء أحد منا يقتل أحد إلا قتله ، وما أحد منا يوجه إلينا شيئًا ، قال : فجاء أبو سفيان فقال يارسول الله : أبيحت خضراء قريش ، لا قريش بعد اليوم ، ثم قال : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، فقالت الأنصار بعضهم لبعض : أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته .

قال أبو هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - : وجاء الوحي وكان إذا جاء الوحي ، لا يخفى علينا ، فإذا جاء فليس أحد يرفع طرفه إلى رسول الله ﷺ حتى ينقضي الوحي فلما انقضى الوحي قال رسول الله ﷺ : يا معشر الأنصار قالوا : لبيك يارسول الله ، قال : قلتم : أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ، قالوا : قد كان ذاك قال : كلا إني عبد الله ورسوله ، هاجرت إلى الله

وإليكم ، والمحيا محياكم ، والممات مماتكم ، فأقبلوا الليلة يبكون ويقولون : والله ما قلنا الذي قلنا إلا الضن بالله ورسوله ، فقال رسول الله ﷺ : إن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم ، قال : فأقبل الناس إلى دار أبي سفيان ، وأغلق الناس أبوابهم ، قال : وأقبل رسول الله ﷺ حتى أقبل إلى الحجر فاستلمه ، ثم طاف بالبيت ، قال : فإني على صنم إلى جنب البيت كانوا يعبدونه ، وفي يد رسول الله ﷺ قوس وهو آخذ بسية القوس ، فلما أتى على الصنم جعل يطعنه في عينه ويقول : ﴿ **جاء الحق وزهق الباطل** ﴾ فلما فرغ من طوافه أتى الصفا فعلى عليه حتى نظر إلى البيت ورفع يده فجعل يحمد الله ويدعو بما شاء الله أن يدعو(١) .

قال : وحدثنيه عبد الله بن هاشم قال : عن بهز ، عن سليمان بن المغيرة بهذا الإسناد وزاد في الحديث ، ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى : أحصدوهم حصدًا ، وقال في الحديث قالوا : قلنا ذاك يارسول الله قال : فما اسمي إذًا كلا إني عبد الله ورسوله(٢) .

وخرّجه من طريق يحيى بن حسان ، قال حماد بن سلمة : قال : حدثنا ثابت ، عن عبد الله بن رباح قال : وفدنا إلى معاوية بن أبي سفيان وفينا أبو هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فكان كل رجل منا يصنع طعاماً يوماً لأصحابه فكانت نوبتي ، فقلت : يا أبا هريرة اليوم نوبتي ، فجاءوا إلى المنزل ولم يدرك طعامنا ، فقلت : يا أبا هريرة لوحدثتنا عن رسول الله ﷺ حتى يدرك طعامنا ، فقال : كنا مع رسول الله ﷺ يوم الفتح فجعل خالد بن الوليد على المجنبة اليمني ، وجعل الزبير على المجنبة اليسرى ، وجعل أبو عبيد على البياذقة وبطن الوادي ، فقال : يا أبا هريرة أدع لي الأنصار ، فدعوتهم ، فجاءوا يهرولون ، فقال يا معشر الأنصار هل ترون أوباش قريش ؟ قالوا : نعم، قال : انظروا إذا لقيتموهم غدًا أن تحصدوهم حصدًا ، وأخفى بيده ووضع يمينه

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ١٢/٣٦٨ -٣٧٢ ، كتاب الجهاد والسير ، باب فتح مكة ، حديث رقم (٨٤) .

(٢) (المرجع السابق) : حديث رقم (٨٥) .

على شماله وقال: موعدكم الصفا ، قال : فما أشرف يومئذ لهم أحدٌ إلا أناموه ، قال : وصعد رسول الله ﷺ الصفا ، وجاءت الأنصار فأطافوا بالصفا ، فجاء أبو سفيان فقال : يا رسول الله أبيدت خضراء قريش ، لا قريش بعد اليوم .

قال رسول الله ﷺ : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن ألقى السلاح فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، فقالت الأنصار : أما الرجل فقد أخذته رأفة بعشيرته ، ورغبة في قريته ، ألا فما اسمي إذًا ، ثلاث مرات ، أنا محمد عبد الله ورسوله ، هاجرت إلى الله وإليكم ، فالمحيا محياكم ، والممات مماتكم ، قالوا : والله ما قلنا إلا ضنًا بالله ورسوله ، قال : فإن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم[1] .

---

(١) (المرجع السابق) : حديث رقم (٨٦) .

وأما إخباره ﷺ بأن مكة شرفها الله تعالى لا تغزى بعد فتحه لها ، ولا تكون دار كفر فكان كذلك

فخرّج الترمذيّ(١) من حديث يحيى بن سعيد ، عن زكريا بن أبي زائدة ، عن الشعبي ، عن الحارث بن مالك بن البرصاء قال : سمعت النبي ﷺ يوم فتح مكة يقول : لا تغزى هذه بعد اليوم إلى يوم القيامة ، قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح وهو حديث زكريا بن أبي زايدة ، عن الشعبي لا نعرفه إلا من حديثه .

وقال البيهقيّ : وإنما أرادوا - والله أعلم - أنها لا تغزى بعده على كفر أهلها وكان كما قال ﷺ ، وقال الواقدي : وحدثني يزيد بن فارس ، عن عراك بن مالك ، عن الحارث بن برصاء قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا تغزى قريش بعد هذا اليوم إلى يوم القيامة يعني على كفر(٢) .

---

(١) (سنن الترمذيّ) : ٤/١٣٦ ، كتاب السير ، باب (٤٥) ما جاء ما قال النبي ﷺ يوم فتح مكة: إن هذه لا تغزى بعد اليوم ، حديث رقم (١٦١١) ، قال أبو عيسى : وفي الباب عن ابن عباس وسليمان بن صرد ، ومطيع .

قال ابن الأثير : وإنما يحتمل أنه ﷺ أراد أنها لا يغزوها كافر ، يريد البيت ، فأما المسلمون فلا ، على أن من غزاها من المسلمين في زمن يزيد وعبد الملك لم يقصدوا مكة ولا البيت ، وإنما كان قصدهم عبد الله بن الزبير ، مع تعظيمهم أمر مكة والبيت ، وإن كان جرى منهم ما جرى ففى حق البيت ، من رميه بالنار في المنجنيق ، وإحراقه ، ولأجل ذلك هدمه ابن الزبير ، وبناه بعد عود أهل الشام عن حصاره ، لما وصلهم موت يزيد .

لو كانت الرواية في الحديث على أن " لا " ناهية لكان واضحًا لا يحتاج إلى تأويل ، كما قيل في قوله ﷺ : " لا يقتل قرشيّ بعد هذا اليوم صبرًا " .

(٢) (جامع الأصول) : ٩/٢٩١ - ٢٩٢ .

وخرَّج مسلم من حديث علي بن مسهر ووكيع عن زكريا ، عن الشعبي قال : أخبرني عبد الله بن مطيع ، عن أبيه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم فتح مكة : لا يقتل قرشيّ صبرًا بعد هذا اليوم إلى يوم القيامة .

قال البيهقيّ - رحمه الله - هذا وإن كان على طريق الخير فالمراد به والله أعلم النهي وفيه أيضًا إشارة إلى إسلام أهل مكة وإنها لا تغزي بعدها أبدًا كما في حديث الحارث بن مالك بن برصاء(١) .

وقال الواقدي - رحمه الله - وحدثني عبد الله بن يزيد الهذلي ، عن أبي حصين الهذلي قال : لما قتل النفر الذين أمر رسول الله ﷺ بقتلهم سمع النوح عليهم بمكة وجاء أبو سفيان بن حرب ، فقال : فداك أبي وأمي ، البقية في قومي فقال النبي ﷺ : لا يقتل قرشي صبرًا بعد اليوم - يعني على الكفر -(٢) .

(١) راجع التعليق السابق .

(٢) (مغازي الواقدي) : ٨٦٢/٢ .

وأما تصديق الله تعالى رسوله ﷺ عثمان بن أبي طلحة أنه يأخذ مفتاح الكعبة ويضعه حيث شاء

فقال الواقدي في (مغازيه) [1] ثم نزل رسول الله ﷺ [يعني من الكعبة يوم فتح مكة [2]] ومعه المفتاح ناحية من المسجد فجلس ، وكان رسول الله ﷺ قد قبض السقاية من العباس وقبض المفتاح من عثمان ، فلما جلس قال : ادعوا لي عثمان فدعى له عثمان بن أبي طلحة ، وكان رسول الله ﷺ قال : لعثمان يومًا [بمكة] وهو يدعوه إلى الإسلام ومع عثمان المفتاح ، [فقال رسول الله ﷺ:] لعلك سترى هذا المفتاح [يومًا] بيدي أضعه حيث شئت ، فقال عثمان : لقد هلكت إذاً قريش وذلت ، فقال رسول الله ﷺ : بل عمرت وعزَّت يومئذ ، فلما دعاني [رسول الله ﷺ] بعد أخذه المفتاح ﷺ ذكرت [من] قوله ما كان قال .

فأقبلت ، فاستقبلته ﷺ ببشر ، واستقبلني [عليه الصلاة والسلام] ببشر ، ثم قال : خذوها يابني ابي طلحة تالدة خالدة لا ينزعها [منكم] إلا ظالم ، يا عثمان إن الله – تعالى – استأمنكم على بيته فكلوا بالمعروف .

قال عثمان : فلما وليت ناداني فرجعت إليه ، فقال : ألم يكن الذي قلت لك؟ قال : فذكرت قوله لي بمكة فقلت : بلى ، أشهد أنك رسول الله ، فأعطاه المفتاح ، والنبي ﷺ مضطبع[3] بثوبه وقال : أعينوه ، وقال : قم على الباب وكل بالمعروف .

(١) (المرجع السابق) : ٧٣٧ – ٧٣٨ .

(٢) ما بين الحاصرتين من (الأصل) فقط في سائر الفقرة .

(٣) في (مغازي الواقدي) : " مضطجع " ، وما أثبتناه أجود للسياق .

وأما إعلام الله تعالى رسوله ﷺ
بما قالته قريش لما سمعوا أذان بلال
رضي الله تبارك وتعالى عنه
يوم فتح مكة

فروى يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق قال : حدثني والدي إسحاق بن يسار قال : حدثني بعض آل حمير بن مطعم أن رسول الله ﷺ لما دخل مكة أمر بلالاً فَعَلا على الكعبة على ظهرها فأذن عليها بالصلاة ، فقال بعض بني سعد بن العاص : لقد أكرم الله سعدًا إذ قبضه قبل أن يرى هذا الأسود على ظهر الكعبة .

وقال يونس : عن هشام بن عروة ، عن أبيه أن رسول الله ﷺ أمر بلالاً عام الفتح فأذن على ظهر الكعبة ليغيظ به المشركين .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن أيوب قال : قال ابن مليكة أمر رسول الله ﷺ بلالاً يوم الفتح فأذن فوق الكعبة ، فقال رجل من قريش للحارث بن هشام : ألا ترى إلى هذا العبد أين صعد ؟ فقال : دعه فإن يكن الله - تعالى - يكرهه فسيغيره .

وقال الواقدي في (مغازيه) - رحمة الله عليه - وقد ذكر فتح مكة : قالوا : وجاء وقت الظهر فأمر رسول الله ﷺ بلالاً أن يؤذن الظهر فوق ظهر الكعبة يومئذ وقريش فوق رؤوس الجبال ، وقد فر وجوهم وتغيبوا خوفًا أن يقتلوا ، فمنهم من يطلب الأمان ومنهم من قد أُومِن ، فلما أذن بلال ورفع صوته كأشد ما يكون ، فلما بلغ : أشهد أن محمدًا رسول الله ، تقول جويرية بنت أبي جهل : قد لعمري رفع لك ذكرك ، أما الصلاة فسنصلي ، والله لا نحب من قتل الأحبة أبدًا ، ولقد كان جاء أبي الذي جاء محمدًا من النبوة فردها ولم يرد خلاف قومه .

وقال خالد بن أسيد : الحمد لله الذي أكرم أبي قبل أن يسمع هذا اليوم .

وقال الحارث بن هشام : واثكلاه ليتني متُّ قبل هذا اليوم قبل أن أسمع بلالاً ينهق فوق الكعبة ، فقال الحكم بن أبي العاص : هذا والله الحدث العظيم أن يصبح عبد بني جمح على بنية أبي طلحة ، وقال سهيل بن عمرو : إن كان هذا سخط فسيغيره ، وإن كان رضًا فسيقره .

وقال أبو سفيان بن حرب : أما أنا فلا أقول شيئًا ، لو قلت شيئًا لأخبرته هذه الحصباء فأتى جبريل - عليه السلام - رسول الله ﷺ فأخبره خبرهم .

وأما عفوه ﷺ عن سهيل بن عمرو يوم فتح مكة وبرّه له مع سوء أثره يوم الحديبية

فقال الواقدي[1] - رحمه الله - : فحدثني موسى بن محمد ، عن أبيه قال: قال سهيل بن عمرو : لما دخل رسول الله ﷺ مكة وظهر انقحمت[2] بيتي وأغلقت عليّ بابي وأرسلت إلى ابني عبد الله بن سهيل أن اطلب لي جوارًا من محمد ﷺ فإني لا آمن أن أقتل ، قال : وجعلت أتذكر أثري عند محمد ﷺ وأصحابه ، فليس أحد أسوأ أثرًا مني ، وإني لقيت رسول الله ﷺ يوم الحديبية بما لم يلقه أحد ، وكنت الذي كاتبته مع حضوري بدرًا وأُحدًا ، وكلما تحركت قريش كنت فيها ، فذهب عبد الله بن سهيل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! أبي تؤمنه ؟ فقال رسول الله ﷺ : نعم هو آمن بأمان الله - تعالى - فليظهر ، ثم قال رسول الله ﷺ لمن حوله : من لقى سهيل بن عمرو فلا يشد النظر إليه ، فلعمري إن سهيلاً له عقل وشرف وما مثل سهيل جهل الإسلام ، ولقد رأى ما كان يوضع فيه أنه لم يكن له بنافع ! فخرج عبد الله إلى أبيه فخبره بمقالة رسول الله ﷺ ، فقال سهيل : كان والله برًا صغيرًا وكبيرًا ، وكان سهيل

---

(١) (المرجع السابق) : ٨٤٦ - ٨٤٧ .

(٢) أي رميت بنفسي فيه .

يقبل ويدبر ، وخرج إلى حنين مع النبي ﷺ وهو على شركه ، حتى أسلم بالجعرانة .

وأما إخباره بإسلام عبد الله بن الزِّبَعْرَيّ حين نظر إليه مقبلاً

قال الواقدي في فتح مكة من (مغازيه) [(١)] : وهرب هبيرة بن أبي وهب وهو يومئذ زوج أم هانئ بنت أبي طالب ، وهو ابن الزبعري جميعًا حتى انتهيا إلى نجران فلم يأمنا من الخوف حتى دخلا حصن نجران فقيل لهما : ما وراءكما ؟ فقالا : أما قريش فقد قبلت ودخل مكة ونحن والله نرى أن محمدًا سائر إلى حصنكم هذا فجعلت بلحارث وكعب يصلحون ما رثَّ من حصنهم ، وجمعوا ماشيتهم ، فأرسل حسان بن ثابت - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أبياتًا يريد بها ابن الزبعريَّ : [أنشدتها ابن أبي الزناد] :

لا تعدمنْ رجلاً أحلك بغضه   نجران في عيش أحذَّ لئيم[(٢)]
بليت قناتك في الحروب فألقيتْ   خمانه[(٣)] خوفاء ذات وصوم[(٤)]
غضب الآله على الزبعري وابنه   وعذاب سوء في الحياة مقيم

فلما جاء ابن الزبعري شعر حسان تهيأ للخروج فقال هبيرة بن أبي وهب أين تريد يا ابن عم ؟ قال : أردت والله محمدًا ، قال : أتريد أن تتبعه قال: إي والله ، قال : يقول هبيرة : يا ليت أني كنت رافقت غيرك والله! ما ظننت أنك تتبع محمدًا أبدًا .

قال ابن الزبعري : هو ذاك ، فعلى أي شيء أقيم مع بني الحارث بن كعب ، وأترك ابن عمي وخير الناس وأبرّهم ومع قومي وداري ، فانحدر ابن

---

(١) (مغازي الواقدي) : ٨٤٧/٢ - ٨٤٨ ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه .

(٢) الأخذّ : القليل المنقطع .

(٣) خمانة : ضعيفة .

(٤) الوصوم : جمع وصم ، وهو العيب في الحسب .

الزبعري حتى جاء رسول الله ﷺ وهو جالس وأصحابه ، فلما نظر رسول الله ﷺ إليه قال : هذا ابن الزبعري ومعه وجه فيه نور الإسلام ، فلما وقف على رسول الله ﷺ قال : السلام عليكم أي رسول الله شهدت أن لا الله إلا الله ، وأنك عبده ورسوله ، والحمد لله الذي هداني للإسلام ، لقد عاديتك ، وأجلبت عليك ، وركبت الفرس والبعير ، ومشيت في عداوتك ، ثم هربت منك إلى نجران وأنا أريد ألا أقرب الإسلام أبدًا ، ثم أرادني الله منه بخير فألقاه في قلبي وحببه إليّ ، وذكرت ماكنت فيه من الضلالة ، واتباع مالا ينفع ذا عقل من حجر يُعبد ويُذبح له ، لا يدري من عبده ومن لا يعبده ، فقال رسول الله ﷺ : الحمد لله الذي هداك للإسلام ، إن الإسلام يجب ما كان قبله .

وأما صنع الله تعالى له في إلقاء محبته ﷺ في قلب هند بنت عتبة بعد مبالغتها في شدة عداوته

فقال الواقدي[1] : فحدثني ابن أبي سبرة عن موسى بن عقبة ، عن أبي حبيبة مولى الزبير ، عن عبد الله بن الزبير - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : لما كان يوم الفتح أسلمت هند بنت عتبة ، وأسلمت أم حكيم بنت الحارث بن هشام امرأة عكرمة بن أبي جهل ، وأسلمت امرأة صفوان بن أمية البغوم بنت المعذل بن كنانة ، وأسلمت فاطمة بنت الوليد بن المغيرة ، وأسلمت هند بنت منبه بن الحجاج ، وهي أم عبد الله بن عمرو بن العاص في عشر نسوة من قريش فأتين رسول الله ﷺ وهو بالأبطح فبايعنه ، فدخل عليه وعنده زوجته وابنته فاطمة ، ونساء من نساء بني عبد المطلب ، فتكلمت هند بنت عتبة فقالت: يا رسول الله الحمد لله الذي أظهر الدين الذي اختاره لنفسه لتمسني رحمتك ، يا محمد إني امرأة مؤمنة بالله مصدقة ، ثم كشفت عن نقابها فقالت : هند بنت عتبة ، فقال رسول الله ﷺ : مرحبًا بك ، فقالت : والله يا رسول الله ما كان على الأرض من أهل خباء أحب إليّ أن يذلوا من أهل خبائك ، ولقد أصبحت وما على الأرض من أهل خباء أحب إلي أن يعزوا من أهل خبائك ، فقال رسول الله ﷺ وزيادة أيضًا ، ثم قرأ رسول الله ﷺ عليهن القرآن وبايعهن فقالت هند من بينهن : يا رسول الله فما نماسحك ، فقال : إني لا أصافح النساء إن قولي لمائة امرأة مثل قولي لامرأة واحدة ، ويقال : وضع على يده ثوبًا ثم مسحن على يده يومئذ ، ويقال : كان يؤتي بقدح من ماء فيدخل يده فيه ثم يدفعه إليهن فيدخلن أيديهن فيه والقول الأول أثبت عندنا : إني لا أصافح النساء .

قال كاتبه : وقد ثبت في الصحيحين وسنن النسائي ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - أنها قالت : لا والله ما مست يده يد امرأة قط في

---

(١) (مغازي الواقدي) : ٢/٨٥٠ - ٨٥١ .

المبايعة ، ما بايعهن إلا بقوله قد بايعتكن على ذلك ، وفي لفظ : والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط غير أنه بايعهن بالكلام .

وخرَّج النسائي من طريق مالك ، عن محمد بن المنكدر ، عن أميمة بنت رفيقة قال : أتيت رسول الله ﷺ في نسوة نبايعه على الإسلام ، فقلت : يا رسول الله نبايعك على أن لا نشرك بالله شيئًا ، ولا نسرق ، ولا نزني ، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيك في معروف ، قال : فيما استطعتن وأطقتن ، فقلت : الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا نبايعك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ إني لا أصافح النساء ، إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة أو كمثل قولي لامرأة واحدة ، ترجم عليه بيعة النساء ، وذكره أيضًا في التفسير .

وقد خرَّج البخاريّ ومسلم قول هند ، فخرَّجه البخاريّ في الأحكام من حديث أبي اليمان ، حدثنا شعيب ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت: جاءت هند بنت عتبة إلى النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله ما كان على ظهر الأرض أهل خباء أحب إليّ أن يعزهم الله .

وقال البخاريّ : أن يعزوا من أهل خبائك ، فقال النبي ﷺ : وأيضًا والذي نفسي بيده ، ثم قالت : يا رسول الله إن أبا سفيان رجل ممسك ، وقال البخاري: مسيك فهل عليّ حرج أن أنفق على عياله من ماله بغير إذنه ، فقال النبي ﷺ : لا حرج عليك أن تنفقي عليهم بالمعروف ، وقال البخاريّ : فهل عليّ حرج من أن أطعم من الذي له عيالنا ؟ فقال لها : لا حرج عليك أن تطعميهم بالمعروف . ولم يقل في الحديث : فقال رسول الله ﷺ وأيضًا والذي نفسي بيده(١) .

وخرَّج البخاريّ في كتاب النذور في باب كيف كانت يمين النبي ﷺ من حديث يحيى بن بكير ، عن الليث ، عن يونس ، عن ابن شهاب قال : حدثني عروة بن الزبير ، وخرَّجه في آخر كتاب المناقب تعليقًا وقال عبدان : حدثنا يونس ، عن الزهري قال حدثني عروة .

---

(١) سبق تخريجه وشرحه .

وخرَّج مسلم من حديث يعقوب بن إبراهيم ، عن ابن أخي الزهريّ ، عن عمه قال : أخبرني عروة بن الزبير أن عائشة قالت : جاءت هند بنت عتبة بن ربيعة فقالت : يا رسول الله ما كان على ظهر الأرض أهل خباء أحب إليّ أن يذلوا من أهل خبائك ، ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل خباء أحب إليّ أن يعزوا من أهل خبائك ، فقال رسول الله ﷺ : وأيضًا ، الذي نفسي بيده قالت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل مسيك ، فهل عليّ حرج أن أطعم من الذي له عيالنا ؟ قال لها : لا ، إلا بالمعروف ، وقال البخاريّ : قال : إلا بالمعروف وقال في حديث الليث : وأيضًا والذي نفس محمد بيده ، وقال فيه : أهل خباء من أهل خبائك أو أخبائك في الموضعين .

وذكره في كتاب (النفقات) مختصرًا محذوفًا من حديث يونس ، عن ابن شهاب أخبرني عروة ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت : جاءت هند بنت عتبة فقالت : يا رسول الله إن أبا سفيان رجل مسيك فهل عليّ حرج أن أطعم من الذي له عيالنا ؟ قال : لا ، إلا بالمعروف [1] .

وخرَّجاه مختصرًا من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، وخرجه كذلك النسائي فظهر صحة حديث الواقدي .

تم بحمد الله تعالى الجزء الثالث عشر

ويليه الجزء الرابع عشر

وأوله :

وأما إخبار الرسول ﷺ أبا سفيان بن حرب

بما حدث به نفسه يوم الفتح

من عوده إلى المحاربة وبما قاله لهند

---

(١) (فتح الباري) : ٦٢٩/٩ ، كتاب النفقات ، باب (٤) نفقة المرأة إذا غاب عنها زوجها ، ونفقة الولد ، حديث رقم (٥٣٥٩) .

إمتاع الأسماع

بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع

تأليف
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي
المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

تحقيق وتعليق
محمد عبد الحميد النميسي

الجزء الرابع عشر

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد : ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

ISBN 2-7451-2208-8

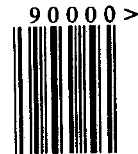

http://www.al-ilmiyah.com.lb/
e-mail : sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وأما إخبار الرسول ﷺ أبا سفيان بن حرب بما حدث به نفسه يوم الفتح من عوده إلى المحاربة وبما قاله لهند

فقال [البيهقي : وقرأت فى كتاب] محمد بن سعد عن محمد بن عبيد ، عن إسماعيل بن خالد ، عن أبي إسحاق السبيعي أن أبا سفيان بن حرب كان جالسا فقال في نفسه : لو جمعت لمحمد جمعا إنه ليحدث نفسه بذلك إذ ضرب النبي ﷺ بين كتفيه وقال : إذا يخزيك الله . قال : فرفع رأسه فإذا النبي ﷺ قائم على رأسه فقال : ما أيقنت أنك نبي حتى الساعة ، إن كنت لأحدث نفسي بذلك(١) .

وخرجه البيهقي من حديث محمد بن يوسف الفرياني قال : حدثنا يونس ابن أبي إسحاق ، عن أبي السفر ، عن ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : رأى أبو سفيان رسول الله ﷺ يمشي والناس يطؤون عقبه فقال بينه وبين نفسه : لو عاودت هذا الرجل القتال ! فجاء رسول الله ﷺ حتى ضرب بيده في صدري فقال : إذا يخزيك الله ، قال : أتوب إلى الله وأستغفر الله مما تفوهت به(٢) .

ومن حديث محمد بن إسحاق بن خزيمة ، وأبى حامد بن الشرقي قالا : حدثنا محمد بن يحيى الذهلي ، عن محمد بن موسى بن أعين يعني الجزري ، عن أبي ، عن إسحاق بن راشد ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، قال :

---

(١) (دلائل البيهقي) : ١٠٢/٥ ، باب إسلام هند بنت عتبة بن ربيعة . وفي (الأصل) : " قال محمد بن سعد في الطبقات " ، وهو خلط من النساخ ، والخبر رواه ابن سعد عن أبي إسحاق السبيعي ، والحاكم في (الإكليل) عن ابن عباس .

(٢) (دلائل البيهقي) : ١٠٢/٥ ، ثم قال : هكذا وجدته في كتابي موصولا في أبواب فتح مكة من كتاب (الإكليل) .

لما كان ليلة دخل الناس مكة ليلة الفتح لم يزالوا في تكبير وتهليل وطواف بالبيت حتى أصبحوا ، فقال أبو سفيان لهند : أترين هذا من الله ؟ ثم أصبحوا ، فغدا أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : قلت لهند : أترين هذا من الله ؟ قالت نعم هو من الله ، فقال أبو سفيان : أشهد أنك عبد الله ورسوله ، والذي يحلف به أبو سفيان ما سمع قولي هذا أحد من الناس إلا الله – عز وجل – وهند[1] .

وأما إخباره ﷺ بمجيء عكرمة بن أبي جهل مؤمنًا قبل قدومه فكان كذلك

فقال الواقدي[2] : ثم قالت أم حكيم امرأة عكرمة بن أبي جهل : يا رسول الله قد هرب عكرمة منك إلى اليمن ، وخاف أن تقتله فأمّنه ، فقال رسول الله ﷺ : هو آمنٌ ، فخرجت أم حكيم في طلُبه ومعها غلام لها رومي ، فراودها عن نفسها ، فجعلت تمنيه حتى قدمت به على حي من عك[3] ، فاستعانتهم عليه[4] ، فأوثقوه رباطًا ، وأدركت عكرمة ، وقد انتهى إلى ساحل من سواحل تهامة ، فركب البحر ، فجعل نوتيّ السفينة يقول له : أخلص ، فقال : أي شيء أقول ؟ قال : قل : لا إله إلا الله قال عكرمة : ما هربت إلا من هذا ، فجاءت أم حكيم على هذا الكلام ، فجعلت تُلحّ إليه وتقول : يا ابن عم جئتك من عند أوصل الناس ، وأبر الناس ، وخير الناس ، لا تهلك نفسك ، فوقف لها حتى أدركته ، فقالت : إني قد استأمنت لك رسول الله ﷺ قال : أنت فعلت ؟ قالت : نعم أنا كلمته فأمنك ، [قال : وكيف يؤمنني وقد صنعنا به أنا وأبي ما صنعناه؟

---

(١) (المرجع السابق) : ١٠٣ .

(٢) (مغازي الواقدي) : ٨٥١/٢ .

(٣) علك : مخلاف من مخاليف مكة التهامية .

(٤) كذا في (الأصل) ، وفي (مغازي الواقدي) : " فاستغاثتهم عليه " .

قالت : بلى إنه خير الناس][1] ، فرجع معها وقال : مـا لقيـت مـن غلامـك الرومي ؟ فخبرته خبره ، فقتله عكرمة وهو يومئذ لم يسلم ، فلما دنا من مكـة ، قال رسول الله ﷺ لأصحابه : يأتيكم عكرمة بن أبي جهل مؤمنا مـهاجرًا فـلا تسبوا أباه ، فإن سب الميت يؤذي الحيّ ولا يبلغ الميت ، قال : وجعل عكرمـة يطلب امرأته يجامعها فتأبى عليه ، وتقول : إنك كافر وأنا مسلمة ، فيقـول : إن أمرًا منعك مني لأمر كبير ، فلما رأى رسول الله ﷺ عكرمة وثب إليه - ومـا على النبي ﷺ رداء - فرحًا بعكرمة ، ثم جلس رسول الله ﷺ فوقف بين يديـه ومعه امرأته منتقبة ، فقال : يا محمد إن هذه أخبرتني أنـك أمنتنـي ، فقـال : صَدَقَتْ ، فأنت آمن ، فقال عكرمة : فإلى ما تدع يا محمد ؟ قال : أدعوك إلـى أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، وأن تقيم الصلاة ، وتؤتي الزكـاة ، وتفعل وتفعل حتى عدَّ خصال الإيمان[2] ، فقال عكرمة : والله ما دعوت إلا إلى الحق وإلى أمرٍ حسنٍ جميلٍ ، قد كنت فينا والله قبل أن تدعو إلى ما دعوت إليـه وأنت أصدقنا حديثًا ، وأبرّنا برا ، ثم قال عكرمة : فأني أشـهد أن لا إلـه إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله[3] ، فسر بذلك رسول الله ﷺ ، ثم قال : يا رسـول الله علمني خير شيء أقوله ، قال : خير شيء تقوله : أشهد مـن حضـر أنـي مسلم مهاجر ، فقال عكرمة: ذلك ثم ماذا ؟ قال رسول الله ﷺ : تقول أشـهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد من حضر أني مسلم مهاجر ، فقال عكرمة ذلـك ، فقـال رسول الله ﷺ : لا تسألني اليوم شيئًا أعطيه أحدًا إلا أعطيتكه ، قال عكرمـة : فإني أسألك أن تستغفر لي كل عداوة عاديتكها أو مسير أوضعت فيـه أو مقـام لقيتك فيه ، أو كلام قلته في وجهك ، أو وأنت غائب عنه ، فقـال رسـول الله ﷺ : اللهم اغفر له كل عداوة عادانيها ، وكل مسير سار فيه إلى موضع يريـد بذلك المسير إطفاء نورك ، فاغفر له وما نال مني من عرضٍ في وجـهي ، أو وأنا غائب عنه ، فقال عكرمة: رضيت يا رسول الله ، ثم قال عكرمـة : أمـا

---

(١) ما بين الحاصرتين في (الأصل) فقط ، وليس في (مغازي الواقدي) .

(٢) كذا في (الأصل) ، وفي (المغازي) : خصال الإسلام .

(٣) كذا في (الأصل) ، وفي (المغازي) : ٨٥٢/٢ .

والله يا رسول الله لا أدع نفقة كنت أنفقها في صدّ عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفها في سبيل الله ، ولا قتالاً كنت أقاتل في صدّ عن سبيل الله إلا أبليت ضعفه في سبيل الله ، ثم اجتهد في القتال حتى قتل شهيدًا ، فردّ رسول الله ﷺ امرأته بذلك النكاح الأول .

وأما تيقن صفوان بن أمية
نبوة رسول الله ﷺ

فقال الواقدي في ذكر فتح مكة[1] : وأما صفوان بن أمية فهرب حتى أتى الشعيبة[2] وجعل يقول لغلامه يسار وليس معه غيره : ويحك ! أنظر من ترى ؟ قال : هذا عمير بن وهب ، قال صفوان : ما أصنع بعمير ؟ والله ما جاء إلا يريد قتلي ، قد ظاهر محمدًا عليّ فلحقه ، فقال : يا عمير ، ما كفاك ما صنعت بي ؟ حملتني دينك وعيالك ، ثم جئت تريد قتلي ! فقال أبو وهب : جعلت فداءك جئتك من عند أبر الناس وأوصل الناس ، وقد كان عمير قال لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ، سيد قومي خرج هاربًا ليقذف نفسه في البحر ، وخاف ألا تؤمنه فأمنه ، فداك أبي وأمي ! فقال رسول الله ﷺ : قد أمنته .

فخرج في أثره فقال : إن رسول الله ﷺ قد أمنك ، فقال صفوان : لا والله لا أرجع معك حتى تأتيني بعلامة أعرفها ، فرجع إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله جئت صفوان هاربًا يريد أن يقتل نفسه فأخبرته بما أمنته ، فقال : لا أرجع حتى تأتيني بعلامة أعرفها ، فقال رسول الله ﷺ : خذ عمامتي ، قال : فرجع عمير إليه بها ، وهو البُرْد الذي دخل فيه رسول الله ﷺ يومئذ معتجرًا[3]

---

(١) (مغازي الواقدي) : ٨٥٣/٢ - ٨٥٥ .

(٢) الشعيبة : مرفأ السفن من ساحل بحر الحجاز ، وهو كان مرفأ مكة ومرسى سفنها قبل جدة .

(٣) الاعتجار بالعمامة : هو أن يلفها على رأسه ، ويرد طرفها على وجهه ، ولا يعمل منها شيئًا تحت ذقنه .

به ، برد حبرة[1] ، فخرج عمير في طلبه الثانية حتى جاءه بالبرد ، فقال : أبا وهب ، جئتك من عند خير الناس ، وأوصل الناس ، وأبرّ الناس ، وأحلم الناس ، مجده مجدك ، وعزه عزك ، وملكه ملكك ، ابن أمك وأبيك ، أذكرك الله في نفسك ، قال له : أخاف أن أقتل ، قال : قد دعاك إلى أن تدخل في الإسلام ، فإن رضيت وإلا سيَّرك شهرين ؛ فهو أوفى الناس وأبرهم ، وقد بعث إليك ببرده الذي دخل به معتجرًا ، تعرفه ؟ قال : نعم ، فأخرجه ، فقال : نعم هو هو ! حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يصلي بالمسلمين العصر بالمسجد ، فوقفا ، فقال صفوان : كم تصلون في اليوم والليلة ؟ قال : خمس صلوات ، قال : يصلي بهم محمد ؟ قال : نعم ، فلما سلم صاح صفوان : يا محمد ! إن عمير بن وهب جاءني ببردك وزعم أنك دعوتني إلى القدوم عليك ، فإن رضيت أمرًا وإلا سيرتني شهرين ، قال : انزل أبا وهب .

قال : لا والله حتى يتبين لي ، قال : بل تسير أربعة أشهر ، فنزل صفوان ، وخرج رسول الله قبل هوازن ، وخرج معه صفوان وهو كافر ، وأرسل إليه يستعيره سلاحه ، فأعاره سلاحه ؛ مائة درع بأداتها، فقال صفوان : طوعًا أو كرهًا ؟ قال رسول الله ﷺ : [بل] عارية مؤداه ، فأعاره ، فأمره رسول الله ﷺ فحملها إلى حنين ، فشهد حنينا والطائف ، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى الجعِرّانة ، فبينا رسول الله ﷺ يسير في الغنائم ينظر إليها ، ومعه صفوان بن أمية ، فجعل صفوان ينظر إلى شعب ملي نعمًا ، وشاء ، ورعاء ، فأدام إليه النظر ورسول الله ﷺ يرمقه ، فقال : أبا وهب يعجبك هذا الشعب ؟ قال : نعم ، قال : هو لك وما فيه ، فقال صفوان عند ذلك : ما طابت نفس أحد بمثل هذا إلا نفس نبي ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا عبده ورسوله ، وأسلم مكانه[2].

---

(١) الحبرة : ضرب من ثياب اليمن .

(٢) (مغازي الواقدي) : ٢/٨٥٥ .

قال الواقدي[1] : فحدثني عبد الحميد بن جعفر ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن عطاء بن أبي رباح ، قال : أسلم أبو سفيان بن حرب ، وحكيم بن حزام ، ومخرمة بن نوفل قبل نسائهم ، ثم قدموا على نسائهم في العدة ، فردهن رسول الله ﷺ بذلك النكاح ، وأسلمت امرأة صفوان وامرأة عكرمة قبل زوجيهما ، ثم أسلما ، فردّ رسول الله ﷺ نساءهم عليهم ، وذلك أن إسلامهم كان في عدتهم .

وخرَّج الإمام أحمد من حديث يزيد بن هارون ، عن شريك ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن أمية بن صفوان بن أمية ، عن أبيه : أن رسول الله ﷺ استعار منه يوم حنين أدراعًا ، فقال : اغصبًا يا محمد ؟ فقال : بل عارية مضمونة ، فضاع بعضها ، فعرض عليه رسول الله ﷺ أن يضمنها له ، فقال : أنا اليوم يا رسول الله في الإسلام أرغب[2] .

وخرَّج الترمذي من حديث يحيى بن آدم ، عن ابن المبارك ، عن يونس ابن يزيد ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن صفوان بن أمية[3] : أعطاني رسول الله ﷺ يوم حنين وإنه لأبغض الخلق إليّ ، فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الخلق إليّ .

قال أبو عيسى : حديث صفوان ، رواه معمر وغيره ، عن الزهريّ ، عن سعيد بن المسيب أن صفوان بن أمية قال : أعطاني رسول الله ﷺ ، وكأن هذا الحديث أصح وأشبه ، وإنما هو " سعيد بن المسيب عن صفوان " [4] .

---

(١) (المرجع السابق) .

(٢) (مسند أحمد) : ٦١٧/٧ - ٦١٩ ، حديث رقم (٢٧٠٨٩) ، من حديث صفوان بن أمية - رضي الله تبارك وتعالى عنه - .

(٣) هو صفوان بن أمية بن خلف بن حذافة بن جمح القرشيّ الجمحيّ أمه أيضًا جمحية ، من ولد جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب ، يكنى أبا وهب ، وقيل أبا أمية ، وهما كنيتان له مشهورتان . (الإستيعاب) : ٧١٨/٢ ، ترجمة رقم (١٢١٤) .

(٤) (سنن الترمذي) ٥٣/٣ ، كتاب الزكاة ، باب (٣٠) ما جاء في إعطاء المؤلفة قلوبهم حديث رقم (٦٦٦) ثم قال : وقد اختلف أهل في إعطاء المؤلفة قلوبهم ؛ فرأى أكثر أهل العلم أن لا يعطوا ، وقالوا : إنما كانوا قومًا على عهد النبي ، كان يتألفهم على الإسلام حتى أسلموا ، ولم=

وخرجه الإمام أحمد من حديث زكريا بن عدي ، عن ابن المبارك ، عن يونس ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن صفوان بن أمية قال : أعطاني رسول الله ﷺ يوم حنين ، وإنه لأبغض الناس إليّ ، فما زال يعطيني حتى صار وإنه لأحب الناس إليّ [1].

= يروا أن يُعطوا اليوم من الزكاة على مثل هذا المعنى ، وهو قول سفيان الثوري وأهل الكوفة وغيرهم ، وبه يقول أحمد وإسحاق .

وقال بعضهم : من كان اليوم على مثل حال هؤلاء ورأى الإمام أن يتألفهم على الإسلام فأعطاهم ، جاز ذلك ، وهو قول الشافعي . (المرجع السابق) : ٥٤ .

(١) (مسند أحمد) : ٤٠١/٤ ، حديث رقم (١٤٨٨٠) من حديث صفوان بن أمية العجمي - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ، ٦٢٠/٧ ، حديث رقم (٢٧٠٩٠) من حديث صفوان ابن أمية - رضي الله تبارك وتعالى عنه - .

وخرجه الإمام مسلم في كتاب الفضائل ، باب (١٤) ما سئل رسول الله ﷺ شيئًا قط فقال : لا، وكثرة عطائه ، حديث رقم (٥٩) .

وأما إنجاز الله تعالى وعده لرسوله ﷺ بدخول الناس في دين الله أفواجًا بعد فتح مكة

فخرَّج البخاريّ في غزوة الفتح[1] من حديث حماد بن زيد ، عن أيوب عن أبي قلابة ، عن عمرو بن سلمة قال : قال لي أبو قلابة : ألا تلقاه فتسأله ؟ قال : فلقيته فسألته ، فقال : كنا بما ممر الناس ، وكان يمر بنا الركبان فنسألهم ما للناس ؟ ما للناس ؟ ما هذا الرجل ؟ فيقولون : يزعم أن الله أرسله ، أوحى إليه ، أو أوحى الله بكذا فكنت أحفظ ذلك الكلام ، فكأنما يقرّ في صدري ، وكانت العرب تلوم بإسلامهم الفتح ، فيقولون : اتركوه وقومه ، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق .

فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كل قوم بإسلامهم وبدر أبي قومي بإسلامهم فلما قدم قال : جئتكم والله من عند النبي ﷺ حقًا ، فقال : صلوا صلاة كذا في حين كذا، وصلوا صلاة كذا في حين كذا ، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم ، وليؤمكم أكثركم قرآنًا ، فنظروا ، فلم يكن أحد أكثر قرآنًا مني لما كنت أتلقى من الركبان ، فقدَّموني بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين ، وكانت عليّ بردة كنت إذا سجدت تقلصت عني ، فقالت امرأة من الحي : ألا تغطوا

---

(١) (فتح الباري) : ٨/٢٧ ، كتاب المغازي ، باب (٥٤) بدون ترجمة ، حديث رقم (٤٣٠٢) ، وفي الحديث حجة للشافعية في إمامة الصبي المميز في الفريضة ، وهي خلافية مشهورة ، ولم ينصف من قال : إنهم فعلوا ذلك باجتهادهم ولم يطلع النبي ﷺ على اجتهادهم لأنها شهادة نفي ، ولأن زمن الوحي لا يقع التقرير فيه على ما لا يجوز ، كما استدل أبو سعيد وجابر لجواز العزل بكونهم فعلوه على عهد النبي ﷺ ، ولو كان منهيًا عنه لنهى عنه في القرآن ، وكذا من استدل به بأن ستر العورة في الصلاة ليس شرطًا لصحتها ، بل هو سنة ، ويجزى بدون ذلك ، لأنها واقعة حال ، فيحتمل أن يكون ذلك بعد علمهم بالحكم . (فتح الباري) .

عنا است قارئكم ؟ فاشتروا فقطعوا لي قميصًا ، فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص . وخرَّجه أبو داود[1] وسياقة البخاريّ أتم .

وأما تصديق الله تعالى رسوله ﷺ بأن العزى قد يئست أن تُعبد بأرض العرب فلم تعبد بعد مقدمه ﷺ بحمد الله تبارك وتعالى

فقال الواقدي[2] : حدثني عبد الله بن يزيد ، عن سعيد بن عمرو الهذلي قال : قدم رسول الله ﷺ مكة يوم الجمعة لعشر ليال بقين من رمضان ، فبث السرايا في كل وجه ، وأمرهم أن يغيروا على من لم يكن على الإسلام ، فخرج هشام بن العاص في مائتين ، قبل يلملم[3] ، وخرج خالد بن سعيد بن العاص في ثلاثمائة قبل عرنة ، وبعث خالد بن الوليد في ثلاثين فارسًا من أصحابه [إلى

---

(١) (سنن أبي داود) : ١/٣٩٣ - ٣٩٤ ، كتاب الصلاة ، باب (٦١) من أحق بالإمامة ، حديث رقم (٥٨٥) ، وقد اختلف الناس في إمامة الصبي غير البالغ إذا عقل الصلاة ، فمن أجاز ذلك : الحسن وإسحاق بن راهويه ، وقال الشافعي : يؤم الصبي غير المحتلم إذا عقل الصلاة إلا في الجمعة ، وكَره الصلاة خلف الغلام قبل أن يحتلم : عطاء والشعبيّ ومالك والثوريّ والأوزاعيّ، وعليه ذهب أصحاب الرأي وكان أحمد بن حنبل يضعف أمر عمرو بن سلمة .

وقال مرة : دعه ليس بشيء بيّن ، وقال الزهريّ : إذا اضطروا إليه أمهم قال الخطابي : وفي جواز صلاة عمرو بن سلمة لقومه دليل على جواز صلاة المفترض خلف المتنفل ، لأن صلاة النبي نافلة . (معالم السنن) .

وأخرجه النسائي في الإمامة ، باب (١١) إمامة الغلام قبل أن يحتلم ، حديث رقم (٧٨٨) ، قال الإمام السندي في (حاشيته على سنن النسائي) : وفيه دليل على إمامة الصبيّ للمكلفين، ومن لا يقول به يحمل الحديث على أنه كان بلا علم من النبي ﷺ ، فلا حجة فيه ، والله - تعالى - أعلم .

(٢) (مغازي الواقدي) : ٣/٧٨٣ - ٧٨٤ ، شأن هدم العزى .

(٣) يلملم : موضع على ليلتين من مكة ، وقيل : هو جبل من الطائف على ليلتين .

العزى] انتهى إليها فهدمها ، ثم رجع إلى النبي ﷺ فقال : هدمت العُزى ؟ قال : نعم يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : هل رأيت شيئًا ؟ قال : لا ، قال : فإنك لم تهدمها ، فارجع إليها فاهدمها ، فرجع خالد وهو متغيظ ، فلما انتهى إليها جرد سيفه ، فخرجت امرأة سوداء عريانة ناشرة الرأس ، فجعل السادن يصيح بها ، قال خالد : وأخذني اقشعرار في ظهري ، فجعل يصيح :

أيا عُزَّ شدى شدة لا تكذبي ... على خالد ألقى القناع وشمِّري

أيا عُزَّ إن لم تقتلي المرء خالدًا ... فبوئي بذنب عاجل أو تنصري

يا عزّ كفرانك لا سبحانك ... إني وجدت الله قد أهانك

قال : وأقبل خالد بالسيف وهو يقول :

كفرانك لا سبحانك ... إني وجدت الله قد اهانك

فضربها بالسيف فجزلها باثنتين ، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ ، فأخبره ، فقال ﷺ : نعم تلك العُزّى وقد يئست أن تعبد ببلادكم أبدًا، ثم قال خالد : أي رسول الله ، الحمد لله الذي أكرمنا بك وأنقذنا من الهلكة ، ولقد كنت أرى أبي يأتي العُزى بحترة[1] مائة من الإبل والغنم ، فيذبحها للعُزى ويقيم عندها ثلاثًا ، ثم ينصرف إلينا مسرورًا ، فنظرت إلى ما مات عليه أبي ، ذلك الرأي الذي كان يعاش في فضله ، كيف خدع حتى صار يذبح لحجر لا يسمع ولا يبصر ، ولا يضر ولا ينفع ؟ فقال رسول الله ﷺ : إن هذا الأمر إلى الله فمن يسره للهدى تيسَّر ومن يسره للضلالة كان فيها .

وكان هدمها لخمس ليال بقين من رمضان سنة ثمان ، وكان سادنها أفلح ابن النضر الشيباني من بني سليم ، فلما حضرته الوفاة دخل عليه وهو حزين ، فقال له أبو لهب : مالي أراك حزينًا ؟ قال : أخاف أن تضيع العزى من بعدي ، قال له أبو لهب : لا تحزن ، فأنا أقوم عليها بعدك ، فجعل كل من لقى قال : إن تظهر العُزى كنت قد اتخذت يدًا عندها بقيامي عليها ، وإن يظهر محمد على العُزى – ولا أراه يظهر – يا ابن أخي ، فأنزل الله – تعالى - : ﴿ تبت يدا أبي لهب ﴾ ويقال : إنه قال هذا في اللات .

---

(١) الحترة بسكر الحاء : العطية اليسيرة .

وخرَّجَ البيهقيّ[1] من طريق أحمد بن عليّ بن المثنى ، قال : حدثنا أبو كريب ، عن محمد بن فضيل ، عن الوليد بن جميع ، عن أبي الطفيل قال : لما فتح رسول الله ﷺ مكة ، بعث خالد بن الوليد إلى نخلة وكانت بها العُزى ، فأتاها خالد بن الوليد ، وكانت على ثلاث سمرات ، فقطع السمرات[2] ، وهدم البيت الذي كان عليها ، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره ، فقال : ارجع فإنك لم تصنع شيئًا ، فرجع خالد فلما نظرت إليه السدنة وهم حجابها ، امعنوا في الجبل وهم يقولون : يا عُزى خبليه[3] ، يا عُزى عوريه ، وإلا فموتي برغم ، قال : فأتاها خالد فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحثو التراب على رأسها فعممها بالسيف حتى قتلها ، ثم رجع إلى النبي ﷺ فأخبره فقال : تلك العُزى .

وخرَّجَ البيهقيّ[4] من حديث مؤمل بن إسماعيل ، عن سفيان الثوري ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون ، ولكنه في التحريش بينهم .

ومن حديث وكيع[5]عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن التحريش[6] .

---

(١) (دلائل البيهقيّ) : ٥/٧٧ ، باب ما جاء في بعثة خالد بن الوليد إلى نخلة كانت بها العزى ، وما ظهر في ذلك من الآثار .

(٢) السمرات : الشجرات .

(٣) من الخبال ، وهو النقصان والهلاك .

(٤) (المرجع السابق) : ٦/٣٦٣ ، باب ما جاء في إخباره ﷺ بأن المسلمين لا يعبدون الشيطان في جزيرة العرب ، يريد أصحابه فمن بعدهم فكان كما قال : ثم كان كما أخبر به من التحريش بينهم في آخر أيامه .

(٥) (المرجع السابق) .

(٦) أي أنه يسعى بينهم في الخصومات والشحناء والحروب والفتن وغيرها ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب المنافقين ، باب (١٦) تحريش الشيطان وبعث سراياه لفتنة الناس ، حديث رقم (٦٥) .

وأما كفاية الله تعالى أمر الذي أراد قتله قريب أوطاس

فقال الواقدي[1] : حدثني ابن أبي حبيبة ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : كانت ذات أنواط شجرة عظيمة ، أهل الجاهلية يذبحون لها[2] ويعكفون عليها يومًا ، وكان من حج منهم وضع رادءه عندها ، ويدخل بغير رداء تعظيمًا لها ، فلما سار رسول الله ﷺ إلى حنين ، قال له رهط من أصحابه فيهم الحارث بن مالك : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط ، كما لهم ذات أنواط ، فكبر رسول الله ﷺ ثلاثًا ، وقال : هكذا فعل قوم موسى بموسى .

قال : قال أبو بُردة بن نيار : لما كنا دوين أوطاس نزلنا تحت شجرة ، ونظرنا إلى شجرة عظيمة ، فنزل رسول الله ﷺ تحتها ، وعلق بها سيفه وقوسه ، قال : وكنت من أقرب أصحابه إليه ، قال : فما أفزعني إلا صوته : يا أبا بردة ! فقلت : لبيك ، وأقبلت سريعًا ، فإذا رسول الله ﷺ جالس وعنده رجل جالس ، فقال رسول الله ﷺ : إن هذا الرجل جاء وأنا نائم ، فسل سيفي ، ثم قام به علىّ رأسي ، ففزعتِ منه وهو يقول : يا محمد من يمنعك مني اليوم ؟ قلت : الله ، قال أبو بـُردة : فوثبت إلى سيفي فسللته ، فقال رسول الله ﷺ : شمّ سيفك ، قال : قلت يا رسول الله ، دعني أضرب عنق عدو الله ، فإن هذا من عيون المشركين ، فقال لي : اسكت يا أبا بُردة ، قال : فما قال له رسول الله ﷺ شيئًا ، ولا عاقبه ، قال : فجعلت أصيح به في العسكر ليشهده الناس فيقتله قاتل بغير أمر رسول الله ، فأما أنا فإن رسول الله ﷺ قد كفني عن قتله ، فجعل رسول الله ﷺ الله عن الرجل يا أبا بُردة ! قال : فرجعت إلى

---

(١) (مغازي الواقدي) : ٣/٨٩١ - ٨٩٢ ، غزوة حنين ، باختلاف يسير في اللفظ .

(٢) كذا في (الأصل) ، (وفى المغازي) : " بها " .

رسول الله ﷺ فقال : يا أبا بُردة إن الله مانعي وحافظي حتى يظهر دينه على الدين كله[1] ، وقد تقدم وقوع مثل هذا في مرتين :

إحداهما : من دعثور في غزوة ذي أمر .

والأخرى : من ابن غورث في ذات الرقاع .

وأما كفاية الله تعالى له كيد شيبة بن عثمان بن أبي طلحة يوم حنين وهدايته إلى الإسلام بدعائه وإخباره ﷺ شيبة بما هم به

فقال ابن إسحاق[2] : وقال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة ، أخو بني عبد الدار: قلت : اليوم أدرك ثأري ، وكان أبوه قتل يوم أحد ، اليوم أقتل محمدًا ، قال : فأدرت برسول الله ﷺ لأقتله ، فأقبل شيء حتى تغشي فؤادي ، فلم أطق ذاك فعرفت أنه ممنوع [مني] .

وقال الواقدي[3] : وكان شيبة بن عثمان بن أبي طلحة قد تعاهد هو وصفوان بن أمية حين وجه رسول الله ﷺ إلى حنين ، وكان أمية بن خلف قُتِل يوم بدر ، وكان عثمان بن أبي طلحة قتل يوم أحدٍ ، فكانا تعاهدا إن رأيا على رسول الله ﷺ دائرة أن يكونا عليه وهما خلفه ، قال شيبة : فأدخل الله الإيمان قلوبنا ، قال شيبة : لقد هممت بقتله ، فأقبل شيء حتى تغشي فؤادي فلم أطق ذلك ، وعلمتِ أنه قد منع مني . وقال : قد غشيتني ظلمة حتى لا أبصر ، فعرفت أنه ممتنع مني ، وأيقنت بالإسلام .

---

(١) إلى هنا آخر رواية الواقدي .

(٢) (سيرة ابن هشام) : ١١٢/٥ ، شيبة بن طلحة يحاول قتل الرسول ﷺ ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه .

(٣) (مغازي الواقدي) : ٩٠٩/٣ - ٩١٠ ، غزوة حنين .

وقال الواقدي[1] : وقد سمعت في قصة شيبة وجهًا آخر ؛ كان شيبة بن عثمان يقول : لما رأيت النبي ﷺ غزا مكة فظفر بها ، وخرج إلى هوازن ، قلت : أخرج لعلي أدرك ثأرى ، وذكرت قتل أبي يوم أحد ، قتله حمزة ، وعمي قتله عليّ ، قال : فلما انهزم أصحابه جئته عن يمينه ، فإذا العباس قائم عليه درع بيضاء كالفضة ينكشف عنها العجاج[2] ، فقلت : عمه لن يخذله ! فجئته عن يساره ، فإذا بأبي سفيان ابن عمه ، فقلت : ابن عمه ان يخذله ! فجئته من خلفه ، فلم يبق إلا أن أسوره بالسيف إذ رفع لي فيما بيني وبينه شواظ[3] من نار كأنه برق ، وخفت أن يمحشني[4] ، ووضعت يدي على بصري ، ومشيت القهقري والتفت إليّ وقال : يا شيب يا شيب ، أدن مني ، فوضع يده على صدري وقال: اللهم أذهب عنه الشيطان ، قال : فرفعت إليه رأسي ، وهو أحب إليّ من سمعي ، وبصري ، وقلبي ، ثم قال : يا شيب ، قاتل الكفار ! قال : فتقدمت بين يديه أحب والله أن أقيه بنفسي وبكل شيء ، فلما انهزمت هوازن ، رجع إلى منزله ، ودخلت عليه فقال : الحمد لله الذي أراد بك خيرًا مما أردت ، ثم حدثني بما هممت به .

وخرَّج الإمام أبو بكر البيهقي[5] هذه القصة من طريق الوليد بن مسلم قال : حدثني عبد الله بن المبارك ، عن أبي بكر الهذلي ، عن عكرمة مولي ابن عباس ، عن شيبة بن عثمان ، قال : لما رأيت رسول الله ﷺ يوم حنين قد عَرِىَ ، ذكرت أبي وعمي ، وقتل علي وحمزة إياهما ، فقلت : اليوم أدرك ثأري من محمد ، قال : فذهبت لأجيئه عن يمينه ، فإذا أنا بالعباس بن عبد المطلب قائم عليه درع بيضاء ، كأنها فضة يكشف عنها العجاج ، فقلت : عمه

---

(١) (المرجع السابق) .

(٢) العجاج : الغبار .

(٣) الشواظ : اللهب الذي لا دخان له .

(٤) يمحشني : يحرقني .

(٥) (دلائل البيهقي) : ١٤٥/٥ ، باب رمي النبي ﷺ وجوه الكفار ، والرعب الذي ألقى في قلوبهم، ونزول الملائكة وما ظهر في كل واحد من هذه الأنواع من آثار النبوة .

ولن يخذله ، قال : ثم جئته عن يساره ، فإذا أنا بأبي سفـيان بن الحـارث بـن عبد المطلب ، فقلت : ابن عمه ولن يخذله ، قال : ثم جئت من خلفه فلم يبـق إلا أن أسوره سورة بالسيف إذ رفع لي شواظ من نار بيني وبينه كأنه برق فخفـت تمحشني ، فوضعت يدي على بصري ، ومشيت القهقري ، والتفت رسـول الله ﷺ وقال : يا شيب ، ياشيب ادن مني ، اللهم أذهب عنـه الشـيطان ، قـال : فرفعت إليه بصري ولهو أحب إليّ من سمعي ، وبصري وقال : يا شيب قـاتل الكفار .

وخرّج من طريق محمد بن يعقوب قال : حدثنا العباس بن محمد ، عـن محمد بن بكير الحضرمي ، عن أيوب بن جابر عن صدقة بـن سـعيد ، عـن مصعب بن شيبة ، عن أبيه قال : خرجت مع رسول الله ﷺ يوم حنيـن ، والله ما أخرجني إسلام ولا معرفة به ، ولكن أيقنت أن تظهر هوازن على قريـش ، فقلت وأنا واقف معه : يا رسول الله إني أرى خيلا بلقا ، قال : يا شيبة إنـه لا يراها إلا كافر ، فضرب بيده على صدري ، ثم قال : اللهم اهـد شـيبة ، ثـم ضربها الثانية ، ثم قال : اللهم اهد شيبة ، ثم ضربها الثالثة ، فقال : اللهم اهـد شيبة ، فوالله ما رفع يده عن صدري في الثالثة حتى ما كان أحد من خلـق الله أحب إليّ منه ، وذكر الحديث[1] [في التقاء الناس وانهزام المسـلمين ، ونـداء العباس ، واستنصار النبي ﷺ حتى هزم الله المشركين] [2] .

---

(١) (المرجع السابق) : ١٤٦ .

(٢) زيادة للسياق من (المرجع السابق) .

وأما إعلام الله - تعالى - رسوله ﷺ بما قاله عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر لأهل الحصن بالطائف

فخرج البيهقي[١] من طريق ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة ، قال : وأقبل عيينة بن بدر حتى جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : ائذن لي أن أكلمهم لعلّ الله أن يهديهم ، فأذن له ، فانطلق حتى دخل عليهم الحصن ، فقال : بأبي أنتم تمسكوا بمكانكم ، والله لنحن أذل من العبيد ، وأقسم بالله لئن حدث به حدث ، لتملكن العرب عزّا ومنعة ، فتمسكوا بحصنكم ، وإياكم أن تعطوا بأيديكم ، ولا يتكاثرن عليكم قطع هذا الشجر ، ثم رجع عيينة إلى رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : ماذا قلت لهم يا عيينة ؟ قال : قلت لهم وأمرتهم بالإسلام ودعوتهم إليه ، وحذرتهم النار ، ودللتهم على الجنة ، فقال له رسول الله ﷺ : كذبت ، بل قلت لهم : كذا وكذا فقصَّ عليه رسول الله ﷺ حديثه ، فقال : صدقت يا رسول الله ، أتوب إلى الله - عز وجل - وإليك من ذلك ، فلما أخذ الناس في القطع قال عيينة بن بدر ليعلي بن مرة : حرام عليّ أن أقطع حظي من الكرم ، فقال يعلي بن مرة : إن شئت قطعت نصيبك ، فماذا ترى ؟ قال عيينة : أرى أن تدخل جهنم ، فكانت هذه ريبة من عيينة في دينه ، وسمع بذلك رسول الله ﷺ فغضب منه ، وأوعد عيينة ، وقال : أنت صاحب العمل أولى لك فأولى .

وقال الواقدي[٢] في غزوة الطائف : قالوا : وقال عيينة : يا رسول الله ائذن لي حتى آتي حصن الطائف فأكلمهم ، فأذن له ، فجاءه فقال : أدنو منكم

---

(١) (دلائل البيهقي) : ١٦٣/٥ - ١٦٤ ، باب استئذان عيينة بن حصن بن بدر في مجيئه ثقيفًا ، وإطلاع الله عزّ وجلّ رسوله ﷺ على ما قال لهم ، و أخرجه أبو نعيم في (دلائل النبوة) : ٥٣١/٢ ، باب وما ذكر في غزوة الطائف حديث رقم (٤٦٠) .

(٢) (مغازي الواقدي) : ٩٣٢/٣ - ٩٣٣ .

وأنا آمن ؟ قالوا : نعم ، وعرفه أبو محجن فقال : ادن ، فدنا ، قال لي : ادخل ، فدخل عليهم الحصن ، فقال : فداءكم أبي وأمي ، والله لقد سرني ما رأيت منكم ، والله أني إلى العرب أحدًا غيركم ! والله ما لاقي محمد مثلكم قط ولقد ملَّ المقام فاثبتوا في حصنكم فإن حصنكم حصين ، وسلاحكم كثير وماءكم ، واتن لا تخافون قطعه ، فلما خرج قالت ثقيف لأبي محجن : فإن كرهنا دخوله وخشينا أن يخبر محمدًا بِخلل إن رآه فينا أو في حصننا .

قال أبو محجن : أنا كنت أعْرَفُ له ، ليس منا أحدٌ أشدّ على محمد وإن كان معه ، فلما رجع إلى النبي ﷺ قال له : ما قلت لهم ؟ قال : قلت لهم ادخلوا في الإسلام ، فوالله لا يبرح محمد عقر داركم حتى تنزلوا ، فخذوا لأنفسكم أمانا قد نزل بساحة أهل الحصون قبلكم قينقاع ، والنضير ، وقريظة ، وخيبر أهل الحلقة ، والعدة ، والآطام ، فَخَذّلتهم ما استطعت . ورسول الله ﷺ ساكت عنه حتى إذا فرغ من حديثه قال له رسول الله ﷺ : كذبت ! قلت لهم كذا وكذا للذي قال ، فقال عيينة : استغفر الله ، فقال عمر – رضي الله تبارك وتعالى عنه – : يا رسول الله دعني أقدمه فأضرب عنقه .

فقال رسول الله ﷺ : لا يتحدث الناس أني أقتل أصحابي ، ويقال: إن أبا بكر –رضي الله تبارك وتعالى عنه– أغلظ له يومئذ وقال : ويحك يا عيينة إنما أنت أبدًا توضع في الباطل ، كم لنا منك من يوم بني النضير ، وقريظة ، وخيبر ، تجلب علينا عدونا ، وتقاتلنا بسيفك ، ثم أسلمت كما زعمت ، فتحوض علينا عدونا ! قال : أستغفر الله يا أبا بكر ، وأتوب إليه ، لا أعود أبدًا .

وأما تسبيح سارية مصلى رسول الله ﷺ بالطائف

فقال الواقدي[1] : وكان رسول الله ﷺ قد ضرب لزوجتيه قبتين ، ثم كان يصلي بين القبتين حصار الطائف كله ، وقد اختلف علينا في حصاره ، فقال قائل : ثمانية عشر يومًا ، وقال قائل : تسعة عشر يومًا ، وقال قائل : خمسة عشر يومًا ، وكل ذلك وهو يصلي بين القبتين ركعتين ، فلما أسلمت ثقيف ، بنىَ أميةُ ابن عمرو بن وهب بن معتب بن مالك ، على مصلى رسول الله ﷺ مسجدًا ، وكان فيه سارية لا تطلع الشمس عليها من الدهر إلا يسمع لها نقيض[2] أكثر من عشر مرارٍ ، فكانوا يرون أنّ ذلك تسبيحًا .

وأما إجابة دعائه ﷺ على رجل يقوم على حصن الطائف

فقال الواقدي[3] : وكان رجل يقوم على الحصن فيقول : روحوا رعاء الشاء ! روحوا جلابيب محمد ! روحوا عبيد محمد ! أترونا نتباءس على أحبل أصبتموها من كرومنا ؟ فقال رسول الله ﷺ : اللهم روح مروِّحًا إلى النار ، قال سعد بن أبي وقاص - رضي الله تبارك وتعالى عنه : فأهوى له بسهم فوقع في نحره ، فهوى من الحصن ميتًا ، قال : فرأيت رسول الله ﷺ قد سُرّ بذلك .

---

(١) (مغازي الواقدي) : ٩٢٧/٣.

(٢) النقيض : الصوت .

(٣) (مغازي الواقدي) : ٩٢٩/٣ .

وأما إجابة دعائه ﷺ في هداية ثقيف ومجيئهم إليه

فخرَّج البيهقي[1] من حديث ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عـــروة ، قال : أقبلت امرأة من المهاجرات كانت مع زوجها في الجيش يقال لها : خولــة بنت حكيم ، كانت ممن بايع النبي ﷺ ، وكانت قبل ذلك تحــت عثمــان بــن مظعون قبل بدر ، فدخلت على رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ما يمنعــك أن تنهض إلى أهل الطائف ، قال : لم يؤذن لنا حتى الآن فيهم ، وما أظـــن أن نفتحها الآن ، فأقبل عمر بن الخطاب - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فلقيــها خارجة من عند رسول الله ﷺ ، فقال : هل ذكر لك رسول الله ﷺ شيئًا بعــد ؟ قالت : أخبرني أنه لم يؤذن له في قتال أهل الطائف بعد ، فلما رأى ذلك عمــر ابن الخطاب - رضي الله تبارك وتعالى عنه - اجترأ على كلام رسول الله ﷺ فقال : ألا تدعو على أهل الطائف فتنهض إليهم لعل الله - عزّ وجلّ - يفتحــها فإن أصحابك كثير ، وقد شق عليهم الحبس ، ومنعهم معايشهم ، فقال رسول الله ﷺ : لم يؤذن لنا في قــتالهم ، فلما رأى ذلــك عمــر - رضــي الله تبــارك وتعــالى عنه - قال : أفلا آمر الناس فلا يســرحوا ظــهرهم حتــى يرتحلــوا بالغداة ؟ قال : بلى ، فانطلق عمر حتى أذن فــي الناس بالقفول وأمرهــم أن لا يسرحوا ظهرهم ، فأصبحوا وارتحل النبي ﷺ وأصحابه ، ودعــا النبــي ﷺ حين ركب قافلاً : اللهم أهدهم واكفنا مؤونتهم .

وقال الواقدي[2] : وجاءت خولة بنت حكيم بن أمية بن الأوقص الســلمية وهي امرأة عثمان بن مظعون ، فقالت : يا رسول الله أعطني إن فتح الله عليــك حلي الفارعة بنت الخزاعي ، أو بادية بنت غــيلان ، وكانتا من أجمل نســاء

---

(١) (دلائل البيهقي) : ١٦٨/٥ - ١٦٩ ، باب إذن رسول الله ﷺ بالقفول من الطائف ، ودعائــه لثقيف بالهداية ، وإجابة الله - تعالى - دعاءه .

(٢) (مغازي الواقدي) : ٩٣٥/٣ - ٩٣٦ ، شأن غزوة الطائف .

ثقيف ، فقال لها رسول الله ﷺ : إنْ كان لم يـؤذن لنا في ثقـيف يـا خولـة ؟ قال : فخرجت خولة فذكرت ذلك لعمر ، فدخل عمـر - رضـي الله تبـارك وتعالى عنه - على رسول الله ولم يؤذن لك فيهم ؟ قال : لا ، قال : أفـلا أؤذن في الناس بالرحيل ؟ قال رسول الله ﷺ : بلى ، فأذن عمر بـالرحيل ، فجعـل المسلمون يتكلمون ، يمشي بعضهم إلى بعض ، فقـالوا : ننصـرف ولا نفتـح الطائف ! لا نبرح حتى تفتح علينا ، والله إنهم أذل وأقل من لاقينا ، قـد لقينـا جمع مكة ، وجمع هوازن ، ففرق الله تلك الجموع ، وإنما هـؤلاء ثعلـب فـي جحر لو حصرناهم لماتوا في حصنهم هذا ، وكثر القول بينـهم والاختـلاف ، فمشوا إلى أبي بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فكلموه[١] ، فقـال أبـو بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه -[٢] : الله ورسوله أعلم ، والأمـر يـنزل عليه من السماء .

فكلموا عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فأبى وقـال : قـد رأينـا الحديبية وداخلني في الحديبية من الشك مالا يعلمه إلا الله ، وراجعت رسـول الله ﷺ يومئذ بكلام ، ليت أني لم أفعل وأن أهلي ومالي ذهبا ، ثم كانت الخيرة لنـا من الله فيما صنع ، فلم يكن فتح كان خيرًا للناس من صلح الحديبية بلا سيف ، دخل فيه من أهل الإسلام مثل من كان دخل من يوم بُعث رسول الله ﷺ ، إلـى يوم كتب الكتاب ، فاتهموا الرأي ، والخيرة فيما صنع رسول الله ﷺ ، ولـن أراجعه في شيء من ذلك الأمر أبدا ، والأمر أمر الله ، وهو يوحي إلى نبيه مـا يشاء .

وكان رسول الله ﷺ قد قال لأبي بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنـه - إني رأيت ، أني أهديت لي قعبة[٣] مملوءة زبدًا ، فنقرها ديك فأهراق ما فيـها ، قال أبو بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - : ما أظن أن تـدرك منـهم يـا رسول الله يومك هذا ما تريد ، قال رسول الله ﷺ : وأنا لا أرى ذلك .

---

(١) كذا بالأصل ، وفي (المغازي) : " فتكلموا "

(٢) زيادة للسياق من (المرجع السابق) .

(٣) القعبة : القدح .

[قال الواقدي][1]حدثني كثير بن زيد ، عن الوليد بن رباح ، عن أبي هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : لما مضت خمس عشرة ليلة من حصارهم استشار رسول الله ﷺ نوفل بن معاوية الديلي فقال : يا نوفل ما [تقول أو] ترى ؟ فقال : يا رسول الله ثعلب في جحر ، إن أقمت عليه أخذته ، وإن تركته لم يضرك شيء ، قال أبو هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - : ولم يؤذن لرسول الله ﷺ في فتحها .

قال وأمر رسول الله ﷺ عمر فأذن في الناس بالرحيل ، فجعل الناس يضجون من ذلك ، قال رسول الله ﷺ : فاغدوا على القتال ، فغدوا ، فأصابت المسلمين جراحات ، فقال رسول الله ﷺ : إنا قافلون إن شاء الله ، فسروا بذلك وأذعنوا[2] ، وجعلوا يرحلون ، ورسول الله ﷺ يضحك ، فلما استقل الناس لوجههم نادى سعد بن عبيد بن أسيد بن عمرو بن علاج الثقفي قال : ألا إن الحي مقيم .

قال : يقول عيينة بن حصن : أجل والله مجَدَة كرام ، فقال له عمرو بن العاص - رضي الله تبارك وتعالى عنه - : قاتلك الله ، تمدح قومًا مشركين بالامتناع من رسول الله ﷺ ، وقد جئت تنصره ؟ فقال : إني والله ما جئت معكم أقاتل ثقيفًا ، ولكن أردت أن يفتح محمد الطائف ، فأصيب جارية من ثقيف فأطأها لعلها تلد لي رجلاً ، فإن ثقيفًا قوم مباركون .

قال : فأخبر عمر رسول الله ﷺ بمقالته فتبسم ﷺ ، ثم قال : هذا الأحمق[3] المطاع ، وقال رسول الله ﷺ لأصحابه حين أرادوا أن يرتحلوا : قولوا : لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، فلما ارتحلوا واستقلوا قال : قولوا آئبون إن شاء الله تائبون ، عابدون

---

(١) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) أذعن : أسرع في الطاعة .

(٣) كذا في (الأصل) ، وفي (المغازي) : " الحُمق " .

لربنا حامدون ، ولما ظعن رسول الله ﷺ من الطائف قيل : يا رسـول الله ادع الله على ثقيف فقال : اللهم اهد ثقيفًا وائت بهم(١) .

وقال ابن إسحاق(٢) : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم وعبد الله بـن المكرم عمن أدركوا من أهل العلم ، قالوا : حاصر رسول الله ﷺ أهل الطـائف ثلاثين ليلة أو قريبًا من ذلك ، ثم انصرفوا عنهم ولم يؤذن فيهم ، فقدم المدينـة فجاءه وفدهم في رمضان فأسلموا .

وأما إخباره ﷺ عن ذي الخويصرة بأنه وأصحابه يمرقون من الدين فكان كما أخبر

يروي قتيبة بن سعيد وأبو خيثمة وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي وعثمـان ابن أبي شيبة قالوا جميعًا : حدثنا جرير ، عن منصور ، عن أبي وائل ، عـن عبد الله يعني ابن مسعود - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قالوا : لما كان يوم حنين آثر رسول الله ﷺ ناسًا في القسمة ، فأعطى الأقرع بن حابس مائة مـن الإبل ، وأعطى عيينة مثل ذلـك ، وأعطى ناسًا من أشراف العـرب وآثرهـم يومئذ في القسمة ، فقال رجل : والله إن هذه القسمة ما عدل فيها ، وما أريد بـها وجه الله ! قال : فقلت : والله لأخبرن رسول الله ﷺ ، فـأتيته فأخبرته بما قـال الرجل ، فتغيَّر وجهه حتى صار كالصرف ، قال : فمن يعدل إذا لم يعـدل الله

---

(١) (سيرة ابن هشام) : ١٥٦/٥ ، أبو بكر يفسر رؤيا رسول الله وفيها : فإن ثقيفًا قوم منـاكير وما أثبتناه من الواقدي .

(٢) في (المرجع السابق) : " فحصرهم بضعًا وعشرين ليلة ، قال ابن هشام : سبع عشرة ليلة " .

ورسوله ؟ ثم قال : يرحم الله موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر ، قال : فقلت : لا جرم ، لا أرفع إليه بعد هذا حديثًا[1] .

لفظ أبي خيثمة : وقال إسحاق مثل ذلك إلا أنه قال : وآثر ناسًا من أشراف العرب ، وقال : أو ما أريد به وجه الله ، وحديث قتيبة وعثمان على لفظ أبي خيثمة إلا أنهما قالا : أو ما أريد به وجه الله -تعالى- ، رواه البخاري[2]، في (الصحيح عن قتيبة) ، ورواه مسلم[3]، عن أبي خيثمة وإسحاق بن إبراهيم وعثمان بن أبي شيبة ، وذكر الواقدي أن المتكلم بهذا معتب ابن قشير العمري[4] .

وقال يحيى بن بكير ومحمد بن رمح : حدثنا الليث عن يحيى بن سعيد ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال: أتى رجل بالجعرانة النبي ﷺ منصرفه من حنين وفي ثوب بلال فضة ، ورسول الله ﷺ يقبض منها يعطي الناس ، فقال : يا محمد : اعدل ، فقال : ويلك ! ومن يعدل إذا لم أكن أعدل لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل ، فقال عمر بن الخطاب - رضي الله تبارك وتعالى عنه - : دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق ، قال ﷺ : معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي ، إن هذا

---

(١) (دلائل البيهقيّ) : ٥/١٨٤ - ١٨٥ ، باب اعتراض من اعترض من أهل النفاق في قسمة النبيّ ﷺ يوم حنين ، وإخبار النبيّ ﷺ عن خروج أشباهٍ له يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ، وإخباره ﷺ عن آيتهم وما ظهر في ذلك من علامات النبوة .

(٢) (فتح الباري) : ٣٠٩ ، كتاب فرض الخمس ، باب (١٩) ما كان النبيّ ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه ، حديث رقم (٣١٥٠) .

(٣) (مسلم بشرح النوويّ) : ٧/١٦٤ ، كتاب الزكاة ، باب (٤٦) إعطاء المؤلفة قلوبهم ، حديث رقم (١٤٠) .

(٤) (مغازي الواقديّ) : ٣/٩٤٩ .

وأصحابه يقرعون القرآن ، لا يجاوز خناجرهم ، يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية ، لفظ حديث ابن رمح ، خرَّجه عنه مسلم[1] .

وقال يونس بن بكير : عن ابن إسحاق قال : حدثني أبوعبيدة بن محمد ابن عمار بن ياسر عن مقسم أبي القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل قال : خرجت أنا وتليد بن كلاب الليثي ، فلقينا عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - يطوف بالكعبة معلقًا نعليه في يده ، فقلنا له : هل حضرت رسول الله ﷺ وعنده ذو الخويصرة التميمي يكلمه ؟ قال : نعم ، ثم حدثنا فقال : أتى ذو الخويصرة التميمي رسول الله ﷺ وهو يقسم المقاسم بحنين ، فقال : يا محمد ! قد رأيت ما صنعت قال : وكيف رأيت ؟ قال : ما رأيتك عدلت ، فغضب رسول الله ﷺ وقال : إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون ؟ فقال عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - : يا رسول الله ألا أقوم إليه فأضرب عنقه ؟ فقال ﷺ : دعه عنك ، فإنه سيكون لهذا شيعة يتعمقون في الدين حتى يمرقوا كما يمرق السهم من الرمية تنظر في النصل فلا تجد شيئًا ، وتنظر في القدح فلا تجد شيئًا ، ثم تنظر في الفوق فلا تجد شيئًا ، سبق الفرث والدم[2] .

وروي بشر بن شعيب بن أبي حمزة ، عن أبيه ، عن الزهريّ قال : أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا سعيد الخدري - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : بينا نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسمًا إذ أتاه ذو الخويصرة - رجل من بني تميم - فقال : يا رسول الله ! اعدل ، قال رسول الله ﷺ : ويلك من يعدلْ إذا لم أعدلْ ؟ وقد خبت وخسرت إن لم أعدلْ .

قال عمر بن الخطاب - رضي الله تبارك وتعالى عنه - : يا رسول الله ائذن لي فيه أضرب عنقه ، قال رسول الله ﷺ : دعه فإن له أصحابًا يحقر أحدكم ، صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، يقرعون القرآن ، لا

---

(١) (مسلم بشرح النوويّ) : ٧/١٦٥ ، كتاب الزكاة ، باب (٤٧) ذكر الخوارج وصفاتهم ، حديث رقم (١٤٢) .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٥/١٨٦ - ١٨٧ .

يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر إلى رصافة فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر إلى نضيه وهو قدحه فلا يوجد فيه شيء ، ثم في قذذه فلا يوجد فيه شيء ، قد سبق الفرث والدم ، آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة ، أو البضعة تدردر ، ويخرجون على حين فرقة من الناس .

قال أبو سعيد : فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله ﷺ ، وأشهد أن عليّ بن أبي طالب – رضي الله تبارك وتعالى عنه – قاتلهم وأنا معه ، وأمر بذلك الرجل فالتمس فوجد فأُتيَ به ، حتى نظرت إليه على نعت رسول الله ﷺ الذي نعت[1] .

خرَّجه البخاريّ عن أبي اليمان ، عن شعيب ، وأخرجاه من وجه آخر عن الزهريّ ، فأخبر ﷺ بخروج قوم فيهم رجل مخدَّج اليد ، عند افتراق يكون بين المسلمين ، وأنه يقتلهم أولَى الطائفتين بالحق فكان كذلك ، وخرجوا حين وقعت الفرقة بين أهل العراق وأهل الشام ، وقتلهم أولى الطائفتين بالحق ، وهو أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب – رضي الله تبارك وتعالى عنه – ، ووجدوا المخدَّج كما وصف رسول الله ﷺ فكان ذلك علم من أعلام النبوة ظهر بعد وفاة رسول الله ﷺ [2] ، وسيأتي مزيد بيان لهذا إن شاء الله تعالى .

---

(١) (دلائل البيهقيّ) : ٥/١٨٧ – ١٨٨ ، والرصاف : مدخل النصل من السهم ، النضي : السهم بلا نصل ولا ريش ، القذذ : ريش السهم ، سبق الفرث والدم : أي أن السهم قد جاوزهما ولم يعلق فيه منهما شيء ، تدردر : تضطرب .

(٢) (فتح الباري) : ٦/٧٦٦ ، كتاب المناقب ، باب (٢٥) علامات النبوة في الإسلام حديث رقم (٣٦١٠) ، وأخرجه في كتاب الأدب ، عن عبد الرحمن بن إبراهيم ، وفي كتاب استتابة المرتدين ، عن محمد بن المثني.

وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الزكاة ، باب (٤٧) ذكر الخوارج وصفاتهم ، حديث رقم (١٤٨) .

وأما إخباره ﷺ عروة بن مسعود الثقفيّ بأن قومه يقتلونه فكان كذلك

فقال ابن لهيعة : عن أبي الأسود ، عن عروة بن الزبير قال : فلما صدر أبو بكر وعليّ - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - وأقاما[١] للناس الحج ، قدم عروة بن مسعود الثقفي على رسول الله ﷺ مسلمًا[٢] ، وقال موسى بن عقبة : وأقام أبو بكر للناس حجتهم[٣] ، وقدم عروة بن مسعود الثقفي على رسول الله ﷺ ، ثم استأذن رسول الله ﷺ ليرجع إلى قومه ، فقال رسول الله ﷺ : إني أخاف أن يقتلوك ، قال : لو وجدوني نائمًا ما أيقظوني ، فأذن له رسول الله ﷺ فرجع إلى الطائف وقدم الطائف عشيًا ، فجاءته ثقيف فحيوه ، ودعاهم إلى الإسلام ونصح لهم ، فاتهموه ، وعصوه ، وأسمعوه من الأذى ما لم يكن يخشاهم عليه ، فخرجوا من عنده حتى إذا أسحر[٤] وطلع الفجر قام على غرفة له في داره ، فأذن بالصلاة وتشهد ، فرماه رجل من ثقيف بسهم فقتله ، فزعموا أن رسول الله ﷺ حين بلغه قتله ، قال : مثل عروة مثل صاحب ياسين حين دعا قومه إلى الله فقتلوه[٥] .

وقال الواقدي[٦] : قالوا : كان عروة بن مسعود حين حاصر النبي ﷺ أهل الطائف بجُرش يتعلم عمل الدبابات[١] والمنجنيق[٢] ، ثم رجع إلى الطائف

---

(١) كذا (بالأصل) ، وفي (دلائل البيهقيّ) : " وأقام " .

(٢) كذا (بالأصل) ، وفي (دلائل البيهقيّ) : " فأسلم " .

(٣) كذا (بالأصل) ، وفي (دلائل البيهقيّ) : " حجتهم " .

(٤) كذا (بالأصل) ، وفي (دلائل البيهقيّ) : " سحر " .

(٥) (دلائل البيهقيّ) : ٥/٢٩٩ - ٣٠٠ ، باب قدوم وفد ثقيف وهم أهل الطائف على رسول الله ﷺ ، وتصديق ما قال في عروة ابن مسعود الثقفيّ - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ثمّ إجابة الله - تعالى - دعاءه في هداية ثقيف .

(٦) (مغازي الواقدي) : ٣/٩٦٠ - ٩٦٢ ، قدوم عروة بن مسعود - رضي الله تبارك وتعالى عنه - .

بعد أن ولى رسول الله ﷺ فعمل المنجنيق والدبابات والعرادات[٣] ، وأعد ذلك حتى قذف الله في قلبه الإسلام .

فقدم المدينة على النبي ﷺ فأسلم ، ثم قال : يا رسول الله ائذن لي فآتي قومي فأدعوهم إلى الإسلام ، فوالله ما رأيت مثل هذا الدين ذهب عنه ذاهب ، فأقدم على أصحابي وقومي بخير قادم ، وما قدم وافد قط على قومه إلا من قدم بمثل ما قدمت به ، وقد سبقت يا رسول الله في مواطن كثيرة ، فقال رسول الله ﷺ : إنهم إذًا قاتلوك ، قال : يا رسول الله لأنا أحب إليهم من أبكار أولادهم .

ثم استأذنه الثانية ، فأعاد عليه الكلام الأول ، فقال رسول الله ﷺ : إنهم إذًا قاتلوك . فقال : يا رسول الله لو وجدوني نائمًا ما أيقظوني ، واستأذنه الثالثة فقال : إن شئت فاخرج .

فخرج إلى الطائف فسار إليها خمسًا ، فقدم على قومه عشاءً فدخل منزله ، فأنكر قومه دخوله منزله من قبل أن يأتي الربة[٤] ، ثم قالوا : السفر قد حصره[٥] ، فجاءوا منزله ، فحيوه بتحية الشرك ، فكان أول ما أنكر عليهم تحية الشرك ، فقال : عليكم تحية أهل الجنة ، ثم دعاهم إلى الإسلام وقال : يا قوم أتتهمونني ؟ ألستم تعلمون أني أوسطكم نسبًا ، وأكثركم مالا ، وأعزكم نفرًا ؟ فما حملني على الإسلام إلا أنى رأيت أمرًا لا يذهب عنه ذاهب ، واقبلوا

---

(١) الدبّابة - بالدال المهملة فموحدة مشددة ، وبعد الألف موحدة فتاء تأنيث - : آلة من آلات الحرب يدخل فيها الرجال ، فيندفعون بها إلى الأسوار لينقبوها .

(٢) المنجنيق - بفتح الميم وقد تكسر ، يؤنث وهو أكثر ، ويُذكّر فيقال : هي المنجنيق ، وعلى التذكير : هو المنجنيق ، ويقال : المنجنوق ومنجليق ، وهو معرب ، وأول من عمله قبل الإسلام إبليس -لعنه الله- حين أرادوا رمي سيدنا إبراهيم ﷺ ، وهو أول منجنيق رمى به في الإسلام .

أما في الجاهلية فيذكر أن جذيمة - بضم الجيم ، وفتح الذال المعجمة وسكون التحتية - ابن مالك المعروف بالأبرش ، أول من رمى بها ، وهو من ملوك الطوائف .

(٣) العرادة : أصغر من المنجنيق .

(٤) يعنى : اللات .

(٥) حصره : أي منعه عن مقصده .

فما حملني على الإسلام إلا أني رأيت أمرًا لا يذهب عنه ذاهب ، واقبلوا نصحي ولا تستعصوني ، فوالله ما قدم وافد قط على قوم بأفضل مما قدمت به عليكم ، فاتهموه ، واستغشوه ، وقالوا : قد واللات وقع في أنفسنا حيث لم تقوب الربة ، ولم تحلق رأسك عندها أنك قد صبوت فآذوه ونالوا منه ، وحلم عليهم ، فخرجوا من عنده يأتمرون كيف يصنعون به حتى إذا طلع الفجر أوفى على غرفة له ، فأذن بالصلاة ، فرماه رجل من رهطه من الأحلاف يقال له : وهب ابن جابر ، ويقال : الذي رماه أوس بن عوف من بني مالك ، وهذا أثبت عندنا .

وكان عروة رجل من الأحلاف فأصاب أكحله(١) فلم يرقأ دمه(٢) وحشد قومه في السلاح وجمع الآخرون وتجايشوا ، فلما رأى عروة ما يصنعون قال : لا تقتتلوا فيَّ ، فإني قد تصدقت بدمي على صاحبه ليصلح بذلك نبيكم ، فهي كرامة الله أكرمني بها ، الشهادة ساقها الله إليّ ، أشهد أن محمدًا رسول الله ، والله خبرني عنكم هذا أنكم تقتلونني ، ثم قال لرهطه : ادفنوني مع الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عنكم ، قال : فدفنوه معهم ، وبلغ رسول الله ﷺ قتله ، فقال : مثل عروة مثل صاحب يا سين ، دعا قومه إلى الله - تعالى - فقتلوه .

ويقال : إن عروة لم يقدم المدينة وإنما لحق رسول الله بين مكة والمدينة فأسلم ، ثم انصرف ، والقول الأول أثبت عندنا ، فلما قتل عروة قال ابنه أبو مليح بن عروة بن مسعود وابن أخيه قارب بن الأسود بن مسعود لأهل الطائف : لا نجامعكم على شيء أبدًا ، وقد قتلتم عروة ، ثم لحقا برسول الله ﷺ فأسلما ، فقال لهما رسول الله ﷺ : توليا من شئتما ، قالا : نتولى الله ورسوله ، فقال رسول الله ﷺ : وخالكما أبو سفيان بن حرب ، حالفاه ففعلا ، ونزلا على المغيرة بن شعبة ، فأقاما بالمدينة حتى قدم وفد ثقيف في رمضان سنة تسع والله - تعالى - أعلم .

---

(١) الأكحل : عرق في اليد .

(٢) رقأ الدم : إذا سكن وانقطع .

وأما إجابة الله تعالى دعاء رسوله ﷺ
على حارثة بن عمرو

فقال الواقدي[1] : حدثني رشيد أبو موهوب ، عن جابر بن أبي سلمى وعنبسة بن أبي سُلمى قالا : كتب رسول الله ﷺ إلى حارثة بن عمرو بن قريط يدعوهم إلى الإسلام فأخذوا صحيفته فغسلوها ، ورقعوا بها است دلوهم ، وأبوا أن يجيبوا ، فقالت أم حبيب بنت عامر بن خالد بن عمرو بن قريط بن عبد بن أبي بكرة وخاصمتهم في بيت لها فقالت فيه شعراً .

قالوا : فلما فعلوا بالكتاب ما فعلوا ، قال رسول الله ﷺ : ما لهم أذهب الله بعقولهم فهم أهل رعدة وعجلة ، وكلام مختلط ، وأهل سفة ، وكان الذي جاءهم بالكتاب رجل من عرينة يقال له : عبد الله بن عوسجة ، لمستهل ربيع الأول سنة تسع .

قال الواقدي – رحمه الله – : رأيت بعضهم عييًا لا يُبين الكلام ، والله تعالى أعلم .

---

(١) (مغازي الواقدي) : ٣/٩٨٢ – ٩٨٣ ، سرية بني كلاب أميرها الضحاك بن سفيان الكلابي .

وأما إخباره ﷺ عمار بن ياسر - رضى الله تبارك وتعالى عنه - بما قال المنافقون في مسيرهم إلى تبوك

فقال الواقدي[١] : قالوا : وكان رهط من المنافقين يسيرون مع النبي ﷺ في تبوك ، منهم وديعة بن ثابت ، أحد بني عمرو بن عوف ، والجلاس بن سويد بن الصامت ، ومخشيّ بن حُمَيّر من أشجع ، حليف لبني سلمة ، وثعلبة ابن حاطب ، فقال ثعلبة : تحسبون قتال بني الأصفر كقتال غيرهم ؟ والله لكأنا بكم غداً مقرنين في الحبال إرجافًا برسول الله ﷺ وترهيبًا للمؤمنين ، فقال وديعة بن ثابت : مالي أرى قرءانا هؤلاء أوعبنا بطونا ، وأكذبنا ألسنة ، وأجبننا عند اللقاء ؟ وقال الجلاس بن سويد - وكان زوج أم عمير وكان ابنها عمير يتيمًا في حجره - : هؤلاء سادتنا وأشرافنا وأهل الفضل منا ، والله لئن كان محمد صادقًا لنحن شر من الحمير ! فقال مخشيّ بن حمير : والله لوددت أني أقاضي على أن يُضرب كل رجل منا مائة جلدة وأنا ننفلت من أن ينزل فينا القرآن بمقالتكم .

فقال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر - رضي الله تبارك وتعالى عنه -: أدرك القوم فإنهم قد احترقوا ، فسلهم عما قالوا ، فإن أنكروا فقل : بلى ، قد قلتم كذا وكذا ، فذهب إليهم عمار فقال لهم ، فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه ، فقال وديعة بن ثابت ورسول الله ﷺ على ناقته قد أخذ بحقب ناقة النبي ﷺ ورجلاه تنسفان الحجارة وهو يقول : يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب ، ولم يلتفت إليه رسول الله ﷺ ، فأنزل الله - تعالى - فيه : ﴿ **ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعبَ** ﴾[٢] إلى قوله -تعالى- : ﴿ **كانوا مجرمين** ﴾[٣] ، ورد عمير على الجلاس ما قال حين قال : لنحن شَرُ من

---

(١) (مغازي الواقدي) : ٣/١٠٠٣ - ١٠٠٥ .

(٢) التوبة : ٦٥ .

(٣) التوبة : ٦٦ .

الحمير ، قال : فأنت شر من الحمار ، ورسول الله ﷺ الصادق وأنت الكاذب ، وجاء الجلاس إلى النبي ﷺ ، فحلف ما قال من ذلك شيئًا فانزل الله - تعالى - على نبيه فيه : ﴿**يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر**﴾[1] ونزلت فيه أيضًا : ﴿ **وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله** ﴾ ... الآية ، وكان للجلاس دية في الجاهلية على بعض قومه وكان محتاجًا ، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أخذها له فاستغنى بها ، وقال مخشي بن حمير : قد والله يا رسول الله قعد بي اسمي واسم أبي ، فكان الذي عفى عنه في هذه الآية مخشيّ بن حُميّر فسماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن أو عبد الله وسأل الله - تعالى - أن يُقتل شهيدًا ولا يعلم بمكانه ، فقتل يوم اليمامة ولم يوجد له أثر .

ويقال في الجلاس بن سويد : إنه كان ممن تخلف من المنافقين في غزوة تبوك فكان يثبط الناس عن الخروج ، وكانت أم عمير تحته وكان عمير يتيمًا في حجره ولا مال له ، فكان يكفله ويحسن إليه ، فسمعه وهو يقول : والله لئن كان محمد صادقًا لنحن شر من الحمير ! فقال له عمير : يا جُلاس قد كنت أحب الناس إليّ ، وأحسنهم عندي أثرًا ، وأعزهم عليّ أن يدخل عليه شيء نكرهه ، والله لقد قلت مقالة لئن ذكرتها لتفضحنك ، ولئن كتمتها لأهلكن ، وإحداهما أهون عليّ من الأخرى ! فذكر للنبي ﷺ الجُلاس ، وكان رسول الله ﷺ قد أعطى الجلاس مالاً من الصدقة لحاجته وكان فقيرًا فبعث النبي ﷺ إلى الجلاس فسأله عما قال عمير فحلف بالله ما تكلم به قط ، وأن عميرًا لكاذب - وهو عمير بن سعيد - وهو حاضر عند النبي ﷺ ، فقام وهو يقول : اللهم أنزل على رسولك بيان ما تكلمت به ، فأنزل الله - تعالى - على نبيه : ﴿ **يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفرَ** ﴾ إلى قوله : ﴿ **أغناهم الله ورسوله من فضله** ﴾ ، للصدقة التي أعطاها النبي ﷺ ، فقال الجُلاس : اسمع ! الله قد عرض علي التوبة ، والله لقد قلت ما قال عمير ولما اعترف بذنبه وحسنت توبته ولم يمتنع عن خير كان يصنعه إلى عمير بن سعيد ، فكان ذلك مما قد عرفت به توبته . والله - سبحانه وتعالى - أعلم .

---

(١) التوبة : ٧٤ .

وأما إخباره لأبى ذر [الغفاري] بأنهم يخرجون من المدينة فكان كما أخبر ﷺ

فخرَّج الإمام أحمد[1] من حديث هاشم ، عن عبد الحميد ، عن شُهر حدثتني أسماء [بنت يزيد] أن أبا ذر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - كان يخدم النبي ﷺ فإذا فرغ من خدمته آوى إلى المسجد فكان هو بيته يضطجع فيه ، فدخل رسول الله ﷺ ليلة فوجده منجدلاً في المسجد فنكته برجله حتى استوى جالسًا ، فقال له رسول الله ﷺ : ألا أراك نائمًا في المسجد؟ قال أبو ذر : يا رسول الله وأين أنام ؟ وهل لي بيت غيره ؟ فجلس إليه رسول الله ﷺ فقال له : كيف أنت إذا أخرجوك منه قال : إذًا ألحق بالشام ، فإن الشام أرض الهجرة ، وأرض المحشر ، وأرض الأنبياء ، فأكون رجلاً من أهلها ، فقال : كيف أنت إذا أخرجوك من الشام ؟ قال : إذًا أرجع إليه فيكون بيتي ومنزلي ، قال : فكيف بك إذا أخرجوك منه الثانية ؟ قال : إذاً آخذ سيفي فأقاتل عني [حتى أموت قال :] فكشر إليه رسول الله ﷺ فأثبته بيده ، فقال : أدلك على خير من ذلك ؟ قال : بلى بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال : تنقاد لهم حيث قادوك ، وتنساق لهم حيث ساقوك ، حتى تلقاني وأنت على ذلك .

قال جامعه : قد صدق الله - تعالى - ورسوله ﷺ فيما أخبر به أبا ذر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - من إخراجهم له من الشام والمدينة ، وذلك أنه أخرج من المدينة أولاً في خلافة عثمان - رضي الله تبارك وتعالى عنه - إلى الشام لإنكاره أشياء من سيرته ، فأقام بها ، فأنكر على معاوية بن أبي سفيان وهو يومئذ أمير الشام ، فشكاه إلى عثمان ، فأمره بحمله إليه ، فحمله إلى المدينة ، فأخذ يطعن على عثمان ، فأخرجه من المدينة ، وأسكنه

---

(١) (مسند أحمد) : ٧/٦١١ - ٦١٢ ، حديث رقم (٢٧٠٤١) ، من حديث أسماء بنت يزيد .

الربذة حتى مات ، وقد ذكرته في كتاب (التاريخ الكبـــير المقفـــى[1]) ذكــرًا مستوفى .

وخرَّج ابن حبان في (صحيحه) من حديث النضر بن شميل ، عن كهمس بـــن الحسن [القيسيّ] ، عن أبي السليل ضريب بن نقير القيسيّ قال : قال أبــو ذر : جعل رسول الله ﷺ يتلو هذه الآية : ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقــه من حيث لا يحتسب** ﴾[2] [فجعل يرددها] حتى نعْست فقال : يا أبا ذر لـــو أن الناس أخذو بها لكفتهم ، ثم قال : يا أبا ذر كيف تصنع إذا أخرجت من المدينـــة ؟ قلت : إلى السعة والدعة ، أكون حمامًا من حمام مكة ، قال : فكيف تصنـــع إذا أخرجت من مكة ؟ قلت : إلى السعة والدعة ، إلـــى أرض الشـــام والأرض المقدسة ، قال : فكيف تفعل إذا أخرجت منها ؟ قال : [إذًا] والذي بعثك بـــالحق آخذ سيفي فأضعه على عاتقي ، فقال له النبي ﷺ : أو خير من ذلـــك ، تســـمع وتطيـــع لعبـــد حبشـــيّ مجـــدَّع[3] ، والله – تعـــالى – أعلـــــم .

---

(1) (المقفى الكبير) : ٥٤١/١ ، ٤١٨/٢ ، ٣٠٢/٤ ، ١٧/٥ .

(2) الطلاق : ٣ – ٤ .

(3) (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبـــان) : ٥٣/١٥ – ٥٤ ، كتـــاب التـــاريخ ، بـــاب (١٠) إخباره ﷺ عما يكون في أمته من الفتن والحوادث ، ذكـــر الإخـــبار عـــن إخراج الناس أبـــا ذر الغفاري – رضي الله تبارك وتعالى عنه – من المدينة ، حديث رقم (٦٦٦٩) ، ومـــا بيـــن الحاصرتين زيادة للسياق منه ، ثم قال في (هامشه) : إسناده ضعيف لانقطاعه ، فإن ضريـــب بن نقير لم يدرك أبا ذر ولا سمع منه .

والثابت أن أبا ذر – رضي الله تبارك وتعالى عنـــه – إنمـــا نـــزل الربـــذة باختيـــاره ، وعثمان – رضي الله تبارك وتعالى عنه – إنما أمره بالتنحى عن المدينة لدفـــع المفســـدة التـــي خافها على غيره من مذهبه الذي انفرد به في حرمة ادخار المال ولو أديـــت زكاتـــه ، فاختـــار الربذة ، فقد روى البخاريّ في (صحيحه) [١٤٠٦] عن زيد بن وهب قال : مررت بـــالربذة فإذا أنا بأبي ذرّ – رضي الله تبارك وتعالى عنه – فقلت له : ما أنزلك منزلك هذا ؟ قال : كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في : ﴿**والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله**﴾=

وأما إخباره ﷺ عن أبي ذر رضي الله تبارك وتعالى عنه بأنه يموت وحده فكان كما قال

فروى يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق قال : حدثني بريدة بن سفيان الأسلميّ ، عن محمد بن كعب القرظيّ ، عن عبد الله بن مسعود - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ، قال : لما نفى عثمان أبا ذرّ - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - إلى الربذة[1] ، وأصابه بها قدره ، لم يكن معه أحد إلا امرأته وغلامه ، فأوصاهما أن اغسلاني وكفناني ، ثم ضعاني على قارعة الطريق ، فأول ركب يمر بكم قولوا : هذا أبو ذرّ صاحب رسول الله ﷺ فأعينونا على دفنه .

فلما مات فعلا ذلك به ، ثم وضعاه على قارعة الطريق ؛ وأقبل عبد الله ابن مسعود في رهط من أهل العراق عُمار ، فلم يرعهم إلا بالجنازة على ظهر الطريق ، قد كادت الإبل تطؤها ، وقام إليهم الغلام ، فقال : هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ فأعينونا اعلى دفنه ، قال فاستهل عبد الله بن مسعود يبكي ويقول : صدق رسول الله ﷺ ، تمشي وحدك ، وتموت وحدك ، وتبعث

=قال معاوية : نزلت في أهل الكتاب ، فقلت : نزلت فينا وفيهم ، فكان بيني وبينه في ذاك ، وكتب إلى عثمان يشكوني ، فكتب إليّ عثمان : أن أقدم المدينة ، فقدمتها ، فكثر عليّ الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك ، فذكرت ذلك لعثمان - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فقال لي : إن شئت تنحيت ، فكنت قريبًا ، فذاك الذي أنزلني هذا المنزل ، ولو أمروا عليّ حبشيًا لسمعت وأطعت .

(١) الربذة : خرقة الصائغ يجلو بها الحليّ ، وبها سميت الربذة ، وهي قرية كانت عامرة في صدر الإسلام ، وبها قبر أبي ذرّ الغفاريّ وجماعة من الصحابة - رضي الله تبارك وتعالى عنهم - .

وحدك ، ثم نزل هو وأصحابه فواروه ، ثم حدثهم عبد الله بن مسعود حديثه ، وما قال له رسول الله ﷺ في مسيره إلى تبوك[1] .

ثم قال ابن إسحاق [في خبر أبي ذر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - في غزوة تبوك] : ثم مضى رسول الله ﷺ سائرًا ، فجعل يتخلف عنه الرجل ، فيقولون : يا رسول الله ، تخلف فلان ، فيقول : دعوه ، فإن يك فيه خير فسيلحقه الله - تعالى - بكم ، وإن يكن غير ذلك فقد أراحكم الله منه ، حتى قيل : يا رسول الله ! قد تخلف أبو ذرّ ، وأبطأ به بعيره ، فقال : إن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه .

وتلوم[2] أبو ذر على بعيره فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فحمله على ظهره ، ثم خرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ما شيًا ، ونزل رسول الله ﷺ في بعض منازله، فنظر ناظر من المسلمين فقال : يا رسول الله ، إن هذا الرجل يمشي على الطريقِ وحده ؛ فقال رسول الله هو والله أبو ذرّ ، فقال رسول الله ﷺ : كن[3] أبا ذرّ ، فلما تأمله القوم قالوا: يا رسول الله ﷺ : رحم الله أبا ذرّ ، يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده[4] .

قال الواقدي في (مغازيه) : وكان أبو ذر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - يقول : أبطأت في غزوة تبوك من أجل بعيري كان نضوًا أعجف[5] ، فقلت: أعلفه أيامًا ، ثم ألحق برسول الله ﷺ ، فعلفته أيامًا ، ثم خرجت ، فلما كنت في ذي المروة عجز بي فتلومت عليه يومًا فلم أر به حركة ، فأخذت متاعي فحملته[6] على ظهري ، ثم خرجت أتبع رسول الله ﷺ ماشيًا في حرّ شديد ، وقد تقطع الناس فلا أرى أحدًا يلحقنا من المسلمين ، فطلعت على رسول

---

(١) (سيرة ابن هشام) : ٥/٢٠٥ ، موت أبي ذرّ ودفنه بالربذة .

(٢) تلّوم : أبطأ وتمّهل .

(٣) كن أبا ذر : لفظه الأمر ، ومعناه الدعاء .

(٤) (سيرة ابن هشام) : ٥/٢٠٣ - ٢٠٤ ، خبر أبي ذرّ في غزوة تبوك .

(٥) النِّضو : الدابة التي أهزلتها الأسفار وأذهبت لحمها .

(٦) في (الأصل) : " فجعلته " ، وما أثبتناه من (المغازي) .

الله ﷺ نصف النهار وقد بلغ مني العطش فنظر ناظر من الطريق ، فقال : يـا رسول الله ! إن هذا الرجل يمشي وحده ، فجعل رسول الله ﷺ يقول : كُنْ أبـا ذر ، فلما تأملني القوم قالوا : يا رسول الله ! هذا أبو ذر ، فقام رسـول الله ﷺ حتى دنوت منه فقال : مرحبًا بأبي ذر ، يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويبعـث وحده ، فقال : ما خلفك يا أبا ذر فأخبره خبر بعيره ، ثم قال : إن كنـت لمـن أعزّ أهلي عليّ تخلفًا ، لقد غفر الله لك يا أبا ذرّ بكـل خطـوة ذنبًـا إلـى أن بلغتني ، ووضع متاعه عن ظهره ، ثم استسقى[1] فأُتي بإناء من ماءٍ فشربه .

فلما أخرجه عثمان - رضي الله تبارك وتعالى عنه - إلى الربذة وأصابـه قدره ، لم يكن معه أحد إلا امرأته وغلامه فأوصاهما فقال : غسلاني وكفنـاني ، ثم ضعاني على قارعة الطريق إذا أنا مت . وأقبل ابنٍ مسـعود - رضـي الله تبارك وتعالى عنه - في رهط من أهل العراق عُمارًا ، فلم يرعهم إلا بالجنـازة على قارعة الطريق قد كادت الإبل تطؤها ، فسلم القوم ، فقام إليهم غلامه فقـال لهم : هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ فأعينوني عليه ، فاستهل ابن مسـعود - رضي الله تبارك وتعالى عنه - يبكي ويقول : صدق رسـول الله ﷺ : يمشـي أبو ذر وحده ، ويموت وحـده ، ويبعث وحـده ، ثم نزل هو وأصحابه حتـى واروه ، ثم حدثهم ابن مسعود حديثه وما قال له رسول الله ﷺ في مسيره إلـى تبوك[2] .

وذكر أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر ، حديث عليّ بن المدينـي قال : حدثنا يحيي بن سليم [الطائفي][3] قال : حدثني عبد الله بن خثيـم ، عـن مجاهد ، عن إبراهيم بن الأشتر ، عن أبيه ، عن أم ذرّ زوجة أبي ذر قـالت : لما حضرت أبا ذر الوفاة بكيت ، فقال لي : ما يبكيك ؟ فقلت : وما لي لا أبكـي وأنت تموت بفلاة من الأرض وليس عندي ثوب يسعك كفنًا لي ولا لك ؟ ولا يَـدَ لي للقيام بجهازك ، قال : فأبشري لا تبكي ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقـول :

---

(١) في (الأصل) : " استلقى " وما أثبتناه من (المغازي) فهو أجود للسياق .

(٢) (مغازي الواقدي) : ٣/١٠٠٠ - ١٠٠١ .

(٣) من (الأصل) فقط .

لا يموت بين امرأين مسلمين ولدان أو ثلاثة فيصبران يحتسبان فيريان النار أبدًا ، وقد مات لنا ثلاثة من الولد ، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول لنفر أنا فيهم : ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض تشهده عصابة من المؤمنين وليس من أولئك النفر أحد إلا وقد مات في قرية وجماعة ، فأنا ذلك الرجل ، فوالله ما كَذبت ولا كُذبت ، فأبصري الطريق ، قلت : أنّي وقد ذهب الحاجّ وتقطعت الطريق ؟ قال : اذهبي فتبصري ، قالت : فكنت أشتدّ إلى الكثيب فأنظر ، ثم أرجع إليه فأمرضه ، فبينا أنا كذلك إذا أنا برجال على رحالهم كأنهم الرُّخم[1] تحث بهم رواحلهم ، فأسرعوا إليّ حتى وقفوا عليّ فقالوا : يا أمة الله ! مالك ؟ قالت : امرؤ من المسلمين يموت تكفنونه ؟ قالوا : ومن هو ؟ قلت : أبو ذر ، قالوا : صاحب رسول الله ﷺ ، قلت : نعم ، قالت : ففدوه بآبائهم وأمهاتهم وأسرعوا إليه حتى دخلوا عليه ، فقال لهم : أبشروا فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول لنفر أنا فيهم : ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض تشهده عصابة من المؤمنين وليس من أولئك النفر أحد إلا وقد هلك في قرية وجماعة والله ما كَذبت ولا كُذبت ، ولو كان عندي ثوب يسعني كفنًا لي أو لامرأتي لم أكفن إلا في ثوب هو لي أو لها ، وإني أنشدكم الله أن يكفني رجل منكم كان أميرًا أو عريفًا أو بريدًا أو نقيبًا ، وليس من أولئك النفر أحد إلا وقد قارف بعض ما قال ، إلا فتى من الأنصار فقال : أنا أكفنك يا عم في ردائي هذا ، وفي ثوبين من عيبتي من غزل أمي ، قال : أنت تكفنني [يا بني][2] ، قال : فكفنه الأنصاري وغسله في النفر الذين حضروه وقاموا عليه ودفنوه في نفر كلهم يمان[3] .

---

(١) الرخم : جمع رخمة وهو طائر من الجوارح يشبه النسر .

(٢) زيادة للسياق من (الاستيعاب) .

(٣) (الاستيعاب) : ١/٢٥٣ - ٢٥٥ ، ترجمة جندب بن جنادة [أبو ذرّ] رقم ٣٣٩ . ثم قال ابن عبد البرّ : وروى عنه جماعة من الصحابة ، وكان من أوعية العلم المبرزين في الزهد والورع والقول بالحق ، سئل عليّ - رضي الله تبارك وتعالى عنه - عن أبي ذرّ فقال : ذلك رجل وعى علمًا عجز عنه الناس ، ثم أوكأ عليه ، ولم يُخرِج شيئًا منه . =

وقد خرَّجه الحاكم في (مستدركه)[1] أيضًا من حديث ابن المديني نحوه سواء ، والله أعلم .

وأما خرصه ﷺ حديقة المرأة وإخباره بهبوب ريح شديدة فكان كما قال

فخرَّج البخاريّ في كتاب الزكاة في باب خرص التمر[1] وفي كتاب الجزية[2] من حديث سهل بن بكار ، عن وهيب ، عن عمر بن يحيي ، عن

= وروى عن النبي ﷺ أنه قال : أبو ذرّ في أمتي شبيه عيسى ابن مريم في زهده . وبعضهم روى : من سرَّه أن ينظر إلى تواضع عيسى ابن مريم فلينظر إلى أبي ذرّ .

ومن حديث ورقاء وغيره ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : ما أظلت الخضراء ، ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذرّ ، ومن سرَّه أن ينظر إلى تواضع عيسى ابن مريم فلينظر إلى أبي ذرّ .

وروى إبراهيم التيميّ عن أبيه عن أبي ذر ، قال : كان قوتي على عهد رسول الله ﷺ صاعًا من تمر ، فلست بزائد عليه حتى ألقى الله - تعالى - . (الاستيعاب) .

(۱) (المستدرك) : ۳۸۸/۳ ، كتاب معرفة الصحابة ، محنة أبي ذرّ - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ، حديث رقم (٥٤٧٠) ، وقد سكت عنه الحافظ الذهبي في (التلخيص) ، يحيى بن سليم الطائفيّ الحذاء الخراز ، قال ابن سعد : ثقة كثير الحديث ، وقال ابن معين : ثقة .

وقال النسائيّ ليس بالقويّ وقال أحمد : رأيته يختلط في أحاديثه فتركته ، وقال ابن أبي مريم عن ابن معين : ليس به بأس ، يكتب حديثه ، (الميزان) : ۳۸۳/۳ - ۳۸٤ .

وقد أخرجه البيهقيّ في (دلائل النبوة) : ٤٠١/٦ - ٤٠٢ ، باب ما جاء في إخباره ﷺ عن حال أبي ذرّ - رضي الله تبارك وتعالى عنه - عند موته ، وما أوصاه به من الخروج من المدينة عند ظهور الفتن . وأخرجه الإمام أحمد في (المسند) . وابن كثير في (البداية والنهاية) .

(١) (فتح الباري) : ٤٣٨/٣ ، كتاب الزكاة ، باب (٥٤) خرص التمر ، حديث رقم (١٤٨١) .
قوله : " خرص التمر " أي مشروعيته ، والخرص بفتح المعجمة وحكى كسرها وبسكون الراء بعدها مهملة ، هو حرز ما على النخل من الرطب تمرًا .

حكى الترمذي عن بعض أهل العلم أن تفسيره : أن الثمار إذا أدركت من الرطب والعنب مما تجب فيه الزكاة ، بعث السلطان خارصًا ينظر فيقول : يخرج من هذا كذا وكذا زبيبًا ، وكذا وكذا تمرًا ، فيحصيه ، وينظر مبلغ العشر فيه ، فيثبته عليهم ، ويخلي بينهم وبين الثمار ، فإذا جاء وقت الجذاذ أخذ منهم العشر .

وفائدة الخرص : التوسعة على أرباب الثمار في التناول منها ، والبيع من زهورها ، وإيثار الأهل والجيران والفقراء ، لأن منعهم منها تضيقًا لا يخفى .

وقال الخطَّابيّ : أنكر أصحاب الرأي الخرص ، وقال بعضهم : إنما كان يفعل تخويفًا للمزارعين لئلا يخونوا ، إلا ليلزم به الحكم لأنه تخمين وغرور ، أو كان يجوز قبل تحريم الربا والقمار وتعقبه الخطَّابيّ بأن تحريم الربا والميسر متقدم . والخرص عمل به في حياة النبي ﷺ حتى مات ، ثم أبو بكر وعمر - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - فمن بعدهم ، ولم ينقل عن أحد منهم ولا من التابعين تركه إلا عن الشعبيّ ، قال : وأما قولهم : إنه تخمين وغرور فليس كذلك ، بل هو اجتهاد في معرفة مقدار التمر ، وإدراكه بالخرص الذي هو نوع من المقادير .

وحكى أبو عبيد عن قوم منهم أن الخرص كان خاصًا بالنبيّ ﷺ لأنه كان يوفق من الصواب ما لا يوفق له غيره ، وتعقبه بأنه لا يلزم من كون غيره لا يسدد لما كان يسدد له ، سواء أن تثبت بذلك الخصوصية ، ولو كان المرء لا يجب عليه الاتباع إلا فيما يعلم أنه يسدد فيه ، كتسديد الأنبياء لسقط الأتباع ، وتردّ هذه الحجة أيضًا بإرسال النبيّ ﷺ الخراص في زمانه ، والله - تعالى - أعلم .

واعتلّ الطحاوي بأنه يجوز أن يحصل للثمرة آفة فتتلفها ، فيكون ما يؤخذ عن صاحبها مأخوذًا بدلاً مما لم يسلم له ، وأجيب بأن القائلين به لا يضمنون أرباب الأموال ما تلف بعد الخرص . قال ابن المنذر : أجمع من يحفظ عنه العلم أنم المخروص إذا أصابته جائحة قبل الجذاذ فلا ضمان .

عباس الساعدي ، عن أبي حميد الساعدي قال : غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك ، فلما جاء وادي القرى إذا امرأة في حديقة لها ، فقال النبي ﷺ لأصحابه : اخرصوا ، وخرص رسول الله ﷺ عشرة أوسق ، وقال لها : أحصي ما يخرج منها فلما أتينا تبوك قال : أما إنها ستهب الليلة ريح شديدة فلا يقومن أحد ، ومن كان معه بعير فليعقله ، فعقلناها ، وهبت ريح شديدة ، فقام رجل فألقته بجبل طيىء ، وأهدى ملك أيلة للنبي ﷺ بغلة بيضاء ، وكساه بردًا ، وكتب له ببحرهم ، فلما أتى وادي القرى قال للمرأة : كم جاء حديقتك ؟ قالت : عشرة أوسق خرص رسول الله ﷺ ، قال النبي ﷺ : إني متعجل إلى المدينة ، فمن أراد منكم أن يتعجل معي فليتعجل . فلما – قال ابن بكار : كلمة معناها – أشرف على المدينة قال : هذه طابة ، فلما رأى أحدًا قال : هذا جبل يحبنا ونحبه ، ألا أخبركم بخير دور الأنصار ؟ قالوا : بلى ، قال : دور بني النجار ، ثم دور بني عبد الأشهل ، ثم دور بني ساعدة ، أو دور بني الحارث بن الخزرج ، وفي كل دور الأنصار يعني خيرًا ، وقال سليمان بن بلال : حدثني عمرو ، ثم دور بني الحارث ، ثم بني ساعدة .

وقال سليمان : عن سعد بن سعيد ، عن عمارة بن غزية ، عن عباس ، عن أبيه ، عن النبي ﷺ قال : أحد جبل يحبنا ونحبه ، قال أبو عبد الله : كل بستان عليه حائط فهو حديقة ، وما لم يكن عليه حائط لم يقل حديقة(٢) .

= وفي هذا الحديث مشروعية الخرص ، وفيه أشياء من أعلام النبوة ؛ كالإخبار عن الريح ، وماذكر في تلك القصة ، وفيه تدريب الأتباع وتعليمهم ، وأخذ الحذر مما يتوقع الخوف منه ، وفضل المدينة والأنصار ، ومشروعية المفاضلة بين الفضلاء بالإجمال والتعيين ، ومشروعية الهدية والمكافأة عليها . (فتح الباري) .

(١) (فتح الباري) ٣٢٨/٦ ، كتاب الجزية والموادعة ، باب (٢) إذا وادع الإمام ملك القرية هل يكون ذلك لبقيتهم ؟ حديث رقم (٣١٦١) مختصر جدًا كما قال الحافظ : وهذا القدر لا يكفي في مطابقة الحديث للترجمة .

(٢) (المرجع السابق) : حديث رقم (١٤٨٢) .

لم يذكر منه في كتاب الجزية غير قوله : غزونا مع النبي ﷺ تبوك ، وأهدى ملك أيلة للنبي ﷺ بغلة بيضاء ، وكساه بردًا ، وكتب له ببحرهم ولم يزد على ذلك[1] .

وخرَّج مسلم من حديث سليمان بن بلال ، عن عمرو بن يحيى ، عن عباس بن سهل بن سعد الساعدي ، عن أبي حميد قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك ، فأتينا وادي القرى على حديقة لامرأة ، فقال رسول الله ﷺ : اخرصوها فخرصناها ، وخرصها رسول الله ﷺ عشرة أوسق ، قال : أحصيها حتى نرجع إليك إن شاء الله ، وانطلقنا حتى أتينا تبوك ، فقال رسول الله ﷺ : ستهب عليكم الليلة ريح شديدة ، فقام رجل فحملته الريح حتى ألقته بجبل طيء ، وجاء رسول ابن العلماء صاحب أيلة إلى رسول الله ﷺ بكتاب وأهدى له بغله بيضاء ، فكتب إليه رسول الله ﷺ وأهدى له بردا ، ثم أقبلنا حتى قدمنا وادي القرى ، فسأل رسول الله ﷺ المرأة عن حديقتها كم بلغ ثمرها ؟ فقالت : عشرة أوسق ، فقال رسول الله ﷺ : إني مسرع فمن شاء منكم فليسرع معي ومن شاء فليمكث ، فخرجا حتى أشرفنا على المدينة ، فقال : هذه طابة ، وهذا أحد ، وهو جبل يحبنا ونحبه ، ثم قال : إن خير دور الأنصار دار بني النجار ، ثم دار بني عبد الأشهل ، ثم دار بني عبد الحارث بن الخزرج ، ثم دار بني ساعدة ، وفي كل دور الأنصار خير ، فلحقنا سعد بن عبادة فقال أبو أسيد : ألم تر رسول الله ﷺ خير دور الأنصار فجعلنا آخرًا ! فأدرك سعد رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله : خيرت دور الأنصار فجعلتنا آخرًا ! فقال : أوليس بحسبكم أن تكونوا من الخيار[2] .

---

(١) راجع تعليق رقم (٣) في الصفحة السابقة .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ١٥/٤٧ – ٤٨ ، كتاب الفضائل ، باب (٣) في معجزات النبيّ ﷺ حديث رقم (١١) . وفيه المعجزة الظاهرة من إخباره ﷺ بالمغيب ، وخوف الضرر من القيام وقت الريح ، وفيه ما كان عليه ﷺ من الشفقة على أمته والرحمة لهم ، والأعتناء بمصالحهم ، وتحذيرهم ما يضرهم في دين أو دنيا ، وإنما أمر بشدّ عقل الجمال لئلا ينفلت منها= =شيء ، = فيحتاج صاحبه إلى القيام في طلبه فيلحقه ضرر الريح ، وفيه قبول هدية الكافر ،

وقال يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق ، حدثني عبد الله بن أبي بكر حزم، عن العباس بن سهل بن سعيد الساعدي ، أو عن العباس ، عن سعد بن سهل - الشك مني - أن رسول الله ﷺ حين مر بالحجر ونزلها واستسقى الناس من بئرها فلما راحوا منها قال رسول الله ﷺ للناس : لا تشربوا من مائها شيئا ، ولا تتوضؤا منه للصلاة ، وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الإبل ، ولا تأكلوا منه شيئًا ، ولا يخرجن أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له ، ففعل الناس ما أمرهم رسول الله ﷺ إلا رجلين من بني ساعدة ، خرج أحدهم لحاجته ، وخرج الآخر في طلب بعير له ، فأما الذي ذهب لحاجته فإنه خنق على مذهبه ، وأما الذي ذهب في طلب بعيره فاحملته الريح حتى طرحته بجبلي طيىء ، فأُخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال : ألم أنهكم أن يخرج منكم أحد[١] إلا ومعه صاحبه ، ثم دعا للذي أصيب على مذهبه فشفي ، وأما الآخر الذي وقع بجبلي طيء فإن طيئاً أهدته إلى رسول الله ﷺ حين قدم من تبوك[٢] .

قال عبد الله بن أبي بكر : قد سمي إليّ العباس الرجلين ، ولكنه استودعني إياهما فأبى أن يسميهما لنا[٣] .

وقال الواقدي في (مغازيه)[٤] : قال أبو حميد الساعدي : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى تبوك ، فلما جئنا وادي القرى مررنا على حديقة لامرأة فقال رسول الله ﷺ : اخرصوها ، فخرصها رسول الله ﷺ وخرصناها معه ، عشرة أوساق ثم قال رسول الله ﷺ : احفظي ما خرج منها حتى نرجع إليك ، فلما أمسينا بالحجر قال : إنها ستَهُبّ الليلة ريح شديدة فلا يقومن منكم أحد إلا معه صاحبه ، ومن كان له بعير فليوثق عقاله ، قال : ونهاجت ريح شديدة، قال :

فيحتاج صاحبه إلى القيام في طلبه فيلحقه ضرر الريح ، وفيه قبول هدية الكافر ، وقوله : "ببحرهم" أي ببلدهم ، والبحار القُرى . (شرح النووي) .

(١) في (الأصل) : " أن يخرج رجل " وما أثبتناه من (ابن هشام) .

(٢) كذا (بالأصل) ، وفي (ابن هشام) : " حين قدم المدينة " .

(٣) (سيرة ابن هشام) : ٥/٢٠١ - ٢٠٢ ، ما حدث بالحجر .

(٤) (مغازي الواقدي) : ٣/١٠٠٥ - ١٠٠٦ ، باختلاف يسير في اللفظ .

ولم يقم أحد إلا مع صاحبه إلا رجلين من بني ساعدة ، خرج أحدهما لحاجتـــه، وخرج الآخر في طلب بعيره ، فأما الذي ذهب لحاجته فإنه خنق على مذهبـــه ، وأما الذي ذهب في طلب بعيره ، فاحتملته الرياح فطرحتـــه بجبلـــيّ طيـــيء ، فأخبر رسول الله ﷺ خبرهما ، فقال : ألم أنـــهكم أن يخـــرج أحـــد إلا ومعـــه صاحب ، ثم دعا للذي أصيب على مذهبه فشفى ، وأما الآخر الذي وقع بجبلـــيّ طيىء فإن طيئًا أهدته للنبي ﷺ حين قدم المدينة ، والله - تعالى - أعلم .

وأما صلاته ﷺ وهو بتبوك
على معاوية بن معاوية وقد مات بالمدينة

فروى الحافظ أبو عمر بن عبد البر[1] ، والحافظ أبو بكر البيهقي[2] من حديث عثمان بن الهيثم ، عن محبوب بن هلال ، عن [ابن] أبي ميمونة ، عن أنس بن مالك - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : نزل جبريل - عليه السلام - على النبي ﷺ فقال : يا محمد مات معاوية بن معاوية المزني ، [أفتحب] أن تصلي عليه؟ قال : نعم ، فضرب بجناحه الأرض فلم تبق شجرة ، ولا أكمة إلا تضعضعت ، ورفع إليه سريره حتى نظر إليه فصلى عليه وخلفه صفان من الملائكة في كل صف سبعون ألف ملك ، فقال النبي ﷺ لجبريل : يا جبريل [بم نال] هذه المنزلة [من الله] ؟ قال : بحبه ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾[3] وقراءته إياها جائيًا ، وذاهبًا ، وقائمًا ، وقاعدًا ، وعلى كل حال . السياق لابن عبد البر .

وزاد البيهقي من حديث الحسن بن محمد الزعفراني قال : حدثنا يزيد بن هارون ، عن العلاء أبي محمد الثقفي ، قال: سمعت أنس بن مالك قال : كنا مع رسول الله ﷺ بتبوك فطلعت الشمس بضياء وشعاع ونور ، ولم أرها طلعت فيما مضى ، [فأتى جبريل - عليه السلام - رسول الله ﷺ فقال : يا جبريل مالي أرى الشمس اليوم طلعت بضياء ونور وشعاع لم أرها طلعت فيما مضى]؟ قال : ذلك أن معاوية بن معاوية الليثي مات اليوم بالمدينة ، فبعث الله سبعين ألف ملك يصلون عليه ، قال : وفيم ذاك قال : كان يكثر قراءة ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ بالليل وبالنهار ، وفي ممشاه وقيامه وقعوده ، فهل لك يا رسول

---

(١) (الاستيعاب) : ٣/١٤٢٣ - ١٤٢٥ ، ترجمة رقم (٢٤٣٨) .

(٢) (دلائل البيهقيّ) : ٥/٢٤٥ ، باب ما روى في صلاته ﷺ بتبوك على معاوية بن معاوية الليثي - رضي الله تبارك وتعالى عنه - في اليوم الذي مات فيه بالمدينة وما بين الحاصرتين زيادات للسياق منه .

(٣) الإخلاص : ١ .

الله أن أقبض لك الأرض فتصلي عليه ؟ قال : نعم ، قال : فصلى عليه ، ثم رجع .

قال أبو عمر : العلاء أبو محمد الثقفي هو العلاء بن يزيد الثقفي أبو محمد ، يروي عن أنس ، روى عن يزيد بن هارون وعثمان بن مطيع ، في حديثه مناكير، كان محمد يتكلم فيه .

وخرَّجه أيضًا من حديث بقية بن الوليد قال : حدثنا محمد بن زياد ، عن أبي أمامة الباهلي قال : أتى رسول الله ﷺ جبريل - عليه السلام - وهو بتبوك فقال : يا محمد اشهد جنازة معاوية بن مقرن المزني ، قال : فخرج رسول الله ﷺ في أصحابه ، ونزل جبريل في سبعين ألفًا من الملائكة ، فوضع جناحه الأيمن على الجبال فتواضعت ، ووضع جناحه الأيسر على الأرض فتواضعت ، حتى نظر إلى مكة والمدينة ، فصلى عليه رسول الله ﷺ وجبريل والملائكة ، فلما فرغ قال : يا جبريل بم بلغ معاوية بن مقرن هذه المنزلة ، قال : بقراءته : ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ قائمًا ، وقاعدًا ، وراكبًا ، وماشيًا[1].

قال أبو عمر بن عبد البر : أسانيد هذه الأحاديث ليست بالقوية ، ولولا أنها في [غير][2] الأحكام لم يكن في شيء منها حجة ، ومعاوية بن مقرن المزني وإخوته : النعمان ، وسويد ، ومعقل ، وسائرهم وكانوا سبعة معروفون في الصحابة مذكورون في كبارهم ، وأما معاوية بن معاوية فلا أعرفه بغير ما ذكرت في هذا [الكتاب][3] ، وفضل ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ لا ينكر .

قال أبو عمير : معاوية بن معاوية المزني ، ويقال : الليثي ، ويقال : معاوية بن مقرن المزني ، وهو أولى بالصواب إن شاء الله ، توفى في حياة النبي ﷺ ، روى حديثه أنس بن مالك وأبو أمامه واختلفت الآثار في ذلك .

---

(١) (الاستيعاب) : ١٤٢٤/٣ - ١٤٢٥ .

(٢) في (الاستيعاب) : " في (الأحكام) .

(٣) في (الاستيعاب) : " الباب " .

وأما إخباره ﷺ خالد بن الوليد حين بعثه إلى أكيدر بدومة الجندل بأنه يجده يصيد البقر فوجده كما قال

فروى يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق[1] قال : حدثني يزيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك رجل من كندة كان ملكًا على دومة وكان نصرانيًا ، فقال رسول الله ﷺ لخالد : إنك ستجده يصيد البقر ، فخرج خالد حتى إذا كان من حصنه منظر العين في ليلةٍ مقمرة صافية وهو على سطح ومعه امرأته ، فأتت البقر تحك بقرونها باب القصر ، فقالت له امرأته : هل رأيت مثل هذا قط؟ قال : لا والله ، قالت : فمن يترك مثل هذا ؟ قال : لا أحد ، فنزل فأمر بفرسه فأسرج وركب معه نفر من أهل بيته فيهم أخ له يقال له : حسان ، فخرجوا معهم بمطاردهم فتلقتهم خيل رسول الله ﷺ ، فأخذته وقتلوا أخاه حسان ، وكان عليه قباء من ديباج مخوّص بالذهب ، فاستلبه خالد بن الوليد ، فبعث به إلى رسول الله ﷺ قبل قدومه به عليه ، ثم إن خالدًا قدم بالأكيدر على رسول الله ﷺ فحقن له دمه وصالحه على الجزية ، ثم خلى سبيله فرجع إلى قريته ، فقال رجل من طيء يقال له : بجير بن بجرة يذكر قول رسول الله ﷺ لخالد : إنك ستجده يصيد البقر وما صنعت البقر تلك الليلة حتى استخرجته لتصديق قول رسول الله ﷺ :

تبارك سائق البقرات إني ... رأيت الله يهدي كل هاد
ومن يك عائدًا عن ذي تبوك ... فإنا قد أمرنا بالجهاد

زاد فيه غيره : فقال النبي ﷺ : لا يفضض الله ، فاك فأتى عليه تسعون سنة فما تحرك له ضرس ولا سن .

---

(١) (سيرة ابن هشام) : ٢٠٧/٥ - ٢٠٨ .

وقال الواقدي في (مغازيه)[1] حدثني ابن أبي حبيبة ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - ومحمد بن صالح ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، ومعاذ بن محمد ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، وإسماعيل ابن إبراهيم ، عن موسى بن عقبة ، فكل قد حدثني من هذا الحديث بطائفة ، وعماده حديث ابن أبي حبيبة .

قالوا : بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد من تبوك في أربعمائة وعشرين فارسًا إلى أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل - وكان أكيدر من كنده قد ملكهم وكان نصرانيًا - فقال خالد : يا رسول الله ، كيف لي به وسط بلاد كلب ، وإنما أنا في أناس يسير ؟ فقال رسول الله ﷺ : ستجده يصيد البقر فتأخذه .

قال : فخرج خالد حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين في ليلة مقمرة صائفة ، وهو على سطح له ومعه امرأته الرباب بنت أنيف بن عامر من كندة ، وصعد على ظهر الحصن من الحر ، وقينته تغنيه ، ثم دعا بشراب فشرب ، فأقبلت البقر تحك بقرونها باب الحصن ، فأقبلت امرأته الرباب فأشرفت على الحصن فرأت البقر ، فقالت : ما رأيت كالليلة في اللحم ، هل رأيتَ مثل هذا قط ؟ قال : لا ، ثم قالت : من يترك هذا ؟ قال : لا أحد .

قال : يقول أكيدر : والله ما رأيت جاءنا بقر غير تلك الليلة ولقد كنت أضمّر لها الخيل إذا أردت أخذها شهرًا أو أكثر ، ثم أركب بالرجال وبالآلة .

قال : فنزل ، فأمر بفرسه فأسرج ، وأمر بخيل فأسرجت ، وركب معه نفر من أهل بيته ، معه أخوه حسان ومملوكان ، فخرجوا من حصنهم بمطاردهم[2] ، فلما فصلوا من الحصن وخيل خالد تنتظرهم لا يصهل منها فرس ولا يتحرك ، فساعة فصل أخذته الخيل ، فاستأسر أكيدر ، وامتنع حسان فقاتل حتى قتل ، وهرب المملوكان ومن كان معه من أهل بيته ، فدخلوا

(١) (مغازي الواقدي) : ٣/١٠٢٥ - ١٠٢٨ ، غزوة أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل في رجب سنة تسع ، وهي على عشرة أميال من المدينة المنورة .

(٢) المطارد : جمع مطرد ، وزن منبر ، وهو رمح قصير يطرد به الوحش .

الحصن ، وكان على حسان قباء ديباج مخوّص بالذهب ، فاستلبه خالد فبعث به إلى رسول الله ﷺ مع عمرو بن أمية الضمري حين قدم عليهم فأخبرهم بأخذهم أكيدر .

قال أنس بن مالك وجابر بن عبد الله – رضي الله تبارك وتعالى عنهما – : رأينا قباء حسان أخي أكيدر حين قُدم به إلى رسول الله ﷺ ، فجعل المسلمون يتلمسونه بأيديهم ويتعجبون منه ، فقال رسول الله ﷺ : تعجبون من هذا ؟ والذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا .

وقد كان رسول الله ﷺ قال لخالد بن الوليد : إن ظفرت بأكيدر فلا تقتله ، وائت به إليّ فإن أبي فاقتلوه ، فطاوعهم . فقال بجير بن بجرة من طيء ، يذكر قول النبي ﷺ لخالد : إنك تجده يصيد البقر وما صنع البقر تلك الليلة بباب الحصن تصديق قول رسول الله ﷺ فقال شعرًا .

وقال خالد لأكيدر : هل لك أن أجيرك من القتل حتى آتى رسول الله ﷺ على أن تفتح لي دومة ؟ قال : نعم ، ذلك لك ، فلما صالح خالد أكيدر ، وأكيدر في وثاقه انطلق به خالد حتى أدناه من باب الحصن ونادى أكيدر أهله : افتحوا باب الحصن فأرادوا ذلك فأبى عليهم أخو أكيدر ، فقال أكيدر لخالد : تعلم والله لا يفتحون لي ما رأوني في وثاقك ، فخل عني فلك الله والأمانة أن أفتح لك باب الحصن إن أنت صالحتني على أهله ، قال خالد : فإني أصالحك ، فقال أكيدر : إن شئت حكمتك ، وإن شئت حكمتني ، قال خالد : بل نقبل منك ما أعطيت فصالحه على ألفي بعير ، وثماني مائة رأس وأربعمائة درع ، وأربعمائة رمح ، على أن ينطلق به وأخيه إلى رسول الله ﷺ ، فيحكم فيهما حكمه .

فلما قاضاه خالد على ذلك خلى سبيله ففتح الحصن فدخل خالد وأوثق مضاداً أخا أكيدر ، وأخذ ما صالح عليه من الإبل والرقيق والسلاح ، ثم خرج قافلاً إلى المدينة ومعه أكيدر ، فلما قدم بأكيدر على رسول الله ﷺ صالحه على

الجزية ، وحقن دمه ودم أخيه ، وخلى سبيلها ، وكتب رسول الله ﷺ كتابًا فيه أمانهم وما صالحهم ، وختمه يومئذ بظفره[1] .

وذكر ابن الكلبي أن أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل ، لما قبض رسول الله ﷺ منع أبا بكر – رضي الله تبارك وتعالى عنه – ما صالح عليه فأخرج من جزيرة العرب من دومة ولحق الحيرة وابتنى بها بناء وسماه دومة ، بدومة الجندل ، وفي (كتاب الفتوح) : أن خالد بن الوليد لما خرج إلى دومة الجندل وبها أكيدر هذا والجودي بن ربيعة جمع كثير قال أكيدر : لا أحد فمن نقيه من خالد ولا يرى وجهه أحد إلا انهزم فلا تقاتلوا ، فعصوه فتركهم ، وخرج فأخذته خيل خالد فقتلته ، ثم قتل خالد الجودي وفتح دومة .

(١) والخبر بتمامه في (سيرة ابن هشام) : ٥/٢٠٧ – ٢٠٨ ، خالد يأسر أكيدر دومة ، وفي (دلائل البيهقيّ) : ٥/٢٥٠ – ٢٥٣ ، باب بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة ، وما ظهر في إخباره ﷺ عن وجوده وهو يصيد البقر من آثار النبوة .

وأما أكل طائفة من سبع ثمرات غير مرة حتى شبعوا - وهم بتبوك مع رسول الله ﷺ - وإذا هي لم تنقص

فقال الواقدي : حدثني ابن أبي سبرة ، عن موسى بن سعيد ، عن عرباض بن سارية قال : كنت ألزم باب رسول الله ﷺ في الحضر والسفر ، فرأيتنا ليلة ونحن بتبوك ، وذهبنا لحاجة ، فرجعنا إلى منزل رسول الله ﷺ ، وقد تعشى ومن عنده من أضيافه ورسول الله ﷺ يريد أن يدخل في قبته ومعه زوجته أم سلمة بنت أبي أمية ، فلما طلعت عليه قال : أين كنت منذ الليلة ؟ فأخبرته ، فطلع جعال بن سراقة ، وعبد الله بن مغفل المزني ، وكنا ثلاثة ، كلنا جائع ، إنما نعيش بباب النبي ﷺ ، فدخل رسول الله ﷺ البيت ، فطلب شيئًا نأكله فلم يجده ، فخرج إلينا فنادى بلالاً : يا بلال ، هل من عشاء لهؤلاء النفر ؟ قال : لا والذي بعثك بالحق لقد نفضنا جربنا[1] وحمتنا[2] ، قال : انظر عسى أن تجد شيئًا ، فأخذ الجرب ينفضها جرابًا جرابًا ، فتقع التمرة والتمرتان ، حتى رأيت بين يديه سبع تمرات ، ثم دعا بصحفة فوضع فيها التمر ، ثم وضع يده على التمرات وسمى الله ، وقال : كلوا بسم الله ، فأكلنا فأحصيت أربعًا وخمسين تمرة أكلتها أعدها ونواها في يدي الأخرى ، وصاحباي يصنعان ما أصنع وشبعنا ، وأكل كل واحد منا خمسين تمرة ، ورفعنا أيدينا فإذا التمرات السبع كما هي ، فقال : يا بلال ، ارفعها في جرابك فإنه لا يأكل منها أحد إلا نهل شبعًا ، قال : فبتنا حول قبة رسول الله ﷺ ، فكان يتهجد من الليل ، فقام تلك الليلة يصلي ، فلما طلع الفجر ركع ركعتي الفجر ، وأذن بلال وأقام ، فصلى رسول الله ﷺ بالناس ، ثم انصرف إلى فناء قبته ، فجلس وجلسنا حوله ، فقرأ من المؤمنين عشرًا ، فقال : هل لكم في الغداء ؟

---

(١) الجُرُبُ : جمع جراب ، وهو معروف .

(٢) الحمت : جمع حميت ، وهو النحي أو الزق الذي يكون فيه السمن .

قال عرباض : فجعلت أقول في نفسي أي غداء ؟ فدعا بلال بالتمر ، فوضع يده عليه في الصحفة ، ثم قال : كلوا بسم الله ، فأكلنا – والذي بعثه بالحق – حتى شبعنا وإنا لعشرة ، ثم رفعوا أيديهم منها شبعًا ، وإذا التمرات كما هي ! فقال رسول الله ﷺ : لولا أني أستحيي من ربي لأكلنا من هذه التمرات حتى نرد المدينة عن آخرنا ، وطلع غليم من أهل البلد ، فأخذ رسول الله ﷺ التمرات بيده فدفعها إليه ، فولى الغلام يلوكهن[1] .

وأما دعاؤه ﷺ لذي البجادين أن يحرم الله تعالى دمه على الكفار فمات حتف أنفه مع عزمه على القتل في سبيل الله

فقال الواقدي في (مغازيه) : قالوا : وكان عبد الله ذو البجادين[2] من مزينة وكان يتيمًا لا مال له ، مات أبوه فلم يورثه شيئًا ، وكان عمه مَيِّلاً[3] فأخذه وكفله حتى كان قد أيسر ، وكانت له إبل وغنم ورقيق ، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، كانت نفسه تتوق إلى الإسلام ، ولا يقدر عليه من عمه ، حتى مضت السنون والمشاهد كلها ، فانصرف رسول الله ﷺ من فتح مكة راجعًا إلى المدينة ، فقال عبد الله لعمه : يا عم إني قد انتظرت إسلامك فلا أراك تريد محمدًا ، فأذن لي في الإسلام ، فقال : والله لئن اتبعت محمدًا لا أترك بيدك شيئًا كنت أعطيتكه إلا نزعته منك حتى ثوبيك ، فقال عبد العزى وهو يومئذٍ اسمه : وأنا والله متبع محمدًا ومسلم ، وتارك عبادة الحجر والوثن وهذا ما بيدي فخذه ، فأخذ كل ما أعطاه حتى جرده من إزاره ، فأتى أمه فقطعت بجادًا لها باثنين فأتزر بواحدٍ وارتدى بالآخر ، ثم أقبل إلى المدينة وكان بورقان – جبل بالمدينة – فاضطجع في المسجد في السحر ، ثم صلى مع رسول الله ﷺ

---

(١) (مغازي الواقديّ) : ٣/١٠٣٦ – ١٠٣٧ .

(٢) البجاد : الكساء الغليظ الجافي .

(٣) ميلاً : ذا مال .

الصبح ، وكان رسول الله ﷺ يتصفح الناس إذا انصرف من الصبح فنظر إليه، فأنكره ، فقال : من أنت ؟ فانتسب له فقال : أنت عبد الله ذو البجادين ، ثم قال: انزل مني قريبًا .

فكان يكون في أضيافه ويعلمه القرآن ، حتى قرأ قرآناً كثيرًا ، والناس يتجهزون إلى تبوك . وكان رجلاً صيتًا ، فكان يقوم في المسجد فيرفع صوته بالقراءة ، فقال عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - : يا رسول الله ! ألا تسمع هذا الأعرابي يرفع صوته بالقرآن حتى قد منع الناس القراءة ؟ فقال النبي ﷺ : دعه يا عمر فإنه خرج مهاجرًا إلى الله ورسوله .

قال : فلما خرج إلى تبوك قال : يا رسول الله ، ادع الله لي بالشهادة ، فقال : أبلغني لحاء سمُرة[1] ، فأبلغه لحاء سمُرة ، فربطها رسول الله ﷺ على عضده وقال : اللهم إني أحرم دمه على الكفار ، فقال : يا رسول الله ليس هذا أردت ، قال النبيّ ﷺ : إنك إذا خرجت غازيًا في سبيل الله فأخذتك الحمى فقتلتك فأنت شهيد ، أو وقصتك دابتك فأنت شهيد ، لا تبال بأية كان .

فلما نزلوا تبوك أقاموا بها أيامًا ، وتوفى عبد الله ذو البجادين ، فكان بلال ابن الحارث يقول : حضرت رسول الله ﷺ ومع بلال المؤذن شعله من نار عند القبر واقفًا بها ، وإذا رسول الله ﷺ في القبر ، وإذا أبو بكر وعمر - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - يدليانه إلى رسول الله ﷺ وهو يقول : أدنيا إليّ أخاكما ، فلما هيآه لشقه ، قال : اللهم إني أمسيت عنه راضيًا فارض عنه ، قال : فقال عبد الله بن مسعود - رضي الله تبارك وتعالى عنه - يا ليتني كنت صاحب اللحد[2] .

---

(١) لحاء سمرة : قشر شجرة .

(٢) (مغازي الواقدي) : ٣/١٠١٣ - ١٠١٤ .

وأما إخباره ﷺ [بطلوع] وفد عبد القيس [قبل قُدومهم]

فخرَّجَ البيهقيّ[١] من طريق قيس بن حفص الدارمي ، عن طالب بن حجير العبدي ، قال : حدثنا هود بن عبد الله بن سعيد أنه سمع [جده][٢] مزيدة العصري قال : بينما النبي ﷺ يحدث أصحابه إذ قال لهم : سيطلع عليكم من ها هنا ركب هم خير أهل المشرق ، فقام عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فتوجه نحوهم فلقى ثلاثة عشر راكبًا ، فقال : من القوم ؟ قالوا : من بني عبد القيس ، فقال : فما أقدمكم هذه البلاد ؟ أتجارة ؟ قالوا : لا ، قال : أما إن النبي ﷺ قد ذكركم آنفًا ، فقال : خيرًا ، ثم مشى معهم حتى أتوا النبي ﷺ ، فقال عمر للقوم : هذا صاحبكم الذي تريدون ، فرمي القوم بأنفسهم عن ركائبهم ، فمنهم من مشى ، ومنهم من هرول ، ومنهم من سعى ، حتى أتوا النبي ﷺ فأخذوا بيده فقبلوها ، وتخلف الأشج في الركاب حتى أناخها ، وجمع متاع القوم ، ثم جاء يمشي حتى أخذ بيد رسول الله ﷺ فقبلها ، فقال له النبي ﷺ : إن فيك خلتين يحبهما الله ورسوله ، فقال جَبْل جبلت عليه أم تخلقًا مني ؟ قال : بل جبل ، قال : الحمد لله الذي جبلني على ما يحب الله ورسوله[٣] .

---

(١) (دلائل البيهقيّ) : ٥/٣٢٦-٣٢٧ ، باب وفد عبد القيس وإخباره النبي ﷺ بطلوعهم قبل قدومهم ، وتصويبات العنوان منه .

(٢) من (الأصل) فقط .

(٣) الخلتان كما في رواية مسلم : الحلم والأناة . وسبب وفودهم أن منقذ بن حبان أحد بني غنم ابن وديعة كان متجره إلى يثرب في الجاهلية ، فشخص إلى يثرب بملاحف ونمر من هَجَر بعد هِجْرة النبيّ ﷺ إليها ، فبينا منقذ قاعد إذ مرَّ به النبيّ ﷺ ، فنهض منقذ إليه ، فقال النبيّ ﷺ : أمنقذ بن حبان ؟ كيف جميع هيأتك وقومك ؟ ثم سأله عن أشرافهم رجل رجل ، يسميهم بأسمائهم، فأسلم منقذ وتعلم سورة الفاتحة ، و﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾ ، ثم رحل قبل هجر ، فكتب النبيّ ﷺ معه إلى جماعة عبد القيس كتابًا ، فذهب به وكتمه أيامًا ، ثم اطلعت=

قال كاتبه : قد خرَّج البخاريّ ومسلم حديث وفد عبد القيس بغير هذه السياقة ، فخرَّجه مسلم[1] من طريق شعبة ، عن أبي جمرة قال : كنت أترجم

=عليه امرأته وهي بنت المنذر بن عائذ بن الحارث ، والمنذر هو الأشج ، سماه النبيّ ﷺ به لأثر كان في وجهه .

وكان منقذ – رضي الله تبارك وتعالى عنه – يصلي ويقرأ ، فأنكرت امرأته ذلك ، وذكرت لأبيها المنذر فقالت : أنكرتُ بعلي منذ قدم من يثرب ، إنه يغسل أطرافه [تعني يتوضأ]، ويستقبل الجهة [تعني القبلة] ، فيحني ظهره مرة ، ويضع جبينه مرة ، ذلك ديدنه منذ قدم ، فتلاقيا ، فتجاريا ذلك ، فوقع الإسلام في قلبه .

ثم سار الأشج إلى قومه – عصر ومحاربٍ – بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه عليهم فوقع الإسلام في قلوبهم ، وأجمعوا على المسير إلى رسول الله ﷺ ، فسار الوفد ، فلما دنوا من المدينة قال النبيّ ﷺ لجلسائه : أتاكم وفد عبد القيس ، خير أهل المشرق ، ومنهم الأشجّ العصري غير ناكثين ولا مبدلين ولا مرتابين ، إذ لم يسلم قوم حتى وتروا .(شرح النووي) .

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٢/٣٠٠– ٣٠٢ ، كتاب الإيمان ، باب (٦) الأمر بالإيمان بالله – تعالى – ورسوله ﷺ وشرائع الدين والدعاء إليه والسؤال عنه ، وحفظه ، وتبليغه من لم يبلغه ، حديث رقم (٢٤) .

وفي هذا الحديث وفادة الرؤساء والأشراف إلى الأئمة عند الأمور المهمة ، وفيه تقديم الاعتذار بين يدى المسألة ، وفيه بيان مهمات الإسلام وأركانه ما سوى الحج ، وفيه استعانة العالم في تفهيم الحاضرين ، والفهم عنهم ببعض أصحابه كما فعله ابن عباس – رضي الله تبارك وتعالى عنهما – وقد يستدل به على أنه يكفيفي الترجمة في الفتوى والخبر قول واحد .
وفيه استحباب قول الرجل لزواره والقادمين عليه : مرحبًا ونحوه ، والثناء عليهم إيناسًا وبسطًا .
وفيه جواز الثناء على الإنسان في وجهه إذا لم يخف عليه فتنة بإعجاب ونحوه .

وأما استحبابه فيختلف بحسب الأحوال والأشخاص وأما النهي عن المدح في الوجه فهو في حق من يخاف عليه الفتنة بما ذكرناه . وقد مدح النبيّ ﷺ في مواضع كثيرة في الوجه ، فقال ﷺ لأبي بكر – رضي الله تبارك وتعالى عنه – : لست منهم ، وقال : يا أبا بكر لا تبك ، إن أمنَّ الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر ، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً . وقال له : وأرجو أن تكون منهم ؛ أي من الذين يدعون من أبواب الجنة . =

بين يدي ابن عباس وبين الناس ، فأتته امرأة تسأله عن نبيذ الجر فقال : إن وفد عبد القيس أتوا رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : من الوفد أو من القوم ؟ قالوا : ربيعة ؛ قال : مرحبًا بالقوم أو بالوفد غير خزايًا ولا الندامى ، قال: فقالوا : يا رسول الله إنا نأتيك من شقة بعيدة ، وإن بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر وأنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في شهر الحرام ، فمرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا ندخل به الجنة ، قال : فأمرهم بأربع ، ونهاهم عن أربع قال : أمرهم بالإيمان بالله وحده وقال : هل تدرون ما الإيمان بالله ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وأن تؤدوا خمسًا من المغنم ، ونهاهم عن الدباء والحنتم ، والمزفت ، قال شعبة : وربما قال النقير ، قال شعبة :

= وقال ﷺ : دخلت الجنة فرأيت قصرًا ، فقلت : لمن هذا ؟ قالوا : لعمر ابن الخطاب - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فأردت أن أدخله فذكرت غيرتك ! فقال عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، أعليك أغار ؟ وقال له : ما لقيك الشيطان سالكًا فجًا إلا سلك فجًا غير فجّك .

وقال : افتح لعثمان وبشره بالجنة ، وقال لعلى - رضي الله تبارك وتعالى عنه - : أنت مني وأنا منك . وفي الحديث الآخر : أما ترضى أن تكون مني بمنزله هارون من موسى ؟ .

وقال لبلال : سمعت دقَّ نعليك في الجنة ، وقال لعبد الله بن سلام : أنت على الإسلام حتى تموت . وقال للأنصار : أنتم م أحبَّ الناس إليّ . ونظائرهم هذا كثيرة في المدح في الوجه.

وأما مدح الصحابة والتابعين فمن بعدهم من العلماء والأئمة الذين يقتدي بهم - رضي الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين - فأكثر من أن تُحصر . والله - تعالى - أعلم .

وفي حديث الباب من الفوائد : أنه لا عتب على طالب العلم والمستفتي إذا قال للعالم : أوضح لي الجواب ، ونحو هذه العبارة . وفيه أنه لا بأس بقول : رمضان ، من غير ذكر الشهر ، وفيه جواز قول الإنسان لمسلم : جعلني الله فداك .

فهذه أطراف مما يتعلق بهذا الحديث ، وهي وإن كانت طويلة فهي مختصرة بالنسبة إلى طالبي التحقيق ، والله - تعالى - أعلم ، وله الحمد والمنة ، وبه التوفيق والعصمة . (شرح النووي) مختصرًا .

وربما قال : المقير ، وقال : احفظوه وأخبروا به من وراءكم ، وقال أبو بكر : يعني ابن أبي شيبة في روايته من وراءكم وليس في روايته المقير .

وخرَّجه البخاري وفي روايته : كنت أترجم بين ابن عباس وبين الناس ، فقال : إن وفد عبد القيس ، لم يذكر المرأة ، وقال : غير خزايا ولا ندامى ، وقال : في شهر حرام وقال : تعطوا الخمس من المغنم وقال : وأخبروه من وراءكم ، ذكره في كتاب العلم[1] ، وفي كتاب الإيمان[2] ، وفي إجازة خبر الواحد الصدوق بألفاظ متقاربة .

وأخرجاه من حديث قرة بن خالد ، عن أبي حمزة ، ومن حديث حماد بن يزيد ، وعباد بن عباد ، عن أبي جمرة .

وأخرجه البخاري في كتاب الأدب[3] من حديث أبي التياح ، عن أبي جمرة ، عن ابن عباس .

وأخرَّجه مسلم[4] من حديث سعيد ، عن قتادة ، عن أبي سعيد الخدري .

(١) (فتح الباري) : ٢٤٣/١ - ٢٤٤ ، كتاب العلم ، باب (٢٥) تحريض النبي ﷺ وفد عبد القيس على أن يحفظوا الإيمان والعلم ويخبروا من وراءهم ، حديث رقم (٨٧) .

(٢) (المرجع السابق) : ١٧٢ ، كتاب الإيمان ، باب (٤٠) أداء الخمس من الإيمان ، حديث رقم (٥٣) .

(٣) (المرجع السابق) : ٦٨٨/١٠ ، كتاب الأدب ، باب (٩٨) قول الرجل : " مرحبًا " ، وقالت عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - : قال النبيّ ﷺ لفاطمة : مرحبًا يابنتي ، وقالت أم هانيء : جئت النبيّ ﷺ فقال : مرحبًا بأم هانيء ، حديث رقم (٦١٧٦) .

(٤) (مسلم بشرح النووي) : ٣٠٧/٢ ، كتاب الإيمان ، باب (٦) الأمر بالإيمان بالله - تعالى - ورسوله ﷺ وشرائع الدين ، والدعاء إليه ، والسؤال عنه ، وحفظه ، وتبليغه من لم يبلغه ، حديث رقم (٢٧) .

وأما إخباره ﷺ عديّ بن حاتم بأمور فرآها عديّ بعد ذلك كما أخبر

فخرَّج البخاريّ في باب علامات النبوة في الإسلام(1) من حديث إسرائيل ، عن سعد الطائي ، عن محل بن خليفة ، عن عدي بن حاتم قال : بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل ، فقال: يا عدي هل رأيت الحيرة ؟ قلت : لم أرها وقد أُنبئت عنها ، قال: فإن طالت بك الحياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرةِ حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدًا إلا الله ، قلت فيما بيني وبين نفسي : فأين دُعّار طيء الذين قد سعروا البلاد ؟ ولئن طالت بك الحياة لتفتحن كنوز كسرى قال : كسرى بن هرمز ! ولئن : طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدًا يقبله منه ، وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه ليس بينه وبينه ترجمان يترجم له ، فيقولنّ له : ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك؟ فيقول : بلى ، فيقول : ألم أعطك مالاً وأفضل عليك ؟ فيقول : بلى ، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم ، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم .

قال عدي : سمعت رسول الله ﷺ يقول : اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة ، قال عدي : فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله ، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى ابن هرمز ، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي أبو القاسم ﷺ : يخرج الرجل ملء كفه .

وخرَّج الإمام أحمد(2) من حديث شعبة قال: سمعت سماك بن حرب قال: سمعت عباد بن حبيش يحدث عن عدي بن حاتم قال : جاءت خيل رسول الله

---

(1) (فتح الباري) : ٧٥٧/٦ - ٧٥٨ ، كتاب المناقب ، باب (٢٥) علامات النبوة في الإسلام ، حديث رقم (٣٥٩٥) ، وقال في عقبه : حدثني عبد الله ، حدثنا أبو عاصم أخبرنا سعدان بن بشر حدثنا أبو مجاهد حدثنا محلّ بن خليفة ، سمعت عديًا : " كنت عند النبيّ ﷺ " .

(2) (مسند أحمد) : ٥١١/٥ - ٥١٢ ، حديث رقم (١٨٨٩١) ، من حديث عدي بن حاتم .

ﷺ – أو قال : رسل رسول الله ﷺ – وأنا بعقرب ، فأخذوا عمتي وناسًا ، قال : فلما أتوا بهم رسول الله ﷺ قال : فصفوا له ، قلت : يا رسول الله نأى الوافد وانقطع الولد ، وأنا عجوز كبيرة ما بى من خدمة ، فمنّ عليّ منّ الله عليك .

قال : من وافدك ؟ قالت : عديّ بن حاتم الذي فر من الله ورسوله ، قالت: فمنّ عليّ ! قالت : فلما رجع ورجل إلى جنبه نرى أنه علي قال : سليه حملانًا ، قال : فسألته ، فأمر لها ، قالت فأتتني ، فقالت : لقد فعلت فعلة ما كان أبوك يفعلها .

قالت : ائته راغبًا أو راهبًا فقد أتاه فلان فأصاب منه ، وأتاه فلان فأصاب منه . قال فأتيته ، فإذا عنده امرأة وصبيان – أو صبيّ – فذكر قربهم من النبيّ ﷺ فعرفت أنه ليس ملك كسرى ولا قيصر ، فقال له : يا عدي بن حاتم ! ما أفرك أن يقال : لا إله إلا الله ؟ فهل من إله إلا الله ؟ ما أفرك أن يقال : الله أكبر ؟ فهل شيء هو أكبر من الله عزّ وجلّ ؟ قال : فأسلمت فرأيت وجهه استبشر وقال : إن المغضوب عليهم اليهود ، وإن الضالين النصارى .

ثم سألوه فحمد الله – تعالى – وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فلكم أيها الناس أن ترضخوا من الفضل ، ارتضخ امرؤ بصاع ، ببعض صاع ، بقبضة ، ببعض قبضة ، قال شعبة : وأكثر علمي أنه قال : بتمرة ، بشق تمرة ، وإن أحدكم لا قي الله – عزّ وجلّ – فقائل ما أقول : ألم أجعلك سميعًا بصيرًا ؟ ألم أجعل لك مالاً وولدًا ؟ فماذا قدمت ؟ فينظر من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شماله ، فلا يجد شيئًا ، فما يتقى النار إلا بوجهه ، فاتقوا النار ولو بشق تمرة ، فإن لم تجدوه فبكلمة لينة ، إني لا أخشى عليكم الفاقة ، لينصركم الله – تعالى – وليعطينكم أو ليفتحن لكم حتى تسير الظعينة بين الحيرة ويثرب أو أكثر ، ما تخاف السرق على ظعينتها . [قال محمد بن جعفر : حدثناه شعبة ما لا أحصيه وقرأته عليه][1] .

---

(١) ما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (المسند) .

وأما إخباره ﷺ بقدوم أهل اليمن

فخرَّج البخاريّ من حديث شعيب أبى الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة – رضي الله تبارك وتعالى عنه – ، عن النبي ﷺ قال : أتاكم أهل اليمن أضعف قلوبًا ، وأرق أفئدة ، الفقه يمان ، والحكمه يمانية[١] .

وخرَّج مسلم من حديث حماد قال : حدثنا أيوب ، عن محمد ، عن أبي هريرة – رضي الله تبارك وتعالى عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : جاءكم أهل اليمن هم أرق أفئدة ، الإيمان يمان ، والفقه يمان ، والحكمة يمنية[٢] .

ومن حديث يعقوب بن إبراهيم بن سعد قالها ابي عن صالح ، عن الأعرج قال: قال أبو هريرة –رضى الله تبارك وتعالى عنه– : قال رسول الله ﷺ : أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوبًا ، وأرق أفئدة ، الفقه يمان ، والحكمة يمانية[٣] .

ومن حديث أبي اليمان ، عن شعيب ، عن الزهريّ قال : حدثني سعيد ابن المسيب أن أبا هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : جائكم أهل اليمن هم أرق أفيدة ، وأضعف قلوبًا ، الإيمان يمان ، والحكمة يمانية ، السكينة في أهل الغنم ، والفخر والخيلاء في الفدادين ، أهل الوبر قبل مطلع الشمس[٤] .

والبخاريّ ومسلم من حديث ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن ذكوان ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : جاءكم أهل اليمن هم أرق أفيدة ، وألين قلوبًا ، الإيمان يمان ، والحكمة يمانية ، والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل ، والسكينة والوقار في أهل الغنم[٥] .

---

(١) (جامع الأصول) : ٣٤٧/٩ ، حديث رقم (٦٩٨٤) .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ٣٨٩/٢ ، كتاب الإيمان ، باب (٢١) تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه ، حديث رقم (٨٢) .

(٣) (المرجع السابق) : حديث رقم (٨٤) .

(٤) (المرجع السابق) : حديث رقم (٨٩) .

(٥) (جامع الأصول) : ٣٤٧/٦ ، حديث رقم (٦٩٨٤) ، ونسبه إلى البخاريّ ومسلم والترمذي .

وخرَّج مسلم من حديث أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : أتاكم أهل اليمن هم ألين قلوبًا ، وأرق أفئدة ، الإيمان يمان ، والحكمة يمانية ، رأس الكفر في المشرق[1] .

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٢/٣٩٣ ، كتاب الإيمان ، باب (٢١) تفاضل أهل الإيمان فيه ، ورجحان أهل اليمن فيه ، حديث رقم (٩٠) .

قوله ﷺ : ألين قلوبًا وأرق أفئدة ، المشهور أن الفؤاد هو القلب ، فعلى هذا يكون كرر لفظ القلب بلفظين ، وهو أولى من تكريره بلفظ واحد . وقيل : الفؤاد غير القلب وهو عين القلب، وقيل : باطن القلب ، وقيل : غشاء القلب .

وأما وصفها باللين والرقة والضعف ، فمعناه أنها ذات خشية واستكانة سريعة الاستجابة ، والتأثر بقوارع التذكير ، سالمة من الغلظ والشدة والقسوة التي وصف بها قلوب الآخرين .

قال : وقوله ﷺ : في الفدادين ، فزعم أبو عمر الشيباني أنه بتخفيف الدال ، وهو جمع فداد بتشديد الدال ، وهو عبارة عن البقر التي يحرث عليها ، حكاه عنه أبو عبيد وأنكره عليه ، وعلى هذا المراد بذلك أصحابها ، فحذف المضاف ، والصواب في الفدادين بتشديد الدال ، جمع فداد بدالين أولاهما مشددة ، وهذا قول أهل الحديث والأصمعيّ وجمهور أهل اللغة ، وهو من الفديد ، وهو الصوت الشديد ، فهم الذين تعلو أصواتهم في إبلهم وخيلهم وحروثهم ونحو ذلك .

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : هم المكثرون من الإبل الذين يملك أحدهم المائتين منها إلى الألف ، وقوله : إنَّ القسوة في الفدادين عند أصول أذناب الإبل ، معناه : الذين لهم جلبة وصياح عند سوقهم لها .

وأما قوله ﷺ : الفخر والخيلاء ، فالفخر هو الافتخار وعد المآثر القديمة تعظيمًا ، والخيلاء الكبر واحتقار الناس .

وأما قوله ﷺ : في أهل الخيل والإبل الفدادين أهل الوبر ، فالوبر وإن كان من الإبل دون الخيل ، فلا يمتنع أن يكون قد وصفهم بكونهم جامعين بين الخيل والإبل والوبر .

وأما قوله ﷺ : والسكينة في أهل الغنم ، فالسكينة ، الطمأنينة والسكون على خلاف ما ذكره من صفة الفدادين ، هذا آخر ما ذكره الشيخ أبو عمرو رحمه الله ، وفيه كفاية فلا نطول بزيادة عليه . والله – تعالى – أعلم . (شرح النووي) .

ولأبي بكر بن أبي شيبة من حديث يزيد بن هارون ، عن ابن أبي ذئب ، عن الحارث بن عبد الرحمن ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه قال : كنا مع رسول الله ﷺ في مسير له ، فقال : يطلع عليكم أهل اليمن كأنهم السحاب هم خير من في الأرض ، فقال رجل من الأنصار : إلا نحن يا رسول الله ؟ فقال كلمة ضعيفة : إلا أنتم[1] .

وأخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده من حديث ابن أبي ذئب ، عن خاله الحارث بن عبد الرحمن إلى آخره بمعناه .

وللطبراني في كتاب (الأوائل) من حديث علي بن عثمان اللاحقي حدثنا حماد بن سلمة ، عن حميد ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : أتاكم أهل اليمن هم أرق قلوبًا ، وهم أول من جاء بالمصافحة .

---

(١) (المصنف) : ٤١٠/٦ ، كتاب الفضائل ، باب (٥٨) ما جاء في اليمن وفضلها ، حديث رقم (٣٢٤٢٦) .

وأما إجابة الله تعالى دعاء رسوله ﷺ في قدوم معاوية بن حيدة بن معاوية بن حيدة ابن قشير بن كعب القشيري[1]

فخرَّج البيهقيّ من طريق داود الوراق ، عن سعد بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده معاوية بن حيدة القشيري ، قال : أتيت رسول الله ﷺ فلما دُفعت إليه قال أما إني سألت الله - عز وجل - أن يعينني عليكم بالسَّنة نحفيكم[2] ، وبالرعب أن يجعله في قلوبكم قال : فقال بيديه جميعًا ؛ أما إني قد خلقت هذا وهكذا أن لا أومن بك ولا أتبعك فمازالت السنة تحفيني ، ومازال الرعب يجعل في قلبي حتى قمت بين يديك ، أفبالله الذي أرسلك بما تقول ؟ قال : نعم ، قال : وهو أمرني بما تأمر ؟ قال : نعم ، قال : فما تقول في نسائنا ؟ قال : ﴿ **هن حرث لكم فأتوا حرثكم أنّى شئتم** ﴾[3] ، وأطعموهم مما تأكلون ، واكسوهم مما تلبسون ، ولا تضربون ، ولا تقبحون ، قال : أفينظر أحدنا إلى عورة أخيه إذا اجتمعنا ؟ قال : لا ، قال : فإذا تفرقا ، قال : فضم رسول الله ﷺ إحدى فخديه على الأخرى ، ثم قال : الله أحق أن تستحيوا ، قال : وسمعته يقول : يحشر الناس يوم القيامة عليهم الفدام[4] ، وأول ما ينطق من[5] الإنسان كفه وفخده[6] .

---

(١) ترجمته في (الإصابة) : ٦/١٤٩ - ١٥٠ ، ترجمة رقم (٨٠٧١) .

(٢) تحفيكم : تستأصلكم .

(٣) البقرة : ٢٢٣ .

(٤) الفدام : ما يشد على فم الإبريق والكوز ، والمراد : يمنعون من الكلام حتى تتكلم جوارحهم .

(٥) في (الأصل) : " عن " .

(٦) (دلائل البيهقيّ) : ٥/٣٧٨ - ٣٧٩ ، باب ما قدم معاوية بن حيدة القشيريّ ودخوله على النبيّ ﷺ ، وإجابة الله - عزّ وجلّ - دعاء رسول الله ﷺ حتى ألجأه إلى القدوم عليه وفيه : " تأكلوا " ، " تلبسوا " ، " تضربوهم " ، " تقبحوهم " .

وأما شهادة الأساقفة للمصطفى ﷺ بأنه النبي الذي كانوا ينتظرونه وامتناع من أراد ملاعنته من ذلك

فقال يونس عن إسحاق : وفد على رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران بالمدينة ، حدثني محمد بن جعفر بن الزبير قال : لما قدم وفد نجران على رسول الله ﷺ دخلوا عليه مسجده بعد العصر فحانت صلاتهم ، فقاموا يصلون في مسجده ، فأراد الناس منعهم ، فقال رسول الله ﷺ : دعوهم ، فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم .

حدثني بريدة بن سفيان ، عن ابن السلماني ، عن كرز بن علقمة قال : قدم على رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران[١] ستون راكبًا ، منهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم ، و [في الأربعة عشر] منهم [ثلاثة] نفر إليهم يؤول أمرهم : العاقب ، أمير القوم وذو رأيهم ، وصاحب مشورتهم ، والذين لا يصدرون إلا عن رأيه وأمره واسمه عبد المسيح والسيد لهم ، ثمالهم[٢] وصاحب رحلهم ومجتمعهم ، واسمه الأيهم ، وأبو حارثة بن علقمة ، أحد بني بكر بن وائل ، أسقفهم وحبرهم وإمامهم ، وصاحب مدراسهم[٣] .

وكان أبو حارثة قد شرف فيهم ، ودرس كتبهم ، حتى حُسن عمله في دينهم ، وكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه ، ومولوه ، وأخدموه ، وبنوا له الكنائس ، وبسطوا عليه الكرامات ، لما يبلغهم عنه من عمله واجتهاده في دينهم .

فلما رجعوا[٤] إلى رسول الله ﷺ من نجران جلس أبو حارثة على بغله له موجهًا إلى رسول الله ﷺ وإلى جنبه أخ له يقال له : كرز[١] بن علقمة حتى إذا

---

(١) نجران : عرفت بنجران بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وأما أهلها فهم : بنو الحارث ابن كعب من مذحج .

(٢) ثمال القوم : من يرجعون إليه ويقوم بأمرهم ، وقد قيل في النبي ﷺ :

* ثمال اليتامى عصمة للأرامل *

(٣) المدارس : المكان الذى يدرسون فيه كتبهم ، كذلك من يدرس لهم .

(٤) في (الأصل) : " وجهوا " .

عثرت بغلة أبي حارثة ،فقال كرز[١]: تعس الآبعد: يريد رسول الله ﷺ ، فقال له أبو حارثة : وأنت تعست ! فقال له : ولم يا أخي ؟ فقال : والله إنه للنبيّ الذي كنا ننتظر ، قال له كرز : فما يمنعك وأنت تعلم هذا ؟ قال : ما صنع بنا هؤلاء القوم شرفونا ، ومولونا ، وأكرمونا ، وقد أبوا إلا خلافه ، ولو فعلت نزعوا منا كما ترى ، فأضمر علينا منه أخوه كرز بن علقمة ، حتى أسلم بعد ذلك . [فهو كان يحدث عنه هذا الحديث فيما بلغني][٢] .

حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال : حدثني سعيد بن جبير عن عكرمة ، عن ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنهم - قال : اجتمعت نصارى نجران ، وأحبار يهود عند رسول الله ﷺ فتنازعوا عنده ، فقالت الأحبار : ما كان إبراهيم إلا يهوديًا ، وقالت النصارى : ما كان إبراهيم إلا نصرانيًا ، فأنزل الله - عز وجل - فيهم : ﴿ **يا أهل الكتاب لما تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون * ها أنتم حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون * ما كان إبراهيم يهوديًا ولا نصرانيًا ولكن كان حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين * إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين** ﴾[٣] فقال أبو رافع القرظي حين اجتمع عنده النصارى والأحبار : فدعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام ، [قالوا] أتريد منا يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم ؟ فقال رجل من أهل نجران نصراني يقال له الرئيس : وذلك تريد يا محمد ، وإليه تدعو ؟ فقال رسول الله ﷺ معاذ الله أعبد غير الله أو آمر بعبادة غيره ! ما بذلك بعثني ولا أمرني ، فأنزل الله - عز وجل - في ذلك قوله تعالى : ﴿ **وما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون * ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابًا أيامركم بالكفر بعد إذ انتم مسلمون** ﴾[٤] ،

---

(١) في (ابن هشام) : " كوز " .

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (ابن هشام) .

(٣) آل عمران : ٦٥ - ٦٨ .

(٤) آل عمران : ٧٩ -٨٠ .

ثم ذكر ما أخذ عليهم وعلى آبائهم من الميثاق بتصديقه إذا هو جاءهم وإقرارهم به على أنفسهم ، فقال تعالى : ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصره قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين** ﴾ .

حدثني محمد بن أبي أمامه قال : لما وقد أهل نجران على رسول الله ﷺ يسألونه عن عيسى ابن مريم – عليه السلام – نزلت فيهم فاتحة آل عمران إلى رأس الثمانين[1] .

وقال يونس بن بكير ، عن سلمة بن عبد يشوع ، عن أبيه ، عن جده ، قال يونس – وكان نصرانيًا فأسلم – : إن رسول الله ﷺ كتب إلى أهل نجران قبل أن تنزل عليه : ﴿ **طس * تلك أيات القرآن وكتاب مبين** ﴾[2] باسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب من محمد النبي رسول الله إلى أسقف نجران وأهل نجران : إن أسلمتم ، فإني أحمد إليكم الله ، إله إبرهيم وإسحاق ويعقوب ، أما بعد فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد ، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد ، فإن أبيتم فالجزية ، فإن أبيتم فقد أذنتكم بحرب آذنتكم . والسلام .

فلما أتى الأسقف الكتاب وقرأه فظع به وذعره ذعرًا شديدًا ، فبعث إلى رجل من أهل نجران يقال له : شرحبيل بن وداعة ، وكان من همدان ولم يكن أحد يدعى إذا نزلت معضلة قبله لا الأيهم ، ولا السيد ، ولا العاقب ، فدفع الأسقف كتاب رسول الله ﷺ إلى شرحبيل فقرأه ، فقال للأسقف : يا أبا مريم ! ما رأيك ؟ فقال شرحبيل : قد علمت ما وعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة ، فما يؤمن من أن يكون هذا هو ذلك الرجل ، ليس لي في النبوة رأي ،

---

(١) (دلائل البيهقيّ) : ٥/٣٨٤ – ٣٨٥ ، باب وفد نجران وشهادة الأساقفة لنبينا ﷺ بأنه الذي كانوا ينتظرونه ، وامتناع من امتنع منهم من الملاعنة ، وما ظهر في ذلك من آثار النبوة .

(٢) النمل : ١–٢ ، وقد في هذه الرواية هذا ، وقال : قبل أن ينزل علي ه ﴿ **طس * تلك آيات القرآن وكتاب مبين** ﴾ وذلك غلط على غلط ، فإن هذه السورة مكية باتفاق ، وكتابه إلى نجوان بعد مرجعه من تبوك ، (زاد المعاد لابن القيم) .

لو كان أمر من أمر الدنيا أشرت عليك فيه ، وجهدتُ لك ، فقال لــه الأسـقف: تنحَّ فاجلس ، فتنحىّ شرحبيل فجلس ناحية .

فبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران يقال له : عبد الله بن شرحبيل وهو من ذي أصبح من حمير ، فأقرأه الكتاب ، وسأله عن الرأي فيه ، فقـال مثـل قول شرحبيل وعبد الله ، فأمره الأسقف فتنحى ، فجلس ناحية .

فبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران يقال له جبار بن فيض مـن بنـي الحارث بن كعب أحد بني الحماس ، فأقرأه الكتاب وسأله عن الرأي فيه ، فقـال له مثل قول شرحبيل وعبد الله ، فأمره الأسقف فتنحى ، فجلس ناحية .

فلما اجتمع الرأي منهم على تلك المقالة جمعًا أمـر الأسـقف بالنـاقوس فضرب به ، ورفعت المسوح في الصوامع ، وكذلك كانوا يفعلـون إذا فزعـوا بالنهار ، وإذا كان فزعهم ليلاً ضربوا بالناقوس ورفعت النيران في الصوامـع ، فاجتمع حين ضرب بالناقوس ورفعت المسوح أهل الـوادى أعـلاه وأسـفله ، وطول الوادي يوم للراكب السريع وفيه ثلاث وسبعون قرية ومائـة وعشـرون ألف مقاتل ، فقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ وسألهم عن الرأي فيـه ، فـاجتمع رأي أهل الوادي منهم على أن يبعثوا شرحبيل بن وداعة الهمداني ، وعبـد الله بن شرحبيل الأصبحي ، وجبار بن فيض الحارثي ، فيأتونهم بخبر رسـول الله ﷺ .

فانطلق الوفد حتى إذا كانوا بالمدينة وضعوا ثياب السفر عنهم ، ولبسـوا حللاً لهم يجرونها من حبرة ، وخواتيم الذهب ، ثم انطلقوا حتى أتوا رسـول الله ﷺ ، فسلموا عليه ، فلم يرد عليهم السلام ، وتصدوا لكلامه نهارا طويـلا فلـم يكلمهم وعليهم تلك الحلل والخواتيم الذهب ، فانطلقوا يبتغون عثمان بن عفـان ، وعبد الرحمن بن عوف – رضي الله تبارك وتعالى عنهما – وكانا معرفة لهم ، كانا يجدعان العتائر إلى نجران في الجاهلية فيشتري لهما من بزّهـا وتمرهـا وذرتها ، فوجدوهما في ناس من المهاجرين والأنصار في مجلس فقـالوا : يـا عثمان ويا عبد الرحمن ! إن نبيكم كتب إلينا بكتاب فأقبلنا مجيبين لـه ، فأتينـاه فسلمنا عليه فلم يرد سلامنا ، وتصدينا لكلامه نهارا طويلاً ، فأعيانا أن يكلمنـا ، فما الرأي منكما ؟ أنعود أم نرجع ؟ فقالا لعلي بن أبـي طـالب – رضـي الله تبارك وتعالى عنه وهو في القوم – : ماترى يا أبا الحسن في هـؤلاء القـوم ؟ فقال علي لعثمان ولعبد الرحمن : أرى أن يضعوا حللـهم هـذه وخواتيمـهم ، ويلبسوا ثياب سفرهم ، ثم يعودون إليه ، ففعل وفد نجران ذلك فوضعوا حللـهم

وخواتيمهم ، ثم عادوا إلى رسول الله ﷺ فسلموا فرد سلامهم ، ثم قال : والذي بعثني بالحق لقد آتوني المرة الأولى وإن إبليس لمعهم .

ثم ساءلهم وسألوه فلم تزل به وبهم المسألة حتى قالوا له : ما تقول في عيسى ابن مريم ؟ فإنا نرجع إلى قومنا ونحن نصارى يسرنا إن كنت نبيًا أن نعلم ما نقول فيه ، فقال رسول الله ﷺ : ما عندي فيه شيىء يومي هذا ، فأقيموا حتى أخبركما بما يقال في عيسى .

فأصبح الغد ، وقد أنزل الله - تعالى - هذه الآية : ﴿ **إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون * ألحق من ربك فلا تكونن من الممترين * فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين** ﴾(1) .

فأبوا أن يقروا بذلك ، فلما أصبح رسول الله ﷺ الغد بعد ما أخبرهم الخبر أقبل مشتملاً على الحسن والحسين في خميل له وفاطمة تمشي عند ظهره للملاعنة وله يومئذ عدة نسوة ، فقال شرحبيل لصاحبيه : يا عبد الله بن شرحبيل ويا جبار بن فيض قد علمتما أن الوادي إذا اجتمع أعلاه وأسفله لم يردوا ولم يصدروا إلا عن رأيي وإني والله أرى أمرا مقبلاً ، إن كان هذا الرجل ملكا مبعوثا فكنا أول العرب طعن في عينه ، ورد عليه أمره ، لا يذهب لنا من صدر ولا من صدور قومه حتى يصيبونا بجائحة وإنا لأدنى العرب منهم جوارا ، وإن كان هذا الرجل نبيًا مرسلاً فلاعناه لا يبقى على وجه الأرض منا شعر ولا ظفر إلا هلك ، فقال له صاحباه : فما الرأي يا أبا مريم ؟ فقد وضعتك الأمور علي ذراع ، فهات رأيك ، فقال : رأيي أن أحكمه فإني أرى رجلاً لا يحكم شططا أبدًا ، فقالا له : إذا أنت وذاك .

فتلقى شرحبيل رسول الله ﷺ ، فقال : إني قد رأيت خيرًا من ملاعنتك ، فقال : وماهو ؟ قال شرحبيل : حكمك اليوم إلى الليل وليلتك إلى الصباح فمهما حكمت فينا جائز ، فقال رسول الله ﷺ : لعل وراءك أحد يُثَرِّب عليك ، فقال شرحبيل : سل صاحبيّ ، فسألهما ، فقالا له : ما يرد الوادي أحد منا ولا يصدر إلا عن رأي شرحبيل ، فقال رسول الله ﷺ : كافر ، أو قال : جاحد موفق .

---

(1) آل عمران : ٥٩ - ٦١ .

فرجع رسول الله ﷺ ولم يلاعنهم[1] حتى إذا كان الغد أتوه فكتب لهم هذا الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما كتب محمد النبي رسول الله لنجران إذا كان عليهم حكمة في كل ثمرة ، وكل صفراء ، وبيضاء ، وسوداء ، ورقيق وأفضل عليهم وترك ذلك كله على ألفي حلة ، حلل الأواقي في كل رجب ألف حلة وفي كل صفر ، ألف حلة لكل حلة أوقية من الفضة فما زادت الخراج أو نقصت على حلل الأواقي فبالحساب وما قضوا من دروع أو خيل أو ركاب أو عروض أخذ منهم بالحساب ، وعلى نجران مؤنة رسلي ومتعتهم ما بين عشرين فدونة ولا يحبسنّ رسلي فوق شهر ، وعليهم عارية ثلاثين درعًا ، وثلاثين فرسًا ، وثلاثين بعيرًا ، إذا كان كيد ومعرة وما هلك مما أعاروا رسلي من دروع أو خيل أو ركاب فهو ضمان على رسلي حتى يؤدوه إليهم ، ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي على أنفسهم ، وملتهم ، وأراضيهم ، وأموالهم ، وغائبهم ، وشاهدهم ، وعشيرتهم ، وبيعهم وأن لا يغيروا مما كانوا عليه ولا يُغيرً حق من حقوقهم ، ولا ملتهم ، ولا يغير أسقف عن أسقفيته ، ولا راهب من راهبانيته ، ولا واقهًا من وقيهاه ، وكل ما ما تحت أيديهم من قليل أو كثير وليس عليهم دنية ، ولا دم جاهلية ، ولا يحشوون ، ولا يعشرون ، ولا يطأ أراضيهم جيش ، ومن سأل فيهم حقًا فبينهم النصف غير ظالمين ، ولا مظلومين بنجران ، ومن أكل ربا من ذي قبل فذمتي منه بريئة ، ولا يؤخذ منهم رجل بظلم آخر ، وعلى ما في هذه الصحيفة جوار الله وذمة محمد النبي ﷺ أبدًا حتى يأتي الله بأمره ، وما نصحوا وأصلحوا فيما عليهم غير متقلين بظلم .

شهد أبو سفيان بن حرب ، وغيلان بن عمرو ، ومالك بن عوف من بني نصر ، والأقرع بن حابس الحنظلي ، والمغيرة[2] ، وكتب . حتى إذا قبضوا كتابهم انصرفوا إلى نجران فتلقاهم الأسقف ووجوه نجران على مسيرة ليلة من نجران ، ومع الأسقف أخ له من أمه وهو ابن عمه من النسب يقال له : بشر

---

(١) كذا (بالأصل) ، وفي (الدلائل) : " فرجع رسول الله ﷺ يلاعنهم " .

(٢) زاد ابن سعد : " وعامر مولى أبي بكر ، وفي (الخراج) لأبي يوسف : أن الذي كتب لهم هذا الكتاب : عبد الله بن أبي بكر ، وفي (الأموال) لأبي عبيد : شهد بذلك عثمان بن عفان ومعيقب .

ابن معاوية وكنيته : أبو علقمة ، فدفع الوفد كتاب رسول الله ﷺ إلى الأسقف فبينما هو يقرأه وأبو علقمة معه وهما يسيران إذ كبت ببشر ناقته فتعّس بشر غير أنه لا يكنى عن رسول الله ﷺ ، فقال له الأسقف ، عند ذلك : قد والله تعَّست نبيّا مرسلا ، فقال بشر : لا جرم والله لا أحل عنها عقدًا حتى آتيه ، فضرب وجه ناقته نحو المدينة وثني الأسقف ناقته عليه ، فقال له : افهم عني ، إنما قلت هذا ليبلغ عني العرب مخافة أن يروا أنا أخذنا حقه أو نصرته بضربة أو بخعنا لهذا الرجل بما لم تبخع به العرب ، ونحن أعزهم وأجمعهم دارا ، فقال له بشر : والله ما أقبل ما خرج من رأسك أبدًا فضرب بشر ناقته وهو مُولي الأسقف ظهره وهو يقول فيه شعرا .

حتى أتى النبي ﷺ فأسلم ولم يزل مع النبي ﷺ حتى استشهد أبو علقمة بعد ذلك . ودخل وفد نجران فأتى الراهب ليث بن أبي شمر الزبيدى وهو في رأس صومعةٍ ، فقال له : إن نبيا بعث بتهامة ، وأنه كتب إلى الأسقف ، فأجمع رأي أهل الوادي على أن يسيروا إليه شرحبيل بن وداعة ، وعبد الله بن شرحبيل ، وحبّار بن فيض فيأتونهم بخبره ، فساروا حتى أتوا النبيّ ﷺ فدعاهم إلى الملاعنة ، فكرهوا ملاعنته ، وحكمه شرحبيل فحكم عليهم حُكمًا وكتب لهم به كتابًا ، ثم أقبل الوفد بالكتاب حتى دفعوه إلى الأسقف ، فبينما الأسقف يقرؤه وبشر معه إذ كبت ببشر ناقته فتعَّسه ، فشهد الأسقف له أنه نبيّ مرسل ، فانصرف أبو علقمة نحوه يريد الإسلام ، فقال الراهب : أنزلوني وإلا رميت نفسي من هذه الصومعة ، فأنزلوه ، فانطلق الراهب بهدية إلى رسول الله ﷺ معها هذا البرد الذي يلبسه الخلفاء ، والقعب ، والعصا ، وأقام الراهب بعد ذلك يسمع كيف ينزل الوحي ، والسنن ، والفرائض ، والحدود ، وأبى الله للراهب الإسلام فلم يسلم ، واستأذن النبي ﷺ في الرجعة إلى قومه فأذن له وقال له ﷺ : يا راهب لك حاجتك إذا أبيت الإسلام ، فقال له الراهب : إن لي حاجة ومعاذ الله إن شاء الله ، فقال له رسول الله ﷺ : إن حاجتك واجبة يا راهب فاطلبها إذا كان أحبَّ إليك ، فرجع إلى قومه فلم يعد حتى قبض رسول الله ﷺ .

وأن الأسقف أبا الحارث أتى رسول الله ﷺ ومعه السيد والعاقب ووجوه قومه ، فأقاموا عنده يسمعون ما ينزل الله - عزّ وجل - عليه ، فكتب للأسقف هذا الكتاب ولأساقفة نجران : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي للأسقف أبي الحارث وكل أساقفة نجران ، وكهنتهم ، ورهبانهم ، وبيعهم ، وأهل

بيعهم ، ورقيقهم ، وملتهم ، ومتواطئهم ، وعلى كل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير ، جوار الله ورسوله ، لا يغير أسقف من أسقفته ، ولا راهب من رهبانيته ، ولا كاهن من كهانته ، ولا يغير حق من حقوقهم ، ولا سلطانهم ، ولا مما كانوا عليه ، على ذلك جوار الله ورسوله أبدًا ما نصحوا لله أو أصلحوا غير متقلين بظلم ولا ظالمين ، وكتب المغيرة بن شعبة .

فلما قبض الأسقف الكتاب استأذن في الانصراف إلى قومه ومن معه ، فأذن لهم ، فانصرفوا حتى قبض النبي ﷺ[1] قال : وقد تقدم حديث يونس بن بكير في ذكر الكتب النبوية .

قال كاتبه قد وقع في (صحيحي البخاريّ ومسلم) من طريق إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن صلة بن زفر ، عن حذيفة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال: جاء السيد والعاقب صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه ، فقال : أحدهما لصاحبه : لا تفعل فوالله إن كان نبيًا فلاعننا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا قالا : إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلاً أمينًا ، ولا تبعث معنا إلا أمينًا فقال : لأبعثن معكم رجلاً أمينًا حق أمين ، فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ فقال : قم يا أبا عبيدة بن الجراح ، فلما قام قال رسول الله ﷺ : هذا أمين هذه الأمة[2] .

ولهما من طريق شعبة[3] قال : سمعت أبا اسحق يحدث عن صلة بن زفر عن حذيفة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : جاء أهل نجران إلى رسول

---

(١) (دلائل البيهقيّ) : ٥/٣٨٥ - ٣٩١ .

(٢) (فتح الباري) : ٨/١١٧ ، كتاب المغازي ، باب (٧٣) قصة أهل نجران ، حديث رقم (٤٣٨٠) .

(٣) (المرجع السابق) : حديث رقم (٤٣٨١) قوله : جاء السيد والعاقب صاحبا نجران " أما السيد فكان اسمه الأيهم بتحتانيه ساكنة ، ويقال : شرحبيل ، وكان صاحب رحالهم ومجتمعهم ورئيسهم فى ذلك وأما العاقب فاسمه عبد المسيح ، وكان صاحب شورتهم ، وكان معهم أيضاً أبو الحارث ابن علقمه أسقفهم ، وحبرهم ، وصاحب مدارسهم . قال ابن سعد : دعاهم النبى ﷺ إلى الإسلام . وتلا عليهم القرآن فامتنعوا ، فقال : إن أنكرتم ما أقول فهلم أبا هلكم . فانصرفوا على ذلك . =

الله ﷺ فقالوا : ابعث إلينا رجلاً أمينًا ، فقال لأبعثن إليكم رجلاً أمينًا حق أميـــن قال فاستشرف له الناس ، قال : فبعث أبو عبيدة بن الجراح ، قال البخـــاري : حق أمين مرة واحدة .

وخرجه مسلم من حديث سفيان عن أبي إسحاق بهذا الإسناد نحـــوه . والله - سبحانه وتعالى - أعلم بالصواب .

= وفى قصة أهل نجران من الفوائد : أن إقرار الكافر بالنبوة لا يدخله فى الإسلام حتى يلـــتزم أحكام الإسلام . وفيها جواز مجادلة أهل الكتاب ، وقد تجـــب إذا تعينـــت مصلحتـــه . وفيـــها مشروعية مباهلة المخالف إذا أصرّ بعد ظهور الحجة . وقد دعا ابن عبـــاس إلـــى ذلـــك ثـــم الأوزاعىّ ، ووقع ذلك لجماعة من العلماء من العلماء . ومما عرف بالتجربـــة أن مـــن بـــاهل مبطلا لا تمضى عليه من يوم المباهله . ووقع لى ذلك مـــع شـــخص كـــان يتعصـــب لبعـــض الملاحدة فلم يقم بعدها غير شهرين .

وفيها مصالحة أهل الذمه على ما يراه الإمام من أصناف المالى ، ويجرى ذلك مجرى ضـــرب الجزية عليهم ، فإن كلا منها مال يؤخذ من الكفار على وجه الصغار فى كل عام .

وفيها بعث الإمام الرجل العالم الأمين إلى أهل الهدنة فى مصلحة الإسلام . وفيها منقبـــة ظاهرة لأبى عبيدة بن الجرام رضى الله تبارك وتعالى عنه .

وقد ذكر ابن إسحاق أن النبى ﷺ بعث علياً إلى أهل نجران ليأتيه بصدقاتهم وجزيـــهم ، هـــذه القصة فير قصة أبي عبيدة ، لأن أبا عبيدة توجه لهم فقبض مال الصلح ورجع ، وعلىّ أرســـله النبى ﷺ بعد ذلك يقبض منهم ما استحق عليهم من الجزية ، ويأخذ ممن أسلم منهم وجب عليـــه من الصدقة والله تعالى أعلم . (فتح البارى) .

وأخرجه أيضاً البيقهى فى (دلائل النبوة) : ٣٩٢/٥ ، باب وفد نجران وشهادة الأســـاقفة لنبينا ﷺ بأنه النبى الذى كانوا ينتظرونه ، وامتناع من امتنع منهم من الأساقفة لنبينا ﷺ بأنـــه النبى الذى كانوا ينتظرونه ، وامتناع من امتنع منهم الملاعنة ، وما ظهر فى ذلـــك مـــن آثـــار النبوة ، وكذلك رواه ابن هشام فى (السيرة) ، وان سعد فى (الطبقات) .

وأما تيقن عبد الله بن سلام
رضي الله تبارك وتعالى عنه
صدق رسول الله ﷺ في رسالته

فخرج الحاكم[1] من حديث هوذة بن خليفة حدثنا عوف بن أبي جميلة ، عن زرارة بن أبي أوفى ، عن عبد الله بن سلام - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : لما ورد رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس إليه وقيل : قدم رسول الله ﷺ قال : وجئت في الناس لأنظر فلما تبينت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب ، وكان أول شيء سمعته يتكلم أن قال : يا أيها الناس أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام ، قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين . [ولم يخرجاه] .

وخرَّج البخاريّ من حديث عبد الله بن منير [سمع عبد الله بن بكر] حدثنا حميد عن أنسٌ قال سمع : عبد الله بن سلام - رضى الله تبارك وتعالى عنه - بمقدم رسول الله ﷺ وهو في أرض يخترف ، فأتى النبي ﷺ فقال : إني سائلك عن ثلاث لا يعلمن إلا نبي فما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام أهل الجنة ؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه ؟ قال : أخبرني بهن جبريل آنفا ، قال : جبريل ؟ قال : نعم . قال : ذاك عدو اليهود من الملائكة ، فقرأ هذه الآية **﴿ قُل من كان عدو لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله ﴾**[2] أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت ، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد ، وإذا سبق ماء المرأة نزعت ، قال ﷺ : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله .

يا رسول الله إن اليهود قوم بهت وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني ، فجاءت اليهود فقال ﷺ : أي رجل عبد الله بن سلام فيكم ؟ قالوا :

---

(١) (المستدرك) : ١٤/٣ ، كتاب الهجرة ، حديث رقم (٤٢٨٣) ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه ، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : على شرط البخاريّ ومسلم .

(٢) البقرة : ٩٧ .

خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا ، قال : أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام فقالوا : أعاذه الله من ذلك فخرج عبد الله فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، قالوا : شرنا وابن شرنا وانتقصوه ، قال : فهذا الذي كنت أخاف يا رسول الله . في ذكره في التفسير(١) .

وذكره في المناقب من طريق بشر بن المفضل حدثنا حميد عن أنس إلى آخره بنحوه ولم يقل فيه : وهو في أرض يخترف ، ولم يقل فيه : فقرأ هذه الآية ، وقال فيه : خيرنا وابن خيرنا ، وأفضلنا وابن أفضلنا ، قال النبي ﷺ : أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام ؟ قالوا : أعاذه الله من ذلك ، فأعاد عليهم ، فقالوا : مثل ذلك فخرج إليهم عبد الله ، الحديث إلى آخره(٢) .

وذكره في أول كتاب الأنبياء من حديث الفزاري ، عن حميد ، عن أنس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : بلغ عبد الله بن سلام مقدم رسول الله ﷺ المدينة ، فأتاه فقال : إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبيّ ، قال : ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه ؟ ومن أي شيء ينزع إلى أخواله ؟ الحديث .

وقال فيه : فزيادة كبد الحوت ، وأما الشبه في الولد فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه به ، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها ، وفيه جاءت اليهود ، ودخل عبد الله البيت فقال رسول الله ﷺ : أي رجل فيكم عبد الله ؟ قالوا : أعلمنا وابن أعلمنا ، واخبرنا وابن أخبرنا ، الحديث إلى قوله : شرنا

---

(١) (فتح الباري) : ٨/٢٠٩ ، كتاب التفسير ، باب (٦) قوله تعالى : ﴿**من كان عدواً لجبريل**﴾.
حكى الثعلبي عن ابن عباس أن سبب عداوة اليهود لجبريل - عليه السلام - أن نبيهم أخبرهم أن بختنصر سيخرب بيت المقدس ، فبعثوا رجلاً ليقتله ، فوجده شابًا ضعيفاً ، فمنعه جبريل من قتله وقال له : إن كان الله أراد هلاككم على يده فلن تسلط عليه ، وإن كان غيره فعلى أي حق تقتله ؟ فتركه ، فكبر بختنصر وغزا بيت المقدس فقتلهم وخربه ، فصاروا يكرهون جبريل لذلك . (فتح الباري) .

(٢) (المرجع السابق) : ٧/٣٤٦ - ٣٤٧ ، كتاب مناقب الأنصار ، باب (٥١) بدون ترجمة ، حديث رقم (٣٩٣٨) .

وابن شرنا ، ووقعوا فيه[1] . ولم يزد على هذا ولم يقل فيه : فقرأ هذه الآية : ﴿ **من كان عدوا لجبريل** ﴾ .

وذكر البيهقي[2] من طريق يونس بن بكير ، عن أبي معشر المدني ، عن سعيد المقبري قال : كان رسول الله ﷺ إذا أتى قباء أمر مناديه فنادى بالصلاة ، فذكر الحديث في مجيء عبد الله بن سلام وجلوسه عند رسول الله ﷺ ، ورجوعه إلى عمته فقالت له : يا ابن أخي لم احتبست ؟ فقال : يا عمة كنت عند رسول الله فقالت : عند موسى بن عمران ؟ فقال لم أكن عند موسى بن عمران ، فقالت : عند النبي الذي يبعث قبيل قيام الساعة ! قال : نعم ، من عنده جئت ، فرجع إلى النبي ﷺ فسأله عن ثلاث ، فذكر الحديث الأول إلا أنه سأله عن السواد الذي في القمر بدل أول أشراط الساعة ، قال : فقال رسول الله ﷺ : أول نزل ينزله ، قال أهل الجنة بلام ونون ، فقال : ما بلام ونون ؟ فقال : ثور وحوت يأكل من زائدة كبد ، أحدهما سبعون ألفا ، ثم يقومان يزفنان لأهل الجنة ، وأما الشبه فأي النطفتين سبقت إلى الرحم من الرجل أو المرأة فالولد به أشبه .

وأما السواد الذي في القمر فإنه ما كان شمسين فقال الله - تعالى - : ﴿ **وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة** ﴾[3]، والسواد الذي رأيت هو المحو ﴿ **فمحونا آية الليل** ﴾ ، فقال عبد الله بن سلام : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله .

ثم ذكر الحديث في قصة اليهود الذين دخلوا عليه وسألهم عن عبد الله وما أجابوا به ، وقول النبي ﷺ في آخره : أجزنا الشهادة الأولى وأما هذه فلا .

---

(١) (المرجع السابق) : ٦/٤٤٦ - ٤٤٧ ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب (١) خلق آدم وذريته ، حديث رقم (٣٣٢٩) ، وفي (الأصل) : " أخيرنا وابن أخيرنا " وما أثبتناه من (البخاريّ) .

(٢) (دلائل البيهقيّ) : ٦/٢٦١ - ٢٦٢ ، باب مسائل عبد الله بن سلام - رضي الله تبارك وتعالى عنه - وإسلامه حين عرف صدق رسول الله ﷺ في رسالته .

(٣) الإسراء : ١٢ .

وخرج الحاكم[1] من طريق صفوان بن عمرو قال : حدثني عبد الرحمن ابن جبير بن نفير ، عن أبيه ، عن عوف بن مالك الأشجعي قال : انطلق النبي ﷺ وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود ، فقال : يا معشر اليهود أروني اثني عشر رجلاً يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله يحط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي غضب عليهم قال : فأسكتوا ، ما أجابه أحد منهم ، ثم رد عليهم فلم يجبه منهم أحد ، فقال : أبيتم ! فوالله لأنا الحاشر ، وأنا العاقب ، وأنا النبيّ المصطفى ، أبيتم أو كذبتم ، ثم انصرف وأنا معه حتى كدنا أن نخرج ، فإذا رجل من خلفنا يقول : كما أنت يا محمد ، فقال ذلك الرجل : أي رجل أعلم بكتاب الله منك ولا أفقه منك ، ولا من أبيك قبلك ، ولا من جدك قبل أبيك ، قال : فإني أشهد له بالله أنه نبي الله الذي تجدونه في التوراة ، فقالوا : كذبت ، ثم ردوا عليه قوله وقالوا فيه شرًا ، فقال رسول الله ﷺ : كذبتم لن يُقبل قولكم أما آنفا فتثنون عليه من الخير ما أثنيتم ، وأما إذا آمن فكذبتموه وقلتم فيه ما قلتم ، فلن نقبل قولكم ، قال : فخرجنا ونحن ثلاثة : رسول الله ﷺ ، وعبد الله بن سلام ، وأنا ، وأنزل الله - تعالى - فيه : ﴿ **قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به** ﴾ الآية[2] .

قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه انما اتفقا على حديث حميد ، عن أنس أي رجل عبد الله بن سلام فيكم مختصرًا .

---

(١) (المستدرك) : ٤١٥/٣ ، كتاب معرفة الصحابة ، ذكر مناقب عبد الله بن سلام الإسرائيلي - رضي الله تبارك وتعالى عنه - حديث رقم (٥٧٥٦) ، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : على شرط البخاريّ ومسلم ، وإنما اتفقا على حديث حميد عن أنس .

(٢) الأحقاف : ١٠ .

وأما معرفة الحبر من أحبار اليهود بإصابة الرسول ﷺ في جوابه عما سأله وصدقه في نبوته

فخرج مسلم[1] من حديث الربيع بن نافع ، قال : حدثنا معاوية بن سلام ، عن زيد يعني أخاه أنه سمع أبا سلام قال : حدثني أبو أسماء الرحبي أن ثوبان مولى رسول الله ﷺ حدثه قال : كنت قائما عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود ، فقال : السلام عليك يا محمد ! فدفعته دفعة كاد يصرع منها ، فقال : لم تدفعني ؟! فقلت : ألا تقول : يا رسول الله ؟ فقال اليهودي : إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله ، فقال رسول الله ﷺ : إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي ، فقال اليهودي : جئتك أسالك ؟ فقال له النبي ﷺ : أينفعك شيء إن حدثتك ؟ قال : أسمع بأذني ، فنكت رسول الله ﷺ بعود معه فقال : سل ؟ فقال اليهودي : أين يكون الناس ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات** ﴾[2]؟ فقال رسول الله ﷺ : هم في الظلمة دون الجسر ، قال : فمن أول الناس إجازة؟ قال : فقراء المهاجرين ، قال اليهودي : فما تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟ قال : زيادة كبد الحوت ، قال : فما غذاؤهم على إثرها ؟ قال : ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها ، قال : فما شرابهم عليه ؟

قال : من عين ﴿ **فيها تسمى سلسبيلا** ﴾[3]، قال : صدقت ، قال : وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان ، قال : ينفعك إن حدثتك ؟ قال : أسمع بأذني ، قال : جئت اسألك عن الولد ؟ قال : ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر ، فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة أذكرا[4] بإذن الله ، وإذا علا مني المرأة مني الرجل آنثا[5]

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٣/٢٣٠ - ٢٣٢ ، كتاب الحيض ، باب (٨) بيان صفة مني الرجل والمرأة ، وأن الولد مخلوق من مائهما ، حديث رقم (٣١٥) .

(٢) إبراهيم : ٤٨ .

(٣) الإنسان : ١٨ .

(٤) أنجبا ذكرا .

(٥) أنجبا أنثى .

بإذن الله ، فقال اليهودي : لقد صدقت ، إنك لنبيّ ، ثم انصرف فذهب ، فقال رسول الله ﷺ : لقد سألني هذا عن الذي سألني ومالي علم بشيء منه حتى أتاني الله به . والله – تعالى – أعلم .

وخرَّجه من حديث يحيى بن حسان قال معاوية بن سلام في هذا الإسناد بمثله ، غير أنه قال : كنت قاعدًا عند رسول الله ﷺ وقال : زائده كبد الحوت ، وقال أذكر وآنث ولم يقل أذكرا وأنثا[1] .

وخرَّجه النسائي من حديث مروان بن محمد ، قال معاوية بن سلام : قال: أخبرني أخي أنه سمع جده أبا سلام يقول : حدثني أبو أسماء الرحبيّ ، عن ثوبان قال : كنت قاعدًا ... الحديث ، وفيه : زيادة كبد الحوت وفيه : من أين يكون شبه الولد ؟ قال رسول الله ﷺ : إن ماء الرجل غليظ أبيض وماء المرأة رقيق أصفر .

وخرَّجه الحاكم من حديث ابن أبي توبة الربيع بن نافع ، عن معاوية بن سلام به نحوه ، ثم قال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين .

وخرَّج البيهقيّ من حديث يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق قال : حدثني المختار بن أبي المختار ، عن أبي ظبيان قال : حدثنا أصحابنا أنهم بيناهم مع رسول الله ﷺ في سفر لهم ، فاعترضهم يهودي جعد أحمر متلفف بطيلسان ، فقال : فيكم أبو القاسم ؟ فيكم محمد ؟ فقلنا : إياك ، فلما انتهى إليه رسول الله ﷺ قال: يا أبا القاسم ، إني سائلك عن مسألة لا يعلمها إلا نبي ، فقال رسول الله ﷺ : سل عما شئت ، فقال : من أي الفحلين يكون الولد فصمت رسول الله ﷺ حتى لوددنا أنه لم يسأله ، ثم عرفنا أنه قد بُين له فقال : من كل يكون ، فقال : ما من ماء الرجل ؟ وما من ماء المرأة ؟ فصمت رسول الله ﷺ حتى لوددنا أنه لم يسأله ، ثم عرفنا أنه قد بُين له ، فقال رسول الله ﷺ : أما نطفة الرجل فبيضاء غليظة ، فمنها العظام والعصب وأما نطفة المرأة فحمراء رقيقة فمنها اللحم والدم . فقال : اشهد إنك رسول الله[2] .

---

(١) (المرجع السابق) : الحديث الذي يلي الحديث رقم (٣١٥) بدون رقم .

(٢) (دلائل البيهقيّ) : ٦/٢٦٤ – ٢٦٥ ، باب مسائل الحبر ومعرفته إصابة النبيّ ﷺ في جواب مسألته وصدقه في نبوته . وأخرجه الإمام أحمد في (المسند) : ١/٥٥ ، حديث رقم (٤٤٢٤) من مسند عبد الله بن مسعود – رضي الله تبارك وتعالى عنه – .

وأما معرفة عصابة من اليهود إصابة مقالته ﷺ

فخرَّج أبو داود الطيالسي من حديث عبد الحميد بن بهرام ، عن شهر بن حوشب قال : حدثني ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - قال : حضرت عصابة من اليهود يومًا النبي ﷺ ، فقالوا : يا رسول الله ! حدثنا عن خلال نسألك عنهما لا يعلمها إلا نبي ، قال : سلوا عم شئتم ، ولكن اجعلوا لي ذمة الله ، وما أخذ يعقوب على بنيه ، إن أنا حدثتكم بشيء تعرفونه صدقًا لتبايعني علي الإسلام ، قالوا : لك ذلك ، قال : فسلوني عما شئتم ، قالوا : أخبرنا عن أربع خلال نسألك : أخبرنا عن الطعام الذي ﴿ **حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة** ﴾[1] ، وأخبرنا عن ماء الرجل كيف يكون الذكر منه حتى تكون الأنثى ؟ وأخبرنا كيف هذا الشيء في النوم ؟ ومن وليّك من الملائكة ؟ .

قال : فعليكم عهد الله لئن أنا حدثتكم لتبايعني ، فأعطوه ما شاء الله من عهد وميثاق . قال : أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى ، تعلمون أن إسرائيل – يعقوب – مرض مرضًا شديدًا طال سقمه ، فنذر لله نذرًا : لئن شفاه الله من سقمه ليحرمنَّ أحب الشراب إليه ، وأحب الطعام إليه ، وكان أحب الشراب إليه ألبان الأبل ، وكان أحب الطعام إليه لحمان الأبل ؟ قالوا اللهم نعم .

فقال رسول الله ﷺ : اللهم اشهد عليهم ، قال : أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى ، هل تعلمون أن ماء الرجل غليظ أبيض ، وماء المرأة أصفر رقيق ، فأيهما علا ، كان له الولد والشبه بإذن الله ، وإن علا ماء الرجل ماء المرأة كان ذكرًا بإذن الله ، إن علا ماء المرأة ماء الرجل كانت أنثى بأذن الله ؟ قالوا : اللهم : نعم ! .

فقال رسول الله ﷺ : اللهم إشهد عليهم ، قال : أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى ، هل تعلمون أن هذا النبي تنام عيناه ولا ينام قلبه ؟ قالوا :

---

(١) آل عمران : ٩٣ .

اللهم نعم ! قال : اللهم اشهد عليهم ، قالوا : أنت الآن حدثنا من وليّك من الملائكة ؟ فعندها نجامعك أو نفارقك .

قال : وليي جبريل ، ولم يبعث الله نبيًا قط إلا وهو وليّه ، قالوا : فعندها نفارقك لو كان وليّك غيره من الملائكة لتابعناك وصدقناك ، قال فما يمنعكم أن تصدقوه ؟ قالوا : إنه عدونا من الملائكة ، فأنزل الله – عزّ وجلّ – : ﴿ **من كان عدوًا لجبريل فإنه نزله على قلبك** ... ﴾[1] ، ونزلت : ﴿ **وباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين** ﴾[2] .

---

(١) البقرة : ٩٧ .

(٢) البقرة : ٩٠ .

والخبر أخرجه البيهقيّ في (دلائل النبوة) : ٦/٢٦٦ -٢٦٧ ، باب ما جاء في مسائل عصابة من اليهود ، ومعرفة إصابته ﷺ فيما قال .

وأما معرفة اليهوديّين صدقه ﷺ في نبوته

فخرَّج البيهقيّ من طريق يزيد بن هارون قال : أخبرنا شعبة [بن الحجاج] ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن سلمة ، عن صفوان بن عسال قال : قال يهودي لصاحبه : اذهب بنا إلى هذا النبي فنسأله ، فقال الآخر : لا تقل نبي فإنه إن سمعك تقول : نبي كانت له أربعة أعين ، فانطلقا إلى النبي ﷺ فسألاه عن قول الله – عز وجل – ﴿ **ولقد أتينا موسى تسع آيات بينات** ﴾[1] ، قال : لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا تزنوا ، ولا تسرقوا ، ولا تسحروا ، ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان فيقتله ، ولا تأكلوا الربا ، ولا تفروا يوم الزحف ، ولا تقذفوا محصنة – شك شعبة – وعليكم خاصة اليهود – أن لا تعدوا في السبت .

فقبلا يديه ورجليه وقالا : نشهد إنك نبي ، قال : فما يمنعكما أن تسلما قالا : إن داود سأل ربه أن لا يزال في ذريته نبيّ ، ونحن نخاف إن تبعناك أن تقتلنا اليهود .

(١) الإسراء : ١٠١ .

وأما اعتراف اليهود بنبوته ﷺ
إذ جاءوه يسألوه عن حد الزاني
وشهادة ابن صوريا على يهود

فخرَّج البيهقيّ[1] من حديث محمدِ بن مقاتل المروزيّ قال : حدثنا عبد الله ابن المبارك حدثنا معمر عن الزهري قال : كنت جالسًا عند سعيد بن المسيب وعند سعيد رجل وهو يوقره ، فإذا هو رجل من مزينة وكان أبوه شهد الحديبية ، وكان من أصحاب أبي هريرة ، قال : قال أبو هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - كنت جالسًا عند النبي ﷺ إذ جاء نفر من يهود وقد زنا رجل منهم وامرأة ، فقال بعضهم لبعض : اذهبوا بنا إلى هذا النبي فإنه نبي بعث بالتحفيف فإن أفتانا حدًا دون الرجم فعلناه ، واحتججنا عند الله حين نلقاه بتصديق نبيّ من أنبيائك ! قال مُرَّة عن الزهري : وإن أمرنا بالرجم عصيناه ، فقد عصينا الله فيما كتب علينا من الرجم في التوراة ، فأتوا رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد في أصحابه ، فقالوا : يا أبا القاسم ما ترى في رجل منا زنا بعد ما أحصن ؟ فقام رسول الله ﷺ ولم يرجع إليهم شيئًا ، وقام معه رجلان من المسلمين حتى أتوا بيت مدراس اليهود ، فوجدهم يتدارسون التوراة ، فقال لهم رسول الله ﷺ : يا معشر اليهود أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى ، ما تجدون في التوراة من العقوبة على من زنى إذا أحصن ؟ قالوا : نجبه ، والتجبية أن يحملوا اثنين على حمار فيولون ظهر أحدهما ظهر الآخر ، قال : فسكت حبرهم وهو فتى شاب ، فلما رآه رسول الله ﷺ صامتًا ألظ النشدة ، فقال حبرهم : أما إذ نشدتهم فإنا نجد في التوراة الرجم على من أحصن ، قال النبي ﷺ : فما أول من ترخصتم أمر الله ؟ فقال : زنا رجل منا ذو قرابه بملك من

---

(١) (دلائل البيهقيّ) : ٦/٢٦٨ ، باب ما جاء في مسائل اليهوديّين ومعرفتهما بصدق النبيّ ﷺ في نبوته .

وأخرجة الترمذيّ في (السنن) : كتاب الاستئذان ، باب ما جاء في قبلة اليد والرجل ، رقم (٢٧٣٣) ، وأعاده في تفسير سورة الإسراء عن محمود بن غيلان ، وقال : حسن صحيح .

وأخرجه ابن ماجة في كتاب الأدب عن أبي بكر بن أبي شيبة ، ونقله ابن كثير في (البداية والنهاية) عن الإمام أحمد .

ملوكنا فأخر عنه الرجم ، فزنا بعده آخر في أسرة من الناس ، فأراد ذلك الملك أن يرجمه ، فقام قومه دونه فقالوا : لا والله لا ترجمه حتى يُرجم فلان ابن عمه فاصطلحوا بينهم على هذه العقوبة ، فقال رسول الله ﷺ : فإني أحكم بما في التوراة ، فأمر رسول الله ﷺ بهما فرجما .

قال الزهري : وبلغنا أن هذه الآية نزلت فيهم : ﴿ **إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا** ﴾[1] .

ومن طريق يونس بن بكير عن إسحاق قال : حدثني الزهريّ ، قال : سمعت رجلاً من مزينة يحدث عن سعيد بن المسيب ، أن أبا هريرة حدثهم فذكر معنى هذا الحديث يزيد وينقص ؛ فمما زاد أن النبي ﷺ قال لابن صوريا : أنشدك بالله وأذكرك أيامه عند بني إسرائيل ، هل تعلم أن الله حكم فيمن زنا بعد إحصانه بالرجم في التوارة ؟ فقال : اللهم نعم ، أما والله يا أبا القاسم إنهم يعرفون أنك نبي مرسل ، ولكنهم يحسدونك .

فخرج رسول الله ﷺ فأمر بهما فرجما عند باب مسجد بني غنم بن مالك ابن النجار ، ثم كفر بعد ذلك ابن صوريا ، فأنزل الله - تعالى - : ﴿ **يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر** ﴾ إلى قوله : ﴿ **سماعون لقوم آخرين لما يأتوك** ﴾[2] يعني الذين لم يأتوه ، تغيبوا وتخلفوا وأمروهم بما أمروهم به من تحريف الكلم عن مواضعه ، قال : ﴿ **يحرفون الكلم عن مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه** ﴾ للتجبية ﴿ **وإن لم تأتوه فاحذروا** ﴾[3] إلى آخر القصة[4] .

قال كاتبه : قد وقعت هذه القصة من رواية البخاريّ ، ومسلم ، وأبي داود ، والنسائيّ ، واختلفوا في سياقها .

---

(١) المائدة : ٤٤ .

(٢) المائدة : ٤١ .

(٣) المائدة : ٤١ .

(٤) (دلائل البيهقيّ) : ٦/٢٦٩ - ٢٧١ ، باب رجوعهم إلى النبيّ ﷺ في عقوبة الزاني ، وما ظهر من ذلك من كتمانهم ما أنزل الله - تعالى - في التوراة من حكمه ، وصفة نبيه ﷺ .

فخرَّج البخاري[1] ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث مالك عن نافع ، عن عبد الله بن عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - أنه قال : إن اليهود جاءوا إلى رسول الله ﷺ فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا ، فقال لهم رسول الله ﷺ : ما تجدون في التوراة في شأن الرجم ؟ فقالوا : نفضحهم ويجلدون ، فقال عبد الله بن سلام : كذبتم ، إن فيها الرجم . فأتوا بالتوراة فنشروها ، فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها . فقال له عبد الله بن سلام : ارفع يدك ، فرفع يده ، فإذا فيها آية الرجم ، فقالوا : صَدَقَ يا محمد ، فيها آية الرجم ، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما ، فرأيت الرجل يجنأ على المرأة يقيها الحِجارة .

وهذه سياقة البخاري في باب أحكام أهل الذمة وإحصانهم إذا زنوا ورفعوا إلى الإمام[2] .

وخرَّجه أيضًا في كتاب المناقب[3] ، وذكره النسائي في الحدود[4] ، وخرّجه مسلم من حديثِ عبيد الله ، عن نافع أن عبد الله بن عمر أخبره أن رسول الله ﷺ أُتيَ بيهودي ويهودية قد زنيا ، فانطلق رسول الله ﷺ حتى جاء يهود فقال : ما تجدون في التوراة على من زنى ؟ قالوا : تسود وجوههما ونحملهما ، ونخالف بين وجوههما ، ويطاف بهما ، قال : ﴿ **فأتوا بالتوراه فاتلوها إن كنتم صادقين** ﴾ ، فجاءوا بها ، فقرأوها حتى إذا مروا بآية الرجم ، وضع الفتى الذي يقرأ يده على آية الرجم وقرأ ما بين يديها وما وراءها ، فقال له عبد الله بن سلام وهو مع رسول الله ﷺ : مُرْهُ فليرفع يده ، فرفعها ، فإذا تحتها

---

(١) (فتح الباري) : ٢٠٣/١٢ ، كتاب الحدود ، باب (٣٧) أحكام أهل الذمة وإحصانهم إذا زنوا ورفعوا إلى الإمام ، حديث رقم (٦٨٤١) .

(٢) راجع التعليق السابق .

(٣) (المرجع السابق) : ٧٨٢/٦ ، كتاب المناقب ، باب (٢٦) قول الله - تعالى - ﴿ **يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقًا منهم ليكتمون الحق وهم لا يعلمون** ﴾ [البقرة : ١٤٦] ، حديث رقم (٣٦٣٥) .

(٤) لم أجده في (السنن) ، ولعله في (الكبرى) ، ولكن نسبه المنذريّ إلى النسائيّ .

آية الرجم فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما ، قال عبد الله بن عمر : كنت فيمن رجمهما ، فلقد رأيته يقيها من الحجارة بنفسه[1] .

وأخرجاه أيضًا من حديث أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، فخرّجه البخاري في آخر كتاب التوحيد[2] ، وأخرجاه من حديث موسى بن عقبة ، عن نافع عن بن عمر[3] ، وخرَّجه البخاري في الحدود من حديث سليمان : حدثني عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر سياقة مختصرة[4] .

وخرَّج مسلم[5] وأبو داود[6] والنسائي من حديث معاوية ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن البراء بن عازب قال : مر عليَّ النبيَّ ﷺ بيهودي محممٍ مجلو ، فدعاهم فقال : أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم ؟ قالوا : نعم ، فدعا رجلاً من علمائهم فقال : أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى ، أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم ؟ فقال : اللهم لا ، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك . نجد حدَّ الزاني في كتابنا : الرجم ، ولكنه كثر في أشرافنا فكنا إذا أخذنا الرجل الشريف تركناه ، وإذا أخذنا الرجل الضعيف أقمنا عليه الحد ، فقلنا : تعالوا نجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع ، فاجتمعنا على التحميم والجلد مكان الرجم .

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ١١/٢٢٠ - ٢٢١ ، كتاب الحدود ، باب (٦) رجم اليهود أهل الذمة في الزنى ، حديث رقم (٢٦) .

(٢) (فتح الباري) : ١٣/٦٣١ ، كتاب التوحيد ، باب (٥١) ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله بالعربية وغيرها لقول الله - تعالى - ﴿ **قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين** ﴾ ، حديث رقم (٧٥٤٣) .

(٣) (مسلم بشرح النووي) : ١١/٢٢١ ، كتاب الحدود ، باب (٦) رجم اليهود أهل الذمة في الزنى ، حديث بدون رقم بين (٢٧) ، (٢٨) .

(٤) (فتح الباري) : ١٢/١٥٣ - ١٥٤ ، كتاب الحدود ، باب (٢٤) الرجم في البلاط ، حديث رقم (٦٨١٩) ، والمراد بالبلاط هنا موضع معروف عند باب المسجد النبوي كان مفروشًا بالبلاط.

(٥) (مسلم بشرح النووي) : ١١/٢٢١ ، حديث رقم (٢٨) .

(٦) (سنن أبي داود) : ٤/٥٩٣ - ٥٩٤ ، كتاب الحدود ، باب (٢٦) في رجم اليهوديّين ، حديث رقم (٤٤٤٨) .

فقال رسول الله ﷺ : اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه ، فأمر به فرجم ، فأنزل الله - عز وجل - : ﴿ **يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر** ﴾[1] إلى قوله تعالى : ﴿ **يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا** ﴾ في اليهود .

يقول ائتوا محمدًا ، فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا ، فأنزل الله - تعالى - : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون** ﴾[2] في اليهود ، ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾[3] في اليهود ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون** ﴾[4] .

وخرّج أبو داود من حديث مجالد ، حدثنا عامر ، عن جابر بن عبد الله قال : جاءت اليهود برجل منهم وامرأة زنيا ، فقال : ائتوني بأعلم رجلين منكم ، فأتوه بابني صوريا فنشدهما كيف تجدان أمر هذين في التوراة ؟ قالا : نجد في التوراة إذا شهد أربعة أنهم رأوا ذكره في فرجها مثل الميل في المكحلة رجما ، قال : فما يمنعكما أن ترجموهما ؟ قالا: ذهب سلطاننا فكرهنا القتل ، فدعا رسول الله ﷺ بالشهود ، فجاءوا بأربعة فشهدوا أنهم رأوا ذكره في فرجها مثل الميل في المكحلة ، فأمر رسول الله ﷺ برجمهما[5] .

ومن حديث هشيم ، عن المغيرة ، عن إبراهيم والشعبي ، عن النبي ﷺ ، نحوه ، لم يذكر فدعا بالشهود فشهدوا[6] .

---

(١) المائدة : ٤١ .

(٢) المائدة : ٤٥ .

(٣) المائدة : ٤٤ .

(٤) المائدة : ٤٧ .

(٥) (سنن أبي داود) : ٤/٦٠٠ - ٦٠١ ، كتاب الحدود ، باب (٢٦) في رجم اليهوديّين ، حديث رقم (٤٤٥٢) ، وأخرجه ابن ماجة مختصرًا في الأحكام ، باب شهادة أهل الكتاب بعضهم على بعض ، حديث رقم (٢٣٧٤)

(٦) (سنن أبي داود) : ٤/٦٠١ ، كتاب الحدود ، باب (٢٦) في رجم اليهوديّين ، حديث رقم (٤٤٥٣) ، وهو حديث مرسل .

ومن حديث هشيم ، عن ابن شبرمة ، عن الشعبي بنحو منه(١) .

وخرَّج أيضًا من حديث عبد الرزاق قال : حدثنا معمر عن الزهريّ قال : حدثنا رجل من مزينة من حديث يونس قال : قال محمد بن مسلم : سمعت رجلاً من مزينة ممن يتبع العلم ويعيه ، ثم اتفقا : ونحن عند سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، وهذا حديث معمر وهو أتَمّ ، قال : زنى رجل من اليهود وامرأة ، فقال بعضهم لبعض : اذهبوا بنا إلى هذا النبي فإنه نبي بعث بالتخفيف ، فإن أفتانا بفتيا دون الرجم قبلناها ، واحتججنا بها عند الله ، قلنا : فتيا نبيّ من أنبيائك ! قالوا : فأتوا النبي ﷺ وهو جالس في المسجد في أصحابه ، فقالوا : يا أبا القاسم ، ما ترى في رجل وامرأة زنيا ؟ فلم يكلمهم حتى أتى بيت مدراسهم ، فقام على الباب فقال : أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى ، ما تجدون في التوراة على من زنى إذا أحصن ؟ قالوا : يحمم ويجبه ويجلد : أن يحمل الزانيان على حمار وتقابل أقفيتهما ، ويطاف بهما .

قال : وسكت شاب منهم ، فلما رآه النبيّ ﷺ سكت ألظّ به النشدة ، أنشده فقال : اللهم إذ نشدتنا فإنا نجد في التوراة آية الرجم ، فقال النبي ﷺ : فما أول ما ارتخصتم أمر الله – عز وجل – ؟ قال : زنا ذو قرابة من ملك من ملوكنا فأخر عنه الرجم ، ثم زنا رجل في أسرة من الناس فأراد رجمه فحال قومه دونه وقالوا : لا ترجم صاحبنا حتى تجيء بصاحبك فترجمه فاصطلحوا على هذه العقوبة بينهم ، قال النبي ﷺ : فإني أحكم بما في التوراة فأمرهما فرجما(٢) .

قال الزهريّ : فبلغنا أن هذه الآية نزلت فيهم : ﴿ **إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا** ﴾ ، كان النبي ﷺ منهم(٣) .

---

(١) (المرجع السابق) : حديث رقم (٤٤٥٤) ، وهو حديث مرسل أيضًا .

(٢) (المرجع السابق) : حديث رقم (٤٤٥٠) . وألظَّ : ألحَّ عليه في ذلك وفى الحديث " ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام " .

(٣) فيه رجل من مزينة ، قال الخطابيّ : لا يعرف ، والآية (٤٤) من سورة المائدة ، وفي قوله ﷺ : " فإني أحكم بما في التوراة " حجة لمن قال بقول أبي حنيفة ، إلا أن الحديث عن رجل لا يعرف ، وقد يحتمل أن يكون معناه : أحكم بما في التوراة احتجاجًا به عليهم ، وإنما حكم بما كان في دينه وشريعته ، فذكره التوراة لا يكون علة للحكم . (معالم السنن) .

ومن حديث محمد بن إسحاق عن الزهريّ سمعت رجلاً من مزينة يحـــدث عن سعيد بنَ المسيب ، عن أبي هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قـال: زنا رجل وامرأة من اليهود وقد أحصنا حين قدم رسول الله ﷺ المدينة ، وقـــد كان الرجم مكتوبًا عليهم في التوراة فتركوه وأخذوا بالتجبيـــة ، يضـــرب مائـــة بحبل مطليّ بقار ، ويحمل على حمار وجهه مما يلي دبـــر الحمـــار ، فـــاجتمع أحبار من أحبارهم فبعثوا قومًا آخرين إلى رسول الله ﷺ فقالوا : سلوه عن حـــد الزاني وساق الحديث ، قال فيه : ولم يكونوا من أهل دينه فيحكم بينهم فخير في ذلك ، قال : ﴿ **فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم** ﴾[1] .

---

(١) (المرجع السابق) : حديث رقم (٤٤٥١) ، والآية (٤٢) من سورة المائدة .

وأما اعتراف اليهودي بصفته ﷺ في التوراة

فخرَّج البيهقيّ(١) من حديث مؤمل بن إسماعيل قال : حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا ثابت ، عن أنس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أن غلامًا يهوديًا كان يخدم النبي ﷺ فمرض ، فأتاه النبي ﷺ يعوده فوجد أباه عند رأسه يقرأ التوراة ، فقال له رسول الله ﷺ : يا يهودي أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى ، هل تجد في التوراة نعتي وصفتي ومخرجي ؟ قال : لا ، قال الفتى : يا رسول الله إنا نجد لك في التوراة نعتك ، وصفتك ، ومخرجك ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، فقال النبي ﷺ : أقيموا هذا من عند رأسه ولوا أخاكم .

ومن طريق أبي بكر بن أبي شيبة قال : حدثنا عثمان ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي عبيد ، عن أبيه قال : إن الله - عز وجل - بعث نبيه لإدخال رجال الجنة ، فدخل النبي ﷺ كنيسة فإذا هو بيهود وإذا بيهودي يقرأ التوراة ، فلما أتى على صفته أمسك ، وفي ناحيتها رجل مريض ، فقال النبي ﷺ : مالكم أمسكتم ؟ فقال المريض : إنهم أتوا على صفة نبيّ فأمسكوا ، ثم جاء المريض يحبو حتى أخذ التوراة ، وقال : ارفع يدك فقرأ حتى أتى على صفته فقال: هذه صفتك وصفة أمتك ، أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، ثم مات ، فقال النبي ﷺ : لُوا أخاكم(٢) .

ومن طريق صالح بن عمر ، قال : حدثنا عاصم يعني ابن كليب ، عن أبيه ، عن الفلتان بن عاصم ، قال : كنا جلوسًا عند النبي ﷺ إذ شخص ببصره إلى رجل فدعاه ، فأقبل رجل من اليهود مجتمع عليه قميص وسراويل ونعلان ، فجعل النبي ﷺ يقول : أتشهد أني رسول الله ؟ قال : فجعل لا يقول شيئًا إلا قال : يا رسول الله ، فيقول : أتشهد أني رسول الله ؟ فيأبى ، فقال له النبي ﷺ : أتقرأ التوراة ؟ قال : نعم ، والإنجيل ؟ قال : نعم ، والفرقان

---

(١) (دلائل البيهقيّ) : ٦/٢٧٢ - ٢٧٣ ، باب ما جاء في اليهودي الذي اعترف بصفة النبي ﷺ في التوراة وأسلم عنده موته ، واليهوديّ الذي اعترف بصفته حين ناشده .

(٢) (المرجع السابق) : ٢٧٢ - ٢٧٣ .

وربِ محمد لو شئت لقرأته ، قال : فأنشدك بالذي أنزل التوراة والإنجيل وأشياء حلفه بها تجدني فيهما ؟ قال : نجد مثل نعتك يخرج من مخرجك كنا نرجوا أن يكون فينا ، فلما خرجت رأينا أنك هو ، فلما نظرنا إذا أنت لست به ، قال : من أين ؟ قال : نجد من أمتك سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب وإنما أنتم قليل ، قال : فهلل وكبر ، وهلل وكبر، ثم قال : والذي نفس محمد بيده إني لأنا هو ، إن أمتي لأكثر من سبعين ألفا وسبعين وسبعين(١) .

وأما دعاؤه ﷺ اليهود إلى تمني الموت وإخبارهم أنهم لا يتمنوه أبدا فصدق قوله ، ولن يتمنوا الموت

فقد قال الله – تعالى – : ﴿ **قل إن كانت لكم الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين * ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين** ﴾(٢) فتضمنت هذه الآية معجزا نبويا ، وأنه ﷺ أخبر اليهود بأنهم لا يتمنون الموت بعد أن تحداهم به ، وقد كان يمكنهم أن يبطلوا دعواه بكلمة ، وهى أن يقولوا : تمنينا الموت ، فلم يفعلوا ، فدل على علمهم بصدقة ، فصرفهم عن تكذيبه مع سهولته ظاهرا ، وتوفر الدواعي عليه .

وذلك أن اليهود ادعت أشياء باطلة كقولهم : ﴿ **لن تمسنا النار إلا أياما معدودة** ﴾، وقولهم : ﴿ **لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى** ﴾، وقولهم : ﴿ **نحن أبناء الله وأحباؤه** ﴾ ، فأكذبهم الله – تعالى – في ذلك وألزمهم ، فقال : يا محمد قل إن كانت لكم الدار الآخرة يعني الجنة فتمنوا الموت إن كنتم صادقين في دعواكم لأن من اعتقد أنه من أهل الجنة كان الموت أحب إليه من الحياة في الدنيا لما يصير إليه من نسيم الجنة ، ويزول عنه من

---

(١) (المرجع السابق) : ٢٧٣ .

(٢) البقرة : ٩٤ – ٩٥ .

نصب الدنيا ، وإذا خـافوها فأحجموا عن تمني الموت خوفا وفـرقا مـن الله – تعالى – ، العالم يقبح فعالهم وسوء أعمالهم ، ولمعرفتهم بكفرهم فـي قولـهم : ﴿ **نحن أبناء الله وأحباؤه** ﴾ ولحرصهم على الدنيا فلما علم الله – سـبحانه – منهم ذلك أخبر عنهم بقوله – تعالى –: ﴿ **ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم** ﴾ يحقق– تعالى – كذبهم للناس فلم يقدم أحد منهم على تمني الموت معجزة مـن الله – تعالى – لنبيه ولو تمنوه لأظهروه بألسنتهم ليردوا بإظهاره صدق المخـبر لهم بذلك ، وليبطلوا حجته فيكون تمنيهم للموت أعظم ما يدفعون بـه نبوتـه ، ويشنعـون به عليه مـن إخـباره بما وقع في الوجـوه خلافـه ، لكـن الله – سبحانه صرفهم عـن تمني الموت وحرصهم على الإمساك يجعل ذلك آيـة للمصطفى ﷺ .

وقد روى أنهم لو تمنوا الموت لماتوا ، لأنه ﷺ قال : لو أن اليهود تمنـوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار .

وحكى عكرمة ، عن ابن عباس – رضـي الله تبـارك وتعـالى عنـه – ﴿ **فتمنوا الموت** ﴾ أن المراد ادعوا بالموت على الكاذب مـن الفريقيـن منـا ومنكم ، فلم يدعوا لعلمهم بكذبهم .

وقال الكلبي : عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال : قال رسـول الله ﷺ : إن كنتم في مقالتكم صادقين فقولوا : اللهم أمتنا ، فوالذي نفسي بيـده لا يقولـها رجل منكم إلا غص بريقه فمات مكانه ، فأبوا أن يفعلوا فكرهوا ما قـال لـهم فنزل : ﴿ **ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم** ﴾ يعني عملته أيديهم ﴿ **والله عليم بالظالمين** ﴾ أنهم لن يتمنوه ، فقال النبي ﷺ عند نزول هـذه الآيـة : والله لا يتمنونه أبدا ، والذي نفسي بيده لو تمنوا الموت لماتوا ، فكره أعداء الله المـوت فلم يتمنوا جزعا أن ينزل بهم الموت .

وقال في قوله – تعالى – : ﴿ **وإذا ناديتم إلى الصـلاة اتخذوهـا هـزوا ولعبا** ﴾[1] قال : وإذا ناديتم إلى الصلاة بالأذان والإقامة اتخذوها هزوا ولعبـا ﴿ **ذلك بأنهم قوم لا يعقلون** ﴾ أمر الله .

قال : وكان منادي رسول الله ﷺ إذا نادى بالصلاة فقـام المسـلمون إلـى الصلاة ؛ قالت اليهود والنصارى : قد قاموا ، لا قاموا ، فإذا رأوهم ركعا سـجدا استهزءوا بهم وضحكوا منهم .

---

(١) المائدة : ٥٨ .

قال : وكان رجل من اليهود تاجر إذ سمع المنادي ينادي بالأذان قال : أحرق الله الكاذب ، قال : فبينا هو كذلك إذ دخلت جاريته بشعلة من نار فطارت شرارة منها في البيت فالتهبت في البيت فأحرقته(١) .

وأما اعتراف نفر من اليهود بموافقة سورة يوسف - عليه السلام - ما في التوراة

فروى محمد بن مروان ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس أن حبرا من أحبار اليهود دخل على رسول الله ﷺ ذات يوم وكان قارئا للتوراة فوافقه وهو يقرأ سورة يوسف كما أنزلت على موسى في التوراة فقال له الحبر: يا محمد ! من علمكها ؟ قال : الله علمنيها . فتعجب الحبر لما سمع منه فرجع إلى اليهود فقال لهم : أتعلمون والله إن محمدا ليقرأ القرآن كما أنزل في التوراة ؟ فانطلق بنفر منهم حتى دخلوا عليه فعرفوه بالصفة ، ونظروا إلى خاتم النبوة فجعلوا يستمعون إلى قراءته لسورة يوسف - عليه السلام - فتعجبوا منه ، وقالوا : يا محمد من علمكها ؟ فقال علمنيها الله ونزل : ﴿ **لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين** ﴾(٢) يقول : لمن سأل عن أمرهم فأراد أن يعلم علمهم ، فأسلم القوم عند ذلك(٣) .

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٢٧٤ - ٢٧٥ ، باب ما جاء في قول الله عز وجل ﴿ **قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين** ﴾[البقرة : ٩٤] ، وإخبار الله تعالى بأنهم لن يتمنوه أبدا فكان كما أخبر ، وما روى من احتراق من يهزأ بالأذان ، ويدعو على المؤذن بالاحتراق .

(٢) يوسف : ٧ .

(٣) (دلائل البيهقي) : ٢٧٦ ، ما جاء في تعجب الحبر الذي سمعه يقرأ سورة يوسف لموافقتها ما في التوراة ، وسؤاله من سأل عن أسماء النجوم التي رآها ساجدة له .

وأما تصديق يهودي رسول الله ﷺ
في إخباره بأسماء النجوم
[التي سجدت] ليوسف عليه السلام في منامه

فروى الحكم بن ظهير ، عن السدي ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن جابر بن عبد الله - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : أتى النبيَّ ﷺ رجل يقال له بستاني[1] اليهودي ، فقال : يا محمد أخبرني ! عن النجوم التي رآها يوسف - عليه السلام - أنها ساجدة له ، ما أسماؤها ؟ قال : فلم يجبه رسول الله ﷺ بشيء ، فنزل جبريل - عليه السلام - فأخبره ، فبعث نبي الله إلى اليهودي ، فلما جاءه قال : وأنت تسلم إن أخبرتك ؟ قال : نعم ، فقال النبي ﷺ : حرثان أو قال حرثال ، وطارق ، والذيال ، وذو الكنفات ، وذوا القرع ، ووثاب ، وعمودان ، وقابس ، والضَّروح ، والمصبَّح ، والفيلق ، والضياء ، والنور ، رآها في أفق السماء أنها ساجدة له ، فلما قص يوسف - عليه السلام - رؤياه على يعقوب قال له : هذا أمر متشتت يجمعه الله من بعد ، فقال اليهودي : هذه والله أسماؤها .

قال الحكم : الصبا هو الشمس ، وهو أبوه والنور هو القمر ، وهي أمه .

قال البيهقيّ[2] : تفرد به الحكم ظهير بن وهو عند بعض أهل التفسير . والله - تعالى - أعلم .

وأما هلاك من خالف أمر الرسول ﷺ

فخرَّج البيهقيّ[3] من طريق عثمان بن سعيد الدارمي قال : حدثنا الربيع ابن نافع أبو توبة وأبو الجماهير محمد بن عثمان التنوخي قالا : حدثنا الهيثم بن حُميد قال : أخبرني راشد بن داود الصنعاني ، حدثنا أبو أسماء الرحبي ، عن

---

(١) في بعض المصادر : " بستانة " .

(٢) (دلائل البيهقيّ) : ٢٧٧/٦ ، باب مطلب أسماء النجوم التي سجدت ليوسف - عليه السلام -.

(٣) (المرجع السابق) : ٢٨٢/٦ ، باب ما روى فيما أصاب من خالف أمره في الرحيل .

ثوبان مولى رسول الله ﷺ ، عن رسول الله ﷺ أنه قال في مسير له أنا مدلجون الليلة فلا يرحلنْ معنا مضعف ولا مصعب ، فارتحل رجل على ناقة له صعبة ، فسقط فاندقت فخذه فمات ، فأمر رسول الله ﷺ بلالا فنادى : إن الجنة لا تحل لعاص ثلاثا[١] .

وقال الواقدي[٢] في – غزوة تبوك – : فقال رسول الله ﷺ لا يخرجن معنا إلا مقو ، فخرج رجل على بكر صنعت فصرعه ، فقال الناس : الشهيد الشهيد ، فبعث رسول الله ﷺ مناديا ينادي : لا يدخل الجنة إلا مؤمن أو إلا نفس مؤمنة ، ولا يدخل الجنة عاص ، وكان الرجل طرحه بعيره بالسويداء[٣] .

---

(١) (مسند أحمد) : ٣٧٠/٦ ، حديث رقم (٢١٨٥٩) .

(٢) (مغازي الواقدي) : ٣/ ٩٩٤ – ٩٩٥ .

(٣) السويداء : موضع على ليلتين من المدينة على طريق الشام ، ولها ذكر فى سنن أبى داود ، كتاب الإمارة ، حديث رقم (٢٩٥٨) (معجم البلدان) : ٣٢٥/٣ ، موضع رقم (٦٧٨٨) .

وأما إخباره ﷺ بهلاك المشرك الذي سال عن كيفية الله - تعالى -

فخرج البيهقي(1) من طريق ديلم بن غزوان قال : حدثنا ثابت عن أنس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : أرسل رسول الله ﷺ رجلا من أصحابه إلى رأس من رؤوس المشركين يدعوه إلى الله - عز وجل - ، فقال المشرك : هذا الإله الذي تدعو إليه من ذهب هو أو من فضة أو من نحاس ؟! فتعاظم مقالته في صدر رسول الله ﷺ فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال : ارجع إليه ، فرجع إليه فقال له مثل ذلك ، فأنزل الله - عز وجل - صاعقة من السماء ، ورسول الله ﷺ في الطريق لا يدري ، فرجع إلى النبي ﷺ ، فقال له النبي ﷺ : إن الله قد أهلك صاحبك وأنزل الله - تعالى - على رسوله ﷺ : ﴿ **ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء** ﴾(2) الآية ، قال كاتبه : هذا المشرك هو أربد بن قيس .

(1) (دلائل البيهقي) : ٢٨٣/٦ ، باب ما روى في إخباره ﷺ بما أصاب المشرك الذي سأل عن كيفية الله - سبحانه - من العذاب .

(2) الرعد : ١٣ .

وأما هلاك من كذب على النبي ﷺ وإخباره بأن رسله إليه لا تدركه فكان كذلك

فقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر عن رجل ، عن سعيد بن جبير ، قال : جاء رجل إلى قرية من قرى الأنصار فقال : إن رسول الله ﷺ أرسلني إليكم وأمركم أن تزوجوني فلانة ، قال : فقال رجل من أهلها : جاءنا هذا بشيء ما نعرفه من رسول الله ﷺ ، أنزلوا الرجل وأكرموه حتى آتيكم بخبر ذلك ، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له ، فأرسل عليا والزبير - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - فقال : اذهبا فإن أدركتماه فاقتلاه ، ولا أراكما تدركانه ، قال : فذهبا فوجداه قد لدغته حية فقتلته ، فرجعا إلى النبي فأخبراه ، فقال رسول الله ﷺ : من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار[1] .

قال البيهقي[2] هذا مرسل ، وقد روى من وجه آخر ، فذكره من طريق يحيى ابن بسطام قال : حدثني عمر بن فرقد البزار ، حدثنا عطاء بن السائب ، عن عبد الله بن الحارث أن جد جد الجندعي كان النبي ﷺ يقربه ، فأتى اليمن ، فعشق فيهم امرأة فقال : إن رسول الله ﷺ أمرني أن تبعثوا إلي بفتاتكم ، فقالوا : عهدنا برسول الله ﷺ وهو يحرم الزنا ، ثم بعثوا رجلا إلى رسول الله ﷺ قال : فبعث النبي ﷺ عليا فقال : ائته ، فإن وافقته حيا فاقتله ، وإن وجدته ميتا فحرقه بالنار .

قال : فخرج جدجد من الليل يستسقى من الماء فلدغته أفعى فقتلته ، فقدم علي - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فوافقه وهو ميت ، فحرقه بالنار ، فمن ثم قال رسول الله ﷺ : من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار[3] .

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٢٨٤/٦ ، باب ما روى فيما أصاب الذي كذب عليه ، وقوله للذين بعثهما إليه : ولا أراكما تدركانه ، فلم يدركانه .

(٢) (المرجع السابق) : ٢٨٥ .

(٣) حديث : " من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار " متواتر ، رواه عن النبي ثمانية وتسعون صحابيا ، منهم العشرة ، ولا يعرف ذلك لغيره .

وأما إخباره ﷺ رجلاً بما يحدث به نفسه وما يؤول إليه أمره

فخرَّج البيهقيّ[1] من حديث بشر بن بكر، عن الأوزاعي، قال: حدثني الرقاشيّ، عن أنس بن مالك - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال: ذكروا رجلاً عند رسول الله ﷺ، فذكروا قوته في الجهاد واجتهاده في العبادة، فإذا هم بالرجل مقبل، قالوا: هذا الذي كنا نذكر، فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده إني لأرى في وجهه سنعة من الشيطان، ثم أقبل فسلم عليهم، فقال رسول الله ﷺ: هل حدثت نفسك أن ليس في القوم أحد خير منك؟ قال: نعم، ثم ذهب فاختط مسجدًا وصف بين قدميه يصلي، فقال رسول الله ﷺ: من يقوم إليه فيقتله؟ قال أبو بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه -: أنا، فانطلق إليه فوجده قائمًا يصلي، فهاب أن يقتله فانصرف، فقال: يا رسول الله، وجدته قائمًا يصلي فهبت أن أقتله، فقال رسول الله ﷺ: أيكم يقوم إليه قال عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه -: أنا، فانطلق إليه فصنع كما صنع أبو بكر، ثم قال رسول الله ﷺ أيكم يقوم إليه فيقتله؟ قال علي - رضي الله تبارك وتعالى عنه -: أنا، قال: أنت إن أدركته فذهب فوجده قد انصرف، فرجع إلى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: هذا أول قرن خرج في أمتي، لو قتلته ما اختلف اثناه بعده من أمتي، ثم قال: إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار إلا فرقة واحدة[2]، قال يزيد الرقاشي: هي الجماعة.

(١) (دلائل البيهقيّ): ٦/٢٨٧ - ٢٨٨، باب ما روى في إخباره ﷺ الرجل الذي وصف بالاجتهاد في العبادة بما حدثته نفسه، وبغير ذلك من حاله.

(٢) وأخرجه الإمام أحمد، دون ذكر القصة.

وأما إخباره ﷺ امرأة صامت بما كان منها في صومها

فخرج البيهقي من طريق جعفر بن عون ، قال : أخبرنا مسعر عن عمرو ابن مرة عن أبي البختري ، قال : كانت امرأة في لسانها ذرابة[1] ، فأتت النبي ﷺ ، فلما أمست دعاها إلى طعامه فقالت له : إني كنت صائمة ، فقال : ما صمت ، فلما كان اليوم الآخر تحفظت بعض التحفظ ، فلما أمست دعاها إلى طعامه ، فقالت : أما إني كنت اليوم صائمة ، قال : كذبت ! فلما كان اليوم الآخر تحفظت ولم يكن منها شيء ، فلما أمست دعاها إلى طعامه ، قالت : أما إنى كنت صائمة . قال اليوم صمت ، هذا حديث مرسل[2] .

---

(١) امرأة ذربة – على وزن قربة – وذربة ، أي صخابة ، حديدة ، فاحشة ، طويلة اللسان ، والذرب اللسان : الفاحش البذئ الذي لا يبالي ما قال . (لسان العرب) : ١/٣٨٥ – ٣٨٦ ، مختصرا .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٦/٢٨٩ ، باب ما جاء في إخباره ﷺ المرأة الصائمة ، بما كان من شأنها في حفظ لسانها .

وأما استغناء أبي سعيد الخدري
رضي الله تبارك وتعالى عنه
ببركة اقتدائه في التعفف بقول المصطفى ﷺ

فخرج البيهقي من حديث إسماعيل بن أبي أنس قال : حدثني أخي ، عن سليمان بن بلال ، عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة ، عن عبد الله بن عبد الرحمن ، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أنه قال : أصابنا جوع ما أصابنا مثله قط في جاهلية ولا إسلام ! فقالت لي أختي فريعة : اذهب إلى رسول الله ﷺ فسله لنا ، فوالله يخيب سائله إنك منه بإحدى اثنتين : إما أن يكون عنده فيعطيك ، وإما أن لا يكون عنده ، فيقول : أعينوا أخاكم ، فلم أكره ذلك ، فلما دنوت من المسجد وهو يومئذ ليس له جدار ، سمعت صوت رسول الله ﷺ فقلت : إن هذا النبي ﷺ يخطب ، فكان أول ما فهمت من قوله من يستعف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ، فقلت في نفسي : ثكلتك أمك سعد بن مالك ، والله لكأنك أردت بهذا . لا جرم والذي بعثك بالحق لا أسألك شيئا بعدما سمعت منك ، فجلست ، فلما فرغ رجعت وفريعة تقبل وتدبر أقصى الآجام إلى بابه قد أدامها الجوع .

قال : فلما حصلت ببقيع الزبير أبصرت ليس معي شيء ، فلما جئت قالت : مالك ؟ فوالله ما يخيب سائله ، فأخبرتها بالذي سمعت منه . قالت : فسألته بعد ذلك ؟ قلت : لا ، قالت : أحسنت ، فلما كان من الغد فإني والله لأتعب نفسي تحت الأجم إذ وجدت من دراهم يهود فابتعنا به وأكلنا منه ، ثم والله مازال النبي ﷺ محسنا[1] .

قال : رواه هلال بن حصن ، عن أبي سعيد إلا أنه قال : فرجعت فما سألت أحدا بعده شيئا ، فجاءت الدنيا فما من أهل بيت من الأنصار أكثر أموالا منا .

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٦/٢٩٠ - ٢٩١ ، باب ما جاء في وعده من استعف بالإعفاف ، ومن استغنى بالإغناء ، ووجود صدقة أبي سعيد الخدري وغيره .

وأخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب (٢٠) الصبر عن محارم الله ، ومسلم في كتاب الزكاة ، والإمام أحمد في (المسند) : ٤/٢٢٧ .

ومن حديث عبد الوهاب بن عطاء قال : أخبرنا محمد بن عمرو ، عن أبي[1] سلمة ، عن أبي سعيد الخدري قال : جئت رسول الله ﷺ وأنا أريد أن أسأله فوجدته جالسًا على المنبر يخطب الناس : من يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله ، فرجعت وقلت : لا أسأله فلانا أكثر قومي مالا . والله تعالى اعلم[2] .

وأما إخباره ﷺ وابصة الأسدي بما جاء يسأله عنه قبل أن يسأله

فخرَّج البيهقيّ من حديث ابن وهب قال : حدثني معاوية ، عن أبي عبد الله محمد الأسدي ، أنه سمع وابصة الأسدي قال : جئت لأسأل رسول الله ﷺ عن البر والإثم فقال من قبل أن أسأله : جئت يا وابصة تسألني عن البرّ والإثم ؟ قلت : إي ، والذي بعثك بالحق إنه للذي جئت أسألك عنه ، فقال : البر ما انشرح له صدرك ، والإثم ما حاك في نفسك ، وإن أفتاك عنه الناس[3] .

ومن طريق الحارث بن أبي أسامة قال : حدثنا يزيد بن هارون ، عن حماد ابن سلمة ، عن الزبير أبي عبد السلام ، عن أيوب بن عبد الله - يعني ابن مكرز - عن وابصة ، قال : أتيت رسول الله ﷺ وأنا أريد أن لا أدع شيئا من البر والإثم إلا سألته عنه . فجعلت أتخطى الناس ، فقالوا : إليك يا وابصة عن رسول الله ﷺ ! فقلت : دعوني أدن منه [فإنه من أحب الناس إليّ أن ادنو

---

(١) كذا في (الأصل) ، وفي (دلائل البيهقيّ) : " عن سلمة " .

(٢) (المرجع السابق) : ٢٩١ .

(٣) (دلائل البيهقيّ) : ٢٩٢/٦ ، باب ما روى في إخبار النبيّ ﷺ السائل بما أراد أن يسأله قبل سؤاله . وأخرجه الإمام أحمد في (المسند) من حديث أبي عبد الرحمن السلمى عن وابصة ، الأسديّ .

منه][1]، فقال : أدن يا وابصة ، أدن يا وابصة ، فدنوت حتى مست ركبتي ركبته فقال ﷺ : يا وابصة أخبرك بما جئت تسألني عنه ، فقلت : أخبرني يا رسول الله ، فقال ﷺ : جئت تسألني عن البر والإثم ؟ قلت : نعم ، فجمع أصابعه فجعل ينكت بها في صدري ويقول : يا وابصة استفت قلبك ، استفت نفسك ، البر ما اطمأن إليه القلب ، واطمأنت إليه النفس ، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر ، وإن أفتاك الناس وأفتوك[2] .

وأما إخباره ﷺ رجلين عن ما أتيا يسألانه عنه قبل أن يسألاه

فخرج البيهقي من طريق خلاد بن يحيى قال : حدثنا عبد الوهاب ، عن مجاهد ، وخرجه ابن حبان في (صحيحه) من حديث القاسم بن الوليد ، عن سنان بن الحارث بن مصرف ، عن طلحة بن مصرف ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - قال : كنت جالسا عند نبي الله ﷺ فجاءه رجلان ، أحدهما أنصاري ، والآخر ثقفي ، فابتدر المسألة للأنصاري ، فقال رسول الله ﷺ : يا أخا ثقيف ، إن الأنصاري قد سبقك بالمسألة ، فقال الأنصاري : يا رسول الله فإني أبدأ به ، فقال : سل عن حاجتك ، وإن شئت أنبأناك بالذي جئت تسأل عنه ، قال : ذاك أعجب إلي يا رسول الله ! قال : فإنك جئت تسألني عن صلاتك بالليل ، وعن ركوعك ، وعن سجودك ، وعن صيامك ، وعن غسلك من الجنابة ، فقال : والذي بعثك بالحق إن ذلك الذي جئت أسأل عنه .

قال : أما صلاتك بالليل فصل أول الليل وآخر الليل ، ونم وسطه . قال : أفرأيت يا رسول الله إن صليت وسطه ؟ قال : فأنت ذا إذا . قال : وأما ركوعك فإذا أردت فاجعل كفيك على ركبتيك ، وأفرج بين أصابعك ، ثم ارفع رأسك فانتصب قائما حتى يرجع كل عظم إلى مكانه ، فإذا سجدت فأمكن جبهتك من الأرض ولا تنقر ، وأما صيامك فصم الليالي البيض : يوم ثلاثة عشر ، ويوم أربعة عشر ، ويوم خمسة عشرة .

---

(١) ما بين الحاصرتين من (الأصل) فقط .

(٢) (المرجع السابق) : ٢٩٢ - ٢٩٣ ، وأخرجه الإمام أحمد في (المسند) : ٤/٢٨٨ .

ثم أقبل الأنصاري فقال : يا أخا الأنصار سل عن حاجتك وإن شئت أنبأنـاك بالذي جئت تسأل عنه . قال : فذلك أعجب ، إلي يا رسول الله ! قـــال : فــإنك جئت تسأل عن خروجك من بيتك تؤم البيت العتيق وتقول : ماذا لي فيه ؟ وعـن وقوفك بعرفات ، وتقول : ماذا لي فيه ؟ وعن حلقك رأسك ، وتقول : ماذا لـــي فيه ؟ وعن طوافك بالبيت ، وتقول : ماذا لي فيه ؟ وعن رميك الجمار ، وتقـول ماذا لي فيه ؟ قال : إي والذي بعثك بالحق ، إن هذا الذي جئت أسألك عنه.

قال أما خروجك من بيتك تؤم البيت ، فإن لك بكل موطأة تطؤها راحلتـــك أن تكتب لك حسنة وتمحي عنك سيئة ، وإذا وقفت بعرفات ، فإن الله – تعـــالى – ينزل إلى السماء الدنيا فيقول للملائكة : هؤلاء عبادي جاءونى شعثا غبرا من كل فج عميق ، يرجون رحمتي ، ويخافون عذابي ، وهم لم يروني فكيـــف لـــو رأوني ؟ فلو كان عليك مثل رمل عالج ذنوبا أو قطـــر الســـماء أو عـــدد أيـــام الدنيا ، غسلها عنك ، وأما رميك الجمار فإن ذلك مدخور لك عند ربك ، فــــإذا حلقت رأسك ، فإن لك بكل شعرة تسقط من رأسك أن تكتب لك حســـنة وتمحـــا عنك سيئة ، فإذا طفت بالبيت خرجت من ذنوبك ليس عليك منها شيء[1] .

قال البيهقي : وله [شاهد بإسناد] حسن فذكر من طريق القاسم بن الوليـــد الجندعي ، عن سنان بن الحارث بن مصرف ، عن مجاهد ، عن عبد الله بـــن عمر ، قال : جاء رجل من الأنصار وأظنه رجل من ثقيف إلى رســـول الله ﷺ فقال : يا نبي الله كلمات أسألك عنهن تعلمنيهن ، فذكر الحديث بمعنـــاه إلا أنـــه قال: وإذا رمى الجمر فإن أحدا لا يدري ماله حتى يوفاه يوم القيامه ، وقال فـــي الطواف : خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه[2] .

قال : روى ذلك عن أنس بن مالك ، فذكره من طريق مسدد قـــال : حدثنـــا عطاف بن خالد المخزومي ، حدثنا إسماعيل بن رافع ، عـــن أنس بن مـــالك – رضي الله تبارك وتعالى عنه – [صاحب رســـول الله ﷺ][3] قـــال : كنـــت جالسا مع رسول الله ﷺ في مسجد الخيف فأتى رجل من الأنصار ورجل مـــن

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٢٩٣/٦ – ٢٩٤ ، باب ما روى في إخبار النبي ﷺ الســـائل بمـــا أراد أن يسأله عنه قبل سؤاله .

(٢) (المرجع السابق) : ٢٩٤ .

(٣) زيادة للسياق من (المرجع السابق) .

ثقيف فسلما عليه ودعوا له دعاء حسنا ، ثم قالا : جئناك يا رسول الله نسـألك ، قال : إن شئتما أن أخبركما بما تسألاني عنه ، فعلت وإن شئتما أن أسكت وتسألاني فعلت ، قالا : أخبرنا يا رسول الله نزدد إيمانا أو نزدد يقينا - شك إسماعيل - فذكر الحديث في إخباره بما أرادا أن يسألا عنه بنحو من حديث ابن عمر إلا أنه زاد ذكر الطواف الأول فقال : .

وأما طوافك ، بالبيت فإنك لا تضع رجلا ولا ترفعها إلا وكتب الله لك بها حسنة ، ومحا عنك بها خطيئة ، ويرفع لك بها درجة ، وأما ركعتان بعد الطواف ، فإنها كعتق رقبة من بني إسماعيل ، وأما طوافك بالصفا والمروة كعتق سبعين رقبة ، ثم ذكر الوقوف ، ثم قال : وأما رميك الجمار ، فلك بكل حصاة ترميها كبيرة من الكبائر الموبقات الموجبات ، وأما نحرك ، فمدخور لك عند ربك ، ثم ذكر ما بعده وقال : فقال الثقفي : أخبرني يا رسول الله قال : جئت تسألني عن الصلاة ، فإذا غسلت وجهك ، انتثرت الذنوب عن رأسك ، فإذا غسلت رجليك انتثرت الذنوب من أظفار قدميك ، ثم إذا قمت إلى الصلاة فاقرأ من القرآن ما تيسر، ثم إذا ركعت فأمكن يديك من ركبتيك ، وافرق بين أصابعك حتى تطمئن راكعا ، ثم سجدت فأمكن وجهك من السجود حتى تطمئن ساجدا ، وصل من أول الليل وآخره قال : يا رسول الله ، أفرأيت إن صليت الليل كله قال : فإنك إذا أنت[١] .

وأما إخباره ﷺ رجالا من أهل الكتاب عن ذي القرنين قبل أن يسألوه

فخرج البيهقي من طريق عبد الله بن مسلمة القعنبي قال : حدثنا عبد الله ابن عمر بن حفص بن عاصم ، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، عن سعد ابن مسعود ، عن رجلين من كنده من قومه ، قالا : استطلنا يوما فانطلقنا إلى عقبة بن عامر الجهني - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فوجدناه في ظل داره جالسا ، فقلنا : إنا استطلنا يوما فجئنا نتحدث عندك فقال : وأنا استطلت يومي فخرجت إلى هذا الموضع .

---

(١) (المرجع السابق) : ٢٩٥ .

قال : ثم أقبل علينا فقال : كنت أخدم رسول الله ﷺ فخرجت ذات يوم فإذا أنا برجال من أهل الكتاب بالباب معهم مصاحف فقالوا : من يستأذن لنا على النبي ﷺ ؟ فدخلت على رسول الله ﷺ فأخبرته فقال : مالي ولهم يسألوني عما لا أدري ؟ أنا عبد لا أعلم إلا ما علمني ربي ، ثم قال : أبغني وضوءا ، فأتيته بوضوء ، فتوضأ ، ثم خرج إلى المسجد فصلى ركعتين ، ثم انصرف فقال لي وأنا لا أرى السرور والبشر في وجهه : أدخل القوم علي ومن كان من أصحابي فأدخله أيضا علي ، فأذنت لهم فدخلوا فقال : إن شئتم أخبرتكم عما جئتم تسألونني عنه من قبل أن تكلموا وإن شئتم ، فتكلموا قبل أن أقول ، قالوا : بل أخبرنا .

قال : جئتم تسألونني عن ذي القرنين ، إن أول أمره أنه كان غلاما من الروم أعطي ملكا ، فسار حتى أتى ساحل أرض مصر فابتنى مدينة يقال لها الإسكندرية ، فلما فرغ من شأنها بعث الله إليه ملكا ، ففزع به فاستعلى بين السماء ، ثم قال له : انظر ما ، تحتك ؟ فقال : أرى مدينتين ، ثم استعلا به ثانية ، ثم قال : انظر ما تحتك ؟ فنظر فقال : ليس أرى شيئا ، فقال له : المدينتين وهو البحر المستدير ، وقد جعل الله لك مسلكا تسلك به فعلم الجاهل وثبت العالم .

قال : ثم جوزه فابتنى السد جبلين زلقين لا يستقر عليهما شيء ، فلما فرغ منهما سار في الأرض فأتي على أمة أو على قوم وجوههم كوجوه الكلاب ، فلما قطعهم أتى على قوم قصار ، فلما قطعهم أتى على قوم من الحيات تلتقم الحية منها الصخرة العظيمة ، ثم أتى على الغرانيق وقرأ هذه الآية : ﴿ **وآتيناه من كل شيء سببا فأتبع سببا** ﴾[1] ، فقالوا : هكذا نجده في كتابنا[2] .

وأما إخباره ﷺ بما دفن مع أبي رغال

فخرج البيهقي من حديث يحيى بن معين قال حدثنا وهب بن جرير : قال: أخبرني أبي قال : سمعت محمد بن إسحاق يحدث عن إسماعيل بن أمية ، عن بجير بن أبي بجير قال : سمعت عبد الله بن عمرو يقول : سمعت رسول الله

---

(١) الكهف : ٨٤ - ٨٥ .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٦/٢٩٥ - ٢٩٦ .

ﷺ حين خرجنا معه إلى الطائف فمررنا بقبر فقال : هذا قبر أبي رغال ، وهو أبو ثقيف ، وكان من ثمود ، وكان بهذا الحرم يدفع عنه ، فلما خرج أصابته النقمة التى أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه ، وآية ذلك أنه دفن معه غصن من ! ذهب إن أنتم نبشتم عنه أصبتموه ، فابتدره الناس فاستخرجوا منه الغصن[1] .

ومن حديث يزيد بن زريع حدثنا روح بن القاسم ، عن إسماعيل بن أمية ، عن بجير بن أبي بجير ، عن عبد الله بن عمرو ، أنهم كانوا مع رسول الله ﷺ في سفر أو مسير ، فمروا بقبر فقال : هذا قبر أبي ، رغال كان من قوم ثمود ، فلما أهلك الله قومه بما أهلكهم به منعه بمكانه من الحرم ، فخرج حتى بلغ ذا المكان أو الموضع فمات ، فدفن معه قضيب من ذهب فابتدرناه ، فاستخرجناه[2].

وأما إخباره ﷺ عن أمر السفينة

فخرج البيهقي من حديث عبد الرزاق قال : حدثنا معمر قال : بلغني أن النبي ﷺ كان جالسا في أصحابه يوما ، فقال : اللهم أنج أصحاب السفينة ، ثم مكث ساعة فقال : قد استمرت ، فلما دنوا من المدينة قال : قد جاءوا يقودهم رجل صالح ، قالوا : والذين كانوا في السفينة ، قالوا : الأشعريون والذي قلدهم عمرو بن الحمق الخزاعي ، فقال رسول الله ﷺ : من أين جئتم ؟ قالوا : من زبيد قال : بارك الله في زبيد قالوا : وفي رمع[3] قال : بارك الله في زبيد ، قالوا : وفي رمع يا رسول الله ، قال : في الثالثة وفي رمع .

قال البيهقي : وفي هذا إخباره ﷺ عن احتباس السفينة وإشرافها على الغرق ، ثم دعاؤه لها إيابا بالنجاة ، ثم إخباره عن استمرارها ونجاتها ، ثم بقدومها ، ثم بمن يقودهم فكان الجميع كما قال ﷺ [صلاة لا تنقطع][4] .

قال كاتبه : هذه سبعة أعلام من أعلام النبوة .

---

(١) (المرجع السابق) : ٢٩٧ ، باب إخباره ﷺ عن قبر أبي رغال وما فيه من الذهب .

(٢) (المرجع السابق) : ٢٩٧ .

(٣) رمع : قرية باليمن ، وفي (الأصل) : " زمع " .

(٤) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي) : ٢٩٨/٦ ، باب ما جاء في إخباره ﷺ عن أمر السفينة .

الشيء مع امرأته ، وهو وإياها في ثوب واحد ، تخوفًا أن ينزل فيهم شيء من القرآن(١) ، وهذا يؤيد حديث أبي شهم ويقويه .

وأما إطلاعه ﷺ علي شاة دُعىَ لأكلها وهو يأكلها أنها أُخذْت بغير حق

فخرَّج أبو داود من حديث عاصم بن كليب ، عن أبيه ، عن رجل من الأنصار قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة فرأيت رسول الله ﷺ وهو على القبر يوصي الحافر : أوسع من قبل رجليه أوسع من قبل رأسه ، فلما رجع استقبله داعي امرأة فجاء ، وجيء بالطعام فوضع يده ، ثم وضع القوم فأكلوا فنظر آباؤنا رسول الله ﷺ يلوك لقمة في فيه ، ثم قال : أجد لحم شاة أُخذت بغير إذن أهلها ، فأرسلت المرأة : يا رسول الله إني أرسلت إلى البقيع تشتري لي شاة ، فلم توجد ، فأرسلت إلى جار لي قد اشترى شاة أن أرسل بها إليّ بثمنها فلم يوجد ، فأرسلت إلى امرأته فأرسلت إليّ بها . فقال رسول الله ﷺ : أطعميه للأسارى(٢) .

وخرَّج الإمام أحمد(٣) من حديث حماد ، عن حميد ، عن أبي المتوكل ، عن جابر أن رسول الله ﷺ وأصحابه مروا بامرأة فذبحت لهم شاة واتخذت لهم طعامًا فلما رجع قالت : يا رسول الله إنا اتخذنا لكم طعامًا فادخلوا فكلوا ، فدخل رسول الله ﷺ وأصحابه – وكانوا لا يبدأون حتى يبتدئ النبي ﷺ – فأخذ النبي ﷺ لقمة فلم يستطع أن يسيغها ، فقال ﷺ : هذه الشاة ذبحت بغير إذن أهلها ؟ فقالت المرأة : يا رسول الله إنا لا نحتشم من آل سعد بن معاذ ولا يحتشمون منا ، فنأخذ منهم ويأخذون منا .

---

(١) (المرجع السابق) : ٣٠٧ .

(٢) (دلائل البيهقيّ) : ٣١٠/٦ ، باب امتناع النبيّ ﷺ عن أكل الشاة التي أخذت بغير إذن مالكها، وما ظهر في ذلك من حفظ الله – تعالى – رسوله ﷺ عن أكل الحرام .

(٣) (مسند أحمد) : ٣١٦/٤ ، حديث رقم (١٤٣٧١) من مسند جابر بن عبد الله – رضي الله تبارك وتعالى عنه – .

وخرجه الحاكم[1] من طريق هريم به نحوه وقال : هـذا حديث صحيح [الإسناد] على شرط الشيخين [ولم يخرجاه] .

ومن طـريق محمد بن أبان الواسطي قال : حدثنا يزيد بن عطاء، عن بيان ابن بشر ، عن قيس بن أبي حازم ، عن شهم[2] ، قال : رأيت جارية في بعض طرق المدينة فأهويت بيدي إلى خاصرتها ، فلما كان من الغد أتى الناس إلى النبي ﷺ ليبايعوه فبسطت يدي فقلت : بايعني يا رسول الله ، قال : أنت صاحب الجبذة أمس ؟ أما إنك صاحب الجبذة أمس ، قال : قلت : يا رسول الله بايعني فوالله لا أعود أبدا ، قال : فنعم إذا[3] .

وقد خرج البخاري من حديث أبي نعيم قال : حدثنا سفيان ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : كنا نتقى الكلام والانبساط إلى نسائنا على عهد رسول الله ﷺ خشية أن ينزل فيها شيء فلما توفى تكلمنا وانبسطنا[4] .

وفى رواية محمد بن يوسف الفريابي قال : ذكر حصن ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر : كنا نتقي الكلام والانبساط إلى نسائنا مخافة أن ينزل فينا القرآن ، فلما مات النبي ﷺ تكلمنا[5] .

ولابن وهب قال أخبرني عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد الساعدي أنه قال : تالله لقد كان أحدنا يكف عن

---

(١) (المستدرك) : ٤١٨/٤ ، كتاب الحدود ، حديث رقم (٨١٣٤) وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه ، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : على شرط البخاري ومسلم .

(٢) في (دلائل البيهقي) : " شهم " ، وفي (المستدرك) : " سهم " .

(٣) (المرجع السابق) : ٣٠٦ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب النكاح ، باب (٨٠) الوصاة بالنساء ، حديث رقم (٥١٨٧) ، وأخرجه ابن ماجة في كتاب الجنائز ، باب (٦٥) ذكر وفاته ودفنه ﷺ ، حديث رقم (١٦٣٢) ، وأخرجه الإمام أحمد في (المسند) .

(٥) (دلائل البيهقي) : ٣٠٧/٦ .

وأما إخباره [ﷺ] رجلا قال في نفسه شعراً بما قال في نفسه

فخرج البيهقي(١) من طريق أبي دجانة أحمد بن الحكم المعافري ، حدثنا عبيد بن خلصة ، حدثنا عبد الله بن عمر المدني ، عن المنكدر بن محمد بن المنكدر ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله – رضي الله تبارك وتعالى عنه – قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ! إن أبي يريد أن يأخذ مالي ، فقال رسول الله ﷺ : ادعه ليه ، قال : فجاء ، فقال رسول الله ﷺ إن ابنك يزعم أنك تأخذ ماله ، فقال : سله ، هل هوإلا عماته ، أو قراباته ، أو ما أنفقه على نفسي وعيالي ؟

قال : فهبط جبريل الأمين – عليه السلام – ، فقال : يا رسول الله ! إن الشيخ قد قال في نفسه شيئا لم تسمعه أذناه ، فقال رسول الله ﷺ ، قلت في نفسك شيئا لم تسمعه أذناك ؟ قال : لا يزال يزيدنا بك بصيرة ويقينا ، نعم قلت قال رسول الله ﷺ : هات ، فأنشا يقول فيه شعرا .

قال : فبكى رسول الله ﷺ ، وأخذ بتلبيب ابنه ، وقال : أنت ومالك لأبيك .

وأما إخباره ﷺ لأبي شهم بما كان منه

فخرج البيهقي(٢) من طريق هريم بن سفيان ، عن بيان ، عن قيس بن أبي سهم قال : مرت بي امرأة بالمدينة فأخذت بكشحها قال : فأصبح الرسول ﷺ يبايع الناس ، قال : فأتيته [فسلمت عليه] فلم يبايعني ، وقال : صاحب الجبيذة بالأمس ؟ قال : قلت : والله لا أعود فبايعني .

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٦/٣٠٤ – ٣٠٥ ، باب ما جاء في إخباره من قال في نفسه شعرا في الشكاية عن ولده بذلك إن صحت الرواية ، قال البزار : يعرف عن هشام ابن المنكدر مرسلا ، وقال الهيثمي : فيه ضعيف ، وقال العقيلي : ضعيف .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٦/٣٠٦ ، باب ما جاء في إخبار صاحب الجبيذة بصنيعه ، وما ثبت عن بن عمر أنهم كانوا يتقون الكلام والانبساط ، مخافة أن ينزل فيهم القرآن بما قالوا وفعلوا .

مات ، قال : وما يدريك ؟ قال : أنا رأيته ، قال رسول الله ﷺ : أنه لم يمت ، قال : فرجع فصيح عليه ، فجاء إلى رسول الله ﷺ فقال : إنه قد مات ، فقال النبي ﷺ : إنه لم يمت ، فرجع ، فصيح عليه ، فقالت امرأته : انطلق إلى رسول الله ﷺ فأخبره ، فقال الرجل : اللهم العنه ، قال ثم انطلق الرجل فرآه قد نحر نفسه بمشاقص معه فأنطلق إلى النبى ﷺ فأخبره أنه قد مات ، فقال : ومايدريك ؟ قال : رأيته ينحر نفسه بمشقص ، معه ، قال : أنت رأيته ؟ قال نعم ، قال : إذا لا أصلى عليه . فانطلق إلى النبى ﷺ فأخبره .

وأما إشارته ﷺ إلى ما صار إليه أمر ماعز بن مالك الأسلمي

فخرج البيهقي[1] من طريق حديث الفيد بن القاسم قال : سمعت الجعد بن عبد الرحمن أن عبد الرحمن بن ماعز حدثه أن ماعزا أتى النبي ﷺ فكتب له كتابا أن ماعزا أسلم آخر قومه ، وأنه لا يجني عليه إلا يده ، فبايعه على ذا .

قال كاتبه : وماعزا هذا هو الذي اعترف علىنفسه بالزنا تائبا منيبا ، وكان محصنا ، فرجم رحمة الله عليه ، وكانت هذه القصة هى التى أشار إليها رسول الله ﷺ بقوله في الحديث : وأنه لا يجني عليه إلا يده ، وحديث رجم ماعز في (الصحيحين) وغيرهما[2] .

= وذهب بعض أصحاب الشافعي إلى أن تارك الصلاة إذا قتل لم يصل عليه ، ويصلي على من سواه ، ممن قتل في حد أو قصاص . (معالم السنن) .

(١) (دلائل البيهقي) : ٣٠٣/٦ ، باب ما جاء في إشارته إلى ما صار إليه أمر ماعز بن مالك ، وفي هامشه : هو ماعز آخر غير ماعز بن مالك الأسلمي ، أفرده البخاري والبغوي ، وجوز ابن منده أن يكون واحدا ، والخبر ذكره ابن حجر في ترجمته من (الإصابة) ، نقلا عن البخاري في (التاريخ الكبير) .

(٢) سبق تخريج هذه الأحاديث في باب من رجمه رسول الله ﷺ من هذا الكتاب .

وأما إخباره ﷺ بحال من نحر نفسه

فخرج أبو داود[1] من حديث زهير ، حدثنا سماك ، حدثني جابر بن سمرة، قال : مرض رجل فصيح عليه ، فجاء جاره إلى رسول الله ﷺ فقال له: إنه قد

(١) (سنن أبي داود) : ٣/٥٢٦ ، كتاب الجنائز ، باب (٥١) الإمام لا يصلي على من قتل نفسه ، حديث رقم (٣١٨٥) ، والمشقص جمعه مشاقص ، وهو نصل السهم إذا كان طويلا غير عريض.

وأخرجه مختصرا بمعناه : مسلم في الجنائز ، حديث رقم (٩٧٨) ، والنسائي في الجنائز ، حديث رقم (١٩٦٦) ، باب ترك الصلاة على من قتل نفسه ، والترمذي في الجنائز ، حديث رقم (١٠٦٨) ، باب من قتل نفسه ، لم يصل عليه ، وابن ماجة في الجنائز ، حديث رقم (١٠٦٨) ، باب من قتل نفسه ، لم يصل عليه ، وابن ماجة في الجنائز ، حديث رقم (١٥٢٦) باب الصلاة على أهل القبلة .

وأخرجه أيضا الإمام أحمد في (المسند) : ٦/٩٠ ، حديث رقم (٢٠٢٩٢) وحديث رقم (٢٠٣٧٦) ، وحديث رقم (٢٠٤٠٤) كلهم من حديث جابر بن سمرة .

وقد اختلف الناس في هذا ، فكان عمر بن عبد العزيز لا يرى الصلاة على من قتل نفسه ، وكذلك قال الأوزاعي ، وقال أكثر الفقهاء : يصلى عليه .

قال الخطابي : كان الزهري يقول : يصلى على الذي يقاد منه في حد ، ولا يصلي على من قتل في رجم ؛ وقد روى عن علي بن أبي طالب - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أنه أمر أن يصلي على شراحة وقد رجمها ، وهو قول أكثر العلماء .

وقال الشافعي : لا تترك الصلاة على أحد من أهل القبلة ، برا كان أو فاجرا وقال أصحاب الرأي والأوزاعي : يغسل المرجوم ويصلي عليه ، وقال مالك : من قتله الإمام في حد من الحدود فلا يصلي عليه الإمام ، ويصلي عليه أهله إن شاءوا أو غيرهم .

وقال أحمد : لا يصلي الإمام على قاتل ولا غال . وقال أبو حنيفة : من قتل من المحاربين أو صلب لم يصل عليه ، وكذلك الفئة الباغية لا يصلي على قتلاهم .

=

وأما إخباره ﷺ بإسلام أبي الدرداء
عندما أقبل

فخرج البيهقي[1] من طريق عبد الله بن وهب قال : أخبرني معاوية بن صالح ، عن أبي الزاهرية ، عن جبير بن نفير قال : كان أبو الدرداء يعبد صنما في الجاهلية ، وأن عبد الله بن رواحة ، ومحمد بن مسلمة دخلا بيته فكسرا صنمه ، فرجع أبو الدرداء فجعل يجمع صنمه ويقول : ويحك ! هلا دفعت عن نفسك ؟ فقالت أم الدرداء : لو كان ينفع أحدا أو يدفع عن أحد دفع عن نفسه ونفعها ، فقال أبو الدرداء - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أعدي شيئا في المغتسل ، فجعلت له ماء فاغتسل وأخذ حلته فلبسها ، ثم ذهب إلى النبي ﷺ فنظر إليه ابن رواحة مقبلا فقال : هذا أبو الدرداء ، وما أراه جاء إلا في طلبنا، فقال النبي ﷺ : لا ، إنما جاء يسلم فإن ربي [عز وجل][2] وعدني بأبي الدرداء أن يسلم .

(١) (المرجع السابق) : ٣٠١/٦ ، باب ما جاء في إخباره ﷺ بإسلام أبي الدرداء فكان كما أخبر ﷺ ، باختلاف يسير في اللفظ .

(٢) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي) .

وعند النسائي بعضه ، وخرَّجه الحاكم[1] بطوله من حديث حماد بـــه نحـــوه وقال: حديث صحيح على شرط مسلم .

(١) (المستدرك) : ٢٦٢/٤ ، كتاب الذبائح ، حديث رقم (٧٥٧٩) ، وقال الحـــافظ الذهبـــيّ فـــي (التلخيص) : على شرط مسلم .

وأما إخباره ﷺ بوقعة ذي قار في يوم الوقعة وأن نصرة العرب على فارس كانت به(*)

ذكر عن النبي ﷺ أنه لما بلغه ما كان من هزيمة ربيعة جيش كسرى ، قال : هذا أول يوم انتصف العرب من العجم ؛ وبي نصروا .

وهو يوم قراقر ، ويوم الجبابات ، ويوم ذي العجرم ، ويوم الغذوان ، ويوم البطحاء ، بطحاء ذي قار ، وكلهن حول ذي قار .

فحدثت عن أبي عبيدة معمر بن المثنى ، قال : حدثني أبو المختار فراس ابن خندق - أو خندقة - وعدة من علماء العرب قد سماهم ؛ أن الذى جر يوم ذي قار ، قتل النعمان بن المنذر اللخمي عدي بن زيد العبادي ؛ وكان عدي من تراجمة أبرويز كسرى بن هرمز .

وكان سبب قتل النعمان بن المنذر عدي بن زيد ، ما ذكر لي عن هشام بن محمد ، قال : سمعت إسحاق بن الجصاص - وأخذته من كتاب حماد وقد ذكر أبى بعضه - قال : ولد زيد بن حماد بن زيد بن أيوب بن محروف بن عامر بن عصية بن امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم ثلاثة : عديا الشاعر ، وكان جميلا شاعرا خطيبا ، وقد قرأ كتب العرب والفرس ، وعمارا -وهو أبي- وعمرا - وهو سمي - ولهم أخ من أمهم ، يقال له عدي بن حنظلة من طيء ، وكان عمار يكون عند كسرى ، فكان أحدهما يشتهي هلاك عدي بن زيد، وكان الآخر يتدين في نصرانيته ، وكانوا أهل بيت يكونون مع الأكاسرة لهم معهم أكل(1) وناحية ، يقطعونهم القطائع ، [ويجزلون صلاتهم] (2) ، وكان المنذر بن المنذر لما ملك جعل ابنه النعمان في حجر عدي ، فهم الذين أرضعوه [وربوه ، وكان للمنذر ابن آخر يقال له " الأسود " ، أمه مارية بنت الحارث بن جلهم من تيم الرباب ، فأرضعه] (3) ، ورباه قوم من أهل الحيرة يقال لهم : بنو

(*) سياق هذا الفضل مضطرا فى (الأصل) واستدركناة من (تاريخ الطبرى) و(الكامل فى تاريخ لابن الأثير) .

(1) الأكل هنا : الرزق ؛ يقال : فلان ذوأكل ؛ إذا كان ذا رزق وحظ واسع في الدنيا .

(2) تكملة من الأغاني فيما رواه عن هشام الكلبي .

(3) تكملة من الأغاني فيما رواه عن هشام الكلبي .

مرينا ، ينسبون إلى لخم ، وكانوا أشرافًا . وكان للمنذر بن المنذر سوى هذين من الولد عشرة ؛ وكان يقال لولده كلهم الأشاهب[1] ، من جمالهم ؛ فذلك قول الأعشى :

وبنو المنذر الأشاهب بالحيرة   يمشون غدوة بالسيوف

وكان النعمان أحمر أبرش[2] قصيرًا ، وكانت أمه يقال لها : سلمى بنت وائل بن عطية الصائغ من أهل فدك ، وكانت أمَة للحارث بن حصن بن ضمضم بن عدي بن جناب من كلب ، وكان قابوس بن المنذر الأكبر عم النعمان وإخوته ، بعث كسرى بن هرمز بعدي بن زيد وإخوته ، فكانوا في كتابه يترجمون له ، فلما مات المنذر بن المنذر ، وترك ولده هؤلاء الثلاثة عشر ، جعل على أمره كله إياس بن قبيصة الطائي [وملكه على الحيرة إلى أن يرى كسرى رأيه] فكان عليه أشهرًا ، وكسرى في طلب رجل يملكه على العرب ، ثم إن سكره بن هرمز دعا عدي بن زيد ، فقال له : من بقى من بني المنذر ؟ وماهم ؟ وهل فيهم خير ؟ فقال : بقيتهم في ولد هذا الميت المنذر بن المنذر ، وهم رجال ، فقال : ابعث إليهم ، فكتب فيهم فقدموا عليه ، فأنزلهم على عدي ابن زيد ، فكان عدي يفضل إخوة النعمان عليه في النزل ، وهو يريهم أنه لا يرجوه ، ويخلو بهم رجلاً رجلاً ، ويقول لهم : إن سألكم الملك : أتكفونني العرب ؟ فقولوا : نكفيكهم إلا النعمان ، وقال للنعمان : إن سألك الملك : عن إخوتك فقل له : إن عجزت عنهم ، فأنا عن غيرهم أعجز ، وكان من بني مرينا رجل يقال له عدي بن أوس بن مرينا ، وكان ماردا شاعرًا ، وكان يقول للأسود [بن المنذر][3] : إنك قد عرفت أني لك راج ، وأن طلبتي ورغبتي إليك أن تخالف عدي بن زيد، فإنه والله لا ينصح لك أبدًا ، فلم يلتفت إلى قوله .

فلما أمر كسرى عدي بن زيد أن يدخلهم عليه ، جعل يدخلهم عليه ، جعل يدخلهم عليه رجلاً رجلاً ، فيكلمه ، فكان يرى رجالاً قلما رأى مثلهم ؛ فإذا

---

(١) قال في (القاموس) : " والأشاهب بنو المنذر لجمالهم " ، وقال شارحه : " سموا بذلك لبياض وجوهم " .

(٢) الأبرش : الأرقط ؛ وهو الذي يكون فيه بقعة بيضاء وأخرى أي لون كان .

(٣) زيادة للسياق من (ابن الأثير) .

سألهم هل تكفونني ما كنتم تلون ؟ قالوا : نكفيك العرب إلا النعمان . فلما دخل عليه النعمان رأى رجلاً دميمًا فكلمه ، وقال له : أتستطيع أن تكفيني العرب ؟ قال : نعم ، قال : فكيف تصنع في بإخوتك ؟ قالوا : إن عجزت عنهم فأنا عن غيرهم أعجز . فمكله وكساه ، وألبسه تاجًا قيمته ستون ألف درهم ، فيه اللؤلؤ والذهب . فلما خرج – وقد مُلّك – قال عدي بن أوس بن مرينا للأسود : دونك فإنك قد خالفت الرأى .

ثم إن عدي بن زيد صنع طعامًا في بيعة ، ثم أرسل إلى ابن مرينا أن ائتني بمن أحببت ، فإن لي حاجة ، فأتاه في ناسٍ فتغدوا في البيعة ، وشربوا ، وقال عدي [بن زيد] لعدي بن مرينا : يا عدي إن أحق من عرف الحق ، ثم لم يلم عليه ، من كان مثلك ؛ أنى قد عرفت أن صاحبك الأسود بن المنذر كان أحب إليك أن يملك من صاحبي النعمان ، فلا تلمني على شيء كنت على مثله ، وأنا أحب ألا تحقد عليّ شيئًا لو قدرت عليه ركبته ، وأنا أحب أن تعطيني من نفسك ما أعطيتك من نفسي ؛ فإن نصيبي من هذا الأمر ليس بأوفر من نصيبك، فقام عدي بن زيد إلى البيعة فحلف ألا يهجوه ولا يبغيه غائلة أبدًا ، ولا يزوي عنه خبرًا أبدًا ، فلما فرغ عدي بن زيد قام عدي بن مرينا ، فحلف على مثل يمينه ألا يزال يهجوه أبدًا ، ويبغيه الغوائل ما بقى ، وخرج النعمان حتى نزل منزله بالحيرة ، فقال عدي بن مرينا لعدي بن زيد فقال فيه شعراً .

وقال عدي بن مرينا للأسود : [أما] إذ لم تظفر فلا تعجز أن تطلب بثأرك من هذا المعدى ، الذي عمل بك ما عمل فقد كنت أخبرك أن معدًا لا ينام مكرُها ، أمرتك أن تعصيه فخالفتني ، قال : فما تريد ؟ قال : أريد ألا يأتيك فائدة من مالك وأرضك إلا عرضتها عليّ ، ففعل .

وكان ابن مرينا كثير المال والضيعة ، فلم يك في الدهر يوم إلا على باب النعمان هدية من ابن مرينا ، فصار من أكرم الناس عليه ، وكان لا يقضي في ملكه شيئًا إلا بأمر عدي بن مرينا ، وكان إذا ذكر عدي بن زيد عنده أحسن عليه الثناء ، وذكر فضله ، وقال : إنه لا يصلح المعدي إلا أن يكون فيه مكر وخديعة ، فلما رأى من يُطيف بالنعمان منزلة ابن مرينا عنده لزموه وتابعوه ، فجعل يقول لمن يثق به من أصحابه : إذا رأيتموني أذكر عدي بن زيد عند الملك بخير فقولوا : إنه لكما تقول ؛ ولكنه لا يسلم عليه أحد ؛ وإنه ليقول : إن الملك – يعني النعمان – عامله ، وإنه ولاه ما ولاه ؛ فلم يزالوا بذلك حتى

أضغنوه عـليه ، وكتبوا كتابا على لسان عدي إلى قهرمان[1] لعدي ، ثم دسـوا له ، حتى أخـذوا الكتاب ، ثم أتى به النعمان فقرأه ، فأغضبه ، فأرسـل إلـى عـدي بن زيد : عزمت عليك إلا زرتني ، فإني قد اشتقت إلى رؤيتك ! وهـو عند كسرى فاستأذن كسرى ، فأذن له ، فلما أتاه لم ينظر إليه حتى حبـس فـي محبس لا يدخل عليه فيه أحد ، فجعل عدي بن زيد يقول الشعـر وهـو فـي السجن ، فكان أول ما قال في السجن من الشعر :

ليت شعري عن الهمام ويأتيـــ ـــك بخبر الأنباء عطف السؤال

فقال أشعارا ، وكان كلما قال عدي من الشعر ، بلغ النعمان وسـمعه نـدم على حبسه إياه ، فجعل يرسل إليه ويعده ويمنيـه ويفـرق أن يرسـله فيبغيـه الغوائل ، فقال عدي :

أرقـت لمكفهـر بات فـيه بوارق يـرتقين رءوس شيب

وقال أيضا :

" طال ذا الليل علينا واعتكر[2] "

وقال أيضا :

" ألا طال الليالي والنهار "

وقال حين أعياه ما يتضرع إلى النعمان أشعارا ، يذكـره فيـها المـوت ، ويخبره من هلك من الملوك قبله ، فقال :

" أرواح مودع أم بكور[3] "

وأشعارا كثيرة .

قال : وخرج النعمان يريد البحرين ، فأقبل رجل من غسان ، فأصاب فـي الحيرة ما أحب . ويقال : الذي أغار على الحيرة فحرق فيها ، جفنة بن النعمـان الجفني ، فقال عدي :

سما صقـر فأشعل جانبيـها وألهاك المروح والعزيب[1]

---

(١) القهرمان : أمين الملك وخاصته ؛ فارسي معرب ، ويطلق في لغة الفرس على القـائم بـأمور الرجل ، كالخازن والوكيل .

(٢) وعجزه : وكأنى ناذر الصبح سمره .

(٣) وعجزه : لك فاعمد لأى حال تصير .

فلما طال سجن عدي كتب إلى أخيه أبي ، وهو مع كسرى بشعر فقال فيه شعرا .

فزعموا أن أبيا لما قرأ كتاب عدي قام إلى كسرى فكلمه ، فكتب وبعث معه رجلا ، وكتب خليفة النعمان إليه : إنه قد كتب إليك [في أمره] ، فأتاه أعداء عدي من بني بقيلة[2] من غسان ، فقالوا : اقتله الساعة ، فأبى عليهم وجاء الرجل ، وقد تقدم أخو عدي إليه ورشاه ، وأمره أن يبدأ بعدي ، فدخل عليه وهو محبوس بالصنين ، فقال : ادخل عليه فانظر ما يأمرك به ، فدخل الرسول على عدي ، فقال : إني قد جئت بإرسالك ، فما عندك ؟ قال : عندى الذى تحب ، ووعده عدة ، وقال : لا تخرجن من عندى ، وأعطنى الكتاب حتى أرسل به ، فإنك والله إن خرجت من عندى لأقتلن ، فقال : لا أستطيع إلا أن آتى الملك بالكتاب ، فأدخله عليه ، فانطلق مخبر حتى أتى النعمان ، فقال : إن رسول كسرى قد دخل على عدي وهو ذاهب به ، وإن فعل والله لم يستبق منا أحدا ، أنت ولا غيرك . فبعث إليه النعمان أعداءه فغموه حتى مات ، ثم دفنوه .

ودخل الرسول على النعمان بالكتاب ، فقال : نعم وكرامة ! وبعث إليه بأربعة آلاف مثقال وجارية ، وقال له : إذا أصبحت فادخل عليه ؛ فأخرجه أنت بنفسك . فلما أصبح ركب ، فدخل السجن ، فقال له الحرس : إنه قد مات منذ أيام ، فلم نجترئ على أن نخبر الملك للفرق منه ، وقد علمنا كراهته لموته . فرجع إلى النعمان فقال : إني قد دخلت عليه وهو حى ، [وجئت اليوم فجحدنى السجان وبهتنى . وذكر له أنه قد مات منذ أيام] فقال له النعمان : يبعثك الملك إلي فتدخل إليه قبلى ! كذبت ، ولكنك أردت الرشوة والخبث .

فتهدده ، ثم زاده جائزة وأكرمه ، واستوثق منه ألا يخبر كسرى ؛ إلا أنه قد مات قبل أن يقدم عليه .

فرجع الرسول إلى كسرى ، فقال : إنه قد مات قبل أن أدخل عليه ، وندم النعمان على موت عدي ، واجترأ أعداء عدي على النعمان ؛ وهابهم النعمان هيبة شديدة ، فخرج النعمان في بعض صيده ذات يوم ، فلقى ابنا لعدي ، يقال

---

(١) المروح : الإبل المروحة إلى أعطافها ، والعزيب ما ترك في مراعيه ، وانظر بقية الأبيات في رواية الأغاني .

(٢) بقيلة : بطن من الحيرة .

له زيد ، فلما رآه عرف شبهه ، فقال : من أنت ؟ قال : أنا زيد بن عدي بن زيد فكلمه فإذا غلام ظريف ، فرح به فرحا شديدا ، وقربه وأعطاه ، واعتذر إليه من أمر أبيه وجهزه ، ثم كتب إلى كسرى : إن عديا كان ممن أعين به الملك في نصحه ولبه ، فأصابه ما لا بد منه ، وانقضت مدته ، وانقطع أكله ، ولم يصب به أحد أشد من مصيبتى ؛ وأما الملك فلم يكن ليفقد رجلا إلا جعل الله له منه خلفا، لما عظم الله له من ملكه وشأنه ، وقد أدرك له ابن ليس من دونه ، وقد سرحته إلى الملك ، فإن رأى الملك أن يجعله مكان أبيه ، فليفعل .

فلما قد الغلام على كسرى جعله مكان أبيه ، وصرف عمه إلى عمل آخر، فكان هو الذى يلى ما كتب به إلى أرض العرب ، وخاصة الملك . وكانت له من العرب وظيفة موظفة في كل سنة : مهران أشقران والكمأة الرطبة في حينها واليابسة ، والأقط والأدم وسائر تجارات العرب ، فكان زيد بن عدي بن زيد يلى ذلك ، وكان هذا عمل عدي .

فلما وقع عند الملك بهذا الموقع ، سأله كسرى عن النعمان ، فأحسن عليه الثناء ، فمكث سنوات بمنزلة أبيه ، وأعجب به كسرى ، وكان يكثر الدخول عليه ، وكانت لملوك الأعاجم صفة من النساء مكتوبة عندهم ، فكانوا يبعثون في تلك الأرضين بتلك الصفة ، [فإذا وجدت حملت إلى الملك] غير أنهم لم يكونوا يتناولون أرض العرب بشئ من ذلك ، ولا يريدونه . فبدأ الملك في طلب النساء فكتب بتلك الصفة ، ثم دخل على كسرى فكلمه فيما دخل فيه ، ثم قال : إنى رأيت الملك كتب في نسوة يطلبن له ، فقرأت الصفة ، وقد كنت بآل المنذر عالما ، وعند عبدك النعمان من بناته وبنات عمه وأهله أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة . قال : فتكتب فيهن . قال : أيها الملك ؛ إن شر شئ في العرب وفى النعمان [خاصة] أنهم يتكرمون - زعموا في أنفسهم - عن العجم ، فأنا أكره أن يغيبهن [عمن تبعث إليه ، أو يعرض عليه غيرهن] وإن قدمت أنا عليه لم يقدر أن يغيبهن ، فابعثنى وابعث معى رجلا من حرسك يفقه العربية ، [حتى أبلغ ما تحبه] فبعث معه رجلا جليدا ، فخرج به زيد ، فجعل يكرم ذلك الرجل ويلطفه حتى بلغ الحيرة .

فلما دخل عليه أعظم الملك ، وقال : إنه قد احتاج إلى نساء لأهله وولده ، وأراد كرامتك [بصهره] ، فبعث إليك . فقال : وما هؤلاء النسوة ؟ فقال : هذه صفتهن قد جئنا بها .

وكانت الصفة أن المنذر الأكبر أهدى إلى أنوشروان جارية ، كان أصابها إذا أغار على الحارث الأكبر الغسانى بن أبى شمر ، فكتب إلى أنوشروان يصفها له ، [وقال : إنى قد وجهت إلى الملك جارية] معتدلة الخلق ، نقية اللون والثغر، بيضاء ، قمراء ، وطفاء ، [كحلاء] دعجاء ، حوراء ، عيناء ، قنواء ، شماء ، زجاء ، برجاء ، أسيلة الخد ، شهية القد ، جثلة الشعر ، عظيمة الهامة ، بعيدة مهوى القرط ، عيطاء عريضة الصدر ، كاعب الثدى ، ضخمة مشاشة المنكب والعضد ، حسنة المعصم ، لطيفة الكف ، سبطة البنان ، لطيفة طى البطن ، خميصة الخصر ، غرثى الوشاح ، رداح القبل ، رابية الكفل ، لفاء الفخذين ، ريا الروادف ، ضخمة المأكمتين ، عظيمة الركبة ، مفعمة الساق ، مشبعة الخلخال ، لطيفة الكعب والقدم ، قطوف المشي ، مكسال الضحى ، بضة المتجرد ، سموعا للسيد ، ليست بخنساء ، ولا سعفاء ، ذليلة الأنف ، عزيزة النفر ، لم تغد في بؤس ، حيية رزينة ، حليمة ركينة ، كريمة الخال ، تقتصر بنسب أبيها دون فصيلتها ، وبفصيلتها دون جماع قبيلتها ، قد أحكمتها الأمور في الأدب ، فرأيها رأى أهل الشرف ، وعملها عمل أهل الحاجة ، صناع الكفين ، قطيعة اللسان ، رهوة الصوت ، تزين البيت ، وتشين العدو ، إن أردتها اشتهت، وإن تركتها انتهت ، تحملق عينها ، وتحمر وجنتها ، وتذبذب شفتاها ، وتبادرك الوثبة ، [ولا تجلس إلا بأمرك إذا جلست][١] .

---

(١) معانى المفردات الغربية :

- الوطفاء : غزيرة الإهاب وشعر الحاجبين .
- الدعجاء : شديدة سواء العين مع شدة بياض البياض .
- الحور : اسوداد العين كلها مثل الظباء ، ولايكون فى بنى آدم إلا على الاستعارة .
- العين : سعة العين .
- القنواء : من القنا ، وهو ارتفاع فى أعلى الأنف واحد يداب فى وسطه وسبوغ فى طرفه .
- الشمم فى ألنف : ارتفاع القصبة وحسنها .
- الزجاء : دقيقة الحاجبين فى طول : [قال الناظم : إذا ما الغانيات برزن يوما وزجن الحواجب والعيونا] .
- البرجاء : الجملية الحسنة .

=

فقبلها كسرى ، وأمر بإثبات هذه الصفة في دواوينه ؛ فلم يزالوا يتوارثونها حتى أفضى ذلك إلى كسرى بن هرمز ، فقرأ عليه زيد هذه الصفة ، فشق عليه ، فقال زيد - والرسول يسمع - : أما في عين السوداء وفارس ما تبلغون حاجتكم ! فقال الرسول لزيد : ما العين ؟ قال : البقر ، فقال زيد للنعمان: إنما أراد كرامتك ؛ ولو علم أن هذا يشق عليك لم يكتب إليك به .

فأنزلهما يومين ، ثم كتب إلى كسرى : إن الذى طلب الملك ليس عندى ، وقال لزيد : اعذرنى عنده ، فلما رجع إلى كسرى ، قال زيد للرسول الذى جاء معه : اصدق الملك الذى سمعت منه ، فإنى سأحدثه بحديثك ولا أخالفك فيه . فلما دخلا على كسرى ، قال زيد : هذا كتابه ، فقرأه عليه ، فقال له كسرى : فأين الذى كنت تخبرنى [به] ؟ قال : قد كنت أخبرتك بضنهم بنسائهم على غيرهم ، وأن ذلك من شقائهم واختيارهم الجوع والعرى على الشبع والرياش ، واختيارهم السموم والرياح على طيب أرضك هذه ، حتى إنهم ليسمونها السجن؛

= - الخد الأسيل : الطويل المسترسل الأملس .

- الجثلة : كثفية الشعر سوداؤه .

- العيطاء : الطويله العنق .

- الشاشة : رأس العظم .

- غرثى الوشاح : دقيقة الخصر .

- الرداع : العجزاء الثقيلة الأوراك التامة الخلق . والقيل : ما استقبلك من مشرف .

- اللفاء : الضخمة الفخذين المكتنزتهما .

- المأكمتان : اللحمتان اللتان على رءوس الوركين .

- مفعمة الساق : ممتلئها .

- مشبعة الخلخال : كناية عن سمن الساقين .

- القطوف : من القطاف ، وهو تقارب الخطو .

- المكسال : المرأة لا تكاد تبرح مجلسها ، وهو مدح لها عندهم كقولهم : نئوم الضحى .

- البضة : الناعِمة .

- الخنساء : من الخنس ، وهو تأخر الأنف الرأس وارتفاعه عن الشفعة .

- السفعاء : من السفع ، وهو السواد .

فسل هذا الرسول [الذى كان] معى عن الذى قال ، فإنى أكرم الملك عن الذى قال ورد عليه أن أقوله ، فقال للرسول : وما قال ؟ قال : أيها الملك ، أما في بقر السواد [وفارس] ما يكفيه حتى يطلب ما عندنا ! فعرف الغضب في وجهه، ووقع فى قلبه منه ما وقع ، ولكنه قد قال : رب عبد قد أراد ما هو أشد من هذا ، فيصير أمره إلى التباب .

وشاع هذا الكلام ، فبلغ النعمان ، وسكت كسرى على ذلك أشهرا ، وجعل النعمان يستعد ويتوقع ؛ حتى أتاه كتابه : أن أقبل فإن للملك إليك حاجة ؛ فانطلق حين أتاه كتابه فحمل سلاحه وما قوى عليه ، ثم لحق بجبلي طيء . وكانت فرعة ابنة سعد بن حارثة بن لأم عنده ، وقد ولدت له رجلا وامرأة وكانت أيضا عنده زينب ابنة أوس بن حارثة ، فأراد النعمان طيئا على أن يدخلوه [بين الجبلين] ويمنعوه ، فأبوا ذلك عليه ، وقالوا : لولا صهرك لقاتلناك ؛ فإنه لا حاجة لنا في معاداة كسرى ، [ولا طاقة لنا به] فأقبل [يطوف على قبائل العرب] ليس أحد من الناس يقبله ، غير أن بني رواحة بن سعد من بنى عبس قالوا : إن شئت قاتلنا معك – لمنة كانت له عندهم في أمر مروان القرظ – فقال : لا أحب أن أهلككم ، فإنه لا طاقة لكم بكسرى .

فأقبل حتى نزل بذى قار في بنى شيبان سرا ، فلقى هانئ بن مسعود بن عامر بن عمرو بن أبى ربيعة بن ذهل بن شيبان ، وكان سيدا منيعا ، والبيت يومئذ من ربيعة في آل ذى الجدين ، لقيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذي يالجدين . وكان كسرى قد أطعم قيس بن مسعود الأبلة ، فكره النعمان أن يدفع إليه أهله لذلك ، وعلم أن هانئا مانعه مما يمنع منه نفسه .

وتوجه النعمان إلى كسرى ، فلقى زيد بن عدي على قنطرة ساباط ، فقال: انج نعيم [إن استطعت النجاء] ، فقال : أنت يا زيد فعلت هذا ! أما والله لئن انفلت لأفعلن بك ما فعلت بأبيك ! فقال له زيد : امض نعيم ، فقد والله وضعت لك عنده أخية(١) لا يقطعها المهر الأرن(٢) . فلما بلغ كسرى أنه بالباب بعث

---

(١) الأخيه فى الأصل : أن يدفن طرفا الحبل فى الأرض ، وفيها عصية أو حجير ، ويظهر منه مثل عروة تشد بها الدابة [كالفخ مثلا] .

(٢) الأرن : النشيط .

إليه ، فقيده وبعث به إلى خانقين ، فلم يزل في السجن حتى وقع الطاعون فمات فيه ، والناس يظنون أنه مات بساباط لبيت قاله الأعشى :

فذاك وما أنجى من الموت ربه بساباط حتى مات ، وهو محرزق[١]

وإنما هلك بخانقين ، وهذا قبيل الإسلام ، فلم يلبث إلا يسيرا حتى بعث الله نبيه ﷺ ، وكان سبب وقعة ذي قار بسبب النعمان[٢] .

قال البيهقي[٣] هذا مرسل وروى أيضا حصين عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن النبي ﷺ مرسلا بعض معناه .

قال كاتبه : قد تقدم حديث حصين ، وتقدم حديث مسلم : رأيت ذات ليلة فيما يرى النائم كأنا في دار عقبة بن رافع ، فأتينا برطب من رطب ابن طاب فأولت الرفعة لنا في الدنيا والعاقبة في الآخرة ، وأن ديننا قد طاب[٤] .

وخرج الإمام أحمد[٥] والحاكم[٦] وصححه من حديث صفوان ، حدثني سليم بن عامر ، عن تميم الداري - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال :

---

(١) حرزق الرجل ، أي حبسه .

(٢) الخبر في (الأغاني) : ١٠٥/٢ - ١٢٨ .

(٣) (دلائل البيهقي) : ٣٣٦/٦ - ٣٣٧ .

(٤) (مسلم بشرح النووي) : ٣٦/١٥ - ٣٧ ، كتاب الرؤيا ، باب رؤيا النبي ﷺ ، حديث رقم (١٨) .

و " رطب ابن طاب " : نوع من الرطب معروف ، يقال له : رطب ابن طاب ، وتمر ابن طاب ، وعذق ابن طاب ، وعرجون ابن طاب ، وهو مضاف إلى ابن طاب ، رجل من أهل المدينة .

" وأن ديننا قد طاب " : أي كمل واستقرت أحكامه ، وتمهدت قواعده .

(٥) (مسند أحمد) : ٧٣/٥ ، حديث رقم (١٦٥٠٩) ، من حديث تميم الداري - رضي الله تبارك وتعالى عنه - .

(٦) (المستدرك) : ٤٧٧/٤ ، كتاب الفتن والملاحم ، حديث رقم (٨٣٢٦) قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : على شرط البخاري ومسلم .

سمعت رسول الله ﷺ بيقول : ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل ، عزًا يعز الله به الإسلام وذلاً يذل الله به الكفر ، وكان تميم الداري يقول : قد عرفت ذلك في أهل بيتي لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز ، ولقد أصاب من كان منهم كافرًا الذل والصغار والجزية .

وله من حديث الوليد بن مزيد[1] ، حدثني ابن جابر ، سمعت سليم بن عامر يقول : سمعت المقداد بن الأسود الكندي - رضي الله تبارك وتعالى عنه - يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا يبقى على ظهر الأرض نبت مدر ولا وبر إلا أدخل كله الإسلام عليهم ، يعز عزيز أو يذل ذليل .

وخرَّجه ابن حبان في (صحيحه) وقوله : إما يعز عزيزًا أو يذل ذليلاً، ما يعرفهم فيجعلهم من أهلها أو يذلهم فيدينون بها .

وأما إخباره بمعاونة القبط المسلمين فكان كما أخبر

فخرَّج الحافظ أبو نعيم من حديث بدار حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبي عن يحيى بن أيوب ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي سلمة ، عن أم سلمة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت : قال رسول الله ﷺ - وقد أوصى عند وفاته فقال- : الله ، الله في قبط مصر ، فإنكم ستظهرون عليهم ويكونون لكم عدة وأعوانًا في سبيل الله[2] .

---

(١) (المرجع السابق) : حديث رقم (٨٣٢٤) ، قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وقال الحافظ الذهبيّ في (التلخيص) : على شرط البخاريّ ومسلم .

(٢) (كنز العمال) : ١٢/٦٦ ، حديث رقم (٣٤٠٢٣) ، وعزاه إلى الطبراني عن أم سلمة ، (مجمع الزوائد : ١٠/٦٣)

وخرَّجه أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم في كتاب (فتوح مصر) من حديث إسماعيل بن عباس ، عن عبد الرحمن بن زياد ، عن مسلم ابن يسار، أن رسول الله ﷺ قال : استوصوا بالقبط خيرًا فإنكم ستجدونهم نعم الأعوان على قتال عدوكم من حديث ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن يزيد بن أبي حبيب أن أبا سلمة بن عبد الرحمن حدثه أن رسول الله ﷺ أوصى عند وفاته أن تخرج اليهود من جزيرة العرب وقال : الله الله في قبط مصر، فإنكم ستظهرون عليهم ويكونون لكم عدة وأعوانا في سبيل الله ، كذا أورده موقوفا على أبي سلمة .

وخرَّج أيضًا من حديث ابن وهب ، عن موسى بن أيوب الغافقى ، عن رجل من الزبد أن رسول الله ﷺ مرض فأغمى عليه ، ثم أفاق ، فقال : استوصوا بالأدم الجعد ، ثم أغمى عليه الثانية ، ثم أفاق فقال مثل ذلك ثم أغمى عليه الثالثة ، فقال مثل ذلك ، فقال القوم : لو سألنا رسول الله ﷺ من الأدم والجعد ، فأفاق فسألوه فقال : قبط مصر ، فإنهم أخوالكم ، وهم أعوانكم ، على عدوكم ، وأعوانكم على دينكم ، قالوا : كيف يكونون أعواننا على ديننا يا رسول الله ؟ قال : يكفونكم أعمال الدنيا ، وتتفرغون للعبادة فالراضى بما يؤتي إليهم كالفاعل بهم ، وإنكاره لما يؤتي إليهم من الظلم كالمتنزه عنهم .

ومن حديث ابن وهب عن أبي هانيء الخولاني ، عن أبي عبد الرحمن الحبلى وعمرو بن حريث وغيرهما ، أن رسول الله ﷺ قال : إنكم ستقدمون على قوم جعد رءوسهم ، فاستوصوا بهم خيرًا فإنهم قوة لكم وبلاغ إلى عدوكم بإذن الله تعالى ، قبط مصر .

وخرَّج الحافظ ابو نعيم من حديث موسى بن عقبة ، عن محمد بن إبراهيم التيمي ، عن ابنة الهاد ، عن العباس بن عبد المطلب - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : قال رسول الله ﷺ يظهر الدين حتى يجاوز البحار وحتى يخاض البخار بالخيل في سبيل الله ثم يأتي قوم يقرءون القرآن يقولون قد قرأنا من أقوامنا ، منا أفقه؟ من أعلم منا ؟ ثم التفت إلى أصحابه فقال هل في أولئك من خير وأولئك هم وقوم النار .

ومن حديث شعبة ، عن سماك بن حرب ، عن عبد الرحمن بن عبد الله أبن مسعود عن أبيه ، عن النبيّ ﷺ قال : إنكم منصورون ومفتوح لكم

ومصيبون ، فمن أدرك منكم ذلك فليتق الله وليأمر بالمعروف ولينه عن المنكر ، ومن كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار .

ومن حديث بكر بن مضر ، عن عمرو بن الحارث ، عن أبي على الهمذاني قال : سمعت عقبة بن عامر يقول : إن رسول الله ﷺ قال : ستفتح لكم الأرض وتكفون الموته فلا يعجزن أحدكم أن يلهو بأسهمه .

ومن حديث هشام بن عمارة قال : حدثنا محمد بن حرب ، عن أبي سلمة ابن سليم ، عن يحيى بن جابر ، عن ابن فالح عن أبي أيوب الأنصاري قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنها ستفتح عليكم الأمصار وسيضرب عليكم فيها بعوث ينكر الرجل البعث فيتخلص من قومه ويعرض نفسه على القبائل يقول : من أ كفنه بعث كذا إلا وذلك الأجير إلى آخر قطرة من دمه .

وأما ظهور صدقه ﷺ في قتل نفر من المسلمين ظلماً بعذراء[١] من أرض الشام

[فكان كما أخبر ﷺ][٢]

فخرج البيهقي[٣] من طريق يعقوب بن سفيان قال : حدثنا ابن بكير قـــال : حدثنى ابن لهيعة ، قال : حدثنى الحارث بن سويد ، عن عبـــد الله بـــن زريـــر

عائشة – رضي الله تبارك وتعالى عنها – فقالت : ماحملك على قتل أهل عذراء ، حجر وأصحابه ، فقال : يا أم المؤمنين ، رأيت قتلهم صلاحاً للأمة ، وأن بقاءهم فساد للأمة ، فقالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول سيقتل بعذراء ناس يغضب الله لهم ، وأهل السماء[1] .

قال ابن عساكر : رواه ابن المبارك ، عن ابن لهيعة فلم يرفعه .

وذكر بإسناد آخر ، فأخرجه من حديث عبد الله بن المبارك ، عن ابن لهيعة ، حدثني خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبي هلال ، أن معاوية حج فدخل على عائشة– رضي الله تبارك وتعالى عنها – فقالت : يامعاوية ! قتلت حجر ابن الأدبر وأصحابه ؟ أما والله لقد بلغني أنه سيقتل سبعة نفر يغضب الله لهم وأهل السماء .

وخرج البيهقي من طريق يعقوب حدثنا عمرو بن عاصم ، حدثنا حماد ابن سلمة ، عن على بن زيد ، عن سعيد بن المسيب ، عن مروان بن الحكم ، قال : دخل معاوية على أم المؤمنين عائشة – رضي الله تبارك وتعالى عنها – فقالت : سمعت يا معاوية أنك قتلت حُجْراً وأصحابه ، وفعلت[2] مافعلت ، أما خشيت أن أختبا لك رجل[3] فيقتلك ؟ فقال : لا ، إني في بيت أمان ، سمعت رسول الله ﷺ يقول الإيمان قيد الفتك ، لايفتك مؤمن يا أم المؤمنين ، كيف أنا فيما سوى ذلك من حاجاتك وأمرك ؟ قالت : صالح ، قال : فدعيني وحُجراً حتى نلتقي عند ربنا .

(١) (المرجع السابق) : ٤٥٧ .

(٢) في (المرجع السابق) : " وفعلت الذي فعلت " .

(٣) في (المرجع السابق) : " أختبأ لك رجلاً " ، وما أثبتناه حق اللغة .

وأما ظهور صدقه فيمن قتل عمرو بن الحمق بن الكاهن ابن حبيب بن عمرو بن القين بن رزاح بن عمرو ابن سعد بن كعب بن عمرو الخزاعي الكعبي[١]

فذكر الحافظ أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عساكر في (تاريخه) من طريق غياث بن إبراهيم ، عن الأجلح بن عبد الله الكندي ، قال : سمعت زيد بن علي وعبد الله بن الحسن وجعفر بن محمد ، ومحمد بن عبدالله ابن الحسن يذكرون تسمية من شهد مع عليّ بن أبي طالب - رضي الله تبارك وتعالى عنه- من أصحاب رسول الله ﷺ ، كلهم ذكره عن آبائه ، وعمن أدرك من أهله ، وسمعته أيضاً من غيرهم فذكرهم ، وذكر فيهم عمرو بن الحمق الخزاعي وكان رسول الله ﷺ قال له : يا عمرو ، أتحب أن أريك آية الجنة ؟ قال : نعم يارسول الله ، فمرّ عليّ فقال هذا وقومه آية الجنة ، فلما قتل عثمان وبايع الناس علياً رضي - الله تبارك وتعالى عنه- لزمه ، وكان معه حتى أصيب ، ثم كتب معاوية في طلبه ، وبعث من يأتيه به .

قال الأجلح : فحدثني عمران بن سعيد البجلي ، -وكان مؤاخياً لعمرو بن الحمق - أنه خرج معه حين طلب ، فقال لي : يارفاعة ، إن القوم قاتليّ ، رسول الله ﷺ أخبرني أن الجن والإنس تشترك في دمي ، وقال لي : ياعمرو إن أمّنك رجل على دمه فلا تقتله فتلقى الله بوجه غادر[٢] ، قال رفاعة : فما أتم حديثه حتى رأيت أعنة الخيل فودعته وواثبته حية فلسعته ، وأدركوه ، فاحتزوا رأسه ، فكان أول رأس أهدي في الإسلام .

وذكر من طريق أبي سعيد عبيد بن كثير بن عبدالواحد العامرى ، قال : حدثنا موسى بن زياد أبي هارون الزيات قال : حدثنا على بن هاشم بن البريد عن محمد بن عبيدالله بن علي بن أبي رافع ، عن عون بن عبدالله بن أبي رافع عن أبيه عبيد الله ، قال : قال موسى بن زياد : حدثنا يحيى بن يعلى عن محمد

---

(١) النسب في (الأصل) أطول من ذلك ، واكتفينا بما أمكن تحقيقه من (الإصابة) : ٦٢٣/٤ -٦٢٤ ، ترجمة رقم (٥٨٢٢) ، (الاستيعاب) : ١١٧٣/٣ - ١١٧٤ .

(٢)(دلائل البيهقي) : ٤٨٢/٦ - ٤٨٣ .

ابن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه ، عن جده ، وعن ابن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه ، قال علي بن هاشم في حديثه وكان عبيد الله بن أبي رافع كاتب عليّ ابن أبي طالب رضي الله تبارك وتعالى عنه واللفظ لعبيد الله بن كثير في تسمية من شهد مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تبارك وتعالى عنه من قريش ، والأنصار ، ومن مهاجرى العرب ، فذكرهم ، وذكر فيهم عمرو بن الحمق الخزاعي ، بقي بعد عليّ فطلبه معاوية ليقتله فهرب منه نحو الجزيرة ومعه رجل من أصحاب علي - رضي الله تبارك وتعالى عنه يقال له زاهر ، فلما نزلا الوادي نهشت عمرا حية من جوف الليل ، فأصبح منتفخا ، فقال لزاهر: تنح عني فإن خليلي رسول الله ﷺ قد أخبرني أني سيشترك في دمي الجن والإنس ، ولا بُد لي أن أقتل ، فقد أصابتنى بلية الجن بهذا الوادي ، فبينما هما على ذلك إذ رأيا نواصي الخيل في طلبه ، فأمر زاهرا يتغيب ، فإذا قتلت فإنهم يأخذون رأسي فارجع إلى جسدى فادفنه ، فقال له زاهر : بل أنشر نبلي فأرميهم حتى إذا فنيت نبلى قتلت معك ، قال : لا ، ولكنى سأزودك مني بما ينفعك الله به ، فاسمع منى آيه الجنة ، محمد ﷺ ، وعلامتهم عليّ بن أبي طالب رضي الله تبارك وتعالى عنه ، وتوارى زاهر ، فأقبل القوم فنظروا إلى عمرو فنزل إليه رجل منهم أدم ، فقطع رأسه ، وكان أول رأس في الإسلام نصب ، وخرج زاهر إليه فدفنه ، ثم بقي حتى قتل الحسين رضي الله تبارك وتعالى عنه بالطف .

وأما ظهور صدقه ﷺ في إشارته إلى كيف يموت سمرة بن جندب[١] رضي الله تبارك وتعالى عنه

فخرج البيهقى[٢] من حديث سفيان قال : حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبي ، حدثنا شعبة عن أبي [مسلمة عن أبى][٣] نضرة ، عن أبي هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه عن النبي ﷺ قال لعشرة في بيت من أصحابه : آخركم موتاً في الناس فيهم سمرة ابن جندب . قال أبونضرة : فكان سمرة آخرهم موتا .

قال البيهقى : رواته ثقات ، إلا أن أبا نضرة العبدي لم يثبت له عن أبي هريرة سماع .

وروى من وجه آخر موصولاً ، عن أبي هريرة فذكره من طريق يونس ابن عبيد ، عن الحسن ، عن أنس بن حكيم الضبى قال : كنت أمر بالمدينة فألقى أبا هريرة فيسألنى فلا يبدأ بشئ حتى يسألنى عن سمرة ، فإذا أخبرت بحياته وصحته فرح وقال : إناكنا عشرة في بيت ، وإن رسول الله ﷺ قام

---

(١) هو سمرة بن جندب بن هلال الفزاري ، من علماء الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، نزل البصرة . له أحاديث صالحة ، حدَّث : ابنه سليمان ، والحسن البصري ، وابن سيرين ، وجماعة . وبين العلماء فيما روى الحسن عن سمرة اختلاف في الاحتجاج بذلك ، وقد ثبت سماع الحسن من سمرة ، ولقيه بلاريب ، صرح بذلك في حديثين .

وكان زياد بن أبيه يستخلفه على البصرة إذا سار إلى الكوفة ، ويستخلفه على الكوفة إذا سار إلى البصرة ، وكان شديداً على الخوارج ، قتل منهم جماعة . وكان الحسن وابن سيرين يثنيان عليه . رضي الله تبارك وتعالى عنه . مات سمرة سنة ثمان وخمسين . وقيل : سنة تسع وخمسين (تهذيب سير الأعلام) : ٩٤/١ ، ترجمة رقم (٢٦٩) .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٤٥٨/٦ ، باب ما روى في إخباره ﷺ نفراً من أصحابه بأن آخرهم موتاً في النار .

(٣) زيادة للسياق من (المرجع السابق) .

علينا[١] فنظر في وجوهنا ، وأخذ بعضادتى الباب ثم قال : آخركم موتاً في النار، فقد مات منا ثمانية ولمن يبق غيرى وغيره ، فليس شئ أحب إلىّ من أن أكون قد ذقت الموت

وخرج أيضاً من طريق حماد عن على بن زيد عن أوس بن خالد ، قال : كنت إذا قدمت على أبي محذورة فقلت لأبى محذورة : مالك إذا قدمت عليك سألتنى عن سمرة ؟ وإذا قدمت على سمرة سألنى عنك ؟ فقال إنى كنت أنا وسمرة وأبوهريرة في بيت ، فجاء النبي ﷺ فقال : آخركم موتاً في النار ، فمات أبوهريرة ، ثم مات أبومحذورة ، ثم سمرة .

قال البيهقي : بهذا وبصحبه رسول الله ﷺ ، نرجوا له بعد تحقيق قول رسول الله ﷺ[٢] وقد قال بعض أهل العلم : إن سمرة مات في الحريق ، فصدق قول رسول الله ﷺ . وبلغنى عن هلال بن العلاء الرقى أن عبدالله بن معاوية حدثهم عن رجل [قد][٣] سماه : أن سمرة استجمر فغفل عنه أهله ، حتى أخذته النار[٤] .

وقال : ابن عبدالبر[٥] : وكان زياد يستخلفه على البصرة ستة أشهر ، وعلى الكوفة ستة أشهر ، فلما مات زياد استخلفه على البصرة ، فأقره معاوية عليها ، عاماً أو نحوه ، ثم عزله ، وكان شديداً على الحرورية ، وكان إذا أتى بواحد منهم قتله ولم يقله ويقول : شر قتلى تحت أديم الأرض[٦] يكفرون المسلمين ، ويسفكون الدماء ، فالحرورية ومن قاربهم في مذهبهم يطعنون عليه وينالون منه .

---

(١) كذا في (الأصل) ، وفى (المرجع السابق) : " قام فينا " .

(٢) (المرجع السابق) : ٤٥٩ .

(٣) زيادة للسياق من (المرجع السابق) .

(٤) (المرجع السابق) : ٤٦٠ .

(٥) (الاستعاب) : ٢/٦٥٣ - ٦٥٥ ، ترجمة سمرة بن جندب رقم (١٠٦٣) .

(٦) كذا في (الأصل) ، وفى (الاستيعاب) : " أديم السماء " .

قال : وكانت وفاته بالبصرة [فى خلافة معاوية][1] سنة ثمان وخمسين ، سقط في قدر مملوءة ماءاً حاراً ، كان يتعالج بالقعود عليها من كزاز [شديد][2] أصابه فسقط في القدر الحارة فمات ، فكان ذلك تصديقاً[3] لقول رسول الله ﷺ له ولأبى هريرة ، وثالث معهما : آخركم موتاً في النار .

وروى أبو سعيد بن يونس من حديث داود بن المحبر عن زياد بن عبدالله ابن سمرة بن جندب ، كان أصابه كزاز شديد ، وكان لايكاد أن يدفأ ، فأمر بقدر عظيمة فملئت ماء وأوقد تحتها واتخذ فوقها مجلساً ، وكان يصعد إليه بخارها فيدفئه ، فبينا هو كذلك إذا خفت به . فظن أن ذلك الذي قيل فيه[4] .

---

(١) زيادة للسياق من (المرجع السابق) .

(٢) زيادة للسياق من (المرجع السابق) .

(٣) في (الأصل) : " قصد بها " ، وما أثبتناه من (المرجع السابق) .

(٤) قال البيهقي : وقد قال بعض أهل العلم : إن سمرة مات في الحريق فصدق بذلك قول رسول الله ﷺ ويحتمل أن يورد النار بذنوبه ، ثم ينجو بإيمانه ، فيخرج منها بشفاعة الشافعين . والله تعالى أعلم . (دلائل البيهقي) : ٦/٤٦٠ .

وأما ظهور صدقه ﷺ في موت عبدالله بن سلام[1] على الإسلام من غير أن ينال الشهادة [فكان كما أخبر - توفى على الإسلام فى أول أيام معاوية بن أبي سفيان سنة ثلاث وأربعين -]

فخرج البخاري[2] من حديث ابن عون عن محمد [بن سيرين] ، عن قيس بن عباد قال: كنت جالساً في مسجد المدينة فدخل رجل على وجهه أثر الخشوع ، فقالوا: هذا رجل من أهل الجنة ، فصلى ركعتين فتجور فيها ثم خرج وتبعته ، فقلت: إنك حين دخلت المسجد قالوا : هذا رجل من أهل الجنة ! قال : والله ما ينبغي لأحد أن يقول مالا يعلم ، وسأحدثك لم ذاك ، رأيت رؤيا على عهد النبي ﷺ فقصصتها عليه ، ورأيت كأنى في روضة ، ذكر من سعتها وخضرتها ، وسطها عمود من حديد أسفله في الأرض وأعلاه في السماء ، في أعلاه عروة، فقيل لي : ارق ، فرقيت ، حتى كنت في أعلاه فأخذت بالعروة ، فقيل لي : استمسك فاستيقظت ، وإنها لفى يدى ، فقصصتها على النبي ﷺ فقال: تلك العروة الوثقى ، فأنت تموت على الإسلام حين تموت ، وذلك الرجل عبد الله ابن سلام .

---

(١) هو عبد الله بن سلام بن الحارث ، الإمام الحبر ، المشهود له بالجنة ، أبو الحارث الإسرائيلى، حليف الأنصار ، من خواص أصحاب النبي ﷺ حدث عنه أبو هريرة ، وأنس بن مالك ، وعطاء بن يسار ، وزرارة بن أوفى ، وآخرون . له إسلام قديم بعد أن قدم النبي ﷺ المدينة ، وهو من أحبار اليهود . اتفقوا على أن ابن سلام توفى سنة ثلاث وأربعين . (تهذيب سير الأعلام) : ١/٧١-٧٢ ، ترجمة رقم (١٩٠) باختصار . وما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (الدلائل) .

(٢) (فتح الباري) : ٧/١٦٢ -١٦٣ ، كتاب مناقب الأنصار ، باب (١٩) مناقب عبد الله بن سلام رضي الله تبارك وتعالى عنه ، حديث رقم (٣٨١٣) .

وخرجه من حديث ابن عون عن محمد [ابن سيرين] ، حدثنا قيس بن عباد، عن ابن سلام .قال : وصيف مكان منصف . ذكره في كتاب التعبير ، في باب التعلق بالعروة والحلقة [١] .

ومن حديث ابن عون ، عن محمد [ابن سيرين] ، حدثنا قيس بن عباد ، عن عبد الله بن سلام ، - رضي الله تبارك وتعالى عنه- قال : كأني في روضة ذكر من سعتها وخضرتها ، قال : ورأيت في وسط تلك الروضة عمودا وفي أعلى العمود عروة فقيل لي : ارقه ، قلت : لا أستطيع ، قال : فأتاني وصيف ، فرفع ذلك الوصيف ثيابي من خلفي ، فرقيت حتى كنت في أعلاه ، فقيل لي : إستمسك بالعروة ، قال : فاستمسكت بتلك العروة فانتبهت وإنها لفي يدي وأنا متمسك بها ، فلما استيقظت أتيت النبي ﷺ فقصصتها عليه ، فقال : تلك الروضة روضة الإسلام ، وذلك العمود عمود الإسلام ، وتلك العروة العروة الوثقى لاتزال مستمسكا بالإسلام حتى تموت[٢] .

وخرجه مسلم[٣] من حديث عبدالله بن عون بهذا الإسناد أو نحواً أو قريباً مما تقدم أولاً .

وخرجاه من حديث حرمي بن عمارة ، قال : حدثنا قرة بن خالد ، عن محمد بن سيربن قال : قال قيس بن عباد ...فذكره .

ولمسلم[٤] من حديث جرير عن الأعمش ، عن سليمان بن مسهر ، عن خرشة بن الحر ، قال : كنت جالساً في حلقة في مسجد المدينة قال : وفيها شيخ حسن الهيئة وهو عبد الله بن سلام ، قال: فجعل يحدثهم حديثاً حسناً قال : فلما قام قال القوم : من سرة أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا ،

---

(١) باب رقم (٢٣) التعليق بالعروة الوثقى ، حديث رقم (٧٠١٤) .

(٢) (فتح الباري) : ٤٩٦/١١ ، كتاب التعبير باب (٢٣) التعليق بالعروة والحلقة ، حديث رقم (٧٠١٤) . وأخرجه البيهقي في (الدلائل) : ٤٦١/٦ - ٤٦٢ .

(٣) (مسلم بشرح النووي) : ٢٧٥/٥ ، كتاب فضائل الصحابة باب (٣٣٩) باب من فضائل عبد الله بن سلام ، رضي الله تبارك وتعالى عنه ، حديث رقم (١٤٨) .

(٤) (المرجع السابق) : ٢٧٦ - ٢٧٧ حديث رقم (١٥٠) .

قال: فقلت : والله لاتبعنه فلأعلمن مكان بيته قال : فتبعته ، قال : فانطلق حتى كاد أن يخرج من المدينة ، ثم دخل منزله، قال : فاستأذنت عليه ، فأذن لي ، فقال : ما حاجتك يا ابن أخي ؟ فقلت له : سمعت القوم يقولون لك لما قمت : من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا ، فأعجبني أن أكون معك ، قال : الله أعلم بأهل الجنة ، وسأحدثك ممّ قالوا ذاك ، إني بينما أنا نائم ، إذ أتاني رجل فقال لي : قم ، فأخذ بيدي ، فانطلقت معه ، قال : فإذا أنا بجواد عن شمالي ، قال : فأخذت لآخذ فيها ، فقال لي : لا تأخذ فيها ، فإنها طرق أصحاب الشمال ، قال : فإذا جواد منهج على يميني فقال لي : خذ ها هنا ، فأتى بي جبلاً، فقال لي : اصعد ، قال : فجعلت إذا أردت أن أصعد خررت على إستي ، قال : حتى فعلت ذلك مراراً ، قال : ثم انطلق بي حتى أتى بي عموداً رأسه في السماء وأسفله في الأرض ، في أعلاه حلقة ، فقال لي : أصعد فوق هذا ! قلت : كيف أصعد هذا ورأسه في السماء ؟ .

قال : فأخذ بيدي فزج بي ، قال : فإذا أنا متعلق بالحلقة ، قال : ثم ضرب العمود فخرّ ، قال : وبقيت متعلقاً بالحلقة حتى أصبحت .

قال : فأتيت النبي ﷺ فقصصتها عليه ، فقال : أما الطرق التي رأيت على يسارك ، فهي طرق أصحاب الشمال ، قال : مر، أما الطرق التي رأيت عن يمينك ، فهي طرق أصحاب اليمين ، وأما الجبل فهو منزل الشهداء ، ولن تناله، وأما العمود فهو عمود الإسلام ، وأما العروة فهي عروة الإسلام ، ولن تزال متمسكاً بها حتى تموت .

قال ابن عبد البر(١) : توفي في المدينة في خلافة معاوية سنة ثلاث وأربعين ، وشهد رسول الله ﷺ لعبد الله بن سلام بالجنة .

---

(١) (الإستيعاب) : ٣/٩٢١ - ٩٢٢ ، ترجمة رقم (١٥٦١) .

وأما ظهور صدقه ﷺ في إخباره لرافع بن خديج [ابن رافع بن عدي بن زيد بن عمرو بن زيد ابن جشم الأنصاري ، النجاري ، الخزرجي] بالشهادة

فخرج البيهقي[1] من طريق مسلم بن إبراهيم ، قال : حدثنا عمرو بن مرزوق الواشحي ، حدثنا يحيى بن عبدالحميد - يعني : ابن رافع - عن جدته أن رافع بن خديج رمى - قال عمرة : لا أدرى أيهما قال؟- يوم أحد أو يوم حنين - بسهم في ثندوته فأتى النبي ﷺ فقال : يارسول الله انزع السهم ؟ فقال له : يارفع إن شئت نزعت السهم والقطبة جميعا ، وإن شئت نزعت السهم وتركت القطبة وشهدت لك يوم القيامة أنك شهيد ، فقال رافع : يارسول الله ، انزع السهم ودع القطبة واشهد لي يوم القيامة أنى شهيد قال : فعاش بعد ذلك حياة النبي ﷺ حتى إذا كان خلافة معاوية انتقض ذلك الجرح فمات بعد العصر .

قال كاتبه : وقد ذكر ابن عبد البر[2] أنه أصيب يوم أحد ؛ انتقضت جراحته في زمن عبدالملك بن مروان ، فمات قبل ابن عمر بيسير سنة أربع وسبعين ، وكذا ذكره الحاكم[3] وغيره عن الواقدي في تاريخ وفاته .

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٦/٤٦٣ ، باب ما جاء في شهادة [النبي ﷺ] لرافع بن خديج بالشهادة وظهور صدقة في ذلك زمن معاوية . والثندوة : الترقوة .

(٢) (الاستيعاب) : ٢/٤٧٩ - ٤٨٠ ، ترجمة رقم (٧٢٧) وما بين الحاصرتين في العنوان زيادة للنسب منه .

(٣) (المستدرك) : ٣/٦٤٨ ، كتاب معرفة الصحابة ، ذكر رافع بن خديج رضي الله تبارك وتعالى عنه .

وأما إنذاره ﷺ بهلاك أمته على يد أغيلمة من قريش فكان منذ ولِيَ يزيد بن معاوية

فخرج البخاري[1] من حديث عمرو بن يحيى بن سعيد بن عمرو بن سعيد قال : أخبرني جدى قال : كنت جالساً مع أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه في مسجد النبي ﷺ بالمدينة ، ومعنا مروان ، قال أبوهريرة- رضي الله تبارك وتعالى عنه : " سمعت الصادق المصدوق ﷺ يقول : هلكت أمتى على يدى غلمة من قريش ، فقال مروان : لعنه الله عليهم غلمة ، فقال أبوهريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه- لوشئت أن أقول : بنى فلان وبنى فلان لفعلت " ، فكنت أخرج مع جدى إلي بنى مروان حين ملكوا بالشام ، فإذا رآهم غلماناً أحداثاً قال لنا : عسى هؤلاء أن يكونوا منهم . قلنا : أنت أعلم .

وذكره أيضاً في باب علامات النبوة[2] ، وخرج فيه أيضاً من حديث شعبة عن أبي التياح ، عن أبي رزعة ، عن أبي هريرة -رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يهلك الناس هذا الحى من قريش ، قالوا فما تأمرنا ؟ قال : لو أن الناس اعتزلوهم[3] .

---

(١) (فتح البارى) : ١٣ / ١٠ ، كتاب الفتن ، باب (٣) قول النبي ﷺ : هلاك أمتى على يدى أغيلمة سفهاء ، حديث رقم (٧٠٥٨) ، قال الحافظ : يُتَعجب من لعن مروان الغلمة المذكورين، مع أن الظاهر أنهم من ولده ، فكأن الله تعالى أجرى ذلك على لسانه ليكون أشدّ في الحجة عليهم لعلهم يتعظون .

وقد وردت أحاديث في لعن الحكم والد مروان وما ولد ، أخرجها الطبرانى وغيره ، غالبها فيه مقال ، وبعضها جيد ، ولعل المراد تخصيص الغلمة المذكورين بذلك. (فتح الباري).

(٢) باب (٢٥) من كتاب المناقب ، حديث رقم (٣٦٠٥) .

(٣) (المرجع السابق) : حديث رقم (٣٦٠٤) .

وخرج مسلم[1] في كتاب الفتن من حديث أبي أسامة بهذا الإسناد ولفظه: عن النبي ﷺ قال : يهلك أمتى هذا الحى من قريش . الحديث .

وخرج البيهقي[2] من طريق عبدالله بن يزيد المقريء قال : حدثنا حيوة قال : أخبرنى بشير بن أبي عمرو الخولانى أن الوليد بن قيس الحسبي أخبره أنه سمع أباسعيد الخدري رضي الله تبارك وتعالى عنه يقول : وتلا هذه الآيه : ﴿ **فخلف من بعدهم خلف** ﴾[3] فقال : يكون خلف من بعد ستين سنة ،﴿**أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيّا** ﴾، ثم يكون خلف يقرؤون القرآن لايعدو تراقيهم ، ويقرأ القرآن ثلاثة : مؤمن ، ومنافق ، وفاجر. قال بشير : فقلت للوليد : ماهؤلاء الثلاثة ؟ فقال : المنافق كافر به ، والفاجر يتأكل به ، والمؤمن يؤمن به وخرجه الحاكم[4] وقال : هذا حديث صحيح رواته حجازيون وشاميون أثبات .

قال البيهقي[5] : وقد روي عن علي عن أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنهما ما يؤكد هذا التاريخ ، فذكر من طريق أبي أسامة ، عن مجالد ، عن عامر قال : لما رجع عليّ من صفين قال : يا أيها الناس لاتكرهوا إمارة معاوية فإنه لو قد فقدتموه لقد رأيتم الرؤوس تنزو من كواهلها كالحنظل .

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٢٥٦/١٨ - ٢٥٧ ، كتاب الفتن واشراط الساعة ، باب (١٨) لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء ، حديث رقم (٢٩١٧) .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٤٦٤/٦-٤٦٧ ، باب ما جاء في إخباره النبي ﷺ بالفتن التى ظهرت بعد الستين من أغيلمة من قريش فكان كما أخبر .

(٣) مريم : ٥٩ .

(٤) (المستدرك) : ٤٠٦/٢ ، كتاب التفسير ، باب (١٩) تفسير سورة مريم . حديث رقم (٣٤١٦) ، وقال الحافظ الذهبى في (التلخيص) : صحيح .

(٥) (دلائل البيهقي) : ٤٦٦/٦ ، باب ما جاء في إخبار النبي ﷺ بالفتن التى ظهرت بعد الستين من أغيلمة من قريش فكان كما أخبر .

ومن حديث العباس بن الوليد[1] بن مزيد البيروتي قال : أخبرنا أبي قـال: حدثنا ابن جابر عن عمير بن هانيء أنه حدثه قال : كان أبوهريرة -رضـي الله تبارك وتعالى عنه- يمشي في سوق المدينة وهو يقول اللهم لا تدركنـي سـنة الستين ، ويحكم! تمسكوا بصدغي معاوية : اللهم لا تدركني إمارة الصبيان .

قال البيهقي[2] : وهما إنما يقولان مثل هذا الشئ سمعاه من النبـي ﷺ .

وخرج البيهقي[3] من طريق هوذة بن خليفة قال : حدثنا عوف بن أبـي خلدة عن أبي العالية قال : لما كان يزيد بن أبي سفيان أميراً بالشام غزا النـاس فغنموا وسلموا ، فكان في غنيمتهم جارية نفيسة فصارت لرجل من المسـلمين في سهمه ، فأرسل إليه يزيد فانتزعها منه ، وأبوذر- رضي الله تبارك وتعـالى عنه يومئذ بالشام قال : فاستغاث الرجل بأبي ذر على يزيد ، فـانطلق معـه ، فقال ليزيد : رد على الرجل جاريته - ثلاث مرات - ، قال أبو ذر : أمـا والله لئن فعلت لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : أن أول من يبدل سنتى رجـل مـن بني أمية ، ثم ولى عنه ، فلحقه يزيد فقال : أذكرك بالله أنا هو؟ قال : اللـهم لا ، ورد على الرجل جاريته .

قال البيهقي[4] : يزيد بن أبي سفيان كان من أمراء الأجناد بالشـام فـي أيام أبي بكر وعمر- رضي الله تبارك وتعالى عنهما - ولكن سميه يزيـد بـن معاوية يشبه أن يكون هو ، قال : وفى هذا الإسناد إرسال بين أبي العالية وأبـي ذر ، وقد روى من وجه آخر .

فذكر من طريق يعقوب بن سفيان قال : أخبرنا عبدالرحمن بـن عمـرو الحرانى ، حدثنا : محمد بن سليمان ، عن ابن غنيم البعلبكى ، عن هشـام بـن الغاز ، عن مكحول ، عن أبي ثعلبة الخشني ، عن أبي عبيدة بن الجراح رضـي

---

(١) (المرجع السابق) .

(٢) (المرجع السابق) .

(٣) (المرجع السابق) : ٤٦٦ - ٤٦٧ .

(٥) سمسيه : الذي يسمس بأسمه ، قال تعالي :{ وهل تعلم له سمياً} [مريم]

(٤) (المرجع السابق) : ٤٦٧ .

الله تبارك وتعالى عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : لايزال هذا الأمر معتدلاً قائماً بالقسط حتى يثلمه رجل من بني أمية[1] .

وأما ظهور صدقه ﷺ في أن قيس بن خرشة القيسى لايضره بشر

فخرج الحافظ أبو عمر بن عبدالبر[2] من طريق ابن وهب قال : حدثني حرملة بن عمران عن يزيد بن أبي حبيب أنه سمعه يحدث محمد بن يزيد بن أبي زياد الثقفى ، قال : اصطحب قيس بن خرشة وكعب الكتابيين حتى إذا بلغا صفين وقف كعب ، ثم نظر ساعة ، قال : فقال لا إله إلا الله ، ليهرقن بهذه البقعة من دماء المسلمين شئ لم يهرق ببقعة من الأرض ، فغضب قيس ، ثم قال : وما يدريك يا أبا إسحاق ما هذا ؟؛ فإن هذا من الغيب الذي استأثر الله به ، فقال كعب : ما من شبر من الأرض إلا وهو مكتوب في التوراة التى أنزل الله على نبيه موسى بن عمران - عليه السلام - مايكون عليه إلى يوم القيامة ، فقال : محمد بن يزيد : ومن قيس بن خرشة ؟ فقال له رجل : تقول : ومن قيس بن خرشة ؟ وما تعرفه وهو رجل من أهل بلادك ؟ قال : والله ما أعرفه ، قال : فإن قيس بن خرشة قدم على رسول الله ﷺ فقال : أبايعك على ماجاءك من الله، وعلى أن أقول بالحق ، فقال رسول الله ﷺ : ياقيس عسى إن مرّ بك الدهر أن يليك بعدى ولاة لا تستطيع أن تقول لهم[3] الحق ، قال قيس : لا والله ، لا أبايعك على شئ إلا وفيت به ، فقال رسول الله ﷺ : إذاً لا يضرك بشر .

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٦/٤٦٧ . باب ما جاء في إخبار النبي ﷺ بالفتن التى ظهرت بعد الستين من أغيلمة من قريش فكان كما أخبر . (المطالب العالية) : ٤/٣٣٢ ، باب لعن رسول الله ﷺ الحكم بن العاص وبنيه وبني أمية ، حديث رقم (٤٥٣٢) .

وقال البوصيري : رواه ابن منيع والحارث وأبو يعلى بسند منقطع وقال الهيثمي : رواه أبو يعلى والبزار ورجال أبي يعلي رجال الصحيح إلا أن مكحولاً لم يدرك أبا عبيدة .

(٢) (الاستيعاب) : ٣/١٢٨٦ - ١٢٨٨ ، ترجمة رقم (٢١٢٩) قيس بن خرشة القيسي .

(٣) في (الأصل) : " معهم " ، وما أثبتناه من (الاستيعاب) .

قال : فكان قيس يعيب زياداً أو ابنه عبيدالله بن زياد من بعده ، فبلغ ذلك عبيدالله بن زياد ، فأرسل إليه فقال : أنت الذي تفترى على الله وعلى رسوله ﷺ ؟ فقال : [لا والله ، ولكن إن شئت أخبرتك بمن يفترى على الله وعلى رسوله ﷺ ، قال : ومن هو؟ قال : من ترك العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، قال][1]: ومن ذلك ؟ قال : أنت ، وأبوك ، والذي أمركما ، قال : وأنت الذي تزعم أنه لا يضرك بشر ؟ قال : نعم ، قال : لتعلمن اليوم أنك كاذب ، ائتونى بصاحب العذاب ، فمال قيس عند ذلك فمات – رضي الله تبارك وتعالى عنه – وخزى ابن مرجانة[2] .

---

(١) ما بين الحاصرتين سقط من (الأصل) ، وأثبتناه من (الاستيعاب) .

(٢) (الاستيعاب) : ٣/١٢٨٦ - ١٢٨٨ ، ترجمة قيس بن خرشة القيسي رقم (٢١٢٩) .

وأما إنذاره ﷺ بقتل الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله تبارك وتعالى عنهما

فخرج الإمام أحمد(١) من حديث مؤمل قال : حدثنا عمارة بن زاذان ، حدثنا ثابت عن أنس[بن مالك](٢) رضي الله تبارك وتعالى عنه أن ملك القطر(٣) استأذن [ربه](٢) أن يأتى النبي ﷺ ، فأذن له فقال لأم سلمة : أملكى علينا الباب ، لايدخل علينا أحد ، قال : وجاء الحسين [بن عليّ](٤) ليدخل فمنعته ، فوثب فدخل فجعل يقعد على ظهر النبي ﷺ ، وعلى منكبه ، وعلى عاتقه ، قال: فقال الملك للنبى ﷺ : أتحبه ؟ قال : نعم ، قال [أما](٢) إن أمتك ستقتله وإن شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه ، فضرب بيده فجاء بطينة حمراء ، فأخذتها أم سلمة فصرتها في خمارها ، قال ثابت : بلغنا أنها كربلاء .

وخرجه البيهقي من حديث عبدالصمد بن حسان عن عمارة بن زاذان نحوه أو قريباً منه ، إلا أنه قال : فضرب بيده فأراه ترابا أحمر فأخذته أم سلمة -رضي الله تبارك وتعالى عنها فصرته في طرف ثوبها ، فكنا نسمع ، أن يقتل بكربلاء ، قال : وكذلك رواه سفيان بن فروخ ، عن عمارة فذكره نحوه(٥).

وقال أبو يعلى : حدثنا عبدالرحمن بن صالح الأزدي ، عن ليث بن أبي سليم ، عن جرير ، عن الحسن العبسيّ ، عن مولى لزينب ، أو عن بعض أهله ، عن زينب قالت : بينا رسول الله ﷺ في بيتي وحسين رضي الله تبارك وتعالى عنه عندي حين درج ، فغفلت عنه ، فدخل عليّ رسول الله ﷺ فجلس على بطنه ، فبال فانطلق لأخذه ، فاستيقظ رسول الله ﷺ فقال : دعيه ، فتركته حتى فرغ ، ثم دعا بماء ، فقال : إنه يصب من الغلام ، ويغسل من الجارية ،

---

(١) (مسند أحمد) ١٢٧/٤ ، حديث رقم (١٣١٢٧) من مسند أنس بن مالك رضي الله تبارك وتعالى عنه ، حديث رقم (١٣٣٨٣) .

(٢) زيادة للسياق من (المرجع السابق) .

(٣) كذا في (الأصل) ، وفى(المرجع السابق) : " ملك القطر " .

(٤) من (الأصل) فقط .

(٥) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي) .

فصبوا صباً ، ثم توضأ ، فقام فصلى ، فلما قام احتضنه إليه ، فإذا ركع أوجلس وضعه ثم جلس فشكا ، ثم مدّ يده فقلت حين قضى الصلاة : يارسول الله ، إني رأيتك اليوم صنعت شيئاً مارأيتك تصنعه ؟ قال : إن جبريل أتاني فأخبرني أن ابنى هذا تقتله أمتي ، فقلت : أرني تربته ، فأراني تربة حمراء .

وخرج الإمام أحمد[1] وأبوبكر بن أبي شيبة من حديث محمد بن شرحبيل ابن مدرك الجعفي عن عبد الله بن نجي الحضرمي ، عن أبيه ، أنه صار مع عليّ رضي الله تبارك وتعالى عنه وكان صاحب مطهرته ، فلما حاذى نينوى وهو منطلق إلى صفين فنادى عليّ : صبراً أباعبد الله ، بشط الفرات ، فقلت : وماذاك ؟ قال : دخلت على النبي ﷺ ذات يوم وإذا عيناه تذرفان ، قلت : يانبى الله أغضبك أحد ؟ ماشأن عينيك تفضيان ؟ قال : بل قام جبريل من عندي قبل ، فحدثني أن الحسين يقتل بشط الفرات ، قال : فقال: هل لك أن اشمك من تربته ؟ قلت : نعم ، فمدّ يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها ، فلم أملك عينيّ أن فاضتا .

وخرج الإمام[2] أحمد من حديث وكيع قال : حدثنى عبدالله بن سعيد ، عن أبيه ، عن عائشة ، أو أم سلمة رضي الله تبارك وتعالى عنهما ، قال لإحداهما لقد دخل عليّ البيت ملك لم يدخل علي قبلها ، فقال : إن ابنك هذا حسين مقتول ، وإنْ شئت أريتك من تربة الأرض التى يقتل بها ، قال : فأخرج تربة حمراء .

وخرج الحاكم[3] من حديث مصعب قال : حدثنا الأوزراعي عن أبي عمار شداد بن عبدالله ، عن أم الفضل بنت الحارث أنها دخلت على رسول الله

---

(١) (مسند أحمد) : ١/١٣٧ ، حديث رقم (٦٤٩) ، من مسند على بن أبي طالب رضي الله تبارك وتعالى عنه .

(٢) (المرجع السابق) : ٧/٤١٨ ، حديث رقم (٢٥٩٨٥) ، من حديث أم سلمة رضي الله تبارك وتعالى عنها زوج النبي ﷺ .

(٣) (المستدرك) : ٣/١٩٤ ، كتاب معرفة الصحابة ، أول فضائل أبي عبد الله الحسين بن على الشهيد رضي الله تبارك وتعالى عنهما ، ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، حديث رقم = =

ﷺ فقالت : يارسول الله إني رأيت حلماً منكراً الليلة ، قال : [وماهو] ؟ قالت : إنه شديد ، قال : [وماهو] ؟ قالت : رأيت كأن قطعة من جسدك قطعت ووضعت في حجري ، فقال رسول الله ﷺ : رأيت خيراً ، تلد فاطمة إن شاء الله غلاماً فيكون في حجرك ، فولدت فاطمة الحسين- رضي الله تبارك وتعالى عنه ،- فكان في حجري كما قال رسول الله ﷺ ، فدخلت يوماً إلى رسول الله ﷺ فوضعته في حجره ، ثم حانت مني التفاتة فإذا عينا رسول الله ﷺ تهريقان الدموع ، قالت : فقلت : يارسول الله ، بأبي أنت وأمي ، مالك ؟ قال : أتاني جبريل فأخبرني أن أمتي ستقتل ابني هذا ، فقلت : هذا ؟ قال : نعم ، وأتاني بتربة من تربته حمراءقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين[١] [ولم يخرجاه] وخرج من طريق أبي نعيم قال : حدثنا عبدالله بن حبيب بن أبي ثابت ، عن أبيه، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس -رضي الله تبارك وتعالى عنه ، قال: أوحى الله إلى محمد ﷺ : أني قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً وإني قاتل بابن ابنتك سبيعن ألفاً وسبعين ألفاً . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد[٢] .

وخرّج من حديث قرة بن خالد قال : حدثنا عامر بن عبدالواحد ، عن أبي الضحى ، عن ابن عباس قال : ماكنا نشك وأهل البيت متوافرون أن الحسين ابن عليّ يقتل بالطف[٣] .

وخرج أبوبكر بن أبي شيبة[١] من حديث يعلى بن عبيد ، عن موسى الجهني ، عن صالح بن أربد النخعي ، قال : قالت أم سلمه- رضي الله تبارك

(٤٨١٨) ، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص): بل منقطع ضعيف ، فإن شداداً لم يدرك أم الفضل ، ومحمد بن مصعب ضعيف .

(١) ما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (المستدرك) .

(٢) (المستدرك) : ١٩٥/٣ - ١٩٦ ، كتاب معرفة الصحابة ، حديث رقم (٤٨٢٢) . وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : على شرط مسلم .

(٣) (المرجع السابق) : حديث رقم (٤٨٢٦) ، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : حجاج بن نصير متروك .

وتعالى عنها -: دخل الحسين بن عليّ رضي الله تبارك وتعالى عنهما- على النبي ﷺ وأنا جالسة على الباب ، فاطلعت فرأيت في كف النبي ﷺ شيئاً يقلبه وهو نائم على بطنه! فقلت : يارسول الله تطلعت فرأيتك تقلب شيئا في كفك ، والصبى نائم على بطنك ، ودموعك تسيل ، فقال : إن جبريل عليه السلام أتانى بالتربة التى يقتل عليها ، وأخبرنى أن أمتى يقتلونه .

وخرَّج أبو نعيم أحمد من حديث عبدالله بن أحمد ، قال : حدثنى عبد بن زياد الأسدى ، حدثنا عمرو بن ثابت عن الأعمش ، عن أبي وائل شفيق بن سلمة ، عن أم سلمة قالت : كان الحسين والحسن -رضي الله تبارك وتعالى عنهما -يلعبان بين يدي النبي ﷺ في بيتي ، فنزل جبريل فقال : يامحمد ، إن أمتك تقتل ابنك هذا من بعدك ، وأومأ بيده إلى الحسين ، فبكى رسول الله ﷺ ، وضمه إلى صدره ، ثم قال : وديعة عندك هذه التربة ، فشمها رسول الله ﷺ وقال : ريح كرب وبلاء ، وقال رسول الله ﷺ : يا أم سلمة ، إذا تحولت هذه التربة دما فاعلمى أن ابنى قد قتل ، قال : فجعلتها أم سلمة في قارورة ثم جعلت تنظر إليها كل يوم وتقول : تحولين دما ليوم عظيم[٢] .

وخرج من حديث يحيى بن عبد الحميد قال : حدثنا سليمان بن بلال عن كثير بن زيد ، عن المطلب بن عبد الله بن حنظب ، عن أم سلمة قالت : كان النبي ﷺ جالساً في بيتى ذات يوم ، فقال : لايدخلن عليّ أحد ، فانتظرت ، فدخل الحسين ، فسمعت نشيج النبي ﷺ يبكى ، فاطلعت ، فإذا الحسين في حجره ، وإلى جنبه يمسح رأسه وهو يبكى ، فقلت : والله ما علمت به حتى دخل ، قال النبي ﷺ : إن جبريل كان معنا في البيت فقال : أتحبه ؟ فقلت : أما من حيث الدُنيا فنعم ، فقال إن أمتك ستقتل هذا بأرض يقال لها كربلاء ، فتناول جبريل من ترابها فأراه النبي ﷺ ، فلما أحيط بالحسين -رضي الله تبارك

---

(١) (المصنف) : ٧/٤٧٧ - ٤٧٨ ، كتاب الفتن ، باب (٢) ما ذكر في فتنة الدجال ، حديث رقم (٣٧٣٥٥) .

(٢) سبق تخريجهما .

وتعالى عنه- حين قتل ، قال : ما اسم هذه الأرض ؟ قالوا : أرض كربـــلاء ، قال : صدق رسول الله ﷺ ، أرض كرب وبلاء[١] .

وخرَّج البيهقى[٢] من حديث موسى بن يعقوب عن هاشم بن هاشـــم بـــن عتبة بن أبي وقاص ، عن عبد الله بن وهب بن زمعة ، قال : أخبرتنى أم سلمة رضي الله تبارك وتعالى عنها أن رســول الله ﷺ أضطجــع ذات يــوم للنــوم فاستيقظ وهو حائر ، ثم اضطجع فرقد ، ثم استيقظ وهو حائر دون مـــا رأيـــت منه في الكرة الأولي ، ثم اضطجع واستيقظ وفى يده تربـــة حمـــراء يقلبـــها ، فقلت : ما هذه التربة يا رسول الله ؟ قال : أخبرنى جبريل عليه السلام أن هـــذا يقتل بأرض العراق - للحسين - فقلت : يا جبريل أرنى تربـــة الأرض التـــى يقتل بها، فهذه تربتها .

تابعه موسى الجهني عـــن صالح بن زيد النخعي عن أم ســـلمة وأبـــان ، عن شهر بن حوشب ، عن أم سلمة .

وخرَّج البيهقى[٣] من طريق سعيد بن الحكم بن أبي مريم قـــال : حدثنـــى يحيى بن أيوب قال : حدثني ابن غزية وهو عمارة عن محمد بن إبراهيم ، عـــن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال : كان لعائشة رضي الله تبـــارك وتعـــالى عنـــها مشربة ، فكان رسول الله ﷺ إذا أراد لقي جبريل عليه السلام لقيه فيها ، فرقاها مرة من ذلك ، وأمر عائشة أن لايطلع [إليهم] أحد ، قال : وكان رأس الدرجـــة في حجرة عائشة ، فدخل الحسين بن على رضي اله تبارك وتعالي عنهما فرقى ولم تعلم حتى غشيها ، فقال جبريل : من هذا ؟ قال : ابني ، فأخذه رســـول الله ﷺ فجعله على فخده ، قال جبريل : سيقتل ، تقتله أمتك ، فقال رســول الله ﷺ : أمتى ؟ قال : نعم ، وإن شئت أخبرتك بالأرض التى يقتل فيها فأشـــار جـــبريل بيده إلى الطف بالعراق ، فأخذ تربة حمراء ، فأراه إياها .

---

(١) سبق تخريجهما .

(٢) (دلائل البيْهقي) : ٤٦٨/٦ .

(٣) (دلائل البيهقي) : ٤٧٠/٦ . في (الأصل) : " إليه " .

قال البيهقي[1]: هكذا رواه يحيى بن أيوب عن عمارة بن غزية مرسلاً. ورواه إبراهيم بن أبي يحيى ، عن عمارة موصولا فقال : عن محمد بن ابراهيم، عن أبي سلمة ، عن عائشة .

وخرَّجه الحافظ أبونعيم[2] من حديث عطاء بن مسلم الخفاق ، عن الأشعث ابن سحيم ، عن أبيه ، عن أنس بن الحارث ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن أمتى تقتل هذا بأرض من أراضى العراق ، فمن أدركه منكم فلينصره ، قال : فقتل أنس مع الحسين بن علي رضي الله تبارك وتعالى عنهم .

وذكر أبوبكر بن أبي شيبة[3] حدثنا - أحوص بن حبان عن يونس ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن نعجة قال : إن أول ذل دخل على العرب قتل الحسين بن علي وادعاه زياد .

وخرَّج البيهقي[4] من حديث شبابة بن سوار ، قال : حدثنا يحيى بن سالم الأسدى ، قال : سمعت الشعبى يقول : كان ابن عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قدم المدينة ، فأخبر أن الحسين بن علي قد توجه إلى العراق ، فلحقه على مسيرة ليلتين أو ثلاث من المدينة ، فقال : أين تريد ؟ قال : العراق ، ومعه طومير وكتب ، فقال : لاتأتهم ، فقال : هذه كتبهم وبيعتهم ، فقال : إن الله عز وجل خيّر نبيه ﷺ بين الدُنيا وبين الآخره فاختار الآخرة ، ولم يرد الدنيا وإنكم بضعه من رسول الله ﷺ والله لا يليها أحد منكم أبدا ، وماصرفها الله عنكم إلا للذى هو خير لكم ، فارجعوا فأبى ، وقال : هذه كتبهم وبيعتهم ، قال : فاعتنقه ابن عمر وقال : استودعك الله من قتيل .

---

(١) (االمرجع السابق) : ٤٧٠ .

(٢) (دلائل أبي نعيم) : ٥٥٤ ، إخباره ﷺ عن قتل الحسين - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ، حديث رقم (٤٩٣) ، ونقله الحافظ السيوطي في (الخصائص الكبرى) : ٢ /٤٥١ ، وقال : رواه ابن السكن والبغوي في الصحابة .

(٣) (المصنف) : ٧ / ٢٥٨ ، كتاب الأوائل ، باب (١) أول ما فعل ومن فعله ، حديث رقم (٣٥٨٤٩) .

(٤) (دلائل البيهقي) : ٦/٤٧٠ - ٤٧١ .

وخرج الإمام أحمد[1] من حديث عبدالرحمن ، قال : حدثنا : حماد بن سلمة ، عن عمار بن أبي عمار ، عن ابن عباس- رضي الله تبارك وتعالى عنه- ، قال : رأيت النبي ﷺ في المنام نصف النهار ، أشعث أغبر ، معه قارورة فيها دم يلتقطه ، أو يتبع فيها شيئاً ، فقلت : ما هذا ؟ قال : دم الحسين وأصحابه لم أزل أتبعه منذ اليوم ، قال : فحفظنا ذلك فوجدناه قتل ذلك اليوم .

وخرج من حديث عفان ، حدثنا حماد ، حدثنا عمار فذكره بنحو منه[2] .

وخرج البيهقي[3] من حديث مسلم بن إبراهيم ، قال : حدثتنا أم شوق العبدية ، قالت : حدثتني نضرة الأزدية قالت : لما قتل الحسين بن على أمطرت السماء دماً فأصبحت وكل شئ [لنا][4] ملآن [دماء][5] .

ومن حديث سليمان بن حرب قال : حدثنا حماد بن زيد ، عن معمر قال: أول ماعرف الزهري تكلم في مجلس الوليد بن عبد الملك ، فقال الوليد : أيكم يعلم ما فعلت أحجار بيت المقدس يوم قتل الحسين بن على ؟ فقال الزهري: بلغني أنه لم يقلب حجر إلا وجد تحته دم عبيط[6] .

---

(1) (مسند أحمد) : ١ / ٤٠٠ ، حديث رقم (٢١٦٦) من مسند عبد الله بن عباس رضي الله تبارك وتعالى عنه .

(2) (المرجع السابق) : حديث رقم (٢٥٤٩) من مسند عبد الله بن عباس رضي الله تبارك وتعالى عنه .

(3) (دلائل البيهقي) : ٤٧١/٦ .

(4) من (الأصل) : فقط .

(5) في (الأصل) : دماً ، وما أثبتناه من (الدلائل) .

(6) (دلائل البيهقي) : ٤٧١/٦ .

وخرج الحاكم[1] من طريق نوح بن دراج عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري أن أسماء الأنصارية قالت : ما رفع حجر بإيليا ليلة قتل عليّ رضي- الله تبارك وتعالى عنه- إلا ووجد تحته دم عبيط .

وخرجه البيهقي[2] من حديث ابن عفير ، حدثنا حفص بن عمران عن السري بن يحيى ، عن ابن شهاب قال : قدمت دمشق وأنا أريد الغزو فأتيت عبد الملك يعني ابن مروان لأسلم عليه ، فوجدته في قبه على فرش يفوق القائم ، والناس تحته سماطان، فسلمت وجلست ، فقال : يا ابن شهاب أتعلم ماكان في بيت المقدس صباح قتل ابن أبي طالب ؟ قلت : نعم ، قال : هلم ، فقمت من وراء الناس حتى أتيت خلف القبة وحوّل وجهه فأحنى عليّ فقال : ماكان ؟ فقلت : لم يرفع حجر في بيت المقدس إلا وجد تحته دم ، قال : فقال : لم يبق أحد يعلم هذا غيرى وغيرك ، ولايسمعن منك ، قال : فما تحدثت به حتى توفيّ.

قال البيهقي هكذا روي في قتل عليّ بهذا الإسناد ، وروى بإسناد أصح من هذا عن الزهري ، أن ذلك كان في قتل الحسين بن علي- رضي الله تبارك وتعالى عنهما .

قال كاتبه : يريد ماتقدم ذكره من طريق سليمان بن حرب ، عن حماد .

وخرج من طريق أيوب بن محمد الرقى حدثنا : سلام بن سليمان الثقفى ، عن زيد بن عمرو الطندى ، قال : حدثتنى أم حبان ، قالت : يوم قتل الحسين

---

(١) (المستدرك) : ٣/١٥٥ ، كتاب معرفة الصحابة ، ذكر مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تبارك وتعالى عنه -بأصح الأسانيد على سبيل الاختصار ، حديث رقم (٤٦٩٤) :قال الحاكم : قد اختلفت الروايات في مبلغ سنّ أمير المؤمنين حين قتل ، وقال الحافظ الذهبى في (التلخيص) : نوح كذاب .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٦/٤٤٠-٤٤١ ، باب ماروى في إخباره بتأمير علي -رضي الله تبارك وتعالى عنه - وقتله فكانا كما أخبر .

أظلمت علينا ثلاثا : ولم يمس أحد منا من زعفرانهم شيئا فجعله على وجهـه إلا احترق ، ولم يقلب حجر في بيت المقدس إلا أصبح تحته دم عبيط .

ومن حديث علي بن مسهر قال : حدثتني جدتـي ، قـالت : كنـت أيـام الحسين جارية شابة فكانت السماء أياما كأنها علقة[١] .

ومن حديث أبي بكر الحميدي حدثنا سـفيان ، قـال : حدثتنـي جدتـي ، قالت : لقد رأيت الورس عاد رمادا ، ولقد رأيت اللحم كأن فيه النار حين قتـل الحسين[٢] .

ومن طريق سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد ، قال : حدثني جميل بن مرة ، قال : أصابوا إبلا في عسكر الحسين يوم قتل ، فنحروها وطبخوها قـال : فصارت مثل العلقم ، فما استطاعوا أن يسيغوا منها شيئا[٣] .

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٦/٤٧٢ .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٦/٤٧٢ .

(٣) (المرجع السابق) .

وأما إنذاره ﷺ بقتل أهل الحرة
وتحريق الكعبة المشرفة

فخرج البيهقي[١] من طريق يعقوب بن سفيان قال : حدثنا إبراهيم بن المنذر ، قال : حدثني ابن فليح عن أبيه ، عن أيوب بن عبد الرحمن ، عن أيوب بن بشير المعافري ، أن رسول الله ﷺ خرج فى سفر من أسفاره ، فلما مّر بحرة زهّرة وقف فاسترجع فساء ذلك من معه ، وظنوا أن ذلك من أمر سفرهم ، فقال عمر بن الخطاب -رضي الله تبارك وتعالى عنه- : يارسول الله ! ما الذي رأيت ؟ فقال رسول الله ﷺ : أما إن ذلك ليس من سفركم هذا ، قالوا : فما هو يارسول الله ؟ فقال : يقتل بهذه الحرة خيار أمتي بعد أصحابى .

قال البيهقي[٢] : هذا مرسل وقد روى عن ابن عباس- رضي الله تبارك وتعالى عنهما - في تأويل آيه من كتاب الله تعالى مايؤكده ، فذكر من طريق ثور ابن يزيد عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : جاء تأويل هذه الآية على رأس ستين سنة ﴿ **ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لأتوها** ﴾[٣] قال : لأعطوها ، يعني إدخال بني حارثة أهل الشام على أهل المدينة .

وخرج الإمام أحمد[٤] من حديث شعبة بن أوس عن بلال العبسى ، عن ميمونة رضي الله تبارك وتعالى عنها قالت : قال رسول الله ﷺ كيف أنتم إذا مرج الدين وظهرت الرغبة واختلف الإخوان ، وحرق البيت العتيق ؟ .

وذكر محمد بن الحسن بن زبالة ، عن إبراهيم بن محمد ، عن أبيه قال : أمطرت السماء على عهد عمر بن الخطاب فقال لأصحابه : هل لكم في هذا الماء الحديث العهد بالعرش لننزل به ونشرب منه ؟ فلو جاء من مجيئه راكب

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٤٧٣/٦ ، باب ما روي عن النبي ﷺ في إخباره بقتل أهل الحرة فكان كما أخبر .

(٢) (المرجع السابق) .

(٣) الأحزاب : ١٤ ، كذا في (الأصل) ، برواية ورش عن نافع، وهى برواية حفص عن عاصم هكذا : ﴿ **لآتوها** ﴾ .

(٤) (مسند أحمد) : ٤٦٩/٧ ، حديث رقم (٢٦٢٨٩) .

لتمسحنا به ، فخرجوا حتى أتوا حـرة واقم ، وشراجها تطرد ، فشـربوا منـها وتوضئنا فقال كعب : والله يا أمير المؤمنين ليسيلن هذا الشراج بدماء الناس كما يسيل بهذا الماء ! فقال عمر : دعنا من أحاديثك ، قال : فدنا منه عبـد الله بـن الزبير فقال : يا أبا الحق ومتى ذلك ؟ وفى أى زمان ؟ قال : إيـاك أن يكـون ذلك على يدك .

وعن موسى بن عقبة ، عن عطاء بن أبي مروان الواسطي ، عن أبيـه ، عن كعب الأحبار قال : أفنجد في كتاب الله حرة في المدينة تقتـل بـها مقتلـة تضي وجوههم يوم القيامة كما يضيء القمر ليلة البدر ؟

وذكر من حديث زيد بن كثير عن المطلب بن عبدالله ، عن ابن أبي ربيعة أنه مر بعروة بن الزبير وهو يبنى قصره بالعقيق ، فقال : أردت الحرث يا أبـا عبدالله ؟ قال : لا ، ولكنه ذكر لي أنه سيصيبها عذاب يعنى المدينة ، فقلـت: إن أصابها شي كنت متنحياً عنها .

قال كاتبه : وكان من خبر وقعة الحرة[1] أن الوليد بن عتبة بن أبي سـفيان عامل المدينة ليزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، بعث بوفد من أهل المدينة إلـى يزيد فيهم عبدالله بن حنظلة الغسيل وعبدالله بن عمرو بن أبـي حفـص ، بـن المغيرة المجذومي ، والمنذر بن الزبير بن العوام ، فأكرمـهم يزيـد وأعظـم جوائزهم ، فلما عادوا إلى المدينة أظهروا شيم يزيد ، وعابوه بشرب الخمـر ، وعزف القيان ، واللعب بالكلاب ، وخلعوه ، وبايعوا عبدالله بن خنظلة في سـنة أثنتين وستين ، فندب يزيد لحربهم مسلم بن عقبة المزني ، ويسمى مسرفا ، فـي اثنى عشر ألف ، وعهد إليه إن ظهر عليهم أن يبيح المدينـة ، وقاتلـهم بعـد مادعاهم إلى طاعة يزيد ، وأجّلهم ثلاثاً فلم يجيبوه ، فهزمهم بعد قتال شـديد ، قتل فيه عبدالله بن حنظلة ، وعبدالله بن زيد المـازني ، ومعقـل بـن سـنان الأشجعي، في سبعمائة من حملة القرآن وعدة كثيرة .

قال أبو الهيثم : قتل يوم الحرة –حرة واقم نحـو– مـن سـتين ألـف وخمسمائة.

---

(١) (تاريخ الطبري) : ٤٩٥/٥ من أحداث سنة (٦٣هـ) .

وقال : أبو مخنف : المقتولون من وجوه قريش سبعمائة . وقال أبو جعفر الطبرى : قتل من القراء سبعمائة ومن الصاحبة أربعة : عبد الله بن يزيد ابن عاصم ، ومعقل بن يسار ، ومحمد بن عمرو بن حزم ، وعبد الله بن حنظلة الغسيل ، وأنهب المدينة ثلاثاً فانتهبت ، وذلك يوم الأربعاء لثلاث أيام ، افتض فيها ألف عذراء ! وكان الذي أدخل أهل الشام بنو حارثه من خلف الناس حينئذ، فانهزموا حنيئذ ، ودعا مسرف الناس إلى بيعة يزيد على انهم خول له يحكم في دمائهم وأموالهم وأهليهم ما يشاء ، وقتل من امتنع من ذلك حتى أسرف في القتل والظلم ، فسموه مسرفاً لذلك ، فَبَّحهُ الله[1] .

وخرج الحاكم[2] من حديث يزيد بن هارون ، أخبرنا ابن عون ، عن خالد ابن عبد الحويرث عن عبد الله بن عمرو رضي الله تبارك وتعالى عنهما ، عن النبي ﷺ قال : الآيات خرزات منظومات في سلك ، يقطع السلك فيتبع بعضها بعضا .

قال ابن الحويرث : كنا نادين بالصباح وهناك عبد الله بن عمرو وكان هناك امرأة من بنى المغيرة يقال لها فاطمة ، فسمعت عبد الله بن عمرو يقول: ذاك يزيد بن معاوية ، فقالت : أكذاك ياعبد الله بن عمرو ، تجده مكتوباً في الكتاب ؟ قال : لا أجده باسمه، ولكن أجد رجلاً من شجرة معاوية يسفك الدماء ، ويستحل الأموال ، وينقض هذا البيت حجراً حجراً ، فإن كان ذلك وأنا حى ، وإلا فاذكريني ، قال : وكان منزلها على أبي قبيس[3] فلما كان زمن الحجاج وابن الزبير ورأت البيت ينقض ، قالت : رحم الله عبد الله بن عمرو قد كان حدثنا بهذا .

قال كاتبه إنما أحرق البيت في حصار أيام يزيد بن معاوية ، وقال الليث : رمى الحجاج البيت بالنار فأحرقه ، فجاءت سحابة فأمطرت على البيت لم

---

(١) (تاريخ الطبري) : ٤٩٥/٥ ، من أحداث سنة (٦٣هـ) .

(٢) (المستدرك) : ٥٢٠/٤ - ٥٢١ ، كتاب الفتن والملاحم ، حديث رقم (٨٤٦١) ، وسكت عنه الحافظ الذهبي في (التلخيص) .

(٣) أبو قبيس : اسم جبل .

تجاوزه وأطفأت النار ، وجاءت صاعقة فأحرقت المنجنيق وما فيه ، وانكسر الحجر الأسود حين رمى الحجاج البيت[1] .

وأما إنذاره ﷺ بذهاب بصر عبد الله بن عباس رضي الله تبارك وتعالى عنه فكان كذلك ، وعمى قبل موته

فخرج البيهقي[2] من حديث عبدالعزيز بن محمد الدراوردي عن ثور بن يزيد ، عن موسى بن ميسرة ، أن بعض بني عبد الله سايره في طريق مكة ، قال : حدثني العباس بن عبد المطلب أنه بعث ابنه عبدالله إلى رسول الله ﷺ في حاجة فوجد عنده رجلاً ، فرجع ولم يكلمه من أجل مكان الرجل معه ، فلقي رسول الله ﷺ العباس بعد ذلك ، فقال العباس : أرسلت إليك ابني فوجد عندك رجلاً فلم يستطع أن يكلمك ، فرجع ، قال : ورآه ؟ قال : نعم ! ، قال : أتدري من ذلك الرجل؟ ذاك الرجل جبريل - عليه السلام - ، ولن يموت حتى يذهب بصره ويؤتى علما .

وخرّجه الحاكم[3] من حديث عاصم بن علي ، قال : حدثتنا زينب بنت سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس ، قال : حدثني أبي قال : سمعت أبي يقول: بعث العباس ابنه عبدالله إلى النبي ﷺ فنام وراءه ، وعند النبي ﷺ رجلا فالتفت النبي ﷺ فقال : متى جئت ياحبيبي ؟ قال : مذ ساعة قال : هل رأيت عندى أحداً ؟ قال : نعم ، رأيت رجلاً ، قال : ذاك جبريل عليه السلام ولم يره خلق إلا عمي إلا أن يكون نبياً ، ولكن عسى أن يجعل ذلك في آخر عمرك ، ثم قال : اللهم علمه التأويل ، وفقهه في الدين ، واجعله من أهل الإيمان . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد .

---

(١) راجع التعليق : رقم (١) .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٤٧٨/٦ ، قال في (مجمع الزوائد) : فيه من لم أعرفه .

(٣) (المستدرك) : ٦١٧/٣ - ٦١٨ ، كتاب معرفة الصحابة حديث رقم (٦٢٨٧) ، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : بل منكر .

وخرج أبونعيم[1] من حديث صالح بن أبي الأسود ، عن أبي الجارود ، عن شوذب ، عن عكرمة ، قال : خرجت بابن عباس وهو على راحلته فلما أخرجها من الحرم قال : إن رسول الله ﷺ حدثني أنه سيذهب بصري وقد ذهب ، وحدثني أنى سأغرق وقد غرقت في بحيرة طبرية ، وحدثني أنى سأهاجر من بعد فتنه ، اللهم وإنى أشهدك أن هجرتي اليوم إلى محمد بن علي ابن أبي طالب .

وأما إنذاره ﷺ زيد بن أرقم بالعمى فكان كذلك

فخرج البيهقي[2] من طريق المعتمر قال : حدثنا نباته بن بنت بريد ، عن حمادة ، عن أنيسة بنت زيد بن أرقم ، عن أبيها : أن النبي ﷺ دخل على زيد يعوده من مرض كان به ، قال : ليس عليك من مرضك بأس ، ولكن كيف بك إذا أعمرت بعدي فعميت ؟ قال : إذا احتسب وأصبر . قال : إذا تدخل الجنة بغير حساب قال : فعمى بعد ما مات النبي ﷺ ثم رد الله عليه بصره ثم مات .

(١) لم أجده .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٤٧٩/٦ .

وأما إخباره ﷺ من يأتى بعده من الكذابين
[وإشارته إلى من يكون]
منهم من ثقيف فكان كما أخبر

فخرج مسلم[1] من حديث مالك عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه ، عن النبي ﷺ ، قال : لاتقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين ، كلهم يزعم أنه رسول الله ﷺ .

خرجه أيضاً من طريق عبدالرزاق قال : حدثنا معمر ، عن همام عن أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه بمثله ، غير أنه قال : ينبعث[2] .

وخرج الحافظ[3] أبو أحمد بن عدي ، من حديث أبي يعلي الموصلي قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا محمد بن الحسن ، حدثنا : شريك عن أبي الحق ، عن عبد الله بن الزبير رضي الله تبارك وتعالى عنه ، قال : قال رسول ﷺ لاتقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً منهم مسيلمة والعنسى ، والمختار ابن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن قسي ، وهو ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور ابن عكرمة ابن خصفة بن قيس غيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، أمه دومة بنت عمرو بن وهب بن معقبة بن مالك بن كعب بن عمرو بن عوف بن ثقيف ، كان المختار خارجياً ، ثم صار زبيرياً ، ثم صار رافضياً في ظاهره ، وزعم أنه يوحى إليه فيسجع به سجعاً . وولاه ابن الزبير الكوفة ، ثم خرج يطلب بدم الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، فقتل عبيدالله بن زياد في حرب ، وقتل أناساً كثيرة ، ثم قتله مصعب بن الزبير سنة سبع وستين ، وشر قبائل العرب بنو أمية ، وبنو حنيفة ، وثقيف .

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٢٦٠/١٨ ، كتاب الفتن وأسراط الساعة ، باب (١٨) لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء ، حديث رقم (٨٤) .

(٢) (المرجع السابق) الحديث الذي يلى الحديث السابق .

(٣) (الكامل في ضعفاء الرجال) لابن عدي : ١٧٣/٦-١٧٤ ، حديث رقم ١٦٥٧/٣٦ .

قال ابن عدي : وهذا لا أعلم رواه عن شريك إلا محمد بن الحسن الأسدي ، وله إفرادات ، وحدث عنه الثقات من الناس ، ولم أجد بحديثه بأساً . قال البيهقي : ولحديث هذا المُختار بن أبي عبيد الثقفي شواهد صحيحة .

وذكر من طريق أبي داود الطيالسي قال : حدثنا الأسود بن سفيان ، عن أبي نوفل بن أبي عقرب ، عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تبارك وتعالى عنهما أنها قالت للحجاج بن يوسف : أما إن رسول الله ﷺ حدثنا أن في ثقيف كذابا ومبيراً ، فأما الكذاب فقد رأيناه ، وأما المبير فلا أخالك إلا إياه قال : فقام عنها ولم يراجعها .

خرجه مسلم[1] في الصحيح من وجه آخر عن الأسود بن شيبان .

وذكر من طريق عبدالله بن الزبير الحميدي قال : حدثنا سفيان هو ابن عيينة حدثنا أبو المحياة عن أمه ، قالت : لما قتل الحجاج بن يوسف عبدالله بن الزبير، دخل الحجاج على أسماء بنت أبي بكر فقال لها : يا أمّه ، إن أمير المؤمنين أوصانى بك فهل لك من حاجة ؟ فقالت : لست لك بأم ، ولكنى أم المصلوب على رأس الثنية ، وما لى من حاجة ، ولكن انتظر حتى أحدثك بما سمعت من رسول الله ﷺ ، يقول : يخرج في ثقيف كذاب ومبير ، فأما الكذاب فقد رأيناه يعنى المختار[2]، وأما المبير فأنت ، فقال الحجاج : مبير المنافقين .

ومن طريق أبي داود الطيالسى قال : حدثنا شريك عن أبي علوان عبدالله بن عصمة ، عن ابن عمر رضي الله تبارك وتعالى عنهم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن في ثقيف كذابا ومبيراً .

قال كاتبه : المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف ابن عقدة بن غيرة بن عوف بن قسي بن منبه ، وقسي هو ثقيف ، كان شاباً مع عمه سعد بن مسعود الثقفي وهو على المدائن لعلي رضي الله تبارك وتعالى عنه ، ثم نزل الكوفة وأنزله في داره ، فأراد نصرته ، فقبض عليه عبيدالله بن

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ١٦/٣٣٢-٣٣٤ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب (٥٨) ذكر كذاب ثقيف ومبيرها ، حديث رقم (٢٢٩) .

(٢) (المرجع السابق) .

زياد بعد ماضرب وجهه بقضيب فشتر عينه ، ثم حبسه حتى قتل الحسين رضي الله تبارك وتعالى عنه ، لأنه كان زوج أخته صفيه بنت أبي عبيد ، وأخرجه إلى الحجاز ، فأقسم ليأخذن بثأر الحسين وليقتلن بقتله عدة من على دم يحيى بن زكريا عليهما السلام ، ونزل الطائف وزعم أنه مبيد الجبارين ثم تبع عبدالله بن الزبير وقاتل معه ، فلما مات يزيد بن معاوية مضى إلى الكوفة فكان لايمر على مجلس إلا سلّم عليه ، قال : أبشروه بالنصر والفتح ، أتاكم ماتحبون فأجمعت الشيعة إليه ، فقال : لهم إن المهدي يعني محمد بن الحنيفة -بعثني إليكم أميناً ووزيراً ، وأمرنى بقتال الملحدين ، والطلب بدم أهل بيته ، فبايعوه ، فقبض عليه وسجن ، فلما قتل سليمان بن حرد أخرج من السجن ، فأخذ يجمع الشيعة وخرج يظاهر الكوفة ليلاً في ربيع الأول سنة ستة وستين ، ونادى مناديه : يامنصور أمت ، ونادى آخر : ياثأرات الحسين ، فملك الكوفة بعد حروب شديدة ، وبايعة الناس ، فأحسن السيرة ، وسير بعوثة إلى أرمينية ، وأذربيجان ، والموصل، والمدائن ، وغير ذلك ، ثم وثب بمن في الكوفة من قتلة الحسين ، وقد خرج عليه أهل الكوفة وقاتلوه فظهر بهم في ذى الحجة منها ، وقتل منهم نحو الثمانمائة ، وتجرد لقتلة الحسين حتى أفناهم ، فكانوا ألوفاً ، فبعث عبدالله ابن الزبير لقتاله أخاه مصعب بن الزبير ، فكانت بينهم حروب عظيمة ، قتل فيها المختار ، وعمره سبع وستون سنة .

قال البيهقي[1]: وقد شهد جماعة من أكابر التابعين على المختار بن أبي عبيد بما كان يستبطن ، وأخبر بعضهم بأنه من جملة الكذابين الذين أخبر النبي ﷺ بخروجهم بعده ، فذكر عن أبي داود الطيالسي قال : حدثنا قرة بن خالد ، عن عبدالملك بن عمير ، عن رفاعه بن شداد ، قال : كنت أبطن شيء بالمختار - يعنى : الكذاب - قال : فدخلت عليه ذات يوم ، فقال : دخلت وقد قام جبريل قبل من هذا الكرسي ! قال : فأهديت إلى قائم سيفي يعني لأضربه ، حتى ذكرت حديثاً حدثته عمرو بن الحمق الخزاعى ، أن النبي ﷺ قال : إذا أمن الرجل الرجل على دمه ، ثم قتله رفع له لواء الغدر يوم القيامة ، فكففت عنه ،

---

(١) (دلائل البيهقي) :٤٨٢/٦ ، باب ما جاء في إخباره بمن يكون من الكذابين وإشارته إلى من يكون منهم من ثقيف فكان كما أخبر .

وقال زائدة عن السدي عن رفاعة القتباني : قال : كنت بالسيف على رأس المختار بن أبي عبيد ، فسمعته ذات يوم يقول : قام جبريل من هذه النمرقة فأردت أن أسل سيفي فأضرب عنقه فذكرت حديثاً حدثنيه عمرو بن الحمق الخزاعي أنه سمع النبي ﷺ يقول : من أمن رجلاً على نفسه فقتله فأنا من القاتل برئ ، وإن كان المقتول كافراً ، قال : فتركته .

قال البيهقي[1] وكذلك رواه سفيان الثوري وأسباط بن نصر ، وغيرهما ، عن إسماعيل بن عبدالرحمن السندي .

وخرجه الإمام[2] أحمد من طريق ابن نمير ، حدثنا : عيسى [القاري] أبو عمر حدثنا السدى عن رفاعة القتبانى قال : دخلت على المختار فألقى لي وسادة فقال : لولا أخي جبريل قام عن هذه لألقيتها لك ، قال : فأردت أن أضرب عنقه، فذكرت حديثاً حدثنيه [أخي] عمرو بن الحمق قال : قال رسول الله ﷺ: أيما مؤمن أمن مؤمناً على دمه فقتله ، فأنا من القاتل برئ .

ومن طريق الحميدي[3] حدثنا : سفيان بن عيينة ، عن مجالد ، عن الشعبي قال : فأخرت أهل البصرة فغلبتهم بأهل الكوفة ، والأحنف ساكت لايتكلم، فلما رآني غلبتهم أرسل غلاماً له فجاءه بكتاب فقال لي : هاك اقرأ ، فقرأته، فإذا فيه من المختار إليه يذكر أنه نبي فقال : يقول الأحنف : أنى فينا مثل هذا .

قال البيهقي[1]: وقد روينا عن يحيى بن سعيد ، عن مجالد ، عن الشعبي قصة ما كان في الكتاب من موضوعه الذي كان يعارض به القرآن .

ومن طريق عبيد الله بن معاذ ، حدثنا أبي حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مَّرة ، سمعَ مرة يعنى الهمذانى ، قال : قال عبد الله بن مسعود : القرآن مامنه

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٤٨٣/٦ ، باب ما جاء في إخباره ﷺ بمن يكون بعده من الكذابين ، وإشارته ﷺ إلى من يكون منهم من ثقيف ، فكان كما أخبر .

(٢) (مسند أحمد) : ٢٩٤/٦ ، حديث رقم (٢١٤٤٠) ، من حديث عمرو بن الحمق الخزاعي رضي الله تبارك وتعالى عنه ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه .

(٣) (دلائل البيهقي) : ٤٨٣/٦ .

حرف ، أو قال : آية - شك - إلا وقد عمل به قوم أو قال سيعملون بها ، قال مُرة: فقرأت : ﴿ **ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحي إليّ ولم يوح إليه شيء أو قال سأنزل مثل ما أنزل الله** ﴾[1] فقلت من عمل بهذه حتى كان المختار بن أبي عبيد .

قال البيهقي[2]: ولعكرمة مولى ابن عباس فيما يقال عن الوحي والموضوع [سئل] [3]يريدون ماكان المختار يدّعيه من أنه يوحى إليه ، وأن عنده كتاب يسمى الموضوع .

ومن طريق أبي داود حدثنا : عبدالله بن الجراح عن جرير ، عن مغيرة، عن إبراهيم قال : قال عبيدة السلماني يعنى عن النبي ﷺ في خروج الكذابين ، قال إبراهيم : فقلت له أترى هذا منهم ؟ يعنى المختار بن أبي عبيد؟ قال عبيدة : أما إنه من الرؤوس[4] .

قال جامعه : وكانت سيرة المختار بن أبي عبيد في تتبع قتله الحسين وقتلهم ، شاهدة بصدق على ماخرجه الحاكم[5] من حديث أبي يعلى محمد بن شداد المسمعي ، حدثنا أبونعيم حدثنا عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت ، عن أبيه، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : أوحى الله إلى نبيكم أني قتلت بيحيى سبعين ألفاً ، وأني قاتل بابن ابنتك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً .

---

(١) الأنعام : ٩٣ .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٦/٤٨٤.

(٣) في (الأصلّ) : " يقال " وما أثبتناه من (الدلائل) .

(٤) (المرجع السابق) : ٤٨٤ .

(٥) (المستدرك) : ٢/٢١٩ ، كتاب التفسير ، من سورة البقرة ، حديث رقم (٣١٤٧) ، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : عبد الله ثقة ، ولكن المتن منكر جداً ، فأما محمد بن شداد ، فقال الدارقطني : لا يكتب حديثه ، وأما حميد ، فقال ابن عدي : كان يسرق الحديث .

قال الحاكم : قد كنت أحسب دهراً أن المسمعى تفرد بهذا الحديث عن أبـي نعيم حتى حدثناه أبو محمد السبيعي الحافظ ، حدثنا عبد الله بن محمد بن ناجيـة حدثنا حميد بن الربيع ، حدثنا أبو نعيم ، فذكره بإسناد نحوه .

أما ما أخبر به ﷺ عن الحطم بن هند البكريّ فكان كما أخبر

فذكر أبو زيد عمر بن شيبة في كتاب (أخبار مكة) بسنده إلى عبد الله ابن المبارك ، عن أبي بكر الهذلي قال : كان شريح بن ضبيعة بن شرحبيل بن عمرو مرثد سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس يغزو ببكر بن وائل في الجاهلية وابن أبي رميض العنزي ارتجز به في مسيره :

قد لفها الليل بسواق حطم   ليس براعى إبل ولاغنم

فسماه الناس الحطم

وأنه أتى النبي ﷺ بالمدينة فقال يامحمد ! إني سيد قومي ، وداعية قومي ، وإني إن أسلمت دعوت إليك الناس وإن تركت دينك صرفت عنك من بعدي ، فما دينك يامحمد ؟ قال : ديني الإسلام ، قال : وما الإسلام ؟ فذكر له ، وقال : لاتشرب الخمر ، فقال يامحمد ! ولانشرب الخمر ؟ ! قال : نعم ، قال : إن في دينك لغلظ وشدة ، أذهب فأعرضه على قومي ، فإن قبلوا قبلت معهم وأن أدبروا كنت معهم ، قال : اذهب فاعرض عليهم ما بدا لك ، فلما أدبر ، قال رسول الله ﷺ : لقد دخل عليّ بوجه كافر وخرج من عندي بعقبي غادر، ولن يسلم أبدآ فخرج حتى أتى سرح المسلمين ، وكان النبي ﷺ إذا أقبل من سفر سرح الناس ظهرهم ، وإن عدو الله اطرد سرح المسلمين هو وأصحابه ، وطلبه المسلمون فسبقهم إلى اليمامة فنزلها ، وأهل اليمامة مشركون فلما دخلت شهور الحرم علم أن الناس قد وضعوا السلاح ، فباع تلك الإبل واشترى تجارة ، فعهد بها إلى مكة يريد الحج والتجارة ، وأهل مكة مشركون ، فبلغ ذلك أصحاب النبي ﷺ فقالوا : يارسول الله إن الحطم عدد وختر وباع إبلنا ، واشترى تجارات بأثمانها ، وتوجه إلى مكة ، أفلا نعرضٍ له فنضرب عنقه وننزع ما في يده ؟ فقال : بلى ، فجمع رجالآ ودعا رجلاً يستعمله عليهم ، إذ نزل عليه الوحي : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمّين البيت الحرام يبتغون فضلاً من ربهم ورضوانا** ﴾[1] فكف النبي ﷺ عنه فلم يعرض له .

---

(١) المائدة : ٢ .

قال أبو زيد : أما الهدي: فهي البدن ، كانت تهدى إلى البيت فيعلق في أعناقها النعال وعليها جلألها فتمر بالمشركين وهم يأكلون الميتة والجلد ، ولقد والله لهذا هو أخبث ما أكل الناس ، كان يبلغ بهم الجوع أن يحلقوا أوبار الإبل فيجمعونها بالدم ، فيأكلونه ، وكانوا لا يعرضون للبدن تعظيمًا لها ، وأما القلائد فكان الرجل إذا توجه إلى مكة حاجًا جعل في عنقه قلائد من لحاء السمر(١) أو من شعر أسود فيمر بالكفار ، فلا يعرضون له وإن كانوا يطلبونه بدم ، فيقولون : هذا يريد بيت الله ، وإذا صدر من مكة راجعاً جعل في عنقه قلادة من إذخر(٢) مكة ، فقالوا : شجر الحرم في عنقه ، اياكم واياه وأما ﴿ **آمين البيت الحرام** ﴾ فهو من كان توجه يريد مكة يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا .

قال أبو بكر حدثنا محمد بن بلال بن أبي بردة - وهو أمير البصرة يومئذ : فأرسل إلى الحسن في الليل فأتيته فقال : أرأيت قوله : ﴿ **يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا** ﴾ الفضل والرضوان ؟ قلت : الفضل : التجارة ، والرضوان : الأجر . قال : الكفار يدرون ما الأجر ويريدونه ؟ قلت : نعم ، قد كانوا يعتقون الرقاب ويصلون الأرحام ويحجون ، وأنشد أبو العباس محمد بن يزيد المبرد في كتاب الكامل . فأنشدني .

قوله : أن النشد يعني فرس أو ناقة ، وقوله : قد لفها الليل بسواق حطم فهو الذي لايبقى من السير شيئاً ويقال : رجل حطم للذي يأتي شيئاً على الزاد لشدة أكله ، يقال للنار التى لاتبقى حطمة ! وقوله : على ظهر وضم ، الوضم : كل ماقطع اللحم . [عليه] .

(١) قشر الشجر .

(٢) شجر ينبت بالحرم المكى .

وأما ظهور صدقة ﷺ في إخباره بغلبة الروم وفارس بعد ما غلبت منها

فقال الله – تعالى – : ﴿ **آلم * غُلبت الروم * في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون * في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون * بنصر الله * ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم** ﴾[١] .

اعلم أن عامة القرآن على ضم الغين من قوله : ﴿ **غلبت الروم** ﴾ بمعنى أن فارس غلبت الروم ، وروى عن ابن عمر وأبى سعيد الخدري وعليّ بن أبي طالب ومعاوية بن قرة أنهم قرءوا : ﴿ **غلبت الروم** ﴾ بفتح الغين السلام . يا قالوا: أبا عبد الرحمن على أي شيّ غلبوا ؟ قال : على ريف الشام ، قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : والصواب الذي لا يجوز غيره ﴿ **آلم * غلبت** ﴾ بضم الغين لإجماع الحجة من القراءة عليه ، قال : وتأويل الكلام غلبت فارس والروم في أدنى الأرض ، ومن أرض الشام إلى فارس ، وهم من بعد غلبهم ، يقول والروم من بعد غلبة فارس إياهم ﴿ **سيغلبون** ﴾ فارس ﴿ **في بضع سنين لله الأمر من قبل** ﴾ غلبهم ، ومن بعد غلبهم إياهم ، يقضي في خلقه ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، ويظهر من يشاء منهم على من أحب إظهاره عليه ﴿ **ويومئذ يفرح المؤمنون * بنصر الله** ﴾ يقول : ويوم يغلب الروم فارس يفرح المؤمنون بالله ورسوله بنصر الله إياهم على المشركين ، ونصرة الروم على فارس ، ﴿ **ينصر** ﴾ الله – تعالى [ذكره[٢]]-﴿ **من يشاء** ﴾ من خلقه على ، من يشاء ، وهو نصره المؤمنين على المشركين ببدر﴿ **وهو العزيز** ﴾ يقول : والله الشديد في انتقامه من أعدائه لا يمنعه من ذلك مانع ، ولا يحول بينه وبينه حائل ﴿ **الرحيم** ﴾ بمن تاب من خلقه ، وراجع طاعته أن يعذبه . انتهى[٣] .

وفي قوله تعالى : ﴿ **أدنى الأرض** ﴾ ، قراءات ، إحداها : أداني بألف بعد دال مفتوحة ، وبمعنى أقرب الأرض ، وفيها قولان ، أحدهما : في أداني أرض فارس ، حكاه النقاش ، والثاني ، في أداني أرض الروم ، قاله الجمهور ،

---

(١) الروم : ١ - ٥ .

(٢) زيادة للسياق من (تفسير الطبراني)

(٣) (المرجع السابق) .

والقراءة الثانية : أدنى بسكون الدال ، وهي إجماع القراء ، ومعناه أقرب ، وفي أدنى أربعة أقوال ، أحدها : طرف الشام ، قاله أبن عباس ، والثاني : الجزيرة فيما بين العراق والشام ، وهي أقرب أرض الروم إلى فارس ، قاله مجاهد ، والثالث : الأردن وفلسطين ، قاله السدّي ومقاتل ، والرابع : أذرعات ، قاله عكرمة ويحيى بن سلام .

ويقال : إن قيصر بعث رجلاً يدعى يحنس وبعث كسرى شهر براز فالتقيا بأذرعات وبصرى[٣]، وهي أدنى بلاد الشام إلى أرض العرب والعجم . قال ابن عطية : فإن كانت الوقعة بأذرعات فهي من أدنى الأرض بالقياس إلى مكة . وإن كانت الوقعة بالجزيرة فهي أدنى الأرض بالقياس إلى أرض كسرى ، وإن كانت بالأردن فهي إلى أدنى أرض الروم . فلما جرى ذلك وغلبت الروم شرّ الكفار فبشر الله عباده المؤمنين بأن الروم سيغلبون ، وتكون الدولة لهم في الحرب ، وكان في هذا الإخبار دليل على نبوة محمد ﷺ ، لأن الروم غلبت من فارس، فأخبر الله نبيه ﷺ أن الروم ستغلب فارس في بضع سنين ، وأن المؤمنين يفرحون بذلك لأن الروم نصارى أهل كتاب وهو الإنجيل ، فكان هذا من علم الغيب الذي أخبر الله – تعالى – به مما لم يكن ، فكان كما أخبر .

قال الزجاج وهذا يدل على أن القرآن من عند الله ، لأنه أنبأ بما سيكون ، وهذا لا يعلمه إلا الله .

وقد اختلف في البضع فقال ابن سيده : البضع أو البضع ما بين الثلاث إلى العشر أولها من الثلاثة إلى العشر مضاف إلى ما تضاف إليه الآحاد ، كقوله – تعالى – : ﴿ **في بضع سنين** ﴾ وقوله : ﴿ **فلبث في السجن بضع سنين** ﴾[١] ويبني مع العشرة كما يبني سائر الآحاد ، فيقال : بضعة عشر رجلاً ، وبضع عشرة امرأة ، ولم يسمع بضعة عشر ولا بضع عشرة رجلاً ، وبضع عشر امرأة. ولا يمتنع ذلك .

وقيل : البضع من الثلاث إلى التسع وقيل هو ما بين الواحد إلى الأربعة وقال الهروي : العرب تستعمل البضع فيما بين الثلاث إلى التسع ، والبضع والبضعة واحد ومعناهما القطعة من العدد .

---

(٣) أذرعات وبصر : اسماء أماكن .

(١) يوسف : ٤٢ .

وحكى عن أبي عبيدة أنه قال : البضع ما دون نصف العقد ، يريد ما بين واحد إلى أربعة ، وهذا ليس بشيء ، لأن في الحديث أنه ﷺ قال : يا أبا بكر ، هل احتطت فإن البضع ما بين الثلاث إلى التسع .

وحكى الثعلبي أن أكثر المفسرين على أن البضع سبع ، وقال الماوردي : وهو قول لأبي بكر الصديق ، وقال مجاهد : من ثلاث إلى تسع ، وقال الأصمعي : من ثلاث إلى عشر ، وحكى الزجاج : ما بين الثلاث إلى الخمس[1] .

---

(١) البَضْع و البِضْع ، بالفتح والكسر : ما بين الثلاث إلى العشر ، وبالهاء : من الثلاثة إلى العشرة ، يضاف إلى ما تضاف إليه الآحاد ، لأنه قطعة من العدد ، كقوله – تعالى – ﴿ **في بضع سنين** ﴾ [يوسف : ٤٢] .

وتبنيٰ مع العشرة كما تبنى سائر الآحاد ، وذلك من ثلاثة إلى تسعة ، فيقال : بضعة عشر رجلاً ، وبضع عشرة جارية ، قال ابن سيده : ولم نسمع بضعة عشر ولا بضع عشرة ، ولا يمتنع ذلك .

وقيل : البضع من الثلاث إلى التسع ، وقيل : من أربع إلى تسع ، وفي التنزيل ﴿ **فلبث في السجن بضع سنين** ﴾ ، قال الفراء : البضع ما بين الثلاثة إلى ما دون العشرة ، وقال شمر: البضع لا يكون أقل من ثلاثة ولا أكثر من عشرة ، وقال أبو زيد : أقمت عنده بِضع سنين ، وقال بعضهم : بَضع سنين ، وقال أبو عبيدة : البِضع ما لم يبلغ العقد ولا نصفه ، يريد ما بين الواحد إلى أربعة .

ويقال : البضع سبعة ، وإذا جاوز لفظ العشر ذهب البضع ، لا تقل : بضع وعشرون . وقال أبو زيد : يقال له: بضع وعشرون رجلاً وله بضع وعشرون امرأة .

وقال ابن برى : وحكى عن الفراء في قوله – تعالى – :﴿ **بضع سنين** ﴾ أن البضع لا يذكر إلا مع العشر والعشرين إلى التسعين ، ولا يقال فيما بعد ذلك ؛ يعني أنه يقال مائة ونيف . (لسان العرب) : ١٤/٨ – ١٥ .

وقال محمد بن إسماعيل اللغويّ النحويّ : البضع : ما بين العقدين من واحد إلى عشرة ، ومن أحد عشر إلى عشرين ، ومع المذكر بهاء ، ومع المؤنث بغير هاء : بضعة وعشرون رجلاً ، وبضع وعشرون امرأة . (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز) :
=
٢/٢٥٠ .

وقد روى أن إيقاع الروم بالفرس كان يوم بدر ، وروى أنه كان يوم الحديبية ، وأن الخبر وصل يوم بيعة الرضوان ، قاله عكرمة وقتادة .

قال ابن عطية : في كلا اليومين كان نصر من الله - تعالى - للمؤمنين ، وقد قيل : إن سبب فرح المؤمنين بغلبة الروم وهمهم أن يغلبوا ، لأن الروم أهل كتاب كالمسلمين ، فهم أقرب من أهل الأوثان ، وقيل : فرحوا لإنجاز الله وعده، إذ فيه دليل على النبوة ، ولأنه - تعالى - أخبر بما يكون في بضع سنين ، فكان كذلك ، وقيل ، لأن الفطرة جبلت على محبة أن يغلب العدو الأصغر لأنه أيسر مؤونة ، بخلاف العدو الأكبر إذا كان الغلب له فإن الخوف يكثر منه .

وقيل : فرحوا بنصر الرسول على المشركين يوم بدر ، قال القرطبي : ويحتمل أن يكون سرورهم بالجموع من ذلك فسُروا بظهورهم على عدوهم ، وبظهور الروم ، وبإنجاز وعد الله - تعالى - .

خرَّج أبو عيسى الترمذي من حديث نصر بن عليّ الجهضميّ قال : حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن سليمان الأعمش ، عن عطية ، عن أبي سعيد قال : لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس فأعجب ذلك المؤمنين ، فنزلت ﴿ **آلمٓ * غلبت الروم** ﴾ إلى قوله : ﴿ **يفرح المؤمنون * بنصر الله**﴾ قال : ففرح المؤمنون بظهور الروم على فارس[1].

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، هكذا قرأ نصر بن علي : ﴿ **غَلَبت الروم** ﴾[2] .

وخرَّج من حديث معاوية بن عمرو ، عن أبي إسحاق الفزاري ، عن سفيان الثوري ، عن حبيب بن أبي عَمْرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - في قوله ﴿ **آلم * غلبت الروم * في أدنى**

= وقال أبو القاسم الراغب الأصفهاني : والبضع بالكسر المنقطع من العشرة ، ويقال : ذلك لما بين الثلاث إلى العشرة ، وقيل : بل هو فوق الخمس ودون العشرة ، قال -تعالى- : { **بضع سنين** ﴾ . (المفردات في غريب القرآن) : ٥٠ .

(١) سنن الترمذي) : ٥/٣٢٠ ، كتاب تفسير القرآن ، باب (٣١) ومن سورة الروم ، حديث رقم (٣١٩٢) .

(٢) راجع التعليق السابق .

الأرض ﴾ قال : غُلبت وغَلبت ، كان المشركون يحبون أن يظهر أهل فارس على الروم لأنهم وإياهم أهل كتاب فذكروه لأبي بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ، فذكره أبو بكر لرسول الله ﷺ قال : أما إنهم سيغلبون ، فذكره أبو بكر لهم فقالوا : اجعل بيننا وبينك أجلاً ، فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا ، وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا ، فجعل أجل خمس سنين فلم يظهروا ، فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال : ألا جعلته إلى دون ؟ قال : أراه العشر ، قال أبو سعيد : والبضع ما دون العشر ، قال : ثم ظهرت الروم بعد . قال : فذاك قوله - تعالى - : **﴿ آلم * غلبت الروم ﴾** إلى قوله : **﴿ يومئذ يفرح المؤمنون * بنصر الله ينصر من يشاء ﴾** ، قال سفيان : سمعت أنهم ظهروا عليهم يوم بدر[1] .

قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب ، إنما نعرفه من حديث سفيان الثوري ، عن حبيب بن أبي عمرة .

وخرَّجه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين[2] .

وخرَّج الترمذي من حديث محمد بن خالد بن عثمة قال : حدثني عبد الله ابن عبد الرحمن الجمحيّ ، قال : حدثني أبن شهاب الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر في مناحبة **﴿ آلم * غلبت الروم ﴾** : ألا احتطت يا أبا بكر ، فإن البضع ما بين الثلاث إلى التسع[3] .

وخرَّجه بقي من حديث معن بن عيسى قال : حدثنا عبيد الله بن عبيد الرحمن الجمحيّ ، عن ابن شهاب ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : **﴿ آلم * غلبت الروم ﴾** ناحب أبو بكر قريشا ، ثم ذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال : يا أبا بكر هلا احتطت فإن البضع ما بين الثلاث إلى التسع[4] .

---

(١) (المرجع السابق) : حديث رقم (٣١٩٣) .

(٢) (المستدرك) : ٢/٤٤٤ ، كتاب التفسير ، باب (٣٠) تفسير سورة الروم ، حديث رقم (٣٥٣٩) .

(٣) (سنن الترمذي) : ٥/٣٢١ ، كتاب تفسير القرآن ، باب (٣١) ومن سورة الروم حديث رقم (٣١٩١) . والمناحبة : المراهنة ، وقوله : " احتطت " من الاحتياط .

(٤) راجع التعليق السابق .

وخرّج الترمذي من حديث ابن أبي الزناد ، عن أبي الزناد ، عن عروة بن الزبير ، عن نيار بن مكرم الأسلميّ قال : لما نزلت : ﴿ **آلم * غلبت الروم * في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون * في بضع سنين** ﴾ فكانت فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين للروم ، وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم ، لأنهم وإياهم أهل كتاب ، وذلك قول الله - تعالى - : ﴿ **ويومئذ يفرح المؤمنون * بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم** ﴾ فكانت قريش تحب ظهور فارس لأنهم وإياهم ليسوا بأهل كتاب ولا إيمان يبعث ، فلما أنزل الله هذه الآية خرج أبو بكر الصديق - رضي الله تبارك وتعالى عنه - يصيح في نواحي مكة ﴿ **آلم * غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون * في بضع سنين** ﴾ .

قال ناس من قريش لأبي بكر : فذلك بيننا وبينكم ، زعم صاحبك أن الروم ستغلب فارس في بضع سنين ، أفلا نراهنك على ذلك ؟ قال بلى ، وذلك قبل تحريم الرهان ، فارتهن أبو بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - والمشركون وتواضعوا الرهان وقالوا لأبي بكر : كم تجعل ؟ البضع ثلاث سنين إلى تسع سنين فَسَمِّ بيننا وبينك وسطا ننتهي إليه ، قال : فسموا بينهم ست سنين قال : فمضت الست سنين قبل أن يظهروا ، فأخذ المشركون رهن أبي بكر فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس فعاب المسلمون على أبي بكر تسمية ست سنين لأن الله - تعالى - قال : في بضع سنين ، قال : وأسلم عند ذلك ناس كثيرة[1] .

قال أبو عيسى : هذا حديث صحيح حسن غريب من حديث نيار بن مُكَرّم لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد [ولا نعرف النيار بن مكرم ، عن النبيّ ﷺ غير هذا الحديث][2] .

وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن منصور ، عن أبي الضحاك ، عن مسروق ، عن ابن مسعود قال : مضت آية الروم ، وقد مضى ﴿ **فسوف يكون لزامًا** ﴾[3] واللزام القتل يوم بدر ، وقد مضت البطشة الكبرى يوم بدر .

---

(١) (المرجع السابق) : حديث رقم (٣١٩٤) .

(٢) ما بين الحاصرتين من (الأصل) فقط .

(٣) آخر آية من سورة الفرقان .

وقال أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق وقال : قال عبد الله : خمس قد مضين : الدخان ، واللزام ، والبطشة ، والفرس والروم .

وكان من خبر هذه الحادثة أن كسرى أبرويز بن هرمز ملك فارس تزوج مريم ابنة موريق قيصر ملك الروم فإنه من القسطنطينية دار ملك الروم في تجمل عظيم ومعها عسكر عدته سبعون ألفا نجدة له على أعدائه ، فسار بهم إلى أذربيجان ، وحارب عدوه بهرام جوهين وهزمه ، وعاد إلى المدائن دار ملك الأكاسرة ، فنوطه ملكه وأعاد عساكر الروم إلى بلادهم بالحباء والكرامة فلما كان بعد أربع عشرة سنة من ملكه ثار على موريق قائد له يقال له : فوقاص وقتله ، وملك بعده على الروم ودعى قيصر وتتبع أولاد موريق فقتلهم إلا واحدًا منهم فرَّ إلى كسرى أبرويز وأعلمه بما كان من قتل أبيه وإخوته ، فغضب لذلك وندب فرحان يقال له شهر براز لمحاربة الروم على عساكر كثيرة ، وأخرج معه قائد من قواده ، فمضى أحدهما في طائفة من العسكر إلى الشام فخرب معابد الروم وقتل رجالهم وأسروهم وسبي ونهب الأموال وتهبط القدس ، وبعث بخشبة الصليب إلى كسرى ، ومضى القائد الآخر إلى مصر ، وملك الإسكندرية وقد صالحه أهل مصر وسار فرحان شهر براز فوطيء الشام ولقي جيوش الروم بأذرعات وبصري فهزمها وظفر ، وسبا ، وغنم ، ومضى إلى بلاد الروم فقتل وسبي وخرب المدائن ، وقطع الأشجار حتى نزل على خليج القسطنطينية ، وبعث إليهم أهل صلوقية بعدة سفن تحمل المير ، وعليها هرقل بن هرقل التونيس أحد البطارقة فسُرُّوا بقدومه ، وجاءه الأعيان [فرضوا] منه عقلاً رصينا ، وحزمًا وافرًا ، وسياسة جيدة ورأيًا صائبًا ، فكلمهم بما نزل بهم من الفتن والشدائد وطعن على الملك فوقاص قيصر ومازال بهم حتى رضوا به ملكا عليهم وخلفوا له فثار بهم على فوقاص وقبله واستبّد بملك الروم ، وكتب إلى كسرى أن يلتزم في كل سنة بحمل ألف قنطار من ذهب ، وألف قنطار من فضة ، وألف جارية بكر ، وألف فرس ، وألف ثوب أطلس ، وأن يعجل قطيعة سنة ، فالتزم ذلك وسأل أن يفرج عن حصاره وأن يمهله ستة أشهر حتى يخرج إلى الأعمال ، ويحيى ذلك منها كل ذلك خديعة منه ، فمشي على كسرى ذلك وأمرنا بالإفراج عنه فتنحت العساكر إلى بعض المروج وخرج هرقل من القسطنطينية بعد ما أقام عليها أخاه قسطنطين ، وانتخب معه خمسة آلاف فارس، فأوغل في بلاد أرمينية ، وقصد الجزيرة ونزل على نصيبين ، وقاتل أهلها حتى ملكها ، وقتل

الفرس أفدح قتل ، وأسر ، وسبا ، وخرب المدائن ، فبعث كسرى بعسكر إلى الموصل ، وكتب يستدعي فرخان شهر براز لمحاربة هرقل فاتفق في أثناء ذلك ينكر كسرى أبرويز على فرخان شهر براز وعزمه على قتله ، فلما بلغه ذلك انحرف عنه إلى هرقل ، وكتب إليه بدخوله في حملته وسار إليه حتى لقيه إلى نصيبين ، فقوى به ، ومضى يريد كسرى وأوقع بجنوده حتى قاربا المدائن فأخذ كسرى أبرويز في الحيلة على هرقل ومكر به حتى أوقع بينه وبين فرخان شهر براز ، ورجع إلى بلاده .

وفي هذه الحادثه أنزل الله – تعالى – : ﴿ **آلم * غلبت الروم * في أدني الأرض** ﴾ يعني أذرعات وبُصرى ، فإنها أدنى أرض الروم إلى الفرس ، وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين ، فساء النبيّ ﷺ وأصحابه ظفر الفرس بالروم لأنهم أهل كتاب وفرح المشركون بذلك لأن المجوس إخوانهم في الشرك بالله ، فلما نزلت هذه الآية راهن أبو بكر الصديق – رضي الله تبارك وتعالى عنه – أُبيّ بن خلف على مائة بعير بأن الظفر يكون للروم بعد تسع سنين ، فغلب أبو بكر أُبَيَّ بن خلف ، وجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ بظفر الروم بفارس يوم الحديبية .

وأما إعلامه ﷺ بالفتن[1]
قبل كونها

فخرَّج البخاريّ من حديث سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن حذيفة – رضي الله تبارك وتعالى عنه – قال : لقد خطبنا النبيّ ﷺ خطبة ما ترك فيها شيئًا إلى قيام الساعة إلا ذكره ، علمه من علمه وجهله من جهله إن

---

(١) الفتن : جمع فتنة ، قال الراغب : أصل الفتن إدخال الذهب في النار لتظهر جودته من رداءته ، ويستعمل في إدخال الإنسان النار ، ويطلق على العذاب كقوله – تعالى – : ﴿ **ذوقوا فتنتكم** ﴾ وعلى ما يحصل عند العذاب كقوله – تعالى – ﴿ **ألا في الفتنة سقطوا** ﴾ ، وعلى الاختبار كقوله – تعالى – : ﴿ **وفتناك فتونًا** ﴾ ، وفيما يدفع إليه الإنسان من شدة ورخاء ، وفي الشدة أظهر معنى وأكثر استعمالاً ، قال – تعالى – : ﴿**ونبلوكم بالشر والخير فتنة**﴾ ، ومنه قوله – تعالى – ﴿ **وإن كادوا ليفتنونك** ﴾ أي يوقعونك في بلية وشدة في صرفك عن العمل بما أوحى إليك .

وقال أيضًا : الفتنة تكون من الأفعال الصادرة من الله ومن العبد ، كالبلية والمصيبة ، والقتل والعذاب ، والمعصية ، وغيرها من المكروهات : فإن كانت من الله – تعالى – فهي على وجه الحكمة ، وإن كانت من الإنسان بغير أمر الله فهي مذمومة ، فقد ذم الله الإنسان بإيقاع الفتنة كقوله – تعالى – ﴿ **والفتنة أشدّ من القتل** ﴾ وقوله – تعالى – ﴿ **إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ....** ﴾ وقوله – تعالى – : ﴿ **ما أنتم عليه بفاتنين** ﴾ وقوله – تعالى – : ﴿**بأيكم المفتون**﴾ وكقوله – تعالى – : ﴿ **واحذرهم أن يفتنوك** ﴾ .

وقال غيره : أصل الفتنة : الاخبار ، ثم استعملت فيما أخرجته المحنة و الاختبار إلى المكروه ، ثم أطلقت على كل مكروه أو آيل إليه ، كالكفر ، والإثم ، والتحريق ، والفضيحة ، والفجور ، وغير ذلك . (مفردات القرآن) : ٣٧١ – ٣٧٢ مختصرًا .

(٢) (فتح الباري) :٦٠٤/١١، كتاب القدر ، باب (٤){ وكان أمر الله قدراً مقدراً} حديث رقم (٦٦٠٤).

كنت لأرى الشيء قد نسيته فأعرفه كما يعرف الرجل إذا غاب عنه فرآه فعرفه ذكره في أول كتاب القدر[1] .

وخرَّجه مسلم[2] وأبو داود[3] من حديث جرير ، عن الأعمش ، عن شقيق ، عن حذيفة قال : قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا ما ترك شيئًا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدَّث به ، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه ، قد علمه أصحابي هؤلاء وأنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه .

وخرَّجه من طريق سفيان ، عن الأعمش بهذا الإسناد إلى قوله : ونسيه من نسيه ، ولم يذكر ما بعده[4] .

وخرَّج مسلم من حديث حجاج ، عن عاصم ، عن عزرة بن ثابت قال : حدثنا علباء بن أحمر ، قال : حدثني [يعني عمرو بن أخطب][5] قال : صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر ، ثم نزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس ، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن فأعلمنا أحفظنا[6] .

ومن حديث شعبة عن عدي بن ثابت ، عن عبد الله بن يزيد ، عن حذيفة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أنه قال : أخبرني رسول الله ﷺ بما هو كائن

---

(١) (فتح الباري) : ١١/٦٠٤ ، كتاب القدر ، باب (٤) ﴿ وكان أمر الله قدرًا مقدورًا ﴾ ، حديث رقم (٦٦٠٤) .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ١٨/٢٣٢ ، كتاب الفتن ، باب (٦) إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة ، حديث رقم (٢٣) .

(٣) (سنن أبي داود) : ٤/٤٤١ ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب (١) ذكر الفتن ودلائلها ، حديث رقم (٤٢٤٠) .

(٤) (مسلم بشرح النووي) : ١٨/٢٣٢ ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب (٦) إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة ، الحديث الذي يلي رقم (٢٣) بدون رقم .

(٥) زيادة للسياق من (صحيح مسلم) .

(٦) (المرجع السابق): حديث رقم (٢٤) .

(٦) (المرجع السابق) : حديث رقم (٢٥) .

إلى أن تقوم الساعة فما منه شيء إلا قد سألته إلا إني لم أسأله ما يخرج أهل المدينة من المدينة[1] .

وخرَّج أبو داود من حديث ابن فروخ[2] ، قال : حدثنا أسامة بن زيد قال : أخبرني ابن لقبيصة بن ذؤيب ، عن أبيه قال : قال حذيفة بن اليمان - رضي الله تبارك وتعالى عنه - والله ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوا ؟ والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدًا إلا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته[3] .

وخرَّج الترمذي[4] من طريق حماد بن زيد بن جدعان ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : صلى بنا رسول الله ﷺ يومًا صلاة العصر بنهار ثم قام خطيبًا فلم يدع شيئًا يكون إلى قيام الساعة إلا أخبرنا به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه ، وفي الحديث قصة ذكرها[5] .

---

(١) (المرجع السابق) : حديث رقم (٢٤) .

(٢) اسمه عبد الله بن فروخ ، وكنيته أبو عمر ، خراسانيّ من أهل مرو ، قدم مصر ، وخرج إلى المغرب ، ومات بها ، قال المنذري : وقد تكلم فيه غير واحد .

(٣) (سنن أبي داود) : ٤/٤٤٣ ، كتاب الفتن والملاحم ، باب (١) ذكر الفتن و ودلائلها ، حديث رقم (٤٢٤٣) .

(٤) (سنن الترمذي) : ٤/٤١٩ - ٤٢٠ ، كتاب الفتن ، باب (٢٦) ما جاء ما أخبر النبي ﷺ وأصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة ، حديث رقم (٢١٩١) .

(٥) إلى هنا آخر الحديث (بالأصل) ، وتمامه : " وكان فيما قال : إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعلمون ، ألا فاتقوا الدنيا [اجعلوا بينكم وبينها وقاية بترك الحرام وترك الإكثار منها والزهد فيها] واتقوا النساء ، وكان فيما قال : ألا لا يمنعن رجلاً هيبةُ الناس أن يقول بحق إذا علمه ، قال : فبكى أبو سعيد فقال : قد والله رأينا أشياء فهبنا ، فكان فيما قال : ألا إنه ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة بقدر غدرته ، ولا غدرة أعظم من غدرة إمام عامة يركز لواؤه عن استه ، فكان فيما حفظنا يومئذ : ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات شتى ، فمنهم من يولد مؤمنًا ويحيا مؤمنًا ويموت مؤمنًا ، ومنهم يولد كافرًا ويحيا كافرًا ويموت مؤمنًا ، ألا وإن منهم البطئ الغضب سريع الفيء ، ومنهم سريع الغضب سريع الفيء ، فتلك=

وقال : وفي الباب عن حذيفة وأبي مريم وأبي زيد بن أخطب والمغيرة بن شعبة [وذكروا أن النبيّ ﷺ حدثهم بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة][1] وهذا حديث حسن[2] .

= بتلك ، ألا وإن منهم سريع الغضب بطيء الفيء ، ألا وخيرهم بطيء الغضب سريع الفيء ، ألا وشرهم سريع الغضب بطيء الفيء ، ألا وإن منهم حسن القضاء حسن الطلب ، ومنهم سيء القضاء حسن الطلب ، ومنهم حسن القضاء سيء الطلب ، فتلك بتلك ، ألا وإن منهم السيء القضاء السيء الطلب ، ألا وخيرهم الحسن القضاء الحسن الطلب ، ألا وشرهم سيء القضاء سيء الطلب ، ألا وإن الغضب جمرة في قلب ابن آدم ، أما رأيتم إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه ، فمن أحسَّ بشيء من ذلك فليلصق بالأرض .

قال : وجعلنا نلتفت إلى الشمس هل بقي منها شيء ؟ فقال رسول الله ﷺ : ألا إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه .

(١) ما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (سنن الترمذي) .

(٢) قال في هامش (جامع الأصول) : في سنده عليّ بن زيد بن جدعان ، وهو ضعيف ، ومع ذلك فقد قال الترمذيّ : هذا حديث حسن ، قال : ولبعض فقرائه شواهد .

وأخرجه ابن ماجة في (السنن) : ١٣٢٥/٢ ، كتاب الفتن ، باب (١٩) فتنة النساء ، حديث رقم (٤٠٠٠) مختصرًا .

وأما إخباره ﷺ بإتمام الله تعالى أمره وإظهار دينه

فقال الله - تعالى - : ﴿ **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله**[1] { **ولو كره المشركون** ﴾[2] .

وخرَّج البخاري من حديث إسماعيل ، عن قيس ، عن خَبَّاب بن الأرَتّ قال : شكونا إلى النبيّ ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة ، فقلنا : ألا تستنصر لنا ؟ ألا تدعو الله لنا ؟ قال : كان الرجل في من قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق بأثنين وما يصده عن دينه ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب ما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون . ذكره في باب علامات النبوة في الإسلام[3] .

وخرجه في كتاب مناقب الأنصار[4] من طريق بيان وإسماعيل قالا : سمعنا قيسًا يقول : سمعت خبَّابًا يقول : أتيت النبيّ ﷺ وهو متوسدٌ بردة وهو في ظل الكعبة - وقد لقينا من المشركين شدة - فقلت : يا رسول الله ألا تدعو الله لنا ؟ فقعد وهو محمرٌ وجهه فقال : لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه ، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنتين ما يصرفه ذلك عن دينه . وليتمنَّ الله هذا الأمر حتى يسير

---

(١) التوبة : ٣٣ ، الفتح : ٢٨ ، الصف : ٩ .

(٢) التوبة : ٣٣ ، الصف : ٩ .

(٣) (فتح الباري) : ٦/٧٦٨ ، كتاب المناقب ، باب (٢٥) علامات النبوة في الإسلام ، حديث رقم (٣٦١٢) .

(٤) (المرجع السابق) : ٧/٢٠٩ ، كتاب مناقب الأنصار ، باب (٢٩) ما لقى النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة ، حديث رقم (٣٨٥٢) ، وفي (الأصل) : " وخرجه في أول المبعث) .

الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله . زاد بيان والذئب على غنمه . وذكره في كتاب الإكراه[1] .

قال كاتبه : قد صدق الله ورسوله فأعلى الله – تعالى – دين نبيه محمد ﷺ على أهل الأديان كلهم فغلبت ملته ملة اليهود ، وأخرجهم أصحابه من بلاد العرب ، وغلبوا النصارى على بلاد الشام ، ومصر ، إلى ناحية الروم والمغرب ، وغلبوا المجوس على ملكهم بالعراق ، وبلاد فارس ، وغلبوا عُبّاد الأصنام على كثير من بلادهم ، فيما يلي الترك ، والهند ، وكذلك سائر الأديان ، وأطلع الله – تعالى – مع ذلك نبيه ﷺ على شرائع الدين ، حتى لا يخفي عليه شيء منه .

قال الشافعيّ – رحمه الله – : قد أظهر الله جل ثناؤه دينه الذي بعث [به] رسول الله ﷺ الله ﷺ على الأديان ، بأن أبان لكل من سمعه أنه الحق ، وما خالفه من الأديان باطل ، وأظهر بيان جماع الشرك دينان : دين أهل الكتاب ، ودين الأميينّ . فقاتل رسول الله ﷺ الأميين حتى دنوا بالإسلام طوعًا وكرهًا ، وقتل من أهل الكتاب ، وسبى ، حتى دان بعضهم بالإسلام وأعطى بعضهم الجزية صاغرين ، وجرى عليهم حكمه ﷺ وهذا ظهور الدين كله .

---

(١) (المرجع السابق) : ٣٩٠/١٢ ، كتاب الإكراه ، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر ، حديث رقم (٦٩٤٣) .

وأما إخباره ﷺ بما يفتح الله تعالى لأُمَّيَتهِ من الفتوح بعده

قوله - تعالى - : ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الأرض كما استخلف الذينِ من قبلهم وليمكنن لهم دينهمِ الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لايشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون** ﴾ (١)

فخرج مسلم من حديث شعبة ، عن أبي مسلمة قال : سمعت أبا نضرة يحدث عن أبي سعيد الخدري - رضي الله تبارك وتعالى عنه - عن النبيّ ﷺ قال : إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ، فإن أول فتنة من بني إسرائيل كانت في النساء . ذكره في آخر كتاب الذكر والدعاء(٢) .

وخرجه النسائيّ في آخر كتاب العشرة وقال : لننظر كيف تعملون(٣) .

وخرَّج البيهقيّ(٤) من طريق زيد بن الحباب ، قال : حدثنا سفيان ، عن المغيرة الخرساني ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبيّ بن أبن كعب - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أن رسول الله ﷺ قال : بشر هذه الأمة بالسناء ، والرفعة ، والنصر ، وبالتمكين في الأرض ، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب .

---

(١) النور : ٥٥ .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ٦٠/١٧ ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب (٢٦) بلب أكثر أهل الجنة الفقراء ، وأكثر أهل النار النساء ، وبيان فتنة النساء ، حديث رقم (٩٩) .

(٣) (دلائل البيهقيّ) : ٣١٧/٦ ، باب قول الله - عزّ وجلّ - : ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنًا يعبدونني لا يشركون بي شيئًا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون** ﴾ [النور : ٥٥] .

(٤) (المرجع السابق) : ٣١٨ .

وخرجه من طريق إسحاق بن سليمان الرازي ، عن المغيرة بن مسلم السراج ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، عن أبيّ بن كعب قال : جاء جبريل إلى النبيّ ﷺ فقال : بشر هذه الأمة ... الحديث[1] .

ومن طريق أبي سعيد بن الأعرابي ، عن محمد بن إسماعيل [الصائغ][2] عن عفان ، عن عبد العزيز بن مسلم ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبيّ بن كعب ، قال : قال رسول الله ﷺ : بشر هذه الأمة بالسناء ، والنصر ، والتمكين ، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب .

قال الصائغ : رواه رجلان : عبد العزيز بن مسلم والمغيرة بن مسلم[3] .

وأخرجه الفرياني من حديث سفيان ، عن المغيرة بمكة ، وقال سيف بن عمر عن عبيدة ، عن يزيد الضخم قال : قال قائل لأبي بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - يعني في قتال أهل الردة : وما أراك تتحايز لما قد بلغ من الناس ولما يتوقع في إغارة العدو ؟ فقال : ما دخلني إشفاق ولا دخلني الدين ، ومنه إلى أحد بعد ليلة القار فإن رسول الله ﷺ حين رأى إشفاقي عليه وعلى الدين قال لي : هون عليك ، الله عز وجل قد [وعدني] لهذا الأمر بالنصر والتمام .

وخرّج الحاكم من حديث سفيان ، عن المغيرة ، عن الربيع بن أنس كما تقدم وقال : حديث صحيح [الإسناد ولم يخرجاه] [4] .

وخرّج البخاري في غزوة بدر من حديث معمر ويونس عن الزهري وعروة[5] .

---

(١) (المرجع السابق) : ٣١٨ .

(٢) من (الأصل) فقط .

(٣) (المرجع السابق) : ٣١٨ .

(٤) (المستدرك) : ٣٥٤/٤ ، كتاب الرقاق ، حديث رقم (٧٨٩٥) وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه ، وقال الحافظ الذهبيّ في (التلخيص) : فيه من الضعفاء محمد بن الأشرس السلمي وغيره .

(٥) (فتح الباري) : ٤٠٥/٧ - ٤٠٦ ، كتاب المغازي ، باب (١٢) بدون ترجمة ، حديث رقم (٤٠١٥) .

وخرَّج مسلم[1]والنسائي[2] من حديث ابن وهب قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، عن عروة بن الزبير أنه أخبره أن المسور بن مخرمة أخبره أن عمرو بن عوف - وهو حليف لبني عامر بن لؤي وكان شهد بدرا مع رسول الله ﷺ - أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتها ، وكان رسول الله ﷺ هو صالح أهل البحرين وأمَّر عليهم العلاء ابن الحضرمي فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين ، فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ فلما صلى رسول الله ﷺ انصرف فتعرضوا له ، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم ، ثم قال : أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين ؟ فقالوا : أجل يا رسول الله ، قال : فأبشروا وأمّلوا ما يسركم ، فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكني أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها ، فتهلككم كما أهلكتهم . لفظهم فيه متقارب . وقال النسائيّ فيه : فوالله ما من الفقر أخشى عليكم ، وقال فتنافسوا فيها كما تنافسوا ، وخرَّجه البخاري في أول كتاب الجزية[3] وفي كتاب الرقاق[4] .

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٣٠٧/١٨ ، كتاب الزهد والرقاق ، حديث رقم (٦) .

(٢) لعله في (الكبرى) .

(٣) (فتح الباري) : ٣١٦ - ٣١٧ ، كتاب الجزية والموادعة ، باب (١) الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب ، حديث رقم (٣١٥٨) .

(٤) (المرجع السابق) : ٢٩٢/١١ - ٢٩٣ ، كتاب الرقاق ، باب (٧) ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها ، حديث رقم (٦٤٢٥) .

وأخرجه الترمذي في (السنن) : ٥٥٢/٤ - ٥٥٣ ، كتاب صفة القيامة والرقاق والورع ، باب (٢٨) بدون ترجمة ، حديث رقم (٢٤٦٢) .

وأخرجه ابن ماجة في (السنن) : ١٣٢٤/٢ - ١٣٢٥ ، كتاب الفتن ، باب (١٨) فتنة المال ، حديث رقم (٣٩٩٧) .

وأخرجه الإمام أحمد في (المسند) : ٤٢٨/٥ ، حديث رقم (١٨٤٣٦) ، من حديث المسور بن مخرمة ، وأخرجه البيهقيّ في (دلائل النبوة) : ٣١٩/٦ .

وخرَّج البخاريّ في باب علامات النبوة في الإسلام[1] من حديث ابن مهدي عن سفيان ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : قال النبيّ ﷺ :هل لكم من أنماط ؟ قلت : وأنّي يكون لنا الأنماط ؟ قال : أما وإنها ستكون لكم الأنماط ، فأنا أقول لها - يعني امرأته - أخري عنا أنها أنماطك ، فتقول : ألم يقل رسول الله ﷺ : بأنها ستكون لكم الأنماط فأدعها .

وخرجه في كتاب النكاح[2] من حديث قتيبة ، عن سفيان بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ هل اتخذتم الأنماط ؟ قلت : يا رسول الله ! وأنّي لنا الأنماط ؟ قال : إنها ستكون .

وخرَّجه مسلم[3] وأبو داود[4] من حديث سفيان ، عن ابن المنكدر ، عن جابر قال لي رسول الله ﷺ لما تزوجت : اتخذت أنماط ؟ قلت : وأنّي لنا أنماط ؟ قال : أما إنها ستكون .

وقال أبو داود : أما إنها ستكون لكم أنماط ولم يقل: لما تزوجت .

وخرَّج البخاري من طريق عبد الرزاق قال : حدثنا ابن جريج ، قال : أخبرني هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، عن سفيان بن

---

(١) (المرجع السابق) : ٦/٧٨٠ ، كتاب المناقب ، باب (٢٥) علامات النبوة في الإسلام ، حديث رقم (٣٦٣١) .

(٢) (المرجع السابق) : ٩/٢٨٠ ، كتاب النكاح ، باب (٦٢) الأنماط ونحوها من للنساء ، حديث رقم (٥١٦١) ، والنمط بساط له خمل رقيق .

(٣) والزينة ، باب (٧) جواز إتخاذ الأنماط ، حديث رقم (٣٩) ، (٤٠) ، وفيها جواز اتخاذ الأنماط إذا لم تكن من الحرير ، وفيه معجزة ظاهرة بإخباره بها ، وكانت كما أخبر . (شرح النوويّ).

(٤) (سنن أبي داود) : ٤/٣٨٠ - ٣٨١ ، كتاب اللباس ، باب (٤٥) في الفُرُش ، حديث رقم (٤١٤٥) .

وأخرجه الترمذي في (السنن) : ٥/٩٢ - ٩٣ ، كتاب الأدب ، باب (٢٦) ما جاء في الرخصة في اتخاذ الأنماط ، حديث رقم (٢٧٧٤) .

وأخرجه النسائيّ في (السنن) : ٦/٤٤٦ ، كتاب النكاح ، باب (٨٣) الأنماط ، حديث رقم (٣٢٨٦) .

وأخرجه البيهقيّ في (دلائل النبوة) : ٦/٣١٩ .

أبي زهير [النميري] قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : تفتح اليمن فيأتي قوم يبسون[1] فيتحملون[2] بأهليهم ومن أطاعهم ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، ثم تفتح الشام فيأتي قوم فيبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، ثم تفتح العراق فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون . وقال البخاري : إنه قال : سمعت رسول الله . وقال : وتفتح الشام ، قال : وتفتح العراق ، لم يذكرهم[3] .

وخرَّجه النسائيّ من حديث مالك ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، عن سفيان بن أبي زهير قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول ...الحديث بمثله أو نحوه .

ولمسلم من حديث وكيع ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، عن سفيان بن أبي زهير قال : قال رسول الله ﷺ : يفتح الشام

---

(١) يبسون : يسوقون دوابهم سوقًا لينًا .

(٢) يتحملون : أي من المدينة راحلين إلى اليمن .

(٣) (فتح الباري) : ٤/١١١ ، كتاب فضائل المدينة ، باب (٥) من رغب عن المدينة ، حديث رقم (١٨٧٤) .

وأخرجه مسلم في كتاب الحج باب (٩٠) الترغيب في المدينة عند فتح الأمصار ، حديث رقم (٤٩٧) .

وأخرجه البيهقيّ في (دلائل النبوة) : ٦/٣٢٠ .

قوله : " تفتح اليمن " قال ابن عبد البرّ وغيره : افتتحت اليمن في أيام النبي ﷺ وفي أيام أبي بكر ، وافتتحت الشام بعدها ، والعراق بعدها .

وفي هذا الحديث علم من أعلام النبوة ، فقد وقع على وفق ما أخبر به النبيّ ﷺ وعلى ترتيبه ، ووقع تفرق الناس في البلاد ، لما فيها من السعة والرخاء ، ولو صبروا على الإقامة بالمدينة لكان خيرًا لهم .

وفي هذا الحديث فضل المدينة على البلاد المذكورة ، وهو أمر مجمع عليه ، وفيه دليل على أن بعض البقاع أفضل من بعض ، ولم يختلف العلماء في أن للمدينة فضلاً على غيرها ، وإنما اختلفوا في الأفضلية بينها وبين مكة . (فتح الباري) .

فيخرج من المدينة قوم بأهليهم يبسّون ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، ثم يفتح اليمن فيخرج من المدينة قوم بأهليهم يبسّون ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، ثم يفتح العراق فيخرج من المدينة قوم بأهليهم يبسون ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون(١) .

وخرّج البخاري من حديث ابن عون ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبيّ ﷺ أنه قال : اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا قالوا : يا رسول الله وفي نجدنا ؟ قال: اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا قالوا يا رسول الله وفي نجدنا قال : فأظنه قال في الثالثة : هنالك بالزلازل والفتن وبها يطلق قرن الشيطان(٢) .

قال ابن عبد البر : دعاؤه ﷺ للشام يعني أهلها ؟ لأهل الشام سينتقل إليها الإسلام وكذلك وقت لأهل نجد قرنا علمًا منه بأن العراق ستكون كذلك وهذا من أعلام نبوته ﷺ .

وخرّج البخاري من حديث الوليد بن مسلم ، عن عبد الله بن العلاء بن زبير قال : سمعت بسر بن عبيد الله أنه سمع أبا إدريس الخولاني قال : سمعت عوف ابن مالكٍ قال : أتيت النبيّ ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم فقال : أعدد ستًا بين يدي الساعة : موتي ، ثم فتح بيت المقدس ، ثم موتان يأخذ فيكم كقِعاص الغنم ، ثم استفاضة المال حتى يعطي الرجل مائة دينار فيظل ساخطًا ، ثم فتنة لا تبقى بيت من بيوت العرب إلا دخلته ، ثم هدنة بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون ، فيأتونكم تحت ثمانين غاية ، تحت كل غاية اثنا عشر ألفا . ذكره في آخر الجزية(٣) .

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ١٦٧/٩ ، كتاب الحج ، باب (٩٠) الترغيب في المدينة عند فتح الأمصار ، حديث رقم (٤٩٦) .

(٢) (فتح الباري) : ٥٧/١٣ ، كتاب الفتن باب (١٦) قول النبيّ ﷺ : الفتنة من قبل المشرق حديث رقم (٧٠٩٤) .

(٣) (فتح الباري) : ٣٤٠/٦ - ٣٤١ ، كتاب الجزية والموادعة ، باب (١٥) ما يحذر من الغدر وقوله - تعالى - ﴿ وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله ﴾ ، حديث رقم (٣١٧٦) .

الموتان بضم الميم وسكون الواو : هو الموت الكثير السريع وقوعه وكذلك شبهه كقعاص الغنم وهو يأخذ الغنم لا يلبسها أن تموت والعقص أن يضرب الإنسان فيموت مكانه سريعًا فشبه الموتان به .

وخرَّج مسلم من طريق حرملة بن عمران التجيبي ، عن عبد الرحمن بن شماسه المهري قال : سمعت أبا ذر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - يقول : قال رسول الله ﷺ : إنكم ستفتحون أرضًا يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرًا فإن لهم ذمة ورحمًا، فإذا رأيتم رجلين يقتتلان في موضع لبنة فاخرج منها قال : فمر بربيعة وعبد الرحمن بني شرحبيل بن حسنة يتنازعان في موضع لبنة فخرج منها[1] / ومن حديث حرملة ، عن عبد الرحمن بن شماسة ، عن أبي بصرة ، عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : إنكم ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط فإذ فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحمًا أو قال : ذمة وصهرًا، فإذا رأيت رجلين يختصمان في موضع لبنة فاخرج منها قال : فرأيت عبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة وأخاه ربيعة يختصمان في موضع لبنة فاخرج منها[2] / وروى ابن يونس من حديث ابن لهيعة ، عن الأسود بن مالك الحميري ، عن بحير بن داخل المعافري ، عن عمرو بن العاص حدثني عمر أمير المؤمنين - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : إذا فتح الله عليكم بعدي مصر فأتخذوا فيها جندًا كثيفًا فذلك الجند خير أجناد الأرض ، قال أبو بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ولم يا رسول الله ؟ قال : لأنهم وازواجهم في رباط إلى يوم القيامة[3] .

قال قاسم بن أصبغ : حدثنا محمد بن وضاح ، عن محمد بن مصفى حدثنا بقية ، عن ابن أبي مريم قال : حدثني عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، عن

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٣٣٠/١٦ ، كتاب فضائل الصحابة باب (٥٦) وصية النبيّ ﷺ بأهل مصر ، حديث رقم (٢٢٦) .

(٢) (المرجع السابق) : حديث رقم (٢٢٧) .

(٣) (كنز العمال) : ١٦٨/١٤ ، حديث رقم (٣٨٢٦٢) باختلاف يسير في اللفظ ، وعزاه إلى ابن عبد الحكم في (فتوح مصر) وابن عساكر ، وفيه لهيعة عن الأسود بن مالك الحميري ، عن بحر بن داخر المعافري ، ولم أر للأسود ترجمة ، إلا أن ابن حبان ذكر في (الثقات) : أنه يروي عن بحر بن داخر ، ووثق بحرًا .

أبيه ، عن أصحاب محمد ﷺ أنه قال : إنكم ستفتحون أرضًا يقال لها الشام فـإذا افتتحتموها فخير ثم منازلها . فعليكم بأرض دمشق فإنها غير مدائـن الشـام ، وهي معقل المسلمين من الملاحم ، ونشاطهم بأرض منها يقال لها الغوطة[١] .

وخرجه الإمام[٢] أحمد من حديث أبي اليمان ، حدثنا أبو بكر يعني ابن أبـي مريم ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، عن أبيه قال : حدثنا رجـل مـن أصحاب النبيّ ﷺ : أن رسول الله ﷺ قال : ستفتح عليكم الشام فـإذا خـيرتم المنازل فيها فعليكم بمدينة يقال لها دمشق ، فإنها معقل المسلمين في الملاحـم ، وفسطاطها منها بأرض يقال لها الغوطة . [وقد تقدم حديث علي بـن حـاتم : ولئن طالت بك حياة ليفتحن كنوز كسرى][٣] .

وخرَّج مسلم[٤] من حديث المهاجر بن مسمار ، عن عامر بن سعد بن أبـي وقاص قال : كتبت إلى جابر بن سمرة مع غلامي نـافع أن أخـبرني بشـيء سمعته من رسول الله ﷺ قال : فكتب إليّ : سمعت رسول الله ﷺ يوم جمعـة عشية رجم الأسلميّ ، فقال : لا يزال الدين قائمًا حتى تقوم الساعة ، أو يكـون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش وسمعته يقول : عُصيبة مـن المسـلمين يفتحون البيتِ الأبيض بيت كسرى[٥] ، أو آل كسرى وسمعته يقـول : إن بيـن يدي الساعة كذا بين فاحذروهم ، وسمعته يقول : إذا أعطى الله أحدكـم خـيرًا فليبدأ بنفسه وأهل بيته ، وسمعته يقول : أنا فرطكم[٦] على الحوض .

---

(١) (المرجع السابق) : حديث رقم (٣٨٢٤٦) ، باختلاف يسير في اللفظ ، وعزاه إلى ابن النجار.

(٢) (مسند أحمد) : ٥/١٦٣ ، حديث رقم (١٧٠١٦) ، حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ .

(٣) ما بين الحاصرتين من (الأصل) فقط .

(٤) (مسلم بشرح النووي) : ١٢/٤٤٥ ، كتاب الإمارة ، باب (١) الناس تبع لقريش ، والخلافـة في قريش ، حديث رقم (١٠) .

(٥) هذا من المعجزات الظاهرة لرسول الله ﷺ ، وقد فتحوه بحمد الله في زمن عمر بن الخطـاب - رضي الله تبارك وتعالى عنه - .

(٦) الفرط بفتح الراء ، ومعناه السابق إليه والمنتظر لسقيكم منه ، والفرط والفارط هو الذي يتقـدم القوم إلى الماء ليهيء لهم ما يحتاجون إليه .

وخرَّج البخاريّ في باب علامات النبوة في الإسلام[1] من حديث الليث ، عن يونس ، عن ابن شهاب قال : وأخبرني ابن المسيب ، عن أبي هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أنه قال : قال رسول الله ﷺ : إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله .

وخرجه في كتاب الأيمان والنذور ، في باب كيف كانت يمين النبيّ ﷺ[2]، من حديث شعيبة ، عن الزهري قال : أخبرني سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، والذي نفس محمد بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله عز وجل .

وخرَّج البخاريّ في كتاب الجهاد ، في باب الحرب خدعة[3] ، من طريق عبد الرزاق حدثنا معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - عن النبيّ ﷺ قال : هلك كسرى ، ثم لا يكون كسرى بعده . وقيصر ليهلكن ، ثم لا يكون قيصر بعده ولتقسمَّن كنوزهما في سبيل الله ، وسمي الحرب خدعة .

وخرجه مسلم في كتاب الفتن[4] من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا به أبو هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - عن رسول الله ﷺ فذكر أحاديث منها ، وقال رسول الله ﷺ ، الحديث بمثله

---

(١) (فتح الباري) : ٧٧٦/٦ ، كتاب المناقب ، باب (٢٥) علامات النبوة في الإسلام حديث رقم (٣٦١٨) .

(٢) (المرجع السابق): ٦٤١/١١ ، كتاب الأيمان والنذور ، باب (٣) كيف كانت يمين النبيّ ﷺ ، حديث رقم (٦٦٣٠) .

(٣) (المرجع السابق) : ١٩٤/٦ ، كتاب الجهاد والسير ، باب (١٥٧) الحرب خدعة ، حديث رقم (٣٠٢٧) ، (٣٠٢٨) .

(٤) (مسلم بشرح النووي) : ٢٥٧/١٨ - ٢٥٨ ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب (١٨) لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء ، حديث رقم (٧٥) ، (٧٦) ، (٧٧) .

ولم يذكر قوله : وسمى الحرب خدعة ، وقال : ولتنفقن ، وفي بعض النسخ ولتقسمن ، كما قال البخاري .

وخرَّج البخاري في كتاب فرض الخمس[1] من حديث إسحاق ، سمع جريرًا ، عن عبد الملك ، عن جابر بن سمرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، فذكر بمثل حديث أبي هريرة سواء .

وخرَّجه في باب علامات النبوة في الإسلام[2] من حديث سفيان ، عن عبد الملك بن عمير ، عن جابر بن سمرة يرفعه ، قال : إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده - وذكر قال : لتنفقن كنوزهما في سبيل الله .

قال قاسم بن ثابت : معنى هذا الحديث - والله تعالى أعلم - أن رسول الله ﷺ أجابهم على نحو مسألتهم ، وذلك أن أهل مكة كانوا تجارًا يرحلون إلى الشام والعراق ويضطربون في المعاش .

قال ابن دريد : سمى العراق بعراق السفرة وهو الخرز المحيط بها ، فقيل عراق لأنه استكف أرض العرب ، وقيل سمي عراق بتواشح الشجر كناية ، أراد عرقًا وجُمع عراقًا ، وقال الأصمعي : كانت العراق تسمى إران فعربوها فقالوا : العراق ، وقال الخليل : شاطىء البحر ، لأنه على شاطىء دجلة والفرات ، حتى يتصل بالبحر ، فلما افتتح رسول الله ﷺ مكة شكوا إليه كساد تجارتهم ، وقلة مكسبهم ، وانقطاعهم عن البلدان التى منها يميرون ، وبها يتجرون ، فقال رسول الله ﷺ : إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، يريد لا يكون بعده بالعراق كسرى ، ولا بالشام قيصر ، بظهور الملة [المحمدية][3] ويقال في نحو هذا الحديث : أنزل الله -تبارك وتعالى- : ﴿ **إنما المشركون**

---

(١) (فتح الباري) : ٦/٢٧٠ ، كتاب فرض الخمس ، باب (٨) قول النبيّ ﷺ : أحلت لي الغنائم ، وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ **وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها تأخذونها** ﴾ [الفتح : ٢٠] ، وهى للعامة حتى يبينه الرسول ﷺ ، حديث رقم (٣١٢١) .

(٢) (المرجع السابق) : كتاب المناقب ، باب (٢٥) علامات النبوة في الإسلام ، حديث رقم (٣٦١٩) ، وفي (الأصل) نقل المقريزي - رحمه الله - الحديث رقم (٣٦١٨) بسند الحديث رقم (٣٦١٩) ، والصواب ما أثبتناه .

(٣) زيادة للسياق والبيان .

نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله﴾[1] وقال الأصمعي : كسرى بكسر الكاف .

وخرَّج مسلم[2] من حديث أبي عوانة ، عن سماك بن حرب ، عن جابر بن سمرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لتفتحن عصابة من المسلمين أو من المؤمنين [كنز آل كسرى] [3] الذي في الأبيض . قال قتيبة : من المسلمين ولم يشك .

وخرجه من حديث شعبة ، عن سماك بمعنى حديث أبي عوانة[4] ذكرهما[5] في الفتن .

قال البيهقي[6] : وإنما أراد هلاك قيصر الذي كان ملك الشام وتنحية ملك القياصرة عنها ، فصدق الله - تعالى - قول رسول الله ﷺ ، ونحن عن الشام ملك القياصرة ، ونحى عن الدنيا ملك الأكاسرة ، وبقى للقياصرة ملك الروم ، لقوله ﷺ :ثبت الله ملكه حين أكرم كتاب النبيّ ﷺ إلى أن يقضى الله - تعالى - فتح القسطنطينية ، ولم يبق للأكاسرة ملك لقوله ﷺ : مزق ملكه حين مزق كتابه[7].

قال : وفي قوله ﷺ : لتنفقن كنوزهما في سبيل الله إشارة إلى صحة خلافة أبي بكر وعمر - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - لأن كنوزهما نقلت إلى المدينة ، بعضها في زمان أبي بكر ، وأكثرها في زمان عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ، وقد أنفقاها في [مصالح] المسلمين ، فعلمنا أن من

---

(١) التوبة :

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ٣٥٨/١٨ ، كتاب الفتن وأشراط الساعة باب (١٨) لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت منن البلاء ، حديث رقم (٧٨) .

(٣) في (الأصل) : " كنزاً لكسرى) ، وما أثبتناه من (صحيح مسلم) .

(٤) (المرجع السابق) : الحديث الذي يلي الحديث السابق بدون رقم .

(٥) في (الأصل) : " ذكره " .

(٦) (دلائل البيهقيّ) : ٣٩٣/٦ ، باب ما جاء في الجمع بين قوله ﷺ إذا هلك قيصر فلا قيصر بعد ، وما روى عنه من قوله في قيصر حين أكرم كتاب النبي ﷺ : ثبت ملكه ، وما ظهر من صدقه فيهما وفيما أخبر عنه من هلاك كسرى ، وهو الصادق المصدوق ﷺ .

(٧) (دلائل البيهقيّ) : ٣٢٥/٦ .

أنفقها كان له إنفاقها ، وكان ولي الأمر في ذلك مصيبًا فيما فعل من ذلك. وبالله التوفيق .

وذكر البيهقيّ من طريق حماد حدثنا يونس ، عن الحسن أن عمر بن الخطاب - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أتي بفروة كسرى فوضعت بين يديه وفي القوم سراقة بن مالك بن جعشم قال : فألقى إليه سواري كسرى بن هرمز فجعلهما في يديه فبلغا منكبيه ، فلما رآهما في يدي سراقة قال : الحمد لله ! سواري كسرى بن هرمز في يدي سراقة بن مالك بن جعشم أعرابي من بني مدلج ! وذكر الحديث[1] .

قال الشافعيّ - رحمة الله عليه - وإنما ألبسهما سراقة لأن النبيّ ﷺ قال لسراقة ونظر إلى ذراعيه : كأني بك قد لبست سواري كسرى ، قال الشافعيّ : وقال عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - حين أعطاه سواري كسرى : البسهما ، ففعل ، ثم قال : قل : الله أكبر ! قال : الله أكبر ، قال : الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة بن مالك بن جعشم أعرابيًا[2] من بني مدلج[3] .

وخرّج البيهقيّ من طريق أبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي في (المعجم) لشيوخه قال : حدثنا أبو أحمد هارون بن يوسف بن هارون بن زياد القطيعي ، حدّثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان ، عن أبي خالد ، عن قيس ، عن عدي بن حاتم ، قال : قال النبيّ ﷺ : مثلت إليّ الحيرة كأنياب الكلاب وأنكم ستفتحونها فقام رجل فقال : يا رسول الله [هب][4] لي ابنة بقيلة ، قال : هي لك ، فأعطوها إياها ، فجاء أبوها فقال : أتبيعها ؟ قال : نعم ، قال : بكم ؟ قال : احكم ما شئت ، قال : ألف درهم قال : قد أخذتها ، قالوا له : لو قلت ثلاثين ألفًا لأخذها ، قال : وهل عدد أكثر من ألف ؟[5] .

---

(١) (المرجع السابق) : ٣٢٥ .

(٢) في (الأصل) : " أعرابي " ، وما أثبتناه من (المرجع السابق) ، وهوحق اللغة .

(٣) (المرجع السابق) : ٢٣٦ .

(٤) من (الأصل) فقط .

(٥) (دلائل البيهقيّ) : ٣٢٦/٦ .

وخرَّجه ابن حبان في (صحيحه) من حديث محمد بن يحيى بن أبي عمر هكذا وقع في هذه الرواية أن الشيماء اشتراها أبوها والمشهور أن الذي اشتراها عبد المسيح أخوها[1] .

وخرَّج الطبراني من حديث أبي السكين زكريا بن يحيى قال : حدثني عمها زجر بن حصن ، عن جدي حميد بن منهب قال : قال خزيم بن أوس هذه لأم الطائى بن حارثة بن لام الطاي سمعت رسول الله ﷺ يقول : هذه الحيرة البيضاء قد رفعت لي وهذه الشيماء بنت بقيلة الأزدية على بغلة سوداء بخمار أسود كما قال رسول الله ﷺ ، فعلقت بها وقلت : هذه وهبها لي رسول الله ﷺ ، فدعاني خالد بن الوليد - رضي الله تبارك وتعالى عنه - عليها فأتيته بها فسلمها إليّ ونزل إلى أخيها عبد المسيح بن عمرو بن قيسٍ بن حبان بن بقيلة فقال لي : يعنيها ، فقلت لا انقصها والله من عشر مائة شيئا ، فدفع إليّ ألف درهم فقيل لي : لو قلت مائة ألف لدفعتها إليك ، فقلت : ما كنت أحسب أن مالها أكثر من عشر مائة قال وبلغني في غير هذا : أن الشاهدين كانا محمد بن مسلمة وعبد الله بن عمرو .

وقال كاتبه : وقد أخبرني بشير بن سعد بدل ابن عمر هذا الحديث غريبًا أخرجه ابن شاهين في الصحابة من هذا الوجه وأبو السكين من رجال البخاري وحميد لا بأس به ، وزخر معروف النسب مجهول الحال وخزيم طائي شيبانيّ فأعله .

وخرَّج البيهقيّ من طريق سعيد بن عبد العزيز قال : حدثني مكحول ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن عبد الله بن حوالة قال : قال رسول الله ﷺ : إنكم ستجندون أجنادا: جند بالشام ، وجند بالعراق وجند باليمن ، قال : فقلت : يا رسول الله خر لي ، قال : عليك بالشام ، فمن أتى فليلحق بيمنه فليسق من غدُره ، فإن الله قد تكفل لي بالشام وأهله[2] .

---

(١) (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان) : ١٥/٦٥ ، كتاب التاريخ ، باب (١٠) إخبار ه ﷺ عما يكون في أمته من الفتن والحوادث ، حديث رقم (٦٦٧٤) ، وقال في هامشه : إسناده صحيح على شرط مسلم ، رجاله ثقات رجال الشيخين غير محمد بن يحيى بن أبي عمر ، فمن رجال مسلم ، سفيان هو ابن عيينة .

(٢) (دلائل البيهقيّ) : ٦/٣٢٦ .

ومن طريق سعيد بن عبد العزيز ، عن مكحول وربيعة بن يزيد ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن عبد الله بن حوالة الأزدي قال : قال رسول الله ﷺ إنكم ستجندون أجنادا : جندًا بالشام ، وجندًا بالعراق ، وجندًا باليمن ، فقلتِ : خر لي يا رسول الله ، قال عليك بالشام فمن أبى فليلحق بيمنه ، وليسق من غدُره ، فإن الله قد تكفل لي بالشام وأهله . فسمعت أبا إدريس يقول : من تكفل الله به ، فلا ضيعة عليه(١) .

ومن طريق يعقوب بن سفيان قال : حدثنا عبد الله بن يوسف ، عن يحيى إبن حمزة ، قال : حدثني أبو علقمة نصر بن علقمة يرد الحديث إلى جبير بن نفير ، قال : قال عبد الله بن حوالة : كنا عند رسول الله ﷺ فشكونا العرى والفقر وقلة الشيء ، قال : أبشروا فوالله لأنا بكثرة الشيء أخوفني عليه من قلته ، والله لا يزال هذا الأمر فيكم حتى يفتح الله أرض فارس ، وأرض الروم ، وأرض حمير ، وحتى تكونوا أجنادا ثلاثة : جندًا بالشام ، وجندًا بالعراق ، وجندًا باليمن وحتى يُعْطى الرجل المائة فيسخطها ، قال ابن حوالة : قلت يا رسول الله ! ومن يستطيع الشام وبه الروم ذات القرون ؟ قال : والله ليفتحنها عليكم وليستخلفنكم فيها حتى تظل العصابة البيض منكم قمصهم الملحمة ، أقفاؤهم قيامًا على الرويجل الأسود منكم المخلوق ، وما أمرهم من شيء فعلوه ، وذكر الحديث(٢) .

قال أبو علقمة : فسمعت عبد الرحمن بن جبير يقول فعرف أصحاب رسول الله ﷺ نعت هذا الحديث في جزء بن سهيل السلمي وكان على الأعاجم في ذلك الزمان ، فكان إذا راحو إلى مسجد نظروا إليه وإليهم قيامًا حوله ، فعجبوا لنعت رسول الله ﷺ فيه وفيهم(٣) .

ومن طريق يعقوب بن سفيان قال : حدثنا أبو صالح قال : حدثني معاوية ابن صالح أن حمزة بن حبيب حدثه عن ابن زغب الإيادي ، قال : نزل بي عبد الله ابن حوالة صاحب رسول الله ﷺ وقد بلغنا أنه فرض له المائتين فأبى إلا مائة وقال : قلت له : والله ما منعته قال : قلت له : أحق ما بلغنا أنه فرض لك في مائتين فأبيت إلا مائة ،والله ما منعه وهو نازل على أن يقول لا أم لك أولا

---

(١) (دلائل البيهقيّ) : ٦/٣٢٧ .

(٢) (دلائل البيهقيّ) : ٦/٣٢٧ .

(٣) (دلائل البيهقيّ) : ٦/٣٢٧ - ٣٢٨ .

يكفي ابن حوالة مائة في كل عام ؟ ثم أنشأ يحدثنا عن رسول الله ﷺ : أن رسول الله ﷺ بعثنا على أقدامنا حول المدينة لنغنم ، فقدمنا ولم نغنم شيئا فلما رأى الذي بناه من الجهد قال : اللهم لا تكلهم إليَّ فأضعف عنهم ولا تكلهم الناس إلى الناس فيهونوا عليهم أو يستأثروا عليهم ، ولا تكلهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها ، ولكن بأرزاقهم[1] .

ثم قال : ليفتحن لكم الشام ، ثم لتقسمن كنوز فارس والروم ، وليكونن لأحدكم من المال كذا وكذا ، وحتى إن أحدكم ليعطى مائة دينار فيسخطها ، ثم وضع يده على رأسي فقال : يا ابن حوالة إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة فقد أتت الزلازل والبلايا والأمور العظام ، الساعة أقرب إلى الناس من يدي هذه من رأسك[2] .

قال البيهقيّ : أراد بالساعة انخرام ذلك القرن والله – تعالى – أعلم . وأراد بكنوز فارس والروم ما كان منهم بالشام حين يفتح الشام يوجد كنوزهم بها ، وقد وجد ذلك[3] .

قال كاتبه : وأراد بنزول الخلافة الأرض المقدسة : ملك بني أمية .

وخرَّج مسلم[4] من حديث يحيى بن آدم حدثنا زهير بن معاوية ، عن سهيل ابن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ إذا منعت العراق درهمها وقفيزها ، ومنعت الشام مديها ودينارها ، ومنعت مصر أردبها ودينارها ، وعدتم من حيث بدأتم ، شهد على ذلك لحم أبي هريرة ودمه .

وذكره البيهقيّ من حديث آدم بهذا السند نحوه إلا أنه قال : منعت العراق ولم يقل : إذا ، وقال : ومنعت مصر إردبها ودينارها ، وقال : قال يحيى :

---

(١) (دلائل البيهقيّ) : ٦/٣٢٨ .

(٢) (دلائل البيهقيّ) : ٦/٣٢٨ .

(٣) (المرجع السابق) : ٣٢٨ .

(٤) أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة ، باب (٨) لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب ، حديث رقم (٣٣) . والقفيز : مكيال معروف لأهل العراق ، وهو ثمانية مكاكيك ، والمكوك صاع ونصف . والمدّ : مكيال معروف لأهل الشام يسع خمسة عشر مكوكًا . والأردب : مكيال معروف بمصر ، يسع أربعة وعشرين صاعًا .

يريد من هذا الحديث أن رسول الله ﷺ ذكر القفيز والدرهم قبل أن يضعه عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - على الأرض[1] .

وقال [أبو عبيد] الهروي[2] في هذا الحديث : قد أخبر النبيّ ﷺ بما لم يكن ، وهو في علم الله - تعالى - كائن ، فخرَّج لفظه على لفظ الماضي ، لأنه ماض في علم الله عزّ وجل ، وفي إعلامه بهذا قبل وقوعه ما دل على إثبات نبوته ﷺ ودل على رضاه من عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ، ووظفة على الكفرة من الجزية في الأمصار .

وفي تفسير المنع وجهان : أحدهما : أن النبيّ ﷺ علم أنهم سيسلمون وسيسقط عنهم ما وظف عليهم بإسلامهم فصاروا مانعين بإسلامهم ما وظف عليهم بإسلامهم، والدليل على ذلك قوله في الحديث : " وعدتم من حيث بدأتم " لانه بدأهم في علم الله وفيما قدر وفيما قضى أنهم سيسلمون فعادوا من حيث بدأوا .

وقيل في قوله ﷺ: منعت العراق درهمها " أنهم يرجعون عن الطاعة ، وهذا يعني أن العجم والروم يستولون على البلاد في آخر الزمان فيمنعون حصول ذلك للمسلمين . [وهذا وجه ، والأول أحسن] [3] .

قال البيهقيّ[4] : وتفسيره ، فذكر ما خرجه مسلم من طريق إسماعيل بن إبراهيم ، عن الجريري ، عن أبي نضرة قال : كنا عند جابر بن عبد الله - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فقال : يوشك أهل العراق لا يجني إليهم درهم ولا قفيز ، قالوا : مما ذاك يا أبا عبد الله ؟ قال : من قبل العجم يمنعون

---

(١) (دلائل البيهقيّ) : ٦/٣٢٩ .

(٢) أبو عبيد الهرويّ ، هو أبو عبيد القاسم بن سلام الهرويّ ، الأزديّ ، [١٥٤ - ٢٢٤هـ] ، طلب العلم وسمع الحديث ، ونظر في الفقه والأدب ، واشتغل بالحديث ، والفقه ، والأدب ، والقراءات ، وأصناف علوم الإسلام ، وكان دينًا ، ورعًا حسن الرواية ، صحيح النقل ، أخذ من أكابر علماء عصره أمثال : أبي زيد الأنصاريّ ، وأبي عبيدة معمر بن المثني ، والأصمعيّ ، وروى عن ابن الأعرابيّ ، والفراء ، والكسائيّ ، ومؤلفه في (غريب الحديث) أول من سبق إليه ، وصار كتابه إمامًا لأهل الحديث .

(٣) زيادة للسياق من (المرجع السابق) .

(٤) (المرجع السابق) : ٦/٣٣٠ .

ذلك، ثم قال : يوشك أهل الشام ألا يجبي إليهم دينار ولا مُدْي ،قلنا : مما ذاك ؟ قال : من قبل الروم . ثم سكت هنية ، ثم قال : قال رسول الله ﷺ : في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثيًا . لا يعده عدًا ، قال : قلت لأبي نضرة وأبي أتريان أنه عمر بن عبد العزيز ؟ فقالا : لا[1] .

وخرَّجه البيهقيّ[2] من حديث محمد بن إسحاق بن خزيمة قال : حدثنا ابن بشار وأبو موسى قالا : حدثنا عبد الوهاب ، عن سعيد قال بندار بن أبي إياس الجريري وقالا : عن أبي نضرة ، عن جابر بن عبد الله قال : يوشك أهل العراق لا يجبي إليهم درهم ولا قفيز ، قالوا : مما ذاك يا أبا عبد الله ؟ قال : من العجم . وقال بندار : من قبل العجم . وقال : يمنعون ذاك ، ثم سكت هنية ، فقالا : ثم قال : يوشك أهل الشام أن لا يجبي إليهم دينار ولا مُدْي ، قال : مم ذاك ؟ قال : من قبل الروم يمنعون ذاك .

ثم قال رسول الله ﷺ : يكون في أمتي خليفة يحثي المال حثيًا لا يعده عدًا.

ثم قال : والذي نفسي بيده ليعودن الأمر كما بدأ ، ليعودن كل إيمان إلى المدينة كما بدأ بها ، حتى يكون كل إيمان بالمدينة ، ثم قال رسول الله ﷺ : لا يخرج من المدينة رهبة عنها إلا أبد لها الله خيرًا منه،وليسمعنّ نا س برخص من أسعار ورزق فيتبعونه ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون .

وخرَّج البخاري من حديث سفيان عن عمرو قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : حدثنا أبو سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : يأتي على الناس زمان يغزو فئام من الناس فيقولون : فيكم من صحب رسول الله ﷺ ؟ فيقولون: نعم ، فيفتح عليه ، ثم يأتي على الناس زمان فيغرون فئام من الناس فيقال : هل فيكم من صحب أصحاب النبيّ ﷺ ؟ فيقولون : نعم ، فيفتح لهم ، ثم يأتي على الناس زمان يغزون فئام من الناس فيقال : هل فيكم من صحب من صاحب أصحاب النبيّ ﷺ ؟ فيقولون : نعم ، فيفتح لهم . ذكره في علامات النبوة[3] وفي الجهاد .

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٢٥٤/١٨ - ٢٥٥ ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب (١٨) لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء ، حديث رقم (٦٧) .

(٢) (دلائل البيهقيّ) : ٣٣٠/٦ - ٣٣١ .

(٣) (فتح الباري) : ١٥٧/٦ ، كتاب المناقب ، باب (٢٥) علامات النبوة في الإسلام ، حديث رقم (٣٥٩٤) .

وخرَّجه مسلم[٢] من حديث سفيان بن عيينة قال : سمع عمرو جابرًا يخبر عن أبي سعيد الخدري ، عن النبيّ ﷺ قال : يأتي على الناس زمان يغزو فئام من الناس فيقال لهم : فيكم من رأى رسول الله ﷺ ؟ بمعناه ، في آخره : فيكم من رأى من صحب رسول الله ﷺ ؟ .

وخرَّجه من حديث يحيى بن سعيد[٣] حدثنا ابن جريج ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : زعم أبو سعيد الخدريّ قال : قال رسول الله ﷺ : يأتي على الناس زمان يبعث منهم البعث ، فيقولون : انظروا هل تجدون فيكم أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ ؟ فيوجد الرجل فيفتح لهم به، ثم يبعث البعث الثاني فيقولون : هل فيكم من رأى أصحاب النبيّ ﷺ فيفتح لهم ، ثم يبعث البعث الثالث فيقولون هل تجدون فيكم أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ ؟ فيقال : انظروا ، هل ترون فيكم من رأى من رأى أصحاب النبيّ ﷺ ؟ ثم يكون البعث الرابع ، فيقال: انظروا هل ترون فيكم أحدًا رأى من رأى أحدًا رأى أصحاب رسول الله ﷺ ؟ فيوجد الرجل فيفتح لهم به . وذكره في آخر المناقب بعد حديث سفيان بن عيينه ، عن عمرو .

وخرَّج البيهقيّ[٤] من حديث يعقوب بن سفيان ، قال : حدثني محمد بن مقاتل المروزي ، حدثنا أوس بن عبد الله بن بُريدة ، عن أخيه ، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : ستبعث بعوث فكن في بعث يأتي خراسان ، ثم اسكن مدينة مرو فإنه بناها ذو القرنين ، ودعا لها بالبركة وقال : لا يصيب أهلها سوء .

---

(١) (المرجع السابق) : كتاب الجهاد والسير ، باب (٧٦) من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب ، حديث رقم (٢٨٩٧) ، وأخرجه البخاريّ أيضًا في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب (١) فضائل أصحاب النبيّ ﷺ ، ومن صحب النبيّ ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه ، حديث رقم (٢٠٨) .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ٣١٧/١٦ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب (٥٢) فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، حديث رقم (٢٠٨) .

(٣) (المرجع السابق) : حديث رقم (٢٠٩) .

(٤) (دلائل البيهقيّ) : ٣٣٢/٦ ، وفي إسناده ضعيفان ، كما في (مجمع الزوائد) : ٦٤/١٠ .

وخرَّجه من طريق الحسين بن حريث[1] حدثنا أوس ، فقال : هـــذا حديـــث تفرد به أوس بن عبد الله لم يرو غيره .

قال كاتبه: أوس بن عبد الله بن حصيب الأسلمي سكن مرو ، فيـــه نظـــر ، قاله البخاري ، وقال ابن عدي[2] : وفي بعض أحاديثه مناكير .

قال البيهقي[3] : وقد روى في فتح فارس أحاديث صحيحة ، وزعم بعـــض أهل العلم أن ذلك إشارة إلى جميع من يتكلم بالفارسية ، إلى أقصـــى خراســـان وفي بعضها غنيمة عن حديث أوس بن عبد الله ، وبالله التوفيق .

وخرَّج البخاري في التفسير[4] وخرج مسلم[5] من حديث ثور ، عـــن أبـــي الغيث ، عن أبي هريرة – رضي الله تبارك وتعالى عنه – قال : كنـــا جلوسًـــا عند النبيّ ﷺ إذ نزلت عليه سورة الجمعة ، فلما قرأ : ﴿ **وآخرين منـــهم لمَّـــا يلحقوا بهم** ﴾ فقال : قلت : من هؤلاء يا رسول الله ؟ فلم يراجعه رســـول الله ﷺ حتى سأله مرة أو مرتين أو ثلاثا .

وقال البخاري : حتى سأله ثلاثًا ، قال : وفينا ســـلمان الفارســـيّ ، قـــال : فوضع رسول الله ﷺ يده على سلمان ، ثم قال : لو كان الإيمان عند الثريَّا لنـــا له رجال من هؤلاء . وقال بعده : حدثني عبد الله بن عبد الوهاب حدثنا عبـــد العزيز ، أخبرني ثور ، عن أبي الغيث ، عن أبي هريرة ، عـــن النبـــيّ ﷺ : لناله رجال من هؤلاء .

---

(١) (المرجع السابق) : ٦/٣٣٣ .

(٢) (الكامل في ضعفاء الرجال) : ١/٤١٠ – ٤١١ ، ترجمة رقم (٢٢٤) وقـــال بعـــد أن ســـاق أحاديث الباب : وهذه الأحاديث بهذه الأسانيد ، يرويها أوس بن عبد الله بن بريدة كما ذكرتـــه ، والأوس بن عبد الله غير ما ذكرت من الأحاديث شيئًا يسيرًا ، وفي بعض أحاديثه مناكير .

(٣) (دلائل البيهقيّ) : ٦/٣٣٣ .

(٤) (فتح الباري) : ٨/٨٢٧ ، كتاب التفسير ، باب (٦٢) سورة الجمعة حديـــث رقـــم (٤٨٩٧) ، (٤٨٩٨) .

(٥) (مسلم بشـــرح النووي) : ١٦/٣٣٤ – ٣٣٥ ، كتاب فضائل الصحابة ، بـــاب (٥٩) فضـــل فارس ، حديث رقم (٢٣١) ، وفيه فضيلة ظاهره بـــاب (٥٩) فضـــل فـــارس ، حديـــث رقـــم (٢٣١) ، وفيه فضيلة ظاهره لهم ، وجواز استعمال المجاز والمبالغة في مواضعها ، (شـــرح النووي) .

وخرَّج الترمذيّ(١) من حديث عليّ بن حُجر ، قال : أخبرنا عبد الله قال : أخبرنا عبد الله بن جعفر ، حدثني ثور بن زيد الديلي عن أبي الغيث ، عن أبي هريرة – رضي الله تبارك وتعالى عنه – قال : كنا عند رسول الله ﷺ حين أنزلت سورة الجمعة فتلاها .فلما بلغ : ﴿ **وآخرين منهم لما يلحقوا بهم** ﴾ ، قال له رجل : يا رسول الله ! من هؤلاء الذين لم يلحقوا بنا ؟ فلم يكلمه ، قال : وسلمان الفارسيّ فينا قال : فوضع رسول الله ﷺ على سلمان يده فقال : والذيّ نفسي بيده لو كان الإيمان بالثريا لتناوله رجال من هؤلاء .

ثور بن زيد مدنيّ ، وثور بن يزيد شاميّ ، وأبو الغيث اسمه سالم مولى عبد الله بن مطيع ، مدنيّ ثقة .

قال أبو عيسى : هذا حديث غريب ، وعبد الله بن جعفر هو والد عليّ بن المديني ، ضعفه يحيى بن معين .

وخرَّج من حديث عليّ بن حُجْر ، أنبأنا إسماعيل بن جعفر ، حدثنا عبد الله ابن جعفر بن نجيح ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، أنه قال : قال ناس من أصحاب رسول الله ﷺ : يا رسول الله ! من هؤلاء الذين ذكر الله إن تولينا استبدلوا بنا ثم لم يكونوا أمثالنا ؟ .

قال : وكان سلمان – رضي الله تبارك وتعالى عنه – بجنب رسول الله ﷺ ، قال : فضرب رسول الله ﷺ فخذ سلمَان ، قال : هذا وأصحابه ، والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطًا بالثريَّا لتناوله رجال من فارس(٢) .

قال أبو عيسى : وعبد الله بن جعفر بن نجيح هو والد عليّ بن المديني .

وقد روى عليّ بن حجر عن عبد الله بن جعفر الكثير ، وحدثنا عليّ بهذا الحديث عن إسماعيل بن جعفر ، عن عبد الله بن جعفر ، وحدثنا بشر بن معاذ ، حدثنا عبد الله بن جعفر عن العلاء نحوه ، إلا أنه قال : معلق بالثريا(٣) .

---

(١) (سنن الترمذي) : ٥/٣٥٨ ، كتاب التفسير ، باب (٦٢) ومن سورة الجمعة ، حديث رقم (٣٣١٠) .

(٢) (سنن الترمذي) : ٥/٣٥٨ ، كتاب تفسير القرآن ، باب (٤٧) ومن سورة محمد ﷺ ، حديث رقم (٣٢٦١) . والمنوط : المعلّق .

(٣) (المرجع السابق) .

وخرَّج البيهقيّ من طــريق عمرو بن عثمان بن كثير بن دينــــار ، حدثنــا أبي ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن عرق عن عبد الله بن بُسر قال : أهـــدى للنبي ﷺ شاة والطعام يومئذ قليل ، فقال لأهله : أصلحوا هذه الشـــاة وانظـروا إلى هذا الخبز ، فأثردوا واغرفوا عليه ، وكانت للنبي ﷺ قصعة يقــال لــها : الغراء ، يحملها أربعة رجال ، فلما أصبحوا وسجدوا الضحــــى ، أُتــي بتلــك القصعة فالتفوا عليها ، فلما كثروا جِثا رسول الله ﷺ ، فقال أعرابيّ : ما هــذه الجلسة ؟ قال : إن الله - عزّ وجل - جعلني عبدًا كريمًا ولم يجعلنـــي جبــارًا عنيدًا ، كلوا من جوانبها ، ودعوا ذروتها يبارك فيها ، ثم قال : خــذوا كلــوا ، فوالذي نفس محمد بيده لتفتحن عليكم فارس والروم حتى يكثر الطعام فلا يذكـر عليه اسم الله عزَّ وجلّ[1] .

وخرَّج مسلم من حديث عبد الله بن وهب ، أخبرني الليث بن سعد ، حدثنـــي موسى بن عليّ عن أبيه قال : قال المستورد القرشيّ عبد عمرو بن العـــاص : سمعت رسول الله ﷺ يقول تقوم الساعة والروم أكثر الناس ، فقال له عمـرو : أبصر ما تقول ، قال : أقول ما سمعت من رسول الله ﷺ ، قال : لئــن قلـت ذلك إن فيهم لخصالاً أربع : إنهم لأحلم الناس عند فتنة ، وأسرعهم إفاقــة بعـد مصيبة ، وأوشكهم كرة بعد فرة ، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف ، وخامســة حسنة جميلة ، وأمنعهم من ظلم الملوك[2] .

ومن حديث ابن وهب قال : حدثني أبو شريح أن عبد الكريم بــن الحــارث حَدَّثه أن المستورد القرشيّ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : تقــوم الســاعة والروم أكثر الناس قال : فبلغ ذلك عمرو بــن العــاص - رضــي الله تبارك وتعالى عنه - فقال : ما هذه الأحاديث التي تذكر عنك أنك تقولها عن رســول الله ﷺ ؟ فقال له المستورد : قلت الذي سمعت من رســول الله ﷺ ، قــال : فقال عمرو : لئن قلت ذلك ، إنهم أحلم الناس عند فتنة ، وأجــبر النــاس عنـد مصيبة ، وخيْر الناس لمساكينهم وضعفائهم ، ذكره في الفتن[3] .

---

(١) (دلائل البيهقيّ) : ٦/٣٣٤ ، وأخرجه ابن ماجة في كتاب الأطعمة ، باب (٦) الأكل متكئــا ، حديث (٣٢٦٣) مختصرًا .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ١٨/٢٣٩ - ٢٤٠ ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب (١٠) تقــوم الساعة والروم أكثر الناس ، حديث رقم (٣٥) .

(٣) (المرجع السابق) : حديث رقم (٣٦) .

وذكر البيهقيّ من حديث ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن عبد الرحمن بن جبير قال : سمعت المستورد ، ثم قال : لعله إذ كانٍ صحيحًا إنما زجره عمرو عن روايته لئلا يُعرض المسلمون عن قتالهم ، فإن الذي تدل عليه الأحاديث إنما أراد به القسطنطينية ، والله تعالى أعلم .

ثم أورد حديث عمرو بن مرزوق قال : أخبرنا شعبة ، عن يحيى بن سعيد ، عن أنس بن مالك قال : كان يقال فتح القسطنطينية مع الساعة[1] .

وخرَّج البخاري[2] من حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أن رسول الله ﷺ قال : لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوذا وكرمان من الأعاجم ، حمر الوجوه ، فطس الأنوف ، صغار الأعين ، كأن وجوهم المجان المطرقة ، نعالهم الشعر . ذكره في باب علامات النبوة .

وذكر البيهقيّ[3] من طريق أبي بكر الإسماعيلي قال : حدثنا المنيعى قال : قال أبو عبد الله يعني محمد بن عباد : بلغني أن أصحاب بابل كانت نعالهم الشعر .

قال البيهقيّ : هم قوم من الخوارج خرجوا في ناحية الري ، فأكثروا الفساد والقتل في المسلمين ، حتى قوتلوا وأهلكهم الله - عزَّ وجل - .

وخرَّج البخاري[4] من حديث شعيب قال : حدثنا أبو الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبيّ ﷺ قال : لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قومًا نعالهم الشعر ، وحتى تقاتلوا الترك صغار الأعين حمر الوجوه ، ذلف الأنوف ، كأن وجوهم المجان المطرقة ، وتجدون من خير الناس ، أشدهم كراهية لهذا الأمر ، حتى يقع فيه ، والناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام ، وليأتين على أحدكم زمان لأن يراني أحب إليه من أن تكون له مثل أهله وماله .

---

(١) (دلائل البيهقيّ) : ٦/٣٣٥ .

(٢) (فتح الباري) : ٦/٧٥٠ ، كتاب المناقب ، باب (٢٥) علامات النبوة في الإسلام ، حديث رقم (٣٥٩٠) .

(٣) (دلائل البيهقيّ) : ٦/٣٣٦ .

(٤) (فتح الباري) : ٦/٧٤٩ - ٧٥٠ ، كتاب المناقب ، باب (٢٥) علامات النبوة في الإسلام ، حديث رقم (٣٥٨٧) ، (٣٥٨٨) ، (٣٥٨٩) .

وخرجه مسلم[1] من حديث سفيان بن عيينة ، عن أبي الزناد عن الأعـرج ، عن أبي هريرة يبلغ به النبيّ ﷺ قال : لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قومًا نعالـهم الشعر ، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قومًا صغار الأعين ذلف الآنف .

وخرَّج البخاري في الجهاد[2] من حديث صالح ، عن الأعرج ، قال : قـال أبو هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - : قال رسول الله ﷺ : لا تقـوم الساعة حتى تقاتلوا الترك ، صغار الأعين حمر الوجوه ، ذلف الأنوف ، كـأن وجوهم المجان المطرقة ، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قومًا نعالهم الشعر .

وخرجه من حديث سفيان، قال الزهري : عن سعيد بن المسيب ، عن أبـي هريرة ، عن النبيّ ﷺ [3].

وخرَّجه مسلم بهذا السند[4] .

وخرَّجه أيضًا من حديث ابن المسيب ، عن أبي هريرة ، عن النبيّ[5] .

وخرَّجه مسلم بهذا السند[6] ايضاً.

وخرجه أيضًا من حديث يعقوب بن عبد الرحمن ، عن سهيل ، عن أبيـه ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسـلمون الترك؛ قومًا وجوههم كالمجان المطرقة يلبسون الشعر ويمشون في الشعر[7] .

وخرجاه من حديث إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عـن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ تقاتلون بين يدي السـاعة قومًـا نعالـهم الشعر كأن وجوههم المجان المطرقة حمر الوجوه صغار الأعين[1] .

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٢٥٤/١٨ ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب (١٨) لا تقوم السـاعة حتى يمر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء ، حديث رقم (٦٤) .

(٢) (فتح الباري) : ١٢٩/٦ ، كتاب الجهاد ، باب (٩٥) قتال الترك ، حديث رقم (٢٩٢٨) .الب

(٣) (المرجع السابق) : باب (٩) قتال الترك ، حديث رقم (٢٩٢٨) .

(٤) (مسلم بشرح النووي) : ٢٥٣/١٨ ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب (١٨) لا تقوم الاسـعة حتى يمر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء حديث رقم (٦٢) .

(٥) (المرجع السابق) : حديث رقم (٦٣) ، وزاد فيه : " وجوههم مثل المجان المطرقة " .

(٦) (المرجع السابق) : حديث رقم (٦٤) ، وزاد فيه : " ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قومًا صغار الأعين ذلف الأنوف " .

(٧) (المرجع السابق) : حديث رقم (٦٥) .

وخرّج البخاريّ من حديث سفيان قال إسماعيل : أخبرني قيس ، قال : اتينا أبا هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه -قال : صحبت رسول الله ﷺ ثلاث سنين لم أكن في سني أحرص على أن أعي الحديث مني فيهن صبحت سمعته يقول - وقال هكذا بيده - : بين يدي الساعة تقاتلون قومًا نعالهم الشعر وهو هذا البارز[١]، وقال سفيان مرة: وهم أهل البازر[٢].

وخرجه من حديث جرير بن حازم قال : سمعت الحسن يقول : حدثنا عمرو ابن تغلب ، قال : قال النبيّ ﷺ : من أشراط الساعة أن تقاتلوا قومًا ينتعلون نعال الشعر ؛ وإن من أشراط أن تقاتلوا قومًا عراض الوجوه كأن وجوههم المجان المطرقة . ذكره في كتاب الجهاد[٣] في باب علامات النبوة [٤].

وخرّج البيهقيّ[٥] من حديث مسدد ، حدثنا هشيم ، عن سيار أبي الحكم ، عن جَبْر بن عبيدة ، عن أبي هريرة ، قال : وعدنا رسول الله ﷺ غزوة الهند فإن أدركتها أنفق فيها مالي ونفسي ، فإن استشهدت كنت من أفضل الشهداء ، وإن رجعت فأنا أبو هريرة المحرَّر .

ومن حديث الأعمش ، عن أبي عمارة ، عن عمرو بن شرحبيل قال : قال رسول الله ﷺ : إني رأيت الليلة كأنما يتبعني غنم سود ، ثم أردفتها غنم بيض حتى لم ترَ السواد فيها ، فقصها على أبي بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فقال : يا رسول الله هى العرب تتبعك ، ثم أردفتها العجم حتى لم يروا فيها قال : أجل ، كذلك عبرها الملك سحرًا .

---

(١) (المرجع السابق) : حديث رقم (٦٦) ، وأخرجه البخاريّ في كتاب الجهاد والسير ، باب (٩٦) قتال الذين ينتعلون الشعر ، حديث رقم (٢٩٢٩) .

(٢) (فتح الباري) : ٦/٧٥٠ ، كتاب المناقب ، باب (٢٥) علامات النبوة في الإسلام ، حديث رقم (٣٥٩١) .

(٣) (المرجع السابق) : باب (٩٥) قتال الترك ، حديث رقم (٢٩٢٧) .

(٤) (المرجع السابق) : باب (٢٥) علامات النبوة في الإسلام ، حديث رقم (٣٥٩٢) .

(٥) (دلائل البيهقيّ) : ٦/٣٣٦ .

وأما إخباره ﷺ بقيام الخلفاء بعد بأمر أمته

فخرج البخارى [١] ومسلم [٢] من حديث شعبة ، عن فرات القزاز قال : سمعت أبا حازم يحدث قال : قاعدة أبا هريرة خمس سنين ، فسمعته يحدث عن النبى ﷺ قال : كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك بني خلف نبي ، وإنه لا نبي بعدي ، وسيكون خلفاء فيكثرون قالوا : فما تأمرنا ؟ قال : فوابييعة الأول فالأول ، ثم أعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم ذكره البخاري في باب ما جاء عن نبي إسرائيل وأما إخباره بقيام ملوك بعد الخلفاء .

فخرج مسلم [٣] من حديث صالح بن كيسان ، عن الحارث ، عن جعفر ابن عبد الله بن الحكم ، عن عبد الرحمن ابن المسور ، عن ابي رافع ، عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى وتبارك عنه أن رسول الله ﷺ قال : ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل .

قال أبو رافع فحدثه عبد الله بن عمر فأنكره علي فقده ابن مسعود فنزل بقناة فاستتبعني إليه بن عمر يعوده فانطلقت معه فلم أجلسنا سألت ابن مسعود عن هذا الحديث فحدثنيه كما حدثنه ابن عمر قال صالح : وقد تحدث بنحو عن

---

(١) (فتح الباري) : ٦١٢/٦ - ٦١٣) كتاب أحاديث الأنبياء باب (٥٠) ما ذكر عن بني إسرائل ، حديث رقم (٣٤٥٥) .

(٢) (مسلم بشرح النووي) ٤٧٣/١٢ ، كتاب الإمارة ، باب (١٠) وجوب الزفاء ببيعة الخليفة الول فالأول ، حديث رقم (٤٤) .

(٣) المرجع السابق: ٣٨٤/٢-٣٨٨ كتاب الإيمان ، باب (٢٠) باب كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجبان ، حديث رقم (٨٠) .

أبى رافع . وخرجه أيضا من حديث ابن أبي مريم ، عن عبد العزيز ابن محمد قال : أخبرني الحارث بن فضيل الخطمي ، عن جعفر عبد الله بن الحكم ، عن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة ، عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ عن عبد الله ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : ما كان من نبي إلا كان له حواريون يهتدون بهدية ويتسنون بسنته بمثل حديث صالح ولم يذكر قدوم ابن مسعود واجتماع ابن عمر معه .

وخرج البيهقى من طريق عبد الله بن الحارث بن محمد بن حاطب الجمحى ، عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : يكون بعد الأنبياء خلفاء يعملون بكتاب الله ويعدلون فى عباد الله ، ثم يكون بعد الخلفاء ملوك يأخذون بالثأر ، ويقتلون الرجال ويصطفون الموال ، فمغير بيده ، ومغير بلسانه ، ومغير بقلبه ، ليس وراء ذلك من الإيمان شئ (١) ومن حديث جرير بن حازم ، عن ليث ، عبد الرحمن بن سلبط ، عن أبي ثعلبة الخشني ، عن أبى عبيده الجراح ، ومعاذ بن جل ، عن النبى ﷺ قال : إن الله بدأ هذه الأمة نبوة ورحمته ، وكأئنا خلافه ورحمة وكائنا ملكا عضوضا ، وكائنا عزة وجبرية وفسادا فى الأمة : يستحلون الفروج والخمور والحرير وينصرون على ذلك ، ويرزقون أبداً حتى يلقوا الله عز وجل (٢) وقال أبو نعيم ورواه عبد الملك ابن ميس وعمرو بن مرة ، عن أسباط ، عن أبي ثعلبة ، عن أبي سيدة من حديث من دون معاذ .

وخرجه أبو نعيم من حديث ابن وهب قال : حدثنا ابن لهيعة ، عن خالد ابن يزيد ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن حذيفة بن اليمان ، قال : قال رسول الله ﷺ أن هذا الأمر بدأ نبوة ورحمة ، ثم يكون خلافة ورحمة ثم كائن ملكا غضوضا ، ثم كائن عتوا وجبرية وفسادا فى الأمة ،يستحلون الفروج والحرير والخمور ، يرزقون على ذلك وينصرون حتى يلقوا الله عز وجل (٣) .

---

(١) (دلائل البيهقى) : ٦ / ٣٤٠ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) (دلائل أبي نعيم) : ٥٤٩/٢ ، حديث رقم (٤٨٤) .

وخرج الأمام أحمد من حديث إسرائل ، عن سماك عن ثروان بن ملحان قال : كنا جلوسا فى المسجد فمر علينا عمار بن ياسر فقلنا له : حدثنا سمعت من رسول الله ﷺ فى الفتنة ؟ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يكوى بعدى عن قوم يأخذون الملك يقتل عليه بعضهم بعضا . قال : قلنا له : لو حدثنا غيرك غيرك ما صدقناه قال : فأنه سيكون [1] .

وخرج الحاكم من حديث سفيان ، عن الأعمش عن عمارة بن عمير ، عن أبي عمار ، عن حذيفة ، قال يكون عليكم امراء يعذبوكم ويعذبهم الله [2] .

وأما إخباره ﷺ عن مدة الخلافة بعده ثم يكون ملكا فكان كما اخبر

خرج أبو داود من حديث حوشب ، عن سعيد بن جمهان ، عن سفينة قال : قال رسول الله ﷺ : خلافة النبوة ثلاثون سنة ، ثم يؤتى الله الملك من يشاء أو قال : ملكة من يشاء [3] . قال سعيد قال : حدثنا سفينة : أمسك عليك أبو بكر سنتين ، وعم عشرا وعثمان أثنى عشر ، وعلي كذا ، قال : سعيد : قلت : لسفينة إن هؤلاء لا يزعمون أن عليا عليه السلام لم يكن بخليف ، قال : كذت أستاه بني الزرقاء يعني مروان [4] .

وخرج أيضا من طريق قبيصة بن عتبة أن عباد السماك قال : سمعت سفيان الثوري يقول : الخلفاء خمسة : أبو بكر وعمر ، وعثمان ، وعلى وعمر ابن عبد العزيز - رضي الله تبارك وتعالى عنهم - [5] .

---

(١) (مسند أحمد) : ٣٢٦/٥ ، حديث رقم (١٧٨٥٦) .

(٢) (المستدرك) : ٥٥٠/٤ ، كتاب الفتن والملاحم حديث رقم (٨٥٣٩) ، وقال الحافظ لذهبي في (التلخيص) صحيح .

(٣) سنن أبي داوّد) : ٣٧/٥ ، كتاب السنة ، حديث رقم (٤٦٤٧) .

(٤) (المرجع السابق) : حديث رقم (٤٦٤٦) وهو جزء من حديث طويل .

(٥) (المرجع السابق) ٢٧/٥ ، حديث رقم (٤٦٣١) .

وخرج الترمذى (١) من حديث حشرج بن نباتية ، عن سعيد بن جمهان قال : حدثني سفينة : قال : قال رسول الله ﷺ الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ، ثم بعد ذلك ، ثم قال لي سفينة ، لأمسك خلافة أبي بكر وخلافة عمر وخلافة عثمان – رضي الله تبارك وتعالى عنهم – ثم قال لى : أمسك خلافة علي – رضي الله تبارك وتعالى عنه – قال : فوجدناها ثلاثين سنة قال سعيد : فقلت له : إن بني أمية يزعمون أن الخلافة فيهم قال : كذبوا بنوا الزرقاء بل هم ملوك من شر الملوك . قال أبو عيسى : وفى الباب عن عمر وعلي قالا : لم يعهد النبي ﷺ ، فى الخلافة شيئاً . وهذا الحديث حسن قد رواه غير واحد عن سعيد بن جمهان ولا نعرفه إلا من حديث سعيد بن جمهان .

وخرجه أبو نعيم من حديث الحماني قال : حدثني سعيد بن جمهان ، قال : حدثني سفينة ، قال خطبنا رسول الله ﷺ فقال : الخلافة في أمتي ثلاثون سنة أبي بكر وعمر ثنتا عشرة سنة وستة أشهر ، وخلافة عثمان ثنتا عشرة سنة وستة أشهر ، ثم خلافة علي تكملة الثلاثين. قلت: معوية ؟ قال : أول الملوك (٢) وقال الحافظ أبو أحمد بن عدي الجرجاني سمعت ابن جماد يقول : قال البخارى (٣) حشرج بن نباته ، عن سعيد بن جمهان . عن سفينة ، أن النبي ﷺ قال : لأبى بكر وعمر وعثمان هؤلاء الخلفاء بعدي وهذا لم يتابع عليه –رضي الله تبارك وتعالي عنهما – قالا: لم يستخلف النبي ﷺ . وقال النسائي : حشرج عن سعيد بن جمهان ليس بالقوى ، وسئل يحيى بن معين وأحمد بن حنبل عن حشرج بن نباته ، عن سعيد بن جمهان ، عن سفينة قال : لما بني النبي ﷺ المسجد وضح حجرا ثم قال : ليضع أبو بكر حجره إلى جنب حجري ، ثم قال : ليضع عمر حجره إلى جنب أبي بكر ، ثم قال ليضع عثمان حجره إلى جنب حجر عمر ، ثم قال هؤلاء خلفاء من بعدي وهو أهل الحديث الذى انكره البخاري على حشرج هذا وهذا الحديث قد روي بغير هذا الإسناد ،

---

(١) (سن الترمذي) : ٣٤/٤ ، كتاب الفتن ، باب (٤٨) ما جاء فى الخلافة ، حديث رقم (٢٢٢٦) .
(٢) لم أجده فى (دلائل أبي نعيم) ولا (الحلية) لأبي نعيم .
(٣) (لتاريخ الكبير) : ١١٧/١/١.

حدثنا محمد بن إبراهيم السراج ، حدثنا يحيي الحماني ، حدثنا ابن نباته ، عن سعيد بن جمهان ، عن سفينة قال : لما بني رسول الله ﷺ المسجد وضع حجرا ثم قال : ليضع أبو بكر حجره إلى جنب حجري ، ثم قال ليضع عمر حجره إلى جنب حجر أبي بكر، ثم قال : ليضع عثمان حجره إلى جنب [حجر] عمر ، ثم قال : هؤلاء الخلفاء من بعدي .

قال ابن عدي : وهذا الذي أنكره البخاري على حشرج هذا الحديث ، وهذا الحديث قد روي بغير هذا الإسناد حدثناه على بن إسماعيل بن أبي النجم ، حدثنا عقبة بن موسى بن عقبة ، عن أبيه عن محمد بن الفضل بن عطية عن زياد بن علاقة ، عن قطبة بن مالك وهو عم ابن زياد بن علاقة : لما بني ﷺ المسجد وضع حجرا [1] فذكر هذه القصة .

وخرجه البيهقى من طريق مؤمل قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي ابن زيد ، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة ، عن ابنية قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : خلافة نبوة ثلاثين عاما ثم يؤتي الله الملك من يشاء . فقال معاوية : قد رضينا بالملك [2] . وخرجه أبو نعيم من حديث أبي داود الطيالسي ، حدثنا حماد ابن سلمة ، حدثنا على بن زيد ، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة قال : وفدنا مع زياد ومعنا أبو بكر فدخلنا عليه فقال له معاوية : حدثنا حديثا سمعته من رسول الله ﷺ عسى الله أن ينفعنا به ، قال : نعم - كان نبي الله ﷺ يعجبه الرؤيا الصالحة ويسأل عنها ، فقال رجل : يا رسول الله إنى رأيت رؤيا ، كان ميزانا دلى من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت يا أبا بكر ، ثم وزن أبو بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه وعمر فرجح أبو بكر بعمر ، ثم وزن عمر بعثمان رضى الله تبارك وتعالى عنهما فرجح عمر بعثمان ، ثم رفع الميزان فاستاء لها رسول الله ﷺ ، ثم قال خلافة نبوة ، ثم يؤتى الله الملك من يشاء ، فغضب معاوية وزج في أقفائنا فأخرجنا فقال زياد لا أبا لك : أما وجدت من

---

(١) (الكامل في الضعفاء لابن عدي) : ٢/٤٤٠ حديث رقم (١٨٤) .

(٢) (دلائل البيهقى) : ٦/٣٤٢ ، وأخرجه الإمام أحمد في (المسند) : ٦/٢٩٠ ، حديث رقم (١٢٤١٦) ، من حديث أبي عبد الرحمن سفينة مولى رسول الله ﷺ.

حديث رسول الله حديثا تحدثه غير هذا ؟ فقال : والله لا أحدثــه إلا بــه حتــى أفارقه ، فلم يول زياد يطلب الإذن حتى أذن لنا فأدخلنا فقال معاوية : يا أبا بكـر حدثنا بحديث رسول الله ﷺ لعل الله ينفعنا به ، قال : فحدثه أيضا مثـل حديثـه الأول فقال له معاوية : لا أبا لك تخبرنا أنا ملوك قد رضينا أن نكون ملوكا .

قال أبو نعيم : ورفع الميزان بعد وزن الثلاثة يدل علــى رفـع اعتـدال الأحوال وزوالها عن الاستواء بما حدث من الفتن تصل عثمان وتشـتت الكلـم وليس ذلك بقادح في خلافة علي ولا إهانته ، إذ يوجب الخلافة استحقاق خالصها وشرائطها لائتلاف الرغبة وارتفاع الفتن ، ثم إن وقع اختلاف في الأمر فعلــى الإمام أن يجتهد في إزالته بما يقتضيه حكم الشريعة ، فإن استقام فهو الغــرض المقصود والأمر المحمود ، وإن امتنع استقامته وتعذر فعلى الله حساب المعتديـن والتالفين .

ونظير هذا الحديث تسبيح الحصا فى يد النبي ﷺ وأبي بكــر وعمـر وعثمان – رضي الله تبارك وتعالى عنهم – ثم لم يسمع لهن تسبيح فهو أيضــا دليل على وقوع الفتن وتغيير الأمور بقتل عثمان –رضي الله تبارك وتعالى عنـه – وليس ذلك من استحقاق الخلافة أو سقوطها في شئ ، ثم ذكر حديث موســى ابن عقبة : حدثنا أبي عن محمد بن الفضل ، عن زياد بن علاقة ، عن قطبة بـن مالك قال : مررت برسول الله ﷺ ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وهــو يؤسـس مسجد قباء فقلت : يا رسول اله تبني هذا البناء وإنما معك هؤلاء الثلاثة ؟ قـال : إن هؤلاء أولياء الخلافة ، وذكره من طريق إسحاق الأزرق ، عن موســى بـن كثير عن زياد بن علاقة ، عن قطبة قال : مررت بالنبي ﷺ وهو يبني مســجد المدينة ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ، فقلت يا رسول الله هؤلاء الثلاثة نفر فــي بناء هذا المسجد قال : نعم – إنهم ولاة الخلافة بعدي .

ومن طريق موسى الجوني حدثنا عبد الرحمن بن وهب ، حدثنا يحيى بـن أيوب ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة –رضي الله تبارك وتعــالى عنها – قالت : أول من حمل صخرة بمسجد قباء رسول الله ﷺ . ثم حمل أبــو بكر أخرى ، ثم حمل عمر أخرى ، ثم حمل عثمان أخرى ، فقلت يا رسـول الله انظر إلى هؤلاء يتبعونك حيث رأوك قال : أما إنهم أمراء الخلافة بعدي . قــال

كاتبة : لم تكن عائشة - رضي تبارك وتعالى عنها - بالمدينة لما أسس رسول الله ﷺ مسجد قباء .

وأما إخباره ﷺ باختيار الله تعالى والمؤمنين خلافة أبي بكر - رضي الله تبارك وتعال عنه - فكانت كما أخبر رسول الله ﷺ

فخرج البخاري من حديث يحيى بن سعيد قال : سمعت القاسم بن محمد قال : قالت عائشة -رضى الله تبارك وتعالى عنها - وارأساه : فقال رسول الله ﷺ : وذلك لو كان وأنا حي فاستغفر لك وأدعو لك فقالت عائشة : واثكلياه ، والله إني لأظنك تحب موتي ، ولو كان ذلك لظللت آخر يومك معرسا ببعض أزواجك . فقال النبي ﷺ بل أنا وارأساه ،، لقد همت أو أردت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد ، أن يقول القائلون ، أو يتمنى المتمنون ، ثم قلت : يأبى الله ويدفع المؤمنون أو يدفع الله ويأبى المؤمنون ذكره فى كتاب المرضى [1] .

وخرجه مسلم فى المناقب [2] من حديث يزيد بن هارون ، قال : حدثنا إبراهيم ابن سعيد ، عن صالح بن كيسان ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت : قال لي رسول الله ﷺ ، فى مرضه : ادعى لي أباك أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتابا فإنى أخاف أن يتمنى متمن ويقول ، قائل : أنا أولى . ويأبي الله والمؤمنون إلا أبا بكر ولأبى داود الطيالسي من حديث عبد العزيز بن رفيع ، عن أبي مليكة عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ فى مرضه الذى

---

(١) (فتح البارى) : ١٥٢/١٠ ، كتاب المرضى باب (١٦) ما رخص لمريض أن يقول : إني وجع ، أو وارأساه ، أو أشتد بى الوجع وقول أيوب عليه السلام :﴿ إني مسني الضر وأنت أرحم الرحمين ﴾ حديث رقم (٥٦٦٦) .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ١٦٤/١٥ كتاب فضائل الصحابة باب (١) فضائل أبي بكر الصديق رضي الله وتبارك وتعالى عنه ، حديث رقم (١١) .

مات فيه : ادعي لي عبد الرحمن بن أبي بكر أكتب لأبي بكر كتابا لا يختلف عليه أحد .

وفى بعض الطرق ادعي لي أباك أبا بكر وأخاك ، حتى أكتب كتابا فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل : أنا ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر ، ومعناه أن يقول أنا أحق وليس كما يقول : سل يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر . هكذا في بعض النسخ وفي بعضها أنا أولى أي أنا أحق بالخلافة ورواه بعضهم أنا ولي بتخفيف النون وكسر اللام أي أنا أحق ، والخلافة لي ، وبعضهم قال : أنا ولاه . وفي البخاري لقد هممت أن أوجه إلى أبي بكر وابنه واعتمد رواية مسلم أخاك ، وقد وقع ذكر الاستخلاف في الإيمان عند ذكر الوفاة فراجعه .

وأما رؤيته ﷺ فى منامه مدتى خلافة أبي بكر وعمر – رضى الله تبارك وتعالى عنهما – فكان كما رأى لأن رؤياه وحي

فخرج البخاري[1] ومسلم [2] من حديث يونس ، عن ابن شهاب أن سعيد بن المسيب أخبره أنه سمع أبا هريرة رضي الله تعالى وتبارك عنه – يقول :

---

(١) (فتح الباري) : ٢٢/٧ ، كتاب فضائل أصحاب النبي باب (٥) قول النبي ﷺ : لو كنت متخذا خليلا . قاله أبو سعيد حديث رقم (٣٦٦٤) ، وأعاده في باب (٦) مناقب عمر بن الخطاب ، حديث رقم (٣٦٨٢) .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ١٧٠/١٥ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب (٢) فضائل عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه ، حديث رقم (١٧) .

القليب : البئر إذا لم تكن مطوية

" نزعت " : الدلو من البئر : إذا جذبتها واستيقت الماء بها .

" الذنوب " : بفتح الذال : الدلو العظيمة .

" الغرب " : الرجّل القوى الشديد ، وفلان عبقرى القوم أى سيدهم وكبيرهم . =

سمعت رسول الله ﷺ يقول : بينا أنا نائم رأيتني على قليب عليها دلو فنزعت منها ما شاء الله ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع بها ذنوبا أو ذنوبين ، وفي نزعه ضعف ، والله يغفر له ضعفه . ثم استحالت غربا فأخذها ابن الخطاب ، فلم أر عبقريا من الناس ينزع نزع عمر ، حتى ضرب الناس بعطن . لفظهما فيه متقارب ، وقد تقدم هذ الحديث بطرقه في ذكر المنامات النبوية .

وقال الشافعي رحمه الله : رؤيا الأنبياء عليهم السلام وحي ، قوله : في نزعه ضعف : قصر مدته وشغله بالحرب مع أهل الردة عن الافتتاح والتزيد الذى بلغه عمر في طول مدته . وقال الطيبي : أراد ﷺ إثبات خلافتهما والإخبار عن مدة ولايتهما ، والإبانة عما جرى عليه أحوال أمته في أيامها فشبه أمر المسلمين بالقليب وهي البئر العادية لما فيها من الماء الذى هو الحياة وشبه الوالي عليهم بالنازع الذى يستقي الماء ويسقيه .

وأما إشارته [(١)] ﷺ إلى ما وقع في الفتنة في آخر عهد عثمان ثم في أيام علي - رضى الله تبارك وتعالى عنه -

فخرج البخارى من حديث يونس ، عن ابن شهاب ، عن عبيد الله بن عبد الله أن ابن عباس كان يحدث أن رجلا أتي رسول الله ﷺ فقال : إني رأيت الليلة [(٢)] .

وخرج مسلم[(٣)] من حديث الزبيدي قال : أخبرني الزهيري ، عن عبيد الله ابن عبد الله بن عباس وأبا هريرة كان يحدث أن رجلا أتى النبي ﷺ . ومن

= " العطن " : الموضع الذى تناخ فيه الإبل إذا رويت ، يقال : عطنت الأبل ، فهى عاطنة ، وعواطن : إذا شربت فبركت عند الحوض لتعاد إلى الشرب مرة أخرى ، وأعطنتها أنا ، والمراد بقوله : حتى ضرب الناس بعطن . حتى رووا . وأروو إبلهم وضربوا لها عطنا .

(١) في (دلائل البيهقي) : إخباره وما أثبتناه من (الأصل) .

(٢) (فتح الباري) : ٥٣٤/١٢ ، كتاب التعبير ، باب (٤٧) . =

حديث ابن وهب قال : أخبرني يونس عن ابن شهاب أن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة أخبره أن ابن عباس -رضى الله تعالى وتبارك عنه- كان يحدث أن رجلا أتي رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إنى رأيت الليلة فى المنام ظلة تنطف السمن والعسل فأرى الناس يتكففون منها بأيديهم فالمستكثرون والمستقل وأرى شيئا وأصلا من السماء إلى الأرض فأراك أخذت به فعلوت ثم أخذ به رجلا من بعدك فعلا ثم أخذ به رجل آخر فعلا ثم أخذ به رجل آخر . فانقطع به ثم وصل له فعلا . قال أبو بكر رضى اله تبارك وتعالى عنه يا رسول الله بأبي أنت والله لتدعني فلأعبرنها قال رسول الله ﷺ : اعبرها قال أبو بكر أما الظلة فظلة الإسلام وأما الذى ينطف من العسل والسمن فالقرآن ، حلاوته ولينه وأما ما يكتف الناس من ذلك فالمستكثر من القرآن والمستقل وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحق الذي أنت عليه فيعلو به ، ثم يأخذ به رجل أخر فيعلو به ثم يأخذ به رجل آخر فينقطع به ، ثم يوصل له فيعلو به فأخبرني أصبت أم أخطأت ؟ يا رسول الله يا أصبت بعضا وأخطأت بعضا قال : فوالله يارسول الله لتحدثني ما الذى أخطأت قال : لا تقسم . لفظهما فيه متقارب .

وخرجه مسلم من حديث سفيان ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ منصرفة من أحد فقال : يا رسول الله إني رأيت هذه الليلة في المنام ظلة تنطف السمن والعسل بمعنى حديث يونس [١] . ومن حديث عبد الرزاق ، حدثنا معمر عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس أو أبي عن أبى هريرة قال : عبد الرازق كان معمر أحيانا يقول عن ابن عباس وأحيانا يقول عن هريرة أن رجلا أتي رسول الله ﷺ فقال : إني أرى الليلة ظلة بمعنى حديثهم [٢] ومن حديث سليمان بن كثير عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس

= (٣) (مسلم بشرح النووي) : ١٥/٣٣-٣٥ ، كتاب الرؤيا ، باب (٣) فى تأويل الرؤيا ، حديث رقم (١٧) .

(١) (المرجع السابق) : الحديث الذي يلي رقم (١٧) بدون رقم .

(٢) (المرجع السابق) : الحديث الذي يلي الحديث السابق بدون رقم أيضا . =

أن رسول الله ﷺ كان مما يقول لأصحابه . من رأى منكم رؤيا فليقصها أعبرها له قال : فجاء رجل فقال : يا رسول الله رأيت ظلة بنحو حديثهم [٣] قال أبو سليمان[٤] الخطابي : اختلف الناس في تأويل قوله ﷺ قد أصبت بعضا وأخطأت بعضا . فقال بعضهم : إنما صوبه في تأويل الرؤيا وخطأه في الافتيات بالتعبير بحضرة رسول الله ﷺ . وقال بعضهم : موضع الخطأ في ذك أن المذكور في الرؤيا شيئان وهما السمن والعسل فعبرهما على شئ واحد وهو القرآن وكان حقه أن يعبر كل واحد منها على انفراده وإنما هما الكتاب والسنة لأنهما بيان الكتاب الذي أنزل عليه ، قال : وبلغني هذا القول أو قريب من معناه ، عن أبي جعفر الطحاوي .

ولأبي داود من حديث الأشعث ، عن الحسن ، عن أبي بكرة : أن النبي ﷺ : قال ذات يوم : من رأى منكم رويا ؟ فقال رجل أنا رأيت كأن ميزانا نزل من السماء فوزنت أنت وأبو كر فرجحت أنت بأبي بكر ووزن عمر ، وأبو بكر فرجح أبو بكر ، ووزن عمر وعثمان فرجح عمر ، ثم رفع الميزان فرأيت الكراهة في وجه رسول الله ﷺ . ومن حديث حماد ، عن علي بن زيد ، عن عبد الرحمن بن أبي بكر ، عن ابنه أن النبي ﷺ قال ذات يوم : أيكم رأى رؤيا فذكر مثله ولم يذكر الكراهية . فاستاءها رسول الله ﷺ يعني ساءه ذلك فقال : خلافة نبوة ثم يؤتي الله الملك من يشاء . ولأبن وهب من حديث يونس ، عن ابن شهاب قال : كان جابر بن عبد الله يحدث أن رسول الله ﷺ قال : أرى الليلة رجل صالح أن أبا بكر –رضي الله تبارك وتعالى عنه– نيط برسول الله ﷺ . ونيط عمر بن الخطاب –رضي الله تبارك وتعالى عنه– بأبي بكر ونيط عثمان ابن عفان بعمر –رضي الله تبارك وتعالي عنه– فقال جابر : فلما قمنا من عند رسول الله ﷺ قلنا أما الرجل الصالح فرسول الله ﷺ .

= (٣) (المرجع السابق) : الحديث الذي يلي الحديث السابق بدون رقم أيضا .

(٤) (دلائل البهيقي) : ٣٤٧/٦ .

وأما ما ذكر رسول الله ﷺ من نوط بعضهم ببعض فهم ولاة هذا الأمر الذى بعث الله عز وجل به نبيه ﷺ [1] . قال البيهقى [2] : تابعه ابن أبي حمزة عن الزهري هكذا وأخبرنا أبو علي الروذباري أخبرنا أبو بكر بن داسة حدثنا أبو داود حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا محمد بن حرب عن الزبيدى عن ابن شهاب عن عمرو بن أبان بن عثمان عن جابر بن عبد الله أنه كان يحدث . فذكر الحديث بمثله .

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد بن علي علي الروذباري ، أخبرنا أبو بكر بن داسة ، حدثنا أبو داود ، حدثنا محمد بن المثني ، حدثنا عفان بن مسلم ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن أشعث بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن سمرة بن جندب رجلا قال : يا رسول الله إني رأيت كان دلوا دلي من السماء فجاء أبو بكر فأخذ بعراقيبها فشرب شربا ضعيفا ، ثم جاء عمر فأخذ بعراقيبها فشرب حتى تضلع ، ثم جاء عثمان فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع ، ثم جاء علي فأخذ بعراقيبها فانتشطت فانتضح عليه منه شئ قلت : ضعف شرب أبي بكر : قصر مدته والانتضاح منه علي ما أصابه من المنازعة في ولايته -رضي الله تبارك وتعالي عنه- قصر مدته والانتضاح منه على -رضي الله تبارك وتعالي عنه- ما أصابه من المنازعة فى ولايته . والله تبارك وتعالى أعلم .

وأما إخباره ﷺ لجماعة فيهم عمر وعثمان -رضي الله تبارك وتعالى عنهما- أن فيهم شهيدان فاستشهدا كما قال رسول الله ﷺ

فخرج البخاري[3] والترمذي من حديث سعيد ، عن قتادة ، أن أنس بن مالك -رضي الله تبارك وتعالي عنه- حدثهم أن النبي ﷺ صعد أحدا وأبو بكر

---

(١) (المرجع السابق) : ٣٤٨ .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٦/٣٤٨-٣٤٩ .

(٣) (فتح الباري) : ٧/٥١ ، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب (٦) مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله تبارك وتعال عنهما حديث رقم (٣٦٨٦) .

وعمر وعثمان -رضي الله تبارك وتعالي عنهما- فرجف بهم فقال : رسول الله ﷺ : أثبت أحد فما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان , وقد تقدم هذا الحديث بطرقه في ذكر تحرك الجبل لأجله وسكونه بأمره .

وأما إخباره ﷺ بأن عمر وعثمان وعليا وطلحة والزبير شهداء فكان كذلك وقتلوا شهداء رضوان الله عليهم

فخرج مسلم [٣] والترمذي [٤] من حديث سهيل أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة -رضي الله تبارك وتعالي عنه- أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركن الصخرة فقال النبي ﷺ : اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد . وقد تقدم بطرقه .

وأما إخباره ﷺ ثابت بن قيس بأنه شهيد وما كان من ذلك

فخرج عبد الرزاق [٥] من حديث معمر ، عن الزهري ، عن ثابت بن قيس ابن شماس قال لما نزلت : ﴿ **لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي** ﴾ قال : يا نبي الله لقد خشيت أن أكون قد هلكت نهانا الله أن نرفع أصواتنا فوق صوتك ،

---

(٢) (سنن الترمذي) : ٥/٥٨٣ ، كتاب المناقب ، باب (١٩) في مناقب عثمان بن عفان رضي الله تبارك وتعالى عنه ، حديث رقم (٣٦٩٧) .

(٣) (مسلم بشرح النووي) : ١٦/١٩٩ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب (٦) فضائل طلحة والزبير رضي الله تبارك وتعالى عنهما ، حديث رقم (٥٠) .

(٤) (سنن الترمذي) : ٥/٥٨٢ ، كتاب المناقب ، باب (١٩) في مناقب عثمان بن عفان رضى الله تبارك وتعالى عنه ، حديث رقم (٣٦٩٦) .

(٥) (تفسير ابن كثير) : ٤/٢٢٠ - ٢٢١ ، تفسير سورة الحجرات .

وأنا امرؤ جهير الصوت . ونهى الله المرء أن يحمد بما لم يفعل ، وأجدني أحب الحمد . ونهى الله عن الخيلاء وأجدني أحب الجمال . فقال النبي ﷺ يا ثابت ألا ترضي أن تعيش حميدا ، وتقتل شهيدا ، وتدخل الجنة ؟ فعاش حميدا ، وقتل يوم مسيلمة .

وخرجه الحاكم[1] في (المستدرك) من حديث يعقوب بن إبراهيم بن سعد قال حدثني أبي ، عن ابن شهاب قال : أخبرني إسماعيل بن محمد بن ثابت الأنصاري ، عن أبيه أن ثابت بن قيس قال : قلت يا رسول الله لقد خشيت أن أكون قد هلكت ، قال رسول الله ﷺ : نهانا الله أن نحب أن نحمد بما لم نفعل ، وأجدني أحب الحمد ونهانا عن الخيلاء ، وأجدني أحب الجمال ، ونهانا ان نرفع أصواتنا فوق صوتك ، وأنا جهير الصوت فقال رسول الله ﷺ : ياثابت ألا ترضي أنت تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة ؟ . قال : بلي يا رسول الله . قال : فعاش حميدا ، وقتل شهيدا يوم مسيلمة الكذاب . قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين . ولم يخرجاه بهذه السياقة إنما أخرج مسلم وحده حديث حماد بن سلمة ، وسليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس قال : لما أنزلت ﴿ **لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي** ﴾ [2] جاء ثابت بن قيس وذكر الحديث مختصرا .

قال المؤلف : وخرجه الطبراني فى الأوسط ، عن أحمد بن محمد بن محمد بن حمزة ، عن أبيه ، عن جده ، عن الأوزاعي ، عن الزهري قال : حدثني ابن ثابت الأنصاري قال : قلت يا رسول الله فذكر الحديث بمعناه وخرج الحاكم [3] من حديث موسى بن إسماعيل ، عن حماد ، عن ثابت ، عن أنس أن ثابت بن قيس . جاء يوم اليمامة ، وقد تحنط ولبس أكفانه ، وقد انهزم أصحابه

---

(١) (المستدرك) : ٣/٢٦٠ ، كتاب معرفة الصحابة حديث رقم (٥٠٣٤) وقال الحافظ الذهبي فى (التلخيص) صحيح على شرط البخارى ومسلم .

(٢) (الحجرات) : ٢ .

(٣) (المستدرك) : ٣٨٢٦٠ كتاب معرفة الصحاب ، باب (٣١) حديث رقم (٥٠٣٤) وقال الحافظ الذهبي فى (التلخيص) : صحيح على شرط البخاري ومسلم .

وقال : اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء ، فبئس ما عودتم أقرانكم خلوا بيننا وبين أقراننا ساعة ، ثم حمل فقاتل ساعة فقتل وكانت درعه قد سرقت فرآه رجل فيما يرى النائم . فقال : إن درعي في قدر تحت أكاف بمكان كذا وكذا وأوصي بوصايا فطلب الدرع فوجد حيث قال فأنفذوا وصيته وفيها قصة عجيبة ، فذكرها من طريق عطاء الخراساني قال : لما قدمت المدينة فأتيت أبنة ثابت بن قيس بن شماس فذكرت قصة أبيها قالت : لما أنزل الله على رسوله ﷺ ﴿ **لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي** ﴾[1] الآية وآية ﴿ **والله لا يحب كل مختال فخور** ﴾ [2] جلس أبي في بيته يبكي ففقده رسول الله ﷺ فسأله عن أمره فقال : إني امرؤ جهير الصوت ، وأخاف أن يكون قد حبط عملي ، فقال : بل تعيش حميدا وتموت شهيدا ويدخلك الله الجنة بسلام فلما كان يوم اليمامة مع خالد بن الوليد -رضى الله تبارك وتعالى عنه- استشهد فرآه رجل من المسلمين في منامه فقال : إني لما قتلت انتزع درعي رجل من المسلمين وخبأه في أقصي العسكر وهو عنده وقد أكب على الدرع برمة وجعل على البرمة رجلا فأتت الأمير فاخبره وإياك أن تقول هذا حلم فتضيعه وإذا أتيت المدينة فأت فقل لخليفة رسول الله ﷺ : إن علي من الدين كذا وكذا وغلامى فلان من رقيقى عتيق ، وإياك أن تقول هذا حلم فتضيعه . قال : فأتاه . فأخبره الخبر فوجد الأمر على ما أخبره ، وأتى أبا بكر -رضى الله تبارك وتعالى عنه- فأخبره فأنفذ وصيته ، فلا نعلم أحدا بعد ما مات أنفذ وصيته غير ثابت بن قيس بن شماس -رضى الله تبارك وتعالى عنه-[3] . وقال الحافظ أبو عمرو النمري ، وروى هشام بن عمار ، عن صدقة بن خالد قال : حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن عامر قال : حدثني عطاء الخرساني ، قال حدثتني ابنة ثابت بن قيس بن شماس قالت : لما نزلت : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا**

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) الحديد : ٣ .

(٣) (المستدرك) : ٢٦١/٣ ، كتاب معرفة الصحابة باب (٣١) حديث رقم (٥٠٣٦) ، وسكت عنه الحافظ الذهبي فى (التلخيص) .

﴿ **لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي** ﴾ الآية دخل أبوها بيته وأغلق علي بابه ففقده النبي ﷺ وأرسل إليه يسأله ، فأخبره ، فقال : أنا رجل شديد الصوت أخاف أن يكون قد حبط عملي ، قال : لست منهم بل تعيش بخير وتموت بخير .

قال : ثم أنزل الله تعالي ﴿ **إن الله لا يحب كل مختال فخور** ﴾[1] فأغلق عليه بابه وطفق يبكي ، ففقده النبي ﷺ إليه فأخبر ، وقال : يا رسول الله إني أحب الجمال ، وأحب أن أسود قومي ، فقال : لست منهم بل تعيش حميدا ، وتقتل شهيدا ، وتدخل الجنة قالت : فلما كان يوم اليمامة خرج مع خالد بن الوليد إلى مسيلمة ، فلما ألتقوا انكشفوا فقال ثابت وسالم مولى أبي حذيفة : ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله ﷺ ، ثم حفز كل واحد منهما حفزة ، فثبتا فقاتلا حتى قتلا ، وعلي ثابت يومئذ درع له نفيسة ، فمر به رجل من المسلمين . فأخذها ، فبين رجل من المسلمين نائم إذ أتاه ثابت فى منامه فقال له إني أوصيك بوصية : فإياك أن تقول : هذا حلم فتضيعه ، إنى لما قتلت أمس مر بي رجل من المسلمين فأخذ درعي ، ومنزله في أقصي الناس ، وعند خباية فرس يستنرني في طوله ، وقد كفى على الدرع برمة ، وفوق البرمة رجل ، فأت خالد فموه أن يبعث إلي درعي فيأخذها .

وإذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله ﷺ يعنى أبا بكر فقل له : إن علي من الدين كذا وكذا ، وفلان من رقيقي عتيق . فأتى الرجل خالد -رضي الله وتبارك عنه- فأخبره فبعث إلي الدرع فأتى بها . وحدث أبا بكر -رضى الله تبارك وتعالى عنه- برؤياه فأجاز وصيته قال : ولا نعلم أحد أجيزت وصيته بعد موته غير ثاب بن قيس -رضى الله تبارك وتعالى عنه-

قال المؤلف رحمه الله : الرجل الذي زار ثابت بن قيس في منامه هو بلال بن رباح مؤذن رسول الله ﷺ .

---

(١) لقمان : ١٨ .

وأما إنذار رسول الله ﷺ بإرتداد قوم ممن آمن عن إيمانهم فكان كما انذر وارتدت العرب بعد وفاته ﷺ

قال الله تعالى ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين** ﴾(١) وهذه الآية يعرض الله فيها بإرتداد من ارتد وانقلابهم على أعقابهم . بعد موت الرسول ﷺ وفيها معنى قوله ﷺ لا ترجعوا بعدي كفارا بضرب بعضكم رقاب بعض (٢) . وعن علي -رضى الله تبارك وتعالى عنه- أنه قال المراد بالشاكرين : أبا بكر -رضى الله تبارك وتعالى عنه- وأصحابه ، وعنه أيضا : أبو بكر أمين الشاكرين وأمير من أحب الله . وعنه : السن أن أبا بكر كان والله إمام الشاكرين ، هو والله إمام الذين قاتلوا المرتدين بعد رسول الله ﷺ وقال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم** ﴾(٣) .

قال الحسن علم الله قوما يرجعون عن الإسلام بعد نبيهم فأخبرهم أنه سيأتي بقوم يحبهم ويحبونه . فقوله : ﴿ **من يرتد** ﴾ جملة شرطية مستقبلية وهي إخبار عن الغيب وقع الخبر على وقعه فيكون معجزا لأنه من الكائنات التى أخبر عنها القرآن قبل كونها .

وقال الضحاك عن ابن عباس -رضى الله تبارك وتعالي عنه- في قوله تعالي ﴿ **يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه** ﴾ قال : حصت وعمت

---

(١) آل عمران : ١٤٤ .

(٢) (جامع الأصول) : ٤٥٨/٣ ، في ذكر حجة الوداع ، حديث رقم (١٧٩٥) وعزاه للبخاري ومسلم

(٣) المائدة : ٥٤ .

أبناءهم وجدودهم ومن أظهر غير ما ستر فهو حشو في المؤمنين ، فأخبرهم بما هم لاقون إن فعلوا بارتداد من ارتد منهم في عهد النبي ﷺ فكاتبهم رسول الله ﷺ بالرسل ، وماثلهم من بعده بأبي بكر -رضى الله تبارك وتعالى عنه- ومن أقام معه في الدارْ فهم جنود الله الذين أقامهم على أمره وأصحاب نبيه ﷺ ، الذين قاتلوا بني قينقاع ، والنضير ، وقريظة ، وخيبر ، فبدأ القوم بسعد بن عبادة ، ثم أبواب الشام ، ثم ثلثوا ببني أسد ، وغطفان ، ثم أثبتوا في نواحي جزيرة العرب حتى ضربوا البحرين من قبل عدن ، وحضرموت من قبل عمان ، والبحرين من قبل الشام والعراق حتى أدخلوا الناس في الباب الذي خرجوا منه .

فأتى الله تعالي بفلولهم المرتدة في دورهم ، فكانوا أذل أهل رأفة على المؤمنين من تلك القبائل ، أهل غلظة وانتقام على المرتدة لا يجعلوا في جهادهم بلوم من لام في ذلك ، هذا ما خصهم الله تعالى به فأتى من رجع عن دين محمد ﷺ بأصحاب محمد ﷺ في بيوتهم .

وعن سعيد بن مسلم وسعيد بن أبي عروبة . عن الحسن فى قوله تعالى : ﴿ **من يرتد منكم عن دينه** ﴾ [1] الآية ، قال أبو بكر وأصحاب النبي ﷺ أخبره أنه يأتيهم به في دُورهم ، وحيث كانوا فهم أحباء الله .

وقال طلحة بن الأعلم ، عن ماهان ، عن ابن عباس قال : كانت منازل الناس على عهد النبي ﷺ : مسلم خالص ، ومنافق ، وكافر ، فمن دخل من أهل الكفر في الإسلام فهو مسلم . ومن خرج من المسلمين إلى الكفار فهو منهم . ومن أسر الكفر وأظهر الإسلام حقن بذلك دمه حتى يظهره ، وعلى هذا قابل رسول الله ﷺ العرب . وقابل أبو بكر -رضى الله تبارك وتعالى عنه- العرب من بعد رسول الله ﷺ منهم خاصة أو عامة ، ما خلا أهل مكة ، وأهل الطائف ، والقبائل التى أجابت النبي ﷺ عام الحديبية ممن حول مكة ، والقبائل التى عاقب الله يوم الحديبية منهم ، وفائت عبد القيس ، وحضرموت بعد الريب وحسن إسلامهم واستفاقوا من نومهم . قال هشام بن عروة ، عن أبيه : ما مات

---

(١) المائدة : ٥٤ .

أبيه : ما مات النبي ﷺ حتى قل أهل الردة ، وذلوا ودخلوا عامتهم في الباب الذي خرجوا منه فلما مات النبي ﷺ لم يبق حي إلا ارتاب منهم خاصة أو عامة، ما خلا أهل مكة ، وأهل الطائف .

وقد جاء أهل الطائف لموافاتهم عثمان بن أبي العاص من غير ظان تموت على دينهم فاستيقظوا ، ولم يبق أحد على دينه في عبد القيس وحضرموت فإنهم نزعوا عن دينهم ثم استقاموا .

وقال مجاهد عن سعيد عن الشعبي : لما فصل أسامة بن زيد - رضي الله تبارك وتعالى عنه - تضرمت الأرض وارتدت من كل قبيلة وعامة إلا قريش وثقيف .

وقال هشام بن عروة ، عن أبيه . لما مات رسول الله ﷺ وفصل أسامة، ارتدت العرب خواص وعوام ، وتروخي عن مسيلمة وطليحة فاستغلظ أمرهما .

واجتمعت على طلحة عوام طيء وأسد . وارتدت غطفان إلا ما كان من أشجع وخواص من الأفناء فبايعوه وقدمت هوازن رجلا وأخرت أخرى ، أمسكوا الصدقة إلا ما كان من ثقيف ومن إليهم فإنهم أقيدوا بهم عوام جذيلة والأعجار ، وارتدت خواص من سليم وكذلك سائر الناس من كل مكان .

وقدمت رسل النبي ﷺ من اليمن واليمامة وبلاد بني أسد مع وفود من كان كاتبه النبي ﷺ وأمر أمره في الأسود ومسيلمة وطليحة بالأخبار والكتب ، فدفعوا كتبهم إلى أبي بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - وأخبره الخبر ، فقال لهم : لا تبرحوا حتى تجيء رسل أمرائكم وغيرهم بأوهى مما وصفهم ، فلم يلبثوا أن قدمت كتب أمراء رسول الله ﷺ من كل مكان بأنقاض العرب عامة وخاصة وتبسطهم بأنواع المثل على المسلمين ، فجاءهم أبو بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - بما كان رسول الله ﷺ جاءهم بالرسل ، فردوا رسلهم بأمره واتبع الرسل وانتظر بمصادمتهم قدوم أسامة ، وكان أول من صادم عبس، وذبيان ، عاجلهم وأعجلوه فقاتلهم قبل رجوع أسامة وقدوم رسول الله ﷺ بمثل ذلك .

فخرج البخاري في أول كتاب الفتن [١] من حديث بشر بن السري ، عن نافع عن ابن عمر ، عن ابن أبي مليكة قال : قالت أسماء عن النبي ﷺ قال : أنا على حوضي أنتظر من يرد علي فيؤذن بناس من دوني فأقول : أمتي فيقال : لا تدرى ، مشوا على القهقرى . قال ابن أبي مليكة : اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو أن نفتن .

وخرج مسلم في كتاب المناقب [٢] من حديث داود بن عمر الضبي قال : حدثنا نافع بن عمر الجمحى ، عن ابن أبي مليكة قال : قال عبد الله بن عمرو ابن العاص الحديث . قال : وقالت أسماء بنت أبي بكر -رضي الله تبارك وتعالى عنهما- قال رسول الله ﷺ : إني على الحوض حتى أنظر من يرد علي منكم وسيؤخذ أناس من دوني فأقول يارب مني ومن أمتي فيقال : أما شعرت ما عملوا بعدك ؟ والله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم قال : فكان ابن أبي مليكة يقول : اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا او نفتن عن ديننا .

وخرج مسلم من حديث وهب قال : سمعت عبد العزيز بن صهيب يحدث قال : حدثنا أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال : ليردن على الحوض رجال ممن صاحبني حتى إذا رأيتم ورفعوا إلى اختلجوا دوني فلأقولن : أى رب أصيحابي فليقالن لي : إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك ذكره في المناقب [١] وخرجه البخاري في الرقاق[٢] من حديث وهب حدثنا عبد العزيز ، عن أنس ، عن النبي ﷺ قال : ليردن علي ناس من أصحابي الحوض حتى إذا عرفتهم

---

(١) (فتح الباري) : ٣/١٣ ، كتاب الفتن ، باب (١) . ما جاء في قوله تعالى **﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾** وما كان النبي ﷺ يحذر من الفتن ، حديث رقم (٧٠٤٨) .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ٦١/١٥ ، كتاب الفضائل باب (٩) إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته ، حديث رقم (٢٢٩٣) .

(١) (المرجع السابق) : ٧٠/١٥ ، حديث رقم (٤٠) وفى (الأصل) "المناقب" وأثبتناه من كتاب الفضائل .

(٢) (فتح الباري) : ٥٦٦/١١ ، كتاب الرقاق ، باب (٥٣) في الحوض . وقول الله تعالى : **﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾** حديث رقم (٦٥٨٢) .

اختلجوا دوني ، فأقول : أصحابي ، فيقول لا تدرى ما أحدثوا بعدك . وله من حديث جرير وشعبة ، عن مغيرة ، عن أبي وائل ، عن عبد الله . وخرج البخاري فى كتاب الفتن[٣]. ومسلم فى المناقب [٤] من حديث يعقوب بن عبد الرحمن ، عن أبي حازم قال سمعت سهل بن سعد يقول : سمعت النبي ﷺ يقول . أنا فرطكم على الحوض من ورده شرب منه ، ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبداً ، ليردن على أقوام أعرفهم ، ويعرفوني ، ثم يحال بيني وبينهم . قال أبو حازم : فسمعني النعمان بن أبي عياش وأنا أحدثهم هذا الحديث فقال : هكذا سمعت سهلا ؟ فقلت : نعم قال : وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته يزيد فيه قال : إنهم مني ، فيقال : إنك لا تدري ما بدلوا بعدك ، فأقول : سحقاً سحقاً لمن بدل بعدى . لفظهما فيه متقارب وقد تداخلت بعض ألفاظهم .

وخرجه مسلم[٥] من حديث ابن وهب قال : حدثنا أسامة ، عن أبي حازم ، عن سهل ، عن النبي ﷺ. وعن النعمان بن أبي عياش ، عن ابي سعيد الخدري ، عن النبي ﷺ بمثل حديث يعقوب . وخرجه البخاري بمثله في آخر كتاب الرقاق[٦] .

وخرج فيه من حديث يونس ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة -رضي الله تبارك وتعالى عنه- أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال : يرد عليَّ يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلون عن الحوض فأقول : يارب أصحابي ، فيقول : إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك ، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري [١] .

---

(٣) (المرجع السابق) : ٤/١٣ ، حديث رقم (٧٠٥٠-٧٠٥١) .

(٤) (مسلم بشرح النووي) : ٥٩/١٥ ، كتاب الفضائل ، باب (٩) إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته ، حديث رقم (٢٦) .

(٥) (المرجع السابق) : الحديث الذي يلي رقم (٢٢٩١) بدون رقم .

(٦) سبق تخريجه .

(١) (فتح الباري) : ٥٦٧/١١ ، كتاب الرقاق ، باب (٥٣) في الحوض . وقول الله تعالى **﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾** ، حديث رقم (٦٥٨٥) .

ومن حديث ابن فليح قال : حدثنا هلال ،عن عطاء ، عن أبي هريـــرة - رضي الله تبارك وتعالي عنه- عن النبي ﷺ بسياقه أخرى .

قال المؤلف عفي الله تبارك وتعالي عنه

وللردة أخبار كثيرة قد صنف المتقدمون فيها كتبا ، وهي في الجملة كـانت فى إحدى عشرة فرقة : ثلاثة على عهد الرسول ﷺ وسبعة فى خلافة أبي بكـر - رضى الله تبارك وتعالى عنه - وواحدة في خلافة عمر بن الخطاب - رضي الله تبارك وتعالى عنه -

فالتى فى عهد رسول الله ﷺ فبنو مذجح ، قاموا مع الأسود ذي الخمار بسهلة بن كعب وقد ثنيا . وينوا حنيفة قاموا بأمر مسلمة وقد ثنيا . وبنـوا أسـد قاموا بأمر طليحة بن خويلد وقد ثنيا .

وأما السبع التى فى خلافة أبي بكر - رضى الله تبارك وتعالي عنه - فهم فزارة قوم عيينة بن حصن ، وغطفان قوم هبيرة بن سلمة العشري . وبنو سـليم قوم الفجاءة ، واسمه بجير بن غياث بن عبد الله بن عبد ياليل بـن سـلمة بـن عميرة بن خفاق بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمـة بـن خصفه بن قيس غُيلان بن مضر . وبنو يربوع قوم مالك بن نويـرة ، وبعـض تميم قوم سجاح بنت المنذر ، وكندة قوم الأشعث بن قيس . وبنو بكر بن وائـل بالبحرين قوم الحكم بن يزيد .

وأما التي في خلافة عمر بن الخطاب — رضي الله تبارك وتعالى عنـه — فهو ابن الأيهم . وسأورد نبذة من أخبارهم إن شاء الله تعالي فأقول :

فأما قيام مذحج بأمر الأسود العنسي

واسمه عيهلة بن كعب بن عوف العنسي ، بالنون وعنس بطن مذحج ، وكان يلقب ذا الخمار لأنه كان معتمدا متخمرا أبدا . وكان النبي ﷺ قد جمع لباذان حين أسلم وأسلم أهل اليمن عمل اليمن جميعه وأمره على جميع مخالفيه ، فلم يزل عاملا عليه حتى مات . فلما مات باذان فرق رسول الله ﷺ امراءه في اليمن ، فاستعمل عمرو بن حزم على نجران ، وخالد بن سعيد بن العاص على ما بين نجران وزبيد ، وعامر بن شهر على همدان ، وعلي صنعاء شهر بن باذان ، وعلى عك والأشعريين الطاهر بن أبي هالة ، وعلى مأرب أبا موسي ، وعلى الجند يعلي بن أمية ، وكان معاذ معلما ينتقل في عمالة كل عامل باليمن وحضرموت ، واستعمل على أعمال حضرموت زياد ابن لبيد الأنصاري ، وعلي السكاسك والسكون عكاشة بن ثور ، وعلي بني معاوية بن كندة عبد الله أو المهاجر ، فاشتكى رسول الله ﷺ ، فلم يذهب حتى وجهه أبو بكر ، فمات رسول الله ﷺ وهؤلاء عمالة على اليمن وحضرموت وكان أول من اعترض الأسود الكاذب شهر وفيروز وداذويه وكان الأسود العنسي لما عاد رسول الله ﷺ من حجة الوداع وتمص [...] من السفر غير مرض موته بلاغه ذلك ، بلغه النبوة ، وكان مشعبذا يريهم الأعاجيب ، فاتبعه مذحج ، وكانت ردة الأسود أول ردة في الإسلام على عهد رسول الله ﷺ وغزا نجران فأخرج عنها عمرو بن حزم وخالد بن سعيد ، ووثب قيس بن عبد يغوث ابن مكشوح على فروة بن مسيك ، وهو على مراد ، فأجلاه ونزل منزله ، وسار الأسود عن نجران إلى صنعاء ، وخرج إليه شهر بن باذان فلقيه ، فقتل شهر لخمس وعشرين ليلة من خروج الأسود ، وخرج معاذ هاربا حتى لحق بأبي موسي وهو بمأرب فلحقا بحضرموت ، ولحق بفروة من قم على إسلامه من مذحج .

واستتب للأسود ملك اليمن ، ولحق أمراء اليمن إلى الطاهر بن أبي هالة إلا عمرا وخالدا ، فإنهما رجعا إلى المدينة ، والطاهر بجبال عك وجبال صنعاء ، وغلب الأسود على ما بين مفازة حضرموت إلى الطائف إلى البحرين والاحساء إلي عدن واستطار أمره كالحريق ، وكان معه سبعمائة فارس يوم لقي شهرا سوى الركبان ، واستغلظ أمره ، وكان خليفته في مذحج عمرو بن

معدي كرب ، وكان خليفته على جنده قيس بن عبد يغوث ، وأمر الأنباء إلى فيروز وداذويه .

وكان الأسود تزوج امرأة شهر بن باذان بعد قتله ، وهي ابنة عم فيروز وخاف من بحضرموت من المسلمين أن يبعث إليهم جيشا ، أو يظهر بها كذاب مثل الأسود ، فتزوج معاذ إلى السكون ، فعطفوا عليه .وجاء إليهم وإلي من باليمن من المسلمين كتب النبي ﷺ يأمرهم بقتال الأسود ، فقام معاذ في ذلك وقويت نفوس المسلمين ، وكان الذى قدم بكتاب النبي ﷺ وبر من يحنس الأزدي قال حنش الديلمي : فجاءتنا كتب النبي ﷺ يأمرنا بقتاله إما مصادقة أو غيلة ، بعثني إليه وإلى فيروز وداذويه ، وأن نكاتب من عنده دين . فعلمنا في ذلك ، فرأينا أمرا كثيفا ، وكان قد تغير لقيس بن عبد يغوث ، فقلنا : إن قيسا يخاف على دمه فهو لأول دعوة ، فدعوناه وأبلغناه عن النبي ﷺ فكأنما نزلنا عليه من السماء ، فأجبنا وكاتبنا الناس .فأخبره الشيطان شيئا من ذلك ، فدعا قيسا فأخبره أن شيطانه يأمره بقتله لميله إلى عدوه ، فخلف قيس : لأنت أعظم في نفسي من أن أحدث نفسي بذلك . ثم أتانا فقال : يا جنش ويا فيروز ويا داذويه ، فأخبرنا بقول الأسود فبينا نحن معه يحدثنا إذا أرسل إلينا الأسود فتهددنا ، واعتذرنا إليه ونجونا منه ولم نكد وهو مرتاب بنا ونحن نحذره فبينا نحن على ذلك إذا جاءتنا كتب عامر بن شهر وذي زود وذي مران وذي الكلاع وذي ظليم يبذلون لنا النصر ، فكاتبناهم وأمرناهم أن لا يفعلوا شيئا حتى نبرم أمرنا أيضا إلى نجران فأجابوه ، وبلغ ذلك الأسود وأحسن بالهلاك قال : فدخلت على آزار ، وهى امرأته التى تزوجها بعد قتل شهر بن بإذان ، فدعوتها إلى ما نحن عليه وذكرتها قتل زوجها شهر وإهلاك عشيرتها وفضيحة النساء . فأجابت وقالت : والله ما خلق الله شخصا أبغض إلى منه ، ما يقوم لله على حق ولا ينتهي عن محرم ، فأعلموني أمركم أخبركم بوجه الأرمر . قال : فخرجت وأخبرت فيروز وداذويه وقيسا . قال : وإذ قد جاء رجل فدعا قيسا إلى الأسود ، فدخل في عشرة من مذحج وهمذان فلم يقدر على ما قتله معهم وقال له : ألم أخبرك الحق وتخبرني الكذب ؟ إنه ، يعني شيطانه ، يقول لي : إلا تقطع من قيسي يده يقطع رقبتك . فقال قيس : إنه ليس من الحق أن أهلك وأنت رسول الله فمرني بما أحببت أو اقتلني ، فموته أهون من موتتا . فرق له وتركه ، وخرج قيس فمر بنا وقال : اعلموا عملكم . ولم يقعد عندنا — فخرج علينا الأسود فى جمع ، فقمنا له وبالباب مائة ما بين بقرة وبعير ، فنحرها ثم

خلاها ثم قل : أحق ما بلغني عنك يا فيروز ؟ - وبوأ له لحرية - لقد هممت أن أنحرك . فقال : اخترتنا لصهرك وفضلته فلو لم تكن نبيا لما بعنا نصيبك منك بشئ فكيف وقد اجتمع لنا بك أمر الدنيا والآخرة ! فقال له : أقسم هذه ، فقسمها ، ولحق به وهو يسمع سعاية رجل بفيروز وهو يقول له : أنا قاتله غدا وأصحابه ، ثم التفيت فإذا فيروز فأخبره بقسمتها ، ودخل الأسود ورجع فيروز فأخبرنا الخبر ، فأرسلنا إلي قيس فجاءنا .

فاجتمعنا على أن أعود إلي المرأة فأخبرها بعزيمتها ونأخذ رأيها ، فأتيتها فأخبرتها فقالت : هو متحرز وليس من القصر شئ إلا والحرس محيطون به غير هذا البيت فإن ظهره إلى مكان كذا وكذا ، فإذا أمسيتم فانقلبوا عليه فإنكم من دون الحرس وليس دون قتلة شئ ، وستجدون فيه سراجا وسلاحا .

فتلقاني الأسود خارجا من بعض منازله فقال : ما أدخلك علي ؟ ووجأ رأسي حتى سقطت ، وكان شديدا ، فصاحت المرأة فأدهشته ، وقالت : جاءني ابن عمي زائرا ففعلت به هذا ؟ فتركني ، فأتيت أصحابي فقلت : النجاء ! الهرب ! وأخبرتهم الخبر .

فإنا علي ذلك حياري إذ جاءنا رسولهم يقول : لا تدعن ما فارقتك منها - فعمل ، فلما أخبرته قال : ننقب علي بيوت مبطنة ، فدخل فاقتلع البطانة وجلس عندها كالزائر ، فدخل عليها الأسود فأخذته غيره ، فأخبرته برضاع وقرابة منها عنده محرم ، فأخرجه ، فلما أمسينا عملنا في أمرنا أعلمنا أشياعنا وعجلنا عن مراسلة الهمدانيين والحميريين فنقبنا البيت ودخلنا ، وفيه سراج تحت جفنة ، واتقينا بفيروز كان أشدنا ، فقلت : انظر ماذا ترى ، فخرج ونحن بينه وبين الحرس . فلما دنا من باب البيت سمع غطيطا شديدا والمرأة قاعدة ، فلما قام على باب البيت أجلسه الشيطان وتكلم على لسانه وقال : مالي ولك يا فيروز ! فخشي إن رجع أن يهلك وتهلك المرأة فعاجله وخالطه وهو مثل الجمل فأخذ برأسه فقتله ودق عنقه وضع ركبته فى ظهره فدقه ثم قام ليخرج فأخذت المرأة بثوبه وهي تراه انه لم يقتله فقال : قد قتلته وأرحتك منه ، وخرج فأخبرنا ، فدخلنا معه ، فخار كما يخور الثور ، فقطعت رأسه بالشفرة ، وابتدر الحرس المقصورة يقولون : ما هذا ؟ فقالت المرأة : النبي يوحي إليه !

فخمدوا ، وقعدنا نأتم بيننا ، فيروز ودوادويه وقيس ، كيـف نخـبر أشـياعنا ، فاجتمعنا على النداء .

فلما طلع الفجر نادينا بشعارنا الذي بيننا وبين أصحابنا ، ففزع المسـلمون والكافرون ، ثم نادينا بالأذان فقلت : أشهد ان محمـد رسـول الله وأن عيهلـة كذاب ! وألقينا إليهم رأسه ، وأحاط بنا أصحابه وحرسه وشنوا الغارة وأخـذوا صبيانا كثيرة وانتبهوا . فنادينا أهل صنعاء من عنده منهم فأمكه ، ففعلوا . فلمـا خرج أصحابه فقدوا سبعين رجلا ، فراسلونا وأرسلناهم على أن يتركوا لنا مـا في أيديهم ونترك ما في أيدينا ، ففعلنا ، ولم يظفروا منا بشئ ، وترددوا ما بيـن صنعاء ونجران . وتراجع أصحاب النبي ﷺ إلى أعمالهم ، وكان يصلـي بنـا معاذ بن جبل ، وركبنا إلى رسول الله ﷺ ، بخبره ، وذلك في حياته .

وأتاه الخبر من ليلته ، وقدمت رسلنا ، وقد توفي رسول الله ﷺ ، فأجابنـا أبو بكر . قال ابن عمر : أتي الخبر من السماء إلي النبي ﷺ ، في ليلته التـي قتل فيها ، فقال : قتل العنسي ، قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين ، قيـل : من قتله ؟ قال : قتله فيروز .

قيل : كان أول أمر العنسي إلي آخره ثلاثة أشهر ، وقيل قريب من أربعـة أشهر ، وكان قدوم البشير بقتله في آخر ربيع الأول بعد موت النبي ﷺ ، فكـان أول بشارة أتت أبا بكر وهو بالمدينة .

قال فيروز : لما قتلنا الأسود عاد أمرنا كما كان وأرسلنا إلى معـاذ بـن جبل فصلى بنا ونحن راجون مؤمنون لم يبق شيء نكرهه إلا تلك الخيول مـن أصحاب الأسود فـأتي مـوت النبـي ﷺ ، فـانتقضت الأمـور وأضطربـت الأرض[1].

(١) (الكامل في التاريخ لابن الأثير) : ٣٣٦ - ٣٤١ .

وأما قيام حنيفة بأمر مسيلمة بن ثمامة بن كثير بن حبيب ابن الحارث بن عبد الحارث بن عدي بن حنيفة يكني أبا ثمامة وقيل أبو هارون(٢)

عن رافع بن خديج قال : قدمت علي النبي ﷺ وفود العرب فلم يقدم علينا وفد أقسى قلوبا ولا أحري أن يكون الإسلام لم يقر فى قلوبهم من بني حنيفة ، وقد يقوم ذكر قدوم مسيلمة وأنه ذكر لرسول الله ، فقال : أما إنه ليس بشركم مكانا ! لما كانوا أخبروه به من أنهم تركوه في رجالهم حافظا لها . ويروى من حديث ابن عباس : أن مسيلمة قال عندما قدم في قومه : لو جعل لي محمد الخلافة من بعده لا تبعته ، فجاء رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس وفي يد رسول الله ﷺ منحية من نخل فوقف عليه ثم قال : لئن أقبلت ليفعلن الله بك ولئن أدبرت ليقطعن الله دابرك وما أراك إلا الذي رأيت فيه ما رأيت ، ولئن سئلت هذه الشطبه — لشطبة من المنحية التى في يده — ما أعطيكما — وهذا ثابت يجيبك . قال ابن عباس : فسألت أبا هريرة عن قول النبي ﷺ ما أراك إلا الذي رأيت فيه ما رأيت . قال : كان رسول الله قال : بينا أنا نائم رأيت سوارين من ذهب فنفختهما فطارا فوقع أحدهما باليمامة والآخر باليمن . قيل : ما أولتهما يا رسول الله ؟ قال : أولتهما كذابين يخرجان من بعد .

ولما انصرف مسيلمة في قومه إلى اليمامة أرتد عدوا الله وأدعي الشركة في النبوة مع النبي وقال للوفد الذين كانوا معه : ألم يقل لكم حين ذكر تموني له : أما إنه ليس يشركم مكانا ! ما ذاك إلا علم أني أشركت فى الأمور معه ! وكتب إلي رسول الله ﷺ من مسيلمة رسول الله إلي محمد رسول الله أما بعد فإني قد أشركت في الأمر معك . وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصفها ولكن قريشا قوم يعتدون .

---

(٢) (جمهرة انساب العرب) : ٣١٠ .

وقدم علي رسول الله ﷺ بهذا الكتاب رسولا لمسيلمة فقال رسول الله ﷺ حين قرأ كتابه : فما تقولان أنتما ؟ قالا : نقول كما قال ! فقال أما والله لولا ان الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما ، ثم كتب إلى مسيلمة : بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب : أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين .

قال ابن إسحاق : وكان ذلك فى آخر سنة ١٠هـ . وذكر غيره أن ذلك كان بعد انصراف النبي ﷺ من حجة الوداع ووقوعه في المرض الذي توفاه الله فيه ، فالله تعالي أعلم .

وجد لعدو الله الضلال بعد رسول الله ﷺ ، وأصفقت معه حنيفة علي ذلك إلا أفراد من ذوي عقولهم ومن أراد الله به الخير منهم . وكان من أعظم ما فتن به قومه شهادة الرجال أنه قدم مع قومه وافدا النبي ﷺ فقرأ القرآن وتعلم السنن قال ابن عمر : وكان من أفضل الوفد عندنا ، قرأ البقرة وآل عمران ، وكان يأبي أبيا يقراه ، فقدم اليمامة وشهد لمسيلمة على رسول الله أنه أشركه في الأمر من بعده ، فكان اعظم على أهل اليمامة فتنة من غيره لما كان يعرف به قال رافع بن خريج : كان بالرجال الخشوع ولزوم قراءة القرآن والخير في ما نري شئ عجيب ، خرج علينا رسول الله ﷺ يوما وهو معنا جالس مع نفر فقال أحد هؤلاء النفر في النار . قال رافع فنظرت في القوم فإذا بأبي هريرة وأبي أروي الدوسي وطفيل بن عمرو الدوسي والرجال بن عنفوة ، فجعلت أنظر واجب وأقول : من هذا الشقي ؟ فلما توفي رسول الله ﷺ رجعت بنو حنيفة ، فسألت ما فعل الرجال ؟ فقالوا : أفتن إ، هو الذي شهد لمسيلمة علي رسول الله ﷺ أنه أشركه في الأمر عبده . فقلت : ما قال ر.بول الله فهو حق . قالوا : وسمع الرجال يقول : كبشان أنتطحا فأحبهما إلينا كبشنا .

وكان ابن اليشكري من سراة أهل اليمامة وأشرافهم وكان مسلما يكتم إسلامه وكان صديقا للرجال ، فقال شعرا فش في اليمامة حي كانت المرأة والوليدة والصبي ينشدونه فقال : سعاد الفواد بنت أثال طال ليلي بفتنة الرجال إنها يا سعاد من حدث الدهر عليكم كفتنة الرجال فتن القوم بالشهادة وله عزيز

ذو قوة ومحال لا يساوي الذي يقول من الأمر قبالا وما احتذي به من نعـال أن ديني دين النبي وفي القوم رجال على الهدي امثالي اهلك القوم محكم بن طفيـل ورجال ليسوا لنا برجال بزهم امرهم مسيلمة اليوم فلن يرجعوه آخرى الليـالي قلت للنفس إذ تعاظمها الأمر له فرجة كحل العقال إن تكن ميتي على فطـرة الله حنيفا فأنني لا أبالي فبلغ ذلك مسيلمة ومحكما وأشراف اهـل اليمامـة فطلبـوه ففاتهم ولحق بخالد بن الوليد فأخبره بحال أهل اليمامة ودله علـى عوراتـهم . وقالوا إن رجلا من نبي حنيفة كان أسلم وأقام عند رسول الله فحسـن إسـلامه فأرسله رسول الله إلي مسيلمة ليقدم به عليه . وقال الحنفي : إن أجاب أحدا مـن الناس أجابني وعسي أن يجيئه الله . فخرج حتي اتاه فقال : إن محمدا قد أحـب أن تقوم عليه ، فإنك لو جئته فيلقي هذه المقالة إليه فلما أكثر عليه قال : أنظـر في ذلك ، فشارو الرجال بن عنفوة وأصحابه فقالو : لا تفعل إن قدمـت عليـه قتلك ، ألم تسمع كلامه وما قال ؟ فأبي مسيلمة أن يقوم معـه رسـول الله ﷺ وبعث معه رجلين ممن يصدق ب ليكلماه ويخبراه بما قـال للحنفـي . فخـرج الرسولان حتي قدما علي رسول الله مع رسوله فتشهد احدهما برسول الله وحـده ثم كلمه بما بدأ له ، فلما قضي كلامه تشهد الآخـر فذكـر رسـول الله وذكـر مسيلمة فقال رسول الله : كذبت ، خذوا هذا فأقتلوه ، فثار المسلمون إليه يلببونـه وأخذ صاحبه بحجزته وجعل يقول : يا رسول الله أعف عنه بأبي أنـت وأمـي فيجاذبه المسلمون ؟ فلما أرسلوه تشهد بذكر رسـول الله وحـده وأسـام هـو وصاحبه . فلما توفي رسول الله خرجا فقدما علي أهليهما باليمامة . وقـد فتـن الذي أمسك . بجحرة صاحبه ذلك فقتل مع مسيلمة وثبت الممسك بحجزته وكـان بعد يخبر خالد بن الوليد بعورة بني حنيفة وأخبر رسول الله رسوله إلي مسـيلمة كيف رفق به حتي أراد أن يقدم لولا أن الرجال نهاه ، فقال رسول الله : يقتلـه الله ويقتل الرجال معه ، ففعل الله ذلك بهما وأنجز وعده فيهما[١].

---

(١) تاريخ الردة : ٥٦-٦١ .

وأما قيام بني أسد بما كان من أمر طليحة

وكان طليحة بن خويلد الأسدي من بني أسد بن خزيمة قد تنبأ في حياة رسول الله ﷺ فوجه إليه النبي ﷺ خرار ابن الأزور عاملا بني أسد وأمرهم بالقيام على من ارتد فضعف أمر طليحة حتي لم يبق إلا أخذه ، فضربه بسيف فلم يصنع فيه شيئا ، فظهر بين الناس أن السلاح لا يعمل فيه ، فكثر جمعه . ومات النبي ﷺ ، وهم على ذلك ، فكان طليحة يقول : عن جبرائل يأتيني . وسجع للناس الأكاذيب ، وكان بأمرهم بترك السجود في الصلاة ويقول : إن الله لا يصنع بتغفر وجوهكم وتقب أدباركم شيئا ، اذكروا الله أعفة قياما ، إلى غير ذلك ، وتتبعه كثير من العرب عصيبة ، فلهذا كان أكثر اتباعه من أسد وغطفان وطيء.. فسارت فزارة وغطفان إلي جنوب طيبة ، وأقامت طيء على حدود أراضيهم وأسد بسميراء ، واجتمعت عبس وثعلبة ابن سعد ومرة بالأبرق من الربدة ، واجتمع إليهم ناس من نبي كنانة ، فلم تجعلهم البلاد فافترقوا فرقتين ، أقامت فرقة بالأبرق ، وسارت فرقة إلي ذي القصة ، وأمدهم طليحة باخيه حبال ، فكان عليهم وعلي من معهم من الدئل وليث ومدلج ، وأرسلوا إلى المدينة يبذلون الصلاة ويمنعون الزكاة ، فقال أبو بكر : والله لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه . وكان عقل الصدقة على أهل الصدقة وردهم ، فرجع وفدهم ن فأخبروهم بقلة من في المدينة وأطمعوهم فيها .

وجعل أبو بكر بعد مسير الوفد على أنقاب(٢) المدينة علياً وطلحة والزبير وابن مسعود ، وألزم أهل المدينة بحضور المسجد خوف الغارة من العدو لقربهم ، فما لبثوا إلا ثلاثا حتي طرقوا المدينة غارة مع الليل وخلفوا بعضهم بذي حسي ليكونوا لهم رداءا ، فوافوا ليلا الأنقاب وعليها المقاتلة فمنعوهم ، وأرسلوا إلى ابي بكر بالخبر ، فخرج إلى اهل المسجد على النواضح ، فردوا العدو واتبعوهم حتي بلغوا ذا حسي ، فخرج عليهم الرء بأنحاء قد نفخوها وفيها الحبال ، ثم دهوهوها على الأرض ، فنفرت إبل المسلمين وهم عليها ورجعت

---

(٢) أنصار . (والأنقاب ، واحدها النقب : الطريق في الجبل) .

بهم إلى المدينة ولم يصرع مسلم . وظن الكفار بالمسلمين الوهن ، وبعثوا إلى اهل ذي القصة بالخبر ، فقدموا عليهم ، وبات أبو بكر يعبي الناس ، وخرج علي تعبية يمشي وعلي ميمنته النعمان بن مقرن وعلى مسيرته عبد الله بن مقرن وعلى أهل الساقة سويد ابن مقرن . فما طلع الفجر إلا وهم العدو على صعيد واحد ، فما شعروا بالمسلمين حتي وضعوا فيهم السيوف ، فما ذر قرن الشمس حتي ولوهم الأدبار وغلبوهم على عامة ظهرهم وقتل رجال ، واتبعهم أبو بكر حتى نزل بذي القصة ، وكان أول الفتح ، ووضع بها النعمان بن مقون في عدد ، ورجع إلى المدينة ، فذل له المشركون . فوثب بنو عبس وذبيان على من فيهم من المسلمين فقتلوهم ، فحلف أبو بكر ليقتلن في المشركين بمن قتلوا من المسلمين وزيادة ، وازداد المسلمون قوة وثباتا .

وطرقت المدينة صدقات نفر كانوا على صدقة الناس ، بهم صفوان والزبرقان بن بدر وعدي بن حاتم ، وذلك لتمام ستين يوما من مخرج أسامة ، وقدم أسامة بعد ذلك بأيام ، وقيل : كانت غزوته وعوده في أربعين يوما . فلما قدم أسامة استخلفه أبو بكر المدينة وجنده معه ليستريحوا ويريحوا ظهرهم ، ثم خرج فيمن كان معه ، فناشده المسلمون ليقيم ، فأبي وقل : لأواسينكم بنفسي . وسار إلي ذي حسي وذي القصة حتي نزل بالأبراق فقاتل من به ، فهزم الله المشركين وأخذ الخطبة أسيرا ، فطارت عبس وبنو بكر ، وأقام أبو بكر بالأبراق أياما ، وغلب علي بني ذبيان وبلادهم وحماها لدواب المسلمين وصدقاتهم .

ولما انهزمت عبس وذبيان رجعوا إلي طليحة وهو بزاخة ، وكان رحل من سميراء إليها ، فأقام عليها ، وعاد أبو بكر إلى المدينة . فلما استراح أسامة وجنده ، وكان قد جاءهم صدقات كثيرة تفضل عليهم ، قطع أبو بكر البعوث وعقد الألوية ، فعقد أحد عشر لواء ، عقد لواء لخالد بن الوليد وأمره بطليحة ابن خويلد فإذا فرغ سار إلى مالك بن نويرة بالبطاح إن قام له ، وعقد لعكرمة ابن أبي أمية وأمره بجنود العنسي ومعونة الأبناء على قيس بن مكشوح ، ثم يمضي إلي كندة بحضرموت ، وعقد لخالد بن سعيد وبعثه إلي مشارف الشام ،

وعقد لعمرو بن العاص وأرسله إلي قضاعة ، وعقـــد لحذيفــة بــن محصــن الغفاني وأمره باهلدبا ، وعقد لعرفجة بن هرثمة وأمـــره بمـــهرة وامرهمـــا ان يجتمعا وكل واحد منهما علي صاحبه في عمله . وبعث شرحبيل بن حسنة فـــي أثر عكرمةبن أبي جهل وقال: إذا فرغ من اليمامة فالحق بقضاعة وأنت علـــي خيلك تقاتل اهل الردة . وعقد لمعن بن حاجز وأمره ببني سليم ومن معهم مـــن هوزان ، وعقد لسويد بن مقرن وأمره بتهامـــة بـــاليمن ، وعقـــد للعـــلاء بـــن الحضرمي وأمره بالبحرين ، ففضلت الأمراء من ذي القصة ولحق بكل أمـــير جنده ، وعهد إلي كل أمير وكتب إلي جميع المرتديـــن نســـخة واحـــدة واحـــدة يأمرهم بمراجعة الإسلام ويحذرهم ، وسير الكتب إليهم مع رسله . ولما اهزمت عبس وذبيان ورجعوا إلي طليحة ببزاخة ارسل إلي جديلة والغوث مـــن طـــيء يامرهم باللحاق به فتعجل إليه بعضهم وأمروا قومهم باللحاق بهم ، فقدموا علـــي طليحة .

وكان أبو بكر بعث عدي بن حاتم قبل خالد إلي طيء بالبطاح ولا يـــبرح إذا فرغ من قوم حتي يأذن له . وأظهر أبو بكر للناس أنه خـــارج إلـــي خيبـر بجيش حتي يلاقي خالدا ، يرهب به العدو بذلك .

وقدم عدي علي طيء فدعاهم وخوفهم ، فأجابوه وقالوا لـــه : اســـتقبل الجيش فأخره عنا حتي نستخرج من عند طليحة منا لئلا يقتلهم . فاستقبل عـــدي خالدا وأخبره بالخبر ، فتأخر خالد ، وأرسلت طيء إلى إخوانهم عنـــد طليحـــة فلحقوا بهم ، فعادت طيء إلى خالد بإسلامهم ، ورحل خـــالد يريـــد جديلـــة ، فاستمهله عدي عنهم ، ولحق بهم عدي يدعوهم إلى الإسلام ، فأجـــابوه ، فعـــاد إلى خالد بإسلامهم ، ولحق بالمسلمين ألف راكب منهم ، وكان خير مولود فـــي ارض طيء وأعظمه بركة عليهم .

وأرسل خالد بن الوليد عكاشة بن محصن وثـــابت بـــن قـــرم النصـــاري طليعة ، فليقهما حبال أخو طليحة فقتلاه ، فبلغ خبره طليحة فخرج هو وأخـــوه سلمة ، فقتل طليحة عكاشة وقتل أخوه ثابتاً ورجعا .

وأقبل خالد بالناس فرأوا عكاشة وثابتا قتيلين ، فخرج لذلك المسلمون ، وانصرف بهم خالد نحو طيء ، فقالت له طيء : نحن نكفيك قيسا ، فإن بني أسد حلفاؤنا . فقال : قاتلوا أي الطائفتين شئتم . فقال عدي بن حاتم : لو نزل هذا علي الذين [هم] أسرتي الأدني فالأدني لجاهدتهم [1] عليه ، والله لا أمتنع عن جهاد بني أسد لحفهم . فقال له خالد . إن جهاد الفريقين جهاد ، لا تخالف رأي أصحابك وامض بهم إلى القوم الذين هم لقتالهم أنشط ، ثم تعبي لقتالهم ، ثم سار حتي التقيا على بزاخة ، وبنو عامر قريبا يتربصون على من تكون الدائرة ، قال : فاقتتل الناس على بزاخة .

وكان عيينة بن حصن مع طليحة في سبعمائة من بني فزارة ، فقاتلوا قتالا شديدا وطليحة متلفف في كسائه يتنبأ لهم ، فلما اشتدت الحرب كر عيينة على طليحة وقال له : هل جاءك جبرائيل بعد ؟ قال لا ، فرجع فقاتل ، ثم كر على طليحة فقال له : لا أبا لك ! أجاءك جبرائيل ؟ قال : لا . فقال عيينة : حتى متي ؟ قد والله بلغ منا ! ثم رجع فقاتل قتالا شديدا ثم كر على طليحة فقال: هل جاءك جبرائيل ؟ قال : نعم . قال : فماذا قال لك ؟ قال : قال لي : إن رحا كرحاه ، وحديثا لا تنساه . فقال عيينة : قد علم الله أنه سيكون حديث لا تنساه ، انصرفوا يا بني فزارة فإنه كذاب ، فانصرفوا وانهزم الناس .

وكان طليحة قد اعد فرسه وراحلته لامرأته النوار ، فلما غشوه ركب فرسه وحمل امرأته ثم نجا بها وقال : يا معشر فزارة من استطاع أن يفعل هكذا وينجو بامرأته فليفعل . ثم انهزم فلحق بالشام ، ثم نزل على كلب فأسلم حين بلغه ان أسدا وغطفان قد اسلموا ، ولم يزل مقيما في كلب حتي مات أبو بكر .

وكان خرج معتمرا [في إمارة أبي بكر] ومر بجنبات المدينة ، فقيل لأبي بكر : هذا طليحة ! فقال : مال أصنع به ؟ قد أسلم ! ثم أتي عمر فبايعه حين استخلف . فقال له : أنت قاتل عكاشة وثابت ؟ والله لا أحبك أبدا ! فقال : يا أمير المؤمنين ما يهمك من رجلي أكرمهم الله بيدي ولم يهني بأيديهما !

---

(١) لجاهدتم .

فبايعه عمر وقال له : ما بقي من كهانتك ؟ فقال : نفخة أو نفختان [بـــالكير] . ثم رجع إلي قومه فأقام عندهم حتي خرج إلي العراق .

ولما انهزم الناس عن طليحة أسر عيينة بن حصن ، فقدم علي أبي بكـــر ، فكان صبيان المدينة يقولون له وهو مكتوف : يا عدو الله أكفرت بعد إيمـــانك ؟ فيقول : والله ما آمنت بالله طرفة عين . فتجاوز عنه أبو بكر وحق دمه . وأخـــذ من أصحاب طليحة رجل كان عالما به ، فسأله خالد عما يقول فقال : إن ممـــا أتى به : والحمام واليمام ، والصرد والصوام ، قد صمن قبلكم بأعوام ، ليبلغــن ملكنا العراق والشام .

قال : ولم يؤخذ منهم سبي لأنهم قد أحرزوا حريمهم ، فلما انهزموا أقــروا بالإسلام خشية على عيالاتهم ، فأمنهم .

حبال بكسر الحاء المهملة ، وفتح الباء الموحدة ، وبعـــد اللـــف لام . وذو القصة بفتح القاف ، والصاد المهملة . وذو حسي بضم الحاء المهملـــة والســـين المهملة المفتوحة . ودبا بفتح الدال المهملة ، وبالباء الموحدة . وبزاخـــة بضـــم الباء الموحدة ، وبالزاي ، والخاء المعجمة (١)

وأما ردة عيينة بن حصن الفزاري

وكنيته أبو مالك فإنه كان من الأعراب الجفاة . وأسلم واستعمله النبـــي ﷺ على فرازة والتقى مع طليحة الأسدي بمكان يقال له : بزاخـــة ووقـــف أحيـــاء كثيرة من الأعراب ينظرون على من تكوت الدائرة ، وجاء طليحة فيمـــن معـــه من قومه ومن ألتف معهم وانصاف غليهم، وقد حضر معه عيينة بن حصن فـــي سبعمائة من قومه ، بني فزارة ، واصطف الناس ، وجلس طليحـــة ملتفـــا فـــي كساء له يتنبأ لهم ينظر ما يوحي إليه فيما يزعم ، وجعل عيينة يقاتل ما يقـــاتل ، حتى إذا ضجر من القتال يجئ إلي طليحة وهو ملتف في كسائه فيقول : أجـــاءك جبريل ؟ فيقول : لا ، فيرجع فيقاتل ، ثم يرجع فيقول له مثل ذلك ويـــرد عليـــه

---

(١) (الكامل في التاريخ لابن الأثير) : ٢ / ٣٤٣ - ٣٤٩ .

مثل ذلك ، فلما كان في الثالثة قال له : هل جاءك جبريل ؟ قال : نعم ، قال : فما قال لك ؟ قال : قال لي إن لك رحاء كرحاة ، وحديثا لا تنساه ، قال يقول عيين ، اظن ان قد علم الله سيكون لك حديث لا تنساه ، ثم قال : يا بني فزارة انصرفوا ، انهزم وانهزم الناس على طليحة ، فلما جاءه المسلمون ركب على فرس قد أعدها له ، وأركب امرأته النوار على بعير له ، ثم انهزم بها إلي الشام وتفرق جمعه ، وقد قتل الله طائفة ممن كان معه ، فلما أوقع الله بطليحة وفزارة ما أوقع قالت بنو عامر وسليم وهوزان ندخل فيما خرجنا منه ، ونؤمن بالله ورسوله ، ونسلم لحكمة في أموالنا وأنفسنا . قلت : وقد كان الأسدي أرتد عن الإسلام ، وقال لقومه : والله لنبي من بني أسد أحب إلي من نبي من نبي هاشم ، وقد مات محمد وهذا طليحة فاتبعوه ، فوافق قومه بنو فزارة على ذلك ، فلما كسرهما خلد هرب طليحة بإمرأته إلي الشام ، فنزل علي بني كلب وأسر خالد عيينة بن حصن ، وبعث به إلي المدية مجموعة يداه إلي عنقه ، فدخل وهو كذلك فجعل الولدان والغلمان يطعنونه بأيديهم ، ويقولون : أي عدو الله ، أرتدت عن الإسلام ؟ فيقول : والله ما كنت آمنت قط ، فلما وقف بين يدي الصديث استتابه وحقن دمه ، ثم حسن إسلامه بعد فأسره مع عيينة ، وأما طليحة فإنه راجع الإسلام بعد ذلك أيضا ، وذهب إلي مكة معتمرا أيام الصديق ، واستحيي أن يواجهه مدة حياته ، وقد رجع فشهد القتال مع خالد ، وكتب الصديق إلي خالد : أن استشره في الحرب ولا تؤمره – يعني معاملته له بنقيض ما كان قصده من الرياسة في الباطن – وهذا من فقه الصديق – رضي الله تبرك وتعالي عنه وأرضاه – ، وقد قال خالد بن الوليد لبعض أصحابه طليحة ممن أسلم وحسن إسلامه : أخبرنا عما كان يقول لكم طليحة من لوحي ، فقال : إنه كان يقول : الحمام واليمام والصرد والصوام ، قد ضمن قبلكم بأعلام ليبلغن ملكنا العراق والشام ، إلي غير ذلك من الخرافات والهنديانات(١) .

(١) البداية والنهاية : ٦ / ٣٥٠ .

وأما ردة قرة بن هبيرة بن مسلمة القشيري في غطفان

فإنه اجتمع له عسكر من بني عامر على أن لا يؤدي الزكاة وذلـك بعـد موت النبي ﷺ وصارت وبنو عامر تقدم رجلا وتؤخر أخري ، وتنظر ما صنـع أسد وغطفان فلما أحيط بهم وبنوا عامر علي قادتهم وسادتهم : قرة بن هبـيرة في كعب ومن لافها وعلقمة بن علاثة في كلاب ومن لافها . فلما مر عمرو بـن العاص بقرة منصرفه من عمان بعد وفاة النبي ﷺ أنزله وأكرمه .

فلما أراد أن يرحل قال له : يا هذا ، إن العـرب لا تطيـب لكـم أنفسـا بالإتاوة فإن أنتم أغنيتموها من أخذ أموالها فستسمع لكم وتطيع ، وإن أبيتم فـلا أرى أن تجتمع عليكم فقال عمرو : أكفرت يا قرة ؟ وخوله بنو عـامرفكره أن تبوح لمتابعتهم فيكفروا ، أو بمتابعته فينفروا ، فيقول : لـنردنكم إلـي فئتكـم ، وكلما سأله عمرو : أكفرت يا قرة ؟ يقول : لنردنكم إلي فئتكم ، واجعلوا بيننـا وبينكم موعدا . فقال عمرو : أتوعدنا بالعرب ونحو فئاتها ، موعـدك حشـف أمك ، فوالله لأوطنه عليك الحبل .

وقدم علي أبي بكر والمسلمين ، فأخبرهم خبر ما بين عمان إلي المدينـة فلما كان يوم البزاخة أقبلت بنو عامر إلي خالد بن الوليد يقولون : ندخـل فيمـا خرجنا منه ، فبايعهم علي الإسلام .

وأما ردة بني يربوع قوم مالك بن نويرة ابن حمزة بن شداد بن عبيد بن ثعلبة ابن يربوع بن حنظلة بن مالك ابن زيد مناة بن تميم

لما رجعت سجاح إلي الجزيرة ارعوى مالك بن نويرة وندم وتحـير فـي أمره ، وعرف وكيع وسماعة قبح ما أتيا فراجعا رجوعا حسنا ولـم يتجـبرا ، وأخرجا الصدقات فاستقبلا بها خالدا وسار خالد بعد أن فرغ من فزراة وغطفـان

وأسد وطيء يريد البطاح وبها مالك بن نويرة قد تردد عليه أمره وتخلفت الأنصار عن خالد وقالوا : ما هذا بعهد الخليفة إلينا إن نحن فرغنا من بزاخة أن نقيم حتى يكتب إلينا ، فقال خالد : قد عهد إلي أن أمضي وأنا الأمير ولو لم يأت كتاب بما رأيته فرصة ، وكنت إن أعلمته فاتتني لم أعلمه وكذلك لو ابتلينا بأمر ليس فيه منه عهد لم ندع أن نرى أفضل ما يحضرنا ثم نعمل به ، فأنا قاصد إلي مالك ومن معي ولست أكرههم ، ومضي خالد ، وندمت الأنصار وقالوا : إن أصاب القوم خيرا حرمتوه ، وإن أصيبوا ليجتنبنكم الناس ، فلحقوه ثم سار حتى قدم البطاح فلم يجد بها أحدا , وكان مالك بن نويرة قد فرقهم ونهاهم عن الاجتماع وقال : يا بني يربوع إنا دعينا إلي هذا الأمر ، فأبطأنا عنه ، فلم نفلح ، وقد نظرت فيه فرأيت الأمر يتأتي لهم بغير سياسة وإذا الأمر لا يسوسه الناس فإياكم ومناوأة قوم صنع لهم فتفرقوا وأدخلو في هذا الأمر فتفرقوا علي ذلك .

ولما قدم خالد البطاح بث السرايا وأمرهم بداعية الإسلام ، وأن يأتوه بكل من لم يحب وإن امتنع أن يقتلوه ، وكان قد أوصاهم أبو بكر أن يؤذنوا إذا نزلوا منزلا ، فإن أذن القوم فكفوا عنهم ، وإن لم يؤذنوا فاقتلوا وانهبوا وإن أجابكم إلي داعية الإسلام فسائلوهم عن الزكاة ، فإن أقروا فاقبلوا منهم ، وإن أبوا فقاتلوهم .

قال : فجاءته الخيل بمالك بن نويرة في نفر من بني ثعلب بن يربوع فاختلفت السرية فيهم ، وكان فيهم أبو قتادة فكان فيمن شهد أنهم قد أذنوا وأقاموا وصلوا ، فلما اختلفوا أمر بهم فحبسوا في ليلة باردة لا يقوم لها شئ ، فأمر خالد مناديا فنادي : ادفئوا أسراكم وهي في لغة كنانة القتل فظن القوم أنه أراد القتل ولم يرد إلا الدفء فقتلوهم فقتل ضرار بن الأزور مالكا . وسمع خالد الواعية فخرج وقد فرغوا منهم . فقال إذا أراد الله أمرا أصابه ، وتزوج خالد أم تميم امرأة مالك فقال عمر لأبي بكر : إن سيف خالد فيه رهق وأكثر عليه في ذلك ، فقال : هيه يا عمر ، تأول فأخطأ فارفع لسانك عن خالد ، فإني لا أشيم سيفا سله الله على الكافرين ، وودى مالكا ، وكتب إلي خالد أن يقدم عليه ، ففعل ودخل عليه المسجد وعليه قباء وقد غرز في عمامته أسهما فقام إليه عمر

فنزعها وحطمها ، وقال قتلت امرءا مسلما ، ثم نزوت على امرأته ، والله لأرجمنك بأحجارك ، وخالد لا يكلمه ، يظن أن رأي أبي بكر مثله ، ودخل علي أبي بكر فأخبره الخبر واعتذر إليه فعذره وتجاوز عنه وعنفه في التزويج الذي كانت عليه العرب من كراهة أيام الحرب فخرج ، وعمر جالس فقال هلم إلي يا ابن أم سلمة فعرف عمر أن أبا بكر قد رضي عنه ، فلم يكلمه وقيل : إن المسلمين لما غشوا مالكا وأصحابه ليلا أخذوا السلاح فقالوا : نحن المسلمين ، فقال أصحاب مالك : ونحن المسلمين ، فقالوا لهم : ضعوا السلاح ، فوضعوه ، ثم صلوا وكان يعتذر في قتله أنه قال : ما إخال صاحبكم إلا قال كذا وكذا ، فقال له أو ما تعده لك صاحبا ؟ ثم ضرب عنقه وقدم متمم بن نويرة على أبي بكر يطلب بدم أخيه ويسأله أن يرد عليهم سبيهم ، فأمر أبو بكر برد السبي وودى مالكاً من بيت المال .

ولما قدم على عمر قال له : ما بلغ بك الوجد على أخيك ؟ قال بكيته حولا حتى أسعدت عيني الذاهبة عيني الصحيحة ، وما رأيت نارا قط إلا كدت أنقطع أسفا عليه ، لأنه كان يوقد ناره إلي الصبح مخافة أن يأتيه ضيف ولا يعرف مكانه ، قال : فصفه لي ، قال كان يركب الفرس الحرون ، ويقود الجمل الثقال وهو بين المزادتين النضوختين في الليلة القرة وعليه شملة فلوت ، معتقلا ، رمحاً خطلاً ، فيسري ليلته ثم يصبح وكأن وجهه فلقه قمر . قال : أنشدني بعض ما قلت فيه ، فأنشد مرثيته التي يقول فيها :

وكنا كندماني جذيمة حقبة — من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالكاً — لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

فقال عمر : لو كنت أقول الشعر لرثيت أخي زيدا ، فقال متمم : ولا سواء يا أمير المؤمنين لو كان أخي صرع مصرع أخيك لما بكيته .

فقال عمر : ما عزاني أجد بأحسن مما عزيتني به ، وفي هذه الوقعة قتل الوليد وأبو عبيدة ابنا عمارة بن الوليد وهما ابنا أخي خالد ، لهما صحبة[1].

---

(١) (الكامل في التاريخ لابن الأثير) : ٢ / ٣٥٧ – ٣٦٠ .

وأما سجاح بنت الحارث بن سويد
ابن عقفان التميمية

قد أقبلت من الجزيرة وادعت النبوة ، وكانت ورهطها في أخوالـــها مــن تغلب تقود أفناء ربيعة ، معها الهزيل بن عمران في بني تغلب ، وكان نصرانيـا فترك دينه ، وتبعها ، وعقبة بن هلال في النمر ، وزياد بن فلان أياد ، والسـليل ابن قيس في شيبان ، فأتاهم أمر أعظم مما هم فيه لاختلافهم .

وكانت سجاح تريد غزو أبي بكر ، فأرسلت إلي مالك بن نويـــرة تطلــب الموادعة ، فأجابها وردها من غزوها وحملها على أحياء من بني تميم ، فأجابتـه وقالت : أنا امرأة من بني يربوع ، فإن كان ملك فهو لكم . وهرب منها عطـارد ابن حاجب وسادة بني مالك وحنظلة إلي بني العنبر ، وكرهوا ما صنــع وكيــع وما صنع مالك بن نويرة ، واجتمع مالك ووكيع وسجاح فسجعت لـــهم ســجاح وقالت : أعدوا الركاب ، واستعدوا للنهاب ، ثم أغيروا علي الرباب فليس دونـهم حجاب . فسارو إليهم ، فلقيهم حنبة وعبد مناة فقتل بينهم قتلـــى كثــيرة وأسـر بعضهم من بعض ثم تصالحو ، وقال قيس بن عاصم شعرا ظهر فيه ندمه علــى تخلفه عن أبي بكر بصدقته . ثم صارت سجاح في جنود الجزيرة حتـــى بلغــت النياح ، فأغار عليهم أوس بن خزيمة الهجيمي فى بني عمرو فأســـر الــهزيل وأعتقة ، ثم اتفقوا على أن يطلق أسرى سجاح ولا يطأ أرض أوس ومن معه .

ثم خرجت سجاج فى الجنود وقصدت اليمامة وقالت : عليكــم باليمامـــة ، ودفوا دفيف الحمامه ، فإنها غزوة حرامه ، لا يلحقكم بعدها ملامة . فقصـــدت ابن حنيفة ، فبلغ ذلك مسيلمة فخاف إن هو شغل بها أن يغلب ثمامة وشـــرحبيل بني حسنة والقبائل لتى حولهم على حجر ، وهي اليمامة ، فأهدى لها ثم أرســل إليها يستأمنها علي نفسه حتى يأتيها ، فأمنته ، فجاءها في أربعين من بني حنفيـة فقال مسيلمة : لنا نصف الأرض وكان لقريش نصفها لو عدلــت ، وقــد رد الله عليك النصف الذي ردت قريش .

وكان مما شرع لهم أن من أصاب ولدا واحدا ذكرا لا يأتي النساء يمـــوت ذلك الولد فيطلب الولد حتى يصيب ابنا ثم ينسك ، وقيل : بل تحصـــن منــها ،

فقالت له : انزل ، فقال لها : أبعدي أصحابك ففعلت ، وقد ضـــرب لـــها قبــة وجحرها لتذكر بطيب الريح الجماع ، واجتمع بها فقالت له : ما اوحـــي إليــك ربك ؟ فقال ألم تر إلي ربك كيف فعل بالحبلي ، أخرج منها نسمة تسـعي بيـن صفاق وحشي . قالت : وماذا أيضا ؟ قال : إن الله خلق النساء أفواجا ، وجعــل الرجال لهن أزواجا ، فتولج فيهن قعسا إيلاجا ، ثم تخرجها إذا تشاء إخراجـــا ، فينتجن لنا سخالا إنتاجا . قالت : أشهد أنك نبي . قال هل لك أن أتزوجك وآكـل بقومي وقومك العرب ؟ قالت : نعم . قالت : بذلك أوحي إلي فأقامت عنده ثلاثـا ثم انصرف إلي قومها ، فقالوا لها : ما عندك ؟ قالت : كان علي الحق فتبتعــه وتزوجته . قالوا : هل أصدقك شيئا ؟ قالت : لا . قـــالوا : فــارجعي فــاطلبي الصداق ، فرجعت . فلما رآها أغلق باب الحصن وقال : مـــا لـــك ؟ قـــالت : أصدقني . قال : من مؤذنك ؟ قالت : شبث بن ربعي الرياحي ، فدعـــاه وقـــال له : ناد في أصحابك أن مسيلمة رسول الله قد وضع عنكم صلاتين مما جــاءكم به محمد : صلاة الفجر وصلاة العشاء الآخرة .

فانصرفت ومعها أصحابها ، منهم : عطارد بن حــاجب وعمــرو بــن الأهتم وغيلان بن خرشة وشبث بن ربيعي ، فقال عطارد بن حاجب :

أمست نبيتنا أنثي نطوف بها وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا

وصالحها مسيلمة على غلات اليمامة سنة تأخذ النصف وتترك عنده مـــن يأخذ النصف ، فأخذت النصف وانصرفت إلي الجزيرة وخلفت الـــهذيل وعقــة وزيادا لأخذ النصف الباقي ، فلم يفاجئهم إلا دنو خالد إليهم فارفضوا .

فلم تزل سجاح في تغلب حتي نقلهم معاوية عام الجماعة وجــاءت معــهم وحسن إسلامهم وإسلامها ، وانتقلت إلي البصرة وماتت بها وصلي عليها سـمرة ابن جندب وهو على البصرة لمعاوية قبل قدوم عبيد الله بن زياد من خراســـان وولايته البصرة .

وقيل : إنها لما قتل مسيلمة سارت إلي أخواله تغلـــب بـــالجزيرة فمـــاتت عندهم ولم يسمع لها ذكر[1]

---

(١) (الكامل لابن الأثير) : ٢ / ٣٥٤ - ٣٥٧ .

وأما ردة الأشعث بن قيس بن معدي كرب

ابن معوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية بن الحارث بن معاويـــة بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة بن عفير بن الحارث بن مرة بن أزد بـــن زيد يستحث بني عدي بن مهد بن كهلان بن سبأ بن يعرب بن قحطان الكنـدي ، فإنه كان مطاعا في الجاهلية يقوم بأمر كندة ، فارتد فيمن ارتد وخرج في بنـــي الحارث ابن معاوية إلي المحاجر ونزل محجرا وقد طابقت معاوية كلـــها علـــى منع الصدقة وأجمعوا على الردة إلا قليلا ، فجمع بني الحارث بـــن معاويـــة ، وبني عمرو بن معوية ، ومن أطاعه من السكاسك وغيرهم فانضم المهاجر بـــن أبي أمية إلي زياد بن لبيد ، فكانت وقعة بينهم وبين كندة ، وعليـــهم الأشـــعث بمحجر الزرقان ، فانهزمت كندة إلي الجحيم فقدم عكرمة بن أبي جـــهل علـــى المهاجر وزياد ، وحصروا المير وقطعوا المواد عنه ، ثم اقتتلوا حتـــي كـــثرت القتلي ، فخرج الأشعث إلي عكرمة بأمان فأرسله المهاجر إلـــي أبـــي بكـــر — رضي الله تبارك وتعالي عنه — فعفا عنه .

وأما الحكم بن ضبيعة أخو بني قيس بن ثعلبة

فإنه خرج لما مات النبي ﷺ في من اتبعه من بكر بن وائل فاجتمع إليـــه من غير المرتدين ممن لم يزل مشركا حتي نزل القطيف وهجر واستغووا الخـط ومن بها من الزط والسبابجة وبعث بعثا إلي دارين وبعث إلي جواثـــا فحصـــر المسلمين فاشتد الحصر علي من بها ،فقال عبد الله بن حذف وقد قتلهم الجوع :

ألا أبلغ أبا بكر رسولا ... وفتيـــان المـــدينـــة أجمعينـــــا
فهل لكم إلي قوم كرام ... تعـــود في جـــواثا محصرينـــا
كأن دماؤهم في كل فج ... شعاع الشمس يغشـــى الناظرينـــا
توكلنا علي الرحمن إنا ... وجدنـــا النصـــر للمتوكلينـــا

وكان سبب استنقاذ العلاء بن الحضرمي من إياهم أن أبا بكر كـــان قــد بعثه علي قتال أهل الردة بالبحرين فلما كان بحيال اليمامة لحق به ثمامـــة بــن أثال الحنفي أيضا لحقه في مثل عدته فسلك الدهناء حتى إذا كانوا في بحبوحتــها نزل وأمر الناس بالنزول في الليل فنفرت إبلهم بأحمالها فما بقي عندهــم بعــير ولا زاد ولا ماء فلحقهم من الغم ما لا يعلمه إلا الله وأوصـــي بعضـــهم بعضـــا فدعاهم العلاء فاجتمعوا إليه فقال : ما هذا الذي غلب عليكم من ؟ الغــم فقــالوا كيف نلام ونحن إن بلغنا غدا لم تحم الشمس حتي نهلك فقال لن تراعـــوا أنتــم المسلمون وفي سبيل الله وأنصار الله فأبشروا فوالله لن تأخذوا فلما صلوا الصبح دعا العلاء ودعوا معه فلمع لهم الماء فمشوا إليه وشربوا واغتسلوا فما تعــــالي النهار حتي أقبلت الإبل تجمع من كل وجه فأناخت إليهم فســـقوها وكــان أبــو هريرة فيهم فلما ساروا عن ذلك المكان قال لمنجاب بن راشـــد كيــف علمــك بموضع الماء ؟ قال عارف به فقال له كن معي حتى تقيمني عليه قال فرجعـــت به إلي ذلك المكان فلم نجد إلا غدير الماء فقلت له والله لو لا الغدير لأخــبرتك أن هذا هو المكان وما رأيت بهذا المكان ماء قبل اليوم ، وإذا إداوة مملوة مـــاء فقال أبو هريرة هذا والله المكان ولهذا رجعت بك وملأت إدواتي ثــم وضعتــها على شفير الغدير وقلت : إن كان منا من المن عرفته وإن كان عنا عرفته فـــإذا من من المن فحمد الله ثم ساروا فنزلوا بهجر وأرسل العلاء إلي الجارود يـــأمره أن ينزل بعبد القيس على الحطم مما يليه وسار هو فيمن معه حتي نـــزل عليـــه مما يلي هجر فاجتمع المشركون إلي العلاء وخندق المســـلمون علـــي أنفســـهم والمشركون وكانوا يتراوحون القتال ويرجعون إلي خندقهم فكانوا كذلك شـــهرا فبينما هم كذلك سمع المسلمون ضوضاء هزيمة أو قتال فقال العلاء من يأتينــــا بخبر القوم فقال عبد الله بن حذف أنا فخرج حتى دنا من خندقهم فأخذوه وكـانت أمه عجيلة فجعل ينادى يا أبحراه فجاء أبجر بن بحير فعرفه فقال مـــا شـــأنك ؟ فقال علام أقبل وحولي عساكر من عجل وتيم اللات وغيرهما ؟ فخلصه فقال له والله إني لأظنك بئس بن أخت أتيت الليلة أخوالك ،فقال دعني من هذا وأطعمنـــي فقد مت جوعا فقرب له طعاما فأكل ثم قال زودني واحملني يقول هذا الرجل قــد غلب عليه السكر فحمله علي بعير وزوده وجـــوزه فدخـــل عســـكر المســـلمين

فأخبرهم ان القوم سكارى فخرج المسلمون عليهم فوضعوا فيهم السيف كيف شاؤوا وهرب الكفار فمن بين متردد وناج ومقتول ومأسور ، واستولي المسلمون على العسكر ولم يفلت رجل إلا بما عليه فأما أبجر فأفلت ، وأما الحكم فقتل قتله قيس بن عاصم بعد أن قطع عفيف بن المنذ١ر التميمي رجله وطلبهم المسلمون فأسر عفيف بن المنذر النعمان بن المنذر الغرور فأسلم وأصبح العلاء فقسم الأنفال ونفل رجالا من أهل البلاء ثيابا فأعطى ثمامة بن أثال الحنفي خميصة ذات أعلام كانت للحكم يباهي بها ، فلما رجع ثمامة بعد فتح دارين رآها بنو قيس بن ثعلبة : فقالوا له أنت قتلت الحطم ؟ فقال لم أقتله ولكني اشتريها من المغنم فوثبوا عليه فقتلوه[1] .

وأما ردة جبلة بن أبي المنذر بن الأيهم بن الحارث

وهو جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث بن أبي شمر واسمه المنذر بن الحارث وهو ابن مارية ذات القرطين وهو ابن ثعلبة بن عمرو بن جفنة واسمه كعب أبو عامر بن حارثة بن امرئ القيس ومارية بنت أرقم بن ثعلب بن عمرو ابن جفنة ويقال غير ذلك في نسبه وكنيته جبلة أبو المنذر الغساني الجفني وكان ملك غسان وهم نصارى العرب أيام هرقل وغسان أولاد عم الأنصار أوسها وخزرجها وكان جبلة آخر ملوك غسان فكتب إليه رسول الله ﷺ كتابا مع شجاع بن وهب يدعوه إلي الإسلام فأسلم وكتب بإسلامه إلي رسول الله ﷺ وقال ابن عساكر : إنه لم يسلم قط وهكذا صرح به الواحدي وسعيد بن عبد العزيز وقال الواقدى : شهد اليرموك مع الروم أيام عمر بن الخطاب ثم أسلم بعد ذلك في أيام عمرو فاتفق أنه وطء رداء رجل من مزينة بدمشق فلطمه ذلك المزني فدفعه أصحاب جبلة إلي أبي عبيدة فقالوا : هذا لطم جبلة قال أبو عبيدة فيلطمه جبلة فقالوا : أوما يقتل ؟ قال : لا ، قالوا : فكنا تقطع يده ؟ قال لا إنما

---

(١) (الكامل في التاريخ لابن الأثير) : ٢ / ٣٦٨ - ٣٧٠ .

أمر الله بالقود فقال جبلة أترون أني جاعل وجهي بدلا لوجه مازني جاء من ناحية المدينة ؟ بئس الدين هذا ثم ارتد نصرانيا وترحل بأهله حتى دخل أرض الروم فبلغ ذلك عمر فشق عليه وقال لحسان إن صديقك جبلة ارتد عن الإسلام فقال إنا لله : وإنا إليه راجعون ثم قال:ولم ؟ قال لطمة رجل من مزينة فقال وحق له فقام إليه عمر بالدرة فضربه.ورواه الواقدي عن معمر وغيره عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عباس ساق ذلك بأسانيده إلي جماعة من الصحاب وهذا القول هو أشهر الأقوال.وقد روى ابن الكلبي وغيره أن عمر لما بلغه إسلام جبلة فرح بإسلامه ثم بعث يستدعيه ليراه بالمدينة وقيل:بل استأذنه جبلة في القدوم عليه فأذن له فركب في خلق كثير من قومه قيل مائة وخمسين راكباً وقيل خمسمائة وتلقته هدايا عمر ونزله قبل أن يصل إلي المدينة بمراحل وكان يوم دخوله يوماً مشهوداً دخلها وقد ألبس خيوله قلائد الذهب والفضة ولبس تاجاً على رأسه مرصعاً باللآلئ والجواهر ، وفيه قرطا مارية جدته . وخرج أهل المدينة رجالهم ونساؤهم ينظرون إليه فلما سلم علي عمر رحب به عمر وأدني مجلسه ، وشهد الحج مع عمر في هذه السنة فبينما هو يطوف بالكعبة إذ وطء إزاره رجل من بني فزارة فانحل فرفع جبلة يده فهشم أنف ذلك الرجل ومن الناس من يقول إنه قلع عينه فاستعدي عليه الفزارى إلي عمر ومعه خلق كثير من بني فزارة فاستحضره عمر فاعترف جبلة فقال له عمر أقتدته منك فقال كيف وأنا ملك وهو سوقة ؟ فقال إن الإسلام جمعك وإياه فلست تفضله إلا بالتقوى.فقال جبلة:قد كنت أظن أن أكون في الإسلام أعز مني في الجاهلية.فقال عمر : دع ذا عنك فإنك إن لم ترض الرجل اقتدته منك فقال: إذاً أتنصر. فقال:إن تنصرت ضربت عنقك.فلما رأى الحد قال:سأنظر في أمري هذه الليلة فانصرف من عند عمر.فلما أدلهم الليل ركب في قومه ومن أطاعه ، فسار إلي الشام ثم دخل الروم ودخل علي هرقل في مدينة القسطنطينية فرحب به هرقل وأقطعه بلاداً كثيرة وأجرى عليه أرزاقاً جزيلة.وأهدى إليه هدايا جميلة.وجعله من سُمَّاره.فمكث عنده دهراً وقال الواقدي:شهد اليرموك مع الروم أيام عمر بن الخطاب ثم أسلم بعد ذلك في أيام عمر.فاتفق أنه وطء رداء رجل من مزينة بدمشق فلطمه ذلك المزني فدفعه أصحاب جبلة إلي أبي عبيدة فقالوا :

هذا لطم جبلة ، قال أبو عبيدة ، فيلطِمه جبلة ، فقالوا : أوما يقتل ؟ قال لا قــالوا فما تقطع يده ؟ قال لا إنما أمر الله بالقود ، فقال جبلة اترون أني جاعل وجــهي بدلا لوجه مازني جاء من ناحية المدينة ؟ بئس الدين هذا ثـــم ارتـــد نصرانيــا وترحل بأهله حتى دخل أرض الروم فبلغ ذلك عمر فشق عليه وقال لحســان إن صديقك جبلة ارتد عن الإسلام فقال إنا لله وإنا راجعون ، ثم قال ولـــم ؟ قــال لطمة رجل من مزينة فقال وحق له ، فقام إليه عمــر بــالدرة فضربــه ورواه الواقدي عن معمر وغيره عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عباس سـلق ذلك بأسانيده إلي جماعة من الصحابة ، وهذا القول هو أشهر الأقوال وقـد روى ابن الكلبي وغيره أن عمر لما بلغه إسلام جبلة فرح بإسلامه ثم بعث يســتدعيه ليراه بالمدينة وقيل.بل استأذنه جبلة في القدوم عليه فأذن له فركب فــي خلــق كثير من قومه قيل:مائة وخمسين راكبا.وقيل:خمسمائة.وتلقته هدايا عمر ونزلــه قبل أن يصل إلي المدينة بمراحل وكان يوم دخوله يوماً مشــهوداً دخلــها وقــد ألبس خيوله قلائد الذهب والفضة ولبس تاجاً علـــى رأســه مرصعــاً بــالآلي والجواهر وفيه قرطا مارية جدته وخرج أهل المدينة رجالهم ونساؤهم ينظــرون إليه فلما سلم علي عمر رحب به عمرو أدني مجلسه وشهد الحج مع عمر فــي هذه السنة ، فبينما هو يطوف بالكعبة إذ وطء إزاره رجل من بني فزارة فــانحل فرفع جبلة يده فهّشم أنف ذلك الرجل ! ومن الناس من يقول إنـــه قلــع عينــه فاستعدي عليه الفزارى إلي عمر ومعه خلق كثير من بني فـــزارة فاســتحضر عمر فاعترف جبلة فقال له عمر اقتد منه فقال كيف وأنا ملك وهو سوقة ؟ فقــال إن الإسلام جمعك وإياه فلست تفضله إلا بالتقوى فقال جبلة قد كنـــت أظــن أن أكون في الإسلام أعزمني في الجاهلية فقال عمر دع ذاعنك فإنك أن لم تــرض الرجل أقتدته منك فقال إذا أتتصر ! فقال إن تنصرت ضربت عنقك فلمــا رأى الحد قال سأنظر في أمري هذه الليلة فانصرف من عند عمر فلما أدلــهم الليــل ركب في قومه ومن أطاعه فسار إلي الشام ثم دخل الروم ودخل علي هرقل فــي مدينة القسطنطينية فرحب به هرقل وأقطعه بلادا كثيرة وأجرى عليــه أرزاقــاً جزيلة و أهدى إليه هدايا جميلة وجعله من سماره فمكث عنـــده دهــرا ثــم إن عمــر كتب كتاباً إلي هرقل مع رجل يقال له جثامة بن مساحق الكناني.فلما بلــغ

هرقل كتاب عمر بن الخطاب قال له هرقل : هل لقيت ابن عمك جبلة ؟ قـــال : لا قال فألقه فذكر اجتماعه به وما هو فيه من النعمة والسرور والحبور الدنيـوي في لباسه وفرشه ومجلسه وطيبه وجواريه حواليه الحسان من الخـــدم والقيـان ومطعمه وشرابه وسروره وداره التي تعوض بها عن دار الإسلام وذكــر انـــه دعاه إلي الإسلام والعود إلي الشام فقال أبعد ما كان مني من الارتـــداد ؟ فقـــال نعم إن الأشعث بن قيس ارتد وقاتلهم بالسيوف ثم لما رجع إلـــي الحـق منـــه وزوجه الصديق بأخته أم فروة قال فتلهى عنه بالطعام والشراب وعرض عليـــه الخمر فأبي عليه وشرب جبلة من الخمر شيئا كثيرا حتى سكر ثم أمر جواريـــه المغنيات فغنينه بالعيدان من قول حسان بن ثابت فينا و في ملكنا و في منازلنـــا بأكنـــاف غوطة دمشق قال سكت طويلا ثم قال لهن أبكينني فوضعن عيدانـــهن ونكسن رؤسهن وقلن :

تنصرت الأشرف من عار لطمة ... وما كان لـــو صبرت لها ضـــرر

تكتفني فيها اللجاج ونخـــــوة ... وبعت بها العين الصحيحة بالعور

فياليت أمي لم تلدني وليتنـــــي ... رجعت إلي القول الذي قاله عمر

وياليتني أرعى المخاض بقفرة ... وكنت أسيـــرا في ربيعة أو مضر

وياليت لي بالشام أدنى معيشـــة ... أجالس قومي ذاهب السمع والبصـــر

أدين بما دانوا بة من شـــريعـــة ... وقد يصبر العود الكبير على الدبر

قال فوضع يده على وجهه فبكى حتى بل لحيته بدموعه وبكيت معــــه ثـــم أستدعي بخمسمائة دينار هرقلية فقال خذ هذه فأوصلها إلي حســـان بـــن ثـــابت وجاء بأخرى فقال خذ هذه لك فقلت لا حاجة لنا فيها ولا أقبل منك شـــيئا وقــد ارتددت عن الإسلام فيقال إنه أضافها إلي التي لحسان فبعث بألف دينار هرقليـــة ثم قال له أبلغ عمر بن الخطب مني السلام وسائر المسلمين فلما قدمـــت علــى عمر أخبرته فقال ورأيته يشرب الخمر ؟ قلت : نعم قال : أبعده الله تعجل فانيـــة بباقية فمار بحت تجارته ، ثم قال وما الذي وجه به لحسان ؟ قلـــت خمســمائة دينار هرقلية فدعا حسانا فدفعها إليه فأخذها وهو يقول :

إن ابن جفنة من بقية معشــــر ... لم يغرهم آباؤهم باللـــوم

لم ينس بالشـــام إذ هو ربهـــا ... كلا ولا منتصرا بالـــروم

يعطي الجزيل و لا يراه عنـده إلا كبعض عطية المحروم
وأتيته يومـا فقرب مجلس وسقا فرواني من المذموم

ثم لما كان في هذه السنة من أيام معاوية بعث معاوية عبد الله بن مسعدة الفزارى رسولا إلي ملك الروم فاجتمع بجبلة بن الأيهم فرأى ما هو فيه من السعادة الدنيوية والأموال من الخدم والحشم والذهب والخيول فقال له جبلة لو أعلم أن معاوية يقطعني أرض البثينة فإنها منازلها وعشرين قرية من غوطة دمشق ويفرض لجماعتنا ويحسن جوائزنا لرجعت إلي الشام فأخبر عبد الله بن مسعدة معاوية بقوله فقال معاوية : أنا أعطيه ذلك وكتب إليه كتابا مع البريد بذلك فما أدركه البريد إلا وقد مات قبحة الله وذكر أكثر هذه الأخبار الشيخ أبوالفرج ابن الجوزي في المنتظر وأرخ وفاته هذه السنة أعني سنة ثلاث وخمسين وقد ترجمه الحافظ ابن عساكر في تاريخه فأكال الترجمة وأفاد ثم قال في آخرها بلغني أن جبلة توفي في خلافة معاوية بأرض الروم بعد سنة أربعين من الهجرة [١] .

وذكر ابن سعد أن رسول الله ﷺ كتب إلي جبلة بن الأيهم ملك غسان يدعوه إلي الإسلام ، فأسلم وكتب بإسلامه إلي رسول الله ﷺ ، وأهدى له هدية ولم يزل مسلما حتى كان في زمان عمر بن الخطاب – رضي الله تبارك وتعالى عنه – فبينما هو في سوق دمشق إذ وطئ رجلا من مزينة ، فوثب المزني فلطمه ، فأخذ وانطلق به إلي أبي عبيد ة الجراح ، فقالوا : هذا لطم جبلة ، قال : فليطمه ، قالوا : وما يقتل ؟ قال : لا قالوا : فما تقطع يده قال : لا ، إنما أمر الله – تبارك وتعالي – بالقود ، قال جبلة : أو ترون إني جاعل وجهي ندا لوجه جدي جاء من عمق ! بئس الدين هذا : ثم ارتد نصرانيا وترحل بقومه حتى دخل أرض الروم ، فبلغ ذلك عمر فشق عليه وقال لحسان ابن ثابت : أبا الوليد ، أما علمت ان صديقك وجبلة بن الأيهم أرتد نصرانيا ؟ قال : إنا لله وإنا إليه راجعون قال ، ولم ؟ قال : لطمة رجل من مزينة ،

---

(١) (البداية والنهاية) : ٨ / ٦٩ – ٧٢ .

قال : وحق له ، فقام إليه عمر بالدرة فضربه بها[٢] قال الدولابي : لما قتل أهل الردة فسارعوا إلى الدخول في الإسلام فخيرهم أبو بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - بين خطة مخزية أو حرب مجلية ، فاختاروا المخزية ، وهي أن يشهدوا على قتلاهم أنهم في النار ، وقتلى المسلمين في الجنة . وما أصابوا من أموال المسلمين ردوه ، وما أصاب المسلمون لم يردوه ، وأن يدو قتلى المسلمين ولا يدو قتلاهم وأن يأخذ منهم الحلقة ولكراع ، فلما ولي عمر ابن الخطاب - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : إنه لقبيح بالعرب أن يملك بعضهم بعضاً وقد وسع الله واستشار في سبايا العرب في الجاهلية وفي الإسلام أيام الردة إلا أمراة ولدت وجعل فداء كل إنسان سبعة أبعرة وستة ، وإلا حنيفة وكندة خفف عنهم ، وقال : لا ملك على عربي ، وأجمع عليه المسلمون. وبقى في قريش بعد ما ندى السبي عدة.

وأما إنذاره ﷺ بسوء عاقبة الرجّال بن عنفوة فشهد لمسيلمة وقاتل معه حتى قتل

وقد كان الرجال هذا وقد وفد إلى النبي ﷺ وقرأ البقرة ، وجاء زمن الردة إلى أبي بكر فبعثه إلى أهل اليمامة يدعوهم إلى الله ويثبتهم على الإسلام ، فأرتد مع مسيلمة وشهد له بالنبوة قال سيف بن عمر عن طلحة عن عكرمة عن أبى هريرة : كنت يوما عند النبي ﷺ في رهط معنا الرجال بن عنفوة ، فقال : أن فيكم لرجلا ضرسه في النار أعظم من أحد ، فهلك القوم وبقيت أنا والرجال وكنت متخوفا لها ، حتى خرج الرجال مع مسيلمة وشهد بالنبوة ، فكانت فتنة الرجال أعظم من فتنة مسيلمة ، رواه إسحاق عن شيخ ، عن أبي هريرة ،وقرب خالد وقد جعل على المقدمة شرحبيل بن حسنة ، وعلى المجنبتين زيدا وأبا حذيفة ، وقد مرت المقدمة في الليل بنحو من أربعين ظن وقيل ستين فارسا عليهم مجاعة بن مرارة ، وكان قد ذهب لأخذ ثأر له في بني تميم وبني عامر

---

(٢) (طبقات أبن سعد) : ١/ ٢٦٥.

وهو راجع إليه فلم يصدقهم ، وأمر بضرب أعناقهم كلهم ، سوى مجاعة فإنه استبقاه مقيدا عنده - لعلمه بالحرب والمكيدة - وكان سيدا في بني حنيفة ، شريفا مطاعا ، ويقال : إن خالدا لما عضوا عليه قال لهم : ماذا تقولون يا بني حنيفة ؟ قالوا : نقول منا نبي ومنكم نبي ، فقتلهم غلا واحدا واسمه سارية ، فقال له ، أيها الرجل إن كنت تريد عدا بعدول هذا خيرا أو شرا فاستبق هذا الرجل - يعني مجاعة بن مرارة - فاستبقاه خالد مقيدا ، وجعله في الخيمة مع امرأته ، وقال : استوصي به خيرا ، فلما تواجه الجيشان قال مسيلمة لقومه : اليوم يوم الغيرة ، اليوم إن هزمتم تستنكح النساء سبيات ، وينكحن غير حظيلت فقاتلوا عن أحسابكم وامنعوا نساءكم ، وتقدم المسلمون حتى نزل بهم خالد علي كثيب يشرف علي اليمامة ، فضرب به عسكره وراية المهاجرين مع سالم مولى أبي حذيفة ، وراية الأنصار مع ثابت بن قيس بن شماسي ، والعرب علي راياتها ، ومجاعة بن مرارة مقيد في الخيمة مع أم تميم امرأة خالد ، فاصطدم المسلمون ولكفار فكانت جولة وانهزمت الأعراب حني دخلت بنو حنيفة خيمة خالد بن الوليد وهموا بقتل ان تميم ، حتى أجارها مجاعة وقال : نعمت الحرة هذه ، وقد قتل الرجال بن عنفوة لعنة الله في هذه الجولة ، قتله زيد بن الخطاب[1].

وأما أن لعنته ﷺ أدركت الملوك الأربعة وأختهم

فقال الإمام أحمد : حدثنا أبو المغيرة ، عن صفوان بن عمرو قال : حدثني شرحبيل بن عبيد ، عن عبد الرحمن بن عائذ الأزردي ، عن عمرو بن عبسة ، قال : كان رسول الله ﷺ يعرض خيلا يوما وعنده عيينة بن حصن الفزاري ، فقال له رسول الله ﷺ : أنا أعلم بالخيل منك ، فقال عيينة : وأنا أفرس بالرجال منك ، فقال له النبي ﷺ : وكيف ذاك ؟ قال خير الرجال

(١) (البداية والنهاية) : ٦ / ٣٥٦ .

يحملون سيوفهم على عوائقهم جاعلين على رماحهم على مناسج خيولهم ، لابسو البرود من أهل نجد ، فقال رسول الله ﷺ : كذبت ، بل خير الرجال رجال أهل اليمن ، والإيمان يمان إلي لخم وجذام وعاملة ومأكول خمير خير من آكلها وحضرموت خير من بني الحارث بن كندة ، وقبيلة خير من قبيلة ، شر من قبيلة .

والله ما أبالي أن يهلك الحارثان كلاهما لعن الله الملوك الأربعة : جمداء ، وفحوساء ، ومشرخاء ، وأبضعة . وأختهم العمردة .

ثم قال : أمني ربي ان ألعن قريشا مرتين ، فلعنتهم ، وأمرني أن أصلي عليهم مرتين ، فصليت عليهم مرتين ، ثم قال : عصية عصت الله ورسوله غير قيس وجعدة وعصية ، ثم قال : لأسلم وغفار ومزينة وأخلاطهم من جهينة خير من بني أسد وتميم وغطفان وهوزان عند الله عز وجل يوم القيامة ، ثم قال : شر قبيلتين في العرب نجران وبنو تغلب ، وأكثر القبائل في الجنة مذحج مأكول [1].

---

(١) (مسند أحمد) : ٥/٥٢٤ - ٥٢٥ ، وحديث رقم (١٨٩٥١) ، (١٨٩٥٢) ، من حديث عمرو بن عبسة .

وخرجه أيضا من حديث زهران بن معاوية

حدثنا يزيد بن جابر ، عن رجل عن عمرو بن عبسة فذكر نحوه باختصار وفيه : وأنا يمان وحضرموت خير من بني الحارث وما أبالي يهلك الحيان(٢) كلاهما . فلا قيل ولا ملك إلا الله عز وجل .

وذكر سيف في كتاب (الردة) أن المهاجر بن أبي أمية لما ذرع من نجران وأوثق عمرو بن معدي كرب وقيس بن عبد يغوث وبعث بهما إلي أبي بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - سار إلي اللحجبة العنسي ومعه زياد بن لبيد فما زال زياد بحضرموت والسكون حتي سكن بعضهم عن بعض بعد ما نادوا بمنع الصدقة . فخرج بنو عمرو بن معاوية إلي المحاجر ونزل حمد محجرا و مسرح محجرا و بضعة محجرا وأختهم العمردة محجرا وكانوا رؤساء على بني عمرو بن معاوية ونزلت بنو الحارث بن معاوية محاجرها فنزل الأشعث بن قيس منزلا محجي ولسمط بن الأسود محجرا وطابقت معاوية كلها على منع الصدقة وأجمعوا على الردة إلا شرحبيل بن السمط وابنه فإنهما خرجا إلي زياد بن لبيد في آخرين وجمعوا جمعهم وطرقوا معاوية في محاجرهم وأكبوا على بني عمرو بن معاوية وهم عدد القوة وشوكتهم من خمسة أوجه في خمس فرقا ، فأصابوا مشرحاء وفحوساء وأبضعه وأختهم العمردة أدركتهم اللعنة وقتلوا فأكثروا واقترب من الطاق الهرب وذهبت بنو عمرو بن معاوية فلم يأتوا لخير بعدها . واكتفي زياد بالسبي والأموال يريد الأشعث بن قيس .

ويقال : إن العمردة كانت تأتي المؤمنين فتركلهم برجلها .

---

(٢) (المرجع السابق) : حديث رقم (١٨٩٥٦) .

وخرجه الحاكم[1] من حديث ابن وهب

أخبرني معاوية بن صالح ، عن عبد الرحمن بن عـــابد الأزردي ، عـــن عائذ ، عن عمرو بن عبسة فذكره بنحو أو قريب منه ، ثـــم قـــال القـــرد بـــن الحرث : محوس ومشرح ، وجحح وأبضعة بنو معدي كرب بـــن وليعـــة بـــن شربيل بن حجر القرد وهم الملوك الأربعة كانوا قد وفدوا علي النبـــي ﷺ ثـــم ارتدوا فقتلوا يوم البخير وسموا ملوكا لنه كان لكل واحد منهم واد يملكه بما فيـه قال : ومسرون بن الحالبي بن معدي كرب قتل يوم النحير . ولهم تقو ادنا نحير ياعين بكى للملوك الأربعة . محوس . ومشرح . وحمد . وابضعة ، والخـــالتي انني لن ادعه . وقال : في الجمهرة وهو كتاب كندة لخالتي وهو باطل والفحيح الخالي بن معدي كرب .

وفي (أخبار الردة) أن زياد بن لبيد كان على صدقات بني معاوية فوسـم ناقة لرجل لم تكن عليه صدقة ، فأتاه أخوه فقال : خذ مكان الناقة جملا ، فـــلا صدقة على أخي فرأى زياد أنه اعتلال واتهمه بالكفر فقال قد وسمت ولا تـــرد، فنادى صاحب الناقة أبا الرياض اصام الدليل من أكل في داره . فأتي حارثة بـــن سراقة فقال : أطلق بكرة الفتي وخذ بعيرا مكانها فأبي . فأطلق حارثـــة عقالـــها فأمر به زياد بن لبيد فأخذ ، و كتف هو وأصحابه فغضب بنو حارثه وغضـــب السكون وحضرموت لزياد ، وعسكر فوافاهم زياد وخلي عن حارثة وأصحابـــه فلما رجعوا دمروهم ، ثم خرج بنو عمرو بن معاوية خصوصا إلـــي المحـــاجر وهي أحماء حموها فنزل جمد ومخـــوص . ومشـــرح وأبضعـــة والعمـــردة ، والمحاجر ونزل الأشعث بن قيس الكندي محجرا ، فارتدوا إلا شـــرحبيل بـــن السمط وابنه ، فبيتهم زياد بن لبيد فقتل مشرحا ومخوصـــا وجمـــدا وأبضعـــة والعمردة أختهم وأدركتهم اللعنة ، وأخذ زياد بالسبي والأمـــوال علـــي عســـكر

---

(١) المستدرك : ٩١/٤ ، كتاب معرفة الصحـــاب ، ذكـــر فضيلـــة أســـلم ، وغفـــار ، ومزينـــة ، وغيرهم ، حديث رقم (٦٩٧٩) ، قال الحاكم : هذا حديث غريب المتن ، صحيح الإسناد ، ولـــم يخرجاه ، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : صحيح غريب .

الأشعث بن قيس ، فاستغاثوه فتقدمهم ، وعلم أن زياد بن لبيد لا يقلع عنه فنجا الأشعث إلي النحير بعد أن هزم فأتي المهاجر بن أبي أمية وزياد بن لبيد وعكرمة بن أبي جهل ، فاستأمن لنفسه وعلي تسعة من قبل أن يفتح الباب ، فكتب التسعة ونسّي نفسه ، وفتح الباب فقتلت المقاتلة وسرح من كان في الكتاب.

وقال المهاجر بن أبي أمية للأشعث أخطأك نوءك يا عدوّ الله ، قد كنت اشتهي ان تخزى وأوثقة وبعثه إلي أبي بكر - رضي الله تبارك وتعالي عنه - فكان ، يلعنه المسلمون والسبي وسموه غرف النار ، وهو اسم الغادر ، ولما وصل إلي أبي بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أراد قتله ، فقال : أنا أرضيت لقوم كيما يحل دمي ؟ قال : نعم ، قال : إنما وجب الصلح بعد الختم فخشي القتل ، فقال : احتسب في خيراً أو اقتلني ، ورد عليّ زوجتي وكان أبو بكر - رضي الله تبارك وتعالي عنه - زوجة أخته أم فروة ، فقبل منه ورد عليه أهله ، ولم يكن قد بني بها ، والله تبارك وتعالي أعلم .

وأما إجابة الله تعالي دعاء رسوله ﷺ في مجيء ثمامة بن أثال بن النعمان بن مسلمة بن عبيد ابن ثعلبة بن يربوع بن الدؤل بن حنيفة الحنفي(١)

---

(١) أبو أمامة اليمامي ، حديثه في البخاري من طريق سعيد المقبري ، عن أبي هريـــرة ، قــال : بعث النبي ﷺ خيلا قبل نجد ، فجاءت برجل بني حنيفة : ثمامة بن أثال ، فربطوه بســارية مــن سوارى المسجد فخرج النبي ﷺ فقال : اطلقوا ثمامة ، فانطلق إلي نخل قريب مـــن المســجد ، فاغتسل ثم دخل المسجد ، فقال : أشهد ان لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله .

وأخرجه أيضا مطولا ، ورواه ابن إسحاق في المغازي ، عن سعيد المقبري مطــولا ، وأولــه : ثمامة كان عرض لرسول الله ﷺ فأراد قتله ، فدعا رسول الله ﷺ ربه أن يمكنه منه ، فلما أسلم قدم مكة معتمرا ، فقال : والذي نفسي بيده ، لا تأتيكم حبة من اليمامة - وكانت ريـــف أهــل مكة - حتي يأذن فيها رسول الله ﷺ .

وذكر أيضا ابن إسحاق أن ثمامة ثبت على إسلامه لما ارتد أهل ليمامة ، وارتحل هـــو ومـــن أطاعه من قومه ، فلحقوا بالعلاء الحضرمي ، فقاتل معه المرتدين من أهل البحريـــن ، فلمــا ظفروا اشتري ثمامة حلة كانت لكبيرهم فرآها عليه ناس من بني قيس بن ثعلبة ، فظنـــوا أنـــه هو الذي قتله وسلبه فقتلوه .

وروى ابن منك من طريق علباء بن أحمد عن عكرمـــة ، عـــن ابـــن عبـــاس قصـــة إســـلام ثمامة ورجوعه إلي اليمامة ومنعه عن قريش المبرة ، ونزول قوله تعالي : ﴿ **ولقـــد أخذنـــاهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون** ﴾ [المؤمنون : ٧٦] وإسناده حسن .

وله مقام في الردة ، وفب الإنكار علي بني حنيفة أبيات ، منها :

أهم بترك القول ثم يردنـــــي   إلي القول إنعام النبي محمد
شكرت له فكي من الغل بعدما   رأيت خيالا من حسام مهند

وكان ثمامة حين أسلم قال : يارسول الله ، والله لقـــد قدمـــت عليـــك ومـــا علـــي وجـــه الأرض وجه أبغض إلي من وجهك ، ولا دين أبغض إلي دينك ، ولابلد أبغض إلي من بلـــدك ، وما أصبح على وجه الأرض وجه احب إلي من وجهك ، ولا دين احب من دينك ، ولا بلد أحب إلي من بلدك .

فقال سيف : عن طلحة ، عن عكرمة قال : كان من حديث ثمامة بن أثال وسبب إسلامه أن ثمامة كان يتعرض لرسل النبي ﷺ يخيف طريقهم ، وكان المنذر بن ساوي والي قبائل ممن حولهم ، فأخذه رسول الله ﷺ فهم بقتله فخلصه عامر بن مسلمة ، فقال النبي ﷺ اللهم أمكني ثمامة بغير عهد ولا عقد .

فلما كان الحج خرج ثمامة حاجا . وخرج رجل من مكة يريد النبي ﷺ فضل ثمامة ، فلما دنا من المدينة لقية ذلك الرجل فتساءلا ، فأخذه الرجل ، فقال ثمامة : الحمد لله إذ رماني بخليل ولم يرمني برفيق ، ما أبالي متي بت ، فانتهي به إلي المدينة ، فأتي به إلي النبي ﷺ فقال : أنت سيد أهل اليمامة يا

= وقال محمد بن إسحاق : ارتد أهل اليمامة عن الإسلام غير ثمامة بن أثال ومن اتبعه من قومه ، فكان مقيما باليمامة ينهاهم عن اتباع مسيلمة وتصديقه ، ويقول : إياكم وأمرا مظلما لا نور فقيه ، وإنه لشقاء كتبه الله عز وجل على من أخذ به منكم ، وبلاء من لم يأخذ به منكم يا بني حنيفة .

فلما عصوه ورأى انهم قد اتفقوا على إتباع مسيلمة ، عزم على مفارقتهم ، ومر العلاء بن الحضري ومن تبعه على جانب اليمامة ، فلما بلغه ذلك قال لأصحابه من المسلمين : إني والله ما أرى أن أقيم مع هؤلاء مع ما قد أحدثوا ، وإن الله تعالي لضاربهم ببلية لا يقومون بها ولا يقعدون ، وما نرى أن نتخلف عن هؤلاء وهم مسلمون ، وقد عرفنا الذي يريدون ، وقد مروا بنا قريب ، ولا أرى إلا الخروج إليهم ، فمن أراد الخروج منكم فليخرج ممدا للعلاء بن الحضرمي ، ومعه أصحابه من المسلمين ، فكأن ذلك قد فت في أعضاد عدوهم حين بلغهم مدد

دعانا إلي ترك الديانة والهدي ... مسيلمة الكذاب إذ جاء يسجع
فياعجبا من معشر قد تتابعوا ... له في سبيل الغي والغي أشنع

في أبيات كثيرة ذكرها ابن إسحاق في الردة ، وفي آخرها :

وفي البعد دار قد أضل أهلها ... هدى واجتماع كل ذلك مهيع

(سيرة ابن هشام) : ٦/٥١ - ٥٢ ، (الاستيعاب) : ١/٢١٣ - ٢١٦ ، ترجمة رقم (٢٧٧) ، (الإصابة) : ١/٤١٠ - ٤١٢ ، ترجمة رقم (٩٦٢) ، (جمهرة أنساب العرب) : ٣١٢ ، (الفتوح) لابن أعثم : ١/٢٩ وما بعدها .

ثمامة ؟ فقال : أبو أمامة ، فقال : يا أبا أمامة ، فقال : ما كني رجل رجـــلا إلا كان منه في ذمة ، قال : وكيف ؟ قال : إنها ملاطفة ، قـــال : إذا أنســى فــي عمري بيدهم فقال : أقتلك ! أحب من يد ، أم ســـليم ، أو أعتقــك وتســلم ؟ أو أفاديك وتسلم ؟ فقال تقتل تقتل ذا دم ، وإن بعتني أن تفاديني عظيما ، فأمـــا ان أسلم قرا فوالله لا أسلم أبدا ! فقال : إني قد أعتقتك ، قال : فإني أشهد أن لا إلـــه إلا الله وأن محمدا رسول الله ، فأقر ، ثم مضي ، فقضي حجته ، ثم كتب إلـــي أهل مكة – وهم يومئذ مشركون حاربوا رسول الله ﷺ وكانت مادة أهل مكـــة في بعض الحالات من اليمامة – أنه فقال : والله الذي لا إله إلا هو ، لا تمـــروا أبدا من قبل اليمامة حتي تؤمنوا بالله ورسوله فأضر ذلك بأهل مكة ، فكتبوا إلـي النبي ﷺ يشكون إليه فكتب لهم إلي أبي أمامة : أن لا تقطع عنهم موادتهم التـي كانت تأتيهم من قبلك ، فجعل ذلك أبو أمامة وخلي عنهم ، وثبت على إســـلامه وكان خير ما كان حين تغير الناس وأقام على إسلامه وقاتل أهل الردة .

وقال سيف عن طلحة بن الأعلم

عن رجل من بني الحارث بن نيار عن أبيه وكان مع ثمامة بن أثال وبـدى إسلامه ، أن النبي ﷺ لما بعث العلاء بن المنذر إلـــي اهــل البحريـــن داعيـــة استجاب له المنذر ودخل في الإسلام ورجع العلاء فمر بجنبات اليمامة فـــأخذه ثمامة ، فلما قدم على النبي ﷺ أخبره فقال : اللهم اهد عامرا وأمكن بن عامر ، فخرج حاجا فتحير حين دنا من المدينة وقد خرج إلي النبي ﷺ فيما كان يخـرج إليه وكان سمع بالذي كان من ثمامة وبدعاء النبي ﷺ ، فسأل أحدهما صاحبه ، فأخذه العباس فأدخله المدينة فأتي النبي ﷺ فقال : قد أمكن الله منك يـــا ثمامـــة وجبسه ، ثم عرضه فقال : ما أصنع بك يـــا ثمامـــة ؟ أفديـــك أو أقتلـــك ؟ أو أطلقك ؟ ومع واحدة منهن أو تسلم ! فقال : إن تفاد تفاد عظيما ، وإن تقتل تقتـل عظيما ذا ذنب ، وإن تطلق تطلق عظيما شاكرا . قال : أسلم ، قال : أما دمـت في يدك فلا ، فمن عليه النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ على حجك . فـــأتي اهــل مكة ، فلما قضيَ نسمكه قال : يا معشر قريش إنكم تكذبون محمدا ، وتقاتلونــه ،

وقد عرفتم أن ميركم من اليمامة ، وأنتم والله لا يأتيكم ثمــرة ولا بـرة حتى تؤمنوا بمحمد ﷺ وتصدقوه ، فجس عنهم ميرة اليمامة فبعثوا أبا ســفيان إلى النبي ﷺ فساءله أن يبعث إلي ثمامة بأمره أن يخلي بينهم وبين المــيرة ففعل النبي ﷺ .

وخرج البخاري من حديث الليث

قال : حدثني سعيد بن أبي سعيد : أنه سمع أبا هريرة – رضي الله تبارك وتعالى عنه – يقول : بعث النبي ﷺ خيلاً قبل نجد ، فجاءت برجل مــن بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال فربطوه بسارية من سواري المسجد ، فخرج إليه النبي ﷺ فقال : أطلقوا ثمامة ، فانطلق إلي نخل قريب من المسجد فاغتسل ، ثم دخل المسجد فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله. ذكـره في الصلاة[1] في باب الأسير يربط في المسجد ، وخرجه في المغازي[2]

---

(١) (فتح الباري) : ٨٣١/١ ، كتاب الصلاة ، باب (٧٦) الاغتسال إذا أسلم وربط الأيسـر أيضا في المسجد ، حديث رقم (٤٦٢) ، وأخرجه في باب (٨٢) دخول المشرك المسـجد ، حديث رقم (٤٦٩) . وفي دخول المشرك المسجد مذاهب : فعن الحنفية الجواز مطلقا ، وعن المالكية والمزني المنع مطلقا ، وعن الشافعية التفصيل بين المسجد الحرام وغيرة للآية . وقيل : يؤذن للكتابي خاصة ، وحديث الباب يرد عليه فإن ثمامة ليس من أهل الكتاب . (فتح الباري) .
وأخرجه في كتاب الخصومات ، باب (٧) التوثق ممن تخشى معرته ، وقيد ابن عباس عكرمة على تعلم القرآن والسنن والفرائض ، حديث رقم (٢٤٢٢) ، وباب (٨) الربط والحبس في الحـرم ، واشترى نافع بن عبد الحارث دارا للمسجد بمكة من صفوان بن أمية...... ، حديث رقم (٢٤٢٣)

(٢) (فتح البارى) : ١٠٩/٨ ، كتاب المغازي باب (٧١) وفد بني حنيفة ، وحديث ثمامـة بـن أثال ، حديث رقم (٤٣٧٢) . وفي قصة ثمامة من الفوائد ربط الكافر في المسجد والمن علي الأسير الكافر ، وتعظيم أمر العفو عن المسيء لأن ثمامة بغضه انقلب حبا في ساعة واحدة لما أسداه النبـي ﷺ من العفو والمن بغير مقابل .
=

وخرج البخاري[1] ومسلم [2] من حديث الليث قال :

حدثني سعيد انه سمع أبا هريرة – رضي الله تبارك وتعالي عنه – قال : بعث رسول الله ﷺ خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له

= وفيه الاغتسال عند الإسلام ، وأن الإحسان يزيل البغض ويثبت الحب ، وأن الكافر إذا أراد عمل خير ثم أسلم شرع له أن يستمر في عمل ذلك الخير .

وفيه الملاطفة بمن يرجي إسلامه من الأسارى إذا كان في ذلك مصلحة للإسلام ، ولاسيما من يتبعه على إسلامه العدد الكثير من قومه .

وفيه بعث السرايا إلي بلاد الكفار ، وأسر من وجد منهم , والتخيير بعد ذلك في قتله أو الإبقاء عليه . (فتح الباري) .

(١) (راجع التعليق السابق) .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ١٢/٣٣٠-٣٣٣ ، كتاب الجهاد والسير ، باب (١٩) ربط الأسير وحبسه ، وجواز المن عليه ، حديث رقم (٥٩) . قال الإمام النووي : قال أصحابنا : إذا أراد الإسلام بادر بالاغتسال ، ولا يحل لأحد أن يأذن له في تأخيره ، بل يبادر به ثم يغتسل ، ومذهبنا أن اغتساله واجب إن كان عليه جنابة في الشرك ، سواء كان اغتسل منها أم لا ، وقال بعض أصحابنا : إن كان اغتسل أجزأه ، و إلا وجب .

وقال بعض أصحابنا وبعض المالكية : لا غسل عليه ، ويسقط حكم الجنابة بالإسلام ، كما تسقط الذنوب ، وضعفوا هذا بالوضوء . فإنه يلزمه بالإجماع ، ولا يقال : يسقط أثر الحدث بالإسلام. هذا كله إذا كان أجنب في الكفر .

أما إذا لم يجنب أصلا ثم أسلم ، فالغسل مستحب له وليس بواجب . هذا مذهبنا ، ومذهب مالك وآخرين ، وقال أحمد وآخرون : يلزمه الغسل .

قوله : " فانطلق إلي نخل قريب من المسجد " : هكذا هو في البخاري ومسلم وغيرهما " نخل " بالخاء المعجمة ، وتقديره : انطلق إلي نخل فيه ماء فاغتسل منه . قال القاضي : قال بعضهم : صوابه نجل بالجيم ، وهو الماء القليل المنبعث ، وقيل : الجاري ، قال الإمام النووي : بل الصواب الأول ، لأن الروايات صحت به ، ولم يرو إلا هكذا ، وهو صحيح ، ولا يجوز العدول عنه . (شرح النووي) .

ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة ، فربطوه بسارية من سواري المسجد ، فخرج إليه رسول الله ﷺ . فقال : ماذا عندك يا ثمامة ؟ فقال عندي يا محمد خير ، إن تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم علي شاكر . وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت فتركه رسول الله ﷺ حتي كان بعد الغد ، فقال له : ما عندك يا ثمامة ؟ قال : ما قلت لك : إن تنعم تنعم علي شاكر ، وإن تقتل تقتل ذا دم ، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت ، فتركه رسول الله ﷺ حتى كان من الغد ، فقال ماذا عندك يا ثمامة ؟ فقال : عندي ما قلت لك : إن تنعم تنعم علي شاكر ، وإن تقتل تقتل ذا دم ، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت ، فقال رسول الله ﷺ : أطلقوا ثمامة .

فانطلق إلي نخل قريب من المسجد ، فاغتسل ، ثم دخل المسجد فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . يا محمد ! والله ما كان على وجه الأرض أبغض علي من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلي . والله ما كان دين أبغض إلي من دينك ، فأصبح دينك أحب الدبن كله إلي والله ما كان أبغض بلد أبغض إلي من بلدك ، فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إلي وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا تري ؟ فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر ، فلما قدم مكة قال له قائل : أصبوت ؟ فقال : لا ، ولكني أسلمت مع رسول الله ﷺ ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ . وذكره البخاري في وفد بني حنيفة[1] .

وخرجه مسلم من حديث عبد الحميد بن جعفر ، قال : حدثني سعيد بن أبي سعيد المقبري انه سمع أبا هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - يقول بعث رسول الله ﷺ خيلاً له نحو أرض نجد ، فجاءت برجل يقال له ثمامة بن أثال الحنفي سيد أهل اليمامة . وساق الحديث بمثل حديث الليث إلا انه قال : إن تقتلني تقتل ذا دم . قال المؤلف : ولثمامة في محاربة مسيلمة بلاء حسن .

---

(١) راجع التعليق قبل السابق ، وأخرجه أبو داود في الجهاد ، باب ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه ، حديث رقم (٢٦٧٩) ، والنسائي : ١/١١٠ في الطهارة ، باب تقديم غسل الكافر إذا أراد أن يسلم ، حديث رقم (١٨٩) .

وأما إنذاره ﷺ بما كان بعده من محاربة أصحابه وقتل بعضهم بعضا

فخرج محمد من حديث محمد بن نور ، عن معتمر ، عن قتادة أنه تلي هذه الآية : ﴿ **فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون** ﴾[1] . فقال أنس : ذهب رسول الله ﷺ وبقيت النقمة ولم ير الله تعالي نبيه ﷺ في أمته شيئا يكرهه حتي مضى ولم يكن نبي قط إلا وقد رأى العقوبة في أمته إلا نبيكم ﷺ . قال الحاكم [2] : صحيح الإسناد .

وخرج البخاري في كتاب الفتن[3] من حديث شعبة ، عن علي بن مدرك سمعت أبا زرعة بن عمر بن جرير ، عن جده تجمير . قال : قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع استنصت الناس ، ثم قالوا : لا ترجعوا بعدي كفارا يضوب بعضكم رقاب بعض .

---

(١) الزخرف : ٤١ ، ﴿ **فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون** ﴾ أي لا بد أن ننتقم منهم ونعاقبهم ولو ذهبت انت ﴿ **أو نرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون** ﴾ أي نحن قادرون على هذا وعلى هذا ، ولم يقبض الله تعالي رسوله ﷺ حتى أنت عينه من أعدائه وحكمه في نواصيهم وملكة ما تضمنت صياصيهم ، هذا معني قول السدي واختاره ابن جرير وقال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا أبو ثور عن معمر قال : تلا قتادة ﴿ فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون ﴾ فقال ذهب النبي ﷺ وبقيت النقمة ولم ير الله تبارك وتعالي نبيا وقد رأى العقوبة في أمته إلا نبيكم ﷺ ، قال : وذكر لنا أن رسول الله ﷺ أري ما يصيب أمته من بعده فما رئي ضاحكا منبسطا حتى قبضه الله عز وجل .

(تفسير ابن كثير) : ٤ / ١٣٨ - ١٣٩ .

(٢) (المستدرك) : ٢ / ٤٨٥ ، كتاب التفسير ، باب (٤٣) تفسير الزخرف ، حديث رقم (٣٦٧٢) وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) صحيح .

(٣) (فتح الباري) : ٣٢/١٣ ، كتاب الفتن ، باب (٨) قول النبي ﷺ : " لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض " ، حديث رقم (٧٠٧٧) .

وذكره في كتاب الديات[٤] عن شعبة بهذا الإسناد ، قال النبي ﷺ في حجة الوداع استنصت الناس ، لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض . ورواه أبو بكر ، وابن عباس ، عن النبي ﷺ . وذكره في حجة الوداع ، عن شعبة عن علي ابن مدرك بهذا الإسناد نحوه .

وخرجه مسلم[١] أيضا من طريق شعبة كذلك .

وخرج البخاري في كتاب الفتن[٢] من حديث شعبة . قال: اخبرني واقد ، عن أبيه ، عن عمر - رضي الله تبارك وتعالي عنه - انه سمع النبي ﷺ يقول: لا ترجعوا بعدي كفار يضرب بعضكم رقاب بعض . وخرجه في كتاب الديات[٣] وذكره في كتاب الأدب[٤] عن شعبة به وقال فيه عن النبي ﷺ قال : ويلكم - أو ويحكم قال شعبة : شك هو - لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض .

وخرجه مسلم عن شعبة ، عن واقد بن محمد زيد أنه سمع أباه يحدث عن عبد الله بن عمر أنه قال في حجة الوداع : ويحكم أو قال : ويلكم - لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض[٥] .

ومن حديث عبد الله بن وهب قال : حدثني عمر بن محمدا أن أباه حدثه ، عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ بمثل حديث شعبة ، عن واقد [٦] .

---

(٤) (المرجع السابق) : ٢٣٥/١٢ ، كتاب الديات ، باب (٢) قول الله تعالي ﴿ ومن أحياها ﴾ قال ابن عباس : من حرم قتلها إلا بحق ، فكأنما أحيا الناس جميعا ، حديث رقم (٦٨٦٨،٦٨٦٩)

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٤١٦/٢ ، كتاب الإيمان ، باب (٢٩) بيان معني قول النبي ﷺ لا ترجعون بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ، حديث رقم (١٢٠) .

(٢) (سبق تخريجه) .

(٣) (سبق تخريجه) .

(٤) (فتح الباري) : ٦٧٦/١٠ ، كتاب الأدب ، باب (٩٥) ما جاء في قول الرجل : " ويلك " ، حديث رقم (٦١٦٦) .

(٥) (مسلم بشرح النووي) : ٤١٥/٢ ، كتاب الإيمان ، باب (٢٩) بيان معني قول ﷺ : لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ، حديث رقم (١٢٠) .

وخرج البخاري[1] من حديث محمد بن فضيل عن أبيه عن عكرمة ، عن ابن عباس - رضى الله تبارك وتعالى عنه - قال النبي ﷺ : لا ترتدوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض . وذكره من حديث أبي بكرة وفيه قصة[2] .

---

(٦) (المرجع السابق) : الحديث الذي يلي السابق ، بدون رقم . وقيل في معني هذا الحديث سبعة أقوال : أحدهما : أن ذلك كفر حق المستحل بغير حق . والثاني : المراد كفر النعمة وحق الإسلام . والثالث : أنه يقرب من الكفر ويؤدى إليه . والرابع : أنه فعل كفعل الكفار . والخامس : المراد حقيقة الكفر ، ومعناه لا تكفروا بل دوموا مسلمين . والسادس : حكاه الخطابي وغيره ، أن المراد بالكفار المتكفرون بالسلاح ، يقال : تكفر الرجل بسلاحه إذا لبسه . قال الأزهري في كتابه (تهذيب اللغة) : يقال للابس السلاح كافر . والسابع قال القاضي عياض رحمه الله : " يضرب " برفع الباء ، وهكذا رواه المتقدمون والمتأخرون ، وبه يصح المقصود هنا .

ونقل القاضي عياض رحمه الله : أن بعض العلماء ضبطه بإسكان الباء ، قال القاضي : وهو إحالة للمعني ، والصواب الضم . قال الإمام النووي : وكذا قال أبو البقاء العكبري : أنه يجوز جزم الباء على تقدير شرط مضمر ، أي إن ترجعوا يضرب . والله تعالي أعلم .

قوله : " ويحكم - أو قال : ويلكم " قال القاضي : هما كلمتان استعملها العرب بمعني التعجب والتوجع . قال سيبوية : ويل ، كلمة لمن وقع في هلكة ، وويح ، ترحم ، وحكي عنه ويح زجر لمن أشرف على الهلكة . قال غيره : ولا يراد بهما الدعاء ، بإيقاع الهلكة ، ولكن الترحم والتعجب .

وروي عن عمر بن الخطاب - رضي الله تبارك وتعالى عنه - : ويح كلمة رحمة وقال الهروي : ويح لمن وقع في هلكة لا يستحقها فيتحرحم عليه ، ويرثى له ، وويل للذي يستحقه ولا يترحم عليه . والله تعالي أعلم .

(١) (فتح الباري) : ٣٢/١٣ ، كتاب الفتن ، باب (٨) قول النبي ﷺ : لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ، حديث رقم (٧٠٧٩) .

(٢) المرجع السابق : حديث رقم (٧٠٧٨) مطولا ، ثم قال : فلما كان يوم حرق ابن الخضرمي حين حرقه جارية بن قدامة ، قال : أشرفوا على أبي بكرة فقالوا : هذا أبو بكرة يراك ، قال عبد الرحمن : فحدثتني أمي عن أبي بكرة أنه قال : لو دخلوا علي ما بهشت بقصبة . =

قال البيهقي[٣] وبلغني عن موسي بن هارون وكان من الحفاظ أنه سال عن هــذا الحديث فقال : هؤلاء أهل الردة ، قتلهم أبو بكر الصديق – رضـــي الله تبــارك وتعالى عنه – وقال بعض أهل العلم : معناه لا ترجعوا بعدي كفـــارا أي فرقــا مختلفين ، ويضرب بعضكم رقاب بعض ، فتكونوا في ذلك مضاهين للكفـــار ، فإن الكفار متعادون يضرب بعضهم رقاب بعض . والمسلمون متآخون بحقــن بعضهم رقاب[١] بعض . وقيل معناه : لا ترجعوا بعدي كفـــارا ، أي متكفريــن بالسلاح[٢].

وقال : الإمام أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكـــبري[٣] : قوله : يضرب إذا رفعته كان موضع الجملة نصبا صفة لكفار ، فيكون النـــهي

= قوله : " ما بهشت : بكسر الهاء وفتحها ، يقال : بهشي بعض القــوم إلــي بعــض إذا تراموا للقتال ، فكأنه قال : ما مددت يدي إلي قصبة ولا تناولتها لأدفع بها عني .

ويقال لمن نظر إلي شيء فأعجبه واشتهاه وأسرع إلي تناوله : بهشي إلي كذا . ويســتعمل أيضا في الخير والشر . (فتح الباري) مختصرا .

(٣) (دلائل البيهقي) : ٣٦٠/٦ ، باب ما جاء في تحذيره ﷺ من الرجوع إلي الكفر بعد الإيمان ، وإخباره بالتبديل الذي وجد بعد وفاتهم حتى قاتلهم أبو بكر الصديق – رضي الله تبارك وتعــالى عنه– بمن ثبت على دينه من أهل الإسلام .

(١) في الأصل : دماء بعض .

(٢) (المرجع السابق) : ٣٦١ .

(٣) هو أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله النحــوي الضرير العكبري الأصـــل ، البغــدادي المولد والدار . ولد في سنة (٥٣٨ هــ) ببغداد ، وكان نحويا ، فقهيا علـــى مذهـــب الإمـــام أحمد بن حنبل – رضي الله تبارك وتعالى عنه – كان ثقة صدوقا ، كثير المحظـــوظ ، دينـــا حسن الأخلاق متواضعا ، روى عن مشايخ زمانه ، أضر في صباه بالجدري ، وكان لا يمضي ساعة من ليل أو نهار إلا في شغل بالعلم .

وله من المؤلفات ما يدل علي سعة ثقافته العربية ، فهو مبرز في النحو ، عالم بالقراءات ، متمكن في اللغة ، محيط بفنون الأدب . قال ابن خلكان : وكان الغالب عليه النحو ، توفـــي =

عن كفرهم وضرب بعضهم رقاب بعض . فإنهم فعلوا . فقد وجد المنهي عنه إلا أنهما إذا اجتمعنا كان المنهي أشد . وقال بعض العلماء : النهي يكون عن الصفة الناشئة ونظيره : قول الرجل لزوجته : إن كلمت رجلا طويلا فأنت طالق ، فكلمت رجلا قصيرا ، لم تطلق ، فكذلك إذا رجعوا كفارا ولم يضرب بعضهم رقاب بعض . وهذا القول فيه بعد ، وذلك ان الكفر قد علم النهي عنه بدون ان يضرب بعضهم رقاب بعض ، ويجوز أن يروى يضرب بالجزم على تقدير شرط مضمر ، أي ترجعوا كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض . هذا الحديث من باب قوله تعالي ﴿ **فهب لي من لدنك وليا يرثني** ﴾ بالرفع والجزم إلا أن أكثر المحققين من النحويين لا يجيزون الجزم في مثل هذا الحديث لئلا يصير المعني . ألا ترجعوا كفارا ويضرب ، وهذا قيد المعني ، بل قال : لا ترجعوا بعدي كفارا تسلموا وتوادوا كان مستقيما ، لأن التقدير : ألا ترجعوا كفارا تسلموا .

ونظير ذلك قولك لا تدن من الأسد تنج ، أي ألا تدن فجعل التباعد من الأسد شيئا في السلامة ، وهذا صحيح . ولو قلت لا تدن من الأسد يأكلك ، كان فاسدا ، لأن التباعد منه ليس بسبب في الأكل ، فغن قلت : فلم لا يقدر أن يقال بغير لأن قيل : ينبغي أن يكون المعدود من جنس الملفوظ . وقد ذهب قوم إلى جواز الجزم ها هنا على هذا التقدير ،و عليه يجوز الجزم في هذا بالحديث . وقيل : ليس المراد النهي عن الكفر ، بل النهي عن الاختلاف المؤدي إلى القتل فعلي هذا يكون يضرب مرفوعا ، ويكون تغييرا ، للكفر المراد بالحديث . انتهي .

وخرج مسلم من حديث يحيي بن أيوب عن يزيد بن أبي حبيب ، عن مرثد ، عن عقبة بن عامر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قام : ﷺ علي قتلي أحد ، ثم صعد المنبر كالمودع للأحياء والأموات ، فقال : إني فرطكم على الحوض وإن عرضه كما بين أيلة إلي الجحفة ، وإني لست أخشي عليكم

=رحمه الله ليلة الأحد ثامن ربيع الآخر سنة (٦١٦هـ) . (إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن) : المقدمة ، باختصار وتصرف .

أن تشركوا ، بعدي ولكني أخشي عليكم الدنيا أن تتنافسوا فيها وتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم .

قال عقبة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - : وكان آخر ما رأيت رسول الله ﷺ على المنبر . ذكره في المناقب[1] وذكره البخاري في المغازي[2] من حديث ابن المبارك عن حيوة ، عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير ، عن عقبة بن عامر ، أن النبي ﷺ خرج يوما فصلي على أهل أحد صلاته على الميت ، ثم انصرف إلي المنبر فقال : إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم ، وإني لأنظر إلي حوضي الآن ، وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض ، أو مفاتيح الأرض ، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ، ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها .

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٦٤/١٥ ، كتاب الفضائل ، باب (٩) إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته ، حديث رقم (٣١) .

(٢) فتح الباري : ٤٤٢/٧ ، كتاب المغازي ، باب (١٧) غزوة أحد ، حديث رقم (٤٠٤٢) ، وأخرجه أيضا في باب (٢٨) أحد جبل يحبنا ونحبه . قاله عباس بن سهل عن أبي حميد عن النبي ﷺ ، حديث رقم (٤٠٨٥) . قوله ﷺ : " أحد جبل يحبنا ونحبه " للعلماء في معني ذلك أقوال :

أحدهما : أنه على حذف مضاف . والتقدير أهل أحد ، والمراد بهم الأنصار لأنهم جيرانه.

ثانيها : أنه قال ذلك للمسرة بلسان الحال إذا قدم من سفر ، لقربة من أهله ولقياهم ، وذلك فعل من يحب بمن يحب .

ثالثها : أن الحب من الجانبين على حقيقتة وظاهرة ، لكون أحد من جبال الجنة كما ثبت من حديث أبي عبس عن جابر مرفوعا : " جبل أحد يحبنا ونحبه وهو من جبال الجنة " أخرجه الإمام أحمد . ولا مانع في جانب البلد من إمكان المحبة منه كما جاز التسبيح منها ، وقد خاطبه ﷺ مخاطبة من يعقل فقال لما اضطرب " اسكن أحد " الحديث .

وقال السهيلي : كان ﷺ يحب الفأل الحسن ، والاسم الحسن ، واسم أحد من أسم مشتق من الأحدية فحركات حروفه الرفع ، وذلك يشعر بارتفاع دين الأحد وعلوه فتعلق الحب من النبي ﷺ به لفظا ومعني ، فخص من بين الجبال بذلك . والله تعالي أعلم .

وخرجه في كتاب الجنائز في باب الصلاة علي الشهيد[1] وفي آخر كتاب الرقاق[2] . وفي آخر غزوة أحد[3] ، وفي باب علامات النبوة في الإسلام[4] وقال : مفاتيح خزائن الأرض من غير شك .

وخرجه أبو داود[5] من حديث الليث بهذا الإسناد وانتهي من الحديث إلي قوله : ثم انصرف .

وخرجه النسائي[1] وانتهي إلي قوله : وأنا شهيد عليكم .

---

(١) (فتح الباري) : ٣/٢٦٨-٢٦٩ ، كتاب الجنائز ، باب (٧٢) الصلاة علي الشهيد ، حديث رقم (١٣٤٤) . وفيه جواز تكفين الرجلين في ثوب واحد لأجل الضرورة ، إما يجمعهما فيه ، وإما بقطعه بينهما ، وعلي جواز دفن اثنين في لحد ، وعلي استحباب تقديم أفضلهما لداخل اللحد ، وعلي أن شهيد المعركة لا يغسل . واستدل به علي مشروعيه الصلاة على الشهداء (فتح الباري) .

(٢) (المرجع السابق) : ١١/٢٩٣ ، كتاب الرقاق ، باب (٧) ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها ، حديث رقم (٦٤٢٦) .

(٣) سبق تخريجه ، وهو الحديث رقم (٤٠٨٥) من كتاب المغازي .

(٤) (المرجع السابق) : ٦/٧٥٨ ، كتاب المناقب ، باب (٢٥) علامات النبوة في الإسلام ، حديث رقم (٣٥٩٦) .

وخرجه أيضا في كتاب الرقاق ، باب (٥٣) في الحوض وقول الله تبارك وتعالي : ﴿**إنا أعطيناك الكوثر**﴾ . وقال عبد الله بن زيد : قال النبي ﷺ : " اصبروا حتي تلقوني على الحوض " حديث رقم (٦٥٩٠) .

(٥) (سنن أبي داود) : ٣/٥٥١-٥٥٢ ، كتاب الجنائز ، باب (٧٥) الميت يصلي على قبره بعد حين ، حديث رقم (٣٢٢٣) ، (٣٢٢٤) .

(١) (سنن النسائي) : ٤/٣٦٣ ، كتاب الجنائز ، باب (٦) الصلاة علي الشهداء ، حديث رقم (١٩٥٣) قوله : " إني فرط لكم " بفتحتين ، أي أتقدمكم لأهيئ لكم ، وفيه أن هذا توديع لهم قوله : " وأنا شهيد عليكم " يحمل كلمة " على في مثله على معني اللام ، أي شهيد لكم بأنكم آمنتم وصدقتموني ، وفيه تشريف لهم وتعظيم . وإلا فالأمر معلوم عنده تعالي ، والله تعالي أعلم . (حاشية السندي) .

وخرج ابن حبان[٢] من حديث مؤمل بن إسماعيل ، عن حماد بن سلمة ، عن يحيي بن سعيد الأنصاري ، عن عبيد سنوطا . عن خولة بنت قيس ، ان النبي ﷺ قال : إذا مشت أمتي المطيطاء[٣] وخدمتهم فارس والروم سلط بعضهم علي بعض[٤]

---

(٢) (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان) : ١١٢/١٥ ، كتاب التاريخ ، باب (١٠) إخباره ﷺ عما يكون فى أمته من الفتن والحوادث ، ذكر الإخبار عن الإمارة التي إذا ظهرت في هذه الأمة سلط البعض منها على بعض حديث رقم (٦٧١٦) ، وهو حديث صحيح إسناده ضعيف

(٣) المطيطاء مشية فيها تبختر ومد يدين ، والتمطي من ذلك ، لأنه إذا تمطي مد يديه ، قال تعالى : ﴿ **ثم ذهب إلي أهله يتمطي** ﴾ أي يتبختر .

(٤) وأخرجه البيهقي فى (دلائل النبوة) : ٥٢٥/٦ باب ما جاء في إخباره ﷺ باتساع الدنيا على امته حتى يلبسوا أمثال أستار الكعبة ويغدا ويراح عليهم بالجفان ويتنافسوا فيها حتى يضرب بعضهم رقاب بعض ، ثم قال : وأخبرنا أبو الحسن المقري ، أخبرنا الحسن بن محمد بن إسحاق ، حدثنا أبو الربيع حدثنا زيد بن الحباب ، حدثنا موسى بن عبيدة ، حدثنا عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ بمثله ، والله تعالى أعلم بالصواب .

وأخرجه الترمذى فى (السنن) : ٤/٤٥٦-٤٥٧ ، كتاب الفتن باب (٧٤) بدون ترجمة حديث رقم (٢٢٦١) ، وقال أبو عيسى : هذا حديث غريب ، وقد رواه أبو معاوية عن يحيي بن سعيد الأنصارى ، ثم قال : حدثنا بذلك محمد بن إسماعيل الواسطي حدثنا أبو معاوية عن يحيي ابن سعد عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ نحوه ، ولا يعرف لحديث أبي معاوية عن يحيي بن سعيد عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر أصل ، إنما المعروف حديث موسى بن عبيدة ، وقد روى مالك بن أنس هذا الحديث ، عن يحيي بن سعيد مرسلا ، ولم يذكر فيه : عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر رضي الله تبارك وتعالى عنه - .

وأما إخباره عليه الصلاة والسلام فاطمة الزهراء -رضي الله تبارك تعالى عنها - بأنها أول أهل بيته لحوقاً به فكان كذلك .

فخرج البخاري[1] من حديث مسروق ، عن عائشة - رضى الله تبارك وتعالى عنها - قالت : جاءت فاطمة - رضى الله تبارك وتعالى عنها - تمشي كان مشيتها مشي النبي ﷺ فقال النبي ﷺ مرحبا بابنتي ، ثم أجلسها عن يمينه أو شماله ، ثم أسر إليها حديثا فبكت فقلت لها : لم تبكين ، ثم أسر إليها حديثا فضحكت فقلت : ما رأيت كاليوم فرحا أقرب من حزن ، فسألها عما قال ، فقالت : ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ حتى قبض فسألتها فقالت : أسر إلي إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة ، وإنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي وإنك أول أهل بيتي لحاقا بي فبكت ، فقال : أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة ؟ أو نساء المؤمنين ؟ فضحكت لذلك ، وسيرد هذا الحديث إن شاء الله تعالي .

(١) (فتح الباري) : ٦/٧٧٨-٧٧٩ ، كتاب المناقب ، باب (٢٥) علامات النبوة في الإسلام ، حديث رقم (٣٦٢٣) ، (٣٦٢٤) .

فصل في ذكر غنم رسول الله ﷺ

اعلم أنه كان لرسول الله ﷺ من الغنم مائة ، وكان له منائح سبع وقيل عشر .

خرج الحاكم من حديث لقيط بن صبرة عن النبى ﷺ أنه قال : لنا غنم مائه[1] وسيأتى بطوله إن شاء الله تعالى .

وخرجه البخاري فى (الأدب المفرد) من حديث إسماعيل، عن عاصم بن لقيط بن صبرة، عن أبيه، قال ابن سعد عن الواقدي ، عن إبراهيم بن سويد الأسلمي ، عن عباد بن منصور، عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : كانت للنبي ﷺ سبعة أعنز ترعاهن أم أيمن[2] وقال الواقدي : عن عبد الملك بن سليمان بن أبي المغيرة، عن محمد بن عبد الله بن الحصين قال : كانت منائح رسول الله ﷺ ترعى بأحد وتروح فى كل ليلة على البيت الذى يدور فيه رسول الله ﷺ[3] ، قالوا : وكانت منائح رسول الله ﷺ من الغنم سبعاً : عجوة، وزمزم، وسقيا ، وبركة، وورسة، وإطلال، وإطراف . وعن وجيهة : كان لرسول الله ﷺ أعنز سبع ، فكان الراعي يبلغ بهن مرة الجماز . ومرة أحداً ، وتروح علينا . وقد روي أنه كان له ﷺ شاة يختص بشرب لبنها ترعى عيينة، وكان له ديك أبيض ، ولم ينقل أنه اقتنى من البقر شيئاً . وقيل: كانت له شاة تسمى غوثة، وعنز تسمى اليمن، وشاه تسمى قمر، ماتت . فقال : مافعلتم بإهابها قالوا : ميتة ! قال : دباغها طهورها[4] .

(١) (المستدرك) : ١٢٣/٤، كتاب الأطعمة، حديث رقم (٧٠٩٤)

(٢) (طبقات ابن سعد) : ٤٩٥/١

(٣) (طبقات ابن سعد) : ٤٩٦/١ .

(٤) (طبقات ابن سعد) : ٤٩٦/١، واخرجه ابن سيد الناس فى (عيون الأثر) : ٣٢٣/٢ .

فصل فى ذكر حمى رسول الله ﷺ

خرج البخارى من حديث ابن شهاب، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس - رضى الله تبارك وتعالى عنهما - أن الصعب بن جثامة قال : إن رسول الله ﷺ قال : لا حمى إلا لله ولرسوله ، وقال : بلغنا أن النبى ﷺ حمى النقيع، وأن عمر - رضى الله تبارك تعالى عنه - حمى السرف والربذة . ذكره فى كتاب الشرب[1] .

وخرجه أبو داود قبله، وفى لفظ آخر له : أن النبى ﷺ حمى النقيع وقال : لا حمى إلا لله عز وجل[2] ، وخرجه النسائى ولفظه : لا حمى إلا لله ولرسوله. وقال الحافظ أبو نعيم : صحيح متفق عليه، رواه عن الزهرى صفوان، أن ابن سليم ، وعمرو بن دينار ، ومحمد بن عمرو ، ومعمر ، وعقيل ، ويونس الزبيدى ، وإسحاق ابن راشد ، وعبد الرحمن بن عبد الله ابن خالد ، وأبو المغيرة بن عبد الرشيد الخزامي فى آخر ، يرويه عن الزهرى .

ولابن حبان من حديث عبد الله بن نافع، حدثنا عاصم ابن عمر، عن عبدالله بن دينار، عن ابن عمران ، أن النبي ﷺ حمى النقيع لخيل المسلمين . وقال الواقدي : حدثني ابن أبى سبرة، عن شعيب بن شداد، قال : لما مر رسول الله ﷺ بالنقيع منصرفه من المريسيع ، ورأى سعةً، وكلأً، وغدراً كثيرةً تتناخس، وخبر بمراءته وبراءته، فسأل عن الماء فقيل : يارسول الله، إذا صفنا قلت المياه، وذهبت الغدر، فأمر رسول الله ﷺ حاطب بن أبى بلتعة أن يحفر

---

(١) (فتح الباري) : ٥٦/٥، كتاب المساقاة، باب (١١) لا حمى إلا لله ولرسوله، حديث رقم (٢٣٧٠) فى (الأصل) : «كتاب الشرب» وأثبتناه من كتاب المساقاة وأخرجه أيضاً فى كتاب الجهاد، باب (١٤٦) أهل الدار يبيتون، فيصاب الولدان والذراري، حديث رقم (٣٠١٢) وهو جزء من حديث طويل .

(٢) (سنن أبى داود) : ٤٦٠/٣ - ٤٦٢، كتاب الخراج والإمارة والفئ، باب (٣٩) فى الأرض يحميها الإمام أو الرجل، حديث رقم (٣٠٨٣) ، (٣٠٨٤)، وأخرجه أيضاً الدارقطني فى (السنن) : ٢٣٨/٤، حديث رقم (١٢١) عنع مر بن شعيب عن أبيه، عن جده، وحديث رقم (١٢٢) عنعمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أيضاً وأخرجه أيضاً أبو عبيد فى كتاب (الأموال) : ٢٧١، باب حمى الأرض ذات الكلأ والماء، حديث رقم (٧٢٨).

بئراً، وأمر بالنقيع أن يُحمى، واستعمل عليه بلال بن الحارث المزني، فقال بلال: يارسول الله، وكم أحمي منه ؟ قال : أقم رجلاً صيتاً إذ اطلع الفجر على هذا الجبل - يعنى مقملاً - فحيث انتهى صوته فاحمه لخيل المسلمين وإبلهم التى يغزون عليها . قال بلال : يارسول الله، أفرأيت ماكان من سوائم المسلمين ؟ فقال : لا تدخلها . قلت : يارسول الله، أرأيت المرأة والرجل الضعيف تكون له الاشية اليسيرة وهو يضعف عن التحول ؟ قال : دعه يرعى . فلما كان زمان أبى بكر - رضى الله تبارك وتعالى عنه - حماه على ماكان رسول الله ﷺ حماه، ثم كان عمر فكثرت به الخيل، وكان [زمن] عثمان فحماه أيضا[1] .

وقال عمر بن شيبة : حدثنا معن، حدثنا عبدالله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر أن النبي ﷺ حمى النقيع للخيل ، وحمى الربذة للصدقة . وحدثنا هارون ابن معروف قال : حدثنا ضمرة بن ربيعة، عن رجاء بن جميل أن رسول الله ﷺ حمى وادي نخلة للخيل المضمرة[2] .

وخرج الحاكم من حديث عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عباس بن أبى ربيعة، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس، عن الصعب بن جثامة : أن رسول الله ﷺ حمى النقيع وقال : لا حمى إلا لله ولرسوله[3] . قال : وهو صحيح الإسناد.

بلال بن الحارث[4] بن عصم بن سعد بن قرة المزنى ، أبو عبد الرحمن وفد سنة خمس فى وفد مزينة ، وكان أحد من حمل ألوية مزينة يوم الفتح وهو فى الطبقة الثالثة من المهاجرين ، وله سماع من رسول الله ﷺ ورواية عنه، روى عنه . ابنه الحارث[5] بن بلال وعلقمة بن وقاص وغيرهما ، وخرج له أبو داود،

---

(١) (مغازى الواقدي) : ٢/٤٢٥ -٤٢٦ .

(٢) الواقدي (مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع) : ٣/ ١٤٢٠

(٣) (المستدرك) : ٢/ ٧٠، كتاب البيوع، حديث رقم (٢٣٥٨) وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص) : على شرط البخارى ومسلم، وأخرجا منه آخره

(٤) (تهذيب التهذيب) : ١/ ٤٤٠، ترجمة رقم (٩٢٩)

(٥) (المرجع السابق) : ٢/ ١١٩، ترجمة قم (٢٣١)

والترمذي ، والنسائي وابن ماجة . توفى سنة ستين من ثمانين سنه . والنقيع بالنون[١] على عشرين فرسخاً عن المدينة عرضه ميل فى طول يزيد رقبة شجر وهو أخصب وادٍ هناك ، وهو عور فى صدر وادى العقيق، قال الخطابى: من قاله بالباء فقد صحفه، وقال البكرى : وهو بالباء مثل بقيع الغرقد، ووقع فى كتاب (الأصيل) بالغاء بدلاً من القاف بعد النون وهو تصحيف ومعنى حمى النقيع جعله محظوراً ألا يقرب مرعاه .

فصل فى ذكر ديك رسول الله ﷺ إن صح الحديث

قال عبدالمنعم بن شيرانا بن وهب حدثنا عبدالله بن سعيد، حدثنا أبى، حدثنا أبو الدرداء، حدثنا رسول الله ﷺ قال : مازلت بالأشواق وإلى الديك الأبيض مذ رأيت ديك الله تعالى تحت عرشه ليلة أسرى بى ديكاً أبيض زغبة أخضر كالزبرجد، وعرفه ياقوتة حمراء، وعيناه من ياقوتتين حمراءين ، ورجلاه من ذهب أحمر فى تخوم الأرض السفلى، وتحت العرش عنقه، أحسن هى ، رأينه ومنقاره من ذهب يتلألأ نوراً ، فإذا كان فى الثلث الأول نشر جناحيه يخفق بهما، وقال : سبحان ذى الملك والملكوت، يقول ذلك ثلاث مرات من أول الليل ، فإذا خفق خفقت الديوك فى الأرض ، وصرخت كصراخه، فإذا كان فى الثلث الأوسط فعل مثل ذلك، وقال : سبحان من هو دائم قيوم، سبحان من نامت العيون وعين سيدى لا تنام، سبحان الدائم القيوم، سبحان من خلق الصباح بإذنه، لا إله إلا هو سبحانه . قال : فاتخذ رسول الله ﷺ ديكاً أبيض، قال : الديك الأبيض صديقى ،وصديق صديقى ، وعدوه عدوى، والله تعالى يحرس دار صاحبه وعشراً عن يمينها ، وعشراً عن يسارها ، وعشراً من بين يديها ، وعشراً من خلفها ، وكان رسول الله ﷺ يبيته معه فى البيت[٢] .

---

(١) (معجم البلدان) : ٣٤٨/٥ -٣٤٩، موضع رقم (١٢١٢١)

(٢) (الموضوعات لابن الجوزي) : ٣/٦-٧) مع اختلاف يسير فى اللفظ، وأخرجه أيضاً فى(الأسرار المرفوعة) الأخبار الموضوعة) لعلي القاري ٤٣٠ - ٤٣١ . قلت : وعلامات الوضع لائحة عليه !!

وقد أدرك المقريزى يرحمه الله - ذلك وتحفظ فى عنوان الفصل بقوله : «إن صح الحديث» .

فصل فى ذكر مآكل رسول الله ﷺ وشؤونه فيها

اعلم أن رسول الله ﷺ أكل على مائدة، وعلى الأرض، وكانت له قصعة كبيرة، وأكل خبز الشعير، وائتدم بالخل، وأكل القثاء، والدباء، والتمر، والأقط، والحيس، والثريد، واللحم، والقديد،والشواء، ولحم الدجاج، ولحم الحبارى، وأكل الخبيص، والهريسة وعافى أكل الضبّ، واجتنب ماتؤذى رائحته، وأكل الجمار، والتمر، والعنب، والرطب، والبطيخ، وكان يحب الحلواء والعسل، وجمع بين إدامين ولم يأكل متكئاً، ولاصدقة .

وأما أكله ﷺ على مائدة وسفرة

فقد خرج البخارى من حديث الحسين بن مهران قال : سمعت فرقداً[(١)] صاحب النبى ﷺ يقول : رأيت رسول الله ﷺ وأكلت على مائدته .

ومن حديث قتادة، عن أنس قال : ماعلمت النبي ﷺ أكل لى سكرجة قط، ولا خبز له مرقق قط، ولا أكل على خوان قط . قيل لقتادة : فعلى ما كانوا يأكلون ؟ قال : على السفر . ذكره فى الأطعمة[(٢)]

(١) فرقد، صاحب النبي ﷺ، ذكره البخاري وغيره، وقال : أدرك النبيّ ﷺ ، وكذا قال ابن أبى حاتم، ويذكر أنه رأى النبيّ ﷺ وطعم على مائدته .

قال البخارى : حدثنا محمد بن سلام ؛ قال :حدثنى الحسين بن مهران الكرماني، قال : رأيت فرقداً صاحب النبي ﷺ قال : رأيت محمداً ﷺ وطعمت معه على مائدته .

وقال ابن منده : روى عنه حديثه محمد بن سلام، فذكره . وقال فى الترجمة: فرقد أكل على مائدة رسول الله ﷺ ، وتعقبه أبو نعيم بأن الحسن هو الذى أكل على مائدة فرقد .

قال الحافظ : وهو تعقب مردود، فقد أخرجه ابن السكن من وجه آخر عن محمد بن سلام عن الحسن .. عن رجل من الصحابة، قال أكلت مع رسول الله ﷺ، ورأيت عليه قلنسوة بيضاء فى وسط رأسه، قال : وكان قد أتى على فرقد مائة وخمس سنين .

وكذا أخرجه الحكيم الترمذي فى (نوادر الأصول) ، فالواهم فيه أبو نعيم . (الإصابة) : ٥/٣٦٣ - ٣٦٤، ترجمة رقم ٦٩٧٩)، (الاستيعاب) : ١٢٥٩/٣، ترجمة رقم (٢٠٧٢) .

(٢) (فتح الباري) : ٦٦٢/٩، كتاب الأطعمة، باب (٨) الخبز المرقق، والأكل على الخوان والسفرة، حديث =

وخرَّج ابن حبان من حديث مسلم الأعور، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس - رضى الله تبارك وتعالى عنه - قال : كان رسول الله ﷺ يجلس على الأرض، ويأكل على الأرض، قال الحكيم الترمذى : الخوان هو المرتفع عن الأرض بقوائمه والمائدة ما مد وبسط، والسفر ما أسفرعما فى جوفه وذلك أنها مضمومة معاليقها .

وأما قصعته ﷺ

فخرَّج ابن حبان من حديث عثمان بن سعيد بن كثير الحمصى، حدثنا محمد ابن عبدالرحمن الحمصي . قال : سمعت عبد الله بن بشر قال : كان لرسول الله ﷺ جفنة لها أربع حلق . قال مؤلفه : سيأتى ذكر القصعة الغراء فى المعجزات عند ذكر إخباره ﷺ بما يفتح الله لأمته إن شاء الله تعالى

وأما خبزه ﷺ

فخرَّج البخاري فى كتاب الأطعمة(١) من حديث محمد بن فضيل، عن أبيه، عن أبى حازم، عن أبى هريرة قال : ماشبع آل محمد ﷺ من طعام منذ قدم المدينة ثلاث أيام حتى قبض .وخرَّجه مسلم من حديث يزيد بن كيسان، عن أبى حازم، عن أبى هريرة قال : والذى نفسى بيده ما أَشْبَعَ رسول الله ﷺ أهله ثلاثة أيام تباعاً من خبز حنطة حتى فارق الدنيا(٢) . وللترمذىّ فى (الشمائل) من حديث قتادة، عن أنس أن النبي ﷺ لم يجتمع عنده غداء ولا عشاء من خبزٍ ولحمٍ إلا على ضفف(٣) قال عبد الله بن عبد الرحمن : قال بعضهم : هو

= ورقم (٥٣٨٦) . فى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب (٢٤) الأحكام التى تعرف بالدلائل، وكيف معنى الدلالة وتفسيرها ... وسئل النبى ﷺ عن الضب فقال : لا آكله ولا أحرمه، و أكل على مائدة النبى ﷺ الضب، فاستدل ابن عباس بأنه ليس بحرام، حديث رقم (٧٣٥٨) .

(١) (فتح الباري) : ٩/٦٨٦، كتاب الأطعمة، باب (٢٣) ماكان النبى ﷺ وأصحابه يأكلون، حديث رقم (٥٤١٦)

(٢) (مسلم بشرح النوويّ) : ١٨/٣١٨، كتاب الزهد والرقائق، باب (٥٣) الزهد والرقاق، حديث رقم (٣٢)

(٣) (الشمائل المحمدية) : ٣١٨ - ٣١٩، حديث رقم (٣٧٧)، وأخرجه أيضاً فى (مسند أحمد) : ٤/١٧٥، حديث رقم (١٣٤٤٧)

كثرة الأيدى : وقال مالك بن دينار : سألتُ رجلاً من أهل البادية : ما الضفف؟ قال: يتناول مع الناس .

وللبخارىّ من حديث ابن أبى ذئب، عن سعيد المقبري عن أبى هريرة -رضي الله تبارع وتعالى عنه - أنه مرَّ بقوم بين أيديهم شاة مصلية فدعوه، فأبى أن يأكل وقال : خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير. ذكره فى الأطعمة[1] فى باب ماكان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون .

وللترمذي من حديث هلال بن حباب ، عن عكرمة، عن ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : كان رسول الله ﷺ يبيت الليالى المتتابعة طاوياً هو وأهله لايجدون عشاءً، وكان أكثر خبزهم الشعير[2] . قال : هذا حديث حسن صحيح.

وخرج البحاري[3] ومسلم[4] من حديث هشام الدستوائى، عن قتادة، عن أنس - رضى الله تبارك وتعالى عنه - أنه مشى إلى النبيّ ﷺ بخبز شعير وإهالة سنخة، ولقد رهن النبيّ ﷺ درعاً له بالمدينة عند يهودي وأخذ منه شعيراً لأهله . ولقد سمعته يقول : ما أمسى عند آل محمد ﷺ صاع برّ ولا صاع حب وإن عنده لتسع نسوة. ذكره البخاري فى كتاب البيوع فى باب شراء النبي ﷺ بالنسيئة، وخرجه الترمذي[5] وقال : هذا حديث حسن صحيح .

وللبخاري من حديث همام بن يحيى حدثنا قتادة قال : كنا نأتي أنس بن مالك وخَبَّازه قائم وقال : كلوا ، فما أعلم النبيّ ﷺ رأى رغيفاً مرفقاً حتى لحق

---

(١) (فتح البارى) : ٦٨٦/٩، كتاب الأطعمة، باب (٢٣) ماكان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون، حديث رقم (٥٤١٤).

(٢) (الشمائل المحمدية) : ١٤٧، باب (٢٥) ماجاء فى صفة خبز رسول الله ﷺ ، حديث رقم (١٤٦) .

(٣) (فتح الباري) : ٣٧٩/٤، حديث رقم (٢٠٦٩)

(٤) (مسلم بشرح النووي) : ٤٣/١١ - ٤٤، كتاب المساقاة ، باب (٢٤) الرهن وجوازه فى الحضر والسفر، حديث رقم (١٢٤) ، (١٢٥)، (١٢٦) بطرق مختلفة .

(٥) (سنن الترمذي) : ٥١٩/٣ - ٥٢٠، كتاب البيوع، باب (٧) ماجاء فى الرخصة فى الشراء إلى أجل، حديث رقم (١٢١٥) .

بالله، ولارأى شاة سميطاً بعينه قط، ذكره في الرقاق[١]، في باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه، وتخليهم من الدنيا .

وذكره بهذا الإسناد في كتاب الأطعمة في باب شاة[٢] مسموطة والكتف والجنب وذكره في الأطعمة أيضاً في باب الخبز المرقق والأكل[٣] على الخوان والسفرة، ولفظه : ما أكل رسول الله ﷺ خبزاً مرققاً، ولاشاة مسموطة، حتى لقي الله .

وللبخاري والنسائي من حديث عبد الوارث حدثنا سعيد بن أبي عروية، عن قتادة، عن أنس - رضى الله تبارك وتعالى عنه - قال : لم يأكل النبي ﷺ على خوان حتى مات، وما أكل خبزاً مرققاً حتى مات، ذكره البخاري في باب[٤] فضل الفقر ، وذكره النسائي في كتاب الوليمة[٥] .

وللبخاري من حديث أبي حازم قال : سألت سهل بن سعد فقلت : هل أكل رسول الله ﷺ النقي؟ قال : مارأى رسول الله ﷺ النقي من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله . قال : فقلت : هل كانت لكم في عهد رسول الله ﷺ مناخل ؟ قال: مارأى رسول الله ﷺ منخلاً من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله. قال : قلت : كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول ؟ قال : كنا نطحنه وننفخه، فيطير ماطار، ومابقى نثريه فأكلناه . ذكره في الأطعمة[٦] .

وذكره من حديث جرير، عن منصور، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها قالت : ماشبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام البر ثلاث ليالٍ تباعاً حتى قبض[٧] . ذكره في الأطعمة ، وفي الرقاق[٨] .

---

(١) (فتح الباري) : ١١/٣٤٠، حديث رقم (٦٤٥٧) .

(٢) (فتح الباري) : ٩/٦٨٨-٦٨٩ ، حديث رقم (٥٤٢١)

(٣) (المرجع السابق) : ٩/٦٦٢، حديث رقم (٥٣٨٥)

(٤) (المرجع السابق) : ١١/٣٢٩، حديث رقم (٦٤٥٠)

(٥) كتاب الوليمة من (الكبرى) .

(٦) (فتح الباري) : ٩/٦٨٥ - ٦٨٦، حديث رقم (٥٤١٣)

(٧) سبق تخريجه قريباً .

(٨) سبق تخريجه قريباً .

وخرَّجه مسلم من حديث الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة - رضى الله تبارك وتعالى عنها - قالت : ماشبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيامٍ تباعاً من خبز بُرٍ حتى مضى لسبيله[1] .

ومن حديثٍ أبى إسحاق قال : سمعت عبد الرحمن بن يزيد يحدث عن الأسود، عن عائشة- رضي الله تبارك وتعاليعنها - أنها قالت : ماشبع آل محمد ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله ﷺ[2] .

وللبخارى[3] ومسلم[4] من حديث سفيان، عن عبد الرحمن بن عباس، عن أبيه، عن عائشة - رضى الله تبارك وتعالى عنها- قالت : ماشبع آل محمد من خبز البُرّ فوق ثلاث ليالٍ . ولمسلم به قال : ماشبع آل محمد من خبز برّ فوق ثلاث ليال .

وله من حديث هشام بن عروة عن أبيه قال : قالت عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها- ماشبع آل محمد من خبز البر ثلاثاً حتى مضى لسبيله .

وللبخاري من حديث مسعر بن كدام عن هلال، عن عروة، عن عائشة - رضى الله تبارك وتعالى عنها - قالت : ما أكل آل محمد أكلتين فى يوم إلا إحداهما تمر[5] .

وخرجه مسلم ولفظه : ماشبع آل محمد يومين من خبز بُر إلا وأحدهما تمر[6] .

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٣١٥/١٨، كتاب الزهد والرقاقة، باب (٥٣) ، حديث رقم (٢٠٠)

(٢) (المرجع السابق) : حديث رقم (٢٢)

(٣) سبق تخريجه قريباً .

(٤) سبق تخريجه قريباً

(٥) (فتح الباري) : ٢٤٠/١١، كتاب الرقاق، باب (١٧) كيف كان عيش النبى ﷺ وأصحابه وتخليهم عن الدنيا، حديث رقم (٦٤٥٥)، وفيه إشارة إلى أن التمركان أيسر عندهم من غيره، وفيه إشارة إلى أنهم ربما لم يجدوا فى اليوم إلا أكلة واحدة، فإن وحدوا أكلتين فإحداهما تمر .

ووقع عند مسلم من طريق وكيع عن مسعد بلفظ : « ماشبع آل محمد يومين من خبز البرّ إلا وأحدهما تمر » .

وقد أخرج ابن سعد من طريق عمران بن يزيد المدنى، حدثني والدي قال : دخلنا على عائشة فقالت : «خرج - تعنى النبى ﷺ - من الدنيا ولم يملأ بطنه فى يوم من طعامين، ، كان إذا شبع من التمر لم يشبع من الشعير، وإذا شبع من الشعير لم يشبع من التمر » . وليس فى هذا مايدل على ترك الجمع بين لونين . (فتح الباري) .

(٦) (مسلم بشرح النووي) : ٣١٦/١٨، كتاب الزهد والرقاق، حديث رقم (٢٩٧١) .

وأما ائتدامه بالخلّ

فخرج ابن حبان من حديث ياسين بن معاذ، وعن عطاء، عن ابن عباس - رضى الله تبارك وتعالى عنه - قال : كان أحب الصباغ إلى رسول الله ﷺ الخل .

وللترمذي من حديث أبى بكر بن عياش، عن أبى حمزة الثمالى، عن الشعبىّ، عن أم هانئ بنت أبى طالب قالت :دخل عليٌّ رسول الله ﷺ فقال : هل عندكم شئ ؟ فقلت : لا، إلا اكسرٌ يابسه وخلّ، فقال رسول الله ﷺ : قربيه فما أقفر بيت من أدم فيه خَلّ . قال هذا حديث حسن غريب من حديث أم هانئ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وأبو حمزة الثمالى اسمه ثابت بن أبى صفية، وأم هانئ ماتت بعد عليّ - رضى الله تبارك وتعالى عنه - بزمان[(١)].

ولمسلم من حديث أبى عوانة، عن أبى بشر، عن أبى سفيان، عن جابر بن عبد الله أن النبى ﷺ سأل أهله الأدم فقالوا : ماعندنا إلا خلّ، فدعابه، فجعل يأكل، به ويقول : نعم الأدم الخل، نعم الأدم الخل[(٢)] .

---

(١) (سنن الترمذي) : ٢٤٦/٤، كتاب الأطعمة، باب (٢٥) ماجاء فى الخل، حديث رقم (١٨٤١) . ثم قال : وسألت محمداً عن هذا الحديث فقال : لا أعرف للشعبيّ سماعاً من أم هانئ، فقلت : أبو حمزة كيف هو عندك؟ فقال : أحمد بن حنبل تكلم فيه، وهو عندى مقارب الحديث .

وحديث (١٤٨٢) عن جابر عن النبي ﷺ قال : : نعم الإدام الخل . قال أبو عيسى : وهذا أصح من حديث مبارك بن سعيد

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ٢٤٩/١٣ - ٢٥٠، كتاب الأشربة، باب (٣٠) فضيلة الخل والتأدم به، حديث رقم (١٦٦) . وفى الحديث فضيلة الخل ، وأنه يسمى أدماً، وأنه أدم فاضل جيد، قال أهل اللغة : الإدام بكسر الهمزة مايؤتدم به . يقال : أدم الخبز يأدمه بكسر الدال، وجمع الإدام أدُم بضم الهمزة والدال، كإهاب وأهب، وكتاب وكتب .

وفيه النهى عن التأنق فى الشهوات، فإنها مفسدة للدين، سقمة للبدن ، هذا كلام الخطابىّ ومن تابعه . والصواب الذى ينبغى أن يجزم به أنه مدح للخل نفسه، وأما الاقتصار فى المطعم وترك الشهوات فمعلوم من قواعد أخر . والله تعالى أعلم .

وأخرجه أبو داود فى كتاب الأطعمة، باب (٤٠) فى الخل، حديث رقم (٣٨٢٠) ، (٣٨٢١) . معنى =

ومن حديث إسماعيل بن علية، عن المثنى بن سعيد قال : حدثنا طلحة بن نافع أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : أخذ رسول الله ﷺ بيدى ذات يوم إلى منزله، فأخرج إليه فلقاً من خبز فقال : مامن أدم ؟ قالوا : إلا شئ، من خل، قال : فإنّ الخل نعم الأدم . قال جابر : فما زلتُ أحبّ الخلّ منذ سمعتها من رسول الله ﷺ، وقال طلحة : مازلت أحب الخل منذ سمعتها من جابر .(١)

ومن حديث يزيد بن هارون قال : حدثنا حجاج بن أبى زينب قال : حدثنى أبو سفيان طلحة بن نافع قال : سمعت جابر بن عبد الله - رضى الله تبارك وتعالى عنه - قال : كنت جالساً فى داري فمرّ بي رسول الله ﷺ فأشار إليّ فقمت إليه، فأخذ بيدى فانطلقنا حتى أتى بعض حجر نسائه فدخل، ثم أذن لى فدخلت الحجاب عليها، فقال : هل من غداء؟ فقالوا : نعم، فأتى بثلاثة أقرصة فوضعن على نبى(٢)، فأخذ رسول الله ﷺ قرصاً فوضعه بين يديه وأخذ

= هذا الكلام : الاقتصاد فى المأكل ومنع النفس عن ملاذ الأطعمة، كأنه يقول : ائتدموا بالخل، وماكان فى معناه مما تخف مؤنته ولايعزّ وجوده . (معالم السنن) .

وأخرجه الترمذي فى كتاب الأطعمة، باب (٣٥) ماجاء فى الخل، حديث رقم (١٨٣٩) وقال : وفى الباب عن عائشة وأم هانئ، ثم قال : حدثنا عبدةُ بن عبد الله الخزاعيّ البصري، حدثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن محارب بن دثار عن جابر، عن النبي ﷺ قال : نعم الإدام الخَلّ ، قال أبو عيسى هذا أصح من حديث مبارك بن سعيد [الحديث رقم (١٨٣٩)] .

وحديث رقم (١٨٤٠) وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، لا نعرفه من حديث هشام بن عروة إلا من حديث سليمان بن بلال .

وأخرجه ابن ماجة فى كتاب الأيْمان، باب (٢١) إذا حلف أن لا يأتدم فأكل خبزاً بخل، حديث رقم (٣٨٠٥) .

وأخرجه ابن ماجة فى كتاب الأطعمة، باب (٣٣) الائتدام بالخل، حديث رقم (٣٣١٦)، (٣٣١٧)، (٣٣١٨) وفيه : «نعم الإدام الخل، اللهم بارك فى الخل فإنه كان إدام الأنبياء قبلى، ولم يفتقر بيت فيه خل .

(١) (مسلم بشرح النووى) : ١٣/ ٢٥٠، كتاب الأشربه ، باب (٣٠) فضيلة الخل والتأدم به، حديث رقم (١٦٧) .

(٢) النبى : مائدة أو طبق من خوص .

قرصاً آخر فوضعه بينه ثم أخذ الثالث فكسره باثنين، فجعل نصفه بين يديه، ونصفه بين يديّ ثم قال : هل من أدم؟ فقالوا : لا، إلا شئ من خل قال : هاتوه، فنعم الأدم هو[1] .

وأما أكله القثاء

فخرج البخاري[2] من حديث إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب عنهما قال : رايت النبى ﷺ يأكل الرطب بالقثاء وخرجه مسلم[3] بهذا السند ولفظه رأيت رسول الله ﷺ يأكل القثاء بالرطب وخرجه أبو داود[4] مثله سواء .

وللترمذي[5] من حديث محمد بن إسحاق، عن أبى عبيدة بن [محمد] بن

---

(١) (المرجع السابق) : حديث رقم (١٦٩)، وفيه استجاب مواساة الحاضرين على الطعام، وأنه يستحب جعل الخبز ونحوه بين أيديهم بالسوية، وأنه لابأس بوضع الأرغفة والأقراص صحاحاً غير مكسورة .

(٢) (فتح البارى : ٧٠٤/٩، كتاب الأطعمة، باب (٣٩) القثاء بالرطب، حديث رقم (٥٤٤٠)، باب (٤٥) اقثاء (حديث رقم ٥٤٤٧٠)، باب (٤٧) جمع اللونين أو الطعامين بمرّة، حدزيث رقم (٥٤٤٩) . ويوخذ منه جواز مراعاة صفات الأطعمة وطبائعها واستعمالها على الوجه اللائق بها على قاعدة الطب ، لأن فى الرطب حرارة، وفى القثاء برودة ، فاذا أكلا معاً اعتدلا، وهذا أصل كبير فى المركبات من الأدوية .

وترجم أبو نعيم فى (الطب) باب الأشياء التى توكل مع الرطب ليذهب ضرره، فساق هذا الحديث . (فتح البارى).

(٣) (مسلم بشرح النووي) : ٢٣٨/١٣ - ٢٣٩، كتاب الأشربة، باب (٣٣) أكل القثاء بالرطب، حديث رقم (١٤٧) . وقد جاء فى غير (مسلم) زيادة قال : يكسر حرّ هذا برد هذا ، فيه جواز أكلهما معاً، وأكل الطعامين معاً، والتوسع فى الأطعمة، ولا خلاف بين العلماء فى جواز هذا، وما نقل بعض السلف من خلاف هذا، فمحمول على كراهة اعتياد التوسع والترفة لغير مصلحة دينية . والله تعالى أعلم . ‹شرح النووى) .

(٤) (سنن أبى داود) : ١٧٦/٤، كتا بالأطعمة، باب (٤٥) فى الجمع بين لونين فى الزكل، حديث رقم (٣٨٣٥). وفى ‹سنن الترمذي) : ٢٤٧/٤، كتاب الأطعمة ، باب (٣٧) ماجاء فى أكل القثاء بالرطب، حديث رقم (١٨٤٤) .

(٥) (شمائل الترمذى) : ١٦٧ - ١٦٨، باب ٣٠٠) ماجاء فى فاكهة سول الله ﷺ، حديث رقم ٢٠٣٠)، وهوحديث ضعيف تفرديه المصنف والقناع : الطبق الذى يؤكل عليه، وأجر زغب؛ أجر : جمع جرو، وهو =

عمار بن ياسر، عن الربيع بن معوذ بن عفراء قالت : بعثني معاذ بن عفراء بقناع من رطب وعليه أجر من قثاء زغب وكان النبي ﷺ يحب القثاء ، فأتيته به وعنده حلية قد قدمت عليه من البحرين فملأ يده منها فأعطانيه .

ولابن حبان من حديث معاوية بن هشام حدثنا سفيان عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالي عنها- عنهـا قالت : كان النبي ﷺ يجمع البطيخ بالرطب(١) [والقثاء بالبلح](٢)

وأما أكله ﷺ الدبّاء

فخرج البخاري من حديث ابن عون حدثنا ثمامة بن عبد الله بن أنس عن أنس رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : كنت غلاماً أمشى مع رسول الله ﷺ فدخل رسول الله ﷺ على غلام له خياط فأتاه بقصحة فيها طعام وعليها دُباء فجعل رسول الله ﷺ يتتبع الدباء، وقال : فلما رأيت ذلك جعلت أجمعه بين يديه ﷺ، قال : فأقبل الغلام على عمله . قال : أنس لا أزال أحب الدباء بعدما رأيت رسول الله ﷺ صنع ماصنع . ترجم عليه باب من أضاف رجلاً إلى طعام وأقبل هو على عمله(٣) ، أخرجه في باب الدباء.(٤)

= الصغير منكل شئ، وقيل : من القثاء خاصة وزُغب : جمع أزغب، وهو الذى عليه زغبة ، والزغب . هو الشعيرات الدقيقة التى تكون على الثمرة عند بذء ظهورها .

(١) (الاحسان فى تقريب صحيح ابن حبان) : ١٢/٥١ - ٥٢، كتاب الأطعمة، باب (١) آداب الأكل، ذكر الإباحة للمرء أن يجمع فى أكله بين الشيئين من المأكول، حديث رقم (٥٢٤٦) .

(٢) مابين الحاصرتين من (الأصل) فقط .

(٣) (فتح البارى) : ٩/٧٠١، كتاب الأ طعمة، باب (٣٥) من أضاف رجلاً إلى طعام، وأقبل هو على عمله، حديث رقم (٥٤٣٥) .

(٤) (المرجع السابق) باب (٣٣) الدباء، حديث رقم (٥٤٣٣) مختصراً، وأخرجه أيضاً فى باب (٣٦) المرق، حديث رقم (٥٤٣٦)، وفى باب (٣٨) من ناول أو قدم إلى صاحبه على المائدة شيئاً، قال : وقال ابن المبارك : لا بأس أن يناول بعضهم بعضاً ، ولايناول من هذه المائدة إلى مائدة أخرى، حديث رقم (٥٤٣٩) . وفى باب (٣٧) القديد، حديث رقم (٥٤٣٧) . والدُّبّاء : هو القرع .

وخرَّجه مسلم من حديث أبي أسامة عن سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس، قال : دعا رسولَ الله ﷺ رجلٌ فانطلقت معه فجئ بمرقة فيها دُبَّاء فجعل رسول الله ﷺ يأكل من ذلك الدباء وتعجبه ، قال : فلما رأيت ذلك جعلت ألقيه إليه ولا أطعمه . قال : فقال أنس : فما زلت بعد ذلك يعجبنى الدُّبَّاء (١) .

ومن حديث عبد الرزاق قال: حدثنا معمر عن ثابت البنانيّ وعاصم الأحول، عن أنس، أن رجلاً خياطاً دعا رسول الله ﷺ . فذكره، وزاد ثابت : سمعت أنساً يقول فما صُنع لى طعامٌ بعد أقدر على أن يصنع فيه دباءً إلا صنع (٢) .

وخرَّجه مالك فى (الموطأ) (٣) ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة أنه سمع أنس بن مالك - رضى الله تبارك وتعالى عنه - يقول : إن خياطاً دعا رسول الله ﷺ لطعام صنعه قال أنس : فذهبتُ مع رسول الله ﷺ إلى ذلك الطعام ، فقرَّب إليه خُبزاً من شعير ومرقاً فيه دُبَّاء قال أنس : فرأيت رسول الله

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٢٣٦/١٣، كتاب الأشربة، باب (٢١) جواز أكل المرق، واستحباب أكل اليقطين، وإيثار أهل المائدة بعضهم بعضاً، وإن كانوا ضيفانا، وإذا لم يكره ذلك صاحب الطعام، حديث رقم (١٤٥)، وفيه فوائد : منها إجابة الدعوة ، وإباحة كسب الخياط، وإباحة المرق، وفضيلة أكل الدباء، وأنه يستحب أن يحب الدباء، وكذلك كل شئ كان رسول الله ﷺ يحبه، وأنه يحرص على تحصيل ذلك، وأنه يستحب لأهل المائدة إيثار بعضهم بعضاً إذا لم يكرهه صاحب الطعام .

وأما تتبع الدباء من حوالى الصحفة فيحتمل وجهين : أحدهما ، من حوالى جانبه، وناحيته من الصحفة لا من حوالي جميع جوانبها، إنما نهى عن ذلك لئلا يتقذره جليسه . ورسول الله ﷺ لايتقذره أحد ، بل يتبركون بآثاره ﷺ فقد كانوا يتبركون ببصاقه ﷺ ونخاته، ويدلكون بذلك وجوههم، وشرب بعضهم بوله، وبعضهم دمه، وغير ذلك ، مما هو معروف من عظيم اعتنائهم بآثارة التي يخالفه فيها غيره .

والدباء : هو اليقطين، وهو بالمد - هذا هو المشهور - وحكى القاضي عياض فيه القصر أيضاً، الواحدة دباءة، أودباة . والله تعالى أعلم . (شرح النووي) .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) (موطأ مالك) : ٢٧٢، كتاب النكاح، ماجاء فى الوليمة، حديث رقم (١١٥٠)، وقال فى هامشه : الدباء : هو القرع، وقيل : هو خاصّ بالمستدير منه .

ﷺ يتتبع الدباء من حول القصعة، فلم أزل أحب الدباء بعد ذلك اليوم .

قال ابن عبد البر : هكذا هذا الحديث فى (الموطأ) عند جميع رواته فيما علمت بهذا الإسناد ، وزاد بعضهم فى ذكر القديد .

قال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد، عن حكيم بن جابر، عن أبيه قال : دخلت على النبي ﷺ فى بيته وعنده هذه الدباء فقلت : أى شئ هذا ؟ قال : هذا القرع، هو الدباء تكثر به طعامنا[١] .

وخرجه النسائي [٢] ولفظه : فرأيت عنده دباءً يقطع فقلت : ماهذا ؟ قال : نكثر به طعامنا

وللترمذي[٣] من حديث الليث عن معاوية بن أبي صالح، عن أبي طالوت، قال : دخلت على أنس بن مالك وهو يأكل القرع وهو يقول : يالك [من] شجرة ما أحبك إلا لحب رسول الله ﷺ إياك . قال : وفى الباب عند حكيم بن جابر، عن أبيه . قال أبو عيسى : هذا حديث غريب من هذا الوجه .

قال ابن عبد البر :من صريح الإيمان حبّ ماكان رسول الله ﷺ يحبه، واتباع ما كان يفعله، ألا ترى إلى قول أنس : فلم أزل أحب الدباء بع د ذلك اليوم؟،

وأما أكله ﷺ السمن والأقط

فخرج البخاري[٤] من حديث شعبة قال : حدثنا جعفر بن إياس قال : سمعت سعيد بن جبير، عن ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال :

---

(١) (سنن ابن ماجة) : ١٠٩٨/٢، كتاب الأطعمة ، باب (٢٦) الدباء، حديث رقم (٣٣٠٤)، قال فى مجمع الزوائد) : هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات .

(٢) راجع التعليق السابق، وأخرجه الإمام أحمد فى (المسند) : ٤٦٩/٥، حديث رقم (١٨٦٢١)، وفيه : «وعنده الدباء»، وحديث رقم (١٨٦٢٢) وفيه : « فرأيت عنده قرعاً كلاهما من حديث جابر الأحمسّ - رضي الله تبارك تعالى عنه- .

(٣) (سنن الترمذيّ) : ٤/ ٢٥٠، كتاب الأطعمة، باب (٤٢) ماجاء فى أكل الدباء، حديث رقم (١٨٤٩) .

(٤) (فتح الباري) : ٢٥٤/٥، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب (٧) قبول الهدية، حديث رقم (٢٥٧٥) .

أهدتْ أم حفيد - خالة ابن عباس - إلى النبي ﷺ أقطاً وسمناً وأضُبّاً، فأكل النبي ﷺ من الأقط والسمن وترك الأضبَّ تقذراً قال ابن عباس : فأكل على مائدة رسول ﷺ ولو كان حراماً ما أكل على مائدة رسول الله ﷺ .

وخرجه أبو داود(١) بهذا الإسناد وقال : إن خالته أهدت إلى رسول الله ﷺ . ذكره البخاري فى كتاب الهبة(٢) . وخرجه مسلم(٣) من حديث شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير - قال : سمعت ابن عباس يقول : أهدت خالتى أم حفيد(٤) إلى رسول الله ﷺ الحديث بنوه . وذكره البخاري أيضا فى كتاب الأطعمة(٥) ، وفى كتاب الاعتصام(٦) ، ومن حديث أبي عوانه، عن أبي بشر .

(١) (سنن أبى داود) : ٤/١٥٣، كتا بالأطعمة، باب (٢٨) فى أكل الضبّ، حديث رقم (٣٧٩٣) . وقد اختلف الناس فى أكل الضب، فرخص فيه جماعة من أهل العلم. روى ذلك عن عمر بن الخطاب - رضي الله تبارك وتعالى عنه- وإليه ذهب مالك بن أنس، والأوزاعيّ والشافعيّ، وكرهه قوم. روى ذلك عن على - رضي الله تبارك وتعالى عنه- وبه قال أبو حنيفة وأصحابه . وقد روي فى النهي عن أكل الضب حديث ليس إسناده بذلك، ذكره أبو داود فى هذا الباب . (معالم السنن) .

(٢) سبق تخريجه

(٣) (مسلم بشرح النووي) : ١٣/١٥٧، كتاب الصيد والذبائح، باب (٧) إباحة الضب، حديث رقم (١٩٤٧) . وفيه تصريح بما اتفق عليه العلماء، وهو إقرار النبى ﷺ الشئ وسكوته عليه إذا فُعل بحضرته، يكون دليلاً لإباحته، ويكون بمعنى قوله : أذنت فيه وأبحته، فإنه ﷺ لايسكت على باطل، ولايقر منكراً . والله تعالى أعلم . (شرح النووي) .

(٤) اسمها هزيلة، ذكرها ابن عبد البر وغيره فى الصحابة .

(٥) باب (٨) الخبز المرقق، والأكل على الخوان والسفرة، حديث رقم (٥٣٨٩) وباب (١٦) الأقط، حديث رقم (٥٤٠٢).

(٦) باب (٢٤) الأحكام التى تعرف بالدلائل ، وكيف معنى اللالة وتفسيرها، وقد أخبر النبي ﷺ أمر الخيل وغيرها، ثم سئل عن الحمر فدلهم على قوله تعالى : ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾ ، وسئل النبي ﷺ عن الضب فقال : لا آكله ولا أحرمه، وأكل على مائدة النبي ﷺ الضبُّ، فاستدل به ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - بأنه ليس بحرام، حديث رقم (٧٣٥٨) .

وأما أكله ﷺ الحَيْس[1]

فخرج أبو داود[2] من حديث عمر بن سعيد، عن رجل من أهل البصرة، عن عكرمة، عن ابن عباس قال : كان أحب الطعام إلى رسول الله ﷺ الثريد من الخبز والثريد من الحيس .

وخرجه ابن حبان ولفظه : كان أحب الطعام إلى رسول الله ﷺ التريد من التمر وهو الحيس .

وخرجه النسائى[3] من حديث أبي الأحوص، عن طلحة بن يحيى، عن مجاهد، عن عائشة- رضى الله تبارك وتعالى عنها - قالت : دخل على رسول الله ﷺ يوماً فقال : هل عندكم شئ ؟ فقلت : لا ، قال : فإنى صائم، ثم مرَّ بى بعد ذلك اليوم وقد أهدي إليَّ حيس فخبأت له منه - وكان يحب الحيس - قلت : يارسول الله إنه أُهدى لنا حيس فخبأت لك منه، قال : أدنيه، أما إني قد أصبحتُ وأنا صائم فأكل منه، ثم قال : إنما مثل صوم المتطوع مثل الرجل يُخرج من ماله الصدقة، فإن شاء أمضاها، وإن شاء حبسها .

وأما حبه ﷺ الثريد .

فقال أبو بكر بن أبي شيبة عن السدي : أول من ترد الثريد إبراهيم الخليل عليه السلام[4] .

وخرج الحاكم من حديث عباد بن العوام[5] ، عن حميد، عن أنس، أن

---

(١) الحيس : التمر البرنيّ والأقط يدقان ويعجنان بالسمن عجناً شديداً حتى يندر النوى منه نواة نواة، ثم يسوى كالثريد، وهى الوطبة أيضاً، إلا أن الحيس ربما جعل فيه السويق، وأما الوطبة فلا . وفى الحديث أنه ﷺ أولم على بعض نسائه بحيس . (لسان العرب) : ٦١/٦ .

(٢) (سنن أبي داود) : ١٤٧/٤، كتاب الأطعمة، باب (٢٣) فى أكل الثريد، حديث رقم (٣٧٨٣) . قال أبو داود : وهو ضعيف .

(٣) (سنن النسائي) : ٥٠٦/٤ - ٥٠٧ ، كتاب الصيام، باب (٦٧) النية فى الصيام والاختلاف على طلحة بن يحيى بن طلحة فى خبر عائشة فيه، حديث رقم (٢٣٢١) .

(٤) (المصنف) : ٢٥٤/٧، كتاب الأوائل، حديث رقم (٣٥٨٠٦) .

(٥) (المستدرك) : ١٢٩/٤، كتاب الأطعمة، حديث رقم (٧١١٦) .

النبىّ ﷺ كان يعجبه الثفل، قال : فسمعت أبا محمد يقول : سمعت أبا بكر محمد بن إسحاق يقول : الثغل هو الثريد .

ومن حديث المبارك بن سعيد(٤) ، عن عمر بن سعيد كذا، عن عكرمة عن ابن عباس - رضى الله تبارك وتعالى عنه - قال : كان أحب الطعام إلى رسول الله ﷺ الثريد .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ،فإن عمر بن سعيد هذا هو أخو سفيان والمبارك ابنا سعيد .

وخرجه ابن حبان من حديث المبارك هذا عن عمر عن عكرمة قال : صنع سعيد بن جبير طعاماً، ثم أرسل إلى ابن عباس : ائتني أنت ومن أحببت من مواليك، فجاءوا وجئنا معه، قالوا له : ائتنا بالثريد، فإنه كان أحب الطعام إلى رسول الله ﷺ ، الثريد من الخبز .

وللترمذي(٢) من حديث العلاء بن الفضل بن عبد الملك بن أبى سوية أبو الهذيل، قال : حدثنا عبيد الله بن عكراش عن أبيه عكراش بن ذؤيب، قال : بعثنى بنو مرّة بن عبيد بصدقات أموالهم إلى رسول الله ﷺ فقدمت عليه المدينة فوجدته جالسا بين المهاجرين والأنصار، قال : ثم أخذ بيدى فانطلق بي إلى بيت أم سلمة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - فقال : هل من طعام ؟ فأُتينا بجفنة كثيرة الثريد والوذر(٣) ، وأقبلنا نأكل منها ، فخبطت بيدى من

---

(١) (المرجع السابق) : حديث رقم (٧١١٧)، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص) : صحيح . ثم قال الحاكم : فأما قوله ﷺ : «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»، فإنه مخرج فى الصحيحين .

(٢) (سنن الترمذي) :٤/٢٤٩-٢٥٠، كتاب الأطعمة، باب (٤١) ماجاء فى التسمية فى الطعام، حديث رقم (١٨٤٨) .

وأخرجه ابن ماجة فى كتاب الأطعمة، باب (١١) الأكل مما يليك، حديث رقم (٣٢٧٤)

(٣) الوذر : قطع اللحم التى لاعظم فيها ، الواحدة وذرة .

نواحيها، وأكل رسول الله ﷺ من بين يديه ، فقبض بيده اليسرى على يدى اليمنى ثم قال : ياعكراش ! كل من موضع واحد، فإنه طعام واحد، ثم أتينا بطبق فيه ألوان من الرطب أو من التمر - شك عبيد الله - قال: فجعلت آكل من بين يديه ، وجالت يد رسول الله ٠ص) فى الطبق وقال : ياعكراش ! كل من حيث شئت، فإنه غير لون واحد، ثم أتينا بماءٍ فغسل رسول الله ﷺ يديه ومسح ببلل كفيه وجهه وذراعيه ورأسه وقال : ياعكراش هذا الوضوء مما غيّرت النار .

قال أبو عيسى : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث العلاء بن الفضل ، وقد تفرد العلاء بهذا الحديث ولا نعرف لعكراش عن النبي ﷺ إلا هذا الحديث .

وقال زيد بن ثابت - رضي الله تبارك وتعالى عنه - : لم يدخل منزل النبي ﷺ هدية، أول هدية دخلت بها عليه قصعة مثرورة خبزاً وسمناً ولبناً فأضعها بين يديه، فقلت : يارسول الله، أرسلتْ بهذه القصعة أمي، فقال عبادة: على رأس غلام بارك الله فيك، فدعا أصحابه فأكلوا، فلم أرم البيت حتى جاءت قصعة سعد بن عبادة على رأس غلام مغطاة، فوضعت على باب أبي أيوب، وأكشف غطاءها لأنظر، فرأيت عراق لحم، فدخل بها على رسول الله فقال زيد : فلقد كنا بني النجار لا تمر ليلة إلا على باب رسول الله ﷺ منا الثلاثة يخلفون الطعا يتناوبون بينهم ، حتى تحرك رسول الله من بيت أبي أيوب، وكان مقامة فيه تسعة أشهر، وكانت [لا] تخطئه جفنة سعد بن عبادة، وجفنة سعد بن زرارة - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - كل ليلة .

وأما أكله ﷺ اللحم

فقد اتفقا على حديث الزهريَ عن جعفر بن أمية عن أبيه، أنه رأى رسول الله ﷺ يحتز من كتف شاة في يده فدُعيَ إلى الصلاة فألقاها والسكين التي يحتز بها، ثم قام فصلى ولم يتوضأ(١).

وفي لفظ: أنه رأى رسول الله يحتز من كتف شاة يأكل منها، ثم صلى ولم يتوضأ(٢).

وفي آخر: رأيت رسول الله ﷺ يأكل ذراعاً يحتز منها فدعى إلى الصلاة، فقام، فطرح السكين ولم يتوضأ(٣).

ولمسلم من حديث بكير بن الأشج عن كريب عن ميمونة - رضى الله تعالى عنها - أن النبي ﷺ أكل عندها كتفاً ثم صلى ولم يتوضأ(٤).

ومن حديث سعيد بن أبي هلال عن عبدالله [بن عبيد الله] بن أبي رافع عن أبي غطفان عن أبي رافع، قال: أشهد لكنت أشوى لرسول الله ﷺ بطن الشاة ثم صلى ولم يتوضأ(٥).

ولأبي داود من حديث مسعر، عن أبي صخرة جامع بن شداد، عن المغيرة بن عبد الله عن المغيرة بن شعبة قال: ضفت النبي ﷺ ذات ليلة فأمربجنب فشوي، وأخذ الشفرة فجعل يحزّ بها منها، قال فجاء بلال فآذنه

---

(١) (فتح الباري): ٩/٦٨٣، كتاب الأطعمة، باب (٢٠) قطع اللحم بالسكين، حديث رقم (٥٤٠٨).

(٢) (فتح الباري): ٦/١٢٦، كتاب الجهاد، باب (٩٢) مايذكر في السكين، حديث رقم (٢٩٢٣).

(٣) زيادة عقب الحديث السابق من حديث أبي اليمان، أخبرنا شعيب عن الزهريّ وزاد: «فألقي السكين».

(٤) (مسلم بشرح النووي): ٣/٢٨٥، كتاب الحيض،باب (٢٤) نسخ الوضوء مما مسته النار، حديث رقم (٣٥٦).

(٥) (المرجع السابق): حديث رقم (٣٥٧).

بالصلاة ، قال : فألقى الشفرة وقال : ماله ؟ تربت يداه وقام يصلي(١) .

ولأبي داوود من حديث ابن عليه عن عبد الرحمن بن إسحاق عن دعبد الرحمن بن معاوية عن عثمان بن أبي سليمان عن صفوان بن أمية ، قال : كنت آل مع النبي ﷺ فآخذ اللحم من العظم فقال أدَن العظم من فيك ، فإنه أهنأ وأمرأ(٢) وخرجه الحاكم وقال حديث صحيح(٣) .

ومن حديث زهير عن أبي إسحق عنه سعيد بن عياض عن عبد الله بن مسعود رضي الله تبارك وتعالى عنه قال : كان أحب العُراق إلى رسول الله عُراق الشاة (٤) .

وبهذا الإسناد قال : كان النبي ﷺ تعجبه الذراع (٥) .

---

(١) وأخرجه الترمذي فى (الشمائل) : ١٣٩ ، حديث رقم (١٦٧) ، وفيه : «ضفت مع رسول الله » أى نزلت عليه ضيفاً .

وأخرجه أيضاً الإمام أحمد فى (المسند) ، والطبراني فى (الكبير) ، والبغوي فى (شرح السنة) ، كلهم من طريق مسعر عن زبي صخرة به .

(٢) (سنن أبي داود) : ٤/١٤٥ ، كتاب الأطعمة ، باب (٢١) فى أكل اللحم ، حديث رقم (٣٧٧٩) . قال أبو داود : عثمان لم يسمع من صفوان، وهو مرسل .

(٣) (المستدرك) : ٤/١٢٦ ، كتاب الأطعمة ، حديث رقم (٧١٠٣) ، وفيه : «قرب اللحم من فيك فإنه أهنأ وأمرأ » قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الحافظ الذهبيّ فى (التلخيص) : صحيح .

(٤) (سند أبي داود) : ٤/١٤٦ ، كتاب الأطعمة ، باب (٢١) فى زكل اللحم ، حديث رقم ٣٧٨٠٠) .

والعراق : بضم العين وسكون الراء جمع عُرق ، العظم إذا أخذ عنه معظم اللحم ، وهو جمع نادر . وهذا الحديث نسبه المنذري للنسائي أيضاً .

(٥) (المرجع السابق) : حديث رقم (٣٧٨١) .

وللدارميّ من حديث سفيان قال : حدثنا مسعد قال : سمعت رجلاً من بني فهم قال : سمعت عبد الله بن جعفر - رضي الله بتارك وتعالي عنه - يقول : كنا عند رسول الله ﷺ فأُتي بلحم فجعل القوم يُلقمونه اللحم ، فقال ﷺ أطيب اللحم لحم الظهر (١) .

ومن حديث خالد بن عبد الله ، عن أبى حيان [التيمي عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة - رضي الله تبارك وتعالى قال : إن النبي ﷺ أُتي بلحم فرفعت إليه الذراع وكانت تعجبه (٢) .

وللترمذيّ من حديث زبان بن يزيد ، عن قتادة ، عن شُهر بن حوشب ، عن أبي عبيد ، قال طبخت للنبي ﷺ قدراً وكان يعجبه الذراع فناولته الزراع ، ثم قال : ناولني الذراع فناولته ، ثم قال : ناولني الذراع فقلت : يارسول الله ! وكم للشاة من ذراع ؟ فقال : والذي نفسي بيده لو سَكَتَّ لنا ولتني الذراع مادعوت (٣) .

ولابن حبان من حديث طالوت بن عباد قال : حدثنا سعيد بن راشد حدثنا محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺلم يكن يعجبه في الشاة إلا الكتف .

وخرج الحاكم من حديث العباس عبدان قال: أخبرنا الفضل بن موسى . حدثنا عبد الله ابن كيسان حدثنا عكرمة عنابن عباس -رضي الله تبارك وتعالي عنه - أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - أتوا بيت أبي أيوب فلما أكلوا وشبعوا

---

(١) لم أجده (سنن الدارمي) ، لكنه فى (المستدرك) : ١٢٤/٤ ، كتاب الأطعمة ، حديث رقم (٧٠٩٧) ، وصرح فيه باسم الفهميّ وقال : أري اسمه محمد بن عبد الرحمن ، ثم قال : وقد رواه رقبة بن مصقلة عن ذا الفهميّ ولم ينسبه ، وقال الحافظ الذهبي فى (التلخيص) : صحيح ، وروراه عنهذا الفهميّ رقبة بن مصقلة .

وحديث رقم (٧٠٩٨) وقال : قد صح الخبر بالإسنادين ولم يخرجاه ، ووافقه الحافظ الذهبي فى (التلخيص) .

وأخرجه أيضاً الترمذى فى (الشمائل) : ١٤٣ ، حديث رقم (١٧٢) .

(٢) (المرجع السابق) : ١٤٠ ، حديث رقم (١٦٨) ، وفيه : «وكانت تعجبه فنهس منها » ، أى أخذ منها بفمه ﷺ .

(٣) (المرجع السابق) : ١٤١ ، حديث رقم (١٧٠) ، تفرد به الترمذيّ وهو صحيح لغيره .

قـــال النبي ﷺ : خبز ولحم وتمر وبُسر ورطب ! إذا أصبتم مثل هذا فضربتم بأيديكم فكلوا بسم الله وبركة الله . قال : هذا حديث صحيح الإسناد(١) .

ومن حديث مسدد حدثنا يحيى بن سليم المكي، حدثنا إسماعيل بن كثير، عن عاصم بن لقيط بن صبرة، عن أبيه قال : كنت وافد بني المنتفق إلى رسول الله ﷺ فقدمنا على رسول الله ﷺ فلم نصادفه في منزله، وصادفنا عائشة -رضي الله تبارك وتعالى عنها- فأمرت لنا بحريرة فصنعت لنا، وأتينا بقناع - والقناع الطبق فيه تمر- ثم جاء رسول الله ﷺ فقال : هل أصبتم شيئاً ؟ أو آمر لكم بشئ ؟ فقلنا : نعم يارسول الله .

قال : فبينما نحن مع رسول الله ﷺ جلوس قال : فدفع الراعي غنمه إلى المراح ومعه سخلة ينفر، فقال رسول الله ﷺ : ماولدت يافلان ؟ قال : بهمة، قال : فاذبح لنا مكانها شاة، ثم أقبل علينا ، فقال : لا تحسبن أنا من أجلك ذبحناها ،لنا غنم مائة ولا نريد أن تزيد فإذا ولدت بهمة ذبحنا مكانها شاة! يارسول الله! إن لي إمرأة فذكر من طول لسانها وبذائها، فقال : طلقها، فقلت إن لي منها ولداً، قال : فمرها ، يقول : عظها فإن يك فيها خير فستفعل، ولا تضرب ظعينتك كضربك أمتك .

قال : قلت : يارسول الله أخبرني عن الوضوء، قال : أسبغ الوضوء، وخلل الأصابع، وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائماً . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد(٢) .

ومن حديث عفان بن مسلم حدثنا أبو عوانة، عن أسود بن قيس، عن نبيح العنزى، عن جابر بن عبد الله -رضى الله تبارك وتعالى عنه-، قال : لما قُتل أبي ... فذكر الحديث بطوله ، وقال فيه : قُلت لامرأتي: إن رسول الله ﷺ يجيئنا اليوم نصف النهار، فلا تؤذي رسول الله ﷺ ولا تكلميه . قال: فدخل وفرشت له فراشاً وسادة، فوضع رأسه ونام، فقلت لمولى لي : اذبح هذه العناق

---

(١) (المستدرك) : ٤/ ١٢٠، كتاب الأطعمة، حديث رقم (٧٠٨٤) وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص) : صحيح.

(٢) (المستدرك) : ١٢٣/٤، كتاب الأطعمة، حديث رقم (٧٠٩٤)، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص) : صحيح.

- وهي داجن سمينة - والوحا والعجل، افرغ قبل أن يستيقظ رسول الله ﷺ وأنا معك، فلم نزل فيها حتى فرغنا [منها] وهو نائم : فقلت له : إن رسول الله ﷺ إذا استيقظ يدعو بالطهور، وإني أخاف إذا فزع أن يقوم فلا يفرغن من وضوئه حتى نضع العناق بين يديه، فلما قام قال : ياجابر ائتني بطهور ، فلم يفرغ من طهوره[1] حتي وضعت العناق بين يديه، فنظر إليّ فقال: كأنك قد علمت حبنا اللحم[2] ! أدع لي أبا بكر، ثم دعا حواريه الذين معه فدخلوا فضرب رسول الله ﷺ بيده وقال : بسم الله كلوا ، فأكلوا حتى شبعوا وفضل منها لحم كثير ، وذكر باقي الحديث . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد[3] .

وخرجه ابن حبان فى (صحيحه) من حديث يحيى بن مسلم به[4] .

وخرج الحاكم[5] من حديث حبيب بن الشهيد، عن عمرو بن دينار، عن جابر قال: أمرني أبي بخزيرة فصنعت، ثم أمرني فحملتها إلى رسول الله ﷺ فإذا هو فى منزله فقال: ماهذا ياجابر ؟ ألحم هذا ؟ قلت : لا يارسول الله ولكنها خزيرة أمرنى بها أبي فصنعت، ثم أمرني فحملتها إليك، ثم رجعت إلي أبي فقال : هل رأيت رسول الله ﷺ ؟ قلت : نعم ، قال : فما قال لك ؟ قلت:

---

(١) فى الأصل) : « وضوئه»

(٢) كذا فى (الأصل)، وفى (المستدرك) : «كأنك علمت حبنا للحم» .

(٣) (المستدرك) : ٤/١٢٣ - ١٢٤، كتا بالأطعمة، حديث رقم (٧٠٩٦)، وقال الحافظ الذهبي فى (التلخيص): صحيح .

(٤) (الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان): ١٥/٤٨٧ -٤٨٨، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، رجالهم ونسائهم، ذكر عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر رضوان الله عليه، حديث رقم (٧٠٢٠) ، وقال فى (هامشه) : إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح غير إبراهيم بن حبيب بن الشهيد، وهو ثقة، روى له النسائي . عمرو بن دينار هو المكيّ .

(٥) (المستدرك) : ٤/١٢٤ - ١٢٥، كتاب الأطعمة ، حديث رقم (٧٠٩٩)، وقال الحافظ الذهبي فى (التلخيص) : صحيح . والخزيرة : لحم يقطع صغاراً، ويصب عليه ماء كثير، فإذا نضج ذرّ عليه الدقيق . والداجن : الشاة التى يعلفها الناس فى منازلهم .

قال : ألحم هذا ياجابر ؟ قال أبي : عسى أن يكون رسول الله اشتهى اللحم!! فقام إلى داجن له فذبحها وشواها، ثم أمرني بحملها إليه ، فقال : حملتها إليه فقال رسول الله ﷺ : جزى الله الأنصار عنا خيراً ، ولاسيما عبد الله بن عمرو بن حرام، وسعد بن عبادة . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد .

ومن حديث علي بن عاصم حدثنا عبيد الله بن أبي بكر بن أنس قال : سمعت أنساً يقول : أنفجت أرنباً بالبقيع فاشتدّ في أثرها فكنت فيمن اشتدّ فسبقته إليها، فأخذتها، فأتيت بها أبا طلحة، فأمر بها فذبحت ثم شويت، فأخذ عجزها ، فأرسل به معي إلى النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ : ماهذا ؟ قلت عجز أرنب بعث بها أبو طلحة إليك فقبله مني . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد(١) .

وأما أكله عليه السلام القلقاس

فقال الدولابي : أهدى أهل أيلة إلى النبي ﷺ القلقاس، فأكله وأعجبه وقال : ماهذا ؟ فقالوا : شحمة الأرض، فقال : إن شحمة الأرض لطيبة(١) .

وأما أكله ﷺ القديد

فخرج البخاري من حديث مالك، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة أنه سمع أنساً يقول : إن خياطاً دعا رسول الله ﷺ لطعام صنعه له ، قال أنس : فذهبت مع رسول الله إلى ذلك الطعام ، فقربَ إلى رسول الله ﷺ خُبزاً من شعير ومرقاً فيه دباءً وقديد .. الحديث . ترجم عليه باب من ناول أو قَدَّم إلى صاحبه على المائدة شيئاً(٢) وذكره في باب من تتبع حوالى القصعة مع

---

(١) (المستدرك) : ١٢٥/٤، كتاب الأطعمة، حديث رقم ٧١٠٠)، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : صحيح .

(٢)(فتح الباري) : ٧٠٣/٩، كتاب الأطعمة، باب (٣٨) من ناول أو قدم إلى صاحبه على المائدة شيئاً، حديث رقم ٥٤٣٩) .

صاحبه[١] إذا لم يعرف منه كراهه ، وذكره في البيوع في باب الخياط[٢] وفي الأطعمة ، في باب المرق[٣] .

وخرجه مسلم[٤] وأبو داود[٥] بنحوه أو قريباً منه .

ولابن حبان من حديث الحسين بن واقد، قال : أخبرنا أبو الزبير، عن جابر قال : أكلنا القديد مع رسول الله ﷺ[٦] .

وقد أورد مالك رحمه الله هذا الحديث كما تقدم أولاً، وليس فيه إلا : فقرب له خبزاً من شعير ومرقاً فيه دباء[٧] .. الحديث .

قال ابن عبد البر : هكذا هذا الحديث في (الموطأ) عنه ، جميع رواته القعنبي ، وابن بكير ، في حديث مالك هذا عن إسحاق، عن أنس ذكر القديد فقالا : بطعام فيه دباء وقديد، وتابعهم على ذلك قوم منهم أبو نعيم .

---

(١) (المرجع السابق) : حديث رقم ٥٣٧٩) .

(٢) (المرجع السابق) : حديث رقم (٢٠٩٢) .

(٣) (المرجع السابق) : حديث رقم (٥٤٣٦) .

(٤) (مسلم بسرح النووي) : ٣٣٥/١٣ - كتاب الأشربة، باب (٢١) جواز أكل المرق، واستحباب اليقطين، وإيثار أهل المائدة بعضهم بعضاً وإن كانوا ضيفاناً، وإذا لم يكره ذلك صاحب الطعام، حديث رقم (١٤٤) .

(٥) (سنن أبي داود) : ١٤٦/٤ - ١٤٧، كتاب الأطعمة، باب في أكل الدباء، حديث رقم ٣٧٨٢) .
وحديث رقم ٣٧٧٣)، وفيه : كان للنبي ﷺ قصعة يقال لها الغراء يحملها أربعة رجال، فلما أضحوا وسجدوا الضحى أتي بتلك القصعة - يعني وقد ثُرد فيها - فالتفوا عليها .. الحديث . وأخرجه ابن ماجه في الأطعمة باب الأكل متكئاً، حديث رقم ٣٢٦٣) .

(٦) (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان) : ٢٥٣/١٣ - ٢٥٤، كتاب الأضحية ، باب إباحة اتخاذ المرء القديد من لحم أضحيته لسفره ، حديث رقم (٥٩٣٠) .

(٧) (الموطأ) : ٣٧٢ ، كتاب النكاح ، ماجاء في الوليمة .
وفيه أن المؤكل لأهله وخدمه بأكل مايشتهيه حيث رآه في ذلك الإناء إذا علم أن مؤاكله لايكره ذلك، وإلا فلا يتجاوز مايليه، وقد علم أن أحداً لايكره منه شيئاً، بل كانوا يتبركون بريقه وغيره مما مسه ، بل كانوا يتبادرون إلى نخامته فيتدلكون بها . (شرح الزرقاني على الموطأ) : ٢١١/٣ ، كتاب النكاح ، باب (٣٨١) ماجاء في الوليمة، حديث رقم (١١٨٨) .

وأما أكله ﷺ المنّ[1]

فخرج الإمام أحمد من حديث يزيد بن هارون حدثنا سفيان، عن حسين بن علي ، عن زيد ، عن أنس قال : أهدي الأكيدر لرسول الله ﷺ جرة من منّ فلما انصرف رسول الله ﷺ من الصلاة مرّ على القوم فجعل يعطي كل رجل منهم قطعة، فأعطى جابراً قطعة، ثم إنه رجع إليه فأعطاه قطعة أخرى ، فقال: إنك قد أعطيتني مرة! فقال : هذه لبنات عبد الله[2] .

وأما أكله ﷺ الجبن

فخرج الإمام أحمد من حديث شريك، عن جابر، عن عكرمة ، عن ابن عباس رضي الله عنه قال : أُتي النبى ﷺ بجبنة في غزاة، فقال : أين صنعت هذه ؟فقالوا : بفارس ، ونحن نرى أنه يجعل فيها ميتة فقال ﷺ : اطعنوا فيها بالسكين ، واذكروا اسم الله ، وكلوا[3] .

ومن حديث وكيع حدثنا إسرائيل، عن جابر، عن عكرمة، عن ابن عباس أن النبي ﷺ أُتي بجبنة فجعل أصحابه يضربونها بالعصي، قال رسو ل الله ﷺ : ضعوا السكين واذكروا اسم الله وكلوا[4] .

وقال الواقدي وأُتي رسول الله بجبنة بتبوك، فقالوا : يارسول الله ! إن هذا طعام تصنعه فارس وإنا نخشى أن يكون فيه ميتة . فقال رسول الله ﷺ : ضعوا فيه السكين، واذكروا اسم الله[5] .

---

(١) المنّ كل طلّ ينزل من السماء على شجر أو حجر، ويحلو وينعق عسلاً، ويجف جفاف الصمغ ، (القاموس المحيط) : ٢٨٨/٤ .

(٢) (مسند أحمد) : ٥٧١/٣، حديث رقم (١١٨١٥)، من مسند أنس بن مالك - رضى الله تعالى - .

(٣) (المرجع السابق) :٤٩٨/١، حديث رقم (٢٧٥٠) ، من مسند عبد الله بن عباس - رضى الله تبارك وتعالى عنهما -

(٤) راجع التعليق السابق، وزاد فى آخر الحديث السابق : ذكره شريك مرة أخرى فزاد فيه : فجعلو يضربونها بالعصيّ .

(٥) .مغازى الواقدى) : ١٠١٩/٣ ، غزوة تبوك .

وخرَّج أبو داود من حديث إبراهيم بن عيينة، عن عمرو بن منصور، عن الشعبي، عن ابن عمر قال: أتي النبيّ ﷺ بجبنة في تبوك فدعا بسكين، فسمي وقطع[1].

ولفظ ابن حبان قال: أُتي النبي ﷺ بجبنة من جبن تبوك، فدعا بالسكين فسمى وقطع[2].

قال الخَطَّابي[3]: إنما جاء به أبو داود من أجل أن الجبن كان يعمله قوم الكفار لا تحل ذكاتهم، وكانوا يعقدونها بالأنافح، وكان من المسلمين من يشاركهم فى صنعة الجبن، فأباحه النبيّ ﷺ على ظاهر الحال ولم يمتنع من أكله من أجل مشاركة الكفار المسلمين فيه.

قال: مؤلفه: في دعوى أبي سليمان[4] رحمة الله أن من المسلمين من كان يشارك المشركين في عمل الجبن يتوقف على النقل ولم يكن إذ ذاك بفارس ولا بالشام أحد من المسلمين فتأمله[5].

---

(١) (سنن أبى داود): ١٦٩/٤، كتاب الأطعمة، باب (٣٩) أكل الجبن، حديث رقم (٣٨١٩).

(٢) (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان): ٤٦/١٢، كتاب الأطعمة، باب آداب الأكل، ذكر إباحة قطع المرء الأشياء التى تؤكل، ضدّ قول من كرهه، حديث رقم (٥٢٤١)، وإسناده حسن.

وأخرجه البيهقى فى (السنن الكبرى): ٦/١٠، كتاب الضحايا، باب أكل الجبن، وذكر ستة أحاديث بألفاظ متقاربة من طرق.

(٣) (معالم السنن): ١٦٩/٤، تعليقاً على الحديث رقم (٣٨١٩).

(٤) هو الإمام حَمَد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب، من ولد زيد بن الخطاب، والخطابى بفتح الخاء وتشديد الطاء، نسبة إلى جده الخطاب المذكور. يكنى أبو سليمان البُستىّ بضم الباء وسكون السين نسبة إلى بُست، وهى مدينة من بلاد كابل، له مكانة علمية مرموقة بين أقرانه، من مؤلفاته: غريب الحديث، وإعلام السنن شرح البخارى، ومعالم السنن شرح سنن أبي داود، وكتاب إصلاح غلط المحدثين، وكتاب شأن الدعاء، وكتاب العزلة، وغير ذلك. ولد فى رجب سنة ١٣٩هـ في بلدة بُست، وتوفي فيها سنة ٣٨٨هـ .رحمة الله (معالم السنن) على هامش (سنن أبي داود)، المقدمة.

(٥) خَّرج البيهقى فى (السنن البرى): ٦/١٠ - ٧، كتاب الضحايا، باب مايحل من الجبن ومالا يحل، ومن حديث شعبة عن رجل من بنى عقيل عن عمه ،قال: قرئ علينا كتاب عمر بن الخطاب - رضى الله تبارك وتعالى عنه- : أن كلوا الجبن مما صنعه أهل الكتاب قال الشيخ: هو إبراهيم العقيلى، وعمه ثور بن قدامة، رواه الثوريّ عنه. وله من حديث قيس بن السكن قال: قال عبد الله - هو ابن مسعود - رضى الله تبارك وتعالى عنه -: كلوا الجبن ماصنع المسلمون وأهل الكتاب. (المرجع السابق).

وقد خرج هذا الحديث أبوحاتم البستى ، وقال أبو حاتم الرازي : الشعبيّ لم يسمع من ابن عمر ، وقال غير واحد : إنه سمع ، قلت : وإبراهيم بن عيينه أخو سفيان بن عيينة ، قال أبو حاتم الرازي : شيخ يأتي يميناً وسئل عنه أبو داود فقال : صالح

وأما أكله ﷺ الشواء(١)

فقد تقدم حديث أبى رافع : أشهد لكنت أشوى لرسول الله ﷺ بطن الشاة ، وحديث المغيرة : صنعت للنبى ﷺ فأمر بجنب فشوى، وحديث أنس : أنفجت أرنباً وفيه : فذبحت ثم شويت .

وخرج الترمذى من حديث ابن أبى لهيعة عن سليمان بن ذوبان عن عبد الله بن الحارث قال : أكلت مع رسول الله ﷺ شواءً فى المسجد .

وأما أكله ﷺ الدجاج

فخرج البخاري من حديث عبد الوهاب عن أيوب عن أبي قلابة [والقاسم التميمى] عن زهدم بن الحارث عن أبي موسى قال : رأيت النبي ﷺ يأكل دجاجاً لم يأكل غير هذا . ذكره بطوله فى باب لا تحلفوا بآبائكم(٢) ، وفى كتاب [فرض] الخمس(٣) . وذكره مسلم من طرق(٤) .

---

(١) سبق تخريج هذه الأحاديث .

(٢) (فتح الباري) : ١١/ ٦٥٠، كتاب الأيمان والنذور ، باب (٤) لاتحلفوا بآبائكم ، حديث رقم (٦٦٤٩) وفيه : «فقرب إليه طعام فيه لحم دجاج » .

(٣) (المرجع السابق) : ٦/ ٢٩١، كتاب فرض الخمس، باب (١٥) ومن الدليل على أن الخمس لنوائب المسلمين ماسأل هوازن النبيُّ ﷺ برضاعه فيهم فتحلل من المسلمين، وماكان النبى ﷺ يعد الناس أن يعطيهم من الفئ والأنفال من الخمس، وما أعطى الأنصار، وما أعطى جابر بن عبد الله من تمر خيبر، حديث رقم (٣١٣٣) وفيه : «فأتي ذكر دجاجة وعنده رجل من بني تيم الله أحمر كأنه من الموالى، فدعاه للطعام » .

وأخرجه فى كتاب الصيد والذبائح، باب (٢٦)لحم الدجاج، حديث رقم (٥٥١٧) ، وحديث قم (٥٥١٨) .

وفى كتاب التوحيد ، باب (٥٦) قوله تعالى : (والله خلقكم وماتعملون) ، حديث رقم (٧٥٥٥) .

(٤) (مسلم بشرح النووي) : ١١/ ١٢١ - ١٢٣ ، كتاب الأيمان ، باب (٣) ندب من حلف يميناً فرأى غيرها =

وخرجه الدارمي[١] بهذا السند ولفظه . قال : كنا عند أبي موسى فقدم في طعامه لحم دجاج وفى القوم رجل من بنى تميم أحمر فلم يدن فقال له أبو موسى : فإنى رأيت رسول الله ﷺ يأكل منه .

وفى رواية عن أبن موسى أنه ذكر الدجاج فقال : رأيت النبى ﷺ يأكله.

وأما أكله ﷺ الحبارى[٢]

فخرج أبو داود[٣] والترمذي[٤] من حديث برية بن عمر بن سفينة، عن أبيه، عن جده قال : أكلت مع رسول الله ﷺ لحم الحباري . ورواه عن بُرّيه هذا إبراهيم بن عبد الرحمن بن مهديّ، فعبد الرحمن هذا يروى عن برية بن عمر، وجعفر بن سليمان، وعبد السلام بن حرب ، وسفيان بن عيينة ، وأبى بكر بن عياش ، وعن الفضل بن سهل الأعرج ، وأبى أمية محمد بن إبراهيم الطرسوى ، ويعقوب الفسوى ، وجماعة .

قال ابن عدي : روي عن الثقات أحاديث مناكير ولم أر له حديثا منكراً يحكم من أجله على ضعفه ، وأما برية فقال البخاري : إسناده مجهول . وقال ابن عدي : رأيت أحاديثه لا يتابعه عليها الثقات ، وأرجو أنه لا بأس به[٥].

= خيراً منها، وأن يأتى الذى هو خيراً منها، ويكفر عن يمينه، حديث قم (٩) ، وثلاثة أحاديث بعده بدون أرقام من طرق كلها تدور على زهدم الجرمي،

(١) (سنن الدارمي) : ١٠٢/٢ ، ١٠٣ باب فى أكل الدجاج، عن زهدم الجرميّ أيضاً .

وأخرجه الإمام أحمد فى (المسند) : ٥٣٦/٥ ، حديث رقم (١٩٠٢٥) وحديث رقم (١٩٠٦٠) ، وحديث رقم (١٩٠٩٤) ، وحديث رقم (١٩١٤٢) كلهم من حديث أبى موسى الأشعرى - رضى الله تبارك وتعالى عنه -.

(٢) الحبارى بضم الحاء بعدها ياء موحدة مفتوحة : طائر كبير العنق، رماديّ اللون ، لحمه بين الدجاج والبط ، وهو من أشد الطير طيراناً .

(٣) (سنن أبيداود) : ١٥٥/٤ ، كتاب الأطعمة، باب (٩) فى أكل لحم الحبارى حديث رقم (٣٧٩٧) .

(٤) (سنن الترمذي) : ٣٢٩/٤، كتاب الأطعمة ، باب (٢٦) ماجاء فى أكل الحبارى، حديث رقم (١٨٢٨) .

(٥) (الكامل فى الضعفاء لابن عدي) : ٦٤/٢ ، ترجمة برية بن عمر .

وقال النسائي فى قضاء علي -رضي الله تبارك وتعالى عنه- فى كتابه (المجتبي) :حدثنا زكريا بن يحيي قال : حدثنا الحسن بن حماد قال أخبرنا بشر بن عبد الملك، عن عيسي بن عمر، عن السُّدّيّ، عن أنس بن مالك - رضى الله تبارك وتعالى عنه - أن النبي ﷺ كان عنده طائر فقال : اللهم ائتنى بأحب خلقك إليك يأكل معى من هذا الطير ، فجاء أبو بكر -رضي الله تبارك وتعالى عنه- ، رضي فردَّه ، وجاء عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه فردّه ، ثم جاء علي- رضى الله تبارك وتعالى عنه- فأذن له، كان الطائر حبارى أهدى للنبي ﷺ .

قلت : حديث أنس هذا رُوي من طُرق وقد رُوي أيضا عن جاب ابن عبد الله عن على بن أبي طالب وعبد الله بن عباس وعن سفينة

وأما أكله ﷺ الخبيص

فخرج الحاكم من حديث الوليد بن مسلم عن محمد بن حمزه بن عبد الله ابن سلام عن أبيه، عن جده - رضى الله تبارك وتعالى عنه- كان النبي ﷺ فى بعض أصحابه إذ أقبل عثمان بن عفان -رضي الله تبارك وتعالى عنه- يقود بعيراً عليه غرارتان محتجزاً بعقال ناقته ، فقال له النبي ﷺ : مامعك ؟ قال : دقيق وسمن وعسل فقال له : أنخ ، فأناخ ، فدعا النبى ﷺ ببرمة عظيمة فجعل فيها من ذلك الدقيق والسمن والعسل ، ثم أنضجه فأكل النبي ﷺ وأكلوا ، ثم قال لهم : كلو فإن هذا يشبه خبيص أهل فارس[1]. قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد .

قلت : محمد بن حمزة من يوسف بن عبد الله بن سلام هذا يروي عنه معمر ابن راشد والوليد بن مسلم وعبد الله بن سالم الحمصيّ، قال أبو حاتم :لا يوثق به ، له حديث واحد ، يعني حديث الخبيص هذا ، وخرج له ابن ماجة ، وقد روي له هذا الحديث عن محمد بن حمزة والوليد بن مسلم ، وعنه محمد بن عبدالعزيز الرملي ، وكلاهما خرجا له فى الصحيحين ، خرج الحافظ أبو بكر بن

---

(١) (المستدرك) : ٤/١٢٢ - ١٢٣) كتاب الأطعمة ، باب (٣٣) ، حديث رقم (٧٠٩٣)

وقال الحافظ الذهبي فى (التلخيص) : صحيح .

ثابت من حديث داود ابن رشيد حدثنا الهيثم بن عمران قال : سمعت عبيد الله بن أبي عبد الله قال : صنع عثمان بن عفان خبيصاً بالعسل والسمن والبُرّ، فأتي به في قصعة إلى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ : ما هذا ؟ قال : هذا يا نبي الله شئ تصنعه الأعاجم من البر والعسل والسمن، تسميه الخبيص[1] قال : فأكل .

عبد الله بن أبى عبد الله العنسي من أفاضل أهل دمشق ، يروي أحاديث مراسيل ، حدث عنه الهيثم بن عمران . قلت : وخرجه الحارث بن أبي أمامة في مسنده عن داود بن رشيد به سواء

وأما أكله ﷺ الهريسة والطفشل

قال الواقدي : ولما نزل رسول الله ﷺ وادي القري أهدي له بنو عريض اليهودي هريساً فأكلها رسول الله ﷺ[2] وأطعم ماكنا نعهد فقال : كلا ورب المشارق والمغارب لا يأتون بخير ماكنت أعلم، وكان مالك بن أنس - رضى الله تبارك وتعالى عنه - كلهم على منبر من طين يقول : إن أول من خطب الناس في المصلى على منبر عثمان بن عفان رضى الله تبارك وتعالى عنه- كلهم على منبر من طين بناه كثير بن الصلت .

وللبخاري من حديث أبي عمرو قال : حدثني نافع ، عن ابن عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنهما- قال : كان النبي ﷺ يغدو إلى المصلى والعنزة بين يديه تحمل وتنصب بالمصلى بين يديه فيصلى إليها ، ترجم عليه حمل العنزة أوالحربة بين يدي الإمام يوم العيد[3]، وذكره في باب الصلاة إلى[4] الحربة،

(١) (المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية) : ٢/٣٢٤، باب الخبيص ، حديث رقم (٣٨٢) .

(٢) (مغازي الواقدي) : ٣/١٠٠٦

(٣) (فتح الباري) ٢/٥٨٨، كتاب العيدين، باب (١٤) حمل العنزة - أو الحربة بين يدي الإمام يوم العيد ، حديث رقم (٩٧٣) .

(٤) (المرجع السابق) ١/٧٥٦ - ٧٥٧، كتاب الصلاة ، باب (٩٢) الصلاة إلي الحربة ولفظه: «إن النبي ﷺ كان تركز له الحربة فيصلي إليها »

من حديث عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر -رضي الله تبارك وتعالى عنهما- قال : إن النبي ﷺ كان يركز الحربة قدامه يوم الفطر ، ويوم النحر يصلي إليها .

وخرجه أبو داود بهذا السند ولفظه : عن ابن عمر -رضي الله تبارك وتعالى عنهما - قال : إن رسول الله ﷺ كان إذا خرج يوم العيد أمر بالحربة فتوضع بين يديه فيصلي إليها والناس وراءه، وكان يفعل ذلك في السفر فمن ، ثم اتخذها الأمراء[1] .

وخرَّجه مسلم من حديث عبيد الله، عن نافع ، عن ابن عمر . أن رسول الله ﷺ كان إذا خرج يوم العيد أمر بالحربة فتوضع بين يديه فيصلي إليها والناس وراءه، وكان يفعل ذلك في السفر، فمن ثم اتخذها الأمراء[2]

ومن حديث أبى بكر بن أبي شيبة وابن نمير قالا : حدثنا أبو خالد ، عن عبيد الله، عن نافع ، عن ابن عمر . أن النبي ﷺ كا يصلي إلى راحلته . وقال ابن نمير : إن النبي ·ص) صلى إلى بعير[3] .

والبخاري من حديث فليح بن سليمان ، عن سعيد بن الحارث ، عن جابر ابن عبد الله -رضي الله تبارك وتعالي عنه - قال : كان النبي ﷺ إذا كان يوم عيد خالف الطريق[4] .

وخرَّجه أبو داود من حديث عبد الله - يعني ابن عمر - عن نافع ، عن ابن عمر -رضي الله تبارك وتعالى عنهما- : أن رسول الله ﷺ أخذ يوم العيد في طريق ، ثم رجع من طريق آخر[5] .

---

(١) (سنن أبي داود) : ١٠/٤٤٢ - ٤٤٣ ، كتاب الصلاة ، باب (١٠٢) مايستر المصلي ، حديث رقم (٦٨٧)

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ٤/٤٦٤ ، كتاب الصلاة باب (٤٧) رقم (٢٤٥) سترة المصلي ، حديث رقم (٢٤٥)

(٣) (المرجع السابق) : حديث رقم (٢٤٨) .

(٤) (فتح الباري) : ٢/٥٩٩، كتاب العيدين، باب (٢٤) من خالف الطريق إذا رجع يوم العيد ، حديث رقم (٩٨٦) .

(٥) (سنن أبي داود) : ١/٦٨٣ - ٦٨٤ ، كتاب الصلاة ، باب (٥٤) الخروج إلى العيد في طريق ، ويرجع في طريق ، حديث رقم (١١٥٦) .

وخرَّج عمر بن شبّة من حديث خالد بن إلياس، عن يحيي بن عبد الله بن الرحمن، عن أبيه، قال : إن رسول الله ﷺ : كان يأتى العيد ماشياً على باب سعد بن أبي وقاص ، ويرجع على أبي هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه-.

وخرَّج البخاري من حديث الليث، عن ابن فرقد ، عن نافع ، أن ابن عمر -رضي الله تبارك وتعالى عنهما- أخبره قال : كان رسول الله ﷺ يذبح بالمصلي[1] .

ولعمر بن أبى شيبة من حديث عبد العزيز بن عمران ، عن ابن قسط الليثي ، عن أبيه ، عن أبي هريرة -رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر فَمَرَّ بالمصلي استقبل القبلة ، ووقف يدعو .

وله من حديث يزيد بن هارون قال : أنبأنا ابن أبى ذئيب ، عن الزهري أن النبي ﷺ كان يكبر يوم الفطر من حين يخرج من منزلة حتى يأتى المصلى وحتى يفرغ من الصلاة ، فإذا فرغ من الصلاة قطع .

ومن حديث حماد بن سلمة، عن أبي التياح، عن عبيد الله بن الهزيل - أن النبي ﷺ صلى الفجر في مسجده ، ثم ذهب إلى المصلي فقعد يحثهم ويذكرهم ، فلما بسطت الشمس - قال : لوصلينا ، فصلى ثم خطب .

وخرَّج البخارى من حديث سفيان بن عيينة ، عن عبيد الله بن أبي بكر سمع عباد بن تميم، عن عمه قال : خرج النبى ﷺ إلى المصلى يستسقي واستقبل القبلة. فصلى ركعتين وقلب رداءه - قال سفيان : فأخبرني المسعودي ، عن أبي بكر - رضى الله تبارك وتعالي عنه - قال : جعل اليمين على الشمال . ترجم عليه باب الاستسقاء فى المصلى[2] ،وذكره في باب تحويل الرداء في الاستسقاء[3] .

وخرَّجه مسلم ولفظه : خرج النبي ﷺ إلي المصلي فاستسقي واستقبل القبلة وقلب رداءه وصلي ركعتين[4] .

---

(١) (فتح الباري) : ١٠/١٠ ، كتاب الأضاحي ، باب (٦) الأضحى والنحر بالمصلي ، حديث رقم (٥٥٥٢) .

(٢) (فتح الباري) : ٦٥٤/٢، كتاب الاستسقاء، باب (١٩) الاستسقاء فى المصلي ، حديث رقم (١٠٢٧) .

وأبو بكر هو ابن محمد بن عمرو بن حزم .

(٣) (المرجع السابق) : حديث رقم (١٠١٢) .

(٤) (مسلم بشرح النووي) : ٦/ ٤٤٠ ، كتاب صلاة الاستسقاء ، حديث رقم (٢) .

فصل في ذكر أنه كان لرسول الله ﷺ
دار ينزل بها للوفود ، ويقال لها اليوم : دار الضيافة

ذكر الواقدي ، عن حبيب بن عمر السلاماني كان يحدث قال : قدمنا وفد سلامان علي رسول الله ﷺ ونحن سبعة نفر، فانتهينا إلى باب المسجد ، فصادفنا رسول الله ﷺ خارجاً من المسجد إلى جنازة دعى إليها ، فلما رأيناه قلنا : السلام عليكم يارسول الله ... فذكر القصة : وفيها : أنه أمر ثوبان بإنزالهم فى دار رملة بنت الحارث، وأنهم لما سمعوا الظهر أتوا المسجد فصلوا مع رسول الله ﷺ ، وأنه سأل النبي ﷺ ، فقال : يارسول الله ، ما أفضل الأعمال ؟ قال : الصلاة في وقتها . وأنه سأل عن رُقية العين وذكرها ، فأذن له فيها[١] .

وذكر ابن إسحاق ، والواقدي في خبر بنى قريظة أن رسول الله ﷺ حبسهم في دار رملة بنت الحارث النجاريّة . وذكر الواقدي أن وفد تميم نزل على رملة بنت الحارث وهم عيينة بن حصن وخارجة بن حصين، وقيس بن الحارث ، وذلك حين قدموا المدينة علي رسول الله ﷺ مسلمين

وذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري أن وفد بني كلاب وهم ثلاثة عشر، فيهم لبيد بن ربيعة ، إذ وفدوا على رسول الله ﷺ فنزلوا على رملة[٢] هذه.

---

(١) (الإصابة) : ٢/٢٢ ترجمة رقم (١٥٩٤) .

(٢) رملة بنت الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن زيد الأنصارية النجارية .

ذكرها ابن حبيب في المبايعات، وذكر ابن إسحاق في (السيرة النبوية) : أن بني قريظة لما حكم فيهم سعد بن معاذ حبسوا في دار رملة بنت الحارث امرأة من الأنصار من بني النجار .

قلت : وتكرر ذكرها في السيرة . وأما الواقدي فيقول : رملة بنت الحدث، بفتح الدال المهملة بغير ألف قبلها . وقال ابن سعد : رملة بنت الحارث ، وهو الحارث بن ثعلبة ابن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، تكّني أم ثابت وأمها كبشة بنت ثابت بن النعمان بن حرام، وزوجها معاذ بن الحارث بن رفاعة .

(الإصابة) : ٧/٦٥١، ترجمة رقم (١١١٨٣)

وذكر عمر بن شيبة في كتاب (أحياء المدينة) أن الدار التي يقال لها الدار الكبري إنما سميت بذلك لأنها أول دار بناها أحد من المهاجرين بالمدينة وكان عبد الرحمن بن عوف يُنْزِل فيها ضيفان رسول الله ﷺ ، وكانت أيضاً تسمى دار الضيفان ، وقد بنىَ فيها النبي ﷺ بيده . وذكر السهيلي أن وفد بني حنيفة نزلوا في دار كبشة بنت الحارث

فصل فى ذكر من كان يلي أمر الوفود على عهد رسول الله ﷺ وإجازته الوفد(١)

اعلم أنه ولي أمر الوفود لرسول الله ﷺ غير واحد ، منهم : خالد بن

(١) بوّب البخاري في كتاب الجهاد باب جوائز الوفود ، وخرج عن ابن عباس : أوصى النبي ﷺ عند موته بثلاث منها : أجيزوا الوفد بنحو ماكنت أجيزهم . وفي طبقات ابن سعد أجاز رسول فروة بن عمرو الجذامي عامل قيصر على عمان باثني عشر أوقية ونَشّ، قال : وذلك خمسمائة درهم، وفيها أيضاً : أن وفد تميم لماوردوا على رسول الله ﷺ أمر لهم بالجوائز، كما كان يجيز الوفد، وذكر أن امرأة من بني النجار قالت : أنا أنظر إلى الوفد يومئذٍ يأخذون جوائزهم عند بلال ثنتى عشرة أوقية ونشاً ، قلت : وقد رأيت غلاماً أعطاه يومئذ وهو أصغرهم خمس أوراقٍ يعني عمرو بن الأهتم وفيها أيضاً : أن وفد عبد القيس لماقدموا عليه عليه السلام أمر لهم بجوائز وفضل عليهم عبد الله الأشجّ فأعطاه اثنى عشر أوقية ونشاً

وفي (المواهب أن وفد بهرام - وهم قبيلة من قضاعة - وكانوا ثلاثة عشر رجلاً أقاموا أياماً ثم ودعوا رسـول الله ﷺ فأمر لهم بوائز قال الزرقاني : لم يبين قدرها . وفي (المواهب) أيضاً أن وفد غسان وكانوا ثلاثة عشر نفراً فأسلموا وأجزهم عليه السلام بجوائز وانصرفوا . وذكر فيها أيضاً وفد سلامان - بطن من قضاعة - كانوا سبعة نفر فأمر لهم بالجوائز . ذكر الزرقاني : فأعطيت خمس أواقي فضة لكل رجل منا، واعتذر إلينا بلال وقال : ليس عنده مال اليوم فقلنا ما أكثر هذا وأطيبه .

وترجم فيها أيضاً لوفد عامر - بطن من الأزد باليمن - وكانوا عشرة فأقروا بالإسلام، وكتب لهم كتاباً فيه شرائع الإسلام وأمر أُبيّ بن كعب أن يعلمهم القرآن، وأجازهم عليه السلام .

قال الزرقاني . كما كان يجيز الوفود وهو تشبيه في أصل الجائزة لأنه لم يكن له جائزة مخصوصة وإنما يدفع ما اتفق وجوده وهو يتفاوت قلة وكثرة، فقد أجاز بخمس أواقٍ، وبعشر ، وباثني عشر وبأزيد ، وفي (طبقات ابن سعد) لدى الكلام على وفد بني حنيفة : فلما أرادوا الرجوع إلى بلادهم أمر لهم النبي ﷺبجوائزهم خمس أواقٍ لكل رجل فقالوا : يارسول الله إنا خلفنا صاحباً لنا في رحالنا يبصرها لنا وفي ركابنا يحفظها علينا فأمر له بمثل ما أمر به لأصحابه، وقال : ليس بشركم مكاناً لحفظه ركابكم ، ورحالكم ، وكان الرجل المذكور مسيلمة الكذاب . وفي (الطبقات) أيضاً لدى ترجمة أشج عبدالقيس : وأمر عليه السلام للوفد بالجوائز وفضل عليهم عبد الله الأشجّ؛ فأعطاه اثني عشر أوقية ونشاً، وكان ذلك أكثر ماكان رسول الله ﷺ يجيز به الوفد. (التراتيب الإدارية) : ١/٤٥١-٤٥٢ .

سعيد بن العاصي[1] ، وبلال المؤذن[2] ، وثوبان [3] -رضي الله تبارك وتعالى عنهم- .

---

(١) سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف .

ذكره ابن حبان في (الصحابة): فوهم فيه وهماً شنيعاً، وأعجب من ذلك أنه قال : هو المكبر الذي زوج رسول الله ﷺ أم حبيبة .

وقال ابن أبي داود في (المصاحف) : حدثنا العباس بن الوليد بن زيد أخبرني أبي، أنبأنا سعيد بن عبد العزيز أن عربية القرآن أقيمت على لسان سعيد بن العاص ؛ لأنه كان أشبههم لهجة برسول الله ﷺ ؛ وقتل العاص أبوه يوم بدر مشركاً ، ومات جده سعيد بن العاص قبل بدر مشركاً . (الإصابة) : ٢٨٨/٣ - ٢٨٩، ترجمة رقم (٣٧٦٨) .

(٢) بلال بن رباح الحبشي المؤذن، وهو بلال بن حمامة، وهي أمه اشتراه أبو بكر الصديق من المشركين لما كانوا يعذبونه على التوحيد ، فأعتقه ، فلزم النبي ﷺ وأذّن له، وشهد معه جميع المشاهد ، وآخي النبي ﷺ بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح، ثم خرج بلال بعد النبي (ص) مجاهداً قال أبو نعيم : كان ترب أبي بكر ، وكان خازن رسول الله ﷺ ،.

وروى أبو إسحاق الجوزجاني في (تاريخه) ، من طريق منصور ، عن مجاهد ، قال : قال عمار - كلّ فذ قال : ماأرادوا -يعني المشركين - غير بلال .

ومناقبه كثيرة مشهورة ، قال ابن إسحاق : كان لبعض بني جمح مولد من مولديهم ، واسم أمه حمامة . وكان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الظهيرة ، ويطرحه على ظهره في بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة علي صدره، ثم يقول : لايزال على ذلك حتى يموت أو يكفر بمحمد ، فيقول - وهو في ذلك : أَحَدٌ أَحَدٌ . فمرَّ به أبو بكر فاشتراه منه بعبد له أسود جلد . قال البخاري : مات بالشام زمن عمر . وقال ابن كثير : مات في طاعون عمواس . وقال عمرو بن علي : مات سنة عشرين . وقال ابن زبر : مات بدارنا .

وفي (المعرفة) لابن منده : أنه دفن بحلب . (الإصابة) : ٣٢٦/١ - ٣٢٧، ترجمة رقم (٧٣٦)

(٣) ثوبان - مولى رسول الله ﷺ ، صحابيّ مشهور . يقال : إنه من العرب حكمي من حكم بن سعد بن حمير ، وقيل من السراة، اشتراه ، ثم أعتقه رسول الله ﷺ فخدمه إلى أن مات، ثم تحول إلى الرملة ثم حمص ، ومات بها سنة أربع وخمسين ، قاله ابن سعد وغيره .

وروى ابن السكن ، من طريق يوسف بن عبد الحميد، قال : لقيت ثوبان فحدثني أن رسول الله ﷺ دعا لأهله ، فقلت ، أنا من أهل البيت، فقال في الثالثة : نعم مالم تقم علي باب سدة أو تأتي أميراً تسأله . =

فذكر ابن إسحاق والواقدي أن خالد بن سعيد بن العاصي كان يمشي بين وفد ثقيف وبين رسول الله ﷺ حتى كتبوا كتابهم بيده ، وأنهم كانوا لايطعمون طعاماً يأتيهم من رسول الله ﷺ حتى يأكل منه خالد حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم .

وذكر في وفد ثقيف أيضا أن بلالاً -رضي الله تبارك وتعالى عنه- كان يأتيهم بفطرهم ويخيل إليهم أن الشمس لم تغب فيقولون : ماهذا من رسول الله ﷺ إلا لننظر كيف إسلامنا ؟ فيقولون : يابلال ماغابت الشمس بعد ؟ فيقول بلال ماجئتكم حتى أفطر رسول الله ﷺ ، وكان بلال -رضي الله تبارك وتعالى عنه -يأتيهم بسحورهم[(١)] .

وقد تقدم خبر ثوبان -رضي الله تبارك وتعالى عنه- في وفد سلامان أنه أنزلهم في دار رملة .

ذكر ماكان ﷺ يجيز به الوفود

قال ابن دريد : الجائزة[(٢)] كلمة إسلامية محدثة، أصلها أن أميراً قالها

= وروى أبو داود من طريق عاصم ، عن أبي العالية ، عن ثوبان ، قال : قال رسول الله ﷺ : من يتكفل لي ألا يسأل الناس وأتكفل له بالجنة ؟ فقال ثوبان : أنا ، فكان لا يسأل أحداً شيئاً . (الإصابة) : ٤١٣/١ ، ترجمة رقم (٩٦٨)

(١) في بعض النسخ : «وطن» ، وفي بعضها : «فطن» وقال يونس بن بكير في (زيادات المغازي) : حدثني إسماعيل بن إبراهيم الأنصاري ، حدثني عبد الكريم، حدثني علقمة بن سفيان، قال : كنت في الوفد من ثقيف ، فضُربت لنا قبة ، فكان بلال يأتينا بفطرنا من عند النبي ﷺ . (الإصابة) : ٥٥٢/٤ ، ترجمة رقم (٥٦٧٥) ، علقمة بن سفيان .

(٢) والجائزة : العطية ، وأصله أن أميراً واقف عدواً وبينهما نهر فقال : من جاز هذا النهر فله كذا، فكلما جاز منهم واحد أذخ جائزة . أبو بكر في قولهم : أجاز السلطان فلاناً بجائزة : أصل الجائزة : أن يعطي الرجلُ الرجلَ ماءً ويجيزه ليذهب لوجهه ، فيقول الرجل إذا ورد ماءً يقول لقيم الماء : أجزني ماءً أي أعطني ماءً حتى أذهب لوجهي وأجوز عنك ، ثم كثر هذا حتي سموا العطية جائزة . (لسان العرب) : ٣٢٧/٥ .

لعدوّ بينه وبينهم جائزة، فقال : من جاز هذا النهر فله كذا، وكان الرجل يَعْبُر فيأخذه، فيقال : أخذ جائزة .

وقال ابن أبي طاهر : كان أمير الجيش فطن[1] بن عوف الهيلاني، كان عبدالله بن عامر استعمله على كرمان وكان فطن أعطي على جواز النهر أربعة آلاف ألف . فأتى ابن عامر أن تحسبها له، فكتب إليه عثمان -رضي الله تبارك وتعالى عنه- أن يحسبها أجبها، وقتل في ذلك، فدى للأكرس بن بني هلال على علاتهم أهلي ومالي هم سبوا الجوائز في معد فصارت سنة في إحدى الليالي .

وقال ابن قتيبة : أصل الجائزة أن وطناً هذا ولي فارس لعبد الله بن عامر فمر به الأحنف في حبسه غازيا فوقعه لهم على قنطرة الكرّ فيعطي الرجل على قدره فلما كثروا قال : أجيزوهم ، فأُجيزوا فهو أول من سنّ الجوائز .

خرج أبو نعيم ، عن محمد بن عمر الواقدي قال : قدم وفد بني مرة بن[2] قيس ورسول الله ﷺ في المسجد فقال الحارث بن عوف : يارسول الله نحن قومك وعشيرتك من بني لؤي بن غالب ، فتبسم رسول الله ﷺ ، ثم قال للحارث بن عوف : أين تركت أهلك ؟ قال : بسلام[2] ، وماولاها ، قال : وكيف البلاد ؟ قال : والله إنا لمسنتون[3] وما في المال مح[4]، فادع الله تبارك وتعالى لنا قال : فقال رسول الله ﷺ اللهم اسقهم الغيث[5] ، فأقاموا أياماً ، ثم أرادوا الانصراف إلى بلادهم ، فجاءوا رسول الله ﷺ مودعين له ، فأمر بلالاً -رضي الله تبارك وتعالى عنه- أن يجيزهم فأجازهم بعشر أواق من فضة لكل واحد، وفضّل الحارث بن عوف فأعطاه اثنتي عشرة أوقية، ورجعوا إلى بلادهم فوجدوا البلاد مطيرة، فسألوا : متى مطرتم ؟ فإذا هو ذلك اليوم الذي دعا رسول الله ﷺ لهم، فقدم عليه قادم وهو يتجهز لحجة الوداع فقال :

---

(١) قدم وفد بني مرة لرسول الله -ص)، مرجعه من تبوك في سنة تسع ، وهم ثلاثة عشر رجلا، ورأسهم الحارث ابن عوف . (طبقات ابن سعد) : ٢٩٧/١ - ٢٩٨ .

(٢) فى (الأصل) : «بسلام» ، وفى (طبقات ابن سعد) : «بسلاح »

(٣) لمسنتون : لمجدبون ، من الجدب والقحط .

(٤) المح : ا لثوب البالي الخَلِق .

(٥) (البداية والنهاية) : ١٠٣/٥ - ١٠٤ .

يارسول الله رجعنا إلى بلادنا فوجدناها مضبوبة مطراً فى ذلك اليوم الذي دعوت لنا فيه، مما قلد بنا أقلاد الزرع في كل خمس عشرة مطراً جوذاً ، ولقد رأيت الإبل تأكل وهي تروك ، وإن غنمنا ما تواري بين أبنائنا ، فرجع فيقبل في أهلها ، فقال رسول الله ﷺ : الحمد لله الذي صنع ذلك .

قال : وذكر الواقدي بإسناده أيضاً أن وفد سلامان قدم على النبي ﷺ في شوال سنة عشر ، فقال لهم: كيف البلاد عندكم ؟ قالوا : مجدبة فادع الله تعالى أن يسقينا في بلادنا ، فنقر في أوطاننا.

فقال بيده : اللهم اسقهم الغيث في دارهم ، فقالوا : يارسول الله ارفع يديك فإنه أكثر وأطيب ، فتبسم ورفع يديه حتى بدا بياض إبطيه . قالوا : فأقمنا ثلاثاً ، وضيافته تجري علينا ، ثم جئنا فودعناه ، فأمر لنا بالجوائز فأعطانا خمس أواقٍ . كل واحد منا ، وتعذر بلال -رضي الله تبارك وتعالى عنه- إلينا وقال : ليس عندنا اليوم مال ؟ فقالوا : ما أكثر هذا وأطيبه قالوا: ثم رحلنا إلى بلادنا فوجدناها قد مطرت في ذلك اليوم الذي دعا فيه رسول الله ﷺ في تلك الساعة .

وقال سيف : عن أبي حباب الكلبي ، عن زياد بن لقيط ، عن الحارث بن حسان الذهلي ، ثم العامري[1] قال : وقع بيننا وبين تميم أمراً بالبحرين

---

(١) هو الحارث بن حسان بن كلدة البكريّ ، ويقال : الربعيّ والذهليّ ، من بني ذهل بن شيبان . ويقال : الحارث ابن يزيد بن حسان ، ويقال : حريث بن حسان البكرى ، والأكثر يقولون : الحارث بن حسان البكري ، وهو الصحيح إن شاء الله تعالى .

وفى حديثه قصة وافد عاد ، وهو صاحب حديث قيلة - فيما ذكر أبو حاتم - والحارث بن حسان هذا هو الذى سأله رسول الله ﷺ عن حديث قوم عاد ، وكيف هلكوا بالريح العقيم ، فقال له: يارسول الله على الخبير سَقَطتَ ، فذهبت مثلاً .

وكان قد قدم على رسول الله ﷺ يسأله أن يقطعه أرضاً من بلادهم ، فإذا عجوز من بني تميم تسأله ذلك، فقال الحارث : يارسول الله ! أعوذ بالله أن أكون كقَيْل بن عمرو وافد عاد . فقال له رسول الله ﷺ كما قال الأول ، فقال : على الخبير سقطت . فقال له رسول الله ﷺ : أعالم أنت بحديثهم ؟ قال : نعم ، نحن ننتجع بلادهم ، وكان آباؤنا يحدثوننا عنه ؛ يروى ذلك الأصغر عن الأكبر . فقال رسول الله ﷺ : إيه ! يستطعمه =

اعترضنا فيه علي العلاء بن الحضرميّ ، وجلسنا عنده، فبعث رجل من بني تميم إلى النبي ﷺ بأن ربيعة قد كفرت ومنعت الصدقة فبلغ ذلك ربيعة فبعثوا إلى النبي ﷺ بطاعتهم فمررت بالربذة فإذا أنا بامرأة من بني تميم قد بقيت[١] راحلتها تريد النبي ﷺ فحملتها حتي أدخلتها المدينة وسبقني التميمي إلي النبي ﷺ فحملتها حتي أدخلتها المدينة وسبقني التميمي إلى النبي ﷺ إلى المدينة يخبر العلاء ، فأمر عمرو بن العاص -رضي الله تبارك وتعالى عنه- وعقد له لواء وخرج إلى منبره يحث الناس على غزو ربيعة بالبحرين، فانتهى إلى المسجد وإذا اللواء تزكون ، وإذا النبي ﷺ على المنبر عصب رأسه بخرقة حمراء شال ، وهو يقول : إن العلاء والمنذر كتبا إليّ أن ربيعة قد كفرت وضعت الزكاة ، فمن ينتدب مع عمرو بن العاص؟ فناديته والناس بيني وبينه : أبا الحرث بن حسان ، رسول ربيعة إليك بالطاعة ، فأعوذ بالله أن أكون كوافد عاد ، فنزل وادياً ينبت منه ، فوضع يده على منكبي ، وذهب في نحو منزله ووضع البعث وسرح عمراً ، -رضي الله تبارك وتعالى عنه -، في وجه غيره وقال لى : ماوافد عاد ؟ فحدثته بحديثهم ، فأدخلنى فسألنى، فأخبرته ، فقا لي : مايصلح بينكم وبين تميم ؟ فقلت له : إن الدهناء وفلانه وفلانة كانت لنا في أمن الدهر فدخلوا علينا فيهن، ولايصلح مابيننا وبينهم حتى نجد لنا ولهم حداً لايجوزه أحد من الفريقين إلى الآخر، الا ناد به، فدعا بلالاً -رضي الله

= الحديث . فذكر الخبر أهل الأخبار وأهل التغسير للقرآن : سُنيد وغيره .

روى له أحمد ، والترمذي ، و النسائيّ وابن ماجة ، وفى بعض طرق حديثه أنه وفد على النبي ﷺ . وروي عنه أو وائل وسماك بن حرب وإياد بن لقيط .

وقال البغوي : كان يسكن البادية ، روي الطبراني من طريق سماك بن حرب قال : تزوج الحارث بن حسان وكانت له صحبة . وكان الرجل إذا عرّس تخدّر أياماً ، فقيل له فى ذلك ، فقال : والله إن امرأة تمنعنى صلاة الغداة فى جمع لامرأة سوء .

وفى حديثه أن قدومه كان أيام بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص فى غزوة السلاسل . ووقفت فى (الفتوح) أن الأحنف لمافتح خراسان بعث الحارث بن حسان إلى سرخس ، فكأنه هذا . (الإصابة) : ٥٦٩/١ - ٥٧٠، ترجمة رقم ١٣٩٧٠) (الاستيعاب) : ٢٨٥/١ - ٢٨٦ ، ترجمة رقم (٣٩٩) .

(١) كذا فى (الأصل) ، ولعله : «نفقت » .

تبارك وتعالى عنه- برق وإداوة، واستأذنت التميمة [......] وإن الكتاب ليكتب : أن لبني تميم مادون الدهناء ولم يبعه ماوراءها إلى البحرين، فقالت : إن مابين الدهناء والبحرين لبني تميم في الجاهلية، وأسلموا عليها فأين تضيق يامحمد على مضرك ؟ فعاد النبي ﷺ لصفة أخري ، قالته المرأة وصدقت ، وكتب مابين البحرين إلى الشام من بياض العراق ، فناديت فوددت أن لا أكون تركتها حتى تأكلها السباع ! ألا أرى كحامل جيفة في طلعة، فضحك النبي ﷺ مني ومنها وقال : أذكرا حاجتكما فقضي[1] لنا حوائجنا وأجازوا إجازتي بفراش من ذهب وفضة وكساءها ، وأجاد رسول الله ﷺ العلاء بفراش من ذهب وفضة وكساءه، ثم رجعنا بالعافية[2] .

وذكر الواقدي وفد بني تميم ، قال: حدثني ربيعة بن عثمان، عن شيخ أخبره أن امرأة من بني النجار قالت : أنا أنظر إلى الوفد يومئذ يأخذون جوائزهم من عند بلال -رضي الله تبارك وتعالى عنه- اثنتي عشرة أوقية ونشاً، وقالت : وقد رأيت غلاماً أعطاه يومئذ وهو أصغرهم خمس أواقٍ ونشّاً قلت : وما النشّ ؟ قالت : نصف أوقيه[3] .

---

(١) في (الأصل) : « بعض» .

(٢) وهذا الكتاب أخرجه صاحب (مجموعة الوثائق السياسية) : ١٤٦، وثيقة رقم (١٤٢) كما يلي : عن قيلة أن حريث بن حسان الشيباني كان وافد بني بكر بن وائل فبايعه ﷺ على الإسلام عليه وعلى قومه، ثم قال : يارسول الله ، اكتب بيننا وبين بني تميم بالدهناء، لا يجاوزنا إليها منهم أحد إلا مسافر أو مجاور .

فقال : اكتب له ياغلام بالدهناء . قالت قيلة : فلما رأيته قد أمر له بها لشخص بي وهي وطني وداري ، فقلت: يارسول الله ! إنه لم يسألك السوية من الأرض إذ سألك ، إنما هي هذه الدهناء مقيد الجمل ، ومرعى الغنم ، ونساء تميم وأبناؤها وراء ذلك .

قال ﷺ : أمسك ياغلام، صدقت المسكينة . المسلم أخو المسلم ، يعهما الماء والشجر ، ويتعاونان على الفتان ... وكتب لها في قطعة من أديم أحمر : لقيلة وللنسوة بنات قيلة ، أن لايظلمن حقاً ، ولايكرهن على منكح ، وكل مؤمن مسلم لهن نصير ، أَحْسِنَّ ولا تُسِئن .

والخبر بتمامة في : (مسند أحمد) : ٥٣١/٤ - ٥٣٢ ، حديث رقم (١٥٥٢٣) ، (١٥٥٢٤) من حديث الحارث بن حسان البكري -رضي الله تبارك وتعالى عنه - وابن كثير في (البداية والنهاية) : ٩٩/٥ ، وفادة الحارث بن حسان البكري إلى رسول الله ﷺ .

(٣) (طبقات ابن سعد) :٢٩٤/١ - ٢٩٥ .

وقال الواقدي : حدثني يعقوب بن محمد الظفري ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر، عن أبيه قال : رأيت تحته من زوجة صاحب أيلة يوم أتي به النبي ﷺ من ذهب وهو معقود الناصية فلما رأي النبي ﷺ كفَّر[١] وأومأ برأسه فأومأ إليه ﷺ : ارفع رأسك، وصالحة يومئذ وكساه برد يمنة ، وأمر له بمنزل بلال -رضي الله تبارك وتعالي عنه-

فصل في ذكر ضيف رسول الله ﷺ

قال ابن سيدة : والضيف المضيف يكون للواحد والجمع كعدل وخصم[٢] ، وفى التنزيل : ﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين﴾[٣] ،وفيه : ﴿قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون﴾[٤] .

وقد كان أبو أيوب[٥] خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة الأنصاري النجّاريّ ضيف رسول الله ﷺ في خروجه ﷺ من بني عمرو بن عوف ، حين قدم المدينة مهاجراً من مكة ، فلم يزل عنده حتى بني مسجده ومساكنه، فانتقل إليها .

قال الليث . عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير ، عن أبي رُهم السماعيّ قال : إن أبا أيوب الأنصاريّ -رضي الله تبارك وتعالي عنه- حدثه قال : نزل رسول الله ﷺ في بيتنا الأسفل وكنت في الغرفة، فأمر يوماً في الغرفة فقمنا أنا وأم أيوب بقطيفة نتبع الماء شفقه أن يخلص إلى رسول الله ﷺ ، ونزلت إلى النبي ﷺ فقلت : يارسول الله إنه ليس ينبغى أن نكون فوقك ! انتقل إلى الغرفة ، فأمر ﷺ بمتاعه أن ينقل ،ومتاعه قليل . وذكر الحديث ، وتوفي أبو أيوب -رضي الله تبارك وتعالي عنه- غازياً بالقسطنطينية من بلاد الروم سنة اثنين وخمسين، وقيل غير ذلك ، وكان مع عليّ -رضي الله تبارك وتعالى عنه- في حروبه كله[٦] .

---

(١) كفَّر : انحنى ، وكانت هذه تحيتهم .

(٢) (لسان العرب) : ٢٠٩/٩ .

(٣) الذاريات : ٢٤ .

(٤) الحجر : ٦٨ .

(٥) له ترجمة فى : (الإصابة) : ٢٣٤/٢ - ٢٣٥، ترجمة رقم (٢١٦٥) .

(٦) عن الأصمعي ، عن أبيه أن أبا أيوب قُبِرَ مع سور القسطنطينية وبُني عليه ، فلما أصبحوا ، قالت الروم :=

فصل في ذكر من استعمله رسول الله ﷺ على الحج

اعلم أن مكة لما فتحها الله عز وجل على رسول الله ﷺ في سنه ثمانٍ من الهجرة واستعمل عليها عتاب بن أسيد حجَّ ناس من المسلمين ، وحج المشركون على مدتهم على ماكانوا عليه من إستعمال النبي ﷺ ، وذلك أن العرب في جاهليتها ، كانت في الحجّ على حالتين : إحداهما الفرقة التى كانت متمسكة بعهد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، وكان حجّهم على نحو مايعمله أهل الإسلام ، والفرقة الثانية التى أنشأت اليهود ، يعني أخّرتْها ، وذلك أنها أرادت أن يكون الحج في وقت إدراك الثمار ، وأن ينبت حالة واحدة في أطيب الأزمنة ، فتعلموا لبس الشهور من اليهود المجاورين ، وذلك قبل الهجرة بنحو مائتي سنة، وعملوا بها كما عمل اليهود من إلحاق فصل مابين سنينهم القمرية وبين السنة الشمسية ، وتولى عمل ذلك للعرب السادة المعروفون بالقلامس من بني كنانة ، واحدهم قلمس ، وكان يقوم بعد انقضاء الحج فيخطب وينسئ الشهور ويسمي الشهر الثاني له باسمه ، فيقبل الجميع

= يامعشر العرب ، قد كان لكم الليلة شأن ! قالوا : مات رجل من أكابر أصحاب نبينا ، والله لئن نبش ، لا ضُرب بنا قوس فى بلاد العرب ، فكانوا إذا قحطوا ، كشفوا عن قبره فأمطروا .

وقال ابن سعد من طريق الواقديّ : مات أبو أيوب سنة (٥٢) ، وصلى عليه يزيد ، ودفن بأصل حصن القسطنطينية ، فلقد بلغنى أن الروم يتعاهدون قبره ويستسقون به . وقال خليفة : مات سنة (٥٠) ، وقال يحي بن بكير : سنة (٥٢) . (سير أعلام النبلاء) : ٤١٢/٢ - ٤١٣ .

والاستسقاء بأهل الصلاح إنما يكون في حياتهم لابعد موتهم ، كما فعل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب - رضى الله تبارك وتعالى عنه - فقد روى البخارى فى (صحيحه) فى كتاب الاستسقاء باب سؤال الإمام الاستسقاء من طريق أنس / أن عمر بن الخطاب - رضى الله تبارك وتعالى عنه - كان إذا قحطوا استسقى بالعباس ابن عبد المطلب - رضى الله تبارك وتعالى عنه - فقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ، فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا ، فاسقنا ، فيسقون .

وقد بين الزبير بن بكار فى (الأنساب) صفة ما دعا به العباس فيما نقله عن الحافظ : «اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة، وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا إليك بالتوبة ، فاسقنا الغيث » . (هامش المرجع الاسبق) .

قوله ، ويسمون هذا الفصل النسئ ، لأنهم كانوا ينسئون أول السنة في كل سنتين أو ثلاث أشهر علي حسب مايستحقه التقدم ، وكان النسئ الأول للمحرم، فيسمي صفر باسمه ، ويسمي ربيع الأول باسم صفر ، ثم قالوا : بين أسماء الشهور ، وكان النسئ الثاني لصفر ، فسمي الشهر الذي يتلوه بصفر أيضاً ، وكذلك حتي دار النسئ في الشهور الإثني عشر ، وعاد إلى المحرم ، فعادوا بها فعلهم الأول ، وكانوا يعدون إذا رأوا النسئ ويُحدّون بها الأزمنة فيقولون قد دارت السنون من لدن زمان كذا إلى زمان كذا وكذا دورة ، فإن ظهر لهم مع ذلك تقدم شهر عن فصل من الفصول الأربعة ، لما يجتمع من كسور سنة الشمس ، وبقية فصل مابينهما وبين سنة القمر الذى ألحقوه بها ، كبسوه كبيساً زائداً ، فلما هاجر النبي ﷺ كانت نوبة النسئ بلغت شعبان فسمي مُحَرَّماً ، وسمي رمضان صفراً فانتظر ﷺ حتى دار النسئ وعادت الشهور ، فبعث أبا بكر -الصديق رضي الله تبارك وتعالى عنه- علي الحج في سنة تسع من الهجرة ، وقد وافق الحج في ذي العقدة ، فلما كانت سنة عشر، عادت الشهور إلى مواضعها الحقيقية ، فحج رسول الله ﷺ حينئذ حجة الوداع وقال : ألا إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض ؛ يعني أن الشهور قد عادت إلي مواضعها ، وزال عنه فعل العرب الذي أحدثوه من النسئ، وأنزل الله عليه تحريم النبي فقال سبحانه وتعالي **﴿إنما النسئ زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلّونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ماحرم الله فيحلوا ماحرم الله﴾**(١) الآية .

ويقال : إن القلمّس -وهو سدم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة- قال : أري شهور الأهلة ثلاثمائة يوم وخمسة وستين يوماً ، فبيننا وبينهم أحد عشر يوماً ففي كل ثلاث سنين شهر ، فهذا نسئ، والنسئ المؤخر، فكان إذا جاءت ثلاث سنين قدم الحجَّ في ذي العقدة ، فإ ذا جاءت ثلاث سنين أخَّرها في المحرم وكان الناسئ من بني ثعلبة بن مالك بن كنانة يقوم على باب الكعبة فيقول : إن إلهتكم العزَّي قد أنسأت صفر الأول، وكان يحله عاماً ويحرمه عاما

وعن طاوس أنه قال : شهر الله الذي انتزعه من الشيطان المحرم ، قال الزبير ابن بكار : وتفسيره أن أهل الجاهلية كانوا يقولون صفر ، وكانوا يحلون صفر عاماً ، ويحرمونه عاماً ، فجعل الله تعالى المحرم

---

(١) التوبة : ٣٧

أول من ابتدع النسيء[١]

ذكر محمد بن إسحاق أن العرب كانوا إذا فرغوا من حجِّهم اجتمعوا إلى القلمس[٢] ، فأحل لهم من الشهور ، وحرم ، فأحلوا ما أحل ، وحرموا ماحرم ، وكان إذا أراد أن يُنسئ منها شيئاً أحلَّ المحرم فأحلوه ، وحرم مكانه صفراً فحرموه ، ليواطئوا عدة الأربعة [الأشهر الحرم][٣] ،فإذا أرادوا الهَدْى اجتمعوا إليه ، فقال : اللهم إني لا أحاب[٤] وولا أُعاب[٥] في أمري ، والأمر لما قضيت ، اللهم إني قد حللت ، وما المحلين من طئ ، وجعلتم فأمسكوهم حيث ثفقتموهم ، اللهم إني قد أحللت ، أحد الصَّفَرين، الصَّفَر الأول ، ونسأت الآخر من العام المقبل وإنما أحل دم حلى ، وخثعم ، من أجل أنهم كانوا يعدون على الناس في الشهر الحرام من بين العرب، فلذلك أحل دماءهم ، وكانوا يحجون في ذي القعدة عامين، يحجون فى ذي القعدة ، ثم يحجون كل العام، والآخر

---

(١) هذا العنوان ليس فى (الأصل) ولكنه من (ابن هشام) .

(٢) قال ابن إسحاق : كان أول من نسأ الشهور على العرب ، فأحلت منها ما أحلَّ ، وحرمت منها ما حرَّم القلمَّس [وسمى القلمس لجوده ؛ إذ أنه من أسماء البحر] ، وهو حذيفة بن عبد فُقيم بن عديّ بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة ، ثم قام بعده على ذلك ابنه عبَّاد بن حذيفة ، ثم قام بعد عباد : قَلَع بن عباد ، ثم قام بعد قلع : أمية بن قلع ، ثم قام بعد أمية : عوف بن أمية ، ثم قام بعد عوف : أبو ثمامة ، جنادة بن عوف ، وكان آخرهم ، وعليه قام الإسلام . (سيرة ابن هشام) : ١/١٦١-١٦٢ ، أول من ابتدع النسئ .

وجد السهيلى خبراً عن إسلام أبي ثمامة ، فقد حضر الحج فى زمن عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فرأى الناس يزدحمون على الحج فنادى : أيها الناس ، إنى قد أَجَرْتُهُ منكم ، فخفقه عمر بالدرة وقال : ويحك ! إن الله تعالى أبطل أمر الجاهلية . (هامش المرجع السابق) .

(٣) زيادة للسياق من (ابن هشام) .

(٤) من الحوب وهو الإثم . (لسان العرب) : ١/ ٣٤٠ .

(٥) من العيب . وهو معروف .

في ذي القعدة ، ثم يحجون العام الآخر في ذى الحجة ، فلما حج رسول الله ﷺ وافي ذا الحجة فحج ، وقال للناس : إن الزمان قد استدار [كهيئته][1] يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثني عشر شهراً منها أربعة حرم ، فصار الحج في ذي الحجة ،فلاشك في الحج .

وعن مجاهد : كانوا يعدون فيسقطون المحرم ثم يقولون : صَفَران لصفر ، وربيع الأول ، ثم يقولون جماد ثان لجمادي الآخرة ورجب ، ثم يقولون لشعبان : رجب ، ويقولون لرمضان : شعبان ، ثم يقولون لشوال : شهر رجب ، ثم يقولون لذي الحجة ذو القعدة شوال ، ثم يقولون للمحرم ذو الحجة ، فيحجون في المحرم، ثم يستأنفون فيعدون ذلك عدة مستقبلة على وجه ما ابتدأوا ؛ فيقولون المحرم وصفر وشهرا ربيع ، فيحجون في كل شهر مرتين فيسقطون شهراً آخر فيعدون على العدة الأولي ؛ يقولون : صفران وشهرا ربيع على نحو عدتهم في نحو ما أسقطوا .

عن مجاهد قال : حجوا في ذي الحجة عامين، ثم حجوا في المحرم عامين، ثم حجوا في صفر عامين، فكانوا يحجون في كل سنة في كل شهر عامين ، حتي وافقت حجة أبي بكر - رضي الله تبارك وتعالي عنه - من العامين في ذي القعدة ، قبل حجة رسول الله ﷺ بسنة ، ثم حج رسول الله ﷺ من قابل في ذي الحجة ، فبذلك حين يقول : إنَّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض .

وخرج الترمذي من حديث الحكم بن عتيبة ، عن مقسم عن ابن عباس -رضي الله تبارك وتعالى عنهما- ، قال : بعث النبي ﷺ أبا بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - وأمره أن ينادى بهؤلاء الكلمات ، ثم أتبعه علياً -رضي الله تبارك وتعالي عنه- ، فبينا أبو بكر -رضي الله تبارك وتعالى عنه- في بعض الطريق إذ سمع رغاء ناقة رسول الله ﷺ القصوى . فخرج أبو بكر فزعاً فظن أنه رسول الله ﷺ ، فإذا عليّ-رضي الله تبارك وتعالى- ، فدفع إليه كتاب رسول الله ﷺ وأمر

---

(١) زيادة للسياق .

بهؤلاء الكلمات ، فانطلقا ، فحجا ، فقام عليّ -رضي الله تبارك وتعالى عنه - أيام التشريق فنادي : ذمة الله ورسوله بريئة من كل مشرك، فسيحوا في الأرض أربعة أشهر ، ولا يحجن بعد العام مشرك ، ولايطوفن بالبيت عريان ، ولايدخل الجنة إلا مؤمن . وكان علي ينادي ، فإذا عيي قام أبو بكر -رضي الله تبارك وتعالي عنه- فنادي بها(١) .

(١) (تحفة لأحوذي بشرح جامع الترمذي) : ٣٨٦/٨ ، أبواب تفسير القرآن، سورة التوبة ، حديث رقم (٣٢٨٧)، قوله : « فإذا عيي » بكسر التحتية الأولى، يقال عيي يعيي وعياء بأمره وعن أمره : عجز عنه ولم يطق أحكامه ، أولم يهتد لوجه مراده ، وعيي يعيي عيّاً في المنطق : حصر .

تنبيه : قال الخازن قد يتوهم متوهم أن في بعث علي بن أبي طالب بقراءة أول (براءة) عزل أبي بكر عن الإمارة، وتفضيله على أبي بكر وذلك جهل من هذا المتوهم، ويدل على أن أبا بكر لم يزل أميراً على الموسم في تلك السنة ، حديث أبي هريرة عن الشيخين أن أبا بكر بعثه في الحجة التى أمره رسول الله ﷺ قبل حجة الوداع في رهط يؤذنن في الناس . الحديث ، وفي لفظ أبي داود والنسائي قال : بعثني أبو بكر فيمن يؤذن في يوم النحر بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك ولايطوف بالبيت عريان ، فقوله : «بعثني أبو بكر »؛ فيه دليل على أن أبا بكر كان هو الأمير على الناس ، وهو الذي أقام للناس حجهم ، وعلمهم مناسكهم . وأجاب العلماء عن بعث رسول الله ﷺ علياً ليؤذن في الناس حجهم وعلمهم مناسكهم . وأجاب العلماء عن بعث رسول الله ﷺ علياً ليؤذن في الناس ببراءة بأن عادة العرب جرت أن لايتولى تقرير العهد ونقضه إلاسيد القبيلة وكبيرها ، أو رجل من أقاربه ، وكان عليّ بن أبي طالب أقرب إلى النبي ﷺ من أبي بكر ؛ لأنه ابن عمه ومن رهطه ، فبعثه النبي ﷺ ليؤذن عنه ببراءة ، إزاحة لهذه العلة ، لئلا يقولوا : هذا على خلاف مانعرفه من عادتنا فى عقد العهودونقضها .

وقيل : لماخص أبا بكر لتوليته على الموسم خص علياً بتبليغ هذه الرسالة تطييباً لقلبه ورعاية لجانبه .

وقيل : إنما بعث علياً في هذه الرسالة حتى يصلي خلف أبي بكر ويكون جارياً مجرى التنبيه على إمامة أبي بكر بعد رسول الله ﷺ ، لأن النبي ﷺ بعث أبا بكر أميراً على الحج وولاه الموسم ، وبعث علياً خلفه ليقرأ على الناس ببراءة ، فكان أبو بكر الإمام ، وعليّ - رضي الله تبارك وتعالى عنه - المؤتم ، وكان أبو بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - الخطيب ، وعليّ المستمع .

وكان أبو بكر - رضى الله تبارك وتعالى عنه - المتولي أمر الموسم والأمير على الناس ولم يكن ذلك لعلي، فدل ذلك على تقديم أبي بكر على عليّ ، وفضله عليه . (تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي): ٣٨٦/٨ -٣٨٧ .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث ابن عباس -رضي الله تبارك وتعالي عنه-، وقد خرجا في الصحيحين طرقاً من ذلك .

فخرَّج البخاري في الحج[1] من حديث يحيي بن بكير ، قال : أنبأنا الليث قال يونس : قال ابن شهاب : حدثني حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة -رضي الله تبارك وتعالى عنه- أخبره أن أبا بكر الصديق -رضي الله تبارك وتعالى -عنه بعثه فى الحجة التى أمَّره عليها رسول الله ﷺ قبل حجة الوداع يوم النحر في رهط يؤذن في الناس : ألا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان .

وخرَّج في التفسير[2] من حديث صالح ، عن ابن شهاب ، أخبرني حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة - رضي الله تبارك وتعالي عنه - قال : بعث أبو بكر في تلك الحجة مؤذنين ، بعثهم يوم النحر يؤذنون بمني أن لايحج بعد العام مشرك ، ولايطوف بالبيت عريان . قال حميد بن عبد الرحمن : ثم أردف رسول الله ﷺ بعلي بن أبي طالب - رضى الله تبارك وتعالى عنه - وأمره أن يؤذن ببراءة . قال أبو هريرة : فأذن معنا عليٌ يوم النحر في أهل مني ببراءة ، وأن لايحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان .

وذكره في التفسير أيضاً من حديث عقيل[3] بهذا الإسناد نحوه .

وخرَّجه مسلم من حديث ابن وهب قال : أخبرني عمرو عن ابن شهاب ، عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبي هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : بعثني أبو بكر الصديق -رضي الله تبارك وتعالي عنه- في الحجة التي أمَّره عليها رسول الله ﷺ قبل حجة الوداع في رهط يؤذنون في الناس يوم النحر : لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان . قال ابن

---

(١) (فتح الباري) : ٦١٧/٣ ، كتاب الحج ، باب (٦٧) لايطوف بالبيت عريان ، ولا يحج مشرك ، حديث رقم (١٦٢٢).

(٢) (فتح الباري) : ٤٠٤/٨ ، كتاب التفسير ، باب (٢) ﴿فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله، وأن الله مخزي الكافرين﴾ ، حديث رقم (٤٦٥٥)

(٣) (المرجع السابق) : حديث رقم (٤٦٥٦)

شهاب : فكان . حميد بن عبد الرحمن يقول : يوم النحر يوم الحج الأكبر من أجل حديث أبي هريرة(١) .

وخرجه أبو داود من حديث شعيب عن الزهري قال : حدثني حميد بن عبد الرحمن ، أن أبا هريرة - رضي الله تبارك وتعالي عنه - قال : بعثني أبو بكر -رضي الله تبارك وتعالي عنه- فيمن يوذن يوم النحر بمنى أن لايحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان ، ويوم الحج الأكبر يوم النحر، والحج الأكبر الحج(٢) .

وأخرجه البخاري أيضا من هذه الطريق وقال يونس بن بكير : قال ابن إسحاق : ثم بعث رسول الله ·ص) أبا بكر - رضي الله تبارك وتعالي عنه - أميراً على الحج في سنة تسع ليقيم للمؤمنين حجهم والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم .

فَخَرج أبو بكر - رضى الله تبارك وتعالى - والمؤمنون ، ونزلت ﴿براءة﴾

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٩/١٢٣ - ١٢٤ كتاب الحج، باب (٧٨) لا يحج البيت مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، وبيان يوم الحج الأكبر ، حديث رقم (٤٣٥)

(٢) (سنن أبي داود) : ٢/٤٨٣ ، كتاب المناسك [الحج] ، باب (٦٧) يوم الحج الأكبر ، حديث رقم (١٩٤٦) ، وأخرجه أيضا في البخاري : حديث رقم (٤٦٥٧) ، «والعدو» اسم يقع على الواحد والمتعدد ، قال تعالى هم العد فاحذرهم . والشيطان : أصله نوع من الموجودات المجردة الخفية ، وهو نوع من جنس الجن .

والإنس : لإنسان ، وهو مشتق من التأنس والإلف ، لأن البشر يألف بالبشر ويأنس به، فسماه إنساً وإنساناً .

و«شياطين الإنس» استعارة للناس الذين يفعلون فعل الشياطين : من مكر وخديعة . وإضافة شياطين إلى الإنس إضافة مجازية على تقدير «من » التبعيضية مجازاً ، بناء على الاستعارة التى تقتضي كون هؤلاء الإنس شياطين، فهم شياطين ، وهم بعض الإنس ، أي أن الإنس : لهم أفراد متعارفة ، وأفراد غير متعارفة ، يطلق عليهم اسم الشياطين، فهي بهذا الاعتبار من إضافة الأخص من وجه ، إلى الأعم من وجهٍ ، وشياطين الجنّ حقيقة ، والإضافة حقيقية ، لأن الجنّ منهم شياطين، ومنهم غير شياطين، ومنهم صالحون ، وعداوة شياطين الجنّ للأنبياء ظاهرة ، وماجاءت الأنبياء إلا للتحذير من فعل الشياطين ، وقد قال الله تبارك وتعالى لآدم : ﴿**إنّ هذا عدوّ لك ولزوجك**﴾، (تفسير التحرير والتنوير) : ٩/٥ تفسير سورة الأنعام .

في نقض مابين رسول الله ﷺ والمشركين من العهد الذي كانوا عليه .

قال ابن إسحاق : فخرج عليّ بن أبي طالب - رضي الله تبارك وتعالى - على ناقة رسول الله ﷺ العضباء حتى أدرك أبا بكر - رضي الله تبارك وتعالي عنه - بالطريق ، فلما رآه أبو بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : أميراً أو مأموراً ؟ قال : لا ، بل مأموراً ، ثم مضي، فأقام أبو بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - للناس حجهم ، حتى إذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب عند الجمرة فأذَّن في الناس بالذي أمره به رسول الله ﷺ ، قال : أيها الناس إنه لايدخل الجنة كافر، ولايحج بعد العام مشرك، ولايطوف بالبيت عريان، ومن كان له عهد عند رسول الله ﷺ فهو له إلى مدته ، وأجل الناس زربعة أشهر من يوم أذن فيهم ، ليرجع كل قوم من جاء منهم من بلادهم، ثم لاعهد لمشركٍ ولاذمة، إلا أحد كان له عند رسول الله ﷺ عهد ، فهو له إلى مدته .

وقال عباد بن العوام : أخبرنا سفيان بن حسين عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - قال : إن النبي ﷺ بعث بسورة ﴿براءة﴾ مع أبي بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ثم بعث علياً - رضى الله تبارك وتعالى عنه - فقال : يارسول الله ! هل ترك من شئ ؟ قال : لا ، ولكنه لا يبلغ عني غيري أو رجل من أهل بيتي ، فكان أبو بكر على الموسم وكان عليٌّ ينادي بهؤلاء الكلمات : لا يحجن بعد العام مشرك ، ولايطوف بالبيت عريان ، والله ورسوله بريئان المشركين أو قال : مشرك :

وخرج الحاكم من حديث النضر بن شميل قال : أنبأنا شعبة ، عن سليمان الشيباني ، عن الشعبي ، عن المجزر بن أبي هريرة ، عن أبيه - رضي الله تبارك وتعالي عنه - قال : كنت في البعث الذين بعثهم رسول الله ﷺ مع علي - رضي الله تبارك وتعالي عنه - بـ ﴿براءة﴾ إلى مكة فقال له ابنه أو رجل آخ : فيم كنتم تنادون ؟ قال : كنا نقول : لايدخل الجنة إلا مؤمن ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولايطوف بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فإن أجله أربعة أشهر، فناديت حتى صحل صوتى[1] قال الحاكم: حديث صحيح الإسناد .

---

(١) (المستدرك) : ٢/٣٦١ ، كتاب التفسير ، باب (٩) تفسير سورة (التوبة) حديث رقم (٣٢٧٥) وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : صحيح .

فصل في ذكر الذين عادوا رسول الله ﷺ

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا** ﴾ [1] وقال تبارك وتعالى: ﴿ **وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا** ﴾ [2]

وهم قريش بمكة، فإن الذين كانوا يبدون صفحتهم في عداوته ﷺ وأذاه، ويسخرون به ، ويخاصمون ، ويجادلون ، ويردون من أراد الإسلام عنه ، فهم: أبو جهل بن هشام ، وأبو لهب ، والأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف ابن زهرة وهو ابن خال النبي ﷺ والحارث بن قيس بن عدي السهمي ، وهو ابن العيطلة والوليد بن المغيرة ، وأمية وأبي ابنا خلف الجمحيين ، وأبو قيس ابن الفاكهة بن المغيرة ، والعاص بن وائل السهمي ، والنضر بن الحارث العبدري ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج السهميين ، وزهير بن أبي أمية المخزومي، والعاصي بن سعيد بن العاصي ، وعدي بن الحمراء الخزاعي ، وأبو البحتري العاصي بن هاشم بن أسد عبد العزى ، وعقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية ، والأسود بن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى بن الأصداء الهذلي - وهو الذي نطحته الأروى - والحكم بن العاص بن أمية،وهؤلاءكانوا جيرانه ﷺ.

وأما الذين تنتهي إليهم عداوة رسول الله ﷺ

[فهم][3]: أبو جهل ، وأبو لهب ، وعقبة ، وكان أبو سفيان بن حرب بن أمية ، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ذوي عداوة لرسول الله ﷺ ، ولكنهم لم يكونوا يفعلون كما فعل هؤلاء ، وكانوا كجملة قريش .

أما أبو جهل - لعنه الله - فتقدم ذكره في الأصهار ، وتقدم أيضا في الأعمام ، وتقدم ذكر أبي لهب بن عبد يغوث في أبناء الخال .

---

(1) الأنعام : ١١٢ .

(2) الفرقان : ٣١ .

(٣) زيادة للسياق

وأما الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم بن عمرو وائل السهمي الذي يقال له ابن العيطلة ، والعيطلة أم أولاد قيس بن عدي ، نسبوا إليها ، إنه أحد المستهزئين المؤذين لرسول الله ﷺ ، وهو الذي كان كلما رأى حجراً أحسن من الذي عنده أخذه وألقي ماعنده[١] وفيه نزلت : ﴿**أرأيت من اتخذ إلهه هواه**﴾[٢] إلى آخر الآية . وكان يقول : لقد غرّ محمد نفسه وأصحابه ، وعدهم أن يحيوا بعد الممات ! والله مايهلكنا إلا الدهر ومرور الأيام والأحداث ، فأكل حوتاً مملوحاً ، فلم يزل يشرب عليه الماء حتى مات . ويقال : إنه أصابته الذبحة فقُتل ؛ امتحص رأسه قيحاً .

والوليد بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم أبو عبد شمس ، والد خالد بن الوليد - رضى الله تبارك وتعالى عنه - وكان يقال له : العدل لأنه فيما يقال: كان يعدل قريشاً كلها . ويقال : إن قريشاً كانت تكسوا الكعبة فيكسوها هو مثل مايكسوها هم ، ويقال له العدْل[٣] وجمع قريشاً في دار الندوة ، ثم قال لهم : إن العرب يأتوكم أيام الحج فَيسألونكم عن محمد فتختلفون ؛ يقول هذا: ساحر ، ويقول هذا : شاعر ، ويقول هذا : مجنون ، ويقول هذا : كاهن ، والناس يعلمون أن هذه الأشياء لا تجتمع ، فقالوا : نسميه شاعراً ! قال الوليد: سمعت الشعر وسمعناه ، فما يشبه ما يجئ به شيئاً من ذلك . قالوا : كاهن ! قال : صاحب الكهانة يصدق ويكذب ، ومارأينا محمداً كذب قط ! قالوا : فمجنون ! قال : المجنون يخنق ومحمد لايخنق ، ثم مضى الوليد إلى بيته ، فقالوا : صبأ ، قال : ماصبأت ، ولكني فكرت فقلت : أولى مايسمي ساحراً ؛ لأن الساحر يفرق بين المرأة وزوجها ، والأخ وأخيه ، فتنادوا بمكة : إن محمداً ساحر ، فنزلت فيه : ﴿**ذرني ومن خلقت وحيداً**﴾[٤] إلي قوله : ﴿تسعة عشر﴾ ، فقال : أبو الأشدّين - واسمه كلدة بن أسيد بن خلف الحمجي - : أنا أكفيكم ، خمسة علي ظهري ، وأربعة بيدي[٥] ، فألقوا في جهنم ، فنزلت :

---

(١) الحجر : الصنم الذى يعبده من دون الله تعالى .

(٢) الفرقان : ٤٣

(٣) لأنه كان يعدل قريشاً وحدها فى النفقة فى كسوه الكعبة .

(٤) المدثر : ١١ .

(٥) كذا فى (الأصل) ، وفى (ابن كثير) : قال : يامعشر قريش اكفوني منهم اثنين ، وأنا أكفيكم منهم سبعة عشر ، إعجاباً منه بنفسه ،وكان قد بلغ من القوة فيما يزعمون أنه كان يقف على جلد البقرة ويجافيه عشرة لينزعوه من تحت قدميه فيتمزق الجلد ولايتزحزح عنه . =

﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا﴾(١)

وقال الوليد : لئن لم ينته محمد عن سب آلهتنا لنسبن إلهه ! فقال أبو جهل : نعم ما قلت ، ووافقهم الأسود بن عبد يغوث ، فنزلت : **﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم ﴾** (٢) واعترض الوليد بن المغيرة رسول الله ﷺ ومع الوليد عدة من قريش منهم الأسود بن عبد المطلب بن أسد ابن عبد العزي ، والعاص بن وائل السهمي ، وأمية بن خلف ، فقال : يا محمد هلم فنعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد ، ونشترك نحن وأنت فى الأمر كله ، فإن كان ما تعبد خيراً كنا أخذنا منه بحظنا ، وإن كان ما نعبده خيراً كنت قد أخذت بحظك منه ، فأنزل الله سورة : **﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾**(٣) ، يقول لهم : لا أعبد الآن ما تعبدون ، ولا أنتم الآن تعبدون ما أعبد ، ولا أنا عابد أبداً ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون أبداً ما أعبد ، لكم كفركم ولي إيماني(٤) .

وقال الوليد لأبي أحيحة سعيد بن العاص بن أمية – وكان نديمه –(٥) : لولا أنزل هذا القرآن الذي يأتي به محمد على رجل من أهل مكة أو من أهل الطائف مثلك أو مثل أمية بن خلف ؟ فقال له أبو أحيحة : أو مثلك يا أبا عبد شمس ؟ أو على رجل من ثقيف مثل مسعود بن عمرو ؟ أو كنانة بن عبد ياليل؟ أو مسعود بن معتب ؟ أو ابنه عروة بن مسعود ؟ فأنزل الله تعالى : **﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم*أهم يقسمون رحمة ربك ﴾**(٦). ولم يصف الله تعالى أحداً وصف الوليد بن المغيرة ، ولا

= قال السهيلي : وهو الذى دعا رسول الله ﷺ إلى مصارعته وقال : إن صرعتني آمنت بك فصرعه النبي ﷺ مرارا فلم يؤمن . قال : وقد نسب ابن إسحاق خبر المصارعة إلي ركانة بن عبد العزيز بن هاشم بن المطلب. قال الحافظ ابن كثير : ولا منافاة بين ما ذكراه . والله تعالى أعلم. (تفسير ابن كثير) : ٤/٤٧٤.

(١) المدثر : ٣١ .

(٢) الأنعام : ١٠٨ .

(٣) الكافرون : ١ .

(٤) (فتح القدير للشوكاني) : ٥/٧٣٩ .

(٥) النديم : الجليس على الشراب .

(٦) الزخرف : ٣١ – ٣٢

أبلغ من ذكره عقوقه مابلغ من ذكرها منه ؛ لأنه وصفه بالحلف ، والمهانة ، والغيب للناس ، والمشي بالنمائم ، والبخل ، والظلم ، والإثم ، والجفاء والدعوة، وألْحقَ بدعاء لايفارقه في الدنيا ولا في الآخرة : كالوسم على الخرطوم . قال تَبارك وتعالى : ﴿**ولاتطع كل حلاف مهين * هماز مشاء بنميم * مناع للخير معتد أثيم * عتل بعد ذلك زنيم * أن كان ذا مال وبنين* إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين * سنسمه على الخرطوم**﴾(١)، ولا خلاف أنها نزلت في الوليد بن المغيرة .

روي سفيان عن زكريا ، عن الشعبيّ قال : العُتُلّ الشديد ، والزنيم الذي له زنمة من الشر يعرف بها كما تعرف الشاة(٢) ،أراد الشعبي أنه قد لحقته شية(٣) في الدعوة عرف بها كزنمة الشاة .

وقال الواقدي : مات الوليد بعد الهجرة بثلاثة أشهر أو نحوها وهو ابن خمس وسبعين(٤) سنة ، ودفن بالحجون ، وابنه قيس بن الوليد من المعادين ، وكان الوليد أحد المستهزئين فمر برجل يقال له حراث بن عامر بن خزاعة ويكني أبا قصاف ، وهو يريش نبلاً له ، فوطئ على سهم منها فخدش أخمص رجله خدشاً يسيراً ، ويقال : علق بأداة فخدش ساقه خدشاً خفيفاً ، فأهوى إليه جبريل عليه السلام فانتقض الخدش وضربته الأكلة في رجله أو ساقه فمات ، وأوصي بنيه وقال : اطلبوا خزاعة بالسهم الذي أصابني فأعطت خزاعة ولده العقْل(٥) وقال : أنظروا عقرى عند أبي أزهر الدوسي ، فلا يفوتكم فداء هشام بن الوليد على أبي أزيهر بعد بدر، فقتله بذي المجاز ، ولقتل أبي أزيهر خبر مذكور .

والعاصي بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم أخو أبي جهل ، وأمَيَّة وأُبَيّ ابنا خلف ، كان على شرّ مايكون عليه أحد من أذى رسول الله ﷺ وتكذيبه ، وجاء أُبَيّ بعظم نخر ففتته في يده ، ثم قال : زعمت

---

(١) القلم : ١٠ - ١٦ .

(٢) (لسان العرب) : ٢٧٧/١٢ .

(٣) الشية : العلامة، قال تعالى فى صفة بقرة بنى إسرائيل : ﴿**مسلمة لاشية فيها**﴾ . البقرة : ٧١ .

(٤) كذا في (الأصل) ، وفى (ابن الأثير) : «خمس وتسعين» .

(٥) العقل : الدية .

يامحمد أن ربك يحيي هذا العظم ؟ ثم نفخة فنزلت : ﴿قال من يُحيي العظام وهي رميم﴾[1] .الآية .

وقال سفيان الثوريّ ، عن أبي السوداء ، عن أبي سابط أن أبيّاً صنع طعاماً ، ثم أتي به إلى حلقة فيها النبي ﷺ فدعاهم ودعاه ، فقال رسول الله ﷺ : لا أقوم حتى تشهد أن لا إله إلا الله ، ففعل ، فقام ﷺ فلقيه عقبة بن أبي معيط فقال : قلت كذا وكذا ؟ فقال : إنما قلت ذلك لطعامنا ، فنزلت : ﴿**ويوم يعض الظالم على يديه**﴾[2] ﴿**الظالم**﴾: عقبة ، وقوله ﴿**فلاناً**﴾ يعني أبياً ويقال : ﴿الظالم﴾ أُبَـيّ، و ﴿فلاناً﴾ عقبة ، وقد قيل : إن الذي دعى النبي ﷺ فيمن دعا عقبة بن أبي معيط فأنكر أُبَيّ ذلك عليه ، وكان صديقاً له ونديماً ، وقال : اتبعت محمداً ؟ فقال : لا والله ، ولكني قد تذممت أن لا أدعو وإن دعوته أن لا يأكل من طعامي ، فقلت له قولاً لم اعتقده ، فقال له: وجهي من وجهك حرام إن لم تكفر به ، وتتفل في وجهه ، ففعل ، ورجع ، ما خرج فيه إلى وجهه ! فأنزل الله تعالى : ﴿**ويوم يعض الظالم على يديه**﴾ يعني عقبة . وقوله ﴿**فلانا**﴾ يعني أبيّ بن خلف ، وهي في قراءة عبد الله بن مسعود :﴿**ليتني لم أتخذ أبياً خليلاً**﴾ وبعض الرواة يقول : إن أمية بن خلف فعل هذا ولايذكر أُبَيّاً ، وقتل أمية يوم بدر، فقتله حبيب بن إساف ، وقيل : اشترك حبيب وبلال في قتله ، ويقال : قتله رفاعة بن رافع الأنصاري ، وقتل رسول الله ﷺ أُبَياً يوم أحد ؛ أخذ حربته أو حربة غيره فقتله بها كما تقدم في خبر يوم أحد .

وأبو قيس بن الفاكة بن المغيرة وكان من المؤذين لرسول الله ﷺ المعروفين في أذاه ، يُعين أبا جهل على صنعه ، قتله حمزة – رضي الله تبارك وتعالى عنه – يوم بدر ، ويقال : قتله الحباب بن المنذر .

والعاصي بن وائل السهمي ، والد عمرو ، وكان من المستهزئين ، ولما مات عبد الله[3] ولدَ رسول الله ﷺ قال : إن محمداً أبتر ؛ لايعيش له ولد

---

(١) ياسين : ٧٨ .

(٢) الفرقان : ٢٧ .

(٣) فى بعض المراجع : «عبد الله» ، وفى بعضها : « إبراهيم » ، وفى بعضها : «القاسم» .

[ذكر][1] ، فأنزل الله فيه : ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾[2] ، فركب حماراً ، ويقال: بغلة له بيضاء، فلما صار بشعب من الشعاب وهو يريد الطائف ، ربض به الحمار أو البغلة على سبرقة فأصابت رجله شوكة منها فانتفخت حتى صارت كعنق البعير ، ومات .

ويقال : إنه لما ربض به حماره أو بغلته لدغ فمات مكانه ، وكان ابنه عمرو بن العاص يقول : لقد مات أبي وهو ابن خمس وثمانين سنة ، وإنه يركب حماراً له من هذه الديانة إلى ماله بالطائف فتمشى عنه أكثر مما ركبه .

وقال الواقدي : مات العاصي بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة بأشهر ، وهو ابن خمس وثمانين سنة ، وكان يكني أبا عمرو ، وقال ابن سعد : قلت للواقدي : قال الله عز وجل : ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ وهذه السورة مكية[3] ، فقال : قد سألت مالكاً وابن أبي ذئيب عن هذا فقالا : كفاه إياهم ؛ فبعضهم مات وبعضهم عمي ، فشغل عنه ، وبعضهم كفاه إياه ، أذهب ماله من أسباب مفارقته بالهجرة هاهنا . وقال غيرهما : كفاه أمرهم فلم يضروه بشئ مما كادوه .

والنضر بن الحرث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار أبو قائد ، وكان أشدّ قريش معاداةً بالأذي لرسول الله ( ) والتكذيب ، فأسر ببدر وضربت عنقه ، وقد تقدم ذكره .

وأبو أحيحة سعيد بن العاصي بن أمية كان ، يقول : دعوا محمداً ولا تعرضوا له فإن كان مايقول حقاً كان فينا دون غيرنا من قريش ، وإن كان كاذباً قامت به قريش دونكم ، وكان النبي ﷺ يمر عليه فيقول : إنه ليتكلم من السماء ، حتى أتاه النضر بن الحارث - فقال : بلغني أنك تحسن القول في محمد ! وكيف ذاك ؟ وهو يسب آلهتنا ، ويزعم أن آباءنا في النار ، ويتوعد من لم يتبعه بالعذاب ، فأظهر أبو أحيحة عداوة رسول الله ﷺ وذمَّة وعيَّب ماجاء به ، وجعل يقول : ما سمعنا بمثل ماجاء به في يهودية ولا نصرانية ، وكان أبو أصيحة ذا شرف بمكة ، وكان إذا اعتمَّ لم يعتمَّ أحدٌ بمكة ، إذ لم يعتم أحد بعمامة على لون عمامته إعظاماً له . فقويت أنفس المشركين حين رجع عن

---

(١) زيادة للسياق والبيان .

(٢) الكوثر : ٣ .

(٣) الحجر : ٩٥ .

قوله الأول ، فأتاه النضر شاكراً له على ذلك ، لإعظام قريش إياه ، ومات أبو أحيحة في ماله بالطائف سنة اثنتين من الهجرة . ويقال : في أول سنة من الهجرة ، وله تسعون سنة ، فلما غزا رسول الله ﷺ الطائف رأى قبر أبي أحيحة مشرفاً ، فقال أبو بكر -رضي الله تبارك وتعالى عنه- : لعن الله صاحب هذا القبر ، فإنه كان ممن يحاد الله ورسوله ، فقال ابناه : عمرو وأبان : لعن الله أبا قحافة[١] فإنه كان لايقرى الضيف ، ولايرفع الضيم ، فقال رسول الله ﷺ سب الأموات يؤذي الأحياء ، فإذا سببتم فعموا .

ومنبه ونبيه ابنا الحجاج السَّهميان ، كانا على مثل ماعليه أصحابهما من أذى رسول الله ﷺ والطعن عليه، وكانا يلقيانه فيقولان : أما وجد الله من يبعثه غيرك ؟ إن ها هنا من هو أسنّ منك ، وأيسر ، فإن كنت صادقا فائتنا بملك يشهد لك ، ويكون معك ، واذا ذكر لهما قال : معلمٌ مجنون ، يعلمه أهل الكتاب ما يأتي ، فكان ﷺ يدعو عليهما ، فأما منبه فقتله عليّ -رضي الله تبارك وتعالى عنه- ، ويقال : أبو اليسر الأنصاري ويقال : أبو أسيد الساعدي ، وأما نبيه فقتله أيضاً عليّ ، وقتل العاصى بن منبه أيضاً ، وكان صاحب ذي الفقار[٢] ، وقيل : كان يف نبيه .

وزهير بن أبي أمية وحذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وهو أخو أم المؤمنين أم سلمة -رضي الله تبارك وتعالى عنها- لأبيها ، وكان ممن يظهر تكذيب النبي ﷺ وينكر ماجاء به ، ويطعن عليه ويردّ الناس عنه ، وهو ابن عمة رسول الله ﷺ عاتكة بنت عبد المطلب ، وقد اختلف فيه فقيل : إنه شخص يريد بذراً فسقط عن بعيرة فمرض ومات ، وقيل : أسر يوم بدر فأطلقه رسول الله ﷺ ، فلما صار بمكة مات . وقيل : حضر وقعة أحد ومات بعدها بسهم أصابه ، وقيل : شخص إلى اليمن بعد الفتح فمات هناك كافراً ، وقيل أتي الشام فمات هناك .

وعبد الله بن أبي أمية كان منهم، وأتي النبي ﷺ في قوم من المشركين فقال له بعضهم : لن نومن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ، فإن ماء زمزم ملح . وقال آخر : إن لم تفعل هذا فإنا لن نؤمن لك حتى يكون لك بمكة جنان

---

(١) أبو قحافة : والد أبي بكر الصديق -رضي الله تبارك وتعالي عنه- .

(٢) ذو الفقار اسم سيف من السيوف التى آلت إلى النبي ﷺ .

كجنان آل فارس ، ذات نخيل وأعناب ، وقال آخر : لن نؤمن لك حتى تسقط السماء علينا كسفاً ، أو تأتي بربك وملائكتك فنراهم ، وقال عبد الله بن أبي أميَّة : لن تؤمن لك حتى نرى لك بيتاً من ذهب يحدثه لك ربك ، أو ترقى في السماء ثم لا نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب ونحن نراك فنقرأه فأنزل الله تعالى حكاية قولهم ، وقال : قل لهم : ﴿**سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً**﴾(١) وأسلم عبد الله ، وقتل يوم الطائف . والثابت أن عبد الله قال هذا القول من بينهم ، وكان خطيب القوم ومتكلمهم .

والسائب بن أبي السائب صيفي بن عائذ بن عبد الله بن عمران بن مخزوم ممن كان يعادي رسول الله ﷺ ، وقتله الزبير - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ببدر .

والأسود بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان ممن يعادي رسول الله ﷺ ، وكان حلف يوم بدر ليكسرن حوض النبي ﷺ فقاتل حتى وصل إلي الحوض فأدركه حمزة - رضي الله تبارك وتعالي عنه - وهو يكسره فقتله ، فاختلط دمه بالماء .

وعديّ بن الحمراء الخزاعي ، كان ممن يعادي رسول الله ﷺ ولدغ وهو يريد بدراً فمات .

والعاصي من سعيد بن العاصي بن أمية ، قتل يوم بدر كافراً ، وأبو البحتريّ العاصي بن هاشم بن أسد بن عبد العزى بن قصيّ ، كان أقلهم أذى لرسول الله ﷺ على أنه كان يكذبه ويعيب ماجاء به ، قتل يوم بدر كافراً وقيل : قتله عمير بن عامر المازنيّ ، وفي أبي البحتريّ نزلت : ﴿**والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقر بونا إلى الله زلفي**﴾(١). الآية .

خرج أبو نعيم من حديث محمد بن إسحاق قال : حدثني الأجلح ، عن أبي إسحاق السبيعي ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله بن مسعود - رضي الله تبارك وتعالي عنه - أنه قال : بينا رسول الله ﷺ في المسجد وأبو جهل بن هشام، وشيبة ، وعتبة ابنا ربيعة ، وعقبة بن معيط وأمية بن خلف ، قال أبو إسحاق : ورجلان آخران لا أحفظ أسميهما ، كانوا سبعة ، وهم في الحجر ، ورسول الله ﷺ يصلي فلما سجد أطال السجود ، فقال أبو جهل : أيكم يأتي جزور بني فلان فيأتينا بفرثها فيلقيه على ظهر محمد ؟ فانطلق أشقاهم

---

(١) الزمر : ٣ .

وأسفلهم عقبة بن أبي معيط ، فأتي به فألقاه على كتفه ، ورسول الله ٠ص) ساجد ، قال ابن مسعود : وأنا قائم لا أستطيع أن أتكلم ، ليس عندي عشيرة تمنعني ، فأنا أرهب ، إذ سمعت فاطمة بنت رسو ل الله ﷺ بذلك، فأقبلت حتى ألقت ذلك عن أبيها ، ثم استقبلت قريشاً فشتمتهم ، فلم يرجعوا إليها شيئاً ، ورفع رسول الله ﷺ رأسه كما كان يرفع عند تمام سجوده ، فلما قضى صلاته قال : اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش ، اللهم عليك بقريش ، اللهم عليك بعقبة ، وعتبة ، وأبي جهل وشيبة ، وذينك الرجلين ، ثم خرج رسول الله ﷺ من المسجد ولقيه أبو البختري ومع أبي البختري سوط . يتخصر به، فلما لقيه النبي ﷺ أنكر وجهه فأخذه فقال : تعالى ، مالك ؟ قال النبي ﷺ : خل عني ، قال : على الله أن لا أخلي عنك أو تخبرني ماشأنك فلقد أصابك شئ ، فلما علم النبي ﷺ أنه غير مخل عنه أخبره فقال : إن أبا جهل أمر أن يطرح عليّ فرث ، فقال أبو البختري : هلم إلى المسجد، فأبى فأخذه أبو البختري ، فأدخله إلي المسجد ، ثم أقبل علي أبي جهل ، فقال : يا أبا الحكم انت الذي أمرت بمحمد فطرح عليه الفرث ؟ قال : نعم ، فرفع السوط فضرب رأسه ، فثارت الرجال بعضها إلى بعض ، فصاح أبو جهل فقال : ويحكم من له ؟ إنما أراد محمد أن يلقى بيننا العداوة وينجو هو وأصحابه.(١)

وعقبة بن أبي معيط [بن](٢) زبان بن [أبى](٢) عمرو بن أمية أبو

---

(١) (دلائل أبي نعيم) : ٢٦٦/١ - ٢٦٧ ، حديث رقم (٢٠٠) ، وقال فى هامشه : أخرجه مسلم من طريق زكريا عن أبي إسحاق مختصراً، وأخرج ا لبخارى ففى (صحيحه) من طريق إبراهيم ابن يوسف عن أبيه ، عن أبي إسحاق ، قال : حدثنى عمرو بن مسمون أنعبد الله ابن مسعود . فذكر الحديث دون قصة أبي البخترى ، وكذا أخرجه من طريق رسرائيل عن أبي إسحاق بسنده .

قال ابن حجر : وروى هذا الحديث ان إسحاق فى (المغازى) قال : حدثني الأجلح عن أبي إسحاق ، والقصة مشهورة فى السيرة ، وأخرجها البزار من طريق ابن ياسحاق ، وزشار إلى تفرد الأجلح بها عن أبي إسحاق .

وقال الهيثمي فى (مجمع الزوائد) : ١٨/٦ : رواه البزار والطبراني فى (الأوسط) ، وفيه الأجلح بن عبد الله الكندى وهو ثقة عند ابن معين وغيره ، وضعفه النسائى وغيره ، وقال ابن حجر فى (تقريب التهذيب) : هو صدوق .

(٢) زيادات للنسب من (جمهرة أنساب العرب) ، قال ابن حزم : قتله رسول الله ﷺ صبراً ، ضرب عنقه عامر بن ثابت ، أخو عاصم بن ثابت حميّ الدبر .

الوليد ، كان أشد الناس عداوة لرسول الله ﷺ وأذى ، فعمد إلى مكتَل فحول فيه عذرة، ثم ألقاه على باب النبي ﷺ ونصرته طليب بن عمير بن وهب بن قصيّ بن كلاب ، وأمه أروى بنت عبد المطلب فأخذ المكتل نفسه وضرب به رأسه ، وأخذ باديته وتشبث به . ويروي : وتشبث به عقبة وذهب به إلى أمه أروي ، فقال لها : ألا ترين إلى ابنك قد صار عرضاً دون محمد ؛ فقالت : ومن أولي منه بذلك ؟ ابن خالله، أموالنا وأنفسنا دون محمد ، وجعلت تقول : إن طليباً نَصَرَابن خَالَه وآساه في ذي دمه وماله، وجاء بسلا جزور فقذفه على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد عند الكعبة ، حتى جاءت فاطمة فأخذته عن ظهره ﷺ.

فلما كان يوم بدر أسر عقبةَ عبدُ الله بن سلمة بن مالك العجلاني فأمر رسول الله ﷺ عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح فضرب عنقه كما تقدم ذكره .

الأسود بن المطلب(١) بن أسد بن عبد العزى أبو زمعة زاد الراكب، كان من المستهزئين، وكان وأصحابه يتغامزون بالنبي ﷺ وأصحابه ويقولون : قد جاءكم ملوك الأرض ومن يغلب على كنوز كسرى وقيصر ، ثم يحكون ، ويصفرون ،ويصفقون وكلم رسول الله ﷺ بكلام شق عليه ، فدعا عليه أن يعمي الله بصره ، ويثكله ولده . فخرج يستقبل ابنه وقد قدم من الشام فلما كان في بعض طريقه فجلس في ظل شجرة فجعل جبرائيل عليه السلام يضرب وجهه وعينيه بورقة من ورقها ، وبشوكها حتى عمي ، وقيل : أومأ إلى عينيه فعمي فشغله عن رسول الله ﷺ ، وقتل ابنه معه ببدر كافراً ، قتله أبو دُجانة

وقتل ابن ابنه عتيب ، قتله حمزة وعليّ اشتركا في قتله ، وقتل ابن ابنه الحارث بن زمعة بن الأسود ، قتله عليّ ، وقيل : هو الحارث بن الأسود ، والأول أصحّ ، وهو القائل :

أتبكي أن يضل لها بعير ... ويمنعها من النوم السهودُ

وقال الواقدى : ومات الأسود بمكة وهم يتجهزون لأحد ، وكان الأسود يجلس معه قوم من المشركين فيقولون : مانرى ماجاء به محمد ! ماهو إلا سجع كسجع الكهان ، فنزلت فيهم: ﴿ **الذين جعلوا القرآن عضين**﴾(٢) وقيل : نزلت في أهل الكتاب وكانوا إذا سُئلوا عن النبي ﷺ يقول بعضهم : ساحر، ويقول

---

(١) (الكامل في التاريخ) : ٢/٧٤-٧٥ ، باختلاف يسير في اللفظ .

(٢) الحجر : ٩١ .

بعضهم : شاعر ، ويقول بعضهم : مجنون ، ويقول بعضهم : ساحر، ويتكذبون عليه، فيصدون الناس عنه، فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم﴾(١) ، يقول أثقال من يصدونه عن الإسلام . وذكر رسول الله ﷺ عاقرا الناقة فقال : كان عزيزاً منيعاً كأبي زمعة الأسود بن المطلب فيكم . وابنه زمعة بن الأسود وابن الأصداء الهذليّ ، كان يؤذي النبي ﷺ ويقول له : إنما يعلمك أهل الكتاب بأساطيرهم ، ويقول للناس : هو معلم مجنون ، فدعا عليه رسول الله ﷺ فإذا هو على جبل إذ اجتمعت عليه الأروى فنطحته حتى قتلته .

والحكم بن أبي العاصي بن أمية(٢) ، كان مؤذياً لرسول الله ﷺ ، وكان

---

(١) العنكبوت : ١٣ .

(٢) هو الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ القرشيّ الأمويّ ، عم عثمان بن عفان، أبو مروان بن الحكم ، كان من مسلمة الفتح ، وأخرجه رسول الله ﷺ من المدينة ، وطرده عنها، فنزل الطائف ، وخرج معه ابنه مروان .

وقيل : إن مروان ولد بالطائف ، فلم يزل الحكم بالطائف إلى أن ولى عثمان - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فرده عثمان - رضي الله تبارك وتعالى عنه - إلى المدينة ، وبقي بها ، وتوفي في آخر خلافة عثمان - رضى الله تبارك وتعالى عنه - قبل القيام على عثمان - رضى الله تبارك وتعالى عنه - بأشهر فيما أحسب .

واختلف في السبب الموجب لنفي رسول الله ﷺ إياه ، فقيل : كان يتحيل ويستخفي ويتسمَّع ما يُسَرُّهُ رسول الله ﷺ إلى كبار الصحابة في مشركي قريش وسائر الكفار و المنافقين، فكان يفشي ذلك عنه حتى ظهر ذلك عليه. وكان يحكيه في مشيته وبعض حركاته ، إلى أمور غيرها كرهت ذكرها .

ذكروا أن رسول الله ﷺ كان إذا مشي يتكفأ ، وكان الحكم بن أبي العاص يحكيه ، فالتفت رسول الله ﷺ يوماً فرآه يفعل ذلك ، فقال له رسول الله ﷺ : فكذلك فلتكن ، فكان الحكم مختلجاً يرتعش من يومئذ .

فعيره عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، فقال في عبد الرحمن بن الحكم يهجوه :

إن اللعين أبوك فارْم عظامه	إن تَرْم تَرْم مخلجاً مجنونا
يمشي خميص البطن من عمل التقى	ويظل من عمل الخبيث بطينا

فأما قوم عبد الرحمن بن حسان : « إن اللعين أبوك » ، فروى عن عائشة من طرق ذكرها ابن أبي خيثمة وغيره أنها قالت لمروان إذ قال في أخيها عبد الرحمن بن أبي بكر - رضى الله تبارك وتعالى عنه - لما امتنع من=

يمشي ذات يوم و هو خلفه، فخلج بأنفه و فمه فبقي على ذلك، و اظهر الإسلام يوم فتح مكة، وكان مغموصا عليه في دينه، فاطلع على رسول الله ﷺ بالمدينة في بعض حجر نسائه، فخرج إليه يعيره فقال: من عدا يرى من هذه الودعة ؟ لو أدركته لفقأت عينه، وغربه عن المدينة، فلم يزل خارجا منها إلى أن استخلف أمير المؤمنين عثمان بن عفان-رضى الله تبارك و تعالى عنه-فرده وولده، ومات في خلافة عثمان، فضرب على قبره فسطاطا، وقال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت لمروان بن الحكم:

إن اللعين أباك فارم عظامه إن ترم ترم مخلجا مجنونا
يمسي [1] خميص البطن من عمل التقى ويظل من عمل الخبيث بطينا

وعتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن الوليد، لقي رسول الله فقال له: إن أردت الشرف شرفناك و إن كنت تريد المال أعطيناك منه

= البيعة ليزيد بن معاوية لولاية العهد ما قال: أما أنت يا مروان فاشهد أن رسول الله ﷺ لعن أباك وأنت في صلبه. و حدثنا عبد الوارث بن سفيان، حدثنا قاسم، حدثنا أحمد بن زهير، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا عثمان بن حكيم، قال: حدثنا شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو العاص، عن عبد الله بن عمرو بن العاص-رضى الله تبارك و تعالى عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: يدخل عليكم رجل لعين. قال عبد الله: و كنت قد تركت عمرو يلبس ثيابه ليقبل إلى رسول الله ﷺ: فلم أزل مشفقا أن يكون أول من يدخل - فدخل الحكم بن أبي العاص.

قال الحافظ: وروينا في جزء ابن نجيب، من طريق زهير بن محمد عن صالح بن أبي صالح حدثني نافع عن جبير بن مطعم، عن أبيه قال: كنا مع النبي ﷺ فمر الحكم بن أبي العاص، فقال النبي ﷺ: ويل لأمتي مما في صلب هذا.

وأخرج ابن سعد عن الواقدي، بسنده إلى ثعلبة بن أبي مالك، قال: مات الحكم بن أبي العاص في خلافة عثمان، فضرب على قبره فسطاطا في يوم صائف، فتكلم الناس في ذلك، فقال عثمان: قد ضرب في عهد عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه — على زينب بنت جحش فسطاطا فهل رأيتم عائبا عاب ذلك ؟ مات الحكم بن أبي العاص سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان - رضي الله تبارك وتعالى عنه - (الاستيعاب) : ١/٣٥٩ - ٣٦٠، ترجمة رقم (٥٢٩)، (الإصابة): ٢/١٠٤ - ١٠٦، ترجمة رقم (١٧٨٣).

(١) في (الأصل) : " يضحي ".

ماتحب ، فقال : يا أبا الوليد اسمع : فقرأ عليه ﴿حم﴾[1] السجدة فقال : هذا كلام ماسمعت مثله ، ثم التفت إلي جماعة قريش فقال : دعوه ، وخلوا بينه وبين العرب ، فليس بتارك أمره ، وأتى رسول الله ﷺ ابن أم مكتوم وعتبة يكلمه ، وقد طمع فيه أن يسلم ، فشغل عنه ، فأنزل الله تعالى : ﴿عبس وتولي* أن جاءه الأعمى﴾[2] وقوله : ﴿أما من استغنى﴾[3] يعني عتبه[4] ويقال : بل الذي شغل النبي ﷺ به عن ابن أم مكتوم قال له : علمني مماعلمك الله، فأقبل على أمية بن خلف وتركه ، وقتل عتبة يوم بدر وله خمسون سنة ، وكان أبو حذيفة بن عتبة[5] مع رسول الله ﷺ مسلماً .

---

(١) السجدة :١ .

(٢) عبس : ١ ، ٢ .

(٣) عبس : ٥ .

(٤) هذا المستغني هو الوليد، أو أمية ، أو عتبة وشيبة ، وجميع المذكورين فى سبب النزول أقوال ، قال القرطبيّ : وهذا كله غلط من المفسرين ، لأن أمية والوليد كانا بمكة ، وابن أن مكتوم كان بالمدينة ما حضر معهما ، وماتا كافرين ، أحدهما قبل الهجرة والآخر فى بدر ، و لم يقصد قط أمية المدينة، ولا حضر معه مفرداً ولا مع أحد . وابن أم مكتوم : هو عبد الله بن سرح بن مالك بن ربيعة الفهريّ ، من بنى عامر بن لؤى ، وأم مكتوم أم أبيه عاتكة ، وهو ابن خال خديجة - رضى الله تبارك وتعالى عنها - (البحر المحيط) : ١٠/٤٠٧، مختصراً.

(٥) هو أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشيّ، العبشميّ . قال معاوية : اسمه مهشم ، وقيل : هشيم ، وقيل : هاشم ، وقيل : قيس .

كان من السابقين إلى الإسلام ، وهاجر الهجرتين ، وصلى القبلتين . قال ابن إسحاق : أسلم بعد ثلاثة وأربعين إنساناً، وثبت ذكره فى (الصحيحين) فى قصة سالم من طريق الزهرى، عن عروة عن عائشة - رضى الله تبارك وتعالى عنها - أن أبا حديفة بت عتبة كان ممن شهد بدراً ، يكنى سالماً ؛ قالوا : كان طوالاً حسن الوجه استشهد يوم اليمامة ، وهوابن ست وخمسين سنة .

قال أبو عمر بن عبد البر : كان من فضلاء الصحابة من المهاجرين الأولين ، جمع الله له الشرف والفضل ، صلى القبلتين ، وهاجر الهجرتي ن جميعاً ، وكان إسلامه قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم للدعاء فيها إلى الإسلام . هاجر مع امرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو إلى أرض الحبشة ، وولدت له هناك محمد بن أبى حذيفة، ثم قام على رسول الله ﷺ وهو بمكة ، فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة ، وشهد بدراً ، وأحداً ، والخندق ، =

وشيبة ان ربيعة بن عبد شمس[١] أبو هاشم ، كان يجتمع مع قريش فيما يكيد به النبي ﷺ من الأذى ، ولايتعاطى ذلك بيده ، وقتله عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف يوم بدر ووقف عليه حمزة وعليّ -رضي الله تبارك عنهما- وكان شيبة أسنّ من عتبة بثلاث سنين وكان شيبة وعتبة متثاقلين عن الخروج لبدر حتى أتاهما أبو جهل فخرجا ، ولما قتلوا ببدر قالوا : ومشى نساء قريش إلى هند بنت عتبة وهي أم معاوية بن أبي سفيان فقلن لها : ألا تبكين على أبيك وعمك وأخيك وأهل بيتك ؟ فقالت : حلقى ، أنا لا أبكيهم فيبلغ محمداً وأصحابه فيشمتوا بنا ، ونساء بني الخزرج ! لا والله، حتى أثأر من محمد وأصحابه ؛ وحرمت على نفسها الدهن والكحل وقالت : والله ، لو أعلم أن الحزن يذهب من قلبي لبكيت ، ثم قالت :

لله عيناً من رأى هلكاً هلك رحالته
يارب بارك لي غدا في النايحات وباكيه
كم غادروا يوم القليب غداة تلك الواعيه
من كل عيب في السنن إذا الكواكب جاريهْ
قد كنت أحذر ما أرى فاليوم حل جدار به
يارب قابله غداً ياويح أم معاويهْ

وأنس بن مِعْيَر بن لودان بن سعد بن جمح ، أخو أبي محذورة[٢] ومطعم

= والحديبية ، والمشاهد كلها . وقتل يوم اليمامة شهيداً ، وكان أثعل، والأثعلاً الذى له سنّ زائدة ، تدخلها من صلبها الأخرى ، وفيه تقول هند بنت عتبة حين دعا أباه إلى البراز يوم بدر :

فما شكرتَ أباً ربَّاكَ من صغر   حتى شببت شباباً غير محجونِ
الأحول الأثقل المشئوم طائرة   أبو حديفة شر الناس فى الدين

قال أبو عمر بن عبد البرّ : بل كان من خير الناس فى الدين ، وكانت هى - إذ قالت هذا الشعر - من شر الناس فى الدين (الإصابة) : ٨٧/٧ ، تر جمة رقم (٩٧٤٨) ،

(الاستيعاب) : ١٦٣١/٤ - ١٦٣٢ ، ترجمة رقم (٢٩١٤) ، (جمهرة أنساب العرب) : ٧٧

(١) عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس ، قتلا يوم بدر كافرين ، وكان شيبة يقف بعرفة إذا حج ، بخلاف سائر قريش . (المرجع السابق) : ٧٦ ، ثم قال فى صفحة ٤٩١ : وكان قد تنصَّر من قريش نفرٌ يسير ، وهم شيبة بن ربيعة بن عبد شميس .. فى آخرين .

(٢) (جمهرة أنساب العرب) : ١٦٢ .

بان عدى بن نوفل بن عبد مناف أبو وهيب[١] ، كان أقل أصحابه أذى للنبي ﷺ ، لكنه كان ينكر عليه ما أنكروا ، وهو الذي قام بأمر بني هاشم وبني المطلب حتى خرجوا من الشعب، وأجاب النبي ﷺ كما رجع من الطائف حتى مات بالبيت ، ومات في صفر سنه اثنين من الهجرة قبل بدر ، وهو ابن بضع وتسعين سنة ، ودفن بالحجون ، و أقيم النوح عليه سنة ، وقال رسول الله ﷺ : لأبية جبير بن مطعم يوم بدر : لو كان زبوك حياً واستوهبني هؤلاء الأسرى أبوك لو هبتهم له ، وشفعته فيهم .

وطعيمة بن عدي بن نوفل بن المطلب ، أبو الريان ، وكان ممن يؤذي رسول الله ﷺ فيبالغ في أذاه ، ويشتمه ، ويسمعه ، ويكذبه ، فأسر يوم بدر ، وقتل صبراً كما تقدم [٢] و الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ، فيه نزلت : **﴿وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا﴾** [٣] لكنه كان ممن أعان على نقض الصحيفة وقُتل يوم بدرٍ كافراً ، قتله خبيب بن إساف [٤] .

---

(١) (المرجع السابق) : ١١٥

(٢) (المرجع الاسبق) ١١٥ - ١١٦ .

(٣) القصص : ٥٧ .

(٤) (جمهرة النسب) : ٦٢-٦٣ ، وقال : وكان النبي ﷺ قال : من لقيه فليدعها لأيتام بني نوفل .

يقول الله تعالى - مخبراً عن اعتذار بعض الكفار فى عدم اتباع الهدى حيث قالوا لرسول الله ﷺ - : **﴿إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا﴾** أى نخشى إن اتبعنا ماجئت به من الهدى ، وخالفنا من حولنا من أحياء العرب المشركين أن يقصدونا بالأذى والمحاربة ، ويتخطفونا أينما كنا ، قال الله تعالى مجيباً لهم : **﴿أو لم نمكن لهم حرماً آمناً﴾** يعنى هذا الذى اعتذروا به كذب وباطل ، لأن الله تعالى جعلهم فى بلد أمين ، وحرم معظم آمن منذ وُضع ، فكيف يكون هذا الحرم آمنا لهم فى حال كفرهم وشركهم، ولايكون آمنا لهم وقد أسلموا وتابعوا اللحق ؟

قوله تعالى : **﴿يجبى إليه ثمرات كل شئ﴾** أى من سائر الثمار مماحوله من الطائف وغيره، وكذلك المتاجر والأمتعة **﴿رزقاً من لدنا﴾** أى من عندنا **﴿ولكن أكثرهم لايعلمون﴾** ولهذا قالوا ماقالوا . وقد قال النسائى : أنبأنا الحسن بن محمد ، حدثنا حجاج عن ابن جريج ، أخبرنى ابن أبي مليكة قال : قال عمرو بن شعيب عن ابن عباس - ولم يسمع منه - إن الحارث بن عامر بن نوفل الذى قال : **﴿إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا﴾**. (تفسرا بن كثير): ٣/٤٠٦ .

ومالك بن الطلاطلة بن عمر وبن عبسان ، واسمه الحارث بن عمرو بن مزيقياء كان من المستهزئين وكان سفيهاً ، فدعى عليه رسول الله ﷺ واستعاذ بالله من شره فعصر جبريل عليه السلام بطنه حتي خرج خلاه من بطنه فمات وقيل : بل أشار إليه فامتخض رأسه قبحاً[١] ، وقُتل به عمرو بن الطلاطلة ، وهو باطل . وقيل : الحارث بن الطلاطلة وليس بشئ ، وهم يغلطون بابن الغيطلة وابن الطلاطلة فيجعلون هذا ذلك ، وذاك هذا . قاله ابن الكلبي[٢] .

وقيل : إن المستهزئين ماتوا في وقت واحد، وماتقدم ذكره أثبت .

وركانة الشديد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب، قدم من سفر له فأخبر خبر رسول الله ﷺ فلقيه في بعض جبال مكة فقال : يا ابن أخي! قد بلغني عنك أمر وماكنت عندي بكذاب ، فإن صرعتني علمت أنك صادق، فصرعه النبي ﷺ ثلاثاً فأتى قريشاً فقال : ياهؤلاء ! صاحبكم ساحر فاسحروا به من شئتم .

وقال هشام بن الكلبيّ[٣] : حدثني أبي عن أبي صالح ، عن ابن عباس -رضي الله تبارك وتعالي عنهما- قال : لقى رسول الله ﷺ ركانة بن عبد يزيد وكان أشد العرب لم يصرعه أحد قط، فدعاه إلى الإسلام فقال : والله لا أسلم حتى تدعو هذه الشجرة - وكانت سمرة أو طلحة - فقال رسول ﷺ : أقبلي بإذن الله، فأقبلت تخدّ الأرض خداً، فقال ركانه : مارأيت كاليوم سحراً أعظم ، فأمرها فلترجع ، فقال : ارجعي بإذن الله ، فأقبلت تخذ الأرض خداًفقال : ويحك ! أسلم ، قال : إن صرعتني أسلمت ، وإلا فغنمي لك، وإن

---

(١) (سيرة ابن هشام) : ٢/٢٥٦ - ٢٥٧ ، المستهزئون برسوم الله ﷺ وكفاية الله أمرهم ، ومافعل الله تعالى بالمستهزئين ، والحارث ابن الطلاطلة بن عمرو بن الحارث بن عمرو بن ملكان ، والطلاطلة أمه ، والطلاطلة فى اللغة : الداهية ، قال أإبو عبيد : كل داء عضال فهو الطلاطلة .

(٢) قال ابن الكلبى فى نسب قيس بن عدى بن سهم : وكانت عنده الغيطلة من بنى شنوق بن مرة ، وكانوا ينسبون إليها ، وكان عندهم عُرام [شدة وقوة وشراسة] ، والحارث بن قيس بن عديّ وهو من المستهزئين ، وهو صاحب الأركان ، وكان كلما مرّ بحجر أحس من الى عنده أخذه وألقى الذى عنده ، وفيه نزلت : ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ [الجاثية : ٢٣] . (جمهرة النسب) : ١٠١ ، (الاشتقاق) : ١٢٢ .

(٣) قال ابن الكلبيّ فى نسب بني عبد المطلب بن عبد مناف : وركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب الشديد ، الذى صرعه النبي ﷺ . وقد سبق تخريج حديث صرع النبي ﷺ لركانه وإثبات مصادره كاملاً في المعجزات .

صرعتك كففت عن هذا الأمر، فأخذه النبي ﷺ فصرعه ثلاثاً، فقال: يابن عم العود، فصرعه أيضاً ثلاثاً، فقال: أسلم، قال: لا، قال: فإني آخذ غنمك، قال: فما تقول لقريش؟ قال: أقول صارعته، فصرعته، فأخذتُ غنمه، قال: فضحتني وأخبتني! قال: فما أقول لهم؟ قال: قل: قامرته، قال: إذاً أكذب؟ قال: ألست في كذب من حين تصبح إلى حين تمس؟ قال: خذ غنمك، قال: أنت والله خير مني وأكرم، فقال النبي ﷺ: وأحق بذلك منك.

وابن أبي وهب المخزومي، كان فمن يؤذي النبي ﷺ فقتل يوم الخندق وقيل: بقى إلى الفتح فهرب إلى اليمن وما هناك كافراً وهو أثبت(١).

ومن أعداء رسول الله ﷺ

عبد الله بن شهاب بن عبد اللله بن الحارث بن زهرة الزهري وهو عبد الله الأصفر، فإن أخاه ابن شهاب الأكبر من مهاجرة الحبشة، ومات بمكة قبل الهجرة(٢)، وكان يسمى عبد الجان، فسماه رسول الله ﷺ عبد الله.

وعتبة بن أبي وقاص(٣)، ومالك بن أهيب بن عبد مناف، وعبد الله بن شهاب الزهري(٤)، وعمرو بن قمئة الأدمي من بني تميم بن غالب(٥)، وعبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وذلك أنه لما كان يوم أحد تعاقد هؤلاء مع أبيّ بن خلف على قتل رسول الله ﷺ، وأما عتبة بن أبي وقاص فرماه بأربعة أحجار، فكسر رباعيته اليمنى [السفلى]، وشقّ شفته السفلى وأما ابن قمئة فكلم وجنتيه ﷺ وغيّب حلق

---

(١) قال ابن حزم: فولدُ أبى وهب: هبيرة بن أبي وهب، زوج أم هانئ بنت أبي طالب أخت عليّ - رضى الله تبارك وتعالى عنه -، فرَّ عن الإسلام يوم الفتح، فمات كافرً طريداً بنجران. (حجرة أنساب العرب): ١٤١.

(٢) (جمهرة أنساب العرب): ١٣٠.

(٣) هو الذى جرح رسول الله ﷺ يوم أحد، وقيل: مات مسلماً، وقيل: بل مات كافراً. (المرجع السابق): ١٢٩، (سيرة ابن هشام): ٢٨/٤، حيث قال: عن أبي سعيد الخدريّ، أن عتبة بن أبي وقاص رمي رسول الله ﷺ يومئذ، فكسر رباعيته اليمنى السفلى، وجرح شفته السفلى.

(٤) قال فى (المرجع السابق): شَجَّه فى جبهته.

(٥) اسمه عبد الله، وهو الذى قتل مصعب بن عمير، وجرح وجه رسول الله ﷺ (المرجع السابق).

المغفر[1] فيهما، وعلاه بالسيف، فلم يقطع، وسقط رسول الله ﷺ فجحشت ركبته.

وأما أُبَيّ بن خلف فشدّ بحربة فأعان الله عز وجل رسوله ﷺ فقتله، وأما عبد الله بن حميد فأقبل يريد النبي ﷺ فشدّ عليه أبو دجانة رضي الله تبارك وتعالى عنه فضربه، وقال: خذها وأنا ابن خرشة فقال النبي ﷺ: اللهم ارض عن ابن خرشه فإني عنه راض[2].

قال الواقدى: دعا رسول الله ﷺ على الذين تعاقدوا عى قتله فقال: اللهم لا تَحُلْ على أحد منهم الحول؛ فمات عتبة من وجع أليم أصابه، فتعذب به، وأصيب ابن قمئةً فى المعركة، ويقال: إنه لما رمى مصعب بن عمير فقتله، قال: خلاها وأنا ابن قمئة، فقال رسول الله ﷺ أقمأه الله، فعهد إلى شاة ليحلبها بعد الوقعة فنطحته وهو معتقلها فقتلته، ووجد ميتاً بين الجبال[3].

ولم يذكر الواقدى منبه بن شهاب وكان ابن أُبَيّ وابن حميد ما قد ذكرنا، بعضهم يذكر أن عبد الله بن حميد قتل يوم بدر والثابت أنه قتل يوم أحد. ذكره البلاذري، وقال: حدثني بعض قريش أن أفعي نهشت عبد الله بن شهاب في طريقه إلى مكة فمات، قال: وسألت بني زهرة، عن خبره فأنكر أن يكون رسول الله ﷺ دعا عليه، أو يكون شجّ رسول الله ﷺ وقالوا: الذي شجع في جبهته عبد الله بن حميد الأسدي[4]

---

(١) المغفر: حلق يجعل على الرأس يتقي به ضرب السلاح فى الحرب.

(٢) روي أن عبد الله بن حميد الأسديّ لمارأى رسول الله ﷺ قد جُرِحَ، جعل يركض فرسه ويقول: أرونى محمداً، والله إنى لأقتله، فاعترضه أبو دُجّانة فضربه بالسيف فقتله، فقال رسول الله ﷺ: اللهم ارض عن ابن خرشة كما أنا عنده راض. (تاريخ الخميس): ٤٣٢/١، أحداث غزوة أحد، (مغازى الواقدي) ٢٤٦/١.

(٣) (مغازى الواقدي): ٢٤٦/١، ثم قال: لدعوة رسول الله ﷺ وكان عدوّ الله قد رجع إلى أصحابه فأخبرهم أنه قتل رسول الله ﷺ، وهو رجل من بنى الأدرم من بنى فهر.

(٤) قال الواقدي: ويقبل عبد الله بن حميد بن زهير حين رأى رسول الله ﷺ على تلك الحال، يركض فرساً مقنعاً فى الحديد يقول: أنا ابن زهير، دلونى على محمد، فوالله لأقتلنه أو لأموتن دونه! فتعرض له أبو دجانة فقال: هلمّ إلى من بقي نفس محمد بنفسه فضرب فرسه فعرقبها، فاكتسعت الفرس، ثم علاه بالسيف وهو يقول: خذها وأنا ابن خرشة.. وساق الخبر بتمامه: (مغازى الواقدى): ٢٤٦/١.

وأما المنافقون وكانوا من الخزرج والأوس

قال ابن سيده : النفاق الدخول في الإسلام من وجه والخروج عنه من آخر مشتق من نافق اليربوع ، إسلامية ، وقد نافق منافقة ونفاقاً[١].

قال الله تعالى : ﴿**إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً* إلا الذين تابو وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله**﴾[٢] فدل على أن المنافقين شر من كفر به ، وأولاهم عقبة ، وأبعدهم من الإثابة إليه ؛ لأنه شرط عليهم في التوبة والإصلاح والاعتصام ، ولم يشرط ذلك على غيرهم، ثم شرط الإخلاص ؛ لأن النفاق ذنب القلب ، والإخلاص توبة القلب ، ثم قال : ﴿**فأولئك مع المؤمنين**﴾[٣] ولم يقل : فأولئك هم المؤمنون ، ثم قال : ﴿**وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً**﴾[٤] ولم يقل : وسوف يؤتيهم الله بعضها لهم وإعراضاً عنهم وحيداً ، فالكلام عن ذكرهم ، وقال تعالى ﴿**يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو**﴾[٥] فدل على خبثهم واستشرافهم بكل ماعرف من هرجٍ علي الإسلام وأهله .

خرج مسلم من حديث محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة عن قتادة ، عن أبي نضرة ، عن قيس بن عباد قال : قلنا لعمار : رأيت قتالكم أرأيا رأيتموه فإن الرأي يخطئ ويصيب ، أو عهداً عهده إليكم رسول الله ﷺ فقال : ماعهد إلينا رسول الله ﷺ شيئا لم يعهده إلى الناس كافة ، وقال : إن رسول الله ﷺ قال : إن في أمتي -قال شعبة وأحسبه قال حدثني حذيفة - وقال غندر : أراه

---

(١) وقد تكرر في الحديث ذكر النفاق وما تصرف منه اسماً وفعلاً ، وهو اسم إسلاميّ لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به، وهو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه، وإن كان أصله في اللغة معروفاً . (لسان العرب) : ٣٥٩/١٠ .

(٢) النساء : ١٤٥ - ١٤٦ .

(٣) النساء : ١٤٦ .

(٤) النساء : ١٤٦ .

(٥) المنافقون : ٤ ، وهؤلاء فريق كانوا يقولون في حق النبي ﷺ مايؤذيه إذا بلغه . وقد عد من هؤلاء المنافقين القائلين ذلك : الجلاس بن سويد ، قبل توبته ، ونبتل بن الحارث ، وعتاب بن قشير ، ووديعة بن ثابت ، فمنهم من قل : إن كان مايقول محمد حقاً فنحن شرمن الحمير ، وقال بعضهم : نقول فيه ماشئنا ثم نذهب إليه ونحلف له أنا ماقلنا ، فيقيل قولنا . (تفسير التحرير والتنوير) ٢٤١/٦ ، تفسير سورة التوبة .

قال في أمتي أثنا عشر منافقاً لايدخلون الجنة ولا يجدون ريحها ، حتي يلج الجمل في سم الخياط ، ثمانية منهم تكفيكهم الدبيلة سراج من النار يظهر في أكتافهم حتي ينجم من صدورهم(١) .

وخرج من حديث الوليد بن جميع ، حدثنا أبو الطفيل قال : كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة بعض مايكون من الناس ، فقال : أنشدك بالله كم كان أصحاب العقبة ؟ قال : فقال له القوم : أخبره إذ سألك ، قال : كنا نخبر أنهم أربعة عشر ، فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر ، وأشهد بالله أن أثني عشر منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ، وعذر ثلاثة ، قالوا : ماسمعنا منادي رسول الله ﷺ ولا علمنا بما أراد القوم ، وقد كان في حرة فمشي فقال : إن الماء قليل فلا يسبقني إليه أحد فوجد قوماً قد سبقوه فلعنهم يومئذ (٢) .

وقال الواقدي : حدثني يونس بن محمد ، عن يعقوب بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، أنه قال له : هل كان الناس يعرفون أهل النفاق فيهم ؟ فقال : نعم والله ، وإن كان الرجل ليعرفه من أبيه وأخيه وبني عمه - سمعت جدك قتادة بن النعمان يقول : تبعنا في دارنا قوم منا منافقون (٣) .

وللبيهقي من حديث سفيان عن سلمة ، عن عياض بن عياض ، عن أبيُ، عن أبي مسعود قال : خطبنا رسول الله ﷺ خطبة ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن فيكم منافقين ، فمن سميت فليقم ، ثم قال: قم يا فلان، قم يافلان قم يافلان ، حتي سمي ستة وثلاثين رجلاً ، ثم قال : إن فيكم أو منكم فاتقوا الله ، قال : فمر عمر على رجل ممن سمى مقنع قد كان يعرفه - قال مالك: قال:فحدثه بما قال رسول الله ﷺ فقال : بعداً لك سائر اليوم (٤) .

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ١٧/ ١٣٠، كتاب صفات المنافقين باب (٥٠) ، حديث رقم (١٠٠) .

(٢) (المرجع السابق) : الحديث الذي يلي الحديث السابق بدون رقم .

(٣) (مغازي الواقدي) : ٣/١٠٠٩ .

(٤) (مسند أحمد) : ٦/٣٦٧ من حديث أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري ، حديث رقم (٢١٨٤٣) .

والمنافقون من الخزرج

هم : عبد الله بن أبيّ بن سلول ، وسلول بنت الحارث الخزاعية ، أمه [وبها يعرف] ، وقيل : بل هي جدته وهو عبد الله بن أبي بن مالك بن الحارث ابن عبيد الله بن مالك بن سالم الجبلي بن غنم بن عوف بن الخزوج وهوابن رأس المنافقين القائل ﴿لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذل﴾(١) ،وقد تقدمت عدة من أخباره في المريسيع وغيرها وروى الدار قطني قال : إن رسول الله ﷺ مر على جماعة فيهم عبد الله بن أبي فسلم عليهم، ثم ولي، فقال : لقد عثا ابن أبي كبشة في هذه البلاد ، فسمعها ابنه عبد الله فاستأذن رسول الله ﷺ في أن يأتيه برأس أبيه فقال ﷺ : ولكن برَّ أباك ، وأبو مالك جد بن قيس بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة(٢)وهو القائل لرسول الله ﷺ -وقد ندب الناس إلى غزوة تبوك وذكر بنو

---

(١) المنافقون : ٨ . قال الإمام أحمد رحمه الله : حدثنا يحيي بن آدم ويحيي بن أبي بكير قالا : حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق قال : سمعت زيد بن أرقم ، وقال أبو بكير عن زيد بن أرقم قال : خرجت مع عمي في غزاة فسمعت عبدالله بن أبي بن سلول يقول لأصحابه لا تنفقوا على من عند رسول الله ، ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذل ، فذكرت ذلك لعمي ، فذكره عمي لرسول الله ﷺ . فأرسل إليّ رسول الله ﷺ فحدثته ، فأرسل إلى عبد الله بن أُبَيّ بن سلول وأصحابه فحلفوا بالله ماقالوا ، فكذبني رسول الله ﷺ وصدقه فأصابني هَمٌّ لم يصبني مثله قط ، وجلست في البيت ، فقال عمي : ما أردت إلا أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك ؟ قال : حتى أنزل الله ﴿إذا جاءك المنافقون﴾ قال : فبعث إليَّ رسول الله ﷺ ، فقرأها رسول الله ﷺ عليّ ثم قال : إن الله قد صدقك . (تفسير ابن كثير) : ٣٩٦/٤ ، (البحر المحيط) : ١٨٤/١٠ ، حيث قال : ولما سمع عبد الله ، ولد عبد الله بن أبيّ هذه الآية ، جاء إلى أبيه فقال : أنت والله ياأبت الذليل ، ورسول الله ﷺ العزيز ، فلما دنا من المدينة جرد السيف عليه ومنعه الدخول حتي يأذن له رسول الله ﷺ وكان فيما قال : وراءك لا تدخلها حتى تقول : رسول الله الأعز وأنا الأذل ، فلم يزل حبيساً في يده حتى أذن له رسول الله ﷺ بتخليته . وفى هذا الحديث أنه قال لأبيه : لئن لم تشهد لله ولرسوله بالعزة لأضربن عنقك ، قال: أفاعل أنت ؟ قال : نعم ، فقال : أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

(٢) ابن قيس بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد، وأمه هند بنت سهل من جهينة ثم من بني الربعة ، وأخوه لأمه معاذ بن جبل ، شهد عبد الله بدراً وأحداً وكان أبوه الجد بن قيس يكني أبا وهب ، وكان قد أظهر الإسلام وغزا مع رسول الله ﷺ غزوات ، وكان منافقاً وفيه نزل حين غزا رسول الله ﷺ ، تبوك : ﴿ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا﴾ . وليس لعبد الله بن الجد عقب والعقب لأخيه محمد بن الجد بن القيس.. =

الأصفر - :ائذن لي ولا تفتني ببنات الأصفر ، وقال[1] رسول الله ﷺ لبني سلمة : من سيدكم يابني سلمة ؟ قالوا : الجدين ابن قيس إلا أن فيه بخلاً ، قال : وأي داء أدوي من البخل بل سيدكم بشر بن البراء بن معرور .

وذكر الواقدي بإسناده من طريق أسيد بن أبي أسيد عن أبي قتادة الأنصاري -رضي الله تبارك وتعالى عنه- قال : لمانزلنا علي الحديبية ، والماء قليل ، سمعت الجد بن قيس يقول : ماكان خروجنا إلي هؤلاء القوم بشئ ؟ أنموت من العش من آخرنا ؟ فقلت : لاتقل هذا . يا أبا عبد الله ، فلم خرجت ؟ قال : خرجت مع قومي ، قلت : فلم تخرج معتمراً ؟ قال : لا والله، ما أحرمت ؟ قال أبو قتادة ولا نويت العمرة ؟ قال : لا ! فلما دعا رسول الله ﷺ الرجل فنزل بالسهم ، وتوضأ رسول الله ﷺ في الدلو ومج فاه فيه، ثم رده في البئر، فجاشت البئر بالرواء . قال أبو قتادة : فرأيت الجد ماداً رجليه على شفير البئر في الماء ، فقلت أبا عبد الله : أين ماقلت ؟ قال : إنما كنت أمزح معك ، لا تذكر لمحمد مما قلت شيئاً . قال أبو قتادة : وقد كنت ذكرته قبل ذلك لرسول الله ﷺ ، قال : فغضب الجد وقال : بقينا مع صبيان من قومنا لايعرفون لنا شرفاً ولاسناً ، لبطن الأرض اليوم خير من ظهرها ! قال أبو قتادة : وقد كنت ذكرت قوله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : ابنه خير منه . قال أبو قتادة : فلقيني نفر من قومي فجعلوا يؤنبونني ويلومونني حين رفعت مقالته إلى رسول الله ﷺ ، فقلت لهم : بئس القوم أنتم ! ويحكم ! عن الجد بن قيس تذبون ؟ قالوا: نعم ، كبيرنا وسيدنا . فقلت : قد والله طرح رسول الله ﷺ سؤدده عن بني سلمة ، وسوَّد علينا بشر بن البراء بن معرور ، وهدمنا المنامات التى كانت على باب الجد، وبنيناها على باب بشر بن البراء ، فهو سيدنا إلى يوم القيامة.

= (طبقات ابن سعد) : ٥٧١/٣ ، (الإصابة) : ٤٦٨/١ ، ترجمة رقم (١١١٢) .

ويقال : إنه مات في خلافة عثمان . وفي حديث الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر قال : بايعنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية على ألا نفر كلنا إلا الجد بن قيس اختبأ تحت بطن ناقته . وفي حديث أبي قتادة عنه ماهو أسمج من هذا . وقد قيل : إنه تاب ، فحسنت توبته . والله أعلم (الاستيعاب) : ٢٦٦/١ - ٢٦٧ ، ترجمة رقم (٢٤٧) .

(١) (المستدرك) : ٢٤٢/٣ ، كتاب معرفة الصحابة ، حديث رقم ٤٩٦٥٠) . وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : على شرط مسلم .

قال أبو قتادة : فلما دعا رسول الله ﷺ إلى البيعة فر الجد بن قيس فدخل تحت بطن البعير ، فخرجت أعدو ، وأخذت بيد رجل كان يكلمني ، فأخرجناه من تحت بطن البعير، فقلت : ويحك ! ما أدخلك هاهنا ؟ أفراراً مما نزل به روح القدس ؟ قال : لا ، ولكني رعبت وسمعت الهيعة[1]. قال الرجل : لانضحت عنك[2] أبداً ، ومافيك خير .

فلمامرض الجد بن قيس ونزل به الموت لزم أبو قتادة بيته فلم يخرج حتي مات ودفن ، فقيل له في ذلك فقال : والله ما كنت لأصلي عليه وقد سمعته يقول يوم الحديبية كذا وكذا ، وقال في غزوة تبوك كذا وكذا ، واستحييت من قومي يرونني خارجاً ولا أشهده . ويقال : خرج أبو قتادة إلى ماله بالواديين فكان فيه حتى دفن ، ومات الجد في خلافة عثمان - رضى الله تبارك وتعالى عنه - [3].

ومرارة بن[4] الربيع وهو الذي ضرب بيده على عاتق عبد الله بن أبيّ ، ثم قال : تمطي ، والنعيم لنا من بعده كائن نقتل الواحد المفرد ، فيكون الناس عامة بقتله مطمئنين ، بدعاء رسول الله ﷺ فقال له : ويحك ماحملك على أن تقول الذي قلت ؟ فقال : يارسول الله إن كنت قلت شيئاً من ذلك إنك لعالم به، وما قلت شيئاً من ذلك [5].

وعبد الله بن عيينة وهو الذي قال لأصحابه : اشهدوا هذه الليلة تسلموا الدهر كله ، فوالله مالكم أمر دون أن تقتلوا هذا الرجل ، فدعاه رسول الله ﷺ فقال : ويحك ماكان ينفعك من قتلي لو أني قتلت ، فقال عدو الله : يانبي، الله! والله لاتزال بخير ماأعطاك الله النصر على عدوك ، إنما نحن بالله وبك فتركه رسول الله ﷺ[6].

---

(١) الهيعة : الصوت تفزع منه وتخافه من عدوّ .

(٢) نضح عنه : ذبَّ ودفع .

(٣) (مغازي الواقدي) : ٢/٥٩٠ - ٥٩١ .

(٤) مرارة بن ربيعة . ويقال : ابن ربيع العمري الأنصاري . من بني عمرو بن عوف ، شهد بدراً . وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، وتاب الله عليهم، ونزل القرآن في شأنهم (الاستيعاب) : ٣/١٣٨٢، ترجمة رقم (٢٣٦١) ، (الإصابة) : ٦/٦٥ ، ترجمة رقم (٧٨٧٠) ،

(٥) دلائل البيهقي) : ٥/٢٥٩ .

(٦) (المرجع السابق) : ٥/٢٥٨ .

وعدي بن ربيعة كان يؤذي رسول الله ﷺ ورماه بقدر، وكان أعمي وابنه سويد بن عدي[(١)].

وقيس[(٢)] بن عمرو بن سهل بن ثعلبة بن الحارث بن زيد بن ثعلبة بن غنم ابن مالك بن النجار، هو جد يحيي بن سعيد[(٣)]، وقال ابن حزم: يقال إنه كان من المنافقين ولم يصح، وتبعه زرارة. كان يدخل على رسول الله ﷺ بالشعر. وزيد بن عمرو، وعقبة بن كريم بن خليف. وأبو قيس بن الأسلم أتي النبي ﷺ في السنة الأولي من الهجرة فقال: ما أحسن مايقول ويدعو إليه، وسأنظر في أمري وأعود اليك، ولقيه ابن أبَيّ فقال له: كرهت والله حرب الخزرج، فقال: لا أسلم، فمات في ذي الحجة سنة إحدي.

والمنافقون من الأوس

هم الجلاس بن سويد بن الصامت قتل المجدر بن زياد البلوي يوم أحد كما تقدم ذكره، وكان الجلاس ممن تخلف في غزوة تبوك، ويقال: بل هو الي قال: لاينتهي حتى يرمي محمداً من العقبة، ولئن كان محمد وأصحابه خيراً منا إنا إذاً لغنم وهو الراعي، ولا عقل لنا وهو العاقل، قال: لئن كان الرجل صادقا لنحن شر من الحمير، فبلغ النبي ﷺ ذلك، فحلف بالله إنه ما قاله، فأنزل الله تبارك وتعالى فيه: ﴿يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر﴾[(٤)] الآية

---

(١) (جمهرة النسب للكلبي): ٥٥٥ - ٥٥٨، (جمهرة أنساب العرب: ٧٧ - ٧٨).

(٢) (جمهرة أنساب العرب): ٣٤٩، وهو جد سعد، وعبد ربه، بنو سعد.

(٣) كذا في (الاصل)، وفي (جمهرة أنساب العرب): ٣٤٩ يحيي بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة.

(٤) التوبة: ٧٤،

قال قتادة نزلت في عبد الله بن أبيّ وذلك أنه اقتتل رجلان: جهني وأنصاري فعلاً الجهني على الأنصاريّ، فقال عبدالله للأنصار: ألا تنصروا أخاكم؟ والله مامثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل: سمن كلبك يأكلك، وقال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها. الأذل، فسعى بها رجل من المسلمين إلي النبي ﷺ فأرسل إليه فسأله فجعل يحلف بالله ماقاله، فأنزل الله فيه هذه الآية.

وقال الأموي في (مغازية): حدثنا محمد بن إسحاق عن الزهري، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب=

قال ابن إسحاق : فزعموا أنه تاب فحسنت توبته حتى عرف منه الإسلام والخير ، والحارث[1] بن سويد أخوه يقال : هو الذي قتل المجذر بن زياد ، فقتله رسول الله ﷺ به . فإن الجلاس كان ممن تخلف عن غزاة تبوك ، والقول الأول قول الكلبي ، وكان أخوه خلاد[2] بن سويد من فضلاء المسلمين ، وعمرو بن

= ابن مالك، عن أبيه ، عن جده قال : لماقدم رسول الله ﷺ أخذني قومي فقالوا : إنك امرؤ شاعر فإن شئت أن تعتذر إلي رسول الله ﷺ ببعض العلة ثم يكون دنباً تستغفر الله منه، وذكر الحديث بطوله إلى أن قال : وكان ممن تخلف من المنافقين ، ونزل فيه القرآن ، منهم ممن كان مع النبي ﷺ الجلاس بن سويد بن الصامت، وكان على أمّ عمير بن سعد وكان عمير في حجره فلما نزل القرآن وذكرهم الله بماذكر مما أنزل في المنافقين قال الجلاس : والله لئن كان هذا الرجل صادقاً فيما يقول لنحن شر من الحمير فسمعها عمير بن سعد فقال : والله ياجلاس إنك لأحب الناس إلي ، وأحسنهم عندى بلاء ، وأعزهم علي أن يصله شئ يكرهه ، ولقد قلت مقالة لأن ذكرتها لتفضحني ولئن كتمتها لتهلكني ولإحداهما أهون علي من الأخرى ، فمشي إلى رسول الله ﷺ فذكر له ماقال الجلاس فلما بلغ ذلك الجلاس خرج حتى أتي النبي ﷺ فحلف بالله ما قال عمير بن سعد ولقد كذب علي فأنزل الله عز وجل فيه :﴿يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم﴾ إلى آخر الآية فوقفه رسول الله ﷺ عليها فزعموا أن الجلاس تاب فحسنت توبته ونزع فأحسن النزوع . هكذا جاء هذا مدرجاً في الحديث متصلاً به وكأنه - والله أعلم - من كلام ابن إسحاق نفسه لا من كلام كعب بن مالك. (تفسير ابن كثير) : ٢/ ٣٨٥ - ٣٨٦ ، سورة التوبة

(١) الحارث بن سويد : ويقال : ابن مسلمة المخزومي . ارتد على عهد رسول الله ﷺ ، ولحق بالكفار، فنزلت هذه الآية ﴿كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيما نهم﴾ إلى قوله تعالى : ﴿إلا الذين تابوا﴾ فحمل رجل هذه الآيات ، فقرأهن عليه . فقال الحارث : والله ماعلمتك إلا صدوقاً ، وإن الله لأصدق الصادقين . فرجع وأسلم وحسن إسلامه . روى عنه مجاهد ، وحديثه هذا عند جعفر بن سليمان ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد .

(الاستيعاب) : ١/ ٣٠٠ ترجمة رقم (٤٣٦) .

(الإصابة) : ١/٥٧٦ - ٥٧٧ ، ترجمة رقم (١٤٢٥) .

(٢) خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرئ القيس بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأكبر ، شهد العقبة . وشهد بدراً وأحداً والخندق ، وقتل يوم قريظة شهيداً . طرحت عليه الرحى من أطم من آطامها ، فشرخت رأسه ومات ، فقال رسول الله ﷺ فيما يذكرون : إن له أجر شهيد ، ويقولون : إن التى طرحت عليه الرحى بُنانة ، امرأة من بني قريظة ، ثم قتلها رسول الله ﷺ مع بني قريظة ، إذ قتل من أنبت منهم ، ولم يقتل امرأة غيرها . =

حـزم[1] ،وزوي بن الحارث ويقال روي بن الحارث من بني لوذان بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس وعثمان بن[2] عامر ، ونبتل بن الحارث بن قيس بن زيد بن ضبيعة ابن زيدين مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوسي[3] ،وفيه قال رسول الله ﷺ : من أحب أن ينظر إلى الشيطان فلينظر

= (الاستيعاب) : ٢/٤٥١ - ٤٥٢ ، ترجمة رقم (٦٧٦) .

(الإصابة) : ٢/٣٤٠ ، ترجمة رقم (٢٢٨٠)

(١) عمرو بن حزم بن زيد بن لوزان الخزرجي البخاريّ ، من بني مالك بن النجار . من ينسبه في بني مالك بن النجار يقول : عمرو بن حزم بن لوذان بن عمرو بن [عبد بن] عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري . ومنهم من نسبه في بني مالك بن جشم بن الخزورج . ومنهم من ينسبه في بني ثعلبة بن زيد بن مناة بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك . أمه من بني ساعدة ، يكني أبا الضحاك ، لم يشهد بدراً فيما يقولون . أول مشاهده الخندق ، واستعمله رسول الله ﷺ على أهل نجران ، وهم بنو الحارث بن كعب ، وهو ابن سبع عشرة سنة ليفقههم في الدين، ويعلمهم القرآن ، ويأخذ صدقاتهم ؛ وذلك سنة عشر بعد أن بعث إليهم خالد بن الوليد ، فأسلموا ، وكتب له كتاباً فيه الفرائض والسنن والصدقات والديات .

ومات بالمدينة سنة إحدى وخمسين . وقيل : سنة ثلاث وخمسين . وقد قيل : إن عمرو بن حزم توفى في خلافة عمر بن الخطاب - رضى الله تبارك وتعالي عنه - بالمدينة . وروي عن عمرو بن حزم ابنه محمد . وروي عنه أيضاً النضر بن عبد الله السلمي ، وزياد بن نعيم الحضريّ ، (الاستيعاب) : ٣/١١٧٢ - ١١٧٣) ترجمة رقم (١٩٠٧) ، (والإصابة) :٤/٦٢١، ترجمة رقم (٥٨١٤) ،

(٢) عثمان بن عامر ، أبو قحافة القرشيّ التيمي ، والد أبي بكر الصديق - رضى الله تبارك وتعالى عنه - تقدم ذكر نسبه عند ذكر ابنه أبي بكر ، أسلم أبو قحافة يوم فتح مكة ؛ حدثني عبدالوارث ، حدثي قاسم ، حدثنا إبراهيم بن إسحاق بن مهران ، حدثنا يحيي بن يحيي ، حدثنا أبو خيثمة زهير بن معاوية ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، قال : أتي بأبي قحافة عا الفتح ليبايع ، ورأسه ولحيته كأنها ثغامة - يعني شجرة - فقال رسول الله ﷺ : غيروا هذا بشئ وجنبوه السواد ، وقال قتادة : هو أول مخضوب في الإسلام ، وعاش أبو قحافة إلى خلافة عمر - رضي الله تبارك وتعالي عنه - ، ومات سنة أربع عشرة وهوابن سبع وتسعين سنة ، وكانت وفاة ابنه قبله ، فورث منه السّدس ، فرده على ولد أبي بكر - رضي الله تبارك وتعالي عنه - (الاستيعاب) : ٣/١٠٣٦ ، ترجمة رقم (١٧٧٣) ، (الإصابة) : ٤/٤٥٢ - ٤٥٣ ، ترجمة رقم (٥٤٤٦) .

(٣) نبتل بن الحارث بن قيس بن زيد بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف الأنصاري الأوسي .

ذكره أبو عبيد القاسم بن سلام فى كتاب النسب مقروناً بأخيه أبو سفيان . وقد ذكره ابن الكلبي ، ثم البلاذري في المنافقين ؛ فيحتمل أن يكون أبو عبيد اطلع على أنه تاب ، وذكره محمد ابن إسحاق في (السيرة النبوية) أنه الذي أنزل فيه : ﴿**ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذُن**﴾ . (الإصابة) : ٦/٤١٨ ، ترجمة رقم (٨٦٨١) .

إلى نبتل ، وكان أدلم ثائر الشعر ، أحمر العينين ، أسفع الخدين ، وكان ينقل حربة النبي ﷺ إلى المنافقين ، وهو الذي قال : إنما محمد أذن فأنزل الله فيه ﴿ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم﴾(١)الآية . والنبتل الصلب الشديد . وأخوه أبو سفيان بن الحارث بن قيس(٢)شهيد بدر وعبد الله بن نبتل(٣)وهو الذى كان ينقل حديث النبي ﷺ .

قال الواقدي : وكان خارجة بن زيد بن ثابت يسقي الناس من الماء المبرد بالعسل، وكان أبو عبد الله بن القراد [الزيادي](٤)وهو فارس [.....] في خلافة عمر بن الخطاب -رضي الله تبارك وتعالى عنه -فجاء ذات يوم وقد حضر رجل من ولد عبد الله بن نبتل فجعل يهزأ به وكان القراد عظيم الرأس والأذنين له خلقة منكره ، فقال له : من أنت يافتى ؟ قال : رجل من الأنصار ، قال : مرحباً بالأنصار ، من أنت منهم ؟ قال : أنا فلان ابن الحارث بن عبد الله ابن نبتل ، فقال : أما جدك فلم ينصر ، علمت مانزل فيه من القرآن ؟ أما يدري ماصنعت به يداه ؟ فضحته والله هي الفاضحة .

وقيس بن زيد، قتل يوم أحد منافقاً(٥)،وقيل : خرج مع المسلمين ، فلما

---

(١) التوبة : ٦١

(٢) سفيان بن قيس بن الحارث بن المطلب القرشي المطلبي ابن أخي الطفيل وعبيدة ابني الحارث .لهم صحبة .
أخرج البغوي ، من طريق ابراهيم بن سعد، عن سليمان بن محمد الأنصاري ، عن رجل من قومه يقال له الضحاك، كان عالماً ؟ قال : آخى رسول الله ﷺ بين الحارث بن عبد المطلب وسفيان بن الحارث بن قيس ، ذكره ابن هشام فيمن استشهد بأحد من الأنصار من بني ضبيعة .
(الإصابة) : ٣/١٢٧-١٢٨ ، ترجمة رقم ٣٣٢٧٠) ، (سيرة ابن هشام) : ٤/٧٩ .

(٣) عبد الله بن نبتل بن الحارث الأنصاري . وقد ذكر الواقدي لولد هذا قصة في عهد عمر . وقيل : إن هذا كان من المنافقين . (الإصابة): ٤/٢٤٩ ترجمة رقم (٤٩٩٠) .

(٤) هو عبد الله بن قداد ، ويقال: قراد بن قريط الحارثي ثم الزيادي ، من بني زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة ابن الحارث بن كعب المذحجيّ ، قدم مع خالد بن الوليد فى وفد بني الحارث بن كعب فأسلموا .
ذكره ابن إسحاق ، فى المغازي ، وسماه يونس بن بكير عبد الله بن قرط ، ووقع عند ابن هشام : ابن قداد ، وعند الواقدي : ابن قراد ، وهو واحد ، ترجمته فى (الإصابة) : ٤/٢٠٨ - ٢٠٩ ، ترجمة رقم (٤٨٨٩) .

(٥) (سيرة ابن هشام) : ٤/٧٩ ، ذكر من استشهد بأحد من الأنصار .

التقي الناس عدا على أسيرين فقتلهما ، ثم لحق بقريش .

وأبو حبيبة بن الأزعر، وكان ممن بنى في مسجد الضرار [1].

وثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عتبة [2] ، قيل نزلت فيه لما منع الزكاة ﴿**ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن**﴾ [3]. الآية . ومنع ذلك لأنه ممن شهد بدراً ، ومعتب ويقال : عتاب بن أبي قشير وثعلبة. [4] ومعتب هو الذي قال، يوم أحد : لو كان لي من الأمر شئ ماقتلناهاهنا [5]، وهو القائل يوم الأحزاب : يعدنا محمدٌ كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لايقدر على إتيان الغائط ! عاهد إلا غروراً [6].

---

(١) (مغازي الواقدي) : ١٠٤٧/٣ .

(٢) كان أحد الذين بنوا مسجد الضرار . (سيرة ابن هشام) : ٢١٢/٥ .

(٣) التوبة : ٧٥ .

(٤) قال ابن هشام : وكان الذى عاهد الله منهم ثعلبة بن حاطب ، ومعتب بن قشير ، وهم من بني عمرو بن عوف (سيرة ابن هشام) : ٢٣٩/٥ ، ما نزل فى أصحاب الصدقات .

وقال الحافظ ابن كثير : يقول تعالى : ومن المنافقين من أعطي الله عهده وميثاقه لئن أغناه من فضله ليصدقن من ماله وليكونن من الصالحين ، فما وفى بما قال ، ولاصدق فيما ادعى ، فأعقبهم هذا الصنيع نفاقاً سكن فى قلوبهم إلى يوم يلقونه عز وجلّ يوم القيامة . عياذاً بالله من ذلك .

وقد ذكر كثير من المفسرين ؛ منهم ابن عباس والحسن البصرى ، أن سبب نزول هذه الآية الكريمة فى ثعلبة بن حاطب الأنصارى . وقد ورد فيه حديث رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث معن بن رفاعة عن عليّ بن يزيد ، عن أبى عبد الرحمن القاسم بن عبد الرحمن مولى عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية ، عن أبى أمامة الباهليّ ، عن ثعلبة بن حاطب الأنصارى ، أنه قال لرسول الله ﷺ : ادع الله أن يرزقنى مالاً ، قال : فقال رسول الله ﷺ : ويحك ياثعلبة ! قليل تودى شكره خير من كثير لا تطيقه . (تفسير ابن كثير) : ٣٨٨/٢ ، والقصة معروفة ، أمسكنا عن سردها ، لطولها واشتهارها .

(٥) قال الزبير - رضي الله تبارك وتعالى عنه - : سمعت هذا القول من معتب بن قشير ، وقد وقع عليّ النعاس وإني لكالحالم ، أسمعه يقول هذا الكلام ؛ واجتُمع عليه أنه صاحب هذا الكلام . (مغازي الواقدي) : ٣٢٣/١ - ٣٢٤ .

(٦) (مغازي الواقدى) : ٤٩٤/٢ ، باب ماأنزل الله من القرآن فى الخندق .

ويقال : إن حمد بن قيس أو جَدّ بن قيس القائل ذلك فأنزل الله تعالي : **﴿وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله إلا غروراً﴾** [١].

قال ابن هشام : مصعب بن قشير وثعلبة والحارث ابنا حاطب من أهل بدر ليسوا من المنافقين فيما ذكر لي من أثق به من أهل العلم [٢]. وقد نسب ابن إسحاق ثعلبة والحارث بن أمية بن زيد في أسماء أهل بدر [٣]،

ورافع بن زيد ، وفيه وفي معتب ونفر من أصحابهما نزلت : **﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت﴾** [٤]، وكان خصماهم دعوهم في خصومتهم إلي النبي ﷺ فأبوا ذلك وقالوا : نتحاكم إلى كعب بن الأشرف ، فسماه رسول الله ﷺ طاغوتاً [٥]، ويقال : إنهم دعوهم إلى الكاهن .

---

(١) الأحزاب : ١٢ .

(٢) (سيرة ابن هشام) : ٤/ ١٨٠ ، لم يكن معتب منافقاً .

(٣) (المرجع السابق) : ٣/٢٤٣ .

(٤) النساء : ٦٠ .

(٥) قال ابن هشام : وكان جلاس بن سويد بن صامت قبل توبته ، ومعتب بن قشير ، ورافع بن زيد ، وبشر ، وكانوا يدعون بالإسلام ، فدعاهم رجال من المسلمين فى خصومة كانت بينهم إلى رسول الله ﷺ ، فدعوهم إلى اكهان ، حكام أهل الجاهلية ، فأنزل الله - عزَّ وجلَّ - فيهم : **﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكمـا إلى الطاغون وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً﴾** . (سيرة ابن هشام) : ٣/٥٩ .

وقال أبوحيان الأندلسيّ : ذكر فى سبب نزولها قصص طويل ؛ ملخصه : أن أبا بردة الأسلمي كان كاهناً يقضى بين اليهود ، فتنافر إليه نفر من أسلم . أو أن قيساً الأنصاريّ أحد من يدعى الإسلام، ورجلاً من اليهود تداعيا إلى الكاهن وتركا الرسول ﷺ بعد مادعا اليهوديّ إلى الرسول ، والأنصاريّ يأبى إلا الكاهن !!

أو أن منافقاً ويهودياً اختصما ، فاختار اليهوديّ الرسول ﷺ ، واختار المنافق كعب بن الأشرف ، فأبي اليهوديّ ، وتحاكما إلى الرسول ﷺ ، فقضى لليهوديّ ، فخرجا ولزمه النفاق ، وقال : ننطلق إلى عمر ، فانطلقا إليه فقال اليهوديّ : قد تحاكما إلى الرسول فلم يرض بقضائه ، فأقر المنافق بذلك عند عمر ، فقتله عمر وقال : هكذا أقضى فيمن لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله . (البحر المحيط) : ٣/٦٨٨ .

وجارية بن عامر وبنوه ، يزيد ، وزيد ، ومجمع ، وهم ممن اتخذ مسجد الضرار ، وكان مجمع بن جارية لم يكن منافقاً ، ويقال : إنه منافق ، ثم صحَّ إسلامه ، وعني بالقرآن حتى حفظه ، وقال النقاش : حسن إسلام مجمع وبعثه عمر - رضى الله تبارك وتعالى عنه - إلى الكوفة ، فعلمهم القرآن فتعلم منهم عبد الله بنُ مسعود -رضي الله تابرك وتعالي عنه- بقية القرآن [١].

ومربع بن فيظي [٢] ، القائل للنبي ﷺ حين أجاز فى حائطه وقد خرج إلى أحد : لا أُحلّ لك يامحمد ، إن كنت نبياً أن تمر فى حائطي ! وأخذ في يده حفنة من تراب ، ثم قال : والله لو أعلم أني لا أصيب بهذا التراب غيرك [٣] لرمتيك به ، فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال رسول الله ﷺ : دعوه فهذا الأعمى أعمي القلب ، أعمي البصر. [٤] وأخوه أوس بن قيظي [٥] ، وهو القائل يوم الخندق : ﴿إن بيوتنا عورة﴾ [٦] فأذن لنا في المقام ، ويقال : قائل ذلك معتب بن قشير ، ، ومربع هذا عم عرانة بن أوس بن قيظي الجواد ، وهو ممن بنى مسجد الضرار من داره ، ويقال : إن الذي أخرجه من داره وديعة بن حزام ، ورافع وبشر ابنا زيد

---

(١) (الإصابة) : ٧٧٦/٥ - ٧٧٧ ، ترجمة رقم (٧٧٣٩) ، وله فى (السنن) ثلاثة أحاديث ، صحح الترمذي بعضها . وكان أبوه جارية ممن اتخذ مسجد الضرار ، وكان مجمع يصلي بهم فيه ، ثم إنه أحرق ، فلما كان عمر بن الخطاب كلم فى مجمع أن يؤم قومه ؛ فقال : لا ، أوليس إمام المنافقين فى مسجد الضرار ، فقال : لا والله الذى لا إله إلا هو ماعلمت شيئاً من أمرهم ، فزعموا أن عمر - رضى الله تبارك وتعالى عنه - أذن له أن يصلى بهم .

(٢) (الإصابة) : ٦٦/٦ - ٦٧ ، ترجمة ابنه مرارة وإخوانه أبناء مربع بن قيظيّ الأنصاريّ ، وقال فى آخرها : وكان أبوهم يعد فى المنافقين . وفى ترجمته رقم (٧٨٧٤) : عُدَّ فى المنافقين ، ويقال : تاب .

(٣) فى (الأصل) : «عينك» ، وما أثبتناه من (ابن هشام) .

(٤) فضربه سعد بن زيد أخو بنى عبد الأشهل بالقوس فشجه . (المرجع السابق) : ٥٧/٣ ، ١١/٤ ، ما فعله مربع المنافق حين سلك المسلمون حائطة ، (سيرة ابن هشام) : ٥٧/٣ .

(٥) (المرجع السابق) : ٥٧/٣ ، قال ابن هشام : عورة أى معورة للعدوّ وضائعة ، وجمعها عورات . والعورة أيضاً: عورة الرجل ، وهى حرمته ، والعورة أيضاً السوءة .

(٦) الأحزاب : ١٣ .

وقيس بن رفاعة الشاعر[١]، وكان يختلف هو والضحاك بن خليفة[٢] بن ثعلبة بن عديّ بن كعب بن عبد الأشهل [إلى بيت شويكر اليهودي][٣] فأصاب عينه قنديل فذهبت[٤].

وحاطب بن أمية بن رافع بن سويد[٥] الذي قيل لابنه -وحمل جريحاً- : أبشر بالجنة ، فقال : يا ابن حاطب ، أبشر بالجنة ، فقال حاطب : جنَّة من حرمل ، لايغرنك هؤلاء يابنيّ .

وبشير بن أبيرق الظفري[٦] وهو أبو طعمة ، واسم الأبيرق الحارث بن

---

(١) هو قيس بن رفاعة الواقفى ، من بنى واقف بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس الأنصاريّ . ذكره المرزبانيّ فى (معجم الشعراء) ، وقال : أسلم ، وكان أعور . (الإصابة) : ٤٦٨/٥ ، ترجمة رقم ٧١٧٤٠) .

(٢) هو الضحاك بن خليفة بن ثعلبة بن عديّ بن كعب بن عبد الأشهل ، الأنصاريّ الأشهليّ . وذكر ابن إسحاق فى غزوة تبوك قال : وبلغ النبيّ ﷺ أن ناساً من المنافقين يجتمعون فى بيت شويكر اليهوديّ ، يثبطون الناس عن الغزو ، فبعث طلحة فى قوم من الصحابة، وأمره أن يحرق عليهم البيت ، ففعل ؛ فاقتحم الضحاك من خليفة من ظهر لبيت فانكسرت رجله وأفلت ، وقال فى ذلك :

كادت وبيت الله نار محمد ... يسقط بها الضحاك وابن أبيرق
سلام عليكم لاأعود لمثلها ... أخاف ومن يشمل الريح يحرقِ

(الإصابة) : ٤٧٥/٣ - ٤٧٦ ، ترجمة رقم (٤١٦٦) .

(٣) زيادة للسياق والبيان من كتب السيرة، حيث اضطراب السياق فى هذا السطر .

(٤) راجع التعليق السابق .

(٥) كان شيخاً جسيماً قد أَسَنَّ فى جاهليته ، وكان له ابن من خيار المسلمين ، يقال له : يزيد بن حاطب ، أصيب يوم أحد حتى أثبتته الجراحات ، فحمل إلى دار بنى ظفر .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر عن قتادة أنه اجتمع إليه بها من رجال المسلمين ونسائهم وهو بالموت ، فجعلوا يقولون : أبشر يا ابن حاطب بالجنة ، قال : فنجم [ظهر ووضح] نفاقه حينئذ ، فجعل يقول أبوه : أجل ، جنة والله من حرمل ، غررتم والله هذا المسكين من نفسه . (سيرة ابن هشام) : ٥٨/٣ .

(٦) قال ابن إسحاق - وقد ذكر أسماء المنافقين - : وبشير بن أُبيرق ، وهو أبو طعمة سارق الدرعين ، الذى أنزل الله تعالى فيه : ﴿ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لايحب من كان خواناً أثيماً﴾ [النساء : ١٠٧] (سيرة ابن هشام) : ٥٨/٣ .

عمرو بن حارثة بن الهيثم بن ظفر -واسم ظفر كعب- قال : سرق ابن أبيرق أدرعاً من حديد ، ثم رمى بها رجلاً بريئاً ، فجاء قومه إلى النبي ﷺ فعزروه عنده ، فأنزل الله -عزوجل - فيه قوله تعالى : ﴿**إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله فلا تكن للخائنين خصيماً**﴾ إلى قوله تعالى : ﴿**وساءت مصيراً**﴾(١) فلما أنزل فيه هذه الآية لحق بالمشركين ومكث بمكة ، ثم بعث على قوم بينهم فسرق متاعهم فألقى الله عليه صخرة فشدخته وكانت قبره، ويروي أن الحائط سقط عليه بالطائف وقتل بخيبر ، وروى محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة الظفري عن أبيه عن جده قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد بن ظفر قال : كان أهل بيت منا يقال لهم بنو أبيرق : بشر ، وبشير ومبشر(٢) ، وكان بشر منافقاً يهجو أصحاب النبي ﷺ ، ثم سحله بعض العرب ، فإذا سمعه أصحاب رسول الله ﷺ قالوا : والله ما قاله إلا الخبيث بشر فقال :

أو كلما قال الغواة قصيدة أصموا إليها وقالوا ابن الأبيرق قالها(٣)

قال : فابتاع رفاعة بن زيد بن زيد بن عامر حملا من درمك من ضابطة قدمتْ من الشام ، وإنما كان طعام الناس بالمدينة الشعير والتمر وكان الموسر منهم يبتاع من الدرمك(٤) مايخص به نفسه ، فجعل عمر ذلك الدرمك في

---

(١) النساء : ١٠٥ - ١١٥ .

(٢) بشر بن الحارث ، وهو أبيرق بن عمرو بن حارثه بن الهيثم بن ظفر .

الأنصاريّ الظفريّ ، شهد أحداً هو وأخواه مبشر وبشير ؛ فأما بُشير فهو الشاعر ، وكان منافقاً يهجو أصحاب النبي ﷺ ، وشهد مع أخيه بشر ومبشر أُحداً ، وكانوا أهل حاجة : فسرق بشير من رفاعة بن زيد درعه ، ثم ارتد فى شهر ربيع الأول من سنة أربع من الهجرة ، ولم يذكر لبشر هذا النفاق والله تعالى أعلم . وقد ذكر فيمن شهد أحداً مع النبيّ ﷺ . (الاستيعاب) : ١٧١/١ ، ترجمة رقم (١٨٨) ، (الإصابة) : ٢٩٦/١ ، ترجمة رقم (٦٥٦) ، ثم قال ابن عبد البرّ فى ترجمة رفاعة بن زيد بن عامر رقم (٧٧٥) : هو الذى سرق سلاحه وطعامه بنو أبيرق ، فتنازعوا إلى رسول الله ﷺ، فنزلت فيبنى أبيرق : ﴿**ولاتجادل عن الذين يختانون أنفسهم**﴾ [النساء : ١٠٦] . ثم قال : خبره هذا عند محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر عن قتادة ، عن أبيه عن جده قتادة بن النعمان .

(٣) بعد هذا البيت بيت آخر مضطرب وزناً ومعنى فحذفناه .

(٤) الدرمك : الدقيق

مشربة وفيها درعان وسيفان ومايصلحها ، فعدى عليه من بحث بالليل فنقب المشربة وأخذ الطعام والسلاح ، فلما أصبح أتاني فقال : يا ابن أخي تعلم أنه قد عدي علينا في ليلتنا ، فذهبت بطعامنا وسلاحنا ؟ قال : فتحسسنا في الدار وسألنا ، فقيل لنا : قد رأينا بني أبيرق واستوطروا في أبيرق في هذه الليلة ، ولانرى ذلك الأمر طعامنا ، قال : وجعل بنو أبيرق ونحن نبحث ونسأل في الدار يقولون : والله مانرى صاحبكم إلا لبيد بنسهل بن الحارث بن روة بن عبد بن راح بن ظفر ، رجل منا له صلاح وإسلام - فلما سمع لبيد اخترط سيفه ، وقال : أنا أسرق ؟ فوالله ليخالطنكم هذا السيف أو لتبيننَّ هذه السرقة

قالو : إليك عنا أيها الرجل ، فما أنت بصاحبها ، فسألنا فى الدار حتى لم نشك أنهم أصحابها ، فقال لى عمى : يا ابن أخى ، لو أتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له .

قال قتادة : فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : إن أهل بيت منا أهل جفاء عمدوا إلى عمى رفاعة بن زيد فنَّقبوا مشربة له ، وأخذوا سلاحة وطعامه فليردّوا علينا سلاحنا ، فأما الطعام فلا حاجة لنا فيه ، فقال النبيّ ﷺ سآمر في ذلك، فلما سمع بنو أبيرق أتوا رجلاً منهم يقال له : أشير بن عروة ، فكلموه فى ذلك ، واجتمع فى ذلك ناسٌ من أهل الدار فقالوا : يارسول الله ، إن قتادة بن النعمان وعمه عمدا إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولاثبت .

قال قتادة : فأتيت رسول الله ﷺ فكلمته فقال : عمدت إلى أهل بيت ذكر منهم إسلام وصلاح ترميهم بالسرقة على غير ثبت وبينة . قال : فرجعت ولوددت أنى خرجت من بعض مالى ولم أكلم رسول الله ﷺ في ذلك .

فأتاني عمي رفاعة فقال : يا ابن أخى ماصنعت ؟ فأخبرته بما قال لى رسول الله ﷺ فقال : الله المستعان ، فلم يلبث أن نزل القرآن : ﴿**إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً**﴾[1] بني أبيرق ﴿**واستغفر الله**﴾ مما قلت لقتادة ﴿**إن الله كان غفوراً رحيماً* ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لايحب من كان خواناً أثيماً * يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون مالا يرضى من القول وكان الله بمايعملون محيطاً * ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلاً ***

(١) النساء : ١٠٥ .

ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾(١)

أي لو استغفروا الله لغفر لهم **﴿ومن يكسب إثماً فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليماً حكيماً * ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً﴾** - قولهم للبيد - **﴿ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك ومايضلون إلا أنفسهم ومايضرونك من شئ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً * لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾**(٢).

فلما نزل القرآن أتي رسول الله ﷺ بالسلاح فردّه إلي رفاعة فقال قتادة لما أتيت عمي بالسلاح - وكان شيخاً قد عشا أوْعسا(٣)- الشك من أبي عيسي - فى الجاهلية ، وكنت أرى إسلامه مدخولاً ، فلما أتيته قال : يا ابن أخي هو فى سبيل الله، فعرفت أن إسلامه كان صحيحاً ، فلما نزل القرآن لحق بشير بالمشركين فنزل على سلافة بنت سعد بن سمية فأنزل الله تعالى : **﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيراً *إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضَلَّ ضلالاً بعيداً﴾**(٤).

فلما نزل على سلافة رماها حسان بن ثابت بأبيات من شعر ، فأخذت رحله فوضعته على رأسها ، ثم خرجت به فرمت به فى الأبطح ، ثم قالت : أهديتَ لى شعْر حسان ماكنت تأتينى بخير(٥).

قال أبَو عيسى : هذا حديث غريب لانعلم أحداً أسنده غير محمد بن سلمة الحرانيّ . وروى يونس بن بكير وغير واحد هذا الحديث ، عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسلاً ، لم يذكروا فيه عن أبيه عن جده. وقتادة بن النعمان هو أخو أبي سعيد الخدريّ لأمه . وأبو سعيد اسمه

---

(١) النساء : ١٠٦ - ١١٠ .

(٢) النساء : ١١١ - ١١٤ .

(٣) هو بالسين المهملة ، أى كبر أُسَنَّ من عسا القضيب إذا يبس ، وبالمعجمة ، أى قلَّ بصره وضعف .

(٤) النساء : ١١٥ - ١١٦ .

(٥) (تحفة الأحوذي) : ٨ / ٣١٣ - ٣١٦ ، أبواب تفسير القرآن ، سورة النساء ، حديث رقم (٣٢٢٨) ، ومنه تصويب النص فى (الأصل) .

سعد بن مالك بن سنان] [١] .

والضَّحاك بن خليفة الأشهلي [٢] ، وفرحان حليف بني ظفر لايعرف نسبه

(١) مابين الحاصرتين زيادة للسياق من (المرجع السابق) .

وجاء في (ديوان حسان بن ثابت) : وكان ابن أبيرق طرح الدرعين في منزل يهودي ليبرأ منهما ويؤخذ بهما اليهوديّ ، فلما أنزل الله تعالى : **﴿ولا تجادل عنالذين يختانون أنفسهم إن الله لايحب من كان خواناً أثيماً﴾** ، فرق النبيّ ﷺ من أن يقيم عليه الحد ، فلحق بمكة ، فنزل على سلافة بنت سعد بن شهيد الأنصارية وهي أم بني طلحة بن بني طلحة كلهم إلا الحارث بن طلحة ، وقتل بنوها كلهم بأحد كفاراً إلا عثمان بن طلحة ، ومنه أخذ النبي ﷺ مفتاح الكعبة ثم رده عليه ، فقتل مسافع وكلاب والجلاس بنو طلحة يوم أحد ، ومكث ابن أبيرق عند السلافة ، فبلغ ذلك حسان ، فهو قوله :

ماسارق الدرعين إن كنت ذاكراً ... بذى كرم من الرجال أواعه .

وقد أنزلته بنت سعد فأصبحت ... ينازعها جلد استها وتنازعه .

فهلا زسيداً جئت جارك راغباً ... إليه ولم تعمد له فترافعه .

ظننتم بأن يخفى الذي قد صنعتمُ ... وفينا نبيّ عنده الحكم واضعه .

فلولا رجال منكم أن يسوءهم ... هجاى لقد حلت عليكم وطولعه .

فإن تذكروا كعباً إذا مانسيُتمُ ... فهل من أديم ليس فيه أكارعه .

هم الرأس والأذناب في الناس أنتمُ ... ولم تك إلا في الرءوس مسامعه .

يريد بذلك بني عبد الدار . يقول : فإن انتسبتم إلي كعب بن لؤى فأنتم أكارع لستم فيه برءوس . كما يتضح ذلك في البيت السادس . (ديوان حسان بن ثابت) : ٢٨٥ - ٢٨٦ ، مختصراً .

(٢) هو الضحاك بن خليفة بن ثعلبة بن عديّ بن كعب بنعبد الأشهل الأنصاريّ الأشهليّ . قال أبو حاتم : شهد غزوة بني النضير ، وله ذكر ، وليست له رواية . وقال أبو عمر بن عبد البر : هو ولد أبي جبيرة بن الضحاك ، شهد أحداً ، وعاش إلى خلافة عمر بن الخطاب - رضى الله تبارك وتعالى عنه - . قال ابن سعد : كان مغموصاً عليه ، وهو الذى تنازع هو ومحمد بن مسلمة في الساقية ، فترافعا إلى عمر - رضى الله تبارك وتعالى عنه - فقال لمحمد : ليمرن بها ولو على بطنك .

وقال ابن شاهين : سمعت ابن أبي داود يقول : هو الذى قال رسول الله ﷺ عنه : يطلع عليكم رجل من أهل الجنة ذو مسحة من جمال ، زنته يوم القيامة زنة أُحد . فاطلع الضحاك بن خليفة ، قال : وهو الذى اشترى نفسه من ربه بماله الذى يدعى مال الضحاك بالمدينة . =

ويكني أبا الغيراق ، رمي يوم أحد [١]. وزرارة بن عمير العبدري ، ويقال أبو زيد[٢] بن عمير ، وقيل : قاسط بن شريح العبدري وقطع يد صؤاب الحبشيّ مولي بني عبد الدار . ثم رماه فقتله وكان قزمان قد امتنع من الخزرج يوم أحد حتي عيّرته النساء وقلن : إنما أنت امرأة ! فأخذ سيفه وقوسه ، وقائل حيّةً

= قال الحافظ : بين هذا الكلام وكلام ابن سعد بون ؛ والذى رأيته فى (ديوان حسان) رواية أبى سعيد السكرى : وقال يهجر الضحاك بن خليفة الأشهليّ فى شأن بنى قريظة ، وكان أبو الضحاك منافقاً ، وهو جد عبد الحميد بن أبي جبيرة ، فذكر شعراً :

ألا أبلغ الضحــاك أن عــروقه ... أعيت على الإســلام أن تتجمــدا .

أتحـب يُهـدان الحجـاز وذينهـم ... كبــد الحمــار ولاتحب لحمــدا .

وإذا نشــالك ناشـئ ذو غــرة ... فَــهُ القــؤاد أمــرتَهُ فتهــودا .

لو كنــت منــا لـم تخالف ديننا ... وتبعــت دين عتيـد حين تشـهدا .

دينــاً لعمــركمـايوافـق ديننا ... ما اســتنّ آل بالبــديّ وخــودا .

وعنيد : رجل من الأنصار تشهد عند موته شهادة الحق قبل أن يصير رسول الله ﷺ إلى المدينة .

قال الحافظ : فلعل هذا سلف ابن سعد ، لكنه فى والد الضحاك لافيه . وذكر ابن إسحاق فى غزوة تبوك قال : وبلغ النبيﷺ أن ناساً من المنافقين يجتمعون فى بيت شويكر اليهوديّ يثبطون الناس عن الغزو ، فبعث طلحة فى قوم من الصحابة وأمره أن يحرق عليهم البيت ، ففعل ؛ فاقتحم الضحاك بن خليفة من هر البيت فانكسرت رجله وأفلت . وقال ثمة ذلك :

كادت - وبيت الله - نار محمدٍ ... يسـقط بها الضحاك وابن أبيرق

ســلام عليكم لا أعود لمثلهــا ... أخـاف ومن يشمل به الريح يحرق

وكأنه كان كما قال ابن سعد : ثم تاب بعد ذلك وانصلح حاله .

(الإصابة) : ٣/٤٧٥ - ٤٧٦ ، ترجمة رقم (٤١٦٦) ، (الاستيعاب) : ٢/٧٤١ ، ترجمة رقم (١٢٤٩) ، (ديوان حسان بن ثابت) : ٣٠٦ .

(١) لم أجد له نسباً ولا ترجمة ولاذكراً فيما بين يدى من كتب السيرة .

(٢) فى الأصل) : يزيد ، وماأثبتناه من (ابن هشام) حيث قال فى ذكر من قتل من المشركين يوم أحد : وأبو زيد بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، قتله قزمان . (سيرة ابن هشام): ٤/٨٤ .

وأنفةً لقومه ، وجعل يقول : قاتلوا معشر الأوس عن أحسابكم ، فالموت خير من العار والفرار ! وكان النبي ﷺ يقول : قزمان في النار ، فأثبت يوم أحد ، فحمل إلى دار بين ظفر ، فقيل له : أبشر أبا الفيراق بالجنة ! فقد أبليت اليوم وأصابك ماترى، فقال : أي جنة ؟ والله ماقاتلت إلا حميةً لقومي ، فلما اشتدَّ به الوجع أخرج سهماً من كنانته فقطع به رواهش يده فقتل نفسه، وفيه يقول ﷺ : إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر [١].

وأبو عامر [عبد][٢] عمرو بن صيفي [بن مالك][٢] بن نعمان بن ضبيعة بن زيد[٣] وقيل : هو أبو عامر عمرُ بن صيفي بن زيد بن أمية بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف من الأوس . وقال مكي : أصله من الروم، كان يناظر أهل الكتاب ، ويميل إلى النصرانية، ويتبع الرهبانية ويألفهم، ويكثر الشخوص إلى الشام، فسمي الراهب ، فلما ظهر أمر رسول الله ﷺ حسده ، ففرَّ إلى مكة ووقاتل مع قريش يوم أحد ، فسماه رسول الله ﷺ أبا عامر الفاسق، فلما فتحت مكة لحق بهرقل هارباً إلى الروم بالشام ، فمات هناك فتخاصم في ميراثه كنانة بن عبد ياليل الثقفيّ ، وكان ممن حسد رسول الله ﷺ فشخص إلى الشام .

---

(١) رواه البخاري فى الجهاد ، باب إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ، وفى المغازى ، باب غزوة خيبر ، وفى القدر ، باب العمل بالخواتيم، ورواه مسلم فى الإيمان ، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه ، حديث رقم (١١١) راجع (جامع الأصول) : ١٠/ ١٩ ومابعدها ، حديث رقم (٧٧٣٨) .

(٢) زيادة للنسب من (ابن هشام) .

(٣) قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن أبا عامر عبد عمرو بن صيفي بن مالك بن النعمان، أحد بني ضبيعة ، وقد كان خرج حين خرج إلى مكة مباعداً لرسول الله . معه خمسون غلاماً من الأوس، وبعض الناس كان يقول : كانوا خمسة عشر رجلاً ، وكان يعد قريشاً أن لو قد لقي قومه لم يختلف عليه منهم رجلان . فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر فى الأحابيش عبدان أهل مكة ، فنادى : يامعشر الأوس ! أنا أبو عامر ، قالوا : فلا أنعم الله بك عيناً يافاسق .

وكان أبو عامر يسمى فى الجاهلية : الراهب ، فسماه رسول الله ﷺ : الفاسق ، فلما سمع ردهم عليه قال: أصاب قومي بعدي شرّ ، ثم قاتلهم قتالاً شديداً ، ثم راضحهم [راماهم] بالحجارة . (سرة ابن هشام) : ٤/١٣-١٤ ، أبو عامر الفاسق .

وعلقمه بن علاثة(١) ، وكان بالشام أيضاً وكان مسلماً ، ويقال : بل كان مشركاً ، ثم إنه أسلم ، فحكم صاحب الروم بدمشق بسرار ، أى لعامر ولكنانة ابن عبد ياليل لأنه من أهل المدر، وحرمه علقمة لأنه بدوي . وقال الهيثم بن عدي : كان أبو عامر يهم بالنبوة فلما ظهر أمر رسول الله ﷺ وهاجر وَحَسَدَه ، فهرب إلي مكة فقاتل ، ثم أتى الشام .

وقال الواقدى(٢) :هرب أبو عامر إلى مكة ، وكان يقاتل مع المشركين، فلما فتحت مكة هرب إلى الطائف ، فلما أسلموا هرب إلى الشام، فدفع ميراثه إلى كنانة بن عبد ياليل الثقفي(٣)، وكان ممن هرب أيضاً ،

وذكر ابن إسحاق أن أبا عامر أتى رسول الله ﷺ حين قدم المدينة قبل أن يخرج إلى مكة فقال : ما هذا الدين الذى بعث به ؟ فقال : جئت بالحنفية دين إبراهيم قال : فأنا عليها ، قال رسول الله ﷺ : إنك لست عليها ؟ قال : بلى أدخلت يامحمد في الحنيفية ماليس فيها قال : مافعلت ولكن جئت بها بيضاء نقية ، قال الكاذب ، أماته الله طريداً غريباً وحيداً - يعرض برسول الله - : أى أنك جئت بها كذلك ، قال رسول الله ﷺ : أجل فمن كذب فعل الله تعالى

---

(١) كان ممن خرج مع أبي عامر الفاسق : علقمة بن عُلاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، وكنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير الثقفى ، فلما مات اختصما في ميراثه إلى قيصر - صاحب الروم - فقال قيصر : يرث أهل المدر أهل المدر [من يسكنون المدن] ، ويرث أهل الوبر أهل الوبر [البدو الذين يسكنون الخيام فى الصحراء] ، فورث كنانة بن عبد ياليل بالمدر دون علقمة .(سيرة ابن هشام) : ١٢٨/٣ - ١٢٩ .

(٢) (مغازى الواقدى) : ٢٠٥/١ .

(٣) هو كنانة بن عبد ياليل الثقفيّ ، كان رئيس ثقيف فى زمانه : قال أبو عمر : كان من أشراف ثقيف الذين قدموا على رسول الله ﷺ بعد حصار الطائف فأسلموا ، وكذا ذكره ابن إسحاق ، وموسى بن عقبة ، وغير واحد . وذكر المدائنيّ أن وفد ثقيف أسلموا إلا كنانة ، فإنه قال : لايرثنى رجل من قريش ، وخرج إلى نجران ، ثم توجه إلى الروم فمات كافراً بها .

ويقوى كلام المدائني ماحكاه ابن عبد البر فى ترجمة حنظلة بن أبي عامر الراهب [الفاسق] : أن أبا عامر لما أقام بأرض مرغماً للمسلمين وتنصر ، فمات عند هرقل ، فاختصم فى ميراثه علقمة بن علاثة العامريّ ، وكنانة بن عبد ياليل الثقفيّ إلى هرقل ، فدفعه لكنانة لكونه من أهل المدركأبي عامر . (الإصابة) : ٦٦٩/٥، ترجمة رقم (٧٥٣٦)، (الاستيعاب) : ١/ ٣٨٠ ، ترجمة رقم (٥٤٩) ، ٣/ ١٣٣٠ ، ترجمة رقم (٢١٧) .

ذلك به فكان هو ذلك عدو الله ، خرج إلى مكة فلما افتتح رسول الله ﷺ مكة خرج إلى الطائف ، فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام فمات بها سنة تسع، وقيل : سنة عشر من الهجرة ، طريداً وحيداً غريباً(١) وابنه حنظلة العبد استشهد يوم أحد - رضى الله تبارك وتعالى عنه-(١)

وذكرالمعتمر بن سليمان ، عن أبيه - وقد ذكر حديث الهجرة - قال : فلما عدنا المدينة لقي أبا عامر وهو يسيح في الأرض وهو الراهب ، وكان يدعى الراهب من شدة تعبده وتألهه ، فقال لرسول الله ﷺ من أنت؟ قال : أنا رسول الله ، فقال يامحمد لقد حُدِّثْتُ عنك قبل أن أراك حديثاً ماأدري لعله سيكون كذلك ! فقال رسول الله ﷺ : ما هو ؟ قال : حُدِّثتُ أنك تفرق بين الاثنين ، ولي ابن يقال له حنظلة ، فهبه لي ولا تفرق بيني وبينه ، فقال رسول الله ﷺ: أنا لستُ كذلك ، ولكن جئتُك يا أبا عامر وقومك بالهدي ، والبصيرة من

---

(١) (سيرة ابن هشام) : ١٢٨/٣ ، جزاء ابن صيفى لتعريضه به ﷺ .

(٢) هو حنظلة بن أبي عامر بن صيفي بن مالك بن أمية - أو ابن صيفي بن زيد بن أمية ، أو ابن صيفي بن النعمان بن مالك بن أمية - ابن ضبيعة بن زيد بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاريّ الأوسيّ، المعروف بغسيل الملائكة .

وكان أبوه فى الجاهلية يعرف بالراهب ، واسمه عمرو ، ويقال : عبدعمرو ، وكان يذكر البعث ودين الحنفية ، فلما بُعث النبيّ ﷺ عانده وحسده وخرج عن المدينة ، وشهد مع قريش وقعة أحد ، ثم رجع مع قريش إلى مكة ، ثم خرج إلى الروم فمات بها سنة تسع ، ويقال : سنة عشر ، وأعطى هرقل ميراثه لكنانة بن عبد ياليل الثقفيّ . وأسلم ابنه حنظلة فحسن إسلامه ، واستشهد . لايختلف أصحاب المغازى فى ذلك .

وروى ابن شاهين . بإسناد حسن إلى هشام بن عروة عن أبيه ، قال : استأذن حنظلة بن أبي عامر، وعبد الله بن أبيّ ابن سلول ، رسول الله ﷺ الزبير ، عن أبيه عن جده قال : كان حنظلة بن أبي عامر الغسيل التقى هو وأبو سفيان بن حرب ، فلما استعلى حنظلة رآه شداد بن شعوب فعلاه بالسيف حتى قتله ، وقد كاد يقتل أبا سفيان ، فقل النبي ﷺ : إن صاحبكم تغسله الملائكة ، فاسألوا صاحبته ، فقالت : خرج وهو جنب لماسمع الهيعة . فقال النبي ﷺ : لذلك تغسله الملائكة . (الإصابة) : ١٣٧/٢ ، ترجمة رقم (١٣٧) ، (الاستيعاب) : ١/ ٣٨٠-٣٨٢ ، ترجمة رقم (٥٤٩) ، (سيرة ابن هشام) : ١٢٧/٣ .

العمى ، فقال له أبو عامر : ليس كما تقول ، فادع الله على الكذاب ، فقال رسول الله ﷺ : أمات الله الكذاب ضالاً ذليلاً تائهاً في الأرض .

وقال حماد بن زيد : أخبرنا أيوب بن سعيد بن جبير بن بني عمرو بن عوف ، ابتنوا مسجداً فصلى بهم فيه رسول الله ﷺ فحسدهم إخوتهم بنو غنم ابن عوف فقالوا : لو بنينا أيضاً مسجداً وبعثنا إلى رسول الله ﷺ فصلى بنا فيه كما صلى في مسجد أصحابنا ، ولعلّ أبا عامر أن يمر بنا إذا أتى من الشام فيصلي بنا فيه كما صلى في مسجد أصحابنا ، فلماقام رسول الله ﷺ لينطلق إليه أتاه الوحي فنزل فيهم : **﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله﴾**(١) قال : هو أبو عامر .

وقال حماد بن سلمة عن هشام بن عروة ، عن أبيه : أنه قال في هذه الآية **﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل﴾** قال : كان سعيد بن حسمة بنى مسجداً فينا وكان موضعه لليلة تربط فيه حمارها فقال : أهل مسجدا النفاق أنحن نسجد في موضع يربط فيه حمار له ؟ لا ولكننا نتخذ مسجداً نصلي فيه حتى يجيئنا أبو عامر فيصلي بنا فيه ، وكان أبو عامر قد فَرَّ من الله ورسوله إلى أهل مكة ثم لحق بالشام فتنصَّر ، فأنزل الله تعالى فيه : **﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل﴾**(١) يعني أبا عامر ، فبعث رسول الله ﷺ لما نزل القرآن إلى ذلك المسجد قالوا : حفره قوم من المنافقين، مسجد رسول الله ﷺ فجعلوا يضحكون ، ويلعبون ، ويهربون ، فأمر رسول الله ﷺ بإخراجهم .

(١) التوبة : ١٠٧ .

طرد المنافقين من المسجد[1]

فقام أبو أيوب إلي قيس بن عمر بن قيس فجرٌ برجله حتي أخرجه من المسجد ، وقام عمارة بن حزم إلي زيد بن عمرو وكان طويل اللحية فأخذ بلحيته فقاده بها قوداً عميقاً حتي أخرجه ، وقام رجل من بني عمرو بن عوف إلى زُويّ بن الحارث فأخرجوا جميعاً.

ووديعة بن ثابت أحد بني عمرو بن عوف ممن بني مسجد الضرار، وهو الذي قال : ﴿ إنما كنا نخوض ونلعب ﴾ فأنزل الله عز وجل فيه :﴿ ولئن سألتهم

---

(١) هذا العنوان من (ابن هشام) ، حيث قال : وكان هولاء المنافقون فى المسجد يحضرون فيستمعون أحاديث المسلمين ، ويسخرون ويستهزئون بدينهم ، فاجتمع يوماً في المسجد منهم ناس ، فرآهم رسول اله ﷺ يتحدثون بينهم خافضي أصواتهم ، قد لصق بعضهم ببعض ، فأمر بهم رسول الله ﷺ فأخرجوا من المسجد إخراجاً عنيفاً .

فقام أبو أيوب ، خالد بن زيد بن كليب ، إلي عمر بن قيس ، أحد بني غنم بن مالك بن النجار - كان صاحب آلهتهم فى الجاهلية - فأخذ برجله فسحبه حتى أخرجه من المسجد وهو يقول : أتخرجنى يا أبا أيوب من مربد بنى ثعلبة ؟

ثم أقبل أبو أيوب أيضاً إلي رافع بن وديعة أحد بنى النجار ، فلببه بردائه - ثم نثره نثراً شديداً، ولطم وجهه، ثم أخرجه من المسجد ، وأبو أيوب يقول له : أف لك منافقاً خبيثاً ، أدراجك يامنافق من مسجد رسول الله ﷺ وقام عمارة بن حزم إلى زيد بن عمرو - وكان رجلاً طويل اللحية - فأخذ بلحيته فقاده قوداً عنيفاً حتى أخرجه من المسجد ، ثم جمع عمارة يديه فلدمه بهما فى صدره لدمة خرٌ منها . قال : يقول خد شْتنى ياعمارة ، قال :أبعدك الله يامنافق ، فما أعد الله لك من العذاب أشد من ذلك ، فلا تقربنّ مسجد رسول الله ﷺ .

وقام أبو محمد - رجل من بني النجار ، كان بدرياً - وأبو محمد مسعود بن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك النجار : إلى قيس بن عمرو بن سهل - وكان قيس غلاماً شاباً، وكان لايعلم فى المنافقين شاب غيره- فجعل يدفعه فى قفاه حتى أخرجه من المسجد .

وقام رجل من بني الخدرة بن الخزرج ، رهط أبى سعيد الخدريّ يقال له : عبد الله بن =

ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب ﴾ [1] الآية .

وعبد الله بن أُبيّ ، وهؤلاء النفر هم الذين كانوا ينتسبون إلى بني النضير حين حاصرهم رسول الله أن اثبتوا ، فنزل فيهم : **﴿ لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولاتطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون ﴾** [2] إلى قوله تعالى : **﴿ إني أخاف الله ربّ العالمين ﴾** [3]، ولم يكن في بني عبد الأشهل منافق ولامنافقة ، إلا أن الضحاك بن خليفة بن ثعلبة [4] أحد بني كعب، [5] كان كاتبهم بذلك.

وأما اليهود

من هاد يهود ، إذا رجع، فسموا يهود لأنهم رجعوا عن الحق ويقال أيضاً : هاد يهود. إذا رجع إلى الحق ومنه : **﴿ إنا هدنا إليك ﴾** [6] ويقال : سموا يهود لأنهم نسبوا إلى اليهود الناعور وقيل : لأنهم يهودون يوم السبت ؛ أي يسكنون من هود القوم إذا هُدوا فإنهم كانوا أهل يثرب ، ويثرب [7] اسم رجل من العماليق، وكانوا يسمون المنازل التى ينزلونها بأسمائهم وهو يثرب بن قانيه

= الحارث حين أمر رسول الله ﷺ بإخراج المنافقين من المسجد إلى رجل يقال له : الحارث بن عمرو - وكان ذاجُمة - فأخذ بجمته ، فسحبه بها سحبا عنيفاً، على ما مرَّ به من الأرض حتى أخرجه من المسجد ، قال : يقول المنافق : لقد أغلظت يا ابن الحارث ، فقال له : إنك أهل لذلك ، أي عدو الله لما انزل الله فيك ، فلا تقربَنّ مسجد رسول الله (ص) فإنك فإنك نجس.

وقام رجل من بنى عمرو بن عوف إلى أخيه زُوَيّ بن ، فأخرجه من المسجد إخراجاً عنيفاً وأفف منه - قال : غلب عليك الشيطان وأمره .فهولاء من حضر المسجد يومئذ من المنافقين، وأمر رسول الله ﷺ بإخراجهم . (سيرة ابن هشام) : ٣/٦١-٦٣.

(٢) (المرجع السابق): ٥٦ ، (البداية والنهاية) ٣/٢٩٢ .

(١) التوبة : ٦٥.

(٢) الحشر : ١١.

=

ابن مهلائيل بن إرم بن عوض بن عبيل بن إرم بن سام بن نوح .

وقيل : يثرب بن قائن بن عبيل بن مهلائيل بن عوض بن عملاق بن لاوذ بن إرم، فلما أقبلت العماليق من مكة أخرجت عبيل من يثرب وأنزلتهم الجحفة فجاءهم سيل فأجحفهم فسميت الجُحفة بذلك وفى ذلك يقول رجل منهم :

عيني جودا على عبيل وهل يرجع مافات فيضها بانسجام
عمرو يثرباًوليس بها تعود ولا صارخ ولا ذو وسام
عرسوا إليها بمجرى معين ثم حقوا النخيل بالأجسام

ويقال سميت يثرب بيثرب بن قائن بن عبيل بن مهلائيل بن عوض بن عملاق لاوى بن إرم فلما كانت أيام بني إسرائيل ، جعلت العماليق تغير عليهم من أرض الحجاز ومساكنهم يومئذ يثرب والجحفة إلى مكّة، وكانوا أهل عزّ ومنعة وشديدة وكان ساكنو يثرب منهم بنو هِنْب وبنو سعد، وبنو الأزرق ، وبنو مطروق ، فشكتْ بنو إسرائيل ذلك إلى موسى عليه السلام ، فوجه اليهم جيشاً وأمّر عليهم أن يقتلوهم ، ولا يبقوا منهم أحداً ، و كان ملك العماليق آنذاك الأرقم بن أبى الأرقم ، يقوم مابين تيماءً.(١٠) إلي فدك ، ولهم بها نخل كثير وزرع فسأل بنو إسرائيل وواقعوا لهم وتركوا منهم ابن ملك لهم كان غلاماً حسناً فرقوا له ثم رجعوا إلي الشام ، وقد مات موسى عليه السلام فقالت بنو

= (٣) الحشر : ١٦

(٤) فى (الأصل) :" ثابت "، وصوبناه (المرجع السابق) .

(٥) (جمهرة النسب) : ٦٣٥ ، (الاشتقاق) : ٣٤٣ - ٤٤٤ .

(٦) الأعراف : ١٥٦ ، (لسان العرب) : ٤٣٩/٣.

(٧)قال أبو القاسم الزجاجي : يثرب مدينة رسول الله ﷺ ، سميت بذلك لأن أول من سكنها عند التفرق يثرب بن قانية بن مهلائيل بن إرم بن عبيل بن عوض بن إرم بن سام ابن نوح عليه السلام .

وقال ابن عباس - رضى الله تبارك وتعالى عنه -: من قال للمدينة يثرب فليستغفر الله ثلاثاً، إنما هي طيبة . وقال النبى ﷺ لما هاجر : اللهم إنك أخرجتنى من أحب أرضك إليّ ، فأسكنى أحب أرضك إليك ، فأسكنه المدينة . (معجم البلدان) : ٤٩٣/٥، موضع رقم (١٢٨٣١) مختصراً. =

إسرائيل لهم : قد عصيتم وخالفتم الآباء فقالوا نرجع إلي البلاد التى غلبنا عليها فنكون بها ، فرجعوا إلي يثرب فاستوطنوها وتناسلوا بها ، إلي أن نزلت عليهم الأوس والخزرج بعد سيل العرم كما تقدم ذكره عند ذكر الأنصار

ويقال : بل كان نزولهم أولاً من نواحى العالية [1] ، وانحدر بها الآطام والأموال والمزارع ، فلبثوا في نواحيه زماناً طويلاً حتى ظهرت الروم على بني إسرائيل وخرج بنو قريظه ، والنضير، و بنو هذيل من يثرب ونزلوا الغابة [2] ثم تحولوا عنها لوبائها إلى عدة مواضع من نواحي يثرب والحدم[3]

ويقال : بل كان نزول اليهود بيثرب حين وطئ بختنصر بلادهم بالشام وخرب بيت المقدس ، فحينئذ لحق من لحق منهم بالحجاز ، كقريظة ، والنضير ، وسكنوا خيبر ، ويثرب ، حتى قدمت الأوس والخزرج عليهم ، وكانت لهم معهم حروب ظهرت عليهم اليهود كما مر ذكره ، فلما هاجر رسول الله ﷺ حاربته

= قال الكلبيّ : إن العماليق أخرجوا بنى عقيل ، وهم إخوة عاد بن ربّ ، فنزلوا الجحفة ، وكان اسمها يومئذ مهيعة ، فجاءهم سيل واجتحفهم ، فسميت الجحفة

ولما قدم النبى ﷺ المدينة استو بأها وحمّ أصحابه ، فقال اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة أو أشدّ ، وصحّها ، وبارك لنا فى صاعها ومدها ، وانقل حمّاها إلي الجحفة.

وري أن النبى (ص) ، نعس ليلة فى بعض أسفاره ، إذ استيقظ ، فأيقظ أصحابه وقال : مرّت بي الحمى فى صورة امرأة ثائرة الرأس - منطلقة إلى الجحفة .(معجم البلدان) : ١٢٩/٢ ، موضع رقم (٢٩٥٥)

(١٠) تيماء - بالفتح والمد- : بليد فى أطراف الشام ، بين الشام ووادى القرى - على طريق حاج الشام ودمشق ، وهى من أمهات القرى على سبع ليال من المدينة المكرمة (معجم البلدان) : ٧٨/٢ موضع رقم (٢٧٣٦)

(١) العالية : اسم لكل ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعمائرها إلى تهامة فى العالية . قال أبو منصور : عالية الحجاز أعلاها بلداً وأشرفها موضعاً، وهى بلاد واسعة ، ومن حديث عائشة -(ر) - : أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسنح - قال إسماعيل يعنى بالعالية [ذكره البخارى فى كتاب فضائل أصحاب النبى ﷺ

(٢) الغابة : موضع قرب المدينة من ناحية الشام ، فيه أموال لأهل المدينة . قال الواقدى =

اليهود وعادته ، وحمله من كان منهم بالمدينة وخيبر ، إنما هم قريظة ، والنضير ، وبنو القينقاع ، وهذيل ، إلا أن في الأوس والخزرج من تهوّد وكان من نسائهم من ستنذر إذا ولدت إن عاش ولدها أن تهوّده لأن اليهود كانواعندهم أهل علم وكتاب في هؤلاء الأبناء الذين تهودوا ، ونزلت فيهم : ﴿ **لا إكراه في الدين** ﴾ [1] حين أراد آباؤهم إكراههم على الإسلام .

قال ابن إسحاق [2] : ونصبت عند ذلك أحبار يهود لرسول الله ﷺ العدواة بغياً ، وحسداً ، وضغناً ، لما خصّ الله تعالي [3] العرب من أخذه رسوله ﷺ منهم وانضاف إليهم من رجال من الأوس والخزرج ممن كان عسى [4] على جاهليته ، فكانوا أهل نفاق على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث ، إلا أن الإسلام قهرهم بظهوره واجتماع قومهم عليه ، فظهروا بالإسلام ، واتخذوه جُنَّةً من القتل ، ونافقوا في السر ، وكان هواهم مع يهود لتكذيبهم النبى ﷺ وجحودهم الإسلام ، وكانت أحبار يهود هم الذين يسألون رسول الله ﷺ [3] ويتعنتونه ، ويأتونه باللبس ليلبسوا الحق بالباطل ، فكان القرآن ينزل فيهم فيما يسألون عنه ، إلا قليلاً من المسائل في الحلال والحرام ، وكان المسلمون يسألون عنها .

فمن بني النضير

حيي بن أخطب وأخوه وأبو ياسر بن آخطب وجدي بن أخطب ، وفيهم وفي نظرائهم ، نزل قوله تعالى : ﴿ **إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا**

=

(٢) الغابة بريد من المدينة علي طريق الشام ، وصنع منبر رسول الله ﷺ من طرفاء الغابة، وروى محمد بن الضحاك عن أبيه قال : كان العباس بن عبد المطلب يقف على سلع جبل فينادي غلمانه وهم بالغابة فيسمعهم ، وذاك من آخر الليل وبين سلع والغابة ثمانية أميال (المرجع السابق) : ٢٠٦ ، موضع رقم (٨٧٢٩) مختصراً

(٣) الحدم في الأصل : شدة إحماء حرّ الشمس للشئ، وهو اسم موضع .(معجم البلدان) :٢/٢٦٤، موضع رقم (٣٥٥٢)

(١) البقرة : ٦

=

يؤمنون ﴾ [1] **إلي قوله :﴿عذاب عظيم﴾** [2]

وسلامة بن مشكم نزل عليه أبوسفيان بن حرب وقال فيه أشعاراً:

سقاني فرواني عقاراً سلامة ... على ظمأ مني سلام بن مشكم

كذلك أبو عمرو يجود وداره ... بيثرب مأوى كل أبيض حصرم

وامرأة سلام هذا هي زينب بنت الحارث التى أهدت إلى رسول الله ﷺ شاة مسمومة . وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق . والربيع بن أبي الربيع بن أبي الحقيق وسلام بن أبى الحقيق . وكعب بن الأشرف الطائي، من بنى نبهان حليف بني النضير وأمه عقيله بنت أبى الحقيق ، وكان أبوه أصاب دماً فى قومه ، فأتى المدينة ، وكان كعب طوالاً جسيماً ذا بطن وهامة ضخمة، وهو الذي قال يوم بدر : بطن الأرض خير من ظهرها، هؤلاء ملوك الناس وسراتهم يعني قريشاً قد أصيبوا ، وخرج إلي مكة فنزل علي أبي وداعة بن صبرة وجعل يهجو المسلمين ، ورثا قتلي بدر ، فأمر رسول الله ﷺ حسان بن ثابت بهجاء من نزل كعب عنده حتى رجع المدينة .

وحجاج ومجدى ابنا عمرو ، حليفا كعب بن الأشرف ، وأبو رافع سعد بن حنيف كان متعوذاً بالإسلام ، وكان أعور ، قتله المسلمون بخيبر ، ورفاعة بن قيس ، وفنحاص ، سمع قول الله تعالى : **﴿ وأقرضوا الله قرضاً حسناً ﴾** [1] فقال : أراني أغنى من ربّ محمد حين استقرض منا فنزلت فيه : **﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ماقالوا ﴾** [2]

و محمود بن دحية ، وعمرو بن جحاش ، وعُزَيز بن أبي عُزيز، ونباش بن قيس ، وسعية بن عمرو ، ونعمان بن أوفى ، ومسكين بن أبى مسكين ، وزيد بن الحارث ، ورافع بن خارجة ، وأسير بن زارم ، ويقال : ابن رام ، كان يحرض على النبي ﷺ ويبسط لسانه فيه ، ثم أتي خيبر، فبعث رسول الله ﷺ من قتله وعدة من اليهود معه .

---

(٢) البقرة : ٧

(١) المزمل : ٢٠.

(٢) آل عمران :١٨١ ، وفى (الأصل) : " لقد كفر الذين قالوا ......"

ومخيريق أسلم وقاتل مع النبى ﷺ يوم أحد وأعطاه ماله فوقفه ويقال : إنه من بني قينقاع .

ومن بني قينقاع

كنانة بن صوير أو يقال : صوريا، وزيد بن اللصيت . قال الوقدى : كان يهودياً فأسلم فنافق ، وكان فيه خبث اليهود وغشهم وكان مظاهراً لأهل النفاق وهو الذى قال : زعم محمد أنه يأتيه خبر السماء وقد ضلت ناقته فليس يدرى أين هى ! فدله الله عليها فوجدها وقد تعلق خطامها بشجرة ، ويقال : إنه تاب من النفاق ، وكان خارجة بن زيد بن ثابت يُنكر توبته ويقول : لم يزل فسلاً حتى مات .

وسويد وداعى كانا منافقين يتعوذان بالإسلام ، ومالك بنْ أبي نوفل ، كان متعوذاً بالإسلام ، ينقل أخبار النبي ﷺ إلى يهود وهو حَبْرٌ من أحبارهم !!

ومن بني قريظة

الزبير بن باطا بن وهب ، وكعب بن أسد، وهو صاحب عقد بني قريظة الذى نقض عام الأحزاب . وعَزَّال بن شموأل ، وسهل ، ويقال : شمويل بن زيد ، ووهب بن زيد، وعدى بن زيد ، وكردم بن كعب وأسامة بن حبيب ، وقتل كردم ابن قيس حليف كعب بن الأشرف ، ورافع بن رميلة ، وكان متعوذاً بالإسلام، وهو الذى قال النبي ﷺ فيه يوم مات : لقد مات اليوم منافق عظيم النفاق .

ولبيد بن أعصم ؛ كان يتعاطى السحر ، وهو الذي سحر النبى ﷺ متعوذاً بالإسلام ، ورفاعة بن زيد بن التابوت ومعاوية بن التابوت وفيه قال رسول الله ﷺ : إذا رأيتم معاوية على منبرى فاقتلوه.لأنه كان نذر أن يقذّر المنبر ، أو قذّره ، والحارث بن عوف ، وشعبة بن عمرو البصري .

[ومن بني حارثة]

ومن بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس بن شيبة : كنانة بن صوريا.

ومن بني عبد الأشهل

يوشع وكان سيّر بالنبى ﷺ فلمابُعث آمن به بنو عبد الأشهل سواء، وفيه وفى صريانه نزل : ﴿ فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وللكافرين عذاب مهين ﴾

ومن بني ثعلبة بن الفطيون

عبد الله بن صوريا الأعور ولم يكن بالحجاز فى زمانه أحد أعلم بالتوارة منه و ذكر النقاش أنه أسلم ، وابن صلوبا ، ويقال : كان مخيريق منهم ، وكان حبرهم أسلم .

ومن بني قينقاع أيضاً

سعد بن حنيف بن سنحان ، وعبد الله صف ورفاعة بن قيس وفنحاص، وأشيع ونعمان بن آصا ، وساس بن قيس وساس بن عدي وزيد بن الحارث ، و نعمان بن عمرو، ومسكين بن أبى مسكين ، وعدي بن زيد ، ونعمان بن أبي أوفي ، و ومحمود بن دحية ، ومالك بن أصيف ، وكعب بن راشد ، وعازر ، ورافع بن أبي ، رافع ، وخلد، وآزار بن أبى أزار، ويقال : أزر بن أبي أزر، ويقال : آزر بن أبي أزر ، ورافع بن حارثة ، ورافع بن حريملة ، ورافع بن خارجة ، ومالك بن عوف

ومن بني قريظة أيضاً

جبل بن عمرو بن سكينة ، والنحام بن زيد ، ونافع بن أبى نافع ، وأبو نافع وكردم بن زيد ، وأسامة بن حبيب ، وجبل بن أبي قشير، ووهب بن يهوذا .

قال ابن إسحاق ـ وقد ذكر عدة ممن أوردت ـ ذكر هاهنا تتمة مفيدة وهي:

إن قال قائل : لم قبل رسول الله ﷺ من المنافقين إسلامهم مع علمه بنفاقهم ؟ قيل له : قبلهم عليه الصلاة والسلام لحكم منها : استجلاب من عاداهم من الكفار، وتأليف قلوبهم ، وإيثار لعدم تنافر خواطرهم عنه ، ومنها : الترجى

لدخول أهل النفاق فى الإسلام حقيقة ، وذلك أنهم إذا دخلوا فى الإسلام ظاهراً رأوا أدلته وبراهينه ، وشاهدوا محاسنة مشاهدةً لم تكن تحصل لهم مع عداوتهم للإسلام أصلاً ، فربما قادهم ذلك إلى الاخلاص فى إيمانهم ، ومنها : أنهم قد تولد لهم فى الإسلام أولاد ، فيكون ذلك راغباً لإسلامه على الحقية ، وهذا يشاهد في ذرية من أسلم فى زماننا .

وقيل للإمام مالك - رحمه الله - : لم يقتل الزنديق ، ورسول الله ﷺ لم يقتل المنافقين وقد عرفهم؟ فقال : إن رسول الله ﷺ لوقتلهم بعلمه فيهم وهم يظهرون الايمان لكان ذلك ذريعة إلي أن يقول الناس : يقتلهم للضغائن ، أو لما شاء الله تعالى غير ذلك ، فيمتنع الناس من الدخول فى الإسلام . وقد روى عن رسول الله ﷺ أنه عوتب فى المنافقين فقال : لا يتحدث الناس أنى أقتل أصحابى.

فصل فى ذكر من سبّ رسول الله ﷺ أو آذاه أو تنقصه أو وقع فيه

خرج أبو دواد[1] من حديث عباد بن موسى الختَّلى ، أخبرنا إسماعيل بن جعفر المدنى عن إسرائيل ، عن عثمان الشحام ، عن عكرمة ، قال : حدثنا ابن عباس ، أن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبىّ ﷺ وتقع فيه ، فينهاها فلا تنتهي، ويزجرها فلا تنزجر ، قال : فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع فى النبي ﷺ وتشتمه، فأخذ المغول [2] فوضعه فى بطنها ، واتكأ عليها فقتلها.

فوقع بين رجليها طفل فلطخت ما هناك بالدم ، فلما أصبح ذكر ذلك لرسول الله ﷺ فجمع الناس فقال : أنشد الله رجلاً فعل ما فعل ، لي عليه حق إلا قام ، فقام الأعمى يتخطى الناس وهو يتزلزل ، حتى قعد بين يدي النبى ﷺ فقال : يارسول الله أنا صاحبها : كانت تشتمك وتقع فيك فأنهاها فلا تنتهى وأزجرها فلا تنزجر ، ولى منها ابنان مثل اللؤلؤتين ، و كانت بي رفيقة ،

فلما كان البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك ، فأخذتُ المغول فجعلته في بطنها واتكأتُ عليها حتى قتلتُها ، فقال النبي ﷺ : ألا اشهدوا أن دمها هدر.

وخرجه الحاكم من حديث إسرائيل به نحوه وقال: حديث صحيح الإسناد

وقال ابن الكلبي: وعمير بن عدي بن خرشة القاريء ، ناصر رسول الله ﷺ كانت امرأة هجت النبي ﷺ فأتاها فقتلها في منزلها وقال ابن عبد البر : عمير الخطمي القاري من بني خطمه من الأنصار ، وكان أعمى كانت له أخت تشتم النبي ﷺ فقتلها فقال رسول الله ﷺ : أبْعَدَها الله .

قال المؤلف : هذا هو الذي ذكره ابن الكلبي ، فإن عمير بن عدي بن خرشة من بني خطمة وهو عبد الله بن جُشم بن مالك بن دوس .

ولأبي دواد(٢) من طريق جرير، عن مغيرة ، عن الشعبي ، عن علي - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : إن يهودية كانت تشتم رسول الله ﷺ وتقع فيه فخنقها رجل حتي ماتت ، فأبطل النبي ﷺ دمها .

وخرج الشيباني من حديث شعبة ، عن نبيح العنزي، عن عبد الله بن قدامة ابن عنزة ، عن أبي برزة الأسلمي قال : أغلظ رجل الصديق فقلت : أقتله ، فانتهرني وقال : ليس هذا لأحد بعد رسول الله ﷺ .

ومن حديث يزيد بن زريع ، حدثنا يونس بن عبيد ، عن حميد بن هلال ، عن عبد الله بن مطرف بن الشخير ، عن أبي برزة الأسلمى أنه قال : كنت عند أبى بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فتغيظ على رجل فاشتد عليه ، فقلت تأذن لى يا خليفة رسول ﷺ أضرب عنقه ؟ قال : فأذهبت كلمتى غضبه ، فقام فدخل فأرسل إليَّ فقال : ما الذى قلت آنفاً ؟ قلت : ائذن لى اضرب عنقه ، قال : أكنت فاعلاً لو أمرتك ؟ قلت : نعم ، قال : لا والله ، ما كانت لبشر بعد محمد ﷺ .وله عنده طرفاً أخر.

وقال محمد بن سهل : سمعت علىّ بن المدينى يقول : دخلت على أمير

المؤمنين فقال لي : أتعرف حديثاً مسنداً فيمن سبّ النبى ﷺ فيقتل ؟ قلت : نعم ، فذكرت له حديث عبد الدار ، عن معمر ، عن سماك بن الفضل ، عن عروة بن محمد ، عن رجل ممن لقينى قال : كان رجل يشتم النبى ﷺ فقال النبى ﷺ من يلقنى عدواً لى فقال خالد بن الوليد : أنا ، فبعثه إليه فقتله فقال أمير المؤمنين ليس هذا بسند ، أهو عن رجل ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين بهذا تعرف هذا الرجل ، وقد بايع النبى ﷺ وهو معروف ، فأمر لى بألف دينار ، قال ابن حزم : هذا صحيح يدين به من كفر من سب الرسول ﷺ قال : كل كفر شرك ، وكل شرك كفر وهما اسمان شرعيان أوقعهما الله تعالى على معنى واحد ، ونقلهما عن موضوعهما فى اللغة إلى كل من أنكر شيئا من دين الإسلام يكون بإنكاره معانداً للرسول ﷺ بعد بلوغ النذارة .

وقال الشيخ تقى الدين أبو الفتح السبكى وإيذاؤه ﷺ موجب القتل بدليل الحديث ، فذكره ، ثم قال : وهو حديث صحيح ولكن الأذى على قسمين :

أحدهما : يكون فاعله قاصداً لأذى النبى ﷺ ولا شك أن هذا يقتضى القتل وهذا كأذى عبد الله بن أبيّ في قصة الافك ، فالاجماع منعقد على أنه كفر ، فلذلك يستحق القتل ، ولكن الحق للنبى ﷺ فله تركه .

والآخر : لا يكون فاعله قاصداً لأذى النبى ﷺ ، مثل كلام مسطح ، وحمنة فى الافك ، فهذا لايقتضى قتل ، قال : ومن الدليل على أن الأذى لابد أن يكون مقصوداً ، قوله تعالى : ﴿ **إن ذلكم كان يؤذي النبي** ﴾ وهذه الآية نزلت في ناس صالحين من الصحابة فلم يقتض ذلك الأذى كفر، وكل معصية فاعلها مؤذ ومع ذلك فليس بكفر فالتفصيل فى الأذي الذى ذكرناه يتعين .قال: الاستهزاء به ﷺ كفرا ، قال الله تبارك وتعالى ﴿ **قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن . لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم** ﴾ .قال أبو عبيد القاسم بن سلام : فمن حفظ سطر بيت مما هجى به النبى ﷺ فهو كفر وقد ذكر بعض من

السلف فى الإجماع ، إجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجى به النبى ﷺ .

وقال ابن المنذر: ولا أعلم أحداً يوجب القتل دون عدة من الناس ، وكذلك إذا كان مقصوداً سواءً كان الأذى حقيقياً أو غير حقيقى ولا شيء من قصد أو أذى النبى ﷺ محتمل ، بل كله كفر موجب للقتل ، للحديث الذى قال : من يكفي عدوى؟ فانتدب له خالد - رضي الله تبارك وتعالى عنه - والأشهر أنه كفر للآية الكريمة ، وقوله ﷺ : من سبَّ نبياً فاقتلوه ، وإن يتب فهو عمدة فى أن قتله جداً لا يسقط بالتوبه ، كما يقوله المالكي ، لكن هذا الحديث لا نعلمه إلا بالإسناد المذكور ، يعنى من طريق ذكرها القاضي عياض ، عن الدارقطنيء، فذكره عن عبد العزيز بن محمد بن الحسن بن زبالة ، حدثنا عبد الله بن موسى ابن جعفر ، عن على بن موسى ، عن أبيه ، عن جده محمد بن على بن الحسين عن أبيه ، عن الحسين بن على ، عن أبيه قال : إن رسول الله ﷺ قال : من سب نبياً فاقتلوه ومن سب أصحابه فاضربوه ، قال فلم يظهر لنا من حاله شئ فلا يصح الاحتجاج بعمومه ، وجعل مناط القتل من غير توبة ولا استتابة ، وإن تاب هذا إنما يصحّ لو صحّ الحديث وذلك الوقت يحتمل أن يقال : إنه مشروط معدوم التوبة ، وإذا لم يصح فالقول بعدم التوبة لا ينتهى الكلام فيه ، فإن الجانبين خطران .

قال المؤلف : وقد رأيت أن أورد ما للفقهاء والمالكية فى هذه المسألة ، وأحكى كلام القاضى الفقيه أبى الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي رحمه الله فى كتاب (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) ﷺ قال القاضى عياض:

وقد تقدم من الكتاب والسنة وإجماع الأمة ما يجب من الحقوق للنبى ﷺ وما يتعين له من بر وتوقير وتعظيم وإكرام وبحسب هذا حرم الله تعالى أذاه فى كتابه واجمعت الأمة على متنقصة من المسلمين وسابْه ، قال الله تعالى : **﴿ إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً ﴾** وقال عز وجل **﴿ والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم ﴾** وقال تبارك وتعالى : **﴿ وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيماً ﴾** (٢) وقال جل وعلا فى تحريم

التعريض له ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا ﴾ [٤] الآية وذلك أن اليهود كانوا يقولون : راعنا يا محمد أى ارعنا سمعك واسمع منا و يعرضون بالكلمة يريدون الرعونة ، فنهى الله تعالى المؤمنين عن التشبه بهم ، وقطع الذريعة بنهى المؤمنين عنها لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق إلى شبه الاستهزاء به وقيل : بل لما فيها من مشاركة اللفظ لأنها عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت ، وقيل : بل لما فيها من قلة الأدب وعدم توقير النبى ﷺ وتعظيمه لأنه فى لغة الأنصار بمعني ارعنا نرعك ، فنهو عن ذلك مضمنه اذ أنهم لا يرعونه إلا برعايته لهم وهو ﷺ واجب الرعاية بكل حال، وهذا هو قول ﷺ قد أنهى عن التكني بكنيته فقال : تسموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى ، صيانة لنفسه وحماية عن أذاه إذا كان النبى ﷺ استجاب لرجل نادى : يا أبا القاسم ، فقال لم أعنك إنما دعوت هذا فنهى ﷺ حينئذ عن التكنى بكنيته لئلاً يتأذى بإجابة دعوة غيره ممن لم يدعه ، ويجد بذلك المنافقون والمستهزءون ذريعة إلى أذاه والإزراء به فينادونه ، فإذا التفت قالوا : إنما أردنا هذا لسواه، تعنيتا له وإستخفافاً بحقه على عادة المجان والمستهزئين، فحمى ﷺ حمى أذاه بكل وجه فحمل محققو العلماء نهية عن هذا على مدة حياته وأجازوه بعد وفاته ، لارتفاع العلة قال: وقد روى أنس ما يدل على كراهة التسمى بإسمه وتنزيهه عن ذلك إذا لم يوقر فقال : يُسمون أولادكم محمداً ثم تلعنوهمَ !! وروى أن عمر كتب إلى أهل الكوفة : لا يسمى أحد باسم الرسول ﷺ حكاه أبو جعفر الطبرى .

وحكى محمد بن سعد أن عمر نظر إلى رجل اسمه محمد ورجل يسبه ويقول: فعل الله بك يا محمد وصنع ، فقال عمر لابن أخيه محمد بن زيد بن الخطاب : آلا أرى محمداً ﷺ يسب بك والله لا تدعى محمداً مادمت حيا وسماه عبد الرحمن ، وأراد أن يمنع لهذا أن يسمى أحد بأسماء الأنبياء ، اكراماً بذلك وغير اسماءهم ، وقال لا تسموا بأسماء الأنبياء ، ثم أمسك ، قال والصواب جواز هذا كله بعده ﷺ بدليل إطباق الصحابة على ذلك وقد سمى جماعة منهم ابنه محمداً وكناه بأبى القاسم .

قال : اعلم أن جميع من سب النبى ﷺ أو عابه أو ألحق به نقصاً فى نفسه أو

نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله أو عرض أو شبّهه بشئ على طريق السب له أو الإزراء عليه أو التصغير بشأنه أو الغض منه ، والعيب له ، فهو ساب له والحكم فيه حكم الساب يقتل ولا يستثنى فصلا من فصول هذا الباب على هذا المقصد ولا يمترى فيه تصريحاً كان أو تلويحاً ، وكذلك من لعنه أو دعا عليه أو تمنى مضرة له ، أونسب إليه مالا يليق بمنصبه على طريق الذم أو عبث فى جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور أو غيره بشئ مما جرى من البلاء والمحنة عليه أو غمصة ببعض العوارض البشرية الجائزة المعهودة لديه ، وهذا كله إجماع من العلماء وأئمة الفتوى من لدن الصحابة عنهم إلي هلم جراً.

قال أبو بكر بن المنذر : أجمع عوام أهل العلم أن من سب النبى ﷺ يقتل وممن قال ذلك مالك بن أنس والليث ، وأحمد ، وإسحاق ، وهو مذهب الشافعى رحمة الله تبارك وتعالى عليهم ، قال القاضي : هو مقتضى قول أبي بكر الصديق ولا تقبل توبته عند هؤلاء وبمثله قال أبو حنيفة وأصحابه والثورى وأهل الكوفة والأوزاعيي فى المسلمين لكنهم قالوا : هى ردة وروى مثله الوليد بن مسلم عن وحكى الطبرى مثله عن أبى حنيفة وأصحابه فيمن ينقصه ﷺ أو برئ منه أو كذبة . قال سحنون فيمن سبه : ذلك ردة كالزندقة ولعل هذا أوقع الخلاف فى أستتابته وتكفيره وهل قتله حدً أو كفر لا يعلم خلافاً فى استباحة دمه بين علماء الأمصار وسلف الأمة وقد ذكر غير واحد الإجماع على قتله وتكفيره وأشار بعض الظاهرية وهو أبو محمد على بن أحمد الفارسي إلى الخلاف فى تكفير المستخف به والمعروف ما قدمناه .

قال محمد بن سحنون : أجمع العلماء أن شاتم النبي ﷺ المنتفص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله تعالى له ، وحكمه عند الأمة القتل ومن شك فى كفره وعذابه كفر .

احتج إبراهيم بن حسين بن خالد الفقيه فى مثل هذا بقتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة لقوله عن النبى ﷺ : صاحبكم

قال أبو سليمان الخطابى : لا أعلم أحداً من المسلمين اختلف فى قتله إذا كان مسلماً.

قـال ابن القـاسم عن مـالك فى(كـتـاب ابن سـحنون) و(المبـســوط) و(العتبية) : وحكاه مطرف عن مالك فى (كتاب ابن حبيب) من سبّ النبى ﷺ من المسلمين قتل ولم يستتب قال أبو القاسم فى (العتبيه) : من سبه أو شتمه أو عابه أو تنقصه ، فإنه يقتل وحكمة عند الأمة القتل كالزنديق ، وقد فرض الله تعالى توقيره وبره ﷺ.

وفى (المبسوط) عن عثمان بن كنانة : من شتم النبى ﷺ من المسلمين قتل أو صلب حياً ولم يستتب، والإمام مخير فى صلبه حياً أو قتله

ومن رواية أبي المصعب وابن أبى أويس ، سمعنا مالكاً يقول : من سب رســول الله ﷺ أو شتمه أو عابه أو تنقصه قتل ، مسلماً كان أو كافراً ، ولا يستتاب . وفى (كتاب محمد): أخبرنا أصحاب مالك أنه قال : من سبّ النبى ﷺ أو غيره من البشر من مسلم أو كافر قتل ولم يستتب .

وقال أصبغ : قتل على كل حال ؛ أسر ذلك أو أظهره ، ولا يستتاب ، لأن توبته لا تعرف . وقال عبد الله بن الحكم : من سب النبي ﷺ من مسلم أو كافر قتل ولم يستتب . و حكى الطبري مثله عن مالك .

وقال بعض علمائنا: أجمع العلماء على أن من دعى على نبي من الأنبياء بالويل أو بشيء من المكروه أنه يقتل بلا استتابة . وأفتى أبو الحسن القابسي فيمن قال فى النبي ﷺ الحمال يتيم أبى طالب ، بالقتل . وأفتى أبو محمد بن أبى زيد بقتل رجل سمع قوماً يبكون يتذاكرون صفة النبى ﷺ ، إذ مــرَّ بهم رجل قبيح الوجه واللحية فقال لهم : تريدون تعرفون صفته ؟ هى صفة هذا الماشي فى خلقة ولحيته ! قال : ولا تقبل توبته . وقد كذب لعنه الله، وليس يخرج هذا من قلب سليم الإيمان . قال أحمد بن أبى سليمان صاحب سحنون : مــن قــال : إن النبى ﷺ كان أسود يقتل . وقال فى رجل قيل له : لا وحقّ رسول الله ﷺ ، فقال : فعل الله برسول الله كذا و ذكر كلاما قبيحاً فقيل له : ما تقول ياعدو الله ؟ فقال : أشد من كلامه الأول ، ثم قال : إنما أردت برسول الله العقرب ، فقال ابن أبى سليمان للذى سأله : أشهد عليه ، وأنا شريكك، يريد فى قتله وثواب ذلك .

قال حبيب بن الربيع : لأن إعادة التأويل فى لفظ صراح لا يقبل ، لأنه امتهان وهو غير معزر لرسول الله ﷺ ولا موقر له فوجب إباحة دمه .

وأفتى أبو عبد الله بن عتاب فى عَشّار قال لرجل : أدّ واشتك إلى النبى ﷺ وقال : إن سألت أو جهلت فقد جهل ، وسأل النبى بالقتل

وأفتى فقهاء الأندلس بقتل ابن حاتم المتفقة الطليطلي وصلبه بما شهد عليه به من استخفافه بحق النبى ﷺ وتسميته إياه أثناء مناظرته باليتيم، وختن حيدرة، وزعمه أن زهده لم يكن قصداً ، ولو قدر على الطيبات أكلها ، إلى أشباه لهذا ، وأفتى فقهاء القيروان و أصحاب سحنون بقتل إبراهيم الفزاري ، وكان شاعراً متفنناً فى كثير من العلوم وكان ممن يحضر مجلس القاضى أبى العباس ابن أبى طالب للمناظرة ، فرفعت عليه أمور منكرة من هذا الباب فى الاستهزاء بالله وأنبيائه ونبينا ﷺ فأحضر له القاضي يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء وأمر بقتله وصلبه فطعن بالسكين وصلب منكساً ثم أنزل وأحرق بالنار.

حكى بعض المؤرخين : أنه لما رفعت خشبته وزالت عنها الأيدى استدارت وحولته عن القبله فكان آية للجميع ، وكبرّ الناس ، وجاء كلب فولغ فى دمه ، فقال يحيى بن عمر : صدق رسول الله ﷺ وذكر حديثاً عنه ﷺ أنه قال : لا يلغ الكلب فى دم مسلم . وقال القاضي أبو عبدالله بن المرابط : من قال : إن النبى ﷺ هُزم يستتاب ، فإن تاب وإلا قُتل لأنه ينتقصه . إذ لايجوز ذلك عليه فى خاصته ﷺإذ هو على بصيرة من أمره، ويعلن عن عصمته .

وقال حبيب بن ربيع القروى : مذهب مالك وأصحابه : أن من قال فيه ﷺ مافيه نقص قُتل دون استتابة ، وقال ابن عتاب: الكتاب والسنة موجبان أن من قصد النبى ﷺ بأذى أو نقصٍ مُعَرضاً أو مُصَرحاً وإن قلّ فقتله واجب .

فهذا الباب كله مما عده العلماء سباً وتنقصاً يجب قتل قائله ، لم يختلفوا فى ذلك،متقدمهم ولا متأخرهم ، وإن اختلفوا فى حكم قتله ،وكذلك أقول : حكم من غمصه أو عيره برعاية الغنم ، أو السهو ، أو النسيان ، أو السحر ، أو ما أصابه من جرح ، أو هزيمة لبعض جيوشه ، أو أذى من عدوه ، أو شدة من زمنة أو بالميل إلى نسائه ، فحكم هذا كله بمن قصد به نقصه، القتل .

فصل في الحجة في إيجاب قتل من سبه أو عابه ﷺ

فمن القرآن لعنة تعالى لمؤذيه في الدنيا والآخرة. وقرانه تعالى أذاه بأذاه ولا خلاف في قتل من سب الله تعالى وأن اللعن إنما يستوجبه من هو كافر، وحكم الكافر القتل، فقال تبارك وتعالى: ﴿ **إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا** ﴾.[١]

وقال في قاتل المؤمن بمثل ذلك فمن لعنته في الدنيا القتل، قال الله تعالى: ﴿ **ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا** ﴾ [٢].

وقال في المحاربين وذكر عقوبتهم: ﴿ **ذلك لهم خزى في الدنيا** ﴾[٣] وقد يقع القتل بمعنى اللعن في الدنيا والآخرة ولأنه الفرق بين أذاهما وأذى المؤمنين في ما دون القتل من الضرب والنكال فكان حكم من يؤذى الله تعالى ونبيه أشد من ذلك وهو القتل، وقال عز وجل: ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما** ﴾[٤] فسلب اسم الإيمان عمن وجد في صدره حرجا من قضائه ولم يسلم له، ومن تنقصه فقد ناقض هذا. وقال تبارك وتعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون** ﴾ [٥] ولا يحبط العمل إلا الكفر، والكافر يقتل.

قال تبارك وتعالى: ﴿ **وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله** ﴾[٦] ثم قال: ﴿ **حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير** ﴾[٧] وقال عز وجل: ﴿**ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم** ﴾[٨] ثم قال: ﴿ **والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم** ﴾[٩] وقال جل وعلا: ﴿ **ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم** ﴾[١٠] قال أهل التفسير: كفرتم بقولكم في رسول الله ﷺ.

---

(١) الأحزاب: ٥٧ (٢) الأحزاب: ٦١ (٣) المائدة: ٣٣
(٤) النساء: ٦٥ (٥) الحجرات: ٢ (٦) المجادلة: ٨
(٧) المجادلة: ٥٨ (٨) التوبة: ٦١ (٩) التوبة: ٦١
(١٠) التوبة: ٦١

وأما الإجماع فقد ذكرناه ، وأما الآثار فقد ذكر حديث من سَّب نبياً فاقتلوه، وفى الحديث الصحيح : أمر النبي ﷺ بقتل كعب بن الأشرف ، وقوله ﷺ : من لكعب بن الأشرف فإنه يؤذى الله تعالى ورسوله ، ووجه إليه من قتله غيلة دون دعوة ، بخلاف غيره من المشركين ، وعلل بأذاه له ، فدل أن قتله إياه لغير الإشراك ، بل للأذى .

وكذلك قتل أبا رافع ، قال البراء : وكان يؤذي رسول الله ﷺ ويعيش عليه وكذلك أمره يوم الفتح بقتل ابن خطل وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان فى سبه ﷺ

وفى حديث آخر : أن رجلا كان يسبه ﷺ فقال : من يكفيني عدوى ؟ فقال خالد : أنا فبعثه النبي ﷺ فقتله ، وكذلك أمر بقتل جماعة منهم ممن كان يؤذية من الكفار ويسبه كالنضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط ، وعهد بقتل جماعة منهم قبل الفتح وبعده فقتلوا إلامن بادر بإسلامه قبل القدرة عليه .

وقد روى البزار عن ابن عباس قال : إن عقبة بن أبي معيط نادى : يا معشر قريش مالي أقتل من بينكم صبراً ، فقال له النبي ﷺ : بكفرك وافترائك على رسول الله ﷺ ، و ذكر عبد الرزاق أن النبي ﷺ سبه رجل فقال : من يكفيني عدوي ؟ فقال الزبير: أنا ، فبارزه ، فقتله الزبير . وروي أيضا أن امرأة كانت تسبه ﷺ فقال : من يكفينى عدوي ؟ فخرج إليها خالد بن الوليد فقتلها ، ويروى أن رجلاً كذب على النبي ﷺ فبعث علي والزبير - رضى الله تبارك وتعالى عنهما - إليه ليقتلاه ، وروى ابن قانع أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ! سمعت أبى يقول فيك قولاً قبيحاً فقتلته ، فلم يشق ذلك على النبي ﷺ ، وبلغ المهاجر بن أبي أمية أمير اليمن لأبي بكر - رضى الله تبارك وتعالى عنه - أن امرأة هناك فى الردة غنت بسب النبي ﷺ ، فقطع يدها ونزع ثنيتها ، فبلغ أبا بكر ذلك فقال له : لولا ما فعلت لأمرتك بقتلها ، لأن حد الأنبياء ليس يشبه الحدود .

وعن ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - قال : هجت امرأة من خطمة النبي ﷺ فقال : من لي بها ؟ فقال رجل من قومها : أنا يا رسول الله ، فنهض فقتلها ، فأخبر النبي ﷺ فقال : لا ينتطح فيها عنزان.

وعن ابن عباس ـ رضى الله تبارك وتعالى عنهما ـ قال : إن أعمى كانت له امرأة تسب النبي ﷺ فيزجرها فلا تنزجر ، فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي ﷺ فتشتمه فقتلها ، وأعلم النبى ﷺ بذلك فأهدر دمها .وذكر حديث أبي برزة الأسلميّ .

وقال القاضي أبو محمد بن نصر ولم يخالف عليه فاستدل الأئمة بهذا الحديث على قتل من أغضب النبي ﷺ بكل ماأغضبه أو أذاه أو سبه .

ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ إلى عامله بالكوفة ، وقد استشاره في قتل رجل سب عمر فكتب عمر : إنه لا يحل قتل امرئ يسب أحد من الناس إلا رجلاً سب النبي ﷺ ، فمن سبه فقد حل دمه .

وسأل الرشيد مالكاً فى رجل شتم النبي ﷺ وذكر له أن فقهاء العراق أفتوه بجلده ، فغضب مالك وقال : يا أمير المؤمنين ! ما بقاء الأمة بعد شتم نبيها ؟ من شتم الأنبياء قتل ، ومن شتم أصحاب النبى ﷺ جلد .

قال القاضي أبو الفضل : كذا وقع فى هذه الحكاية رواها غير واحد من أصحاب مناقب مالك ومؤلفي أخباره ، وغيرهم ، ولا أدري من هؤلاءالفقهاء بالعراق الذين أفتوا الرشيد بما ذكر ؟ فقد ذكرنا مذهب العراقيين بقتله ولعلهم ممن لم يشهر بعلم أو من لا يوثق بفتواه ، أويميل به هواه ، أو يكون ما قاله يحمل على غير السب، فيكون الخلاف : هل هو سب أو غير سب؟ أو يكون رجع وتاب عن سبه فلم يقله لمالك على أصله ، وإلا فالإجماع على قتل من سبه كما قدمناه .

ويدل على قتله من جهة النظر والاعتبار من سبه أو نقّصه ﷺ فقد ظهرت علامة مرض قلبه ، وبرهان سر طويته وكفره ، ولهذا ما حكم عليه كثير من العلماء بالردة وهى رواية الشاميين عن مالك والأوزاعي ، وقول الثوري وأبي حنيفة والكوفيين .

والقول الآخر : أنه دليل على الكفر فيقتل حداً ، وإن لم يحكم له بالكفر إلا أن يكون متمادياً على قوله غير منكر له ، ولا يقلع عنه ، فهذا كافر .

وقوله إما صريح كفر كالتكذيب ونحوه ، أو من كلمات الاستهزاء والذم فاعترافه بها ، وترك توبته عنها دليل استحلاله لذلك وهو كفر أيضاً ، فهذا كافر بلا خلاف ، قال تعالى في مثله : ﴿ **يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم** ﴾ (١) قال أهل التفسير : هي قوله :إن كان ما يقول محمد حق لنحن شر من الحمير .وقيل بل قول بعضهم : ما مثلنا أو مثل محمد إلا قول القائل : سمن كلبك يأكلك ﴿ **لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذلّ** ﴾ (٢)وقد قيل : إن قائل مثل هذا إن كان مستتراً به فإن حكمه حكم الزنديق يقتل ، ولأنه غير دينه ، وقال ﷺ من غير دينه فاضربوا عنقه ، ولأن حكم النبي ﷺ في الحرمه مزية على أمته ، وساب الحر من أمته يحد ، فكانت العقوبة لمن سبه ﷺ القتل ، لعظيم قدره ، وشفوف منزلته على غيره .

فإن قلت : فلم لم يقتل النبي ﷺ اليهودي الذى قال له : السام عليكم ؟ وهذا دعاء عليه ، ولا قتل الآخر الذى قال له : إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله ، وقد تأذى النبي ﷺ من ذلك ؟ وقال : قد أوذي موسى بأكثر من هذا فصبر، ولا قتل المنافقين الذين كانوا يؤذونه في أكثر الأحيان ؟

فاعلم وفقنا الله وإياك أن النبي ﷺ كان أول الإسلام يستألف عليه الناس ، ويستميل قلوبهم إليه ويحبب إليهم الإيمان ، ويزينه في قلوبهم ، ويدارئهم ويقول لأصحابه : إنما بعثتم مبشرين ولم تبعثوا منفرين، ويقول : يسروا ولا تعسروا ، وسكنوا ولا تنفروا ويقول : لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه .وكان ﷺ يدارى الكفار والمنافقين ، ويجمل صحبتهم ، ويفضي عنهم ويحتمل من أذاهم ، ويصبر على جفائهم ، مالا يجوز لنا اليوم الصبر لهم عليه وكان يرفقهم بالعطاء والإحسان ، وبذلك أمره الله تعالى ، فقال : ﴿ **ولا تزال تطلع على خائنه منهم إلا قليلاً منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين** ﴾ (٣) قال تعالى : ﴿ **ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذى بينك وبينه**

---

(١) التوبة : ٧٤

(٢) المنافقون : ٨

(٣) المائدة : ١٣

عداوة كأنه ولـيّ حميم ﴾ [1] وذلك لحاجة الناس للتألف أول الإسلام ، وجمع الكلمة عليه ، فلما استقر ، وأظهره الله تعالى على الدين كله قتل من قدر عليه واشتهر أمره كفعله بابن خطل ، ومن عهد بقتله يوم الفتح ، ومن أمكنه قتله غلبة من يهود وغيرهم ، أو غلبة ممن لم ينتظمه قبل سلك صحبته ، والانخراط في جملة مظهر الإيمان به ، ممن كان يؤذيه ، كابن الأشرف و أبي رافع والنضر، وعقبة، وكذلك ندر دم جماعة سواهم ، ككعب بن زهير ، وابن الزبعرى ، وغيرهما ممن أذاه حتى ألقوا بأيدهم ولقوه مسلمين ، وبواطن المنافقين مستترة ، وحكمه ﷺ على الظاهر ، وأكثر تلك الكلمات إنما كان يقولها القائل منهم خفية ، ومع أمثاله، ويحلفون عليها إذا نميت وينكرونها **﴿ و يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر ﴾** [2] وكان مع هذا يطمع في فيئتهم ورجوعهم إلى الإسلام وتوبتهم فيصبر ﷺ على هناتهم وجفوتهم كما صبر أولو العزم من الرسل ، وفاء كثير منهم باطنا وظاهراً وأخلص سراً كما أظهر جهراً ونفع الله بعد بهم وقام منهم للدين ، وزراء ، وأعوان ، وحماة ، وأنصار ، كما جاءت به الأخبار .

وبهذا أجاب بعض أئمتنا عن هذا السؤال ، وقال : لعله لم يثبت عنده ﷺ من أقوالهم ما رفع ، وإنما نقله الواحد ، ومن لم يصل رتبة الشهادة في هذا الباب من صبي أو عبد أو امرأة ، والدماء لا تستباح إلا بعدلين ، وعلى هذا يحمل أمر اليهودي في السلام ، وأنهم لووا به ألسنتهم ولم يبينوه ، ألا ترى كيف نبهت عليه عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - ؟ ولو كان صرح بذلك لم ينفرد بعلمه ، ولهذا نبه النبي ﷺ أصحابه على فعلهم ، وقلة صدقهم في سلامهم ، وخيانتهم في ذلك لياً بألسنتهم ، وطعناً في الدين ، فقال : إن اليهود إذا سلم أحدهم فإ نما يقول :السام عليكم ، فقولوا : وعليكم وكذلك قال بعض أصحابنا البغداديين : إن النبي ﷺ لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم ولم يأت أنه قامت بينة على نفاقهم فلذلك تركهم ، وأيضاً فإن الأمر كان سراً وباطنا ، وظاهرهم الإسلام والإيمان ، وإن كان من أهل الذمة بالعهد والجوار

---

(١) فصلت : ٣٤

(٢) التوبة : ٧٤

والناس قريب عهدهم بالإسلام لم يتميز بعد الخبيث من الطيب ، وقد شاع عن المذكورين في العرب كون من يتهم بالنفاق من جملة المؤمنين ، وصحابة سيد المرسلين ، وأنصار الذين يحكم بظاهرهم ، فلو قتلهم النبي ﷺ لنفاقهم ومايبدر منهم ، وعلمه بما أسروا في أنفسهم ، لما وجد المعاند ما يقول ، ولا ارتاب الشارد ، وأرجف المعاند ، وارتاع من صحبة النبي ﷺ، والدخول في الإسلام غير واحد ولزعم الزاعم وظن العدو الظالم أن القتل إنما كان للعدواة وطلب أخذ الترة ، وقد رأيت معنا ما حررته منسوباً إلى مالك بن أنس ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ، وقال : أولئك الذين نهاني الله تعالى عن قتلهم ، وهذا بخلاف إجراء الأحكام الظاهرة عليهم من حدود الزنا ، والقتل ، وشبهه ، لظهورها ، واستواء الناس في علمها.

وقال القاضي أبو الحسن بن القصار : وقال قتادة في تفسير قوله تعالى : **﴿ ولئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً.ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً. سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾** [1]قال : معناه إذا أظهروا النفاق .

وحكى محمد بن مسلمة في (المبسوط) عن زيد بن أسلم قال : إن قوله تعالى : **﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين ﴾** [2] نسخها ما كان قبلها ، وقال بعض مشايخنا : علل القائل : هذه قسمة ما أريد وجه الله ، وقوله : اعدل ، لم يفهم النبي ﷺ منه الطعن عليه ، والتهمة له ، وإنما رآها من وجه الغلط في الرأي ، وأمور الدنيا ، والاجتهاد ، وفي مصالح أهلها ، فلم ير ذلك سباً ، ورأى أنه من الأذى الذي كان له العفو عنه ، والصبر عليه ، فلذلك لم يعاقبه .

وكذلك يقال في اليهود إذا قالوا : السام عليكم ، ليس في صريح سبّ ولادعاء إلا بما لابد منه من الموت الذي لابد من لحاقه جميع البشر . وقيل : بل المراد ، تسأمون ، دينكم والسآمة الملال ، وهذا دعاء على سآمة الدين ، ليس

---

(١) الأحزاب : ٦٠ - ٦٢ (٢) التحريم : ٩

بصريح سب، وبهذا ترجم البخاري على هذا الحديث : باب إذا عَرَّض الذميّ أو غيره بسب النبي ﷺ .

وقال بعض علمائنا : ليس هذا بتعرض بالسب ، وإنما هو تعرض بالأذى .

قال القاضي عياض : الأذي والسب فى حقه ﷺ سواء ، قال القاضي أبو محمد بن نصر مجيباً عن هذا الحدث ببعض ما تقدم ، ثم قال ولم يذكر فى الحديث هل كان هذا اليهودي من أهل العهد والذمة أو الحرب ، ولا يترك موجب الأدلة المحتمله كله ، والأظهر من هذه الوجوه مقصد الاستئلاف والمداراة على الدين ، لعلهم يؤمنون .

ولذلك ترجم البخاري على حديث القسمة والخوارج باب : من ترك قتال الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه ، وقد صبر لهم ﷺ على سحره ، وسمه ، وهو أعظم من سبه ، إلى أن نصره الله تعالى عليهم وأذن له فى قتل من عينه منهم ، وإنزالهم من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب ، وكتب على من شاء منهم الجلاء ، وأخرجهم من ديارهم ، وخرب بيوتهم بأيديهم ، وأيدي المؤمنين وكاشفهم بالسب فقال : ياإخوة القردة والخنازير ، وحكم فيهم سيوف المسلمين ، وأجلاهم من جوارهم ، فإن قتله فقد جاء فى الحديث الصحيح عن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها - أنه ﷺ ما انتقم لنفسه فى شئ يؤثر إليه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله .

فاعلم أن هذه لا تقتضي أنه لم ينتقم ممن سبه أو آذاه وكذبه ، وأن هذه من حرمات الله التى انتقم لها ، وإنما يكون ما لا ينتقم له فيما تعلق بسوء أدب أو معاملة من القول والفعل ، بالنفس والمال ، مما لم يقصد فاعله به أذاه ، ولكن مما جبلت عليه الأعراب من الجفاء ، والجهل ، أو جبل عليه البشر من السفه ، كجبذ الأعرابي بإزاره حتى أثر فى عنقه ، وكرفع صوت الآخر عنده ،

وكجحد الأعرابى فى شرائه منه فرسه التى شهد فيها خزيمة بن ثابت وكما كان من تظاهر زوجيه عليه ، وأشباه هذا مما يحسن الصفح عنه ، أو يكون هذا مما أذاه به كافر ، وجاء بعد ذلك إسلامه كعفوه عن اليهودي الذى سحره ، وعن اليهودية التى سمته ، وعن الأعرابيّ الذى أراد قتله .

الوجه الثاني : لاحق به في البيان والجلاء ، وهو أن يكون القائل ، لما قال في جهته ﷺ غير قاصد للسب والإزراء ، ولا معتقد له ، ولكنه تكلم في جهته ﷺ بكلمة الكفر من لعنه ، أو سبه ، أو تكذيبه إو إضافة ما لا يجوز عليه ، أو نفى ما يجب له مما هو في حقه ﷺ نقيصه ، مثل أن ينسب إليه إتيان كبيرة أو مداهنة في تبليغ الرسالة، أو في حكم بين الناس ، أو بعض من مرتبته ، أو شرف نسبه ، وفور علمه ، أو يكذب بما استمر من أمور أخبر بها ﷺ وتواتر الخبر بها عنه قصد لرد خبره أو يأتي نسقه من القول ، وقبيح من الكلام ونوع من السب في جهته ، وإن ظهر بدليل حاله أنه لم يتعمد ولم يقصد سبه أو لجهالة جملته على ما قاله لضجر أو سكر اضطره إليه ، أو قلة مراقبة ، وضبط للسانه وعجرفة وتهور في كلامه ، فحكم هذا الوجه حكم الوجه الأول : القتل دون تلعثم ، إذ لا يعذر أحد في الكفر بالجهالة ، ولا بدعوى زلل اللسان ولابشيء مما ذكرناه إذا كان عقله في فطرته سليماً ﴿ **إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان** ﴾[1] وبهذا أفتى الأندلسيون على ابن حاتم في نفيه الزهد عن رسول الله ﷺ الذي قدمناه .

وأفتى أبو الحسن القابسي في من شتم النبي ﷺ في سكره : يقتل لأنه يظن به أنه يعتقد هذا ويفعله في صحوة ، وأيضاً فإنه حد لا يسقطه السكر كالقذف، والقتل وسائر الحدود لأنه أدخله على نفسه ، لأن من شرب الخمر على علم من زوال عقله بها وإتيان ما ينكر فهو كالعامد لما يكون بسببه ، وعلى هذا ألزمناه الطلاق ، والعتاق ، والقصاص ، والحدود ، لا يعترض على هذا بحديث حمزة ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ وقوله للنبي ﷺ : هل أنتم إلا عبيد لأبي قال فعرف النبي ﷺ أنه ثمل فانصرف ، لأن الخمر كانت حينئذ غير محرمه ، فلم يكن في جناياتها إثم ، وكان حكم ما يحدث عنها معفواً عنه ، كما يحدث من النوم ، وشرب الدواء المأمون

الوجه الثالث : أن يقصد إلى تكذيبه فيما قاله ، وأتى به ، أو ينفي نبوته أو رسالته ، أو وجوده ، أو يكفر به ، انتقل بقوله ذلك إلى دين آخر غير ملته أم لا ، فهذا كافر بإجماع يجب قتله، ثم ينظر ، فإن كان مصرحاً بذلك كان

---

(١) النحل : ١٠٦

حكمت أشبه بحكم المرتد ، وقوى الخلاف فى استتابته وعلى القول الآخر لا يسقط القتل عنه بتوبته لحق النبي ﷺ إن كان ذكره بنقيصة فيما قاله من كذب أو غيرة ، وإن كان متستراً بذلك فحكمه حكم الزنديق لا يسقط قتله بالتوبة عندنا كما سنبينه .

قال ابن القاسم : دعا إلى ذلك : سراً أو جهراً . وقال أصبغ : وهو كالمرتد لأنه قد كفر بكتاب الله مع الفرية على الله ، وقال أشهب فى يهودى تنبأ أو زعم أنه أرسل إلى الناس ، أو قال : بعد نبيكم نبى ، إنه يستتاب إن كان معلنا بذلك فإن تاب وإلا قتل ، وذلك لأنه مكذب للنبى ﷺ فهو كافر جاحد ، وقال : من كذب النبي ﷺ كان حكمه عند الأمة القتل ، وقال أحمد بن أبى سليمان صاحب سحنون : من قال إن النبى ﷺ أسود ، لأن النبي ﷺ لم يكن ﷺ بأسود . وقال نحوه : أبو عثمان الحداد : قال : لو قتل لأن هذا نفى ، وقال حبيب بن ربيع : تبديل صفته ومواضعه كفر والمظهر له كافر ، وفيه الاستتابة الوجه الرابع : أن يأتى من الكلام بمجمل أو بلفظ من القول بمشكل يمكن حمله على النبي ﷺ أو غيره ، أو يتردد فى المراد به من سلامته من المكروه أو شره . فهاهنا متردد النظر وحيرة العبر ومظنة اختلاف المجتهدين ووقعه إستبراء المقلدين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينه ، فمنهم من غلب حرمة النبي ﷺ وحمى عرضه ، فجسر على القتل ، ومنهم من عظم حرمة الدم ودرء الحد بالشبهة لاحتمال القول ، وقد اختلف أئمتنا فى رجل أغضبه غريمه ، فقال له : صل على النبي محمد فقال له الطالب : لا صلى الله على من صلى عليه ، فقيل لسحنون : هل هو كمن شتم النبي ﷺ ؟ أو شتم الملائكة الذين يصلون عليه ؟ قال : لا ، إذا كان على ما وصفت من الغضب لأنه لم يكن مضمرا الشتم .

ذهب الحارث بن مسكين القاضى وغيره فى مثل هذا إلى القتل ، وتوقف أبو الحسن القابسي فى قتل رجل قال : كل صاحب فندق قرنان ولو كان نبياً مرسلاً ! فأمر بشده بالقيود والتضييق عليه حتى يستفهم بالبينة من جملة ألفاظه ومايدل على مقصده ، هل أراد أصحاب الفنادق الآن ! فمعلوم أنه ليس

فيهم نبي مرسل ، فيكون أمره أخف ، قال : ولكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين والمتأخرين ، وقد كان فيمن تقدم من الأنبياء والرسل من اكتسب المال .

قال : ودم المسلم لا يقدم عليه إلا بأمر بين، وما ترد إليه التأويلات لابد من إمعان النظر فيه ، هذا معنى كلامه .

وحكى عن محمد بن أبي زيد فيمن قال : لعن الله العرب ، ولعن الله بني إسرائيل ، ولعن الله بني آدم وذكر أنه لم يرد الأنبياء وإنما أراد الظالمين منهم ، أن عليه الأدب بقدر اجتهاد السلطان ، وكذلك أفتى فيمن قال : لعن الله من حرم المسكر وقال : لم أعلم من حرمه وفيمن لعن ، حديث لايبيع حاضر لباد ، ولعن من جاء به أنه إن كان يعذر بالجهل وعدم معرفة السنن ، فعليه الأدب الوجيع وذلك أن هذا لم يقصد بظاهر حاله سب الله ، ولاسب رسوله ، وإنما لعن من حرمه من الناس ، على نحو فتوى سحنون وأصحابه فى المسألة المتقدمة ، ومثل هذا يجرى فى كلام سفهاء الناس ، من قول بعضهم لبعض : يا ابن ألف خنزيرة ، وابن مائة كلب ، وشبهه من هجر القول ، ولاشك أنه يدخل فى مثل هذا العدد من آبائه وأجداده جماعة من الأنبياء ، ولعل بعض هذا العدد منقطع إلى آدم عليه السلام فينبغى الزجر عنه ويتبين ما جهل قائله منه، وشدة الأدب فيه ، ولو علم أنه قصد سب من فى آبائه من الأنبياء على علم لقتل .

وقد يُضيق القول فى نحو هذا لو قال لرجل هاشمي« : لعن الله بنى هاشم ، وقال أردت الظالمين منهم، أو قال لرجل من ذرية النبي ﷺ ولم تكن قرينة فى المسألتين تقتضى تخصيص بعض آبائه ، وإخراج النبي ﷺ ممن سبه منهم ، وقد كان اختلف شيوخنا فيمن قال لشاهد شهد عليه بشيء ثم قال : تتهمني ، فقال له الآخر : الأنبياء يتهمون فكيف أنت ؟ وكان شيخنا أبو إسحاق بن جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهراللفظ ، وكان القاضي أبو محمد بن منصور يتوقف عن القتل لاحتمال اللفظ عنده ، أن يكون خبراً عمن اتهمهم من الكفار ، وأفتى فيها قاضي قرطبة أبو عبد الله بن الحاج بنحو من هذا ، وشدد القاضى أبو محمد تصفيده وأطال سجنه، ثم استحلفه بعد على تكذيب ما شهد به عليه أو دخل

فى شهادة بعض من شهد عليه ، وشاهدت شيخنا القاضى أبا عبد الله بن عيسى أيام قضائه ، أتى برجل هاتر رجلاً اسمه محمد، ثم قصد إلى كلب فضربه برجله ، وقال له : قم يا محمد ، فأنكر الرجل أن يكون قال ذلك وشهد عليه ، ومن ثم أطلقه لفيف من الناس ، فأمر به إلى السجن وتقصى عن حاله وهل يصحب من يستراب بدينه ؟ فلما لم يجد ما يقوى الريبة باعتقاده ، ضربه بالسوط وأطلقه

الوجه الخامس : أن لا يقصد بقصد ولا يذكر عيباً ولا سباً ولكنه ينزع بذكر بعض أوصافه أو يستشهد ببعض أحواله ﷺ الجائزة عليه فى الدنيا على طريق ضرب المثل ، والحجة لنفسه أو لغيره ، أو علي التشبه به ، أو عند هضيمة نالته ، أو لغضاضة لحقته ، لنفسه أو لغيره ،أو على سبيل التمثيل ، وعدم التوقير لنبيه ﷺ أو قصد الهزل ، والتنذير بقوله كقول القائل : إن قيل فى السوء فقد قيل في النبي ﷺ ، أو إن كذبت فقد كذب الأنبياء أو إن أذنبت فقد أذنبوا و أنا أسلم من ألسنة الناس لم يسلم منهم أنبياء الله ورسوله ، أو قد صبرت ﴿ **كما صبر أولو العزم من الرسل** ﴾ ، أو كصبر أيوب ، أو قد صبر نبى الله عن عداه ، وحلم عليّ أكثر مما صبرت ، وكقول المتنبي :

أنا في أمة تداركها الله غريب كصالح فى ثمود

ونحوه من أشعار المتعجرفين فى القول المتساهلين فى الكلام ،كقول المعري :

كنت موسى وافته بنت شعيب غير أن ليس فيكما فقير

على أن آخر البيت شديد، وداخل فى باب الإزراء والتحقير بالنبي ﷺ وتفضيل حال غيره عليه .

وكذلك قوله :

لولا انقطاع الوحى بعد محمد قلنا محمد بأبيه بديل

هو مثله فى الفضل إلاأنه لم يأته برسالة جبريل

فصدر البيت الثانى فى هذا الفصل شديد ،لتشبيه غير النبى ﷺ فى فضله، والعجز محتمل لوجهين ، أحدهما : أن هذه الفضيلة نقصت الممدوح ، والآخر

استغناؤه عنها ، وهذه أشد ونحو منه قول الآخر:

وإذا مــارفـعــت رايـــاتـهـا   صفقت بين جناحي جبرين

وقول الآخر من أهل العصر :

فـر مـن الخلد واستجار بنـا   فصبر اللـه قلب رضوان

كقول حسان المصيصي من شعراء الأندلس فى محمد بن عباد المعروف بالمعتمد ووزيره أبي بكر بن زيدون:

كأن أبا بكر أبـو بكـر الرضـى   وحسان حسان وأنت محمد

إلى أمثال هذا

وإنما أكثرنا بشاهدها مع استثقالنا حكايتها ، لتعرف أمثلتها ، ولتساهل كثير من الناس فى ولوج هذا الباب الضنك ، واستخفافهم فادح في هذا العبء وقلة علمهم بعظيم ما فيه من الوزر وكلامهم فيه بما ليس لهم به علم ، ﴿ وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم ﴾[1] ، لا سيما الشعراء ، وأشدهم فيه تصريحاً ، وللسانه تسريحا ً، ابن هانئ الأندلسي[2] وأبي سليمان المغربي، بل قد خرج كثير من كلامهم إلى حد الاستخفاف ، والنقص ، وصريح الكفر .

قال : فإن هذه كلها ، وإن لم تتضمن سباً ولا أضافت إلى الملائكة و الأنبياء نقصاً ولست أعنى عَجُزَي بيتي المعري ، ولا قصد قائلها إزراءً وغضباً ، فما وقر النبوة ، ولا عظم الرسالة ، ولا عزر حرمة الاصطفاء ، ولا عزر حظوة الكرامة، حتى شبه من شبه في كرامة نالها ، أو معرة قصد الانتفاء منها ، أو ضرب مثل لتطييب مجلسه ، أو إغلاء فى وصف لتحسن كلامه بمن عظم الله تعالى خطره ، وشرف قدره ، وألزم توقيره وبره ، ونهى عن جهر القول له ، ورفع الصوت عنده ، فحق هذا إن دُرِئَ عنه القتل ، الأدب والسجن ، وقوة تعزيره ، بحسب شُنْعة مقاله ، ومقتضى قبح ما نطق به ، ومألوف عادته لمثله ، أو ندوره ، وقرينة كلامه، أو ندمه على ما سبق منه ، ولم يزل المتقدمون ينكرون

---

(١) النور : ١٥ .

(٢) هو أبو نواس .

مثل هذا ممن جاء به ، وقد أنكر الرشيد على أبي نواس قوله :

فإن يك باق سحر فرعون فيكم فإن عصا موسى بكف خصيب

قال له : يا بن اللخناء ، أنت المستهزيء بعصا موسى ؟ وأمر بإخراجه عن عسكره من ليلته .

وذكر القتبي : أن مما أخذ عليه أيضاً أو كفر به أو قارب ، قوله في محمد الأمين ، تشبيهه إياه بالنبي ﷺ حيث قال :

تنازع الأحمدان الشبه فاشتبها خلقاً كما قد الشراكان

وقد أنكروا أيضاً قوله:

كيف لا بد فيك من أمل من رسول من نفره

لأن حق الرسول ﷺ وموجب تعظيمه ، وأناقة منزلته ، أن يضاف إليه ولايضاف ، فالحكم في أمثال هذا ما بسطناه في طريق الفُتياعلى هذا المنهج جاءت فُتيا إمام مذهبنا مالك بن أنس وأصحابه ، ففي (النوادر) من رواية ابن أبي مريم عنه في رجل عيّر رجلاً بالفقر ، فقال : تعيرني بالفقر وقد رعى النبي ﷺ الغنم ؟ فقال مالك : قد عرض بذكر النبي ﷺ في غير موضعه ، أرى أن يؤدب، قال : ولا ينبغي لأهل الذنوب إذا عوتبوا أن يقولوا : قد أخطأت الأنبياء قبلنا .

وقال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - لرجل : انظر لنا كاتباً يكون أبوه عربياً ، فقال كاتب له : قد كان أبو النبي كافراً ! فقال : جعلت هذا مثلاً؟ فعزله وقال :لا تكتب لي أبداً ،

وقد كره سحنون أن يصلى على النبي ﷺ عند التعجب إلا على طريق الثواب والاحتساب توقيراً له وتعظيماً كما أمرنا الله تعالى .

وسأل القابسيّ عن رجل قال لرجل قبيح : كأنه وجه نكير ، ولرجل عبوس : كأنه وجه مالك الغضبان ! فقال أي شئ أراد بهذا ؟ ونكير أحد فتاني القبر ، وهما ملكان ، فما الذى أراد ؟ أروع دخل عليه حين رآه من وجهه ؟ أم خاف النظر إليه لدمامه خلقه ؟ قال : فإن قال هذا فهو شديد لأنه جرى مجرى

التحقير والتهوين ، فهو أشد عقوبة، وليس فيه تصريح بالسب للملك ، وإنما السبّ واقع على المخاطب ، وفى الأدب بالسوط والسجن نكال للسفهاء .

قال وأما ذكر مالك وخازن النار فقد جفا الذى ذكره عندما أنكر حاله من عبوس الآخر ، إلا أن يكون المعبس له يد فمرهب الملك بعبسته ، فيشبه القائل على طريق الذم لهذا فى فعله ولزومه في ظلمه صفة لمالك الملك لربه فى فعله ، فيقول : كأنه لله يغضب مالك فيكون أخف ، وماكان ينبغى له التعرض لمثل هذا ،و لوكان أثنى على العبوس بعبسته ، واحتج بصفة مالك كان أشد، ويعاقب المعاقبة الشديدة ، وليس فى هذا ذم للملك على قصد ذمه يقتل .

وقال أبوالحسن أيضاًفى شاب معروف بالخير، قال لرجل شيئاً ، فقال له : اسكت فإنك أمي ، فقال الشاب : أليس كان النبي ﷺ أمياً ؟ فشنع عليه مقاله ، وكفره الناس ، وأشفق الشاب مما قال ، وأظهر الندم عليه ، فقال أبو الحسن : أما إطلاق الكفر عليه فخطأ ، لكنه مُخطئ فى استشهاده فصفة النبي ﷺ أمياًآية له ، وكون هذا أميًا نقيصة فيه ، وجهالة ، ومن جهالته احتجاجه بصفة النبي ﷺ، ولكنه إذا استغفر وتاب واعترف ولجأ إلى الله فيترك ، لأن قوله لا ينتهى إلى حدّ القتل وما طريقه الأدب ، فطوع فاعله بالندم عليه يوجب الكف عنه.

ونزلت أيضاً مسألة استفتى فيها بعض قضاه الأندلس شيخنا القاضي أبا محمد بن منصور - رحمه الله - فى رجل تنقصه آخر بشئ فقال له : إنما تريد نقصي بقولك وأنا بشر ، وجميع البشر يلحقهم النقص ، حتى النبي ﷺ ! فأفتاه بإطالة سجنه و وإيجاع أدبه ، إذ لم يقصد السب ، وكان بعض فقهاء الأندلس أفتى بقتله .

الوجه السادس : أن يقول القائل ذلك حاكياً عن غيره ، وآثراً له عن سواه ، فهذا ينظر فى صورة حكايته ، وقرينة مقالته، ويختلف الحكم باختلاف ذلك على أربعة وجوه : الوجوب ، و الندب، والكراهة ، والتحريم ، فإن كان أخبر به على وجه الشهادة ، والتعريف بقائله ، والإنكار والإعلام بقوله، والتنفير منه ، والتجريح له : فهذا مما ينبغي امتثاله ويحمد فاعله .

وكذلك إن حكاه في كتاب أو في مجلس على طريق الرد له والنقص على قائله ، والفتيا بما يلزمه ، وهذا منه ما يجب ، ومنه ما يستحب ، بحسب حالات الحاكي لذلك ، والمحكي عنه ، فإن كان القائل لذلك ممن تصدى لأن يؤخذ عنه العلم ، أو رواية الحديث ، أو يقطع بحكمه ، أو شهادته ، أو فتياه في الحقوق ، وجب على سامعه الإشادة بما سمع منه ، والتنفير للناس عنه والشهادة عليه بما قاله ، ووجب على من بلغه ذلك من أئمة المسلمين إنكاره وبيان كفره، وفساد قوله ، لقطع ضرره عن المسلمين ، وقياماً بحق سيد المرسلين ﷺ ، وكذلك إن كان ممن يعظ العامة ، أو يؤدب الصبيان، فإن من هذه سريرته لا يؤمن على إلقاء ذلك في قلوبهم ، فيتأكد في هؤلاء الإيجاب لحق النبي ﷺ ولحق شريعته .

وإن لم يكن القائل بهذه السبيل فالقيام بحق النبي ﷺ واجب ، وحماية عرضه متعين ، ونصرته على الأذى حياً وميتاً ، مستحق على كل مؤمن ، و لكنه إذا قام بهذا من ظهر به الحق وفصلت به القضية ، وبان به الأمر ، سقط عن الباقي الفرض ، وبقي الاستحباب في تكثير الشهادة و التحذير منه ،

وقد أجمع السلف على بيان حال المتهم في الحديث ، فكيف ، بمثل هذا ؟ وقد سئل أبو محمد بن أبي زيد عن الشاهد يسمع مثل هذا في حق الله تعالى أيسعه أن يؤدي شهادته ؟ قال : إن رجا نفاذ الحكم بشهادته فليشهد ، وكذلك إن علم أن الحاكم لا يرى القتل بما يشهد به ويرى الاستتابة والأدب فليشهد ، ويلزمه ذلك ، وأما الإباحة لحكاية قوله لغير هذين المقصدين ، فلا أرى لها مدخلاً في هذل الباب ، فليس التفكة بعرض النبي ﷺ والتمضمص بسوء ذكره لأحد لا ذاكراً ولا آثراً لغير غرض شرعي بمباح ، وأما للأغراض المتقدمة فمتردد بين الإيجاب والاستحباب ، وقدحكى الله تعالى مقالات المفترين عليه وعلى رسله في كتابه على وجه الإنكار لقولهم ، والتحذير من كفرهم ، والوعيد عليه ، والرد عليهم بما تلاه الله علينا في محكم كتابه ، وكذلك وقع من أمثاله في أحاديث النبي ﷺ الصحيحة على الوجوه المتقدمة ، وأجمع السلف والخلف من أئمة الهدى على حكايات مقالات الكفرة والملحدين

في كتبهم ومجالسهم ، ليُبَيِّنُوهَا للناس ، وينقضوا شبهها عليهم وإن كان ورد لأحمد بن حنبل رحمه الله إنكار لبعض هذا على الحارث بن أسد ، فقد صنع أحمد مثله فى رده على الجهمية ، و القائلين بالمخلوق ، وهذه الوجوه السابقة الحكاية عنها، وأما ذكرها على هذا من حكاية سبه ﷺ والازراء بمنصبه على وجه الحكايات والأسمار والطرف ، وأحادث الناس ، ومقالاتهم فى الغث والسمين ، ومضاحك المجان ، ونوارد السخفاء ، والخوض فى قيل وقال ، وما لا يعني ، فكل هذا ممنوع وبعضه أشد فى المنع والعقوبة من بعض ، فما كان من قائله الحاكي له على غير قصد أو معرفة بمقدار ماحكاه أو يكن الكلام من البشاعة حيث هو ولم يظهر على حاكيه استحسانه واستصوابه ، و نهى عن العودة إليه ، وإن قُوِّمَ ببعض الأدب فهو مستوجب له ، وإن كان لفظة من البشاعة حيث هو كان الأدب أشدّ .

وقد حكي أن رجلاً سأل مالكاً رحمه الله عمن يقول : القرآن مخلوق ، فقال مالك : كافر فاقتلوة ، فقال إنما حكيته عن غيرى.فقال مالك : إنما سمعناه منك ، وهذا من مالك ـ رحمه الله ـ على طريق الزجر والتغليظ بدليل أنه لم ينفذ قتله ، وإن أتاهم هذا الحاكي فيما حكاه أنه اختلقه ونسبه إلى غيره، أو كانت تلك عادة له ، أو ظهر استحسانه لذلك ، أو كان مولعاً بمثله ، والاسخفاف له، أو التحفظ لمثله ، وطلبه ، ورواية أشعار هجوه ﷺ ، وسبّه ، فحكم هذا حكم الساب نفسه ، يؤاخذ بقوله ، ولا ينفعه نسبته إلى غيره ، فيبادر بقتله ، وتعجل إلى الهاوية أمه .

وقد قال أبو عبيد القاسم بن سلام في من حفظ شطر بيت مما هُجي به النبي ﷺ : فهو كفر ، وقدذكر بعض من ألف فى الإجماع ، إجماع المسلمين على تحريم رواية ماهجي به النبي ﷺ وكتابته ، وقراءته ، وتركه متى وجد دون محو.

ورحم الله أسلافنا المتقين المحرزين لدينهم ، فقد أسقطوا من أحاديث المغازي والسير ماكان هذا سبيله ، وتركوا روايته ، إلا أشياء ذكروها يسيرة وغير مستبشعة على نحو الوجوه الأول ، ليروا نقمة الله من قائلها، وأخذه المفترى عليه بذنبه .

الوجه التاسع : أن يذكر ما يجوز على النبي ﷺ أو يختلف فى جوازه عليه وما يطرأ من الأمور البشرية به ، و يمكن إضافتها إليه ، أو يذكر ما امتحن به وصبر فى ذات الله تعالى على شدته من مقاساة أعدائه ، وأذاهم له ومعرفة ابتداء حاله وسيرته ، وما لقيه من بؤس زمنه ، ومر عليه من معاناه عيشه ، كل ذلك على طريق الرواية ومذاكرة العلم ومعرفة ما صحت منه العصمة للأنبياء وما يجوز عليهم ، فهذا من خرج عن هذه الفنون الستة ، إذ ليس فيه غمص ولا نقص ،و لا إزراء ولا استخفاف و لا فى ظاهر اللافظ ولا فى مقصد اللفظ ، لكن يجب أن يكون الكلام فيه مع أهل العلم ، وفهم طلبة الدين ممن يفهمون مقاصده ، ويحققون فوائده ويجنب ذلك من عساه لا يفقه، أو يخشى به فتنته، فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة يوسف ، لما انطوت عليه من تلك القصص ، لضعف معرفتهن ، ونقص عقولهنّ وإداركهن ، فقد قال ﷺ مخبراً عن نفسه باستئجاره لرعاية الغنم فى ابتداء حاله، فقال : ما من نبى إلا وقد رعى الغنم .

وأخبرنا الله تعالى بذلك عن موسى عليه السلام، وهذا لاغضاضة فيه جملة واحدة ، لمن ذكره على وجهه ، بخلاف من قصد به الغضاضة والتحقير بل كانت عادة جميع العرب تَرَى فى ذلك للأنبياء حكمة بالغة ، و تدريج لله تعالى إلى كرامته وتدريب برعايتها لسياسة أممهم من خليقته ، بما سبق لهم من الكرامة فى الأزل ، ومتقدم العلم ، وكذلك ذكر الله تعالى يتمه وعيلته على طريق المنة عليه ، والتعريف بكرامته له ، فذكر الذاكر لها على وجه تعريف حاله والخبر عن مبتدئه ، والتعجب من منح الله تعالى قبله ، وعظيم منته عنده ، ليس فيه غضاضة بل فيه دلالة على نبوته ، وصحة دعوته ، إذ أظهره الله تعالى بعد هذا على صناديد العرب ومن ناوأه من أشرافهم ، شيئا فشيئا ، ونمى أمره حتى قهرهم ، وتمكن من ملك مقاليدهم ، واستباحة ممالك كثير من الأمم غيرهم ، بإظهار الله ، تعالى له ، وتأييده بنصره وبالمؤمنين ، وألف بين قلوبهم ، وإمداده بالملائكة المسومين ، ولهذا قال هرقل حين سأل أبا سفيان عنه : هل فى آبائه من ملك ؟ ثم قال : ولوكان فى آبائه ملك لقلنا رجل يطلب ملك أبيه ! وإذا آليتم من صفته وإحدى علاماته فى الكتب المتقدمة ، وأخبار الأمم

السالفة ، وكذا وقع ذكره فى كتاب أرمياء ، وبهذا وصفه ابن ذي يزن لعبد المطلب ، وبحيرا لأبي طالب .

وكذلك إذا وصف بأنه أميّ كما وصفه الله تعالى به، فهى مدحة له ، وفضيلة ثابتة فيه ، وقاعدة معجزته ، إذ معجزته العظمى من القرآن العظيم إنما هى متعلقة بطريق المعارف والعلوم ، مع ما منح ﷺ وفضل به من ذلك ، ووجود مثل ذلك من رجل لم يقرأ ،ولم يكتب ولم يدارس ، ولا لُقن ، ومقتضى العجب! ومنتهى العبر ، ومعجزة البشر، وليس فى ذلك نقيصه إذ المطلوب من الكتابة والقراءة والمعرفة إنما هى آله لها واسطة موصّلة إليها غير مرادة فى نفسها فإذا حصلت الثمرة والمطلوب استغنى عن الواسطة والسبّب .

والأمية في غيره نقيصة ، لأنها سبب الجهالة وعنوان الغباوة فسبحان من باين أمره من أمر غيره وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه ، وحياته فيما فيه هلاك من عداه، ففي شق قلبه وإخراج حشوته ، كان تمام حياته ، وغاية قوة نفسه، وثبات روعه ، وهو فيمن سواه منتهى هلاكه وحتم موته وفنائه ، وهلم جرّاً ، إلى سائر ماروي من أخباره وسيره وتقلله من الدنيا من الملبس ، والمطعم والمركب ، وتواضعه ، ومهنته نفسه فى أموره . وخدمة بيته ، زهداً ورغبة عن الدنياً، وتسوية بين حقيرها و خطيرها ، لسرعة فناء أمورها ، وتقلب أحوالها كل هذا من فضائله ،ومآثره ، وشرفه فمن أورد شيئاً منها مورده ، وقصد بها مقصده .

ورحم الله مالكاً ، فلقد كره التحدث بمثل ذلك من الأحادث الموهمة للتشبيه، والمشكلة المعنى ، وقال :مايدعو الناس إلى التحدث بمثل هذا ؟ فقيل له : إن ابن عجلان يحدث بها ، فقال : لم يكن من الفقهاء ، ليت الناس وافقوه على ترك الحديث بها ، وساعدوه على طيها ، فأكثرها ليس تحته عمل ، وقد حكى عن جماعة من السلف بل عنهم على الجملة أنهم كانوا يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل ، والنبى ﷺ أوردها قوماًعرباً يفهمون كلام العرب على وجهه وتصرفاتهم فى حقيقته ، ومجازه، واستعارته ،وبليغه وإيجازه ، فلم تكن فى حقهم مشكلة ، ثم جاء من غلبت عليه العجمة وداخلته الأمية ،فلا يكاد يفهم

من مقاصد العرب إلا نصها وصريحها ، ولا يتحقق إشاراتها إلى غرض الإيجاز، ووحيها وتبليغها ، وتلويحها ، فتفرقوا في تأويلها شذر مذر، من آمن منهمومن كفر

فأما ما لا يصح من هذه الأحاديث فواجب أن لا يذكر منهاشيئ في حق الله تعالى ولا في حق أنبيائه ، ولا يتحدث بها ولا يتكلف الكلام على معانيها ، والصواب طرحها ، وترك الشغل بها ، إلا أن يذكر على وجه التعريف بأنها ضعيفة المفاد ، واهية الإسناد ، وقد أنكر الأشياخ على أبي بكر بن فورك تكلفه في مشكله الكلام على أحاديث ضعيفة موضوعة لا أصل لها ، أو منقولة عن أهل الكتاب الذين يلبسون الحق بالباطل ، كان يكفيه طرحها ويغنيه على الكلام عليها التنبيه على ضعفها ، إذ المقصود بالكلام على مُشكل مافيها ، أزال اللبس بها واجتثاثها من أصلها وطرحها ، أكشف للبس ، وأشفى للنفس

قال : ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي ومالا يجوز والمذاكر أن يلتزم في كلامه عند ذكره ﷺ وذكر تلك الأحوال الواجبة من توقيره وتعظيمه ، ويراقب حال لسانه ، ولا يهمله وتظهر عليه علامات الأدب عند ذكره ﷺ فإذا ذكر ما قاساه من الشدائد ظهر عليه الإشفاق والغيظ على عدوه ، ومودة الفداء للنبي ﷺ والنصره له لو أمكنه ، وإذا أخذ في أبواب العصمه وتكلم على مجاري أعماله وأقواله ﷺ ، يجرى أحسن اللفظ، وأدب العبارة ما أمكنه ، وهجر من العبارة مايقبح كلفظة الجهل ، والكذب، والمعصية .

فإذا تكلم في الأقوال قال : هل يجوز عليه الخلف في القول والإخبار بخلاف ماوقع سهواً أو غلطاً ؟ ونحوه من العبارة ويتجنب لفظه الكذب جملة واحدة ، وإذا تكلم على العلم قال : هل يجوز أن لا يعلم إلا ماعلم ؟ وهل يمكن أن لا يكون عنده علم من بعض الأشياء حتى يوحى إليه ؟ ولا يقول بجهل لقبح اللفظ وبشاعته ، وإذا تكلم في الأفعال قال : هل يجوز منه المخالفة في بعض الأوامر والنواهي ومواقعة الصغائر ؟ فهو أولى وأأدب من قوله : هل يجوز أن يعصي أو يُذْنب ؟ أيفعل كذا وكذا من أنواع المعاصي ؟ فهذا من حق توقيره ﷺ وما يجب له من تعزيز وإعظام .

قال : وإذا كان مثل هذا بين الناس مستعملاً فى آدابهم وحسن معاشرتهم وخطابهم ومطالبهم ، فاستعماله في حقه ﷺ أوجب ، والتزامه آكد ، فجودة العبارة تقبح الشيئ أو تحسنه ، وتحريرها وتهذيبها يعظم الأمر أو يهونه ، ولهذا قال ﷺ : إن من البيان لسحراً .

فأما ما أورده على جهة النفى عنه والتنزيه فلا حرج فى تسريح العبارة وتصريحها فيه ، كقوله : لا يجوز عليه الكذب جملة ولا إتيان الكبائر بوجه ، ولا الجور فى الحكم على حال ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره ، وتعظيمه ، وتعزيزه عند ذكره مجرداً، فكيف عند ذكر مثل هذا ؟

قال فى حكم سابّه ،و شانئه ، ومنتقصه ومؤذيه : وعقوبته أن مشهور مذهب مالك وأصحابه وقول السلف وجمهور العلماء قبله حداً لا كفراً إن أظهر التوبة منه ولهذا لا يقبل عندهم توبته ،لا تنفعه استقالته ولا فيأته فيه ، وحكمه حكم الزنديق ، ومُسرّ الكفر ، وسواء كانت توبته على هذا بعد القدرة عليه ، والشهادة علَى قوله ، أو جاء تائبا من قبل نفسه ، لأنه حد واجب لا تسقطه التوبة .

قال أبو الحسن القابسي : إذا أقر بالسب وتاب منه وأظهر التوبة قتل بالسب لأنه هو حده .

قال القاضي عياض : وهذا قول أصبغ ، ومسألة سابّ النبي ﷺ أقوى ، لا يتصور فيها الخلاف على الأصل لأنه حق متعلق للنبي ﷺ ولأمته بسببه لاتسقطه التوبه كسائر حقوق الآدميين ، والزنديق اذا تاب بعد القدرة عليه فعند مالك والليث وإسحاق وأحمد لا تُقبل توبته ، وعند الشافعي تُقبل ، واختلف فيه عن أبي حنيفه وأبي يوسف . وحكى ابن المنذر عن علي بن أبى طالب يستتاب ، وقال محمد بن سحنون : ولم يزل القتل عن المسلم بالتوبة من سبه ﷺ، لأنه لم ينتقل من دين إلى غيره ، وإنما فعل شيئاً حده عندنا القتل لا عفو فيه لأحد كالزنديق ، لأنه لم ينتقل من ظاهر إلى ظاهر .

وقال القاضي أبو محمد بن نصر محتجاً لسقوط اعتبار توبته : والفرق بينه وبين من سبَّ الله تعالى على مشهور القول باستتابته أن النبي ﷺ بشر ،

والبشر جنس تلحقهم المعرة إلا من أكرمه الله تعالى بنبوته ، والبارئ تعالى منزه عن جميع المعايب قطعاً ، وليس من جنس تلحق المعرة بجنسه، وليس سبه ﷺ كالارتداد المقبول فيه التوبة ، لأن الارتداد معنى ينفرد به المرتد لا حق فيه لغيره من الآدميين ، فقبلت توبته ومن سب النبى ﷺ تعلق فيه حق لآدمي فكان كالمرتد ويقتل حين ارتداده ، أو يقذف ، فإن توبته لا تُسقط عنه حدّ القتل والقذف .

وأيضاً فإن توبة المرتد إذا قبلت لا تسقط ذنوبه من زناً وسرقة وغيرها ولم يقتل سابّ النبي لكفره لكن لمن يرجع إلى تعظيم حرمته ، وزوال المعرّة به، وذلك لا تسقطه التوبة .

قال القاضي عياض : يريد ـ والله أعلم ـ أن سبَّه لم يكن بكلمة تقتضى الكفر ، ولكن بمعنى الإزراء أو الاستخفاف أو لأن بتوبته وإظهار إنابته ارتفع عنه اسم الكفر ظاهراً، والله تعالى أعلم بسريرته ، وبقى حكم السب عليه .

وقال أبو عمران القابسّي : من سبَّ النبي ﷺ ثم ارتد عن الإسلام قتل ، ولم يُستتب ، لأن السبّ من حقوق الآدميين التى لا تسقط عن المرتد .

قال القاضي عياض : وكلام شيوخنا هؤلاء مبني على القول بقتله حداً لا كفراً وهو يحتاج إلى تفصيل ، وأما على رواية الوليد بن مسلم ، عن مالك ومن وافقه على ذلك ممن ذكرناه، وقال به من أهل العلم ، فقد حرروا أنه ردة ، قالوا : ويستتاب منها ، فإن تاب نكل به ، وإن أبى قتل ، فحكم بحكم المرتد مطلقاً فى هذا الوجه الأول أشهر وأظهر لما قدمناه .

ونحن نبسط الكلام فيه فنقول : من لم يره ردة فهو يوجب القتل وفيه حداً ، وإنما نقول ذلك مع فصلين ، إما مع إنكاره ما شهد عليه به ، أو إظهاره الإقلاع والتوبة عنه ، فنقتله حداً لثبات كلمة الكفر عليه فى حق النبي ﷺ وتحقيره ما عظم الله تعالى من حقه ، وأجرينا حكمه فى ميراثه وغير ذلك حكم الزنديق إذا ظهر عليه ،وأنكر أو تاب .

فإن قيل : فكيف تثبتون عليه الكفر ويشهد عليه بكلمة الكفر ولا تحكمون

عليه بحكمه من الاستتابة وتوابعها ؟ قلنا : نحن وإن أثبتنا له حكم الكافر في القتل فلا يقطع عليه بذلك لإقراره بالتوحيد والنبوة ، وإنكاره ماشهد به عليه أو زعمه أن ذلك كان منه ذهلاً ومعصية ، وأنه مقلع عن ذلك نادم عليه ولا يمتنع إثبات بعض أحكام الكفر على شخص وإن لم تثبت له خصائصه كقتل تارك الصلاة .

وأما من علم أنه سبه معتقداً لاستحلاله ، فلا شك في كفره بذلك ، وكذلك إن كان سبه في نفسه كفر كتكذيبه ، أو تكفيره ، ونحوه ، فهذا مما لاإشكال فيه ، ويقتل وإن تاب منه ، لأنا لا نقبل توبته ونقتله بعد التوبة حداً ، لقوله ومتقدم كفره، وأمره بعد إلى الله تعالى المطلع على صحة إقلاعه ، العالم بسره وكذلك من لم يظهر إلى التوبة واعترف بما شهد به عليه ، وصمم عليه ، فهذا كافر بقوله وباستحلاله ، هتك حرمة الله تعالى وحرمة نبيه ﷺ يقتل كافراً بلا خلاف ، فعلى هذه التفصيلات يؤخذ كلام العلماء ونزل مختلف عبارتهم في الاحتجاج عليها وأخذ اختلافهم في الموارثة وغيرها على ترتيبها ، يتضح لك مقاصدهم ، إن شاء الله تعالى .

حكى ابن القصار أنه إجماع من الصحابة - رضي الله تبارك وتعالى عنهم- على تصويب قول عمر في الاستتابة ولم ينكره واحد منهم ، وهو قول عثمان ، وعلي وابن مسعود ، وبه قال عطاء بن أبي رباح ، والنخعي ، والثوري ومالك، وأصحابه والأوزاعي والشافعي ، وأحمد ، وإسحاق ، وأصحاب الرأي ، وذهب طاووس ، وعبيد بن عمير ، والحسن في إحدى الروايتين عنه ، أنه لا يستتاب ، وقاله عبد العزيز بن أبي شيبة ، وذكره معاذ ، وأنكر سحنون عن معاذ ، وحكاه الطحاوي عن أبي يوسف، وهو قول أهل الظاهر .

قالوا : وتنفعه توبته عند الله تعالى ولكن لا ندرأ القتل عنه لقوله ﷺ : من بدل دينه : فاقتلوه ، وحكى أيضاً عن عطاء أنه إن كان ممن ولد في الإسلام لم يستتب ، ويستتاب الإسلامي ، وجمهور العلماء على أن المرتد والمرتدة في ذلك سواء.روى عن علي لا تقتل المرتدة وتسترق، وقال عطاء وقتادة ، وروي عن ابن عباس -رضي الله تبارك وتعالى عنهما- : لاتقتل النساء في الردة ،

وبه قال أبو حنيفة ، وقال مالك : والحر والعبد والذكر والأنثى فى ذلك سواء.

وأما مدتها : فمذهب الجمهور ، وروى عن ابن عمر أنه يستتاب ثلاثة أيام يحبس فيها ، وقد اختلف فيه عن عمر وهو أحد قولى الشافعي ، وقول أحمد وإسحاق ، واستحسنه مالك . وقال لا يأتي الاستظهار إلا بخير ، وليس عليه جماعة الناس .

قال ابن أبي زيد: يزيد فى الاستتابة ثلاثاً ، وقال مالك أيضا : الذى آخذ به فى المرتد قول ابن عمر يحبس ثلاثة أيام ويعرض عليه كل يوم فإن تاب وإلا قتل ، وقال ابن القصار: فى تأخيره ثلاثا روايتان عن مالك : هل ذلك واجب أو مستحب ؟ واستحسن الاستتابة والاستيناء ثلاثاً أصحاب الرأي ، وروى عن أبي بكر الصديق - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أنه استتاب امرأة فلم تتب فقتلها ، وقال الشافعي مرة : إن لم يتب مكانه وإلا قتل ، واستحسنه المزني وقال الزهري : يدعى إلى الإسلام ثلاث مرات ، فإن أبى قتل ، وروى عن علي : يستتاب شهرين ، وقال النخعي : يستتاب أبداً وبه أخذ الثوري ما رجيت توبته ، وحكى ابن القصار عن أبي حنيفة أنه يستتاب ثلاث مرات ، فإن أبى ضربت عنقه ، واختلف على هذا ، هل يهدد أو يشدد عليه أيام الاستتابة ليتوب أم لا ؟

فقال مالك : ما علمت فى الاستتابة تجويعا ولا تعطيشا ويؤتى من الطعام بما لا يضره .

قال أصبغ : وأي المواضع حبس فيها من السجون مع الناس أو وحده اذا استوثق منه سواء ، ويوقف ماله إذا أخيف أن يتلفه على المسلمين ويطعم منه ويسقى ، وكذلك يستتاب أبدا كلما رجع وارتد . وهو قول الشافعي وأحمد . وقاله ابن القاسم ، وقال إسحاق : يقتل فى الرابعة . وقال أصحاب الرأي : وإن لم يتب فى الرابعة قتل دون استتابة ، وإن تاب ضرب ضربا وجيعا . ولم يخرج من السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة .

قال ابن المنذر : ولا نعلم أحدا أوجب على المرتد فى المرة الأولى أدبا إذا رجع وهو على مذهب مالك والشافعي والكوفي .

قال القاضى عياض : هذا ، وحكم من ثبت عليه بما شهد عليه ذلك بما يجب ثبوته من إقرار أو عدول لم يدفع منهم فأما من لم تتم الشهادة عليه بما شهد عليه الواحد أو اللفيف من الناس ، أو ثبت قوله ، لكن احتمل ولم يكن صريحاً وكذلك إن من تاب على القول بقبول توبته ، فهذا يدرأ عنه القتل، ويتسلط عليه اجتهاد الإمام بقدر شهرة حاله ، وقوة الشهادة عليه وضعفها ، وكره السماع عنه ، وصورة حاله من التهمة فى الدين والتميز بالسفه والمجون، فمن قوى أمره أذاقه من شديد النكال من التضييق فى السجن ، والشد فى القيود ، إلى الغاية التى منتهى طاقته ، مما لا يمنعه القيام لضرورته ولا يقعده عن صلاته ، وهو حكم كل من وجب عليه القتل .

قال القابسي في مثل هذا : ومن كان أقصى أمره القتل فعاق عائق أشكل فى القتل لم ينبغ أن يُطلق من السجن ويستطال سجنه ، ولوكان فيه من المدة ما عسى أن يقيم ، ويحمل عليه من القيد ما يطيق ، وقال فى مثلها مما أشكل أمره ، فشد فى القيود شداً ويضيق عليه فى السجن حتى ينظر فيما يجب عليه فقال فى مسأله أخرى مثلهما : ولا يهراق الدم إلا بالأمر الواضح ، وفى الأدب بالسوط ، والسجن ، نكال للسفهاء ، ويعاقب عقوبة شديدة فأما إن لم يشهد عليه سوى شاهدين ، فأثبت من عدولهما أو جرحهما ، ما أسقطهما عنه ، ولم يسمع ذلك من غيرهما ، فأمره أخف ، لسقوط الحكم عنه ، وكأنه لم يشهد عليه إلا أن يكون ممن يليق به ذلك ويكون الشاهدان من أهل التبريز فأسقطهما بعداوة فهو وإن لم بنفذ الحكم عليه بشهادتهما ، فلا يدفع الظن صدقها ، للحاكم هنا فى تنكيله موضع اجتهاد ، والله ولى الإرشاد .

فصل في حكم الذميّ
إذا صرح بسب النبي ﷺ أو عَرَّض أو استخَفَّ بقدره

قال القاضي عياض : أما الذمّيّ إذصرَّحَ بسَبِّه أو عرض أو استخف بقدره ، أو وصفه ﷺ بغير الوجه الذى كفر به فلا خلاف عندنا فى قتله إن لم يسلم ، لأنا لم نُعطه العهد على هذا ، وهو قول عامة العلماء إلا أبا حنيفة، والثوري، وأتباعهما من أهل الكوفة ، فإنهم قالوا : لا يقتل لأن ماهو عليه من الشرك أعظم ، ولكن يؤدب ويعذر .

واستدل بعض شيوخنا على قتله بقوله تعالى : **﴿وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون﴾**(١) .

ويستدل أيضاً بقتل النبيّ ﷺ لابن الأشرف وأشباهه ، ولأنا لم نعاهدهم ولم نعطهم الذمة على هذا ولا يجوز لنا أن نفعل ذلك معهم ، فإذا أتوا مالم يعطوا عليه العهد ولا الذمة ، فقد نقضوا ذمتهم، وصاروا كفاراً أهل حرب يقتلون لكفرهم .

وأيضاً فإن ذمتهم لا تسقط ، حدود الإسلام عنهم، من القطع في سرقة أموالهم والقتل لمن قتلوه منهم وإن كان ذلك حلالاً عندهم فكذلك سبهم للنبي ﷺ يقتلون به وردت لأصحابنا ظواهر تقتضى الخلاف إذا ذكره الذمي بالوجه الذى كفر به ستقف عليها من كلام ابن القاسم وابن سحنون بعد .

وحكى أبو المصْعَب الخلاف فيها عن أصحابه المدنيين ، واختلفوا إذا سبه ثم أسلم فقيل : يسقط إسلامه قتله ، لأن الإسلام يجب ماقبله ، بخلاف المسلم إذا سبه ثم تاب لأنا نعلم باطنه الكافر فى بغضه له ، وتنقصه بقلبه ، لكنا منعناه من إظهاره ، فلم يزدنا ماأظهر الإمخالفة للأمر و نقضاً للعهد ، فإذا

---

(١) التوبة : ١٢ .

(٢) الأنفال : ٣٨ .

رجع عن ذنبه الأول إلى الإسلام سقط ما قبله . قال الله تعالى: **﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين﴾**(٢) والمسلم بخلافه إذ كان ظننا بباطنه حكم بظاهره وخلاف ما بدا منه الآن ، فلم يقبل بعد رجوعه ، ولا استنمنا الي باطِنِه اذْ قد بَدَتْ سَرائِرُهُ وماثَبَتَ عليه مِنَ الأحكام باقية عليه لم يسقطها شئ .

وقيل: لا يسقط إسلام الذمي الساب قتله لأنه حق للنبي صلي الله عليه وسلم وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده إلحاق النقيصة والمعرة به فلم يكن رجوعه إلي الإسلام بالذى يسقطه كما وجب عليه من حقوق المسلمين من قبل إسلامه من قتل وقذف ، وإذا كنا لا نقبل توبة المسلم فإن لا نقبل توبة الكافر أولي .

قال مالك في كتاب ابن حبيب (المبسوط) وابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم وأصبغ فيمن شتم نبينا ﷺ من أهل الذمة أو أحدا من الأنبياء عليهم السلام : قتل إلا أن يسلم وقاله ابن القاسم في (العتبية) وعند محمد وابن سحنون وقال سحنون وأصبغ : لا يقال له أسلم ولا لاتسلم ولكن إن أسلم فذلك له توبة . وفي كتاب محمد أخبرنا أصحاب مالك أنه قال : من سب رسول الله ﷺ أو غيره من النبيين من مسلم أو كافر قتل ولم يستتب وروي لنا عن مالك : إلا أن يسلم الكافر . وقد روى ابن وهب عن ابن عمر أن راهباً تناول النبي ﷺ فقال ابن عمر : فهلا قتلتموه ؟ وروى عيسى عن ابن القاسم في ذميّ قال : إن محمداً لم يرسل إلينا إنما أرسل إليكم وإنما نبينا موسى أو عيسى ونحو هذا لاشئ عليهم لأن الله تعالى أقرهم على مثله .

وأما إن سبه فقال: ليس بنبي ، أو لم يرسل أو لم ينزل عليه قرآن وإنما هو شئ تقوله أو نحو هذا فيقتل . قال ابن القاسم : وإذا قال النصراني ديننا خير من دينكم إنما دينكم دين الحمير ونحو هذا من القبيح ، أو سمع المؤذن يقول : أشهد أن محمد رسول الله فقال : كذلك يعطيكم الله ، ففى هذا الأدب الموجع والسجن الطويل .

قال: وأما إن شتم النبي ﷺ شتماً يعرف فإنه يقتل إلا أن يسلم ، قاله مالك غير مرة ، ولم يقل : يستتاب .

قال ابن القاسم : ومحمل قوله عندي إن أسلم طائعا.وقال ابن سحنون في سؤالات سليمان بن سالم في اليهودي يقول للمؤذن إذا تشهد : كذبت ، يعاقب العقوبة الموجعة مع السجن الطويل .

وفي (النوادر) من رواية سحنون عنه : من شتم الأنبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا ضربت عنقه إلا أن يسلم . قال محمد بن سحنون : فإن قيل : لم قتلت فى سب النبي ﷺ ومن دينه سبه وتكذيبه ؟ قيل: لأنا لم نعطهم العهد على ذلك ، ولا علي قتلنا ، وأخذ أموالنا ، فإذا قتل واحداً منا قتلناه ، وإن كان من دينه استحلاله فكذلك إظهاره لسب نبينا ﷺ .

قال سحنون :كمال بذل لنا أهل الحرب الجزية على إقرارهم على سبه لم يجز لنا ذلك في قول قائل ، كذلك ينتقض عهد من سب منهم ، ويحل لنا دمه، وكما لم يحصن الإسلام من سبه من القتل كذلك لا تحصنه الذمة .

قال القاضى أبو الفضل : ماذكره ابن سحنون عن نفسه وعن أبيه مخالف لقول ابن القاسم فيما خفف عقوبتهم فيه مما به كفروا فتأمله ويدل علي أنه خلاف ماروى عن المدنيين في ذلك ، فحكى أبو المصعب الزهري قال : أتيت بنصرانيّ قال : والذي اصطفي عيسى على محمد فاختلف عليه فيه فضربته حتي قتلته أوعاش يوماً وليلة وأمرت من جرّ برجله ، وطرح علي مزبلة فأكلته الكلاب .

وسئل أبو المصعب عن نصرانيّ قال:عيسى خلق محمداً فقال:يقتل وقال ابن القاسم:سألنا مالكاً عن نصراني بمصر شهد عليه أنه قال : مسكين محمد! يخبركم أنه فى الجنة ! ماله لم ينفع نفسه ؟ إذ كانت الكلاب تأكل ساقيه ؟ لو قتلوه استراح منه الناس . قال مالك : أري أن تضرب عنقه ، قال ولقد كدت أن لا أتكلم فيها بشئ ، ثم رأيت أنه لايسعني الصمت .

قال ابن كنانة فى (المبسوطة):من شتم النبي ﷺ من اليهود والنصارى فأري للامام أن يحرقه بالنار وإن شاء قتله ، ثم حرق جثته ، وإن شاء أحرقه بالنار حياً إذا تهافتوا في سبه .

ولقد كتب إلي مالك من مصر وذكروا مسألة ابن القاسم المتقدمة قال :

فأمرني مالك فكتبت بأن يقتل وتضرب عنقه ، فكتبت ، ثم قلت : يا أبا عبد الله واكتب : ثم يحرق بالنار ، فقال : إنه لحقيق بذلك ، وما أولاه به كتبته بيدي بين يديه فما أنكره ولاعابه ونفذت الصحيفة بذلك ، فقتل وحرق .

وأفتي عبيد الله بن يحيي وابن لبابة في جماعة من سلف أصحابنا الأندلسيين بقتل نصرانية استهلت بنفي الربوبية ونبوة عيسى لله وتكذيب محمد في النبوة وبقبول إسلامها ودرء القتل عنها به ، قال غير واحد من المتأخرين منهم القابسي وابن الكاتب وقال أبو القاسم بن الجلاب في كتابه : من سب الله ورسوله من مسلم أو كافر قتل ولايستتاب .

وحكي القاضى أبو محمد في الذمي يسب ثم يسلم روايتين في درء القتل عنه بإسلامه ، وقال ابن سحنون : وحد القذف وشبهه من حقوق العباد لايسقطه عن الذمي إسلامه وانما يسقط عنه بإسلامه حدود الله ، فأما حد القذف فحق للعباد كان ذلك لنبي أو غيره ، فأوجب على الذميّ إذا قذف النبي ﷺ ثم أسلم حد القذف ولكن انظر ماذا يجب عليه ، هل حد القذف في حق النبي ﷺ وهو القتل لزيادة حرمة النبي ﷺ على غيره ؟ أم هل يسقط القتل بإسلامه ويحد ثمانين ؟ فتأمله

فصل فى ميراث من قتل فى سب النبي ﷺ وغسله والصلاة عليه

اختلف العلماء في ميراث من قتل بسب النبي ﷺ فذهب سحنون إلي أنه لجماعة المسلمين من قبل أن شتم النبي ﷺ كفر يشبه كفر الزنديق .

وقال أصبغ : ميراثه لورثته من المسلمين ان كان مستسراً بذلك .وإن كان مظهراً له مستهلا به ، فميراثه للمسلمين ، ويقتل على كل حال ولايستتاب .

قال أبو الحسن القابسى : إن قتل وهو منكر للشهادة عليه فالحكم في ميراثه على ماأظهر من إقراره يعني لورثته والقتل حد ثبت عليه ليس من الميراث في شئ وكذلك لو أقر بالسب وأظهر التوبة لقتل إذ هو حده وحكمه فى ميراثه،

و سائر أحكامه حكم الإسلام ، و لو أقر بالسب و تمادى عليه و أبى التوبة منه فقتل على ذلك كان كافراً ، وميراثه للمسلمين ،ولا يغسل ، ولا يصلى عليه ، ولا يكفن وتستر عورته و يوارى كما يفعل بالكفار.

وقول الشيخ أبى الحسن في المجاهر المتمادي بين لا يمكن الخلاف فيه لأنه كافر ، مرتد ، غير تائب ، ولا مقلع ، وهو مثل قول أصبغ وكذلك في كتاب ابن سحنون في الزنديق : يتمادى على قوله ، ومثله لابن القاسم في (العتيبة) ولجماعة من أصحاب مالك في كتاب ابن حبيب فيمن أعلن كفره مثله قال ابن القاسم : وحكمه حكم المرتد ، لا ترثه ورثته من المسلمين ، ولا من أهل الدين الذي ارتد إليه ، ولا يجوز وصاياه ، ولا عتقه ، وقاله أصبغ ، قبل ذلك أو مات عليه.

و قال أبو محمد بن أبى زيد و إنما يختلف في ميراث الزنديق الذي يستهل بالتوبة فلا تقبل منه ، فأما المتمادي فلا خلاف أنه لا يورث.

وقال أبو محمد فيمن سب الله تعالى ثم مات ولم تعدل عليه بينة أو لم تقبل إنه يصلى عليه وروى أصبغ عن ابن القاسم في كتاب ابن حبيب فيمن كذب برسول الله ﷺ أو أعلن دينا مما يفارق به الإسلام إن ميراثه للمسلمين وقال بقول مالك إن ميراث المرتد للمسلمين ولا ترثه ورثته ربيعة والشافعي وأبو ثور وابن ليلى واختلف فيه عن أحمد.

وقال على بن أبي طالب – رضي الله تبارك وتعالى عنه – وابن سعود ، وابن المسيب ، والحسن ، والشعبي ، وعمر بن عبد العزيز ، والحكم والأوزاعي ، والليث وأسحق ، وأبو حنيفة : يرث ورثته من المسلمين . وقيل : ذلك فيما كسبه قبل ارتداده ، وما كسبه فى الارتداد فللمسلمين.

وتفصيل أبي الحسن في باقي جوابه حسن بين ، وهو على رأى أصبغ ، وخلاف قول سحنون ، واختلافهما على قولي مالك في ميراث الزنديق ، فمرة ورثه ورثته من المسلمين قامت عليه بذلك بينة فأنكرها ، أو اعترف بذلك وأظهر التوبة ، وقاله أصبغ ، ومحمد بن مسلمة ، وغير واحد من أصحابه لأنه مظهر للإسلام بإنكاره أو توبته ، وحكمه حكم المنافقين الذين كانوا على عهد

رسول الله ﷺ .

وروي ابن نافع عنه في (العتبية) وكتاب محمد أن ميراثه لجماعة المسلمين لأن ماله تبع لدمه ، وقال به أيضاً جماعة من أصحابه . وقاله أشهب، والمغيرة ، وعبد الملك ، ومحمد ، وسحنون ، وذهب ابن قاسم في (العتبية) إلي أنه إن اعترف بما شهد عليه به وتاب فقتل فلا يورث ، وإن لم يقر حتي مات أو قتل ورث . قال : وكذلك كل من أسرَّ كفراً فإنهم يتوارثون بوراثة الإسلام ، وسئل أبو القاسم بن الكاتب عن النصراني يسب النبي ﷺ فيقتل ، هل يرثه أهل دينه أم المسلمون ؟ فأجاب : إنه للمسلمين ليس على جهة الميراث لأنه لا توارث بين أهل ملتين ، ولكن لأنه من فيئهم لنقضه العهد . هذا معنى قوله واختصاره .

فصل فى حكم من سب الله تعالى وملائكته وأنبياءه وكتبه وآل النبي ﷺ وأزواجه وصحبه

قال القاضي عياض :لاخلاف أن سابّ الله تعالى من المسلمين كافر ، حلال الدم ، واختلف في استتابته ، فقال ابن القاسم في المبسوط . وفي كتاب ابن سحنون ومحمد ورواها ابن القاسم عن مالك في كتاب إسحق بن يحي : من سب الله تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب الا أن يكون افتراء على الله بارتداده إلى دين دان به وأظهره فيستتاب وإن لم يظهره لم يستتب .

وقال في (المبسوطة) مطرف وعبد الملك مثله وقال المخزومي ومحمد بن مسلمة وابن أبي حازم لايقتل المسلم بالسب حتي يستتاب وكذلك اليهودي والنصراني فإن تابوا قبل منهم وإن لم يتوبوا قتلوا ، ولابد من الاستتابة وذلك كله كالردة وهو الذى حكاه القاضي ابن نصر عن المذهب . وأفتي أبو محمد بن أبي زيد فيما حكي عنه فى رجل لعن رجلاً ولعن الله ، فقال : إنما أردت أن ألعن الشيطان فزل لساني فقال : يقتل بظاهر كفره ولايقبل عذره ، وأما فيما بينه وبين الله تعالى فمعذور ، واختلف فقهاء قرطبة في مسألة هارون بن حبيب

أخي عبد الملك الفقيه ، وكان ضيق الصدر كثير التبرم ، وكان قد شهد عليه بشهادات منها أنه قال استقلاله من مرض : لقيت في مرضي هذا مالو قتلت أبا بكر وعمر لم أستوجب هذا كله ، فأفتى إبراهيم بن حسين بن خالد بقتله وإن ضمَّن قوله تجوير لله تعالى وتظلم منه والتعريض فيه كالتصريح .

وأفتى أخوه عبد الملك بن حبيب وإبراهيم بن حسين بن عاصم وسعيد بن سليمان القاضى بطرح القتل عنه إلا أن القاضي رأى عليه التثقيل في الحبس والشدة فى الأدب لاحتمال كلامه وصرفه إلي التشكي ، فوجه من قال فى ساب الله بالاستتابة أنه كفر وردة محضة ، لم يتعلق بها حق لغير الله فأشبه قصد الكفر بغير سب الله ، وإظهار الانتقال إلى دين آخر من الأديان المخالفة للإسلام .

ووجه ترك استتباته أنه لما ظهر منه ذلك بعد إظهار الإسلام قبل اتهمناه وظننا أن لسانه لم ينطق به إلا وهو معتقد له إذ لا يتساهل في هذا أحد فحكم له بحكم الزنديق ولم تقبل توبته ، وإذا انتقل من دين إلي دين آخر وأظهر السب بمعنى الارتداد فهذا قد أعلم أنه خلع ربقة الإسلام من عنقه بخلاف الأول المستمسك به ، وحكم هذا حكم المرتد يستتاب علي مشهور مذاهب أكثر العلماء ، وهو مذهب مالك وأصحابه ، على مابيناه قبل وذكرنا الخلاف في فصوله .

وأما من أضاف إلي الله تعالى مالا يليق به ليس علي طريق السب ولا الردة وقصد الكفر ولكن على طريق التأويل والاجتهاد والخطأ المفضي إلى الهوى ولبدعة من تشبيه أو نعت بجارحة أو نفي صفة كمال فهذا مما اختلف السلف والخلف في تكفير قائله ومعتقده .

واختلف قول مالك وأصحابه في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم اذا تحيزوا فئة وأنهم يستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا وإنما اختلفوا في المنفرد منهم فأكثر قول مالك وأصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة في عقوبتهم وإطالة سجنهم حتي يظر إقلاعهم وتستبين توبتهم كما فعل عمر رضي الله عنه بصبيغ . وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج وعبد الملك بن الماجشون وقول سحنون في جميع أهل الأهواء وبه فسر قول مالك في الموطأ وما رواه عن عمر

ابن عبد العزيز وجده وعمه من قولهم . في القدرية يستتابون فإن تابوا والا قتلوا ، وقال عيسى بن القاسم في أهل الأهواء من الإباضية والقدرية وشبههم ممن خالف الجماعة من أهل البدع والتحريف لتأويل كتاب الله : يستتابون أظهروا ذلك أو أسروه ، فإن تابوا وإلا قتلوا وميراثهم لورثتهم .

وقال مثله أيضاً ابن القاسم في كتاب محمد في أهل القدر وغيرهم قال : واستتابتهم أن يقال لهم اتركوا ما أنتم عليه ومثله في المبسوط في الإباضية والقدرية وسائر أهل البدع قال : وهم مسلمون ، وإنما قتلوا لرأيهم السوء وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز .

قال ابن القاسم : من قال إن الله لم يكلم موسى تكليماً استتيب ، فإن تاب وإلا قتل ، وابن حبيب وغيره من أصحابنا يرى تكفيرهم وتكفير أمثالهم من الخوارج والقدرية والمرجئة . وقد روي أيضاً عن سحنون مثله فيمن قال : ليس لله كلام، أنه كافر، واختلفت الروايات عن مالك فأطلق في رواية الشاميين أبي مسهر ومروان بن محمد الطاطرى الكفر عليهم وقد شوور في زواج القدري فقال : لا تزوجه ، قال الله تعالي : **﴿ولعبد مؤمن خير من مشرك﴾** وروي عنه أيضاً : أهل الأهواء كلهم كفار : وقال : من وصف شيئاً من ذات الله تعالى وأشار إلي شئ من جسده يد أو سمع أو بصر قطع ذلك منه، شبه الله بنفسه .

وقال فيمن قال : القرآن مخلوق فاقتلوه ، وقال أيضاً في رواية ابن نافع: يجلد ويوجع ضرباً ويحبس حتي يتوب ، وفي رواية بشر بن بكر التنيسي عنه يقتل ولا تقبل توبته .

قال القاضي أبوعبد الله البرنكانى والقاضي أبو عبد الله التستري من أئمة العراقيين : جوابه مختلف ، قتل المستبصر الداعية وعلى هذا الخلاف اختلف قوله في إعادة الصلاة خلفهم ، وحكي ابن المنذر عن الشافعي : لايستتاب القدريّ ، وأكثر أقوال السلف تكفيرهم ، وممن قال به الليث وابن عيينة وابن لهيعة ، وروي عنهم ذلك فيمن قال بخلق القرآن ، وقاله ابن المبارك والأودي ووكيع وحفص بن غياث وأبو إسحاق الفزاري وهشيم وعلي بن عاصم في آخرين وهو من قول أكثر المحدثين والفقهاء والمتكلمين فيهم .

فصل في ذكر مرض رسول الله ﷺ ووفاته

خرج مسلم من حديث يزيد عن أبى بردة ، عن أبي موسى - رضى الله تبارك وتعالى عنه - عن النبي ﷺ قال : إن الله عز وجل إذا أراد رحمة أمة من عباده قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطاً وسلفاً بين يديها ، وإذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها حي ، فأهلكها وهو ينظر فأقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره ، ذكره فى المناقب .

وقال المعتمر بن سليمان ، عن أبيه سليمان في كتاب (مغازي رسول الله ﷺ) ثم قدم رسول الله ﷺ يعني من حجة الوادع فأقام بقية ذي الحجة والمحرم واثنين وعشرين ليلة من صفر ثم مرض مرضه الذي توفي فيه وبدأ وجعه ﷺ عند وليدة له يقال لها ريحانة كانت من سبي اليهود وكان أول يوم مرض فيه ﷺ يوم السبت اشتد به وجعه يومه وليلته ثم أصبح فأذن المؤذن بالصلاة ثم ثوب فلما رأى المسلمون أن نبي الله ﷺ لا يخرج أمروا مؤذنا فدخل عليه فإذا رسول الله ﷺ شديد الوصب فقال الصلاة يا رسول الله فقال ﷺ : لا أستطيع الصلاة خارجا ، وسأله من على الباب فأخبره من كان عليه فقال رسول الله ﷺ : مر عمر بن الخطاب فليصل بالناس .

فخرج بلال المؤذن وهو يبكي فقال له المسلمون : ما وراءك يا بلال ؟ فقال إن رسول لله ﷺ لا يستطيع الصلاة خارجا فبكى بكاء شديدا وقال . لعمر ابن الخطاب إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تصلي بالناس ، قال : ما كنت لأتقدم بين يدي أبي بكر - رضى الله تبارك وتعالى عنه - أبدا فادخل على نبي الله ﷺ فأخبره أن أبا بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - وبالذي قال عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال ﷺ : نعم ما رأى مر أبا بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فليصل بالناس فخرج إلى أبي بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فأمره فصلى أبو بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - بالناس ثمانية أيام واشتد برسول الله ﷺ وجعه في تلك الأيام فدخل عليه العباس بن عبد المطلب عمه - رضي الله تبارك وتعالى عنه - وقد أغمي عليه فقال العباس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - لأزواج النبى ﷺ وسلم لو لددتنه ! قلن : إنا لا نجتريء على ذلك وأخذ العباس - رضي الله تبارك

وتعالى عنه - فلده .

فأفاق رسول الله ﷺ فقال : من لدني ؟ فقد أقسمت ليلـــدن إلا أن يكـــون العباس فإنكم لددتمونى وأنا صائم ، قلن : إن العباس هو لدك ، قال ﷺ ومـــا حملكم على اللدود وما خفتن علي ؟ قالوا : خفنا عليك ذات الجنب ، قـــال : إن الله تعالى لم يكن ليسلطه علي فيجاف رسول الله ﷺ من وجعه ذلك يومـــه ، فخرج من العدد هو اليوم العاشر الذي مات فيه ﷺ فصلى بالناس صلاة الغـداة ورأى المؤمنون أنه قد برأ ففرحوا به فرحا شديدا ثم جلس فى مصلاه يحدثـــهم ويقول : لعن الله أقواما اتخذوا قبورهم مساجدهم يعنـــي اليـــهود والنصـــارى وحدثهم حتى أضحى ثم أقام ﷺ إلى بيته فلم يتفرق الناس من مجلســـهم حتـــى سمعوا صياح النساء وهن يقلن الماء الماء ، ترين أنه قد غشي قلبه ، وابتـــدر المسلمون الباب فسبقهم العباس ﷺ فدخل وأغلق الباب دونهم فلم يلبث إلـــى أن خرج إلى الناس فنعى رسول الله ﷺ لهم نفسه فقالوا : يا عباس ما أدراك منه ؟ قال : أدركته وهول يقول جلال ربي الرفيع قد بلغت ، ثم قضي ، فكـــان هـــذا آخر شئ تكلم به رسول الله ﷺ وكانت وفاته ﷺ يوم الاثنين لليلتين خلتـــا مـــن ربيع الأول لتمام عشر سنين من مقدمه المدينة فقال رجل من أصحاب رســـول الله ﷺ : كيف يموت رسول الله ﷺ ولم يظهر على الدين ؟ إنما أغمـــي علـــى رسول الله ﷺ ، فأتوا الباب فقالوا : لا تدفنوه فإنه حي ، فخـــرج العبـــاس ﷺ فقال : أيها الناس هل عند أحد منكم عهد من رسول الله ﷺ فى شأن وفاتـــه ؟ قالوا : قال العباس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أحمد الله أنـــا أشـــهد أن رسول الله ﷺ قد ذاق الموت ولقد أخبره الله تعالى بذلك وهو بين أظهركم فقـــال : ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴾ (١) .

فعـــرف النـــاس أن رســـول الله ﷺ قد توفـــي فخلوا بينه وبيـــن أهلـــه فغسلـــوه وكفنـــوه فقـــال بعضهـــم : ادفنـــوه عنـــد المقـــام فـــــى مصـــلاه فقال العبـــاس - رضـــي الله تبـــارك وتعالـــى عنـــه - : إنمـــا عهـدكـــم بـــرســـول الله ﷺ قبـــل أن يمـــوت بساعـــة وهـــو يقـــول :

---

(١) الزمر : ٣٠ .

لعن الله قوما اتخذوا قبورهم مساجداً وإنما ذكر ذلك لكم رسول الله ﷺ لكيلا تدفنوه فى مصلاه ، فقالوا : فيدفن إذاً بالبقيع ، قال العباس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - لعمر : والله لا ندفنه بالبقيع قالوا : لم ؟ قال لأنه لا يزال عبداً وأمره يعود إلى بيت رسول الله ﷺ فتأتيه سيدة فتحتجه قالوا : فأين ندفنه قال - رضي الله تبارك وتعالى عنه - : حيث نزع الله عز وجل نفسه ، ففعلوا فلما فرغوا من غسله وتكفينه وضعوه حيث توفى ، فصلى الناس عليه يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ودفن الأربعاء ، وكانت صلاة الناس عليه ﷺ بغير إمام فبدأ المهاجرون فجعلوا يدخلون البيت ما وسع منهم فيصلون عليه ﷺ ويستغفرون له بغير إمام ثم يخرجون ويدخل آخرون فيفعلون مثل ذلك فلما فرغ المهاجرون دخلت الأنصار ففعلوا مثل ما فعل المهاجرون ، ثم نساء المهاجرين ثم نساء الأنصار بعد ، ولما أخذوا فى دفنه صاحت الأنصار وقالوا : اجعل لنا نصيباً من رسول الله ﷺ عند موته فإنا قد كنا منه بمنزلة فى حياته ، ففعلوا فأدخلوا أوس بن خولي من الأنصار من بني الحبلي فكان فيمن دفن رسول الله ﷺ .

قال المعتمر بن سليمان سمعت أبى يقول مالا أحصي : ما أعلم بعد القرآن كتاباً أصح من هذه السيرة والله تعالى أعلم .

ذكر سيف بن عمر التميمى فى كتاب (الردة) عن علي - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : قدم النبي ﷺ لسبع بقين من ذى الحجة أو ثمان فوجد صداعاً يوم قدم وفترة وقدم عليه فى أول يومه ذلك خلع من البحرين من ربيعة وقدم وافدهم فى أثره بالسلم فوافق النبي ﷺ وقد ندب الناس إليهم فوضع البعث وأمضى عمرو بن العاص - رضي الله تبارك وتعالى عنه - إلى عثمان إلى صفر بن الجليدى يدعوه فمضى عمر- رضي الله تبارك وتعالى عنه - دعوة النبي ﷺ من ذلك الصداع وتلك الفترة لأيام بقين من ذي الحجة وكان المتحلل من الشعر .

عن الشعبي عن نفر من أصحاب النبي ﷺ قالوا : قدم النبي ﷺ مرجعه من حجته فتخلل به السير فمازال مجلوطاً حتى استقر به الوجع وقام به خطيباً

فى آخر يوم من ذي الحجة فقال : ألا ما تتركوا فى جزيرة العــرب دينيــن ، انبذوا إلى كل ذي دين خالف الإسلام أن يخرجوا من جزيرة العرب : ألا لعــن الله الذين يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ، ويتخذون آبــارهن معــاطن،إن أهــل الكتاب خالفوا أنبيائهم واتخذوا قبورهم مساجد ، وآبارهم معاطن فلا تضلوا عن سنتي به .

ذكر نعي النبي ﷺ وإنذاره بذلك قبل موته عليه السلام

اعلم أن رسول الله ﷺ لما أنزل الله تعالى عليه ﴿ **إذا جــاء نصــر الله والفتح** ﴾ [1] كانت علامة لاقتراب ، أجله وعارضه جــبريل عليــه الصــلاة والسلام بالقرآن فى ذلك العام مرتين فكانت علامة أخرى لأجلــه وخــيره الله تعالى بين الدنيا والآخرة ، فاختار الآخرة ، فكانت علامة أخرى لآخر أجلــه ، إلى غير ذلك .

فأما نزول ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾

فخرج البخاري فى غزوة الفتح [2] من طريق موسى بن إسماعيل حدثنا أبو عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان عمــر

---

(١) النصر : ١ .

(٢) (فتح الباري) : ٩٥٣/٨ ، باب (٤) قوله : ﴿ **فسبح بحمد ربك واستغفره إنــه كــان توابــا** ﴾ تواب على العباد ، والتواب من الناس التائب من الذنب ، حديث رقم (٤٩٧٠) هو كلام الفــراء فى موضعين .

قوله : " كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر " أي من شهد بدرا من المهاجرين والأنصار ، وكــانت عادة عمر إذا جلس للناس أن يدخلوا عليه على قدر منازلهم فى السابقة ، وكان ربما أدخل مــع أهل المدينة من ليس منهم إذا كان فيه مزية تجبر ما فاته من ذلك .

قوله : (فكأن بعضهم وجد) أي غضب . ولفظ (وجد) الماضي يستعمل بالاشــتراك بمعنــى الغضب والحب والغنى واللقاء ، سواء كان الذى يلقى ضالة أو مطلوباً أو إنساناً أو غير ذلك .

قوله : (لم تدخل هذا معنا ، ولنا أبناء مثله) ؟ ولابن سعد من طريق عبــد الملــك بــن أبــي سليمان عن سعيد بن جبير (كان أناس من المهاجرين وجدوا على عمر فى إدنائه ابن عبــاس) وفى تاريخ محمد ابن عثمان بن أبي شيبة من طريق عاصم بن كليب عــن أبيــه نحــوه وزاد (وكان عمر أمره أن لا يتكلم حتى يتكلموا ، فسألهم عن شيء فلــم يجيبــوا . وأجابــه ابــن عباس ، فقال عمر : أعجزتم أن تكونوا مثل هذا الغلام ؟ ثم قال : إني كنت نهيتك أن تتكلــم ،=

=على العباد،والتواب من الناس التائب من الذنب،حديث رقم (٤٩٧٠) هو كلام الفراء في موضعين.
قوله:"كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر " أي من شهد بدرا من المهاجرين والأنصار،وكانت عادة عمر إذا جلس للناس أن يدخلوا عليه على قدر منازلهم في السابقة ، وكان ربما أدخل مع أهل المدينة من ليس منهم إذا كان فيه مزية تجبر ما فاته من ذلك.
قوله :" فكأن بعضهم وجد " أي غضب . ولفظ "وجد "، الماضي يستعمل بالاشتراك بمعنى الغضب والحب والغنى واللقاء ، سواء كان الذي يلقى ضالة أو مطلوبا أو إنسانا أو غير ذلك .
قوله : " لم تدخل هذا معنا ، ولنا أبناء مثله " ؟ ولابن سعد من طريق عبد الملك بن أبي سليمان عن سعيد بن جبير " كان أناس من المهاجرين وجدوا على عمر في إدنائه ابن عباس " وفي تاريخ محمد بن عثمان بن أبي شيبة من طريق عاصم بن كليب عن أبيه نحوه وزاد "كان عمر أمره أن لا يتكلم حتى يتكلموا ، فسألهم عن شيء فلم يجيبوا . وأجابه ابن عباس ، فقال عمر : أعجزتم أن تكونوا مثل هذا الغلام ؟ ثم قال : إني كنت نهيتك أن تتكلم ، فتكلم الآن معهم "و" وهذا القائل الذي عبر هنا بقوله: "بعضهم" هو عبد الرحمن بن عوف الزهري أحد العشرة كما وقع مصرحا به عند المصنف في علامات النبوة من طريق شعبة عن أبي شعبة عن أبي بشر بهذا الإسناد "كان عمر يدني ابن عباس ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : إن لنا أبناء مثله ، " وأراد بقوله : "مثله" أي في مثل سنه ، لا في مثل فضله وقرابته من النبي ﷺ ولكن لا أعرف لعبد الرحمن بن عوف ولدا في مثل سن ابن عباس ، فإن أكبر أولاده محمد وبه كان يكنى ، لكنه مات صغيرا وأدرك عمر من أولاده إبراهيم بن عبد الرحمن ، ويقال : إنه ولد في عهد النبي ﷺ إن كان كذلك لم يدرك من الحياة النبوية إلا سنة أو سنتين . لأن أباه تزوج أمه بعد فتح مكة فهو أصغر من ابن عباس بأكثر من عشر سنين ، فلعله أراد بالمثلية غير السن ، أو أراد بقوله: "لنا" " من كان له ولد في مثل سن ابن عباس من البدريين إذ ذاك غير المتكلم .
قوله : "فقال : إنه من حيث علمتم ". في غزوة الفتح من هذا الوجه بلفظ " إنه أنتم علمتم "وفي رواية شعبه " إنه من حيث نعلم " وأشار بذلك إلى قرابته من النبي ﷺ أو إلى معرفته وفطنته.
وقد روى عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال : " قال المهاجرون لعمر : ألا تدعو أبناءنا كما تدعو ابن عباس ؟ قال : ذلكم فتى الكهول ، إن له لسانا سؤولا وقلبا عقولا " .
وأخرج الخرائطي في (مكارم الأخلاق) من طريق الشعبي ، والزبير بن بكار من طريق عطاء بن يسار قالا : قال العباس لابنه : إن هذا الرجل يعني عمر - يدنيك ، فلا تفشين له سرا ، ولا تغتابن عنده أحدا ، ولا يسمع منك كذبا . وفي رواية عطاء بدل الثالثة:" " ولا تبتدئه بشيء حتى يسألك عنه".
قوله :" فدعا ذات يوم فأدخله معهم" في رواية للكشميهني " فدعاه " ، وفي غزوة الفتح: " فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم " .
قوله : " فما رئيت " بضم الراء وكسر الهمزة ، وفي غزوة الفتح من رواية المستملي : "فما أريته" بتقديم الهمزة والمعني واحد .
=

يدخلني مع أشياخ بدر ، فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال : لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه من حيث علمتم ، فدعا ذات يوم فأدخله معهم ، فما رئيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم . قال : ما تقولون في قوله الله تعالى : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا . فقال لي : أكذاك تقول يا ابن عباس .

= قوله : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ زاد في غزوة الفتح (فتح مكة) .

قوله : (وذلك علامة أجلك) ف] رواية ابن سعد (فهو آيتك في الموت) وفي الباب الذى قبله :
(أجل أو مثل ضرب لمحمد ، نعيت إليه نفسه) ووهم عطاء بن السائب فروى هذا الحديث عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما نزلت إذا جاء نصر الله والفتح قال النبى ﷺ : نعيت إلي نفسي)
أخرجه بن مردويه من طريقه ، والصواب رواية حبيب بن ثابت التي في الباب الذى قبله بلفظ (نعيت إليه نفسه) وللطبراني من طريق عكرمة عن ابن عباس قال : (لمانزلت إذا جاء نصر الله والفتح ونعيت إلي نفسى) فأخذ بأشد ما كان قط اجتهادا في أمر الآخرة) ، ولأحمد من طريق أبي رزين عن ابن عباس قال : (لما نزلت علم أن نعيت إليه نفسه) ولأبي يعلى من حديث ابن عمر (نزلت هذه السورة في أوسط أيام التشريق في حجة الوداع ، فعرف رسول الله ﷺ أنه الوداع) . وسئلت عن قول الكشاف : إن سورة النصر نزلت في حجة الوداع أيام التشريق ، فكيف صدرت بإذا الدالة على الاستقبال ؟ ، فأجبت بضعف ما نقله ، وعلى تقدير صحته فالشروط لم يكتمل بالفتح ، لان مجيء الناس أفواجا لم يكن كمل ، فبقية الشرط مستقبل . وقد أورد الطيبي السؤال وأجاب بجوابين : أحدهما : أن (إذ) قد ترد بمعنى (إذا) كما في قوله تعالى : (وإذا رأوا تجارة) الآية . ثانيهما : أن كلام الله قديم ، وفي كل من الجوابين نظر لايخفى .

قوله : (إلا ما تقول) في غزوة الفتح (إلا ما تعلم) زاد أحمد وسعيد بن منصور في روايتهما عن هشيم عن أبي بشر في هذا الحديث في أخره (فقال عمر : كيف تلومونني على حب ما ترون) ووقع في رواية ابن سعد أنه سألهم حينئذ عن ليلة القدر ، وذكر جواب ابن عباس واستنباطه وتصويب عمر قوله ، وقد تقدمت لابن عباس مع عمر قصة أخري في أواخر سورة البقرة ، لكن أجابوا فيها بقولهم : الله أعلم ، فقال عمر : قولوا : نعلم أولا نعلم ، فقال ابن عباس : في نفسي منها شيء ، الحديث . وفيه فضيلة ظاهرة لابن عباس وتأثير لإجابة دعوة النبي ﷺ أن يعلمه الله التأويل ويفقهه في الدين ، كما تقدم في كتاب العلم . وفيه جواز تحديث المرء عن نفسه بمثل هذا لإظهار نعمة الله عليه ، وإعلام من لا يعرف قدره لينزله منزلته ، وغير ذلك من المقاصد الصالحة ، لا للمفاخرة والمباهاة وفيه جواز تأويل =

وخرج البيهقي من طريق عباد بن العوام ، عن هلال بن حباب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس – رضي الله تبارك وتعالى عنهما – قال : لما نزلت : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ دعا رسول الله ﷺ فاطمة – رضي الله تبارك وتعالى عنها – فقال : إنه قد نعيت إلي نفسي . فبكت ، ثم ضحكت ، قالت : وأخبرني أنه نعي إليه نفسه فبكيت ، فقال ﷺ لى : اصبري فإنك أول أهلي لحاقا بي فضحكت [1] وقال سيف بن عمر : حدثنا محمد بن عون عن يحيى بن معمر الوسقي ، عن ابن عباس – رضي الله تبارك وتعالى عنهما – قال : أنزل الله عز وجل علي نبيه ﷺ ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ فنعى إليه نفسه فيها ، والفتح فتح مكة والنصر على العرب قاطبة ورأينا الناس يدخلون فى دين الله أفواجا وذلك أن الهجرة انقطعت إلى المدينة بعد الفتح ، وكانت القبيلة بأسرها تسلم ويقيم مكانها وكان دخولهم قبل ذلك الرجل بعد الرجل والعدة بعد ولاتهم فنقلت فإذا كان ذلك فسبح وأكثروا حمد الله تعالى واستغفروه للأموات من أمتك والأحياء ﴿ إنه كان توابا ﴾ لمن تاب منهم ، ففعل صلوات الله وسلامه عليه فأكثروا قال حدثنى عطية بن الحارث عن أبي أيوب ، عن علي - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : كان رسول الله ﷺ يكثر الدعاء للأحياء والأموات ويكثر الاستغفار للأموات ولاسيما من استشهد قبل الفتح حتى إذا حج حجة التمام ، فهي حجة الإسلام ، زادني ذلك وعرف أن الأمر قد أظله ، فكان في ذلك

= القرآن بما يفهم من الإشارات ، وإنما يتمكن من ذلك من رسخت قدمه فى العلم ، ولهذا قال علي رضى الله تعالى عنه : أوفهما يؤتيه الله رجلا فى القرآن .

(٣) (المرجع السابق) : ٧٧٩/٦ ، باب (٢٥) عاملات النبوة فى الإسلام – حديث رقم (٣٦٢٧) وأخرجه أيضا في كتاب المغازي باب (٥٢) بدون ترجمة حديث رقم (٤٢٩٤) ، وباب (٨٤) موض النبي ﷺ ووفاته ، حديث رقم (٤٤٣٠) .

(٤) (سبق تخريجه) .

(١) (دلائل البيهقي) : ١٦٧/٧ .

منصرفه من حجته كالرجل الذي ينذر الغارة ويقول: اسم اسم صبحتم أو مسيتم ويأتي البقيع كل خميس ويستغفر لأهله .

وقال سيف عن عطية عن الضحاك ، عن ابن عبّاس ـ رضي الله تبارك وتعالى عنهما ـ قال : كان الله عز وجل قد عهد إلي نبيه ﷺ أنه متوفيه على حين فراغة من الذى نعته به ، وأمره أن ينعي إلى أمته نفسه بعزته لكيلا يفتتنوا من بعده فقرأ عليهم ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ وقص عليهم رؤيا رآها أن القمر ولي إليه ثم رفع وقال لهم غداة عرفات : إني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا.وعن محمد بن كريب ، عن أمية ، عن ابن عباس ـ رضي الله تبارك وتعالى عنهما ـ قد نعى لنا نبي الله ﷺ نفسه مراراً لو علمنا عنه ، فكره أن يفجعنا فلم نعرف ماذاك حتى كان من أمره حين أنزل الله تعالى عليه ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ .وحين قال : إني رأيت بأن القمروَليَ لي بامرأتين فركبته ثم رفعت إلي السماء حين قال : إنى لا أدرى لعلى لا ألقَاكم بعد عامي هذا أبداً وقوله ﷺ على المنبر : إن عبداً خيره الله تعالى أن يكون ملكاً مخلداً في الدنيا ما بقيت ، ثم الجنة وبين ماعنده .فاختار ماعند الله عزّ وجلّ .

وقال سيف : عن الوليد بن عبد الله عن أبيه ، عن ابن مسعود ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ قال : آخر من بعث النبي ﷺ إلى الملوك عمرو بن العاص ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ منصرفه من حجته وكان كتاب رسول الله ﷺ ذلك آخر حجة أصبح بها علي من يليه إلي من وراءه حتي يجاز عليه فتمت حجة الله وكمل الدين فأوضح النبي ﷺ شأن موته عند تكامل الأحكام فأدرج الأمور إدراجاً وماندري لم ذلك حتي وقع الأمر .

وخرج البيهقي من طريق راشد بن سعد ، عن عاصم بن حميد السكوني أن معاذ بن جبل ﷺ راكب ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته، فلما فرغ ، قال ﷺ: يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا ولعلك أن تمر بمسجدي وقبري . فبكى معاذ ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ فقال ﷺ:البكاء أو إن البكاء من الشيطان [1] .

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٥/٤٠٤ - ٤٠٥ ، وفى (الأصل) : فإن البكاء من الشيطان ، وأخرجه الإمام أحمد فى (المسند) : ٦ / ٣١١، حديث رقم (٩٢١٥٤٩) ، حديث معاذ بن جبل

وأما نعيه نفسه ﷺ إلى ابنته فاطمة رضي الله تبارك وتعالى عنها بأنه عارضه جبريل عليه الصلاة والسلام القرآن مرتين

فخرج البخاري في علامات النبوة في الإسلام من طريق زكريا ، عن فراس الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قال أقبلت فاطمة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - تمشي كأن مشيتها مشي النبي ﷺ فقال النبي ﷺ مرحبا يا ابنتي ، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم أسر إليها حديثا فبكت فقال لها : لا تبكين ؟ ثم أسر إليها حديثا فضحكت ، فقالت ما رأيت كاليوم فرحا أقرب من حزن : فسألتها عما قال فقالت - رضي الله تبارك وتعالى عنها : ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ حتى قبض النبي ﷺ فسألتها فقالت اسر إلي أن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة ، وإنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي وأنك أول أهل بيتي لحاقا بي ، فبكيت . فقال ﷺ : أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة ! أو نساء المؤمنين فضحكت لذلك [1] وخرجه مسلم من حديث زكريا عن فراس بنحوه أو قريب منه [2] وأخرجاه من حديث أبي عوانة ، عن فراس ، عن عامر عن مسروق قال : حدثتني عائشة - رضى الله تبارك وتعالى عنها - قالت : إنا أزواج النبي ﷺ عنده لم يغادر منهن واحدة فأقبلت فاطمة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - تمشي ما تخطئ مشيتها من مشية رسول الله ﷺ شيئا . وقال البخاري لا والله ما تخطيء مشيتها من مشية رسول الله ﷺ ، فلما رآها رحب بها فقال : مرحبا يا بنيتي ، ثم أجلسها عن يمينه أو شماله ، ثم سارها فبكت بكاء شديدا فلما رأى جزعها سارها الثانية فضحكت فقلت لها : خصك رسول الله ﷺ من بين نسائه بالسرار ،

---

(1) (فتح الباري) : ٧٧٨/٦ ، كتاب المناقب ، باب (٢٥) عاملات النبوة في الإسلام ، حديث رقم (٣٦٢٣) ، (٣٦٢٤) ، (٣٦٢٥) ، (٣٦٢٦) .

(2) (مسلم بشرح النووي) : ٢٣٩/١٦ - ٢٤٠ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب (١٥) فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ حديث رقم (٩٩) .

ثم أنت تبكين ، فلماقام رسول الله ﷺ سألتها: ماقال لك رسول الله ﷺ قالت : ماكنت أفشي على رسول ﷺ سِرّه قالت : فلما توفي رسول الله ﷺ قلت ؟ لها عزمت عليك بمالي عليك من الحق لما حدثتني ماقال لك رسول الله ﷺ فقالت :أما الآن فنعم : أما حين سارني في المرة الأولي فأخبرني أن جبريل عليه السلام كان يعارضه القرآن في كل سنة مرة ، وإنه عارضه الآن مرتين . وقال البخاري : و إنه قد عارضني به العام مرتين وإني لا أري الأجل إلاقد اقترب فاتقى الله تعالى واصبري فإنه نعم السلف أنا لك ، قالت :فبكيت بكائي الذي رأيت ، فلما رأي جزعي سارني في الثانية فقال : ﷺ يافاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة ؟ قالت - رضى الله تبارك وتعالى عنها - : فضحكت ضحكي الذى رأيت [1] .

أخّر عند البخاري : هذه الأمة ، وقال فيه : فقلت لها أيًا من نسائه خصك رسول الله ﷺ بالسر بيننا ثم أتيت تبكين ؟ وقال فيه مسلم : فى كل سنة مرة أو مرتين .

وخرجه النسائى [2] وقال فيه : فجاءت فاطمة . رضي الله تبارك وتعالى عنها - تمشي ولا والله أن تخطي مشيتها من مشية رسول الله ﷺ حتي انتهت إليه فقال ﷺ : مرحباً يابنيتي . أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان [3] في باب من ناجى بين يدي الناس ومن لم يخبر بسر صاحبه ، فإذا مات أخبر به .

وخرج فى باب علامات النبوة فى الإسلام [4] وفى آخر المغازي [5] وفى باب مرض النبي ﷺ ووفاته ، من حديث إبراهيم بن سعد عن أبيه عن عروة عن عائشة - رضى الله تبارك وتعالى عنها - قالت : دعا النبي ﷺ فاطمة ابنته - رضي الله تبارك وتعالى عنها - فى شكواه الذي قبض فيه ﷺ فسارّها بشيء

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ١٦ / ٢٣٨ - ٢٣٩ ، كتاب فضائل الصحابة باب (١٥) فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام ، حديث رقم (٩٨) .

(٢) لعله في (الكبرى) .

(٣) (فتح الباري) : ١١ / ٩٤ ، كتاب الاستئذان ، باب (٤٣) من ناجى بين يدى الناس ، ولم يخبر بسر صاحبه ، فإذا مات أخبر به ، حديث رقم (٦٢٨٥)، (٦٢٨٦)، قوله : باب من ناجى بين يدي =

فبكيت ، ثم دعاها فسارها بشيء فضحكت ، فسألنا عن ذلك فقالت : سارني النبي ﷺ أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت ، ثم سارني فأخبرني أني أول أهله يتبعه فضحكت .

وخرجه البيهقي من طريق سعيد بن أبي مريم ، قال : حدثنا يونس بن يزيد قال : حدثنا ابن غزية ، عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، أن فاطمة بنت الحسين ، حدثته أن عائشة ، حدثتها أنها كانت تقول : إن رسول الله ﷺ قال فى مرضه الذى قبض فيه لفاطمة : يا بنية أحني علي ، فأحنت عليه ، فناجاها ساعة ، ثم انكشفت عنه ، وهي تبكي وعائشة حاضرة ثم قال رسول الله بعد ذلك بساعة : أحني علي بنية فأحنت عليه فناجاها ساعة ، ثم انكشفت تضحك . قال : فقالت عائشة . أي بنية أخبريني ماذا

= الناس ولم يخبر بسر صاحبه ، فإذا مات أخبر به - ذكر فيه حديث عائشة فى قصة فاطمة رضي الله عنها إذ بكت لما سارها النبيﷺ ثم ضحكت لما سارها ثانيا فسألتها عن ذلك فقالت : ماكنت لأفشي سر رسول الله ﷺ وذكر فى الوفاة النبوية ، قال ابن بطال : مسارة الواحد مع الواحد بحضرة الجماعة جائز لأن المعنى الذي يخاف من ترك الواحد لا يخاف من ترك الجماعة قلت : وسيأتى إيضاح هذا ، قال : وفيه أنه لاينبغى إفشاء السر إذا كانت فيه مضرة على المرء ، لأن فاطمة لو أخبرتهم لحزن لذلك حزنا شديدا ، وكذا لو أخبرتهن أنها سيدة نساء المؤمنين لعظم ذلك عليهن واشتد حزنهن ، فلما أمنت من ذلك بعد موته أخبرت به . قلت : أما الشق الأول فحق العبارة أن يقول : فيه جواز إفشاء السر إذا زال ما يترتب على إفشائه من المضرة ، لأن الأصل فى السر الكتمان وإلا فما فائدته؟ وأما الشق الثاني فالعله التى ذكرها مردودة ، لأن فاطمة - رضى الله عنها - ماتت قبلهن كلهن وما أدري كيف خفى عليه هذا ؟ ثم جوزت أن يكون فى النسخة سقم وأن الصواب فلما أمنت من ذلك بعد موته ، وهو أيضا مردود لأن الحزن الذى علل به لم يزل بموت النبيﷺ بل لو كان كما زعم لاستمر حزنهن على ما فاتنهن من ذلك ، وقال ابن التين يستفاد من قول عائشة (عزمت عليك بمالي عليك من الحق) جواز العزم بغير الله ، وقال : وفي (المدونة) عن مالك إذا قال : أعزم عليك بالله فلم يفعل لم يحنث ، وهو كقوله ك أسألك بالله ، وإن قال : أعزم بالله أن تفعل فلم يفعل حنث ، لأن هذا يمين إنتهى، والذي عند الشافعية أن ذلك فى الصورتين يرجع إلى قصد الحالف ، فإن قصد يمين نفسه فيمين ، وإن قصد يمين المخاطب أو الشفاعة أو أطلق فلا .

(٤) (سبق تخريجه) .

(٥) (المرجع السابق) : ٨/١٧١ ، كتاب المغازي ، باب (٨٤) مرض النبي ﷺ ووفاته ، حديث رقم (٤٤٣٣ - ٤٤٣٤) .

ناجاك أبوك ؟ قالت فاطمة ، أوشكت رأيته ناجاني على حال سرٍ ! وظننت أني أخبر بسره وهو حي ! قال : فشق ذلك على عائشة أن يكون سراً دونها . فلما قبضه الله إليه ، قالت عائشة لفاطمة : ألا تخبريني بذلك الخبر ؟ قالت : أما الآن ، فنعم ، ناجاني في المرة الأولى ، فأخبرني أن جبريل كان يعارضه بالقرآن في كل عام مرة ، وأنه عارضني بالقرآن العام مرتين . وأخبرني أنه لم يكن نبي كان بعده إلا عاش بعده نصف عمر الذي كان قبله ، وأخبرني أن عيسى ابن مريم عليه السلام ، عاش عشرين ومائة سنة ، فلا أراني إلا ذاهباً على رأس الستين ، فأبكاني ذلك . وقال : يا بنية إنه ليس أحد من نساء المسلمين أعظم رزنة منكم ، فلا تكوني من أدني امرأة صبراً _ وناجاني في المرة الآخرة .

فأخبرني أني أول أهله لحوقاً به . وقال : إنك سيدة نساء أهل الجنة . إلا ماكان من البتول مريم بنت عمران ، فضحكت لذلك [1] . خرجه مسلم في المناقب قال البيهقي : كذا في هذه الرواية [2] وقد روى عن ابن المسيب قال : إن عيسى ابن مريم عليه السلام حين إلى رفع السماء كان ابن ثلاث وثلاثين سنة ، وعن وهب بن منبه اثنان وثلاثون سنة ، فإن صح قول ابن المسيب ووهب فالمراد من الحديث والله أعلم بما يبقي في الأرض بعد نزوله من السماء .

قال المؤلف : هذا حديث حسن فإنه متن رواية يحيي بن أيوب أبي زكريا العلاف المصري ، قال النسائي : صالح ورواه يحيى عن سعيد بن أبي مريم عن سعد بن الحكم بن محمد بن سالم الجمحي أبو محمد الحافظ الثقة الفقيه ورواه ابن أبي مريم ، عن نافع بن يزيد الكلاعي بن يزيد قال أحمد بن صالح كان من ثقات الناس وعمارة بن غزية بن الحارث بن عمرو الأنصاري ومعه أحمد وأبو زرعة .

---

(١) (دلائل البيهقي) : ١٦٦/٧ .

(٢) في إسناده محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان – قال البخاري : (لا يكاد يتابع في حديثه) (هامش البيهقي) ، و(الميزان) : ٥٩٣/٣ .

وأما إخباره ﷺ بما خيره الله تعالى بين الدنيا والآخرة

فخرج البيهقي من طريق يونس بن بكير وإبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق قال حدثني عبد الله بن عمر بن ربيعة عن عبيد مولى الحكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن أبي مويهبة [1] مولي رسول الله ﷺ قال : أنبهني رسول الله ﷺ من الليل فقال : يا أبا مويهبة إني قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع فخرجت معه حتى أتينا البقيع فرفع يديه فاستغفر لهؤلاء ثم قال : ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع اخرها أولها الآخرة شر من الأولي : يا أبا مويهبة إني قد أعطيت مفاتيح خزائن الدنيا ، والخلد فيها ، ثم الجنة ، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة ، فقلت يارسول الله بأبي أنت وأمي ، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا ، والخلد فيها ، ثم الجنة ، فقال ﷺ : يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربي والجنة ، ثم انصرف رسول الله ﷺ فلما أصبح ابتديء بوجعه الذي قبضه الله تعالي فيه [2] وذكره الواقدي من حديث معمر وجماعة قالوا : قالت عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها : وثب رسول الله ﷺ من مضجعه من جوف الليل فقلت : أين بأبي وأمي أى رسول الله قال : أمرت أن أستغفر لأهل البقيع ، فخرج حتي جاء البقيع فاستغفر لهم ليلا طويلا ثم قال. ليهنكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، يتبع بعضها بعضا ، يتبع آخرها أولها الآخرة شر من الأولى ثم قال : يا أبا مويهبة ، إني قد أعطيت خزائن الدنيا والخلد ، ثم الجنة فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة فقلت : بأبي وأمي ، فخذ خزائن الدنيا والخلد ، ثم الجنة فقال : يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربي والجنة ، ثم انصرف ، وذلك ليلة الأربعاء ، فأصبح ﷺ محموماً لليلتين بقيتا من صفر ، وتوفي ﷺ يوم الاثنين لاثنتي عشرة مضت من ربيع الأول.

---

(١) أبو مويهبة ، ويقال أبو موهبة - وأبو موهوبة - وهو قول الواقدي - مولى رسول الله ﷺ قال البلاذري : كان من مولدى مزينة ، وشهد غزوة المريسيع ، وكان ممن يقود لعائشة جملها . (الإصابة) : ٣٩٣/٧ ، ترجمة رقم (١٠٥٨٩) .

(٢) (دلائل البيهقي) : ١٦٢/٧ - ١٦٣ ، باب ، ماجاء فى نعى رسول الله ﷺ نفسه إلى أبى مويهبة مولاه ، وإخبره إياه بما اختار لنفسه فيما خير فيه .

وقد خرج الحاكم حديث أبي مويهبة من طريق إبراهيم بن سعد ، عن محمد بن إسحاق كما تقدم ، وقال : صحيح علي شرط مسلم إلاأنه عجيب بهذا الإسناد [١]

وخرج البيهقي من حيث عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن ابن طاوس ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : نُصرت بالرعب ، وأعطيت الخزائن ، وخُيرت بين أن أبقي حتي أري ما يفتح علي أمتي وبين التعجيل ، فاخترت التعجيل . قال : هذا مرسل وهو شاهد لحديث أبي مويهبة [٢]

وخرج سيف عن مبشر بن الفضيل ، عن عبيد بن حنين ، عن أبي مويهبة قال : أهبني رسول الله ﷺ في المحرم مرجعه من حجته ، وما أدرى أما مضى من الليل أكثر أو ما بقي منه فقلت : أين تريد بأبي وأمي ؟

فقال : يا أبا مويهبة انطلق فإني قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع ، قال:فخرج وخرجت معه حتي إذا جاءه استغفرلهم طويلاً قائماً وقاعداً ءثم قال: إني قدأعطيت خزائن الدنيا والخلد فيها فخيرتُ بين ذلك والجنة ، وبين لقاء ربي قال : قلت والجنة . قال : قلت بأبي أنت وأمي ، خذ خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة قال : لا والله ياأبا مويهبة ، لقد اخترت لقاء ربي والجنة .

قال : ثم وجع رسول الله ﷺ واشتكي بعد ذلك بأيام .

وخرج البخاري [١] ومسلم [٢] والترمذي [٣] ، من حديث مالك عن أبي

---

(١)(المستدرك) : ٣ / ٥٧ ، كتاب المغازى و السرايا ، حديث رقم (٤٣٨٣) . قال الحافظ الذهبي فى (التلخيص) : على شرط مسلم ، لكنه عجيب بهذا الإسناد ، هكذا رواه إبراهيم بن سعد عنه – يعنى عن ابن إسحاق – وراوه يونس بن بكير عنه ، قال : حدثني عبد الله بن ربيعة ، عن عبيد بن الحكم ، عن عبد الله بن عمرو ، عن أبى مويهبة نحوه .

قال الحافظ الذهبي : هذا أشبه مارواه أحمد فى المسند ، عن عائشة : أن رسول الله ﷺ بدأ به المرض فى بيت ميمونة .... الحديث ، صحيح

(٢) (دلائل البيهقي) ٧ / ١٦٣ ، باب ما جاء فى نعي رسول الله ﷺ نفسه إلى أبي مويهبة مولاه ، وإخباره إياه بما اختاره لنفسه فيما خير فيه .

=

النضر مولي عمر بن عبد الله عن عبيد - يعني ابن حنين - عن أبى سعيد الخدريّ ﷺ : أن رسول الله ﷺ جلس علي المنبر فقال : إن عبداً خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ماشاء وبين ماعنده ، فاختار ما عنده ، فبكي أبو بكر وقال : فديناك بآبائنا وأمهاتنا . فعجبنا له . وقال الناس : انظروا إلي هذا الشيخ يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا وبين ماعنده ، وهويقول : فديناك بآبائنا وأمهاتنا. فعجبناله . وقال الناس : انظروا إلي هذا الشيخ يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا وبين ماعنده ، وهويقول : فديناك بآبائنا وأمهاتنا فكان رسول الله ﷺهو المخيرّ ، وكان أبو بكر هو أعلمنا به . وقال رسول الله ﷺ : إن من أمنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبابكر ، ولوكنت متخذاً خليلاً من أمتي لاتخذت أبابكر خليلاً ، إلا خلة الإسلام ، لا يبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر .

= (١)(فتح البارى) : ٧ / ٢٨٧ ، كتاب مناقب الأنصار ، باب (٤٥) هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة ، حديث رقم (٣٩٠٤) قوله : (باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة) ﷺ جاء عن ابن عباس أنه أذن له فى الهجرة إلى المدينة بقوله تعالى : ﴿ **وقل رب أدخلني مُدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً** ﴾ أخرجه الترمذي وصححه هو والحاكم ، وذكر الحاكم أن خروجه ﷺ من مكة كان بعد بيعة العقبة بثلاثة أشهر أو قريباً منها ، وجزم ابن إسحق بأنه خرج أول يوم من ربيع الأول ، فعلى هذا يكون بعد البيعة بشهرين وبضعة عشر يوما . وكذا جزم به الأموي في المغازي عن ابن إسحق فقال : كان مخرجه من مكة بعد العقبة بشهرين وليال ، قال : خرج لهلال ربيع الأول وقدم لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول . قلت : وعليّ خرج يوم الخميس , وأما أصحابه فتوجه معه منهم أبو بكر الصديق وعامر بن فهيرة ، وتوجه قبل ذلك بين العقبتين جماعة منهم ابن أم مكتوم ، ويقال : إن أول من هاجر إلى المدينة أبو سلمة بن عبد الأشهل المخزومي زوج أم سلمة ، وذلك أنه أوذي لما رجع من الحبشة ، فعزم علي الرجوع إليها فبلغه قصة الأثنى من الأنصار فتوجه إلى المدينة ، ذكر ذلك ابن إسحق ، وأسند عن أم سلمة أن أبا سلمة أخذها معه فردها قومها فسبوها سنة ، ثم انطلقت فتوجهت فى قصة طويلة وفيها « فقدم أبو سلمة المدينة بكرة ، وقدم بعده عامر بن ربيعة حليف بني عدي عشية) ثم توجه مصعب بن عمير كما تقدم آنفاً ليفقه من أسلم من الأنصار ، ثم كان أول من هاجر بعد بيعة العقبة عامر بن ربيعة حليف بني عدي علي ما ذكر ابن إسحق ، وسيأتى ما يخالفه في الباب الذي يليه وهو قول البراد : « أول من قدم علينا من المهاجرين =

= مصعب بن عمير" ثم توجه باقي الصحابة شيئا فشيئا كما سيأتي في الباب الذي يليه . ثم لما توجه النبي ﷺ واستقر بها خرج من بقي من المسلمين ، وكان المشركون يمنعون من قدروا على منعه منهم ، فكان أكثرهم يخرج سرا إلى أنه لم يبق منهم بمكة إلا من غلب على أمره من المستضعفين ثم ذكر المصنف في الباب أحاديث : الأول والثاني:

قوله: " وقال عبد الله بن زيد وأبو هريرة عن النبي ﷺ لولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار أما حديث عبد الله بن زيد فيأتي موصولا في غزوة حنين، وأما حديث أبي هريرة فتقدم موصولا في مناقب الأنصار.

وقوله : " من الأنصار" أي من كان أنصاريا صرفا فما كان لي مانع من الإقامة بمكة كنت اتصفت بصفة الهجرة ، والمهاجر لا يقيم بالبلد الذي هاجر منها مستوطنا ، فينبغي أن يحصل لكم الطمأنينة بأني لا أتحول عنكم ، وذلك أنه إنما قال لهم ذلك في جواب قولهم : أما الرجل فقد أحب الإقامة بمدينته ، وسيأتي لذلك مزيد في غزوة حنين إن شاء الله تعالى .

وقوله : " فذهب وهلي " بفتح الواو والهاء أي ظني ، يقال : وهل بالفتح يهل بالكسر وهلا بالسكون إذا ظن شيئا فتبين الأمر بخلافه ، وقوله : "أو هجر" بفتح الهاء والجيم بلد معروف من البحرين وهي من مساكن عبد القيس ، وقد سبقوا غيرهم من القرى إلى الإسلام كما سبق بيانه في كتاب الإيمان. ووقع في بعض نسخ أبي ذر " أو الهجر" بزيادة ألف ولام والأول أشهر ، وزعم بعض الشراح أن المراد بهجر هنا قرية قريبة من المدينة ، وهو خطأ فإن الذي يناسب أن يهاجر إليه لابد وأن يكون بلدا كبيرا كثير الأهل وهذه القرية التي قيل إنها كانت قرب المدينة يقال لها هجر لا يعرفها أحد ، وإنما زعم ذلك بعض الناس في قوله : " قلال هجر " إن المراد بها قرية كانت قرب المدينة كان يصنع بها القلال ، وزعم آخرون بأن المراد بها هجر التي بالبحرين كانت القلال كانت تعمل بها وتجلب إلي المدينة وعملت بالمدينة على مثالها ، وأفاد ياقوت أن هجر أيضا بلد باليمن ، فهذا أولى بالتردد بينها وبين اليمامة لأن اليمامة بين مكة واليمن ، وقوله : " فإذا هي المدينة يثرب" كان ذلك قبل أن يسميها ﷺ طيبة ، ووقع عند البيهقي من حديث صهيب رفعه " أريت دار هجرتكم سبخة بين ظهراني حرتين ، فإما أن تكون هجر أو يثرب " ولم يذكر اليمامة ، وللترمذي من حديث جرير قال : قال رسول الله ﷺ " إن الله تعالى أوحى إلى أي هؤلاء الثلاثة نزلت فهي دار هجرتك : المدينة أو البحرين أو قنسرين " لأن قنسرين من أرض الشام من جهة حلب ، وهي بكسر القاف وفتح النون الثقيلة بعدها مهملة ساكنة ، بخلاف اليمامة فإنها إلى جهة اليمن ، إلا أن يحمل على اختلاف فإن الأول جرى على مقتضى الرؤيا التي أريها ، والثاني بخبر بالوحي ، فيحتمل أن يكون أري أولا ثم خير ثانيا فاختار المدينة . الحديث الرابع : حديث خباب " هاجرنا مع النبي ﷺ بإذنه ، وإلا فلم يرافق النبي ﷺ سوى أبي بكر وعامر بن فهيرة كما تقدم ، وقد أعاد المصنف هذا الحديث في هذا الباب ، وستأتي الإشارة إليه بعد بضعة عشر حديثا ، وسيأتي شرح هذا الحديث مستوفى في كتاب الرقاق ، ومضى شيء منه في كتاب الجنائز. الحديث الخامس : حديث عمر" الأعمال بالنيات " أورده مختصرا ، وقدم تقدم شرحه مستوفى في أول =

= الكتاب ، ويحيى هو ابن سعيد الأنصاري ، وهو الذي لا يثبت هذا الحديث إلا من طريقه .
قوله :"حدثني إسحق بن يزيد الدمشقي" هو إسحق بن إبراهيم بن يزيد الفراديسي الدمشقي أبو النضر ، نسبة هنا إلى جده ، وكذلك في الزكاة وفي الجهاد ، وجزم بأنه الفراديسى الكلاباذي وآخرون ، وتفرد الباجي فأفرده بترجمة ونسبه خراسانياً ، ولم يعرف من حاله على شئ ، وقول الجماعة أولى.

قوله : "عن عبدة بن أبي لبابة" بضم اللام والموحدتين الأولى خفيفة الأسدي كوفي نزل دمشق وكنيته أبو القاسم ، ولا يعرف اسم أبيه . قال الأوزاعي : لم يقدم علينا من العراق أفضل منه .

قوله : "إن عبد الله بن عمر كان يقول لا هجرة بعد الفتح" هذا موقوف ، وسيأتي شرحه في الذي بعده .

قوله : " كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه إلخ " أشارت عائشة إلى بيان مشروعية الهجرة وأن سببها خوف الفتنة ، والحكم يدور مع علته ، فمقتضاه أن من قدر على عبادة الله في أي موضع اتفق لم تجب عليه الهجرة منه وإلا وجبت ، ومن ثم قال الماوردي : إذا قدر على إظهار الدين في بلد من بلاد الكفر فقد صارت البلد به دار الإسلام ، فالإقامة فيها أفضل من الرحلة مما يترجى من دخول غيره في الإسلام ، وتقدمت الإشارة إلى ذلك في أوائل الجهاد في " باب وجوب النفير " في الجمع بين حديث ابن عباس " لا هجرة بعد الفتح " وحديث عبد الله بن السعدي " لا تنقطع الهجرة" .

وقال الخطابي : كانت الهجرة أي إلى النبي ﷺ في أول الإسلام مطلوبة ، ثم افترضت لما هاجر إلي المدينة إلى حضرته للقتال معه وتعلم شرائع الدين ، وقد أكد الله ذلك في عدة آيات حتى قطع الموالاة بين من هاجر ومن لم يهاجر فقال **﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا ﴾** فلما فتحت مكة ودخل الناس في الإسلام من جميع القبائل سقطت الهجرة الواجبة وبقي الاستحباب . وقال البغوي في(شرح السنة)" : يحتمل الجمع بينهما بطريق أخرى بقوله : " لا هجرة بعد الفتح " أي من مكة إلى المدينة ، وقوله : "لا تنقطع " أي من دار الكفر فذلك حق من أسلم إلي دار الإسلام ، قال : ويحتمل وجهاً آخر وهو أن قوله: لا هجرة أي إلى النبي ﷺ حيث كان بنية عدم الرجوع إلى الوطن المهاجر منه إلا بإذن ، وقوله : " لا تنقطع " أي هجرة من هاجر على غير هذا الوصف من الأعراب ونحوهم . قلت : الذي يظهر أن المراد بالشق الأول وهو المنفي ما ذكره في الاحتمال الأخير ، وبالشق الأخر المثبت ما ذكره في الاحتمال الذي قبله ، وقد أفصح ابن عمر بالمراد فيما أخرجه الإسماعيلي بلفظ " انقطعت الهجرة بعد الفتح إلي رسول الله ﷺ ولا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار " أي مادام في الدنيا دار كفر ، فالهجرة واجبة منها على من أسلم وخشي أن يفتن عن دينه ، ومفهومه أنه لو قدر أن يبقى في الدنيا دار كفر أن الهجرة تنقطع لانقطاع موجبها والله أعلم . وأطلق ابن التين أن الهجرة من مكة إلي المدينة كانت واجبة وأن من أقام بمكة بعد هجرة النبي ﷺ إلي المدينة بغير عذر كان كافرا ، وهو إطلاق مردود ، والله أعلم . قوله : " فمكث بمكة ثلاث عشرة " هذا أصح مما أخرجه أحمد عن يحيى بن سعيد عن هشام بن حسان بهذا الإسناد قال : " أنزل على النبي ﷺ وهو ابن ثلاث وأربعين ، فمكث بمكة عشرة " وأصح مما أخرجه =

= مسلم من وجه آخر عن ابن عباس « أن إقامة النبي ﷺ بمكة كانت خمس عشرة سنة » وقد تقدم بيان ذلك في كتاب المبعث ، وسيأتي بقية الكلام عليه في الوفاة إن شاء الله تعالى . وقوله هنا : « فهاجر عشر سنين » أي أقام مهاجراً عشر سنين ، وهو كقوله تعالى :﴿ فأماته الله مائة عام ﴾ .
وقوله : « فقال الناس أنظروا إلى هذا الشيخ » في حديث ابن عباس عند البلاذري في نحو هذ القصة « فقال له أبو سعيد الخدري : يا أبابكر ما يبكيك » فذكر الحديث .
(٢) (مسلم بشرح النووي) : ١٥ / ١٥٨ - ١٥٩ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب (١) من فضائل أبي بكر الصديق ، حديث رقم (٢٣٨٢)
قال القاضي : أصل الخلة الافتقار والانقطاع ، فخليل الله تعالى المنقطع إليه ، وقيل : لقصره حاجته على الله تعالى ، وقيل : الخلة الاختصاص ، وقيل الاصطفاء وسمى إبراهيم عليه السلام - خليلا ، لأنه والى فى الله تعالى وعادى فيه ، وقيل : سمي به لانه تخلق بأخلاق حسنة وخلال كريمة . وخلة الله تعالى له نصرة ، وجعله إماماً لمن بعده . وقال ابن فورك : الخلة صفاء المودة بتخلل الأسار ، وقيل أصلها المحبة . وقيل : الخليل من لا يتسع قلبه لغير خليله . ومعنى الحديث : أن حبَّ الله تعالى لم يبق فى قلبه موضعاً لغيره .
قال القاضي : وجاء فى أحاديث أنه ﷺ قال : إلا أنا وحبيب الله ، فاختلف المتكلمون ، هل المحبة أرفع من الخلة ؟ أم الخلة أرفع من المحبة ؟ أم هما سواء ؟ فقالت طائفة : هما بمعنى ، فلا يكون الحبيب إلا خليلاً ، ولا يكون الخليل إلا حبيباً ، وقيل : الحبيب أرفع ، لأنها صفة نبينا ﷺ ، وقيل : الخليل أرفع ، وقد ثبتت خلة نبينا ﷺ لله تعالى بهذا الحديث ونفى أن يكون له خليل غيره .
(٣) (سنن الترمذي) : ٥ / ٥٦٨ ، كتاب المناقب ، باب (١٥) بدون ترجمة ، حديث رقم (٣٦٦٠)
وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .
والخوخة : باب صغير كالنافذة الكبيرة ، وتكون بين بيتين ، ينصب عليها باب عن التطرق إليها فى خوخات إلا من أبوابها إلا لحاجة مهمة . (تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي) : ١٠ / ١٠٠ ، أبواب المناقب ، با ب (٥١) ، حديث رقم (٣٩٠٤) .

❁ ❁ ❁

ذكر مرض النبي ﷺ
ووفاته عليه السلام

ابتـدأ به ﷺ صداع في أواخر صفر سنة إحدي عشرة من الهجرة . وقال الواقدي : وحدثني أبو معمر عن محمد بن قيس قال : اشتكي ﷺ يـوم الأربعاء لإحدي عشرة ليلة بقيت من صفر سنة إحدي عشرة في بيت زينب بنت جحش - رضي الله تبارك وتعالى عنها - شكوي شديدة حتي قيل هو مجنوب يعني ذات الجنب واجتمع إليه نساؤه كلهن ، اشتكي ثلاثة عشرة وتوفي ﷺ في يوم الاثنين لليلتين مضيتا من ربيع الأول سنة إحدي عشرة . قالوا : بديء يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من صفر ، وتوفى ﷺ يوم الاثنين لاثنتي عشرة مضت من ربيع الأول وهو الثَّبْتُ عندنا.

وحدثني معمر عن الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن قال : بُدئ رسول الله ﷺ في بيت ميمونة زوجته - رضي الله تبارك وتعالى عنها -

وخرج البخاري من حديث يحيي بن أبي زكرياء ، أخبرنا سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد قال : سمعت القاسم بن محمد قال : قالت عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - : وارأساه .

فقال رسول الله ﷺ : ذلك لو كان وأنا حيّ فأستغفر لك وأدعو لك ، فقالت عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - واثكلياه ، والله إني لأظنك تحب موتي ، ولو كان ذلك لظللت آخر يومك معرساً ببعض أزواجك ! فقال رسول الله ﷺ : بل أنا وارأساه ، لقد همت أو أردت أن أرسل إلى أبي بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - وابنه فأعهدأن يقول القائلون ، أو يتمنى المتمنون ثم قلت : يأبى الله ويدفع المؤمنون ، أو يدفع الله ويأبي المؤمنون . ذكره في كتاب المرضى (١)

---

(١) (فتح الباري) : ١٠ / ١٥٢ ، كتاب المرضى، باب (١٦) ، ما رخص للمريض أن يقول : إني وجع ، أو وارأساه ، أو اشتد بي الوجع ، وقول أيوب عليه السلام : ﴿ **إني مسني الضرّ وأنت أرحم الراحمين** ﴾ حديث رقم (٥٦٦٦)

=

خرج النسائي من حديث محمد بن مسلمة ، عن عبيد الله بن عبد الله عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت : رجع رسول الله ﷺ من جنازة وأنا أجد صداعاً في رأسي وأنا أقول : وارأساه فقال ﷺ أنا وارأساه ، ثم قال ﷺ : وما ضرك لو مت قبلك فغسلتك وكفنتك وصليت عليك ، ثم دفنتك ، قالت : لكأني بك لو فعلت ذلك ثم رجعت إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نسائك ! فتبسم رسول الله ﷺ ثم بدئ في مرضه الذي مات فيه.

وخرجه أيضاً من طريق محمد بن مسلمة عن بن إسحاق عن يعقوب عن الزهري ، وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عروة ابن الزبير ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت : رجع النبي ﷺ ذات يوم من جنازة بالبقيع وأنا أجد صداعاً في رأسي وأنا أقول : وارأساه قال ﷺ : بل أنا يا عائشة وارأساه . ثم قال ﷺ : والله ما ضرك لو مت قبلي فغسلتك وكفنك وصليت عليك ثم دفنتك ؟ قالت : لكأني بك والله لو فعلت ذلك قد رجعت إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نسائك فتبسم النبي ﷺ ثم بدئ بوجعه الذي مات به ، يعنى فيه . ورواه من حديث إبراهيم بن سعد ، عن صالح بن كيسان ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت : دخل علي رسول الله ﷺ

= قوله : (باب ما رخص للمريض أن يقول إني وجع أو وارأساه أو اشتد الوجع ، وقول أيوب عليه السلام : مسني الضر وأنت أرحم الراحمين . أما قوله « إني وجع » فترجم به في كتاب الأدب المفرد وأورده فيه من طريق هشام بن عروة عن أبيه قال:« دخلت أنا وعبد الله بن الزبير على أسماء - يعني بنت أبي بكر وهي أمهما - وأسماء وجعة ، فقال لها عبد الله : كيف تجدينك ؟ قالت : وجعت » الحديث ، وأصرح منه ماروى صالح بن كيسان عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه قال « دخلت على أبي بكر رضي الله عنه في مرضه الذي توفي فيه ، فسلمت عليه وسألته : كيف أصبحت ؟ فاستوى جالساً فقلت : أصبحت بحمد الله بارئاً ؟ قال : أما إني على ما ترى وجع » فذكر القصة ، أخرجه الطبراني. وأما قوله « وارأساه » فصريح في حديث عائشة المذكور في الباب ، وأما قوله « اشتد بي الوجع فهو في حديث سعد الذي في آخر الباب ، وأما قول أيوب عليه السلام فاعترض ابن التين ذكره في الترجمة فقال : هذا لا يناسب التبويب ، لأن أيوب إنما قاله داعياً ولم يذكره للمخلوقين . قلت : لعل البخاري =

....

= أشار إلى أن مطلق الشكوى لا يمنع رداً على من زعم من الصوفية أن الدعاء بكشف البلاء يقدح في الرضا والتسليم ، فنبه على أن الطلب من الله ليس ممنوعاً ، بل فيه زيادة عبادة ، لما ثبت مثل ذلك عن الصوم وأثنى الله عليه بذلك وأثبت له اسم الصبر مع ذلك ، وقد روينا في قصة أيوب لما طال بلاؤه ورفضه القريب والبعيد ، غير رجلين من إخوانه ، فقال أحدهما لصاحبه : لقد أذنب أيوب ذنباً ما أذنبه أحد من العالمين ، فبلغ ذلك أيوب - يعني فجزع من قوله - ودعا ربه فكشف ما به » . وعند ابن أبي حاتم من طريق عبد الله بن عبيد بن عمير موقوفاً عليه نحوه وقال فيه « فجزع من قولهما جزعاً شديداً ثم قال : بعزتك لا أرفع رأسي حتي كشف عنه » . فكأنما رد البخاري أن الذي يجوز من شكوى المريض ما كان على الطريق من الله ، أو على غير طريق التسخط للقدر والتضجر ، والله أعلم . قال القرطبي : اختلف الناس في هذا الباب ، والتحقيق أن الألم لا يقدر أحد على رفعه ، والنفوس مجبولة على وجدان ذلك فلا يستطاع تغييرها عما جبلت عليه ، وإنما كلف العبد أن لا يقع منه فى حال المصيبة ماله سبيل إلى تركه كالمبالغة في التأوه والجزع الزائد كأن من فعل ذلك خرج عن معاني أهل الصبر ، وأما مجرد التشكى فليس مذموماً حتى يحصل التسخط للمقدور ، وقد اتفقوا على كراهة شكوى العبد ربه ، وشكواه إنما هو ذكره للناس على سبيل التضجر ، والله أعلم . وروى أحمد في « الزهد » عن طاوس أنه قال : أنين المريض شكوى ، وجزم أبو طالب وابن الصباغ وجماعة من الشافعية أن أنين المريض وتأوهه مكروه ، وتعقبه النووي فقال : هذا ضعيف أو باطل ، فإن المكروه ماثبت فيه نهى مقصود ، وهذا لم يثبت فيه ذلك . ثم احتج بحديث عائشة فى الباب ، ثم قال : فلعلهم أرادوا بالكراهة خلاف الأولى ، فإنه لا شك أن اشتغاله بالذكر أولى اهـ. ولعلهم أخذوه بالمعنى من كون كثرته تدل على ضعف اليقين ، وتشعر بالتسخيط للقضاء وتورث شماته الأعداء . وأما إخبار المريض صديقه أو طبيبه عن حاله فلا بأس به اتفاقاً . قوله : « حدثنا يحيى بن يحيى أبو زكريا » هو النيسابوري الإمام المشهور وليس له في البخاري سوى مواضع يسيرة فى الزكاة والوكالة والتفسير والأحلام ، وأكثر عنه مسلم ، ويقال إنه تفرد بهذا الإسناد وإن أحمد كان يتمنى لو أمكنه الخروج إلى نيسابور ليسمع منه هذا الحديث ، ولكن أخرجه أبو نعيم في « المستخرج » من وجهين آخرين عن سليمان بن بلال

قوله : « وارأساه » هو تفجع على الرأس لشدة ما وقع به من ألم الصداع ، وعند أحمد والنسائى وابن ماجة من طريق عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة « رجع رسول الله (ص) من جنازة من البقيع فوجدنى وأنا أجد صداعاً في رأسي وأنا أقول : وارأساه »

قوله : « ذاك لو كان حي » ذاك بكسر الكاف إشارة إلى ما يستلزم المرض من الموت ، أي لو مت وأنا حي ، ويرشد إليه جواب عائشة ، وقد وقع مصرحاً به في رواية عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ولفظه .

قوله : « ذاك لو كان حي » ذاك بكسر الكاف إشارة إلى ما يستلزم المرض من الموت ، أي لو مت وأنا حي ، ويرشد إليه جواب عائشة ، وقد وقع مصرحاً به في رواية عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ولفظه .

« ثم قال : ما ضرك لو مت قبلي فكفنتك ثم صليت عليك ودفنتك » وقولها « واثكلياه » بضم المثلثة

- وسكون الكاف وفتح اللام وبكسرها مع التحتانية الخفيفة وبعد الألف هاء للندبة ، وأصل الثكل فقد الولد أو من يعز على الفاقد ، وليست حقيقته هنا مراده ، بل هو كلام كان يجرى على ألسنتهم عند حصول المصيبة أو توقعها. وقولها " والله إني لأظنك تحب موتى " كأنها أخذت ذلك من قوله لها: "لو مت قبلي"، وقولها :" لو كان ذلك " في رواية الكشميهني " ذاك " بغير لام أي موتها لظللت آخر يومك معرسا " العين والمهملة وتشديد الراء المكسورة وسكون العين والتخفيف ، يقال :أعرس ، بنى على زوجته ، ثم استعمل في كل جماع ، والأول أشهر ، فإن التعريس النزول بليل. ووقع في رواية عبيد الله "لكأني بك والله لو قد فعلت ذلك لقد رجعت إلى بيتي فأعرست ببعض نسائك . قالت : فتبسم رسول الله ﷺ .

وقولها : بل "بل أنا وارأساه" هي كلمة إضراب، والمعنى : دعي ذكر ما تجدينه من وجع رأسك واشتغلي بي وزاد في رواية عبيد الله " ثم بدئ في وجعه الذي مات فيه ﷺ .

قوله :" لقد هممت أو أردت " شك من الراوي ، ووقع في رواية أبي نعيم " أو وددت " بدل " أردت " . قوله :" أن أرسل إلى أبي بكر وابنه " كذلك للأكثر بالواو وألف الوصل والموحدة والنون، ووقع في رواية مسلم: " وابنه " ولفظ " أو " التي للشك أو للتخيير ، وفي أخرى" أو آتيه " بهمزة ممدوة بعدها مثناه مكسورة ثم تحتانية ساكنة من الإتيان لمعنى المجيء ، والصواب الأول ، ونقل عياض عن بعض المحدثين تصويبها وخطأه.

وقال : ويوضح الصواب قولها في الحديث الآخر عند مسلم " ادعي لي أباك وأخاك " وأيضا فإن مجيئه إلي أبي بكر كان متعسرا لأنه عجز عن حضور الصلاة مع قرب مكانها من بيته .

قلت : في هذا التعليل نظر ، لأن سياق الحديث يشعر بأن ذلك كان في ابتداء مرضه ﷺ وقد استمر يصلي بهم وهو مريض ويدور على نسائه حتى عجز عن ذلك وانقطع في بيت عائشة . ويحتمل أن يكون قوله ﷺ : " لقد هممت الخ " وقع بعد المفاوضة التي وقعت بينه وبين عائشة بمدة ، وإن كان ظاهر الحديث بخلافه .

ويؤيد أيضا ما في الأصل أن المقام كان مقام استمالة قلب عائشة ، فكأنه يقول : كما أن الأمر يفوض لأبيك فإن ذلك يقع بحضور أخيك ، هذا إن كان المرد العهد بالخلافة ، وهو ظاهر السياق كما سيأتي تقريره في كتاب الأحكام إن شاء الله تعالى ، وإن كان لغيره بالخلافة ، وهو ظاهر السياق ، كما وإن كان لغير ذلك فلعله أراد إحضار بعض مآربها حتى لو احتاج إلي قضاء حاجة أو الإرسال إلى أحد لوجد من يبادر لذلك .

قوله : " فأعهد " أي أوصي .

قوله : " أن يقول القائلون " أي لئلا يقول ، أو كراهة أن يقول .

قوله : " أو يتمنى المتمنون " بضم النون جمع متمني بكسرها ، وأصل الجمع المتمنيون فاستثقلت الضمة على الياء فحذفت ، فاجتمعت كسرة النون بعدها الواو فضمت النون ، وفي الحديث ما طبعت عليه المرأة من الغيرة ، وفيه مداعبة الرجل أهله ، والإفضاء إليهم بما يستره عن غيرهم ، وفيه أن ذكر الوجع ليس بشكاية ، فكم من ساكت وهو ساخط ، وكم من شاك وهو راض ، فالمعول في ذلك على عمل القلب لا على نطق اللسان .

في اليوم الذي بدئ فيه ، فقلت : واراساه فقال ﷺ : وددت أن ذلك كان وأنا حي فهيأتك ودفنتك ، فقلت : كأني بك ذلك اليوم عروساً ببعض نسائك ! قال ﷺ : بل أنا وارأساه ، إدعو إلي أباك وأخاك حتى أكتب لأبي بكر كتاباً ، فإني أخاف أن يقول قائل أو يتمنى متمن ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر(١).

وخرج البيهقي من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال : حدثني يعقوب بن عتبة ابن المغيرة بن الأخنس ، عن الزهري ، عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعد ، عن عائشة -رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت : دخل عليّ رسول الله ﷺ وهو يصدع وأنا أشتكي رأسي فقلت : وارأساه ، فقال ﷺ بل أنا والله يا عائشة وارأساه ، ثم قال رسول الله ﷺ وما عليك لو مت قبلي فوليت أمرك وصليت عليك وواريتك ؟ فقلت : والله إني لأحسب أنه لو كان ذلك ، لقد خلوت ببعض نسائك في بيتي آخر النهار فأعرست بها ، فضحك رسول الله ﷺ ثم تمادى برسول الله ﷺ وجعه ، فاستقر برسول الله ﷺ وهو يدور على نسائه في بيت ميمونة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - فاجتمع إليه أهله ، فقال العباس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - : إنا لنرى برسول الله ﷺ ذات الجنب فهلموا فلنلده ، فلدوه ، وأفاق رسول الله ﷺ فقال : من فعل هذا؟ قالوا : عمك العباس ، تخوف أن يكون بك ذات الجنب ، فقال رسول الله ﷺ: إنها من الشيطان ، وما كان الله تعالى ليسلطه علّي ، لا يبقى في البيت أحد إلا لددتموه إلا عمي العباس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ، فلدّ أهل البيت كلهم حتى ميمونة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - ، وإنها لصائمة يومئذ ، وذلك بعين رسول الله ﷺ ، ثم أستأذن رسول الله ﷺ نسائه أن يمرض في بيتي ، فخرج ﷺ إلى بيتي فهو ﷺ بين العباس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - وبين رجل آخر لم تسمه قدماه تخطان الأرض إلى بيت عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - ، قال عبيد الله : فحدثت هذا الحديث إبن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - فقال : تدري من الرجل الآخر الذي كان مع العباس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قلت : لا

(١) (مسند أحمد) : ٧ / ٢٠٧ - ٢٠٨ ، حديث رقم (٢٤٥٨٩) ، من حديث لبسيدة عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها -

قال : هو عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ.

وقال سيف : عن سعيد عن عبد الله بن أبي مليكة ، عن عائشة ـ رضي الله تبارك وتعالى عنها ـ قالت : اشتكى رسول الله ﷺ وجعه الذي ألمه في ليلة صفر واشتكيت في تلك الليلة شكوي فجاءني النبي ﷺ وأنا في صرة أنادي : واعماه ، واراأساه ، عاصباً ﷺ رأسه يعودني ، فقال ﷺ : لقد طرقني ياعائشة طارق من صداع فما برح بي ، ولكن وجهك صوري فكيف بحديثك ؟ قالت : والذي بعث محمداً ﷺ بالحق لقد فزعت فزعة طار عني ماأحذرني حتي ما أخشى منه شيئاً، وقربت إليه فالتزمته وأنا أقول : واويلاه ،فقال : واخبراه ، لا تدعى بالويل ، وأقبل يمازحني حتي سكنني و إنه لمثبت ، وفزع الناس بضحكي فأقبلوا فقال النبي ﷺ : إليكم فإنه لم يحدث إلا خيراً ، فتراجع الناس ولزمه النسوة ودرن معه دورةً ثم استأذنهن في بيتي ، فأذنّ له .

وقال سيف : عن محمد بن إسحاق، عن الزهريّ ويزيد بن رومان وأبي بكر بن عبد الله : أن الذي كان ابتُديء به رسول الله ﷺ من وجعه الذي لزمه أن دخل على عائشة ـ رضي الله تبارك وتعالى عنها ـ وهو ﷺ يجد صداعاً فوجدها بصداع وتقول : وارأساه، فقال ﷺ : بل أنا والله يا عائشة وارأساه فو الله لقد طاوعني ما لقد ولدت أن استطار ، فسكنني ﷺ بالمزاح عليّ بحسم منه فقال ﷺ : ماضرك يا عائشة لو مت قبلى فأقوم عليك وأصلى عليك ؟ فقالت له : لكأني بك قد فعلت و أعرست مع نسائك في آخر ذلك اليوم! فتبسم رسول الله ﷺ ثم تمادى به وجعه وهو ﷺ في ذلك يدور على نسائه حتي استقر برسول الله ﷺ وهو في بيت ميمونة ـ رضي الله تبارك وتعالى عنها ـ .

قالت : فلما رأوا مابه اجتمع رأي من في البيت علي أن يلدّوه وتخوفوا أن يكون به ذات الجنب ، ففعلوا ، ثم فُرج عن رسول الله ﷺ وقد لدّوه، فقال ﷺ من صنع بى هذا ؟ فهبنه ، واعتللن بالعباس ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ فاتخذ جميع من في البيت العباس ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ سببا ، ولم يكن له فى ذلك رأي ، فقالوا : يا رسول الله : عمك العباس ـ

رضى الله تبارك وتعالى عنه - أمر بذلك ، وتخوفنا أن يكون ذلك ذات الجنب فقال ﷺ : إنها من الشيطان ولم يكن الله - عز وجل - يسلطه علي ولكن هذا عمل النساء ، لايبقى في البيت أحد إلا لد إلا عمي العباس فلدوا كلهم ولدت ميمونة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - وكانت صائمة لقول رسول الله ﷺ ثم خرج رسول الله ﷺ إلي بيت عائشة - رضي الله تبارك وتعالى - عنها وكان يومها بين العباس وعلي - رضي الله تبارك وتعالى عنه - والفضل - رضي الله تبارك وتعاله عنه - ممسك بظهره ورجلاه ﷺ تخطان في الأرض حتي دخل على عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - فلم يزل عندها مغلوباً لا يقدر على الخروج ، وغير مغلوب وهو لايقدر على الخروج من بيتها إلى غيره.

وقال سيف : عن سعيد بن عبد الله ، عن عبد الله أبي مليكة ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت : كره رسول الله ﷺ ما صنع به في بيت ميمونة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - فقالت : غداً في بيت عائشة فهل تطبن إلى المقام في بيت إحداكن حتى يقضي الله تعالى في قضاءه ؟ فقلن : نعم فأتاني في بيتي وفي يومي ، وكان آخر أيامه يومي ، كان ﷺ يدور علينا.

وقال الواقدي : حدثني عاصم بن عبد الله بن عمرو بن الحكم قال : قام رسول الله ﷺ في بيت ميمونة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - سبعة أيام يبعث إلى نسائه أسماء بنت عميس - رضي الله تبارك وتعالى عنها - يقول : إن رسول الله ﷺ يشق عليه أن يدور عليكن فأحللنه فكن يحللنه .

وحدثني إبراهيم بن سعد ، عن أبيه قال:كانت فاطمة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - بنت رسول الله ﷺ تدور على نسائه وتقول : أحللنه فيحللنه .

وحدثني ابن أبي سبرة عن يحيى بن سهل ، عن أبي جعفر قال : كان رسول الله ﷺ يحمل فى ثوب ويطاف به على نسائه ، وذلك أن زينب بنت جحش - رضي الله تبارك وتعالى عنها - كلمته فى ذلك فقال ﷺ : فأنا أدور عليكن ، فكان ﷺ يحمل فى ثوب ويحمل جوانبه الأربع ، يحمله أبو رافع مولاه وأبو مويهبه ، وشقران ، وثوبان ، - رضي الله تبارك وتعالى عنهم

حتى يقسم لهن كما يقسم ، فجعل ﷺ يقول : أين أنا غداً ؟ فيقولون : عند فلانة فعرف أزواجه أنه يريد عائشة – رضي الله تبارك وتعالى عنها – فقلن : يارسول الله قد وهبنا أيامنا لأختنا عائشة.

قال سيف : عن سبط ، عن نعيم بن أبي هند ، عن شقيق بن سلمة ، عن عائشة – رضي الله تبارك وتعالى عنها – ، قالت : لما اشتكى رسول الله ﷺ جعل يدور بين نسائه ويتحامل ، فقال ﷺ يوماً لهن وهن مجتمعات عنده: قد ترين ما أصابني من الشكوى وهو يستند علي أن أدور بينكن فلو أذنتن لي في بيت إحداكن حتى أعلم مايصنع الله تعالى ، فقالت إحداهن : أي نبي الله ، قد أذناك وعرفنا البيت الذى تريد ، فتحول إليه فالزمه ، فإنا لو قدرنا أن نفديك بأنفسنا فديناك وسررناك ، فقال : فأي بيت هو ؟ قالت عائشة – رضي الله تبارك وتعالى – عنها : لاتعدل به فتحول إلي بيتي .

وقال سيف : عن هشام بن عروة ، عن أبيه أن النبي ﷺ كان يقول في وجعه وهو يدور على نسائه : أين أنا غداً ؟ فنقول : عند فلانة ، فإذا كان الغد قال : أين أنا غداً ؟ فمازال ذلك من قوله كل يوم حتي قيل : عند عائشة في اليوم الذى استأذن نساءه فيه في المقام في بيت إحداهن ، ففرح حتى عرف القوم فيه ألحقه .

وقال سيف ، عن يحيى بن سعيد ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث قال: إن النبي ﷺ قال وهو في مرضه ، وهو عند نسائه : أين أنا غداً ؟ قالوا عند فلانة ، ثم سأل ﷺ أيضاً فقال : أين أنا غداً ؟ فكذلك حتي قال بعض نسائه: إنما يريد يوم بنت أبي بكر – رضي الله تبارك وتعالى عنهما – فأذن له، قلن له : يارسول الله إنما نحن أخوات فأنت في حل ، قال ﷺ : أجل ، فسر بذلك.

قال الواقدي : فحدثني عاصم بن عبد الله عن عمرو بن الحكم قال : فنقل ﷺ إلى بيت عائشة – رضي الله تبارك وتعالى عنها – يوم الأربعاء الآخر حتى توفي ، فأقام ﷺ في بيتها ، قال : وقالوا : لما مرض رسول الله ﷺ أخذته بحة شديدة مع حمى معظمة .

وقال سيف : عن الوليد بن كعب عن أبيه ، عن علي - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : طلب أبو بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - إلى النبي ﷺ أن يمرضه فقال ، ﷺ : يا أبا بكر ، هو ابتلاء لأهلي أن يمرضوني ، وقد وقع أجرك على الله ، فوليت تمريضه مادام الرجال يدخلون عليه ، فلما ارتفعوا خاليته والنسوة .

وقال البخاري : وقال يونس عن الزهري : قال عروة : قالت عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - : كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه : ياعائشة ! ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر ، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم [(١)]

وخرج البيهقي من طريق أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله قال : لأن أحلف تسعا أن رسول الله ﷺ قتل قتلاً أحب إليّ من أن أحلف واحدة أنه لم يقتل . وذلك أن الله تعالى اتخذه نبياً واتخذه شهيداً .[(٢)]

وقال سيف : حدثني سعيد بن عبد الله ، عن ابن أبي مليكة عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالي عنها - قالت : دخلت أم شريك على النبي ﷺ وهو يجد غماً ونفساً فقال : يا أم بشر هذا أوان وجدت انقطاع أبهرى من الأكله التى أكلتها أنا وأبوك يوم خيبر . قالت : وكانت امرأة من أهل خيبر أتتهما بشاة مصلية مسمومة ، فأهوى أبوها إلى اللقمة ونهش النبي ﷺ الذراع ، فقالت الذراع : لا تأكل فإني مسمومة ، فرمي بها وتعقبه منها ما تعقب .

وقال الواقدي : فحدثني معمر ومالك عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت : كان رسول الله ﷺ يقرأ على

---

(١) (فتح الباري) : ٨/١٦٥، كتاب المغازي، باب(٨٤) مرض النبي ﷺ ووفاته حديث رقم (٤٤٢٨)

(٢) (دلائل البيهقي) : ٧/١٧٢ ، باب ماجاء فى إشارته ﷺ إلى عائشة - رضي الله وتبارك تعالى عنها فى ابتداء مرضه بما يشبه النعي ، ثم إخباره إياها بحضور أجله ، وما فى حديثها من أنه ﷺ توفي شهيداً .

نفسه بالمعوذات ، فلما مرض وثقل كنت أقرأها في يديه وأمسح بهما جسده وألتمس بذلك بركة يديه ، ودخلت عليه في مرضه أم بشر بنت البراء بن معرور فقالت : يارسول الله ماوجدت مثل هذه الحمى التى عليك على أحد ! فقال ﷺ وما كان الله تعالى ليسلطها على رسوله إنها همزة من الشيطان ، ولكنها من الأكلة التى أكلت أنا وابنك بخيبر من الشاة ، كان يصيبني منها عداد مرة فكان هذا أوان انقطاع أبهري ، فمات رسول الله ﷺ شهيدا .

وخرج البخاري [(١)] من حديث الليث قال : حدثني عقيل ، عن ابن شهاب قال : أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال : إن عائشة زوج النبي ﷺ قالت : لما ثقل رسول الله ﷺ واشتد به وجعه استأذن أزواجه أن يمرض فى بيتى ، فأذن له فخرج وهو بين الرجلين تخط رجلاه في الأرض بين العباس بن عبد المطلب وبين رجل آخر ، قال عبيد الله : فأخبرت عبد الله بالذى قالت عائشة ، فقال لى عبد الله بن عباس : هل تدري من الرجل الآخر الذي لم تسم عائشة ؟ قال : قلت : لا ، قال ابن عباس : هو علي ، وكانت عائشة زوج النبي ﷺ تحدث أن رسول الله ﷺ لما دخل بيتي واشتد به وجعه قال : أهريقوا علي من سبع قرب لم تحلل أو كيتهن ، لعلي أعهد إلى الناس ، وأجلسناه في مخضب لحفصة زوج النبي ﷺ ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب ، حتى طفق يشير إلينا بيده أن قد فعلتن . قالت : ثم خرج ﷺ إلى الناس فصلى بهم وخطبهم .

وأخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، قال : إن عائشة وعبد الله بن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - قالا : لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: لعنة الله على اليهود والنصاري اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، يحذر ما صنعوا.

وأخبرني عبيد الله أن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت : لقد راجعت رسول الله ﷺ في ذلك وما حملنى على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلا يقوم مقامه أبداً ، وإلا كنت أرى أنه لن

---

(١) (فتح الباري) : ١٧٨/٨، كتاب المغازي، باب (٨٤) مرض النبي ووفاته ، حديث رقم (٤٤٤٢).

يقوم أحد مقامه إلا تشاءم الناس به ، فأردت أن يعدل ذلك رسول الله ﷺ عن أبي بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - هكذا ذكر البخاري هذا الحديث في باب مرض النبي ﷺ (١).

قال الواقدي : حدثني معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت : ان رسول الله ﷺ بعد أن دخل بيتها واشتد وجعه قال : أهريقوا علي من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن لعلي أعهد الى الناس قالت عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - : فأجلسناه في مخضب لحفصة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - مثل الأيرن من صفر وطفقنا نصب عليه تلك القرب حتى طفق يشير الينا أن قد فعلتن ، ثم خرج ﷺ إلى الناس فصلى بهم وخطبهم ، قالوا : وكانت تلك القرب من بئر أبي أيوب الأنصاري - رضي الله تبارك وتعالى عنه -.

وخرج البيهقي حديث : "وإن الله خير عبدا " ، ثم قال : وهذا الذي رواه أبو سعيد الخدري وأبو يعلي الأنصاري - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - في خطبة النبي ﷺ، إنما كان ذلك حين خرج في مرضه بعدما اغتسل ليعهد الي الناس والذي يدل على ذلك فذكر ما خرجه البخاري من حديث وهب بن جرير حدثنا أبي قال : سمعت يعلي بن حكيم يحدث عن عكرمة ، عن ابن عباس -رضي الله تبارك وتعالى عنهما-، قال: خرج رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه عاصبا رأسه بخرقة ، فصعد على المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: إنه ليس من الناس أحد أمن علي في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي

---

(١) لم أجد هذا الحديث في (صحيح البخاري) بهذه السياقة ، وقد ذكره الحافظ البيهقي في (دلائل النبوة) : ٧ / ١٨٦ - ١٨٧ ، باب ما جاء في أمره حين اشتد به المرض - أبا بكر الصديق رضي الله تبارك وتعالى عنه - أن يصلي بالناس ، وقال في هامشه : أخرجه البخاري في كتاب الصلاة ، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة عن يحيى بن سليمان ، عن ابن وهب ، عن يونس ، عن الزهري ، وقال تابعة الزبيدي وابن أخي الزهري وإسحاق بن يحيى الكلبي عن الزهري .

وأخرجه مسلم في كتاب الصلاة ، باب (٢١) استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض أو سفر وغيرهما من يصلي بالناس ، حديث رقم (٩٣) .

قحافة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ولو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذتُ أبا بكر خليلاً، ولكن خلةُ الإسلام أفضل ، سدواً عني كل خوخة في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ، ذكره في كتاب الصلاة ، في باب الخوخة والممر في المسجد [1]. وخرجه في المناقب مختصراً من حديث وهيب ، حدثنا أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - .[2]

وخرج النسائي من طريق زيد بن أبي أنيسة ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن الحارث ، قال : قال لي خَبَّاب : إنه سمع النبي ﷺ قبل أن يتوفى يقول : قد كان أخوة وأصدقاء فأراني أبرأ إلي كل خليل من خُلّته ، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، وإن ربي اتخذني خليلاً، كما اتخذ أبي إبراهيمً خليلاً ، ألا ولاتتخذواَ القبور مساجد ، فإني أنهاكم عن ذلك ، ذكره في تفسير سورة النساء .

قال البيهقيّ : وفي هذه الخطبة ، قال : فذكر ماخرجه البخاري في علامات النبوة في الإسلام من حديث أبي نعيم ، حدثنا عبد الرحمن بن سليمان بن حنظلة الغسيل حدثنا ، عكرمة ، عن ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنهما -، قال : خرج رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه في ملحفة قد عصب بعصابة دسماء حتى جلس على المنبر ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإن الناس يكثرون ويقل الأنصار ، حتي يكونوا في الناس كالملح في الطعام فمن ولي منكم شيئا يضرّ فيه قوما ًوينفع آخرين فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم ، فكان آخر مجلس جلس فيه النبي ﷺ .[3]

وذكر من طريق يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق ، عن الزهري ، عن أيوب بن بشير قال : إن رسول الله ﷺ قال في مرضه : أفيضوا عليّ سبع قرب

---

(١) حديث رقم (٤٦٧)

(٢) باب (٥) قول النبي ﷺ: « لوكنت متخذاً خليلاً » حديث رقم « ٣٦٥٦ »

(١) (دلائل البيهقي) : ٧ / ١٧٨

من سبع آبار شتىّ ، حتي أخرج وأعهد إلي الناس ، ففعلوا ، فجلس على المنبر فكان أول ماذكر بعد حمدالله تعالي والثناء على أصحاب أحد ، فاستغفر لهم ودعا لهم ، ثم قال : يا مَعشر المهاجرين ، إنكم قد أصبحتم تزيدون والأنصار علي هيئتها لا يزيدون ، وإنهم عيبتي التى آويت إليها ، فأكرموا كريمهم ، وتجاوزوا عن مسيئهم ، ثم قال ﷺ : أيها الناس إن عبداً من عباد الله تعالى قد خَيَّره الله تعالي بين الدنيا وبين ما عند الله تعالي فاختار ما عند الله عز وجل ففهمها أبو بكر ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ من بين الناس فبكي، ثم قال : نفديك بأنفسنا وآبائنا فقال رسول الله ﷺ: على رسلك يا أبابكر ، انظروا إلى هذه البيوت الشارعة في المسجد فسدوها ، الا ما كان من بيت أبي بكر ـ رضي الله تبارك وتعالى ـ فإني لا أعلم أحداً أفضل عندي يداً في الصحبة منه [1] قال البيهقي : هذا وإن كان مرسلاً ففيه مافي حديث ابن عباس ـ رضي الله تبارك وتعالى عنهما ـ من تاريخ هذه الخطبة وأنها كانت بعدما اغتسل ليعهد إلي الناس ، وينعي نفسه إليهم .

وخرج من طريق الواقدي . قال حدثني فروة بن زبيد طوساً ، عن عائشة بنت سعد ، عن أم ذَرَّة ، عن أم سلمة زوج النبي ﷺ ـ رضي الله تبارك وتعالى عنها ـ قالت : خرج رسول الله ﷺ عاصباً رأسه بخرقة ، فلما استوى علي المنبر أحدق الناس بالمنبر واستكفوا ، فقال : والذي نفسي بيده إني لقائم على الحوض ساعة ، ثم تَشَهَّد فلما قضي تشهده كان أول ماتكلم به أن استغفر للشهداء الذين قتلوا بأحد ، ثم قال ﷺ: إن عبداً من عباد الله تعالى خُيرّ بين الدنيا وبين ماعند الله عز وجل ، فاختار العبد ما عند الله تعالى ، فبكى أبو بكر ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ فعجبنا لبكائه . وقال : بأبي و أمي ،نفديك بآبائنا وأمهاتنا و أنفسنا وأموالنا ، فكان رسول الله ﷺ هو المخيرّ وكان أبو بكر ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ أعلمنا برسول الله ﷺ فجعل رسول الله ﷺ يقول : على رسلك .[1]

وخرجه الواقدي عن عروة به ، قال فى آخره : قال عمر ـ رضي الله تبارك

---

(١) دلائل البيهقي) : ٧ : ١٧٨

وتعالى عنه - يارسول الله دعني افتح كُوَّة فأنظر إليك حين تخرج إلى الصلاة فقال ﷺ : لا .

وقال سيف : عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت : أمرنا رسول الله ﷺ أن نُغسّله من سبع قرب من سبع آبار ، ففعلنا ذلك وصببنا عليه فوجد رسول الله ﷺ راحة فخرج يصلي بالناس واستغفر لأهل أحد ودعا لهم ، وأوصى بالأنصار فقال : أما بعد ، يامعشر المهاجرين فإنكم تزيدون ، وأصبحت الأنصار على هيئتهاالتي هي عليها اليوم ، إلا أن الأنصار عيبتي التي آويت إليها ، فأكرموا كريمهم ، وتجاوزوا عن مسيئهم، ثم قال : إن عبداً من عباد الله تعالى خيرّه مابين الدنيا وبين ماعند الله عزّ وجل ، فاختار ماعند الله تعالى فبكى أبوبكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - وظنّ أنه يريد نفسه ، فقال النبي ﷺ : على رسْلك يا أبابكر ، سدوا هذه الأبواب الشوارع في المسجد إلاباب أبي بكر - رَضي الله تبارك وتعالى عنه - فإني لا أعلم امرؤاً أفضل عندي في الصحبة من أبي بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه -

وقال سيف : حدثني سعيد بن عبد الله بن أبي مليكة ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت : إن رسول الله ﷺ رفع يومئذ صوته حتي أسمع من وراء المسجد ، فقال : أيها الناس ، سعرت النار ، وأقبلت فتن كقطع الليل المظلم وإنها آكلة من وجدت على رأس خمس وثلاثين سنة ، إلا من تمسّك بالثقلين من كتاب الله تعالي وسنتي وإني لم أحلّ إلا ماأحَلَ القرآن ولم أحرّم إلا ما حَرم القرآن ، والمسلمون شهود الله فيما لم يكن فيه كتاب ولاسنة فما حسّنوه فحسن وماقبحوه فقبيح ، فالزموا الجماعة والطاعة ، فأماالجماعة فالسنة ، وأما الطاعة فالعصمة ، ثم دخل رسول الله ﷺ بيته وقال : مُروا أبا بكر يصلي بالناس .

وقال الواقدي : قالت أم ذرّة : فسمعت أبا سعيد - رضي الله تبارك

---

(٢) (المرجع السابق) .

وتعالى عنه ـ يقول : خرج رسول الله ﷺ يومئذ مشتملاً قد طرح طرفى ثوبه على عاتقه عاصباً رأسه بعصابة ، وقال بعد التشهد : يا معشر المهاجرين إنكم أصبحتم تزيدون ، وأصبحت الأنصار لاتزيد علي هيئتها التى هي عليها اليوم وإن الأنصار عيبتى التى أويت إليها فاحفظوني فيهم ، فأكرموا كريمهم ، واقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم .

قال : واعترض رجل فقال يارسول الله : ما بال أبواب أمرت فيها أن تفتح وأبواب أمرت بها أن تغلق ؟ فقال ﷺ مافتحتها ولا أوصدتها عن أمرى.

وخرج البيهقي من حديث معن بن عيسى القزاز عن الحارث بن عبد الملك ابن عبد الله بن إياس الليثي ، عن القاسم بن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن أبيه ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، عن الفضل بن عباس ـ رضي الله تبارك وتعالى عنهم ـ قال : أتاني رسول الله ﷺ وهو يوعك وعكاً شديداً وقدعصب رأسه فقال : خذ بيدى يافضل ، قال : فأخذت بيده حتى قعد على المنبر ثم قال ﷺ : ناد فى الناس يافضل ، فناديتُ : الصلاة جامعة ، قال : فاجتمعوا فقام رسول الله ﷺ خطيباً .

فقال : أما بعد ، أيها الناس ، وإنه قد دنا مني حقوق من بين أظهركم ، ولن تروني في هذا المقام فيكم ، وقد كنت أرى أن غيره غير مُغنٍ عني حتى أقومه فيكم ألا فمن كنت جلدتُ له ظهراً، فهذا ظهري فليستقد منه ومن كنت أخذت له مالاً ، فهذا مالي فليأخذ منه ، ومن كنت شتمتُ له عرضاً فهذا عرضي فليستقد ، ولا يقولن قائل : أخاف الشحناء من قبل رسول الله ﷺ ، ألا وإن الشحناء ليست من شأني ولامن خلقى ، وإن من أحبكم إليّ من أخذ حقاً إن كان له عليّ وحللني ، فلقيت الله تعالى وليست عندي لأحد مظلمة (١)

قال : فقام رجل فيهم : فقال : يا رسول الله ! لي عندك ثلاثة دراهم فقال ﷺ : أما أنا فلا أكذّب قائلاً ولا مستحلفه على يمين ، فيم كانت لك عندي ؟ قال : أما تذكر أنه مرّ بك سائل فأمرتني فأعطيته ثلاثه دراهم ؟ قال

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٧ / ١٧٩

ﷺ أعطه يا فضل . قال : قال : فأمر به فجلس.(١)

ثم عاد رسول الله ﷺ في مقالته الأولى ، ثم قال أيها الناس من كان عنده من الغلول شئ فليرده ، فقام إليه رجل فقال : يا رسول الله اعندي ثلاثة دراهم غللتها في سبيل الله ، قال ﷺ : ولم غللتها ؟ قال : كنت إليها محتاجا فقال ﷺ خذها منه يا فضل(٢) .

ثم عاد رسول الله ﷺ في مقالته الأولى وقال : أيها الناس من أحس من نفسه شيئا فليقم أدعو الله عز وجل ذكره له ، قال : فقام إليه رجل فقال : يا رسول الله : إني لمنافق ، وإني لكذوب ، وإني لنؤوم ، فقال عمر بن الخطاب -رضي الله تبارك وتعالى عنه - ويحك أيها الرجل ! لقد سترك الله تعالى ، لو سترت على نفسك . فقال رسول الله ﷺ فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة اللهم أرزقه صدقا ، وإيمانا ، وأذهب عنه النوم إذا شاء ، ثم قال رسول الله ﷺ عمر معي ، وأنا مع عمر ، والحق بعدي مع عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه ..(٣)

وقال سيف : حدثني سعيد بن عبد الله ، عن أبيه قال : لما رأت الأنصار أن رسول الله ﷺ يزداد ثقلا أطافوا بالمسجد فدخل العباس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - على النبي ﷺ فاعلمه بمكانهم ثم دخل عليه الفضل - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فأعلمه بمثل ذلك ، فمد يده فقال : هنا فيتناولوه ، فقال : وما يقولون ؟ قال : يقولون نخشى أن تموت وفضائح نسائهم لاجتماع رجالهم إلي النبى ﷺ فثار النبي ﷺ فخرج متوكئا على علي - رضي الله تبارك وتعالى عنه - والفضل والعباس - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - أمامه والنبى ﷺ معصوب الرأس يخط برجله حتى جلس على أسفل مرقاه من المنبر وثاب الناس إليه فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس بلغني أنكم تخافون علي الموت كافة استنكارا منكم للموت وما تنكرون من موت .

---

(١) (المرجع السابق) : ١٨٠ وفيه " فأمرته فجلس" .

(٢) (المرجع السابق) .

(٣) (المرجع السابق) ونقله الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية)وقال : في إسناده ومتنه غرابة شديدة .

نبيكم ؟ ألم أنع لكم وتنعي لكم أنفسكم ؟ هل خلد نبي قبلي ممن بعث إليه فأخلد فيكم ؟ ألا إني لاحق وإنكم لاحقون به ، وإني أوصيكم بالمهاجرين الأولين خيراً وأوصى المهاجرين فيما بينهم ، وإن الله عزّ وجلّ قال : ﴿ **والعصر إن الإنسان لفي خسر** ﴾ [1] إلي آخرها ، وإن الأمور تجري بإذن الله تعالي ، فلا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله فإن الله عز وجل لا يعجل بعجلة أحد، ومن غالب الله غلبه ، ومن خادع الله خدعه ﴿ **فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم** ﴾ [2] وأوصيكم بالأنصار خيراً فإنهم الذين يتبوءوا الدار والإيمان ، أن تحسنوا إليهم ، ألم يشاطروكم الثمار؟ ألم يتوسعواعليكم في الديار؟ الم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة ؟ ألا فمن إن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم، ألا ولاتستأثروا عليهم ، ألا وأنا فرط لكم وأنتم لاحقون بي ، ألا وإن موعدكم الحوض حين أعرض ممابين ، بصري الشام ، وصنعاء اليمن ، فصب فيه ميزاب الكعبة ، ماؤه أشد بياضاً من اللبن ، وألين من الزبد ، وأحلى من الشهد ، من يشرب منه لم يظمأ أبداً ، حصباؤه اللؤلؤ ، وبطحاؤه فى مسك ، من حُرمه في الموقف غداً حرم الخير كُلّه ، ألا فمن أحب أن يرد عليّ غداً فليكفف يده ولسانه إلا مما ينبغي .

فقال العباس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - : يانبّي الله ، أوص بقريش ، فقال : إنما أوصى بهذا الأمر قريشاً ، الناس تبع لقريش من أبرهم وفاجرهم فاستوصوا ، إن قريشاً بالناس خيراً ، ياأيها الناس ، إن الذنوب تغير النعم ، وتبدل القسم ، وإذا برّ الناس بَرّهم أئمتهم وإذا فجروا عقوهم ، قال الله عز وجل :﴿ **وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون** ﴾.[3]

---

(١) العصر : ١ - ٢

(٢) محمد : ٢٢

(٣) الأنعام ١٢٩

ذكر إرادة الرسول ﷺ أن يكتب كتابا لأصحابه وقد اشتد به الوجع

خرج البخارى [١] ومسلم [٢] والنسائي [٣] من حديث عبد الرزاق قال : أنبأنا معمر عن الزهري ،عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبه عن ابن عباس قال لما حضر رسول الله ﷺ وفى البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب - رضى الله تبارك وتعالى عنه - قال : هلم أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده ، قال عمر : إن النبي ﷺ غلبه الوجع وعندكم القرآن فحسبنا كتاب الله ، واختلف أهل البيت واختصموا ، فمنهم من يقول:قربوا يكتب لكم رسول الله ﷺ كتابا لن تضلوا بعده ، ومنهم من يقول ما قال عمر:فلما أكثروا اللغط والاختلاف عند النبى ﷺ قال قوموا عني . قال عبيد الله :فكان ابن عباس يقول إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب ،من اختلافهم ولغطهم . لفظهم فيه متقارب وذكر البخاري فى كتاب المرض ،وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنه [٤] ،وفي آخر المغازي ،وذكره مسلم فى الوصايا ،وأخرجه البخاري في كتاب العلم[٥] فى باب كتابة العلم من حديث يونس عن الزهري

---

(١) (فتح الباري) : ٨ /١٦٧ ، كتاب المغازي ، باب (٨٤) مرضى النبى ﷺ ووفاته ، حديث رقم (٤٣٢) .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ١١ / ١٠٢ - ١٠٤ ، كتاب الوصية باب (٥) ترك الوصية لمن ليس له شئ يوصى فيه ، حديث رقم (٢٢) .

(٣) لعله في (الكبرى)

(٤) (فتح الباري) /: ١٣ /٤١٤ ، كتاب الاعتصام ، باب (٢٦) كراهية الاختلاف ، حديث رقم (٧٣٦٦) : يقول أن الرزيه كل الرزية أن حال شيء رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب . من اختلافهم ولغطهم .

(٥) قوله : باب كراهيه الاختلاف ولبعضهم الخلاف أى في الأحكام الشرعية أو أعم من ذلك وسقطت هذه الترجمة لابن بطال فصار حديثها من جملة باب النهي للتحريم ووجهه بأن الأمر بالقيام عن الاختلاف في القرآن للندب لا لتحريم القراءة عند الاختلاف والأولى ما وقع عند الجمهور وبه جزم الكرماني فقال في آخر حديث عبد الله بن مغفل : هذا آخر إيراد في الجامع من مسائل أصول الفقه

قال : لما اشتد بالنبى ﷺ وجعه قال : ائتونى بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده . قال عمر - رضى الله تبارك وتعالى عنه : إن النبى ﷺ غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا ، فاختلفوا وأكثروا اللغط : قال ﷺ قوموا عني ، ولا ينبغي عندي التنازع ، فخرج ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنه يقول : إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين كتابه .

وخرج البخاري ومسلم من حديث سفيان . بن عيينة ، عن سليمان بن أبي مسلم أنه سمع سعيد بن جبير . قال : إنه سمع ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - يقول : يوم الخميس وما يوم الخميس ثم بكى حتى بل دمعه ، فقال : ائتونى أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعدي أبدا فتنازعوا وما ينبغي عند نبي تنازع ، وقالوا : ما شأنه أهجر؟ استفهموه ، فقال ﷺ دعوني فالذى أنا فيه خير مما تدعونني إليه فأمرهم بثلاث : فقال : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم ، والثالثة إما أن سكت عليها وإما أن

= قوله : " حدثنا إسحاق " هو ابن راهويه كما جزم به أبو نعيم في (المستخرج) وقوله في آخر قال أبو عبد الله سمع عبد الرحمن يعني ابن مهدي المذكور فى السند سلاما يعني بتشديد اللام وهو ابن أبي مطيع ، وأشار بذلك قوله : قال عبيد الله هو ابن عبد الله بن عتبة هو موصول بالسند المذكور وقد تقدم بيان ذلك فى (كتاب العلم) وفي آخر المغازي فى باب الوفاة النبوية .

إلى ما أخرجه في فضائل القرآن عن عمرو بن على عن عبد الرحمن قال : حدثنا سلام بن أبي مطيع ووقع هذا الكلام للمستملي وحده .

قوله : " وقال يزيد بن هارون إلخ ، وصله الدارمي عن يزيد بن هارون لكن قال عن همام ، ثم أخرجه عن أبي النعمان ، عن هارون الأعور ، وتقدم في آخر فضائل القرآن الاختلاف على أبي عمران فى سند هذا الحديث مع شرح الحديث ، وقال الكرماني : مات يزيد بن هارون سنة ست ومائتين فالظاهر أن رواية البخاري عنه تعليق انتهى . وهذا لا يتوقف فيه من اطلع على ترجمة البخاري ، فإنه لم يرحل من بخاري إلا بعد موت يزيد بن هارون بمدة .

قوله في حديث ابن عباس . واختلف أهل البيت : اختصموا ، كذا لأبي ذر وهو تفسير لاختلفوا ، ولغيره واختصموا بالواو العاطفة وكذا تقدم فى آخر المغازي .

قالها فنسيتها. قال سفيان : هذا من قول سليمان . اللفظ للبخارى . ذكره في كتاب الجزية ، وذكره مسلم فى كتاب الوصايا ولم يقل فكيف ؟ ولا قال : مما تدعوا إليه . وقال : لا تضلوا بعدى ، وقال : أوصيكم بثلاث : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب . وأجيزوا الوفد بنحو ماكنت أجزهم ، قال : وسكت عن الثالثة أو قال : فأنسيتها ، ولم يقل : قول سفيان .

وذكره البخاري في آخر المغازي[1] من حديث ابن عيينة ، عن سليمان الأحول بهذا الإسناد. ولم يقل : فى هذا ، ثم بكي حتي بلّ دمعه الحصى ، ولاقال : يكتب ، وقال :لن تضلوا بعده ، وقال: أوصاهم . بثلاث ، وقال : سكت عن الثالثة ، أو قال : فنسيتها . وذكره فى كتاب الجهاد.[2]

وخرجه النسائي [2] من حديث سفيان قال : سمعت سليمان يحدث ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس أنه قال : يوم الخميس . وما يوم الخميس ، ثم جعل تسيل دموعه على خديه كأنها نظام اللؤلؤ ، قال : قال رسول الله ﷺ : ائتونى بكتف والدواة واللوح أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً . قالوا : إن رسول الله ﷺ هجر .

وقال الإمام أحمد حدثنا معاوية ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي بكر القرشي عن ابن أبي مليكة . عن عائشة قالت : لما ثقل رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ لعبد الرحمن بن أبي بكر : ائتني بكتف أو لوح حتي أكتب لأبى بكر كتاباً لايختلف عليه ، فلما ذهب عبد الرحمن ليقوم قال : أبى الله والمؤمنون أن يختلف عليك يا أبا بكر.

وقال الواقدي : قال ابن عباس : يوم الخميس، وما يوم الخميس ؟ ثم

(١) (سبق تخريجه)

(٢) (المرجع السابق) : ٦ / ٢٠٩ ، باب (١٧٥) جوائز الوفد ، وباب (١٧٦) هل يستشفع إلى أهل الذمة ؟ ومعاملتهم ، حديث رقم (٣٠٥٣)

(٣) (لعله في الكبرى)

(٤) (مسند أحمد) : ٧ / ١٧ ، حديث رقم (٢٣٦٧٩) من حديث السيدة عائشة .

(٥) دلائل البيهقي) : ٧ / ١٨١

بكى حتى بل دمعه الحصى ، قيل : وما يوم الخميس ؟ قال : اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال : ائتوني بدواه وصحيفة أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدة أبداً فتنازعوا ولا ينبغى التنازع عند النبى ﷺ فقال بعضهم : ما له ؟ أهجر ؟ فقال عمر بن الخطاب – رضي الله تبارك وتعالى عنده . قال : دعوني فما أنا فيه خير مما تألونني ، فأوصاهم بثلاث : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما ترونى أجيزهم ، وأنفذوا جيش أسامة – رضي الله تبارك وتعالى عنه – قوموا .

وكان ابن عباس رضى الله تبارك وتعالى عنهما – يقول : الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم[1] .

وقال سيف : عن محمد بن عبيد الله وعبد الملك بن جرير ، عن عطاء ، عن ابن عباس – رضي الله تبارك وتعالى عنهما – وعن عبد الله بن عبيد الله عن أبيه قال : كان ابن عباس – رضي الله تبارك وتعالى عنهما – يقول لما كانت ليلة الخميس وما يوم الخميس ، وما يوم الخميس ، قال ليلة الخميس وما ليلة الخميس ؟ قلت : ليلة الخميس وما ليلة الخميس ويوم الخميس ؟ ثم سكت وإذا ذكر الخميس قلت : وما ذاك ؟ فقال : هي الليلة التى ثقل فيها رسول الله ﷺ ثقلاً ثقل مثله ، وهو اليوم التى ثقل فيه رسول الله ﷺ قال : ائتوني بصحيفة ودواة أكتب لكم كتاباً لا تختلفون بعده .

وأغمي عليه فدعا العباس بالدواة والصحيفة ، فقال رجل من أهل البيت : رسول الله هجر ، فأناق ، فقال يا رسول الله إلا نأتيك بالصحيفة التى طلبت والدواة لتكتب لها فيها ما لا نختلف بعده ؟

فقال : الآن بعدما قلتم يهجر ؟ فلم نفعل ، فأنا مقنع على ما فاته من ذلك . ورواه عن أبى الزبير ، عن جابر بن عبد الله - رضي الله تبارك وتعالى عنهما– مثل ذلك قال : وكان ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنهما –

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ١٠٢/١١ –١٠٣ كتاب الوصية باب (٥) الوصية لمن ليس له شئ يوصي فيه ، حديث رقم (٢٢) .

يقول : ماضياع ماضيع من إضاعة الرأى .

قال سيف : عن وائل بن داود ، عن يزيد النهي ، عن النبي قال : لتؤتونى بكتف وداوة ، أكتب لأبي بكر - رضي الله تبارك وتعالي عنه - كتاباً لايختلف عليه معه اثنان من بعدي فأتي بهما قال ﷺ : ألا معاذ الله لأبي بكر من ذلك ، ومعاذ الله أن تختلفوا على أبي بكر .

قال البيهقي رحمة الله : وإنما قصد عمر بن الخطاب - رضي الله تبارك وتعالى عنه - بما قال في التخفيف على رسول الله ﷺ حين رآه قد غلب عليه الوجع ، ولو كان مايريد النبي ﷺ أن يكتب لهم شيئاً مفروضاً ، لا يستغنون عنه أم يتركه باختلافهم ولغطهم لقول الله عز وجل :﴿ **بلغ ما أنزل إليك من ربك** ﴾ [١] كما لم يترك تبليغ غيره بمخالفة من خالفه ، ومعاداة من عاداه ، وإنما أراد فيما حكى سفيان بن عيينة عن أهل العلم قبله أن يكتب استخلاف أبي بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ثم ترك كتابته اعتماداً على ماعلم من تقدير الله تعالى ذلك كما هم به في ابتداء مرضه حين قال : واراساه ، ثم بدا له ﷺ أن لا يكتب ، وقال : يأبي الله والمؤمنون إلا أبا بكر ، ثم نبه أمته على خلافته باستخلافه إياه في الصلاة حين عجز عن حضورها ، وإن كان المراد به رفع الخلاف في الدين ، قال عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - : علم أن الله تعالى قد أكمل دينه بقوله :﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** ﴾ [٢] وعلم انه لا يحدث واقعه إلي يوم القيامة إلا وفى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ بيانها ، نصاً ودلالة وفى نصّ رسول الله ﷺ على جميع ذلك في مرض موته مع شدة وعكه ، مما يشق عليه ، فرأي عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - الاقتصار على ماسبق بيانه نصاً أو دلالة ، تخفيفاً على رسول الله ﷺ ولكيلا تزول فضيلة أهل العلم بالاجتهاد فى الاستنباط وإلحاق الفروع بالأصول ، بما دلّ الكتاب والسنة عليه ، وفيما سبق من قوله ﷺ : إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد ، دليل على أنه وكل بيان بعض

---

(١) المائدة : ٦٧

(٢) المائدة : ٣

الأحكام إلى اجتهاد العلماء، وأنه أحرز من أصاب منهم الأجرين الموعودين : أحدهما بالاجتهاد والآخر بإصابة العين بما عليها من الدلالة فى الكتاب والسنة وإنه أحرز من اجتهد فأخطأ أجراً واحداً باجتهاده ، ورفع إثم الخطأ عنه وذلك فى أحكام الشريعة التى لم يأت بيانها نصاً، وإنما ورد خفياً .(١)

فأما مسائل الأصول فقد ورد بيانها جلياً، فلا عذر لمن خالف بيانه لما فيه من فضيلة العلماء بالاجتهاد وإلحاق الفروع بالأصول ، بالدلالة مع طلب التخفيف على صاحب الشريعة ، وفى ترك رسول الله ﷺ الإنكار فيما قال دليل واضح على استصوابه رأيه (٢) [وبالله التوفيق] .(٣)

(١) (دلائل البيهقي) : ٧ / ١٨٤ - ١٨٥
(٣)(المرجع السابق) : ١٨٥
(٣) زيادة للسياق من (المرجع السابق)

ذكر أمر رسول الله ﷺ حين اشتد به الوجع أبا بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أن يصلي بالناس

خرج البخاري من طريق الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود قال : كنا عند عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها- فذكرنا المواظبة على الصلاة والتعظيم لها ، قالت : لما مرض رسول الله ﷺ مرضه الذي مات فيه فحضرت الصلاة فأذن ، فقال: مُروا أبابكر فليصل بالناس ! فقيل له : إن أبابكر رجل أسيف إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلِّي بالناس ، وأعاد فأعادوا ، فقال الثالثة فقال : إنكن صواحب يوسف ، مروا أبابكر فليصل بالناس ، فخرج أبو بكر يصلي فوجد النبي ﷺ من نفسه خفَّة فخرج يُهادي بين رجلين ، كأني أنظر رجليه تخطان من الوجع ، فأراد أبو بَكر أن يتأخر فأومأ إليه النبي ﷺ أن مكانك ، ثم أُتِي به حتى جلس إلى جنبه . قيل للأعمش :وكان النبي ﷺ يصلي وأبوبكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - يُصلي بصلاته والناس بصلاة أبي بكر ؟ فقالٍ برأسه : نعم ، ذكره في باب حَدّ المريض أن يشهد الجماعة (١) .

وخرج أبو داود عن شعبه عن الأعمش بعضه وزاد أبو معاوية : جلس عن يسار أبى بكر ، فكان أبو بكر يصلى قلئماً.

وخرج البخاري ومسلم من حديث الأعمش عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت : لما ثقل رسول الله ﷺ جاء بلالُ يؤذنه بالصلاة ، فقال : مروا أبابكر فليصل بالناس ، قالت : فقلت لحفصه - رضي الله تبارك وتعالى عنها - : قولي له : إن أبابكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - رجل أسيف وأنه متي يقوم مقامك لا يُسمع الناس ، فلو أمرت عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ؟ فقالت له ، فقال رسول الله ﷺ :

---

(١) (فتح الباري) : ٢ / ١٩٣ ، كتاب الأذان ، باب ٣٩ حد المريض أن يشهد الجماعة ، حديث رقم (٦٦٤) قوله :« أسيف» شديد الحزن والبكاء ، من الأسف. قوله : « صواحب يوسف» : الصواحب جمع صاحبه ، وهى المرأة ، ويوسف هو يوسف النبي ﷺ ، وصواحب : أمرأة العزيز ، والنساء اللاتى قطعن أيديهن ، أراد : إنكن تحسّن للرجل مالا يجوز ، وتغلبن على رأيه .

إنكن لأنتن صواحب يوسف ! مروا أبابكر فليصل بالناس، قالت: فأمروا أبابكر- رضي الله تبارك وتعالى عنه - فليصلى بالناس قالت : فلما دخل في الصلاة وجد رسول الله ﷺ من نفسه خفة ، فقام يهادي بين رجلين ورجلاه تخطان فى الأرض حتي دخل المسجد ، فلما سمع أبو بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - حسَّه ذهب يتأخر ، فأومأ إليه رسول الله ﷺ : قم مكانك ، فجاء رسول الله ﷺ حتى جلس عن يسار أبي بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه -

قالت : وكان رسول الله ﷺ يصلي بالناس جالساً وأبو بكر- رضي الله تبارك وتعالى عنه - قائماً يقتدي أبو بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - بصلاة النبي ﷺ ويقتدي الناس بصلاة أبي بكر [1].

وقال البخاري : فكان أبوبكر- رضي الله تبارك وتعالى عنه -يقتدي بصلاة النبي ﷺ ويقتدي الناس بصلاة أبي بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - وقال البخاري: فكان أبو بكر- رضي الله تبارك وتعالى عنه - قائماً، وكان رسول الله ﷺ يصلي قاعداً يقتدي أبوبكر- رضي الله تبارك وتعالى عنه - بصلاة رسول الله ﷺ والناس يقتدون بصلاة أبي بكر -رضي الله تبارك وتعالى عنه - ترجم عليه باب الرجل يأتم بالإمام ويأتم الناس بالمأموم قال: ويذكر عن النبى ﷺ : ائتموا بي ، وليأتم بكم من بعدكم " [2]. وخرج مسلم من حديث ابن مسهر وعيسى بن يونس ، كلاهما عن الأعمش بهذا الإسناد ونحوه في حديثهما : لمامرض رسول الله ﷺ مرضه الذي توفي فيه وفي حديث ابن مسهر فأتي رسول الله ﷺ حتى أجلس إلي جنبه وكان النبي ﷺ يصلي بالناس وأبو بكر رضي الله تبارك وتعالى عنه - يسمعهم التكبير . وفى حديث عيسى: فجلس رسول الله ﷺ يصلى وأبوبكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - يسمعهم التكبير وفى حديث عيسى : فجلس رسول الله ﷺ يصلي وأبو بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - جنبه وأبو بكر - رضي الله تبارك وتعالى

---

(١) (جامع الأصول) : ٨ / ٥٩٦ ، حديث رقم (٦٤٢٠) .
(٢) (فتح الباري) : ٢ / ٢٦٠ ، كتاب الأذان ، باب (٦٨) ، حديث رقم (٧١٣) .

عنه - يسمع الناس (١)

وخرجه البخاري من حديث الأعمشي عن إبراهيم عن الأسود . عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت : لما مرض النبي ﷺ مرضه الذي مات فيه أتاه بلال يؤذنه بالصلاة فقال : مروا أبابكر فليصل بالناس قلت : إن أبابكر رجل أسيف إن يقم مقامك يبكي فلايقدر على القراءة فقال : مروا أبابكر فليصل ، فقلت مثله، فقال في الثالثة أو الرابعة : إنكن صواحب يوسف مروا أبابكر فليصل ، فصلى وخرج النبى ﷺ يهادى بين رجلين كأني أنظر إليه يخط برجليه الأرض ، فلما رآه أبوبكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ذهب يتأخر ، فأشار إليه أن صل فتأخر أبو بكر - رضي الله تبارك وتعالى - وقعد النبي ﷺ إلي جنبه وأبوبكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - يُسمع الناس التكبير .ترجم عليه باب من أسمع الناس تكبير الإمام .(٢)

وخرج البخاري ومسلم من حديث زائدة عن موسى بن أبي عائشة فقلت : ألاتحدثيني عن مرض رسول الله ﷺ ؟ قالت : بلى ، ثقل رسول الله ﷺ فقال : أصلّي الناس ؟ فقلنا : لا ، هم ينتظرونك قال : ضعوا لي ماءً في المخضب قالت : ففعلنا ، فاغتسل ﷺ ثم ذهب لينوء فأغمي عليه ، ثم أفاق فقال ﷺ: أصلّي الناس ؟ قلنا :لا ، هم ينتظرونك يارسول الله ، فقال ﷺ : ضعوا لي ماءً في المخضب ، فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمي عليه ، ثم أفاق فقال ﷺ: أصلى الناس ؟ فقلنا : لا ، هم ينتظرونك يارسول الله ، والناس عكوف في المسجد ينتظرون رسول الله ﷺ لصلاة العشاء الآخرة . قالت : فأرسل رسول الله ﷺ إلى أبي بكر ـ رضي الله تبارك وتعالى ـ بأن يصلي بالناس ، فأتاه الرسول فقال : إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تصلي بالناس ، فقال أبو بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - وكان رجلاً رقيقاً ياعمر- صل بالناس ، فقال له عمر

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٤ / ٣٨٤ ، كتاب الصلاة ، باب (٢١) استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرها من يصلى بالناس ، وأن من صلى خلف إمام جالس لعجزه عن القيام لزمه القيام إذا قدر عليه ، ونسخ القعود خلف القاعد فى حق من قدر على القيام ، حديث رقم (٩٦).
(٢)حديث رقم (٧١٢)

أنت أحق بذلك : فصلى أبوبكر فى تلك الأيام . ثم إن رسول الله ﷺ وجد من نفسه خفة ، فخرج بين رجلين - أحدهما العباس لصلاة الظهر ، وأبوبكر يصلي بالناس فلما رآه أبوبكر ذهب ليتأخر ، فأومأ إليه النبي ﷺ بأن لايتأخر ، قال لهم : أجلساني إلى جنبه فأجلساه إلى جنب أبي بكر ، فجعل أبو بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - يصلي وهو يأتم بصلاة النبي ﷺ والناس بصلاة أبي بكر، والنبي ﷺ قاعد.

قال عبيد الله : فدخلت علي عبد الله بن عباس فقلت له : ألا أعرض عليك ماحدثتني عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - عن مرض النبي ﷺ ؟ قال : هات ، فعرضت عليه حديثها فما أنكر منه شيئا غير أنه قال : أسمَّت لك الرجل الذى كان مع العباس ؟ قلت : لا ، قال : هو عليّ . ألفاظهما فيه متقاربة ذكره البخاري فى باب إنما جعل الإمام ليؤتم به [(١)]

وأخرجه النسائي من حديث عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا زائدة ، عن موسى بن أبي عائشة إلى آخره بنحوه ، ذكره في باب الائتمام بالإمام يصلي قاعداً ، وقال : بعضه عن موسي بن أبي عائشة [(٢)]

وخرَّج البخاري من حديث هشام بن يوسف ، عن معمر، عن الزهري قال : أخبرني عبيد الله بن عبد الله قال : لما ثقل النبي ﷺ واشتد وجعه استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي فأذنَّ له ، فخرج بين رجلين يخط رجلاه الأرض ، وكان بين العباس وبين رجل آخر . قال عبيد الله : فذكرت لابن عباس ماقالت عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - فقال لي : وهل تدري من الرجل الذي لم تسم عائشة ؟ قلت : لا ، قال : هو علي بن أبي طالب - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ذكره فى باب حدّ المريض أن يشهد الجماعة وذكره مختصراً فى كتاب الخمس ، في باب ماجاء في بيوت أزواج النبي ﷺ

---

(١) (فتح الباري) ٢ / ٢٢٠ ، كتاب الأذان ، باب (٥١)إنما جعل الإمام ليؤتم به ، وصلى النبي ﷺ فى مرضه الذي توفى فيه بالناس وهو جالس ، حديث رقم (٦٨٧) .

(٢) (سنن النسائي) : ٢ /٢٤٣٦ كتاب الإمامة ، باب (٤٠)الائتمام بالإمام يصلي قاعداً ، حديث رقم (٨٣٣) .

وخرجه مسلم[1] من طريق عبد الرزاق ، قال الزهري : وأخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - أخبرته قالت : أول ما اشتكى رسول الله ﷺ في بيت ميمونة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - فاستأذن أزواجه أن يمرض في بيتها فأذنّ له ، قالت : خرج ويداً له على الفضل بن العباس ويداً له على رجل آخر ، وهو يخط برجله في الأرض فقال عبيد الله : فحدّث به ابن عباس فقال : أتدري من الرجل الذي لم تسمّ عائشة ؟ هو عليّ - رضي الله تبارك وتعالى عنه - .

وخرجه أيضا من حديث الليث عن عقيل بن خالد قال : ابن شهاب أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت : لما ثقل رسول الله ﷺ فاشتد به وجعه واستأذن أزواجه أن يمرض في بيتي فأذنّ له ، فخرج بين رجلين يخط رجلاه في الأرض بين عباس بن عبد المطلب - رضي الله تبارك وتعالى عنه - وبين رجل آخر ، قال عبيد الله : فأخبرت عبد الله بالذي قالت عائشة ، قال أتدري من الرجل الآخر ؟ قلت : لا ، قال ابن عباس : هو علي - رضي الله تبارك وتعالى عنه -[2] قال الحافظ أبو الفرج بن الجوزي : كانت مدة مرض النبي ﷺ اثني عشر يوما ، وقيل : أربعة عشر يوما ، وكان ﷺ يخرج إلى الصلاة إلا أنه انقطع ثلاثة أيام فقال ﷺ : مروا أبا بكر فليصل بالناس[3] .

قال الواقدي : حدثني بن أبي سبرة عن أيوب بن عبد الرحمن ، عن أبي صعصعة عن عباد بن تميم قال: صلى أبو بكر -رضي الله تبارك وتعالى عنه- بالناس إلى أن توفي رسول الله ﷺ سبع عشرة صلاة .

وحدثني بن أبي سبرة ، عن عبد المجيد بن سهيل ، عن عكرمة قال : صلى بهم أبو بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ثلاثا يعني ثلاثة أيام .

قال سيف: عن طلحة بن عمرو الحضرمي ، عن عبد الله بن أبي نجيح

---

(1) : حديث رقم (٦٥٥) .

(2) : حديث رقم (٣٠٩٩) .

(3) : (صفة الصفوة) : ١ / ١١٦٥ ، ذكر وفاته ﷺ

ومحد بن شريك عن عبد الله بن أبي مليكة ، عن عبد الله بن زمعة قال : جاء بلال - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فى أول ربيع الأول فأذن بالصلاة فقال رسول الله ﷺ مروا أبابكر يصلي بالناس ، فخرجت فلم أر بالباب إلا عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فى رجال ليس فيهم أبوبكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فقلت : قم ياعمر فصل بالناس ، فقام عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فكبر وكان رجلاً صيتاً ، فلماسمع رسول الله ﷺ صوته بالتكبير قال : أين أبو بكر؟ يأبي الله ذلك والمسلمون ثلاث مرات ، مُرُوا أبا بكر فليصلّ بالناس فقالت عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها- : يارسول الله : إن أبابكر رجل رقيق إذا قام فى مقامك غلب عليه البكاء، فقال ﷺ إنكن صواحب يوسف ! مروا أبا بكر فليصل بالناس ، قالت : فصلي أبو بكر بعد الصلاة التى صلى عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - وكان عمر يقول : لعبد الله بن زمعة بعد ذلك : ويحك ماذا صنعت بي والله لولا أني ظننت أن رسول الله ﷺ أمرك مافعلت ، فيقول عبد الله : إني لم أر أحداً أولى بذلك منك .

وقال سيف : عن عبد الله بن الوليد ، عن عبد الله بن عبيد الله بن عمر عن أبيه عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - نحواً من ذلك ، وقالت عائشة : ماقلت ولاأردت صرف ذلك عن أبي بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - إلا رغباً به عن الدنيا ، ولما فى الولاية من المخاطرة والهلكة إلا ماسلّم الله ، وخشيت أيضاً أن لايكون الناس يحبون رجلاً قام في مقام النبي ﷺ وهو حيّ أبداً إلا أن يشاء الله يحسدونه ويبغون عليه ويتشاءمون به فإذا الأمر أمر الله عز وجل والقضاء قضاؤه ،وعصمه الله من كل ما تخوفت من أمر الدنيا والدين وسلمت من كل ماتخوفت من أمر الدنيا و الناس مما كنت أخاف .

قال سيف : عن سلمة بن نبيط عن نعيم بن أبي هند ، عن شقيق ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت: لما تحول النبي إلى صلاة الصبح فأفاق ﷺ وقال : هل صلى الناس بعد ؟ فقلت : أذنَّ بلال وهو بالباب ينتظرك أن تخرج فتصلي بالناس ، قال ﷺ : فمروا بلالاً فليقمْ ومُروا أبابكر

فليصل بالناس ، فقلت : رقة الصديق ووجده بك ماقد علمت ، فمتي يقم مقامك لايستطيع أن يمضي في صلاته ، وأغمي عليه وأفاق ، فقال : هل صلى الناس بعد ؟ فقال مثل ماقال وأغمي عليه ، فقلت لحفصة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - وهي إلى جنبي : قد رددت أمر النبي ﷺ مرتين وأنا أخاف أن أغضبه فأجبته هذه المرة واشتدي بأبيك فإنه أرفق لذلك ، فأفاق النبي ﷺ فقال : أصلي الناس بعد ؟ فقالت حفصة : يارسول الله إن من رقة أبي بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ووجده بك ماقد علمت ، ومتى يقم فى مقامك لايستطيع أن يمضي فى صلاته ، فلو أمرت عمر فصلى بالناس فغضب ﷺ وقال : دعينى منكن ، فإنكن صواحب يوسف، وأمر بلالاً - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أن يقيم ، وأمر أبا بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أن يصلي بالناس ، فصلى بالناس ، وكان ﷺ يؤذنه بلال - رضي الله تبارك وتعالى عنه - لكل صلاة فإن قدر على الخروج وإلا أمر أبابكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فيصلى بالناس . وقال عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : قلت : ياأمَّ المؤمنين كم صلى أبوبكر - رضي الله تبارك وتعالى عنها - بالناس ؟ فقالت : اثنى عشر يوماً، لاتأتي الصلاة إلاجاء بلال - رضي الله تبارك وتعالى عنه - إلى الباب يؤذن بها رسول الله ﷺ ، فيقول : مروا أبابكر فليصل بالناس إلا أن يجد خفةً فيخرج، فقلت : فهل صلى خلفه النبي ﷺ قالت : نعم قاعداً مادام لايقدر على القيام .

قال سيف : عن محمد بن إسحاق عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال: لم يصلّ النبى ﷺ خلف أحد من أمته صلاة تامة الإ خلف أبى بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - وصلى ﷺ خلف عبد الرحمن بن عوف- رضي الله تبارك وتعالى عنه - ركعة .

قال سيف : عن هلال بن عامر ، عن رافع بن عمر عن أبيه قال : حج النبي ﷺ سنة عشر ، ثم رجع فأقام بقية ذى الحجة والمحرم ثم اشتكى فى صفر فلما ثقل عن الخروج أمر أبابكر أن يقوم مقامه وكان يصلى بالناس ، وكان النبي ﷺ ربما خرج بعدما يدخل أبوبكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فى

الصلاة خلفه ولم يقل النبي ﷺ خلف أحد من أمته غيره إلا ركعة صلاها فى سفر خلف عبد الرحمن بن عوف - رضي اللّه تبارك وتعالى عنه - .

ذكر آخر صلاة صلاها رسول الله ﷺ من أولها إلى آخرها، وأول صلاة أمر أبابكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أن يصليها بالناس، والصلاة التى حضرها حين وجد من نفسه خفة، وصلاة أبي بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - بهم فيما بينهما أياماً

خرج البخاري ومسلم من حديث مالك ، عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - قال : إن أم الفضل بنت الحارث سمعته وهو يقرأ : ﴿ **والمرسلات عرفاً** ﴾ [1] فقالت : يابني لقد ذكرتني بقراءتك هذه السورة ، إنها لآخر ما سمعت رسول الله ﷺ يقرأ بها في المغرب . ذكره البخاري فى باب القراءة فى المغرب [2] .

وخرجه مسلم أيضا من حديث سفيان ويونس ومعمر وصالح وابن كيسان عن الزهري بهذا الإسناد ، وزاد صالح : ثم ماصلى لنا بعدها حتى قبضه الله عز وجل .

وذكره البخاري في آخر كتاب المغازي فى أول باب مرض النبي ﷺ

(١) : المرسلات : ١

(٢) : (فتح الباري) : ٢ / ٣١٣ ، كتاب الأذان ، باب ٩٨ ، القراءة فى المغرب ، حديث رقم ٧٦٣ .

ووفاته ، من حديث الليث عن عقيل عن ابن شهاب ، عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة ، عن ابن عباس عن أم الفضل بنت الحارث قالت : سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالمرسلات عرفا ، ثم ماصلى لنا بعدها حتى قبضه عزوجل [1]

وخرج البيهقي من طريق محمد بن إسحاق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن عتبة عن ابن عباس ، عن أمه أم الفضل- رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت : خرج إلينا رسول الله ﷺ وهو عاصب رأسه في مرضه فصلى بنا المغرب فقرأ بالمرسلات ، فما صلى بعدها حتى لقى الله عزّ وجل .

ثم ذكر البهيقي حديث موسى بن أبي عائشة عن عبيد الله ، عن عبد الله قال : دخلت على عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - فقلت : ألا تحدثيني عن مرض رسول الله ﷺ وطوله ؟ قال فى هذه الرواية الصحيحة : إن النبي ﷺ تقدم فى تلك الصلاة ، وعلق أبو بكر- رضي الله تبارك وتعالى عنه - صلاته بصلاته ، وكذلك رواه الأسود بن يزيد ، وابن أخيها عروة بن الزبير ، كذلك رواه الأثرم عن ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - .

ثم ذكر من طريق شبابه بن سوار ، قال حدثنا شعبة عن نعيم بن أبي هند عن أبي وائل ، عن مسروق ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قالت : صلى رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه خلف أبي بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قاعداً .

وذكر من طريق مسلم بن إبراهيم حدثنا شعبة . عن سليمان الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها- قالت : إن النبي ﷺ صلى خلف أبي بكر .

ومن طريق هشيم قال : أخبرنا يونس عن الحسن قال : وأخبرنا حميد عن أنس بن مالك - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : إن رسول الله ﷺ خرج وأبو بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - يُصلى بالناس ، فجلس ﷺ إلى جنبه وهو في بردة قدخالف بين طرفيها ، فصلى بصلاته .

---

(١) : حديث رقم (٤٤٢٩) .

ومن طريق ابن أبي مريم قال : أخبرني حميد أنه سمع أنسا - رضي الله تبارك وتعالى عنه - يقول : آخر صلاة صلاها النبي مع القوم فى ثوب واحد ملتحفاً به خلف أبي بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - .

كذا قاله محمد بن جعفر بن أبي كثير ورواه سليمان بن بلال ، عن حميد عن ثابت البناني ، حدثه عن أنس بن مالك - رضي الله تبارك وتعالى عنه - وكذلك قاله يحيى بن أيوب عن حميد ، عن ثابت قال : حدثه عن أنس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : إن رسول الله ﷺ صلى خلف أبي بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - في ثوب واحد بُردٍ مخالفاً بين طرفيه ، فلما أراد أن يقوم قال : ادع لي أسامة بن زيد فجاءً ، فاسند ظهره إلى نحره ، فكانت آخر صلاة صلاها.

قال البيهقي وفي هذه دلالة على أن هذه الصلاة التى صلاها خلف أبي بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - كانت صلاة الصبح فإنها أخر صلاة صلاها ، وهى التي دعا أسامه بن زيد - رضي الله تبارك وتعالى عنه - حين فرغ منها فأوصاه فى مسيره بما ذكره أهل المغازي .

قال : فالذي تدل عليه هذه الروايات مع ما تقدم أن النبي ﷺ خلفه في تلك الأيام التى كان يصلى بالناس مرة وصلى أبو بكر خلفه مرة ، وعلى هذا حملها الشافعي رحمه الله تعالى .

وفي مغازي موسى بن عقبة وغيره ، بيان الصلاة التى صلاها رسول الله ﷺ بعضها خلف أبى بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - وهي صلاة الصبح ، من يوم الاثنين .

فصل فيما جاء في آخر صلاة صلاها رسول الله ﷺ بالناس ، من أولها إلى آخرها ، وأول صلاة أمر أبا بكر الصديق أن يصليها بالناس ، والصلاة التي حضرها ﷺ حين وجد من نفسه خفة ، وصلاة أبي بكر رضي الله تبارك وتعالي عنه بهم فيما بينهما أياماً

قال البيهقيّ : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، وأبو القاسم الحسن بن محمد ابن حبيب من أصله قالا : حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار إملاءً ، قال : حدثنا عبيد بن شريك ، قال : حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير ، قال : حدثنا الليث بن سعد ، عن عقيل بن خالد ، عن ابن شهاب ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالي عنهما - عن أم الفضل بنت الحارث ، أنها قالت :

سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب بـ ﴿ والمرسلات عرفاً ﴾ (١) ماصلى لنا بعدها ، حتي قبضه الله ، قال البيهقيّ : رواه البخاريّ في الصحيح عن ابن بكير .

وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، قال : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب قال : حدثنا محمد بن إسحاق الصغاني ، قال : حدثنا يوسف بن بهلول ، قال: حدثنا عبدة بن سليمان ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، عن أم الفضل ، قالت :

خرج إلينا رسول الله ﷺ وهو عاصب رأسه في مرضه ، فصلى بنا المغرب فقرأ بـ ﴿ والمرسلات عرفا ﴾ فما صلى بعدها حتى لقي الله تبارك وتعالى .

قال البيهقي : وإنما أرادت والله - تبارك وتعالى عنه أعلم - بالناس مبتدأ بها ، فإنما توفي ﷺ نهاراً .(١)

---

(١) المرسلات :١.

(٢) (دلائل البيهقي)) : ٧ / ١٩٠.

قال البيهقيّ : أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان ، قال : أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار ، قال : حثنا إسماعيل بن إسحاق ، قال : حدثنا أحمد بن يونس قال : حدثنا زائدة بن قدامة ، قال : حدثنا موسي بن أبي عائشة ، عن عبيد الله بن عبد الله ، قال : دخلت على عائشة -رضي الله تبارك وتعالى عنها - فقلت : ألا تحدثيني عن مرض رسول الله ﷺ ؟ فقالت : بلي ثقل رسول الله ﷺ فقال : أصلى بالناس ؟ فقلنا : لا ، هم ينتظرونك يا رسول الله .

فقال ﷺ ضعوا لي ماء فى المخضب ، قالت : ففعلنا ، فاغتسل ، ثم ذهب لينوء فأغمي عليه ،ثم أفاق ، فقال : أصلى الناس ؟ فقلنا : لا.هم ينتظرونك يا رسول الله ، فقال : ضعوا لي ماء فى المخضب . قالت : فعلنا، فاغتسل ثم ذهب لينوء ،فأغمي عليه ،ثم أفاق فقال:أصلى الناس ؟ فقلنا : لاهم ينتظرونك يا رسول الله فقال : ضعوا لي ماء في المخضب . قالت ففعلنا ، فاغتسل ، ثم ذهب لينوء ، فأغمي عليه ، ثم أفاق فقال : أصلى الناس ؟ فقلنا : لا ، وهم ينتظرونك ، والناس عكوف فى المسجد ينتظرون رسول الله ﷺ صلاة العشاء قالت : فأرسل رسول الله ﷺ إلى أبي بكر- -رضي الله تبارك وتعالى عنه - يصلى الناس ، فقالت : فأتاه الرسول فقال : إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تصلي بالناس فقالت : فأتاه الرسول فقال : إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تصلي بالناس . فقالت : فأتاه الرسول فقال : إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تصلي بالناس . فقال أبو بكر -رضي الله تبارك وتعالى عنه وكان رجلاً رقيقاً : يا عمر صلّ بالناس ، فقال له عمر : أنت أحق بذلك مني قالت : فصلى بهم أبو بكر تلك الأيام ثم إن رسول الله ﷺ وجد من نفسه خفة ، فخرج بين رجلين أحدهما العباس ، لصلاة الظهر ، وأبو بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه يصلي بالناس . قالت : فما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر ، فأومأ إليه النبى ﷺ أن لا يتأخر ، وقال لهما : أجلسانى إلى جنبه ، فأجلساه إلى جنب أبي بكر ، قالت : فجعل أبو بكر - رضى الله تبارك وتعالى عنه يصلي وهو قائم بصلاة رسول الله ﷺ والناس يصلون بصلاة بصلاة أبى بكر ، والنبي ﷺ قاعد . قال عبيد الله : فدخلت على عبد الله بن عباس ، فقلت: ألا أعرض

عليك ماحدثتني عائشة - رضي الله تبارك وتعالي عنها - عن مرض رسول الله ﷺ ؟ قال : هات ، فعرضت عليه حديثها . فما أنكر منه شيئا ، غير أنه قال : ، سمَّتْ لك الرجَل الآخر الذى كان مع العباس ؟ قال : لا . قلت : هو عليّ - رضي الله تبارك وتعالي عنه - رواه البخاري ومسلم فى الصحيح ، عن أحمد بن يونس .

قال البيهقيّ : وفى هذه الرواية الصحيحة ، أن النبي ﷺ تقدم في تلك الصلاة ، وعلّق أبو بكر - رضي الله تبارك وتعالي عنه - صلاته بصلاته

وكذلك رواه الأسود بن يزيد ، وابن اختها عروة بن الزبير ، وكذلك رواه الأرقم بن شرحبيل ، عن عبد الله بن عباس .

وقد أخبرنا أبو الحسن محمد بن الحسين العلويّ ، قال : أخبرنا أبو حامد ابن الشرقيّ ، قال حدثنا إبراهيم بن عبدالله ، قال : حدثنا شبابة بن سوّار ، قال : حدثنا شعبة ، عن نعيم بن أبي هند ، عن أبي وائل ، عن مسروق ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالي عنها - : قالت : صلى رسول الله ﷺ فى مرضه الذى مات فيه خلف أبى بكر - رضي الله تبارك وتعالي عنه - قاعداً وكذلك روى عن الأسود ، عن عائشة فى إحدى الرواتين عن الأعمش .

قال البيهقىّ : أخبرنا أبو الحسن بن الفضل بن القطّان ببغداد ، قال : أخبرنا عبدالله بن جعفر درستويه ، قال : حدثنا يعقوب بن سفيان ، قال : حدثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : حدثنا شعبة ، عن سليمان الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالي عنها - : أن النبي ﷺ صلى خلف أبي بكر . وكذلك روى حميد ، عن أنس بن مالك ، ويونس عن الحسن ، عن النبي ﷺ مرسلاً .

قال البيهقيّ : أخبرنا أبو الحسن عليّ بن محمد المقرئ ، قال : أخبرنا الحسن بن محمد بن إسحاق ، قال : حدثنا يوسف بن يعقوب ، قال : أخبرنا أبو الربيع قال : حدثنا هشيم ، قال : أخبرنا يونس ، عن الحسن ، قال : وأخبرنا حميد عن أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ خرج وأبوبكر يصلي بالناس ، فجلس إلى جنبه وهو في بردة قد خالف بين طرفيها ، فصلى بصلاته .

وأخبرنا عليّ بن أحمد بن عبدان ، قال : أخبرنا أحمد بن عبيد ، قال :

حدثنا عبيد بن شريك ، قال : حدثنا إبراهيم بن أبي مريم ، قال : حدثنا محمد ابن جعفر ، قال : أخبرنا حميد ، أنه سمع أنساً يقول : آخر صلاة صلاها النبي ﷺ مع القوم في ثوب واحد ، ملتحفاً به خلف أبي بكر - رضي الله تبارك وتعالي عنه -

كذا قاله محمد بن جعفر بن أبي كثير . ورواه سليمان بن بلال عن حميد عن ثابت البنانيّ ، عن أنس بن مالك - رضي الله تبارك وتعالي عنه - وكذلك قاله يحيى بن أيوب عن حميد .

أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسي بن الفضل ، قال : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق الصغاني ، قال : حدثنا ابن أبي مريم ، قال : أخبرنا يحيى بن أيوب ، قال : حدثنا حميد الطويل ، عن ثابت البنانيّ ، حدثه عن أنس بن مالك - رضي الله تبارك وتعالي عنه - أن رسول الله ﷺ صلى خلف أبي بكر - رضي الله تبارك وتعالي عنه - في ثوب واحد ، برد مخالفاً بين طرفيه . فلما أراد أن يقوم قال : ادع لي أسامه بن زيد ، فجاء فأسندً ظهره إلي نحره . فكانت آخر صلاة صلاها .

وفي هذا دلالة على هذه الصلاة ، هي التي صلاها خلف أبي بكر - رضي الله تبارك وتعالي عنه - كانت صلاة الصبح . فإنها آخر صلاة صلاها ، وهي التي دعا أسامة بن زيد حين فرغ منها ، فأوصاه في مسيره بما ذكره أهل المغازي.

قال البيهقي : فالذي تدل عليه هذه الروايات مع ما تقدم ، أن النبي ﷺ صلي خلفه في تلك الأيام التي كان يصلي بالناس مرة ، وصلى أبو بكر خلفه مرة وعلى هذا حملها الشافعي -رحمه الله - في مغازي موسى بن عقبة وغيره ، بيان الصلاة التي صلي رسول الله ﷺ بعضها خلف أبي بكر - رضي الله تبارك وتعالي عنه - وهي صلاة الصبح من يوم الاثنين .

وفيما روينا عن عبيد الله عن عائشة، وابن عباس بيان الصلاة التي صلاها أبوبكر - رضي الله تبارك وتعالي عنه - خلفه بعدما افتتحها بالناس وهي صلاة الظهر من يوم السبت ، أو الأحد فلا يتنافيان [1] والله تعالى أعلم .[2]

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٧ / ١٧٩ - ١٨٣.

(٢) زيادة للسياق .

ذكر تقرير النبي ﷺ
أبابكر - رضي الله تبارك وتعالي عنه -
فى آخر صلاة صلاها بالناس في حياته ، وإشارته ﷺ
إليهم قائماً بها خلفه وارتضائه ﷺ صُنعهم
وذلك فى صلاة الفجر يوم الاثنين ، وهو اليوم الذى تُوفّي فيه
وقول من زعم أنه ﷺ خرج فصلى منها ركعة
خلف أبي بكر - رضي الله تبارك وتعالي عنه -
بعد ما أمره بالتقديم
ثم صلى لنفسه أخرى

خرج البخاريّ من حديث أبى اليمان ، قال : أخبرنا شعيب عن الزهريّ ، قال : أخبرنى أنس بن مالك - رضي الله تبارك وتعالي عنه - وكان تبع النبي ﷺ وخادمه وصحبه قال : إن أبابكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - كان يصلى لهم فى وجع النبي ﷺ الذى توفّيَ فيه ، حتى إذا كان يوم الاثنين - وهم صفوف فى الصلاة - فكشف النبي ﷺ ستر الحجرة ينظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف - ثم تبسّمَ يضحك . فهممنا أن نفتتن من الفرح برؤية النبي ﷺ فنكص أبوبكر على عقبيه ليصل الصف ، وظن أن النبي ﷺ خارج إلي الصلاة ، فأشار إلينا النبي ﷺ أن أتموا صلاتكم . وأرخى الستر ، فتوفّيَ رسول الله من يومه . ذكره فى باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة .(١)

وخرجه مسلم من حديث صالح بن كيسان عن ابن شهاب قال : أخبرني أنس بن مالك - رضي الله تبارك وتعالي عنه - كان يصلي في وجع رسول الله ﷺ الذي توفى فيه ، فذكره بنحوه أوقريب منه ، وخرجه من حديث سفيان بن

---

(١) (فتح الباري) : ٢ / ٢٠٩ ، كتاب الأذان ، باب (٤٦) أهل العلم والفض أحق بالإمامة ، حديث رقم (٦٨٠).

عيينة ، عن معمر عن الزهري .

وأخرج البخاري من حديث أبي معمر حدثنا عبد الوارث ، حدثنا عبد العزيز عن أنس - رضي الله تبارك وتعالي عنه - قال : لم يخرج إلينا نبي الله ﷺ ثلاثاً وأقيمت الصلاة فذهب أبو بكر - رضي الله تبارك وتعالي عنهما - يتقدم بالحجاب فلما وضح لنا وجه النبي ﷺ حين وضح لنا قال : فأومأ نبي الله ﷺ بيده إلى أبي بكر - رضي الله تبارك وتعالي عنه - أن يتقدم ، وأرخى النبي ﷺ الحجاب فلم يقدر عليه حتى مات [1]، لفظهما فيه متقارب .

قال البيهقي : فهذان عدلان شهدا بذلك على أنس بن مالك - رضي الله تبارك وتعالي عنه - وقد روى عبد الله بن عباس - رضي الله تبارك وتعالي عنهما - مايؤكد رواية أنس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ويشهد لها بالصحة [2].

فذكر ماخرجه مسلم [3] وأبو داود[4]والنسائى [5]من حديث سفيان بن عيينة قال : أخبرني سليمان بن سحيم ، عن إبراهيم بن عبد الله بن معبد ، عن أبيه ، عن ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالي عنهما - قال : كشف رسول الله ﷺ الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر - رضي الله تبارك وتعالي عنه - فقال : أيها الناس إنه لم يبق من مُبَشّرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة ، يراها المسلم أو تُرى له ، ألا وإني نهيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً . فأما

(١) (المرجع السابق): حديث رقم (٦٨١)

(٢) (دلائل البيهقي) : ٧ / ١٩٥ ، باب ما جاء في تقرير النبي ﷺ أبا بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه على آخر صلاة صلاها بالناس في حياته ، وإشارته إليهم بإتمامها خلفه وارتضائه صنعيهم ، وذلك في صلاة الفجر من يوم الاثنين ، وهو اليوم الذى توفي فيه ، وقول من زعم أنه خرج ، فصلى منها ركعة خلف أبي بكر رضى الله تبارك وتعالى عنه بعد ما أمره بالتقدم ثم زعم أنه خرج ، فصلى منها ركعة خلف أبي بكر بعدما أمره ثم صلى لنفسه أخرى . خلف أبي بكر

(٣) (مسلم بشرح النووي) : ٤/٤٤٢ ، كتاب الصلاة ، باب (٤١) النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود ، حديث رقم (٢٠٧).

(٤) (سنن أبي داود) : ١/ ٥٤٥ - ٥٤٦ ، كتاب الصلاة ، باب (١٥٢) الدعاء في الركوع والسجود حديث رقم (٨٧٦).

=

....

= (٥)(مسلم بشرح النووي) : ٤ / ٤٤٢- ٤٤٣، حديث رقم (٢٠٨) قوله : قال أبو بكر حدثنا سفيان عن سليمان هذا من ورع مسلم وباهر علمه لأن في رواية اثنين عن سفيان بن عيينة أنه قال : أخبرني سليمان بن سُحيم وسفيان معروف بالتدليس وفي رواية أبي بكر عن سفيان عن سليمان فنبه مسلم على اختلاف الراوة في عبارة سفيان .

قوله : كشف الستارة ، هى بكسر السين وهي الستر الذي يكون على باب البيت والدار . قوله ﷺ نهيت أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً فأما الركوع فعظموا فيه الرب وأما السجود فاجتهدوا فى الدعاء . فقمن أن يستجاب لكم .

وفى حديث علي رضى الله تبارك وتعالى عنه نهاني رسول الله ﷺ أن أقرأ راكعاً أو ساجدا فيه النهى عن قراءة القرآن في الركوع والسجود وإنما وظيفة الركوع التسبيح ووظيفة السجود التسبيح والدعاء فلو قرأ في ركوع أو سجود غير الفاتحة كره ، ولم تبطل صلاته وإن قرأ الفاتحة ففيه وجهان لأصحابنا : أصحهما أنه كغير الفاتحة ولا تبطل صلاته ، والثانى يحرم وتبطل صلاته هذا إذا كان عمداً ، فإن قرأ سهواً لم يكره سواء قرأ عمداً أو سهواً يسجد للسهو عند الشافعى ، رحمه الله تعالى .

قوله ﷺ : « فأما الركوع فعظموا فيه الرب » أي سبحوه ونزهوه ومجدوه وقد ذكر مسلم بعد هذا الأذكار التى تقال في الركوع والسجود واستحب الشافعي رحمه الله تعالي وغيره من العلماء أن يقول في ركوعه : سبحان ربي العظيم ، وفي سجوده : سبحان ربي الأعلى ، ويكرر كل واحدة منها ثلاث مرات ، ويضم إليه ماجاء في حديث علي رضى الله تبارك وتعالى عنه ذكره مسلم بعد هذا : اللهم لك ركعت ، اللهم لك سجدت .... إلي آخره ، وإنما يستحب الجمع بينهما لغير الإمام وللإمام الذي يعلم أن المأمومين يؤثرون التطويل ، فإن شك لم يزد على التسبيح ، ولو اقتصر الإمام والمنفرد على تسبيحه واحدة فقال : سبحان الله حصل أصل سنة التسبيح لكن ترك كمالها وأفضلها .

واعلم أن التسبيح في الركوع والسجود سنة غير واجب ، هذا مذهب مالك ، وأبي حنيفة ، والشافعي رحمهم الله تعالى ، والجمهور ، وأوجبه أحمد رحمه الله تعالى ، وطائفة من أئمة الحديث ، لظاهر الحديث في الأمر به ، ولقوله ﷺ صلوا كما رأيتمونى أصلي.وهو في صحيح البخاري وأجاب الجمهور بأنه محمول على الاسحباب واحتجوا بحديث المسيء صلاته ، فان النبيﷺ لم يأمره به ، ولو وجب لأمره به ، فإن قيل : فلم يأمره بالنية والتشهد والسلام ؟ فقذ سبق جوابه عند شرحه.

وقوله ﷺ : فقمن هو بفتح القاف وفتح الميم وكسرها لغتان مشهورتان فمن فتح فهو عنده مصدر لايثنى ولا يجمع ، ومن كسر فهو وصف يثنى ويجمع وفيه لغة ثالثة : قمين بزيادة ياء وفتح القاف وكسر الميم ومعناه : حقيق وجدير .

وفيه الحث على الدعاء في السجود فيستحب أن يجمع في سجوده بين الدعاء والتسبيح وستأتى الأحاديث فيه .

قوله « ورأسه معصوب » فيه عصب الرأس عند وجعه . قوله « عبدالله بن حنين » هو بضم الحاء =

الركوع فعظموا فيه الرّب ، وأما السجود فاجتهدوا فى الدعاء . فقمن أن يستجاب لكم

وخرَّج مسلم من حديث يحيي عن أيوب ، حدثنا إسماعيل بن جعفر قال : أخبرني سليمان بن سحيم ، عن إبراهيم بن عبدالله بن معبد عن ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالي عنه - عن أبيه ، عن عبيد الله بن عياض - رضي الله تبارك وتعالي عنهما ـ قال : كشف رسول الله ﷺ الستر ورأسه معصوب فى مرضه الذي مات فيه فقال : اللهم هل بلغت ؟ ثلاث مرات ، إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا . يراها العبد الصالح أو تُرى له . ثم ذكر بمثل حديث سفيان .

وخرجه النسائي من حديث علي بن حُجْر : حدثنا إسماعيل ، وهو ابن جعفر ، حدثنا سليمان ، وهو ابن سحيم بهذا الإسناد كما قال مسلم ، ثم قال بعد ذلك : ألا وإني نهيت عن القراءة في الركوع والسجود ، فإذا ركعتم فعظموا الله تعالى وإذا سجدتم فاجتهدوا فى الدعاء فإنه قمن أن يستجاب لكم [١].

قال البيهقيّ : والذي يدل عليه حديث أم الفضل بنت الحارث ، ثم حديث عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة وابن عباس - رضي الله تبارك وتعالي عنهم ـ ، ثم حديث عبد العزيز بن صُهيب عن أنس بن مالك - رضي الله تبارك وتعالي عنه - قال : إن أبابكر - رضي الله تبارك وتعالي عنه - صلى بالناس صلاة العشاء الآخرة ، ليلة الجمعة . ثم صلى بهم خمس صلوات

= وفتح النون . قوله فنهاني ولا أقول نهاكم ليس معناه أن النهي مختص به وإنما معناه أن اللفظ الذي سمعته بصيغة الخطاب لي فأنا أنقله كما سمعته ، وان كان الحكم يتناول الناس كلهم .

ذكر مسلم الاختلاف على إبراهيم بن حنين في ذكر ابن عباس بين علي وعبدالله بن حنين رضي الله تبارك وتعالى عنهم قال الدارقطني : من أسقط ابن عباس أكثر وأحفظ ، قلت : وهذا اختلاف لا يؤثر في صحة الحديث ، فقد يكون عبد الله بن حنين سمعه من ابن عباس عن علي ، ثم سمعه من علي نفسه ، وقد تقدمت هذه المسألة أوائل هذ الشرح مبسوطة . قوله « نهاني حبي (ص) » هو بكسر الحاء والباء أي محبوبي ،

(٥) سبق تخريجه .

(١) سبق تخريجه .

يوم الجمعة ، ثم خمس صلوات يوم السبت ، ثم خمس صلوات يوم الأحد ، ثم صلى بهم صلاة الصبح يوم الاثنين ، وتوفي النبي ﷺ من ذلك اليوم ، وكان قدخرج فيما بين ذلك حين وجد من نفسه خفة لصلاة الظهر، إما يوم السبت ، وإما يوم الأحد ، بعدما افتتح أبو بكر - رضي الله تبارك وتعالي عنه - صلاته بهم ، فافتتح صلاته ، وعلقوا صلاتهم بصلاته ، وهو قاعد ، وهم قيام وصلى مرة أخرى خلف أبي بكر - رضي الله تبارك وتعالي عنه - فى رواية نعيم بن أبي هند ومن تابعه ، فيكون جملةُ ماصلّى بهم أبو بكر - رضي الله تبارك وتعالي عنه - فى حياة رسول الله ﷺ معهما ما افتتحها قبل خروجه سبع عشرة صلاة .

ثم ذكر من طريق الحسين بن الفرج ، قال : حدثنا الواقدي قال : سألت أبا بكر بن أبي سبرة : كم صلى أبوبكر - رضي الله تبارك وتعالي عنه - بالناس ؟ قال : سبع عشرة صلاة . قلت : من أخبرك ؟ قال : أيوب بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة ، عن أبيه ، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ

قال البيهقيّ : وقد ذهب موسى بن عقبة ، فى مغازيه إلي أن النبي ﷺ في صلاة الصبح من يوم الاثنين ، حتى وقف إلي جنب أبي بكر - رضي الله تبارك وتعالي عنه - فصلي خلفه ركعة ، فلما سلم أبوبكر - رضي الله تبارك وتعالي عنه - أتم رسول الله ﷺ الركعة الآخرة . وكذلك هو في مغازي أبي الأسود عن عروة .

وذلك يوافق ماورويناه عن حميد ، عن ثابت ، عن أنس - رضي الله تبارك وتعالي عنه - في صلاة النبي ﷺ خلف أبي بكر - رضي الله تبارك وتعالي عنه - ورواية نعيم بن أبي هند وغيره في حديث عائشة - رضي الله تبارك وتعالي عنها - ، ولا ينافي مارويناه عن الزهري وغيره عن أنس - رضي الله تبارك وتعالي عنه - .

ويكون الأمر فيه محمولاً على أنه رآهم وهم صفوف خلف أبي بكر - رضي الله تبارك وتعالي عنه - في الركعة الأولي من صلاة الصبح ، فقال ماحكي هو و ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالي عنهما - ، ثم خرج فأدرك معه الركعة الآخرة ، أو خرج فصلى ، ثم قال ماحكيا ، فنقلا بعض الخبر ونقل

غيرهما ما تركاه، كما نقل أحدهما فيما رواه ماترك صاحبه .

ثم ذكر من طريق محمد بن عتاب العبدي ، وإسماعيل بن إبراهيم بن عقبة ، عن موسى بن عقبة قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة يعني من حجة الوداع ، فعاش بالمدينة حين قدمها بعد صدرة المحرم واشتكي في صفر ، فوعك أشدّ الوعك ، واجتمع إليه نساؤه كلهن يمرضنه، وقال نساؤه : يارسول الله إنه ليأخذك وعك ماوجدنا مثله على أحد قط غيرك . فقال رسول الله ﷺ : كما يعظم لنا الأجر ، كذلك يشتد علينا البلاء .

واشتد عليه الوعك أياماً وهو ينحاز إلى الصلوات حتى غلب فجاءه المؤذن ، فأذنه بالصلاة فنهض فلم يستطع من الضعف ، ونساؤه حوله ، فقال للمؤذن : اذهب إلي أبي بكر - رضي الله تبارك وتعالي عنه - فأمره فليصل بالناس فقالت عائشة - رضي الله تبارك وتعالي عنه - عنها : يارسول الله ﷺ إن أبابكر رجل رقيق : وإنه إن قام في مقامك بكى فأمر عمربن الخطاب - رضي الله تبارك وتعالي عنه - فليصل بالناس ، فقال ﷺ : مروا أبابكر فليصل بالناس . قالت : فعدت ، فقال ﷺ : مروا أبا بكر فليصل بالناس ، إنكن صواحب يوسف .

قالت فصمت عنه ، فلم يزل أبو بكر ـ رضى الله تبارك وتعالى عنه ـ يصلي بالناس ، حتي كانت ليلة الاثنين من شهر ربيع الأول فأقلع عن رسول الله ﷺ الوعك ، وأصبح مفيقاً ؛ فغدا إلى صلاة الصبح يتوكأ على الفضل بن عباس ـ رضى الله تبارك وتعالى عنهما ـ ، وغلام له يدعى ثوبان ، ورسول الله ﷺ بينهما ، وقد سجد الناس مع أبي بكر ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ من صلاة الصبح ، وهو قائم فى الأخرى .

فتخلص رسول الله ﷺ الصفوف يفرجون له ، حتي قام إلى جنب أبي بكر ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ فاستأخر أبوبكر ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ عن رسول الله ﷺ فأخذ رسول الله بثوبه ، فقدمه فى مصلاه ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ فصفا جميعاً ، ورسول الله ﷺ جالس ، وأبوبكر ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ قائم يقرأ القرآن ، فلما قضى أبو بكر ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ قراءته قام رسول الله ﷺ فركع معه الركعة الآخرة ، ثم جلس

أبوبكر ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ حين قضى سجوده يتشهد والناس جلوس فلما سلم ، أتم رسول الله ﷺ الركعة الآخرة ، ثم انصرف إلى جذع من جذوع المسجد ، والمسجد يومئذ سقفه من جريد وخوص ، ليس على السقف كثير طين ، واذا كان المطر امتلأ المسجد طيناً ، إنما هو كهيئة العريش .

وكان أسامة بن زيد ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ قدتجهز للغزو، وخرج فى نقله إلى الجرف ، فأقام تلك الأيام بشكوى رسول الله ﷺ ، وكان رسول الله ﷺ قد أمره على جيش عامتهم المهاجرون ، فيهم عمر بن الخطاب ـ رضى الله تبارك وتعالى عنه ـ وأمره رسول الله ﷺ يغير على مؤتة ، وعلى جانب فلسطين حيث أصيب زيد بن حارثه، وجعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن رواحة ـ رضي الله تبارك وتعالى عنهم ـ فجلس رسول الله ﷺ إلى ذلك الجذع ، واجتمع إليه المسلمون يسلمون عليه ، ويدعون له بالعافية ، ودعا رسول الله ﷺ أسامة بن زيد ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ

فقال : اغدُ على بركة الله ، والنصر والعافية ، ثم أغر حيث أمرتك أن تُغير ، قال أسامة بن زيد ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ : يارسول الله قد أصبحت مفيقاً وأرجو أن يكون الله عز وجلّ قد عافاك ، فأذن لي فأمكث حتي يشفيك الله ، فإني إن خرجت وأنت على هذه الحال ، خرجت وفى نفسي منك قرحة ، وأكره أن أسأل عنك الناس .

فسكت عنه رسول الله ﷺ ، وقام فدخل بيت عائشة ـ رضي الله تبارك وتعالى عنها ـ ودخل أبو بكر على ابنته عائشة فقال : قد أصبح رسول الله ﷺ مفيقاً وأرجو أن يكون الله عز وجل قدشفاه ، ثم ركب فلحق بأهله بالسنح وهنالك كانت امرأته حبيبة بنت خارجة بن أبي زهير بن أخي بني الحارث بن الخزرج ، وانقلبت كل امرأة من نساء رسول الله ﷺ إلى بيتها .

وذلك يوم الاثنين ، ووعك رسول الله ﷺ حين وجع واشتد الوعك واجتمع إليه نساؤه ، وأخذ بالموت ، فلم يزل كذلك حتى زاغت الشمس من يوم الاثنين يغمى عليه الساعة ثم يفيق ثم يشخص بصره إلى السماء ، فيقول فى الرفيق الأعلى ﴿ **مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء**

والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ﴾ [١] قال ذلك - زعموا مراراً - كلما أفاق من غشيته فظن النسوة أن الملك خيره بين الدنيا والجنة فيختار رسول الله ﷺ الجنة وما عند الله تعالى من حسن الثواب .

واشتد برسول الله ﷺ الوجع ، فأرسلت فاطمة إلى عليّ بن أبي طالب - رضى الله تبارك وتعالى - عنهما ، وأرسلت حفصة إلى عمر بن الخطاب - رضي الله تبارك وتعالى - وأرسلت كل امرأة إلى حميمها ، فلم يرجعوا حتي توفي رسول الله ﷺ على صدر عائشة - رضى الله تبارك وتعالى عنها - فى يومها ، يوم الاثنين حين زاغت الشمس ، لهلال شهر ربيع الأول .

وذكر من طريق ابن لهيعة ، فحدثنا أبو الأسود عن عروة قال : صدر رسول الله ﷺ عن حجة التمام ، فقدم المدينة ، فاشتكى فى صفر ، ووعك أشد الوعك ، فذكر معنى ما روينا عن موسى بن عقبة .

ومن طريق يونس ، عن ابن إسحاق قال : حدثنا ابن أبي مليكة ، قال: صلى أبو بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - بالناس صلاة الصبح ، فجاءه رسول الله ﷺ فجلس إلى جنب أبي بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فصلى وهو عاصب رأسه ، فلما فرغ من الصلاة ، أقبل رسول الله ﷺ على الناس رافعاً صوته ، حتى خرج من باب المسجد يقول : أيها الناس ! سُعرت النار ، وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم .

قال البيهقي من طريق سليمان بن بلال ، عن أبى عبد العزيز الزبيدي ، عن مصعب بن محمد بن شرحبيل ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - عن رسول الله ﷺ قالت : كشف رسول الله ﷺ ستراً أو فتح باباً لا أدرى أيهما ، قال مصعب فنظر إلى الناس وراء عنه أبى بكر - رضي الله تبارك وتعالى - يصلون فحمد الله تعالى وسُرّ بالذي رأي منه ، وقال : الحمد لله ، مامن نبي يتوفاه الله تعالى حتى يؤمه رجل من أمته ، أيها الناس أيما عبد من أمتى أصيب بمصيبتى من بعدي ، فليتعزى بمصيبته عن مصيبته التى يصاب بها من بعدي ، فإن أحداً من أمتي

(١) النساء : ٦٩

لن يصاب بمصيبة بعدي ، أشد من مصيبته بي .

قال البيهقي : معني أول هذا الحديث موجود فيما روينا عن أنس بن مالك وابن عباس ـ رضي الله تبارك وتعالى عنهم ـ وأما آخر الحديث فلم أجد له شاهداً صحيحاً والله تعالى أعلم [1] .

وقال الواقدي : حدثني سليمان بن بلال عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، عن ابن أبي مليكة عن عبيد بالله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : ماهلك نبي حتى يؤمه رجل من أمته ، فلما كان يوم الاثنين صلى أبو بكر ـ رضي الله تبارك وتعالى ـ بالناس الصبح وكان لايلتفت ، فأقبل رسول الله ﷺ حتي جلس إلى جنب أبى بكر ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ فصلى بصلاة أبي بكر ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ فلما قضى صلاته جلس رسول الله ﷺ وعليه خميصة له فقال : إنكم والله لاتمسكون عليّ بشئ إنى لا أحلّ إلا ما أحلَّ الله تعالى في كتابه ، يافاطمة بنت محمد ، ويا صفية بنت عبد المطلب ، اعملا لما عند الله تعالى ، لا أملك لكما من الله شيئاً .

وقال : حدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز ، عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم ، عن أبيه ، عن عمرة ، عن عائشة ـ رضي الله تبارك وتعالى عنها ـ قالت : لما كانت ليلة الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول جاء رسول الله ﷺ وجعاً فلم يبق امرأة ولا رجل إلا أصبح فى المسجد لوجع رسول الله ﷺ فأتاه الموذنَ يؤذنه بالصلاة صلاة الصبح فقال ﷺ : قل لأبي بكر يصلى بالناس فكبر أبو بكر ـ رضى الله تبارك وتعالى عنه ـ فى صلاته فكشف رسول الله ﷺ الستر فرأى الناس يصلون فقال : إن الله جعل قرة عيني فى الصلاة ، وأصبح ﷺ يوم الاثنين مفيقاً ، فخرج يتوكأ على الفضل بن العباس وثوبان غلامه ـ رضى الله تبارك وتعالى عنهما ـ ، حتى دخل المسجد وذكر الحديث .

وقال سيف : عن محمد بن إسحاق عن الزهري ، عن أنس بن مالك ـ رضى الله تبارك وتعالى عنه ـ قال : خرج النبي ﷺ صبيحة اثنتي عشرة عاصباً رأسه ما رأيته قط وأبو بكرفى الصلاة ، فلما رآه الناس ذهبوا

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٧ / ١٩٧ - ٢٠٢

ليتحروا ، وتأخر أبو بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - حتـــي ســـمع بحوار الناس وعرفت أنهم إنما صنعوا ذلك لرسول الله ﷺ فأشار إلي النــاس أن صلوا ، فصلوا ورجع النبي ﷺ ، فدخل البيت.قال سيف : عن محمد بن إسحاق قال : حدثني ابن شهاب أنه ﷺ يومئذ عن يمين أبي بكر - رضي الله تبـــارك وتعالى - وبذلك عرف أن أبا بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - هو الـذي يصلى بهم ، لم يصل بهم جالسا ، وقد نهى عن ذلك ، ولو لم ينه عنه ، ولـــو كان صلى بهم صلى أبو بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - عن يمينـــه ، كذلك كان رسول الله ﷺ يصنع ، فلما فرغ أقبل على الناس فقال أبـــو بكـــر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - : أصبحت بنعمة من الله وفضله ، واليوم يـــوم ابنة خارجة وهى في بني الحارث بن الخزرج ، فدخل النبي ﷺ وذهب أبـــو بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - مسروراً. قال سيف : عن بكر بن وائل والزهري عن أنس بن مالك - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : صلى أبو بكر رضي الله تبارك وتعالى عنه حتى إذا كان صبيحة إثني عشرة خرج النبي ﷺ والناس في صلاة الصبح عاصبا رأسه حتى وقف على باب حجرة عائشة - رضى الله تبارك وتعالى عنها - فلما رآه الناس تحوروا ، فذهب أبو بكـــر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - والناس فدخل عليه أبو بكر والعباس وعلـــي - رضي الله تبارك وتعالى عنهم - فقال أبو بكر رضـــي الله تبـــارك وتعـــالى عنه - : قد رد الله بك علينا عقولنا ، وقد أصبحت بنعمة مـــن الله وفضـــل ، وبات الناس إلى الباب وقد باتت إلية عقولهم وقد رجوه ورأوا الـــذي يخبئـــون فقال أبو بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - اليوم يوم بنت خارجة قـــال : اذهب فأت أهلك ، فقام أبو بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه فذهب وخـــرج أهل البيت وجعل الناس يتلقون فيقولون لهم ما يرون من العافية فينصرفون .

قال سيف : عن سلمة بن نبيط عن نعيم بن شفيق بن سلمـــــة ، عـــن عائشـــة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قال : خرج رسول الله ﷺ أنظـــر إلي قدميه يخطان في المسجد حتى انتهينا فأجلساه في الصف فطفق الناس بـــأبي بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فذهب ليتأخر فدفعه النبي ﷺ فقدمـــه

فصلى بهم أبو بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ورسول الله ﷺ جالس بحياله في الصف ، وقال له رسول الله ﷺ بعدما انصرف : التصفيق للنساء والتسبيح للرجال .

وقال سيف : عن سعيد بن عبد الله الجماحي عن أبي سعيد الخدري قال : فمالوا بالنبيﷺ يومئذ إلى منبره فحمد الله تعالى وأثني عليه وقال : ياأيها الناس بارك الله فيكم الثقلين فإنه لن تعمى أبصاركم ، ولن تزل أقدامكم ، ولن تقصر أيديكم ، ماأخذتم به كتاب الله عز وجل ، بينكم وبين الله تعالى ، وطرق بيده وطرق بأيديكم ، فآمنوا بمتشابه ، واعملوا بمحكمه وحرموا حرامه و أحلوا حلاله ، ألا وسنتي ، والله لايكرمها رجل ويوقرها على هواه ، إلاأعطاه الله تعالى نوراً حتى يرد عليّ يوم القيامة ، وأيم الله لايموت رجل وقد تركها إلا احتجبت منه يوم القيامه ، ثم حمل حتى يرجع إلي بيته ورأى الناس فيه الذى كانوا يتمنون ويرجعون ، فتفرق الناس وأخلوه بأزواجه ﷺ .

فصل فى ذكر ماقيل
في وصية رسول الله ﷺ

اعلم أن الناس اختلفوا فى وصية رسول الله ﷺ فى أمته من بعده ، فذهبت الروافض إلي أن النبي ﷺ نص على عليّ بن أبي طالب - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أنه الخليفة بعده ، وقالت الزيدية أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب : لم ينصّ النبي ﷺ على عليّ - رضي الله تبارك وتعالى عنه - لكنه كان أفضل الناس بعد النبي ﷺ وأحقهم بالأمر ، ثم اختلفوا فقالت الجارودية : إن الصحابة ، ظلموه وكفروا من خالفه من الصحابة وقالت طائفة : إنه يتبرع من حقه لأبي بكر وعمر - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - فتولتها ، ولم تعاديهما ، بل قالت بإمامتها وعمدتهم ، لأبي بكر وعمر - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - ، فتولتها ولم تعاديهما بل قالت بإمامتهما وعمدتهم فى الاحتجاج لأقوالهم أحاديث مكذوبة موضوعة لامعنى لتسويد الأوراق بها .

هذه مسألة أصولية : وهى إذا واحد يخبر بتوفر الدواعى على نقله ويعلم استحالة خفائه ، كما إذا أخبر بقتل خطيب على المنبر يوم الجمعة في بلد ، كبير ولم يتقلد غيره فالذي قالته الأمة من أهل السنة إنه كاذب قطعاً ، ومن هذا نعلم بالقطع كذب من ادعى أن النبي ﷺ نَصَّ على إمامة إمام معين بعده بحضرة ملأ من الناس وسكتوا عن نقله إلا آحاداً منهم ، وخالف الرافضة في أصل هذه المسألة توصلاً إلى أن النبي ﷺ نصَّ على إمامه علي - رضي الله تبارك وتعالى عنه - جمع يحصل منهم التواتر فكتموه إلا أفراداً نادرة .

وذهب جمهور أهل السنة إلي أن الرسول الله ﷺ لم يستخلف أحداً بعينه ولم يوص إلى أحد بعينه فى أمر أمته ، قائماً به على الخلافة بما ذكرنا من أمر الصلاة ، وقالت طائفة:بل نصَّ ﷺ على استخلاف أبى بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - بعده على الأمة ، واحتج الجمهور على أنه ﷺ لم يستخلف ، بماخرجه البخاري في كتاب الأحكام فى باب الاستخلاف من حديث سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه -

قال : قيل لعمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ألا تستخلف ؟ قال : إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني ، أبو بكر وإن أترك فقد ترك من هو خير مني ، رسول الله ﷺ فأثنوا عليه فقال : راغب وراهب ، ووددت أني نجوت منها كفافاً لا لي ولا عليّ ، لا أتحملها حياً وميتاً [1]

وخرجه مسلم من حديث أبى أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن ابن عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - قال : حضرت أبي حين أصيب فأثنوا عليه وقالوا جزاك الله خيراً ، فقال : راغب وراهب، فقال : استخلف ، فقال - رضي الله تبارك وتعالى عنه - : لا أتحمل أمركم حياً وميتاً لوددت أن حظي منها الكفاف ، لا عليّ ولا لي ، فإن استخلف فقد استخلف من هو خير مني ، يعني أبا بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - وإن أترككم فقد ترككم من هو خير مني ، رسول الله ﷺ . قال عبدالله : فعرفت أنه حين ذكر رسول الله ﷺ أنه غير مستخلف . [2]

وخرج من طريق عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهريّ قال : أخبرني سالم عن ابن عمر - رضى الله تبارك وتعالى عنهما - قال : دخلت على حفصه - رضى الله تبارك وتعالى عنها - فقالت : أعلمك أن أباك غير مستخلف ؟قال ، قلت ، ماكان ليفعل ، قالت : إنه فاعل ، قال : فحلفت أنى أكلمه في ذلك ، فسكتّ حتي غدوت ولم أكلمه ، قال : فكنت كأنما أحمل بيميني جبلاً حتى رجعت فنحلت عليه فسألنى عن حال الناس وأنا أخبره ، قال : ثم قلت له : إنى سمعت الناس يقولون مقالة فآليت أن أقولها لك ، زعموا أنك غير مستخلف ، وإنه لوكان لك راعى إبل أو راعى غنم ثم جاءك وتركها ، أرأيت إن ضيع ؟ فرعاية الناس أشد ، قال فوافقه قولي ، فوضع رأسه ساعة ، ثم رفعه إليّ فقال : إن الله عز وجل يحفظ دينه ، وإنى لئن لا أستخلف فإن رسول الله ﷺ لم يستخلف ، وإن أستخلف فإن أبا بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قد

---

(١) (فتح الباري) : ١٣ / ٢٥٥ ، باب الاستخلاف ، حديث رقم (٧٢١٨) ، والاستخلاف : أي تعيين الخليفة عند موته خليفة بعده ، أو يعين جماعة ليتخيروا منهم واحداً .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ١١/ ٤٤٦ كتاب الإمارة ، باب (٢) الاستخلاف وتركه حديث رقم (١١) .

استخلف قال : فوالله ما هو إلا أن ذكر رسول الله ﷺ وأبا بكر ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ فعلمت أنه لم يكن ليعدل برسول الله ﷺ أحداً ، وأنه غير مستخلف . (١)

خرج البيهقيّ من طريق أبي داود الجفري عن سفيان الثوري عن الأسود ابن قيس عن عمرو بن سفيان ، قال : لما ظهر عليّ ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ على الناس يوم الجمل قال : أيها الناس ، إن رسول الله ﷺ لم يعهد إلينا فى هذه الإمارة شيئاً حتى رأينا من الرأى أن نستخلف أبا بكر ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ فأقام واستقام حتى مضى لسبيله ، ثم إن أبا بكر ـ رضى الله تبارك وتعالى عنه ـ رأى من الرأي أن يستخلف عمر ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ فأقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه ، ثم إن أقواماً طلبوا هذه الدنيا ، فكانت أمور يفضي الله تعالى فيها. (٢)

وخرج من طريق شبابةَ بن سوار ، قال : حدثنا شعيب بن ميمون عن حسين بن عبد الرحمن عن الشعبيّ عن أبي وائل قال : قيل لعلي بن أبي طالب ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ : ألا تستخلف علينا ؟ قال : ما استخلف رسول الله ﷺ فأستخلف ، ولكن إن يرد الله تعالى بالناس خيراً فليجمعهم بعدي على خيرهم ، كما جمعهم نبيهم ﷺ على خيرهم . (٣)

قال البيهقيّ : شاهده فى الحديث الثابت عن علي ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ فذكر ماخرّجه البخارى من طريق الزهريّ قال : أخبرنى عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاريّ ، وكان كعب بن مالك أحد الثلاثة الذين تيب عليهم ، قال : إن عبد الله بن عباس ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ أخبره أن عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ خرج من عند رسول الله ﷺ فى وجعه الذى توفي فيه ، فقال الناس : يا أبا حسن ! كيف أصبح رسول الله

(١) (مسلم بشرح النووي) : ١١/٤٤٧ - ٤٤٨ ، كتاب الإمارة ، باب (٢) الاستخلاف وتركه ، حديث رقم (١٢) .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٧ / ٢٢٣ ، باب ما يستدل به على أن النبي ﷺ لم يستخلف أحداً بعينه ، ولم يوص إلى أحد بعينه في أمر أمته ، وإنما نبه على الخلافة بما ذكرنا من أمر الصلاة .

(٣) (المرجع السابق) .

ﷺ قال :أصبح بحمد الله تعالى بارئاً ، فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب - رضي الله تبارك وتعالى عنه- فقال له : أنت والله بعد ثلاث عبد العصا ، وإني والله لأرى رسول الله ﷺ يتوفى من وجعه هذا ، إني أعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت ، فاذهب بنا إلى رسول الله ﷺ فنسأله في هذا الأمر إن كان فينا علمنا ذلك ، وإن كان في غيرنا علمناه ، فأوصى بنا ، فقال علي - رضي الله تبارك وتعالي عنه - إنا والله لئن سألناه رسول الله ﷺ فمنعناها ، لا يعطيناها الناس بعده أبداً.

وروى يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال : حدثني الزهري عن عبد الله ابن كعب بن مالك عن عبد الله بن عباس - رضي الله تبارك وتعالي عنهما - من عند رسول الله ﷺ في مرضه يوم قبض فيه ، فذكر الحديث . إلا أنه لم يذكر ما قال : العصا وزاد في آخره : فتوفي رسول الله ﷺ حين اشتد الضحى من ذلك اليوم .

وخرج عبد الرزاق ، قال أنبأنا معمر عن الزهري قال : أخبرني كعب بن مالك عن ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالي عنهما - قال : خرج العباس وعلي رضي الله تبارك وتعالي عنه - من عند النبي ﷺ في مرضه الذى مات فيه ، فلقيهما رجل فقال : كيف أصبح رسول الله ﷺ يا أبا حسن ؟ فقال أصبح بارئاً ، فقال العباس لعلي - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - أنت بعد ثلاث : عبد العصا ، قال : ثم خلا به فقال : فإنه يخيل إليّ أن أعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت ، وأني خائف ألا يقوم رسول الله ﷺ من وجعه هذا ، فاذهب بنا إليه فلنسأله فإن كان هذا الأمر فينا علمناه ، وإن لم يكن إلينا أمرناه أن يستوصى بنا ، قال : فقال علي - رضى الله تبارك وتعالي عنه - : أرأيت إن جئناه فسألناه فلم يعطناها ؟ أترى الناس يعطوناها ؟ والله لا أسألها إياه أبداً .

قال عبد الرزاق : فكان معمر يقول لنا : أيهما كان أصوب عندكم رأياً ؟ فنقول:العباس - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - فيأبى ، ثم قال : لو أن علياً - رضي الله تبارك وتعالى عنه - سأله عنها فأعطاه إياها ، فمنعه الناس

كانوا قد كفروا .

قال عبد الرزاق فحدثت به ابن عيينه فقال : الشعبي : لو أن علياً - رضي الله تبارك وتعالى عنه - سأله عنها ، كان خيراً له من ماله وولده.

وقال عبدان ، عن أبي حمزة عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عامر ، هو الشعبي ، قال العباس لعلي بن أبي طالب - رضي الله تبارك وتعالى عنه - حين مرض النبي ﷺ: إني أكاد أعرف في وجه رسول الله ﷺ الموت ، فانطلق بنا إليه نسأله من يستخلف ، فإن يستخلف منا فذلك ، وإلا أوصى بنا.

قال : فقال علي للعباس كلمة فيها جفاء ، فلما قبض النبي ﷺ قال العباس لعلي : أبسط يدك فلنبايعك . قال : فقبض يده ، فقال عامر : لو أن علياً أطاع العباس في أحد الرأيين ، كان خيراً له من حمر النعم .

قال سيف : عن سعيد بن عبد الله ، عن أبيه قال : قلت لابن العباس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - : ما كان صنع العباس - رضي الله تبارك وتعالى - حين خالف عليه علي - رضي الله تبارك وتعالى عنه -

فقال : كلم نبي الله ﷺ في ذلك فقام في الناس فقال : أوصيكم يا أهل بيتي وعترتي خيراً ، أو أوصيكم بهم خيراً فإنهم لحمي وفصيلتي ، احفظوا منهم ما تحفظون في ما بينكم

يا أيها الناس ! إن الله بعثني لأخرجكم من عبادة العباد الى عبادته ، ومن دين الشرك إلى دينه ، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً فإن أكرمكم عند الله أتقاكم وإن كان رقيقاً ، ألا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ثلاثا ، فلا تضلوا عن الحق.

وخرج مسلم من حديث الأعمش عن أبي وائل عن مسروق ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت : مثله سواء.

وخرج البخاري في أول كتاب الوصايا من حديث المالك بن مغول ، حدثنا طلحة بن مصرف قال : سألت عبد الله بن أبي أوفى - رضي الله تبارك

وتعالى عنهما - : هل كان النبي ﷺ أوصي ؟ فقال : لا ، فقلت : كيف كتب على الناس الوصية وأمر بالوصية ؟ قال : أوصى بكتاب الله[1] ذكره في آخر المغازي ، وخرجه مسلم أيضا.

وخرج البخاري ومسلم من حديث ابن عون الأسود بن يزيد وقد ذكروا عند عائشة -رضي الله تبارك وتعالى عنها- أن عليا -رضي الله تبارك وتعالى عنه- كان وصيا ، فقالت : متى أوصى إليه وقد كنت مسندته إلى صدري ؟ أو قالت حجري - فدعا بالطست ، فلقد انخنث في حجري : فما شعرت أنه مات فمتى أوصي إليه ؟ لفظهما فيه قريب من السواء ، ذكره البخاري في أول كتاب الوصايا وفي آخر المغازي.

وخرج البيهقي من طريق عبد الله بن رجاء قال : أنبأنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أرقم بن شرحيل ، قال : سافرت مع ابن عباس -رضي الله تبارك وتعالى عنهما- من المدينة فسألته : أكان رسول الله ﷺ أوصى ؟ فقال: إن رسول الله ﷺ لما مرض مرضه الذي مات فيه ، كان في بيت عائشة -رضي الله تبارك وتعالى عنها- فرفع رأسه ، فقال : ادعوا لي عليا ، فقالت عائشة -رضي الله تبارك وتعالى عنها- : ألا ندعوا لك أبا بكر يا رسول الله ؟ فقال : ادعوه قالت حفصه -رضي الله تبارك وتعالى عنها-: ألا تدعو عمر يا رسول الله؟ قال ﷺ: ادعوه ، قالت أم الفضل : ألا تدعو العباس عمك يا رسول

---

(١) (فتح الباري) : ٥/٤٤٤٨ ، كتاب الوصايا ، باب (١) الوصايا ، وقول النبي ﷺ " وصية مكتوبة عنده " وقال الله عز وجل ﴿ **كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين ۞ فمن بدله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم ۞ فمن خاف من موص جنفا أو إثما فأصلح بينهم فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم** ﴾ (البقرة : ١٨١ -١٨٢) حديث رقم (٢٧٤٠) .

(٢) باب (٨٤) مرض النبي ﷺ ووفاته ، وقوله تعالى ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون ۞ ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون** ﴾ .

(٣) باب (١٨) الوصاة بكتاب الله عز وجل ، حديث رقم (٥٠٢٢) ، والمراد بالوصية بكتاب الله تعالى حفظه حسا ومعنى ،-فيكرم ويصان ، ولا يسافر به إلى أرض العدو ، ويتبع ما فيه ، فيعمل بأوامره ، ويتجنب نواهيه ، ويداوم على تلاوته وتعلمه ، وتعليمه ، ونحو ذلك . (فتح الباري) .

الله ؟ قال : ادعوه فلما حضروا رفع رأسه فلم يتكلم . فقال عمر ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ: قوموا بنا عن رسول الله ﷺ فإنه لوكانت له إلينا حاجة ذكرها ، حتي فعل ثلاث مرات، ثم قال ﷺ : ليصلّ بالناس أبو بكر، فذكر الحديث فى الصلاة . وقال في آخر الحديث : فمات رسول الله ﷺولم يوص .[٣]

وخرج البخاري من حديث الأعمش قال حدثني أبي قال : خطبنا على ـ رضى الله تبارك وتعالى عنه ـ على منبر وعليه سيف فيه صحيفة معلقة فقال والله ماعندنا من كتاب يقرأه إلا كتاب الله تعالى ومافى هذه الصحيفة ، فنشرها : فإذا فيها أسنان الإبل ، وإذا فيها : المدينة حرم إلى كذا ، فمن أحدث فيها فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ، وإذا فيه : ذمة المسلمين واحدة ، يسعى بها أدناهم ، فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

لايقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً و إذا فيها : من والى قوماً بغير إذن مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لايقبل الله منه صرفاً ولاعدلاً ذكره فى كتاب الاعتصام [٤]بالكتاب والسنة ، فى باب ماذكره من التعمق والتنازع والغلو فى الدين والبدع ، وفى كتاب الجزية والموادعة فى باب ذمة المسلمين [١]. وفى كتاب فضائل المدينة ، فى باب حرم المدينة [٢] وخرجه مسلم [٣] وأبو داود . [٤]

وخرج البيهقيّ من طريق هُدْبة قال : حدثنا همام عن قتادة ، عن أبي حسان قال : إن علياً ـ رضى الله تبارك وتعالى عنه ـ كان يأمر بالأمر ، فيقال : قد فعلنا كذا وكذا ، فيقول : صدق الله ورسوله ، فقيل له : أشئ عهده إليك رسول الله ﷺ فقال : ما عهد إليّ رسول الله ﷺ شيئاً خاصة دون الناس إلا شيئاً سمعته منه فى صحيفة في قراب سيفي ، قال : فلم نزل به حتي أخرج الصحيفة ، فإذا فيها : من أحدث أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله

---

(١) حديث رقم (٢٧٤١) .

(٢) حديث رقم (٤٤٥٩)

(٣) (دلائل البيهقي) : ٧ / ٢٢٦ - ٢٢٧ .

والملائكة والناس أجمعين لايُقبل منه صرف ولاعدل ، وإذا فيها : إن إبراهيم حرَّم مكة ، وإني أحرم المدينة مابين حَرَّتيها وحماها ، لايُختَلا خلاها ، ولاينفر صيدها ولا يلتقط لقطتها إلا لمنشد أشاد بها ، يعني من مُنْشد ولايقطع شجرها إلا أن يعلف رجل بعيراً ، ولا يحمل فيها سلاح لقتال ، وإذَا فيها المؤمنون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم ، ألا لا يقتل مؤمن بكافرٍ ولا ذو عهد في عهده[٥] .

ومن طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال : حدثني صالح بن كيسان عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال : لم يوص رسول الله ﷺ عند موته إلا بثلاث : للرهابيين بجادّ مائة واسق من خيبر ،وللداريين بجاد مائة وسق وللشانئين بجاد مائه وسق من خيبر ، وللأشعريين بجاد مائة وسق من خيبر .

وأوصى ﷺ بتنفيذ بعث أسامة بن زيد ـ رضى الله تبارك وتعالى ـ وأوصى ﷺ أن لا يترك بجزيرة العرب دينان .[٦]

وروى حماد بن عمرو النصيبي عن السديّ بن خالد ، عن جعفر بن محمد عن أبيه ، عن جده ، عن علي بن أبى طالب ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال : يا عليّ أوصيك بوصية فاحفظها . وذكر حديثاً طويلاً فى الرغائب والآداب ، وهو حديث موضوع ، فإن حماد بن عمرو هذا ممن يكذب ويضع الحديث .[٧]

= (٤) (فتح الباري) : ١٣ / ٣٤١ - ٣٤٢ ، حديث رقم (٧٣٠٠)

(١)(المرجع السابق) : ٦ / ٣٣٣٦، حديث رقم (٣١٧٢)

(٢) (المرجع السابق) : ٤ / ١٠٠ / ١٠١ ، حديث رقم (١٨٧٠)

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الحج ، باب فضائل المدينة ، حديث رقم (١٣٧٠)

(٤) سيأتي تخريجه وشرحه إن شاء الله تعالى بعد قليل .

(٥)(دلائل البيهقي) : ٧ /٢٢٨ ، وأخرجه أبو داود في (السنن) : ٢/ ٥٢٩ ، كتاب المناسك ، باب (٩٩) في تحريم المدينة ، حديث رقم(٢٠٣٤) ، (٢٠٣٥)

(٦)(دلائل البيهقي) : ٧ / ٢٣٠

(٧)(دلائل البيهقي) : ٧ / ٢٢٩ ، ثم قال : وهو حديث موضوع وقد شرطت فى أول الكتاب ألا أخرج في هذا الكتاب حديثاً أعلمه موضوعاً.

وقال سيف :عن مبشر بن المفضل [١] . عن أبيه قال جاء أبو بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - إلى النبي ﷺ فقال : يارسول الله ائذن لي فلأمرضك وأكون الذي أقوم عليك . فقال ﷺ : يا أبا بكر ! إني لم أحمل أزواجي وبناتي وأهل بيتي عليّ حين ازدادت مصيبتي عليهم عظماً ، وقد وقع أجرك علي الله إجمع لي الأربعين يا أبا بكر ، الذين سبقوا الناس إلى هذا الدين ، وادع عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - معهم . ففعل ، وكان ذلك قبل وفاته ﷺ بخمس عشرة ليلة فخلص بهم ودعا لهم ، وعهد عهده وهم شهود وهي آخر وصية أوصى بها رسول الله ﷺ.

وخرج الحارث بن أبي أسامة من طريق محمد بن سعد ، قال : أخبرني محمد بن عمر يعني الواقدي قال : حدثني عبد الله بن جعفر بن عون عن ابن مسعود - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : نعي لنا نبينا وحبيبنا ﷺ نفسه قبل موته بشهر ، بأبي هو وأمي ونفسي له الفداء ، فلما دنا الفراق جمعنا فى بيت أمنا عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - وتشوّف لنا فقال : مرحبًابكم وحياكم الله بالسلام . [٢]

وخرجه البيهقي من طريق سلام بن سليمان المدائني ، حدثنا سلام بن سليم الطويل ، عن عبد الملك بن عبد الرحمن بن الحسن الغزي عن الأشعث بن طليق

---

(١) هو بشر بن المفضل بن لاحق الرقاشي ، مولاهم أبو إسماعيل البصري . ترجمته في (تهذيب التهذيب) : ١ / ٤٠٢ ، ترجمة رقم (٨٤٤) .

(٢)(طبقات ابن سعد) : ٢ / ٢٦٥ - ٢٥٧ ، ذكر ما أوصى به رسول الله ﷺ فى مرضه الذي مات فيه ، ثم قال : رحمكم الله ، حفظكم الله ، جبركم الله ، رزقكم الله ، رفعكم الله ، نفعكم الله أداكم الله ، وقاكم الله !

أوصيكم بتقوى الله ، وأوصى الله بكم أستخلفه عليكم ، وأحذركم الله إني لكم منه نذير مبين ، ألا تعلوا على الله فى عباده وبلاده ، فإنه قال لي ولكم : ﴿ **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين** ﴾ القصص : ٨٣ .

وقال :﴿ **أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين** ﴾؟ الزمر : ٦٠ ، قلنا : يا رسول الله ، متى أجلك ؟ قال : دنا الفراق والمنقلب إلى الله وإلى جنة المأوى ، وإلى سدرة المنهى ، وإلى الرفيق الأعلى ، والكأس الأوفى ، والحظ والعيش المهنى .... (المرجع السابق)

عن مرة عن شراحيل ، عن عبد الله بن مسعود – رضي الله تبارك وتعالى عنه – قال : لما ثقل رسول ﷺ اجتمعنا في بيت أمنا عائشة – رضي الله تبارك وتعالى عنها – فلما نظر إلينا رسول الله ﷺ فدمعت عيناه ، ثم قال لنا : قد دنا الفراق ونعى إلينا نفسه ﷺ ، ثم قال : مرحبا بكم حياكم الله ، هداكم الله فذكره[1] وقال : إسناده ضعيف بمرة. [2]

وقال الواقدي : حدثني عبد الله بن جعفر عن عبد الواحد بن أبي عون قال : عبد الله بن مسعود – رضي الله تبارك وتعالى عنه – نعى لنا نبينا وحبيبنا ﷺ نفسه قبل موته بشهر ، بأبي هو وأمي ، نفسي له الفداء.

وقال سيف : عن المستنير بن يزيد النخعي عن أرطاه بن أبي أرطأة بن أبي أرطأة النخعي عن الحارث بن مرة الجهني قال : رأيت عنده رقاً مكتوباً فيه ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ نعى لنا رسول الله ﷺ نفسه قبل موته بشهر ، ثم جمعنا بعد ذلك بخمس عشرة ليلة في بيت عائشة – رضي الله تبارك وتعالى عنها – ونحن أربعون ببشرى الله تعالى ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ، ثم قال : اتقوا الله فإن تقوى الله خير ما تواصي به عباد الله ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾ ومن حيث لا يأمل ولا يرجو ﴿ **ومن يتوكل علي الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً** ﴾ ﴿ **ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً** ﴾ فارضوا بقضاء الله ، فإن الأمر أمره ، وسلموا الأمر إليه فإن القليل يتبع الكثير ، ألا فليسلم القليل للكثير

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٧/٢٣١-٢٣٢، باب ذكر الحديث الذي روي عن ابن مسعود رضي الله تبارك وتعالى عنه . النبي ﷺ في نعيه نفسه إلى أصحابه ، وما أوصاهم به ، وإسناده ضعيف بمرة.

(٢) هو مرة بن شراحيل الهمراني السكسكي ، أبو إسماعيل ، الكوفي ، المعروف بمرة الطيب ، ومرة الخيرة ، لقب بذلك لعبادته.

وروى عن أبي بكر وعمر وعلي وأبي ذر وحذيفة وابن مسعود وأبي موسى الأشعري وزيد بن

رفعكم الله ، نفعكم الله ، هداكم الله ، رزقكم الله ، سلمكم الله ، قبلكم الله.

أوصيكم بتقوى الله عز وجل وأُلجئكم إلى الله ، وأؤدي إليكم عنه ، إني لكم منه نذير مبين ، وأستخلفه عليكم ، فاتقوا الله ، ولا تعالوا على الله فى عباده ، وبلاده ، والعاقبة للمتقين .

وقال : ﴿ أليس في جهنم مثوى للكافرين ﴾ وإن هذا آخر ما أخلص بكم وتخلصون بي ، اسمع ياأبا بكر ، أقول لكم ، ثم اعمل على ذلك وأنت تعلم أنه كذلك ، إن دعائي آت لكم على كل ما أشتهي ، إلا ما رددت عنه من بأس بينكم ، واختلاف كلمتكم ، والمؤمنون شهود الله فى الأرض فالحسن ما حسنوا ، أو القبيح ما قبحوا ، من نظر أمر نفسه عند اختلاف الأمة يكف لسانه ، واستبرأ قلبه ، ولزم الجماعة ، فآثرها على الفرقة،فإن يد الله تعالى على الجماعة ، والقليل تبع للكثير، فقال أبو بكر : يارسول الله أدنى الأجل ؟ فقال ﷺ دنا الأجل وتدلى ، فقال ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ : ليهنئك

= أرقم ، وعلقمة بن قيس ، وغيرهم .

وعنه إسماعيل بن أبي خالد ، وإسماعيل السدي ، وحصين بن عبد الرحمن ، وزبيد اليمامي ، وأبو السعد سعيد بن محمد ، والصباح بن محمد ، وطلحة بن مصرف ، والشعبي ، وعطاء بن السائب ، وعمرو بن مرة ، وفرقد السنجي ، وموسى بن أبي عائشة ، وغيرهم .

قال إسحاق بن منصور : عن ابن معين ثقة ، وقال سكن بن محمد العابد ، عن الحارث الغنوى : سجد مرة الهمرانى حتى أكل التراب وجهه .

وقال ابن سعد : توفى زمن الحجاج بعد الجماجم ، وكذا قال أبو حاتم فى تاريخ وفاته . وقال غيره : توفى سنة ست وسبعين ، وهو قول ابن حبان فى (الثقات) ، وكان يصلى كل يوم ستمائة ركعة .

وقال العجلي : تابعي ثقة ، وكان يصلي في اليوم والليلة خمسمائة ركعة .

وقال ابن أبي حاتم عن أبيه : لم يدرك عمر . وقال هو وأبو زرعة : روايته عن عمر مرسلة ، وقال أبو بكر البزار : روايته عن ابي بكر مرسلة ، ولم يدركه . وقال ابن منك فى (تاريخه) : أدرك النبي ﷺ ولم يدركه (تهذيب التهذيب) : ١٠ / ٨٠ ، ترجمة رقم (١٥٩) .

(٣) الطلاق : ٢ - ٣ .

(٤) الطلاق : ٣

(٥) الطلاق : ٤

(٦) الأحزاب : ٧٠ - ٧٢

يا نبي الله ، ما عند الله ، فليت شعرى عني منقلباً ، فقال : إلى الله بسدرة المنتهى ثم الى جنة المأوى ، والعرض الأعلى ، والكأس الأوفى ، فى الرفيق الأعلى ، والحظ والعيش المهني .

فقال - رضي الله تبارك وتعالى عنه - يانبي الله من يلى غسلك ؟ قال رجال من أهل بيتى [الأدنى فالأدنى] [١] فقال ففيم نكفنك ؟ قال : في ثيابي [هذه إن][١] شئتم أوحلة يمانية أو في ثياب مصر .

قال - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فكيف الصلاة عليك ؟ فبكى وبكى الناس ، فقال : مهلاً غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيراً إذا أنتم غسلتموني وكفنتموني فضعونى على سريري هذا في بيتي هذا على شفة [٢] شفير قبري ، ثم اخرجوا عني ساعة فإن أولى من يصلي عليّ الله تعالى ﴿ هو الذي يصلي عليكم وملائكته ﴾ ثم يأذن للملائكة في الصلاة على فأول من يدخل عليّ من خلق الله تعالى ويصلي علي جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ، ثم الملائكة بأجمعها ، ثم أنتم فادخلوا عليّ أفواجاً ، وزمرة ، وسلموا تسليماً ولا تؤذوني بتزكية ، ولا صيحه ، ولا رنة ، وليبتديء بالصلاة عليّ رجال[٣] أهل بيتي ثم النساء ثم الصبيان .

قال - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فمن يدخلك قبرك ؟ قال إن من أهل بيتي الأدنى فالأدنى ، مع ملائكة كثير لا ترونهم وهم يرونكم ، قوموا فأدوا عليّ إلى من بعدى ، فقلت : من حدثك هذا ؟ فقال : عبد الله بن مسعود رضي الله تبارك وتعالى عنه - وإنما ذكرت هذا الحديث من طريق سيف لأن لأن سياقته أتم من سياقة الجماعة .

واحتج من ذهب إلي أنه نص علي استخلاف أبى بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - بعده على الأمة نصاً جلياً بوجوه : قال أبو محمد بن حزم منها : إطباق الأمة المهاجرون والأنصار على أن سموه خليفة رسول الله

---

(١) زيادة للسياق من (ابن سعد) : ٢ / ٢٥٧.

(٢) زيادة للسياق .

(٣) ما بين الحاصرتين سياقه مضطرب في (خ) واستدركناه من (ابن سعد) .

معنى الخليفة فى اللغة الذى يستخلفه المرء ، ومحال أن يبعثوا بذلك الاستخلاف على الصلاة لوجهين ضروررين :

أحدهما : أنه لم يستحق هذا الاسم فى حياة رسول الله ﷺ وقد كان استخلفه على الصلاة .

والثانى : أن كل من استخلفه رسول الله ﷺ فى حياته كعلي بن أبى طالب ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ في في غزوة الخندق ، وكعثمان بن عفان ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ أو غيره في غزوة الرقاع ، وغيرهم ممن استخلفه ﷺعلى المدينة فى غزواته ، كعتاب بن أسيد ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ وسائر من استخلف على البلاد لم يستحق أحد منهم بلا خلاف من أحد من الأمة أن يسمى خليفة رسول الله ﷺ لصح بالضرورة التي لا يحيد عنها ، إطلاقه بعده على الأمة الممتنع أن يجمعوا على ذلك وهو ﷺ لم يستخلفه نصا ، ولو لم يكن ها هنا إلا استخلافه إياه على الصلاة ماكان أبو بكر ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ أولى بهذه التسمية من سائر من ذكرنا.

قال أبو محمد : وهذا برهان ضروري يعارض به جميع الخصوم ، وأيضا فإن الرواية قد أصبحت بأن امراة قالت لرسول الله ﷺ : يارسول الله ! أرأيت إن رجعت ولم أجدك ـ كأنما تريد الموت ـ قال : فأتي أبا بكر.

قال المؤلف : أبو محمد بن حزم يسير إلى ماخرجه البخاري ومسلم فى صحيحيهما ، من حديث إبراهيم بن سعد قال : أخبرنى أبى عن محمد بن جبير ابن مطعم عن أبيه ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ قال : أتت النبى امرأة فكلمته في شئ ، فأمرها أن ترجع إليه ، فقالت : يا رسول الله ! أرأيت إن جئت فلم أجدك ـ كأنها تريد الموت ـ وقال مسلم أي كأنها تعنى الموت قال ﷺ إن لم تجديني فأتي أبا بكر.

ذكره البخاري فى كتاب الأحكام [1] وذكره مسلم فى المناقب[2]

---

(١) (فتح الباري) : ١٣ / ٢٥٥ كتاب الأحكام ، باب (٥١) الاستخلاف حديث رقم (٧٢٢٠)

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ١٥ / ١٦٣ ، كتاب فضائل الصحابة باب (١) من فضائل أبي بكر الصديق ـ رضي الله تبارك وتعالى ـ عنه حديث رقم (٢٣٨٦) .

قال أبو محمد : وهذا نص على الاستخلاف لأبي بكـر ـ رضـي الله تبارك وتعالى ـ .

وأيضا فذكر ما خرجه البخاري : حدثنا يحيي بن يحيي قال : أخبرنـا سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد قال : سمعت القاسم بن محمد قال : قـالت عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - : وارأساه ، فقال رسول الله ﷺ ذاك لو كان وأنا حي فأستغفر لك وأدعو لك .

فقالت عائشة ـ رضي الله تبارك وتعالى عنها ـ واثكلياه والله إنـي لأظنك تحب موتى ، ولو كان ذلك لظللت آخر يومك معرسا ببعض أزواجـك! فقال النبي ﷺ بل أنا وارأساه ، لقد هممت أو أردت أن أرسل إلى أبـي بكـر وابنه فأعهد أن يقول القائلون ، أو يتمني ، المتمنون ثم قلت : يأبي الله ويدفـع المؤمنون ، أو يدفع الله ويأبى المؤمنون.ذكره في كتاب المرضى[1] ، في بـاب قول المريض : إني وجع أو وارأساه أو اشتد بي الوجع .

وخرج مسلم في المناقب [2] من حديث صـالح بـن كيسـان ، عـن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة -رضي الله تبارك وتعالى عنها - : قـالت قال لي رسول الله ﷺ في مرضه : ادعى لي أبا بكر أباك ، وأخـاك ، حتـى أكتب كتاباً فإني أخاف أن يتمنى متمن ، ويقول قائل : أنا أولـى ، ويـأبى الله والمؤمنون إلاّ أبا بكر .

وخرج أبو داود الطيالسي من حديث عبد العزيز بن رافع عن ابن أبـي مليكة ، عن عائشه - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت : قال لي رسـول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه : ادعى لي عبد الرحمن بن أبي بكر أكتـب لأبى بكر كتابا لا يختلف عليه أحد بعدي ، ثم قال : دعيه ، معاذ الله أن يختلف المؤمنون في أبي بكر.

قال أبو محمد : فهذا نص في استخلافه أبا بكر - رضي الله تبـارك

---

(١) (فتح الباري) : ١٠ /١٥٢ ، حديث رقم (٥٦٦٦) .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ١٦٣/١٥ ، ١٦٤ حديث رقم (٢٣٨٧) .

وتعالى عنه ــ على ولاية الأمة بعده ولو أن يستخير من التدليس والغش ، الأمر الذي لو ظفر به خصومنا إذا طعنوا عندنا من طريق النقل ونعوذ بالله من الاحتجاج بما لا يصح ، وقد أغنى الله تعالى أمتي بالزاهدين عن الإقناع وهذا الذي ذكرنا لا يعارض بنقل موقوف على من دون النبي ﷺ كالذي روى من قول عمر ــ رضي الله تبارك وتعالى عنه ــ : ألا استخلف ، فقال لم يستخلف من هو خير مني ، فمن المحال أن يغار من إجماع جميع الصحابة رضي الله تبارك وتعالى عنهم ــ على أن أبا بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه ــ ومثله عن عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها ، مما لو صح كان له وجه من أيهما زاد عن كتاب بذلك ، أو ما أشبهه ، وفى نص القرآن الكريم دليل واضح وبرهان على وجوب الطاعة بخلافة أبى بكر وعمر وعثمان ــ رضي الله تبارك وتعالى عنهم ــ وهو أن الله تعالى قال مخاطباً لنبيه ﷺ في الأعراب : ﴿ **فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدوا** ﴾ [١] وكان نزول سورة براءة التي فيها هذا الحكم بعد غزوة تبوك بثلاث ، وهى الغزاة التي تخلف فيها الثلاثة المعتذرون الذين تاب الله عليهم في سورة براءة ، ولم يغزو ﷺ بعد تبوك إلى أن مات .

وقال تعالى في مكان آخر: ﴿ **سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل** ﴾[٢] فبين تعالى أن الأعراب لا يغزون مع رسول الله ﷺ بعد تبوك أبداً ، ثم عطف تعالى منعه إياهم من الغزو مع رسول ، فقال تعالى : ﴿ **قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فإن تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذاباً أليماً** ﴾[٣] .

---

(١) التوبة : ٨٣ .

(٢) الفتح : ١٥ .

(٣) الفتح : ١٦ .

فأخبرهم تعالى أنهم سيدعوهم غير النبي ﷺ إلى قوم يقاتلونهم أو يسلمون ، ووعدهم على طاعة من دعاهم إلى ذلك الأجر الحسن ، ووعدهم على عصيانه بالعذاب الأليم ومادعا أولئك الأعراب أحد بعد رسول الله ﷺ إلى قتال قوم يسلمون إلا أبو بكر ، ثم عمر وعثمان - رضي الله تبارك وتعالى عنهم - ، فإن هؤلاء دعوهم إلى قتال : من بدا للعرب والفرس والروم ووجوب طاعة أبي وعمر وعثمان - رضي الله تبارك وتعالى عنهم - بنصّ القرآن الذي لايحتمل تأويلاً .

وزاد : قد وجبت طاعتهم فرضاً ، فقد صحت إمامتهم وخلافتهم ، وليس هذا بموجب تقليدهم بغير ماأمر الله تعالى فيه بطاعتهم من سائر ما أفتوا فيه باجتهادهما ، إذ ليس يجب طاعة الإمام إلا فيما نصّه الله تعالي ورسوله ﷺ فقط ، لافيما لا نصّ فيه ، ولا أوجَبوهم - رضي الله تبارك وتعالى عنهم - قط طاعتهم فرضاً فى غير، ذلك فارتفع الإشكال .

وأيضاً فهذا إجماع من الأمة كلها إذ ليس أحد إلا وخالف بعض فتاويه هؤلاء الثلاثة ، فصح إجماع الأمة على ماذكرناه .

ذكر ما حفظ عنه ﷺ في مرض موته
من الأحكام والوصايا ونحو ذلك
حتى توفاه الله - تبارك وتعالى -

خرج البخاري ومسلم والنسائي من حديث يونس عن ابن شهاب الزهري قال : أخبرني عبيد الله بن عبد الله قال : إن ابن عباس وعائشة رضي الله تبارك وتعالى عنهم - قالا : لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه ، فإذا اغتم كشفها عن وجهه ، فقال وهو كذلك : لعنة الله تعالى على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، يحذر ماصنعوا . وقال مسلم والنسائي : مثل ما صنعوا .

ذكره البخاري في آخر كتاب الأنبياء [1] ، وذكره أيضاً في كتاب الصلاة [2] من حديث شعيب عن الزهري ، قال : أخبرني عبيد الله بن عبد الله قال : إن عائشة وعبد الله بن عباس رضي الله تبارك وتعالى عنهم - قالا : لما نزل .... الحديث .

وذكره في كتاب اللباس [3] في باب الأكسية والخمائص من طريق يحيي ابن بكير ، حدثنا الليث عن عقيل ، عن ابن شهاب قال :أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال : إن عائشة وابن عباس رضي الله تبارك وتعالى عنهم قالا : الحديث ..... مثله ، وذكره في آخر المغازي[4] في مرض النبي ﷺ ووفاته ، عن سعيد بن جبير عن الليث عن عقيل بهذا الإسناد مثله ، وقال في طرقه كلها : يحذر ماصنعوا .

---

(١) (فتح الباري) : ٦ / ٦١٢ ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب (٥٠) ما ذكر عن بني إسرائيل ، حديث رقم (٣٤٥٣) ، (٣٤٥٤) .

(٢) (المرجع السابق) : ١ / ٧٠٠ ، باب (٥٥) حديث رقم (٤٣٥) ، (٤٣٦)

(٣) (المرجع السابق) : ١٠ / ٣٤٠ ، باب (١٩) الأكسية والخمائص حديث رقم (٥٨١٥) ، (٥٨١٦)

(٤) (المرجع السابق) : ٨ / ١٧٧ ، باب (٨٤) مرض النبي ﷺ ووفاته ، حديث رقم (٤٤٤٣) ، (٤٤٤٤) .

وخرجه البخاري ومسلم [1] من حديث شيبان عن هلال بن أبي حميد عن عروة ، عن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها ـ قالت : قال رسول الله ﷺ فى مرضه الذى لم يقم منه : لعن الله اليهود و النصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، قالت : فلولا ذاك أبرز قبره ، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً ، ذكره فى الجنائز [2] وترجم عليه باب مايكره من اتخاذ المساجد على القبور .

وخرج فى آخر الجنائز فى باب ماجاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر ـ رضي الله تبارك وتعالى عنهما ـ من حديث أبي عوانة عن هلال ، عن عروة ، عن عائشة ـ رضي الله تبارك وتعالى عنها ـ قالت : قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه : لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد لولا ذلك أبرز ﷺ قبره ، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً .

وخرّج في المغازي [3] فى باب مرض النبي ﷺ ووفاته من حديث أبي عوانة ولفظه : لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبورهم أنبيائهم مساجد قالت عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها - لولا ذلك لأبرز قبره ﷺ خشي أن يتخذ مسجداً .

وخرج البيهقي من طريق عثمان بن سعيد الدارمي ، حدثنا القعنبي فيما قرأ على مالك ، عن إسماعيل بـ أبي حكيم أنه سمع عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله تعالى ـ يقول : كان من آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ أن قال : قاتل الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبياءهم مساجد لا يبقين دينان بأرض العرب [4] وراوه الواقدي عن مالك به نحوه .

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٥/ ١٦ ، باب (٣) النهي عن بناء المساجد على القبور ، واتخاذ الصور فيها ، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد ، حديث رقم (٢١) ، (٢٢) .

(٢)(فتح الباري) : ٣ / ٢٥٧ ، باب (٦١) ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور ، حديث رقم (١٣٣٠) ، و باب (٩٦) ماجاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضى الله تبارك و تعالى عنهما (فأقبره) أقبرت الرجل : إذا جعلت له قبراً . وقبرته : دفنته (كفاتاً) يكونون فيها أحياء ويدفنون فيه أمواتاً ، حديث رقم (١٣٩٠) .

(٣) (سبق تخريجه)

(٤) (دلائل البيقي) : ٧ / ٢٠٤

وخرج مسلم من حديث الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر - رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ قبل وفاته بثلاث يقول : لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن(١) .

وخرجه أبو داود (٢) من حديث عيسى بن يونس ، حدثنا الأعمش ، عن أبى سفيان ، عن جابر بن عبد الله ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل وفاته أو موته بثلاث ...

وخرجه من حديث سفيان بن زهير عنه الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : سمعت النبي ﷺ قبل وفاته بثلاثة أيام يقول : لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله تعالى الظن(٣) .

وخرجه من حديث عبد المجيد بن عبد العزيز عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر الأنصاري - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول : لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل (٤) .

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ١٧ / ٥١٤- ٥١٥ كتاب الجنة ونعيمها باب (١٩) الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت ، حديث رقم (٨١)- (٨٢) .

(٢) (سنن أبي داود) : ٣ /٤٨٤ -٤٨٥ ، كتاب ، الجنائز ، باب (١٧) ما يستحب من حسن الظن بالله عند الموت . حديث رقم (٣١١٣) قلت : إنما يحسن الظن من حسن عمله ، فكأنه قال : أحسنوا أعمالكم يحسن ظنكم بالله ، فإن من ساء عمله ساء ظنه ، وقد يكون أيضا حسن الظن بالله من ناحية الرجاء ، وتأميل العفو والله جواد كريم لا يؤاخذنا بسوء أفعالنا ولا وكلنا إلى حسن أعمالنا برحمته . (معالم السن) .

(٣) (مسلم بشرح النووي) : ١٧/ ٢١٤ حديث رقم (٨١) .

(٤) (المرجع السابق) حديث رقم (٨٢) قوله ﷺ : " لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن بالله " وفى رواية : إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى . قال العلماء : هذا تحذير من القنوط ، وحث على الرجاء عند الخاتمة ، وقد سبق الحديث الآخر قوله سبحانه وتعالى : " أنا عند ظن عبدي بي " قال العلماء : معنى =

وخرجه أبو بكر بن أبي شيبة من حديث ابن أبي ليلى عن أبى الزبير عن جابر رضى الله تبارك وتعالى عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : من استطاع منكم ألا يموت إلا وهو يحسن بالله تعالى الظن فليفعل ، ثم تلا هذه الآية: ﴿ وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين ﴾.(١)

وخرج البيهقي من طريق عيسى بن يونس ، عن سليمان التيمي ، ومن حديث محمد بن إسحاق الصغانى حدثنا زهير بن حرب ، ومن حديث أبي خثيمة ، حدثنا جرير عن سليمان التيمي ، عن قتادة ، عن أنس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : كانت عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضره الموت : الصلاة ، وما ملكت أيمانكم ، حتى جعل يغرغر بها فى صدره وما يفيض بها لسانه (٢).

وخرجه الحاكم من حديث سليمان التيمي عن أنس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - من حديث أبي عوانة عن قتادة ، عن شعبة مولى أم سلمة ، عن أم سلمة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت : كانت عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضرته الوفاة :

الصلاة وما ملكت أيمانكم ، حتي يلجلجها فى صدره وما يفيض بها لسانه (٣) كذا قال .

= حسن الظن بالله تعالى أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه ، قالوا : وفي حالة الصحة يكون خائفاً راجياً ويكونان سواء ، وقيل : يكون الخوف أرجح فإذا دنت أمارات الموت غلب الرجاء أو محضه لأن مقصود الخوف الانكفاف عن المعاصي والقبائح ، والحرص على الإكثار من الطاعات والأعمال ، وقد تعذر ذلك أو معظمه في هذه الحال ، فاستحب إحسان الظن المتضمن للافتقار إلى الله تعالى والاذعان له ، يؤيده الحديث المذكور بعده : يبعث كل عبد على مامات عليه ، ولهذا أعقبه مسلم للحديث الأول : قال العلماء : معناه يبعث على الحالة التى مات عليها ، ومثله الحديث الآخر بعده ثم بعثوا على نياتهم .

(١) فصلت : ٢٣ .

(٢)(دلائل البيهقي) : ٧ / ٢٠٥ .

(٣) (سنن ابن ماجة) : ٢ / ٩٠٠ - ٩٠١ ، كتاب الوصايا ، باب (٢) هل أوصى رسول الله ﷺ ؟ حديث رقم (٢٦٩٧) ، وإسناده صحيح وأخرجه أيضاً الإمام أحمد فى (المسند) : ٣ / ٥٦٤ . حديث رقم (١١٧٥٩) ، من مسند أنس بن مالك - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ٧ / ٤٤٥ ، حديث رقم (٢٦١٤٤) من حديث أم سلمة زوج النبي ﷺ .

ومن حديث عفان ، حدثنا قتادة عن أبي الخليل ، عن سفينة مولى أبي سلمة ، عن أم سلمة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت : كان رسول الله ﷺ يقول في مرضه : الله ، الله ، الصلاة وماملكت أيمانكم ، قالت : فجعل يتكلم بها ، ما يفيض [1]. قال البيهقي : هذا هو الصحيح .

وخرج البخاري من حديث عفان ، عن صخر بن جويرية ، عن عبد الرحمن ابن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت : دخل عبد الرحمن بن أبي بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - على النبي ﷺ وأنا مسندته إلى صدري ومع عبد الرحمن - رضي الله تبارك وتعالى عنه - سواك رطب يستن به فأبداه رسول الله ﷺ بصره ، فأخذت السواك فقضمته ونفضته وطيبته ، ثم دفعته إلي النبى ﷺ فاستن به ، فما رأيت النبى ﷺ استن استناناً قط أحسن منه فما عدا أن فرغ رسول الله ﷺ رفع يده أو إصبعه ثم قال : فى الرفيق الأعلى . ثلاثا. ثم قُبض . وكانت تقول : مات ﷺ بين حاقنتي وذاقنتي [2]

وخرج من طريق الليث قال : حدثني ابن الهاد ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت : مات النبي ﷺ وإنه لبين حاقنتى وذاقنتي فلا أكره شدة الموت لأحدٍ أبداً بعد النبي ﷺ [3] .

ذكره فى باب مرض النبي ﷺ فإنه ذكر فيه من حديث عيسى بن يونس عن عمر بن سعيد قال : أخبرنى ابن أبي مليكة قال : إن ابن عمر ذكر أن مولى عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - أخبره أن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - كانت تقول : إن من نعم الله تعالى أن رسول الله ﷺ توفي فى بيتي ، وفي يومي ، وبين سحري ، ونحري وإن الله جمع بين ريقي وريقة عند موته . دخل عليّ عبد الرحمن بن أبي بكر، وبيده السواك ، وأنا مسندة رسول

(١) (دلائل البيهقي) : ٧ / ٢٠٥

(٢) (المرجع السابق) : حديث رقم (٤٤٤٦)

(٣) (المرجع السابق) : حديث رقم (٤٤٤٩)

الله ﷺ فرأيته ينظر اليه ، وعرفت أنه يحب السواك ، فقلت : آخذه لك ؟ فأشار برأسه : أن نعم ، فتناولته فاشتد عليه ، وقلت : ألينه لك ؟ فأشار برأسه : أن نعم ، فلينته ، فأمره وبين يديه ركوة - أو علبة يشك عمر - فيها ماء ، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول : لا إله إلا الله ، إن للموت سكرات . ثم نصب يده فجعل يقول : في الرفيق الأعلى ، حتى قبض ومالت يده (١)

وخرجه من حديث سليمان بن بلال ، قال هشام بن عروة : أخبرني أبي عن عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها ــ قالت : إن النبي ﷺ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه يقول : أين أنا غداً ؟ أين أنا غداً ؟ يريد يوم عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها ــ ، فأذن له أزوجه يكون حيث شاء ، فكان ﷺفي بيت عائشه ــ رضي الله تبارك وتعالى عنها : فمات في اليوم الذي يدور فيه في بيتي ، فقبضه الله تعالى ، وإن رأسه لبين نحري وسحري ، وخالط ريقه ريقي ثم قالت : دخل عبد الرحمن بن أبي بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنهما ــ ومعه سواك يستن به ، فنظر إليه رسول الله ﷺ فقلت أعطني هذا السواك يا عبد الرحمن فاعطانيه فقضمته ثم مضغته ، فأعطيته رسول الله ﷺ فاستن به ، وهو مستند إلى صدري(٢)

وذكره أيضاً في كتاب الجمعة (٣) بهذا الاسناد مختصراً ، وأوله ك دخل عبد الرحمن بن أبي بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنهما ــ... إلى آخره ترجم عليه باب من تسوك بسواك غيره.

وخرج مسلم من طريق أبي أسامه ، عن هشام عن أبيه ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها ــ قالت : إن كان رسول الله ﷺ ليتفقد يقول أين أنا اليوم ؟ أين انا غداً ؟ استبطاءً ليوم عائشة - رضي الله تبارك وتعالى

---

(١) (المرجع السابق) : حديث رقم (٤٤٤٩).

(٢) (المرجع السابق) : ١٨٢ ، حديث رقم (٤٤٥٠).

(٣) (المرجع السابق) : ٢ /٤٧٨ - ٤٧٩ ، باب (٩) من تسوك بسواك غيره ، حديث رقم (٨٩٠).

عنها ـ قالت : فلما كان يومي قبضه الله بين سحري ونحري .[1] ذكـــره في مناقب عائشة ـ رضي الله تبارك وتعالى عنها ـ .

وخرَّج البخاري من حديث حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة ـ رضى الله تبارك وتعالى عنها ـ قالت : توفي رسول الله ﷺ في بيتي ، وفي يومي وبين سحري ونحري ، وكانت إحدانا تعوذه بدعاء إذا مرض ، فذهبت أعوّذه فرفع رأسه إلى السماء وقال : فى الرفيق الأعلى . ومر عبد الرحمن بن أبي بكر وفي يده جريدة رطبة . فنظر إليه ﷺ فظننت أن له بها حاجة ، فأخذتها فمضغت رأسها ونفضتها فدفعتها إليه ، فاستن بها كأحسن ما كان مستناً ، ثم ناولنيها - فسقطت يده - أوسقطت من يده - فجمع الله تعالى بين ريقي وريقه فى آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة . ذكره فى باب مرض النبي ﷺ ووفاته [2].

وخرج فى كتاب فرض الخمس[3] فى باب ماجاء فى بيوت أزواج النبي ﷺ وما ينسب من البيوت إليهن ، من حديث نافع قال : سمعت ابن أبي مليكة قال : قالت عائشة ـ رضي الله تبارك وتعالى عنها ـ تُوفّي النبي ﷺ في بيتي وفي نوبتى ، وبين سحري ونحري ، وجمع الله بين ريقي وريقه . قالت : دخل عبد الرحمن ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ بسواك فضعف النبي ﷺ عنه فأخذته فمضغته ثم سننته به .

قال سيف عن محمد بن إسحاق عن أصحابه قالوا : قالت عائشة ـ رضي الله تبارك وتعالى عنها ـ : لما تفرق عن النبي ﷺ أهله لما رأوه من أفعال حاله وهيئته اضطجع في حجري فاستند به إليّ ودخل رجل من آل أبي بكر ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ وفي يده سواك اخْضَرَّت ، قالت : فنظر إليه رسول الله ﷺ فقلت : أتعجبك ؟ أو تحب يارسول الله أن تستن بهذا السواك ؟ قال :

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ١٥ / ٢١٦ ، كتاب فضائل الصحابة باب (١٣) فضل عائشة أم المؤمنين رضي الله تبارك وتعالى عنها ، حديث رقم (٨٤)

(٢) (فتح الباري) : ٨ / ١٨٢ ، حديث رقم (٤٤٥١)

(٣) (المرجع السابق) : ٦ / ٢٥٨ ، باب (٤) ماجاء في بيوت أزواج النبي ﷺ وما نسب من البيوت إليهن حديث رقم (٣١٠٠)

نعم فأخذته من الذي كان معه وسرحته إلى أبي فمضغته ، ثم أعطيته إياه فاستن به .قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول ماقبض الله تعالى نبيا قط يخبر مع الذى كان أمره .

قالت : فوجدت رسول الله ﷺ يتفل فى حجري وعلى صدري وسقط السواك من يده ، وسمعته يقول : بل الرفيق الأعلى من الجنة ، فعلمت أنه كان يحدثنا ، وأن الله تعالى فضله بإعادة الخيار عليه ، قالت : فذهبت أنظر فى وجهه فإذا قد علاه صفار ، وإذا بصره شاخص ، وقبضه الله عز وجل إليه ، وتصالح أهل البيت .

وخرج البخاريّ من حديث عيسى بن يونس ، عن عمر بن سعيد قال : أخبرني ابن أبي مليكة أن أبا عمرو ذكوان مولى عائشة ـ رضي الله تبارك وتعالى عنها ـ أخبره أن عائشة ـ رضي الله تبارك وتعالى عنها ـ كانت تقول : إن رسول الله ﷺ كان بين يديه ركوة أو علبة فيها ماء - يشك عمر - فجعل يدخل يده فى الماء فيمسح بها وجهه ويقول : لا إله إلا الله ، إن للموت سكرات . ثم نصب يده فجعل يقول : فى الرفيق الأعلى حتي قبض ومالت يده ﷺ . ذكره فى الرقاق [1] في باب سكرات الموت .

خرج البيهقي من طريق عبد الله بن الحكم وشعيب بن الليث ، عن الليث عن يزيد بن الهاد عن موسي بن سرجس ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة ـ رضي الله تبارك وتعالى عنها ـ قالت : رأيت رسول الله ﷺ يموت وعنده قدح فيه ماء يدخل يده فى القدح ثم يمسح وجهه بالماء ، ثم يقول : اللهم أعنّي على سكرة الموت [2] .

---

(١) (فتح الباري) : ١١ / ١٧٩ ، كتاب الدعوات ، باب (٢٩) دعاء النبي ﷺ اللهم الرفيق الأعلى حديث رقم (٦٣٤٨) .

(٢) (دلائل البيهقى) : ٧ / ٢٠٧

(٣)(فتح الباري) : ١١ /٤٣٥ حديث رقم (٦٥٠٩)

(٤) (مسلم بشرح النووي) : ٢١٧/١٥ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب (١٣) فضائل عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، حديث رثم (٨٦) .

وخرج البخاري في كتاب المغازي [1] وخرج مسلم في مناقب عائشة [2] رضي الله تبارك وتعالى عنها ـ من حديث الليث ، عن عقيل بن خالد قال : قال ابن شهاب : أخبرني سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير في رجال من أهل العلم قال : أن عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها ـ زوج النبي ﷺ قالت : كان رسول الله ﷺ يقول وهو صحيح : لن يقبض نبي قط حتى يرى مقعدة من الجنة ، ثم يحيا - أو يخير - فلما أشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذي ـ غشي عليه ساعة ـ ثم أفاق فأشخص بصره إلى السقف ، ثم قال : اللهم الرفيق الأعلى ، قالت عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها -: قلت : إذا لا يختارنا قالت عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - : فكانت تلك آخر كلمة تكلم به رسول الله ﷺ قوله : اللهم الرفيق ﷺ .

وخرجه البخاري في كتاب الرقاق [3] في باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، به مثله ، وخرجه أيضا في آخر كتاب المغازى في باب آخر ما تكلم به النبي ﷺ .

وخرج في باب مرض النبي ﷺ ووفاته ، من حديث شعيب عن الزهري قال : أخبرني عروة بن الزبير أن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها ـ قالت : كان رسول الله ﷺ وهو صحيح يقول : إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعدة من الجنة ثم يحيا - أو يخير - فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه ﷺ على فخذ عائشة -رضي الله تبارك وتعالى عنها - غشي عليه ، فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال : اللهم في الرفيق الأعلى . فقلت إذا لا يخترنا فعرفت أنه حديثه الذي كان يحدثنا وهو صحيح .

---

(١) (المرجع السابق) : ٨ / ١٧٢ حديث رقم (٤٤٣٧) .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ١٥ / ٢١٧ ، حديث رقم (٨٧) .

(٣) (فتح الباري) : ٨ / ٣٢٣ كتاب التفسير ، باب (١٣) (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين) حديث رقم (٤٥٨٦) .

وخرج البخاري في باب مرض النبي ﷺ ووفاته ، وخرج مسلم في مناقب عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - من حديث شعبة عن سعد بن ابراهيم ، عن عروة ، عن عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت : كنت أسمع أنه لن يموت نبي حتى يخير بين الدنيا والآخرة ، قالت : فسمعت النبي ﷺ في مرضه الذي مات فيه وأخذته بُحَّةٌ يقول : مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً قال : فظننته ﷺ خير حينئذ . اللفظ لمسلم .

وفي لفظ البخاري عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت :لما مرض رسول الله ﷺ مرضه الذي مات فيه جعل يقول : في الرفيق الأعلى .

وخرج في كتاب التفسير [1]من حديث إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن عروة ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - .

قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول ما من نبي يمرض إلا خُيرً بين الدنيا والآخرة وكان في شكواه الذي قبض فيه أخذته بُحَّةٌ شديدة ، فسمعته يقول : مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، فعلمتُ أنه خُيِّر.

وخرج النسائي [2] من حديث سفيان عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي بردة عن عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها قالت : أُغمى على النبي ﷺ وهو في حجري فجعلت أمسح وجهه أدعو له بالشفاء فقال : لا بل أسأل الله الرفيق الأعلى الأسعد ، مع جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، عليهم الصلاة والسلام .

وخرج البخاري في باب مرض النبي ﷺ [3] ووفاته من حديث عبد الله بن المختار ، حدثنا هشام بن عروة عن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن عائشة - رضى الله تبارك وتعالى عنها - ، أخبرته أنها سمعت رسول الله ﷺ وأصغت

---

(١) (فتح الباري) : ٨ / ١٧٤ - ١٧٥ ، حديث رقم (٤٤٤٠)

(٢) (سبق تخريجه)

(٣) (سبق تخريجه)

إليه قبل أن يموت وهو مسند إلي ظهره يقول : اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى .

وخرجه مسلم في مناقب عائشة -رضي الله تبارك وتعالى عنها- من حديث مالك بن أنس ، عن هشام بن عروة ، عن عباد بن عبد الله ، عن عائشة -رضى الله تبارك وتعالى عنها- بنحوه . قال الواقدي في (مغازية) حدثني الحكم بن القاسم ، عن أبى الحويرث قال: إن رسول الله ﷺ لم يشتك شكوى إلا سأل الله تعالى العافية ، حتى كان مرضه الذي مات فيه فإنه لم يكن يدعو بالشفاء ، ويقول: يا نفس مالك تلوذين كل ملاذ ، قال : وأتاه جبريل ، -عليه السلام- في مرضه ويقول: إن ربك يقرئك السلام ورحمة الله ، يقول: إن شئت شفيتك وكفيتك ، وإن شئت توفيتك وغفرت لك . قال ﷺ : ذلك إلى ربي يصنع بي ما يشاء ، وكان لما نزل به ، دعا بقدح من ماء فجعل يمسح به وجهه ويقول : اللهم أعني على كرب الموت . أدن مني يا جبريل ، أدن مني يا جبريل . هذا إسناد منقطع [1] .

وقال سيف : عن أبي القاسم عن العلاء بن زياد ، عن عبد الله بن عمر -رضي الله وتبارك وتعالى عنه - قال: إن خروج النبي ﷺ يومئذ إنما كان بشارة إليه من السماء بقتل العنسي الكذاب ، فقال : قد قتل العنسي البارحة قد قتله رجل مبارك من بيت مبارك.

وقال: عن سعيد بن عبد الجمحي عن أبي سعيد الخدري -رضي الله تبارك وتعالى عنه- قال : لما دخل النبي ﷺ يومئذ والناس مسرورون قد ملئوا البيت والحجرة وما بينهما من المسجد ، فقال : ناد يا علي وارفع صوتك : من الله [لا مني]: ألا لا تدعين أحداً إلى غير أبيه ، ولا مولى إلى غير مواليه ، ولا تظلمن أحداً لأحد ، فمن فعل ذلك لعنه الله ، ولم يقبل منه صرفاً ولا عدلاً ومن الله تعالى حصنهم المانع مع غير مكروه ، والظالم المرأة مهرها ، والظالم الأجير أجره ، وقد أداه عمله ، وتفرق الناس عنه ، فما انتصف النهار حتى قبضه الله تعالى .

---

[1] (دلائل البيهقى) : ٢١٠/٧

قال : عن عبدالله بن سعيد ، عن أبي سعيد ، عن أبي هريرة ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ قال : يومئذ يابني عبد مناف ، ألا إني لا أغني عنكم من الله شيئا يا فاطمة بنت محمد ، ويا صفية بنت عمة رسول الله ألاإني لا أغني عنكم من الله شيئاً يا فاطمة بنت محمد ، ويا صفية بنت عمة رسول الله ، ألا إني لا أغني عنكم من الله شيئاً فاعملا لما عنده ، وأطيعا أمره ولا تتكلا .

وقال : عن محمد بن إسحاق ، عن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، عن عائشة ـ رضي الله تبارك وتعالى عنها ـ قالت : قال رسول الله ﷺ : إن ملك الموت خيرني ماعند ربي عز وجل فاخترت ذلك إلى مجيئ الملك ، يعني جبريل عليه السلام .

قال : عن سعيد بن عبد الله ، عن عبد الله بن أبي مليكة عن عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها. قالت : كان جبريل عليه الصلاة والسلام يأتي النبي ﷺ فى وجعه فى كل يوم فيسلم عليه ويقول : إن الله يقرأ عليك السلام ويقول : كيف تجدك يامحمد ؟ وهو أعلم بالذي تجد منك ، ولكنه أراد أن يزيدك كرامة وشرفاً وأن يتم كرامتك وشرفك علي الخلق ، وأن يكون سنة في أمتك فيجد به بقدر الذي يجد من شدة أو رخاء ، فإذا قال : أخذني بي شاكياً قال جبريل ـ عليه السلام ـ يامحمد إن الله عزَّ وجلَّ لم يشدد عليك أن يكون أحد من خلقه هو أكرم عليه منك ولكنه أحب أن تدعوه وتضرع إليه ، ولا تكف عن ذلك حتي تلقاه للذي أعد لك فى ذلك من الثواب والفضيلة على الخلق ، وإذا قال : الحمد لله وأشكره قال: ربك يحب أن يُحمد ويُشكر ليزيدك على ما أعطاك .

وقال : عن سعيد بن عبد الله ، عن عبد الله بن عبيد الله بن عمر ، عن أبيه ، عن عائشة ـ رضي الله تبارك وتعالى عنها ـ قالت : حتى إذا كان اليوم الذي مات فيه صلوات الله عليه ، رأوا منه فى أول النهار خفة فتفرق عنه الرجال إلى منازلهم وحوائجهم مستبشرين ، وأخلوا رسول الله ﷺ بالنساء ، فبينا نحن على ذلك لم يكن على مثال جالساً فى الرخاء والفرح قبل ذلك .

قال رسول الله ﷺ : أخرجي عني - يعني هؤلاء - فهذا الملك يستأذن عليّ فخرج من البيت غيري ، ورأسه في حجري ، فجلس رسول الله ﷺ وتنحيت في ناحية البيت ، فناجي الملك طويلاً ، ثم إنه دعاني ورأسه في حجري ، وقال للنسوة : ادخلن ، فقلن : ماهذا بحسّ جبريل ، فقال رسول ﷺ أجل ياعائشة هذا ملك الموت جاءني ، فقال : إن الله عزّ وجلّ أرسلني إليك ، وأمرني أن لا أدخل عليك إلا بإذن ، فإن لم تأذن لي لم أدخل عليك ، وإن أذنت لي دخلت ، وأمرني أن لا أقبضك حتي تأمرني ، فمرني أمرك ، فقلت : اكفف حتي يأتيني جبريل ، فهذه ساعة جبريل ، واستقبلنا بأمر لم يكن عندنا جواب ولا رأي وجوهنا ، وكأني ضربنا بصاخة مايخسر إليه شيئاً، ومايتكلم أحد من أهل البيت إعظاماً لذلك الأمر وهيبته وقد ملأت جواً .

قال سيف : عن سعيد بن عبد الله بن أبي مليكة ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت : وجاء جبريل - عليه الصلاة والسلام - في ساعته فسلم فعرفنا حسَّه ، وخرج أهل البيت ودخل ، فقال : إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام يامحمد ويقول : كيف تجدك ؟ وهو أعلم بالذي تجد منك ، ولكن أراد أن يزيدك كرامة وشرفاً على الخلق ، وأن يكون سنة فى أمتك فقال ﷺ : أجدني راجعاً فقال : أبشر فإن الله عزّ وجلّ أراد أن يبلغك ماأعدّ لك ، فقال ﷺ : ياجبريل إن ملك الموت استأذن عليّ وأخبره الخبر ، فقال جبريل - عليه السلام - : إن ربك متمّ شرفك ، وهو إليك مشتاق ، قال : فلا تبرح إذاً حتي يجئ وأذن للنساء ، فقال : أدن يافاطمة ، فأكبّتْ عليه ، فناجاها ، فرفعت رأسها وعيناها تذرفان وما تطيق الكلام ، ثم قال : أدن مني رأسك ، فأكبتْ عليه ، فناجاها ، فرفعت رأسها وهي تضحك ، وما تطيق الكلام ، وكان الذي رأينا منها عجباً ، فسألناها بعد ذلك فقالت : أخبرني أنه قال : إني ميت ، فبكيت ثم قال : إني دعوت الله أن يلحقك بي فى أول أهلي ، وأن يجعلك معي فأضحكني ذلك .

قال : جاء ملك الموت فسلم واستأذن فأذن له ، قال ملك الموت أفتأمرنا يا محمد ؟ فقال : ألحقني بربي الآن ، فقال : بل من يومك هذا ، أما إن ربك

إليك مشتاق ، ولكن ساعتك أمامك .

قالت : وخرج جبريل - عليه السلام - وقال : يارسول الله ، هذا آخر ماأنزل فيه إلي الأرض أبداً ، طُوي الوحي ، وُطويت الدنيا ، وماكانت لي في الأرض حاجة غيرك ، ومالي فيها حاجة إلا حضورك ، ثم لزومي موقفي ، ولا والذي بعث محمداً بالحق ، مافي البيت أحد أن يستطع أن يخير إليه في ذلك كله ، ولا يبعث إلي أحد من رجاله لعظم ماسمع من حديثه .

وقال سيف : عن سليمان بن أبي المغيرة ، عن فاطمة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - مثل حديث سعيد ، عن عبيد بن عمير ، عن عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها - إلا أن في آخره : فاخترت لقاء الله عز وجل وما عند الله وإني سألت الله عز وجل أن يجعلك معي . يافاطمة بنت رسول الله ، وياصفية عمة رسول الله ، اعملا لما عند الله فإني لا أغني عنكما من الله شيئا ، مثلا ضربه ليعبد ربه ، وإنما أراد من ذلك من يخاف عدته .

وروي الواقدي في (المغازي) عن محمد بن عمر ، عن أسامه بن زيد ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله تبارك وتعالى عنهما - قال جبريل - عليه السلام - : لمفاتيح خزائن الأرض فقال : يامحمد هذه مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة أحبّ إليك أم لقاء ربك ثم الجنة ؟ فقال رسول الله ﷺ : لقاء ربي ثم الجنة ، وكان مع جبريل عليه الصلاة والسلام ملك الموت ، فقبض نفسه ، وأشخص رسول الله ﷺ وجهه إلي سقف البيت وهو يقول : مع الرفيق الأعلي ، وقبض ﷺ .

قال سيف : عن أبي المهلب ، عن بشر عن القاسم عن أبي أمامة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : وكان جبريل عليه السلام يأتيه بالليل والنهار فيقول : إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول : كيف تجدك ؟ ثم يوصيه بالجار ، وبالسواك ، فقال رسول الله ﷺ :ماجاءني قط صاحبي إلا وهو يوصيني بالجار ، حتى ظننت أنه سيورثه ، وبالسواك حتي ظننت أنه سيفرضه حتي إذا كان الثاني عشر من ربيع الأول ، اشتد وجعه من الليل ، فأصبح وقد أفاق .

وخرج البيهقي من طريق سيار بن حاتم حدثنا عبد الواحد بن سليمان الحارثي قال : حدثنا الحسن بن علي ، عن محمد بن علي قال : لما كان قبل وفاة رسول الله ﷺ بثلاث ، هبط إليه جبريل عليه السلام فقال : إن الله تعالى أرسلني إليك إكراما لك وتفضيلا ، وخاصة لك ، يسألك عما هو أعلم به منك يقول : كيف تجدك ؟ قال : أجدني يا جبريل مغموما ، وأجدني يا جبريل مكروبا : فلما كان يوم الثاني ، هبط جبريل عليه السلام فقال له مثل ذلك.

فقال النبي ﷺ أجدني يا جبريل مغموما ، وأجدني يا جبريل مكروبا ، فلما كان اليوم الثالث ، هبط جبريل –عليه السلام–ومعه ملك الموت ومعهما ملك الهواء يقال له إسماعيل ، على سبعين ألف ملك ، كل ملك منهم على سبعين ألف ملك.

قال : فسبقهم جبريل –عليه السلام– فقال : يا أحمد إن الله تعالى أرسلني إليك إكراما لك وتفضيلا وخاصة لك ، يسألك عما هو أعلم به منك يقول كيف تجدك؟ قال أجدني يا جبريل مغموما ، وأجدني يا جبريل مكروبا قال : واستأذن ملك الموت على الباب فقال له جبريل -عليه السلام- يا أحمد هذا ملك الموت يستأذن عليك ولم يستأذن على آدمي من قبلك ولا يستأذن على آدمي بعدك.

فقال ﷺ أئذن له يا جبريل . فقال : عليك السلام يا أحمد ، إن الله تعالى أرسلني إليك وأمرني أن أطيعك فيما أمرتني ، إن أمرتني أن أقبض نفسك ، قبضتها ، وإن أمرتني أن أتركها تركتها ، قال ﷺ : وتفعل ذلك يا ملك الموت؟ قال: نعم ! قال : بذلك أمرت . قال جبريل -عليه السلام- :يا أحمد إن الله تعالى قد اشتاق إلى لقائك ، قال ﷺ : يا ملك الموت أمض لما أمرت به ، قال فأتاهم آت يسمعون حسه ، ولا يرون شخصه ، فقال : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ، إن في الله تعالى خلفا من كل هالك ، وعزاء من كل مصيبة ، ودركا من كل فائت ، فبالله فثقوا ، وإياه فأجروا ، فإن المصاب من حرم الثواب .

قال البيهقي : قوله : إن الله قد اشتاق إلى لقائك ، إن صح إسناد هذا الحديث . فإنما معناه قد أراد زيادة في قربك وكرامتك.

وخرج من حديث يونس بن بكير عن المبارك بن فضالة ، عن الحسن . قال : إن رسول الله ﷺ قال لفاطمة رضي الله تبارك وتعالى عنها - : يا بنية والله لقد حضر أباك ما ليس الله بتارك منه أحداً من الناس لموافاة يوم القيامة.

ومن طريق آدم بن أبى إياس ، حدثنا المبارك بن فضالة ، عن ثابت ، عن أنس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : لما قالت فاطمة عليها السلام : واكرباه ! قال لها رسول الله ﷺ : إنه قد حضر من أبيك ما ليس بتارك كمنه أحدا لموافاة يوم القيامة [1] .

وخرج البخاري من حديث سليمان بن حرب ، حدثنا حماد ، عن ثابت ، عن أنس قال : لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه ، فقالت فاطمة عليها السلام : واكرب أباه ، فقال لها : ليس على أبيك كرب بعد اليوم ، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه ، فلما دفن قالت فاطمة عليها السلام : يا أنس ! أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله التراب ؟[2] .

وخرج الإمام أحمد من حديث عفان بن مسلم ، حدثنا هشام بن عروة عن أبيه ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت : قبض رسول الله ﷺ ورأسه بين سحري ونحري فلما خرجت نفسه ﷺ لم أجد ريحا قط أطيب منها [3] .

قال سيف : عن سلمه بن نبيط ، عن نعيم بن أبى هند عن شقيق ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت : قمت إلي النبي ﷺ حتى أضع رأسه بين ثديي وأمسكت بصدره فجعل يغمض عينيه حتى يغلب ، وجبته ترشح رشحا ما رأيته من إنسان قط ، فجعلت أسلت ذلك العرق ، ما رأيت ولا وجدت رائحة شيء أطيب منه ، وكنت أقول له إذا أفاق : بأبي وأمي ونفسي وأهلي ! ما تقلي جبهتك من العرق فقال ﷺ : يا عائشة إن نفس المؤمن تخرج

(١) (دلائل البيهقي) : ٧/٢١٠ - ٢١٢ .
(٢) (فتح الباري) : ١٨٨٧ ، حديث رقم (٤٤٦٢) .
(٣) (مسند أحمد) : ٧ / ١٧٥ ، حديث رقم (٣٤٣٨٤) من حديث السيدة عائشة .

بالرشح ، والكافر تخرج من شدته كنفس الحمار ، فعند ذلك ارتعنا وبعثنا إلى أهلينا ، فكان أول رجل جاءنا فلم يشهده أخي ، فبعثته إلى أبي ، فمات رسول الله ﷺ قبل أن يجيئنا.

قال : عن سليمان بن أبي المغيرة ، عن فاطمة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت : قال رسول الله ﷺ : إن الأنبياء تخرج أنفسهم بالرشح ، وجعل إذا أغمي عليه قال : بل الرفيق الأعلى ، كأن الخيرة تعاد عليه ، فإذا أفاق قال : الصلاة ، الصلاة ، إنكم لا تزالون متماسكين ما صليتم جميعاً ، الصلاة ، الصلاة ، يوصي بها حتي الموت ، فهي آخر ما سمع منه .

قال : عن سعيد بن عبد الله عن أبي مليكه ، عن أسماء بنت أبي بكر ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت : فسالت مهجة رسول الله ﷺ فرأيتها من في رسول الله ﷺ وبين الأرض وما هي متعلقة بشيء .

وقال : عن سعيد بن عبد الله ، عن أبي مليكه قال : قالت عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - : مات رسول الله ﷺ في بيتي وفي يومي ، لم أظلم فيه أحداً ومات بين سحري ونحري ، فلما رأيت النساء يبكين ويعددن ، وضعت رأس رسول الله ﷺ على الوسادة ، فرأيته يحرك يديه ورجليه فأكببت عليه وأنا أري أنها غشيه أفاق منها ، فإذا هو كأنه إذا كان يضاجعني نائماً ، وإذا تلك الحركة تمديد من الملائكة وقيام منهم عليه.

وقال يونس عن ابن إسحاق : حدثني يحيي بن عباد عن أبيه ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت : مات رسول الله ﷺ وهو بين سحري ونحري ، في بيتي ، وفي يومي ، لم أظلم فيه أحداً.فمن سفاهة رأيي ، وحداثه سني ، أن رسول الله ﷺ في حجري ، فأخذت وسادة ، فوسدتها رأسه ، ووضعته من حجري ثم قمت مع النساء أبكي وألتدم .

وخرج البيهقي [1] من طريق أبي عمران الجوني ، عن يزيد بن بابنوس ، قال إنه أتي عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - فقالت : كان رسول الله تبارك وتعالى عنها - فقالت : كان رسول الله

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٨/ ٢١٣ .

ﷺ إذا مر بحجرتي ألقى إليّ الكلمة ، يقر بها عيني ، فمر ولم يتكلم فعصبت رأسي ، ونمت على فراشي ، فمر رسول الله ﷺ فقال : مالك يا عائشة ؟ : فقلت : أشتكي رأسي ، فقال ﷺ : بل أنا وارأساه ، وأنا الذي أشتكى رأسي ، وذلك حين أخبره جبريل عليه الصلاة والسلام أنه مقبوض . فلبثت أياماً ، ثم جئ به يحمله في كساء أربعة ، فأدخل عليّ ، فقال : يا عائشة أرسلي إلي النسوة . فلما جئن قال : إني لا أستطيع أن أختلف بينكن فأذن لي فأكون في بيت عائشة ، قلن : نعم . فرأيته يحمر وجهه ، ويعرق ، فلم أكن رأيت ميتاً قط . فقال : أقعديني فأسندته إلي ، ووضعت يدي عليه ، فقبلت رأسه ، فرفعت يدي عنه ، وظننت أنه يريد أن يصيب من رأسي فوقعت من فيه نقطة باردة علي ترقوتي أو صدري ثم مال فسقط علي الفراش ، فسجيته بثوب فلم أكن رأيت ميتا قط ، فعرفت الموت بغيره ، فجاء عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - يستأذن ومعه المغيرة بن شعبة ، فأذنت لهما ، ومددت الحجاب ، فقال عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - : يا عائشة ما لنبي الله ؟ قالت : غشي عليه منذ ساعة ، فكشف عن وجهه ، فقال : واغماه إن هذا لهو الغم ، ثم غطاه ، ولم يتكلم المغيرة . فلما بلغ عمر الباب ، قال المغيرة : مات رسول الله ﷺ يا عمر.فقال عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - : كذبت ، ما مات رسول الله ﷺ ولا يموت حتى يأمر بالمنافقين ، بل أنت تجوشك فتنه ، فجاء أبو بكر رضي الله تبارك وتعالى عنه - فقال : ما لرسول الله يا عائشة ؟ قلت : غشي عليه منذ ساعة ، فكشف عن وجهه ، فوضع فمه بين عينية ، ووضع يده على صدغيه ، ثم قال : وانبياه ! واصفياه ! واخليلاه ! صدق الله ورسوله : **﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾** (١) **﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون ﴾** (٢) ثم غطاه ، وخرج إلي الناس فقال : أيها الناس : هل مع أحد منكم عهد من رسول الله ﷺ ؟ قالوا : لا . قال : من

---

(١) الزمر : ٣٠ .

(٢) الأنبياء : ٣٤ .

كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، ومن كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات. ثم قال : ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون** ﴾ وقال : ﴿ **كل نفس ذائقة الموت** ﴾ فقال عمر : أفي كتاب الله هذا يا أبا بكر ؟ قال : نعم ، قال عمر : هذا أبو بكر صاحب رسول الله ﷺ في الغار وثاني اثنين فبايعوه ، فحينئذ بايعوه [1]

وخرج البخاري من حديث الليث عن عقيل ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - أخبرته ، ان أبا بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أقبل على فرس من مسكنه بالسنح ، حتي نزل فدخل المسجد ، فلم يكلم الناس حتي دخل على عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - فتيمم رسول الله ﷺ وهو مغشي عليه ببرد حبرة ، فكشف عن وجهه ، ثم أكب عليه يقبله ثم بكي ثم قال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، والله لا يجمع الله عليك موتتين أبدا ، الموتة التي كتبت عليك فقدمتها.

قال : وحدثني أبو سلمة ، عن عبد الله بن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : إن أبا بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - خرج وعمر بن الخطاب - رضي الله تبارك وتعالى عنه - يكلم الناس فقال: اجلس يا عمر ! فإبي عمر أن يجلس ، فتشهد أبو بكر ، فأقبل الناس إليه ، وتركوا عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فقال أبو بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - : أما بعد فمن كان منكم يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان منكم يعبد الله فإن الله تبارك وتعالى حي لا يموت ، قال الله تعالى : ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل** ﴾ إلى قوله : ﴿ **الشاكرين** ﴾[2] وقال : لكأن الناس لم يعلموا أن الله تعالى أنزل هذه الآية ، حتي تلاها أبو بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فتلقاها منه الناس كلهم ، فما أسمع بشرا من الناس إلا يتلوها.

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٧/٢١٤ - ٢١٥ .

(٢) آل عمران : ١٤٤.

قال : وحدثني الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، أنه قال : أخبرني سعيد ابن المسيب ، أن عمر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها ، فعرفت ، أو قال : فعقرت حتي ما تقلني رجلاي وحتى أهويت إلى الأرض ، وعرفت حين سمعته تلاها أن رسول الله ﷺ قد مات .(١)

وخرجه مسلم من طريق معمر ويونس ، عن الزهري قال : أخبرني أبو سلمه أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته قالت : أقبل أبو بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - على فرسه من مسكنه بالسنح ، وذكره بنحو أو قريب مما تقدم ، وخرجه النسائي . (٢)

وذكر البيهقي من طريق الواقدي عن شيوخه ، قالوا : لما شكوا في موت النبي قال بعضهم : قد مات ، وقال بعضهم : لم يمت فوضعت أسماء بنت عميس - رضي الله تبارك وتعالى عنها - يدها بين كتفي رسول الله ﷺ فقالت : قد توفي الرسول ﷺ قد رفع الخاتم من بين كتفيه ، فكان هذا الذي عرف به موته .

وروي من طريق يونس عن أبي معشر ، عن محمد بن قيس عن أم سلمة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت : وضعت يدي على صدر رسول الله ﷺ يوم مات ، وهو في جمع ، آكل ، وأتوضأ ، ما يذهب ريح المسك من يدي

ومن طريق يونس (٣) عن الحجاج بن أبي ذئيب عن طلحة مولي ابن الزبير عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت : مات رسول الله ﷺ وهو خميص البطن .

---

(١) (فتح الباري) : ١٨٣/٨ ، حديث رقم (٤٤٥٢ - ٤٤٥٣) .
(٢) لعله في (الكبري) .
(٣) (دلائل البيهقي) : ٢١٩/٧ - ٢٢٠ .

ذكر ما نزل به ﷺ من شدة الوجع

خرج البخاري في كتاب المرض [1] من حديث سفيان وشعبة ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن مسروق ، عن عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها قالت : مارأيت أحداً اشتدَّ عليه الوجع من رسول الله ﷺ

وخرجه مسلم في كتاب البرّ والصلة [2] من حديث جرير ، عن الأعمش ، عن أبي وائل عن مسروق ، عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها- قالت : مارأيت رجلاً أشد عليه الوجع من رسول الله ﷺ وفى رواية مكان الوجع وجعاً.

وخرجه النسائي [3] من حديث سفيان عن سليمان عن شقيق عن مسروق عن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت : مارأيت الوجع علي أحدٍ أشد منه على رسول الله ﷺ وخرجه قاسم بن أصبغ وابن أيمن بمثله

وخرج البخاري [4] ومسلم [5] من حديث الأعمش ، عن إبراهيم التيمي عن الحارث بن سويد ، عن عبد الله بن مسعود - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : دخلت علي رسول الله ﷺ وهو يوعك ، فمسسته بيدي فقلت : يارسول الله : إنك توعك وعكاً شديداً فقال ﷺ : أجل ، إني أوعك كما يوعك رجلان منكم ، قلت : ذلك بأن لك أجرين ، قال رسول الله ﷺ : أجل ذلك كذلك ، ثم قال : مامن مسلم يصيبه أذي شوكة فما فوقها ألا كفر الله - تعالى - بها سيئاته ، كما تحط الشجرة ورقها [6] .

---

(١) (فتح الباري) : ١٠ / ١٣٦ ، باب (٢) شدة المرض حديث رقم (٥٦٤٦) .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ١٦ / ٣٦٢ -٣٦٣ ، باب (١٤) ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك ، حتي الشوكة يشاكها ، حديث رقم (٤٤)

(٣) لعله في (الكبرى)

(٤) (فتح الباري) : ١٠ / ١٣٧ ، كتاب المرض ، باب (٢) شدة المرض حديث رقم (٥٦٤٧) وباب (٢) أشد الناس بلاءً الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل ، حديث رقم (٥٦٤٨)

(٥) (مسلم بشرح النووي) : ١٦ / ٣٦٣ ، حديث رقم (٤٥) .

(٦) (طبقات ابن سعد) : ٢ / ٢٠٨ ، ذكر شدة المرض على رسول الله ﷺ

وروي ابن سعد من طريق موسي بن عبيدة الزبيدي عن زيد بن أسلم ، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : جئنا النبي ﷺ فإذا عليه صالب من الحمي ما يكاد يقربه أحدنا عليه من شدة الوجع ، فجعلنا نسبح ، فقال : ليس أحد أشد بلا من الأنبياء ، كما يشدد علينا ، كذلك يضاعف لنا الأجر.

وروي أحمد بن المقدام ، حدثنا خالد بن الحارث عن شعبة . قال : أخبرني حصين قال : سمعت أبا عبيد يحدث عن عمته فاطمة أنها قالت : أتينا رسول الله ﷺ في مرضه نعوده ، فإذا سقاء عليه من شدة ما يجد من الحمي فقلنا : يا رسول الله لو دعوت الله يكشف عنك ، فقال ﷺ : إن أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، وقالت عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - : جعل يشتكي ويتقلب على رأسه ، فقلت : لو فعل هذا بعضنا وجد عليه قال إن المؤمنين يشدد عليهم .

وقالت عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - : رأيت رسول الله ﷺ وهو يموت وعنده قدح فيه ماء ويدخل يده في القدح ثم يمسح به وجهه بالماء ثم قال : اللهم أعني على سكرات الموت (١) وعن عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - قالت : أغبط أحداً بهوان موت بعد الذي رأيت من شدة موت رسول الله ﷺ (٢) .

(١) (مسند أحمد) : ٦٥/٧ ، حديث رقم (٢٣٨٣٥) ، (٢٣٨٩٥) ، (٢٣٩٦٠) ، (٢٤٦٥٠) من حديث السيدة عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - وأخرجه أيضاً في (سنن الترمذي) : ٣٠٨/٣ ، كتاب الجنائز ، باب (٨) ما جاء في التشديد عند الموت ، حديث رقم (٩٧٨) .

(٢) (سنن الترمذي) : ٣/ ٣٠٩ كتاب الجنائز ، باب (٨) ما جاء في التشديد عند الموت حديث رقم (٩٧٩) .

ذكر إخراجه ﷺ في مرضه مالاً كان عنده وعتقه أرقاءه

خرَّج الإمام أحمد من حديث يحيي عن محمد بن عمر قال : حدثني أبو سلمه قال : قالت عائشة ـ رضي الله تبارك وتعالى عنها ـ : قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه : يا عائشة ! مافعلت بالذهب ؟ فجاءت مابين الخمسة إلى السبعة، أو الثمانية ، أو التسعة ، فجعل ﷺ يقلبها بيده ويقول : ماظن محمد بالله عزَّ وجلَّ إن لقيه الله تعالى وهذه عنده ؟ أنفقيها [1] .

ومن حديث أبي حازم عن أبي سلمة ، عن عائشة ـ رضي الله تبارك وتعالى عنها ـ قالت : أمرني رسول الله ﷺ أن أتصدق بذهب كانت عندنا في مرضه ، قالت : فأفاق ، فقال : مافعلت بالذهب ؟ قالت : لقد شغلني مارأيت منك ، قال : فهلميها ، قال : فجاءت بها إليه ، سبعة ، أو تسعة .

قال الواقدي في (مغازيه):[2] حدثني موسي بن محمد عن أبيه . عن أم سلمة . عن عائشة ـ رضي الله تبارك وتعالى عنهما ـ قالت : حُضر رسول الله ﷺ وهو في صدري فقال : مافعلت الذهبة ؟ فأتيته بها وهي تسعة دنانير ، فقال : أنفقيها ، ما ظن محمد بربه لولقي الله تعالي وهي عنده ؟

وقال محمد بن سعد : أخبرني سعيد بن منصور قال : أخبرنا يعقوب بن عبد الرحمن ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد قال : أخبرني سعيد بن منصور ، قال يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ قال : كانت عند رسول الله ﷺ سبعة دنانير وضعها عند عائشة ـ رضى الله تبارك وتعالى عنها ـ فلما كان في مرضه قال : ياعائشة ابعثي الذهب إلى عليّ ، ثم أغمى عليه ، وشغل عائشة مابه ، فبعثت به إلى عليّ ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ فتصدق به .

---

(١) (مسند أحمد) : ٧ / ٧٤ ، حديث رقم (٢٣٧٠٢) ، حديث رقم (٢٤٩٦٤) السيدة عائشة ـ رضي الله تبارك وتعالى عنها ـ
(٢) (مغازي الواقدي) : ٣ / ١١١٧ وما بعدها ، غزوة أسامة بن زيد إلى مؤته .

قال : أخبرنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب ، حدثنا عبد العزيز بن محمد ابن عمرو بن أبي عمرو ، عن المطلب بن عبد الله بن حويطب ، قال : إن رسول الله ﷺ قال : لعائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - وهي مستندته إلى صدرها : ياعائشة ! مافعلت تلك الذهب ؟ قال: فدعا بها فوضعها في كفه فقال : ماظنّ محمد بربه أن لو لقِيَ الله تعالى وهذه عنده ؟ فأنفقها كلها ، ومات ﷺ فى ذلك اليوم .

وقال سيف : عن سهل بن يوسف ، عن أبيه ، عن جده ، قال : أعتق النبي ﷺ فى مرضه أربعين نفساً .

ذكر تأميره ﷺ في مرضه
أسامة بن زيد ـ رضي الله وتبارك تعالى عنه ـ

أخبرنا محمد بن عمر ، حدثني محمد بن عبد الله ، عن الزهري ، عن عروة بن الزبير قال : كان رسول الله ﷺ قد بعث أسامة وأمَّره أن يوطيء الخيل نحو البلقاء حيث قتل أبوه وجعفر ، فجعل أسامة وأصحابة يتجهزون وقد عسكر بالجرف ، فاشتكي رسول الله ﷺ وهو علي ذلك ، ثم وجد من نفسه راحة ، فخرج عاصباً رأسه فقال : أيها الناس ! أنفذوا بعث أسامة ، ثلاث مرات ، ثم دخل النبي ﷺ فتوفي .

أخبرنا محمد بن عمر ، حدثني عبد الله بن يزيد بن قسيط ، عن أبيه ، عن محمد بن أسامه بن زيد عن أبيه قال : بلغ النبي ﷺ قول الناس : استعمل أسامة بن زيد على المهاجرين والأنصار ، فخرج رسول الله ﷺ حتي جلس علي المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس! أنفذوا بعث أسامة ! فلعمري لئن قلتم في إمارته لقد قلتم في إمارة أبيه من قبله ، وإنه لخليق بالإمارة ، وإن كان أبوه لخليقاً بها .

قال : فخرج جيش أسامة حتي عسكروا بالجرف وتتامّ الناس إليه فخرجوا ، وثقل رسول الله ﷺ فأقام أسامة والناس ينتظرون ما الله قاضٍ في رسول الله ﷺ ؛ قال أسامة : فلما ثقل هبطت من معسكري وهبط الناس معي وقد أغمي على رسول الله ﷺ ، فلا يتكلم فجعل يرفع يده إلي السماء ثم يصبها علي فأعرف أنه يدعو لي .

حدثنا عبد الوهاب بن عطاء العجلي قال : أخبرنا العمري عن نافع ، عن ابن عمر ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ : أن النبي ﷺ بعث سرية فيهم أبوبكر وعمر واستعمل عليهم أسامة بن زيد ، فكان الناس طعنوا فيه أي في صغره ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال : إن الناس قد طعنوا في إمارة أسامة وقد كانوا طعنوا في إمارة أبيه من قبله ، وإنهما لخليقان لها ، وإنه لمن أحب الناس إليّ ، ألا فأوصيكم بأسامة خيراً .

أخبرنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي أويس وخالد بن مخلد قالا : أخبرنا

سليمان بن بلال وأخبرنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب الحارثي ، أخبرنا عبد العزيز بن مسلم وأخبرنا معن بن عيسي ، قال : أخبرنا مالك بن أنس ، جمعياً عن عبد الله بن دينار ، عن عبد الله بن عمر قال : بعث النبي ﷺ بعثاً ، وأمَّر عليهم أسامة بن زيد فطعن بعض الناس في إمارته ، فقال رسول الله ﷺ : إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبله ! وأيم الله إن كان لخليقاً للإمارة ، وإن كان لمن أحب الناس إليّ ، وإن هذا لمن أحب الناس إليّ بعده !

أخبرنا عفان بن مسلم ، أخبرنا وهيب وأخبرنا المعلى بن أسد ، أخبرنا عبد العزيز بن المختار عن موسى بن عقبة ، حدثني سالم بن عبد الله بن أبيه أنه كان يسمعه يحدث عن رسول الله ﷺ حين أمر أسامه بن زيد ، فبلغه أن الناس عابوا أسامة وطعنوا فى إمارته ، فقام رسول الله ﷺ فى الناس فقال : ألا إنكم تعيبون أسامة وتطعنون في إمارته وقد فعلتم ذلك بأبيه من قبل ! وأيم الله إن كان لخليقاً للإمارة .وإن كان لأحب الناس كلهم إليّ وإن ابنه هذا من بعده لأحب الناس إلي فاستوصوا به خيراً فإنه من خياركم . [1]

وخرج البخاري في كتاب الأحكام [2] في باب من لم يكترث بطعن من لا يعلم فى الأمراء ، حديثاً من حديث عبد الله بن دينار قال : سمعت ابن عمر رضي الله تبارك وتعالى عنهما يقول : بعث رسول الله ﷺ بعثاً وأمرَّ عليهم أسامة بن زيد فطعن فى إمارته ، فقال ﷺ : إن تطعنوا في إمارته ....الحديث إلي آخره . وقال : لخليق للإمارة .وخرجه في المغازي [3] فى غزوة زيد بن حارثة .[4]

وقال الواقدي في (مغازيه) : قالوا : لم يزل رسول الله ﷺ يذكر مقتل زيد بن حارثه وجعفر وأصحابه ـ رضي الله تبارك وتعالى عنهم ـ ووجد عليه

---

(١) (طبقات ابن سعد) : ٢ / ٢٤٨ - ٢٥٠ .

(٢) (فتح الباري) : ١٣ / ٢٢٣ ، كتاب الأحكام ، باب (٣٣) من لم يكترث بطعن من لا يعلم فى الأمراء حديثا ، حديث رقم (٨١٨٧)

(٣) (المرجع السابق) : ٧ / ٦٣٤ ، حديث رقم (٤٢٥٠)

(٤) (مغازي الواقدي) : ٣ / ١١٧ وما بعدها ، غزوة أسامة بن زيد مؤتة .

وجداً شديداً ، فلما كان يوم الاثنين لأربع ليال بقين من صفر سنة إحدى عشرة ، أمر رسول الله ﷺ الناس بالتهيؤ لغزو الروم ، وأمرهم بالانكماش [1] في غزوهم فتفرق المسلمون من عند رسول الله ﷺ وهم مجدون في الجهاد ، فلما أصبح رسول الله ﷺ من الغد يوم الثلاثاء لثلاث بقين من صفر دعا أسامة بن زيد رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ فقال : يا أسامة ، سر على اسم الله وبركته حتى تنتهي إلي مقتل أبيك فأوطئهم الخيل ، فقد وليتك هذا الجيش ، فأغر صباحاً على أهل أبنى وحرق عليهم ، وأسرع السير تسبق الخبر ، فإن أظفرك الله تعالى فأقلل اللبث فيهم ، وخذ معك الأدلاء ، وقدم العيون أمامك والطلائع .

فلما كان يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من صفر ، بُدِيء رسول الله ﷺ فَصُدع وحمَّ ، فلما أصبح يوم الخميس لليلة بقيت من صفر ، عقد رسول الله ﷺ بيده لواءً ثم قال : يا أسامة ، اغز باسم الله ، في سبيل الله ، فقاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغدروا ، ولا تقتلوا وليداً ، ولا امرأة ، ولا تمنوا لقاء العدو ، فإنكم لا تدرون لعلكم تبتلون بهم ، ولكن قولوا : اللهم اكفناهم ، واكفف بأسهم عنا ، فإن لقوكم قد أجلبوا وصَيَّحُوا ، فعليكم بالسكينة والصمت ، ولا تنازعوا فتفشلوا [2] فتذهب ريحكم ، وقولوا : اللهم إنا نحن عبادك وهم عبادك ، نواصينا ونواصيهم بيدك ، وإنما تغلبهم أنت ، واعلموا أن الجنة تحت البارقة .[3]

ثم قال رسول الله ﷺ لأسامة : امض على اسم الله ، فخرج بلوائه معقوداً فدفعه إلي بريدة بن الحُصيب الأسلميّ ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ فخرج به إلي بيت أسامة وأمر رسول الله ﷺ أسامة ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ فعسكر بالجرف ، وجعل الناس يُجدّون بالخروج إلي العسكر وخرج من فرغ من حاجته إلي معسكره ، ومن لم يقض حاجته فهو على فراغ ، ولم يبق أحد من المهاجرين الأولين إلا انتدب في تلك الغزوة : عمر بن الخطاب ، وأبو عبيدة بن

---

(١) الانكماش : الإسراع .

(٢) في (المغازي) : « ولا تفشلوا » وما أثبتناه من الأصل . فهو أصوب

(٣) البارقة : بارقة السيوف

الجراح ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله تبارك وتعالى عنهم ، في رجال من المهاجرين والأنصار عدة : قتادة ابن النعمان ، وسلمه بن أسلم بن حريش ، فقال رجال من المهاجرين ، وكان أشدهم في ذلك قولاً عياش بن أبي ربيعة : يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين ؟ فكثرت المقالة في ذلك فسمع عمر بن الخطاب - رضي الله تبارك وتعالى عنه - بعض ذلك القول ، فردّه علي من تكلّم به ، وجاء إلي رسول الله ﷺ فأخبره بقول من قال، فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً، وخرج قد عصب على رأسه عصابة ، وعليه قطيفة ، ثم صعد المنبر فحمد الله تعالى وأثني عليه ثم قال : أما بعد ، ياأيها الناس ، فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة ولقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله ، وأيم الله إن كان للإمارة لخليقاً وإن ابنه من بعده لخليق للإمارة ، وإن كان لمن أحبّ الناس إليّ ، وإن هذا لمن أحب الناس إليّ وإنهما لمخيلان لكل خير [1] فاستوصوا به خيراً فإنه لمن خياركم .

ثم نزل رسول الله ﷺ فدخل بيته ، وذلك يوم السبت لعشر ليال خلون من ربيع الأول ، وجاء المسلمون الذين يخرجون مع أسامه يودعون رسول الله ﷺ فيهم عمر بن الخطاب - رضي الله تبارك وتعالى عنه - ورسول الله ﷺ يقول : أنفذوا بعث أسامة ! ودخلت أم أيمن فقالت : أي رسول الله ! لو تركت أسامة يُقيم في معسكره حتي تتماثل ، فإن أسامة إن خرج علي حالته هذه لم ينتفع بنفسه .

فقال رسول الله ﷺ : أنفذوا بعث أسامه ، فمضي الناس إلي المعسكر فباتوا ليلة الأحد ، ونزل أسامة يوم الأحد ، ورسول الله ﷺ ثقيل مغمور ، وهو اليوم الذي لدوه [2] فيه فدخل على رسول الله ﷺ وعيناه تهملان ، وعنده العباس والنساء حوله فطأطأ عليه أسامة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فقبّله ، ورسول الله ﷺ لايتكلم فجعل يرفع يده إلي السماء ثم يصبها على أسامة قال : فأعرف أنه كان يدعو لي .

---

(١) فلان مخيل للخير : أي خليق له .

(٢) لدوه : أعطوه الدواء ، واللدود : ما يصب بالمسعط من الدواء فى أحد شقي الفم .

قال أسامة فرجعت إلي معسكري ، فلما أصبح يوم الاثنين غدا من معسكره ، وأصبح رسول الله ﷺ مفيقا ، فجاءه أسامة فقال : اغد على بركة الله ، فودعه أسامة ورسول الله ﷺ مفيق مريح [1] وجعل نساؤه يتماشطن سرورا براحته ، فدخل أبو بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - فقال : يا رسول الله : أصبحت مفيقا بحمد الله ، واليوم يوم ابنة خارجة فأئذن لي ، فأذن له ، فذهب إلي السنح [2] وركب أسامة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - إلي معسكره ، وصاح فى أصحابه باللحوق بالعسكر ، فانتهي إلي معسكره ، فنزل وأمر الناس بالرحيل وقد متع [3] النهار فينا أسامة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - يريد أن يركب من الجرف أتاه رسول أم أيمن وهي أمه يخبره أن رسول الله ﷺ يموت ، فأقبل أسامة إلي المدينة ، معه عمر وأبو عبيدة بن الجراح فانتهوا إلي رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ يموت فتوفي ﷺ حين زاغت الشمس يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول ، ودخل المسلمون الذين عسكروا بالجرف إلي المدينة ، ودخل بريده بن الحصيب - رضي الله تبارك وتعالى عنه - بلواء أسامة معقودا حتى أتي به باب رسول الله ﷺ فغرزه عنده ، فلما بويع لأبي بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أمر بريده أن يذهب باللواء إلي بيت أسامة وأن لا يحله أبدا ، حتى يغزوهم أسامة قال بريده : فخرجت باللواء حتى انتهيت به إلي بيت أسامة ، خرجت به إلى الشام معقودا مع أسلمة ثم رجعت به إلي بيت أسامة ، فمازال في بيت أسامة حتي توفي أسامة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - وذكر بقيمة الخبر

قال الواقدي : فحدثني محمد بن الحسن بن أسامة بن زبد ، عن أهله ، قال ك توفى رسول الله ﷺ وأسامة ابن تسع عشرة سنة ، وكان رسول الله ﷺ زوجه وهو ابن خمس عشر سنة وامرأة من طيىء ، ففارقها ، وزوجه أخرى ، وولد له في عهد رسول الله ﷺ وأولم رسول الله ﷺ على بنائه بأهله .

---

(١) يقال : أراح الرجل إذا رجعت نفسه إليه بعد الإعياء .

(٢) موضع بأعالي المدينة .

(٣) متع النهار ، إذا طال وامتد وتعالى .

ذكر وثوب الأسود العنسي قبيل وفاة رسول الله ﷺ

وهو : عيهلة بن كعب بن عوف بن صعب بن مالك بن عبس واسمه زيد ابن مالك ، وهو مذحج بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

قال الدولابي : وكان معه شيطانان : سحيق وشفيق ، يخبرانه بكل شئ ، وأعلماه بموت باذان فخرج من ساعته فغلب علي صنعاء .

وقال سيف : عن أبي مويهبة مولى رسول الله ﷺ قال : رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة بعد ماقضى حجة التمام فتحلل وضرب على الناس بعثاً وأمر عليهم أسامه بن زيد رضي الله تبارك وتعالى عنهما وأمره أن يوطئ إبل الزيت من مشارق الشام بالأردن [1] ،فقال المنافقون في ذلك ، وردَّ عليهم النبي ﷺ : إنه لخليق لها أي حقيق بالإمارة ، ولئن قلتم فيه ، لقد قلتم فى أبيه من قبله وإن كان لخليقاً ، وطارت الأخبار بتحليل السير بالنبي ﷺ بأن النبي ﷺ قد اشتكى ، فوثب الأسود باليمن ، ومسيلمة باليمامة ، وجاء النبي ﷺ الخبر عنهما ، ثم وثب طلحة في بلاد بني أسد بعد ما أفاق النبي ﷺ ثم اشتكي في المحرم وجعه الذي توفاه الله تعالى فيه .

وقال : حدثناه هشام بن عروة ، عن أبيه قال : لما رجع النبي ﷺ إلى المدينة أمر أسامة بن زيد وضرب البعث على عامة أهل المدينة بعد ما أمره أن يسير حتي يوطئ بهم إبل الزيت ، ويحلل به السير ، فطار في الآفاق أن النبي ﷺ اشتكي ، فوثب الأسود باليمن ، ومسيلمه باليمامة ، ثم إن طلحة وثب بعد ما أفاق النبي ﷺ وبعد ما جاء الخبر عن الأسود ومسيلمة ، ثم إنه اشتكى وجعه الذي توفاه الله تعالى فيه في عقب المحرم .

قال سيف : حدثنا سهل بن يوسف بن سهل بن مالك الأنصاري ، عن

=

(٤) (مغازي الواقدي) : ٣ / ١١٢٥.

(١) لم أجد هذا الموضع فيما عندي من معاجم البلدان .

القاسم بن محمد بن أبي بكر قال : أول ردة كانت ردة الأسود ، واسمه عيهلة بن كعب ، وكان يقال له ذو الخمار ، ويقال ذور الحمار - بالحاء المهملة -لإنه مر به حمار[1] فخر علي وجهه فقام الأسود يتحدث ولم يقم الحمار حتى تكلم إليه.

قال سيف : ومسيلمة واسمه ثمامة بن قيس ، وكان يقال له : رحمان ، بأن الذي يأتيه رحمان ، وطليحة بن خويلد ويقال له : ذو النون ، فإن الذى يأتيه ذو النون ، يقال : حدثني المسير بن يزيد النخعي ، عن عروة بن عرية عن الضحاك بن فيروز الديملي ، عن أبيه قال : إن أول ردة كانت في الإسلام ردة كانت باليمن ، على عهد رسول الله ﷺ على يدي ذي الخمار عيهلة بن كعب ، وهو الأسود فى عامة مذجح بعد حجة الوداع ، وكان الأسود كاهناً ، شعباذاً ، وكان يريهم الأعاجيب ، وسبي قلوب من سمع منطقه.

وقال ابن أبي خثيمة : وأنكر نبوعته فقال : لا أكلمك ولكن أسأل ربي يكلمك وأمسك فاه ، فسمع الرجل متكلماً يقول : سل عماً بدا لك ، وراجعه بكلام.

وقال سيف : وكان أول ما خرج أن خرج كهف حنان وهي كانت داره وبها ولده ونساؤه ، فكاتبته مذجح وواعدته بحران ، فوثبوا بها وأخرجوا عمرو ابن حزم ، وخالد بن سعيد بن العاص ، فأنزلوه منزلهما.

ووثب قيس بن عبد يغوث علي فروة بن مسيك وهو على مراد ، فأخلاه ونزل منزله فلم يلبث عيهلة بنجران أن سار إلى صنعاء فأخذها ، وكتب إلى النبي ﷺ فى ذلك من فعله ونزوله صنعاء ، وكان أول حين وقع به عنه من قبل فرزة بن مسيك ، فلحق بفروة من تم إسلامه من مذجح ولم يكاتب الأسود ﷺ ولم يرسل إليه لأنه لم يكن معه أحد يساعيه وضوى له ملك اليمن.

قال : حدثنا هشام بن عروة عن أبيه قال : لما اشتكى رسول الله ﷺ ارتاب من شاء الله فلم يقم منهم أحد على دينه إلا الأسود العنسي ،

---

(١) غير واضحة بالأصل .

ومسيلمة ، فإنهما كفرا وادعيا النبوة ، وكفر من اتبعهما ، فلما بلغا النبي ﷺ خبرهما ، قام في الناس فقال : أيها الناس ، إني قد كنت أريت ليلة القدر فأنسيتها وأريت في ذراعي سوارين من ذهب فكرهتهما فنفختهما ، فطارا ، فأولتهما هذين الكذابين : صاحب اليمامة ، وصاحب صنعاء ، ولن تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالاً كلهم يزعم أنه نبي.

وعن محمد بن إسحاق عن عبيد الله بن أبي بكر ، قال : إن رسول الله ﷺ قال يوماً وهو يخطب على المنبر وقد تكلم في زمانه قبل إن يقبض مسيلمة وادعى النبوة والأسود بن كعب العنسي باليمن ، وادعى النبوة ، و كان يقال له في الجاهلية ذو الخمار : يا أيها الناس إني قد أريت ليلة القدر ثم انتزعت مني ورأيت في يدي سوارين من ذهب فكرهتهما فنفختهما ، فطارا ، فأولتهما هذين الكذابين : صاحب اليمامة ، وصاحب صنعاء ، ولن تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالاً كلهم يزعم أنه نبي .

فقد كان غلظ أمر الأسود واستكنف ، وبايعه أهل اليمن إلا أن قوماً قليلاً خالفوا عليه .

قال المؤلف : وقد خرج البخاري ومسلم طرفاً من ذلك ؛ فخرج البخاري في كتاب المغازي في وفد بني حنيفة من حديث عبد الرزاق عن معمر بن همام أنه سمع أبا هريرة – رضي الله تبارك وتعالى عنه – يقول : قال رسول الله ﷺ وخرج مسلم أيضا من طريق عبد الرزاق ، حدثنا معمر عن همام بن منبه ، قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة . عن رسول الله ﷺ ، فذكر أحاديث منها ، وقال : رسول الله ﷺ : بينما أنا نائم أتيت خزائن الأرض . قال البخاري : في كفي سوارين من ذهب فكبرا عليّ فأوحي إلي أن انفخهما ، فنفختهما ، فذهبا ، فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما : صاحب صنعاء ، وصاحب اليمامة[1] .

وخرج البخاري في التعبير من حديث عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن

---

(١) (فتح الباري) : ٨ / ١١٢ ، كتاب المغازي ، باب (٧١) وفد بني حنيفة ، وحديث ثمامة بن أثال ، حديث رقم (٤٣٧٥).

همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا به أبو هريرة - رضي الله تبارك وتعالى عنه - عن رسول الله ﷺ نحن الآخرون السابقون .

قال رسول الله ﷺ بينما أنا نائم اذ أوتيت خزائن الأرض فوضع فى يدي سواران من ذهب فكبرا علي . . . الحديث إلى آخره . وترجم عليه باب النفخ في المنام[1] .

وقال ابن أبي خثيمة : بعث الأسود إلى أبي مسلم عبد الله بن أيوب الخولاني . فأتاه فقال : أشهد أني رسول الله ، قال : ما أسمع ، قال : أشهد أن محمداً رسول الله ، قال : نعم فردد ذلك مرارا ، فأوقد له ناراً عظيمة وألقاه فيها فلم يضره ، فنفاه ، فأتى المدينة .

وقال سيف : حدثنا هشام بن عروة ، عن أبيه قال : حاربهم رسول الله ﷺ بالرسل و الكتب فأرسل إلى نفر من الأبناء رسولاً وكتب إليهم أن تحاولوا الأسود وأمرهم أن يتخذوا رجالاً قد سماهم لهم ممن حولهم من حمير وهمذان وأرسل إلي أولئك النفر من حمير وهمذان أن يتخذوهم . وأرسل إلي ثمامة بن أثال ومن يسمع عليه ، أن تحاولوا مسلمة ، وأمره أن يتخذوا رجالاً قد سماهم ممن والاه من تميم وقيس ، وأرسل إلي أولئك النفر من تميم وقيس أن يتخذوه وأرسل إلي عون وورقاء بن نوفل ، وإلى سنان وقضاعة أن تحاولوا طليحة وأمرهم أن يتخذوا رجالاً قد سماهم لهم من تميم وقيس ، وأرسل إلي أولئك النفر من تميم وقيس أن يتخذوهم ، ففعلوا ، وانقطعت سبل المرتدة ، وطعنوا في نقصان ، وأغفلهم فاستغفلوا في أنفسهم فأصيب الأسود في حياة النبي ﷺ قبل وفاته بيوم أوبليلة وكذا مسيلمة ، وطلحة .

قال : حدثنا الضحاك بن يربوع عن أبيه عن ماهان ، قال : قال ابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قاتل النبي ﷺ الأسود وطليحة ومسيلمة وأشياعهم بالرسل فلم يشغله .

قال سيف : عن طلحة بن الأعلم عن عكرمة عن ابن عباس -رضي الله

---

(١) (المرجع السابق) ١٢ / ٥٢٣ ، حديث رقم (٧٠٣٦) ، (٧٠٣٧) .

تبارك وتعالى عنهما ـ : أول من اعترض على العنسي وكابره عامر بن شهر الهمذاني في ناحية ، وفيروز ودادويه في ناحيتهما ثم تتابع الذين كتب إليهم على ماأمروا به .

وقال سيف : عن سهل بن يوسف عن أبيه عن عبيد بن صخر قال : بينما نحن بالجد قد أفتاهم على ما ينبغي وكتبنا بينهم الكتب إذ جاءنا كتاب من الأسود : أيها المتوردون علينا أمسكوا علينا ما أخذتم من أرضنا ووفروا ما جمعتم ، فنحن أولى به ، أنتم على ماكنتم عليه ، فقلنا للرسول من أين جئت ؟ قال من كهف حنان ، ثم كان وجهه إلى نجران حتي أخذها لمحرجه فطايعه عوام مذجح ، فبينا نحن ننظر في أمرنا ونحن جميعاً إذا نبياً فقيل : هذا الأسود يشعوب ، وقد خرج إليه شهر بن باولم وذلك لعشرين ليلة من منحمة فبينا نحن ننتظر الخبر على من تكون الدبرة ، إذ أتانا به قبل شهر ، أن هرم الأبناء ، وغلب على صنعاء ، لخمس وعشرين ليلة من منحمه ، خرج معاذ ابن جبل رضى الله تبارك وتعالى هاربا حتى يمر بأبي موسي الأشعري ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ وهو يحارب فافتتحا حضرموت ، فأما معاذ ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ فإنه نزل فى السكون ، وأما أبو موسي ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ فإنه نزل السكون ، وأما أبو موسي ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ فإنه نزل فى السكاسك مما يلي المقسود و المفازة ، بينهم وبين مأرب وبجاد سائر من اليمن إلى الظاهر بن أبي هالة إلا عمروبن حزم وخالد بن سعيد بن العاص ، فإنهما رجعا إلى المدينة ، و الظاهر بن أبي هالة فى بلاد جبال صنعاء وغلب الأسود على مابين مهد مفازة حضرموت إلي عمل الطائف إلى البحرين قبل عدن ، وطافت عليه اليمن وعك بتهامة حضرموت.

وجعل يستطير استطارة الحريق ، وكان معه سبعمائة فارس سوى الركبان وكان قواده : قيس بن عبد يغوث المراديّ ، معاوية فلان الحبيّ ، يزيد بن محرم ويزيد بن حصن الحاري ، ويزيد بن الأفكل الأزدي ، ابنا مليكة ، واستغلظ أمره ، ودانت له سواحل من السواحل ، والسرجه ، والحردة ، والخدرة ، وعدن ثم صنعاء ، إلى عمل الطائف إلي الأحنة ، وغلب ، وعامله المسلمون بالبعير .

وعامله أهل الردة بالكفر والرجوع عن الإسلام وكان خليفته في مذحج عمرو بن معديكرب ، وأسند أمر الناس الى نفر ، فأما أمر جنده فآل إلى قيس ابن عبد يغوث وأسند أمور الآباء إلى فيروزودادويه ، فلما أنجز في الأرض استخلف مقيس بن عبد يغوث وفيروزودادويه وأخذ امرأة شهر بن باذام ، وهي ابنة عم فيروز فبينما نحن كذلك بحضرموت ، ولا نأمن أن يسير إلينا الأسود ، أو يبعث إلينا جيشا ، أو يخرج بحضرموت ، خارج يدعي بمثل ما ادعى به الأسود فنحن على ظهر ، يروح معاذ بن جبل - رضي الله تبارك وتعالى عنه - إلى بني بكرة ، حي من السكون إلى امرأة يقال لها رملة فحدبوا عليها لصهره وكان معاذ - رضي الله تبارك وتعالى عنه - بها معجباً فإن كان ليقول فيما يدعو الله تعالى : اللهم ابعثني يوم القيامة مع السكون ، إذ جاء كتب النبي ﷺ يأمرنا أن يبعث الرجّال لمحاربته أو محاولته يعني الأسود ، وأن يبلغ كل من رجا عنده شيئا من ذلك عن النبي ﷺ فقام مقامه معاذ بن جبل - رضي الله تبارك وتعالى عنه - بالذي أمرته فعرفنا القوة ووثقنا بالبعير .

قال سيف : عن أبي القاسم ، عن العلاء بن زياد عن أبي عمر قال : أتى الخبر إلى النبي ﷺ من السماء ، الليلة التي قتل فيها الأسود العنسي ، فخرج ليسرنا ، فقال ﷺ : قتل العنسي البارحة ، قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين .

ذكر وثوب مسيلمة في بني حنيفة ورسول الله ﷺ حيٌّ

هو أبو ثمامه مسيلمة بن كثير بن حبيب بن الحارث بن عبد الحارث بن عدي بن حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هيت بن أفصى بن دعمى بن جديله بن أسد بن ربيعة القرشي بن نزار بن معد بن عدنان.

فلما بعث أبو بكر السرايا إلى المرتدين ، أرسل عكرمة بن أبي جهل في عسكر إلى مسيلمة وأتبعه شرحبيل بن حَسَنَة ، فعجل عَكرمة ليذهب بصوتها ، فواقعهم فنكبوه ، وأقام شرحبيل بالطريق حين أدركه الخبر ، وكتب عكرمة إلى أبي بكر بالخبر . فكتب إليه أبو بكر : لا أرينك ولا تراني ، لا ترجعنّ فتوهن النّاسَ ، امضِ إلى حُذَيْفة وعَرفَجة فقاتلْ أهل عُمان ومَهْرة ، ثمّ تسير أنت وجندك تستبرون النّاس حتى تلقى مهُاجر بن أبي أميّة باليمن وحضرموت . فكتب إلى شُرَحْبيل بالمقام إلى أن يأتي خالد ، فإذا فرغوا من مسيلمة تلحق بعمرو بن العاص تعينه على قُضاعة .

فلمّا رجع خالد من البُطاح إلى أبي بكر واعتذر إليه قبل عذره ورضي عنه ووجّهه إلى مسيلمة وأوعب معه المهاجرين والأنصار ، وعلى الأنصار ثابت بن قيس بن شمّاس ، وعلى المهاجرين أبو حُذَيْفة وزيد بن الخطّاب ، وأقام خالد بالبُطاح ينتظر وصول البعث إليه . فلمّا وصلوا إليه سار إلى اليمامة وبنو حنيفة يومئذ كثيرون كانت عدّتهم أربعين ألف مقاتل ، وعجل شرحبيل ابن حسنة ، وبادر خالداً بقتال مسيلمة ، فنُكب ، فلامه خالد ، وأمدّ أبو بكر خالداً بسَليط ليكون ردّءاً له لئلاّ يُؤتَى من خلفه .وكان أبو بكر يقول : لا أستعمل أهل بدر ، أدَعُهم حتى يلقوا الله بصالح أعمالهم ، فإنّ الله يدفع بهم وبالصالحين أكثر ممّا ينتصر بهم .وكان عمر يرى استعمالهم على الجند وغيره .

وكان مع مسيلمة نهارُ الرَّجّال بن عُنْفُوَة ، وكان قد هاجر إلى النبيّ ، صليّ الله عليه وسلّم ،وقرأ القرآن ، وفُقه في الدين ، وبعثه معلّماً لأهل اليمامة وليشغب على مسيلمة ، فكان أعظم فتنةً على بني حنيفة من مسيلمة ، شهد أن محمداً ﷺ ، يقول : إنّ مسيلمة قد أشرك معه ، فصدقوه واستجابوا له ، وكان مسيلمة ينتهي إلى أمره ، وكان يؤذّن له عبد الله بن النواحة ، والذي يُقيم له حُجَير بن عُمَير ، فكان حجير يقول : أشهد أنّ مسيلمة يزعم أنّه رسول الله . فقال له مسيلمة : أفصح حُجير، فليس في المجمجمة خير. وهو أوّل مَنْ قالها .

وكان مما جاء به وذكر أنّه وحي : ياضفدع بنت ضفدع نقّي ماتنقّين ، أعلاك في الماء وأسفلك في الطين ، لا الشارب تمنعين ، ولا الماء تكدّرين .

وقال أيضاً : والمبُديات ذرعاً ، والحاصدات حصداً ، والذاريات قمحاً ، والطاحنات طحناً ، والخابزات خبزاً ، والثاردات ثرداً ، واللاقمات لقماً إهالة وسمناً ؛ لقد فضّلتم على أهل الوبَر ، وماسبقكم أهل المَدَر ؛ ريفَكم فامنعوه ، والمُعْيِيَ فأوّوه ، والباغي فناوئوه. وأتته امرأة فقالت : إنّ نخلنا لسحيق، وإنّ آبارنا لَجُرُزٌ، فادعُ اللهَ لمائنا ونخلنا كما دعا محمّد ﷺ، لأهل هَزْمان .

فسأل نَهاراً عن ذلك ، فذكر أنّ النبيّ ﷺ ،دعا لهم وأخذ من ماء آبارهم فتمضمض منه ومجّه في الآبار ففاضت ماء وأنجبت كلّ نخلة وأطلعت فسيلاً قصيراً مكمّماً ، ففعل مسيلمة ذلك ، فغار ماء الآبار ويبس النخل ، وإنّما ظهر ذلك بعد مهلكه .

وقال له نهار : أمرّ يدك على أولاد بني حنيفة مثل محمّد ، ففعل وأمرّ يده على رؤوسهم وحنّكهم فقرِع كلّ صبيّ مسح رأسه ، ولثغ كلّ صبيّ حنّكه ، وإنّما استبان ذلك بعد مهلكه .

وقيل : جاءه طلحة النّمريّ فسألة عن حالة ، فأخبره أنّه يأتيه رجل في ظلمة ، فقال : أشهد أنّك الكاذب ، زنّ محمّداً صادق ، ولكنّ كذّاب ربيعة أحبّ إلينا من صادق مُضَر . فقُتل معه يوم عَقْرباء كافراً .

ولما بلغ مسيلمةَ دنوّ خالد ضرب عسكره بعقرباء ، وخرج إليه النّاس وخرج مَجّاعة بن مُرارة في سريّة يطلب ثأراً لهم في بني عامر ، فأخذه المسلمون وأصحابه ، فقتلهم خالد واستبقاه لشرفه في بني حنيفة ، وكانوا ما بين أربعين إلى ستّين .

وترك مسيلمة الأموال وراء ظهره ، فقال شُرَحْبيل بن مسيلمة : يابني حنيفة قاتلوا فإنّ اليوم يوم الغَيرة ، فإن انهزمتم تسْتردف النساء سبيّات ، ويُنْكحن غير خطّيبات ؛ فقاتلوا عن أحسابكم وامنعوا نساءكم . فاقتتلوا بعقرباء ، وكانت راية المهاجرين مع سالم مولى أبي حذيفة ، وكانت قبله مع عبد الله بن حفص بن غانم ، فقُتل ، فقالوا : تخشي علينا من نفسك [شيئاً] فقال : بئس حامل القرآن أنا إذاً ! وكانت راية الأنصار مع ثابت بن قيس بن شمّاس ، وكانت العرب على راياتهم ، والتقى النّاس ، وكان أوّل من لقي المسلمين نهارُ الرَّجّال بن عُنْفُوة فقُتل ، قتله زيد بن الخطاب ، واشتدّ القتال ،

ولم يلقَ المسلمون حرباً مثلها قطّ ، وانهزم المسلمون ، وخلص بنو حنيفة إلى مَجّاعة وإلى خالد ، فزال خالد عن الفسطاط ودخلوا إلى مَجّاعة وهو عند امرأة خالد ، وكان سلّمه إليها ، فأرادوا قتلها ، فنهاهم مَجّاعة عن قتلها وقال : أنا لها جار ، فتركوها ، وقال لهم : عليكم بالرجال ، فقطعّوا الفسطاط . ثم إنّ المسلمين تداعَوا ، فقال ثابت بن قيس : بئس ماعودّتم أنفسكم يامعشر المسلمين ! اللهمّ إنّي أبرأ إليك ممّا يصنع هولاء ، يعني أهل اليمامة ، وأعتذر إليك ممّا يصنع هؤلاء ، يعنى المسلمين ، ثمّ قاتل حتى قُتل .

وقال زيد بن الخطّاب : لا نَحورُ بعد الرجال ، والله لا أتكلّم اليوم حتى نهزمهم أو أقتل فأكلمهُّ بحجّتي . غُضّوا أبصاركم وعَضّوا على أضراسكم أيّها النّاس ، واضربوا في عدوكم وامضوا قُدُماً . وقال أبو حُذَيْفة : يا أهل القرآن زيّنوا القرآن بالفَعال . وحمل خالد في النّاس حتى ردّوهم إلى أبعد ممّا كانوا ، واشتدّ القتال وتذامرت بنو حنيفة وقاتلت قتالاً شديداً ، وكانت الحرب يومئذ تارة للمسلمين وتارة للكافرين ، وقُتل سالم وأبو حُذيفة وزيد بن الخطّاب وغيرهم من أولي البصائر . فلمّا رأى خالد ما النّاس فيه قال : امتازوا أيّها النّاس لنعلم بلاء كلّ حيّ ولنعلم من أين نؤتَي . فامتازوا ، وكان أهل البوادي قد جنّبوا المهاجرين والانصار وجنّبهم ا لمهاجرون والأنصار . فلمّا امتازوا قال بعضهم لبعض : اليوم يستُحي من الفرار ، فما رُئي يوم كان أعظم نكاية من ذلك اليوم ، ولم يُدْرَ أيّ الفريقين كان أعظم نكاية ، غير أن القتل كان في المهاجرين والأنصار وأهل القري أكثر منه في أهل الوادي .

وثبت مسيلمة فدارت رحاهم عليه ، فعرف خالدُ أنّها لا تركد إلاّ بقتل مسيلمة ، ولم تحفلْ بنو حنيفة بمن قُتل منهم . ثمّ برز خالد ودعا إلى البراز ونادى بشعارهم ، وكان شعارهم : يامحمّداه ! فلم يبرز إليه أحدُ إلاّ قتله . ودارت رحا المسلمين ، ودعا خالد مسيلمة فأجابه ، فعرض عليه أشياء ممّا يشتهي مسيلمة فكان إذا همّ بجوابه أعرض بوجهه ليستشير شيطانه فينهاه أن يقبل . فأعرض بوجهه مرّة وركبه خالد وأرهقه ، فأدبر وزال أصحابه ، وصاح خالد في النّاس فركبوهم ، فكانت هزيمتهم ، وقالوا لمسيلمة : أين ما كنتَ تَعدنا ؟ فقال : قاتلوا عن أحسابكم . ونادى المحُكَّم : يا بنى حنيفة الحديقة الحَديقة ! فدخلوها وأغلقوا عليهم بابها .

وكان البَراء بن مالك ، وهو أخو أسد بن مالك ، إذا حضر الحرب أخذته رعدة حتى يقعد عليه الرجال ثمّ يبول ، فإذا بال ثار كما يثور الأسد ، فأصابه

ذلك ، فلمّا بال وثب وقال : إليّ أيّها النّاس ، أنا البراد بن مالك! إليّ إليّ ! وقاتل قتالاً شديداً ، فلمّا دخلت بنو حنيفة الحديقة قال البراء : يامعشر المسلمين ألقوني عليهم في الحديقة . فقالوا : لانفعل . فقال : والله لتطرحُنّني عليهم بها ! فاحتُمل حتى أشرف على الجدار فاقتحمها عليهم وقاتل على الباب وفتحه للمسلمين ودخلوها عليهم فاقتتلوا أشدّ قتال ، وكثر القتلى في الفريقَين لاسيّما في بني حنيفة ، فل يزالوا كذلك حتى قُتل مسيلمة . واشترك في قتله وحشيّ مولي جُبَير بن مُطْعم ورجل من الأنصار ، أمّا وحشيّ فدفع عليه حربته ، وضربه الأنصاريّ بسيفه ، قال ابن عمر : فصرخ رجل : قتله العبد الأسود ، فولّت بنو حنيفة عند قتله منهزمةً ، وأخذهم السيف من كل جانب ، وأخبر خالد بقتل مسيلمة ، فخرج بمَجّاعة يرسف في الحديد ليد له على مسيلمة ، فجعل يكشف له القتلى حتى مرّ بمُحكَّم اليمامة ، وكان وسيماً ، فقال : هذا صاحبكم ؟ فقال مجّاعة : لا ، هذا والله خير منه وأكرم ، هذا محكَّم اليمامة ، ثمّ دخل الحديقة فإذا رُوَيْجِلٌ أُصَيْفِرُ أُخَيْنس ، فقال مجّاعة : هذا صاحبكم قد فرغتم منه . وقال خالد : هَذا الذي فعل بكم مافعل .

وكان الذي قتل مُحكَّم اليمامة عبد الرحمن بن أبي بكر ، رماه بسهم في نحره وهو يخطب ويحرّض النّاس فقتله . وقال مجّاعة لخالد : ماجاءك إلاّ سَرّعان النّاس ، وإنّ الحصون مملوّة ، فهلمّ إلى الصلح على ماورائي ، فصالحه على كلّ شئ دون النفوس ، وقال : أنطلق إليهم فأشاورهم . فانطلق إليهم وليس في الحصون إلاّ النساء والصبيان ومشيخة فانيه ورجال ضعفى ، فألبسهم . الحديد وأمر النساء أن ينشرن شعورهنّ ويشرفن على الحصون حتى يرجع إليهم . فرجع إلى خالد فقال : قد زبوا أن يُجيزوا ماصنعتُ ، فرأى خالد الحصون مملوّة وقد نَهكت المسلمين الحربُ وطال اللّقاء وأحبّوا أن يرجعوا على الظفر ولم يدروا ماهو كائن ، وقد قُتل من المهاجرين والأنصار من أهل المدينة ثلاثمائة وستّون ، ومن المهاجرين من غير المدينة ثلاثمائة رجل ، وقُتل ثابت بن قيس ، قطع رجل من المشركين رجْله فأخذها ثابت وضربه بها فقتله ، وقتُل ثابت بن قيس ، قطع رجل من المَشركين رجْله فأخذها ثابت وضربه بها فقتله ، وقتُل من بني حنيفة بعقرباء سبعة آلاف ، وبالحديقة مثلها ، وفي الطلب نحو منها . وصالحه خالد على الذهب والفضة والسلاح ونصف السّبي ، وقيل ربْعه.

فلمّا فتُحت الحصون لم يكن فيها إلاّ النساء والصبيان والضعفاء ، فقال خالد لمجاعة : ويحك خدعتنى ! فقال : هم قومي ولم أستطع إلاّ ما صنعتُ .

ووصل كتاب أبي بكر إلى خال دأن يقتل كلّ محتلم ، وكان قد صالحهم، فوفى لهم ولم يغدر . ولما رجع النّاس قال عمر لابنه عبد الله ، وكان معهم : ألا هلكتَ قبل زيد ؟ هلك زيد وأنت حيّ ! ألا واريتَ وجهك عني ؟ فقال عبد الله : سألَ اللهَ الشهادة فأعزيتَها وجهدتُ أن تسُاق إليّ فلم أعْصَها (١).

وقال سيف : حدثنا طلحةَ بن الأعلم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس - رضى الله تبارك وتعالى عنهما قال : كان النبي ﷺ قد ضرب بعث أسامة بن زيد فلم يسر لوجع النبي ﷺ ولخلع مسيلمة والأسود ، وقد أكثر المنافقون في تأمير أسامة - رضي الله تبارك وتعالى عنه- حتى بلغ النبي ﷺ فخرج عاصباً رأسه من الصداع لذلك الشأن ، لرؤيا أريها ﷺ في بيت عائشة -رضى الله تبارك وتعالى عنها- وقال : إنى رأيت البارحة فيما يرى النائم أن فى عضدي سوارين من ذهب فكرهتهما ، فنفختهما ، فطارا ، فأولتهما هذين الكذابين . صاحب اليمامة وصاحب اليمن ، وقد بلغنى أن أقواما يقولون فى إمرة أسامة - رضى الله تبارك وتعالى عنه - ولعمري لئن قالوا في إمارته لقد قالوا في إمارة أبيه من قبله ، وإن كان أبوه لخليقا لها ، وإنه لها لخليق فأنفذوا بعث أسامة - رضي الله تبارك وتعالى عنه- ، فقال ﷺ : لعن الله الذين يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ، فخرج أسامة - رضى الله تبارك وتعالى عنه- فعرس بالجرف وأنشأ الناس في العسكر ونجم طليحة ، وثقل رسول الله ﷺ فلم يستتم الأمر .

وقد خرج البخاري ومسلم(٢) طرقاً من ذلك، وخرج البخاري في باب علامات النبوة في الإسلام(٣) من حديث أبي اليمان ، أخبرنا شعيب عن عبد الله بن أبي حسين حدثنا نافع بن جبير عن ابن عباس رضي الله تبارك وتعالى عنهما ، قال : قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله ﷺ فجعل يقول : إن

---

(١) عامة هذا الفصل مطموس فى (الأصل) أو مضطرب السياق فاثبتناه من (الكامل في التاريخ لابن الأثير) : ٢/ ٣٦٠-٣٦٦ .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ١٥/ ٣٨-٤٠، كتاب الرؤيا ، باب (٤)رؤيا النبي ﷺ حديث رقم (١٨) ، (١٩) ، (٢٠) ، (٢١) ، (٢٢) .

(٣) (فتح الباري) : ٦/ ٧٧٧ ، كتاب المناقب ، حيث رقم (٣٦٢٠)

جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته .. وقدمها في بشر كثير من قومه ، فأقبل إليه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس - وفي يد رسول الله ﷺ قطعة جريد - حتى وقف علي مسيلمة في أصحابه فقال : لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها ، ولن تعدو أمر الله فيك ولئن أدبرت ليغفرنك الله . وإني لأراك الذي أريت فيه مارأيت ، وهذا ثابت يجيبك عني . ثم انصرف .

قال ابن عباس : فسألت عن قول رسول الله ﷺ : إني أرى الذي أريت فيه ماأريت ، فأخبرني أبو هريرة -رضى الله تبارك وتعالى عنه- أن رسول الله ﷺ قال : بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب ، فأهمني شأنهما فأوحي إلي في المنام أن انفخهما ، فنفحتهما فطارا ، فأولتهما كذابين يخرجان بعدي : أحدهما العنسي ، والآخر مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة(١) .

وقال فيه البخاري : وإني لأراك الذي أريت فيه ما أريت ، وقال مسلم : ولن أتعدى أمر الله تعالى فيك .

وخرج البخاري من حديث يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا أبي ، عن صالح ، عن ابن عبيدة بن نشيط - وكان في موضع آخر اسمه عبد الله - أن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة قال : بلغنا أن مسيلمة الكذاب قدم المدينة فنزل في دار بنت الحارث ، وكانت تحته بنت الحارث بن كريز ، وهي أم عبد الله بن عامر ، فأتاه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس ، وهو الذي يقال له : خطيب رسول الله ﷺ ، وفي يد رسول الله ﷺ قضيب فوقف عليه فكلمه ، فقال له مسيلمة : إن شئت خلينا بينك وبين الأمر ، ثم جعلته لنا بعدك . فقال النبي ﷺ : لو سألتني هذا القضيب ما أعطيتكه ، وإني لأراك الذي أريت فيه ما أريت . هذا ثابت بن قيس سيجيبك عني ، فانصرف النبي ﷺ(٢) .

قال عبيد الله بن عبد الله : سألت عبد الله بن عباس ، عن رؤيا رسول الله ﷺ التي ذكر ، فقال ابن عباس : ذكر لي أن رسول الله ﷺ قال : بينا أنا نائم أريت أنه وضع في يدي سواران من ذهب ، ففظعتهما وكرهتهما ، فأذن لي فنفختهما فطارا ، فأولتهما كذابين يخرجان . فقال عبيد الله : أحدهما العنسي

(١) (المرجع السابق) : حديث رقم (٣٦٢١) .

(٢) (فتح الباري) : ٨/١١٥ ، باب (٧٢) قصة الأسود العنسي حديث رقم (٤٣٧٨) .

الذي قتله فيروز باليمن ، والآخر مسيلمة الكذاب[١] . ترجم عليه قصة الأسود العنسي . ذكره في كتاب المغازي .

---

(١) (المرجع السابق) : حديث رقم (٤٣٧٩)

قوله : «قصة الأسود العنسي» بسكون النون ، وحكى ابن التين جواز فتحها ولم أر له في ذلك سلفاً .

قوله : «حدثنا سعيد بن محمد الجرمي» بفتح الجيم وسكون الراء ، كوفي ثقة مكثر ، ويعقوب بن إبراهيم هو ابن سعد الزهري ، وصالح هو ابن كيسان .

قوله : «عن ابن عبيدة بن نشيط» بفتح النون وكسر الشين المعجمة بعدها تحتانية ساكنة ثم مهملة .

قوله : «وكان في موضع آخر اسمه عبد الله» أراد بهذا أن ينبه على أن المبهم هو عبد الله بن عبيدة لا أخوه موسى ، وموسى ضعيف جداً وأخوه عبد الله ثقة ، وكان عبد الله أكبر من موسى بثمانين سنة . وفي هذا الإسناد ثلاثة من التابعين في نسق : صالح بن كيسان وعبد الله بن عبيدة وعبيد الله بن عبد الله وهو ابن عتبة ابن مسعود . وساق البخاري عنه الحديث مرسلاً . وقد ذكره في الباب الذي قبله موصلاً لكن من رواية نافع بن جبير عن ابن عباس .

قوله : «في دار بنت الحارث وكان تحته ابنة الحارث بن كريز» وهي أم عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، والذي وقع هنا أنها أم عبد الله بن عامر ، قيل : الصواب أم أولاد عبد الله بن عامر لأنها زوجته لا أمه ، فإن أم ابن عامر ليلى بنت أبي حشمة العدوية . وهو اعتراض متجه . ولعله كان فيه أن عبد الله بن عبد الله بن عامر فإن لعبد الله بن عامر ولداً اسمه عبد الله كاسم أبيه ، وهو من بنت الحارث واسمها كيسة بتشديد التحتانية بعدها مهملة وهي بنت عبد الله بن عامر بن كريز تحت مسيلمة الكذاب ، وإذا ثبت ذلك ظهر السر في نزول مسيلمة وقومه عليها لكونها كانت امرأته وأما ما وقع عند ابن إسحق أنهم نزلوا بدار بنت الحارث وذكر غيره أن اسمها رملة بنت الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن زيد وهي من الأنصار ثم من بني النجار ولها صحبة وتكنى أم ثابت ، وكانت زوج معاذ بن عفراء الصحابي المشهور ، فكلام ابن سعد يدل على أن دارها كانت معدة لنزول الوفود ، فإنه ذكر في وفد بني محارب وبني كلاب وبني تغلب وغيرهم أنهم نزلوا في دار بنت الحارث ، وكذا ذكر ابن إسحاق أن بني قريظة حبسوا في دار بنت الحارث وتعقب السهيلي موقع عند ابن إسحاق فى قصة مسيلمة بأن الصواب بنت الحارث ، وهو تعقب صحيح إلا أنه يمكن الجمع بأن يكون وفد بني حنيفة نزلوا بدار بنت الحارث كسائر الوفود ومسيلمة وحده نزل بدار زوجته بنت الحارث . =

وقال سيف : عن الضحاك بن يربوع عن أبيه قال : رجع النبي ﷺ إلى

= ثم ظهر لي أن الصواب ماوقع عند ابن إسحاق ، وأن مسيلمة والوفد نزلوا في دار بنت الحارث وكانت دارها معدة للوفود ، وكان يقال لها أيضاً بنت الحارث ، كذا صرح به محمد بن سعد في (طبقات النساء) فقال : رملة بنت الحارث ويقال لها ابنة الحارث بن ثعلبة الأنصارية ؛ وساق نسبها . وأما زوجة مسيلمة وهي كيسة بنت الحارث فلم تكن إذ ذاك بالمدينة وإنما كانت عند مسيلمة باليمامة ، فلما قتل تزوجها ابن عمها عبد الله ابن عامر بعد ذلك . والله أعلم .

قوله : «ثم جعلته لنا بعدك» هذا مغاير لماذكر ابن إسحق أنه ادعى الشركة ، إلا أن يحمل على أنه ادعى ذلك بعد أن رجع .

قوله : «فقال ابن عباس ذكر لي» كذا فيه بضم الذال من ذكر على البناء للمجهول ، وقد وضح من حديث الباب قبله أن الذي ذكر له ذلك هو أ بو هريرة .

قوله : «إسواران» بكسر الهمزة وسكون المهملة تثنية إسوار وهى لغة في السوار ، وإسوار بالكسر ويجوز الضم ، والأسوار أيضاً صفة للكبير من الفرس : وهو بالضم والكسر معاً بخلاف الإسوار من الحلي فإنه بالكسر فقط .

قوله : «ففظعتهما وكرهتهما» بفاء وظاء مشالة مكسورة بعدها عين مهملة ، يقال : فظع الأمر فهو فظيع إذا جاوز المقدار ، قال ابن الأثير : الفظيع الأمر الشديد ، وجاء هنا متعدياً ، والمعروف فظعت به وفظعت منه فيحتمل التعدية على المعنى أى حفتهما ، أومعنى فظعتهما اشتد علي أمرهما . قلت : يؤيد الثاني قوله في الرواية الماضية قريباً «وكبرا علي» .

قوله : «فقال عبدالله أحدهما العنسي الذي قتله فيروز باليمن ، والآخر مسيلمة الكذاب» أما مسيلمة فقد ذكرت خبره ، وأما العنسي وفيروز فكان من قصته أن العنسي وهو الزسود واسمه عبهلة بن كعب وكان يقال له زيضاً ذو الخمار بالخاء المعجمة لأنه كان يخمر وجهه ، وقيل هو اسم شيطانه . وكان الأسود قد خرج بصنعاء وادعى النبوة وغلب على عامل صنعاء المهاجر بن أبي أمية ، ويقال إنه مر به فلما حاذاه عثر الحمار فادعى أنه أنه سجد له ، ولم يقم الحمار حتى قال له شيئاً فقام ، وروى يعقوب بن سفيان والبيهقى في «الدلائل» من طريقه من حديث ان عمان بن بزرج بضم الموحدة وسكون الزاي ثم راء مضمومة ثم جيم قال : خرج الأسود الكذاب وهو من بني عنس بعني بسكون النن وكان معه شيطانان يقال لأحدهما سحيق بمهملتين وقاف مصغر والآخر شقيق بمعجمه وقافين مصغر ، وكانا يخبرانه بكل شئ يحدث من أمور الناس ، وكان ياذان امل النبي=

المدينة عام حجة الوداع وعامله على اليمامة ثمامة بن أثال ثم بعث نهاراً بعد ما بلغه خروج مسيلمة معلماً وكان مسيلمة من أهل هذا ، وبعث إلى أهل حجر فاستجلبه فلما شهد له نهار الرجّال أن النبى ﷺ زعم أنه أشرك معه فى الأمر أخرجا عامة من بحجر .

عن طلحة بن الأعلم عن عبد الله بن عمير الحنفي ، قال : لما قدم بكتاب النبي ﷺ إلى إلي اليمامة إلى ثمامة بن إثال بخيل له وطلب عورته وقد أخبره أن معه شيطاناً مارداً وأنه يصغي إليه وادعى إلى شئ فلا يعمل إلا بأمره وأنه ذلك إن سد فيه يريد أن فتعلموها زيدتان كأنهما زبيبتان فلا نشهد عليه حتى ترى ذلك فإن قلبه عند ذلك في سعل وإنك أن عاجله احد ثم أمنه عليه وقال ان قويت على مكابرته فكابره واستعن بفلان ممن حول اليمامة من تميم وقيس فلما لم يقدر علي مرضه منه وكاتبه الذى كتب اليهم النبي ﷺ من حوله وقطع طريق اليمامه أعتزل ثمامة فيمن ثبت على الأسلام من بني حنيفة وكانوا فرقتين فرقه معه وفرقة مع مسيلمه الموسم فنزل الوسم وجعل تميماً وقيساً من خلفه واستهدهم وأمده الزبرقان بن بدر وقيس وصفوان ووكيع وعمرو ابن حرم النميرى وعمرو بن فلان الحفاحى فأقتحم بهم ثمامة عليهم فالتقى هو مسيلمة يملهم بقتل حبيب بن قيس بن حبيب أخو مسيلمة وجعفر بن مسيلمة بن قتادة وعزاء بن علي وخرج ثمامه وأصحابه علي الغنم والظفر فعادوا واصحابه إلى الموسم وتضعضع عنه مسيلمة ، وقال ثمامه بن اثال في ذلك .

قالت رميله أين ترحل بعد ما ... جدا الرحيل يحجفل حدار
وتعرضت لتلومني في عزوتي ... مشفقاً على مخافة الاقدار
فقصبت بمادلتى وقلت لها أحمقي ... وقضضت جميع مغامر حبار

= ﷺ بصنعاء فمات ، فجاء شيطان الأسود فأخبره ، فخرج في قوه حتى ملك صنعاء وتزوج المرزبانة زوجه باذان، فذكر القصة في مواعدتها دادويه وفيروز وغيرهما حتى دخلوا على الأسود ليلاً ؛ وقد سقته المرزبانة الخمر صرفاً حتى سكر ، وكان عليبابه ألف حارس . فنقب فيروز ومن معه الجدار حتى دخلوا فقتله فيروز واحتز رأسه ، وأخرجوا المرأة وماأحبوا من متاع البيت ، وأرسلو الخبر إلى المدينة فوافى بذلك عند وفاة النبي ﷺ . قال أبو الأسود عن عرة : أصيب الأسود قبل وفاة النبي ﷺ بيوم وليلة ، فأتاه لوحي فأخبر به أصحابه ، ثم جاء الخبر إلى أبي بكر رضى الله عنه ، وقيل وصل الخبر بذلك صبيحة دفن النبي ﷺ .

ورميت مشتبه الفلات بفيلق شهباً ذات نوارح واوار
وفتحت بالجيش الموبر جمعهم ورياح كل مصلصل حران
وخدعت عربين اليمامه كلهم بخيبهم ويجعفر وعزار

وكانت بنو حنيفة فرقتين فرقة مع مسيلمة وهو أهل هجر وحشدوا ثم خرجوا نحو الوشم وفرقة مع تمامه من بني سحيم وأهل القرى من فينا حنيفة فغضب اهل حجر ثم خرجوا نحو الوشم يغزون يمامه ومن بيعة من بني تميم سحيم واهل القرى ومن أمره من تميم وقيس فألتفوا بالوشم فأقتتلوا قتالاً شديداً فهزم مسيلمة واصحابه واتبعهم تمامه بمن معه يقتلونهم قاهرين لهم ثم رجعوا وقد بنوا أيديهم مما أصابوا من جند مسيلمة فقال ثَم في ذلك .

قات رميله لايهد وقد جرى يوم الغوير بحكهما استعار
أرميل لى أني لم اربح مودتى حتى تزيل مساقتى الأقدار
أرميل أني شاري لمحمد نفسي واهلى الدهور عمار
فغضبت جميعهم يطعن مصائب حتى نزهده بيننا الأكوار
وركبت غازى القرى فى أثره اقرى المنان وجعنا سيار

قال سيف عن طلحة عن ماهان عن ابن عباس -رضى الله تبارك وتعالى عنهما- قال : فأتي النبي ﷺ الخبر بما ألقي مسليمة فقال : هداك مسيلمة قد سحى وضاق ضرعاً والله مخزيه ومن لقيه فليبرأ منه فأن له شيطاناً لايقطع أمراً دونه يصغى إليه فإذا اصغي إليه فليغتنم شغله فإن قليه محامر وأنه ذلك أرشد سفيه يزيد أن حتى فعلوهما زبيبتان وأنه لا يصاب إلافي تلك الحال .

ذكر خروج طليحة في حياة رسول الله ﷺ

هو طليحة بن خويلد بن نوفل بن نصلة بن الاشتر بن حجوان ابن فقعس بن طريف بن عر بن عمرو بن معين بن الحارث بن ثعلبه بن دوقا بن راشد بن خزيمة بن دركة بن ألياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان أبو الجبال الأسدي ذو النون كان يعدل بألف فارس .

كان قد تنبأ في حياة رسول الله ﷺ ، فوجه إليه النبي ﷺ ضرار بن الأزور عاملاً علي بني أسد وأمرهم بالقيام على من ارتد ، فضعف أمر طليحة حتى لم يبق إلا أخذه ، فضربه بسيف ، فلم يصنع فيه شيئاً ، فظهر بين الناس أن ا لسلاح لايعمل فيه ، فكثر جمعه . ومات النبي ﷺ ، وهم على ذلك ، فكان طلحة يقول : إن جبرائيل يأتيني ، وسجع للناس الأكاذيب ، وكان يأمرهم بترك السجود في الصلاة ويقول : إن الله لايصنع بتعفر وجوهكم وتقبح أدباركم شيئاً ، اذكروا الله أعفة قياماً ، إلى غير ذلك ، وتبعه كثير من العرب عصبيةً، فلهذا كان أكثر أتباعه من أسد وغطفان وطئ . فسارت فزارة وغطفان إلى جنوب طيبة ، وأقامت طئ على حدود أراضيهم وأسد بسميراء ، واجتمعت عبس وثعلبة بن سعد ومرة بالأبرق من الربذة ، واجتمع إليهم ناس من بني كنانة، فلم تحملهم البلاد فافترقوا فرقتين ، أقامت فرقة بالأبرق ، وسارت فرقة إلى ذي القصة ، وأمدهم طليحة بأخيه حبال ، فكان عليهم وعلى من معهم من الدئل وليث ومدلج ، وأرسلوا إلى المدينة يبذلون الصلاة ويمنعون الزكاة ، فقال أبو بكر : والله لو منعوني عقالاً لجاهدتهم عليه . وكان عقل الصدقة على أهل الصدقة وردهم ، فرجع وفدهم ، فأخبروهم بقلة من في المدينة وأطمعوهم فيها .

وجعل أبو بكر بعد مسير الوفد على أنقاب المدينة علياً وطلحة والزبير وابن مسعود ، وألزم أهل المدينة بحضور المسجد خوف الغارة من العدو لقربهم، فما لبثوا إلا ثلاثاً حتى طرقوا المدينة غارة مع الليل وخلفوا بعضهم بذي حسى ليكونوا لهم رد ءاً ، فوافوا ليلاً الأنقاب وعليها المقاتلة فمنعوهم ، وأرسلوا إلى أبي بكر بالخبر ، فخرج إلى أهل المسجد على النواضح ، فردوا العدو واتبعوهم حتى بلغوا ذا حسي ، فخرج عليهم الرد ء بأنحاء قد نفخوها وفيها الحبال ، ثم دهدهوها على الأرض ، فنفرت إبل المسلمين وهم عليها ورجعت بهم إلى المدينة ولم يصرع مسلم .

وظن الكفار بالسلمين الوهن ، وبعثوا إلى أهل ذي القصة بالخبر ، فقدموا عليهم ، وبات أبو بكر يعبي الناس ، وخرج على تعبية يمشي وعلي ميمنته النعمان بن مقرن وعلى ميسرته عبد الله بن مقرن وعلى أهل الساقة سويد بن مقرن . فما طلع الفجر إلا وهم والعدو على صعيد واحد ، فما شعروا بالمسلمين حتى وضعوا فيهم السيوف ، فما ذر قرن الشمس حتى ولوهم الأدبار وغلبوهم على عامة ظهرهم وقتل رجال ، واتبعهم أبو بكر حتى نزل بذي القصة

وكان أول الفتح ، ووضع بها النعمان بن مقرن في عدد ، ورجع إلى المدينة ، فذل له المشركون . فوثب بنو عبس وذبيان على من فيهم من المسلمين فقتلوهم

فحلف أبو بكر ليقتلن في المشركين بمن قتلوا من المسلمين وزيادة ، وازداد المسلمون قوة وثباتاً .

وطرقت المدينة صدقات نفر كانوا على صدقة الناس ، بهم صفوان والزبرقان بن بدر وعدي بن حاتم ، وذلك لتمام ستين يوماً من مخرج أسامة ، وقدم أسامة بعد ذلك بأيام ، وقيل : كانت غزوته وعوده في أربعين يوماً . فلما قدم أسامة استخلفه أبو بكر على المدينة وجنده معه ليستريحوا ويريحوا ظهرهم ، ثم خرج فيمن كان معه ، فناشده المسلمون ليقيم ، فأبي وقال : لأواسينكم بنفسي .وسار إلى ذي حسي وذي القصة حتى نزل بالأبرق فقاتل من به ، فهزم الله المشركين وأخذ الخطبة أسيراً ، فطارت عبس وبنو بكر ، وأقام أبو بكر بالأبرق أياماً ، وغلب على بني ذبيان وبلادهم وحماها لدواب المسلمين وصدقاتهم .

ولما انهزم عبس وذبيان رجعوا إلى طليحة وهو ببزاخة ، وكان رحل من سميراء إليها ، فأقام عليها ، وعاد أبو بكر إلى المدينة . فلما استراح أسامة وجنده ، وكان قد جاءهم صدقات كثيرة تفضل عليها ، قطع أبو بكر البعوث وعقد الألوية ، فعقد أحد عشر لواء ، عقد لواء لخالد بن الوليد وأمره بطليحة ابن خويلد فإذا فرغ سار إلى مالك بن نويرة بالبطاح إن أقام له ، وعقد لعكرمة ابن أبي جهل وأمره بمسيلمة ، وعقد للمهاجر بن أبي أمية وأمره بجنود العنسي ومعونة الأبناء على قيس بن مكشوح ، ثم يمضي إلى كندة بحضرموت ، وعقد لخالد بن سعيد وبعثه إلى مشارف الشام ، وعقد لعمرو بن العاص وأرسله إلى قضاعة ، وعقد لحذيفة بن محصن الغلفاني وأمره بأهل دبا ، وعقد لعرفجة بن هرثمة وأمره بمهرة وأمرهم أن يجتمعا وكل واحد منهما على صاحبه في عمله . وبعث شرحبيل بن حسنة في أثر عكرمة بن أبي جهل وقال : إذا فرغ من

اليمامة فالحق بقضاعة وأنت على خيلك تقاتل أهل الردة . وعقد لمعن بن حاجز وأمره ببني سليم ومن معهم من هوازن ، وعقد لسويد بن مقرن وأمره بتهامة باليمن ، وعقد للعلاء بن الحضرمي وأمره بالبحرين ، ففصلت الأمراء من ذي القصة ولحق بكل أير جنده ، وعهد إلى كل أمير وكتب إلى جميع المرتدين نسخة واحدة يأمرهم بمراجعة الإسلام ويحذرهم ، وسير الكتب إليهم مع رسله . ولما انهزمت عبس وذبيان ورجعوا إلى طليحة ببزاخة أرسل إلى جديلة والغوث من طيئ يأمرهم باللحاق به ، فتعجل إليه بعضهم وأمروا قومهم بالحاق بهم ، فقدموا على طليحة .

وكان أبو بكر بعث عدي بن حاتم قبل خالد إلى طيئ وأتبعه خالداً وأمره ان يبدأ بطيئ ومنهم يسير إلى بزاخة ثم يثلث بالبطاح ولايبرح إذا فرغ من قوم حتى يأذن له . وأظهر أبو بكر للناس أنه خارج إلى خيبر بجيش حتى يلاقي خالداً ، يرهب العدو بذلك .

وقدم عدي علي طيئ فدعاهم وخوفهم ، فأجابوه قالوا له : استقبل الجيش فأخره عنا حتى نستخرج من عند طليحة منا لئلا يقتلهم . فاستقبل عدى خالداً وأخبره بالخبر ، فتأخر خالد ، وأرسلت طيئ إلى إخوانهم عند طليحة فلحقوا بهم، فعادت طيئ إلي خالد بإسلامهم ، ورحل خالد يريد جديلة ، فاستمهله عدي عنهم ، ولحق بهم عدي يدعوهم إلى الإسلام ، فأجابوه ، فعاد إلى خالد بإسلامهم ، ولحق بالمسلمين ألف راكب منهم ، وكان خير مولود في أرض طيئ وأعظمه بركة عليهم .

وأرسل خالد بن الوليد عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم الأنصاري طليعة ، فلقيهماحبال أخو طليحة فقتلاه ، فبلغ خبره طليحة فخرج هو وأخوه سلمة ، فقتل طليحة عكاشة وقتل أخوه ثابتاً ورجعا .

وأقبل خالد بالناس فرأوا عكاشة وثابتاً قتيلين ، فجزع لذلك المسلمون ، وانصرف بهم خالد نحو طيئ ، فقالت له طيئ : نحن نكفيك قيساً ، فإن بني أسد حلفاؤنا . فقال : قاتلوا أي الطائفتين شئتم . فقال عدي بن حاتم : لو نزل هذا على الذين [هم] أسرتي الأدنى فالأدنى لجاهدتهم عليه ، والله لا أمتنع عن جهاد بني أسد لحلفهم . فقال له خالد : إن جهاد الفريقين جهاد ، لا تخالف رأي أصحابك وامض بهم إلى القوم الذين هم لقتالهم أنشط ؛ ثم تعبى لقتالهم، ثم سار حتى التقيا على بزاخة ، وبنو عامر قريباً يتربصون على من

تكون الدائرة قال : فاقتتل الناس على بزاخة .

وكان عيينة بن حصن مع طليحة في سبعمائة من بني فزارة ، فقاتلوا قتالاً شديداً وطليحة متلفف في كسائه يتنبأ لهم ، فلما اشتدت الحرب كرّ عيينة على طليحة وقال له : هل جاءك جبرائيل بعد ؟ قال : لا فرجع فقاتل ، ثم كر على طليحة فقال له : لا أبا لك ! أجاءك جبرائيل ؟ قال : لا. فقال عيينة: حتى متى ؟ قد والله بلغ منا ! ثم رجع فقاتل قتالاً شديداً ثم كر على طليحة فقال : هل جاءك جبرائيل ؟ قال : نعم . قال : فماذا قال لك ؟ قال : قال لي : إن لك رحاً كرحاه ، وحديثاً لا تنساه . فقال عيينة : قد علم الله أنه سيكون حديث لا تنساه ، انصرفوا يابني فزارة فإنه كذاب ، فانصرفوا وانهزم الناس .

وكان طليحة قد أعد فرسه وراحلته لامرأته النوار ، فلما غشوه ركب فرسه وحمل امرأته ثم نجا بها وقال : يامعشر فزارة من استطاع أن يفعل هكذا وينجو بامرأته فليفعل . ثم انهزم فلحق بالشام ، ثم نزل على كلب فأسلم حين بلغه أن أسداً وغطفان قد أسلموا ، ولم يزل مقيماً في كلب حتى مات أبو بكر.

وكان خرج معتمراً [في إمارة أبي بكر] ومر بجنبات المدينة ، فقيل لأبي بكر : هذا طليحة ! فقال : ما أصنع به ؟ قد أسلم ! ثم أتي عمر فبايعه حين استخلف . فقال له : أنت قاتل عكاشة وثابت ؟ والله لا أحبك أبداً ! فقال : يا أمير المؤمنين مايهمك من رجلين أكرمهما الله بيدي ولم يهني بأيديهما ! فبايعه عمر وقال له : مابقي من كهانتك ؟ فقال : نفخة أو نفختان [بالكير] . ثم رجع إلى قومه فأقام عندهم حتى خرج إلى العراق .

ولما انهزم الناس عن طليحة أسر عيينة بن حصن ، فقدم به على أبي بكر فكان صبيان المدينة يقولون له وهو مكتوف : ياعدو الله أكفرت بعد إيمانك ؟ فيقول : والله ما آمنت بالله طرفة عين . فتجاوز عنه أبو بكر وحقن دمه .

وأخذ من أصحاب طليحة رجل كان عالماً به ، فسأله خالد عما كان يقول، فقال : إن مما أتي به : والحمام واليمام ، والصرد الصوام ، قد صمن قبلكم بأعوام ، ليبلغن ملكنا العراق والشام .

قال : ولم يؤخذ منهم سبي لأنهم كانوا قد أحرزوا حريمهم ، فلما انهزموا أقروا بالإسلام خشيه على عيالاتهم ، فآمنهم[1] .

---

(١) عامة هذا الفصل مطموس في (الأصل) أو مضطرب السياق ، فأثبتناه من (الكامل في التاريخ) لابن الأثير: ٣٤٣/٢-٣٤٩

وخرج البيهقي من طريق محمد بن يوسف الغمرياني ، قال : حدثنا سفيان ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قال : قال لي أبو بكر أي يوم توفي رسول الله ﷺ ؟ قلت : يوم الاثنين ، قال : إني أرجو أن أموت فيه ، فمات فيه .

ومن طريق خالد بن أبي عمران ، عن حنش ، عن ابن عباس -رضي الله تبارك وتعالى عنه- قال : ولدنبيكم ﷺ يوم الاثنين ، ونبئ يوم الاثنين ، وخرج من مكة يوم الأثنين ، وفتح مكة يوم الاثنين ، ونزلت سورة المائدة يوم الأثنين: **﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾** . وتوفي يوم الاثنين .

وأخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان ببغداد ، قال : أخبرنا عبدالله بن جعفر بن درستويه ، قال : حدثنا يعقوب بن سفيان ، عن يحيى بن عبد الله بن بكير ، قال حدثنا ابن لهيعة عن خالد ، عن حنش، عن ابن عباس فذكره بنحوه ، زاد : ودخل المدينة يوم الإثنين ، ولم يذكر قوله : ونبي يوم الأثنين قلت: وقد خولف في قوله **﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾**، قال عمر بن الخطاب : نزل يوم الجمعة ، يوم عرفة ، وكذلك قال عمار بن أبي عمار عن ابن عباس .

ومن طريق يعقوب بن سفيان قال : حدثنا عمرو بن خالد ، قال : حدثنا ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة ، قال : وحدثنا يعقوب ، حدثنا إبراهيم بن المنذر ، عن ابن فليح ، عن موسى بن عقبة ، عن ابن شهاب ، قالا: اشتد برسول الله ﷺ الوجع ، فأرسلت عائشة إلى أبي بكر ، وأرسلت حفصة إلى عمر ، وأرسلت فاطمة إلى علي ، ولم يجتمعوا حتى توفي رسول الله ﷺ على صدر عائشة ، وفي يومها يوم الاثنين . زاد إبراهيم : حين زاغت الشمس بهذا ربيع الأول .

ومن طريق المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، أن رسول الله ﷺ مرض لإثنتين وعشرين ليلة من صفر ، وبدأه وجعه عند وليدة له ، يقال لها ريحانة ، كانت من سبي اليهود ، وكان أول يوم مرض فيه يوم السبت ، وكانت وفاته اليوم العاشر ، يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول ، لتمام عشر سنين من مقدمه المدينة .

ومن طريق الواقدي : قال حدثنا أبو معشر عن محمد بن قيس ، قال : اشتكى رسول الله ﷺ يوم الأربعاء لإحدى عشرة بقيت من صفر سنة إحدى عشرة في بيت زينب بنت جحش شكوى شديدة ، واجتمع عنده نساؤه كلهن ، إشتكى ثلاثة عشر يوماً وتوفي يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول سنة إحدى عشرة .

قال الواقدي : حدثنا سعيد بن عبد الله بن أبي الأبيض عن المقبري ، عن عبد الله بن رافع ، عن أم سلمة ، أن رسول الله ﷺ بدئ في بيت ميمونة زوجته .

ومن طريق عبد الله بن جعفر ، قال : حدثنا يعقوب بن سفيان ، قال:حدثنا أحمد بن يونس ، عن أبى معشر ، عن محمد بن قيس ، قال : أشتكى رسول الله ﷺ ثلاثة عشر يوماً ، فكان إذا وجد خفة صلى ، وإذا ثقل ، صلى أبو بكر .

ومن طريق سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، قال : توفي رسول الله ﷺ لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول ، اليوم الذي قدم فيه المدينة مهاجراً ، فاستكمل رسول الله ﷺ في هجرته عشر سنين كوامل(١) .

وقال الرافعي وعاش ﷺ بعدها يعني حجة الوداع ثمانين يوماً وقيل ويوماً وقال النووى فى (الروضة) : وتوفى ﷺ يوم الاثنين ضحوة لاثنتى عشرة خلت من ربيع الأول وقال أبو الفتح محمد بن سيد الناس فى (سيرته): والجمهور على أنه توفي ﷺ في الثانى عشر من ربيع الأول يوم الاثنين . وقال أبو الربيع ابن سالم وهذا لايصح وقد جرى فيه من الغلط على العلماء ما علينا إثباته وقد تقدمه السهيلي الى بيانه لأن حجة الوداع كانت وقفتها يوم الجعة بالاتفاق فلا بستعيموا أن يكون يوم الاثنين ثانى عشر ربيع الأول سواء تمت الشهور أو نقصت أم تم بعضها .

قال الطبرى : توفي ﷺ يوم الاثنين من ليتين مضتا من ربيع الأول . وقال أبو بكرالخوارزمى : فى أول يوم منه ، وبيان قول أبى الربيع أن الأشهر الثلاث التي بقيت من عمره ﷺ اذا كانت تامه كان الثانى عشر من ربيع الأول وإنما هو الأحد فإنه يكون أول ذي الحجة الخميس ، وآخره يوم الجمعة ، وأول المحرم يوم السبت ، وآخره الأحد ، وأول صفر الاثنين ، وآخره الثلاثاء، وأول ربيع الأربعاء، فحينئذ الثانى عشر الأحد ، وإن نقص شهران فتم شهر كان أول ربيع الاثنين ، وثاني عشر الجمعة ، وإن نقص الأشهر الثلاث كان أول ربيع الأحد ،والثانى عشر الخميس .

وقد اعترض فى (المهمات) على صاحب (الروضة) وغلط فيما قال بهذا

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٧/٢٣٣-٢٣٥ .

الاعتراض ولم ينسبه إلى قائله لقد أجيب عن هذا الاعتراض بأن التاريخ إنما يقع برؤيه الأهله والأهله ، تختلف بحسب المطالع وكل قطر يؤرخون ويحولون برؤيتهم ولايعتبرون برؤية من بعد عنهم في التاريخ وسائر الأحكام .

وأهل مكة رأو هلال ذي الحجة ليلة الخميس ، ووقفوا يوم الجمعة ، وأهل المدينة يجوز أنهم رأوه ليلة الجمعة ،لأن مطلعهم مختلف عن أهل مكة ، فإذا تمت الشهور كان أول ذي الحجة الجمعة وآخره السبت وأول المحرم الأحد وأخره الاثنين وأول سفر الثلاثاء ، وآخره الأربعاء ، وأول ربيع يوم الخميس ، فيكون ثاني عشر الاثنين .

قول الرافعي رحمه الله : إنه ﷺ عاش بعد حجتة ثمانين يوماً ، يقتضى أن وفاته أول يوم من ربيع الأول ، وقد ذهب اليه طائفه كما تقدم .

وقال محمد بن عابد في (مغازيه) حدثنا الوليد بن مسلم عن سعيد بن بشير انه حدثهم عن محمد بن السيد الكلبى عن أبى صلح بن العباس -رضى الله تبارك وتعالى عنهما- أن الله عز وجل أنزل على رسول الله ﷺ سورة المائدة وهو واقف ﷺ بعرفه قوله تعالي ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم**﴾[1] فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام وإنه إنما عاش ﷺ بعدها ثمانين يوماً حتى قبضه الله تعالى وقوله يوماً بعد الثمانين يقضى وفاته لليلتين مضتا من ربيع الأول .

قال سيف في كتاب (الرده) : عن محمد بن عبيد الله عن الحكم عن [مقسم] عن ابن عباس - رضى الله تبارك وتعالى عنهما- قال : فلما قضي رسول الله ﷺ حجته أو نفر نزل الحصبه ثم ارتحل منها حتي قدم المدينة فأقام بها بقية ذي الحجة والمحرم وصفر وتوفى ﷺ يوم الاثنين لعشر خلون من ربيع الأول وقال عن محمد بن اسحاق عن الزهرى عن عروة عن عائشة - رضى الله تبارك وتعالى عنها- مثله إلا أن ابن العباس - رضى الله تبارك وتعالى عنهما- قال : في أول الأيام مضينا منه وقالت عائشة -رضى الله تبارك وتعالى عنها- بعد ما مضي منه والله تبارك وتعالى أعلم .

---

(١) المائدة : ٣

ذكر مبلغ عمر رسول الله ﷺ

اعلم أن الروايات قد اختلفت عن ابن عباس -رضي الله تبارك وتعالي عنهما- وعن عائشة وأنس بن مالك - رضي الله تبارك وتعالى عنهم- فى سن النبي ﷺ فروى رضي الله تبارك وتعالي عنهم ستون ، وروي ويتبين ثلاث وستون وروى عن ابن العباس -رضى الله تبارك وتعالى عنهما- أيضا خمسة وستون ويتبين هذا مما يوردهم عنهم انشاء الله تعالي .

خرج البخاري فى أول المناقب[١] ، وفى آخر المغازي[٢] ، وخرج

---

(١) (فتح الباري) : ٦/٦٩٤ ، كتاب المناقب ، باب (١٩) وفاة النبي ﷺ ، حديث رقم (٣٥٣٦) .

(٢) (المرجع السابق) : ٨/١٩٠ ، كتاب المغازي باب (٨٦) حديث رقم (٤٤٦٦) . قوله : باب وفاة النبي ﷺ أي في أي السنين وقعت ؟ قوله : (عن يحيي) هو ابن أبي كثر .

قوله : (لبث بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن ، وبالمدينة عشراً) هذا يخالف المروي عن عائشة عقبة أنه عاش ثلاثاً وستين ، إلا أن يحمل على إلغاء الكسر كما قيل مثله في حديث أنس المتقدم في ·باب صفه النبي ﷺ من كتاب المناقب . وأكثرها ماقيل في عمره أنه خمس وستون سنه ، أخرجه مسلم من طريق عمار بن أي عمار، عن ابن عباس ، ومثله لأحمد عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، وهو مغاير لحديث الباب لأن مقتضاه أن يكون عاش ستين إلا أن يحمل على إلغاء الكسر ، أو على قول من قال : إنه بعث ابن ثلاث واربعين وهو مقتضى رواية عمرو بن دينار ، عن ابن عباس أنه مكث بمكة ثلاث عشرة ومات ابن ثلاث وستين، وفي رواية هشام بن حسان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : لبث بمكة ثلاث عشرة وبعث لأربعين ومات وهو ابن ثلاث وستين . وهذا موافق لقول الجمهور ، وقد مضى في باب هجرة النبي ﷺ ، والحاصل أن كل من روى عنه من الصحابة مايخالف المشهور - وهو ثلاث وستون - جاء عنه المشهور ، وهم ابن عباس وعائشة وأنس ، ولم يختلف على معاوية أنه عاش ثلاثاً وستين ، وبه جزم سعيد بن المسيب والشعبى ومجاهد ، وقال أحمد : هو الثبت عندنا ، وقد جمع السهيلى بين القوليين المحكيين بوجه آخر ، وهو أن من قال : مكث ثلاث عشرة عد من أول ماجاء الملك بالنبوة ، ومن قال : مكث عشراً أخذ مابعد فترة الوحي ومجئ الملك بياأيها المدثر ، وهو مبني على صحة خبر الشعبي الذي نقلته من تاريخ الإمام أحمد في بدء الوحي ، ولكن وقع في حديث ابن عباس عند بن سعد ما يخالفه كما أوضحته فى الكلام على حديث عائشة في بدء الوحي المخرج من رواية =

مسلم[٣] من حديث عقيل بن شهاب أخبرني سعيد بن المسيب بمثل ذلك وأخرجه مسلم من طريق يونس بن يزيد عن ابن شهاب مثل حديث عقيل .

وأخرجه النسائي[٤] أيضا .

وخرج البخاري من هشام حدثنا عكرمه ، عن ابن عباس -رضى الله تبارك وتعالى عنهما- قال : بُعث رسول الله ﷺ لأربعين سنه ، فمكث بمكة ثلاث عشرة يوحي اليه ، عشرة سنه بالهجرة ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين ومات وهو ابن ثلاثة وستين[٥] .

ومن طريق مطر بن الفضل حدثنا روح بن عبادة ، حدثا ذكريا بن إسحاق حدثنا عمرو بن دينار ، عن ابن عباس -رضي الله تبارك وتعالى- قال : مكث رسول الله ﷺ بمكة ثلاث عشرة وتوفي وهو ابن ثلاث وستين . خرج في أول كتاب فضائل القرآن[٦] من طريق يحيى عن ابن سلمة قال : أخبرتني

= معمر عن الزهري فيما يتعلق بالزيادة التى أرسلها الزهري ، ومن الشذوذ مارواه عمر بن شبة أنه عاش إحدى أو اثنتين وستين ولم يبلغ ثلاثاً وستين ، وكذا رواه ابن عساكر من وجه المذكور أنه شاذ من القول ، وقد جمع بعضهم بين الروايات المشهورة بأن من قال : خمس وستون جبر الكسر ، وفيه نظر لأنه يخرج منه أربع ستون فقط وقل من تنبه لذلك .

قوله : قال ابن شهاب : واخبرني سعيد بن المسيب مثله . وهو موصول بالإسناد المذكور ، وقوله : [مثله] يحتمل أن يريد أنه حدثه بذلك عن عائشة أو أرسله ، والقصد بالمثل المتن فقط ، وقد اخرجه الإسماعيلي من طريق يونس ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن عائشة رضي الله عنها ، وقد جوزت أن يكون موصولاً لما شرحت هذا الحديث فى أوائل صفة النبي ﷺ حتى ظفرت به الآن كما حررت ، والله الحمد .

(٣) (مسلم بشرح النووي) ك ١٠٨/١٥ ، كتاب الفضائل ، باب (٣٢) باب كم سن النبي -ص) يوم قبضه ، حديث رقم (١١٤) ، وباب (٣٣) كم أقام النبي ﷺ بمكة والمدينة ، حديث رقم (١١٧) .

(٤) لعله في (الكبرى) .

(٥) (فتح البارى) : ٢٨٧/٧ ، كتاب مناقب الأنصار ، باب ٤٥٠) هجرة النبي (ص) واصحابه إلى المدينة ، حديث رقم (٣٩٠٢) .

(٦) (المرجع السابق) : ٣/٩ ، كتاب افضائل القرأن ، باب (١) كيف نزل الوحي ، وأول مانزل حديث رقم (٤٩٧٨) ، (٤٩٧٩) .

عائشة وابن عباس - رضى الله تبارك وتعالى عنهما- قالا : لبث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين ونزل عليه القرآن ، بالمدينة عشر سنين . وخرجه أيضاً فى آخر كتاب[1] المغازي عن يحيى ، عن أبى سلمى ، عن عائشة وابن عباس -رضى الله تبارك وتعالى عنهما- قال : لبث بمكة الحديث بمثله .

وخرج مسلم عن طريق يزيد بن زريع حدثنا يونس بن عبيد ، عن عمار مولى بنى هاشم قال سألت ابن عباس كم أتى لرسول الله ﷺ يوم مات فقال ما كنت أحسب ، مثلك من قومه يخفي عليه ذلك ! قال : قلت إنى قد سألت الناس فاختلفوا عليّ فأحببت أن أعلم قولك فيه، قال : أتحسب ؟ قال : قلت : نعم قال : أمسك أربعين بُعث لها ،وخمس عشرة بمكة يأمن ويخاف فأمرها وخاف ، وعشرة من مهاجره إلى المدينة[2] ، وخرجه من حديث شبانة بن سوار حدثنا شعبه عن يونس بهذا الإسناذ[3] ، نحو حديث ابن ذريع من حديث روح وخالد الجد ، وحدثنا حماد بن سلمة ، عن عمار عن ابن عباس -رضى الله تبارك وتعالى عنهما - قالا : أقام رسول الله ﷺ بمكة خمس عشرة سنه يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئا ، و ثمان سنين يوحى إليه، وأقام بالمدينة عشراً[4] .

وخرج الترمذى من حديث نصر بن علي عن بشر بن الفضل عن خالد ، الخبر بمثله وقال : هذا هديث حسن صحيح .

وخرج مسلم من حديث سفيان عن عمرو قال : قلت لعروة كم لبث النبي ﷺ بمكلة ؟ قال : عشراً ، قلت : فإن ابن عباس يقول : بضع عشرة ، فقال : فغفره . وقال : إنما أخذه من قول الشاعر ، قلت : يعنى حسان[5] :

ويؤتى فى قريش بضع عشرة حجة   يذكر لو يلقى خليلاً مواسياً .

وذكر ذلك كله مسلم في كتاب المناقب وخرج مسلم من حديث روح بن

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) (مسلم بشرح النووى) : حديث رقم (١٩٩)

(٣) (المرجع السابق) : الحديث الذي يلي الحديث رقم (١٢١) بدون رقم .

(٤) ا(المرجع السابق) : حديث رقم (١٢٣)

(٥) (المرجع السابق) : باب (٣٣) ، الحديث الذي يلي الحديث (١١٦) بدون رقم .

عبادة حدثنا زكريا بن إسحاق ، عن عمرو بن دينار عن ابن عباس - رضى الله تبارك وتعالى عنهما قال : إن رسول الله ﷺ مكث بمكة ثلاث عشرة سنة، وتوفى ﷺ وهو ابن ثلاث وستين(١)

وخرجه الترمذئ من طريق روح به ، قال : حديث ابن عباس - رضى الله تبارك وتعالى عنهما- حديث حسن غريب من حديث عمرو بن دينار .

وخرج مسلم من حديث حماد عن أبى حمرة عن ابن عباس - رضى الله تبارك وتعالى عنهما- قال : أقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه وبالمدينة عشراً ، ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة(٢) .

وخرج مسلم من حديث حكام مسلم حدثنا عثمان بن زائدة عن الزبير بن عدي عن أنس وأبو بكر رضي الله تبارك وتعالى عنه- قال : قبض وهو ابن ثلاث وستين(٣) وروى مالك فى الموطأ عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن عن أنس ابن مالك - رضى الله تبارك وتعالى عنهما- أنه سمعه يقول كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل البائن ولا بالقصير ولا بالأبيض الأمهق ولا بالآدم ولا بالجعد القطط ولا بالسبط . بعثه الله تعالى على رأس أربعين سنه وليس فيه لحيته ورأسه عشرين شعرة بيضاء(٤) .

قال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله : أما قول : بعثه الله تعالى على رأس أربعين سنه فأقام بمكه عشر سنين فاختلف فى ذلك ، وأما قوله بالمدينة عشر سنين فأجتمع عليه لا خلاف بين العلماء فيه ، وأما قوله : وتوفاه الله تعالى على رأس الستين فمختلف فيه على حسب اختلافهم فى مقامه ﷺ بمكة ، فحديث ربيعة عن أنس - رضي الله تبارك وتعالى عنه - على ما يرى أن رسول الله ﷺ توفى وهوابن ستين ،.

وراوه عن ربيعة جماعة من الأئمة منهم مالك بن أنس ، وأنس بن عياض، وعمارة بن عونة ، ويحيى بن سعيد الأنصارى ، والأوزاعى ، وسعيد ابن أبي هلال ، وسليمان بن بلال ، كلهم عن ربيعة بمعنى حديث مالك سواه .

---

(١) (المرجع السابق) : حديث رقم (١١٧)

(٢) (المرجع السابق) : حديث رقم (١١٨)

(٣) (المرجع السابق) : حديث رقم (١١٤) .

(٤) (فتح البارى) : ٦/ ٧٠٠ ، كتاب المناقب ، باب (٢٣) صنعة النبي ﷺ حديث رقم (٣٥٤٩)

وقد ذكر البخارى حديث ربيعة عن أنس - رضى الله تبارك وتعالى عنهما - هذا بما تبعه ، فذكر حديث حكام بن مسلم الذى تقدم ، ثم قال البخارى : وهذا أصح عندي من حديث ربيعة .

قال أبوعمر : إنما قال البخاري ذلك والله تعالى أعلم ، لأن عائشة ومعاوية وابن عباس - رضي الله تبارك وتعالى عنهما- على اختلاف عنه ، كلهم يقول : إن رسول الله ﷺ توفي وهو ابن ثلاث وستين ولم يختلف عن عائشة ومعاوية وابن عباس -رضى الله تبارك وتعالى عنهم- ولم يختلف عن عائشة ومعاوية - رضي الله تبارك وتعالى عنهما- فى ذلك ، رواه جرير عن معاوية .

وجاء عن أنس -رضي الله تبارك وتعالى عنه- كما ذكره ربيعة عنه، وذلك مخالف لماذكره هؤلاء كلهم ، وروى الزبير بن عدي وهو عن أنس -رضي الله تبارك وتعالى عنه- مايوافق ماقالوا ، فقطع البخارى بذلك ، لأن المنفرد اولى بإضافة الوهم إليه من الجماعة .

وأما عن طريق الأسناد فحديث ربيعة أحسن اسناداً في ظاهره ، إلا أنه قد بان من باطنه مايضعفه ، وذلك مخالفة لأكثر الحفاظ له .

قال : وقد تابع ربيعة على روايته عن ابن أنس -رضي الله تبارك وتعالى عنه- نافع أبو غالب ، روي عن أنس -رضي الله تبارك وتعالى عنه- قال : بعث رسول الله ﷺ وله أربعون سنة .

وذكر البخارى من طريق عبد الرزاق قال أبو غالب نافع إنه سمع أنس بن مالك -رضى الله تبارك وتعالى عنه- يقول : أقام رسول الله ﷺ بمكة عشراً بعد أن بعث .

وذكره ابن أبي خثيمة فبيا محمد بن عمر ، حديثا نافع أبو غالب ، قال: قلت لأنس -رضى الله تبارك وتعالى عنه- : يا أبا حمزة ، لم كان سنٌ رسول الله ﷺ يوم قبض ؟ قال : ستون سنة، وقد روى ابن وهب عن قرة بن عبد الرحمن عن ابن شهاب عن أنس -رضي الله تبارك وتعالى عنه- : قال نبئ رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين سنة، ومكث بمكة عشراً ، وبالمدينة عشراً ، وتوفي وهو ابن ستين سن .

وقد روى من حديث ابن عمر - رضى الله تبارك وتعالى عنهما- قال : إن رسول الله ﷺ توفي وهو ابن اثنين وستين سنة وذكر ابراهيم بن المنذر عن سعيد بن سعيد بن أبي سعيد عن أخيه عن أبيه عن أبي هريرة -رضي الله

تبارك وتعالى عنهم- قال : نُبئ رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين ، فأقام بمكة عشراً وبالمدينة عشراً ، وتوفي وهو ابن ستين سنة .

قال أبو عمر : وممن قال : إن رسول الله ﷺ بُعث علي رأس أربعين سنة قبات بن أشيم -رضى الله تبارك وتعالى عنهم- ، قال : نبئ رسول الله ﷺ على رأس أربعين من عام الفيل .

قال أبو عمر : لا خلاف أنه ﷺ ولد بمكة عام الفيل وساقه الحبشة إلى مكة يغزون البيت .

قال المؤلف : قد تقدم الخلاف في ذلك ، قال أبو عمر : وروي هشام بن حسان عن عكرمة عن ابن عباس -رضي الله تبارك وتعالى عنهم- قال :بُعث رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين سنة . راوه جماعة عن هشام بن حسان وهو قول عروة بن الزبير وراوه عن عروة هشام بن عروة وعمرو بن دينار وكان عروة يقول:

إنه أقام بمكة عشراً ، وأنكر قول من قال : أقام بها ثلاث عشرة بقوله كقول ربيعة سواء ، كان الشعبيّ يقول بعث رسول الله ﷺ ونُبئ لأربعين ، ثم وكل به إسرافيل ثلاث سنين قرن بنبوته ، فكان يعلمه الكلمة والشئ ، ولم ينزل عليه القرآن علي لسانه ، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل عليه الصلاة والسلام، ونزل القرآن على لسانه ﷺ عشر سنين ، هذا كله قول الشعبي . وكذلك قال محمد بن جبير بن مطعم ، أن رسول الله ﷺ نبئ على رأس ثلاث وأربعين وهو قول عطاء الخراساني وممن قال : إنه بعث على رأس ثلاث وأربعين ابن عباس-رضى الله تبارك وتعالى عنه- ، من رواية هشام الدستواني عن عكرمة عنه، خلاف ماروى هشام بن حسان ، وقاله أيضا سعيد بن المسيب فذكر من طريق أحمد بن حنبل أبا يحيى بن سعيد القطان ، حدثنا هشام قال : أخبرنا عكرمة عن ابن عباس رضي الله تبارك وتعالى عنهما- قال : أنزل على النبي ﷺ وهو أبن ثلاث وأربعين .

قال أحمد بن زهير : وأخبرني أن فتى جرير بن عبد الحميد قال : أخبرنا عبد الله بن عمر وفتى حماد بن زيد جميعا عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب قال : أنزل على النبي ﷺ الوحي وهو ابن ثلاث وأربعين سنة . خالف القواريرى عامتهم في هذا الخبر عن حماد بن زيد فقال فيه : نزل عليه ﷺ وهو ابن أربعين سنة ، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة .

وراوه يزيد بن هرون عن يحيى بن سعيد مثل رواية القواريرى ، وهو عبد الله بن عمر بن حماد بن يزيد .

ثم ذكر من حديث أبي زرعة : حدثنا أحمد بن صالح بن وهب قال : حدثنى قرة بن عبد الرحمن المغازي عن ابن شهاب وربيعة عن أنس -رضي الله تبارك وتعالي عنه- قال نُبّئ رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين ، فأقام بمكة عشراً وبالمدينة عشراً ، قال أبو عمر : لا أعلم أحداً رواه عن ابن شهاب عن أنس -رضي الله تبارك وتعالي عنه- غير قره . وأما مكثة ﷺ بمكة فمن قول أنس-رضي الله تبارك وتعالى عنه- من رواية ربيعة وابن طالب أنه مكث بمكة عشر سنين . وكذلك روى أبو سلمة عن عائشة وابن عباس -رضى الله تبارك وتعالى عنهما- ، وهو قول عروه الشعبيّ وسعيد بن المسيب على اختلاف عنه وابن شهاب ، والحسن ، وعطاء الخرساني ، وكذلك روى هشام الدستواني عن عكرمة عن ابن عباس -رضي الله تبارك وتعالى عنهما ، قال : إنه مكث بمكة بعد مابعث ﷺ ثلاث عشرة سنة . وكذلك روي أبو حمزة وعمرو بن دينار جميعاً عن ابن عباس -رضي الله تبارك وتعالي عنهم ، وهو قول أبو جعفر محمد بن علي .

وأما سنه ﷺ حين توفي

ففي حديث ربيعة وأبي غالب عن أنس -رضى الله تبارك وتعالى عنه- أنه قال : توفى رسول الله ﷺ وهو ابن ستين ، وهو قول عروة بن الزبير .

وروى حميد عن أنس -رضي الله تبارك وتعالي عنه- قال : توفى رسول الله ﷺ وهو ابن خمس وستين . ذكره أحمد بن زهير ، عن ابن معاذ ، عن بشر بن المفضل عن حميد ، وروى الحسن عن دعفل النسابة - وهو دعفل بن حنظلة - قال : إن النبي ﷺ قبض وهو ابن خمس وستين سنة ، ولم يدرك دعفل النبيﷺ . وقال البخاري : ولا يعرف للحسن سماعاً من دعفل . قال البخاري: وروى عمار بن أبي عمار عن ابن عباس -رضي الله تبارك وتعالي عنهما قال: أنزل علي النبي ﷺ بمكة عشر سنين وخمس سنين وأشهر ولم يوافق عليه الصلاة والسلام شيئاً إلا مثل له .

قال : وروى عكرمة عن ابن عباس -رضى الله تبارك وتعالى عنهما قال: إن رسول الله ﷺ قبض وهو ابن ثلاث وستين . قال أبو عمر : قد روى على بن زيد عن يوسف بن مهران عن بن عباس -رضى الله تبارك وتعالى عنهما- قال إن رسول اللهﷺ توفي وهو ابن خمس وستين . ذكره أحمد بن زهير عن أحمد بن حنبل ، عن هيثم عن علي بن زيد . وإنم ذكرنا هذا وإن كان صحيحاً عندنا غيره ، لقول البخاري : إنه لم يتابع عمار بن أبى عمار مولى بني هاشم عن ابن عباس -رضى الله تبارك وتعالى عنهما- أن رسول الله ﷺ توفي وهو ابن ثلاث وستين كما ذكرنا .

وقد روى أبو حمزة ومحمد بن سيرين أيضاً عن ابن عباس -رضى الله تبارك وتعالى عنهما- قال : إن رسول الله ﷺ توفى وهو ابن ثلاث وستين ولم يختلف عن عائشة ومعاوية -رضى الله تبارك وتعالى عنهما- أن رسول اللهﷺ توفى وهو ابن ثلاث وستين .

وأم حديث عمار بن أبي عمار فرواه سفيان الثورى عن خالد الحذاء عن عمار مولى بني هاشم عن ابن عباس -رضي الله تبارك وتعالى عنهما - قال : بعث النبي ﷺ وهو ابن أربعين سنة فأقام بمكة خمس عشرة سنة ، وبالمدينة عشر سنين ، وقبض وهو ابن خمس وستين . راوه شعبة عن يونس بن عبيد عن أبي عمار مولى بني هاشم . ثم قال : سألت ابن عباس -رضي الله تبارك وتعالي عنهما : أبن كم توفى رسول الله ﷺ ؟ فقال : إن هذا الشديد على

مثلك أن يعلم بمثله ورواه حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار ، قال : توفى رسول الله ﷺ وهو ابن خمس وستين .

ورواه حماد بن سلمة عن عمار بن أبى عمار عن ابن عباس -رضي الله تبارك وتعالى عنهما فى هذا أقوى ؛ لأن عمار بن أبي عمار مولى بني هاشم ، وسعيد ابن جبير من رواية العلاء بن صالح عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ويوسف بن مهران كلهم قد تلقوا عن ابن عباس -رضي الله تبارك وتعالى عنهما ، قال : إن رسول الله ﷺ توفى وهو ابن خمس وستين وروى أبو سلمة، وعكرمة ، ومحمد بن سيرين ، وأبو حصين ومقسم ، وأبو طيبان ، وعمرو بن دينار ، كلهم عن ابن عباس -رضي الله تبارك وتعالى عنهما- قال : إن رسول الله ﷺ توفى وهو ابن ثلاث وستين .

وقد روى معاذ عن بشر بن المفّضل ، عن حميد بن أنس -رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال : توفى رسول الله ﷺ وهوابن خمس وستين .

وذكره ابن أبى خثيمة عن المغني بن معاذ هكذا. ورواه أبو مسلم المشتمل عن معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة عن أنس -ضي الله تبارك وتعالى عنه- مثله ، قال : إن رسول الله ﷺ توفي وهو ابن خمس وستين . وقد روى معاذ ابن معاذ عن بشر بن المفضل ، عن حميد عن أنس -رضي الله تبارك وتعالى عنهم- قال : توفى رسول الله ﷺ وهوابن خمس وستين . ثم ذكر أبو عمير من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب ، قال : حدثنى عروة عن عائشة -رضى الله تبارك وتعالى عنهما- قال : توفى رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين .

ومن طريق قاسم بن أصبغ ، حدثني أحمد بن زهير . حدثنا إسماعيل بن كريم الفرجمانى ، حدثنا حسان بن إبراهيم ، حدثنا يونس بن زيد ، عن الزهري، قال : أخبرنى عروة عن عائشة -رضى الله تبارك وتعالى عنها- قالت : توفى رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين . قال الزهرى : أخبرنى سعيد بن المسيب عن عائشة -رضى الله تبارك وتعالى عنها- عن النبي ﷺ مثل ذلك .

قال أبو عمر هذا أصحّ شئ فى هذا الباب إلا أني أعجب من رواية هشام ابن عروة وعمرو بن دينار عن عروة قوله خلاف هذا الحديث على ماقدمناه عنه وما أدري كيف هذا ؟ وروى شعبة وإسرائيل عن أبى إسحاق ، عن عامر بن سعيد عن جرير عن عبد الله ، قال : إنه سمع معاوية يقول : قبض رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين . قاله أبو إسحاق وعامر بن سعد وعبد الله بن عتبه وسعيد بن المسيب والشعبي عليه أقره الناس لأنه يجتمع على هذا القول

كل من قال نبئ على رأس أربعين ، وأقام بمكة ثلاث عشر سنة ، وكل من قال: بُعث على رأس ثلاث وأربعين ، وأقام بمكة عشراً ، وهو الذى يسكن إليه القلب فى وفاته ﷺ ولا خلاف فى أنه ولد يوم الاثنين بمكة في ربيع الأول عام الفيل وأن يوم الاثنين أول يوم أوحي إليه فيه وأنه قدم المدينة فى ربيع الأول .

قال ابن إسحاق هو ابن ثلاث وخمسين ، وأنه توفي يوم الاثنين فى شهر ربيع الأول سنة إحدي من الهجرة . وروى كريب عن ابن عباس -رضى الله تبارك وتعالى عنهما- قال : أوحي الله تعالي إلي النبي ﷺ وهو ابن أربعين ؛ فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة ، وبالمدينة عشراً ، وتوفى وهو ابن ثلاث وستين ، وأنزل عليه وهو ابن أربعين وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة ، وبالمدينة عشراً ، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين، وأنزل عليه وهو ابن أربعين سنة ، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشراً .

قال أبو عمر : هذا أصح ما فى ذلك عندي ، ثم ذكر من طريق أبي زرعة حدثنا أحمد بن صالح حدثنا عيينة بن خالد ، حدثنا يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة -رضي الله تبارك وتعالى عنها- قالت : توفى رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين ، وصدق ذلك حديث علي بن حسين ، قال: إن رسول الله ﷺ توفي ابن ثلاث وستين . والله تبارك وتعالى أعلم .

قال المؤلف : وحديث معاوية الذى ذكره الحافظ أبو عمر ، وخرجه مسلم من طريق سلام بن أبي الأحوص عن أبي إسحاق ، قال : كنت جالساً مع عبد الله بن عتبة فذكروا سنّ رسول الله ﷺ ، فقال بعض القوم : كان أبو بكر -رضي الله تبارك وتعالي عنه- أكبر من رسول الله ﷺ فقال عبد الله : قبض رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين ، ومات أبو بكر -رضى الله تبارك وتعالى عنه- وهو ابن ثلاث وستين وقيل : عمر -رضي الله تبارك وتعالى عنه- وهو ابن ثلاث وستين ، فقال رجل من القوم : كنا قعوداً عند معاوية -رضى الله تبارك وتعالى عنه- قبض رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين ، ومات أبو بكر -رضي الله تبارك وتعالي عنه- وهو ابن ثلاث وستين وقيل : عمر -رضي الله تبارك وتعالي عنه- وهو ابن ثلاث وستين .

وخرجه من طريق شعبة قال : سمعت أبا إسحاق يحدث عن عامر بن سعد البجلي ، عن جرير أن سمع معاوية يخطب ، فقال : مات رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين .

وخرجه الترمذي[1] من طريق شعبة عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد عن جرير بن عبد الله بن أبي سفيان ، أنه قال : سمعته يخطب ويقول : مات رسول الله ﷺ مثله سواء .

وخرجه النسائي من طريق الشعبي عن جرير ، قال : كنا عند معاويه -رضي الله تبارك وتعالى عنه- فقال : قبض رسول الله ﷺ [وهو] ابن ثلاث وستين .

---

(١) (سنن الترمذي) : ٥/٥٦٤-٥٦٥ ، كتاب المناقب ، باب (١٣) فى سن النبى ﷺ كم كان حين مات ، أحاديث أرقام (٣٦٥٠) ، (٣٦٥١) ، (٣٦٥٢) ، (٣٦٥٣) ، (٣٦٥٤) .

ذكر مانزل من المصيبة بالصحابة -رضي الله تبارك وتعالى عنهم- لوفاة رسول الله ﷺ وماحل بالمسلمين عامة من عظم الرزيه بفقده ﷺ .

قال أبو محمد الدرامي : حدثنا أبو نعيم حدثنا فطر ، عن عطاء قال : قال رسول الله ﷺ إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصيبته بي فإنها من أعظم المصائب(١) .

وخرج البخاري في المناقب من حديث سليمان بن بلال ، عن هشام بن عروة قال : أخبرني عروة بن الزبير ، عن عائشة -رضي الله تبارك وتعالى عنها- زوج النبي ﷺ : أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسُّنْح - قال إسماعيل : يعني بالعالية - فقام عمر يقول : والله مامات رسول الله ﷺ . قالت : وقال عمر : والله ماكان يقع في نفسي إلا ذاك ، وليبعثنه الله ، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم . فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ فقبّله فقال : بأبي أنت وأمي ، طبت حياً وميتاً ، والذي نفسي بيده لايذيقك الله الموتتين أبداً . ثم خرج فقال : أيها الحالف ، على رسلك . فلما تكلم أبو بكر جلس عمر(٢) .

فحمدا الله [تعالى] أبو بكر وأثنى عليه وقال : ألا من كان يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قدمات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌ لايموت ، وقال : **﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾**(٣) وقال : **﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين﴾**(٤)

---

(١) (سنن الدارمي) : ١/ ٤٠ .

(٢) (فتح الباري) : ٧/ ٢٣، كتاب فضائل أصحاب النبي، باب (٥) قول النبي ﷺ (لو كنت متخذاً خليلاً) قاله أبو سعيد حديث رقم (٣٦٦٧) .

(٣) الزمر : ٣٠

(٤) آل عمران : ١٤٤ .

قال : فنشج الناس يبكون . قال : واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة ، فقالوا : منا أمير ومنكم أمير ، فذهب إليهم أبو بكر ، وعمر بن الخطاب ، وأبو عبيدة كما عرج بروح موسى ، والله لايموت رسول الله ﷺ حتى يقطع أيدى أقوام وألسنتهم ، فلم يزل عمر يتكلم حتى أَزْبَد شدقاه مما يوعد ، ويقول .

فقام العباس فقال : إن رسول الله ﷺ قد مات وإنه لبشر وإنه يأسن كما يأسن البشر ، أي قوم : فادفنوا صاحبكم فإنه أكرم على الله من أن يميته إيما تتبين أيميت أحدكم إماته ويميته إماتتين . وهو أكرم على الله من ذلك ؟ أى قوم فادفنوا صاحبكم فإن يك كما تقولون فليس بعزيز على الله أن يبحث عنه التراب . إن رسول الله ﷺ والله مامات حتى ترك السبيل نهجاً واضحاً ، فأحل الحلال وحرم الحرام ، وتكح ، وطلق ، وحارب ، وسالم ، وكان يرعى الغنم، يتبع بها صاحبها رؤوس الجبال ، يخبط عليها العضاة بمخبطه ، و يمدد حوضها بيده بأنصب ، ولا أأداب من رسول الله ﷺ ، كان فيكم أي قوم ، فادفنوا صاحبكم .

قال : وجعلت أم أيمن تبكي فقيل لها : ياأم أيمن تبكي على رسول الله ﷺ ؟ قالت : إني والله ما أبكى على رسول الله ﷺ إلا أن أكون أعلم أنه قد ذهب إلى ما هو خير له من الدنيا ، ولكني أبكي على خبر السماء انقطع ، قال حماد : خنقت العبرة أيوب حين بلغ ههنا[١] .

وقال أبو عبيدة بن الجراح ، فذهب عمر يتكلم ، فأسكته أبو بكر ، وكان عمر يقول :

والله ماأردت بذلك إلا أني قد هيأت كلاماً قد أعجبني ، خشيت أن لايبلغه أبو بكر - ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس ، فقال في كلامه : نحن الأمراء وأنم الوزراء . فقال حباب بن المنذر : لا والله لانفعل ، منا أمير ومنكم أمير . فقال أبو بكر : لا ، ولكنا الأمراء و أنتم الوزراء . هم أوسط العرب داراً ، وأعربهم أحساباً ، فبايعوا عمر أو أبا عبيدة . فقال عمر : بل نبايعك أنت فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ .

فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس . فقال قائل : قتلتم سعد بن عبادة، فقال عمر : قتله الله[٢] .

---

(١) (سنن الدارمي) : ١/٣٩-٤٠ .

(٢) (فتح الباري) : حديث رقم (٣٦٦٨)

وروى أبو محمد الدارمي عن سليمان ، حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب، عن عكرمة قال : توفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين فحبس بقية يومه[1] وليلته والغد حتى دفن ليلة الأربعاء . قالوا : إن رسول الله ﷺ لم يمت ولكن عرج بروحه كما عرج بروح موسى عليه السلام .

فقام عمر فقال : إن رسول الله ﷺ لم يمت ولكن عرج بروحه .

وخرج الإمام أحمد من حديث عبد الرزاق عن معمر قال : قال الزهري : وأخبرني أنس -رضي الله تبارك وتعالى عنه- قال : قبض رسول الله ﷺ يوم الاثنين ، فقام عمر -رضي الله تبارك وتعالي عنه- فقال : إن رسول الله ﷺ توفي ولكن ربه أرسل إليه كما أرسل إلى موسى عليه الصلاة والسلام فمكث عن قومه أربعين ليلة وإني لأرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتي يقطع أيدي رجال من المنافقين وبألسنتهم يزعمون أن رسول الله ﷺ قد مات [2] .

وقال عبد الله بن أحمد : حدثنا الليث بن خالد البلنجي قال : كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة ، أضاء منها كل شئ ، ولما كان اليوم الذي مات فيه ﷺ أظلم منها كل شئ ، وإنا لفي دفنه ، مارفعن أيدينا عن دفنه ، حتى أنكرنا قلوبنا[3] .

وروى البيهقي من طريق جعفر بن سليمان الضبعي ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ، قال : لماقبض رسول الله ﷺ أظلمت المدينة ، حتى لم ينظر بعضنا إلى بعض ، وكان أحدنا يبطيده ، فلا يبصرها ، فلما فرغنا من دفنه حتى أنكرنا قلوبنا[4] .

ومن طريق حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس قال : شهدت اليوم الذي توفي فيه رسول الله ﷺ فلم أر يوماً كان أقبح منه[5] .

وقال الواقدي : حدثني حارثة بن أبي عمران ، عن هلال بن أسامة عن

---

(١) في (الأصل) : «يوم الأربعاء» وفى (سنن الدارمي) : ٣٩/١ : «ليلة الأربعاء» .

(٢) (سبق تخريجه)

(٣) (دلائل البيهقي) : ٢٦٥/٧ .

(٤) (المرجع السابق) .

(٥) (المرجع السابق): ٢٦٦ .

علة بن أبي علة قال : كان أول من دخل عليه عثمان بن عفان -رضي الله تبارك وتعالي عنه- ورسول الله ﷺ مسجي فخرج إلي الناس وهو يصيح : إن رسول الله ﷺ لم يمت ولكن رفع كما رفع عيسى ابن مريم عليه السلام وليرجعن ولا يسمح أحد أن يقول : إن محمداً مات ، إلا قطع لسانه ، فإني أعلم أن قوماً من المنافقين يقولون مات فأولئك يمثل بهم وتكون عليهم دائرة السوء ، ثم غلبه البكاء . فدخل إلى بيته فمكث يومه ذلك يبكى بكاءً شديداً مايقدر الخروج حتى خيف عليه .

قال سيف : عن محمد بن إسحاق عن يحيى بن عباد عن أبيه قال : قالت عائشة -رضي الله تبارك وتعالى عنه- عنها إن رسول الله ﷺ لفي حجري حين قبضه الله تبارك وتعالى فتناولت وسادة من أدم فوضعتها تحت رأسه ثم قمت أصيح مع النساء وألتدم وتفاقم الناس وسجي رسول الله ﷺ بثوبه ودخل عمر ثم خرج إلي الناس فقال : يا أيها الناس ، إن رسول الله ﷺ مامات ، وليرجعنه الله تعالى فليقطعن أيد وأرجل من المنافقين يتمنون لرسول الله ﷺ الموت .

وقال سيف : عن سعيد بن عبد الله ، عن عبد الله بن أبي ملكية ، قال: قالت عائشة -رضي الله تبارك وتعالي عنها- : فاقتحم الناس حين ارتفعت [الربه] وسجي رسول الله ﷺ والملائكة تثوبه ، ونقل الرجال ، فكانوا كأقوام سحبوا منهم الأرواح ، وحق لهم في أحوال من البلاء قسمت بينهم ، فكذب بعضهم بموته ، وأخرس بعضهم فما تكلم إلا بعد النعت ، وخلط آخرون فلانوا الكلام بغير شأن ، وبقى ومعهم عقولهم وأقعدوا آخرون ، فكان عمر -رضى الله تبارك وتعالى- فيمن كذب بموته ، وعليّ -رضي الله تبارك وتعالى عنهم- فيمن أقعدوا [وعثمان] -رضى الله تبارك وتعالى عنهم- فيمن أخرس

فخرج من في البيت من الناس ورسول الله ﷺ مسجى ، فقال : أن رسول الله ﷺ لم يمت ، وليرجعن الله تعالى ، وليقطعن أيد وأرجل من المنافقين ، فتمنون لرسول الله ﷺ الموت ، إنما أعده ربه كما وعد موسى ، والله لا أسمع أحداً يذكر أن رسول الله ﷺ توفي إلا أعلون بسيفي هذا .

وأما عثمان -رضي الله تبارك وتعالى عنه- فإنه لما أعلونه يطق كلاماً، وأما علي -رضي الله تبارك وتعالي عنه- فإنه أقعد ، ولم يكن أحد من المسلمين في مثل حال أبي بكر والعباس -رضي الله تبارك وتعالي عنهما- ، فإن الله عز وجل عزم لهما على التوفيق والسداد ، وكان الناس لم يرضوا إلا

لقول أبي بكر -رضى الله تبارك وتعالى عنه- وجاء العباس -رضي الله تبارك وتعالي عنه- من قبله فتكلم بنحو من كلامه فما انتهي له أحد ممن ابتلي ، حتى أبو بكر -رضي الله تبارك وتعالي عنه- فانتهي الناس كلهم إلي قوله ، وتفرقوا عن كلامه .

وقال سيف : عن محمد بن عبيد الله عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس -رضي الله تبارك وتعالى عنهما- قال : لماقبض الله عزَّ وجل نبيه، وأعلن أهل البيت وفاته بالصيحة، وسمعها الناس جزعاً من ذلك جزعاً شديداً ، فقام عمر ابن الخطاب -رضي الله تبارك وتعالي عنه- فقال : كيف نكون شهداء على الناس ويكون الرسول علينا شهيداً ؟ وبموت رسول الله ﷺ ولم يظهر على الناس فإياكم أيها الناس أن تفتتنوا كما افتتن قوم موسى إذ غاب عنهم إلي الطور، فرجع إليهم فعاقبهم، وظن كثير من الناس أنه كما قال عمر -رضى الله تبارك وتعالى عنهم- فأقبل الناس حتى نادوا على الناس ، وقالوا : إن رسول الله ﷺ حي ، فلا تحركوه ولاتدفنوه ، وأوعد عمر -رضي الله تبارك وتعالي عنهم- الناس حين سمعهم يقولون : توفي رسول الله ﷺ فخرج عباس -رضي الله تبارك وتعالى عنهم- على الناس فقال : أيها الناس هل عندكم أوعند أحد منكم عهد من رسول الله ﷺ من أمر وفاته ؟ قالوا : لا ، قال : هل عندكم ياعمر من ذلك علم ؟

قال : لا والله، قال : اشهدوا أيها الناس أن أحداً لا يأخذ علي رسول الله ﷺ بعد عهد الله تعالى فى شأن وفاته ، والله الذي لا إله إلا هو لقد ذاق رسول الله ﷺ الموت ، ولقد قال رسول الله ﷺ وهو بين ظهرانيكم **﴿إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصون﴾** فلما عرفوا، قال بعضهم : خلوا بينهم وبين رسول الله ﷺ فلم يكف بعضهم لبعض .

وقال سيف : عن سلمة بن نبيط عن نعيم بن أبي هند ، عن سالم بن عبيد الله وكان من أهل الصفه- قال : سمعت النبي ﷺ في اليوم الذي مات فيه، قال حين ثقل أو أغمي عليه فآفاق : حضرت الصلاة ؟ قالوا : نعم . قال ﷺ : مروا بلالاً فليؤذن ، ومروا أبا بكر فليصل بالناس ، قالت : فأمرت بلالاً أن يؤذن ، وأمرت أبا بكر أن يصلي بالناس ، ثم قال ، أقيمت الصلاة ؟ قيل:نعم ، فدعا بريزة خادماً كانت له وانساناً آخر معها فاعتمد عليهما ، ثم قال : انطلقا ، فذهبا به إلي المسجد حتي أتيا أبا بكر -رضي الله تبارك

وتعالي عنه- وهو يصلي بالناس فجلس إلى جنب أبي بكر -رضي الله تبارك وتعالي عنه- فذهب أبو بكر يتأخر ، فجلس حتي فرغ من الصلاة ، فلما توفي ﷺ وقوم آمنون لم يكن فيهم نبي قبله .

قال عمر -رضي الله تبارك وتعالى عنه- : لئن تكلم أحد بموته إلا ضربته بسيفي ، قال : فأخذ بيدى حتي أتينا البيت ، فدخل ، فقال : و سعوا كذا ، فوسعوا حتى أتى نبي الله ﷺ فأكبّ عليه ثم مشى روبده ، ثم نظر حتى تبين له ، قال : **﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾** قالوا : ياصاحب رسول الله ﷺ توفي رسول الله ﷺ قال : نعم ، فعلموا كلهم أن قد مات رسول الله ﷺ قالوا : ياصاحب رسول الله ﷺ : هل نصلي على النبي ﷺ ؟ قال : نعم ، قالوا : كيف نصلي عليه ؟ فما أدري قال : عشاء أو قال : يجئ نفر فيكبرون، ويصلون ويدعون ، ثم ينصرفون ، ويجئ آخرون حتى يفرغوا من آخرهم ، فعلموا أنه كما قال : عندكم نبي الله يعني عمته وابن عمه فجلس في المسجد وجلس الناس حوله .

وقال سيف : عن عمر بن محمد عن تمام ، عن العاصي عن القعقاع بن عمرو ، قال : جاء الخبر أبا بكر - رضي الله تبارك وتعالي عنه- بنقل النبى ﷺ وتواتر أهل البيت عليه ارسلاً ، فجاء فلقيه آخرهم بعد ما مات النبي ﷺ، وعيناه تهملان ، فأكبَّ عليه ، وكشف عن وجهه ، وقيل جبينه وخديه ، ومسح وجهه ، وجعل يبكى ويقول : بأبي وأمي ونفسي وأهلي طبت حياً وميتاً ، وانقطع بموته مالم ينقطع بموته أحد من الأنبياء ، فعظمت عن الصفة ، وحللت عن البكاء ، وخصصت حتى ضرب مسيلمة ، وعميت ، ولولا أن موتك كان إخباراً لحريك بالنفوس ، وإنك نهيت عن البكاء ، لأنفدنا عليك ما التشوف ، فأما مالا نستطيع حقه عنا فكمدوا ، وإن كان مخالفاً له .

قال سيف : عن سعيد بن عبد الله ، عن أبي عمر قال : جاء أبو بكر -رضي الله تبارك وتعالي عنه- حتى صلي على النبي ﷺ فاسترجع وصلى وأثنى ، فعجَّ أهل البيت عجيجاً سمعه أهل المصلى ، كلما ذكرت شيئاً أرادوا فما ، سكن عجيجهم إلا [صوت] يقول : السلام عليكم يا أهل البيت **﴿كل نفس ذائقة الموت﴾** الآية . إن فى الله خلفاً من كل هالك ودركاً لكل رغبة ، ونجاةً من كل مخافة ، فالله فارجوا وبه فثقوا ، فاستمعوا له وأنكروه ، وقطعوا البكاء ، فلما انقطع البكاء فقد صوته ، واطلع أحدهم فلم ير أحداً ، ثم ناداهم مناد آخر لا يعرفون صوته : يأهل البيت ، اذكروا الله واحمدوه على كل حال

من المخلصين ، إن في الله عزاءً من كل مصيبة ، وعوضاً من كل رغبة ، فأطيعو أمره فاعلموا .

وقال الواقدي فى كتاب (الغازي) : حدثني ابن أبي سبرة ، عن الحبيش بن هاشم ، عن عبد الله بن وهب ، عن أم سلمة -رضي الله تبارك وتعالي عنها- قالت : نحن مجتمعون نبكي لم ننم ورسول الله ﷺ في بيوتنا ، ونحن نسكن برؤيته على السرير ، إذ سمعنا صوت الكرار من السحر ليلة الثلاثاء .

قالت أم سلمة -رضي الله تبارك وتعالي عنها- : فصحنا ، فصاح أهل المسجد ، فارتجت المدينة صيحة واحدة ، وأذن بلال -رضي الله تبارك وتعالى عنه- بالفجر ، فلما بلغ ذكر النبي ﷺ بكى فانتحب فزادنا عجيجاً ، وعالج الناس الدخول إلي قبره ، فغلق دونهم فيالها من مصيبة ، فما أصبنا بعده بمصيبة إلا هانت علينا إذا ذكرنا مصيبتنا به ﷺ .

وخرج البيهقي من طريق المزني ، قال : حدثنا الشافعي ، عن القاسم بن عبد الله بن عمر بن حفص ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، أن رجالاً من قريش دخلوا على أبيه عليّ بن الحسين ، فقال : ألا أحدثكم عن رسول الله ﷺ قالوا : بلى ، فحدثنا عن أبي القاسم ، قال : لمامرض رسول الله ﷺ أتـــاه جبريل ، فقال : يامحمد ! إن الله أرسلني إليك ، تكريماً لك ، وتشريفاً لك ، وخاصة لك ، أسألك عما هو أعلم به منك . يقول : كيف تجدك ؟ قال : أجدني ياجبريل مغموماً ، وأجدني ياجبريل مكروباً ، ثم جاءه اليوم الثاني ، وقال له : ذلك ، فردّ عليه النبي ﷺ كما ردَّ أول يوم ، ثم جاءه اليوم الثالث فقال له كما قال أول يوم ، وردّ عليه كما ردَّ.

وجاء معه ملك ، يقال له إسماعيل على مائة ألف ، كل ملك على مائة ألف ملك ، استأذن عليه ، فسأل عنه ، ثم قال جبريل : هذا ملك الموت ، يستأذن عليك ، ما استأذن علي آدمى قبلك ، ولايستأذن على آدمي بعدك ، فقال عليه السلام : ائذن له ، فأذن له ، فسلم عليه ، ثم قال : يامحمد ، إن الله أرسلني إليك ، فإن أمرتني أن أقبض روحك قبضته ، وإن أمرتني أن أتركه تركته ، فقال : أو تفعل ياملك الموت ؟ قال : نعم : بذلك أُمرت ، وأُمرت أن أطيعك . فنظر النبي إلى جبريل ؟ فقال له جبريل : يامحمد إن الله اشتاق إلى لقائك . فقال النبي ﷺ لملك الموت : أمضي لما أمرت به ، فقبض روحه .

فلما توفي رسول الله ﷺ وجاءت التعزية ، سمعوا صوتاً من ناحية البيت : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ، إن في الله عزاء من

كل مصيبة ، وخلفاً من كل هالك ، ودركاً من كل فائت ، فبالله فثقوا ، وإياه فارجوا ، فإنما المصاب من حرم الثواب . فقال عليّ -رضي الله تبارك وتعالى عنه- : أتدرون من هذا ؟ هذا الخضر عليه السلام .

قال البيهقي : لقد روينا هذا في الخبر الذي قبله بإسناد آخر ، والمراد بقوله : إن الله اشتاق إلى لقائك ، أى أراد ردك من دنياك إلى آخرتك ليزيد في كرامتك ، ونعمتك وقربتك .

قال : أخبرنا القاسم بن عبد الله بن عمر ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه، عن جده قال : لما توفي رسول الله ﷺ وجاءت التعزية ، سمعوا قائلاً يقول : إن في الله عزاءً من كل مصيبة ، وخلفاً من كل هالك ، ودركاً من كل مافات ، فبالله فثقوا ، وإياه فارجوا ، فإن المصاب من حرم الثواب[١] .

قال المؤلف : قد روينا هذا الحديث في كتاب تبين الشافعي رحمه الله ، وذكره في باب زكاة الفطر ، ولا يحضرني الآن .

وخرجه البيهقي من طريق الربيع بن سليمان قال : حدثنا الشافعي ، قال: أخبرني الهيثم بن عبد الله عن عمر ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جده ، قال : لماتوفي رسول الله ﷺ وجاءت التعزية سمعوا قائلاً يقول : إن في الله تعالي عزاءً من كل مصيبة ، وخلفاً من كل هالك ، ودركاً من كل ما فات ، فبالله فثقوا وإياه فارجوا ، فإن المصاب من حرم الثواب .

وخرج من طريق أبي الوليد المخزومي ، حدثنا أنس بن عياض ، عن جعفر ابن محمد عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله -رضي الله تبارك وتعالي عنهما- ، قال : لما توفي رسول الله ﷺ عزتهم الملائكة ، يسمعون الحسّ ، لايرون الشخص ، فقال : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ، إن في الله تعالى عزاءً من كل مصيبة ، وخلفاً من كل فائت ، فبالله فثقوا ، وإياه فارجو، فإن المحروم من حرم الثواب ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

قال البيهقي : هذان الإسنادان وإن كانا ضعيفين ، فبأحدهما يتأكد الآخر، ويدل ذلك على أن له أصلاً من حديث جعفر .

قال المؤلف : وقد خرج الحاكم في (مستدركه)[٢] حديث جابر هذا من طريق أبي الوليد بهذا السند ، فقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ،

---

(١) (دلائل البيهقى) : ٧/٢٦٧-٢٦٨ .

(٢) (المستدرك) : ٣/٥٩-٦٠ ، كتاب المغازى والسرايا ، حديث رقم ٣٣ (٤٣٩١) . وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : صحيح .

والمخزومي هذا ليس بخالد بن إسماعيل الكوفي ، وإنما هو هشام بن إسماعيل الصغاني ، وهو ثقة مأمون .

وخرج الحاكم من طريق محمد بن بشر بن مطر ، حدثنا كامل بن طلحة حدثا عباد بن عبد الصمد ، عن أنس بن مالك -رضي الله تبارك وتعالى عنهما- قال : لما قبض رسول الله ﷺ أحدق به أصحابه ، فبكوا حوله ، واجتمعوا ، فدخل رجل أشهب اللحية ، جسيم صبيح قيحاً رقابهم فبكى ، ثم التفت الى أصحاب رسول اله ﷺ فقال : إن في الله عزاءً من كل مصيبة ، وعوضاً من كل فائت ، وخلفاً من هالك ، وإلى الله فأنيبوه إليه ، فارغبوا الآخرة ، ونظر إليكم البلاء ، فانظروا ، فان المصاب من لم يخبر ، وانصرف .

فقال بعضهم لبعض : أتعرفون الرجل ؟ قال أبو بكر وعلي -رضي الله تبارك وتعالى عنهما- : نعم : هذا أخو رسول الله ﷺ الخضر عليه السلام[١]، قال الحاكم : هذا شاهد بماتقدم وإن كان عباد بن عبد الصمد ليس من شرط هذا الكتاب .

قال المؤلف وقد أخرج هذا الحديث البيهقي ، وقال عباد بن عبد الصمد ضعيف وهذا منكر بمرة .

وقال سيف : عن عبد الله بن سعيد بن ثابت بن الجدع عن عبدة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة -رضي الله تبارك وتعالي عنها- قالت : قال رسول الله ﷺ قبل وفاته : لايبقى في جزيرة العرب دينان .

وقال سيف : عن إسماعيل بن مسلم ، عن الحسن ، عن أبي كعب -رضي الله تبارك وتعالى عنه- : قال : لقد رأيتني يوم مات رسول الله ﷺ وإني لأعد المخلصين من قبلهم وكانت قلة ، قام أبو بكر -رضي الله تبارك وتعالى عنه- دونها فما استأنى حتى استناء العزاء . وقال : عن مبشر ، عن سالم بن عبد الله قال : قال عمر -رضي الله تبارك وتعالي عنه- : كانت إمارة أبى بكر -رضي الله تبارك وتعالى عنه- فتله وقى الله شرها ، قلت وما الفلتة؟ قال : كان أهل الجاهلية يتناحرون فى الحرم ، فإذا كانت الليلة التى يشك فيها إذ علموا فيها فأغاروا ، وكذلك كان يوم مات رسول الله ﷺ أدخل الناس من مدعى إمارة ، أو جاحد زكاة ، أو مستتر بصلاة ، أو حاجد الأحكام كلها ، فكان المدعي الإماراة ، والمقر بالاسلام ، والجاحد بالزكاة فالجاحد للأحكام كلها ،فلولا اعتراض أبي بكر رضي الله تبارك وتعالى عنه- دونها كانت الفضيحة .

---

(١) (المرجع السابق) : حديث رقم (٤٣٩٢) ، وقال الحافظ الذهبي فى (التلخيص) : هذا شاهد لماقبله .

فصل فى ذكر ماسُجّي به رسول الله ﷺ بعد وفاته وثيابه التي قبض فيها

خرج البخاري في كتاب اللباس[(١)] من (صحيحه) حديث شعيب عن الزهري قال : أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن قال : إن عائشة -رضي الله تبارك وتعالي عنها- زوج النبي ﷺ أخبرته أن رسول الله ﷺ حين توفي سجي ببرد حبرة .

وخرجه مسلم[(٢)] من طريق صالح ، عن ابن شهاب قال : إن أبا سلمة أخبره أن عائشة أم المؤمنين -رضي الله تبارك وتعالى عنها- قالت : سجي رسول الله ﷺ بثوب حبرة .

وخرجه من حديث شعيب عن الزهري، وخرجه النسائى[(٣)] من حديث صالح عن ابن شهاب وخرجه الإمام[(٤)] أحمد من حديث أيوب ، عن حميد بن هلال ، عن أبي بردة قال : أخرجت إلينا عائشة -رضي الله تبارك وتعالي عنها- كساء ملبداً وإزاراً غليظاً ، فقالت : قبض رسول الله ﷺ في هذين . أخرجه البخاري ومسلم .

---

(١) فتح الباري) : ١٠/٣٣٩، كتاب اللباس ،باب (١٨) البرود والحبر والشملة ، وقال خباب : شكونا إلى النبي (ص) وهو متوسد بردة له ، حديث رقم (٥٨١٤)

قوله : (سجي) بضم أوله وكسر الجيمم الثقيلة ، أي غُطّي وزناً ومعنيً ، يقال سجيت الميت إذا مددت عليه الثوب، وكان المصنف رمز إلى ما جاء عن عمر بن الخطاب في ذلك ؛ فأخرج أحمد من طريق الحسن البصري : أن عمر بن الخطاب -رضي الله تبارك وتعالى عنه- أراد أن ينهي عن حلل الحبرة لأنها تصبغ بالبول ، فقال له أبي : ليس ذلك لك ، فقد لبسهن النبي (ص) ولبسناهن في عهده . والحسن لم يسمع من عمر .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : ١٤/ ٣٠٠-٣٠١ ، كتاب اللباس والزينة باب (٦) التواضع في اللباس ، والاقتصار على الغليظ منه ، واليسير في اللباس والفراش وغيرها وجواز لبس الثوب الشعر ومافيه أعلام ، حديث رقم (٣٤) ، (٣٥)

(٣) لعله في (الكبرى)

(٤) (مسند أحمد) : ٧/ ٥٠ ، حديث رقم (٢٣٥١٧) ، من حديث السيدة عائشة -رضي الله تبارك وتعالى عنها-

فصل في ذكر
ماجاء في غسل رسول الله ﷺ

قال ابن عبد البر : ولم يختلف في أن الذين غسلوه عليّ والفضل بن العباس -رضي الله تبارك وتعالي عنهم- ، واختلف في العباس، وأسامة بن زيد ، وقثم بن العباس ، وسعد فقيل : هؤلاء كلهم شهدوا غسله ، وقيل لم يغسله غير عليّ والفضل -رضي الله تبارك وتعالي عنهما- ، كان يصب الماء عليّ -رضي الله تبارك وتعالي عنه- والفضل كان يغسله .

وقيل : كان الناس قد تنازعوا في ذلك ، فصاح أبو بكر -رضي الله تبارك وتعالي عنه- : يامعشر الناس كل قوم أولى بجنائزهم من غيرهم ، فانطلق الأنصار إلى العباس -رضي الله تبارك وتعالي عنهما- يقلبانه وأسامة ابن زيد وقثم -رضى الله تبارك وتعالى عنهما يصبان الماء على عليّ -رضى الله تبارك وتعالى عنه-

وروى من وجه آخر أن العباس -رضي الله تبارك وتعالي عنه- كان بالباب ، لم يحضر الغسل ، يقول : لم يمنعني أن أحضره إلا أني كنت أراه ﷺ يستحي أن أراه حاسراً .

قال سيف : عن سعيد ، عن أبي الغراء ، عن أبي مسعود -رضي الله تبارك وتعالى عنهما- قال : صدرنا في قبر النبي عن رأى أبي بكر والعباس -رضي الله تبارك وتعالى عنهما- ، ولولا ذلك لكنا كأن لم نسمع من النبي ﷺ في ذلك ماسمعنا ، ولقد كان احتبس منا ، فأما أبو بكر فحفظه ، وأما العباس -رضي الله تبارك وتعالى عنهما- فكان رأياً منه .

قال سيف : عن هشام بن عروة عن عائشة -رضي الله تبارك وتعالي عنها- ، قالت : كان سرير رسول الله ﷺ في أقصي البيت مما يلى الحائط في وسطه مابين الحائطين ، وكان فرشه قدام سريره ملصق بالسرير فى وسط مابين الحائطين ، وكان فصل البيت من عند رأس السرير ، والفراش من عند رجل السرير ، والفراش يسير ، لا يكون فصل بينهما ذراعين يزيد قليلاً أو ينقص .

قال الواقدي في كتاب (المغازي) : حدثنا ابن أبي خثيمة عن داود بن الحصين ، عن عكرمة عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال : لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله ﷺ قال المهاجرون : الشق ، وقالت الأنصار . اللحد ، وكان بالمدينة رجلان ؛ أحدهما يلحد ، والآخر يشق ، وكان أبو طلحة -رضى الله

تبارك وتعالى عنه- يلحد ، وذلك عمل أهل المدينة ، وكان أبو عبيدة بن الجراح - رضي الله تبارك وتعالى عنه- يشق وذلك عمل أهل مكة ، فدعا العباس بن عبد المطلب - رضي الله تبارك وتعالي عنه- رجلين فقال لأحدهما اذهب إلى أبي عبيدة ، وقال للآخر اذهب إلى أبي طلحة ، ثم قال -رضي الله تبارك وتعالى عنه- : اللهم خر لنبيك ، فوجد صاحب أبي طلحة أبا طلحة -رضي الله تبارك وتعالى عنه- واختلفوا أين يقبر ﷺ ، فقال قائل : بالبقيع ، فإنه كان يكثر الاستغفار لأهل البقيع وأصحابه ، وقال قائل : ادفنوه عند منبره ، وقال قائل : ادفنوه فى صلاه ، فقال أبو بكر -رضي الله تبارك وتعالى عنه-: إن عندى فيما تختلفون فيه علماً ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : مامات نبي قط إلا دفن حيث يقبض ، فحط حول الفراش ، ثم حول رسول الله ﷺ بالفراش فى ناحية البيت ، وحفر أبو طلحة -رضي الله تبارك وتعالى عنه- القبر فانتهى به إلي أصل اللحد إلى القبلة ، وجعل رأس رسول الله ﷺ مما يلى بابه الذى كان يخرج منه إلى الصلاة ، فبينما هم على ذلك جاء المغيرة بن شعبة إلى عمر بن الخطاب -رضي الله تبارك وتعالي عنهما- وأخبره بخبر الأنصار ، فذكر عمر لأبى بكر -رضي الله تبارك وتعالى عنه- فتابع الناس أبا بكر - رضي الله تبارك وتعالي عنه- في سقيفة بني ساعدة ، ثم انصرفوا إلى الرسول ﷺ ومن معه من المهاجرين والأنصار ، وقمن النساء فخرجن من بيت رسول الله ﷺ ، فاختلفوا فى غسله كيف يغسل ، ومن أين يغسَّل قال قائل : من بئر السقيا ، وقال قائل : من بئر أريس ، وقال قائل من بئر بضاعة وأجمعوا أن يغسل من بئر أريس وكان يشرب منها .

وقال سيف : عن يحيي بن سعيد قال : كان بالمدينة رجلان يحفران ، أحدهما يضرح وهو أبو عبيدة -رضي الله تبارك وتعالى عنه- والآخر يلحد وهو أبو طلحة -رضي الله تبارك وتعالي عنه- فقالوا : يبعث رجلين كلاهما ماسبق وليناه ذلك ، فوجد صاحب أبى طلحة أبا طلحة -رضي الله تبارك وتعالي عنه- فجاء ولم يجد صاحب أبي عبيدة أبا عبيدة -رضي الله تبارك وتعالي عنه- فحفر له ولحوا .

وقال محمد بن عابد : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا عبد العزيز بن أبي

داود أنهم قالوا ندفنه في بقيع الغرقد قالوا يوشك عواد يعودون بقبره من عبيدكم وإمائكم فلا يعادون .

قال : فقال قائل : ادفنوه في مسجده ، فقالوا : فكيف وقد لعن قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ؟ قالوا : نحمله إلى حرم الله تعالى ومأمنه ومولده ودار قومه ، قال : كيف يفعلون ذلك ولم يعهد إليكم عهداً ؟ فأشار عليهم أبو بكر -رضى الله تبارك وتعالى عنه- بدفنه في موضع فراشة ، فقبلوا ذلك من رأيه .

وقال : عن محمد بن عون ، عن عكرمة ، عن ابن عباس -رضى الله تبارك وتعالى عنهما- قال : لما فرغ من القبر وصلى الناس الظهر أخذ العباس -رضى الله تبارك وتعالى عنه- في غسل النبي ﷺ فضرب عليه كله من ثياب ثمانية صفاق في جوف البيت فدخل الكل ، فدعا علياً والفضل رضى الله تبارك وتعالى عنهما- وكان الفضل يعينهما فإذا ذهب إلى الماء ليعطيهما دعا أبا سفيان بن الحارث فأدخله ورجال من بني هاشم من وراء الكل ممن أدخل من الأنصار حيث ناشدوا أبي وسألوه ، منهم أوس بن خولي .

وقال سيف : عن الضحاك بن يربوع الحنفي عن ماهان الحنفي عن ابن عباس -رضي الله تبارك وتعالي عنهما- ، ضرب كله من ثمانية ثياب صفاق فصارت سنة فينا ، وفي كثير من صالحى الناس ، ثم أذن لرجال من بني هاشم فقعدوا بين الحيطان والكلة ، وسأله الأنصار أن يدخل منهم رجلاً ، فأدخل أوس ابن خولي ثم دخل العباس -رضي الله تبارك وتعالى عنه- الكلة ودعا علياً ، والفضل وأبا سفيان ، وأسامة -رضي الله تبارك وتعالى عنهم-، وكان الفضل -رضي الله تبارك وتعالى عنه- يصب الماء والمعونة ، فإذا شغلةالصب أعقبه أبو سفيان وأسامة -رضي الله تبارك وتعالى عنهما- ، فلما اجتمعوا في الكلة ألقى عليهم العباس وعليّ من وراء الكلة في البيت ، حتى مامنهم أحداً إلا وذقنه في صدره يغط ، فناداهم مناد فانتبهوا به وهو يقول : ألا لا تغسلوا النبي فإنه كان طاهراً ، فقال العباس -رضي الله تبارك وتعالى عنه- ألا بلى ، وقال أهل البيت : صدق فلا تغسلوه وغشيهم النعاس ثانية ، فناداهم مناد فانتبهوا وهو يقول : اغسلوا رسول الله ﷺ وعليه ثيابه ، فقال أهل البيت إغسلوا ألا اغسلوا رسول الله ، فقال العباس -رضي الله تبارك وتعالى عنه- إلا نعم ، وقد : كان العباس -رضي الله تبارك وتعالى عنه- حيث دخل قعد متربعاً وأقعد علياً متربعاً فتواجها ، وأقعدا النبيّ ﷺ على حجريهما ،

فنودوا: أن اضجعوا رسول الله ﷺ على ظهره ، ثم اغسلوه ، فأضجعاه ثم أخذا في غسله ولم يغتسل إلا بالماء القراح وطيبوه بالكافور ، ثم اعتصر قميصه ومحوله ، وخبطوا مساجده ، ومفاصله ، وذراعيه ، ووجهه ، وكفيه ، وقدميه ، ثم أدرجوا أكفانه على قميصه ومحوله ، وجمّروه عوداً وندى ، ثم احتملوه حتى وضعوه على سريره وسجوه .

قال سيف : وحدثني قيس ، عن أنس بن الجليس ، عن الضحاك بن مزاحم ، قال : سمعت ابن عباس -رضي الله تبارك وتعالى عنهما- يذكر غسل النبي ﷺ ويذكر ماحدث فقلت : ياعباس وكيف يكون مستوراً ومعه في البيت رجال ؟ ولم أكن فهمت حديثه ، فقال : إن العباس - رضي الله تبارك وتعالى عنه- كان ضرب عليه كله من ثياب صفاق وكان الرجال من ورائها وكذلك تغسل موتانا ونسترهم من سقوف البيت ففعلنا ذلك به ، ثم ضربنا عليه ملاحفنا ثم حللناها فغسلناه من تحتها .

وخرج أبو داود من حديث ابن الجارود من حديث ابن مسلمة عن محمد بن إسحاق، قال : حدثنى يحيي بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد بن عبد الله بن الزبير قال : سمعت عائشة -رضي الله تبارك وتعالى عنها- قالت: لماأرادوا غسل رسول الله ﷺ اختلفوا فيه فقالوا والله ماندري أن يتجرد رسول الله ﷺ من ثيابه كما نجرد موتانا ، أو نغسله وعليه ثيابه ، فلما اختلفوا ألقي عليهم النوم حتي ما منهم رجل إلا ذقنه في صدره ، ثم كلمهم متكلم من ناحية البيت لايدرون من هو : فاغسلوا النبي ﷺ وعليه قميصه ، تصبون عليه الماء ، قالت : فقاموا إلى رسول الله ﷺ يغسلونه وعليه قميصه، يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص دون أيديهم .

قال : وكانت عائشة -رضي الله تبارك وتعالى عنها- تقول : لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما غسله إلا نساؤه . إلى هنا انتهى حديث أبي داود .

وترجم عليه : باب الميت يستر عند الغسل . وزاد ابن الجارود بعد قوله:ماغسله إلا نساؤه : فلما فرغنا من غسل رسول الله ﷺ كفن في ثلاثة أثواب صحارية وبرد حبره، أدرج فيهن إدراجا كما حدثني ابن محمد عن أبيه عن جده عليّ بن الحسن .

وخرج الحاكم حديث أبي داود من طريق يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق

بسنده ومتنه ، وقال : حديث صحيح على على شرط مسلم[(١)] .

وخرجه البيهقى وقال : هذا إسناد صحيح وشاهده ما أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، قال : أخبرنا أبو قتيبة مسلم بن الفضل الأدمي بمكة ، قال : حدثنا إبراهيم بن هشام البغوي ، قال : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، قال : حدثنا أبو معاوية ، قال : حدثنا أبو بردة بريد بن عبد الله ، قال : حدثنا أبو معاوية ، قال : حدثنا أبو بردة بريد بن عبد الله ، عن علقمة بن مرثد ، عن سليمان بن بريدة ، عن أبيه ، قال : لما أخذوا في غسل رسول الله ﷺ فإذا هم بمنادٍ من الداخل :لا تخرجوا عن رسول الله ﷺ قميصه .

حدثنا محمد بن فضيل ، عن يزيد بن أبي زياد ، عبد الله بن الحارث ، قال : غَسَّل رسولَ الله ﷺ عليٌّ -رضي الله تبارك وتعالى عنه- ، وعلى النبي ﷺ قميصه ، وعلى يد علي خرقه يغسله بها ، فأدخل يده تحت القميص ، وغسله . والقميص عليه[(٢)] .

وقال الواقدي : حدثني محمد بن عمر ، عن عبد الله بن محمد بن عمر ابن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده ، عن علي بن أبي أبي طالب -رضي الله تبارك وتعالى عنه- قال : لماأخذنا في جهاز رسول الله ﷺ أغلقنا الباب دون الناس جميعاً فنادت الأنصار : نحن أخواله ومكاننا من الإسلام مكاننا ! ونادت قريش : نحن عصبته ! فصاح أبو بكر : يامعشر المسلمين كل قوم أحق بجنازتهم من غيرهم ، فننشدكم الله فإنكم إن دخلتم أخرتموهم عنه ، والله لايدخل عليه أحد إلا من دُعي .

أخبرنا محمد بن عمر قال : فحدثني عمربن محمد بن عمر ، عن أبيه ، عن علي بن حسين قال : نادت الأنصار : إن لنا حقاً فإنما هو ابن أُختنا ومكاننا من الإسلام مكاننا ، وطلبوا إلى أبي بكر ، فقال : القوم أولى به فاطلبوا إلى عليّ وعباس فإنه لايدخل عليهم إلا من أرادوا .

أخبرنا محمد بن عمر ، حدثني محمد بن عبد الله ، عن الزهري ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صغير ، قال : غَسَّل النبيَّ ﷺ عليٌّ ، والفضلُ وأُسامة ابن زيد وشقران يصبون الماء .

---

(١) المستدرك) : ٣/٦١-٦٢ ، كتاب المغازى والسرايا ، حديث ٣٨ رقم (٤٣٩٨) ، وسكت عنه الحافظ الذهبيّ فى (التلخيص) .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٧/٢٤٢-٢٤٣ .

أخبرنا محمد بن عمر ، حدثني محمد بن عبد الله ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب قال : غسّل النبي ﷺ علي وكفنه أربعة : عليٌّ والعباس والفضل وشقران .

أخبرنا محمد بن عمر ، حدثني هشام بن عمارة ، عن أبي الحويرث ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس قال : غسل النبي ﷺ عليّ والفضل وأمروا العباس أن يحضر عند غسله ، فأبى ، فقال : أمرنا النبي ﷺ أن نستتر .

أخبرنا محمد بن عمر ، أخبرنا عبد الرحمن بن عبد العزيز ، عن عبد الله ابن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، قال : غَسَّل رسول الله ﷺ عليٌّ والفضلُ بن عباس ، وكان يقلبه ، وكان رجلاً أيداً ، وكان العباس بالباب ، فقال: لم يمنعني أن أحضر غسله إلا أني كنت أراه يستحيي أن أراه حاسراً .

أخبرنا محمد بن عمر ، حدثني موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، عن أبيه ، قال : غَسَّل النبيَّ ﷺ عليٌّ ، والفضل ، والعباس وأسامة ابن زيد ، وأوس بن خولي ، ونزلوا في جفرته .

أخبرنا محمد بن عمر ، أخبرنا عبد الله بن محمد ، عن أبيه ، عن جده ، عن عليّ : أنه غسل النبي ﷺ وعباس ، وعقيل بن أبي طالب ، وأوس بن خوالى ، وأسامة بن زيد .

أخبرنا محمد بن عمر ، حدثني الزبير بن موسى قال : سمعت أبا بكر بن أبي جهم يقول : غسَّل النبيَّ ·ص) علي، والفضل ، وأسامة بن زيد ، وشقران، وأسنده عليّ إلى صدره ، والفضل معه يقلبونه ، وكان أسامة وشقران يصبان الماء عليه ، وعليه ، قميصه ، وكان أوس بن خولي قال : ياعليّ ! أنشدك الله وحظنا من رسول الله ﷺ ! فقال له عليّ : ادخل ! فدخل فجلس .

اخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الأسدي ، قال : أخبرنا ابن جريج عن أبى جعفر محمد بن علي قال : غسل النبي ﷺ ثلاث غسلات بماء وسدر ، وغسل فى قميص ، وغسل من بئر يقال لها الغرس ، لسعد بن خيثمة بقباء ، وكان يشرب منها ، وولي عليّ غسله ، والعباس يصب الماء ، والفضل محتضنة يقول: أرحني ، أرحني ، قطعت وتيني ! إني أجد شيئاً يتنزل عليَّ مرتين .

أخبرنا مالك بن إسماعيل أبو غسان النهدي ، عن مسعود بن سعد ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث : أن علياً لما قُبض النبي ﷺ قام

فارتج الباب ، قال : فجاء العباس معه بنو عبد المطلب ، فقاموا على الباب ، وجعل عليّ يقول : بأبي أنت وأمي ، طبت حياً وميتاً ! قال : وسطعت ريح طيبة لم يجدوا مثلها قطّ ، قال : فقال العباس لعليّ : دع خنينا كخنين المرأة ، وأقبلوا على صاحبكم ! فقال عليّ : أدخلوا عليّ الفضل ،قال : وقالت الأنصار: نناشدكم الله في نصيبنا من رسول الله ﷺ ، فأدخلوا رجلاً منهم يقال له أوس بن خولي ، يحمل جرة بإحدى يديه ، قال : فغسله عليّ، يدُخل يده تحت القميص ، والفضل يمسك الثوب عليه ، والأنصاري ينقل الماء، وعلى يد عليّ خرقة يدُخل يده وعليه القميص .

أخبرنا مَحمد بن عمر قال : أخبرنا عبد الله بن جعفر الزهري ، عن عبد الواحد بن أبي عون قال : قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب في مرضه الذي توفى فيه : اغسلني ياعلي إذا مت !فقال : يارسول الله ماغلست ميتاً قط ! فقال رسول ﷺ : إنك ستهيأ أو تيسر . قال عليّ : فغسلته ، فما آخذ عضواً إلا تبعني ، والفضل آخذ بحضنه يقول : أعجل ياعليّ ، انقطع ظهري .

أخبرنا الفضل بن دكين ، عن سفيان ، عن ابن جريج قال : سمعت أبا جعفر قال : ولي سفلة النبي ﷺ علي .

أخبرنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد الزهري ، عن أبيه ، عن صالح بن كيسان ، عن ابن شهاب ، حدثني سعيد بن المسيب .

وأخبرنا محمد بن حميد العبدي ومحمد بن عمر ، عن معمر ، عن الزهريّ، عن سعيد بن المسيب ، وأخبرنا يحيى بن عباد ، أخبرنا عبد الله بن المبارك ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب قال : التمس عليٌ من النبي ﷺ عند غسله مايلْتَمَسُ من الميت فلم يجد شيئاً فقال : بأبي أنت وأمي ، طبت حياً وميتاً(١) .

وخرجه الحاكم من طريق إبراهيم بن ديزيل وإبراهيم بن نصر الرازي قالا : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد ، عن معمر ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن علي -رضي الله تبارك وتعالى عنه- قال : غسلت رسول الله ﷺ فجعلت أنظر مايكون من الميت فلم أر شيئاً ، وكان طيباً حياً

---

(١) طبقات ابن سعد) : ٢/٢٧٧-٢٨١ .

وميتاً وقال : حديث صحيح على شرط الشيخين[١] .

وخرج الواقدي من حديث محمد بن عبد الله ومعمر عن الزهري ، عن ابن المسيب قال : ولي غسل النبي ﷺ وكفنه أربعة : العباس ، وعلي ، والفضل وشقران -رضي الله تبارك وتعالى عنهم- .

حدثني مصعب بن ثابت ، عن عيسي بن معمر ، عن عباد بن عبد الله ، عن عائشة -رضي الله تبارك وتعالى عنها- عنها قالت : لو استقبلت من أمري ما استدبرت ماغسل رسول الله ﷺ إلانساؤه ، إن رسول الله ﷺ لما قبض إختلف أصحابه في غسله ، فقال بعضهم : اغسلوه وعليه ثيابه ، فبينما هم كذلك أخذتهم نعسة فوقع لحْيُ كل إنسان على صدره ، فقال قائل ، لاندري من هو : اغسلوه وعليه ثيابه[٢] .

وخرج البيهقى من طريق إسماعيل بن أبي خالد ، عن عامر قال : قلت من غسل النبي ﷺ ؟ قال : غسله علي وأسامة ، والفضل بن العباس ، قال: وادخلوه قبره وكان علي -رضي الله تبارك وتعالى عنه- يقول وهو يغسله : يأبي وأمي - طبت حياً وميتاً[٣] .

ومن طريق مسدد حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب قال : قال علي -رضي الله تبارك وتعالى عنه- : غسلت رسول الله ﷺ فذهبت أنظر مايكون من الميت فلم أر شيئاً . وكان ﷺ طيباً حياً وميتاً قال : وولي دفنه ﷺ وإجنانه دون الناس أربعة علي ، والعباس ، والفضل ، صالح مولى رسول الله ﷺ ، ولحد لرسول الله ﷺ لحداً ونصب عليه اللبن نصبا[٤] .

وخرج الامام احمد من حديث ابن إسحاق قال : حدثني حسين بن عبد الله، عن عكرمة ، عن ابن عباس -رضي الله تبارك وتعالى عنهما- قال : لما اجتمع القوم لغسل رسول الله ﷺ ، وليس في البيت إلا أهله ، عمه العباس ، وعلي بن أبي طالب ، والفضل بن العباس ، وقثم بن العباس ، وأسامة بن زيد، وصالح مولاه -رضي الله تبارك وتعالى عنهم- فلما اجتمعوا لغسله نادى من وراء الباب أوس بن خولي الأنصاري -رضي الله تبارك وتعالى عنه- وكان بدريا - عليّ بن أبي طالب -رضي الله تبارك وتعالى عنه- فقال : ياعلي

---

(١) (المستدرك) : ٦١/٣ ، كتاب المغازى والسرايا ، باب (٣٠) المغازي والسرايا ، حديث رقم (٤٣٩٧) وقال الذهبي فى (التلخيص) : على شرط البخاري ومسلم .

(٢) (سبق تخريجه)

(٣) (دلائل البيهقى) : ٢٤٣/٧ .

(٤) (المرجع السابق) : ٢٤٤

نشدتك الله وحظنا من رسول الله ﷺ فقال له علي -رضي الله تبارك وتعالى عنه- : ادخل فدخل فحضر غسل رسول الله ﷺ ولم يل من غسله شيئاً. قال : فأسنده عليّ -رضي الله تبارك وتعالى عنه- إلي صدره وعليه قميصه ، وكان العباس والفضل وقثم -رضي الله تبارك وتعالى عنهم- يقلبونه مع علي -رضي الله تبارك وتعالى عنه- وكان أسامة ، وصالح مولياه -رضي الله تبارك وتعالى عنهما- يصبان الماء ، وجعل علي يغسله ولم ير من رسول الله ﷺ شيئاً مما نرى من الميت ، وهو يقول بابى وأمي ما أطيبك حياً وميتاً حتى إذا فرغوا من غسل رسول الله ﷺ - وكان يغسل بالماء والسدر - ثم جففوه ، ثم صنع به ما يصنع بالميت ، ثم أدرج في ثلاثة أثواب ، ثوبين أبيضين، وبرد حبرة ثم دعا ، العباس رجلين ، فقال : ليذهب أحدكما إلى أبي عبيدة بن الجراح - الأنصاري - وكان أبو طلحة يلحد لأهل المدينة - قال : ثم قال العباس لهما حين سرحهما : اللهم خر لرسولك ، قال : فذهبا فلم يجد صاحب أبى عبيدة ، ووجد صاحب أبي طلحة أبا طلحة فجاء لرسول الله ﷺ(١)

وقال البيهقي : روى أبو عمر بن كيسان عن زيد بن بلال قال : سمعت علياً -رضي الله تبارك وتعالي عنه- يقول : أوصي رسول الله ﷺ أن لا يغسله أحدٌ غيري ، فإنه لايرى أحد عورتى إلا طمست عيناه . وقال عليّ-رضي الله تبارك وتعالي عنه- : كان العباس ، وأسامة -رضي الله تبارك وتعالي عنهما- يتناولان الماء من وراء الستر . قال علي -رضي الله تبارك وتعالي عنه- فما تناولت عضواً إلا كأنما يقلبه معي ثلاثون رجلاً حتى فرغت من غسله .

وخرج البيهقيّ من طريق يونس عن أبي معشر ، عن محمد بن قيس قال: كان الذى غسل النبي ﷺ علي بن أبي طالب ، والفضل بن عباس -رضي الله تبارك وتعالي عنه- يصب عليه الماء . قال : فما كنا نريد أن نرفع عضواً عنه ﷺ ، لنغسله، إلا رفع لنا حتي انتهينا إلى عورته ، فسمعنا من جانب البيت صوتاً : لاتكشفوا عن عورة نبيكم .

ومن طريق يونس عن المنذر بن ثعلبة عن العلباء بن أحمر ، قال : كان علي والفضل بن عباس -رضي الله تبارك وتعالي عنهم- يغسلان رسول الله ﷺ فنودى : ياعلي ارفع طرفك إلي السماء .

ومن طريق الحسين بن جعفر ، عن سفيان ، عن عبد الملك بن جريج قال :

---

(١) (مسند أحمد) : ١/ ٤٣٠ ، حديث رقم (٢٣٥٣) ، مسند عبد الله بن عباس .

سمعت محمد بن علي أبا جعفر ، قال : غسل النبي ﷺ ، ثلاثاً بالسدر ، وغسل ﷺ وعليه قميصه ، وغسل ﷺ من بئر يقال لها الغرس بقباء ، كانت لسعد بن خيثمة ، وكان النبي ﷺ يشرب منها ، وولي غسله عليّ والفضل -رضي الله تبارك وتعالي عنهما- محتضنه ، والعباس -رضي الله تبارك وتعالي عنه- يصب الماء ؛ فجعل الفضل -رضي الله تبارك وتعالي عنه- يقول: أرحني قطعت وتيني إني لأجد شيئاً يتسلط عليّ [١].

وخرج الإمام أحمد من طريق يحيي بن يمان ، عن حسن بن صالح ، عن جعفر بن محمد قال : كان الماء يستنقع في جفون النبي ﷺ فكان علي -رضي الله تبارك وتعالي عنه- يحسوه [٢] .

وذكر عن معاذ قال : إن علياً -رضي الله تبارك وتعالي عنه- كان كلما اجتمع من الماء شئ فى معاينه أو محاجره امتصه ، فلذلك كان عليٌ أكرم بعلم لمُ يُكرم بمثله احدٌ .

وقال الزهري : عن سعيد بن المسيب ، عن عليّ -رضي الله تبارك وتعالي عنه- أنه غسل النبي ﷺ فعصر بطنه في الوسطي فلم يخرج شئ فقال -رضي الله تبارك وتعالي عنه - بأبى وأمى ، طيباً فى الموت وفي الحياة.

روي الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب من طريق أحمد بن محمد بن محمد بن جميل قال : حدثني عمي سهل بن جميل بن مهران عن أبي مقاتل السمر قندي عن كثير بن زياد ، عن الحسن قال : لم مات رسول الله ﷺ وجدوا في ثيابه نافحة مسك يطيب بها ثيابه [٣] انتهى .

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٧/٢٤٤ ، ٢٤٥ .

(٢) (مسند أحمد) : ١/ ٤٤٠ ، ٤٤١ ، حديث رقم (٢٣٩٩) مسند عبد الله بن عباس .

(٣) سبق تخريجه .

فصل فيما جاء في كفن رسول الله ﷺ

خرج مسلم من حديث أبي معاوية عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة -رضي الله تبارك وتعالي عنها- قالت : كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة ، أما الحلة فإنما شبه علي الناس فيها أنها اشتريت له ليكفن فيها ، فتركت الحله وكفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية فأخذها ، عبد الله بن أبي بكر -رضي الله تبارك وتعالي عنه- وقال: لاحبستها حتى أكفن فيها نفسي ، ثم قال : لو رضيها الله تعالى لرسوله لكفنه فيها ، فباعها وتصدق بثمنها[٢] .

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٧/١١-١١ ، كتاب الجنائز ، باب (١٣) في كفن الميت ، حديث رقم (٤٦) ، وأخرجه من طريق أخري من حديث يحيي بن يحييي بنحوه سواء ، حديث رقم (٤٥) ، (٤٧) .

قولها : (كفن رسول الله ﷺ في ثلاث أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة) السحولية بفتح السين وضمها والفتح أشهر وهو رواية الأكثرين قال ابن الأعرابي وغيره هي ثياب بيض نقية لا تكون إلا من القطن وقال ابن قتيبة : ثياب بيض ولم يخصها بالقطن وقال آخرون : هي منسوبة إلى سحول قرية باليمن تعمل فيها . وقال الأزهري السحولية بالفتح منسوبة إلى سحول مدينة باليمن يحمل منها هذه الثياب وبالضم ثياب بيض حكاه ابن الأثير في (النهاية) . في هذا الحديث وحديث مصعب بن عمير السابق وغيرهما وجوب تكفين الميت وهو إجماع المسلمين ويجب في ماله فإن لم يكن له مال فعلى من عليه نفقته فإن لم يكن ففي بيت المال فإن لم يكن وجب على المسلمين يوزعه الامام على أهل اليسار وعلى ما يراه . وفيه أن السنة في الكفن ثلاثة أثواب للرجل وهو مذهبنا ومذهب الجمهور والواجب ثوب واحد كما سبق والمستحب في المرأة خمسة أثواب ويجوز أن يكفن الرجل في خمسة لكن المستحب أن لا يتجاوز الثلاثة وأما الزيادة على خمسة فإسراف في حق الرجل والمرأة .

قولها :(بيض) دليل لاستحباب التكفين في الأبيض وهو مجمع عليه . وفي الحديث الصحيح في الثياب البيض وكفنوا فيها موتاكم . ويكره المصبغات ونحوها من ثياب الزينة وأما الحرير فقال أصحابنا يحرم تكفين الرجل فيه ويجوز تكفين المرأة فيه مع الكراهة وكره مالك وعامة العلماء التكفين في الحرير مطلقاً . قال ابن المنذر : ولا أحفظ خلافه .

وقولها : ليس فيها قميص ولا عمامة معناه لم يكفن في قميص ولا عمامة وإنما كفن في ثلاثة أثواب غيرهما ولم يكن مع الثلاثة شئ آخر هكذا فسره الشافعي وجمهور العلماء وهو الصواب الذي يقتضيه =

واخرجه البخاري[1] ولم يذكر قول عائشة -رضي الله تبارك وتعالي عنها- ، اما الحلة إلى آخر الحديث ولم يذكر قصة عبد الله بن أبي بكر في شئ من طريق هذا الحديث .

= ظاهر الحديث قالوا : ويستحب أن لا يكون في الكفن قميص ولا عمامة وقال مالك وأبو حنيفة : يستحب قميص وعمامة .وتأولوا الحديث على أن معناه ليس القميص والعمامة من جملة الثلاثة ، وإنما هما زائدان عليهما وهذا ضعيف فلم يثبت أنه ﷺ كفن في قميص وعمامة وهذا الحديث يتضمن أن القميص الذى غسل فيه النبيﷺ نزع عنه عند تكفينه وهذا هو الصواب الذي لا يتجه غيره ؛ لأنه لو بقي مع رطوبته لأفسد الأكفان وأما الحديث الذي فى سنن أبي داود عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كفن في ثلاثة أثواب : الحلة وثوبان وقميصه الذي توفي فيه فحديث ضعيف لايصح الاحتجاج به لأن يزيد بن أبي زياد أحد رواته مجمع على ضعفه لاسيما وقد خالف بروايته الثقاة . قوله (من كرسف) هو القطن وفيه دليل على استحباب كفن القطن .

قولها : (أما الحلة فانما شبه على الناس فيها) هو بضم الشين وكسر الباء المشددة ومعناه اشتبه عليهم قال أهل اللغة ولا تكون الحلة إلا ثوبين إزاراً ورداء . قولها : (حلة يمينية كانت لعبد الله بن أبي بكر) ضبطت هذه اللفظة في مسلم على ثلاثة أوجه حكاها القاضي وهي موجودة في بعض النسخ أحدها يمنية بفتح أوله منسوبة إلي اليمن والثاني يمانية منسوبة إلى اليمن أيضاً والثالث يمنة بضم الياء وإسكان الميم وهو أشبه قال القاضي وغيره : وهي على هذا مضاف حلة يمنة قال الخليل : هي ضرب من برود اليمن . قولها (وكفن في ثلاثة أثواب سحول يمانية) هكذا هوفي جميع الأصول سحول أما يمانية فبتخفيف الياء على اللغة الفصيحة المشهورة وحتى سيبويه والجوهري وغيرهما لغة في تشديدها ووجه الأول أن الألف بدل ياء النسب فلا يجتمعان بل يقال يمنية أو يمانية بالتخفيف . وأما قوله سحول فبضم السين وفتحها والضم أشهر والسحول بضم السين جمع سحل وهو ثوب القطن . قولها (سجى رسول الله ﷺ حين مات بثوب حبرة) معناه غطى جميع بدنه والحبرة بكسر الحاء وفتح الباء الموحدة وهي ضرب من برود اليمن ، وفيه استحباب تسجية الميت وهو مجمع عليه ، وحكمته صيانته من الانكشاف وستر عورته المتغيرة عن الأعين قال أصحابنا ويلف طرف لثوب المسجى به تحت رأسه وطرفه الآخر تحت رجليه لئلا ينكشف عنه . قالوا : تكون التسجية بعد نزع ثيابه التي توفي فيها لئلا يتغير بدنه بسببها .

(١) (فتح الباري) : ١٧٤/٣ ، كتب الجنائز ، باب (١٨) الثياب البيض للكفن ، حديث رقم (١٢٦٤) ، (١٢٧١) (١٢٧٢) ، (١٢٧٣) .

وخرج مسلم من طريق هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة -رضي الله تبارك وتعالي عنها- قالت : أدرج رسول الله ﷺ في حلة يمنة كانت لعبد الله ابن أبي بكر -رضي الله تبارك وتعالي عنهما- ثم نزعت عنه وكفن فى ثلاثة أثواب سحول يمانية ليس فيها عمامة ولا قميص فرفع عبد الله الحلة فقال : أكفن فيها ثم قال : لم يكفن رسول الله ﷺ وأكفن فيها !فتصدق بها(١) .

وخرج أبو داود من حديث يحيي بن سعيد ، عن هشام ، قال : أخبرني أبي، أخبرتني عائشة -رضي الله تبارك وتعالي عنها- قالت : كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب يمانيه بيض ليس فيها قميص ولا عمامة(٢) .

وخرج النسائي من حديث حفص بن غياث ، عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة -رضي الله تبارك وتعالي عنها- قالت : كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سحولية كرسف ليس فيها قميص ولا عمامة ، قال : فذكر لعائشة -رضي الله تبارك وتعالي عنها - قولهم : في ثوبين وبرد حبرة ؟ فقالت : قد أتي بالبرد ولكنهم ردوه ولم يكفنوه فيهم(٣) .

وخرج البخاري في باب الكفن بغير قميص من حديث سفيان ، عن هشام ابن عروة ، عن عائشة -رضي الله تبارك وتعالي عنها- قالت : كفن النبي ﷺ في ثلاثة أثواب سحول كرسف ليس فيها قميص ولا عمامة(٤) .

قال : فذكر لعائشة -رضي الله تبارك وتعالي عنها- قولهم في ثوبين

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) (سنن أبي داود) : ٣/٥٠٦-٥٠٧ ، كتاب الجنائز ، باب (٣٤) في الكفن ، حديث رقم (٣١٥١) .

قال ابن القيم : وقد حمل الشافعي قول عائشة : ليس فيها قميص ولا عمامة ، على أن ذلك ليس بموجود في الكفن ، وأن عدد الكفن ثلاثة أثواب ، وحمله مالك على أنه ليس بمعدود من الكفن ، وأنه يتحمل من ثلاثة الأثواب زيادة على القميص والعمامة ، وقال ابن القصار : لايستحب القميص ولا العمامة غير مالك في الكفن ونحوه عن أبي القاسم ، وهذا خلاف ماحكي أصحابنا عن مالك .

(٣) (سنن النسائي) : ٤/٣٣٦ ، كتاب الجنائز ، باب (٣٩) كفن النبي ﷺ ، حديث رقم (١٨٩٨) ، وقد أخرجه من طريق أخرى بنحوه سواء ، حديث رقم (١٨٩٦) ، (١٨٩٧)

(٤) (سبق تخريجه)

وبرد من جبرة ؟ فقالت : قد أتي بالبرد ولكنهم ردوه ولم يكفنوه فيهم[1] .

وخرج البخاري في باب الكفن بغير قميص من حديث سفيان عن هشام ابن عروة عن عائشة -رضي الله تبارك وتعالي عنها- قالت : كفن النبي ﷺ في ثلاثة أثواب سحول كرسف ليس فيها قميص ولاعمامة .

ومن حديث يحيى عن هشام قال : حدثني أبي عن عائشة -رضي الله تبارك وتعالي عنها- قالت: إن رسول الله ﷺ كفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة[2] .

وخرجه الترمذي[3] والنسائي من حديث حفظ عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة -رضي الله تبارك وتعالي عنها- قالت : كفن النبي ﷺ في ثلاثة أثواب بيض يمانيه كرسف ليس فيها قميص ولاعمامة .

قال : فذكر لعائشة -رضي الله تبارك وتعالي عنها- قولهم فى ثوبين وبرد وحبره . قالت : قد أتي بالبرد ، ولكنهم ردوه ولم يكفنوه فيه . لم يقل الترمذى كرسف .

وقال : حديث عائشة -رضي الله تبارك وتعالي عنها- حديث صحيح وقد روى في كفن النبي ﷺ روايات مختلفة ، وحديث عائشة -رضي الله تبارك وتعالي عنها- أصح الأحاديث التى رويت في كفن النبي ﷺ والعمل على حديث عائشة -رضي الله تبارك وتعالي عنها- عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم . قال سفيان الثوري : يكفن الرجل في ثلاثة أثواب : إن شئت في قميص ولفافتين . وإن شئت في ثلاث لفائف . ويجزئ ثوب واحد إن لم يجدوا ثوبين . والثوبان يجزيان . والثلاثة لمن وجدها أحب اليهم . وهذا قول الشافعى واحمد واسحاق . قالوا : تكفن المرأة في خمسة أثواب[4] .

وخرج مسلم من حديث محمد بن إبراهيم عن أبي سلمة أنه قال : سألت عائشة زوج النبي ﷺ عنهم فقلت لها : في كم كفن رسول الله ﷺ ؟ فقالت: في ثلاثة أثواب سحولية .

---

(١) (سبق تخريجه)

(٢) سبق تخريجه .

(٣) (سنن الترمذي) : ٣٢١/٣٠ ، كتاب الجنائز ، باب (٢٠) ماجاء في كفن النبي ﷺ حديث رقم (٩٩٦) .

(٤) (المرجع السابق) : ٣٢٢ ، حديث رقم ٩٩٩٧٠ .

وروي ابن أيمن من حديث حماد بن سلمة ، عن عبيد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب ، عن محمد بن الحنفية ، عن أبيه -رضي الله تبارك وتعالي عنه- قال : كفن رسول الله ﷺ في سبعة أثواب .

وخرج البيهقي من طريق عبد الكريم بن الهيثم ، قال : حدثنا أبو اليمان، قال : أخبرنا شعيب ، عن الزهري ، قال : حدثنا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وكان أفضل أهل بيته وأحسنهم طاعة ، وأحبهم إلى مروان بن الحكم ، وعبد الملك بن مروان ، أن رسول الله ﷺ ، كفن في ثلاثة أثواب ، أحدها برد حبرة ، وأنهم لحدوا له في القبر ، ولم يشقوه .

وقال البيهقي هكذا روي عن مقسم ، عن ابن عباس وفيما روينا عن عائشة ، وبيان سبب الاشتباه على الناس ، وأن الحبرة أخرت عنه .

وخرج من طريق يونس ، عن زكريا بن أبي زائدة ، عن الشعبي ، قال : كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب سحولية ، برود ، يمنيه ، غلاظ، إزار ، ورداء ، أو لفافة .

وأخبرنا عن يعقوب بن إبراهيم الدورقي ، قالا : حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرواسي ، عن حسن بن صالح عن هارون بن سعد قال : حدثنا حميد ابن عبد الرحمن الرواسي ، عن حسن بن صالح ، عن هارون بن سعد قال : كان عند علي -رضي الله تبارك وتعالي عنه- مسك ، فأوصى أن يحنط به ، قال : وقال علي : هو فضل حنوط رسول الله ﷺ ، هذا حديث الدورقي ، وفي رواية إبراهيم : قال هارون بن سعد ، عن أبي وائل ، قال : كان عند علي -رضي الله تبارك وتعالي عنه- مسك - فذكره[1] .

وقال ابن عائد : حدثنا الوليد قال : أخبرنى سعيد بن بشير ، عن قتاده من سعيد بن المسيب قال : إن رسول الله ﷺ كفن في ملايتين بيضاوين وبرد نجراني .

قال الوليد : وأما أبو عمرو فإنه أخبرني عن ابن شهاب -رضي الله تبارك وتعالي عنه- قال : كفن رسول الله ﷺ في برد حبره ثم اخر عنه . قال القاسم : ان لقينا ذلك البرد لعندنا بعد .

وقال الواقدي : حدثني عبيد الله بن عبد العزيز ، عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم ، عن أبيه عن عمرة ، عن عائشة -رضي الله تبارك وتعالي

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٧/٢٤٨-٢٤٩ .

عنها- قال : اشتري لرسول الله ﷺ حلة حبرة ليكفن فيها بتسعة دنانير ونصف ، ثم بدا لهم أن يتركوها فابتاعها عبد الله بن أبي بكر -رضي الله تبارك وتعالي عنهما- وهو يومئذ مجروح جرح بالطائف وقد كاد الجرح أن يبرأ ، وهو قد دمل عليع بعد ، فلما كان فى خلافة أبي بكر -رضي الله تبارك وتعالي عنه- التأم الجرح فحضره الموت فقال لما تكفنوني فيها فلو كان فيها خير لكفن فيها رسول الله ﷺ فقالت عائشة : فبيعه بعد ذلك باليمن وكفن رسول الله ﷺ فى ثلاثة أثواب سحولية قال ابن زياد كل ثوب أبيض فهو سحولي .

قال سيف:عن محمد بن عبيد الله بإسناده قال : فغسلوه ثم كفن في برد واحد يمانى وربطتين ، ثم كفن فيهما .

وقال :عن محمد بن عبيد بن عطاء قال فى رسالته : فيما بلغك عن النبي ﷺ كفن ؟ فقال : كفن في ثوبين غسيلين كذلك كنت أسمعهم يذكرون، وزعم أن كذلك كفن أبو بكر -رضي الله تبارك وتعالي عنه- فى ثوبين غسيلين، لم يذكر برداً . قال : سبق عن سعيد بن عبد الله عن بن أبي ملكية عن عائشة -رضي الله تبارك وتعالي عنها قالت : بعث إلينا عبد الرحمن بثوبين فأردنا أن نكفنه فيهما ثم ترك لقوله ﷺ بياض أو كرسف اليمن ، يكفن رسول الله ﷺ فى ثوبين أبيضين غسيلين .

ذكر ماجاء في الصلاة على رسول الله ﷺ

قال ابن عبد البر : أمّا صلاة الناس عليه أفراداً ، مجتمع عليه عند أهل السير وجماعة أهل النقل ما يختلفون فيه .

وقال الواقدى : كان السرير ألواحاً ، وأما العمودان فإنهما أحدثا ، وكانوا يقولون فى السرير : إنه كان لأم مسلمة -رضي الله تبارك وتعالي عنها- أو لأم حبيبة -رضي الله تبارك وتعالي عنها- ، فاشتراه الإسحاقيون موالي معاوية بأربعة آلاف درهم ، والألواح غرب .

حدثني عباس بن سهل عن أبيه عن جده ، قال : لما أدرج رسول الله ﷺ في أكفانه وضع على سريره ، ثم وضع شفير حفرته ، ثم كان الناس يدخلون عليه رفقاً رفقاً لا يؤمهم أحد .

حدثني محمد عن الزهرى عن عروة عن عائشة -رضي الله تبارك وتعالي

عنها- وابن أبي سبرة عن عباس بن عبد الله بن عبد المطلب -رضي الله تبارك وتعالي عنهما- قالا : أول من صلي عليه العباس بن عبد المطلب وبنوه ، ثم خرجوا ، ثم دخل عليه المهاجرون ، ثم الأنصار رفقاً رفقاً، فلما انقضى الناس دخل عليه الصبيان صفوفاً ، ثم النساء . حدثني عبد الحميد بن عمران بن أبي أنس عن أبيه عن ابن عباس -رضي الله تبارك وتعالي عنهما- قالا : أول من صلي عليه العباس بن عبد المطلب وبنو هاشم ، ثم خرجوا ، ثم دخل عليه المهاجرون ثم الأنصار رفقاً رفقاً ، فلما انقضى الناس دخل عليه الصبيان صفوفاً ، ثم النساء .

حدثنى عبد الحميد بن عمران بن أبي أنس عن أبيه عن أمه قال : كنت فيمن دخل على رسول الله ﷺ وهو على سريره فكنا صفوفاً ندعوا ونصلي ولقد رأينا أزواجه وقد وضعن الجلاليب عن رؤسهن فى صدروهن ، ونساء الأنصار يعزين الوجوه ، قد بحت حناجرهن من الصباح .

حدثنى بن أبي سبرة عن عباس بن عبد الله بن معبد عن عكرمة عن ابن عباس -رضي الله تبارك وتعالي عنهما- قالا : كان رسول الله ﷺ موضوعاً على سريره من حين زاغت الشمس من يوم الاثنين إلى أن زاغت الشمس يوم الثلاثاء ، فصلى الناس عليه وسريره على شفير قبره ، فلما أرادوا أن يغيروه نحو السرير قبل رجليه فأدخل من هناك ، ودخل فى حفرته العباس بن عبد المطلب والفضل بن عباس وقثم بن العباس وعليّ وشقران -رضي الله تبارك وتعالي عنهم-

وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق ، قال : حدثني السحيم بن عبد الله ابن عبيد الله بن عباس عن عكرمه عن ابن عباس -رضي الله تبارك وتعالي عنهم - قال : لما مات رسول الله ﷺ أدخل الرجال فصلوا عليه بغير إمام أرسالاً ، حتى فرغوا ، ثم أدخل النساء فصلين عليه ، ثم أدخل الصبيان فصلوا عليه ، ثم أدخل العبيد فصلوا عليه أرسالاً لم يؤمهم أحد .

وقال البيهقي : قال الواقدي حدثني موسى بن محمد بن إبراهيم قال : وجدت كتابا بخط أبي فيه : أنا لما كفن رسول الله ﷺ ووضع على يريره دخل أبو بكر وعمر -رضي الله تبارك وتعالي عنهما- ومعهما نفر من المهاجرين والأنصار وقدر مايسع البيت ، فقال : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، وسلم المهاجرون والأنصار ، كما سلم أبو بكر وعمر -رضي الله تبارك وتعالي عنهما- ثم صفوا صفوفاً لم يؤمهم عليه أحد فقال

أبو بكر وعمر -رضي الله تبارك وتعالي عنهما- وهما فى الصف الاول : حياك الله يا رسول اللهﷺ.

اللهم إنا نشهد أنه قد بلغ ماأنزل إليه ونصح الأمة ، وجاهد في سبيل الله حتى أعز الله تبارك وتعالى دينه ، وتمت كلمته وحده لاشريك له وأنزل معه ماجمع بيننا وبينه ، حتى يعرفه بنا ويعرفنا به ، فإنه كان بالمؤمنين رحيماً لايبتغى للإيمان بدلاً ولايشترى به ثمناً أبداً، فيقول الناس آمين آمين ، ويخرجون ويدخل آخرون ، حتى صلى عليه الرجال ثم النساء ثم الصبيان .

وقال ابن عائد . حدثنا الوليد قال : أخبرني من سمع إسماعيل بن أميه يتحدث عن سعيد بن المسيب قال : إن المسلمين لما أرادوا الصلاة على نبيهم اجتمع رأيهم على أنه الإمام ولا إمام عليه ، فدخل أبو بكر -رضي الله تبارك وتعالي عنه- فكبر عليه أربعاً ، ثم دخل عمر -رضي الله تبارك وتعالي عنه- فكبر أربعاً ، ثم دخل عثمان -رضي الله تبارك وتعالي عنه- فكبر أربعاً ، ثم دخل طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام -رضي الله تبارك وتعالي عنهما- ثم تتابعا الناس أرسالاً يكبرون عليه ولا إمام لهم عليه .

حدثنا الوليد بن محمد عن ابن شهاب الزهري قال : وضعوه ﷺ في البيت فدخل الناس عليه أفواجاً : الرجال ، والنساء ، والصبيان ، يصلون عليه، ثم يخرجون لا يؤمهم عليه إمام .

حدثنا الوليد بن مسلم قال : وحدثني ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب قال : إن علي بن أبي طالب -رضي الله تبارك وتعالي عنهم- أشار عليهم بذلك فقبلوه من قوله .

وقال سيف : عن محمد بن عبيد الله عن عطاء وابن أبي مليكة كلاهما عن عائشة -رضي الله تبارك وتعالي عنها- قال : ثم صلوا عليه وأدنو الناس أرسالاً وهو فى البيت ، فجعلو يصلون حوله على غير إمام ثم يستغفرون ويصلون ويسلمون لايعجلهم أحد ،ويدخل قوم ويخرج آخرون عامة يوم وليلة

وعن سعيد بن عبد الله عن ابن عباس -رضي الله تبارك وتعالي عنهما- قال : ما امتنعوا من الصلاة عليه فى غير حين صلاة إلى الليل .

وعن أبي سلام عن ابن محريز قال : إن معاذ بن جبل -رضي الله تبارك وتعالي عنه- قال : أوصى رسول الله ﷺ بالصلاة حتى يصلي ، وذلك آخر ماوصى عليه وتكلم به الصلاة وصيته الله ووصية الرسول ، فاحفظوا وصية الله ووصية الرسول يحببكم الله إلى خلقه ، ثم قال رسول الله ﷺ : إذا هجرتموني

فأمسكوا عني ، فإنَّ أول الخلق يصلي عليّ جبريل ، والملائكة عليهم الصلاة والسلام بأسرها ، ثم مسلمي الإنس والجن ، فصلوا علي أفواجاً ، وليبدأ أفواجكم العباس عمي ثم الأفواج علي الولاء الأول فالأول ، فدخل العباس بن عبد المطلب وسائر بني هاشم ، وفيهم أبو بكر -رضي الله تبارك وتعالي عنهم- فلما فرغ الرجال جاءت النساء ، فلما فرغن جاء الصبيان ، فلم ير الناس بعد صلاة النساء على الجنازة ناساً ، وكان الآخر من الأمر هو الناسخ للأول .

وعن محمد بن إسحاق قال : حدثنى [...] (١) عن عائشة -رضي الله تبارك وتعالي عنها- أنها قالت : فترك رسول الله ﷺ بقية يوم الاثنين وليلة الثلاثاء، وغسل يوم الثلاثاء .

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال : توفي ﷺ يوم الاثنين ، وغسل يوم الاثنين ، ودفن ليلة الثلاثاء في جوف الليل ، ومات أبو بكر -رضي الله تبارك وتعالي عنه- ليلة الثلاثاء ، وصلي عليه في المسجد ودفن ليلته ، وصلي عليه عمر-رضي الله تبارك وتعالي عنه-

وعن يحي بن سعيد بن عمرة عن عائشة -رضي الله تبارك وتعالي عنها- مثل ذلك ، وقالت : ماعلمنا بدفنه الا بأصوات المساحي (٢) بالليل .

---

(١) غير واضح بالأصل ، ولم أجده فى مابين يدي من كتب السيرة ، وسيرد مايغني عنه .

(٢) المساحي : جمع مسحاة ، وهى المجرفة من الحديد ، والميم زائدة ، لأنه من السحو ، وهو الكشف والإزالة . (لسان العرب) : ٥٩٨/٢ .

ذكر ماجاء في مواراة رسول الله ﷺ في لحده حيث دفن ، ومافرش تحته ، ومن واراه .

خرج مسلم من حديث إسماعيل بن محمد عن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال : إن سعد بن أبي وقاص قال في مرضه الذى هلك فيه :ألحدوا إلي لحدا أنصبوا عليّ اللبن نصباً كما صنع برسول الله ﷺ(١) .

وخرجه النسائي من طريق إسماعيل بن محمد ، عن عامر بن سعد قال : إن سعداً لما حضرته الوفاة قال : ألحدوا لي لحداً وانصبوا كما صنع برسول الله ﷺ(٢) .

وخرج من حديث أبي بكر بن أبي شيبة ووكيع جميعاً عن شعبة من حديث يحي بن سعيد قال شعبة : حدثنا أبو حمزه نصر بن عمران البصرى عن ابن عباس -رضي الله تبارك وتعالي عنهما- قال : جعل تحت رسول الله ﷺ قطيفة حمراء(٣) .

قال النسائي : وأبو حمزة عمران بن عطاء ليس بالقويّ وأبو حمزه نصر ابن عمران بصري ثقة ، وكلاهما يروى عن ابن عباس -رضي الله تبارك وتعالي عنهما- .

وخرج الترمذي من حديث عثمان بن فرقد قال : سمعت جعفر بن محمد ، عن أبي أن الذي ألحد قبر رسول الله ﷺ أبو طلحة . الذي ألقى القطيفة تحته شقران مولى رسول الله ﷺ . قال جعفر : وأخبرنى أن عبيد الله بن أبي رافع قال: سمعت شقران يقول : أنا والله طرحت القطيفة تحت رسول الله ﷺ في

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : ٣٧/٧ ، كتاب الجنائز ، باب (٢٩) اللحد ونصب اللبن على الميت ، حديث رقم (٩٦٦)

(٢) (سنن النسائي) : ٣٨٤/٤ ، كتاب الجنائز ، باب (٨٥) اللحد والشق ، حديث رقم (٢٠٠٧)

وزاد ابن سعد فى طبقاته قال وكيع : هذا للنبي ﷺ خاصة ، وله عن الحسن أن رسول الله ﷺ بسط تحته شملة قطيفه حمراء كان يلبسها قال : وكانت أرض ندية ، وله من طريق أخرى عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : افرشوا لي قطيفتي في لحدي فإن الأرض لم تسلط على أجساد الأنبياء .

(٣) (المرجع السابق) : ٣٨٦ ، باب (٨٨) وضع الثوب في اللحد ، حديث رقم (٢٠١١) .

القبر . قال أبوعيسى : حديث شقران حديث حسن غريب ، وروى علي بن المدينى عن عثمان بن فرقد هذا الحديث(١) .

قال : وقد روى عن ابن عباس -رضي الله تبارك وتعالي عنهما- أنه كره أن يلقى تحت الميت في القبر شئ وإلي هذا ذهب بعض أهل لعلم .

وخرجه الامام أحمد وقال في آخره : وقال وكيع : هذا للنبي خاصة .

وقال هيثم عن منصور عن الحسن قال : جعل في قبر رسول الله ﷺ قطيفة حمراء ، كان أصابها يوم خيبر(٢) قال : جعلوها لأن المدينة أرض سبخة .

وأخرجه الحارث بن أبي أسامة من حديث الواقدي أخبرنا محمد بن عمر، حدثني موسي بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى ، عن أبيه قال : نزل في حفرة رسول الله ﷺ علي والفضل بن العباس ، والعباس وأسامة بن زيد وأوس بن خولي .

وقال الواقديّ : حدثني عبد الله بن محمد بن عمر عن أبيه عن جده عن عليّ -رضي الله تبارك وتعالي عنهما- قال : نزل في حفرته ﷺ العباس ، والفضل وعليّ ، وأسامة ، وأوس بن خولي بن عبد الله بن الحارث بن عبيد بن مالك بن الجبلي، وهو سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج .

قالوا . وبني عليه في اللحد اللبن وهى تسع لبنات وطرح في لحده سمك قطيفة كان سلبها ، فلما أفرغوا من بناء اللحد خرجوا وهالوا التراب على لحده ﷺ .

وقال ابن عائذ حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا سعيد بن عبد العزيز ، عن سليمان بن موسى قال : جعلوا في لحد رسول الله ﷺ تحته قطيفة بيضاء كان يجعلها على رجله إذا سافر لتقيه خم المدينة ، وبنوا عليه اللبن بنياناً كبناء القباب حتى لحق البناء بجار القبر .

قال الوليد : وأنبأنا عبد الله بن زياد وأخبره عن الزهري عن سعيد بن المسيب أنهم نصبوا على لحده اللبن(٣) .

---

(١) (سنن الترمذي) : ٣/٣٦٥ ، كتاب الجنائز ، باب (٥٥) ماجاء في الثوب الواحد يلقى تحت الميت ، حديث رقم (١٠٤٧) .

(٢) (مسند أحمد) : ١/٣٧٨ ، حديث رقم (٢٠٢٢) ، وحديث رقم (٣٣٣١) ، من مسند عبد الله بن عباس .

(٣) (طبقات ابن سعد) : ٢/٣٠١ .

وقال سيف : عن جابر بن يزيد عن محمد بن علي بن الحنيفة قال : دخل القبر العباس وعليّ والفصل وعبد الرحمن بن عوف -رضي الله تبارك وتعالي عنهم- وكان بعض الاخوال يدخل مع العمومة القبر .

وقال : عن وائل بن داود عن يزيد النهي قال : دخل قبر النبي ﷺ أربعة: العباس ، وعلي ، والفصل ، وعبد الرحمن -رضي الله تبارك وتعالي عنهم- وعن ياسين الزهري قال أربعة ، وذكر عبد الرحمن بن عوف .

وعن ابن إسحاق قال :حديث أنه نزل في حفرته ﷺ تلك الليلة العباس، وعلي ، والفصل ، وقثم ، وصالح ، وشقران ، وأوس بن خولي خامسهم .

قال الواقديّ في (المغازي) : حدثني عبد العزيز بن محمد عن عفر بن محمد عن أبيه قال : جعل بيت قبره شبراً ، يعنى ارتفاعه . حدثني موسى بن محمد عن أبيه قال : جعل قبر رسول الله ﷺ مسطوحاً . حدثني هشام بن سعد عن عمرو بن عثمان بن هانئ قال : سمعت القاسم بن محمد يقول : اطلعت علي القبور وأنا صغير فرأيت عليها حصباء حمراء وهذا يبين أنها مسطحة .

قال سيف : حدثني مولي لآل طلحة عن موسى بن طلحة قال : كان قبر رسول الله ﷺ مسنماً وقبور أهل أحد مسنمة . وقال الواقدى : حدثني عبد الله ابن جعفر بن عوف عن أبي عتيق عن جابر بن عبدالله -رضي الله تبارك وتعالي عنهما- قال : رش على قبر النبي -رضي الله تبارك وتعالي عنه- الماء رشاً قالوا : وكان الذي رش الماء على قبره بلال بن رباح بقربة ، بدأ من قبل رأسه من شقه الأيمن حتى انتهى إلى رجليه ، ثم ضرب بالماء إلى الجدار لم يقدر على أن يدور من الجدار .

حدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن أبيه عن عمرة عن عائشة -رضي الله تبارك وتعالي عنها- قالت : ماعلمنا بدفن رسول الله ﷺ حتى سمعنا صوت المساحي في السحر ليلة الثلاثاء.

وحدثني ابن أبي الرجال عن أبيه عن عبد الرحمن بن أفلح مولي أبي أيوب عن أبي أيوب -رضي الله تبارك وتعالي عنه- قال : لما كان فى السحر ليلة الثلاثاء سمعت المساحي وأنا في منزلي فخررت سريعاً فأجدهم قد سووا على رسول الله ﷺ .

حدثني عبد الله بن محمد عن أبيه عن جده عن علي -رضي الله تبارك وتعالي عنهم- وحدثني إسحاق بن محمد عن عبد الرحمن بن خويله عن ابن

المسيب وحدثني ابن أبي الزناد عن شريك عن أبي نمر عن أبي سلمة -رضي الله تبارك وتعالي عنه - قال : توفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين حين زاغت الشمس ودفن يوم الثلاثاء تلك الساعة .

وحدثني ابن أبي عباس سهل بن سعد عن أبيه عن جده قال : توفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين ودفن ليلة الأربعاء .

وقال ابن عبد البر : وأما دفنه ﷺ يوم الثلاثاء فمختلف فيه ، فمن أهل العلم من يصحح ذلك ، ومنهم من يقول : دفن ليلة الاربعاء ، وقد جاء الوجهان في أحاديث بأسانيد صالحة .

ذكر قول المغيرة بن شعبة : إنه آخر الناس عهداً برسول الله ﷺ

قال الواقدي: أخبرنا شريح بن النعمان ، أخبرنا هشيم قال : أخبرنا مجالد، عن الشعبي ، عن المغيرة بن شعبة قال : كان يحدثنا هاهنا ، يعني بالكوفة ، قال : أنا آخر الناس عهداً بالنبي ﷺ ، لما دفن النبي ﷺ وخرج عليّ من القبر ألقيت خاتمي ، فقلت : ياأبا حسن خاتمي ! قال : انزل فخذ خاتمك، فنزلت فأخذت خاتمي ووضعت خاتمي على اللبن ثم خرجت .

أخبرنا شريح بن النعمان ، أخبرنا هشيم عن أبي معشر قال : حدثني بعض مشيختنا قال : لما خرج عليّ من القبر ألقى المغيرة خاتمه في القبر وقال لعليّ : خاتمي : فقال علي للحسن بن علي : ادخل فناوله خاتمه ففعل .

أخبرنا عفان بن مسلم ، أخبرنا حماد بن سلمة ، عن أبي عمران الجوني أخبرنا هشيم أنه شهد ذاك قال : لما وضع رسول الله ﷺ في لحده قال المغيرة ابن شعبة : إنه قد بقي من قبل رجليه شئ لو تصلحونه ! قالوا : فادخل فأصلحه ، فدخل فمسح قدميه ﷺ ثم قال : أهيلوا عليّ التراب ! فأهالوا عليه التراب حتى بلغ أنصاف ساقية فخرج فجعل يقول : أنا أحدثكم عهداً برسول الله ﷺ .

أخبرنا عبيد الله بن محمد بن حفص التيمي قال : أخبرنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة ، عن عروة أنه قال : لما وضع رسول الله ﷺ في لحده ألقى المغيرة بن شعبة خاتمه في القبر ، ثم قال : خاتمي خاتمي ! فقالوا : ادخل فخذه ! فدخل ثم قال : أهيلوا عليّ التراب ، فأهالوا عليه التراب حتى بلغ أنصاف

ساقيه فخرج ، فلما سوي على رسول الله ﷺ قال : أخرجوا حتى أغلق الباب فإني أحدثكم عهداً برسول الله ﷺ فقالوا : لعمري لئن كنت أردتها لقد أصبتها .

أخبرنا محمد بن عمر ، حدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد ، حدثني أبي، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال : آخرالناس عهداً بالنبي ﷺ في قبره المغيرة بن شعبة ألقي في قبره خاتمة ، ثم قال : خاتمي ! فنزل فأخذه وقال : ما ألقيته إلا لذلك .

أخبرنا محمد بن عمر ، حدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز ، عن عبد الله ابن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم : أن المغيرة بن شعبة ألقي في قبر النبي ﷺ بعد أن خرجوا خاتمه لينزل فيه ، فقال علي بن أبي طالب : إنما ألقيت خاتمك لكى تنزل فيه فيقال نزل في قبر النبي ﷺ، والذي نفسي بيده لا تنزل فيه أبداً. ومنعه .

أخبرنا محمد بن عمر ، حدثني عبد الله بن محمد بن عمر بن علي ، عن أبيه قال : قال علي بن أبي طالب : لايتحدث الناس أنك نزلت فيه ، ولايتحدث الناس أن خاتمك في قبر النبي ﷺ ، ونزل علي وقد رأى موقعه فتناوله فدفعه إليه .

أخبربا محمد بن عمر ، حدثني حفص بن عمر، عن علي بن عبد الله بن عباس قال : قلت زعم المغيرة بن شعبة أنه آخر الناس عهداً برسول الله ﷺ، قال : كذب والله ! أحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ قثم بن العباس كان أصغر من كان في القبر وكان آخر من صعد(١) .

---

(١) سبق تخريجه من (دلائل البيهقى) وغيره .

فصل في ذكر نبذة مما رُثي به رسول الله ﷺ*

قال ابن سيده(١) : رثيت الميت رثيا ورثاءً ورثايه ورثاة ومرثيه ورثيته مدحته بعد الموت . ورثت المرأة بعلها رثته ورثيته ترثاة . وامرأة رثّاء ورثاية كثيرة الرثاء لبعلها أو لغيره ممن يكون عندها ، ويقال : رثاه الرجل رثاء مدحه بعد موته لغة في رثيته ورثاة المرأة زوجها كذلك وهي المرثية ، قال حسان بن ثابت الأنصاري -رضي الله تبارك وتعالي عنه - يبكي به رسول الله ﷺ فيما رواه أبو محمد عبد الملك بن هشام ، عن أبي زيد الأنصاري :

شعر حسان بن ثابت في رثاء الرسول ﷺ

بطيبة رسم للرسول ومعهد ... منير وقد تعفو الرسوم وتهمد
ولا تمتحي الآيات من دار حرمة ... بها منبر الهادي الذي كان يصعد
وواضح آثار وباقي معالم ... وربع له فيه مصلى ومسجد
بها حجرات كان ينزل وسطها ... من الله نور يستضاء ويوقد
معارف لم تطمس على العهد آيها ... أتاها البلى فالآي منها تجدد
عرفت بها رسم الرسول وعهده ... وقبراً بها واراه في الترب ملحد
ظللت بها أبكي الرسول فأسعدت ... عيون ومثلاها من الجفن تسعد
يذكرن آلاء الرسول وما أرى ... لها محصياً نفسي فنفسي تبلد
مفجعة قد شفها فقد أحمد ... فظلت لآلاء الرسول تعدد
ومابلغت من كل أمر عشيرة ... ولكن لنفسي بعد ما قد توجد
أطالت وقوفاً تذرف العين جهدها ... على طلل القبر الذي فيه أحمد

---

* يراجع فى ذلك (طبقات ابن سعد): ٢/٣١٩ ومابعدها ، (البداية والنهاية) لابن كثير : ٥/٣٠١ ومابعدها ، (عيون الأثر فى فنون المغازي والشمائل والسيرّ) لابن سيد الناس: ٢/ ٣٤٠ ومابعدها ، (تاريخ الخميس فى أحوال أنفس نفيس ، للديار بكرى) : ٢/١٧٣ ، (سيرة ابن هشام) : ٦/ ٨٩ وما بعدها ، أبواب ما جاء فى رثاء النبى ﷺ .

(١) رثيت الميت رثياً ، ورِثاءً ، ورِثايةً - بكسرهما - وَمَرْثاة ، وَمَرثية - مخففة - ورثوته : بكيته وعدَّدْت محاسنه ، كرثَّيته ترثية . وترثيته ونظمت فيه شعراً وحديثاً عنه . (ترتيب القاموس) : ٢/٣٠٤ .

فبوركت ياقبر الرسول وبوركت ... بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد
وبورك لحد منك ضمن طيباً ... عليه بناء من صفيح منضد
تهيل عليه الترب أيد وأعين ... عليه وقد غارت بذلك أسعد
لقد غيبوا حلماً وعلماً ورحمة ... عشية علوة الثرى لا يوسد
وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم ... وقد وهنت منهم ظهور وأعضد
يبكون من تبكي السموات يومه ... ومن قد بكته الأرض فالناس أكمد
وهل عدلت يوماً رزية هالك ... رزية يوم مات فيه محمد؟!
تقطع فيه منزل الوحي عنهم ... وقد كان ذا نور يغور وينجد
يدل على الرحمن من يقتدى به ... وينقذ من هول الخزايا ويرشد
إمام لهم يهديهم الحق جاهداً ... معلم صدق إن يطيعوه يسعدوا
عفو عن الزلات يقبل عذرهم ... وإن يحسنوا فالله بالخير أجود
وإن ناب أمر لم يقوموا بحمله ... فمن عنده تيسير ما يتشدد
فبينا هم في نعمة الله بينهم ... دليل به نهج الطريقة يقصد
عزيز عليه أن يجوروا عن الهدى ... حريص على أن يستقيموا ويهتدوا
عطوف عليهم لا يثني جناحه ... إلى كنف يحنو عليهم ويمهد
فبينا هم في ذلك النور إذ غدا ... إلى نورهم سهم من الموت مقصد
فأصبح محموداً إلى الله راجعاً ... يبكيه حتى المرسلات ويحمد
وأمست بلاد الحرم وحشاً بقاعها ... لغيبة ماكانت من الوحي تعهد
قفاراً سوى معمورة اللحد ضافها ... فقيد يبكينه بلاط وغرقد
ومسجده فالموحشات لفقده ... خلاء له فيه مقام ومقعد
وبالجمرة الكبرى له ثم أوحشت ... ديار وعرصات وربع ومولد
فبكي رسول الله يا عين عبرة ... ولا أعرفنك الدهر دمعك يجمد
ومالك لا تبكين ذا النعمة التي ... على الناس منها سابغ يتغمد
فجودي عليه بالدموع وأعولي ... لفقد الذي لا مثله الدهر بوجد
ومافقد الماضون مثل محمد ... ولامثله حتى القيامة يفقد
أعف وأوفي ذمة بعد ذمة ... وأقرب منه نائلاً لا ينكد
وأبذل منه للطريف وتالد ... إذا ضن معطاء بما كان يتلد
وأكرم صيتاً في البيوت إذا انتمى ... وأكرم جداً أبطحياً يسود
وأمنع ذروات وأثبت في العلا ... دعائم عز شاهقات تشيد
وأثبت فرعاً في الفروع ومنبتاً ... وعوداً غذاه المزن فالعود أغيد

رباه وليداً فاستتم تمامه ... على أكرم الخيرات رب ممجد
تاهت وصاة المسلمين بكفه ... فلا العلم محبوس ولا الرأي يفند
أقول ولايلقى لقولي عائب ... من الناس إلا عازب العقل مبعد
وليس هواي نازعاً عن ثنائه ... لعلي به في جنة الخلد أخلد
مع المصطفى أرجو بذاك جواره ... وفي نيل ذاك اليوم أسعى وأجهد

قال حسان – رضي الله تبارك وتعالى عنه– أيضاً . رسول الله (ص) الرسول

ما بال عينك لا تنام كأنما ... كحلت مآقيها بكحل الأرمد
جزعاً على المهدي أصبح ثوياً ... ياخير من وطئ الحصى لا تبعد
وجهي يقيك الترب لهفي ليتني ... غيبت قبلك في بقيع الغرقد
بأبي وأمي من شهدت وفات ... في يوم الاثنين النبي المهتدى
فظلت بعد وفاته متبلداً ... متلدداً يا ليتنى لم أولد
أأقيم بعدك بالمدينة بينهم ... ياليتنى صبحت سم الأسود
أو حل أمر الله فينا عاجلاً ... في روحة من يومنا أو من غد
فتقوم ساعتنا فنلقي طيباً ... محضا ضرائبه كريم المحتد
يا بكر آمنة المبارك بكرها ... ولدته محصنة بسعد الأسعد
نوراً أضاء على البرية كلها ... من يهد للنور المبارك يهتدى
يا رب فاجمعنا معا ونبينا ... فى جنة تثني عيون الحسد
في جنة الفردوس فاكتبها لنا ... ياذا الجلال وذا العلاوالسودد
والله أسمع مابقيت بهالك ... إلا بكيت على النبي محمد
يا ويح أنصار النبي ورهطه ... بعد المغيب في سواء الملحد
ضاقت بالأنصار البلاد فأصبحوا ... سوداً وجوههم كلون الإثمد
ولقد ولدناه وفينا قبره ... وفضول نعمته بنا لم نجحد
والله أكرمنا به وهدى به ... أنصاره في كل ساعة مشهد
صلى الإله ومن يحف بعرشه ... والطيبون على المبارك أحمد

وقال حسان بن ثابت أيضاً :

نب المساكين أن الخير فارقهم مع النبي تولى عنهم سحرا
من ذا الذي عنده رحلي وراحلتي ورزق أهلي إذا لم يؤنسوا المطرا
أم من نعاتب لا نخشي جنادعه إذ اللسان عتا في القول أو عثرا
كان الضياء وكان النور نتبعه بعد الإله وكان السمع والبصرا
فليتنا يوم واروه بملحده وغيبوه وألقوا فوقه المدرا
لم يترك الله منا بعده أحداً ولم يعش بعده أنثى ولا ذكرا
ذلت رقاب بني النجار كلهم وكان أمراً من أمر الله قد قدرا
واقتسم الفئ دون الناس كلهم وبددوه جهاراً بينهم هدرا

وقال حسان بن ثابت يبكي رسول الله ﷺ أيضاً :

آليت مافي جميع الناس مجتهداً مني ألية بر غير إفناد
تالله ماحملت أنثي ولا وضعت مثل الرسول نبي الأمة الهادي
ولا برا الله خلقاً من بريته أوفى بذمة جار أو بميعاد
من الذي كان فينا يستضاء به مبارك الأمر ذا عدل وإرشاد
أمسى نساؤك عطلن البيوت فما يضربن فوق قفا ستر بأوتاد
مثل الرواهب يلبسن الماذل قد أيقن بالبؤس بعد النعمة البادي
يا أفضل الناس إني كنت في نهر أصبحت منه كمثل المفرد الصادي

قال الواقدي في (مغازيه) قال ابن الزياد : سألت شيوخنا من الأنصار هل رثى حسان بن ثابت -رضي الله تبارك وتعالى عنه- رسول الله ﷺ ؟ فقالوا : هل حسان -رضي الله تبارك وتعالى عنه- لم لما يرث رسول الله ﷺ قال : ما أدرى ما أقول فيه ! الأمر أجل من ذاك .

وفى رواية أنه قال : حلت المصيبة من المرثية وقال ابن أبي الزياد : وجدت هذه الأشعار في كتاب موسي بن سعيد بن زيد بن ثابت .

قال أبو بكر -رضي الله تبارك وتعالى عنه- يرثي رسول الله ﷺ

ياعـــيني فــابكي ولا تســأمي وحق البكاء على الســـيــد!
علي خـيـــر خندف عند البــلا ء أمـــسى بغـيب في الملحــد
فـــصلى المليك ولي العــبــاد ورب البـــلاد على أحـــمــد
فكيف الحـيــاه لفـقـد الحـبـيب وزين المعــاشـــر في المشــهـد؟
فـليت المـمـــات لنا كلنا وكنا جـمـيـعـاً مع المهـتـدى

قال أبو بكر الصديق - رضي الله تبارك وتعالى عنه- يبكي رسول الله ﷺ

لما رأيت نبـيـنا مــتــجــدلاً ضــاقت علىَّ بعــرضــهن الدور
وارتعت روعــة مـســتــهــام والـه والعظم مني واهن مكســــور
اعـتيق ويحك! إن حبك قد ثوىً وبقـيت منقـرداً وأنت حـسـيـر
ياليـتنى من قـبل مـهلك صاحـبى غـيبت في جـدث عليَّ صخـور!
فلتـــحـــدثن بدائع من بعـــده تعـيــا بهن حـوائج وصــدور

قال أيضاً :-رضي الله تبارك وتعالي عنه-

باتت تأوبني همـوم ... حـشـد مثل الصخور فأمست هدت الجسدا
ياليـتنى حيث نبـئت الغـداة به قالوا الرسول قد أمسى ميتا فقدا
ليت القيـامـة قامت بعد مـهلكه ولا نرى بعـــده مـــالاً ولا ولدا!
والله إثني على شئ فـجـعت به من البـرية حـتى أدخل اللحـدا
كم لى بعـدك من هم يصـبى إذا تذكـــرت أنى لما أراك بدا!
كان المصطفى في الأخلاق قد علموا وفي العـفـاف فلم نعـدل به أحـدا
نفسى فـداؤك من مـيت ومن بدن ما أطيب الذكر والأخلاق والجسدا!

قال الصوري قلت : هذه الأقطاع مصنوعة قبيحة الصنعة وتلك الألفاظ والحال فيها أظهر من أن يدل عليها ، وقد ذكرها محمد بن إسحاق في كتابه أيضاً وذكر غيرها ولو كنا جميعاً من ذكرها لكان أجمل بها من إضافتها مثل هذا الشعر مع ركاكة ألفاظه وخلوه من المعاني كلها إلى الصديق -رضي الله تبارك وتعالي عنه- وهو من قريش الموصوفين بالبلاغة والفصاحة المعروفين بالجزالة والرجاحة يرضي لنفسه بإضافة مثل هذا إليه عقله وفضله بإيمان ذلك عليه ، وكان الواقدي لم يذكر شيئاً من شعر حسان بمارثي به النبي ﷺ على قول ابن أبي الزياد وماحكاه عن شيوخ الأنصار فأحرى به ألا يذكر شيئاً عن

أبي بكر -رضي الله تبارك وتعالى عنه- للحديث المأثور ، والفعل المشهور ، عن الزهرى ، عن عروة عن عائشة -رضي الله تبارك وتعالى عنها- قالت : والله ما قال أبي شعراً في جاهلية ولا إسلام . في قصة طويلة(١) .

وأخرج البخارى هذا الحديث في كتابه (الصحيح) ومثل هذا الحديث عن عائشة -رضي الله تبارك وتعالى عنها- قالت : كذب من أخبركم أن أبا بكر -رضي الله تبارك وتعالى عنه- قال : بيت شعر في الإسلام ، رواه البخاري عن ابن المتوكل ، عن عبد الرزاق(٢) .

ثم قال : وأنشدنا هشام بن محمد الكلبي عن عثمان بن عبد الملك أن عمران بن بلال بن عبد الله بن أنيس قال سمعتها من مشيختنا قال : قال عبد الله بن أنيس يرثى النبي ﷺ :

تطاول ليلى واعترتني القوارع ... وخطب جليل للبلية جامع!
غداة نعى الناعي إلينا محمداً ، ... وتلك التى تصطك منها المسامع
فلو رد ميتاً قتل نفسي قتلتها! ... ولكنه لا يدفع الموت دافع
فآليت لا أثني على هلك هالك ... من الناس ، ما أوفى ثبير وفارع
ولكننى باك عليه ومتبع ... مصيبته . إني إلى الله راجع !
وقد قبض الله النبيين قبله ، ... وعاد أصيبت بالرزى والتبايع
فيا ليت شعرى ! من يقوم بأمرنا ؟ ... وهل في قريش من إمام ينازع ؟
ثلاثة رهط من قريش هم هم ... أزمة هذا الأمر ، والله صانع
علي أو الصديق أو عمر لها ، ... وليس لها بعد الثلاثة رابع !
فإن قال منا قائل غير هذه ... أبينا ، وقلنا : الله راء وسامع
فيا لقريش ! قلدوا الأمر بعضهم، ... فإن صحيح القول للناس نافع
ولا تبطئوا عنها فواقاً فإنها ... إذا قطعت لم يمن فيها المطامع

---

(١) شعر أبي بكر - رضي الله تبارك وتعالى عنه - في رثاء النبيﷺ ذكر ابن سعد فى (الطبقات) : ٢/٣١٩-٣٢١ ، كما أثبتناه من (الأصل) .

قال أبو عمرو -رضي الله تبارك وتعالى عنه- يرثي رسول الله ﷺ :

يا عين فابكي بدمع ذري … لخير البرية والمصطفى !
وابكي الرسول ! وحق البكاء … عليه ، لدى الحرب عند اللقا !
على خير من حملت ناقة ، … وأتقى البرية عند التقى
على سيد ماجد جحفل ، … وخير الأنام وخير اللها !
له حسب فوق كل الأنا … م من هاشم ذلك المرتجى
نخص بما كان من فضله ، … وكان سراجاً لنا في الدجى !
وكان بشيراً لنا منذراً ، … ونوراً لنا ضوءه قد أضا
فأنقذنا الله في نوره ، … ونجى برحمته من لظى !

قالت أروى بنت عبد المطلب -رضي الله تبارك وتعالى عنها-:(١)

ألا يا عين ! ويحك أسعديني … بدمعك ، مابقيت ، وطاوعيني
ألا يا عين ويحك ! واستهلي … علي نور البلاد وأسعديني !

---

(١) أروى بنت عبدالمطلب بن هاشم الهاشمية ، عمة رسول الله ﷺ .

قال أبو عمر : كانت تحت : عمير بن وهب بن عبد بن قصي ، فولدت له . طليباً ، ثم خلف عليها كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي فولدت له أروى .

وحكى أبو عمر عن محمد بن إسحاق - أنه لم يسلم من عمات النبي ﷺ إلا صفية ، وتعقبه بقصة أروى ، وذكرها العقيلي في الصحابة ، وأسند عن الواقدي ، عن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، عن أبيه ؛ قال : لما أسلم طليب بن عمير دخل على أمه أروى بنت عبد المطلب ، فقال لها : قد أسلمت وتبعت محمداً فذكر قصة فيها :ومايمنعك أن تسلمي ، فقد أسلم أخوك حمزة .

فقالت : أنظر مايصنع أخواي قال : قلت : فإني أسألك بالله إلا أتيته فسلمت عليه وصدقته .

قالت : فإني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، ثم كانت تعضد النبي ﷺ بلسانها ، وتحض ابنها على نصرته والقيام بأمره .

وقال ابن سعد : أسلمت ، وهاجرت إلى المدينة . وأخرج عن الواقدي بسند له إلى برة بنت أبي تجراة ؛ قالت : عرض أبو جهل وعدة معه للنبي ﷺ فآذوه ، فعمد طليب بن عمير إلى أبي جهل فضربه فشجه ، فأخذوه ، =

فـــإن عـــذلتك عـــاذلة فـــولي : عـــلام وفـــيم ، ويحك ! تعـــذليني؟
على نور البـلاد مـعـاً جـمـيـعـاً رســـول الله أحـــمـــد فـــاتركـــيني
فـــإلا تقـــصـــري بالعـــذل عني ، فلومي مــــابدا لك أو دعــــيني !
لأمـــــــــر هدنـي وأذل ركـنـي ، وشـــيب بعــد جـــدتهـــا قـــروني !

وقالت أيضاً -رضي الله تبارك وتعالى عنها- :

ألا يارســـول الله كنت رجـــاءنا ، وكنت بنا براً ولم تك جـــافـــيـــا !
وكنت بنا رءوفـاً رحـيـمـاً نبـينا ، ليبك عليك اليـوم من كـان باكـيـا !
لعــمـــرك مـــا أبكي النبي لموته ! ولكن لهـــرج كـــان بعـــدك آتيـــا
كـــان على قلبي لذكـــر مـحـمـد ، ومـــاخـــفت من بعـــد النبي المكاويا
أفـاطم صلي الله ، رب مـحـمـد ، على جـدث أمـسى بيـثـرب ثاويا !
أبا حـسن فـارقـتـه وتركـتـه فـبكّ بحـزن آخـر الدهر شـاجـيـا !
فـداً لرســـول الله أمي وخـــالتي وعـــمي ونفـــسي قـــصـــرة ثم خـــاليـــا
صبرت وبلغت الرسالة صادقـاً ، وقـمت صليب الدين أبلج صـافـيـا !
فلو أن رب الناس أبقـــاك بيننا سعدنا ، ولكن أمـرنا كـان ماضيـا!
عليك من الله الســلام تحـيــة ، وأدخلت جنات من العـدن راضـيـا!

= فقام أبو لهب في نصرته ؛ وبلغ أروي ، فقالت : إن خير أيامه نصر ابن خاله ؛ فقيل لأبي لهب : إن أ روى صبت ، فدخل عليها يعاتبها ، فقالت : قم دون ابن أخيك ، فإنه إن يظهر كنت بالخيار ، وإلا كنت قد أعذرت في ابن أخيك ، فقال أبو لهب : ولنا طاقة بالعرب قاطبة ؟ إنه جاء بدين محدث . قال ابن سعد : ويقال إن أروى قالت:

إن طليبا نصر ابن خاله واساه في ذي دمه وماله .

وذكر محمد بن سعد أن أروى هذه رثت النبي ﷺ وأنشد لها من أبيات :

ألا يارســـــول اللـــه كنت رجـــاءنا وكنـــت بنا بـــراً ولم تك جافيـــــاً
كـأن علـــى قلبـــي لذكــــر محمـــد وماجمعـــت بعد النبـي المجاويـــا

(الإصابة) : ٧/ ٤٨٠-٤٨١ ، ترجمة رقم (١٠٧٨٥)

وقالت عاتكه بنت عبد المطلب -رضى الله تبارك وتعالى عنها- :

عيني جودا طوال الدهر وانهمرا ... سكباً وسحاً بدمع غير تعذير !
ياعين فاستحضري بالدمع واحتفلي ... حتى الممات بسجل غير منزور
ياعين فانهملي بالدمع واجتهدي ... للمصطفى ، دون خلق الله ، بالنور
بمستهل من الشؤبوب ذي سيل ، ... فقد رزئت نبي العدل والخير !
وكنت من حذر للموت مشفقة ، ... وللذي خط من تلك المقادير !
من فقد أزهر ضافي الخلق ذي فخر ... صاف من العيب والعاهات والزور !
فاذهب حميداً ! جزاك الله مغفرة ، ... يوم القيامة ، عند النفخ في الصور

قالت أيضاً -رضي الله تبارك وتعالى عنها- :

ياعين جودي ، مابقيت ، بعبرة ... سحاً على خير البرية أحمد
ياعين فاحتفلي وسحي واسجمي ... وابكي على نور البلاد محمد !
أني ، لك الويلات ! مثل محمد ... في كل نائبة تنوب ومشهد ؟
فابكي المبارك والموفق ذا التقى ، ... حامي الحقيقة ذا الرشاد المرشد
من ذا يفك عن المغلل غله ... بعد المغيب في الضريح الملحد ؟
أم من لكل مدفع ذي حاجة ، ... ومسلسل يشكو الحديد مقيد ؟
أم من لوحي الله يترك بيننا ... في كل ممسى ليلة أو في غد ؟
فعليك رحمة ربنا وسلامه ، ... يا ذا الفواضل والندى والسودد !
هلا فداك الموت كل ملعن ... شكى خلائقه لئيم المحتد ؟

قالت أيضاً -رضي الله تبارك وتعالى عنها- :

أعيني جودا بالدموع السواحم ... على المصطفى بالنور من آل هاشم
على المصطفى بالحق والنور والهدى ... وبالرشد بعد المندبات العظائم
وسحاً عليه وابكيا ، مابكيتما ، ... على المرتضى للمحكمات العزائم
على المرتضى للبر والعدل والتقي ، ... وللدين والإسلام بعد المظالم
على الطاهر الميمون ذي الحلم والندى ... وذي الفضل والداعي لخير التراحم
أعيني ماذا ، بعد ما قد فجعتما ... به ، تبكيان الدهر من ولد آدم ؟
فجودا بسجل واندبا كل شارق ... ربيع اليتامي في السنين البوازم !

قالت صفية بنت عبد المطلب -رضي الله تبارك وتعالى عنها- :

لهف نفسي ! وبت كالمسلوب ... آرق الليل فعله المحروب !
من هموم وحسرة ردفتني ، ... ليت أني سقيتها بشعوب !
حين قالوا : إن الرسول قد أمسي ... وافقته منية المكتوب !
إذ رأينا أن النبي صريع ، ... فأشاب القذال أي مشيب
إذ رأينا بيوته موحشات ، ... ليس فيهن بعد عيش حبيب
أورث القلب ذاك حزناً طويلاً ، ... خالط القلب ، فهو كالمرعوب
ليت شعري ! وكيف أمسي صحيحاً ... بعد أن بين بالرسول القريب ؟
أعظم الناس في البرية حقاً ، ... سيد الناس حبه في القلوب
فإلى الله ذاك أشكو ! وحسبي ... يعلم الله حوبتي ونحيبي !

قالت أيضاً -رضي الله تبارك وتعالى عنها- :

أفاطم ابكي ولا تسأمي ... بصبحك ، ما طلع الكوكب !
هو المرء يبكي ، وحق البكاء ! ... هو الماجد السيد الطيب !
فأوحشت الأرض من فقده ، ... وأي البرية لا ينكب ؟
فما لي بعدك حتي المما ... ت إلا الجوى الداخل المنصب
فبكي الرسول ! وحقت له ... شهود المدينة والغيب !
لتبكيك شمطاء مضرورة ، ... إذا حجب الناس لا تحجب
ليبكيك شيخ أبو ولدة ... يطوف بعقوته أشهب
ويبكيك ركب إذا أرملوا ، ... فلم يلف ماطلب الطلب
وتبكي الأباطح من فقده ، ... وتبكيه مكة والأخشب
وتبكي وعيرة من فقده ... بحزن ويسعدها الميثب !
فعيني مالك لا تدمعين ؟ ... وحق لدمعك يستسكب !

وقالت صفية أيضاً -رضي الله تبارك وتعالى عنها- :

أعيني جودا بدمع سجم ... يبادر غرباً بما منهدم
أعيني فاسحنفرا واسكبا ... بوجد وحزن شديد الألم
على صفوة الله رب العباد . ... ورب السماء وباري النسم

علي المرتضى للهدى والتقى ، وللرشد والنور بعد الظلم
على الطاهر المرسل المجتبى ، رسول تخيره ذو الكرم

وقالت صفية أيضاً -رضي الله تبارك وتعالى عنها- :

أرقت فبت ليلي كالسليب لوجد في الجوانح ذي دبيب !
فشيبي ، وماشابت لداتي ، فأمسي الرأس مني كالعسيب
لفقد المصطفي بالنور حقاً ، رسول الله ، مالك من ضريب
كريم الخيم أروع مضرحي طويل الباع منتجب نجيب !
ثمال المعدمين وكل جار ، ومأوى كل مضطهد غريب
فإما تمس في جدث مقيماً ، فقد ما عشت ذا كرم وطيب !
وكنت موفقاً في كل أمر وفيما ناب من حدث الخطوب

وقالت صفيةأيضاً -رضي الله تبارك وتعالى عنها- :

عين جودي بدمعة تسكاب للنبي المطهر الأواب
واندبي المصطفى فعمي وخصي بدموع غزيرة الأسراب
عين من تند بين بعد نبي خصه الله ربنا بالكتاب
فاتح خاتم رحيم رؤوف ، صادق القيل طيب الأثواب
مشفق ناصح شفيق علينا ، رحمة من إلهنا الوهاب
رحمة الله والسلام عليه ، وجزاه المليك حسن الثواب !

وقالت صفية أيضاً -رضي الله تبارك وتعالى عنها- :

عين جودي بدمعة وسهود ، واندبي خير هالك مفقود !
واندبي المصطفي بحزن شديد خالط القلب ، فهو كالمعمود
كدت أقضي الحياة لما أتاه قدر خط في كتاب مجيد !
فلقد كان بالعباد رؤوفاً ، ولهم رحمة وخخي رشيد
رضي الله عنه حياً وميتاً ، وجزاه الجنان يوم الخلود !

وقالت صفية أيضاً -رضي الله تبارك وتعالى عنها- :

آب ليلي علي التسهاد ، وجفا الجنب غير وطء الوساد

واعـتـراتني الهـمـوم جـداً بوهن — لأمـور نزلن حـقـاً ، شـداد
رحـمـة كـان للبـرية طراً — فـهـدى من أطاعـه للسـداد
طيب العـود والضـريبـة والشـ — ـيم محض الأنسـاب واري الزنـاد
أبلج صـادق السـجـيـة عف ، — صـادق الوعـد منتـهي الرواد !
عـاش مـا عـاش في البـرية براً ، — ولقـد كـان نهـبـة المرتاد
ثم ولي عنا فـقـيـداً حـمـيـداً ، — فـجـزاه الجنان رب العـبـاد !

وقالت هند بنت الحارث -رضي الله تبارك وتعالى عنها- :

ياعين جـودي بدمع منك وابتـدري! — كـمـا تنزل مـاء الغـيث فـانثـعـبا
أو فـيض غـرب على عـادية طويت — في جـدول خـرق بالماء قـد سـربا
لقـد أتتني من الأنبـاء مـعـضلة — أن ابن آمنة المأمـون قـد ذهبـا
أن المبـارك والميـمـون في جـدث — قـد ألحـفـوه تراب الأرض والحـدبا
أليس أوسطكم بيـتـاً وأكـرمكم — خـالاً وعـمـاً كـريماً ليس مـؤتشبا

وقالت هند بنت أثاثة -رضي الله تبارك وتعالى عنها- :

أشـــاب ذؤابتـي وأذل ركـنـي — بكاؤك ، فـاطم ، الميت الفـقـيـدا
فـأعطيت العطاء فلم تـكـدر ، — وأخـدمت الولائد والعـبـيـدا
وكـنت مـلاذنا في كـل لزب ، — إذا هبت شـآمـيـة برودا
وإنك خـيـر من ركـب المطايا ، — وأكـرمـهـم إذا نسـبـوا جـدودا !
رسـول الله فـارقـنا ، وكـنا — نـرجـي أن يـكـون لـنـا خـلـودا
أفـاطم ! فـاصـبـري فلقـد أصـابت — رزيئـتك التـهـائم والنجـودا
وأهـل البـر والأبحـار طراً ، — فلم تخطئ مـصـيـبـتـه وحـيـدا
وكـان الخـيـر يـصـبح في ذراه ، — سـعـيـد الجـد قـد ولد السـعـودا !

وقالت أيضاً -رضي الله تبارك وتعالى عنها- :

ألا يـا عـين ابـكـي ! لا تمـلـي ، — فـقـد بكر النهي بمن هـويت
وقـد بكر النعي بخـيـر شـخص ، — رسـول الله حـقـاً مـا حـيـيت
ولو عـشنا ، ونحن نراك فـينا — وأمـر الله يتـرك ، مـابكيت
فـقـد بكر النعي بذاك عـمـداً ، — فـقـد عظمت مـصـيـبـة من نعـيت
وقـد عظمت مـصـيـبـتـه وجلت ، — وكل الجـهـد بعـدك قـد لقـيت

إلى رب البـــرية ذاك نشكو ، فـــإن الله يعلم مـــا أتيت
أفـــاطم ! إنه قـــد هدّ ركني ، وقـد عظمت مـصـيبـة من رزيت
فـقـد كـان بعدك أنباء وهنيـثـة ، لو كنت شـاهدها لم تكثـر الخطب
إنا فـقـد ناك فـقـد الأرض وابلهـا ! فـاحتل لقـومك واشـهـدهم ولا تغب
قـد كنت بدراًونوراً يسـتـضـاء به ، عليك تنزل من ذي العـزة الكتب
وكـان جبـريل بالآيات يحـضـرنا ، فـغـاب عنا وكل الغـيب مـحـتـجب
فـقـد رزئت أباً سـهـلاً خليـقـتـه ، مـحض الضـريبـة والأعـراق والنسب

وقالت عاتكة بنت زيد بن عمرو -رضي الله تبارك وتعالى عنها- :

أمـــست مـــراكـــبـــه أوحـــشت ، وقـــد كـــان يركـــبـــهـــا زينهـــا
وأمـــست تبكي علي ســـيـــد تردد عـــبـــرتهـــا عـــينهـــا
وأمـــست نســاؤك مـــا تســتــفــيق من الحـــزن يعـــتـــادها دينهـــا
وأمـــست شـــواحب مـــثل النصـــا ل قـــد عـطلت وكـــبـــا لونهـــا !
يعـــالجن حـــزناً بعـــيـــد الذهاب ، وفـي الصـــدر مكتنع حـــينهـــا
يضـــربن بالكف حـــر الوجـــوه علي مـــثله جـــادها شـــونهـــا
هو الفـــاضل الســـيـــد المصطفي علي الحق مـــجـــتـــمع دينهـــا
فكيف حـــيـــاتي بعـــد الرســـول ، وقـــد حـــان من مـــيـــتـــة حـــينهـــا ؟

وقالت أيضا عاتكة -رضي الله تبارك وتعالى عنها- :

عين جـــودي ! فـــإن بذلك للدمـ ـع شـفـــاء ، فـــأكـــثـــري م البكاء
حين قـالوا : الرسـول أمـسى فـقـيداً مـــيـــتـــاً ، كـــان ذاك كل البـــلاء !
وابكيـــا خـــيـــر من رزئناه في الدنـ ـيـــا ومن خـــصـــه بوحي الســـمـــاء
بدمـــــوع غـــزيـرة منك حـــتـي يقـــضي الله فـــيك خـــيـــر القـــضـــاء
فلقـــد كـــان مـــاعلمت وصـــولا ، ولقـــد جـــاء رحـــمـــة بالضـــيـــاء !
ولقـــد كـــان بعـــد ذلك نوراً وســـراجـــاً يضئ في الظلمـــاء
طيب العـــود والضـــريبـــة والمعـ ـدن والخـــيـم خـــاتم الأنبـــيـــاء

قال أبو سفيان -رضي الله تبارك وتعالى عنه-

أرقت فـــبـــات ليلي لايزول ... وليل أخي المصيبة فيه طول
وأسعدني البكاء وذاك فيما ... أصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت ... عشية قيل : قد قبض الرسول
وأضحت أرضنا مما عراها ... تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحي والتنزيل فينا ... يروح به ويغدو جبرئيل
وذاك أحق ما سالت عليه ... نفوس الناس أو كربت تسيل
نبي كان يجلو الشك عنا ... بما يوحى إليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ضلالا ... علينا والرسول لنا دليل
أفاطم إن جزعت فذاك عذر ... وإن لم تجزعي ذاك السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبر ... وفيه سيد الناس الرسول

ذكر ماجاء في قبر النبي ﷺ

خرج البخاري ومسلم من حديث هشام بن عروة ، عن عروة ، عن عائشة -رضي الله تبارك وتعالى عنها- ، قالت : إن كان رسول الله ﷺ ليتعذر في مرضه : أين أنا اليوم ؟ أين أنا غدا ؟ استبطاءً ليوم عائشة ، فلما كان يومي قبضه الله بين سحري ونحري . ودفن في بيتي[1] .

وقال مسلم[2] : ليتفقد أين أنا اليوم ؟ ولم يقل في آخره : ودفن في بيتي .

وخرج البخاري[3] من حديث أبي عوانة ، عن هلال ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة -رضي الله تبارك وتعالي عنها- قالت : قال النبي ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه : لعن الله اليهود والنصاري ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد . لولا ذلك أبرز قبره ، غير أنه خشي - أو خُشي - أن يتخذ مسجداً

وقال البخاري : حدثنا هشام بن عروة ، عن أبيه : لماسقط عليهم الحائط في زمان الوليد بن عبد الملك أخذوا في بنائه ، فبدت لهم قدم ، ففزعوا وظنوا أنها قدم النبي ﷺ فما وجدوا أحداً يعلم ذلك حتى قال لهم عروة : لا والله ، ماهى قدم النبي ﷺ ماهي إلا قدم عمر -رضي الله تبارك وتعالى عنه-[4] .

---

(١) (فتح الباري) : ٣/٣٢٦ ، كتاب الجنائز ، باب (٩٦) ماجاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ﴿فأقبره﴾ أقبرت الرجل : اذا جعلت له قبراً . وقبرته : ودفنته ﴿كفاتاً﴾ يكونون فيها أحياء ، ويدفنون فيه أمواتاً ، حديث رقم (١٣٨٩)

(٢) سبق تخريجه .

(٣) (المرجع قبل السابق) : حديث رقم (١٣٩٠)

(٤) (المرجع السابق) حديث رقم (١٣٩١) ، قوله : لما سقط عليهم الحائط أي حائط حجرة النبي ﷺ ، وفي رواية الحموي عنهم : والسبب في ذلك مارواه أبو بكر الآجري من طريق شعيب بن إسحق عن هشام بن عروة قال : أخبرني أبي قال : كان الناس يصلون إلي القبر فأمر به عمر بن عبد العزيز فرفع حتى لا يصلي إليه أحد ، فلما هدم بدت قدم بساق وركبة ففزع عمر بن عبد العزيز ، فأتاه عروة فقال : هذا ساق عمر وركبته ، فسري عن عمر بن عبد العزيز . وروى الآجري من طريق مالك بن مغول عن رجاء بن حيوة قال : كتب الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز - وكان قد اشترى حجر أزواج النبي ﷺ - أن اهدمها ووسع بها المسجد ، فقعد =

وخرج أبو داود من حديث إسماعيل بن إسماعيل بن أبي فديك قال : أخبرني عمرو بن عثمان بن هاني عن القاسم قال : دخلت على عائشة -رضي الله تبارك وتعالى عنها- فقلت : ياأمه اكشفي لي عن قبر رسول الله ﷺ وصاحبيه -رضي الله تبارك وتعالى عنهما- فكشفت .

وخرجه القاسم بن أصبغ من طريق يعقوب قال : أخبرني عمرو بن عثان ابن هانئ فذكره وزاد في آخره : رأيت رسول الله ﷺ مقدم ، وأبو بكرعند رأسه، وعمر عند رجليه ، رأسه عند رجلي رسول الله ﷺ(١)

= عمر في ناحية ، ثم أمر بهدمها ، فما رأيته باكياً أكثر من يومئذ . ثم بناه كما أراد . فلما أن بنى البيت على القبر وهدم البيت الأول ظهرت القبور الثلاثة وكان الرمل الذي عليها قد انهار ، ففزع عمر بن عبد العزيز وأراد أن يقوم فيسويها بنفسه ، فقلت له : أصلحك الله ، إنك إن قمت قام الناس معك ، فلو أمرت رجلا أن يصلحها ، ورجوت أنه يأمرني بذلك ، فقال : يامزاحم - يعني مولاه - قم فأصلحها . قال رجاء : وكان قبر أبي بكر عند وسط النبي ﷺ ، وعمر خلف أبي بكر رأسه عند وسطه . وهذا ظاهره يخالف حديث القاسم ، فان أمكن الجميع وإلا فحديث القاسم أصح . وأما ما أخرجه أبو يعلى من وجه آخر عن عائشة «أبو بكر عن يمينه وعمر عن يساره »فسنده ضعيف ، ويمكن تأويله . والله أعلم .

قوله : .وعن هشام) هو بالإسناد المذكور ، وقد أخرجه المصنف في الاعتصام من وجه آخر عن هشام وأخرجه الإسماعيلي من طريق عبدة عن هشام وزاد فيه «وكان في بيتها موضع قبر» .

قوله : لا أزكي بضم أوله وفتح الكاف على البناء للمجهول ، أى لايثني علي بسببه ويجعل لي بذلك مزية وفضل وأنا في نفس الزمن يحتمل أن لا أكون كذلك ، وهذا منها على سبيل التواضع وهضم النفس بخلاف قولها لعمر كنت أريده لنفسي فكأن اجتهادها في ذلك تغير أو لما قالت ذلك لعمر كان قل أن يقع لها ماوقع في قصة الجمل فاستحيت بعد ذلك أن تدفن هناك وقد قال عنها عمار بن ياسر وهو أحد من حاربها يومئذ : إنها زوجة نبيكم في الدنيا والآخرة ، وهو كما قال رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

(١) (سنن أبي داود) ٣/٥٤٩ ـ ٥٥ ، كتاب الجنائز ، باب (٧٢) في تسوية القبر ، حديث رقم (٣٢٢٠)

(فكشفت لي) أى لأجلي أو لرؤيتي (لا مشرفة) أي مرتفعة غاية الارتفاع ، وقيل أو عالية أكثر من شبر (ولا لاطئة) بالهمزة والياء أي مستوية على وجه الأرض ، يقال لطأ بالأرض أي لصق بها (مبطوحة) صفة لقبور . أي مسواة مبسوطة على الأرض . قال القاري : وفيه أنها تكون حينئذ بمعنى لاطئة وتقدم نفيها والصواب أن معناها ملقاة فيها البطحاء . قال في النهاية : بطح المكان تسويته وبطح المسجد ألقى فيه البطحاء وهو الحصى

الصغار (ببطحاء العرصة) أي رمل العرصة وهي موضع . قال الطيبي : العرصة جمعها عرصات وهي كل موضع واسع لابناء فيه والبطحاء مسيل واسع فيه دقاق الحصى والمراد بها هنا الحصى لإضافتها إلى العرصة (الحمراء) صفة للبطحاء أو العرصة .

قال الطيبي أي كشفت لي عن ثلاثة قبور لا مرتفعة ولا منخفضة لاصقة بالأرض مبسوطة مسواة ، والبطح أن يجعل ما ارتفع من الأرض مسطحاً حتى يسوى ويذهب التفاوت كذا في المرقاة . قال السيد جمال الدين : والأولى أن يقال معناه ألقى فيها بطحاء العرصة الحمراء انتهى . وأخرج أبو بكر النجاد من طريق جعفر بن محمد عن أبيه أن النبي ﷺ رفع قبره من الأرض شبراً وطين بطين أحمر من العرصة انتهى .

وأخرج الحاكم من هذا الوجه وزاد «ورأيت قبر رسول الله ﷺ مقدماً وأبو بكر بين كتفي رسول الله ﷺ وعمر رأسه عند رجل رسول الله ﷺ .

وفى الباب عن صالح بن أبي صالح عند أبي داود في المراسيل قال «رأيت قبر النبي ﷺ شبراً أو نحو شبر وعن هيثم بن بسطام المديني عن أبي بكر الآجري في كتاب صفة قبر النبي ﷺ قال «رأيت قبره ﷺ في إمارة عمر بن عبد العزيز فرأيته مرتفعاً نحواً من أربع أصابع ، ورأيت قبر أبي بكر وراء قبره ، ورأيت قبر عمر وراء قبر أبي بكر أسفل منه .

وأخرج البخاري في (صحيحه) عن سفيان التمار «أنه رأى قبر النبي ﷺ مسنماً» انتهى أي مرتفعاً . قال في القاموس : التسنيم ضد التسطيح وقال سطحه كمنعه بسطه . وقد اختلف أهل العلم في الأفضل من التسنيم والتسطيح بعد الاتفاق على جواز الكل فذهب الشافعي وبعض أصحابه إلى أن التسطيح أفضل واستدلوا برواية القاسم بن محمد وما وافقها ، قالوا : وقول سفيان التمار لا حجة فيه كما قال البيهقي لاحتمال أن قبره ﷺ لم يكن في الأول مسنم بل كل في أول الأمر مسطحاً ثم لما بني جدار القبر في إمارة عمر بن عبد العزيز على المدينة من قبل الوليد بن عبد الملك صيروها مرتفعة وبهذا يجمع بين الروايات ، ويرجح التسطيح أمره ﷺ علياً أن لا يدع قبراً مشرفاً إلا سواه .

وذهب أبو حنيفة ومالك وأحمد والمزني وكثير من الشافعية وادعى القاضي حسين اتفاق أصحاب الشافعي عليه ونقله القاضي عياض عن أكثر العلماء أن التسنيم أفضل وتمسكوا بقول سفيان التمار .

قال الشوكاني : والأرجح أن الأفضل التسطيح والله أعلم . وحديث القاسم سكت عنه المنذري (قال أبو علي) هو اللؤلؤي راوي السنن (عند رأسه) أي النبي ﷺ (عن رجليه) أي النبي ﷺ (رأسه) أي عمر وهذه صفة القبور الثلاثة وجدت في بعض النسخ الصحيحة والله أعلم .

وأبا بكر -رضي الله تبارك وتعالى عنه- ورأسه بين كتفي النبي ﷺ وعمر رأسه عند رجل النبي ﷺ وهذه الرواية تدل على أن قبورهم مسطحة لأن الحصباء لا تثبت إلا على المسطح(١) .

وقال سيف : عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : لما فرغ من الصلاة تناولوه حتى وضعوه ثم نصبوا اللبن وحثوا وسفوا التراب ، فلما دفن أبو بكر -رضي الله تبارك وتعالى عنه - حفر له دونه إلى الباب وجعل رأسه بحيال حَقْوي النبي ﷺ ورجلاه إلى جنب الحائط وألحد له ، ونصب له اللبن نصباً ، فلما دفن عمر -رضي الله تبارك وتعالى عنه- حفر له بحيال قبر النبي ﷺ من دون قبر أبي بكر -رضي الله تبارك وتعالى عنهم- إلى الباب ، وكان قبر النبي ﷺ وقبر عمر -رضي الله تبارك وتعالى عنهم- متجاورين وكان قبر أبي بكر -رضي الله تبارك وتعالى عنه- في وسط من قبر النبي ﷺ وعمر -رضي الله تبارك وتعالى عنه- وكان رأس أبي بكر -رضي الله تبارك وتعالى عنه- بحيال حقوي النبي ﷺ وستره عمر -رضي الله تبارك وتعالى عنه- ورجلاه إلى جانب الحائط . قال : فما فضل عن النبي ﷺ قطعته عائشة -رضي الله تبارك وتعالى عنها- بحائط ، فكانت تدخل تلك الفصلة يوم الجمعة محتجبة . قالت : كنت أدخل وفيه بعلي في غير حجاب ، فأما إذ دخله عمر -رضي الله تبارك وتعالى عنه- فإنه لا يحل لي أن أدخله إلا محتجبة .

وخرج الحاكم من طريق الحميدي حدثنا سفيان قال : سمعت يحيى بن سعيد يحدث عن سعيد بن المسيب قال : قالت عائشة -رضي الله تبارك وتعالى عنها- رأيت كأن ثلاثة أقمار سقطت في حجرتي فسألت أبا بكر -رضي الله تبارك وتعالى عنه- فقال : ياعائشة ، إن تصدق رؤياك يدفن في بيتك خير أهل الأرض ثلاثة ، فلما قبض رسول الله ﷺ ودفن قال لي أبي أبو بكر -رضي الله تبارك وتعالى عنه- : ياعائشة ، هذا خيرا أقمارك وهو أحدها ، قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين(٢) .

وخرج أيضاً من طريق عمر بن سعيد الأبحّ ، عن ابن أبي عروبة عن

---

(١) (دلائل البيهقي) : ٧/٢٦٣ ، ٢٦٤ .

(٢) (المستدرك) : ٣/٦٣ ، كتاب المغازي والسرايا باب (٣٠) حديث رقم (٤٤٠١) وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص) : على شرط البخاري ومسلم : وقد كتبنا من حديث أنس . قلت : ثم ساقه مرفوعاً من تعبيره عليه السلام . وقال : على شرط البخاري ومسلم . قلت : هو من رواية عمر بن حماد بن سعيد الأبحّ ، أحد الضعفاء ، تفرد به عنه موسى بن عبد الله السلمي ، لا أدري من هو ؟!

قتادة ، عن أنس -رضي الله تبارك وتعالى عنه- قال : كان النبي ﷺ تعجبه الرؤيا ، قال : هل رأى أحد منكم رؤيا اليوم ؟ قالت عائشة -رضي الله تبارك وتعالى عنها- : رأيت كأن ثلاثة أقمار سقطن في حجرتي ، فقال لها النبي ﷺ: إن صدقت رؤياك دفن في بيتك ثلاثة هم أفضل أوخير أهل الأرض . فلما توفي النبي ﷺ ودفن في بيتها ، قال لها: أبو بكر -رضي الله تبارك وتعالي عنه- هذا أحد أقمارك ، وهو خيرها ، ثم توفي أبو بكر وعمر -رضي الله تبارك وتعالي عنهما- ودفنا في بيتها .

وقال أبو عبد الله محمد بن زبالة : وحدثني عبد العزيز بن محمد ، عن محمد بن إسماعيل عن عبيد الله بن عبد الله الحسني عن أهل بيته قال : إن النبي ﷺ بني عليه بتسع لبنات نصبن نصباً(١) .

ذكر ماجاء في زيارة قبر النبي ﷺ وماظهر من قبره ، مما هو من أعلام نبوته [وفضيلة من زاره ، وسلم عليه ، وكيف يسلم ويدعو]*

قال ابن عائذ : حدثنا الوليد ، حدثنا مالك عن يحيي بن سعيد ، قال :

---

(١) (سبق تخريجه) .

(*) زيادة في العنوان من (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) .

قال العلامة القسطلاني : في (المواهب اللدنية) : ٤/ ٥٧٠ ومابعدها : اعلم أن زيارة قبره الشريف من أعظم القربات ، وأرجي الطاعات ، والسبيل إلى أعلى الدرجات ، ومن اعتقد غير هذا فقد انخلع من ربقة الإسلام ، وخالف الله ورسوله وجماعة العلماء الأعلام .

وقد أطلق بعض المالكية ، وهو أبو عمران الفاسي ، كما ذكره في (المدخل) عن (تهذيب الطالب) لعبد الحق ، أنها واجبة ، قال : ولعله أراد وجوب السنن المؤكدة .

وفي المعجم الكبير للطبراني : أن النبي ﷺ قال : من جاءني زائراً لاتعمله حاجة إلا زيارتي ، كان حقاً علي أن أكون شفيعاً له يوم القيامة . وصححه ابن السكن .

وروي عنه ﷺ : من وجد سعة ولم يفد إلي فقد جفاني . ذكره ابن فرحون في مناسكه ، والغزالي في الإحياء ، ولم يخرجه العراقي ، بل أشار إلى ما أخرجه ابن النجار في (تاريخ المدينة) مما هو في معناه عن أنس بلفظ : ما من أحد من أمتي له سعة ثم لم يزرني إلا وليس له عذر . =

= ولابن عدي في «الكامل» وابن حبان في الضعفاء» ، والدارقطني في (العلل) و(غرائب مالك) وآخرين كلهم عن ابن عمر مرفوعاً ، من حج ولم يزرني فقد جفاني . ولايصح .

وعلى تقدير ثبوته ، فليتأمل قوله «فقد جفاني» فإنه ظاهر في حرمة ترك الزيارة لأن الجفاء أذي ، والأذى حرام بالإجماع فتجب الزيارة إذ إزالة الجفاء واجبة ، [وهي بالزيارة ، فالزيارة واجبة] حينئذ [وبالجملة] فمن تمكن من زيارته ولم يزره فقد جفاه ، وليس من حقه علينا ذلك .

وعن حاطب أن رسول الله ﷺ قال : من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي ، ومن مات بأحد الحرمين بعث من الآمنين . رواه البيهقي عن رجل من آل حاطب لم يسمه عن حاطب .

وعن عمر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من زار قبري . أو قال : من زارني كنت له شفيعاً وشهيداً ، رواه البيهقي وغيره عن رجل من آل عمر لم يسمه عن عمر .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : من زارني محتسباً إلى المدينة كان في جواري يوم القيامة . رواه اليهقي أيضاً .

قال العلامة زين الدين بن الحسين المراغي : وينبغي لكل مسلم اعتقاد كون زيارته ﷺ قربة ، للأحاديث الواردة ذلك ولقوله تعالي : **﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول﴾** الآية لأن تعظيمه ﷺ لاينقطع بموته ، ولايقال إن استغفار الرسول لهم إنماهو في حال حياته وليست الزيارة كذلك ، لما أجاب به بعض أئمة المحققين : أن الآية دلت على تعليق وجدان الله تواباً رحيماً بثلاثة أمور : المجئ ، واستغفارهم ، واستغفار الرسول لهم ، وقد حصل استغفار الرسول لجميع المؤمنين [والمؤمنات] لأنه ﷺ قد استغفر للجميع ، قال الله تعالى : **﴿واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾** فإذا وجد مجيئهم واستغفارهم تكملت الأمور الثلاثة الموجبة لتوبة الله ورحمته .

وقد أجمع المسلمون على استحباب زيارة القبور ، كما حكاه النووي ، وأوجبها الظاهرية ، فزيارته ﷺ مطلوبة بالعموم والخصوص لماسبق ، ولأن زيارة القبور تعظيم ، وتعظيمه ﷺ واجب . ولهذا قال بعض العلماء: لا فرق في زيارته ﷺ بين الرجال والنساء ، وإن كان محل الإجماع على استحباب زيارة القبور للرجال ، وفي النساء خلاف ، والأشهر في مذهب الشافعي الكراهة .

قال ابن حبيب من المالكية : ولا تدع زيارة قبره ﷺ والصلاة في مسجده ، فإن فيه من الرغبة مالا غنى بك ولا بأحد عنه . =

من المدينة . قالها ثلاث مرات .

= وينبغي لمن نوى الزيارة ، أن ينوي مع ذلك بزيارة مسجده الشريف ، والصلاة فيه ، لأنه أحد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا إليها ، وهو أفضلها عند مالك ، وليس لشد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة فضل ، لأن الشرع لم يجئ به ، وهذا الأمر لا يدخله قياس ، لأن شرف البقعة إنما يعرف بالنص الصريح عليه ، وقد ورد النص في هذه دون غيرها .

وقد صح أن عمربن عبد العزيز كان يبرد البريد للسلام على النبي ﷺ .

فالسفر إليه قربة لعموم الأدلة . ومن نذر الزيارة وجبت عليه ، كما جزم به ابن كج من أصحابنا ، وعبارته : إذا نذر زيارة قبر النبي ﷺ لزمه الوفاء ، وجهاً واحداً ، انتهي : ولو نذر إتيان المسجد الأقصي للصلاة لزمه ذلك على الأصح عندنا ، وبه قال المالكية والحنابلة ، لكنه يخرج عنه بالصلاة في المسجد الحرام . وصحح النووي أيضاً أنه يخرج عنه بالصلاة في مسجد المدينة . قال : ونص عليه الشافعي . وبه قال الحنفية والحنابلة.

وللشيخ تقي الدين بن تيمية هنا كلام شنيع عجيب ، يتضمن منع شد الرحال للزيارة النبوية المحمدية ، وأنه ليس من القرب ، بل بضد ذلك .

ورد عليه الشيخ تقي الدين السبكي في «شفاء السقام» فشفى صدور المؤمنين .

وحكي الشيخ ولي الدين العراقي ، أن والده كان معادلاً للشيخ زين الدين عبد الرحمن بن رجب الدمشقي في التوجه إلى بلد الخليل عليه لسلام ، فلما دنا من البلد قال: نويت الصلاة في مسجد الخليل ، ليحترز عن شد الرحال لزيارته على طريقة شيخ الحنابلة ابن تيمية ، فقلت : نويت زيارة قبر الخليل عليه السلام . ثم قلت : أما أنت فقد خالفت النبي ﷺ ، لأنه قال : «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد» وقد شددت الرحل إلى مسجد رابع ، وأما أنا فاتبعت النبي ﷺ لأنه قال : «زوروا القبور» أفقال : إلا قبور الأنبياء ؟! قال : فبهت.

وينبغى لمن أراد الزيارة أن يكثر من الصلاة والتسليم عليه في طريقه ، فإذا وقع بصره على معالم المدينة الشريفة وما تعرف به ، فليردد الصلاة والتسليم ، وليسأل الله أن ينفعه بزيارته ويسعده بها في الدارين .

وليغتسل ويلبس النظيف من ثيابه ، وليترجل ماشياً باكياً .

ولما رأى وفد عبد القيس رسول الله ﷺ ألقوا أنفسهم عن رواحلهم ولم ينيخوها وسارعوا إليه ، فلم ينكر ذلك عليهم صلوات الله وسلامه عليه .

وروينا مما ذكره القاضي عياض في (الشفاء) أن أبا الفضل الجوهري لما ورد إلى المدينة زائراً ، وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكياً منشداً : =

وروى جعفر بن سليمان عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس -رضي الله

= ولما رأينا رسم من لم يدع لنا فؤاداً لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة لمن بان عنه أن نسلم به ركبا

وأنبئت بأن العلامة أبا عبدالله بن رشيد قال : لما قدمنا المدينة سنة أربع وثمانين وستمائة ، كان معي رفيقي الوزير أبو عبد الله بن أبي القاسم بن الحكيم ، وكان أرمد ، فلما دخلنا ذا الحليفة أو نحوها نزلنا عن الأكوار ، وقوي الشوق لقرب المزار ، فنزل وبادر إلي المشي على قدميه احتساباً لتلك لآثار ، وإعظاماً لمن حل تلك الديار ، فأحس بالشفاء . الأكوار : جمع كور : هو الرحل للإبل ، بمنزله السرج للفرس .

ولما كنت سائراً لقصد الزيارة في ربيع الآخر سنة اثنين وتسعين وثمانمائة ، ولاح لما عند الصباح جبل مفرح الأرواح المبشر بقرب المزار من أشرف الديار ، تسابق الزوار إليه ، وتعالوا بالصعود عليه استعجالاً لمشاهدة تلك الآثار واقتباساً لمشاهدة تلك الأنوار فبرقت لوامع الأنوار النبوية ، وهبت عرف نسمات المعارف المحمدية، فطبنا وغبنا إذ شهدنا أعلام ديار أشرف البرية .

ولما قربنامن ديار المدينة وأعلامها ، وتدانينا من معاينة رباها الكريمة وآكامها ، وانتشقنا عرف لطائف أزهارها، وبدت لناظرنا بوارق أنوارها ، وترادفت واردات المنح والعطايا ، ونزل القوم عن المطايا ، فأنشدت متمثلاً :

أتيتك زائراً وودت أني جعلت سواد عيني أمتطيه
ومالي لا أسير علي المآقي إلى قبر رسول الله فيه

ويستحب صلاة ركعتين تحية المسجد قبل الزيارة ، وهذا إذا لم يكن مروره من جهة وجهه الشريف ﷺ . فإن كان استحب الزيارة قبل التحية . قال في «تحقيق النصرة» وهو استدراك حسن . قاله بعض شيوخنا .

وفي منسك ابن فرحون : فإن قلت : المسجد إنما تشرف بإضافته إليه ﷺ فينبغى البداءة بالوقوف عنده ﷺ . قلت : قال ابن حبيب في أول كتاب الصلاة : حدثني مطرف عن مالك عن يحيي بن سعيد عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال : قدمت من سفر ، فجئت رسول الله ﷺ أسلم عليه وهو بفناء المسجد ، فقال : أدخلت المسجد فصليت فيه ؟ قلت : لا ، قال : فاذهب فادخل المسجد وصل فيه ، ثم ائت فسلم علي .

قال : ورخص بعضهم في تقديم الزيارة على الصلاة . قال ابن الحاج : وكل ذلك واسع ولعل هذا الحديث لم يبلغهم ، والله أعلم . انتهى . (المواهب اللدنية) مختصراً .

وينبغى للزائر أن يستحضر الخشوع ما أمكنه ، وليكن مقتصداً في سلامه بين الجهر والإسرار. وفي =

تبارك وتعالي عنهما- قال : قال رسول الله ﷺ من حج وزار قبري بعد موتي

= البخاري : أن عمر رضي الله عنه قال لرجلين من أهل الطائف : لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ضرباً ، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ ؟ .

وقد روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : لا ينبغي رفع الصوت على نبي حياً ولا ميتاً . وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تسمع صوت الوتد يوتد والمسمار يضرب في بعض الدور المطيفة بمسجد النبي ﷺ فترسل إليهم : لا تؤذوا رسول الله ﷺ .

قالوا : وما عمل علي بن أبي طالب رضي الله عنه مصراعي داره إلا بالمصانع توقياً لذلك . نقله ابن زبالة فيجب الأدب معه كما في حياته .

وينبغي للزائر أن يتقدم إلى القبر الشريف من جهة القبلة ، وإن جاء من جهة رجلي الصاحبين فهو أبلغ في الأدب من الإتيان من جهة رأسه المكرم . ويستدبر القبلة ويقف قبالة وجهه ﷺ بأن يقابل المسمار.

وقد روى ابن المبارك عن سعيد بن المسيب : ليس من يوم إلا ويعرض على النبي ﷺ أعمال أمته غدوة وعشية ، فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم، فلذلك يشهد عليهم .

ويمثل الزائر وجهه الكريم ﷺ في ذهنه ، ويحضر قلبه جلال رتبته ، وعلو منزلته ، وعظيم حرمته ، وإن أكابر الصحابة ماكانوا يخاطبونه إلا كأخي السرار ، تعظيماً لماعظم الله من شأنه .

وقد روى ابن النجار أن امرأة سألت عائشة رضي الله عنها : أن اكشفي لي عن قبر رسول الله ﷺ فكشفته فبكت حتى ماتت .

وحكي عن أبي الفضائل الحموي ، أحد خدام الحجرة المقدسة ، أنه شاهد شخصاً من الزوار الشيوخ ، أتي باب مقصورة الحجرة الشريفة ، فطأطأ رأسه نحو العتبة ، فحركوه فإذا هو ميت ، وكان ممن شهد جنازته .

ثم يقول الزائر بحضور قلب ، وغض بصر وصوت ، وسكون جوارح وإطراق : السلام عليك يارسول الله ، السلام عليك يانبي الله، السلام عليك ياحبيب الله ، السلام عليك ياخيرة الله، السلام عليك ياصفوة الله ، السلام عليك ياسيد المرسليم ، وخاتم النبيين ، السلام عليك ياقائد الغر المحجلين ، السلام عليك وعلى أهل بيتك الطيبين الطاهرين ، السلام عليك وعلى أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين ، السلام عليك وعلى أصحابك أجمعين ، السلام عليك وعلى سائر الأنبياء وسائر عباد الله الصالحين ، جزاك الله عنا يا رسول الله أفضل ماجازى نبياً ورسولاً عن أمته ، وصلى الله عليك كلما ذكرك الذاكرون ، وغفل عن ذكرك الغافلون، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك عبده ورسوله وأمينه ، وخيرته من خلقه ، وأشهد أنك قد بلغت =

كان كمن زارني في حياتي(١) .

= الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت في الله حق جهاده . ومن ضاق وقته عن ذلك ، أو عن حفظه فليقل ماتيسر منه ، أو مما يحصل به الغرض .

وفي «التحفة» : أن ابن عمر وغيره من السلف كانوا يقترون ويوجزون في هذا جداً . فعن مالك بن أنس، إمام دار الهجرة ، وناهيك به خبرة بهذا الشأن من رواية ابن وهب عنه ، يقول : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته .

وعن نافع عن ابن عمر ، أنه كان إذا قدم من سفر دخل المسجد ، ثم أتي القبر المقدس فقال : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبتاه .

وينبغي أن يدعو ، ولايتكلف السجع فإن ذلك قد يؤدي إلى الإخلال بالخشوع .

وقد روى أبو داود من حديث أبي هريرة : أنه ﷺ قال : ما من مسلم يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام .

وعند ابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة مرفوعاً : من صلي علي عند قبري سمعته ، ومن صلي علي نائياً بلغته.وعن سليمان بن سحيم ، مما ذكره القاضي عياض في «الشفاء» قال : رأيت النبي ﷺ في النوم ، فقلت : يا رسول الله ، هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك أتفقه سلامهم ؟ قال : نعم وأرد عليهم .

ولا شك أن حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ثابتة معلومة .

وقد روى الدارمي عن سعيد بن عبد العزيز قال : لماكان أيام الحرة ، لم يؤذن في مسجد النبي ﷺ ، ولم يبرح سعيد بن المسيب من المسجد ، وكان لايعرف وقت الصلاة إلا بهمهمة يسمعها من قبر النبي ﷺ ، وذكر ابن النجار وابن زبالة بلفظ قال سعيد - يعني ابن المسيب- : فلما حضرت الظهر سمعت الأذان في القبر ، فصليت ركعتين ، ثم سمعت الإقامة فصليت الظهر ، ثم مضى ذلك الأذان والإقامة في القبر المقدس لكل صلاة حتى مضت الثلاث ليال ، يعني ليالي أيام الحرة .

وقد روى البيهقي وغيره : من حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال : الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون . وفي رواية : أن الأنبياء لا يتركون في قبورهم بعد أربعين ليلة ، ولكنهم يصلون بين يدي الله حتى ينفخ في الصور.

وله شواهد في صحيح مسلم منها: قوله ﷺ : مررت بموسى وهو قائم يصلي في قبره . وفي حديث أبي ذر في قصة المعراج : أنه لقي الأنبياء في السماوات ، وكلموه وكلمهم . وقد ذكرت مزيد بيان لذلك في حجة الوداع من مقصد عباداته ، وفي ذكر الخصائص الكريمة في مقصد معجزاته ، وفي مقصد الإسراء والمعراج .

(١) (سنن الدارقطني) : ٢٧٨/٢ ، حديث رقم (١٩٣) ، وفيه : «عن مجاهد عن ابن عمر» .

وللدارقطني من حديث موسى بن هلال [العبدي] عن عبيد الله بن عمر ابن نافع عن ابن عمر -رضي الله تبارك وتعالي عنهما- ، قال : قال رسول الله ﷺ من زار قبري وجبت له شفاعتي(١) .

وخرج الدارقطني أيضاً من حديث يحيي بن محمد بن صاعد ، حدثنا أبو محمد العبادي حدثنا مسلمة بن سالم الجهني حدثنا عبد الله بن عمر عن نافع عن سالم ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : من جاءنى زائراً لم يدعه حاجة إلا زيارتي كان حقاً عليّ أن أكون شفيعاً له يوم القيامه .

وقال محمد بن إسماعيل بن أبي فديك : أخبرني سليمان بن يزيد الكعبي عن أنس بن مالك -رضي الله تبارك وتعالي عنه- قال : إن رسول الله ﷺ قال: من زار قبري بالمدينة محتسباً كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة .

ولابن أبي الدنيا من حديث سعيد بن عثمان الحرجاني قال : أخبرنا محمد بن أبي فديك قال : أخبرنا عمر بن حفص ، قال : إن ابن أبي ملكية قال : سمعت بعض من أدركت يقول : بلغنا أنه يقول : إنه من وقف عند قبر النبي ﷺ فتلا هذه الآية :﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾(٢) الآية ثم قال: فتلا صلى الله عليك يامحمد ، حتي يقولها سبعين مرة ناداه ملك : صلى الله عليك يافلان ، لم تسقط لك حاجة!(٣) .

وخرج أبو محمد الروائي من طريق ابن زيد بن سعد حدثنا عمرو بن مالك

---

(١) (المرجع السابق) : حديث رقم (١٩٤) ، ومابين الحاصرتين زيادة للنسب منه ، وقال فى (هامشه) : موسى بن هلال العبدي ، شيخ بصريّ ، قال أبو حاتم : مجهول ، وقال العقيليّ : لايتابع على حديثه ، وقال ابن عديّ : أرى أنه لا بأس به ، قال الذهبيّ : قلت : هو صالح الحديث › وأنكر ماعنده حديثه عن عبد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر مرفوعاً : «من زار قبري وجبت له شفاعتي» .

(٢) الأحزاب : ٥٦

(٣) (المواهب اللدنية بالمنح المحمدية) : ٥٨٤/٤ ، وأخرج الدارقطني فى (السنن) : عن الشعبي والأسود بن ميمون، عن هارون أبي قزعة ، عن رجل من آل حاطب ، عن حاطب ، قال : قال رسول الله : « من زارني بعد موتي، فكأنما زارني فى حياتي ، ومن مات بأحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة» . (سنن الدارقطي) : ٢٧٨/٢ ، حديث رقم (١٩٣) ، وقال فى (هامشه) : هارون بن أبي قزعة المدني ، قال البخاري : لايتابع عليه، والشيخ لهارون مجهول .

البكري حدثنا أبو الحور بن عبدالله قال : قحط أهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى عائشة -رضي الله تبارك وتعالي عنها- ، فقالت : انظروا قبر النبي ﷺ فاجعلوا منه كوة إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف قال : ففعلوا فمطرنا مطراً حتى نبت العشب ، وسمنت الإبل ، حتى تفتقت من الشحم ، فسمي عام الفتق .

وقد روي من طريق، محمد بن حرب الهلالي قال : دخلت المدينة فأتيت قبر رسول الله ﷺ [فزرته ، وجلست بحذائه][1] فجاء أعرابي فزاره ثم قال: ياخير المرسلين إن الله عز وجلّ أنزل عليك كتاباً صادقاً ، قال فيه :**﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾**[2]

وإني جئتك مستغفراً إلى ربي من ذنوبي مستشفعاً بك ، ثم بكى وأنشأ يقول :

ياخير من دفنت بالقاع أعظمه[3] فطاب من طيبهنّ القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم استغفر وانصرف . قال : فرقدت فرأيت النبي ﷺ وهو يقول :إن الله عز وجل قد غفر له لشفاعتي .

وخرج أبو نعيم من طريق محمد بن سليمان حدثنا عبد الحميد بن سليمان عن سعيد بن المسيب قال : لقد رزيتني ليالي الحرة وما في مسجد رسول الله ﷺ غيري ، وقال : لا يأتي وقت صلاة إلا سمعت الأذان من القبر ، ثم أتقدم فأقيم وأصلى ، وإن أهل الشام ليدخلون المسجد فيقولون : انظروا إلى هذا الشيخ المجنون .

قال أبو محمد الدرامي : وأخبرنا مروان بن محمد عن سعيد بن عبد العزيز، قال : لما كان أيام الحرة لم يؤذن في مسجد النبيﷺ بالمدينة ، ولم يُقم، ولم يبرح سعيد بن المسيب من المسجد وكان لا يعرف وقت الصلاة إلا بهمهمة

---

(١) زيادة للسياق من (المواهب اللدنية) .

(٢) النساء : ٦٤ .

(٣) في بعض النسخ : «بالترب أعظمه» .

يسمعها من قبر النبي ﷺ .

وقال أبو عبد الله محمد بن الحسن بن زباله : وحدثني محمد بن الحسن عن غير واحد ، منهم عبد العزيز بن محمد بن عمران بن محمد أنه لما كان أيام الحرة ترك مسجد رسول الله ﷺ ثلاثة أيام ، وخرج الناس إلى الحرة ، وجلس سعيد بن المسيب في مسجد رسول الله ﷺ قال : فاستوجب فدنوت قبر رسول الله ﷺ فلما حضرت الظهر سمعت الأذان في قبر رسول الله ﷺ فصليت ركعتين ثم سمعت الإقامة فصليت الظهر ، ثم جلست حتى حضرت العصر ، فسمعت الأذان في قبر رسول الله ﷺ فصليت ركعتين ثم سمعت الإقامة فصليت العصر ، ثم لم أزل أسمع الأذان في قبره حتي مضت الثلاث ، وفعل القوم ودخلوا مسجد رسول الله ﷺ وعاد المؤذنون فأذنوا فسمعت الأذان في قبره ﷺ فلم أسمعه ، فرجعت إلى مجلسي الذي أجلس فيه(١) .

وخرج الحافظ أبو عبد الله محمد بن النجار من حديث أبي السكن الهمداني ، قال : حدثني محمد بن حامان قال : سمعت إبراهيم بن شيبان يقول: حججت فجئت المدينة فتقدمت إلى قبر رسول الله ﷺ فسلمت عليه ، فسمعت من داخل الحجرة : وعليك السلام .

وقد روى يعقوب بن إسحاق بن أبي إسرائل عن ابن حمد قال : ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكاً في مسجد رسول الله ﷺ فقال له مالك : يا أمير المؤمنين ، لا ترفع صوتك في هذا المسجد ، فإن الله عز وجل أدَّب قوماً فقال : **﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾**(٢)

ومدح قوماً فقال : **﴿إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم﴾**(٣) .

وذم قوماً فقال : **﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لايعقلون﴾**(٤)

---

(١) (المواهب اللدنية) : ٥٨٧/٤

(٢) الحجرات : ٢

(٣) الحجرات : ٤

(٤) الحجرات : ٤

وإن حرمته ﷺ ميتاً كحرمته حياً ، فاستكان له أبو جعفر وقال : ياأبا عبد الله ! أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله ﷺ ؟ فقال : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى يوم القيامة ؟ بل استقبله ، واستشفع به ، فيشفع لك عند الله تعالى .

قال الله تبارك وتعالى : **﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾**[1] .

وقال القاضي عياض :[2] وزيادة قبره ﷺ سنة من سنن المسلمين مجمع عليها ، وفضيلة مرغب فيها ،

حدثنا القاضي أبو علي ، حدثنا أبو الفضل بن خيرون قال : حدثنا الحسن ابن جعفر قال : حدثنا أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني قال حدثنا القاضي المحاملي قال : حدثنا محمد بن عبد الرزاق قال : حدثنا موسي بن هلال عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر رضي الله تبارك وتعالى عنهما - قال: قال النبي ﷺ : من زار قبري وجبت له شفاعتي .

وعن أنس بن مالك قال ، قال رسول الله ﷺ : من زارني في المدينة محتسباً كان في جواري ، وكنت له شفيعاً يوم القيامة .

وفي حديث آخر : من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي .

وكره مالك أن يقال زرنا قبر النبي ﷺ ، وقد اختلف في معني ذلك فقيل كراهية الاسم لماورد من قوله ﷺ : لعن الله زوارات القبور ، وهذا يرده قوله : نهيتم عن زيارة القبور فزوروها . وقوله من زار قبرى فقد أطلق اسم الزيارة، وقيل : لأن ذلك لما قيل : إن الزائر أفضل من المزور ، وهذا أيضاً ليس بشئ إذ ليس كل زائر بهذه الصفة ، وليس هذا عموماً ، وقد ورد في حديث أهل الجنة زيارتهم لربهم ، ولم يمنع هذا اللفظ في حقه تعالى .

وقال أبو عمران رحمه الله : انما كره مالك أن يقال : طواف الزيارة ، وزرنا قبر النبي ﷺ لاستعمال الناس ذلك بينهم بعضهم لبعض ، وكره تسوية النبي ﷺ مع الناس بهذا اللفظ . وأيضاً فإن الزيارة مباحة بين الناس ، وواجب شد المطيّ إلي قبره ﷺ يريد بالوجوب هنا وجوب ندب وترغيب وتأكيد لا

---

(١) النساء : ٦٤

(٢) (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) : ٦٨/٢ ومابعدها.

وجوب فرض ، والأولى عندى أن منعه وكراهة مالك له لإضافته إلي قبر النبي ﷺ ، وأنه لو قال : زرنا النبي ﷺ لم يكرهه لقوله ﷺ : اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد بعدي ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد فنفي إضافة هذا اللفظ إلي القبر والتشبه بفعل أولئك قطعا للذريعة وحسماً للباب والله أعلم .

قال إسحق بن إبراهيم الفقيه ومما لم يزل من شأن من حج المرور بالمدينة والقصد الى الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ ، والتبرك برؤية روضته ، ومنبره، وقبره ، ومجلسه ، وملامس يديه ، ومواطئ قدميه ، والعمود الذي كان يستند ،إليه وينزل جبريل بالوحي فيه عليه وبمن عمره ، وقصده ، من الصحابة وأئمة المسلمين ، الاعتبار بذلك كله .

وقال ابن أبي فديك : سمعت بعض من أدركت يقول بلغني أنه من وقف عند قبر النبي ﷺ فتلا هذه الآية : ﴿**إن الله وملائكته يصلون علي النبي**﴾ ثم قال : صلي الله عليك يامحمد ، من يقولها سبعين مرة ناداه ملك : صلى الله عليك يافلان ، ولم تسقط له حاجة .

وعن يزيد بن أبي سعيد المقبري قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته قال : لي إليك حاجة : إذا أتيت المدينة ستري قبر النبي ﷺ فأقرئه مني السلام . قال غيره : وكان يبرد إليه البريد من الشام ، قال بعضهم : رأيت أنس بن مالك أتى قبر النبي ﷺ فوقف فرفع يديه حتي ظننت أنه افتتح الصلاة فسلم علي النبي ﷺ ثم انصرف ، وقال مالك في رواية ابن وهب : اذا سلم على النبي ﷺ ودعا يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة ، ويدنو ، ويسلم ، ولا يمس القبر بيده .

وقال في (المبسوط) : لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ يدعو ولكن يسلم ويمضي ، قال ابن أبي مليكة من أحب أن يقوم وجاه النبي ﷺ فليجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر على رأسه ، وقال نافع كان ابن عمر يسلم على القبر، رأيته مائة مرة وأكثر يجئ إلي القبر فيقول السلام على النبي ﷺ، السلام على أبي بكر ، السلام على أبي ثم ينصرف ، ورؤي ابن عمر واضعاً يده علي مقعد النبي ﷺ من المنبر ثم وضعها على وجهه .

وعن ابن قسيط والعتبيّ : كان أصحاب النبي ﷺ إذا خلا المسجد حسوا رمانة المنبر التى تلي القبر بميامنهم ، ثم استقبلوا القبلة يدعون . وفي (الموطأ) من رواية يحيى بن يحيى الليثي : أنه كان يقف على قبر النبي ﷺ فيصلي

على النبي ﷺ وعلى أبي بكر ، وعمر -رضي الله تبارك وتعالى عنهما-.

وعند ابن القاسم والقعنبي : ويدعو لأبي بكر وعمر قال مالك في رواية ابن وهب : يقول المسلم السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته .

قال في (المبسوط) : ويسلم علي أبي بكر وعمر . قال القاضي أبو الوليد الباجي : وعندي أنه يدعو للنبي ﷺ بلفظ الصلاة ، ولأبي بكر وعمر كما في حديث ابن عمر من الخلاف . وقال ابن حبيب : ويقول إذا دخل مسجد الرسول بسم الله ، وسلام على رسول الله ، السلام علينا من ربنا ، وصلي الله وملائكته علي محمد . اللهم اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب رحمتك ، وجنتك ، واحفظني من الشيطان الرجيم ، ثم اقصد إلي الروضة ، وهي مابين القبر والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر تحمد الله فيها وتسأله تمام ماخرجت إليه ، والعون عليه ، وإن كانت ركعتاك في غير الروضة أجزأتاك ، وفي الروضة أفضل ، وقد قال ﷺ : مابين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على ترعة من ترع الجنة .

ثم تقف بالقبر متواضعاً متوقراً ، فتصلي عليه وتثني بما يحضرك ، وتسلم علي أبي بكر وعمر ، وتدعو لهما ، وأكثر من الصلاة فى مسجد النبي ﷺ بالليل والنهار ، ولا تدع أن تأتي مسجد قباء وقبور الشهداء .

قال مالك في كتاب محمد : ويسلم على النبي ﷺ إذا دخل وخرج يعني في المدينة وفيما بين ذلك . قال محمد : وإذا خرج جعل آخر عهده الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافراً . وروي ابن وهب عن فاطمة بنت النبي ﷺ : وقل : اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك ، وإذا خرجت صل على النبي ﷺ وقل : اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لى أبواب فضلك ، وفي رواية أخري : فليسلم مكان فليصل فيه ، ويقول إذا خرج : اللهم إنى أسالك من فضلك ، وفي آخر اللهم احفظني من الشيطان الرجيم ، وعن محمد بن سيرين كان الناس يقولون اذا دخلوا المسجد : صلى الله وملائكته على محمد السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته باسم الله دخلنا وباسم الله خرجنا ، وعلى الله توكلنا ، وكانوا يقولون إذا خرجوا مثل ذلك .

وعن فاطمة أيضاً كان النبي ﷺ إذا دخل المسجد قال : صلى الله على محمد ، ثم ذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا ، وفي رواية : حمد الله وسمى وصلى على النبي ﷺ وذكر مثله . وفي رواية باسم الله والسلام على رسول الله ، وعن غيرها كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد قال : اللهم افتح لي

أبواب رحمتك ويسر لي أبواب رزقك .

وعن أبي هريرة : اذا دخل أحدكم المسجد فليصل على النبي ﷺ وليقل : اللهم افتح لي ...

وقال مالك في (المبسوط) : وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من أهل المدينة الوقوف بالقبر وانما ذلك للغرباء ، وقال فيه أيضاً : لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج إلي سفر أن يقف على قبر النبي ﷺ ، فيصلي عليه ويدعو له، ولأبي بكر وعمر ، فقيل له : إن ناساً من أهل المدينة لايقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر وربما وقفوا في الجمعة أو في الأيام المرة أو المرتين أو أكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة ، فقال : لم يبلغنى هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ، ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك، ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراده.

قال ابن القاسم : ورأيت أهل المدينة إذا خرجوا منها أو دخلوها أتوا القبر فسلموا .قال : وذلك رأى .قال الباجي :ففرق بين أهل المدينة والغرباء ، لأن الغرباء قصدوا لذلك وأهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من أجل القبر والتسليم . وقال ﷺ : اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، وقال : لاتجعلو قبري عيداً .

ومن كتاب أحمد بن سعيد الهندى فيمن وقف بالقبر لايلصق به ، ولايمسه، ولايقف عنده طويلاً ، وفي (العتبية) : يبدأ بالركوع قبل السلام في مسجد النبي ﷺ ، وأحب مواضع التنفل فيه : مصلي النبي حيث العمود المخلق ، وأما في الفريضة فالتقدم إلي الصفوف والتنفل فيه للغرباء أحب إليّ من التنفل في البيوت .

فصل فيما يلزم من دخل مسجد النبي ﷺ من الأدب سوى ماقدمناه وفضله وفضل الصلاة فيه وفي مسجد مكة ، وذكر قبره ومنبره ، وفضل سكنى المدينة ومكة

قال الله تعالي : **﴿لمسجد أسس علي التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه﴾** روي أن النبي ﷺ سئل : أى مسجد هو ؟ قال : مسجدى هذا ، وهو قول ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك بن أنس وغيرهم ، وعن ابن عباس أنه مسجد قباء .

حدثنا هشام بن أحمد الفقيه بقراءتي عليه قال : حدثنا الحسين بن محمد الحافظ حدثنا أبو عمر النمري حدثنا أبو محمد بن عبد المؤمن حدثنا أبو بكر بن داسة حدثنا أبو داود ، حدثنا مسدد ، حدثنا سفيان ، عن الزهري ، عن سعيد ابن المسيب ، عن أبي هريرة -رضي الله تبارك وتعالى عنه - عن النبي ﷺ قال: لاتشد الرحال إلا إلي ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى . وقد تقدمت الآثار في الصلاة والسلام علي النبي ﷺ عند دخول المسجد .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ كان إذا دخل المسجد قال: أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم .

وقال مالك رحمه الله : سمع عمر بن الخطاب رضى الله تبارك وتعالى عنه- صوتاً في المسجد ، فدعا بصاحبه فقال : ممن أنت ؟ قال : رجل من ثقيف ، قال لو كنت من هاتين القريتين لأدبتك ، إن مسجدنا لايرفع فيه الصوت .

قال محمد بن مسلمة : لاينبغي لأحد أن يتعمد المسجد برفع الصوت ، ولا بشئ من الأذي ، وأن ينزه عما يكره ، قال القاضي : حكي ذلك كله القاضي إسماعيل في (مبسوطه) في باب فضل مسجد النبي ﷺ . والعلماء كلهم متفقون أن حكم سائر المساجد هذا الحكم .

قال القاضي إسماعيل : وقال محمد بن مسلمة : ويكره في مسجد الرسول ﷺ الجهر علي المصلين فيما يخلط عليهم صلاتهم ، وليس مما يخص به المساجد رفع الصوت ، قد كره رفع الصوت بالتلبية في مساجد الجماعات إلا المسجد الحرام ومسجدنا .

وقال أبو هريرة -رضي الله عنه -قال رسول الله ﷺ : صلاة فى

مسجدي هذا خيرمن ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، قال القاضي: اختلف الناس في معنى هذا الاستثناء على اختلافهم فى المفاضلة بين مكة والمدينة ، فذهب مالك

معاني الروايات ، ولم يكن بينها خلاف ، لأن قبره في حجرته ، وهو بيته .

وقوله : ومنبري على حوضي ، قيل : يحتمل أنه منبره بعينه الذى كان في الدنيا ، وهو أظهر . **والثاني** : إلا أن يكون له هناك منبر ، **والثالث** إن قصد منبره والحضور عنده لملازمة الأعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب منه، قاله الباجي .

وقوله:روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين :

أحدهما : أنه موجب لذلك وأن الدعاء والصلاة فيه يستحق ذلك من الثواب ، كما قيل : الجنة تحت ظلال السيوف ، **والثاني** : أن تلك البقعة قد ينقلها الله فتكون في الجنة بعينها قاله الداودي .

وروى ابن عمر وجماعة من الصحابة أن النبي ﷺ قال في المدينة : لايصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة ، وقال فيمن تحمل عن المدينة : والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون .

وقال : إنما المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها . وقال : لايخرج أحد من المدينة رغبة عنها إلا أبدلها الله خيراً منه .

وروى عنه ﷺ : من مات في أحد الحرمين حاجاً أومعتمراً بعثه الله يوم القيامة لاحساب عليه ولا عذاب . وفي طريق آخر : بعث من الآمنين يوم القيامة، وعن ابن عمر : من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها ، فإني أشفع لمن يموت بها ، وقال تعالي : **﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً﴾** إلى قوله : **﴿آمناً﴾** قال بعض المفسرين : آمناً من النار ، وقيل : كان يأمن من الطلب من أحدث حدثاً خارجاً عن الحرم ولجأ إليه في الجاهلية ، وهذا مثل قوله : **﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً﴾** على قول بعضهم .

وحكي أن قوماً أتوا سعدون الخولانى بالمنستير فأعلموه أن كتامة قتلوا رجلا وأضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه شيئا ، وبقى أبيض البدن! فقال : لعله حج ثلاث حجج ، قالوا : نعم ، قال : حدثت أن من حج حجة أدى فرضه ، ومن حج ثانية داين ربه ، ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار .

ولما نظر رسول الله ﷺ إلى الكعبة قال : مرحباً بك من بيت ما أعظمك وأعظم حرمتك . وفي الحديث عنه ﷺ : مامن أحد يدعو الله تعالي عند الركن الأسود إلا استجاب الله له ، وكذلك عند الميزاب . وعنه ﷺ : من صلى خلف

المقام ركعتين غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر، وحشر يوم القيامة من الآمنين.

قال الفقيه القاضي أبو الفضل : قرأت علي القاضي الحافظ أبي علي، حدثنا أبو العباس العذري قال : حدثنا أبو أسامة محمد بن أحمد بن محمد الهروي ، حدثنا الحسن بن رشيق ، سمعت أبا الحسن محمد بن الحسن بن راشد، سمعت أبا بكر محمد بن إدريس ، سمعت الحميدي قال : سمعت سفيان ابن عيينة قال : سمعت عمرو بن دينار قال : سمعت ابن عباس يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : مادعا أحد بشئ في هذا الملتزم إلا استجيب له . قال ابن عباس : وأنا فما دعوت الله بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من رسول الله ﷺ إلا استجيب لي .

وقال عمرو بن دينار : وأنا ، فما دعوت الله تعالى بشئ في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس إلا استجيب لي ، وقال سفيان : وأنا فما دعوت الله بشئ في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو إلا استجيب لى ، قال الحميدى : وأنا فما دعوت الله بشئ في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان إلا استجيب لي ، وقال محمد بن إدريس : وأنا ، فما دعوت الله بشئ في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدي إلا استجيب لي ، وقال أبو الحسن محمد بن الحسن : وأنا ، فما دعوت الله بشئ في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من محمد ابن إدريس إلا استجيب لي . قال أبو أسامة : وما أذكر الحسن بن رشيق قال فيه شيئاً ، وأنا ، فما دعوت الله بشئ في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق إلا استجيب لي من أمر الدنيا ، وأنا أرجو أن يستجاب لي من أمر الآخرة . قال العذري : وأنا ، فما دعوت الله بشئ في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من أبي أسامة إلا استجيب لي ، قال أبو علي : وأنا ، فقد دعوت الله فيه بأشياء كثيرة استجيب لي بعضها ، وأنا أرجو من سعة فضله أن يستجيب لي بقيتها.

قال القاضي أبو الفضل : ذكرنا نبذاً من هذه النكت في هذا الفصل وإن لم تكن من الباب ، لتعلقها بالفصل الذى قبله حرصاً على تمام الفائدة والله الموفق للصواب برحمته . انتهى كلام القاضي عياض .

وقال : ابن زبالة : وحدثني غير واحد، عن : عبد العزيز بن أبي حازم ، ونوفل بن عمار ، قالوا : إن كانت عائشة -رضي الله تبارك وتعالى عنها- لتسمع صوت الوتد يؤتد ، والبناء يضرب في بعض الدور المطمئنة بمسجد النبي ﷺ ، فترسل إليهم : لا تؤذوا رسول الله ﷺ .

قال : وقد ذكرنا عمر بن عبد العزيز بالمسجد النبوي ، فبينا أولئك العمال يعملون في المسجد وما إن خلا لهم المسجد فقال بعض أولئك العمال من الروم : ألا أبول على قبر نبيهم ؟ فنهاهم عن ذلك بعض أصحابهم، فلما همّ أن يفعل ، اقتلع فألقي على رأسه فانتثر دماغه وأسلم بعض أولئك النصاري ، وقد ذكر أن أبا الفتوح بن جعفر بن محمد الحسيني أمير مكة أمره خليفة مصر في سنة تسعين وثلاثمائة أن يتوجه إلي المدينة وينقل الجند المعظم إلى مصر، وبعث إليه عسكراً ، فقده المدينة وأزال من حوله من بني مهنا الحيثيون عنها ، ودخل الحجرة الشريفة ليمضي ماعزم عليه ، فقام رجل فقرأ قوله تعالى :**﴿ألا تقاتلون قوماً كفروا بعد إيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة﴾**[1] حتى تجئ سحابه خرج منها ريح عاصف ظلمت منه المدينة وماحولها وقويت حتى كادت تقتلع المنارات وهلك معظم العسكر ودواوينهم فكف أبو الفتوح عماقصده وعاد الى مكة .

وقد ذكر الحافظ محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن المعروف باسم ابن النجار رحمه الله هذا الخبر في (تاريخه) فقال أيضاً : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن المبارك المقدسي عن أبي المعالي صالح بن شافع الحنبلي ، قال : أنبأنا القاسم بن عبد الله بن محمد المقدسي المعلم ، حدثنا أبو القاسم عبد الحكيم بن محمد المغربي ، قال : إن بعض الزنادقة أشار على الحاكم العبيدى صاحب مصر بنقل النبي ﷺ وصاحبيه إلى مصر ، وزين له ذلك وقال: متى تم ذلك شد الناس رحالهم من أقطار الأرض إلى مصر ، وكانت منفعة لسكانهم ، فأجابه الحاكم في ذلك ، وبني بمصر[مسجداً] أنفق عليه مالاً جزيلاً قال : وبعث إلى أبي الفتوح [...] الموضع الشريف ، وحمله ، فلما وصل إلى المدينة وجلس بها حضر جماعة من المدينتين وقد علموا ما جاء فيه ، وحضر معهم قارئ يعرف [بالألباني] فقرأ في المجلس : **﴿وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم﴾** إلى قوله :**﴿إن كنتم مؤمنين﴾**[2] فهاج الناس وكادوا يقتلون أبا الفتوح ومن معه من الجند ، ومنعهم من سارع إلى ذلك ، إلا أن البلاد كانت لهم ، لما رأى أبو الفتوح ذلك قال لهم : الله أحق أن نخشى ، والله لو كان علي من الحاكم فوات الروح ماتعرضت للموضع ، وحصل له من ضيق الصدر ما

---

(١) التوبة : ١٣ .

(٢) التوبة : ١٢-١٣ .

أزعجه، كيف نهض في مثل هذه المحريه ؟ فما انتصف النهار فى ذلك اليوم حتى أرسل الله تعالى ريحاً كادت الأرض تزلزل من فوقها ، حتى خرجت الإبل بأثقالها ، والخيل بسروجها ، كما تدحرج الكرة على وجه الأرض ، وهلك أكثرها ، وحلق بالناس ، فانشرح صدر أبى الفتوح ، وذهب روعه من الحاكم لقيام عدد من امتناع ماجاء فيه .

وقال المحب الطبري في كتاب (الرياض النضرة في فضائل العشرة) -رضي الله تبارك وتعالى عنهم- : أخبرني هارون بن الشيخ عمر بن الراغب قال : كنت مجاوراً بالمدينة وشيخ الخام إذ ذاك شمس الدين صواب الملطي، وكان رجلاً صالحاً كثير البر بالفقراء ، فقال لي يوماً : ما أخبرك بعجبه : كان لي صاحب يجلس عند الأمير ويأتيني من خبره بما يمس حاجتى إليه ، فبينا أنا ذات يوم إذ جاءني فقال : أمر عظيم حدث اليوم ، قال : قلت: وما هو ؟ قال : جاء قوم من أهل حلب وبذلوا للأمير مالاً كثيراً وسألوه أن يمكنهم من فتح الحجرة [النبوية] وإخراج أبي بكر وعمر -رضي الله تبارك وتعالى عنهما- منها ، فأجابهم إلى ذلك ، قال : فاهتممت لذلك هماً ، ولم ألبث أن جاء رسول الأمير يدعوني إليه فأجبته ، فقال لي : يدق عليك الليلة أقوام المسجد ، فافتح لهم ، ومكنهم مما أرادوا ولا تعارضهم ،ولا تعترض عليهم ، فقلت سمعاً وطاعة ، وخرجت ولم [أر النوم] اجتمع [وجلست] خلف الحجرة أبكي لاترقأ لي دمعة ، ولا يشعر أحد بما بي ، حتى إذا صليت العشاء الآخرة ، وخرج الناس من المسجد وغلقنا الأبواب ، فلم أنشب أن دق الباب الذى حدا باب الأمير ، ففتحت الباب ، فدخل أربعون رجلاً أعدهم واحداً بعد واحد ، ومعهم المساحي ، والمكاتل ، والشموع ، [وأرادوا] الهدم ، وقصدوا الحجرة .

قال : فو الله ما وصلوا المنبر حتى ابتعلتهم الأرض جميعهم ، ماكان بينهم من آلات وغير ذلك ، ولم يبق لهم أثر ، قال : فاستبطأ الأمير خبرهم، فدعاني وقال : ألم يأتك القوم ؟ قلت : بلى ، ولكن اتفق لهم ماهو كيت وكيت ، فقال : انظر ماتقول ، قلت : لا هو ذلك ، قلت : وانظر هل ترى فيهم باقية أو لهم أثر ، فقال لي : هذا موضع الحديث ، إن ظهر عنك كان يقطع رأسك . ثم خرجت عنه . انتهي

وقال الحافظ جمال الدين أبو عبد الله محمد بن أبي جعفر أحمد بن خلف ابن عيسى المرقى الخزرجي الدميني فى (تاريخ المدينة) : وصل السلطان الملك

العادل نور الدين محمود بن زنكي فى صفر فى سنة سبع وخمسين وخمسمائه إلى المدينة بسبب رؤيا رآها، ذكرها بعض الناس ومعه الفقيه علم الدين يعقوب ابن أبى بكر المحترق أبوه ليلة حريق المسجد عن من حدثه عن أكابر من أدرك، أن السلطان محمود المذكور أتى النبي ﷺ ثلاث مرات فى ليلة واحدة وهو يقول له فى كل واحدة منها : يامحمود أنقذنى من هذين ، شخصين أشقرين تجاهه فاستحضر وزيره قبل الصبح فذكر له ذلك ، فقال له : هذا أمر حدث فى مدينة النبي ﷺ ليس له غيرك ، فتجهز، وخرج علي عجل بمقدار ألف راحلة ومايتبعها من رجل وغير ذلك حتى دخل المدينة على غفلة من أهلها ، والوزير معه ، وزار وجلس فى المسجد لايرى مايصنع فقال له الوزير : أتعرف الشخصين اذا رأيتهما ؟ قال : نعم .

فطلب الناس عامة للصدقة ، وفرق عليهم ذهباً كثيراً وفضة ، وقال : لا يبقين أحد بالمدينة إلا جاء ، فلم يبق إلا رجلان مجاوران من أهل الأندلس فى الناحية التى تلى قبلة حجرة النبي ﷺ من خارج المسجد ، عند دار عمر بن الخطاب -رضي الله تبارك وتعالى عنه- التى تعرف اليوم بدار العشرة -رضي الله تبارك وتعالى عنهم- فطلبهما للصدقة ، فامتنعا وقالا : نحن على كفاية ، مانقبل شيئاً .

فجد فى طلبهما ، فجئ بهما فلما رآهما قال الوزير : هم هذان ، فسألهما عن حالهما ، وماجاء بهما ، فقالا: جئنا لمجاورة النبي ﷺ فقال : أصدقاني ، وتكرر السؤال حتى أفضى إلى معاقبتهما ، أقرا أنهما من النصارى ، وأنهما وصلا لكي ينقلا من في هذه الحجرة المقدسة باتفاق من ملوكهم ، ووجدهما قد حفرا نفقاً من تحت حائط المسجد القبلي ، وهما قاصدان إلى جهة الحجرة الشريفة ، ويجعلان التراب فى بئر عندهما فى البيت الذى هم فيه ، هكذا حدثنى عن من حدثه .

فضرب أعناقهما عند الشباك الذى في شرقيّ حجرة النبي ﷺ خارج المسجد ، ثم أحرقا بالنار آخر النهار ، وركب متوجهاً إلى الشام ، فصاح به من كان نازلاً خارج السور واستعانوا ، فطلبوا أن يبني عليهم سوراً يحفظ أبناءهم وماشيتهم، فأمر ببناء هذا السور الموجود اليوم ، فبني فى سنة ثمان وخمسين، وكتب اسمه على باب البقيع ، فهو باق إلى اليوم ، انتهى .

وفى سنة سبع عشرة وسبعمائة جهز الملك ابن صاحب عراقي والعجم عسكراً مع الشريف خميصة بن أبي نمر الحسني، أمير مكة، وقد عزل ولحق به،

فأركبه وجهزه ليأخذ له مكة مع ملوك مصر مع الحجاز ، وأوعز إليه أن يخرج أبا بكر وعمر -رضي الله تبارك وتعالى عنهما- من قبريهما ، فصار معه القيطة والمعمارية والآلات ، حتى توسط أرض نجد ، بلغ الأمير محمد بن معنى خبره ، فركب إليه جمع موفور وطرقه ليلاً ، فاستباح عسكر حرابنده عن آخرهم وفي خميصة وفي طائفة من أصحابه إلى الحجاز ، فغنم الأمير محمد جميع ماكان معه ، ومضى إلى الشام وكتب إلى نائب الشام يخبره ، ثم قدم عليه فحمله إلى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بقلعة الجبل من ديار مصر، فخلع عليه ، وولاه إمارة العريف بالشام ، بعد أن كان ساخطاً عليه .

وتم هذا الكتاب البديع المنال ، البعيد المثال ، بتمام هذا الجزء [الرابع عشر] وهو المسمى :

إمتاع الأسماع

بما للرسول ﷺ من الأنباء والأحوال والحفدة والمتاع

نسأل الله تعالى

حســن الخاتمــة

قال محققه : وكان الفراغ من تحقيق هذا السفر العظيم فى السيرة النبوية، فى ليلة النصف من شهر شعبان لسنه تسعة عشر ومائة وألف من هجرة خاتم المرسلين ﷺ ، الموافق الثالث من ديسمبر سنة ثمان وتسعين وتسعمائة وألف من ميلاد المسيح عليه السلام .

ولا يفوتنى أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى كل من ساهم فى إنجاز هذا العمل الجليل ولو بكلمة طيبة ، وأخص بالذكر كلاً من :

* **مكتب المحمدية لنظم المعلومات والميكروفيلم ، الأستاذين : حسن النميسى وحسين النميسى** حيث قاما بالإشراف على إخراج الكتاب فى مراحله المختلفة.

* **الأستاذة / [أم الشيماء] هانم محمد على سعد** ، التي قامت بنسخ المخطوطة من الميكروفيلم ، ثم معالجة تجارب الطبع ، فجزاها الله تعالى عن السيرة النبوية خير الجزاء

* **الأستاذة / نجوى محمد فراج** ، التى قامت بعمليات الجمع والتنسيق والطبع.

* **دار الكتب العلمية بيروت لبنان** ، وعلى رأسها **الأخ الكريم الأستاذ الفاضل/ محمد على بيضون** ، الذى لم يدخر جهداً ولا مالاً فى إبراز هذا الكتاب القيم ، من غياهب المخطوطات إلى عالم المطبوعات ، خدمة للسيرة النبوية، وإثراءً للمكتبة العربية الإسلامية ، تيسيراً على الباحثين من عباد الله فى أرض الله . والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .

وبذلك أرجو أن أكون قد رددتُ الفضل إلى أهل الفضل ، فإن ذلك من بركة العلم .

﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام على المرسلين﴾
﴿والحمد لله رب العالمين﴾

فهارس

إمتاع الأسماع

بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع

تأليف

تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي
المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

تحقيق وتعليق

محمد عبد الحميد النميسي

الجزء الخامس عشر

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت

تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠

صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.

Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98

P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

ISBN 2-7451-2208-8

http://www.al-ilmiyah.com.lb/

e-mail : sales@al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهارس

فهـرس الآيـات القـرآنيـــة

سورة آل عمران

الآيــــة	رقمها	الجزء والصفحة

سورة النساء

سورة المائدة

سورة الأنفال

سورة يونس

سورة هود

سورة يوسف

سورة النحل

سورة الإسراء

سورة الكهف

سورة الأنبياء

سورة الحـــج

سورة المؤمنون

سورة النور

سورة النمل

سورة القصص

سورة سبأ

سورة صٓ

سورة الزمر

سورة غافـر

سورة فصلت

سورة الشورى

سورة الحجرات

سورة قٓ

سورة الذاريات

سورة الطـور

الآيــــة	رقمها	الجزء والصفحة
﴿أرأيت إن كان على الهدى﴾	١١	٦/ ٢٣١
﴿إن كذب وتولى﴾	١٣	٤/ ١٢٦
﴿فليدع ناديه﴾	١٧	٤/ ١٢٦
﴿سندع الزبانية﴾	١٨	٤/ ١٢٦

سورة القدر

﴿إنّا أنزلناه في ليلة القدر﴾	١	٤/ ٢٣٧
﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر. . ألف شهر﴾	١ ـ ٣	٥/ ٣٦٠ ـ ١٢ ـ ٢٧٤

سورة الزلزلة

﴿بأن ربك أوحى لها﴾	٥	٢/ ٣٦٧

سورة العاديات

﴿والعاديات صبحاً﴾	١	٣/ ٢٢٢

سورة القارعة

﴿كالعهن المنفوش﴾	٥	٤/ ٢٧٢

سورة العصر

﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر﴾	١ ـ ٢	٤/ ٣٢٢ ـ ١٤ ـ ٤٤٥

سورة الفيـل

﴿ألم تر كيف فعل ربك. . . كعصف مأكول﴾	١ ـ ٥	٤/ ٦٣، ٦٧
﴿وأرسل عليهم طيراً أبابيل﴾	٣	٤/ ٨٣

فهرس أطراف الأحاديث

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
ادعى زوجك	١٢/ ٦٥
ادعي لي أباك أبا بكر، وأخاك حتى أكتب كتاباً	١٤/ ٢٠٩، ٢١٠
ادعى لي عبد الرحمن بن أبي بكر أكتب لأبي بكر كتاباً	١٤/ ٢٩٠
ادن فتعش	١١/ ٧١
ادن مني	١١/ ٣٣٩، ٣٤٦
ادن مني، والذي بعثني بالحق نبياً لأدعون لك بدعوة	١١/ ٣١٥
ادنوا	٥/ ١٧٦
ادني يا فاطمة	١١/ ٢٧٧
أدنيه، أما إني قد أصبحت وأنا صائم	٧/ ٢٧٩
أدوا الخياط والمخيط، فإن الغلول عار وشنار	١/ ٣١٨
إذا أبردتم إليَّ بريداً فأبردوا حسن الوجه	٢/ ٢٧٤، ٣٠٨
إذا اتخذ الفيء دولاً، والأمانة مغنماً	١٢/ ٣٨١
إذا أتيتموها فألقوها واحدة واحدة	٥/ ١٣٥
إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران	١٤/ ٤٥٠
إذا أحببتم أن تنظروا إلى رجل نصر الله	١/ ١٢٠
إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق	١٢/ ٢٠٣
إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة	١٢/ ٣٨١
إذا اشتهى مريض أحدكم شيئاً فليطعمه	٧/ ٣٨٦
إذا أصاب أحدكم الحمى	٨/ ٢٢
إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصيبته بي	١٤/ ٥٥٦
إذا اغتلمت عليكم هذه الأوعية فاكسروا متونها بالماء	٧/ ٣٦٣
إذا أقبلوا برايات سود من عقب خراسان	١٢/ ٢٩٦
إذا أمن الرجل الرجل على دمه	١٢/ ٢٥١ ـ ١٤/ ١٥٩
إذا أنتم صليتم عليَّ فقولوا اللهم صل على محمد	١١/ ٢٠
إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً	١٢/ ٢٧٦
إذا بلغت بنو أمية أربعين	١٢/ ٢٧٥، ٢٧٨
إذا تثائب أحدكم فليمسك بيده على فيه	١٠/ ٣٢٠
إذا تشهد أحدكم في الصلاة فليقل	٣/ ٢٥٢ ـ ١١/ ٣٩
إذا جاء الرطب فهنئني	٧/ ٣١٨

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
اللهم لا يحولن الحول على أحد منهم	١/ ١٥٢ ـ ١٣/ ٢٥٩
ألم تسمعي ما قال مجزز المدلجي	٢/ ١٥٣
ألم أنهك أن ترفعي شيئاً لغد	٢/ ٢٨٩
ألم يأت للرحيل	٨/ ٣٢٤
ألم يمكن الله منك يا عدو الله؟	١/ ٢٥٠ ـ ٦/ ١٨٧
إلى أين يا أبا ليلى؟	١١/ ٣٧٢
إليَّ يا فلان، إليَّ يا فلان أنا رسول الله	١/ ١٤٧
أليس قد رأيت ذلك	١٣/ ٢٩٥
أليس لكم فيَّ أسوة	١٣/ ٢٩
أم أيمن أمي بعد أمي	٦/ ٣٤٠
أما إن ذلك ليس من سفركم هذا	١٢/ ٢٤٤ ـ ١٤/ ١٥٢
أما أنا فلا آكل متكئاً	٧/ ٣٣٥ ـ ١٣/ ٨٩
أما إنك ستقتلك الفئة الباغية	١٢/ ٢٠١
أما إنك لو تركته لملىء إلى فيه فأوكه	٥/ ١٨٧
أما إنه ستظهر معادن وسيحضرها شرار الناس	٨/ ٣٢٧
أما إنه ليس بشركم مكاناً	١٤/ ٢٢٩
أما إنه من أهل النار	١٣/ ٣٣٨
أما إنه نعم الغلام	١/ ٢٢٧
أما إنها ستكون	١٤/ ١٨٢
أما إنها ستهب الليلة ريح شديدة فلا يقومن أحد	١٤/ ٤٢
أما إنهم أمراء الخلافة بعدي	١٤/ ٢٠٨
أما إنهم لو أطاعوا أبا بكر وعمر رشدوا	٢/ ٧٣
أما أني سألت الله أن يعينني عليكم بالسنة	١٤/ ٦٤
أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر	٥/ ٣٧٦
أما بعد، أيها الناس فقدموا لأنفسكم	١/ ٦٦
أما بعد، أيها الناس ما مقالة بلغتني عن بعضكم	٢/ ١٢٤
أما بعد، أيها الناس وإنه قد دنا مني حقوق	١٤/ ٤٤٣
أما بعد، فإن إخوانكم هؤلاء جاؤونا تائبين	٩/ ٣٥٤
أما بعد، فإن الناس يكثرون ويقل الأنصار	١٢/ ٣٧٢ ـ ١٤/ ٤٤٠

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
إنه ستكون بعدي إثرة وأمور تكرهوها	١٢/ ٣٠٥
إنه سيفتح لكم مشارق الأرض ومغاربها	١٢/ ٣٣٥
إنه سيقتل أمير وينتز منتز	١٣/ ٢٠٤
إنه سيكون في آخر هذه الأمة قوم لهم	١٢/ ٢٩٥
إنه سيكون في أمتي أقوام يكذبون بالقدر	١٢/ ٣٦٤
إنه سيلحد فيه رجل من قريش	١٢/ ٢٦٠
إنه سيلي أمركم قوم يطفئون السنة	١٣/ ٢١٢
إنه سيولد لك بعدي غلام قد نحلته اسمي وكنيتي	١٣/ ١٨٨
إنه في بعض شأنكم	١/ ١٨٩
إنه قد استسقى الله دمي	١٣/ ٢٥٦
إنه قد نعيت إليَّ نفسي	١٤/ ٤١٧
إنه كائن في القوم خبر فأتيني بخبر القوم	١١/ ٣٨٦
إنه لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة	١٠/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧
إنه لم يمت	١٤/ ١٠٩
إنه لمن أهل الجنة	١/ ١٦٠
إنه لن يبسط أحد ثوبه حتى أقضي مقالتي هذه	١١/ ٢٤٩
إنه لو فر كما فر غيره من هو على مثل رأيه	١/ ١٢٧
إنه ليرتق فؤاد المريض	٨/ ١٧
إنه ليس بدواء ولكنه داء	٨/ ٣
إنه ليس لنبي أن يومىء	١٣/ ١١١
إنه ليس من شيء إلا يعرف أني رسول الله	٥/ ٢٥٥
إنه ليس من الناس أحد أمن على نفسه وماله	١٤/ ٤٣٩
إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله	٢/ ٣٢١، ٣٢٢
إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله كل يوم	١١/ ٢٠١
إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله	١٣/ ٦٠
إنه ميمون النقيبة مبارك الأمر	١/ ٧١
إنه لا ينبغي من أمتي أن يسجد أحد لأحد	٥/ ٢٤٧
إنه يصب من الغلام ويغسل من الجارية	١٤/ ١٤٣
إنها أمارة من أمارات ما بين يدي الساعة	٥/ ٢٣٤

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
أي يوم هذا؟	١٢/ ٣٤٨
إياكم والدخول على النساء	١٠/ ٢٥٤
إياكم والوصال	٢/ ٣١٩
أيبون تائبون إن شاء الله لربنا حامدون	٨/ ٣٨٠
أيبون تائبون عابدون لربنا حامدون	١/ ٢٥٨
أيبون تائبون لربنا حامدون	٨/ ١٦٨
أيتكن تنبح عليها كلاب الحوأب؟	١٣/ ٢٢٧
أيحسب أحدكم متكئاً على أريكته	١١/ ٢٢٣
أيكم دعا على هذا الكلب؟	١٢/ ١٠٩
أيكم الذي سمعت صوته قد ارتفع	١٠/ ١٢٦
أيكم صاحب هذا البعير	٥/ ٢٥٢
أيكم فجع هذه؟	٥/ ٢٧٤
أيكم يبسط ثوبه فيأخذ مني حديثي هذا؟	١١/ ٢٤٨
أيكم يعرف ثنية ذات الحنضل	١٣/ ٣٢٢
أيكم قتله؟	١٢/ ١٥٢
أيم بك	١/ ٢٦٥ ـ ٧/ ٢٤٦
أيما امرىء قال لأخيه يا كافر	٩/ ٢١٢
أيما رجل كسب مالاً من حلال فأطعم نفسه	١١/ ٨٩
أيما رجل لم يكن عنده صدقة فليقل في دعائه	١١/ ١٥١
أيما عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر	٢/ ٢٣
أيما قوم جلسوا في مجلس ثم تفرقوا	١١/ ٨٦
أيما مؤمن أمن مؤمناً على دمه فقتله	١٢/ ٢٥٢ ـ ١٤/ ١٦٠
أين ابناي؟	٦/ ٩
أين أراه السائل عن الساعة؟	١٢/ ٣٨١
أين أنا غداً؟	٢/ ١٣٠ـ١٤/ ٤٣٦، ٤٩٨، ٦٠٤
أين أنا اليوم؟ أين أنا غداً؟	١٠/ ٢٣١
أين البول الذي كان في هذا القدح؟	٧/ ١١١، ١١٣
أين تركت أهلك؟	١٤/ ٣١٠
أين تريد؟	٥/ ٣٧

حرف التـــاء

حرف الثـــاء

حرف الجيـــم

حرف الحـــاء

حرف الخـاء

حرف الدال

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد	١٠/ ١٦٦
دعوا الحنفي والطين	١٠/ ٩١
دعوني ما تركتكم	٣/ ١٣٥
دعوه	٢/ ٢٤٣، ٢٤٤ ـ ٧/ ١٨٩
دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى	٤/ ٥٤
دعوه حتى يحدث الله فيه ما يشاء	١/ ٢٤٧
دعوه، فإن يك فيه خير فيلحقه الله بكم	٢/ ٥٢
دعوه، فلو قدر شيء كان	٢/ ٢٣٦
دعوه، فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر	١٤/ ٣٥٢
دعوه وأهريقوا على بوله سجلاً من ماء	٢/ ٢٤٤
دعوها فإنها مأمورة	١/ ٦٦
دعوهم، فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم	١٤/ ٦٥
دعي هذه وقولي الذي كنت تقولين	٤/ ٢٢١
دعيه	١٢/ ٢٣٥
دفن في التربة التي خلق منها	١٠/ ٣٦٢
دم الحسين وأصحابه لم أزل أتبعه منذ اليوم	١٢/ ٢٤١
دونك يا جابر فاعمل هذه البيضات	٧/ ٣٢١
دونكما أبا محمد فإنها تجم الفؤاد	٨/ ٦٥
دين الله الذي اصطفى لنفسه وبعث به رسله	٩/ ٩٢
الدعاء موقوف بين السماء والأرض	١١/ ١٢٦
الديك الأبيض صديقي	٧/ ٣٦١

حرف الـــذال

ذاك إبراهيم وسماه شيخه	٩/ ٦٠
ذاك جبريل، لو دنا منه لأخذه	٤/ ١٢٣
ذاك حبسني عنكم	١٣/ ٦٤
ذاك رجل نجاه الله بوفائه	١٣/ ٣٠٦
ذاك شيطان يقال له خنزب	١١/ ٣٢٢، ٣٢٤
ذاك عند أوان ذهاب العلم	١٢/ ٣٥٩
ذاك فلان من الملائكة	٣/ ٣٢٦

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
ذاك لهم ما شاء الله على ذلك	١٢/ ٣٧٢
ذاك لو كان وأنا حي فأستغفر لك	١٤/ ٤٩٠
ذاك ملك العرب رجع إلى أحسن زيه وبهجته	١٣/ ٥
ذاك نجاه الله بوفائه	١٣/ ٣٠٧
ذروه فإنه خبيث، خبيث الدية	٤/ ١٢٠
ذكر لي أن أمة من بني إسرائيل مسخت	٧/ ٣٠٨
ذكرت شيئاً من تبر عندنا	٢/ ٢٩١
ذلك إلى ربي يصنع بي ما يشاء	٢/ ١٣٣
ذلك لو كان وأنا حي فأستغفر لك	١٤/ ٤٢٩
ذهب كلبهم وأقبل درهم	١/ ٣٥٧
ذهبت منك الرحمة؟	١/ ٣١٦

حرف الـــراء

راقداً	١٠/ ٧٥
رأيت جبريل عند السدرة وله ستمائة جناح	٣/ ٤٠
رأيت جبريل عليه السلام له ستمائة جناح	٣/ ٣٩
رأيت جبريل منهبطاً قد ملأ ما بين السماء	٣/ ٤٣
رأيت جعفر بن أبي طالب ملكاً يطير	٨/ ١٣٦
رأيت خيراً، تلد فاطمة إن شاء الله غلاماً	١٢/ ٢٣٧ ـ ١٤/ ١٤٥
رأيت ذات ليلة فيما يرى النائم	٨/ ٩٧
رأيت عموداً من نور خرج من تحت رأسي	١٢/ ٢١١
رأيت غلاماً بالبطحاء قد أوقفوه ليبيعوه	٦/ ٣٠٣
رأيت غنماً كثيرة سوداء	٨/ ١٢٧
رأيت في المنام امرأة سوداء ثائرة ثقيلة	١١/ ٣٠١
رأيت في المنام أني أهاجر من مكة	٨/ ٩٨
رأيت في المنام كأن أبا جهل أتاني فبايعني	٨/ ١٣٦
رأيت فيما يرى النائم كأني مردف كبشاً	٨/ ١٠٠
رأيت كأن امرأة سوداء ثائرة الرأس	٨/ ١٠٢ ـ ١١/ ٣٠٢
رأيت كأن دلواً دليت من السماء	٨/ ١٣٣
رأيت كأني أتيت بكثلة تمر	٨/ ١٢١

حرف الـــزاي

حرف السيــن

حرف الشيـــن

حرف الصـــاد

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
الصلاة في وقتها	١٤/ ٣٠٥
الصلوات الخمس	٣/ ٥٦

حرف الضـــاد

حرف الطـــاء

حرف الظـــاء

حرف العيـــن

حرف الغيـــن

حرف الفـــاء

حرف الكـــاف

حرف الـــلام

حرف الميم

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
ما لهم أذهب الله بعقولهم؟	٢/ ٤٣ ـ ١٤/ ٣١
ما لي أراك هكذا؟	١٢/ ٣
ما لي أراكم سكوتاً، للجن كانوا أحسن منكم	٩/ ٨٠
ما لي علم بأبي سفيان	١٢/ ١٤١
ما لي مما أفاء الله عليكم إلا هذا الخمس	١٣/ ١١٧
ما لي وللدنيا ما أنا والدنيا	٢/ ٢٨٧
ما لي ولهم يسألوني عما لا أدري؟	١٤/ ١٠٥
ما مات نبي قط إلا دفن حيث يقبض	٢/ ١٣٥
ما معك؟	٧/ ٢٩٨
ما من أحد يدخله عمله الجنة	٢/ ٣٣٢
ما من أحد يدعو الله عند الركن الأسود	١٤/ ٦٢٣
ما من أحد يسلم عليّ إلا رد الله روحي	١٠/ ٣٠٧، ٣٠٨
ما من آدم؟	١٤/ ٢٨١
ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطى من الآيات	٣/ ٣٠٩ ـ ٩/ ٤٢
ما من دعا إلا بينه وبين السماء والأرض	١١/ ٥٤
ما من عبد صلى عليّ صلاة إلا عرج بها ملك	١١/ ٧٠
ما من عبدين متحابين يستقبل أحدهما صاحبه	١١/ ٩١
ما من قوم جلسوا مجلساً ثم قاموا منه	١١/ ٨٥
ما من مسلم سلم عليّ في شرق الأرض	١١/ ٥٩
ما من مؤمن إلا أنا أولى به في الدنيا والآخرة	١٣/ ٥٦
ما من نسمة كائنة يوم القيامة	١/ ٢٠٦
ما من نفس منفوسة تبلغ مائة سنة	١٢/ ٢٩٠
ما من نفس منفوسة اليوم تأتي عليها	١٢/ ٢٩٠
ما منكم من أحد إلا وكل به قرينه	٤/ ١١١ ـ ١١/ ٢٢٦
ما من نبي إلا له وزيران من أهل السماء	٩/ ٣١٩
ما من نبي إلا وقد رعاها	٤/ ١٠٤
ما من نبي إلا وقد رعى الغنم	١٤/ ٣٩٥
ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي	١٤/ ٢٠٣
ما من نبي مرض إلا خُير بين الدنيا والآخرة	١٠/ ٣٦٧

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
من سره أن ينظر إلى عتيق من النار	٦/ ١٦٧
من شاركني في شيء فأنا أحق به منه	٥/ ٣٥٥
من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له	٢/ ٥٨
من صاحب هذا الجمل؟	٤/ ١٩٣ ـ ٥/ ٢٥١
من صعد ثنية المرار فإنه يحط عمله	١٣/ ٣٢٣
من صلى خلف المقام ركعتين غفر له	١٤/ ٦٢٣ ـ ٦٢٤
من صلى عليّ حين يصبح عشراً	١١/ ١٤٠
من صلى عليّ صادقاً من نفسه	١١/ ٥١
من صلى عليّ صلاة صلت عليه الملائكة	١١/ ٥٠
من صلى عليّ صلى الله عليه عشراً	١١/ ٤٧، ٤٨، ٦٩
من صلى عليّ صلاة لم تزل الملائكة	١١/ ٤٨
من صلى عليّ صلاة واحدة صلى الله عليه	١١/ ٤٥
من صلى عليّ عند قبري سمعته	١٠/ ٣٠٦ ـ ١١/ ٥٩
من صلى عليّ عند قبري وكل الله به ملكاً	١١/ ٥٢
من صلى عليّ في كتاب صلت عليه الملائكة	١١/ ٨٨، ١٣٦
من صلى عليّ في كتاب لم تزل الصلاة جارية له	١١/ ٨٧
من صلى عليّ في كل يوم ألف مرة	١١/ ٩٠
من صلى عليّ في كل يوم مائة مرة	١١/ ١٤٨
من صلى عليّ كنت شفيعه	١١/ ٩٢
من صلى عليّ مائة صلاة حين يصلي الصبح	١١/ ١٤٧
من صلى عليّ مرة صلى الله عليه عشراً	١٠/ ٣٧٤
من صلى عليّ من أمتي صلاة مخلصاً من قلبه	١١/ ٤٩
من صلى عليّ واحدة صلى الله عليه عشراً	١١/ ٤٣
من صلى عليّ وسأل لي الوسيلة حلت شفاعتي	١١/ ٩٢
من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه	١/ ١٢٦ ـ ١٢/ ١٨٤
من ظلمك؟	٦/ ٢٣٧
من عمر ستين أو سبعين سنة فقد عذر	١٢/ ٢٦٢
من غرس هذه النخلة؟	٦/ ٣٣٨
من فجع هذه بفرخيها؟	٥/ ٢٧٤

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
نحن بنو النضر بن كنانة	٢/ ٩٩
نحن على ظهر كما ترى	٢/ ٢٧
نحن من بني النضر بن كنانة	٣/ ٢١٠
نزل جبريل فأخبرني بوقت الصلاة	٣/ ٦٨
نزل جبرني فأمني فصليت معه	و/ ٦٠، ٦٥، ٦٦
نزلت الملائكة اليوم على سيما	٣/ ٣٢٤
نصرت بالرعب على العدو	٣/ ٣١٦ ـ ٩/ ٢٣٩
نصرت بالرعب وأعطيت الخزائن	١٤/ ٤٢٤
نصرت بالصبا	٤/ ٢٠٩
نصرت يا عمرو بن سالم	١٣/ ٢٧٣
نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه	١٢/ ٣٤٧
نضر الله امرءاً سمع منا شيئاً فبلغه	١٢/ ٣٤٦
نضر الله امرؤاً سمع مقالتي فوعاها	١٢/ ٣٤٨
نضر الله سامع مقالتي فوعاها	١٢/ ٥٣
نضر الله عبداً سمع مقالتي هذه فحملها	١٢/ ٣٤٧
نظرت إلى رجل من يهود يختلف إليَّ	٤/ ٩٤
نعطيكم الثمر على أن يعملوها على النصف	٩/ ٣٨٢
نعم	١/ ٩٢ـ٢/ ٢٨٤ـ ٣/ ٢٠، ٢٢ـ ٥/ ٥١، ٥٢ ـ ٦/ ٦٧، ١٠٠ ٣٨٧، ٣٩٦ـ١٢/ ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٦٩، ٣٩١ـ١٣/ ١٨٧
نعم، أسمع صلاصل ثم أسبت عند ذلك	٣/ ٤٨
نعم، إن جبريل وميكائيل أتياني	٤/ ٢٥٣
نعم، أنزل عليَّ طعام بمسخنة	٦/ ١٢٦
نعم، أيما أهل بيت من العرب أو العجم	١٢/ ٣٢٣
نعم الأدم الخل، نعم الأدم الخل	٧/ ٢٦٩ ـ ١٤/ ٢٨٠
نعم تلك العزى وقد يئست أن تعبد	١٤/ ١٢
نعم الشريك السائب	٨/ ١٤٦
نعم الشريك كان أبو السائب	٨/ ١٤٥، ١٤٨

حرف الهـــاء

حرف الــــواو

حرف اللام ألف

حرف اليـــاء

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
يا أم فلان، انظري أي السكك شئت	٢/ ٢١٧
يا أمة محمد لو تعلمون ما أعلم	٢/ ٢٨٥ ـ ١٢/ ٩
يا أنجشة رويدك، سوقك بالقوارير	٢/ ٢٢٥ ـ ٩/ ٣١٤، ٣١٦
يا أنس، أئت أمه فأعلمها...	٥/ ٢٨٨
يا أنس، هل ترى ما بأيدي القوم؟	٥/ ٣٢٥
يا أنصار الله وأنصار رسول الله	٢/ ١٣
يا أنيس، أذهبت حيث أمرتك؟	٢/ ١٩٥
يا أهل الخندق إن جابراً قد صنع سوراً	٥/ ١٥٥
يا أيها الناس، اتقوا خمساً قبل أن تحل بكم	١/ ٢٦٩
يا أيها الناس، اتقوا الله وإن أَمر عليكم عبد	٦/ ٣٨٧
يا أيها الناس، اذكروا الله جاءت الراجفة	١١/ ٥٢
يا أيها الناس أسفروا	٢/ ٩٣
يا أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام	١٤/ ٧٤
يا أيها الناس، إن الله قد حرم مكة	١/ ٣٩٥
يا أيها الناس، إنما صنعت هذا المنبر	١٠/ ١٠٤
يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به	٦/ ١٤
يا أيها الناس أوصيكم بما أوصاني الله في كتابه	١/ ١٣٨
يا أيها الناس بارك الله فيكم الثقلين	١٤/ ٤٧٦
يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه	٢/ ٣٢٢
يا أيها الناس عليكم بقولكم	٢/ ٢٢٨
يا أيها الناس قد فرض الله الحج فحجوا	١١/ ٢٢٠
يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا	٨/ ٣١٠، ٣١٣، ٣١٤
يا أيها الناس قولوا بقولكم	٢/ ٢١٩
يا أيها الناس من ولي منكم عملاً	٢/ ٢٨٩
يا أيها الناس لا يتلقين أحدكم سوقاً	١٢/ ٩٩
يا أيها الناس يد الله فوق يد المعطي	٢/ ٦٠
يا بسر، لا تبرح حتى تخرج معنا	١/ ٢٧٤ ـ ٧/ ٢٤٨
يا بلال، أسرج لي فرسي	٧/ ٢١٢، ٢١٣
يا بلال، زن لأبي سفيان أربعين أوقية	٢/ ٢٨ ـ ٩/ ٢٩٧

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
يا عباس، إنه لا تكون نبوة إلا كانت	١٢/ ٢٩٩
يا عباس، لا أرى لي عندك ولا عند بني أبيك	٨/ ٣١١
يا عباس بن مرداس، كيف كان إسلامك؟	٤/ ١٧
يا عبد الرحمن، لما كنت حيث رأيت	١١/ ١٥٠
يا عبدالله، اذهب بهذا الدم فأهرقه	١٢/ ٢٥٤
يا عبدالله، إنّا ابتعنا منك جزورك	٢/ ٢٣٤
يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة	١/ ١١٦
يا عثمان، إن الله عسى أن يلبسك قميصاً	١٣/ ٢٠٣
يا عثمان، إنه لعل الله يقمصك قميصاً	١٣/ ٢٠٢
يا عدي، هل رأيت الحيرة؟	١٤/ ٥٩
يا عكراش، كل من موضع واحد	١٤/ ٢٨٩
يا عليّ، أصب من هذا فهو أنفع لك	٧/ ٣٨٥
يا عليّ، اصنع رجل شاه بصاع من طعام	٥/ ١٧٦
يا عليّ، إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي	٥/ ١٧٤
يا عليّ، أوصيك بوصية فاحفظها	١٤/ ٤٨٤
يا عليّ، خذ أحد الكبشين ورد عليها الآخر	٥/ ٤١
يا عليّ، صليت العصر؟	٥/ ٢٨، ٢٩، ٣٠
يا عليّ، لا يحل لأحد يجنب في هذا المسجد	١٠/ ١٨١
يا عم إلى من تكلني لا أب لي	٨/ ١٧٩
يا عمار إن لله ملكاً أعطاه أسماع الخلائق	١١/ ٧٠
يا عمر، اذهب فأطعمهم	٥/ ١٧٨
يا عمر، إن الله مظهر دينه ومعز نبيه	١/ ١٧٧
يا عمر، أنا وهو كنا إلى غير هذا منك أحوج	٢/ ٢٠٣
يا عمر، إني أسمع	٧/ ٢٣٩
يا عمر، لو علمت أن الحليم كاد أن يكون	٥/ ٢٤٣
يا عمرو، أتحب أن أريك آية الجنة	١٢/ ٢٢١ ـ ١٤/ ١٢٩
يا عمرو، إن أمنك رجل على دمه فلا تقتله	١٤/ ١٢٩
يا عوف، احفظ خلالاً ستاً بين يدي الساعة	١٣/ ١٩١
يا عوف بن مالك، أدخل	١٢/ ٣٢٥

فهرس الأعلام

الألف

الباء

التاء

الثاء

الجيم

الحاء

الخاء

الدال

الذال

الراء

الزاي

السين

الشين

الصاد

الضاد

الطاء

العين

الغين

الفاء

القاف

الكاف

اللام

الميم

النون

الهاء

الواو

الكنى والألقاب

من نسب إلى أبيه أو جده

النساء

فهرس القبائل

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس الأبيات الشعرية

طرف البيت	عدد الأبيات	القافية	الموضع
يا كاشف	١٩	بأساء	١٢/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥
جُدى	٣	الشقراء	٣/ ٣٢٤
عين	٧	البكاء	١٤/ ٦٠٢
فخرتم	٢	صؤاب	١/ ١٤٤
عين	٦	الأواب	١٤/ ٦٠٠
إذا عضل	٣	الحواجب	١/ ١٤٤
لله در	١	أنحبا	١١/ ٢٩٢، ٢٩٣
أتاني	٧	بكاذب	٤/ ٥
ألا أبلغا	٣	مجرب	١٢/ ١٨٠
أنا الذي	٢	مجرب	١١/ ٢٩١
قد علمت	٢	مجرب	١١/ ٢٨٧
يلوم	٣	فاضب	١٢/ ١٨٤
يا عين	٥	فانتعيا	١٤/ ٦٠١
وفي الأصنام	١	العقابا	٥/ ٧٣
أكنيه	١	اللقبا	٢/ ١٤٦
فإنك شمس	١	كوكب	٣/ ١٢١
أفاطم	١١	الكوكب	١٤/ ٥٩٩
والعير	١	الكواكب	٥/ ١٤
أقمنا	١	جانب	١/ ١٤٤
لهف	٩	المحروب	١٤/ ٥٩٩
مظاهر	١	رسوب	٧/ ١٤٢
ألم	١	طبيبا	١٣/ ٩٥
أرقت	٧	دبيب	١٤/ ٦٠٠

طرف البيت	عدد الأبيات	القافية	الموضع
سما	١	العزيب	١٤/ ١١٧
لم يبق	١	الشيب	١/ ١٥٨
فإن يك	١	خصيب	١٤/ ٣٩١
فانقض	١	طيبا	٥/ ١٤
أرشدني	٤	هديت	٣/ ٤٠٤
هل أنت	١	لقيت	٢/ ٢٦٩ ـ ١٣/ ٩٧، ٩٩
ألا يا عين	١٢	هويت	١٤/ ٦٠١ ـ ٦٠٢
إن السماحة	١	الحشرج	٣/ ١٩٥
إليك	٦	العرج	٤/ ٧ ـ ٨
إذا حكم	٣	السروج	١٣/ ٤
لججت	١٢	النشيجا	٣/ ١٦ ـ ١٨
إن ابن	٣	صلاحا	٤/ ١١
آب	٧	الوساد	١٤/ ٦٠٠ ـ ٦٠١
آليت	٧	إفناد	١٤/ ٥٩٣
تبارك	٢	هاد	١٤/ ٤٨
جزى الله	٥	أم معبد	٥/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٣
أمسى	١	البلد	١/ ٢١٧ ـ ٦/ ٣٤٣
لا يستوي	٣	المساجدا	١٠/ ٨٧
قل للقبيلة	٣	المسجد	٤/ ١٦، ١٧
ويل أم	٣	وحدا	١/ ٢٥٤
لولا	٣	عددا	١٣/ ٢٧٢
أنا ابن	٢	الرد	١١/ ٣٣٥
باتت	٧	الجسدا	١٤/ ٥٩٤
بنونا	١	الأباعد	٦/ ١٢
لما تشاجرت	١١	أسعد	٤/ ١٠٨
متى يبد	٢	المتوقد	٢/ ١٤٩
يا رب	٨	الأتلدا	١٣/ ٣٧٣
يا عين	٩	أحمد	١٤/ ٥٩٨

طرف البيت	عدد الأبيات	القافية	الموضع
لو كنت	١	البدر	٢/ ١٤٩
فإن رشيداً	١	مصدراً	١٣/ ٧٨
شهد	٤	بالغدر	١٣/ ٢١٨
ولا خير	٢	تكدرا	٢/ ٢٦٤ ـ ١١/ ٣٧٢
تداركت	١	منذرا	١/ ١١٤ ـ ٦/ ٢٦٧
تنصرت	٦	ضرر	١٤/ ٢٤٨
قد علمت	٥	ياسر	١/ ٣١١
وسبرة	٢	تيسراً	١١/ ٣٤٢
صرخت	١٣	بشر	١٢/ ١٨٣ ـ ١٨٤
أزار	٣	قيصرا	١/ ٩٢
لله الحمد	٨	المطر	٥/ ١٢٦
ألكنى	٣	المشاعر	٦/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥
نحن	٥	مسعرا	٣/ ٤٠٢، ٤٠٣
يا رب	٧	المسافر	٤/ ٩٢
ألم تر	٩	جنافرا	٤/ ٢٨ ـ ٢٩
وإنا لقوم	٤	تنفرا	١١/ ٣٧٢
ألا بلغا	٢	يتذكرا	١١/ ٣٤٢
كأن	٢	سامر	٥/ ٢٧١
ألم تر	٩	لعامر	٤/ ١٢
سل	١	قمر	٦/ ١٧
هذا الحمال	١	وأطهرا	١/ ٢٢٥ ـ ٨/ ٣٢٤ ـ ١٠/ ٨٧
السماء	١	مظهراً	٢/ ٢٦٤ ـ ١١/ ٣٧١
سماه	٣	ظهراً	١/ ٢٢٧
لما رأيت	٥	الدور	١٤/ ٥٩٤
شقيت	٢	شور	٦/ ٢٣٨
عيني	٧	تعذير	١٤/ ٥٩٨
يا للرجال	١٢	من غير	٣/ ٢١ ـ ٢٢
كنت	١	فقير	١٤/ ٣٨٩
شمر	٧	تغيير	٤/ ٦٢

طرف البيت	عدد الأبيات	القافية	الموضع
شددت	٤	يلبس	٦/ ١٩٢
يا راكب	٢	الفرس	١٢/ ١٦٣
الله ربي	١	بالمغمس	٤/ ٧١
لو كان	٥	أنسى	١٣/ ٢٧٩
أفى	١	الحوائض	٥/ ٣٤٧
طلع	٣	الوداع	١/ ١١٧ ـ ٩/ ٢٠٢
نذود	٣	نتابع	٧/ ١٨٣، ١٨٦
إن الذوائب	١٧	تتبع	٢/ ٤٠ ـ ٤١
وكنا	٢	يتصدعا	١٤/ ٢٤٠
يا ليتني	٤	جذع	٢/ ٩
سائل	١٤	واسع	١٢/ ١١٨ ـ ١١٩
خذها	١	الرضع	١/ ٢٦١ ـ ٨/ ٣٨١
تطاول	١٢	جامع	١٤/ ٥٩٥
لقد جمع	١٠	مجمع	١٣/ ٢٨٠
طحنت	١٢	تدمع	١٢/ ١٧٩ ـ ١٨٠
بكت	٦	يسمع	١٢/ ١٨٠
نحن الكرام	٩	البيع	٢/ ٣٩ ـ ٤٠
قال النبي	٢٠	الغار	١٢/ ١٢٣ ـ ١٢٤
وبنو المنذر	١	بالسيوف	١٤/ ١١٥
قضينا	٤	السيوفا	١٣/ ٣٧٥
لم يغذها	٢	تعجيف	٢/ ٢٦٧
يا عين	٨	المصطفى	١٤/ ٥٩٦
تكلم	٣	بالنفاق	١٣/ ٢١٨
نحن بنات	٢	النمارق	١/ ١٤٠
يا ناعي	٤	خرق	٩/ ٦٩
من قبلها	٨	الورق	٣/ ١٩٤
تفاءل	١	يحقق	١٣/ ٩٦
يا خاتم	٥	هداكا	٧/ ١٨٥
أفي	١	العوارك	٥/ ٣٤٧

طرف البيت	عدد الأبيات	القافية	الموضع
يا ذا الكفين	٣	عباكا	٢/ ٢١
بدلت	١	أولئك	١١/ ٣٤٢
يا ذا	٣	عبادكا	٥/ ٣١٤
شهدت	٣	تارك	٤/ ١٠
صاحبك	٤	نفسكا	٣/ ٤٠٤
لا هم	٧	حلالك	٤/ ٦٩ ـ ٧٠
كفرانك	١	أهانك	١٤/ ١٢
يا أيها	١	يحمدونكا	٥/ ١١٠
فلم أسمع	٥	رجال	٤/ ٧٣
فعيناك	١	طائل	٤/ ٢٦٤
ألم تر	٢	الجلائل	٥/ ٢٩٢
ما علتي	٣	بلابل	١٣/ ٢٧٤
بكيت	٨	الأجل	٦/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤
وأنزاها	٤	برجل	١١/ ٣١٨ ـ ٣١٩
أضر	٢	الأكحل	٦/ ١٧٣
أتيناك	١٠	الأزل	١٢/ ٧٥ ـ ٧٦
جدي	١٤	الأعزل	٥/ ٦٠ ـ ٦١
نادى	٢	فانزل	٦/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧
إن يك	٧	مرسل	٣/ ٢٠ ـ ٢١
أتيناك	٤	الطفل	٥/ ١٢٦
مضى	٢	فعل	٥/ ٣٤٠
لئن قعدنا	١	المضلل	١٠/ ٨٦
وإذا نظرت	١	المتهلل	٢/ ١٥٩
وأبيض	١	للأرامل	٥/ ١٢٦، ١٢٨
وأبيض	٤	للأرامل	٥/ ١٢٧
أيامن	٢	جهل	٦/ ٢٣٠
الناس	٢	جهل	٦/ ٢٣٩
ما ولدت	٣	سهل	٦/ ٢٧١
ما ينظر	١	حجول	٦/ ٣٦٧

فهرس مصادر ومراجع التحقيق

- القرآن الكريم.
- **حسان بن ثابت الأنصاري (شاعر الرسول ﷺ) (٥٤ هـ)**: الديوان، تحقيق د. سيد حنفي حسين، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م.
- **عبدالله بن العباس بن عبد المطلب (٦٨ هـ)**: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ط. المكتبة الشعبية، بيروت، (د. ت).
- **أبو عبدالله، مالك بن أنس بن مالك (١٧٩ هـ)**: كتاب الموطأ، إعداد أحمد راتب عرموش، ط. دار النفائس، بيروت، ١٤٠٠ هـ.
- **أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي (٢٠٤ هـ)**: كتاب المسند، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٠م.
- كتاب الأم، ط. دار الشعب، القاهرة ١٩٦٨م.
- **أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي (٢٠٤ هـ)**: جمهرة النسب، رواية الشكري عن ابن حبيب، تحقيق د. ناجي حسن، ط. مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٨م.
- **محمد بن عمر بن واقد (الواقدي)، (٢٠٧ هـ)**: كتاب المغازي، تحقيق د. مارسدن جونس، ط. عالم الكتب، بيروت ١٩٦٦م.
- **أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (٢١١ هـ)**: تفسير القرآن العزيز، (تفسير عبد الرزاق) تحقيق د. عبد المعطي أمين قلعجي، ط. دار المعرفة، بيروت، ١٩٩١م.
- **أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري (١٢٣ هـ)**: السيرة النبوية، تقديم وتعليق طه عبد الرؤوف سعد، ط. مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة، ١٩٧٨م.
- **أبو بكر عبدالله بن الزبير الحميدي (٢١٩ هـ)**: مسند الحميدي، تحقيق وتعليق حبيب الرحمن الأعظمي، ط. عالم الكتب، بيروت، ١٣٨٢ هـ.
- **الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤ هـ)**: كتاب الأموال، تحقيق وتعليق محمد خليل هراس، ط. مكتبة الكليات الأزهرية ودار الفكر، القاهرة، ١٩٨١م.
- **محمد بن سعد بن منيع البصري (٢٣٠ هـ)**: الطبقات الكبرى، تقديم د. إحسان عباس، ط، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.
- **أبو بكر عبدالله بن أبي شيبة الكوفي العبسي (٢٣٥ هـ)**: الكتاب المصنف، ضبط وتصحيح وترقيم محمد عبد السلام شاهين، ط. دار الكتب، بيروت، ١٩٩٥م.
- **أحمد بن حنبل الشيباني (٢٤١ هـ)**: المسند، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩١م.
- **أبو محمد عبدالله بن عبد الرحمن الدارمي (٢٥٥ هـ)**: مسند الدارمي، طبع بعناية محمد أحمد دهمان، دار الكتب العلمية، بيروت (د. ت).
- **أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦ هـ)**: صحيح البخاري، وعليه حاشية الإمام السندي، ط. دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٨م.

- صحيح البخاري وعليه فتح الباري للحافظ ابن حجر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٩م.
- التاريخ الكبير، ط. مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٩١م.
- التاريخ الصغير، تحقيق محمود إبراهيم زايد، ط. دار الوعي، حلب، ١٩٧٧م.
- **أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري (٢٦١ هـ)**: صحيح مسلم، وعليه شرح الإمام النووي، ط. دار القلم، بيروت، (د. ت).
- **أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥ هـ)**: سنن أبي داود، تعليق عزت عبيد الدعاس، ط. حمص، سوريا ١٩٦٩ م، وعليه معالم السنن للإمام الخطابي.
- **أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني [ابن ماجه] (٢٧٥ هـ)**: سنن ابن ماجه، تعليق محمد فؤاد عبد الباقي، ط. عيسى الحلبي، القاهرة (د. ت).
- **أبو محمد عبدالله مسلم بن قتيبة (٢٧٦ هـ)**: كتاب المعارف، تحقيق وتقديم د. ثروت عكاشة، ط. دار المعارف، القاهرة ١٩٦٩م.
- الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط. دار التراث العربي، القاهرة ١٩٧٧.
- **أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (٢٧٩ هـ)**: سنن الترمذي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، ط. دار الفكر، بيروت، ١٣٨٩ هـ.
- الشمائل المحمدية، تعليق عزت عبيد الدعاس، ط. مؤسسة الزغبي، بيروت ١٣٦٩ هـ.
- **أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي ابن بحر النسائي (٣٠٣ هـ)**: سنن النسائي، وعليه حاشية الإمام السندي، ثم حاشية الحافظ السيوطي، ط. المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ١٣٤٨ هـ.
- **أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠ هـ)**: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط. مصطفى الحلبي، القاهرة ١٩٦٨م.
- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. دار المعارف، القاهرة ١٩٦٧م.
- **أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي (٣١٤ هـ)**: كتاب الفتوح، ط. دار الندوة الجديدة، بيروت (د. ت).
- **أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (٣٢١ هـ)**: الاشتقاق، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ط. دار الجيل، بيروت ١٩٩١م.
- **أبو جعفر الطحاوي أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي المصري الحنفي (٣٢١ هـ)**: مشكل الآثار، ط. دار صادر، بيروت ١٣٣٣ هـ.
- **أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي (٣٢٢ هـ)**: الضعفاء الكبير، تحقيق د. عبد المعطي أمين قلعجي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٤م.
- **عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (٣٢٧ هـ)**: الجرح والتعديل، ط. دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٧١ هـ.
- **أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (٣٢٨ هـ)**: العقد الفريد، تحقيق د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧م.
- **أبو حاتم محمد بن حبان البستي (٣٥٤هـ)**: تاريخ الصحابة الذين روى عنهم الأخبار،

تحقيق بوران الضناوي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨م.
- كتاب الثقات، ط. دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، ١٩٧٣م.
- صحيح ابن حبان، بترتيب علاء الدين علي، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٨م.
- **الإمام علي بن عمر الدارقطني (٣٥٨هـ)**: سنن الدارقطني، تحقيق السيد عبدالله هاشم يماني المدني، ط. دار المحاسن، القاهرة ١٩٦٦م.
- **أبو أحمد عبدالله بن عدي الجرّاني (٣٦٥ هـ)**: الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق د. سهيل ذكار ويحيى مختار غزاوي، ط. دار الفكر، بيروت ١٩٨٨م.
- **حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطابي (٣٨٨ هـ)**: معالم السنن، على هامش سنن أبي داود، تعليق عزت عبيد الدعاس، ط. حمص، سوريا ١٩٦٩م.
- **أبو هلال العسكري (بعد ٣٩٥ هـ)**: جمهرة الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد الحميد قطامش، ط. المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة ١٩٦٤م.
- **أبو عبدالله الحاكم النيسابوري (٤٠٥ هـ)**: المستدرك على الصحيحين، ط. دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠م.
- **أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني (٤٣٠ هـ)**: دلائل النبوة، تحقيق د. محمد رواس قلعجي وعبد البر عباس، ط. دار النفائس، بيروت ١٩٩١م.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط. مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٧٤.
- **أبو محمد علي بن سعيد بن حزم الظاهري الأندلسي (٤٥٦ هـ)**: أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد، تحقيق سيد كسروي حسن، ط. دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢م.
- جمهرة أنساب العرب، ط. دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣م.
- **الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (٤٥٨ هـ)**: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق د. عبد المعطي قلعجي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥م.
- شعب الإيمان، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بسيوني زغلول، ط. دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠م.
- السنن الكبرى، ط. دار المعرفة، بيروت ١٩٩٢م.
- **أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبد البر (٤٦٣ هـ)**: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي، ط. دار الجيل، بيروت ١٩٩٢م.
- **الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (٤٦٣ هـ)**: تاريخ بغداد، ط. دار الكتب العلمية، بيروت (د. ت).
- **أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (٤٦٨ هـ)**: أسباب النزول، ط. عالم الكتب، بيروت ١٣١٦ هـ.
- **أبو عبيد عبدالله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (٤٨٧ هـ)**: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، ط. عالم الكتب، بيروت ١٩٨٣م.
- **أبو القاسم الحسين بن محمد (الراغب الأصفهاني) (٥٠٢ هـ)**: المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كلاني، ط. دار المعرفة، بيروت (د. ت).
- **الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (٥٠٥ هـ)**: إحياء علوم الدين، تحقيق

سيد إبراهيم صادق، ط. دار الحديث، القاهرة ١٩٩٢م.
- **أبو شجاع سيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمذاني (٥٠٩ هـ)**: الفردوس بمأثور الخطاب، ط. دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٦م.
- **أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني (٥١٨ هـ)**: مجمع الأمثال، تحقيق وتعليق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط. دار الفكر، بيروت ١٩٧٢م.
- **القاضي عياض بن موسى اليحصبي (٥٤٤ هـ)**: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ط. دار الكتب العربية الكبرى، القاهرة ١٣٩٥ هـ.
- **أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله السهيلي (٥٨١ هـ)**: الروض الأنف، شرح على سيرة ابن هشام، تقديم وتعليق طه عبد الرؤوف سعد، ط. القاهرة ١٩٧١م.
- **جار الله محمود بن عمر الزمخشري (٥٨٣ هـ)**: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط. دار المعرفة، بيروت (د. ت).
- الفائق في غريب الحديث، تحقيق علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط. عيسى الحلبي، القاهرة (د. ت).
- **أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (٥٩٧ هـ)**: الموضوعات تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، ط. المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ١٩٦٦م.
- تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، ط. مكتبة الآداب، القاهرة ١٩٧٥م.
- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، تقديم الشيخ خليل الميس، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣.
- الضعفاء والمتروكين، تحقيق عبدالله القاضي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٦م.
- صفة الصفوة، تحقيق إبراهيم رمضان وسعيد اللحام، ط. دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٩م.
- **فخر الدين الرازي، أبو عبدالله محمد بن عمر (٦٠٦ هـ)**: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ط. طهران (د. ت).
- **مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير (٦٠٦ هـ)**: النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناجي، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٦٣م.
- جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق عبد القادر الأرناؤط، ط. دار الفكر، بيروت ١٩٨٣م.
- **أبو البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري (٦١٦ هـ)**: إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جمع القرآن، تحقيق إبراهيم عطوه عوض، ط. دار الحديث، القاهرة ١٩٩٢م.
- **شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت الحموي (٦٢٦ هـ)**: معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠م.
- **عز الدين الحسن بن الأثير (٦٣٠ هـ)**: الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت ١٩٧٩م.
- **محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (٦٧٦ هـ)**: الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، ط. دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٩.

- تهذيب الأسماء واللغات، ط. دار الكتب العلمية، بيروت (د. ت).
- شرح صحيح مسلم، مراجعة الشيخ خليل الميس، ط. دار القلم، بيروت (د. ت).
- روضة الطالبين، حققه الشيخان: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ط. دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢م.
- **أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (٦٨١ هـ)**: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان مما ثبت بالنقل أو السماع أو أثبته العيان، تحقيق د. إحسان عباس، ط. دار صادر، بيروت ١٩٧٨م.
- **أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (٧١١ هـ)**: لسان العرب، ط. دار صادر، بيروت ١٩٩٠م.
- **شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم (ابن تيمية) (٧٢٨ هـ)**: الصارم المسلول على شاتم الرسول، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط. دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٨م.
- **أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن محمد ابن عمر (٧٣٢ هـ)**: تقويم البلدان، ط. باريس ١٨٣٠م.
- **فتح الدين أبو الفتح بن محمد بن سيد الناس (٧٣٤ هـ)**: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ط. دار المعرفة، بيروت (د. ت).
- **صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (٧٣٩ هـ)**: مراصد الاطلاع عن أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجلوي، ط. دار الجبل، بيروت ١٩٩٢م.
- **الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (٧٣٩ هـ)**: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٨م.
- **شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨ هـ)**: المغني في الضعفاء، تحقيق نور الدين عتر، (د. ت).
- سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٢م.
- تاريخ الإسلام، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، ط. دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٧م.
- **شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي [ابن القيم] (٧٥١ هـ)**: زاد المعاد في هدى خير العباد، تحقيق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، ط. مؤسسة الرسالة ١٩٩٤م.
- **محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناط (٧٥٤ هـ)**: البحر المحيط في التفسير، ط. دار الفكر، بيروت ١٩٩٢م.
- **أبو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن هشام الأنصاري المصري (٧٦١ هـ)**: شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط. المكتبة العصرية، بيروت ١٩٩٨م.
- **صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (٧٦٤ هـ)**: الوافي بالوفيات، باعتناء هملوت رينز، ١٩٦٢م.
- **محمد بن شاكر الكتبي (٧٦٤ هـ)**: فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق د. إحسان عباس، ط. دار صادر، بيروت ١٩٧٣م.
- **أبو محمد عبدالله بن سعد علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي (٧٦٨ هـ)**: مرآة

الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ط. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٩٧٠م.

- **أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (٧٧٤ هـ)**: البداية والنهاية، تحقيق علي شيري، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٨م.

- تفسير القرآن العظيم، تقديم د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، ط. دار المعرفة، بيروت ١٩٩٢م.

- **أبو عبدالله محمد علي بن أحمد بن حديدة الأنصاري (٧٨٣ هـ)**: المصباح المضيء في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي، تصحيح وتعليق الشيخ محمد عظيم الدين، ط. عالم الكتب، بيروت ١٩٨٥م.

- **زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي (٨٠٦ هـ)**: المغني عن الأسفار في الأسفار في تخريج باقي الإحياء من الأخبار على ذيل إحياء علوم الدين، ط. دار الحديث، القاهرة ١٩٩٢م.

- **مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (٨١٧ هـ)**: القاموس المحيط (بترتيب طاهر الزاوي)، ط. عيسى الحلبي، القاهرة ١٩٧٠م.

- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد علي النجار ثم عبد العليم الطحاوي، ط. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٩٨٦م.

- **أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي، والشهير بابن الجزري (٨٣٣ هـ)**: النشر في القراءات العشرة، مراجعة الشيخ علي محمد الضباع، ط. دار الكتب العلمية، بيروت (د. ت).

- **أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي (٨٤٥ هـ)**: إمتاع الأسماع: الجزء الأول بتحقيق أحمد شاكر، ط. لجنة التأليف والنشر القاهرة ١٩٤١م.

- المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، ط. دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩١م.

- **أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢ هـ)**: الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي محمد البجاوي، ط. دار الجيل، بيروت ١٩٩٢م.

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ط. دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٩م.

- لسان الميزان، ط. دارالفكر، بيروت ١٩٨٨م.

- تهذيب التهذيب، ط. دار الفكر، بيروت ١٩٨٤م.

- الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف، في ذيل الكشاف للزمخشري، دار المعرفة، بيروت (د. ت).

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ط. دار الجيل، بيروت (د. ت).

- **أبو القاسم علي بن عثمان بن محمد بن أحمد بن الحسن بن القاصح العذري البغدادي، من علماء القرن الثامن الهجري**:

- سراج القارىء المبتدي وتذكار المقرىء المنتهي، شرح منظومة حرز الأماني ووجه التهاني، لأبي محمد بن فيرة بن أبي القاسم بن خلف بن أحمد الرعيني الأندلسي الشاطبي، من علماء القرن السادس الهجري في القراءات السبع، ط. دار الفكر، بيروت ١٩٨١م.

- **محمد بن عبد الرحمن السخاوي (٩٠٢ هـ)**: المقاصد الحسنة في بيان كثير من

الأحاديث المشتهرة على الألسنة، تحقيق محمد عثمان الخشت، ط. دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٥م.
- **الحافظ جلال الدين السيوطي (٩١١ هـ)**: تاريخ الخلفاء، ط. دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨م.
- **أحمد بن محمد القسطلاني (٩٢٣ هـ)**: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، تحقيق أحمد الشامي، ط. المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٩١م.
- **علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان الفوري (٩٧٥ هـ)**: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ضبط البرهان فوري، وتصحيح الشيخ بكري حياني، والشيخ صفوة السقا، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٦م.
- **نورالدين علي بن محمد بن سلطان [ملا علي القاريء]** (١٠١٤ هـ): الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، (الموضوعات الكبرى)، تحقيق وتعليق محمد الصباغ، ط. دار الأمانة ومؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٧١م.
- **مصطفى بن عبدالله القسطنطي الرومي الحنفي [حاجي خليفة]** (١٠٦٧ هـ): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ط. دار الفكر، بيروت ١٩٩٤م.
- **أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (١٠٨٩ هـ)**: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط. دار الكتب العلمية، بيروت (د. ت).
- **محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري والأزهري المالكي (١١٢٢ هـ)**: شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، ط. دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠م.
- **إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (١١٦٢ هـ)**: كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، ط. دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨م.
- **محمد بن علي الشوكاني (١٢٢٥ هـ)**: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق سيد إبراهيم، ط. دار الحديث، القاهرة ١٩٩٣م.
- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، ط. دار السنة المحمدية، القاهرة ١٩٧٨م.
- **أبو العلاء محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (١٣٥٣ هـ)**: تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠م.
- **عمر رضا كحالة**: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٧٨م.
- أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩١م.
- **خير الدين الزركلي**: الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط. بيروت ١٩٦٩م.
- **الدكتور محمد حميد الله حيدرآبادي**: مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الرشيدة، ط. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (د. ت).

جدول ببعض الأخطاء الواردة في الكتاب

الخطأ	الصواب	الجزء والصفحة	السطر
راً	نوراً	١/ ٤٧	١
صبحتكم مساتكم	يقول صبحكم مساكم	٢/ ٢٨٤	٢
هدي	هدى	٣/ ١٢٠	٢٦
أتبع	اتبع	٣/ ١٢١	٤
رمضمض	ومضمض	٣/ ٣٦٥	١
فِسْرت	فَسِرْتُ	٤/ ٧	١
خيَّت	خبَّت	٤/ ٧	١٥
فعسي	فعسى	٤/ ٢٦٤	١٣ ـ ١٤
غشياً	عشياً	٧/ ٢٠١	٦
ووتبنا	ووثبنا	١٢/ ١١٨	١
أهدي	أهدى	١٢/ ١٨٦	١
فتتهجد	فتهجد	١٣/ ٣٥	٢
يعلبك	بعلبك	١٣/ ٢٠٧	١٦
إذ تصعدون لا	إذ تصعدون ولا	١٣/ ٣٥٥	٢٠
الزبعري	الزبعرى	١٣/ ٣٨٨	١
علبس	عباس	١٤/ ٢١٢	٢٢
أبية : مامات	مكررة	١٤/ ٢٢١	١
يوحي	يوحى	١٤/ ٢٢٧	٢٧
إلي	إلى	١٤/ ٢٣٣	٢٧
تخذُّ	تخدُّ	١٤/ ٣٣٨	١٨
التقي	التقى	١٤/ ٣٥٠	١
يسنغفر	يستغفر	١٤/ ٣٥٥	٢٧
قائل	قاتل	١٤/ ٣٥٨	٤
بالهدي	بالهدى	١٤/ ٣٦١	١١
الأذي	الأذى	١٤/ ٣٨٥	٤
روي	روى	١٤/ ٤٠٨	٢
أدني	أدنى	١٤/ ٤٢٢	٩